الأول من مناسبات القرآن
للعلامة المحقق أبي الحسن برهان الدين
ابن عمر البقاعي الشافعي
رحمه الله تعالى

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاء دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان وخمسين
ومائة وألف

هذه النسخة الجليلة من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات الحسان صاحب الجود والإحسان
منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية مفتح مغالق المراصد بمفاتيح الكفاية
جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر الأكمل ألا وهو آغا دار السعادة
الحاج بشير وقفه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير
حرره الفقير إليه محمد أمين المفتش بأوقاف الحرمين
عفي عنه



الحمد لله
نعم الله عز وفضل
على عبده [illegible] عراق
ثم صار للعبد المنشد [illegible]
ابن علاء الدين [illegible]

ملكه الواثق بمولاه [illegible]
محمد ابن الشيخ محمد ابن [illegible]
النقيب عفي عنهما
المحسن [illegible]

٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الظالمين

قال الشيخ الفقيه الامام العالم العامل العلامة الاوحد المفنن الحافظ ابو الحسن ابراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي لطف الله به اجمعين الحمد لله الذي انزل الكتاب متناسبا سوره واياته متشابها فواصله وغاياته واشهد ان لا اله الا الله الذي تمت كلماته وعمت مكرماته واشهد ان سيدنا محمدا عبده الذي ختمت به نبواته وكملت برسالته رسالاته فوالت عليه وعلى اله واصحابه وازواجه وذريته واحبابه صلواته وتواتر تسليمه وبركاته ما دامت حياته وبقيت ذاته وصفاته وبعد فهذا كتاب عجاب رفيع الجناب في فن ما رايت من سبقني اليه ولا عول ثاقب فكره عليه اذكر فيه ان شا الله مناسبات ترتيب السور والايات اطلت فيه التدبر وانعمت التفكر لايات الكتاب امتثالا لقوله تعالى ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب واستمدادا مما اشار اليه امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه فيما خرجه البخاري في الجهاد وغيره عن ابي جحيفة قال قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شي من الوحي الا ما في كتاب الله قال لا والذي فلق الحبة وبرا النسمة لا اعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القران وما في هذه الصحيفة الحديث وتعرضا لنفحات ما اشار اليه ما اخرجه البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية والبخاري وغيره ايضا عن ابي بكرة وغيره رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال ليبلغ الشاهد الغايب فرب مبلغ اوعى من سامع ووقوفا على الباب الذي اطلع عليه حبر الامة وبحر علومها الجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الشيخان والطبراني وهذا لفظه انه رضي الله عنه كان في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها فوضع للنبي صلى الله عليه وسلم طهورا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من وضع هذا قيل ابن عباس رضي الله عنهما قال فضرب على منكبي وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وروي عنه الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره والامام ابو بكر بن الانباري في مقدمة كتاب الوقف والابتدا انه قال رضي الله عنه تفسير القران على اربعة وجوه تفسير يعلمه العلما وتفسير تعرفه العرب وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير لا يعلمه الا الله تايبد بما رويته لما لو دبت لتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي ولعل تسهيله كان ببركة مبشرة من اثار النبوة رايتها في صباي وانا في حدود العاشرة من سني من بلاد البقاع رايت روح القدس جبريل المنزل بهذا الروح والمويد بروح القدس محمدا النبي الامي المنزل عليه هذا الروح صلى الله عليهما وسلم في صورتي شابين امردين في احسن صورة راكبين فرسين اخضرين في غاية الحسن متوجهين نحو المشرق فايدني الله تعالى ببركتهما في تصنيفه بروح منه كما يشهده من طالعه وتدبره والله ولي التوفيق وسميته نظم الدرر من تناسب الايات والسور ويناسب ان يسمى فتح الرحمن في تناسب اجزا القران وانسب الاسما له ترجمان القران ومبدي مناسبات الفرقان وعلم المناسبات الاعم من مناسبات القران وغيره علم يعرف منه علل الترتيب وموضوعه اجزا الشي المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما امامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب فعلم مناسبات القران علم يعرف منه علل ترتيب اجزايه وهو سر البلاغة لادايه الي تحقيق مطابقة المقال لما

اقتضاه

جميع جملها

اقتضاه من الحال وتتوقف الاجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو وطالعت بعد تصنيفه تاليفا لشيخ مشايخ شيوخنا العلامة ابي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الاندلسي سماه البرهان في ترتيب سور القران وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط لا يتعرض فيه للايات وساذكر في اول كل سورة ما قاله فيها بلفظه كما سترا ان شا الله تعالى ثم ظفرت بكتاب للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي سماه البرهان في علوم القران قرايته ذكر فيه ما عرف بعد اكمالي هذا فقال في النوع الثاني منه وهو في المناسبة وقد قل اعتنا المفسرين بهذا النوع لدقته وممن اكثر منه الامام فخر الدين وقال في تفسيره اكثر لطايف القران مودعة في الترتيبات والروابط وقال القاضي ابو بكر بن العربي في سراج المريدين ارتباط اي القران بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورايناه الخلق باوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه ونقل الزركشي عن سلطان العلما الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام ان يقع في امر متحد مرتبط اوله باخره فان وقع على اسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن احسنه فان القران نزل في نيف وعشرين سنة في احكام مختلفة شرعت لاسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتاتى ربط بعضه ببعض قال الزركشي قال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب للاي الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقايع المتفرقة وفصل الخطاب انها على حسب الوقايع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتاصيلا مرتبة سوره كلها واياته بالتوقيف كما انزل جملة الى بيت العزة ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل اية ان يبحث اول كل شي عن كونها مكملة لما قبلها او مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم انتهى واشتغلت في هذا الكتاب كثيرا بتفسير على وجه كلي للامام الرباني ابي الحسن علي بن احمد بن الحسن التجيبي الحرالي بمهملتين مفتوحتين ومد وتشديد اللام المغربي نزيل حماه من بلاد الشام سماه مفتاح الباب المقفل لفهم القران المنزل وكتاب العروة لهذا المفتاح ذكر فيه وجه انزال الاحرف السبعة وما يحصل به قراتها وكتاب التوشية والتوفية في فصول تتعلق بذلك وقد ذكرت اكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوا اليه في مواضع تليق به ثم بعد وصولي الي سورة الانفال ملكت جزا من تفسيره من اوله الى ان اصطفى في ال عمران فرايته عديم النظير وقد ذكر فيه المناسبات وقد ذكرت ما اعجبني منها وعزوته اليه يسر الله الاطلاع على بقيته بحوله وقوته وبعد ان وصلت الي سورة الكهف ذكر لي ان تفسير ابن النقيب الحنفي وهو في نحو ستين مجلدا ابذكر فيه المناسبات وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه فطلبت منه جزا فرايت الامر كذلك بالنسبة الى الايات لا جملها والي القصص لا جميع اياتها ومن نظر كتابي هذا مع غيره علم النسبة بينهما والله الموفق وهذا العلم يوجب الايمان في القلب ويتمكن من اللب وذلك

علي ذلك كتاب العلامة

اهـ

ذوق النظر في المعنى

انه يكشف للاعجاز طريقين احدهما نظم كل جملة على حيالها والثاني نظمها مع اختها والاول اقرب تناولا واسهل ذوقا فان كل من سمع القران من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الاعجاز ثم اذا عبر الفطن من ذلك الى تامل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك وراى ان الجمل متباعدة الاغراض متنافية المقاصد فظن انها متنافرة فحصل له من القبض والكرب اضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط فربما شككه ذلك وزلزل ايمانه وزحزح ايقانه وربما وقف ذلك بكثير من اذكيا المخالفين عن الدخول في هذا الدين بعد ما وضحت لديه دلايله وبرزت له من جمالها دقايقه وجلايله لحكمة ارادها منزله واحكمها مجمله ومفصله فاذا استعان الله وادام الطرق لباب الفرج بانعام التامل واظهار العجز والوثوق بانه في الذروة من احكام الربط كما كان في الاوج من حسن المعنى واللفظ لكونه كلام من جل عن شوايب النقص وحاز صفات الكمال ايمانا بالغيب وتصديقا للرب قايلا ما قال الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فانفتح له ذلك الباب ولاحت من ورايه بوارق انوار تلك الاسرار رقص الفكر منه طربا وسكر والله استغرابا وعجبا وطاش لعظمه ذلك جنانه ورسخ من غير مرية ايمانه وراى ان المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف بديعة الرصف عليه الامر عظيمة القدر مباعدة لمعاني الكلام على انها منها اخذت فسبحان من انزله واحكم وفصله وعطاه وجلاه وبينه غاية البيان واخفاه وبذلك ايضا يوقف على الحق من معاني ايات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب منها قوله تعالى في سورة البقرة ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت الايتين ومنها قوله تعالى في سورة النسا فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات وقوله تعالى في اخرها فهؤلا انتم في مرية مما يعبد هولا الاية وقوله تعالى في سبحان ويسالونك عن الروح الاية وقوله تعالى في السجدة قل يتوفيكم ملك الموت الذي وقوله تعالى في يس انهم اليهم لا يرجعون الى غير ذلك مما تراه وينكشف لك غامض معناه وبه يتبين لك اسرار القصص المكررات وان كل سورة اعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة السابقة ومن هنا اختلفت الالفاظ بحسب تلك الاغراض وتغيرت النظوم بالتاخير والتقديم والايجاز والتطويل مع انه لا يخالف شي من ذلك اصل المعنى الذي تكونت به القصة وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها ولقد شفاني بعض فضلا العجم وقد سالته عن شي من ذلك فراه مشكلا ثم قررت له وجه مناسبته وسالته حل وضح له فقال يا سيدي كلامك هذا يتسابق الى الذهن فلا تظنن ايها الناظر لكتابي هذا ان المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها فرب اية اقمت في تاملها شهورا منها واذ غدوت من اهلك في ال عمران ومنها ويستفتونك في النسا قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ومن اراد تصديق ذلك فليتامل شيا من الايات قبل ان ينظر ما قلته ثم لينظره يظهر له مقدار ما تعبت وما حصل لي من فضل الله من العون سوا كان ظهر له وجه لذلك عند تامله اولا وكذا اذا راى ما ذكره غيري من مناسبات بعض الايات وبه ايضا يتضح انه لا وقف تام في كتاب الله ولا على اخر سورة قل اعوذ برب الناس بل هي متصلة مع كونها اخر القران

بالفاتحة

بالفاتحة التي هي اوله كاتصالها بما قبلها بل اشد الا ان يحمل بعضهم لتعلقه على اللفظ مطلقا ولو خفيا وفي الكافي على اللفظ بوقيد الجلا ولا ينكشف هذه الاغراض اتم انكشاف الا لمن حاز عمر هذا الكتاب وصار من اوله واخره واثنايه على ثقة وصواب وما يذكر الا اولو الالباب وقد ذكر الزركشي لطايف ورقات من مناسبات بعض الايات واذا تاملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نفايس الجواهر وبدايع السراير وقد ادرجت فيه مما ليس من بابه اليسير من غرايب التفسير مما لم اظفر به في كتاب مع انه كالمثل يسير والله اسال ان يجعله موجبا لرضوانه والفوز الدايم في اعلى جنانه

سورة فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخنا الامام المحقق ابو الفضل محمد بن العلامة القدوة ابي عبد الله محمد بن العلامة القدوة ابي القاسم محمد المشدالي المغربي البجايي المالكي علامة الزمان سقى الله عهده سحايب الرضوان واسكنه اعلى الجنان الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الايات في جميع القران هو انك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفا الغليل بدفع عنا الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع اجزا القران فاذا فعلته تبين لك ان شا الله تعالى وجه النظم مفصلا بين كل اية واية في كل سورة سورة والله الهادي وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي الى سورة سبا في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب ان اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لان اسم كل شي تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال اجمالا على تفصيل ما فيه وذلك الذي انبا به ادم عليه السلام عند العرض على الملايكة عليهم السلام ومقصود كل سورة هاد الى تناسبها فالفاتحة اسماؤها ام الكتاب والاساس والمثاني والكنز والشافية والكافية والواقية والرقية والحمد والشكر والدعا والصلاة فمدار هذه الاسما كما ترى على امر خفي كاف لكل مراد وهو المراقبة التي سأقول انها مقصودها فكل شي لا يفتتح بها لا اعتداد به وهي ام كل خير واساس كل معروف ولا يعتد بها الا اذا ثنيت فكانت داعية التكرار وهي كنز لكل شي شافية لكل دا كافية لكل هم واقية بكل مرام واقية من كل سو رقية لكل ملم وهي اثبات للحمد الذي هو الاحاطة بصفات الكمال وللشكر الذي هو تعظيم المنعم وهي عين الدعا فانه التوجه الى المدعو واعظم مجامعها الصلاة اذا تقرر ذلك فالغرض الذي سيقت له الفاتحة هو اثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال واختصاصه بملك الدنيا والاخرة وباستحقاق العبادة والاستعانة بالسوال في المن بالزام صراط الفايزين والانقاذ من طريق الهالكين مختصا بذلك كله ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسايل اليه فانه لا بد في ذلك من اثبات احاطته تعالى بكل شي ولن يثبت حتى يعلم انه المختص بانه الخالق الملك المالك لان المقصود من ارسال الرسل وانزال الكتب نصب الشرايع والمقصود من نصب الشرايع جمع الخلق على الحق والمقصود من جمعهم تعريفهم بالملك وبما يرضيه وهو مقصود القران الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الاول ولن يكون ذلك الا بما ذكر علما وعملا ولما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لاجل عبادته وكان التزام اسمه تعالى في

كل حركة وسكون قايدا الي مراقبته وداعيا الي مخافته واعتقاد ان مصادر الامور ومواردها منه
وبه واليه شرعت التسمية اول كل شي تصدرت بها الفاتحة وقدم المعمول الذي هو من ذكر المناسد تعظيما
للقران بالاشارة الي انه ينبغي لتاليه ان يجرد في تصفية سره وجمع متفرق امره لينال سوله ومراده
مما اودعه من خزاين السعادة باعراضه عن العدو والحسود واقباله علي الولي الودود والمراد بالاسم
الصفات العلي وقال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في تفسيره في غريب الفاظ البسملة الباء معناه اسم ما اظهر
الله سبحانه من حكمة التسبب الاسم ظهور ما غاب او غمض القلوب بواسطة الاذان علي صورة الانفراد الله
اسم ما تنتهي اليه القلوب عند موقف العقول فنا له فيه اي تحير فيه تعبد له وتلوه به اي تنفي به عن
كل شي الرحمن شامل الرحمة لجاية ما تناولته الربوبية الرحيم خاص الرحمة بما ترضاه الالهية وقال في غريب
معناها لما اظهر الله سبحانه حكمة التسبيب واري الخلق استفادة بعض الاشيا من اشيا اخر متقدمة عليها
كانها اسبابها وقف بعض الناس عند اول سبب فلم ير ما قبله ومنهم من وقف عند سبب السبب الي ما عسا ه
ينتهي اليه عقله فطوي الحق تعالي تلك الاسباب واظهر بالبسملة اي لتقدم الجار ان كل شي باسمه لا بسبب سواه
وقال واستفتح ام القران بالبسملة لما كانت نسبته من متلو الصحف والكتب الماضية نسبة ام القران من
القران الكتاب الجامع الصحف والكتب لموضع طي الاسباب كما تضمنته ام القران سر ظهور الافعال بالاعانة
من الحميد الحميد في اية اياك نعبد واياك نستعين هذا في ظاهر الخطاب الي ما وراء ذلك من باطنه
فان لكل اية ظهرا وبطنا وليلتزمها الخلق في ابتدا اقوالهم وافعالهم هكذا قال واسد منه انه لما كانت
نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة من القران صدرت بها الفاتحة كما صدر القران بالفاتحة لانها لما
افادت نسبة الامور كلها اليه سبحانه وحده افادت انه الاله وحده وذلك هو اجمال تفصيل الفاتحة كما ان
الفاتحة اجمال تفصيل القران من الاصول والفروع والمعارف واللطايف ولما كان اسم الله علما وكان
جامعا لجميع معاني الاسما الحسني اولية الرحمن من حيث انه كالعلم في انه لا يوصف به غيره ومن حيث انه
ابلغ من الرحيم فاولي الابلغ الابلغ وذكر الوصفان ترغيبا وطوب التتمة في افهام اختصاص الثاني
لتمام الترغيب بالاشارة الي الترهيب والمراد بهما هنا انه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته وكررهما بعد
تنبيها علي وجوب ذلك للربوبية والملكية بهما الي ما ذكر من الترغيب الدال علي سابق الصفات الحسني لان
من عمت رحمته امتنع ان يكون فيه شوب نقص وفي اخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان ولما كانت البسملة
نوعا من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع افراده فكانه قيل احمدوه لانه
المستحق لجميع المحامد وحضوا هذا النوع من الحمد في افتتاح امور كم لما ذكر من استشعار الرغبة اليه
والرهبة منه المودي الي لزوم طريق الهدي والله الموفق ولما اثبت بقوله الحمد لله انه المستحق لجميع
المحامد لا لشي غير ذاته الحايز لجميع الكمالات اشار الي انه يستحقه ايضا من حيث كونه ربا مالكا منعما
فقال رب واشار بقوله العالمين الي ابتدا الخلق تنبيها علي الاستدلال بالمصنوع علي الصانع
وبالبداة علي الاعادة كما ابتدا التوراة بذلك لذلك قال الحرالي والحمد المدح الكامل الذي يحيط بجميع الافعال
والاوصاف علي ان جميعها انما هو من الله سبحانه وانه كله مدح لا يتطرق اليه ذم فاذا اضمحل ازدواج المدح
بالذم وعلم سريان المدح في الكل استحق عند ذلك ظهور اسم الحمد مكملا معرفا بكلمة ال وهي كلمة دالة فيما اتصلت

بزعا

بزعا انتهايه وكماله انتهى ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح الا بالرحمة اتبع ذلك بصفتي الرحمن
الرحيم ترغيبا في لزوم حمده وهي تتضمن تثنية تفصيل ما شمله الجمع اصلا وشيا في سر تكريرهما بين
الصفتين في الانعام عند قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه عن الامام حجة الاسلام الغزالي وانه لا مكرر في القران
ولما كان الرب المعروف بالرحمة قد لا يكون مالكا وكانت الربوبية لا تتم الا بالملك المفيد لتمام التصرف
وكان المالك قد لا يكون ملكا ولا يتم ملكه الا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمر للبطش والقهر
المنتج لنفوذ الامر اتبع ذلك بقوله ملك يوم الدين ترهيبا من سطوته بعد ترغيبه قال الحرالي واليوم مقدار
ما يتم فيه امر ظاهر ثم قال ويوم الدين في الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بامضا المجازاة حيث تسقط
دعوي المدعين وهو من اول يوم الحشر الي الخلود فالابد وهو ... بقيته من اول يوم نفوذ الجزا
عند مفارقة الذنب في باطن العامل اثر العمل الي اشد انتهايه في ظاهره لان الجزا لا يتاخر عن الذنب
وانما يخفي لوقوعه في الباطن وتاخر عن معرفة ظهوره في الظاهر ولذلك يورعنه عليه السلام ان
العبد اذا اذنب نكت في قلبه نكتة سودا وايضا فكل عقاب يقع في الدنيا علي ايدي الخلق فانما هو جزا
من الله وان كان اصحاب الغفلة ينسبونه العوايد كما قالوا مس اباءنا الضرا والسرا ويضيفونه للمعتدي
عليهم بزعمهم وانما هو كما قال تعالي وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وكما ورد عنه عليه السلام
الحمي من فيح جهنم وان شدة الحر والقر من نفسها وهي شرط الجزا الذي اهل الدنيا باجمعهم حضور
به ومنهل النجم الذي اجمعهم وارده من حيث لا يشعر به الاكثرهم قال عليه السلام المرض سوط الله
في الارض يودب الله به عباده وكذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع الهم والغم والقلق والحرص
وغير ذلك وهو تعالي ملك ذلك كله وما لكه سواه ادعي فيه مدعي اولم يدع فهو تعالي بمقتضي ذلك كله ملك يوم
الدين ومالكه مطلقا في الدنيا والاخرة والي الملك انهي الحق تعالي تنزل امر العلا لان به رجع الامر عودا
علي بدء بالجزا العايد علي اثار ما جبلوا عليه من الاوصاف وظهر عليهم من الافعال كما قال تعالي سيجزيهم
وصفهم وجزاء بما كانوا يعملون وبه تم انتها الشرف العلي وهو المجد الذي عبر عنه قوله تعالي مجدني عبدي
انتهي ولما لم يكن فرق هنا في الدلالة علي الملك بين قراة ملك وقراة مالك جات الرواية بهما وذلك
لان المالك اذا اضيف الي اليوم افاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض فلا يكون لاحد معه
امر ولا معني للملك سوي هذا ولما لم تفد اضافته الي الناس هذا المعني لم يكن خلاف في ملك الناس
فلما استجمع الامر استحقاقا وتحبيبا وترغيبا وترهيبا كان من شان كل ذي لب الاقبال اليه وقصر الهمم
عليه فقال اياك نعبد ارشادا لهم الي ذلك ومعني نعبد كما قال الحرالي نبلغ الغاية في الخا التذلل
واعقبه بقوله واياك نستعين اشارة الي ان عبادته لا تتهيا الا بمعونته والي ان ملاك الهداية
بيده فانظر كيف ابتدا سبحانه بالذات ثم دل عليه بالافعال ثم رقي الي الصفات ثم رجع الي الذات
ايما الي انه الاول والاخر المحيط فلما حصل الوصول الي شعبة من علم الافعال والصفات علم الاستحقاق
للافراد بالعبادة فعلم العجز عن الوفا بالحق فطلبت الاعانة فهو كقوله صلي الله عليه وسلم فيما رواه مسلم
وابو داود في الصلاة والترمذي وابن ماجة في الدعا والنسايي وهذا لفظه في التعوذ عن عايشة
رضي الله عنها اعوذ بعفوك من عقوبتك وبرضاك من سخطك وبك منك ثم ابنه فيما زاده غير النسايي

سطوات
انفراد الحق

وصوفي الحقيقة

ولما طرحت هو الآية اقرأ اشرح بديع انوار الحديث

الاعتراف بالعجز في قوله لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك قال الحرالي وهذه الايات اي
هذه وما بعدها مما جا كلام الله فيه جاريا على لسان خلقه فان القران كله كلام الله لكن منه ماهو
كلام الله عن نفسه ومنه ما هو كلام الله عما كان يجب ان ينطق به الخلق على اختلاف السنتهم واحوالهم
وترقي درجاتهم ورتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ الي كنهه لقصورهم وعجزهم فتولى الله الوكيل على
كل شي الانبا عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ اليه وسع خلقه وجعل تلاوتهم لما انبا به على السنتهم نازلا
لهم منزلة ان لو كان ذلك النطق ظاهرا منهم لطفا بهم واتماما للنعمة عليهم لانه تعالى لو وكلهم في حمد
الي انفسهم لم ياتوا بشي تصلح به احوالهم في دينهم ودنياهم وكذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة الا ان
يتولي هو تعالى بما يلقيهم من كلامه مايكون اداء لحق فضله عليهم بذلك واذا كانوا لا يستطيعون الانبا
عن انفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نباء عن تحميد الله وتمجيده فاذا الي الهم ومبلغه
الاتلاوة كلامه العلي فيهم كان ذلك اوتغير فيهم وذلك هي صلاة تلهم المقسمة التي عبر عنها فيما صح عنه عليه السلام
من قوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ثم تلا هذه السورة فجاءت الايات الثلاث الاول
لحمد الله تعالى نفسه فاذا تلاها العبد قبل الله منه تلاوة عبده كلامه وجعلها منه حمدا وثناء وتمجيدا
وجاءت هذه الاية على لسان خلقه فكان ظاهرها التزام عهد العبادة وهو مما يرجع الي العبد ومعادها
طلب المعونة من الله سبحانه وهو مما يرجع الي الحق فكانت بينه وبين عبده وتقدمت بكلتيه تعالى كل المعونة
متقدمة على العبادة وافقت بها وهو مجاب فيما تطلب من المعونة فمن كانت عليه مونة شي فاستعان الله فيه
على مقتضى هذه الاية جاءته المعونة على قدر مونته فلا ينبغي لمن اعتمد مقتضى هذه الاية عجز عن مرام
ابدا وانما يقع العجز بنحس الحظ من الله تعالى والجهل بمقتضى ما احكمته هذه الاية والغفلة عن التفهم لها
وفي قوله نعبد بنون الاستتباع اشعار بان الصلاة بنيت على الاجتماع انتهى وفي الاية ندب الي اعتقاد العجز والاستشعار
الافتقار والاعتصام بحوله وقوته فاقتضى ذلك توجيه الرغبات اليه بالسوال فقال اهدنا الصراط المستقيم
ملقنا لاهل لطفه وتنبيها على محل السلوك الذي لا وصول بدونه والهدي قال الحرالي مرجع الضالة
الي ما ضلت عنه والصراط المستقيم الطريق الخطر السلوك والاية من كلام الله تعالى على لسان العلية
من خلقه وجا محكما بكلمة ال لانه الصراط الذي لا يضل بمهدييه لاحاطته ولشموله سعاته وفقا لشمول
معنى الحمد في الوجود كله وهو الذي تتنبت الاراء وتفرقت الفرق بالميل الي واحد من جانبيه وهو
الذي ينصب مثاله وعلى حذو معناه بين ظهراني جهنم يوم الجزا العيان ونحفه مثل ذلك الاراء خطاطيف
وكلاليب تجري احوال الناس فيها في المعاد على حسب مجراهم مع حفافيها ابتداء في يوم العمل وهذا الصراط
الاكمل هو المحيط المترتب على الضلال الذي يعبر به عن حال من لا وجهة له وهو ضلال ممدوح لانه يكون
عن سلامة الفطرة لان من لا علم له بوجهة تحقق الوقوف عن كل وجهة وهو ضلال يستلزم هدي محيطا ومنه
ووجدك ضالا فهدي واما من هدي وجهة ما فتن بها عن مرجعه فهو ضلال مذموم لانه ضلال بعد هدي
وهو يكون عن اعوجاج في الجبلة انتهى ثم اكد سبحانه الاخبار بان ذلك لن يكون الا بانعامه فقال صراط
الذين انعمت عليهم فاشار الي ان الاعتصام به في اتباع رسله ولما كان سبحانه عام النعمة لكل موجود عدوا
كان او وليا فكان من المعلوم ان محط السوال بعض اهل النعمة وهم اهل الخصوصية بصفة الرحيمية فتشوفت

النفوس

النفوس الي معرفتهم فعرف انهم غير الذين قسموا ربقة الدين فاستحقوا الغضب وقسم لم يرد للسعادة
فضل فصار الي العطب فقال غير المغضوب عليهم ولما كان المقصود من ذكر النفي لان السياق له وانما
ذكرها التنبيه على ان الصنفين ليسا من اهل النعمة وكانت لا في كونها احصر واشق واولي بالنفي واحق
واوثق تفيد مع التاكيد ان المراد مجانبة كل واحد من الصنفين على حياله قال ولا الضالين فعلم ممتدا
النعمة على القسم الاول وانه لا نجاة الا باتباعهم وان من حاد عن سبيلهم عامدا او مخطيا شقي ليتحرزوا ولوا
الجد عن ساق العزم وساعد الجد والجهد في اقتفا اثارهم والاهتدا بمنارهم للفوز بحسن جوارهم في سيرهم وقرارهم
قال الحرالي المغضوب عليهم الذين ظهرت منهم المراغمة وتمهد المخالفة فيجب لهم الغضب من الاعلى
والبغض من الادنى والضالين الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها من غير تعمد لذلك امين كلمة
عربية من الامن مد لوطها ان المدعو مامون منه ان يرد من دعاه لانه لا يعجزه شي ولا يمنعه وهي لا
تصلح الا لله لان لما دونه لا ينفك عن عجز او منع انتهى وقد انعطف المنتهي على المبتدا عراقبة النعم
الاول بانهم استعطفوا ثمرة الرحمة وخالف هذان الفريقان فكانوا من حزب الشيطان فاخذ ثم النعمة
والحاصل انه لما وصف نفسه تلك الصفات العلية لحاظه الحجب وكشفت له بموجدها وعلو جدها واشرف
حمدها جلابيل النشر واشرقت به على رياض الكرم ونشرت له بلطايف عواطفها بسط البر والنعم
ثم اخترقت بزمنها منه العظمة والكبر وطوت في تسييرها له مفاوز الجبروت والعز واومضت له بوارق
النعم من ذلك الجناب الانم وصل الي مقام الفنا عن الفاني وتمكن في رتبة شهود البقا للباقي فبادر
الخضوع له معرضا عن السوى حاكما على الاغيار بما لها من ذواتها من العدم والثوى فقال اياك
نعبد وفي تلك الحال تحقق العجز عن توفية ذلك المقام ماله من الحق فقال واياك نستعين فكشف
له الشهود في حضرات المعبود عن طرق عديدة ومنازل سامية بعيدة وراي انحا الاجنحة واودية
مدلهمة وبحار امتحر وانوارا هادية واخرى محرقة وراي لكل اهلا قد اسلكوا فجانا حزنا واخرى
سهلا وعلم ان لا نجاة الا بهدايته ولا عصمة بغير عنايته ولا سعادة الا برحمته ولا سلامة لغير اهل
نعمته فلما اشرف واستنار وعرف مواقع الاسوار بالاقتدار كان كانه قيل له ماذا تطلب وفي اي
مذهب تذهب فقال اهدنا الصراط المستقيم ولما طلب اشرف طريق سال احسن رفيق فقال
صراط الذين انعمت عليهم ولما كانت النعمة قد تحص الدنيوية عينها واستعاذ من اولئك الذين شاهدهم
في التيه سايرين وعن القصد غابرين جايرين او حايرين فقال غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وقد اشير في ام الكتاب كما قال العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي الي جميع النعم فانها
ترجع الي ايجاد وابقا اولا وايجاد وابقاء ثانيا في داري الفنا والبقا اما الايجاد الاول فبقوله الحمد
لله رب العالمين فان الاخراج من العدم الي الوجود اعظم تربية واما الابقا الاول فبقوله الرحمن
الرحيم اي المنعم بجلايل النعم ودقايقها التي بها البقا واما الايجاد الثاني فبقوله مالك يوم الدين
وهو ظاهر واما الابقا الثاني فبقوله اياك نعبد الي اخرها فان منافع ذلك تعود الي الاخرة
ثم جا التصديق بالحمد بعد الفاتحة في اربع سور اشير في كل سورة منها الي نعمة من هذه النعم على ترتيبها انتهى
وسيأتي في اول كل سورة من الاربع ما يتعلق بها من بقية كلامه ان شا الله تعالى وهذا يرجع الي الاصل

ف هو المراد بالمعنى لا يبعد ان يكون استثنا وحينئذ يصح عطف الا على غير لا يبعد ان يكون صحح به البغوي وغيره

مدلول الحمد فان مادته بكل ترتيب تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والاحاطة والاستدارة
فيلزمه مطاطاة الراس وقد يلزم الغاية الرضى فيلزمه الشكر وسيبين ونزل على الجزئيات في سورة
النحل ان شاء الله تعالى وقد بان سر الافتتاح بها من حيث تصديرها بالحمد حيث شاء فكيلا الذي كل امر ذي
بال لم يبدا به فهو اجذم وتعقيبه بمدح المحمود بما ذكر من اسمائه الحسنى مع اشتمالها على جملة معاني
القران من الحكم النظرية والاحكام العملية فهي ام القران لانها له عنوان وهو كله لما تضمنته بل تفسرها
بسط وتبيان قال الاستاد ابو الحسن الحرالي في مفتاح الباب المقفل لفهم القران المنزل في اخر
الباب التاسع منه ولتنته هذه الابواب بذكر القران ومحتواه على الكتب جمعه وقراءته وبيانه وتنزيله
وانزاله وحكمه ومبينه ومجيده وكريمه وعظيمه ومرجعه الى السبع المثاني والقران العظيم ام القران
ومحتواها عليه فنذكر جميع ذلك في الباب العاشر الباب العاشر في محل ام القران من القران ووجه
محتوى القران على جميع الكتب والصحف المتضمنة لجميع الاديان اعلم ان الله سبحانه جميع نبأه العظيم كله
عن شانه العظيم جمعا في السبع المثاني ام القران وام الكتاب وكنزها تحت عرشه ليظهرها في الختم
عند تمام امر الخلق وظهور بادي الحمد بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه تعالى يختم بما به بدا ولم يظهرها قبل
ذلك لان ظهورها يذهب وهل الخلق ويحول كرهم ولا يتم بنا القران الامر تمامه ليشهد دنيانا الفصل
ليتم الامر مسمعا ومراى وذلك بمن يكون من خلقته كلم خلق ليبين بها من امره كل امر تم فيما بين
بدو الامر المكنون وخاتم الخلق الكامل تدرج نشو الخلق وبدو الامر على حسب ذلك الامر صحفا
فصحفا وكتابا فكتابا فكانا الصحف لما يتبدل سريعا والكتاب لما يثبت ويدوم امدا والالواح لما يتم
وقتا ففي التوراة احكام الله تعالى على عباده في الدنيا بالحدود والمصايب والضراء والباساء وفي القران شاهم
منها ما شاء الله مما يظهره الفقه من الحدود ومعارف الصوفية من مواخذة المصايب وفي الانجيل اصول
تلك الاحكام والاعلام بان المقصود بها ليست هي بل ما وراها من امر الملكوت وفي القران منها
ما شاء الله مما يظهره العلم والحكمة الملكوتية وفي الزبور تطريب الخلق وحداؤهم عن انفسهم الى ربهم
وفي القران منه ما شاء الله مما يظهره الموعظة الحسنة ثم انهى الامر والخلق من جميع وجوهه فصار
قرانا جامعا للكل متمما للنعمة مكملا للدين اليوم اكملت لكم دينكم الاية بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وان
الى ربك المنتهى وجه فوت ام القران للقران ان للقران مقصود تنزيله التفصيل والجوامع فيه نجوم
مبثوثة غير منتظمة واحدة اثر واحدة والجامع في القران منتظمة واحدة بعد واحدة الى تمام السبع على ام هو
وفا لامزيد فيه ولا نقص عنه اظهر تعالى بما له سورة صورة تجليه من بدي الملك الى ختم الحمد وبما لعبده
سورة صورة تاديه من براءة من الضلال الى هدى الصراط المستقيم ووجدك ضالا فهدى وبما بينه
وبينه قيام ذات الامر والخلق فكان ذلك هو القران العظيم الجامع لما حواه القران المطلق الذكر بما
فيه من ذلك تفصيلا من مبدئه وهو ما عوبنت ايته مسموعة ومن محيله وهو ما حجبت احكامه من بين
عاجل ما شهد واجل ما علم تعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة لما تواتر من القصص الماضي
وما شهد له من الاثر الحاضر وما يتجدد مع الاوقات من امثاله واشباهه ومن كرهه وهو ما ظهرت
فيه افاين انعامه فيما دق وجل وخفي وبدا ومن حكمه وهو ما ظهر في الحكمة المشهودة تفاصيله وانتظام

مكتوب

مكتوب خلقه على حسب تنزيل امره وما كان منه بتدريج وتقريب للافهام وتناسب من حال الى حال
وحكم الى حكم كان تنزيلا وما اهوى به اهويا من علو الى سفل كان انزالا وهو انزال حيث لا وسائط
وتنزيل حيث الوسائط وبيانه حيث الامام العامل به مظهره في افعاله واحواله كان خلقه القران
وقراءته تلفيق تلاوته على حسب ما يتقاضاه النوازل اجرابه انزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
قال صلى الله عليه وسلم في مضمون قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه اجعلوها بين اية الدين والاية التي
قبلها لانه ربما تقدم بيان الاية وتاخر في النظم فوالها بما تقدم عليها اية يا ايها النبي انا احللنا لك
ازواجك الاية متاخرة الكيان متقدمة القران على اية لا تحل لك النساء من بعد فقد يتطابق قران
الامر وتطوير الخلق وقد لا يتطابق والله يتولى اقامتها واما الجمع ففي قلبه نسبة جوامعه السبع في
ام القران الى القران بمنزلة نسبة ام القران الى ~~نسبة القران وجمعه~~ جمعه في قلبه لمحا واحدا الى ام القران
وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فهو جمع في قلبه وقران على لسانه وبيان في اخلاقه وافعاله وجملة في صدره
الدم وتنزيل في تلاوته وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة قال كذلك اي كذلك نزلناه الى ما هو
منك بمنزلة سماء الدنيا من الكون انا انزلناه في ليلة مباركة اي الى سماء الدنيا ورتلناه ترتيلا على
لسانه في اعوام النبوة وقال في تفسير القران باطن ظاهره محمد صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي
الله عنها كان خلقه القران محمد صلى الله عليه وسلم صورة باطن سورة القران فالقران باطنه وهو ظاهره
نزل به الروح الامين على قلبك وقال في تفسير الفاتحة وكانت سورة الفاتحة اما للقران لان القران
جميعه مفصل من مجملها فالايات الثلاث الاول شاملة لكل معنى تضمنته الاسماء الحسنى والصفات العلى
فكل ما في القران من ذلك فهو مفصل من جوامعها والايات الثلاث الاخر من قوله اهدنا شاملة لكل
ما يحيط بامر الخلق في الوصول الى الله والتحيز الى رحمة الله والانقطاع دون ذلك فكل ما في القران
منه فمن تفصيل جوامع هذه وكل ما يكون وصلة بين ذلك مما ظاهره من الخلق ومبداه ومقامه من الحق
فمفصل من اية اياك نعبد واياك نستعين انتهى ومن انفع الامور في ذوق هذا المشرب استجلاء الحديث
القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه واصحاب السنن الاربعة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال
فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى على
عبدي واذا قال ملك يوم الدين قال الله مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد
واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال

سورة البقرة

مقصودها اقامة الدليل على ان الكتاب هدى ليتبع في كل حال واعظم ما يهدي اليه الايمان بالغيب
ومجمعه الايمان بالاخرة ومدار الايمان بالبعث الذي المرتب عنه قصة البقرة التي مدارها الايمان
بالغيب فلذلك سميت بها السورة وكانت بذلك احق من قصة ابراهيم عليه السلام لانها في نوع البشر
وما تقدم في قصة بني اسرائيل من الاحياء بعد الاماتة بالصعق وكذا ما شاكلها لان الاحياء في قصة البقرة
عن سبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من احاد الناس فهي ادل على القدرة ولاسيما وقد

بالقسوم

ابتدت بوصف القلوب والجارة بما امر المهتدين بالكتاب والضالين وتوصفها بالجهة الموجبة للشقوة و
الجارة بالخشية الناشية في الجملة عن التقوى المانحة للهدى المتعدي نفعه الى عباد الله وفيها اشارة
الى ان هذا الكتاب فينا كالوكان فينا خليفة من اولى العزم من الرسل يرشدنا في كل امر الى صواب
المخرج منه لمن اعرض خاب ومن تردد باد ومن اجاب اتقى واجاد وسميت بالزهرا لا بحابها
اسفار الوجوه في يوم الجزا لمن امن بالغيب ولم يكن في شك مريب يخالف بينه وبين ما يشتهي
وبالسنام لانه ليس في الايمان بالغيب بعد التوحيد الذي هو الاساس الذي ينبني عليه كل خير
والتاج الذي هو نهاية السير والعام على كل غير اعلى ولا اجمع من الايمان بالاخرة ولان السنام
اعلى ما في المطية الحاملة والكتاب الذي هو سورتها هو اعلى ما في الحاصل للامة وهو الشرع الذي
اتاهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم بسم الله الذي نصب مع كونه باطنا دلائل الهدى حتى كان
ظاهرا الرحمن الذي حض اهل وده بالتوفيق الرحيم قال ابو الحسن العلامة الحرالي في كتابه
العروة لمفتاح الباب المقفل في معنى ما رواه عن ابن وهب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل
القران من سبعة ابواب على سبعة احرف زاجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال
فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بامثاله واعملوا
بمحكمه وامنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا وهذا الحديث رواه ابو بكر بن ابي شيبة في
مسنده وابو يعلى الموصلي ومن طريقه ابن حبان في صحيحه كلهم من طريق ابن وهب عن حيوة عن عقيل
ابن خالد عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن مسعود رضي الله عنه
فذكره من غير ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال العلامة الحافظ ابو شامة عبد الرحمن بن اسمعيل
الدمشقي الشافعي في كتابه المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز بعد ان ساق هذا الحديث
من رواية سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ابو عمر بن عبد
البر هذا حديث عند اهل الحديث لا يحتج على صغنه من جهة اسناده وقد رده قوم من اهل النظر
منهم احمد بن ابي عمران فيما سمعه الطحاوي منه ويرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي سلمة
عن ابي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قال ابو شامة وهكذا رواه البيهقي في كتاب
المدخل وقال هذا مرسل جيد ابو سلمة لم يدرك ابن مسعود ثم رواه موصولا وقال ان صح فمعنى قوله
سبعة احرف اي سبعة اوجه وليس المراد بها ما ورد في الحديث الاخر من نزول القران على سبعة احرف
تلك المراد به اللغات التي ابيحت القراءة عليها وهذا المراد به الانواع التي نزل القران عليها والله اعلم
انتهى قلت وعزاه شيخنا العلامة مقرئ زمانه شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي
في اوايل كتابه النشر في القراءات العشر الى الطبراني من حديث عمر بن ابي سلمة المخزومي رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه ان الكتب كانت تنزل من السما من باب واحد وان
القران انزل من سبعة ابواب على سبعة احرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب امثال
وامر وزاجر فاحل حلاله وحرم حرامه واعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر امثاله فانه كلامي

عند

من عند الله وما يذكر الا اولو الالباب ورواه الحافظ ابو بكر بن ابي داود في كتاب المصاحف من
وجه اخر عن عبد الله قال ان القران انزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة ابواب على سبعة احرف
او حروف وان الكتاب قبلكم كان ينزل او نزل من باب واحد على حرف واحد ورواه البيهقي في فضل القران
من الشعب عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ نزل القران على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال
قال الحرالي وفي حديث اخر من طريق ابن عمر رضي الله عنهما ان الكتب كانت تنزل من باب واحد وان هذا القران
انزل من سبعة ابواب على سبعة احرف وقال في معنى ذلك اعلم ان القران منزل عند انتهاء الخلق وكمال
كل الامر بدا فكان المتخلق به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل امر فلذلك هو صلى الله عليه وسلم قثم الكون وهو
الجامع الكامل ولذلك كان خاتما وكان كتابه خاتما وبدا المعاد من حد ظهوره انه هو يبدئ ويعيد فاستوفى
صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خرت في الاولين بداياتها وتمت عنده غاياتها بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
رواه احمد عن معاذ رضي الله عنه رفعه وهو صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها في قوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي
فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي اليها معادي وفي كل صلاح اقدام واحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة
مفصلات هي حروف القران الستة التي لم يزل يستزيدها من ربه حرفا حرفا فلما استوفى الستة وهبه
ربه حرفا جامعا سابعا فردا لا زوج له فتم انزاله على سبعة احرف فادنى تلك الحروف هو حرفا صلاح الدنيا
فلها حرفان احدهما حرف الحرام الذي لا يصلح النفس والبدن الا بالتطهر والتطيب منه لبعده
عن تقويمها والثاني حرف الحلال الذي يصلح النفس والبدن عليه لموافقته لتقويمها واصل هذين
الحرفين في التوراة وتمامهما في القران ثم يلي هذين حرفا صلاح المعاد احدهما حرف الزجر والنهي الذي
لا يصلح الاخرة الا بالتطهر منه لبعده عن حسناها والثاني حرف الامر الذي يصلح الاخرة عليه لتقاضيه
حسناها وقد ينصر على ذلك حال الدنيا لانه ياتي على كثير من حلالها لوجوب ايثار الاخرة لبقايها
وكليتها على الدنيا لفنايها وجزئيها لكون خير الدنيا جزءا من مائة وشر الدنيا جزءا من سبعين ولا يوثر
هذا الجزء الا ذو حضور على ذلك الكل الا نهي لغيابه الا من سفه نفسه وضعف ايمانه فتخلص
المرء من حرف الحرام طهرة وتخلصه من النهي طيبة واصل هذين الحرفين في الانجيل وتمامهما في القران
ثم يلي هذين حرفا صلاح الدين احدهما حرف المحكم الذي بان للعبد فيه خطاب ربه من جهة احوال
قلبه واخلاق نفسه واعمال بدنه فيما بينه وبين ربه من غير التفات لعرض النفس في عاجل الدنيا ولا اجلها
والثاني حرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن ادراكه
ووجوب تسبيح ربه عن تمثل عبده الى ان يويده الله بتاييده فالحروف الخمسة للاستعمال وهذا الحرف
السادس للوقوف ليكون العبد قد وقف لله بقلبه عن حرف كما قد كان اقدم لله على تلك الحروف وليتبين
عجزه وايمانه عند هذا الحرف السادس انتهاء ما تقدم من طوقه وعلمه في تلك الحروف ابتدا واصل هذين
الحرفين في الكتب المتقدمة كلها وتمامهما في القران فهذه الحروف الستة يشترك فيها القران مع ساير الكتب
ويزيد عليها تمامها وبركة جمعها ويختص القران بالحرف السابع الجامع مبين المثل الاعلى ومظهر الممثول الاعظم
حرف الحمد الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو حرف المثل وعن جمعه وكمال جمعه لمحمد صلى الله عليه وسلم في قلبه وتلاوته

على لسانه وبيانه في ذاته ظهرت عليه خواص خلقه الكريم وخلقه العظيم ولا ينال الا موهبة من
الله لعبده بلا واسطة والستة تتنزل بتوسطات من استوا الطبع وصفا العمل كتابة وحي النبي
والهام الولي ولما كان حرف الحمد هو سابعها الجامع افتتح الله تعالى به الفاتحة ام القران وام الكتاب
وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التي بثها في القران كما جمع في القران ما بث في جميع الكتب المتقدمة
لقصته نقلت على تربيا السفر فاتباع بها ذهبا وذلك مثل القران ثم تنزل عليه الذهب فاتباع به جوهرا
فتلك مثل ام القران فاذن كل الحروف التي انزل عليها القران موجودة في جوامع ام القران
فالاية الاولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل على حرفي الحلال والحرام اللذين اقامتهما
الرحمانية بما الوليه يريد والله اعلم ان الرحمانية وسعت على العباد الاستمتاع بالمخلوق من النعم والكرم
الموافقة لطباعهم وامزجتهم وتبوك نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع فكان في ذلك رحمتان رحمة
بالاباحة وهي ازالة حرج الحظر ورحمة بمنع لحاق حرج الاثم او بجعل المباح سهيا للطبع واما الرحيمية
فطهرتهم من مضار ابدانهم ورجاسة نفوسهم وتجهيل قلوبهم ففي ذلك رحمة راحة وهي حمية المحبوب
عن الضار من المحبوب او يريد وهو اقرب والله اعلم ان الرحمانية اقامت بعمومها كل ما شملته الربوبية
من افاضة النعم وازاحة النقم على وجه مسعد او مشق والرحيمية اقامت بخصوصها كما تقدم مما يرضاه الالهية
ادرار النعم ودفع النقم على الوجه المسعد خاصة انتهى والاية الثالثة تشتمل على امر الملك القيم على حرفي
الامر والنهي اللذين بيد وامرهما في الدين والرابعة تشتمل على حرفي المحكم في قوله اياك نعبد والمتشابه
في قوله واياك نستعين ولما كانت بنا خطاب محاضرة لم تردد مسلتها في السورة فانفرد هذان الحرفان
عن الدعا بينهما وعادت مسلة الاية الخامسة على حرف الحمد ومسلة الاية السادسة على اية النعمة من
حرفي الحلال والحرام ومسلة الاية السابعة على اية الملك من حرفي الامر والنهي فجمعت الفاتحة جوامع
الحروف السبعة ولما ابتديت الفاتحة ام القران بالسابع الجامع الموهوب ابتدى القران بالحرف
السادس المعجوز عنه وهو حرف المتشابه لان عن اظهار العجز ومحض الايمان كانت الهيبة والتابيد
وليكون العبد يفتتح القران بالايمان بغيب متشابه في قوله الم فيكون ام انقياد المادة وتدويرها
من الدعوى في مستطاعه في ساير الحروف ثم ولي السادس المفتتح به القران الخامس المحكم من وجه
في قوله تعالى ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون لان من عمل بها من قلبه شعبة ايمان وعلم كانت
له من المحكم ومن عمل بها ايمانا راوا لجا ولم يدخل الايمان في قلبه كانت له حرف امر وان تطيعوا الله ورسوله
لا يلتكم من اعمالكم شيا وهذا انما وقع ترتيبه هكذا في القران المتلو واما تنزيله في ترتيب البيان
فان اول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم هو حرف المحكم وهو قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق
الايات الخمس واول ما انزل الى الامة في ترتيب البيان هو من حرف الزجر والنهي وهو قوله تعالى يا ايها
المدثر قم فانذر اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد اعلمهم ما يخاف عاقبته في الاخرة وان كانوا قد اتخذوا
في الدنيا مودة باوثانهم وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض الاية فابتدا تعالى ترتيل الامة باصلاح المعاد الاهم لان عليه يصلح امر الدين من
استقل باخرته كفاه الله امر دنياه وبدا منها بحرف الزجر والنهي وهو المبدا وبه في الحديث ورد النبي

صا

صلى الله عليه وسلم لفظ الزجر بلفظ النهي لان المقصود بهما واحد وهو الردع عما يضر في المعاد
الا ان الردع على وجهين خطاب لمعرض ويسمى زجرا كما يسمى في حق البهايم وخطاب لمقبل على التفهم ويسمى
نهيا فكان الزجر يردع الطبع والنهي يردع العقل انتهى وقد بان من هذا سر افتتاح السور بالحروف المقطعة
ولما كانت التي ابتديت بها السور من ذلك شطر حروف المعجم كان كانه قيل من زعم ان القران ليس كلام الله
فليات بالشطر الاخر ويركب عليه كلاما يعارضه به نقل ذلك الزركشي في البرهان عن القاضي ابي
بكر قال وقد علم ذلك بعض ارباب الحقايق وجميع الزركشي في قوله نص حكيم قاطع له سر وعن ابي
بكر رضي الله عنه الله تعالى في كل كتاب سر وسر الله في القران اوايل السور وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي ولما كانت حروف المعجم تسعا وعشرين
حرفا بالهمزة كما اخذ شطرها على التحرير متعذرا فقسمت خمسة عشر واربعة عشر واخذ الاقل من باب
الانصاف وفرق في تسع وعشرين سورة على عدد الحروف وكذا به على هذا الوجه وابدى الامام شمس الدين
ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي في كتاب له كالتذكرة سماه بدايع الفوايد غريبا في ابتدا القران بقوله
الم حاصله ان حروف الم جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتان على ترتيبها وذلك
اشارة الى البداية التي هي بدء الخلق والنهاية التي هي المعاد والوسط الذي هو المعاش من التشريع
بالاوامر والنواهي وفي ذلك تنبيه على ان هذا الكتاب الذي ركب من هذه الحروف التي لا تعدوا
المخارج الثلاثة التي هي تخاطب جميع الامم جامع لما يصلحهم من احوال ذكرت فيها الاحوال الثلاثة وقال
الحرالي في تفسير الف اسم للقايم الاعلى المحيط لكل مستخلف في القيام كادم والكعبة وميم اسم للظاهر على
الدين من اظهر ملك يوم الدين يوم الدين واسم للظاهر دون ذلك كالسما والفلك والارض ولام اسم
لما بين باطن الالهية التي هي مجاز العقول وظاهر الملك الذي هو يتجلى يوم الجزا من مقتضى الاسما
الحسنى والصفات العلى التي هي وصل تنزل ما بينهما كالطيف ونحوه ثم للوصل الذي كالملكية وما
يتولاه من امر الملكوت وهذه الالفاظ عند انعجام معناها تسمى حروفا والحرف طرف الشي الذي لا يوخذ
منفردا او طرف القول الذي لا يفهم وحده واحق ما تسمى حروفا اذا نظر الى صورها وتنوعها اجزاء من الكلم
ولم يفهم لها دلالة فتصاف الى جملتها جزا من كلمة مفهومة فتسمى عند ذلك حروفا وعند النطق بها هكذا الف
لام ميم فينبغي ان تقال فيها اسما وان كانت غير معلومة الدلالة لحروف الف با تا فانها كلها اسما على ما جمعه
الخليل وانها انما تسمى حروفا عند ما يكون اجزا كلمة محركة للابتدا او مسكنة للوقف والانتهاء
واما حقيقتها فهي جوامع اصلها في ذكر اول من كلام الله تعالى فتنزلت الى الكلم العربي وترجمت
بها ونظم منها هذا القران العربي المبين فهي في الكتب العلوية الملكوتية المرسية في الجمع والتفصيل اية
وكلم وذوات كتاب فلما نزلت الى غاية مفصل القران ابتغي في افتتاحه لتكون علما على نقله
التفصيل منها ودلالة انها جامعة للوجود كله من البطن قيمة الباطن واظهر مقامه وما بينهما من
الوصلة الواصلة وهي جامعة الدلالة على الكون المرى بالعين والوحي المسموع ولاجل ما اقتضته من
الجمع لم تنزل في كتاب متقدم لان كتاب كل وقت مطابق لحال الكون فيه والكون كان بعد لم يكمل فكانت
كتبه وصحفه بحسبه ولما كمل الكون في وقت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان كتابه كلا جامعا وجب

[illegible] الخ [illegible] ما [illegible]

[illegible] الحروف [illegible] ولا يلتكم [illegible]

طوروهذه الجوامع فيه ليطابق الختم البدء لانهما طرفاكما له وما بينهما تدريج اليه وقد كان وجه بانزالها
في بعض تلك الكتب فكان نزولها نجارا لذلك انتهي واما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة فهو انه لما اخبر
سبحانه ان عبادة المخلصين سالوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين ارشدهم
في اول التي تليها الي ان الهدي المسوول انما هو في هذا الكتاب وبين لهم صفات الفريقين الموعودين بالهداية
حثا علي التخلق بها والممنوعين منها زجرا عن قربها فكان ذلك من اعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة
لانها سيقت لنفي الريب عن هذا الكتاب ولانه هدي للمتقين ولوصف المتقين وما يجازون به ما في
الايات الثلاث ولوصف الكافرين الذين لا يومنون لما وقع من الختم علي حواسهم والختم لعقابهم ليعلم ان ما
اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم وما اتصف به من عداهم هو طريق الهالكين فيترك
وفي الوصف بالتقوي بعد ذكر المغضوب عليهم والضالين اشارة الي ان المقام مقام الخوف وان شيت
قلت مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط وما عدا ذلك فتوابع ولوازم ولما ثبت انه هدي
الايات انه حق معني ونظما ولما كان المعني الاهم الاسند لا له عليه فاخبر من تماديهم علي الكفر بما
يكون تكذيبهم به تصديقا له واتبع ذلك بذكر المنافقين اعلاما بان المنفي الايمان بالقلب وانه لا عبرة
باللسان اذا تجرد عنه وساق ذلك علي وجه يعلمون به انه الحق بما هتك من سرايرهم وكشف من ضمايرهم
فلما تم ذلك وكان المقصود منه الدعا الي الله اشهرت تلك الثمرة بقوله تعالي يا ايها الناس اعبدوا
ربكم لما اسس لها من الترغيب بالترهيب ثم اقيم الدليل علي حقيقة نظمه بتقصيرهم عن مدى سمه فرجع
حاصل ذلك الي اثباته بعجزهم عن معارضته في معناه بابحاد ما اخبر فيه وفي نظمه بالاتيان لمثله فلما
ثبت ذلك ثبت انه من عند الله فثبت تاهله لتعليم الشرايع فجلبها ضمن ما دل له اهل الكتاب علي بطلان
حقيقته بلا ارتياب من الدعا الي ما اخذوه من الدعايم الخمس التي بني عليها الاسلام ولما كان معني
الم هذا كتاب من جنس حروفكم التي قد فقتم في التكلم بها ساير الخلق فما عجزتم عن الاتيان بسورة
من مثله الا لانه كلام الله انتج ذلك كماله فاشير اليه باداة البعد ولام الكمال في قوله **ذلك الكتاب**
لعلو مقداره بجلاله اثاره وبعد رتبته علي نيل المطرودين ولما علم كماله اشار الي تعظيمه بالتصريح بما تحته
ويستلزمه ذلك التعظيم فقال **لا ريب فيه** اي في شي من معناه ولا نظمه في نفس الامر عند من يحقق
النظر قال الحرالي ذا اسم مدلوله المشار اليه واللام مدلولها بعدما الكتاب من الكتب وهو وصل
الشي المنفصل بوصلة خفيه من اصله كالخرز في الجلد بقد منه والحياطة في الثوب بشي من جنسه ليكون
اقرب لصورة اتصاله الاول فسمي به ما الزمه الناس من الاحكام وما اثبتت بالرقوم من الكلام لا
لنفي ما هو ممتنع مطلق اوفي وقت الريب التردد بين موقعي تهمة بحيث يمتنع من الطمانينة علي واحد
منها انتهي ولما كان ذلك يستلزم الهدي قال **هدي** وخص المتقين لان الارلاد والداعي
لا يرده شي فقال **للمتقين** قال الحرالي جمع المتقي وهو المتوقف عن الاقدام علي كل امر لشعوره بتقصيره
عن الاستبداد وعلمه بانه غير مستغن بنفسه فهو متق لوصفه وحسن فطرته ومتقي كذا
متوقف لاجل ذلك والتقوي اصل يتقدم الهدي وكل عبادة لانها فطرة توقف تستحق الهدي وكل خير
وهي وصية الله لاهل الكتب انتهي ثم وصفهم بمجامع الاعمال تعريفا لهم فقال **الذين يومنون بالغيب**

اي

اي الذي لا نافع في الايمان غيره **ويقيمون الصلاة** اي التي هي حضرة المراقبة وافضل اعمال البدن
بالمحافظة عليها وبحفظها في ذاتها وجميع احوالها وقد ضمن يومن بغير او يعترف كما ياتي بيانه عند ومنهم
من يستمعون اليك في يونس ولما ذكر وصلة الخلق بالخالق وكانت النفقة مع انها من اعظم دعايم
الدين صلة بين الخلايق اتبعها لها فقال مقدما للجار ناهيا عن الاسراف ومنبها بالتبعيض علي طيب
النفقة لان الله طيب لا يقبل الا طيبا وامرا بالورع وزاجرا عما فيه شبهة لان الرزق يشمل الحلال والحرام
والمشتبه **ومما رزقناهم** اي علي عظمة خزايننا وهو لنا دونهم **ينفقون** اي في مرضاتنا مما يلزمهم من
الزكوة والحج والغزو وغيرها ومما يتطوعون به من الصدقة وغيرها والمراد من هذه الافعال
هنا ايجادها حقا بعينها علي الدوام قال ابو حيان في قوله تعالي في سورة الحج ان الذين كفروا ويصدون المضارع
قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال او استقبال فيدل اذ ذاك علي الاستمرار انتهي وهذا احمالا محيد عنه
والا لم يشمل هذا في هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة وقال الحرالي يومنون من الايمان
وهو مصدر امنه يومنه ايمانا اذا امن من ينبهه علي امر ليس عنده ان يكذبه او يرتاب فيه والغيب
ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به العقل فيحصل به العلم وصيغة يومنون ويقيمون تقتضي
الدوام الي الختم وادامة العمل الي الختم تقتضي ظهوره عن فطرة او جبلة وانه ليس عن تحمل ومراياة وعند
ذلك يكون علما علي الجزا والصلاة الاقبال بالكلية علي امر فيكون من الاعلي عطفا شاملا ومن الادني
وفاء بالتذلل والاقبال بالكلية علي التلقي وايمانهم بالغيب قبولهم من النبي صلي الله عليه وسلم ما تلقاه
بالوحي من امر غايب الدنيا الذي هو الاخرة وما فيها وامر غايب الملكوت وما فيه الي غيب الجبروت
وما به يحق يكون علمهم علي الغايب الذي تلقته قلوبهم علي سبيل اذانهم كعلمهم علي ما تلقته انفسهم علي
سبيل اعينهم وساير حواسهم وداموا علي عملهم ذلك علي حكم ايمانهم الي الخاتمة ولما كانت الصلاة التزام عهد
العبادة مبنيا علي تقدم الشهادة متممة بجماع الذكر وانواع التحيات بدءا من القيام له تعالي والركوع له والسجود
الذي هو اعلاها والسلام بالقول الذي هو ادني التحيات كانت لذلك تعهدا للايمان وتكرارا ولذلك من
لم يدم الصلاة ضعف ايمانه وران عليه كفره فلا ايمان لمن لا صلاة له والتقوي وحده اصل والايمان فالصلاة
ثمرته والانفاق خلافة ولذلك البخل عزل عن خلافة الله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وهذا الامر بتمامه
هو الذي جعلت الخلافة لادم به الي ما وراء ذلك من كمال امر الله الذي اكمله محمد صلي الله عليه وسلم فالتقوي
قلب باطن والانفاق وجه ظاهر والايمان فالصلاة وصلة بينهما ووجه ترتب الايمان بالغيب علي التقوي
ان المتقي لما كان متوقفا غير متمسك بامر كان اذا ارشد الي غيب لا يعلمه لم يرد فيه بمقتضي ما تقدم
له علم ووجه ترتب الانفاق علي الايمان بالغيب ان المدد غيب لان الانسان لما كان لا يطلع علي جميع
رزقه كان رزقه غيبا فاذا ايقن بالخلف جاد بالعطيه فمتي امد بالارزاق تمت خلافته وعظم فيها سلطانه
وانفتح له باب امداد برزق اعلي واكمل من الاول فاذا احسن الخلافة فيه بالانفاق منه ايضا انفتح
له باب الي اعلي الي ان ينتهي الي حيث ليس وراه مرمي وذلك هو الكمال المحمدي وان بخل فلم ينفق واستغني
عاعن فلم يتق فكذب تضاءل امر خلافته وانقطع عنه المدد من الاعلي فحق سمي الانفاق زكاة انتهي وفي
اول الشوري كلام في الايمان عن علي رضي الله عنه نفيس ولما وصفهم بالايمان جملة اشار الي بعض تفصيله علي وجه

مكناهم من الانتفاع
بيرح

يتدخل فيه اهل الكتاب دخولا اوليا فقال والذين يومنون اي يوجد ون هذا الوصف بعد سماعهم للدعوة ايجادا مستمرا بما انزل اليك اي من القران والسنة سوا كان قد وجد او سيوجد وما انزل من قبلك اي على الانبيا الماضين وبالاخرة التي هي دار الجزا ومحل التجلي وكشف الغطا ونتيجه الامر قال الحرالي الاخرة معاد الامر بعد تمامه على اوليته انتهى ولما تقدم من الاهتمام عبر بالايمان واتى بضمير الفصل فقال هم يوقنون لان شك قايد الى كل خير وذايد عن كل ضير والايمان كما قال الحرالي صفا العلم وسلامته من شوايب الريب ونحوه من نقي الما وهو ما نزل من السما فانحدر الى كهف جبل فلم يتغير من قرار ولا وارد انتهى فهو يكون بعد شك ولذا لا يوصف به الله والوصف بهذه الاوصاف كما ترى اشارة الى امهات الاعمال البدنية والمالية من الافعال والتروك فالايمان اساس الامر والصلاة مشارها الى التحلي بكل خير والتخلي عن كل شر ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وكلاهما من اعمال البدن والنفقة عمل مالي فحصل بذلك حصر الفعل والترك الضابطين لجميع الاعمال كيف ما تشعبت وصرح بالفعل واومى الى الترك ايماء لا يفهمه الا البصير تسهيلا على السالكين لان الفعل من حيث هو ولو كان صعبا ايسر على النفس من الكف عما تشتهي وفي وصفهم ايضا بالايمان بما انزل اليه والى من قبله من التعريض والتبكيت لمن سواهم ما سترا في الايات الاتيه ولما اخبر عن افعالهم الظاهرة والباطنة اخبر بثمرتها فقال اوليك اي الموصوفون بتلك الصفات الطاهرات ولما تضمن ما مضى ان ايمانهم كان عن اعظم استقلال فاثمر لهم التمسك باوثق العرى من الاعمال استحقوا الوصف بالاستعلا الذي معناه التمكن فقال على هدى اي عظيم وزاد في تعظيمه بقوله من ربهم اي المحسن اليهم بتمكينهم منه ولن ومهم له تمكين من ~~سير بالعاطف الى حرين فلكنهم في محل المصنفي على التي~~ ولما لم يلازم الهدى الفلاح عطف عليه قوله واوليك اي العالوا المرتبة هم المفلحون اي الكاملون في هذا الوصف الذي انفتحت لهم وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفا والعين نحو فلج بالجيم وفلق وفلذ وفلا قال الحرالي وخرج الخطاب في هذه الايات مخرج المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومخرج احضار المومنين بموضع الاشارة وهي مكانة حضرة دون مكانه حضرة المخاطب انتهى وكونها للبعد اعلام بعلو مقامهم والفلاح الفوز والظفر بكل مراد ونوال البقا الدايم في الخير ولما اردف البيان لاوصاف المومنين التعريف باحوال الكافرين وكانوا قد انقسموا الى مصارحين ومنافقين وكان المنافقون قسمين جهالا من مشركي العرب وعلما من كفار بني اسرايل كان الانسب ليفرغ من قسم برأسه على عجل البداة اولا بالمصارحين فذكرما اراد من امرهم في ايتين لان امرهم اهون وشانهم ايسر لتصدهم بما يوهنهم بالكلام او بالسيف على انه ذكرهم على وجه يعم جميع الاقسام فقال مخاطبا لاعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والاعجاز في معرض الجواب لسواله من كانه قال هذا حال الكتاب للمومنين فما حاله للكافرين ان الذين كفروا اي حكم بكفرهم حكما نفذ ومعنى تستروا ما اتيتم من الادلة على الوحد انية عن العقول التي هيئت لادراكه والفطر الاولى التي خلصت عن مانع يعوقها عن الانقياد له عملوا اضد ما عمله المومنون من الانقياد دون شك انه سوا عليهم أأنذرتهم اي بهذا الكتاب ام لم تنذرهم ولما كان كانه قيل اي شي استوت حالتاهم قيل في انهم لا يومنون وهي دليل على خصوص كونه هدي بالمتقين قال الحرالي فحصل بمجموع قوله سوا عليهم الى اخره وبقوله لا يومنون خير تام عن سابقة امرهم ولاحقه كونهم فهم

بالكلامين

بالكلامين الخبر عنهم خبرا واحدا امليها كنتا سابقا وكونا لاحقا انتهى وكل موضع ذكر فيه الكفر فانما عبر به اشارة الى ان الادلة الاصلية في الوضوح بحيث لا يخفى على احد ولا يخالفها الا من ستر مراة عقله اما عنادا واما باهمال النظر السديد والركون الى نوع تقليد ولما كان من اعجب العجب كون شي واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله ختم الله اي بجلاله على قلوبهم اي ختما مستعليا عليها فهي لا تعي حق الوعي وعلى سمعهم فهم لا يسمعون حق السمع وافرده لان التفاوت فيه نادر قال الحرالي وشركه في الختم مع القلب لان احدا لا يسمع الا ما عقل انتهى وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا ينظرون بالتامل ولما سوى هنا بين الانذار وعدمه كانت البداة بالقلوب انسب تسوية لهم بالبهايم ولما كان الغبي قد يسمع او يبصر فيهتدي وكان الى السمع اضر لعمومه وخصوص البصر باحوال الضيا نفي السمع ثم البصر تشغيلا لهم عن حاله البهايم علاف ما في الجاثية فانه لما اخبر فيها بالاضلال وكان الضال احوج شي الى سماع الهادي نفاه ولما كان الاصم اذا كان ذا فهم او بصر امكنت هدايته وكان الفهم اشرف نفاهما على ذلك الترتيب ولما وصفهم بذلك اخبر بمالهم فقال ولهم عذاب اي عظيم قال الحرالي وفي حقه اعلام بتقوية تداعي حالهم لتلك العذاب واستحقاقهم له وتشوق ذواتهم اليه حتى يستدعيان المعرفة به وبهم انتهلهم وكان عذابهم عظيما اخذا في عموم ذواتهم لكونهم لم تلتبس ابدانهم ولا نفوسهم ولا ارواحهم بما يصد عنهم شيا من عذابها كما يكون للعاقبين من مذنبي مومني الامم حيث يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضويهم ونحو ذلك انتهى وسياتي عند قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا ما يلتفت الى هنا قال الحرالي الكفر تغطية ما حقه الاظهار والانذار الاعلام بما يحذر والختم اخفا خبر الشي بجمع اطرافه عليه على وجه يتحفظ به والقلب مبدا الكيان الشي من غيب قوامه فيكون تغيره لونه بحسب تقلب قلبه في الانتها ويكون تطوره وتكامله بحسب مدده في الابتدا والنما والقلب من الانسان بمنزلة السكان من السفينة بحسب تقلبه ينصرف سايره ويوضعه للتقلب والتقليب سمي قلبا وللطيف معناه في ذلك كان اكثر قسمه صلى الله عليه وسلم بمقلب القلوب والغشاوة غطا بجلل الابيد ومه من المعطي شي الوثاب ابلام لا ايجاز فيه والعظيم الاخذ في الجهات كلها انتهى وفي تعقيب ذكر المومنين بذكر المختوم على مداركهم المحتوم بعدها لهم تعظيم للنعمة على من استجاب لداعي الله فقال اصحابنا فهو واعلام بان الهدي ليس الابيد الله لو لا الطلب ويتبر واعن ادعا حول او قوة ولما ذكر المجاهدين من الكافرين اتبعه ذكر الساترين وهم المنافقون وامرهم اشد لاشكال احوالهم والقياس اقوالهم وافعالهم فاصلة الاعدا من بريكه الضد اقتربا خدك من الامن وما احسن ما ينسب الى الامام ابي سليمان الخطابي في المعنى

تحرز من الجهال جهدك انهم ... وان اظهروا فيك المودة اعداء
وان كان فيهم من يسرك فعله ... فكل لذيذ الطعم اوجله داء

لاجرم فضحهم سبحانه باظهار اسرارهم وهتك استارهم في سياق شامل لتقبيحهم بقبيح امورهم ووهي مقاصدهم وضرب لهم الامثال وبسط لهم بعض البسط في المقال فقال تعالى ومن الناس اي لما ارسلنا رسولنا انقسم الناس قسمين مومن وكافر وانقسم الكافر قسمين فمنهم من جاهر وقال لا نومن ابدا ومنهم من يقول ولعله اظهر ولم يضمر لانفرادهم عن المجاهرين ببعض الاحكام او لانه سبحانه لما ذكر طرفي الايمان والكفر واحوال المومنين واحوال الذين كفروا ذكر المنافقين المترددين بين الاتصاف بالطرفين فلفظ الناس لظهور معنى النوس فيهم

لاضطرابهم بين الحالين لان النوس هو حركة الشي اللطيف المعلق في الهوا كالخيط المعلق الذي ليس في
طرفه الاسفل ما يثقله فلا يزال مضطربا بين جهتين ولم يظهر هذا المعنى في الفريقين لتحزبهم الي
جهة واحدة قاله الحرالي امنا بالله اي وحده وباليوم الاخر الذي جحده المجاهرون وماهم بمومنين
وفي ذكر قصتهم وتقبيح احوالهم تنبيه على وجوب الاخلاص وحث على الاجتهاد في الطهارة من الادناس في سواله
الهداية الى الصراط المستقيم وتصنيف الناس اخر الفاتحة ثلثة اصناف مهتدين ومعاندين
وضالين مثل تصنيفهم اول البقرة ملة متقين وكافرين مصارحين وهم المعاندون وضالين وهم المنافقون
واجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الاساليب وهو داب القران العظيم الاجمال ثم التفصيل
وقد سمى لنا ابن اسحق كثيرا من المنافقين في السيرة الشريفة في اول اخبار ما بعد الهجرة قال ابن هشام
في تلخيص ذلك وكان ممن انضاف الي يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الاوس والخزرج من الاوس
زوي بن الحارث وبجاد بن عثمان بن عامر ونبتل بن الحارث وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الي نبتل وكان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث اليه
ثم ينقل حديثه الي المنافقين وهو الذي قال انما محمد اذن وعباد بن حنيف اخو سهل وعمرو بن خذام وعبد
الله بن نبتل وجارية بن عامر بن العطاف وابناه زيد ومجمع وهم ممن كان بنى مسجد الضرار وكذا خذام
ابن خالد وهو الذي اخرج مسجد الضرار من داره ومربع بن قيظي وهو الذي قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عامد الي احد لا احل لك يا محمد ان كنت نبيا ان تمر في حائطي فابتدره المسلمون
ليقتلوه فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا الاعمى اعمى القلب اعمى البصر واخوه اوس بن قيظي
وهو الذي قال له يوم الخندق ان بيوتنا عورة وحاطب بن امية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسى في
الجاهلية وكان ابنه زيد من خيار المسلمين فقتل وبه اسعفه يوم احد فقال ابوه لمن لبشره بالجنة غررتم
والله هذا المسكين من نفسه وبشير بن ابيرق ابو طعيمة وفي نسخة طعمة وهو سارق الدرعين الذي انزل
الله فيه ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم وقزمان حليف لهم اجاد يوم احد القتال وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من اهل النار فجرح فبشر بالجنه فقال والله ما قاتلت الا حمية لقومي
فلما اشتدت به الجراحة قطع رواهش يده فمات ومن الخزرج رافع بن وديعة وزيد بن عمرو
وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل والجد بن قيس وهو الذي قال ايذن لي ولا تفتني وعبد الله بن ابي
راس المنافقين واليه كانوا يجتمعون وهو القايل ليخرجن الاعز منها الاذل ووديعة ودبعة العوفي ومالك
ابن ابي توقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل الم تر الي الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب الاية حكاية لما كانوا يدسونه الي بني النضير اذ حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة
الله وكذلوا وكان ممن تعوذ بالاسلام واظهره وهو منافق من احبار يهود من بني قينقاع سعد بن حنيف
وزيد بن اللصيت وهو الذي قال في غزوة تبوك يزعم محمد انه ياتيه خبر السما وهو لا يدري اين ناقته
فاعلمه الله بقوله وبمكان الناقة ونعمان بن اوفي بن عمرو وعثمان بن اوفي ورافع بن حرملة وهو الذي قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات قد مات اليوم عظيم من عظما المنافقين ورفاعة بن زيد بن التابوت
وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هبت تلك الريح وهو قافل من غزوة بني المصطلق لا

تخافوا انما

طعمة

تخافوا انما هبت لموت عظيم من عظما المنافقين وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا فكان هولاء
من المنافقين ومن تحالفهم يحضرون المسجد فيسمعون احاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزون
على قلة عقولهم وخفة حلومهم من حيث ان محط حالهم انهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع وان الذي حملهم
على ذلك انهم ليس لهم نوع شعور فكانه قيل من ادراك بقوله تعالى جوابا لسوال من كانه قال فما قصدهم
باظهار الايمان والاخبار عن انفسهم بغير ما هي متصفة به مع معرفتهم بقبح الكذب وشناعته وفظاعته
وبشاعته يخادعون الله ايهم ما له من الاحاطة بكل شي والذين امنوا اي يعاملونهم تلك المعاملة
قال الحرالي وجا بصيغة المفاعلة لمكان احاطة علم الله بخداعهم ولم يقرا غيره ولا ينبغي والخداع اظهار
خير يتوصل به الي ابطان شر يؤول اليه امر ذلك الخير المظهر انتهى وما يخدعون اي بما يعرون به المومنين
الا انفسهم يعني ان عقولهم بحسبانها انما تسمى نفوسا والنفس قال الحرالي ما به يتنفس المرء على غيره استبدادا
منه واكتفا بموجود نفاسته على من سواه انتهى وقراة الخوف هذه لا تنافي قراة يخادعون لان المطلق
لا يخالف المقيد بالمبالغة وعبر هنا بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال الحرالي بفساد احوالهم في بعض
الاوقات ومن بعض الاشخاص وبصيغة المجرد لعميهم عن فساد احوالهم في اكثر اوقاتهم ومع عامتهم
~~من اهل وكذلك جاني~~ ولا يكون من الله سبحانه الا بلفظ الخدع لانهم لا يعلمون بما يخفي الله عنهم من امره
ولذلك جا في اية النسا يخادعون وهو خادعهم انتهى وما يشعرون اي نوع شعور لاجل جهلهم بانهم
لا يضرون غير انفسهم لان الله يعلم سرهم كما يعلم جهرهم والشعور كما قاله الحرالي اول الاحساس بالعلم
كانه مبدا نباته قبل ان يكمل صورته وتتميز انتهى ثم تبين ان سبب الغفلة عن هذا الظاهر
كون الادراكهم مريضة شغلها المرض عن ادراك ما ينفعها فهي لا تجنح الا الى ما يوذيها
كالمريض لا يميل نفسه الي غير مضارها فقال جوابا لمن كانه قال ما سبب فعلهم هذا في قلوبهم
مرض اي من اصل الخلقة يوهن قوى الايمان فيها ويوجب ضعف افعالهم الاسلامية وخللها
لان المرض كما قال الحرالي ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الافعال فزادهم الله لخداعهم
مرضا فاشد عليهم باب الفهم والسداد جملة والزيادة قال الحرالي استحداث امر لم يكن في
موجود الشي انتهى ولهم اي مع ضرر الغباوة في الدنيا الملحقة بالبهايم عذاب اليم في الاخرة اي
شديد الالم وهو الوجع اللازم قاله الحرالي بما كانوا يكذبون قال الحرالي من كان الشي وكان
الشي كذا اذا ظهر وجوده وتمت صورته او ظهر ذلك الكذا من ذات نفسه انتهى ولما اخبر عن بواطنهم
اتبعه من الظاهر ما يدل عليه فبين انهم اذا نوا عن الفساد العام ادعوا الصلاح العام بقوله
واذا قيل لهم وبناه للمجهول اشارة الي عصيانهم لكل قايل كاينا من كان لا تفسدوا في الارض اي
بما نرى لكم من الاعمال الخبيثة والفساد انتقاض صورة الشي قال الحرالي قالوا قاصرين فعلهم
على الصلاح نافين عنه كل فساد مباهتين غير مكترثين انما نحن مصلحون والاصلاح تلافي خلل الشي
قاله الحرالي ولما كان حالهم مبنيا على الخداع باظهار الخير وابطان الشر وكانوا يرون افسادهم لما لهم
من عكس الادراك اصلاحا فكانوا يناظرون عليه بانواع الشبه كان توهيم ربما غر من سمعه من
المومنين لان المومن غر كريم والكافر خب ليم فقال تعالى محذرا من حالهم مثبتا لهم ما نفوه عن انفسهم من

الجبان منها

الفساد وتاصر الله عليهم الا انهم هم المفسدون اي الكاملو الافساد البالغون من العراقة فيه ما يجعل افسادغيرهم بالنسبة الي افسادهم عدما المائع نشى من خراب ذات البين واخذ المومن من المامن وقال الحرالي ولما كان حال الطانينة بالايمان اصلاحا وجب ان يكون اضطرابهم فيه افسادا لاسيما مع ظنهم ان كونهم مع هولا تارة ومع هولا تارة من الحكمة والاصلاح وهو عين الافساد لانه بالحقيقة مخالفة هولا وهولا فعد اضدوا طرفي الايمان والكفر ولذلك قيل ما يصلح المنافق لانه لا حبيب مصافي ولا عدو مبارز فلا يعتقد منه في بني انتهي ولما كان هذا الوصف موجبا لعظيم الرهبة اتبعه ما يحققه بقوله ولكن لا يشعرون اي هم في غاية الجلافة حتي لا شعور لهم يحسبون به النفرق في تما نجا ولونه من الفساد الان بما دلت عليه ما في الاية السابقة الدالة علي ان المضارع للحال ولا بها ليستقبل من الزمان لان لا لا تقارنه الا وهو بمعني الاستقبال فلاجل ذلك لا يوثر افسادهم الان اذا نفعهم فلا نجا فوهم باني كانبلوهم ولما حالكم اذا امروا بالصلاح العام بين انهم اذا دعوا الي الصلاح الخاص الذي هو اس كل صلاح سفهوهم فقال واذا قيل لهم امنوا اي ظاهرا اي من اي قايل كان اي ظاهرا وباطنا كما امن الناس اي الذين هم الناس لينظر عليكم ثمرة ذلك من لزوم الصلاح واجتناب الفساد والايمان المضاف الي الناس ادني مراتب الايمان قال الحرالي وهو مفهم لما صرح به قوله وما هم بمومنين قالوا انومن اي ذلك الايمان كما امن السفها اي الذين استدرجهم الي ما دخلوا فيه بعد تركهم ما كان عليه اباوهم خفة نشات عن ضعف العقل ثم رد سبحانه قولهم بحصر السفه فيهم فقال الا انهم هم السفها لاغيرهم لجمودهم في رايهم مع ان بطلانه اظهر من الشمس ليس فيه لبس ولكن لا يعلمون اي ليس لهم علم اصلا لا بذلك ولا بغيره ولا يتصور لهم علم لان جهلهم مركب وهو اسوا الجهل والعلم قال الحرالي ما اخذ بعلامة وامارة نصبت ايه عليه انتهي ولما كان الفساد يكفي في معرفته والصد عنه ادني تامل والسفه لا يكفي في ادراكه والنهي عنه الا رزانة العلم ختمت كل اية بما يناسب ذلك من الشعور والعلم ولما كان العام جزء الخاص قدم عليه ولما بين نفاقهم وعلته وسيرتهم عند دعا الداعي الي الكفر بهذه الايات بين سيرتهم في اقوالهم في خداعهم دليلا علي افسادهم بقوله واذا لقوا والتقا اجتماع باقبال الذين امنوا اي حقا ظاهرا وباطنا ولكن ايمانهم كما قال الحرالي فعل من افعالهم لم تنته الي ان يصير صفة لهم واما المومنون الذين صار لهم ايمانهم صفة لم فلا يكادون يلقونهم بمقتضاه لانهم لا يجدون معهم مدخلا في قول ولا مواناة لان التقا لابد فيه من اقبال ما من المتلقيين انتهي قالوا خداعا امنا معبرين بالجملة الفعلية الماضية التي تكفي في افادتها ما سبقت له ادني الحركة واذا خلوا منتهين الي شياطينهم اي الذين هم روسهم من غيران يكون معهم مومن والشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير قال الحرالي قالوا انا معكم معبرين بالاسمية الدالة علي الثبات موكدين لها دلالة علي نشاطهم لهذا الاخبار بمزيد جهم لما افاده ودفعا لما قد يتوهم من يتهمهم من راي نفاقهم للمومنين ثم استانفوا في موضع الجواب لمن قال مابالكم تلينون للمومنين قولهم انما نحن مستهزون اي طالبون للهزء ثابتون عليه فيما يظهر من الايمان والهزء اظهار الجد واخفا الهزل فيه قاله الحرالي فاجيب من كانه قال بما ذا جوزوا بقوله الله اي الملك الاعلي يستهزي بهم اي يجازيهم في فعلهم بالاستدراج بان يظهر لهم من امره المودي لهم ما لابد ركون

بعتي ص

وجهه فهو يجري عليهم في الدنيا احكام الايمان ويذيقهم في الدارين اعلا هوان مجددا لهم ذلك بحسب استهزايهم وذلك انكا من بني دايم نوطن النفس عليه فلذلك عبر بالفعلية الاسمية مع انه تفيد صحة النوبة لمن تاب دون الاسمية ويمدهم من المد بما يلبس عليهم وقال الحرالي من المدد وهو مزيد متصل في الشي من جنسه في طغيانهم اي تجاوزهم للحد في الفساد وقال الحرالي افراط اعتدائهم حدود الاشيا ومقاديرها انتهي وهذا المد بالاملا لهم حال كونهم يعمهون اي لحطون حط الذي لا بصيرة له اصلا قال الحرالي من العمه وهو ابهام الامور التي فيها دلالات يتتبع بها عند فقد الحس فلا يبقي له سبب يرجعه عن طغيانه فلا يهتدون رشدا لانهم عموا فلم يرجعوا عنه فهم ابدا متزايدوا الطغيان انتهي فلما تقرر ذلك كله كانت فذلكته من غير توقف اولئك اي الشديدو البعد من الصواب الذين اشتروا اي لجوا في هواهم فكلفوا انفسهم ضد ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الادلة حتي اخذوا الضلالة اي التي هي اقبح الاشيا بالهدي الذي هو خير الاشيا ومدار كل ذي شعور عليه فكانه لوضوح ما قام عليه من الادلة مع ما ذكر منه في الفطر كان في ايديهم فباعوه بها وسياتي في سورة يوسف عليه السلام بيان ان مادة شري بتراكيبها الاثني عشر تدور علي الحاجة فما اي فتسبب عن فعلهم هذا انه ما ربحت تجارتهم مع ادعايهم انهم ابصر الناس بها وما كانوا في نفس جبلاتهم مهتدين لانهم مع انهم لم يربحوا اضاعوا راس كل المال لانه لم يبق في ايديهم غير الضلال الذي صاحبه في دون رتبة البهايم مع زعمهم انه لا مثل لهم في الهداية فلما علم ذلك كله وكانت الامثال الصق بالبال واكشف للاحوال مثل حالهم في هداهم الذي باعوه بالضلالة بالامور المحسوسة لان للتمثيل به شانا عظيما في ايصال المعاني حتي الي الاذهان الجامدة وتقريرها فيها بقوله تعالي مثلهم اي في حالهم هذه التي طلبوا ان يعيشوا بها كمثل الذي استوقد نارا اي طلب ان توقد له وهي هداه ليسير في نورها واصلها من نار اذا نفر لتحركها واضطرابها فوقدت وانارت فلما اضات اي النار فافرد الضمير باعتبار لفظ الذي فقال ما حوله واراد ان ينتفع بها في ابصار ما يريد وهو كناية عما حصل لهم من الامنة بما قالوه من كلمة الاسلام من غير ذهب الله الذي له كمال العلم والتدبير وجمع الضمير نظرا الي المعني لئلا يتوهم ان بعضهم امتنع دون بعض بعد ان افرده تقليلا للنور وان كان قويا في اوله لانطفايه في اخره فقال بنورهم الذي نشا من تلك النار باطفايه لها ولا نور لهم سواه ولم يقل بضوءهم لئلا يتوهم ان المذهوب به الزيادة فقط لان الضوء اعظم من مطلق النور وهو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا فذهب نورهم وبقيت نارهم ليجتمع عليهم حرها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور وعبر بالاضاءة اولا اشارة الي قوة اولهم والمحاق اخرهم لان محط حالهم الباطل والباطل له صولة ثم يضمحل عند من ثبت لها ليتبين الصادق من الكاذب وعبر بالذهاب به دون اذهابه ليدل تصاعدا انه سبحانه ليس معهم وحقق ذلك بالتعبير عن صيرهم بتركهم فقال وتركهم في ظلمات اي من قلوبهم وابصارهم وليلهم اي ظلمات لا ينفذ فيها بصر فلذا كانت نتيجته بالضلالة لا يبصرون اي لا ابصار لهم اصلا يبصر ولا بصيرة ولما فرغ من المثل كشف المراد بظلماتهم بانها ما في اذانهم من الثقل المانع من الانتفاع بالسماع وما في السنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشي عن عدم الادراك الناشي عن عمي البصاير وفساد الضماير والسراير وما علي ابصارهم من الغشاوة المانعة من الاعتبار وعلي بصايرهم من الاغطية المنافية للادكار فقال

اعتناكم ص

بالضلالة ص

صم اي عن السماع النافع بكم عن النطق المفيد لان قلوبهم مختوم عليها فلا ينبعث منها خير تقدفه الي الالسنة
عمي في البصر والبصيرة عن الابصار المرشد لما تقدم من الختم على مشاعرهم ولما كان في مقام اجابة الداعي الي
الايمان قدم الصم لانه العمدة في ذلك وثنى بالقول لانه يمكن الاصم الافصاح عن المراد وختم بالبصر
لامكان الاهتدا به بالاشارة وكذا ما ياتي في هذه السورة سوا بخلاف ما في الاسراء فهم اي فلتسبب عن
ذلك انهم لا اي ولما كان المراد التعميم في كل رجوع رجعهم بذكر المرجوع عنه فقال يرجعون اي عن طغيانهم وضلالهم
الي الهدي الذي باعوه ولا الي احوالهم الذي كانوا عليه ولا ينتقلون عن حالهم هذا اصلا لانهم كمن هذا حاله
ومن هذا حاله لا يقدر على مفارقة موضعه بتقدم ولا تاخر او مثلهم في سماع القران الذي فيه المتشابه
و الوعيد والوعد كصيب اي اصحاب صيب اي مطر عظيم وقال الحرالي سحاب ممطر دار ثم اتبعه تحقيقا
لان المراد الحقيقة قوله من السما وهو كما قال الحرالي ما علا فوق الراس بعض هذا اصله والمراد هنا
معروف ومثل القران بذا لمواتية نزوله وعلوه ثم اخبر عن حاله بقوله فيه ظلمات اي لكثافة
السحاب واسوداده ورعد اي صوت مرعب برعد عند سماعه وبرق اي نور مبهت للمعانه وسرعته
قال الحرالي والظلمات مثل ما لم يفهموه والرعد ما ينادي عليهم بالفضيحة والتهديد والبرق ما يلوح لهم
معناه ويد اخلهم ولابد في استحسانه ولما تم مثل القران استانف الخبر عن حال الممثل لهم والمثل بهم حقيقة
ومجازا فقال يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق اي بعضها ولو قدروا لحشوا الكل لشدة خوفهم
اي من اجل قوتها لان هولها بكاد ان يصم وقال الحرالي جمع صاعقة وهو الصوت الذي يميت سامعه
او يكاد ثم علل هذا بقوله حذر الموت والله اي والحال ان المحيط بكل شي قدرة وعلما محيط بالكافرين
فلا يغنيهم من قدره حذر واظهر موضع الاضمار لاعراضهم عن القران وسترهم لانواره ثم استانف الكشف
عن بقية حالهم فقال يكاد البرق اي من قوة لمعه وشعاعه وشدة حركته واسراعه يخطف ابصارهم
فهم يغضونها عند لمعه وخفضه في ترائيه وزيغه ولما كان من المعلوم ان البرق ينقضي لمعانه بسرعة
كان كانه قيل ماذا يصنعون عند ذلك فقال كلما وعبر بها دون اذا دلالة على شدة حرصهم على الجاد
المشي عند الاضاة اضا لهم مشوا فيه مبادرين الي ذلك حراصا عليه لا يفترون عنه في وقت من اوقات
الاضاة مع انهم يغضون ابصارهم ولا يجدون غاية المدخولة عليها ود توقفا مع الاسباب دون تقلبها واعتمادا
عليها وغفلة عن رب الارباب وهو مثل لما وجدوا من القران موافقا لارائهم وعطف باذا لتحقق خفوته
قوله واذا اظلم عليهم قاموا اي اول حين الاظلام لا يقدرون على التقدم خطوة واحدة اشارة الي
انه ليست لهم بصاير يبصرون بها فيما كشف البرق لابصارهم من الارض قبل الاظلام بل حال انقطاع اللمعان
يقفون لعمى بصايرهم ووحشتهم وجبنهم وغيرتهم وشدة جزعهم وحيرتهم وهكذا حال هولا لا يتبصرون ما اشكل
عليهم من القران على ما فهموه ولو شا الله حكمة الذي له العظمة الباهرة مع شدة حرصهم وتناهي جزعهم د
دل على مفعول شا بقوله لذهب بسمعهم اي بتقاصف الرعد ولم يغنهم سد اذانهم وابصارهم ولم يغنهم غضهم لها
ثم علل ذلك بقوله ان الله على كل شي اي مشي اي يصح ان تقع عليه المشيئة هذا المراد وان كان الشي كما قال سيبويه
يقع على كل ما اخبر عنه وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والمحال
ونزل الاشاعرة ان المعدوم ليس بشي بمعنى انه ليس بثابت في الاعيان متميز فيها قدير اعلاما بان قدرته لا تتقيد

خفوته بعدم

يخالف البرق

بالابصار

بالاسباب

قال الحرالي القدرة اي ~~الذي له جميع صفات الكمال~~ اظهار الشي من غير سبب ظاهر انتهى ولعله
سبحانه قدم المثل الاول لانه كالجزء من الثاني او لانه مثل المنافقين جعلت مرة صبايهم بنموهم وازدياد
عقولهم استيقاظا مع جبر الله اياهم على الفطرة القويمة وزمان بلوغهم بتمام العقل الغريزي اضاءة
والثاني مثل المنافقين كالصيب القران الذي انقاد والظاهره والظلمات متشابهه والصواعق
وعيده والبرق وعده كلما انذروا بوعيد انقطعت قلوبهم خوفا يحسبون كل صيحة عليهم وكلما بشروا
انقادوا رجا واذا عرض المتشابه وقفوا تحيرا وجفا وكل ذلك وقوفا مع الدنيا وانقطاعا اليها لا نفوذ
لهم الي ما وراها اصلا بل هم كالانعام لا نظر لهم الي سوي الجزئيات والامور المشاهدات فان كان لكم
فتح من الله قالوا الم نكن معكم بالفي كنت معهم فافوز فوزا عظيما والكلام الجامع النافع في ذلك ان
يقال انه سبحانه شبههم في الاول مثلهم كمثل المستوقد نارا الا بالمستوقد وفي الثاني شبه حالهم في خوفهم الاعزيم
ورجايهم المنقطع باصحاب الصيب لا بمثلهم فتقدير الاول مثلهم في انهم سمعوا اولا الدعاء وراوا الايات
فاجابوا الداعي اما بالفعل كالمنافقين واما بالقوة في ايام الصبي لما عندهم من سلامة الفطرة وصحة
النظر ثم ارتدوا فلم ينفعهم سمع ولا بصر ولا عقل فصاروا مثل البهايم التي لا تطيع الراعي الا بالزجر
البليغ مثلهم في هذا يشبه مثل المستوقد في انه لما اضات ناره راي ما حوله فلما ذهبت لم يقدر على
تقدم ولا تاخر لانه لا ينفع في ذلك سمع ولا عقل ولا كلام فاذن استوي وجودها وعدمها فصار عادما للثلاثة
فكان من هذه الجهة مساويا للاصم الابكم الاعمي فهو مثله لكونه لا يقدر على مراده الا ان قاده قايد
حسي فهو حينيذ مثل البهايم التي لا تنقاد للمراد الا بقايد فاستوي المثلان وسيتضح ذلك عند قوله تعالى
كمثل الذي ينعق ولذلك كانت النتيجة في كل منهما صم الي اخره واو بمعنى الواو ولعله عبر بها دونها لانه
وان كان كل من المثلين صالحا لكل من القسمين فان الاول اظهر في الاول والثاني في الثاني وجعل الحرالي
المثلين للمنافقين فقال ضرب لهم مثلين لما كان لهم حالان والقران عليهم تنزلان منه ما يرغبون
فيه من مصلحة دنياهم فضرب لهم المثل الاول وقدمه لانه سبب دخولهم مع الذين امنوا المارا ومن معاجلة
عقاب الذين كفروا في الدنيا ومنه ما يرهبونه ولا يستطيعون سماعه لما يتضمنه من امور شاقة عليهم
لا يحملها الا من حقا ولا يحملها الا من امن ولما يلزم عنه من فضيحة خداعهم فضرب له المثل الثاني
فلن يخرج حالهم عند نزول نجوم القران عن مقتضى هذين المثلين انتهى وضرب الامثال المنتهي الى
الحد المنتهي الي الاحاطة بكل حد لا سيما في اصول الدين الكاشف لحقيقة التوحيد الموصل الي
اليقين في الايمان بالغيب لما له من صفات الكمال الدافع للشكوك الحافظ في طريق السلوك
مما اختص به القران من حيث كان منها الي الحمد ومفصحا به فكان حرف الحمد وذلك انه حرف عام محيط
شامل لجميع الامور كافل بكل الشرايع في ساير الازمان فكان احق الرسل به من كانت رسالته
عامة لجميع الخلق وكانت شاملة لجميع الامر وهو احمد ومحمد صلى الله عليه وسلم قال الامام ابو الحسن الحرالي
في كتابه عروة المفتاح هذا الحرف لاحاطته اتم وترا وساير الحروف اشفاع لاختصاصها ووجه
انزاله تفهيم ما غمض من المغيبات بضرب مثل من المشهودات ولما كان للامر تنزلات وللخلق تطورات

المحقق م

كان الاظهر منها مثلا لما هو دونه في الظهور وكل ظاهر ممثول صار مثلا لما هو اخفى منه فكان لذلك
امثالا لا عدد لها منها مثل ليس لممثول لظهوره وممثولات تصير امثالا لما هو اخفى منها الى ان ينتهي الامثال
الى غاية محسوس او معلوم فتكون تلك الغاية مثلا اعلى كالسموات والارض فما عمر العرش ومن حول الكرسي
فيما يعلم وله المثل الاعلى من في السموات والارض الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم و [illegible] المثل
الاعلى لاحاطته اسمه الحمد وله الحمد في السموات والارض واحمد الهاه وادناه الى الله تعالى بحيث لا
يكون بينه وبين الله تعالى واسطة فلذلك استحق اكمل الخلق واجمعه ~~الاختصاص بالحمد~~ فكان اكمل الامور
سورة الحمد وكان اكمل الخلق صورة محمد صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم وكون المثل الاعلى الجامع الامثال العلية المفصلة منه ضرب
لكم مثلا من انفسكم ولاحاطة امر الله وكماله في كل شي صح ان يضربه مثلا ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وللمثل
حكم من ممثوله ان كان حسنا حسن مثله وان كان سيا سا مثله ولما كان اعلى الامثال الحمد كان اول
الفاتحة الحمد ولما كان اخفى امر الخلق النفاق كان اول مثل في الترتيب مثل النفاق وهو اد نى
مثل لما خفي من امر الخلق كما ان الحمد اعلى مثل لما غاب من امر الحق وبين الحدين امثال حسنة وسية
مثل الجنة التي وعد المتقون الاتيتين مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها فمثله كمثل الكلب الايتين
وبقدر علو المثل او دنوه او توسطه تتزايد للمؤمن الايمان وللعالم العلم وللعالم الفهم وبضد ذلك
لمن اتصف باضداد تلك الاوصاف فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ومعرفة امثال القران المعرفة احاطة
ممثولاتها وعلم اياته المعلمة اختصاص معلوماتها هو حظ العقول والالباب وحرف من القران ولكل حرف
اختصاص بحظ من مدارك الانسان واعمال القلوب والانفس والابدان فمن يسر له القراءة والعمل
بحرف منها اكتفى ومن جمع له قراءة جميع احرفه علما وعملا فقد اتم ووفى وذلك يكون من القراء الذين قال
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم اعز من الكبريت الاحمر يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ثم قال في ما به تحصل قراءة هذا الحرف اعلم ان قراءة الاحرف الستة تماما ووفاء بتفصيل العبادة
لانها اشياء ثلثة للتخليص والتخلي وثلثة للعمل والتحلي لان ترك الحرام طهره البدن وترك النهي طهرة
النفس وترك التعرض لما يشابه طهرة القلب ولانه تناول الحلال زكاة البدن وطاعة الامر زكاة النفس
وتحقق العبودية بمقتضى حرف المحكم نور القلب واما قراءة حرف الامثال فهو وفاء العبادة بالقلب
جميعا ودواما وله الدين واصبا والذين هم على صلوتهم دايمون فالذي يحصل قراءة هذا الحرف انما هو خاص
بالقلب لان اعمال الجوارح واحوال النفس قد استوفتها الاحرف الستة التفصيلية والذي يحصل
القلب بقراءة هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بان كل الخلق دقيقه وجليله خلق الله وحده لا شريك
له في شي منه وانه جميعه مثل لكلية امر الله القايم بكلية ذلك الخلق وان كلية ذلك الامر الذي هو ممثول
لمثل الخلق هو مثل لله تعالى وله المثل الاعلى وان تفاصيل ذلك الخلق المحيطات امثال لقيامها من تفاصيل

ذلك

صح

ذلك الامر المحيطات بها وان تفاصيل الامر المحيطات امثال لاسماء الله تعالى الحسنى بما هي
محيطة ويجمع هذا الحرف لم يصح انزاله الا على الخلق الجامع الادمي الذي هو صفوة الله وفطرته وعلى
سيد الادميين محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وهو خاصته وخاصة اله وعنه تحمل الدين بالاحاطة
وصف العلم بالايقان وشوهد في الوقت الحاضر ما بين حدي الازل الماضي والابد العايد وعن
تمام اليقين والاحسان تحقق الفنا لكل فان وبقي وجه رب محمد ذي الجلال والاكرام وكان هذا
الحرف بما اسمه الحمد هو لكل شي بدا وختام انتهى ولما ثبت بهذا البيان عما الكافرين بعضهم من
المشاور مع تمام القدرة وشمول العلم المستلزمان للوحدانية انتج قطعا افراده بالعبادة الموجبة
للسعادة المضمنة لاياك نعبد فوصل بذلك قوله يا ايها الناس قال الحرالي في تفسيره يا تنبيه من
يكون بمسمع من المنبه ليقبل على الخطاب وهو تنبيه في ذات نفس المخاطب وبينهم توسط البعد بين ايا
المهدودة واي المقصودة اي اسم مبهم مدلوله اختصاص ما وقع عليه من مقتضى اسم شامل ها كلمة
مدلولها تنبيه على امر يستفيده المنبه وقال اعلم انه كما اشتمل على القران كله فاتحة الكتاب فكذلك
ايضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوي على جميع مثاني اياتها وخاتمة تلتئم وتنتظم بترجمتها ولذلك
تترجم السورة عدة سورة وسيقع التنبيه على ذلك في موضعه ان شا الله تعالى واعلم مع ذلك ان لكل نبي
منبا يقرا بالهمز من النبا وهو الخبر فانه شرع في دعوته وهو عالم بطية امره وجوقومه وان الله عز وجل
جعل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا مبنيا من النبوة يقرا بغير همز ومعناه رفعة القدر والعلو فما اعلاه
الله بران قدم له بين يدي دعوته علم طية امره ومكنون علمه تعالى في سر التقدير الذي لم يزل جاريا كلما
فاعلمه بانه تعالى جعل المدعوين الذين هم بصفة الناس مترددين بين الاستغراق في احوال انفسهم
وبين مرجع الى ذكر ربهم على ثلثة اضرب منهم من فطر على الايمان ولم يطبع عليه اي على قلبه فهو مجيب
ولا بد ومنهم من طبع على الكفر فهو ابي ولا بد ومنهم من ردد بين طرفي الايمان ظاهرا والكفر
باطنا وان كلا ميسر لما خلق له فكان بذلك انشراح صدره في حال دعوته وزال به ضيق صدره
الذي شارك به الانبيا بالهمز ثم علا بعد ذلك الى مستحق رتبته العلية فكان اول ما افتتح له كتابه ان
عرفه معنى ما تضمنته الم ثم فصل بين ذلك ثلث احوال المدعوين بهذا الكتاب وحينئذ شرع في تلقينهم
الدعوة العامة للناس فافتتح بعد ذلك الدعوة والندا والدعوة الى العبادة يعني بهذه الاية وتولى الله سبحانه
دعوة الخلق في هذه الدعوة العامة التي هي جامعة لكل دعوة في القران ولما تضمن صدرها من الوعيد
في حق رسوله فلم يجر خطاب ذلك على لسانه ولما بينهما من السطوة وخطاب الملك والجزا ومحمد صلى
الله عليه وسلم رسول رحمة للعالمين فلم ينبغ اجراوها على لسانه لذلك وغيره من الرسل فعامة دعوة من
قص الله سبحانه خبر دعوته جرى مجراه على السنتهم ولذلك كثرت معاداة قومهم ومدعويهم لهم ولما اجرى
الحق تعالى هذه الدعوة من قبله كان فيها بشرى بالغلبة واظهار دينه لان الله سبحانه لا يغاوبه خلقه
ولما انتهى الى البشرى التي هي رحمة اجرى الكلام على مخاطبته عليه السلام بقوله وبشر ومع اجرا دعوة
المرسلين على السنتهم علنت باسم الله بلفظ ان اعبدوا الله وتحقق فخر على اكثر النفوس الاجابة لعلو
اسم الله عن ادراك العقول ومع تولي الله سبحانه هذه الدعوة بسلطانه العلي اجراها باسم الربوبية

وهو اول ظاهر للعين من اشباح الخلق فاخرج من الاخراج وهو اظهار من حجاب وفي سوقه بالفا
تحقيق للتسبيب في الما به من الثمرات رزقا الثمر مطعومات النجم والشجر وهي عليها وعبر بمن لان ليس
كل الثمرات رزقا لما يكون عليه وفيه من القلو والقشر والنوى وليس ايضا من كل الثمرات رزق لمنه
ما هو للمداوات ومنه سموم وغير ذلك وفي قوله لكم اشعار بان في الرزق تكملة لذواتهم ومصيرا الى ان
يعود بالجزء منهم وقد وصف الرب في هذه الاية بموصولين ذكر صلة الثاني بلفظ الجعل لان حال القوام
مرتب على حال الخلق ومصير منه فلا يشك ذو عقل في استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه واقام تركيبه
ولا يشك ذو حس اذا تيقظ من نوم او غفلة فوجد بساطا قد فرش له وخيمة قد ضربت عليه وعولج
له طعام وشراب قدم له ان نفسه تنبعث بذاتها لتعظيم من فعل ذلك بها ولتقلد نعمته والكباره
فلتنزيل هذا البيان الذي تضطر النفس اليه الى الادعان ويدخل العلم بمقتضاها في رتبة الضرورة
والوجدان كانت هذه الدعوة دعوة عربية جارية على مقتضى احوال العرب لان العرب لا يجودوا
بانفسها العلم الضروري وليس من شانها تكلف الافكار والتسبب الى ثواني العلوم النظرية الما
من مقتضى الامارات والادلة فوصلت بما جبلت عليه وتنزل لها لتكون نقلتها من فطرة الى
فطرة ومن علم وجداني الى علم وجداني على لتحفظ عليها رتبة الاعراب والبيان بان لا ينسب
لها الى دخول ريب في علومها لان كل علم مكتسب يتكلف التسبب له بايات وعلامات ودلايل
يتعد من الحس واوايل هجوم العقل يتعارض عليه الادلة وبعتاده الريب فحفظت هذه الدعوة
العربية عن التكلف واجريت على ما احكمه صدر السورة في قوله تعالى لا ريب فيه واعلم ان
حال المخلوق في رزقه محاذي به حاله في كونه يعلم بالاعتبار والتناسب الذي شانه ان تعلم من
جهته المجهولات ان الماء بزر كون الانسان كما ان الماء اصل رزقه ولذلك قال عليه السلام لمن
ساله ممن هو فقال يرداف يعين له نفسه نحن من ماء ويعلم كذلك ايضا ان للارض والسماء مدخلا
في امشاج الانسان رتب عليها مدخلها في كون رزقه وفي ذكر الارض حوزة اخذ للارض الى
نهايتها وكمالها ولذلك قال عليه السلام من اغتصب شبرا من ارض طوقه من سبع ارضين ولكن
ذكر السماء اخذها الى نهايتها وكمالها وقدم الارض لان نظر النفوس الى ما تحتها اسبق لها من نظرها
الى ما عليها ثم قال ولوضوح اية الربوبية تقلدها الاكثر وانما توقفوا في الرسالة ولذلك وقع
ذكر الرسالة بالتهديد انتهى ولما ذكرهم بما يعلمون انه تعالى علمه وحده حسن النهي عن ان يشرك به
مالا اثر له في شي من ذلك بفاء السبب فقال فلا تجعلوا لله اي مع احاطته بصفات الكمال
اندادا قال الحرالي جمع ند وهو المقاوم في صفتي القيام والدوام وعبر بالجعل لان بالجعل
والمصير من حال الى حال ادنى منها تربين الغفلة على القلوب حتى لا تشهد في النعم والنقم الا الخلق
من ملك او ذي امرة او من اي ذي يد علّيا كان ولما شهد وا ملك منهم تعلق بهم رجاؤهم وخوفهم
وخافوهم ربهم على ذلك بايديهم فاشتد داعي رجائهم لهم وسابق خوفهم منهم فتذللوا لهم وخضعوا
فصاروا بذلك عبيد الطاغوت وجعلوهم لله اندادا انتهى وما احسن قوله في تانيبهم وتنبيههم على
ما ازروا بانفسهم وانتم تعلمون اي ذوو علم فانه يلوح الى من اشرك به مع قيام هذه الادلة

حوذة

وهو اسم اقرب مثالا على النفوس لانها تشاهد آثارها بمعنى التربية والربابة ومع ذلك ايضا فذكر
اسم الله في دعوة المرسلين غير ممتنع ولا موصوف بايات الالهية ولو ذكر لما ترتب منال علمها في كالشمس
والقمر ونحو ذلك وذكر تعالى الربوبية في هذه الدعوة متبعة باياتها الظاهرة التي لا تفوت العقل
والحس ولا يمكن انكارها ووجه بعد النفوس عن الانقياد عند الدعوة باسم الله ان ايات الربوبية
التي يسهل عليها الانقياد من جهتها التي بيسير منها تنقاد للملوك واولي الاحسان لانها جبلت
على حب من احسن اليها تبقى عند الدعوة باسم الله بمعزل عن الشعور بما ضافته لاسم الله ويحار العقل في
المتوجه له بالعبادة وتضيف النفوس الغافلة ايات الربوبية التي نيطت بالموالد والاقوات لانها
في مقتضى حكمة الله يجاوزا والى اسباب هذه الاسباب كالنجوم ونحوها فلا يلتئم للمدعو حال قوامه
بعبادته فيكثر التوقف والاباء واقتضى اليسر الذي اراده الله بهذه الامة ذكر الربوبية منوطا باياتها
انتهى فقال اعبدوا ربكم ثم وصفه بما اشارت اليه صفة الرب من الاحسان تنبيها على وجوب
العبادة بوجوب شكر المنعم فقال الذي خلقكم قال الحرالي الذي اسم مبهم مدلوله ذات موصوف
بوصف يعقبه وهي الصلة اللازمة له والخلق تقدير امشاج ما يراد اظهاره بعد الامتزاج والتركيب صورة
البشر ما اذا عاد المتوجه الى مبدا وجهته اقبل عليه انتهى ثم بين تنبيهها بقوله والذين من قبلكم لعلكم
تتقون اي لتكون حالكم بعبادته لانها كلها محاسن ولا حسن في غيرها حال من ترجى له التقوى وهو
اجتناب القبيح من خوف الله وسيأتي في قوله لعلكم تشكرون ما ينفع هنا وقال الحرالي لعل كلمة ترجٍّ لما تقدم
سببه وبدا من ايات الربوبية بذكر الخلق لانه في ذواتهم ووصل ذلك بخلق من قبلهم حتى لا يستندوا بخلقهم
الى من قبلهم وترجى لهم التقوى لعبادتهم ربهم من حيث نظرهم الى خلقهم وتقدير امشاجهم لانهم اذا استندوا
خلقهم لربهم كان احق ان يسندوا اليه ثمرة ذلك من صفاتهم وافعالهم فيتوقفون عن الاستغناء بانفسهم
فينشاء لهم بذلك تقوى انتهى وما احسن الامر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق الاولين
والاخرين وما بعده عقب اثبات قدرة الداعي المشير الى الترهيب من سطواته ولقد بدع بديع هذا
الاستدلال على التفرد بالاستحقاق عقب احوال من قررانهم في غاية الجمود بامور مشاهدة يصل
اليها كل عاقل باول وهلة من دحو الارض وما بعده مما به قوام بقائهم من السكن والرزق في
سياق منبه على النعمة محذر من سلبها فقال الذي جعل قال الحرالي من الجعل وهو اظهار امر عن
سبب وتصيير لكم الارض اي المحل الجامع لنبات كل نابت ظاهرا وباطنا فالظاهر كالموالد وكل
ما الماء اصله والباطن كالاعمال والاخلاق وكلها اصله ماء المثابة كالهدى والعلم ونحو ذلك ولتحقق دلالة
اسمها على هذا المعنى جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها فقيل ارض اريضة للكريمة المنبتة واصل
معناها ما سفل في مقابلة معنى السماء الذي هو ما علا على سفل الارض كانه لوح قلبه الذي يظهر
فيها كتابه انتهى فراشا وهي بساط سقفه السماء وهي مستقر الحيوان من الاحياء والاموات واصله
كما قال الحرالي بساط يضطجع عليه للراحة ونحو ذلك والسماء بناء اي خيمة تحيط بصلاح موضع السكن
وهو لعمري بناء جليل القدر محكم الامر بهي المنظر عظيم الخبر وانزل قال الحرالي من الانزال وهو الاهواء
بالامر من علو الى سفل انتهى من السماء ماء اي جسما لطيفا يبرد غلة العطش به حياة كل نام قال الحرالي

الى ما تشاهدونه اقرب للحس في العوايد كالفصول صح

وهو

لم يكن ممن يصح منه العلم فكان في عداد البهايم وبينه كما قال الحرالي ... اعلام بظهور ايات
ما يمنع جعل الند لما يشاهد ان جميع اد ناهم واعلاهم متقاومون من التمادي في الارض ومن الما فمن جعل
الله ندا مما حوته السماوات والارض واستمد من الما فقد خالف العلم الضروري الذي به تقلد المذكر بربه
في نفسه فان لحكم بنفسه على غيره مما حاله كحاله احق في العلم انتهى وفي تعقيبها لما قبلها غاية التنكيت
على من ترك هذا القادر على كل شي وعبد ما لا يقدر على شي وهذه الاية من المحكم الذي اتفقت
عليه الشرايع واجتمعت عليه الكتب وهو عمود الخشوع وعليه مدار الذل والخضوع قال الامام
ابو الحسن الحرالي في العروة وجه انزال هذا الحرف تحقق انقياد العبد بما هو اللايق به في صدق
وجهته الي الحق بانقطاعه عن نفسه وبراته منها والتجايه الي ربه استسلاما ووجد في خدمته
الكبار او استناده اليه اتكالا وسكونه له طماينة يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الي ربك راضية
مرضيه ويتاكد على العبد المستحق اوصافه بقراة هذا الحرف والعمل به بحسب براته من التعرض
لتطيرم المتشابه لان اتباع المتشابه زيغ لقصور العقل والفهم عن نيله ووجوب الاقتصار على
الايمان به من غير موازنة بين ما خاطب الله به عبادة للتعرف وبين ما جعله لتعبد للاعتبار سبحان
من لم يجعل سبيلا الي معرفته الا بالعجز عن معرفته وجامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل في
قوله تعالى اقرا باسم ربك الايات وما قدم في الترتيب في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الي ما ينتظم بذلك من ذكر عبادة القلب التي هي المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فليكن اول ما تدعوهم اليه عبادة الله فاذا عرفوا الله ومن ذكر عبادة النفس التي هي الاجمال
في الصبر وحسن الجزا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ويدرؤن بالحسنة السيئة الذين هم في
صلاتهم خاشعون لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه الي ساير احوال العبد التي يتحقق بها في
حال الوجهة الي الرب وما تقدم من حرفي الحلال والحرام لاصلاح الدنيا وحرفي الامر والنهي
لاصلاح العقبي معاملة كتابية والعمل بهذا الحرف اغتباط بالرق وعياذ من العتق فلذلك هو
اول الاختصاص ومبدا الاصطفا وانفراد موالات الله وحده من غير شرك في نفس ولا غير ولذلك
بدي بتنزيله النبي صلى الله عليه وسلم وهو ثمرة ما قبله واساس ما بعده وهي للعبد احوال محققه
لا يشركه فيها ذو ريا ولا نفاق ويشركه في الاربعة المتقدمة يعني النهي والامر والحلال واكرام
لانها اعمال ظاهرة يتحلى بها المنافق وليس يمكنه مع نفاقه التحلي بالمعرفة ولا بالخشوع ولا بالخضوع
ولا بالشوق للقا ولا بالحزن في الابطا ولا بالرضي بالقضا ولا بالحب الجاذب للبقا في طريق الفنا ولا
بشي مما تضمنه ايات المحكم المنزلة في القران واحاديثه الواردة للبيان وانما يتصف بهذا الحرف
عباد الرحمن وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الذين
ليس للشيطان عليهم سلطان ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولما كان حرف المحكم مستحق العبد
في حق الرب في فطرته التي فطر عليها كان ثابتا في كل ملة وفي كل شرعة فكانت اياته لذلك هن ام الكتاب
المشتمل على الاحرف الاربعة لتبدلها وتناسخها وتناسبها في الشرع والملل واختلافها على مذاهب
الاجتهاد في الملة الجامعة مع اتفاق الملل في الحرف المحكم فهو امها وقيامها الثابت حال تبدلها وهو حرف

الهدي

الهدي الذي يهدي به الله من يشا وقراته العملية بهم المهتدون اهل السنة والجماعة كما ان
المتبعين لحرف المتشابه هم المفترقون في الملل وهم اهل البدع والاهواء المشتغلون بما لا يعنيهم
وبهذا الحرف المتشابة يضل الله من يشا وحرف المحكم للاجتماع والهدي وحرف المتشابه للافتراق
والضلال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم قال اعلم ان قراة الاحرف الماضية الاربعة هو
حظ العامة من الامة العاملين لربهم على الجزا المقارضين له على المضاعفة وقراة هذا الحرف
تماما هو حظ المتحققين بالعبودية المتعبدين بالاحوال الصادقة المشفقين من وهم المعاملة
لشعورهم ان العبد لسيده مصرف فيما شا وكيف شا ليس له في نفسه حق ولا حكم ولا حجة له على
سيده فيما اقامه فيه من صورة سعادة او شقاوة في اي صورة ما شا ركبك على ان نبدل
امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون والذي يحصل به قراة هذا الحرف اما من جهة القلب فالمعرفة
بعبودية الخلق للحق رق خلق ورزق وتصريف فيما شا مما بينه وبين ربه ومما بينه وبين نفسه
ومما بينه وبين امثاله من ساير العباد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا
ولا ياخذ الا ما اعطاه سيده ولا يتقي الا ما وقاه سيده ولا يكشف السو عنه الا هو فيسلم له
مقاليد امره في ظاهره وباطنه وذلك هو الدين عند الله ~~فيسلم له مقاليد امره في ظاهره وباطنه~~
الذي لا يقبل سواه ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو دين
النبي العبد وما يتحقق العبد من ذلك عن ابتلاء العقل وخلوص اللب هو الملة الحنيفية ملة النبي
الخليل هذا من جهة القلب واما من جهة حال النفس فجميع احوال العبد التي المعروف في الملك انما
انا عبد اكل كما ياكل العبد وجماع ذلك واصله الذل انكسارا او الذل عطفا والبراة من زي الترفع
والفخر على ساير الخلق والتحقق بالضعة دونهم على وصف النفس بذلك ينتهي حسن التخلق مع الخلق وصدق
التعبد للحق واما من جهة العمل بتصرف الجوارح واصلها الدءوب قولا وفعلا وبذلا ومسالمة الخلق
لسانا ويدا وهو تمام الاسلام وثبته لا يكتب احدكم في المسلمين حتى يسلم الناس من لسانه
ويده ويحض الهيئة من ذلك ما هو اولي بهيات العبيد كالذي ثبتت عليه هيئة الصلاة من الاطراق
في القيام ووضع اليمنى على اليسرى بحذا الصدر هيئة العبد المتادب المنتظر لما لا يدري خبره
من المرسوم وكهيئة الجلوس فيها الذي هو جلوس العبيد كذلك كان صلى الله عليه وسلم يجلس لطعامه
ليستوي حال تعبده في امر دنياه واخراه ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد ويوثر جميع
ما هو هيئة العبيد في تعبده ومطعمه ومشربه وملبسه ومركبه وظعنه واقامته قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فبهذه الامور يتحقق العبودية القلب وذل النفس وانكسار الجوارح
يجمع قراة حرف المحكم والله الولي الحميد انتهى ولما ثبتت هذه الادلة فوجب امتثال ما دعت اليه
ولم يبق لمتعنت شبهة الا ان يقول لا انفعل حتى اعلم ان هذا الكتاب الذي تقدم انه الهدي كلام الله
قال مبينا لانه من عنده نظما كما كان من عنده معنى وان اي فان كنتم من ذوي البصاير الصافية
والضماير النيرة علمتم بجفيه هذه المعاني وجلالة هذه الاساليب وجزالة تلك التراكيب ان هذا الكلام من
فبادرتم الي امتثال ما امر والانتها عما عنه زجر وان كنتم في ريب اي من الكتاب الذي قلت ومن

اصدق مني قيلا انه لا ريب فيه واشار هنا الى الفا الى عظمته وعظمة المنزل عليه بالنون فقال مما
نزلنا قال الحرالي من التنزيل وهو التدريب للفهم بتفصيل وترجمة ونحوه انتهى على عبدنا اي الخالص
لنا الذي لم يتعبد لغيرنا قط فلذلك استحق الاختصاص دون عظما القريتين وغيرهم فازعمتم انه كلام
نزل بامرنا وزعمتم ان عبدنا محمدا اتى به من عنده لتوهمكم ان فيما سمعتم من الكلام شيئا مثله فاتوا اى
قال الحرالي الاتي بالامر يكون عن مكنة وقوة بسورة السورة تمام جملة من المسموع تحيط بمعنى تام بمنزلة احاطة
السور بالمدينة انتهى من مثله اي من الكلام الذي يمكنكم ان تدعوا انه مثل ما نزلنا كما قال قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فان عبدنا منكم ونشا بين
اظهركم فهو لا يقدر على ان ياتي بما لا تقدرون على مثله الا بتاييد منا ولما كانوا يستبعجون الكذب قال
وادعوا شهداءكم اي من تقدرون نشيئا دعايه من الموجودين بحضرتكم في بلدكم او ما قاربها والشهيد كما قال
الحرالي من يكثر الحضور لديه والاستبصان فيما حضره انتهى من دون الله اي ليتطوا بين الكلامين ليشهدوا
بما تؤديهم اليه معرفتهم من المماثلة او المباينة فيزول الريب ويظهر الى الشهادة المغيب او ليعينوكم على
الاتيان بمثل القطعة المحيطة التي تريدون معارضتها قال الحرالي والدون منزلة القريب من جهة
سفل وقد عقلت العرب ان الله لا يطلق على ما نال له ادراك العقل فكيف بالحس فقد تحققوا ان كل ما
ادركته حواسهم ونالته عقولهم فانه من دون الله انتهى ففي التعبير به توبيخ لهم بانهم لم يرضوا باشهاده
سبحانه وحكمة الاتيان بمن التبعيضية في هذه السورة دون بقية القران انه سبحانه لما فرض لهم فيها
الريب الذي يلزم منه زعمهم ان يكونوا اطلعوا له على مثيل او سمعوا ان احدا عثر له على شبيه اقتضى
الحال الاتيان بها المباني ~~حسنها اولها باخرها كسور المدينة في تحد الانتظام وحسن الالتئام الاحاطة~~
بالمباني ليفيد ان المطلوب منهم في التحدي قطعة من تلك المثل الذي ادعوه حكيمة المعاني متلاحمة الى
هي كالمعاني والتقا الطرفين حتى صار بحيث لا يدري اوله من اخره سواء كانت القطعة التي بها نتاري
اية او ما فوقها لان ايات القران كسورة يعرف من ابتدائها اختتامها ويهدي الى افتتاحها تمامها
فالتحدي هنا منصرف الى الاية بالنظر الاول والى ما فوقها بالنظر الثاني والمراد بالسورة مفهومها اللغوي
لانها من المثل المفروض وهو لا وجود له في الخارج حتى يكون لقطعة اصطلاح في الاسما معروف ولان
معرفة المعنى الاصطلاحي كان مخصوصا بالمصدقين ولو اريد التحدي بسورة من القران لقيل فاتوا
بمثل سورة منه ولما كان هذا هو المراد قصرهم في الدعا على من يحضرهم من الشهدا وسياتي ان شا الله تعالى
في سورة يونس عليه السلام وبقية السور المذكور فيها هذا المعنى ما يتم به هذا الكلام وفي قوله ان
كنتم صادقين ايما الى كذبهم في دعوى الشك فيه قال الحرالي والصادق الذي يكون قول لسانه
وعمل جوارحه مطابقا لما احتوى عليه قلبه مما له حقيقته ثابتة بحسبه وقال السعت اية تنزيل الذكر
بانه انزل الرزق لما كان نزول ما نزل على الرسول المخصص بذلك ينبغي اعتباره بمقابلة نزول الرزق
لانهما رزقان احدهما ظاهر يعم الكافة في نزوله والاخر وهو الوحي رزق باطن يخص الخاصة بنزوله
ويتعين له ايهم اتمهم فطرة واكملهم ذاتا ولم يصلح ان يعم به ولهذا الرزق الباطن فبطل حكم الاختصاص
في الرزقين فان زعمهم ريب في الاختصاص فيفرضون انه عام فيحاولون معارضته وكما انهم يشهدون

كعموم الظاهر م

بتمكنهم

١٧

بتمكنهم من الحس عند مجاولته عمومه فكذلك يجب ان يشهدوا عجزهم عن سورة من مثله تحقق اختصاص
من نزل عليه بهر واحري ذكره باسم العبودية اعلاما بوفايه بانحا التذلل واظهار المزية انفراده
بذلك دونهم ليظهر به سبب الاختصاص وانتظم النون في نزلنا من يتنزل بالوحي من روح
القدس والروح الامين ونحو ذلك ولانه تقتضي الاستتباع واقتضت النون في لفظ عبدنا ما يظهر
النبي صلى الله عليه وسلم لهم من الانقياد والاتباع وما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح حتى انه
يوافق من وقع على وجه من الصواب من امته صلى الله عليه وسلم وحتى انه يتصف باوصاف العبد في
اكله كما قال اكل كما ياكل العبد انتهى والتحدي بسورة يشمل اقصر سورة كالكوثر ومثلها في التحدي
اية مستقلة بوازيها وآيات كما قاله الامام جلال الدين محمد بن احمد المحلي في شرح جمع الجوامع وسبقه
الابناسي شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوي في الفيته في الاصول ونقله في شرحها عن ظاهر كلام
امام الحرمين في الشامل وعن كلام الفقها في الصداق فيما لو اصدقها تعليم سورة فلقنها بعض اية
وسبقهم العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني تعالى في تلويحه على توضيح صدر الشريعة المعجز
هو السورة او مقدارها هكذا ذكره الذين تكلموا في الاعجاز من الاصوليين وغيرهم ان التحدي وقع
بسورة من القران والصواب انه انما وقع بقطعة اية فما فوقها لان المراد بالسورة مفهومها
اللغوي لا الاصطلاحي كما تقدم بيانه والحاصل انه لما كان في ايات المنافقين ذكر الامثال
وكانوا قد استغربوا بعض امثال القران وجعلوها موضعا للشك من حيث كانت موضعا للتعيين
فقالوا لو كان هذا من عند الله لما ذكر فيه امثال هذه الامثال لانه اعظم من ان يذكرها
دعاهم الى المعارضة في هذه السورة المدنية بكل طريق يمكنهم واخبرهم بانهم عاجزون عنها وان عجزهم
دايم تحقيقا لانهم في تلك الحال معاندون لا شاكون ولما كان سبحانه عالما بان الانفس الابية والانوف
الشامخة الحمية التي قد لزمت شيئا فمرنت عليه حتى صار لها خلقا يصعب عليها الفكاك عنه ويعسر
خلاصها منه عبر عن هذا الاخبار بالعجز مهددا في سياق ملجي الى الانصاف بالاعتراف او تقطير
القلوب بالعجز عن المطلوب بقوله فان لم تفعلوا فاتى باداة الشك تنفيسا لهم وهكذا تنفير الامر
بهم واستجهالا لهم ثم لم يتم ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة قصمت ظهورهم وقطعت قلوبهم فقال
ليكون الاية كافلة لصحة نسبة النظم والمعنى اليه ولن تفعلوا فالزمهم الحر اي بما حكم عليهم به من العجز
فلم يكن لهم فعل الا المبادرة الى تصديقه بالكف فكانوا الكن العم العجم فلم يسعهم الا السكوت والسمر
ذلك التصديق لهم ولا مثالهم على وجه الدهر في كل عصر ينادي منادية فتخضع له الرقاب ويصيح
موذنه فتنكس الرووس والفعل قال الحرالي ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم او غير علم
لتدين كان او لغيره انتهى فقد ثبت ان هذا الكتاب الذي بين انه الهادي الى الصراط المستقيم
باعظم دليل على افراده بالعبادة واختصاصه بالمراقبة التي ارشدنا اليها بقوله اياك نعبد
الاية بما ثبت فيه من ادلة التفرد بالالهية بما ثبت من عجزهم عن معارضته قال عمرو بن بحر الجاحظ
في كتاب الحجة في تثبيت خبر الواحد الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم اكثر ما كانت
العرب شاعرا او خطيبا واحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها الى توحيد

الله وتصديق رسالته فدعاهم الى حظهم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبهة وصار الذي يمنعهم من
الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له
وقتل من عليتهم واعلامهم واعمامهم وبني اعمامهم وقتلوا اعمامه وبني اعمامه وعلية اصحابه واعلام اهله
وهو في ذلك يحتج عليهم بالقران ويدعوهم صباح مساء الى ان ياتوا بمثله ان كانوا كاذبين بسورة واحدة
او بايات يسيرة فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا بعجزهم عنها تكشف من نقصهم ما كان مستورا وظهر
منه ما كان خفيا حين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك
يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه
ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم انه قد عارض وقابل
وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واتساع لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة
شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته لان سورة واحدة وايات يسيرة
كانت انقض لقوله وافسد لامره وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج
من الاوطان وانفاق الحرائب وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب
في الراي والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار
الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم تحدى به اقصاهم بعد ان اظهر عجز ادناهم
فمحال اكرمك الله ان يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الامر الظاهر والخطا المكشوف البين مع التقريع
بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق انفة واكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا
اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض فكيف بالظاهر وكما انه محال ان يطبقوا ثلاثا وعشرين
سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة فكذلك ايضا محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون
السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه انتهى فثبت بهذا عجزهم وخرس قطعا افصحهم ورمزهم وطاطا
ذلا كبرهم وعزهم وكيف يمكن المخلوق مع تمكنه في سمات النقص ودركات الافتقار والضعف معارضة
من اختص بصفات الكمال وتعالى عن الانداد والاشكال وقد اختلف الناس في سبب الاعجاز واحسن
ما وقفت عليه من ذلك ما نقله الامام بدر الدين الزركشي الشافعي في كتابه البرهان عن الامام ابي سليمان
الخطابي قال واليه ذهب الاكثرون من علماء النظر ان وجه الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب
عليهم تفصيلها وصغوا فيه الى حكم الذوق قال والتحقيق ان اجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات
البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل وهذه اقسام
الكلام الفاضل المحمود فالقسم الاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها واقربها فحازت بلاغات
القران من كل قسم من هذه الاقسام حصة واخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بانتظام هذه
الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين
لان العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجون نوعا من الوعورة فكان اجتماع الامرين
في نظمه مع نبو كل واحد منهما عن الاخر فضيلة خص بها القران ليكون اية بينة لنبيه صلى الله عليه
وسلم وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها ان علمهم لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية واوضاعها

التي

ومنها م

التي هي ظروف المعاني ولا تدرك افهامهم جميع معاني الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ولا تكمل معرفتهم
لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار الافضل
من الاحسن من وجوهها الى ان ياتوا بكلام مثله وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة لفظ حامل
ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم واذا تاملت القران وجدت هذه الامور منه في غاية الشرف
والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الالفاظ افصح ولا اجزل ولا اعذب من الفاظه ولا ترى نظما
احسن تاليفا واشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه واما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في
ابوابه والترقي الى اعلى درجاته وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في انواع الكلام فاما
ان توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد الا في كلام العليم القدير فخرج من هذا ان القران انما
صار معجزا لانه جاء بافصح الالفاظ في احسن نظوم التاليف مضمنا اصح المعاني من توحيد الله تعالى
وتنزيه له في صفاته ودعاء الى طاعته وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ
وتقويم وامر بمعروف ونهي عن منكر وارشاد الى محاسن الاخلاق وزجر عن مساويها واضعا
كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء اولى منه ولا يتوهم في صورة العقل امر اليق به منه مودعا
اخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم منبئا عن الكوائن المستقبلة
في الاعصار الماضية من الزمان جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج به والدليل والمدلول عليه ليكون
ذلك اوكد للزوم ما دعا اليه وانباء عن وجوب ما امر به ونهى عنه ومعلوم ان الاتيان بمثل هذه الامور
والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق امر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه
وعجزوا عن معارضته بمثله او مناقضته في شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر
لما راوه منظوما ومرة انه سحر لما راوه معجوزا عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا في
القلوب وفزعا في النفوس يريبهم ويحيرهم فلا يتمالكوا ان يعترفوا به نوعا من الاعتراف ولذلك قالوا ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وكانوا مرة بجهلهم يقولون اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا
مع علمهم ان صاحبه امي وليس بحضرته من يملي او يكتب في نحو ذلك من الامور التي اوجبها العناد
والجهل والعجز انتهى واول كلامه يميل الى ان الاعجاز لمجرد النظم من غير نظر الى المعنى واخره
يميل الى انه بالنظر الى النظم والمعنى معا من الحيثية التي ذكرها وهو الذي ينبغي ان يعتقد لكن في
التحدي بسورة واحدة واما بالنظر الى البلاغة في النظم فقط فنقله البغوي في سورة هود
عن المبرد وقد مر انفا مثله في كلام الجاحظ وقال الاستاد ابو الحسن الحرالي في مفتاح الباب
المقفل الباب الاول في علو بيان القران على بيان الانسان اعلم ان بلاغة البيان تعلو
على قدر علو المبين فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه فبيان كل مبين على قدر
احاطة علمه فاذا ابان الانسان عن الكائن ابان بقدر ما يمكن منه وهو لا يحيط به علمه فلا يصل الى
غاية البلاغة فيه بيانه واذا انبا عن الماضي فبقدر ما بقي من ناقص علمه به كما ينافي ذكره لما
لزم الانسان من نسيانه واذا اراد ان ينبئ عن الاتي اعوزه البيان كله الا بما يقدره او يزوره
فبيانه في الكائن ناقص وبيانه في الماضي انقص وبيانه في الاتي ساقط بل يريد الانسان ليفجر امامه

لعله منه علي

وبيان الله سبحانه عن الكاين بالغ الي غاية ما احاط به علمه قل انما العلم عند الله وعن المنقطع
كونه بحسب احاطته بالكاين وبجانه من النسيان لا يضل ربي ولا ينسى وعن الاني بما هو الحق الواقع
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غايبين والوزن يوميذ الحق والمبين الحق الذي لا يوهن بيانه ابهام
لنسبة النقص الي بيانه والانسان يتهم نفسه في البيان ويخاف ان ينسب الي الذي يقصد استقراء
البيان ويضعف مفهوم بيانه ضعفا من منبئه ومفهوم بيان القران اضعاف اضعاف ابنابه وقل
ما ينقص عن نظيره انتهى وقال الامام محمد بن عبد الرحمن المراكشي الاكمه في شرح نظمه لمصباح ابن مالك
في المعاني والبيان ما يصلح ان يكون متنا وجملة وما تقدم شرحا له وتفصيلا قال الجهة المعجزة في
القران تعرف بالتفكر في علم المعاني والبيان وهو كما اختار جماعة في تعريفه ما يحترز به عن الخطاء
في تادية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لان جهة
جهة اعجازه ليست مفردات الفاظه والا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تاليفها والا لكان كل تاليف
معجزا ولا اعرابها والا لكان كل كلام معرب معجزا ولا مجرد اسلوبه والا لكان الابتدا بالاسلوب سلوب
الشعر معجزا والاسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزا ولان الاعجاز يوجد دونه اي الاسلوب
في نحو فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فاصدع بما تومر ولا بالصرف عن معارضته لان تعجبهم كان من
فصاحته ولان المسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر منه
الطباع ويضحك منه في احوال تركيبه وبها اي بتلك الاحوال اعجز البلغا واخرس الفصحا فعلى اعجازه دليل
اجمالي وهو ان العرب عجزت عنه فغيرها احرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكر في خواص تركيبه ونتيجته
العلم بانه تنزيل من المحيط بكل شي علما انتهى وسياتي ان شا الله تعالى في اواخر العنكبوت ما ينفع هنا
واشار سبحانه في تهديدهم بقوله فاتقوا النار وهي كما قال الحرالي جوهر لطيف مفرط لشدة لطافته
في تفريط المتجمد بالحر المفرط وفي تجميد المتميع بالبرد المفرط وقال غيره جسم لطيف مضي حار من شانه الاحراق
التي وقودها اي التي الذي توقد وتساح به الناس والحجارة التي هي اعم من اصنامهم الي انهم اذا
احرقوا فيها اوقد عليهم باصنامهم تعريفا بانها وان كانت في الدنيا لا تضر بها ولا تنفع باعتبار ذواتها
فهي في الاخرة تضرهم بلا نفع بشفاعة ولا غيرها وقال الحرالي الحجارة ما تحجر اي اشتد تضام اجزايه
من الما والتراب واتقوا اي توقوا عن هذه التفرقة بين الله ورسوله حيث تدعون لربوبيته
وترتابون في رسوله فالنار معدة للعذاب باشد التفريق لالطف الاجزا الذي هو معنى الحرق لمن
فرق وقطع ما يجب وصله اي لما فاتكم التقوى بداعي العلم فلا تفتكم التقوى بسايق الموجع المخصوص
المناسب عذابه لفعلكم فانها نار غذاوها واشتعالها بالكون كله اهلاه تركيبا وهم الناس الملايمون
لمارجها لنوس واطرفه واجمده وهو الحجارة فهي تسع ما بين ذلك من باب الاولى وفيه اشعار لمنتها وقوتها
وانها تحكم هذا الوسع لا تضاق لخلق يعني وليست كنار الدنيا التي غذاوها من ضعيف الموالد وهو
النبات ولا تتعلق الطرفين الا بواسطة وكان غذاوها ووقودها النبات اذ كانت منقدحة
منه كما قال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
ونبه على حكم ما تحقق ان الغذا للشي هو ما منه اصل كونه وقال وقودها لان النار اشد فعلها في وقودها

لان

لان بتوسطه تعمل فيما سواه فاذا كان وقودها محرقة كانت فيه اشد عملا لتقويها بدعليه
ويفهم اعتبارها بنار الدنيا ان اتقادها من اعمال المجرمين لانهم من كونهم فهم منها يعلوقون
وبها متقدون الان لانها منطفية الظاهر في الدنيا متاججة في يوم الجزا ومال كل مجري منها
لمقدار ما في كونه من جوهرها قلت ويويده ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي في
ان الغالب عليهم العنصر الناري المفسد لما ناله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين توزهم
ازا وفي ذكر الحجارة افهام عموم البعث والجزا لما حوته السما والارض وان كل شي بسير التقليب فقط
بعد القسم بين الجنة والنار كما حمد القسم بين الخبيث والطيب وانما اقتصر في مبدا عقيدة الايمان
على الايمان ببعث الثقلين وجزايهم تيسيرا واستفتاحا وما سوى ذلك فمن زيادة الايمان وتكامله
كما قال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومن العلما من وقف بايمانه على بعث الثقلين وجزايهما حتى ان
منهم من ينكر حراما سواهما وتكلف تاويل مثل قوله عليه السلام يقتص للشاة الجما من الشاة
القرنا انتهى ولما تم ذلك وكان عاما الكافر وغيره وكان كانه قيل هذه النار لمن قيل اعدت
اي هيت واكملت قبل زمان استعمالها الكافرين فبين انها موجودة مهياه لهم وللكل من اتصف
بوصفهم وهو سر ما ظهر من ايات الله قال الحرالي وهي عدة الملك الديان لهم بمنزلة سيف
الملك من ملوك الدنيا انتهى ولما ذكر ما لهم ترهيبا اتبعه ما للمومنين ترغيبا فقال صارفا
وجه الخطاب بالرحمة الي نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم حاطا عنا على ما تقدمهم فانذرهم بذلك ولكنه
طواه لان السياق للاستعطاف وبشر والبشرى قال الحرالي اظهار غيب المسرة بالقول
الذين امنوا اي صدقوا الرسل وعملوا قال الحرالي من العمل وهو فعل بني على علم او زعمه الصالحات
من الاقوال والافعال قال الحرالي جمع صالحة وهو العمل المتحفظ به من مداخل الخلل فيه واذا كانت
البشرى لهولا فالمومنون احق بما فوق البشرى وانما يبشر من يكون في خطر والمومن مطمين
فكيف بما فوق ذلك من رتبة الاحسان الي ما لا عين رات ولا اذن سمعت وما لا تنال له علم نفس
ولا خطر على قلب بشر ولما ذكر المبشر به فقال ان لهم جنات اي متعددة قال الحرالي لتعدد
رتب افعالهم التي يطابق الجزا ترتبها وتعددها كما قال عليه السلام للتي سالت عن ابنها انها جنات
وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى وفي التعبير لهم اشعار بان ذلك الذي لم ينبغي لحاقه بذواتهم تحصل
به من كمال امرهم للنفوس بجمع ملاذ جميع حواسها الجن المصرف فيها اي تخفيه وتجنه وترانعيمها مزيدا
ادايما انتهى ثم وصفها بانها تجري قال الحرالي من الجري وهو اسراع حركة الشي ودوامها من تحتها
اي من تحت غرفها والتحت ما دون المستوي الانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع للما انتهى ويحتمل ان يكون
المعنى ان ارضها منبع الانهار فتحت كل شجرة وغرفة منبع نهر فهي لا تزال غضة بما نعه متصلة الزهر والثمر
لا كما يجلب اليه الما وربما انقطع في وقت فاختل بعض امره قال الحرالي واذا تعرف حال العامل من
وصف جزايه علم ان اعمالهم كانت مبنية على الاخلاص الذي هو حظ العاملين من التوليد الذي
الما اتيه انتهى ولما كانت الجنان معروفة بالثمار ساق وصفها بذلك مساق ~~وصفها بذلك~~ ما لا
شك فيه بخلاف جري الانهار فقال كلما وهي كلمة تفهم تكرر الامر في عموم الاوقات رزقوا منها

زينه البشر ... وملاحظ الهم نحوها بكاو لعلهم وللتشتتهم والجنات متنجيات ح

من ثمرة اي ثمر كانت رزقا قالوا لكونه على صورة ما في الدنيا هذا الذي رزقنا من قبل اي
في الدنيا واتوا به متشابها وجي لهم به من غير تطلب وتشوف متشابها في مطلق اللون والجنس لنعلم
انه متشابه في الطعم فيصير فضله في ذلك بالذوق نعمة اخري والتشابه المراد هنا اشتراك في
ظاهر الصورة وجعل الحرالي هذا خاصا بثمار الجنة فقال من قبل اعلام بان اشخاص ثمر الجنة
واحادها لا تمايز لانها على اعلى صورتها لا يتفاوت باعلى وادنى ولا يتراخي زمان عودها فهي
تخلف الان قطفها ولا يتمايز صور المقطوف من الخالف حتي يظن القاطف ان المتخلف عين
الاول فحال ثمر الجنة وانه متصل جرية الوجود قال عليه السلام في عنقود من ثمرها لو اخذته
لاكلت منه ما بقيت الدنيا ويشعر ذلك عند اعتبار الحمل به بان نياتهم في الاعمال الصالحة ثابتة مرابطة
حتي جزوا بها هذا الاتصال وكمال الصورة في الرزق ومنه نية المومن خير من عمله واتوا به متشابها
اظهر عذرهم في توهم اتحاد الثمر وعرف بانتهم من العنا لانه لو تفاوت بعد الكراهة للادني وتكلف
الانتقال للاعلى وذلك انما هو لايق بنكد الدنيا لا بنعيم الجنة وقد ذكر بعض العلما اطراد هذا التشا
في ثمر الجنة وان اختلفت اصنافه ويضعفه ما يلزم منه كمال الدلالة في المعني والصورة في نحو
قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وما يجرى مجراه انتهى ولما كانت لذة الدار لا تكمل الا بالانيس
الجار قال ولهم فيها اي مع ذلك ازواج مطهرة قال الحرالي والزوج ما لا يكمل المقصود من الشي الا معه
على نحو من الاشتراك والتعاون والتطهير تكرار اذهاب مجتنب بعد مجتنب عن الشي ولما ذكر
تعالى الرزق المستثمر من اعمال الذين امنوا وصل به ذكر الازواج المستثمرة من احوال
حال نفوسهم من حسن اخلاقها وجمال صورتها الباطنة في الدنيا وكانت المراة زوج الرجل لما
كان لا يستقل امره في النسل والسكن الا بها انتهى ولما كان ذلك لا يروق الا مع الاستقرار قال وهم
فيها خالدون والخلود طول الاقامة بالقرار وسياق الامتنان اغني عن تقييده بالتابيد والدوام
ولما ثبت بعجزهم عن المعارضة ان هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت ان ما فيه من الامثال اقواله فهددهم
على العناد وتلاه بالاية التي اخبر فيها بان ثمار الدنيا وازواجها وان شابهت ما في الجنة بالاسم وبعض
الشكل فقد باينته بالطعوم والطهارة وما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى فاضمحلت نسبتها اليها وكان
في ختم الاية بخالدون اشارة الى ان الامثال التي هي احسن كلام الناس وان شابهت امثاله
سبحانه في الاسم ووام الذكر فلا نسبة لها اليها لجهات لا تخفي على المنصف فلم يبق لهم طعنهم بانها
لكونها بالاشياء الحقيرة لا تليق بكبريايه بعد تبيين حسنها ووجوب الاعتداد بها وانعام النظر فيها
بالاشارة بعدم الاستحيا من ضربها لكونها حقا الي ان الاشيا كلها وان عظمت حقيرة بالنسبة
الي جلاله وعظمته وكماله فلو ترك التمثيل بها لذلك لانسد ذلك الباب الذي هو من اعجب العجاب
فقال تعالى على طريق الاستفتاح من المقدمات المسلمات وقال الحرالي لما كانت الدعوة لحوح
المتوقف فيها والابي لها الى تقريب الفهم بضرب الامثال وكانت هذه الدعوة جامعة الدعوات
وصل بها هذه الاية الجامعة لاقامة الحجة في ضرب الامثال وان ذلك من الحق سبحانه والله لا يستحي من الحق
ولنختم ذكر ما تضمنته صدور السورة من الحروف التي انزل عليها القران لسابقها الذي هو حرف المثل وبين

تعالى

تعالى ان مقدار الحكمة الشاهد للمثل في البعوضة وفيما هو اظهر للحقيقة واحدي العلم وانما حق الالتفات
للقدر لا للمقدار ولو وقع المثل علي ممثله قل او جل دنا او علي غيرة تعالى عما يجده الخلق عند ما يثبت من
بواطنهم وهمهم ان يظهر وا امرا فيتوهمون فيه نقصا يترجمهم ذلك من اظهاره قولا او فعلا انتهى فقال
تعالى ان الله اي المحيط بكل شي جلالا وعظمة وكمالا لا يستحي اي لا يفعل ما يفعله المستحي او الحيا
قال الحرالي انقباض النفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصا حيث
يتعذر عليها الفرار بالبدن ان كلمة مدلولها من اخرجت عليه حقيقة باطن من ذاته وعلمه يتصل
لما يظهرها وسيبويه رحمه الله يراها اسما وعامة النحاة لانبهام معناها عليهم يرونها حرفا
يضرب من ضرب المثل وهو وقع المثل على الممثل لان المثل الضرب وقع شي على شي والمعنى ان يوجد
الضرب متجددا مستمرا وهذا لا يساويه ان يقال من ضربه مثلا فانه يصدق بمثل واحد
سابق او لاحق وتحقيقه ان المصدر لا يفهم الا على كمال الحقيقة من غير نظر الى زمان ولا
غيره اما يفعل فانه يفهم ايقاع الحقيقة من ~~...~~ ويفهمها مع النظر الى الزمان
مع التجدد والاستمرار ومع كمال الحقيقة وقيل كما لا عند الشروع فيها والى هذا القيد الاخير
ينظر قول الحرالي ان الحيا يضرب المثل استحيائن اظهار بالقول احق فليراجع هذا المعني
مع تكرار كلمة ان فانها كثيرة الدور في القران جليلة قدر المعنى في مواقعها وانما يجري على ترك
الالتفات الي موقعها ما يقوله النحاة في معنى التقريب الى ~~...~~ والفعل في معنى المصدر
والواجب في الاعرابية والبيان الايضاح عن ترتب معانيهما وعند هذا يجب ان تكون ان اسما
والفعل صلتها نحو من وما مثلا ما اي امر ظاهر الحسن ونحوه يعتبر به امر خفي يطابقه فيفهم
معناه باعتباره وما في نحو هذا الموقع لمعنى الاستغراق فهي هنا لشمول الادني والاعلى من الامثال
انتهى ثم بين ذلك بقوله بعوضة وقال الحرالي ولما كان ضرب المثل متعلقا بمثل وممثل كان
الضرب واقعا عليهما فكان لذلك متعديا الى مفعولين مثلا ما او بعضة والبعوض جنس معروف
من ادنى الحيوان الطاير مقدارا وفيه استقلال وتمام خلقة يشعر به معنى البعض الذي منه لفظه
لان البعض الذي منه توجد فيه جميع اجزا الكل فهو بذلك كله فما فوقها اي من معنى تكون اظهر منها
والفا تدل على ارتباط ما اما تعقيب واتصال او تسبيب ففيه هنا اعلام باقرب ما يليها على الاتصال
والتدريج الى اعلى ما يكون انتهى والمعنى ان ذلك ان اعتبر بالنسبة اليه سبحانه كان هو وانتم وغيركم
بمنزلة واحدة في الحقارة وان اعتبر بالنسبة اليكم كان الفريقان بمنزلة واحدة في انه خلق حقير
ضعيف حقير من تراب واما شرف بعضه على بعض فانما كان بتشريف الله له والوشاه لعكس
الحال ثم ذكر شان قسمي المومنين والكافرين بقسمي كل منهم في قبول امثاله فقال فاما قال
الحرالي كانها مركبة من ان دالة على باطن ذات وما دالة على ظاهر مبهم يوفي به للتقسيم انتهى الذين
امنوا اي بما ذكرنا اول السورة فيعلمون انه اي ضرب المثل الحق من ربهم اي المحسن اليهم بجميع
انواع الاحسان وانه ما اراد بهم الا تبيينهم بالاحسان بضربه على عوايد فضله واما امثال
غيره فان لم يكن فيها نوع من الباطل فلا بد فيها من ضرب من النقص تكون به غير حديرة باسم

من نزل وما ينحى منه

من غير نظر ايضا الى زمان

من انه يضرب

مواقعها

ان ان

الحق ولا مرية فيه قال الحرالي لما كان الذين امنوا ممن بادر فاجاب وكان ضرب المثل تاكيد
دعوة وموعظة لمن حصل منه توقف حصل للذين امنوا استبصار بنور الايمان في ضرب المثل
فصاروا عالمين بموقع الحق فيه وكما استبصر فيه الذين امنوا استغلق معناه على الذين كفروا او
جهلوه فاستفهموا عنه استفهام انكار لموقعه انتهى فلهذا قال **واما الذين كفروا** اي المجاهرون
منهم والمساترون **فيقولون ماذا اراد الله** الذي هو لجلاله جليل **بهذا** الحقير **مثلا** استهزاء وجهلا
وعنادا وجفا ثم وصل بذلك ذكر ثمرته عند الفريقين جوابا لسوال من سال منهم فقال **يضل
به كثيرا** اي منهم بان لا يفهمهم المراد منه فيطعنون بذلك الطعونه وقال الحرالي وكان اضلالا لا
لهم في ضرب المثل بما سبق لهم استنزاروه بنحو الذباب والعنكبوت الذي استنزروا ضرب
المثل به بطريق لهم الى الجهالة فكان ذلك اضلالا وقدم الجواب بالاضلال لانه مستحق المستفهم وللاضلال
في التطرق للخروج عن الطريق الجادة المنجية انتهى **ويهدي به كثيرا** اي ببركة اعتقادهم
الخير وتسليمهم له الامر يهديهم ربهم بايمانهم فيفهم المراد منه ويشرح صدورهم لما فيه من المعارف
فيزيدهم به ايمانا ولما سمعه وايقانا ولما كان المقام للترهيب لاحتي في قوله فاتقوا النار التي في المستين
بما سبق من سارتهم وقال في ذم الفسق الاخر وتحذيره **وما يضل به الا** قال الحرالي كانه مركبة من ان
ولاممد لوطها في حقيقة ذات عن حكم ما قبلها انتهى **الفاسقين** اي الخارجين عن العدل والخير
قال الحرالي الذين خرجوا عن احاطة الاستبصار وجهات تلقي الفطرة والحد الموثق وحسن الرعاية
لان الفسق خروج عن محيط كالكمام للثمرة والجحر للفارة انتهى ثم بينهم بقوله **والذين ينقضون** من النقض
وهو حل اجزا المبنى بعضها عن بعض **عهد الله** اي الذي اخذ عليهم على ماله من العظمة بما ركز فيهم من
العقول ونصب لهم من الدلايل والعهد المتقدم في الامر قاله الحرالي **من بعد ميثاقه** اي بدلالة الكتب
على السنة الرسل مع تقريبه من الفطر وتسهيله للنظر والوثاق شدة الربط وتوثيقه ما به يربط قاله
الحرالي **ويقطعون ما امر الله** اي الملك الاعظم ولما كان البيان بعد الاجمال اروع للنفس قال **به**
ثم فسره بقوله **ان يوصل** اي من الخيرات قال الحرالي والقطع الابانه في الشي الواحد والوصل مصير
التكملة مع المكمل شيا واحدا كالذي يشاهد في ايصال الما ونحوه وهو اعلام بانهم يقطعون متصل
الفطرة ونحوها فيسقطون عن مستواها وقد امر الله ان يوصل لمزيد علم ينفصل به حتى يصل
نشوها الى انم ما ينتهي اليه وكذلك حالهم في كل امر يجب ان يوصل فياتون فيما يطلب فيه الامر بكل
بضد الانقص انتهى **ويفسدون في الارض** اي بالنكوب عن طريق الحق قال الحرالي ولما كانت الارض
موضوعة للنشو منها وفيها وموضع ظهور عامة الصور الرابية اللازمة الجسمية ومحل تلتنق صور
النقص بالاعمال والاخلاق وكان الافسا د نقص الصور كما قال تعالى واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد كان تعلمهم فيها من نحو تعلمهم في وضع الضد
التي موضع ضد الاكمل والنقص بما شانه التكملة فكان افسادا لذلك انتهى ولما كان كانه قيل ان
فعل هولا لسيئ جدا فما حالهم قال **اوليك** اي الا باعد من الصواب **هم الخاسرون** اي الذين قصروا الخسران
عليهم والخسارة النقص فيما شانه النما قاله الحرالي ومن المعلوم ان هذا نتيجة ما مضى من اوصافهم قال الحرالي

ولما

ولما كان الخاسر من كان عنده راس مال مهيا للنما والزيادة فنقصه عن سوء تدبير وكان امرهم
في الاحوال الثلاث المنسوقة حال من نقص ما من شانه النما كانوا بذلك خاسرين فلذلك الحقت
الابته بهذا واشير اليهم باداة البعد لوضعهم في ابعد المواضع عن محل الخير انتهى ولما دعا سبحانه الى التوحيد
ودل عليه وانذر من اعرض وبشر من اقبل وذكر حال الفريقين في قبول الادلة التي زبدتها الاشارات
واماتها المعب الى سكب المدبر لعله سمسر واستمر سبحانه في دلايل التوحيد في فاتت تمام الاعلام ونفد
نفود المهام في خالت صميم العظام لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على الكمه لا يبصر القمرا في اسلوب مشير الى
البعث منبه على التخليص من الخسارة وما ابدع افتتاح ذلك عقب الخاسرين بقوله على طريق الالتفات المعرب
المستعطف المعجب **كيف** وقال الحرالي لما تقدمت الدعوة للناس فاجاب مبادر وتوقف متوقف
فضرب الامثال فاستدرك وامن وعادى متماد على كفره صرف وجه الخطاب عن المواجهة من الحق
تعالى واجري على لسان لزم وانكار فجا هذا الاستفهام لايضاح انقطاع العذر في التمادي على الكفر وجا بلفظ
كيف لتغور نظرهم على الكيفيات المحسوسه فان كيف كلمة مدلولها الاستفهام عن عموم الاحوال التي شانها
ان تدرك بالحواس فكانه تعالى لهم بمدرك اي حاسة تمادتهم على الكفر بالله على ما تقتضيه صيغة الفعل الدايم
في **تكفرون** انتهى وقال **بالله** اي مع ظهور عظمته وعلوه قال الحرالي وانها هذا الخطاب فابعد واعن
تفسيره بذكر اسم الله مما لم يكونوا من اهل قبول التنزل بدعوى اسم الربوبية حيث لم يكونوا بمن اجاب مبادرا
اولا ولا اماما لما حيما اشعر بد ابة تحقيق ضرب الامثال ولما جرى هذا الخطاب بذكر اسم الله اعقب بذكر
الانعال الالهية التي هي غايات من الموت والاحيا المعروف اللذين لا يمكن الكفار امرهما انتهى **وكنتم**
اي والحال انكم كنتم **امواتا** بلا موانا قال الحرالي من الموت وهو حال حسا وغيب يضاف الى ظاهر عالم ماخر
عنه او يتقدم معدية حواس ذلك الظهور الظاهرة انتهى **فاحياكم** فصرتم ذوي حس وبطش وعقل قال
الحرالي وجا بالفا المشعر بالتعقيب لما لم يكن لهم معرفة لمهل الموت الذي قبل حياة الولادة والحياة تكامل
في ذات ما ادناه حياة النبات بالنمو والاهتزاز مع انغراسه الى حياة ما بدت بحركته وحسه الى غاية
حياة الانسان في تصرفه وتصريفه الى ما وراء ذلك من التكامل انتهى **ثم يميتكم** فاذا انتم اجساد كالفخار
كانه لم يحل بها حياة ساعة قط وبدلتم بعد الانس بكم الوحشة واراه محبة القرب منكم النفرة قال الحرالي
وهذه الاحوال الثلاثة اي الموت المعبر به عن العدم ثم الحياة ثم الموت معروفة لهم ولا يمكنهم انكارها واذا
صح منهم الاقرار بحياة موت لزمهم الاقرار بحياة موت اخر لوجوب الحكم بصحة وجود ما قد سبق مثله
كما قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولدن ذلك من العلم ان الموت
والحياة مزدوجان متضايفان واذا استوفي الموت الاول احياه فلا بد من استيفا الموت الثاني
احياه ايضا لانه لولا استقبال الحياة لما كان موتا بل بطلا ونفدا او اضمحلالا لان حقيقة الموت حال
غيب بين يديه ظهور والحياة ها بة ثابتة والموت مبدا غيب زايل فجنس الموت كله منقض ونهاية
الحياة ثابته دايمة ولذلك ورد ما صح عنه عليه الصلاة والسلام في ان الموت يذبح اعلاما بانقضا جنسه
وثبات الحياة ولذلك قدم في الذكر واعقب بالحياة حيث استغرقهما كلمة ال في قوله خلق الموت والحياة
وثبت الخطاب على اقرار الحياة والكمال كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله نعيم الجنة لا اخر له فوجب بظاهر

ما احسه الكفار وباطن ما اقتضاه هذا النحو من العلم دونه انتشار حياة ثانية بعد ميتة الدنيا
انتهى ثم يحييكم فينشركم بعد طيكم وسعتكم بعد حصركم بتلك القدرة التي ابتدأكم بها وامانكم ثم اليه ترجعون
يحتمل كونه للجزا من الثواب والعقاب وفي هذا كما قال الحرالي اعلام بانهم ان لم يرجعوا الى الله سبحانه بداعي
العلم في الدنيا بتعد مهل من الاحيا الثاني يرجعون اليه قهرا حيث يشاهدون انقطاع اسبابهم ممن تعلقوا
به وسيرا منهم ما عبد ومن دون الله وانما جا هذا المهل بعد البعث لما يبقى لهم من الطمع في شركايهم حتى
يدعونهم فلم يستجيبوا لهم فحينئذ يضطرهم انقطاع اسبابهم الى الرجوع الى الله فيرجعون قسرا ويوتا لحينيذ جزيهم
بما كسبوا في دنياهم كما قال تعالى في خطاب من كان من اهل الجزا واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذا اخر خطاب الاقبال عليهم من عن الله لهم ولسان الكبر عليهم ولذلك
كانت ايه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله اخر اية انزلت في القران لانه نهاية ليس وراه قول يعم اهل
الجزا والرجع عود الشي عند انتهاء غايته الى مبدايه انتهى ولما اجمل في هذه الاية اول امرهم واوسطه واخره
شرع تفصيله على وجه لهم داع الى جنابه بالامتنان بانواع الاحسان فساق سبحانه ابتدا الخلق الذي
هو من اعظم الادلة على وجه اسمه مساق الانعام في عبادة بما فيه من منافعهم ليكون داعيا الى توحيده
من وجهين كونه دالا على عظمة موثرة وكمال قدرته وكونه احسانا الى عباده واطغايهم وقد جلت
القلوب على حب من احسن اليها فقال هو قال الحرالي وهي كلمة مدلولها الغايب الالهية الغايم
بكل شي الذي لا يظهر لشي فدلالته ابدا غيب وظاهره الاسما المظهرة من علن احاطة اسم الله الى تنزل
اسم الملك فما بينهما من الاسما المظهرة ثم قال لما انتهى الخطاب بذكر ارجاعهم الى الله وكان هذا خطابا خاصا
مع التمادي على كفره اتبع عند اعراضه وادباره بهذا الختم هد يدارى به بين الكافر وتسببا لعطفهم
ومدلهم كالموحى له في السبب الذي يراد ان يجذب به اما بان يتدارك لطف فيرجع عليه طوعا او يرام
به قسرا عند انتهاء مدى ادباره وانتظم به ختم اية الدعوة بنحو من ابتدايها الا ان هذه في تنزل الا
بين طرفيه وتلك في اظهر الاسنان فابعد وابي هذه كل البعد باسناد الامر الى اسم هو الذي هو سب
اسم الله واسنده اليه خلوتا خلق لهم في الارض الذي هو اظهر شي للحكمين انتهى الذي خلق لكم لطفا بكم
ما في الارض قال الحرالي وقوله جميعا اعلام بان حاجة الانسان لا تقوم بشي دون شي وانما تقوم
بكلية ما في الارض حتى لو بطل منها شي تداعى سايرها انتهى ولما كانت السما اشرف من جهة العلو
الذي لا يرام والجوهر البالغ في الاحكام والزينة البديعة النظام المبنية على المصالح الجسام وكثرة
المنافع والاعلام عبر في امرها بثم فقال ثم استوى الى السما اي علق ارادته ومشيته بتسويتها
من غير ادنى عدول ونظر الى غيرها قال الحرالي في الخطاب بذكر الاستوى الى السما الذي
هو موضع التخوف لهم لنزول المخوفات منه عليهم تقبل لهم هذا المحل الذي تخافون منه هو استوى
اليه وجرى لفظ الاستوى في الرتبة والمكانة احق بمعناه من موقعه في المكان والشهادة وبالجملة
فالاحق تجرى الكلم ووقوعها بنا عن الاول الحق ثم وقوعها بنا عما في امره وملكوته ثم وقوعها بنا عما
في ملكه واشهاده فلذلك حقيقة اللفظ لا يصلح ان تخلص بالمحسوسات البادية في الملك دون الحقايق
التي من وراها من عالم الملكوت وما به ظهر الملك والملكوت من بنا الله عن نفسه من الاستواء

دفي

دني
في بنا الله عن نفسه احق حقيقة ثم انبا به عن الروح مثلا واستوايها على الجسم ثم على الراس مثلا
واستوايها في الحسد فليس تستحق الظواهر حقايق الالفاظ على بواطنها كانت البواطن احق باستحقاق
الالفاظ وبذلك يندفع كثير من لبس الخطاب في المقتصرين بحقايق الالفاظ في محسوساتهم فسواهن
التسوية اعطا اجزا الشي حظه لكمال صورة ذلك الشي سبع سموات اعطى لكل واحدة منهن حظها واوحى
في كل سما امرها انتهى وخلق جميع ما فيها لكم فالاية من الاحتباك حذف لا كون الاراضي سبعا
لدلالة الثاني عليه وثانيا كون ما في السما لنا لدلالة الاول عليه وهو من عزيز نفيس وقد جمعت
فيه كتابا حسنا ذكرت فيه تعريفه وماخذه من اللغة وما حضرني في امثلته من الكتاب العزيز وكلام
الفقها وسميته الادراك لفن الاحتباك ولما كان الخلق في هذه الكيفية والاتيان البديعة في اتم قدرته
لصانعه وكان العلم بان تبني شي في العلم محتاجا الى تامل اعتنى في مقطع الاية بقوله وهو بكل شي عليم اي
فهو على كل شي قدير ولما ذكر الحياة والموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما اتبعهما به البعث ثم دل
على ذلك ايضا بخلق هذا الكون كله في هذا النظام البديع وختم ذلك بصفة العلم ذكر ابتدا خلق هذا
النوع البشري المودع من صفة العلم ما ظهر به فضله بقوله تعالى حتى فهمه تلقيا عن الله لعلوه سبحانه وعلو
هذا الخطاب عطفا على قوله اعبدوا ربكم وبيانا لقوله رب العالمين اذ من البداة تعلم العودة لمن
تدبر او يكون عطفا على ما تقديره اذكر هذا لهم وذلك انه سبحانه لما خاطبهم بهذا الاستفهام الذي من
معانيه الانكار ذاكرا الاسم الاعظم الذي من تجليته الانكار ذكرا هو اجلى الاسما وابطنها غيبا
والضمير الذي هو ابطن منه واتبعه بعض ما هم له منكرون او به جاهلون واشار بقوله لكم مثبتة
فيما هو ظاهر عندهم ومحذوفه ومما هو خفي عنهم كما نبه عليه في الاحتباك الى انه لم يخلق هذا
النوع البشري السايل للبقا بما ابان عن انه انما خلق جميع ما في هذه الاكوان لاجلهم فالبعض رزق
لهم والبعض اسباب له والبعض استخدمهم لايهم وهو في صلبه وكلهم في حفظ اعمالهم ونشر ارزاقهم
ونفخ ارواحهم وغير ذلك من تربيتهم واصلاحهم لم يكونوا اهلا لفهم هذا الخطاب بالاسما الباطنة
وما نظمها من المعاني الانيقة بل علوا وعيلا فاعلم سبحانه بعطف اذ على غير ظاهر انه معطوف
على نحو اذكرهم ايها الرسول هذا انه لا يفهمه حق فهمه عنا سواك وهم الى الفهم عنك اقرب
واذ اي واذكر ما انفق اذ اي واذكر ما اتفق اذ وحذف المعطوف عليه الاحتمال المامور بذكره
الانكار والسباق لا يراد الرفق والبشارة في لسانه صلى الله عليه وسلم استعطافا لهم اليه وتحببا
فيه وفي حذفه ايضا والدلالة عليه بالعاطف حث على تدبر ما قبله تنبيها على جلالة معقد ان ودقة
اسرار ولما عملت الاشارة لكن لا اهل البصارة اتبعه قصة ادم عليه السلام دليلا ظاهرا ومثالا
بينا لخلاصة ما اريد بهذا المجمل مما نبه عليه بالعاطف من ان النوع الادمي هو المقصود بالذات من
هذا الوجود وانه لا يجوز في الحكمة ان يترك بعد موته من غير احيا يرد به الى دار لا يكون في شي
من امورها من احد نوع من الخلل ويكون الحكم فيها ظاهرا جدا لاخفا به اصلا فبظهور الحد ابتدا
باسجاد الملايكة له ثم باسكانه الجنة ثم بتلقي اسباب التوبة عند صدور السهو وقد روى البيهقي في
اواخر الدلايل عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال ان اكرم خليقة الله على الله ابو

القاسم صلى الله عليه وسلم قلت رحمك الله فاين الملايكة فنظر الي وضحك فقال يا ابن اخي وهل تدري
ما الملايكة انما الملايكة خلق كخلق الارض وخلق السما وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح
وساير الخلايق على وان اكرم الخلايق على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم وقال الحرالي لما جعل الله تعالى
تدبر العقل هاديا للايات ما ظهر في الكون وكان من الخلق مهتد به ومعرض عنه بعث الله النبيين
مبشرين لمن اهتدي بتدبر العقل لمقتضى الايات المحسوسة وتلك هي الحنيفية والملة الابراهيمية
ومنذرين لمن اعرض عن ذلك وشغلته شهوات دنياه فترتب لذلك خطاب الكتاب بين ما يخاطب
به الاعلين المهتدين وبين ما يخاطب به الادنين بالمومنين ولذلك تفاوت الخطاب بين ما يخاطب
به ايمة المهتدين والمومنون بهم فكان اعلى الخطاب ما يقبل على امام الايمة وسيد السادات
واحظى خلق الله عند الله محمد صلى الله عليه وسلم فكان اول الخطاب الم ذلك الكتاب اقبالا عليه
وانبا له من الذكر الاول كما قال عليه الصلاة والسلام اوتيت البقرة وال عمران من الذكر الاول
وهو اول مكتوب حين كان الله ولا شي معه وكتب في الذكر كل شي فخاطبه الله عز وجل بما في الذكر الاول
وانزله قرانا ليكون اخر المنزل الخاتم هو اول الذكر السابق ليكون الاخر الاول في كتابه كما هو
في ذاته لمن حيث كان الخطاب الاول من اعلى خطاب الله لمحمد صلى الله عليه وسلم انتظم ما هو ادنى خطاب من
ايات الدعوة تنبيها لمن اعرض عن الاستغنا بنور العقل لما بين الطرفين من تناسب التقابل ثم عاد
وجه الخطاب اليه صلى الله عليه وسلم بما هو اعلام بغايب الماضي عن كاين الوقت من امرابتدا امعاوضة
الحق ملايكته في خلق ادم ليكون ذلك تعيينا للمبشرين في علو الترتيب الى التكامل كما كانت ايات الدعوة
تنبيها للمعرضين ليعودوا الى الاقبال وخصوص الانزال انما هو الانبا بغيب الكون من ملكوته
وغايب ايام الله الماضية ومنتظر ايام الله الاتية فذلك الذي يخص المهتدين بنور العقل ليترقوا
من حد الايمان الى رتبة اليقين وانما يرد التنبيه والتنزيل بما في نور العقل هدايته من اجل
المعرضين فكان ما شمله التنزيل بذلك اربعة امور احدها التنبيه على الايات بمقتضى اسما الله من
اسمه الملك الى الرحمن الرحيم الى اسمه رب العالمين الى اسمه العظيم الذي هو الله والثاني هو التنبيه
على غايب المنتظر الذي الخلق صايرون اليه ترغيبا وترهيبا والثالث الاعلام بما مضى امر الله
جميعا للهمم للجد والانكماش في عبادة الله تعالى والرابع التبصير ببواطن كاين الوقت الذي في
ظاهره اعلامه فكان اول التنزيل في هذه السورة امر اول يوم من ذكر الله وهو كتب مقتضى
العلم والتدريج في نمه تعالى عبادة بين مومن وكافر ومنافق ثم انزل الخطاب الى ايات الدعوى
من ورا حجاب الستر تربيا والتقدير فعم به الناس ونبههم على ايات وبرسه رجا اوحياه الله
منه اليه ثم عطف على ذلك اعلاما لا بتدا المعاوضة في خلق ادم عطفا على ذلك الذي يعطيه افهام
هذا الافصاح فلذلك قال تعالى **واذ** فان الواو حرف يجمع ما بعده مع شي قبله افصاحا في اللفظ
او افهاما في المعنى وانما يقع ذلك لمن يتلو خطابه ولا يرتاب في ابلاغه واذ اسم مبهم لما مضى من
الامر والوقت **قال** من القول وهو ابدا صور الكلم نطقا بمنزلة ايتلاف الصور المحسوسة جميعا
فالقول مشهود القلب بواسطة الاذن كما ان المحسوس مشهود القلب بواسطة العين وغيرهم قاله

لما انبا الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بما في الذكر من التقدير الذي هو حب الشريعة ثم
ونظم به ما انزل الله من دعوة الخلق الى حكم فانتظم ذلك وتبين امر نظم تعالى بذلك انزال ذكر خلق
عطفا معطوفا على ذكر خلق اعلى رتبة منه لسبقه منه لتنبيه الدعوة من جنبيه فذكر خلق ادم ظاهر
حب لما عطف عليه وهو والله اعلم ذكر خلق محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو حب خلق ادم فكانه تعالى
اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم با مر خلقه له بدا وحي سره ثم اعلن بما عطف عليه من ذكر خلق ادم وحي
علن ليكون امر خلق محمد صلى الله عليه وسلم عند الخاصة فهما كما كان امر خلق ادم عند العامة
افصاحا وكان المفهوم اذكر يا محمد اذ كان في خلقك كذا واذ قال **ربك** اي المحسن اليك بر حمة العباد
لك الذي جاد في اظهار خلق ادم **للملايكة** ما انزل وتاويل الملايكة عند اهل العربية انه
جمع ملاك مقلوب من مالك من الالك وهي الرسالة فتكون الميم زايدة ويكون وزنه معافلة ويكون
الملك من الملك وهو احكام باصله التصوير من ملكت العجين وجمعه املاك يكون فيه الميم اصلية
فيكن اسم ملايكه جامعا للمعنيين منحوتا من الاصلين فكثيرا ما يوجد ذلك في اصله الذوات الجامعة
كلفظ انسان بما ظهر فيه من انه من الانس والنسيان معا وهو وضع للكلم على مقصد افصح واعلى
مما يخص به اللفظ معنى واحدا فللكلام رتبتان رتبة عامة ورتبة خاصة افصح واعلى كلما وكلاما
قال وفيه اي هذا الخطاب مع ذلك استخلاص لبواطن اهل العطايه من ان تعلق بواطنهم باحد
من دونه حين ابدا لهم انفراده بالظاهرهم خلفاد ون ملايكته الاكرمين حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من
اهل الاصطفا فكيف بمن يكون في محل البعد الا قصا بوطه لتسح ما يقع من بعضهم من اتباع خطوات
الشيطان وذلك لان في كل اية معنى ينتظم به بما قبلها ومعنى يتشابه للانتظام بما بعدها وبذلك
كان انتظام الاي داخلا في معنى الاعجاز الذي لا ياتيه الخلق بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا **اني** ان حرف مهم توكيد امنى ذات نفس المؤكد وعلمه واليا اسم على محض المصنف الي نفسه الذي
يضيف الاشيا اليه **جاعل في الارض خليفة** الخليفة ذات قايم بما يقوم به المستخلف على حسب رتبة
ذلك الخليفة منه فهو بني خليفة الله في كونه ملكه وملكوته وهم ايضا بعضهم خلفا بعض فهو خليفة
بالمعنيين الاثنين وجعل سبحانه هذا التذكير في سياق داع الى عبادته وقايدا الى محبته حيث من
الى هذا النوع الادمي بنعمه عليهم واحسانه اليهم قبل ايجادهم فذكرهم ما حاج به ملايكته عنهم وما
شرف به اباهم ادم من العلم وامر الملايكة المقربين بالسجود له ثم ما وقع لابليس معه وهما عبدان
من عبيده فتاب عليه ولم يتب على ابليس مع سبقه له بالعبادة بل اوجب طرده وابد بعده فقال
تعالى حكاية عن الملايكة جوابا لسوال من كانه قال ما قالوا حين اخبرهم سبحانه بذلك **قالوا اتجعل**
فيها اي الارض **من يفسد فيها** اي بانواع المعاصي **ويسفك** من السفك قال الحرالي وهو سكب بسطوة
الدما اي بغير حق لعدم عصمتهم وخلوهم حوفا لايتمالكون واصحاب الشهوات عليهم منها الكون وكانهم
لما راوا صورة ادم تفرسوا فيها ذلك اوتنالوا من منافع اعضايها فاخبرهم تعالى بما تفرسوا منه ذلك
والدم قال الحرالي رزق البدن الاقرب اليه المحوط فيه **ونحن** اي والحال انا نحن وهذا الضمير كما قال
الحرالي اسم القايل المستتبع لمن هو في طوع امره لا يخالفه **نسبح** اي نوقع التسبيح اي التنزيه والابعاد

عما لا يليق ملتبسين في التسبيح بحمدك والحاصل انا سويك عن صفات النقص حالي اثباتنا لك
صفات الكمال وقال الحرالي التسبيح تنزيه الحق تعالى عند ما ديه نقص في خلق اورتبه وحمد الله
استوا امره علوا وسفلا ومحو الذم عنه والنقص منه وذلك تسبيح ايضا في علو امر الله كما لا يسبح بالحمد الا اهل
الحمد من ادم ومحمد صلى الله عليهما وسلم فما ورا التسبيح الحمد والحمد تسبيح لمن غايته وراء ذلك الاستوا انتهى
ونقدس اي نطهر كل شي نقدر عليه من نفوسنا وغيرها لك اي لا لغيرك لعصمتنا بك او المعنى نوقع
التقديس اي التطهير لك بمعنى انك في الغاية من الطهارة والعلو في كل صفة وقال الحرالي القدس
طهارة دائمة لا يلحقها نجس ظاهر ولا رجس باطن واللام تعلمه للشي لاجله كان ما اضيف به انتهى
ولما تضمن تفرسهم هذا نسبتهم انفسهم الى العلم المثمر للاحسان ونسبة الخليفة الى الجهل المنتج للاساة
اعلمنا سبحانه وتعالى لنشكره انه حاج ملايكته عنا فبين لهم ان الامر على خلاف ما ظنوا بقوله استئنافا
قال اني اعلم اي من ذلك وغيره ما لا تعلمون وقال الحرالي واعلم تعالى بما اجرى عليه خلقته
من القضا بما ظهر والحكم في الاتي بما مضى حيث ابنا عن ملايكته بانهم قضوا على الخليفة في الارض بحال
من تقدمهم في الارض من الجبلة الاولين من الجن الذين ابقى منهم عزازيل وغيره ليتحقق ان امر الله
جديد وانه كل يوم هو في شان لا يقضي على اي وقت بحكم ما فيه ولا بما مضى قبله انتهى والاظهر ما
ذكرته انهم انما قالوا ذلك تفرسا بحكم ما ظهر لهم من صورته وتحقق ذلك من اعلامهم بانه يجمع فيه بين
الشهوة والعقل ومن المعلوم ان الشهوة حاملة على الفساد وعلم سبحانه ما خفي عنهم من انه سيوجد من
اراد منهم للعمل بمقتضى العقل مع قيامه بمنازع الشهوة والهوى بالغاية الكمال التي هي فوق
درجة العامل بمقتضى العقل من غير منازع له فيظهر تمام القدرة والله اعلم ولما اعلم سبحانه الملايكة ان الامر
على خلاف ما ظنوا شرع في اقامة الدليل عليه فقال عاطفا على قوله قال وعلم اي لاقامة الدليل على ذلك
والتعليم تكرار العلم ليثبت لما في جبلة المعلم من النسيان ادم من الادمة وهو حلية الارض التي منها جسمه
وحظ ما فيه من اديم الارض هو اسمه الذي ابانا عنه لفظ ادم ادم الاسما اي التي للاشيا كلها وهي
جمع اسم وهو ما يجمع اشتقاقين من التسمية والسمو فهو بالنظر الى اللفظ وسم وبالنظر الى الحظ من ذات
الشي سمو وذلك السمو هو مدلول الاسم الذي هو الوسم الذي ترادفه التسمية قاله الحرالي وقال
في كتاب له في اصول الفقه الاسم تعالى على لفظ التسمية وتعالى على حظ ونصيب من ذوات الاشيا
وذلك من المعروضة على الملايكة واسم التسمية تحاذي به المسمى معلومه من الشي المسمى الذي
هو الاسم المعروض وهو عند ادم عليه السلام علم وعند الملايكة عليهم السلام ومن لا يعلم حقيقته
الاسم المعروض توقيف وبانا انتهى ولما كان العرض على الملايكة بالمعاني المراد اشار الى تعظيمه
بحرف التراخي فقال ثم عرضهم اي الاشيا قال الحرالي اظهرهم عن جانب وهو العرض والناحية
على الملايكة القابلين لذلك وقال الحرالي لما ذكر تعالى مراجعة الملايكة في خلق هذا الخليفة
ذكر ابداه لهم وجه حكمة عليه بما اعلى هذا الخليفة من تعليم ايا ه حقايق جميع الذوات المشهودة
لهم على احاطتهم بملكوت الله وملكه شهودا فاراهم احاطة علم ادم بما شهدوا وصورة ولم يشهدوا
حقيقة مدلول تسميه وعلمه حكمه ما بين تلك الاسما التي هي حظ من الذوات وبين تسميا تها

من

من النطق ليجتمع في علمه خلق كل شي صورة وامره كلمة فيكمل علمه في قلبه على سبيل سمو وبصر واستخلفه
في علم ماله من الخلق والامر وذلك في بدا كونه فكيف بحكم حكمة الله فيما يسامي اليه كماله خلقته الى خاتمة
امره فيما انتهى اليه امر محمد صلى الله عليه وسلم مما هو مبهم في قوله تعالى له وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما فابدا الله عن وجل مذعنين مطيعين فانقاد والوقت لفضل ادم على جميع الخلق وبدا
لهم علم ان الله تعالى من يشا بما يشا من خلافة امره وخلقه وتلك الاسما التي هي حظوظ من صور الموجود
هي المعروضة التي شملها اسم الضمير في قوله تعالى ثم عرضهم واشار اليه هولا عند كمال عرضهم واجرى
على الجميع ضمير هم لاشتمال تلك الكاينات على العاقلين وغيرهم وما لتحقيق فكل خلق ناطق حين يستنطقه
الحق كما قال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وانما البهم والجمادية بالاضافة الى ما
بين بعض الخلق وبعضهم انتهى فقال اي اخبروني اخبارا عظيما قاطعا باسما هولا اي الموجودات
بتفرسكم فيها ان كنتم صادقين اي فيما تفرستموه في الخليفة وفي السواله قال الحرالي هذه الاسما
المواطية للتسمية من السمة والاسما الاول هي الحظوظ من الذوات التي المتسم بها هو المسمى ومع ذلك فبين
التسمية والاسم مناسبة بحجور الحكمة بينهما بمقتضى اهل العليم الحكيم انتهى قالوا متبريين من العلم
سبحانك اي ننزهك تنزيها عن ان ننسب اليك نقصا في علم او صنع وننسب اليك مما يلزم قولنا
من ادعا العلم قال الحرالي وفي هذا المعنى اظهار لفضلهم وانقيادهم واذعانهم توطيه لما فضل
به من ابا ابليس انتهى والحاصل انه تصريح بتنزيه الله تعالى عن النقص وتلويح بنسبته اليهم اعتذارا
منهم عما وقعوا فيه ولذا قالوا لا علم لنا اي اصلا الا ما علمتنا قال الحرالي رد البدا الامر لمن له
البدو ولذلك ورد في اثاره من علم من لم يختم عليه بالجهل لم يعلم وذلك الجهل هو البراة من العلم
الا ما علم الله انتهى ثم خصوا به ما نفوه عن انفسهم فقالوا انك انت اي وحدك العليم الحكيم اي
فلا يتطرق الى صنعك فساد بوجه قال الحرالي توكيد وتخليص واخلاص للعلم والحكمة بالله وحده
وذلك من ارفع الاسلام لانه اسلام القلوب ما حلاها الحق به فان العلم والحكمة نور القلب الذي
يحيى به كما ان الماء رقية الابدان الذي يحيى به والحكمة جعل تسبب بين امرين بيد ويبنيهما تقاضي من
السابق واستنادا من اللاحق انتهى فلما قالوا ذلك واراد اظهار فضل ادم عليه السلام استانف
في جواب من كانه قال لهم عند ذلك قوله قال يا ادم انبيهم اي ليجرد ادم واخبره في ان العالم
من علمه والسعيد من اسعد به في اي صورة ركبته باسمايهم فانباهم بها قال الحرالي ولم يقل علمهم
فكان ادم عليهم بالاسما وكانوا هم مخبرين بها لا معلمين لانه لا يتعلمها من ادم الا من خلقته محيط
بخلق ادم ليكون من كل شي ومنه كل شي فاذا عرض عليه شي مما منه اسن عليه عنده فلذلك اختصوا
بالانبا دون التعليم فلكل شي عند ادم عليه السلام بما علمه الله واظهر له علامات في استيصار الشي
اسمان جامعان اسم يبصره من موجود الشي واسم يذكره لا برا معنى ذلك الشي الى غاية حقيقته
ولكل اسم جامع عنده وجوه متعددة تحاذي كل وجه منها تسمية لحنة وبحسب تلك الوجوه تكثرت
عند الالسنه وتكثرت الالسن الاعجمية فافصحها واعربها الاسم الجامع وذلك الاسم هو
العربي الذي به انزل خاتم الكتب على خاتم المرسلين وابقى داعيا في مخاطبة اهل الجنة لمطابقة

الخاتمة احاطة البادية حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في
ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وطابق الختم البداة احاطة الاحاطة انتهى وبهذا كما كان ولده خاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم يكلم كل انسان بلغته من قبايل العرب ومن العجم فكان علمه لبعض اللغات
من غير مخالطة لاهلها ولا المام بلسانهم دليلا على علم ساير اللغات لانه لا يعلم له الا العالم بكل شي
فلما انباهم اي اخبرهم اخبارا عظيما يأخذ بالالباب ولما كلمة تفهم وجوب امر لامر في حين فتجمع
معنى الشرط والظرف قاله الحرالي باسمايهم على ما هي عليه قال الحرالي في التفسير وكتاب له في اصول
الفقه هذه التسميات ليس الاسما التي هي موجودة من الذوات لان تلك لا تنالها الا العلم وشهود
البصير وقد جرى ذلك في وراثه ولد ادم حتى كان روبه وابوه العجاج يرحلان اللغة ارتجالا
ويتعلمها منهم من سواهم من العرب لان التسمية التي ينالها الانبا للاسم الذي ينبا له العلم كالمثل له البري
لصورة معناه للاذن لمناسبة ومواصلة بين خصوص التسمية واسمها من الذات فيعلم ما يحاذي الشي
المقترن من منتظم الحروف كما يعلم الواصف ما يحاذي الشي ويحاكيه من منتظم الحكم فيحاذيه ويحاكيه
الواصف بكلام ويحاذيه ويحيه المسمي له بكلمة واحدة وكما انه ليس لكل احد منه ان يصف فكذلك
ليس لكل احد منه ان يسمي ومنه ما يجري من السنة العامة من النبر والالقاب وقد كان يحب الاكتفا
بما في هذه الاية من العلم بيد ما امر المسميات عما وقع فيها من الاختلاف بين التوقيف والاصطلاح فقد
تبين انها عن علم علمه الله ادم لا عن توقيف كما هو عند الملايكة من ادم ولا عن اصطلاح كما يقال انتهى
قال اي الله تعالى الم اقل لكم يا ملايكتي اني اعلم غيب السموات والارض لمن اردت تعليمه منبا
من ذلك كان علمه به واما غيري فلا طريق له الى معرفة المستقبل الا الفراسة وتم تخطي قال الحرالي
فذرهم حتى لا يكون لها ثانيه واعلم بذلك عبادة من ولد ادم حتى يستنوا بحكم التسليم لله فيما يبديه
من غير توقف ولا اعتراض فمنهم من امن ومنهم من كفر انتهى واعلم ما تبدون في كل حين وما كنتم
تكتمون فيما مضى وفيما ياتي قال الحرالي وفي صيغة تكتمون من الدلالة على تمادي ذلك في كتابهم ما في
صيغة تبدون من تمادي تادي ذلك منهم انتهى ولما اخبرنا سبحانه بهذه النعمة على الناس الى الانعام
باسجاد الملايكة ونحن في ظهره فقال عاطفا على اذا لاولى وقال الحرالي لما انبا تعالى بامر معنا ومنة
الملايكة وما كان من ادعايهم وتسليمهم الامر لله ولمن علمه الله وهو ادم عليه السلام نظم بذلك نبا انقيادهم
لادم فعلا كما انقادوا له علما عاما لكمال حالهم في التسليم علما وعملا فقال تعالى واذ قلنا اي على عظمتنا
للملايكة اي الذين اكرمناهم بمرتنا اسجدوا لادم عبدنا اعترافا بفضله لتفضيلنا له قال الحرالي
لجعله بابا اليه وكعبة لحلونه بجلاله تعالى ومحرابا وقبلة يكون سجودهم له سجود الله تجاه ادم كسجود ادم لله تجاه
الكعبة وظهر بذلك سو ابا ابليس عن السجود حين خالهم في طيبة الكيان لان الملايكة خلقت من نور
والنور طوع لا حوزه اين ولا تخصه جهة ولان الجان خلقت من نار وهي مما يحوزه اين وتخصه جهة
لا يرجع عنها الا بقهر وقسر فلم ينزل عن رتبة قيامه في جبلته لمخلوق الطين لم يشعر باحاطته
خلق ادم كما نلقته الملايكة انتهى فبادروا الامتثال فسجدوا اي كلهم الا ابليس قال الحرالي من
الابلاس وهو انقطاع سبب الرجا الذي يكون عنه الياس من حيث قطع ذلك السبب فكانه قيل

ما فعل

ما فعل فقيل ابى من الابا وهو امتناع عما حقه الاجابة فيه قاله الحرالي واستكبر عن السجود
له من الاستكبار وهو استجلاب الكبر بطر الحق وغمض الناس وغمطهم وموجب ذلك استحقار الغير من
وجه واستكمال النفس من ذلك الوجه قاله الحرالي وكان بما انهمه الاستكبار من نسبتنا الى ترك
الحكمة او جهلا او جورا في امرنا بسجوده لادم وهو على زعمه خير منه من وجه كلمه تفهم اقتباس الشي
مما جعل منه قاله الحرالي الكافرين اي الذين سبق علمنا بشقاوتهم لم يتجدد لنا بذلك علم ما لم نكن نعلمه
وفي الايات الثلاث يا ايها الناس اعبدوا ربكم وكيف تكفرون بالله واذ قال ربك للملايكة ايضا
اشارة الى اختلاف الحال في الخطاب بوصف الربوبية مع المخلص ومع من دونهم وفي الخطاب
باوصاف الذات وذلك انه بيان لكيلا يكن الضالين في حسن امثاله هم الخاسرون تعجب
لمن يكفر به اشارة الى شدة ظهوره وانتشار نوره في امثاله وجميع اقواله وافعاله وان شهوده
في كل اعتبار اوضح من ضيا النهار لانه ما ثم الا ذاته وافعاله وصفاته وفي كل شي له اية تدل
على انه واحد متجليا عليهم باسم الالهية في افعاله التي هم لها ناظرون وبها عارفون فقال كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الى ان قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
الاية وادرج في ذلك امر البعث بقوله ثم اليه ترجعون تنبيها على مشاركته لبقية ما في الاية
من الظهور لما تقدم من الاسناد الدال عليه ما باخراج الثمرات حين تعرف اليهم بوصف الربوبية
الناظر الى العطف والاحسان والتربية والاحسان في مثل ما هنا من افعاله الظاهرة
واثاره الباهرة فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الى اخرها وختم هذه
الاية بوصف العلم الشامل لما قام عليه من الدليل ضمن هذا التعجب اشارة الى الاستدلال
على كمال الامثال وتهديد المرء يستمر على الكفر ان لصد هذا البيان بانه بمراى منه ومسمع
في كل حال فلما فرغ من خطابهم بالامور الظاهرة على قدر فهومهم ومبلغ علومهم رقى الخطاب
الى رتبة محمد عليه الصلاة والسلام لترقيه البيان الى غيب من دليه للملايكة فقال واذ قال
ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة الاية فلكل مقام مقال ولكل مخاطب حد في الفهم وحال
قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في المفتاح الباب السابع في اضافة الربوبية ونعت
الالهية في القران اعلم ان الربوبية اقامة المربوب بما خلق له واريد له فرب كل شي مقيمه
بحسب ما ابداه وجوده فرب المومن ربه ورباه للايمان ورب الكافر ربه ورباه للكفر
ان ورب محمد ربه ورباه للحمد ادبني ربي فاحسن تاديبي ورب العالمين ربى كل عالم لما
خلق له اعطى كل شي خلقه ثم هدى فللربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما اظهرته ابدا مربوبيه
من عرف نفسه فقد عرف ربه سبح اسم ربك الاعلى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك اعبدوا ربكم الذي خلقكم لهم اجرهم عند ربهم وقال في الباب الذي
بعده خطاب الاقبال على النبي صلى الله عليه وسلم اعظم افهام في القران الم تر الى ربك
كيف مد الظل الاية وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية تفاوت الخطابين بحسب
تفاوت المخاطبين وكما يتضح لاهل التعرف رتب البيان بحسب امام اسم الرب فكذلك يتحقق

لاهل الفهم وجوه احاطات البيان بحسب النعوت والمسان في اسم الله غيبا في مستحل الايات
للمومن وعينا للكامل الموتن وجما واحاطة عن بادي. الدوام المحقق الواحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وكيف تكفرون وانتم تتلي عليكم ايات الله وفيكم رسوله
ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم قل هو الله احد والتفطن في رتب البيان في
موارد هذا المحور الخطاب في القران من مفاتيح الفهم وبوادي مريد العلم انتهي وقد ادرج
سبحانه ذكر ابتدا الخلق علي ترتيب ايجاده له فقد روي مسلم في صحيحه والنساي في التفسير
من سننه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق
الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه
يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد
العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الي الليل
وقال المزي في الاطراف قال البخاري في التاريخ وقال بعضهم ابو هريرة رضي الله عنه عن كعب
وهو اصح انتهي ومما يقال من انه كان قبل ادم عليه السلام في الارض خلق يعصون فاس عليهم
الملايكة عليهم السلام حال ادم عليه السلام كلام لا اصل له والذي يدل عليه بلا حديث
مسلم هذا كما تري انه اول ساكني الارض والذي يلوح من اسمه في بدئه بالهمزة التي هي اول
اول الحروف وختمه بالميم التي هي اخرها وختامه انه اول ساكنيه بنفسه كانه خاتمهم باولاده
عليهم تقوم الساعة ورايت في ترجمة للتوراة وهو اولها خلق الله ذات السما وذات الارض
وكانت الظلمة فقال الله ليكن النور فكان النور فاراد ان يفرق بين النور والحندس فسمي النور
نهارا والحندس مسا ثم قال ليكن جلد وسط الما وعيز بين الما الاعلي والما الاسفل وفي نسخة
ليكن سقف بين المياه ليفصل بين الما والما فكان كذلك فخلق الله سقفا وفصل به بين الما الذي تحت
الجلد والما الذي فوق الجلد وسمي الله الجلد سما وقال الله لتجتمع المياه التي تحت السما الي مكان
واحد ولتظهر اليابسة فكان كذلك فسمي الله اليابسة ايضا وسمي مجامع المياه بحورا وقال
لتخرج الارض نبت عشب يزرع منه زرع لجنسه وشجرا ذات ثمار بثمار لجنسه بغرس منه
غرس علي الارض فاست الارض عشبا يزرع منه زرع لجوهره وشجر ذات ثمار لجوهرها
فقال الله ليكن نجوم في جلد السما ليضيا علي الارض وليميز بين النهار والليل وليكونا للايات
والازمان والعدد والايام والسنين فخلق الله نورين عظيمين المصباح الاكبر لسلطان النهار
والمصباح الاصغر لسلطان الليل وخلق النجوم وكان المسا والصباح من اليوم الرابع فقال الله
لتخرج الماء حيتانا ذات النفس الحية تدب في الما لاجناسها وكل طير ذات اجنحة لاصنافها وباركها
وقال انموا واكثروا واملاوا مياه البحور وليكثر الطير علي وجه الارض وقال الله لتخرج الارض
النفس الحية لجنسها دواب وسباع الارض لاجناسها فكان كذلك وخلق الله سباع الارض لاجناسها
والدواب لاصنافها وجميع هوام الارض لجواهرها فاراد الله ان يخلق خلقا يتسلط علي حيتان
البحر وطير السما وعلي الدواب وجميع السباع وعلي الحشرة التي تدب علي الارض فخلق ادم بصورته

ذكرا

مطلب جليل

ذكرا وانثي وبارك عليهما وقال لهما انميا واكثرا وتسلطا علي حيتان البحر وطير السما والدواب
وجميع السباع وقال بعد انه قد اعطيتكما جميع العشب الذي يزرع علي وجه الارض كلها وكل
شجر ذات ثمار يغرس فيها ليكون لكم ماكلا ولجميع سباع البر وطيور السما ولكل ما يدب علي الارض
فيه نفس حية فكان كذلك وكملت السما والارض وجميع ما بينهما في اليوم السادس ولم يكن ظهر علي الارض
شي من عشب الارض لان الله لم يكن اهبط المطر علي وجه الارض بعد وكذلك لان ادم لم يكن خلق بعد
ليعمل في الارض وكان ينبوع يظهر في قعر عدن فيسقي جميع وجه الارض فخلق الله الرب ادم من
تربة الارض ونفخ في وجهه نسمة الحياة فصار ادم ذا نفس حية وغرس الله الرب فردوسا بعدن
من قبل واسكنه لادم وانبت الله كل شجرة حسنة المنظر شهية الماكل وشجرة الحياة وسط الفردوس
وشجرة علم الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الفردوس وكان ينفصل من هناك ويتفرق
علي اربعة اطراف اسم احدها فيشون الذي يحيط بجميع ارض الهند وثمة البلاد الكثيرة وذهب تلك
الارض جيد جدا هنالك المها وحجر البلور واسم النهر الثاني جيحون الذي يحيط بجميع ارض الحبشة واسم
النهر الثالث دجلة الذي يخرج قباله الموصل والنهر الرابع الفرات ثم تقدم الرب الي ادم
وقال له كل من جميع اشجار الفردوس فاما شجرة علم الخير والشر فلا تاكل منها لانك في اليوم الذي
تاكل منها تموت موتا وقال الله لا يحسن ان يكون ادم وحده فلنخلق له عونا مثله فجمع الرب من الارض
جميع سباع الارض البر وطير السما واقبل بها الي ادم ليري ما يسميها وكل نفس حية سماها ادم فذلك
اسمها فسمي الجميع فالقي الله علي ادم سباتا فرقد فنزع ضلعا من اضلاعه واخلف له بدله لحما فخلق الله من
الضلع الذي اخذ من ادم امراة فاقبل بها الى ادم فقال هذه الان التي قرنت الي وفي هذا عظم
من عظامي ولحم من لحمي فلتدع امراة لانها اخذت من الرجل ولذلك يدع الرجل اباه وامه ويلحق بامراته
ويكونان كلاهما جسدا واحدا وكانا كلاهما عريانين ادم وامراته ولا يستحييان وكان الحية اعز
دواب البر كلها فقالت الحية للمراة احق ان الله قال لكما لا تاكلا من جميع شجر الجنة فقالت المراة
انا ناكل من كل ثمر الجنة فاما من ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فان الله قال لنا لا تاكلا منها
ولا تقرباها لكيلا تموتا قالت الحية ليس تموتان ولكن الله علم انكما ان تاكلا منها تنفتح اعينكما
وتكونا كالالهة تعلمان الخير والشر فرات المراة الشجرة طيبة الماكل شهية في العين فاخذت
من ثمرها فاكلت واعطت بعلها فاكل فانفتحت ابصارهما وعلما انهما عريانان فوصلا من
ورق الجنة التين وصنعا مازرتين ثم ذكر الله تعالى ساله عن ذلك فقال ادم المراة التي قرنتها
معي هي اطعمتني من الشجرة فاكلت فقال الله الرب للمراة ما هذا الذي فعلت فقالت المراة ان
الحية اعطتني فاكلت فقال للحية ملعونة تكونين من جميع الدواب ومن كل ماشية البر وعلي بطنك
تمشين والتراب تاكلين كل ايام حياتك واغري العداوة بينك وبين المراة وولدها وولدها
يطا راسك وانت تلدغينهم باعقابهم وقال للمراة اكثر اوجاعك واحبالك وبالوجع تلدين
البنين والي بعلك تردين وهو مسلط عليك وقال لادم من اجل طاعتك امر امراتك واكلك
الشجرة التي نهيتك عنها ملعونة الارض من اجلك بالشقا تاكل منها كل ايام حياتك احسكا
وشوكا

تنبت لك وتاكل عشب الارض وفرسح جبينك تاكل طعامك حتى تعود في الارض التي منها اخذت من اجل انك تراب والى التراب تعود فدعا ادم اسم امراته حوا من اجل انها كانت ام كل حي وصنع الله الرب لادم وامراته سواسل من الجلود والبسهما فارسله من جنة عدن ليحرث الارض التي منها اخذ فاخرجه الله ربنا واحاط من مشرق عدن ملكا من الكروبيين بيده حربة يطوف بها ليحرس طريق شجرة الحياة ثم قال بعد ذلك فكان جميع حياة ادم تسع مائة وثلاثين سنة ثم توفي عليه السلام هذا نص التوراة والكروب بوزن زنبور بلغته العبراني الشخص الصغير فكان الكروبين الملايكة المنسوبون الى مخالطة الناس بالوحي اخذا من الكروبيين بسبه كروب وهما شخصان في قبة الزمان يسمع كلام الله من بينهما كما ياتي قريبا فان انكر منكر الاستشهاد بالتوراة او بالانجيل وعمى عن ان الاحسن في باب النظر ان يرد على الانسان بما يعتقد بلوت عليه قول الله تعالى استشهادا على كذب اليهود قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه في ايات من امثال ذلك كثيرة وذكرتها باستشهاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتوراة في قصة الزاني كما سياتي ان شا الله تعالى في سورة المايدة مستوفي وروي الشيخان عن ابي سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون الارض يوم القيمة خبزة نزلا لاهل الجنة فاتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا ابا القاسم الا اخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيمة قال بلى قال تكون الارض خبزة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه وقريب من ذلك حديث الجساسة في اشباه هذا فيما يصدقه كتابنا واما ما لا يصدقه ولا يكذبه فقد روي البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ورواه مسلم والترمذي والنساي عن ابي سعيد رضي الله عنه وهو معنى ما في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان اهل الكتاب يقراون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم الاية فان دلالة هذا على سنة تمسكه مثل ذلك اقرب من الدلالة على غيرها ولذا اخذ كثير من الصحابة عن اهل الكتاب فان منهم احد من الشافعية منع المتهم من قراة شي من الكتب القديمة مستند الى قول الامام ابي القاسم الرافعي في شرحه وكتب التوراة والانجيل مما لا يحل الانتفاع به لانهم بدلوا وغيروا ولذا قال غيره من الاصحاب قبله هذا مخصوص بما علم تبديله بدليل ان كل من قال ذلك علل بالتبديل فدار الحكم معه ونص الشافعي ظاهر في ذلك قال المزني بينه في مختصره في باب جامع السير وما كان من كتبهم اي الكفار فيه طب وما لا مكروه فيه بيع وما كان فيه شرك ابطل وانتفع باوعيته وقال في الام في سير الواقدي في باب ترجمته كتب الاعاجم قال الشافعي وما وجد من كتبهم فهو مغنم كله وينبغي للامام ان يدعو من يترجمه فان كان علما من طب او غيره لا مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم وان كان كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا باوعيته واداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل ان يعلم ما هو

انتهى

انتهى فقوله في الام كتاب شرك مبهم لانه كله شرك ولذا عبر المزني عن ذلك بقوله وما كان فيه شرك اي من ابواب الكتاب وفصوله وادل من ذلك قولهم في باب الاحداث ان حكمه في مس المحدث حكم ما نسخت تلاوته من القران في اصح الوجهين والتعبير بالاصح على ما اصطلح عليه يدل على ان الوجه القايل بحرمة مس المحدث وحمله لها قوي وادل من ذلك ما ذكره محرر المذهب الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله في مسايل الحقها في اخر باب الاحداث من شرح المهذب واقره ان المتولي قال فان ظن ان فيهما شيا غير مبدل كره مسه انتهى فكراهة المس للاحترام والاحترام فرع جواز الابقا والانتفاع بالقراة واصرح من ذلك كله قول الشافعي رحمه الله ان ما لا مكروه فيه يباع ولذا قول البغوي في تهذيبه في اخر باب الوضوء وكذلك لو تكلم ان الجنب بكلام يوافق نظم القران او قراءة اية نسخت قراتها او قراة التورية والانجيل او ذكر الله سبحانه او صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يجاز قالت عايشه رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه فانه لا يحل انه يجوز للجنب ما لا يجوز للمحدث بل كل ما جاز للجنب قراته من غير امس ملجى جاز للمحدث ولا عكس وتعليله كذلك بحديث عايشة رضي الله عنها دال على ان ذلك ذكر الله تعالى ولا يجوز الحمل على العموم لا سيما اذا الوحط قول القاضي الحسين انه يجوز لا سيما بها لانه مبني على الوجه القايل بان الكل مبدل وهو ضعيف او محمول على المبدل منهما لانه لا يخفى على احد ان مسلما فضلا عن عالم لا يقول انه يستحي بنحو قوله في العشر الكلمات التي صدرتها الالواح قال الله جميع هذه الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق لا تكونن لك الهة غيري لا تعملن شيا من الاصنام والتماثيل التي هي في السما فوق وفي الارض من تحت ومما في الما اسفل الارض لا تسجدن لها ولا تعبدنها لاني انا الرب الهك اله غيور لا تقسم بالرب الهك كذبا لان الرب لا يزكي من حلف باسمه كذبا اكرم اباك وامك ليطول عمرك في الارض التي يعطيكها الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على صاحبك شهادة زور وقد اسبغ الكلام في المسلة سيدي حافظ عصره ابو الفضل بن حجر في اخر شرحه للبخاري واحز ما حط عليه التفرقة بين من رسخ قدمه في العلوم الشرعية فيجوز له النظر في ذلك فانه يستخرج منه ما ينتفع به المهتدون وبين غيره فلا يجوز له ذلك واين بنظر الايمة فيهما قديما وحديثا والرد على اهل الكتاب بما يستخرجونه منها فلولا جواز ذلك ما اقدموا عليه والله الموفق وقد حررت المسلة في فن الموضوع من حاشيتي على شرح الفية الشيخ زين الدين العراقي فراجعه ان شيت والله الهادي

تنبيه اعلم ان التوراة ثلث نسخ مختلفة اللفظ متقاربة المعنى الا يسيرا احدها تسمى توراة السبعين وهي التي اتفق عليها اثنان وسبعون حبرا من احبارهم وذلك ان بعض اليونانين من ملوك مصر سال بعض ملوك اليهود ببيت المقدس ان يرسل اليه عددا من حفاظ التوراة فارسل اليه اثنين وسبعين حبرا فاخلى كل اثنين منهم في بيت ووكل بهم كتابا وتراجمة فكتبوا التوراه بلسان اليونان ثم قابل بين نسخهم الستة والثلاثين فكانت مختلفة اللفظ متحدة المعنى فعلم انهم صدقوا ونصحوا وهذه النسخة ترجمت بعد بالسرياني ثم بالعربي وهي في ايدي النصارى

والنسخة الثانية نسخة اليهود من الربانيين والعراسى والنسخة الثالثة نسخة السامرة وقد نبه
على مثل ذلك الامام السمرقندي في شرح الصحايف واستشهد بكثير من نصوص التوراة على كثير
من مسايل اصول الدين وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد والقاضي
عياض في كتاب الشفا وغيرهم ثم اعلم ان اكثر ما ذكرته في كتابي هذا من نسخة وقعت لي ولم ادر
اسم مترجمها وعلى حواشي نصوصها الاوقات التي تقرا فيها فالظاهر انها نسخة اليهود وهي
قديمة جدا فكان في الورقة الاولى منها محو في اطراف الاسطر فكملته من نسخة السبعين
ثم قابلت نسختي كلها مع بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد الفيومي وهي عندهم احسن التراجم
فوجدت نسختي اقرب الى حقايق لفظ العبراني ومترجمها اقعد من سعيد في لغة العرب
هذا وظاهر القران في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ان الامر
بالسجود له كان قبل اتمام خلقه وان السجود كان عقب النفخ وبه صرح البغوي في تفسيره
واجاب عن قوله تعالى في سورة الاعراف ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة
اسجدوا لادم باجوبه منها ان الخلق والتصوير لادم وحده وذكره بضمير الجمع لانه ابو البشر
فخلقه خلقهم وتصويره تصويرهم ومنها ان ثم بمعنى الواو وليست للترتيب انتهى والتصوير
شق السمع والبصر والاصابع قاله الديمان والتسوية تعديل الخلق واتمامه وهيئة لنفخ الروح ويمكن
ان يكون خلقناكم وما بعده بمعنى قدرنا ذلك تقديرا قريبا من الاخراج من العدم ويشهد
لذلك قوله في التوراة خلق ادم بصورته ذكرا وانثى ثم قال بعد ذلك لان ادم لم يكن خلق
بعد ثم حكى خلقه وخلق زوجه منه فهذا الخلق بمعنى الايجاد وذلك بمعنى التقدير التقريب
منه والتهيئة لقبول الغايات والاسلام ومشى البيضاوي على ان الامر بالسجود كان بعد
الانبا بالاسما ولم يذكر دليلا يصرف عن هذا الظاهر على ان المعنى عليه اولى من جهة
المعنى لان سجود الملايكة قبل يكون ايمانا بالغيب على قاعدة التكاليف واما بعد اظهار
فضيلة العلم فقد كشف الغطا وصار وجه الفضل من باب عين اليقين واما الترتيب
في الذكر هنا على هذا الوجه وهو جعل السجود بعد الانبا فهو لنكتة بديعة وهي انه تعالى
لما كان في بيان النعم التي اوجبت شكره باختصاصه بالعبادة لكونه منعما قبينا اولا نعمته
على كل نفس في خاصتها واضافة الرزق عليها ثم ذكر الكل بنعمه لشملهم وهي محاجبة لا قرب
خلقه اذ ذاك اليه عن ابينا ادم قبل ايجاده اقتضى الاسلوب الحكيم ان يوضح لهم الحجة في فضيلة
هذا الخليفة فذكر ما اتاه من العلم فلما فرغ من محاجتهم بما اوجب ادعانهم ذكر سعد ايضا
بنعمة السجود له فما كان تقديم اظهار فضيلة العلم الا محافظة على حسن السياق في ترتيب الدليل
على اقوم منهاج واوضح سبيل ولما فرغ مما من الفضيلة في الصفات الدائمة بين النعمة
بشرف المسكن مع تبخير روح من الجنس لكمال الانس وما يتبع ذلك فقال تعالى وقا لـ
الحرالي لما اظهر الله سبحانه فضيلة ادم فيما اشار به عند الملايكة من علمه وخلاصته والاسجاد له
وابا ابليس عنه اظهر تعالى اثر ذلك ما يقابل من احوال ادم حال ما ظهر للملايكة مما بينه من حظ

مخالفة

مخالفة ليشارك بها اقراط ما في الشيطان من الابا لاحاطة خلق ادم بالكون كله علوا وسفلا
وليظهر فضل ادم في حال مخالفته على ابليس في حال ابايه بما يبعد ويعلي ادم من الرجوع
بالتوبة كحال رجوع الملايكة بالتسليم فيظهر فيه الجمع بين الطرفين والفضل في الحالين حال
علمه وحال توبته في مخالفته فجعل تعالى اسكان الجنة توطية لاظهار ذلك من امره فقال
تعالى وقلنا يا ادم اسكن من السكن وهو الهدو في الشي الذي في طيه اقلاق انتهى في
قوله انت اسم باطن الذات علما هي المشتركة في انا وانت وان تفعل كذا والالف
في انا اشارة ذات المتكلم وفي مقابلها التا اشارة لذات المخاطب ذكرا او انثى وزوجك
الجنة فاحب لادم ما فيها من خبء واستخراج امر معصيته ليكون ذلك توطية لكمال
باطنه باطلاعه على سر من اسرار ربه في علم له لتقدير ايانه ولكمال ظاهره بكون ذلك توطية
لفضيله توبته اسلا ماليس لبقيه التوبة اثر المعصية مخالفة لاصرار ابليس بعد ابايه وشهادة
عليه بجهله في ادعايه وجعل له ذلك فيما هو متنزل عن رتبة علمه فلم تلحقه فيه فتنة حفيظة
على خلافته وانزلت معصيته الى محل مطعمه الذي هو خصوص حال المرء من جهة اجوفية خلقه
ليبيد ونقص الاجوف ويبدى ذلك الكمال الصمد الذي يطعم ولا يطعم فكان ذلك من فعله لتسبيح تحميد
ربه لا لقصر الله لمومن قضا الا كان خيرا له انتهى ولما كان السياق هنا لمجرد بيان النعم اسقطا
الى الموالفة كان عطف الاكل بالواو في قوله وكلا منها كافيا في ذلك وكان التصريح بالرغد
الذي هو من اجل النعم عظيم الموقع فقال تعالى رغدا حيث شيتما بخلاف سياق
الاعراف فانه اريد منه مع التذكير بالنعم التعريف بزيادة التمكين وانهم لم يمنع من الاخراج
تحذيرا للمتمكنين في الارض المتوسعين في المعايش من احلال السطوات وانزال المثلات كما
سياتي ان شا الله تعالى ثم المقصود من حكاية القصص في القران انما هو المعاني فلا يضر
اختلاف اللفظ اذا ادى جميع المعنى او بعضه ولم يكن هناك مناقضة فان القصة كانت
حين وقوعها باوفى المعاني الواردة ثم ان الله تعالى يعبر لنا في كل سورة تذكر القصة فيها
بما يناسب ذلك المقام من الالفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام وسايبين
ما يطلعني الله عليه من ذلك في مواضعه ان شا الله تعالى ولما اباح لهم سبحانه ذلك كله اتبعه بالنهي
عن شجرة واحدة قال الحرالي واطلق له الرغد اطلاقا وجعل النهي عطفا ولم يجعله استثناء ليكون
ادم ارغد في النسيان لان الاستثنا اهم في الخطاب من التخصيص وقال ولا تقربا ولم يقل
ولا تاكلا نهيا عن حماها ليكون ذلك اشد في النهي انتهى هذه الشجرة اي فانكما ان قربتماها فاكلتما منها فتكونا
اي بذلك من الظالمين ثم بين انهما اسرعا المواقعة بقضية خلقهما على طبايع الشهوة لما نهيا عنه
فقال فازلهما قال الحرالي من الزلل وهو تزلق الشي الذي لا يتمسك على الشي الذي لا يستمسك
فيه كتزلل الرجل عن الورق وهو ما يجتمع من الطل فيصير ما على الاوراق والازهار وازالهما
من الزوال وهو التنحية عن المكان او المكانة وهو المصير ناحية منه وهو مما اخذ من اصلين
من الشطن وهو البعد الذي منه سمي الحبل الطويل ومن الشط الذي هو الاسراع في الاحتراق والتمز

يغو من المعنيين مشترك بلحظ اللسان وملابكة عنها اي عن موافقة الشجرة وعن كلمة تقتضي المجاوزة
عن سبب ثابت كقولهم رميت عن القوس انتهى فاخرجهما اي فتسبب عن ابقاعهما في الزلل الناشي
عن تلك الموافقة انه اخرجهما مما كانا فيه من النعمة العظيمة التي تجل عن الوصف قال الحرالي
في كلمة تقتضي وعامكان او مكانة ثم قال انبا الله عز وجل بما في خب امر ماهو من وراء علم الملايكة
بما اظهر من ادم وبما وراء علم ادم ابدا من حال الشيطان باستزلاله لادم حسن ظن من ادم
بعباد الله مطلقا حين قاسمهما على النصيحة وفيه انتظام وجه ما يتوقف الملايكة في امر خلق ادم
فحذرت الملايكة الى الغاية فحاسن وراء حذرها حمد اظهره الله من ادم وحاسن وراء حسن ظن
ادم ذنب اظهره لعدو من الشيطان على سبيل سكن الجنة فزمى بهما عن مسكنهما بما اظهر له مما بينهما من خب
الشجرة التي اطلع عليها ثم قال وحكمة ذلك اي نسبة هذا الذنب الى الشيطان بتسببه ان الله عز وجله
يعطي عباده الخير بواسطة وبلا واسطة ولا ينالهم سر الا بواسطة نفس كما دفع من الابا للشيطان
فكانت خطيئة في ذات نفسه او بواسطة شيطان كما كانت مخالفته ادم فكانت خطيئة ليست
من ذات نفسه وعارضه عليه من قبل عدو تسبب له بادني ما منه من زوجه التي هي من ادنى
خلقه فمحت التوبة الذنب العارض لادم واثبت الاصرار الابلاسي للشيطان وذكر الحق
تعالى الازلال منه باسمه الشيطان لا باسمه ابليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة الى التقبل
التلافي ولما في معنى الابلاس من قطع الرجا فكان في ذلك بشرى استدراك ادم بالتوبة انتهى
ولما بين انه غرهما فضرهما بين احباط الغار والمغرور وبين انه انعم على المغرور دون الغار
مع ماسبق له من لزوم العبادة وطول التردد في الخدمة وفي ذلك تفخيم للنعمة استعطافا الى الاخلاص
في العبادة فقال عاطفا على ما يرشد اليه السياق من نحو ان يقال فتلافاهما بالرحمة وتلافيا
خطاهما بالعفو لكونه عارضا منهما بسبب خارج وابدنا تلاف الغار والمغرور بشقابه لعصيانه
بالضلال والاضلال عن عمد فكان معضوبا عليه وقلنا اي له وللمغرور اهبطوا والهبوط قال الحرالي
سعي في درك والدرك ما يكون نازلا عن مستوى فكانه امسكه حقيقة اي ادم في حاطبه تعالى
وحفظه بتوفيقه لضراعته وبكايه وسرما اودعه من امر توبته واهبط صورته لتطهر في ذلك فرق
ما بين هبوط ادم وهبوط ابليس على ما اظهر من ذلك سرعة عود ادم توبة وموتا الى محله من انسه المعهود
وتربه المالوف له من ربه وانظار ابليس في الارض مصرا منقطعا عن مثل معاد ادم بما نال ابليس
من اللعنة التي هي مقابل التوبة بعضكم لبعض البعض ما اقتطع من جملة وفيه ما في تلك الجملة عدو من العداء
اي المجاوزة عن حكم المسالمة التي هي ادنى ما بين المستقلين من حق المعاونة انتهى فالمعنى فليحذر
كل واحد منكم صاحبه باتباع الاوامر واجتناب النواهي قال الحرالي وفيه اشعار بما تمادى
من عداوة الشيطان على ذريه من ولد ادم حتى صاروا من حزبه وفيه ايضا بشرى لصالحي
ولد ادم بما تسومه من رزء ابليس فيلحقون بهم بالايمان والاسلام والتوبة فيهتدون بهداه
من حيث عم بالعداوة فاعتدى ذو الخير فصارت عداوته على اهل الشر خيرا واعتدى ذو الشيطنة
فصارت عداوته على اهل الخير شرا ولكم في الارض مستقر يكونون فيه وهو من القرار قال الحرالي وهو

كون

كون الشي فيما له فيه تمام وظهور وعيش موافق ومتاع يتمتعون به والمتاع هو الانتفاع
بالمنتفع به وقتا منقطعا بعرف نقصه لما هو افضل منه يبغى فيه اشعار بانقطاع الامتاع بما في
هذه الدنيا ونقص ما به الانتفاع عن محله كانا فيه من حيث ان لفظ المتاع اطلق في لسان العرب
على الجيفة التي هي متاع المضطر وارزاق سباع الحيوان وكلاهما فكذلك الدنيا هي جيفة متع بها
اهل الاضطرار بالهبوط من الجنة وجعل حظ من الاخلاق له في الاخرة الى حين اي لا
يتقدم ولا يتاخر وفي ابهام الحين اشعار باختلاف الاحال في ذرء الفريقين فمنهم الذي بالله
الاجل صغيرا ومنهم الذي يبلغه كبيرا انتهى ولما سبب عن جزاء ادم عليه السلام بالاهباط
الذي هو كفارة له انه الهم الدعا بما رحم به عبر عن ذلك بقوله فتلقى اي فهبطوا فتلقى
ادم بعد الهبوط والتلقي ما يتقبله القلب باطنا وحيا او كالوحي ابطن من التلقن الذي
يتلقنه لفظا وعلما ظاهرا او كالظاهر قاله الحرالي من ربه كلمات اي ترضيه سبحانه
بما الهمه التعبير بالتلقي وهي دعاء دعا به ربه اوحى ابانه عليه وتطلق الحكمة ايضا على امضا
امر الله من غير تسبب حكمة ولا ترتيب حكم قاله الحرالي ثم قال عطف الناظر في هذه الاية اشعارا
بما استند اليه التلقي من سمعه قلب ادم وتوسعه مما انبته له امساك حقيقته عند ربه
وتفاصد معناه دفع الكلمات وتلقاها ادم في احدى القراتين فكانه تلقى الكلمات على باطنه
تلقته الكلمات بما اقبل بها عليه فكان مستحقا لها فكانت متلقية له بما جمعت القراتان
من المعنى فتاب من التوب وهو رجوع ويظاهره باطنه الانابة وهو رجوع بعلم باطنه الا
وبه وهو رجوع سوى قلب انتهى عليه لذكره اياه بالكلمات تحملها في سمعه ثم علل بقوله انه هو
التواب الرحيم اي لمن احسن الرجوع اليه واهله لقربه قال الحرالي وكان اقراره بلفظ ادبا
وادعانا لقيام حجة الله على عباده بما ابنا عنه من قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وهذه توبة قلب
وعمل لا ينتقض مخصوص حال القلب منها ناقض وهي التوبة النصوح التي يبرى من الذنب بتحقيق
توجد القلب وتوجب تكفير الخطايا الظاهرة التي لا اصل لها في القلب من حجاب دعوى في الافعال
وشرك في امر الله فيقتضي تبرئ ما في باطنه ظهر منه اسمه الرحيم الذي هو من الرحمة وهو اختصاص
فضله بالمومن ولمقتضى ما ظهر عليه من الضراعة والاقرار ظهر فيه مقتضى اسمه التواب فجمعت
توبته الامرين انتهى ولما اعلما بالعداوة اللازمة كان كانه قيل فما درجة الخلاص منها
فقيل اتباع شرعنا فانا قلنا اهبطوا منها جميعا وعهدنا اليهم عند الهبوط الى دار التكليف
انا ناتيهم بالهدى واعدين من اتبع متوعدين من امتنع فقلنا فاما ياتينكم مني هدى قال
الحرالي مورد هذه الاية بغير عطف اشعار بان ظاهرها افتتاح لم يتقدمه الا بباطن كما تقدم
في السابقة وتكرار الاهباطين من حيث ان الاول اهباط لمعنى القرار في الدنيا والاعتداء
فيها ورد الذريه واعمال امر العداوة التي استحكمت بين الخلقين من ادم وابليس وهذا الاهباط
الثاني اهباط عن مكانه الرتبة الامرية الدينية التي كانت حينية في امر ادم ظاهره في امر
ابليس وفي قوله جميعا اشار بكثرة ذو خلقين وكثرة الاحداث في امر الديانة من الثقلين انتهى

وحض في ابراز الضمير بحضرة الافراد من غير ايراد بمظهر العظمة ابعادا عن الوهم فقال
مني هدى اي بالكتب والرسل فمن تبع اي ادنى اتباع تعبدا به ولذلك التنفي في جوابه بنفي الخوف
الذي قد يكون عن تورط من ضلال بخلاف ما في طه كما يأتي ان شا الله تعالى والتبع قاله الحرالي
السعي اثر علم الهدى هداي المنقول او المعقول فالثاني اعم من الاول لانه اعم من ان يكون
منقولا عن الرسل او معقولا بالقياس على المنقول عنهم او بمحض العقل كما وقع لورقة بن نوفل
وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهما المشار اليهم بالقليل في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا قال العارف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي
في كتابه رشف النصايح الايمانيه فالعقل حجة الله الباطنة والقران حجته الظاهرة قال الحرالي
وجاهد اى شايعا لبهم رفع الخوف والحزن من تمسك بحق ما من الحق الجامع وادناه
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فيما بينه وبين الحق وفيما بينه وبين الخلق انتهى فلا
خوف عليهم اي من شي ات قال الحرالي الخوف اضطراب النفس من توقع فعل ضار ولا هم
يحزنون اى على شي فات فان الحزن كما قال الحرالي توجع القلب لاجل نازح قد كان في الوصلة
به روح والعرب منه راحة وجاني الحزن بلفظ الاستبطان وبالعقل لانه من مخوف باد عليهم
من غيرهم ولما بشر المومنين اتبعه انذار الكافرين بقوله والذين كفروا قال الحرالي هذا
من اسوق الملفى لانه كفر بالايات التي جعلها الله عز وجل علما على غيب عملها وهي جمع ما تدركه
الحواس من السما والارض وما بينهما كما قال تعالى ومن اياته خلق السموات والارض وما بث
فيهما من دابة لان الحق تعالى اظهر الكون كتابا دالة على امره وجعل في العقل نورا يقرا كتابه
فمن لا نور له فهو من اصحاب النار فهو اما تابع هدى بنور العقل ونفسه الايمان واما صاحب
النار وقال وكذبوا باياتنا لانه لما كان من الذين كفروا بكتاب الخلق من قبل الايمان بتنزل
الامر اختصت كلمة العذاب بالذين تاكد كفرهم بالايات المرئية بتكذيبهم بالايات المنزلة فكفروا
بما راوا فكانوا عميا وكذبوا بما سمعوا فكانوا صما انتهى والمعنى انهم جمعوا بالكفر والتكذيب بين
انكار القلوب والالسنة اوليك اي البعدا البغضا اصحاب النار وبين اختصاصهم بالخلود
بقوله هم فيها خالدون فعلم من ذلك مع قوله مستقر ومتاع الى حين انه لا بد من رجوعهم
الى تلك الدار وكيف يكون منازلهم فيها فكان جواب سايل قال هل بعد هذا الهبوط من
صعود قال الحرالي وقوله هم فيه اشعار باشراب العذاب بواطنهم وبلاغة الى انفسهم بجزاء
الغم والحزن والياس وغير ذلك من احراق النار بواطنهم وفيه اشعار بكونهم فيها في الوقت
الحاضر من حيث لا يشعرون الذي يشرب في انية الذهب انما يجرجر في بطنه وان لم يحسوا
نار جهنم والنار اقرب الى احدهم من شراك نعله فهم في النار خالدون وان لم يحسوا في الدنيا بحقيقتها
كما ان المهتدين في جنة في الدنيا وان لم يشهدوا عيانها فكل خالد فيما هو فيه في الدنيا غيبا وفي
الاخرة عيانا وفي القبر عرضا لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
وهنا انتهى خطاب الفرقان المخصوص بدعوة العرب الذين هم راس اهل الدعوة المحمدية كان عليه

الصلاة

الصلاة والسلام الناس كلهم تبع لقريش مومنهم لمومنهم وكافرهم لكافرهم انتهى يعرف المراد من
هذا بالقصد الاول وهو شامل لغيرهم ومراد به ذلك الغير بالقصد الثاني وفي الاية اشارة
الى الكتاب الذي هو هدى للمتقين المشتمل على الاحرف السبعة التي من اصل على حرف منها حق
الاقبال كفاه ومن اشتغل عنه بالمتاع الادنى خسر دنياه واخراه وقال الاستاذ ابو الحسن
الحرالي في التمهيد بشرط مثال القراة لحروفها السبعة وعلمها والعمل بها اعلم ان الله سبحانه
خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه ورزقه نورا من نوره فلانه خلقه بيده كان في احسن
تقويم خلقا ولانه نفخ فيه من روحه كان الكل حياة قبضا وبسطا ولانه رزقه نورا من
نوره كان اصفى عقلا واخلص لبا وافصح نطقا واعرب بيانا جمعا وفضلا واطلعه على ما
كتب من حروف مخلوقاته ادراكا وحسا وعلمه ما اقام من امره فهما وعلما ودعهه على ما اودع
في ذاته عرفانا ووجدا ثم جعل له فيما حوله من خلقه متاعا وانسا فانساه وردده من بين
اقبال وادبار وقبول واعراض فمن شغله الاستمتاع الادنى عن الاطلاع الاعلى كان
كالانعام ومن شغله الاطلاع الاعلى عن الاستمتاع الادنى كان حنيفا الذين كانت اعينهم
في غطاء عن ذكري ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابراهيم كان امة قانتا
لله حنيفا ولما كان متاع الخلق في الارض الى حين وشغل اكثرهم الكلم وتمنيهم والهاهم املهم
عن حظهم من الحنيفية بما ادنى العقل من التبليغ عن الله نظرا واعتبارا اصطفى الله سبحانه
من الحنفا منبهين على الفطر الذي استغل عنه المعرضون وانف منه واستكبر عنه المدبرون
واكد وانتبهم بما اسمعوهم من نبا ما ورا يوم الدنيا من امر الله في اليوم الاخر وما تمادى اليه
ايام الله وذكروهم بما مضى من ايام الله وانزل الله سبحانه معهم كتبا يتلونها عليهم ويبينونها
لهم علما وعملا وحالا فقبل ما جاوا به وصدقه واستبشر به الحنيفيون وانذر به المدبرون
والمعرضون فمنهم من امن به ومنهم من كفر امن من منه للنظر والاعتبار والقى السمع وهو شهيد
وكفر من اثر متاعه بالعاجلة التي تراها الاعين على وعد الله ووعيده في الاجلة التي
انما تعيها القلب وتسمعها الاذن وكما شمل المدعوين الى الاسلام كفرهم ودنياهم كذلك شغل المولدين
في الاسلام غفلتهم ودنياهم ولعبهم في صباهم ولهوهم في شبابهم وتكاثرهم في الاموال في
اكتهالهم وتكاثرهم في الاولاد في شيخهم فاشترك المدعو الى الاسلام والمولد فيه الغافل في
عدم الاقبال والقبول في ترك الاهتمام في الاجلة واقتصارهما على الاهتمام بالعاجلة وكلاهما
جعل القران وراء ظهره المدعو لفظا وعلما والمولد الغافل علما وعملا فلم يسعه المدعو ولم يتبعه
الغافل بجمله بالحنيفيه ووراظهره ومن جعل القران خلفه ساقه الى النار وانما جعله امامه
من قراه علما وحالا وعملا ومن جعل القران امامه قاده الى الجنة ولما قامت الحجة عليهم بقراءته
اذا لم يجاوز حناجرهم كانوا اشد من الكفار عذابا في النار اكثر منافقي امتي قراوها ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار فاذا لابد في قراة القران من تجديد اقبال وتهيؤ القبول وتحقيق
تقوى لانه انما هو هدى للمتقين واجماع على الاهتمام وكما ان امور الدنيا لا يحصل لاهلها الا على قدر

عزايمهم واهتمامهم فاجرى ان لا يحصل امر الاخرى الا باشد عزيمة واجمع اهتمام فلا يقرا القرآن
من لم يقبل عليه بكلية ظاهرة ويجمع اهتمامه له بكلية باطنه وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة
وتفصيلا لكل شي فخذها بقوة يا يحيى خذ الكتاب بقوة فاستقم كما امرت ومن تاب معك
فشرط منال قراته اهتمام القلب بتفهمه واقبال الحس على استماعه وتدبره ولكل حرف شرط
يخصه انتهى ولما كان احق من دعي بعد الاقارب واولاه بالتقديم جديرون اهل العلم الذين
كانوا على حق فزاغوا عنه ولا سيما ان كانت لهم قرابة لانهم جديرون بالمبادرة الى الاجابة بادني
بيان وايسر تذكر فان رجعوا اقتدى بهم الجاهل فيعمل امره والخصم شره وان لم يرجعوا طال
جدالهم فبان للجاهل ضلالهم فكان جديرا بالرجوع والكف عن غيره والنزوع وعرفت من تمادي
الكلام معهم الاحكام وبان الحلال والحرام فلذلك لما فرغ من دعوة العرب الجامعة لغيرهم باختصار
وختم بان وعيد اتباع الهدى وتوعد مرع سبحانه بخص العلما من المنافقين بالذكر وهم من كان
اظهر الاسلام من اهل الكتاب على وجه استلزام عموم المصارخين منهم بالكفر اذ كانوا من
اعظم من حض باتيان ما اشار اليه من الهدى والبيان بما فيه الشفا وكان كتابهم المشتمل
على الهدى من اعظم الكتب واشهرها واجمعها فقص عليهم ما مثله يلين الحديد ويخشع الجلاميد فقال
تعالى يا بني اسرائيل ويجوز ان يقرر المناسبات من اول السورة على وجه اخر فيقال لما كان
الكفار قسمين قسم محض كفره وقسم شابه بنفاق وخداع وكان الماحض قسم لا علم له من جهة كتاب
سبق وهم مشركوا العرب وقسم له كتاب يعلم الحق منه ذكر تعالى قسم الماحض بما يعم قسميه العالم
والجاهل فقال ان الذين كفروا سواء عليهم الى اخره ثم اتبعه قسم المنافق لانه اهم بسبب شدة
الاختلاط بالمومنين واظهارهم انهم منهم ليكونوا من خداعهم على حذر فقال ومن الناس من يقول
امنا الى اخره ولما فرغ من ذلك ومما استتبعه من الامر بالوحدانية واقامة دلائلها وافاضة
فضائلها ومن التعجيب ممن كفر مع قيام الدلائل والتخويف من تلك الغوائل والاستعطاف بذكر
المنعم شرع في ذكر قسم من الماحض هو كالمنافق في انه يعرف الحق ويخفيه فالمنافق الف الكفر
ثم اقلع عنه واظهر التلبس بالاسلام واستمر على الكفر باطنا وهذا القسم كان على الايمان
بهذا النبي قبل دعوته فلما دعاهم محوا الايمان الذي كانوا متلبسين به واظهروا الكفر واستمرت
حالتهم على اظهار الكفر واخفا المعرفة التي هي مبدا الايمان فخالفهم كما ترى اشبه شي بحال
المنافقين ولهذا تراهم معترفين بهم في كثير من القران واخرهم لطول قصتهم وما فيها
من دلائل النبوة واعلام الرسالة بما ابدي مما اخفوه من دقائق علومهم فان مجادلة العالم
مرسل في ميادين العلم افراس الافكار وليشرع في اقطار الاوطار رخي تقصير كالاطيار وتاتي
ببدائع الاسرار ولقد نشر سبحانه في غصون مجادلتهم وغضون مجاورتهم ومقاولتهم من الحكم الجامعة
في شرائع الدين التي فيها تقييد المستدين ما اقام البرهان على انه هدى العالمين هذا اجمال
الامر وفي تفاصيله كما سترى من بدائع الترصيف امور تجل عن الوصف مذاق لحسن التعليم
ويبقى عن جاهلها بلطف التكليم والله ولي التوفيق والهادي الى اقوم طريق وقال الحرالي ثم اقبل

قسمين

الخطاب

الخطاب على بني اسرائيل منتظما بابتدا خطاب العرب من قوله يا ايها الناس وكذلك انتظام
القران انما ينتظم راس الخطاب فيه براس خطاب اخر يناسبه في جملة معناه وينتظم تفصيله
بتفصيله فكان اول واولى من خوطب بعد العرب الذين هم ختام بني اسرائيل الذين هم ابتدا علم
اولي من انزل عليهم الكتاب الاول من التوراة التي افتتح الله بها كتبه تلو صحفه والواحه
ثم قال لما انتظم اقبال الخطاب على العرب التي لم يتقدم لهم هدى بما تقدم من الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم انتظم بخطاب العرب خطاب بني اسرائيل لما تقدم لها من هدى في وقتها
انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وبما عهد اليها من تضاعف الهدى بما تقدم لها في ارتقابه
من كمال الهدى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا القران فكان لذلك الاولى مبادرتهم اليه حين دعي
بهم العرب ليكونوا اول مومن لما عندهم من علم السابق انتهى وابتدا سبحانه بتذكيرهم بما خصهم
به على النوع الادمي من النعم التي كانوا بها يلونه بالكفران وما عاملهم به من امهالهم على تكرار كفرهم
ومعاملتهم بالعفو والاقالة بما يبين سعة رحمته وعظيم حلمه وابتدائهم بالايفا بالعهود
التي من اعظمها متابعة هذا النبي الكريم والايمان بكتابه الذي نفى عنه الريب فقال يا بني
اسرائيل اي الذي شرفته وشرفت بنيه من اجله اذكروا قال الحرالي من الذكر وهو استحضار
ما سبقه النسيان نعمتي هي ابالة الشخص ما يوافق نفسه وبدنه وعند المتفطن ما يوافق ظاهره
وباطنه مما بين قبله وسوبر من اهله وختم التي منها اشارة لباطن نازل محل مبهم بحسب صلته بمنزلة
ذي وال منها اشارة لذلك المعنى بالاشارة المتخيلة انتهى انعمت اي بجود ذلك على شرفها باضافتها
الى عليكم وتلك النعمة الشريفة هي الاتيان بالهدى من الكتب والرسل الذي استعدكم به من
هوان والاخرة واوفوا من الوفا وهو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق قاله الحرالي بعهدي
اي الذي اخذته عليكم في لزوم ما انزل اليكم من متابعة نبيكم ومن امركم باتباعه من بعده والعهد
التقدم في الشي خفية اختصاصا لمن يتقدم له فيه قاله الحرالي اوف بعهدكم اي في جعلكم بمن لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بسعة العيش والنصر على الاعدا كما ياتي عن نص التوراة في مظانه من هذا الكتاب
واياي خاصة فارهبون اي ولا تنزلوا اجلكم في مصير الكافرين بعد العهد الضرب بانواع
الهوان في الدنيا والرهب حذر وتيقن مما شانها منه الهرب لا دنى موقعه وخوطبوا بالرهبة
لاستبطانها فيما يختص بمحالف العلم قاله الحرالي واطال سبحانه في محاجتهم جريا على قانون
النظر في جدال العالم الجاحد وخطاب المنكر المعاند وفي قوله تعالى وامنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم تقرير لذلك الكتاب لا ريب فيه وامن ولا كما قاله الحرالي بتجديد الايمان بالقران لما فيه
من انبا بامور من المغيبات التي لم تكن في كتابهم كتفاصيل امور الاخرة التي استوفاها القران
لانه خاتم ليس وراءه كتاب يستطر فيه بيان وانما اكتفى ابتدا لكل كتاب قبله بعده اجل فيها
على ما يحل بينا من البيان الى غاية ما انزل به القران حين لم يعهد اليهم الابقى اصله على
الجملة انتهى وفي قوله ولا تكونوا اول كافر به معنى دقيق في سكتهم وامر جليل من تعنيفهم وذلك
انه ليس المراد من اوله ظاهر معناه المتبادر الى الذهن فان العرب كثيرا ما تطلق الاول ولا تريد

فيها

بل المبالغة في السبق كما قال مقيس بن صبابة وقد قيل تحتما من الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل اخاه خطاه ورجع الى مكة مرتدا احللت به وتري وادركت ثوري وكنت الى الاوثان اول راجع هذا في جانب الاثبات فاذا نفيت ناهيا فقلت لا تكن اول فاعل لكذا فمعناه انك ان فعلت ذلك لم تكن صفتك الا كذلك فهو خارج مخرج المبالغة في الذم بما هو صفة المنهي فلا مفهوم له وعبر به تنبيها على انهم لما تركوا اتباع هذا الكتاب كانوا لما عندهم من العلم بصحته في غاية اللجاجة فكان علمهم في كفرهم وان تاخر عمل من يسابق تحتما اليه او يكون المعنى انه لم يمنعهم من الايمان به جهل بالنظر ولا عدم اطلاع على ما اتى به انبياؤهم من البشر بل مجرد الحسد للعرب ان يكون منهم نبي المستلزم لحسد هذا النبي بعينه لان الحكم على الاعم يستلزم الحكم على الاخص بما هو في افراد الاعم فصارت رتبة كفرهم قبل رتبة كفر العرب الجاهلين به او الحاسدين له صلى الله عليه وسلم لخصوصه لا لعموم العرب فكان اهل الكتاب اول كافر به لا يمكن ان يقع كفرهم الا على هذا الوجه الذي هو اصح الوجوه فالمعنى لا تكفروا به فانكم ان فعلتم منكرين لخبره كان اول كفر لان رتبته اول رتب الكفر الواقع ممن سواكم فكنتم اول كافر فرضهم في اقبح وجوه الكفر والله اعلم ولما نهاهم عن الكفر بالايات نهاهم عن الحامل عليه بقوله **ولا تشتروا** اي تكلفوا الشرا قاله الحرالي **باياتي** اي التي تعلمونها في الامر باتباع هذا النبي الكريم **ثمنا قليلا** وهو رياسة قومكم وما تاخذونه من الملوك وغيرهم على حمل الشريعة والقلة باقتصر عن الكفاية قاله الحرالي **واياي** اي خاصة **فاتقون** اي اجعلوا لكم وقاية من انزال غضبي **ولا تلبسوا** واللبس ابدا الشي في غير صورته ومنه اللباس لاخفا بالاعضا حتى لا يبين هيئتها قاله الحرالي **الحق** اي مما تقرون به على ما هو عليه من التوراة والانجيل مما لا عرض لكم في تبديله **بالباطل** مما تحرفونه منهما والحق قال الحرالي ما تحرر وثبت حين يضمحل مقابله فكل زوجين فاثبتهما حق واذهبهما باطل وكهن الحق فالباطل هو ما امد الله تفنيه بالامانة الى طول امر زوجه المقارن له **وتكتموا الحق** اي عن من لا يعلمه **وانتم تعلمون** اي مكلفون وجعله الحرالي على ظاهره فقال لما طلبهم تعالى بالوفا بالعهد نهاهم عن سوء العمل وما لبسوا به الامر عند اتباعهم من ملتهم وعند من استرشدهم من العرب فلبسوا باتباعهم حق الايمان بموسى والتوراة بباطل اختزلوه من كتابهم من اثبات الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران فكتموا الحق التام الجامع ولبسوا الحق الماضي المعهود بالباطل الاعرق الا فرط لان باطل الحق الكامل باطل مفرط محرق بحسب مقابله وعرفهم بان ذلك منهم كتم شهادة عليهم بعلمهم بذلك انها ما تم اعقبه بالشهادة عليهم بالعلم تصرى اسمي وفي هذه الاية اعظم زاجر لاهل الكتاب عما طهروا ابنه من العناد ومن لطف الله تعالى رحمة للعاصي البعيد ولهي العاصي المتلق الى ما دون ذلك من سبه الناقل وزياده الكامل قال الامام ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة وجه انزال هذا الحرف بعني حرف النهي كف الخلق عما يهلكهم في اخراهم وعما يخرجهم عن السلامة في موتهم وبعثهم عما رضوا به واطمانوا اليه واثروه من دنياهم المتوجهة للمطمين بدنياه

المعرض عن داعيه الى اجتناب ما هو عليه يسمى زاجرا وموجعة للقلب المستشعر ببعض الخلل فيما هو عليه يسمى نهيا وهما يجتمعان في معنى واحد ومقصود واحد الا انه متفاوت ولذلك رد وهما النبي صلى الله عليه وسلم على المعنى الجامع في هذا الحديث واولاهما بالبدئيه في الانزال الزجر لان النبي صلى الله عليه وسلم انما بعثه الله تعالى حين انتهى الضلال المبين في الخلق ونظر الله سبحانه الى جميع اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب كما ورد في الحديث الصحيح اسنادا ومتنا ولذلك كان اول منزل الرسالة سورة يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وهي اول قوارع الامر كما ان تجاة الساعة اول قوارع الخلق ولذلك انتظم ذكرهما في قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وللزجر رجالان اما ان ينفض عند الزجر توحشا كما قال تعالى كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة واما ان يدبر بعد فكره تكبرا كما قال تعالى ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر وربما شارف انه يبصر فصرف كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكنها عقول كادها باريها سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها صرفوا عن ايات الحق السماوية عن ظهورها عقوبة على ذنب تكبرهم على الخلق مع الاحساس بظهور ايته انضمام الاحكام في وضوحها وكل قارعة لنوعي الكافرين النافرين والمدبرين من هذا الحرف وتمام هذا المعنى بنهي المتأنس المحاضر عن الفواحش الظاهرة والباطنة الضارة في العقبى وان تضرروا بتركها في الدنيا نحو قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم والزنا واتيان الحائض الى ما دون ذلك من النهي على عما يعدونه في دنياهم كيسا نحو قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يسخر قوم من قوم وما لحق بهذا النمط الى ما دون ذلك على ايصال التفاوت من النهي عن سوء التأويل لطلب عرض النفس نحو قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الى ما دون ذلك من النهي عما يقدح في الفضل وان كان من حكم العدل نحو قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله الى تمام ما لا تحصل السلامة الا به من النهي عما زاد على الكفاف والبلغة في الدنيا الذي يربح العمل بالحكمة نحو قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه لان كل زائد عن الكفاف فتنة وهذا هو اساس ما به تتفاوت درجات العلم في الدنيا ودرجات الجنة في الاخرة ولا تقع الوجوه والحروف التي بعون الله وهي ساير الحروف علما وعملا وثباتا وقبولا عن التمحيص الا بحسب الاحكام في قراءة هذا الحرف وبيانه لانه ظهور لما بعد من صلاح حرف الامر وما قصرت صرود الامة الا للتقصير في حرف النهي لان الملة الحنيفية مبنية على الاكتفا باليسير من المامورات والمبالغة في الحمية من عموم ما لا ينتاهى من المنهيات لكثرة مداخل الافات منه على الخلق فيما بعد الموت ويصعب هذا الحرف على

الخلق ما استقر في اوهامهم ان دنياهم لا تصلح الا بالمثابرة على صنوف المنهيات لنظرهم
لجد واهاف الدنيا وعماهم عن وبالها في الاخرة وما حوفظ على الرياضات والتاديبات والمعتمد
لم ينفعه تداويه بالمامورات كالذي يتداوى ولا يحتمي يحترش الدوا ويتضاعف الداء هل
انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
جاوا بحسنات كالجبال وكانوا يصومون ويصلون ويأخذون وهناً من الليل لكن
كان مداو بغير حمية لما لم يحموا من الدنيا التي نهوا عن زهرتها فكانوا اذا لاحت لهم
وثبوا عليها ليصيبون منها الشهوات ويعملون المعصيات لم تنفعهم المداواة لترك الحمية
فقد قرا هذا الحرف وهو حسبه فاقروا ما تيسر منه احب العبادات الى الله تعالى
ترك الدنيا وحمية النفس من هوى حاجها وما لها بل ينبا عبدا اجوع يوما واشبع يوما
ومن رغب عن سنتي فليس مني والقران حجة لمن عمل به فصار امامه يقوده الى الجنة
وحجة على من لم يعمل به يصير خلفه فيسوقه الى نار الجنة التي في جب وادي جهنم التي
تستعيذ جهنم منها والوادي والجب في كل يوم سبع مرات ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولا يزيد الظالمين الا خسارا اعوذ
بعفوك من عقوبتك وبرضاك من سخطك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك ثم قال فيما به يحصل قراة حرف النهي اعلم ان الموفي نيرا حرفي الحلال والحرام
المنزلين لاصلاح امر الدنيا وتحسين حال الجسم والنفس يحصل له عادة بالجملة يسر عليه قراة حرفي
صلاح الاخرة من الامر والنهي ولما اقتضت الحكمة والعلم اقامة امر الدنيا بقراءة حرفي صلاحها
تماما اقتضى الايمان بالغيب وتصديق الوعد والوعيد تجارة اشتراء الغيب الموعود
من عظيم خلاق الاخرى بما ملك العبد من منقود متاع الدنيا فكل الحلال ما عدا الكفاف
بالسنة يتجر للعبد ان انفقه ربحه وابقاه وتقدم عليه ان استمتع به افناه فقدم عليه فاستمتعوا
بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكون من الصالحين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ذلك مال رابح ذلك مال رابح
وكما ان حرف الحلال موسع يحصل به الشكر فحرف النهي مضيق ليتم حرف الحلال ليحصل
به الصبر فيكون به العبد شاكرا صابرا فالذي يحصل به قراة حرفي النهي اما من جهة القلب
وربا النوا دفشاهدة البصيرة لموعود الجزاء حتى كانه ينظر اليه لترتاح النفس في الجنة بكرم
وترتاع من شوم كما قال حارثة كاني انظر الى اهل الجنة في الجنة ينعمون والى اهل النار
في النار يعذبون فاثمر له ذلك ما اخبر به عن نفسه في قوله وعرفت نفسي عن الدنيا فاستوى
عندي ذهبها وحجرها وخصوصا من ايدي بالمبشرات من الرؤيا الصالحة والكشف الصادق
ليرى الفاني للباقي على يقين ومشاهدة واما من جهة حال النفس فالصبر لحبسها عما تشتهيه
طبعا مما هو محلل لها شرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما رق لحاله اما ترضى
ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة واستعينوا بالصبر والصلاة وصبر النفس عن شهواتها وان كانت

حلالا هو حقيقة تركيبها وتلذذها باستيفا منها حاجاتها واطلاقها ترتع في شهواتها هويتها
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والنفس مطية يقويها اتفاؤها ويضعفها استمتاعها ١
وحبسها عن ذلك شايع في جهات وجوه الحلال كلها الا في الشيئين في النسا بكلمة الله لانهن
من ذوات نفس الرجال وليس غيرهم هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن اليها وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا والثاني في الطيب لانه غذا الروح
وتعويه للحواس ونسمة من باطن الملكوت الى ظاهر الملك وما عداهما فالاستمتاع به واتباع
النفس هواها فيه علامة تكذيب وعد الرحمن وتصديق وعد الشيطان فزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
هذا من جهة النفس واما من جهة العمل وتناول اليد فرفعها عما زاد على الكفاف وتخليته لذوي
الحاجة يتخذوه معاشا وان يكون التمول من غير الغرام بتجارة نقل وضرب في الارض وارما دا
لوقت حاجة لا حركة وتصعا اتخاذ اكثر من مستبين للمهنة والجمعة علامة لضعف الايمان
وخلاف السنة وانقطاع عن اثار النبوة وعدول عن سنة الخلفا وترك لشعار الصالحين
وكذلك تصفيته لباب الطعام وقصد المستحسن في الصورة دون المستحق في العلم وابتار
الطيب في المطعم على الطيب في الورع وتكثير الادم وتلوين الاطعمة وكذلك اتخاذ اكثر من
مسكن واحد من مزدوج كاف ورفع البنا والاستشراف بالمباني امتنع النبي صلى الله عليه
وسلم من رد السلام على رجل اتخذ قبة في المدينة حتى هدمها وسواها مع بيوت اهل المدينة وانما
الدنيا للمومن سجن ان شعر به وضيق على نفسه طلبت السراح منه الى الاخرة فتسعد وان لم
يشعر بانها سجن فوسع فيها على نفسه طلب البقا فيها وليست بباقية والخيل ثلثة اجر للمجاهد
ووزر على المباهي وعفو للمستكفي بها فيما يعينه من شانه والزيادة على الكفاف من النعم السائمة لمة
انقطاع عن اثار النبوة وتضييق على ذوي الحاجة وتمول لما وقع لا قامة المعاش وان يتخذ
منه الكفاف قال صلى الله عليه وسلم لنا غنم مائة لا نريد ان نزيد فاذا ولد الراعي بهمة
ذبحنا مكانها شاة والطعام لا يبقول وكذلك ما اتخذ للعوام لا يحتكره الا خاطي ومن احتكر
طعاما اربعين يوما فقد بري من الله وبري الله منه فالا منعه يجلب ولحتكر ويستمتي فيها
الدينار والدرهم والطعام والقوام يجلب لا يحتكر فيستمتي فيه الدينار والدرهم ومن
احتكر فيه بستمتي فيه الدينار والدرهم فقد احتكره وما منع فيه من مد العين فاجرى ان يمنع فيه
مد اليد لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الايتين فهذه الامور من ايمان القلب
ورؤية الفواد وصبر النفس وكف اليد عن الاسلاط في التمول فيما به القوام يحصل قراة حرف
النهي والله ولي التاييد انتهى ولما فرغ سبحانه من امر اهل الكتاب بالايمان بالله والنبي والكتاب
الذي هو من الهدى الاتي اليهم المشار الى ذلك كله بالايفا بالعهد عطف بقوله واقيموا الصلاة
اي المعهود بها في كل يوم وآتوا الزكوة اي المفروضة في كل حول ليجمعوا اوصاف المتقين
المهتدين بهذا الكتاب الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون المحسنين ١

بذلك فيما بينهم وبين الخلق والزكوة قال الحرالي نماء في ظاهر حسن وزكا في باطن ذات
نفس واركعوا من الركوع وهو توسط بين قيام وسجود يقع في ظاهر من العامة وفي حال
من القلب تخص به الامة المتوسطة الجامعة للطرفين مع معناه التحية من الاعلى بالحياطة
ومن الادنى بحسن النبي ومن المماثل بحسن الصنيعة انتهى وقوله الراكعين بجملته تاكيد
لامر الصلاة وامر بالكون في هذا الدين مع الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فان صلاة اليهود
لا ركوع فيها كما سياتي بيانه في سورة آل عمران ان شا الله تعالى وقال الحرالي والمتلقن بذلك
الف بما مضى خطاب افهام بعمه عطف اقامة الصلاة التي هي تلو الايمان فكان خطاب
الافهام فارجعوا واسندركوا واعلنوا بما كتمتم وبينوا ما لبستم وانتحوا من استنصحكم
واقيموا وجهتكم تقربا لصلاة وتعطفوا على الاتباع بعد تعليمهم بالزكوة وكملوا صلاتكم بما به كمال
الصلاة من الركوع العدل في الفعل بين حال قيام الصلاة وسجودها المظهر ابره عظمة الله مع
الراكعين الذين هم العرب الذين وضعت اولية صلاتهم على كمال انتهى ولما امر علماءهم بما يزكوا
من معالي الاخلاق ولامهم عما ارتكبوا من سفسافها وكانوا يامرون غيرهم بما يزعمون
ان تزكية وينهونه عما يدعون انه يردئه انكر عليهم بقوله اتامرون من الامر وهو الالزام بالحكم
قاله الحرالي الناس بالبر وهو التوسع في افعال الخير وتنسون انفسكم اي تتركون حملها
على ذلك والظاهر ان المراد به حكم التوراة كانوا يحملون عوامهم عليه وهم يعلمون دون العوام
ان من حكم التوراة اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فقد نسوا انفسهم من الامر بما امروا به الذي
لا يبقى منه شي الا به وقال الحرالي ولما كان فيهم من اشار على من استهداه اعلن تعالى عليهم
بالهداية لاتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يهد واانفسهم لما ارشدوا اليه غيرهم اعلن تعالى عليهم بذلك
نظما لما تقدم من نقض عهدهم ولبسهم وكتمهم بما ظهر من نقص عقولهم في ان يظهر طريق الهدى
لغيرهم ولا يتبعه فاخرجهم بذلك عن حد العقل الذي يعتاد في احوال المخاطبين وانتم تتلون الكتاب
من التلاوة وهو تتبيع قول قائل اوله من جهة اوليته قال الحرالي وهذه الجملة الحالية اعظم منبه
على ان من حكم التوراة اتباعه صلى الله عليه وسلم ومشير الى ان المعصية من العالم اقبح قاله الحرالي
فيه اشعار ما بمنزلة امر النبي صلى الله عليه وسلم في منطوق تلاوتهم ليس في خفي افهامه فكان في ذلك خروج
عن حكم نور العقل انتهى ولما كان هذا في كتابهم وهم به يا مرون وعنه يعرضون سبب سبحانه
عنه الانكار في قوله افلا تعقلون اشارة الى انه ما هم عليه من هذا لا يفعله ذو مسكة و العقل
ادراك حقايق ما نال الحس ظاهره قاله الحرالي ولما انكر عليهم اتباع الهدى ارشدهم الى
دوايه باعظم اخلاق النفس واجل اعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الاوامر قال
الحرالي فكانهم انما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به انفسهم من الرياسة والتقدم
فلما وقع في ذلك عليهم من المشقة انفسهم لا اتباعا للعرب بعدما كانوا يرون ان جميع الارض
تبع لهم نسق خطابهم في ذلك الامر بالاستعانة بالصبر الذي يكره انفسهم على ان تصير تابعة بعد ان
كانت متبوعة فقال تعالى واستعينوا اي على اظهار الحق والانقياد له وهو معنى ما مضى

من

من الاوامر والنواهي بالصبر اي على مخالفة الهوى والصبر حبس النفس عن حاجتها وعادتها
وعلى اصلاحها وتزكيتها ضيا للقلوب سمى به ما يجنيه عنها الجزع من الخروج عن العادة
فيما تنزع اليه الانفس قاله الحرالي والصلاة اي الموصلة الى المقام الاعلى وفيه التفات الى
واياك نستعين واشارة الى ان من لم تنهه صلاته عن ركوب الباطل والتمادي فيه وتامره
بلزوم الحق والرجوع اليه فليس بمصل فكان المراد بالصبر تخليص النفس من اشراك الهوى وبعدها
على الاخلاص فمن صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين وثنى بالصلاة لانها استرزاق بغيهم
عن اسرائهم كانوا ياخذونه من اتباعهم في اللبس والكتمان وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك قاله الحرالي ولما امر ونهى بما ختمه بالصلاة حث على التفاؤل
لعظمته فقال وانها لكبيرة اي ثقيلة جدا والكبير ما جل قدره او مقداره في حس ظاهر او في
معنى باطن قاله الحرالي الا على الخاشعين اي المخبتين الذين هم في غاية السهولة واللين والتواضع
لربهم بحيث لا يكون عندهم شيء من كبر قاله الحرالي وهو اي الخشوع هدو الجوارح والخواطر
فيما هو الاهم في الوقت وانما تعالى بكبر قدر الصلاة عن ان يتناول عملها الا خاشع خرج عن حظ
نفسه والزم نفسه ذل العبودية التي ختمت بها النبوة وفي اشارة كمال الصلاة اشعار بصلاة
العصر التي هي صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم الذي زمنه وقت العصر وحال العبودية وذلك
مما يكبر على من قرن بنبوته وعلمه الملك الان يخشع لما يكبر على النفس وخصت بالصلاة بالكبر دون
الصبر لان الصبر صغار للنفس والصلاة وجهة للحق والله هو العلي الكبير انتهى الذين يظنون
من الخلق الظن وهو رجحان في اعتقاد مع بقا منازع من مقابله قال الحرالي انهم ملاقوا ربهم
اي المحسن اليهم وعبر بالظن هوينا للامر وتنبيها على انه يكفي العاقل في الحث على ملازمة الطاعة
ظن لقا الملك المطاع المرجو المخوف فكيف والامر متيقن لا مرا فيه ولا تطرق للريب اليه ولما
كانت هذه الجملة مشيرة مع الترغيب لذوي الهمم العلية والانفة والحمية من الوقوع فيما يلم بعيب
او يوقع في عتب الى الاستحيا من المحسن الذي ما قطع احسانه ساعة من الدهر زاد في الترهيب بقوله
وانهم اليه اي وحده راجعون والرجوع معاد الذاهب على مدارج مذهبه وترقيه على معارج هبوطه
قاله الحرالي وان كانوا لم يزالوا في قبضته لان اسمه الظاهر سبحانه يكون في تلك الدار لانقطاع
الاسباب في غاية الظهور ولا يكون لاحد معه نوع ظهور اصلا لا كهذه الدار التي الغالب فيها
معنى اسمه الباطن الا عند اولي البصاير وفي الاية تبكيت لاهل الكتاب بانهم مع تحققهم للبعث
يعملون عمل من لا يظنه فضلا عن ان يعلمه وقال الحرالي ولما كان في الصلاة في مناجاة الله على الغيب
كانت انما تيسر على من يظن القبول الذي يشعر اللقا لربه بعد موته وذلك حال من رجحت الاخرة على
الدنيا في عمله وحاله فكان عمله وحاله حال الظان انما على احواله من دون رتبة اليقين ومقصود
اللقا ليس البعث لانهم هم من المومنين بالبعث ولكنه من معنى القبول بعد البعث وفيه اشارة الى حال
الموت ويوم البرزخ وهو الجزا الاول فعطف عليه المرجع الاخر بعد البعث انتهى ولما كان البعث
الغالب على اكثر الناس لجوهر كرر النداء لهم بما لعة في اللطف بهم اثر الترجية او التخويف فقال يا بني

اسرايل اي الذي اكرمته واكرمت ذريته من بعده بانواع الكرامة اذكروا نعمتي وفخر امرها بقوله التي انعمت عليكم اي بانزال الكتب وارسال الرسل وغير ذلك واني فضلتكم والتفضيل الزيادة من حظوظ جانب القرب والرفعة فيما يقبل الزيادة والنقصان منه قاله الحرالي على العالمين دهم من كان قد برز الي الوجود في ذلك الزمان بالتخصيص بذلك دونهم ولما يدخل في هذا من لم يكن برز الي الوجود في ذلك الزمان كما ياتي تحقيقه عن الحرالي في ال عمران عند ان الله اصطفى ومما يوجب القطع به قوله تعالى لنا كنتم خير امة اخرجت للناس ولما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة حذرهم يوما لا ينجي احدا فيه الا تقواه فقال وقال الحرالي لما دعاهم الي الوفا بالعهد تنبيها لهم من له فضل باطن يرجع الي فضايل النفس فاجاب منهم من وفق وتمادي حاله من خذل ثني الخطاب لهم بالتنبيه على النعمة الظاهرة لمسه للك من بجاني تغيير النعمة الظاهرة حين لم يخف السقوط عن رتبة الفضيلة في الخطاب فذكرهم بالنعمة والتفضيل الذي فضلهم به على العالمين وهم من ظهرت اعلام وجودهم في زمانهم وكذلك كل تفضيل نقع في القران والسنة انما العالم من شمله الوجود لا ما احاط به العلم بعد لان ذلك لم يرفع في الشهود علم وجوده وفيه اشعار بانهم لا فضلوهم على عالمي زمانهم فليس ذلك بمقصود عليهم بل كذلك يفضل الله العرب في زمان بلوتها على بني اسرايل وعلى جميع الموجودين في زمانهم وحيث انتهى الخطاب الي تذكر ظاهر النعمة بعد التذكر بباطن الفضيلة لم يبق وراء ذلك الا التهديد بوعيد الاخرة على تهديد يقتضيه الافهام بتغيير ما بقي عليهم من النعمة في الدنيا فكان مفهوم الخطاب فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصاب المواخذين في الدنيا انتهى واتقوا يوما هو من العظمة بحيث لا تجزي اي فيه نفس عن نفس شيا من الجزا قال الحرالي والنفس لكل امري لزمته نفاسه على غيره فهو الذي لا يغني بعضهم عن بعض شيا بخلاف من اثر غيره وذهبت نفاسه نفسه فانه يغني عمن دونه بالشفاعة والاحسان في الدنيا والاخرة وفيه اعلام بان صفة النفس مبدا التوفيق ونفاستها مبدا الخذلان اذله على المومنين فذل العبد بالفقر منه وذله بالكسر لعباد الله بشري فوزه واعراضه عن ذكر الله وصغر حده للناس انتهى نذارة هلاكه انتهى ولا يقبل منها شفاعة اي لم يوذن فيها وهي من الشفع وهو ارفاد الطالب سالبه الرغبة فيما رغب فيه لبصير كالامام له في وجهه حاجته قاله الحرالي ولا يوخذ منها عدل تبذ له غير الاعمال الصالحة وهو ما يعدل الشي ويكون معه كالعدلين المكافي القدر على الحمولة فكان العدل بالكسر في الشي المحسوس والعدل بالفتح في الشي المعقول وكذلك عادة العرب تفرق بين ما في الحس وما في المعنى بعلامة اعراب في ذات نفس الكلمة لا في اخرها قاله الحرالي ولا هم ينصرون اي تجدد لهم منصر يوما ما بمن سعدهم قهرا والنصر تاييد المقادم في الامر لمن استنفى مقاصدها وقت كلمة تم بينه من الكلام بين المتخاطبين نفي معنى التجاوز من الخطاب سوال موسي عليه السلام ربه في بعثهم حتى لا يكون ذلك فيه على سايرهم انتهى ولما كان ربما ظن ان البعث من غشي ونحوه حقق معناه بقوله من بعد موتكم اي هذا بتلك الصاعقة وقال دلا الاعلان البعث الي هذه الدار لا يقطع ما نسب عليه من التكليف لانها دار الاكدار فلا بد من تصفية الاسرار فيها

فيها بالاعمال والاذكار لعلكم تشكرون اي لتصير حالكم حال من يصح ترجي شكره لهذه النعمة العظيمة وكلما جا من التحمل المعلل بها افعال الرب تبارك وتعالى ينبغي ان تؤول نحو هذا فان لعل تقتضي الشك لانها للطمع والاشفاق فيطمع في كون مدخولها ويشفق من ان لا يكون وتارة يكون الشك للمخاطب وتارة يكون للمتكلم ولو قبله للتشكر ولم يكن هناك شك قاله الروياني في سورة يوسف عليه السلام وقال الحرالي وفي لعل ابهام معلوم فيهم بان منهم من يشكر ومنهم من لا يشكر انتهى وسياتي في سورة طه ان شا الله تعالى عن نص سيبويه في كفاية ما يويد ما ذكرته وفي هذه الاية وما تقدمها من اية واتقوا يوما ترجعون لا تجزي نفس عن تنبيه للعرب من غفلتهم في انكار البعث وارشاد الي سوال من يعرفهم من اهل الكتاب بانهم اولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التي وقعت لاسلافهم من احيايهم بعد موتهم وكذا ما اتي في مجاورا لهم من قصة البقرة ونحوها مما فيه ذكر الاحيا في هذه الدار او في القيمة قال الحرالي وفيه اي هذا الخطاب ايذان على البعث الاخر الذي وعد به جنس بني ادم كلهم بجاة صعق وسرعة بعث فان ما صح لاحدهم ولطايفة منهم امكن عمومه في كافتهم انتهى ولما ذكرت الصاعقة الناشية غالبا من الغمام كان امكن عمومه في كافتهم انتهى ~~ولما ذكرت الصاعقة~~ انسب الاشيا ايلاها ذكر تظليل الغمام وناسب التحذير من نقمة الاحراق بالصاعقة والتذكير بنعمة الايجاد من الموت الاتباع بذكر التنعيم في الابقا بالصيانة عن هدحر الظاهر بالشمس والباطن بالجوع وقال الحرالي وعطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من قبل احوال اهل الجنة الذي ينالونه بعد البعث فكان عاجلهم الذين لم يمرتوا انما شركوا هولا المبعوثين لكونهم كانهم ماتوا بموتهم وبعثوا ببعثهم فذكر ظل الغمام وهو من امر ما بعد البعث والارزاق بغير كلفة وهو من حال ما بعد البعث وافهم ذلك امورا اخري احوالهم كما يقال ان ملابستهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكانهم اخرجوا من احوال اهل الدنيا بالجملة الي سبه احوال اهل الجنة في محل لبسهم وسقي شال العقوبة لهم كل ذلك انعاما عليهم ثم لم يزيد واحد ذلك الا بعدا لمن التبصرة في كلما ابرك لهم من العجايب حرث عن بني اسرايل ولا حرج فقال وظللنا من الظلة وهي وقاية مما ينزل من سما الموتي عليكم الغمام من الغم وهو ما يغم النور اي يغطيه انتهى اي فعلنا ذلك لترفيه اجسامكم وترويح ارواحكم وانزلنا عليكم المن قال الحرالي هو ما جاءهم بغير كلفة الكماة من المن انتهى والسلوى اي به لطعامكم على ان المن من الغمام وحشر السلوى اليهم بالريح المثيرة له فنظمها به على غاية التناسب قال الحرالي والسلوى اسم صنف من الطير يقال هو السماني او غيره انتهى وسياتي ان شا الله تعالى في الاعراف ان غير السماني وانهم حصروا ابدانا بنعماوة قلوبهم وهذه الخارقة قد كان من به لنبينا صلى الله عليه وسلم بيسر عنه مما كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما احتاجوا دعا بما عندهم من فضلات الزاد فيدعو فيكثر الله حتى يكتفوا من عند اخرهم واعطى ابا هريرة رضي الله عنه تمرات وامره ان يجعلها في مزود وتا له انفق ولا تنثرها فاكل منه سنين وانفق منه اكثر من خمسين وسقا وبارك الاحر في قليل شعير وامر ان لا يكيله فلم يزل ينفق منه على نفسه وامراته وضيفه حتى كاله ففني فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لم تكلمه لا كلمة منه ولقام لكم وكان نحو ذلك لعايشة رضي الله عنها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وكذا
الام مكث رضي الله عنها في عكة سمن لم تزل تسيم لها ادمها حتى عصرتها ومثل ذلك كثيرة دلايل النبوة
للبيهقي وغيره وقيل لكم **كلوا من طيبات** جمع طيبة قال الحرالي والطيب ماخلص من منازع يشارك
فيه وطيبة من سوى الاكل له اي لم ينازعه وليسخنه حتى لغيره ومنه الطيب في المذاق وهو
الذي لا ينازعه لكره في طعمه وهذا زاد على ذلك بكونه لم يكن عن عمل حرث ولا معاملة مع خلق
انتهى **ما رزقناكم** اي على عظمتنا التي لا تضاهى ولما لم يرعوا هذه النعم اعرض عنهم للايذان
باستحقاق الغضب وقال الحرالي ثم اعرض بالخطاب عنهم واقبل به على محمد صلى الله عليه وسلم
ومن معه انتهى فقال **وما** اي فكفروا هذه النعم كلها **ظلمونا** الشي من ذلك **ولكن كانوا انفسهم**
خاصة **يظلمون** لان ضرر ذلك مقصور عليهم قال الحرالي وفيه اشعار بتحذير هولا ان يروا
نحوا مما راوا فينالهم نحو ما نالوه لان قصص القران ليس مقصورة مقصورا على ذكر الاولين
فقط بل كل قصة منه انما ذكرت لما يلحق هذه الامة في امد يومها من نسبه احوال من قص
عليهم قصصه انتهى ولما كان كل من ظل الغمام ولزوم طعام واحد غير ما لوف لهم وكان المالوف
احب الى النفوس تلاه بالتذكير بنعمة اما لوفه من الاستظلال بالابنيه والاكل ومما يشتهى
وقال الحرالي لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم في حال استحقاق عقوبتهم في تظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وهو مبتدا امر تيههم حين ابوا ان يقاتلوا الجبارين نظم به احوال تيههم بعد
وفات موسى وهرون عليهما السلام حين دخولهم مع يوشع عليهم السلام وما امروا به من دخول
البلد المقدس متذللين بالسجود الذي هو اخص رتب العبادة وكال عمل العامل ودنوه من الحق
انتهى فقال تعالى **واذ قلنا** اي لكم **ادخلوا هذه القرية** اشارة الى نعمة النصر قال الحرالي الدخول
الولوج في الشي بالكلية حسا بالجسم ومعنى بالنظر والراي القرية من القري وهو الجمع للمصالح
التي بها يحصل قوام الدنيا لقري اهل الدنيا والتي يجمع مصالح اهل الاخرة لقري اهل الاخرة
قال عليه السلام امرت بقرية تاكل القرى باستنباطها لانها تستقري القرى تجمعها اليها
وقد تفاوتت الياء والهمزة والواو مع القاف والراء على عام هذا المعنى انتهى وناسب سياق النعم
الدالة على تعقيب نعمة الدخول بالفا في قوله **فكلوا منها حيث شئتم** واتم النعمة بقوله **رغدا** قال
الحرالي وفيه تنبيه في ذكر الارض لما تقدم من نحوه لادم في السما فكان تبديلهم لذلك عن شقي
لا عن نسيان كما كان امر ادم عليه السلام فكانهم اقتطعوا عن سنته الى حال الشيطان الذي
كان من الجن ففسق عن امر ربه فتحقق ظلمهم حين لم يشهد اباهم واشبهوا عدو ابيهم وعدوهم
انتهى وامرهم بالشكر على نعم النصر والابوار وادرار الرزق بامر يسير من القول والفعل وقدم
الدخول الشاق للنفوس والسجود الذي هو اقرب شي للحضرة الشريفة لانه في سياق عد النعم على
القول المشعر بالذنب فقال **وادخلوا الباب** وهو كما قال الحرالي اول ما استفتح الاشيا والامور
المستغلقة حسا او معنى حال كونكم **سجدا وقولوا حطة** قال الحرالي من الحط وهو وضع الحمل الثقيل
بمنة وحام قوة تكون في الجسم والمعنى امروا بقول ما يحط عنهم ذنوبهم التي عوقبتم من رسول الله صلى

الله

الله
عليه وسلم مع من معه من المهاجرين والانصار بشعب من الشعاب مترددا بين الحرمين الشريفين
يعني في عمرة الحديبية فقال قولوا لا اله الا الله وعند ذلك دخول الشعب الذي هو باب
المدخل من نجد الارض الى سهلها فقالوها فقال والذي نفسي بيده انها الحطة التي عرضت
على بني اسرايل ان يقولها انتهى وعبر بنون العظمة في قوله **نغفر لكم** اشارة الى انه لا يتعاظمه
ذنب وان عظم كاتخاذ العجل اذا احب بالتوبة وفي قراءة من قراة بالتحتانية والفوقانية مبنيا
للمجهول اشارة الى تحقير الذنوب اذا اراد غفرانها بحسب انها بادني امر وادق اشارة بمحوها
وهي اقل من ان يباشرها نسب المقدسة كل ذلك استعطاف الى التوبة والغفر قال الحرالي
ستر الذنب ان لا يظهر منه اثر على المذنب لا عقوبة ولا ذكر ثم قال ففي قراءة نغفر تنزل من
الحق ومن هو من حزبه من الملايكة والرسل وفي قراءة تغفر لكم ابلاغ امر خطاياهم بما يفهمه
التانيث من نزول القدر وفي قراءة التا توسط بين طرفيها في ما يفهمه علو قراءة النون ونزول
قراءة التا ففي ذلك كله اشعار بان خطاياهم كانت في كل رتبة مما يرجع الى عبادة ربهم
واحوال انفسهم ومعاملتهم مع غيرهم من انبيايهم وامثالهم حتى جمعت خطاياهم جميع جهات
الخطايا الثلاث فكانهم ثلثة اصناف صنف مدلوا وصنف اقتصدوا وصنف احسنوا
فيزيدهم الله ما لا يسعه القول وهل جزا الاحسان الا الاحسان انتهى ولما كان السياق
هنا لتعداد النعم حسن ان يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال **خطاياكم** اشارة الى انهم اصروا عليها
بحيث كادوا ان يجعلوا بازا كل نعمة ذنبا والخطايا جمع خطية من الخطا وهو الزلل عن الحد
عن غير تعمد بل مع عزم الاصابة او ود ان لا يخطي هكذا قال الحرالي والظاهر ان المراد
هنا ما كان عن عمد كاينا ما كان لان ذلك اولى بسياق الامتنان والعفو بها بالعصيان
قال في القاموس والخطية الذنب او ما تعمد منه والخطا ما لم يتعمد جمعه خطايا وقرى شاذا خطيات
بالجمع السالم الدال على القلة اشارة الى انها وان تكاثرت فهي في جنب عفوه قليل وهذا بخلاف الاعراف
فان السياق هناك لبيان اسراعهم في الكفر كما سياتي ان شا الله تعالى وناسب عد النعم الوطف
على ما تقدم فيها بقوله **وسنزيد المحسنين** اي بعد غفران ذنوبهم قال الحرالي جمع محسن
من الاحسان وهو البلوغ الى الغاية في حسن العمل فيكون مع الخلق رويته المر نفسه في غيره فيوصل
له من البر ما يجب ان يفعل معه ورويته العبد ربه في عبادته فالاحسان فيما بين العبد وربه
ان يغيب عن نفسه ويرى ربه والاحسان فيما بين العبد وغيره ان يغيب عن غيره ويرى نفسه
فمن راى نفسه في حاجة الغير ولم ير نفسه في عبادة الرب فهو محسن وذلك بلوغ في الطرفين الى
غاية الحسن في العمل بمنزلة الحسن في الصورة ولما كان هذا التفريح بالترغيب المتضمن للتلويح بالترهيب
مقتضيا للعاقل المبادرة الى الطاعة بين انه تسبب عنه ان بعضهم عصوا وكفروا هذه النعمة
العظيمة ولم يقتصروا على ترك هذا الامر بل بدلوه بدخولهم كما في الحديث يزحفون على استاههم
قايلين حبة في شعرة اي جنس الحب في جنس الشعر في الغرايز مطلوبا لا الحطة وهي غفران الذنوب
قال الحرالي امروا باالاخلاص بعد نظرا الى حياة قلوبهم فطلبوا الحنطة نظرا الى حياة جسومهم

فقال تعالى فبدل من التبديل تعويض شي مكان شي انتهى الذين ظلموا واسقط منهم لما ياتي في الاعراف قولا غير الذي قيل لهم قال الحرالي ذكر الله تعالى عدولهم عن كل ذكرها واشتغالهم ببطونهم وعاجل دنياهم فطلبوا طعام بطونهم التي قد فرع منه التعذيب واظهر لهم الغنا عنه في حال السه بانزال المن والسلوى اطهارا للبلادة طباعهم وعليه حب العاجلة عليهم فبدلوا الكلمة التوحيد وهي لا اله الا الله وهي الحطة بطلب الحنطة ولو انهم امنوا واتقوا لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين انتهى وبين انه خص المبدلين بالعقاب بعهده منه مع انه له ان يعم فقال فانزلنا اي بعظمتنا بسبب ذلك على الذين ظلموا اي خاصة رجزا قال الحرالي هو اشد العذاب وما حره ايضا يسمى زجرا مما يجب ان يزجر عنه والزجر كف البهايم عن عدواها انتهى ولما كان الانزال منهم تلميحا حلفه تعظيما لم يقوله من السما بما اي بسبب ما كانوا يفسقون اي يجدد دون الخروج من الطاعة الى المعصية في كل وقت ففي ايهامه انهم يعودون الى الطاعة بعد الخروج منها وذلك مقتضي لان يكون يظلمون اشد منه كما ياتي قال الحرالي فيحق يحب على من دخل من باب جبل او ورد ان يقول في وصيدها لا اله الا الله ليحط عنه ماضي ذنوبه فكان ذكر الله في باب المدينة والشعب وذكاه لذلك المدخل فلم يدخله مذكيا دخله فاسقا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق فلذلك ما اختتم ذكرهم في الاية بالفسق انتهى ولما بين نعمته عليهم بالاسكان من القرية بما لنعمه بالنعم على اهلها والتمتع بما فيها وختمه بتعذيبهم بما يميت او يحرق وتبين من ذلك كله ان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة كما سياتي التصريح به من قول الله تعالى في قصة البقرة وانها لا منفعة فيها اتبعه التذكير بنعمته في البرية بما يبرد الاكباد ويحي الاجساد فذكر انه اتى الما من الحجر الذي عمهم نفعه والتذهم من الموت سعه فقال تعالى واذ استسقى اي طلب السقيا قال الحرالي والاستقيا فعل صيغة مبالغة فيما لا يحصل له به الري من السقي واحيا موات شانه ان يطلب الاحيا حالا او مقالا قال صلى الله عليه وسلم اللهم اسق عبادك ثم قال واحي بلدك الميت انتهى موسى لقومه اي لما خافوا الموت من العطش فقلنا اي بما لنا من العظمة حين حيث عنهم اضرب قال الحرالي من الضرب وهو وقع الشي على الشي بقوة بعصاك العصا كانها ما يكف به العاصي فهو من ذوات الواو والواو فيه اشعار بعلو كانها الة تعلو من مارف ما اشعر فيه اليا بنزول عمله بالمعصية كان العصو ادب العصي يقال عصا يعصو اي ضرب بالعصا اشتقاقا ثانيا وعصى يعصي اذا خالف الامر انتهى الحجر اي جنسه فضرب حجرا فانفجرت وما انسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق لاجتماعهما في الخروج عن محيط هذا خروج محي وذاك خروج مميت قال الحرالي الانفجار انبعاث وجي من شي موعى او كانه مرعى انشق وانفلق عنه وعاوه ومنه الفجر والشقا ق الليل عنه انتهى منه اي الحجر الذي ضربه اثنتي عشرة عينا لكل سبط عين والعين قال الحرالي هو بادي تام قيم يبدو ا برغيره فما اجزا من الما في ري او زرع فهو عين وما مطر من السما فاغنى فهو عين يقال ان العين

مطر

ايام لا يقلع وانما هو مطر يغني وينجع وما تبدو ابه الموزونات عين وما تبدو به الموسات من الشمس عين وما تنال به الاعيان من الحواس عين والركية وهي بير السقيا عين وهي التي يصحفها بعضهم فيقول الركبة بالبا يعني الموحدة وانما هي الركية باليا المشددة كذا قال وقد ذكر اهل اللغة عن الركب وعد في القاموس المعاني التي لهذا اللفظ نحو اربعين منها نعم الركبة اي بالموحدة ومنها نحو ما الركية بالتحتانية مشددة ولما توقع السامع اخبار المتكلم هل كانت الا عين موزعة بينهم معروفة او ملتبسة قال قد علم كل اناس اي منهم قال الحرالي وهو اسم جمع من لا نس بالضم كالناس اسم جمع من الموس قال فلم يسمهم باسم من اسما الدين لان الاسما تجري على حسب الغالب على المسمين بها من احوال تدين او حال طبع مشربهم مكتفاهم من الشرب المورد ومع الحاجات في كل وقت بما بينهم المعتل اسم مصدر وثان مستوى من مطلق الشرب او اسم محل يلزمه التكرار عليه والتردد فجعل سبحانه سقياهم اية من اياته في عصاه كما كانت ايامه في عصاه على عدوه الكافرين فكان فيها نعمة ونقمة ورحمة وظهر بذلك كمال تمليكه تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كان ينبع من بين اصابعه الما غنيا في نبوعه عن الضرب او حجر وتمليك الماس اعظم التمكين لانه تمكين فيما هو بر زكل شي ومنه كل حي وفيه كل مجول ومسور انتهى يعني ان هذه الخارقة دون ما نبع للنبي صلى الله عليه وسلم من الما من بين اصابعه ودون ما نبع بوضع اصحابه سهما من سهامه في بلد الحديبية وقد كانت الايات نهر ونحو ذلك كثير ولما كان الايجاز لا يستلزم التحليل المتنا ول قال هنيت عليهم بنعمة الاحلال بعد الايجاز على تقدير القول لانه معلوم تقديره كلوا واشربوا من رزق الله اي الذي رزقكموه من غير كد ولا نصب قال الحرالي لما لم يكن فيها كلهم ومبشرهم جرى لعادة حكمته في الارض فكان من غيب فاضيف ذكره لاسم الله الذي هو غيب ولا تعثوا من العثو وهو اشد الفساد وكذلك الثاني الا انه يشير هذا التقابل بين الواو والياء ان العثو افساد

دا اهل القوة بالسطوة والعي افساد اهل المكر بالحيلة انتهى في الارض اي عامدين لان من افسد في شي منها بالعقل فقد افسد فيها كلها بالقوة واتباع ما معناه الفساد قوله مفسدين دليل على ان المعنى فلا تسرعوا الى فعل يكون فسادا اذا صدق به الفساد فان العثي والعيث الاسرا

ع في الفساد لكن قد يقصد بصورة الفساد الخبر فيكون صلاحا في المعنى كما فعل الخضر عليه السلام في السفينة والغلام وليس المراد بالاسراع التقييد بل الاشارة الى انه لملايمته للهوى لا يكون الا كذلك وسياتي له في سورة هود عليه السلام ان شا الله تعالى مزيد بيان قال الحرالي وفيه اشعار بوقوع ذلك منهم لان في كل نهي اشعارا بحالفته الا ما شا الله وفي كل امر اشعارا بموافقته الا ما شا الله لان ما جبل عليه المرء لا يومر به لاكتفا اجباره فيه طبعا عن امره وما منع منه لا ينهى عنه لاكتفا اجباره عن امره وانما يجري الامر والنهي توطية لاظهار الكاين في التفرقة بين مطيع وعاص فكان منهم كذلك من العثي ما اوجب ما اخبر به الحق عنهم من الهوان واشد الافسا دا افسا د بنيان الحق الذي خلقه بيده وهي مباني اجساد بني ادم فكيف بالمومنين منهم فكيف بالانبيا منهم انتهى ولما امتن عليهم بهذه النعمة العظمى من اكل المن والسلوى وشرب

هذا الما الرباني بين انهم كفروها بالتفجر منها وطلب غيرها وبالبنية كان قربا منها بل كما
ان هذه في غاية العلو كان مطلوبهم في غاية الدناءة والسفول فقال تعالى وإذ قلتم اي بعد
هذه النعم كلها يا موسى منادين له باسمه من غير تعظيم لن نصبر ثم بلغ كذلك طويلا على طعام قال الحرالي
الطعام ما يقوت المنطعم ويصير جزا منه فليسطو الانسان الى طعامه الابد انتهى واحد اي
وان كان شريفا لا تعب فيه فادع لنا قال الحرالي من الدعا وهو ندا الاقتضا اعليه لما يدعوا
الحاجة اليه من القايم على الداعي بتذلل وافتقار وهو في مقابلة الامر الاعلى لانه اقتضا لما لا
تدعوا اليه حاجة من الامر لان الامر بالحقيقة انما هو العلي لا المفتقر لما يقتضيه انتهى ربك
مضيفين لهذا الاسم اليه دون التسكر مع كثره تجليه لكم بهذا الوصف الغافلة الى الاحسان يخرج
لنا اي وان كنت انت غير ملتفت الى ذلك مما تنبت من الانبات وهو التغذية والتنمية قاله
الحرالي الارض ثم بينوا ما ارادوا بقولهم من بقلها اي خضرها قاله الحرالي البقل ما يكثر به الادم
الاشيا الوسمه فابصح معها ما نجم الارض فهو بقل انتهى وقثايها وفومها اي الحنطة وقال
الحرالي يقال هو الحب الذي يخبز انتهى وعدسها وبصلها فكانه قيل ان هذا العجب فما قال
قال منكرا عليهم اتستبدلون اي اتاخذون الذي هو ادنى بالذي هو خير فكانه قيل فهل اجابهم
الى سولهم فقيل نعم قال اهبطوا مصرا اي من الامصار وقال الحرالي المصر هو البلد الجامع لما يتغاون
عليه من امور الدنيا الذي يجمع هذه المطالب التي طلبوها لان ما دون الامصار لا يكون فيها
الا بعضها ومنه سميت مصر لجامع امر ملك الدنيا فيها وعرابه صقبا ها وان وافق ذلك ما قال
انها سميت مصر باسم رجل فالو فان في حكمة لبنه لان كل دقيق وجليل فيها جار بعلم الله وحكمته
حيث كانت من ورا حجاب بخفيها اوظاهرة بادية لاهل الفطر والاستبصار انتهى فان لكم اي
فيه ما سالتم وينقطع عنكم المن والسلوى والسوال قال الحرالي طلب ما تدعوا اليه الحاجة ويقع
به الكفاية قال وذكر تعالى ان مطلبهم انما يجدونه في الامصار التي اقرنها حكمته لا في المفاوز
قال وكذلك تجاري التي يظهر فيها كلمته ولذلك كثيرا ما تخرق العادة لاوليا هذه الامة في
المفاوز ~~التي تظهر فيها كلمته ولذلك كثيرا ما~~ وقل ما تخرق في القرى والامصار لما في هذه
الاية مضمونه ولذلك حرص السالكون على السياحة والانقطاع عن العمائر لما يجدون في ذلك
من روح الله عن كلمته دون كلفة حكمته ولما نظم سبحانه نبيئنا موسى عليه السلام ما كان
من رزق بنائهم مع موسع عليه السلام لجل نظم في هذه الاية بخطاب موسى عليه السلام ما كان
منهم بعد يوشع عليه السلام الى اخر اختلال امرهم وانقلاب احوالهم من حسن المظاهرة لنبيهم
الى حال الاعتدا من القتل لانبيائهم عليهم السلام وفي جملته اشعار بان ذلك لم يكن منهم الا لاجل
ايثار الدنيا رياستها وما لها على الاخرة ابتاء للعاجلة على الاجلة وفي طيه اشد التحذير لهذه الامة
في اتباعهم لسنن اهل الكتاب في مثل احوالهم ولذلك انتظم بها الاية الجامعة وابتدا بذكر
الذين امنوا من هذه الامة ثم استوفى الملك التي لها صحة على ما يذكر انشا ان شا الله تعالى انتهى
ولما كان التقدير ففعلوا ما امروا به من هبوط المصر فكان ما وعدوا به عطف عليه قوله وضربت

عليهم الذلة ملازمة لهم محيطة بهم من جميع الجوانب كما يحيط البيت المضروب على الانسان به وهي
اسم من الذل وهو صغار في النفس عن قهر وعليه وفي عطفه افهام لمجاورة انبا عديدة عاينها
في الظهور ما عطف عليه كان الخطاب بينهم فانزلنا حيث انزلوا انفسهم وسمعناهم ما لا يليق
بمن حاله مثل حالهم فظهر منهم وجوه من الفساد فسلط عليهم العدو فاستاصل منهم
من شا الله ومن بقي منهم اخذوا بانواع من الهوان وضربت انتهى والمسكنة اي لازلة
مناسبة لحساسة ما لما لوه قال الحرالي وهي ظهور معنى الذل او التذلل عن ظاهر الهيئة
والصورة سكونا وحراك انتهى وباءوا اي رجعوا بغضب قال الحرالي معناه اجماع القاهر
على الانتقام في حق مراغمة انتهى من الله لجراتهم على هذا المقام الاعظم مرة بعد مرة وكل اثر كونه
قال الحرالي وفيه تحديد لهذه الامة بما غلب على اهل الدنيا منهم من مثل احوالهم باستبدال
الادنى في المعنى من الحرام والمتشابه بالاعلى من الطيب والاطيب الماخوذ عفوا واقتناعا
انتهى ثم ذكر سبب هذا وقال الحرالي ولما كان الغضب انما يكون على من راغم الجليل من
معصيته ووقعت منهم المراغمة في معصيتهم واعتدائهم ذكر فعلهم انتهى فقال ذلك اي
الامر العظيم الذي حل بهم من الغضب وما معه ولحوذ ان يرجع الى اهتمامهم بامر معاشهم وعنايتهم
باحوال شهواتهم على هذا النحو الاحس الادنى بانهم اي بسبب انهم كانوا يكفرون بايات الله
اي يسترون ادعانهم وتصديقهم بسبب ايات الله الذي له جميع العظمة كتمانا عمن لا يعلم الايات
وتلبيسا وكان تجديد ذلك والاصرار عليه وندما لهم وخلقا واعا لهم قال الحرالي والكفر بالايات
ابعد الرهب من الايمان لانه ادنى من الكفر بالله لان الكفر بالله كفر بغيب والكفر بايات الله
كفر بشهادة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة انتهى ويقتلون النبيين اي كان ذلك جبلة
لهم وطبعا قال الحرالي وهذا جمع نبي وهو من النبا وهو الاخبار عن غيب عجز عنه المخبر من جهة
اخبر انتهى ولما كان النبي معصوما دينا ودنيا قال بغير الحق تنبيها على ان قتلهم لا يقع الا كذلك
ثم علل هذه الجراة فقال ذلك اي الكبير من الكفر والقتل الذي هو من اعظم الكفر بما عصوا
وهو من العصيان قال الحرالي وهو مخالفة الامر انتهى وكانوا يعتدون اي يتجاوزون
الحدود فان من فعل ذلك مرد عليه ومرن فاجترا على العظايم قال الحرالي وهو اي الاعتدا
تكلف العدا والعدا مجاوزة الحد فيما يفسح فيه الى حد لا عذر لمجاوزة من جهة فسح له سعة ما فسح
وحد له ما حد انتهى وقد جا نظم هذه الايات من قصصهم على غير ترتيبه في الوجود وفي التوراة
لما ذكرت من هذه المناسبات العظيمة والله اعلم شرح امرها من التوراة قال في اخر السفر
الرابع منها في النسخ الموجوده بين اظهر اليهود الان لان في هذا القرن التاسع فيما قراته
في نسخة مترجمة بالعربية وحفظها كذلك وعليها اثار قراتهم لها وبيان الاوقات التي يقرا فيه
كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى كما معنى مع شخص منهم وكان هو القاري مائنه وهذه مطاعن بني
اسرايل حيث خرجوا من ارض مصر باجنادهم على يد موسى وهرون وكتب نحاجهم ومراحلهم
عن قول الرب طعنوا من رعمسيس وفي نسخة من عين شمس في خمسة عشر يوما من الشهر الاول

من عد الفصح وفي نسخة بعد الفصح بيوم والمراد بالشهر الاول عندهم نيسان وهو شهر العزيك
وخرجوا بني اسرايل بقوة عظيمة تجاه جميع اهل مصر لانهم كانوا مشاغيل بدفن الابكار الذين قتلهم
الرب وبآلهتهم صنع الرب من النقم فظعن بنو اسرايل من رعمسيس وفي نسخة عين شمس ونزلوا
ساحوت وارتحلوا من ساحوت ونزلوا ايثام التي في اقاصي المفازة وظعنوا من ايثام ونزلوا في فوهة
الخندق الذي في جبال بعلصفون ونزلوا بازا مغدول وفي نسخة مجدول وارتحلوا من فوهة الخندق
وجازوا البحر الى القفر وفي نسخة مجدول وارتحلوا بين البحر والقفر وساروا مسيرة ثلاثة ايام في برية
ايثام ونزلوا امرت واتوا اليم وفي نسخة ونزلوا في المرابر وارتحلوا من الدابر وصاروا الى اليم
وكان في اليم اثنتا عشرة عينا من ماء وسبعون نخلة ونزلوا هناك على الماء وارتحلوا من اليم ونزلوا
ساحل بحر سوف وفي نسخة على البحر الاحمر وظعنوا من شاطئ بحر سوف وفي نسخة من البحر الاحمر وفي اخرى
بحر القلزم ونزلوا ببرية سين وارتحلوا من برية سين ونزلوا دفقا وظعنوا من دفقا ونزلوا
الوش وارتحلوا من الوش ونزلوا رفيدين وفي نسخة رفيديم ولم يكن هناك ما يشرب الشعب وظعنوا الى
رفيدين وفي نسخة رفيديم فنزلوا ببرية وفي رواية قفر سينا ونزلوا الموضع المعروف بقبور الشهوة
وارتحلوا من قبور الشهوة وفي نسخة قفر قبور الشهوة فنزلوا احصروت وظعنوا من حصروت فنزلوا
رثما وفي نسخة الرامة وارتحلوا من رثما وفي نسخة الرامة فنزلوا رمون فرص وقال في السفر الثاني
عند ذكر الانعام عليهم باستنقاذهم من ايدي القبط بتلك الآيات العظيمة التي يستشرح ان
شاء الله تعالى في سورة الاعراف فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من
العبودية والرق لان الرب اخرجكم من ههنا بيد منيعة فلا يوكل الخمير في هذا اليوم وهو ذا انتم
خارجون في شهر العفاح وفي نسخة العزيك فاذا ادخلكم الرب الى ارض الكنعانيين والحثانين
والامورانيين والحاوانيين واليابسانيين والفرزانيين كالذي اقسم لآبايكم ان يعطيكم الارض
التي تغل السمن والعسل تعملون هذا العمل في هذا الشهر كلوا الفطير سبعة ايام ولا يرى لك
الخمير عندكم وتعلمون ابناكم في ذلك اليوم وتقولون لهم ان الله فعل بنا هذا الفعل اذ اخرجنا
من ارض مصر وليكن ذلك اية على يدك وعلامة بين عينيك لتكون سنة الرب وشريعته على لسانك
لان الرب اخرجك من مصر بيد عزيزة منيعة واحتفظ هذا وهذه الوصية من سنة الى سنة
في وقته واذا ادخلك الرب الى ارض الكنعانيين التي اقسم لك ولآبايك ان يعطيكها فميز كل ذكر
يفتح الرحم للرب وكل ذكر من البهايم التي يكون لك يفتح الرحم يكون خاصة للرب تفتديه بحمل فان
لم تفتده فاذبحه وتفتدي كل بكر ذكر من اولادك فاذا سالك ابنك غدا وقال لك ما هذا
العمل فقل ان الرب اخرجنا من ارض مصر من العبودية والرق بيد منيعة عزيزة لان
فرعون قسا فقط والى الذين يرسلنا فقتل الرب جميع ابكار ارض مصر من بكر البشر والى بكر
البهايم من اجل ذلك اذبح للرب كل ذكر يفتح الرحم وافتدي جميع ابكار ولدي فيكون ذلك علامة
على يدك وذكرا بين عينيك لان الرب اخرجك من مصر بيد منيعة عزيزة فلما ارسل فرعون
الشعب وانطلقوا لم يسلكهم الله في طريق ارض فلسطين لانه كان قريبا ولان الله قال لعل الشعب

اذا ما عاينوا القتال ان يخافوا ويرهبوا فيرجعوا فساس الله الشعب في طريق برية بحر سوف
وخرج بنو اسرايل من ارض مصر وهم متسلحون وحمل موسى عظام يوسف عليه السلام معه لانه
اقسم على بني اسرايل بايمان وقال ان الله سيذكركم فاصعدوا عظامي معكم من ههنا فظعنوا من
ساحوت ونزلوا ايثام التي في اقطار البرية وكان الرب يسير امامهم بالنهار في عمود السحاب ليسلكهم في
الطريق وبالليل في عمود نار ليضيء لهم وكان يسير امامهم بالليل والنهار ولم يكن عمود الغمام نزول بالنهار
وعمود النار من بين يدي الشعب وكلم الرب موسى وقال له قل لآل اسرايل ان يرجعوا فينزلوا
على شاطئ الخندق وما بين مجدول والبحر امام بعلصفون انزلوا هناك ازاء البحر حتى يقول فرعون
ان بني اسرايل عزبا في الارض فظن انهم قد تاهوا في القفر وان البرية انغلقت عليهم
وقال الرب لموسى انا اقسي قلب فرعون فيسير في طلبكم فامجد بفرعون وجميع جنوده فيعلم اهل
مصر اني انا الرب ففعلوا كذلك فاسي فرعون وعبيده لارسال الشعب وندموا فاسرج خيله وسار
في جميع شعبه وظعن في ستمائة الف راكب مختارة وجميع مراكب المصريين ايضا والرجال وفي نسخة
والقوا دعا جميعهم فسار المصريون في طلبهم فرعون وهم حلول على المهر قان فقرب فرعون
ورفع بنو اسرايل ابصارهم فراوا المصريين وهم في طلبهم فخافوا خوفا شديدا فصاح بنو اسرايل
بين يدي الرب وقالوا لموسى العلة القبور بمصر اخرجتنا لنموت في البرية لم فعلت بنا هذا الفعل واخرجتنا
من مصر اليس هكذا كنا نقول لك ونحن بمصر دعنا نتعبد للمصريين كان خيرا لنا ان نتعبد للمصريين من
الموت في هذا القفر فقال موسى للشعب لا خوف عليكم انتظروا وابصروا خلاص الرب اياكم في هذا اليوم
لانكم عاينتم المصريين يومنا هذا لا تعودون ان تعاينوهم ايضا الى الابد والرب يجاهد عنكم اذ انتم
في هدو وطمانينة فصاح موسى بين يدي الرب فقال مر بني اسرايل ان يظعنوا وانت فارفع عصاك
واضرب ما البحر فليسير الى اسرايل في البحر في اليبس وهانذا اقسي للرب المصريين واغلظهم
ليتبعوهم فامجد بفرعون وبجميع جنوده ومراكبه وفرسانه فيعلم اهل مصر اني انا الرب اذا امجدت
بفرعون وبجميع جنوده فظعن عسكر الله الذي كان يسير امام عسكر بني اسرايل فصار على ساقتهم
واحتمل السحاب الذي كان امامهم فوقف خلفهم فدخل بين عسكر المصريين ومحلة بني اسرايل
وكان تلك الليلة السحاب والحندس تلك الليلة باسرها وكان الضيا والنور لبني اسرايل تلك
الليلة كلها فلم يقدروا على الدنو اليهم تلك الليلة فرفع موسى يده على البحر فزجر الرب البحر بريح
سموم وفي نسخة تنزل عاصف الليل اجمع فصيرها البحر في اليبس وانقسم الما فدخل بنو اسرايل في
وسط البحر في اليبس فصارت المياه كالسورين ميامنهم ومياسرهم فسار المصريون فرحلوا في طلبهم فصار
حيل فرعون وجميع مواكبه في البحر فلما كان عند صبح الغداة تراءى الرب لعسكر المصريين
في عمود نار ومن ثم غمامة فارجف عسكر المصريين وافتنه وربط مراكبهم وحبسها وجعلوهم
يصعقون بالسير عليها فقال المصريون سيروا بنا لنهرب بين يدي آل اسرايل لان الرب
حارب عنهم فقال الرب لموسى ابسط يدك على البحر فان تحول المياه على المصريين فقطع على موا كبهم
وفرسانهم فرفع يده على البحر فرجع البحر عند وقت الغداة الى موضعه والمصريون جعلوا يهربون

اذاه فعذب الرب المصريين في البحر واكذبهم بجرت المياه وطمت على المراكب والفرسان وعلى
جميع جنود فرعون الذين دخلوا في البحر في طلبهم ولم يخ منهم ولا واحد فخلص الرب ال فرعون الذين
دخلوا في البحر في طلبهم ولم يخ منهم اسرايل في ذلك اليوم من ايدي المصريين فنظر بنوا اسرايل الي المصريين
موتي على شاطي المهرقان وعاين اسرايل النعمة العظيمة التي انزلها الله بالمصريين وخاف
الشعب الرب وامنوا به وصدقوا قول موسي عبده حينيذ سبح موسي وبنوا اسرايل بهذا التسبيح
وقالوا نسبح الرب ذا الجلال الذي تعالى على المراكب وغرق فرسانه في البحر المنيع والمحمود
الرب الاولي كان لي منجيا هذا الهنا فلنمجده ولنمجد اله ابايينا فلنعظمه ولنجله ذو الملاحم جبار
اسمه لانه قذف بمراكب فرعون وجنوده في البحر وغرق جبابره في بحر سوف وغطتهم الامواج
وهبطوا في العمق فرسبوا مثل الجنادل يمينك يدرب جليه بالقوة يمينك يرب اهلكت اعداك
بعظيم عزك لب سانك ارسلت غضبك فاحرقهم كالهشيم بريح وجهك وامرك جمدت المياه ووقف
جديها كالاطواد ورسب الاعماق في قعر البحر كالرصاص في الما المنيع فمن مثلك ومن يعمل كافعالك
ايها المهي في قدسه المرهوب المحمود مظهر العجايب بسطت بنعمتك هذا الشعب الذي خلصت
فبلغ ذلك الشعوب فارتجفوا وقلعوا وغشي الخوف والرعب سكان فلسطين عند ذلك ذعرا شراف
ادوم وغشي الرعدة والارتعاش وحال مواب وانكسر جميع سكان كنعان فانهزموا فلينزل بهم الخوف
والقلق والرجفة بعظمة ذراعك يعرقون كالجماد حتي يجوز شعبك الذي خلصت تقبلهم فتغرسهم
في جبل ميراثك الرب يملك الي ابد الابدين وظعن موسي ببني اسرايل من بحر سوف فخرجوا
حتي انتهوا الي برية اسود ثم ساروا في البرية مسيرة ثلاثة ايام فلم يجدوا هناك ماء ثم انتهوا
الي مورث فلم يقدروا علي ان يشربوا ماء مورت لانه كان من افتدس الشعب علي موسي وقالوا
ما الذي نشرب الان فجا موسي بين يدي الرب فاظهر الرب له عودا فالقاه في الما فعذب
الما هنالك على السنن والاحكام فاتوا حتي انتهوا الي اليم فكان هناك اثنا عشرة عينا من
ما وسبعون نخله فنزلوا هناك على الما ثم ظعنوا من اليم فاتوا برية سينين التي بين اليم
وسينين في خمسة عشر من الشهر الثاني من الزمان الذي خرجوا من مصر فتذمر جميع جماعة
بني اسرايل على موسي وهرون وقالوا لهما قد كنا نحب ان نتوفي ارض مصر اذ كنا جلوسا بين
ايدينا مراجل اللحم ونكثر الخبز ونشبع فاخرجتمانا الي هذه البرية لنقتلا جماعة بني اسرايل
بالجوع فقال الرب لموسي هانذا مهبط لكم الخبز من السما فليخرج الشعب فليلتقطوا طعام يوم
بيوم لكي امتحنهم هل يسيرون بوصاياي وسنني ويحفظوها ام لا فاذا كان اليوم السادس فليعدوا
فضلا على ما ياتون به وليكن ذلك ضعف ما يلتقطون في كل يوم فقال موسي وهرون لجميع بني اسرايل
عند الاصيل تعلمون ان الرب اخرجكم من ارض مصر وبالغداة تعاينون مجد الرب لان قد بلغ تذمركم
بلغ الرب ونحن فمن نحن اذ تتذمرون علينا وقال لهم ان الرب قد اعطاكم لحما عند الاصيل لتاكلوا موسي م
ورزقكم خبزا بالغداة لتشبعوا لانه قد بلغ الرب تذمركم الذي تتذمرون عليه ونحن فمن
نحن وليس انما تتذمرون علينا بل على الرب وقال هرون لجميع جماعة بني اسرايل ادنوا فيقفوا بين

يدي

يدي الرب فلما قال هرون ذلك لجميع جماعة بني اسرايل ان ادنوا لينظروا فاذا بمجد الرب قد
اعتلن في السحاب وقال الرب لموسي قد بلغني تذمر بني اسرايل فقل عند مغارب الشمس تاكلون
اللحم وبالغداة سدنا تشبعون من الخبز تعلمون اني الرب الهكم فلما كان عند الاصيل صعدت
السلوى فغمت العسكر وكان انا بالغداة ضبابة تقطر المن فاحاطت بالعسكر فارتفعت الضبابة فاذا
على وجه الارض دقيق ينفش وكان شبه صفايح الجليد على الارض فقال موسي هذا الخبز الذي اعطا
كم الرب لتاكلوا وهذا قول الرب الذي امر به ليلتقط المر منه على قدر قوته مكيالا لكل نفس
على عدد رؤوسكم لياخذ المر من كان في خيمته فصنع بنوا اسرايل كما امرهم موسي والتقطوا فمنهم من
اخذ كثيرا ومنهم من تناول قليلا واكتالوا ذلك فلم يفضل الذي اخذ الكثير والذي اخذ القليل
لم يعدمه فقال لهم موسي لا يبقين منه للغد شيا فلم يطيعوا موسي فافضل رهط منهم للغد فدب فيه
الدود وانتن فغضب موسي فجعلوا يلتقطونه في كل غداة كل امري على قدر قوته وكان اذا حميت عليه الشمس
يميع فلما كان اليوم السادس التقطوا من الخبز ضعفي ما كانوا ياتوا ولوت كل رجل مكيالين فاتي جميع اشياخ
الجماعة فاخبروا موسي فقال لهم هكذا قال الرب ان السبت راحة وعطلة وغدا يوم قدس الرب
وقال في موضع اخر لا تعملوا فيه عملا بل يكون سبتا للرب في جميع مساكنكم وكلما اردتم ان تخبزوه فاخبزوه
واطبخوا ما اردتم تم طبخه واحتفظوا بما يفضلون الي الغد فابقوا منه للغد كما امر موسي فلم ينتن ولم يدب
فيه الدود فقال لهم موسي كلوه يومكم هذا لان اليوم يوم سبت للرب ولستم تقدرون عليه اليوم
في الحقل كونوا تلتقطونه ستة ايام واليوم السابع هو سبت لا يوجد فيه فلما كان اليوم السابع خرج
رهط من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا فقال الرب لموسي حتي متي تابوا ان يعملوا وصاياي وسنني
فاستراح الشعب في اليوم السابع فسماه بنوا اسرايل المن وهو كحبة الكزبرة وطعمه كشهد العسل وقال
في السفر الرابع والمن كان يشبه حبة الكزبرة وكان منظره ابيض كالبلور وكان الشعب ينتشرون فيلتقطونه
ويطحنونه في الرحا ويدرسونه في المهراس ويطبخونه في القدور ويصيرونه ملا ويصير طعمه مثل
طعم الخبز الذي يعجن دقيقه بالزيت رجع الي الثاني قال فاكل بنوا اسرايل المن اربعين سنة ولم يزالوا
ياكلون المن حتي انتهوا الي اقطار الارض ذات السكني وحتي انتهوا الي اقطار ارض كنعان
وكان ذلك المكيال له عشر جريب اي عشر ويبه وان جماعة بني اسرايل ظعنوا من برية سينين في
مظاعنهم كما امر الرب فوردوا رفيدين ولم يكن للشعب ما يشربون فضج الشعب على موسي وقالوا
له اعطنا الماء لنشرب فقال لهم ما بالكم تضجون وكم تجربون الرب واشتد عطش الشعب هناك فتذمروا
على موسي وقالوا لم اصعدتنا من ارض مصر لتقتلنا وابناءنا ومواشينا بالعطش فصلى موسي امام
الرب وقال ما اصنع بهذا الشعب انهم كادوا ان يرجموني فقال الرب لموسي جز قدام الشعب وانطلق
ببعض اشياخ بني اسرايل والعصى التي ضربت بها النهر فخذها بيدك وانطلق وها انذا
واقف بين يديك على حجر الظران بحوريب فاضرب عند ذلك الظران فيخرج الما ويشرب الشعب فصنع
موسي هذا الصنيع بين اشياخ بني اسرايل فسمي ذلك الموضع التجريب والتذمر لان بني اسرايل
تنازعوا واصطخبوا ولانهم جربوا الله وقالوا هل الله بيننا ام لا ولما كان في الشهر الثالث بعد خروج

بني اسرايل من مصر اتتوا الى بريه سينا اذ طعنوا رفيدين فاتوا بريه سينا وحل هناك اسرايل
قباله الجبل فصعد موسي الى الجبل فدعاه الله من الجبل وقال هكذا قل لال يعقوب قد رايتم
ما صنعت بالمصريين وحملتكم كانكم على اجنحة النسور واقبلت بكم الي فالان انتم الان اطعتم قولي
وحفظتم عهدي فانتم احب الي من جميع شعوب الارض فاتي موسي فدعا باشياخ الشعب فقص عليهم
جميع هذه الايات التي امره بها الرب فاجاب الشعب كلهم جميعا وقالوا نحن فاعلون جميع ما
امرنا به الرب فرد موسي جواب الشعب كلهم جميعا وقالوا نحن فاعلون جميع ما امرنا به الرب
فرد موسي جواب الشعب على الرب فقال الرب لموسي ها انذا اناجيك في سحاب مظلم لكي يسمع الشعب
كلامي اذا كلمتك فيقبلوا كلامك ويصدقوا موسي الى الابد فقال الرب لموسي انطلق الى الشعب وطهر
لهم اليوم وغدا وليبيضوا ثيابهم ويرحضوها وليستعدوا في اليوم الثالث فناشد الشعب وتقدم
اليهم وقل لهم احذروا ان تصعدوا الى الجبل ولا تقتربوا الى حافاته ومن دنا من الجبل فليقتل
ولا تمسه ايدي الناس بل يرجم رجما ويقذف به الى اسفل بهيمة كان او انسانا فاذا اصمتت اصوات
القرون فانتم في حل من الصعود الى الجبل فهبط موسي من الجبل الى الشعب فطهر الشعب وبيضوا
ثيابهم وقال موسي للشعب كونوا مستعدين في اليوم الثالث لا تقتربن الى امراة فلما كان في اليوم
الثالث باكروا غلسا فاذا هم باصوات قرون وبروق واذا هم ايضا بسحابة عظيمة قد حلت على
الجبل فاشتد صوت القرن جدا واشتد فزع من كان في العسكر واخرج موسي الشعب
الى لقا الرب من العسكر فقاموا في حافات الجبل وكان جبل سينا يخرج من العثار دخان
لان الرب هبط عليه بالنار وارتفع غباره كغبار الاتون وتزلزل الجبل زلزلة شديدة فاشتد صوت
القرون ودعا الرب موسي الى راس الجبل فصعد موسي وقال له الرب انزل فاشهد على اسرايل
وانذرهم ان لا يتخرجوا عند النظر بين يدي الرب فيهلك منهم كثير من وكان جميع الشعب
يسمعون الاصوات ويرون المصابيح ويسمعون اصوات القرون ويرون الدخان يخرج من الجبل
فراي ذلك الشعب ففزعوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسي كلمنا انت ونحن نسمع ولا يكلمنا الله لكيلا نموت
فقال موسي لا خوف عليكم لان الله انما كلمكم ليمتحنكم ويجربكم لكي تخافوه وترهبوا ولا تخطوا ولا تاثموا
فوقف الشعب من بعيد ودنا موسي من الضباب التي اعتزل الله فيها فقال الرب لموسي هكذا قل لال
اسرايل قد رايتم وعلمتم اني كلمتكم من السما لا تتخذوا معي الهة من ذهب ولا تعملوا لكم الهة من فضة
ثم قال ها انذا مرسل اليك الملك بين يديك ليحفظك في سفرك ويوردك البلاد التي اتقنت وفي نسخة
الذي هيات فاحذره واسمع منه لان اسمي حال عليه فان انت قبلت قوله واطعت امري وعملت بكل
ما يامرك به ابغض مبغضيك ويسير ملكي امامك فيدخلك على الاموري اسني وذكر بعدهم خمس
فرق فاقتلهم وابيدهم وارسل الرعب والخوف والجزع بين يديك وابيد جميع الشعوب الذين تسير
اليهم ولا ابيدهم في سنة واحدة لكيلا تخرب الارض بل رويدا رويدا الى ان تعتز وفي نسخة
تصير ذا بطش فترث الارض واجعل تخومك من بحر سوف والى فلسطين ومن البرية وحتى
النهر وفسره في بعض اخر بالفرات وقال الرب لموسي اصعد الى الجبل انت وهرون وناداب

وابهوا

وابهوا وسبعون رجلا من اشياخ بني اسرايل ويسجدون من بعيد ويتقدم موسي وحده الى
الرب وهم لا يتقربون ولا يصعد الشعب معه فجا موسي وقص على الشعب جميع عهود الرب وجميع
احكامه فنادي الشعب كلهم بصوت عال وقالوا نحن نفعل ما امرنا الرب وكتب موسي جميع كلام
الرب وغدا باكرا فبني مذبحا في حافة الجبل ونصب اثنتي عشرة نصبة لاسباط بني اسرايل
ثم ذكر ذبايح وقرابين وغير ذلك ثم قال ثم اخذ سفر العهد متلاه على الشعب فقالوا نحن سامعون
فاعلون ما امرنا به الرب فتناول موسي ذلك الدم يعني دم القربان فرشه على الشعب وقال
هذا دم العهد الذي عاهدكم في جميع هذه الاقاويل وصعد موسي ومن ذكر معه ثم تركهم في
مكان من الجبل ثم قال لهم امكثوا ههنا فصعد موسي الى الجبل وتغشاه السحاب وحل مجد الله
على جبل سينا وستره السحاب ستة ايام ودعا الرب موسي في اليوم السابع في جوف السحاب ونظر
الى مجد الرب مثل نار تتوقد في راس الجبل امام جميع بني اسرايل فدخل موسي في جوف السحاب
وصعد الى الجبل فمكث موسي في الجبل اربعين يوما نهارا واربعين ليلة وكلم الرب موسي وقال
له قل لبني اسرايل فليهيوا الي تزكية اموالهم وخذ ذلك من كل رجل بلغ اشده ثم ذكر الاموال
التي تزكى الى ان قال ويتخذون لي مطهرا اخل احل بينهم كل شي اريكه شبه القبه وجميع متاعها كذلك
فليصنعوا ثم قال واعمل على المثال الذي اريكه في الجبل ويتخذوا تابوتا من خشب الشمشار طوله
ذراعان ونصف وسمكه ذراع ونصف وصفحه بصفايح الذهب الابريز من داخله ومن خارجه
واتخذ له طوقا من ذهب يحيط به وضع له اربع حلقات من ذهب وسمرها في اربع زوايا التابوت
حلقتين في شق واحد وحلقتين في الجانب الاخر واتخذ اصطارا من خشب الشمشار وصفحها
بالذهب وصير الاصطار في الحلق في جانبي التابوت ليحمل به وليكن الاصطار في حلق التابوت
لا ينزع منها وضع الشهادة التي اعطيك في التابوت ويسمي هذا تابوت الشهادة واتخذ كروبين
اي شخصين من ذهب اتخذهما مفرغين مصوبين فيكونا على جانبي المطهر ويكون اجنحة الكروبين
مبسوطة تظل من فوق فتظل باكنافها على المطهر وليكن وجه كل واحد منهما ازا صاحبه وليكن
وجها الكروبين من فوق المطهر وقال ولتتخذوا اراللقبة من مهب الجنوب واستمر يصف
له عمل هذه القبة واعمدتها وصورها والاتها وخدمها وما يقرب فيها وكل حد من من
العسكر وعلى اي كيفية في نحو خمس عشرة ورقة وسماها قبة الزمان ثم امره تعالى في اخر هذا السفر
في تضاعيف ذلك ولتضع الشهادة التي اعطيك في التابوت واواعدك الى هنا والملك فوق
المطهر من بين الكروبين الذين فوق تابوت الشهادة بجميع ما امرك به نحو بني اسرايل وقال
ويتخذوا هذا القربان دايما في كل حين في احقابكم على باب قبة الزمان قدام الرب واواعدكم
الى هناك لا كلمكم واواعد بني اسرايل الى هناك فاتقدس بكرامتي واحل بين بني اسرايل فيعلمون
اني انا الرب الاههم الذي اخرجهم من ارض مصر ثم قال فليود المرء منهم الزكوة عن نفسه اذا عددتهم
لكيلا يتولى بهم الوبا ثم ذكر له تفاصيل ما يودي وان الزكوة على الغني والمسكين وكلم الرب موسي

وقال له اعلم اني قد انتخبت بصلبا لـ لن اوري بن حور من سبط يهوذا واشبعت عليه روح الله
وملاته من الحكمة والعلم في كل علم ليعلم الصناعات في عمل انية الذهب والفضة والنحاس وفي
رندجة الحجارة ونظمها وكاملها وفي نجارة الخشب ليعمل كل عمل وقد ضممت اليه اليهب بن اخسمخ
من سبط دان واحللت الحكمة والفهم في قلوب في ذوي الحكمة والعقل ليعملوا جميع ما امرتك
به من عمل قبة الامد وتابوت الشهادة والتطهير الذي فوقه وجميع متاع القبة المايدة
وجميع متاعها والمنارة وجميع ابنيتها ومذبح البخور ومذبح القرابين وجميع انيتها والسطل
واسفله والمماس المضايد ولباس القدس لهرون الكاهن بعين الامام وكسوة بنيه ليكهنوا
ودهن المسح وبخور الطيب للقدس فليعملوا جميع ما امرتك به الى ان قال ودفع الى موسي لما فرغ
من كلامه له في طور سينا لوحي الشهادة لوحي حجارة مكتوب عليهما بيد الله فراي الشعب ان موسي
قد ابطا عن النزول من الجبل فاجتمع الشعب بعني وقالوا اتخذ لنا الهة تسير امامنا لان الرجل
في معنى الذي اخرجنا من ارض مصر لا علم لنا ما صار من امره فذكر اتخاذهم العجل وانهم ذبحوا
له الذبايح وجلسوا ياكلون ويشربون وقاموا يلعبون ويتشاقهون وان هرون عليه السلام
دعى من ذلك وفرغ وانما لم انقل التوراة عن هذا بلفظه لان في اول عبارته ما رايته غضاضا
للنسبة الى مقام هرون عليه السلام وحاشاه مما يوهم نقصا فتجوزت ان يكون مما بدلوه ثم تاملت
ما رواه النساي وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الفتون
فوجدته ليس بعيدا من ما وبله وقد ذكرت محل الحاجة منه في سورة طه والله الموفق
٦ قال فقال الرب لموسي اهبط من ههنا لان شعبك الذين اخرجتهم من ارض مصر افسدوا و
سيرتهم وصدوا وشيكا عن الطريق الذي امرتهم ان يسلكوه فاتخذوا لهم عجلا مفرغا وسجدوا
له بين يديه وذبحوا له الذبايح وقالوا هذا الهك يا اسرايل الذي اخرجك من ارض مصر
وقال الرب لموسي اني قد رايت هذا الشعب قاسية قلوبهم فدعني الان فيشتد غضبي عليهم
فاقتلهم وابيدهم واصيرك الى شعب عظيم فصلى موسي بين يدي الله وقال كلا يا رب لا يشتد غضبك
على شعبك الذين اخرجتهم من مصر بعزتك العظيمة وبذراعك العلية الرفيعة ولا يقول اهل
مصر انك انما اخرجتهم لهلاكهم لتقتلهم بين الجبال وتفنيهم عن شاقتهم وتبيد خضراهم عن جديد
الارض يا رب ليسكن غضبك وحزنك واعف وتب عن شعبك اذكر ابراهيم واسحق ويعقوب
عبيدك والايمان التي اقسمت بها لهم وقلت اني مكثر نسلكم مثل نجوم السما وجميع الارض التي
وعدت بها نسلهم ان نعطيهم اياها فيرثوها الى الابد فعفا الرب عن شعبه ولم ينزل بهم الشر
فنزل موسي وهبط من الجبل ولوحا الشهادة في يده ولوحان كتب عليهما في الوجهين جميعا
واللوحان من عمل الله جل ثناؤه وخط الله مكتوب عليهما فلما دنا موسي من العسكر نظر العجل
والصنوج فاشتد غضب موسي فرمي باللوحين من يده فكسرهما في سفح الجبل ثم اخذ العجل الذي
اتخذوه فاحرقه بالنار وسحله بالمبرد حتى صيره مثل التراب ونسفه على وجه الما فوقف
موسي على باب قبة الزمان وقال من كان حزب الله فليقبل الي فانحاز اليه بنو الاوي باجمعهم

فقال

فقال لهم موسي هكذا يقول الرب اله اسرايل ليتقلد المرء منكم سيفه وجوزوا امن
باب الى باب وجولوا العسكر وليقتل المرء منكم اخاه وصاحبه وقرابته فصنع بنو الاوي كما امرهم
موسي فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو من ثلثة الاف رجل فقال لهم موسي كفوا ايديكم يومكم
هذا من الحمية للرب لتحل عليكم البركة يومنا هذا فلما كان الغد من ذلك اليوم قال موسي للشعب
انتم خطيتم وارتكبتم هذه الخطية العظيمة فاما الان فاني اصعد الى الرب لعله ان يغفر لكم
ذنوبكم واثمكم فرجع موسي الى الرب وقال اطلب اليك بالتضرع اللهم ربي حقا لقد اخطا
هذا الشعب وارتكب اثما عظيما واتخذوا الهة من ذهب فالان ان انت غفرت خطاياهم والا
فامحني من سفرك الذي كتبت فقال الرب انا امحو من سفري من اخطا واذنب فاما الان
فانطلق بهذا الشعب الى الموضع الذي اقول لك وهذا ملاكي ينطلق امامك الى الارض التي
تغل السمن والعسل لاني لا اصعد معكم لانهم شعب قاسية رقابهم ولعل غضبي ان يشتد عليهم
فاقتلهم في الطريق فسمع الشعب هذا القول السيء فحزنوا فلم يتسلح المرء منهم بسلاحه فاخذ
موسي خيمته فنصبها خارجا من العسكر وابعدها من المحلة وسماها قبة الزمان وكان من سال
الرب امرا يخرج الى قبة الزمان وكان اذا خرج موسي الى قبة الزمان كان جميع الشعب يقفون
ويستعد كل امر منهم على باب خيمته ينظرون الى موسي من خلفه حتى يدخل الى القبة واذا دخل
موسي الى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة ويكلم موسي وكان جميع الشعب
ينظرون الى عمود السحاب واقفا على باب القبة وكان يقف جميع الشعب ويصلي كل امرء منهم على باب
خيمته وكلم الرب موسي مواجهة كما يكلم المرء اخاه وصاحبه وكان يرجع الى العسكر وكان خادمه
يشوع بن نون الغلام لم يكن يفارق القبة وقال موسي للرب يا رب انت امرتني ان اصعد
بهذا الشعب ولم تطلعني على من ترسل معي وقلت اني قد اطلعتك على جميع خلايقي ومجاري وظفرت
ايضا مني برحمة ودالة فالان ان كنت قد ظفرت منك برحمة ودالة فارني طريقك حتى اعرفك
فقال الرب لموسي سر امامي فاواعدك واريحك فقال له ان انت لم تصعد بيننا فلا تصعدنا
من ههنا فيما ذا يعرف اني قد ظفرت منك برحمة ودالة انا وشعبك الا اذا سرت بيننا
فنكون انا وشعبك منفصلين معروفين من جميع الشعوب الذين على وجه الارض فقال الرب
لموسي اني فاعل ما سالت لانك ظفرت مني برحمة ودالة واصير اسمك معروفا شهيرا الى
الابد فقال له انا اجيز جميع مجري وكرامتي بين يديك ويذكر اسم الرب امامك واتحنن على
من اردت التحنن عليه وارحم من اردت ارحم وقال انك لا تقدر على النظر الى وجهي لانه
لا يراني ليسري فيحيى وقال الرب لموسي انقر لوحي حجارة مثل اللوحين الاولين الذين كسرتهما
وكن مستعدا بالغداة واصعد باكرا الى الجبل جبل سينا وقف هناك على راس الجبل ولا يصعدن
احد معك ولا يري احد في جميع الجبل ولا يرعين البقر والغنم قبالة ذلك الجبل فنقر موسي لوحين
اخرين من حجارة مثل الاولين وغدا باكرا فصعد الى طور سينا كما امره الرب اخذ اللوحين
في يده فنزل استعلان الرب امامه فقال موسي يا رب اللهم ربي الرؤوف الرحيم الطويل الاناة

والمهل الكثير نعمه وبسطه حافظ النعمة والودّ الى الف حقب وتغفر الذنوب والاثم والخطايا فاستعجل موسى فخر على وجهه على الارض ساجدا وقال ان ظفرت يا رب منك برحمة ورافة فليسلك الرب الان بيننا لان هذا الشعب هو شعب قاسيه رقابهم واغفر ذنوبنا وخطايانا وحبث بنا بنا فقال له ها انذا العهد عهدا امام جميع واظهر عجايب لم اظهر مثلها في الارض كلها وفي جميع الشعوب فيرى كل جميع هذا الشعب الذي انت فيه فعل الرب الذي امرك به انه مخوف موجوب احتفظ بما امرك به في هذا اليوم ها انذا اقبل وابيد من بين يديك من الكنعانيين وسمى من تقدم وكور النهي عن السجود لغير سبحانه واوصى باشيا منها الفطير فقال واحفظ عيد الفطير سبعة ايام كما امرتك في اوان شهر الفتاح وفي نسخة العربك لانك انما خرجت من مصر في شهر الفصاح ثم قال فمكث هناك عند الرب اربعين يوما وليالها لم ياكل طعاما ولم يشرب شرابا وكتب الله على لوحي الحجارة كلام العهد وهو العشر الايات فلما هبط موسى من جبل سينا كان لوحا الشهادة في يدي ولم يعلم موسى ان بشرة وجهه قد جللت بالنور اذ كلمه الله فنظر هرون وجميع بني اسرايل الى وجه موسى ففزعوا ان يقتربوا اليه فدعاهم فاتاه هرون وجميع عظما الجماعة وكلمهم موسى فلما فرغوا من كلامه لهم بسط على وجهه جلبابا وكان اذا دخل الى الرب ليكلمه يكشف عن وجهه حتى يخرج وكان يخرج نبأ من بني اسرايل بما يومر به وقال لهم ان الرب امران يعمل عملك ستة ايام واليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا السبت يوم راحة قدس للرب ومن عمل فيه عملا فليقتل ولا تشعلوا النار في جميع مساكنكم يوم السبت ثم امرهم تعالى بالزكوة من الذهب والفضة والنحاس والغزل والجلود وغير ذلك وباشيا يزيد ونها في قبة الزمان في اول يوم من الشهر الاول وصير تابوت الشهادة هنالك واسبل الجلال على التابوت الى ان قال وادن بهرون وبنيه الى باب قبة الامد واغسلهم بالما والبس هرون لباس القدس وامسحه فليكهن لي وادن بنيه والبسهم السراويل وامسحهم كما مسحت هرون اخاك فليكهنوا لي وليكن لهم مسحهم للكهنوت الى الابد لاحقابهم فصنع موسى كما امره الله فلما كان اول يوم من الشهر الاول من السنة الثانية نصب القبة يوم الاحد وضرب اوتادها وركب الواحها ورتق عوارضها وركز اعمدتها وستر الستر على القبة وجللها من فوقها كما امر الرب وتناول الشهادة فوضعها في التابوت وصير الدهوق في التابوت ووضع التطهير على التابوت من فوق وادخل التابوت الى القبة واخذ حجاب وجه الباب فظلل تابوت الشهادة كما امر الرب موسى ونصب المنارة ازاء المايدة في حافات القبة مما يلي مهب الجنوب وولوا مصابيحها قدام الرب كما امر الرب موسى ونصب مذبح الذهب في قبة الزمان خارج الحجاب وبخر عليه بخور الطيب كما امر الرب واسبل الستر على باب القبة ونصب مذبح القرابين على الباب وقرب عليه القرابين كما امر الرب ووضع السطل بين قبة الزمان والمذبح وسكب عليه ما المغسل وكان هرون وبنوه يغسلون ايديهم واقدامهم اذا ارادوا الدخول

الى قبة الزمان وكانوا اذا دنوا من المذبح يغسلون ايضا كما امر الرب موسى ونصب دارا يحيط بالقبة والمذبح واسبل الستر على باب الدار وكمل موسى عمله وغشت السحابة قبة الزمان وامتلات القبة بمجد الرب وكرامته ولم يقدر موسى على الدخول الى قبة الزمان لان السحاب حلت عليها وامتلات القبة بمجد الرب وكرامته وكان اذا ارتفع السحاب عن القبة كان بنوا اسرايل يظعنون في جميع مظاعنهم وان لم ترتفع الغمامة لم يظعنوا الى اليوم الذي ترتفع فيه لان سحاب الرب كان يغشى القبة بالنهار وكانت النار تضي عليها بالليل وتزهر وتنير امام جميع بني اسرايل في جميع مظاعنهم وقال في اول السفر الرابع امر الله باحصا بني اسرايل فكانوا من ابنا عشرين سنة الى ما فوقها من خرج منهم للحرب في الاجناد ستماية الف وثلاثة الاف وخمسماية وخمسين دون سبط لاوي فانهم لحفظ قبة الزمان وخدمتها ويكونون منازلهم حولها محدقين بها وهم من ابن شهر الى ما فوق اثنان وعشرون الفا ثم قال وكلم الرب موسى وقال له اذا اتى على الرجل من اللاويين خمسة وعشرون سنة تقوى على ان يعمل العمل في قبة الزمان فاذا اتت عليه خمسون سنة يخرج من العمل ولا يعمل عملا في قبة الامد وكان ينزل بنو اسرايل حول بني لاوي بامر الله تعالى لهم كل له محل من القبة على الاستدارة وكان ينزل من مشارقها موسى وهرون وبنوه ليحفظوا احفاظ القدس والقرابين على بني اسرايل ومن دنا من قبة الزمان واعمالها من الغربا يعمى بقتله فقد علم من هذا ومما قبله من انكما يصلي على باب خيمته ان قبلهم وهم في القبة قبة الزمان وفي اليوم الذي نصب فيه الخبا اي في قبة الزمان نخشت سحابة من عند الرب قبة الزمان وحجاب بابها باب الشهادة وكانوا يرون في الخبا عند المسا نارا تتوقد الى الصباح كذلك وكان يكون في الخبا دايما وكانت تغشاه سحابة بالنهار وترى قبة نار بالليل فاذا ارتفعت السحابة عن القبة ارتحل بنو اسرايل من مواضعهم وحيث ما نزلت السحابة هناك كان ينزل بنو اسرايل وانما كان ارتحال بني اسرايل عن قول الرب وبامره فربما مكثت السحابة على القبة من المسا الى الصباح وترتفع الصبح فيرحلون وربما مكثت الليل والنهار وربما مكثت اياما واشهرا وربما مكثت سنة وكلم الرب موسى وقال له اتخذ قرنين من فضة يكونان عند حضور الجماعة وارتحال العسكر يهتف بهما الكهنة فتحتشد اليك جماعة بني اسرايل اجمعون الى باب قبة الزمان وان نفخ في واحد اجتمع اليك القواد ورؤسا الالوف ولما كان في السنة الثانية في عشرين خلون من الشهر الثاني ارتفعت السحابة عن قبة الشهادة وارتحل بنوا اسرايل من برية سينا ونزلت السحابة في قفر فاران ثم قال وارتحلوا من عند جبل الرب مسيرة ثلاثة ايام فاما تابوت عهد الرب فظعن قبلهم مسيرة يوم ليهيي منزلا وكانت تظلهم سحابة من قبل الرب اذا ارتحلوا ليلا تقيهم حرارة الشمس فلما ارتحل حاملو التابوت قال موسى انهض الينا يا رب ليتبدد شاناك ويبيد اعداوك من بين يديك واذا انزل حملة التابوت قال اقبل يا رب الى الوف بني اسرايل فتذمر الشعب ومسا الرب ذلك وغضب وسمع توشوشهم فاشتد غضبه عليهم واشتعلت فيهم نار من قبل الرب فاحرقت

الذي في اطراف العسكر وحوله وصح الشعب علي موسي فصلي موسي امام الرب وخمدت النار ودعا
اسم ذلك الموضع الاحتراق لان نار الرب اشتعلت فيهم واحرقتهم هناك واشتهي الخلط الذين كانوا
فيهم من الشعوب شهوة واقبلوا علي بني اسرايل وقالوا ليت انا نجد من يطعمنا لحما ذكرنا السمك
الذي كنا ناكله بمصر واكلنا القثا والبطيخ والكراث والبصل والثوم والان انفسنا قرمة
يابسة لا تقدر علي شي تاكله ما خلا هذا المن الذي قدام اعيننا وسمع موسي الشعب يبكون في
قبايلهم كل انسان علي باب خيمته واشتد غضب الرب وشق ذلك علي موسي ايضا ثم قال
من اين اقدر اعطي هذه الامة كلها وحدي لانها اقوي مني ان كان تفعل هذا بي فاقتلني
قتلا ان وافيت منك رحمة ولا اعاين شرا ولا اري سوا فقال الرب لموسي اجمع سبعين شيخا
من اشياخ بني اسرايل الذين تعلم انهم روسا الشعب وكتابه وانطلق بهم الي قبة الزمان فاني
انزل اليك واكلمك هنالك وانقص في عطية الروح التي عليك واصيره عليهم يحملوا ثقل هذا
الشعب ولا يتركوك وحدك ثم قال موسي للشعب هيوا غدا لتاكلوا لحما لانكم بكيتم الرب وقلتم
ليت من يطعمنا لحما وان الموت بارض مصر خير لنا فيعطيكم الرب لحما وليس انما تاكلون منه
يوما او يومين بل تاكلون منه شهرا حتي يخرج من انوفكم ويصيبكم منه تخمة وجمع سبعين شيخا
من مشايخ الشعب واقامهم حول الخبا ونزل الرب سبحانه وكلمه واخذ من الروح الذي عليه
وصيره علي السبعين ودخل موسي العسكر هو واشياخ بني اسرايل وهبت ريح من قبل الرب
واصعدت السلوي من البحر والقته علي العسكر ومسيرة يوم يمنة ويسرة حول العسكر ليكون
لهم قديدا فبينا اللحم بين اسنانهم قبل ان ينقلع اشتد غضب الرب عليهم وضرب الشعب
ضربة عظيمة جدا ودعا اسم ذلك الموضع قبور الشهوة وارتحل الشعب من قبور الشهوة
فاتوا حضروت ونزلوها وذكر انهم مكثوا هنالك سبعة ايام ثم قال ثم ارتحل الشعب من
حضروت ونزلوا مفازة فاران وكلم الرب موسي وقال له ارسل قوما يجسسون الارض التي
اعطي بني اسرايل فذكر ارسال النقبا الاثني عشر كما سياتي ان شا الله تعالي في سورة المايدة
ثم قال ورجعوا الي موسي فاران الي رقيم انتهي شرح ما اشير اليه في هذه السورة من قصص
بني اسرايل من التوراة ولما بين سبحانه انهم لما تغشوا علي موسي عليه السلام كما مروا في عين
نصوص التوراة مرة بعد مرة اورثهم كفرا في قلوبهم تمردوا علي العصيان والتجروا علي مجاوزة
الحد وضرب عليهم الذلة والمسكنة واحلهم الغضب وكان في ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك
الصراط المستقيم من حالهم واعلام بان المتقين المستجاب لهم في الدعا بالهداية ليسوا في شي من
ذلك بل قالوا اهدنا عن يقين واخلاص مبرين من الدعاوي والاعتراض علي الرسل نبه علي
ان من عمل ضد عملهم فامن منهم او من غيرهم من جميع الملل كان علي ضد حالهم عند ربهم فلا يغضب
عليهم بل يوفيهم اجورهم ويورثهم الامن والسرور المتضمنين لضد الذلة والمسكنة فقال تعالي
ان الذين امنوا اوقيل لما انزل سبحانه ما انزل اهانة بني اسرايل بعصيانهم واعتدايهم كان كانه
قيل فما لمن اطاع فاجيب بجواب عام لهم ولغيرهم اوقيل لما انزل لما اخبر تعالي بانهم الزموا الخزي طوق

الحامة وكان ذلك ربما اوهم انه لا خلاص لهم منه وان تابوا اعلموا ان باب التوبة مفتوح والكرم
كرم علي وجه عام وقال الحرالي لما انبا الحق تعالي بنبا احوال بني اسرايل لغاية مما بين ابتلا
مكرمتهم بالخطاب الاول الي ادني الغضب عليهم لهذا النبا الاخر عنهم اعراضا في مقابلة ذلك
الاقبال الاول وكانوا هم اول اهل كتاب اشعر تعالي بهذا الختم ان جميع من بعدهم
يكون لهم تبعا لنحو مما اصابهم من جميع اهل الملك الاربعة انتهي فقيل ان الذين امنوا اي ادعوا
انهم علي دين موسي عليه السلام قال الحرالي وهو من الهود وهو رجوع بالباطن وثبات فيه
والنصاري المدعين انهم تبعوا المسيح عليه السلام قال الحرالي جمع نصران كان من النصرة فهو
فعلان ولما كان هذه السورة في استعطاف بني اسرايل ترغيبا وترهيبا قرن هنا بين فرقتهم
ولما كانت ملة الصابية جامعة لما تفرق من اصول اديان اهل الشرك تلاهم بهم مزيدا لكل
مشرك فقال والصابيين المنكرين للرسالة في الصورة البشرية القايلين بالادبار العلوية
والاصنام الارضية متوسطين الي رب الارباب قال الحرالي باهم من صبا يصبا صبا ويعير
همز من صبا يصبوا صبوا لما فيه الهمز واليا مع الصاد والبا لمعام معني هو عود الي حال
صغر بعد كبر وعمل من العلم وهو ما درس هن بالعلم انتهي من امن اي منهم بالله اي لذاته واليوم
الاخر الذي الايمان به متضمن للايمان بجميع الصفات من العلم والقدرة وغيرهما وحاث
علي كل خير وصاد عن كل ضير وعمل صالحا اي وصدق ما ادعاه من الايمان باتباع شرع الرسول
الذي في زمانه في الاعمال الظاهرة ولم يفرق بين احد من الرسل ولا اخل بشي من اعتقاد ما
جات به الكتب من الصلاح قال الحرالي وهو العمل المراعي من الخلل واصله الاخلاص في
النية وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل واحكامه انتهي فلهم اجرهم الذي وعدوه علي
تلك الاعمال المشروطة بالايمان وهو في الاصل جعل العامل علي عمله كاينا عند ربهم فهو محفوظ لا
يخشي عليه نسيان ولا يتوجه اليه تلف ولا خوف عليهم من ات يستعلي عليهم من جميع الجهات ولا
هم يحزنون علي شي فات بل هم في اعظم السرور وعاقبتهم من العز والحرمة ضد ما للمعتدين من الذل والمسكنة
وحسن وضع هذه الاية في اثنا قصصهم انهم كانوا مامورين بقتل كل ذكر ممن عداهم وربما امروا
بقتل النسا ايضا فربما ظن من ذلك ان من امن من غيرهم لا يقبل قال في التوراة في قصة
مدين وقتلوا كل ذكر فيها ثم قال وغضب موسي فقال لهم لماذا استبقيتم علي الاناث وهن
كن عثرة لبني اسرايل عن قول بلعام ومشورته فبغي بما افضي الي الزنا ثم قال وقال الرب
لموسي كلم بني اسرايل وقل لهم انتم جايزون الاردن لتهلكوا جميع سكان الارض ونحو هذا مما
لعل بعضه اصرح منه وقد ذكرت منه في سورة المايدة وفي وصفهم ايضا في اثنا قصصهم اشارة
الي تكذيبهم في قولهم ليس علينا في الاميين سبيل وان المدار في عصمة الدم والمال انما هو الايمان
والاستقامة وذلك موجود في نص التوراة في غير موضع وفيها تهديدهم علي المخالفة في ذلك بالذلة
والمسكنة وشبيها في بعض ذلك عند قوله لا تعبدون الا الله الاية بل وفيها ما يقتضي المنع من
مال المخالف في الدين فانه قال في وسط السفر الثاني واذا لقيت ثور عدولك او حماره وعليه

والذين هادوا اي [illegible] بما دعا اليه محمد صلي الله عليه وسلم

وعليه حوله فاردوها اليه واذا رابت حمار عد ول جاثما تحت حمله نهيت ان لا تؤازن فوازره
وسطا عن ثم رجع الي قصصهم بما احسن وجد فانه لما ذكر للمومنين هذا الجزا الذي يحمم امره ترغيبا بابهامه
ولنسبته الي حضرة الرب المحسن بانواع التربيه وانه لا خوف معه ولا حزن تلاه بانهم لم يومنوا بعد
رويتهم ما راوا من باهر الايات حتي رفع فوقهم الطور وعلموا انه دافنهم ان عصوا فكان قبوله
من اعظم النعم عليهم لان حفظه الود لانه لا ايمان عند روية الباس لا ايمان بالغيب ثم ذكر انه
لما انقلع عنهم تولوا عن الحضرة الشريفة الي حضرات الشيطان فاكثروا المعاصي اشارة الي انهم
اغلظ الناس اكبادا واكثرهم جراة وعنادا لا يرعوون لرهبة ولا يسمون لرغبة فقال تعالي
واذ واحضر من هذا ان يقال لما لليهود من الجلافة الداعية الي النفور عن خلال السعادة التي
هي ثمر العلم وما له سبحانه من التطول عليهم باكراههم علي ردهم اليه فقال واذا ي واذكروا يا
بني اسرايل اذ اخذنا بما لنا من العظمة ميثاقكم بالسمع والطاعة من الوثيقة وهي مسه العهد
تاكيدا لاثباته بالكتاب قاله الحرالي ورفعنا فوقكم الطور ترهيبا لكم لتقبلوا الميثاق الذي
هو سبب سعادتكم وقلنا لكم وهو مطل فوقكم خذوا ما اتيناكم من الكتاب للسعادة بطاعتي والتزام
احكامي الموجبة لكونكم في حضرتي بقوة والقوة باطن القدرة من القوي وهي طاقات الجبل
التي تلبث بها ويومن انقطاعه قاله الحرالي واذكروا ما فيه بالقلب فكرا واللسان ذكرا لعلكم
تتقون اي لتكونوا علي رجا من ان تتقوا موجبات السخط فاخذتم نكث واونقتم العهد بر واشار
الي انه كان من حقه البعد عن تركه باداة البعد في قوله ثم توليتم والتولي الاعراض المتكلف
بما يفهمه التفعيل قاله الحرالي من بعد ذلك عن الوفاء به فلولا اي فتسبب عن توليتكم انه لو لا
فضل الله عليكم ورحمته بالعفو والتوبة لكنتم من الخاسرين بالمعقوبة وتابيد الغضب وايضا
فلما كان يمكنهم ان يدعوا الايمان والعمل الصالح عقب تلك ما بر الميثاق اشار الي انه ليس المطلق
الايمان في الجملة بل الايمان بجميع ما اخذ عليهم به الميثاق وهو جميع ما اتاهم في التوراة ايمانا مصحوبا
بالقوة ومما اتاهم صفة عيسي ومحمد عليهما السلام والامر باتباعهما فهو مما اخذ عليهم به العهد وقد
كفروا به فلم يصح لهم ايمان ولا عمل لان المعرفة منهما اتي منه سبحانه زند فهم ثم جاءت قصة المعتدين
في السبت موكدة لذلك اذ كان حاصلها انهم لما صحوا امرا واحدا من اوامره واستحلوا به وهو تحريم
السبت عمهم بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين فقال ولقد واقرب من ذلك انه يقال
انه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو الحافظ لهم من الخسران قرعهم بخلافة اخري لهم خذل بها فريقا منهم
حتي عليهم الخسران فما مروا لانفسهم مقسما بما انهم بها عالمون ولها مستحقرون فقال تعالي ولقد
اي وعزتي لقد علمتم الذين اعتدوا اي تعمدوا العدوان منكم في السبت ان استحلوا واهل
السبت القطع للعمل ونحوه فقلنا اي فتسبب عن اعتدايهم ان قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي
صاغرين مطرودين جمع خاسئ من الخسي وهو طرد بكره واستخبات فجعلناها اي فتسبب عن قولنا
انهم كانوا قردة خاسئين كما قلنا فجعلناها اي هذه العقوبة نكالا اي قيدا مانعا لما بين يديها
من اهل عالمها الشاهدين لها وما خلفها فزجرا بعدهم النكال ابدا العقوبة لم يتعظ بها والبدنا به

تظهر

تظهر اعيان الاشيا وصورها اعلاها وادناها فلذلك لما كانت بيد عليها هي اليمين ودونها
هي اليسري والخلف ما تخلف المتوجه في توجهه فيتطمس عن حواس انباله شهوده قاله
الحرالي وقال وموعظة من الوعظ وهو دعوة الاشيا بما فيها فل لغيره للانقياد لله الحق
بما يخوفها في مقابلة التذكير بما يرجيها ويبسطها للمتقين وقد اشعر هذا ان التقوي عصمة من
كله محذور وان النعم نتج في غيرهم وعظا لهم ولما بين تعالي فساد تهم في حقوق عامة ثم خاصة
اتبعه ببيان فسادهم في مصالح انفسهم لنصح انهم اسفه الناس فقال واذ قال موسي لقومه
بني اسرايل ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة لتعرفوا به امر القتيل الذي اعياكم امره
ولما كان من حقهم المبادرة الي الامتثال والشكر فلم يفعلوا بين فظاعتهم علي طريق
الاستينا ف معظما لها بقوله حكاية عنهم قالوا اتتخذنا هزوا نحموا الي ما اشير اليه من اسا تهم
سو الادب فذكرهم بما راو منه من العلم بالله المنافي للهزء بان قال اعوذ بالله اي اعتصم
به من ان اكون من الجاهلين فانه لا يستهزئ الا جاهل والعوذ اللجا من متخوف لكاف يكفيه
والجهل التقدم في الامور المبهمة بغير علم قاله الحرالي قالوا تماديا في الغلظة ادع لنا ربك
فكان تخصيصهم له بالاضافة غاية في الجفا يبين من التبيين وهو اقتطاع الشي والمعني مما ملابسه
ويداخله قاله الحرالي والمراد المبالغة في البيان بما يفهمه صيغة التفعيل لنا ما هي تلك البقرة
قال انه يقول انها بقرة لا فارض اي مسنة ولا بكر اي فتية صغيرة عوان اي نصف بين ذلك اي الفارض
والبكر فافعلوا ما تومرون فلم يفعلوا بل قالوا ادع لنا ربك تماديا في الجفا بعدم الاعتراف
بالاحسان يبين لنا ما لونها بعد بيان سنها واللون بكيف ظاهر الاشيا في العين قاله الحرالي
قال انه يقول انها بقرة صفرا فاقع لونها اي خالص في صفرته قال الحرالي انه نعت تخليص
للون الاصفر بمنزلة حالك في الاحمر قمي اذن متوسط اللون بين الاسود والابيض كما كانت متوسطة
السن تسر الناظرين اي تبهج نفوسهم قالوا ادع لنا ربك المحسن اليك بالاجابة في كل ما سالته
يبين لنا ما هي ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم ان البقر اي الموصوف بما قدمته تشابه اي وقع تشابهه علينا
ثم ادركتهم العناية فقالوا وانا ان شا الله لمهتدون اي الي المراد فتبركوا بما لا يكون بركة الاية
قال انه يقول انها اي هذه البقرة التي اطلتم التعب في امرها بقرة لا ذلول اي من الذلة
وهي حسن الانقياد قاله الحرالي تثير الارض اي بالحرث من الاثارة وهي اظهار الشي من
الترك كانها تخرج الثري من محتوي السر قاله الحرالي ولا تسقي الحرث اي بالسانية والمراد انها
لم تذل للحرث ولا سقي ومعلوم من الفرق علي ابتياعها وتسليمها للذبح انها ليست في غاية الا ما كلف
نكب لمانع التواسط من الحكم لا تشتات الحرث مسلمة اي من العيوب لا شية اي علامة فيها تخالف لونها
قالوا الان اي في هذا الحد من الزمان الكاين الفاصل بين الماضي والاتي جيت بالحق اي الامر
المستقر فذبحوها اي فتسبب عما تقدم كله انهم ذبحوها وما كادوا اي قاربوا قبل هذه المواجهة
الاخيرة يفعلون او يقال انه لما كان السبب انما وجب عليهم وابتلوا بالتشديد فيه باقتراحهم سوالهم
اياه بعد اباهم للجمعة كما ياتي ان شا الله تعالي بيانه عند قوله تعالي انما جعل السبت علي الذين اختلفوا

لبه كان انسب الاشيا بعقبه بقصة البقرة التي ما شدد عليهم في امرها الا لتعنتهم فيه
واباتهم لذبح اي بقرة تيسرت ونحوه ان يقال انه بما كان من جملة ما استحقوا به السبت المسارعة
الي ازهاق ما لا يحيي من الارواح المحرعين من الحيتان وكان في قصة البقرة التعنت والتبطؤ
عن ازهاق نفس واحدة امروا بذبحها ومن احسن المناسبات ان في كل من ايتي القردة
والبقرة تبديل حالة الانسان بمخالطتهم بعض الحيوانات البهم ففي الاولي اخراسه بعد نطقه بلحم السمك
وفي الثانية انطاقه بعد خرسه بالموت بلحم البقر ولعل تخصيص لحم البقر بهذا الامر لا نفاطهم من
ردتهم وتنبيههم من غفلتهم عن عظيم قدرة الله تعالي لينزع من قلوبهم التعجب من حوار العجل الذي
عبدوه وقال الامام ابو الحسن الحرالي وفي ذلك تشام بين احوالهم في اتخاذهم العجل وفي طلبهم ذلك
وفي كل ذلك مناسبة بين طباعهم وطباع البقرة الحلوبة للكد وعمل الارض التي منها التعب والذل
والتعرف فيما هو من الدنيا تزغلا فيها وفيه تتميم مطلبهم ما تنبت الارض الذي هو اثر الحرث
يعني الذي ابدلوا الحطة به وهو حبة في شعرة فكانهم بذلك ارضيون ترابيون لا تسموا طباع الارضهم
الي الامور الروحانية العلوية فان جبلة كل نفس تناسب ما تنزع اليه وتلهج به من انواع الحيوان
ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا انتهي ولما تمت القصة شطرين يلتفت
علي النعمتين نعمة العفو علي التوقف عن الامر ونعمة البيان للقاتل بالامر الخارق وقدم الشطر
الانسب لقصة السبت اتبعه الاخر وقال الحرالي قدم بنا قول موسي عليه السلام علي ذكر تدارئهم
في القتيل ابتداء بالشرف القصدين من معني التشريع الذي هو التمام علي افعال الاعتداء واقوال
الخصومة انتهي فقال تعالي واذ اي واذكروا اذ قتلتم نفسا فاقبل عليهم بالخطاب توبيخا لهم واشارة
الي ان الموجودين منهم راضون بما مضي من اسلافهم وان من ود شيئا كان من عملته فادارأتم فيها
اي تدافعتم فكان كل فريق منكم يردا القتل الي الاخر فكان لكم بذلك ثلثة اثام اثم الكبيرة واثم الاصرار
ثم الافترا بالدفع والله مخرج بلطيف صنعه وعظيم شانه ما كنتم تكتمون وفي تقديمه ايضا زيادة تبكيت
لهم بتوقفهم في ذبح بقرة امروا بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم الي قتل انسان مثله
لغير النهي الشديد عنه وقوله فقلنا اي بما لنا من العظمة اضربوه ببعضها قال الامام ابو علي الفارسي
في كتاب الحجة قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحيي كذلك يحيي الله الموتي مثل هذا الاحيا
الذي عاينتم وشوهد انتهي وهذه الخارقة كما اخبر نبينا صلي الله عليه وسلم ذراع الشاة المسمومة بانه
مسموم لما سمته اليهودية التي كانت في قومها هذه الاية وجعل هذا التنبيه علي البعث في قصصهم
لانه من اعظم الادلة عليه وقد وقع منهم ما شاع معه عدهم منكرين وهو قولهم للمشركين دينكم
خير من دين محمد او ان هذا تنبيه مقصود به حث العرب علي سوال من استنصحوهم في السوال
عن النبي صلي الله عليه وسلم لكونهم اهل العلم الاول فهو ملزم لهم باعتقاد البعث او اعتقاد كذب
اليهود وغيره بالاسم المعلم لان الاحيا من اخص الايات بصفة الالهية كما ان الارزاق اخص الايات
بالربوبية ويريكم اياته فيما يشهد بجنسه لعلكم تعقلون اي لتكونوا برويته تلك الايات الشاهدة له
علي رجا من ان يحصل لكم عقل فيسددكم الي اعتقاد البعث وغيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالي

ولما

ولما كان حصول المعصية منهم بعد روية هذه الخارقة مستبعدا اشار اليه بقوله ثم قست
من القسوة وهي اشتداد التصلب والتحجر قلوبكم من بعد ذلك اي من بعد ما تقدم وصفه من
الخوارق في المراجعات وغيرها تذكيرا لهم بطول امهاله لهم سبحانه مع توالي كفرهم وعنادهم
وتحذيرا من مثل ما احل باهل السبت فهي اي فتسبب عن قسوتها ان كانت كالحجارة التي هي ابعد
الاشيا عن حالها فان القلب احي حي والحجر اجمد جامد ولما كانت القلوب بالنظر الي حياتها
الي لين وبالنظر الي ثباتها علي حالها اصلب شي كانت القلوب بحيث يحير الناظر في امرها
فقال او قال الحرالي كلمة تدل علي ابهام الامر وحصره بتبع الابهام والابهام اشد قسوة لانها
لا تلين لما حقه ان يلينها والحجر يلين لما حقه ان يلينه وكل وصف للحي يشابه ما دونه افتح فيه مما دونه
من حيث ان الحي مهيا لضد تلك المشابهة بالادراك ولما كان التقدير فان الحجارة سفعل بالمزاولة
عطف عليه وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ذكرا للكثير مما يشاهد من ذلك وتذكيرا بالحجر المتفجر
لهم منه الانهار بضرب العصا ثم عطف علي ذلك ما هو دونه فقال وان منها لما يشقق من التشقق
وهو تفعل صيغة التكلف من الشق وهو مصير الشي في شقيق اي ناحيتين متقابلتين قال الحرالي
فيخرج منه الما الذي هو دون النهر ثم عطف علي ذلك ما هو انزل من ذلك فقال وان منها لما يهبط
من خشية الله اي ينتقل من مكانه من اعلي الجبل الي اسفله لامر الله بذلك وقلوبكم لا تسعد لشي من
الاوامر فجعل الامر في حق القلوب لما فيها من العقل كالارادة في حق الحجارة لما خلا من الحيا وفي
ذلك تذكير لهم بالحجارة المتهافتة من الطور عند تجلي الرب قال الحرالي والخشية وجل نفس العالم
مما يستعظمه ولما كان التقدير فما اعمالكم او فما اعمالهم علي قراءة الغيب مما يرضي الله عطف عليه وما
الله بغافل والغفلة فقد الشعور بما حقه ان يشعر به عما تعملون فانتظروا عذابا مثل عذاب
اصحاب السبت اما في الدنيا واما في الاخرة ولم ار ذكر قصة البقرة في التوراة فلعله مما اخفوه لبعض
كاستهم كما اشير اليه بقوله تعالي تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا والذي رايت فيها مما يشبه
ذلك ويمكن ان يكون مسببا عنه انه قال في السفر الخامس منها ما نصه فاذا وجدتم قتيلا في
الارض التي يعطيكم الله ربكم مطروحا لا يعرف قاتله يخرج اشياخكم وقضاتكم ويذرعون ما بين
القتيل والقرية فاي قرية كانت قريبة من القتيل ياخذ اشياخ تلك القرية عجلا لم يعمل به عمل ولم
يحرث به حرث فينزل اشياخ القرية العجل الي الوادي الذي لم يزرع ولم يحرث فيه حرث يذبحون
العجل في ذلك الوادي ويتقدم الاحبار بنو لاوي الذين اختارهم الله ربكم ان يخدموا ويباركوا
اسم الرب وعن قولهم يقضي كل قضا ويضرب كل مضروب وجميع اشياخ تلك القرية من القتيل
يغسلون بايديهم فوق العجل المذبوح في الوادي ويحلفون ويقولون ما سفكت ايدينا هذا الدم
وما راينا من قتله فاعف يا رب لال اسرايل شعبك الذين خلصت ولا تواخذ شعبك بالدم الزكي
ويغفر لهم علي الدم وانتم فتحصوا عن الدم واقضوا بالحق وابعدوا عنكم الاثم واعملوا الحسنات
بين يدي الله ربكم انتهي وهو لما تري يشبه ان يكون فرع هذا الاصل المذكور في القران العظيم
والله اعلم ولما بين سبحانه ان قلوبهم صارت من كثرة المعاصي وتوالي التجري علي باريها محجوبة بالرين كثيفة

الطبع بحيث انها اشد قسوة من الحجارة تسبب عن ذلك بعد عمر عن الايمان فالتفت الي المومنين
يويسهم من فلاحهم في معرض التبكيت عليهم والتبكيت لهم منكرا للطمع في ايمانهم بعد ما قرر انه
نكوين من لعراتهم فقال افتطمعون الطمع معلق المبالك بالتي من عز تقدم سبب له ان يومنوا منتزين
لكم وقد اي والحال انه قد كان فريق منهم قال الحرالي من الفرق وهو اختصاص براي وجهه
عمن حقه ان يتصل به ويكون معه كلام هو اظهار ما في الباطن على الظاهر لمن يشهده ذلك الظاهر
بكل نحو من انحا الاظهار انتهى يسمعون كلام الله المحتوي بجميع صفات الكمال ثم يحرفونه اي يزيلونه
عن وجهه برده على حرفه وازالته عن وجهه وفي ذكر الفريق مع المعطوفات عليه تاكيد لعظيم
لهنكهم في العصيان بانهم كانوا بعد ما وصف من احوالهم الخبيثة مرتابي الكفر والعدوان والتبري
من جلبات الحيا وقوله من بعد ما عقلوه مع كونه توطية لما ياتي من امر النسخ مشيرا الي ان تحريفهم
لم يكن في محل اشكال لكونه مدركا بالبديهة ولما كان هذا مع انه اشارة الي انهم على جلالات ابائهم
والي ان من اجترا على العالم الله لمن حري لعباد الله ان يطمعوا في فلاحه لم لانه اذا اجترا على العالم
بالخفيات كان على غيره اجرا مشيرا الي انه لا يفعله عاقل ختمه بقوله وهم يعلمون اي والحال انهم
مع العقل حاملون للعلم فاهمون له غير غافلين بل متعهدون ولما كان الكلام مرشدا الي ان التقدير
فهم لجراتهم على الله اذا سمعوا كتابكم حرفوه واذا حدثوا عباد الله لا بكا دون يصدقون عطف عليه قوله
واذا لقوا الذين امنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم قالوا نفاقا منهم امنا واذا خلا بعضهم الي بعض قالوا
ظنا منهم جهلا بالله لما وجدوا كثيرا من اسرارهم وخفي اخبارهم مما هو في كتابهم من الدقايق وغير
ذلك عند المومنين مع اجتهادهم في اخفايه ان بعضهم افشاها فعلمت من قبله اتحدثونهم من التحديث
وهو تكرار حدث القول اثر واقعه بما فتح الله عليكم من العلم القديم الذي اتاكم على السنة
رسلكم اوعذب به بعضكم والفتح قال الحرالي توسعة الضيق حسا ومعنى ليحاجوكم اي المومنون
به عند ربكم والمحاجة تثبيت القصد والمراي بما يصححه ولما كان عندهم ان افشاهم لمثل
هذا من فعل من لا يعقل قالوا انكارا من بعضهم على بعض افلا تعقلون ولما كان ظنهم هذا واضح الفساد
لانه لولم يكن علمه من قبل الله لم يتعد وغيره ان يعرضه بعجايب تعجز الخلايق عن مماثلتها وصلابة قوله
وبخالهم اولا اي الا يعلمون اي علم المومنين كذلك لم يكن الا من الله لما قام عليه من دليل الاعجاز اولا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون اي يخفون من قولهم لا صحابهم ومن غيره وما يعلنون اي يظهرون من ذلك فيخبر به
اولياه ولما ذكر سبحانه هذا الفريق الذي هو من اعلاهم كفرا واعتاهم امرا عطف عليه قسما اعتى منه وادخل
لان العالم يرجى لعمه عن رايه او تخجيله بالحجاج بخلاف المقلد العالي الكثيف الجافي فقال ومنهم اميون
ويجوز ان يراد بهم من لا يحسن الكتابة من جنسه وهو غليظ الطبع بعيد عن الفهم لان الامي في
اللغة من لا يكتب اومن في خلقة الامة لم يتعلم الكتابة وهو باق على جبلته وحال ولادته والبجي
الجلف الجافي القليل الكلام فالمعنى انهم قسمان كتبة وغير كتبة وهم المراد بالاميين وهولاء مع كونهم
لا يحسنون الكتاب يجوز ان يتعلموا القران تلقنا ولا يفهمون المعاني ويجوز ان يكون المعنى
انهم قسمان علماء حاذقون عارفون بالمعاني وجهلة عمون لا حظ لهم من التوراة الا القراءة الخالية

عن

عن التدبير المقرونة بالتمني ولذلك قال لا يعلمون الكتاب اي بخلاف الفهم الذي الكل منه كونهم
من اهل العلم ولما كان المراد سلب العلم عنهم راسا ابرز الاستثنا مع كونه منقطعا في صورة
المتصل فقال الا اماني جمع امنية وهي تقدير الوقوع فيما يترامى اليه الامل ويقال ان معناه بحسب
الملاق للفظ كانه تقدير بالاضافة لمن لا يحسن له المعنى قال الحرالي اي ان كانت الاماني
مما يصح وصفه بالعلم فهي لهم لا غيرها من جميع انواعه ولما افهم ذلك ان التقدير ما هم الا مقدرون
تقديرات لا علم لهم بها عطف عليه قوله وان هم الا يظنون تاكيدا لنفي العلم عنهم ولما اثبت
لهذا الفريق القطع على الله بما لا علم لهم به وكان هذا معلوم الذم محتوم الاثم سبب عنه الذم
والاثم بطريق الاولى لغريق هو ارادهم واضرهم لعباد الله واعداهم فقال فويل والويل
جماع الشر كله قال الحرالي للذين يكتبون اي منهم ومن غيرهم الكتاب الذين يعلمون انه من عندهم
لا من عند الله بايديهم ثم يقولون لما كتبوه كذبا وبهتانا هذا من عند الله ثم بين بالعلة الحاملة لهم
في ذلك خساستهم وترامبهم الي النجاسة ودناتهم فقال ليشتروا به اي بهذا الكذب الذي
صنعوه ثمنا قليلا ثم سبب عنه قوله فويل لهم مما كتبت ايديهم من ذلك الكذب على الله وويل لهم
مما يكسبون مما اشتروه به قال الحرالي والكسب ما يجري من الفعل والقول والعمل والاثار على
احساس منه به وقوع عليه انتهي وفي هذه الاية بيان لما شرف به كتابنا من انه لاعجازه لا يقدر
على احد ان ياتي من عنده بما يدسه فيه فيلبس به فلله المنة جلينا والفضل ولما ارشد الكلام الي
ان التقدير فحرفوا كثيرا في كتاب الله وزادوا ونقصوا عطف عليه ما بين به جوابهم وجماحهم وعدم
الوائهم بما يرتكبونه من الجرايم التي هم اعلم الناس بان بعضها موجب للخلود في النار فقال تعالى
وقالوا لن تمسنا من المس وهو ملاقاة ما التي ظاهر عن النار اي المحرق في الاخرة الا اياما ولما
كان مرادهم بذلك انهم لا يخلدون فيها كان جمع القلة وان كان يدل على ذلك لكنه ربما استعير للكثرة
فدل على ما لا اخر له اوما يقرب منه زادوا المعنى تاكيدا وتصريحا بقولهم معدودة اي منقضية
لان كل معدود منقض قال الحرالي والعد اعتبارا لكثرة بعضها ببعض واقتصر على الوصف
بالمفرد لكفايته في هذا المعنى بخلاف ما في ال عمران ولما ادعوا ذلك ادعوا ان المسلمين
يخلفونهم بعد ذلك فيها روي البخاري في الجزية والمغازي والطب والدارمي في اول المسند
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان ههنا من يهود فجمعوا له فقال اني سايلكم عن شي فهل انتم
صادقي عنه فقالوا نعم يا ابا القسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا
نعم ما حملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك ولما ادعوا
ذلك كان كانه قيل فيما ذا نرد عليهم فقال قل منكرا لقولهم اتخذتم في ذلك عند الله عهدا ام لم يكن
ذلك فانتم تقولون على الله ما لا تعلمون ومعنى الانكار في الاستفهام انه ليس بواحد من الامرين واقعا
لا اتخذتم عهدا ولا قلتم ذلك جهلا بل قلتموه وانتم تعلمون خلافه ولما انتفى الامران علم ان الكاين غير
ما ادعوه فصرح به في قوله بلى اي لتمسنكم على خلاف ما زعمتموه فان بلى كلمة تدل على تقرير نفيهم من

اضراب عن نفي لانه بل وصلت بها الالف اثباتا لما اضرب عن نفيه قاله الحرالي ولما اضرب
سبحانه عما قالوه من القضا في الاعيان قاضيا عليهم بالخسران علل ذلك بوصف هم به متلبسون
معلما بان من حق الجاهل بالغيب الحكم على الاوصاف التي ناط علام الغيوب بها الاحكام فقال
من كسب سيئة اي عملا من حقه ان يسوء فاحاطت به خطيئته بحيث لم يكن شي من احواله خارجا
عن الخطيئة بل كانت عامرة لكل ما ساواها من اعماله ولا يكون ذلك الا للكفر الهادم لاساس
الاعمال الذي لا ينافي بها الاعمال بدونه فاوليك اصحاب النار هم خاصة فيها خالدون ولما
بان بدا مالهم ولكل من شاركهم في هذا الوصف عطف عليه بالمن ادعوا انهم يخلفونهم في النار ولكل من
يشاركهم في وصفهم الذي استحقوا به ذلك فقال والذين امنوا اي اقروا بالوحدانية بالسنتهم
وعملوا الصالحات بيانا لان قلوبهم مطمينة بذلك اوليك اصحاب الجنة هم اي خاصة فيها خالدون
ثم شرع سبحانه يقيم الدليل على انهم ممن احاطت بهم خطيئته فقال واذ اي اذكروا ما تتلون في كتابكم
من حالهم من كسب سيئة محيطة واذكروا اذ اخذنا بما لنا من تلك العظمة التي اشهدناكم كثيرا
منها ميثاقكم ولكنه اظهر لطول الفصل بذكر وصف يعمهم وغيرهم من اليهود فقال ميثاق بني اسرايل
ويجوز ان يكون معطوفا على نعمتي في قوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم لان
الكل في مخاطبتهم وبيان امورهم ولما كان الدين انما هو الادب مع الخالق والخلق ذكر المعاهد
عليه من ذلك مرتبا له على الاحق فالاحق فقال لا تعبدون الا الله المنعم الاول لتكونوا محسنين
بذلك احسانا هو الاحسان كله وبالوالدين احسانا قال الحرالي ثنيه والدين الولادة لا يتنا
ما يتوقع ذهابه بظهور صورة منه تخلف صورة نوعه انتهى احسانا لكونهما في الرتبة الثانية لجعله
سبحانه السبب في نعمة الايجاد الاول والمباشرين للتربية وغير السباق انهما لان الاحسان
اليهما بذكرهما فيمن بعدهما وذي القربى وهم المتوسلون بالوالدين لما لهم من اكيد الوصلة
واليتامى لضعفهم واليتم قال الحرالي فقد الاب حين الحاجة ولذلك اثبته مثبت في الذكر الى البلوغ
وفي الانثى الى الثيب لبقاء حاجتها بعد البلوغ والقربى فعلى من القرابة وهو قرب في النسب
الظاهر او الباطن انتهى والمساكين لكسرهم ولما لم يكن وسع الناس عامة بالاحسان بالفعل ممكنا
امر بجعل ذلك بالقول فقال وقولوا للناس عامة حسنا ولما امرهم بما ان امتثلوه اجتمعت كلمتهم ذكر
اعظم جامع على الله من الاعمال فقال واقيموا الصلاة ثم ذكر ما به تمام الجمع ودوامه فقال واتوا الزكوة
ولما كان الاعراض عن هذه المحاسن في غاية البعد فكيف اذا كانت بعهد فكيف اذا كان من الله
ابتدا واتى ذلك باداة التراخي فقال ثم توليتم اي عن ذلك او عن كثير منه الا قليلا منكم وانتم
اي والحال انكم معرضون لم يكن ذلك منكم عن غير علم والاعراض صرف الشي الى العرض الذي هي الناحية
ذكر ما يشهد لذلك من التوراة قال في السفر الثاني منها لما ذكر امر المناجاة وحضورهم عند
الجبل وقال جميع هذه الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية
والرق لا تكون لك الهة غيري لا تعملن شيا من الاصنام والتماثيل التي مما في السما فوق وفي
الارض من تحت ومما في الما اسفل الارض لا تسجدن لها ولا تعبدنها لاني انا الرب الهك الاله غيور

احارى الابنا بذنوب الابا الى ثلاثة احقاب واربعة اعدايي واثبت النعمة الى الف حقب
لاحبايي وحافظي وصاياي لا تقسم بالرب الهك كذبا لان الرب لا يزكي من حلف باسمه كذبا
اكرم اباك وامك ليطول عمرك في الارض التي يعطيكها الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق
لا تشهد على صاحبك شهادة زور لا تتمن بنت صاحبك ولا تشتهين امراة صاحبك ولا كل شي
لصاحبك وكان جميع الشعب يسمعون الاصوات ويرون المصابيح وقال في موضع اخر من السفر
الثالث لا تسرقوا ولا تغدروا ولا تحلفوا باسمي كذبا ولا تحلوا اسم الهكم انا الرب وليس غيري
لا تظلمن صاحبك ولا تسمن الاجير ولا تضع عثرة بين يدي الضرير اتق الله ربك لا تحيفوا في القضا
ولا تحابوا ولا تحابين المسكين ولا تحابي الكبير ايضا بل اقض بالبر والعدل لا تبغض اخاك في
قلبك بل بكت صاحبك ووبخه بالحق لكيلا يلزمك خطيئة في سببه ولا تحقدن على احد بل احب
صاحبك كما تحب نفسك ولا تتطيروا بسجع الطير ولا يكونن فيكم عراف ولا يطولن شعر روسكم
ولا تحلقوا اعنا فق لحاكم ولا تخدشوا وجوهكم على الميت ولا تكتبوا على لحومكم بالابر انا الله
ربكم لا تتبعوا العرافين والقانة ولا تنطلقوا اليهم ولا تسلوهم عن شي لئلا تتنجسوا بهم اكرم
الشيخ وقم اليه اذا رايته واكرم من هو اكبر منك واتق الله ربك انا الله ربكم واذا سكن
بينكم الذي يقبل الي فلا تظلموه بل انزلوه منزلة احدكم وصيروه منكم الذين يقبلون الي ويسكنون
معكم احبوهم كما تحبون انفسكم لانكم كنتم سكانا بارض مصر انا الله ربكم لا تاثموا في القضا
ولا تاثموا في الاوزان والمكاييل بل اتخذوا ميزان الحق واتخذوا مكاييل الحق انا الله ربكم
الذي اخرجكم من ارض مصر احفظوا جميع وصاياي واحكامي بها انا الرب وليس غيري
وقال في الثاني ومن تبع العرافين والقانة وضل بهم انزل به غضبي الشديد واهلكه
من شعبي واي رجل شتم والده يقتل قتلا ودمه في عنقه ثم قال بعد واي رجل او
امراة صار عرافا او منجما يقتلان قتلا ويكون قتلهما الرجم بالحجارة ودمهما في اعناقهما وقال
قبل ذلك وكل من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا ومن ضرب اباه وامه فليقتل قتلا ومن
سرق انسانا فوجد معه يريد بيعه فليقتل قتلا ومن شتم اباه وامه فليقتل قتلا ثم قال
ولا تؤذوا الساكن بينكم الا تضطهدوهم وتخرجوهم لانكم كنتم سكانا بارض مصر ولا تؤذوا الارامل
والايتام فان اذيتموهم فصلوا بين يدي اسمع صلواتهم واستجيب لهم فيشتد غضبي واقتلكم
في الحرب ويكون نساوكم ارامل وبنوكم يصيرون يتامى واذا اسلفت رزقك للمسكين الذي
معك من شعبي فلا تكونن له كالغريم ولا تاخذن منه رباء ثم قال ولا تقبلن الرشوة فان الرشوة
تعمي ابصار الحكما في القضا وتزدفع الصالحين ولما كان اكبر الكباير بعد الشرك القتل تلاه
بالتذكير بما اخذ عليهم فيه من العهد وقرن به الاخراج من الديار لان المال عديل الروح
والمنزل اعظم المال وهو للجسد كالجسد للروح فقال واذ اخذنا ميثاقكم يا بني اسرايل
لا تسفكون دماكم اي لا يسفك بعضكم دما بعض ولا تخرجون انفسكم باخراج بعضكم لبعض
من دياركم قاله الحرالي واصلها ما ادارته العرب من البيوت كالحلقة استحفاظا لما يحويه من

اموالها انتهى ولما كانوا قد نكصوا عند حقوق الامر فلم يقبلوا ما اتاهم من الخير حتى خافوا
الدما وبسقوط الطور عليهم اشار الى ذلك بقوله ثم اقررتم اي بذلك كله بحري دون توقف والاقرار
اظهار الالتزام بما يخفى امره قاله الحرالي وانتم تشهدون بلزومه وتعاينون تلك الايات الكبار
الملجية لكم الى ذلك وتقدم في مما يصدق هذا عن التوراة انفا ما فيه كفاية للموفق وسياتي في المايدة
بقيته ان شا الله تعالى ولما كان هذا مما اكد به من ذكر الميثاق في مظهر العظمة واضافة
الى بعد لحاني حد يرا ابا بعد منه اشار الى ذلك بقوله ثم انتم هولاء اي الحقيرون المقدور عليهم
تقتلون انفسكم من غير التفات الى هذا العهد الوثيق وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
ولما كان من المستبعد جدا بعد الاستبعاد الاول ان تصانع ذلك في طريق العد وان اسنانه
البيان لذلك بقوله تظاهرون اي تتعاونون من التظاهر وهو تكلف المظاهرة وهي اسناد
القوة كانه استناد ظهر الى ظهر قاله الحرالي عليهم بالاثم اي مصاحبين للاثم وهو اسوا الاعتدا
في قول او فعل او حال وتمايل للكذب او توهم لاعتدائه بالقول في غيره والاثم الخمول يمنع بها من
العداوة والعدوى قاله الحرالي والعدوان وان ياتوكم اي هولا الذين تعادونهم او غيرهم
عليهم اسارى جمع اسرى جمع اسير واصله المشدود بالاسر وهو القد وهو ما يقد اي يقطع من
السير تفدوهم من الفدا وهو الفكاك بعوض وتفادوهم من المفادات وهي الاستوا في
العوضين قاله الحرالي ثم اكد تحريم الاخراج بزيادة الضمير والجملة الاسمية في قوله وهو
محرم من التحريم وهو تكرار الحرمة بالكسر وهي المنع من الشي اذانه والحرمة بالضم المنع من
الشي لعلوه قاله الحرالي عليكم اخراجهم ثم انكر عليهم التفرقة بين الاحكام فقال افتومنون ببعض
الكتاب وهو الموجب للمفاداة وتكفرون ببعض وهو المحرم للقتل والاخراج ثم سبب عن
ذلك قوله فما جزا من يفعل ذلك منكم الا خزي ضد ما قصدتم بفعلكم من العز والخزي اظهار
القبايح التي يستحي من اظهارها عقوبة قاله الحرالي في الحياة الدنيا تعجيلا للعقوبة وقد فعل
سبحانه ذلك بانواع الذل القتل فما دونه ويوم القيمة هي تعاله تقوم فيها الامر البالغة والعلية
وهو قيام امر مستعظم والقيام هو الاستقلال باعباد من التحريم وهو تكرار الحرث بعله يردون
اي بالبعث والرد هو الرجوع الى ما كان منه بدا المذهب قاله الحرالي الى اشد العذاب
لانه الخزي الاعظم ذلك بان الله عالم بما قصدتموه في ذلك فهو يجازيكم بما تستحقون وما الله بغافل
عما اي عن شي مما تعملون من ذلك ومن غيره ولما كانت هذه الايات كلها كالدليل على قوله
تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله كانت فذلكة
ذلك قوله تعالى اولئك اي البعدا والبعضا الذين اشتروا الحياة الدنيا على خساستها بالاخرة مع
نفاستها والدنيا فعلى من الدنو وهو الانزال رتبة في مقابلة تعليا وكانه لزمتها العاجلة صارت
في مقابلة الاخرى اللازمة للعلق ففي الدنيا نزول قدر وتاخر فتقابلتا بما بينهم تعايلين من معنى
كل واحد منهما قاله الحرالي فلا اي فتسبب عن ذلك انه لا يخفف من التخفيف وهو مصير الثقيل والمثقل
الى حال المستقل كحال ما بين الحجر والهوا قاله الحرالي عنهم العذاب في واحدة من الدارين ولاهم

ينصرون

ينصرون وهو ايضا من اعظم الادلة على خذلان من عز الاجل المغنم او علي وقد وردت في كثير
الاحاديث والاثار والتصريح بذلك منها ما رواه مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما ظهر الغلول في قوم الا القى الله في قلوبهم الرعب وهو ايضا شرع قديم ففي
سفر يوشع بن نون عليه السلام انه لما فتح مدينة اريحا بعد موت موسى عليه السلام بعث الى مدينة
عاي ثلاثة الاف مقاتل ليفتحوها فقتل منهم اهل عاي جماعة وهزموهم فاضطربت قلوبهم
وصارت كالما فسجد يوشع على الارض امام تابوت الرب هو ومشيخة بني اسرايل فقال له
الرب انهض قايما واخبره ان قومه قد غلوا فلا يقدرون الان ان يثبتوا لاعدايهم
حتى يمحوا الحرام عنهم وقال له الله واذا كان غد فقدموا اسباطكم ليقترعوا والسبط الذي
الذي تصيبه قرعة الرب تتقدم عشايره والعشيرة التي تصيبها القرعة تقدم بيوتاتها والبيت
الذي تصيبه قرعة الرب ويصاب الحرام عنده يحرق بالنار هو وكل شي له لانه تعدى
على امر الرب ولانه اثم باسرايل ففعل ما امر الرب فاصابت القرعة عاجارين كرمي من سبط
يهودا فاحضره وبنيه وبناته ومواشيه وخيمته وكل من كان له فاصعدهم الى غور عاجار
ورجمهم جميع بني اسرايل بالحجارة واحرقوهم بالنار وجعلوا فوقهم تلا من الحجارة الكبار الى اليوم
ولذلك دعي اسم ذلك الموضع غور عاجار الى اليوم ثم اتوا من الغد الى عاي فقتلوا جميع من
فيها من بني ادم الذكور والاناث واحرقوها ولما بين لهم انهم نقضوا العهود فاحاطت
بهم الخطايا فاستحقوا الخلود في النار توقع السايل الاخبار عن سبب وقوعهم في ذلك هو جهل
او عناد فشرع سبحانه الملك عليهم بما افتتحه بحرف التوقع فقال ولقد باللام التي هي توكيد لمضمون
الكلام وقد وهي لتوقع مرتقب مما كان خبرا او مما سيكون علما قاله الحرالي اتينا موسى الكتاب
اي نقضتم تلك العهود مع ان عندكم فيها كتاب الله تدرسونه كل حين فلم ندعكم هملا بعد موسى
عليه السلام بل ضبطنا امركم بالكتاب وقفينا من التقفية وهي متابعة شي شيا كانه يتلو قفاه
وقفا الصورة منها خلفه المقابل للوجه قاله الحرالي من بعده اي موسى بالرسل اي تم النقض
على الضبط بالكتاب الذي تركه فيكم موسى بل واتونا من بعده ارسال الرسل متواترين وجعلنا
بعضهم في قفا بعض ليجددوا لكم امر الدين ويوكدوا عليكم العهود والرسالة انبعاث امر من
المرسل اليه واتينا عيسى اسم عبري اصله يشوع ابن مريم الذي ارسلناه لنسخ بعض التوراة وتجديد
ما درس من بعضها البينات من الايات العظيمة التي لا مرية فيها لذي عقل والبينة من القول
والكون ما لا ينازع فيه منازع لوضوحه قاله الحرالي وايدناه اي قويناه على ذلك كله من الاياد
وهو من الايد وهو القوة كانه ياخذ معه بيده في الشي الذي يقويه كاخذ قوة المظاهرة من الظهر
لان الظهر موضع قوة الشي في ذاته واليد موضع قوة تناوله لغيره قاله الحرالي بروح القدس اي
الروح الطاهر وهو جبريل عليه السلام كما ايدنا بغيره من اولي العزم قال الحرالي والروح
لمحة من لمحات امر الله وامر الله قيومية في كلية خلقه ملكا وملكوتا فما هو قوام الخلق كله
ملكا وملكوتا هو الامر الا له الخلق والامر وما هو قوام صورة من جملة الخلق هو الروح الذي

هو لمحدث من ذلك الامر ولقيام عالم الملكوت وخصوصا حملة العرش بعالم الملك وخصوصا
امر الدين الباقي بتمام الله روحا ومن اخصهم روح القدس والقدس الطاهرة العليه التي يلحقها
بنحس على ما تقدم ومن اخص الروح بجبريل عليه السلام بما له من روح الامر الديني واسرافيل
عليه السلام بما له من روح النفخ الصوري الشبي وقد كان لعيسى عليه السلام بالروح مزيد اختصاص
لكثرة ما احيى من الموتي والمحيي فعلنا بكم يا بني اسرايل ذلك ولم تزالوا في عهد جميع من ذكرنا فضيرا
للعهود فلا احد احق منكم بالخلود في النار ثم جا محمد صلى الله عليه وسلم فلم تصدقوه ولكن تبين من الانجيل
يدل على انه عليه السلام اتى بالبينات مع تاييده بروح القدس مستخلصا من الاناجيل الاربعة
وقد جمعت بين الفاظه قال متي ومعظم السياق فلما سمع يسوع ان يوحنا يعني يحيى بن زكريا
عليهما السلام قد اسلم يعني خذله اصحابه مضى الى الجليل وترك الناصره وجا وسكن كفرناحوم
التي على ساحل البحر في تخوم زابلون ونفتاليم ليكمل ما قيل في اشعيا النبي اذ يقول ارض زابلون
ارض نفتاليم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم الشعب الجالس في الظلمة ابصر نورا عظيما الجلوس
في الكورة وظلال الموت نورا اشرق عليهم ومن ذلك الزمان بدا يسوع يكرز ويقول توبوا
فقد اقتربت ملكوت السموات وقال مرقس ومن بعد حبس يوحنا واتى يسوع الى الجليل يكرز
بانجيل ملكوت الله قايلا قد كمل الزمان وقربت ملكوت الله فتوبوا وامنوا بالانجيل قال
متي وكان يمشي على بحر الجليل فابصر اخوين سمعان الذي يدعى بطرس واندراوس اخاه يلقيان
شباكهما في البحر لانهما كانا صيادين فقال لهما اتبعاني اجعلكما تكونان صيادي الناس وللوقت
تركا شباكهما وتبعاه وجاز من هناك فراى اخوين اخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا
اخاه في سفينة مع ابيهما بيدي يصلحون شباكهم فدعاهما فللوقت تركا السفينة واباهما زبدي
وتبعاه وفي انجيل يوحنا بعد قصة يحيى بن زكريا الاتية في ال عمران هذا كان في بيت عنيا
في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد ومن الغد نظر يسوع مقبلا اليه فقال هذا حمل الله الذي
يرفع خطية العالم هذا ذلك الذي قلت من اجل انه ياتي وهو كان قبلي لانه اقدم مني وانا
لم اكن اعرفه ولكن ليظهر لاسرايل من اجل هذا جيت انا لاعمد بالما وشهد يوحنا وقال
اني رايت الروح نزل من السما مثل حمامة وحل عليه ولم اعرفه لكن من ارسلني لاعمد بالما هو الذي
قال الذي ترى الروح ينزل ويثبت عليه هو يعمد بروح القدس وانا عاينت وشهدت الى
الغد كان يوحنا واقفا واثنان من تلاميذه فنظر يسوع فقال هذا حمل الله فتلميذاه كلاهما
سمعا يسوع فالتفت يسوع فراهما يتبعانه فقال لهما ماذا تريدان فقالا له ربي الذي تاويله
يا معلم اين تكون فقال لهما تعاليا لتنظرا فاتيا وابصرا موضعه اين يكون واقاما عنده يومهما
ذلك وكان نحو عشر ساعات وان واحدا من اللذين سمعا من يوحنا وتبعا يسوع كان اندراوس
اخا سمعان وانه ابصر اولا سمعان اخاه وقال له قد وجدنا مسيا الذي تاويله المسيح فجابه الى
يسوع فلما نظر اليه يسوع قال له انت سمعان بن يونا الذي يدعى الصفا الذي تاويله
بطرس ومن الغد اراد الخروج الى الجليل فلقي فيلبس فقال له تعال اتبعني فقال له الذي كتب موسى من اجله

روح القدس

بيـ

في الناموس والانبيا وجدناه وهو يسوع الذي من الناصره فقال له نثنائيل هل يمكن ان
يخرج من الناصرة شي صالح فقال له فيلبس تعالى فانظر فلما راى يسوع نثنائيل مقبلا اليه
قال من اجله هذا حقا اسرايلي لا غش فيه فقال له نثنائيل من اين تعرفني فقال له يسوع
قبل ان يدعوك فيلبس وانت تحت التينة رايتك فقال له يا معلم انت هو ملك اسرايل قال
له يسوع لاني قلت لك اني رايتك فقال له يا معلم انت هو ملك تحت التينة امنت سترى ما
هو اعظم من هذا وقال له الحق الحق اقول لكم انكم من الان ترون السما مفتحة وملايكة الله
ينزلون ويصعدون على ابن البشر وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك
ودعي يسوع وتلاميذه الى العرس وكان الخمر قد فرغ فقالت ام يسوع له ليس لهم خمر فقال لها
يسوع ما لي ولك ايتها المراة لم تات ساعتي بعد فقالت امه للخدام افعلوا ما يامركم به وكان
هناك ستة اجاجين من حجارة موضوعة ليطهر اليهود يسع كل واحد مطرين او ثلثة
فقال لهم يسوع املاوا الاجاجين ما فملاوها الى فوق وقال لهم اغرفوا الان وناولوا رييس المتكا
فلما ذاق رييس المتكا ذلك الما المتحول خمرا لم يعلم من اين هو فدعا رييس المتكا العريس
وقال له كل انسان انما ياتي بالشراب الجيد اولا فاذا سكروا عند ذلك ياتي بالدون وانت
ابقيت الخمر الجيد الى الان هذه الاية الاولى التي فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده وامن
به تلاميذه وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه فاقاموا هناك
اياما يسيرة ثم قال وعلم السيد يسوع ان العريس سمعوا انه قد اتخذ تلاميذ كثيرة وانه
يعمد اكثر من يوحنا اذ ليس هو يعمد بل تلاميذه فترك اليهودية ومضى الى الجليل وكان قد
ادمع ان يعبر على موضع السامرة فاقبل الى مدينة السامرة التي تسمى سوخار الى جانب القرية
التي كان يعقوب وهبها ليوسف ابنه وكان هناك بير يعقوب وكان يسوع قد عيي من
تعب الطريق فجلس على البير وست ساعات فجات امراة من السامرة تستقي ما فقال لها
يسوع اعطني اشرب وكان تلاميذه قد دخلوا الى المدينة ليبتاعوا لهم طعاما فقالت له تلك المراة
كيف وانت يهودي تستسقي الما وانا امراة سامرية واليهود لا يختلطون بالسامرية اجاب
يسوع وقال لها لو كنت تعرفين عطية الله ومن هذا الذي قال لك ناوليني اشرب لكنت انت
تسلينه ان يعطيك ما الحياة قالت له المراة يا سيد انه لا دلو لك والبير عميقة فمن اين لك ما
الحياة لعلك اعظم من ابينا يعقوب الذي اعطانا هذه البير ومنها شرب هو وبنوه وماشيته
فقال لها كل من يشرب من هذا الما يعطش ايضا فاما من يشرب من الما الذي اعطيه لا يعطش
الى الابد قالت المراة يا سيد اعطني من هذا الما لكيلا اعطش ولا اجي ولا استقي من ههنا فقال
انطلقي وادعي زوجك وتعالي الى ههنا قالت ليس لي زوج قال لها حسنا قلت انه لا بعل
لي لانه قد كان لك خمسة بعولة والذي هو لك الان ليس هو زوجك اما هو الحق قلت قالت
يا سيدي اني ارى انك نبي اباونا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون انه في اورشليم المكان الذي
ينبغي ان يسجد فيه قال ايتها المراة امني بي انه ستاتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم يسجدون

للاب انتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم لكن ستاتي ساعة وهي الان لكما الساجدون
الحقيون يسجدون بالروح والحق لان الرب انما يريد مثل هولا الساجدين والذين يسجدون
له بالروح والحق ينبغي ان يسجدوا قالت المراة قد علمت ان مسيا الذي هو المسيح ياتي فاذا جاء
ذلك فهو يعلمنا كل شي فقال انا هو الذي اكلمك وفي هذا جا تلاميذه وتعجبوا من كلامه مع امراة
ولم يقل احدهما ذا تريد ولم تكلمها فتركت المراة جرتها ومضت الى المدينة وقالت للناس تعالوا
انظروا رجلا اعلمني كل ما فعلت لعل هذا هو المسيح فخرجوا من المدينة واقبلوا نحوه وفي هذا
ساله تلاميذه قايلين يا معلم كل فقال ان لي طعاما لا تعرفونه انتم فقالوا فيما بينهم لعل انسانا
واتاه بشي فطعم فقال لهم طعامي انا ان اعمل مرضاة من ارسلني واتم عمله اليس انتم تقولون ان
الحصاد والذي يحصد ياخذ الاجرة ويجمع ثمار الحياة الدايمة والزارع والحاصد يفرحان معا
لانه في هذا توجد كلمة الحق ان واحدا يزرع واخر يحصد انا ارسلكم تحصدون شيا ليس
انتم تعبتم فيه بل اخرون تعبوا فيه وانتم دخلتم على تعب اوليك فامن به في تلك المدينة سامريون
كثير من اجل كلمة تلك المراة ولما صار اليه السامريون طلبوا اليه ان يقيم عندهم فلبث
عندهم يومين فامن به كثير وكانوا يقولون للمراة لسنا من اجل قولك نومن به لكنا قد سمعنا
وعلمنا ان هذا هو المسيح بالحقيقة مخلص العالم وبعد يومين خرج يسوع الى الجليل ومضى من هناك
لانه شهد ان النبي لا يكرم في مدينته ولما صار الى الجليل قبله الجليليون لانهم عاينوا كل ما عمل باورشليم
في العيد ثم جا يسوع حيث صنع الماء خمرا وكان في كفرناحوم عبد الملك ابن مريض فسمع ان يسوع قد
جا من يهود الى الجليل فمضى اليه وساله ان ينزل ويبري ولده لانه قد كان قارب الموت فقال
له يسوع ان لم تعاينوا الايات والاعاجيب لا تومنون فقال له الملك انزل يا سيد قبل ان يموت
فتاي قال له يسوع امض فابنك حي فامن الرجل بالكلمة التي قالها يسوع ومضى وفيما هو ماض استقبله
غلمانه وبشروه بان ابنه قد عاش فسالهم في اي وقت فقالوا له امس في الساعة السابعة تركته الحمى
فعلم ابوه انه في تلك الساعة التي قال لها يسوع فيها ان ابنك قد حي فامن هو وبيته باسره وهذه
وهذه ايضا اية ثانية عملها يسوع لما جا من يهودا الى الجليل قال مرقس فاقبل الى كفرناحوم
وبقي معلما في مجامعهم يوم السبت فتعجبوا من تعليمه لانه كان كالمسلط وقال متى وكان يسوع
يطوف في كل ليلة الجليل ويعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويبري كل برص ووجع في الشعب
فخرج خبره في جميع الشام فقدموا اليه كل من به اصناف الامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم
الشياطين والمعترين في روس الاهلة والمخلعين فابراهم وتبعه جموع كثيرة من الجليل والعشرة
المدن واوروشليم واليهودية وعبر الاردن فلما ابصر الجمع صعد الى الجبل وجلس وجا اليه تلاميذه
وفتح فاه يعلمهم قايلا طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات طوبى للحزانا فانهم يعزون
طوبى للمتواضعين فانهم يرثون الارض طوبى للجياع والعطاش من اجل البر فانهم يشبعون طوبى
للرحما فانهم يرحمون طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله طوبى لفاعلي السلامة فانهم بني الله
يدعون للمطرودين من اجل البر فان لهم ملكوت السموات طوبى اذا طردوكم وعيروكم وقالوا فيكم

كل

كل كلمة شر من اجلي افرحوا وتهللوا فان اجركم عظيم في السموات لانه هكذا طردوا الانبيا
الذين قبلكم وقال لوقا هكذا كان اباوهم يصنعون بالانبيا الويل لكم ايها الاغنيا لانكم قد اخذتم
عزاكم الويل لكم ايها الشباعى الان فانكم ستجوعون الويل لكم ايها الضاحكون الان فانكم ستبكون
وتحزنون الويل لكم اذا قال الناس فيكم قولا حسنا لان اباهم كذلك فعلوا بالانبيا الكذبة يعني
المتنبين وفيه من الالفاظ التي لا يجوز اطلاقها في شرعنا جل الله والاب وقوله بني الله وسياتي
ان شا الله تعالى في آل عمران تاويل ما عساه يخيل عندنا على تقدير صحته عنه وانه يرد الى المحكم على اوضح وجه
مثل الالفاظ التي وردت في شرعنا ورددناها الى المحكم ومنعنا من حملها على ظاهرها
من يدعي الاسلام والله الموفق ولما كان هذا حالهم مع الرسل مع انعمهم لهم ونفعهم باخوالهم
واتصالهم بالله وكان لهم علم انهم في نفس بدنهم هم عبيد الهوى واسرى الشهوات تسبب عن ذلك الانكار
عليهم فقال افكلما جاءكم رسول اي من عند الله ربكم بما لا تهوى انفسكم من الهوى وهو نزوع
النفس لسفل شهواتها في مقابلة معتلى الروح لمنبعث انبساطه كان النفس تقبل الباطن بمنزلة الما
والتراب والروح خفيف الباطن بمنزلة الهوى والنار وكان العقل متسع الباطن بمنزلة اتساع
النور في كلية الكون علوا وسفلا قاله الحرالي استكبرتم عن قبول الحق ميلا الى سنة ابليس مع
اعطايكم العهد قبل ذلك على الدوام في اتباعه ففريقا اي فتسبب عن طلبكم الكبر انكم فريقا
كذبتم كعيسى ومحمد عليهما السلام وفريقا تقتلون اي قتلتم ولم تندموا على قتلهم بل عزمتم على مثل
ذلك الفعل كلما جاءكم احد منهم بما يخالف الهوى وهم لم يبعثوا الا لصرف النفس عن الهوى لان
دعوة الرسول الى الاعلى الذي هو ضد هوى النفس والظاهر انه اشار سبحانه بهذه الصيغة
المستقبلة الى قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بالسم في خيبر كما اشار اليه الحديث الماضي انفا ولما بين سبحانه
مخازيهم حتى ختمها بعظيم ما ارتكبوا من الرسل من القتل المعنوي بالتكذيب والحسي بازهاق الروح
مع العلم بانهم اتوا بالبينات والايات المعجزات فارشد المقام الى ان التقدير فقالوا للانبيا
لما اوهموا امورا كثيرة يعجب من صدورها عن عاقل واتوا في الجواب عن تكذيبهم وقتلهم من
التناقضات بما لا يرضاه عالم ولا جاهل عطف عليهم او على فقالوا لن تمسنا النار وقوله بيانا لشدة
بهتهم ودقة عنادهم وقالوا في جواب ما كانوا يلقون اليهم من جواهر العلم التي هي اوضح من الشمس
قلوبنا غلف جمع اغلف وهو المغشى الذكر بالغلفة التي هي جلدته كانه الغلفة في طرفي المرد كره
وقلبه حتى يتم الله كلمته في طرفيه بالختان والايمان قاله الحرالي فالمعنى عليها اغطية فهي لا تفهم ما تقولون
فكان المراد بذلك مع انهم اعلم الناس ما تقي لونه ليس باهل لان يوجه اليه الفهم ولذلك اضراب
الله سبحانه عنه بقوله بل اي ليس الامر كما قالوا بل لعنهم الله اي طردهم عن قبول ذلك لانهم ليسوا باهل
السعادة لان اللعن ابعاد في المعنى والمكانة والمكان الى ان يصير الملعوف بمنزلة النعل في اسفل
القامة يلاقي به ضرب الموطي قاله الحرالي ثم بين علة ذلك بقوله بكفرهم قال الحرالي اعظم الذنوب
ما يكون عقوبة الله عليها الالزام بذنوب اشد منها فاعقب استكبارهم اللعن كما كان في حق
ابليس مع ادم عليه السلام فانتظم صدر هذه السورة اظهار الشيطنتين من الجن والانس الذي انختم

به القران في قوله من الجنة والانس ليتصل طرفاه فيكون ختما لا اول له ولا اخر والفاتحة
محيطة به لا يعقل من اوله ولا اخره ولذلك ختم بعض القرا بوصله حتى لا يتبين له طرف كما قالت
العربية لما سئلت عن بنيها كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها ولما اخبر بلعنهم سبب
عنه قوله **فقليلا ما يومنون** فوصفه بالقلة واكد بما ايذانا بانه مغمور بالكفر لا عادله ولما
ذكر سبحانه من جفا فهم ما ختمه بلعنهم وكان قد قدم ذكر كتابهم مرارا واشار الى الانجيل
بايتا عيسى عليه السلام البينات ذكر سبحانه كفرهم بهذا الكتاب الذي مقصود السورة وصفه
بالهدى ولهذا الرسول الاتي به دليلا على اعترافهم في الكفر لانهم مع استفتاحهم به صلى الله عليه
وسلم قبل مبعثه على من يعاديهم واستبشارهم برؤيته رافعهم بالبيس ومجيه كانوا ابعد الناس
من دعوته تماديا في الكفر وتقيدا بالضلال وكان هذا الدليل ابين من الادلة عند اهل هذا
العصر وذلك قوله تعالى **ولما جاءهم كتاب** اي جامع لجميع الهدى لعظمته لكونه **من عند الله**
الجامع لجميع صفات الكمال ثم ذكر من المحببات لهم في اتباعه قوله **مصدق لما معهم** على لسان
نبي يعرفون صحة امره بامور يشهد بها كتابهم ولهذا هذا الكتاب له باعجاز نظمه وتصديق
معناه لكتابهم وفي ذلك فاصمة لهم لان كتابهم يكون شاهدا على كفرهم ولما بين شهادة كتابهم اتبعه
شهادتهم لئلا يحرفوا معنى ذلك فقال **وكانوا** اي والحال انهم كانوا **من قبل** اي قبل مجيه **يستفتحون**
باسم الاتي به مما يذكره **على الذين كفروا** يعني انهم لم يكونوا في غفلة عنه بل كانوا اعلم الناس به
وقد وطنوا انفسهم على تصديقه ومع ذلك كله **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به** اعتلالا بانواع من
العلل البينة الكذب منها زعمهم ان جبريل عليه السلام عدوهم وهو الاتي به قال الثعلبي والواحدي
روى ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الله بن صوريا حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا
فلما اتجهت عليه قال اي ملك ياتيك من السما قال جبريل ولم يبعث الله نبيا الا وهو وليه وفي
رواية وسال عمر ان يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقال
ابن اسحق في السيرة حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي حسين المكي عن شهر بن حوشب الاشعري
ان نفرا من احبار يهود جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن اربع نسالك عنهن
فان فعلت اتبعناك وصدقناك وامنا بك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد
الله وميثاقه ان انا اخبرتكم بذلك لتصدقني قالوا نعم قال فاسلوا عما بدا لكم قالوا فاخبرنا
كيف يشبه الولد امه وانما النطفة من الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم
بالله وبايامه عند بني اسرايل هل تعلمون ان نطفة الرجل بيضا غليظة ونطفة المراة صفرا
رقيقة فايتهما علت صاحبتها كان الشبه لها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن كيف نومك فقال
انشدكم بالله وبايامه على بني اسرايل هل تعلمون ان نوم الذي تزعمون اني لست به تنام عينه
وقلبه يقظان قالوا اللهم نعم قال فكذلك نومي تنام عيني وقلبي يقظان قالوا فاخبرنا عما حرم
اسرايل على نفسه قال انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرايل هل تعلمون انه كان احب الطعام
والشراب اليه البان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه احب

الطعام والشراب اليه شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الابل والبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا
عن الروح قال انشدكم بالله وبايامه هل تعلمونه جبريل وهو الذي ياتيني قالوا اللهم نعم
ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما ياتي بالشدة وسفك الدما ولولا ذلك لاتبعناك فانزل
الله فيهم من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمومنين الى قوله او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يومنون واصل ذلك
في البخاري في خلق ادم والهجرة والتفسير عن انس بن مالك رضي الله عنه من روايات جمعت بين
الفاظها قال اقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اي في الهجرة الى ان قال فاقبل يسير حتى
نزل الى جانب دار ابي ايوب رضي الله عنه فانه ليحدث اهله اذ سمع به عبد الله بن سلام
فقال اشهد انك رسول الله وانك جيت بحق وقد علمت يهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم
وابن اعلمهم فادعهم فسلهم عني قبل ان يعلموا اني قد اسلمت فانهم ان يعلموا اني قد اسلمت
قالوا في ما ليس في وفي رواية بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ارض
يخترف فاتاه فقال اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما
اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شي ينزع الولد الى ابيه ومن اي شي ينزع الى اخواله
وفي رواية وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله اما اول اشراط الساعة فنار
تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت
وفي رواية الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماوه كان
الشبه له واذا سبق ما المراة نزعت قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود
قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فارسل نبي الله صلى الله عليه وسلم
فدخلوا عليه وفي رواية فجات اليهود ودخل عبد الله البيت فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون
اني رسول الله واني جيتكم بحق فاسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالها
ثلاث مرار قال فاي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا
وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا قال افرايتم ان اسلم قالوا حاشى لله ما كان ليسلم وفي
رواية اعاذه الله من ذلك قال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج فقال اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه
رسول الله وانه جا بحق قالوا كذبت قالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه فانتقصوه قال
فهذا الذي كنت اخاف يا رسول الله فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وللواحدي في اسباب
النزول عن عمر رضي الله عنه قال كنت اتي اليهود عند دراستهم التوراة فاعجب من موافقة القران
التوراة وموافقة التوراة القران فقالوا يا عمر ما احد احب الينا منك قلت ولم قالوا
لانك تاتينا وتغشانا قلت انما اجي لاعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضا وموافقة

التوراة القران وموافقة القران التوراة فبينا انا عندهم ذات يوم اذ مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهري فقالوا ان هذا صاحبك فقم اليه فالتفت فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد دخل خوخة من المدينة فاقبلت عليهم فقلت انشدكم الله وما انزل
عليكم من كتاب اتعلمون انه رسول الله قال سيدهم قد نشدكم بالله وما انزل عليكم من
كتاب اتعلمون انه رسول الله فاخبروه فقالوا انت سيدنا فاخبره فقال سيدهم نعلم انه
رسول الله قلت فاني اهلككم ان كنتم تعلمون انه رسول الله ثم لم تتبعوه فقالوا ان لنا عدوا
من الملائكة وسلما من الملائكة فقلت من عدوكم ومن سلمكم قالوا عدونا جبريل ومن سلمكم
قالوا ميكائيل قال فاني اشهد ما يحل لجبريل ان يعادي سلم ميكائيل وما يحل لميكائيل ان يسالم
عدو جبريل وانهما جميعا ومن معهما اعدا الله لمن عادوا وسلما لمن سالموا ثم قمت فاستقبلني
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن الخطاب الا اقرئك ايات فقرا من كان
عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك حتى بلغ وما يكفر بها الا الفاسقون قلت والذي بعثك بالحق ما
جئتك الا اخبرك بقول اليهود فاذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر قال عمر فلقد رايتني
في دين الله اشد من حجر وقد سالت بعض فضلا اليهود والموجودين في زماننا عن عداوتهم
لجبريل عليه السلام فلم يبح بالتصريح وقال ما يعطي ذلك ولما بين سبحانه بهذا انهم اعتى الناس
واشدهم تدليسا وبهتا بل كذبا وفسقا كانوا احق الناس بوصف الكفر فسبب عن ذلك
قوله فلعنة الله على الكافرين فاظهر موضع الاضمار تعليقا للحكم بالوصف ليعم واشعارا باصلاح
من شا الله منهم ولما استحقوا بهذا وجوه المذام كلها وصل به قوله بيسما فاتى بالكلمة الجامعة
للمذام المقابلة النعم الجامعة لوجوه المدائح كلها اي بيس شي اشتروا به انفسهم فقدموها واثروها
فكان ذلك عين تاخيرها عكس ما فعل المومنون من بيعهم لانفسهم وخروجهم عنها بتعبدهم
بايثار ما يرضيه على هوى انفسهم فكان ذلك عين تحصيلها وتقديمها ثم فسر الضمير العائد
على المبهم الماخوذ في احوال النفس فقال ان يكفروا اي يستروا علمهم بما انزل الله ثم علل
كفرهم بقوله بغيا قال الحرالي هو اشتداد في طلب شي ما انتهى واصله مطلق الطلب والارادة
كان الانسان لما كان مجبولا على النقصان ومطبوعا على الشر والعصيان الا من عصم الله
وايا كان يحمد موما على مطلق الارادة كان من حقه ان لا يكون له خيرة ولا ارادة بل تكون
ارادته تابعة لارادة مولاها كما هو شان العبد والله الموفق ثم علل بغيهم بقوله ان ينزل الله من
فضله وفي صيغة ينزل اشعار بما دي ما يغيظهم فيما يستقبل وليبشر للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
على من يشا من عباده من العرب الذين حسدوهم ثم سبب عن ذلك قوله فباوا اي رجعوا لاجل
ذلك بغضب في حسدهم لهذا النبي صلى الله عليه وسلم لكونه من العرب على غضب كانوا استحقوه بكفرهم
بانبيائهم عنادا ثم علق الحكم الذي استحقوه بوصفهم تعميما واشارة الى انه سيومن بعضهم فقال
وللكافرين اي الذين هم راسخون في هذا الوصف منهم ومن غيرهم عذاب مهين من الاهانة
وهي الاطراح اذلالا واحتقارا ولما اقام سبحانه الدليل على استحقاقهم للخلود في النار

بكفرهم

بكفرهم بالكتاب الذي كانوا يستفتحون بالاتي به اقام دليلا اخر على ذلك ابين منه وذلك
بكفرهم بكتابهم نفسه فقال واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله اي من الكتب والصحف والمانع
مقدارهم بالدعا الى الايمان بما اسند الى هذا الاسم الاعظم قالوا نسيلا لانفسهم نومن
بما انزل علينا فاسقطوا اسم من يتشرف بذكره ويتبرك باسمه ثم عجب من دعواهم هذه بقوله
ويكفرون اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراءه اي وراء ما انزل عليهم مما انزل
الله على رسله وهو يشمل ما قبل التوراة وما بعدها لان ورا يراد بها تارة خلف وتارة قدام
فاذا قلت زيد ورا يصح ان يراد في المكان الذي اوارته اما بالنسبة الى من خلفي فيكون
امامي وان يراد في المكان الذي هو مقداري فيكون خلفي وقال الحرالي ورا ما لا يناله
الحس ولا العلم حيث ما كان من المكان فربما اجتمع ان يكون الشي ورا من حيث انه لا يعلم
ويكون اماما في المكان انتهى وهو اي والحال ان ذلك الذي وراءه هو الحق الواصل الى
اقصى غايات الحقية لما دلت عليه ال قال الحرالي فانهاه لغاية الحق بجملة ال لانه ما ثبت ولا زوال له
لا تغاير هو الحق وما ثبت وتمام سعة بجملة او بقل زيادة فانما هو حق منكر اللفظ فان بين المعرف
بكلمة ال وبين المنكر اشد التفاوت في المعنى انتهى مصدقا لما معهم فصح انهم كافرون بما عندهم
لان الكذب بالمصدق لشي مكذب لذلك الشي ثم كشف سترمقالتهم هذه بابين نقض فقال قل
فلم اي تسبب عن دعواكم هذه ان يقال لكم لم تقتلون انبيا الله مع ان كتابكم محرم لمطلق القتل
فكيف بقتل الانبيا ثم بين ان كفرهم بهذا القتل بطريق الرضى بقتل اسلافهم بقوله من قبل وفي
صيغة المضارع رمز الى انهم لو قدروا الان فعلوا فعلهم وفيه ايما الى حرصهم على قتل النبي
صلى الله عليه وسلم تحذيرا منهم ولقد صدق هذا الايما الواقع فقد عزم بنو النضير على ان يلقوا
عليه صخرة واسمه اهل خيبر ثم اورد مضمون دعواهم باداة الشك فقال ان كنتم مومنين
اشعارا بان مثل ذلك لا يصدر ممن ملتبس بالايمان ولما دل على كذبهم في دعوى الايمان بما فعلوا
بعد موسى مما استحقوا به الخلود في النار اقام دليلا اخر اقوى من كل ما تقدمه فانه لم يعهد
اليهم في التوراة ما عهد اليهم في التوحيد والبعد عن الاشراك وهو في النسخ الموجودة بين اظهرهم
الان وقد نقضوا جميع ذلك باتخاذ العجل في ايام موسى وبحضرة هرون عليهما السلام كما هو منصوص
الان فيما بين ايديهم منها فقال تعالى ولقد جاكم موسى بالبينات من الايات ولما كان كفرهم
مع ذلك في غاية الاستبعاد عبر عنه باداة فقال ثم اتخذتم العجل من بعده اي بعد مفارقته موسى
لكم الى الطور كما في الاية الاخرى فتنا قومك من بعدك وانتم اي والحال انكم ظالمون لم تزعموا
انه الهكم على جهل منكم بل بعد مجي البينات اليكم ان الهكم انما هو الله الذي انقذكم من العبودية
واراكم من العجايب الخوارق ما لا يقبل شكا وسمعتم كلامه فعلمتم انه ليس بجسم ولا يشبه الجسم فلم تفعلوا
ذلك الا لاجل الظلم وصف لكم لازم ثم ذكر امرا اخر هو ابين في عنادهم وانهم انما هم مع الهوى
فقال مقبلا على خطابهم لانه اشد في التقريع واذ اخذنا ميثاقكم على الايمان والطاعة ورفعنا
فوقكم الطور الجبل العظيم الذي جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالاقامة في حضيض الجهل ورافعا الى اوج

العلم وقلنا لكم وهو فوقكم خذوا ما اتيناكم من الاصول والفروع في هذا الكتاب العظيم بقوة
واسمعوا او الادناكم به وذلك حسب يكفي بينكم في التاديب دفع الدرة والسوط عليه فيتبعث للتعلم
الذي اكثر النفوس الغاملة تتحمل فيه المشاق الشديد لما له من الشرف ولما به من الفخار ولما فعلوا
بعد هذه الاية الكبري وشيكا مع كونه مقتضية الثبات على الايمان بعد اخذ الميثاق الذي
لا ينقصه ذو مسوق فكان مثلا لهم بعيد منسيا عن ان العناد لهم طبع لازم فكانوا كانهم عند اعطا
العهد عاصين قال مونا بالغضب عليهم بالاعراض عن خطابهم بعد الخامهم بالمواجهة
في تقريعهم قالوا سمعنا وعصينا وساق لغرابته مساق جواب سايل كانه قال رفع الطور فوقهم
امرها يل جدا مقتض للمبادرة الي اعطا العهد ظاهرا وباطنا والثبات عليه فما فعلوا فقيل
بادروا الي خلاف ذلك واشربوا من الاشراب وهو مداخلة نافذة سادية كالشراب وهو
الما المداخل كلية الجسم للطافته ونفوذه قاله الحرالي في قلوبهم العجل اي حبه بكفرهم وفيه
اشارة الي ان من اعرض عن امتثال الامر استحق الابعاد عن مقام الانس قال الامام ابو
الحسن الحرالي في المفتاح الباب الثامن في وجوه مفتاح بيان الاقبال والاعراض في
القران اعلم ان كل مربوب يخاطب بحسب ما في وسعه لقبنه ويثني عنه ما ليس في وسعه لقبنه
فلكل سن من اسنان القلوب خطاب اقبال بحسب لقنه وربما كان له اباعن بعض ذلك فيقع عنه
الاعراض بحسب بادي ذلك الابا وربما تلافته النعمة فعاد الاقبال اليه بوجه ما دون صفا
الاقبال الاول وربما تتابعت الاقبالات مترتبة فيعلو البيان والافهام بحسب رتبة من
توجه اليه الاقبال ويشتد الادبار بحسب باوي الادبار وربما تراجع لغف البيان فيها
بعضه على بعض لخطاب الاقبال على النبي صلى الله عليه وسلم اعظم افهام في القران الم تر الى
ربك كيف مد الظل الاية وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية تفاوت الخطابين لتحسب
تفاوت المخاطبين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
اعرض عنهم الخطاب ونفي عنهم ما ليس في حالهم رويته خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا
سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بيسما يامركم به ايمانكم خاطبهم وامرهم فلما
عصوا اعرض وجه الخطاب عنهم ثم تلافاهم بخطاب لسان نبي الرحمة لهم واستمر اعراضه
تعالى عنهم في تمادي الخطاب يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فنزل الخطاب في الرتبتين
لتبين الاعلا ما لمن للادنى ذلكم خير لكم واطهر وهذا الباب عظيم النفع في الفهم لمن استوضح
بيانه والمعاني موارده في القران انتهى والدليل الوجود في اشرابهم حب العجل سارعهم
الي عبادة ما يشبهه في عدم الضر والنفع والصورة في السفر الرابع من التوراة في قصة
بالاق ملك الاموريين الذي استنجد بلعام بن بعور ما نصه وسكن اسرايل ساطيم وبدا
الشعب ان يبتغ بينات مواب ودعين الشعب الي ذبايح الهتهم واكل الشعب من ذبايحهم
وسجد لالهتهم وكل بنو اسرايل لعناده بعلون الصنم واستد غضب الله على بني اسرايل
انتهى ولما استحقوا عظيم كفرهم وعنادهم مع وقاحتهم بادعا الايمان والاختصاص بالجنان امر

بنوحي

نبيه

نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم على وجه التهكم بهم فقال قل بيسما يامركم به ايمانكم
هذا الذي ادعيتموه واوضح هذا التهكم بقوله على سبيل الفرض ان كنتم مومنين على ما زعمتم
فحصل من هذا انهم اما كاذبون في دعواهم واما انهم اجهل الجهلة حيث عملوا ما لا يجامعه
الايمان وهم لا يعلمون ولما نقضت الادلة على انهم لا حظ لهم في الاخرة عند الناس وذلك نقيض
دعواهم انها لهم فقط في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وتفسيرهم ذلك بانها سبعة
ايام واما تخلفهم فيها ختم سبحانه ذلك بدليل قطعي بديهي فقال قل ان كانت لكم الدار الاخرة
اي كما زعمتم وميزها بقوله عند الله وبين المراد بقوله خالصة من دون الناس اي سايرهم
لا يشركم فيها احد منهم من الخلوص وهو تصفية الشي مما يمازجه في خلقته مما هو دونه قاله
فتمنوا الموت لان ذلك علم على صلاح حال العبد مع ربه وعمارة ما بينه وبينه ورجا لمنقلبه
قال الحرالي فعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس من المعونة التي
بها تانس بربها فتتمنى لقاه وتحبه ومن احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا الله كره الله لقاه
يقع ذلك لعامة المومنين عند الكشف حال الغرغرة ولخاصة المومنين في مهل الحياة لانهم لو
كشف لهم الغطا لم يزدادوا يقينا فما هو للمومن بعد الكشف من محبة لقا الله فهو للموقن
في حياته وتعطيه لكمال الكشف له مع وجود حجاب الملك الظاهر ولذلك ما مات نبي حتى يخير
فيختار لقا الله لتكون وفاته محب مبادر لنقاص المومن عن يقين النبي تولى الله الخير في
لقايه لانه وليه ومنه ما ورد ما ترددت في شي تردد في قبض روح عبدي المومن يكره الموت
وانا اكره مساته ولا بد له منه ففي ضمن ذلك احتياب الله للمومن لقاه لانه وليه يختار له
حتما لا يصل اليه ادراكه انتهى ثم سجل عليهم سبحانه بالكذب فقال ان كنتم صادقين ولما
كان التقدير فاتمنوه عطف عليه قوله ولن يتمنوه ابدا ثم ذكر السبب في عدم التمني فقال
بما قدمت وهو من التقدمة وهي وضع الشي قداما وموجبه القدم الذي هو لاما م والجاه الي
قبالة الوجه قاله الحرالي ايديهم اي من الظلم والي ذلك اشار بقوله والله عليم بالظالمين حيث
اظهر تنبيها على الوصف الموجب للحكم وتعميما لما بين انهم لا يتمنونه اثبت لهم ما هو فوق ذلك
من تمني الضد الدال على علمهم بسوء منقلبهم فقال ولتجدنهم اي بما تعلم من احوالهم مما منه الوجدان
وهو احساس الباطن بما هو فيه والاصابة ايضا لما له علقة بالباطن كانه فيه احرص صيغة
مبالغة من الحرص وهو طلب الاستغراق فيما يختص فيه الحظ قاله الحرالي الناس على حياة
على اي حالة كانت وهم قاطعون بانه لا يخلوا يوم منها عن كدر فانهم يعلمون انها وان كانت
في غاية الكدر خير لهم مما بعد الموت ومن اي واحرص من الذين اشركوا الذين لا بعث
عندهم على الحياة علما منهم بانهم صايرون الي العذاب الدايم بالسيات المحيطة والترك قاله
الحرالي اسناد الامر المختص بواحد الي من ليس له معه امر انتهى ثم بين مقدار ما يتمنونه
فقال يود من الود وهو محبة نزوع النفس للشي المستحق نزوعها له قاله الحرالي احدهم اي
احد من تقدم من اليهود والمشركين بجميع اصنافهم او من اليهود خاصة او من المشركين فيكون

داده اليهود من باب الاولى قال الحرالي وهو نحو من خطاب القران لا يصل اليه ابلاغ الخلق
لو يعمر من التعمر وهو تمادي العمر كانه تكرار والعمر امد ما بين بدو الشي وانقطاعه قاله الحرالي
الف سنة خوفا من الموت او ما بعده والالف كمال العدد بكمال ماله رتبة والسنة امد تمام
دورة التمر وتمام ثنتي عشر دورة التمر قاله الحرالي وهذا المعنى وان كان موجودا في الحول
والعام والحجة غير ان ماخذ الاشتقاق ملاحظ في الجملة فلبلاغة القران لا يطلق واحدا من
هذه الالفاظ الا فيما يناسب السياق من اصل اشتقاق هذه الالفاظ فهذا السياق لما كان
المراد بردهم بتهالكهم على بقائهم في الدنيا على اي حاله كانت علما منهم بانهم ولو كانت اسوا
الاحوال خير لهم مما بعد الموت لتحقق شقائهم عبر عنها بما منه الاسنات وهو القحط وسوء الزمان
وان كان اهلها في سنا يسنو اذا دار حول البير قال السهيلي في الروض وقد
تسمى السنة دارا ففي الخبر ان بين ادم ونوح الف دار اي سنة ثم قال فتامل هذا فان
العلم بتنزيل الكلام ووضع الالفاظ في مواضعها اللايقة بها يفتح بابا من العلم باعجاز القران
والله المستعان وما هو بمزحزحه والزحزحة ابعاد الشي والمستثقل المترامي لما يبعد عنه
قاله الحرالي من العذاب ثم فسر الضمير بقوله ان يعمر اي ما يزحزحه الطاعة المقرونة
بالايمان الصحيح الذي ليس فيه نزغة ولما كان التقدير لانهم يعملون في اعمارهم الاعمال السيئة
المحيطة عطف عليه قوله والله بصير بما يعملون ولما ذكر عداوتهم لاخص البشر واجترائهم عليه
بالتكذيب والقتل وختم ذلك بعداوتهم لاكمل الخلق واخصهم حسدا لنزول هذا الذكر عليه عبارة
ثم اشارة بما رتبه الي نصبهم لقتله وابى ذلك ما بنه لا محيص لهم من العذاب لانه بصير باعمالهم
الموجبة له ذكر ما هو من دقيق اعمالهم من عراقتهم في الكفر بعداوتهم لخواص الملايكة الذين هم
خير محض لا حامل اصلا على بغضهم الا الكفر وبدي بذكر المنزل للقران لان عداوتهم للمنزل
عليه ما نزل عليه عداوة لمنزله لانه سبب ما كانت العداوة لاجله فقال قل من وهي
اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة احادا وجموعا واستغراقا قاله الحرالي كان عدوا لجبريل
اي فانه لا يضر الا نفسه لانه لا يبلغ منه بوجه من الوجوه ولعله اوتيه بعداوته لله لكفره
حينيذ بجميع كتب الله ورسله وجبريل قال الحرالي يقال وهما اسم عبودية لان ايل اسم
من اسما الله عز وجل في الملا الاعلى وهو يد بسط لروح الله في القلوب بما يحييها الله به من روح
امره ارجاعا اليه في هذه الدار قبل ارجاع روح الحياة بيد القبض من عزرايل عليه
السلام انتهى ثم علل هذا الخبر المحذوف بما ارشد اليه فقال فانه اي جبريل نزله اي
القران الاتي بما ينفعهم الداعي لهم الى ما يصلحهم فيرفعهم على قلبك وهو اكمل القلوب باذن
الله لم يتعد شيا مما امر به الاذن رفع المنع وايتا المكنة كونا وحلتا ما لم يمنعه حكم تصريف
قاله الحرالي مصدقا لما بين يديه من كتب الله التي اعظمها كتابهم فكانوا احق الناس بالايمان
به وكان جبريل عليه السلام احق الملايكة بمحبتهم له لاترابه والبر حد فاصل في حس او معنى
قاله الحرالي وهدي الي كل خير وبشرى للمومنين الذين لهم الايمان وصف لازم فلا يفرقون بين

كتب الله ولا بين رسله بل حيثما قادهم الحق انقادوا فلا يدخل في ذلك الذين امنوا بالسنتهم
فلما جاهم ما عرفوا كفروا به ولا من علم الله منه ذلك ولو كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
اعلم بما كانوا عاملين ولما كانت عداوة واحد من الحزب لكونه من ذلك الحزب عداوة لجميع
ذلك الحزب تلاه بقوله من كان عدوا لله بعداوته واحدا من اوليايه لكونه من اوليايه
وملايكته ورسله من البشر وغيرهم وجبريل وميكايل فانه قد كفر فاهلك نفسه بكفره
وعلى ذلك دل قوله فان الله عدو للكافرين وعبر بالوصف الدال على ذم صرفا للخطاب
عمن يتعظ منهم فيرجع فلا تلحقه المعاداة لذلك وميكايل اسم عبودية ايضا وهو
يد بسط الارزاق المقيمة للاجسام كما ان اسرافيل يد بسط للارواح التي بها الحياة
قاله الحرالي ولما فرغ من ترغيبهم في القران بانه من عند الله وانه مصدق لكتابهم
وفي جبريل بانه الاتي به باذن الله ومن ترهيبهم من عداوته اتبعه مدح هذا القران
وانه واضح الامر لمريد الحق وان من كفر به منهم او من غيرهم فاسق اي خارج عما يعرف
من الحق فانه يجب لا يخفى على احد فقال تعالى عطفا على قوله فانه نزله على قلبك باذن
الله او قوله ولقد جاكم موسى بالبينات ولقد انزلنا بعظمتنا ولقد وانت اعظم الخلق
انزلنا اليك
ايات بينات في الدلالة على صدقك وصحة امرك ففسقوا بكفرهم بها وما يكفر بها منهم ومن
غيرهم الا الفاسقون الذين الفسق صفة لهم لازمة وفي ذلك رجوع الي وصف الكتاب الذي
هو مقصود السورة ولما ذكر انكر عليهم اولا ردهم للرسل لامرهم بمخالفة الهوى في قوله
افكلما جاكم رسول واتبعه بما يلايمه الي ان ختم بان ايات هذا الرسول من الامر البين
الذي يشهد به كتابهم وقد اخذ عليهم العهد باتباعه كما ارشد اليه قوله تعالى فاما ياتينكم
مني هدي الاية انكر عليهم ثانيا كفرهم بما اتى به الرسل بقوله او كلما عاهدوا عهدا نبذه
اي طرحه محتقرا له فريق منهم ولما كان هذا مترددا بين التقليل والتكثير لتردد التنوين
بين التعظيم والتحقير رد احتمال التقليل بقوله بل اي وليس الفريق الكافر بالسدا قليلا بل
اكثرهم لا يومنون حالا ولا مالا ثم اتبع هذا الانكار ذكر الكتاب والرسول كما فعل
في الانكار الاول غير انه صرح هنا بما طواه هناك فقال ولما جاهم رسول اي عظيم
محيطة دعوته بما اشعر به الاسم الاعظم في قوله من عند الله مصدق لما معهم لكونه اتي بكتاب
محقق انه من عند الله لاعجاز نظمه وتصديق معناه لكتابهم نبذ اي عمر من رمي استخفاف فريق
من الذين اوتوا الكتاب الاول كتاب الله الذي اخذ عليهم فيه الميثاق على لسان نبيهم
باتباع النبي الامي اسود النبوة لجهله وراء ظهورهم واشعر بعنادهم بقوله كانهم لا يعلمون
ولما كانت سنة الله جارية بانه ما ابات احد سنة الا زاد في خذلانه بان اجرى على يده بدعة اعقبهم
نبذهم لكلام الله اولى الاوليا واتبعوا ما تتلوا اي تقرا او تتبع الشياطين على ملك اي زمن
ملك سليمان من السحر الذي هو كفر قاله الحرالي من حيث حقيقته امر يبطل بذكر اسم
الله ويظهر اثره فيما قصر عليه من التخييل والتمريض ونحوه من الاقتصار به من دون اسم الله

الذي هو كفر انتهي وكان السحر كان في تلك الايام ظاهرا عاليا علي ما يفهمه التعبير بعلي
سليمان علي ما ذكر في اول الانجيل متي واتنا الانجيل لوحا هو ابن داود بن يسي بن عوبذ بن
باعاز بن شلمة بن يصون بن عميناداب بن ارام بن يورام بن حصرون بن فارص بن يهودا بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام والحاصل انهم مع تركهم للكتب المصدقة لما معهم الكفيلة
بكل هدي وبركة الاتية من عند الله المنتجب الي عباده بكل جميل علي السنة رسله الذين
هم اصدق الناس وانصحهم واهداهم لا سيما هذا الكتاب المعجز الذي كانوا يتباشرون
بتقربه ولمن صاحبه اتبعوا السحر الذي هو اضوء الاشيا واخبثها الاتي به الشياطين
الذين هم اعدي الاعدا وافظعهم واعجب ما في ذلك انهم نسبوا السحر الي سليمان عليه
عليه السلام كذبا وفجورا وكفروه به ثم كانوا هم اشد الناس تطلبا له ومصاحبة علما وعملا
واكثر ما يرجوا فيهم فكانوا بذلك شاهدين علي انفسهم بالكفر ومن المحاسن ايضا انه لما كان
قوله ولقد اتينا موسي الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وما بعده في الكتب والانبيا
والرسل من البشر والملايكة كانت دلالته ان الكفرة من اهل الكتاب نبذوا وكل كله
ونابذوه واقبلوا علي السحر الذي كان ابطاله من اول معجزات نبيهم واعظمها فهو اشد
شي منافاة لكتبهم مع علمهم بانه مما يضرهم في الدارين ولا ينفعهم ولما اعتقد اهل الكتاب
بزنبهد واذكر كله ونابذه وهو لعبد موت سليمان عليه السلام ان السحر منه وان انتظام ملكه
علي الانس والجن والطير والوحش والريح انما كان به نفي الله تعالي ذلك عنه بقوله **وما كفر**
سليمان قال الحرالي يقال هو من السلامة وانه من سلامة صدره من تعلقه بما حوله الله
تعالي من ملكه هذا من فضل الله ربي ليبلوني االشكر ام اكفر وهو واحد كامل في ملك
العالم المشهود من الاركان الاربعة وما منها من المخلوقات انتهي اي ما وقع منه كفر ما فضلا
عن ان يكون بالسحر الذي هو ابعد الاشيا عن ايات الانبيا **ولكن الشياطين كفروا** ثم نبين
كفرهم بقوله **يعلمون الناس السحر** اي الذي ولدوه هم بما دسوه من حالة كما ان الانبيا اتباعهم
يعلمون الناس الحق بما بينوه من امر والسحر قال الحرالي هو قلب الحواس في مدركاتها
عن الوجه المعتاد لها في صحتها عن سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه وقوله **وما** اي
واتبعوا اما **انزل علي الملكين** قال الحرالي منه انبا بان هذا المحصل ضربان مودع في الكون
هو امر الشياطين ومنزل من غيب هو المتعلم من الملكين وقال **ببابل** تحقيقا لنزولهما الي
الارض **هاروت وماروت** بدل من الملكين وكانهما لما كانا مع الحاجة اليهما لا يحتاجا الي
احد وصفا ايضا بكونهما ملكين بكسر اللام وعبارة الحرالي ملكان رجلا ملكين في الارض
والاية من اظهار الله للملايكة فضل الخليفة ثم بين نصيحة الملكين بقوله **وما** فانبا ان التقدير وما
كفر الملكان كما كفر الشياطين فانهما ما **يعلمان** وزيادة في قوله **من احد** لتاكيد الاستغراق **حتي يقولا**
انما نحن فتنة اي في صورة الاختبار من الله لعباده قال الحرالي واصل معناها من فتن الذهب
وهو تخيره ليظهر جوهره ويتخلص طيبه من خبيثه انتهي **فلا تكفر** بالعمل بما تعلمه فان العمل به كفر **فيتعلمون**

منها

منها ما يفرقون به بمخالفة للملكين في النهي عن ذلك وذكر التفرقة في اشد الاتصال ليفهم
منه ما دونه فقال **بين المرء وزوجه** والمرء اسم من اسنان الطبع يشاركه الرجل به والمراة
ويكون له فيه فضل ما يسمي معناه المروة انتهي ولما ذكر السبب الغريب للضرر رده اليه
ترقية للذهن الثاقب الي اعلي المراتب وصونا له عن اعتقاد ما لا يناسب فقال **وما هم**
بضارين وهو من الضر بالفتح والضم وهو ما يولم الظاهر من الجسم وما يتصل بمحسوسه
في مقابلة الاذي وهو ايلام النفس وما يتصل باحوالها وتشعر الضمة في الضر بانه عن علو
وقهر والفتحة بانه ما يكون عن مماثل ونحوه وقلما يكون عن الادني ومنه لن يضروكم الا
اذي قاله الحرالي **به من احد** ولما اكد استغراقه بضروب من التاكيد تلاه بمجيبا ما العموم
فقال **الا باذن الله** وفيه اعلام لهم بان ضرورتهم لرسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك الضر الضعيف
حيث سحروه لبيد بن الاعصم انما هو كضر غيره من الاساليب التي قد تخفي فيضاف الامر في ضررها
الي الله تعالي وقد تعرف فيضاف الضرر اليها كما كان يحصل لغيره من اخوانه من الانبيا منهم ومن
غيرهم والعلم حاصل بان المراد في الجميع في الحقيقة هو الله تعالي وسياتي عند قوله تعالي وهو
الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في سورة الانعام ما ينفع استحضاره هنا ولما كان هذا الذي
تقدم وان كان للعامل به نفع علي زعمه فضره البرمي نفعه اثمه فسماه اخر ليس لمتعلمه فيه شي
غير الضر فليس الحاصل له علي تعلمه الا اسار اللحاق بابليس وحزبه فقال **ويتعلمون** اي من
السحر الذي وعده الشياطين ومن الملكين **ما يضرهم** لان مجرد تعلمه كفر او معصية ثم حقق انه
ضرر كله لا شايبه النفع فيه بقوله **ولا ينفعهم** لانه لا تاثير له اصلا والنفع وصول موافق الجسم الظاهر
وما يتصل به في مقابلة الضر ولذلك يخاطب به الكفار كثيرا الوقوع معنيهما في الظاهر الذي هو
مقصدهم من ظاهر الحياة الدنيا قاله الحرالي ثم اتبعه ما يعرف انهم ارتكبوه علي علم فقال محققا
موكدا **ولقد علموا** بيانا لانهم اسفه الناس **لمن اشتراه** اي اثره علي ما يعلم نقصه من الايمان **ما له في**
الاخرة الباقية الباقي نفعها **من خلاق** اي نصيب اصلا والخلاق الحظ اللايق لمن يقسم له النصيب
في الشي كانه موازن به خلق نفسه وخلق جسمه قاله الحرالي ثم جمع لهم الذم علي وجه التاكيد
فقال **ولبيس ما شروا** اي باعوا علي وجه اللجاجة **به انفسهم** اشارة الي انه مما احاط بهم فاحت نفوسهم
من اصلها فاوجب لهم الخلود في النار ثم قال بعد اثبات العلم لهم **لو كانوا يعلمون** اي لو كان
قابلية للتلقي وارادات الحق اشارة الي ان هذا لا ينعدم عليه من له ادني علم فعلمهم الذي اوجب
لهم الجراة علي هذا عدم بل العدم خير منه ولما بين ما عليهم فيما ارتكبوه من المضار اتبعه ما في
الاعراض عنه من المنافع فقال **ولو انهم امنوا** اي بما دعوا اليه من هذا القران **واتقوا**
ما يقدح في القران من الوقوف مع ما كان حقا فنسخ من التوراة فصار باطلا ومن الاقدام
علي ما لم يكن حقا اصلا من السحر لاثيبوا اجرا مما تركوا لان من ترك شيا لله عوضه الله خيرا منه
هكذا الجواب ولكنه عبر عنه بما يقتضي الثبوت والدوام والشرف الي غير ذلك مما تقصر عنه الاذهان
من بلاغات القران فقال **لمثوبة** صيغة مفعلة من الثواب وهو الجزا بالخير وفي الصيغة

اشعار بعلو وسات قاله الحرالي وشرفها بقوله من عند الله وزادها شرفا بقوله خير مع
حذف المفضل عليه قاله الحرالي وسوى بين هذه المثوبة ومضمون الرسالة في كونهما من عند
الله تشريفا لهذه المثوبة والحاقا لها بالنمط العليا من علمه وحكمته ومضى كلمة انتهى وهذه المثوبة
عامة لما يحصل في الدنيا والاخرة من الخيرات التي منها ما يعطيه الله لصالحي عباده من التصرف
باسما الله الحسنى على حسب ما يعطيه مفهوماتها من المنافع ومن ذلك واردات الاثار لكون
الفاتحة شفا واية الكرسي حرزا من الشيطان ونحو ذلك من منافع القران والاذكار والتبرك
باثار الصالحين ونحوه ثم اكد الخبر بان علمهم جهل بقوله لو كانوا يعلمون وقال الحرالي فيه اشعار
برتبة من العلم اعلا والترفع من الرتبة التي كانت تصرفهم عن اخذ السحر لان تلك الرتبة تزهد
في علم ما هو شر وهذه ترغيب في منال ما هو خير وفيه بشرى لهذه الامة بما يؤتيها كتابها من تبول
هذا العلم الذي هو علم الاسما ومنافع القران يكون لهم عوضا من علم السيميا الذي هو باب
من السحر وعيناه ان يكون من نحو المنزل على الملكين قال صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما
من النجوم اقتبس بابا من السحر زاد ما زاد وحقيقة السيميا امر من امر الله اظهر اثارا في
العالم الارضي على سبيل اسما وارواح خبيثة من بواطن الفتن في المعلومات من التراب
والكواكب والصور وما ابداه منه في علوم واعمال لا يثبت شي منها مع اسمه تعالى بل تشترط في
تحقيقه اخلاؤه عن اسم الله وذكره والقيام بحقه وصرف المحاسنات والوجهة الى ما دونه
فهو كنس لنفس موضوع فتنة من الله تعالى لمن شا ان يعمه برحمته كانت فتنته اسم السيميا في
عدي الاسم بمنزلة اسم اللات والعزى من هداية اسم الله العزيز ولله كلمة الخلق والامر
هدى واضلالا لاظهار الكلية الجامعة الشاملة لمتقابلات الارواح التي منتهاها قسمة
الى دارين دار نور رحماني من اسمه العزيز الرحيم ودار نار انتقامي من اسمه الجبار المنتقم
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ولما جعله سبحانه من المخرج في السحر ونحوه كان من المثوبة
لمن امن واتقى من هذه الامة سورة الفلق والناس المعوذتان حرزا وابطالا وتلقفا
لما يافك سحر الساحرات عوضا سحر الساحرات عوضا دايما بما فيهما من التعويذ الجامع
للعوذة من شر الفلق الذي من لحمته كان السحر مفرقا فيهما عوذتان منه وراما وراء
السحر ونحوه وذلك من مثوبة الدفع مع ما اوتي من مثوبة النفع ويكاد ان لا تنتقض مرجاة
هذه الاية لهذه الامة عند غاية من منال الخيرات ووجوه الكرامات انتهى ولما كان من الحق
كما قال الحرالي اجرا الامور على حكم اسمه الحق لانه ينتسخ هو منال الحق المبين وصرفه
الى من لم يثبته الحق في حين افك وقلب عن وجهه فهو خيال باطل هو في باب الراي بمنزلة
السحر في الحس فهو خيال لما اوهمه صحة النسبة فيه مثال اتبع الايات الذامة للسحر الحقيقي
التنبيه على السحر المجازي الذي خيلوا به الخير وقصدوا به الشر ليكون النهي عنه نهيا عن الاول
بطريق الاولى فقال ملتفتا عن ذكرهم الى خطاب المومنين الذي هو احضر من يا بني اسرايل
الاحضر من يا ايها الناس اعبدوا ربكم يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان صدقوا اقرارهم

يودان

يودان لا تقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا التي تقصدون بها الرعاية والمراقبة لقصد
الخير وحفظ الحالات فاغتنمها اليهود لموافقة كلمة سبة عندهم فصاروا يلوون بها السنتهم
ويقصدون بها الرعونة وهي افراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم في القول لان منها النصح الموافق
في الصورة لشبهة من القبيح وعوضهم منها ما لا يتطرق اليه فساد فقال وقولوا انظرنا
فابقى المعنى وصرف اللفظ قال الحرالي ففيه الزام بتصحيح الصور لتطابق تصحيح المقاصد
وليقع الفرق بين الصدرين كما وقع الفرق بين المعنيين فهي اية فرقان خاصة بالعرب
وقال واسمعوا اي تولوا ما امرتكم به وامتثلوا جميع اوامري ولا تكونوا كاليهود في جعلهم
السماع على حقيقته وقولهم سمعنا وعصينا وعطف وللكافرين على غير معطوف عليه مذكور
مرشد الى ان التقدير فان السماع اي القبول ايمان وللسامعين نعيم كريم وللاعرضين كفر وللكافرين
من اليهود وغيرهم عذاب اليم ولما ارشد ختم الاية الى العلة الحاملة على الامتثال على علة
اخرى فقال ما يود الذين كفروا مطلقا من اهل الكتاب اليهود والنصارى ولا من
المشركين باي نوع كان من انواع الشرك بعضا فيكم حسدا لكم ان ينزل عليكم واكد الاستغراق
بقوله من خير من ربكم اي المحسن اليكم فكانه قيل للسماع علتان حاملتان عليه واعتبار
اليه احدهما اخروية وهي النعيم للمطيع والعذاب للعاصي والاخرى دنيوية وهي مخالفة الاعدا
فانهم ما يودون ان ينزل عليكم شي لكم فيه خير فضلا عن ان تمتثلوه ومخالفة الاعدا من الاغراض
العظيمة للمتمكنين في الاخلاق الفاضلة من ذوي الادوات الكاملة ولم يعطف ما يود لانه مع ذكر
علة للعلة فكانه قيل لهم عذاب اليم لانهم لا يودون لكم خيرا فسماعكم من جملة عذابهم لانه واقع
على خلاف ودادتهم مع ما يورثهم في الاخرة بكفرهم وتمنيهم كفركم ولا يخفى ما فيها وفي التي بعدها
من التحريض على الكتاب الذي لا ريب فيه ولما بين سبحانه ما يودون اتبعه التعريف بان له
التصرف التام رضي من رضي وسخط من سخط فقال معلقا الامر بالاسم الاعظم الجامع والله
اي ذو الاسما الحسنى يختص برحمته التي وسعت كل شي من الهداية والعلم وغير ذلك من يشا ولو
كان عند غيره بمحل الاحتقار كما كان العرب عند بني اسرايل لما كانوا يرون من جهلهم وضلالهم
وجفاهم واختلال احوالهم والاختصاص عناية تعين المختص لمرتبة ينفرد بها دون غيره والرحمة
تحفي ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه ادناه كشف الضر وكف الاذى واعلاه الاختصاص
برفع الحجاب قاله الحرالي ولما كان ذلك ربما اوهم انه اذا فعله لم يبق من رحمته ما يسع غير المختص
نفاه بقوله مصدرا له بالاسم الاعظم ايضا والله ذو الفضل العظيم اي الذي لا يحصى بحد ولا يدخل
تحت عد ولما حرم سبحانه قولهم راعنا بعد حله وكان ذلك من باب النسخ وانتهى ما يتعلق به الوصف
بالفضل العظيم بعد التخصيص الذي من مقتضاه نقل ما يكون من المنافع من ملك او دين او خلق
او علم او ناس الى ناس وكان اليهود يرون ان دينهم لا ينسخ فكان النسخ لذلك من مطاعنهم
في هذا الدين وفي كون هذا الكتاب هدى للمتقين لانه على زعمهم لا يجوز على الله قالوا لانه
يلزم منه البدا اي بفتح الموحدة مقصورا وهو ان يبدو الشي اي يظهر بعد ان لم يكن وذلك لا

يجوز على الله تعالى هذا مع ان النسخ في كتابهم الذي بين اظهرهم فان فيه انه تعالى امرهم بالدخول
الى بيت المقدس بعد مقاتلة الجبارين فلما ابوا حرم عليهم دخولها ومنعهم منه ومن القتال بالدرة
والامر كما سترا عن نص التوراة في سورة المايدة ان شا الله تعالى وامرهم بالجمعة فاختلفوا فيه كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ويأتي في قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه واختاروا السبت
ففرض عليهم وشدد عليهم فيه واحل لهم جميع اللحوم والشحوم فلما اتخذوا العجل حرم عليهم الشحوم والعجب
من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم ياذن به الله في تحريفهم الكلم عن مواضعه وتحريم الاحبار والرهبان
وتحليلهم لهم ما شاوا من الاحكام التي تقدم عدة جملة منها اصولا وفروعا وكما قال تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ولما قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله انهم لم يكونوا يعبدونهم قال اليسوا يحلون لهم ويحرمون قال بلى قال فتلك عبادتهم لهم كما
هو مبين في السيرة في وفادة عدي وكما فعلوا في ابدال الرجم في الزنا بالجلد والتحميم وفي اتباع ما
تتلوا الشياطين مع ان فيه ابطال كثير من شرعهم وفي نبذ فريق منهم كتاب الله وفي قولهم سمعنا وعصينا
وفي اتخاذهم العجل مع النهي عن ذلك وكل ما شاكله في كثير من فصول التوراة وفي ما اشير اليه
بقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الى غير ذلك لما كان ذلك قال تعالى جوابا عن طعنهم
سايقا له في مظهر العظمة معلما انه قد البس الغرب المحسودين ما كان قد زين به اهل الكتاب
وهو انا تبدلوه ودنسوا محياه وردلوه وغيروه وبدلوه اشارة الى ان الحسد لكونه اعتراضا على المنعم
يكون سببا لالباس المحسود ثوب الحاسد ما ننسخ والنسخ قال الحرالي نقل بادمن اثر او كتاب
ونحوه من محل معاقب بدهسه او باقتباس يغني عن غيبته وهو وارد الظهور في المعنيين في موارد
الخطاب والمعاقبة في هذا اظهر انتهى وساقها بغير عطف لشدة التباسه بما قبله لاختصاصنا
لاجل التشبيه على حسب المصالح بالفضل والرحمة لانه ان كان المراد نسخ جميع الشرايع الماضية
بكتابنا فلما فيه من التشريف بالانفراد بالذكر وعدم التشعب والتعصب للاحال التي كانت
وان كان المراد نسخ ما شرع لنا فللنظر في المصالح الدنيوية والاخروية بحسب ما حدث من الاسباب
من اية اي نرفع حكمها اولا وقد بعد انزالها او نامر بذلك على انها من النسخ على قراة ابن عامر
سوا كانت في شرع من قبل كاستقبال بيت المقدس او لم يكن وفي صيغة نفعل اشعار بان من
تقدم ربما نسخ عنهم ما لم يعوضوا به مثلا ولا خيرا ففي طيه ترغيب للذين امنوا في كتابهم الخاص بهم
وان يكون لهم عند النسخ حسن قبول فرحا بتجديدا واغتباطا بما هو خير من المنسوخ ليكون حالهم
عند تناسخ الايات مقابل حال الابين من قبوله المستمسكين بالسابق المتقاصرين عن خير لاحق
وجد قاله الحرالي او ننسها او نوخرها اي نترك انزالها عليكم اصلا وكذا معنى او ننسها من
النسي في قراة غير ابن كثير وابي عمرو اي نامر بترك انزالها نات بخير منها او مثلها كما فعلنا في
راعنا وغيرها او يكون المعنى ما ننسخ من اية فنزيل حكمها او لفظها عاجلا كما فعلنا في راعنا او
ننسها بان نوخر نسخها او نتركه على قراة ننسها زمنا ثم ننسخها كالقبلة نات عند نسخها بخير منها او مثلها
وقال الحرالي وهو احق ان شا الله تعالى والانسا تاخير عن وقت الى وقت ففيه مدار بين السابق واللاحق

بخلاف

بخلاف النسخ لان النسخ معقب للسابق والنسا مدا ون للوحي وهو نمط من الخطاب على خفي المنحى
لم يكد ينفسح معناه لاكثر العلما الا الايمة من ال محمد صلى الله عليه وسلم لخفا القران يوما شانه
المعاقبة وما شانه المداولة ومن امثاله ما وقع في النسا من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن لحوم الاضاحي
ثم قوله الذين امنوا نسخا وانما كان انسا وتاخير الحكم الاستمتاع بها بعد ثلاث الى وقت زوال
الدافة التي كانت دفت عليهم من البوادي فلم يلقن ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى فسره
بقال انما نهيتكم من اجل الدافة فمن متسع فتفهمه ان احكاما توخر متشابه النسخ من وجه ثم
تعاد فتخالفه من هذا الوجه من حيث ان حكم المنسوخ منقطع وحكم المنسي متراجعة ومنه المقاتلة
للعدو عند وجدان المنة والقوة والمهادنة عند الضعف عن المقاومة هو من احكام المنسا وكل ما
شاكله انه يمتنع في وقت لمعنى ما ثم يعود في وقت لزوال ذلك المعنى فهو من المنسا الذي احمل عمله
اكثر الظاهرين وربما اضافوا اكثره الى نمط النسخ لخفا الفرقان بينهما فحق ان هذه الاية من
جوامع اي الفرقان لهذا حكم النسا والانسا وهو في العلم بمنزلة مقام الفصول عما اشتملت
عليه من الاشيا المتعاقبة في وجه المتداولة في الجملة معلت وحاصله تاخير الحل كما ذكر او الحرمة
كما في المتعة ونحو ذلك الى وقت اخر وذلك هو مدلول النسي على ما كانت العرب تتعارفه كما سياتي
تحريره في سورة براة عند انما النسي زيادة في الكفر قال واما النسيان والتنسيه فمعناه
اخفى من النسي وهو ما يظهره الله من البيانات على سبيل ادخال النسيان على من ليس شانه
ان ينسى كالسنن التي ابداها النبي صلى الله عليه وسلم عن تنسية كما ورد من قوله اني لا انسى لاسن
وقال عليه الصلاة والسلام في افصاح القول فيه بيسما اسيروا لاحدكم ان يقول نسيت
بل هو نسي ومنه قيامه من اثنين وصلاته من اثنين حتى اظهر الله سنته فلذلك لا منه وكان
تلك الصلاة بسهوها ليست بدونه من غير سهو بل هي مثله او خير ومن نحو منامه عن الصلاة حتى
اظهر الله توقيت الصلاة بالذكر كما كان قد اظهرها بالوقت العياني فصار لها وقتان وقت
عياني من مدار هاح الشمس ووقت نوري وجداني من مدار هاح الذكر ولصحة وقوع الوقتين
كانت الموقتة بالذكر ادا لحسبه قضا بحسب فوت وقت الزماني فالله تعالى على هذه الامة فضل
عظيم فيما يكمل لها على طريق النسخ وعلى سبيل النسي وعلى جهة النسيان الذي ليس عن تراخ
ولا اهمال وانما يوقعه اجبارا مع اجماع العزم وفي كل ذلك اشعار بان ما وقع من الامر بعد هذا
النسيان خير من موقع ذلك الامر الذي كان يقع على اجماع ورعاية لتستوي احوال هذه الامة
في جميع تقلبات انفسها كل ذلك من اختصاص رحمته وفضله العظيم انتهى واسند له سبحانه على اساس
ذلك بقدرته والقدرة الشاملة التامة مستلزمة للعلم اي وليس هو كغيره من الملوك اذا امر
بشي خاف عاقبة اتباعه وربما باه في نفسه واستدل على القدرة بان له جميع الملك وانه ليس لاحد
معه امر وحاصل ذلك انه لما ذكر سبحانه هذا الكتاب واكد امره مرارا وكان ناسخا لغروع شرايعهم
ولا سيما ما فيها من الاصار والاغلال اشار سبحانه الى ان من اعظم ضلالهم وغيهم ومحالهم ادعاهم ان
النسخ لا يجوز على الله فمنعوا من الايسال عما يفعل مما هو موجود في كتابهم كما مر انفا وهما سوغوه لانفسهم

بالتحريف والتبديل ولزم من ذلك تكذيب كل رسول اتاهم بما لا تهوى انفسهم وفعلوا خلاف حال
المومنين المصدقين بما انزل الي نبيهم وما انزل الي غيره وبعض ذلك عيبهم بالقدح في الدين بالامر
بالشي اليوم والنهي عنه غدا وانه لو كان من عند الله لما نهي لانه عالم بالعواقب ولا يخلوا اما ان يعلم
ان الامر بذلك الشي مصلحة فلا ينهى عنه بعدا او مفسدة فلا يامر به اليوم وجوابهم عن ذلك معرض
عن خطابهم تعريضا بسارتهم الي خطابهم اعلم الخلق بقوله الم تعلم ان الله اي الحاوي لجميع اوصاف
الكمال على كل شي قدير على وجه الاستفهام المتضمن للانكار والتقرير المشار فيه للتوعد والتهديد
يخلق بقدرته من الاسباب ما يصير الشي في وقت مصلحة وفي وقت اخر مفسدة لحكم ومصالح دبرها لتقوم
هذا العالم وبعض هذا الكون بشمول علمه بكل ما تقدم وما تاخر ولو اراد لجعل الامر على سنن
واحد والناس على قلب رجل واحد ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا لجعل الناس امة
واحدة ولكنه مالك الملك ومالك السموات والارض يتصرف على حسب ما يريد لا راد لامره ولا معقب
لحكمه ولا يسوغ الاعتراض عليه بوجه وهل يجوز ان يعترض العبد الذي لا ينفك اصلا من الرق
على السيد الثابت السودد وعلى انه لا يلزمه شي اصلا فلا يلزمه الامر على حسب المصالح ثم اتبع
ذلك بما هو كالدليل على شمول القدرة فقال الم تعلم ان الله الجامع لانواع العظمة له ملك السموات
والارض يفعل في ذواتهما واحوالهما ما يشا قال الحرالي عني بما هو على كل شي قدير مفصل الايات
وهو بما له ملك السموات والارض يدبر الامر انتهي وما لكم من دون الله المتصف بجميع صفات
العظمة من ولي يتولي اموركم وهو من الولاية قال الحرالي وهو القيام بالامر عن وصل واصل ولا
نصير فاقبلوا بجميع قلوبكم اليه ولا تلتفتوا لها عنه وفي ذلك تعريض بالتحذير للذين امنوا ولم يبلغوا درجة
المومنين من نحا لقد امرهم اذا احكم عليهم بما اراد كاينا ما كان لئلا يلتقن بواطنهم عن اليهود نحوا مما
لعب ظواهر السنتهم بان يستمسك بما بقي وقاتهم فسادا عن قبوله لاحقه ومكملة فيكون
ذلك بتعا للكتم اصل الكتاب في اياته نسخ ما لحقه التغيير من احكام في كتابها افاده الحرالي وقال وهو
في الحقيقة خطاب جامع لتفصيل ما يرد من النسخ في تفاصيل الاحكام والاحوال بمنزلة الخطاب المتقدم
في صدر السورة المشتمل على جامع ضرب الامثال في قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما الاية
وذلك لان هذه السورة هي فسطاط القران الجامعة لجميع تفصيل فيه وهي سنام القران وسنام الشي
اعلاه وهي سيدة سور القران ففيها لذلك جوامع ينتظم انتظام اي سورة الفاتحة المنتظمة من
غير تفصيل وقع اساها ليكون بين المجمل الجامع والابتدا الجامع متشاكله ما انتهي ام اي اتريدون
ان تودوا امرها لكم في النسخ ام تريدون ان تتخذوا من دونه الها لا يقدر على شي بان تسلوا رسولكم
ان يجعل لكم الها غيره كما سيل موسى من قبل اي قبل هذا الزمان اذ قال قومه بعدما راوا
من الايات وقد مروا بقوم يعكفون على اصنام لهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقالوا ارنا الله جهرة
وقالوا لن نصبر على طعام واحد وكانوا يعسون عليه في احكام الله بانواع التعنتات كما تقدم والارادة
في الخلق نزوع النفس لباد تستقبله قاله الحرالي واول دليل على ما قدرته قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
اي ياخذ الكفر بدلا من الايمان بالاعراض عن الايات وسوالها غيرها او التمسك بما نسخ منه فقد ضل

سوا السبيل اي عدله ووسطه فلم يهتد اليه وان كان في بينات منه فان من حاد عن السوا
اوشك ان يبعد بعد الاسلام منه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلكم وكثيرا ما كان يتزلزل طوايف من الناس عند تبدل الايات وتناهي الاحكام
وتجب ما يقع في النفس من سافل عنه او لما مل على قبوله بالجنة من هذا الضلال عن سوا هذا
السبيل وفيه اشعار بان الخطاب للذين امنوا لا ان المومنين المعرفين بالوصف لا تتبدل احوالهم
من ايمان لكفر لان احدا لا يرتد عن دينه بعد ان خالط الايمان بشاشة قلبه فمن يكفر بالطاغوت
ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن يسلم وجهه الي الله وهو
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا ينزع العلم انتزاعا
بعد ان اعطاكموه فبذلك يصح مواقع خطاب القران مع المترتبين في اسنان القلوب بحسب
الحظ من الايمان والاسلام والاحسان قاله الحرالي وعرف السبيل بانه المشتمل على قوام
السائرين فيه والسالك نحو الرعي والسعي وشبهه والسوا انه من التي اسحه بالامر الذي تقصد له قال
وقيل هو وسط وخيار ولما كان اكثر المثيرين لهذه الشكوك في صدور اهل الاسلام قال تعالى
مخاطبا للمومنين وهم في غمارهم تنفيرا لهم عن الضلال الذي هو في نفسه اهل لان ينفر عنه فكيف
وهو شماتة العدو وتحسده ووداده وتحذيرا لهم من نحا لطتهم ود كثير من اهل الكتاب
نابا ان المصافي منهم قليل لو يردونكم باجمعكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا والحسد قلق النفس
من روية النعمة على الغير وعبر عن بلوغ الحسد الي غاية بلا حله معاني تركه بقوله من عند انفسهم
اي الراسخ في طبايعهم فلا تطمعوا في صرفه بشي فان انفسهم غالبة على عقولهم ثم زاده تاكيدا
بقوله من بعد ما تبين لهم الحق ثم ارشد الي الدوا بقوله فاعفوا اي عاملوهم معاملة العافي
بان لا يذكر والهم شيا مما تظهر تلك الودادة الناشئة عن هذا الحسد من الاقوال والافعال
ولا تاخذوا فيما اخذتم به واصفحوا اي اظهروا لهم انكم لم تطلعوا على شي من ذلك واصل معناه
من الاعراض بصفحة العنق عن الشي لانه لم يرد وامرهم بمطلق الصفح ولم يعقبه بالجميل الذي
اختص به خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم في قوله فاصفح الصفح الجميل لتنزل الخطاب على مراتبه
تستحق مواقعه وحثهم على ان يكون فعلهم ذلك اعتمادا على تفويجه سبحانه بقوله حتى ياتي
الله بامره فبشرهم بذلك بظهورهم على من امروا بالعفو والصفح عنهم وقد كان مبدا ذلك
ويتم في زمن عيسى عليه السلام ولما كان النصر وهم في القلة والضعف بحال عظيم وقوة عدوهم ولكثرتهم
اعظم مستبعدا قال ان الله على كل شي قدير ففي هذا الختم بشرى للمومنين بتقديرهم كما ان في
الختم بالعلم بشرى بتعليمهم وفي ابهامه نذارة للكافرين بمقابلة ذلك ولما امرهم بما فيه بعد الكتاب
ما نسخ منه وما لم ينسخ وان لا يعوقهم عن طعن الطاعنين ولا حسد الحاسدين امرهم بما اتصف
به المهتد ونبي في قوله تعالى ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ولما كان المقصود من الصلاة
قصر الهمة والنية على الحضرة الالهية وتفريغ البال من جميع الشواغل علم ان التقدير بعد الختم
بشمول القدرة فاعلموا ذلك واتقوا به واقيموا الصلاة التي هي قوام الدين والمعينة على جميع النواب

باعانة الخالق الذي تصدها الاقبال عليه والتقرب اليه **واتوا الزكوة** التي هي من اعظم نفعات
المومنين احسانا الى الخلايق ان كنتم مصلين بالحقيقة فان المال بعض ماصرفت عنه الصلاة من
اعراض الدنيا ولما كان قوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وما بعده خطابا للمومنين
تحذيرا من كيد اعدايهم بالنهي عما يرديهم والامر بما ينجيهم وختمه بهذه الامة فذلكه لذلك كله جميعا
لمعانيه وفتحها براس العبادات البدنية والمالية وكانت الى مسيرة الى الواجب من ذلك ختم
الاية نفسها بالامر العام الجامع تعالى **وما تقدموا لانفسكم من خير** اي من الصلاة والزكوة
وغيرهما فرضا ونفلا **تجدوه** وزاد ترغيبا فيه بقوله **عند الله** اي الجامع لصفات الكمال
فهو يحفظه بماله من العلم والقدرة ويربيه بما له من الكرم والرحمة الى غير ذلك من امور الفضل
ولما كان الشي قد يهمل لكونه صغيرا وقد لا يطلع عليه لكونه خفيا حقيرا قال مرغبا مرهبا
ان الله بما تعملون بصير واظهر الاسم في موضع الاضمار اشعارا بالاستيناف للخبر ليكون حتما
جامعا لانه لو عاد على خصوص هذا الخطاب لكان انه وذلك لان تجديد الاظهار يقع بمعنى وختم
الخطاب على الحاطة حملته قاله الحرالي ولما ذكر دعواهم في مس النار وابطلها من وجوه كثيرة احاط
لهم فيها الخطايا احاطة اقتضت خلودهم فيها من جهة ضلالهم الى اية النسخ مرقيا الخطاب من سيه
الى اسوا منه من جهة اضلالهم لغيرهم من اية النسخ عطف على تلك الدعوى الاخبار بدعواهم
في دخول الجنة تصريحا بما افهمته الدعوى الاولى تلويحا وقرن بذلك مثل ما ختم به ما قبلها
من ان من فعل خيرا وجده على وجه بين فيه ان ذلك الخير الاسلام والاحسان فقال تعالى **وقالوا**
اي اهل الكتاب من اليهود والنصارى حسدا منهم على المسبب الذي هو الجنة كما حسدوا
على السبب وهو انزال ما اقتضى الايمان الموصل الى الرضوان الذي به تستباح الجنان **لن
يدخل الجنة** المعدة لاولياء الله **الا من كان هودا** هذا قول اليهود منهم **او نصارى** وهذا قول
النصارى نشرا لما لفه الواو في وقالوا ولما كانوا ابعد الناس عن هذه الاماني التي تمنوها
لانفسهم لمنابذتهم لما عندهم من العلم والتي حسدوا فيها المومنين لان ذلك فضل الله يوتيه
من يشا قال مشيرا الى بعدهم عن ذلك على وجه الاستيناف **تلك** باداة البعد **امانيهم** تهكما بهم
ولما كان كل مدع لغيب مفتقرا في تصحيح دعواه الى دليل وكان مثل هذا لا يقنع فيه الا بقاطعه
امر اعلم الخلق كلهم بان لا ينهض باخراجهم في علمهم ولدرهم غيرهم مطالبتهم بذلك نافضا لدعواهم فقال
قل هاتوا برهانكم بلفظ البرهان قال الحرالي وهو علم قاطع الدلالة غالب القوة بما تشعر به صيغة
الفعلان ضم اوله وزيادة اخره وهذا كما انتج ذلك بالنقض بقوله قل اتخذتم وفي ذلك اعلام
بانه تعالى ما غيب شيا الا وابدى عليه علما ليكون في العالم المشهود شفا عن العالم الغايب
قاله الحرالي ولما نادى عليهم بالكذب في قوله **ان كنتم صادقين** اثبت لغيرهم بقوله **بلى** ادعوا
الاختصاص به من بين اهل الجنة بقوله **من اسلم وجهه** اي كليته لان الوجه اشرف ما ظهر من
الانسان فمن اسلمه اسلم كله كما ان الايمان اذعان القلب الذي هو اشرف ما بطن واذا
اذعان جميع الاعضا والاسلام قال الحرالي الا لغا بما يكون من تلته في باطن او ظاهر والوجه

يجمع

يجمع حواس الحيوان واحسن ما في الموتان وهو ما عدا الحيوان وموقع الفتنة من النبات
وهو اول ما يحاول ابداوه من الاشيا لذلك **لله** لاجل انه الله **وهو محسن** في جانب الحق باذعان
القلب وفي جانب الخلق بما يرضي الرب فطابق سره علنه **فله اجره عند ربه** احسانا اليه باثبات
نفعه على حسب ما ربه به في كل شريعة **ولا خوف عليهم** مرات **ولا هم يحزنون** على شي فات
دفعا لضرهم وهذا كما اثبت سبحانه خلاف دعواهم في مس النار بقوله بلى من كسب سيئة واحاطت
به خطيئته الاية فالتحم الكلام بذلك اشد التحام وانتظم اي انتظام ولما ابطل دعوى اختصاصهم
بالرحمة واثبتها للمحسنين اتبع ذلك بيان انتفايها عنهم باسا ثم بابطال كل فرقة منهم دعوى
الاخرى مع ما يشهد به كتاب كل من بطلان قوله فقال **وقالت اليهود ليست النصارى على
شي** اي يعتد به لكونه صحيحا وليس مخففة من وزن فرح ومعناها مطلق النفي لتقدم اثبات او تقريره
قاله الحرالي **وقالت النصارى ليست اليهود على شي** اي لنسخ دينها لدينهم وعجب منهم في هذه الدعوى
العامة لما قبل التبديل والنسخ وما بعده بقوله **وهم يتلون الكتاب** اي مع ان في كتاب كل منهم
حقيقة اصل دين الاخر ثم شبه بهم في نحو هذا القول الجهلة الذين ليس لهم كتاب الذين هم عندهم
ضلال وفي ذلك غاية العيب لهم للتسوية حالهم مع علمهم بحال الجهلة في القطع في الدين بالباطل كما سوى
حالهم بهم في الحرص على الحياة في الدنيا ومنهم عبدة الاصنام الذين منهم العرب الذين اخرجوا الرسول
صلى الله عليه وسلم من بلده وسفوه من مسجد ابيه ابراهيم عليهما السلام الذي هو احق به دونهم وساق
ذلك جواب سايل كانه قال هذا قول العلما بالكتاب فما حال من لا علم له فقال **كذلك** اي مثل هذا
القول البعيد عن القصد **قال الذين لا يعلمون** ثم عينه بعد الاشارة اليه بجمله فقال **مثل قولهم** فعاندوا
وضللوا المومنين ولما وقع الخلاف بين هذه الفرق تسبب عنه حكم الملك الذي لم يخلقهم سدى بينهم فقال
فالله يحكم بينهم والحكم قال الحرالي قصر المصرف على ما يتصرف فيه وعن بعض ما يتشوف اليه وحق امر البعث
بقوله **يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** والاختلاف افتعال من الخلاف وهو تقابل بين رايين
فيما ينبغي انفراد الراي فيه قاله الحرالي ولما اشركت جميع هذه الفرق من الظلم وزاد الجهلة منع
حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه من القول والفعل فازدادوا بذلك ظلما اخر وكان من منع
مسجدا واحدا لكونه مسجدا مانعا لجميع المساجد قال **ومن اظلم** اي منهم وانما ابدل الضمير بقوله
ممن منع مساجد الله اي التي هي خان الدنيا لكونها اسباب الجنة التي قصروها عليهم ثم ابدل من ذلك
قوله **ان يذكر فيها اسمه** وعطف بقوله ~~وعطف بقوله~~ **وسعى في خرابها** اي بتعطيلها عن ذكر الله لبعد
وجوه ظلمهم زيادة في تبكيتهم والمنع الكف عما يترامى اليه والمسجد تفعيل لموضع السجود وهو اخفض محط
القائمة والسعي الاسراع في الامر حسا او معنى والخراب ذهاب العمارة والعمارة احيا المكان واشغاله
بما وضع له قاله الحرالي ثم ذكر سبحانه ما رتبه على فعلهم من الخوف في المسجد الذي اخافوا فيه اولياءه
وفي جميع جنسه والخزي في الدنيا والاخرة ضد ما رتبه لمن احسن فقال **اولئك** اي البعدا البغضا
ما كان لهم ان يدخلوها اي المساجد الموصوفة **الا خايفين** ثم عمم الحكم بما يندرج فيه هذا الخوف
فقال **لهم في الدنيا خزي** اي عظيم بذلك وبغيره ثم زاده بان عطف عليه قوله **ولهم في الاخرة** التي هي

لها منكرون بالاعتقاد اولا فقال عذاب عظيم فدل بوصف العذاب على وصف الخزي الذي
اشار اليه بالتنوين قال الحرالي وفيه انبا باحاطة ما يعرف منهم وجامع وجوه العذاب فنالهم من
العذاب العظيم ما نال الكافرين حتى كان تمام ما كان لهم من ملة وكتاب لم يكن وكذلك اسوا الحساب
قال ومن الموعود ان من اعلام قيام الساعة تضييع المساجد لذلك لذلك كل امة وكل طايفة وكل شخص
معين تطرق الجرم في مسجد يكون فعله سببا لخلائه فالله عز وجل يعاقبه بروعة ومخافة تناله
في الدنيا حتى ينتظر بذلك من خرب مدينة من مدن الاسلام او كانت اعماله سبب خرابها وفي
ضمن ذلك ما كان من احداث المسلطين على البيت المقدس بما جرت اليه اعمال يهوديه قال كذلك
اجرى الله سنته ان من لم يفي بحرمة مساجد الله شرده منها واخرجه لدخولها تحت رقبة وذمة من
اعدائه كما قد شهدت مشاهدة بما بر اهل التبصرة وخصوصا في الارض المقدسة المتناوب فيها
زوال الغلب بين هذه الامة واهل الكتابات الروم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فكل طايفة في بضعها اذا ساءت عملها في مسجدها شردت منه
ودخلته في بضع الاخرى خايفة كذلك حتى تكون العاقبة للمتقين حين يفرح المومنون بنصر الله
قال وفي اشعاره تحذير من غلق المساجد وايصادها وحجرها عن القاصدين للتحنث فيها والخلوة
بذكر الله وليس رفع المساجد منعها بل رفعها ان لا يذكر فيها غير اسم الله قال تعالى في بيوت اذن
الله ان ترفع قال عمر رضي الله عنه لما بني الرحبة من اراد ان يلغط او يتحدث او ينشد شعرا فليخرج
الى هذه الرحبة وقال صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم
وبيعكم وشراكم وابنوا على ابوابها المطاهر ففي كل ذلك انبا بان من عمل في مساجد الله بغير ما
وضعت له من ذكر الله كان ساعيا في خرابها وناله الخوف في محل الامن ولما افهمت الاية انه حصل
لهم ولاوليا الله منع من عمارة بيت الله بذكره وكان الله تعالى قد من على هذه الامة بان جعل
الارض كلها مسجدا اسلى المومنين بانهم اينما صلوا بقصد عبادته لقيهم ثوابه لانه لا يحيط به جهة دون
جهة لان ملكه للكل على حد سوا فكان كانه قيل فاقيموا الصلاة التي هي اعظم ذكر الله حيثما
كنتم فانه لله كما ان المسجد الذي منعتموه لله وعطف عليه قوله ولله المشرق اي موضع الشروق
وهو مطلع الانوار والمغرب وهو موضع افولها فانبا تعالى كما قال الحرالي باضافة جوامع
الافاق اليه اعلاما بان الوجهة لوجهه لا للجهة من حيث ان الجهة له انتهى ولما كان ضدان
الافقان مدار الكواكب من الشمس وغيرها عن جميع الجهات لتحول الافلاك حال الدوران
الى كل منها فلذلك تسبب ذكرهما قوله فاينما تولوا اي فاي مكان اوقعتم منه التولية للصلاة
الى القبلة التي امرتم بالتولية اليها من بيت المقدس او الكعبة او غيرهما في النافلة فثم اي فذلك
الموضع لان ثم اشارة نظر ومكان وجه الله اي جهته ومكان استقباله والتوجه اليه وما
يستقبلكم من جلاله وجماله ويتوجه اليكم من بره وافضاله فان نسبة جميع الاماكن والجهات
في الابداع والقرب والبعد وغير ذلك اليه واحدة قال الحرالي وابهم المولى ليقع تولي القلب
لوجه الله حين تقع محاذاة وجه الوجه الظاهر للجهة المضافة لله تعالى انتهى ولما اخبر من سعة

فضل

فضله سبحانه بانه واسع بما وقفت العقول عن منتهى علمه علله بما صغر ذلك في جنبه فقال ان الله
فذكره بالاسم الاعظم الجامع لجميع الاسما واسع اي محيط بما لا تدركه الاوهام فلا يخرج شي الا في ملكه
واصل الوسع تباعد الاطراف والحدود عليم فلا يخفى عليه فعل فاعل اينما كان وكيف ما كان
فهو يعطي المتوجه اليه على قدر نيته بحسب بلوغ احاطته وشمول علمه وقدرته قال الحرالي في
شرح الاسما والسعة المزيد على الكفاية من نحوها الى ان ينبسط الى ما وراء امتدادا رحمة وعلما
ورحمتي وسعت كل شي للذين احسنوا الحسنى وزيادة لهم ما يشاوون فيها ولدينا مزيد ولا
يقع السعة الا مع احاطة العلم والقدرة وكمال الحلم وافاضة الخير والنعمة بمقتضى كمال الرحمة
ولسري النعمة في وجوه الكفايات ظاهرا وباطنا خصوصا وعموما لم يكد يصل الخلق الى حظ من
السعة اما ظاهرا فلا يقع منهم ولا يكاد انكم لن تسعوا الناس باموالكم واما باطنا بخصوص حسن
الخلق فعساه يكاد وقال في تفسيره قدم تعالى المشرق لانه موطن بدا الانوار التي منها
رؤية الابصار واعقبه بالمغرب الذي هو مغرب الانوار الظاهرة وهو مشرق الانوار البا طنة
فيعود التعادل الى ان مشرق الانوار الظاهرة هو مغرب الانوار الباطنة ان الفتنة ههنا
من حيث يطلع قرن الشيطان واشار بيده نحو المشرق لا يزال اهل المغرب ظاهرين على
الحق انتهى قلت ومن حديث صفوان ابن عسال رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان لله بالمغرب بابا وفي رواية باب التوبة مفتوح من قبل المغرب مسيرة عرضه سبعون
عاما لا يغلق ما لم يطلع الشمس من قبله اخرجه الطبراني والبغوي في تفسيره وقد ظهر لي
ان المغرب في الحديث المتقدم وهو معنى الصحيح ما عدا المشرق الذي اشار اليه بالفتنة في
الحديث الاخر فالمغرب حينئذ المدينة وما ينسب اليها من جهة المشرق وما وراء ذلك من جهة
الجنوب والشمال وما وراء ذلك من جهة المغرب الى منتهى الارض فلا يعارض حينئذ وهم بالشام
فانها من جملة المغرب على هذا التقدير فدونك جمعا طال ما دارت فيه الرووس وحارت فيه
الافكار في المحافل والدروس والله الموفق ولما افاد ما تقدم وصفه تعالى بتمام العزة واتساع
الملك والفضل وشمول العلم كان من المحال افتقاره الى شي ولدا او غيره فقدم اهل الاثبات
الباطلة كلهم بافترائهم في الولد اليهود في عزير والنصارى في المسيح وعبدة الاوثان في
الملايكة فقال معجبا ممن اجترا على نسبة ذلك اليه مع معرفة ما تقدم عاطفا على ما سبق من
دعاويهم وقالوا اتخذ الله وعبر بقوله ولدا الصالح للذكر والانثى لينتظم بذلك مقالات الجميع
ولما كان العطف على مقالات اهل الكتاب ربما اوهم اختصاص الذم بهم حذفت واو العطف
في قراءة ابن عامر على طريق الاستيناف اشارة الى ذم كل من قال بذلك وذلك اشارة الى شدة
التباسها بما قبلها كما قال والامام ابو علي الفارسي في كتاب الحجة لان جميع المخبر عنهم اهل
الاسلام مانعون لهم من احيا المساجد بالذكر لتعطيلهم لها بالعداوة عن لزومها والحامل
له ان عطف كان انصباب الكلام الى اهل الكتاب واما غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة واذا
حذفت الواو انصب الى الكل انصبابا واحدا وتم نفسه الشريف استينافا بقوله سبحانه

فذكر علم التسبيح الجامع لاحاطة المعنى في جوامع التنزيه كله ثم جا بكلمة الاضراب المفهمة الرد بالنفي فكان الخطاب يفهمها اتخذ الله ولدا ولا له ولد بل له ما في السموات والارض مما ادعت كل فرقة منهم فيه الولد به وغيره ثم علله بقوله كل له قانتون اي مخلصون خاشعون متواضعون لا مستقلا لقضايه من غير قدرته على دفاع ولا تطلع الى نوع امتناع قال الحرالي الحجا بالحكم المسمى كما قال بالعقل والعلم لما تقدم من انه لا عجمه ولا جما دية بين الكون والمكون انما نعم حماكيه وعجمه ممتزا جا من المقصرين في الكون عن الاد راك التام والقنوت ثبات القايم بالامر على سلمه تحققا بتمكنه فيه انتهى ثم علل ذلك بما هو اعظم منه فقال بديع السموات اي خالقها على غير مثال سبق وما ابدع كلمة امركان اجرى ان يكون ما في طيه واحاطته وافامته من الاشيا المقامة به من مبدعه فكيف يجعل له شبيه منه لان الولد مستخرج شبيه بما استخرج من عينه ذكره الحرالي واذا قضى اي اراد امرا منها او من غيرهما والقضا انفاد المقدر والمقدر ما حدسه مطلق العلوم قاله الحرالي فانما يقول له كن من الكون وهو كما له المبادى في ظاهره وباطنه فيكون فهو منزه عن حاجة التوالد وكل حاجة وسوا التعبير بالمضارع بذكر ان شا الله تعالى في ال عمران قاله الحرالي وصيغته تمادى الكاين في اطوار داوقات واسنان ممتد توا اليها في الملكوت بقول لي غاية كما قاله النبي فالواو رفع يكون للاستيناف اي فهو يكون او العطف على يقول وقال الامام ابو علي الفارسي في كتاب الحجة ان ذلك لا يطرد في مثل ثاني حرفي ال عمران وهو قوله تعالى ثم قال له كن فيكون لانه لا يحسن تخالف الفعلين المتعاطفين المضي وغيره واول قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثم اقول لا تعنيني بان معناه مررت ماضيا وطعن فيه ابو شامة بان يكون في الاية ماض ملكه وقد صرح ابو علي والحق معه بان على بام يعني وفايده التعبير به مضارعا تصوير الحال والارشاد الى ان التقدير كن فكان لانه معنى قضا شيا قال له كن فيكون وجعل الاحسن عطفه على كن لانه وان كان بلفظ الامر فمعناه الخبر اي يكون وقال ان ذلك اكثر اطراد الانقطاعه لمثل قوله ثم قال له كن فيكون وهذا الموضع مجمع على رفعه وكذا قوله تعالى في الانعام ويوم يقول كن فيكون وانما الخلاف في ستة مواضع اختص ابن عامر منها باربعة وهي هذا المواضع وقوله تعالى في ال عمران اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وفي مريم مثله سواء في غافر فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وفي يس انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فجعلوا النصب في هذين عطفا على يقول وفي الاربعة الاولى جوابا للامر في قوله كن اعتبارا بصورة اللفظ وان لم يكن المعنى على الامر وضعفوه بان المعنى على الخبر وانه لا يصح النصب الا اذا تخالف الامر وجوابه وهذا ليس كذلك بل يلزم فيه ان يكون الشي شرطا لنفسه لان التقدير ان يكن يكن وصرح ابن مجاهد بوهم ابن عامر وان هذا غير جايز في العرب كما نقله عنه الامام ابو شامة في شرح الشاطبية فامعنت النظر في ذلك لوقوع الطبع بصحة قراة ابن عامر لتواترها نقلا عمن انزل عليه القران فلما رايته لم ينصب الا في

جواب اعلمت ان ذلك لاجله لما فيها من معنى الشرط فيكون مثل قوله تعالى في الشورى ويعلم الذين يجادلون في اياتنا بنصب يعلم في قراة غير نافع وابن عامر على بعض التوجيهات وذلك ما فتح على فتح السداد من غير كلفة ولا استبعاد اذا تومل الكلام على ما قال الرضي وهو العلامة نجم الدين محمد بن حسن الاستراباذي في الظروف من شرحه لقول العلامة ابي عمرو عثمان ابن الحاجب في كافيته ومنها اذا وهي للمستقبل وفيها معنى الشرط فلذلك اختير بعدها الفعل والاصل في استعمال اذا ان يكون لزمان من ازمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع به ثم قال وكلمة الشرط ما يطلب جملتين يلزم من وجود مضمون اولاهما فرضا حصول مضمون الثانية فالمضمون الاول مفروض ملزوم والثاني لازمه ثم قال وان موضوعه لشرط مفروض وجوده في المستقبل مع عدم قطع المتكلم لا بوقوعه ولا بعدم وقوعه وذلك لعدم القطع في الجزا لا بالوجود ولا بالعدم سوا شك في وقوعه كما في حقنا او لم يشك كان الواقعة في كلامه تعالى وقال ولا يكون الشرط في اسم الا بتضمن معناها ثم قال فنقول لما كان اذا للامر المقطوع بوجوده في اعتقاد المتكلم في المستقبل لم يكن لمفروض وجوده لتنافي القطع والفرض في الظاهر فلم يكن فيه معنى ان الشرطيه لان الشرط كما بينا هو المفروض وجوده لكنه لما كان ينكشف لنا الحال كثيرا في الامور التي نتوقعها قاطعين بوقوعها عن خلاف ما نتوقعه جوزوا تضمين اذا معنى ان كما في متى وساير الاسما الجوازم فيقول القايل اذا احسنني فانت تكرمني كما في جا الحاطب غير مرجح وجوده على عدمه بمعنى متى حسبي سوا ثم قال ولما كثر دخول معنى الشرط في اذا وخروجه عن اصله من الوقت المعين جاز استعماله وان لم يكن فيه بمعنى ان الشرطيه وذلك في الامور القطعية استعماله وان لم يكن فيه معنى ان الشرطيه وذلك في الامور اذا المتضمنة لمعنى ان وذلك في جملتين بعده على طرز الشرط والجزاء وان لم يكونا شرطا وجزاء ثم قال في الكلام على الخافض نواصب الفعل وقد تقرر ان الناصبة بعد الفا والواو والوا نغتفر بعد الشرط قبل الجزا نحو ان تاتني فتكرمني او وتكرمني انك او بعد الشرط والجزا نحو ان تاتني اتك فاكرمك او واكرمك وذلك لمشابهة الشرط في الاول والجزا في الثاني المنفي اذ الجزا مشروط وجوده بوجود الشرط ووجود الشرط مفروض فكلاهما غير موصوفين بالوجود حقيقة وعليه حمل قوله تعالى ان يشا يسكن الريح فيظللن الى قوله ويعلم الذين يجادلون على قراة النصب ثم قال وانما صرفوا ما بعد فا السببية من الرفع الى النصب لانهم قصدوا التنصيص على كونها سببية والمضارع المرتفع بلا قرينة مخلصة للحال والاستقبال ظاهر في معنى الحال كما تقدم في باب المضارع فلو ابقوه مرفوعا لسبق الى الذهن ان الفا لعطف جملة حالية الفعل على الجملة التي قبل الفا يعني فكان يلزم ان يكون الكون قريبا كالقول فصرفوه الى النصب منبه في الظاهر على انه ليس معطوفا اذ المضارع المنصوب بان مفرد وقيل الفا المذكورة جملة وتخلص المضارع للاستقبال اللايق بالجزايه كما ذكرنا في المنصوب بعد اذن فكان فيه شيان رفع جانب كون الفا للعطف وتقوية كونه للجزا فيكون

اذن ما بعد الفا مبتدا محذوف الخبر وجوبا انتهى فالتقدير هنا والله اعلم فكونه واقع حق
ليس بخيال كالسحر والتموهيات فجاء هذا فزاة النصب ابلغ ثم رايت البرهان ابراهيم بن محمد
السفاقسي حكى في اعرابه ما خرجه عن ابن الصايغ يعني بالضاد المعجمة والعين المهملة وهو
الاستاد ابو الحسن علي ابن محمد بن يوسف الكنانى شيخ ابي حيان فقال ما نصه زاد ابن
الصايغ في نصب فيكون وجها حسنا وهو نصبه في جواب الشرط وهو اذا وكان مراده التشبيه
على الجواب كما ذكرت قال السفاقسي ويصح فيه وجه ثالث على مذهب الكوفيين وهو نصبه
في جواب الحصر بانما لانهم اجازوا انما هي ضربة اسد فتحطم ظهوره ولما تقرر عجائبا من بديع
اياته في منبت مصنوعاته ان عظمته تقصر عنها الاوهام وتنكص خاسية دونها نوافذ الافهام
عجب من الجراة عليه بما استوى فيه حال الجهلة من العرب بالعلما من اهل الكتاب تبكيتا
لهم وتنفيرا منهم بانه لا حامل لهم على الدعي لانفسهم بالنزول من اوج العلم الى حضيض اهل
الجهل الا اتباع الهوي فقال وقال الذين لا يعلمون اي من العرب لولا يكلمنا الله او تاتينا
اية فكانه قيل ان هذا لاجتراء عظيم فهل قال هذا احد غيرهم فقيل نعم كذلك قال الذين من
قبلهم مثل قولهم ثم علله بقوله تشابهت قلوبهم في هذا وان كانت مختلفة باعتبار العلم وفي
ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بانه كما تعنت عليه تعنت على من قبله ولما كان ذلك توقع السامع
الاخبار على البيان فكان كانه قيل هل قالوا ذلك جهلا او عنادا فقيل بل عنادا لانا قد بينا
الايات في كل امة في الكتاب المبين المسموع والكتاب الحكيم المدى ولما كان نفع البيان
خاصا باهل الايقان قال لقوم يوقنون وفيه بعث للشاك على تعاطي اسباب الايقان وهو
صفا العلم عن كدر تطرق الريب لاجتماع شاهدي السمع والعين قال الحرالي وفيه اشارة
لما حصل للعرب من اليقين كما قال سيد العرب علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت
يقينا استظهارا لما بطن من عالم الملكوت على ظاهر عالم الملك الا للفهم عن واضح هذا
البيان الذي تولاه الله ومن اصطفاه الذي اشتمل عليه استتباع ضميرها وفي استواء
العالم وغيره في الجهل بعد البيان دليل على مضمون التي قبلها في ان ما اراد كان ولما نظم هذا
السياق المتهاك بصحة رسالته صلى الله عليه وسلم وانه ليس عليه الا البيان صرح بالامرين في
في قوله انا ارسلناك هذا على ان يكون المراد بذلك جميع الامم اما اذا اريد هذه الامة
فقط فيكون المعنى قد بينا الدلالات على طريق الحق باعظم برهان وبالاخبار عن دقايق علمها
الاحذاق اهل الكتاب لقوم يحق عليهم الايقان لما وضح لهم من الادلة ثم علل ذلك بقوله
انا ارسلناك ارسالا ملتبسا بالحق قال الحرالي والحق التام المكمل بكلمة الله هو استنطاق
الخلق عن امر الله فيهم على وجهه اعلا لرسالته العلية الخاصة به عن عموم ما وقعت به رسالة
المرسلين من دون هذا الخصوص وذلك حق منك كما تقدم اي عند قوله وهو الحق مصدقا لما
معهم لان ما احق عينا مما انزله الله فهو حق حتى السحر وما اظهر غيب القضا والتقدير واعلن
بابدا حكمة الله تعالى ما ابداها من نفوذ مشيته في مشاكل ما ابداه من خلقه فهو الحق الذي خلقت به السموات

والارض

والارض ابتدا وبه ختمت الرسالة انتهى ليطابق الاول والاخر كالا حال كونك بشيرا ونذيرا
وقال الحرالي لما اجري الله سبحانه من الخطاب عن اهل الكتاب والعرب ما رد هم بما انزل
اولا واخرا وبما افتروه مما لا شبهة في دعواه اعرض بالخطاب عن الجميع واقبل به على النبي
صلى الله عليه وسلم تسلية له وتاكيدا لما اعلمه به في اول السورة من ان الامر يجري على التقدير
وقسمة الخلق بين مومن وكافر ومنافق فانباه تعالى انه ليس مضمون رسالته ان يرد الخلق
الى غير ما جبلوا عليه وان مضمون رسالته ان يستظهر خبايا الافيدة والقلوب على الالسنة
والاعمال ليس المهتدي والتايب على هدى سابق وسد الابى والمنكر لما سبق اقراره به قبل
بعثك من الاولين والاخرين من المبشرين والمنذرين انتهى اي فليس عليك الا انك تبشر وتنذر
فانما عليك البلاغ وليس عليك خلق الهداية في قلوب اهل النعيم ولا تسال عن اصحاب الجحيم
والمراد بهم من ذكر في الاية السابقة من الجهلة ومن قبلهم اي عن اعمالهم لتذهب نفسك حسرات
لعدم ايمانهم كما قال تعالى ولا تسالون عما كانوا يعملون اي فحالك مستو بالنسبة الينا
واليهم لانك ان بلغتهم جميع ما ارسلت به اليهم لم نحاسبك باعمالهم وان تركت بعض ذلك محاسنة
لهم لم نجوك ما دمت على دينك ذا قبال على امرك ولا تبال بهم وهو معنى قراة نافع ولا تسال على
النهي اي احتقرهم فانهم اقل من ان يلتفت اليهم فبلغهم جميع الامر فانهم لا يحبونك الا ان تتحلى
بما انت عليه وفي الحكم بكونهم اصحابها اثبات لما نفوه عن انفسهم بقولهم لن تمسنا النار الاية
ونفي لما خصصوا به انفسهم في قولهم لن يدخل الجنة الاية والجحيم انضمام الشي وعظمه ومن معنى
حروفه الجحم وهو انضمام وظهور المقدار الا ان الجحم فيما ظهر كالاجسام والجحم بتقدم الحيم فيما
لطف كالصوت والنار ولما جرت العادة بان المبشر يسير بالبشير اخبر تعالى ان اهل الكتاب
في قسم المنذرين فهم لا يزالون عليه غضابا فقال عطفا على ما اقتضاه ما قبله ولن ترضى عنك
الرضي هو اقرار ما ظهر عن ارادة قاله الحرالي عنك اليهود ولا النصارى لشي من الاشيا حتى تتبع
ملتهم اي تكون بشيرا لهم حتى توافقهم فيما احدثوه من اهوايهم بان يتبع كتابهم على ما بدلوه فيه
وحرفوا واخفوا على ما فهمته اضافة الملة اليهم لا الى صاحبها المعصوم وهو ابراهيم عليه
السلام ويكون ذلك برغبة منك تامة على ما فهمته صيغة الافتعال وترك كتابك الناسخ
لفروع كتابهم والملة قال الحرالي الاخذ والعمل بما في العقل هدايته من اعلام المحسوسات
ولما قيل كتابهم ذلك اقتضى الحال سوالا وهو فما اقول فقال قل ولم يقيده بلهم اعراضا
عليهم ان هدى الله الذي هو جميع ما انزل الله على رسله من كتابي وكتابكم هو الهدى مشيرا له
باداة التعريف الى كمال معناه فان اتبعوه كله فامنوا بان كتابهم داع الى كتابك
فليتبعهم وان لم يتبعوه فالزم انذارهم وفي الاية اشارة الى ذلك الكتاب لا ريب فيه ثم عطف
على ما فهمه السياق من نحو فلين رغب لسوكن الهدى كله قوله ولين اتبعت اهواهم
الداعية لهم الى نصر كتابهم قال الحرالي فاظهرا فصاحا لما افهمته اضافة الملة اليهم من حيث
كانت وضعا بالهدي لا هداية نور عقل كما هي في حق الحنيفيين انتهى ولما كان الكلام هنا في

امر الملة التي هي ظاهرة للعقل اسقط من واتي بالذي بخلاف ما ياتي في امر القبلة فقال
بعد الذي قال الحرالي اشارة كلمة الذي الى معنى قرب من الظاهر المحسوس كانه
علم ظاهر فعيبه ابنا بان ادلي ما جا من العلم مظهر لابطال ما هم عليه في وجوه تلبيسهم
واهوايهم جاءك من العلم بانهم على ضلال وانك على جميع الهدي وخاطبه بذلك صلى الله عليه
وسلم والمراد والله اعلم من اتبع اهوايهم بعد الاسلام من المنافقين تمسكا بولايتهم
طبعا في نصرتهم ولذا ختم بقوله ما لك من الله واكد النفي بالجار فقال من ولي
ولا نصير ولما افصح بمن يستحق النذارة منهم بتغيير الدين باهوايهم فانهم من يستحق البشارة
تلاه بالافصاح بالقسم من يستحق البشارة منهم ومن لا يستحق النذارة فقال
الذين اتيناهم الكتاب اي التوراة والانجيل يتلونه حق تلاوته وهي ناظرة الى
الى قوله ترتيبا وهم يتلون الكتاب اي لا حق تلاوته بل حق تلاوة ليس فيها تدبر
لمعانيه ولا عمل بما فيه هذا اذا جعلناه حالا وان جعلناه خبرا وقوله اولئك
يؤمنون به خبرا ثانيا والمعنى ان من لم يؤمن بالكتاب لما انتفى عنهم المقصود
بالذات وهو الانتفاع بالكتاب الموتى انتفى عنهم اصل الايمان لانه تجرد عن الفايدة
والثمرة في به يصح ان يكون للهدي قال الحرالي وحقيقة الامر هي وما وما الى غايته
الاحاطة به الى جماع حدوده حتى لا يسقط منه شي ولا يقصر فيه غاية اشعارا باشتمال
الكتاب على امر محمد صلى الله عليه وسلم ولما وصف المؤمنين به ولم يبين مالهم اتبعه بالكافرين
فقال ومن يكفر به اي الكتاب ثم حصر الخسر فيهم بقوله فاولئك هم الخاسرون
فافهم ان المؤمنين به هم الرابحون ومن الوصف بالخسار يعلم انهم كانوا على حق ولكن
الربح فيه بتكميله الايمان بكتابهم بالايمان بالكتاب الخاتم فضيعوه فخسروا فانه لا يخسر
الا من له اصل مال مهيا للنما والربح والله اعلم ولما طال المدى في بيان عوارهم وهتك
استارهم وختم ذلك بالترهيب بخسارهم اعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم والتحذير
~~من حلول النقم بخسارهم اعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم~~ يوم يجمع الله بهم
ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ليعلم ان ذلك فذلكه والقصة والمقصود بالذات
في الحث على انتهاز الفرصة في المعصى عن حركة النقص الى الذروة الربح بدوام الشكر قال
الحرالي فلبعد بالتقدم كرر تعالى اظهار المقصد التام اخر الخطاب باوله وليتخذ
هذا الافصاح والتعليم اصلا لما يمكن ان يرد من نحوه في ساير القران حتى كان الخطاب
اذا انتهى الى غاية خاتمة يجب ان يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته
جامعا لطرفي البنا وفي تفهمه جامعا لمعاني طرفي المعنى انتهى فقال تعالى يا بني اسرايل
اي ولد الانبيا الاصفيا ووالد الانبيا السعدا اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بها في الدين
واني فضلتكم على العالمين في تلك الازمان كلها باتمام نعمة الدنيا بشرع الدين المقتضي
للنعمة في الاخرى فانكم اذا ذكرتم النعمة شكرتموها فقيدتم ثمرتها واسترحتم من الله الزيادة

في الدنيا

في الدنيا والرضى في العقبى واتقوا يوما لا تجزي اي تقضي تصنع فيه نفس عن نفس شيا
من الجزاء ولا يقبل منها عدل بيد لي فكاكها من غير الاعمال الصالحة ولا تنفعها شفاعة
عن ما دون فيه ولا هم ينصرون وان كثرت جموعهم قال الحرالي اجراها تعالى في هذا
التكرار على حدها في الاول الا ما خالف بين الايرادين في قوله واتقوا يوما الى
اخره ليجمع السابق كل واحد من الشفاعة والعدل بين مجموع الوردين من الاخذ
والقبول فتكون شفاعتها لا مقبولة ولا نافعة ويكون عدلها لا ماخوذا ولا مقبولا
وذلك لان المعروض للمقبول اول ما يوخذ اخرا لجسه من اخذ سمع او عين ثم
ينظر اليه نظر تحقيق في المسموع وتبصر في المنظور فاذا صححه التحقيق والتبصر قبل
واذا لم يصححه له دوا نما يكون ذلك لمن في حاله حظ صحة ظاهرة ولا مس مع الخبرة
فانبا تعالى بمضمون الايتين الفاتحة والخاتمة ان هولا ليس في حالهم حظ بصحة
البتة لا في شفاعة ولا في عدل فلا يقبل ولا يوخذ ابدا بجرايته عن لبسه ظاهر صحة
تقتضي اخذه بوجه ما فقيه تربية بمر حاله لما ينبي به عنهم على ما تقدم معناه في
مضمون الاية ويدق الغاية انصرف الخطاب عنهم في خصوص ما اتوا من الكتاب
الذي كان يوجب لهم ان يتدينوا بقبول ما جا مصدقا لما معهم فاتخذوا ما هو الجهم
ملة افتعلها اهواهم فنظم تعالى بذلك ذكر صاحب الملة التي يرجعها وافتتح بابتدا
امره في ابتلايه ليحتج عليهم المجتاز السابعة بحسب الملة الحنيفية الابراهيمية والملة
بحسب الدين المحمدي كان صلى الله عليه وسلم يقول في الصباح اصبحنا على فطرة الاسلام
وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة ابينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فخص المحمدية بالدين والابراهيمية بالملة لينتظم ابتدا الابوة الابراهيمية لطوايف اهل
الكتاب بما بعدهم ولا ختم بيا ابتدا الابوة الادمية في متقدم قوله تعالى واذ قال
ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة الايات لينتظم رد الخطابات بعضها
ببعض وتفاصيلها بتفاصيلها وليكون اظهار ذلك في سورة سنام القران اصلا لما
في ساير من ذلك وذكر قبل ذلك ان الملة ما يدعو اليه هدي العقل المبلغ عن الله
توحيد من ذوات الحنيفيين وان الدين الاسلام والاسلام القا ما باليد ظاهرا
وباطنا وذلك انما يكون عن بادي غيب التوحيد انتهى ولما غاب بمجاز اهل
الضلال وكان جلهم من ذرية ابراهيم عليه السلام ومنهم العرب وبلده الذي هما ه
الكرهم من احرهم واعظ ماثرهم ذكر الجميع ما انعم به عليه تذكيرا تودي الى ثبوت
هذا الدين باطلاع هذا النبي الامي الذي لم يخالط عالما قط على ما لا يعلمه الا خواص
العلما وذكر البيت الذي بناه فجعله الله عماد صلاحهم وامر بان يتخذ بعض ما هنالك
مصلى تعظيما للامر وتفخيما لعلي قدرته وفي التذكير بوفايه بعد ذكر الدين وفوايح الثلاثة
وتجل دعوة بني اسرايل عامدا الى الوفا بالشكر حث على الاقتداء به وقال الحرالي

لما وصل الحق تعالى بالدعوة العامة الاولى في قوله تعالى يا ايها الناس ٢ اذكروا امر
ادم واقتتاح استخلافه ليقع بذلك جميع الناس كافرهم ظرفيهم في اجتماعهم في اب واحد
ولدين واحد نظم تعالى بذلك وصل خطاب اهل الكتب بذكر ابراهيم ليقع بذلك
اجتماعهم ايضا في اب واحد وملة واحدة اختصاصا بتبعهم الامامة الابراهيمية من
عموم تبعيته الخلافة الادمية تنزيلا للكتاب وترفيعا للخلق الى علو اختصاص الحق
فكما ذكر تعالى في الابتدا تذكير موطوفا على امور يجاوزها الافصاح في امر ادم عطف
ايضا التذكير بابتدا امر ابراهيم عليه السلام على امور يجاوزها الافصاح هي اخص من
متجاوز الاول كما ان افصاحها اخص من افصاحه واعلى رتبة من حيث ان الخلق والامر
مبدوس حدم ينزل ولا يزال الاشكال الى غاية ليس وراها مرمى فقال تعالى **واذ
ابتلى ابراهيم** اسمي وقال **ربه** اي المحسن اشعارا بان تكليف العباد هو غاية الاحسان اليهم
وفي ابتدا اقصته بقوله **بكلمات فاتمهن** بيان لان اسنى احوال العباد الادعان والتسليم
لمن قامت الادلة على صدقه والمبادرة لامره دون اعتراض ولا توقف ولا بحث عن علله
وفي ذلك اشارة الى تبكيت المدعين لاتباعه من بني اسرايل حيث اعترضوا في ذبح البقرة
وارتكبوا غاية التعنت مع ما في ذبحها من وجوه الحكم بعد ان اساوا الادب على نبيهم
في ذلك وفي غيره في اول امرهم واثنايه واخره فاورثهم ذلك نكالا ابدا وظهر ان الصراط
المستقيم حال ابراهيم ومن ذكر معه من الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وانهم المنعم
عليهم والظاهر عطف اذ على نعمتي في قوله يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم اي واذكروا اذ ابتلى اباكم ابراهيم فاتم ما ابتلاه به فالكم انتم لا تقتدون به فتفعلوا
عند الابتلا فعله في ابقا العهد والثبات في الوعد لاجازيكم على ذلك جزاي المحسنين
والاتمام التوفية لما له صورة ملتئم من اجزا واجاد قاله الحرالي فكانه قيل فما جوزي
على شكره بالاتمام قيل **قال** له ربه **اني جاعلك للناس** اي كافة **اماما** كما كانت خلافة
ابيه ادم لبنيه كافة والامام ما يتبع هداته الى سداد قاله الحرالي **قال** اي ابراهيم
ومن اي واجعل من **ذريتي** ايمة **قال لا ينال** اي قد اجبتك وعاهدتك بان احسن
الى ذريتك لكن لا ينال ما عاهدتك به **عهدي الظالمين** منهم لانهم نقضوا انفسهم فنكبوا في
ابوة الدين وفي ذلك اتم ترغيب في الخلق بوفايه لاسيما للذين دعوا قبلها الى الوفا
واشارة الى انهم ان شكروا النعمة برفعتهم كما اراد رفعته وان ظلموا لم تنلهم دعوته فضربت
عليهم الذلة وما معها ولا يجزي احد عنهم شيا ولا هم ينصرون والذرية مما يجمع معنى الذر
والذرو والذري تختلف وزنه في وجوه اشتقاقه فيكون فعلولة كانه ذرورة ثم
خفف بقلب الواو يا استثقالا للتضعيف ثم كسر ما قبل اليا اين مخففا لها لانه اجتمع
بعد القلب واو ويا سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو يا اويكون فعلية من الذر
منسوبا ومن الذر مخففا فعوله بقلب الهمزة يا ثم الواو يا لاجتماعها معها سابقة احديهما

بالسكون



بالسكون ثم الادغام او فعلية ان يكن في الكلام لما فيه من ثقل اجتماع الضم والكسر
قاله الحرالي وفيه تصرف ولما كان من امامته اتباع الناس له في حج البيت الذي شرفه
الله ببنايه قال اثر ذلك تاعيا على اهل الكتاب مخالفته وترك دينه وموطيا لامر
القبلة **واذ جعلنا البيت** اي الذي بناه بناه ابراهيم بام القرى **مثابة للناس**
اي مرجعا يرجعون اليه بكلياتهم اي في رجوعهم من الدنيا الى ربهم قال الحرالي وهي
مفعلة من الثوب وهو الرجوع مراميا اليه بالكلية وفي صيغة المفعلة دوام المعاودة
سابرة **وامنا** لكونه بعث الملك من حرب الدنيا ومن عذاب الاخرة الا في حق من استثناه
الله من الكافرين فعلا بالشرك وقوة بالالحاد والامن براة غيب الانسان من تطرق
اذى اليه قاله الحرالي ولما كان التقدير مثاب الناس اليه ايمانا بانه وامنوا بدعوته
فيه عطف عليه قوله **واتخذوا** وعلى قراة الامر يكون التقدير فتوبوا اليه ايها الناس
ايمانا به واتخذوا **من مقام ابراهيم** خليلنا **مصلى** وهو مفعل لما تداوم فيه الصلاة ومقام
ابراهيم هو الحجر الذي قام عليه حين جا لزيادة ولده اسمعيل عليه الصلاة والسلام
فلم يجده فغسلت امراة اسمعيل راسه وهو معتمد برجله عليه وهو راكب غسلت شق
راسه الايمن وهو معتمد على الحجر برجله اليمنى ثم ادارت الحجر الى الجانب الايسر
وغسلت شقه الايسر فغاصت رجلاه فيه ولهذا اثر قدميه مختلف اصابع هذه عند
عقب هذه وهو قبل ان يبني البيت والله اعلم بمراده **وعهدنا** عطف على قوله **الى ابراهيم**
الوفي **واسمعيل** ابنه الصادق الوعد وفي ذكره افصاح باجابة دعوته فيه في قوله
ومن ذريتي واشارة الى ان في ذريته من يجمع الامم بامته ويكون استقباله بيته
في اهلا العبادات من شريعته واتم الاشارة بقوله **ان طهرا بيتي** اي عن كل رجس حسي
ومعنوي والبيت موضع المبيت المخصوص من الدار المخصوصة من المنزل المختص من البلد
قاله الحرالي **للطايفين** به الذين فعلهم فعل العارف بانه ليس وراء الله مرمى ولا مهرب
منه الا اليه **والعاكفين** فيه والعكوف الاقبال على الشي وملازمته والاقتصار عليه والطواف
التخليف بالشي في غيب او لمعنى غيب قاله الحرالي **والركع السجود** قال الحرالي وفي ذكر
الركوع تخصيص للعرب الذين انما شرع الركوع في دينهم وفي ذلك تبكيت لمن اخرج المومنين
ومنعهم من البيت وفي تكرير تفضيل هذه الايات ما دسه على توبيخهم بترك دينه وهو
الخليل واتباع من لا يعلم وهو العدو ولما ذكر امر البيت الشريف فيما تكفل به سبحانه
وتيا امر به الخليل وولده عليهما السلام من تطهيره ذكر اهتمامه باهله ودعايه لهم
منبها لمن غمه من ذريته بالنصح بكفرهم بيوم الجزا الامر بكل خير الزاجر عن كل
ضير فقال **واذ قال ابراهيم رب** فاسقط اداة البعد ابتاعو سه كما هو حال
اهل الصفوة **اجعل هذا** اي الموضع الذي بنيت فيه بيتك واسكنته من ذريتي
بلدا بانس من يحل به **امنا** افصاحا بما افهمه واذ جعلنا البيت الاية ولما ذكر القرار والامن

الرزق فقال وارزق اهله وقال من الثمرات ولم يقل من الحبوب لما في تعاطيها من
الذل المنافي للامن لما روي انه النبي صلى الله عليه وسلم راى سكة حرث فقال ما دخلت
هذه بيتا الا ذل وقال من امن منهم بالله واليوم الاخر تقييد الدعوة الرزق بما
قيدت به دعوة الامامة قال الله تعالى معلما ان شمول الرحمانية بامن الدنيا ورزقها
لجميع عمرة الارض ومن كفر اي ابتلوا ايضا ما الحقك من الدعا بالامن والرزق وعبر
عن ذلك بقوله فامتعه تخسيسا له بما افهمه لفظ المتاع بكونه كما مضى من اسما الجيفة
الماهي مثال المضطر في شعوره بقضيه على قرب من مرتجى الغنا عنها واكد ذلك بقوله
قليلا لكن فيه ايما الى انه يكون اطيب حالا في الدنيا واوسع رزقا من المومن وكذا في
قوله ثم اضطره الى عذاب النار اي بما استدرجه به من النعم الحاملة له على المعاصي
التي هي اسباب النقم وفي التعبير بلفظ الاضطرار الى ما لا يقدم عليه احد باختيار اشعار
باجبار الله خلقه على ما شا منهم من اظهار حكمته وان احدا لا يقدر على حركة ولا سكون
الا بمشيئته والاضطرار الجا الى ما فيه ضرر بشدة وقسر ولما كان التقدير فبيس المتاع ما
ذكرناه في الدنيا عطف عليه قوله وبيس المصير اي العذاب له في الاخرة وهو مفعل بمعنى منه
التصيير وهو التفعيل في اطوار واحوال ينتهي الى غاية تجب ان يكون عنها حالة اتى الاولى
بخلاف المرجع ولما ذكر بما امهله من امر البيت دينا ودنيا اتبعه بيانا مشيرا الى ما جاهم
به من النعمة وما قابلوه به من كفرها باختيارهم لان يكونوا من غير الامة الملة التي دعا
لها لما دعا للرسول فقال واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت قال الحرالي عدد تعالى
وجوه عنايته بسابقة العرب في هذه الايات كما عدد وجوه نعمته على بني اسرائيل فيما تقدم
الخطاب فكانت هذه في امر اقامة دين الله وكانت تلك في نجاة ولد مد ابقيه ليظهر بذلك
تفاوت ما بين الاصطفا والعناية والقاعدة ما يعتمد عليه الشي انتهى اي ليستقر وليس
ولما افرد الخليل عليه السلام بهذا الرفع اظهارا لسروره بكونه هو السبب الاعظم في ذلك عطف
عليه ولده فقال واسمعيل اي يرفع القواعد ايضا ووصل بهذا العمل التعريف قوله ربنا
مرادا فيه القول محذوفا ومنه اداة البعد اي يقولان ربنا تقبل منا اي عملنا بفضلك
ولا ترده علينا اشعارا بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد وان اجتهد في جنب عظمة مولاه
ولما تضمن سوال القبول المشعر بخوف الرد علم الثنا قد البصير بالتقصير علله بقوله انك
واكده بقوله انت السميع العليم اي فان كنت سمعت او علمت منا حسنا فرده محسنا
وان كنت سمعت او علمت غير ذلك من خفي قول بادي عن اختلاج في النفس مما سببه كلالها
وايلها فاعفه ولما سال القبول سال الزيادة عليه بقوله ربنا على ما مضى من طريق دعا
المومنين باسقاط اداة البعد واجعلنا اي انا وابني هذا الذي اعانني مسلمين لك ومن ذريتنا
قال الحرالي لما تحقق من جد الايمان في ذريته في قوله من امن منهم طلب التكميل باسلام
الوجه والمسلم له ولابنه ولمن رزق الايمان من ذريته وذرية ابنه فان الاسلام

لما كان

لما كان ظاهر الدين كان سريع الانثلام لاجل مصابته امر الدين واعانة الاسلام بسلامة
الخلق من يد العبد ولسانه والا لتابكل ما يبديه لربه وذلك مما ينازع فيه وجود النفس
ومضايق الدنيا ولذلك هو مطلب لاهل الصفوة في خاتمة العمر ليكون الخروج من
الدنيا عن الما للخلق وسلام للخلق كما قال يوسف عليه السلام توفني مسلما وطلب بقوله
امة مسلمة لك ان يكونوا حيث يوم بعضهم بعضا ولما كان المسلم مضطرا الى العلم قال
وارنا مناسكنا وفي ذلك ظهور لشرف علم الحج حيث كان متلقى عن الله بلا واسطة
لكونه علما على اي يوم الدين حيث لا واسطة هنالك بين الرب والعباد والمنسك
مفعل من النسك وهو ما يفعل قربة ويدنا نشارك حروفه حروف السكون قاله
الحرالي ولما كان الانسان محل التقصير هو اضرني الى التوفيق ذلك وتب علينا ابنا
لمطلب العودة اثر الحسنة كما هو مطلب العارفين بالله المستصلين من الحسنات رجعا بها
الى من له الخلق والامر ثم علل طمعه في ذلك بان عادته تعالى التطول والفضل فقال
انك انت التواب اي الرجاع بعباده الى موطن النجاة من حضرته بعد ما سلط عليهم
عدوهم بغوايته ليوافقوا فضله عليهم وعظيم قدرته بما اتبعه وصفا هو كالتعليل له
فقال الرحيم ولما طلب ما هو له في منصب النبوة من تعليم الله له المناسك بغير واسطة
طلب لذريته مثل ذلك بواسطة من جرت العادة بها امثالهم فقال ربنا وابعث فيهم
اي الامة المسلمة التي من ذريتي وذريتي ابني اسمعيل رسولا منهم ليكون اوفق لهم واشفق
عليهم ويكونوا هم احد رباما عد والتراقي في نصرة وذلك الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم
فانه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره فهو دعوة ابراهيم عليه السلام الى العرب
والكرم ذريته ففي ذلك اعظم ذم لهم بعداوته مع كونه مرسلا لتطهيرهم بالكتاب الذي هو
الهدى لا ريب فيه واليه الاشارة بقوله يتلوا اي تيرا عليهم اياتك اي علاماتك الدالات
عليك اعم من ان يكون نزل بها الكتاب او استنبطت ويعلمهم الكتاب الكامل الشامل لكل كتاب
اوتيت جوامع الكلم والحكمة وهي كل امر يشرعه لهم يحفظهم في صراطي معاشهم ومعادهم
من الزيغ المودي الى الضلال الموجب الهلاك ولما كان ظاهر دعوته عليه السلام
ان البعث في الامة المسلمة كانوا الى تعليمهم ما ذكر احوج منهم الى التزكية فان اصلها
موجود بالاسلام فاخر قوله ويزكيهم اي يطهر قلوبهم بما اوتي من دقايق الحكمة فيرتقى
بصفاتها ولطفها من درج الدين الى محل يومن عليها فيه ان ترتد على ادبارها وتحرف
كالها كما فعل من تقدمها والتزكية اكساب الزكوة وهي نما النفس بما هو لها بمنزلة
الغذا للجسم قاله الحرالي ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الاميين عامة اقتضى
المقام تقديم التزكية التي راسها البراة من الشرك الاكبر ليقبلوا ما جاهم من العلم واما
تقديمها في ال عمران مع ذكر البعث للمومنين فلا قتضا الحال بالمعاينة على الاقبال
على الغنايم الذي كان سبب الهزيمة لكونها اقبالا على الدنيا التي هي اصل الادناس ثم علل

ذلك بقوله انك انت العزيز الذي كان يغلب كل شي ولا يغلبه شي لان العزة كما قال
الحرالي الغلبه الاتية على كلية الظاهر والباطن الحكيم اي الذي يتقن ما اراد
فلا يتاتي نقضه ولا متصف بشي من ذلك غيرك وفي ذلك اظهار عظيم لشرف العلم وطهارة
الاخلاق وان ذلك لا ينال الا بمجاهدات لا يطيقها البشر ولا تدرك اصلا الا بجد
تطهير الغرض وترتيب ارميه الحكمة هذا المطلق ذلك فكيف بما يصلح منه للرسالة وفيه
اشارة الي انه يكبت اعدا الرسل وان زاد عددهم وعظم جدهم وحكم امورهم فلا يستطيع
احد نقض شي منها ولما كان التقدير فمن يرغب في مخالفة من يرسله من هو بهذه الصفة
عطف عليه قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم المستقيم الطريقة الطاهر الخليقة
المشفق على ذريته البانى لهم اعظم المفاخر المجتهد لهم في جليل المناقب والماثر
الا من سفه نفسه وفي ذلك تعريض بمعاندي اهل الكتاب قال الحرالي والسفاهة
خفة الراي في مقابلة ما يراد منه من المتانة والقوة وفي نصب النفس ايذانا بحلول
السفاهة بكلية ذي النفس لان من سفهت نفسه اختص السفه بها ومن سفه نفسه
بالنصب استغرقت السفاهة ذاته وكليته وكان بدو ذلك وعاديته من جهة نفسه
يفهم ذلك نصبه وذلك لان الله عز وجل جعل النفس مبدا كل شر ابداه في ذات ذي
النفس فانه تعالى يعطي الخير بواسطة وبغير واسطة ولا يجدي الشر الا بواسطة
نفس ليكون في ذلك حجة الله على خلقه وانما استحق السفاهة من يرغب عن ملة
ابراهيم لظهور شاهدها في العقل وعظيم بركتها في التجربة لان من اتبعها لم يواخذ
في كل رتبه من رتب الدنيا والاخرة فلا عذر لمن رغب عن ذلك لظهوره في شاهدي
العقل والحس اللذين هما اظهر حجج الله على خلقه وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه
انتهى ولما كان التقدير فلقد اسماه من المزايا ما قدمنا لكم بما لا يعدله عنده ذو
مسكة عطف عليه قوله ولقد اصطفيناه فذكره بمظهر العظمة تعظيما له فان العبد
يشرف بشرف سيده ولسرها لاصطفايه فان الصنعة تحل بجلالة مبدعها في الدنيا بما
ذكرناه من كريم الماثر التي يجمعها اسلامه وهو افتعال من الصفو وهي ما خلص من اللطيف
عن كدره ومكدره وفي صيغة الافتعال عن الدلالة على النعمة والقصد ما يزيد فيها
اسير اليه من السرف وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي هذا الى تفخيم لرتبة الصلاح حيث
جعله من المتصفين بها فهو حقيق بالامامة لعلو رتبته عند الله في الدارين ففي ذلك
اعظم ترغيب في اتباع دينه والاهتدا بهديه واسند ذم لمن خالفه وكل ذلك تذكير
لاهل الكتاب بما عندهم من العلم بما مر هذا النبي الكريم وما هو سبب له واقامة
الحجة عليهم لان اكثر ذلك معطوف على اذكروا في قوله يا بني اسرايل اذكروا نعمتي ولما
ذكر امامته ذكر ما يوتم به فيه وهو سبب اصطفايه وصلاحه وذلك دينه وما اوصى
به عليه السلام بنيه وما اوصى به بنوه بنيهم سلفا لخلف ولا سيما يعقوب عليه السلام

المنو

المنو بنسبه اهل الكتاب اليه فقال اذ اي اصطفيناه بعظمتنا لانه قال
له ربه اسلم اي لاحسان ربك اليك وحذف المفعول ليشمل كل ما يصح اسلامه
الي المسلم اليه وقصره عليه وتخلي المسلم عنه قال اسلمت لرب العالمين اي المحسن
لي والي جميع الخلايق ووصى بها اي بهذه المقالة او الوصية او الخلصة التي اصطفاه
الله بها ولعله لم يذكر الضمير لئلا يتوهم الرجوع الي ربه وقرى واوصى فهو من الايصا
والوصية وهي التقدم في الشي النافع المحمود عاقبته ابراهيم بنيه ويعقوب وصى
بها ايضا بنيه فقال كل منهم يا بني ان الله بعظمته وكماله اصطفى لكم الدين وهو الاسلام
واغناكم عن تطلبه واحالة الفكر فيه ورحمة منه لكم فلا اي فتسبب عن ذلك اني
اقول لكم لا تموتن على حالة من الحالات الا وانتم اي والحال انكم مسلمون اي ملقون
بايديكم وجميع ما ينسب اليكم لله لا حظ لكم في شي اصلا ولا التفات الي غير مولاكم فان
من كمل افتقاره الي الغني الحكيم اغناه فحسب ذلك وفوز سبحانه بالايات الاتيه بطلان
ما عليه المفتونون من اليهودية والنصرانية وبراخليد والانبيا من ذلك على وجه
اوجب القطع بانهم عالمون ببطلانه ذكر قصة ابراهيم عليه السلام من التوراة ذكر
في السفر الاول منها انه ابراهيم ابن تارح بن ناحور بن ساروغ بن ارعو بن فالغ بن
عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح لانه قال في التوراة لما اتت على سام
مايه سنة ولد له ارفخشاد فاتت عليه خمس وثلاثون سنة فولد له شالح وسماه
في موضع اخر شالخ فاتت عليه ثلاثون سنة فولد له عابر فاتت عليه اربع وثلاثون
سنة فولد له فالغ فاتت عليه ثلاثون سنة فولد له ارعو فاتت عليه اثنتان
وثلاثون سنة فولد له ساروغ فاتت عليه ثلاثون سنة فولد له ناحور فاتت عليه
تسع وعشرون سنة فولد له تارح فاتت عليه خمس وسبعون سنة فولد له ابرم وناحور
وهاران وخالفه في الانجيل بعض المخالفة فقال في انجيل لوقا ناحور بن تارح بن
ارعو بن فالق بن عابر بن صالا بن قينان بن ارفخشاد بن سام بن نوح ونوح على ما قال
في التوراة ابن لمك بن متوشلح بن خنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش ابن شيث
ابن ادم عليه السلام وهكذا قال في اثنا انجيل لوقا الا انه قال في لمك لامك وفي
يارد يرد بن مهلاليل ثم قال في التوراة وولد هاران لوطا ومات هاران
في حياة ابيه تارح في الارض التي ولد فيها وهي اور الكلدانيين وفي نسخة اتون
الكلدانيين فتزوج ابرم سوي وكانت عاقرا فلم يولد لها ولد فانطلق تارح
بابنه ابرم وبلوط ابن ابنه هاران وبكنته سوي من اور الكلدانيين متيمما
ارض كنعان فانتهوا الي حران فسكنوها فتوفي تارح بحران عن مايتي سنة وخمس
سنين وقال الرب لابرم اخرج من ارضك من حيث ولدت ومن ابيك الي الارض
التي اريك فاجعلك لشعب عظيم واباركك واعظم اسمك وكن مباركا وابارك بنيك

قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام

والعين لا عينك وتتبارك بك جميع قبايل الارض ويبارك زرعك فصنع ابرم كما امر الرب
وانطلق معه لوط بن اخيه وسرى زوجته وكان اذ ذاك ابن خمس وسبعين سنه ومعهم
جميع مواشيهم وما اتخذوا بحران من ولدان وحرم فخرجوا يريدون ارض كنعان
فاتوها فجا ابرم حتى اتى بلاد سحام والى بلوط ممري وكان الكنعانيون بعد سكانا
في الارض فاعتلن الرب لابرم وقال له اني معط ذريتك هذه الارض فبني ابرم هنالك
مذبحا للرب اذ ظهر له وانتقل من هنالك الى الجبل من المشرق الى بيت ايل فنصب
خيمته في بيت ايل من غربها وعاي من شرقيها وبنى ثم للرب مذبحا ودعا باسم
الرب ثم ظعن منطلقا وكان مظعنه الى مهب الجنوب وكان جوع في الارض فهبط
ابرم الى مصر ليسكنها لان الجوع اشتد في الارض فلما دنى من مصر قال لسري امراته
اني عالم انك امراة حسنا فان راك المصريون يقولون امراته فيقتلوني قولي
اني اخته فذكر قصة اخذ فرعون مصر لها والعواقب التي اصابته فخالف بينه
وبينها فخلى سبيلها واحسن اليها والى ابراهيم الى ان قال فخرج ابرم من مصر هو وامراته
ولوط معه الى ارض اليمن وفي نسخة الى القبلة وهي جهة الجنوب فاستغنى ابرم جدا
فظعن لمظعنه من الجنوب حتى اتى بيت ايل الى الموضع الذي كان نصب فيه خيمته من
ولوط معه وكان له غنم وبقر وخير كثير جدا واحبه ولم تكن تلك الارض تسعهما
كليهما لان مواشيهما كثرت جدا فذكر ان لوطا رفع بصره فنظر الى ارض الاردن
فاذا هي كلها ارض سقي وشوات مثل فردوس الله ومثل ارض مصر التي في مدخل صاغار
وفي نسخة زغر فاختار لوط ارض الاردن فسكن ابرم ارض كنعان وسكن لوط قرى
عاجا زور وفي نسخة قرى المرج وخيم الى سدوم وكان اهل سدوم اشرارا خطاة
جدا فقال الرب لابرم بعد ما اعتزله لوط مد بصرك فانظر من المكان الذي انت
فيه الى الجربيا والتيمن وفي نسخة الى الشمال والجنوب والمشرق والمغرب لان جميع
الارض التي ترى اياك اعطيها ولذريتك من بعدك الى الابد واجعل ذريتك مثل
ثرى الارض فان قدرت ان تحصي تراب الارض فان ذرعك يحصى فانتقل ابرم فسكن بين بلوط
وفي نسخة في مرج ممرى الاموري التي بحبرون وبنى هنالك مذبحا للرب وكان على
عهد امرفال ملك سنعار وفي نسخة شنوار واريوخ ملك ذي الاسار وفي نسخة
الجزر وكدرلعومر ملك عيلم وفي نسخة حوزستان وتدعيل ملك جيلان وفي نسخة الامم
اجتمع هولاء في قاع السد وميرت وهو البحر المالح فقتلوا الجبابرة الذين في العشرتا القرني
والابطال الذين بها والحوريين الذين في جبال ساعير وفي نسخة شراة الى بطمة فاران
التي في البرية ورجعوا واتوا عين دينا وفي نسخة الحكم وهي نقيم وقتلوا كل رؤسا العمالقة
والاموريين سكان عين جاد وخرج بارع ملك سدوم وبرسع ملك عامورا وسناب
ملك ادوما وسامير ملك صبويم وملك بالاع التي هي صاغار وفي نسخة زغر خمسة ملوك

قاتلوا

قاتلوا الاربعة بقاع السد وميرت فهرب ملك سدوم وملك عامورا فوقعوا هناك وهرب
البقية الى الجبل فاستباحوا جميع مواشي سدوم وعامورا وجميع طعامهم واستاقوا لوطا ابن اخي
ابرم وماشيته فانطلق اناس من نجا منهم واخبر ابرم العبراني فعبى دساره ومولديه ثلثماية
وثمانية عشر رجلا وسار في طلبهم الى دارما وفي نسخة بانياس فاحاط بهم ليلا فقاتلهم وهزمهم
الى الجوف وفي نسخة المرج التي عن شمال دمشق وهي قرية يقال لها حلبون ورد لوطا
اخيه وماشيته وجميع المواشي والنسا والشعب فخرج ملك سدوم فتلقاه فرد اليه جميع
ما سلب منه ومن بعد هذا حل وحي الله على ابرم في الرويا وقال له يا ابرم انا اكافيك واما عدك
لان ثوابك قد جزل جدا فقال ابرم اللهم رب ما الذي تحلني وانا خارج من الدنيا
بلا نسل وبرثني العازر رعلاي الدمشقي فقال له الرب لا يرثك هذا بل ابنك الذي
يخرج من صلبك فهو يرثك وقال له انظر الى السما واحص النجوم ان كنت تقدر وان
تحصيها ثم قال لكذلك تكون ذريتك فامن ابرم بالله وقال الرب انا الرب الملك
الذي اخرجك من اور الكدانيين وفي نسخة اتون الكلدانيين لاعطينك هذه الارض
لترثها فلما كان غروب الشمس دفع الصمت على ابرم وغشيته خوف وظلمة عظيمة فقال
الرب لابرم اعلم علما يقينا ان نسلك يسكنون في الارض ليست لهم فيتعبد ولهم ويذلونهم
اربع ماية سنة والشعب الذين يتعبدونهم فاني اديبهم ويخرجون من هناك بعد ذلك
بمال عظيم وانت تنتقل الى ابايك بسلام وتدفن بشيخوخة خير وصلاح والحقب الرابع
يرجعون الى ههنا لان اثم الاموريين لم يكمل بعد فلما غربت الشمس صار دجى وحدث
واذ بتنور يدخن ومصباح نار تلهب ويتردد بين تلك الانصبة وفي ذلك اليوم عاهد
الرب ابرم عهدا وقال اني معط ذريتك هذه الارض من نهر مصر الى الفرات النهر
الاعظم وان سرى امراة ابرم لم تكن تلد وكانت لها امة مصرية اسمها هاجر فقالت سري
لابرم وهما بارض كنعان ان الرب قد حرمني الولد فادخل على امتي وانها لعلي ان
يولد منها فسمع ابرم قول سري واطاعها وذلك بعد ما سكن ارض كنعان عشر سنين فقالت
سري لابرم انت صاحب ظلامتي انا وضعت امتي في حضنك فلما حبلت هنت عليها بحكم
الرب بيني وبينك فقال هذه امتك مسلمة اليك اصنعي بها ما احببت فاهانتها سري
سيدتها فهربت منها فلقيها ملاك الرب على عين ما في البرية في طريق سور وفي نسخة
في طريق حدر وفي نسخة على العين التي لطريق الجفار فقال لها يا هاجر امة سري
ارجعي الى سيدتك واسكني تحت يديها ثم قال لها ملاك الله لاكثرن نسلك حتى لا يحصى
ثم قال لها ها انت حامل وفي نسخة انك حبلى وستلدين ابنا وتدعين اسمه اسمعيل لان الرب
قد عرف لك خضوعك ويكون ابنك حذارك جلا بين وحش البرية وبين جميع الناس وفي
نسخة وحشي الناس يده على كل ويد كل به ويحل على جميع حدود اخوته فدعت اسم الرب الذي
كلمها فقالت انت الله ذو الوحي والرويا وذلك لانها قالت اني قد رايت رويا ولذلك دعته

تلك الطوي سري الجي وهي بين رقم وحدر وفي نسخة فيما بين فارس وباردا ثم ولدت
هاجر لابرم ابنا فدعا ابرم اسمه اسمعيل وكان ابرم ابن ست وثمانين سنة اذ ولدت هاجر
له اسمعيل فلما اتى على ابرم تسع وتسعون سنة اعلن له الرب وقال له انا الله المولى عبد
ارضي تكن عبدا ذا عيب وانبت عهدي بيني وبينك وفي رواية فاحسن امامي ولا تكن
ملوما فاني جاعل بيني وبينك ميثاقا واكثرك جدا جدا فخر ابراهيم على وجهه فكلمه الله
وقال له انا اثبت لك عهدي وفي نسخة فاوحى الله اليه قايلا له اني قد جعلت ميثاقي معك
وتكون ابا لشعوب كثيرة ولا يدعى اسمك فيما بعد ابرم بل يكون اسمك ابراهيم لاني جعلتك ابا
الشعوب كثيرة واعمل وانميك جدا جدا واجعلك للشعوب رئيسا والملوك من صلبك
يخرجون وانبت العهود وفي نسخة واني مثبت بيني وبينك وبين نسلك من بعدك عهدا
دايما واكون لك الها ولزرعك من بعدك واعطيك وذريتك من بعدك ارض
سكناك وجميع ارض كنعان ميراثا الى الابد واكون لهم الها وقال الله لابراهيم احفظ
عهدي انت وزرعك من بعدك لاحقابهم هذا عهدي الذي الزمكم به لتحفظوه لتكون
بيني وبينك وبين نسلك من بعدك ان تختنوا كل ذكر وتختنوا لحم غرلكم ويكون علامة العهد
بيني وبينكم وليختن كل ذكر منكم ابن ثمانية ايام لاحقابكم وكذا البيت والمبتاع بالمال وكل ذي
من كان من ابنا الغربا الذين ليسوا من زرعك فليختن احسان المولود في بيتك والمبتاع
بمالك ويكون عهدي سمة في اجسادكم عهدا دايما الى الابد وكل ذكر غرلة لا يختن
غرلته في اليوم الثامن فلتهلك تلك النفس من شعبها لانها ابطلت عهدي وقال
الله لابراهيم سري صاحبتك لا تدع اسمها سري لان اسمها سارة وابارك فيها واعطيك
منها ابنا واباركه ويكون رئيسا لشعوب كثيرة وملوك الشعوب من نسله يخرجون فخر
ابراهيم على وجهه ضاحكا وقال في قلبه وفي رواية متعجبا يقول في نفسه وهل يولد لابن
مائة سنة ابن وسارة تلد وقد اتى عليها تسعون سنة وقال ابراهيم لله يا ليت
اسمعيل يحيى بين يديك وقال الله لابراهيم حقا وفي نسخة نعم ان سارة صاحبتك ستلد
ابنا وتسميه اسحق واثبت العهد بيني وبينه الى الابد ولذريته من بعده وقد استجبت
لك في اسمعيل فباركته وكثرته وانميته جدا جدا ويولد له اثنا عشر عظيما واجعله
رئيسا لشعب عظيم واثبت عهدي لاسحق الذي تلد لك سارة في هذا الحين من قابل
فلما فرغ من كلامه ارتفع استعلا الرب عن ابراهيم فانطلق ابراهيم باسمعيل ابنه
وجميع اولاد بيته والمبتاعين بماله كل ذكر من بيت ابراهيم فختن غرلهم في ذلك اليوم كما امر
الله وكان قد اتى على ابراهيم تسع وتسعون سنة اذ ختن غرلته وكان قد اتى لاسمعيل
ابنه اذا ختن ثلث عشرة سنة وختن ايضا معه ابنا الغربا المبتاعين ثم اكمل البشارة
باسحق كما سياتي في سورة هود ان شا الله تعالى الى ان قال وذكر الرب سارة كما قال
وصنع الله تبارك وتعالى بسارة كما وعد فحبلت وولدت لابراهيم ابنا على كبره في الوقت الذي

وعد

وعد الله فسمى ابراهيم ابنه من سارة اسحق فختن ابراهيم ابنه اسحق في اليوم الثامن كما امره
الرب وكان ابراهيم ابن مائة سنة فقالت سارة لقد انعم الله علي وفرحني فرحا عظيما
لمن سمع فليفرح لي وقالت من كان يقول لابراهيم ان سارة ترضع غلاما وتلد ابنا بعد
الكبر فشب الغلام وفطم وصنع ابراهيم يوم فطم مادبة عظيمة ثم اعاد ذكر امر سارة باخراج
هاجر وابعادها وان هذا شق على ابراهيم جدا وقال فقال الله لابراهيم لا يسؤن عليك
حال الصبي وامتك فغدا ابراهيم باكرا فاخذ خبزا واداوة من ماء فاعطاها هاجر
وحملها والصبي والطعام فانطلقت وتاهت في برية بير سبع وفي نسخة بير الحلف لان ابراهيم
حالف صاحب تلك الارض عندها ونفد الما من الاداوة فالقت الصبي تحت شجرة من
الشيح وانطلقت وجلست قبالته وتباعدت منه كرمية بسهم كيلا تعاين موته فلما صرخ
الغلام وبكا سمع الرب صوته فدعا ملاك الرب هاجر من السما وقال لها مالك يا هاجر
لا تخافي لان الرب قد سمع صوت الصبي حيث هو قومي فاحملي الصبي وشدي به يديك لاني جاعله
رئيسا لشعب عظيم فجلى الله عن بصرها فرات بير ما فانطلقت فملات الاداوة وسقت
الغلام وكان الله مع الغلام فشب وسكن برية فاران وكان يتعلم الرمي وزوجته امه امراة
ابني وفيه لبشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اصرح مما ذكروه وهي قوله ويده في جميع الناس الى
اخره لان اسمعيل عليه السلام لم يتفق لاحد من ذريته ان كانت يده في جميع الناس ولا حل في جميع حدود
اخوته ولا اتفق من اولاده احد بهذا الوصف الا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رايت في
شرح المقاصد للشيخ سعد الدين التفتازاني وشرح الصحايف للامام السمرقندي التنبيه
على هذا النص ولما امر سبحانه بني اسرائيل ان اباهم يعقوب ممن اوصى بنيه بالاسلام
قال ام كنتم شهدا فعلم قطعا من ذكر حرف العطف ان المعطوف عليه محذوف كما قالوه
في ام من هو قانت اناء الليل في سورة الزمر فكان التقدير هنا اكنتم غايبين عن هذه الوصية
ام كنتم شهدا الاية اي اكنتم غايبين عن علم ذلك ام على كل تقدير لا يصح لكم جهله لان
عندكم في كتاب الله المنزل على نبيكم من الامر بمثله عن الله ما يغنيكم عنه وفي ذلك اشارة
الى عدم وجوب التقيد بالابا وارشاد الى توسيع الفكر الى المنعم الاول وهو رب الابا
او مخالفا ولما كان هذا الازم لمضمون قوله تعالى تلك امة قد خلت الاية اتبعه بها اي
فما لكم وللسؤال عنها لانه اما ان يكون السؤال عن النسب او عن العمل ولا ينفعكم شي
منهما لا يربص للانسان الا ما سعى فليس السؤال عنهم حينئذ لكم عن علم يأتي وما يذر
الا فضولا وفيه تنبيه على انهم قطعوا انفسهم عنهم لانهم خالفوهم باتبعوهم لانهم في الاسلام فصلوا
ما بينهم وبينهم من الوصلة بالنسب وحصلت براءتهم منهم لان نسب الدين اعظم من نسب الما
والطين او يقال وهو احسن لما ادعى اهل الكتاب ان الجنة خاصة بهم ورد سبحانه
عليهم بانها لمن اسلم محسنا وذكرهم باحوال الخليل عليه السلام حتى ختم بانه من رووس المتصفين
بهذا الوصف وانه اوصى بنيه به فكان كانه قيل انكار عليهم في دعواهم الاختصاص بالجنة وتقديرا

مطلب

لهم الكنتم شهدا الذلك منه حتى تكونوا ممن ائتمر بأمره في وصيته فتكونوا اهلا لنحو ام كنتم
شهدا ابانى يعقوب اذ حضر يعقوب الموت صاحب نسبكم الاشهر وهو في ما اوصى به ابراهيم
بنيه اذ قال اي يعقوب لبنيه ما تعبدون وقيل بقوله من بعدي لان الخليفة كثيرا ما يخلف
الغايب بسوء وان كان مصلحا في حضوره قالوا نعبد الهك الذي خلقك واله ابائك الذي
خلقهم يعني بعدهم ويبقى بعد كل شي ولا بعد له كما كان قبل كل شي ولا قبل له ثم بينوا الابا
بقولهم ابراهيم اي جدك واسمعيل لانه عم والعم صنو الاب فهو اب مجازا واسحق ولما
تقدم ذكر الاله في اضافتين بينوا ان المراد به فيهما واحد تحقيقا للبراة من الشرك
وتسجيلا على اهل الكتاب بحكم بطلان قولهم فقالوا الها واحدا ثم اخبر وابعد توحيدهم
الذي تقدم انه معنى الاحسان في قوله وهو محسن باخلاصهم في عبادتهم بقوله ونحن له
اي وحده لا لاب غيره مسلمون اي لا اختيار لنا معه بل نحن له كالجمل الانف حيثما قادنا
اي ام كنتم شهدا اله في هذه الوصية لتشهدكم بما شهدنا لبنيه الموجودين اذ ذاك
من الاسلام فتكونوا من اهل الجنة ولما كان في ذلك اعظم تسجيل عليهم بانهم تابدوا واصبه
الاصفيا من اسلافهم ومرقوا من دينهم وتعبدوا واخلافهم وكان من المعلوم قطعا ان
الجواب الهم ما شهدوا ذلك ولا هم مسلمون عبر عنه بقوله تلك امة قد خلت اي قبلكم
بدهور ولم تشهدوها وبينه في انهم عملوا بغير اعمالهم بقوله لها اي الامة ما كسبت اي
من دين الاسلام خاص بكم لا تسلون هم عن اعمالكم ولا تسلون اي انتم عما كانوا يعملون
ولما اخبر تعالى انهم تركوا السنة في تهذيب انفسهم بالاقتدا في الاهتدا بالاصفيا من
اسلافهم وبين بطلان ما هم عليه الان من كل وجه واوضح انه محض الضلال بين ان عاقبتهم
في ذلك بان صيرهم دعاة الى الكفر لان سنته الماضية سبقت ولن تجد لسنته تحويلا
ان من امات سنن احيى على يديه بدعة عقوبة له قال الحرالي لانهما متناوبان في الاديان
ساوب المتقابلان في الاحسام فقال تعالى مخبرا منهم عاطفا على قوله وقالوا لن يدخل
وقالوا اي الفريقان من اهل الكتاب لاتباع الهدى كونوا هودى او نصارى تهتدوا
اي لم يكفهم ارتكابهم للباطل وسلوكهم طرق الضلال حتى دعوا الى ما هم عليه ووعدوا
بالهدى ابن الصابر اليه فامره تعالى بان يجيبهم انه مستمسك بسنة ابراهيم لا يحول عنها كما حالوا
فقال لو اوجه الخطاب الى اشرف خلقه لعلو مقام ما يجيب به وصعوبته السعد بر في العين
قل بل مضرا عن معالم اي لا يكون شيا مما ذكرتم بل يكون او نلابس انا ومن لحق بي من كل
اهل الاسلام ملة ابراهيم ملابسة تصيرنا اياها كانا نحسد نامنهم وهو كناية عن عدم
الانفكاك عنها فهو ابلغ مما لو قيل بل اهل ملة ابراهيم قال الحرالي ففيه كمال لبس
محمد صلى الله عليه وسلم في ملته على ملة ابراهيم عليه السلام الذي هو الاول لمناسبة بين الاول
والاخر وقد ذكر ان الملة ما اظهره نور العقل من الهدى في ظلما التزمه الناس من عوايد
امر الدنيا فكانها انم ما ابداه نور العقل ملة ابراهيم حنيفا اي لينا هشا سهلا قابلا للاستقامة

مايلايم

ما يلايم داعي الحق منقادا له مسلما امره اليه لا يتوجه اليه شي من القساوة والكثافة
والغلظة والجمود التي يلزم منها العصيان والشماخة والطغيان وذلك لان مادة
حنف تكل ترغيب نده وربط الحيد الانتشار والصور والميل فيلزمه سهولة الانقياد والا — سنقامة
ويكشفه اية ال عمران ولكن كان حنيفا مسلما فبذلك حاد عن سنن طرق الخلق في
انحرافهم عن جادة طريق الاسلام وقال الحرالي الحنيف المايل عن منعوما عليه الناس
عادة الى ما تقتضيه الفطرة حنا ان قلب الى صدق حسه الباطن ولما اثبت له الاسلام با — كحنيفيه
نفي عنه غيره بقوله وما كان من المشركين قال الحرالي فيه انبا بتبريه كناية عن امر الشرك
في تلك الامور والافعال والاحوال وفي افهامه انه من امر محمد صلى الله عليه وسلم في الكمال
الخاتم كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم منه في الابتدا الصالح قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
قل ان صلاتي ونسكي الى قوله وانا اول المسلمين فهذا اول رتبة الكمال التي هي خاصة
به ومن سواه فهو منه فيها لان نفي الشي يفهم البراة والحاق بالمفاصل في معنا نفي قوله
يكن مثلا من الكافرين فهو من المومنين لانه لو كان هو المومن لذكر بالصفة المقابلة
لما نفى عنه لما في ذلك من معنى اثبات الوصف ونفي مقابله ومثل هذا كثير الدور
في خطاب القران ويبين له من الوصف ومن هو منه تفاوت ما بين السابق واللاحق
في جميع ما يرد من نحوه بجنى ومثل هذا التفاوت ظاهر للفهم حتى عن شاهد العلم لان العلم
من العقل بمنزلة النفس والفهم من العقل بمنزلة الروح فالفهم مدرك لما ينبا له العلم كما ان
ان للروح معتلى اليه النفس لتوجه النفس الى ظاهر الشهود ووجهة الروح الى علي الوجود
انتهى ولما تبل ذلك توجهت النفس الى ظاهر الشهود ووجهة الروح الى علي الوجود انتهى
ما به يوصل الى ملة ابراهيم فصرف الخطاب الذي كان عند الحجاج للاكمل على وجه يشمل من
تابعه الى من دونه مما يشمله لان المراد العموم قضا منه تعالى في جواب من كان منهم قالوا ما تقول
حتى تكون اياها فقال قولوا اي يا ايها الذين امنوا امنا بالله ولما كان المامور المومنين
وكانت تعدية الانزال بالى تقتضي الانتها وكان ذلك يقتضي واسطة قبل الانتها وكان
الانتها الى الاتباع انما هو بالقصد الثاني كان الانسب في هذه الاية لتوجيه الامر اليهم التعبير
بالى بخلاف اية ال عمران كما سياتي ان شا الله تعالى فقال وما انزل الينا اي من الكتاب
الذي تقدم انه الهدى على اي وجه كان من الاحكام والنسخ والنسي وغير ذلك وقيل وما انزل
الى ابراهيم ليكون المجمع واحدا واسمعيل واسحق ابنيه قال الحرالي خلقن العرب الاميين المحزون
على ما اتاهم الله من فضله لشي ما جرى عن لفظ بني اسرايل في تحميل لهم فكان فيه وصل العرب
الذين هم ابنا اسمعيل بابراهيم وبنيه وقطع بني اسرايل عنهم وفيه اظهار المزية فضل الله على العرب
حين بلغتهم ولا يستنطقهم فيقصر وابنى مقالهم فاغنا هم بالقيم فتلوه مما كانوا يقولونه لو وكلوا
الى انفسهم بسكنهم ربهم واراهم ما يصلح من القول لهم وقال ويعقوب والاسباط تكملة
لما تقدم في العهد السابق وما اوتي موسى وعيسى اي من ربهم من المنزل من التوراة والانجيل وغيره

المنزل وغير الاسلوب تفضيلا لما من الكتابين والمعجزات وغيرهما من الحكمة ثم
اسند الاتيان الى الجميع لكون اهل الكتاب العظيمة فيهم على سبيل التغليب وما اوتي النبيون
اي قاطبة من تقدم وغيرهم من المنزل من كتاب وغيره من ربهم المحسن اليهم بذلك لا نفرق بين
احد منهم في امر الايمان باصطفائهم مع توجيه الاوامر اليهم ونحن له اي لربهم المحسن الينا
باحسانه اليهم وحده مسلمون اي منقادون في الظاهر بعد انقياد الباطن لا امر لنا معه
اصلا قال الحرالي فاجري على السنة الذين امنوا من هذه الامة تلقينا لهم ما اجراه
على السنة الاسباط قولا منهم فكانت العرب احق بهم من ابنا اسرايل بما امنوا في
الدين وان افترقوا في نسب الاسرائيلية انتهى والاسباط جمع سبط قال في القاموس السباط
والسبط بالكسر ولد الولد والقبيلة من اليهود وجمع اسباط وقال البيضاوي والا
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم
واسحق وقال البغوي والاسباط يعني اولاد يعقوب واحدهم سبط وهم اثناعشر
سبطا وسبط الرجل حافده ومن قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاسباط من بني اسرايل كالقبايل من العرب من بني اسمعيل والشعوب من العجم
وكان في الاسباط انبيا فلذلك قال وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه
صاروا كلهم انبيا قلت وهذا هو الذي يظهر اذا تاملت هذه الاية مع التي بعدها
واية النسا قال الاسباط اعني القبايل كان منهم الضلال وقد انكر الله على من قال
انهم كانوا هودا او نصارى واخبر في ابا النسا انه اوحي اليهم وقد عد الاسباط اعني
اولاد يعقوب جماعة فاختلفت عباراتهم عنهم والذي حررته انا من التوراة من نسخ
صحيح عدهم في اخر السفر الاول منها ثم قال في اول السفر الثاني وهذه اسما
بني اسرايل الذين دخلوا مصر مع يعقوب ابيهم دخل كل امرا منهم واصله روبيل
وشمعون ولاوي ويهودا واساخار وزبلون وبنيامين ودان ونفتالي وجادوا
واشير ويوسف كان بمصر اسمي قلت وبنيامين شقيق يوسف عليهما السلام وربما قيل
فيه بنيمين وفي روبيل روبال وفي شمعون شمعان وفي ايسا رخار ايساخل وفي زبلون
زبولون وزبالون والله اعلم ولما قدم تعالى ما امرهم به وكان غير الهدى تسبب عنه قوله
فان امنوا اي اهل الكتاب الذين اراده امنت يستتبعوكم بمثل ما امنتم به فكانوا
تبعا لكم فقد اهتدوا عكس قالوا كونوا مثلنا تهتدوا وعبر بفعل المطاوعة لكون الايمان
مع طوعه يظهر ودا بل موافقا للفطرة الاولى واما الكفر فانه لما كان لا جل ظهور نار
الايمان وانطباعه في الجنان بعيدا عن المزاج لا يكون الا بنوع من العلاج بين
الهوى والعقل وكانه لا يكون الا بعد الاعراض عن الايمان وغيبته عن العيان
عبر عن ارتكابه بما يشعر بذلك بصيغة التفعل الماضي وان تولوا قال الحرالي فيه اشعار
بايمان مؤمن منهم وتولي متول منهم لان الله تعالى اذا اضيف الخطاب كان نبا عن بعض

الكيان فهو تعالى لا يخرج نباه على غير كاين فيكون نبا لا كون له انما ذلك من ادنى
اوصاف بعض الخلق فانما هم في شقاق اي يريدون ان يكونوا في شق غير شقكم لانهم
يعلمون ان الهدى ليس في شي غيره كما اقتضته انا ولما كان اللازم لمشاقتهم على هذه الحالة
المكابرة والمحاربة وكان نفس على وجه العناد لم يكل سبحانه كفايته اوليايه الى غيره فتسبب عن
ذلك قوله فسيكفيكهم الله اي بما له من قدرة وغيرها من صفات الكمال التي افهمها
الاسم الشريف والكفاية اغنا المقاوم عن مقاومة عدوه بما لا حوجه الى دفع لدفعه قاله
الحرالي ولما كان المناوي لشخص اما ان يكيده بقوله او بفعله وكان الفعل مسبوقا بالارتسام
في الضمير وكان الكافي لشخص انما يتوقف كفايته على العلم بما يصلحه قال وهو السميع اي
لما يقولونه اعداوكم العليم بما يضمرون فهو بسبب ذلك كل قوله وضمير منهم ما يرد ضرره عليه فخطر
منهم مقصور على اذى في القول وسو ود في الضمير وحظكم منهم قهرهم وسبيهم والاستيلا
على ديارهم واموالهم وجعل الحرالي صبغة الله حالا تقاضاها معنى الكلام وعاب على النحاة كونهم
لا يعرفون الحال الا من الكلم المفردة ولا يكادون يتفهمون الاحوال من جملة الكلام وقال
الصبغة تطوير معاجل بسرعة وحيه وقال فلما كان هذا التلقين تلقينا وحيا سريع التصوير
من حال الضلال المبين الذي كانت فيه العرب في جاهليتها الى حال الهدى المبين الذي
كانت فيه الانبيا في هدايتها من غير مدة جعله تعالى صبغة كما يصبغ الثوب في الوقت
فيستحيل من لون الى لون في مقابلة ما يصبغه اهل الكتاب باتباعهم المتبعين لهم في اهوايهم
في الذي يسمونه المعطاس ومن احسن من الله صبغة لانها صبغة قلب لا تزول لسابها
على تولاها الحفيظ العليم وتلك صبغة جسم لا تنفع وفيه الهام بما يختص به الذين امنوا
من انقلاب جوهرهم نورا كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلني نورا فكان كما انقلب
اليه جوهر الامية الصبغة في قلوب الامة ونحن له عابدون تكملة لرد الخطاب على خطاب
عهد اسرايل حيث قال ما تعبدون من بعدي الا ان العبادة في عهد اسرايل سابقة
والاسلام ختم والاسلام في هذا التلقين بدا لتنفع العبادة شكرا يختص برحمته من يشاء
وجا به بالوصف من الثابت الدايم ففيه اشعار بان احدا منهم لا يرتد عن دينه سخطة
له بعد ان خالط الايمان بشاشة قلبه وهو حظ عام من العصمة الثابت خاصها للنبي صلى الله عليه
وسلم في امر النبي ولما كان تعالى بقوله قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما بعده باعلام الخصم
بالمخالفة وان لا موافقة الا بترك الهوى واتباع الهدى امر بجدالهم بما يوهي اقوى اهم
ودرج شبههم فقال معرضا بالخطاب عن الجميع موجها له الى رسوله صلى الله عليه وسلم
رفعا لمقامه وتعريفا بعلي منصبه اعلاما بانه لا ينهض بذلك غيره لما لهم من العلم مع ما عندهم
من الجدل واللدد قل منكرا لمحاجتهم اتحاجوننا ولما كان الانسب في المقارعة اعلام
الخصم بالمخالفة لانه اقطع لطمعه وامكن لغيظه مع انها هنا اقرب الى رضى الخالق
قدم على المجادلة ومعنى قوله في الله في اختصاصكم بالله المشار الى ابطاله فيما سبق بقوله

قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية اي اتحاجوننا في ذلك ولا وجه لاختصاصكم
به وهو اي الحال انه ربنا وربكم نحن وانتم في العبودية له سوا ولنا اعمالنا نختص بها
دونكم ولكم اعمالكم تختصون بها دوننا لا نخاف منه ان يخصكم باعمالنا ولا نبغي منها لتختصوا
بها دوننا عنده ولا ان يخصنا باعمالكم ولا نبغي منها ليخصنا بها عنه ظلما ولا غلطا لانه السميع
العليم الغني الحميد ونحن احسن اعمالا منكم لانا دونكم له وحده مخلصون لا نشرك به شيا
وانتم تشركون به عزيرا والمسيح والاحبار والرهبان وانتم تعلمون ذلك في باطن الامر
وان اظهرتم خلافه فلزم قطعا انا اخص به منكم ولما كان قد بقي من بهتانهم انهم يدعون
ان اسلافهم كانوا على دينهم فتكون دعواهم الاختصاص بالجنة صحيحة ابطلها سبحانه بقوله
ام اي ارجعوا عن قولكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا لما ثبت ذلك من مخالفة ملة
ابراهيم وانه ام تقولون ان ابراهيم خليل الله واسمعيل واسحق ابنيه ويعقوب بن اسحق
والاسباط اولاد يعقوب كانوا هودا او نصارى لتصح دعواهم في ان الجنة خالصة لاهل
ملتهم فكانه قال ثم يقال لهم ان قالوا ذلك فقيل قل ءانتم اعلم بذلك وبغيره ام الله اعلم
فلا يمكنهم ان يقولوا نحن وان قالوا الله فقد برا الله ابراهيم من ذلك فبطل ما ادعوا ولما كان
العلم عندهم عن الله بان الخليل ومن ذكر معه عليهم السلام على دين الاسلام وكانوا يكتمون
ما عندهم من ذلك مع تقرير الله لهم به واستجابتهم عنه وهبه لهم عن كتمانه وما يقارب به
بقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل الاية وكان التقدير فمن اظلم ممن ادعى انه اعلم من الله
بدعواه ذلك صريحا او لزوما له باخباره بخلاف ما ثبت في القران المعلوم صدقه باعجازه
قال تعالى عطفا على هذا التقدير ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده اي موجودة ومودعة
عنده من الله اي كتمها منه او هي عنده منه وهو يستحضر عنها مع علمه بانه فاضحة لانه العالم بالمراد
ولما كان التقدير فانه يعلم ما عمله من كتمانه عطف عليه ما هو اعم منه فقال وما الله بغافل عما تعملون
اشعارا بصيغة المضارع بتماديهم بعد هذا كله على سوا عملهم وتحذيرا من مثل ذلك ولما لم
يدع لهم متمسكا من جهة ابراهيم عليه السلام اتبع ذلك تلك الاشارة على تقدير صحة دعواهم
الى ان الدين دائر مع امره في كل زمان لا مع ما قرره لاحد من خلقه فانه لا حجر عليه ولا
اعتراض بل له ان يامر اليوم بامر وغدا بمثله بضده وان يفعل ما يشا من احكام ونسخ
ونبي وانشاء فقال تلك امة اي ابراهيم واله قد خلت اي مضت انهم على ما زعمتم فقد
مضوا وقدم زمانهم فلا ينفعكم الا ما ستجدونه في وتتكرر هذا الحكم ما تجدد من المنزل المعجز
لكافة اهل الارض احمرهم واسودهم ويجوز ان يقال لما كان مضمون ما سبق من اثبات
الاعلمية وكتمانهم الشهادة لما عندهم ثبوت ما اخبر به سبحانه على لسان هذا النبي الكريم
من كون اصفيايه على دينه الاسلام فهم بذا امنهم كان المعنى انا ادعيتم هنا ان العلم حاكم
عن الله بما ادعيتموه قبل ان تدعون ذلك عليه من الانبيا قد انقضت معجزته بموته وكتابكم
غير مامون عليه التحريف والتبديل لكونه غير معجز وهو النبي الاتي بالقران قايم بين اظهركم

وهو

وهو يخبركم عن الله بكذب دعواكم ويؤيد قوله بالمعجزات التي منها هذا القران
الذي عجزت العرب كلها عن الاتيان بسورة من مثله وانتم كذلك مع مشاركتكم لهم في الفصاحة
نظما ونثرا واختصاصكم عنهم بالعلم فلزمكم قبوله لانكم لا تستندون في ترويج كذبكم بعد
الجهد الا الى من ثبت صدقه بثبوت رسالته وثبتت رسالته بظهور معجزه فوجب
عليكم قبول امره وذلك يوجب قطعا انه يجب عليكم قبول هذا الداعي بهذا القران بمثل
ذلك سواء والا لكان قبول بعض من ثبت له هذا الوصف دون البعض تحكما واتباعا
للهوى المذموم في كل شريعة المنفي عليكم بقوله تعالى افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
الاية هذا مع ان رد قولكم هذا فيهم اظهر ظاهر من حيث انه لا يعقل ان يكون السابق
على نسبة للاحق ما حدثت الا بعده بمدد متطاولة وسياتي النص الصريح بابطال
ذلك في آل عمران والاشارة الى ما نبذته للعقل بقوله افلا تعقلون ليتطابق على ابطاله
صادق النقل وحاكم العقل والى هذا كله الاشارة بقوله تلك امة قد خلت اي
قبلكم بمدد لا يقبل الاخبار عنهم بعدها الا بقاطع ولا سبيل لكم اليه وقد قام القاطع
على مخالفتكم لهم بهذا القران المقطوع بصدقه بما عجازه بما تقدم وبما اشار اليه قوله
تعالى لها ما كسبت اي من اعمالها ولكم ما كسبتم من اعمالكم فلا يسالون هم عن اعمالكم ولا
تسالون اي انتم عما كانوا يعملون ولما كان ادعاؤهم ان اسلافهم على دينهم ليلا ينتقض
دعواهم ان الجنة خاصة بهم مع كونهم فضولا لا سند له يثبت به محا ولمه لعدم جواز النسخ
وكان ابطال الله تعالى لقولهم وعيبهم بما احدثوا في دينهم وتقريعهم به ملزوما لان
يكونوا اباحوا لانفسهم منه ما منعوا منه خالقهم وهو لا يسال عما يفعل كانوا اسفه الناس
نعقبه بالتصريح بعيبهم والتعجيب منهم في انكارهم لنسخ القبلة وحنقهم بالاعتراض على ربهم
تعالى واضلاله بما قبله في وجه اعم سيقول الى اخره لانهم اذا لم يكونوا يعلمون حقيقة
ذلك فلم يسوغهم فلما اقل من ان يكون عن غيبتهم فكيف وهم عالمون بانه الحق فقال السفهاء
ولم يقل سيقولون اظهارا للوصف الذي استحقهم الى هذا القول الظاهر عواره
لاهل كل دين واكد الوصف بالطيش بقوله من الناس الماخوذ من النوس وهو التحرك
دون ان يقول من اهل الكتاب او بني اسرايل ونحو ذلك تصريحا بذمهم وتعميما لكل من
مالاهم على ذلك ما ولاهم ولم يقولوا من زيادة في الاذى بالاحتقار عن قبلتهم قال الحرالي
القبلة ما يجعل قبالة الوجه والقبل ما اقبل من الجسد في مقابلة الدبر لما ادبر منه التي
كانوا عليها وفي ذلك اشارة الى انه لما انقطعت حجم القواطع الشبهة الى من اختدعوه
من المنافقين ولم يعدوا ان يواجهوا بها احدا من اهل الايمان كما قالوا فيما تقدم
كونوا هودا او نصارى ونحوه علما منهم بان الحجاج لهم عن المؤمنين من له الحجة البالغة
ولذا جاء ابهم بقوله قل خاليا عن خطاب كما مضى في قوله قل اتخذتم عند الله عهدا
قل هاتوا برهانكم ونحوه وساق سبحانه الاخبار عنهم بذلك على طريق هو من اعلام النبوة ودلايل

الرسالة فانه اخبار بما سيكون من الاعدا فكان منهم على وفق الخبر ولم يقدر وامع شدة
عداوتهم واجتهادهم في القدح بادنى شبهة في التكذيب على تكذيبه بل كف عن ذلك
هذا مع توطئته لذلك فيما سلف في جملة مواضع بتحريفهم الكلام لله وابداعه النسخ والاستدلال
على حسن فعله واخبار بظلم مانع المسجد واخبار بانه لا يختص به جهة دون اخرى
وذكره بنا البيت وما امر من تعظيمه واتخاذه مصلى وتسميتهم سفها ناظرا الى قوله
فيما مضى عمن نافق منهم ومن غيرهم الا انهم هم السفهاء لانهم وان كانوا مصارحين
بالكفر فاسم النفاق منطبق عليهم من جهة اخرى وهو انهم اظهروا الكفر وابطنوا
معرفة الايمان اظهروا التكذيب وابطنوا انهم عارفين به من صدقه وايضا فاذا
كان المنافقون الذين اظهروا احسن اسفها لما ابطنوه من القبيح فالذين عمهم القبح
ظاهرا وباطنا اسفه والى قوله قريبا ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه
لما تقرر من مخالفتهم له وان ادعوا الموافقة وقال قل لله المشرق والمغرب مخصصا
لما لكونها مجمع الافاق كلا معنى فلا يختص بالوجهة اليه جهة دون اخرى فالامر به فهو
الحق ولما قرر ان الجهات كلها بالنسبة اليه سواء لانها ملكه على ان من توجه الى شي منها
بامره اصاب رضاه وذلك هو الوصول اليه فعبر عن ذلك مستانفا بقوله يهدي من يشا
اي من عباده الى صراط مستقيم في اي جهة كانت فتى سلكه وصل اليه من غير ضلال ونكره
لان المراد به جزئيات من الشريعة واما الصراط المعرف في الفاتحة فالمراد به الشريعة
كلها بما دلت عليه المن الكمال ولما بين استقامة القبلة التي وجههم اليها عرف انها
وسط لا جور فيها فاتبع ذلك قوله وكذلك اي ومثل ما جعلنا قبلتكم وسطا لانها الى البيت
العتيق الذي هو وسط الارض وهو بنا ابراهيم عليه السلام الذي هو اوسط الانبيا وهو
مع ذلك خيار البيوت فهو وسط بكل معنى جعلناكم بما هديناكم الاستقبال والى غيره
عما امركم به امة قال الحرالي من الام وهو تبع الجملة في العدد وبعضها لبعض الى ان تنتهي
لامام اول فالامام والامة كالمتقابلين الامام قاصد اما والامة قاصد امامها الذي هو
امها والامام ما بين اليدين يشهد الحس وسبيل القصد انتهى وسطا اي شريفة خيارا
لان الوسط العدل الذي نسبة الجوانب كلها اليه سوا فهو خيار الشي قال الطاي كانت
هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا رسالك الوسط من الطريق محفوظ
من الغلط ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد ففي هذا افهم
لما ادعوا الخصوصية كذبوا اوردت حجتهم ثم ابتت الخصوصية لهذه الامة وماده وسط مهموز
وغير مهموز ولويه وباسه بتراكيبها الاحد عشر وسط وطس سوط سطو طوس طسو طيس
طسي سطا طسا ند ورعلى العدل السوا الذي نسبته سلوفي الفرجة الى كل جانب ولما
اثبت لهم الوسط الذي من حله كان جديرا بان لا يخفى عليه شي من الجوانب واستلزم ذلك كونه
خيارا قال لتكونوا اي انتم لا غيركم شهداء كما افاده التعبير بهذا دون ان يقال لتشهدوا وقال

على الناس اي كافة ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم اوسطهم قال الحرالي ويكون
الرسول اي لا غيره عليكم خاصة شهيدا بانكم تابعتموه وصدقتموه فكنتم خير امة اخرجت
للناس وبانه قد بلغتم مدة حياته فلما مات خلف فيكم كتابا معجزا اصوات الا نعشه الملا
ولا يحرقه النار لانه محفوظ في الصدور متلوا بالالسن الى ان ياتي امر الله ولذلك عبر عنه
باداة الاستعلا فانهم صوغ الكلام هكذا انهم حازوا شرفين انه لا يشهد عليهم الا
الرسول وانه لا يحتاج في الشهادة على سائر الامم الى غير شهادتهم دفعا لتوهم ان
غيرهم يشهد عليهم كما شهدوا هم عليهم ولتوهم ان غيرهم لا يكتفى في الشهادة عليه الا بشهادة
الرسول كما لم يكتف فيهم الا بذلك ولما اعلم بما سيقول السفها وعلم جوابهم وبين سر
التحويل بين علة التوجيه الى قبلتين بقوله وما جعلنا القبلة قال الحرالي في جملته
انبا بان القبلة مجعولة اي مصيرة عن حقيقة وراها وابتلا بتقليب الاحكام ليكون
تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم والوجهة الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن
صدق فيثبت عند تلك الاحكام على قلبه من صدق التعلق بالله والتوجه له اما ان
ما وجهه وعلى المجيب عن عرض ظاهر ليس يسنده صدق باطن فيتعلق من الظاهر بما لا
يثبت عند تغييره انتهى وبين انها الاولى بقوله التي كنت عليها وبين ان العلة التمييز
بين الناس فقوله الا لنعلم اي حين وجود الامر بالتحول عنها من يتبع الرسول في كل
ما يامر به اتباعا دالا على تمكن ايمانه ممن ينقلب اي يرتد مدبرا بعد اقباله متنكسا على
عقبيه علما متعلقا بموجود نقوم به الحجة في مجاري عاداتكم والعقب مؤخر القدم وقال
الحرالي ليحمل الظاهر على الصادق وغيره يمثل العلم به من علم الغيب قبل كونه وبعد كونه
ومن لم يعلم الغيب الا على ما يلين عنه نور الاستماع فهذا وجهة ووجه ما يرد من نحوه
في القران والسنة انتهى ثم بين شدتها على من اخلد الى العادة بغلبة القوى الحيوانية
البهيمية ولم يمرن في الانقياد لله والى الالهية على خلع الالف وذل النفس فقال وان
كانت اي الجعلة لكبيرة لان مفارقة الالف وذل النفس بعد طمانينة النفس اليه امر شاق
جدا ثم استثنى من ايده سبحانه بروح منه وسكينة فقال الا على الذين هدى الله اي
خلق الهداية في قلوبهم فانقادوا لما هداهم اليه بنصب الادلة ولما كان قبولهم لهذا الامر
وثباتهم عند تغير الاحكام انما كان عن ايمان وعلم محيط جعل الله عز وجل اعمالهم وتوجههم
للقبلة الاولى من الايمان فقال وما كان الله ليضيع قال الحرالي مما منه الضياع
والضيعة وهو التفريط فيما له غنا وثمرة الى ان لا يكون له غنا ولا ثمرة ايمانكم اي المصرح
به في قولكم امنا بالله الى المشار اليه صدق الدعوى فيه بقولكم ونحن له مخلصون في شي
من الاشيا لا في صلاتكم الى القبلة الاولى ولا في تمييز الصادق منكم من المنافق بالامتحان
بتغيير الاحكام من القبلة وغيرها ولا في اختصاصكم به سبحانه دون اهل الكتاب الجاحدين
لايات الناكبين عن مرضاته الناكثين لعهوده ولما نزه نفسه المقدسة عن هذه الاضاعة

على ذلك بما هو اعم فقال ان الله بالناس اي الذين هم اعم من المومنين وغيرهم ممن يتوسط
بين حاله الهدى والفتنة لروف اي بما يحفظ من سوايهم عن الزيغ بارسال الرسل وانزال
الكتب فان الرافة كما قال الحرالي في شرح الاسما وغيره الطف الرحمة وابلغها فالمرووف به
تقيمه عناية الرافة حتى يحفظ بمسراها في سر ظهور ما يستدعي العفو وتارة يكون هذا الحفظ
بالقوة بنصب الادلة ونصب الدعاة وتارة ينضم الى ذلك الحفظ بخلق الهداية رحيم بما يسنيهم
من الدرجات على ما ينحهم به من ثمرات ذلك الحفظ من الاعمال المرضية فقد تقدم
في الفاتحة ان الرحيم خاص الرحمة بما ترضاه الالهية ويجوز ان يكون تعليلا للكلام من
اوله فيكون المعنى ان صفتي رافته ورحمته مقتضيتان للتمييز بين المومنين وغيرهم
للعدل بين الناس لان تسوية المصلح بالمفسد يوم المصلح وسياتي ان شا الله تعالى في اخر
سورة براة ان الرافة للبد فيها من تسبب المرحوم بوصلة تقتضي له العطف حينئذ يكون
الرافة للخواص والرحمة عليه ولما اشعر الكلام السابق اهل البلاغة باحداث امر في العلم
فتوقعوا الخبر عن ذلك وبين رافته ورحمته بالناس عموما بين ذلك برسوله خصوصا بان
تحويله الى الكعبة رافة منه به ورحمة له مع ما تقدم من فوايده فقال تعالى قد نرى
تقلب وجهك قال الحرالي فيه انبا اسماع لمن يرتقب امرا او خبرا بتقيده مع المستقبل بندرة
الوقوع ففيه اعلام بان النبي صلى الله عليه وسلم لما انطوى ضميره على ارادة التوجه للكعبة
التي هي قيام للناس حين كان هو رسولا لكافة الناس وكان النبي صلى الله عليه وسلم على ملة
ابراهيم عليه السلام يكتفي بعلم الله به عن مسئلته لان الدعا للطالبين قضا حاجة وللمكتفين
بعلم الله عبادة فاجاب الله تقلب وجهه على قلة وقوع ذلك منه على ما يشعر به قد التقليل للتقلب
والترويه في السماء فيه اعلام بما جعله من اختصاص السما بوجه الداعي كما اختص غيب القلوب
بوجهة المصلي فالمصلي يرجع الى غيب قلبه ولا يرفع طرفه الى السما لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم
الى السما في الصلاة او لتخطفن ابصارهم والداعي يتوجه الى السما ويمد يديه كما قال حتى راينا
عفرة ابطيه انتهى ملخصا فلنولينك اي فتسبب عن تلك الروية انا نوليك من غير شك قبلة
قال الحرالي نكرها لما كان من وراها قبلة التوجه العام في تعلمه هذه في العلم التي هي
توجه لوجه الله لا توجه لمنظر ناد من خلق الله فكان مطلع القبلة بابين اختصاص القبلة الثابتة
الى قيام القبلة الجارية الى احاطة القبلة العامة الافاقية وفي قوله ترضاها انبا بادراك
للتوجه لهذه القبلة لان الرضى وصف المتوطا بريد فكل واقع بارادة لا يكون رضى الا ان
يستدركه الاقرار فان تعقبه الرفع والتغيير فهو مراد غير مرضي انتهى ودل على ان مرضيه الكعبة
بالسبب في قوله فول وجهك واما قبلتك فانما توجه الى الله الغيب للغيب والظاهر للظاهر
شطر اي عين المسجد كما استدل الشافعي رضي الله عنه في الرسالة على ذلك بجمله من اشعار العرب
وقال وهذا كله من اشعارهم تبين ان شطر الشي قصد عين الشي اذا كان معاينا فبالصواب
وان كان مغيبا فبالاجتهاد الحرام قال الحرالي سماه الله حراما لحرمته حيث لم يوطا قط الا باكرامه

ولم

ولم يدخل الا دخول تعبد وذلة فكان حراما على من يدخله دخول متكبر او متجبر وفي
الموطا عن سعيد بن المسيب انه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة
ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين ولما بشره سبحانه بالتحويل
اولا وادغم المبشر به ثانيا اشار الى بشارة ثالثة بتكثير امته ونشرهم في اقطار الارض فجمعهم
الدين في قوله وحيث ما كنتم اي من جهات الارض التي اورثكم اياها فولوا وجوهكم شطره
بتوجه قلوبكم الى ولما حرر ذلك وقرره بين ان العاسين لم ينبه بذلك من اهل الكتاب
عالمون بحكم هذا التحويل وانه من اعلام سوه فقال وان الذين اوتوا الكتاب اي
من اليهود والنصارى ولم يصفهم هنا الى بالسفه لاثبات العلم في قوله ليعلمون انه اي هذا
التحويل الحق اي ليس بعده في امر القبلة حق اخر يرفعه اصلا من ربهم اي المحسن اليهم بارسال
هذا الرسول الذي يرفع عنهم اصرهم وكانوا ينتظرون رسالته فعندما اتاهم ردوا رحمته
وجعل ذلك سبحانه في سياق مهدد لم يصرح له ولا تباعه تسلية لهم وتثبيتا وتقوية لعزايمهم و تمكنا
حيث ختم الاية بقوله وما الله بغافل عما تعملون قال الحرالي بالتا اي الفوقانية اعراضا عنهم
وبالنا اقبالا عليهم ففيه انبا بتماديهم في سو احوالهم في رتبتين في تماد على سوء هذه
نفيه بما اقبل عليه وفي تماد على اسوء منه اوجب في تهديده الاعراض عنه والاقبال على غيره
لمن لم يصل الى السوء والمكابرة الى ما وصل اليه المعرض عنه ولما اطمع اول الاية في
اهل الكتاب وقطع عنهم اخرها صرح بما لوح اليه هنا الاخر واعلمه صلى الله عليه وسلم بعاقبة
امرهم وانه لا اتفاق بينه وبينهم اصلا ولما لا اتفاق بين فريقهم مع كون الكل من بني اسرايل
ليريحه صلى الله عليه وسلم من التطلع الى هدى بعضهم فقال تعالى ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب
اي من اليهود والنصارى بكل اية اي من الايات المسموعة مرغبة ومرهبة ومن الايات المرية
معربة ومعربة ما تبعوا قبلتك اي هذه التي حولت اليها وكنت الحقيق بها لكونها قياما
للناس كما ان ساعة رسوله الى جميع الناس ثم اوما له الى انهم ينصبون له الحبايل ولو ساعة
من نهار الى قبلتهم ليقدحوا بذلك فيه فقال وما بعضهم بتابع قبلة بعض مع تقاربهم في
النسب وذلك حث للعرب على الثبات على مباعدتهم والحذر من مخادعتهم ولما كان دينهم
قد نسخ اعلم سبحانه بان ثباتهم على قبلتهم على قبلتهم مع ذلك مجرد هوى فقال ولين اتبعت
اهواهم ولما كان هذا السياق لامر القبلة فقط قال من بعد ما جاك من العلم قال
الحرالي فابهمه ولم يكن نحو الاول الذي قال فيه بعد الذي لظهور ما ذكر في الاول
وخفا ما وقعت اليه الاشارة في هذا وجات فيه من التي هي لابتدا من اوليته لخفا مبدا
امر ما جا من العلم هنا وظهور ذلك الاول لان ذلك كان في امر الملة التي ماخذها
العقل وهذه في امر التوجيه الذي ماخذه الدين والغيب قال الحرالي قال تعالى
انك اذا لمن الظالمين على حد ما ذكر من انه من لحن لحا من وصف كان من الموصوف
به بالطف لطف ووصف رتبة لحسبها فما يرفع عنه النبي صلى الله عليه وسلم من باب اظهار رغبته

وحرصه على هداية الخلق الذي جبل على الرحمة فيه طلب المسامحة في المقام عنه نظرا منه الى حق
الله ومضمون وصية الله له حين اوصاه بغير ترجمان ولا واسطة ان يعفو عمن ظلمه ويصل من
قطعه فكان النبي صلى الله عليه وسلم بطلب وصل المنقطع عنه حتى يعلن عليه بالاكراه في تركه ووديعه
فيجيبه حكما وان كان معه علما ومنه قوله اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففي طي كل خطاب
له يظهر الله عز وجل فيه الكراهية على اخذ حكم الحق وامضا العدل اعظم مدحه له والتزام
لوصيته اياه فهو ممدوح بما هو مخاطب بخطاب الاكراه على امضا العدل والاحتقار
في امر رحمة للعالمين رفعه الله ان يكون ممن يضع رحمة في موضع استحقاق وضع النقمة فلذلك
الذي يجمع معناه بين متقابل الظلمين فمن يضع النقمة موضع الرحمة فيكون ادنى الظلم او من
يضع الرحمة في موضع النقمة فيكون منه بتغيير الوضع بوضع الفضل موضع العدل وعلى ذلك
جميع ما ورد في القران من نحو قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسل الذين يقرون
الكتاب من قبلك لقد جاءك من ربك اي في امضا العدل فلا تكونن من الممترين في طلب
الفضل لاهل العدل فان الله يمضي عدله كما يفيض فضله وكذلك قوله عبس وتولى ان جاءه
الاعمى فيه اظهار لمدحته بحرصه على تالف الابعدين ووصل القاطعين حتى ينصرف عنهم بالحكم
واشارة الاكراه عليه في ذلك فلا ينصرف عن حكم الوصية الى حكم الكتاب بالحق الا عن اشارة
باكراهه عليه فهو محمود عما هو منهي عنه لان خطابه ابدا في ذلك القران فيما بين الفضل والعدل
وخطاب سائر الخلق جار فيما بين العدل والجور فبين الخطابين ما بين درج العلو ودرك
السفل في مقتضى الخطابين المتشابهين في القول المتباينين في العلم انتهى وسيلقى في
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم في سورة التوبة ما يوضحه ولما ختم الخطاب بالاشارة بقوله
اهواءهم الى علمهم بحقيقة هذا التحويل تلويحا كما فتح بالاعلام به تصريحا كر على تاكيد الاعلام بما هم عليه
في امرهما من التحقيق اشارة الى ما يبطنونه من العناد الموجب للتمادي في الفساد فقال الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه اي التحويل المنتظر لزيادة تحققهم لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وكمال علمهم به
كما يعرفون ابناءهم لا يشكون في صحة ذلك بوجه لظهور دلايله عندهم لانهم يعرفون الرسول
صلى الله عليه وسلم بجميع نعوته معرفة لا يشكون فيها لكونها عن الله الذي لا خلق لهم في قوله
فبذلك صاروا يعرفون صحة هذا التحويل هذه المعرفة وذلك كما انهم لا يشكون في شي مما تقع
به المعرفة من ابناءهم لشدة ملابستهم لهم والحاصل ان معرفتهم بنبوته تزيدهم في المعرفة بصحة
التحويل بصيرة لانه من نعته ومعرفتهم بامر التحويل تزيدهم في صحة نبوته لكونه مما ثبت منها ولذلك
قال الحرالي في ابنايه بحصول عيان ما ذكرهم من امره لان العارف بالشي هو الذي كان له به
ادراك ظاهر بادلته ثم انكره لاشتباهه عليه ثم عرفه لتحقق ذكره لما تقدم من ظهوره لادراكه
فلذلك معنى المعرفة لتعلقها بالحس وعيان القلب اتم من العلم الماخوذ عن علم بالفكر واغلب ما يحرز ادراكا
الى لما في معناها من شرط النكرة ولذلك يقال المعرفة حد بين علم علم على لتشهد الاشيا بسوادها
وعلم دون يستدل على الاشيا باعلامها وفيه اي التشبيه بالابنا انبا باتصال معرفتهم به كتابا كتابا

الى ظهوره ولو لم يكن شاهد عليهم الا ارتحالهم من بلادهم من الشام الى محل الشدايد
من ارض الحجاز لارتقاب ذلك وانتظاره فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به واحرى المثل بذكر
الابنا لاشتداد عناية الوالد بابنه لاعتلاقه بفواده ففيه ابنا بسد اعتلاقهم
برتيل كونه وان فريقا منهم اي اهل الكتاب ليكتمون الحق اي يخفونه ولا يعلنونه ولما
كان لا يلزم من كتمه علمهم به قال وهم يعلمون اي انه حق وانهم اثمون بكتمانه فجعلهم اصنافا
صنفا عرفوه فاتبعوه وصنفا عرفوه فانكروه كما في ابها مه وفريقا علموه فكتموه وفي تخصيص
هذا الفريق بالعلم اشعار بفرقان ما بين حال من يعرف وحال من يعلم فلذلك كانوا
ثلاثة اصناف عارف ثابت وعارف منكر وهو اردوهم وعالم كاتم لاحق به وفي ختاما له
يكتمون ويعلمون اشعار بتماديهم في العلم وتماديهم في الكتمان ولان هذا المجموع يفيدهم
ان الحق للخلق بما انشا منهم من هدي وفتنة لتظهر فيهما رحمته ونقمته وهو الحق الذي هو بادي الحكم
الذي جبله محمد صلى الله عليه وسلم سقاصاه التوقف فيه لما هو عليه من طلب الرحمة ولزوم حكم الوصية
خاطبه الحق بقوله الحق اي هذا التفريق والتصنيف الموجب لعمارات درجات الجنة
وعمارات دركات النار هو الحق او يكون المعنى الذي اخبرت به في هذه السورة او الايات
او جنس الحق كاين من ربك اي المحسن اليك بطرد من يريد اتباعه كما هو محسن اليك بالاقبال
بمن ينبغي اتباعه فلا تكونن من الممترين فيما نسر بحق من اشتباه المرتبتين الواقعة منه فيما
بين الفضل والعدل والواقعة من غيره فيما بين الجور والعدل انتهى وفيه زيادة ونقص وفي
تاكيد الامر تارة بالعلم وتارة بالمعرفة وتارة بغيرهما تاكيد لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم
وازاحة لما يلقيه السفهاء العالمون بعض الشبهة قال الحرالي والممتري من الامترا وهو
تكلف المرية وهي مجادلة تستخرج السوء من خبية المجادل من امترا ما في الضرع وهو استيفاء
حلبا ولانه حال الشاك ربما اطلق عليه ولما بين ان احدا من هولا الفرق لا يتبع قبلة الاخر
ونضمن ذلك ان لكل منهم قبلة وقرر ان ذلك من اهل الكتاب على وجه العناد اثبت ما تضمنه
الكلام السابق على وجه اعم منه وسبب عنه النتيجة فقال تعالى ولكل اي لكل فريق من
المذكورين وغيرهم وجهة اي مقصد يقصده ويتوجه ويجعل وجهه اليه ويعلق قلبه عليه
من القبلة للصلاة وغيرها من جميع المقاصد هو موليها ان كسر اللام كان المعنى هو متولها
اي فاعل التولية اي مايل اليها بوجهه لان المادة تدور بكل ترتيب على الميل كما ياتي ان
شا الله تعالى في اخر الانفال فيكون ولى بمعنى تولى كقدم بمعنى تقدم ومن المعلوم الفرق
بين تولاه وتولى عنه وان فتح فالمعنى هو ممال اليها قال الحرالي وفي قراة موليها بالكسر
اشعار باختلاف جبلات اهل الملل واقامة كل طايفة منهم بما جبلت عليه وفي قراة مولاها
اظهار حقيقة ذلك وانه ليس ذلك منهم بل عما اقامهم فيه المولي لهم حيث شاوا بهم فيه المولي
لما كان في طوايف منهم حظ هوى وهو من التولية وهو ما يجعل مما يلي الجسد او القصد اي
يكون ما الا بين يديه ملاصقا له انتهى ولما كان فعلهم هذا انما هو لاجل تزكية النفس وخلاصها

وكان ذلك لا يحصل الا بفعل الخير واجتناب الشر سبب عنه قوله فاستبقوا الخيرات
اي فاجعلوها انتم مقصدكم انواع الخير من القبلة وغيرها وتسابقوا في قصدكم اليها اي
كونوا في المبادرة الى افعال الخير كمن يسابق خصما فهو يجتهد في سبقه فان الاستباق تكلف
السبق والسبق بروز احد المتجارين ثم حثهم على ذلك وحذرهم من تركه بقوله على وجه
التعليل اينما تكونوا اي من الجهات التي استبقتم اليها الحسية والمعنوية يأت بكم الله جميعا
منها اليه في يوم البعث ثم علل هذه العلة بقوله ان الله على كل شيء قدير وفي ذكر البعث هنا معادلة
بين القبلتين قبلة اهل الفضل الامة الوسطى التي جعلت محل الامن والقبلة الاولى قال
الحرالي من حيث يرد الخلق في البعث الى موطن القبلة السابقة من ارض الشام فيكون موطن
الحق والعدل اولى القبلتين بذلك لان احد القبلتين موطن امنه من حيث ان من
دخله كان امنا فكان الحشر الى قبلتهم الاولى التي هي بداية الامر ليطابق الاخر من
القبلتين الاولى من حيث كان الاخر في الدنيا للفضل والاول في الاخرة للعدل من الدعوة
من حيث كانت الدعوة الاولى في الاول حكما وعلما والاتيان الاخر في العقبى جهرا وملكا
ولما عظم في شان القبلة انتشار افواههم في تنويع سفههم وجدالهم وكانوا اهل علم
وكتاب وقد مرت وهوروهم موسومون بانهم على صواب فاشرأب لذلك النفاق ودارت
رحى الباطل والشقاق وقامت سوق الفسوق فيما هنالك على ساق كان الحال مقتضيا لمزيد
تاكيد لامرها تعظيما لشانها وتوهية لسفه السفهاء فقال تعالى ثانيا معبرا بعبارة مشعرة
بامامته صلى الله عليه وسلم وانتظار المصلين له ومن حيث خرجت اي للصلاة المفروضة
باتباعك من هذه الجهة التي انت بها الان بالمدينة الشريفة التي هي شمالي الكعبة المشرفة
او من غيرها من الجهات من الشرق والغرب والجنوب فول وجهك شطر اي عين المسجد
الحرام واما قلبك فهو الى الله ولما كان التقدير فانك مأمور بذلك لئلا يظن ان ذلك انما
عمل لتطلعه صلى الله عليه وسلم اليه وهو فيه بالحياء فيظن ان الرجوع الى القبلة الاولى
مصلحة لما انتشر في ذلك من الكلام الذي نفذ في القلوب نفوذ السهام عطف عليه قوله
وانه للحق من ربك موكدا له بانواع التاكيد مضيفا له الى صفة الاحسان باحسان التربية
والنظر في ادبار الامور واحكامها ولما كان التقدير وان ربك عالم بما قالوه من الشبه
التي دارت بين الناس وخيفت عاقبتها على ما هو اعم منه فقال وما الله بغافل عما اي عن
شيء مما يعملون اي السفهاء من اليهود وغيرهم في مستقبل الزمان فيوهنه ويبطل اذاه ويرده
ويبعده وينقصه وعلى قراءة الخطاب انتم في هذا الوقت ولا بعده فيعلمه ويثيبه وسعيه ان كان
خالصا لوجهه والا جعله هباء منثورا قال الحرالي ومن التفت بقلبه في صلاته الى غير ربه
لم تنفعه وجهة بدنه الى الكعبة لان ذلك حكم حق حقيقته توجه القلب ومن التفت ببشرته الى شيء من
الخلق في صلاته فهو مثل الذي استدبر بوجهه عن شطر قبلته فكما يتداعى القول باستدبار
وجه القلب عن الرب غيبا فلذلك اقبل هذا الخطاب على الذين امنوا والذين امنوا الا انه

هو

هو صلى الله عليه وسلم مبرأ عن مثله انتهى ومن حيث خرجت اي من بقاع الارض بامتك فول
وجهك اي اجعله يلي شطر اي عين المسجد الحرام ولما تقرر بما تكرر ان هذا التحويل فرض في
حقه صلى الله عليه وسلم حتم لا فتور عنه ولا رخصة فيه الا ما استثني من النفل ادخل معه
امته ليعمهم الحكم وربما لمنصبه المنيف وقدره الشريف عن ان يكون لاحد عليهم بما هي حجة بحق
او باطل فقال وحيثما كنتم اي ايها الامة من جميع جهات الكعبة في جميع اقطار الارض الدانية
والقاصية قال الحرالي وذكر في امته بالكون لا بالخروج اشعارا بتقاصر الامة عن علو
احوال الائمة وان حال الامة في خلوتهم كحالهم في جلوتهم انتهى فولوا وجوهكم اي اجعلوها
والية شطره للصلاة قال الحرالي وفيه اشعار بلحظ صحة صلواتهم فرادى وفي بيوتهم كما قال
اذا جئت فصل مع الناس وان كنت قد صليت في اهلك بخلاف حاله صلى الله عليه وسلم فان
صلاته لا تقع الا جماعة من حيث انه يصلي لهم وانه امام لا تقع صلاته فذا انتهى ولما كان ربما ظن
ان الرجوع الى القبلة الاولى يزيل الكلام بين سبحانه ان الامر بخلاف ذلك فقال لئلا يكون للناس
اي لاحد منهم عليكم حجة بان يقولوا النبي المبشر به يستقبل بيت ابراهيم عليه السلام ثم لا يتحول
منه وهذا لم يفعل ولما كانت الحجة كلاما ينشأ عن مقدمات يقينية مركبة تركيبا صحيحا وقع الا ستثنا
باعتبار تلبس المستثنى بجزء المعنى الذي نفي عن المستثنى منه بدلالة التضمن فهو قريب من الاستخدام
فقال الا الذين اي الناس الذين ظلموا منهم فانهم لعنادهم ولددهم لا يرجعون الى الحق الذي يعرفونه
بل يكون لهم عليكم مجرد كلام هو مادة الحجة لا حجة بما دل عليه وصفهم بالظلم الذي هو وضع الشيء
في غير محله كما هو في شان كل ماش في ماخذ الاشتقاق الذي هو الظلام ويكون الاستثنا على هذا
منقطعا بمعنى لئلا يحتج احد عليكم لكن الذين ظلموا يقولون او يظهرون نحو راولددا في ذلك كلاما
يسمونه حجة ولعل السر في تصديره على تقدير الانقطاع بصورة الاستثنا الحث على الثبات على
امر الله والاعراض عمن خالفه نظرا الى ما تاصل من ابطاله واستحضار المناظر من فاسد
احواله وان ابدا من الشبه ما يخفى امره ويصعب على بعض المحقين حله حتى يظن حجة ويجوز
ان يراد بالحجة اعم من القطعي والظني فيكون الاستثنا متصلا قال قال السكاكي ومدار
الخلاف هل الحجة الدليل الصحيح والاستثنا منقطع او الاحتجاج والخصومة فهو متصل انتهى
ووصفها بالاستعلا عليهم لما يحصل بها من الاذى بدلالة لينها على الحذاق والشقاق
لا بتغيرها في وجه شيء من الادلة ولما نهى اهل هذه القبلة بالثبات عليها كل سبيل
من قوله فلا تخشوهم اي في الامر عن اهل هذه القبلة ولا غيرهم فاني ارد عنكم كيدهم
واوهن امرهم ولما بين احكام القبلة ومضا ما يريد من ربطه وحثهم على لزوم هذه
القبلة محذرا من مخالفته في شيء من الاشيا فقال واخشوني ثم عطف على علة الاستقبال
قوله ولاتم اي بهذا الدين المفيد لعز الدارين ونعمها الذي من جملته هذا الاستقبال
نعمتي عليكم بالتمكين من الحج وغيره من امور الدين حين انزل عليكم اذا اليوم اكملت لكم دينكم
الاية كما اتممتها على ابراهيم خليلي صاحب هذا البيت الذي وجهتكم اليه قال الحرالي وطيه بشرى

بفتح مكة والاستيلا على جزيره العرب كلها وتمكنه بذلك من ساير اهل الارض لاستغراق
الاسلام لكافة العرب الذي فتح الله بجمله مشارق الارض ومغاربها التي انتهى اليها
ملك امته انتهى **ولعلكم تهتدون** اي ولتكونوا على رجا عند انفسكم ومن يراكم ممن لا يعلم العواقب
من ان تهتدوا الى الثبات على هذه القبله وغيرها من امر هذا الدين بسبب خشيتي فانها
جالبة لكل خير ودافعه لكل ضر قال الحرالي وفي كلمة لعل على ما تقدم ابهام يشعر بتصنيفهم
صنفين مهتد للثبات على السنة ومتغير فيه بوجه من وجوه بدعة لما ذكر من ان ما هو
للخلق تردد فهو من الحق تقسيم وابهام في تعيين ذلك التقسيم والتصنيف ففيه اعلام لقوم
بالاهتدا الدايم بما تفهمه صيغة الدوام واشعار بانقطاع قوم عن ذلك التمادي بما يفهمه ما
هو للخلق بموضع الترجي وفي طيه اشعار باستبدادهم بالامر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
وانقسامهم فيه بين ثابت عليه دايم الاستداد فيه او متغير عنه كما ظهر فيما كان من ثبات
من ثبت بعده ورده من ارتد انتهى **كما** اي وجهناكم الى الكعبة لهذه العلل كما **ارسلنا فيكم**
لاجل ذلك بعينه وليلا يقولوا ما كانوا يقولون من انكم لاحرمة لكم لا شرف لكم ولا اثم على من
اذاكم **رسولا** متصفا بانه **منكم** تعرفون من صفاته العلى وهممه السمر الحاملة على اتباعه
والتيمن برايه ما لا يعرفه غيركم **يتلوا عليكم اياتنا** الحافظة لمن رعاها حق رعايتها على
الصراط المستقيم عوضا عن تناشدكم الاشعار قال الحرالي وفيه اخذهم بما في طباعهم
من ايثار امر السمع على امر العين الذي عليه جبلت العرب لانها امة تؤثر مسموع المدح والثنا
من الخلق على ما تناوله من الراحة فتجهد في طلب الثنا من الخلق ما لم يجهد امر غيرها فكيف
بها اذا كان ما دعيت اليه ثنا الحق عليها وتخليد ذكرها في كلام هو كلام ربها فتنال بذلك ما هو
فوق مقصودها مما جبلت عليه من ايثار السماع على العين بخلاف ما عليه ساير الامم ثم قال
وفيه اعتنا العرب عن اعمال افكارها في تكسب العلم والحكمة لتستخرج منه احكاما فكان
في تلاوة الايات عليهم اغناوهم عن الاستدلال بالدلايل واخذ الامور بالشواهد وتولى
الله ورسوله تعليمهم ليكون شرف العلم بحسب علا من علمه تفضل علما العرب على ساير العلما
كفضل النبي صلى الله عليه وسلم على معلمهم ممن سواه صلى الله عليه وسلم ولما كان السياق لفعل من
الافعال وهو التوجه الى البيت للصلاة وكانت الصلاة اعظم مطهر للقلوب من اوضار
الادناس قدم قوله **ويزكيكم** اي يطهركم في اقوالكم وافعالكم ويشكم بانعاش قلوبكم
لتشرق بالمعاني الصالحة والاخلاق الطاهرة الموجبة للسرور الدايم والنجاة مما دنس اليهود ا[illegible]
لهم الضلال من مرض القلب بانكار النسخ وكتم الحق وافتنا الباطل المثمر مع الضلال من مرض
القلب بانكار النسخ للاضلال قال الحرالي انباهم بان هذا التنزيل لانفسهم بمنزلة الغذا
للابدان فكما تتنامى اجسامهم بما اليزن وما منه فكذلك تتنامى انفسهم باحكام الكتاب وتلاوة
الايات وذلك زكاوها ونماوها لتناله منه رغبتهم لان للمتغذي رغبة في الغذا اذا تحققه
فمن علم ان التزام الاحكام غذا النفسه حرص عليها ومتى نمت النفس وزكت قويت على ما شانها لما ان

تناله

تناله قواها كما ان البدن اذا قوي بالغذا تمكن مما شانه عمله انتهى **ويعلمكم الكتاب** المقيم
للدين والدنيا قال الحرالي اي الفقه فيه **والحكمة** اي دقايق الاشارات الشافية لامراض
القلوب المانعة من اتباع الهدى قال الحرالي فخص تعليم الحكمة من عموم تعليم الكتاب لان
التوسل بالاحكام جهد عمل والتوسل بعلم الحكمة يسر منال عقل لان الحكمة نوال الامر
الذي فيه عسر بسبب فيه يسر فينال الحكيم بحكمته لاطلاعه على افضا مجعول الاسباب
بعضها لبعض ما لا ينال باسباب عاجل الدنيا ومسببات اجل الاخرة مما لا يصل اليه جهد العامل
الكادح وفي تكملة الكتاب والحكمة بكلمة ال ايما الى انها الغاية الجامعة لكل كتاب وحكمة بما
يعلمه الاولون والاخرون ثم قال ومنه كان صلى الله عليه وسلم يتكلم في علوم الاولين بكلمات
يعجز عنها ادراك الخلق نحو قوله صلى الله عليه وسلم استاكوا لكل عود ما خلا الاس والرماس
فانهما يهيجان عرق الجذام لان الخلق لا يستطيعون حصر كليات المحسوسات غاية ادراكهم
حصر كليات المعقولات ومن استجلى احواله صلى الله عليه وسلم علم اطلاع حسه على الاطلاع احاطة
المحسوسات واحاطة حكمها والسنتها ناطقها واعجميها وجمادها جمعا لما في العادة حكمة
ولما في خرق العادة ايه ثم قال فعلى قدر ما وهب الله العبد من العقل يعلمه من الكتاب
والحكمة يوثر عن عمر رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم ابا بكر رضي الله
عنه فكانما يتكلمان بلسان العجم لا افهم مما يقولان شيا ولما كان انتهاما في الكتاب عند هذه
الغاية انبا تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم ما لم يكن في كتابهم مما لا علمه ففيه اشعار
بفتح وتجديد فطرة يرون فيها الى ما لم يكن في كتابهم علما انتهى وذلك لان استعمال الحكمة
موجب للترقي فقال تعالى **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** اي من الاستنباط من الكتاب من المعارف
بما يديكم به من الاقوال والافعال ويسلككم فيه من طرق الخير الكاشفة لظلام الظلم الجاهلية
لمرائي الافكار المنورة لبصاير الاعتبار ولما كان من المعلوم ان هذا الخير الذي لا يعتريه
دنس بصيرة ولا يقصر دونه من له ادنى همة انما كان بذكر الله للعرب تفضلا منه عليهم بعد طول
الشقا وتمادي الجهل والجهد والعنا رغبهم فيما يديم ذلك مسببا له عما تقدم فقال **فاذكروني**
اي لاجل انعامي عليكم بهذا وبغيره **اذكركم** فافتح لكم من المعارف وادفع عنكم من المخاوف ما لا يدخل تحت
حد **واشكروا لي** وحدي من غير شريك تشركونه معي اردكم واكد هذا الاشيان بقوله **ولا تكفرون**
اي استرون قال الحرالي ولما كان للعرب ولع بالذكر لابايهم ولوقايعهم ولايامهم جعل تعالى
ذكره لهم عوضا ما كانوا يذكرون كما جعل كتابه عوضا من اشعارهم وهو عذابهم لذلك بما يسرهم به من
ذكره لهم انتهى ولما ختم الايات الامرة باستقبال البيت في الصلاة بالامر بالشكر ومجانبة الكفر
وكان ذلك راس العبادة وفاعله شديد الافتقار الى المعونة التفت الى قوله تعالى في ام الكتاب
اياك نعبد واياك نستعين فامرهم بما يتضمن ذلك من الصبر والصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر
عالما بانهم سيمتثلون حيث عصى بنو اسرايل حين امرهم بمثل ذلك في اول قصصهم بقوله واقيموا
الصلاة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين الى ان قال استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على

الخاشعين فكان في ذلك اشارة الى انهم هم الخاشعون وحسن موقع هذه الاية كونها بعد: اذى
اهل الكتاب بنسبتهم لهم الى بطلان الدين بتغيير الاحكام ونحو ذلك من الكلام كما في الاية الاخرى
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وكونها عقب الامر بالذكر والشكر ايما الى ان ملاك كل منهما
الصبر والصلاة فكانه قيل لا تلتفتوا الى طعن الطاعنين في امر القبلة فيشغلكم ذلك عن
ذكري وشكري بل اصبروا وصلوا الي متوجهين الى القبلة التي امرتكم بها عالمين ان
الصبر والصلاة نعم العون في كل ما ينوب من دين ودنيا وارشق من هذا ان يقال ولما كان
من هذه الايات اعضال ما بينهم وبين السفهاء وامرهم بالدوا الانجح من الاعراض عنهم بالاقبال
في ذكره وشكره اتبع ذلك الاشارة الى ان الامر يصل الى اشد مما توهموه فقال يا ايها الذين
امنوا مخاطبا لهم في وجه يشمل الكامل صلى الله عليه وسلم ولعله صرف الخطاب عنه لما في السياق
مما يحمي عنه صلى الله عليه وسلم مقامه العالي استعينوا بالصبر اي في ما تلقون منهم وفي الاقبال على
لا كفيكم كل مهم والصلاة فانها الكبر معين لانها اجمع العبادات لمن اقبل بها في مولاه حاطه
وكفاه لاعراضه عن كل ما سواه لان ذلك شان كل كبير في من اقبل بكليته عليه ولما كانت
الصلاة لا تقوم الا بالصبر اقتصر على التعليل به فقال ان الله مع الصابرين اي ومعلوم ان من كان
الله معه كفى قال الحرالي والصبر حبس النفس عن كسلها باخذها بالنشاط فيما كلفت به
ولا يكلف الله نفسا الا ما اتاها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فمتى يسر الله عليها الجد والعزيمة
جعل لها فيما كانت تصبر عليه في الابتداء الاستحلاء فيه وخفت عنها وظيفة الصبر ومتى لم تصبر
عن كسلها وعلى جدها تدنست فنالها عقوبات يكون الصبر عليها اشد من الصبر الاول كما
ان من صبر عن حلو الطعام لم يحتج ان يصبر على مر الدوا فان تحملت الصبر في عقوبات ضياع الصبر
الاول تداركها نجاة من اشتداد العقوبة عليها وان لم تتصبر في تلك العقوبات وقعت في مهالك
شدائد العذاب فقيل لاهلها اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم ثم قال فهذا ابتدا الدين صبر وخاتمته
يسر فان من كان الله معه رفع عنه مرارة الصبر بوضع حلاوة الصحبة التي تشعر بها كلمة مع انتهى
ولما كان اشار لهم الى ما يستقبلونه من حال الطاعنين في دينهم ورقاهم في ذلك درجة بعد درجة
اتبعه ما دل على ان الامر يصل الى القتل وما دانا ه ليا خذوا لذلك اهبته ويعدوا له عدة
وقال الحرالي ولما كان الصبر انما هو حمل النفس في ما تتهدد فيه كرهها انبا هم الحق تعالى
ان الصبر لدليس على المعهود وانه يوجد فيه عند تجهمه حلاوة لذا الحياة وان كان ذلك مما لا ينال
شعور الذين امنوا لحيا ير عن ادراك المعقول فانباهم بما يحملهم في ختم الصبر في الجهاد في سبيل الله
فقال ولا تقولوا عطفا في متجاوزا مور تقتضيها بركة الجهاد انتهى اي وجاهدوهم لتقتلوهم
ويقتلوكم وتسلبوهم ويسلبوكم ولا تقولوا او يقال ولما كان الصبر واقعا في امور اشقها الجهاد
ثم الحج ثم الصوم وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد سالوا عن مات منهم في قبلة بيت المقدس
فبين مما صاروا اليه بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم تلى اثر الصبر بتبيين حال الشهيد الفوز

في الجهاد من المومنين دفعا لظن انهم اموات العاما الي ما اشار به الي صيرورة الامر الى
الحرب حيث عاب المانعين للمسجد واخبر بانه سيحصل لهم خزي في الدنيا بالقتل والاسر وعذاب
عظيم في الاخرة بالنار والسخط وايما الى انه سياذن لهم في مقارعة من امرهم بالصبر في اذاهم
من اهل الكتاب حتى يجمهم الشبق ويسكنهم الذل والخوف فالمعنى اصبروا في كل ما يقوله
اهل الكتاب وغيرهم في امر القبلة وغيره وعلى كل ما يغير به الشيطان في وجه الاعان وصلوا الى
البيت الذي وجهتكم اليه وجاهدوا وكل من خالفكم حتى يكون الدين لله صابرين على كل ما ينوب
في ذلك من القتل والنهب وغيره ولا تقولوا اذا قاتلتم الكفار المناصبين لكم من العرب وغيرهم لمن يقتل
منكم في سبيل الله بان يقاتلوا ليكون كلمة الله هي العليا لا لشي غير ذلك من دنيا او عصبية فانا سنكتب
عليكم الجهاد وتستشهد منكم شهدا انهم اموات بل قولوا انهم شهدا فانهم ليسوا باموات بل هم
احيا وسياتي في ال عمران ذكر معنى التشهد قال الحرالي فكانه تعالى ينفي عن المجاهد
منال المكروه من كل وجه حتى في ان يقال عنه انه ميت فحماه من القول الذي هو عندكم من
اشد عرض انفسهم لاعتلاق انفسهم بجميل الذكر ثم قال وابهم امرهم في هذه السورة ونفى عنهم
القول لان هذه سورة الكتاب المدعو به الخلق ووضح بتفصيله في ال عمران لانها سورة قيام
الله الذي به تجلى الحق فاظهر غيب امره في سورة اظهار امره واخفاه في سورة ظاهر دعوتهم ولما
كان الحس قاصرا عما اخبر به سبحانه قال منبها على ذلك ولكن لا تشعرون انهم احياء كما ترون النيام
هم دا لا يتحركون ولا شعور لكم بما فيهم بنظر احلامها من عز او غلا مما اعظم من ذلك في الدنيا
ولا عيش ارغد منه في الاخرة واما المقتول من اعدائكم فليس له في الدنيا الا الخزي والفضيحة
بالقهر والذل والهوان والعذاب الذي لا اخر له في الاخرة قال الحرالي قال ذلك نفيا بالجملة
لا ومثال الدوام ففيه اعلام بان الذين امنوا ليس في رتبتهم الشعور به اصلا الا ان يرقيهم
الله بامن القلوب وصفا الانفس الى ما فوق ذلك من سن المومنين الى سن المحسنين الذين يشهدون
من الغيب ما لا يشهد من في رتبة الذين امنوا انتهى وفي هذا اشارة الى ان كون الله معهم لا يمنع ان
يستشهد منهم شهدا بل ذلك من ثمرات كون الله معهم حيث يظفر من استشهد منهم بسعادة
الاخرى ومن بقي بسعادة الدارين وتلخيص ذلك ان يقال انه لما كان حاصل ما تقدم في هذه السورة
ان اهل الارض كلهم قريبهم وبعيدهم وثنيهم وكتابيهم مطبقون على عداوة اهل هذا الدين
وكان كثيرا ما يامرهم بالصبر في اذاهم اشتد تشوف النفوس الى انه هل بعد هذا الكف من فعل
فاشار الى انه سيامرهم بعد الصبر في اذى اللسان بالصبر في جلاد السيف والسنان ايراعا ما
فقال عاطفا هذا النهي في الامر بالصبر اي اصبروا الان على هذا الاذى ثم اصبروا اذا امرتكم
بالجهاد على وقع السيوف واقتحام الحتوف فقتل من يقتل منكم ولا تصفوهم بالموت ولعله ما جاهروا
تضمنته هذه الاية ترطيبا لهم على القتل في سبيله وكان استقرائهم الى الحرب قد كثر وسرهم بان القتل
ينجي وان رئي شينا سلبيه لهم عن هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم ولما كان من شان المطيعين
الذين منهم البليس وما تولد منه انه لا يخلص عن الشوائب الا بعد مماناة شديدة الاثري ان الذهب

اصفاه وهو لا يخلو عن الغش ولا يعري عما خالطه من الدنس الا بالامتحان بشديد النيران قال
معاني معلما لهم بالتربية بما يحصل بر التصفية بما يؤدي اليه مناصبة الكفار ومقارعة اهل دار البوار
ولنبلونكم عطفا على ما ارشد اليه التقدير من نحو قوله قلنا نربكم بمقارعة كل من امرنا كم من قبل بجاهلته
وليما لان عليكم اهل الارض ولنبلونكم وقال الحرالي فالصبر الاول اي في ان الله مع الصابرين عن الكسل
وعلى العمل والصبر الثاني اي في وبشر الصابرين على مصايب الدنيا فلذلك انتظم لهذه الايات اية
ولنبلونكم عطفا وتجاوز الامور يوخذ بها من لم يجاهد في سبيل الله ضعفا عن صبر النفس عن كره
القتال يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم فمن لم يحمل الصبر الاول على الجهاد اخذ
بامور هي بلا ماتي باطنه تجاوزها الخطاب فانعطف عليها ولنبلونكم بشي من الخوف وهو حذر
النفس من امور ظاهره تضرها والجوع وهو غلبة الحاجة الى الغذا على النفس حتى تترامى لاجله
فيما لا تتامل عاقبته فاذا كان بغير غلبة مع حاجة فهو الغرث فلذلك في الجوع بلا ماء والغرث عادة
جارية وقال ايضا الجوع فراغ الجسم عما به قوامه كفراغ النفس عن الامنة التي بها قوام ما فاقدها
الغوامين في ذات نفسه بالخوف وفي بدنها بالجوع لما لم تصبر على كره الجهاد وقد كان ذلك لاهل الصبر
عليهم اهون من الصبر على الخوف والجوع وانما كان اول ما يلم من هذا الابتلا الخوف حيث خافوا
الاعدا على انفسهم فجاهم الى مواطنهم من لم يمش الى طبيبه ليستريح جا الطبيب لهلاكه وشتان بين
خوف الغازي للعدو في نغقوه وبين خوف المحصر في اهله وكذلك شتان بين ارزاق المجاهد وتزوده
وخير الزاد التقوى في سبيله جهاده وبين جوع المتخلف في عيلته انتهى ولما كان الجوع قد يكون
من رياضة بين انه من حاجة بقوله ونقص وهو التقاصر عن الكفاف من الاموال اي النعم التي
كانت منها اغذيتهم قال الحرالي لان ذلك عرف استعمالهم في لفظ المال وقال ايضا والمال
ما هو للمتمول بمنزلة الجزء منه عنده لما له لذلك منه فضاعف تعالى مثال البلا في ذوات انفسهم
وابدانهم ليقطع عنهم راحة تطلع الكفاية من الاموال في مقابلة ما ينال المجاهد من الغنم
والرزق فالمجاهد امن في خمسه متزود في رحله غانم من عدوه والمتخلف خايف في اهله جايع
في جبلته ناقص المال من ذات يده انتهى ولما كان ذلك قد يكون عن افراط في الكثرة قال
والانفس قال الحرالي فيه اشعار بان من جاهد كثر عدده ونما ولده وان من تكاسل قل عدده ودرج
خلفه وفي ضمنه اشعار بنال المتكاسل خواصه من جوارف الاجال من الوبا والطاعون
وغيره انتهى وقال والثمرات تخصيصا لها بالذكر لانها اعظم اموال الانصار الذين هم اخص
الناس بهذا الذكر لا سيما في وقت نزول هذه الايات وهو اول زمان الهجرة ولما كان السياق
مرشدا الى ان التقدير فانذر من لم يصبر وبكثرة طوي اشارة الى جلال الذين امنوا عن ان يكون
فيهم من لم يصبر عطف عليه ارشادا اليه وحثا على الصبر ثم الذكر الوجيز المفرد قوله وبشر الصابرين
وقال الحرالي ولما كان هذا البلا عن تكاسل من الصبر الاول كما قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم وكان مما يتداركهم صبرهم عليه تدارك تعالى هذه الرتبة ببشرى
الصابرين من هلكة ما ينال من لم يصبر على هذه المصيبة ويجزيها ويتخابها فكان الصابر الاول الهجرة

بقوله ان الله مع الصابرين وكان للصابر الثاني البشرى بالسلامة من عقوبة الاخرة ومنالهم
لما نولهم وشتان بين من كان الله معه وبين من قبل لنبيه بشره بصبره على بلا التخلف ولما كان
للانفس مدخل في تحمل الصبر شرف وحفيظة على الاحساب والرتب الدنيوية خلص تعالى الصابر
له من الصابرين تطبعا وتحاملا فقال الذين اذا اصابتهم من الاصابة وهي وقوع المقصد على
حد ما قصد عليه من موافق لغرض النفس او مخالف لها مصيبة خصصه عرف الاستعمال بما
لا يوافق نكرها لعموض ذكره قالوا انا لله اسلاما بانفسهم لربهم وانا اليه راجعون ليكون
ذلك غاية في اسلام ثمراتهم واموالهم وما نقصوا من انفسهم فحين لم يجاهدوا في سبيل الله فاصابتهم
المصايب كان تلافيهم ان يسلموا امرهم لله ويذكروا مرجعهم اليه ويشعروا ان ما اخذ من انفسهم
وما معها وخير عنده فيكون ذلك شاهدا لايمانهم ورجاهم للقاهم فتقع مجاهدتهم لانفسهم في ذلك
موقع جهادهم في سبيل الله الذي فاتهم وجعلها تعالى جامعة مطلق لكل من اصابته مصيبة فاسترجع
جابت اجره بما اصيب وتلافاه الله بالاهتدا الى ما تقاصر عنه قبل ذلك قال اولئك خطابا
لنبيه واستحضارا لهم لمجد بعد عن قربه وعسه عن اقباله عليهم قال عليهم صلوات صلواة
الله على عباده هي اقباله عليهم بعطفه اخراجا لهم من حال ظلمه الى رفعه نور قال هو الذي
يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور فيصلوا ته عليهم اخرجهم من جهات ما وقعهم
في وجوه تلك الابتلاات فلذلك كان صلوات بالجمع ولم يكن صلاة لتعدد ما اصابهم منه عدد تلك
الابتلاث وفي قوله تعالى من ربهم اشعار بتدريجهم في ذلك بحكم تربيته وتداركه لاحوالهم ما اصابهم
قال تعالى ورحمة افراد المنالها لهم بعد متقدم الصلوات عليهم فنالتهم الرحمة جميعا حين
اخرجتهم الصلوات افراد افال تعالى واولئك اشارة للذين نالتهم الصلوات والرحمة فابقاهم
مع ذلك في محل بعد في الحضرة وغيبة في الخطاب واولئك هم المهتدون لما تلقاهم اشعارا بصلاح بواطنهم
عما جره الابتلا من انفسهم انتهى والذي يلوح لي ان اداة البعد في اولئك اشارة الى علو مقامهم
وعز مرامهم ولذا عبر عن هدايتهم بالجملة الاسمية على وجه يفهم الحصر والصلاة الانعام بما يقتضي
التشريف والرحمة الانعام بما يقتضي العطف والتحنن والله الموفق وفي ذلك اشارة الى الامر بالاعراض
عن اهل الكتاب فيما يطعنون عليهم به بالسنتهم والاملاهم الى حين الاذن في مطاعنتهم بالرماح
ومصالحتهم ببيض الصفاح كما في الاية الاخرى لتبلون في اموالكم وانفسكم الى اخرها ويمكن ان يراد
بالخوف الجهاد وبالجوع الصوم وبنقص الاموال زكوة الصامت من المال وبالانفس زكوة الحيوان
وبالثمرات زكوتها لكن الانسب لافتتاح الاية واختتامها وما تقدمها وتلاها ان يكون مقصودة
على الجهاد ولما فرغ مما اراد من احوال الطاعنين في القبلة التي هي قيام للناس وما استتبع ذلك
مما يضطر اليه في اقامة الدين من جدالهم وجلادهم وختم ذلك بالهدى شرع في ذكر ما كان نداء البيت
به فيما ما للناس من المشاعر التايقة الى كل الخير الحامية عن كل ضر التي جعلت موافقتها اعلاما
على الساعة ولا سيما والحج اخو الجهاد في المشقة والتروح عن الوطن وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم
احد الجهادين مع انه من اعظم مقاصد البيت المذكورة في هذه الايات منا قبة المتلوة ما تمن المنصوبة

بشعايره التي هي في الحقيقه دعايمه من الاعتكاف و الصلاة و الطواف المشار الي جهة واعمار
ابتوله مشابه للناس وامنا فانفتح به بعد تلك الاشارة بعض الافصاح اذ كان لم يبق نفاعه حضره
العظيم غيره وضم اليه العمرة الحج الاصغر لمشاركتها له في اظهار لخاره واعلاه منارة فقال ان
الصفا والمروة فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لان يكون قبله وعن فيهما لانهما جبلان مخصوصان
معهودان تجاه الكعبة المشرفة اسم الصفا من الصفوة وهو ما تخلص من الكدر واسم المروة
من المرو وهو ما تجده من الحجارة قاله الحرالي وخصهما هنا بالذكر اشارة الي ان بركة الاقبال
عليهما علي ما شرع الله مفيد لحياة القلوب بما انزل علي هذا الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب
والحكمة الباقيين الي اخر الدهر شفا للقلوب وزكاة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر وتعليما
بصفة العلم كما كان الاقبال علي السعي بينهما تسليما لامر الله مفيدا لحياة ابيه اسمعيل عليه السلام
ونفع من بعده بما انفع من ماء زمزم الباقي الي قيام الساعة طعام طعم وشفا سقم وفي ذلك مع تقديم
الصفا اشارة للمبصرين ارباب القلوب الي ان الصابر لله المبتلي فيما قبلها ينبغي ان يكون قبله
جامعا بين الصلابة فيكون بصلابته الحجرية مانعا من القواطع الشيطانيه وبرقته الزجاجية
جامعا اللوامع الرحمانية بعيدا عن القلب المائي بصلابته وعن الحجري بصفائه واستنارته ومن اعظم
المناسبات ايضا كون سبيل الحج اذ ذاك كان ممنوعا باهل الحرب فكانها علة لما قبلها وكانه
قيل ولنبلونكم بما ذكر لان الحج من اعظم شعاير هذا البيت الذي امرتم باستقباله وهو مما يعرض عليكم
وسبيله ممنوع بمن تعلمون فلنبلونكم بقتالهم لذلك وقتال غيرهم من اهل الكتاب
وغيرهم لاتمام النعمة بتمام الدين وظهوره علي كل دين ومن احسنها ايضا انه تعالى لما ذكر البلا بنقص
الاموال بسبب الذنوب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ابتعها الدوا الجابر لذلك النقص
دينا ودنيا فان الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الذهب والفضة رواه
الامام احمد والترمذي والنساي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي ايضا وروي ايضا عن عدة من الصحابة رضي الله
عنهم كما بينته في كتابي الاطلاع علي حجة الوداع وقال الحرالي لما تقدم ذكر جامعة من امر الحج
في قوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم من حيث ان النعمة المضافة اليه احق بنعمة الدين وفي ضمنها نعمة
الدنيا التي لم يتهيا الحج الا بهما من الفتح والنصر والاستيلا علي كافة العرب كما قال تعالى فيما انزل
يوم تمام الحج الذي هو يوم عرفة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وبذلك تم الله عليهم
من نعمة تمام معالم الدين وتاسيس الفتح بفتح ام القرى التي في فتحها فتح جميع الارض لانه قيام الناس
نظم تعالى بما تلاه من الخطاب تفصيلا من نفل سبيل امر الحج انتظم بامر اللذين امنوا من حيث
ما في سبب انزاله من التحرج الذين عملوا برفع الجناح عنهم وهم طايفة من الانصار كانوا يهلون
لمناة وكانت مناة حذو قديد فتحرجوا من التطوف بين الصفا والمروة وطايفة ايضا خافوا
ان يلحقهم في الاسلام بعملهم نحو ما كانوا يعملون في الجاهلية نقص في عمل الاسلام فاعلمهم الله ان
ذلك موضوع عنهم لتخلف نياتهم فان الاعمال بالنيات فما نوي الله كان لله ولم يسل فيه بموافقة ما

كان

كان من عادتهم في الجاهليه وفي قصه صحة السجود لله لمن زكوه علي السجود للصنم وفي طي
ذلك صحة التعبد لله بكلمة الكفر لمن اكره عليها اذن صلى الله عليه وسلم غير مرة في ان يقول فيه
قايل ما يوافق الكفار بحسن نيته للقايل في ذلك ولقضا حاجة له من حوايج دنياه عند الكفار فظهر
بذلك كونه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين يقبل الضماير ولا يبالي بالظواهر في احوال الضراير
يرفع الله عنهما الجناح بحسن نياتهم واخلاصهم لله علمهم بذلك النحو من التقاصر في هذه الرتبه
انتظم افتتاح هذا الخطاب بما قبله من احوال الذين امنوا من المسلمين بما ذكر من شعاير الله
وهي ما احب به القلوب من حقه وقال واصله ما شعرت به القلوب من امور باطنه ذلك
ومن يعظم شعاير فانها من تقوى القلوب وانما ذكرها تعالى بالشعاير وعلمها معلم من معالم
الاسلام وحرمة من حرم الله لما كان حكمها في امر القلوب التي كانت في ضمايرها تحرجهم فمن حيث
ذكرها بالشعيرة صحح الاخلاص والنية فمن حج من الحج وهو ترداد القصد الي ما يراد خيره
وشرع البيت ذكر البيت في الحج والمسجد الحرام والتوجه لانتهاء الطواف الي البيت واتساع المصلي
من حد المقام الي ما وراءه لكون الطايف منتهيا الي البيت وكون المصلي قايما بحل ادب
يوخره عن منتهي الطايف من مدانات البيت وذكره تعالى بكلمة من المطلقة المستغرقة الا
دل العقل تنكيبا بالخطاب عن خصوص المتحرجين ففي اطلاقه اشعار بان الحج لا يمنعه شي مما يعرض
في مواطنه من مكروه الدين لاشتغال الحاج بما هو فيه عما سواه حتي جري فيه اعراض الحاج عن
مناكر تلك المواطن التي يعرض فيها بحسب الازمان والاعصار ويوكد ذلك ان الحج ايما الحشر واهل
الحشر لكل امري منهم يومئذ شان يغنيه فكذلك حكم ما هو آيته وحج البيت اسا في خاتم السنة
من الشهور الذي هو شهر ذي الحجة ايرتحم العمر كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم حيث ختم الله عمره بعمل
الحج قال تعالى او اعتمر فذكر العمرة مع الحج لما كان التطوف بين الصفا والمروة من شعاير العملين فلا
جناح وهو المواخذة علي الجنوح والجنوح الميل عن جادة القصد عليه ان يطوف بهما ورفع الجناح
عن الفعل حكم يشترك فيه الواجب والجايز والفرض والمباح حتي يصح ان يقال لا جناح عليك
ان تطعم اذا رجعت وانما يشعر بالجواز والتخيير نفي الجناح عن الترك لا عن الفعل كما قال
عليه الصلاة والسلام للذين سالوه عن العزل لا جناح عليكم ان لا تفعلوا اي ان لا تنزلوا لان
الفعل كناية عن الثبوت لا عن الترك الذي هو معني العزل وهو الذي قررته عايشه رضي
الله عنها لما قال لها عروة ما اري علي احد شيا ان لا يطوف بهما فقالت لو كان كما تقول
كان فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما الحديث قلت ولعل التعبير بالنفي انما اختير ليدل علي نفي
ما يوهمه بالمطابقة ويفهم الدلالة علي الوجوب بالسنة التي بينته من قوله صلى الله عليه
وسلم اسعوا فان الله قد كتب عليكم السعي ومن فعله صلى الله عليه وسلم مع قوله خذوا عني مناسككم
ونحو ذلك قال الحرالي وما روي من قراءة من قرا ان لا يطوف بهما فليست لا نافية علي حد ما فهمت
معناه عايشه رضي الله عنها وانما هي موكدة للاثبات بمنزلة ما منعك ان لا تسجد ولئلا يعلم اهل
الكتاب لان من تمام الفهم استعماله في المتقابلين من النفي والاثبات كاستعماله في وجوه من

التقابل كما يستعمل ما في النفي والاثبات وكذلك جاءت لا في لسان العرب بمنزلتها في
الاستعمال وان كان دون ذلك في الشهرة فوارد القران معتمد باعلى رتبه لغة العرب
وافصحها لا يعيد الي تصحيح عربيته من اقتصر من النحو والادب على ما دون الغاية لعلو في
رتبة العربيه انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون انتهى والذين قروا بزيادة لا على
ابن عباس بخلاف عنه وابي ابن كعب وابن مسعود والنس ابن مالك رضي الله عنهم وسعيد بن
جبير ومحمد بن سيرين وميمون بن مهران كما نقل ذلك الامام ابو الفتح عثمان بن جني في كتابه
المحتسب في توجيه القراات الشواذ ومعنى قول عايشة رضي الله عنها لكان ان لا يطوف
او خاصة ولم ترد قراءه بالاثبات واما مع قراءة الاثبات فان المعنى يرشد الى ان قراءة
النفي مثلها لان كونها من الشعاير تقتضي التطوف بهما لا اهما لهما والله اعلم قال الحرالي
وذكره تعالى بالتطوف الذي هو تفعل اي تشبه بالطواف ومع البيت بالطواف في
قوله تعالى ان طهرا بيتي للطايفين لما كان السعي بردد ذا طول والمراد الاحاطة بهما فكان
في المعنى كالطواف لا في الصورة فجعله لذلك تطوفا اي تشبها بالطواف قال تعالى ومن تطوع
اي تكلف نفسه معاودة البر والخير من غير استدعا له خيرا فيه اعلام بتفضيله النفقة
في الحج والعمرة في الهدي ووجوه المرافق للرفقا بما يفهم لفظ الخير لان عرف استعماله في خير الرزق
والنفقه كما قال تعالى وانه لحب الخير لشديد وان ترك خيرا ولما كان رفع الجناح تركا عادلها
في الخطاب باثبات عمل خير ليقع في الخطاب اثبات يفيد عملا جزءا لم يفد الاول الا تركا فمن
تحقق بالايمان اجزل نفعا تدفي الوفادة على ربه واحتصر في اغراض نفسه ومن حرم النصف
من دنياه اقتصر في نفعاته في وفادته على ربه واجزل نفعاته في اغراض نفسه وشهوات عياله فذلك من
اعلام المومنين واعلام الجاهلين من وفد على الملك اجزل ما تقدم بين يديه وانما قدمه بالحقيقة لنفسه
لانه به فرشكر نعمة الله باظهارها حين الوفادة عليه في اية بعثه اليه ولقا يره له شكر الله له ذلك
يوم يلقاه فكانت هدايا الله له يوم لقايه اعظم من هديه اليه يوم الوفادة عليه في حجه وعمرته
فان الله شاكر وقوله عليم فيه تحذير من مداخل الريا والسمعة في اجزال النفقات لما يغلب على
النفس من التباهي في اظهار الخير انتهى ولما تقدم ان بعض اهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من
هذا الحق وختم ما اتبعه له بصفتي العلم والشكر ترغيبا وترهيبا بانه يشكر من فعل ما شرعه
له ويجلي من اخفاه وان دق فعله وبالغ في كتمانه عطف الكلام الى تبكيت المنافقين منهم ودالها
ولعنهم على كتمانهم ما يعلمون من الحق ان كانت هذه كلها في الحقيقه قصصهم والخروج الي غيرها انما هو
استطراد على الاسلوب الحكيم المبين لان هذا الكتاب هدى ولما وكان السياق مرشدا الي ان
التقدير بعد شاكر عليم ومن احدث شرا فان الله عليم قدير فوصل به اسساقا على قوله على وجه
يعمهم وغيرهم ان الذين يكتمون بيانا للجزا ايهم ما انزلنا اي بعظمتنا قال الحرالي فانتظمت هذه الاية
في ختمها لهذا الخطاب بما مضى في اوله من قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون
فكانت البداية خاصة وكان الختم عاما ليكون ما في كتاب الله امرا على نحو ما كان امر محمد صلى الله عليه وسلم

ومن تقدمه من الرسل لينطبق الامر على الخلق بدا وختما انطباقا واحدا فهم كل كاتم من الاولين
والاخرين انتهى من البينات اي التي لا يحتاج سامعها التجرد عن الهوى في فهمها الى شي معها قال
الحرالي ففي ابهامه اذن في كتم ما يخفى من العلم عن عقول لم تصل اليه انتهى والهدى اي الذي
من شانه ان يعود من اخذه الى صراط مستقيم من بعد ما بيناه للناس اي الذين هم في ادنى طبقات
المخاطبين قال الحرالي لان المسمين بالناس من اصاغر سن القلوب لما ذكر من نوسهم واكثر
ما يختص به كما تقدم الملوك ورؤسا القبايل واتباعهم الذين زين لهم حب الشهوات انتهى في الكتاب
اي الجامع لكل خير قال الحرالي في ما بينه الله في الكتاب لا يحل كتمه لما ذكر من ان الكتاب هو ما
احتوي على الاحكام والحدود بخلاف ما يختص بالفرقان او يعلوا الى رتب القران انتهى اوليك
اي البعدا البعدا يلعنهم الله اي يطردهم ويلعنهم اللاعنون اي كل من يصح منه لعن اي هم متقبون
لذلك ثم يقع لهم ذلك بالفعل عن كشف الغطا واللعن اسقاط الشي الى ادنى محاله حتى يكون في
الرتبه بمنزلة النعل من العامة قال الحرالي واحصر من ذلك واسهل تناولا ان يقال لما كان
اشق الصبر ما على فقد المحبوب من الالف والامن والسعة وكان المعلم واقعا بان عداوة الكتاب
لهم ستؤول الي ابتلايهم اتبع اية الصبر بقوله ولا تقولوا الايتين فكان من يقتل ولا تقولوا كذا فلكنى
عليكم الجهاد عموما ولنبلونكم فيه بشي من الخوف الاية لان الصفا والمروة من شعاير الله ووصولكم
اليها ممنوع بالكفار فلا بد في الفتح من قتالهم وقد جرت العادة في القتال بمثل ذلك البلا ولما
تم امر القبلة وما استتبعه وختم بشريعة الحج المكتوب على الناس عامة الامر لهم بها باني البيت ابراهيم
عليه السلام عن امر الله تعالى بقوله اذ قام على المقام يا ايها الناس كتب عليكم الحج فحجوا اذا جابر من
علم الله انه يحج ثم حجه الانبيا من بني اسرايل ابن ابراهيم عليهما السلام ثم اخفاها اهل الكتاب
فيما اخفوه من كتابهم حسد العرب وختمت اية الحج بعليم رجع الى امر الكاتمين الذين يكتمون
الحق وهم يعلمون واعظم ما كتموه امر هذا الكتاب الذي هو الهدى المفتتح به السورة ولما بين
اجرامهم استثنى منهم التايبين مبينا لشرايط التوبة الثلثة فقال الا الذين تابوا بالندم على
ارتكاب الذنب واصلحوا بالعزم على عدم العود وبينوا ما كانوا يكتمون فظهرت توبتهم بالاقلاع
فاوليك العالوا الرتبة اتوب عليهم فاحفظهم بما يشعر به مثال الفعل الدايم فيما ويعهم لابتدايه
والربط بالفا اشارة الى اسراع استنفاد توبة الله عليهم من ناله الخوف والندم رحمة منه
لهم برفعهم الي موطن الانس لان نار الخوف في الدنيا للمعترف رحمة من عذاب النار تغذية
من نار السطوة في الاخرة من لم يحترق بنار الخوف احرقته نار السطوة افاده الحرالي ولما كان
من شان الانسان معاودة الذنوب لصفة النسيان ختم الاية بما دل على ان التقدير
فاني احب التوابين فقال وانا التواب اي منه بعد مرة لمن كر على الذنب ثم راجع التوبة كرة
اثر كره الرحيم لمن فعل ما يرضيني ولما لعن الكاتمين واستثنى منهم التايبين ذكر المصرين
معبرا عن كتمانهم بالكفر لتعم العبارة كل كفر فقال ان الذين كفروا اي بهذا الكتمان وغيره
وماتوا وهم كفار قال الحرالي ففي اشعاره اشربونه الكافرين وعسر توبة المنافقين من حيث صرح

بذكر توبة الكاتم وتحاون في الذكر توبة الكافر فكان الذين كفروا ابتو بون الا الاقل والذين
يكتمون يتمادون الا الاقل فلذلك وقع الاستثنا في الكاتم والتخصيص من الكافر انتهى ثم
عبر عنهم باداة البعد اشارة الى طردهم فقال اوليك عليهم لعنة الله اي طرده وابعاده
ثم بين اللاعنين في التي قبلها فقال والملايكة والناس اجمعين اي هم اهل لذلك خالدين فيها
اي اللعنة ولما كان اللعن دالا على العذاب صرح به فقال لا يخفف عنهم العذاب لاستعلا
اللعن عليهم واحاطته بهم وقال الحرالي ذكر وصف العذاب بذكر ما لزمهم من اللعنة ليجمع لهم
بين المنافيين عقابا من الوصف وعقابا من الفعل كما يكون لمن يقابله نعيم ورضى انتهى ولا هم
ينظرون قال الحرالي من النظرة وهو التاخير المرتقب لنجاز انتهى فالمعنى انهم لا يمهلون
كما يمهلون في الدنيا بل يقع عليهم العذاب حال فراقهم للحياة ثم لا يخفف عنهم قال الحرالي ففي افهامه
اشعار بطايفة يوخر عذابهم وفي مقابلة علم الجزا باهل الدنيا الحرالي تصنيفهم باصناف في اقتراف
السوء دوامه ودوامه العذاب ومن اخره وقتا ما في دنياه اخر عنه العذاب ومن تزايد فيه
تزايد عذابه وذلك لكون الدنيا في ضمن مزرعة الاخرة وان الجزا بحسب الوصف سيجزيهم وصفهم
انه حكيم عليم انتهى ولما افاض عليهم سبحانه ما افاض من بحار الحجاج المغرقة بالامواج وقرر ما اراد
من شرايع الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وارشد هذا الى السياق المذكور فيه ثواب
المطيع وعقاب العاصي الى ان التقدير فالهكم اله واحد لا شريك له يدافعه عما يريد لا اله الا
هو المنتقم من اعدايه العظيم في كبريايه عطف عليه مكررا الزاجر لكل منافق وكافر ومذكرا بالعاطف
لكل موافق مؤالف قوله تعالى والهكم اله واحد لا ينقسم بوجه من الوجوه لا بمجانسة ولا بغيرها وهو
مع ذلك لا اله الا هو لا ينبغي بوجه ولا يمكن في عقل ان يصلح للالهية غيره اصلا لانه الرحمن اي العام الرحمة
بالنعم الزايلة لاوليايه واعدايه الرحيم اي المخصص بالنعم الباقية لاوليايه فثبت للمنفرد بالالوهية
انه جامع لجميع العظمة وبذلك مجامع الكبريا والقهر ولوصفي الرحمة انه مفيض لجلايل النعم ودقايقها
فكل ما سواه اما نعمة او منعم عليه فهو المخشي سطوته المرجو رحمته يغفر لمن تاب وامن من كفره ويخلده
في العذاب من غير ان يقدر غيره ان يعترض عليه في شي من ذلك ولا يبيعه عندي وان بعد المدى
ان تكون الواو في قوله والهكم عاطفة على قوله في اول السورة وهو بكل شي عليم قبل قوله واذ قال مطلب
ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة فان التوحيد هو المقصود بالذات وعنه تنشا جميع العبادات
فلما قال اولا يا ايها الناس اعبدوا ربكم اشعه في قوله الذي خلقكم الى اخره بوصف هو دليل
استحقاقه للعبادة فلما قام الدليل قال فلا تجعلوا لله اندادا اعلاما بانه لا شريك له في العبادة
كما انه قد تبين انه لا شريك له في الخلق ثم اتبعه بما يليق بذلك المقام مما تقدم السبه عليه ثم رجع
اليه قايلا ثانيا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الى اخرها فاعاد الدليل على وجه ابين
من الاول وابسط فلما تقرر على وجه لا مطعن فيه امر الوحدانية والاعادة كان الانسب ما اولاه
من الايات السابقة لما ذكر فيها من غير ذلك من المهمات الى ان صار الى ذكر الكاتمين والتايبين
والمصرين وذكر ما اعد لكل من الجزا فاتبع ذلك هذه الاية عاطفا لها على ما ذكرته على وجه اصرح

مما تقدم في اثبات التوحيد بيانا لما هو الحق واشارة الى انه تعالى ليس كملوك الدنيا
الذين قد يحول بينهم وبين ابايه بعض الطايعين وعقوبة بعض العاصين بعض اتباعهم فانه
واحد لا كفو له بل ولا مد الى فلا مانع لنفوذ امره ولا ما يستنكر نحو هذا العطف لانه جرت عادة
البلغا ان احدهم اذا اراد اقامة الحجة على شي لامر يرتبه عليه ان يبدا بدليل كاف ثم يتبعه
بعوت الثمرات الحسان وربما كان الدليل طويل الذيول كثير الشعب فيشرح كل ما يحتاج
اليه من ذيوله وما يستتبعه من شعبه فاذا استوفى ذلك وراى ان الخصم لم يصل الى غاية الاذعان
اعاد له الدليل على وجه اخر عاطفا له على الوجه الاول تذكيرا بما ليس يستنكر اصرا بر من
اول الحفظ الواسع والتحري في العمل على ذلك وقال الحرالي ولما كان مضمون الكتاب دعوة
الخلق الى الحق والتعريف بحق الحق على الخلق واظهار مزايا من اصطفاه الله من خلقه
اصلهم اصل الايمان من ملايكته وانبيايه ورسله ومن يلحق بهم من اهل ولايتهم واظهار
شواهد ذلك منهم واقامة الحجة بذلك على من دونهم في الزامهم اتباعهم وكان الضار للخلق
انما هو الشتات كان النافع لهم انما هو الوحدة فلما اظهر لهم تعالى مرجعهم الى وحدة
ابوة ادم عليه السلام في جميع الذرية ووحدة ابوة ابراهيم عليه السلام في جميع الاسلام
ووحدة احمد بن محمد صلى الله عليه وسلم في جميع الدين فانتفع لهم عيب الشتات والتفرق وتحقق لهم
شاهد النفع في الجمع الى وحدات كان ذلك اية على اعظم الانتفاع بالرجوع الى وحدة الالهية في
امر الحق وفي افهام ذلك وحدات ما بطن في ظاهر الوحدات الظاهرة من وحدة الروح
ووحدة النفس والعقل فقال تعالى عطفا على ما ظهر بناوه من الوحدات الظاهرة وما افاده
افهامها من الوحدات الباطنة والهكم اله واحد فاذا فحش الشتات مع وحدة الاب الوالد
فكيف به مع وحدة الاب المدين فكيف به مع وحدة النبي صلى الله عليه وسلم المكمل فكيف به مع وحدة
الاله الذي هو الرحمن الذي شمل خلقه رحمانيته الرحيم الذي اختص اولياه واصفياه عناية
تجمعهم بوحدته التي هي قايم كل وحدة دونه تجمع اسمايه لها وحدة تنتهي وحدتها الى وحدة الاله
الذي انتهى اليه الاله وهو تفيد الطاهر لا الجا المتعبد اليه في كل حاجة واقامته الظاهرة
والباطنة ولا اتم من وحدة ما لا تتصوره العقل ولا يدركه الحس في علو وحدة الغيب الذي
لا يبيد ولا يبيد ذات فيكون لها او فيها كميات ولا كيفيات ثم قال وقد صح بالتحرير ان الراحة
في محبة الواحد وان التعب في اتباع العدد ولا خلاص لكل واحد يقصد في التابع يتشاكس عليه
لتشتت حال اتباعهم فكان اعظم دعوة الى جميع الخلق دعوتهم الى جميع توحيد الالهية
انتظاما مما دعوا اليه عن الاجتماع في اسم الربوبية في قوله تعالى متقدما يا ايها الناس
اعبدوا ربكم فاعلا الخطاب من رتبة الربوبية الى رتبة هذه الدعوة بالالهية لتعلوا من
هذا الكيان الدعوة الى الله الاحد الذي احديته مركوز في كافة فطر الخلق وجبلاتهم حين
لم يقع الشرك فيه بوجه وانما وقع في رتبة الالهية فكان هذا اوسط الدعوة بالاجماع في
الوصف الالهية وفي اضافة اسم الاله اليهم اثر تنزل بعقد ان معقولهم من تعبدهم الذي هو

نالم ولما كان في الالهية دعوى كثره توهم الضلال المبين ابتع ذلك بكلمة التوحيد بناءً على اسمه المضمر في باطن ظاهر الالهية فقال تعالى لا اله الا هو ردا على اضمار ما في الاول ولم يذكر اسمه المظهر في باطن ظاهر الالهية ليكون للدعوة اليه رتبه عاليه تكون هذه مسد قلائبها ولما كان هذا التوحيد الالهي ارغب من الاله اظهر تعالى بمظهر الرحمانية المحيطة الشاملة والرحيمية الاختصاصية لما عند الخلق من شاهد ذلك فيما يجدونه من اثار الرحمانية في دنياهم وظاهرهم وما يجدونه من اثار الرحيمية في اختصاصهم بالمزية في تضاعف رحمته رحمته فكان في مجموع هذه الاية اعطية من غيب الالهية الى تمام اختصاص الرحيمية فلذلك كانت هذه الاية مع اية الاحاطة في ال عمران الجامعة لمقابلة ما في هذه الاية من خصوص الرحيمية مع خصوص مقابلها من وصف الانتقام الظاهر عن وصف العزة الذي ابداه قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام فكانت هذه الاية لذلك مع الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اسم الله الاعظم المحيط بالغيب والشهادة جمعا للرحمة والنعمة في الظاهر واحاطة عظمة في الباطن فكان هذا الحد من علو الخطاب ابتدا رفع الخلق الى التعلق باسم الله الاعظم الذي يرفعهم عن سفل تعبدهم بانفسهم المحرم اظهار المبدا العاسه بهذه الاية الخاتمه انتهى ولما كان هذا المقام لا يبح الابتمام العلم وكان القدرة نصب الادلة على ذلك في هذه الاية الثلاثة باسط مما في الاية الثانية كما كانت الثانية ابسط من الاول واجلى تبصيرا للجهل وتذكيرا للعلما فكانت هذه الاية تفصيلا لتلك الايتين التابعتين ولم تدع حاجة الى مثل هذا التفصيل في اية ال عمران لان معظم المراد بها الدلالة على شمول القدرة واما هذه فدليل على التفرد فكان لابد من ذكر ما ربما اضيف الى اسباب التقريبة تنبيها على انه لا شريك في شي من ذلك وان الكل بخلقه وان اقام لذلك اسبابا ظاهرية فقال تعالى ان في خلق السموات والارض فان خلق ما ذكر في الاية من نعمته على عباده كما ذكر في اول السورة ثم ذكرها بانشا عنها فقال واختلاف وهو افتعال من الخلق وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في امر من الامور الليل والنهار وقال الحرالي ولما كان من سنة الله ان من دعاه اليه والى رسله بشاهد خرق عادة في خلق او امر عاجل بالعقوبة في الدنيا وجد دبعده امة اخرى كما قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وكانت هذه الامة خاتمة ليس بعدها امة غيرها اعفاها ربها من احتياجها الى خرق العوايد قال عليه الصلاة والسلام ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا فكان امر الاعتبار باعم اجابة واسمح كالفة وكفاها بما قد اظهره لها في خلقه بالابدا والتسخير من الشواهد ليكونوا علما منقادين لروح العلم والسلطان القهر فيكون ذلك من مزاياهم على غيرهم ولم يجبها الى ما سالته من ذلك فلما وصل تعالى بدعوة الربوبيه ذكر الخلق والرزق وذكر الارض بانها فراش والسما بانها بنا على عادة العرب في رتبه حسن ظاهر اعلامهم في هذا الخطاب بايراد اياته وشواهده على

علو

علو رتبه معنى معقول فوق رتبة الامر المحسوس السابق فقال ان في خلق السموات والارض خطابا مع قوله من له نظر عقل يؤيد على نظر الحس باعتبار السموات أفلاكها وعددها بشواهد نجومها حتى تعرف انها سموات معدودة وذلك مما يظهر موقعه عند من له اعتبار في مخلوق السموات ولما لم يكن للارضين شواهد محسوسه بعددها كما في السموات لم يجر ذكرها في القران الا مفردة وجا ذكر السموات معددة لاهل النظر العقلي ومعدودة لاهل النظر الحسي والبين معتبر ما بين السموات والارض في مقابلة خطبها في كون السموات في حد من العلو والصفاء والنورانية والحركة والارض في مقابل ذلك من السفول والكثافة والظلمانية والسكون فيقع الاعتبار بحصول شهود التعاون من شهود التقابل وذلك مما يجهل الخلق فيعلمون انه من امر الحق لان الخلق انما يقع لهم التعاون بالمناسب لا بالمتقابل فمن الة الما مثلا تفسد عليه النار ومن الة النار يفسد عليها الما والحق تعالى اقام الخلق والموجودات والموالد احاد الجمعية قد تقرر فيها متنافران موجودا الاركان وموجود خلق السما والارض المشهود بتقابلهما فا وقع اجتماع النار بالما على تقابل ما بين الحار والبارد واجتماع الهوى بالارض على تقابل ما بين الكثيف واللطيف واجتماع الكل في شي واحد من جسم واحد وعضو واحد حتى في جز واحد من ادق اجزايه الا بامر يعجز عنه الخلق ولا يتدبره الا الحق الذي يحار فيه الخلق فهو اذن الهم الذي هو اله واحد اماره عندهم موجوده في انفسهم وشواهده مبصرة باعينهم وحقايق تلك الشواهد باديه لعقولهم فكانه تعالى افرادهم ذكره الحليم المري لا عينهم كشفا الغطا اعينهم ليتميزوا عن الذين كانت اعينهم في غطا عن ذكره ولما ذكر تعالى خلق متقابل العلو والسفل في ذكر السموات والارض نظم بها اختلاف الافقين اللذين فيهما ظهر مختلفي الليل والنهار لهم مع اعتبارهم بين اعتبار الاعلى والاسفل والمشرق والمغرب فتقع شواهد الاحاطة بهم عليهم في توحيد ربهم وارجاع ذلك اليه دون ان يعزى ذلك الى شي من دونه مما هو داخل من حصره وجود هذه الاحاطة من المحيط الاعلى والمحيط الاسفل والمحيط بالجوانب كلها من ملبس الافاق من الليل والنهار خطاب اجمال يناسب مورد السورة التي موضوعها اجمالات ما يتفسر فيها وفي ساير القران من حيث انها فسطاط ومسناحه انتهى ولما ذكر تعالى ما انشاه عن سير الكواكب في ساحة الفلك اتبعه سير الفلك في ساحة البحر فقال والفلك وهو ما عظم من السفن في مقابلة القارب وهو المستخف منها قال الحرالي استوى واحده وجمعه حركات الواحد اول في الضمير وحركات الجمع ثوان في الضمير من حيث ان الواحد اول والجمع ثان بان مكسر التي تجري بتقدير الله في البحر وقال الحرالي ولما ذكر تعالى جملة الخلق وجملة الاختلاف في الوجهين وصل بذلك احاطة البحر بالارض وتخلل البحار فيها لتوصل المنافع المحموله في الفلك فما يوصل من منافع المشرق للمغرب ومنافع المغرب للمشرق ومنافع الشمال للجنوب وبالعكس فما حملت جارية شيا ينتفع به الا قد تضمن ذكره

ببهم لجمد ما في قوله تعالى بما ينفع الناس وذكرهم باسم الناس الذي هو اول سن يقع فيه الاجتماع
و التعاون و التقصر بوجه ما ادني ذلك في منافع الدنيا الذي هو شاهد هذا القول
انتهى ولما ذكر نفع البحر بالسفن ذكر من نفعه ما هو اعم من ذلك فقال وما انزل الله من السما
اي جهتها باخذ اب السحاب له من ما فاحيا به الارض بما ينبت منها بعد موتها بعدم
ولما ذكر حياة الارض بالما اشار الى ان حياه كل ذي روح به فقال وبث من البث وهو
تفرقه احاد مستكثرة في جهات مختلفة فيها من كل دابة من الدبيب وهي الحركة بالنفس
قال الحرالي ابهم تعالى امر الخلق و الاختلاف والاجرا فلم يسنده الى اسم من اسمايه ليظهر
واسند انزال الما من السما الى اسمه العظيم الذي هو الله لموقع ظهور التقهر على الخلق
في اسنداد ارزاق الما واستحداده وقتا بعد وقت بخلاف مستمر ما الخبر من خلق السموات
والارض الدايم على حاله و اختلاف الليل والنهار المستمر على وجهه و احيال اجرا الفلك
الماضي على حكم عادته فاظهر اسمه فيما يشهد عليهم به ضر ورتهم اليه في كل حول ليوجهوا في الجنان
الى علو المحل الذي هو منه ينزل الما فيتعلم بذلك من عباده في الارض الى عبادة من في
السما امنتم من في السما ان يخسف بكم الارض وقال عليه الصلاة والسلام للامرا بن
الله قالت في السما قال اعتقها فانها مومنة فاذن ادني الايمان التوجه الى عبادة
من في السما ترقيا الى علو المستوي على العرش الى غيب الموجود في اسرار القلوب
فكان في هذه التوطية توجيه الخلق الى الاله الذي ينزل الما من السما وهو الله الذي
لم يشرك به احد سواه ليكون ذلك توطية لتوحيد الالهة ولذلك ذكر تعالى اية الالهية
التي هي الاحيا والحياة كل خروج عن الجماد بتزمن حيث ان معنى الحياة في الحقيقة انما هي
تكامل في الناقص فالمهتز حي بما لا ضافته الى الجماد ترقيا الى ما فوق ذلك من رتب الحياة
من نحو حياة الحيوان و ذو لعف الارض فلذلك ذكر تعالى الاحياس بالمعنى واظهر الاسم
بمعنى الارض لظهوره في الحيوان فاظهر حيث خفي عن الخلق ولم يذكره حيث هو ظاهر للخلق
فنبههم على الاعتبار من انزال الما الذي لهم منه شراب ومنه شجر وبه حياة الحيوان ومنه
مرعاهم ولما ذكر تعالى بث ما هو السبب للنبات المسبب عن الما ذكر بث ما هو سبب
للسحاب السبب للمطر السبب للحياه فقال وتصريف الرياح اي تارة صبا و اخرى دبورا
ومرة شمالا وكرة جنوبا و التصريف اجرا المصرف بمقتضى الحكم عليه والريح متحرك الهوا في
الانبطا و والسحاب وهو المتراكم في جهة العلو من جوهر ما بين الما والهوا المسخر اي الآتي من
التسخير وهو اجرا الشي على مقتضى عرض ما سخر له بين السما والارض لا يهوي الى جهة السفل
مع نقله بحمله بحار الما كانه يوي بقيه الاجرام العالية حيث لم يكن لها ممسك محسوس لايات
وقال الحرالي لما ذكر تعالى الاعلى والاسفل ومطلع الليل والنهار من الجانبين وانزال
الما هو ذكر ما بملا ما بين ذلك من الرياح والسحب الذي هو ما بين حركة هوا اسد الى
استثاره ما سد الى ما يلزم ذلك من بوادي تراه من نحو صواعقه وحملة احد اثره فكان في هذا

الخطاب اكتفا باصول من مبادي الاعتبار فذكر السما والارض والافاق وما بينهما من
الرياح والسحب والما المنزل الذي جعله قوام الخلق في عاجل دنياهم ليجعل لهم ذلك اية
على علو امر وراه ويكون كل وجه منه اية على امر من امر الله فيكون ايات لتكون
السما اية على علو امر الله فيكون اعلى من الاعلى وتكون الارض اية على باطن امر الله
فيكون ابطن من الابطن ويكون اختلاف الليل والنهار اية على نور بدو وظلمة غيبة
مما ورا امر الليل والنهار ويكون ما انزل من الما لاحيا الارض وخلق الحيوان اية
ما ينزل من نور علمه على القلوب فتحيا به حياة تكون حياة الظاهر اية عليه ويكون تصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض ايات على تصريف ما بين ارض العبد الذي
هو ظاهره وسمايه باطنه الذي هو باطنه وتسخير بعضه لبعض ليكون ذلك اية على
علو الله على سمايه العلى في الحس وعلى سما القلوب العلية في الوجدان فالجملة ذلك جعل تعالى صنوف
هذه الاعتبارات ايات لقوم وهم الذين يقومون في الامر حق القيام ففيه اشعار بان
ذلك لا ينال من هو في سن الناس حتى نما في طبعه و فضيله عقله الى ان تكون من قوم
يقومون في الاعتبار قيام المنتهضين في امور الدنيا لان العرب عرف استعمالها
في القوم انما هو لاجل النجدة والقوة حتى يقولون قوم او نسا تقابلا بين المعنيين وذكر تعالى
العقل الذي هو نور من نور هدى لمن اقامه من حد تردد دهما الناس الى الاستضاة
بنوره في قراة حروف كتاب الحكيم التي كتبها بيده واعن الاميين بقراة ما كتب لهم عن قراة
كتاب ما كتبه الخلق انتهى فقال يعقلون اي فيعملون ان مصرف هذه الامور على هذه
الكيفيات المختلفة والوجود المحكمة فاعل مختار هو قادر بما يشاهد من احيا الارض وغيرها
مما هو اكثر منه على بعث الموتي وغيره مما يريده وقد اشتملت هذه الاية على جميع ما نقل
البيهقي في كتاب الاسما والصفات عن الحليمي انه مما يجب اعتقاده في الله سبحانه وتعالى
وهو خمسة اشيا الاول اثباته سبحانه ليقع به مفارقة التعطيل والثاني وحدانيته ليقع
به البراة من الشرك وهذان من قوله والهكم اله واحد والثالث اثبات انه ليس بجوهر
ولا عرض ليقع به البراة من التشبيه وهذا من قوله لا اله الا هو لان من لا يسد غيره مسد
لا شبيه له والرابع اثبات ان وجود كل ما سواه كان بابداعه له واختراعه اياه ليقع به
البراة من قول من يقول بالعلة والمعلول وهذا من قوله الرحمن الرحيم ان في خلق السموات
والارض والخامس انه مدبر ما ابدع ومصرفه على ما يشا ليقع به البراة من قول القايلين بالطبايع
او تدبير الكواكب او تدبير الملايكة وهذا من قوله وما انزل الله من السما من ما الى اخرها
قال البيهقي ثم ان اسما الله تعالى جده التي ورد بها الكتاب والسنة واجمع العلما على تسمية
بها منقسمة بين العقايد الخمس فيلتحق بكل واحده منهن بعضها وتكون منها ما يلتحق بمعنيين
ويدخل في بابين او اكثر انتهى ولما نهضت الادلة وسطعت البراهين وراحت العلل والشكوك
عاب من عبد سواه وفرع الى غيره مشيرا بالجمع التي قبلها بيعقلون الى ان هولا ناس ضلت عقولهم

وقالت اراوهم وبين انهم يتبرا بعضهم من بعض يوم ينكسف حجاب الغفلة عن سرادق العظمة
ويتجلي الجبار في صفة القهر فقال تعالى عاطفا على ما قدرته مما ارشد اليه المعنى ومن اي يكون
التقدير فمن الناس من عقل تلك الايات فامن بربه وفني في حبه ومن الناس من يتخذ وهم من لا يعقل
من دون الله مع وضوح هذه الادلة اندادا مما خلقه ادعوا انهم شركاوه يحبونهم من الحب وهو احساس
بوصلة لا يدري كنهها كحب الله اي يفعلون معهم من الطاعة والتعظيم فعل المحب والذين امنوا
اشد حبا لله لانهم لا يعدلون معهم من الطاعة به شيا في حالة من الحالات من ضراء وسراء في الحر
وقال الحرالي ولما استحق العزم القايمون في امر الله هذا الاعتبار بما اتاهم الله من العقل لم يكن
من اتخذ من دون الله اندادا مما يتاول فيهم قوم بل يقصرون الي اسم الناس الذي هو تردد
وتلدد فكانه تعالى يحجب من لم يلحق بحوزة القوم في هذا الاعتبار الظاهر شواهده البينة
اماره فانبا ان طايفة من الناس على المقابلة من ذلك الاعتبار الظاهر لنور العقل في اخذهم
لمقابل العقل من الخرق الذي تقدم في موضع الاحجام وتحجم في موضع الاقدام ثم غلب ذلك
عليهم حتى وصل الي بواطنهم فصار حبا كانه وصله الى بين بواطنهم وقلوبهم وما اتخذوه
من دون الله اندادا ففيه اشعار بنحو مما افصح به لبني اسرايل في كون قلوبهم كالحجارة او اشد
قسوة ففي كرم هذا الخطاب في خطاب العرب ستر عليهم رعاية لسبهم في ان يصرح عليهم بما صرح
على بني اسرايل ففي لحنه اشعار بان من اتخذ ندا من دون الله فلكلك لوصله بين حاله قلبه
وحاله ما اتخذ من دون الله فمن عبد حجرا فقلبه في القلوب حجر ومن عبد سايا فقلبه في القلوب
سايا وكذا من عبد دابة واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم كذلك الي ما يبتغي معبودا من
دون الله مما بين اعلى النيرين الذي هو الشمس الي ادنى الاوثان الى ما يبتغي في الخلق من
عبادة بعضهم بعضا من نحو عبادة الفراعنه والنمارده الى ما يلحق بذلك من نحو رتبة
العبادة باتباع الهوى الشايع موقعه في الامم وفي هذه الامة لان من غلب عليه هوى
شي فقد عبده فكان عابد الشمس قلبه سعير وعابد النار قلبه نار وعابد القمر قلبه زمهرير
ومن عبد مثله من الخلق فقد عبد هواه ارايت من اتخذ الهه هواه فمن عبد الله فهو الذي
علي عن سواه من المخلوقات فعاد له سبحانه خطاب الاولين المعتبرين العقلا لهذا الذي
الذي انتهى امرهم في الكفر الى الحب من حيث اعتلقت بواطنهم بهم فيما شانه ان يختص بالله
من الخوف والرجا والنصرة على الاعدا والاعانة للاوليا فلما توهموا فيهم مرجي الالهية ومخافته
احبوهم لذلك كحب الله لان المتعبد موتمر ومبادر فالمبادر قبل الامر محب والمحب للامر مطيع
فالمحب اعلى الطرفين انتهى ولما عجب من حالهم حذر من سوء منقلبهم وما لهم فقال ولو يرى
الذين ظلموا اي ولو تراهم اي المتخذين للانداد ولكنه اظهر لاجل التعميم الوصف الذي استحقوا
به ما يذكر وهو وصفهم الشي في غير محله كفعل من يمشي في ماخذ الاشتقاق وهو الظلمة وذلك
هنا تسويتهم من يملك شيا اصلا بمن يملك كل شي اذ يرون العذاب اي يتخذون اندادا والحال
انهم لو يعلمون ان القوة لله جميعا حين يشاهدون العذاب قد احاط بهم وان الله شديد العذاب

لم يتخذوا اندادا اولم يعدلوا بالله احدا او يكون التقدير ولو ترى بالتا واليا اي لو ابصرت
او ابصر الذين ظلموا انفسهم باتخاذهم الانداد وقال الحرالي قال تعالى ولو ترى الذين ظلموا
عطفا على متجاوز امور من امور جزايهم مما نالهم من عقوبات اثر كفرهم في الدنيا قال عليه الصلاة
والسلام اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سودا الي متمادي غاية تدويتهم العذاب
وفي قوله ترى بما لما اقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم تعجيب له بما نالهم مما اصابوه وفيه
اشعار بان ذلك من يعلو امره الى محل روية التي هي اتم الروية وفي قوله يرى بالبا
حسرعليهم يشعر بان منالهم من روية العذاب مما كان يحجبهم عما هم عليه لو راوه انتهى اذ يرون
اي الوقت الذي يبصرون فيه العذاب مما كان يحجبهم عما هم عليه لكن الاكبر الذي لا عذاب
مثله كانه عرفه تعريفه بالدوام ...ه بقوله ان القوة وهي منه الباطن الذي تجدها
المقتدر منشا لما يبديه ظاهره وما يبديه ظاهر قدرة القوة جمعها واصلها والقدرة
ظاهرها وتفصيل انشا به لله جميعا فانه لا شي اشق على الانسان من ان يرى حميما ندا
لامر يستند ابا العز في كل معنى لا سيما اذا كان جبارا متكبرا شديد البطش بمن عصاه كما يشير
اليه قوله وان الله شديد العذاب ولا سيما اذا كان العاصي له قد اسا اليه بالاساءة
الى اوليايه وبالغ حتى لم يدع للصلح موضعا وقال الحرالي موقع الروية في الحقيقة هو ان
القوة لله جميعا سلبا عن جميع اندادهم الذين اخبرهم وعن انفسهم كما قال قايلهم نحن اولوا
قوة واولو باس شديد لكن لما كان رويتهم لذلك عن روية مشهود العذاب الذي هو اتم
العذاب ذكر العذاب الذي هو ظاهر مراى ان القوة لله جميعا وفي ان القوة اعلام باطلاعهم
يوم هذه الروية على بواطن اندادهم وسلبها ما شان البواطن ان تتجلى به من القوة من حيث
وصفهم بالحب الباطن اطلعهم على سلب قواهم الباطنة بالروية التي هي باطن البصر الذي هو
باطن الناظر ولما ذكر امر القوة عطف عليه ما هو امر القدرة فقال وان الله شديد العذاب
الكالا للخطاب بظاهره واستانف معه الاسم العظيم لاظهار ما بين غايتي الباطن والظاهر
في امر القوة والقدرة ليكون مع المنطق الظاهر بالقدرة اسم اظهر واستانفه وقدم ذكره كما كان
مع المرايي الباطن بالقوة اسما اضاف اليه واضمر له ليتبع ما ولي اول الخطاب مقابل ما ختم به
الخطاب فينعطف اوله على اخره واخره على اوله باطنا لظاهر وظاهرا لباطن في المتعاطفين
جميعا في قوله ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب او يقال اذ يرون العذاب الذي
يتوعدون به الان لان القوة لله جميعا فلا مانع له من اصابتهم به كما تبين في الايتين قبلها انه
لا كفو له وانه كامل القدرة شامل العلم والجواب محذوف لتهويله لذهاب وهم المتوعد
الي كل ضرب من انواع التوعد ولو ذكر ضرب منه لامكن ان يوطن نفسه عليه فالتقدير
لو رايت او راوا ذلك الوقت الذي يشاهدون فيه تلك العظمة لرايت اولرأوا امرا فظيعا هايلا
شاغلا لهم عن اتخاذ الانداد ومحبتها وغير ذلك من الظلم ثم ابدل من اذ يرون قوله
اذ تبرا وهو من التبري والذي هو طلب البراة وهي اظهار التخلص من وصلة او اشتباك الذين

مطلب

اتبعوا وهم الرؤساء من الذين اتبعوا مع نفعهم لهم في الدنيا بالاتباع لهم والذب عنهم وقال الحرالي
قال ذلك اظهارا للافصاح بما افهمه مضمون الخطاب الاول لتستوي الايات بعضها ببعض فتظهر الاية
ما في ضمن سابقتها وتجمع الاية ما في تفصيل لاحقتها واعلا للخطاب بما في المعقول علما المتقدم الى
ما في الايمان بنا وهو ليتم نور العقل الذي وقع به الاعتبار بنور الايمان الذي يقع به القبول
لما في الاخرة عيانا بعد عقل عبرة الكون الظاهر استحق اسماع نبا الغيب الاتي ثم قال
تبرؤ المتبوع في الذكر لانه الاخر في الكون فكانه في المعنى انما تعلق التابع بالمتبوع ليبعده
في الاخرة كما كان عهد منه ان يبعده في الدنيا فتبرا منه لما ذكر تعالى من ان القوة لله جميعا
ولذلك اتصل ذكر التبرا بذكر قبض القوة القدرة عنهم انتهى قال تعالى ورأوا اي الكل العذاب
اي الذي لا محيص لهم عنه وقال الحرالي قاله ردا للاضمار على الجميع وفيه اشعار بان تبرؤهم قبل
حلول العذاب عليهم وفي حالة الرؤية ففيه انبا بان بين رؤيتهم العذاب وبين اخذهم به مهل
يقع فيه خصومتهم وتبرؤهم وادراكهم الحق الذي متغيبا عنهم في الدنيا بما فتن بعضهم بعضا انتهى
وتقطعت اي تكلفت وتعمدت التقطع وهو بين المتصل اشار اليه الحرالي ومعناه انقطع بقوة
عظيمة ويجوز ان يكون صيغة التفعل اشارة الى تكرر القطع في مهلة بان يظهر لهم انقطاع الاسباب
شيا فشيا زيادة في ايهانهم وايلامهم وهوانهم بهم اي كلهم الاسباب اي كلها وهي الوصل التي
كانت بينهم في الدنيا والسبب ما يتوسل به الى حصول مقصد قال الحرالي وفيه اشعار
بخلو بواطنهم من التقوى ومن استنادهم الى الله في دنياهم وانهم لم يكونوا عقلوا الا
تسبب بعضهم ببعض فتقطعت بهم الاسباب ولم يكن لهم لان ما وقع بهم في انفسهم لا واقع
لهم في غيرهم فكانهم كانوا نظام اسباب تقطعت بهم فاسروا امرها واسبابهم وصل ما بينهم
في الدنيا التي لم تثبت في الاخرة لانها من الوصل الفانية لا من الوصل الباقية لان متقاضي
ما في الدنيا ما كان منه بحق فهو من الباقيات الصالحات وما كان منه عن هوى فهو من الفاني
الفاسد انتهى وقال الذين اتبعوا وهم الاذناب متمنين للمحال لندمهم على اتباع من لا ينفع حين
لا ينفع الندم لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقال الحرالي هي رجعة وعودة عند غاية
قوة انتهى فنتبرأ منهم اي الرؤساء هناك ونذلهم كما تبرؤوا منا واذلونا هنا وقال الحرالي فيه
انبا عن تاسفهم على اتباع من دون ربهم ممن اتبعوا واجرلنا سفهم على وجه متوهم غير محقق على
حد ما كان تمسكهم بهم متوهم انتفاع غير محقق ففيه اثبات لحالهم في الاخرة على ما كان حالهم
في الدنيا من الاخذ بالموهوم والغيبة عن المعلوم انتهى ولما كانت هذه الاشيا بعضها ثمرة اعمالهم
بعضها حكاية اعمالهم قال تعالى على طريق الاستيناف كذلك اي الامر الفظيع المهول يريهم الله اعمالهم
الخبيثة وغيرها حسرات اي تلهفات على ما فات اطلاقا للمسبب على السبب عليهم وقال الحرالي
لما كانت عقايدهم فيهم حسرات اراهم اعمالهم التي عملوها لابتغا الخير في الدنيا حسرات وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا كما كان عمل من قلبه مجبول مثاله لما دون الله وفيه اشعار
بان عمل لكل عامل مردود الى ما اطمان به قلبه وسكنت اليه نفسه وتعلق به خوفه ورجاؤه

لمن

لمن غلب على سره شيء فهو ربه الذي يصرف عمله اليه فلا يجد عنده جزا لتبروه منه
فيصير حسرة عليه فانبا تعالى بانهم لا يبصرون وهم في الاخرة ولا يجزونهم على اعمالهم فلم ينفعهم
تالههم اياهم والمتبوع منهم مثاله لنفسه فلم يجد عنده ما جزا عمله فيتحسر كل منهم على من عمل الخير
لا حاطه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لين اشركت ليحبطن عملك والحسرة اشد
الاسف على الغايب الذي يحس المتلهف اي ينقطع عما تحسر عليه انتهى ويدخلون باعمالهم النار
وما هم بخارجين من النار يوما من الايام ولا ساعة من الساعات بل هم خالدون فيها على طول
الاباد ومر الاحقاب قال الحرالي وفيه اشعار بقصدهم الفرار منها والخروج كما قال تعالى
كلما ارادوا ان يخرجوا فانبا تعالى ان وجهتهم للخروج لا ينفعهم فلم تبق لهم منه نهضتهم منها حتى
ينتظم قطع رجايهم من عند انفسهم بقطع رجايهم ممن اعتلوا به من شركايهم ولم يكن د ماهم منها
بخارجين كما قال في اهل الجنة الاشعار بان الياس والانقطاع واقع منهم على انفسهم فلما كان
بوادي اعمالهم في الدنيا من انفسهم عندهم جرى نبا جزايها على حد ذلك في المعنى وكما كان اعمال
اهل الجنة عندهم من توفيق ربهم جرى ذكر جزايهم على حد ذلك من المعنى بحسب ما يقتضيه اختلاف
الصيغتين انتهى ولعل الاية ناظرة الى قوله اول السورة ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين يعني كما ان اهل الكتاب منافقين ومصارحين فكذلك في العرب فصار
قوله فيما العرب مكتنفين لقسمي اهل الكتاب اشارة الى انهم المقصودون بالذات وانه سيؤمن
اكثرهم ويغلبون اهل الكتاب ويقتلونهم قتل الكلاب ولما عجب سبحانه من الضالين وبين
مالهم ما يزجر مثله من له ادنى عقل فكانوا بذلك في عداد المقبل بعد الادبار والمدعن
بعد الاستكبار اقبل على الكل كما فعل في اية التوحيد الاولى فقال تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم اقبال متلطف بعموم الاذن في تناول ما ابدعه لهم ورحمتهم به في هذا المكتوب
المذكور في ضمن ما نصب من الادلة تذكيرا لهم بالنعمة وهو تودد اليهم بتحبيب ما يوجب المحبة واشارة
الى انه هو الذي خلقهم ما تولوا به الى غيره مما ادعوه ندا من البحيرة والسايبة والوصيلة وما
شاكلها فقال يا ايها الناس وان احصرت فعل لما اقام سبحانه الدليل على الوحدانية باخلق
من المنافع وصنف الناس صنفين ضال معطوف وان يعطفه على غير مذكور على مهتد معطوف
عليه وختم بما اعد من عذاب الضال اقبل على الصنفين اقبال متلطف مترفق مستعطف
مناديا لهم الى تابيد نعمهم قايلا يا ايها الناس اي كافة وقال الحرالي لما استوفى تعالى
ذكر امر الدين الى انهاه من رتبة دين الاسلام الذي رضيه وكان الدين هو غذا القلوب
وزكاة الانفس نظم به ذكر غذا الابدان من الاقوات ليتم بذكر النما من نما الذوات
ظاهرها البدني وباطنها الديني لما بين تصدي الابدان وقوام الاديان من التعاون في جميع
امري صلاح العمل ظاهرا وقبوله باطنا قال عليه السلام لا يقبل الله عملا الا بالورع الشافي
وكما قيل ملاك الدين الورع وهلاكه المشوف ونقضه الشرف فكما انتظم الكتاب قصر الخلق على
افضل متصرفاتهم في التدين اتصل به قصرهم على افضل ما كلهم في التقوت ولما ذكر الدين في رتبتي

الصنفين من الناس والذين امنوا انتظم بر ذكر الماكل في صنفيهما فقال يا ايها الناس
فانتظم بخطاب قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما بين العبادة والماكل من الالتزام انتهى
ولما كانت رتبة الناس من ادنى المراتب في خطابهم اطلق لهم الاذن تلطفا بهم ولم يخاطبهم بالتقييد
فقال كلوا مما في الارض اي مما انبتنا لكم انه من اد لة الوحدانية ولما كان في هذا الاذن تنبيه
على ان الحل له والانتفاع به يتوقف على اذن منه دلهم على ان فيه ما اباحه وفيه ما حظره حلالا قال
الحرالي وهو ما انتفى عنه حكم التحريم فينتظم بذلك ما يكره وما لا يكره والتحريم المنع مما يلحق
الاكل منه ضرر في جسمه كالميتة او في نفسه كلحم الخنزير او دين على قلبه كما اهل لغير الله به ثم
اشار الى ان ما حرم حسب بقوله طيبا قال الحرالي الحلال مطلوب ليكتسب لا ليأكل حتى يطيب
والطيب ما لا منازع فيه انتهى ولما كان هذا الصنف ادنى المتوسمين قرن سبحانه باطعامهم مما
في الارض لكونهم ارضيين نهيهم عن اتباع العدو المنهي امره على المنافرة فقال ولا تتبعوا
واشار بصيغة الافتعال الى انهماك هذا الصنف على اللحاق به وانهم عنه وانهم غير واصلين
ما داموا في هذا الخبر الى تمام منابذته وانما عليهم الجهد لان مخالفته لا يكون الا بجهاد لا
كبير لا يقدرون عليها ما داموا في هذه الرتبة خطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي
الشيطان في اتخاذ الانداد وتحريم الحلال وتحليل الحرام فان ذلك كله من امره كما ياتي في قوله
ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام الاية وهو من شطن اذا بعد فهو بعد هم كما قال الحرالي
عن وطن ما هم عليه من الايتمار في ما كلهم الى التناول بشهواتهم ليشتد رجعهم بذلك من خطوة
الاكل بالشهوة الى الاكل بالهوى فيتدانى منها الى المحرمات ثم علل ذلك بقوله انه لكم
عدو مبين اي فلا تتبعوا العدو في مناهج العدو الولي ثم علل اباتعد اوته بقوله انما يامركم لينتفي
عنه الامر بشي فيه ويشدد في قوله يامركم قال الحرالي انبا بما مكنه الله حتى صار امرا بالسوء
وهو خبائث الانفس الباطنة التي يورث فعلها مساء والفحشاء قال الحرالي وسمي ما يكرهه الطبع
من رذايل الاعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع فيتفق في حكمه ايات الله الثلاث
من الشرع والعقل والطبع فلذلك يتفحش العقل وان تقولوا على الله الحاير اقصى مراتب العطب
ما لا تعلمون مما يستقبحون قوله في اقل الموجودات ولقد ابلغ سبحانه في هذه الاية في حسن الدعا
لعبادة اليه لطفا منه بهم ورحمة لهم بتذكيرهم في سياق الاستدلال على وحدانيته بما انعم
عليهم لهم اولا وبجعله لهم ملايما ثانيا واباحته لهم ثالثا وتحذيره لهم من العدو رابعا الى غير ذلك
من دقايق الالطاف وحلايل المنن في سياق مشير الى جميع اصناف الحلال وسبب تحليله قال
الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة في حرف الحلال وجه انزال هذا الحرف توسيع الاستمتاع
بما خلق الله في الارض من نعمه وخير الموافقة لطباعهم وامزجتهم وقبول نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع
من طعام وشراب ولباس ومركب وماوى وساير ما ينتفع به مما اخرجه الله ومما سخر في الارض
ومما عملت ايديهم في ذلك من صيغة وتركيب ومزج ليشهدوا ربوبية لبس الخلق الجديد في كل خلق على
حسب ما منه نظر خلقه ولما كان الانسان مخلوقا من صفاوة كل شي توسع له بجهات الانتفاع بكل شي

الا ما استثني منه بحرف الحرام ووجهه كما استثنى لادم اكل الشجرة من متسع رغد الجنة فكان
له المتاع بجميعه الا ما اضر بدنه او خبث نفسه او ران على علم قلبه وذلك بان يسوغ له طبعا ويحسن
معه في اخلاق نفسه ويشتد قلبه لمنفعه الذي يشهد منه بدايا تم ومكملاته بحرسه ثم كمل القران
ذلك باخلاصه للمنعم من غير اثر لما سواه فيه وجامع منزله بحسب ترتيب القران قوله تعالى هو
الذي انزل لكم من السما ما لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الاية وساير الايات الواردة
في سورة النحل وسورة يس اذ هي القلب الذي منه مداد القران كله في قوله تعالى واية لهم الارض
الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون الايات الى ساير ما في القران من نحوه ومن
متسع خلال هذا الحرف وقعت الفتنة على الخلق بما زين لهم منه زين للناس حب الشهوات
من النسا والبنين الاية ووجه فتنته ان على قدر التبسط فيه تحريم من طيب الاخرة اذهبتم طيباتكم
في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها انما يلبس هذا من لا خلاق له في الاخرة فاستمتعوا بخلاقهم ومن
ديرس هذا الحبر نشا زهد الزاهدين ومن تدبر حسن التحري وبحثه وتضاعفه الى ما لا يدرك
مداه ونعيمه في سعة خلاق الدنيا بخلاق الاخرة شادروا المتورعين فاستراحت قلوبهم بالزهد
واتلعوا بالورع عن الكد وتورعت قلوبهم واعمالهم لبذل الجد في سبيل الخير وتمييز الشقي من السعيد
بالرغبة فيه او عنه فمن رغب في الحلال شقي ومن رغب عنه سعد وهو الحرف الذي يقبض بسطه حرف
النهي حتى لم يبق لابن ادم حظ فيما زاد على حل الطعام وهي كسرة وثوب يستره وبيت يكنه وما زاد عليه
فخران انفقه ربحه وعدم عليه وان ادخره خسره وندم عليه ولذلك لم ياذن الله لاحد في اكله حتى نعت
بالطيب للناس الذين هم ادنى المخاطبين بانسلاخ اكثرهم من العقل والشكر والايمان يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا ونحا اسمه عن الذين امنوا وهم الذين لا يتقنون ولايدومون على
خير احوالهم بل يخلطون وذلك في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
وهو ما طيبه حرف النهي علما وورعا من حواز القلوب طمانينة وعلما وانهى صفوة المرسلين فقال
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وردوا ابا لسو الهم في قوله تعالى يسالونك ماذا احل لهم قل احل
لكم الطيبات فمن اثر خوف النهي على خوف الحلال فقد ترك واتبع الاحسن وصح هداه وصفا لبه
ومن اثر حرف الحلال على حرف النهي فقد تدني وحرم هدى الكتاب وعلم الحكمة ومزيد التابيد
بما فاته من التزكية وتورطه فيه من التدسيه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم قال بما به
تحصل قراته اعلم ان الانسان لما كان جامعا كان بكل شي منتفعا اما في حال السعة فمع استثناء
اشيا يسيرة مما يضره من جهة نفسه او غيره او ربه على ما ذكر في الفصل الاول اي حرف الحرام هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فلا احد فيما او حي الي محرما الاية واما في حال الضرورة فبغير استثنا
البتة فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور
رحيم والذي به تحصل قراءة هذا الحرف امام جهة القلب فمعرفة حكمة الله في المتناول من مخلوقاته
ومعرفة احصر منافعها مما خلقه ليكون غذا في سعة او ضرورة وادا ما او فاكهة او دوا كذلك ومعرفة
موازنة ما بين الانتفاع بالشي ومضرته واستعماله على حكم الاغلب من منفعته او اجتنابه على حكم الاغلب

من مضرته كل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما وذلك مدرك عن الله سبحانه باعتبار
العقل وادراك الحس في مخلوقاته كما ادركه الحنيفيون كان الصديق رضي الله عنه قد حرم الخمر على نفسه
في الجاهلية وكان اذا اخذ عليه في ذلك يقول والله لو اصبت شيا اشتريته بمال كله يزيد
في عقلي لفعلت فكيف اشتري بمالي شيا ينقص من عقلي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا
ما ينبه على حكمة الله في الاشيا التي بها تتناول او تجتنب عملا بقوله تعالى يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة فقال لطلحة رضي الله عنه وقد ناوله سفرجلة تذهب بطخا الفواد وقال لابي هريرة رضي
الله عنه وهو رمد في خبز الشعير والسلق كل من هذا فانه اوفق لك وقال في التمر والذي احرم
هذا ابكر برد هذا وقال لم تاكل التمر وانت رمد وقال لعايشة رضي الله عنها في الما المشمس
لا تفعل يا حميرا فانه يولد البرص وقال استاكوا بكل عود ما خلا الاس والرمان فانهما يهيجان
عرق الجذام وقال لامراة استطلقت بالشبرم حار جار الا استطلقت بالسنا فانه لو كان
شي يذهب الدا لاذهبه السنا الى غير ذلك مما اذا اباحه او خطر على حكمته وكانت عايشة رضي
الله عنها تقول للمريض اصنعوا له حريرة فانها مجمة لفواد المريض وتذهب بعض الحزن ومثل ذلك كثير
من كلام العلما او مجربات الحكما ومعارف الحنفا قال الشافعي رحمه الله في قوله تعالى يحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبايث الطيبات ما استطابته نفوس العرب والخبايث ما استخبثته
نفوس العرب هذا من جهة القلب واما من جهة النفس فسخاوها بما يقع فيه الاشتراك من
المنتفعات المحللات لان الشح بالحلال عن مستحقه محظور له على المختص به الغنيا فرد على اهل الوبر
واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وات ذا القربى
حقه والمسكين وابن السبيل فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر وكذلك صبرها عما تشتهيه
من المضرات من الوجوه المذكورة انما الخمر والميسر الى قوله لعلكم تفلحون ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون وكذلك التراضي وطيب النفس فيما يقع فيه
الاشتراك الا ان يكون تجارة عن تراض منكم فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا
هذه الشروط الثلاثة من السخا والصبر والتراضي في النفس واما في العمل وتناول اليد فتناول
ذلك ذكر الله والتسمية عند كل متناول لان كل شي لله فاسوول باسمه احد باذنه وما يتناول
بغير اسمه اخذ تلصصا على غير وجهه وشارك الشيطان في تناوله فتبعه المتناول معه في خطواته
وشاركهم في الاموال والاولاد جا اعرابي وصبي ليا كلا طعاما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
بغير تسمية فاخذ بايديهما وقال ان الشيطان جا يستحل بهما هذا الطعام والذي نفسي بيده ان يده
في يدي مع ايديهما فسمى النبي صلى الله عليه وسلم واكل ثم اطلقهما وقال كلا بسم الله وقال لغلام اكل
يا غلام سم الله والثاني التناول باليمين لان الشيطان ياكل بالشمال ويشرب بشماله واليمين خادم
ما علا من الجسد والشمال خادم ما سفل منه والثالث ان يتناول تناوله تقنع وترفع عن تناول
الجبة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل بثلاث اصابع ويشرب مصابغ ثلاث وقال هو ابرا واروا
واهنا وقال الكهاد من العب والرابع الاكتفا بما دون الشبع لما في ذلك من حسن اعتدا البدن

وحفظ

وحفظ الحواس الظاهرة والباطنة ومن علامات الساعة ظهور السمن عن الاكل في الرجال
وما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن وما دخلت الحكمة معدة مليت طعاما والمومن ياكل في معا
واحد والكافر في سبعة امعا التوكل المومن في قوامه والا لكان الكافر على الغذا في تقويه وحسب
المومن لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فاعلا فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
انتهى قلت ولعل المراد ان الكافر ياكل شبعا فيا كل ملا بطنه لان الامعا كما لو اشبعه
والمومن ياكل تقويا في ما كل في معا واحد وهو سبع بطنه فان لم يغني معاين فيثني وهو
الثلث والله اعلم قال الحرالي والخامس حمد الله تعالى في الختام لان من لم يحمد الله تعالى
في الختام كفر بنعمته ومن حمد غير الله امن بطاغوت فبهذه الامور معرفة في القلب وحال
في النفس واداب في العمل تصح قراة صرف الحلال ويحصل خير الدنيا ويمهد الاساس لبنا خير الاخرة
والله ولي التوفيق انتهى ولما نهاهم سبحانه عن متابعة العدو ذمهم بمتابعتهم مع انه عدو من
غير حجة بل لمجرد التقليد للجهلة فقال عاطفا على ومن الناس متعجبا منهم واذا قيل لهم اتبعوا اي
اجتهد وا في تكليف انفسكم الردع عن الهوى الذي يحبه فيها الشيطان وفي قوله ما انزل الله
انعطاف على ذلك الكتاب لا ريب فيه وما شاكله قالوا بل اي لا نتبع ما انزل الله بل نتبع اي
نجتهد في تبع ما الفينا اي وجدنا قال الحرالي من الالفا وهو وجدان الامر على ما الفه المتبصر
فيه او الناظر اليه عليه اباءنا ففيه اشعار بان عوايد الابا منهية حتى يشهد لها شاهد ابوة الدين
ففيه التحذير في رتب ما بين حال الكفر الى ادنى الفتنة التي شان الناس ان يتبعوا فيها عوايد ابايهم
انتهى ولما ابوا الالف وهادا التقليد فدنوا عن السموال عدادا اول العلم بالنظر السديد انكر عليهم
سبحانه بذلك فقال مبكتا لهم اولو اي ايتبعون اباءهم والحال انه لو كان اباوهم لا يعقلون
بيصاير قلوبهم شيا من الاشيا المعقولة ولا يهتدون بابصار عيونهم الى شي من الاشيا المحسوسة
ولما كان التقدير فمثلهم حينئذ كمن تبع اعمى في طريق وعر خفي في فلوات شاسعة كثيرة الخطر عطف
عليه ما يرشد الى تقديره من قوله منبها على انهم صاروا بهذا كالبهايم بل اضل لانها وان
كانت لا تقول فهي تسمع وتبصر فتهتدي الى منافعها ومثل ولبين الوصف الذي حملهم على هذا الجهل
بقوله الذين كفروا اي ستروا ما يعلمون من عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته باعتدادهم
من الهوى كمثل قال الحرالي المثل ما يتحصل في باطن الادراك من حقايق الاشيا المحسوسة
فيقع لذلك حاليا لمعنى مثل الحيني المعقول ويكون الاظهر منهما مثلا للاخفى فلذلك ياتي استجلاء
المثل بالمثل ليكون فيه تلطيف للظاهر المحسوس وتنزيل للغايب المعلوم معنى هذه الاية
يقع الاستجلا بين المثلين لا بين الممثولين وفي ذكر هذين المثلين تقابل يفهم مثلين اخريين
فاقتضى ذلك تمثيلين في مثل واحد كان في الملفظ الذي افهمه هذا الايجاز مثل الذين
كفروا ومثل داعيهم كمثل الداعي ومثل ما يرعى من البهايم وهو من اعلى خطاب فصحا العرب
ومن لا يصل فهمه الى جميع المثلين يقتصر على تاويله بمثل واحد فيتقدر في الكلام ومثل داعي
الذين كفروا الذي ينعق اي يصيح وذلك لان التاويل يحمل على الاضمار والتقدير والفهم يمنع منه

ويوجب لهم ايراد القران على حدة ووجهه وقال بما اي بسبب ما لا يسمع الا دعا اي فيما يدعوها اليه
من توام عذابه ونسله ونداء فيما يساق اليه بمحل دعايه من حيث ان النداء يشعر بالبعد والدعا
بالشر وع في القصد انتهى والكافرون في كونهم لا يرجعون عن غيهم لما يسمعون من الادلة
وهم اولوا عقل وسمع وبصر كالبهم التي تسمع وتبصر ولكنها لكونها لا تعقل لا ترجع بالكلام بل بالحجر
والعصا فان الراعي اذا اراد رجوعها عن جهة صاح بها ورمي بحجر الى امامها فترجع فهي
مثلهم والبهم في كونها لا ترجع بالندا بل بقارع كالاصم الابكم الاعمى الذى لا يرجع الا بقارع يصكه
في وجهه فينكص على عقبيه فهو مثلها وداعيهم في كونه يتكلم ولا يوثر كلامه مع المبالغة فيه كراعي
البهم فهو مثله وراعي البهم من حيث ان بهمه لا يرجع الا بضربه بالحجر او غيره كالسوط الذى يقع
به الاصم او كضارب الاصم المذكور فهو مثله فلذلك كانت نتيجة المثل قوله صم بكم عمي وقد
علم بهذا ان الاية من الاحتباك حذف من الاول مثل الداعي لدلالة الناعق عليه ومن الثاني
المنعوق لدلالة المدعوين عليه ولما كان موجود ادراك العقل هو حقايق المحسوسات
وقد نفي عنهم الحس المدرك للمحسوسات ترتب عليه قوله فهم بالفا ربطا وتسببا وتسبيبا
لا يعقلون لانهم لا ينتفعون بعقولهم كما ان هذا الاصم كذلك ونفاه بلا النافية للممتنع وصيغة
المضارع المسعة عن الدوام قاله الحرالي ولما اخر بهذا ان الدعا لا يزيدهم الا نفورا رقي الخطاب
من الناس الى اعلى منهم رتبة فقال يا ايها الذين امنوا كلوا وقال الحرالي لما كان تقدم
الخطاب في امر الدين في رتبتين اولهما يا ايها الناس اعبدوا ربكم وثانيهما يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا فامر الناس فيه بالعبادة وامر الذين امنوا بحسن الرعاية مع النبي صلى الله عليه
وسلم كذلك هنا امر الناس بالاكل مما في الارض ونهى عن اتباع خطوات الشيطان واشعر
الخطاب بانهم ممن يتوجه الشيطان نحوهم للامر بالسو والفحشا والقول بالهوى وامر الذين امنوا
بالاكل من طيبات فاعرض في خطابهم عن ذكر الارض لنا ولهم الرزق من السما كان ادنى الايمان عبادة
من في السما كما واسترزاق من في السما كما قال للسودا اين الله قالت في السما فاذا اعتقها
فانها مومنة قال تعالى وفي السما رزقكم فاطعم في الارضيين وهم الناس مما في الارض
واطعم السما وبين وهم الذين امنوا من رزق السما وكذلك وحض هذا الخطاب لفظ الكل
لما كان اخذا رزقه من السما سا ولا طمعه لراءه من حال ما في الارض مما شانه ضرر في ظاهر
او ادني في باطن ولذلك لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المومن منها حلالا لانه مسترزق
من السما يصير المحرم له حلالا لاخذه منه عند الضرورة تقوتا لا تشهيا ويصير الحلال له طيبا
لاقتناعه منه بالكفاف دون التمني بسلوك هادا الخل لهم قل احل لكم الطيبات
وفي مورد هذين الخطابين بيان ان كلمة الناس واقعة عن سن من اسنان القلوب وكلمة
الذين امنوا واقعة على سن وليس تقع على عموم يشمل جميع الاسنان القلبية فتوهم ذلك من اقفال
القلوب التي تمنع تدبر القران لان خطاب القران يتوجه لكل اولي سن على حسب سن قلوبهم
لا يصلح كل سن الا له يتقاصر عنه من دونه ولا يحتاج اليه من فوقه وهي اسنان متعددة سن

الانسان

الانسان ثم سن الناس ثم سن الذين امنوا ثم سن الذين يومنون ثم سن الذين المومنين
ثم سن المومنين حقا ثم سن المحسنين هذه اسنان سبعة خطاباتها مترتبة بعضها فوق بعض
ومن ورا ذلك اسنان فوقها من سن الموقنين وما ورا ذلك الي احوال اثناء هذه الاسنان
من حال الذين اسلموا والمسلمين ومن يوصف بالعقل والذكر والفكر والسماع وغير ذلك من
الاوصاف التي تلازم تلك الاسنان في رتب مترابتة لا يشمل ادناها اعلاها ولا ينهض ادناها
لرتبة خطاب اعلاها الى ما وراء ذلك من خصوص خطاب النبي صلى الله عليه وسلم فيه بما لا يليق
الا به وبمن هو منه من اله وفي انتظام تفصيل هذه الرتب جامعة لما يقع معناه في ساير القران
انتهى ولما كانت هذه الرتبة كما تقدم ارفع من مراتب الناس حض في خطابهم بعد بيان ان ما لم
يحل خبيث فقال من طيبات ولم يات بذلك العموم الذي تالف به الناس ولما كانوا في اول طبقات
الايمان نبههم على الشكر بقوله في مظهر العظمة ما رزقناكم ثم صرح بربح قوله واشكروا الله اي خصوا
ذكركم بالله وهذا الخلاف ما يأتي في سورة المومنين خطابا لاعلى طبقات الخلص وهم الرسل ولما
كان الشكر لا يصح الا للتوحيد علقه باختصاصهم اياه بالعبادة فقال ان كنتم اياه اي وحده تعبدون
فان اختصاصهم بذلك سبب للشكر فاذا انتفى الاختصاص الذي هو السبب انتفى ايضا اذا
انتفى المسبب الذي هو الشكر انتفى الاختصاص لان السبب واحد فهما متساويان يرتفع كل واحد
منهما بارتفاع الاخر وقال الحرالي ولما كان هذا الخطاب اي المتقدم متنطا لنا ولما الطيب
والشكر وحقيقته العدل من الطيب فشكر كل نعمة اظهارها على حدها من جاه او مال او علم
او طعام او شراب او غيره وانفاق فضلها والاقتناع منها بالادنى والتجارة بفضلها للمبتغي
الاجر وابلاغها الى اهلها لتودى الامانة لان ايدي العباد خزاين الملك الجواد دعوا الناس
يرزق الله بعضهم من بعض فلما كان ذلك لا يتم الا بمعرفته بالله المخلف على من انفق كما قال وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه نبهوا اعلى عهدهم الذي لقنوه في سورة الفاتحة في قوله اياك نعبد واياك
نستعين فقيل لهم كلوا واشكروا ان كنتم اياه تعبدون ومن عرف الله بالكرم هان عليه ان
يتكرم ومن عرف الله بالانعام والاحسان هان عليه ان يحسن وهو شكر لله من اتقن
بالخلف جاد بالعطية انتهى لما تقدم الاذن لهم وبالطيب افتقر الامر الى بيان الخبيث
بحسب فبين ما حرم عليهم مما كان المشركون يستحلونه ويحرمون غيره فقال انما حرم عليكم
وقال الحرالي ولما كان ادراك المومنين لمقتضى الخطاب فوق ادراك الناس خاطبهم تعالى
بذكر ما حرم عليهم فناظر ذلك ما نهي عنه الناس من اتباع خطوات الشيطان فقال انما حرم عليكم
واجرى اضمار على الاسم المعظم الاول اعلاما بان الذى اذن لهم انما حرم عليهم ما لا يصلح لهم
بكل وجه لشرق ضرر في احاطة دواتهم ظاهرها وباطنها لما ذكر ان المحرم اما لحرمته علوا كالبلد
الحرام وتحريم الام او لحرمته ودناه كتحريم هذه المحرمات ففي كلمة انما نفي المتوهمات مما يلحقه التحريم
مما دون المذكور هنا كان قايلا يقول حرم كذا وحرم كذا من نحو ما حرمته الكتب الماضية او
حرمته الاهوا المختلفة او حرمته نظر عقلي كالذي حرمه اسرائيل على نفسه فكان الا فهام لرد تلك

الشكر ح

المحرمات كلها انتهى والله اعلم انكم حرمتم الوصيلة والسايبة وغيرهما مما احل الله واحللتم
الميتة والدم وغيرهما مما حرمه الله ولم يحرم الله عليكم من السايبة وما معها مما حرمتموه
ولا غيرها مما استحللتموه الا ذكرته هذه الاية واذا راجعت ما في قوله تعالى في الانعام فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله قل لا اجد فيما اوحي
الي من كتابي هذا عرفت الكتاب المراد من هذه الاية وقال الميتة قال الحرالي وهي
ما ادركه الموت من الحيوان عن ذبول القوى وفنا الحيوة وهي اشد مفسد للجسم لفساد تركيبه
بالموت وذهاب تلف زاجراها وعفنه وذهاب روح الحيوة والطهارة منها والدم لانه جوهر
مرتكس عن حال الطعام ولم يبلغ بعد الي حال الاعضا فهو ميتة من خاص حياته مرتكس في
جوهره الا من طيب الله كليته كما في محمد صلى الله عليه وسلم وفيمن نزع عنه خبث الظاهر والباطن
طبعا ونفسا ولحم الخنزير لاداه للنفس كما حرم ما قبله لمضرتهما في الجسم لان من حكمة الله في
خلقه ان من اغتذي جسمه بجسمانية شي اعتدت نفسانيته بنفسانيته فكان التي الكبر والخيلا
في الفدادين اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم فلما جعل في الخنزير من الاوصاف الذميمة
حرم على من حوفظ على نفسه من ذميم الاخلاق واللحم ما لحم بين اخفى ما في الحيوان من وسط
عظمه وما انتهى اليه ظاهره من سطح جلده وعرف عليه استعماله على ربطه الاحمر وهو
هنا على اصله في اللغة بجميع اللحم الاحمر والشحم والاعصاب والعروق الى حد الجلد وما اشتمل
عليه ما بين الطرفين من اجزا الرطوبات ولما حرم ما يضر الجسم ويودي النفس حرم ما ران
على القلب فقال وما اهل والاهلال رفع الصوت لرويته امر مستعظم به لغير الله لان ما لم
يذكر عليه اسم الله اخذ من ذكر عليه اسمه وليس ذلك خالقه ولا مالكه انما خالقه ومالكه الله
الذي جعل ذكر اسمه عليه اذنا في الانتفاع به وذكر على ازهاق الروح من هي نفخته لا من لا
يجد للدعوى فيها سبيلا من الخلق وذكر الاهلال اعلام بان ما اعلن عليه بغير اسم الله هو اشد الحرم ففي
افهامه تخفيف الخطاب عما لا يعلم من خفي الذكر قالوا يا رسول الله ان ناسا ياتوننا بلحمان لا ندري
اسموا الله عليها ام لا فقال صلى الله عليه وسلم سموا الله انتم وكلوا فكان المحرم ليس ما لم يعلم ان اسم
الله ذكر عليه بل الذي علم ان غير اسم الله قد اعلن به عليه وفي تقديم اضمار المحرم في قوله به تاكيد لمعناه
لانهم يقدمون ما هم به اهم وهم ببيانه اعنى قال صلى الله عليه وسلم ابدا ابدا بما ابدا الله به فلما كانت
هذه الاية جامعة اي التحريم اظهر فيها تقديم العناية بالمحرم وهي في الابلاغ انهى معنى من الذي
اخر فيها هذا الضمير ولما كان هذا الدين يسرا لا عسر فيه ولا حرج ولا جناح دفع حكم
هذا التحريم عن المضطر ولما كان شان الاضطرار ان يشمل جمعا من الخلق انباهم تعالى
بان هذا الذي رفع عنهم من التحريم لا يبرا من كلية الاحكام بل يبقى مع هذه الرخصة موقع
للاحكام في البغي والعدوان فقال فمن اضطر اي الي اكل شي مما حرم بان اشرف على التلف لا
من شي منه حال كونه غير باغ بمكيدة تكيد بها لضعفه احدا من تلك الميتة هو اقوى منه كان
لحيلة على غيرها خداعا منه ليستاثر عليه بالاحسن منها ولا عاد على غيره بان يكون اقوى منه

فيد

فيدفعه عنها فلا اثم عليه لا من التحريم الاول ولا من الحكم الاخر ولو كان رفع الاثم دون هذين
الاشتراطين لوقع بين المضطرين من البغي والتسلط ما مثله لا يحل لغير المضطرين فاستوى ثم
على صحة من الامرين واتباع الحكمين ففي السعة تجتنب ما يضر وفي الضرورة يؤثر ضرورة الجسم
لقوامه على حكم الكتاب في اقامته وفي افهامه ان من اضطر لشي مما حرم عليه فاكله لم تنله
مضرة لان الله تعالى اذا اباح شيا اذهب ضره ان الله لم يجعل شفا امتي فيما حرم عليها فنبه
بسر لتغيير هذه الاعيان للمضطر عما كانت عليه حتى تكون رخصة في الظاهر وتطييبا في
الباطن فكما رفع عنه حكمها الكتابي يتم فضله فيرفع عنه ضرها الطبيعي ثم علل هذا الحكم مرهبا
مرغبا بقوله ان الله تاكيدا لهذا الاسم المحيط اشارة الي عموم هذا الحكم المضطر والموسع وفي قوله
غفور اشعار بانه لا يصل الي حال الاضطرار الى ما حرم عليه احد الا عن ذنب اصابه فلولا
المغفرة لتمت عليه عقوبته لان المومن او الموفق لا تلجئه ضرورة لان الله لا يعجزه شي وعبد الله
لا يعجزه ما لا يعجز ربه وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فالباس الذي يحوج
الي ضرورة انما يقع لمن هو دون رتبة اليقين ودون رتبة الايمان جهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم جيشا ففنيت ازوادهم فاقاموا اياما يتقوتون بيسير حتى تقوتوا بتمرة تمرة فاخرج
الله لهم العنبر دابة من البحر فلم تحوجهم في ضرورتهم الي ما حرم عليهم بل جاهم في ضرورتهم ما هو
اطيب ما كلهم في حال السعة من صيد البحر الذي هو الطيب الطهور ماوه في ضرورتهم بما هو اطيب
الحل مسه وفي قوله رحيم انبا بان من اضطر فاجاب مما اضطر اليه شيا لم يبغ فيه ولم
يعد ينال من الله رحمة توسعة عن ان يضطر بعدها الي مثله فيغفر له الذنب السابق الذي
اوجب الضرورة وينال بالرحمة الموسعة التي ينال بها من لم يقع لها منه ما وقع لمن اضطر
الي مثله انتهى وتصرفت فيه ولما كان في بيان هذه المحرمات الاشارة الي عيب من استحلها
من العرب جهلا وتقليدا لاباها بتكرير عيب هذا الكلام بين لما عندهم من الحق مما انزل في
كتابهم من امر القبلة وغيرها مما يصدق هذا الكتاب الذي لا ريب فيه على وجه غايب
لهم لاستحلالهم اكل السحت على علم مبين انهم استحقوا الذم من وجهين احدهما نفس الاكل
الثاني كونه على كتمان ما يعلمون من الحق فقال ان الذين يكتمون موكدا لذمهم بانواع التاكيد
ولقد بدع ابلاوه لصفتي المغفرة والرحمة كما ختم اية الكتمان الاولى بوصفي التوبة والرحمة
فكان مع ما فيه من الترغيب من قبيل الاحتراس اي انه لا يعفى لمثل حوزة الا ان اتصفوا بما
اشارت اليه الاية الاولى من التوبة قوله ما انزل الله باسناد الانزال الي اسمه الاعظم
لاحاطة الكتاب بمختلفات الاحكام من الكتاب اي من حدوده واحكامه وغير ذلك مما اشارت
اليه الاية الاولى بالبينات والهدى من الحكم والاحكام ولما كان من الكتم ما يكتمون لقصد خير
فكم من كلمة حق اريد بها باطل قيده بقوله ويشترون به ثمنا قال الحرالي والثمن ما لا ينتفع بعينه
حتى يصرف الي غيره من الاعراض فاذا لا يعاد على ما يتضمن بجهل الكاتم وحرصه باستكسابه بالعلم
واجرايه في غير ما اجراه الله تعالى على السنة انبيايه مما اسالكم عليه من اجر ولما كان كل ما يثبت من

خير الدنيا في الاخرة وان جل حقيرا قال قليلا هذا المراد لا تقييده بالقليل ولما كانوا قد بعدوا عن مواطن الرحمة بتخلقهم بما لا ينقصه الانفاق اشار اليهم باداة البعد قال اولئك في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم به اشعار بنوع ذلك من طا يفة من امته حرصا على الدنيا ما يأكلون اي في هذه الحالة على ما دلت عليه ما في بطونهم جمع بطن وهو تجاوف الشيء الاجوف لغيبته عن ظاهره الذي هو ظهر ذلك البطن الا النار كما احاط علمه تعالى بالغيب ان ذلك في الحقيقة وبصر لعيون اهل الكشف الذين يرون العواقب في الاوايل والغيب في الشهادة وفي ذكره بصيغة الحصر نفي لتناول المتناول بكونه سببا وصرف له الي وجه التحقيق الذي يناله الكشف ويقصر عنه الحس فكانوا في ذلك كالخرز الذي يحمل يده في الما الحار ولا يحس به فيشعر ذلك بموت حواس هولا عن حال ما تناولوه ولما قدم الوعيد فالثمن لكونه الحامل على الكتم اتبعه وعيد نفس الكتم فقال ولا يكلمهم الله اي لكونهم لم يكلموا الناس بما كتب عليهم وقال يوم القيمة تأكيدا لما اشارت اليه ما من ان المراد بالذي قبله الحال ولا يزكيهم اي بما يحصل لهم من المساق في يوم التلاق كما يزكي بذلك من يشا من عباده لانهم كتموا عن العباد ما يزكيهم وفي هذا تعظيم لذنب كتم العلم ولهم مع هذا العذاب عذاب اليم لما اوقعوا فيه الناس من التعب بكتمهم عنهم ما يقيمهم على الحجة والسهلة ولما ذكر جزاهم اتبعهم برجمه حالهم موكد الذمهم فقال اولئك الذين اشتروا اي لجاجا وتماديا في الغي الضلالة عن طريق الخير بالهدي ولما ذكر حالهم من الدنيا اتبعه الامر الاخرة فقال والعذاب بالكلية هذه الموبقة بالمغفرة التي كانت تنجيهم اذا محت صغايرهم لو سلموا من هذه المعضلة التي كانت سببا لضلال خلق كثير فكان عليهم وزرهم ولما جعل سبحانه اول ما كلهم نارا واخر امرهم عذابا وترجمة حالهم عدم المغفرة فكان بذلك ايضا اوسط حالهم نارا سبب عنه التعجب من امرهم بحبسهم انفسهم في ذلك الذي هو معنى الصبر فقال فما اصبرهم اي ما اشد حبسهم انفسهم على النار التي اكلوها في الدنيا فاحسوها في الاخرة ذكر كثير امن ذلك الحبر ابي عمر ان تصرفت فيه ولما ذكر جزاهم وشرح حالهم والتعجب من امرهم ذكر السبب الموجب لهذا الابعاد العظيم والتهديد الكبير فقال ذلك مشيرا باداة البعد بان الله فذكر الاسم الاعظم ايضا تعظيما للمقام نزل الكتاب اي الجامع لانواع الهدي منجما تقريبا للافهام وتدريسا للخاص والعام بالحق اي الثابت الكامل في الثابت فمن كتمه فقد حاول نفي ما اثبته الله تعالى فقد ضاد الله في ملكه ومن خالف فيه وهو الذي لا شبهة تلحقه فقد عد الواضح ملبسا فقد ابعد المرمى ولما كان التقدير فاختلفوا اتبعه قوله وان الذين اختلفوا اي خالف بعضهم بعضا في الكتاب نفسه اي لا في فهمه وهذه العبادة تدل على ان الاختلاف قول بعض في الكتاب كله او في شي منه هو حق وقول اخر هو باطل والاقرار ببعض احكامه والانكار لبعضها وتحريف الكلم عن مواضعه ونحو هذا لفي شقاق يكون كل واحد منهم في شق بعيد جدا عن شق الاخر ولذلك خاف الصحابة رضوان الله عليهم في اختلاف اهل هذا الدين في القران كما اختلف اليهود والنصارى لجمعهم على مصحف واحد فليس الاختلاف في وجوه الروايات وانما الفهم من ذلك وقد وقع

كما ترى

كما ترى بعضه المشركين من العرب يرون ما تضمنه بعضه بني اسراييل من التقريع والتوبيخ لفرقان ما بينهم لان كفر المسولين عن جهل وكفر اوليك عن تعنت بعد تكرر مشاهدة الايات ومن تدبر القران وطالع التوراة علم طول مكث موسي عليه السلام بينهم يتلوا عليهم التوراة على حسب تنزيلها شيا فشيا وانهم كانوا مع كلما شاهدوا واليّ احدثوا كفرا وخلعوا اشكرا وسالوا اغيرها عنادا ومكرا وجعلنا قلوبهم قاسية وقد مر في اول السورة عن التوراة كثير من ذلك وسياتي ان شا الله تعالى في المواضع اللايقة به من ايات القران وقال الامام ابو جعفر بن الزبير ومتى يرد شي من الكتاب العزيز من احوال النصارى فليس على ما ورد من مثله في اليهود ولما ذكر اي من ان كفرهم تعنت وخطاب مشركي العرب فيما اشير اليه دون خطاب الفريقين اذ قد تقدم لهم ما لم يتقدم للعرب وبشر وا في كتبهم وليس لمشركي العرب مثل ذلك والزيغ عن الهدى متامل للكل وليسوا في شي من الصراط المستقيم مع ان اسوا الاحوال حال من اضله الله على علم وهنا انتهي ذكر ما حذر منه ونهي عنه من اراد سلوك الصراط المستقيم وبيان حال من حاد عنه وتنكبه وظن انه على شي وضم مفترق اصناف الزايغين في اصناف ثلاثة وهم اليهود والنصارى واهل الشرك ولهم يلحق ساير تنكب فيلحق باليهود منافقوا امتنا ممن ارتاب بعد اظهار ايمانه وفعل افاعيلهم من المكر والخديعة والاستهزاء ويلحق بالنصارى من اتصف باحوالهم وبالمشركين من جعل لله ندا واعتقد فعلا لغيره على غير طريقة الكسب والمجوس لاحقون باهل الشرك والشرك اكثر هذه الطرق الستة تشعبا ولهذا قال عليه الصلاة والسلام الشرك اخفى من دبيب النمل ومن فعل افعال من ذكر ولم يله به الامر الي مفارقة دينه والخروج الي شي من اعتقاده خيف عليه ان يكون وسيلة الى اللحوق بمن تشبه به والي هذا اشار عليه السلام بقوله اربع من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد خلف واذا خاصم فجر الي اشباه هذا من الاحاديث انتهي ولما بين سبحانه كفر اهل الكتاب الطاعنين في نسخ القبلة بتكذيب الرسول وكتمان الحق وغير ذلك الي ان ختم بكفرهم بالاختلاف في الكتاب اتبعه الاشارة الى ان امر الفروع اخف من امر الاصول لان الفروع ليست مقصودة لذاتها فالاستقبال الذي جعلوا من جملة شقاقهم ان كتموا ما عندهم من الدلالة على حقيته واكثروا الافاضة في عيب المتقيد به ليس مقصودا لذاته وانما المقصود بالذات الايمان فاذا وقع تبعته جميع الطاعات من الصلاة المشترط فيها الاستقبال وغيرها فقال تعالى ليس البر اي الفعل المرضي الذي يوفي تزكية النفس كالبر في تغذية البدن ان تولوا وجوهكم اي في الصلاة قبل المشرق والمغرب اي وغيرها من الجهات المكانية فان ذلك كله لله كما مضى عند اول اعتراضهم النصوح بنسبة الكل اليه فاينما تولوا فثم وجه الله ولما كان قد بين للمتقين كما ذكر قبل ما يخرج عن الصراط المستقيم وجوزوا ليجتنبوه عقبه بما يلزمهم ليعملوه فابتدا من هنا بذكر الاحكام الي قوله امن الرسول وبدا ذلك بما بدا به السورة

وفصل لهم كثيرا مما كلفوه مما اجمله قبل ذلك ففصل الايمان تفصيلا لم يتقدم فقال ولكن
البر من اي ايمان من ولعله عبر بذلك ايماء الى ان فاعل ذلك نفسه براي انه ذكي حتى صار
نفس الزكوة امن بالله الذي دعت اليه اية الرحمانية فاثبت له صفات الكمال ونزهه عن
كل ساسه نقص بما على ذلك من دلايل افعاله ولما كان اهم خلال الايمان الحث على البعث
والتصديق به قال واليوم الاخر الذي كذب به كثير من الناس فاختل نظامهم ببغي بعضهم
على بعض فالاول مبري عن الانداد وهذا مبعد عن اذى العباد ولما كان هذا الايمان
الكمل وكان اكثر الناس نيام العقول لا يعرفون شيا الا بالتنبيه وضلال البصاير بعيدون
الى الهداية ذكر سبحانه الهداة الذين جعلهم وسايط بينه وبين عبادة باديا بالاول فالاول
فقال والملايكة اي الذين اقامهم فيما بينه وبين الناس وهم غيب محض والكتاب الذي
ينزلون به على وجه لا يكون فيه ريب والنبيين الذين تنزل به عليهم الملايكة لكونهم
خلاصة الخلق فلهم جهة ملكية يقدرون بها على التلقي من الملايكة لمجانستهم اياهم بها
وجهة بشرية يتمكن الناس بها من التلقي منهم ولهم من المعاني الجليلة الجميلة التي صوبهم الله
فيها بتكميل ابدانهم وارواحهم ما لا يعلمه الا هو فعليهم الصلاة والسلام والتحية والاكرام قال
الحرالي فغيبه اي الايمان بهم وبما تبلهم تهي النفس للاذعان لمن هي من جنسها والايمان بغيب من
ليس من جنسها ليكون في ذلك ما ينزع النفس عن هواها انتهى وكذا فصل سبحانه الصدقة وفي
تعقيب الايمان بها اشعار بانها المصدقة له فمن بخل بها كان مدعيا للايمان بلا بينة وارشاد
الى ان في بذلها السلامة في فتنة المال انما اموالكم واولادكم فتنة لان من امن وتصدق كان قد
اسلم لله وجهه وماله الذي هو عديل روحه فصار عبد الله حقا وفي ذلك اشارة الى الحث على مفارقة
كل محبوب سوى الله في الله قال الحرالي فمن ظن ان حاجته يسدها المال فليس برا انما البر الذي
ايقن ان حاجته انما يسدها ربه ببره الخفي فلذلك قال واتى المال اي الذي اباحه
بعد جعله دليلا عليه كرم نفس وتصديق ايمان بالاعتقاد في الخلق على من ضمن الرزق وهو على
كل شي قدير واشار الى ان شرط الايمان به اثارة سبحانه على كل شي بقوله على حبه
اي اعاليا فيه حب الله على حب المال واشار الى انه لوجهه لا لما كانوا يفعلونه في
الجاهلية من التفاخر ذوي القربى اي لانهم اولى الناس بالمعروف واليتامى من ذوي القربى
وغيرهم لانهم اعجز الناس والمساكين لانهم بعدهم في العجز ويدخل فيهم الفقرا بالاولى فقدم وابن
السبيل لعجزهم بالعربة واذا جعلنا ذلك اعم من الحال والمال دخل فيه الغازي والسايلين
لان الاغلب ان يكون سوالهم عن حاجة ويدخل الغارم وفي الرقاب قال الحرالي جمع رقبة وهو ما ناله
الرق من بني ادم فالمراد الرقاب المسترقة التي يرام فكها بالكتابة وفك الاسرى منه وقدم عليهم
اوليك لان حاجتهم لاقامة البنية ولما ذكر سبحانه مواقعة ساة الخلق وقدمها حثا على مزيد الاهتمام
بها لتشح النفس بما زين لها حبه من المال اتبعه حق الحق فقال واقام الصلاة اي التي هي افضل
العبادات البدنية ولا يكون الا بعد سداد الجسد ولا يكون اقامتها الا بجميع حدودها والمحافظة

عليها ولما ذكر ما يزكي الروح ذكر ما يطهر المال وينميه وهو حق الخلق فقال واتى الزكوة
وفي الاقتصار فيها على الابا اشعار بان اخراج المال على هذا الوجه لا يكون الا مع الاختلاف
ولما الم الايمان وما يصدق دعواه في الجملة شرع في كمال ذلك فعطف على اول الكلام ما دل
بعطفه كذلك على انه مقصود لذاته فانه جامع لدخوله في جميع ما تقدمه فقال والموفون
بعهدهم قال الحرالي من الايفا وهو الاخذ بالوفا الجاز الموعود في امر المعهود انتهى
وبين بقوله اذا عاهدوا ان المطلوب ما الزموا انفسهم به تصريحا بما افهمه ما قبله
ولما قطع الوفا تعظيما له لدخوله في ما قبل فعل كذلك في الصبر لذلك بعينه فقال
والصابرين وفيه تنزل في معاملته عما كان من حقه لو عطف على من امن لو سبق على الاصل
قال الحرالي وفيه اشعار بان من تحقق بالصبر على الايثار فكان شاكرا تحقق منه الصبر
في الابتلا والجهاد تابيد امر الله لمن شكر ابتدا باعانته على الصبر والمصابرة انتهى كان لما جاد
بخير الدنيا على حبه اصابه الله ببلايها تكرمة له ليديه حظه من مفقود في دنياه فيكون
ممن يستريح عند موته وماله ان جاهد ثبت بما يحصل في نفس الشاكر الصابر من الشوق الى لقا
الله سروما من الدنيا وتحققا عنا لالجزا من الله انتهى وعين اشد ما يكون الصبر فيه فقال
في الباسا اي عند حلول الشدة بهم في انفسهم من الله بلا واسطة او منه بواسطة العباد
والضراء بحلول الضر في اموالهم ويعمه احوالهم من احتقار الناس لهم ونحوه وفسرها في
القاموس بالشدة والنقص في الاموال والانفس فهو حينئذ اعم ليكون الاخص مذكورا مرتين
وقال الحرالي الباسا فعلا من البوس وهو سو الحال والفاقة وفقد المنة عن اصلاحه
والضرا مرض البدن وافاته فكان الباسا في المال والضرا في البدن انتهى وحين الباس
اي الحرب الجامع للانفس والاموال وقال الحرالي الباس الشدة في الحرب ولما كانت هذه
الخلال اشرف خلال اشار الى شرف اهلها فقال مستانفا اوليك اي خاصة
الذي غلبت هممهم وعظمت اخلاقهم وشيمهم الذين صدقوا اي فيما ادعوه من الايمان ففيه
اشعار بان من لم يفعل فعالهم لم يصدق في دعواه واوليك هم خاصة المتقون ليوم الجزا
وفي جمله نعتا لهم اشعار بانهم تكلفوا هذه الافعال العظيم الخوف وقال ابن الزبير في
برهانه ثم ذكر الزكوة والصيام والحج والجهاد الى غير ذلك من الاحكام كالنكاح والطلاق
والعدد والحيض والرضاع والحدود والربا والبيوع الى ما تخلل هذه الايات من تفاصيل
الاحكام وجملها وقدم منها الوفا بالعهد والصبر لان ذلك يحتاج اليه في كل الاعمال وما
تخلل هذه الايات من لدن قوله ليس البر الى قوله امن الرسول مما ليس من قبيل الالزام
والتكليف فلسبب اوجب ذكره ولتعلق استدعاه انتهى والحاصل انه تعالى لما طهرهم
من اوضار المحارم بعد اربع الزواجر شرع في تزكيتهم بالاحكام في عمرات الاوامر ليكمل تعبدهم
بتحليهم باوامرهم بعد تخليهم من سخطه بصادع زجره فذكر في هذه السورة جميع اركان هذا الحرف
وحظيرته قال الامام ابو الحسن الحرالي في العروة وجه انزال هذا الحرف حمل الخلق على

صدق التذلل لله اثر التطهير من رجزهم ليعود بذلك وصل ما انقطع وكشف من ما احجب
وهو حرف العبادة الملتقا بالايمان المار عليها بسابق الخوف المبادر لها تشوقا بصدق
المحبة فالعابد من سايق الخوف اليها والعارف من قادة الحب لها وهو سا وعمرو ولاركان
وله حظيرة نحو ما فافراد التذلل لله توحيدا وطليعة ابدا ما كان نحو قوله تعالى اعبدوا الله
ولا تشركوا معه في التذلل شيا اي شي كان اخره وهو اول ما اقام الله من بنا الدين
ولم يفرض غيره نحو العشر من السنين في انزال ما انزل بمكة وسن مع فرضه الركن الاول
وهو الصلاة وندب بالوضوء عملا من حذو تطهيرا لقلب والنفس بحرف النهي واعقب
بالصلاة عملا من حذو تطهير القلب والقلب لنفس بحرف النهي واعقب بالصلاة عملا من حذو
طهور القلب بالتوحيد بين يدي الرب فالوضو وجه عمل حرف الزجر والصلاة وجه عمل
حرف الامر وسن على تاسيس بزار الحب لسدرا قوة الايمان بمشهود ملازمة خدمة
للابدان فكان اقواهم ايمانا اكثرهم واطولهم صلاة فوما من احب ملكا خدمة ولازمة ولا
تخدم الملوك بالكسل والتهاون انما تخدم بالجهد والتذلل فكانت الصلاة علم الايمان
لكثر نفوته ويعل بضعفه لانها لو فرضت لم تظهر فيما تفاوت قوة الايمان وصدق الحب كالا يظهر
بعد فرضها الا في النوافل ولاجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وبدنه في ذلك انزل عليه ما انزلنا عليك
القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى
له ما في السموات الى قوله الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى هذا التوحيد واظهاره هو كان يوميد
المقصود الاول وذلك قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر موفي اربعين من عدد المومنين
فلما دخل الاسلام من لا يبعثه الحب والاستراحة على الصلاة بعد عسرا ونحوها فرضت
الصلاة فاستوي في فرضها المحب والخايف وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم التطوع
على ما كان اصلها وذلك صبيحة ليلة الاسري واولى منزل هذا الحرف والله اعلم
في فرض هذا الركن اومن اول منزله قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق
الليل وقران الفجر ان قران الفجر احتضهم بها اوقات الوحمة وحسمهم بها اوقات
الفتنة ومنه جميع اي اقامة الصلاة واتمامها الركن الاخر والصوم وهو اذلال
النفس بامساكها عن كل ما تشوف اليه من خاص امرها نهارا للمقتصد ودوما للمعتكف
وهو صلة بين العبد وبين نفسه ووصل اشتاته في ذاته واول ما انزل هذا الركن من
الحرف بالمدينة بعد من الهجرة واول منزله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم وانما فرض والله اعلم بالمدينة لانهم لما امنوا من عداوة الاثبات
والاغيار وعام الفتنة بالمدينة عادت الفتنة خاصة في الانفس بالتبسط في الشهوات
وذلك لا يليق بالمومنين الموثرين للدين على الدنيا ثم انزل الله اتمامه بقوله تعالى شهر
رمضان الذي انزل فيه القران الى ما يختص من الاي باحكام الصيام الركن الاخر
والزكوة وهو كسر نفس الغني بما يوخذ باخذ منه من حق اصنافها اظهارا لان المشتغلين

بالدين

بالدين اثر عند الله من المقيمين على الاموال ولتميز به الذين امنوا من المنافقين
لتمكنهم من الوبا في الصوم والركعتين ولم يشهد الله بالنفاق جهرا اعظم من
شهادته على مانع الزكوة ومن منع زكوة المال عن الخلق كان لكن امتنع عن زكوة
قراة بالصلاة من الحق فلذلك لا صلاة لمن لا زكوة له وكما كانت الزكوة حبا قبل
فرضها كذلك كان الانفاق لما زاد على الفضل عرما مشهورا عندهم لا يعرفون
غيره ولا يشرون في الاسلام بسواه فلما شمل الاسلام اخلاطا وشحت النفوس
فرضت الزكوة وعين اصنافها وذلك بالمدينة حين اتسعت اموالهم وكثر خير الله عندهم
وحين عم نفاق قوم لها انفة من حط رياستهم بذل الاسلام لله والمضعفة
بخلق الله وتبين فيها مرة لارباب الاموال بقوله تعالى واتوا الزكوة لم قرية
اذا اتوها بسماها ومرة للقايم بالامر لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة حين يوش
من نفوسهم شح وشدد الله سبحانه فيها الوعيد في القران حين الضعف اصنافها
ونسق لذلك جميع ما انزل في بيان النفقات والصدقات بدارا عن حب او
ابتدارا عن خوف الركن الاخر الحج وهو حشر الخلق من اقطار الارض للوقوف
بين يدي ربهم في خاتم منبهم ومشارفة وفاتهم ليكون لهم امنة من حشر ما بعد مماتهم
تكمل به بنا الدين وذلك في اواخر سني الهجرة ومن اخر المنزل بالمدينة واول خطابه
ولله على الناس حج البيت سبقه على اذان ابراهيم عليه السلام واذن في الناس
بالحج الى ما انزل في امر الحج واحكامه الخطيرة الخامس وهو الجهاد ولم تزل مصاحبة
الاركان كلها اما مع ضعف كما بمكة او مع قوة كما في المدينة ومن اول تصريح منزله اذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار الى قوله جاهد الكفار والمنافقين الى انتها قتال اهل الكتاب
في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية الى تمام المنزل في شانه
في قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وهذا تمام حرف الامر
ولكل في ذلك الظاهر في الاسلام موقع حدوده في الايمان وموقع الاحسان لدي ثلاثها
الذي هو كمال الدين كله وذلك من تنزل القران من بين افصاح وافهام في هذا الحرف
وهو وفا الدين والتعبد لله رب العالمين ثم كان فيما به يحصل قراة حرف الامر
اعلم ان الوفا بقراة حرف النهي تماما يفرع لقراة حرف الامر لان المقتنع في
معاش الدنيا يتيسر له التوسع في عمل الاخري والمتوسع في متاع الدنيا لا يمكنه التوسع
في عمل الاخري لما بينهما من التعارض والتضاد والذي يحصل به قراة هذا الحرف اما من جهة
القلب فالتوحيد والاخلاص واعم ذلك البراة من الشرك العظيم ليلا يتخذ مع الله الها
اخر لان الشرك في الالهية ما لا تصح معه المعاملة بالجهاد مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شي واخص منه الاخلاص بالبراة من

الشرك الجلي بان لا يري لله شريكا في شي من اسمايه الظاهرة لان المشرك في سايق اسمه الظاهر
لا يصح له القبول في الذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه
ما قبل الله منه حتى يومن بالقدر خيره ولكل عمل من المامورات خصوص اسم في الاخلاص
كاخلاص المنفق بان الانعام من الله لا من المحبوب المعبد المنفق وكاخلاص المجاهد بان
النصر من الله لا من الجند المجاهد وما النصر الا من عند الله وكذلك ساير الاعمال خصوصها
الاخلاص في اسم من الاسما يكون املك بذلك العمل واما من جهة احوال النفس فاولها
واساسها طمانينة النفس بربها في قوامها من غير طمانينة لشي سواه فمتى اطمانت النفس بما
بيد رجليه وما لها منه او بما تملكه من مملوك او بما تستند اليه من غيره رد جميع عبادتها
لما اطمانت اليه وكتب اسمها على وجهه وكانت امته لا امة ربها وكان المرء عبدا لا عبد
ربه تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخميصة وهذا هو الذي احبط عمل العاملين من
حيث لا يشعرون واما من جهة ما يحق كل واحد من الاتي في احوال النفس مما يناسبه من
احوالها واخلاقها كاجماعها في الصلاة بان لا يصغي لوسواس الشيطان وان لا يحدث في
تسويلها وكسماحها وسخايها في الانفاق واسا الزكوة وكصبرها في الصوم والصوم الصبر كله
وبجهها كل ذلك في الحج مع زيادة اليقين ويجهها الجميع في الجهات مع عزيمة الحما الشجاعة هذا من
جهة حال النفس واما من جهة العمل واحوال الجوارح فان ادب الناطق بكلمة الشهادة
ان يجمع حواسه الى قلبه ويحضر في قلبه كل جارحة فيه وينطق بلسانه عن جميع ذاته احوال
نفس وجوارح بدن حتى ياخذ كل عضو منه وكل جارحة فيه وكل حال لنفسه قسطه منها كما اشار
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان بذلك تحات عنه الذنوب كما تحات الورق عن الشجر
لم يقوا هليل القران من لم يكن حالته وكذلك في تشهد الاذان وبذلك تهدم التهليل
سابقه في الاسلام كما هدم من المخلص به خاتم القران سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يوذن فلما
قال الله اكبر الله اكبر قال على الفطرة فلما قال لا اله الا الله قال خرجت من النار واما ادب
الصلاة فخشوع الجوارح والهدو في الاركان واتمام كل ركن باذكاره المخصوصة به وجمع الحواس
الى القلب لحالته في الشهادة حتى لا تخفى مدرك حاسته محله واما ادب الانفاق فحسن
المناولة كان صلى الله عليه وسلم يناول السايل بيده ولا يكله الى غيره والاسرار انه وان
تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم وينفق من كل شي بحسب ما رزقه سرا وجهرا ومشاهرة
او مسانهة ومما رزقناهم ينفقون واما ادب الصوم فالسحور موخرا والفطر معجلا وصوم
الاعضا كلها عن العدل فاحرى عن الجور وترك الجناية بما يفطر عليه الى ما بعد الزوال
والاخذ فيه لشهوة العيال واما ادب الحج فاستطابة الزاد والا يحاد على ما بيد الله لا على حاصل
ما بيد العبد وهو تزود التقوى والرفق مع الرفيق والرفع مع الظهر وتحسين الاخلاق والانفاق
في الهدي وهو الثج والاعلان بالتلبية وهو العج وتتبع اركانه على ما تقتضيه احكامه واقامة
شعايره على معلوم السنة لا على معهود العادة واما ادب الجهاد فاستطابة الزاد واصلاح الة

دبالس

ومباشرة الخلطا وحسن القيام على الخيل وتطييب علفها تصفية وورعا وتناوله بيده كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتناول علف فرسه بيده ويمسحه بردايه والتزام ما يجد معه المنة من ان
يكون فارسا او راجلا او رامحا او نابلا ومن تكلف غير ما يجد منته فقد ضيع الحق وعمل بالتكلف
والصمت عند اللقا وغض البصر عن النظر الى الاعدا قال صلى الله عليه وسلم اذا اكثبوكم فارموهم
ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وكف اليد عما للغير فيه حق وهو الغلول وان لا يدعو للبراز
وان يجيب اذا دعي قال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو
ملاق قرنه ولكل امر وتلبس بما هو ادب يخصه على ما يستقرا من السنن المتبعة واثار الخلفا
وصالحي الامرا فهذه الامور من اخلاص القلب وطيب النفس وادب الجوارح تصحح قراءة حرف
الامر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انتهى ولما تقدم ان شرط رفع الاثم عن المضطر
ترك العدوان وكان العدوان في غيره ربما ادى الى القتل وتلا ذلك بما استتبعه كما تقدم
الى ان ختم بهذه الاية وختمها بمدح الصبر والصدق في دعوى الايمان والوفا بالعهد وكل شي
وكان من جملة ما خان فيه اهل الكتاب العهد امر سفك الدما بخطره كله او بعضه على
ما اشار اليه تعالى بقوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماكم الايات ولان الصبر
على بذل الروح اعظم الصبر وفعله اعظم مصدق في الايمان والاستسلام للقصاص اشد وفا
بالعهد اخبر المومنين بما اوجب عليهم من ذلك وما يتبعه فقال تعالى ملذذا لهم بالاقبال
بالخطاب يا ايها الذين امنوا اي ادعوا الايمان بالسنتهم كتب عليكم اي فرض في الكتاب
وقد سمعتم انذاره للذين اختلفوا في الكتاب القصاص اي المساواة في القتل لا بد من القصاص
وهو تتبع الاثر قال الحرالي كان من شبه بالجاني اثر ما جنى فتتبع اثره عقوبته اثر ديانته
انتهى في القتلى اي قصد فوادعوا الايمان بالانقياد فيه ولا تكونوا كاهل الكتاب
الذين اختلفوا في كتابهم فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه وايضا كما ذكر ابتلا المال على حبه
وكان قد ذكر ان البر هو المومن بالكتاب وكان من الكتاب بذل الروح المعلوم حبه عقبه
به اشارة الى ان المال عديله لا يوتى لاجل الله الا بمحض الايمان كما ان الروح لا تبذل الا بذلك
ولما كان اهل الكتاب قد بدلوا حكم التوراة في القصاص الذي اشير بانه المايدة الى انه كتب
عليهم العدل فيه فكان من كان منهم اقوى جعل لقومه في ذلك فضلا فكان بنو النضير كما نقله
ابن هشام في السيرة ياخذون في قتلاهم الدية كاملة وبنو قريظة نصف الدية وكان بعضهم
كما نقله البغوي في سورة المايدة عن ابن عباس رضي الله عنهما تعمل التفسير بالنفس اشار سبحانه
الى مخالفتهم في هذا الجور بقوله مبينا للمساواة الحر بالحر وقدمه لشرفه ودله بقوله واذا
تاملت والعبد بالعبد تعظيما للذكورية والانثى بالانثى اي فلا تقتل بالمقتول الا قاتله واذا تاملت
قوله القتلى دون ان يقول القتل علمت ذلك قال الحرالي لان اخذ غير الجاني ليس قصاصا
بل اعتدا ثانيا ولا ترفع العدوى بالعدوى انما ترفع العدوى بالقصاص على نحو وحد ولما فتح
سبحانه لنا باب الرحمة بالقصاص منبها على تبكيت اهل الكتاب وكان ذلك من حكم التوراة لكن

لكن على سبيل الحتم وكان العفو على النصارى كذلك واظهر في الفرقان ونادة توسعة بوضع
هذا الاصر عنا بالتخيير بينهما قال الحرالي نقلا من عذاب الاخرة الى ابتلا الدنيا ونقلا من الابتلا
الدنيا في الدم الى الكفارة بأخذ حظ من المال كما كان ذلك في الفدا الاول لذبح ابراهيم عليه السلام
من ولده فقال تعالى فمن عفي له من العفو وهو ما جا بغير تكلف والاكراه انتهى وعبر بالبنا للمفعول
اشارة الى ان الحكم يسع العفو من اي عاف كان له العفو بالنزول عن طلب الدم الى الدية
وفي التعبير بلفظ الاخ كما قال الحرالي تأليف بين الجاني والمجني عليه واوليايه من حيث كان المومن
ان يقتل مومنا الا خطا وان لم يكن خطا الطبع فهو خطا القصد من حيث لم يقصد ان يقتل
مومنا انما قصد ان يقتل عدوا او شانيا او عاصيا على اهله وماله او ولده فاذا انكشف
حجاب الطبع عاد الى الاخوة الايمان فاتباع بالمعروف فيه توطين النفس على كسرها عن حدة ما كرهت
اليه احنا والجنايات والمعروف ما شهد عيانه بموافقته وقبول موقعه بين الانفس فلا
يلحقها منه تنكر ولما امر المتبع امر المودي فقال واداء اليه باحسان ليلا يجمع بين جنايته
او جنايته وليه وسوء قضايه وفي اعلامه الزام لاوليا الجاني بالتذلل والخضوع والانصاف لاوليا
المقتول بما لهم من السلطان فقد جعلنا لوليه سلطانا فيرا فيرتبوا فيهم رحمة الله التي رحمهم بها فلم
يأخذ الجاني بجنايته انتهى ولما وسع لنا سبحانه بهذا الحكم منة على عليه تعظيما للمنة فقال ذلك
اي الامر العظيم الرفق تخفيف اي عن القاتل واوليايه من ربكم المحسن اليكم بهذه الحنيفية
السمحة وهذا الحكم الجميل وجميع الضمير مراعاة كما قال الحرالي للجانبين لان كل طايفة معرضة
لان تصيب منها الاخرى انتهى ورحمة لاوليا القتيل بالدية وللاخرين بالعفو عن الدم ولما
كانت هذه منة عظيمة تسبب عنها التهديد لمن اباها فقال فمن اعتدى اي بالقتل بعد ذلك
اي العفو ولو كان العافي غيره فله عذاب اليم بقتله او اخذ الدية منه جزاء على عدوانه بغدره
وتعديه بما اشعر باباية لهذه الرخصة التي حكم بها الملك الذي لا تسوغ مخالفته وفي تسمية
جزاءه بالعذاب وعدم تخصيصه باحدى الدارين اعلام بشياعه في كلتيهما تغليظا عليه قال الحرالي
ولما اخبر تعالى بغاية العفو اخبر بغاية المقابلة تتميما لما نبذه اهل الكتاب على عدولهم عن
النص وعماهم عن الحكمة فقال ولكم اي يا ايها الذين امنوا في القصاص وهو قتل النفس القاتلة
بالنفس المقتولة من غير مجاوزة ولا عدوان حياة لان من علم انه يقتل لم يقتل وقال الحرالي
فالحياة لمن سوى الجاني من عشيرته ممن كان يعتدى عليه بجناية غيره في الدنيا والحياة للجاني
بما اقتص منه في الاخرى لان من يكفي دينه حتى في الاخرة ومن بقي عليه جناية فاخذها فهو في حال
ذلك ممن لا يموت فيها ولا يحيى لان المعاقب في حال عقوبته لا يجد طعم الحياة لغلبة الم ولا هو في الموت
لاحساسه بعقوبته انتهى والما مطلق القتل كما كان اهل الجاهلية يقولون القتل انفى للقتل فليس
كذلك لان من علم انه اذا قتل اثنين لا يقتل بهما الا واحد ربما كان ذلك مجريا له على القتل والله
الموفق ولما كانت هذه المحاسن كما ترى معجزة في صحة معناها ودقة اشاراتها وغزير مفهوم ما تر قال
تعالى مرغبا في علو الهمم يا اولي الالباب اي العقول التي لا تنفع اصحابها بخلوصها مما هو كالقشر لانه

جميع لب

بحق نفي الحق ودون كان يسيرا وهو حقي قوله فان اخذ يقي اي وان كان من العفو

جميع لب قال الحرالي وهو باطن العقل الذي شانه ان يلحظ امر الله في المشهودات
كما شان ظاهر العقل ان يلحق الحقايق من المخلوقات فهم الناظرون الى ربهم في اياته
انتهى ثم علل ذلك بقوله لعلكم تتقون اي الله بالانقياد ولما شرع سبحانه القتل قال الحرالي
وفي الهام لعل التي هي من الخلق كما تقدم ترداد اعلام بتصنيفهم صنفين بين ما ينمو اليه ذلك
تقوى وبين من تحمله ذلك وبين في الاعتدا انتهى ولما حث سبحانه على بذل المال ما
وايجابا في حال الصحة والشح وتأميل الغنى وخشية الفقر تصديقا للايمان واتبعه بذل
الروح التي هي عديلها بالقتل التي هي اسباب الموت اتبع ذلك بذله في حال الاشراف على
النقلة والامن من فقر الدنيا والرجا لغنى الاخرة استدراكا لما فات من بذله على حبه
فقال وقال الحرالي لما اظهر تعالى وجوه التزكية في هذه المخاطبات وما الزمه من الكتاب
وعلمه من الحكمة واظهر استناد ذلك كله الى تقوى تكون وصفا لهم او استحداثا معالجا
حسب ما ختم به اية ليس البر من قوله هم المتقون وما ختم به اية القصاص في قوله لعلكم تتقون
رفع رتبة الخطاب الى ما هو حق على المتقين حين كان الاول مكتوبا على المومنين لان يتقوا
برسه وتزكيه بخطاب يتوصل به الى خطاب اعلى في التزكية لينتهي الخطاب من رتبة الى رتبة
الى ان يستوفي نهايات رتب اسنان القلوب واحوالها كما تقدمت الاشارة اليه ولما كان
في الخطاب السابق ذكر القتل والقصاص الذي هو حال حضرة الموت انتظم به ذكر
الوصية لان حال من حضرة الموت انتهى فقال كتب عليكم اي فرض ثم نسخ بآية المواريث
وجوبه فبقي جوازه اذا حضر احدكم الموت اي بحضور اسبابه وعلاماته ان ترك خيرا اي ما
لا ينبغي ان يوصى فيه قليلا كان او كثيرا الوصية للوالدين بدا بهما لشرفهما وعظم حقهما والاقربين
بالمعروف اي العدل الذي يتعارفه الناس في التسوية والتفضيل قال الحرالي وكل ذلك الى
المحتضر والمعروف ما تعلمه الانفس ولا تجد منه تكرها انتهى واكد الوجوب بقوله حقا وكذا
قوله على المتقين فهو الحاث وهيج وتذكير بما امامه من القدوم على من يسأله من التغير والحظة
ولما تسبب عن كونه فعلا دعت اليه التقوى من العدل وجوب العمل به قال فمن بدله اي
الموصى به بان غير عينه ان كان عينا او نقصه ان كان مثليا وقال الحرالي ولما ولي المتقين
انتقال متروكهم الى والدهم وقرابتهم فاضمر بالمعروف تولى عنهم التهديد لمن يبدل عليهم وفي
افهامه ان الفرايض انما انزلت عن تقصير وقع في حق الوصية فكان لو وقع على ذلك لكان كل المال
خطا للمتوفى فلما فرضت الفرايض احتزل من يديه الثلثان وبقي الثلث على الحكم الاول وبين ان
الفرض غير الوصية فلا وصية لوارث لان الفرض بدلها انتهى بعد ما سمعه اي علمه علما لا شك
فيه اما اذا لم يتحقق فاجتهد فلا اثم واكد التحذير من تغيير المعبر وسكوت الباقين عليه بقوله
فانما اثمه اي التبديل على الذين يبدلونه بالفعل او التعريض لا يلحق الموصي منه شي ولما كان
للموصي والمبدل اقوال وافعال ونيات حذر بقوله ان الله سميع اي لما يقوله كل منهما
عليم لسره وعلنه فليحذر من عمل السو وان اظهر غيره ومن دعا المظلوم فان الله يجيبه

ولما كان التحذير من التبديل انما هو في عمل العدل وكان الموصي ربما جار في وصيته لجهله
او عرض تسبب عنه قوله **فمن خاف** اي علم ولعله عبر بذلك اشارة الى انه يقنع فيه بالظن
من موص جنفا اي ميلا في الوصية خطا **او اثما** اي ميلا فيها عمدا قال الحرالي وكان حقيقة
معنى الجنف اخفا حيف في صورة بر واشتقاقه **فاصلح بينهم** اي بين الموصي والموصى لهم ان كان ذلك
قبل موته بان اشار عليه بما تطيب به الخواطر وبين الموصى لهم بعد موته ان خيف من وقوع
شر فوقف بينهم على امر يرضونه وقال الحرالي وفي اشعاره بذكر الخوف من الموصي ما يشعر ان
ذلك في حال حياة الموصي ليس بعد قرار الوصية على حيف بعد الموت فان ذلك لا يعرض له
مضمون هذا الخطاب وفي ايقاع الاصلاح على لفظه بين اشعار بان الاصلاح نايل البين الذي
وصل ما بينهم فيكون من معنى ما يقوله النحاة مفعول على السعة حيث لم يكن فاصلح بينهم انتهى
فلا اثم عليه اي بهذا التبديل ولما كان المجتهد قد يخطي فلو اوخذ بخطايه احجم عن الاجتهاد
وجراه سبحانه عليه بتعليل رفع الاثم بقوله اعلاما بتعميم الحكم في كل مجتهد **ان الله** اي المختص
باحاطة العلم **غفور** لمن قصد خيرا فاخطا **رحيم** اي يفعل به من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم ولما اباح
سبحانه الاكل مما خلقه دليلا على الوحدانية والرحمة العامة والخاصة وكان من طبع الانسان
الاستيثار وكان الاستيثار جارا الى الفتن واتبعه حكم المضطر واشار الى زجره عن العدوان
بتقييده عنه في حال التلف فكان في ذلك زجر لغيره بطريق الاولى واولاه الندب الى التخلي عما دخل
في اليد من متاع الدنيا للاصناف الستة ومن لا فهم ثم الايجاب بالزكوة تزهيدا في زهرة الحيوة الدنيا
لتحتبث العدوان من اصله وعقب ذلك بحكم من قد بعد وما تبعه من التخلي عن المال في حضرة الموت
فرد رتب النفس في الزهد بما هو معقول المعنى بادي بدء من التخلي عنه لمن ينتفع به اتبعه الامر
بالتخلي عنه لا لمحتاج اليه بل لله الذي لا يجد لمجرد تزكية النفس وتطهيرها لتهيئتها لما تفيضه
عليها صفة الصمدية من الحكمة مع ما للقصاص والوصية من المناسبة للصوم من حيث ان هذا م
في القصاص قتل النفس حسا وفي الصوم قتل الشهوة السبب للوطء السبب لايجاد النفس حسا
وفيه حياة الاجساد معنى وفي الصوم حياة الارواح بطهارة القلوب وفراغها للتفكر وتهيئتها
لافاضة الحكمة والخشية الداعية الى التقوى واماتة الشهوة وشهرة شهر الصبر المستعان
به على الشكر وفيه تذكير بالحاجات على الاحسان الى المضطرين وهو مدعاة الى التخلي بادب ما
الملايكة ولذلك نزل فيه القران المتلقى من الملك فهو انسب شي لاية الوصية الما مور بها
المتقون بالتخلي من الدنيا عند مفارقة الاجتماع بالملايكة وختمها بالمغفرة والرحمة
اشارة الى ان الصايم من اقرب الناس اليها فقال تعالى **يا ايها الذين امنوا** فخاطب بما
يتوجه بادي بدء الى ادنى الطبقات التي الترتيب امر الدين لانه لم يكن لهم باعث حب
وشوق يبعثهم على فعله من غير فرض بخلاف ما فوقهم من رتبة المومنين والمحسنين فانهم
كانوا يفعلون معالم الاسلام من غير الزام فكانوا يصومون على قدر ما يجدون من الروح فيه
قاله الحرالي وقال فلذلك لم ينادوا في القران ندا بعد ولا ذكروا الا مرجين والذين ينادون

في القران هم الناس الذين انتهوا الحا اشار بعضهم على بعض والذين امنوا اباهم في محل الاثمار
متقاصرين عن البدار فلذلك كل ندا في القران متوجه الى هذين الصنفين انما توجه الانسان
بوصف ذم تقليل من الاي **كتب عليكم الصيام** لما فيه من التهيو لعلم الحكمة وعلم ما لم يكونوا يعلمون
وهو الثبات على تماسك كما من شان الشي ان يتصرف فيه ويكون شانه كالشمس في وسط السما
يقال لها صامت اذا لم يظهر لها حركة لصعود ولا لنزول التي هي شانها وصامت الخيل اذا لم تكن مركوبة
ولا مركوبة فتماسك المرء عما شانه فعله من حفظ بدنه بالغذا وحفظ نسله بالنكاح وخوضه في زور
القول وسو الفعل هو صومه وفي الصوم خلا من الطعام والضراف عن حال الانعام وانقطاع شهوة
الفرج وتمامه الاعراض عن اشتغال الدنيا والتوجه الى الله والعكوف في بيته ليحصل بذلك تنوع الحكمة
في القلب وجعل كتبا حتى لا تتقاصر عنه من كتب عليه الا انشوم دينه كما ينشرم خرز القربة المكتوب
فيها انتهى **كما كتب على الذين من قبلكم** فيه اشعار بانه مما نقضوا فيه العهد فكتموه حرصا على ضلال
العرب ولما كان في الناس اعلى الهمم القاصرة واشعار واعلا للقلوب العاشقة قال **لعلكم تتقون**
اي تجعلون بينكم وبين اسخاط الله وقاية بالمسارعة اليه والمواظبة عليه رجا لرضى ربكم وخوفا من
من سبق من قبلكم لكم قال الحرالي وفي اشعاره تصنيف الماخوذين بذلك صنفين من يحمله صومه
على وجه الشدة تقوى ومن لا يحمله ذلك ولما كان لهذه الامة جمع لما في الكتب والصحف كانت مبادي
احكامها على حكم الاحكام المتقدمة فلما وجهوا وجهة اهل الكتاب ابتداء ثم ختم لهم بالوجهة الى الكعبة
انتهاء كذلك صوموا صوم اهل الكتاب **اياما معدودات** ابتداء ثم رقوا الى صوم دايرة الشهر وحرر قدر
انتهاء وذلك انه لما كان من قبلهم اهل حساب لما فيه حصول امر الدنيا فكانت اعوامهم شمسية كان
صومهم عددا اياما لا وحدة شهر وفي اعلامه الزام بتجديد النية لكل يوم حيث هي ايام معدودة وفي افهامه
منع من تمادي الصوم في زمن الليل الذي هو معنى الوصال الذي يشعر بصحته رفع رتبة الصوم الى
صوم الشهر الذي هو دورة القمر بتبع الفطر في ليله رحمة للضعيف لا عزما على الصايم وكان فيه
من الكلفة كما في صوم اهل الكتاب من حيث لم يكن فيه اكل ولا نكاح بعد نوم فكان فيه كلفة
ما في الكتب لينال راس هذه الامة واوايلها خطا من منال اوايل الامم ثم لم يوفيها الله الى حكم ما
تخصها فيكون مرباها تجد طعم اليسر بعد العسر انتهى وفيه تصرف ومذهب الشافعي تحريم الوصال
قالوا يا رسول الله انك تواصل قال اني لست كهيئتكم وقال من كان مواصلا فليواصل الى السحر
قال الحرالي فلا نبا بتمادي الصوم الى السحر لسقوط وجبة الفطر التي توافق حال اهل الكتاب
الى وجبة السحر التي هي خصوص اهل الفرقان انتهى وفي مواصلة النبي صلى الله عليه وسلم بهم لما ابوا
الا الوصال اياما استشهاد لمن اباح ذلك والله اعلم قال الحرالي وفي تاسيسه على العدد ملجا يرجع
اليه عند اغما الشهر الذي هو الهلال اي كما سياتي التصريح به فصار لهم العدد في الصوم بمنزلة
التيمم في الطهور يرجعون اليه عند ضرورة فقد اهل الروية كما يرجعون الى الصعيد عند فقد الما
ولما كان للمريض حاجة للدوا والغذا بحسب تداعي جسمه رفع عنه الكتب فتسبب عما مضى قوله
تعالى **فمن كان منكم مريضا** فبقي على حكم التحمل بيقين ما بعد والمومن وتسعه من ترغيب بركة الله كما قال

عليه الصلاة والسلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فلو من غدا في صومه من بركة ربه بحكم يقينه
فيما لا يحصل اليه من لم يصل الي محله فبلي قد رما يستمد بواطن الناس من ظواهرهم يستمد ظاهرا
المؤمن من باطنه حتي يتوي في اعضايه لمدد نور باطنه كما ظهر ذلك في اهل الولاية والديانة
فكان فطر المريض رخصة لموضع تداويه واعتدايه ولما كان المحرم وصفا جابلفظا لوصف
ولما كان السفر وهو ازالة الكن عن الراس تمام دوره يوم وليلة بالمسير عنه بحيث لا يتمكن من عوده
لما رادة في مدار يومه وليلته نسبه سبحانه بين جابحرف الاضافة مفصولا فقال **او على سفر**
لما يحتاج اليه المسافر من اعتدا الوفور هضته في عمله في سفره وان وقت اعتدا به بحسب البقاع
لا بحسب الاختيار ان المسافر ومتاعه على قلة الا ما وقى الله السفر دينا ودنيا فاذا اخف عنه الامر
من وجه طبيعي اخذ بالحكم من وجه اخر ديني **فعدة** نظمه يشعر ان المكتوب عدة **من ايام اخر**
لانتظام مقاطع الكلام بعضه ببعض رابتنا واطرانا ففي افهامه ان مكتوب المريض والمسافر
غير مكتوب الصحيح والمقيم فبذلك لا يحتاج الي تقدير فافطر لان المقصود معني الكتب وبقي
ما دون الكتب على حكم تحمله فكانه يقال للمريض والمسافر مكتوبك ايام اخر لا هذه الايام خلية عن
حكم الكتب لا خلية عن شرع الصوم **وعلى الذين يطيقونه** اي الصوم من الطوق وهو بالوضع في العنق
حليه فيكون ما يستطيعه من الافعال طوقا له في المعنى **فدية طعام** بالاضافة او الفصل **مسكين**
بالافراد ارجاعا الى اليوم الواحد بالجمع ارجاعا الي مجموع الايام لكل يوم طعام واحد وهو مد حفنا
بالكفين هما قوت الحاتي غدا وعشا كفا قالا اقتارا ولا اسرافا في جملة توسعة امر الصوم على من لا
يستطيعه ممن هو لغلبة حاجة طبعه الي الغدا بمنزلة المريض بالنهمة كانها حالة مرض جبل عليه
الطبع فكان في النظر اليه نوع فيه رحمة النظر الى المريض والمسافر الاما بين رتبتي الصنفين من كون
هذين مطيقا وذلك غير مطبق او عن متمكن وفي اعلامه بيان ان من لم يقدر على التماسك عن غدايه
فحقه ان يعود غيره ليقوم تنزل الطعام عوضا عن التماسك عن الطعام لمناسبة ما بين المعنيين وبذلك
لم يذكر هنا مع الطعام عتق ولا صوم **فمن تطوع خيرا** اي فزاد في الفدية **فهو خير له** لانه فعل ما يدل
على من روحه لربه **وان تصوموا** ايها المطيقون **خير لكم** قال الحرالي وفيه اشعار بان الصايم بنا له
من الخير في جسمه وصحته ورزقه حظ وافر مع عظيم الاجر في الاخرة كما اشار اليه الحديث القدسي
كل عمل ابن ادم له الا الصوم وذلك لانه لما كانت الاعمال افعالا وانفاقا وسيرا واحوالا مما شان
العبد ان يعمله لنفسه ولاهله في دنياه وكان من شانه كانت له ولما كان الصوم ليس من شانه
لم يكن له فالصلاة مثلا افعال واقوال وذلك من شان المرء والزكوة انفاق وذلك من شانه والحج ضرب
في الارض وذلك من شانه ان لا ياكل ولا يشرب ولا ينكح ولا يستطيع ممن يعتدي عليه فان امرؤ
شاتمه او قاتله فليقل اني صايم فليس جملة مقاصد الصوم من شانه وحقيقته اذبال جسمه
واضعاف نفسه واماتته بوجه ما ولذلك كان الصوم كفارة للقتل خطا ليناني الصوم من قتل
نفسه بوجه ما جرى على يده خطا من القتل فكان في الصوم تنقص ذات الصايم فلذلك قال تعالى
فانه لي حين لم يكن من جنس عمل الادمي قال تعالى وانا اجزي به ففي اشارته ان جزاه من غيب الله

مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كل ذلك في غضون قوله **ان كنتم تعلمون** انتهى
وجوابه والله اعلم صمتم وتطوعتم فانهم ان لم يعلموا انه خير لم يفعلوه فلم يكن خيرا لهم قال الحرالي
كان خيرا حيث لم يكن بين جميع الصوم والاطعام يعاند بل تقاصد لما يشعر به لفظ الخير انتهى ولما كان
الامر اولا في الاماهر غيرهنا بقوله تعالى **شهر رمضان** لان ذلك انجح والكد من تعيينه من اول الامر
قال الحرالي الشهر هو الهلال الذي شانه ان يدور دورة من حين يهل الى ان يهل ثانيا سواكانت
عدة ايامه تسعا وعشرين او ثلاثين كلا العددين في صحة التسمية بالشهر واحد فهو سابع في فردين
مترايدي العدد فكان العدة كما يأتي احد العددين لمسماه ورمضان المسمي بنا له هو اسم من اسما
الله واشتقاقه من الرمضا وهو اشتداد حر الحجارة من الهاجرة كان هذا الشهر سمي بوقوعه في زمن
اشتداد الحر بترتيب ان يحسب المحرم من اول فصل الشتا اي ليكون ابتدا العام اول ابتداء
الخلق باحيا الارض بعد موتها قال وبذلك يقع الربيعان في الربيع الارضي السابق حين تنزل
الشمس الحوت والسماوي اللاحق حين تنزل الشمس الحمل وقال انه لما وقع لسابقة هذه الامة صوم
لصوم اهل الكتاب كما وجهوا الى القبلة اولا بوجه اهل الكتاب تداركه الارتقاع الى حكم
الفرقان المختص لهم فجعل صومهم القارلهم بالشهر لانهم اهل شهور ناظرون الى الاهلة ليسوا المستقرين
في حساب الشمس فجعل صومهم لروية الشهر وجعل لهم الشهر يوما واحدا فكانهم نقلوا من صوم ايام
معدودات الي صوم واحد غير معدود لوجد ثم لانهم امة امية وواعدنا موسى ثلاثين ليلة من
ميقات محمد صلى الله عليه وسلم واتممنا بعشر من ميقات موسى عليه السلام وامته ومن بعده
من الامم الي هذه الامة انتهى ولما كان هذا خطابا ما موجه سبحانه بانزال الذكر فيه قال
الحرالي واظهر فيه وجه القصد في الصوم وحكمة الخيبية التي لم يجر في الكتب الاول الكتابي فقال
الذي انزل فيه القران فاشعر ان في الصوم حسن ظن لمعناه وتيسرا للتلاوة ولذلك جمع فيه بين صوم
النهار وتهجد الليل وهو صيغة مبالغة من القرء وهو ما جمع الكتب والصحف والالواح انتهى
وفي مرجوبانزاله فيه مدح للقران به من حيث اشعر ان من اعظم المقاصد لمسره وعنه بصيغته
الفكر لاجل جمع القران ليوصف على حقيقه ما انبع هذا به من اوصافه التي قررت ما افتتحت به السورة
من انه لا ريب فيه وانه هدى على وجه اعم من ذلك الاول فقال تعالى **هدى للناس** قال الحرالي
فيه اشعار بان طايفة الناس يعليهم الصوم اي بالتهيئة للتدبر والفهم وانكسار النفس الى رتبة
الذين امنوا والمؤمنين وترقيهم الى رتبة المحسنين فهو هدى يهدي فيه فقد الغذا القلب كما يهدي
وجوده الجسم ولذلك اجمع مجربو احوال الديانة من الدنيا يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
انما هو الجوع وان المعدة والاعضا متي اوهنت لله نور الله القلب وصفى النفس وقوي الجسم ليظهر
من امر الايمان بقلب العادة جديد عادل هو لا وليايه اجل من القوة والمنة من عادته في الدنيا
لعامة خلقه وفي اشارته لما لها ان به الصايم من سد ابواب النار وفتح ابواب الجنة وتصفيد الشياطين
كل ذلك بما يضيق من مجاري الشيطان من الدم الذي ينقصه الصوم فكان فيه مفتاح الصوم الخير كله
واذا هدى الناس كان الذين امنوا الهدى وكان نورا لهم وللمومنين النور كذلك الي اعلى رتب الصايمين

انه مفتاح الهدى

الذاكرين الله كثيرا الذين تماسكوا بالصوم عن كل ما سوى مجالسة الحق بذكره وفي قوله وبينات
اعلان بذكر ما يحل الصايم من نور قلبه وانكسار نفسه وهيه فكره لفهمه للشهد ثمك البينات في
نفسه وكونها من الهدى الاعم الاتم الاكمل الشامل لكافة الخلق والفرقان الاكمل وفي حصول الفرقان
عن بركة الصوم الذى هو بيان رتب ما اظهر الخلق ربه فيها وجهه اشعارها بوتاه الصايم من الجمع
الذي هو من اسما الجامع الذى لا يحصل الا بعد تحقق الفرقان المبني على التقوي المقولة للصايم في
قوله في الكتب الاول لعلكم تتقون فهو صوم يبني عليه تقوي ينبني عليها فرقان كما قال تعالى ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا ينتهي الى جمع يشعر به نقل الصوم من عدد الايام الى وحده الشهر انتهى ولما اتم هما
في ذكر الشهر من الترغيب اثر التعيين ذكر ما فيه من عزيمة ورخصة فقال فمن شهد اي حضر قال
الحرالي في سياقة الزام لمن اراد اى الهلال وحده بالصوم وقوله منكم خطاب للناس ومن فوقهم حيث
كان الصايم مصليا امر الشهر هو المشهور على حد ما يقول النحاة مفعول على السعة لما فيه من حسن الانبا
وابلاغ المعني ويظهر معناه قوله تعالى فليصمه فجعله واقعا على الشهر لا واقعا على معني فيه حيث لم يكن
فليصم فيه وفي اعلامه صحة صوم لبله ليصير ما كان في الصوم الاول من السعة بين الصوم والفطر
للمطيق واقعا هنا بين صوم الليل وفطره لمن رزق القوة بروح من الله تعالى انتهى ومن كان مريضا
اي سواشهد اولا او على سفر اسوا كان مريضا او صحيحا فعدة قال الحرالي فرد هذا الخطاب
من مصوله اوله معناه فصومه عدة من حيث لم تذكر في هذا الخطاب الكتب ليجري مرد كل خطاب
على حد مبداه وفي قوله من ايام اخر اعلام بان القضا يجزي وحده شهر لاختصاص الوحدة بشهر
رمضان وتزول قضايه منزلة الصوم الاول في عدده وفي اطلاقه اشعار بصحة وقوعه متتابعا وغير
متتابع انتهى ولما ارخص على ذلك بقوله يريد الله اي الذي لا يستطيع احد ان يقدره حق قدره
بكم اليسر بالترخيص للمريض والمسافر وبقصر الصوم على شهر ولا يريد بكم العسر في جمله عزيمة على الكل ذرياده
على شهر قال الحرالي اليسر عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم والعسر ما يجهد النفس ويضر الجسم وقال فيه
اعلام برفق الله بالاجسام التي يسر عليها بالفطر وفي باطن هذا الظاهر اشعار لاهل القوة بان اليسر
في صومهم وان العسر في فطر المفطر ليجري الظاهر على حكمته في الظهور ويجري الباطن على حكمه في
البطون اذ لكل اية منه ظهر وبطن فلذلك والله اعلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم في رمضان
في السفر وياس بالفطر وكان اهل القوة من العلما يصومون ولا ينكرون الفطر انتهى ولما كانت
علة التيسير المولد بنفي التعسير الاطاقة فكان التقدير لتطيقوا ما امركم به وكي عليكم امر عطف
عليه قوله ولتكملوا من الاكمال وهو بلوغ الشي الي غاية حدوده من قدر او عدحسا او معنى العدة
اي عدة ايام رمضان الى روية الهلال ان رايتموه والى اتمامها ثلثين التي لا يمكن زيادة الشهر عليها
ان غم فانه لو كلفكم اكثر منه او كان الجابر على كل حال كان جديرا بان تنقصوا من اماه ايام بالذات
بان تنقصوا من عدته او بالوصف بان تاكلوا في اثنايها كما يفعل النصارى فيودي ذلك الى اعلاها
اصلا وراسا وقال الحرالي التقدير لتوفوا الصوم بالروية ولتكملوا ان اعمي عليكم ففي هذا الخطاب
تعادل لذكر الصحو في الابتدا بقوله شهر وذكر الغيم في الانتها بالاكمال انتهى ولما كان العظيم اذا

يسر

يسر امرا كان ذلك احدر بتعظيمه قال ولتكبروا والتكبير اشراف القدر او المقدار حسا او معنى
قال الحرالي وقرن به اسم الاكبر لاقتضا المقام له فقال الله اي لتعتقدوا واعظمته بقلوبكم وتذكروها
بالسنتكم في العيد وغيره ليكون ذلك اجري بدوام الخضوع من القلوب قال الحرالي وفيه اشارة الي
ما يحصل للصايم بصفا باطنه من شهود ما يلمح به اثر صومه من هلال نور الحيا فكما كبر في ابتدا الشهر
لروية الهلال يكبر في انتهايه لروية باطنه من اى هلال نوره العلي ربه فكان عمل ذلك هو صلاة
ضحى يوم العيد واعلن فيها بالتكبير وكرر لذلك جعل في متراح من ملتقى الارض لمقصد التكبير
لان تكبير الله انما هو بما جل من مخلوقاته فكان في لفظه اشعار لما اظهرته السنة من صلاة العيد على
اختصاصها بتكبير الركعتين والجهر لمقصد مواجهة معني التكبير الذي انما هو يكون علنا انتهى
ومن اعظم اسرار الله لما كان العبد محل فرح وسرور وكان من طبع النفس تجاوز الحدود ولما
جبلت عليه من البشرة تارة غفلة وتارة بطرا امره فيه به ليذهب من غفلتها ويكسر من سورتها
ولما كان للوتر به اثر عظيم في التذكير بالوتر الصمد الواحد الاحد وكان للسبعة منها مدخل
عظيم في الشرع جعل تكبير صلاته وترا وجعل سبعا في الاولى لذلك وتذكيرا باعمال الحج السبعة
من الطواف والسعي والجمار تشويقا اليها لان النظر الي العيد الاكبر اكثر وتذكيرا بالخالق
هذا الوجود بالتفكر في افعاله المعروفة من خلق السموات السبع والارضين السبع وما فيهما من الايام
السبع لانه خلقها في ستة ايام وخلق ادم في اليوم السابع يوم الجمعة ولما جرت عادة الشارع
بالرفق بهذه الامة ومنه تخفيف الثانية على الاولى ولما كانت الخمسة اقرب وترا الى السبعة
من دونها جعل تكبير الثانية خمسا لذلك ولانه لما استحضرت عظمة الخالق باشارة الاولى
للعلم بانه المتفرد بالعظمة والقهر والملك بجميع الامر واقبلت القلوب اليه وقصرت الهمم عليه
اشير بتكبير الثانية الي عبادته بالاسلام المبني على الدعايم الخمس وخصوصا باعظم دعايمه الصلوات
الخمس والله الموفق ولما كانت الهداية تطلق تارة على مجرد البيان وتارة عليه مع الحمل على
لزوم المبين وكان تخفيف المامور به وتسهيله اعون على لزومه قال على حامدين على ما هداكم اي
يسر لكم من شرايع هذا الدين فهيا لكم للزومها ودوام التمسك بعراها ولعل هذا سر الاهتمام
بالصيام من الخاص والعام حتى لا يكاد احد من المسلمين يخل به الا نادرا والله الموفق وقال الحرالي
ان الهداية اشارة الى تلك الموجدة التي يجدها الصايم وما يشهده الله من بركاته من روية ليلة
القدر بكشف خاص لاهل الخلوة او ايات بينة لاهل التبصرة او باية بادية لاهل المراقبة
كلا على حكمه وحده من استغراق تماسكه وخلوته واستغراق ذكره في صومه فاعظم الهدى هدي
المرء لان تبدل حسه ونفسه وتفني ذاته في حق ربه كما يقول تعالى يدع طعامه وشرابه من اجلي
وكل عمل فصل وثبت الا الصوم فانه محو وفقد فناسب تحقيق ما هو الاسلام والتقوى من القامة
الظاهر وفوق الباطن انتهى ولما كان الشكر صرف ما انعم المنعم عليه في طاعاته وكان العمل اذا
خف اقرب الي لزوم الطاعة بلزومه ولو نقل لما ذكر ان يعصى بتركه قال ولعلكم تشكرون اي
ولتكونوا في حالة ترجي منها لزوم الطاعة واجتناب المعصية وقال الحرالي فيه تصنيف في الشكر

لهاية كما كان فيه تصنيف التقوى برابه كما قال ولعلكم تتقون ثم صح له التقوى ابتدا صح منه الشكر
انتهاء في اشعاره اعلام باظهار نعمة الله وشكر الاحسان الذي هو مضمون زكوة الفطر عن كل صايم
وعن من تطعمه الصايم فكان في الشكر اخراجه زكوة فطرة ختم بصومه واستقبال فطره بامر ربه
واظهار شكره بما حوله من اطعام عيلته فلذلك جرت فيمن يصوم وفيمن يعوله الصايم انتهى ولما كان
دعا الصايم مجابا وكان هذا الشهر بالخصوص مظنة الاجابة للصايم ولمكان ليلة القدر وكان ذكر
كبريايه سبحانه مهيا لعبادة للاحساس بالبعد فكان ربما اوقع في وهم انه على عادة المتكبرين في
بعد المسافة عن محال العبيد وانه ان كان بحيث يسمع لم يكن لاحد منهم ان يساله الا بواسطة رفع
هذا الوهم بقوله واذا دالا بالعطف على غير مذكور ان التقدير فاذا سالك عبادي عني فاني
قريب مع علو شاني رقيب على من اطاعني ومن عصاني واذا وقال الحرالي لما اذا ثبت الحق تعالى
كتاب الصيام لعباده لما اراده له من اعلامهم الى حب جزايه واطلعهم على ما شاء صومهم من كونه
حضور ليلة القدر وانهاهم الى التكبير على عظيم ما هداهم اليه واستخلفهم في فضله وشكر نعمته
بما حولهم من عظيم فضله واظهر عليهم من زوايكاته ما يدعوا الناظرين لهم الى سوالهم عما نالوه من
ربهم فيلحجون لمن دونهم ما يليق بهم رتبة رتبة يؤثر عن عمر رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكلم ابا بكر فكانما يتكلمان بلسان العجم لا افهم مما يقولان شيا الى ان ينتهي الامر الى ادنى السايلين
الذين هم في رتبة حضر بعد يسرون بمطالعة القرب فقال واذا عطفا على امور متجاوزة كانه
يقول اذا خرجت من معتكفك فصليت واظهرت زينة الله التي باهى بها ملايكته ليلة زينة
الدنيا التي يمها اهل حضرته من ملايكته فاذا سالك من حاله كذا فانبيه بكذا واذا سالك من حالة
كذا فانبيه بكذا سالك عبادي عني اي هل انا على حال المتكبرين من ملوك الدنيا في البعد عمن
من دونهم فاخبرهم اني لست كذلك ولما كان لا يسيل عن الشي الا من كان معطاه مشوقا الى تعجيل
الاخبار به كان الانسب للمقام والاقرب لعيون العباد والارجى لاهل العناد تقريب الجواب واخباره
سبحانه بنفسه الشريفة دون واسطة اشعارا بفرط قربه وحضوره مع كل سايل فقال فاني دون
قل اني فانه لو اثبت قل لاوهم بعدا وليس المقام لذلك ولكان قوله اني موهما يحتاج الى ان يقال
ان الله او نحوه ومع ذلك فلا ينفك عن اشكال ولذا كان هذا التكلف بالسايلين فما ظنك بالمالكين
السايرين وقال الاستاد ابو القسم القشيري ما معناه الذين يسلون عن الجبال وعن اليتامى
وعن المحيض وعن الاهلة ونحوها يجابون بالواسطة واما الذين يسلون عني فانا ارفع الوسايط
بيني وبينهم وقال الامام قاضي القضاة ناصر الدين ابن الميلق ما معناه انه سبحانه لما كان قد تعرف
الى عباده بافعاله واياته وما ركز في العقول من معرفته كان حذف الواسطة في الاخبار انسب
بخلاف الاهلة ونحوها فان العقول لا تستقل بمعرفتها فكان الاخبار عنها بواسطة الرسول
الذي لا تعرف الا من جهته انسب قريب فعيل من القرب وهو مطالعة الشي حسا او معنى اي من
طلبني بعقله وجدني وعرفني وانما ارسلت الرسل زيادة في التعرف ورفعا للحرج بستر التكلف
واسقاط فلا اسرع في التعرف فهو اجدر بتعظيم الواسطة لان الاسراع في الاجابة اقرب دلالة على

صدقته

صدقته في الرسالة قال الحرالي يسر اهل حضرة البعد بالقرب لما رقى اهل القرب الى الوصول
فكان المبشر واصلا وكان المقاصر عن القرب مبشرا به ومعلوم ان قرب الله وبعد الخلق عنه ليس
بعد مشافة ولا قرب مسافة والذي يمكن الاخيه من معنى القرب ان من سمع فيما يخاطب به خطاب
ربه فهو قريب من من سمع ذلك الخطاب منه ومن كان انما يسمع الخطاب ممن واجهه بالخطاب في
حسه ومحسوسه فسمعه ممن دون ربه كان بعيدا الحجب تلك الواسطة من بعد دون بعد الى البعد
البعد ولذلك يعلن للنبي صلى الله عليه وسلم انما عليك البلاغ وكان انما يتلوه لامته انما هو كلام ربه
يتلوه لهم كلام ربهم ليسمعوه من ربهم لا منه حتى لا يكون صلى الله عليه وسلم واسطة بين العبد وربه
بل يكون موصل العبد الى ربه ولذلك اشار بهذا المعنى تلاوة كلمة قل في القران ليكون افصاحا لسماع كلام
الله تعالى ممن يسمع كانما من كان دوني اشعار اعزان القلوب والاسماع الى نداء الحج اثر الصوم لانه جعل
تعالى اول يوم من شهور الحج اثر اخر يوم من ايام الصوم فكان منادي الله ينادي يوم الفطر بالحج
في خفي اشارته اعلانا بندا ابراهيم عليه السلام الذي تقدم اساس امر الاسلام على حقيقته وملته
وليكون في هذه الاية الجامعة توطية لذلك الحج لما تقدم من ان هذه السورة تنتظم جوامعها خلاف تفاصيلها
انتظاما عجيبا يلوح المعنى لاهل الفهم ويفصله لاهل العلم ثم يحكم به على اهل الحكم قال اجيب من الاجابة
وهي اللقا بالقول ابتدا اشروع لتمام اللقا بالمواجهة دعوة الداعي ففيه اشعار باجابة الداعي عند
خاتمة الصوم يعني لما بين العبادتين من تمام المناسبة فان حال الصوم في كونه محو الحال البرزخ
وحال الحج في كونه سعيا الى مكان مخصوص في حال التجرد كحال الحشر قال وحال الفطر على تعيين
على اجابة دعوة الوفادة على الله اثر الخلوة في بيت الله ليكون اسعاهم من بيت خلوته بالعكوف الى موقف
تجليه في الحج وفيه تحقيق للداعي من حاله ليس الداعي من اعراضه وشهواته فان الله سبحانه يجيب
دعوة العبد اذا كان فيه رشده والا ادخرها له او كفر بها عنه كما بينه صلى الله عليه وسلم ولما كان
كل خلق داعيا لحاجته وان لم ينطق بها اشار تعالى الى مقصد اظهار الدعا مقالا وابتهالا
فقال اذا دعان ليكون حاله صدقا بمطابقة حاله مقاله وفي قراة الاكتفا بكسرة الداع ودعان
عن ثانيهما وقراه تمكينها توسعة القراة بما يسر على قبايل العرب بحسب ما في المثنة بعضها من
التملين وما في السنة بعضها من الحذف ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وفي اجابته بحجة
عليهم بان السيد اذا التزم اجابة عبده كان اجابة العبد لسيده اوجب التزاما لاستغنا السيد وحاجة
العبد فحين كان الغني مجيبا كان اولى بان يكون المحتاج مستجيبا فلذلك سبب عنه قوله اشارة الى
شرط الاجابة فليستجيبوا لي ابتاعا ما قد دعاهم اليه من قويم وقصد سبيل ما جبلهم عليه من حاجتهم
اليه وجا بصيغة الاستفعال المشعر باستخراج الاجابة مما شانه الابا لما في الانفس من كره فيما
يحمل عليهم من الوصول الى بيت لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس انتهى وفيه تصويف ولما اوجب
استجابته سبحانه ما دعا اليه وكانت الاستجابة بالايمان اول المراتب واولاها وكانت مراتب
الايمان في قوته وضعفه لا تكاد تتناهى قال مخاطبا لمن امن وغيره وليومنوا بي اي
مطلق الايمان او حق الايمان ثم علل ذلك بقوله لعلهم يرشدون اي ليكونوا على رجا من الدوام

على اصابة المقاصد والاهتدا الى طريق الحق قال الحرالي والرشد حسن التصرف في الامر
حسا او معنى في دين او دنيا ومن مقتضى هذه الاية يتحصل جميع احوال السالكين الى الله من
توبة التايب من حد بعده الى سلوك سبيل قربة الى ما يوتيه الله من وصول العبد الى ربه انتهى
ولما تصور واحوز الاية الشريفة قربه وحبه على عظمته وعلوه فتذكروا المزيد لخاطبته فيما قبل
فاشتاقوا اليه وكان قد يسر لهم امر الصوم كما على جميعهم وكيفا على اهل الضرورة منهم كانوا كانهم
سالوه التيسير على اهل الرفاهية فيما حرم عليهم كما حرم على اهل الكتاب من الوطء في شهر
الصوم والاكل بعد النوم فقال تحقيقا للاجابة والقرب **احل لكم** فاشعر ذلك بانه كان
حراما **ليلة** اي في ليلة **الصيام الرفث** وهو ما تواجه به النساء في امر النكاح فاذا عبر
فلا رفث عند العلما من اهل اللغة ويدل عليه وصله بحرف الانتها الى متبدا عليكم متنهيا
الى نسايكم ولما كان الرفث والوقاع متلازمين عللهما قال **هن** اي والحال انهن **لباس**
لكم تلبسونهن والمعنى ذلك ايح لكم في حال الملابسة او صلاحيتها وهو يفهم انه لا يباح لها يا
والله اعلم ويجوز ان يكون تعليلا لان اللباس لا غنى عنه ولما كان الصيام عاما للصنفين قال
وانتم لباس لهن اي يلبسونكم ثم علل ذلك بقوله مظهرا لعظمة هذه الامة عنده في ارادته
الرفق بها **علم الله** كما قدم من كونه قريبا الا ذم من كونه رقيبا **انكم كنتم تختانون** اي تفعلون
في الجناية في ذلك من المبادرة اليه فعل الحامل نفسه عليه والجناية التفريط في الامانة والامانة
ما وضع ليحفظ ولما كان ضرر ذلك لا يتعداهم قال **انفسكم** ثم سبب عنه قوله **فتاب عليكم**
قال الحرالي فيه تيسير من حيث لم يواخذ وابدت حكم خالف سرعة جبلاتهم فعد دهم بعلمه فيهم
ولم ياخذهم بكتابه عليهم وفي التوب رجوع الى مثل الحال قبل الذنب التايب من الذنب
كمن لا ذنب له وكانت هذه الواقعة لرجل من المهاجرين ورجل من الانصار ليجتمع اليمن في الطايفتين
فان ايمن الناس على الناس من وقع في مخالفته فيسر الله حكمها بوسيلة مخالفته كما في هذه
الاية التي اظهر الله سبحانه الرفق فيها بهذه الامة من حيث شرع لها ما يوافق كتابه وصرف
عنها ما علم انها تختان فيه لما جبلت عليه من خلافه وكذلك حال الامر اذا شاء ان يطيعه
مامور يامره بالامور التي لو ترك ودواعيه لفعلها وينهاه عن الاشيا التي لو ترك ودواعيها
لاجتنبها فبذلك يكون حظ حفظ المامور من المخالفة واذا شا الله ان ينفذ على امة امرها بما
قبلها في تركه ونهاها عما جبلها على فعله فتنشو فيها المخالفة لذلك وهو من اشد الاصار التي
كانت على الامم فخفف عن هذه الامة باجرا شرعتها على ما يوافق خلقتها فسارع سبحانه بهم الى حظ
من هواهم كما قالت عايشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يسارع الى هواك
ليكون لهم حظا بما لسمهم وقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اللهم ادر الحق معه حيث
دار كان صلى الله عليه وسلم يامر الشجاع بالحرب ويكف الجبان عنه حتى لا يظهر فيمن معه مخالفة
الا عن سوطبع لا ينزع وازع الرفق وذلك قصد العلما الربانيين الذين يحرون الحرب والمدرب
والمودب على ما هو اليق بحاله وجبلة نفسه واوفق لحلته وخلقته ففيه اعظم اللطف لهذه الامة

من ربها ومن نبيها ومن ايمة زمانها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لقد هممت ان انهى عن الغيلة
حتى سمعت ان فارس والروم يصنعون ذلك فلا يضر ذلك اولادهم شيا ليجري الاحكام على ما يوافق
الجبلات وطباع الامم لكونه رسولا الى الناس كافة على اختلاف طباعهم وما في السنة والفقه من
ذلك فمن مقتبسات هذا الاصل العلي الذي اجرى الله الحكم فيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على وفق
ما تستقر فيه اماناتهم وتندفع عنهم خياناتهم وفي قوله **وعفى عنكم** اي محا اثر الذنب اشعار بما
كان يستحق ذلك من تطهير منه من نحو كفارة وشبهها ولما كان ما اعلى اليه خطاب الصوم صوم
الشهر على حكم وحدته الاتية على ليلة وليلة وهان اعلاء عن رتبة الكتب الاول التي هي ايام معدودات
مفصول ما بين ايامها بلياليها ليجري لياليها على حكم العباده والدليل على حكم الطبع والحاجة فكان
في هذا الاعلا اطعام الضعيف مما يطعمه الله ويسقيه لانه منه اخذ بطبع بل بانه حكم عليه حكم
شرع حين جعل الشرعة على حكم طباعهم كما قال في الناسي انما اطعمه الله وسقاه وفيه اغنا
القوي عن الطعام والشراب كما قال عليه الصلاة والسلام اني لست كهيتكم فكان يواصل
واذن في الوصال الى السحر فكما اطعموا وسقوا شرعة مع تمادي حكم الصوم فكذلك انكحوا شرعة
مع تمادي حكمه فصار نكاحهم امضاء الحكم الله لا اجابة طبع ولا غرض نفس فقال **فالان** اي
حين اظهر لكم اظهار الشرعة على العلم فيكم وما جبلت عليه طباعكم فسدت عنكم ابواب المخالفة
التي تحت على غيركم **باشروهن** حكما حتى استحب طايفة من العلما النكاح للصايم ليلا حيث صار
طاعة وهو من المباشرة وهي التقاء البشرتين عمدا **وابتغوا** اي اطلبوا **ما كتب الله لكم**
اي من الولد او المحل الحل وفيه اشعار بان ما قضى من الولد في ليالي رمضان نايل بركة زيادة
على نكاح امر به حتى كان بعض علما الصحابة يفطر على النكاح **وكلوا واشربوا** كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفطر على رطبات فان لم يجد فعلى تمرات فان لم يجد حسا حسوات من ماء وقال ان الما
طهور وفي تقديم الاكل اجرا الحكم هذا الشرع على وفق الطبع انتهى ولانه سبب العطش وذلك على وجوب
بيت النية بقوله **حتى** فان في جعل سين التحر غاية لحل المفطرات ايجابا للمراقبة للكف عنها وذلك
هو حقيقة النية وقال **يتبين** قال الحرالي بصيغة يتفعل وهو حيث لم يتكلف الناظر نظره
وكان الطالع يتكلف الطلوع ولم يقل يتبين لان ذلك يكون بعد الوضوح انتهى وفي قوله **لكم**
بيان لان الاحكام بحسب الظاهر وان التكليف بما في الوسع **الخيط الابيض** قال الحرالي حد
الى انتهاء غاية الليل ونبين حد النهار بادق ما يكون من مثل الخيط **من الخيط الاسود** قال ففيها
اهاض بحسن الاستبصار في ملتقى الليل والنهار حتى يوفي العبد نور حسن يتبين حكم على
دقته ورقته وقد كان انزل هذا المثل دون بيان ممثوله حتى احد اعرابي ينظر الى خيطين
محسوسين فانزل **من الفجر** يعني خيط الابيض وقال في كتاب له في اصول الفقه والخطاب بالاجمال
ممكن الوقوع وليس يلزم العمل به والا لزم تكليف ما لا يطاق والزام العمل يستلزم البيان والا
عاد ذلك الممتنع وتاخير بيان المجمل الى وقت الالزام ممكن لان في ذلك تناسب حكم الوحي المنزل بحكمة
الظلم المكون فان الاجمال في القران بمنزلة لطف الاكوان والبيان فيه بمنزلة تخطيط الصور وذلك

ظاهر عند من زاوله وحينئذ فلا يقال خطاب الاجمال عديم الفايدة لانه يفيد مديح حكمة التنزيل وتحصيل بركة التلاوة وفي الاقتصار على بيانه عجباً من فصاحة الخطاب العربي حيث لم يكن فيه ذكر المتوالين اكتفاء باحدهما عن الاخر ففيه تأصيل لاصل البيان من الافهام حيث لم يقل من الليل كما قال من الفجر اكتفاء بما في الفهم من المذكور وفي وقوع المبين اثر غيره مثله نمط اخر من فصاحة الخطاب العربي لان العرب يردون الثالث الى الاول لا الى الثاني ليتعلق بالاول في المعنى وينتظم بالثاني في اللفظ فيكون محرز الحل المفهوم راجعا الى الاول بالمعنى انتهى واوضح دليل على ايجاب السبت امره بالاتمام فانه لما وقع الشروع فيه كما تقدم فاذا تبين الفجر الذي امرتم بمراقبته لكونه غاية لما احل لكم فصوموا اي امسكوا عن الفطر **ثم اتموا** ذلك **الصيام الى الليل** والتعبير بثم اشارة الى بعد ما بين طرفي الزمان الذي احل فيه المفطر وقال الحرالي فكان صوم النهار انما هو لمن صام ليله فكانه في الليل صوم ليس بتمام لا سيما للحس وان كان في المعنى صوما ومن معناه راى بعض العلماء الشروع في الاعتكاف قبل الغروب لوجه مدخل الليل في الصوم التام بالعكوف واضافة الليل للنهار في حكم صوم ما هو في النهار تمام بالمعنى والحس وانما الزم باتمام الصوم نهارا واعتد به ليلا وجرى فيه الاكل والنكاح بالاعتبار لان النهار معاش فكان الاكل فيه اكلا من وقت انتشار الخلق وتعاطي بعضهم من بعض حاجات المرتقب ولان الليل سبات ووقت تعرف وانطماس فيداخله من امر الله ما يحجب ظهوره في النهار فكان المطعم بالليل طاعم من ربه الذي هو وقت تجليه بنزول ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فكان الطاعم في الليل انما اطعمه الله وسقاه فلم يقدح ذلك في معنى صومه وان ظهر صورة وتوعه في حسه كالناسي بل المأذون له اشرف رتبة من الناسي انتهى ولما كان الصوم شديد الملابسة للمساجد والاعتكاف وكانت المساجد مظنة الاعتكاف وكان سبحانه قد اطلق في صدر الاية الاذن في الوطء في جميع الاماكن والاحوال غير حال الصوم خص من سائر الاحوال الاعتكاف ومن الاماكن المساجد فعقب ذلك بان قال **ولا تباشروهن** اي في اي مكان كان **وانتم عاكفون** **في المساجد** اي معتكفون وملازمون مادة عكف على الحبس اي وانتم حابسون انفسكم لله في المساجد عن شهواتها بنية العبادة وفي المساجد ظرف لعاكفون فتحريم المباشرة في الاعتكاف ولو في غير المسجد وتقييد الاعتكاف بها لا يفهم صحته في غير مسجد فانه انما ذكر لبيان الواقع وليفهم حرمة الجماع في المساجد لانه اذا حرم تعظيما لما هي سبب لحرمته ومصححه له كانت حرمته تعظيما لها انفسها اولى والحاصل انه سبحانه سوى بين حالة الصوم وحالة الاعتكاف في المنع من الجماع فان اجتمعا كان اكد فان الاعتكاف من كمال الصوم قال الحرالي وان كان العاكف في المسجد مكملا لصومه لان حقيقة الصوم التماسك عن كل ما شان المرء ان يتصرف فيه من بيعه وشرائه وجميع اغراضه فاذن المعتكف المتماسك عن التصرف كله الا ما لا بد له من ضرورته هو الصايم المكمل صيامه والملحق الحافظ للسانه الذي لا ينتصف بالحق ممن اعتدى عليه هو المتمم للصيام ومن نقص عن ذلك فانتصف بالحق ممن اعتدى عليه فليس بمتمم الصيام فمن اطلق

لسانه

لسانه وانفعاله فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه فاذا حقيقة الصوم هو الصوم لا صورته حتى ثبت معناه للاكل ليلا ونهارا قال النبي صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر بعض اهل الوجهة من الصحابة يقول قايلهم انا صايم ثم يرى ياكل من وقته فيقال له في ذلك فيقول قد صمت ثلاثة ايام من هذا الشهر فانا صايم في فضل الله مفطر في ضيافة الله كل ذلك اعتدادا من اهل الاحكام والنهى بحقيقة الصوم اكثر من الاعتداد بصورة ظاهرة انتهى بمعناه ولما قدم سبحانه ذكر هذه الحرمات ضمن ما قدم في الاحكام اما في المناكح تصريحا واما في الاوامر فلزوما وتقدم فيها لان جاه سبحانه في الارض محارمه فيه على تعظيمها تاكيد تحريمها باستيناف قوله مشيرا باداة البعد **تلك** اي الاحكام البديعة النظام العالية المرام **حدود الله** وذكر الاسم الاعظم تاكيد للتعظيم وحقيقة الحد الحاجز بين الشيئين المتعاطيين فاطلق هنا على الحكم تسمية للشيء باسم جزئه بدلالة التضمن واعاد الضمير على مفهومه المطابقي استخداما فقال **فلا تقربوها** معبرا بالقربان لانه في سياق الصوم والورع به اليق لان موضوعه فطام النفس عن الشهوات فهو نهي عن الشبهات من باب من رتع حول الحمى يوشك ان يواقعه ولما تلى هذا البيان الى حد لا يدركه حق ادراكه الانسان كان كانه قال دهشا هل يحصل بيان مثله لشيء غير هذا فقيل بيانا للواقع وتشويقا الى التلاوة وحثا على تدبر الكتاب الذي هو الهدى لا ريب فيه **كذلك** اي مثل هذا البيان العلي الشأن **يبين الله** لما له من العظمة التي لا تحصر بحد ولا تبلغ بعد **اياته** التي تحق لها بعظمتها ان تضاف اليه وقال **للناس** اشارة الى العموم دلالة على تمام قدرته بشمول علمه الى ان يصل البيان الى احد لا يحصل فيه تفاوت في اصل الفهم لهن غبي وذكي وعلل ذلك بقوله **لعلهم يتقون** اي لتكون حالهم حال من يرجى منه خوف الله تعالى لما من البيان عظمته واشعر هذا الايهام ان فيهم من لا يتقي ولما اذن سبحانه فيما كان قد منع فيه من المطعم والمنكح الصايم وقدم المنكح لانه اشهى الى الطبع اليه ادعى ولان المنع منه كان في جميع الشهر فالفرح فيه اقوى واتبعه الاذن في الاكل لانه قوام الجسم واولاه المنع من النكاح في بعض الاحوال نفل كذلك في المال الذي منه الاكل لانه قد كان مما خان فيه اهل الكتاب عهد كتابهم واشتروا به ثمنا قليلا كثيرا من امره لا سيما تحريم الرشوة فانهم اخفوه واستباحوها حتى صارت بينهم شرعا متعارفا وكان طيب المطعم محثوثا عليه لا سيما في الصوم نهى عن بعض اسباب تحصيل المال اعم من ان يكون رشوة او غيرها فقال **ولا تاكلوا** اي يتناول بعضكم مال بعض ولكنه عبر بالاكل لانه المقصد الاعظم من المال ولما كان المال ميالا يكون في يد هذا اليوم وفي يد غيره غدا فمن صبر وصل اليه ما كتب له مما في يد غيره بالحق ومن استعجل وصل اليه بالباطل محاد السخط ولم ينل اكثر مما قدر له قال **اموالكم** وقال **بينكم** نصحا لهذه المعصية وتهييجا على الامر بالمعروف **بالباطل** وهو ما لم ياذن به الله باي وجه كان ولما كان من وجوه اكله بالباطل التوصل بالحاكم بحجة باطلة يعجز الخصم عن دفعها كما قال صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على حسب ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من النار فيكون الاثم خاصا بالاكل دون الحاكم

عطف عليه ما شاركه فيه الحاكم فقال عاطفا على تاكلوا وتدلوا اي ولا توصلوا في خفا بها الى الحكام
بالرشوة المعمية للبصاير من الادلا قال الحرالي وهو من معنى انزال الدلو خفية في البير
ليستخرج منه ما فكان المدلي يدلي دلو رشوته للحاكم خفية يستخرج جورا ليا كل به مالا انتهى
لتاكلوا فريقا اي شيا يفرق بينه وبين صاحبه من اموال الناس بالاثم اي الجور العمد وانتم اي
والحال انكم تعلمون اي من اهل العلم مطلقا فان الباطل منهم اشنع ويلزم منه العلم بان ذلك
التوصل لا يفيد الحل ولعله ايما الى جواز التوصل الى ماله عند جاحد لم يجد طريقا الى خلاصه الا
ذلك وقال الحرالي في مناسبة هذه الاية لما قبلها لما كان منزل القران لاقامة الامور الثلاثة
التي بها قيام المخاطبين به وهو صلاح دينهم وهو ما بين العبد وربه من عمل او القا بالسلم اليه
وهو اصلاح دنياهم وهو ما فيه معاشهم الامن واصلاح اخرتهم وهو ما اليه معاده كان
لذلك منزل القران مفصلا باحكام تلك الامور الثلاثة فكان سدس للدين وسدس للدنيا
وسدس للاخرة فلما كان في صدر هذا الخطاب يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وهو
خطاب للملوك ومن تبعهم من روسا القبايل ومن تبعهم انتظم به بعد ذلك حكم من احكام اهل
العلم ومن تبعهم في قوله تعالى ان الذين يكتمون الاية ثم انتظم به ذكر الوصية من اهل الجدة
ثم انتظم به ذكر احوال الدين من الراشي والمرتشي ليقع بنظم التنزيل ما بين امر في الدين
وهي في الاخرة الدنيا ليكون ذلك اجمع للقلب في تنول حكم الدنيا عقب حكم الدين ويفهم حال المعاد
من غيره امر الدنيا فلذلك تعلمون اي من اهل العلم مطلقا فان الباطل منهم اشنع ويلزم منه
العلم بان ذلك التوصل الايات هذه المعاني ويجتنب بعضها ببعض ويتوصل بعضها ببعض كما هو
حال المرء في يومه وفي مدة عمره حيث تعمر عليه احوال دينه ودنياه ومعاده يطابق الامر
الخلق في التنزيل والتطوير انتهى ولما اتم سبحانه البيان لما اراد مما شرع في شهر الصوم ليلا ونهارا
وبعض ما تبع ذلك وكان كثير من الاحكام يدور على الهلال لا سيما احد قواعد الاسلام الحج الذي
اخو الصوم وكان ذكر الشهر والاكمال العدة قد حرك العزم للسوال عنه بين ذلك بقوله تعالى يسالونك
وجعل ذلك على طريق الاستيناف جوابا لمن كانه قال هل سالوا عن الاهلة فقيل نعم ولعل لندرة
ما سر العزم الى السوال عنها صريحا فكان سببا للسوال عن السوال عنها وكذا اما ياتي من قوله
يسالونك ماذا ينفقون يسالونك عن الخمر والميسر بخلاف ما عطف على ما قبله بالواو كما ياتي في سياق
ان شا الله تعالى في الانعام ما ينبغي من ذكر النجوم وما لا ينبغي عن الاهلة اي التي تقدم انه ليس
البر تولية الوجه قبل مشارقها ومغاربها ما سبب زيادتها بعد كونها كالخط او الخيط حتى تتكامل
وتستوي ونقصها بعد ذلك حتى تدق وتمحق قال الحرالي وهي جمع هلال وهو ما يرفع الصوت
عند رويته فغلب على روية الشهر الذي هو الهلال انتهى ولما كان كانه قيل ما جوابهم قيل قل معرضا
عنه لما لهم فيه من الفتنة لانه ينبني على النظر في حركات الفلك وذلك يجر الى علم تسيير النجوم وما يتبعه
من الاثار التي تعود الى الكلام في الاحكام المنسوبة اليها فيستدرج الى الالحاد وقد ضل بذلك كثير
من الامم السالفة والقرون الماضية فاعتقدوا تاثيرها بذواتها وقد قال عليه الصلاة والسلام ناهيا

عن ذلك

عن ذلك لانه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد اخرجه احمد
وابو داود وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال علي رضي الله عنه من طلب علم النجوم تكهن
مرشدا سبحانه الى ما فيه صلاحهم هي مواقيت جمع ميقات من الوقت وهو الحد الواقع بين
امرين احدهما معلوم سابق والاخر معلوم به لاحق للناس في صومهم كما تقدم ومعاملاتهم والحج
صرح به لانه من اعظم او اعظم مد اخرها قال الحرالي وهو حشر العباد الى الموقف في شهور اخر
السنة فهو امر ديني مشعر بختم الزمان وذهابه لما فيه من اية المعاد انتهى ولما كانوا قد اعتادوا
في الحج فعلا منكرا وكان ترك المالوفات اشق شي على النفوس ولذلك قال اهل الطريق وسادات
اهل التحقيق ملاك القصد الى الله تعالى خلع العادات واستجداد قبول الاوامر والمنزلات
من قيوم الارض والسموات وبذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم سادات اهل الاسلام قال
تعالى عاطفا على ليس البر مقبحا لذلك الفعل عليهم منبها على انهم عكسوا في سوالهم كما عكسوا في فعالهم
ويجوز ان يكون معطوفا على حال دل عليه السياق تقديرها والحال انه ليس البر سوالكم هذا
عنها وليس البر واكد النفي بزيادة الباء في قوله بان تاتوا البيوت اي لا الحسية ولا
المعنوية من ظهورها عند القدوم من الحج او غيره كما انه ليس البر بان تعكسوا في مقالكم بترك
السوال عما يعنيكم والسوال عما لا يعنيكم بل يعنيكم ولما نفي البر عن هذا كما نفي في الاول
استدرك على نهج الاول فقال ولكن البر قال الحرالي بالرفع والتخفيف استدراكا لما هو
البر واعراضا على الاول وبالنصب والتشديد مع الالتفات الى الاول المقصد طرحه
انتهى من اتقى فجعل المعنى نفس البر الحالا به الى الانبال على التقوى ولما كانت التقوى حاملة
على جميع ما مضى من خلال الايمان الماضية المتقى بها ولما كان التقدير فاتقوا فلا تسالوا عما لا
يهمكم في دينكم عطف عليه واتوا البيوت من ابوابها حالة العمل ومعنى في التلقي والباب المدخل
للشي المحاط بحايط بحرزه ويحوطه قاله الحرالي وتقدم تعريفه له بغير هذا ولما كان الامر بالتقوى
قد تقدم مضمنا وتلويحا اتى به دالا على عظيم جدواها ذكرا وتصريحا دالا له على التاكيد في توكيد
تلك العادة لاقتضا الحال ذلك لان من اعتاد شيا قل ما يتركه وان تركه طرقه خاطره وقتا ما
فقال واتقوا الله ثم علله بقوله لعلكم تفلحون اي ليكون حالكم حال من يرجى دوام التجدد لفلاحه
وهو ظفره بجميع مطالبه من البر وغيره فقد دل سياق الاية على كراهة هذا السوال وذكر الحرالي
ان اكثر ما يقع فيه سوال يكون مما اليس فتنة او اورث محنة او اعقب بعقوبة ولذلك قال تعالى لا
تسالوا عن اشيا وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسايل وعابها وقال ذروني ما تركتكم فانما
اهلك من كان قبلكم كثرة سوالهم الحديث ومنه كره الراي وتكلف توليد المسايل لانه شغل عن علم التاصيل
ولعرض لوقوعه كالذي سال عن الرجل يبتلى في اهله فابتلي به وقال كثرة توليد مسايل السهو
اوقع فيه وقال وهذه الاية كالجامعة الموطية لما ذكر بعدها من امر توقيت القتال الذي كانوا عليه
لما كان من امر الجاهلية حكم التحرج من القتال في الاشهر الحرم والتساهل فيه في اشهر الحل مع كونه
عدوى بغير حكم حق فكان عملا بالفساد وسفك الدما انتهى وفيه تطرق ثم نهى سبحانه عما اصلوه من ذلك بما

شرعه من امر القتال لكونه جهادا فيه لا لحظ من حظوظ الدنيا ولما ذكر سبحانه الحج في هذه
السورة المدنية وكان سبيله اذ ذاك ممنوعا عن اهل الاسلام باهل الحرب الذين اخرجوهم
من بلدهم ومنعوهم من المسجد الذي هم احق به من غيرهم وكان الحج من الجهاد وكان كل من الصوم
والجهاد تخليا من الدنيا سياحة امتي الصوم ورهبانية امتي الجهاد وكانت امهات العبادات
موقته وهي الصلاة والزكوة والصوم والحج وغير موقته وهي الذكر والجهاد وهو قتال اهل
الحرب خلافا لما كان عند اهل الجاهلية من توقيته مكانا بغير الحرم وزمانا بغير الاشهر
الحرم وكان القتال في الاشهر الحرم وفي الحرم في غاية المنع فكيف عند المسجد وكان سبحانه قد
ذكر العبادات الموقته اتبعها بغير الموقتة وهي الجهاد الذي هو حظيرة الموقتة الذي لا سلامة
لها به ونبه التفاتا الى الظالمين بالمنع عن المسجد الحرام والاخراج منه فامر بان يفعل معهم مثل
ما فعلوا من القتال والاخراج فعل الحكيم الذي يوصي بالشي العظيم فهو يلقيه بالتدريج واساليب
البلاغة وافانين البيان تشويقا اليه وتحريضا عليه بعد ان اشار لاهل هذا الدين اولا بانه
يجزي ظالميهم وثانيا بان المقتول منهم حي يرزق وثالثا بمدحهم على الصبر في مواطن الباس
بالحصر الذين صدقوا وهم المتقون فلما شوقهم الى جهاد اهل البغي والعناد الزمهم القتال
بصيغة الامر لتيسير الحج الذي افترضه وسبيله ممنوع باهل الحرب فقال تعالى **وقاتلوا في**
سبيل الله اشعارا بذكره على سبيل الاطلاق بعد المؤقت بالهلال الى انه غير موقت به قال الحرالي
من حيث انه حظيرة على دين الاسلام المقيد بالمواقيت من حيث ان الاسلام عمل يعين الوقت
والدفع عنه امر لا يتعين وقت بل اما طرق الضر لبنا الاسلام دفع عنه كما هو حكم الدفع في الامور
الدنيائية فكانت الصلاة لمواقيت اليوم والليلة والصوم والحج لمواقيت الاهلة والزكوة لميقات
الشمس والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظرا بوجه ما لما تيا بله من عمود
الاسلام الذي هو ذكر كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله على الدوام يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم انتهى وقال **الذين يقاتلونكم** اي من شانهم قتالكم
وفيه اشعار بان القتال عن سبب المقاتلة نهي مما يفعل عن سبب لا مما يفعل لوقت وصيغة
المضارع لم يقصد بها الا صدور الفعل من غير نظر الى زمان مخصوص كما قالوا في امثاله ولما
كان الله سبحانه قد اوجب العدل في كل شي حتى في حق اعدائه قال **ولا تعتدوا** فنظر لمن ابتدأ
القتال لمن لم يبح ابتداوه برا ما بعهد او بغير دعوة لمن لم يبلغه امر الدين او بغير ذلك من انواع
الجبلة والغدر وقتل النسا والصبيان والشيوخ الفانين الذين لا منعة فيهم ولا راي لهم ودوام
القتال لمن القي السلم بعد الاستيدا به وكانه اتى بصيغة الافتعال التقييد بالتعمد ثم علل
ذلك بقوله **ان الله** اي لما له من صفات الكمال **لا يحب المعتدين** مطلقا في هذا وفي غيره اي لا يفعل
بهم من الخير فعل المحب ولما حرم الاعتدا صرح بإباحة اصل القتال فقال **واقتلوهم** اي الذين يقاتلونكم
حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم وانتم تطمعون في ان تغلبوا لانه من ثقف اي بالضم ثقافة اذا
صلب وثقف بالكسر كذلك وايضا صار حاذقا فطنا وثقفت الشي ثقفا اخذته والشي صادفته

قال

باب ح

قال ابن القطاع الوحد ان فتمل الحل والحرم من الزمان والمكان لانهم كذلك يفعلون
بالمسلمين كانوا يوذونهم ويفتنوهم عند البيت في كل وقت وفي التعبير بالفعل ما يشعر
بالنصر لحزب الله ولبشرى بضعف العدو وعن مداومة المقاومة للمجاهدين وقد اطرت
التجربة مثل ذلك وانه انهم اذا قروا لم يكروا ولما كانت الاية ناظرة الى القصاص قال **واخرجوهم**
اي وان لم يقاتلوكم **من حيث اخرجوكم** اي مكة التي هي موطن الحج والعمرة ومحل الشعاير المقصودة
لاهل الاسلام ولما كان هذا امشعر باباحة لم يكن منهم اليهم فقال في مكة بغير الاذي المحوج
الى الخروج من الديار على ان التقدير فان الاخراج من المسكن اشد فتنه وقد فتلوكم به
فعطف عليه قوله **والفتنه** اي بالاخراج وغيره من انواع الاخافة **اشد من القتل** لما فيها من
دوام النعم القابض للنفس عن مرادها فلذلك سوغنا لكم قتلهم قصاصا بسبب اخراجكم فكان
المراد بالذات اخراجهم ليمكن الحج والاعتمار ولكنه لما لم يكن الا بقتالهم وقتلهم اذن فيهما ولما كان
الاذن في الاخراج مستلزما في العادة للقتال وكان قد اذن في الابتدا به حيث ثقفوا
خصص ذلك فقال ناظرا الى حال المقاصصة ايضا ومشيرا الى ما سيقع من غزوة الفتح المثال الثاني
بقوله بعد ولعربه والمسجد الحرام **ولا تقاتلوهم** اي هولا الذين اذن لكم في اخراجهم **عند المسجد**
الحرام الذي اريد ثم اخراجهم كما اخرجوكم **حتى يقاتلوكم فيه** اي في ذلك الموضع الذي هو عند المسجد
وكانه عبر بفيه في الثاني وعند في الاول والمراد الحرم في كل منهما كفا عن القتال فيه مهما وجد الى الكف
سبيل تعظيما له واحلالا لمحله **فان قاتلوكم** اي في ذلك المكان **فاقتلوهم** اي لا تقتصروا على مدا
بل اصدقوهم في الضرب المجهز ولا حرج عليكم من جهة المسجد فان الانتهاك لحرمته منسوب الى البادي
وفي التعبير بالقتل في جواب المقاتلة في قراءة الجمهور او الفعل في قراءة حمزة والكسائي بشارة بنصر
المبني عليه وفوق اداته ولما كان هذا امنهما انه خاص بهم عمم بقوله **كذلك** اي مثل هذا الفعل
العظيم الجدوى **جزا الكافرين** كلهم ولما كان النزوع بعد الشروع لاسيما حال الاشراف على الظفر عسرا
على الانفس الابية والهمم العلية قال **فان انتهوا** اي عن القتال وعند ما ندوقيه اشعار
بان طايفة منهم تنتهي فان العالم بكل شي لا يعبر باداة الشك الا لذلك ولما كان التقدير
فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم **فان الله** قد غفر لهم عاله بامرهم فقال فان الله **غفور رحيم** اي له
هاتان الصفتان ازلا وابدا فكل من تاب فهذا شانه معه ولما كان المراد بما مضى من قتالهم
اذاهم باي فعل كان حققه بقوله **وقاتلوهم** اي هولا الذين نسبناهم الى قتالكم واخراجكم
وفتنكم اعم من ان يكونوا كفارا اولا **حتى لا تكون** اي توجد **فتنة** بان لا يقدروا ان يردوا احدا
من اهل الاسلام ليردوه عن دينه او يخرجوه من داره او يخلعوه من ماله او يغلبوه على حقه
وسال كل من وقع منه ذلك كفرا او بغيا في سبيل الله حتى يفي الى امر الله **ويكون الدين لله** اي
خاصا بزمان يكون امر المسلمين ظاهرا لا يقدر احد من اهل الكفر ولا اهل البغي على التظاهر
باذى احد منهم قال الحرالي ففي طيه اشعار بما وقع وهو واقع وسيقع من قتال طايفة
الحق لطايفة البغي بساير اليوم المحمدي بما يخلص من الفتنه ويخلص الدين لله توحيدا او رجحوا ثباتا

نعتهم

على حال السلف الصالح وزمان الخلافة والنبوة انتهى فان انتهوا اي كلفوا انفسهم الوجوع
عما استوجبوا به القتال فقد تركوا الظلم والنهي قال الحرالي الحكم المانع من الفعل
المتمادي اليه بمنزلة اثر الفعل الحسي فهي لمنعه عما تهوي اليه النفس مما يستبصر فيه النهي
قال عليه الصلاة والسلام ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى فمن لم يكن من اهل النهى كان
لهاه النهي وهو الحكم المذكور انتهى فلا عدوان عليهم فانه لا عدوان الا على الظالمين قال
الحرالي فذكر الظلم الشامل لوجوه ايقاع الامر في غير موضعه من اعلى الدين الى منتهاه انتهى
ويجوز ان يكون التقدير فان انتهوا عن الشرك فقد انتفى عنهم اسم الظلم فلا تعتدوا عليهم
فان اعتديتم عليهم سلطنا عليكم لظلمكم من يعتدي عليكم فانه لا عدوان الا على الظالمين
الذين دخلتم في مساجهم وخرجوا من مساجهم بالانتهاء فلا عدوان الا عليكم لا عليهم ولما اباح سبحانه
القتال في كل مكان حتى في الحرم وكان فعله في الاشهر الحرم عندهم شديدا جدا ثار
العزم للسوال عنه فقال الشهر الحرام اي ان قاتلتموهم فيه لكونهم قاتلوكم في شهر حرام
بالشهر الحرام الذي قاتلوكم فيه ولما اشعر ما مضى بالقصاص افصح به على وجه اعم فقال
والحرمات اي كلها قصاص فمن اي فتسبب عن هذا انه من اعتدى عليكم اي بعد اذاكم في شي
من الاشيا في اي زمان او مكان كان فاعتدوا عليه اي فجازوه بمثل ما اعتدى اي عدوانه
عليكم اي بمثل الذي اعتدى عليكم به ولما جعل المماثلة حدا وكان امرها خفيا والوقوف عنه
بعد استرسال النفس بارسالها صعبا حذر من تعديه على وجه بادب الى العفو للمستبصر
فقال واتقوا الله اي المحيط علما بكل شي بالتحري في القصاص حتى لا تجاوزوا واعلموا ان الله
معكم ان اعتصمتم بالتحري فتركوا بالعفو فان الله مع المتقين ومن كان معه افلح كل الفلاح ما زاد
الله عبدا بعفو الا عزا قال الحرالي ففي ضمنه اشعار وتطريق لمقصد السماح الذي هو
خير الفضايل من وصل القاطع والعفو عن الظالم ولما كان في هذه التقوى خروج عن حظ
النفس اعلمهم انه تعالى يكون عوضا لهم من انفسهم بما اتقوا وداوموا على التقوى حيث كان
وصفا لهم فاعلمهم بصحبته لهم انتهى ولما كانت النفقة من اعظم دعايم الجهاد وكان
العيش في اول الاسلام ضيقا والمال قليلا فكان ذلك موجبا لكل احد ان يستمسك بما في يده
ظنا ان في التمسك به النجاه وفي انفاقه الهلاك اخبرهم ان الامر على غير ما يسول به الشيطان
من ذلك الشيطان يعدكم الفقر وقال الحرالي ولكان ما لزم العفو من العز الذي جا على خلاف
عرض النفس نظم به تعالى ما يجي على خلاف مدرك الحس في الانفاق الذي يحصل به الزكا والنما
ولما اسس تعالى حكم الجهاد الذي هو اشق منه على الانفس ومن حيث ان القتال مدافعه
يشتمل على علة وزاد لم يكن امر يتم الا بالعمل العزيز من الشجاعة والجود ولذلك فكان اشد
الافات في الدين البخل والجبن انتهى فقال تعالى وانفقوا في سبيل الله لا قال وقاتلوا في
سبيل الله اي ولا تخافوا العيلة والضيعة فان الله ربكم هو الذي امركم بذلك والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا قال الحرالي فلما نظر للاموال بانفاقها لا باصلاحها واثباتها فانتظم الخطاب بان

مانی

ما في العفو وما في الانفاق من النما واكد ذلك بالاعلام بما لا تصل اليه مدارك الانفس من
ان اصلاح الاموال وامساكها تهلكة انتهى فقال تعالى ولا تلقوا بايديكم اي تسرعوا
بوضعها اسراع من يلقي الشي بعدم الانفاق الى التهلكة من الهلك وهو تداعي الشي الى
ان يبطل ويفنى فان في ذلك الاخلاد الى الدعة والتواكل فيجتري عليكم العدو فلا تقوم لكم قايمة
فان البخل اسرع شي الى الهلاك وقال الحرالي احاطة الخطاب تقتضي ان التهلكة تضييع
القتال والانفاق الذين بتركهما تقع الاستطالة على مبنى الاسلام فيتطرق الى هدمه ولما
كان امر الانفاق اخص بالانصار الذين كانوا اهل الاموال لتجرد المهاجرين عنها كان في
ضمنه ان اكثر فصل الخطاب فيه للانصار انتهى وقد روى ابو داود والترمذي وهذا
لفظه وقال حسن صحيح والنسايي عن ابي ايوب رضي الله عنه انما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار
لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اموالنا قد ضاعت فلو اقمنا في اموالنا فانزل الله هذه الاية فكانت التهلكة الاقامة على
الاموال واصلاحها وتركنا الغزو ولما كانت التوسعة في امر القتال قد تجر الى الاعتدا ختمه
بالنهي بينه وبان الله لا يحب المعتدين ولما كانت التوسعة في الانفاق في سبيل الله من اعلى خلال
الايمان قال تعالى واحسنوا اي بالاكثار من الانفاق ان الله الملك العظيم يحب المحسنين اي
يفعل معهم كل ما يفعله المحب مع من يحبه من الاكرام والاعلا والنصر والاغنا وغير ذلك من جميع ما
يحتاجه كما انه لا يحب المعتدين قال الحرالي فانتظم ختم الخطابين بان لا يقع الاعتدا في القتل
وان يقع الاحسان في المال وفي اشعاره حض الانصار على انفاق اموالهم بتلوين بر حال
المهاجرين في التجرد عنها فكما كان امر المهاجرين ان لا ينقضوا الحج كان امر الانصار ان لا يلتفتوا
الى الدنيا فما خرج المهاجرون عن اصله خرج الانصار عنه التمسك بدعة وصنعة فكان اعراضهم
تابعا لترك المهاجرين اموالهم ولما ختم ايات القتال بالنفقة في سبيل الله لشدة حاجة الجهاد
اليها وكان سبيل الله اسما يقع على الحج كما يقع على الجهاد كما ورد في الحديث الحج من سبيل الله رجع الى
الحج والعمرة المشير اليهما مثابة للناس وان الصفا والمروة الاية ومواقيت للناس والحج ولا سيما
وايات القتال هذه انما نظمت ههنا بسببهما توصيلا اليهما وبعضها سببه عمرة الحديبية
التي صد المشركون عنها فكان كانه قيل مواقيت للناس والحج فحجوا واعتمروا واي تلبسوا
بذلك وان صد دتم عنه وقاتلوا في سبيل الله من قاتلكم في وجهكم ذلك لينفتح لكم السبيل ولما كان
ذلك بعد الفتح ممكنا لا صاد عنه عبر بالاتمام فقال واتموا اي بعد فتح السبيل بالفتح الحج والعمرة
ولما تقدم الانفاق في سبيل الله والقتال في سبيل الله نبه هنا على ان ذلك كله انما هو لتمام العبادات
التي هي مبني الاسلام له سبحانه فقال لله اي لذاته ولما كان سبحانه قد اعز هذه الامة اكراما لنبيها
صلى الله عليه وسلم فلا يهلكها بعامة ولا يسلط عليها عدوا من غيرها بل جعل كفارة ذنوبها في القابيها
او ما يجانس ربما يقطعها عن الاتمام قاطع من ذلك بقوله فان احصرتم اي منعتم وحبستم عن اتمامها
من الاحصار وهو منع العدو والحصر عن منصرفه كالمريض يحصر عن التصرف في شانه قاله الحرالي فما اي

فالواجب على المحصر تلافيا لما وقع له من الخلل في عمله ما استيسر اي وجد بيسر والتيسر
حصول الشي عفوا بلا كلفة من الهدي من الابل والبقر والغنم بذبحه حيث احصر ويتصدق
به وقد رجع حلالا ولما كان الحاج هو الشعث التفل اشار الى حرمة التعرض لشعره بقوله
ولا تحلقوا رؤسكم اي اذا كنتم محرمين بحج او عمرة من الحلق قال الحرالي وهو ازالة ما يبادي
للعين وال بالقطع من الالة الماضية في عمله والراس مجتمع الخلقة ومجمع كل شي راسه انتهى
حتى يبلغ من البلاغ وهو الانتها الى الغاية الهدي ان كان معكم هدي محله اي
الموضع الذي يحل ذبحه فيه ان كنتم محرمين بحيث احصرتم والا فعند المروة او في منى ونحوهما
قال الحرالي والهدي ما تقرب به الادنى للاعلى وهو اسم ما يتخذ فدا من الانعام متقدمه
الى الله تعالى وتوجيهه الى البيت العتيق وفي تعقيب الحلق بالهدي اشعار باشتراكهما في
معنى واحد وهو الفدا فالهدي في الاصل فدا الذبح الناسك نفسه لله سنة ابراهيم في
ولده عليهما السلام وازالة الشعر فدا من جز الراس لله ولذلك لما سيل النبي صلى الله عليه
وسلم عن تقديم احدهما على الاخر قال افعل ولا حرج لان الجميع عائد بالمعنى الشامل
للفدا انتهى ولما كان الانسان محل العوارض المشقة وكان الله سبحانه قد وضع عنا الاصار
ببركة النبي صلى الله عليه وسلم فجعل دينه يسيرا قال فمن كان منكم ايها المحرمون مريضا يرجى
له بالحلق خير او به اذى ولو قل والاذى ما تعلق النفس اثره من راسه بقمل او غيره ففدية اي فعليه
بحلق راسه فدية من صيام لثلثة ايام او صدقة لثلاثة اصع من طعام على ستة مساكين ان
الصدقة كما قال الحرالي عدم الصيام عند فقده كما تقدم ولليوم وحينا فطر وسحور لكل وجبة
مد فللكل يوم صاع او نسك اي تقرب بذبح شي من الانعام ولما كان الله سبحانه بسعة حلمه وعظيم
قدرته وشمول علمه قد اقام اسبابا تمنع المفسدين على كثرتهم من التمكن من الفساد اشار الى
ذلك باداة التحقيق بعد تعبيره عن الاحصار باداة الشك فقال فاذا امنتم اي حصلتم في
الامن فمن تمتع باستباحة دخوله الى الحرم باحرامه بالعمرة ليستفيد الحل حين وصوله الى البيت
ويستمر حلاله في سفره ذلك الى الحج اي احرامه به فما اي فعليه ما استيسر اي وجد اليسر
به من الهدي من النعم يكون هذا الهدي لاجل ما تمتع به من النسكين وهو سافر من الحل
هذا للمتمتع واما القارن فقال الحرالي بجمعه بين النسكين في سفر واحد وشانهما ان يكونا
في وقتين وقت حل ووقت حرم وفي العبارة اشعار بصحة ارداف الحج على العمرة لانه ترقى من
احرام ادنى الى احرام اعلى انتهى ولما افهم التقييد باليسر حالة عسر لهما بقوله فمن لم يجد
اي هديا من الوجد والطول والقدرة فصيام اي فعليه بدل الهدي صيام ثلاثة ايام في
الحج اي في ايام تلبسه به وصيام سبعة اي من الايام اذا رجعتم الى بلادكم قال الحرالي
فيكون الصوم عدلا للهدي الذي يطعمه المهدي كما كان الاطعام عدلا للصوم في اية وعلى
الذين يطيقونه انتهى ولما كان للتصريح مزية ليست لغيره قال تلك اي العدة المامور
بصومها عشرة دفعا لاحتمال ان يكون الواو بمعنى او وان يكون المراد بالسبع المبالغة دون

الحقيقة

الحقيقة والعشرة قال الحرالي معاد عد الاحاد الى اوله ولما كان زمن الصوم بين
مختلفين قال كاملة نفيا لتوهم ان الصوم بعد الاحلال دون ما في الاحرام في الكمال
قال الحرالي الانتها الى الغاية التي ليس وراها مزيد من كل وجه وقال وكما استوى
حال الهدي وانتهاؤه الى الحرم او الحل كذلك استوى حال الصوم في البلد الحرام والبلد
الحلال ليكون في اشارته اشعار بان الارض لله مسجد كما ان البيت الحرام لله مسجد فاظهر
يعني استواؤهما في الكمال في حكم الاجر لاهل الاجر والقبول لاهل القبول والرضى لاهل
الرضى والوصول لاهل الوجهة كل عامل على رتبة عمله انتهى ولما كان ربما دفع في
الفكر للسؤال عن هذا الحكم هل هو خاص او عام استانف تخصيصه بمن هو غايب
عن حرم مكة على مسافة القصر فقال ذلك اي الحكم المذكور لمن لم يكن اهله من زوجة
او اقاربه او لسكان وطنه وقال الحرالي والاهل مسكن المرء من زوج ومستوطن حاضري
اي على مسافة الحضر من الحضور وهذا ملازمة الموطن لا على المسافة السفر من المسجد الحرام
اي الحرم بل كان اهله على مسافة الغيبة منه وهو على مسافة القصر قال الحرالي افصاحا
لما افهمه معنى المتعة وذلك لان الله عز وجل اذا تولى ابانة عمل انهاه الى الغاية في الافصاح
انتهى ولما كثرت الاوامر في هذه الايات وكان لا يحمل على امتثالها الا التقوى الكثر تعالى
نبها من الامر بها قال الحرالي لما تحمل النفوس من مداخل نقص في النيات والاعمال
والتنقلات من الاحكام الى ابدالها فما ابتنى على التقوى خلص ولو نقص انتهى ولما كان
من الاوامر ما هو معقول المعنى في الجمل ومنها ما هو تعبدي وكان عقل المعنى يساعد على النفس
في الحمل على امتثال الامر ناسب اقتران الامر به بالترغيب كما قال واتقوا الله لعلكم
تفلحون واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين ولما كان امتثال ما ليس بمعقول المعنى من
عند قوله واتموا الحج والعمرة لله شديدا على النفس مع جماحها عن جميع الاوامر ناسب اقترانه
بالتهديد فكان ختامه بقوله واتقوا اي فافعلوا جميع ذلك واحملوا انفسكم على التحري فيه والوقوف
عند حدوده ظاهرا وباطنا الله اي اجعلوا بينكم وبين غضب هذا الملك الاعظم وقاية واكد تعظيم
المقام بالامر بالعلم وتكرير الاسم الاعظم فقال واعلموا تنبيها على ان الباعث على التحافر انما هو
العلم ان الله اي الذي لا يداني عظمته شي شديد العقاب وهو الايلام الذي يتعقب به
جرم سابق هذا مع مناسبة هذا الختام لما بعده من النهي عن الرفث وما في حيزه ومن يدبر لا يبدا
عن الختم ومن تامل الختم لاح له الابتدا قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب المفتاح في
الباب الخامس في تنزلات القران بحسب الاسما اعلم ان خطاب الله يرد بيانه بحسب اسمايه وجمعها
جوامع اظهرها ما تري ابانته وهو اسمه الملك وما تنفصل اليه من الاسما السمه لامر الحكم والقضا
والجزا نحو العزيز الحكيم التي يختم بها ايات الاحكام نكالا من الله والله عزيز حكيم ثم ما تتميم ابانته
من اسمه الرحمن الرحيم وما يتفصل من الاسما من معنى الرحمة المنبية عن الصفح والمغفرة الذي
تختم به ايات الرحمة ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما فلكل تفصيل في

مورد ومجي الحول والفصل اسما يختص بربنا وهاو ولذلك قال عليه السلام مالم يختم اية رحمة
بعذاب او اية عذاب برحمة ثم ما يوجد ايانه وجدانا في النفس وجه الربوبيه وما سمي
اليه معنى سوا امرها من الحمد لله رب العالمين وما ينفصل اليه من الاسما الواردة في ختم الاحاطة
نحو الواسع العليم فمن تعطف لذلك استوضح من التفصيل الختم واستشرح من الختم التفصيل وقد
كان ذلك واضحا عند العرب فاستعجم عند المتعربين الاما كان ظاهر الوضوح منه ولتكرار
الاسما بالاظهار والاضمار بيان مستن الافهام في القران انتهى ولما ذكر سبحانه ان الحج موقت بالاهلة
ولم يعين له وقتا من شهور السنة وختم ذلك بالتنفير في بعض احكام الحج بسبب الاما كن تشوفت
النفس الي تعيين وقته وانه هل هو كالمكان او عام الحكم فقال **الحج اشهر** فذكره بصيغة من
جموع القلة الذي ادناه ثلث وهي ثلاث بحر المتكبر **معلومات** ولا شك ان في الابهام ثم التعيين
اجلالا واعظاما للمحدث عنه ولما ختم الاية التي قبلها بالتحذير من سطواته امر باخلاص الحج
عن الشوايب ناهيا بصيغة النفي تعظيما له وتاكيد النهي انتهى ولما كان الحج لا يقع الافرضا قال
فمن فرض اي اوجب بالاحرام وهو من الفرض وهو الحز الذي لينزل فيه ما يسد وفرضيه حسا
او معنى فمن ثم تعظيم سبحانه له انه جعله دون سائر العبادات لا يتحلل فيه بعد التلبس به قال
الحرالي لان الفرايض من لم يتمها شيا قط عضوا عضوا قايم دينه كما ان النوافل من لم يات
بها عري من زينتها فكانت الفروض صحة والنوافل زينة وفي قوله **فيهن** اشعار بصحة وقوع
الحج في بعضهن وان الحج ليس كالصوم طبق زمانه فكان من العبادات ما هو طبق زمانه كالصوم
وما يتسع فيه كالصلاة ولا بد ان ينتهي الي خاتمته كالحج وتقع التوسعة في الشروع انتهى **الحج**
اي تلبس به كيف كان **فلا رفث** اي مواجهة للنسا بشي من امور النكاح ولما كان الرفث راميا
الي الوقاع الذي هو نسق بالخروج عن الاحرام الصحيح قال صاما اليه كل ما دخل في هذا الاسم
ولا فسوق قال الحرالي هو الخروج عن احاطة العلم والعقل والطبع انتهى ولما كان المرء
قد يجر الي الفسوق بما يثير من الاحن ولو عين الصدور فكان نسقا خاصا عظيما ضرورة قال **ولا جدال**
اي مدافعة بالقول بعد عن القصد كمدافعة الجلاد باليد او السيف **في الحج** فصار الفسق
واسطة بين امرين جاريين اليه والجدال لكونه قد تعسد ذات البين اعظمها خطرا فلذلك
اجمع القرا على ما انه مع لا على الفتح دون ما قبله ولان العرب كانوا يختصمون في الحج على النبي ويجادلون
فيه في الموقف فزال الجدال فيه بعد البيان بكل اعتبار من جهة الخدم والعيال وغيرهم والنبي
والموقف وغيرها من حيث انه قد علمت مشاعده وتقررت شرايعه واحكمت شعايره واوضحت
جميع معالمه فارتفع النزاع اصلا في امره والجدال مدافعة بالقول وقيل للمخاطبين به عن
مراده كمدافعة الجلاد باليد والسيف قال الحرالي جمع في الحج من الاقبال على الخلق بما فيه
كل من رفث ومال وجدال حتى لا يقبل الخلق على الخلق في الحج الا ايما الا قبالا فيه اقبالا على الحق
بالحقيقة فما ينزه الحق تعالى عن مواجهة بر سجايى مع الخلق في زمن الحج كما تحوي ما يختص بالنفس
من الاحداث في عمل الصلاة وفي ورود ه نبيا لا انبا اعلام بانه مناقض لحال الحج حين نفي لانه شان

ما ينافض ان ينفي وشان ما لا ينافض ويخالف ان ينهي عنه كما قال فيما هو قايل للجدال ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وبين خطاب النهي والنفي تفوت في الاحكام الشرعية
بين الفقه في الاحكام على تحقيقه في تاصيلها والتفريع عليها انتهى ولما كانت هذه المنفيات سوا
وكان التقدير مما فعلتم من حرم المنهيات على هذا الوجه الا بلغ عوقبتم عليه عطف عليه **وما** وقال
الحرالي ولما حمي من سو معاملة الخلق مع الخلق عرض بان توضع موضع ذلك الاحسان فيقع في محل
احراج الانفس ان يتوددوا اليها باشد الخير وهو الاحسان من خير الدنيا ففي اعلامه تحريض
على احسان الحاج بعضهم لبعض لما يجمع وفد من الضعيف والمنقطع فقال **وما تفعلوا** انتهى اي
توحكم فعله في وقت من الاوقات **من خير** في الحج او غيره يتوكل في تجرد او تزود في تزهد او غير
ذلك **يعلمه الله** الذي له صفات الكمال فيجازيكم عليه ولما عم في الحث على الخير على وجه شامل للتزود
وتركه بعد التخصيص اشار الي ان الخير هو الزاد على وجه يعم الحسي والمعنوي زيادة في الحث
عليه اذ لا اضر من اعواز الزاد لاكثر العباد فقال **وتزودوا** اي التقوى لمعادكم الحاملة على
التزود الحسي لمعاشكم الحامل على الزهد فيما في ايدي الناس والمواساة لمحتاجيهم الواقية للعبد
من عذاب الله اتقوا النار ولو بشق تمرة وذلك هو غمرة التقوي والزاد منفعة المسافر ثم علل
ذلك لما انتجه من قوله **فان خير** ويجوز ان يكون التقدير وتزودوا واتقوا الله في تزودكم فان خير
الزاد التقوي وفي التجرد مداخل خلل في بعض نيات الملتبسين بالمتوكلين من الاتكال على الخلق
فامر الكل بالتزود سترا للضعفين اذ كل جمع لابد فيه من كلا الطرفين افاده الحرالي وقال
في ضمنه تصنيفهم ثلاثة اصناف متكل لا زاد معه فمعه خير الزادين ومتمتع لم يتحقق تقواه فلا
زاد له في الحقيقة وجامع بين التقوي والمنفعة فذلك على كمال السنة كما قال عليه الصلاة
والسلام قيدها وتوكل لان ذلك استر للطرفين وحقيقة التقوي في امر التزود النظر الي
الغنية عما سواه فقد ملك الزاد فليذهب حيث شا فقد استطاع سبيلا انتهى ولما علم من
علم ان التقدير فاكثروا من الزاد مصحوبا بالتقوي وكان الانسان محل النقصان فكان
الاكثار حاملا له في العادة على الطغيان الا من عصم الله وقليل ما هم قال سبحانه مؤكدا الامر
التقوي مشرفا لها بالاضافة الي نفسه المشرفة عاطفا على ما ارشد اليه تقدير السياق
واتقون في تقواكم بالتزود وزاد الترغيب فيها بقوله **يا اولي الالباب** اي العقول الصافية
والافهام النيرة الخالصة التي تجردت عن جميع العلايق الجسمانية فابصرت جلالة التقوي
فلزمتها ولما فهم الحث على الاكثار من الزاد تحركت نفوس اولي الهمم الزاكية القابلة للتجرد عن
الاعراض الفانية الي السوال عن المتجر بما فيه من وجوه الخير هل يكره في زمان او مكان فاجيب
بقوله معلما ان قطع العلايق لمن صدق عزمه وشرفت همته اولي **ليس عليكم جناح** اي اثم
في **ان تبتغوا** اي تطلبوا **فضلا** اي افادة بالمتجر في مواسم الحج وغيرها **من ربكم** المحسن
اليكم في كل حال فلا تعتمدوا الا على الفضل الالهي ولما كان الاستكثار من المال انما يستكره لشغل
عن ذكر الله تسبب عنه الامر بالذكر في قوله **فاذا** اي فاطلبوا الفضل من ربكم بالمتجر فاذا **افضتم**

اي دفعتم ركابكم عند غروب الشمس ففاضت في ذلك الوادي كما يفيض الماء المنساب في منحدر
الشعاب واصل الافاضة الدفع بكثرة **من عرفات** الجبل الذي وقفتم به بابكم قاصدين
المبيت بالمزدلفة وهو اسم علم من معنى التعرف لما تقدمته نكره **فاذكروا الله** ذا الجلال بانواع
الذكر **عند المشعر الحرام** وهو الجبل المسمى قزح وهو من الشعور وهو خفي الادراك الباطن
قال الحرالي وذلك حظ من الوقوف هنيهة وقت في البلد الحرام عند اقبال النهار معادلة
الوقوف بعرفة من الحل الي اقبال الليل لتسري الوقوف في الحل والحرم فكان فيه موقف
نهار ينتهي الي الليل في عرفة وموقف الليل ينتهي الي النهار في المشعر فوقف فيه صلى الله عليه وسلم
بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس وهو ذكره عنده لان الذكر بحسب الذاكر فذكر اللسان
القول وذكر البدن العمل وذكر البدن الحمل وذكر النفس الحال والانفعال وذكر القلب
المعرفة والعلم واليقين ونحو ذلك ولكل شيء ذكر بحسبه وفي جميع المرتبتين في الحل والحرم في معلم
الحج الذي هو ابتدا الخبرة ايذان وبشرى بان اهل الموقف صنفان صنف يقفون في موطن
روع ومخافة وقوفا طويلا اعتبارا بوقوف الحج بعرفة من حين زوال الشمس الي غروبها
ست ساعات وصنف حظهم من الوقوف قرار في امن ظل العرش الذي هو حرم يوم القيمة
وكعبته فيشعر حظه الوقوف بالمشعر الحرام ان امد طول ذلك اليوم عمر على المستظلين بظل العرش
فيه كايسر مدة كما قال صلى الله عليه وسلم بمقدار صلاة مكتوبة فكان في ذلك فضل ما بين موقف
الحرم على موقف الحل انتهى ولما علم من ذكر الاسم الاعظم ان المعتدين كما هو مستحق للذكر لذاته
عطف عليه قوله **واذكروه** اي عند المشعر وغيره **كما هداكم** ايها الناس كافة الاسلام
وايها الحمس خاصة لترك الوقوف به والوقوف مع الناس في موقف ابيكم ابراهيم عليه السلام
وان اي وانكم **كنتم من قبله** اي الهدي الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم **لمن الضالين** عن
سنن الهدي ومواقف الانبيا ولما فتح عليهم ما كانوا عليه من المخالفة في الوقوف بالنسبة
الي الضلال بالجملة الاسمية موكدة بانواع التاكيد اشار لهم الي تعظيم ما هداهم له من الموافقة
باداة التراخي فقال **ثم** اي بعد طول تلبسكم بالضلال انزلت عليكم في هذا الذكر الحكيم التي
اسموه وهو شرفكم وعزكم لا ما ظننتم انه شرف لكم بالتعظم على الناس بمخالفة الهدي **افيضوا** اي
اذا قضيتم الوقوف وقال الحرالي لما كان للخطاب سبب للاهم فالاهم كما ان للكيان ترتيب
للاسبق فالاسبق كان حرف المهلة الذي هو ثم يقع تارة لترتيب الكيان وتارة لترتيب الاخبار
فيقول القائل مثلا امش الي حاجة كذا تقديما في الخبر الاهم ثم ليكن خروجك من موضع
كذا فيكون السابق في الكيان متاخرا بالمهلة في الاخبار هو معنى ذلك قوله انتهى
افيضوا اي ايها الحمس **من حيث افاض الناس** كافة وهو عرفات الي المشعر الحرام ليتبوا به
واستغفروا الله اي اطلبوا منه ان يغفر لكم ما كنتم تفعلونه ايام جاهليتكم من مخالفة الهدي
في الوقوف ومما سعى في الانفس من اثار تلك العادة ومن غير ذلك من النقايص التي يجلها الله
منكم قال الحرالي والعادات اشد ما على المتعبدين والطريق الي الله بخلعها وقد كان هذا الله

اي في

اي في وقوفهم في الحرم بغير علم لان العلم يقتضي ان الواقف خايف والخايف لا يخاف
في الحرم لان الله جعل الحرم امنا فمن حق الوقوف ان يكون في الحل فاذا امن دخل الحرم
واذا دخل الحرم امن انتهى **ان الله** ذا الكمال **غفور** اي ستور ذنب من استغفر **رحيم** اي
بليغ الرحمة يدخل المستغفر في جملة المرحومين الذين لم يبد منهم ذنب يفعل بهم من الاكرام فعل
الراحم بالمرحوم ليكون التايب من الذنب كمن لا ذنب له ولما امرهم بالذكر في المناسك كان
الانسان فيها بصدد الذكر امرهم بالذكر بعد قضايها لان من فرغ من العبادة كان بصدد
ان يسترخي فيفتر عن الذكر الي غيره وكانت عادتهم ان يذكروا بعد فراغهم مفاخر ابايهم
فقال **فاذا قضيتم** اي انهيتم من عرفات **مناسككم** اي اركان الحج **فاذكروا الله** الذي
لا نعمة عليكم الا منه وهو الذي هداكم **كذكركم اباءكم** لكونهم احسنوا اليكم بالتربية التي
هي في الحقيقة من فضل الله على انهم فعلوا بكم محنة لا تزال فيها نعمة فانهم اضلوكم فسبحان من يعطي
وهو المنعم المطلق الهادي بان يذكر مثل ذكر من كان سببا لنعمة خاصة هو سبحانه الذي
افاضها عليه مع انه كان سببا في الضلال قال الحرالي فانتظم اخراجهم عن قولهم المعهود باخرا
عن موقفهم المعهود اخراجا لهم عن معتادهم في اعمالهم واحوالهم وفي اعلامه اخذ للخلق بان
يعاملوا الحق معاملة من يجلونه من الخلق وذلك عن بلية ما غلب عليهم من التقيد بما
يرون وضعف الايمان بما سمعوا او علموا ولما كان في هذه الرتبة بحسن جري عليه هذا الخطاب
كما ورد استحي من الله كما تستحي رجلا جليلا من قومك قال تعالى **او اشد ذكرا** انتهى اي منكم لابايكم
لما له من الفضل العام قال الحرالي فرفع الخطاب الي ما هو اليق بالحق من اشارة ما يرجع
اليه على ما يرجع الي الخلق انتهى ولما امر تعالى بما امر من ذكره سبب عنه تقسيم الناس
في قبول الامر فقال **فمن الناس من** الدنيا اكبر همه فلا التفات له الي غيرها فهو **يقول**
ربنا ايها المحسن الينا **اتنا في الدنيا** والحال انه **وما له في الاخرة من خلاق** اي نصيب لانه لا رغبة
له فيه فهو لا يطلبه ولا يسعى لها سعيها قال الحرالي والخلاق الحظ اللايق بالخلق والخلق **ومنهم**
من يذكر الله كما امر فهو **يقول ربنا** باحسانك **اتنا في الدنيا** حالة **حسنة** لا توصل
بها الي الاخرة على ما يرضيك قال الحرالي وهو الكفاف من المطعم والمشرب والملبس والماوى
والزوجة على ما كانت لا سرف فيها انتهى **وفي الاخرة حسنة** اي من رحمتك التي تدخلنا بها الجنة
ولما كان الرجا لا يصح الا بالخوف قال **وقنا عذاب النار** اي بعفوك ومغفرتك ولما كان هولاء
على منهاج الرسل عظم شانهم بقوله على سبيل الاستيناف **اولئك** اي العالو المراتب العظيمو
المطالب **لهم** ولما كان غالب افعال العباد على غير السداد واقل ما فيها ان يكون خاليا عن
رتبة حسنة قال مشيرا الي ذلك **نصيب** وهو اسم الحظ الذي اتت عليه القسمة بين جماعة **مما**
كسبوا اي وهو ما اخلصوا فيه وهو قليل بالنسبة الي باقي اعمالهم ولما كان اسرع الناس حسابا
اعلمهم بعمره خطا وصوابا وكان التقدير والله اعلم لم يخف اعمالهم وحليها وتمييز جيدها من رديها
فهو يجازيهم على حسب ذلك عطف عليه قوله **والله سريع الحساب** لما له من سعة العلم وشمول القدرة

جم

قيل لبعضهم كيف يحاسب الله الخلق في وقت واحد قال كما يرزقهم في وقت واحد ولما كان بذكر
امرهم بذكره عند قضا الاركان وكان ربما فهم اقتصارهم عليه في الوقت الذي كانوا يذكرون
فيه اباهم قال معمما وليكون الحث عليه اكد لتكرير الندب اليه بصيغة فيكون امحض لشانه واذكروا
الله اي لما يستحقه في ذاته من الكمال في ايام معدودات وهي ايام اقامتكم بمنى في ضيافته
سبحانه لفعل ما عليكم من تتمات العبادات الحجية ولما فهم من هذا انه لا بد من الاقامة
بها في مدة الثلاثة الايام فيسر في ذلك تيسيرا يهون الحج بجمع القوي والضعيف والخادم والمخدوم والضعيف
في هذا الدين ابنيه على القوي فقال فمن تعجل اي منكم الرجوع الى اوطانه في يومين منها
فلا اثم عليه والعجلة فعل الشي قبل وقته الاليق به ولما كان ذلك ربما افهم ان المتاخر لحقه
اثم قال ومن تاخر اي فاقام في منى الى تمام الثلاثة فلا اثم عليه والتاخر بعد
الزمن من الاركان الكاين ولما كان مدار الاعمال البدنيات على النيات قيد ذلك بقوله
لمن اي هذا النفي للاثم عن القسمين لمن اتقى من اهلها فادارا نفاله على ما يرضى الله ولما كان
التقدير فافعلوا ما شئتم من التعجيل والتاخر عطف عليه ما عظم انه روحه فقال واتقوا
الله ولما كان الحج حشرا في الدنيا والانصراف منه يشبه انصراف اهل الموقف بعد الحشر عن
الدنيا فريقا الى الجنة وفريقا الى السعير ذكرهم بذلك بقوله واعلموا انكم اي جميعا اليه لا الى غيره
تحشرون بعد البعث والحشر الجمع بكره فاعملوا ما يكون سببا في انصرافكم منه الى دار كرامته
لا الى دار اهانته قال الحرالي وكليه الحج ومناسكه مطابق في الاعتبار لامر يوم الحشر وموافق
من خروج الحاج من وطنه متزودا كخروج الميت من الدنيا متزودا بزاد العمل ووصوله الى الميقات
واهلاله متجردا كانبعاثه من القبر متعريا وتلبيته في حجه كتلبيته في حشره مهطعين الى الداعي
كذلك اعتباره موطنا موطنا الى غاية الافاضة والحلول بحرم الله في الاخرة التي هي الجنة
والشرب من ماء زمزم التي هي ابتر نزل الله لاهل الجنة على وجوه من الاعتبارات يطالعها
اهل الفهم واليقين فلاجل ذلك كان اتم ختم لاحكام الحج ذكر الحشر انتهى وهنا تم ما اراده سبحانه
من بيان قواعد الاسلام الخمس الايمان والصلاة والزكوة والصوم والحج المشار الى الثلث
الاول منها بقوله تعالى اول السورة يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
وذكر الحج لمزيد الاعتبار به لاخفا الصوم بعد ذكره سابقا عليه ولعل ذلك هي السبب في تقديم
الصوم على الحج تارة وتاخيره اخرى في روايات حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح بني الاسلام
على خمس ولما كان قد ذكر سبحانه الراغب في الدعا وحدها والراغب في الدارين وكان قد بقي
من الاقسام العقلية المعرض عنهما وهو مفقود فلم يذكره والراغب في الاخرة فقط وكل من الاقسام
تارة تكون مساويا معلنا وكان المحذور انما هو المسيء لارادة الدنيا باطنا لارادة الاخرة
وكان هذا اهو المنافق جرى به بعد ذكر التقوي والحشر ليكون مصدوعا بادي بدي بذلك
الامر مقصودا بالتهديد بالحشر وسائرا بصبغة ما في اول السورة من ذكر المنافقين ليذكر
السامع تلك القصص ويستحضرها بتلك الاحوال وحسن ذلك طول الفصل وبعد العهد فقال ومن

الناس من يعجبك ايها المخاطب قوله كما ذكرنا اول السورة انه يخادع والعجب من الاعجاب وهو
العجب وهو كون الشي خارجا عن نظائره من جنسه حتى يكون نادرا في صنفه قال الحرالي ولما
كان ذكر هذا بعد ذكر الحشر ربما اوهم ان يكون القول او الاعجاب واقعا في تلك الحالة قيد
بقوله في اي الكاين في الحياة الدنيا لا يزداد في طول مدته فيها الا احسانا لقوله وتقبيحا
لما يخفي من فعله ويشهد الله المستجمع لصفات الكمال على ما في قلبه انه مطلق لما اظهره بلسانه وهو
اي والحال انه الد الخصام اي يتمادي في الخصام بالباطل لا ينقطع حد اله كل ذلك وهو يظهر
له على الحسن الجميل ويوجه لكل شي من خصامه وجها يصرفه عما اراد به من القباحة الى الملاحة واللدد
شدة الخصومة والخصام القول الذي يسمع المصيخ ويولج في صماخه ما يكفه عن مزعمه ودعواه قاله
الحرالي ولما ذكر انه الد الشوع ذكر وجه لدده فقال واذا تولى اي عمن خدعه بكلامه سعى في الارض
بفعل وقوله عند من يوافقه ليفسد في الارض اي ليوقع الفساد فيها والناس اسرع شي اليه
فيصير له مشاركون في افعال الفساد فاذا فعل منه ما يريد كان معروفا عندهم فكان له عليه
اعوان ويهلك الحرث اي الذي يعيش به الحيوان قال الحرالي سماه حرثا لانه الذي نسبه الى
الخلق ولم يسمه زرعا لان ذلك منسوب للحق انتهى والنسل اي الذي به بقا نوع الحيوان قال الحرالي
وهو استخراج لطيف الشي من جملته والله اي والحال ان الله الملك الاعظم لا يحب الفساد اي
لا يفعل فعل المحب فلا يامر به بل ينهي عنه ولا يقر عليه بل يغير وان طال المدى ويعاقب
عليه وقال الحرالي فنفي عنه الحب الذي هو مختص بزيادة الاحسان ليبقي في الخطاب توسعة
لايقاع مثله قصاصا وجزاء سيئة سيئة مثلها ولما كان من الناس من يفعل الفساد فاذا نهي عنه
انتهى بين ان هذا على غير ذلك تحقيقا لا لدده فقال مبشرا باداة التحقيق بانه لا يزال في الناس
من يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا قيل له من اي قايل كان اتق الله واترك
ما انت عليه من الفساد اخذته اي قهرته لما له من ملكة الكبر العزة في نفسه لما فيها من الكبريا
والاستهانة بامر الله وليس من شان الخلق الاتصاف بذلك فان العزة لله جميعا بالاثم اي مصاحبا
له باحتقار الغير والاستكبار عليه ولما كان هذا الشان الخبيث شانه دايما يمهد به لنفسه
ليتمكن مما يريد سبب عنه قوله فحسبه اي كفايته جهنم تكون مهادا له كما مهد للفساد وتحصيل
هذا الاسم المنبي عن الجهامة في المواجهة اي الاستقبال بوجه كريه لما وقع منه من المواجهة
لمن امره من مثله قال الحرالي فلمعنى ما يختص بالكره يسمي تعالي النار باسم من اسمايها انتهى
ولبئس المهاد هي والمهاد موطن الهدو والمستطاب مما يستفرش ويوطا قال الحرالي وقال
فيه اشعار بامهال الله عز وجل لهذه الامة رعاية لنبيها فاحسب فاجرها وكافرها بعذاب
الاخرة وعاجل مومنها بعقوبة الدنيا مخلص لكافرها الدنيا ولمومنها الاخرة وابانطول المقام
والخلود فيها انتهى ولما اتم الخبر عن هذا القسم الذي هو شر الاقسام اتبعه خيرها ليكون ختاما
فقال ومن الناس من يشري اي يفعل هذا الفعل لما لاح له وهو انه يبيع بغاية الرغبة والابتغا
نفسه في اوامر الله بالنهي لمثل هذا الالد عن فعله الخبيث والامر له بالتقوى والتذكير بالله

وروي انها نزلت في صهيب رضي الله عنه لانه لما هاجر ارادت قريش رده فجعل لهم ماله حتى خلوا
سبيله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع فعلى هذا يكون شري بمعنى اشترى ثم علل
ذلك بقوله ابتغا ابتغا اي اطلب مرضات الله لما يعلم من شدة رحمة الله به والله رؤف اي
بالغ الرحمة بالعباد كلهم حيث اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة مع كفرهم بر وتقصيرهم في امره
وبين لهم الطريق غاية البيان بالعقل اولا والرسل ثانيا والشرايع ثالثا والكتب الحافظة
لها رابعا ولعل الفصل بين الاحكام الاربعة بالايام المعدودات اهتماما امرها لكونها من
الحج وتاخيرها عن اخواتها اشارة الى انها ليست من دعايم المناسك بل بجبر بدم ولما ختم هذين
القسمين بالساعي بنفسه في رضى الله عنه يشاكله للاولين حسن جدا تعقيبه بقوله يا ايها الذين امنوا
ليكون هذا الندا واقعا بادي بدء باذن هذا الداعي كما كان المنافق مصدوعا بما سبقه
من التقوي والحشر مع كونه دليلا على صفة الرافة وتكرير الامر بالايمان بين طوايف الاعمال
من اعظم دليل على حكم المامور به فانه مع كونه الكد لامره وامكن لجده ونحن نفهم ان العماد في
الرشاد الموجب للاسعاد يوم المعاد فقال ادخلوا في السلم اي الايمان الذي ملزوم لسهولة
الانقياد اي يا من امن بلسانه ليكن الايمان ظرفا محيطا بكم من جميع الجوانب فيحيط بالقلب
كما احاط باللسان ولا يكون لعرامة الجهل وخلافة الكفر اليكم سبيل كافة اي وليكن جميعكم في
ذلك شرعا واحدا لهذا الذي يشري نفسه ولا تنقسموا فيكون بعضكم هكذا وبعضهم كذلك
الا لد فان ذلك دليل الكذب في دعوى الايمان ولما كان الابا والعناد الذي يحمل عليه الانفة
والكبر فعل الشيطان وثمرة كونه من نار قال ولا تتبعوا اي تكلفوا انفسكم من امر الملاة صد
ما افطرها الله عليه وسهله لها من الهدي خطوات الشيطان اي تكلفوا انفسكم طرفيه في العطو عن
الحق قال الحرالي ففي افهامه ان التسليط في هذا اليوم له وفيه اشعار وانذار بما وقع في
هذه الامة وهو واقع وسيقع من خروجهم من السلم الى الاحزاب بوقوع الفتنة في الالسنة
والاسنة على امر الدنيا وعودهم الى امور جاهليتهم لان الدنيا اقطاع الشيطان كما ان الاخرة
خلاصة الرحمن فكان ابتدا الفتنة منذ كسر الباب الموصد على السلم وهو عمر بن الخطاب رضي
الله عنه فلم يزل الهرج ولا يزال الى ان تضع الحرب اوزارها انتهى ثم علل ذلك سبحانه بقوله انه لكم
عدو مبين اي بما اخبرناكم به في امر ابيكم ادم عليه السلام وغير ذلك مما شواهده ظاهره
وما احسن هذا الختم المضاد لختم التي قبلها فان تذكر الرافة منه سبحانه على عظمته والعبودية
منا الذي هو معنى الدلالة التي روحها الانقياد لكل ما نحته الولي وتذكر عداوة المضل اعظم منفر
وداع الى الله سبحانه ولما اقام سبحانه الادلة على عظمته التي منها الوحدانية وازال الشبه
ومحى الشكوك وذكر بانواع اللطف والبر الى ان ختم الايتين بما ذكر هز ولا بد وعداوة المضل
عن طريقه سبب عن ذلك قوله فان زللتم مشيرا باداة الشك الى انهم صاروا الى حالة من زحج
الطريق الواسع الامكن الامين المستقيم الاسلم بعيد معها كل البعد ان يزلوا عنه ولذلك قال من بعد
ما جاتكم البينات اي بهذا الكتاب الذي لا ريب فيه قال الحرالي بينات التجوز بتشهود اوبناعا معني

وتحقيقا

وتحقيقا لما وقع وقال ان التعبير بان يشعر بانهم يستنزلون والتعبير بالماضي اشعار بالرجوع
عنه رحمة من الله لهم كرحمته ادم لا بويهم حين ازلهم الشيطان فلما ازل ابويهم في الجنة عن محرم
الشجرة ازلهم في الدنيا عن شجرة المحرمات من الدما والاموال والاعراض انتهى ولما كان الخوف
حاملا على لزوم طريق السلامة قال فاعلموا فان العلم اعون شي على المقاصد ان الله الحاوي لجميع
الكمال عزيز لا يعجزه من زل ولا يفوته من ضل حكيم يبرم ما لا يقدر احد على نقض شي منه ولما
كان هذا الختم مودنا بالعذاب وكان اتيان العذاب من محل يتوقع منه الرحمة افظع وكان انفع
الاشيا السحاب لحمله الغيث والملايكة الذين هم خير محض وكان الذين شاهدوا العذاب من السحاب
عادا وبني اسرايل وكان عاد قد مضوا فلا يكون عادة سوالهم وكان من زل بعد هذا البيان
قد اشبه بني اسرايل في هذا الحال فكان جديرا بان يشبههم في المال فيما صاروا اليه من ضرب
الذلة والمسكنة وحلول الغضب والوقوع في العطب قال تعالى هل ينظرون اي ينتظرون
اذا زلوا سابقا لهم في اسلوب الانكار وصيغة الغيبة تنبيها على ان الزالين في غاية البعد عن
مواطن الرافة والاستحقاق لاعراض المبعد عن خطابهم واقبال من عداهم على ما لم يكن في
حسابهم الا ان ياتيهم الله الذي لا يحتمل شي تجلي عظمته وظهور جلاله في ظلل من الغمام ظلة في داخل
ظلة فهي في غاية الاظلام والهول والمهابة لما لها من الكثافة التي تمنع على الرايي ما فيها وتدمر
ما اتت عليه الى غير ذلك من انواع المجد الذي لا يقدره حق قدره الا الله والملايكة الذين لا يعصون
الله ما امرهم وهل ينتظر من القوي المحكم لما يفعل العزيز الذي يعلوا مر كل امر الا اتيانه بالباس
اذا اعطف بعد طول الحلم وتمادي الاناة فلا يرد باسه ولا يعارض امره وهو المراد من قوله
وقضي اي والحال انه قد قضي الامر اي نفذ باهلاكهم سريعا فرجعوا الى الله باسرهم لا يملكون
لانفسكم شيا والى الله وحده الامور كلها اولا واخرى فان حكمه لا يرد وقدرته لا تحد قال
الحرالي واتيان الله في محل الايمان امر مبهم لا نبا له على العالمين ويقف دونه ايمان المومنين
لا ياخذونه بكيف ولا يتوهمونه بوهم واتيان الله في اوايل فهم الفاهمين به وامره وخطابه في محل ما
من السما والارض او العرش او الكرسي او ما شا من خلقه فهو تعالى في محل ان يجبه كون
حيث ما بدا خطابه كفاحا لا بواسطة فهناك هو هنا دنياه من جانب الطور الايمن الى اني
انا الله وفي الكتاب الاول جاء الله من سينا اشرق وتمامه وشرق من جبل ساعير وظهر لنا من
جبال فاران والمراد بالاول نبوة موسى عليه السلام وهو واضح وبالثاني نبوة عيسى عليه
السلام فان جبل ساعير هو جبل الجليل وهو الذي بين طبرية وصحح ابن عامر وبالثالث
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان فاران مكة المشرفة ولما كان بنو اسرايل اعلم الناس بظهور
مجد الله في الغمام لما راي اسلافهم منه عند خروجهم من مصر وفي جبل الطور وفترة الزمان
وما في ذلك على ما نقل اليهم من وفور الهيبة وتعاظم الجلال قال تعالى جوابا لمن كانه قال
كيف يكون هذا سل بني اسرايل اي الذين هم احسد الناس للعرب كم اتيناهم من ملك ومن
غير من اية بينة فانهم لا يقدرون على انكار ذلك وسكوتهم على سماعه منك اقرار منهم وقال الحرالي

ولما كان هذا الذي انذروا به امرا مجملا احيلوا في تفاصيل الوقايع وتخصيص الملاحم ووقوع
الاشتباه والنظاير على ما تقدم ووقع مثاله في بني اسرايل لتكرار ما وقع فيهم في هذه الامة
حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة فكان استعطافا لحالهم لانبيايهم واحبارهم فالتفات
النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يشهده الله من احوال بني اسرايل واحوال ملوكهم واحبارهم
وايامهم وتفرقهم واختلافهم وصنوف بلاياهم هو سواله واستنبا انه لا ان يسيل واحبارهم
انتهى كذا قال والظاهر انه اباحة لسوالهم فانه صلى الله عليه وسلم ما سالهم عن شي فكذبوه
في جوابه فبين كذبهم الا اعترفوا بالكذب كقصة حد الزنا وقصة سوالهم عن ابيهم وقضية سم
الشاة ونحو هذا وفي ذلك زيادة لايمان من يشاهده واقامة للحجة عليهم وغير ذلك من الفوايد
ولما كان التقدير فكانوا اذا بدلوا شيا من اياتنا واستهانوا بها عاقبناهم فشددنا عقابهم
كما دل عليه ما سقته من التوراة في هذا الديوان لمن تدبر عطف عليه قوله ومن يبدل نعمة الله
التي هي سبب الهدى فيجعلها سبب الضلال كاينا من كان قال الحرالي واصل هذا التبديل ر
علم العالم علمه ورد صلاح الصالح اليه وعدم الاقتدا بعلم العالم والاهتدا بصلاح الصالح وتلك
المتاركة التي تقع بين العامة وبين العلما والصلحا وهو كفر نعمة الله وتبديلها ولما كان الغطر
من الناس يستحلب النعم قبل اماتتها اليه والجامد الغبي يحتبط بها بعد سبوغها عليه قال تعالى
من بعد ما جاته عبرة على ان من بدلها في تلك الحالة فقد سفل عن ادنى الانسان والتحق بما لا
يعقل من الحيوان ولما كان التقدير يهلكه الله علله بقوله فان الله اي العظيم الشان شديد العقاب
ذكر بعض ما يدل على صدق الدعوى في معرفة بني اسرايل بها في ظهور المجد في الغمام من الرعب
وما اتاهم من الايات البينات قال في اول السفر الثالث من التوراة ناسمعوا الان يا بني اسرايل
السنن والاحكام التي اعلمكم لتعملوا بها وتعيشوا وتدخلوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله رب
العالمين ابايكم الهكم ولكن لا تزيدوا على الوصية التي اوصيكم لا قد رايتم ما صنع الله بعلفعون من
اجل ان ذلك رجل اتبع بعلفعون اهلكه الله ربكم من بينكم وانتم الذين تبعتم الله ربكم انتم
احيا سالمون الى اليوم انظروا اني قد علمتكم السنن والاحكام وفهمكم تجاه الشعوب التي تسمع
منكم هذه السنن كلها ويقولون اذا سمعوها ما احكم هذا الشعب العظيم وما احسن فهمه اي
شعب عظيم اله قريب منه مثل الله ربنا فيما دعوناه واي شعب له سنن واحكام معتدلة مثل
مثل هذه السنة التي اتلوا عليكم اليوم ولكن احتفظوا واحترسوا بانفسكم ولا تنسوا جميع الايات
التي رايتم ولا تزل عن قلوبكم كل ايام حياتكم بل علموها بنيكم وبني بنيكم واخبروهم بما رايتم يوم
وقفتم امام الله ربكم في حوريب يوم قال الرب اجمع هذا الشعب امامي لا سمعهم اياتي
ويتعلموا ان يتقوني كل ايام حياتهم على الارض ويعلموا بنيهم ايضا وتقدمتم وقمتم في سفح الجبل
والجبل يشتعل نارا يرتفع لهيبها الى جو السما ورايتم الظلمة والضباب والسحاب فكلمكم الرب
في الجبل من النار وكنتم تسمعون صوت الكلام ولم تكونوا ترون شبها فاظهر لكم عهده وامركم ان
تعملوا العشر الايات وكتبها على لوحين من حجارة احترسوا واحتفظوا بانفسكم جدا لانكم لم تروا

لها في اليوم الذي كلمكم الله ربكم من الجبل من النار احتفظوا لا تفسدوا ولا تتخذوا اصناما
واشباهها من كل جنس شبه ذكرا وانثى او شبه بهيمة في الارض او شبه كل طير في الهوا او
شبه كل هوام الارض ولا ترفعوا اعينكم الى السما وتنظروا الى الشمس والقمر والكواكب
والى اجناد السما وتضلوا بها وتسجدوا لها وتعبدوها التي اتخذها جميع الشعوب الذي تحت
السما فاما انتم فقد بكم الله واخرجكم من كور الحديد من ارض مصر لتصيروا له ميراثا كاليوم
هذا نصه وقد تقدم ذلك مستوفى من السفر الثاني من التوراة عند قوله تعالى واذا قال
موسى لقومه فكان الرجوع الى نص ما يريد سبحانه من احوال بني اسرايل للاغراض الماضية
على غاية ما يكون من الاحكام وفي ذروة العليا من احسن الانتظام وتجلي الملايكة في ظلل الغمام
امر مالوف منه ما في الصحيح عن البرا رضي الله عنه قال كان رجل يقرا سورة الكهف والى جانبه
حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنوا وتدنوا وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال تلك السكينة تنزلت بالقران وعن اسيد بن حضير رضي
الله عنه انه بينما هو يقرا سورة البقرة وفرسه مربوط عنده اذ جالت الفرس فسكت وسكنت ثم
قرا فجالت فانصرف فلما اصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم وقال فرفعت راسي الى السما فاذا مثل
الظلة فيها امثال المصابيح فرفعت حتى لا اراها قال وتدري ما ذاك قال لا قال تلك الملايكة
دنت لصلاتك ولو قرات لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم ولما تقدم من الامر بالسلم
والتهديد على الزلل عنه ما يقتضي لزومه حتما كان كانه قيل ما فعل من خوطب بهذا الامر وقع
بتلك الزواجر فقيل اي الكثير منهم فقيل ان هذا لعجب ما الذي صدهم فقيل تقدير العزيز
الذي لا يخالف مراده الحكيم الذي تدق عن الافكار اسرار حكمه فقيل كيف يتصور من العاقل
كفر النعمة فبين ان سبب ذلك غالبا الترفع والتعظيم والكبر والبطر فرحا بما في اليد وركونا اليه
واعراضا عما في خزاين الله في حجب الغيوب فقال مستانفا زين قال الحرالي من التزيين وهو من
الزينة وهي بهجة العين التي لا تخلص الى باطن المزين انتهى للذين كفروا حتى بدلوا النعمة الحيوة
الدنيا لحضورها فالهتهم عن غايب الاخرة قال الحرالي ففي ضمنه اشعار بان استحسان بهجة الدنيا
كفر ما من حيث ان نظر العقل والايمان يبصر طيتها ويشهد جيفتها فلا يغتر بزينتها وهي افة الخلق
في انقطاعهم عن الحق وابهم تعالى المزين في هذه الاية ليشمل ادنى التزيين الواقع على لسان الشيطان
واخفى التزيين الذي يكون من استدراج الله كما في قوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم انتهى
ولما ذكر ذلك بين حالهم عنده فقال ويسخرون اي والحال انهم لا يزالون يسخرون اي يوقعون
السخرية وهي استزرا العقل هزوا قال الحرالي هو استزرا العقل معنى بمنزلة الاستخبار
في الفعل حسا من الذين امنوا لما هم فيه من الضعف والحاجة لاعراضهم عن الدنيا رغبة
فيما عند الله لما وهبهم الله من العلم الخارق لتلك الحجب الكاشف لاستار الغيب ولان الله يزوي
عنهم الدنيا ويحميهم منها رغبة بهم عنها لكرامتهم عليه كما يحمي الانسان حبيبه الطعام والشراب اذا
كان مريضا لكرامته عليه فضل الكفار بهذا التزيين مع ما يواتاهم من الهوان بانواع التهديد

التي لا مزية في قدرتنا عليها مشغولين بلعاعة من العيش فهم راضون باجو الحمد مسرورون بها بحيث
انهم لا ينظرون في عاقبة بل مع الحالة الواهنة فيهزاون باهل الحق متعامين عن البينات معرضين
عن التقليد منكرين تاركين للاستبصار باحوال بني اسرائيل ولما كان الاستسخار ربما يدعي
الاقدار مراو للنفوس مضرا قال تعالى مسيرا بانقلاب الامر في دار الخلد مرغبا في التقوى
بعد الايمان والذين اتقوا اي امنوا خوفا من الله فاخرج المنافقين فوقهم في الرزق والرتبة
وكل امر سار يوم القيمة فهم يضحكون منهم جزاء بما كانوا يفعلون ولما كان تبدل الاحوال غريبا
عندهم من المحال كانه قيل في تقريب ذلك يرزق من عند الله برزقهم والله بعز سلطانه
وجلال عظمته يرزق من يشاء اي في الدنيا وفي الاخرة ولو كان افقر الناس واعجزهم ولما كان
الاعطا جزاما لا يكون الا عن كثرة وبكثرة قال بغير حساب اي رزقا لا يحد ولا يعد وفي هذه
الاية من لا يحاسبه الله على ما اتاه فهي في حقه على حقيقتها من هذه الحيثية ولما كان كانه قيل
هل كان الكفر والتزيين من بدء الامر ام هو شي حدث فيكون حدوثه اعجب فقيل لا فرق
عند الحكيم بين هذا وذاك فان قدرته على الصغير والكبير والجاهل والعليم والطائش والحليم
على حد سوا على ان الواقع ان ذلك شي حدث بعد البيان الواضح كان الناس اي كلهم امة
واحدة على الصراط المستقيم فزل بعضهم فاختلفوا وتفرقت بهم السبل كما في اية يونس وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين الذين رفعهم على بقية خلقه فانباهم بما يريد
من امره وارسلهم الى خلقه مبشرين لمن اطاع ومنذرين لمن عصى قال الحرالي فيه اعلام بانه ليس للانبيا
من الهداية شي وانما هم مستخلصون لا مرجلات الخلق فطرهم فيلبس ولمن فطر على خير وينذر من
جبل على سو لا يستانفون امرا لم يكن بل يظهرون امرا كان مغيبا وكذلك حال كل امام وعالم
في زمانه يميز الله به الخبيث من الطيب انتهى وانزل معهم الكتاب اي كلامه الجامع للهداية قال
الحرالي ابرازا لسر الامر المضاعف ليكون الامر بشاهدين اقوى منه بشاهد واحد فقط كان
في الرسول لتكون له الحجة البالغة انتهى بالحق اي الثابت كل الثبات ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه فسلكوا بهم بعد جهد السبيل الاقوم ثم ضلوا على علم بعد موت الرسل فاختلفوا في الدين وما اختلف
فيه اي الكتاب الا الذين اوتوه فبدلوا نعمة الله بان اوقعوا الخلاف فيما انزل لرفع الخلاف ففي
هذا غاية التعجيب واظهار القدرة الباهرة التي حملتهم على ذلك ولما كان الخلاف ربما كان عن امر
غامض بين ان الامر على غير ذلك فقال من بعد ما جاتهم البينات قال الحرالي الجامعة لايات ما
في المحسوس وايات ما في المسموع فلذلك كانت البينات مكملة لاجتماع شاهديها انتهى ولما كان هذا
محل السوال عن السبب بين انه الحسد والاستطالة بعدوا لاعن الحق فقال بغيا قال الحرالي والبغي
اعمال الحسد بالقول والفعل قال عليه السلام ثلث لا يسلم منهن احد ومنهن يخلي الحسد والطيرة
والظن فاذا حسدت فلا تبغ لان الحسد واقع في النفس كانها مجبولة عليه فلذلك عذرت
فيه فاذا حسدت استعملت بحسبه مقاله وفعاله كانت باغيه انتهى وزاده تعجيبا بقوله
بينهم اي لا بغيا على غيرهم فبدلوا من كل جهة ولما ذكر انزال الكتاب وسببه ذكر ما تسبب عنه فقال

فهدى الله في اسناده الى الاسم الاعظم كما قال الحرالي اعلام بانه ليس من طوق الخلق
الا بعون وتوفيق من الحق انتهى الذين امنوا اي بتمكين ايمانهم لما اختلفوا فيه ثم بينه بقوله
من الحق باذنه اي بما ارتضاه لهم من علمه قال الحرالي فيه اشعار بما فطرهم عليه من التمكين
من القبول لان الاذن ادناه التمكين ازالة المنع انتهى والله يهدي من يشاء اي بما له من اوصاف
الكمال الى صراط مستقيم قال الحرالي هذا هدى اعلى من الاول كان الاول هدى الى
احاطة علم الله وقدرته وهذا هدى اليه وفي صيغة المضارع بشرى لهذه الامة بدوام
هداهم الى ختم اليوم المحمدي لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله انتهى
ولما كانوا بين مستثقلين لامر الرسل يرون انهم يفرقون ما اتفق من الكلمة ورضي به الناس
لانفسهم ويسوءون امرهم ومستعلين لطول انتظار الانتصار كان حالهم حال من يطلب الراحة
في دخول الجنات بلا مشقات وذلك محال ومحض ضلال فكان كانه قيل في جواب ذلك احسبتم
ان لا نرسل الرسل لتمييز الخبيث من الطيب ام حسبتم بعد ارسالهم ان الامر هين بان تنالوا
السعادة بلا اجتهاد في العبادة قال الحرالي هو مما منه الحسبان وهو ما تقع غلبته فيما هو
من نوع المقطوع عليه المستقر عادته والظن الغلبة فيما هو من المعلوم الماخوذ بالدليل والعلم
فكان ضعف علم العالم ظن وضعف عقل العاقل حسبان انتهى وهذا الذي قدرته هو
معنى ان تدخلوا الجنة اي التي هي نعيم دايم والحال انه لما ياتكم مثل اي وصف الذين خلوا
من قبلكم وقال الحرالي ام عطف على امور ينبيها مبدا الخطاب كان يقول احسبتم ان تفارق
احوالكم احوال الامم الماضية في حكمة الله وسنته ولن تجد لسنة الله تبديلا الى ما يشرح معنى
الخطاب اجمالا وتفصيلا في واقع الدنيا من شدايدها وجدها وبردها وضيق عيشها وانواع
اذاها وحال البرزخ وحال النشر والحشر الى ما وراء ذلك الى غاية دخول الجنة فكان عند
انتهاء ذلك باديه خطاب ام حسبتم تجاوز المبادي اول البعث وغاية دخول الجنة انتهى ولما
كان قيل ما ذلك المثل اجيب بقوله مستهم الباسا اي المصايب في الاموال والضرا اي في الانفس
نقله ابو عبيد الهروي عن الازهري والاحسن عندي عكسه لان الباس كثير الاستعمال
في الحرب والضر كثير الاستعمال في الفقر اي جزاهم كما قال الحرالي على ما عز واما يجلب كلا منهما
ولكل عمل جزا وزلزلوا لامور باطنة من خفايا القلوب انتهى حتى يقول الرسول وهو اثبت
الناس والذين امنوا معه وهم الاثبت بعده لطول تمادي الزمان في ماسهم وعبر بالمضارع
تصويرا لحالهم واشارة الى تكرير ذلك من معالهم وقال الحرالي فذكر قول الرسول الواقع في
رتبة الذين امنوا معه لا قوله فيما يخصه في ذاته وحاله لكن وهو منه او متبعه لان للنبي برسا
فيما يظهر من قول وفعل مع رتبة امته فكان قول الرسول المنبي عن حالهم متى نصر الله فكانهم
في مثل ترقب المتلدد الحاير الذي كانه وان وعد بما هو الحق يروع له التاخير صورة الذي
ابهم عليه الامر بما يرى من احتجاب اسباب الفرج ففي اشعاره اعلام بان الله تعالى انما
يفرج عن انبيايه ومن معهم بعد انقطاع اسبابهم ممن سواه ليمتحن قلوبهم للتقوى فيتقدس

سوا ابرهم من الركون كيي من الخلق وتتعلق ضمايرهم بالله وحده حتى يقول صلى الله عليه وسلم
لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده اعلاما بان الله ناصره
دون حجاب ولا وسيلة نبي من خلقه كذلك سنته مع رسله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في
الحياة الدنيا وعلى ذلك جرت خوارق العادات للاوليا واهل الكرامات لا يكاد يقع لهم
الا عن ضرورة قطع الاسباب وفي قراة النصب اعراب بان غاية الزلزال القول وفي الرفع
اعراب عن غاية الزلزال وانه امر مبهم له وقع في البواطن والظواهر احدثك الظواهر
وقوع هذا القول ففي الرفع ابناء عن باستداد الامر بتاثر من ظاهر القول وما وراه انتهى ثم
اجابهم تعالى اجابة المنادي في حال اشتداد الامر بقوله **الا** قال الحرالي استفتاحا وتنبيها
وجمعا للقلوب السامع **ان** تاكيد او تثبيتا **نصر الله** الذي لا سبب له الا العناية بعد قطع كل
سبب من دونه **قريب** لاستغنا به عن عدة ومدة بشرى باسقاط كلفة النصر بالاسباب والعدد
ففي جملته بشرى باسقاط كلفة النصر بالاسباب والعدد والالات المتعبه والاستغنا بتعلق
القلوب بالله ولذلك انما ينصر الله هذه الامة لضعفايها لان نصرها بتقوى القلوب لا بمدافعة
الاحسام فلذلك تفتح خاتمة هذه الامة قسطنطينية الروم بالتسبيح والتكبير قال صلى الله عليه
وسلم انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين فانعطف بحكم على ما اراده الله بانبيا به
واصفيا به من اليسر الذي كان لهذه الامة فاراد لهم اليسر في كل حال انتهى وفي بعض الاخبار
انما تقاتلون الناس باعمالكم والحاصل انه لا يكفي مجرد ادعاهم الدخول في السلم بل لا بد من
اقامة البينة بالصبر على محنهم كما امتحن الامم الخالية والقرون الماضية فانظر هذا التدريب
في مصاعد التاديب وتامل كيف انتهى الى الحروب وان كان الخطاب لمن امن ذكر القيمة في قوله
والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والجنة في قوله ان تدخلوا الجنة وهم يبكرونها الغاما كانه
محققا لانواع فيه بامسالهم بذكرهما وانظر ما في ذلك من بدايع الحكم ولما كانت النفقة من
اصول ما بنت عليه السورة من صفات المومنين ومما رزقناهم ينفقون ثم ذكر الترغيب منها في
تضاعيف الاي الى ان امر بها في اول ايات الحج الماضية انها من دعايم بدايات
الجهاد الى ان تضمنتها الاية السالفة مع القتل الذي هو نهاية الجهاد كان هذا موضع السوال
عنها فاخبر تعالى عن ذلك على طريق النشر المشوش وذلك مويد لما فهمه من الباسا والضرا
فان استعماله في القران اكثر من المرتب فقال معلما لمن سال هل سال المخاطبون بذلك عنها
يسلونك ماذا ينفقون وقال الحرالي لما كان منزل القران على نحو منصرف المرء في الاسمان
كان انتظام خطابه متراجعا بين خطاب دين يتلو عز الله وبين اقامة متدرجة بكون العبد فيه خليفة
الله في نفاد امره وبين انفاق يكون فيه خليفة في ايصال فضله لان الشجاعة والجود خلافة وحرز
والبخل عزل عنها فكان في طي ما تقدم من الخطاب الاحسان والانفاق وكان حق ذلك ان لا يسل
عماذا ينفقون لان المنفق هو الفضل كله قال صلى الله عليه وسلم يا ابن ادم ان تبذل الفضل
خير لك وان تمسكه شر لك ففي هذا السوال ممن سال له نوع تلدد من نحو ما تقدم لبني اسرايل

بخام

في الكبر من مرادة المسالة لم يبتدأ ذن الصديق رضي الله عنه حين اتى بماله كله ولا استاذن
عمر رضي الله عنه حين اتى بشطر ماله ولا استاذن سعد بن الربيع حين خرج لعبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنهما عن شطر ماله واحدى زوجتيه فكان في هذا السوال اظهار مثل الذين
خلوا من قبلهم ولولا ان الله رحيم لكان جوابهم تنفقون الفضل فكان يقع واجبا ولكن الله لطف
بالضعيف لضعفه واثبت الانفاق رايهم قدره ويعرض لترتيب المنفق فيهم لان افتقر المر النخل
فان انفق كان اشد اذيته في لكس الانفاق بان يتصدق على الاجانب مع حاجة من الاقارب
فقال تعالى خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم واعراضا منه عن السايلين لما خرج السوال من
التبلد الاسرايلي انتهى فقال **قل ما انفقتم من خير** اي مال نعد ونه خير **فللوالدين والاقربين**
لما لهم من الحق المذكور **واليتامى** لضعفهم وقال الحرالي لانهم اقارب بعد الاقارب باليتم الذي
اوجب خلافة الغير عليهم انتهى **والمساكين** لمشاركتهم الايتام في الضعف قال الحرالي وهم
المتعرضون لغة والمستترون الذين لا يفطن لهم ولا يجدون ما يغنيهم شرعا ولغة ثبوتا انتهى
وابن السبيل لضعفه بالغربة ولما خص من ذكرهم وبشر بقوله **وما تفعلوا من خير** اي من هذا
او غيره **فان الله** المحيط علما وقدرة بكل شي **به عليم** بالغ العلم ومداري من جازى على الخير وقال
الحرالي ختم بالعلم لاجل دخول الخلل على النيات في الانفاق لانه من اشد شي تراهي به النفس
فيكاد لا يسلم لها منه الا ما لا تعلم شماله التي هي النفاق وتباهيها ويختص بيمينها التي هي
صدقها واخلاصها انتهى ولما اخبر واعما سالوا عنه من احدى الخلصتين المضمنتين الاية
الزلزال كان الله ذلك موضع السوال عن الاخرى فاجيبوا على طريق الاستيناف بقوله **كتب**
قال الحرالي لما التف حكم الحج بالحرب تداخلت ايات اشتراكهما وكما تقدم تاسيس فرض
الحج في ايه فرض فيهن الحج انتظم به كتب القتال والفرض من الشي ما ينزل بمنزلة الجزء
منه والكتب ما حرز بالشي فصار كالوصلة فيه كالجعل الصوم لان في الصوم جهاد النفس كما
ان في القتال جهاد العدو فجري ما شانه المدافعة بمعنى الكتب وما شانه العمل والاقبال
بمعنى الفرض وهما معنيان مقصودان في الكتب والسنة نحوا لعنا بتفهمهما لينزل كل من
القلب في محله وتختص النية في كل واحد على وجهه وقد كان من اول منزله اي القتال اذن
للذين يقاتلون فكان الاول اذنا لمن شانه المدافعة عن الدين بداعية من نفسه من
نحو ما كانت الصلاة قبل الفرض واقعة من الاولين بداعيه من جهتهم لربهم ورغبتهم في
الخلوة به والانس بمناجاته فالذين كانت صلاتهم حبا كان الخطاب لهم بالقتال اذنا لتلعتهم اليه
ورغبتهم في بذل انفسهم لله الذين كان ذلك حبا لهم يطلبون الوفاة حبا للقاء ربهم بالموت كما
احبوا لقاءهم بالصلاة في السلم وطلب لقايه بالشهادة في الحرب فلما اتسع امر الدنيا ودخلت
الاعراب والاتباع الذين لا يحملهم صدق المحبة للقاء الله على البدار للجهاد نزل كتبه كما نزل فرض الصلاة
استدراكا فقال **عليكم القتال** وكان في المعنى راجعا لهذا الضعف الذين يسالون
عن النفقة وعنى ذلك انتظمت الاية بما قبلها فكانهم يتبلدون في الانفاق تبلدا اسرائيليا وتساعدون

عن الجهاد فقاعد اهل السنه منهم الذين قالوا اذهب انت وربك فقاتلا انتهى وهو كره
وهو ما يخالف غرض النفس وهوا ما يلعله لكونه لما كان خيرا اخبر باللام في لكم وهذا باعتبار الاغلب
وهو كما قال الحرالي عند المحسنين للقا الله من احلى ما تنال به انفسهم حتى كان ينازع الرجل منهم في
ان يقف وليقسم على الذي يمسكه ان يدعه والشهادة قال بعض التابعين لقد ادركنا قوما
كان الموت لهم اشهى من الحياة عندكم اليوم وانما كان ذلك لما خربوا من دنياهم وعمروا
من اخراهم فكانوا يحبون النقلة من الخراب الى العمارة انتهى ولما كان مكروها من
حيث الطبع شهيا من حيث الشرع اشار الى ذلك بجملة حالية فقال وعسى ان تكرهوا شيا اي
فتعرضوا عنه وهو خير لكم فانكم لا تعلمون والذي كلفكم ذلك عالم بكل شي غير محتاج الى
شي وما كلفكم ذلك الا لنفعكم قال الحرالي فشهد لهم لما لم يشهده واشهد المومنين الذين
يشاهدون غيب الاعيان كما يشهدون عين الحس كما قال قال ثعلبه كاني انظر الى اهل
الجنة يتنعمون وانظر الى اهل النار في النار يعذبون ولم يبرم لهم الشهادة ولكن ناطها
بكلمة عسى لما علم من ضعف قبول من خاطبه بذلك وفي اعلامه الزام بسرل العلى الادني
رتبه لما اظهر هذا الخطاب من تنزل الحق في مخاطبة الخلق الى حد محاورة المترفق
في الخطاب انتهى ولما رغبهم سبحانه في الجهاد بما رجاهم فيه من الخير رهبهم من القعود
عنه بما يخشى فيه من الشر قال الحرالي فاشعر ان المتقاعد له في تقاعده آفات وشر
في الدنيا والاخرة ليس ان لا ينال خير الجهاد فقط بل وينال شر التقاعد والتخلف
انتهى فقال تعالى وعسى ان تحبوا شيا اي فتقبلوا عليه وهو شر لكم وليس احد منكم الا قد
جرب ذلك مرارا في امور دنياه فاذا صح ذلك في فرد صار كل شي كذلك في امكان خيريته
وشريته فوجب ترك الهوى والرجوع الى العالم المنزه عن الغرض ولذلك قال والله يعلم
اي كل شي وقد اخبركم في صدر هذا الامر انه رؤف بالعباد فهو لا يامركم الا
بخير وقال الحرالي شهادة تحقق العلم يرجع اليها عند الاغنيا في تنزل الخطاب انتهى ولما
اثبت سبحانه وعلما شانه العلم لنفسه نفاه عنهم فقال وانتم لا تعلمون اي ليس لكم من
انفسكم علم وانما عرض لكم ذلك من قبل ما علمكم فنفوا به وقال الحرالي فنفى العلم عنهم بكلمة
لا التي هي للاستقبال حتى يفيد دوام الاستصحاب وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال من
حيث رتبة هذا الصنف من الناس من الاعراب وغيرهم واما المومنون اي الراسخون فقد
علمهم الله من علمه ما علموا ان القتال خير لهم وان التخلف شر لهم انتهى حتى ان علمهم ذلك انا
على السنتهم ما يفيض الدموع ويثير القلوب حتى شاورهم النبي صلى الله عليه وسلم في التوجه الى
غزوة بدر فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال واحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال واحسن
ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك والله لا نقول
لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت الى برك الغماد لجالدنا

لنا

لناتينك من دونه حتى نبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس فقال له سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه
والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما
جيت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول
الله لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق في
اللقا لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ولما اخبرهم سبحانه بايجاب القتال
عليهم مرسلا في جميع الاوقات وكان قد امرهم فيما مضى بقتلهم حيث ثقفوهم ثم قيد
عليهم في القتال في المسجد الحرام كان بحيث يسيل هنا هل الامر في الحرم والحرام كما مضى ام لا
وكان المشركون قد نسبوهم في سرية عبد الله بن جحش التي قتلوا فيها من الكفار عمرو بن الحضرمي
الى التعدي بالقتال في الشهر الحرام واسند بعضهم تعييرهم لهم به فكان موضع السوال
هل سالوا عما عيرهم به الكفار من ذلك فقال مخبرا عن سوالهم مبينا لحالهم يسلونك عن الشهر
الحرام فابهم المراد من السوال ليكون في النفس اليه اي التفات ثم بينه ببدل الاشتمال
في قوله قتال فيه ثم امر بالجواب في قوله قل قتال فيه ولما كان مطلق القتال فيه في
زعمهم لا يجوز حيني ولا لمستحق القتل وكان في الواقع القتال عدوانا فيه اكبر منه في غيره
قال كبير اي في الجملة ولما كان من المعلوم ان المومنين في غاية السعي في تسهيل سبيل الله
فليسوا من الصد عنه ولا من الكفر في شي لم يشكل ان ما بعده كلام مبتدا هو للكفار وهو قوله
وصد اي صدكم عن سبيل الله اي الذي هو وحده الموصل اليه اي الى رضوانه او البيت
الحرام فان النبي صلى الله عليه وسلم سمى الحج سبيل الله قال الحرالي والصد صرف الى ناحية باعراض
ونكره والسبيل طريق الجادة السابلة عليه الظاهر لكل سالك منهجه وكفر به اي بالدين وحذف
الخبر لدلالة ما بعده عليه دلالة بينه لمن امعن النظر وهو اكبر اي من القتال في الشهر الحرام
والتقييد بقوله عند الله يدل على ما افهمته من ان المراد بقوله كبير في زعمهم وفي الجملة لا اذن الكبار
ولما كان قد تقدم الاذن بالقتال في الشهر الحرام وفي المسجد الحرام بشرط كما مضى كان مما اوجب
السوال عن القتال فيه في الجملة بدون ذلك الشرط او بغيره توقعا للاطلاق لا سيما والسرية
التي كانت سببا لنزول هذه الاية وهي سرية عبد الله بن جحش كان الكلام فيها كما رواه ابن
اسحق عن الامرين كليهما فانه قال انهم لقوا الكفار الذين قتلوا منهم واسروا واخذوا عيرهم
في اخر يوم من رجب فيها يوهم فلطعوا لهم حتى سكنوا فقتلوا وردوا في امرهم وقالوا لين تركتموهم
هذه الليلة ليدخلن الحرم ولين قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فترددوا ثم شجعوا انفسهم
ففعلوا ما فعلوا فعيرهم المشركون بذلك فاشتد تعييرهم لهم واشتد قلق الصحابة رضوان
الله عليهم لا سيما اهل السرية من ذلك ولا شك انهم اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بكل ذلك
فاخبارهم له على هذه الصورة كاف في عده سوالا فضلا عن دلالة ما مضى على التشوف الى

السؤال لما كان ذكر قال تعالى المسجد الحرام اي ويسلونك عن المسجد الحرام قتال فيه قل قتال فيه
كبير عند كم في نحو ما مضى ثم ابتدا قايلا واخراج كما ابتدا قوله وصد عن سبيل الله وقال اهله اي
الذين كتبه الله لهم في القدم وهم اولى الناس به منه اكبر عند الله فقد حذف من كل جملة ما دل
عليه ما ثبت في الاخرى فهو من وادي الاحتباك وسر ما صنع في هذا الموضع من الاحتباك انه لما
كان القتال في الشهر الحرام فقد وقع من المسلمين حين هذا السؤال في سرية عبد الله بن جحش ابرز السوال
عنه والجواب ولما كان القتال في المسجد الحرام لم يقع بعد وسيقع من المسلمين القتال عام الفتح
طواه واضمره ولما كان الصد عن سبيل الله الذي هو البيت والكفر الواقع بسببه لم يقع وسيقع من الكفار
عام الحديبية اخفى خبره وكذا ولما كان الاخراج قد وقع منهم ذكر خبره واظهره فاظهر سبحانه ما ابرزه
في يد الحدثان واضمر ما اضمره في صدر الزمان وصرح بما صرح به لسان الواقع ولوح الى ما لوح اليه
صارم السيف القاطع والله الهادي والمراد بالمسجد الحرام كله قال الماوردي من اصحابنا كل موضع
ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فان
المراد به الكعبة نقله عنه ابن الملقن وقال غيره انه يطلق ايضا على نفس مكة مثل سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فان في بعض طرق البخاري فرج سقف بيتي
وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بما زمزم ثم جا بطست الى ان قال ثم اخذ
بيدي فعرج بي الى السما ويطلق ايضا على نفس المسجد كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله
والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سوا العاكف فيه والبادي ولما كان كل ما تقدم من
امر الكفار فتنة كان كانه قيل اكبر لان ذلك فتنة والفتنة اي بالكفر والتكفير بالصد
والاخراج وساير انواع الاذى التي ترتكبونها باهل الله في الحرم والاشهر الحرم اكبر من القتل
ولو كان في الشهر الحرام لان همه يزول وغمها يطول ولما كان التقدير وقد فتنوكم وقاتلوكم وكان
الله سبحانه عالما بانهم ان تراجعوا في قتالهم لم يتركوا الكفر لم يتراخوهم في قتالهم ليتركوا الاسلام وكان
اشد الاعدا من اذا تركته لم يتركك قال تعالى عاطفا على ما قدرته ولا يزالون يقاتلونكم
اي يجددون قتالكم كلما لاحت لهم فرصة ولما كان قتالهم انما هو لتبديل الدين الحق بالباطل علله
تعالى بقوله حتى ولكنهم لما كانوا يقدرون انه هين عليهم لقلة المسلمين وضعفهم تصوروه غاية
لا بد من انتهايهم اليها فدل على ذلك بالتعبير باداة الغاية يردوكم اي كافة ما بقي منكم واحد
عن دينكم الحق ونبه على ان حتى تعليلية بقوله محوفا من التواني عنهم فيسحكم كيدهم ملهبا
للاخذ في الجد في حربهم ان استطاعوا اي الى ذلك سبيلا فانتم احق بان لا تزالوا كذلك لانكم
قاطعون بانكم على الحق وانكم منصورون وانهم على الباطل وهم مخذولون ولا بد وان طال
المدى لاعتمادكم على الله واعتمادهم على قوتهم ومن وكل الى نفسه ضاع فالامر الذي بينكم
وبينهم اشد من الكلام فينبغي الاستعداد له بعدته والتاهب له باهبة فضلا عن ان يلتفت
الى التشبث بكلامهم الذي ترجيه اليهم الشياطين طعنا في الدين وصدا عن السبيل وشبههم
التي اضلوا عليها دينهم ولا اصل لها وفي الاية اشارة الى ما وقع من الردة بعد موت النبي صلى

الله

الله عليه وسلم فان القتال على الدين لم ينقض الا بعد الفروع من امرهم قال الحرالي
الاستطاعة مطاوعة النفس في العمل واعطاوها الانقياد فيه ثم قال فيه اشعار بان طايفة
ترتد عن دينها وطايفة تثبت لان كلام الله لا يخرج في بثه واشتراطه الا لمعنى واقع بنحو ما وقع
ونحوه تصريح الخطاب في قوله ومن يرتدد الى اخره وهو من الرد ومنه الردة وهو كف بكره
لمن شانه الاقبال برفق انتهى وكان صيغة الافتعال المودنة بالتكلف والعلاج اشارت
الى ان الدين لا يرجع عنه الا باكراه النفس لما في مفارقة الالف من الالم ولما احاط بهم سبحانه
باضافة الدين اليهم بانهم يريدون سلبهم ما اختاروه لانفسهم لحقيته وردهم قهرا الى ما
رغبوا عنه لبطلانه خوفهم من التراخي عنهم حتى يصلوا الى ذلك فقال منكم اي يفعل ما
يقصدونه من الردة عن دينه فيمت اي فيتعقب ردته انه يموت وهو اي والحال انه كافر
فاولئك البعدا البغضا حبطت اعمالهم اي بطلت معانيها وبقيت صورها من حبط الجرح
اذا برا وبقي اثره وقال الحرالي من الحبط وهو فساد في الشي الصالح يأتي عليه من وجه يظن
به صلاحه وهو في الاعمال بمنزلة البطح في الشي القايم الذي يقعده عن قيامه كذلك الحبط
في الشي الصالح يفسده عن وجه صلاحه في الدنيا بزوال ما فيها من روح الانس بالله ولطيف
الوصلة به وسقوط اضافتها اليهم الا محرومين ببيان حبوطها فقد بطل ما كان لها من الاقبال
من الحق والتعظيم من الخلق والاخرة بابطال ما كان يستحق عليها من الثواب بصادق
الوعد ولما كانت الردة افحش انواع الكفر كرر المناداة بالبعد على اهلها فقال واولئك
اصحاب النار دل بالصحبة على انهم احق الناس بها فهم غير منفكين منها ولما كانوا كذلك كانوا
كانهم المختصون بها دون غيرهم لبلوغ ما لهم فيها من السفول الى حد لا يوازيه غيره فتكون
لذلك المخلطة لهم بالايام من غيرهم فقال تقدير الجملة التي قبلها هم فيها خالدون اي مقيمون
اقامة لا اخر لها ولما بين سبحانه المقطوع لهم بالنار بين الذين هم اهل الرجا الجنة ليلا يزال
العبد هاربا من موجبات النار ومقبلا على مرجبات الجنة خوفا من ان يقع فيما يسقط
رجاه وقال الحرالي ولما ذكر امر المتزلزلين ذكر امر الماسين النبي فقال ان الذين امنوا
اي اقروا بالايمان ولما كانت الهجرة التي هي فراق المالوف والجهاد الذي هو المخاطرة بالنفس في
مفارقة وطن البدن والمال في مفارقة وطن النعمة اعظم الاشيا على النفس بعد مفارقة وطن الدين
كرر لهما الموصول اشعارا باستحقاقهما للاصالة في انفسهما فقال والذين هاجروا اي قصدوا بغضا
لاعدائهم بذلك ديارهم ومن خالفهم فيه من اهليهم واحبابهم قال الحرالي من المهاجرة وهي مفاعلة
من الهجرة وهو التخلي عما شانه الاغتباط به لمكان ضرر منه وجاهدوا من المجاهدة مفاعلة
من الجهد فيما وضع وهو الابلاغ في الطاقة والمشقة في العمل في سبيل الله اي دينه كل من
خالفهم اولئك العالوا الرتبة العظيمو الزلفى والقربة يرجون من الرجا وهو ترقب الانتفاع
بما تقدم له سبب ما قاله الحرالي رحمة الله اي اكرامه لهم قاطعين بذلك علما منهم ان له ان يفعل
ما يشا ولما كان الانسان محل النقصان فهو لا يزال في فعل ما ان اوخذ به هلك قال مبشرا

الي ذلك مبشرا بسعة الحلم في جملة حاليتي واو يرجون والله غفور رحيم اي ستور لما فرط منهم من الصغاير
والاستقبال والوصفي قال الحرالي وفي الختم بالرحمة ابدا في خواتم الاي اشعار بان فضل الله
في الدنيا والاخرة ابتدا فضل ليس في الحقيقة جزا لعمل فكما يرحم العبد طفلا ابتدا برحمة كهلا انتهاها
ويبتديه برحمته في معاده كما ابتداه برحمته في ابتدايه انتهى بالمعنى ولما كان الشراب مما
اذن فيه في ليل الصيام وكان غالب شرابهم النبيذ من التمر والزبيب وكانت بلادهم حارة
فكان ربما اشتد فكان عايقا عن العبادة لاسيما الجهاد لان السكران لا ينتفع برأي
ولا بطش ولم يكن ضروريا في اقامة البدن كالطعام اخر بيانه الي ان فرغ مما هو اولى منه بالاعلام
وختم بان فاعل اجل الجد وامهات الاطايب من الجهاد وما ذكر معه في محل الرجا للرحمة فاقتضى
الحال السوال هل ما نواعن امهات الهزل وامهات الخبايث فقال معلما بسوالهم عنه
مبينا لما اقتضاه الحال من حكمه فينبغي ما عداه على الاباحة المحضة يسلونك عن الخمر الذي
هو احد ما عمه عبد الله بن جحش بفتح الميم وهو ما واري من تجرو ونحوه فالخمر بالسكون فيما يستبطن
بمنزلة الخمر بالفتح فيما يستظهر كان الخمر يواري ما يستبطن العقل المستبصر من الانسان وبهيمته
العجما والميسر قال الحرالي اسم معامرة كانت الجاهلية تعمل بها لقصد انتفاع الضعفا وتحصيل
ظفر المغالبة انتهى وقرنهما سبحانه لنا اجتماعهما في الضرر بالجهاد وغيره باذهاب المال مجانا عن
غير طيب نفس مع ما بين سبحانه من المواخاة بينهما هنا وفي المايدة وان كان سبحانه اقتصر
هنا على ضرر الدين وهو الاثم لانه اسس يتبعه كل ضرر فقال في الجواب قل فيهما اي في استعمالهما
اثم كبير لما بينهما من المساوي المنابذة لمحاسن الشرع قال الحرالي في تواتي الوحدة والمثلثة
ابنا على مجموع الامرين من كبر المقدار وكثرة العدد وواحد من هذين مما يبعد ذا الطبع الكريم
والعقل الرصين عن الاقدام عليه بل يتوقف عن الاثم الصغير القليل فكيف عن الكبير الكثير انتهى
ومنافع للناس يرتكبونهما لاجلها ودرء المفاسد مقدم فكيف واثمهما اكبر من نفعهما وفي هذا كما قال
الحرالي تنبيه على النظر في تفاوت الخيرين وتفاوت الشرين انتهى وبيان المراد من الميسر عزيز
الوجود مجتمعا وقد استقصيت ما قدرت عليه فيه انما ما للغاية قال المجد الفيروزابادي
في قاموسه والميسر اللعب بالقداح يسر ييسر او الجزور التي كانوا يتقامرون عليها او النرد او كل
قمار انتهى والقمار كل مراهنة على غرر محض وكانه ماخوذ من القمرا اي الليل لانه يزيد مال المقامر
تارة وينقصه تارة كما يزيد القمر وينقص وقال ابو عبيد الهروي في الغريبين وعبد الحق الاشبيلي
في كتابه الواعي قال مجاهد كل شي فيه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وقال الازهري
الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يجزأ اجزا فكانه موضع التجزية وكل شي
جزاته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزي لحم الجزور قال وهذا الاصل في الياسر ثم قال
للضاربين بالقداح والمقامرين على الجزور ياسرون لانهم جازرون اذا كانوا سببا لذلك قال
يسر القوم اذا قامروا ورجل يسر وياسر والجمع ايسار القزاز فانت ياسر وهم ميسرون لك
والمفعول ميسور يعني الجزور وايسار جمع يسر ويسر جمع ياسر كما تقول غايب وغيب ثم جمع اليسر

ويقال ايسار فيكون الايسار جمع الجمع ويقال للضارب بالقداح يسر والجمع ايسار ويقال
للنرد ميسر لانه يضرب عليها كما يضرب على الجزور ولا يقال ذلك في الشطرنج لمفارقتها ذلك المعنى
وقال عبد الحق في الواعي والميسر موضع التجزية ابو عبيد الله كان امر الميسر انهم كانوا يشترون
جزورا فينحرونها ثم يجزونها يسهمون عليها بعشرة قداح لسبعة منها انصبا وهي الفذ والتوم
والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى وثلثة منها ليس لها انصبا وهي المنيح والسفيح
والوغد ثم يجعلونها على يد رجل عدل عندهم يجيلها لهم باسم رجل رجل ثم يقتسمونها على قدر
ما يخرج لهم السهام فمن خرج سهمه من هذه السبعة اخذ من الاجزا بحصة ذلك ومن خرج
له واحد من الثلثة فقد اختلف الناس في هذا الموضع فقال بعضهم من خرجت
باسمه لم ياخذ شيا ولم يغرم ولكن تعاد الثانية ولا يكون له نصيب ويكون لغوا
وقال بعضهم بل يصير ثمن الجزور كله اصحاب هولا الثلاثة فيكونون مقمورين وياخذ
اصحاب السبعة انصباهم على ما خرج لهم فهولا الياسرون قال ابو عبيد ولم اجد علماؤنا يستقصون
علم معرفة هذا ولا يدعونه ورايت ابا عبيدة اقلهم ادعا له قال ابو عبيد وقد سالت عنه
الاعراب فقالوا لا علم لنا بهذا هذا شي قد قطعه الاسلام منذ جا فلسنا ندري كيف
كانوا ييسرون قال ابو عبيد وانما كان هذا منهم في اهل الشرف والثروة والجدة انتهى ولعل
هذا سبب تسميته ميسرا وقال في القاموس كانوا اذا ارادوا ان ييسروا اشتروا جزورا
نسية ونحروه قبل ان ييسروا وقسموه ثمانية وعشرين سهما او عشرة اقسام فاذا خرج واحد
باسم رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الانصبا وغرم من خرج له الغفل انتهى وقال
عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرايب الياسر هو الضارب في القداح وهو من الميسر
وهو القمار الذي كان اهل الجاهلية يفعلونه وكانوا يتقامرون على الجزور او غيره
ويجزونه اجزاء ويسهمون عليها مثلا بعشرة لسبعة منها اخذ بحصته ومن خرج له واحد
من الثلاثة لم ياخذ شيا ولهم في ذلك مذاهب ما عرفها اهل الاسلام ولم يكن احد من اهل
اللغة على ثبت في كيفية ذلك انتهى هذا ما قالوه في مادة يسر وقد نظمت اسما القداح
تسهيلا لحفظها في قولي الفذ والتوام والرقيب ۝ والحلس والنافس يا ضريب ۝
ومسبل والمعلى عدوا ۝ ثم منيح وسفيح ووغد ۝ واما ما قالوه في مادة كل اسم منها فقال
في القاموس الفذ اي بفتح الفا وتشديد الذال المعجمة اول سهام الميسر والتوام اي بفتح
الفوقانية المبدلة من الواو واسكان الواو وفتح الهمزة وزن كوكب سهم من سهام الميسر
او ثانيها والرقيب اصحاب الميسر او الامين على الضرب والثالث من قداح الميسر وقال
في مادة ضرب والضريب الموكل بالقداح والذي يضرب بها كالضارب والقدح الثالث وقال
في الجمع بين العباب والمحكم والرقيب الحافظ ورقيب القداح الامين على الضرب وقيل هو امين اصحاب
الميسر وقيل هو الرجل الذي يقوم خلف الحرضة في الميسر ومعناه كله سوا وانما قيل للعيوق
رقيب الثريا تشبيها برقيب الميسر والرقيب الثالث من قداح الميسر وفيه ثلاثة فروض وله

غنم ثلثه انصبا ان فاز وعليه غرم ثلثه ان لم يفز وقال في مادة ضرب وضرب بالقداح
والضرب الموكل بالقداح وقيل الذي يضرب بها قال سيبويه لجعل بمعنى فاعل والضريب
القدح الثالث من قداح الميسر قال الجباري وهو الذي يسمى الرقيب قال وفيه ثلثة فيه وجل
الى اخر ما في الرقيب وقال في القاموس والحرضة اي بضم المهملة واسكان المهملة ثم معجمة
امين المقامرين والحلس بكسر المهملة واسكان اللام ثم مهملة وكمنعه الرابع من سهام الميسر
والنافس بنون وفا مكسورة ومهملة اسم فاعل خامس سهام الميسر ومسبل اي بسين
مهملة وموحدة قال يوزن محسن السادس او الخامس من قداح الميسر وقال المعلى وقال
في مجمع البحرين وهو المصفح ايضا يعني بفتح الفا والمعلى لعظم سابع سهام الميسر والمنيح كامير
اي بنون واخره مهملة قدح بلا نصيب السفيح اي يوزنه وبمهملة ثم فا واخره مهملة قدح
من الميسر لا نصيب له والوغد اي بفتح ثم سكون المعجمة ثم مهملة الاحمق الضعيف المرذول
الدني وقدح لا نصيب له وقال القزاز في الغا الفوقانية من ديوانه والتوام احد
قداح الميسر وهو الثاني منها وانما سمي توا ما بما عليه من الخطوط وعليه خطان وله
من انصبا الجزور نصيبان وان قمرت انصبا الجزور غرم من خرج له التوام نصيبين وتلك
اثنا عشر قداح اولها الفذ وعليه فرض وله نصيب والثاني التوام وعليه فرضان
وله نصيبان والثالث الرقيب وعليه ثلثه فروض وله ثلثه انصبا والرابع الحلس وحكي
بفتح الحا وكسر اللام وعليه اربعة فروض وله اربعة انصبا والخامس النافس وعليه خمسة
فروض وله خمسة انصبا والسادس المسبل وعليه ستة فروض وله ستة انصبا والسابع
المعلى وعليه سبعة فروض وله سبعة انصبا ومنها ثلثه لا خطوط فيها وهي السفيح والمنيح
والوغد وربما سموها باسما غير هذه لكن ذكرنا المستعمل منها ههنا ونذكرها باسمايها في مواضعها
من الكتاب ان شا الله وهذه التي لا خطوط فيها ليس عليها فروض ولذلك تدعا اغفالا لان
الغفل من الدواب الذي لا سمة له وحيث ما يفعلون في القمار هو ان ينحر الناقة ويقسم
عشر اجزا فتجعل احد الوركين جزا والورك الاخر جزا والعجز جزا والكاهل جزا والزور
وهو الصدر جزء والملحا اي ما بين الكاهل والعجز من الصلب والكتفان وفيهما العضدان
جزان والفخذان جزان وتقسم الرقبة والطفاطف بالسواء على تلك الاجزا وما بقي من عظم
او بضعة فهو العريم واصله من الزيادة على الحمل وهي التي تسمى علاوة فيأخذ الجازر وربما
استثنى بايع الناقة منها شيا لنفسه واكثر ما استثنى الاطراف والراس فاذا صارت
الجزور على هذه الهية احضروا رجلا يضرب بها بينهم يقال له الحرضة فليشد عيناه ويجعل
على يديه ثوب لئلا يحس القداح ثم يوتى بخريطة فيها القداح واسعة الاسفل ضيقة الفم
قدر ما يخرج منها سهم او سهمان والقداح فيها كفصوص النرد الطوال غير انها مستديرة
فتجعل الخريطة على يدي الحرضة ويوتى برجل يجعل امينا عليه يقال له الرقيب فيقال له
جلجل القداح فيجلجلها في الخريطة مرتين او ثلثا فاذا فعل ذلك افاضها وهو ان يدفعها دفعة

واحدة

واحدة لا يكون الا عبدا اذ الاله متعال عن ذلك لما فيه من انواع الاحتياج والنقص
وقال الحرالي فكان في الاحة هذه الاية توزيع امر الاظهار على ثلاثة وجوه
تناظر وجوه التقدير الثلاثة التي في فاتحة سورة البقرة ملبس هدى واضلالا
والباسا اكمل الله به وجه كما اقام سعد الايمان والكفر والنفاق خلقه فطابق
الامر الخلق فاقام الله بذلك قايم خلقه وامره فكان في استطام هذه الافهامات ان
بادي الاحوال الظاهرة عند انتها الخلق انما ظهرت لانها مودعة في اصل التصوير
تصورة نورانية لهتدي بها وصورة ظلمانية يكفر لاجلها وصورة ملتبسة بمشيئة علسه
نفس ويقع الالباس والالتباس من جهتها مما لا يبقى بيانها الا الفرقان المنزل
على هذه الامة ولا تتم احاطة جمعيتها الا في القران المخصوص به ايه هذه الامة
انتهى وقد علم ان التصوير في الرحم ادق شي علما وقدرة فعلم فاعله بغيره والقدرة
عليه من باب الاولى فثبت انه لا كفو له فلذلك وصل به كلمة الاخلاص وقال الحرالي
ولما تضمنت الاحة هذه الاية ما تضمنته من الالتباس والتكفير اظهر تعالى كلمة
الاخلاص ليظهر نورها ارجاس تلك الالباسات وتلك التكفيرات فقال
لا اله الا هو ايه انا با هي له الالباس والتكفير من وقوع الاشتراك بالالهية والكفر
فيها والالتباس في امرها فكان في وطي هذا التهليل بشرى بنصرة اهل الفرقان
واهل القران على اهل الالتباس والكفران وخصوصا على اهل الانجيل والتورية
الذين ذكرت كتبهم صريحا في هذا المنزل يويد الاحة في التهليل بشرى بنصرة اهل
الفرقان اظهار الختم في هذه بصفتي العزة المقتضية للانتقام من اهل عداوته
والحكمة المقتضية لاكرام اهل ولايته انتهى فقال العزيز اي الغالب غلبة لا يجد
معها المغلوب وجه مدافعة ولا انفلات ولا يعجز لرفي انفاذ شي من احكامه الحكيم
اي الحاكم بالحكمة فالحكم المنع على ما يترامى اليه المحكوم عليه وحملته على ما يمتنع منه من جميع
انواع الصبر ظاهرا بالسياسة العالية نظرا له والحكمة العلم بالامر الذي لاجله وجب
الحكم من قدام امر العاجلة وحسن العقبى في الاجلة ففي ظاهر ذلك الجهد وفي
باطنه الرفق وفي عاجله الكره وفي اجله الرضى والروح ولا يتم الحكم الا على مستوى الحكمة
قاله الحرالي بالمعنى ولما ختم سبحانه بوصف العزة الدال على الغلبة والحكمة المقتضي
لوضع كل شي في احسن محاله واكلمها وكان هذا الكتاب الجمل مجموعات العباد
لنزوله على وجه هو اعلى الوجوه ونظمه على اسلوب اعجز الفصحا وابكم البلغا الى
غير ذلك من الامور الباهرة والاسرار الظاهرة وعلى عبده هو اكمل الخلق اعقب الوصف
بذكره هو اي وحده الذي ولما فصل امر المنزل الى المحكم والمتشابه نظرا اليه
جملة كما اقتضاه التعبير بالكتاب فعبر بالانزال دون التنزيل فقال انزل عليك
اي خاصة الكتاب اي القران قال الحرالي ولما كانت هذه السورة فيما اختصت

بد من علن امر الله مناظرة لسورة البقرة فيما انزلت لدمى اظهار كتاب الله كان المنتظم
بمنزلة تا تحتها ما بناظر المنتظم بفاتحة سورة البقرة فلما كانت سورة البقرة منزل كتابا
هو الوحي انتظم بترجمتها الاعلام بامر كتاب الخلق الذي هو القدر فكما بين في اول
سورة البقرة كتاب التقدير الذي قدره وكتبه في ذوات الخلق من مومن وكافر ومتردد
بينهم هو المنافق فتنزلت سورة الكتاب الوحي الي بيان قدر الكتاب الخلقي كذلك
كان متنزل هذا الافتتاح الالهي الي اصل منزل الكتاب الوحي ولما بين في امر الخلق
ان منهم من فطر على الايمان ومنهم من جبل على الكفران ومنهم من انا سه بين الخلقتين
بين في الكتاب ان منهم ما انزله على الاحكام ومنه ما انزله على الاشتباه وفي ايهامه
ما انزله على الافتتان والاضلال فكان المحكم في الكتاب بمنزلة فطرة الايمان والمتشابه
بمنزلة يونس النفاق والافتتان والاضلال بمنزلة ختم الكفار انتهى فقال **منه ايات**
محكمات اي لا خفا فيها قال الحرالي وهي التي ابرم حكمها فلم ينتشر كما ابرم الحبل الذي
تتحد حكمه اي زما ما برم به الشي الذي يخاف خروجه عن الانضباط ما كان الاية المحكمة
تحكم النفس عن فوانه وتمنعها من جماحها وتضبطها الي محال مصالحها ثم قال وهي اي التعبد
من الخلق للخلق اللاي لم يتغير حكمهن في كتاب من هذه الكتب الثلاث المذكورة فهن لذلك
ام انتهى ولما كان الاحكام في غاية البيان فكان رد المتشابه اليه في غاية السهولة لمن رسخ
ايمانه وصح قصده ليصير الكل شيا واحدا اجرى الجمع بالمفرد فقال **هن ام الكتاب** والام
الام من الجامع الشي يوم اي يقصد وقال الحرالي هي الاصل المقتبس منه الشي والروحانيا
والثابت منه او فيه في الجسمانيات **واخر** اي اخر منه **متشابهات** قال الحرالي والتشا
تراد الشبه في ظاهر امرين لشبه كل واحد منهما بالاخر بحيث يخفي خصوص كل واحد منهما
ثم قال وهن اللاي التي اخبر الحق تعالى فيهن عن نفسه وتنزلات تجليات ووجوه اعانته
وتوفيقه واجرايه ما اجرى من اقتداره وتقديره في بادي ما اجراه عليهم فهن لذلك متشابهات
من حيث ان نبا الحق عن نفسه لا تنالها عقول الخلق ولا تدركه ابصارهم وتوقفهم فيما
توقف تمثل من انفسهم فكان المحكم للعمل والمتشابه لظهور العجز فكان لذلك حرف المحكم
ابنت الحروف عملا وحرف المتشابه ابنت الحروف ايمانا واجتمعت على اقامته الكتب الثلاث
واختلفت في الاربعة اختلافا كثيرا فاختلف حلالها وحرامها وامرها ونهيها والنسق محكمها
ومتشابهها انتهى فتبين بهذا انه سبحانه كما يفعل الافعال المتشابهة مثل تصوير عيسى
عليه السلام من غير نطفة ذكر مع اظهار الخوارق على يديه ليتبين الراسخ في الدين من
كذلك يقول الاقوال المتشابهة وانه فعل هذا الكتاب ما فعل في غيره من كتبه في تقسيم
اياته الي محكم ومتشابه ليبين فضل العلما الراسخين المو قنين بانه من عنده وان كل ما كان
من عند الله فلا اختلاف فيه في نفس الامر لان سبب الاختلاف الجهل او العجز وهو
سبحانه منزه عن شي من ذلك يبين فضلهم بانهم يومنون به ولا يزالون

يستمطرون

يستمطرون منه تعالى فتح المتغلق وبيان المشكل حتى يفتحه عليهم بما يرده الي
المحكم وهذا على وجه يشير الي المهم الذي تاه فيه النصارى والتيه الذي ضلوا فيه عن
المنهج والحق الذي اعنى جماعتهم وهو المتشابه الذي منه انهم زعموا ان عيسى عليه
السلام كان يقول له القايل يارب افعل كذا ويسجد له فيقره على ذلك ويجيب سواله
فدل ذلك على ان الربوبية اطلاقه على الله تعالى ابا وعلى نفسه انه ابنه فابتغوا الفتنة
فيه واعتقدوا الابوة والبنوة على حقيقتهما ولم يردوا ذلك الي المحكم الذي قاله
لهم فاكثره منه كما اخبر عنه اصدق القايلين سبحانه في الكتاب المتواتر الذي حوفظ
من التحريف والتبديل فلا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي وهو اني عبد
الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة
ما دمت حيا ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم هذا اما ورد في كتابنا الذي لم يعرفوا واما ما عندهم
وان كانوا ابدلوه فقد بقي ولله الحمد منه في الاناجيل الاربعة التي بين اظهرهم الان
في اواخر هذا القران التاسع من المحكم ما يكفي في رد المتشابه اليه ففي انجيل لوقا
ان جبريل ملاك الرب لما بشر مريم عليها السلام مبشرا لها بالمسيح عليه السلام قال
منه قال لها لا تخافي يا مريم ظفرت بنعمة من الله وانت تحبلين حبلا وتلدين ابنا يدعى
يسوع يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه وفي
انجيله ايضا وانجيل متى ان عيسى عليه السلام قال وقد امره ابليس ان يجرب
قدرة عند الله بان يطرح نفسه من شاهق مكتوب لا تجرب الرب الهك وقال
وقد امره ان يسجد مكتوب للرب الهك اسجد وله وحده اعبد وصرح بان الله
واحد في غير موضع وفي انجيل لوقا انه رفع الي المسيح سفر شعيا النبي فلما فتحه وجد
الموضع الذي فيه مكتوب روح الرب علي من اجل هذا مسحني وارسلني لابشر المساكين
والبشر بالسنة المقبولة للرب والايام التي اعطانا الهنا ثم طوى السفر ودفعه الي
الخادم وفيه وفي غيره من الاناجيل ما معناه من قبل هذا فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل
الذي ارسلني ومن سمع منكم فقد سمع مني ومن جحدكم فقد جحدني ومن جحدني فقد
جحد الذي ارسلني ومن انكرني قدام الناس انكرته قدام ملايكة الله وفي انجيل
يوحنا انه قال عن نفسه عليه السلام الذي ارسله الله انما ينطق بكلام الله لانه ليس
بالكيل اعطاه الله الروح وقال وقد سالة تلاميذه ان ياكل فقال لهم طعامي انا ان
اعمل مرة من ارسلني واتم عمله وفي موضع اخر الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامي
وامن بمن ارسلني وجبت له الحياة المويدة لست اقدر اعمل شيا من ذات نفسي وانما
احكم بما اسمع وديني عدل لاني لست اطلب مسرتي بل مسرة من ارسلني وفي
انجيل مرقس انه قال للناس تعلمهم وصايا الناس وتركتم وصايا الله وزجر بعض من

وفيه

ابتعه فقال اذهب يا شيطان لانك لم تتفكر في ذات الله وتفكر في ذات الناس
فقل حول الله الهه وربه ومعبوده واعترف له بالوحدانية وجعل ذاته سات
لذات الناس الذي هو منهم وفي جميع اناجيلهم نحو هذا وانه كان يصوم ويصلي
لله ويامر تلاميذه بذلك ففي انجيل لوقا انهم قالوا له يا رب علمنا نصلي كما علم
يوحنا تلاميذه فقال لهم اذا صليتم فقولوا ابانا الذي في السموات تتقدس
اسمك كما فيما اعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لانا نغفر لمن لنا عليه ولا تدخلنا
في التجارب لكن نجنا من الشرير ولما دخل الهيكل به انجيج الذي يبيعون ويشترون
فيه وقال لهم مكتوب ان بيتي هو بيت الصلاة وانتم جعلتموه مغارة اللصوص فعلم
من هذا كله ان اطلاق اسم الرب عليه لان الله تعالى اذن له ان يفعل بعض افعاله
التي ليست في قدرة البشر والرب يطلق على السيد ايضا كما قال يوسف عليه السلام
اذكرني عند ربك ثم وجدت في انجيل يوحنا ان الرب تاويله المعلم ولو ورد وا اوايلم
ايضا الاب والابن الي هذا الحكم وامثاله وهي كثيرة في جميع اناجيلهم لعلموا بلا
شبهة ان معناه ان الله تعالى يفعل معه ما يفعل الوالد مع ولده من التربية والحياطة
والنصرة والتعظيم والاجلال كما لزمهم حتما ان يؤولوا قوله فيما تقدم ابانا الذي
في السموات وقوله في انجيل متى لتلاميذه هكذا فليضيء نوركم قدام الناس ليروا
اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي في السموات وقال احسنوا الى من ابغضكم
وصلوا من يطردكم ويحزنكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه المشرق
شمسه على الاخيار والاشرار والممطر على الصديقين والظالمين انظروا لا تصنعوا
مراحمكم قدام الناس لكي يروكم فليس لكم اجر عند ابيكم الذي في السموات واذا صنعت
رحمة فلا تضرب قدامك بالبوق ولا تصنع كما يصنع المرواون في الجامع وفي الاسواق
لكي يمجدوا من الناس الحق اقول لكم لقد اخذوا اجرهم وانت اذا صنعت رحمة لا تعلم
شمالك ما صنعت يمينك لتكون صدقتك في خفية وابوك الذي يرى الخفية يعطيك
علانية وقال في الفصل العاشر منه وصل لابيك سرا وابوك يرى السر فيعطيك
علانية وهكذا في جميع ايات الاحكام من الانجيل كرر لهم هذه اللفظة تكريرا كثيرا
فكما يؤولها النصارى بان المراد منها تعظيمهم له اشد من تعظيمهم لابائهم لبغيتهم اكثر
من امتنان الوالد بالولد وكذلك يؤولون ما في انجيل لوقا وغيره ان ام عيسى واخوته
اتوا اليه فلم يقدروا والكثرة الجمع على الوصول اليه فقالوا امك واخوتك خارجا يريدون
ان ينظروا اليك فاجاب امي واخوتي الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها فكذلك يلزمهم
تاويلها في حق عيسى عليه السلام كذلك ليرد المتشابه الى المحكم وان لم يؤولوا ذلك في
حق انفسهم وحملوه على الظاهر كما هو الظاهر من قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه كانوا مكابرين في المحسوس بلا شبهة فان كل احد منهم مساو لجميع

الناس

الناس بل والبهايم في ان له ابوين وكانت دعواهم هذه ساقطة لا يردها عليهم الا من
تبرع بالزامهم بمحسوس احرمهم به معترفون وقد اقام هو نفسه عليه السلام ادلة على صرفها
عن ظاهرها منها غير ما تقدم انه كثيرا ما كان يخبر عن نفسه فيقول ابن الانسان يفعل
كذا ابن البشر قال كذا يعني نفسه الكريمة فحيث نسب نفسه الى البشر كان مريدا للحقيقة
لانه ابن امراة منهم وهو مثلهم في الجسد والمعاني وحيث نسبها الى الله تعالى كان على المجاز
كما تقدم واما السجود فقد ورد في التورية كثيرا لاحاد الناس من غير نكير فكانه كان جايزا
في شرايعهم فعله لغير الله تعالى على وجه التعظيم والله اعلم واما نحن فلا يجوز فعله
لغير الله ولا يجوز في شريعتنا اصلا اطلاق الاب والابن بالنسبة اليه سبحانه وكذا كل
لفظ اوهم نقصا سواء صح ان ذلك كان جايزا في شرعهم ام لا واذا راجعت تفسير البيضاوي
لقوله تعالى في البقرة اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اراد كن تصريح فيما هنا
والحاصل انهم لم يصرفوا ذلك في حق عيسى عليه السلام عن ظاهره وحقيقته ويحكموا
بان المراد منه المجاز وهو هنا اطلاق اسم الملزوم على اللازم وكذا غيره من متشابه
الانجيل كما فعلنا نحن بمعونة الله في وصف الله تعالى بالرضى والغضب والرحمة والضحك
وغير ذلك مما يستلزم حمله على الظاهر صفات المحدثين وكذلك ذكر اليد والكف والعين
ونحو ذلك كله على ان المراد منه لوازمه وغاياته مما يليق بجلاله تعالى جده وجل قدره ومجده
انزل حرف المتشابه ابتلاء لعبادة لتبين الثابت من الطايش والموقن من الشاك
قال الحرالي في كتاب حروف المفتاح وجه انزال هذا الحرف تعرف الحق للخلق بمعتبر
ما خلقهم عليه ليلتقوا عنه وليفهموا خطابه وليتضح لهم نزول رتبتهم عن علو ما تعرف
به لهم وليحتج بعجزهم عن ادراك هذا الحرف عليهم بالاربعة يعني الامر والنهي والحلال
والحرام وحسبهم بالخامس يعني المحكم ويوقفهم عنده والاكتفا بالايمان منه ما تقدم من
علمهم بالاربعة وانضا فهم بالخامس لتتم لهم العبادة بالوجهين من العمل والوقوف
والادراك والعجز فارجع البصر هل ترى من فطور علما وحسا ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
اليك البصر خاسيا وهو حسير وقوفا وعجزا علمهم بحظ من علم انفسهم وغيرهم بعد ان اخرجهم
من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئا ثم اعجزهم عن علم امره وايامه الماضية والاتية وغايب الحاضر
ليسلموا له اختيارا فيريهم العين بامره وغايب ايامه كما اسلموا له في الصغر اضطرارا فيفهم
حظا من علم خلقه فمن لم يوقفه في حد الايمان الاشتباه خطابه تعالى عن نفسه وما بينه
وبين خلقه وحاول تدركه بدليل او فكر او تاويل حرم اليقين تعلى ولاس والتحقيق
في علم الخلق واخذ بما اضاع من محكم ذلك المتشابه حين اشتغل عما يعنيه من
حال نفسه بما لا يعنيه من امر ربه فكان كالمتشاغل بالنظر في زي الملك وتنطع
بزي نفسه عن مراقبة ما يلزمه من تفهم حدوده وتذلله لحرمته ونحو ا مع
نزل هذا الحرف في رتبتين مبهمة ومفصلة اما ابهامه فلوقوف العلم به على تعرف

الله من غير واسطة من وسايط النفس من فكر ولا استدلال ولسمو رب الخاطب
بترفقه عن المبهم على توقفه عن مفصلة ومبهمة وهو جامع الحروف المنزلة في اوايل السور
التسعة والعشرين من سورة وبه افتتح الترتيب في القران ليتلقى الخلق بادى امر الله
بالعجز والوقوف والاستسلام الي ان يمن الله بعلم يفتح من لدنه ولذلك لم يكن في تنزيله
في هذه الرتبة ريب لمن علمه الله كنهه من حيث لم يكن للنفس مدخل في علمه وذلك قوله
تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه لمن علمه الله اياه هدى للمتقين الذين يومنون
بالغيب وتوقفا عن محاولة علم ما ليس في وسع الخلق علمه حتى تلحقه العناية من ربه فيعلمه
مالم يكن في علمه واما الرتبة الثانية فمتشابه الخطاب المفصل المشتمل على اخبار الله عن
نفسه وتنزلات امره وترتب اقامات خلقه بابداع كلمته وتعبير كلمته وباطن ملكوته
وعزيز جبروته واحوال ايامه واول ذلك في ترتيب القران اخباره عن استوايه في قوله
تعالى ثم استوى الي السما الى قوله فاينما تولوا فثم وجه الله الى ساير ما اخبر عنه من
عظيم مثاله في جملة اياته متعددات كقوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول فاني
قريب هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة الله لا اله الا هو
الحي القيوم فاذنوا بحرب من الله ورسوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا
ويحذركم الله نفسه ولله ملك السموات والارض والله على كل شي قدير وكان الله سميعا بصيرا
بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشا وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم
خلق السموات والارض ثم استوى على العرش ولتصنع على عيني قل من بيده ملكوت
كل شي فلما اتاها نودي من شاطي الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى
اني انا الله كل شي هالك الا وجهه هو الذي يصلي عليكم وملايكته ان الله وملايكته يصلون على النبي
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وله الكبريا في السموات والارض كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو معكم اينما كنتم ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا فاتاهم
الله من حيث لم يحتسبوا تبارك الذي بيده الملك تعرج الملايكة والروح اليه وجوه يومئذ
ناظرة الى ربها ناظرة وما تشاون الا ان يشا الله وجا ربك والملك صفا صفا الى ساير
ما اخبر به عن تنزلات امره وتسوية خلقه وما اخبر عنه حبيبه صلى الله عليه وسلم من
محفوظ الاحاديث التي عرفت بها امته ما يحملهم في عبادتهم عن الانكار شي د الحد والخشية
والوجل والاشفاق وساير الاحوال المشار اليها في حرف المحكم من نحو حديث النزول
والنعلين والصورة والضحك والكف والانامل وحديث عما بر لزوم التقرب بالنوافل
وغيرها من الاحاديث التي ورد بعضها في الصحيحين واعتنى بجمعها الحافظ المتقن
ابو الحسن الدارقطني رحمه الله ودون بعض المتكلمين جملة منها لمقصد التاويل وشدد

الكلم

الكلم في ذلك ايضا المحدثين يوثر عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه قال
ايات الصفات واحاديث الصفات صناديق مقفلة مفاتيحها بيد الله تاويلها
تلاوتها وكذلك ايمة الفقها وتبيانهم لعامة المومنين والذي اجمعت عليه الصحابة
رضوان الله عليهم ولغته العرب كلها ان ورود ذلك من الله ومن رسوله
ومن الايمة انما هو لمقصد الافهام لا لمقصد الاعلام فلذلك لم يستشكل الصحابة
رضوان الله عليهم منه شيا قط بل كلما كان وارده عليهم اكثر كانوا به افرح
وللخطاب به افهم حتى قال بعضهم لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يضحك
من عبده لا نعدم الخير من رب يضحك وهم وساير العلما بعدهم صنفان اما موقوف
عنه في حد الايمان قانع بما افاد من الافهام واما مفتوح عليه بما هو فوق ضعفا
الايقان وذلك ان الله سبحانه تعرف لعباده في الافعال والاثار في الافاق
وفي انفسهم تعليما وتعرف للخاصة منهم بالاوصاف العليا والاسما الحسنى بما
يكلفهم اعتبارا تجيزا لجاوزوا حدود التعليم بالاعلام الى عجز الادراك فعرفوا
ان لا معرفة لهم وذلك هو حد العرفان واحكام قراة هذا الحرف المتشابه في تنزل
القران وتحقق ان ليس كمثله شي ولم يكن له كفوا احد فتهونوا بذلك لما يفتحه
الله على من يحبه من صفا الايقان والله يحب المحسنين ثم قال فيما به تحصيل قراة
هذا الحرف اعلم ان تحقق الاسلام بقراة حرف المحكم لا يتم الا بكمال الايمان بقراة
حرف المتشابه تماما لان حرف المحكم حال يتحقق للعبد ولما كان حرف المتشابه
اخبارا عن نفسه سبحانه بما تعرف به لخلقه من اسما واوصاف كانت قراته
ان يتحقق العبد ان تلك الاسما والاوصاف ليست مما تدركه حواس الخلق ولا مما تناله
عقولهم وان اجري بعض تلك الاسما والاوصاف على الخلق فبوجه لا يلحق اسما الحق ولا
اوصافه منها تشبيه في وهم ولا تمثيل في عقل ليس كمثله شي وهو السميع البصير ولم يكن
له كفوا احد فالذي يصح به قراة هذا الحرف اما من جهة القلب فالمعرفة بان جميع
اسما الحق واوصافه تعجز عن معرفتها ادراكات الخلق وتقف عن تاويلها اجلالا
واعظاما معلوماتهم وان حسبها معرفتها بانها لا تعرفها واما من جهة حال النفس
فالاستكانة لما يوجبه تعرف الحق بتلك الاسما والاوصاف من التحقق بما يقابلها والبراة
من الاتصاف بها لان ما صلح للسيد حرم على العبد كتحقق فقر الخلق من تسمي الحق بالغني
ولا يتسمى بالغني فيقدح في هداه فيهلك باسمه ودعواه وكتحقق ذلهم من تسميه تعالى
بالعزة وعجزهم عن تسميه بالقدرة واستحقاق تخليهم من جميع ما تعرف به من
اوصاف الملك والسلطان كالغضب والرضى والوعد والوعيد والترغيب والتر هيب
الى ساير ما تسمى به في جميع تصرفاته بما ذكر في المتشابه من الاي واشير اليه من
الاحاديث وما عليه اشتملت وارادت الاخبار في جميع الكتب والصحف ومراي

الصالحين ومواقف المحدثين ومواجد المروجين واما من جهة العمل فحفظ
اللسان عن اطلاق الغلظ التمثيل والتشبيه تحقيقا لما في مضمون قوله تعالى
ولم يكن له كفوا احد لان مقتضاها الرد على المشبه من هذه الامه ولتبين
لعمل الجوارح في هذا الحرف مظهر سوى ما ذكر من لفظ اللسان فقراته كالتوطية
لتخليص العباده بالقلب في قراة مفرد حرف الامثال والله العلي الكبير انتهى وقد تقدم
حرف الامثال عند قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقد بين سبحانه انه
لا يضل بحرف المتشابه الا ذوا الطبع المعوج الذين لم ترسخ اقدامهم في الدين ولا اسبار
معارفهم في العلم فقال فاما الذين في قلوبهم زيغ اي اعوجاج عدلوا به عن الحق
وقال الحرالي هو ميل المايل الى ما يزين لنفسه الميل اليه والمراد هنا اشد الميل
الذي هو ميل القلوب عن جادة الاستواء وفي اشعاره ما يلحق بزيغ القلوب من
سي الاحوال في الانفس وزلل الافعال في الاعمال فانبا تعالى عما هو الاشد وافهم
ما هو الاضعف فيتبعون في اشعار هذه الصيغة بما تلى عنه من تكلف المتابعة
بان من وقع له الميل فلته لم يحمد مذمه هذا الخطاب فاذا وقع الزلل ولم
يتابع حتى يكون اتباعا سلم من حد الفتنة بمعالجة التوبة ما تشابه منه فابهم
ابهاما تشعر بما جرت به الكلمات فيما يقع نبا عن الحق وعن الخلق من نحو اوصاف
النفس كالعليم والحكيم وسائر ازواج الاوصاف كالغضب والرضى وفيما يقع نبا عن
الخلق وعن الحق في بادي الصورة من نحو العين واليد والرجل والوجه وساير
بوادي الصورة كل ذلك مما اية متشبهات انزلها الله تعالى ليتعرف للخلق بما
جهلهم عليه مما لو لم يتعرف لهم به لم يعرفوه فغاية انزالها التعرف بما يقع به الامتحان
باحكام انكر عنه ولا تدام على التعبد له فغاية انزال المحكم العمل في المحكم وغاية انزاله
فيه توقفا عنه ليقع الابتلا بالوجهين عملا بالمحكم ووقوفا عن المتشابه قال عليه
الصلاة والسلام لا تتفكروا في الله وقال ابن عباس رضي الله عنه من تفكر في ذات الله تزندق
وا وقف العلما اكابر الخلق عن التصرف في تكييف شي منه لما ذكر عن مالك رحمه
الله الكيف مجهول والسوال عنه بدعة فالخوض في المتشابه بدعة والوقوف عنه سنة
وانفسح عند الامام احمد يعني فيما تقدم في ايات الصفات من ان تاويلها تلاوتها
هذا هو حد الايمان وموقفه واليه انتهى الراسخون في العلم وهم الذين تحققوا
في اعلام العلم ولم يطغوا الى وهم التخييل والتمثيل في شي مما بينه وبين خلقه وكان
في توقفهم عن الخوض في المتشابه بر بعرعهم للعمل في المحكم لان المحكم واضح وجد الى معه
عليه مدارك الفطر واذعان الجبلات ومنزلات الكتب لم يقع فيه اختلاف بوجه
حتى كان لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر الملزوم الواجب من العمل بالمحكم
في اذعان النفس فكما لا يصلح المرا عن الاتصاف بالمحكم لا يبيح الترامي الى شي من الخوض

في المتشابه لاحد من اهل العلم والايمان اهل الدرجات لان الله سبحانه جبل الخلق وفطرهم
على ادراك حظ من انفسهم ومن احوالهم واوقفهم على ادراك ما هو راجع اليه فامر الله
وتجلياته لا تنال الا بعنايه منه يرح بها العهد رحمة يقطع به الحجب الظلمانية والنورانية
التي فيها مواقف العلما وليس في هذا الحرف المتشابه الا احد لسانين لسان وقفه عند
حد الايمان للراسخين في العلم المشتغلين بالاتصاف بالتذلل والتواضع والتقوى والبر
الذي امر صلى الله عليه وسلم ان يتبع فيه حتى ينتهي العبد الى ان يحبه الله فيرفع منه
عجز الوقف عن المتشابه وينفذه من حجاب النور اليه فلا يشكل عليه دقيق ولا يصه
خوض بما احبه الله وما بين ذلك من خوض دون انفاذ هذه العناية فنقص عن حد
رتبة الايمان والرسوخ في العلم فكل خايض فيه ناقص من حيث يجب ان يزيد فهو
اما عجز ايماني من حيث النظر الخلقي واما تحقق ايماني بتوجيه العناية والمحبة انتهى
ولما ذكر تعالى اتباعهم له ذكر علته فقال ابتغا الفتنة اي بميل الناس عن
عقايدهم بالشكوك وابتغا تاويله اي ترجيعه الى ما يشتهونه ويدعوا اليه نفوسهم
المايلة واهويتهم الباطلة بادعا انه ماله قال الحرالي والابتغا افتعال لتكلف البغي
وهو شدة الطلب وجعله تعالى ابتغاين لاختلاف وجهيه فجعل الاول سه لتعلقه
بالغير وجعل الثاني تاويلا اي طلبا للمال عنده لا تبصا ره على نفسه فكان اهون الرتبتين
اسهى ولما بين تعالى زيغهم من ان سببه خوضهم فيما لا يمكنهم عليه فقال وما اي والحال
انه ما يعلم في الحالة تاويله قال الحرالي هو ما يول اليه امر الشي وماله اي معاده الا
الله اي ولكل باد من الخلق مال كما ان الاخرة مال الدنيا يوم ياتي تاويله يقول الذين
نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق وكذلك كل يوم من ايام الاخرة مال للذي قبله
ليوم الخلود مال يوم الجزا ويوم الابد مال يوم الخلود وابد الابد وكذلك كل
الخلق له مال من الامر فامر الله مال خلقه وكذلك الامر كل تنزيل اعلى منه مال
للتنزل الادنى الى كمال الامر وكل امر الله له مال من اسمايه وتجلياته وكل تجل
اجلى مال لما دونه من تجل اخفى قال عليه الصلاة والسلام فياتيهم ربهم في غير
الصورة التي يعرفون بها الحديث الى قوله انت ربنا فكان تجليه الاظهر لهم مال تجليه
الاظهر لهم مال تجليه الاخفى عنهم فكان لكل اقرب للخلق من غيب خلق وقايم امر
وعلي تجلي ابلا الى ما وراه فكان تاويله فلم تكن الاحاطة بالتاويل الا لله انتهى
ولما ذكر الزايغين ذكر الثابتين فقال والراسخون في العلم قال الحرالي وهم
المتحققون في اعلام العلم من حيث ان الرسوخ النزول بالثقل والشي الرخو ليس
الظهور على الشي فلرسوخهم كانوا اهل ايمان ولو انهم كانوا ظاهرين على
العلم كانوا اهل ايقان لكنهم راسخون في العلم لم يظهروا بصفا الايقان
على نور العلم فثبتهم الله عند حد التوقف فكانوا دابين على الايمان لقوله يقولون

امنا به بصيغة الدوام انتهى ولما كان هذا احسبنا لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ
كان ذلك واضحا في كونه ابتدا او ان الوقت على ما قبله ولما كان هذا الضمير محتملا
للمحكم فقط قال كل اي من المحكم والمتشابه قال الحرالي وهذه الكلمة معرفة
بتعريف الاحاطة التي اهمل النحاة ذكرها في وجوه التعريف الا من لاح معناها
منهم فلم يلعن ولم ينقل جماعتهم ذلك عنه وهو من اكمل وجوه التعريف لان حقيقة
التعريف التعين لعيان او عقل وهي اشارة الى احاطة ما ابرز على ابهامه فكان
مرجع المتشابه والمحكم عندهم مرجعا واحدا امنوا بجمل اجماعهم الذي منه نشا
فرقانه لان كل مفترق بالحقيقة انما هو معنى وحد من حد اجماع فارجع اليه الايمان
في قولهم امنا به وهو محل اجتماع المحكم والمتشابه في احاطة الكتاب قبل تفصيله
انتهى من عند ربنا اي المحسن الينا بكل اعتبار ولعله عبر بعند وهي للاسر الظاهر
بخلاف لدن اشارة الى ظهور ذلك عند التامل وعروه عند الاشتباه ولما كان
مع كل مشتبه امر اذا وقف الناظر فيه رجع الى مثال حاضر للعقل اما محسوس واما
في حد ظهور المحسوس قال منبها لمدح المتاملين منبها على انهم تاهلوا بالرسوخ الى الارتقا
عن رتبة سلوها الى انه لا تم لغيرهم وما يذكر اي بما سمع من المتشابه ما في حسه
وعقله من امثال ذلك الا اولوا الالباب قال الحرالي الذين لب العقل الذي للراسخين
في العلم ظاهره فكان بين اهل الزيغ واهل التذكر مقابلة بعيدة لهم متذكر ينتهي الى
ايقان وراسخ في العلم يقف عند حد ايمان ومتاول يركن الى لبس بدعة وفاتن
يتبع هوى فانبا جملة هذا البيان عن احوال الخلق بالنظر الى تلقي الكتاب كما
انبا بيان سورة البقرة عن جهات تلقيهم للاحكام انتهى ولما علم بذلك ان الراسخين
ايقنوا بانه من عند الله المستلزم لانه لا عوج فيه اخبر انهم اقبلوا على التضرع اليه
في ان يثبتهم بعد هدايتهم ثم ان يرحمهم ببيان ما اشكل عليهم بقوله حاكيا عنهم وهو
في الحقيقة تلقين منه لهم الطفا بهم ربنا اي ايها المحسن الينا لا تزغ قلوبنا عن الحق
بعد اذ هديتنا اليه قال الحرالي ففي الاخره معناه لان هذا الابتهال واقع من
اولي الالباب ليتبرؤا من محلهم من التذكر الى ما هو اعلى منه وابطن انتهى فلذلك
قالوا وهب لنا من لدنك اي امرك الخاص بحضرتك القدوسية الباطن عن غير
خواصك رحمة اي فضلا ومنحة منك ابتدا من غير سبب منا ولم يكن لغيري شي
اصلا وكان كل عطا من فضله فالواو قال الحرالي ولما كان هذا الامر للذي ليس
يجاري فطر الخلق وجبلاتهم واقدار حكمتهم وانما هو موهبة من الله بحسب العناية
ختم بقوله انك انت الوهاب وهي صيغة مبالغة من الوهب والهبة وهي العطية
سماحا من غير قصد من بالموهوب انتهى ولما كان من المعلوم من اول ما قرع السمع
من الكتاب في الفاتحة واول البقرة وانبائها ان للناس يوما يدانون فيه ويصلون العولم

السابق

السابق قولهم ربنا انك جامع قال الحرالي من الجمع وهو ضم ما شانه الافتراق والتنافر
لطفا او قهرا انتهى الناس كلهم ليوم اي يدانون فيه لا ريب فيه ثم عللوا نفي الريب
بقولهم ان الله لا يخلف الميعاد قال الحرالي هو مفعال من الوعد صيغ لمعنى تكرره ودوامه
والوعد العهد في الخير وفي اجرا لفظ الميعاد على الموعد الذي هو في الخير اشعار بما في
الكتاب الاول من ان رحمته سبقت غضبه ففي الاحيد ابدا انه ربما اوعد وعفى وربما
اوعد وحقق فالمدحة في ان لا يخلف الوعد لا في ان لا يعفو في الايعاد فقد يعفو عن
الايعاد لظهور حلمه وكرمه كما يواخذ في الايعاد لظهور ملكه وانتقامه انتهى وكل
ذلك تنبيها على انه يجب التثبت في فهم الكتاب والاحجام عن مشكله خوفا من الفضيحة
يوم الجمع يوم يساقون اليه ويقفون بين يديه فكانه تعالى يقول للنصارى هب انه
اشكل عليهم بعض افعالي واقوالي في الانجيل فهلا فعلتم فعل الراسخين فنزهتموني
عما لا يليق بجلالي من التناقض وغيره وكلتم امر ذلك الي وحولتم في فتح مغلقه على
وقال ابن الزبير ثم لما بلغ الكلام الى هنا الى اية التصوير كان قد قيل فكيف طرا عليهم
ما طرا مع وجود الكتب فاخبر تعالى بشان الكتاب وانه محكم ومتشابه وكذا غيره
من الكتب والله اعلم فحال اهل التوفيق تحكيم المحكم وحال اهل الزيغ اتباع المتشابه
والتعلق به وهذا بيان لقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وكل هذا بيان
لكون الكتاب العزيز اعظم فرقان واوضح بيان اذ قد اوضح احوال المختلفين ومن
اين اتي عليهم مع وجود الكتب وفي اثنا ذلك تنبيه العباد على عجزهم وعدم استبدادهم
لئلا يغتر الغافل فيقول مع هذا البيان ووضوح الامر لا طريق الى تنكب الصراط
فنبهوا حين علموا الدعا من قوله واياك نستعين ثم كرر تنبيههم لشدة الحاجة
ليذكرهم هذا ابدا ففيه معظم البيان ومن اعتقاد الاستبداد نشا الشرك
الاكبر اذ اعتقاد الاستبداد بالافعال اخراج لنصف الاستبداد الموجودات عن
يد باريها والله خلقكم وما تعملون ففي التنبيه ان الذين كفروا ومنه يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا ومنه امن الرسول الى خاتمتها هذا من جلي التنبيه ومحكمه ومما يرجع اليه ويحرز
معناه بعد اعتبار والحكيم اله واحد وقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم ثم راى الفعل
او بعضه لغيره تعالى حقيقة فقد قال بالهية غيره ثم حذروا اشد التحذير لما بين لهم
بقوله تعالى ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد ثم ارتبطت الايات الى
اخرها انتهى ولما تحقق ان يوم الجمع كاين لا محالة لتحقق ان من تابعه قوله تعالى ان
الذين كفروا اي الذين يظنون انهم يمتنعون من امر الله لانهم يفعلون في عصيانه
وعداوة اوليائه فعل من يريد المغالبة لن تغني عنهم اموالهم اي وان كثرت وقدمها
لان بها قوام ما بعدها وتمام لذته ولا اولادهم وان جلت وعظمت من الله شيا اي
من الاغنا وان قل بدلها اراده بهم كان من خذلان في الدنيا وبعث بعد الموت وحشر

نعمن
بعد البعث وعذابه في الاخرة **واوليك هم وقود النار** وفي ذلك اعظم تنبيه على ان الزا
الذين خالفوا الراسخين فوقفت بهم نعمهم والمقتضيه لتصديقه عن تصديقه ليست
معنية عنهم تلك النعم شيا وانهم مغلوبون لا محالة في الدنيا ومحشورون في الاخرة
الى جهنم ولما كانت هذه السورة سورة التوحيد كان الا ليق بخطابها ان يكون الدعا
فيه الى الزهد اتم من الدعا في غيرها والاشارة فيه الى ذلك اكثر من الاشارات
في غيره فكانت هذه الاية فاطمة للقلوب النيرة عما اشارت اليه من فتنة الاموال
والاولاد الموجبه للهلاك قال الحرالي ولما كان من مضمون ترجمة سورة البقرة اطلاع النبي
صلى الله عليه وسلم على سر التقدير الذي صرف عن الجواب فيه واظهار ستر موسى كليم الله
وعيسى كلمة الله عليهما السلام كان مما اظهر لله لعامة امة محمد صلى الله عليه وسلم اعلا لها على
كلماته واختصاصا لها على اختصاص نبيها صلى الله عليه وسلم حتى قال فابلغهم اخبرهم اني
بري منهم وانهم برا مني لقوم لم يطهروا على سر القدرة وقال والذي يحلف عبد الله بن عمر
لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ماقبل منه حتى يومن بالقدر فافهم الله تعالى علما
هذه الامة ان اعمالها لا تقبل الا على معرفة بسر التقدير لتتلون قلوبها بربه من اعمال
طواهرها كما قيل في اثاره من العلم من لم يختم عمله بالعلم لم يعمل ومن لم يختم علمه بالجهل
لم يعلم فختم العامل عمله بالعلم ان يعلم انه لا عمل له وان المجري على يديه امر تقدير قدره
الله عليه واقامه فيه لما خلقه له من حكمته من وصفه من خير او شر ومن تمام كلمته في رحمته
او عقوبته لتظهر بذلك حكمة الحكيم ولا حجة للعبد على ربه ولا حجة للصنعة على صانعها ولله الحجة
البالغة وكذلك العالم متى لم يطو بشره على انه لا يعلم وانما العلم عند الله يثبت له علي علم
فذلك ختم العمل بالعلم وختم العلم بالجهل فلما اطلعه الله تعالى في فاتحة سورة
البقرة على سر التقدير في اخلقه اظهر لله في فاتحة سورة ال عمران على علن قيومته الذي
شاهده في وحي ربه كما هو بصير بسر القدر في تفرق افعاله خلقه فكان منزل سورة
البقرة قوام الافعال ومنزل سورة ال عمران قوام التنزيل والانزال وكان على
النبوءة قوام التنزيل للكتاب الجامع الاول والتنزيل قوام انزال الكتب وانزال
الكتاب الجامع لتفصيل الكتب قوام تفصيل الايات المحكمات والمتشابهات والاحكام
والتشابه اقامة الهدى والفتنة والهدى والفتنة اقامة متعرف الحواس الظاهرة
والباطنة والاحوال وما دونها من الافعال على وجه جمع يكون قواما لما تفصل من مجمله
وتكثر من وحدته وتفرق من اجتماعه ولعلو مضمون هذه السورة لم يقع فيها توجه
الخطاب بها لصنف الناس واختص خطابها بالذين امنوا في علو من معاني الايمان
لما ذكر من شرف سن الايمان على سن الناس في تنامي اسنان القلوب وكان خطاب
سورة البقرة بمقتضى رتبة العقل الذي به يقع اول الاصغا والاستماع كما ظهر في
ايات الاعتبار فيها في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الى قوله لقوم يعقلون

فكان

فكان خطاب سورة ال عمران اقبالا على اولي الالباب الذين لهم لب العقل بما ظهر
في اولها وخاتمتها في قوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب وفي خاتمتها في ايات
اعتبارها في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب فبالعقل يقع الاعتبار لمنزل الكتاب وباللب يكون التذكر
ايلا الى الذي نزل الكتاب وبالجملة فتنا في هذه السورة من تفاصيل اياتها وجمل
جوامعها مما هو اعلق بغيب الايمان واعتبار اللب كما ان منزل سورة البقرة اعلق
بما هو من امر الاعمال واقامة معالم الاسلام بما ظهر في هذه السورة من علن امر الله وبما
افتتحت به من اسم الله الاعظم الذي جميع الاسما اسما له احاطته واختصاصها بوجه ما فكان
فيها علن التوحيد وكماله وكمال تنزيل الامر وتطور الخلق في جميع منازله ومثانيه
وظهر فيها تفصيل وجوه الحكم العلية التي تضمن جملة ذكرها الاية الجامعة في سورة
البقرة في قوله تعالى يوتي الحكمة من يشا فكان من جملة نبا الحكمة ما هو السبب في
ظهور الكفر من الذين كفروا بما غلب عليهم من الفتنة بامر الهم في قوله تعالى يا
ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله انتهى ولما
كان السبب المقتضي لاستمرار الكفر من النصارى المجادلين في امر عيسى عليه
السلام الخوف ممن فوقهم من ملوك النصرانية نبههم سبحانه على اول قصة اسلافهم
من بني اسرايل وما كانوا فيه من الذل مع ال فرعون وما كان فيه فرعون من
العظمة التي لم يبلغها ملوك زمانهم ثم لما اراد الله قهر اسلافهم له لم تنصرهم ذلتهم
ولا قلتهم ولا نفعته عزته ولا كثرة اله فلذلك صرح لهم سبحانه وطوى ذكر من
قبلهم فقال **كداب ال فرعون** اي الذين اشتهر لديكم استكبارهم وعظمتهم
وفخارهم قال الحرالي الداب العادة الدايمة التي لم تتايد بالتزامها والال الرجل
من اذا حضر تراه فيهم فكانه لم يغب وفرعون اسم ملك مصر في الكفر ومصر ارض
جامعة طينتها وجملة اقليمها نازل منزلة الارض كلها فلها احاطة بوجه ما فلذلك
اعظم شانها في القران وشان العالي فيها من الفراعنة وكان الرسول المبعوث اليه
اول المومنين بمحاورة امر الخلق من طليعة ظهور الحق لسماع كلامه بلا واسطة
ملك فكان اول من سقط في رتبة نبوته رتبة النبوة ذات الواسطة فلذلك بدي
به في هذا الخطاب لعلو رتبة نبوته بما هو كليم الله ومصطفاه على الناس ولحق
به من تقدمهم بما وقعت في نبوته من واسطة روح او ملك وخص الدلالة هو كان
عاينا بامر الله فكان جاحد الامكنة انتهى **والذين من قبلهم** وقد نقلت اليكم اخبارهم
و توهم واستنطها رهم فكانه قيل كيف كانت عادتهم فقيل **كذبوا باياتنا** المسموعة
والضوريه مع ما لها من العظمة بما لها من اضافتها الينا **فاخذهم الله** اظهر الله الاسم
الشريف تنبيها على باهر العظمة **بذنوبهم** قال الحرالي فيه اشعار بان اصل المواخذة ه

نياط بالذنوب وان المواخذه الدنيويه لا تصل الى حد الانتقام ولا على التكذيب
فكان ما ظهر من امر الدنيا يقع عفا باعلى ما ظهر من الاعمال وما ظهر من امر
الاخرة يستوفي العقاب على ما اصرت عليه الضماير من التكذيب ولذلك يكون
العقاب الدنيا ظهره للمومن لصفا باطنه من التكذيب ويكون واقع يوم الدين
كفاف ما جني على ظاهره من المخالفة فكان الذنب من للمومن يقع في دنياه
خاصة والذنب من الكافر يقع في دنياه واخراه من استغراقه لظاهره وباطنه
والله اي والحال ان الله شديد العقاب لا يعجزه شي ولما تم ذلك على هذه الوجوه
الظاهرة التي اوجبت اليقين لكل منصف بانهم مغلوبون وصل بها امره صلى الله عليه
وسلم وهو الجنب العزيز بان يصرح لهم بمضمون ذلك فقال قل للذين كفروا اي
من اهل زمانك جريا على منهاج اوليك الذين اخذناهم ستغلبون كما غلبوا وان كنتم
مل الارض لانكم اعا تغالبون خالقكم وهو الغالب لكل شي وليغلبن مغالب الغلاب
وقد انهم الاخبار بمجرد الغلبة دون ذكر العذاب كما كان بذكر في تهديد من
قبلهم ان اخذهم بيد المغالبة والمدافعة والنصر تشريف لنبيهم صلى الله عليه وسلم لانه عرض
عليه عذابهم فابى الا المدافعة على سنة المصابرة فكان اول ذلك عليه صلى الله عليه وسلم
على مركة المشرفة وكان فتحها فتحا لجميع الارض لانها ام القرى نبه على ذلك الحرالي وتحشرون
اي تجمعون بعد موتكم احيا كما كنتم قبل الموت الى جهنم قال الحرالي وهي من الجهامة وهي كراهة
المنظر وبيس اي والحال انها بيس المهاد ولما كان الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم
من العرب بعرض ان يقولوا حين قيل لهم ذلك كيف نغلب وما نحن فيكم الا كالشعرة
البيضا في جلد الثور الاسود قيل لهم ان كانت فطنة اي فرعون لم ينفعكم الجهل اوطول
عهد فانه قد كانت لكم اية اي عظيمة في فئتين تثنية فيه للطايفة التي يفي اليها اي
يرجع من يستعظم شيا استنادا اليها حماية بها لقوتها ومنعتها التقتا اي في بدر فية
اي مرية مومنة لما يرشد اليه قوله تقاتل في سبيل الله اي لتكون كلمة الله هي العليا ومن
كان كذلك لم يكن قطعا الا مومنا واخرى اي منهما كافرة اي تقاتل في سبيل الشيطان
فالاية كما ترى من وادي الاحتباك وهو ان يوتي بكلامين يحذف من كل منهما شي
يدل بما ذكر من كل على ما حذف من الاخر ولما نبه سبحانه على الاعتبار بذكر الاية
نبه على موضعها بقوله يرونهم مثليهم فعل قراه نافع بالتا الفوقانية يكون المعنى ايها
المخاطبون الكفار وعلى قراة غيره بالغيب المعنى يري المسلمون الكفار مثلي المسلمين راي
العين اي بالحزر والتخمين لا بحقيقة العدد هذا اقل ما يجوزونه فيهم وقد كانوا ثلاثة
امثالهم ومع ذلك نجاهم الله على مصادمتهم ونصرهم عليهم اي يري الكفار المسلمين مثلي
الكفار مع كونهم على الثلث من عدتهم كما هو مشهور في الاثار تاييدا من الله لاوليايه ليرعب
الاعدا فينهزمون او يري الكفار المسلمين ضعفي عدد المسلمين قال الحرالي لتقع الارادة على

صدقتهم

صدقتهم في موجود الاسلام الظاهر والايمان الباطن فكان كل واحد منهم بما هو مسلم
ذاتا وبما هو مومن ذاتا فالمومن المسلم ضعفان ابدا ان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين وذلك بان الكافر ظاهر لا
باطن له فكان ذات عين لا ذات قلب فكان المومن ضعفه فوقعت الاراة
للفئة المومنة على ما هي عليه شهادة من الله بصحة اسلامهم وايمانهم وكان ذلك
ادنى الارااة للمزيد الفئة المقاتلة في سبيل الله بمقدار الضعف الذي هو اقل
الزيادة الصحيحة واما بالحقيقة فان التام الذي بما هو مسلم مومن صاحب يقين
ايمانه بالحقيقة عشر تام نظير موجود الوجود الكامل فهو عشر ذوات بما هو صاحب
يقين ودين ان لم يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين انتهى وهذا التقليل
والتكثير واقع بحسب اول القتال واخره وقبل اللقا وبعده لما اراد الله من الحكم
كما في اية الانفال والمعنى انا فاعلون بكم ايها الكفار على ايديهم ما فعلناه باوليك وقد
كانوا قايلين اعظم من مقالتكم فلم تغن عنهم شيا كثرتهم لا شدة شكيمتهم ونخوتهم
فان الله ولي المومنين لطاعتهم ولا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث
ولما كان التقدير فنصر الله الفئة القليلة عليه قوله والله يويد ولا بد تضعيف
القوة الباطنة بنصره قال الحرالي والنصر لا يكون الا للمحق وانما يكون لغير المحق الظفر والانتقام
انتهى من يشا اي فلا عجب فيه في التحقيق فلذلك اتصل به قوله ان في ذلك اي الامر
الباهر وفي اداة البعد كما قال الحرالي اشارة بعد الى محل على الاية لعبرة قال في المحاورة
من عدوة الدنيا الى عدوة القصوى ومن علم ادنى الى علم اقصى ففي لفظها بشرى
بما ينالون من وراها مما هو اعظم منها الى غاية العبرة العظمى من الغلبة الخاتمة التي
عندها تضع الحرب اوزارها حيث يكون من اهل الكمال بعدد اهل بدر ثلثمايه
وثلاثة عشر فهو غاية العبرة لمن له بصر نافذ وبيان جامع بين البداية والخاتمة كما بدانا
اول خلق نعيده انتهى لاولي الابصار اي يعبرون بها من حال الى اشرف منها في قدرة
الله وعظمته وفعله بالاختيار قال الحرالي اول موقع العبر على العيون نظرا ومعرفة
خبرتها الحسية بصرا ونفوذه الى حقيقتها رؤية فالبصر متوسط بين النظر والرؤية
كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالعبرة هي المرتبة لاولي الابصار
الذين يبصرون الاواخر بالاوايل فاعظم غلبة بطشته في الابتدا غلبة بدر واعظمها
في الانتها الغلبة الخاتمة التي لا حرب فيها وراها التي تكون بالشام في اخر الزمان
انتهى ولما علم بهذا ان الذي وقف بهم عن الايمان من الاموال والاولاد وساير
المتاع انما هو شهوات وعرض زايل لا يوثره عاقل على اتباع ما شرعه الملك الامر انسلخ
من صفات البشر الى طور البهايم التي لا تعرف الا الشهوات وختم بذلك بذكر اية الفئتين
كان كانه قيل لهذه العلامة ومن شانها الظهور فما حجبها عنهم فقيل تزيين الشهوات لمن زاد

موجودهم

دنت همته وقال الحرالي لما اظهر تعالى في هذه السورة ما اظهره تبعا لعلن تبو منه
في تنزيل الكتاب الجامع الاول وانزال الكتب الثلاث ثم انزال التورية بما انشا عليه قومها
من وضيع رغبتهم ورهبتهم في امر الدنيا فكان وعيدهم فيها ووعدهم على اقامة ما فيها
انما هو برغبة الدنيا ورهبتها لان كل امة تدعى لنحو ما جبلت عليه في رغبة ورهبة
فمن مجبول على رغبة ورهبة في امر الدنيا ومن مجبول على ما هو من نحو ذلك في امر الاخرة
ومن مفطور على ما هو من عموم ذلك من امر الله في خطاب كل امة وتنزل عليها
كتابها من نحو ما جبلت عليه فكان كتاب التورية كتاب رجا ورغبة وخوف ورهبة
في موجود الدنيا وكان كتاب الانجيل كتاب دعوة الى ملكوت الاخرة وكانا متقابلين
بينهما ملابسة لم يفصل امرها فرقان واضح تكثر فيها الاشتباه فانزل الله تعالى
الفرقان لرفع لبس ما بينهما فابان بين المحكم والمتشابه من منزل الوحي وكما ابان فيه
فرقان الوحي ابان فيه ايضا فرقان الخلق وما اشتبه من امر الدنيا والاخرة
وما التبس على اهل الدنيا من امر الخلق بلوائح ايات الحق عليهم فتبين في الفرقان
محكم الوحي من متشابهه ومحكم الخلق من متشابهه وكان متشابه الخلق هو المزين
من متاع الدنيا ومحكم الخلق هو المحقق من دوام خلق الاخرة فاطلع بنجم هذه الاية
لانارة علن ما بني عليه امر التورية من اثبات امر الدنيا لهم وعدا ووعيدا لتكون هذه الاية
توطئة لتحقيق صرف النبي عن مد اليد والبصر الى ما متع به اهلها فانبا تعالى ان متاع الدنيا
امر مزين لا حقيقة له بينة ولاحسن لها وانما زخرفة فقال زين للناس فابهم المزين
لنرجع اليه السنة التزيين مما كانت في رتبة علو او دنو ففي اناطة التزيين بالناس دون
الذين امنوا ومن فوقهم ومن فوقهم ايضاح لنزولهم في اسنان القلوب والهمم
ملوك الدنيا واتباعهم ورتبا القبايل واتباعهم الذين هم اهل الدنيا حب الشهوات
جمع شهوة وهي نزوع النفس الى محسوس لا تمالك عنه انتهى وفي هذا الكلام اعلام
بان الذي وقع عليه التعريف الحب لا الشي المحبوب فصار اللام لاهل الدنيا انما هو محبة
الامر الكلي من هذه المسميات وربما اذا تشخص في الجزئيات لم تكن تلك الجزئيات محبوبة
لهم وفيه تحريك لهم اهل الفرقان الى العلو عن رتبة الناس الذين اكثرهم لا يعلمون ولا يشكرون
ولا يعقلون ثم بين ذلك بما هو محط القصد كله واخر العمل من حيث انه لا علق بالنفس
اسا ها التي هي منها خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها فقال من النسا وا
ما هو منه ايضا وهو بينه وبين الانثى فقال والبنين قال الحرالي واخفى فتنة النسا
بالرجال ستر الهن كما اخفي امر حوا في ذكر المعصية لادم حيث قال وعصى ادم ربه
فاخفاهن لما في ستر الحرم من الكرم والله حيي كريم انتهى اتبع ذلك ما يكمل به امره فقال
والقناطير قال الحرالي جمع قنطار يقال هو ماية رطل ويقال ان الرطل اثني عشر
اوقية والاوقية اربعون درهما الدرهم خمسون حبة وخمسا حبة بحب الشعير واحده ان

يكون

يكون من شعير المدينة المقنطرة اي المضاعفة مراتب انتهى ثم بينها بقوله من الذهب
والفضة ثم اتبعها الزينة الظاهرة التي هي اكبر الاسباب في تحصيل الاموال فقال
والخيل قال الحرالي اسم جمع لهذا الجنس المجبول على هذا الاختيال لما خلق له من
الاعتزاز به وقوة المنة في الافتراس عليه الذي منه سمي واحده فرسا
المسومة اي المعلمة باعلام هي سيمها وسيماها التي تشتهر بها جودتها من السومة
بضم السين وهي العلامة التي تجعل على الشاة لتعرف بها واصل السوم بالفتح
الارسال المديحي مكتفي في المرسل بعلامات تعرف بها نسبته لمن تتوفر الدواعي
للحفيظة عليها من اجل الواقع عليها من الخاص والعام فهي مسومة بسيمة يتعرف
بها جودتها ونسبتها والانعام وهي جمع نعم وهي الماشية فيها ابل والابل واحدها
فاذا خلت منها الابل لم يجز على الماشية اسم نعم والحرث انتهى ولما فصلها
اجملها زجرا عن ثمرتها وبيان حقيقتها فقال ذلك ما ذكر من الشهوات البعيد من
اخلاد ذوي الهمم اليه ليقطعهم عن الدار الباقية وقال الحرالي الاشارة الى بعده
عن بعد التقريب الى حضرة الجنة انتهى متاع الحياة الدنيا اي التي يجمع دناءتها
الى قربها قال الحرالي جعل سبحانه ما احاط به حسن النظر العاجل من موجود العاجل
ادنى فالهم ان ما انبا به على سبيل السمع انما يجعل تعالى من امر اشتباه كتاب الكون
المري وذكره المشتهى دان عجل محسوس العين وحمل على ما تركه وقبض اليد بالورع
والتعفف بالحب عنه واخر شهود مسموع الاذن من الاخرة وانبا بالصدق عنه ونبه
بالايات عليه ليوثر المؤمن مسمعه على منظره كما اثر الناس منظرهم على مسمعهم
حرص لسان الشرع على ترك الدنيا والرغبة في الاخرة فابت الانفس وتبلت
القلوب وهيم لسان الشعر في زينة الدنيا فقبلته الانفس ولم يسلم القلوب منه الا
بالعصمة فلسان الحق يصرف الى حق الاخرة ولسان الخلق يصرف الى زينة الدنيا
فانبا تعالى ان ما في الدنيا متاع والمتاع ما ليس له بقا وهو في نفسه خسيس
خساسة الجيفة انتهى ثم اتبع ذلك سبحانه حالا من فاعل معنى الاشارة فقال
والله ويجوز ان يكون عطفا على ما تقديره وهو سو المبدا في هذا النهاب الى غاية
الحياة والله عنده حسن الماب قال الحرالي مفعل من الاوب وهو الرجوع الى
ما منه كان الذهاب انتهى فارشد هذا الخطاب اللطيف كل من ينصح نفسه الى
منافرة هذا العرض الخسيس بانه ان جعل له تعويض عنه بان يكون في يده لا في قلبه
ثلا يفرح به بحيث يشغله عن الخير بل يجعل عونا على الطاعة واذا ان منع منه لا يتاسف
عليه لتحقق زواله ولرجا الاول الى ما عند خالقه الذي ترك ذلك لاجله ولما ذكر
سبحانه ما اوجب الاعراض عن هذا الغرض فكان الصابر حريا بان يقول فعلى ما
اتبل امر سبحانه اقرب الخلق اليه واعزهم لديه بجوابه فقال قل اي لمن منه

من م

تا بلته الا تبال الينا ولما اجري سبحانه هذه البشري علي لسانه صلي الله عليه وسلم
لتقوم الحجة علي العباد بحاله كما تقوم بقاله من حيث انه لا يدعوا الي شي الا كان اول
فاعل له ولا ينهي عن شي الا كان اول تارك له لا يثار الغايب المسموع من بنا
الاخرة علي العاجل المشهود بين واثر الدنيا كما قال صلي الله عليه وسلم لعمر رضي
الله عنه حين اشفق عليه من تاثير رمال السرير في جنبه فذكر ما فيه فارس والروم
من النعيم افي شك انت يا ابن الخطاب اما ترضي ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة
شوق اليها بالاستفهام في قوله اونبئكم بخير من ذلكم اى الذي ذكر من الشهوات
وعظم باداة البعد وميم الجمع لعظمته عندهم وللذيادة في تعظيم ما يرشد اليه للذين
اتقوا اي الصفوا بالتقوي فكان مما اثمر لهم اتصافهم بها ان اعرضوا عن هذه
الشهوات من حيث انها شهوات وجعلوها عبادات والله لهم من عذاب ربهم
فتلذذوا بالنشاة لا بمجرد اللذة بل لغض البصر من الجانبين وابتغا ما كتب لهم
من الولد انفاد المولد وبهم من تكثير حلا منهم في الارض للاصلاح لقوله صلي
الله عليه وسلم تنا كحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة ونحو ذلك وفرحوا
بالبنين لا لمجرد المكاثرة بل لتعليمهم العلم وحملهم علي الذكر والجهاد والشكر
وانواع السعي في رضي السيد وجاهروا النقدين لا للكنز بل للانفاق في
سبيل الله الجراب وربطوا الجياد لا للفخر والرياسة علي العباد بل لقمع اوليا
الشيطان ورفع اوليا الرحمن المستلزم لظهور الايمان كما بين النبي صلي الله عليه
وسلم منشا براقتنائها فقال لي لرجل اجر ولرجل ستر وعلي رجل وزر ثم عظم سبحانه
ما لهم بقوله عند ربهم اي المحسن اليهم بلباس التقوي الموجب لا يثارهم الاخرة
علي الدنيا وقوله جنات مرفوع بالابتدا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
اذا كان للذين متعلقا بخيرهم ووصفها بقوله تجري من تحتها الانهار اي انها
غير مجلوب بل للا مكان فيها منبع لان منبع منه ما يجري لتثبت بتحتها وتدوم زهرتها
ونضرتها ثم اشار بقوله خالدين فيها اي انها هي المشتملة علي جميع الاحسان
المغنية عن الحرث والانعام وان ذلك علي وجه لا انقطاع له قال الحرالي وفي
معني لفظ الخلود اعلام بسكون الانفس اليها لما فيها من موافقتها انتهي ولعله
انما خص من بين ما تقدم من الشهوات ذكر النسوان في قوله وازواج لانها
اعظم المشتهيات ولا يحصل التلذذ بها الا بحصول جميع ما يتوقف ذلك عليه
فصار ذكرهن علي سبيل الامتنان من القادر كناية عن جميع ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين ولما كانت التقوي حاملة علي تطهير الانفس من اوصال الادناس
من الاوصاف السيئة قال مطهرة لانهن مقتبسات من انفسهم خلق لهم
من انفسهم ازواجا ولما ذكر حظ البدن لذة هذا النعيم بالتزوج وزاده من

الاوصاف

الاوصاف المضاعفة ما لا حد له بقوله ورضوان قال الحرالي بكسر الرا وضمها
اسم مبالغة في معني الرضي وهو علي عبرة امتلا بما تعرب عنه الالف والنون وتشعر
ضمة الرا انه بظاهر اشتباههه وكسرتها بباطن لحاطته انتهي ولما جري وعد الجنات
علي اسم الربوبية للفاتها الي الاحسان بالتربية فخرامي هذا الجزا واعلاه علي
ذلك نوطه بالاسم الاعظم فقال من الله ولما كان شاملا لجميعهم وكان
ربما ظن انهم فيه متساوون اشار الي التفاوت بقوله والله بصير بالعباد
اي مساعيهم ومقاديرما يستحقون بها بفضله علي حسب اخلاصها وبغير ذلك
من اعمالهم واقوالهم وساير احوالهم ولما اخبر تعالي بانه بصير عن مستحق
ما اعد من الفوز اتبعه ما استحقوا ذلك به من الاوصاف تفضلا منه عليهم
بها وبايجاب ذلك علي نفسه حلاهم علي التخلق بتلك الاوصاف فقال وقال الحرالي
لما وصف تعالي قلوبهم بالتقوي وبراهم من الاستغنا بشي من دونه وصف ادبهم
اي ج في المقال فقال انتهي الذين يقولون ربنا يا من ربانا باحسانه وعاد علينا
بفضله واسقط اداة الندا اشعارا بما لهم من القرب لانهم في حضرة المراقبة
ولما كانت احوالهم في تقصيرها عن ان يقدر الله حق قدره كانها احوال من
لم يومن اقتضي المقام التاكيد فقالوا اننا امنا بما دعوتنا اليه واظهروا هذا
المعني بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا اى فاننا عاجزون عن دفعها ورفع الهمم عن
موافقتها وان اجتهدنا لما جبلنا عليه من الضعف والنقص تنبيها منه تعالي
علي ان مثل ذلك لا يقدح في التقوي اذا اعدم بالتوبة لانه ما اصر من استغفر
والتوبة تجب ما قبلها قال الحرالي وبني المغفرة علي مجرد الايمان اشارة الي انه
نوب لا تغيرها الافعال من ترتب ايمانه علي تقوي غفرت ذنوبه وكان معفرة الذ
هذا الادب في مقابلة الذين اخذهم الله بذنوبهم من الذين كذبوا ففي تحول
ذكر الذنوب في الصنفين اعلام باجرا قدر الذنوب علي الجميع فما كان منها
مع التكذيب اخذ به وما كان منها مع التقوي والايمان غفر له انتهي ولما رتب
سبحانه الغفران علي الغفران ابتدا ارتب عليها الوفا مدانتها فقال وقنا عذاب
النار اي الذين استحققناه بسوافعالنا قال الحرالي لما وصف تقوي قلوبهم
بالنا وادب مقالهم ظاهرا وصف احوال انفسهم لتطابق ظاهر امرهم
لمتوسطه وباطنه فقال الصابرين فوصفهم بالصبر ابتغا بما بينا لهم من سجن
الدنيا وشدايدها والصبر امدح اوصاف النفس به تحبس عن هواها وعما زين
من الشهوات المذكورة بما تحقق من الايمان بالغيب الموجب ترك الدنيا للاخرة
فصبروا عن الشهوات اما النسا فبالاقتصار علي ما ملكوه واما البنون فبمراعاة
ان ما تقدم خير مما تاخر قال صلي الله عليه وسلم يعني فيما رواه ابن ماجه عن ابي هريرة

لسعنا ادمه بين يدي احب الي من فارس اخلفه بعدي واما الذهب والفضة
فما لنظر اليهما اصنامانصر موجودها وبالجري ان ينال منها السلامة متعسة
لا يكاد يصل انفاقها الي ان يكون كفارة كسبها وجمعها فكان الصبر عنها اهون
من التخلص منها وأمّا الخيل فلما يصحبها من التعزز المهد لخيلا النفس الذي
هو اشد ما علي النفس ان تخرج عن زهوها وخيلايها الي احتمال الضيم والسكون
تحت الذي يقال انه اخر ما يخرج من روس الصديقين حب الرياسة واما الانعام
فلا تتصاد منها علي قدر الكفاف فلان كل مستزيد هولا من الدنيا زايد علي
كفاف منه من مسكن او ملبس او مركب او مال فهو محجر علي من سواه من عباد
الله ذلك الفضل الذي هم احق به منه قال صلي الله عليه وسلم لنا غنم ما نريد لا
نريد ان تزيد الحديث وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم
واما الحرث فالاكتفا منه علي قدر الكفاية لا يكون راتبا الا للزام ومرصد النوايب
ومخرجا للبذر فان اعطاه الله فضلا اخرجه بوجه من وجوه الاخراج ولو بالبيع
ولا يمسكه متربصا لعلته الي غيره من الاعيان فيكون محتكرا قال عليه الصلاه والسلام
من احتكر اربعين يوما فقد بري من الله وبري الله منه فبذلك يتحقق الصبر
بحبس النفس كما زين للناس من الشهوات من الدنيا الزايدة علي الكفاف التي هي
من حظ من لا خلاق له في الاخرة ولذلك يحق ان تكون له هذه الكلمات معربة
بالنصب مدحا لان الصفات المسعة بالمدح حليتها النصب في لسان العرب وانما
يتبع في الاعراب ما كان لرفع لبس او تخصيص انتهي ولما كان من التقوي فوق
سن الايمان عطف امداحهم كلها بالواو وايذانا بكمالهم في كل وصف منها وتمكنهم
فيه بخلاف ما في اية براءة علي ما سياتي ان شا الله تعالي فقال والصادقين قال
الحرالي في عطف الصفات ما يوذن بكمال الوصف لان العرب تعطفها اذا اكملت ربتبع
بعضها بعضا اذا تركبت والثابت يعني مثل الرمان حلو حامض اذا مزاغير صادق حلم
في الحلاوة ولا الحموضة ففي العطف اشعار بكمال صبرهم عن العاجلة علما عينه اة
النظم في الاية السابقة ومن شان الصابر عن الدنيا الصدق لان اكثر المداهنة والمرايا
انما الجا اليها التسبب الي كسب الدنيا فاذا رغب عنها لم يحمله علي ترك الصدق حامل
فتحقق به فيصدق في جميع اموره والصدق مطابقة اقواله وافعاله لباطن حاله في نفسه
وعرفان قلبه انتهي والقانتين اي المخلصين لله في جميع امورهم الدايمين عليه والمنفقين
اي مما رزقهم في كل ما يرضيه فان لا قوام لشي من الطاعات الا بالنفقه قال الحرالي فيه
اشعار بان من صبر نول ومن صدق اعلي ومن قنت جل وعظم قدره فنوله الله ما يكون
له منفقا والمنفق اعلي حالا من المزكي لان المزكي يخرج ما وجب عليه فرضا والمنفق
يجود بما في يده فضلا والمستغفرين اي من دعا نفسهم مع هذه الافعال والاحوال التي
انتهي

هي نهاية ما يصل اليه الخلق من الكمال بالاسحار التي هي اشق الاوقات استيقاظا
عليهم واحبها راحة لديهم واولاها بصفا القلوب واقربها الي الاجابة قال الحرالي
وهو جمع سحر واصل معناه التغلل من الشي بما يقاربه ويداينه ويكون منه برجعه
فالوقت من الليل الذي يتغلل فيه بدنو الصباح هو السحر ومنه السحور يقال عن
الغدا ثم قال وفي انها مه لتحدهم في الليل كما قال تعالي كانوا قليلا من الليل ما
يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون من حسناتهم كما يستغفر اهل السيات من سياتهم
سترا من دعوي الافعال ورويته الاعمال التيا ما يصدق قولهم في الابتدا ربنا اننا
امنا وكمال الايمان بالقدر خيره وشره فباجتماع هذه الاوصاف السبع من التقوي والايمان
والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار كانت الاخرة خير لهم من الدنيا
وقد بان بهذا احكم ايات الحاق من متشابهها بعد الاعلام بمحكم ايات الامر ومتشابهها
ثم بشر منزل الفرقان في ايات الوحي المسموع والكون المشهور انتهي ولعله سبحانه
اشار بهذه الصفات الخمس المتعاطفة الي دعايم الاسلام الخمس فاشار بالصبر الي الايمان
وبالصدق الي الزكوة المصدقة لدعواه وبالقنوت الذي مدار مادته علي الاخلاص
الي الصلاة التي هي محل المراقبة وبالانفاق الي الحج الذي اعظم مقوماته المال وبالاستغفار
الى الصيام الذي مبناه التخلي من احوال البشر والتحلي بحلية الملك لاسيما في القيام ولا
سيما في السحر وسر ترتيبها انه لما ذكر ما بين العبد والخالق في التوحيد الذي هو الوصل
اتبعه ما بين الخلائق في الاحسان ولما ذكر عبادة القلب والمال ذكر عبادة البدن
مجردا اتبعها عبادة المال مجردا ذكر عبادة ظاهرة مركبة منهما شعارها تعرية الظاهر
ثم اتبعه عبادة بدنية حقيقته عمادها تعد به تختم بمثلها ما بدا به وهو ما لا يطلع عليه
حق الاطلاع الا الله تعالي ولما اخبر سبحانه بوحدانيته في اول السورة واستدل عليها
واخبر بما اعد للكافرين واستدل عليه بما دل علي الوحدانية وختم بالاخبار بما اعد
للمتقين مما جر الي ذكره تعالي بما يقتضي الوحدانية ايضا من الاوصاف المبنية علي
الايمان انتج ذلك ثبوتها ثبوتا لا مرية فيه فكرر تعالي ذكر هذه النتيجة علي وجه اضخم
من الماضي كما اقتضته الادلة فقال وقال الحرالي لما انهي تعالي ذكر الفرقان بغاية
بيان المحكمين والمتشابهين في الوحي والكون انتظمت هذه الشهادة هي اعظم شهادة في
كتاب الله باية القيومية التي هي اعظم اية الوجود لسطم اية الشهود باية الوجود انتهي
فقال تعالي شهد الله انه قال الحرالي فاعاد بالاضمار ليكون الشاهد هو المشهود
له لا اله الا هو فاعاد بالهوية لمعني الوحدانية في الشهادة ولم يقل الا الله لما يشعر به
تكرار الاسم في محل الاضمار من التنزل العلي انتهي والمعني انه سبحانه فعل فعل الشاهد
في اخباره عما يعلم حقيقته بلفظ الشهادة جريا علي عادة الكبرا اذا ارادوا انفاذ امر ابتاعهم
عما يامرون به من المهمات في تعاطيهم له بانفسهم تنبيها علي ان الخطب قد فدح والامر

الدنيا
قد تفاقم فيها وقط حينئذ اليه الا نباع ولو ان فيه الهلاك تساقط في احلى المراتب
والى ذلك ينظر قول وفد ثقيف ما لمحمد يامرنا بان نشهد له بالرسالة ولا يشهد
هو لنفسه فكان صلى الله عليه وسلم بعد لا يخطب خطبة الا شهد لنفسه الشريفة
فيها بالرسالة فكانه قيل ان ربكم الذي اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قد نصب
لكم الادلة على نفسه بحيث انتفى كل ريب ثم شهد بذلك لنفسه فلم يبق لكم عذر
قال الحرالي وهذه الشهادة التي هي من الله بعدد الشهادة التي اليها قصد القاصدون
وسلكها السالكون واليها انتهت الاشارة واليها وقفت العبادة انهى المقامات واعظم
الشهادات فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراها مرمى ومن شهد بما دونها
كانت شهادته مشهودا عليها لا شاهدة يوثر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يوم
الجمعة وهو قايم بعرفة منذ حان وقت العصر الى ان غربت الشمس في حجته التي كمل بها
الدين وتمت بها النعمة يقول هذه الاية لا سيما مدعليها فاي عبد شهد لله بهذه
الشهادة التي هي شهادة الله لله بالوحدانية فقد كملت شهادته فاتم الله النعمة عليه
وهي كل شهادة من دونها وهي اية علو التوحيد الذي هو منتهى المقامات
وغاية الدرجات في الوصول الى محل الشهود الذي منه النفوذ الى الوجود المقتضي
الاعظمية التي في الاية الفاتحة انتهى ولما اخبر تعالى عن نفسه المقدسة اخبر عمن
تعهد بذمن خلقه فقال والملايكة اي العباد المقربون المصفون من ادناس البشر الذين
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ولما خص اهل السموات عم فقال واولوا
العلم اي فعلوا ما فعله العظيم من الشهادة ليكون ذلك ادعى لغيرهم اليه واحث
عليه ولما كانت الشهادة قد تكون بما غير وجه العدل نفى ذلك بقوله قايما وافرد ليبين
انه حال كل من المذكورين لا المجموع بقيد الجمع وجوز وهو الاقرب ان يكون حالا من
الاسم الشريف اشارة الى انه ما وحد الله حق توحيده غيره لانه لا يحيط به احد
علما وقال الحرالي افرد القيام فاندرج من ذكر من الملايكة واولي العلم لا يفاد منهم
فيما يجريه الله على ايديهم لان امرهم قايم بالقسط من الله بذلك ان عظم عادلما كشف له عن
الملايكة في يوم النعمة قال لهو وعليه السلام يا هو وما هذا الذي اراهم في السحاب
النجاتي فقال ملايكة ربي فقال له ارايت ان امنت بالهك ايعيذني منهم عن قتلوا
من قومي قال ويحك وهل رايت ملكا يعيد من جنده انتهى بالقسط اي العدل
السوا الذي لا حيف فيه اصلا بوجه من الوجوه وقد ثبت بهذه الشهادة على هذا الوجه
ان التوحيد في نفس الامر على ما وقعت به الشهادة فلذا قال على طريق الاستنتاج
لا اله الا هو وقال الحرالي كرر هذا التهليل لانه في رتبة القسط الفعل لان
التهليل الاول في رتبة الشهادة العلمية فاستوى في التهليلان جميع البادي علما وفعلا
انتهى واتبعه سبحانه بقوله العزيز الحكيم دليلا على ذلك لانه لا يصح التفرد بدون

الوصفين وليسا على الاطلاق لاحد غيره اصلا قال الحرالي وقسط الله هو اخفا عدله
في دار الدنيا من حيث انه خفض ورفع بما دق خفضه ورفعه فيوال الى عدله ويراه بشك
في خلال تفاوته كل ذي لب بما انه عزيز يظهر عزته فيما يرفع حكيم يخفي مضاحكمه فيما يخفض
فكل ما هو بادٍ من الخلق جور فهو من الله قسط طيه عدل سرٍ سوا فظهر عزته
فيما حكم انتقاما وحكمته في الموازنة بين الاعمال والجزا عدلا انتهى ولما كان ذلك
علما انه يجب ان يخضع له الرقاب ويخلص له التوحيد جميع الالباب وذلك هو الاسلام فقال
ان الدين عند الله الاسلام فاللام للعهد في هذه الشهادة فانها اس لكل طاعة ولما
كان ذلك مصرحا بانه لا دين عنده غيره كان كان قايلا قال فكان يجب ان يعلم بذلك
الانبيا الماضون والامم السالفون ليبلغوه ويلزموه اتباعهم فقيل قد فعل ذلك فقيل فما لهم
لم يلزموه فقيل قد لزموه فقيل قد لزموه مدة مديدة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
هذا الاختلاف الذي ترونه الا من بعد ما جاءهم العلم بذلك كله وما كان اختلافهم لجهلهم
بذلك كله بغيا واقعا بينهم لا بينهم وبين غيرهم بل من بعضهم على بعض للحسد والتنافس
في الدنيا لشبه ابدوها ودعاوى ادعوها طال بينهم فيها النزاع وعظم الدفاع والله تعالى
عالم بكشفها قادر على صرفها قال الحرالي والبغي السعي بالقول والفعل في ازالة نعم انعم
الله بها على خلق بما اشتملت عليه ضماير الباغي من الحسد له انتهى ولما كان التقدير فمن
استمر على الايمان فان الله عظيم الثواب عطف عليه قوله ومن يكفر بايات الله الى المرئيات
المسموعات وتوقاه مع تلك الشبه وعمي عن الدليل فالله مهلكه عاجلا فان الله سريع قال
الحرالي من السرعة وهو وجدان النجاز فيما شانه الابطا انتهى ويحتمل ان يكون كنى بالسرعة
عن القرب فالمعنى قريب الحساب اي عن قرب يجازيهم على كفرهم في هذه الحياة
الدنيا بايدي بعضهم وبايدي المومنين ثم ينقلون الى حسابه سبحانه في الدار الاخرة
المقتضي لعذاب الكفرة ويحتمل ان يكون السرعة على بابها والمراد انه لا يتهيا في حسابه
غيره من المغالطة المقتضية للنجاة او المطاولة في مدة الحساب المقتضية لتاخر الجزا في مدة
العمر وغيره والله اعلم ومن الكفر بايات الكفر بعيسى عليه السلام حين انتحلوا فيه الالهية
قال الحرالي كان اية من الله للهدى انه توقع عندهم بحال من كفروا به فكان بسبب كفرهم ما كان
مستحقا ان يكون سبب هداية المهتدين وكان ذلك فيه لمحل اشتباهه لانه اشتبه عليهم
خلقه بما ظهر عليه من ايات الله وفي التعريض به الاحتمال يقع لهذه الاية في نحو ممن هو مقام
الهداية توقع في طايفة موقع اية كفر وابتها كما قال عليه السلام في علي رضي الله عنه مثلك يا علي كمثل
عيسى بن مريم ابغضته يهود فبهتوا امه واحبه النصارى فانزلوه بالمحل الذي ليس به كذلك تورطت
فرق في علي رضي الله عنه من بين خارجيهم ورافضيهم انتهى ولما تم ذلك وكان كانه قيل قد حاججناك
بالامر الواضح الذي لا يشكون فيه فان حاجوك بعده في شي مما تضمنته هذه الايات ودل صريحا
او تلويحا عليه فاعلم ان جدالهم عن عناد مع العلم بحقيقة الحال فقل اي فاعرض عنهم الى ان

امرك بالقتال لان من الواجبات كما تقرر في اداب البحث الاعراض عن من كابر في
المحسوس وقل انت اسلمت وجهي اي اخلصت قصدي وتوجهي لله قال الحرالي وكما ادرج
تعالى شهادة الملايكة واولي العلم في شهادته لعن نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدرج
من اتبعه في اسلامه وجهه لله ليكون اسلامهم باسلام نبيهم لا باسلام انفسهم ليلحق
التابعة من الامة بالايمة وذلك حال الفرقة الناجية من بين الفرق الاثنين والسبعين
التي قال صلى الله عليه وسلم ما انا عليه فيما اولي من اليقين واصحابي فيما اوتوه من
الاتباع وبراهم من الرجوع الى انفسهم في امر كما كانوا يقولون عند كل ناشية علم اوامر
الله ورسوله اعلم فمن دخل برايه في امر نقص حظه من الاتباع بحسب استبداده انتهى
فقال تعالى ومن اي واسلم من اتبعني وجوههم له سبحانه ولما كان المكمل لنفسه يجب
عليه السعي في الكمال عنده اعلمه بذلك في قوله وقل للذين اوتوا الكتاب اي عامة من
هولا النصارى الذين يجادلونك ومن اليهود ايضا والاميين الذين لا كتاب لهم ااسلمتم
فان اسلموا عند ذلك فقد اهتدوا فنفعوا انفسهم في الدنيا والاخرة وفي صيغة افتعلوا ما
يلح الى ان الانفس مايلة الى الضلال زايغة عن طرق الكمال وان تولوا اي عن الاسلام
فانما عليك البلاغ اي وعليهم وبال توليهم وفي صيغة التفعل ما يومي الى ان طرق الهدى
بعد البيان اخذ محاسنها بمجامع القلوب وان الصادق عنها بعد ذلك قاهر لظاهر
عقله برجاسة نفسه والله بصير بالعباد اي فهو يوفق من خلقه للخير منهم ويخذل غيره لا
يقدر على فعل ذلك غيره ولا يقدر احد غيره يفعل مثل ذلك ولما اشترك اليهود في هذا
الخطاب وافهم شرط التولي باداة الشك وقوعه فتشوقت النفس الى معرفة جزايهم اشار
اليه واصفا لهم ببعض ما اشتد خبثه من افعالهم فقال وقال الحرالي لما كانت هذه السورة
منزلة لتبيين ما اشتبه على اهل الانجيل جرى ذكر اهل التورية فيها محملا بجوامع من ذكرهم
لان تفاصيل امرهم قد استقرت سورة البقرة فكان امر اهل التورية في سورة البقرة
بيانا واهل الانجيل اجمالا وكان امر اهل الانجيل في سورة ال عمران بيانا وذكر اهل التورية
اجمالا لما كان لبس اهل التورية في الكتاب فوقع تفصيل ذكرهم في سورة الم ذلك الكتاب
ولما كان استباه امر اهل الانجيل في شان الالهية كان بيانا ما اشتبه عليهم في سورة الم
الله لا اله الا هو الحي القيوم فجاء هذا الذكر لاهل التورية معادلة بينهم وبين اهل
الانجيل لما كفر وانفى الايات من المعنى الذي اشتركوا فيه في امر الالهية في عزير واختصوا
بقتل الانبياء وقتل اهل الخير الامرين بالقسط انتهى فقال تعالى ان الذين يكفرون وهم
الذين ختلهم الله بايات الله في ابراز الاسم الاعظم اشارة الى عظيم كفرهم بكونه بما اضيف اليه
سبحانه قال الحرالي وفي ذكره بصيغة الدوام ما يقع منهم من الكفر بايات الله في ختم اليوم
المحمدي مع الدجال فانهم اتباعه ويقتلون النبيين في اشعاره ما تمادوا عليه من البغي الى ما
حتى كان لم يدخل في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم التي رزقها الله فيما كان يدعو به حيث كان يقول

يا

صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وعاقبة ولما كان قتلهم اياهم بدون شبهة
اصلا بل لمحض الكفر والعناد لان الانبياء متبرون من ان يكون لاحد قبلهم حق دنيوي
او اخروي قال بغير حق ولماحض ذكر اكمل الخلق عبر بما يعم اتباعهم فقال ويقتلون الذين
يامرون بالقسط اي العدل من الناس كلهم سوا كانوا انبيا اولا وهذا تحقيق لان
قتلهم لمجرد العدو وان قال الحرالي فيه اعلام بتمادي تسلطهم على اهل الخير من الملوك
والرؤسا فكان في طيه الاخبار لما استحلوا فيه من علم التطبب ومخاطبتهم رؤسا
الناس بالطب الذي توسل كثير منهم الى قتلهم عمدا او خطا لتحري ذلك على ايديهم
خيفة في هذه الامة نظير ما جرى على ايدي اسلافهم في قتل الانبيا جهرة انتهى ويجوز
ان يكون الخبر عنهم محذوفا والتقدير انهم مطبوع على قلوبهم اولا يومنون اولا يزالون
يجادلونك ويناز عونك ويبغون لك الغوايل فبشرهم بعذاب اليم اي اجعل
اخبارهم بانه لهم موضع البشارة فهو من وادي تحيته بينهم ضرب وجيع ولما كان
الحال ربما اقتضى ان يقال من بعض اهل الضلال ان لهولا اعمالا احسانا واجتهادات
في الطاعة عظيمة بين تعالى ان تلك الافعال مجرد صورة لا معاني لها لتضييع القواعد
كما انهم هم ايضا ذوات بغير قلوب لنزع المناسبة بين الاعمال والعاملين فقال اولئك
اي البعدا البغضا الذين حبطت اي فسدت فسقطت اعمالهم اي كلها الدنيا وية والدينية
وابنا تعالى بقوله في الدنيا كما قال الحرالي انهم يتعقبون اعمال خيرهم بما يحبطها فلا
يطعمون بجزا لها في عاجل ولا اجل وبذلك تمادى عليهم الذل وقل منهم المهتدي انتهى
والاخرة فلا يقيم لهم الله في يوم القيمة الدين وزنا ولما كان التقدير فلا ينتصرون بانفسهم
اصلا فانهم لا بد برون تدبيرا الا كان فيه تدميرهم عطف عليه قوله وما لهم من ناصرين
قال الحرالي فيه اعلام بوقوع الغلبة عليه علية لا ينصرهم هذه السورة في قوله تعالى ويوميذ
يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء فهم غير داخلين فيمن خطهم بنصر بما ندور
دابهم يقتلون في اخر الزمان حتى يقول الحجر يا مسلم خلفي يهودي فاقتله حتى لا يبقى منهم
الا من يستتر بشجر الغرقد كما قال صلى الله عليه وسلم انه من شجرهم وفي اتمامه ان طايفة
من اهل الانجيل يقومون بحق فيكونون ممن تشملهم نصرة الله مع المسلمين فتتسق الملة واحدة
مما تقع من الاجتماع حين تضع الحرب اوزارها انتهى ولما كان من المعلوم ان ثبات الاعمال
وزكاها انما هو باتباع امر الله وامر رسوله صلى الله عليه وسلم وامر الذين ورثوا العلم
عنه دل على ما اخبر به من الحبوط وعدم النصر بما يشاهد من احوالهم في منابذة الدين فقال
الم تر وكان الموضع لان يقال اليهم ولكنه قال الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب ليدل
على ان ضلالهم على علم وان الذي اوتوه منه قراتهم له بالسنتهم وادعا الايمان به وقال الحرالي
كتابهم الخاص بهم نصيب من الكتاب الجامع وما اخذوا من كتابهم نصيب من اختصاصه
فانه لو استوفوا حظهم منه لما عدلوا في الحكم عنه ولرضوا به وكان في هذا التعجيب ان يكون

لا نصر لهم فيها في يوم النصر
الموعود في سورة الروم
التي هي تفصيل من معنى
صح

غيرهم يرضي كتابهم ثم لا يرضون هم به انتهى يدعون الى كتاب الله اظهر الاسم الشريف
ولم يقل الى كتابهم احترازا عما غير وابدلوا لانهم انما دعوا الى كتاب الله الذي
انزل على موسى عليه السلام لا الى ما عساه ان يكون بايديهم مما غيروا ابنه عليه الحرالي
ليحكم بينهم قال الحرالي في اشعار ان طايفة منهم بيّا حق منه اى وهم المذعنون
لذلك الحكم الذي دعي اليه انتهى ولما كان اتباعه واجبا واضحا نفعه لمن جبر ونفسه
عن الهوى عبر عن مخالفته باداة البعد فقال ثم وقال الحرالي في امهالها لما يدل على
تلذذهم وتبلدهم في ذلك بما يوقفه الله من المقت والتحرج من دعي الى الحق فاباه وفي
صيغة يتفعل في قوله يتولى ما يناسب معنى ذلك في تكلف التولي على اجتذاب
من بواطنهم لما عرفوه وكتموه وصرح قوله فريق منهم بما افهمه ما تقدم من قوله ليحكم
بينهم فافهم ان طايفة منهم يأسون ويألون لحكم كتاب الله وابنا قوله وهم معرضون
بما سلبوه من ذلك التردد والتكلف فصار وصفا لهم بعد ان كان تحملا ما انكر منكر
حفا وهو يعلمه الا سلبه الله علمه حتى يصير انكاره له بصورة ويوصف من لم يكن فكان قط
علمه انتهى وفي هذا تحذير لهذه الامة من الوقوع في مثل ذلك ولو بان يدعى احدهم
من حسن الى احسن منه نبه عليه الحرالي وقال اذ لبس المقصود حكاية ما مضى فقط ولا
ما هو كاين فحسب بل خطاب القران قايم دايم ماض كله حطابه في تمام اليوم المحمدي
مع من يناسب احوال من تقدم منهم وفي حق المرء مع نفسه في اوقاته مختلفة انتهى ثم علل
اجتراءهم فقال ذلك اي الاعراض البعيد من اقوال اهل الكرم المبعد من الله بانهم
قالوا كذبا على الله كما تقدم بيانه في سورة البقرة لن تمسنا النار الا اياما ولما كان المقام
هنا لتناهي اجترائهم على العظايم ثم لاستهانتهم بالعذاب لاستقصارهم لمدته وكان جمع
القلة قد يستعار للكثرة لكذب ارادتهم حقيقة القلة بجمع اخر للقلة فقيل معدودات
وتطاول الزمان وهم على هذا الباطل حتى انسوا به واطمانوا اليه لانه ما كذب احد
حتى الا عوقب بتصديقه بباطل وما ترك قوم سنة الا احيوا بدعة على ان كذبهم ايضا
جرهم الى الاستهانة بعذاب الله الذي لا يستهان بشي منه ولو قل ولو نسبوا ذلك
الى الكتاب لجعلوه دينا قال وغرهم قال الحرالي من الغرور وهو اخفا الخدعة في صورة
النصيحة انتهى في دينهم ما كانوا يفترون اى يتعمدون كذبه وقال الحرالي فتقابل
التعجيبان في ردهم حق الله وسكونهم الى باطلهم انتهى ولما تسبب عن اجترائهم بالكذب
على الله ان يسأل عن حالهم معه قال فكيف اي يكون حالهم اذا جمعناهم اي وقد رفعت
حجاب العظمة ولما كان المقصود بالجمع الجزا قال ليوم ووصفه بقوله لا ريب فيه قال الحرالي
منتعرفا قال الحرالي بانهم لبسوا على طمانينة في باطلهم بمنزلة الذي لم يكن له اهل كتاب فهم
في ريبهم يترددون الى ان ياتي ذلك اليوم ولما كان الجزا امرا متحققا لا بد منه اشار اليه
بصيغة الماضي في قوله ووفيت وقوله كل نفس قال الحرالي الفعل المدفع للجزا مخصوص بوجود

النفس

النفس التي دايها ان تنفس فتريد وتختار وتحب وتكره وهي التي توفي من سلب
الاختيار والارادة والكراهة بتحقق الاسلام الذي تقدم ارتفع عنه الترغيب
اذ لا وجود نفس لمن اسلم وجهه لله فلذلك اختص وعبد القران كلمة بالنفس في نفاستها
بارادتها وما تنشأ لها عليه من احوالها وافعالها ودعواها في ملكها وملكها لمن
نفست فتملكت ملكا او تشرفت ملكا خرجت عن اسلامها حتى بينا لها سلب التهر
منه والزام الذي عنده ويلح من هذا المعنى اتصلت الاية التي بعدها بختم هذه الاية
وناظرت راس اية ذكر الاسلام فانما هو مسلم لله ذو نفس متملك على الله حتى يسلبه
الله في العقبى او يذله في الدنيا فشمل هذا الوفا لكل نفس اهل الكتاب وغيرهم وعم
الوفا لكل من يعمه الجمع كذلك خطاب القران يبدا بخصوص فيختم بعموم ويبدا بعموم فيسه
تفصيل انتهى ولما كان هذا الجزا شاملا للخير والشر قال ما اي جزا ما كسبت فاتى به
مخففا ليشمل المباشرة بكسب او اكتساب وهم لا يظلمون اى لا يقع عليهم ظلم بزيادة ده
ولا نقص ولا يتوقعونه ولما اخبر تعالى بان الكفار سيغلبون وانه ليس لهم من ناصرين
كان حالهم مقتضيا لان يقولوا اكثر واكثر من الحصى واشد شكايم من ليوث
الشرى فكيف يغلبه ام كيف لا ينصر بعضنا بعضا وفينا الملوك والامير والاكابر والرؤسا
ومناورنا القليل الضعفا اهل الارض العدا واولوا الباسا والضرا فقال تعالى لنبيه
الراقدون من فرش الغفلات المتغلبون في فلوات البلادات من يلهيهم بما راوا
او سمعوا من نزع الملك من اقوى الناس واعطايه لاضعفهم ليعلموا انها الذي من
شانه ان يفعل ذلك مع بعض اعدايه جدير بان يفعل اضعافه لاوليايه قل اللهم وقال
الحرالي ولما كان هذا الامر نبوة ثم خلافة ثم ملكا فانتظم ما تقدم من السورة امر النبوة
في التنزيل والانزال وامر الخلافة في ذكر الراسخين في العلم الذين يقولون ربنا لا
تزغ قلوبنا وكانت من هجيرا الى بكر رضي الله عنه بها في وتر صلاة النهار في اخر ركعة من المغرب
انتظم بروس تلك المعاني ذكر الملك الذي اتى الله هذه الامة وخص به من لا ق به الملك
كما خص بالخلافة من صلحت له الخلافة كما تعين للنبوة الخاتمة من لا يحملها سواه انتهى فقال
قل اي يا محمد او يا من من امن بنا مخاطبا لالهك مسمعا لهم ومعرضا عنهم قال الحرالي لعلو
منزل هذه السورة كثر الاقبال فيها بالخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم وجعل القايل
لما كانت المجاورة معه لان منزلة القران ما كان منه لاصلاح ما بين الخلق وربهم يجيء الخطاب
فيه من الله اليهم مواجهة حتى ينتهي الى الاعراض عند اباء من ياتي منهم وما كان الاصلاح
ما بين الامة وبينها يجري الله الخطاب فيه على لسانه من حيث توجههم بالمجاورة اليه فاذا
قالوا قولا يقصد وشر به قال الله عز وجل له قل لهم ولكون القران متلوا ثبتت فيه كلمة قل
انتهى اللهم مالك الملك اي لا يملك شيا غيرك قال الحرالي فانتعه صلى الله عليه وسلم ملك
ربه ممن كان منه ومن الدوخلفايه وصحابته يكون من اسلامه وجهه لربه اسلام الملك كما الذي

الذي منه شرف الدنيا لله فلذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم يتظاهر بالملك ولا ياخذ
ناخذه لانه كان نبيا عبدا الانبيا ملكا فاسم الملك لله كذلك خلفا وه واسلموا الملك كذلك
خلفا وه اسلموا الملك لله فلبسوا الخلقان والمرقعات واقتصروا على متقشف العيش و لا
الحق وحملوا اجنا المغروب واتبعوا اثره في العبودية فاسلموا الملك لله ولم يباد عوه شيا
ولا حمل عمر رضي الله عنه قربة على ظهره في زمن خلافته حتى سكبها في دار امراة من الانصار
في اقصى المدينة فلما جا الله بزمن الملك واستوفيت الخلافة عقب وفاة زمان النبوة اظهر
الله الملك في امة محمد صلى الله عليه وسلم وكما خصص بالنبوة والامامة بيت محمد وال محمد صلى
الله عليه وسلم وخصص بالخلافة نفرا المهاجرين خصص بالملك الطلقا الذين كانوا عتقا
الله ورسوله لنيال كل من رحمه الله وفضله الذي ولي جميعها نبيه صلى الله عليه وسلم كل طايفة
على قدر قربهم منه حتى اختص بالتقدم قريشا ثم كانت ثم العرب ما كانت الى ما صار له
الامر بعد الملك من سلطنة وتجبر الى ما يصير اليه من دخل كل ذلك مخول لمن تخوله
بحسب القرب والبعد منه توتي الملك من تشا في الاينا اشعار بانه تنزيل من الله من
غير قوة وغلب ولا مطالبة فيه وفي التعبير بمن العامة للعقلا اشعار بنال الملك من لم يكن
من اهله واخص الناس بالبعد عند العرب ففيه اشعار بان الله يتول ملك فارس والروم
للعرب كما وقع منه ما وقع ويتبين منه ما بقي الى من نال الملك بسببها وعن الاسناد اليها
من ساير الامم الذين دخلوا في هذه الامة من قبايل الاعاجم وصنوف اهل الاقطار
حتى ينتهي الامر الى ان يسلب الله الملك جميع اهل الارض فيعيده الى امام العرب الخاتم
للعداية من ذريته ختمه صلى الله عليه وسلم للنبوة من ذرية ادم ويوتيهم من الملكية
كما قال صلى الله عليه وسلم لو شا احدهم ان يسير من المشرق الى المغرب في خطوة لفعل
ومع ذلك فلبسوا من الدنيا ولبست الدنيا منهم يوتيهم الله ملكا من ملكه ظاهر
هداية من هداه ساقه عن سرع الذي يستعملن به في خاتمة يوم الدين ليتصل بظهوره
ملك يوم الدين والملك الملبس بشرف الدنيا والاستيثار بخيرها قال ابو بكر رضي الله عنه
لعمر في وصيته له اذا احببت فلتنحي بيدك ذاك حتى تسبح من حسب له فان نا دعك بنفسك
في مشاركتهم فتشاركهم غيرمستاثر عليهم واياك والدخيرة فان الذخيرة تهلك دين
الامام وتسفك دمه فالملك التباس لشرف الدنيا واستيثار بخيرها وانجاد دخيرة
منها لما ارادوا ان يعيش واعلا عمر رضي الله عنه عند اقباله على بيت المقدس بدرا
وقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلن نلتمس العز بغيره فمن التمس الشرف بجاه الدنيا فهو ملك
بقدر ما يلتمس من شرفها قل ذلك الحظ او جل وهو به من اتباع ملوك الدنيا وكذلك
من التمس الاستيثار بخيرها واتخذ الدخيرة منها كل نيال من الملك ويكون من شيعة
الملوك بحسب ما نال ويحب من ذلك حتى ينتهي الى حشره مع الصنف الذي يميل اليه
لمن تذلل وتقلل وتوكل بعث مع الانبيا والمرسلين والخلفا كما ان من تشرف بالدنيا

واستاثروا

واستاثروا وادخروا منها حشر مع الملوك والسلاطين جلس عمر رضي الله عنه يوما وسلمان وكعب
وجماعة رضي الله عنهم فقال اخبروني اخليفة انا ام ملك فقال له سلمان يا امير
ان جبيت درهما من هذا المال فوضعته في غير حقه فانت ملك وان لم تضعه الا
في حقه فانت خليفة فقال كعب رحمه الله ماظننت ان احدا يعرف الفرق بين الخليفة
والملك غيري فالتزام مرارة العدل وايثار الغير خلافة وتشيع في سبيلها امثال
حلاوة الاستيثار بالعاجلة شرفها وما لها ملك وتحر لتباعه انتهي وفي تقديم الايتا على
النزع اشارة الى ان الداعي ينبغي ان يبدا بالترغيب وتنزع قال الحرالي من النزع
وهو الاخذ بشدة وبطش انتهي الملك ممن تشا وفيه اشارة الى ان الدعا باللين ان
لم يحدثني بالترهيب وعلى هذا المنوال ابرز قوله وتعز من تشا اي اعزازه وتذل
من تشا اي اذلاله وهو كما قال ان رحمتي سبقت غضبي قال الحرالي وفي كلمة النزع
بما ينبي عنه من البطش والقوة ما يناسب معنى الايتا فهو ايتا للعرب ونزع من العجم
كما ورد ان كسرى راى في منامه انه يقال له سلم ما بيدك لصاحب الهراوة فنزع ملك
الملوك من الاكاسرة والقياصرة وخوله قريشا بامرها وانحل الملك باسمها من صنوف
الامم غربا وشرقا وجنوبا وشمالا الى ما يتم به الامر في الختم والعز والله اعلم عزة الله
لاهله ولاله نبيه صلى الله عليه وسلم وللانصار والصلحا من صحابته وعترته وابنايهم
وذرياتهم الذين سلبهم الله الملك الدنيا فخلاهم بعز الاخرة وبعز الدين كما قال تعالى فلله
العزة ولرسوله وللمومنين ليكون ابنا بشرى لهم انه اتاهم من العز بالدين ما هو خير من
الشرف بملك الدنيا من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فان الملوك وان تشرفوا بملك الدنيا
فليس لهم في عزة الدين شي اعزهم الله بالدين يحرسهم الاحراز ويوطد لهم الامصار ولا يجدون
وحشة فلا يحصرون في محل ولا تسقط لهم حرمة حيث ما حلوا وحيث ما كانوا استتروا
او اشتهروا والمتلبسون بالملك لا يخرجهم الامر استرقوهم فهم لا يملكون تصنع الخلق ولا
يملكون محاب قلوبهم محصورون في اقطار ممالكهم لا يخرجون عنها ولا ينتقلون منها
حتى يمنعهم من كمال الدين فلا يتصرفون في الارض ولا يضربون فيها حتى يمتنع ملوك
من الحج مخافة نيل الذل في غير موطن الملك والله عز وجل يقول ان عبدا انجب له
جسمه واوسعت له في رزقه يعيش خمسة اعوام لا يعد على لمحروم فالملوك مملوكون بما ملكوا
واعزا الله ممكنون فيما اليه وجهوا لا يصدهم عن تكمله امر الدين واصلاح امر الاخرة
صاد ولا يردهم عنه راد يخرجهم من سجن الملك الى سعة العز بعزة الله فقارض الله اهل
بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ومن لم يرضه للملك بعز الامامة ورفعة الولاية
وجعلهم سبيلا الى محاب القلوب فاسترعاهم الله قلوب العالمين بما استرعى الملوك بعض
حواس المستخدمين من المستتبعين والذل مقابل ذلك العز فاذا كان ذلك العز عزا دينيا
ربانيا عوضا عن سلب الملك كان هذا الذل والله اعلم ذل اهل الدنيا في دنياهم الذي

في الخط ب م

في الاخر بعد ظهوره حتى يذهب فيه فيخفى فلا يبقى له اثر قال الحرالي ولما جعل المتعاقبين
من الليل والنهار متوالجين جعل المتباطنين من الحي والميت مخرجين فما خرج ظهر فيه
الموت بطنت فيه الحياة وما ظهرت فيه الحياة بطن فيه الموت فقال تعالى **وتخرج**
الحي اي من النبات والحيوان **من الميت** منهما **وتخرج الميت** منهما **من الحي** منهما كذلك
قال الحرالي فهذه سنة الله وحكمته في الخلايق الكاين القايم وفي الكون الداير فاما
في الكون الداير فباخراج حي الشجر والنجم من موات البذر والعجم وبظهوره في العيان
لان احكم في البيان مما يقع في الكاين القايم لذلك الكاين القايم يخرج الحي
المومن الموقن من الميت الكافر والجاهل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ويخرج الكافر الابي من المومن
الراحم يا نوح انه ليس من اهلك فانا تعالى بذلك وجوه الاحكام والاشتباه في امر خلقه
ليكون ذلك اية على ما في امره وليشف ذلك عما يظهر من امر علمه وقدرته على من شا من
خلقه كما اظهر في ملايكته وانبيايه وكما خصص بما شا من اظهار عظيم امره في المثلين
الاعظمين مثل ادم وعيسى عليهما السلام فانزلت هذه السورة لبيان الامر فيما اشتبه على من
التبس عليهما امر عيسى عليه السلام فهو تعالى اظهر من موات الانسانية باشاته الاحياء
باذنه واظهر في ادم عليه السلام ما شا من علمه حين علم ادم الاسما كلها كذلك اظهر عيسى
عليه السلام ما شا من قدرته كما اظهر في الخلق ما شا من ملكه فملك من شا ونزع الملك ممن
شا واعز من شا واذل من شا واظهر بالنهار ما شا وطمس بالليل ما شا واولج المتقابلين
بعضهم في بعض واخرج المتباطنين بعضها من بعض انتهى ولما بدا الاية سبحانه بما يقتضي
الترغيب بما هو محط احوال الانفس من الملك وانواع الخير ختمها بذلك مما لا يقوم الملك ولا يطيب
العيش الا به فقال **وترزق من تشا** قويا او ضعيفا **بغير حساب** اي يعطيه عطا واسعا احدا
متصلا من غير تضييق ولا عسر كما فعل باول هذه الامة على ما كانوا فيه من القلة والضعف
حيث اباد بهم الاكاسرة والقياصرة وانالهم واحدهم ابناهم واحلهم ديارهم وقال الحرالي
ولما ذكر تعالى هذه الاحكام والاشتباه في امر العليه من الخلق اهل الشر والملك واهل
غيره الدين ختم الخطاب بامر الرزق الذي هو تتمة الخلق وفيه من الاحكام والاشتباه نحو ما
في الايتا والنزع ولما فيه من الوزن والايتا بقدر ختم باخره وهو الارزاق الذي لا يقع على
على وزن ولا يكون بحساب ويكون فيه اشعار بالارزاق الختمي الذي يكون في اخر اليوم المحمدي
للذين يوتيهم ما يشا من ملكه وعزه وسعة رزقه بغير حساب فلما ختم الملك لبني اسرايل
بملك سليمان عليه السلام في قوله هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب كذلك يختم لهذه
الامة بان يرزقهم بغير حساب حين تلقي الارض بركاتها وتطهر من فتنتها فتعم المكنة
في ختم اليوم المحمدي بالهداية والهدى كما انقضت لبني اسرايل بالملك والقوة انتهى ولما بان
بهذه الاية ان لا شي في يد غيره واقتضى ذلك قصر الهم عليه وكان نصارى نجران انما داموا على

التي منعهم الله اياها بما ادلتهم انفسهم فاستعملتهم في شبهاتها واذ لهم اتباعهم فتوسلوا بهم
الى قضايا اغراضهم في اصوابهم ويستدلهم من يظلونه مما يصفون منهم ويتا لهم
من ذلك تضييع الدنيا وبيده واعلى وجوههم من ظلمة الظلم ما يشهد ولهم فيه ايضا
والعارفين انتهى ولعل نصارى نجران اشهد قصد بهذا الخطاب فانهم خافوا ان ينزع
منهم ملوك الروم ما خولوهم فيه من الدنيا ان اخبروا بما يعلمون من امر هذا النبي الامي
صلى الله عليه وسلم ولما تقرر انه مالك لما تقدم انتج له التصرف المطلق فعبر عنه بقوله
بيدك اي وحدك **الخير** ولم يذكر الشر تعليما لعباده الادب في خطابه شرغيبا لهم في
الاقبال عليه والاعراض عما سواه لان العادة جارية بان الناس اسرع شي الى معطي النوال
وباذل الاموال وتنبيها على ان الشر اهل للاعراض عن كل شي من امره حتى عن مجرد ذكره واخطاره
بالبال مع ان الاقتصار على الخير يملك الخير كله مستلزم لمثل ذلك في الشر لانهما ضدان كل
منهما مناف لنقيض الاخر ما ثبات احدهما ما نفي للاخر ونفيه اثبات للاخر فلا يعطي الخير
الا وقد نفى الشر ولا ينزع الخير الا وقد وضع الشر والله اعلم ولما افهم ان الشهر بيده كما اعلم
ان الخير بيده وخاص به قرر ذلك على وجه اعم معللا **انك على كل شي قدير** فلما اثبت
خصوصيته سبحانه بصفة القدرة على الوجه الاعم ذكر بعض ما تحت ذلك مما لم يدخل
شي منه تحت قدرة غيره فقال وقال الحرالي ولما كانت هذه الاية منضمنة تقلبات تتشابه
في العالم القايم الادمي اتصل بها ذكر تقلبات في العالم الداير ليوخذ لكل منهما اعتبار من
الاخر ولما ظهر في عدة الاية افتراق في النزع والايتا والاعزاز والاذلال ابدى في الاية
التالية تولج بعضها في بعض ليوذن بولوج العرق الذل والذل في العز ولا يتالغ النزع والت
في الايتا وتوالج المفترقات والمتقابلات بعضها في بعض ولما كانت هذه السورة ومتضمنة
لبيان الاحكام والتشابه في منزل الكتاب بحكم الفرقان اظهر تعالى في اياتها ما له حكم وبين
خلقه وامره وما التبس واولج في خلقه وامره فكان من محكم اياته في الكاين القايم الادمي ما تضمنه
ايتا الملك ونزعه والاعزاز والاذلال وكان من الاشتباه ايلاج العز في الذل وايلاج الذل
في العز فلما صرح بالاحكام ببيان الطرفين في الكاين القايم الادمي وضمن الخطاب
استتباعه في ذكر العز والذل صرح به في اية الكون الداير فذكر اية الافاق وهو الليل
والنهار مما نعاين فيهما من التوالج حيث ظهر ذلك فيها وخفي في توالج احوال القايم الكاين لان
الاحكام والاشتباه مترادين الايتين اية الكاين القايم الادمي واية الكون الداير العرشي
فما وقع اشتباهه في احدهما ظهر احكامه في الاخر فقال تعالى **تولج** من الولوج وهو الدخول
في الشي السائر لجملة الداخل **الليل في النهار** فيه تفصيل من مضا قدرته فهو تعالى يجعل كل
واحد من المتقابلين بطانة للاخر والجائية على وجه لا يصل اليه منال العقول لما في المعقول
من افتراق المتقابلات وكان في القدرة ايلاج المتقابلات بعضها في بعض وابداع بعضها
في بعض على وجه لا يتكيف لمعقول ولا ينال بفكر انتهى **وتولج النهار في الليل** اي يدخل كلا منهما

بين

مولاة ملوك الروم لحرص الدنيا مع العلم ببطلان ما هم عليه حذر المومنون من موالاة
مثل ذلك مع كونهم مومنين كما وقع لحاطب ابن ابي بلتعة رضي الله عنه مما قص في سورة الممتحنة
اشارة الى انه لا يجتمع موالاة المومنين وموالاة الكافرين في قلب الا وشكت احديهما ان
تغلب على الاخرى فينتزعها فقال تعالى مبنيا على ما تقدم سابقا او مساق النتيجة لما
قبله وقال الحرالي ولما كان مضمون هاتين الايتين بشرى لخصوص هذه الامة وعمومها
بالعز والملك وختم الملك الذي لا حساب فيه كان من الحق ان تظهر على المبشرين عزة
البشرى فلا يتولوا غيره ولما قبض ما بايدي الخلق اليه في ابتدا الملك ونزعه والاعزاز
والاذلال واظهر احاطة قدرته على كل شي واقامة امتحانه بما اولج واخرج وابتدا عن
اطلاق وحد العد عن ارزاقه فسد على النفس الابواب التي منها تتوهم الحاجة الى الخلق
نهى المومنين الذين كانت لهم عادة بمباطنة بعض كفرة اهل الكتاب وغيرهم من المشركين
ومن شمله وصف الكفران بحر والى عادتهم فهي الائهم ومعا فاتهم والحديث معهم لان المومنين
بعضهم بعضا والكافرون يتسمعون ويأخذون منهم بدعل ونفاق عليهم كما قال
تعالى ها انتم اولا تحبونهم ولا يحبونكم فنهاهم الله سبحانه عما غاب عنهم خبرته وطيبته انتهى
فقال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا ونبه بقوله من دون المومنين على ان ولاية اوليائه
من ولايته وان المنهي عنه انما هو الولاية التي قد توهن الركون الى المومنين لان في ذلك
كما قال الحرالي تبعيد القريب وتقريب البعيد والمومن اولى بالمومن كما قال عليه الصلاة
والسلام المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا فاقواهم له ركن وضعيفهم مستند
لذلك الركن القوي فاذا والاه قوى به بما يباطنه ويباثيه واذا اتخذ الكافر وليا من
دون مومنه القوي ربما تداعى ضعفه في ايمانه الى ما ينازعه فيه من ملابسة احوال
الكافرين كما انهم لما اصلحوا اليهم اصاخة او نفروا بينهم سباب الجاهلية في قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكما قال تعالى
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
ولم ينه سبحانه من حطة ارحام من لم من الكافرين ولا عمن خالطتهم في امر الدنيا فيما
يجري مجرى المعاملة من البيع والشرى والاخذ والعطا وغير ذلك ليوالوا في الدين اهل
الدين ولا يضرهم ان يبادروا من لم يحاربهم من الكافرين انتهى ولما كان التقدير فمن
تولاهم وكل اليهم وكان في عدادهم لانه ليس من الراسخين في صفة الايمان عطف عليه ما
لمن قد تتقاصر همته فيرضى بمنزلة ما دون الرسوخ قوله ومن يفعل ذلك اي هذا الامر
البعيد من افعال ذوي الهمم الذي يكون به في عداد الاعدى بعد هذا البيان ومع رفع
هذا الحجاب الذي كان مسدلا على اكثر الخلق فليس من الله في شي قال الحرالي نفى انتماه
ان يمسك بولاية المومنين فهو من الله في شي مما هو متمسك بمعان من له وسيلة الى الله ممن الذين
ارادوا ذكر الله انتهى ولما كان من الناس القوي الضعيف والشديد واللين نظرا الى اهل الضعف

سبحانه

الذين اوتوا

سبحانه فوسع لهم بقوله الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم امرا خطرا محذورا
برا كما قاله نصارى نجران وتوهمه حاطب فحينئذ يباح اظهار الموالاة وان كانت درجة
من تصلب في مكاشرتهم وتعززه لمحاربتهم ومكاشرتهم ان قطع اعظم فاياكم ان تركنوا اليهم
فان الله يحذركم ابقالكم على عدوه فان ذلك موجب لاعراضه عنكم ويحذركم الله نفسه
فانه عالم بما يفعلونه وهو الحكم في الدنيا كما ترون من اذلاله العزيز واعزازه الذليل وهذا
المحذر نفسه سبحانه كما قال الحرالي بمجموع اسما تعالى ابدا المقابلة باسما اوصافهم التي مجموعها
انفسهم وموجود النفس ما تنفس واذا كانت انفس الخلق تنفس على ما دونها الى تحد مستطاع
فكان ما حذر الله من نفسه اولى واحق بالنفاسة في تعالى اوصافه واسمايه ان تنفس
على من يغنيه فلا يستغني ويكفيه فلا يكتفي ويريه مصارف سد خلاته وحاجاته فلا
ينصرف اليها ولا يتوجه نحوها فهو سبحانه يعذب من تعرف له بنفسه فلم يعرفه اشد
من عذاب من يتعرف له باياته فلا يعتبر بها بما ان كل ما ابداه من نفسه لكم بحكمه
بلا واسطة فهو اعظم مما ابداه بالواسطة من نعيم وعذاب فلا اعظم من نعيم من تعرف
له بنفسه معرفة ولا اشد من عذاب من تعرف له بنفسه فانكره انتهى ولما كانت مصائب
الدنيا قد تسبها ان قال تعالى عاطفا على نحو ما تقديره فمن الله المبدا وقال الحرالي ولما
كان الزايل ابدا موزنا بترك الاعتماد عليه اقام تعالى على المتمسك بما دونه حجة بزواله
فلا يستطيع الثبات عليه عند ما له الازالة والاذهاب ويصير الامر كله لله فاعلم
ان المصير المطلق الى الله فمن تعرف اليه فعرفه نال اعظم النعيم ومن تعرف اليه فانكره
نال اشد الجحيم انتهى فقال والى الله المصير اي وان طال املاوه لمن اعرض فيوشك
ان ينتقم منه ولما كانت الموالاة بالباطن المنهي عنها مطلقا ودايما قد تفعل ويدعى نفيها
لخفايها امره صلى الله عليه وسلم بتحذيرهم من موالاة اعدايه على وجه النفاق او غيره فقال
وقال الحرالي ولما كانت حقيقة ما نهي عنه في الولاية والتقاه امرا باطنا يترتب عليه فعل
ظاهر فوقع التحذير فيه على الفعل كرر فيه التحذير على ما وراء الفعل مما في الصدر وبنه فيه على
ما في العلم خفية فانه قد يترك الشي فعلا ولا تترك النفس الفيئة صغوا ونزوعا اليه في
اوقات وكرر في ختمه التحذير ليسبق التحذير ان ترقيا من الظاهر في الفعل الى باطن
الحماية في العلم كما سوى الامران في الظاهر والباطن وكان في اجزا هذا الخطاب على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم حجة عليهم بما انه بشر مثلهم يلزمهم الاقتدا به فيما لم يبادر والى
اخذ من الله في خطابه الذي عرض به نحوهم انتهى فقال تعالى قل ان تخفوا اي يا ايها
المومنون ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ثم عمم فقال عاطفا على جملة الشرط التي هي مقول
القول ارادة التعميم ويعلم ما اي جميع ما في السموات وجميع وما في الارض ظاهرا كان او باطنا
ولما كان ذو العلم لا يكمل الا بالقدرة وكان يلزم من تمام العلم شمول القدرة كما سياتي ان شا الله
تعالى برهانه في سورة طه كان التقدير فان الله بكل شي عليم فعطف عليه قوله والله اي بما

منه وهو

له من صفات الكمال على كل شي قدير ومن نمط ذلك قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شي في
الارض ولا في السماء ذكر التصوير كيف يشا ولسم بوصف العزة والحكمة وقد دل سبحانه
بالتفرد وبصفتي العلم والقدرة على التفرد بالالوهية ولما تم الوصف بالعلم والقدرة بعد
التحذير من سطواته ذكر يوم المصير المحذر منه المحصي فيه كل كبير وصغير المعامل فيه كل عامل
بما يليق به الذي يتم فيه انكشاف الاوصاف لكل وعلى فقال تعالى يوم وهو معمول
العامل من معنى محذر تجد كل نفس والذي يرشد الى تعيين تقدير هذا العامل اذا اجمل
العامل مقدرا قوله تعالى ويحذركم الله نفسه سابقا لها ولاحقا ويجوز ان يكون بدلا
من يوم في قوله ليوم لا ريب فيه وتكون فتحته للبنا لاضافته الى الجملة والله اعلم والمراد
بالنفس والله اعلم المكلفة ما عملت من خير محضرا اي لا نقص فيه ولا زيادة وما عملت من
سو تود اي يحب حبا شديدا لو ان بينها وبينه اي ذلك العمل السو امدا اي زمانا
قال الحرالي واصله مقدار ما يستوفي جهد الفرس من الجري فهو مقدار ما يستوفي
ظهور ما في التقدير الى وفا كفاية بعيدا من البعد وهو منقطع الوصلة من حس او معنى
انتهى ولما ذكر هول ذلك اليوم كان كانه قال فاتقوه فان الله يحذركموه ويحذركم الله
نفسه قال الحرالي ان تكون لكم النفس بتجديد ما عملت ويلزمها وطاه هذه المواخذة بالذي
ينبغي ان يرا من العبد من نفسه تبريه من ان تكون له ارادة وان لا يلاحظ علم الله
وقدرته في كليه ظاهره وباطنه وظاهر الكون وباطنه انتهى ولما كان تكرير التحذير
قد ينفر بين ان تحذيره للاستعطاف فانه بنصب الادلة وبعث الدعاة والترغيب في
الطاعة والترهيب من المعصية المسبب عنه سعادة الدارين فهو من رافته بالمحذرين فقال
والله اي والحال انه روف بالعباد قال الحرالي فكان هذا التحذير الخاتم ابتدا ايساق التحذير
السابق انهائيا فكان هذا رافة سابغة وكان الاول الذي ترتب على الفعل تحذير الاخا
متصلا بالمصير الى الله والرافة تقول اهل المعاني هي ارق الرحمة والذي يفصح عن المعاني
والله اعلم انها عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة فهي رحمة ذي الصلة بالراحم
لمن تحقق ان الامر لله وحده رفعة وفضله ورحمته عليه لما برى من دعوى شي من نسبة الخير
الى نفسه فاحبه لذلك قيل لاعرابي انك تموت وتبعث وترجع الى الله فقال تهدد وبي
بمن لم ار الخير قط الا منه فلذلك اذا تحقق العبد ذلك من ربه احبه جا وحده وبما وجده
في العاجلة فجاه ان يجد عمل نفسه في الاجلة انتهى ولما نهاهم سبحانه عن موالاة الكفار ظاهرا
وباطنا بما اقتضى القصر على موالاة اهل الله لنفيه من تولى الكفار عن ان يكون في شي من الله
وكان الانسان ربما والى الكفار وهو يدعي محبة الله وختم براقته سبحانه بعباده وكانت الرافة
قد تنكون عن المحبة الموجبة للقرب فكان الاخبار بها ربما دعى الى الانكال ونزع لاجله
الاستيا في الحربين لذلك سبحانه علامة فقال وقال الحرالي ولما كان اعظم ما يتراى اليه
مقامات السالكين الى الله والقاصدين اليه من مبدا حال الذكر الذي هو منتهى المقامات

العشر المرتبة في قوله تعالى ان المسلمين محب الله بما ان المحبة وصلة خفية يعرف الحاكم
بها كنهها اقام تعالى الحجة على المترامين لدعوى القرب من الله والادعا في اعلى ما يصل
اليه العبد من محبته بما انباهم ان من انتهى الى ان يحب الله فليتبع هذا النبي الذي
احبه الله لمن اتبعه احبه الله فقامت بذلك الحجة على كل سالك وقاصد ومترقب فان نهاية
الخلق ان يحبوا الله وعناية الحق ان يحب العبد فرد سبحانه جميع من احاط به الاصطفا والا
والاختصاص ووجههم الى وجهه الاتباع لحبيبه الذي احبه كما قال صلى الله عليه وسلم
لو ان موسى بين اظهركم ما وسعه الا اتباعي واذا كان ذلك في موسى عليه السلام كان في
المنتحلين لملته الزم بما هم متبعون لمتبعه عندهم واند ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما كان
المبوا في الابد اوجب ان تكون النهاية في المعاد فانزل الله اعلا الخليفة ممن احب الله ان
يتبعوه واحى ذلك على لسانه اشعارا بما فيه من الخير والوصول الى الله من حيث انه
نبي البشري وليكون ذلك الظلم لمن ابى اتباعه انتهى فقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
اي مخلصين في جد قال الحرالي هي اقامة حجة على من ادعى المحبة فاتبعوني قد فسر صلى الله
الله عليه وسلم ظاهر اتباعه فقال في البر واصل حقيقته الايمان بالله والايتان لعباد الله
والتقوى وبها ملاك البر واصل الخير وهي اطراح استغنا العبد بشي من شانه لا من ملك
ولا من ملك ولا من فعل ولا من وصف ولا من ذات حتى يكون عنده كما هو عند ربه في ازله
قبل ان يكون موجودا لنفسه ليكون امره كله بربه في وجوده كما كان امره بربه قبل وجوده
لنفسه وقد نسر حق التقاة التي هي غاية التقوى بان يكون العبد يشكر فلا يكفر ويذكر
فلا ينسى ويطيع فلا يعصي انتهى يحببكم الله فان الامر المنجي غاية النجاة انما هو محبة الله للعبد
لا محبة العبد لله فانه ربما كانت له حالة نظن بها انه يحب الله والواقع انه ليس كما ظن لكونه يعمل
بما يسخطه سبحانه والامارة الصحيحة لذلك رد الامر كله الى الله قال الحرالي فان من رد
الامانة الى الله احبه الله فكان سمعه وبصره ويده ورجله واذا احب الله عبدا اراحه والقدم
من حاله في ان يكون هو يحب الله فمن احب الله وله ومن احبه الله سكن في ابده اعنا بيه وتبته
الله انتهى فقد اشار سبحانه الى ان الدلالة الناشية عن الرافة من الاكرام بالنعم من الهدا يتر
بالبيان والابلاغ في الاحسان عامة للمحبوب وغيره وان الدليل على المحبة الالهية هو الاتباع
الداعي اعملوا فكل ميسر لما خلق له فاما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة
واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة ما تقرب المتقربون الي
بمثل ادا ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ولما كان الدين
شديدا لن يشاده احد الا غلبه لما عليه العبد من العجز والمعبود من عظم الامر قال
الحرالي ولما كان من ابين حب الله له صلى الله عليه وسلم ما انزل عليه من قوله انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر احرى لمن احبه الله باتباعه حظ منه في قوله
ويغفر لكم ذنوبكم اي مطلقا وذنب كل عبد بحسبه لان اصل معنى الذنب ادنى مقام العبد

حبا

فكل دني مقام اعلاه حسناته وادناه ذنبه ولذلك في كل مقام توبة حتى تعم التوبة
من التوبة فيكمل الوجود والشهود ولما كان هذا الامر من اخص ما يقع وكان مما
دونه مقامات خواص الخلق فيما بين اسلامهم الى محبتهم سرختم ذلك بما يفهم
احوال ما يرجع الى دول هذا الكمال فقال تعالى والله غفور رحيم اي لمن لم يبلغه لرتبة
حب الله له بما يصنع في اثنا اقواله من موجب المغفرة واستدعا الرحمة حيث لم يصل
الى المحبة فمرحوم بعد مغفرة وهو القاصد ومغفور بعد محبة وهو الواصل
انتهى ولما كان الاتباع قد يكون عن غلبة لا عن طاعة بين انه لا ينفع الا مع الاذعان
فقال وقال الحرالي ولما ذكر تعالى ما تقدم من التحذيرين في رتبتين اولاهما
في الذكر تحذير من موجب التحذير فكان الاتباع موجب النجاة من التحذير الثاني
الباطن الذي مبداه الرافة وكانت الطاعة موجب النجاة من التحذير الاول
السابق فمن اطاع الله والرسول فيما نهى عنه من اتخاذ ولاية الكافرين من دون ولاية
المومنين سلم من التحذير الظاهر ومن اتبع الرسول فاحبه الله سلم من التحذير
الظاهر ومن الباطن فختم الخطاب بما بداه به ولما كانت رتبة الاتباع عليا وفيها
رتبة الايمان فهو اما متبع عن حب واما مومن على طاعة فمن لم يكن من اهل الاتباع فلتكن
من اهل الطاعة وكان الخطاب يفهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فان لم تستطيعوا
ان تتبعوني فاطيعوني انتهى فقال تعالى قل اطيعوا الله اي لما له من صفات الكمال والرسول
اي الكامل في الرسلية لما له سبحانه من مزايا الاتصال وهو وان كان اسما كليا
لكنه كان حين انزال هذا الخطاب مختصا باكمل الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
الموصل الى الخلق كافة على ان طاعته طاعة لجميع الرسل الذين بينوا للناس امر
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين قال الحرالي فكان اشارة ذلك الى ما نهوا عنه
من التولي الى ما ينتظم في معنى ذلك وفيه اشعار بان الامر يكون فيه محوطا
بالرحمة من حيث ذكر الرسول فيه بما هو رحمة للعالمين فان تولوا اي عن طاعة
خطاب الله والرسول المحفوف باللطف من الله والرحمة من رسول الله انتهى
وتولوا يحتمل المضارع والمضي فكان الاصل في الكلام فان الله لا يحبكم او لا يحبهم
لكنه اظهر لوصف المعلم بان التولي كفر فقال لا يحب الكافرين قال الحرالي فرد
الامر لله لما كان وعيدا ايضا للرسول صلى الله عليه وسلم في حيز الرحمة ولما نفى عمن تولى
ان يحبه كان في اشعاره ان هذا الكفر عموم كفر بيد احل رتبا من الايمان من حيث
نفي عنه الحب ما ينال العفو والمغفرة والرحمة ونحو ذلك بحسب رتب تناقض الكفر
لانه كفر دون كفر ومن فيه كفر فهو غير مستغرق في اتباع الرسول بما انه الماحي
الذي يمحو الله به الكفر وانما يحب الله من اتبع رسوله فعاد الختم في الخطاب الى اشعار
من معنى اوله وفي اللاحقه ان حب الله من اتبع رسوله للعبد بحسب توحيده فكلما كان

اكمل

اكمل توحيدا كان احب وما سقط عن رتبة ادنى التوحيد الذي هو محل الامر
بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان كفرا بحسب ما يحطى عن تلك الرتبة
من التوحيد لان هذه السورة سورة الالهية ايمانية حبيه توحيدية يختص بها لخصوص
بما يجري في حكم ذلك من الايمان والكفر والمحكم والمتشابه وكشف غطا الاعين
ورفع حجب القلوب انتهى وقد وضح ان الاية من الاحتباك فاصل نظمها فان تولوا
فان الله لا يحبهم لكفرانهم وان اقبلوا فان الله يحبهم لايمانهم فان الله لا يحب الكافرين
والله يحب المومنين اثبات التولية في الاول يدل على حذف الاقبال من الثاني
واثبات الكراهة في الثاني يدل على حذف مثلها في الاول ولما كان الاصفيا اخص
من مطلق الاحباب بين بعض الاصفيا وما اكرمهم به تصديقا لقوله تعالى في الحديث
القدسي الشريف فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها تنبيها لوفد نصارى نجران وغيرهم على انه مثل ما اصطفى
لنفسه دينا واصطفى للتخلق به ناسا يحبونه ويطيعونه ويوالون اولياءه ويعادون
اعداءه وليتبرءوا من صفات الكافرين في شي فقال او يقال انه سبحانه لما شبه
افعاله في التشابه وغيره باقواله وعرف ان الطريق الاقدم رد المتشابه منها الى الواضح المحكم
والالتجاء في كشف المشكل اليه مع الاعتقاد الجازم المستقيم وبين ان الموقع عن
هذا الطريق الاقوم الوقوف مع العرض الدنيوي من الرياسة وغيرها والف الدين
مع التعليل فيه بالتمني الفارغ وانهى ذلك وتوابعه الى ان ختم بتهديد من تولى عن
الحق احد في تصوير تصوير في الارحام كيف شا بما شوهد من ذلك ولم يشك منه من
احوال اناس هم من خلص عباده المقبلين على ما يرضيه فقال او يقال ولعله احسن
ولما اخبر سبحانه ان اهل الكتاب ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم فكفروا وابذلك
والحق به ما تبعه الى ان ختم بالامر باتباع الرسول وبانه لا يحب الكافرين بالتولي عن سله
اشتد تشوف النفس الى معرفة الرسل الاين بالعلم الذين توجب مخالفتهم الكفر فبينهم
بقوله وقال الحرالي لما كان منزل هذه السورة لاظهار المحكم والمتشابه في الخلق والامر
تقدم تعالى بين يدي ابانة متشابه خلق عيسى عليه السلام وجه الاصطفا المتقدم
للادمية ومن منها من الذرية لتظهر معادلة خلق عيسى عليه السلام اخر المتقدم خلق
ادم عليه السلام اولا يكونان مثلين محيطين بطرفي الكون في علو وخلقه ودنو ادم من
وانه تعالى نزل الروح الى الخلق الادمي كما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون فظهر اثر ذلك اللبس بما وقع لاهل الزيغ في عيسى كما انه رقى
الخلق الطيني رتبة رتبة الى كمال التسوية الى ان نفخ فيه من روحه فكان ترقي الادمي
الى النفخة كتنزل الروح الى الطينة الانسانية التي تم بها وجود عيسى عليه السلام كما كمل
وجود ادم عليه السلام بالنفخة ولما كان اصل الابد ابوين عليا نزله الحق سبحانه في رتب

صح

التطوير والتصيير والجعل الى ان بدا عالما دنيا وبا محتويا على الاركان الاربعه والمواليد
الثلاث وحوت نور ابنيته في موجود اصنافه صفي الله سبحانه من وجود كليته ذلك هذا
الخلق الادمي فكان صفي الله فانبا الخطاب عن تصييره الاصطفا بالانفعال انتهى فقال
تعالى ان الله اي بجلاله وعظمته وكماله في احاطته وقدرته اصطفى اي للعلم والرسالة
عنه سبحانه الى خلقه والخلافة له في ملكه ادم اباكم الاول الذي لا تشكون في انه
خلقه من تراب وهو تنبيه لمن غلط في امر عيسى عليه السلام على ان اعظم ما استغربوا
من عيسى كونه من غير ذكر وادم اغرب حالا منه بانه ليس من ذكر ولا انثى ولا من
جنس الاحيا كما سياتي ذلك صريحا بعد هذا التلويح لذي الفهم الصحيح قال الحرالي
فاصطفاه من كليته مخلوقه الذي ابداه ملكا وملكوتا خلقا وامرا واجرى اسمه
من اظهر ظاهرة الارض وادنى ادناه سماه ادم من اديم الارض على صيغة افعل
التي هي نهاية كمال الادمية والادميه فكان مما اظهر تعالى في اصطفا ادم ما ذكر
جوامعه علي رضي الله عنه في قوله لما خلق الله ادم ابان فضله للملايكة واراهم ما اختصه
به من سابق العلم من حيث علمه عندما استنباه اياه اسما الاشيا فجعل الله ادم محرابا وكعبة
وبابا وقبلة اسجد له الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه ادم على مستودعه وكشف له خطر
ما ايتمنه عليه بعد ان سماه عند الملايكة اماما فكان تنبيهه على خطر امانته ثمرة اصطفايه
انتهى ونوحا اباكم الثاني الذي اخرجه من بين ابوين شيا بين على ما دلكم المستمر ليكم
وقال الحرالي انبا تعالى انه عطف لنوح عليه السلام اصطفاء على اصطفا ادم عليه السلام
ترقيا الى كمال الوجود الادمي وتعاليا الى الوجود الروحي العيسوي فاصطفى نوحا عليه
السلام بما جعله اول رسول بتوحيده من حيث رفض الشرك واقام كلمة الايمان بقول لا
اله الا الله لما تقدم بين ادم ونوح عليه السلام من عبادة الاصنام والاوثان فكان هذا
الاصطفا باطنا لذلك الاصطفا الظاهر مؤكدا الظاهر الاصطفا ويجري من اهلكته
طامة الطوفان فان مع نوح عليه السلام من الذرء الادمي يجري تخليص الصفاوات من خثارة
وكما اصطفى ادم عليه السلام من الكون كله صفى نوحا عليه السلام وولده الناجين معه
من مطرح الخلق الادمي الكافرين الذين لا يلدون الا فاجرا كفارا فلم يكن فيهم ولا في مستودع
دراريهم صفاوة تصلح لمزية الاخلاص الذي اختص بصفوته نوح عليه السلام واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فكان منها في نوح عليه السلام اقام به من كلمة
التوحيد ورفض الاصنام والطاغوت الذي اتخذها الطغاة بنوه من ذرء ادم لتصفى
بكلمة التوحيد النبوة التي يرثونه منه فكان نوح عليه السلام ومن جامعه صفوة زمانه
كما كان ادم صفوة حينه انتهى ولما كان اكثر الانبيا عليهم السلام من نسل ابراهيم
عليه السلام زاد في تعظيمه بقوله وال ابراهيم اي الذين اوجد فيهم الخوارق
ولا سيما في اخراج الولد من بين شيخين كبيرين لا يولد لمثلهما وفي ذلك اشارة الى ان عيسى

علي

عليه السلام مثلهم لانه احدهم وكذا قوله وال عمران وفي قوله على العالمين اشارة
الى انه كساير اقاربه منهم واوضح بذلك افصاحا جليا في قوله ذرية بعضها من بعض
اي فهم كلهم من ذرية ادم لا مزية لبعضهم على بعض في ذلك لا مرية في شي من ذلك
وانتم لا تشكون فيه في شي من الخصايص مما دون امر عيسى عليه السلام فالكم لما خص
سبحانه ال عمران من بين العالمين بخرق العادة فيهم باخراج ولد من انثى فقط من
غير ذكر لم ترد واما لم تعرفوا منه الى ما تعرفون من الخوارق حتى انجلى لكم واتضح
لديكم بل اشكل عليكم وقامت فيه قيامتكم بما يفضي الى الشك في قدرة الاله الذي لا
تشكون ان من شك في تمام قدرته كفر وقال الحرالي فاثبات هذه الجملة تشابه
وتماثل تعالى عن نحو الالهية فابان هذا الخطاب في عيسى عليه السلام اصطفا الجملة هذا
الاصطفا فكما لم يقع فيمن سواه ليس من امر الالهية فكذلك ينبغي ان لا يقع فيه هو ايضا
ليس لمن يتيقن بيان الاحكام والتشابه من الذي انزل الكتاب محكما ومتشابها
واظهر الخلق باديا وملتبسا انتهى وقد عاد سبحانه بهذا الخطاب على احسن وجه
الى قصة عيسى عليه السلام الذي نزلت هذه الايات كلها في الجاد له في امره والاخبار عن
حمله وولادته وغير ذلك من صفاته التي يتنزه الاله عنها وكراماته التي لا تكون الا
لمقرب فاخبر اولا عن حال امه وامها واختها وما اتفق لهن من الخوارق التي تمسك
بوقوع مثلها من عيسى عليه السلام من كفر برفعه فوق الحد ثم شرع في قص امره حتى لم يدع
فيه لبسا بوجه وقال الحرالي في التعبير عن اصطفا ابراهيم ومن بعده عليهم السلام
في اشعار الخطاب اختصاص ابرهيم عليه السلام بما هو اخص من هذا الاصطفا حيث
انتظم في سلك الال اختصاصه هو بالخلة التي لم يشركه فيها اهل هذا الاصطفا فاختص
نمط هذا الاصطفا باله والله اعلم اسحق ويعقوب والعيص عليهم السلام ومن هو منهم
من ذريتهم لان اسمعيل عليه السلام اختص بالوصلة بين ابرهيم الخليل ومحمد الحبيب فكان
مترقيا ماهو لهم منه وترا هذا الاصطفا ولان انزال هذا الخطاب لخلق عيسى عليه السلام
وهو من ولد داود عليه السلام فيما يذكر وداود من سبط لاوي بن اسرايل عليهم السلام
فيما ينسب فلذلك والله اعلم جرى هذا الاصطفا على اله فظهر من مزية هذا الاصطفا الى
ما كان من اصطفا موسى عليه السلام بالتكليم وانزال الكتاب السابق يا موسى اني اصطفيتك
على الناس فكان هذا الاصطفا استخلاص صفاوة من صفاوة نوح عليه السلام المستخلص
من صفاوة ادم عليه السلام وال عمران والله اعلم مريم وعيسى عليهما السلام ليتم الاصطفا في
نمط يفصل من ادم الى عيسى عليهما السلام ليحوز الطرفين في الكون روحا وسلالة والعالمون علم الله الذي
له الملك فكما ان الملك لا بد لمن علم يعلم به بدوه وظهوره جعل الله ما ابداه من خلقه علما على
ظهور ملكه بين يدي ظهور خلقه في غايته يوم الدين عاما او في الدنيا لمن شا من اهل اليقين
والعيان خاصا واعلى معناه بما ظهر في لفظه من الالف الزايد على لفظ العلم فاصطفى سبحانه

ادم على الموجودين في وقته وكذلك نوح وال ابرهيم وال عمران كلا على عالم زمانه ومن
هو بعد في غيب لم تبد صورته في العالم العياني لم يلحقه بعد عند اهل النظر اسم العالم
واشار تعالى بذكر الذرية من معنى الذرء الذي هو مخصوص بالخلق ليظهر انتظام
عيسى عليه السلام في سلك الجميع ذرا وانه لا يكون مع الذرء لبس الالهية لان الله تعالى
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فكان نصب لفظ الذرية تكييفا لهذا الاصطفا
المستخلص على وجه الذرء وهو الذي يسميه النحاة حالا انتهى ولما ذكر تعالى هولاء الذين
اصطفاهم وكان مدار امر الاصطفا على العلم ومدار ما يقال لهم وفيهم مما يكون كفرا او
ايمانا على السمع ختم سبحانه الاية بقوله عاطفا على ما تقديره فالله تعالى يفعل باحاطته
ما يريد والله سميع عليم اشارة الى انه اصطفاهم على تمام العلم بهم ترغيبا في احوالهم الاقتدا
بافعالهم واقوالهم ولما كان نجل المقصود هنا بيان الكرامات في ال عمران لاسيما في الولادة
وكان ادم المتمثل به عليه السلام قد تقدم بيان امره في سورة البقرة سورة الكتاب
المثمر للعلم وكذا بيان كثير مما اصطفي به ابراهيم وال عليهم السلام اذ كان معظم القصد
بالكلام لذريته وكان معظم المقصود من ذكر نوح كونه في عمود النسب واتبع في امر ولادته
ما هو خارج عن العادة قال طاويا لمن قبل اذ اي اذكر جوابا لمن يجادلك في ابرهيم وسائر
عن حالهم اذ قالت امراة عمران وهي حامل وقال الحرالي لما كان في ذكر في الاصطفا
انما ذكر توطئة لامر عيسى عليه السلام دون سائر من ذكر معه وكان في هذه المناظرة
بين السورتين حظ من التكافؤ من حيث ذكر خلق ادم في سورة البقرة فذكر مثل الخلق
المثل المناظر له في السورة المناظرة لسورة البقرة وهي هذه السورة فعاد توقيت هذا
القول الى غاية هذا الاصطفا فابتداء ابتداء اما اختص منه بعيسى عليه السلام من
قول ام مريم امراة عمران حين اجري على لسانها واخطر بقلبها ان تجعل ما في بطنها نذرا
ففصل ما به ختم من اصطفا ال عمران ولذلك عرفت ام مريم في هذا الخطاب بانها امراة
عمران ليلتئم التفصيل بجملته السابقة رب اني نذرت لك ما في بطني وكان نذر الولد شايعا
في بني اسرائيل الا انه كان عندهم معهودا في الذكور لصلاحهم لسدانة بيت الله والقيام
به فاكمل الله تعالى مريم لما كمل به الرجال كما قال عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير
ولم يكمل من النسا الا اربع فذكر مريم بنت عمران عليها السلام فكان من كمالها خروجها لاذنها
عنها وكان اصله من الام التي لها الاشفاق فكان خروجها اكمل من خروج الوالد
لانها لها في زمن الحمل والرضاع والتربية الى ان يعقل الولد اباه فحينئذ يترقى الى اقرب
ابيه ولذلك والله اعلم ارى ابرهيم عليه السلام ذبح ولده عند تمييز وخرجت امراة عمران
عن حملها وهو في بطنها حين ما هو اعلق بها انتهى ونذرته لله تعالى حال كونه محررا
اي لا اعتراض ولا حكم لاحد من الخلق عليه قال الحرالي والتحرير طلب الحرية رفع اليد عن الشي
من كل وجه وفي الاتيان به بصيغة التكثير والتكرير اشعار بمعنى العزيمة في قطع الولاية عنه بالكلية

لسلم

لسلم ولايته سدا انتهى فتقبل مني ولما كان حسن اجابة الموصوف به الملتجا اليه على حسب
احاطة سمعه وعلمه عللت سوالها في التقبل بان تصرف السمع والعلم عليه سبحانه فقالت انك
انت اي وحدك السميع العليم فقالت كما قال سلفها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
ربنا تقبل منا انك الاية اي فلا يسمع احد قولي مثل سمعك ولا يعلم احد نيتي مثل
علمك ولا انا فان كان فيها شي لا يصلح فتجاوز عنه ولما اخبر بما اقتضى مضي عزمها
قبل الوضع اخبر بتحقيقه بعده فقال فلما وضعتها قالت اي تحسرا رب اني وضعتها قال
الحرالي من الوضع وهو القا الشي المستثقل انثى هي ادنى زوجي الحيوان المتناكح انتهى ولما
كان الاخبار عادة انما هو لمن لا يعلم الخبر ان امر الله تعالى ليس كذلك لان المقصود
باخباره ليس مضمون الخبر وانما هو شي من لوازمه وهو هنا التحسر فقيل والله اعلم بما
وضعت وفي قراءة اسكان التا الذي هو اخبار من الله عنها كما قال الحرالي لاحة معنى
ان مريم عليها السلام وان كان ظاهرها الانوثة ففيها حقيقة المعنى الذي الحقها بالر جال
في الكمال حتى كانت ممن كمل من النسا كما لا يبلغ اليه رجال كثير رجال عالمها فكان في
اشعاره ان الموضوع كان ظاهره ذكرا وحقيقته انثى ولما كان مقصودها مع امضا نذرها
بعد تحقق كونها انثى التحسر على ما فاتها من الاجر في خدمة البيت المقدس كما يقابل فضل قوة
الذكر على الانثى وصلاحيته للخدمة في كل احواله وليس الذكر اي الذي كنت احب ان تهبه
لي لاقوم بمثل اجري في هذا الغرض في قوته وسلامته من العوارض المانعة من المكث في المسجد
ومخالطة القومة كالانثى التي وضعتها في الضعف وعارض الحيض ونحوه فلا ينقص يا رب اجري
بسبب ذلك ولو قالت وليست الانثى كالذكر لفهم ان مرادها ان نذرها لم يشملها
فلا حق للمسجد فيها من جهة الخدمة قال الحرالي وفي اشعار هذا القول تفضل مما تخوفته
ان لا يكون ما وضعته كفا لنذرها لما شهدت من ظاهر انوثة ما وضعت فجعلها الله
لها اكمل مما اشتملت عليه عزيمتها من رتبة الذكورة التي كانت تعهدها فكانت مريم
عليها السلام اتم من معهود نذرها مزيد فضل من ربها عليها بعد وفا حقيقة مقصودها
في نذرها واني سميتها مريم فيه اشعار بان من جاشي اوقربه تحققه ان يجعل له اسما ورد
ان السقط اذا لم يسم يطالب من حقه ان يسميه فيقول يا رب اضاعوني فكان من تمام ان
وضعتها ان سمتها فيكون ابداوها وضع عين واظهارا اسم لما في وجود الاسم من كمال الوجود
في السمع كما هو في العين بنفع التقرب والنذر بما هو كامل الوجود عينا واسما ولما كانت محررة
لله كان حقا ان يحمي الله اعاذتها فلاذها هو حجابا عليها معاذة كونها من حيث هي له وما كان
في حمى الملك لا يتطرق اليه طريق فقالت واني اعيذها بك وفي قوله وذريتها
اشعار بما اوتيته من علم بانها ذات ذرية فكانما نطقت عن غيب عن امر الله مما لا يعلمه
الا الله فهو معلمها من الشيطان الرجيم وفي هذا التخليص لمريم بالاعادة ولذريتها

حظ من التخليص المحمدي لما شق صدره ونبذ حظ الشيطان منه وغسل قلبه بالما والثلج في البدايا الكونيه وبما نزمزم في البداية النبوية عند انتها الكوني فلذلك كان لمريم ولدريتها بمحمد صلى الله عليه وسلم اتصال واصل قال صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم من اجل انه ليس بيني وبينه نبي ولما هو حكم امامه في خاتمة يومه وقايم من قومه ذريته ولما اخبر بدعايها اخبر باجابتها فيه فقال **فتقبلها** فجا بصيغه التفعل مطابعة لقولها تقبل ففيه اشعار بتدرج وتطور وتكثر كانه يشعر بانها مزيد لها في كل طور بتطور اليه من حيث لم يكن فاقبل منى فلم تكن اجابته فقبلها فيكون اعطا واحدا منقطعا عن التواصل والتتابع فلا تزال بركة تحريرها متجدد الها في نفسها وعايد ابركته على امهاتها حتى يترقى الى العلو المحمدي فيكون في ازواجه من يتصل برانتهى وجا بالوصف المشعر بالاحسان مضافا اليها ابلاغا في المعنى فقال **ربها** قال الحرالي وظهر سر الاجابة في قوله تعالى **بقبول حسن** حيث لم يكن بتقبل حريا على الاول ولما انبا القبول عن معنى ما اولته باطنا انبا الانبات عما اولته ظاهرا في جسمانيتها وفي ذكر الفعل من افعل في قوله **وانبتها** والاسم من فعل في قوله **نباتا حسنا** اعلاما بكمال الامرين من امداد ها في النمو الذي هو غيب عن العيون وكمالها في ذاتية النبات الذي هو ظاهر للعين فكمل في الانبا والوقوع حسن التاثير وحسن الاثر فاعرب عن ابنائها ونباتها بمعنى حسنا انتهى فوقع الجواب لامها عنايته من الله بها على ما وقع سوالها فيه فلقد ضل وافترى من قذفها وبهتها وكفر وعلا من ادعى في ولدها من الاطرا ما ادعى وقال الحرالي وقد انبا تعالى في هذه السورة ما هو فيها بيان رفع اللبس الذي منزله النصارى فيذكر في كل سورة ما هو الاليق والاولى بمخصوص منزلها فلذلك يتقص الخطاب في القصة الواحدة في سورة ما سنوفيه في سورة اخرى خلاف مخصوص منزلها كذلك الحال في القصص المتكررة في القران من قصص الانبيا وما ذكر فيه لمقصد الترغيب والتثبيت والتحريز وغير ذلك من وجوه التنبيه انتهى وفيه تصرف ولما كان الصغير لابد له فيما جرت العادة من كبير يتولى امره قال **وكفلها** قال الحرالي من الكفل وهو حياطة الشي من جميع جهاته حتى يصير عليه كالفلك الدايم **زكريا** وهي قراة التشديد انبا بان الله تعالى هو في الحقيقة كفيلها بما هو نقبلها وفيه استخلاص لذكريا من جهة جعله يد وكالة فيها انتهى ولما كان من شان الكفيل القيام بما يعجز عنه المكفول بين سبحانه ان تلك الكفالة انما كانت جريا على العوايد وانه سبحانه يتقبل اسقاطها اغنا ها عن سواه فقال في جواب من لعله يقول ما فعل في كفالته **كلما** اي فكان كلما **دخل عليها زكريا المحراب** اي موضع العبادة وقال الحرالي هو صدر البيت ومرمه الذي لا يكاد يوصل اليه الا بفضل منه وقوة وجهد حرب **وجد عندها رزقا** وفي هذه العبادة اي من اولها الاحد لمعنى حسن كفالته وانه كان يتفقدها عند تقرير حاجتها الى الطعام

بما ينبه كله كلما من التكرار تحد الكفيل الحق قدما جلها برزق من غيب عما هو تعالى المتولى لانباتها ليكون نباتها من عيب رزقه فتصلح لنفخ روحه ومستودع كلمته ولا يلحقها بعد الاعادة ما فيه مس من الشيطان الرجيم الذي ادعاه لسر منه بكثرة الاختلاط من موجودات الارزاق فكان في حفظها ان يولي الله سبحانه ارزاقها من غيب الاما يطيبه ما باد ويكون حسن نباتها من احسن رزق الله كما يقال من عدمي بطعام قوم عدمي بغلوبهم ومن عدمي بغلوبهم ال الى منقلبهم وكانت بمثل ما كفلها كافلها ظاهر الكفالته باطنا حين ابدى الله له من امرها ما لم يكن قبل بد اله فكان لمريم عليها السلام توطية في رزقها لما يكون لها في حملها فيكون رزقها بالكلمة فعند ذلك طلب زكريا في ماعلق لها من ان يرزقها الله الولد في غير ابانه كما رزق الرزق في غير اوانه وفي تعيين محلها بالمحراب ما يلح معنى ما ذكر من رجوليتها باطنا من حيث ان محل النسا ان يتاخرن فابدل الله في محلها ذكر المحراب اشارة بكمالها والمحراب صدر البيت المتخذ للعبادة وفي لزومها المحراب في وقت تناول الرزق اعلام بان الحبيس والمعتكف بيته محرابه ومحرابه بيته بخلاف من له ملبس في الارض ومحل من غير بيت الله انما المساجد بيوت اهل الله المنقطعين اليه فهو محلهم ومحلهم في تناول ارزاقهم ففيه اشعار بحضورها وحضور اهل العكوف حضورهم سوا في صلاتهم وطعامهم ولذلك انما يجال العبد عن ربه بما هو عليه في حال تناول طعامه وشرابه فاهل الله سوا مجاهم ومماتهم واكلهم وصلاتهم من غفل عند طعامه قلبه لم يستطع ان يحضر في صلاته قلبه ومن حضر عند طعامه قلبه لم يغب في صلاته قلبه وفي ذكر الرزق شايعا اشعار بانها انواع من ارزاق ومن حيث انه لو اختص لخص به ما هو اخص من هذا الاسم انتهى ولما كان كانه قيل فما كان يقول لها اذا راى ذلك قيل كان كلما وجد ذلك او لما تكرر وجدانه لذلك **قال يا مريم انى** اي من اين **لك هذا** قال الحرالي انبا تشعر باستقراء وجود ذلك الرزق من وجوه مختلفة من جهة الزمان انه ليس بابانه ومن جهة المكان انه ليس بمكانه ومن جهة الكيف ووصوله اليها انه ليس حاله وفي ذكر الضمير في قوله **قالت هو** ابدان بنظرها الى المجموع حقيقة ذلك الرزق لا الى اعيانه فهو انبا عن رويه قلب لا عن نظر عين لان هو كلمة اضمار جامعة لكل ما تفصلت صورته بما اتخذ مضمر ولما لم يكن من معهود ما اظهرته حكمته سبحانه مما جرت عليها الحاجات ايدي الخلق قالت **من عند الله** لان ما خرج عن معهود معالجة الحكم فهو من عنده وما كان مستغربا فيما هو من عنده فهو من لدنه فهي ثلاث رتب رتبة لدنية ورتبة عنديه ورتبة حكمية عادية فكان هذا مستغربا عند اهل الخصوص كما قال احرتهم لعرف اهلها لقد جيت شيا امرا والامر العجب ولعلو رتبته عن الرتبة العادية جرى الانبا عند مضافا الى الاسم العظيم الذي هو مسمى الاسما كلها من حيث لم يكن من عند ربي لما في ذكر اسم الربوبية من اشعار بعادة او ترتب منها او ما كان من نحوها كما قال هذا من فضل ربي لما كان من عادته المكنة على الملوك وكان ممكنا فيما احاطه موجود الاركان الاربعة انتهى ولما اخبرت بحوهر

سبحانه لها العادة علمت ذلك بقولها ان الله قال الحرالي في تجديد الاسم العظيم في البنا
استشعار بالمتاع البنا وابدال والاحد بان هن يكون لك ولمن شا الله كما هو لي بما شا الله
من حيث لم يكن انه يكون ملتجا لاختصاص بها وتؤيده عموم قوله يرزق من يشا وقولها
بغير حساب يشعر انه عطا متصل فلا يتجدد ولا يتعدد فهو رزق لا متعقب عليه لان كل محسوب
في الابد اب محاسب عليه في الاعادة فكان في الرزق بغير حساب من علاج الحكمة بشري برفع
الحساب عنهم في المعاد وكفالة بالشكر عنه لان اعظم الشكر لرزق الله معرفة العبد بانه
من الله انما يشكر رزق الله من اخذ من الله انتهى ولما كان كانه قيل فما قال زكريا حينئذ قيل
هنالك اي في ذلك الوقت دعا زكريا ربه تذكرا لما هو دهم الله به من الاكرام فظهرت عليه كراما
هذه الكفالة قال الحرالي لما اشهده الله انه يخرق عادته لمن شا بكلمته في حق كفيلته في الظاهر
الكافلة له في هذا المعنى دعا ربه الذي عوده بالاحسان ان يرزقه والدا من غير ابانه كما رزق
مريم رزقا في غير زمانه فوجب دعاوه انتهى فظهرت كرامة هذه الكفالة قال رب اي ايها الذي
عودني باحسانه هب لي من لدنك قال الحرالي طلب علمه من باطن الامر كما قال وعلمناه من
لدنا وكما قال فيه وحنانا من لدنا لان كل ما كان من لدن فهو ابطن من عند ذرية فيه اشعار بكثرة وقيل
باق فاجيب بمولد فرد لما كان زمانا انتهاه في ظهور كلمة الروح وبانه لا ينسل فكان نحي حصور
الغلبة الروحانية على نشانيه انتهى طيبة اي مطيعة لك لان ذلك طلبه اهل الخصوص ثم
اجتزاه على المقام الاعظم بالسوال بقوله انك سميع الدعا اي مريده ومجيبه لان من شان
من يسمع ولم يمنع ان يجيب اذا كان قادرا كاملا وقد تثبت القدرة بالربوبية الكاملة التي لا
تصلح الا من الحي القيوم بخلاف الاصنام ونحوها مما عبد فانها لا تسمع ولو سمعت لم تقدر على
الاجابة الي ما سل فيه لانها مربوبة وقال الحرالي علم المداعي بما لله من الاجابة والقرب وسيلة
في قبول دعايه انتهى ولما كان الله عند ظن عبده به سمع دعاه كما قال فنادته اي فتسبب
عن دعايه وحسن رجايه ان نادته الملايكة يعني هذا النوع كلهم بل ناداه البعض وكان منبيا
عما اتاه الله من الفضل لمناداة الكل لا هو شان اهل الكمال من الرسل وهو قايم يصلي في المحراب
قال الحرالي فيه اشعار بسرعة اجابته ولزومه معتكفه وقنوته في قيامه وان الغالب على صلوته
القيام لان الصلاة قيام وسجود يقابله وركوع متوسط فذكرت صلاته بالقيام اشعارا بان
حكم القيام الغالب عليها انتهى ثم استانف لجواب من قال باي شي نادته الملايكة قوله ان الله
يبشرك قال الحرالي فذكر الاسم المحيط معناه بجميع معاني الاسما ولم يقل ان ربك لما كان امر
اجابته مزورا الحكمة العادية وفي قوله بيحيي مسمى بصيغة الدوام مع انه كما قيل حل اسعار بوفا
حقيقة الروحانية الحياتية فيه دايما لا تطرقه طارقة موت الظاهر حيث قتل شهيدا انتهى
مصدقا بكلمة اي بني خلق ما الكلمة لا بالمعالجة العادية يوسل الله الي عباده فيكن به اكثرهم
ويصدقه هو واطلاق الكلمة عليه من اطلاق السبب على المسبب قال الحرالي فكان عيسى
السلام كلمة الله ويحيي مصدق بها هو منه كالكلمة حتى انتماء اتي سماق احدي فهي قوله من الله اشعار

باحاطته في ذات الكلمة انتهى وسيدا وحصورا اي فلا يزن بوسه لانه بالغ الحبس لنفسه
والتضييق عليها في المنع من النكاح فان في القاموس والحصور من لا ياتي النسا وهو قادر على ذلك
والممنوع منهن او من لا يشتهيهن ولا يقربهن والمحبوب والمهيوب المحجم عن الشي قال الحرالي
وهو من الحصر وهو المنع عما شان الشي ان يكون مستعملا فيه انتهى ونبيا ولما كان النبي الحق
لا يكون الا صالحا لم يعطف بل قال من الصالحين اعلاما بعزيزة رتبة الصلاح واحترازا عن المتنبين
فكانه قيل فما قال حين اجابه ربه سبحانه بقبول قال تسبب ذلك بما يزيده طمانينه ويقينا وسكينه
رب اني اي من اين وكيف يكون لي وعبر بما تد ورمادته على الغلبة والقوة زيادة في الكشف
فقال غلام وتعبيره به في سياق المحصور ليدل على انه في غاية ما يكون من صحة الجسم وقوته اللازم
منه سد الداعية الى النكاح وهو مع ذلك يمنع نفسه منه منعا زايدا على الحد لما عنده من غلبة الشهود
اللازم عنه الاقبال على العبادة بكليته والاعراض عن كل ما يشغل عنها جملة لا سيما النكاح بحيث
يظن انه لا ارب له فيه وهذا موافق للتفسير الاول للحصور في القاموس وهو الذي ينبغي ان لا يعرج
على غيره لانه بناء مبالغة من متعد ولانه امدح له صلى الله عليه وسلم ومهما دار الشي على صفة
الكمال في الانبيا عليهم وجب ان لا يعدل عنه وما ورد كما ياتي ان شا الله تعالى في سورة مريم عليها
السلام الا التي صلى الله عليه وسلم قال ذكره مثل هذه النداة فقد ضعفوه وعلى تقدير صحته فيكون
ذلك اخبارا عن انه لما اعرض عنه راسا ضعف ما معه لذلك فهو اخبار عن اخرامه الذي ادت
اليه عزيمته والاية سبق اليها اقتضته خلقته وعزيمته وقد اي والحال انه بلغني الكبر الي
حد لا يولد فيه عادة وامراتي عاقر قال الحرالي من العقر وهو البلوغ الي حد انقطاع النسل
هرما انتهى كذا قال واية سورة مريم تدل على ان المعنى انها لم تزل عقيما وعليه يدل كلام اهل
اللغة قال في القاموس في الرا العقم ويضم العقم وقد عقرت كعني فهي عاقر ورجل عقير وعاقر
لا يولد والعقرة كثمرة جوزة تحملها المراة لئلا تلد وقال في الميم العقم بالضم هزمة تقع في الرحم
فلا يقبل الولد عقمت كفرح ونصر وكرم وعني ورحم عقيم ورجل عقيم لا يولد له وقال الامام
ابوعبد الله القزاز في ديوانه وعبد الحق في واعيه والعقر بضم العين وسكون القاف مصدر
العاقر من النسا وهي التي لا تحمل من غير دا ولا كبر يقال امراة عاقر وبها عقر سميت بذلك كان
في رحمها عقرا يمنعها من الولادة وقال الامام ابو غالب بن التياني في كتابه الموعب صاحب العين
العقر مصدر العاقر من النسا وهي التي لا تحمل من دا ولا كبر لكن خلقه ثم قال وتعقرت اذا
ولدت ثم امسكت والله الموفق ثم وصل به قوله قال كذلك مثل هذا الفعل الجليل العالي الرتبة
يكون لك ولما كان استثناه عن العوق والكمال لا على الخلق عبر سبحانه في تعليله هنا بالفعل بخلاف
ما ياتي في قصة مريم عليها السلام فقال الله يفعل ما يشا لانه المحيط بكل شي قدرة وعلما فكانه
قيل قد قرت عينه بما قيل قال ارادة تعجيل البشرى وتحقيق الامر رب اجعل لي اية اي علامة
اعلم بها ذلك قال ايتك الا تكلم الناس اي لا تقدر على ان تكلمهم بكلام دنيوي ثلاثة ايام
الا رمزا فاحمد ربك على ذلك قال الحرالي والرمز تلطف في الافهام باشارة تحرك طرف كاليد واللحظ والشفتين

اي الا بالحسن الي ولما كان
مطلوبه ولدا ينفعه مقامه
فيما هو فيه منع النبع النبي
بطبيعة الا الذكر لا قوتها الكلمة
وكانت العادة قاضية بان ولد
الشيخ يكون ضعيفا لا سيما ان
كان حريصا الطعن في السن
في اصله غير قابل للزرع احب
الي يصح مطلوبه قال م

قال م

ونحوها والعمر اشد منه باليد ونحوها انتهى واذكر ربك اي بالحمد وهو ان تثبت له الاحاطة
بكل كمال كثيرا في الايام التي منعت فيها من كلام الناس خصوصا وفي سائر اوقاتك عموما
وسبح اي نزه ربك بان تنفي عنه كل نقص بالعشي قال الحرالي من العشي واصل معناه اسداد
نار على علم لمقصد هدى او قرى وما هي على حال وهي تسمى به عشي النهار لانه وقت فعل ذلك
ويتاكد معناه في العشا ومنه سمي الطعام العشا والابكار واصله المبادرة لاول الشي ومنه التبكير
وهو السرعة والباكورة وهو اول ما يبدو من الثمر فالابكار اقتطاف زهرة النهار وهو اوله
انتهى ولما فرغ مما للكافل بعد ما نواه بامر المكفولة بيانا لاستجابة الدعا من امها لها اعاد
الاشارة بذكرها واعلاما بعلو قدرها فقال عاطفا على ما تقديره هذا ما للكافل فاذكره لهم فانهم
لا يشكون معه في نبوتك واذكر اذ قالت الملائكة وعبر بالجمع لتهيؤها لخطاب كل منهم كما
مضى يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك في نفسك لا بالنظر الحيثي الى غيرها بتخيير بعض من
هو في نفسه خيار وطهرك اي عن كل دنس واصطفاك اي اصطفا خاصا على نسا العالمين
من هذا الاصطفا والله اعلم كما قال الحرالي ان خلصت من الاصطفا الاول الغيبي الى
الاصطفا على عوالم في الكمال من محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي قال صلى الله عليه وسلم
لخديجة رضي الله عنها اما شعرت ان الله زوجني معك مريم بنت عمران انتهى ولما اخبرها سبحانه
بما اختصها به امرها بالشكر فقال يا مريم اقنتي اي اخلصي افعالك للعبادة لربك الذي عودك
الاحسان بان رباك هذه التربية واسجدي فان اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد قال
الحرالي وكان من اختصاص هذا الاصطفا العلي اي الثاني ما اختصها من الخطاب
بالركوع الذي يختص به هذه الامة الراكعة التي اطلعها الله من سر عظمته التي بها اراده على
ما لم يطلع عليه احدا من سواها في قوله واركعي مع الراكعين كما قال لبني اسرايل عند
الامر بالملة المحمدية واركعوا مع الراكعين الى ما يتبع من كمال ما بشرت به حيث يكلم الناس كهلا
في خاتمة اليوم المحمدي ويكمل له الوجود الانساني حيث يتزوج ويولد له كما ذكر وفي ذلك كله ايما
يشعر به ميم التمام في ابتدا الاسم وانتهايه وفيما بين الميمين من كريم التربية لها ما يشعر به الرا
من تولي الحق لها في تربيتها ورزقها ومما تشعر به اليا من كمالها التي اختصت به على عالمها
انتهى والمراد باتباع قصتها لما مضى التنبيه على انها في سلك ما مضى من امر ادم ويحيى
افصاحا وابرهيم في ابنية الاحة في خرق العادة فيهم وان تخصيصها بالانكار والتعجب
والتنازع مع الاقرار بامر مريم ليس من افعال العقل والظاهر ان المراد بالسجود في هذا المقام
ظاهره وبالركوع الصلاة نفسها فكانه قيل واسجدي مصلية ولتكن صلاتك مع المصلين اي في
جماعة فانك في عداد الرجال لما خصصت به من الكمال وانما قلت هذا لاني تتبعت التوراة
فلم اره ذكر فيها الركوع في صلاة ابرهيم عليه السلام ولا من بعده من الانبيا ولا
اتباعهم ولا في موضع واحد لا يحسن جعله فيه على ظاهره ورايته ذكر الصلاة فيها
على ثلاثة انحا الاول اطلاق لفظها من غير بيان كيفية والثاني اطلاق لفظ السجود مجردا

الثالث

في قصة ابرهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام

الثالث اطلاقه مقرونا بركوع او جثو او خرور على الوجه ونحو ذلك من السفر الاول منها في قصة
ابراهيم عليه السلام حين ماتت زوجته سارة رضي الله عنها وسال بني حاث اهل تلك الارض
ان يعطوه مكانا يدفنها فيه فاجابوه فقام فسجد لشعب الارض لبني حاث وكلمهم وفيه في قصة
ربانية قال وسجد على الارض وقال يارب تذكر دعائي قال وصلى ابرهيم بين الرب وفيه
في قصة عبد لابراهيم عليه الصلاة والسلام انه ذهب الى بلاد حران يخطب لاسحق عليه السلام
امراة فظفر بقصده فحنى الرجل اي عبد ابرهيم على الارض فسجد للرب وقال تبارك الله رب
سيدي ابرهيم وفيه لما اجابه اهل المراة فلما سمع غلام ابرهيم كلامهم سجد على الارض قدام المراة
وفيه عند لقاء عيسو لاخيه يعقوب عليه السلام فدنت الامتان واولادها فسجدوا واي كعيسو ودنت
ليا وولدها فسجدوا وانما كان اخيرا دنت راحيل ويوسف فسجدوا وفيه في قصة يوسف عليه السلام
ورءا اخوته فخروا له سجدا وقالوا انا نحن لك عبيد وفي السفر الثاني عند قدوم موسى عليه
السلام الى بني اسرايل واخبارهم بارسال الله تعالى له واظهاره لهم الايات قامت الشعب
وسمعوا ان الرب قد ذكر بني اسرايل وابصر الى خضوعهم وجثا الشعب وسجد والله الرب وفيه في
خروجهم من مصر فركع الشعب كله ساجدا لله وفيه فاستعجل موسى فخر على وجهه على الارض
ساجدا وفيه في تلقي موسى لختنه شعيب عليهما اذ جاءت لهنيه بما انعم الله عليه بعد غرق فرعون
فخرج موسى يلتقي ختنه وسجد له وقبله وسال كل منهما عن سلامة صاحبه وفيه وقال الله
لموسى عندما بشره بقتل الكنعانيين وغيرهم من سكان بلاد القدس لا تسجد لالهتهم ولا تعبدها
ولا تفعلوا كافعالهم بل كبهم كبا على وجوههم وكسر اصنامهم واعبدوا الرب الهكم ولا
تعبدوها وفي اوايل السفر الثالث في ذكر ظهور مجد الرب في قبة الزمان التي كانوا يصلون اليها
على حياة موسى عليه السلام وعاين ذلك جميع الشعب وحمدوا الله وخر الشعب كله على وجهه وفي الرابع
عندما نغم بنو اسرايل بالرجوع الى مصر تضجرا من حالهم فخر موسى وهرون على وجوههما ساجدين
بين يدي جماعة بني اسرايل كلها وفيه وكلم الرب موسى وهرون وقال لهما تنحيا عن هذه الجماعة
فاني مهلكها فخرا ساجدين على وجوههما وفيه عندما تذمروا عليه من اجل العطش فجا موسى
وهرون من عند الجماعة الى باب قبة الزمان فخرا على وجوههما فظهر لهما مجد الرب فذكر
قصة ضرب الحجر بالعصا وانفجار الماء وفيه في قصة بلعام بن بعور رجين راى ملكا في طريقه
فحنى على وجهه ساجدا واما اطلاق لفظ الصلاة فهو في اخر السفر الثاني وكان اذا خرج موسى
الى قبة الزمان كان جميع الشعب يقومون ويستعد كل امر منهم على باب خيمته وينظرون الى موسى
من خلفه حتى يدخل الى القبة واذا دخل موسى القبة كان ما ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة
ويكلم موسى وكان جميع الشعب ينظرون الى عمود السحاب واقفا على باب القبة وكان يقف جميع
الشعب ويصلي كل امر منهم على باب خيمته وفيه وعمل سطلا من نحاس ونصبها عند منظر النسوة
اللاتي ياتين فيصلين على باب قبة الامد وكل ما فيه من ذكر فهكذا يطلق لفظا غير معروف بما
يرشد الى كيفيته فلا فايدة في سرده وهذه القبة امر الله تعالى موسى عليه السلام باتخاذ مظهرا

للمجد وان يحلها كهيئة الغمام الذي ظهر له بمجد تعالي فيه من جبل طور سينا وهي من
غرايب الدهر والارتفاع والسعة والهيبة ففيها من الخشب والبيوت والتوابيت والاعمدة
والبحاس وصفايح الذهب والفضة والنحاس والسرادقات والستور من الحرير
والارجوان والكتان والاطناب وغير ذلك مما يكل عنه الوصف وكله بنص من الله تعالي
على الطول والعرض والوزن والمحل بحيث انه كان فيها من صفايح الذهب ومسامير
ونحوها تسعة وعشرون قنطارا واربعماية وثلاثون مثقالا بمثقال القدس ومن الفضة
مائة قنطار والف وسبعماية وسبعون مثقالا ومن النحاس سبعون قنطارا والفان
واربعماية مثقال وكانت هذه القبة تنصب في مكان من الارض وينزل بنو لاوي سبط
موسى وهرون عليهما السلام حولها يخدمونها بين يدي هرون وبنيه ومن دنا منهما
من غيرهم احترق وينزل اسباط بني اسرايل حوله بنية ولكل سبط منزلة لا يتعداها
من شرقيها وغربيها وجنوبيها وشماليها كل ذلك بامر من الله لموسى عليه السلام وكان السحاب
يغشاها بالنهار وكانت النار تضي عليها بالليل وتزهر فما دام السحاب محلا لها فهم
مقيمون فاذا ارتفع عنها كان اذانا في سفرهم فالذي فهمته من هذه الاماكن وغيرها
ان الصلاة عندهم تطلق على الدعا وعلى فعل هو مجرد السجود فان ذكر معه ما يدل
على وضع الوجه على الارض فذاك وحينئذ تسمى صلاة والا كان المراد به مطلق الانحنا
للتعظيم وذلك موافق للغة قال في القاموس سجد خضع والخضوع التطامن واما
المكان الذي في ذكر الركوع فالظاهر ان معناه فصلي الشعب كله ساجدا لله لان الركوع
في اللغة يطلق على معان منها الصلاة يقال ركع اي صلى اذا انحنى كبرا والركوع من
يكبوا على وجهه ولا يصح حمل الركوع على ظاهره لانه لا يمكن في حال السجود وان ارتكب
فيه تاويل لم يكن باولى مما ذكرته في الركوع والله اعلم واحتججت باللغة لان مترجم
النسخة التي وقعت لي في عداد البلغا يعرف ذلك من تامل مواقع ترجمته لها ثم اني
سالت عن صلاة اليهود الان فاخبرت انه ليس فيها ركوع ثم رايت البغوي صرح في تفسير
قوله تعالي واركعوا مع الراكعين بان صلاتهم لا ركوع فيها وكذا ابن عطية وغيرهما ولما كان
المقصود من ذكر هذه الايات بيان الخوارق التي كانت لال عمران من زكريا ويحيى وعيسى وامه
عليهم السلام للمجادلة بالحق في امر عيسى عليه السلام وبيان ان ما اشكل عليهم من امره ليس
خارجا عن اشكال الخوارق وفي اله وكان الرد على كل طايفة بما يعتقد اولى وجب ذكر
ذلك من الاناجيل الاربعة الموجودة الان بين اظهرهم النصارى ذكر قصة يحيى عليه
السلام في حمله وولادته ونبوته وما اتفق في ذلك من الخوارق من الاناجيل قد مزجت
بين الفاظها فجعلتها شيا واحدا على وجه التم بعضه باول امر المسيح عليه السلام قال
في اول انجيل لوقا كان في ايام هيرودس ملك اليهودية كاهن اي حبر امام اسمه زكريا من خدمة
الى ابيا وامراته من بنات هرون واسمها اليصابات وكانا كلاهما بين اقدام الله سايرين

في جميع

في جميع وصاياه وحقوق الرب بغير عيب ولم يكن لهما ولد لان اليصابات كانت عاقرا وكانا
كلاهما قد طعنا في ايامهما فبينما هو يكهن في ايام ترتيب خدمته امام الله كعادت الكهنوت
اذا بلغت نوبة وضع البخور فجا ليبخر فدخل الى هيكل الله وجميع الشعب يصلون خارجا في وقت
البخور فتراءى له ملاك الرب قايما عن يمين مذبح البخور فلما راه زكريا اضطرب ووقع
عليه خوف فقال له الملاك لا تخف يا زكريا قد سمعت كلامك وامراتك اليصابات
تلد ابنا وتدعو اسمه يوحنا يكون لك فرح وسرور وكثير يفرحون بمولده ويكون عظيما قدام
الرب لا يشرب خمرا ولا مسكرا ويمتلي من روح القدس وهو في بطن امه ويجيد بشرا من بني
اسرايل الى الرب الاههم وهو يتقدم امامه بالروح وبقوة الياس ويقبل بقلوب الابا على
الابنا والعصاة الى علم الابرار ويعد للرب شعبا مستعدا فقال زكريا للملاك كيف اعلم
هذا وانا شيخ وامراتي قد طعنت في ايامها فاجابها الملاك وقال انا جبريل الواقف قدام
الله ارسلت لاكلمك بهذا وابشرك من الان تكون صامتا لا تستطيع ان تتكلم الى اليوم
الذي يكون هذا وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين في ابطايه في الهيكل فلما خرج
لم يقدر يكلمهم فعلموا انه قد راى رؤيا في الهيكل فكان يشير اليهم واقام صامتا فلما كملت
ايام خدمته مضى الى بيته ومن بعد تلك الايام حملت اليصابات امراته وكتمت خمسة اشهر
قايلة هذا ما صنع بي الرب في الايام التي نظر الي فيها لينزع عني العار بين الناس ولما كانت
في الشهر السادس ارسل جبريل الملاك من عند الله الى مدينة في الجليل تسمى ناصرة الى عذرا
خطيبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود واسم العذرا مريم فلما دخل اليها قال لها افرحي
يا ممتلية نعمة الرب معك مباركة انت في النسا فلما راته اضطربت من كلامه وذكرت
قايلة ما هذا السلام فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم فقد ظفرت بنعمة من عند الله وانت
تقبلين حبلا وتلدين ابنا وتدعي اسمه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلي يدعا ويعطيه الرب
الاله كرسي داود ابيه ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضا فقالت مريم
للملاك كيف يكون هذا ولا اعرف رجلا فاجاب الملاك وقال لها روح القدس يحل عليك وقوة
العلي تظللك فانه ليس عند الله امر عسير فقالت مريم هاانا عبدة الرب فيكون لي كقولك
وانصرف عنها الملاك فقامت مريم في تلك الايام ومضت مسرعة الى الجبل الى مدينة
يهوذا ودخلت الى بيت زكريا فسلمت على اليصابات فلما سمعت اليصابات صوت سلام مريم
تحرك الطفل في بطنها فامتلات اليصابات من روح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة
انت في النسا ومباركة ثمرة بطنك من اين لي هذا ان ياتي ام ربي الي منذ وقع صوت سلامك
في اذني تحرك الطفل بتهليل في بطني فطوبى للذي امنت ان يتم لها ما قيل من الرب فقالت
مريم تعظم نفسي بالرب وتبتهل روحي بالله مخلصي لانه نظر الى تواضع عبدته وقدوس
اسمه ورحمته لخايفيه صنع القوة بذراعه وفرق المستكبرين بفكر قلوبهم انزل القادرين
عن الكراسي ورفع المتواضعين اشبع الجياع من الخيرات فاقامت مريم عندها نحوا من ثلاثة اشهر

وعادت الي بيتها ولما تم زمان اليصابات ليلا ولدت ابنا فسمع جيرانها واقاربها ان
الرب قد اعظم رحمته معها ففرحوا لها فلما كان في اليوم الثامن جاوا ليختنوا الصبي
ودعوه باسم ابيه زكريا فاجابت امه قايلة لا لكن ادعوه يوحنا فقالوا لها ليس احد
في جنسك يدعا بهذا الاسم فاشاروا الي ابيه ما تريد ان تسميه فاستدعي لوحا وكتب قايلا
يوحنا فتعجب جميعهم وانفتح فوه من ساعته وتكلم وبارك ووقع خوف عظيم علي جميع جيرانهم وتحدث
بهذا الكلام في جميع تخوم يهودا وفكر جميع السامعين في قلوبهم قايلين ما تري يكون من هذا الصبي ذاع
ويد الرب كانت معه فامتلا زكريا ابوه من روح القدس وبدا قايلا مبارك الرب الاه اسرايل
الذي اطلع وصنع نجاة لشعبه واقام لنا قرن خلاص من بيت داود فتاه كالذي تكلم علي
افواه انبيايه القديسين من الابد خلاص من اعداينا ومن يدي كل مبغضينا صنع رحمة
مع ابايينا وذكر عهده القديس القسم الذي عهد به لابرهيم ابينا ليعطينا الخلاص بلا خوف
من يدي اعداينا لنخدمه بالبر والعدل قدامه في كل ايام حياتنا وانت ايها الصبي نبي
العلي تدعي وتنطلق قدام وجه الرب لتصلح طريقه ليعطي علم الخلاص لشعبه لمغفرة الخطايا
بتحنن ورحمة الهنا الذي افتقدنا مشرق من العلو ليضي للجالسين في الظلمة وظلال الموت لتستقيم
سبل ارجلنا للسلامة فاما الصبي فكان يشب ويتقوي بالروح واقام في البرية الي يوم ظهوره
لاسرايل وفي سنة خمس عشر من ولاية طيباريوس قيصر وبلاطيس النبطي علي اليهودية وهيرودس
رييس الجليل وفيلبس اخوه علي ربع الصورية وكورة انطرخون وليسانيوس رييس علي ربع الابليه
وحنان وقيافا رؤسا الكهنة حلت كلمة الله علي يدي يوحنا بن زكريا في البرية فجا الي كل البلاد
المحيطة بالاردن يكرز بمعمودية لغفران الخطايا كما هو مكتوب في سفر كلام شعيا النبي
قايلا صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب فاصنعوا سبله مستقيمة جميع الاودية
تمتلي جميع الجبال والاكام تتضع ويصير الوعر سهلا والخشنة الي طرق سهلة ويبصر كل
ذي جسد خلاص الله وفي انجيل متي وفي تلك الايام جا يحيي المعمداني يكرز في برية
يهودا ويقول توبوا فقد اقترب ملكوت السموات والارض هذا هو الذي في شعيا
النبي اذ يقول صوت صارخ وقال مرقس مكتوب في شعيا النبي ها انا مرسل ملاكي
امام وجهك ليسهل طريقك قدامك ثم اتفقا صوت صارخ في البرية اعدوا طريق
الرب وسهلوا سبله وكان لباس يوحنا وبر الابل ومنطقته جلد علي حقويه وكان طعامه
الجراد وعسل البر حينيذ خرجوا اليه من اورشليم وكل اليهودية وجميع كورة الاردن وكان
يعمدهم في نهر الاردن معترفين بخطاياهم وفي مرقس كان يوحنا يعمد في القفر ويكرز بمعمودية
التوبة لغفران الخطايا وكان يخرج اليه جميع كورة يهودا وكل اورشليم فيعمدهم في نهر الاردن
معترفين بخطاياهم فقال للجميع الذين ياتون اليه ويعتمدون منه يا ثمرة الافاعي وفي متي
فلما راي كثيرا من الفريسيين والزنادقة ياتون الي معموديته قال لهم يا اولاد الافاعي من
انبق هو ولوتا من نكلم علي الهرب من الغضب الاتي اعملوا الان ثمارا تليق بالتوبة ولا تقولوا

في نفوسكم

في نفوسكم ان ابانا ابرهيم اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابرهيم
ها هوذا الفاس موضوع علي اصول الشجر وكل شجرة لا تثمر ثمرة طيبة تقطع وتلقي في
النار فساله الجموع ماذا نصنع اجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له
طعام فليصنع مثل ذلك قال العشارون ليعتمدوا وامنوا فقالوا ما ذا نصنع يا معلم فقال
لهم لا تغيبوا احدا ولا تظلموا احدا واكتفوا بارزاقكم وان جميع الشعب تفكروا في
قلوبهم وظنوا ان يوحنا المسيح اجابهم وقال لهم اما انا فاعمدكم بالما للتوبة وياتي
الذي هو اقوي مني الذي لا استحق ان احل سيور حذايه وقال متي لا استحق
ان احمل حذاه فقال مرقس وكان يكرز قايلا الذي ياتي بعدي اقوي مني لست
اهلا انحني لحل سيور حذايه انا اعمدكم بالما وهو يعمدكم بروح القدس والنار الذي
بيده الرفش ينقي به اندره ويجمع القمح الي اهرايه ويحرق التبن بنار لا تطفي ولا يخبر
الشعب ويبشرهم باشيا كثيرة في انجيل يوحنا كان انسان ارسل من الله اسمه يوحنا جا
للشهادة للنور الذي هو نور الحق الذي يضي لكل انسان الاتي الي العالم في العالم
الي خاصته وخاصته لم تقبله فاما الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا والكلمة صار جسدا
وحل فينا ورايناه مجده مجد امثل الوحيد الممتلي نعمة وحقا يوحنا يشهد من اجله وصرخ
وقال هذا الذي قلت انه ياتي بعدي كان قبلي لانه اقدم مني ومن امتلايه نحن
باجمعنا اخذنا نعمة من اجل ان الناموس بموسي اعطي والنعمة والحق اوحيا بيسوع المسيح
الذي لم يره احد قط الابن الوحيد هذه شهادة يوحنا اذ ارسل اليه اليهود من اورشليم
كهنة ولاويين اي ناساهن اولا دلاوي ليسئلوه من انت فاعترف واقراني لست
المسيح فسالوه فمن اليا فقال لست انا لشي قال كلا فقالوا له فمن انت لنرد الجواب
الي الذين ارسلونا ماذا تقول عن نفسك قال انا الصوت الصارخ في البرية سهلوا
طريق الرب كما قال شعيا النبي فاما اوليك الذين ارسلوا فكانوا من الفريسيين
فقالوا اما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا اليا ولا النبي اجابهم يوحنا انا اعمدكم بالما
وفي وسطكم قايم ذاك الذي لستم تعرفونه الذي ياتي بعدي هو اقوي مني وهو
قبلي كان ذاك الذي لست مستحقا ان احل سيور حذايه هذا كان في بيت عنيا
في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد قال لوقا فاما هيرودس ابن الربع فكان
يوحنا يبكته من اجل هيرودبا امراة اخيه فيلبس ولاجل الشر الذي كان هيرودس
يفعله وزاد علي ذلك انه طرح يوحنا في السجن وقال مرقس وقد ذكر ايات اظهرها
المسيح وسمع هيرودس الملك وقال ان يوحنا المعمداني قام من الاموات ومن اجل
تلك القوات يعمل وقال اخرون انه اليا واخرون انه نبي كواحد من الانبيا فلما
سمع هيرودس قال انا قطعت راس يوحنا وفي متي وفي تلك الزمان سمع هيرودس
رييس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمداني وهو قام من الاموات من

اجل هذه القوات التي تعمل وكان هيرودس قد امسك يوحنا وشده وجعله في السجن
وقال مرقش وحبسه من اجل هيروديا امراة فيلفس لانه كان قد تزوجها وقال له
يوحنا ما يحل لك ان تاخذ امراة اخيك وكانت هيروديا حنقة عليه تريد قتله ولم
تقتله لان هيرودس كان يخاف من يوحنا لانه يعلم انه رجل صديق قديس ويحفظه
ويسمع منه كثيرا ويهواه وكان في يوم من الزمان واتى هيرودس مولود فصنع وليمة
لعظمايه ورسايه ومعدمي الجليل ودخلت ابنة هيروديا فرقصت فوافق ذلك هيرودس
وجلساه فقال الملك للصبية سلي ما اردت فاعطيك وحلف لها اني اعطيك ما سالت
ولو كان نصف ملكي فخرجت فقالت لامها اي شي اسله فقالت راس يوحنا المعمداني فرجعت
للوقت بسرعة وقالت لامها الى الملك وقالت راس يوحنا على طبق فحزن الملك ومن اجل
اليمين والمتكيين لم يرد منعها فان نعدسا فامر ساعته وامر ان يوتي براسه في طبق
فمضى وقطع راسه في الحبس وجا به في طبق واعطاه للصبية فاخذته الصبية ودفعته لامها
وسمع تلاميذه فجاوا ورفعوا جثته وجعلوها في قبر قال متى وجا تلاميذه فاخذوا جسده
ودفنوه واتوا فاخبروا ايسوع فلما سمع ايسوع مضى من هناك في سفينة الى البرية منفردا
فسمع الجمع فتبعوه ماشين من المدن فلما خرج ابصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم وابرا اعلاهم
ومرضاهم انتهى ولما اتى نبينا صلى الله عليه وسلم بهذه الاخبار الغريبة المحررة العجيبة التي
لا يعرفها على وجهها الا الحذاق من علما بني اسرايل كان من حق سامعها ان ينتبه من غفلته
ويستيقظ من رقدته لانها منبهة بنفسها للمنصف الفطن على ان الاتي بها والسامع خبير
بانه لم يخالط عالما قط صادق لا مرية في صدقه في كل ما يدعيه عن الله وكان من حق من تنبه
ان يبادر الى الاذعان فيصرح بالايمان فلما لم يفعلوا التفت الى تنبيه الغبي وتبكيت
العيي فقال تعالى **ذلك** اي الخطاب العلي المقام الصادق المرام البديع النظام **من انبا**
الغيب نوحيها اي نجددا يحاه في امثاله **اليك** في كل حين على هذا التحرير مع الاعجاز في
البلاغة **و**الحال انك **ما كنت لديهم** قال الحرالي لدي هي عند حاضر لرفعه تس الشي الذي
يتبانوا عنه انتهى **اذ يلقون اقلامهم** قال الحرالي جمع قلم وهو مظهر الاثار المنبية عما وراها
من الاعتبار انتهى **ايهم** اي يستهمون ايهم **يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون** اي في
شي يتصل بمثل هذه الاخبار على هذا الوجه الشديد يعني انه لا وجه لك الى علم ذلك الا
بالكون معهم اذ ذاك او اخذ نس عن اهل الكتاب او يوحي منا ومن الواضح الجلي ان
بعد نسبتك الى التعلم من البشر كبعد نسبتك الى الحضور بينهم في ذلك الوقت لشهرتك بالنشاة
امما بين اعدا العلم والعلما حتى ما يبقي حرية فيمكن السجع ومعاناة الصوغ لفنون الكلام
على الوجوه الفايقة فانحصر اخبارك بذلك في الوحي منا وجعل هذا التنبيه في نحو وسط هذه
القصص ليكون السامع على ذكر مما مضى ويلقي السمع لما هو شهيد لما بقي وجعله بعد الافتتاح بقصه
مريم عليها السلام تنبيها على عظم شانها وانها المقصودة بالذات للرد على وفد نصارى نجران

وكانه

وكانه ابنع التنبيه ما كان في اول القصة من اقتراعهم بالاقلام واختصامهم في كفالتها
لشابها الاعلى خواص اهل الكتاب هذا مع ما في مناسبة الاقلام للبشارة عن تعلم الكتاب
واستمر في اكمال المقال على نسق الاسلوب الحكيم حتى تمت الحجة واستقامت المحجة فقال
تعالى مبدلا من اذ الاولى ايذانا بان ما بينهما اعتراض لما نبه عليه من تشريف الاعراض
اذ قالت الملايكة يا مريم ولما كانت هذه السورة سورة التوحيد المقتضي للتفرد بالعظمة عبر
بما صدرت به من اسم الذات الجامع لجميع الصفات فقال **ان الله يبشرك** والتعبير
بها اوفق لمقصود السورة وانفى لما يدعيه المجادلون في امره وكرر هذا الاسم الشريف
في هذا المقام زيادة في ايضاح هذا المراد بخلاف ما ياتي في سورة مريم وقوله **بكلمة منه**
من تسمية المسبب باسم السبب ثم بين انه ليس المراد بالكلمة حقيقتها بل ما يكون عنها ويكون
فقالا بها فقال **اسمه المسيح** اصل هذا الوصف انه كان في شريعتهم من مسحه الامام بدهن
القدس كان ظاهرا متاهلا للملك والعلم والولايات الفاضلة مباركا فدل سبحانه على
ان عيسى عليه السلام ملازم البركة الناشية عن المسيح وان لم يمسح واما وصف الدجال
بذلك فاما ان يكون لما كان هلاكه على يد عيسى عليه السلام وصف بوصفه من باب التسمية
بالضد واما ان يكون اشارة الى انه ملازم للنجاسة فهو بحيث لا ينفك ولو مسح عن الاحتياج
الى التطهير بالمسح من الدهن الذي يمسح به المدسون ومن كان به برص ونحوه فبرا والله اعلم
ولما وصفه بهذا الوصف الشريف ذكر اسمه تعالى فقال **عيسى** وبين انه يكون منها وحدها
بغير ذكر بقوله **ابن مريم** وذلك نفي لما مثل به من مثل في امره واوضح في تقرير مقصود السورة
وفي تفخيم هذا الذكر بجعله نفس الكلمة وبابهامه اولا ثم تفسيره وقوله اسمه تعظيم لقدره
وبيان لفضله على يحيى عليهما حيث لم يجعل له في البشارة بمثل هذا الذكر ثم اتم لها البشارة
باوصاف جليلة احوالا دالة على انه يظهر انضا فه بها حال الولادة تحقيقا لظهورا ثر الكلمة
عليه فقال **وجيها** قال الحرالي صيغة مبالغة مما منه الوجاهة واصل معناه الوجه وهو
الملاحظ المحترم بعلو طاهر فيه انتهى **في الدنيا** ولما كان ذلك قد لا يلازم الوجاهة بعد
الموت قال **والاخرة** ولما كانت الوجاهة ثم مختلفة ذكر اعلاها عاطفا بالواو اشارة الى
تمكنه في الصفات **ومن المقربين** ولما كان ذلك قد لا يقتضي خرق العادات قال **ويكلم**
الناس في المهد قال الحرالي هو موطن الهدو والسكون المتحسس اللطيف الذي يكون بذلك الهدو
والسكون قوامه انتهى وبشرها بطول حياته بقوله **وكهلا** اي بعد نزوله من السما في خاتمة
اليوم المحمدي قال الحرالي والكهولة سن من اسنان ارابيع الانسان وتحقيق حده انه الربع
الثالث الموتر لشفع متقدم سنه من الصبي والشباب فهو خير عمر يكون فيمن عمره الف شهر
بضع وثمانون سنة من حد نيف واربعين الى بضع وستين اذا قسم الارباع لكل ربع احدى
وعشرون سنة صبي واحدى وعشرون شبابا واحدى وعشرين كهولة واحدى وعشرون شيخوخة
ذلك بضع وثمانون سنة انتهى فالنص على كهولته اشارة لا مة بانه ممنوع من اعدايه اذا

تصدوه وتنبيه على ان دعواهم لصلبه كاذبة ولما كانت رتبة الصلاح في غاية العظم قال
مشيرا الى علو مقدارها ﴿ومن الصالحين﴾ معلما بانها محيطة بامراة شاملة لاحو عموم كما كانت متقارنة
لا ولد له وكانها لما سمعت ذلك امتلات تعجبا فاستحيها ذلك الى الاستعجال بالسوال قبل
اكمال المقال بان ﴿قالت رب﴾ ايها المحسن الي ﴿انى﴾ اي من اين وكيف ولما كان استبعادها
بالمطلق الحبل لا بتقييد كونه ذكرا كما في قصة زكريا عليه السلام وهو اوفق لما فيه من مطلق الوحدة
لقصد السورة قالت ﴿يكون لي ولد﴾ وقالت ﴿ولم يمسسني بشر﴾ لتنهي ذلك من نسبته اليها فقط قال
الحرالي والبشر هو اسم المشهود من الادمي في جملته بمنزلة الوجه في اعلى قامته من معنى البشرة
وهو ظاهر الجلد انتهى ولعل هذا الكلام خطر لها ولم تلفظ به فعلم الملك عليه السلام انه
شغل ذكرها فاجابها عنه لتفريع الفهم بان ﴿قال كذلك﴾ اي مثل هذا الفعل العظيم الشأن
العالي الرتبة يكون ما بشرتك به ولما كان استبعادها المطلق التكوين من غير سبب اصلا عبر
في تعليل ذلك بالخلق فقال ﴿الله يخلق﴾ بقدرته ويصنع ويخترع ﴿ما يشاء﴾ فعبر بالخلق اشارة الى ان
العجب فيه لا في مطلق الفعل كما في يحيى عليه السلام من جعل الشيخ كالشاب ثم علل ذلك
بما بين سهولته فقال ﴿اذا قضى امرا﴾ اي جل او قل ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ بيانا للكلمة فلما
اجابها عما شغل قلبها من التعجب فتفرغ للفهم اخذ في اكمال المقال بقوله عطفا على ويكلم الناس
﴿ونعلمه﴾ او يكون مستانفا فيعطف على ما تقديره فنخلقه كذلك ﴿الكتاب﴾ اي الكتابة او جنس الكتاب
فيشمل ذلك معرفة الكتابة وحفظه وفهمه وغير ذلك من امره ﴿والحكمة﴾ اي قول الحق وفعله
على احكم الوجوه بحيث لا يقدر احد على نقض شي مما يبرمه ﴿والتورية﴾ اي التي تعرفونها ﴿والانجيل﴾
ما نزله عليه بالياء والنون ولا يصح عطفه على فيكون لانه في حيز الشرط فيقتضي اتصاف كل مقضي
بهذه الاوصاف كلها ولما ذكر الكتاب المنزل عليه حسن ذكر الرسالة فقال ﴿ورسولا﴾
عطفا على بالياء المقدر او بنصب بتقدير نجعله ﴿الى بني اسرائيل﴾ اي بالانجيل ولما كان ذكر الرسالة
موجبا لتوقع الاية دلالة على صحتها وكان من شان الرسول مخاطبة المرسل اليهم وابلاغه بجميع
رسالته عليهم اتبعه ببيان الرسالة معبرا بحرف التوقع فقال ﴿انى﴾ اي ذاكرا اني ﴿قد
جئتكم باية من ربكم﴾ اي الذي طال احسانه اليكم ثم ابدل من اية ﴿اني اخلق لكم﴾ اي لاجل تربيتكم
بصنايع لله ﴿من الطين﴾ قال الحرالي هو متخمر الماء والتراب حيث يصير متهيا لقبول وقوع الصورة
فيه ثم ذكر احتياجه في اجابته الى معالجة بقوله معبرا بالتصوير ﴿كهية﴾ قال الحرالي من النفخ وهو
ارسال الهوى من مبتعثه بقوة انتهى ﴿فانفخ فيه فيكون طيرا﴾ وذكر المعالجة ليلا يتوهم انه خالق
حقيقة ثم اكد ذلك بقوله ﴿باذن الله﴾ له روح كامل يحلق في الهوا تذكيرا لخلق ادم عليه
السلام من تراب واشارة الى ان هذا اعجب من خلق ادم من انثى فقط فلا تهلكوا في
ذلك ولما ذكر ما يشبه امر ادم عليه السلام اتبعه علاج اجساد اولاده بما يردها الى معتادها
وبدا باجزايها فقال ﴿وابرى﴾ قال الحرالي من الابرا وهو تمام التخلص من الدا والدا ما يوهن القوى
ويغير الافعال العامة للطبع والاختيار انتهى ﴿الاكمه والابرص﴾ بايجاد ما فقدا منها من الروح

المعنوي

المعنوي والكمه قال الحرالي ذهاب البصر في اصل الخلقة كالذي يولد اعمى او يعمى قبل ان يميز
الاشيا ويدركها والبرص اصل معناه تلمع الشي بلمع خلاف ما هو عليه ومنه براص الارض بقع لا
نبت فيها ومنه البريص في معنى البصيص فما تلمع من الجلد على غير حالة فهو لذلك برص وقال
العز اي البرص عبارة عن سو مزاج يحصل بسببه تكرج اي فساد بلغم بضعف القوة
المغيرة عن احالته الى لون الجسد انتهى ولما فرغ من رد الارواح الى اجزا الجسم اتبعه رد
الروح الكامل في جميعه المحقق لامر البعث المصور له باخراجه من عالم الغيب الى عالم الشهادة
في بعض الادميين فقال ﴿واحيي الموتى﴾ اي برد ارواحهم الى اشباحهم بعضهم بالفعل
وبعضهم بالقوة لان الذي اقدرني على البعض قادر على ذلك في الكل وقد اعطاني قوة ذلك وهذا
كما نقله البيضاوي ان الحسن قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له
في وادي كذا فمضى معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول
لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك اليهما فقالت لا حاجة لي
بهما وجدت الله خيرا لي منهما وقد تقدم في البقرة عند ارني كيف يحيي الموتى ما ينفع هنا
ولما كان ذلك ربما اورث لبسا في امره لا له تبرا منه ورده الى من هوله مزيلا للبس وموضحا
للامر فقال ﴿باذن الله﴾ اي بعلمه وتمكينه ثم اتبعه بما هو من جنسه في الاخراج من عالم الغيب
الى عالم الشهادة فقال ﴿وانبئكم﴾ من الاخبار الجليلة من علم الغيب ﴿بما تاكلون﴾ اي مما
لم اشاهده بل تقطعون باني كنت غايبا عنه ﴿وما تدخرون في بيوتكم﴾ قال الحرالي من الادخار
افتعال من الذخر قلب حرفاه للدال لتوسط الدال بين طرفيها في متقابل حاليهما والذخر
ما اعتني بالتمسك عدة لما شانه ان يحتاج اليه منه فما كان لصلاح خاصة الماسك فهو ادخار
وما كان لتكسب فيما يكون من القوام فهو احتكار انتهى ولما ذكر هذه الخوارق نبه على امرها
بقوله ﴿ان في ذلك﴾ اي الامر العظيم ﴿لاية لكم﴾ اي ايها المشاهدون على انه عبد لله مصطفاه
فلا تهلكوا في تكويني من انثى فقط فنظروني فاني لم اعمل شيا منها الا ناسبا له الى الله وصانعا
به ما يودن بالحاجة النافية للالهية ولو بالدعا ولو كانت الايات لا تنفع مع المعاندات
قال ﴿ان كنتم مومنين﴾ اي مذعنين بان الله قادر على ما يريد واهلا للتصديق بما ينبغي التصديق
به ولما كانت ترجمة اني قد جيتكم ابنا اليكم باية كذا مصدقا لما ايتيت به عطف على الحال
المقدرة منه تاكيدا لانه عبد لله قوله ﴿ومصدقا لما بين يدي﴾ اي كان قبلي اتيا اليكم
﴿من التورية﴾ اي المنزلة على اخي موسى عليه السلام لان القبلية تقتضي القدم الذي هو صفة
الحلوق او يعطف على ما اذا جعلت البا للحال لا للتعدية اي وجيتكم مصحوبا باية ومصدقا
ولما ذكر التوريه اتبعها ما يدل على انه ليس كمن سبق بين موسى من الانبيا عليهم السلام في
اقرارها كلها على ما هي عليه وتجديد امرها على ما كان زمن موسى عليه السلام بل هو كمع
تصديقها بنسخ بعضها فقال ﴿ولاحل﴾ اي صدقتها لاحثكم على العمل بها ولا حل ﴿لكم بعض الذي
حرم عليكم﴾ اي فيها تحقيقا عليكم ﴿وجيتكم﴾ الاية ليس مكررا للتاكيد اي قد جيتكم باية من

ربكم اني اخلق من الطين على ما توهم بل الحيني والله اعلم ان عيسى عليه السلام لما اتاهم بهذه
الخوارق التي من جملتها احيا الموتى وكان من المقدر عندهم كما ورد في الاحاديث الصحيحة
التحذير من الدجال وكان من المعلوم من حاله انه ياتي بخوارق منها احيا ميت ويدعي الالهية
كان من الجايز ان يكون ذلك سببا لشبهة تعرض لبعض الناس فختم هذا الدليل على رسالته
بما هو البرهان الاعظم على عبوديته وذلك سلامته لما ادعى اليه الانبيا والمرسلون كلهم من اخلاص
العبادة فقال وجيتكم باية اي عظيمة محارقة للعادة من عند ربكم المحسن اليكم بعد التفرد
بخلقكم وبما جل الامارات وادلها على صدقي في رسالتي وعدم تهمتي بوقوع شبهة في عبوديتي
ثم سبب عن مجيه ما يصرح بعبوديته ايضا فقال فاتقوا الله واطيعون اي في قبولها ولما
كان كانه قيل ما تلك الاية سميتها بعد ما جيت به من الايات الباهرة فقال ان الله ربي
وربكم اي خالقنا ومربينا انا وانتم في ذلك شرع واحد فاعبدوه هذا اي الذي دعوتكم
اليه صراط مستقيم انا وانتم فيه سوا لا ادعوكم الى شي الا كنت اول فاعل له ولا ادعي اني اله
ولا ادعوا الى عبادة غير الله كما يدعي الدجال وغيره من الكذبة الذين تظهر الخوارق على ايديهم
امتحانا من الله لعباده فيجعلونها سببا للعلو في الارض والترفع على الناس وجا بالتحذير منهم
ومن سب احوالهم الانبيا والى هذا يرشد قول عيسى عليه السلام فيما سياتي عن انجيل يوحنا
ان من يتكلم من عنده انما يطلب المجد لنفسه فاما الذي يطلب مجد الذي ارسله فهو صادق
وليس فيه ظلم والى مثل ذلك ارشدت التوراة فانه جعل العلامة على صدق الصادق وكذب الكاذب
الدعوة ممن كانت الى الله وجب تصديقه ومن كذب به هلك ومن دعا الى غيره وجب تكذيبه دعوته
ومن صدقه هلك قال في السفر الخامس منها واذا دخلتم الارض التي يعطيكم الله ربكم
فلا تعملوا مثل اعمال تلك الشعوب ولا يوجد فيكم من يجيز ابنه او ابنته في النار ندرا للاصنام
ولا من يطلب تعليم العرافين ولا من ياخذ بالعين ولا يوجد فيكم من يتطير طيرا ولا يتاخر ولا
من يرقي رقيه ولا من ينطلق الى العرافين والعابد يطلب اليهم ويسلهم عن الموتى لان كل من
يعمل هذه الاعمال فهو نجس بين يدي الله ربكم ومن اجل هذه النجاسة يهلك الله هذه
الشعوب من بين ايديكم ولكن كونوا متواضعين مخبتين من امام الله ربكم لان هذه الشعوب
التي ترثونها كانت تطيع العرافين المنجمين فاما انتم هكذا يعطيكم الله ربكم بل يقيم لكم نبيا
من اخوتكم مثلي فاطيعوا ذلك النبي كما اطعتم الله ربكم في حوريب يوم الجماعة وقلتم لا نسمع صوت
الله ربكم ربنا ولا نعاين هذه النار العظيمة كيلا نموت فقال الرب ما احسن ما تكلموا ساقيم
لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجري قولي فيه ويقول لهم ما امره الله به والرجل الذي لا يقبل
قول النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه فاما النبي الذي يتكلم ويتجرا باسمي ويقول ما لم امره
ان يقوله ويتكلم باسما الالهة الاخرى فليقتل ذلك النبي وان قلتم في قلوبكم كيف لنا ان نعرف
القول الذي لم يقله الرب اذا تكلم ذلك النبي باسم الرب فلم يكمل قوله ولم يتم فذلك هو
القول الذي لم يقله الرب ولكن تكلم ذلك النبي جراة وصفاقة وجه فلا تخافوه ولا تفزعوا منه

وقال

وقال قبل ذلك بقليل واذا اهلك الله الشعوب التي ينطلقون اليها امامكم من بين ايديكم
وورثتموهم وسكنتم ارضهم احفظوا لا تتبعوا الهتهم من بعد ما يهلكهم الله من بين ايديكم
ولا تسلوا عن الهتهم ولا تقولوا كيف كانت هذه الشعوب تعبد الهتها حتى نفعل نحن
مثل فعلها ولا تفعلوا مثل فعلها امام الله ربكم لانهم عملوا بكل ما ابغض الله واحرقوا بنيهم
وبناتهم لالهتهم ولكن القول الذي امركم به اياه احفظوا وبه اعملوا لا تزيدوا ولا تنقصوا
منه شيا فان قام بينكم نبي او من يعبر احلاما وعمل اية او عجيبة ويقول اقبلوا بنا نعبد
الالهة الاخرى التي لا تعرفونها وتتبعها لا يقبل قول ذلك النبي وصاحب الاحلام لانه
انما يريد ربكم ان يجربكم ليعلم هل تحبون الله ربكم احفظوا وصاياه واتقوا واسمعوا
قوله واعبدوه والحقوا به فاما ذلك النبي وذلك الذي يحلم الاحلام فليقتل لانه نطق
بالاثم اما الله ربكم الذي اخرجكم من ارض مصر وخلصكم من العبودية فاراد ان يضلكم
عن الطريق الذي امركم الله ربكم ان تسيروا فيه واستاصلوا الشر من بينكم وان
سعى بك اخوك ابن امك وابيك او ابنتك حليلتك او صديقك ويقول لك هلم بنا
نتبع الالهة الاخرى التي لم تعرفها انت ولا اباوك من الهة الشعوب التي حولكم القريبة
منكم والبعيدة ومن اقطار الارض الى اقصاها لا يقبل قوله ولا تطعه ولا تشفق عليه
ولا ترحم ولا تكتم عليه ولا تعطف عليه ولكن اقتله قتلا وابدا انت قتله ثم يبدا به جميع
الشعوب وارجموه بالحجارة وليمت لانه اراد ان يضلك عن عبادة الله ربك الذي اخرجك
من ارض مصر وخلصك من العبودية ويسمع بذلك جميع بني اسرايل ويفزعون فلا يعودوا
ان يعملوا مثل هذا العمل السوء بينكم واذا سمعتم ان في قرية من القرى التي اعطاكم
الله قوما قد ارتكبوا خطيه واضلوا اهل قريتهم وقالوا لهم ننطلق فنعبد الهة اخرى
لم تعرفوها افحصوا نعما واسالوا حسنا ان كان القول الذي بلغكم نعما وفعلت
هذه النجاسة في تلك القرية اقتلوا اهل تلك القرية بالسيف واقتلوا كل من فيها من الناس
والقينان والبهايم بالسيف واجمعوا جميع نهبها خارج القرية واحرقوا القرية بالنار
واحرقوا كل نهبها امام الله ربكم وتصير القرية تلا خرابا الى الابد ولا تبنى ايضا ولا
يلصق بايديكم من خرابها شي ليصرف الرب غضبه عنكم ويعطف عليكم ويفيض رحمته
عليكم ويحييكم ويرحمكم ويكثركم كما قال لابايكم هذا ان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم
وصاياه التي امرتكم بها اليوم وعملتم الحسنات امام الله ربكم كذا فعلتم هذا
صرتم لله ربكم لا تاثموا ولا تعتبروا واشبه الوحش ولا تتخذ سوا وجوهكم وبين اعينكم على
الميت لانكم شعب طاهر لله ربكم واياكم اختار الله ربكم ان تكونوا له شعبا حبيبا افضل
من جميع شعوب الامم التي فقد تبين من هذه الكلمة ان عيسى عليه السلام مصدقا للتوراة
في الدعا الى توحيد الله وان الاية الكبرى على صدق النبي الحق اختصاصه لله تعالى بالدعوة
وتسويته بين نفسه وجميع من يدعوه في الاقبال عليه والتعبد له والتخشع لديه وان الاية

على كذب الكاذب دعاوه الى غير الله وفي ذلك امثاله مما سياتي عن الانجيل في سورة النسا
تحذير من الدجال وامثاله فثبت ان المراد بالاية في هذه الاية ما قدمته من الاخبار بان
الله رب الكل والامر بعبادته وهذا كما ياتي من امر الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الى ان قال ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله ولما اتم عليه السلام الدلايل ونفي الشبه على ما امره به الذي
ارسله سبحانه علم اليهود انه ناسخ لا مفرد فغطوا جميع الايات واعرضوا عن الهدى
والبينات فضلوا على علم وذلك هو الكفر البين فلذلك اتبع ختمه بالاية القاطعة قوله
فلما احس قال الحرالي من الاحساس وهو منال الامر بادراك العلم والشعور الوجداني
انتهى عيسى منهم الكفر اي علم من شاهد النبي بالحس وراي مكرهم على ذلك بتزايد عنادهم
بتكاثر تعزم على الحاقهم دار البوار قال من انصاري سايرين او واصلين معي بنصرهم
الى الله قال الحواريون قال الحرالي جمع حواري وهو المستخلص نفسه في اخلاصه تحقق نصرته
مما كان من ايثار على نفسه بصفا واخلاص لا كدر فيه ولا شوب انتهى نحن انصار الله ثم صححوا
النصر وحققوا بان عللوا بقولهم امنا بالله اي على ماله من صفات الكمال ثم اكدوا ذلك بقولهم
مخاطبين لعيسى عليه السلام رسولهم اكمل الخلق اذ ذاك واشهد بانا مسلمون لما خاطبوا الرسل
ادبا ترقبوا الى المرسل في خطابهم اعظاما للامر وزيادة في التاكيد فقالوا ربنا امنا بما انزلت اي
على السنة رسلك كلهم واتبعنا الرسول الاتي الينا بذلك معتقدين رسالته منك وعبوديته لك فاكتبنا
لتقبلنا شهادتنا واعتدادك بها مع الشاهدين ولعله عقب ذلك بقوله ومكروا المعطوف على قوله
قال من انصاري الى الله بالاضمار الصالح لشمول كل من تقدم له ذكر اشارة الى ان الماولعليه يصح
ان ينسب الى المجموع من حيث هو مجموع على اما مكر اليهود فمشهور واما الحواريون الاثنى عشر
فنقص احدهم وهو الذي تولى كبر الامر وجر اليهود اليه ودلهم عليه كما ياتي بيانه ان شا الله
تعالى في سورة النسا وترتيب المكر على الشرط يفهم انهم لما علموا احساسه بكفرهم خافوا عايلته
فاعملوا الحيلة في قتله والمكر قال الحرالي اعمال الخديعة والاحتيال في هدم بنا ظاهر كالدين والكيد
اعمال الخدعة والاحتيال في هدم بنا باطن كالتدين والتخلق وغيرهما فكان المكر خديعة
حسن والكيد خديعة معنى انتهى ثم بين ان مكرهم تلاشي واضمحل بقوله ومكر الله والله خير
الماكرين بارادته تاخير حربه لهم الى وقت قضاه في الازل فامضاه وذلك عند مجي الدجال
بجيش اليهود ثم بين ما فعله بهم من المقضا الذي هو على صورة المكر في كونه اذى يخفى على
المقصود به بانه رفعه اليه وشبه ذلك عليهم حتى ظنوا انهم صلبوه وانما صلبوا احدهم وهو
انه الذي دلهم واما هو عليه السلام فصانه عنده بعد رفعه الى محل اوليايه وموطن قدسه
لينزله في اخر الزمان واستبقاه لهم بعد ان اضرب عليهم الذلة بعد قصدهم له بالاذى
الذي طلبوا به العز الى اخر الدهر فكان تدميرهم في تدبيرهم وذلك اخفى الكيد فقال تعالى مخبرا عن
ذلك على وجه مبشر له بانه عاصمه من ان يقتلوه ومميته حتف انفه اذ قال الله اي بما له من التفرد

اي وابطال النوم

بصفات الكمال يا عيسى اني متوفيك وعبر عن ذلك بطريق الكناية الا بما لله فان عصمته
من قتل الكفار ملزومة للموت حتف الانف واما قول الزمخشري معناه اني عاصمك
من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك مميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ولعله ملزومة لتاخيرك الى الاجل المكتوب والتا
ملزوم للموت حتف الانف فلا ينبغي الاعتراض به لانه مبني على مذهب الاعتزال من ان
القاتل قطع اجل المقتول المكتوب وكان القاضي البيضاوي لم يتفطن له فترجم هذه
العبارة بما يوديها ويجوز ان يكون معنى متوفيك اخذك الي من غير ان يصلوا منك الى لحم ودم
ولا ما فوقه من عضو ولا نفس فلا تخش مكرهم قال في القاموس وفي فلانا حقه اعطاه وافيا
كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه ثم زاد سبحانه في بشارته بالرفعة الى محل كرامته وموطن
ملايكته ومعدن النزاهة عن الادناس فقال ورافعك وزاد اعظام ذلك بقوله الي ومطهرك
من الذين كفروا ولما كان لذوي الهمم العوال اشد التفات الى ما يكون عليه خلايفهم بعدهم
من الاحوال بشر تعالى في ذلك بما بشره فقال وجاعل الذين اتبعوك اي ولو بالاسم فوق الذين
كفروا وكما كان اي ستر واما يعرفون من نبوتك بما راوا من الايات التي اتيت بها مطابعة
لما عندهم من الساوي رسلك الى يوم القيمة وكذا كان لم يزل من اسم بالنصرانية حقا او باطلا
فوق اليهود ثم الي مرجعكم اي في الاخرة فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ثم فصل له الحكم فقال
مرهبا المخالفيه مرغبا للموالفيه فاما الذين كفروا اي من الطايفتين فاعذبهم عذابا اليما في
الدنيا بالذل والهوان والقتل والاسر والاخرة بالخزي الدايم وما لهم من ناصرين وان كثر عددهم
ولم يقل واما الذين اتبعوك ليلا يلبس الحال وان كان من اتبع النبي الامي فقد اتبعه في بشارته
والامر باتباعه بل قال واما الذين امنوا وعملوا الصالحات لان هذه ترجمة الذين اتبعوه حق
الاتباع فنوفيهم اجورهم اي نعطيهم من غير ان يبخسهم منها شيا او نظلم احدا من الفريقين في
شي فان الله متعال عن ذلك والله لا يحب الظالمين من كانوا اي لا يفعل معهم فعل المحب فهو
يحبط اعمالهم لبنايها على غير اساس الايمان فالاية من الاحتباك ونظمها على الاصل فنوفيهم
لانا نحبهم والله يحب المومنين والذين ظلموا نحبط اعمالهم لانا لا نحبهم والله لا يحب الظالمين توفية
الاجر اولا تنفيها ثانيا واثبات الكراهة ثانيا تثبت ضدها اولا وحقيقة الحال انه اثبت لمو
لازم المحبة المراد منها في حق الله تعالى لانه اسير وملزوم المراد منها في الظالمين لانه انكا ولما
كان الظلم وضع الشي في غير موضعه وكان هذا القران العظيم قد حاز من حسن الترتيب ورصانة
النظم بوضع كل شي منه لفظا ومعنى في محله الاليق به المحل الاعلى ولا سيما هذه الايات التي اتت
بالفيصل من امر عيسى عليه السلام فلم يدع فيه شكا ولا ابقت شبهة ولا لبسا اتبع ما تقدم من
تفصيل الايات البينات قوله ذلك اي النبا العظيم والامر الجسيم نتلوه عليك اي نتابع قصه
حال كونه من الايات التي لا اشكال فيها ويجوز ان يكون خبر اسم الاشارة والذكر الحكيم اشارة
الى ذلك لان الحكمة وضع الشي في اعدل مواضعه واتقنها واشار باداة البعد تنبيها على علو منزلته
ورفيع قدره ثم اكد ظلمهم وصور حكمته بمثل هو الفرقان في امر عيسى عليه السلام الكاشف لما في

خير

مميز

ذلك مما البس عليهم فقال ان مثل عيسى اي في كونه انثى فقط عند الله اي في اخراجه من غير
سبب حكمي عادي كمثل ادم في ان كلا منهما ابدع من غير اب بل امر ادم اعجب فانه اوجد من غير
اب ولا ام ولذلك فسر مثله بانه خلقه من غير جنس البشر بل من تراب فعلمنا ان تفسير مثل
عيسى كونه خلقه من جنس البشر من ام فقط بغير اب فمثل عيسى اقل عبرانه من هذه الجهة
وان كان اغرب من حيث انهم لم يعهد وا مثله فلذلك كان مثل ادم مثلا له موضحا لانه مع
كونه اغرب اشهر ولما شبه المثل بالمثل علمنا ان مثل عيسى كل ولد نشاهده تولد من انثى
ومثل ادم كل حيوان نشاهده تولد من تراب وكما شاهده بنو اسرايل من خلق عيسى عليه
السلام الطير من الطين فهذا المثل الذي هو كل ما تولد من انثى مثل ذلك المثل الذي
هو كل ما تولد من تراب فان كلا منهما لم يكن الا بتكوين الله تعالى والا لكان كل جماع موجبا
للولد وكل تراب موجبا لتولد الحيوان منه فلما كان اكثر الجماع لا يكون منه ولد علمنا ان الايجاد
بين الذكر والانثى انما هو بارادة الله تعالى وقدرته ومن ارادته وقدرته كونه من ذكر وانثى
فلا فرق في ذلك بين ان يريد كونه من انثى بتسبيب جماع من ذكر يخرق به عادة الجماع
فيجعله موجبا للحبل وبين ان يريد كونه من انثى فقط فيخرق به عادة ما نشاهده الان من التوليد
بين الذكر والانثى كما انا لما علمنا انه ليس كل تراب يكون منه حيوان علمنا قطعا ان هذا المتولد
من تراب انما هو بارادة القادر واختياره لا بشي اخر والى ذلك اشار يحيى عليه السلام بقوله
فيما سلف قريبا ان الله قادر على ان يقيم من الحجارة اولادا لابرهيم اي لانه سبحانه هو الذي يخلق
المسببات فلا فرق حينئذ بين سبب وسبب بل كلها في قدرته سوا والى ذلك اشار بقوله ثم قال
له كن وعبر بصيغه المضارع المقترن بالفا في فيكون دون الماضي وان كان المتبادر الى الذهن
ان المعنى عليه حكاية للحال وتصويرا لها اشارة الى انه كان مع الامر من غير تخلف وتنبيها على ان
هذا هو الشان دايما يجدد مع كل مراد لا يتخلف عن حال الامر اصلا كما تقدم التصريح في اية
اذا قضى امرا وذلك اغرب مما كان سبب ضلال النصارى الذين يجادلون عن معتقدهم وفد
نجران قال سبحانه ذلك اشارة الى انهم ظلوا في القياس وكان العدل ان يقاس في خرقه
للعادة ما لي امر الذي يعلم الاسما كلها وسجد له الملايكة لا بخالقه وبكونه تعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا قال الحرالي جعل ادم عليه السلام مثلا مبداه السلالة الطينيه وغايته النفخة الامرية
وكان عيسى عليه السلام مثلا مبداه الروحية والكلمة وغايته التكمل بملابسة السلالة الطينيه
حتى قال صلى الله عليه وسلم انه عند نزوله في خاتمه اليوم المحمدي يتزوج امراة من بني اسد
ويولد له غلام ليتكمل له الادمية في العيسوية كما كملت العيسوية في الادمية وليكونا مثلا واحدا
على جامعا وله المثل الاعلى في السموات والارض انتهى ولما ابتدا القصة بالحق في قوله نزل عليك الكتاب
بالحق ختمها بذلك تاكيدا وجه الكد واضخم فقال الحق من ربك اي المحسن اليك ولما تسبب عما مضى تعالى
وعلا الاعتقاد الحق في امر عيسى عليه السلام قال فلا تكن من الممترين مشيرا بصيغة الافتعال
الى انه لا يشك فيه بعد هذا الامر الا من امن الفكر في سببه بشبهها واوهام يزاولها ويسند يدها

وما

وما احسن ما في سفر الانبيا الاسرائيليين الذي هو بايدي الطايفتين اليهود
ثم النصارى مبينا قلوبه معتقدين ما فيه واوضحه في خلاف معتقدهم في عيسى
عليه السلام وموافقته معتقدنا فيه لكنهم لا يتدبرون وذلك انه قال في نبوة
اشعيا عليه السلام مبني يا يعقوب عبدي وانت يا اسرائيل الذين انتخبته انا
الذي خلقتك في الرحم واعنتك وانا الذي خلقت الكل وانا الذي مددت
السما وحدي وانا الذي ثبت الارض انا الذي ابطل ايات العراقيين واصير كل عرافيهم
جهلا واردا الحكما الى خلفهم واعرف اعمالهم للناس واثبت كلمة عبدي واتمم
قول رسلي ثم قال انا الرب الذي خلقت هذه الاشيا الويل للذي يخاصم خالقه
ولا يعلم انه من خزف الطين لعل الطين يقول للفاخوري لماذا تصنعني او لعله
يقول له لست انا من صنعتك الويل للذي يقول لابيه لماذا ولدتني او لامه لما
ذا حبلت بي هكذا يقول الرب قدوس اسرايل ومخلص انا الذي خلقت السما ومددت
بيدي وجميع اجنادها وجعلت فيها الكواكب البهية ذكر ما يحتاج اليه المفسر ويتبين
ان شا الله زيادة الايصال لكل مسلم من قصة عيسى عليه السلام في ولادته وما يتعلق
بها من السورة من مبدا امره ومنتهاه وبعض ما ظهر على يديه من الايات ولسانه من
الحكم المبشرة الى انه عبد الله ورسوله وغير ذلك من الاناجيل الاربعة التي في ايدي
النصارى اليوم وقد ادخلت كلام بعضهم في بعض وجمعت ما تفرق من المعاني في
سياقاتهم بحيث صار الكل حديثا واحدا قال متى ومعظم السياق له كتاب ميلاد
يسوع المسيح من داود ابن ابرهيم عليهم السلام ثم قال فكل الاجيال من ابراهيم الى
داود اربعة عشر جيلا ومن داود الى سبي بابل اربعة عشر جيلا ومن سبي بابل الى المسيح
اربعة عشر جيلا لما خطبت مريم امه ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من روح القدس
وكان يوسف خطيبها صديقا ولم يرد ان يشهرها وهم بتخليتها سرا وفيما هو متفكر في
هذا اذ ظهر له ملاك الرب في الحلم قايلا يا يوسف بن داود لا تخف ان تاخذ مريم
خطيبتك ان الذي تلده هو من روح القدس وستلد ابنا ويدعى اسمه يسوع وهو يخلص
شعبه من خطاياهم هذا كله كان ليتم ما قيل من قبل الرب على لسان النبي القايل
ها هو ذا العذرا تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانويل الذي تفسيره الله معنا فقام يوسف
من النوم وصنع كما امره ملاك الرب واخذ مريم خطيبته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها
البكر ودعي اسمه يوسع وفي انجيل لوقا ولما كان في تلك الايام اي ايام ولادة يحيى بن
زكريا عليهما السلام خرج امر من اوغسطس قيصر بان يكتب جميع المسكونة
هذه الكتبة الاولى وكان قورينوس على الشام فمضى جميعهم ليكتب كل واحد منهم في
مدينته فصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينة الناصرة اي اليهودية الى مدينة
داود التي تدعى بيت لحم لانه كان من بيت داود وقبيلته ليكتتب مع مريم خطيبته

وهي حبلى فبينما هما هناك اذ تمت ايام ولادتها للتلد فولدت ابنها البكر ولفته
وتركته في مذود لانه لم تكن لهما موضع حيث نزلا وكان في تلك الكورة رعاة يسهرون
لحراسة الليل نوبا على مراعيهم واذا ملاك الرب قد وقف بهم ومجد الرب اشرف
عليهم فخافوا خوفا عظيما قال لهم الملاك لا تخافوا الان هوذا ابشركم بفرح عظيم يكون
لكم ولجميع الشعوب لانه ولد لكم اليوم مخلص الذي هو المسيح في مدينة داود وهذه علامة
لكم انكم تجدون طفلا ملفوفا موضوعا في مذود وللوقت بغتة تراءى مع الملاك
جنود كثيرة سماويون يسبحون لله ويقولون المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي
الناس المسرة فلما صعد الملايكة الى السما قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض امضوا
بنا الى بيت لحم لننظر الكلام الذي اعلمنا به الرب فجاوا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف
والطفل موضوعا في مذود فلما راوه علموا ان الكلام الذي قيل لهم عن الصبي حق
وكل من سمع تعجب مما تكلم به الرعاة وكانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتعبد ورجع
الرعاة يمجدون الله ويسبحون على كل ما سمعوا وعاينوا كما قيل لهم ولما تمت ثمانية ايام ليختتن
ودعوا اسمه يسوع كالذي دعاه الملاك قبل ان تحبل به في البطن فلما كملت ايام تطهيرها
على ما في ناموس موسى صعدوا به الى يروسليم ليقيموه للرب كما هو مكتوب في ناموس
الرب زوج يمام او فرخا حمام وكان انسان بايروسليم اسمه سمعون وكان رجلا بارا
تقيا يرجو عزا اسرايل وروح القدس كان عليه وكان يوحي اليه من روح القدس
انه لا يموت حتى يعاين المسيح الرب فاقبل بالروح الى الهيكل عند ما جاوا بالطفل
يسوع ليصنعا عنه كما يجب في الناموس حمله على ذراعه وبارك الرب قايلا الان
يا سيد اطلق عبدك بسلام ككلامك لان عيني ابصرتا خلاصك اعددت قدام جميع
الشعوب نورا استعلن للامم ومجد لشعبك اسرايل وكان يوسف وامه يتعجبان مما
يقال عنه وباركهما سمعان وقال لمريم امه هوذا هذا موضوع لسقوط كثيرين
اسرائيل وكانت حنه النبية ابنة فانويل من سبط اشير قد طعنت في ايامها واقامت
مع زوجها سبعة سنين بعد بكوريتها وترملت اربعة وثمانين عاما غير مفارقة
للهيكل عابدة بالصوم والطلبة ليلا ونهارا وفي تلك الساعة جاءت قدامه معترفة
لله وكانت تتكلم من اجله عند كل احد يرجي خلاص يروسليم فلما اكملوا كل شي على ما في
ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة فاما الصبي فكان ينشا ويتقوى
بالروح ويمتلي بالحكمة ونعمة الله كانت عليه وابواه يمضيان الى يروسليم كل سنة في عيد
الفصح وقال متى فلما ولد يسوع في بيت لحم يهودا في ايام هيرودس الملك اذا المجوس اقبلوا
من المشرق الى يروسليم قايلين اين هو المولود ملك اليهود لانا راينا نجمه في المشرق
واتينا لنسجد له فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع يروسليم وجمع كل روسا الكهنة
وكتبة الشعب واستخبرهم اين يولد المسيح فقالوا له في بيت لحم ارض يهودا كما هو مكتوب

في النبي وانت يا بيت لحم يهودا لست بصغيرة في ملوك يهودا يخرج منك مقدم الذي
يرعى شعبي اسرايل حينيذ دعا هيرودس الروم المجوس سرا وتحقق منهم الزمان
الذي ظهر لهم فيه النجم وارسلهم الى بيت لحم قايلا امضوا فابحثوا عن الصبي باجتهاد
فاذا وجدتموه فاخبروني لاتي انا واسجد له فلما سمعوا من الملك ذهبوا واذا النجم الذي
راوه في المشرق يتقدمهم حتى جا ووقف فوق كان الصبي فلما راوا النجم فرحوا فرحا
عظيما جدا واتوا الى البيت فراوا الصبي مع مريم امه فخروا له سجدا وفتحوا عيبهم
وقدموا له قرابين ذهبا ولبانا ومرا واوحي اليهم في الحلم ان لا يرجعوا الى هيرودس
بل يذهبون في طريق اخرى الى كورتهم فلما ذهبوا واذا ملاك الرب تراءى ليوسف
في الحلم قايلا قم خذ الصبي وامه واهرب الى ارض مصر وكن هناك حتى اقول لك فان
هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه فقام واخذ الصبي وامه ليلا ومضى الى مصر
وكان هناك الى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من قبل الرب بالنبي القايل من مصر دعوت
ابني حينيذ لما راي هيرودس بخديعة المجوس به غضب جدا وارسل فقتل كل صبيان بيت
لحم وكل تخومها من ابن سنتين فما دون كنحو الزمان الذي تحققه من المجوس حينيذ
تم ما قيل من ارميا النبي حيث يقول صوت سمع في الرامة بكا ونوح وعويل كثير راحيل
تبكي على بنيها ولا تريد ان تتعزي لفقدهم فلما مات هيرودس ظهر ملاك الرب ليوسف
في الحلم بمصر قايلا قم خذ الصبي وامه واذهب الى ارض اسرايل فلما سمع ان اوسلا ودس
تملك على اليهودية عوض هيرودس ابيه خاف ان يذهب الى هناك فاخبر في الحلم
وذهب الى جور ناحية الجليل فاتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة لكي يتم ما قيل
في الانبيا انه يدعى ناصريا وفي انجيل لوقا فلما تمت له اثنتي عشرة سنة مضوا الى يروسليم
الى العيد كالعادة فلما كملت الايام ليعودوا تخلف عنهما يسوع في يروسليم ولم تعلم
امه ويوسف لانهما كانا يظنان انه مع السايرين في الطريق فلما ساروا نحو يوم طلباه
عند اقربايهما ومعارفهما فلم يجداه فرجعا الى يروسليم يطلبانه وبعد ثلاثة
ايام وجداه في الهيكل جالسا بين العلما يسمع منهم ويسائلهم وكان كل من يسمعه مبهوتين
من علمه واجابته لهم فلما ابصراه تعجبا فقالت له امه يا بني لم ما هذا الذي صنعت
بنا ان اباك وانا كنا نطلبك باجتهاد ومعذبين فقال لهما لم تطلباني اما تعلمان
انه ينبغي ان اكون في الذي لابي فاما هما فلم يفهما الكلام ونزل معهما وجا الى الناصرة
وكان يطيعهما فاما يسوع فكان ينشا فينمي في الحكمة والنعمة عند الله والناس وقال
متى وفي تلك الايام جا يوحنا المعمد لئلا يكون في برية يهودا الى اخر ما تقدم انفا من
بشارة يحيى عليه السلام بره ثم قال حينيذ اتى يسوع من الجليل الى الاردن ليعتمد
من يوحنا فامتنع يوحنا منه وقال انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تاتي الي فاجاب
يسوع دع الان هكذا يجب لنا ان نكمل كل البر حينيذ تركه فاعتمد يسوع وللوقت صعد

من السما فانفتحت له السموات وراي روح الله نازله كمثل حمامة جابها اليه وقال مرقش
وكان تلك الايام جا يسوع من ناصرة الجليل واصطبغ في نهر الاردن من يوحنا فساعة
صعد من الما راي السموات قد انشقت وروح القدس كالحمامة نزلت عليه للوقت اخرجه
الروح الى البرية واقام بها اربعين يوما واربعين ليلة وهو مع الوحوش والملايكة تخدمه
وقال متى وصام اربعين يوما واربعين ليلة وقال لوقا وكان لما اعتمد جميع الشعب
واعتمد يسوع فيما هو يصلي انفتحت السما ونزل عليه روح القدس شبه جسد حمامة
وكان قد صار ليسوع ثلثون سنة وكان يظن انه ابن يوسف وان يسوع امتلا من روح
القدس ورجع من الاردن فانطلق به الروح اربعين يوما لم ياكل شيا في تلك الايام ثم قال
ورجع يسوع الى الجليل بقوة الروح وخرج خبره في كل الكورة وكان يعلم في مجامعهم
ويمجده كل احد وجا الى الناصرة حيث كان ربي ودخل كعادته الى مجمعهم يوم السبت
وقام ليقرى فدفع اليه سفر شعيا النبي فلما فتح السفر وجد الموضع الذي فيه مكتوب
روح الرب علي من اجل هذا مسحني وارسلني لابشر المساكين واسفي منكسري القلوب وانادي
الماسورين بالتخلية والعميان بالنظر وارسل المربوطين بالتخلية وابشر بالسنة المقبولة للرب
والايام التي اعطانا الهنا ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم وجلس وكل من كان في الجميع
كانت عيونهم محدقة اليه فبدا يقول لهم اليوم كمل هذا المكتوب باسماعكم وفي انجيل
يوحنا ان يسوع قال ان كنت انا اشهد لنفسي فليست شهادتي حقا ولكن الذي يشهد
لي بها حق انتم ارسلتم الى يوحنا فشهد لي بالحق واما انا فلست اطلب شهادة من انسان
ولكني اقول هذا لتخلصوا انتم وانا علي اعظم من شهادة يوحنا لان الاعمال التي اعملها تشهد
من اجلي ان الاب ارسلني والذي ارسلني قد شهد لي ولم يسمعوا قط صوته ولا عرفتموه
ولا رايتموه وكلمته لا تثبت فيكم لانكم لستم تومنون بالذي ارسل فتشوا الكتب
التي تظنون ان تكون لكم بها حياة الابد هي تشهد من اجلي لست اخذ المجد
من الناس انا اتيت باسم ابي فلم تقبلوني وان اتاكم اخر باسم نفسه قبلتموه كيف
تقدرون ان تومنوا وانما تقبلون المجد بعضكم من بعض ولا تطلبون ان المجد من الله
الواحد لا تظنوا اني اشكوكم ان لكم من يشكوكم موسى الذي عليه تتوكلون فلو كنتم امنتم
بموسى امنتم بي لان ذلك كتب من اجلي وان كنتم لا تومنون بكتب ذاك فكيف تومنون
بكلامي انتهى ما وقع الاختيار على اثباته هنا وفيه من الالفاظ المنكرة في شرعنا
اطلاق الاب والابن وقد تقدم التنبيه على مثل ذلك ولما اتاهم سبحانه في
امر عيسى عليه السلام بالفصل في البيان الذي ليس بعده الا العناد فبين اولا ما
تنقل فيه عيسى عليه السلام من اطوار الخلق الموجبة للحاجة المنافية للالهية ثم فضح
بتمثيله بادم عليهما السلام شبهتهم اياهم على تقديرهم بالعبيهل الاعظم للمعاند الموجب
للعذاب المستاصل اهل الفساد فقال تعالى **فمن** اي فتسبب عما اتاك ربك من

الحق في امره انا نقول لك من **حاجك فيه** اي خاصمك بايراد حجة اي كلام يجعله في عداد
ما يقصد ولما كان المخاصم انما هو من بلغته هذه الايات وعرف معناها دون من
حاج في الزمان الذي هو بعد نزولها دون اطلاعه عليها قال **من** اي مبتديا بالمحاجة
من **بعد ما جاءك من العلم** اي الذي انزلناه اليك وقصصناه عليك في امره **فقل تعالوا**
ايها المجادلون **ندع ابناءنا وابناءكم** اي الذين هم اعز ما عند الانسان لكونهم بعضه
ونساءنا ونساءكم اي اللاتي هن اولى ما يدافع عنه اولو الهمم العوال **وانفسنا وانفسكم**
نقدم ما يدفع عنه ذوو الاحساب ويعد ونه بنفوسهم وقدم منه الاعز الالصق بالاكباد
وختم بالمدافع وهذا الترتيب على سبيل الترقي اذا اعتبرت انه قدم الفرع ثم الاصل وبدا بالاد ني
وختم بالاعلى ثم ذكر ما له هذا الجمع مشيرا بحرف التراخي الى خطر الامر وانه مما ينبغي الاهتمام
به والتروي له وامعان النظر فيه لوخامة العاقبة وسوء المنقلب للكاذب فقال
ثم نبتهل اي نتضرع قاله ابن عباس رضي الله عنهما كما قاله الامام ابو حيان في نهره وقال
الحرالي الابتهال طلب البهل والبهل اصل معناه التخلي والبراءة في مهم مقصود انتهى
فنجعل لعنة الله اي ابعاده وطرده **على الكاذبين** قال ابن الزبير بعد ما تقدم من كلامه
ثم لما اتبعت قصة ادم عليه السلام يعني في البقرة بذكر بني اسرايل لوقوفهم من تلك
القصص على ما لم تكن من العرب تعرفه وانذروا واحذروا اتبعت قصة عيسى عليه السلام
يعني هنا بذكر الحواريين وامر النصارى الى اية المباهلة انتهى ولما كان العلم الازلي
حاصلا بان المجادلين في امر عيسى عليه السلام يكفون عن المباهلة بعد المجادلة خوفا
من الاستيصال في العاجلة مع الخزي الدايم في الاجلة وكان كفهم عن ذلك موجبا للقطع
ببطالهم في دعواهم لكل من يشاهدهم او يتصل به خبرهم حسن كل الحسن تعقيب ذلك
بقوله تنبيها على ما فيه من العظمة **ان هذا** اي الذي تقدم ذكره **لهو** اي خاصة دون
غيره **القصص الحق** والقصص كما قال الحرالي تتبع الوقايع بالاخبار عنها شيا فشيا على
ترتيبها في معنى قص الاثر وهو اتباعه حتى ينتهي الى محل ذي الاثر انتهى ولما بدا سبحانه
وتعالى القصة اول السورة بالاخبار بوجه انه مستدلا على ذلك بانه الحي القيوم ٥
صرح ختمها بمثل ذلك اشارة وتلويحا فقال عاطفا على ما انتجه ما تقدم من ان
عيسى عبد الله ورسوله معمما للحكم مغرقا بزيادة الجار في النفي **وما من اله** اي معبود
بحق لان له صفات الكمال بحيث يضر وينفع **الا الله** اي لانه الحي القيوم كما مضى التصريح
به وقد علم من هذا السياق انهم لما علموا تفرده تركوا المباهلة رهبة منه سبحانه
علما منهم بانهم له عاصون ولحقه مضيعون وان ما يدعون الهيته لا شي في يده من الدفع
عنهم ولا من النفع لهم فلا برهان اقطع من هذا ولما كان في العزة والحكمة عن غيره
تعالى نوع خفا اتى بالوصفين على طريق الحصر فقال عاطفا على ما قدرته مما ارشد
السياق الى انه علة ما قبله من النفي **وان الله لهو** اي وحده **العزيز الحكيم** وهذا الخلاف

الحياة والقيومية فانه لم يقرب بهما على طريق الحصر لظهورهما وقد علم بلا شبهة بما علم انه لا عزيز ولا حكيم الا هو لا اله الا هو ولما ثبتت ذلك كله سبب عنه تهديدهم على الاعراض بقوله فان تولوا اى عن اجابتك الى ما تدعو اليه فان الله عليم بهم هكذا الاصل فعدل عنه لتعليق الحكم بالوصف فقال بالمفسدين اي فهو يحكم فيهم بعلمه فينتقم منهم لفسادهم بعزته انتقاما ينفذه بحكمته فينقلبون منه بصفقة خاسرة ولا يجدون من ناصر ولما نكصوا عن المباهلة بعد ان لم تبق لهم شبهة فعلم انخلاعهم عما كانوا فيه من المحاججة ولم يبق الا اظهار النتيجة اكتفى ذلك عظم لشأنه صلى الله عليه وسلم الهه فامره بان يذكرها مكررا ارشادهم بطريق اخف مما مضى بان يونسهم فيما يدعوهم اليه بالمواساة فيدعو دعا يشمل المحاججين من النصارى وغيرهم ممن له كتاب من اليهود وغيرهم الى الكلمة التي قامت البراهين بها على حقيقتها ونهضت الدلائل على صدقها دعا لا اعدل منه على وجه يتضمن نفي ما قد يتخيل من ارادة التفضيل عليهم والاختصاص بامر دونهم وذلك انه بدا بها شرع ما دعاهم اليه ومن هو لهم مارضي لنفسه وما اجمعت عليه الكتب اتفقت عليه الرسل فقال تعالى قل يا اهل الكتاب اشارة الى ما عندهم في ذلك من العلم تعالوا اي ارفعوا انفسكم من حضيض الشرك الاصغر والاكبر الذي انتم به الى كلمة ثم وصفها بقوله سواء بيننا وبينكم ثم فسرها بقوله ان لا نعبد الا الله اي لانه الجامع لصفات الكمال ولا نشرك به شيئا اي لا نعتقد له شريكا وان لم نعبده ولما كان التوجه الى غير الله خلاف ما تدعو اليه الفطرة الاولى عبر بصيغة الافتعال فقال ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا اي كعزير والمسيح والاحبار والرهبان ولما كان الرب قد يطلق على المعلم والمربي بنطوع تربية نبه على ان المحذور انما هو اعتقاد الاستبداد والاجنة الى ما يختص به الله فقال من دون الله الذي اختص بالكمال ولما زاحت الشكوك وانتفت العلل امر بمصارحتهم بالخلاف في سياق ظاهره المشاركة وباطنه الانذار بشديد المعاركة فقال مسببا عن ذلك فان تولوا اي عن الاسلام لله في التوحيد فقولوا اشهدوا وانا اي نحن مسلمون اي متصفون بالاسلام منقادون لامر نبي شك ان يامرنا بنبيه صلى الله عليه وسلم نبعثا لكم لنصرته عليكم جريا على عادة الرسل فنجيبه بما اجاب به الحواريون المشهدون بانهم مسلمون ثم نبارزكم متوجهين اليه معتمدين عليه وانتم تعرفون ايامه الماضية ووقايعه السالفة ولما علم اهل الكتاب ما جبل عليه العرب من محبة ابيهم ابراهيم عليه السلام وان محمدا صلى الله عليه وسلم انما مدينه كما تقدم في قوله تعالى بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اجتمع ملا من فريقيهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وضلل كل منهم الآخر وادعى كل منهم قصد الاجتذاب المسلمين الى ضلالهم بكيدهم ومحالهم اتباع ابرهيم عليه السلام بانه صلى الله عليه وسلم كان على دينهم ولم يكن لذلك ذكر في كتابهم مع ان العقل يرده بادنى التفات لان دين كل منهم انما قرر بكتابهم وكتابهم انما نزل على نبيهم ونبيهم انما كان بعد ابراهيم عليه السلام

بدهور متطاولة واليهود ينتسبون الى يهود ابن يعقوب عليه السلام لا خذه البكورية من اخيه بنيامين لامر مذكور في كتابهم والنصارى ينتسبون الى الناصرة مخرج عيسى عليه السلام في جبل الجليل ولا يعقل ان يكون المتقدم على دين ما حدث الا بعده وعلى نسبة متاخرة عنه وكان دينه صلى الله عليه وسلم انما هو الاسلام وهو الحنيفية السمحة فقال تعالى مبكتا لهم يا اهل الكتاب كالمعلل لتبكيتهم لان الزلة من العالم اشنع لم تحاجون في ابرهيم فيدعيه كل من فريقيكم الحال انه وما انزلت التورية والانجيل المقرر كل منهما لاصل دين مسجله منكم الا من بعده واعظم ما يتمسك به كل فرقة منهما السبت والاحد ولم يكن ما يدعونه فيهما في شريعة ابراهيم عليه السلام لا يقدرون على انكار ذلك ولما كان الدليل العقلي واضحا في ذلك ختم الاية بقوله منكرا عليهم افلا تعقلون اي حيث انكم لبستم وادعيتم ان ذلك في كتابكم زورا وبهتانا وظننتم ان ذلك يخفى على من لا المام له بكتابكم فكيف غفلتم عن البرهان العقلي ثم استانف تبكيتا اخر فقال منبها لهم مكررا التنبيه اشارة الى طول رقادهم وهما وشدة غناوهم فقال ها انتم هؤلاء حاججتم اي قصدتم مغالبة من يقصد الرد عليكم فيما لكم به علم اي نوع من العلم من امر موسى وعيسى عليهما السلام لذكر كل منهما في كتابكم وان كان جدالكم فيهما على خلاف ما تعلمون من احوالهما عنادا وطغيانا فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا لكونه لا ذكر له في كتابكم بما حاججتم فيه مع مخالفته لصريح العقل والله يعلم اي والتم تعلمون ان مجادلتكم في الحقيقة انما هي مع الله وتعلمون ان علمه محيط بجميع ما جادلتم فيه وانتم اي وتعلمون انكم انتم لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا الا ما علمكم الله هذا على تقدير كون ها في ها انتم للتنبيه ونقل شيخنا ابن الجزري في كتابه النشر في القراات العشر عن ابي عمرو بن العلا وابي الحسن الاخفش انها بدل من همزة وروت عن ابي حمدون عن اليزيدي ان ابا عمرو قال وانما هي اانتم ممدودة فجعلوا الهمزة هاء والعرب تفعل هذا فعلى هذا التقدير يكون استفهاما معناه التعجب منهم والتوبيخ لهم ولما وبخهم على ذلك من جهلهم نفى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام ما ادعاه عليه كل منهم طبق ما برهنت عليه الاية الاولى ونفى عنه كل شرك ايضا واثبت انه كان مائلا عن كل باطل منقادا مع الدليل الى كل حق بقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا اى كما ادعى اليهود ولا نصرانيا كما ادعى النصارى لما تقدم من الدليل ولكن كان حنيفا مسلما وقد بين معنى الحنيف عند قوله تعالى قل بل ملة ابراهيم حنيفا بما يصدق على المسلم وقال الامام العارف ولي الملوي في كتابه حصن النفوس في السوال في القبر واليهودي اصله من امن بموسى عليه السلام والتزم احكام التورية والنصراني من امن بعيسى عليه السلام ثم صار اليهودي بما كفر بما انزل بعد موسى عليه السلام المطلع لا والعراسه تعالى في اي كتاب انزلت مع اي رسول فرردت وان شئت قلت هو المنقاد لله وحده بقلبه و

ولسانه وجميع جوارحه المخلص عمله لله عز وجل قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال قل لي في
الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا غيرك قل امنت بالله ثم استقم انتهى ثم خص بالنفي
من عرفوا بالشرك مع الصلاحية لكل من داخله شرك من زعمهم فقال وما كان
من المشركين وفي ذكر وصفي الاسلام والحنف تعريض لهم بانهم في غاية العناد
والجلافة واليبس في التمسك بالمالوفات فهو ترك ما اتاهم من تكذيب واضح الادلة
وقاطع الحجج البينات ولما نفى عنه صلى الله عليه وسلم كل زيغ بعد ان نفى عنه ان
يكون على ملة هو متقدم عن عدنها شرع في بيان ما تم به نتيجة ما مضى بيان من هو
اقرب اليه ممن جا بعده فقرر ان الاولى به انما هو من اتبعه في اصل الدين وهو التوحيد
والتنزيه الذي لم يختلف فيه بيان اصلا وفي الانقياد للدليل وترك المالوف من غير
تلعثم حتى صاروا حنفا بالاسلام الذي هو وصفه بقوله تعالى ان اولى الناس اي اقربهم
واحقهم بابراهيم للذين اتبعوه اي في دينه من اتبعه وغيرهم لا الذين ادعوا انه
تابع لهم ثم صرح بهذه الاية فقال وهذا النبي اي هو اولى الناس به والذين امنوا اي
من امته وغيرهم والله وليهم هذا الاصل وكذلك قال ولي المومنين ليعم الانبيا كلهم و
اتباعهم من كل فرقة وليعلم الوصف الموجب للتقريب ولما كان قصد بعضهم بدعواه
ان ابراهيم عليه السلام على دينه انما هو اضلال من اهل الاسلام عقب ذلك بالاعراب
عن مرادهم بقوله تعالى جوابا لمن كانه قال فما كان مراد اهل الكتابين بدعواهم
فيه مع علمهم ان ذلك مخالف لصريح العقل ودت طايفة من اهل الكتاب حسدا
لكم لو يضلونكم بالرجوع الى دينهم الذي يعلمون انه قد نسخ وما اي والحال انهم
ما يضلون بذلك التمني او الاضلال لو وقع الا انفسهم لان اضلالهم ضلال لهم
مع انهم لا يقدرون ان يضلوا من هداه الله وما يشعرون اي وليس لهم نوع شعور
فان كيدهم لا يتعداهم فقد جمعوا بين الضلال والجهل اما حقيقة لبعضهم واما لانهم
لما عملوا بغير ما يعلمون عد عليهم جهلا وعدواهم بهايم فكانت هذه الجمل على غاية
التناسب لان اهم شي في حق من رمي بباطل انما عليه الراجي لتعاظم بانه
سلعر ببيان ابطاله في دعواه ثم تبكيته المتضمن لبراءة المقذوف ثم التصريح ببراءته
ثم بيان من هو اولى بالكون من حزبه ثم بيان المراد من تلك الدعوى الكاذبة
ليحذر غايتها السامع ولما ختم الكلام فيهم بنفي شعورهم بين تعالى في معرض التبكيت
انهم معاندون فقال مستانفا بما يدل على غاية التبكيت الموذنة بشديد الغضب
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي يشترون ما عندكم من العلم بسبب
الايات التي انزلت عليكم وانتم تشهدون اي انها اياته ثم اتبع ذلك استينافا اخر
لمثل ذلك فقال يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق اي الذي لا مرية فيه بالباطل اي
بان تؤولوه بغير تاويله او تحملوه على غير محمله وتكتمون الحق اي الذي لا يقبل تاويلا

وهو

وهو ما تعلمون من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونوابعها وانتم اي والحال
انكم تعلمون ذلك قطعا ولما ذكر لبسهم دل عليه بقوله عطفا على ودت طايفة
مبينا لنوع اضلال اخر وقالت طايفة من اهل الكتاب اي من يهود المدينة
امنوا اي اظهروا الايمان امنوا بالذي انزل على الذين امنوا متابعة لهم وجه اي اول
النهار واكفروا اخره اي ليظنوا انه لا غرض لكم الا الحق وانه ما ردكم عن دينهم
بعد اتباعكم له الا ظهور بطلانه لعلهم يرجعون اي ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه
عن دينه ولا تؤمنوا اي توقعوا التصديق الحقيقي الا لمن تبع دينكم فصوبوا طريقته
وصدقوا دينه وعقيدته ولما كان هذا اعجب الضلال امره سبحانه ان يجيب من حالهم
مبينا على ضلالهم بقوله قل ان الهدى هدى الله اي لا يقدرون على اضلال احد
ما اعانه ولا تقدرون على ارشاد احد منكم اليه الا باذنه ثم وصل به تقريعهم فقال
ان باثبات همزة الانكار في قراءة ابن كثير وتقديرها في غير قراءته اي افعلتم الا عان
على الصورة المذكورة خشية ان يؤتى احد اي من طوايف الناس مثل ما اوتيتم اي من العلم
والهدى الذي كنتم عليه او لاجل او كراهة ان يحاجوكم ان يحاجكم اولئك الذين اوتوا
مثل ما اوتيتم عند ربكم الذي طال احسانه اليكم بالشهادة عليكم انهم امنوا
وكفرتم بعد البيان الواضح فيفضحوكم ولما كانت هذه الاية شبيهة باية البقرة
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من
ربكم في الحسد عليها او في غيرهم من الدين الحق وكالشارحة لها ببيان ما يلبسون به
لقصد الاضلال ختمت بما ختمت به تلك لكن لما قصد بها النبي وعليهم في كلا هذين الامرين
الذين دبروا هذا المكر لاجلها زيدت ما له مدخل في ذلك فقال تعالى محييا لمن يشوف
الى تعليم ما لعله يكف من مكرهم ويومن من شرهم معرضا عنهم بالخطاب بعد
الاقبال عليهم به ايذانا بشديد الغضب قل ان الفضل في التشريف بانزال الايات
وغيرها بيد الله واتبعه نتيجته فقال يؤتيه من يشا ثم قال مرغبا مرهبا ورادا
عليهم في الامر الثاني والله واسع عليم يوسع على من علم فيه خيرا ويهلك من علم
انه لا يصلح لخير ويعلم دقيق امركم وجليله فلا يحتاج سبحانه الى تنبيه احد لمحاجتكم عليه
عنده ولما كان هذا من الوضوح بحيث لا يحتاج الى تاكيد استقل عنه الى تاكيد
الرد عليهم في الامر الاول بثمرة هذه الجملة ونتيجتها من انه فاعل بالاختيار
تام الاقتدار فقال يختص برحمته من يشا ثم اكد تعظيم ما لديه فقال والله ذو
الفضل العظيم وكرر الاسم الاعظم هنا تعظيما لما ذكر من التعظيم مشيرا بذلك كله الى
التمكن من الاعطا باختياره وغزارة فضله والى القدرة على الانجا من حبايل المكر
بسعة علمه فلما تقرر ان الامر كله له ذكر دليل ذلك فيهم بانه فضل فريقا منهم فاعلاه
وخذل فريقا فارداه فلم يردهم الكتاب وهم يتلونه الى الصواب فقال عطفا على ما مضى

من يجازيهم مقررا لكتمانهم للحق مع علمهم بانه الحق بان الحامل لهم في الاعيان
الدينوية والمعاني الدينية مادحا للامين منهم ومن اهل الكتاب الموصوفين من
ان تامنه بقنطار اي من الذهب المذكور في الفريق الاول يؤده اليك اي عن غير
خاينة فلا تسووا الكل مساواة واحدا في الخيانة ومنهم من ان تامنه بدينار اي
واحد لا يؤده اليك في زمن من الازمان دناة وخيانة الا ما اي وقت ما دمت
عليه قايما تطالبه بر غالبا لها دلت عليه ادلة الاستعلا ثم استانف علة الخيانة
بقوله ذلك بانهم قالوا كذبا على شرعهم ليس علينا في الاميين يعني
من ليس على دينهم سبيل ولما كان ترتيب الاثم على من اثباتا ونفيا لا يعرف
الا من قبل الله قال مبينا ان هذا اتضمن الكذب على الله سايقا له على وجه معرب
فانهم اجرا الناس على الكذب ويقولون على الله الكذب اي بهذه الدعوى وغيرها
محترين عليه وهم يعلمون اي انه كذب ولما ادعوا نفي الجناح عنهم بينهم وبين
تعالى انهم لا يتحاشون عن الكذب صرح بكذبهم في هذا الامر بخصوصه بقوله بلى اي عليكم
في خيانتهم لتحريم الغدر عليكم مطلقا الى سبيل كما هو في التورية فقد مضى نقله في البقرة
في اية ان الذين امنوا والذين هادوا واوايه وقولوا للناس حسنا ولما مضى تقسيمهم
الى امين وخاين استانف شارع الاول وبذاته الثاني على وجههم وليميزهم بتحريم
الخيانة في كل شرع في حق كل احد معهم ان الله يبغض الخاين فقال من اوفى بعهده واتقى
اي كاينا من كان فان الله يحبه هذا الاصل ولكنه اظهر الوصف بقوله لتعليق الحكم
به واشعارا بانه العلة الحاملة على الامانة فقال يحب المتقين ولما كانت
النفوس نزاعه الى الخيانة رواغة عند مضايق الامانة بسط في الانذار فقال
ان الذين يشترون بعهد الله اي الذي عاهدون عليه وايمانهم اي التي عقدوها
بالتزام متابعة الحق على السنة الرسل بما دل عليه العقل ثمنا قليلا في الدنيا اولئك
لا خلاق اي نصيب لهم في الاخرة لبيعهم له بنصيب الدنيا ولا يكلمهم الله استهانة
بهم بما انتهكوا من حرمته ولا ينظر اليهم بما اعرضوا عنه يوم القيمة الذي خاف
فيه لم يتق ولا يزكيهم لانهم لم يزكوا اسمه ولهم عذاب اليم يعرفون به ما جهلوا
من عظمته ولما نسبهم الى الكذب عموما نبه على نوع خاص منه هو اكذب الكذب فقال
وان منهم لفريقا يلوون اي يفتلون ويحرفون السنتهم بالكتاب بان يفتلوا اللسان
لتغيير الحرف من مخرج الى اخر مثلا بان يقولوا في اعبدوا الله اللات وفي لا تقتلوا النفس
الا بالحق بالحديني من زنى قال فارجموه بالمهملة او فحمموه او اجلدوه ونحو هذا لتحسبوه من الكتاب
اي المنزل من عند الله وما هو من الكتاب اعاده ظاهرا تصريحا بالتعميم ولما
كان ابهامهم هذا من الجراة بمكان اعلم سبحانه انهم تجاوزوه الى ما هو اعظم منه فصرحوا
بما اوهموه فقال ويقولون هو من عند الله صرح بكذبهم بقوله وما هو من عند الله اي بوجه

من الوجوه لا بكونه من الكتاب ولا من غيره ولما بين بهذا كذبهم على تصريحا بعد ان قدم
في الاية الاولى بيانه بما يظن تلويحا اخبر بان ذلك عادة لهم لا يتقون منه عند عدو
يحصرون فيه بحد فقال ويقولون على الله اي الجامع لجميع العظمة جراة منهم الكذب
اي العام كما قد لوا عليه هذا الكذب الخاص ولما كان الكذب قد يطلق على ما لم يتعمد بل
وقع خطا احترز عنه بقوله وهم يعلمون اي انه كذب لا يشكون فيه ولما فرغ من بيان
ما اراد من كتمانهم للحق مع الاشارة الى بعض توابعه الى ان ختم بانهم لا يتحاشون من
الكذب على الله بعد ان اوضح من صفات عيسى عليه السلام المقتضية لنفي الالهية عنه ما لا
يخفى على ذي لب شرع تبين انهم كاذبون فيما يدعونه في عيسى عليه السلام ونفى ان يكون
قال لهم ذلك او شيا منه على وجه شامل له ولكل من اتصف بصفته ويساق هو بمجرده
كاف في ابطال قولهم فقال ما كان لبشر اي من البشر كاينا من كان من عيسى وعزير
عليهما السلام وغيرهما ان يوتيه الله الكتاب والحكم اي الحكمة المهيئة للحكم وهي العلم المويد
بالعمل والعمل المتقن بالعلم لان اصلها الاحكام وهو وضع الشي في محله بحيث يمتنع افساده
والنبوة وهي الخبر من الله تعالى المقتضي لاتم الرفعة ثم يكذب على الله بان يقول للناس كونوا
عبادا لي ولما كان ذلك قد يكون تجوزا عن قبول قوله والمبادرة لامتثال امره عن الله
احترز عنه بقوله من دون الله اذ لا يشك عاقل ان من اوتي نبوة وحكمة وهو بشر في
غاية البعد عن ادعا مثل ذلك لان كل صفة من صفاته مستقلة بالابعاد من هذه الدعوى
فلم يبق لهم مستند لا من جهة عقل ولا من طريق نقل فصار قول مثل ذلك منافيا للحكمة
التي هو متلبس بها فصح قطعا انتفاوه عنه ولما ذكر ما لا يكون له اتبعه ما له فقال ولكن
اي يقول كونوا ربانيين اي ما يعين طريق الرب منسوبين اليه بكمال العلم المزين
بالعمل والالف والنون زيد بالايذان بمبالغتهم في المتابعة ورسوخهم في العلم اللدني
قال محمد بن الحنفية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مات مات رباني هذه الامة
بما كنتم تعلمون الكتاب اي بسبب كونهم عالمين به معلمين له وبما كنتم تدرسون
فان فايدة الدرس العلم وفايدة العمل ونبه الحث على الخير والمراقبة للمخالف ولما
ان يكون الحكيم من البشر داعيا الى نفسه واثبت انه يكون ولا بد داعيا الى الله لتظهر
حكمته اثبت ان ذلك لا بد وان يكون على وجه الارض خالص لان بعض الشياطين
يحكم مكره بابعاد التهمة عن نفسه بالدعا الى غيره على وجه الشرك لا سيما ان كان
ذكر الغير ربانيا كعيسى عليه السلام فقال ولا يامركم اي ذلك البشر ان تتخذوا
اي بصيغة الافتعال ايذانا بان الفطر مجبولة على التوجه به من غير كلفة الملايكة
والنبيين فضلا عن غيرهم اربابا اي مع الله او من دونه ثم بين ان كل عبادة كان فيها
تدكيما اذ في شاينه مبني باطل بقوله على طريق الانكار تبرية لعبادة الخلص من مثل ذلك
ايامركم بالكفر اشارة الى ان الله غني لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه بعد اذ انتم مسلمون

العلم

اي منقادون لاحكامه او متهيئون للتوحيد على الفطرة الاولى ولما بين سبحانه فيما مضى
ان التولي عن الرسل كفر وذكر كثيرا من الرسل خص في ذكرهم وعم ذكر قانونا كليا
لمعرفة الرسول عنه سبحانه والتمييز بينه وبين الكاذب فقال عاطفا على اذ انتم مسلمون
واذ اخذ الله ميثاق النبيين اي كافة والمعنى ما كان له ان يقول ذلك بعد الانعام
عليكم بالاسلام والانعام عليه باخذ الميثاق على الناس الانبيا وغيرهم بان يؤمنوا به اذا اتاهم
فكون بذلك الفضل معكم الغير وكانوا ابتعثه دبه وهذا معنى قوله لما ان تقال لهم الله
لما أتيتكم وقراءة نافع اتيناكم اوفق بسياق الجلالة قاله الجعبري من كتاب وحكمة اي امرتكم
بها بشرع من الشرائع فامرتم بذلك من ارسلتم اليه ثم جاءكم رسول اي من عندي ثم وصفه
بما يعلم انه من عنده فقال مصدق لما معكم اي من ذلك الكتاب والحكمة لتؤمنن به اي
انتم واممكم ولتنصرنه اي على من يخالفه لكان قيل ان هذا الميثاق عظيم فقيل الله زاد
في تاكيد اهتماما به قال أأقررتم اي يا معشر النبيين واخذتم على ذلكم اي العهد المنظم بالاتيان
باداة البعد وميم الجمع اصري اي عهدي بذلك لما فيه من الثقل فانه يشد في نفسه بالتوثيق
والتوثق ويشتد بعد كونه على النفوس لما الحامي النزوع الى الاطلاق عن عهد التقيد بنوع
من القيود حكاية تقبل ما قالوا فقيل قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي بانبيا بعضكم على بعض او يا ملايكه
عليهم وانا معكم من الشاهدين فمن اي تسبب عنه انه من تولى بعد ذلك اي الميثاق
البعيد الرتبة عما فيه من الوثاقة فاولئك اي البعداء من خصال الخير هم الفاسقون اي
المختصون بالفسق العظيم ولما كان المدرك لكل نبي انما هم امة النبي الذي قبله وكانوا
يكذبونه ويجالفونه قال خاتما لهذه القصص بعد الشهادة سبحانه المقدسة بما بدا بها
به في قوله شهد الله الاية الى ان الدين عند الله الاسلام على وجه الانكار والتهديد عطفا
على ما دل عليه السياق افغير اي اتولوا ففسقوا فتسبب عن ذلك انهم غير دين الله الذي
اختص بصفات الكمال يبغون اي اتوليتم على قراءة الخطاب وله اي والحال انه له اسلم
اي بالانقياد لاحكامه والجري تحت مراده وقضايه لا يقدرون على معالجة تدرع بوجه
من في السموات والارض وهم من لهم قوة الدفاع بالبدن والعقل فكيف بغيرهم طوعا بالامعان
او بما وافق اغراضهم وكرها بالتسليم في قهره في اسلام احدهم وان كثرت اعوانه وعز
سلطانه الى اكره ما يكره وهو صاغر داخر لا يستطيع امرا ولا يجد نصرا واليه ترجعون
بالحشر لا تجدون معززا ولا تلقون ملجا ولا معترا فاذا كانوا كذلك لا يقدرون على النفس من
تنبضه بنوع قوة ولا حيلة في سكون ولا حركة فكيف يخالفون ما اتاهم من امره على السنة
رسله وقد ثبت انهم رسله بما اتى به كل منهم من المعجز ومن المعلوم ان المعاند للرسول
معاند للرسل ولما تم تنزيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الدعا الى شي غير الله شهر
من تولى فكان السامع جديرا بان يقول انا متقبل غير متول فما اقول وما افعل قال مخاطبا
لراس السامعين ليكون اجدر لامتثالهم قل اي قبل كل شي امنا انا ومن اطاعني من امتي

مبكتا

مبكتا لاهل الكتاب بما تركوه من دين ابراهيم عليه السلام ومن بعده من خلص ابنايه
وابوه وجادلوا فيه عدوانا وادعوه ثم فصل المامور بالايمان به فقال بالله ولما كان
الانزال على الشي مقصودا به ذلك الشي بالقصد الاول كان الانسب ان يقال وما
انزل علينا فيكون ذلك له حقيقة ولاتباعه مجازا وكانت هذه السورة بذلك احق لانها
سورة التوحيد وما انزل على ابرهيم اي ابينا واسمعيل واسحق ابنيه ويعقوب بن اسحق
والاسباط اي اولاد يعقوب وما اوتي موسى من اولاد الناسخة لشريعة موسى عليهم
السلام والنبيون اي كافة من ربهم اي المحسن اليهم خاصة والى العباد عامة بارسالهم
اليهم ثم استانف تفسير هذا الايمان بقوله لا نفرق بين احد منهم تنبيها على الموضع
الذي كفر به اليهود والنصارى ونحن له اي الله وما انزل من عنده مسلمون اي منقادون
على طريق الاخلاص ولما امر سبحانه باظهار الايمان بهذا القول وكان ذلك هو الاذعان
الذي هو الاسلام قال محذرا من الردة عنه عاطفا على امنا ومظهرا الماضي حقه الاظهار
لولا ارادة التنبيه على ذلك مشيرا بصيغة الافتعال الى مخالفة الفطرة الاولى ومن يبتغ
اي يتطلب غير الاسلام الذي هو ما ذكر من الانقيا دلله بعد التلبس به حقيقة باظهار
اتباع الرسل او مجازا بالكون على الفطرة الاولى بما اشعر به الاسعاكما تقدم دينا واتى بالفاء
الرابطة اعلاما بان ما بعدها مسبب عما قبلها ومربوط به فقال فلن يقبل منه اي في الدنيا
واشعر ترتيب هذا على السبب بانه يرجي زوال المسبب لا زما عرض للعبد كما جرى في الردة
في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه رجع الى الاسلام اكثر المرتدين وحسن اسلامهم وقوله
وهو في الاخرة من الخاسرين معناه ولن يقبل منهم في الاخرة مع زيادة التصريح بالخسارة المنا
لمقاصدهم وتوهم له عاملين قطعا بصدقه لما في كتبهم من البشارة به ولما اخبر تعالى بخسارة من
ارتد عن الاسلام شرع يستدل على استحقاقه لذلك بقوله كيف يهدي الله مع ما له من
كمال العظمة قوما كفروا اي اوقعوا الكفر بالله ربهم وما ذكر مما اتت به رسله بعد ايمانهم
بذلك كله وشهدوا اي وبعد ان شهدوا ان الرسول حق بما عندهم من العلم به وجاءهم
البينات اي القاطعة بانه هو وانه رسول الله قطعا لا شي اقوى من بيانه ولا ارشد
من ظهوره بما اشعر به اسقاط التانيث من جا ولما كان الحايد عن الدليل بعد البيان
لا يرجي في الغالب عوده كان الاستبعاد بكيف موضحا لان التقدير اولئك لا يهديهم الله لظلمهم
بوضعهم ثمرة الجهل موضع ثمرة العلم فعطف على هذا المقدر المعلوم تقديره قوله والله لا يهدي
القوم الظالمين تحذيرا من مطلق الظلم ولما علمت سماعة حالهم تشوف السامع الى معرفة
جزائهم فقال اولئك اي البعداء البغضاء جزاؤهم ان عليهم لعنة الله اي غضبه وطرده
والملائكة والناس اجمعين حتى انهم هم ليلعنون انفسهم فان الكافر يطبع على قلبه فيظن
انه على هدى ويصير يلعن الكافر ظانا انه ليس بكافر وهذا اللعن واقع عليهم حال تلبسهم
بالفعل لوضعهم الشي في غير محله فصار كل من له علم بعدهم ليسو صنيعهم لتبديلهم الحسن

لما سباطامن التوريه
والشريعة وعيسى من ذريه
داود من الانجيل والشريعة
صح

بالسي وحدرا من فعل مثل ذلك معة خالدين فيها اي دايما ولما كان المقيم في الشدة قد
نقص شدته على طول نفى ذلك بقوله لا يخفف عنهم العذاب مقيدا ان عليهم مع مطلق
الشدة بالطرد شدا ايد اخرى بالعقوبة ولما كان المعذب على شي ربما استمهل وتا
ما يرجع عن ذلك الشي او يفتش نفى ذلك بقوله ولا هم ينظرون اي للعلم بحالهم
باطنا وظاهرا حالا ومآلا قامة الحجة عليهم من جميع الوجوه ولم يترك شي منها لان المقيم
بها منزه عن العجز والنسيان ولما انخلعت القلوب بهذه الكروب نفى عنها سبحانه
مشيرا الى ان فيهم وان استبعد رجوعهم موضعا للرجا بقوله الا الذين تابوا اي
رجعوا الى ربهم متذكرين لاحسانه من بعد ذلك الارتداد حيث تقبل التوبة واصلحوا
اي بالاستمرار على ما تقتضيه من الثمرات الحسنة فان الله يغفر ذنوبهم لان الله
غفور رحيم هذه صفته لهم ولكل من تاب من ذنبه ولما رغب في التوبة رهب
في التواني عنها فقال ان الذين كفروا اي بالله واوامره بعد ايمانهم بذلك ولما
كان الكفر لفظاعته وقبحه وشناعته جديرا بالنفرة عنه والبعد منه نبه سبحانه
على ذلك باستبعاد اتباعه فكيف بالتمادي عليه فكيف بالازدياد منه وعبر عن ذلك باداة
التراخي فقال ثم ازدادوا كفرا اي بان تمادوا على ذلك ولم يبادروا بالتوبة لن تقبل
توبتهم ان ارادوها ولن توجد منهم توبة حتى يترتب عليها القبول لانهم زادوا عن اهل
القسم الاول بالتمادي ولم يات بالفا الدالة على انه مسبب عما قبله اعلاما بان ذلك
انما هو لانهم مطبوع على قلوبهم مهياون للكفر من اصل الجبلة فلا يتوبون ابدا
توبة صحيحة فالعلة الحقيقية الطبع لا الذنب وهذا شامل لمن تاب عن شي ووقع
منه كابي عزة الجمحي ولمن لم يتب كحيي ابن اخطب واوليك هم اي خاصة الضالون
اي العريقون في الضلال لوقوعهم في ابعد شعابه واضيق نقابه فانى لهم بالرجوع منه
والتفصي عنه ولما اثبت لهم الخصوصية بذلك لا بعاملهم فيه الحد ايس معه من رجوعهم تشوف
السامع الى حالهم في الاخرة فقال ان الذين كفروا اي هذا الكفر وغيره وماتوا وهم كفار
ولما كان الموت كذلك سببا للخلود في النار ربطه بالفا فقال فلن يقبل من احدهم
اي كاينا ما كان ملء الارض ذهبا اي من الذهب ولو افتدى به لو في مثل هذا السياق
تجي منبهة على ان ما قبلها جا على سبيل الاستقصا وما بعدها جا تنصيصا على الحالة التي
نظن انها لا تندرج فيما قبلها كقوله صلى الله عليه وسلم اعطوا السايل ولو جا على فرس
فكونه جا على فرس يوذن بغناه فلا يناسب ان يعطيه فنص عليه واما هنا فلما كان قبول
الفدية واجبا عند اهل الكتاب كما مر في قوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفادوهم
كان بحيث ربما ظن ان بذله على طريق الافتدا يخالف بذله على ذلك الوجه حتى يجب قبوله
نص عليه وايضا فحالة الافتدا حالة لا يمتن فيها المفتدي على المفتدى منه اذ هي حالة
قهر من المفتدى منه للمفتدي قال ابو حيان فالمعنى لا يقبل من احدهم ما يملا الارض من

الذهب على حال من الاحوال ولو على حال الافتدا والمراد بالمثال المبالغة في
الكثرة اي لا يقبل منه شي وانما اقتصر على ملء الارض لانه اكثر ما يدخل تحت اوهام
الناس ويجري في محاوراتهم والله اعلم ولما تشوف السامع الى معرفة ما يحل بهم اجيب بقوله
اوليك اي البعدا من الرحمة لهم عذاب اليم ولعظمته اغرق في النفي بزيادة الجار
فقال وما لهم من ناصرين اي بعض ونهم بوجه من الوجوه فانتفى عنهم كل وجه من وجوه
الاستنقاذ ولما كان آخر هذه القصص في الحقيقة ابطال ما خالف الاسلام الذي هو
معنى ان الدين عند الله الاسلام وما بعد ذلك انما جنى ختم الاية بدعوى ان الخاسرين من
الخاسرين وختم ذلك بان من مات على الكفر لا يقبل انفاقه للافتدا مما لحقه من الشدايد
لا بدفع لقاهر ولا بتقوية لناصر فتشوفت النفس الى الوقت الذي يفيد فيه الانفاق
واي وجوهه انفع فارشد الى ذلك والى ان الاحب منه اجدر بالقبول رجوعا الى ما قرره سبحانه
قبل اية الشهادة بالوحدانية من صفة عباده المنفقين والمستغفرين بالاسحار على وجه
ابلغ بقوله لن تنالوا البر وهو كمال الخير حتى تنفقوا اي في وجوه الخير مما تحبون اي من
كل ما تقتنون كما ترك اسرايل عليه السلام احب الطعام اليه لله ولما كان التقدير فان
انفقتم منه علمه الله فنالكم بر البر وان يممتم الخبيث الذي تكرهونه فانفقتموه لم تبروا وكان
كل من المحبة والكراهية امرا خفيا قال تعالى مرغبا مرهبا وما تنفقوا من شي اي من المحبوب
وغيره فان الله به عليم فهذا كما ترى احتباك ولما اخبر بذلك بين انه كان دين اهل الكمال
على وجه يقرر به ما مضى من الاخبار بعظيم اجترا اهل الكتاب على الكذب بامر جلي فقال
تعالى كل الطعام اي من اللحوم مطلقا وغيرها كان حلا لبني اسرايل اي اكله كما كان حلا لمن
قبلهم على اصل الاباحة ولما كانت هذه الاية الزاما لليهود باعتماد النسخ الذي طعنوا به
في هذا الرسول في امر القبلة وكانوا ينكرونه ليصير عذرا لهم في التخلف عن اتباع النبي الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم فكانوا يقولون لم تزل اللحوم وما ذكر معها حراما على من قبلنا سقط
كما كانت حراما علينا فامر بجوابهم بان قال قل اي لليهود فاتوا بالتوراة فاتلوها اي لتدلكم
ان كنتم صادقين فلما ادعيتموه فلم ياتوا بها فبان كذبهم فافتضحوا افضيحة لا مثل لها في الدنيا
فمن اي فتسبب عن ذلك ان من افترى اي تعمد على الله الكذب من بعد ذلك اي البيان
العظيم الظاهر جدا فاوليك اي الابعدا الابغض هم الظالمون اي المتناهون في الظلم بالمشي
على خلاف الدليل فعل من يمشي في الظلام فهو لا يضع شيا في موضعه وذلك يعرضهم الى ان
يهتكهم التام العلم ويعذبهم الشامل القدرة ولما انفضح كذبهم وافتضح تدليسهم لانه لما اشتد
عليهم بكتابهم فلم ياتوا به صار ظاهرا كالشمس لا شك فيه ولا لبس ولم يزدهم ذلك الا تماديا
في الكذب امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قل اي لاهل الكتاب الذين انكروا
النسخ فابهتت عليهم الحجة من كتابهم صدق الله اي في جميع ما اخبر ويخبر به عن ملة ابراهيم وعن
من بين به اسلافكم وتبين انه ليس على دينكم هو ولا احد من قبل موسى عليه السلام لانكم لو كنتم

صادقين لانهم بالتورية نافيا بذلك ان يكون تاخرهم عن الاتيان بها لعلة يعتلون بها غير ذلك
واذ قد تبين صدقه تعالى في جميع ما قال وجب اتباعه في كل ما يامر به واعظم ملة ابراهيم
لانها الجامعة للمحاسن ولما ثبت ذلك بهذا الدليل المحكم لزم قطعا انه ما كان يهوديا ولا نصرانيا
ولا مشركا وقد اقروا بان ملته هي الحق وانهم اتباعه فتسبب عن ذلك وجوب اتباعه فيما اخبر
الله به فبان كالشمس صدقه لانها افتروه من الكذب فقال تعالى فاتبعوا ملة ابراهيم وهي
الاسلام اي الانقياد للدليل وهو معنى قوله حنيفا اي تابعا للحجة اذا اتجهت من غير جمود
بما لوف وما كان من المشركين اي بعزير ولا غيره من الاكابر كالاحبار الذين تقلدونهم مع علمكم
بانهم يدعون الى ضد ما دعا اليه سبحانه ولما الزمهم تعالى بالدليل الذي دل عليه النسخ انهم
على غير ملة ابراهيم عليه السلام واوجب عليهم اتباعها بعد بيان انها هي ما عليه محمد صلى الله عليه
وسلم واتباعه اخبر عن البيت الذي حول اليه التوجه في الصلاة فعابوه على اهل الاسلام بقوله
تعالى ان اول بيت وضع للناس اي متعبدا واجبا عليهم قصده وحجه بما امرهم به على لسان
موسى عليه السلام واستقباله في الصلاة بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك ولعل بناء وضع
للمفعول اشارة الى ان وضعه كان قبل ابرهيم عليه السلام للذي ببكة حال كونه مباركا اي
عظيم الثبات كثير الخيرات وهدى للعالمين اي من بني اسرائيل ومن قبلهم ومن بعدهم نعى
عليهم سبحانه في هذه الاية لنسخهم لما شرعه من حجه من عند انفسهم تحويلا منهم مثالا
لما تقدم الاخبار به عن كذبهم وهذا امر شهير يسجل عليهم بالمخالفة وثبت للمؤمنين الموالفة فان
حج البيت الحرام وتعظيمه من اعظم ما شرعه ابرهيم عليه السلام كما هو مبين في السير وغيرها
وهم عالمون بذلك وقد حجه انبياوهم عليهم السلام واسلافهم ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وغيرهم من الانبيا عليهم السلام واتباعهم كما روي من غير طريق عن النبي صلى الله عليه
وسلم حتى ان في بعض الطرق انه كان مع موسى عليه السلام في حجه اليه سبعون الفا من بني اسرائيل
ومن المحال عادة ان يخفى ذلك عليهم ومن الامر الواضح انهم قد تركوا هذه الشريعة العظيمة
اصلا ورأسا فكيف يصح لهم دعوى انهم على دين ابرهيم عليه السلام مع انسلاخهم من معظم
شرايعه فسر الهدى بقوله فيه ايات بينات وقوله مقام ابرهيم اي اثر قدمه عليه السلام
في الحجر حيث قام لغسل كنته راسه الشريف اعربه ابو حيان بدلا او عطف بيان من الموصول
الذي هو جر ان في قوله للذي ببكة فكانه قيل ان اول بيت وضع للناس لمقام ابراهيم واعربه غيره
بدل بعض من قوله ايات ولما كان امن اهله في بلاد النهب والغارات التي بها حالكم يفرغ البدو لا يلبس
يعول في ذلك عليه من اول الايات قال تعالى ومن دخله كان امنا ولما اوضح سبحانه بعدهم من ابرهيم
عليه السلام لمخالفتهم اياه بعد دعواهم بهتانا انه على دينهم وكانت المخالفة في الواجب ادل قال تعالى ولله
على الناس اي عامة فاظهر في موضع الاضمار دلالة على الاحاطة والشمول كما سياتي بيان ذلك لسر لله
عن الحسنا اي الحسن الحرالي في استطعما اهلها في الكهف وذلك لئلا يدعى خصوصه بالعرب او غيرهم حج
البيت اظهر ايضا تنصيصا عليه وتنويها بذكره تفخيما لقدره ثم من بالتخفيف بقوله من استطاع اليه سبيلا

اي نفعا لا عن اهليه

ثم

ثم حجه كان مؤمنا ولما كان من الواضح ان التقدير ومن لم يحجه مع الاستطاعة كفر بالنعمة ان كان
معترفا بالوجوب وبالمروق من الدين ان جحد عطف عليه قوله ومن كفر اي بالنعمة او بالدين فان الله
غني ولما كان غناه مطلقا دل عليه بقوله موضع عنه عن العالمين اي طايعهم وعاصيهم
صامتهم وناطقهم رطبهم ويابسهم توضح بهذه الاية وما شاكلها انهم ليسوا على دينه كما وضح بما تقدم
انهم ليسوا على دينهم ستت بذلك براته منهم والاية من الاحتباك لان اثبات فرضه اولا يدل
على كفر من اباه واثبات ومن كفر ثانيا يدل على ايمان من حجه ولما اتم سبحانه وعز شانه
البراهين واحكم الدلايل عقلا وسمعا ولم يبق لمتعنت شبهة ولم يبادروا للاذعان بل زادوا
في الطغيان وكادوا ان يوقعوا الضراب والطعان بين اهل الايمان اعرض تعالى عن خطابهم
ايذانا بشديد الغضب ورايعه الانتقام فقال تعالى مخاطبا لرسوله الذي يكون قبلهم على بين
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون اي توقعون الكفر بايات الله البينات نقلا وعقلا الدالة
على انكم على الباطل لما وضح من انكم على غير ملة ابراهيم عليه السلام ولما كان كفرهم ظاهرا ذكر
شهادته تعالى فقال والله اي والحال ان الله الذي لا اله غيره وقد اشركتم به شهيد على كل ما
تعملون اي لكونه يعلم سبحانه السر واخفى وان حرفتم واسررتم ثم استانف ايذانا بالاستقلال
تقريعا اخر لزيادتهم على الكفر التكفير فقال قل يا اهل الكتاب اي المدعين للعلم واتباع الوحي
لم تصدون اي بعد كفركم عن سبيل الله اي دينه الذي جا به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقدمه اهتماما به ثم ذكر المفعول فقال من امن حال كونكم تبغونها اي السبيل عوجا
اي بليكم السنتكم وافترايكم على الله ولم يفعل سبحانه اذ اعرض عنهم في هذه الاية ما فعل من قبل
اذ اقبل عليهم بلذيذ خطابه تعالى جده وتعاظم مجده اذ قال يا اهل الكتاب لم تحاجون في
ابرهيم يا اهل الكتاب لم تكفرون والاية التي بعدها بغير واسطة وقال ابو البقا في اعرابه
ان يبغون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من الضمير في تصدون او من السبيل لان فيها
ضميرين راجعين اليهما فلذلك يصح ان يجعل حالا من كل واحد منهما وعوجا حال انتهى وقال صاحب
القاموس في بنات الواو وبغى الشي نحوا نظر اليه كيف هو وقال في بنات اليا بغيته ابغيه
طلبته فالظاهر ان جعل عوجا حالا كما قال ابو البقا اصوب من جعله مفعولا كما قال في الكشاف
ويكون يبغون اما يائيا فيكون معناه تريدونها معوجة او ذات عوج فان طلب بمعنى اراد واما
ان يكون واويا بمعنى ترونها ذات عوج اي تجعلونها في نظركم يعني تتكلفون وصفها بالعوج
مع علمكم باستقامتها لكن قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح ابغني احجارا استنفض بهن يرد
قول صاحب الكشاف وانتم شهدا اي باستقامتها بشهادة دلكم باستقامة دين ابرهيم
مع قيام ادلة السمع والعقل انها دينه وان النبي والمومنين اولى الناس به لانقيادهم للادلة ولما
كان الشهيد قد يغفل وكانوا يخفون مكرهم في صدهم هددهم باحاطة علمه فقال وما الله
اي الذي تقدم انه شهيد عليكم بغافل اي اصلا عما تعملون ولما تم ايذانه بالسخط على اعدايه
اقبل بالبشر على احبابه مواجها لهم بلذيذ خطابه وصفي عتابه محذرا لهم ومنبها ومرشدا ومذكرا

ودل على ما ختم به ما قبلها من احاطة علمه بدقيق مكر اليهود نقال تعالى يا ايها الذين امنوا
اي بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان تطيعوا فريقا اي بهذا اللفظ لما كان المحذر منه الافتراق
والمقاطعة الذي ياتي بسبب اهل الكتاب به من الذين اوتوا الكتاب اي القاطعين بين الاحباب
مثل شاس بن قيس الذي مكر بكم الى ان وقع الحرب بينكم فلولا النبي الذي رحمكم به ربكم لعدتم
الى شر ما كنتم فيه يردوكم بعد ايمانكم كافرين فيالها من صفقة ما اخسرها وطريقة ما اجورها
ولما حذرهم منهم عظم عليهم طاعتهم بالانكار والتعجيب من ذلك مع ما هم عليه بعد اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم من الاحوال الشريفة فقال عاطفا على ما تقدير فكيف تطيعونهم وانتم
تعلمون عداوتهم وكيف تكفرون اي يقع منكم ذلك في وقت من الاوقات على حال من الاحوال
وانتم تتلى عليكم ايات الله اي علاماته البينات وفيكم رسوله الهادي من الضلالة المنقذ من
الجهالة فتكونون تدعونهم الى مواقفة العدو ومخالفة الولي ومن اي والحال انه يعتصم اي
يجهد نفسه في ربط اموره بالله في جميع احواله كاينا من كان فقد هدي الى صراط مستقيم ولما اقتضى
هذا التحذير من اهل الكتاب والتعجيب والترغيب امرا يميز ذلك من رضاه فقال يا ايها الذين
امنوا اي ادعوا ذلك بالسنتهم اتقوا الله اي صدقوا دعواكم بتقواه حق تقاته فادعوا الانقياد
بدوام مراقبته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ونقل عن العارف ابي الحسن الشاذلي ان هذه الاية في اصل
الدين وهو التوحيد وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم في فروعه ولما كان عزم الانسان فاترا
وعقله قاصرا دلهم على المتكفل بالحفظ فقال واعتصموا اي كلفوا انفسكم الارتباط الشديد والانضمام
العظيم بحبل الله اي طريق دينه التي نهجها لكم ومهدها جميعا لا تدعوا احدا منكم يشذ منها
بل كلما عثرتم على احد فاتها ولو بقيد شبر فردوه اليها ولا تناظروا ولا تسلموا امره ولا تغفلوا عنه بحبل
النظام وتتعبوا على الدوام بل لا تزالوا كالرابط ربطا شديدا حزمة نبل بحبل لا يدع واحدة منها
تنفرد عن الاخرى ثم اكد ذلك بقوله ولا تفرقوا ثم ذكرهم نعمة الاجتماع وبدا منها بالدينوي
لانها اس الاخروي فقال واذكروا نعمة الله عليكم يا من اعتصم بعصام الدين اذ كنتم
اعداء متنافرين اشد تنافر فالف بين قلوبكم بالجمع على هذا الصراط القويم والمنهج العظيم
فاصبحتم بنعمته اخوانا قد نزع ما في قلوبكم من الاحن وازال تلك الفتن والمحن ثم ثنى بما تبع ذلك
من نعمة الدين فقال وكنتم على شفا اي حرف حفرة من النار بما كنتم فيه من الجاهلية فانقذكم
منها ولما تم هذا البيان على هذا الاسلوب الغريب نبه على ذلك بقوله جوابا لمن يقول هل
در هذا البيان ما اغربه من بيان كذلك اي مثل هذا البيان البعيد المنال البديع
المثال يبين الله بعظمته لكم اياته وعظم الامر بتخصيصهم به واضافة الاي اليه ولما كان
السياق للبيان لعل الكفار يرفع اراد اضلالهم ختم الاية بقوله لعلكم تهتدون اي لتكون
حالكم حال من يرجي وتتوقع هدايته هذا الترجي حالكم فيما بينكم واما هو سبحانه فقد احاط
علما بالسعيد والشقي ثم الامر اليه فمن شاء هداه ومن اراد ارداه ولما كان الامر بالاجتماع
الموكد بالنهي عن التفرق ربما افهم الوجوب بتجرد الجمع في كل جزئية من جزئيات العبادة

في كل

للسنة
في كل وقت على سبيل الاجتماع مع الاعراض عن كل عايق عن ذلك سوى كان وسيلة اولا بل
الى كل فرد فرد اتبعه بقوله ولتكن منكم امة اي جماعة تصلح لان تقصد هاغيرها ويكون
بعضها قاصدا بعضا حتى يكون اشد شي ايتلافا واجتماعا في كل وقت من الاوقات على البدل
يدعون الى الخير اي بالجهاد والتعليم والوعظ والتذكير ولما عم كل خير خص ليكون المخصوص
مامورا به مرتين دلالة على جليل امره وعلى قدره فقال ويامرون بالمعروف اي من
الدين وينهون عن المنكر فيه بحيث لا يخلو وقت من الاوقات عن قوم قايمين بذلك وهو
تنبيه لهم على ان يلازموا فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه رضي الله
عنهم عن امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر حين استفزهم الشيطان بمكر شاس بن قيس
في التذكير بالاحقاد والاحتقان والانكاد واعلام بان الذكرى تنفع المومنين ولما كان
هذا السياق منهما لان التقدير فانهم ينالون بذلك خيرا كثيرا عطف عليه مرغبا واوليك
اي العالوا الرتبة العظيموا النفع هم المفلحون حق الافلاح فبين سبحانه ان الاجتماع المامور به
انما هو بالقلوب الجاعلة لهم كالجسد الواحد ولا يضر فيه صرف بعض الاوقات الى المعايش
وتنعيم البدن ببعض المباحات وان كان الاكمل صرف الكل بالنسبة الى العبادة ولما امر بذلك
اكده بالنهي عن ما يضاده معرضا بمن نزلت هذه الايات فيهم من اهل الكتاب مبكتا لهم
بضلالهم واختلافهم في دينهم على انبيايهم فقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا بما ابتدعوه في
اصول دينهم وبما ارتكبوه من المعاصي فقادهم ذلك ولا بد الى التخاذل والتواكل والمداهنة
التي قصدوا بها المسالمة فجرتهم الى المضاربة واختلفوا بما امر لهم الحقد الحامل على الاتصاف
بحالة من تظن انهم جميع وقلوبهم شتى ولما ذمهم بالاختلاف الذي دل القول على زمنه زاد
في تقبيحه بانهم حالفوا فيه بعد بني العقد واضح النقل واشار الى عظيم وضوحه بتذكير الفعل
فقال من بعد ما جاءهم البينات اي بما يجمعهم ويخليهم ويرفعهم فما زادهم ذلك الا افتراقا
واهلكهم واوليك البغضا البعدا لهم عذاب عظيم اي في الدار الاخرة بعد عذاب الدنيا ولما قدم هل
الكتاب المتعدين على الكفر علم بيوم القيمة في قوله ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم وختم
تلك الاية بانهم لهم عذاب اليم واستمر حتى ختم هذه بانه مع ذلك عظيم بين ذلك اليوم بقوله
يوم تبيض وجوه اي بما لها من الماثر الحسنة وتسود وجوه بما عليها من الجرايم السيئة
فاما الذين اسودت وجوههم بدا بهم لان النشر المشوش افصح ولان المقام للترهيب فيقال لهم توبيخا
وتقريعا اكفرتم بسواد الوجوه وعبيد الشهوات بعد ايمانكم بما جبلتم عليه من الفطر
السليمة ومكنتم به من العقول المستقيمة من الفطر في الدليل ثم بما اخذ عليكم انبيا وكم
من العهود فذوقوا العذاب اي الاليم العظيم بما كنتم تكفرون وانتم تعلمون واما الذين
ابيضت وجوههم اشراقا وبهاء ففي رحمة الله اي ثوابه فعله الذي هو فعل الراحم ثم اجاب
عن سوال من كانه قال هل تزول عنهم كما هو حال النعم في الدنيا بقوله هم فيها خالدون
ولما جاءت هذه الايات من التهذيب واحكام الترتيب وحسن السياق فصب السياق اشار اليها

لنا
مع قربها باداة البعد واضافها الي اعظم اسمايه فقال تلك ايات الله اي هذه دلايله العالية
الرتب البعيدة التناول ثم استانف الخبر عنها في مظهر العظمة قايلا نتلوها وزاد في تعظيمها بعد
المبتدا بالمنتهى فقال عليك ثم اكد ذلك بقوله بالحق اي ثابته المعاني راسخة المقاصد صادقة
الاقوال في كل ما اخبرت به من فوزكم وهلاكهم من غير ان نظلم احدا منهم وما الله اي الحايز
بجميع الكمال يريد ظلما قل وجل للعالمين اي ما ظلمهم ولا يريد ظلم احد منهم لانه متعال
عن ذلك لا ينقص منه وهو غني عنه لان له كل شي ولما كان امرهم بالاقبال عليه ونهيهم عن الاعراض
عنه ربما اوقع في وهم انه غير قادر على ضبطهم او محتاج الى ربطهم ازال ذلك دالا على انه غني
عن الظلم بقوله ولله ما اي كل شي في السموات وكل ما في الارض من جوهر وعرض ملكا
وملكا والى الله ترجع الامور اي كلها التي فيهما والتي في غيرهما فلا داعي الي الظلم لانه غني
عن كل وقادر على كل شي ولما كان من رجوع الامور اليه هدايته من يشا واضلاله من يشا قال
مادحا لهذه الامة ليمنعوا في رضاه حمدا وشكرا ويوبسا اهل الكتاب عن اضلالهم ليزدادوا
حرصا وشكرا كنتم خير امة اي وجدتم على هذا الوصف الثابت ثم وصف الامة بما يدل على عموم
الرسالة وانهم سيقهرون اهل الكتاب فقال اخرجت للناس ثم بين وجه الخيرية بقوله تامرون
بالمعروف اي كل ما عرفه الشرع واجازه وتنهون عن المنكر وهو ما خالف ذلك مبشرا لهم بانه
قضى في الازل انهم يمتثلون ما امرهم به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله ولتكن منكم امة يدعون
الي الخير راحة لهم من كلفة الترجي انهم هل يمتثلون فيفلحوا او ازاحة لحملهم اعبا الخطر بكونهم يعانون
ليفوزوا ويربحوا فصارت فائدة الامر كثرة الثواب بقصد امتثال الواجب ولما اخبر عنهم
بهذا الوصف الشريف في نفسه اتبعه ما زاده شرفا وهو انهم فعلوه في حال ايمانهم فهو معتبر به
لوجود شرطه الذي هو اساس كل خير فقال وتومنون اي تفعلون ذلك والحال انكم تومنون
بالله اي تصدقون انبياءه ورسله بسببه في كل ما اخبر وابد قولا وفعلا ظاهرا وباطنا
وتفعلون جميع اوامره وتنتهون عن جميع مناهيه وكرر الاسم الاعظم زيادة في تعظيمهم وقد
صدق الله ومن اصدق من الله حديثا قال الامام ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري في خطبة
كتاب الاستيعاب روى ابو القسم عن مالك انه سمعه يقول لما دخل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الشام نظر اليهم رجل من اهل الكتاب فقال ما كان اصحاب عيسى بن مريم الذين
قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب باشد اجتهادا من هولا انتهى ولما كان من المعلوم ان التقدير
ونحن خيركم عطف عليه قوله ولو امن اهل الكتاب اي كما امنتم بجميع الرسل وجميع ما انزل عليهم
في كتابهم وغيره ولم يفرقوا بين شي من ذلك لكان اي الايمان خيرا لهم اشارة الى سعيه احلامهم في
وقوفهم مع ما منعهم عن الايمان من العرض القليل الفاني والرياسة الثافهة وتركهم الغنى الدايم
والعز الباهر الثابت ولما كان هذا ربما اوهم انه لم يومن منهم احد قال مستانفا منهم المومنون
اي ولكنهم قليل واكثرهم الفاسقون اي الخارجون من ربقة الاوامر والنواهي خروجا ليحمل
معه خروج غيرهم ولما كانت مخالفة الاكثر قاصمة خفف عن اوليايه بقوله لن يضروكم الا اذى

اي بالسنتهم

اي بالسنتهم وان يقاتلوكم اي يوما من الايام يولوكم صرح بضمير المخاطبين نصا في
المطلوب الادبار اي انهزاما اذلة وجبنا ولما كان المولى قد يعود له كرة بعد فرة قال
ثم لا ينصرون اي لا يكون لهم ناصر من غيرهم ابدا وان طال المدى فلا تهتموا بهم ولا باحد
مالهم من المنافقين وقد صدق الله ومن اصدق من الله قيلا لم يقاتلوا في موطن الا كانوا
كذلك ولما اخبر عنهم سبحانه بهذا الذي اتبعه الاخبار بانهم في كل زمان وكل مكان معاملون
منه لهم بضد ما ارادوا بحرصهم عن الحرص على الرياسة الزامهم الذلة وعن الاخلاد الي
المال لسكانهم المسكنة واخبر ان ذلك لهم طوق الحمامة غير مزايلهم الي اخر الدهر بانه فتح
اعناقهم بافعالهم هذه التي لم نساعدهم فيها الاعقاب فقال تعالى مستانفا ضربت عليهم
الذلة وهي الانقياد كرها واحاطت بهم كما يحيط البيت المضروب بساكنه اينما ثقفوا
اي وجدتم من هو حاذق خفيف فطن في كل مكان وعلى كل حال الا حال كونهم معتصمين
بحبل اي عهد من الله اي الحاير لجميع العظمة وحبل من الناس اي موافق لذلك الحبل الذي
من الله ولما كان الذل انما كان مع الرضى ولو من وجه قال وباؤا اي رجعوا عما كانوا فيه
من الحال الصالح بغضب من الله ملازم لهم ولما كان الرضوان قد يصحبه اليسار قال وضربت
اي مع ذلك عليهم المسكنة اي الفقر ليكونوا بهذه الاوصاف اعرف شي في الذل فكانه قيل
ثم استحقوا ذلك فقيل ذلك اي الالزام لهم بما ذكر بانهم اي اسلافهم الذين رضوا هم
فعلهم كانوا يكفرون بايات الله وذلك اعظم الكفر لمشاهدتهم لها مع اشتمالها من العظم
على ما يليق بالاسم الاعظم ويقتلون الانبيا اي الاتين من عند الله حقا ولما كانوا معصومين
دينا ودنيا قال بغير حق اي مبيح لقتلهم ثم علل اقدامهم على هذا الكفر بقوله ذلك اي
الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون فان الاقدام على المعاصي والاستهانة بتجاوز
الحدود يهون الكفر والاية دليل على مواخذة الابن الراضي بذنب الاب وان علا وذلك
طبق ما رايته في ترجمة التورية التي بين ايديكم الان قال في السفر الثاني وقال الله جميع
هذه الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق لا
تكون لك الهة اخرى لا تعمل شيا من الاصنام والتماثيل التي مما في السما فوق وفي الارض
من تحت ومما في الما اسفل الارض لا تسجدن لها ولا تعبدنها لاني انا الرب الهك الغيور اجازي
الابنا بذنوب الابا الى ثلاثة احقاب واربعة خلوف واثبت النعمة الى الف حقب لاحبابي
وحافظي وصاياي ولما كان السياق ربما افهم انهم كلهم كذلك قال مستانفا نافيا لذلك ليسوا
سوا اي في هذه الافعال ثم بين سبحانه على من اقبل على الحق منهم وخلع الباطل ولم يراع سلفا
ولا خلفا بعيدا او قريبا باثرا استانف قوله من اهل الكتاب فاظهر لئلا يتوهم عود الضمير على
خصوص من حكم بتكفيرهم امة قايمة اي مستقيمة على ما اتاها هاديها تنبيها في اثبات على ما
شرعه نبيهم بالقيام للانتقال عنه الى الناسخ الذي بشر به ووصفه غير زايغة بالايمان ببعضه
والكفر ببعضه ثم ذكر الحامل على الاستقامة فقال يتلون ايات الله اي المنزلة انا الليل وهم

ميز

يسجدون ثم ذكر ما اثمر لهم التهجد فقال يومنون وذكر الاسم الاعظم اشارة الى استحضارهم
لعظمته فقال بالله واتبعه اليوم الذي يظهر فيه عظمته كلها لانه الحامل على كل خير فقال واليوم
الاخر اي ايمانا يعرف انه حق بتصديقهم له بالعمل الصالح بما يرد عليهم من المعارف التي مالها
من نفاد فيتجدد بتهجدهم فثبت استقامتهم ولما وصفهم بالاستقامة في انفسهم وصفهم بانهم يقومون
غيرهم فقال ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولما ذكر فعلهم للخير ذكر نشاطهم في جميع
انواعه فقال ويسارعون في الخيرات ولما كان التقدير فاوليك من المستقيمين عطف عليه
واوليك من الصالحين ولما كان التقدير فما فعلوا من خير فهو بعين الله يشكره عطف عليه
قوله وما تفعلوا اي انتم من خير فلن تكفروه بل هو مشكور لكم بسبب فعلكم فان الله عليم
بكل ما يفعله الفاعلون والله عليم بالمتقين من الفاعلين حتى يثيبهم اعظم الثواب ويحميهم فهو تمام
بما يريد من العقاب هذا على قراة الخطاب واما قراة الغيبة فامرها واضح في نظمها مما تلته ولما
رغبهم والانفاق واخبرهم بانه عالم بذ قدر وجله واخبر ان شك كان داب اسرايل عليه السلام
على وجه انتج ان بنيه كاذبون في ادعايهم انهم على ملة جدهم ابراهيم عليه السلام ثم حذر منهم
وختم باختمه بالمتقين بالترغيب في الخير بما اندرج فيه الانفاق الذي قدم اول السورة انه
من صفة المتقين المستغفرين التي هي اشرف اما الليل وكان مما يمنع منه خوف الفقر والنزول
عن حال الموسرين من الكفار المفاخرين بالاكثار المعبرين بالاقلال من المال والولد وتوقفا
مع الحال الدنيوي وكان قد اخبر انه لا يقبل من احدهم في الاخرة مل الارض ذهبا اعقب هذا
بمثل شك على وجه اعم فقال ان الذين كفروا اي بالله بالميل عن المنهج القويم وان
ادعوا الايمان بر نفاقا او غيره لن تغني عنهم اموالهم اي وان كثرت ولا اولادهم وان عظمت
من الله شيا اي من الاغنا تاكيد المقرر من عدم نصح اهل الكتاب الذين حملهم
على ايثار الكفر على الايمان استجلاب الاموال والرياسة على الاتباع على وجه
يعم جميع الكفار كما قال في اول السورة سوا ولما كان التقدير فاوليك هم الخاسرون
عطف عليه قوله واوليك اصحاب النار اي هم مختصون بها ثم استانف لما يفيد
ملازمتها فقال هم فيها خالدون ولما كان ربما يتشكل في حال ما يبذلونه في المكارم ويوا
سون به في المغارم ضرب لذلك مثلا جعله هبا منثورا ضايعا وان كثر بورا كان لم
يكن شيا مذكورا بقوله تعالى جوابا لهذا السوال مثل ما ينفقون اي من المال في هذه
الحيوة الدنيا اي على وجه القربة او غيرها ومثل انفاقهم له ومثل حرث اصيب بالريح
كمثل ريح فيها صر اي برد شديد اصابت حرث قوم موصوفون بانهم ظلموا انفسهم
اي بالبنا على غير اساس الايمان فاهلكته فمثل ما ينفقون في كونه لم يكن ينفعهم في الدنيا بانتاج ما
ارادوا واجرهم في الدين اما في الدنيا فيصاعر في غير شي واما في الاخرة فبالمعاقبة عليه
لتضييع اساسه وقصدهم الفاسد بمثل الزرع الموصوف فانه لم ينفع اهله الموصوفين
بل ضرهم في الدنيا بضياعه وفي الاخرة بما قصدوا به من المقصود الفاسد ومثل انفاقهم

لهي

له في كونه ضرهم ولم ينفعهم مثل الريح في كونها ضرت الزرع ولم تنفعه فلما كانت جليا صح
الريح الموصوفة امرا مشاهدا جعلت مثلا لانفاقهم الذي هو امر معنوي خفي ولما
كان الزرع المحترق امرا محسوسا جعل فيما حصل له بعد البعث من العطب مثالا لما هو
معقول وهو اموالهم في كون انفاقهم اياها لم يثمر لهم شيا غير الحسرات والبعث ولما كان ن
سبحانه موصوفا بانه الحكم العدل القايم بالقسط وانه لا ينبغي خير افعل قال دفعا لتوهم
ان ذلك بخس وما ظلمهم اي الممثل بهم والممثل لهم الله الملك الاعظم الغني الحفي المطلق
لانه المالك المطلق وقد كفروا اما الممثل لهم فبكونهم انفقوا على غير الوجه الذي شرعه
واما الممثل بهم فبكونهم لم يحرسوا زرعهم بالطاعات وفي الاية دليل على ان اهل
الطاعات تحرس صوانعهم من الافات وتحرق فيها العادات ثم قال ولكن انفسهم اي
خاصة يظلمون فافاد انهم هم الذين ظلموا انفسهم بتضييعهم الاساس بكفرهم وان ظلمهم
مقصور على انفسهم لا يتعداها الى غيرها وان ظهر لانفاقهم نكاية في عدوهم وكان
العاقبة لما كانت للمومنين كانت نكايتهم كالعدم بل هي زيادة في وبالهم فهي من ظلمهم
لانفسهم ولما كانت الحال بالمال لا سيما مع الانفاق من اعظم المرغبات في الموالاة
وكانت هذه الاية قد صيرت جميلة قبيحا وبدل له سبحانه قال تعالى مكررا للتنبيه على
مكر ذوي الاموال والجمال الذين يريدون ايقاع الفتنة بينهم من اليهود والمنافقين
ليضمحل امرهم وتزول شوكتهم يا ايها الذين امنوا اي ايمانا صحيحا مصدقا ادعاوه
بالعمل الصالح الذي من اعظم الحب في الله والبغض في الله لا تتخذوا بطانة اي تبا طنونهم
باسرارهم وتختصونهم بالمودة والصفا ومبادلة المال والوفا من دونكم اي من سواكم
ايها المومنون وعبر بذلك اعلاما بانهم يمتهنون انفسهم وينزلونها عن علي درجتها بموادتهم
لا يالونكم خبالا اي يقصرون بكم من جهة الفساد ثم بين ذلك بقوله ودوا ما
عنتم اي عنوا مشقتكم ولما كان هذا قد يخفي بينه بقوله قد بدت البغضا من افواههم
اي بين بينه في حد ذاته ولكنكم لحسن ظنكم وصفا نياتكم لا تتاملون لها فتاملوا ثم اخبر عن
علمه سبحانه قطعا وعلى العطن من عباده بالقياس ظنا بقوله وما تخفي صدورهم اكبر ثم لفتنا
على طريق الالهاب والتهييج قوله قد بينا لكم اي بهذه الجمل الايات اي الدلالات على اسعادة
الدارين ومعرفة الشقي والسعيد والمخالف والموالف ان كنتم تعقلون ثم استانف الاخبار
عن ملخص حالهم معهم فقال ها انتم اولا اي المومنون المسلمون المستسلمون تحبونهم
اي لاغتراركم باقرارهم بالايمان لصفا بواطنكم ولا يحبونكم اي انتم وتومنون بالكتاب
كله اي ويكفرون هم به كله اما بالقصد الاول واما بالايمان بالبعض والكفر بالبعض واذا
لقوكم قالوا اي الكم امنا لنفتنكم وابهم واذا خلوا اي منكم عضوا عليكم الانامل من الغيظ
اي المفرط منكم ومرجل الهائي ها انتم بدلا عن همزة الاستفهام فالمراد عنده انتم يا هولا
التي يمنى تحبونهم والحال انهم ما هم عليه من منابذتكم وانتم ما انتم عليه من الفطنة بصفا

الافكار وعلي الاد ابعبو لكم الحق كله لان المومن فطن فهو استفهام وان كان من وادي التوبيخ المراد به التنبيه والتهييج المنقذ من سافل الدركات الى عالي الدرجات والله الموفق ولما كانوا كانهم قالوا فما نفعل قال مخاطبا للراس المسموع الامر المجاب الدعا قل اي لهم موتوا بغيظكم اي ادر الهم ودعا عليهم بدوام الغيظ ولما كانوا يحلفون على نفي هذا لبعضهم قال تعالى موكدا لما اخبر به لئلا يظن انه اريد به غير الحقيقة ان الله اي الجامع لصفات الكمال عليم بذات الصدور فلا تظنوا انه اراد بعض ما يتحرز بالغيظ عنه ولما كان ما اخبرت به هذه الجمل من بغضهم وشدة عداوتهم محتاجا ليصل الى المشاهدة الى بيان دل عليه بقوله ان تمسسكم اي مجرد مس حسنة تسؤهم ولما كان هذا دليلا شهوديا ولكنه ليس صريحا اتبعه الصريح بقوله وان تصبكم اي بقوة بوها وشدة دفعها ومضها سيئة يفرحوا بها ولما كان هذا امرا مبكيا غايظا مولما ارادهم بالاشارة الى النصر منشوطا بشرط التقوى والصبر فقال وان تصبروا وتتقوا اي تكونوا من اهل الصبر والتقوى لا يضركم كيدهم شيئا ثم علل ذلك بقوله ان الله اي ذا الجلال والاكرام بما يعملون محيط اي فهو معد لكل كيد ما يبطله والمعنى على قراة الخطاب بعملكم كله فمن صبر واتقى ظفر به ومن عمل على غير ذلك انتقمت منه ولما كان ما تضمنته هذه الايات من الاخبار ومن الوعد منطوقا ومفهوما محتاجا الى الاجتلا في صور المحسوسات ذكرهم سبحانه بالوقايع التي شوهدت فيها احوالهم من النصر عند العمل بمنطوق الوعد من الصبر والتقوى وعدمه عند العمل بالمفهوم وشوهدت فيها احوال عدوهم من المساءة عند السرور والسرور عند المساءة وليس غنيا عن دليل لكونه من المشاهدات مشيرا الى ذلك بواو العطف على غير مذكور مخاطبا لاعظم عباده فطنة واقربهم اليه رتبة تهييجا لغيره الى تدقيق النظر واتباع الدليل من غير اذى ووقوف مع المالوف فقال تعالى واذ اي اذكر ما يصدق ذلك من احوالكم الماضية حين صبرتم واتقيتم فنصرتم وحين ساهم بعضكم في كل ذلك في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة ثم في بدر كلها ثم في غزوة بني قينقاع وغير ذلك واذكر اذ لم يصبر اصحابك فاصيبوا واذ ساءهم مصيبتكم في وقعة احد اذ غدوت اي يا خاتم الانبيا واكرم المرسلين من اهلك اي بالمدينة الشريفة صبيحة يوم الجمعة الى اصحابك في مسجدك تستشيرهم في امر المشركين وقد نزلوا باحد في اواخر يوم الاربعا او في يوم الخميس لقتالكم وبني من غدوت حالا اعلاما بان الشروع في السبب شروع في مسببه فقال تبوئ اي تنزل المومنين اي صبيحة يوم السبت وعبر بقوله مقاعد اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم تقدم الى كل احد بالثبات في مركزه واوعز اليه في ان لا ينتقل شيا الا بامره لا سيما الرماة ثم ذكر علة ذلك فقال للقتال ولما كان التقدير وتقدم اليهم بابلغ مقال في تشديد الاقوال والافعال اشار تعالى الى انه وقع في غضون ذلك ومنهم كلام كثير خفي وجلي بقوله والله اي والحال ان الله سميع اي لاقوالكم عليم اي باحوالكم

في ذلك

في ذلك وفي غيره فاحذروه ولعله خص النبي صلى الله عليه وسلم بلذيذ الخطاب في التذكير تحريضا لهم مع ما تقدمت الاشارة اليه في المراقبة تعريضا بانهم خصوا مع النبي ذكرهم امس بعاث حتى تواثبوا حين تغاضبوا الى السلاح كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى يا ايها يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية فوقفوا عن نافذ الفهم وصافي الفكر خفة الى ما اراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التعريض التحذير كله ويؤيد ذلك اقباله بالخطاب عليهم عند نسبته الفشل اليهم كما ياتي قريبا ولعله انما خص هذه الغزوة بالذكر دون ما ذكرت ان واو عطفه دلت عليه مما ايد وانبه بالنصر لان الشماتة بالمصيبة ادل على البغضا والعداوة من الحزن بما يسر ودل ذكرها على الحذف وفيه لان المدعى فيما قبلها شيان المساءة بالحسنة والفرح بالمصيبة فاذا برهن المتكلم على الثاني علم ولا بد انه حذف برهان الاولى وانه انما حذفه وهو حكيم لنكتة وهي هنا عدم الاحتياج الى ذكره لوضوحه بدلالة السياق مع واو العطف عليه وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في امر البغض على انه تعالى قد ذكر بدرا كما ترى بعد لحكمة سنذكرها واطلق سبحانه كما عن الطبري وغيره السوي على ابتدا القتال بالاستشارة فان الكفار لما نزلوا يوم الاربعا ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة في سفح احد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر فيهم ما ياتيه من الوحي بقية الاربعا ويوم الخميس وليلة الجمعة وباتت وجوه الانصار في المسجد ساتات النبي صلى الله عليه وسلم يحرسونه صلى الله عليه وسلم وحرست المدينة الشريفة ثم دعا الناس صبيحة يوم الجمعة فاستشارهم في امورهم واخبرهم وكان رايه مع راي كثير من الصحابة المكث في المدينة فان قاتلوهم فيها قاتلهم الرجال مواجهة والنسا والصبيان من فوق الاسطحة وكان عبد الله ابن ابي المنافق على هذا الراي فلم يزل باس ممن اكرمهم الله بالشهادة منهم اسد الله واسد رسوله عمه حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه يلحون عليه صلى الله عليه وسلم في الخروج اليهم حتى اجاب فدخل بيته ولبس لامته بعد ان صلى الجمعة فندموا على استكراههم له صلى الله عليه وسلم وهو ياتيه الوحي فلما خرج اليهم اخبروه وسالوه في الاقامة ان شا فقال ما كان ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفي رواية حتى يلاقي فالي الشيخين وهما اطمان فعرض بهما عسكره ففرغ مع غياب الشمس وراه المشركون حين نزل بهما واستعمل تلك الليلة على حرسه محمد بن مسلمة واستعمل المشركون على حرسهم عكرمة بن ابي جهل ثم ادلج من سحر ليلة السبت وندب الادلا ليسيروا امامه وحانت صلاة الصبح في الشوط وهم بحيث يرون المشركين فامر بلالا رضي الله عنه فاذن واقام وصلى باصحابه صلى الله عليه وسلم الصبح صفوفا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث العسكر فرجع وقال اطاع الولدان ومن لا راي له وعصاني وما ندري علام نقتل انفسنا وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر بن عبد الله احد بني سلمة واحد من استشهد في ذلك اليوم وكلمه الله قبلا ناشدهم الله في الرجوع فلم يرجعوا فقال ابعدكم الله سيغني الله نبيه صلى الله عليه وسلم ورجع فوافق النبي صلى الله عليه وسلم نصف اصحابه وكادت

بروايا تلك الليلة البغل المدبوغة
سبعين وادخال
والسلاح
بين الدرع والحصينة
صح

المنافقين
طائفتان من الباقين وهما بنو سلمة عشيرة عبد الله بن عمرو وبنو حارثة ان يفشلا لرجوع
ثم ثبتهم الله تعالى ونزل صلى الله عليه وسلم الشعب من احد فجعل ظهره وعسكره الى احد وعبا
اصحابه وقال لا تقاتلن احد حتى نامره وجعل طائفة من الرماة وامرهم بعينين جبل
هناك من ورائهم واوعز اليهم في ان لا يتغيروا من مكانهم حتى يامرهم ان كانت لنا او علينا حتى
قال لهم ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تعينونا وان رايتمونا هزمنا فلا تشركونا في الغنيمة
والتحموا الخيل اذا اتت من ورائنا وبرز صاحب لوا المشركين وطلب المبارزة فبرز اليه
رجل من المسلمين فقتله المسلم فحمله اخر وبرز فقتل وفعلوا ذلك واحدا بعد واحد حتى
عوا عشرة كلهم يقتل فلما انكسرت قلوب المشركين نبوا الى القتل في اصحاب اللواء وكانت
امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فشدوا فهزموا المشركين وخلوا عسكرهم ونساءهم وكا
الخيل كلما اتت من وراء المسلمين نضحتهم الرماة بالنبل فرجعوا فلما دفع الصحابة رضي الله عنهم
ونهب العسكر خلى الرماة بعدهم ثناهم اميرهم وحذرهم مخالفة امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يطعه منهم الا نحو العشرة فاتى اصحاب الخيل فقتلوا من بقي من الرماة
ثم اتوا الصحابة رضي الله عنهم من ورائهم وهم ينتهبون فاسرعوا فيهم القتل ونادى
ابليس ان محمدا قد قتل فانهزم الصحابة رضوان الله عليهم ولم يلبث مع النبي صلى الله عليه وسلم
الا قليل ما بين العشرة الى الثلاثين على اختلاف الاقوال واستمر يحاول بهم العدو والله تعالى
يحفظه ويدافع عنه حتى دنت الشمس للغروب وصرف الله العدو فدفن النبي صلى الله
عليه وسلم الشهدا ووصف اصحابه رضي الله عنهم فاثنى على الله عز وجل ثنا عظيما ذكر به
فضله سبحانه وعدله وان الملك ملكه يتصرف فيه كيف شا ورجع الى المدينة الشريفة وقد
اصابته الجراحة في مواضع من وجهه بنفسي هو وابي وامي وقع وجهي وعيني ولما كان رجوع
عبد الله بن ابي المنافق كما ياتي في صريح الذكر اخر القصة من الادلة على ان المنافقين
فضلا عن المصارحين بالمضارة متصفون بما اخبر الله تعالى عنهم من العداوة والبغضاء
مع انه كان سببا في هم الطائفتين من الانصار بالفشل لان ابتلا هذه القصة للنهي عن
اتخاذ بطانة السوء الذين لا يقصرون عن فساد في غاية المناسبة ولذلك افتتحها سبحانه
بقوله مبدلا من اذ غدوت دلالة على ما قبله من ان بطانة السوء لا يالونكم خبالا وغيره
اذ همت طائفتان منكم اي بنو سلمة وبنو حارثة ان تفشلا اي تكسلا وتتراخيا وتضعفا
وتحسا لرجوع المنافقين عن نصرهم ولا يثبتهم فيرجعا كما رجع المنافقين والله اي والحال
ان الله وليهما وناصرهما لانهما مؤمنتان فلا ساغ وقوع الفشل وتحققه منهما ولكن فليتوكلا عليه
وحده لايمانهما او يكون التقدير فالعجب منهما كيف تعمدا او على غير سبحانه لتضعفا مع انه و
الحال انه على الله اي وحده فليتوكل المؤمنون اي الذين صار الايمان صفة لهم ثابتة راجعين
لنصرهم لا على كثرة عدد ولا قوة جلد ولا حسن تدبير لان الاية على الاحتباك ويكون اصل
نظمه والله وليهما لتوكلهما وايمانهما فلم يبكى منهما الفشل فتولوا الله وتوكلوا عليه ليصونكم

من الوهن

من الوهن على الله فليتوكل المؤمنون كلهم ليفعل بهم ذلك فالامر بالتوكل ثانيا دال على
وجوده اولا واثبات الولاية اولا دال على الامر بها ثانيا ولما كان ظاهر الحال فيما اصاب
الكفار من المسلمين في هذه الغزوة ربما كان سببا لشك من لم يحقق بواطن الامور ولا الاهلية
النفوذ في الدقايق من عجايب المقدور في قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم قل للذين كفروا ستغلبون ذكرهم تعالى نصره لهم في غزوة بدر وهم في القلة
دون ما هم الان بكثير سرا لهم الى ما ثمر توكلهم من النصر حالهم اذ ذاك حالا لا ييس
منه ولذلك كانوا في غاية الكراهة للقا بخلاف ما كانوا عليه في هذه الكره حثا على ملا زمة
التوكل منبها على انه لا يزال يريهم مثل ذلك النصر ويذيق الكفار اضعاف ذلك الهوان
حتى يحق الحق ويبطل الباطل ويظهر دينه الاسلام على الدين كله فقال عاطفا على ما تقدير
ممن توكل عليه نصره وكفاه وان كان قليلا فلقد نصركم الله اول النهار في هذه الغزوة
حيث صبرتم واتقيتم سلا عنكم للرسول صلى الله عليه وسلم في ملازمة المقعد ولا قتال على
الحرب وغير ذلك مما امركم به صلى الله عليه وسلم ولم تضركم قلتكم ولا ضعفكم عن
رجع عنكم شيئا ولقد نصركم الله بما له من صفات الجلال والجمال ببدر المشار اليها
اول السورة بقوله تعالى قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة لما صبرتم واتقيتم ولما كانوا
في عدد يسير اشار اليه بجميع القلة فقال وانتم اذلة اي فاذكروا ذلك واجعلوه نصب
اعينكم لينفعكم وكان الاتيان بامر بدر بعد ابرام الفشل المختتمة بالحث على التوكل
في الغاية من حسن النظم وهو دليل ايضا على منطوق قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا كما كان امر احد دليلا على منطوقها ومفهومها معا دل على منطوقها
بنصرهم اول النهار عند صبرهم وعلى مفهومها باذالة العدو عليهم عند فشلهم اخره
والله الموفق على انك اذا انعمت التامل في قصة احد من العسر وكتب لها حبا علمت ان
الظفر فيها ما كان الا للنبي صلى الله عليه وسلم كما سياتي الخبر به في قوله تعالى ولقد صدقكم الله
وعده اذ تحسونهم باذنه فان الصحابة رضي الله عنهم هزموهم كما مضى في اول النهار
حتى لم يبق في عسكرهم احد ولا بقي عند نسائهم حام فلما خالف الرماة امر النبي صلى الله
عليه وسلم واقبلوا على الغنيمة اراد الله تاديبهم وتعريفهم ان نصرته لنبيه صلى
الله عليه وسلم غير محتاجة في الحقيقة اليهم فانهزموا حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه
وسلم غير نفر يسير ما يبلغون الخمسين والكفار ثلاثة الاف وخيلهم مايتان فاستمر
عليه الصلاة والسلام في نحورهم يجاولهم ويصاولهم ويراسونه مرة ويطاعنونه اخرى
ويحمون عليه كره ويفترقون عنه اخرى والله تعالى يمنعه منهم بامره ويحوطه بنو ته
حتى نزلت الشمس للغروب وقتل سيده صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف ساير نفسه يقا
كما كان اوعده به قبل الهجرة وخالطوه غير مرة ولم يمكنهم الله منه ولا اقدرهم على اسر
احد من اصحابه ثم ردهم خايبين بعد ان تراجع اليه اصحابه في اثنا النهار ولم يرجع صلى

استشهد من اصحابه واما
الله عليه وسلم من احد الا بعد انصرافهم ودفن من
هم فاستمروا راجعين ولم يلووا على احد ممن قتل منهم وهم اثنان وعشرون رجلا
من سراواتهم وحماتهم وقال الجلال الخجندي في كتابه فردوس المجاهدين
انه صح النقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما نصر الله النبي صلى الله عليه وسلم
في موطن من المواطن نصرته في يوم احد انتهى وكفى على ذلك دليلا ما نقل موسى بن عقبه
في سيرته اصح السير في غزوة الفتح عن قايد الجيش باحد ابي سفيان بن حرب انه قال
عند ما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يا محمد قد استنصرت الهي واستنصرت
الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا ظهرت علي فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لقد ظهرت عليك
وانما كانت الهزيمة وقتل من قتل لحكم ومصالح لا تخفى على من له رسوخ في الشريعة
وثبات قدم في السنن ويمكن ان يكون هذه القصة منه رحمه في حجر اليمني في القصة
التي عن طاعة فريق من اهل الكتاب عطفا على قوله تعالى نعمة في قوله واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم لتشابه القصتين في الاصغا الى الكفار
قولا او فعلا المقتضي لهدم الدين من اصله لانهم الطايفتين بالفشل انما كان من اجل
رجوع عبد الله بن ابي المنافق حليف اهل الكتاب ومواليهم ومصافيهم ويويد
ذلك نهيه تعالى في اثنا هذه من قبل ثم بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم بعد ايمانكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ويكون اسناد فعل عدو
وامثاله الى النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الاسناد الى الجمع لانه الرئيس فخطابه
خطابهم ولشرف هذا الفعل فكان الاولين افراده صلى الله عليه وسلم واما الفشل
ونحوه فاسند اليهم وقصره هو الواقع عليهم ولما امتن سبحانه عليهم بالنصر
في تلك الكرة سبب عن ذلك امرهم بالتقوى اشارة الى انها السبب لدوام النعمة فقال
فاتقوا الله اي في جميع اوامره ونواهيه مراقبين له بذكر جميع جلاله وعظمته وكماله
لعلكم تشكرون وقد استشكل هنا بان التقوى التنزه عن المعاصي والشكر
فعل ينبئ عن تعظيم المنعم وشكر الله صرف جميع ما انعم به في طاعاته فحينئذ التقوى
من الشكر فان اريد العموم ادخل الكلام الى اشكروا لعلكم تشكرون ولا يتحرر الجواب
الا بعد معرفة حقيقته لغة قال الامام عبد الحق في كتابه الواضح الواقية ما وقاك
الشر وكل شي وقيت به شيئا فهو وقاية وقوله سبحانه لعلكم تتقون قال
ابن عرفة اي لعلكم ان تجعلوا بقبول ما امركم به وقاية بينكم وبين النار انتهى فاتقى
ان حقيقته اتقوا اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية وان سبب اتخاذ الوقاية الخوف
من ضار فالظاهر والله اعلم ان اتقوا بمعنى خافوا مجازا مرسلا من اطلاق اسم
المسبب على السبب فالمعنى خافوا الله لتكونوا على رجا من ان يحملكم خوفه على طاعته ولئن
سلمنا ان التقوى من الشكر فالمعنى اشكروا هذا الشكر الخاص ليحملكم على جميع الشكر

وغايته

وغايته انه فيه على ان هذا الفرد من الشكر هو اصل الباب الذي يثمر باقيه وهو المراد
بقول ابن هشام في السيرة ان المعنى فاتقون فانه شكر نعمتي والله اعلم ولما اشتملت
هذه القصة على المصيبة التي سعض الله كثيرا منها وهي مستوفاة في السير كان انهم
من قصة وبيان ما اتفق بها لو عظ من يأتي البداءة بتذكير من باشر هابما وعدهم
الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع القتال من النصر المشروط
بالصبر والتقوى تنبيها على ان الخلل من جهتهم اتي ثم وعظهم بالنهي عما منعهم
النصر والامر بما يحصله لهم كما سحبهم على ذلك بما بعض عليهم من بنا من قاتل مع الانبياء
قبلهم بانهم لما اصابهم القتل لم يهنوا وعلموا ان الخلل من انفسهم فبادروا الى اصلاحه
بافعال المتقين من الصبر والتضرع والاقرار بالذنب فقال مبدلا من اذ غدوت
عودا على بدء تعظيما للامر حثا على المنظوم في موارده ومصادره والتذكر لاوايله
واواخره اذ تقول للمؤمنين اي الذين شاورتهم في امر احد وفي عما وهم المنافقون
لما زلزلوا برجوع اكثر المنافقين حتى كاد بعض التابعين ان يرجع ضعفا وجبنا مع ما كان
النبي صلى الله عليه وسلم اخبرهم به من تلك الرؤيا التي اولها بما يكون في اصحابه ليكون
اثباتهم على بصيرة او يصدهم ذلك عن الخروج الى العدو كما كان ميل النبي صلى الله عليه
وسلم في اكثر اصحابه واعلامهم الى المكث في المدينة قال شكرا اثباتا باداة التاييد الن
يكفيكم اي ايها المؤمنون ان يمدكم ربكم اي المتولي لتربيتكم ونصر دينكم بثلاثة
الاف ثم عظم امرهم بقوله من الملائكة ثم زاد في اعظامهم بانهم من السما بقوله
منزلين ثم تولى سبحانه هو الجواب عنهم تحقيقا للكفاية فقال بلى اي يكفيكم ذلك
ثم استانف قوله ان تصبروا وتتقوا اي توقعوا الصبر والتقوى لله ربكم تتفعلوا
ما يرضيه وتنتهوا عما يسخطه ويأتوكم اي الكفار من فورهم اي وقتهم هذا اي في
هذه الكرة يمددكم ربكم اي المحسن اليكم بخمسة الاف من الملائكة ثم بين انهم من اعيان
الملائكة بقوله مسومين اي معلمين بما يعرف به مقامهم في الحرب ولما كان التقييد
وليس الامداد بهم موجبا للنصر وكان قد تقدم في اول السورة قوله والله يؤيد بنصره
من يشاء وقال هنا قاصرا للامر عليه وما جعله الله اي الامداد المذكور على حاله من
الاحاطة بصفات الكمال التي لا يحتاج معها الى شي غيره اصلا الا بشرى ولما كانت
الهزيمة عليهم في هذه الكرة وكان المقتول منهم اكثر قال لكم لكيلا يتوهم ان ذلك
بشرى لضدهم ولمثل هذا قدم القلوب فقال ولتطمئن وعلم ان التقدير لتكون الاية
من الاحتباك لتستبشر نفوسكم به وطمانينته لكم لتطمئن قلوبكم به اي الامداد فحكم
هنا بانه بشرى مقيدا بلكم فكانت العناية بضميرهم اشد حتى كانه قيل الا بشرى لكم
وطمانينتكم فوجب تاخير ضميره والمعنى انهم كانوا اولا خايفين فلما وردت البشرى اطمانوا
بها رجا ان يفعل لهم مثل ما فعل في بدر فلما اطمانوا بها وقع النصر كما وقع بر الوعد ثم لما اطمانت

قلوبهم الى شي من قوتها لانه قد سبق لها النصر و سرور بطعن وضرب في بدر وغيرها فلحث نحو من ذلك حصلت الهزيمة ليصيروا الى حق اليقين بانه لا حول لهم ولا قوة وانك قال تعالى وما النصر اي في شئ وغيره الا من عند الله اي المستجمع لصفات الكمال فلا تجد واني انفسكم من رجوع من رجع ولا تاخر من تاخر ولا هزيمة من انهزم ولما قدم امر بد ن هنا واولى التوبيخ وتحقق بذلك ماله من العز والحكمة قال العزيز الحكيم من غيرنا كيد اي الذي ينصركم قبل هذه الغزوة وفي اول النهار فيها ليس لكم ولا لغيركم ناصر غيره فمن النفت احدا الى سواه وكله اليه فخذل فاحذروه لتطيعوه طاعة اولي الاحسان في كل اوان وهذا بخلاف ما في قصة بدر في الانفال وسياتي ان شا الله تعالى ما يتعلق بها من المقال مما اقتضاه هناك المال والحكيم راس ابر باجماع اهل العدد كما في الانفال ولما قررن الوعد ذكر ثمرته نقل معلقا بالجار بمهد دلكم ليقطع اي بالقتل طرفا اي فريقا من الذين كفروا اي وبهزم الباقين او يكبتهم اي يكسرهم ويردهم بغيظهم اذلا فينقلبوا اي كلهم مهزومين خائبين وذلك في كلتا الحالتين بقوتكم عليهم بالمدد وضعفهم عنكم بروبجوز تعلق ليقطع بفعل المتوكل اي فليتوكلوا عليه ليفعل باعدائهم ما يشاء من نصركم عليهم فيقبل بهم الى الاسلام رغبة او رهبة او يميتهم على كفرهم فيديم عذابهم مع عاقبتهم منهم ورايته في سير الامام محمد بن عمر الواقدي ما يدل على تعليقه بجعل من قوله وما جعله الله الا بشري او بقوله ولتطمين وهو حسن ايضا ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا على طلب الادالة عليهم ليمثل بهم كما مثلوا بعمه حمزة وعدة من اصحابه رضي الله عنهم قال تعالى ليس لك من الامر اي فيهم ولا في غيرهم شئ موسطا له بين المتعاطفات يعني حتى لا تدا له عليهم بقتل او هزيمة تدرك بها ما تريد بل الامر كله لي ان اراد فعل بهم ما تريد وان اراد منعك منه بالتوبة عليهم او اماتتهم على الكفر حتف الانف فتولى هو عذابهم فذلك معني قوله او يتوب عليهم اي كلهم بما يكشف عن قلوبهم من حجاب الغفلة فيرجعوا عما هم عليه من الظلم او يعذبهم كلهم بايديكم بان يسلطكم عليهم فلا يفلت منهم احد او يعذبهم هو من عنده واستظلكم بما يستدرجهم به مما يوجب اصرارهم حتى يموتوا على الكفر مع النصر عليكم وغيره بما هو لهم في صورة النعم الموجب لزيادة عقابهم ثم علل الاقسام الاربعة بقوله فانهم ظالمون وفي المغازي من صحيح البخاري معلقا عن حنظلة بن ابي سفيان قال سمعت سالم بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن اميه وسهيل بن عمرو والحرث بن هشام فنزلت ليس لك من الامر شئ الى قوله ظالمون ورواه موصولا في المغازي والتفسير والاعتصام عن سالم عن ابيه بغير هذا اللفظ وفيه اللهم العن فلانا وفلانا ولما كان التقدير بل الامر له سبحانه وحده عطف عليه قوله سببا القدرته على ما تقدم من فعله بهم على وجه اعم قوله ولله اي وحده ما في السموات اي كلها على عظمها وما في الارض كذلك ملكا وملكا فهو يفعل في ملكه وملكه ما يشا ولما كانت الاقسام

راجعة

راجعة الى قسمين نعمة فيه وعذاب قال مترجما للجملة التي قبلها يغفر لمن يشا اي منهم ومن غيرهم فيعطيه ما يشا من خيري الدنيا والاخرة ويغنيه عن الربا وغيره ويعذب من يشا بالمنع مما يريد من خيري الدارين لا اعتراض عليه ولما كان صلى الله عليه وسلم لشدة غيظه عليهم في الله جديرا بالانتقام منهم بدما او غيره اشار له سبحانه الى العفو بقوله والله غفور رحيم فانطبق ذلك على افصاح ليس لك وافهامه الموجب لاعتقاد ان يكون له سبحانه الامر وحده ولما انزل عليه ذلك وما في اخر النحل مما للصابرين والعافين حرم المثلة واشتد نهيه صلى الله عليه وسلم عنها فكان لا يخطب خطبة الا نهى منها ولما كان الختم بهاتين الصفتين ربما اطمع في انتهاك الحرمات لاتباع الشهوات فكان مبعدا للمتخاطبه من الرحمة مدنيا من النقمة وكان اعظم المقتضيات للخذلان تضييعهم للثغر الذي امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بحفظه بسبب اقبالهم قبل اتمام هزيمة العدو على الغنايم للزيادة في الاعراض الدنيوية التي هي معنى الربا في اللغة اذ هو موطن الزيادة اقبل عليهم تعالى بقوله يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان صدقوا ايمانكم بان لا تاكلوا الربا اي المفتتح فيما تقدم امره غاية التفتح وهو كما ترى اقبال متلطف منادلهم باسم الايمان الناظر الى الانفاق المعرض عن التحصيل ومما رزقناهم ينفقون والمنفقين والمستغفرين بالاسحار لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ناه عن الالتفات الى الدنيا بالاقبال على غنيمة او غيرها بطريق الاشارة بدلالة التضمن اذ المطلق جز المقيد في هذه العبارة التي صريحها ناه عن الاقبال على الدنيا اقبالا يوجب الاعراض عن الاخرة باستباحة اكل الربا المتقدم في البقرة من النهي عنه من المبالغة ما يردع من له ادنى تقوى ويوجب لمن لم يتزكر وما يقاربه الضمان بالحرب في كل زمان فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولما كان ترك الاتحاد في العدو بعد زوال المانع منه بالهزيمة مع ان فيه من خلا في الظفر ما يحل على الوصف لاجل الغنيمة التي هي لمن غلب وليس في المبادرة الى حوزها كبير فايدة دلالة على تناهي الحب للتكاثر ناسب المقام بالتضعيف فقال او يقال لما كان سبب الهزيمة طلبهم الزيادة بالغنيمة وكان حب الزيادة حلالا قد يجر الى جهة حراما فيجر الى الربا المضاعف لان من يرتع حول الحمى يوشك ان يوقعه قال اضعافا مضاعفة اي لا تتهيلوا لذلك باقبالكم على مطلق الزيادة فان المطلوب منكم بذل المال فضلا عن الاعراض عنه فضلا عن الاقبال عليه فالحاصل انها دلت على الربا بمطابقتها وعلى مطلق الزيادة بتضمنها وهي من وادي قوله صلى الله عليه وسلم من يرتع حول الحمى لا شك يوشك ان يواقعه وختام الاية بقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون مشيرا الى ذلك اي واجعلوا بينكم وبين مخالفة نهيه عن الربا وقاية بالاعراض عن مطلق محبة الدنيا والاقبال عليها

لكونوا على رجا بالفوز بالمطالب ممن له ملك الوجود وملكه فانه جدير بان يعطيكم
من ملكه ان اتقيتم ويمنعكم ان يشاهلكم نهى عن الربا بصريح العبارة وتحذير من
ان يعودوا اليها صدر منهم من الاقبال على الغنايم قبل انفصال الحرب فعلا وقوة
بطريق الاشارة وهي من ادلة امامنا الشافعي على استعمال اللفظ في حقيقته
ومجازه والذي دلنا على ارادة المعنى المتضمن المجازي نظمها والناظم حكيم في سلك هذه
القصة ووضعها في هذا الموضع ولا يقدح في ذلك انه قد كان في هذه القصة امر يصلح
ان يكون سببا لنزول هذه الاية ووضعها هنا لان ذلك غير لازم ولا مطرد فقد كان
خلقه صلى الله عليه وسلم انه يمثل بسبعين منهم لما مثلوا بعمه حمزة رضي الله عنه سببا
لنزول اخر سورة النحل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى اخرها ولم توضع هنا
ولا مر الصالح لان يكون سببا لها ما روى ابو داود في سننه بسند رجاله رجال الصحيح
عن ابي هريرة ان عمرو بن اقيش رضي الله عنهما كان له ربا في الجاهلية فكره ان يسلم حتى ياخذه
فجاء يوم احد فقال اين بنو عمي قالوا باحد قال اين فلان قال باحد قال اين فلان قالوا
باحد قال اين فلان قالوا باحد فلبس لامته وركب فرسه ثم توجه قبلهم فلما راه المسلمون
قالوا اليك عنا يا عمرو قال اني قد امنت فقاتل حتى جرح فحمل الى اهله جريحا فجاءه
سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لاخته سليه حمية لقومك ام غضبا لله عز وجل فقال
بل غضبا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمات فدخل الجنة وما صلى لله عز وجل
صلاة والقصة في جزء عبيد الله بن محمد بن حفص العيشي بالمهملة ثم التحتانية ثم المعجمة
وتخريج ابي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي والجزء السابع عشر من المجالسة
للدينوري من طريق حماد بن سلمة شيخ شيخ ابي داود ولفظ العيشي ان عمرو بن وقش قال
الدينوري اقيش كان له ربا في الجاهلية وكان يمنعه ذلك الربا من الاسلام حتى ياخذه
ثم يسلم فجا ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم زاد الدينوري واصحابه
باحد فقال ابن سعد بن معاذ وقال العيشي فقال لعلهما ابن سعد بن معاذ قالوا
هو باحد قال الدينوري فقال ابن بنو اخيه قالوا باحد فسال عن قومه فقالوا
باحد فقالوا فاخذ سيفه ورمحه ولبس لامته ثم اتى احدا وقال الدينوري ثم ذهب
الى احد فلما راه المسلمون قالوا اليك عنا يا عمرو فقال اني قد امنت فقاتل فحمل الى اهله
جريحا فدخل عليه سعد بن معاذ فقال يعني لامراته سليه وقال العيشي فقال
لاخته ناديه فقولي وقال الدينوري فقالت احمية غضبا لله ورسوله ام حمية او غضبا
لقومك فنادته فقال بل حبت غضبا لله ورسوله فمات فدخل الجنة ولم يصل لله قط قال
الدينوري قال ابو هريرة رضي الله عنه فدخل الجنة وما صلى لله صلاة ورواها ابن اسحق
والواقدي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة
لم يصل قط وقال الواقدي اخبروني برجل يدخل الجنة لم يصل لله سجدة قط فسكت

الناس

الناس فيقول ابو هريرة رضي الله عنه هو اخو بني عبد الاشهل وقال ابن اسحق فاذا
لم يعرفه الناس سالوه من هو فيقول اصيرم بني عبد الاشهل عمرو بن ثابت بن وقش رضي
الله عنه زاد ابن اسحق قال الحصين يعني شيخه فقلت لمحمود بن لبيد كيف كان شان
الاصيرم قال كان يابى الاسلام على قومه فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى احد بدا له في الاسلام فاسلم ثم اخذ سيفه فغدا حتى دخل في عرض الناس
فقاتل حتى اثبتته الجراحة فبينا رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة
اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث
فسالوه ما جاء بك يا عمرو احدب على قومك ام رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في
الاسلام امنت بالله وبرسوله واسلمت ثم اخذت سيفي فغدوت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى اصابني ما اصابني ثم لم يلبث ان مات في ايديهم
فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن اهل الجنة فالمعنى على هذا
يا ايها الذين يريدون الايمان لا تفعلوا مثل ما فعل الاصيرم في تاخير ايمانه لاجل الربا بل سابقوا
الموت لئلا ياتيكم بغتة فتهلكوا ويا ايها الذين اخبروا عن انفسهم بالايمان ورسوخ
الادعان في انفسهم والايقان بمر الزمان افعلوا مثل فعله ساعة اسلم في صدق
الايمان واسلام نفسه الى ربه بركوب الاهوال في غمرات القتال من غير خوف
ولا توقف ولا التفات الى امر دنيوي وان عظم فقد بان انه نبه بالاشارة الخفية بدون
ثم بهذه الاية على ان من اعرض عن الدنيا حصلت له بعز وان كان قليلا ومن اقبل عليها
فاتته بذل وان كان كثيرا جليلا لان من له ملك السموات والارض يفعل ما يشا ولا تفيد
الاية اباحة مطلق الفضل في الربا ما لم ينته الى الاضعاف المضاعفة لان انها مهما دل
معارض بمنطوق ايات البقرة الناهية عن مطلق الربا والمفهوم لا يعمل به اذا عارض
منطوق نص اخر وهذا من مزيد الاعتنا بشان الربا او حرم كل نوع منه في اية تخصه
فحرم ربا الفضل في ايات البقرة ويلزم من تحريمه تحريم ربا الاضعاف ثم نص عليه
في هذه الاية فصار محرما مرتين مفهوما ومنطوقا مع ما زاد ذكره من النكت التي
تقدم التنبيه عليها ولما كان الفائز بالمطالب قد لا يوقي المعاطب قال تعالى واتقوا النار
التي اعدت للكافرين اي هيئت للكافرين اي بالله باستحلال الربا وغيره بالذات
وللكافرين بالنعمة عضبا ما بالعرض ولما كان الفايز السالم قد لا يكون مقربا قال اتباعا
للوعيد بالوعد واطيعوا الله والرسول اي في امتثال الاوامر واجتناب النواهي
بالاخلاص لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجا وطمع في ان يفعل بكم فعل المرحوم بالتقريب
والمحبة وانجاز كل ما وعد على الطاعة من نصر وغيره ولما نهى عن مانع النصر بالنهي عن
الربا المراد بالنهي عنه الصرف عن مطلق الاقبال على الدنيا المشار الى زهرها في قوله
تعالى زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين الاية وامر بما تضمن الفوز والنجاة والقرب

وكان ذلك قد يكون مع التواني امر بالمسارعة فيه توصلا الى ما اعد للذين اتقوا الموعودين
بالنصر المشروط بتقواهم وصبرهم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الموصوفين بما تقدم في قوله تعالى في
المقصد الثالث من دعائم هذه السورة قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا الايات
على وجه ابلغ من ذلك بالمسارعة الى ما يوجب المغفرة من الرب اللطيف بعباده الى
ما منح الجنة الموصوفة بالاجتهاد في الجهاد على ما يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التقوى فان هذه الجنة اعدت للمتقين الذين تقدمت الاشارة اليهم في قوله
تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون الذين يتخلون عن الاموال وجميع مصانع الدنيا
فلا تمتد اعينهم الى الازدياد من شي منها ويتحلون بالزهد منها والانفاق لها
في سبيل الله في مرضات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهاد وغيره في السرا والضرا
لا بالاقبال على الدنيا من غنيمة او غيرها اقبالا يخل ببعض الاوامر بالصبر بكظم الغيظ
عمن اصيب منهم بقتل او جراحة والعفو عمن يحسن العفو عنه والتمثيل بالقتلى في
احد او غير ذلك ارشادا الى ان لا يكون جهادهم الا غضبا لله تعالى لا مدخل فيه لحظ
من حظوظ النفس اصلا وبالصبر ايضا على حمل النفس على الاحسان الى من اساء اليهم او غيره
كما فعل صلى الله عليه وسلم في فتح مكة بعد ان كان حلف ليمثلن بسبعين منهم مكان
تمثيلهم بسيد الشهدا اسد الله واسد رسوله عمه حمزة بن ساقي الحجيج عبد المطلب
فانه وقف صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم الذي كان اعظم الايام الدنيا الذي اثبت فيه
نور الاسلام على مشرق الارض ومغربها فهزم ظلام الكفر وضرب اوتاده في كل قطر على درج
الكعبة وهم في قبضته فقال ما تظنون اني فاعل بكم يا معشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقا وبالاستغفار عن عمل الفاحشة من خذلان المومنين
او اكل الربا او التولي عن قتال الاعدا وعن ظلم النفس من محبة الدنيا الموجب للاقبال على
الغنايم التي كانت سبب الانهزام او غير ذلك مما اراد الله تعالى فقال تعالى وسارعوا
اي بان تفعلوا في الطاعات فعل من يسابق خصما الى مغفرة من ربكم بعمل ما يوجبها من
التوبة والاخلاص وجنة اي وعظيمة جدا ثم بين عظمها بقوله عرضها السموات والارض
اي فكيف بطولها وعلى قراة سارعوا بحذف الواو يكون التقدير سارعوا بفعل ما تقدم ولما وصف
الجنة بين اهلها بقوله اعدت اي الان وفرغ منها للمتقين وبهم الذين صارت التقوى شعارهم
فاستقاموا واستمروا على الاستقامة ثم وصف المتقين بما تضمن تفصيل الطاعة المامور بها
قبل اجمالا على وجه معرف باسباب النصر الى اخر ما قص من خبر الانبيا الماضين ومن معهم
من المرسلين الربيين فقال الذين ينفقون اي بما اتاهم الله وهو تعريض بمن اقبل على
الغنيمة في السرا والضرا اي في مرضات الله في حالة الشدة والرخا والكاظمين اي الحابسين
الغيظ عن ان ينفذ من بعد ان امتلوا منه ولما كان الكاظم غبطة عن ان يتجاوز في العفو عنه

ثم لا يعفو احد على العفو بقوله والعافين وعمم في الحكم بقوله عن الناس اي ولو
كانوا قد قتلوا منهم وجرحوهم ولما كان التقدير فان الله يحبهم لاحسانهم عطف عليه
منوها بدرجة الاحسان قوله والله يحب المحسنين ولما اخبر انها للمحسنين ومن قاربهم
اخبر انها لمن دونهم في الرتبة من التايبين استجلابا لمن رجع عن احد من المنافقين وغيرهم
من العاصين فقال والذين اذا فعلوا اي باشروا عن علم او جهل فعلة فاحشة اي
من السيات او ظلموا انفسهم اي باي نوع كان من الذنوب لتصير الفاحشة موعودا بغفرانها
بالخصوص وبالعموم ذكروا الله اي بما له من كمال العظمة فاستحيوا منه وخافوه فاستغفروا
اي فطلبوا منه المغفرة بالتوبة بشروطها لذنوبهم اي فانه يغفر لهم لانه غفار لمن تاب
ولما كان المخلوق لا يمحي غفرانه لذنب الا اذا كان مما شرع الله غفرانه فكان من المفاخر
في الحقيقة الا الله قال ومن يغفر الذنوب اي يمحو اثارها حتى لا تذكر ولا يجازى
عليها الا الله ولما كان الاصرار زردا على المغلوب قال تعالى ولم يصروا اي يدوموا على ما فعلوا
على ما فعلوا ولما كان سبحانه قد تفضل برفع القلم من الغافل قال وهم يعلمون
اي انهم على ذنب ولما اتم وصف السابقين واللاحقين قال معلما بجزايهم الذي سارعوا
اليه من المغفرة والجنة مشيرا اليهم باداة البعد تعظيما لشانهم على وجه معلم بان احدا
لا يقدر ان يقدر الله حق قدره اوليك اي العالوا الرتبة جزاوهم مغفرة لتقصيرهم
او لهفواتهم او لذنوبهم كاينة من ربهم اي المحسن اليهم بكل احسان وجنات اي جنات
ثم بين عظمها بقوله تجري من تحتها الانهار حال كونهم خالدين فيها اي اجرهم على عملهم
ونعم اجر العاملين هي هذا على تقدير ان تكون الاشارة لجميع الموصوفين وان كانت
للمستغفرين خاصة فالامر واضح في نزول رتبتهم عن قبلهم ولما فرغ من بيان الزلل
وقع لهم به الخلل والترهيب مما يوقع فيه والترغيب فيما سيجي منه في تلك الاساليب التي
هي احلى من رايق الزلال ولذيذ الوصال بعد طول المطال اخذ يشجعهم على
الجهاد لذوي العناد فبدا بالسبب الاقوى وهو الامر بمشاهدة مصارع من مضى من
المكذبين برؤية ديارهم وتتبع اثارهم مع انهم كانوا اشد خلقا واقوى هما واكثر عددا
واحكم عددا فقال تعالى معللا بالامر بالمسارعة الى المغفرة قد خلت من قبلكم اي
فلا تظنوا بما املي لهم بهذه الادالة انها نعمة انقطعت عنهم سنن اي وقايع سنها الله
في القرون الماضية والامم الخالية في المومنين والمكذبين فتاسوا بالمومنين وتوقعوا
لاعدايكم مثلها للمكذبين فسيروا في الارض اي لئلا تعاظ باحوال تلك الامم برؤية
اثارهم لتضموا الخبر الى الخبر وتعتبروا وامن العين بالاثر وتقترنوا بين النقل والنظر
ولما كان الرجوع عن الهفوة واجبا على الفور عقب بالفا في قوله فانظروا اي نظر
اعتبار كيف كان عاقبة اي اخر امر المكذبين ولما تكملت هذه الجمل بالهداية
الى سعادة الدارين نبه على ذلك سبحانه بقوله على طريق الاستنتاج هذا بيان للناس

اي المصدقين والمكذبين وهدى اي ارشاد بالفعل وموعظة اي مرقق للمتقين ولما
امرهم بالمسارعه واتبعها علتها ونتيجتها نهاهم عما يعوق عنها من مثل الوهن الذي
عرض لهم عند رد ويتهم الموت فقال ولا يجوز ان يعطف على ما تقدم فتبينوا واهدوا
وانعظوا ان كنتم متقين ولا تهنوا اي في جهاد اعدائكم الذين هم اعدا الله فالله
معكم عليهم منتصرون الى ما يوول الامر ولا تحزنوا اي على ما اصابكم منهم والحال
انكم انتم الاعلون اي في الدارين ان كنتم مومنين اى وان كان الايمان لكم صفة
راسخة فانكم لا تهنون لانكم بين احدى الحسنيين كما لم يهن من سيقص عليكم نباوهم
ممن كان مع الانبيا قبلكم لعلوكم على عدوكم اما في الدنيا فلان دينكم حق ودينهم باطل
ومولاكم العزيز الحكيم الذي قد وعدكم الملك الكبير لمن قتل والنصر الموزر لمن بقي
وهو حي قيوم لا يخفى عليه شي من احوالكم فهو ناصركم وخاذلهم واما في الاخرة فلانكم
في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهم في النار عند مليك العذاب الغلاظ
الشداد ابدا ولما نهاهم عما تقدم وبشرهم سلاهم وبصرهم بقوله ان يمسسكم قرح
مصيبة بادالتهم عليكم فقد مس القوم اي في يوم احد بنفسه ويوم بدر قرح مثله
اي في مطلق كونه قرحا وان كان اقل من قرحكم في يوم احد واكثر منه في يوم بدر على
انكا انه طفهم بعدما اصابهم وانكاهم يوم بدر بالوهن الذي ليس بعده وهن بقتل
مثل من قتل منكم واسر مثلهم ويوم احد بالقتل والهزيمة اول النهار وهم اعداو
فهو جدير بان يطغيكم بعد وهنكم وانتم اوليا وهو فكالهم بضعفهم وهنهم ولهم على
الباطل فلا تضعفوا انتم وانتم على الحق ترجون من الله ما لا يرجون لمعتقد اولناكم عليهم
يوما وادلناهم عليكم اخر وتلك الايام ولما نبه على تعظيمها باداة البعد وكانت انما
تعظم بعظم احوالها ذكر الحال المنبه عليها بقوله نداولها بين الناس اي بان نرفع
من نشا تارة ونرفع عليه اخرى ولما كان التقدير ليدال عليكم كانت له الدولة
ويعلم كل احد ان الامر لنا بلا شريك ولا منازع عطف عليه قوله وليعلم الله الذين
امنوا اي بتصديق دعوى الايمان ببينة الجهاد فيكم ومعنى ليعلم انه يفعل فعل
من يريد علم شي بان يبرز ما يعلمه غيبا الى عالم الشهادة ليقيم الحجة على الفاعل على
ما يتعارفه الناس بينهم ويتخذ منكم شهدا اي بان يجعل قتلهم عن الجبن التي هي الشهادة
لا غيبة فيها فهو سبحانه يزيد في اكرامهم بما صدقوا في ايمانهم بان لا يكونوا مشهودا عليهم
اصلا بمسه في قبورهم ولا غيرها ولا يغفلوا ولا ضعف ولا غيب فان الله يحب المومنين والله [margin: يخوف]
لا يحب الظالمين اي الذين يخالف فعلهم قولهم فهو لا يستشهدهم وانما يجعل قتلهم اول خيبتهم
وعذابهم وفيه بشارة في ترغيب بانه لا يفعل مع الكفرة فعل المحب ليلا يحزنوا على ما اصابهم
ونذارة في تاديب بانهم ما خذلوا الا بتضييعهم الثغر الذي امرهم به من التزم واطاعته
وامراسه تهافي المعسط والمكث بحفظه واقبلوا على الغنايم قبل ان يفرغوا من العدو والابة

من

من الاحتباك اثبات الاتخاذ اولا دال على نفيه ثانيا واثبات الكراهة ثانيا دال على
المحبة اولا ولما قدم التنفير من الظلم دالا له على الاهتمام به اكمل ثمرات المداولة
بقوله وليمحص اي وليطهر الله الذين امنوا اى ان اصيبوا ويجعل مصيبتهم
سببا لقوتهم ويمحق الكافرين اي شيا فشيا في كلتا الحالتين بما يلحقهم من الرجس
[margin: لنقص] اما اذا كانت لهم فبالنقص بالقوة بالبطر الموجب للعكس واما اذا كانت عليهم فبا
بالفعل الموجب للقطع بالنار ولما كان السياق يرشد الى ان المعنى احسبتم انه لا يفعل
ذلك عادلا بقوله ام حسبتم اي من استكره نبينا على الخروج في هذا الوجه ان تدخلوا
الجنة اي التي اعدت للمتقين ولما يعلم الله اي يفعل بالامتحان فعل من يريد ان
[margin: يقا] يعلم الذين جاهدوا منكم اي اوقعوا الجهاد بصدق العزيمة ثم اتصفوا بالفعل تصد
للدعوى ويعلم الصابرين اي الذين شانهم الصبر عند الهزاهز والثبات عند جلايل المقا
تصديقا لظاهر العزايم فان ذلك اعظم دليل على الوثوق بالله وعلى الذي هو
صبوح الايمان ولما ارشد السياق الى ان التقدير فلقد كنتم تقولون لين خرجت
بنا لنبلين الله بلا حسنا عطف عليه قوله ولقد ويجوز ان يكون حالا من فاعل حسبتم
كنتم تمنون الموت اي الحرب عبر عنها به لانها سببه وقد تمنى بعضهم الموت بنفسه
يتمنى الشهادة من قبل ان تلقوه اي رغبة فيما اعد الله للشهداء فقد رايتموه اي برؤية
قتل اخوانكم والضمير يصلح ان يكون للموت المعبر به عن الحرب وللموت نفسه برؤية اسبابه
القريبة وقوله وانتم تنظرون بمعنى رؤية العين فهو تحقيق لارادة الحقيقة ولما كان التقدير
فانهزمتم عند ما صرخ الشيطان كذبا الا ان محمدا قد قتل ولم يكن لكم ذلك فانكم انما تعبدون
رب محمد الحي القيوم وتقاتلون له واما محمد فما هو بخالد لكم في الدنيا قال وما محمد الا رسول
اي من شانه الموت لا اله ثم قرر المراد من السياق بقوله قد خلت اي بمفارقة اممهم
اما بالموت او الرفع الى السما من قبله الرسل اي فيسلك سبيلهم ولما سبب عن ذلك انكار [margin: ن]
انهزامهم ووهنهم على تقدير صدقه انكر عليهم بقوله افاين ولما كان في علمه سبحانه انه صلى
الله عليه وسلم يموت موتا لكونه على فراشه وقتلا لكونه بالسم قال مات اي موتا على الفراش
او قتل اي قتلا انقلبتم اي عن الحال التي فارقكم عليها فاضعتم لشعاير الدين وتركتم
مشاريع المرسلين ثم قرر المعنى بقوله على اعقابكم ليلا يظن ان المراد مطلق الانتقال
وان كان على الاستوا او الانتقال الى احسن ومن اي انقلبتم والحال انه من ينقلب على
عقبيه اي بترك ما شرعه له نبيه او التقصير فيه فلن يضر الله شيا لانه متعال عن ذلك بان
الخلق كلهم طوع امره لا يتحركون حركة الا على وفق مراده فلو اراد لهداهم اجمعين ولو اراد
اضلهم اجمعين وانما يضر المنقلب نفسه لكفره بالله ومن سار على المنهج السوي فانما
ينفع نفسه بشكره لله وسيجزي الله الشاكرين اي كلهم ولما كان موت الراس من
انصار الدين لا يصلح ان يكون سببا للفرار الا اذا كان بغير اذن صاحب الدين وكان

الفرار لا يصلح الا اذا كان يمكن ان يكون سببا للنجاة واما اذا كان موته لا يكون الا بارادة
رب الدين والفرار لا يكون سببا في زيادة الاجل ولا نقصه اشار الى ذلك بقوله
وماكان لنفس اي من الانفس كاينة ما كانت ان تموت الا باذن الله اي بعلمه وارادته وتمكينه
من قبضها كتب لكل نفس عمرها كتابا موجلا اي اجلا لا يتقدم عنه بثبات ولا يتاخر عنه
بفرار اصلا ولما كان المعنى فمن اقدم سكرته ولم يغيره الاقدام ومن احجم دممته ولم
ينفعه الاحجام وكان الحامل على الاقدام ايثار ما عند الله والحامل على الاحجام ايثار الدنيا
عطف على ذلك قوله ومن يرد ثواب الدنيا اي وهم المقبلون على الغنايم بالنهب
والفارون كفر النعمة الله نوته منها اي ما اردنا وختام الاية يدل على ان التقدير بعتا
وسيرد الكافرين ولكنه طواه رفقا بهم ومن يرد ثواب الاخرة اي وهم الثابتون شكرا
على احسانه اليهم من غير ان يشغلهم شاغل عن الجهاد نوته منها وسنجزيه لشكره وهي معنى
قوله وماله في الاخرة لكنه اظهر لتعليق الحكم بالوصف وعمم ولما ذكر سبحانه هذه الجمل
على هذا الوجه الذي بين فيه العلل واوضح محال الدلل وكان التقدير بعد انقضايها
فكاين من قوم امرناهم بالجهاد فكانوا على هذين القسمين فاتينا الطايع وعذبنا العاصي
ولم يضرنا ذلك شيا ولا جرى شي منه على غير مرادنا عطف عليه مرسيهم بطرايق الصالحين
من قبلهم وسليهم باحوالهم قوله وكاين وهي بمعنى كم وفيها لغات كثيرة قرى منها في
العشرة بنتين الجمهور بفتح الهمزة بعد الكاف وتشديد اليا المكسورة وابن كثير وابو جعفر
بالف ممدودة بعد الكاف وهمزة مكسورة ولعلها ابلغ لانه عوض عن الحرف المحذوف
من المشهورة بالمد والمد اوقع في النفس وادوم في القلب وفيها كلام في لغاتها ومعناها
وقراآتها المتواترة والشاذة وصلا ووقفا ورسمها في مصحف الامام عثمان بن عفان رضي الله
عنه الذي وقع اجماع الصحابة عليه ليكون المرجع عند الاختلاف اليه وهل هي بسيطة
او مركبة ومشتقة او جامدة وفي كيفية التصرف في لغاتها استوعبته في كتابي الجامع
المبين لما قيل في كاين وقال سبحانه من نبي ليكون التسلية اعظم بذكر ما هو طبق ما وقع في
هذه الغزوة من قتل اصحابه واحتمال العبارة لقتله نفسه بقوله قتل اي ذلك النبي حال كونه
معه ربيون اي علماء ورثة الانبيا وعلى مناهجهم كثيرا اي فما تسبب عن قتلهم
ان الباقين بعدهم وهنوا اي ضعفوا في عملهم لما اصابهم في سبيل الله اي من القتل لنبيهم الذي
هو عمادهم او لاخوانهم الذين هم اعضادهم لكونه في الله وما ضعفوا اي مطلقا في العمل ولا
في غيره وما استكانوا اي وما خضعوا لاعدايهم فطلبوا ان يكونوا تحت ايديهم تعريضا بمن قال
اذهبوا الى ابي عامر الراهب لياخذ لنا امانا من ابي سفيان بل صبروا فاحبهم الله لصبرهم
والله يحب الصابرين اي فليفعلن بهم من النصر واعلا القدر وجميع انواع الاكرام فعل
من يحبه ولما اثنى سبحانه على فعلهم اتبعه قولهم فقال وما كان قولهم اي من القول الا
ان قالوا اي وهم مجتهدون في نصر دين الله ناسبين الخذلان الى انفسهم بتعاطي اسبابه ربنا

وسنجزي الشاكرين م

اغفر

اغفر لنا ذنوبنا اي التي استوجبنا بها الخذلان واسرافنا في امرنا هضما لانفسهم مع كونهم
ربانيين مجتهدين نسبوا ما اصابهم الى ذنوبهم فافعلوا انتم فعلهم لتنالوا من الكرامة ما نالوا
كما اشار لكم سبحانه الى ذلك قبل الاخذ في قص القصص عند ما وصف به المتقين من
قوله او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ولما دعوا بمحو ما اوجب الخذلان
دعوا بمحو الخذلان فقالوا وثبت اقدامنا اشارة الى ان الرعب من نتائج الذنب والثبات
من ثمرات الطاعة انما تقاتلون الناس باعمالكم ثم اشاروا الى ان قتالهم انما هو لله لا
لحظ من حظوظ النفس اصلا بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلما تم الثنا على فعلهم
وقولهم ذكر ما سببه لهم ذلك الجزا فقال فاتاهم الله ثواب الدنيا اي بان تقبل دعاهم
بالنصر والغنى وحسن ثواب الاخرة اي فانهم احسنوا في هذا الفعال والمقال فاحبهم
لاحسانهم والله يحب المحسنين كلهم فهم جديرون بان يفعل بهم كل جميل فقد بان ان هذه الاية
منعطفة على ما امر به الصحابة رضي لبعضهم على طريقة اللف والنشر المشوش ففي الوعظ
تعريض بمن اشير اليه في اية ولقد كنتم تمنون الموت ومحبة الصابرين تعريض بمن لم
يصبر في قوله ويعلم الصابرين ونحو ذلك والثنا على قولهم حث على مثل ما ندبهم في قوله
اوذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وثبات الاقدام اشارة الى وانتم الاعلون ان
كنتم مومنين والى ان ثبات القدم للنصر على اعدا الله كان شاغلا لهم عن الالتفات
الى غيره وتعريض بمن اقبل على الغنايم وترك طلب العدو ولتمام النصر المشار اليهم باية
ومن يرد ثواب الاخرة الدنيا نوته منها واثبا الثواب ناظر الى النهي عن الربا وما انتظم
في سلكه او داناه والى الامر بالمسارعة الى الجنة وما والاه وايما الى ان من فعل فعلهم
نال ما نالوا ومن ترك شيا لله عوضه الله خيرا منه لان علمه محيط وكرمه لا يحد وخزاينه
لا تنفد بل لا تنقص ثم ختمها بما ختم به الحث على التخلق باوصاف المتقين فقد اتضح بغير
لبس ان المراد بهذه الاية وهي الاخبار عن اثابتهم الثواب التنبيه على ان اهم الامور
واحقها بالمواظبة التخلق بما وعظوا به قبل قص القصة ولا ريب ان في مدح من سواهم
تهييجا زايدا لانبعاث نفوسهم وتحرك هممهم وتنبه نشاطهم ولولا ان عوايمهم عن
منهم ان يكون احد وهم خير امة اخرجت للناس اعلى همة واقوى عزيمة واشد شكيمة
واصلب عودا واثبت عمودا وارباط جاشا واذكر لله وارغب فيما عنده وازهد فيما
اعرض عنه منهم ولما امر سبحانه بطاعته الموجبة للنصر والاجر وختم بمحبته للمحسنين
حذر من طاعة الكافرين المقتضية للخذلان رغبة في موالاتهم ومناصرتهم فقال تعالى واصلا
بالنهي في ايتا الربا يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ان تطيعوا الذين كفروا اي
هذا الفريق منهم او غيرهم يردوكم على اعقابكم بتعكيس احوالكم الى ان تصيروا امثالهم ظالمين
كافرين فتنقلبوا خاسرين في جميع اموركم فتكونوا في غاية البعد من احوال المحسنين
فتكونوا بمحل السخط من الله وذلك ناظر الى قوله تعالى اولا ما حذر من مكر الكفار يا ايها الذين

امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية وموضح ان جميع هذه الاية شديد
اتصال بعضها ببعض والله الموفق ولما كان التقدير انهم ليسوا صالحين للولاية مطلقا مادتم
مومنين عليه عليه قوله بل الله مولاكم مخبرا بانه ناصرهم وان نصره لا يساويه نصر احد
سواه بقوله وهو خير الناصرين اي لان من نصره سبب له جميع اسباب النصر وازال عنه
كل اسباب الخذلان فمنع غيره كائنا من كان من اذاه لازم قرر ذلك بقوله محققا للوعد
اي بعظمتنا سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي المقتضي لامتثال ما امر به من الجراة عليهم وعدم
الوهن في امرهم كما افتتح القصة بالايما الى ذلك بالامر بالسير في الارض والنظر في عاقبة
المكذبين ثم بين سبب ذلك فقال بما اشركوا بالله اي ليعلموا قطعا ان لا ولي العدوه
لانه لا كفو له وبين بقوله ما لم ينزل به سلطانا انه لا حجة لهم في الاشراك ومادة سلط
ترجع الى القوة ولما كان التقدير فعليهم الذل في الدنيا عطف عليه وماويهم النار ثم
هول امرها بقوله وبيس مثوى الظالمين اي هي واظهر في موضع الاضمار للتعميم وتعليق
الحكم بالوصف ولما كانت السين في سنلقي مفهمة للاستقبال كان ربما اوهم انه لم
يرعبهم فيما مضى فنفى هذا الوهم محققا لهم ذلك بتذكيرهم بما انجزلهم من وعده في اول
هذه الوقعة مدة تلبسهم بما شرط عليهم من الصبر والتقوى بقوله تعالى عطفا على قوله
بلى ان تصبروا وتتقوا الاية مصرحا بما لوح اليه تقدير ا قبل ولقد نصركم الله ببدر كما مضى
ولقد صدقكم الله وعده اي في قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم اذ تحسونهم اي
تقتلونهم بعضهم بالقتل والباقين بالقوة التي هياها لكم باذنه فان الحس بالفتح القتل
والاستيصال قاله في القاموس ثم بين لهم سبب هزيمتهم بعد تمكينه منهم ليكون رادا لهم
عن المعاودة الى مثله فقال مبينا لغاية الحسن حتى اذا فشلتم اي ضعفتم وتراخيتم بالميل
الى الغنيمة خلاف ما تدعوا اليه الهمم العوال فكيف بهم اذا كانوا من حزب مولى الموالي فلقد
كانت العرب على حال جاهليتها تتفاخر بالاقبال على الطعن والضرب في مواطن الحرب
والاعراض عن المغانم كما قال عنترة بن شداد العبسي يفتخر ٥ ٥ ٥

هلا سالت الخيل يا ابنة مالك • ان كنت جاهلة بما لم تعلمي •
اذ لا ازال على رحالة سابح • نهد تعاوره الكماة مكلم •
طورا يعرض للطعان وتارة • ياوي الى حصد القسي عرمرم •
يخبرك من شهد الوقيعة انني • اغشى الوغا واعف عند المغنم •

وقال يفاخر قومه كلهم

انا اذا احمس الوغى نروى القنا • ونعف عند مقاسم الانفال •

ولما ذكر الفشل
عطف عليه ما هو سببه في الغالب فقال وتنازعتم اي بالاختلاف في الامر اي امر المراكز
بحفظه وعصيتم اي وقع العصيان بينكم بتضييع الثغر من بعد ما اراكم ما تحبون اي من
حسهم بالسيوف وهزيمتهم ولما كان ذلك ربما افهم ان الجميع عصوا نفى ذلك معللا للعصيان
بقوله منكم من يريد الدنيا اي قد اعمي عن معايبها التي اجلاها فنا وها ولما كان حكم

الباقين

الباقين غير معين للفهم من هذه الجملة قال ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون في
مراكزهم لم يعرجوا على الدنيا ولما كان التقدير سلطهم عليكم عطف عليه قوله ثم صرفكم
عنهم اي لانه هانتكم لا تياتهم اليكم من ورايكم وعطفه بثم لاستبعادهم للعزيمة
بعدما راوا من النصر ليبتليكم اي يفعل في ذلك فعل من يريد الاختبار في ثباتكم
على الدين في حال السرا والضرا ولما كان اخباره تعالى بعصيانهم شديد الانزعاج
للقلوب عطف على قوله صرفكم ولقد عفى عنكم اي تفضلا عليكم لايمانكم والله ذو
فضل على المومنين اي كافة وهو من الاظهار في موضع الاضمار للتعميم وتعليق الحكم
بالوصف ولما ذكر علة الصرف والعفو عنه صورة فقال اذ اي صرفكم وعفا عنكم حين
تصعدون اي تزيلون الصعود تنحدرون نحو المدينة او تذهبون في الارض لتبعدوا
عن محل الوقعة خوفا من القتل ولا تلوون اي تعطفون على احد اي من قريب
ولا بعيد والرسول اي الذي ارسل اليكم لتجيبوه الى كل ما يدعوكم اليه يدعوكم في اخراكم
اي وانتم مدبرون وهو ثابت في مكانه في نفر يسير لا يبلغون اربعين نفسا وثوقا
بوعد الله ومراقبته له بقول كلما مرت عليه جماعة منهزمة الي عباد الله انا رسول
الله الي عباد الله كما هو اللايق بمنصبه الشريف من الاعتماد على الله والوثوق بما عنده
وعلى من دونه من ولي وعد وعد ما وانما قلت ان معنى حسن الانهزام لان الدعا يراد
منه الاقبال على الداعي بعد الانصراف عما سواه ليامره وينهاه ونعلم بذلك انهم يولون
عن المقصود وهو القتال فاثابكم اي جعل لكم الله ربكم ثوابا غما اي ما عنقا دهم
قتل الرسول وكان اعتقادا كاذبا متصلا مدرعا بغم اي كان حصل لكم من القتل
والجراح والهزيمة وسماه وان كان في صورة العقاب باسم الثواب لانه كان سببا
للسرور حين تبين انه خبر كاذب وان النبي صلى الله عليه وسلم سالم حتى كانهم كما قال
بعضهم لم تصبهم مصيبة فهو من الدوا بالدا ثم علله بقوله لكيلا تحزنوا على ما
فاتكم اي من النصر والغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح والهزيمة
لاشتغالكم عن ذلك بالسرور بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولما قص سبحانه عليهم
ما فعلوه ظاهرا وما قصدوه باطنا وما داواهم به قال عاطفا على ما تقديره فالله خبير
بما يصلح اعمالكم ويبري ادواكم والله خبير بما تعملون اي من خير وشر في هذه الحال
وغيرها وبما يصلح من جزائه ودوائه فتارة يداوي الدا بالدا وتارة بالدوا لانه
الفاعل القادر المختار ولما كان امانهم بعد انخلاع قلوبهم بعيدا ولا سيما بكونه بالنعاس
الذي هو ابعد شي عن ذلك المقام الوعر والمحل الضنك عطف باداة البعد في قوله
ثم انزل عليكم من بعد الغم اي المذكور وانتم في نحو العدو امنة ثم ابدل منها
تنبيها على ما قبلها من الغرابة قوله نعاسا ولما كان لبعضهم فقط استانف وصفه
بقوله يغشى طايفة منكم وهم المومنون وابتدا الاخبار عن الباقين بقوله وطايفة

نكم

اي احوى من المنافقين قد اهمتهم انفسهم لا المدافعة عن الدين فهم انما يطلبون خلاصها
ولا يجدون الى ذلك فيما يظنون سبيلا لانتصال رعبهم وشدة جزعهم فعوقبوا على ذلك
بانه لم يحصل لهم الامن المذكور ثم فسر همهم فقال يظنون بالله غير الحق اي من
ان نصره بعد هذا لا يمكن وانهم لو قصدوا في المدينه لم يقتل احد اي من ان نصره
بعد هذا لا يمكن وانهم لو قصدوا ونحو ذلك من سفساف الكلام وفاسد الظنون التي
نتيجتها ظن الجاهلية اي الذين لا يعلمون من عظمة الله سبحانه ما يعلم اتباع الرسل ثم
فسر الظن بقوله يقولون اي منكرين لانه لم يحصل الراي رايهم وبحيل المقتضاه
غضبا وتاسفا على خروجهم في هذا الوجه وعدم رجوعهم مع ابن ابي بعد ان خرجوا
هل لنا من الامر اي المسموع ولكون الاستفهام بمعنى النفي ثبتت اداة الاستغراق في
قوله من شيء وكانه قيل فماذا يقال لهم فقيل قل اي لهم ردا عليهم احتقارا بهم ان الامر
اي الحكم الذي لا يكون سواه كله لله اي الذي لا اعظم منه ليس لكم ولا لغيركم منه
شيء شيتم او ابيتم غزوتم او قصدتم ثبتم او فررتم ولما قص سبحانه عليهم بعض امرهم
في هذه الحرب وبين لهم شيئا من فوايد ما فعل بهم بقوله ان يمسسكم قرح الايات وكان
من جملة ذلك ما ظهر من اسرار المنافقين بهذه الوقعة في اتهامهم الله ورسوله حتى وصل
الي هنا وكان قولهم هذا غير صريح في الاتهام لامكان حمله على حال الاستفهام اخبر تعالى
بتدليسهم بقوله يخفون اي يقولون ذلك مخفين في انفسهم ما لا يبدون لك لكونه لا
يرضاه الله ثم بين ذلك بعد اجماله فقال يقولون لو كان لنا من الامر اي المسموع شيء ما
قتلنا هاهنا لانا كنا نمكث في المدينه ولا نخرج الى العدو ولما اخبر تعالى عنهم ما اخفوه
جهلا منهم ظنا ان الحرز يغني من القدر امره تعالى بالرد عليهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم
اي بعد ان اجمع رايكم على ان لا يخرج منكم احد لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في هذه
الغزوة الى مضاجعهم اي التي هي مضاجعهم وهي التي قتلوا بها لان ما قررناه لا يمكن
احدا دفعه بوجه من الوجوه ثم عطفه على ما علم تقديره ودل عليه السياق قوله
ليبتلي اي ليبرز المذكورون لينفذ قضاوه ويصدق قوله لكم في غزوة بدر ان فاديتم الاسرى
ولم تقتلوهم قتل منكم في العام المقبل مثلهم وليبتلي الله اي يفعل الامر التقديري ما في
صدوركم اي من الايمان والنفاق بان يفعل في اظهاره من عالم الغيب الى عالم الشهادة فعل
المختبر كما فعل بما وجد في هذه الغزوة من الامور التحقيقيه وليمحص ما في قلوبكم اي يطهره
ويصفيه من جميع الوساوس الصارفة عن المراقبة من محبة الدنيا من الغنايم التي كانت
سبب الهزيمة وغيرها وختم بقوله والله عليم بذات الصدور مرغبا ومرهبا ودافعا لما
ربما يتوهم من ذكر الابتلاء من عدم العلم بالخفايا ولما كانوا في هذه الغزوة قد حصل لهم ضرر
عظيم لكنه كان لما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فادبهم بذلك عفى عنهم سبحانه بعد
ذلك التاديب ورحمهم وطيب قلوبهم بهذه الاية بما فيها من التامين صريحا وبما فيها من

الاشارة

الاشارة بجمع جميع حروف المعجم فيها تلويحا الى ان امرهم لا بد ان يتم كما تمت الحروف في
هذه الاية لكنه افتتحها باداة التراخي اشارة الى انه لا يكون الا بعد مدة مديدة حتى تنفصل
مراي الجد من التي حتمها بالخلاف ما في الاية الاخرى الجامعة للحروف في اخر سورة
الفتح التي نزلت في الحديبية التي سا هم رجوعهم منها دون وصولهم الى قصدهم كما سياتي
ان شا الله تعالى ولما كان من مع ذكر معنى التعليل والتنبيه على انه غني عن الاختبار خبير
بدقايق الاسرار تبعه قوله مستانفا لبيان ما هو من ثمرات العلم ان الذين تولوا منكم
اي عن القتال ومقارعة الابطال يوم التقى الجمعان اي من المومنين والكفار انما استزلهم
اي طلب زللهم عن تلك المقام العالي الشيطان اي عدوهم البعيد من الرحمة المحترق باللعنة
ببعض ما كسبوا اي من الذنوب التي لا تليق بمن طلب الدنو الى حضرات القدس ومواطن الانس
من ترك المركز والاقبال على الغنيمه وغير ذلك فان القتال في الجهاد انما هو بالاعمال فمن
كان احرز في اعمال الطاعه كان اجلد على قتال الكفار ولم يكن توليهم عن ضعف في نفس
الامر ولما كان ذلك منهما ان الذين تولوا صاروا من حزب الشيطان فاستحقوا ما استحق
الصق بر قوله ولقد عفا اي الله الذي له صفات الكمال عنهم ليلا تطير افيدة المومنين
منهم وختم ذلك ببيان علته بما هو اهله من المغفرات والحلم فقال معيدا الاسم الاعظم
تنبيها على ان الذنب عظيم والخطر بسببه جسيم فلولا الاشتمال على جميع صفات الكمال
لعلوجلوا ما عظم النكال ان الله غفور حليم حيث لم يعامل المتولين حذر الموت معاملة الموت
الذين خرجوا من ديارهم كما تقدم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ولما كان قولهم انا لو ثبتنا في
المدينة المتلثمة بالدرع الحصينة كما كان راي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كابر من اصحابه
لسلمنا الى غير ذلك مما اشار سبحانه اليه قولا موجبا لغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه
من الاتهام وسو العقيدة وكان مع ذلك نظنة لان يخدع كثيرا من اهل الطاعة لشدة
حبهم لمن قتل منهم وتعاظم اسفهم عليهم كان انسب الاشيا المبادرة الى الوعظ بما يزيل هذا
الاثر ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام موبدا باعظم الثبات لما طبع عليه من الشيم
الطاهرة والمحاسن الظاهرة كان الانسب البداة بغيره فنهى الذين امنوا عن الانخداع باقوال لهم
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي اظهروا الاقرار بالايمان صدقوا قولكم بان لا تكونوا
كالذين كفروا اي بقلوبهم على وجه الستر وقالوا اي ما فضحهم لاخوانهم اي لاجل اخوانهم
لا غيرة عليهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا اي سافروا مطلق سفر في الارض او للتجارة او غيرها او
كانوا غزى اي في سبيل الله لسعر دعوته فماتوا او قتلوا لو كانوا عندنا اي لم يفارقونا ما ماتوا
وما قتلوا ولما كان هذا القول محزنا اعتقاده وكتمانه علق سبحانه بقوله قالوا وبانتفا
الكون كالذين قالوا قوله ليجعل الله ذلك اي القول او الانفراد به عن مشارك حسرة في
قلوبهم اي باعتقاده وعدم المواسي فيه وعلى تقدير التعليق بقالوا يكون من باب التهكم
بهم لانهم لو لم يقولوه لهذا الغرض الذي لا يقصده عاقل لكانوا قد قالوه لا للغرض اصلا

وذلك اعرق في كونه لبس من افعال العقلا والله اي لا تكونوا لهم والحال او قالوا ذلك والحال ان الله يحيي اي من اراد في الوقت الذي يريده ويميت اي من اراد اذا اراد حذر من قدر والله بما تعملون بصير اي وبكل شي منه بصير وعلي كل شي منه قدير لا يكون شي منه بغير اذنه ومتي كان علي خلاف امره عاقب عليه ولما نهاهم عن قول المنافقين الدال علي تمني الحال من داوم البقا وكراهة الموت بين لهم تمني فوات انفسهم في الجهاد بالموت او القتل ليكون ذلك مبعدا لهم بما قال المنافقون موجبا للتسليم الامر الخالق بل يحبا فيه وداعيا اليه فقال ولين وهو حال احري من لا تكونوا قتلتم في سبيل الله اي الملك الاعظم قتلا او متم اي فيه موتا لمغفرة اي لذنوبكم تعالكم من الله اي بما كنتم عليه من طاعته ورحمة اي لاجل ذلك خير مما تجمعون اي مما هو محرم البقا في الدنيا عند اهل الشقا مع انه ما فاتكم شي من اعمالكم ولما ذكر اشرف الموت ذكر ما دونه فقال ولين متم او قتلتم اي في اي وجه كان علي حسب ما قدر عليكم في الازل لالي الله اي الذي هو متوفيكم لا غيره تحشرون فان كان ذلك الموت او القتل علي طاعته اثابكم والا عاقبكم والحاصل انه لا حيلة في دفع الموت علي حالة من الحالات قتل او غيره ولا في الحشر اليه سبحانه واما الخلاص من هول ذلك اليوم ففيه حيلة بالطاعة والله الموفق وما احسن ما قال عنترة في نحو وهو جاهلي فالمومن اولي منه بمثل ذلك

بكرت تخوفني الحتوف كانني • اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل •
فاجبتها ان المنيه منهل • لابد ان اسقي بذاك المنهل •
فاقني حياك لا اباك واعلمي • اني امرو ساموت ان لم اقتل •

ولما فرغ من وعظ الصحابة رضي الله عنهم اتبعه تحبيب النبي صلى الله عليه وسلم فيما فعل فيهم من الرفق واللين مع ما سبب الغضب الموجب للعنف والسطوة من اعراض من اعرض علي من اشار به ثم مخالفتهم لامره في حفظ المركز والصبر والتقوي ثم خذلانهم له وتقديم انفسهم علي نفسه الشريفة ثم عدم العطف عليه وهو يدعوهم اليه ويامر باتباعهم عليه ثم اتهام من اتهمه الي غير ذلك من الامور التي توجب لروسا الجيوش وقادة الجنود اتهام اتباعهم وسوء الظن بهم الموجب للغضب والايقاع ببعضهم ليكون ذلك واحرا لهم من العود الي مثله فقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم اي ما لنت لهم هذا اللين الخارق للعادة ورفقت بهم هذا الرفق بعد ما فعلوا بك الا بسبب رحمة عظيمة من الجابر لجميع الكلام فقابلتهم بالجميل ولم تعنفهم بانهزامهم عنك بعد ان خالفوا امرك وهم كانوا سببا لاستخرا والذي اقتضى هذا الحصر هو ما لانها نافية في سياق الاثبات فلم يمكن ان توجه الا الي ضد ما اثبته السياق ودلت زيادة ما علي ان تنوين رحمة للتعظيم اي فبا لرحمة العظيمة لا بغيرها لنت ولما بين سبحانه سبب هذا اللين المتين بين ثمرته ببيان ما في ضده من الضرر فقال ولو كنت فظا اي سيي الخلق غليظ القلب اي قاسيه تعاملهم بالعنف والجفا لانفضوا اي تفرقوا من حولك اي فقات المقصود من البعثة ولما اخبره تعالى انه هو عفا عنهم ما فرطوا

في حق

في حقه امره بالعفو عنهم فيما يتعلق به صلى الله عليه وسلم وبالاستمرار علي مشاورتهم عند النوايب ليلا يكون خطاوهم في الراي اولا في الخروج من المدينة وثانيا في تضييع المركز وثالثا في اعراضهم عن الاثخان في العدو بعد الهزيمة الذي ما شرع القتال الا لاجله باتباعهم علي النهب ورابعا في وهنهم عند كرا العدو والي غير ذلك موجبا لترك مشاورتهم فيفوت ما فيها من المنافع في نفسها وفيما يثمر من التالف والتسنن وغير ذلك فقال تعالى فاعف عنهم اي ما فرطوا في هذه الكرة في حقك واستغفر لهم اي الله لما فرطوا في حقه وشاورهم في الامر اي الذي تريده من امور الحرب فاذا عزمت اي بعد ذلك علي امر مضيت فيه وقراه من ضم التا للمتكلم بمعناها اي فاذا فعلت انت امرا بعد المشاورة لاني فعلت فيه باني اردته فعل العازم فتوكل اي فيه على الله اي ولا يردك عنه خوف بما فيه كما فعلت بتوثيق الله في هذه الغزوة ثم علل ذلك بقوله ان الله يحب المتوكلين اي فلا يفعل بهم الا ما فيه اكرامهم وان روي غير ذلك ولما كان التقدير فاذا فعلوا اما عيبه اعظام منا لهم بما عزموا عليه لاجله استانف الاخبار بما يقبل بقلوبهم اليه ويقصر همهم عليه بان قصره هو المنصور ومن خذله هو المخذول فقال تعالى ان ينصركم الله اي الذي له جميع العظمة فلا غالب لكم اي ان كان سكم اولا صلى الله عليه وسلم سكم اولا فما لكم وهنتم لما صاح ابليس ان محمدا قد قتل وهلا فعلتم كما فعل سعد بن الربيع رضي الله عنه وكما فعل انس بن النضر رضي الله عنه حين قال موتوا علي ما مات عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم فهو اعذر لكم عند ربكم وان يخذلكم اي بامكان العدو منكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بني اوغيره ولما كان التقدير فعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين عطف عليه قوله وعلى الله اي وحده لا علي نبي ولا علي قوة بعدد ولا مال من غنيمة ولا غيرها فليتوكل المومنون اي كلهم فيكون ذلك امارة صحة ايمانهم ولما كان الغلول من اعظم موجبات الخذلان او اعظمها والنزاهة عنه من اعظم موجبات النصر كان انسب الاشيا تعقيب هذه الاية باية الغلول بيانا لانه كان سبب هزيمتهم في هذه الغزوة فانه لا يخذل الا بالذنوب ومن اعظم الذنوب الموجبة للخذلان الغلول فيكون المراد بتبريه صلى الله عليه وسلم عنه والله اعلم ان اتباعهم على نهب الغنايم قبل وقته اما ان يكون لقصد ان يغلوا ابا خيا ما انتهبوه او بعضه واما ان يكون للخوف ان يغل ربهم وحاشاه واما ان يكون للخوف من مطلق الجاير بان لا تقسمه صلى الله عليه وسلم بينهم علي السوا وحاشاه من كل من ذلك واما المبادرة الي النهب لغير هذا القصد فخفه وطيش وعبث لا يصوب عاقل اليه اذا انتدر هذا فيمكن ان يكون التقدير فليتوكلوا في كتب العدو وتحصيل ما معه من الغنايم فلا تعجلوا علي ذلك اقبالا ينظرق منه احتمال لظن السو بهاديهم في ان يغل وهو الذي اخبرهم بتحريم الغلول وبانه سبب للخذلان وما نهي صلى الله عليه وسلم عن شي الا كان اول تارك له وبعيد منه وما كان ينبغي لهم ان ينتحوا طريقا الى هذا الاحتمال فعبر عن ذلك بقوله عطفا علي وكاين من نبي وما كان اي ما انبغي وما صح في وقت من الاوقات ولا علي حالة

من الحالات لنبي اي نبي كان فضلا عن سيد الانبيا وامام الرسل ان يغل تبشيعا للغل ما
يودي الي هذا الاحتمال زجرا من معاودة مثل ذلك ويجوز ان يكون التقدير بعد الامر
بالتوكل علي الله وحده فلا تاتوا ان كنتم مومنين بما يقدح في التوكل كالغلول وما بدا منه فتحدوا
فانه ما كان لكم ان تغلوا ومن يغلل اي يقع منه ذلك كائنا ما كان يات بما غل يوم القيمة و
من عرف كلام اهل اللغة في الغلول عرف صحة قولي انه لمطلق الخيانة وانه يجوز ان
يكون التقدير وما كان لاحد ان يفعل ما يودي ولو علي بعد الي نسبته نبي الي الغلول
قال صاحب القاموس اغل فلانا نسبه الي الغلول والخيانة وغل غلولا خان كاغل
او خاص بالفي وقال الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي اغل الرجل اغلالا
اذا خان فهو مغل وغل في المغنم يغل غلولا وقري ان يغل وان يغل فمن قرا يغل اراد
يخون ويجوز ان يريد لا ينسب الي الخيانة وكل من خان شيا في خفا فقد غل يغل
غلولا ويسمي الخاين غالا وفي الحديث لا اغلال ولا اسلال الاغلال الخيانة في كل شي
وغللت الشي اغله غلا اذا سترته قالوا ومنه الغلول في المغنم انما اصله ان الرجل
كان اذا اغل اخذ منه شيا ستره في متاعه فقيل للخاين غال ويغل ويغال غللت
الشي في الشي اذا ادخلته فيه وقد انغل اذا دخل في الشي وقد انغل في الشجر دخل
انتهى فهذه الاية نهي للمومنين عن الاستباق الي المغنم علي طريق الاشارة ختم بها
الوعظ الذي في اخر القصة كما ان اية الربوا نهي عنه علي طريق الاشارة فتح بها الوعظ
الذي في اول القصة فقد اكتنف التنفير من الغلول الذي هو سبب الخذلان في
هذه الغزوة مطلقا طرفي الوعظ فيها لتكون في اوايل ما يقرع السمع واواخره
ولما كان ثمرة الاتيان بها الجزا عليه عمم الحكم تنبيها علي ان ذلك اليوم يوم الدين فلا
بد من الجزا فيه وتصويرا له تشنيعا للفضيحة فيه بحضرة الخلق اجمعين اذ في تعظيمه
وتعظيم الجزا عنه باداه التراخي وتضعيف الفعل فقال ثم توفي اي في ذلك اليوم
العظيم كل نفس اي غالة وغير غالة ما كسبت اي ما لها فيه فعل ما من خير او شر
وافيا مبالغا في تحريره ووفايه وهم لا يظلمون اي لا يقع عليهم ظلم في شي منه بزيادة ولا
نقص ولما اخبر تعالي انه لا ينفع في ذلك اليوم ظلم اصلا تسبب منه الانكار علي من حدث
نفسه بالاماني الكاذبة فظن غير ذلك من استوا حال المحسن وغيره فقال تعالي افمن
اتبع اي طلب بجد واجتهاد رضوان الله اي بالاقبال علي ما امر به الصادق فضار
الي الجنة ونعم المصير كمن باء اي رجع من تصرفه الذي يريد به الربح او الحل واقام بسخط
من الله اي فعل ما يقتضي السخط بالمخالفة ثم الادبار لولا العفو وماواه جهنم جزا بما جعل
اسباب السخط ماواه وبئس المصير اي هي ولما افهم الانكار علي من سوي بين الناس انهم متمايزون
صرح بذلك في قوله هم درجات اي متباينون تباين الدرجات عند الله وان خفي ذلك
عليكم لان الله خلقهم فهو عالم بهم حين خلقهم والله بصير بما يعملون اي بعد ايجادهم لان ذلك

ايضا خلقه وتقديره ليس لهم فيه الا نسبته اليهم بالكسب فهو يجازيهم بحسب تلك الاعمال
فكيف يتخيل انه يساوي بينهم في المال وقد فاوت بينهم في الحال وهو الحكم العدل
ولما ارشدهم الي هذه المراشد وبين لهم بعض ما اشتملت عليه من الفوايد وبان
بهذه القصة قدر من اسدي اليهم ذلك علي لسانه صلي الله عليه وسلم بما له من الفضايل
التي من اعظمها كونه من جنسهم يميل اليهم ويرحمهم ويعطف عليهم فيالغون في تعظيمه نبه علي
ذلك سبحانه ليستمسكوا بغرزه ولا يلتفتوا لحظا عن لزوم هديه فقال تعالي لقد من
الله علي المومنين خصهم لانهم المختصون بهذه النعمة اذ بعث فيهم اي فيما بينهم او بسببهم
رسولا وزادهم رغبة فيه بقوله من انفسهم اي نوعا وصنفا يتلوا عليهم اياته اي
فيمحوا ببركة نفس التلاوة كثيرا من شر الجان وغيرها مما ورد في منافع القران مما عرفنا
وما لم نعرف اكثر ويزكيهم اي يطهرهم من اوضار الدنايا والاوزار بما يفهم الثاقب
من دقايق الاشارات وبواطن العبارات وقدم التزكية لاقتضا مقام المعاتبة علي الاقبال
علي الغنيمة ذلك كما مضي في سورة البقرة ويعلمهم الكتاب اي تلاوة بكونه من نوعهم يلذ لهم
التلقي منه والحكمة تفسيرا وابانة وتحريرا وان اي والحال انهم كانوا من قبل اي من قبل ذلك
لفي ضلال مبين اي ظاهر وهو من شدة ظهوره كالذي ينادي علي نفسه بايضاح لبسه
وفي ذلك اعظم اشارة الي انه عليه الصلاة والسلام علمهم من الحكمة في هذه الوقعة ما اوجب
نصرهم في اول النهار فلما خالفوه حصل الخذلان ثم قال تعالي اولما اي اتركتم ما ارشدكم
اليه الرسول الكريم الحليم العليم الحكيم ولما اصابتكم اي في هذا اليوم مصيبة المخالفتكم لامره
واعراضكم عن ارشاده قد اصبتم مثليها اي في بدر وانتم في لقا العدو كانما يساقون
الي الموت علي الضد مما كنتم فيه من هذه الغزوة وما كان ذلك الا بامتثالكم لامره وتوكلكم
لنصحه قلتم انى من اين وكيف اصابنا هذا اي بعد وعدنا النصر قل هو من عند انفسكم
اي لان الوعد كان مقيدا بالصبر والتقوي وقد تركتم المركز واقبلتم علي الغنايم وقبل
الامر بروي عن علي رضي الله عنه ان ذلك باختيارهم العدا يوم بدر الذي نزل فيه لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم واباح لهم سبحانه الفدا بعد ان عاتبهم
وشرط عليهم ان اختاروه ان يقتل منهم في العام المقبل بعدد الاسري فرضوا وقالوا
نستعين بما ناخذ منهم عليهم ثم نرزق الشهادة ثم علل ذلك بقوله ان الله علي كل شي
اي من النصر والخذلان ونصب اسباب كل منهما قدير فكان ذكر المصيبة التي كان
سببها مخالفته ما رتبه النبي صلي الله عليه وسلم بعد ختم الاية التي قبلها بالتذكير بما كانوا
عليه من الضلال علي ما نري من البلاغة ولما كانت نسبة المصيبة اليهم ربما اوهمت من لم
يرسخ قدمه في المعارف الالهية ان بعض الاشيا لخارج عن مراده تعالي فقال وما اصابكم
يوم التقي الجمعان اي حزب الله وحزب الشيطان في احد فباذن الله اي بتمكينه واثبات ان
ذلك بامره نحو ما ذكر عند التولية يوم التقي الجمعان من نسبته الاحيا والاماتة اليه ولما كان

التقديس لبوابكم به عطف عليه قوله وليعلم المومنين اي الصادقين في ايمانهم وليعلم الذين
نافقوا اي علما تقوم به الحجة في مجازي عاداتكم وهذا مثل قوله تعالى هنالك وليبتلي الله
ما في صدوركم الاية وعطف على قوله نافقوا اما اظهر نفاقهم او يكون حالا من فاعل نافقوا
فقال وقيل لهم تعالوا قاتلوا اى اوجدوا القتال في سبيل الله اي بسبب تسهيل
طريق الرب الذي شرعه اي عن انفسكم واحبابكم على عادة الناس لا سيما العرب قالوا
لو نعلم اي نحسن قتالا اي انه يقع فقال لاتبعناكم اى لكنه لا يقع فيما نظن فقال
ورجوا ولما كان هذا الفعل المستند الي هذا القول ظاهرا في نفاقهم ترجم بقوله هم للكفر يومئذ
اي يوم اذ كان هذا حالهم اقرب منهم للايمان ثم علل ذلك او استانف بقوله يقولون
بافواههم ولما افهم هذا انه لا يجاوز السنتهم فلا حقيقة له ولا ثبات عندهم صرح
به في قوله ما ليس في قلوبهم بل لا شك عندهم في وقوع القتال علم الله هذا منهم كما علموه
هم من انفسهم والله اعلم اي منهم بما يكتمون اي كله لانه يعلمه قبل كونه وهم لا يعلمونه الا
بعد كونه واذا كان نسوه بتطاول الزمان وهو سبحانه لا ينساه ولما حكى عنهم ما لا يقوله
ذو ايمان اتبعه ما لا يحمله ذو مروة ولا عرفان فقال مبينا للذين نافقوا الذين قالوا
لاخوانهم اي لاجل اخوانهم والحال انهم قد اسلموهم وقعدوا اي عنهم خذلانا لهم لو
اطاعونا اي في الرجوع ما قتلوا ولما كان هذا موجبا للغضب اشار اليه باعراضه في قوله
قل اي لهولاء الاحباب الذين هم بمنزلة الغيبة عن حضرتي لما تسبب عن قولهم هذا من
ادعا القدرة على دفع الموت فادرءوا اي ادفعوا عن انفسكم الموت اي حتى لا يصل اليكم
اصلا ان كنتم صادقين اي في ان الموت يغني منه حذر فقد انتظم الكلام بما قبل احمل الوعظه
اتم انتظام على انه قد لاح لك اي ملاءمة الجمل المواعظة لما قبلها وما بعدها ليس بدون
ملاءمة ما قبلها من صلب القصة لما بعدها منه ولما ازاح سبحانه العلل ونفى العلل وختم
بانه لا معوض من القدر فلم يبق عند اهل الايمان الا ما طبع عليه الانسان من الاسف على فقد
الاخوان وكان شرور المفقود برد غلة الموجود بشرهم بحياتهم وما نالوه من لذاتهم ولما
كان العرب يجحدون قبل الاسلام من اعتقاد الحياة بعد الموت خاطب العالم الذي
لا ريب في علمه تنبيها اشارة الى انه لا يفهم حق فهمه سواه كما اشار اليه قوله في البقرة ولكن لا
تشعرون فقال تعالى عاطفا على قل ولا تحسبن الذين قتلوا اي في هذه الغزوة او غيرها
في سبيل الله والله اعلم بمن يقتل في سبيله امواتا اي الان بل هم احيا وبين زيادة شرفهم
بقوله عند ربهم اي المحسن اليهم في كل حال فكيف في حال قتلهم فيه حياة ليست كالحياة الدنيوية
وحقق حياتهم بقوله يرزقون اي رزقا يليق بحياتهم فرحين بما اتاهم الله اي الحاوي
لجميع الكمال من ذلك الفوز الكبير من فضله لانه لو حاسبهم على اقل نعمة من نعمه لم توف
جميع اعمالهم بها لان اعمالهم من نعمه فاعلمنا سبحانه بهذا تسليه وحسن تعزيه انه لم يفت
منهم الا حياة الكدر التي لا مطمع لاحد في بقائها وان طال المدى وبقيت لهم حياة الصفا التي

٨

١٧٠

لا انفكاك لها ولا اخر لنعيمها نعم يلحقهم ولا نقص تنالهم ولا حزن يعتريهم ولا دهش يلحقهم
في وقت الحشر ولا غير فلا غفلة لهم فكان ذلك مذهبا للحزن من خلفهم ومرغبا لهم في الاسباب
الموصلة الى مثل حالهم وهذا والله اعلم معنى الشهادة اي انهم ليست لهم حالة غيبة لان دائم
الحياة بلا كدر اصلا كذلك ولما ذكر سرورهم بما نالوه ذكر سرورهم بما نالوه لمن هو على دينهم
فقال ويستبشرون اي يوجد لهم البشرى وجودا عظيم الثبات بالذين لم يلحقوا
بهم اي في الشهادة في هذه الغزوة ثم بين ذلك بقوله من خلفهم اي في الدنيا
ثم المبشر به فقال الا خوف عليهم اي في اخرتهم ولا هم يحزنون اي اصلا لانه لا ينقد
منهم شي بل هم كل لحظة في زيادة وهذا اعظم البشرى لمن تركوا على مثل حالهم
من المومنين ولما ذكر سرورهم لانفسهم تارة ولاخوانهم اخرى كرره تعظيما
له واعلاما بانه في الحقيقة عن غير استحقاق وانما هو مجرد من فقال يستبشرون
بنعمة من الله اي كثيرة وفضل اي منه عظيم وان الله اي الملك الاعظم الذي لا يقدره احد
حق قدره لا يضيع اجر المومنين اي منهم ومن غيرهم بل يوفيهم اجرهم على اعمالهم ويتفضل عليهم
ولو شا لحاسبهم على سبيل العدل ولو فعل ذلك لم يكن لهم شي ولما ذم المنافقين بوجه عمم
من غير ان يصيبهم قرح ومدح احوال الشهدا ترغيبا في الشهادة واحوال من كان
على مثل حالهم ترغيبا في النسج على منوالهم وختم بتعليق السعادة بوصف الايمان اخزم
بذكر ما اثمر لهم ايمانهم من المبادرة الى الاجابة الى ما يندبهم اليه صلى الله عليه
وسلم اشارة الى انه لم يحمل على التخلف عن امره من غير عذر الا صريح النفاق فقال
الذين استجابوا اى اوجدوا الاجابة ايجادا موكدا محققا ثانيا بما عندهم من خالص
الايمان لله والرسول اي لا لغرض مغنم ولا غيره ثم عظم صدقهم بقوله من بعد ما
اصابهم القرح ولما كان تعليق الاحكام بالاوصاف حاملا على التحلي بها عند المدح قال
تعالى للذين احسنوا وعبر بما يصلح للبيان والبعض ليدوم رغبهم ورهبهم فقال منهم واتقوا
اجر عظيم وهذه الايات من تتمة هذه القصة سواء قلنا انها اشارة الى غزوة حمرا الاسد
او غزوة بدر الموعد فان الوعد كان يوم احد والله الهادي ومما يجب التنبيه له ان
البيضاوي قال تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى بدر الموعد في سبعين
راكبا وفي تفسير البغوي ان ذلك كان في حمرا الاسد فان حمل على ان الركبان من الجيش
كان ذلك عددهم ان الباقين كانوا مشاة فلعله والا فليس كذلك اما في حمرا الاسد فان النبي
صلى الله عليه وسلم بلغه ان المشركين هموا بعد انفصالهم من احد بالرجوع فاراد ان يرهبهم
وان يريهم من نفسه واصحابه قوة فنادى مناديه يوم الاحد الغد من يوم احد بطلب العدو
وان لا يخرج معه الا من كان حاضرا معه بالامس فاجابوه بالسمع والطاعة فخرج عن اثرهم
واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم ولا يشك في انهم اجابوا كلهم ولم يتخلف منهم احد وقد
كانوا في احد نحو سبعمائة ولم ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج معه لاحد لم

يشهد القتال يوم احد واستاذنه رجال لم يشهدوها فمنعهم الا ما كان من جابر بن عبد
الله رضي الله عنهما فانه اذن له لعلة ذكرها في التخلف عن احد محموده قال الواقدي
ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوايه وهو معقود لم يحل من الامس فدفعه
الى علي رضي الله عنه ويقال الى ابي بكر رضي الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراسه مشجوج وهو مجروح في وجهه اثر الحلقتين ومشجوج في جبهته في اصول الشعر
ورباعيته قد شظيت وشفته قد كلمت من باطنها وهو متوهن منكبه الايمن بضربة
ابن قميه وركبتاه مجحوشتان بابي هو وامي ووجهي وعيني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد فركع ركعتين والناس قد حشروا ونزل اهل العوالي حيث جاءهم الصريخ ثم ركع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعتين فدعا بفرسه على باب المسجد وتلقاه طلحة رضي الله عنه وقد سمع
المنادي فخرج ينظر متى يسير فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه الدرع والمغفر وما يرى
منه الا عيناه فقال يا طلحة سلاحك فقال قلت قريب قال اعدو والبس ودرعي وانا اهم
بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على طلحة فقال اين ترى القوم الان قال هم بالسيالة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك الذي ظننت اما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل امس حتى يفتح الله مكة علينا ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى عسكر بحمراء الاسد قال جابر رضي الله عنه
وكان عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت الحمرا
وساق جزورا فنحروا في يوم اثنين وفي يوم ثلاثا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم
بالنهار بجمع الحطب فاذا امسوا امرنا ان نوقد النيران فيوقد كل رجل نارا فلقد كنا تلك
الليالي نوقد خمسمائة نار حتى يرى من المكان البعيد وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا
في كل وجه حتى كان مما كبت الله به عدونا فهذا ظاهر في انهم كانوا خمسمائة رجل والله
اعلم ويؤيد ذلك ما نقل عن اخبار المثقلين بالجراح قال الواقدي جاء سعد بن معاذ رضي
الله عنه والجراح في الناس فاشية عامة بني عبد الاشهل جريح بل كلهم رضي الله عنهم فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تطلبوا عدوكم قال يقول اسيد بن حضير رضي
الله عنه وبه سبع جراحات وهو يريد ان يداويها سمعا وطاعة لله ولرسوله فاخذ سلاحه
ولم يعرج على دوا جراحه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء سعد بن عبادة رضي الله
عنه قومه بني ساعدة فامرهم بالمسير فلبسوا ولحقوا وجاء ابو قتادة رضي الله عنه اهل
خربا وهم يداوون الجراح فقال هذا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم
بطلب العدو فوثبوا الى سلاحهم وما عرجوا على جراحاتهم رضي الله عنهم فخرج من بني
سلمة رضي الله عنهم اربعون جريحا وبالطفيل بن النعمان رضي الله عنه ثلاثة عشر جرحا
ويقطبه ابن عامر بن حديدة رضي الله عنه تسع جراحات حتى وافوا النبي صلى الله عليه وسلم
ببير ابي عنبة الى راس الثنية عليهم السلاح قد صفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما

فلما نظر اليهم والجراح فيهم فاشية قال اللهم ارحم بني سلمة وحدث ابن اسحق والواقدي
ان عبد الله بن سهل ورافع بن سهل رضي الله عنهما كان بهما جراح كثيرة فلما بلغهما
الندا قال احدهما لصاحبه وابيه ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم لغبن والله ما عندنا دابة نركبها وما ندري كيف نصنع قال عبد الله انطلق
بنا قال رافع لا والله باي مشي قال اخوه انطلق تنجار نخرجا يزحفان فضعف رافع
فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبة ويمشي الاخر عقبة حتى اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند العشا وهم يوقدون النيران قال لهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى حرسه تلك الليلة عباد بن بشر قال ما حبسكما فاخبراه بعلتهما فدعا
لهما بخير وقال ان طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل وابل وليس ذلك بخير
لكم واما غزوة بدر الموعد فروى الواقدي ومن طريقه الحاكم في الاكليل كما حكاه
ابن سيد الناس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في هذه الغزوة في الف
وخمسمائة من اصحابه رضي الله عنهم وكانت الخيل عشرة قال الواقدي واقبل رجل من
بني ضمرة يقال له مخشي بن عمرو فقال والناس مجتمعون في سوقهم واصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الموسم يا محمد لقد اخبرنا انه لم يبق منكم فما اعلمكم الا اهل
الموسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرفع ذلك الى عدوه ما اخرجنا الا موعد
ابي سفيان وقتال عدونا وان شئت مع ذلك نبذنا اليك والى قومك العهد ثم جالدناك ماكم
قبل ان نبرح من منزلنا هذا فقال الضمري بل نكف ايدينا عنكم ونتمسك بحلفك ولما
كان قول نعيم بن مسعود او ركب عبد القيس عند الصحابة رضي الله عنهم صدقا لا شك
فيه لما قام عندهم من القراين فكان بمنزلة المتواتر الذي عملا عليه الخلايق وكانت
قريش اعلى الناس شجاعة واوفاهم قوة واعرقهم اصالة فكانوا كانهم جميع الناس كان
التعبير بصيغة العموم في قوله الذين قال لهم الناس اي نعيم او ركب عبد القيس ان
الناس يعني قريشا قد جمعوا لكم فاخشوهم امدح للصحابة رضي الله عنهم من التعبير عمن اخبرهم
ومن جمع لهم بخاص اسمه او وصفه ولما كان الموجب لاقدامهم على اللقا بعد هذا القول
الذي لم يشكوا في صدقه ثبات الايمان وقوة الايقان قال تعالى اي هذا القول فزادهم
ايمانا اي ما ساهم عن طاعة الله ورسوله وقالوا ازدراء بالخلايق واعتمادا على الخالق حسبنا
اي كافينا الله في القيام بمصالحنا ولما كان ذلك هو شان الوكيل وكان في الوكلا من
يذم قال ونعم الوكيل فانقلبوا اي فكان ذلك سببا لانهم انقلبوا اي من الوجه الذي
ذهبوا فيه مع النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة وعظمها باضافتها الى الاسم الاعظم فقال
من الله وفضل اي من الدنيا مع ما طار لهم من طيب الثنا بصدق الوعد ومضا العزم
وعظم الغنا والجراة الى ما نالوه عند ربهم حال كونهم لم يمسسهم سوء اي من العدو
الذي حرقوه ولا غيره واتبعوا اي مع ذلك بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية

جهدهم رضوان الله يجازوا اعظم فضله والله ذو فضل عظيم اي في الدارين على من يرضيه
فستنظرون فوق ما تومّلون وليبشر المجيب ويغتم ويحزن المتخلف ولعظم الامر كرر
الاسم الاعظم كثيرا ولما جزاهم سبحانه على امثال ذلك بما وقع لهم من فوزهم بالسلامة والغنيمة
بفضل من حاز اوصاف الكمال وتنزه عن كل نقص بما له من ردا الكبريا والجلال ورغبهم
فيما لديه لتوليهم اياه اتبع ذلك بما بين بدءهم بصيرة من ان المخوف لهم من كيده ضعيف وامره
هين خفيف واه سخيف وهو الشيطان وساق ذلك مساق التعليل لما قبله من حيا زتهم
للفضل وبعدهم عن السو مان وليهم الله وعدوهم الشيطان فقال انما ذلكم اي القايل
الذي تقدم انه للناس الشيطان اي الطريد البعيد المحترق ولما نسب القول اليه لانه
الذي زينه لهم حتى اشربته القلوب وتبلته النفوس وامتلات به الصدور وكان كانه
قبل فاذا انما هو يصنع قال يخوف اي يخوفكم اولياءه لكنه اسقط المفعول الاول اشارة
الى ان تخويفه يول الى خوف اوليائه لان اوليا الرحمن اذا اثبتوا لاجل الجزالهم ما وعدهم
من النصر على اوليا الشيطان ولما كان المعنى انه يوسوس بالخوف من اوليائه تسبب عنهم
النهي عن خوفهم فقال فلا تخافوهم اي لانهم اوليا الشيطان وخافوني اي فلا تعصوا امري
ولا تتخلفوا ابدا عن رسولي ان كنتم مومنين اي مباعدين لاوليا الشيطان بوصف الايمان
ولما مدح سبحانه المسارعين في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وختم ذلك
بالنهي عن الخوف من اوليا الشيطان اعقبه بذم المسارعين في الكفر والنهي عن الحزن
من اجلهم ولما كانوا اكثر الناس كالمنافقين الراجعين عن احد ثم المتمايلين هل لنا من
الامر من شي ارجعوا الى ابي عامر وعبد الله بن ابي لياخذا لنا امانا من ابي سفيان
ثم ركب عبد القيس او نعيم بن مسعود ثم من استجاب من اهل المدينة وارجف بما قالوا
وثبط المومنين وكان ذلك مما يخطر بالبال تمادي ايام الكفر واهله غالبين ويقدح
في رجا قصر مدته ويوجب الحزن على ذلك قال تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون اي
يسرعون اسراع من يسابق خصما في الكفر اي ثم علل ذلك بقوله انهم لن يضروا الله اي الذي
له جميع العظمة شيا اي دينه باذلال انصاره والعالمين به ولما نفي ما خيف من امرهم
كان مظنة السوال عن الحامل لهم على المسارعة فقيل جوابا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا
اي نصيبا في الاخرة ولما كانت المسارعة في ذلك عظيمة ختمت الاية بقوله ولهم عذاب
عظيم ولما كان قبول نعيم وركب عبد القيس لذلك الجهل الذي هو من اسباب الكفر
شرى الكفر بالايمان عقب بقوله ان الذين اشتروا الكفر اي اخذوه بالايمان اي
تركوه واكد نفي الضرر وابده فقال لن يضروا الله شيا لانه بعيد تعالى من الاعلال الاسلام
واهله وختمها بقوله ولهم عذاب اليم لما نالوه من لذة العوض في ذلك البسر كما يلي
العادة في كل متجدد من الارباح والفوايد ولما كان مما اشترك فيه الكفر رجوع المنافقين
عن احد الذي كان سببا للاملا لهم قال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا اي بالله ورسوله

انما نملي لهم اي ان املانا اي امهالنا واطالتنا خير لانفسهم ولما نفي عنهم الخير بهذا
النفي تشوفت النفس الى ما لهم فقال انما نملي لهم اي استدراجا ليزدادوا اثما ولما ٣
كان الرجوع المسفر عن السلامة مظنة لعزتهم في هذه الدار الفانية عند من ظن حسن
ذلك الراي عوضوا عنه الاهانة الدايمة فقال تعالى ولهم عذاب مهين ولما كان
مطلق المسارعة اعم منها بالعوض وهو اعم بالرجوع جا نظم الايات على هذا ولما كشفت
هذه الوقعة جملة من المغيبات من اعظمها تمييز المخلص فعلا او قولا من غيره اخبر تعالى
ان ذلك من اسرارها على وجه بشر الى النبي على المنافقين بتاخيرهم انفسهم بالرجوع
وغيره فقال ما كان الله اي مع ما له من صفات الكمال ليذر المومنين اي الثابتين
في وصف الايمان على ما انتم عليه من الاختلاط بالمنافقين ومن قاربهم من الذين امنوا
على حال الاشكال للاقتناع بدعوى اللسان دليلا على الايمان حتى يميز الخبيث من الطيب
بان يفضح المبطل وان طال ستره بتكاليف شاقة واحوال شديدة لا يصبر عليها الا الخلص من
العباد المخلصون في الاعتقاد وما كان الله لاختصاصه بعلم الغيب ليطلعكم على الغيب
اي الذي في قلوبكم مع احتمال ان يكون الرجوع للعلة التي ذكروها في الظاهر والقول
لشدة الاسف على اخوانهم ولكن الله يجتبي من رسله من يشا اي فيجري على السنتهم بما يريد من
المغيبات كما اخبرهم برجوعهم للكفر اقرب منهم للايمان وانهم يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم ولما تسبب عن هذا وجوب الايمان بذلك قال فامنوا بالله اي في انه
عالم الغيب والشهادة لهذه الاسما الحسنى ورسله في انه ارسلهم وفي انهم صادقون في كل ما يخبرون
به عنه ولما كان التقدير فانكم ان لم تومنوا كان لكم ما تقدم من العذاب العظيم الاليم المهين
عطف عليه قوله وان تومنوا اي بالله ورسله وتتقوا اي بالمداومة على الايمان وما
يقتضيه من العمل الصالح فلكم اجر عظيم اي منه لا يضركم كيد اعدايكم شيا كما تقدم وعدكم
به ولما كان من جملة مباني السورة الانفاق وتقدم في غير اية مدح المتقين به وختم عليه
وتقدم ان الكفار سارعوا في الكفر ابو سفيان بالانفاق في سبيل الشيطان على من تخذل
الصحابة ونعيم او عبد القيس بالسعي وكان المبادرون الى الجهاد قد تضمن فعلهم السماح بما
اتاهم الله من الانفس والاموال وكان الله تعالى قد اخبرهم انه عنده مما انفقوا في سبيله ذم
الباخلين بالانفس والاموال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون اي عن الحقوق
الشرعية بما اتاهم الله اي بجلاله وعزه من فضله اي لا استحقاقهم له هو خيرا لهم اي
لسترهم المال بسبب ذلك بل هو شر لهم لانه مع جعل الله البخل متلفا لاموالهم سيطوقون ما بخلوا به
اي يجعل لهم بوعد صادق لا خلف فيه طوقا بان يجعل شجاعا اي حية عظيمة مهولة تلزم الانسان
منهم محيطة بعنقه تضربه في جانبي وجهه يوم القيمة لان الله يرثه منهم بعد ان كان خولهم
فيه فيجعله بسبب ذلك التخويل عذابا عليهم ولما كان هذا اطلابا منهم للانفاق وكان الطالب
فيها محتاجا الى ما يطلبه وكان ذوا المال اذا علم انه ذاهب وان ماله موروث عنه تفرق

فيه اخبر تعالى بغناه على وجه مجد وهم على الانفاق فقال عاطفا على ما تقدم لانه ثم كونه من فضله فله كل ما في ايديهم ولله ميراث السموات والارض اي الذين هذا ما فيهما بان يبيد سبحانه جميع الاحيا وان املى لهم ويفني ساير ما وهبهم من الاعراض ويكون هو الوارث لذلك كله ولما كانت هذه الجمل في الاخبار عن المغيبات دنيا واخرى وكان البخل من الافعال الباطنة التي يستطاع اخفاوها ودعوى الانصاف بضدها كان الختم بقوله والله بما تعملون خبير ولما كان العمل شاملا لتصرفات الجوارح كلها من القلب واللسان وساير الاركان قال دالا على خبره بسماع ما قالوه قياسا على ما يعرفونه من انفسهم من انه كما تقدم لا يطلبه الا محتاج لقد سمع الله اي الذي له جميع الكمال قول الذين قالوا اي من اليهود ان الله فقير اي لطلبه القرض ونحن اغنيا لكونه يطلب منا وهذا رجوع منه سبحانه الى اتمام ما نبه عليه قبل هذه القصة من بعض اهل الكتاب لاهل هذا الدين وحسدهم لهم وارادة تشكيكهم فيه للرجوع عنه على اسنح المناهج واعلى الاساليب ولما تشوفت النفوس الى جزايهم على هذه العظيمة وكانت الملوك اذا علمت انتقاص احد لها وهي قادرة عاجلته لما عندها من نقص الاذى بالغيظ قال سبحانه مهددا لهم مشيرا الى انه على عزته سنكتب اي على عظمتنا ما قالوا اي من هذا الكفر وامثاله ولما كان اجترايهم على الخالق اتبعه اجتراهم على اشرف الخلايق فقال مشيرا الى انهم اشد الناس تمردا وتمرنا على ارتكاب العظايم وقتلهم الانبيا اي الذين اقمناهم فيهم لتجديد ما وهى من بنيان دينهم ولما لم يكن في قتلهم شبهة اصلا قال بغير حق ثم عطف على قوله سنكتب قوله ونقول ذوقوا اي بما لمسكم به من المصايب في الدنيا والعقاب في الاخرى كما كنتم تذوقون الاطعمة التي كنتم تحلون بها فلا تودون حقوقها عذاب الحريق جزا على ما احرقتم به قلوب عبادنا ثم بين السبب فيه بقوله ذلك اي العذاب العظيم بما قدمت ايديكم اي من الكفر بقتلهم وبغيره وان الله اي وبسبب ان الله ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد ولو لم يعذبكم لكان تركهم على صورة الظلم لمن عاد وكبريته واشتد اذاكم لهم ولما كان القربان من جنس النفقات ومما يتبين به سماح النفوس وشحها حسن نظم ايرا القربان هنا بقوله الذين قالوا تقاعدا عما يجب عليهم من المتابعة بالايمان ان الله عهد الينا وقد كذبوا في ذلك ان لا نومن لرسول اي كاينا من كان حتى ياتينا بقربان اي تقربه لله تعالى فيكون متصفا بان تاكله النار عند تقريبه به وفي ذلك اعظم بيان لانهم ما ارادوا بقولهم ان الله فقير حيث طلب الصدقة الا التشكيك حيث كان التقرب الى الله بالمال من دينهم الذي يتقربون به الى الله به بل وادعوا انه لا يصح دين بغيره ولما قرروا هذا التشكيك امر سبحانه بنقضه بقوله قل قد جاكم رسل فضلا عن رسول من قبلي كزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات اي من المعجزات وبالذي قلتم اي فلم فان الغنايم لم تحل كما في الصحيح لاحد كان قبلنا فلم تحل لنا

نسخ

نسخة من احكام التورية وقد كانت تجمع فتنزل من السما الاان وقع فيها غلول فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي في انكم تومنون لمن اتاكم على الوجه الذي في ذلك رد على الفريقين اليهود المدعين انهم قتلوه عيس الرا في الايمان بمن اتاهم بذلك والنصارى المسلمين لما ادعى اليهود استلزم لكونه ليس باله

٢ ولما كانت هذه السورة متضمنة لكثير من الدقايق التي اخفوها من كتابهم الذي جعلوه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وفي هذه الاية بخصوصها من ذلك ما يقتضي تصديقه صلى الله عليه وسلم وكان سبحانه عالما بان اكثرهم يعاندون تسبب عن ذلك ان سلاه في تكذيب المكذبين منهم بقوله فان كذبوك فكان كانه قيل هذا الذي اعلمتك به يوجب تصديقك فان لم يفعلوا بل كذبوا فقد ولما كان السياق لاثبات مبالغتهم في الغلظة والجفا والكفر وعدم الوفا اسقط تا التانيث لانها ربما دلت على نوع ضعف فقال كذب رسل من قبلك اي فلك فيهم سلاه وبهم اسوة جاوا بالبينات اي من المعجزات والزبر اي من الصحف المتضمنة للمواعظ والحكم الزواجر والدقايق التي تنير العالم بها عن المساوي والكتاب المنير اي الجامع للاحكام وغيرها الموضح لانه الصراط المستقيم ولما تقدم في قصة احد رجوع المنافقين وهزيمة بعض المومنين مما كان سبب ظفر الكافرين وعاب سبحانه ذلك عليهم بانهم هربوا من موجبات المعالي والحياة الابدية الى ما لا بد منه والى ذلك اشار قوله قل لو كنتم في بيوتكم ولين قتلتم في سبيل الله قل فادروا عن انفسكم الموت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله وغير ذلك مما تلمح به في رجوعهم حذر الموت وطلب امتداد العمر ما اتضح به من ان موت هذا النبي الكريم وقتله ممكن كما كان من قبله من اخوانه من الرسل على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام وختم بالاخبار بانه وقع قتل كثير من الرسل فكان ذلك محققا لانه لا بعاد من الموت صار مستحضرا للعيان تصويرا اوجب التصريح به اشارة بذلك الى ان حالهم في هربهم ورجوعهم وما تبع ذلك من توهم حال من هو في شك منه فقال تعالى كل نفس اي منفوسة من غيسى وعزير ومن يجوز عليه ذوق الموت يحرم عليه ذوق النار وهو غيره محتاج فالعاقل من سعى في النجاة منها والانجاة كالنفل الخلص الذين هم منهم عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ذائقة الموت
وكان نظمها بعد الايات المقتضية لتوفية الاجور بالاثابة عليها وانه ليس بظلام للعبيد شديد الحسن وذلك مناسب ايضا لختم الاية بالتصريح بتوفية الاجور يوم الدين وان الزحزحة عن النار ودخول الجنة هو الفوز لا الشح في الدنيا بالنفس والمال الذي ربما كان سببا لامتداد العمر وسعة المال بقوله وانما توفون اجوركم اي جزا على ما عملتموه من خير وشر يوم القيمة فمن زحزح اي ابعد في ذلك اليوم ابعادا عظيما سريعا عن النار وادخل الجنة فقد فاز اي بالحياة الدايمة والنعيم الباقي والمعنى ان كل نفس تعطى في ما عملت فتوفى انت اجرك على صبرك على اذاهم وكذا من اطاعك وتجاوز

ون

هم علي ما نوطوا في حقك يتقذفون في جمرة النار وكان الحصر اشارة الى تعبيج امثالهم
على الغنيمة وغيرها من التوسع العاجل اي انما مقتضي الدين الذي دخلتم فيه هذا
ونحن توجيبا من الالتفات الى محل تجيء الاجر في الدنيا كما قال ابو بكر رضي الله عنه
في اول اسلامه وجدت بضاعة بخسيسه ما وتعتبيعا بضاعة قط النفس منها وهي لا اله الا
الله فالحاصل انه كل نفس اي حذرة من الموت ومستسلمة ذايقة الموت اي غلام الاحتراس
منه تقعود عن الغزو او هرب من العدو وانما توفون اجوركم اي يا اهل الاسلام
التي وعدتموها على الاعمال الصالحة يوم القيمة اي فما لكم تريدون تعجلها باسراعكم الى
الغنايم او غيرها بما يزيد في اعراض الدنيا فتكونوا ممن تعجل طيباته في الحياة الدنيا
فمن اي تحيث علم انه لا فوز في الدنيا الا بما يقرب الى الله بسبب غرض انه من زحزح
عن النار اي لكونه وقراجع ولم يتعجل طيباته وادخل الجنة اي بما عمل من الصالحات
فحاز الحياة الدايمة مع الطيبات الباقية فقد فاز اي كل الفوز ولما صح انه لا فوز الا
ذلك صح قوله وما الحيوة الدنيا اي التي اسلى لهم فيها وازيلت عن التسمية الا متاع الغرور
اي بانقطاع لذاتها والندم على شهواتها والخوف من تبعاتها وفي ذلك ايضا مناسبة من
وجه اخر وهو انه لما سلاه سبحانه بالرسل الذين لازموا الصبر والاجتهاد في الطاعة
حتى ماتوا وهم امتهم وتركوا ما كان بايديهم عاجزين عن المدافعة ولم يبق الا ملكه
سبحانه وان الفريقين ينتظرون الجزا فالرسل لتمام الفوز والكفار لتمام الهلاك اخبر ان
كل نفس كذلك ليجتهد الطامع ويقتصر العاصي وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين رجعوا
عن احد خوف القتل وقالوا عن الشهدا لو اطاعونا ما قتلوا اي الذي قررتم منه
بدمنه والحياة التي اثرتموها متاع يندم من محضه للتمتع كما يندم المغرور بالمتاع الدني
الذي غربه فالسعيد من سعي في ان يكون موته في رضي مولاه الذي لا محيص له عن الرجوع
اليه والوقوف بين يديه ولما سلي سبحانه نبيه عن تكذيبهم بما لقي اخوانه من الرسل
وبانه لا بد من الانقلاب اليه فيفوز من كان من اهل حزبه ويشقي من والى اعداه
وذوي حزبه اعاد التسلية على وجه يشمل المومنين وساقها مساق الاخبار بحلول المصايب
الكبار التي هي من سماين الاخبار في دار الاكدار المعلبة لهم في دار القرار فقال لتبلون في اموالكم
اي بانواع الانفاق وانفسكم اي بالاصابة في الجهاد وغيره تكميلا لكم من الاذي باذني ليحصل لكم بعض
من الاذي ما اصيبت به سنني في خلص عبادي وذوي محبتي وكان ابلا ذلك للاية
التي فيها الاشارة الى ان توفية الاجور للاعمال الصالحة مما يقبل الفوز مناسبا من حيث
الترغيب في كلها يكون سببا لذلك من الصبر على ما يبتلي به سبحانه من كل ما يامر به من
التكاليف او يأذن فيه من المصايب وقدم المال كما قيل عديل الروح وربما هان على الانسان
الموت دون الفقر المودي الى الذل بالشماتة والعار بما نقص عنه بيده بفقده من افعال
المكارم وما احسن ذكر هذه الاية اثر قصة احد التي وقع فيها القتل بسبب الاقبال على

المال

المال وذكرها كان انه تعليلا لبغضة اهل الكتاب وغيرهم من الكفار ولما كان يومها يوم
بلا وتمحيص كان ربما اطمع في العافية بعده فوطنت النفس على ذلك فاشتد انزعاجها
بما ياتي من امثاله وليس ذلك من اخلاق المتقين اراد سبحانه توطين النفوس على ما
طبعت عليه الدار من الانتقال والاوصار فاخبر ان البلا لم ينقص به بل لابد بعده من
بلايا وسماع اذي من ساير الكفار ورغب في شعار المتقين الصبر الذي قدمه في اول ٢
السورة ثم قيل قصة احد وبناها عليه معلما انه مما يستحق ان يعزم عليه ولا يتردد
فيه فقال تعالى ولتسمعن اي بعد هذا اليوم من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي
من اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا اي من الاميين اذي كثيرا اي من الطعن في
الدين وغيره بسبب هذه الوقعة وغيرها وان تصبروا اي على ذلك وتتقوا اي وتجعلوا بينكم
وبين ما يسخط الله وقاية بان تغضوا عن كثير من اجوبتهم اعتمادا على ردهم بالسيوف واثر ل
الحروف فان ذلك اي الامر العالي الرتبة من عزم الامور اي الاشيا التي هي اصل
لان يعزم على فعلها ولا يتردد فيه ولا يعوق عنه عايق فقد ختمت قصة احد بمثل ما
سبقت دليلا عليه من قوله قد بدت البغضا من افواههم الى ان ختم بقوله وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا وهذا ما اخبر به هنا بانه من عزم الامور ولما
قدم سبحانه في اوايل قصص اليهود انه اخذ على النبيين الميثاق بما اخذوا واخبرهم انه من
تولي بعد ذلك فهو الفاسق ثم اخبر بقوله قد جاكم رسل من قبلي وان كذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ان النبيين وفوا بالعهد وان كثيرا من اتباعهم خان نبه هنا بالتذكير
بذلك بالعهد على وجه يشمل جميع العلما بعد الاخبار بسماع الاذي المتضمن لنقضهم للعهد
فكان التذكير بهذا الميثاق كالدليل على مضمون الاية التي قبلها وكانه قيل فاذكروا اي
لكم لتبلون واجعلوه نصب اعينكم لتوطنوا انفسكم عليه فلا يشتد جزعكم بحلول ما يحل
منه واذكروا اذ اخذ الله اي الذي لا عظيم الا هو ميثاق الذين اوتوا الكتاب في البيان
فخانوا فما اذوا الا انفسهم واذا اذوا انفسهم بخيانة عهد الله كانوا الى اذاكم اشد الية
اسرع او يكون التقدير واذكروا ما اخبرتكم به عند ما انزله بكم وامركم التقوي واذكروا كروا
اذ اخذ الله ميثاق من قبلكم فضيعوه كيلا تفعلوا فعلهم فيحل بكم ما حل بهم من الذل والصغار
في الدنيا مع ما يدخر في الاخرة من عذاب النار وهذا ما كان ظهر لي اولا ثم بان ان الذي
لا يعدل عنه انه لما انقضت قصة احد وما تبعها الى ان ختمت بعد الوعظ فتحتم الموت
الذي فر من فر منهم منه وخوف البا ... بمثل ما تقدم انه جعلها دليلا عليه من
بعض اهل الكتاب وما تبعه عطف على اذ المعترض العطف واذ غدوت عليها قوله
واذا اخذ الله اي اذكروا ذلك يدلكم على عداوتهم واذكروا ما صح عندكم من اخبار
الله المشاهد باخبار من اسلم من الاحبار والقسيسين ان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا
الكتاب اي من اليهود والنصارى بما اكد في كتبهم وعلى السنة رسله لتبيننه اي

الكتاب للناس ولا يكتمونه اي نصيحة منهم لله ولرسوله ولايمة المومنين وعامتهم ايومنوا
بالنبي المبشر به فنبذوه اي الميثاق نبيذ الكتاب وراء ظهورهم حسدا للكمر وبعطاء مو
تمثيل لتركهم العمل به لان من ترك شيا وراه نسيه واشتروا به ثمنا قليلا اي بالاستكبار
من المال والاستئثار للرياسة نكتموا ما عندهم من العلم بهذا النبي الكريم فبيس ما يشترون
اي لا ممع فنايه اورثهم العار الدايم والنار الباقية ولما اخبر تعالى بانهم احتووا على
المال والحيوة بما كتموا من العلم واظهروا من خلافه المتضمن لجنة اهل حرينهم نبيهم
وثناهم عليهم بانهم على الدين الصحيح وانهم اهل العلم فهم اهل الاقتدا بهم قال
تعالى مجرا عن مالهم تحذيرا من مثل حالهم على وجه بعم كل مراءٍ لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا اي مما يخالف ظاهره باطنه وتوصلوا به الى الاعراض الدنيوية من الاموال
والرياسة وغيرها اي لا يحسبنهم واصلين الى خير ويحبون ان يحمدوا اي بوجد الثنا
بالوصف الجميل عليهم بما لم يفعلوا اي بذلك الباطن الذي لم يفعلوه ولما تسبب عن ذلك
العلم بهلاكهم قال فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بل هم بمهلكة منه ولهم عذاب اليم
ولما اخبر بهلاكهم دل عليه بحال من فاعل يحسب فقال تعالى ولله ملك السموات والارض
اي لا يقع في فكرهم ذلك والحال ان ملكه محيط بهم وله جميع ما يمثلهم الاخيار اليه ولم
ما لا يبلغه قدرهم من ملك الخافقين فهو بكل شي محيط والله على كل شي قدير اي وهو شامل
القدرة فمن كان في ملكه كان في قبضته ومن كان في قبضته كان عاجزا عن التفصي عما
يريد به لانه الحي القيوم الذي لا اله الا هو كما افتتح به السورة ولما ذكر هذا الملك
العظيم وختم بشمول القدرة دل على ذلك بالتنبيه على التفكر فيه الموجب للتوحيد
الذي هو المقصد الاعظم من هذه السورة الداعي الى الايمان الموجب للفائز من
العذاب فقال ان في خلق السموات والارض اي على كبرهما وما فيهما من المنافع ونبه
على التغيير الدال على المغير بقوله واختلاف الليل والنهار اي اختلافا هو كما ترون على
غاية الاحكام بكونه على منهاج قويم وسير لا يكون الا بتقدير العزيز العليم لايات اي
على جميع ما جات به الرسل عن الخالق وزاد الحث على التفكر والتهييج اليه والالهاب
من اجله بقوله لاولي الالباب ولما كانت هذه الاشيا الاربعة متكفلة بالدلالة على
القدرة لم يذكر بقيه ما في اية البقرة من ادلة الالهية لما تقدم ولما كان كل مميز يدعي
انه في الذروة من الرشاد نعتهم بما بين من يعتد بعقله فقال الذين يذكرون الله اي
الذي ليس في خلقه لهما ولا لغيرهما عاشك وله جميع اوصاف الكمال قياما وقعودا
وعلى جنوبهم اي في اشتغالهم باشغالهم وفي وقت استراحتهم وعند منامهم فهم
في غاية المراقبة ولما بدا من اوصافهم بما يجلوا اصدا القلوب ويسكنها وينفي عنها
الوساوس حتى استعدت لنزول الفيض بالفكر قال ويتفكرون اي على الاحوال في خلق
السموات والارض على كبرها واتساعهما وثبوت ما فيهما من المنافع لجميع الخلايق فيعلمون

بما في

بما في ذلك من الاحكام مع جري ما فيهما من الحيوان الذي خلق لاجله على غير انتظام
ان وراء هذه الدار دارا يثبت فيها الحق وينفي الباطل ويظهر العدل ويضمحل الجور
فيقولون تضرعا اليه واقبالا عليه ربنا اي ايها المحسن الينا ما خلقت هذا اي الخلق
العظيم المحكم باطلا اي لاجل هذه الدار التي لا ينفصل فيها ما شرعت القضايا ولا
تنصف فيها الرعاة الرعايا ولما كان الانتصار على هذه الدار مع ما يشاهد من ظهور
الاسرار نقصا ظاهرا وخللا بينا نزهوه عنه فقالوا سبحانك وما احسن ختمها
حين تسبب عما مضى سعيهم انه اما منا دارا يظهر فيها العدل مما هو شان كل احد
في عبيده فيعذب فيها العاصي وينعم فيها الطايع كما هو داب كل ملك في رعيته بقوله
فقنا عذاب النار على وجه جمع بين ذكر العذاب المختتم به اية مجي المحدد بالباطل
والنار المحذر منها فمن زحزح عن النار بم يسقيه بقولهم مكررين الوصف المقتضي
للاحسان مبالغة في اظهار الرغبة استمطارا للاجابة ربنا واكدوا مع علمهم باحاطة علم
المخاطب اعلاما بان حالهم في تقصيرهم حال من امن النار هضما لانفسهم على الاجتهاد في
العمل فقالوا انك من تدخل النار اي للعذاب فقد اخزيته اي اذللته واهنته اهانة
عظيمة بكونه ظالما وختموا بقوله وما للظالمين من انصار الجاهم لطمع من ظن منهم انه
بمفازة من العذاب واظهر موضع الاضمار لتعليق الحكم بالوصف والتعميم ولما ابتهلوا
بها تين الايتين في الاعاذة من النار توسلوا بذكر مسارعتهم الى اجابة الداعي بقولهم
ربنا ولما كانت حالهم لمعرفتهم بانهم لا ينفكون عن تقصير وان بالغوا في الاجتهاد
لانه لا يستطيع احد ان يقدر الله حق قدره شبيهة بحال من لم يومن اقتضى المقام التاكيد
اشارة الى هضم انفسهم بالاعتراف بذنوبهم فقالوا مع علمهم بان المخاطب عالم بكل شي اننا
سمعنا مناديا اي من قبلك ينادي ولما كانت اللام تصلح للتعليل ومعنى الى عبر بها فقيل
للايمان ثم فسروه بقولهم ان امنوا بربكم ثم اخبر بمسارعتهم الى الاجابة بقولهم
فامنا اي عقب السماع ثم ازالوا ما ربما نظن من ميلهم الى رعوه الاعجاب بقولهم تضرعا
بالاسم التاكيد لمن علمه محيط ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي التي اسلفناها قبل الايمان
بان تقبل منا الايمان فلا تزيغ قلوبنا فيكون بجانا لما قبله عندك كما كان جابا لما في ظاهر
الشرع وكذا ما فرط منا بعد الايمان والبه الاشارة بقولهم وكفر عنا سياتنا اي بان
توفقنا بعد تشريفك لنا بالايمان لاجتناب الكباير بفعل الطاعات المكفرة للصغاير
وتوفنا مع الابرار اي ليس لنا سيات ولما كان لله سبحانه هو المالك التام الملك فهو
ذو التصرف المطلق الذي لا يجب عليه شي ولا يسمح منه شي اشار الى ذلك بقوله ملقنا لهم
ربنا واتنا ما وعدتنا ثم اشار الى صدق هذا الوعد بحرف الاستعلا الدال على الا لتزامه
والوجوب فقال على رسلك اي من اظهار الدين والنصر على الاعدا وحسن العاقبة
وايراث الجنة في مثل قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات وفي

الدعا بذلك اشارة الى انه لا يجب على الله شي و لو تقدم به وعد الصادق وان كنا نعتقد
انه لا يبدل القول لدي ولا تخزنا يوم القيمة اي بالمواخذة بالسيات ثم ارشدهم الى الالحاح
والتهييج مع التنبيه على ما نبه عليه اولا من انه لا يجب عليه شي بقوله انك لا تخلف الميعاد
ولما تسبب عن هذا الدعا الاجابة قال فاستجاب اي فاوجد الاجابة حتما لهم واشار
الى انها من منه وفضله بقوله ربهم اي المحسن اليهم المتفضل عليهم اني لا اضيع عمل عامل
منكم كاينا ما كان من ذكر او انثى وقوله بعضكم من بعض التفات الى قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم الناظر الى قوله ذرية بعضها من بعض المصرح بان الله اصطفى ادم
ونوحا المنادي بان البشر كلهم في العبودية للواحد الذي ليس كمثله شي الحي القيوم
سوا من غير تفاوت في ذلك اصلا والمراد انهم اذا كانوا امثالهم في النسب فهم قبلهم
في الاجر على العمل ولما اقر اعينهم بالاجابة وكان قد تقدم ذكر الانصار عموما
في قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وان الله لا يضيع اجر المومنين خص
المهاجرين بيانا لفضلهم وزيادة شرفهم بتحقيقهم لكونهم معه لم يانسوا بغيره ولم يركنوا
لسواه من اهل ولا مال بقوله فالذين هاجروا اي صدقوا ايمانهم بمفارقة احب
الناس اليهم واعز البلاد عليهم ولما كان للوطن من القلب منزل ليس لغيره نبه عليه
بقوله واخرجوا من ديارهم اي وهي اثر المواطن عندهم بعد ان باعدوا اهلهم
وهم اقرب الخلايق اليهم واوذوا اي بغير ذلك من انواع الاذى في سبيلي اي بسبب
ديني الذي محته لسبيلك الى فيه وجعلته الاوصول الى رضاي بدونه وقاتلوا اي في
سبيلي وقتلوا اي فيه فخرجوا بذلك عن مساكن ارواحهم بعد التروح عن منازل اشباحهم
لاكفرن عنهم سياتهم كما تقدم سوالهم اياي في ذلك علما منهم بان احدا لا يقدر على ان يقدر الله
حق قدره وان اجتهد ولادخلنهم اي بفضلي جنات تجري من تحتها الانهار كما سبق
الوعد ثوابا وهو وان كان على اعمالهم فهو فضل منه وعظمه بقوله من عند الله اي المنعوت
بالاسما الحسنى التي منها الكرم والرحمة لان اعمالهم لا توازي اقل نعمه والله عنده حسن الثواب
اي لانه شامل القدرة بخلاف غيره ولما كانت هذه المواعيد اجلة وكان نظرهم الى ما فيه الكفار
من عاجل السعة ربما اثر في بعض النفوس اثرا يقدح في الايمان بالغيب الذي هو شرط قبول
الايمان داواه سبحانه بان تلا تبشير المجاهدين بانذار الكفار المنافقين والمصادفين
الذين املى لهم تخذيلهم المومنين بالرجوع عن قتال احد وغيره من اسباب الاملا على
وجه يصدق ما تقدم اول السورة من الوعد بانهم سيغلبون عطفا لاخرها على اولها
وتاكيد الاستجابة دعا اوليايه الراجحين قبلها بقوله مخاطبا لاشرف عباده والمراد
من يمكن ذلك عادة فيه لا يغرنك تقلب اي لا تغتر بتصرف الذين كفروا في البلاد فان
تقلبهم متاع قليل اي لا يعبا به دونه عليه وعبر باداة التراخي اشارة الى ان تمتيعهم وان
فرض انه طال زمانه وعلا شانه بافة لزواله ثم عاقبته والى حول ذلك العاقبة متناهي

عظمها فقال ثم ماواهم اي بعد التراخي ان قدر جهنم اي الكريهة المنظر الشديدة الاهوال
العظيمة الاوجال وبيس المهاد ولما بين باية المهاجرين ان النافع من الايمان هو الموجب
للثبات عند الامتحان وكانت تلك الشروط قد لا توجد ذكر وصف التقوى العام للافراد
الموجب للاسعاد فعقب تهديد الكافرين بما لا ضد اد هم المتقين الفايزين بما تقدم
الدعا اليه بقوله تعالى قل اونبيكم بخير من ذلكم فقال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم
اي بالايتمار بما امرهم والانتهاء عما نهاهم شكرا لاحسانه وخوفا من عظيم شانه لهم جنات
واي جنات ثم وصفها بقوله تجري من تحتها الانهار تعريفا بدوام نزعها وزهوتها وعظيم
بهجتها ولما وصفها بضد ما عليه النار وصف تقلبهم بها بضد ما عليه الكفار من كونهم في
ضيافة الكريم الغفار فقال خالدين فيها ولما كان النزل ما يعد للضيف عند نزوله قال
نزلا ولما كان الشي يشرف بشرف من هو من عنده نبه على عظمته بقوله من عند الله مضيفا
الى الاسم الاعظم واشار بجعل الجنات كلها نزلا الى التعريف بعظيم مالهم بعد ذلك عنده سبحانه
من النعيم الذي لا يمكن الادميين الاطلاع على حقيقته وصفه ولهذا قال وما عند الله خير
للابرار ولما كان للمومنين من اهل الكتابين مع الشرف بما كانوا عليه من الدين الذي اصله
حق حظ من الهجرة كانوا قسما ثانيا من المهاجرين وكان انزل كثير من هذه السورة في مجادلتهم
والتحذير من مخادعتهم والاخبار بانهم يبغضون المومنين مع محبتهم لهم وانهم لا يومنون بكتابهم
وانهم سيسمعون منهم اذى كثيرا الى ان وقع الختم في اوصافهم بانهم اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا ربما ايس من ايمانهم اتبع ذلك مدح مومنيهم وعبر بالاسلوب عن ان يقال مثلا والذين
امنوا من اهل الكتاب اطماعا في موالاتهم بعد الترهيب بالتحذير منهم علما وانهم ملاوا
نهم فقال وان من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى لمن يومن بالله واشار الى الشرط
المصحح لهذا الايمان بقوله وما انزل اليكم اي من هذا القران وما انزل اليهم اي كله
تبدعن لما يامرونه باتباع هذا النبي العربي واليه الاشارة بقوله خاشعين لله اي غير
مستكفين عن ترك ايلا لوف لا يشترون بايات الله اي لا امر لهم بذلك ثمنا قليلا مما
هم عليه من الرياسة ونقود الكلمة كما تقدم قريبا في وصف معظمهم ولما اخبر تعالى عن حسن
نوحهم اليه اخبر عن جزايهم عنده بما بشر النفوس ويبعث الهمم فقال اوليك اي العظموا
الرتبة لهم اجرهم اي الذي ياملونه ثم زادهم فيه رغبة بتشريفه بقوله عند ربهم
بين اي الذي رباهم ولم يقطع احسانه لحظة عنهم كل ذلك تعظيما له من حيث ان لهم الاجر مرتين
ولما اقتضت هذه التاكيدات المبشرات انجاز الاجر واتمامه واحسانه وكان قد تقدم
انه تعالى يوفي كل احد من ذكر وانثى اجره ولا يضيع عملا ويجازي المسي والمحسن وكانت
العادة الماضية قاضية بان كثرة الخلق سبب لطول زمن الحساب وذلك سبب لطول
الانتظار وذلك سبب لتعطيل الانسان عن مهماته ولضيق صدره بتفرق عزمه وشتاته
كان ذلك محل عجب يورث توهم ما لا ينبغي فازال هذا التوهم بان امن تعالى على ذلك لانه لا يشغله

شان عن شان بقوله ان الله اي بما له من الجلال و العظمة والكمال سريع الحساب ولما
كثر في هذه الايات الامر بمقاساة الشدايد وتجرع مرارات الاذى واقتحام الحروب
واستهانة عظايم الكروب اعلاما من المالوفات الى ما يامر به سبحانه من الطاعات
وختم بتجريع غرفة من اهل الكتاب لتلك المرارات كانت نتيجة ذلك لا محالة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي بكل ما ذكرنا في هذه السورة اصبروا اي اوقعوا
الصبر تصديقا لايمانكم على كل ما ينبغي الصبر عليه مما تكرهه النفوس وصابروا
اي اوجدوا المصابرة للاعدا من الكفار والمنافقين وساير العصاة فلا تكونون
على باطلهم اصبر منكم على حقكم ورابطوا اي بان تربطوا في الثغور خيلا تكون
بازا ما لهم من الخيول ارهابا لهم وحذرا منهم ثم امر بملاك ذلك كله فقال واتقوا
الله اي في جميع ذلك بان تكونوا مراقبين له لعلكم تفلحون اي لتكون حالكم حال
من يرجى فلاحه وظفره بما يريد من النصر على الاعدا والفوز بعيش السعدا وهذه
الاية كما ترى معلمة بشرط استجابة الدعا بالنصر على الكافرين المختتم بها البقرة فاني
قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون
داعية الى تذكير اولي الالباب بالمراقبة للواحد الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شي
في الارض ولا في السما في اتباع اياته و معاداة عدايه كما ان التي قبلها في حق امن
بجميع الكتب هذا القران المصدق لما بين يديه والتورية والانجيل كل ذلك للفوز
بالفرقان بالنصر وتعذيب اهل الكفر بايديهم تمكينا من الله والله عزيز ذو انتقام
ردا للقطع على المطلع على احسن وجه وابدع والله الموفق سورة النسا مقصودها
الاجتماع على التوحيد الذي هدت اليه ال عمران والكتاب الذي حدت اليه
البقرة لاجل الدين الذي جمعته الفاتحة تحذيرا مما اراده شاش بن قيس وانظاره
من الفرقة وهذه السورة من اواخر ما نزل روى البخاري في فضايل القران
عن يوسف بن ماهك ان عراقيا سال ام المومنين عايشة رضي الله عنها ان تريه
مصحفها فقال لم مالي لعلي اولف القران عليه فانه يقرا غير مولف قالت وما
يضيرك ايه قرات قبل انما نزل اول ما نزل من سورة من المفصل فيها ذكر الجنة
والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول
شي لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر ابدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا ابدا لقد
نزل بمكة على محمد واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
وما نزلت سورة البقرة والنسا الا وانا عنده قال فاخرجت له المصحف فاملت
عليه اي السور انتهى وقد علمت بهذا رضي الله عنها ان القران جار على البلاغة
في انزاله مطابقا لما تقتضيه الاحوال بحسب الازمان ثم رتب على اعلى وجوه
البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من المقال كما شاهدي هذا الكتاب البديع

المثال البعيد المنال ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت اليه السورتان
قبلها من التوحيد وكان السبب الاعظم في الاجتماع والتواصل عادة الارحام
العاطفة التي مدارها النسا سميت النسا لذلك ولان الاتقا فيهن لتحقق العفة
والعدل الذي لبابه التوحيد والله الموفق بسم الله الرحمن الرحيم لما تقرر
امر الكتاب الجامع الذي هو الطريق وثبت الاساس الحامل الذي هو التوحيد احتيج
الى الاجتماع على ذلك فجاءت هذه السورة داعية الى الاجتماع والتواصل والتعاطف
والتراحم فافتتحت بالندا العام لكل الناس وذلك انه لما كانت امهات الفضايل كما تبين
في علم الاخلاق اربعا العلم والشجاعة والعفة والعدل وكانت ال عمران داعية
مع ما ذكر من مقاصدها الى اثنين وهما العلم والشجاعة كما اشير الى ذلك في غير اية
نزل عليك الكتاب بالحق وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم شهد
الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم
مومنين فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله واذا غربت الشمس فتوكل على الله ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الاية الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح يا ايها الذين امنوا اصبروا والاية وكانت قصة احد قد اسفرت عن ايتام استشهد
مورثوهم في حب الله وكان من امرهم في الجاهلية منع امثالهم من الارث جورا عن سوا السبيل
وضلالا عن اقوم دليل جاءت هذه السورة داعية الى الفضيلتين الباقيتين وهما العفة
والعدل مع تاكيد الخصلتين الاخريين حسبما تدعو اليه المناسبة وذلك متمم للتواصل
بالاحسان والتعاطف باصلاح الشان للاجتماع على طاعة الديان فمقصودها الاعظم الا جماع
على الدين بالاقتدا بالكتاب المبين وما احسن ابتداها بعموم يا ايها الناس اتقوا ربكم
بعد اختتام تلك بخصوص يا ايها امنوا اصبروا الاية وايضا بما اشار تعالى الى ان بعضا
من بعض باية لا اضيع عمل عامل منكم بعضكم من بعض ابتدا هذه ببيان كيفية ابتدا
الخلق فقال الذي خلقكم من نفس واحدة مذكرا بعظيم قدرته ترهيبا للعاصي
وترغيبا للطايع توطية للامر بالارث وابدع من ذلك كله وادق انه لما كان اعظم مقا صد
السورة الماضية المجادلة في امر عيسى وان مثله كمثل ادم عليهما السلام وكانت حقيقة
حاله انه ذكر تولد من انثى فقط بلا واسطة ذكر بين في هذه السورة بقوله وخلق منها
زوجها ان مثله في ذلك ايضا كمثل حوى امه فانها انثى تولدت من ذكر بلا واسطة انثى
فصار مثله مثل كل من ابيه وامه ادم وحوى معا عليهما السلام وصار الاعلام بخلق
ادم وزوجه وعيسى عليهم السلام المندرج تحت اية بعضها من بعض مع اية البث التي
بعد هذه حاصرا للقسمة الرباعية العقلية التي لا مزيد عليها وهي بشر لا من ذكر ولا
انثى بشر منها بشر من ذكر فقط بشر من انثى فقط فسبحان العزيز العليم العظيم الحكيم
ولما ذكر تعالى الانشا عبر بلفظ الرب الذي هو من التربية ولما كان المحل المشار اليه

لقوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونسا من نفس واحدة كان احسان كل من الناس
الي كل منهم من صلة الرحم ووصف الرجال دونهن مع انهن اكثر منهم اشارة الي ان لهم
عليهن درجة ولما كان قد امر سبحانه اول الاية بتقواه مشيرا الى انه يستحق ذلك لذاته
لكونه الحاوي لجميع الكمال المنزه عن كل شايبة نقص فقال واتقوا الله اي عموما لما له من
احاطة الاوصاف كما اتقيتموه خصوصا لما له اليكم من الاحسان والتربية ولما كان
المقصود من هذه السورة المواصلة وصف نفسه المقدسة بما يشير الى ذلك فقال الذي
تساءلون به فانه لا يسال باسمه الشريف المقدس الا الرحمة والبر والعطف ثم زاد المقصود
ايضاحا فقال والارحام اي واتقوا قطيعة الارحام التي تساءلون بها وعلل
هذا الامر بتخويفهم عواقب بطشه لانه مطلع على سرهم وعلنهم مع ما له من القدرة الشاملة
فقال ان الله كان عليكم رقيبا ولما بان من هذا تعظيمه لصلة الرحم بجعلها في سياق
ذكره سبحانه المعبر عنه باسمه الاعظم كما فعل نحو ذلك في غيرها اية وكان قد تقدم ذكر
في السورة الماضية ذكر قصة احد التي انكشفت عن ايتام ثم ذكر في قوله تعالى كل نفس
ذائقة الموت ان الموت منوع لا بد لكل نفس من وروده علم انه لا بد من وجود الايتام
في كل وقت فدعي الي العفة والعدل فيهم فقال واتوا اليتامى اموالهم وما
ابدع ايلاءها للاية الامرة بعد عموم تقوى الله بخصوصها في صلة الرحم المختتمة بصفة
الرقيب لما لا يخفى انه لا حامل على التقوى والعدل في الايتام الا المراقبة لانه لا ناصر لهم
وقد يكونون ذوي رحم ولما امر بالعفة في اموالهم اتبعه تقبيح الشرة الحامل للغافل
على لزوم المامور به فقال ولا تتبدلوا الخبيث اي من الحرام الذي اخبث منها
لانها تذهب بالمقصود من الانسان فتهدم جميع امره بالطيب اي الذي هو كل امر
يحمل على معالي الاخلاق الصليبة للعرض المعلية لقدر الانسان ثم بعد هذا النهي
العام نوه بالنهي عن نوع منه خاص فقال ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم شرها
وحرصا وحبا في الزيادة في الدنيا التي علمتم سوء ما اثرت من الخذلان في ال
عمران وعبر بالى اشارة الى تضمين الاكل معنى الضم منبها على انها متى ضمت
الى مال الولي اكل منها فوقع في النهي فخص بشيء على تركها محفوظا على حالها ثم علل
بقوله انه اي الاكل كان حوبا اي اثما وهلاكا كبيرا ولما كان تعالى قد اجرى
سنته الالهية في انه لا بد في التناسل من توسط النكاح الا ما كان من ادم وحوى
وعيسى عليهم السلام وكانوا ربما نكحوا من في حجورهم من اليتامى دعوا الى العدل
في ذلك بقوله تعالى وان خفتم فعبر باداة الشك حثا على الورع ان لا تقسطوا
اي تعدلوا في اليتامى ووقعتم من انفسكم بالعدل في غيرهن فانكحوا ولما كانت
النسا ناقصات عقلا ودينا عبر عنهن باداة ما لا يعقل اشارة الى الرفق بهن
والتجاوز عنهن فقال ما طاب اي حل ولذ واتبعه قيد الابد منه بقوله لكم وصح

لما

بما علم التزاما فقال من النسا اي لا من غيرهن مثنى وثلاث ورباع اي ثنتين
ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا لكل واحد وهذا دليل واضح على ان النسا ضعاف
الرجال فان خفتم ان لا تعدلوا في الجميع فواحدة اي فانكحوها لان الاقتصار عليها اقرب
الى العدل لانه ليس معها من يقسم لها يجب العدل بينها وبينه او ما اي انكحوا
ما ملكت ايمانكم فانه لا قسم بينهن ذلك اي نكاح غير اليتامى والتقلل من الحوائر و
الاقتصار على الاما ادنى اي اقرب الى ان لا تعولوا اي تميلوا بالجور عن منهاج القسط
وهو الوزن المستقيم او تكثر عيالكم وما عند الواحدة فواحدة واما عند الاما
فبالعزل وعدم احتياج الرجل معهن لخادم له ولهن اي تحتاجوا فتظلموا بعض النسا
او تاكلوا اموال اليتامى وكل معنى من هذه راجع الى لازم لمعنى المادة الذي هو مدارها
عليه لان مادة علا واويه ويائيه بجميع تقاليبها الست علو عول لوع لعو وعل ولع وياسه بتركيبها
ليع عيل يدور على الارتفاع وتلزمه الزيادة والميل فمن الارتفاع العلو والوعل
والولع ومن الميل والزيادة العول وبقية المادة باسه وواويه اما للازالة واما لاحد
هذه المعاني على ما ياتي بيانه فعلا يعلو ارتفع والعالية القناة القويمة لانها تكون ارفع
مما ساواها وهو معوج والعالية من محال الحجاز لاشرافها على ما حولها وكذا العوالي
لقرى بظاهر المدينة الشريفة لانها في المكان العالي الذي يجري ماؤه الجيئ والعلاة
والمعلاة كسب الشرف ومقبرة مكة بالحجون لانها في اعلى مكة ماؤها يصوب الى ما دونه
وفلان من علية الناس اي اشرافهم والعلية بالتشديد الغرفة وعلى حرف استعلاء له
وتعلت المراة من نفاسها اي طهرت وشقيت لانها كانت في سفول من الحال والعلاوة
راس الحبل وعنقه وما يحمل على البعير بين العدلين ومن كل شيء ما زاد عليه والمعلى القدح
السابع في الميسر لانه العالي في القداح الفايزة لان القداح عشرة السبعة الاول منها
فايزة والثلاثة الاخيرة مهملة لا انصبا لها وعلوان الكتاب عنوانه وارتفاعه على بقية الكتاب
واضح والعليان الطويل والضخم والناقة المشرفة ومن الاصوات الجهير والعلاة السندان
والعليا راس كل جبل مشرف والسما والمكان العالي وكل ما علا من شيء وعليك زيدا الزمه
لانه لا يلزم من ملازمته له العلو على امره وعلى النهار ارتفع وعلا الدابة ركبها واعلى عنها
نزل كانه من الازالة وكذا اعلى المتاع عن الدابة نعليه انزله واعليت من الوسادة
وعاليت ارتفعت وتنحيت ورجل عالي الكعب شريف وعلى الكتاب تعلية عنونه كعلونه
وعالى نعته والعلي الشديد القوي وعليون في السما السابعة اخذه علوا عنوة والتعالي
الارتفاع اذا امرت منه قلت تعال بفتح اللام ولها تعالي ولو كنت في موضع اسفل من
موضع المامور لانه يحتاج الى تطاول مهما كان بينك وبينه مسافة ولان الامر اعلى من
المامور رتبة فموضعه كذلك وتعلى علي في مهلة والمعتلي الاسد والعو التي الخلق والعسل
والسو الجوهر واللاعب الذي يفرعه ادنى شي اما لانه وصل الى الغاية في السفول

فيقسم اعلاها حتى رضي لنفسه هذه الاخلاق واما لانه من باب الازالة او
التسمية بالضد وزمنه لغوة وامراة لغوة اي حريصة واللغوة السواد بين حلمة
الثدي واما لان ذلك اعلاها واما لعلو لون السواد على لون الثدي والا لعا
السلاميات السلامي عظيم يكون في فرسن البعير وعظام صغار في اليد والرجل
وذلك لان العظام اعلى ما في الجسد في القوة والشدة والصلابة وهو اعظم
قوامه واللاعية شجرة في سفح الجبل لها نور اصفر ولها لبن واذا القي منه
شي في عديد السمك اطفاها اي جعلها طافية اي عالية على وجه الما سميت بذلك
اما من باب الازالة نظرا الى محل سها واما لان ريحها يعلو كل ما خالطه ويكسبه
طعمه واما لفعلها هذا في السمك ويلعي العسل تعقد ونا معني اما من اللاعية
لانها كثيرة العقد واما من لازم العلو القوة والشدة ولعالك تعالى عند العرب اي
التمسك الله والعول ارتفاع الحساب في الفرايض والعول الميل وقد تقدم
انه لازم للعلو والعول كل امر غلبك كانه علا عنك فلم تقدر على نيله والمستعان
به لانه يتصل به الى المقصود الا وفيه علو وقوة العيال سبب علوهم وعول عليه
معولا اتكل واعتمد والاسم كعنب وعقل ككيس وعال جار والميزان نقص او زاد
فالزيادة من الارتفاع والنقص من لازم الميل وعالت الفريضة ارتفعت اي زادت
سهامها فدخل النقصان على اهل الفرايض قال ابو عبيد اظنه ماخوذا من الميل
وعال امرهم اشتد وتفاقم وعال فلان عولا وعيالة كثر عياله كاعول واعيل ورجل
معيل ومعيل ذو عيال واعال الرجل واعول اذا حرص اما بما تقدم لحذيجه واما
لانه لازم لذي العيال وعال عليه حملا اي رفع عليه المحمول كعول وفلان حرص
والفرس صوتت واعولت المراة رفعت صوتها بالبكا وعيل عوله مكلته امه لما يقع
من صياحها وعيل ما هو عايله غلب ما هو غالبه تضرب لمن يعجب من كلامه ونحوه
لانه لا يكون كذلك الا وقد خرج عن امثاله علوا وقد يكون تسفرك فيكون من
التسمية بالضد والعالة النعامة لانها اطول الطير وماله عال ولا مال شي لان
ذلك غايته في السفول ان كان عجزا وفي العلو ان كان زهدا ويقال للعاثر عالك
عاليا كقولهم لعالك والمعول حديدة تنقر بها الحبال من القوة اللازمة للعلو
والعالة شبه الظلة يستتر بها من المطر واللوعة حرف يوجد من الحزن او الحب
المرض او الهم لانها يعلو الانسان ولاعه الحب امرضه واتان لاعة الفواد الى
جحشها كانها وهي فرعا ولاع يلاع جزع او مرض ورجل هاع لاع جبان او جزوع او حريص
او سي الخلق لما علاه من هذه الاخلاق المنافية للعقل وغلبه منها ولاعية الشمس عرتينه
واللاعة ايضا الحديد الفواد والشهم لانه يعلو غيره وامراة لاعة اي تغازلك ولا تمكنك
لما لها في ذلك من الغلبة والعلو على القلوب والوعل تيس الجبل والشريف والملجا والوعلة

الموضع

الموضع المنيع من الجبل او صخرة مشرفة منه وهم علينا وعلى واحد يجتمعون وما
لك عنه وعل وعلي اي بد فانه لولا علوه عليك ما اضطررت اليه والوعل اسم شوال
كانه لما له من العلو بالعيد والحج والوعل كلتف اسم شعبان لما له من العلو بتوسطه
بين رجب ورمضان والوعلة ايضا عروة القميص والقدح والابريق التي يعلق بها
تعلق ووعال كغراب حصن باليمن والمستوعل بفتح العين حمر الوعل ووعل كوعد
اشرف وتوعلت الجبل علونه واولع فلان بكذا واولع بالكسر استخف اي فصار عالبا لولا
طاقته حمله وولع بحقه ذهب وولع بالفتح اذا كذب اما للازالة واما لانه استخف الكذ
فحمله فولع والع مبالغة اي كذب عظيم والمولع الذي فيه لمع من الوان كانه علا على تلك
الالوان اصل لونه وعبارة القاموس والتوليع استطالة البلق برودن ونور مولع
كمعظم والتوليع الطلع ما دام في قيقانه اي وعايه وهو تشقق الطلع لعلوه وما ادري
ما ولعه بالفتح اي حبسه اما للازالة لما منعه كانه ازال علوه واما لانه علا عليه
واولعه به اي اغراه اي حمل عليه والعيلة الحاجة وعال يعيل اذا افتقر وذلك اما
من الازالة او لان الحاجة علته او لانها ميل وعالني الشي اعجزني وعيل صبري قل وضعف
او علاه من الامر ما اضعفه وعلته الضالة لم ادر اين ابغيها والمعيل الاسد
والنمر والذيب لانه يعيل صيدا اي يلتمس فهو يرجع الى العلو والقدرة على الطلب وعالة
الشي اعوزني اما ازال علوي او علا عني وعال في مشيه تمايل واختال وتبختر لانه
لا يفعله الا عال في نفسه مع انه كله من الميل وعال في الارض ذهب اي علا عليها
مشيا والذكر من الضباع عيلان والعيل محركة عرضك حديثك وكلامك على
من لا يريده وليس من شانه كانه لم يهتد لمن يريده فعرضه على من لا يريده فهو يرجع الى
الحاجة المزيلة العلو ولعة الجوع بالفتح حرقته كما تقدم في اللوعة ولعت بالكسر
ضجرت كانه من الازالة او ان العلو الامر لتضجر منه والمليلاع بالكسر السريعة
العطش لانها تعلي الابل حينئذ سبقا الى الما او لان العطش علاها والمليلاع التي تعدو
الابل سابقة ثم ترجع اليها وريح لياع بالكسر شديدة وقد وضع نسخة ما اقتر
به امامنا الشافعي صريحا ومطابقة كما تقدم وطرح ما نقل من رد ذلك وكم من
عايب قولا صحيحا وكيف وهو من الايمة المحتج بقولهم في اللغة وقد وافقه غيره وشهد
لقوله الحديث الصحيح قال الامام يحيى بن ابي الخير العمراني الشافعي في كتابه البيان
ان لا تعولوا قال الشافعي معناه ان لا تكثر عيالكم ومن تمونونه قيل ان اكثر السلف
قالوا المعنى ان لا تجوروا يقال عال يعول اذا جار واعال يعيل اذا كثر عياله الا زيد
ابن اسلم فانه قال معناه ان لا تكثر عيالكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم يبين
لذلك قال ابدا بنفسك ثم بمن تعول انتهى وهذا الحديث اخرجه الشيخان وغيرهما
عن حكيم بن حزام عن ابي هريرة رضي الله عنهما بلفظ افضل الصدقة ما كان عن ظهر

غني واليد العليا خير من اليد السفلى واحمد وابن يقول وفي الباب ايضا عن عمر
ان بن حصين و ابي رمثه البلوي وابي امامة رضي الله عنهم واشد زيد بن اسلم رواه
الدارقطني والبيهقي من طريق سعيد بن ابي هلال عنه قال ذلك ادنى ان لا يكثر من
من تعولونه افاده شيخنا ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن الزبير لما افتتحت
سورة البقرة ابتدا الخلق وايجاد ادم عليه السلام من غير اب ولا ام واعقبت بسورة
ال عمران لتضمنها مع ما ذكر في صدرها امر عيسى عليه السلام وانه كمثل ادم عليه
السلام في عدم الافتقار الى اب وعلم الموقنون من نفس الله تعالى لو شا لكانت سنه في
من بعد ادم عليه السلام فكان ساير الحيوان ان لا يتوقف على ابوين وكان يكون
كعيسى عليه السلام لا يتوقف الاعلى ام فقط اعلم سبحانه انه من غير المذكورين عليهما
السلام من ذرية ادم سبيلهم سبيل الابوين فقال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله
وبث منهما رجالا كثيرا ونسا ثم اعلم تعالى بكيفية النكاح المجعول سببا في التناسل وما
يتعلق به وبين حكم الارحام والمواريث فتضمنت السورة ابتدا الامر وانتهاه
فاعلمنا بكيفية التناكح وصورة الاعتصام واحترام بعضنا لبعض وكيفية تناول الاصلاح
فيما بين الزوجين عند التشاجر والشقاق وبين لنا ما ينكح وما ابيح من العدد
وحكم من لم يجد الطول وما يتعلق بهذا الى المواريث فتضمن ذلك كله الا الطلاق لان
احكامه تقدمت ولان سا هذه السورة على التواصل والايتلاف ورعي حقوق ذوي
الارحام وحفظ ذلك كله الى حالة الموت المكتوب علينا وناسب هذا المقصود من
التواصل والالفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة
الاية فافتتحها بالايتام والوصلة ولهذا خصت من حكم تشاجر الزوجين بالاعلام بصورة
الاصلاح والمعدلة ابقا لذلك التواصل فلم يكن الطلاق ليناسب هذا فلم يقع له هنا
ذكر الا ايما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ولكثرة ما يعرض من رعي حظوظ النفوس
عند الزوجية ومع القرابة وبذل ذلك ويغمض لذلك ما تكرر كثيرا في هذه السورة
الامر بالاتقا وبه افتتحت اتقوا ربكم واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ثم حذروا من حال من ضمهم
على الكفر وحال اليهود والنصارى والمنافقين وذوي التقلب في الاديان
بعد عن اليقين وكل ذلك تاكيد لما امروا به من الاتقا والتحمت الايات الى الختم بالكلالة
من المواريث المتقدمة انتهى ولما حذروا من العول الذي هو مدلول الحاجة من
كثرة النسا كان ربما تعلق به من يحل عن بعض الحقوق لا سيما ما يستكثر من الصداق
فاتبعه ما ينفي ذلك فقال **وآتوا النسا** اي عامة من اليتامى وغيرهن **صدقاتهن**
وقوله **نحلة** مؤيد لذلك لان معناها عطية عن طيب نفس قال الامام ابو عبد الله القزاز في
ديوانه واصله اي النحل الشي لا يراد به عوضا ولما وقع الامر بذلك كان ربما اي المتعلق

بالاسلام

بالاسلام تقول ما تسمح به المراة منه فقال **فان طبن لكم** اي متجاوزات **عن شي منه** اي
الصداق **نفسا فكلوه هنيئا مريئا** وربما كان التبعيض ندبا الى التعفف عن تناول
الكل لانه في الغالب لا يكون الا عن خداع او ضجر فربما اعقب الندم ولما امر بدفع
اموال اليتامى والنسا اليهم ونهي عن اكل شي منها ترهيبا في المال واستهانة
به وكان في النسا والحاجر من الايتام وغيرهم سفها وامر بالاقتصاد في المعيشة
حذرا من الظلم والحاجة نهي عن اللتبذير فقال **ولا تؤتوا السفها** اي من تحاجيركم
وغيرهم **اموالكم** اي الاموال التي خلقها الله لعباده سوا كانت مختصة بكم او بهم
ثم بين ما خلق فيها من المنفعة حثا على ذلك فقال **التي جعل لكم قيما** اي تقوم بها
احوالكم فيكون ذلك مسببا لضياعها **فارزقوهم فيها** وعبر بالظرف اشارة الى الاقتصاد
واستمنا بالاموال حتى لا تزال موضعا للفضل **واكسوهم** اي فان ذلك ليس من المنهي
عنه بل هو من معالي الاخلاق ومحاسن الاعمال **وقولوا لهم** اي مع ذلك **قولا معروفا** اي
في الشرع والعقل فان ذلك ربما كان انفع من كثير من الاعطا واقطع للشر ولما نهي عن ذلك
العقل للسفها بين انه ليس دايما ما دام السفه قايما فمست الحاجة الى التعريف بمن
يعطي ومن يمنع وكيف يفعل عند الدفع ولما كان السفه امرا باطنا لا يعرف الا بالتصرف ولا
سيما في المال بدا سبحانه بتعليم ما يتوصلون به الى معرفته فقال **وابتلوا اليتامى** اي
اختبروهم في مدة مراهقتهم **حتى اذا بلغوا النكاح** اي وقت الحاجة اليه بالاحتلام او
السن **فان انستم منهم** اي عند بلوغه **رشدا** اي بذلك التصرف ونكره لان وجود كمال
الرشد في احد بعيد وقوعه **فادفعوا اليهم اموالهم** اي لزوال الحاجة الى الحجر بخوف
التبذير واضاف اليهم بعد اضافتها اولا الى المعطين اشارة الى انه لا يستحقها
الا من احسن التصرف فيها ولما كان الانسان مجبولا على نقايص منها للطمع وعدم
الشبع لا سيما اذا خالطه لا سيما ان حصل له اذن ما اذن به سبحانه بقوله **ولا تاكلوها**
اي بعلة استحقاقكم لذلك بالعمل فيها **اسرافا وبدارا ان يكبروا** اي فياخذوها
منكم عند كبرهم فيفوتكم الانتفاع بها ولما اشعر النهي عن اكل الكل بان لهم في
الاكل في الجملة علة مقبولة افصح به في قوله **ومن كان غنيا فليستعفف** اي عن
الاكل منها جملة **ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف** اي بقدر اجرة سعيه ولما كان ربما
انهم الامان الى الرشيد بكل اعتبار امر بالحزم كما ورد في بعض الاحاديث احترسوا
من الناس بسو الظن فقال **فاذا دفعتم اليهم** اي اليتامى **اموالهم** اي التي
كانت تحت ايديكم لعجزهم عن حفظها **فاشهدوا عليهم** اي لان الاحوال تتبدل والرشد
يتفاوت فالاشهاد اقطع للشر وانفع في كل امر ولما كانت الاموال مظنة لميل النفوس
وكانت الحب للشي يعمي ويصم ختم الاية بقوله **وكفى بالله حسيبا** تحذيرا لهم وللايتام
من الخيانة والتعدي ومدا لعين الى حق الغير ولما ذكر احوال اليتامى على حسب ما دعت

اليه الحاجة واقتضاه التناسب الى ان ختم بهذه الاية كان سايلا سال من اين
تكون اموالهم فبين ذلك بطريق الاجمال بقوله تعالى للرجال ولعله عبر بذلك دون
الذكور لانهم كانوا لا يورثون الصغار ويخصون الارث بمن يحمي الذمار فنبه سبحانه
على ان العلة المظنة نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وذلك على وجه يعلم بذوي
الارحام المشار الى الاحسان اليهم قبل ولما كانوا لا يورثون النسا قال وللنسا نصيب
ولقصد التصريح للتاكيد قال موضع مما تركوا مما ترك الوالدان والاقربون مشيرا
الى انه لا فرق بينهن وبين الرجال في القرب الذي سبب الارث ثم زاد الامر تاكيدا
وتصريحا بقوله مما قل منه او كثر ثم عرف بان ذلك على وجه الحتم الذي لا بد منه
فقال نصيبا مفروضا اي مقدرا ولما بين المفروض اتبعه المندوب فقال تعالى
واذا حضر القسمة اولوا القربى اي ممن لا يرث صغارا او كبارا واليتامى والمساكين
اي قربا وغربا فارزقوهم منه اي المتروك وقولوا لهم اي مع الاعطا قولا معروفا
اي حسنا سايغا في الشرع مقبولا تطيب به نفوسهم ولما اعاد الوصية باليتامى مرة
بعد اخرى وختم بالامر بالانة القول وكان للنصوص في التاثير في النفس ما ليس لغيره
اعاد الوصية بهم لضعفهم بصور الحالم مبينا ان القول المعروف هو الصواب الذي
لا خلل فيه فقال وليخش الذين لو تركوا من خلفهم اي بعد موتهم وعجزهم ذرية اي
اولادا ذكورا واناثا ضعافا اي لصغر او غيره خافوا عليهم اي جور الجايرين ولما
تسبب عن ذلك خوفهم على ذرية غيرهم كما يخافون على ذريتهم وكان هذا الخوف ربما
اداهم في قصد سعيهم الى جور على غيرهم امر بما يحفظهم على الصراط السوي بقوله فليتقوا
وعبر بالاسم الاعظم ارشادا الى استحضار جميع عظمته فقال الله اي فليعدلوا في امرهم
ليقيض الله لهم من يعدل في ذريتهم ولما اوشك ان يسلط على ذريتهم من يجور عليهم وليقولوا
اي في ذلك وغيره قولا سديدا اي عدلا هذا الظاهر على صلاح ما اثمره من الباطن
ولما طال التحذير والزجر والتهويل في شان اليتامى وكان ذلك ربما اوجب النفرة
من مخالطتهم راسا فتضييع مصالحهم وصل به ما بين ان ذلك خاص بالظالم في سياق موجب
لزيادة التحذير فقال موكدا لما كان قد رسخ في نفوسهم من الاستهانة باموالهم ان الذين
ولما كان الاكل اعظم مقاصد الانسان عبر به عن جميع الاغراض فقال ياكلون اموال
اليتامى ظلما ثم اتبعه ما زاده تاكيدا للتحذير في سياق الحصر فقال انما ياكلون
اي في الحال وصور الاكل وحققه بقوله في بطونهم نارا يحرق المعاني الباطنية التي
تكون بها قوام الانسانية وبين انها غير النار المعهودة في الظاهر بقوله مكررا التحذير
وسيصلون اي في الاخرة بوعيد ختم لا خلف فيه سعيرا ولما تم ذلك تشوفت النفوس
الى بيان مقادير الاستحقاق بالارث لكل واحد منهم وكان قد تقدم ذكر استحقاق
الرجال والنسا من غير تقييد بسهم فاقتضت البلاغة بيان جميع اصول المواريث وشفا

الغليل بايضاح امرها فقال مستانفا جواب من كان سال عن ذلك يوصيكم الله
اي بما له من العظمة في اولادكم اي اذا مات مورثهم ولما كان هذا مجملا كان بحيث يطلب
تفسيره فقال جوابا لذلك للذكر اي منهم مثل حظ الانثيين اي وهو الثلثان اذا انفرد
للواحدة معه الثلث فاثبت سبحانه للاناث حظا تغليظا لهم في منعهن مطلقا ونقصهن
عن نصيب الرجال تعريضا بانهم اصابوا في نقص الحكم بانزالهن عن درجة الرجال ولما
كان هذا انصلح ان الانثيين اذا لم يكن معهن ذكر الثلثين وكان ايضا منهما لان
الواحدة اذا كان لها مع الاخ الثلث كان لها ذلك مع الاخت اذا لم يكن ثم ذكر من
باب الاولى فاقتضى ذلك انهن اذا كن ثلثا او اكثر ليس معهن ذكر استغرقن التركة
وان كانت واحدة ليس معها ذكر لم تزد عن الثلث بين ان الامر ليس كذلك كما تقدم
بقوله فان كن اي الوارثات نسا اي اناثا فوق اثنتين اي لا ذكر معهن
فلهن ثلثا ما ترك اي الميت لا ازيد من الثلث وان كانت اي الوارثة واحدة فلها
النصف اي فقط ولما قدم الايصا بالاولاد لضعفهم اذا كانوا صغارا وكان الوالد
اقرب الناس الى الولد واحقهم بصلته واسدهم اتصالا به اتبعه حكمه فقال ولابويه
اي الميت ثم فصل بعد ان اجمل بقوله لكل واحد منهما السدس مما ترك ثم بين شرط
ذلك فقال ان كان له اي الميت ولد اي ذكر فان كانت انثى اخذ الاب السدس
فرضا والباقي بعد الفروض عصوبة ولما بين حكمهما مع الاولاد تلاه بحالة فقدهم فقال
فان لم يكن له ولد اي ذكر ولا انثى وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث اي وللاب
الباقي لان الغرض انه لا وارث غيرهما ولما كان التقدير هذا مع فقد الاخوة ايضا بني
عليه قوله فان كان له اخوة اي اثنان فصاعدا ذكورا او لا مع فقد الاولاد فلامه
السدس اي لان الاخوة نقصوها عن الثلث اليه والباقي للاب ولا شي لهم ثم بين ان
هذا كله بعد اخراج الوصية والدين لان ذلك سبق فيه حق الميت الذي جمع المال فقال
من بعد وصية يوصي بها اي كما هو مندوب لكل ميت او دين اي ان كان عليه دين ولما
كان الانسان قد يرى ان بعض اقربايه من اصوله او فصوله او غيرهم انفع له فاحب
تفضيله فتعدى هذه الحدود لما راه وكان ما راه خلاف الحق في الحال او في المال وكان
الله تعالى هو المستاثر بعلم ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك يوما الحديث لان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف
يشا قال تعالى حاثا على لزوم ما حد اباوكم وابناوكم اي الذين فضلناكم ارثهم على ما
ذكرنا لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ولما بين ان الارث على ما حده سبحانه موكدا
له بلفظ الوصية بين انه على سبيل الحتم الذي من تركه عصى فقال فريضة من الله
اي ثم زادهم حثا على ذلك رغبة فيه بقوله تعليلا لفرضيته عليهم مطلقا وعلى هذا
الوجه ان الله كان عليما اي بالعواقب حكيما اي فوضع لكم هذه الاحكام على غاية الاحكام

في جلب النفع لكم ودفع الضر عنكم ولما كان الارث بالمصاهرة اضعف من الارث بالقرابة
ذكره بعد وقبل الارث بقرابة الاخوة تعريفا بالاهتمام به فقال ولكم نصف ما ترك
ازواجكم وبدا بارث الذكر لشرفه وبين شرط هذا بقوله ان لم يكن لهن ولد ثم
بين الحكم على التقدير الاخر فقال فان كان لهن ولد وارث فلكم الربع مما تركن
ثم كرر حكم الوصية اهتماما بشانها فقال من بعد وصية يوصين بها اي الازواج
او بعضهن ولعله جمع اشارة الى ان الوصية امر عظيم ينبغي ان يكون مستحضرا في
الذهن غير مغفول عنه عند احد من الناس او دين ولما بين ارث الرجل اتبعه ارثها
فقال معلما انه على النصف مما للذكر كما مضى في الاولاد ولهن اي عدد ما كن اولا
الربع مما تركتم اي يشتركن فيه على السوا ان كن عددا او تنفرد به الواحدة ان لم يكن غيرها
ثم بين شرطه بقوله ان لم يكن لكم ولد ثم بين حكم القسم الاخر بقوله فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم لما تقدم في الربع ثم كرر الخروج عن حكم المورث فقال من
بعد وصية توصون بها او دين ولما كانت قرابة الاخوة اضعف من قرابة البنوة اكدها
بما يتضمن مدحها لجعلها في قصتين ذكر احديهما هنا ادخالا لها في حكم الوصية المفروضة
وختم بالاخرى السورة لان الختام من مظنات الاهتمام ولما كانت قرابة الام اضعف
من قرابة الاب عقدها هنا دلالة على الاهتمام بشانها وان كانوا يفعلون من حرمان
الاناث حطا وجورا عن منهاج العدل فقال تعالى وان كان اي وجد رجل يورث
اي حال كونه كلالة اي لا ولد له ولا والد او وجدت امراة اي تورث كذلك وله اي للمذكور
في اي الحالتين كان ولما كان الادلا بمحض الانوثة سوى بين الذكر والانثى لضعفها
قال اخ او اخت اي من الام وهي قراة ابي وسعد بن مالك رضي الله عنهما فلكل واحد
منهما السدس اي من تركته ولما افهم ذلك انهما ان كانا معا كان لهما الثلث وكان ذلك
قد يفهم انه ان زاد وارثه زاد الارث عن الثلث نفاه بقوله فان كانوا اكثر من ذلك
اي اثنين كيف كانا فهم شركا في الثلث اي المجتمع من السدسين اللذين تقدم انهما بينهما
ثم كرر الحث على مصلحة الميت بيانا للاهتمام بها فقال من بعد وصية يوصى بها او دين
ولما كانت الميت قد يضار ورثته او بعضهم بشي يخرجه عنهم ظاهرا او باطنا ختم الاية
بالزجر عن ذلك بقوله غير مضار مع ما تقدم من الاشارة الى ذلك اول القصة بقوله
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ثم اكد ذلك بقوله وصية من الله مع تاكيد بجميع ما في الايات
تعظيما للامر باكتناف الوصية اولها واخرها ولما بين سبحانه الاصول وفصل النزاع
وكان ذلك خلاف ما الفوه وكان الخطاب عن المالوف في الذروة من المشقة اقتضى
الحال الوعظ بالترغيب والترهيب فختم القصة بقوله والله اي الجامع لصفات
الكمال من الجلال والجمال وللاشارة عظم الوصية كرر هذا الاسم الاعظم في جميع
القصة ثم قال عليم اي فلا يخفى عليه امر من خالف بقول او فعل نية او غيرها حليم

القصة ثم

فهو من شانه ان لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بامهاله فانه اذا اخذ بعد طول الاناة
لم يفلت فاحذروا غضب الحليم وفي الوصفين مع التحذير استجلاب للتوبة ولما
كان فطم النفوس عن منع الاطفال والنسا شديدا عليهم لمرونتهم عليه بمرور
الدهور الطويلة على اطباقهم على فعله واستحسانهم له اتبعه سبحانه الترغيب والترهيب
لئلا يغتر بوصف الحلم فقال معظما للامر باداة البعد مشيرا الى جميع ما تقدم من
امر المواريث والنسا واليتامى وغيرها تلك اي هذه الحدود الجليلة النفع العظيمة
الجدوى حدود الله اي الملك الاعظم لمن راعاها ولو لم يقصد طاعته بل رفعا
لنفسه عن دناءة الاخلاد الى الفاني ولمعد الاستيثار على الضعيف المبني على البخل
وسفول الهمة قال خيرا كبيرا فانه يوشك ان يحرص الى ان يكون ممن يطع الله ومن يطع
الله ورسوله اي بالاقبال عليها وترك ما سواها لاجله سبحانه يدخله جنات اي
بساتين تجري من تحتها الانهار اي لان ارضها معادن المياه ففي اي موضع اردت
جريت نهرا فهي لا تزال ناعمة غضة وجمع الفائزين بدخول الجنة في قوله خالدين فيها
تبشيرا بكثرة الواقف عند هذه الحدود ولان منادمة الاخوان من اعلى نعيم الجنان
ولما كان اختصاصهم بالارث عن النسا والاطفال من الفوز عندهم بل لم يكن الفوز
العظيم عندهم الا الاحتوا على الاموال وبلوغ ما في البال منها من الامال قال تعالى
تعظيما باداة البعد وذلك اي الامر العالي الرتبة الفوز العظيم اي لا غيره من الاحتوا
على ما لم ياذن به الله وهذا المنبي لتقديم الترغيب لتسمح نفوسهم بترك ما كانوا فيه مع
ما فيه من التلطف بهذه الامة والتبشير له صلى الله عليه وسلم بانها مطيعة راشدة ولما
انزلت القلوب الصافية ذوات الهمم العالية حب بند هذا الفوز اتبعه الترهيب فطما
لها عن تلك العوايد بالكلية فقال ومن يعص الله ورسوله اي في ذلك او غيره ويتعد
حدوده اي التي حدها في هذه الاحكام وغيرها وافرد العاصي في النيران في قوله يدخله
نارا خالدا فيها لان الانفراد المقتضي للوحشة من العذاب والهوان ولما كان منعهم
للنسا والاطفال من الارث استهانة بهم ختم الاية بقوله وله عذاب مهين ولما ختم
سبحانه باهانة العاصي وكان من افحش العصيان الزنا ذكره ولما كان الفساد في النسا اكثر
والفتنة بهن اكبر والضرر منهن اخطر وقد يدخلن على الرجال من يرث منهم من غير
اولادهم قدمهن اهتماما بزجرهن فقال واللاتي وهو جمع التي ولعله عبر فيهن بالجمع اشارة
الى كثرتهن كما اشار الى ذلك بمثنى وثلاث ورباع والى كثرة الفساد منهن ياتين اي يفعلن
من اطلاق السبب على المسبب الفاحشة اي الفعلة الشديدة التناعد واشار بذكر عقوبة
الزانية من غير تعرض لارث الولد الاتي منها الى ان الولد للفراش وانه لا ينبغي للمظنة
بل بعد التحقق قال ابو حيان في النهر الفاحشة هنا الزنا باجماع المفسرين الا ما ذهب
اليه مجاهد وتبعه ابو مسلم الاصفهاني من انها المساحقة ومن الرجال اللواط ثم بين الموصل

بقوله من نسائكم اي الحرائر فاستشهدوا عليهن اربعة منكم من عدول المسلمين بالهن فعلتها فان شهدوا اي بذلك فامسكوهن اي فاحبسوهن في البيوت اي وامنعوهن من الخروج فان ذلك اصون لهن وليستمر ذلك المنع حتى يتوفاهن الموت اي ياتيهن الموت وهن وافيات الاعراض او يجعل الله لهن سبيلا اي للخروج قبل الموت بتبيين الحد او بالنكاح وان لم تشهد الاربعة لم يفعل بهن ذلك وان تحقق الفعل ولما ذكر لله امر النكاح اتبعه حكم الرجال على وجه يعم النسا ايضا فقال والذان وهي تثنية الذي ياتيانها منكم اي من بكر او ثيب او رجل او امراة وثبت ذلك بشهادة الاربعة كما تقدم فاذوهما وقد بين مجمل الاذى اية الجلد وسنة الرجم فان تابا اي بالندم والاقلاع والعزم على عدم العود واصلحا اي بالاستمرار على ما عزما عليه ومضت مدة علم فيها الصدق في ذلك فاعرضوا عنهما اي عن اذاهما وهو يدل على ان الاذى باللسان سيم حتى يحصل الاستبرا ثم علل ذلك بقوله ان الله كان توابا اي رجاعا بمن رجع عن عصيانه الى ما كان فيه من المنزلة رحيما اي فتخلقوا بفعله سبحانه وارحموا المذنبين اذا تابوا ويويد ان المراد بهذا البكر والثيب من الرجال والنسا تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لها بقوله فيما رواه مسلم والاربعة والدارمي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الرجم فالحديث مبين لما اجمل في الاية من ذكر السبيل ولما ختم ذلك بذكر توبة الزناة وكان الحامل على الزنا على ما يقتضيه الطبع البشري شدة الشبق وقلة النظر في العواقب وكان ذلك انما هو في الشباب وصل بذلك قوله تعالى انما التوبة ولما شبه قبوله لها بالواجب من حيث انه اخبر بها لانه لا يبدل القول لديه عبر بحرف الاستعلا المؤذن بالوجوب فقال على الله اي الجامع لصفات الكمال للذين يعملون السوء وقال بجهالة اشارة الى شدة قبح الزنا من المشايخ لاشعار السياق توجيبا بان الامر فيهم ليس كذلك كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار باسناد جيد عن سلمان رضي الله عنه ثلثة لا يدخلون الجنة الشيخ الزاني والامام الكذاب والعائل المزهو وهو في مسلم وغيره وعن ابي هريرة وغيره ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وهو عن كثير من الصحابة من طرق كثيرة وذلك لان حضور الموت بالقوة القريبة من الفعل واضعاف القوى الموهنة لداعية الشهوة قريب من حضوره بالفعل وذلك ينبغي ان يكون مانعا من الداعية الجهل حتما لعرامة الشباب سوا قلنا ان المراد بالجهالة ضد الحلم او ضد العلم قال الامام عبد الحق في كتابه الداعي قال ابو عبيد لست اعني الغزاة والجاهلية الجهلا اسم وضع على اهل الشرك يكون ماخوذا من الجهل الذي هو ضد العلم والذي هو ضد الحلم قال واصل الجهل من قولهم استجهلت الريح الغصن اذا حركته فكان الجهل انما هو حركة تخرج عن الحق والعلم التي

فالمعنى

فالمعنى حينئذ يعملون السوء ملتبسين بسفه او بحركة وخفة اخرجتهم عن الحق والعلم فكانوا كانهم لا يعلمون لعملهم عمل اهل الجاهلية الذين لا يعلمون وزاد في التنفير من مدافعة السوء والتحذير بقوله ثم يتوبون من اي من زمان قريب اي من زمن المعصية وهم في فسحة من الاجل وذلك كناية عن عدم الاصرار الى الموت ولعله عبر بثم اشارة الى بعد التوبة ولاسيما مع القرب ممن واقع المعصية لان الغالب ان الانسان اذا ارتبك في حبائلها لا يخلص الا بعد عسر ولذلك اشار الى تعظيمهم باداة البعد في قوله فاولئك اي العظيمة الرتبة الصادقة الايمان يتوب الله عليهم اي يردهم الى ما كانوا عنه عنده من مكانة القرب قبل مواقعة الذنب وكان الله عليما اي بالصادقين في التوبة والكاذ بين وبنياتهم فهو يعاملهم بحسب ما تقتضيه حالهم حكيما فهو يضع الاشيا في احكم محالها فمهما فعله لم يمكن نقضه ولما بين سبحانه المقبول اتبعه المطرود فقال وليست التوبة اي في حكمها للذين يعملون السيئات اي واحدة بعد اخرى مصرين عليها غير راجعين عن قرب بل يمهلون حتى اذا حضر احدهم الموت اي بان وصل الى حد الغرغرة وهي حالة المعاينة قال اي بلسانه او قلبه اني تبت الان ولا الذين اي وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فسوى بين الفسق والكفر في ذلك تنفيرا من الفسق لصعوبة النزع عنه بعد مواقعته ولذلك جمعهما في العذاب بقوله جوابا لمن كانه قال فما جزا هذين الصنفين اولئك اي البعدا من الرحمة اعتدنا اي هيانا واحضرنا لهم عذابا اليما اي فنعذب به الكافرين ومن شينا من عصاة المومنين ولما انقضى ما تخلل من ذكر ابنا الوالدات للوارث وختمه بهذا التهديد الهائل لمن فعل ما لا يحل له وصل الكلام فيهن فهو زان مصر على الزنا الى الموت ان اعتقد حرمته او كافر ان اعتقد حله فقال مشيرا بتخصيص المومنين عقب ولا الذين يموتون وهم كفار الى انه لا يرث كافر مسلم والا لقال يا ايها الناس مثلا يا ايها الذين امنوا اي فوقف بهم الايمان عند زواجره لا يحل لكم ان ترثوا النسا اي مالهن كرها اي كارهين لهن وليس لهم حامل لكم على نكاحهن الا رجا الارث وذلك انهم كانوا يحجزون اليتامى لمالهن وليس لهم فيهن رغبة الا تربص الموت لاجل ما لهن ميراثا كما سياتي في تفسير ويستفتونك في النسا الاية او يكون الفعل واقعا على نفس النسا ويكون كرها على هذا حالا مؤكدة اي كارهات او ذوات كره وذلك ان الرجل كان اذا مات وله امراة جا ابنه من غيرها او قريبه من عصبته فيلقي ثوبه عليها فيصير احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها من غير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شا زوجها غيره واخذ صداقها وان شا عضلها ومنعها من الازواج يضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها وكان اهل المدينة على هذا حتى توفي قيس ابن الاسلت ففعل ابنه حصن هذا مع زوجته فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ولهذا اتبعه سبحانه قوله ولا تعضلوهن اي تمنعوهن من التزوج بعد طلاقكم لهن او بعد موت ازواجهن قال البيضاوي

بين

واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها انتهى والظاهر ان مدار مادته
انما هو على الاشتداد ومن عضلة الساق وهي اللحمة التي في باطنها ونقل عبد الحق
انها كل لحم اجتمع قال وقال الخليل كل لحمة اشتملت على عصبة انتهى وتارة يكون
الاشتداد ناظرا الى المنع وتارة الى الغلبة والضيق ثم علل ذلك بقوله لتذهبوا
ببعض ما اتيتموهن اي انتم ان كن ازواجا لكم او موروثكم ان كن ازواجا عضلتموهن
بعدهم ليذهب ذلك بسبب انفاقهن اياه على انفسهن في زمن العضل او بسبب افتدائهن
انفسهن به منكم ثم استثنى من تحريم العضل فقال الا ان اي لا تفعلوا ذلك لعلة
من العلل الا العلة ان يأتين بفاحشة اي فعلة زائدة القبح مبينة اي بالشهود الاربعة
ان كانت زنا فاعضلوهن بالامساك في البيوت كما مضى لان من فعل شيئا قبل او انه عوقب
بحرمانه او بما يقبل من الشهود ان كانت نشوزا وسوء عشرة فلكم العضل حينئذ الى الصلاح
او الافتداء انما نطيب به النفس والانسب لسياق الامر في وعاشروهن ان تكونوا تعضلوهن
منهيا لا معطوفا ان ترثوا بالمعروف اي من القول والفعل فان اي ان كنتم لا
تكرهوهن فالامر واضح وان كرهتموهن فلا تبادروا الى المضاجرة او المفارقة واصبروا وابنوا
نظركم على ما هو الاصلح لا لمجرد الميل النفسي فان الهوى شانه ان لا يدعو الى خير ثم دل على هذه
العلة بقوله فعسى ان تكرهوا شيئا اي من الازواج او غيرها لم يقيد سبحانه تعميما تتميما
للفائدة ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولما نهى عن العضل سببا الى اذهاب بعض ما اعطيته المرأة
اتبعه التصريح بالنهي عن اخذ شيء منه فقال وان اي لم تعضلوا المرأة بل اردتم استبدال
زوج مكان زوج اي فارقتموها وآتيتم احديهن اي احدى النسا اللاتي وقع الاذن
لكم في جمعهن في النكاح سواء كانت بدلا او مستبدلا بها قنطارا اي مالا جما فلا تاخذوا
منه شيئا اي عن غير طيب نفس منها ولا سبب مباح ثم عظم اخذه باستفهام انكار وتوبيخ
فقال اتاخذونه اي على ذلك الوجه ولما تقدم ان من صور العضل على الافتداء حال
الاتيان بالفاحشة شبه الاخذ في هذه الحالة التي لا سبب لها بالاخذ في تلك الحالة فجعل
الاخذ على هذه الصورة تابعا لمقام القذف لها بالاخذ بما لا حقيقة له فلذلك قال بهتانا واثما
مبينا اي كذبا بهتانا في اخذه واثما مبينا لكونه لا سبب له يورث شبهة فيه ثم علظ ذلك
باستفهام اخر كذلك فقال وكيف تاخذونه وقد اي والحال انه قد افضى اي بالملامسة
بعضكم الى بعض اي تكدتم ان تصيروا جسدا واحدا او اخذن اي النسا منكم ميثاقا
غليظا اي بتقوى الله في المعاشرة بالاحسان فقدم الاساءة لان مبنى النكاح
على ذلك وان لم يصرح به فيه ولما كرر ذكر الاذن في نكاحهن وما تضمنه منطوقا
ومفهوما مست الحاجة الى ما يحل منهن لذلك وما يحرم فقال ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النسا اي سواء كانت اما او لا بنكاح او ملك يمين وعبر بما دون من لمن في البنا غالبا
من السفه المدني مما لا يعقل ولما نهى عن ذلك فنزعت النفوس عما كان قد الفته منه

اي تكونوا لم

فلاح

فلاح انه في غاية القباحة وان الميل اليه انما كان شهوة بهيمية لا شي فيها من عقل
ولا مروة وكانت عادتهم في مثل ذلك مع التاسف على ارتكاب السوالف عما مضى منه
كما وقع في استقبال بيت المقدس وشرب الخمر اتبعه الاستثنا من لازم الحكم وهو فانه
موجب لمقت من ارتكبه وعقابه فقال الا ما قد سلف ثم علل النهي بقوله انه اي
هذا النكاح كان فاحشة اي والفاحشة لا تقدم عليها تام العقل ومقتا اي
بينكم وبين ابايكم لو كانوا احيا وانتم تدعون تعظيمهم وتتاثلون من يسوهم او يتبعضهم
وبينكم وبين ذوي الهمم لما انتهكتم من حرمة ابايكم وساء سبيلا ولما ابتدا بتعظيم الابا
واحترامهم في ان ينكح الابنا ازواجهم على سبيل العموم ثنى بخصوص الام بقوله حرمت عليكم
امهاتكم اي التمتع بهن بنكاح او ملك يمين فكان تحريمها مذكورا مرتين تاكيدا له وتغليظا للامر
في نفسه واحتراما للاب وتعظيما لقدره وبناتكم اي وان سفلن لما في ذلك من صراز امهاتهن
واخواتكم اي اشقا او لا وعماتكم كذلك وخالاتكم ايضا وبنات الاخ وبنات الاخت
اي وفي وعمهن وان سفلن ولما انقضى امر النسب اتبعه الرضاع فقال وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم تنزيلا له منزلة النسب واخواتكم من الرضاعة كما في النسب ولما انقضى ما هو كلحمة النسب
اتبعه امرا بالمصاهرة فقال وامهات نسايكم اي دخلتم بهن او لا لما في ذلك من افساد
ذات البين غالبا وربايبكم اللاتي في حجوركم اي بالفعل او بالقوة لما بينهن من شبه الاولاد
من نسايكم اللاتي دخلتم بهن قيد بالدخول لان غيرة الام من ابنتها دون غيرة البنت من
امها ولما اشعر هذا القيد بحل بنت من عقد عليها ولم يدخل بها افصح به تنبيها على عظيم حرمة
الابضاع فقال فان لم تكونوا دخلتم بهن اي الامهات فلا جناح عليكم اي في نكاحهن ولما
انتهى هذه المحرمات من وجه الاب ختمها بزوجة الولد فقال وحلايل ابنايكم اي زوجة
كانت او موطوة بملك يمين ولما لم يكن التبني مرادا ولا الرضاع سلا مسلى قيد بقوله الذين
من اصلابكم اي وان سفلوا ولما انقضى التحريم المؤبد اتبعه المؤقت فقال وان تجمعوا بين
الاختين اي فانه حرام عليكم تعاقبون به الا ما قد سلف اي فانه لا اثم عليكم فيه رحمة
من الله لكم ثم علل رفع حرجه فقال ان الله كان غفورا رحيما ولما ذكر مضارة الجمع
اتبعه مضارة الاعارة على الحق والاول جمع بين المنكوحتين وهذا جمع بين الناكحين فقال والمحصنات
اي الحراير المن وجات من النسا الا ما ملكت ايمانكم اي من ازواج اهل الحرب فان الملك
بالاسر يقطع النكاح ولما اتم ذلك قال مؤكدا له ومبينا عظمته كتاب الله اي خذوه والزموه
غير ملتفتين الى غيره وزاد في تاكيده باداة الوجوب فقال عليكم ولما فهم ذلك حل ما سواه
افصح به احتياطا للابضاع وتعظيما لجلاله في قوله واحل لكم ما وراء ذلكم ولما كان الكلام
في المنع لم يصرح بالفاعل بل قال حرمت تفننا في الخطاب حثا على الادب فلما وصل الامر الى
الحل الطرح تطييبا للقلوب وتانيسا للنفوس ثم اتبع التحليل علته فقال ان اي ارادة
ان تبتغوا اي تطلبوا مبتغين من شيتم مما احل لكم باموالكم حال كونكم محصنين اي قاصدين

قضا الشهوة وصب الما الدافق لذلك فقط وهو على هذا الوجه لا يكون الا زنا سرا او
جهرا ولما تقدم اول السورة واثنايها الامر بدفع الصداق والنهي عن اخذ شي
مما دفع الى المراة وكان ذلك اعم من ان يكون بعد الدخول او قبله مسمى والا كان
هنا فما استمتعتم اي وجدتم المتاع وهو الانتفاع به منهن بالبنا لها متطلبين
لذلك من وجوهه راغبين فيه فاتوهن اجورهن اي كاملة فريضة اي حال كونها
واجبة من الله ومسماة مقدرة قدرتموها على انفسكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي اي حرج
انتم والازواج من بعد الفريضة اي من زيادة ونقص ان كانت موجودة مقدرة او من
مهر المثل من بعد الفريضة تقديرا ان لم تكن مسماة فيمن عقد عليها من غير تسمية صداق
ولما كان الرضى امرا باطنا لا يطلع عليه حقيقة الا الله تعالى حث على الورع في شانه
بوط الحكم بغلبة الظن فقال ان الله كان عليما اي بمن تقدم منه الرضى صادقا او غير
متحر لذلك حكيما اي بضع الاشياء امكن مواضعها من الجزاء على الذنوب وغيره ولما مضى ذلك
على هذا الوجه الجليل عرف انه كله في الحراير فقال ومن اي هذا لمن استطاع نكاح
الحراير ومن لم يستطع منكم اي ايها المومنون طولا اي سعة ان اي لان ينكح المحصنات
اي الحراير فان الحرة مظنة العفة الجاعلة لها في هو كالحصن على مزيد الفساد لان العرب
كانوا يصونهن المومنات فمن اي فلينكح ان اراد من ما ملكت ايمانكم اي من ما ملك غيركم
من المومنين من فتياتكم اي امايكم ثم وضح المراد بالاضافة فقال المومنات اي لا من الحراير
الكافرات ولا مما ملكتم من الاما الكافرات ولا مما ملك الكفار حذرا من مخالطة الكافرة
خوفا من الفتنة كما مضى في البقرة ولما شرط في هذا النكاح الايمان وكان امرا قلبيا لا يطلع
على حقيقته الا الله اعقبه ببيان انه يكتفي فيه بالظاهر فقال والله اعلم بايمانكم
لكن في التعبير به وبالوصف لا بالفعل ارشادا الى مزيد التحري من جهة الدين فاظفر
بذات الدين تربت يداك ولما اشترط الدين كان كانه قيل فالنسب فاشير الى عدم
اشتراطه بقوله بعضكم من بعض اي كلكم من ادم وان تشعبتم بعده فانكحوهن اي بشرط
العجز باذن اهلهن اي مواليهن واتوهن اجورهن وهي المهور بالمعروف اي من
غير ضرار لا عليكم ولا عليهن ولا على اهلهن حال كونهن محصنات اي عفايف بانفسهن
او بصون الموالي لهن غير مسافحات اي مجاهرات بالزنا ولا متخذات اخدان اي اخلا
في السر للزنا ولما لم يتقدم بيان حد الاما قال مبينا له فاذا احصن مبينا للفاعل في قراة
حمزة والكسايي وابي بكر عن عاصم والمفعول في قراة الباقين اي انتقلن من حيز التعريض
للزنا بالاكراه الى حيز الحراير بان حفظن فروجهن بكراهتهن الزنا او حفظهن
الموالي بالرضى لهن بالعفة وقال الشافعي في اوايل الرسالة في اخر الناسخ والمنسوخ
الذي يدل الكتاب على بعضه والسنة على بعضه ان معنى احصن هنا اسلمن لا نكحن فاصبن
بالنكاح ولا اعتقن وان لم يصبن وقال فان قال قايل اراك توقع الاحصان على معان مختلفة

قيل

قيل نعم جماع الاحصان ان يكون دون التحصين مانع من تناول المحرم فالاسلام مانع وكذلك
الحرية مانعة وكذلك الزوج مانع وكذلك الحبس في البيوت مانع وكل مانع احصن وقد قال
الله عز وجل وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من باسكم وقال لا يقاتلونكم جميعا الا في
قرى محصنة يعني ممنوعة قال واخر الكلام واوله يدلان على ان معنى الاحصان المذكور
عاما في موضع دون غيره ان الاحصان ههنا الاسلام دون النكاح والحرية والتحصين بالحبس
والعفاف وهذه الاسما التي يجمعها اسم الاحصان انتهى فان اتين بفاحشة ولا يكون حينئذ الا
عن رضى من غير اكراه فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحراير لانهن في مظنة العفة
وان كن غير ازواج من العذاب اي الحد والمراد هنا الجلد لان الرجم لا يتنصف ولما
كان كانه قيل هل هذا الحل عام عن الحرة استونف جواب هذا السوال بقوله
تعالى مشيرا باداة البعد الى انه مما لا يحسن قربه ذلك اي حل نكاح الاما الذي
ينبغي البعد منه لمن خشي العنت اي الوقوع في الزنا بما عنده من عظيم الداعية
الى النكاح ومشقة الصبر عنه منكم ولما بين اباحته واشار الى البعد عنه لما فيه من
استرقاق الولد صرح بالندب الى حبس النفس عنه فقال وان تصبروا اي عن خير لكم
نكاحهن متعففين اي ليلا تعيروا بهن او تسترق اولادكم منهن ثم اتبع ذلك
تاكيده لذوي البصاير والهمم في سياق دال على رفع الحرج فقال والله غفور اي
لمن لم يصبر والمغفرة تشير الى نوع تقصير رحيم اي فاعل به فعل الراحم منكم بالاذن في
قضاء وطره واللطف فيما منع ذلك من المحذور ولما اتم سبحانه بيان الحلال والحرام
من هذه الحدود والاحكام وختمها بصفة الرحمة بين ما اراد بها من موجبات الرحمة
مذكرا بالنعمة لتشكر وتحذيرا من ان تنسى فتكفر فقال تعالى يريد الله اي الملك
الاعظم انزال هذه الاحكام على هذا النظام ليبين لكم اي يوقع لكم البيان
الشافي في ما لكم وعليكم من شرايع الدين ويهديكم اي يعرفكم سنن اي طرق
الذين من قبلكم اي من اهل الكتاب ويتوب عليكم اي يرجع بكم عن كل ما لا يرضيه
لا سيما ما يجر الى المعاطفة مثل مع النسا والاطفال الارث ونقل ما يحرم نكاحه وغير
ذلك فاعلمهم بهذا انه لم يخصهم بهذه التكاليف بل سلك لهم فيها صراط الذين انعم عليهم
ليكون ذلك ادعى الى القبول واهون على الامتثال وليتحققوا ان القا اهل الكتاب
الشبه اليهم وتذكيرهم بالاضغان لارادة القا العداوة محض حسد لمشاركتهم لهم
في منبهم اي سنن والسنتهم وما احسن ختم ذلك بقوله والله عليم حكيم بيان ذلك
ان ما في هذه السورة الامر بالتقوى والحث عليها وبيان الفرايض وامر الزناة وما يحل
ويحرم من النسا والتحري في الاموال والاحسان الى الناس لا سيما الايتام والوالدين والاذعان
للاحكام وتحريم القتل والامر بالعدل في الشهادة وغيرها وكل ذلك مبين اصوله في التورية
كما هي سنوب في هذا الديوان عن نصوصها في المواضع اللايقة به لكن القران احسن بيانا

وابلغ تبيانا وابدع شانا والطف عبارة وادق اشارة واعجب ذلك ان سبب انزال
فرايض الميراث في شريعتنا النسا ففي الصحيحين وغيرهما عن جابر رضي الله
عنه قال مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاني وقد اغمي علي
فتوضا فصب علي وضوءه فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وفي
رواية لمسلم انما يرثني كلالة فلم يجبني بشي وفي رواية الترمذي وكانت لي تسع
اخوات حتى نزلت اية الميراث وفي رواية البخاري فنزلت وفي رواية للترمذي
حتى نزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية للترمذي حتى نزلت اية الميراث يستفتونك
في النسا قل الله يفتيكم في الكلالة الاية وقال حديث صحيح ولابي داود والترمذي
وابن ماجه والدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال جات امراة سعد بن الربيع
بابنتيها من سعد رضي الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان
ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما
مالا ولا تنكحان الا ولهما مال قال يقضي الله عز وجل في ذلك فنزلت اية الميراث وفي
رواية ابي داود ونزلت الاية في سورة النسا يوصيكم الله في اولادكم الاية وفي رواية
الدارقطني فنزلت سورة النسا وفيها يوصيكم الله في اولادكم الى اخر الاية فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي
فهو لك وفي رواية للدارقطني ان امراة سعد بن الربيع قالت يا رسول الله ان سعدا
هلك وترك ابنتين واخاه فعمد اخوه فقبض ما ترك سعد وانما تنكح النسا على
اموالهن فلم يجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسها ذلك ثم جاته فقالت
يا رسول الله ابنتا سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي اخاه فجا
فقال ادفع الى ابنتيه الثلثين والى امراته الثمن ولك ما بقي وقال شيخنا حافظ عصره
ابو الفضل احمد بن علي بن حجر في الاصابة في اسما الصحابة روى ابو الشيخ في تفسيره من
طريق عبد الله بن الاجلح الكندي عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان اهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الموالي الصغار حتى يدركوا فمات
رجل من الانصار يقال له اوس بن ثابت وترك بنتين وابنا صغيرا فجا ابنا عمه خالد وعرفطة
فاخذا ميراثه فقالت امراته للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون فارسل الى خالد وعرفطة فقال لا تحركا من الميراث شيا ورواه
ابو الشيخ من وجه اخر فقال قتادة وعرفطة ورواه الثعلبي في تفسيره فقال
سويد وعرفطة ووقع عنده انهما اخوا اوس ورواه مقاتل في تفسيره فقال ان اوس
ابن مالك توفي يوم احد وترك امراته ام كحة وبنتين فذكر القصة وذكر شيخنا في
تخريج احاديث الكشاف ان الثعلبي والبغوي ساقا بلا سند ان اوس بن الصامت الانصاري
ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه

عنهن

عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النسا ولا الاطفال ويقولون لا يورث الا من
طاعن بالرماح وزاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجات ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيا فان الله
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزلت يوصيكم الله في اولادكم الاية فاعطى
ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم ورواه الطبراني من طريق ابن
جريج عن عكرمة على غير هذا السياق ولفظه نزلت في ام كحة وابنة كحة وثعلبة
واوس بن سويد وهم من الانصار كان احدهما زوجها والاخر عم ولدها فقالت يا
رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث فقال عم ولدها ان ولدها
لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوا فنزلت للرجال نصيب الاية وروي من
طريق السدي قال في قوله يوصيكم الله في اولادكم الاية كان اهل الجاهلية لا يورثون ن
الجواري ولا الضعفا من الغلمان ولا يورثون الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن
اخو حسان الشاعر وترك امراة يقال لها ام كحة وترك خمس اخوات فجات الورثة
فاخذوا ماله فشكت ام كحة الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله فان كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ثم قال في ام كحة ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم
ولد الاية فجميع هذه الروايات كما ترى ناطقة بان سبب نزول ايات الميراث
النسا ويمكن ان يكون المجموع سببا والله اعلم وذلك كما ان سبب انزال الفرايض
في التورية كان النسا ايضا وذلك انه جل امره وعز اسمه وتعالى جده لما امر بعض
عن امر من بني اسرائيل وسلفهم في التيه واخراج ابنا هم منه امر موسى عليه السلام
بقسمة ارض الكنعانيين بينهم بعد معرفة عددهم على منهاج ذكره ولم يذكر البنات
وكان فيهم بنات لا اب لهن فسالن ميراث ابيهن فانزل الله حكمهن قال في السفر
الرابع من التورية ما نصه ولما كان بعد الموت الناشي قال الرب لموسى ولالعازر
هرون الحبر احفظا عدد جماعة بني اسرائيل من ابن عشرين سنة الى فوق كل من خرج
للمحاربة من بين بني اسرائيل فكلما الجماعة في غوسه ماموات التي عند اردن اريحا واخبراهم
بقول الرب ثم احصيا بهم فكان عددهم احدا وستماية الف وسبعماية وثلاثين رجلا غير
اللاويين سبط موسى فانهم كانوا لحفظ قبة الزمان وخدمتها وكانوا ثلاثة قبايل اجدادهم
قاهات فولد له عمرم وكان اسم امراة عمرم يوحا ابنة لوي ولدت له بارض مصر هرون
وموسى ومريم وكان عددهم في هذا الوقت ثلاثة وعشرين الفا كل ذكر منهم ابن شهر فما فوق
ولم يكن في هولا امرؤ احصاه موسى وهرون حيث عدا بني اسرائيل في بوية سينا لان الرب
قال لهم تعقلون في هذه المفازة ولا يبقى منهم رجل ما خلا كالاب بن يوفنا ويوشع بن نون
ودنا بنات صلفحد من قبيلة منسا بن يوسف وقلن ابونا توفي في البرية ولم يخلف ابنا اعطنا

ميراثا فرفع موسى امرهن الى الرب فقال الرب لموسى الحق قلن اعطهن ميراثا مع اعمامهن
ليتبين ميراث ابيهن وقل لبني اسرايل اي رجل مات ولم يخلف ابنا يعطى ميراثه ابنته وان لم
يكن له بنت يعطى ميراثه اخوته ومن لم يكن له اخوة يعطى ميراثه اعمامه ومن لم يكن له اعمام يعطى
ميراثه لمن كان قرابته من اهل عشيرته وتكون هذه سنة لبني اسرايل في احكامهم كما امر
الرب موسى وقال في السفر الثالث منها ما نصه سنة الخطايا التي كلما اذا ارتكبها
انسان عوقب بالموت وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرايل وقل لهم اني انا الله
ربكم لا تعملوا مثل اعمال اهل مصر التي سكنتموها ولا تعملوا مثل اعمال اهل كنعان
التي ارحلكم اليها ولا تسيروا بسنتهم ولكن اعملوا باحكامي واحفظوا وصاياي وسيروا
بها انا الله ربكم احفظوا شرايعي واحكامي لان الذي يعمل بها يعيش انا الرب وليس
اله غيري ولا يحسن الرجل منكم ان يكشف عورة قرابته انا الرب وليس غيري لا
تكشفن عورة ابيك ولا عورة امك لانها امك ولا تفضح امراة ابيك ولا تكشف
عورتها لان عورتها عورة ابيك ولا تفضح اختك من ابيك ومن امك التي ولدت
من ابيك او اختك من امك لا من ابيك لا تكشف عورتها لان فضيحتها فضيحتك
ولا تكشف عورة عمك لانها اخت ابيك ولا تكشف عورة خالتك لانها اخت امك ولا
تكشف امراة عمك ولا تدن من امراته لانها امراة عمك ولا تكشف عورة كنتك لانها
امراة ابنك ولا تكشف عورة امراة اخيك لان فضيحتها فضيحة اخيك ولا تكشف
عورة امراة وبنتها ان لا تتزوج بهما ولا تكشف عورة بنت الابن ولا بنت البنت لان
فضيحتها فضيحتك ولا تكشف عورتها هن قرابتك وازنكا بهن اثم ولا تتزوج اخت
امراتك في حياتها فتحزنها ولا تكشف عورتها جميعا في حياة امراتك والمراة اذا حاضت
وطمثت لا تدن لتكشف عورتها ولا تسلح بامراة صاحبك ولا تنجس بها ولا تحل اسم الهك
انا الله ربكم لا تضاجعن الذكور ولا ترتكب من الذكر ما ترتكب من المراة لانه فعل نجس ولا
بهيمة ولا تلق زرعك فيها فتنجس بها والمراة ايضا لا تقوم بين يدي بهيمة لتطاها
لانه فعل نجس ولا تنجسوا منها بشي فبهذه كلها تنجست الشعوب التي اهلكتها من بين ايديكم
وتنجست ارضهم بفعلهم وعاقبتها باثمها وتعطلت الارض من سكانها لحال خطاياهم
احفظوا عهودي واحكامي ولا ترتكبوا شيا من هذه الخطايا لان اهل البلاد التي
يرثونها فعلوا هذه الافاعيل كلها وتنجست الارض بهم ولا تنجسوا الارض لئلا تتعطل
منكم كما تعطلت من الشعوب الذين كانوا فيها قبلكم لان كل من يفعل هذه الخطايا
يهلك احفظوا شرايعي ولا تركبوا شيا من يسير الخطايا التي فعلها من كان قبلكم
ولا تنجسوا بها انا الله ربكم ثم كلم الرب موسى وقال له كلم جميع بني اسرايل وقل لهم
تقدسوا لاني قدوس انا الله ربكم بها كل امرء منكم والديه ويكرمهما وصاياي لاني
انا الله ربكم لا تقبلوا الى الشيطان ولا تتخذوا الهة مسبوكة انا الله ربكم وقال في

السفر

السفر الثاني ولا تصدقن الخبر الكاذب لا تزال الحبيب لتكون له شاهدا زور ولا
تتبعن هوى الكبير فتبتغي لا تشايعن الكثير الذين يحيفون في القضاء فتحيف منهم ولا
تعن المسكين على الظلم ولا تحيفن في قضا المسكين وتباعد عن القول الكاذب
وقال في السفر الخامس ودعى موسى بجميع بني اسرايل وقال لهم اسمعوا يا بني اسرايل
السنن والاحكام التي اتلوا عليكم لتعلموها وتحفظوها وتعملوا بها فقد تعلمون ان الله
ربنا عاهدنا عهدا بارض حوريب ولم يعاهد الله ابانا بهذا العهد بل انما عاهدنا
نحن الذين ههنا احيا سالمين وجها قبل وجه كلما الرب في النار من الجبل فانا
كنت قايما بين يدي الرب وبينكم لاظهر لكم ذكر الزمان اقول الله ربكم حيث
فزعتم من النار ولم تصعدوا الى الجبل وقال الرب انا الله ربكم الذي اخرجتكم من
ارض مصر وخلصتكم من العبودية لا يكون لكم اله غيري ولا تتخذوا اصناما ولا
اشباها ولا تقسم باسم ربك كذبا لان الرب لا يزكي من يحلف باسمه كذبا احفظوا
يوم السبت وطهروه الى ان قال لا تعملوا فيه عملا ليستريح عبيدكم واباوكم معكم
واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر فاخرجكم الله من هلاك بيد منيعة وذراع
عظيمة كذلك امركم ربكم ان تحفظوا يوم السبت فيكرم كل امرء منكم والديه كما امركم
الله ربكم ليطول اعماركم وينعم عليكم في الارض التي يعطيكم لا تقتلوا لا تزنوا لا تسرقوا
لا يشتهين الرجل منكم امراة صاحبه الى ان قال ولا شيا مما لصاحبك هذه
الايات التي امر الرب بها بني اسرايل وكلمهم بها في الجبل من النار بالسحاب والضباب
بصوت عظيم لا يوصف ولا يحد وهي التي كتبها على لوحي الحجارة ودفعها الى موسى
النبي فلما سمعتم صوتا من الظلمة ورايتم نارا تشتعل في الجبل تقدم الى روسا وكم
وقالوا قد ارانا الله مجده وكرامته وعظمته اليوم راينا اذ كلم الله الناس وعاشوا
ان عدنا نسمع صوت الله ربنا متنا تقدم انت واسمع ما يقول الله ربنا وقص علينا وقال
لي الرب قد سمعت صوت الشعب وما قالوا لك نعم ما تكلموا به وانت تكون لهم فتكون
تسمع وتطيع وتتقوني ويفزعون من قولي ويحفظون جميع وصاياي كلها احفظوا
واعملوا بما امركم الله ربكم ولا تحيدوا يمنة ولا يسرة بل سيروا في الطريق الذي
امركم بها ربكم لتعيشوا وينعم عليكم ويطول مدتكم في الارض التي ترثون هذه
السنن والوصايا والاحكام التي امرني الله ربكم ان اعلمكم لتعملوا وتتقوا الله ربكم
انتم وبنوكم كل ايام حياتكم فتطول اعماركم به اسمعوا يا بني اسرايل الله ربنا واحد
احبوا الله ربكم في كل قلوبكم ولكن هذه الايات التي امركم في قلوبكم ابدا وعلموها بنيكم
وتكلموا بها اذا احضرتم في منازلكم واذا سافرتم واذا رقدتم واذا قمتم وشدوها علامة
على ايديكم ويكون ميسم بين اعينكم واكتبوها على معاقم بيوتكم على ابوابكم لا تنسوا
الله ربكم واياه فاعبدوا وباسمه فاقسموا ولا تتبعوا الالهة الاخرى التي تعبدها الشعوب

التي حولكم لان الله ربكم الحال فيكم هو اله غيور فاتقوه لا يشتد غضبه عليكم ويهلككم
عن جديد الارض ولا تجربوا الله ربكم كما جربتموه بالبلايا ولكن احفظوا وصية الله ربكم وشهادته
وسنته التي امركم بها فاعملوا الحسنات وانصفوا واعدلوا لينعم عليكم وتدخلوا
وترثوا الارض المخصبة التي اقسم الله لابائكم ويكسر جميع اعدائكم ويهزمهم قدامكم
كما قال الرب فاذا سالكم بنوكم غدا وقالوا ما الشهادة والسنة والحكومة
التي امركم الله بها قولوا لبنيكم انا كنا عبيد الفرعون بارض مصر واخرجنا الرب
من ارض مصر بيد منيعة وانزل باهل مصر بلاء شديدا وفعل ذلك بفرعون وجميع
اهل بيته بحاضرنا واخرجنا الرب من هناك ليدخلنا ويعطينا الارض التي اقسم
لابائنا وامرنا الرب ان نعمل هذه السنن كلها وان نتقي الله ربنا لينعم علينا كل ايامنا
ويحسبنا بالخير والنعم ويكون ربنا بنا برا اذا حفظنا هذه الوصية كلها وعملناها امام الله
ربنا كما امرنا وقال في السفر الخامس ولا تكف يدك عن العطاء والصدقة على اخيك
المسكين ولكن يصدق بعضكم على بعض ويعطي بعضكم بعضا ولا يضيق قلبك ولا يحزن
اذا صدقت على اخيك لانك ان فعلت هذا القول واوسعت على اخيك يبارك
الله لك في جميع اعمالك وفي كلما تمد يدك اليه من اجل ان الارض لا تعدم المساكين فلذلك
امرك واتقدم اليك ان تمد يدك الى اخيك المسكين وتصدق على الفقير في الارض
وقال فيه انصفوا بين اخوتكم واحكموا بالحق ولا تحيفوا في القضاء بل اسمعوا من الصغير
كما تسمعون من الكبير ولا تهابوا الرجل ولو عظم شانه وكثرت امواله لان القضاء
لله وقال فيه صيروا لكم قضاة وكتابا في جميع قراكم ويقضون للشعب قضاء العدل
والبر ولا يحيفون في القضاء ولا تحابوا ولا ترتشوا لان الرشوة تعمي اعين الحكام
في القضاء ولكن اقض بالحق لتعيشوا وتبقوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله ربكم فقد
علم من هذا اصول غالب ما ذكره تعالى في هذه السورة مع ما تقدم من اشكاله
في البقرة عند قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وغيرها
من الايات وفي ال عمران ايضا واما حد الزاني وتفصيل امر القتل والجراح فسيذكر
ان شاء الله تعالى في المائدة ولما قرر سبحانه ارادته لصلاحهم ورغب في اتباع الهدى بعلمه
وحكمته عطف على ذلك قوله والله يريد بانزال هذا الكتاب العظيم وارساله هذا الرسول
الكريم ان يتوب عليكم اي يرجع بكم بالبيان الشافي عما كنتم عليه من طرق الضلال
لما كنتم فيه من العمى بالجهل وزادهم في ذلك رغبة بقوله ويريد الذين يتبعون الشهوات
اي من اهل الكتابين وغيرهم كشاس بن قيس وغيره من الاعداء ان تميلوا اي عن سبيل
الرشاد ميلا عظيما اي الى ان تصيروا الى ما كنتم فيه من الشرك والضلال فقد
ابلغ سبحانه في الحمل على الهدى بموافقة الولي المنعم الجليل الذي لا تلحقه شائبة نقص
ومخالفة العدو الحسود الجاهل النازل عن اوج العقل الى حضيض طباع البهائم.

ولما

ولما كان الميل متعبا لمرتكبه اخبرهم ان علة بيانه لهداية الرفق بهم فقال يريد الله
وهو الذي له الجلال والجمال وجميع العظمة والكمال ان يخفف عنكم اي يفعل في هذا
البيان وهذه الاحكام فعل من يريد ذلك فيضع عنكم الاصار التي كانت على من
كان قبلكم الحاملة على الميل وقد خص لكم في بعض الاشياء كنكاح الامة على ما تقدم
ودل على علة ذلك بالواو في وخلق اي لانكم خلقتم ضعفا يشق عليكم الثقل وخلق
الانسان اي الذي انتم بعضه ضعيفا ولما كان غالب ما مضى مبنيا على الاموال
تارة بالارث وتارة بالجعل في النكاح حلالا وحراما قال تعالى بعد ان بين الحق
من الباطل وبين ضعف هذا النوع كله فبطل تعليلهم لمنع النساء والصغار من
الارث بالضعف يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان والتزام الاحكام لا تاكلوا
تتناولوا اموالكم اي الاموال التي جعلها الله قياما للناس بينكم بالباطل اي من التسبب
فيها باخذ نصيب النساء والصغار من الارث وبعضل النساء وغير ذلك مما تقدم
النهي عنه ولما نهى عن الاكل بالباطل استدرك ما ليس كذلك فقال الا ان تكون
اي المعاملة المدارة المتداولة بينكم تجارة هذا في قراءة الكوفيين بالنصب وعلى
قراءة غيرهم الا ان توجد تجارة كائنة عن تراض منكم اي غير منهي عنه من الشارع
ولعل الاتيان باداة الاستثناء المتصل والمعنى على المنقطع للاشارة الى ان تصرفات
الدنيا كلها جديرة بان يجري عليها اسم الباطل ولو لم يكن الا فناؤها تزهيدا
فيها وصدا عن الاستكثار منها وترغيبا فيما يدوم نفعه ببقائه وهكذا كل استثناء
منقطع في القران من تامله حق التامل وجد للعدول عن الحرف الموضوع له وهو لكن
الى صورة الاستثناء حكمة بالغة والله الموفق ولما كان المال عديل الروح ونهى عن
اتلافه بالباطل نهى عن اتلاف النفس لكون اكثر اتلافهم بها بالغارات لنهب الاموال
وما كان بسببها وتسبيبها على ان من اكل ماله ثارت نفسه فادى ذلك الى الفتن
التي ربما كان اخرها القتل فكان النهي عن ذلك انسب شيء لما بنيت عليه السورة من
التعاطف والتواصل فقال تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا
فان الانفس واحدة وذلك ايضا يؤدي الى قتل نفس القاتل ثم علله بما يلين اقسى
الناس ان الله اي مع ما له من صفات العظمة التي لا تدانيها عظمة كان بكم رحيما
فابلغ سبحانه في الترغيب بالامتثال ثم قال ترهيبا من مواقعة الضلال ومن يفعل
ذلك اي المنهي عنه من القتل وغيره العظيم الابعاد عن حضرات الاله عدوانا
وظلما اي بغير حق وعطفه للوصف بالواو يدل على تناهي كل منهما هذا مع ما افهمته
صيغة الفعلان من المبالغة فكان المراد العدوان الشديد المفرط المتجاوز للحدود
الناشئ عن تناهي الظلم الذي لا شبهة فيه للحق فسوف نصليه نارا اي ندخله اياها
بوعيد لا خلف فيه وان طال امهاله وكان ذلك اي الامر العظيم على الله يسيرا اي

لانه ينقصه من ملكه شيئا ولا يبلغه منه مانع ولما بين تعالى ما الفاعل لذلك تحذيرا اتبعه ما للمنتهي تبشيرا وكان قد تقدم جملة من الكبائر فقال ان تجتنبوا اي تجتهدوا انفسكم في ان تتركوا كبائر ما تنهون عنه اي من اكل المال والقتل بالباطل والزنا وغير ذلك نكفر عنكم سيئاتكم اي التي هي دون الكبائر وندخلكم مدخلا كريما اي يجمع الشرف والعز والجود وكل معنى حسن ولما نهى عن الاكل بالباطل بالفعل نهى عن تمنيه فان الرضى بالحرام حرام والتمني يجر الى الاكل والاكل يقود الى القتل فان من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه فقال ولا تتمنوا اي تتابعوا انفسكم في ذلك ما فضل الله به اي من المال وغيره بعضكم على بعض اي في الارث وغيره من الاعراض الفانية فتطلبوا الوصول اليها بغير سبب مباح ثم علل ذلك بقوله بما ينبه على السعي في الاسترزاق والاجمال في الطلب كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد والترمذي وابن ماجة عن شداد بن اوس رضي الله عنه الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وكل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فقال مشيرا الى انه لا ينال احد جميع ما يومل للرجال نصيب اي قد فرغ من تقديره فهو بحيث لا يزيد ولا ينقص وبين سبحانه انه ينبغي الطلب والعمل كما اشار اليه الحديث فقال مما اكتسبوا اي كلفوا انفسهم واتعبوها في كسبه جعل رزقي تحت ظل رمحي لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وترجع بطانا وللنساء نصيب مما اكتسبن اي كذلك فالتمني بحسب غير نافع فالاشتغال به مجرد عناء ولما اشار بالتبعيض الى الحصول بتقدير لا بالكسب الذي جعله الله سببا فانه تارة يثمر وتارة يخيب فكان التقدير فاكتسبوا ولا تعجزوا ولا تتطلبوا بالتمني امرا بالاقبال في الغنى وكل شيء عليه اشارة الى تحريك السبب مع الاجمال في الطلب فقال واسألوا الله من فضله ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الملك الاعظم الذي بيده مقاليد كل شيء كان بكل شيء عليما وكان على كل شيء قديرا فان كمال العلم يستلزم شمول القدرة كما سيبين ان شاء الله تعالى في سورة طه والمعنى انه قد فعل بعلمه ما يصلحكم فسلوه بعلمه وقدرته ما ينفعكم فانه يعلم ما يصلح كل عبد وما يفسده وعطف على ذلك ما هو من جملة العلة فقال ولكل اي من القبيلين صغارا كانوا او كبارا جعلنا بعظمتنا التي لا تضاهى موالي اي حكمنا بانهم هم الاولياء اي الانصار والاقرباء لاجل الارث ولما كان الاهتمام بتوريث الصغار اكثر قال مما اي من اجل ما ترك اي خلفه الوالدان اي لكم ثم اتبع ذلك ما يشمل جهتي الاصل والفرع فقال والاقربون اي اليكم ثم عطف على ذلك قوله والذين اي وما تركه الذين عاقدت

ايمانكم اي بالحلف او الولاء او الصهر وذكر اليمين لان العهد يكون مع المصافحة بها ثم سبب عن ذلك قوله فآتوهم اي الموالي وان كانوا صغارا او اناثا نصيبهم اي الذي فرضناه لهم من الارث موفرا غير منقوص ولا تظنوا ان غيرهم اولى منهم او مساو لهم ثم ذهب من المخالفة واكد الامر بقوله ان الله اي المحيط بصفات الكمال كان على كل شيء شهيدا اي فهو يعلم الولي من غيره والخائن من غيره فان اجتهد في الاخفاء لانه لا يخفى عليه شيء لانه لا يغيب عن شيء ولا يغيب عنه شيء فالمعنى انا لم نفعل سوى ما قصدتم من اعطاء المال لمن يحمي الزنا ويذب عن الحوزة وانتم غير منزليه حق منازله لقصوركم عن حقائق الامور وغيبتها عنكم فانا لم نخرج شيئا منه لغير الموالي اي الانصار اما بالقرابة او بالمعاقدة بالولاء او المصاهرة فالحاصل انه لمن يحمي بالفعل او بالقوة القريبة منه او البعيدة الايلة الى القرب واما التفصيل في الانصباء فامر استاثر بعلم مستحقيه وفي البخاري عن ابن عباس موالي ورثة والذين عاقدت كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي الرحم للاخوة التي اخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ولما نزلت ولكل جعلنا نسخت ثم قال والذين عاقدت من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له ثم بين سبحانه وجه استحقاق بعض المفضلين فقال جوابا لسوال من كانه قال بال الرجال فضلوا الرجال قوامون اي قيام الولاة على النساء وبين سبب ذلك بقوله بما فضل الله اي هبة منه وفضلا من غير تكسب بعضهم وهم الرجال في العقل والقوة والشجاعة على بعض يعني النساء ولما ذكر السبب الوهبي اتبعه الكسبي فقال وبما انفقوا من اموالهم اي عليهن ولما بان بذلك فضلهم فاذعنت الانفس لما فضلوا به في الارث وغيره وكان قد تقدم ذكر نكاحهم للنساء اثر والحث على العدل فيهن حسن بيانها بلزوم الزوجات من حقوقهم وتاديبهن بحدود الحق فقال مسببا لما يلزمهن من حقوقهم عما ذكر من فضلهم فالصالحات قانتات اي مخلصات في طاعة الازواج ولذلك ترتب عليه حافظات للغيب اي يحفظن الازواج من انفسهن في غيبتهم عنهن بما اي بالامر الذي حفظ الله اي به غيبتهم بفعله فعل من يحفظه من الترغيب في طاعتهم في ما يرضي الله والترهيب من عصيانهم بما يسخطه ودعي الحدود التي اشار اليها سبحانه في البقرة وشرحها سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولما عرف بالصالحات استحقاق الانفاق في اللوازم اتبعه حكم غيرهن فقال واللاتي تخافون نشوزهن اي ترفعهن عليكم عن الرتبة التي اقامهن الله بها فعظوهن اي ذكروهن من امر الله بما يصدع قلوبهن ويرققها ويخيفهن من جلال الله ولما كان الوعظ موجبا لتحقق الطاعة او المعصية قال واهجروهن اي ان لم يرجعن بالوعظ في المضاجع اي التي كنتم تسكنون معهن فيها واضربوهن اي ان اصررن فان اطعنكم اي بشيء من الوعظ والهجر في موضع المبيت من البيت فلا تبغوا اي تطلبوا عليهن سبيلا

ثرا

اي طريقا الي الاذي على ما سلف من العصيان بما لكم عليهن من العلو بل اعفوا والهوا
ما سلف ولا يحملنكم ما تحكم الله من العلو على الامتنان ثم علل ذلك بقوله ان الله اي
وقد علمتم ماله من الكمال كان ولم يزل عليا كبيرا اي له العلو والكبر ما على الاطلاق
فهو لا يحب الباغي ولا يقره على بغيه وهو مع ذلك عفو عمن عصاه وان ملا الارض خطايا
اذا اطاعه ولا يواخذه بشي مما فرط في حقه بل يبدل سياته حسنات فتخلقوا بما قدرتم
عليه من صفاته لتنالوا جليل حبائه وخافوا سطواته واحذروا عقوبته بماله من العلو
والكبر ولما بين حال الوفاق وما خالطه من سي الاخلاق اتبعه حال المباينة والشقاق
فقال وان خفتم ايها المعقولون شقاق بينهما اي يكون كل واحد منهما في شق غير الشق
الذي فيه الاخر ولا يكون ذلك الا واحدهما على باطل فابعثوا اي اليهما للاصلاح بينهما حكما
من اهله اي الزوج وحكما من اهلها اي الزوجة هذا الكمل لان اهلهما اقرب الي ازالة
اسباب الشقاق من بينهما لانهم اجدر بالاطلاع على بواطن امورهما وحقائق احوالها
ثم اجاب من كانه قال وما عسي ان يصنعا بقوله ان يريدا اي الحكمان اصلاحا
اي بينهما وكانه نكره لان الاخلاص ووجود الكمال قليل يوفق الله بينهما اي الزوجين
لان صلاح النية اكبر معين على بلوغ المقاصد ولما كان المصلح قد يظن مفسدا لصدعه
بمر الحق من غير مداراة والمفسد قد يعد مصلحا لما يري منه من الامر قال تعالى مزيلا
لهذا الوهم مرغبا ومرهبا ان الله كان عليما اي مطلعا على ما امكن الاطلاع عليه وان
غاب عن غيره خبيرا اي لا يخفى عليه من ذلك خفي ولا يغيب عنه خبي فصارت هذه
الايات كفيلة بغالب احوال النكاح ولم يذكر سبحانه الطلاق عندما ذكر الشقاق
لتقدمه في البقرة ولان مبنى هذه السورة على التواصل والتواد دون التفاضل والتزايل
كما قال ابن الزبير ولهذا اي لبنا السورة على التواصل والايتلاف دون التفاصل
والاختلاف خصت من حكم تشاجر الزوجين بالاعلام بصورة الاصلاح والمعدلة
الباقي لذلك التواصل فلم يكن الطلاق ليناسب هذا فلم يقع له هنا ذكر ولا ايما
الا قوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته انتهى ولما كثرت في هذه السورة
من الوصايا من اولها الى هنا بنتيجة التقوى العدل والفضل والترغيب في نواله
والترهيب من نكاله الي ان ختم ذلك بما هو في الذروة من حسن الختام من صفتي
العلم والخبر وكان ذلك في معنى ما ختم به الاية الامرة بالتقوى من الوصف بالرقيب
اقتضى ذلك تكرير التذكير بالتقوى التي افتتحت السورة بالامر بها فكان التقدير حتما
فاتقوه عطف عليه او على نحو واسئلوا الله من فضله او على اتقوا ربكم الخلق المقصود من
الخلق المبنيين على تلك الصفة فقال واعبدوا الله اي لان ملاك ذلك كله العبد
بامتثال الاوامر واجتناب الزواجر ولما كان سبحانه غنيا لم يقبل الا الخالص
فقال ولا تشركوا به شيئا ولما امر للواحد الحقيقي بما ينبغي له وكان لذلك درجتان

اولاها

اولاها الايمان واعلاها الاحسان فصار المامور بذلك مخلصا في عبادته امر بالاحسان
في خلافته وبدا باولى الناس بذلك وهو من جعله سببا لايجاده فقال مشيرا الى انه لا يرضى
له من ذلك الا درجة الاحسان وان من اخلص له اغناه عن كل من سواه فلا يزال منعما على
من عداه وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا ولما كانت مبني السورة على الصلة لاسيما
لذوي الرحم قال وبذي القربى لتاكد حقهم بمزيد قربهم ولا تتضاعف السورة من مزيد
الحث على التعاطف اعاد الجار ثم اتبع ذلك من تجب مراعاته لله او لمعنى تفسد بالاخلال
به ذات البين وبدا بما لله لانه اذا صح تبعه غيره فقال واليتامى والمساكين اي وان
لم تكن رحمهم معروفة وخصهم لضعفهم والجار ذي القربى اي لان له حقين والجار
الجنب اي الذي لا قرابة له للبلوي بعشرته خوفا من بالغ مضرته اللهم اني اعوذ بك
من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول والصاحب بالجنب اي الملاصق المخالط
في امر من الامور الموجبة لامتداد العشرة وابن السبيل اي المسافر لغربته وقلة ناصره وحشمه
وما ملكت ايمانكم اي من الاماء والعبيد كذلك ولما ذكر الاحسان الذي عماده التواضع والكرم
ختم الاية ترغيبا فيه وتحذيرا من منعه معللا للامر به بقوله ان الله اي بما له من الاسما
الحسنى والصفات العلى لا يحب اي لا يفعل فعل المحب مع من كان مختالا اي متكبرا معجبا
بنفسه متزينا بحليته مرايا بما اتاه الله من فضله على وجه العظمة واحتقار الغير فخورا
بما لغاني التمدح بالخصال وفي ذلك اتم ترهيب من الخلق المانع من الاحسان وهو الاختيال
على عباد الله والافتخار عليهم ازدرا بهم فانه لا مقتضى لذلك لان الكل من نفس واحدة والفضل
نعمة منه سبحانه يجب شكرها بالتواضع لتدوم ويحذر كفرها بالفخار خوفا من ان تزول
ولما كان الاختيال والفخر دالين على الفرح بالاعراض الفانية والركون اليها والاعتماد
عليها فكانا حاملين على البخل خوفا من زوالها مال واضعا لهم محلا من الاخلاق الردية الجلية
ذلك منشاوها الذين يبخلون بما جعلهم من المتاع الفاني على المختار ثم تلى ذلك باسوا منه
فقال ويامرون الناس بالبخل وفي التعبير بما هو من البوس اشارة الى انهم لا يعلقون
اطماعهم بتلك الابدي الهمم السافلة والرتب القاصرة ويحتمل ان يكون الامر كناية عن
حملهم غيرهم على البخل بما يرى من اجتنابهم وافتخارهم عليه ثم اتبع ذلك اخبث منه وهو الشح
بالكلام الذي لا يخشى نقصه فقال ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي من العلم ثم عطف
على ان الله لا يحب طفرا الي مقام التكلم دالا له على تناهي الغضب وتعيينا للمتوعد مصرحا
بمظهر العظمة الذي دل عليه هنالك بالاسم الاعظم قوله واعتدنا وكان الاصل لهم ولكنه
قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واعلاما بان ذلك حامل على الكفر للكافرين عذابا مهينا
اي بما اعتزوا بالمال الحامل على الفخر والكبر والاختيال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
حبة من كبر ولما ذم المفتخر اتبعه ذم المسرفين المبذرين فقال والذين ينفقون واشار
الي عظيم رغبتهم في نفقتهم بقوله اموالهم ودل على خسة مقاصدهم وسفول هممهم بقوله

رياء الناس اي لقصور نظرهم وتقيده بالمحسوسات كالبهايم التي لا تدرك الا الجزئيات
المشاهدات ولما ذكر اخراج المال الحي وجه لا يرضاه ذكر الحامل عليه مشيرا الى انهم
حشروا انفسهم بما عظموها به وذلك انهم تعبدوا للعبيد وتكبروا على خالقهم العزيز
المجيد فقال ولا يومنون بالله وهو الملك الاعظم ولا باليوم الاخر الحامل على كل خير والنازع
عن كل شر ولما كان التقدير فكان الشيطان قرينهم لكفره باعجابه وكبره عطف عليه قوله
ومن يكن الشيطان اي وهو عدوه البعيد من كل خير المحترق بكل ضير له قرينا فساء قرينا
ولما كان التقدير فاذاهم في الكفر والانفاق رياء لمن لا ضر ولا نفع بيده عطف عليه قوله
وماذا عليهم اي من حقير الاشيا وجليلها لو امنوا بالله اي الذي له كل كمال وبيده
كل شي واليوم الاخر الحامل على كل صلاح وانفقوا ولما وصفهم بانفاق جميع اموالهم للعدو
الحقير اشار الى شحهم فيما هو لله العلي الكبير بشي يسير يحصل لهم به خير كثير فقال مما رزقهم الله
ولما كان التقدير فقد كان الله عليهم لما بذروا اموالهم قديرا عطف عليه قوله وكان
الله بهم اي في كلتا الحالتين عليما ولما فرغ من توبيخهم قال معللا ان الله اي الذي له
كل كمال فهو الغني المطلق لا يظلم اي لا يتصور ان يقع منه ظلم ما مثقال ذرة اي فما دونها
وانما ذكرها لانها كناية عن العدم لانها مثل في الصغر اي فلا ينقص احدا شيا
مما عمله ولا يثبت عليه شيا لم يعمله ولما ذكر التبجيل من الظلم اتبعه التحلي بالفضل
فقال عاطفا على ما تقديره فان تك الذرة سيئة لم يزد عليها ولا يجزي بها الا مثلها
وان ولما كان تشوف السامع الى كثير عظيما حذف منه النون بعد حرف المعطوف
عليه تقريبا للمراتب فقال تك اي الذرة حسنة اي وان صغرت يضاعفها اي يعشر
امثالها الى سبعين الى سبعماية الى ازيد من ذلك بحسب ما يعلمه من حسن العمل بحسن
النية ويوت من لدنه اي من غريب ما عنده فضلا من غير عمل لمن يريد اجرا عظيما
وسماه اجرا لابتنائه على الايمان اي فمن كان هذا شانه لا يسوغ لو اقل توجيه الهمة
الا اليه ولا الاعتماد اصلا بانفاق وغيره الا عليه ولما تم تحذيرهم من اليوم الاخر
وما ذكره من اظهار العدل واستقصايه فيه كان سببا للسوال عن حال المتكبرين
في هذه الايات اذ ذاك فقال فكيف اي يكون حالهم اذا جينا على عظمتنا
من كل امة بشهيد وجينا بك اي وانت اشرف خلقنا على هولا اي الذين ارسلناك
اليهم وجعلناك شهيدا عليهم شهيدا ثم استانف الجواب عن ذلك بقوله يوميذ
اي تقوم الاشهاد يود الذين كفروا اي ستروا ما تهدي اليه العقول من اياته
وعصوا الرسول بعد ستر ما ظهر من بيناته لو تسوى بهم الارض اي تكون مستوية
معتدلة بهم ولا تكون كذلك الا وقد غيبتهم واستوت بهم ولم يبق فيها من عوج ولا
نتو بسبب احد منهم ولا شي من اجسامهم وانما ودوا ذلك خوفا مما يستقبلهم من الفضيحة
بعتابهم ثم الاهانة بعقابهم ولما كان التقدير فلما تسوى بهم عطف عليه قوله ولا يكتمون

الله

الله اي الملك الاعظم حديثا اي شيا احدثوه بل يفتضحون بين اجنادهم ويحملون
جميع اوزارهم جزاء لما كانوا يكتمون من اياته وما نصب للناس من بيناته ولما وصف
الوقوف بين يديه في يوم العرض والاهوال الذي ادت فيه سطوة الكبريا والجلال
الى التمني للعدم ومنعت قوة يد القهر والجبروت ان يكتم حديثا وتضمن وصفه انه لا ينجو فيه
الا من كان طاهر القلب والجوارح بالايمان به والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم
وصف الوقوف بين يديه في الدنيا في مقام الانس وحضرة القدس المنجي من هول الوقوف
في ذلك اليوم والذي حضرت معاني اللطف والجمال فيه لا التفات الى غيره وامر
بالطهارة في حال التزين عن الخبايث فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالتصديق
بالرسول وبما اتوا به عن الله واولوا اولاه ان لا تشركوا به شيا من الاشراك لا تقربوا
الصلاة اي بان لا تكونوا في موضعها فضلا عن ان تفعلوها وانتم اي والحال انكم سكارى
اي غايبو العقل من الخمر او نحوها فانه يوشك ان يسبق اللسان بتمكن الشيطان بزوال
العقل الى شي من الاشراك فيكون لسانيا وان كان القلب مطمينا بالايمان فيوشك ان
يجر ذلك عليه يوم الوقوف الاكبر فان من اتى من بين يديه لا يكتم حديثا يود من نطق
لسانه بذلك لما يحصل له من الالم لو كان من اهل العدم ولما افهم النهي عن قربانها
في هذا الحال زواله بانقضايه صرح بذلك في قوله حتى اي ولا يزال هذا النهي قايما
حتى تعلموا بزوال السكر ما تقولون فلا يقع منكم حينيذ تبديل وعند الشافعي ان المراد
بالصلاة نفسها وموضعها وهو المسجد وذلك من ادلته على استعمال الشي في حقيقته ومجازه
ونهي السكران يصلي الى ان نهيهم اي يصحوا ونهي كل احد ان يكون في المسجد وهو جنب بقوله
ولا اي ولا تقربوا الصلاة بالكون محالها فضلا عنها جنبا اي متلبسين بالجنابة التي سوا
كان عن جماع او لا الا عابري سبيل اي مارين مرورا من غير مكث ولا صلاة ولا غير منع
الجنابة بقوله حتى تغتسلوا وكان للانسان حالات تعسر او تتعذر منها عليه استعمال
الما ذكرها فقال وان كنتم مرضى اي مرضا يمنع من طلب الما او استعماله او على سفر
كذلك او جا احد منكم من الغايط اي المكان المطمين الذي يقصد للتخلي اي او جا من التخلي
فقضى حاجته ولما تقدم امر الجنابة التي هي المني اعم من ان يكون بجماع او غيره ذكر هنا ما يعمها
وغيرها من وجه فقال او لامستم النسا اي بمجرد التقا البشرتين او بالجماع سوا حصل
انزال او لا فلم تجدوا ما اي اما بفقده او بالعجز عن استعماله فتيمموا اي اقصدوا
قصدا صادقا بان تلابسوا انا وبين صعيدا طيبا اي طهورا خالصا فامسحوا ولما كان
التراب لا يتمكن من جميع العضو وان اجتهد الانسان في ذلك ادخل البا في قوله بوجوهكم
وايديكم اي منه كما صرح به في المايدة والملامسة جوز الشافعي ايضا ان يراد بها المس
اي ملاقاة البشرتين الذي هو حقيقة اللمس والجماع الذي هو مسبب عن اللمس وهو مما
تحاصه هو من تسمية الكل باسم البعض حينيذ ولما نهى عما يدخل من وقوع صورة الذنب

الذي هو جري اللسان بما لا يليق به سبحانه وخفف ما كان شديدا بالتيمم ختم الآية بقوله
إن الله كان عفوا اي بترك العقاب على الذنب وكان هذا راجعا اليهما وقع حالة السكر غفورا
اي بترك العقاب ومحو الذنب حتى لا يذكر بعد ذلك اصلا وكان هذا راجعا الى التيمم فان الصلاة
معه حسنة ولولاه كانت سيئة مذكورة ومعاقبا عليها اما على تركها لمشقة استعمال الماء
عند النساهل او على فعلها بغير طهارة في بعض وجوه التنطع وذلك معنى قوله تعالى في المائدة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولما افهم سبحانه ختام هذه الآية ان التشديد في الاحكام
يكون سببا للاجرام فيكون سببا في الانتقام قرر ذلك بحال اليهود الذين اوجبت لهم
الاصار عذاب النار فقال الم تر او يقال انه لما حذر تعالى فيما مضى من اهل الكتاب
بقوله ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ومر الى ان نزل هذه الآية في من
في الصلاة لسانه فقط لا عن عمد الكلم عن مواضعه اتبعها التصريح بالتعجيب من حال المحرفين
بالقلب واللسان عمدا عمدا وانا اخبر على الله الملوح اليهم بالآية السابقة انهم يريدون لنا الضلال
عما هدينا اليه من سننهم فقال تعالى الم تر ولما كان مجمل البعد بما لهم من اللعن عن
حضرته الشريفة عبر باداة الانتهاء فقال الى الذين اوتوا وحقر امرهم بالبنا للمفعول
وبقوله نصيبا من الكتاب اي كشاس بن قيس الذي اراد الحلف بين الانصار يشترون
اي يتكلفون ويلجون بما هم فيه من رياسة الدنيا من المال والجاه ان ياخذوا الضلالة
معرضين عن الهدى غير ذاكرين بوجه وسبب كثير من ذلك ما في دينهم من الآصار والاثقال
كما اشار اليه قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة اي بسبب ما شدد عليهم فيها
بانها لا تفعل الا في المواضع المبنية لها وغير ذلك من انواع الشدة وكذا غيرها المشار اليه بقوله
تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وغير ذلك ولما ذكر ضلالهم اتبعه ما يدل على اغراقهم فيه فقال
مخاطبا لمن يمكن توجه هممهم بالاضلال اليه ويريدون ان تضلوا اي يا ايها الذين امنوا
السبيل حتى تساووهم فلذلك يذكرونكم بالاحقاد والاضغان والانكاد كما فعل شاس بن قيس محبة
فيكم ويلقون الكلم الشديد فالله اعلم بهم حيث حذركم منهم بقوله لا يالونكم خبالا وما بعده
الى هنا والله اعلم باعدائكم اي كلهم هؤلاء وغيرهم ولما كان كل من قبيلتي الانصار قد
والوا ناسا من اليهود ليعتزوا بهم ويستنصروهم قال تعالى فاطما لهم عن موالاتهم وكفى اي والحال
انه كفى به هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الاسم الاعظم ليستحضر عظمته فيستهان امر الاعداء
فقال بالله وليا اي قريبا يفعل جميع ما يفعله القريب الشفيق ولما كانت النصرة
اعظم ما يحتاج الى الولي فيه افردها بالذكر مكررا الاسم الاعظم اهتماما بامرها فقال وكفى بالله
نصيرا اي لمن والاه فلا يضره عداوة احد ولما وفرت هذه الآيات الدواعي على تعيين
هؤلاء الذين يريدون الاضلال قال من الذين هادوا ثم بين ما يضلون به ويضلون بقوله
يحرفون الكلم اي الذي اتى به شرعهم من صفة النبي الامي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه وامته
وغير ذلك مما يريدون تحريفه لغرض يبالغون في امالته وتغييره عن حده وطرفه الى حد اخر

مجاوزين عن ولما كانت الكلم لو انبرت تبعها الكلام وهو المقصود بالذات نبه على ذلك
بتذكير الفعل فقال مواضعه اي التي هي له ليتم ضلالهم واضلالهم ويقولون سمعنا
اي ما تقول وعصينا موهمين انهم يريدون ان ذلك حكاية ما وقع لاسلافهم قديما وانما
يريدون انهم سمعوا ما يقول وخالفوه عمدا لظن من سمع ذلك انهم على بصيرة في المخالفة بسبب
ما عندهم من العلم الرباني ليورثه شكا في امره وحوجي سائلكم واسمع غير مسمع موهمين عدم
اسماعه ما يكره من قولهم فلان اسمع فلانا الكلام وانما يريدون الدعاء كما يقال اسمع لا سمعت
وراعنا موهمين ارادة المراعات لهم ولا قبال عليهم وانما يريدون الشتم بالرعونة ولذلك
قال ليا بالسنتهم اي صرفا لها عن مخارج الحروف التي يحق لها في العربية الى ما يفعله
العبرانيون من تغليظ بعض الحروف وشوب بعضها بغيره لارادة معاني عندهم قبيحة
مع احتمالها لارادة معان غير تلك يقصدها العرب مليحة وطعنا في الدين اي بما
يفسر وبها بر لمن يطعنون فيه من تلك المعاني الخبيثة ولما ذكر هذه الكلمات الموجهة بين
ما كان عليهم لو وفقوا فقال قاطعا لجدالهم ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا اي بدل الكلمة
الاولى واسمع وانظرنا بدل ما بعدها لكان اي هذا القول خيرا لهم اي من ذلك لعدم استجلابهم
الاثم واقوم اي لعدم احتمال الذم ولكن لعنهم الله اي طردهم وابعدهم عن الخير بكفرهم
فلم يقولوا ذلك ولما سبب عن طردهم استمرارهم كفرهم قال فلا يؤمنون اي يجددون الايمان
الا قليلا اي منهم فانهم يؤمنون او من ايمانهم ببعض الآيات التي لا ينفعهم لكفرهم بغيره ولما
بكتهم على فعلهم وقولهم وصرح بلعنهم خوفهم اظهار ذلك في الصور المحسوسات فقال مقبلا عليهم
اقبال المغضب يا ايها الذين مناديا لهم من محل البعد اوتوا الكتاب لم يسند الايتاء
اليه تحقيرا لهم امنوا بما نزلنا اي على ما لنا من العظمة التي ظهرت في اعجازه واخباره المغيبات
ودقائق العلوم بما عندكم وغير على رشاقته وايجازه واعلم بعنادهم وحسدهم بقوله مصدقا
لما معكم من حيث انهم له مستحضرون وبه في حد ذاته معترفون ولما امرهم وقطع حجتهم حذرهم
فقال من قبل ان نطمس اي نمحو وجوها فان الطمس في اللغة المحو وهو يصدق بتغيير بعض
الكيفيات ثم سبب عن ذلك قوله فنردها فالتقدير من قبل ان نمحو اثر وجوه بان نردها
على ادبارها اي بان نجعل ما الى جهة القبل من الراس الى جهة الدبر وما الى الدبر
الى جهة القبل مع ابقاء صورة الوجه على ما هي عليه ويكون الوجه في هذا التقدير على
حقيقته ثم خوفهم نوعا اخر من الطمس فقال عاطفا على نردها او نلعنهم اي نبعدهم
جدا عن صورة البشر بان نقلب وجوههم او جميع ذواتهم على صورة القردة كما لعنا اصحاب
السبت اذ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ويكون الوجه في هذا التقدير الاخير عبارة
عن الجملة فهو اذن مما استعمل في حقيقته ومجازه ويجوز ان يكون واحد لوجها فيكون
عود الضمير عليه استخداما والله اعلم ولما كان ذلك امرا عظيما ومقدورا عجيبا وقد
كان التقدير فقد كان امر الله فيهم بذلك كما علمتم نافذا اتبعه الاعلام بان قدرته شاملة

وان وجوه مقدره وارادته لا تنحصر فقال عاطفا على ما قدرته وكان امر الله اي حكمه وقضاؤه
ومراده في كل شي شاءه منهم ومن غيرهم بنسخ وبغيره مفعولا اي كاينا حتما لا يخلف
له اصلا ولما كانوا مع ارتكابهم العظايم يقولون سيغفر لنا وكان امتنانهم لتحريفهم اجابهم
وربما نهم شركا بالله قال معللا لتحقيق وعيدهم معلما ان ما اشير اليه من تحريفهم
اداهم الى الشرك ان الله اي الجامع لصفات العظمة لا يغفر ان يشرك به وزادهم
ذلك حسنا انه في سياق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا ولما اخبر تعالى بعدله اخبر
بفضله فقال ويغفر ما دون ذلك وذهب بقوله اعلاما بانه مختار لا يجب عليه
شي لمن يشا ولما كان التقدير فان من اشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اعطف عليه
قوله ومن يشرك اي يوجد منه شرك في الحال او المال واما الماضي فحسد التوبة
بالله اي الذي كل شي دونه فقد افترى اثما عظيما اي ظاهرا في نفسه من جهة عظمه
انه قد ملا اقطار نفسه وقلبه وروحه وبدنه مظهرا للغرابة اثم فهو في نفسه
مناد بانه باطل مضر فلم يدع للصلح موضعا فلم تقتض الحكمة العفو عنه لانه قادح في الملك
وانما طوى مقدمة الضلال وذكر مقدمة الافترى لكون السياق لاهل الكتاب الذين
ضلالهم على علم منه وتعمد وعناد بخلاف ما ياتي عن العرب وفي التعبير بالمضارع استكفاف
مع استعطاف واستجلاب في استرهاب ولما كان في ذلك اشارة الى ان المراد من هذه الايات
من اهل الكتاب اضل الناس وكانوا يقولون انهم اهدى الناس تعجب منهم منكرا عليهم
بعد افترايهم تزكية انفسهم فقال الم تر وابعدهم بقوله الى الذين يزكون انفسهم اي بما
ليس لهم من قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى ونحن ذلك مما تقدم وغيره ولما كان معنى الانكار ليس لهم ذلك لانهم كذبوا فيه وظلموا اثما
اليه بقوله بل الله اي الذي له صفات الكمال يزكي من يشا اي بما له من العلم التام والقدرة
الشاملة والحكمة البالغة والعدل السوي ولا اي والحال ان الذين يزكيهم او يدسيهم لا يظلمون
فتيلا مقدار ما في شق النواة من ذلك الشي المفتول لانه عالم بما يستحقون وهو الحكم العدل الغني
عن الظلم لان له صفات الكمال ولما اخبر تعالى ان التزكية انما هي اليه بما له من العلم الشامل
وكان ذلك امرا لا نزاع فيه وشهد عليهم بالضلال وثبت ان ذلك كلام مدعما ليس له من الاعجاز في
حالتي الاطناب والايجاز ثبت كذبهم فزاد في توبيخهم بذلك فقال انظر كيف يفترون يتعمدون
على الله الكذب اي من غير خوف منهم لسو عاقبته وكفى اي والحال انه كفى به اي بهذا الكذب
اثما مبينا اي واضحا في نفسه ومناديا عليها بالبطلان ولما تعجب من كذبهم دل عليه بقوله الم تر وكان
الاصل اليهم ولكنه قال لزيادة التقريع والتوبيخ والاعلام بان كفرهم عنادا لكونه عن علم
الى الذين وعبر بالى دلالة على بعدهم عن الحضرات الشريفة اوتوا نصيبا من الكتاب اي
الذي هو الكتاب في الحقيقة لكونه من الله يومنون بالجبت وهو الصنم والكاهن والساحر
والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله والطاغوت وهو اللات والعزى والكاهن

اي تعمد الكذب بالحج

والشيطان

والشيطان وكل راس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله وكل هذه المعاني تصح ارادتها
هنا وهي مما نهي عنه في كتابهم واصله ومداره مجاوزة الحد عدوانا ولما دل على ضلالهم
دل على اضلالهم بقوله معبرا بصيغة المضارع دلالة على عدم توبتهم ويقولون للذين
كفروا ودل التعبير بالاشارة دون الخطاب على انهم يقولون ذلك فيهم حتى في غيبتهم
حيث لا حامل لهم على القول الا محض الكفر فقال هؤلاء اي الكفرة العابدين للاصنام
اهدى اي اقوم في العدالة من الذين امنوا سبيلا مع ان في كتابهم من ابطال الشرك
وهدمه مدانيه في غير موضع تاكيدا اكيدا وامرا عظيما شديدا ولما انتج ذلك خزيهم قال
اولئك اي البعدا عن الحضرات الربانية الذين لعنهم الله اي طردهم بجميع ما له من صفات
الكمال طردا هم جديرون بان يختصوا به ولما كان قصدهم بهذا القول مناصرة المشركين
لهم وكان التقدير فنالوا بذلك اللعن الذل والصغار عطف عليه قوله ومن يلعن الله
اي منهم ومن غيرهم فلن تجد له نصيرا اي في وقت من الاوقات اصلا وكرر التعبير
بالاسم الاعظم لان المقام يقتضيه اشعارا بتناهي الكفر الذي هو اعظم المعاصي بتناهي
الغضب ولما كان التقدير الذلك كان للمن الزامهم الذل والصغار عطف عليه قوله
ام لهم نصيب اي واحد من الانصبا من الملك فاذا اي فيتسبب عن ذلك انهم اذا كان
لهم ادنى نصيب منه لا يوتون الناس اي الذين امنوا نقيرا اي شيا من امر الدنيا
ولا اخرة من هدى ولا من غيره والنقير النقرة في ظهر النواة تيل غاية في القلة
ام ليس لهم نصيب ما من الملك بل ذلهم لازم وصغارهم ابدا كاين دايم فهم يحسدون
الناس اي العرب الذي لا ناس الان غيرهم لانا فضلناهم على العالمين بان يتمنوا دوام ذلهم
كما دام لهم هم ودل على نهاية حسدهم باداة الاستعلاء في قوله على ما اتاهم الله اي بما له
من صفات الكمال من فضله حسدوهم لما راوا وامن اقبال سعدهم وظهور سعدهم
وانهم سادة الناس وقادة اهل الندى والباس ان العرانيين تلقاها محسدة ولن
ترى للئام الناس حسادا ولما تسبب عن هذا توقع السامع لاعلا العرب واذامة
ذلك اليهود وموهم بحسدهم قال فقد اي فتسبب عن هذا وتعقبه انا قد اتيناهم
هكذا كان الاصل ولكنه اظهر للتنبيه على الوصف الذي شاركوهم به في استحقاق الفضايل
فقال اتينا اي بما لنا من العظمة ال ابرهيم اي الذي اعلمناكم في كتابكم انا اقسمنا له انا
نعني ذريته ونهدي بهم ونجعل ابنه اسمعيل حالا على جميع حدود اخوته ويده في جميع الناس
ويده على كل يد كل بر الكتاب اي الذي هو كتاب الا وهو لما له من الفضل والحفظ بالاعجاز
والفضل والحكمة اي النبوة التي لا يترقبها العمل المتقن بالعلم المحرر الحكم ملكا عظيما مع ذلك
ملكا عظيما اي ضخما واسعا باقيا الى ان تقوم الساعة فمنهم اي من ال ابراهيم من امن به
وهم اغلب العرب ومنهم من صد عنه اي اعرض بنفسه وصد غيره كبني اسرايل وبعض
العرب ولما كان قد علم من السياق ان الطاعن فيه يبث بحسده من غير ان يقدم بامر دينيّ

تها

واتيناهم م

وكان التقديس لبيان امرهم في الاخرة فحكمنا ان تسوءهم النار بعد الذل في هذه الدار والهوان والصغار عطف عليه قوله وكفى بجهنم سعيرا وفي اية الطاغوت انهم سمحوا بذل الدين وهو لا اعز منه عند الانسان في شهادتهم الكفرة بالهداية وفي اية الملك لا سيما الى انهم في الحضيض من الشح بالخسيس الفاني وفي اية الحسد انهم لم يكفهم التوطن في حضيض الشح بما اوتوا من الغنى حتى سفلوا عنه الى ادنى من ذلك بالحسد لمن اتاه الله ما لا ينقصهم ولما اثبت لمن صد عنه النار علله بقوله ان الذين كفروا باياتنا اي ستر ولما اظهرته عقولهم بسببها سوف نصليهم اي بوعيد ثابت وان طال معه الامهال نارا ولما كانت النار على ما يفهمه معنيه بما حفه استانف قوله رد الذلك نارا كلما نضجت جلودهم اي صارت نحوها اي حالة اللحم النضيج الذي ادرك ان يوكل فصارت كاللحم الميت الذي يكون في الجرح ولا يحس بالالم بدلناهم اي جعلنا لهم جلودا غيرها اي غير النضيجة بدلا منها بان اعدناها الى ما كانت عليه قبل تسليط النار عليها ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم تجدد ذوقه فتتجدد لهم مشاهدة الاعادة بعد البلى كل وقت كما كانوا يجددون التكذيب بذلك كل وقت ليكون الجزاء من جنس العمل ولما كان هذا امرا لم يعهد مثله دل على قدرته عليه بقوله ان الله اي الملك الاعظم كان ولم يزل عزيزا اي يغلب كل ولا يغلبه شي حكيما اي يتقن صنعه فجعل عذابهم على قدر ذنوبهم لان عزايمهم كانت على دوامهم على ما استحقوا به ذلك ما بقوا ولما ذكر الترهيب بعقاب الكافرين اتبعه الترغيب بثواب المومنين فقال والذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا بيانا لصدقهم فيه الصالحات سندخلهم اي بوعد لا خلف فيه وربما افهم التنفيس لهم بالسين دون سوف كما في الكافرين انهم اقصر الامم مدة او انهم اقصرهم اعمارا راحة لهم من دار الكدر الى محل الصفا جنات اي بساتين ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم نضرتها وزهرتها فقال تجري من تحتها الانهار اي ان ارضها في غاية الري كل موضع منها صالح لان يجري منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها اتبعه ما تهواه النفوس من استمرار الاقامة بها فقال خالدين فيها ابدا ولما وصف حسن الدار ذكر حسن الجار فقال لهم فيها ازواج مطهرة اي من كل طهرها لا توجد وقتا ما على غير ذلك ولما كانت الجنان في الدنيا لا يحس الا بتمكن الشمس منها وكانت الشمس تنسخ الظل فتخرج الى التحول الى مكان اخر وربما ادى حرها الى شي من ذلك فيها بقوله وندخلهم اي فيها ظلا ظليلا اي لا تصيبه الشمس يوما ما ولما تقدم في هذه السورة الامر بالاحسان والعدل في النسا واليتامى في الارث وغيره وفي غير ذلك من الدما والاموال والاقوال والافعال وذكر خيانة اهل الكتاب وما احل لهم لذلك من العقاب وذكر انه اتى هذه الامة الملك المقتضي للحكم واتاهم الحكمة بعد جهلهم وضعفهم اقبل عليهم بلذيذ خطابه بعدما وعدهم على امتثال امره من كريم ثوابه بما ختمه بالظل الموعود على العدل فقال ان الله يامركم اي ايتها الامة ان تودوا الامانات الى اهلها اي من غير خيانة كما فعل اهل الكتاب وحقق لهم ما لم يكونوا يرومونه من امر الملك بقوله باداة القطع واذا حكمتم

وبين

وبين عموم ملكهم بسائر الامم بقوله ان تحكموا بالعدل اي فان ذلك من اعظم الصالحات الموجبة لحسن المقيل في الظل الظليل اخرج الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث ولما اخبرهم بامر زادهم رغبة بقوله ان الله معبرا ايضا بالاسم الاعظم نعما يعظكم به وحثهم على المبادرة الى حسن السمع لكل ما يقولونه ترجوا بالامر وغير ذلك بصيرا اي بالغ البصر والعلم بكل ما يفعلونه في ذلك وغيره من امتثال وغيره ولما امر سبحانه بالعدل ورغب فيهم ورهب من ترك امره بطاعة المنتصبين لذلك الحاملين لهم على الرفق بهم والشفقة عليهم فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان وبدا بما هو العمدة في الحمل على ذلك فقال اطيعوا اي تصديقا لدعواكم الايمان ايكم الله اي مستحضرين ما له من الاسما الحسنى وعظم رتبة نبيه صلى الله عليه وسلم باعادة العامل فقال واطيعوا الرسول لان منصب الرسالة مقتض لذلك ولهذا عبر به دون النبي واولي الامر منكم اي الحكام فان طاعتهم من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته من طاعة الله عز وجل هذا في الامور البينة فان تنازعتم في شي اي لالتباسه فردوه الى الله والرسول اي بالبحث عن اثار رسالته من نص او دليل او قياس واكد البيان لدعوى الطاعة بقوله ان كنتم تومنون اي دائمين على الايمان بتجديده في كل اوان بالله واليوم الاخر الحامل على الطاعة الحاجز عن المعصية ثم دل على عظمة هذا الامر وعميم نفعه بقوله ذلك خير اي وغيره شر واحسن تاويلا اي ترجيعا من ردكم الى ما يقتضيه توهم العقل من غير ملاحظة الاثار الرسالية من الكتاب والسنة فان في الاحكام ما لا يستقل العقل بادراكه الا بمعونة الشرع ولما كان التقدير كالمحمد اخر الاسد اشعر به اولها فمن ابى ذلك فليس بمومن دل عليه بقوله معجبا مخاطبا لاكمل الخلق الذي عرفه الله المنافقين في لحن القول المرتو واشار الى بعدهم عن علي حضرته السما بقوله الى الذين والى كذبهم ودوام نفاقهم بقوله يزعمون انهم امنوا بما انزل وما اي ويزعمون انهم امنوا بما انزل من قبلك اي من التورية او الانجيل يريدون ان يتحاكموا اي هم وغيرهم الى الطاغوت اي الباطل المعرق في البطلان وقد اي والحال انهم قد امروا بمنزلته من ان يكفروا به في كل ما انزل من كتابك وما قبله ويريد الشيطان بارادتهم ذلك التحاكم ان يضلهم ضلالا بعيدا بحيث لا يمكنهم معه الرجوع الى الهدى ولما ذكر ضلالهم بالارادة ذكر فعلهم فيه فقال واذا قيل لهم اي من اي قايل كان تعالوا اي اقبلوا رافعين انفسكم من وهاد الجهل الى شرف العلم الى ما انزل الله اي الذي عنده كل شي والى الرسول اي الذي يجب طاعته لاجل مرسله رايتهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف الذي دل عليه كذبهم فيما زعموه من الايمان فقال رايت المنافقين يصدون اي يعرضون عنك واكد ذلك بقوله صدودا ولما تسبب عن هذا تهديدهم قال مهولا لوعيدهم بالابهام والتعجيب منه بالاستفهام فكيف اي يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي هايلة بما قدمت ايديهم مما ذكرنا ومن غيره ولما كان الذي ينبغي ان

بالامتثال بقوله ان الله مكررا للفظ الاسم الشريف كان سميعا اي بالغ صح

يكون تناقضهم بعيدا لان الكذب عند العرب كان شديدا قال جاؤك اي حال كونهم
يحلفون بالله اي الحاوي لصفات الكمال من الجلال والجمال غير مستحضرين لصفة من صفاته
ان اي اردنا اي في جميع احوالنا وبسائر افعالنا الا احسانا وتوفيقا اي ان نكون الا
على الوجه الاحسن والاوفق لما راينا في ذلك خفي على غيرنا ولما ذكر سبحانه بعض ما يصدر منهم
من التناقضات وهم غير محتشمين ولا هائبين قال معلما بشانهم معلما لما يصنع بهم
اوليك اي البعدا عن الخير الذين يعلم الله اي الحاوي لنعوت العظمة ما في قلوبهم اي وان
اجتهدوا في اخفايه ثم سبب عنه اعلاما بانهم لا يضرون الا انفسهم قوله فاعرض
عنهم اي عن عقابهم وعن الخشية منهم وعن عقابهم لانهم اقل من ان يحسب لهم حساب
وعظهم اي وان ظننت ان ذلك لا يوثر لان القلوب بيد الله يصطنعها لما اراد متى اراد
وقل لهم في انفسهم اي بسببها وما يشرح احوالها وبين نقايصها من نقايصها قولا بليغا
اي يكون في غاية البلاغة في حد ذاته ولما كان التقدير في ارسلناك وغيرك من الرسل الا
للرفق بالامة والصفح عنهم والدعا لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله وما ارسلنا
ودل على الاغراق في بر من المعجزات الاستغراق بقوله من رسول ولما كان ما يوتيهم
سبحانه من الايات ويميزهم به من المعجزات حاملا في ذاته على الطاعة شبهه بالحامل
على ارساله فقال الا ليطاع اي لان منصبه الشريف مقتض لذلك امر به داع اليه باذن
الله اي بعلم الله وتمكينه من ان يطاع لما جعلنا له من المزية بالصفات العلية والمناصب
الجليلة والاخلاق الشريفة كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبيا نبي الا وقد اوتي
من الايات ما مثله امن عليه البشر اخرجه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ولما
كان التقدير فلو اطاعوك لكان خيرا لهم عطف عليه قوله ولو انهم اذ اي حين ظلموا انفسهم
جاؤك اي مبادرين فاستغفروا الله اي عقبوا مجيهم بالاستغفار لما استحضروه من
الجلال واستغفر لهم الرسول اي ما فرطوا بعصيانه فيما استحقه عليهم من الطاعة
لوجدوا الله اي الملك الاعظم توابا رحيما اي بليغ التوبة على عبده والرحمة لهم ولما
افهم ذلك ان اباهم لقبول حكمه والاعتراف بالذنب له به سبب مانع لهم من الايمان
فقال فلا وربك اي المحسن اليك لا يومنون اي يجدون هذا الوصف ويجددونه
حتى يحكموك اي يجعلوك حكما فيما شجر بينهم ولما كان الاذعان للحكم بما يخالف الهوى
في غاية الشدة على النفس اشار اليه باداة التراخي فقال ثم لا يجدون في انفسهم
حرجا اي نوعا من الضيق مما قضيت اي عليهم به والكرا اسلامهم لانفسهم بصيغة
التفعيل فقال ويسلموا ثم زاده تاكيدا بقوله تسليما ولما كان التقدير فقد كتبنا
عليهم طاعتك والتسليم لك في هذه الحنيفية السمحة التي دعوتهم اليها وحملتهم عليها
عطف عليه قوله ولو انا كتبنا عليهم اي كتابة مفروضة ان اقتلوا انفسكم اي
كما كان في التوبة في كفارة بعض الذنوب او اخرجوا من دياركم اي التي هي لاشيا

حكم كاشياحكم لا اروا جكم توبة لربكم ما فعلوه اي لقصور ايمانهم وضعف ايقانهم
ولو كتبناه عليهم ولم يرضوا به كفروا فاستحقوا القتل ولما كان كل كدر لا يخلوا عن
خلاصة قال الا قليل منهم اي وهم العالمون بان الله تعالى خير لهم من انفسهم
وان حياتهم انما هي في طاعته ولما كان مبنى السورة على الايتلاف وكان السياق للاستعطاف
قال مرغبا ولو انهم فعلوا ما يوعظون اي يجدد لهم الوعظ في كل حين به لكان اي
فعلهم ذلك خيرا لهم اي مما اختاروه لانفسهم واشد تثبيتا اي مما ثبتوا به انفسهم
بالايمان الحاصل واذا لاتيناهم اي واذا فعلوا ما يوعظون به اتيناهم بما لنا من
العظمة ايتا موكدا لا مرية فيه واشار بقوله من لدنا الي انه من غرايب ما عندنا من خوارق
العادات ونواقض المطردات اجرا عظيما ولهديناهم اي بما لنا من العظمة صراطا
مستقيما اي يوصلهم الي مرادهم ولما رغب في العمل بمواعظه وكان الوعظ قد يكون
لغلظ في الموعوظ وكان ما قدمه في وعظه امرا مجملا رغب في مطلق الطاعة مفصلا اجمال
ما وعد عليها فقال ومن يطع الله اي في امتثال اوامره والوقوف عند زواجره مستحضرا
عظمته والرسول اي في كل ما اراده فان منصب الرسالة يقتضي ذلك فاوليك اي العالو
الرتبة العظيمو الشرف مع الذين انعم الله اي بما له من صفات الجلال والجمال عليهم
ثم بينهم بقوله من النبيين اي الذين انبأهم الله بدقايق الحكم وانبأوا الناس بجلايل
الكلم بما لهم من طهارة الشيم والعلو والعظم والصديقين اي الذين صدقوا ما اتاهم
من الله وصدقوا في اقوالهم وافعالهم والشهدا اي الذين لم يغيبوا اصلا عن حضرات
القدس ومواطن الانس طرفة عين لهم مع الناس بجسومهم ومع الله بحلومهم وعلومهم
والصالحين اي الذين لا يعتريهم بحول الله فساد اصلا ولما اخبر ان المطيع مع هولاء دل
على علو مقامهم فصرح بهم في قوله وحسن اي وما احسن اوليك اي العالو الاخلاق
السابقون يوم السباق رفيقا ثم اشار الي تعظيم ما يحبهم به باداة البعد فقال
ذلك الفضل وزاد في الترغيب فيه بالاسم الاعظم فقال من الله ولما كان مدار
التفضيل من فضله على غيره ولما دل على درجة الشهادة بعدما ذكر من ثواب من
قبل موعظته ولو في قتل نفسه وذم من ابي ذلك بعد ما حذر من الاعدا من اهل الكتاب
والمشركين والمنافقين الخادعين فتوفرت دواعي الراغبين في المكارم على ارتقايها التفت
الي المومنين ملذذا لهم بحسن خطابه نادبا الى الجهاد مع الارشاد الي الاستعداد له بما
يردع الاضداد فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان خذوا حذركم اي
من الاعدا الذين ذكرتهم لكم وحذرتكم منهم المنافقين منهم والمنافقين فانفروا اي اخرجوا
تصديقا لما ادعيتم الي الجهاد هم مسرعين ثبات اي جماعات متفرقين او انفروا جميعا اي
عسكرا واحدا فكانه قال خففت عنكم قتل الانفس على الصفة التي كتبتها على من قبلكم ولم
امركم الا بما تالفونه وتتمادحون به فيما بينكم وتذمون تاركه من موارد القتال الذي هو

على العلم قال وكفى بالله عليما
يعلم من الضماير والظواهر
ما يستحق به التفضيل صح

صناع الابطال ومشارع فحول الرجال وجعلت للباقي منكم المحبوبين من الظفر وحل المغنم
وللماضي احب المحبوب وهو الدرجة التي ما بعدها الا درجة النبوة مع انه لم ينقص من اجله
شي ولو لم يقتل في ذلك السبيل المرضي لقتل في غيره في ذلك الوقت ولما كان التقدير فان منكم
الخارج الي الجهاد عن عزم حزم ولا حذر عطف عليه قوله مبينا لما هو من اجل مقاصد هذه
الايات من تبكيت المنافقين للتحذير منهم و وصفهم ببعض ما يمحقون وان منكم وعزبا لمن ليبطين
اي يتثاقل في نفسه عن الجهاد ويامر غيره بذلك امرا موكدا اظهارا للشفقة عليكم وهو عين
الغش فان يمي الضعف المودي الي الجراة العدو المفضي الي التلاشي ولما كان لمن تثاقل
عنهم حالتا نصر وكسر سبب عن تثاقله قوله مقسما لقوله فيهما فان اصابتكم مصيبة
اي في وجوهكم الذي قعد واهنه قال ذلك القاعد جهلا منه وغلظه قد انعم الله علي اذ
اي حين اولاني لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا ولين اصابكم فضل من الله ولما كان تحسره
انما هو علي فوات الاغراض الدنيوية اكد قوله ليقولن في غيبتكم كان لم شبها حاله بحال
من لم يكن بينكم وبينه مودة اي بسبب قوله يا ليتني كنت معهم فافوز اي بمشاركتهم في
ذلك فوزا عظيما وذلك لانه لوكان ذا مودة لقال حال المصيبة يا ليتها لم تصبهم ولو كنت معهم
لدافعت عنهم وحال الظفر لقد سرني عزهم ولكنه لم يجعل محط همه في كلتا الحالتين غير المطلوب
الدنيوي ولعله خص الحالة الثانية بالتشبيه لان ما نسب اليه فيها لا يقتصر عليه محب واما
الحالة الاولى فربما اقتصر المحب فيها علي ذلك قصد اللبقا لاخذ الثار ونكال الكفار
ولما بين ان محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا علم ان مقصد المجاهد الاخرة فسبب عن
ذلك قوله فليقاتل في سبيل الله اي بسبب سبيل طريقه وحوط الناس عليه الذين
يشرون اي يبيعون برغبة ولجاجة الحيوة الدنيا فيتركونها بالاخرة ولما كان التقدير
فانه من تخلف عن الجهاد فقد رضي في الاخرة بالدنيا عطف عليه قوله ومن يقاتل في
سبيل الله اي فيريد اعلا كلمة الله فيقتل اي في ذلك الوجه وهو علي تلك النية او يغلب
اي الكفار فيسلم فسوف نوتيه اي بوعد لا خلف فيه وربما دل التعبير بسوف علي طول
عمر المجاهد غالبا خلافا لما يتوهمه كثير من الناس اعلاما بان المدار علي فعل الفاعل
المختار لا علي الاسباب اجرا عظيما اي في الدارين واقتصار علي هذين القسمين حث علي
الثبات ولو كان العدو اكثر من الضعف فكم من فية قليلة غلبت فية كثيرة والله يويد
بنصره من يشا والله مع الصابرين ولما كان التقدير فالكم لا تقاتلون في سبيل الله لهذا
الاجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد وكانوا يقولون انا لا نعطي الميراث الا لمن يحمي الدمار
ويذب عن الجار ويمنع الحوزة قال عاطفا علي هذا المقدر ملهبا لهم ومهيجا ومبكتا للقاعدين
وموبخا وما اي واي شي لكم من دنيا او اخرة حال كونكم لا تقاتلون اي تجددون
القتال في كل وقت لا تملونه في سبيل الله اي بسببه وبسبب المستضعفين من
الرجال والنسا والولدان اي المسلمين الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وكانوا يعذبونهم

ويعيبونهم

ويعيبونهم عن دينهم وكل منهما كاف في بعث ذوي الهمم العالية والمكارم علي القتال
ثم وصفهم بما يهيج الي نصرهم ويحث علي عنايتهم فقال الذين يقولون اي لا يفترون ربنا
اي ايها المحسن الينا اخرجنا من هذه القرية ثم وصفوها بالحامل علي هذا الدعا
فقالوا الظالم اهلها اي بما تيسر لنا من الاسباب واجعل لنا من لدنك اي من
امورك العجيبة وليا يتولي مصالحنا ولما كان الولي قد لا يكون فيه قوة النصر قالوا
واجعل لنا من لدنك نصيرا اي بليغ النصر فكان بهذا الكلام كانه سبحانه قال قد
جعلت لكم الحظ الاوفر من الميراث فما لكم لا تقاتلون في سبيل شكر النعمة وان
ما تدعون من الحمية والحماية ما لكم لا تقاتلون في نصر هولا الضعفا لتحقق حمايتكم
للذمار ومنعكم للحوزة وذبكم عن الجار ولما اخبر عن افتقارهم الي الانصار وظلمهم
من الكفار استانف الاخبار عن الفريقين فقال الذين امنوا اي صدقوا
في دعواهم الايمان يقاتلون اي من غير فترة اصلا في سبيل الله اي لحماية الذمار وغيره
والذين كفروا يقاتلون اي كذلك في سبيل الطاغوت ولما كان الطاغوت الشيطان
وكان كل من عصي الله منه وممن اغواه حقيرا سبب عن ذلك قوله فقاتلوا اوليا الشيطان
ثم علل الجراة عليهم بقوله ان كيد الشيطان اي الذي هو راس العصاة كان
ضعيفا ولما عرفهم هذه المفاوز الاخروية والمفاخر الدنيوية وختم بما ينهض الجبان
ويقوي الجنان ورغبهم بما شوق اليه من نعيم الجنان عجب من حال من توانى بعد
ذلك واستكان فقال تعالي مقبلا بالخطاب علي العبد خلقة لدوا طواعيتهم من الم تر
واشار الي انهم بمحل بعد عن حضرته تنهيضا لهم بقوله الي الذين قيل لهم اي جوابا
لقولهم انا نريد ان نبسط ايدينا الي الكفار بالقتال لان امتحاننا بهم قد طال كفوا
ايديكم اي ولا تبسطوها اليهم فانا لم نامر بهذا واقيموا الصلاة اي صلة بالخالق
اي صلة للخلايق لما كتب عليهم القتال اي الذي طلبوه وهم يومرون بالصفح كتابة
لا تنفك الي اخر الدهر اذا فريق اي بلزم عن فعلهم الفرقة فاجا هذا الكتب بانهم
منهم يخشون الناس اي الذين طلبوه وهم يومرون بالصفح هم مثلهم ان ينصروهم
والحال انه يقبح عليهم ان يكونوا اجرا منهم وهم ناس مثلهم كخشية الله اي مثل ما يخشون
الله الذي هو القادر لا غيره وكما كان كفهم عن القتال شديدا يوجب لمن يراه منهم
ان يظن بهم من الجبن ما يتردد في الموازنة بين خوفهم من الناس وخوفهم من الله
عبر باداة الشك فقال او اشد خشية اي او كانت خشيتهم لهم عند الناظر لهم
اشد من خشيتهم من الله وايد ما تقدم من الظن بقوله وقالوا ربنا اي ايها المحسن
الينا القريب منا لم كتبت علينا القتال اي ونحن ضعفا لولا اي هلا اخرتنا اي عن
الامر بالقتال الي اجل قريب اي لناخذ راحة مما كنا فيه من الجهد من الكفار بمكة وسبب
نزولها ان عبد الرحمن بن عوف والمقداد ابن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي

وقاص وجماعة رضي الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون يا رسول الله ايذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكوة فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم حكاه البغوي عن الكلبي وحكاه الواحدي عنه بنحو وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الرحمن بن عوف واصحابه رضي الله عنهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما امنا صرنا اذلة فقال اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم فلما حوله الله الى المدينة امره بالقتال فكفوا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الاية ولما اتجه عليه الصلاة والسلام منهم انكارا عليهم كان كانه قال فما اقول لهم فامر بوعظهم وتضليل عقولهم فقيل اراهم بقوله قل متاع الدنيا قليل اي ولو فرض انه مد في اجالكم الى ان تملوا الحياة والاخرة خير لمن اتقى اي ولو فرض لانها لا يفنى نعيمها ولا تظلمون فتيلا اي لا في دنياكم بان تنقص اجالكم نقصا لكم ولا ارزاقكم باستقبالكم ولا في اخرتكم بان يضيع شيء من ثوابكم على ما تقالونه من المشقة لانه سبحانه حكيم لا يضيع شيئا في غير موضعه ولا يفعل شيئا الا على قانون الحكمة فما لكم تقولون قول المتهم لم فعلت اتخشون الظلم في ايجاب ما لم يجب عليكم او في نقص الرزق او العمر تعالى الله عن ذلك بل هو مع ان سنته العدل وله ان يفعل ما شاء لا يسئل عما يفعل يحسن ويعطي من اقبل احسانه اتم الفضل ولما زهدهم في دار المتاعب والاكدار على تقدير طول البقا وكانوا كانهم يرجون بترك القتال الخلود او تاخير موت بسببه القتال نبههم على ما يتحققون من ان المنية منهل لا بد من وروده في الوقت الذي قدر له ان امتنع الانسان منه في الحصون او رمى نفسه في المتالف فقال تعالى مجيبا لهم عن الجواب بعد ما اورد الجواب الاول على سبيل التنزل اينما تكونوا يدرككم الموت اي فانه طالب لا يفوته هارب ولو كنتم في بروج اي حصون برج داخل برج او كل واحد منكم في برج ولما كان ذلك تقديرا جميعا ناسب التشديد المراد به الكثرة في مشيدة اي مطولة لكل واحد منها شاهق في الهوا منيع وهو مع ذلك مطلي بالشيد الى ما لا حد فلا خلل فيه اصلا ويجوز ان يراد بالتشديد مجرد الاتقان بمعنى انها مبالغ في تحصينها لان السياق ايضا يقتضيه ثم عطف ما بقي من اقوالهم على ما سلف منها في قوله ربنا لم كتبت علينا القتال الى اخره وان كان هذا الناس منهم غير الاولين فقال وان تصبهم اي بعض المدعوين من الاية حسنة اي شيء يعجبهم ويحسن وقعه عندهم يقولوا هذه من عند الله اي لا دخل لك فيها وان تصبهم سيئة اي حالة تسوءهم يقولوا هذه من عندك اي تطيرا بك ولما كان هذا امرا قادحا وللفؤاد محرقا وقادحا سهل عليه بقوله قل كل من السيئة والحسنة في الحقيقة من عند الله وذلك كما قالوا لما مات ابو امامة اسعد الناس ابن زرارة نقيب بني النجار رضي الله عنه عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في السيرة بئس الميت ابو امامة اليهودي ومنافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ولا املك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا ولما تسبب عند هذا معرفة انهم اخطأوا وانى ذلك فاستحقوا الانكار قال منكرا عليهم فما وحقرهم بقوله لهؤلاء وكانه قال القوم الذي هو دال على القيام والكفاية لما تهكما بهم واما نسبة لهم الى قوة الابدان وضعف المعاني لا يكادون يفقهون اي يفهمون حديثا اي يلقى اليهم اصلا ولما اجابهم بما هو الحق ايجادا اعلمهم ما هو الادب لملاحظة السبب فقال ما اصابك من حسنة اي نعمة فمن الله اي ايجادا وفضلا وما اصابك من سيئة اي بلاء فمن نفسك اي بسببها فغيرك بطريق الاولى ولما اقتضى قولهم انكار رسالته صلى الله عليه وسلم الا ان فعل كل خارق قال تعالى وارسلناك اي بعظمتنا للناس اي كافة رسولا اي فعل ما على الرسل من البلاغ ونحوه ولم نجعلك الها اتيا بما يطلب منك من خير وشر فان انكروا رسالتك فالله يشهد بنصب المعجزات والايات البينات وكفى بالله شهيدا ولما نفى عللهم في التخلف عن طاعته الى ان ختم بالشهادة برسالته قال مرغبا مرهبا على وجه عام يسكن قلبه ويخفف من دوام عصيانهم له فقال من يطع الرسول اي كما هو مقتضى حاله فقد اطاع الله لانه داع اليه وهو لا ينطق عن الهوى انما يخبر بما يوحيه اليه ومن تولى اي عن طاعته ولما كان التقدير فانما عصى الله والله عالم به وقادر عليه فلو اراد لرده ولو شاء اهلكه بطغيانه فاتركه وذاك عبر عن ذلك كله بقوله فما ارسلناك اي بعظمتنا عليهم حفيظا ولما كان من شان الرسول ان يحفظ من اطاعه ومن عصاه ليبلغ ذلك من ارسله وكان تعالى قد اشار له الى الاعراض ذلك لكونه لا يحيط به علما وان اجتهد شرع يخبر ببعض ما يخفونه فقال حاكيا لبعض اقوالهم مبينا لنفاقهم فيه وخداعهم ويقولون اي اذا امرتهم بشيء من امرنا وهم بحضرتك طاعة اي منا لك دائما نحن تابعون على ذلك فاذا برزوا اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم اي قدرت وزورت على غاية من التقدير والتحرير كفعل من يدبر الامور ويحكمها ويسفها ليلا غير الذي تقول اي تجدد قوله لك في كل حين ولما كان الانسان من عادته اثبات الامور التي يريد تخليدها بالكتابة اجرى الامر على ذلك فقال والله اي والحال ان الله المستجمع لصفات الكمال يكتب ما يبيتون اي يجددون تبييته كلما تعلوه وهو غني عنه ولكن ليقصهم اياه يوم يقوم الاشهاد تقيم به الحجة عليهم على ما جرت به عاداتهم ولما تسبب عن ذلك كتابته صلى الله عليه وسلم هذا المهم قال فاعرض عنهم فانهم بذلك لا يضرون الا انفسهم وتوكل في شانهم وغيره على الله اي الذي لا يخرج شيء عن مراده وكفى بالله وكيلا فستنظر كيف تكون العاقبة في امرك وامرهم ولما كان سبب ابطانهم خلاف ما يظهرون اعتقادا انه صلى الله عليه وسلم

ربلس لا يعلم الا ما اظهر وهلا رسول من الله الذي يعلم السر واخفى سبب عن ذلك
على وجه الانكار ارشادهم الى الاستدلال على رسالته بما يزيح الشك ويوضح الامر
وهو تدبر هذا القران المتناسب المعاني المعجز المباني الغايت لقوى المخالفين
المظهر لخفاياهم على اجتهادهم في اخفايها فقال تعالى افلا يتدبرون اي يتاملون
بتال تدبرت الشي اذا تفكرت في عاقبته واخر امره القران اي الجامع
لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من الباطل على نظام لا يختل وبحر لا يمل قال المهروي
وهذا دليل على وجوب تعلم معاني القران وفساد قول من قال لا يجوز ان
يوخذ منه الا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنع ان يتاول على ما يسوغه
عند الله لم يخبر باسرارهم عطف عليه قوله ولو كان من عند غير الله اي كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي في المعنى بالتناقض وفي النظم بالتفاوت
في الاعجاز فاذا علموا انه من عند الله بهذا الدليل القطعي حفظوا اسرارهم كما
يحفظون علانيتهم لان الامر بالطاعة مستو عنده السر والعلن ولما امر تعالى
بالنفر الى الجهاد على الحزم والحذر واولاه الاخبار بان من الناس المغرور والخذل
تصريحا بالثاني وتلويحا الى الاول وحذر منهم ومن غيرها الى ان ختم بامر الكافرين
وبان القران قيم لا عوج فيه ذكر ايضا المخذلين والمعذرين على وجه اصرح من
الاول مبينا ما كان عليهم فقال واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا
به اي اوقعوا الاذاعة به من غير علم منهم بصدقه من كذبه وحقه من باطله ومتفقه
من مختلفه قال في القاموس اذاعه وبه افشاه ونادى به في الناس وذلك كما قالوا
في امر الامن حين انهزم اهل الشرك باحد فتركوا المركز الذي وضعهم به النبي صلى
الله عليه وسلم وخالفوا امره وامر اميرهم فكان سبب كرة المشركين وهزيمة المومنين
وفي امر الخوف حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل فصدقوه واذاعه بعضهم لبعض
وانهزموا واردوا الاستجارة بالكفار من ابي سفيان وابي عامر وكذا ما اشاعوه
عند الخروج الى بدر الموعد من ان ابا سفيان قد جمع لهم ما لا يحصى كثرة وانهم ان لقوه
لم يبق منهم احدا الى غير ذلك من الارجاف الى ان صارت المدينة تفور بالشر فورا
المرجل حتى الجموا كلهم او الا اقلهم حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لاخرجن
ولو لم يخرج معي احد فاستجابوا الجنيد واكسبهم هذا القول شجاعة وانالهم طمانينة ورجعوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء كما وعدهم الله ورسوله ان صبروا واتقوا فكذب
ظنهم وصدق الله ورسوله وفي هذا ارشاد الى الاستدلال على كون القران من عنده
سبحانه بما يكذب من اخبارهم هذه التي يشيعونها ويختلف وان ما كان من غيره
تعالى لمختلف وان تحرى فيه متشبه وان جل عقله وتناهى نبله الا ان استند عقله
الى ما ورد عن العالم بالعواقب المحيطة بالكواين على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام

والاكرام

والاكرام والى ذلك يومي قوله تعالى ولو ردوه اي من قبل ان يتكلموا به الى الرسول
اي نفسه ان كان موجودا واخباره ان كان مفقودا والى اولي الامر منهم اي المتاهلين
لان يامروا وينهوا من الامر بالفعل او بالقوة من العلما وغيرهم لعلمه الذين
يستنبطونه اي يستخرجونه كما يستخرج الانباط المياه ومنافع الارض منهم اي من
الرسول واولي الامر ولما كان التقدير ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالرسول ووراث
علمه لاستبيحت باشاعتهم هذه بيضة الدين واضمحلت امور المسلمين عطف عليه قوله
ولولا فضل الله عليكم اي ايها المتسمون بالاسلام بانزال الكتاب وتقويم العقول
ورحمته بارسال الرسول لاتبعتم الشيطان الا قليلا اي منكم فانهم لا يتبعونه حفظا
من الله بما وهبهم من صحيح العقل من غير واسطة رسول وهذه الاية من المواضع
المستصعبة على الافهام بدون توقيف على المراد بالفضل الامن عند من اتاه الله علما
بالمناسبات وفهما بالمراد بالسياقات وفطنه بالاحوال والمقامات
بقرب من الكشف وذلك ان من المعروف انه لا بد من مخالفة حكم المستثنى لحكم
المستثنى منه وهو هنا من وجد عليهم الفضل والرحمة فاهتدوا والمخالفة المستثنى
لهم يكون احد امور ثلاثة كل منها فاسد اما بان يعدموا الفضل فيتبعوه ويلزم
عليه ان يكون الضال اقل من المهتدي وهو خلاف المشاهد او بان يعدموه فلا
يتبعوه فيكونوا مهتدين من غير فضل او بان يوجد عليهم الفضل فيتبعوه فيكونوا
ضالين مع الفضل والرحمة اللذين كانا سبيل في امتناع الضلال عن المخاطبين فيكونان
تارة مانعين وتارة غير مانعين فلم يفيدوا اذن مع انه ايضا يلزم عليه ان يكون الضال
اقل من المهتدي فاذا حمل الكلام على ان المراد بالفضل الارسال وضح المعنى ويكون التقدير
ولولا ارسال الرسول لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم فانهم لا يتبعونه من غير ارشاد
الرسول بل بهداية من الله وفضل بلا واسطة كقيس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل
وورقة ابن نوفل والدليل على هذا المقدر ان السياق لرد الاشيا كلها الى الرسول
والمنع من الاستقلال بشي دونه ولما بين تعالى نفاقهم المقتضي لتقاعدهم عن الجهاد
كان ذلك سببا لان يقضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامره تعالى من غير التفات اليهم
وافقوا او نافقوا فقال تعالى بعد الامر بالنفر ثبات وجميعا وبان ان منهم المبطي
مشيرا الى ان الامر باق وان بطا الكل فقاتل في سبيل الله اي لو كنت وحدك ولما كان ذلك
قيل فما افعل فيمن ارسلت اليهم ان لم يخرجوا قال لا تكلف الا نفسك ولما كان ذلك قد
يفتر عن الدعا قال وحرض المومنين اي مرهم بالجهاد وانههم عن تركه وعظهم واجتهد في
امرهم حتى يكونوا مستعدين للنفر متى ندبوا حتى كانهم لشدة استعدادهم حاضرون
الصف دايما ثم استانف الذكر لثمرة ذلك فقال عسى الله اي الذي استجمع صفات الكمال
ان يكف بما له من العظمة باس الذين كفروا اي بقتالك وقتال من تحرضه ولما كان السامع

ربما يُهم انه لا يتاتى كفهم الا بذلك قال ترغيبا وترهيبا واحتراسا والله اشد باسًا
اي عذابا وشدة من المقاتلين والمماطلين واشد تنكيلا قال الامام ابو عبدالله القزاز
يقال نكلته تنكيلا اذا عملت به عملا يكون نكالا لغيره اي غيره يرجع عن المراد
من اجله وهو ان الناظر اليه والذي يبلغه ذلك يخاف ان يحل به مثله اي فيكون له ذلك
قيدا عن الاقدام والنكل بالكسر القيد ولما كان ذلك موجبا لطردهم وابعادهم والغلظة
عليهم وكان بين كثير من خلص الصحابة وبينهم قرابات توجب العطف المقتضي للشفقه
عليهم وكان الحاملة للشفاعة فيهم عند العثور على نقايصهم حذر تعالى ليس هذا بقوله
مستانفا في جواب من كانه قال اما نقتل فيهم شفاعة من يشفع شفاعة حسنة اي
منهم بها عند المسلم ليوصل اليه خيرا او يدفع عنه ضرا يكن له نصيب منها باجر تسببه في
الخير ومن يشفع شفاعة سيئة اي بالذنوب عن محرم والتسبب في اعلامه وحرد ابه يكن
له كفل منها وهذا بيان لان الشفاعة فيهم سيئة ان تحقق اجرامهم حسنه ان علمت
توبتهم واسلامهم ولما كان كل من تحريض المومنين على الجهاد والشفاعة الحسنة من واردي
من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة حسن اقترانهما حدا والنصيب
قد رمتميز من الشيء بحيث هو له وكذا الكفل الا ان الاستعمال يدل على انه اعظم من النصيب
ويويده ما قالوا من انه قد يراد به الضعف فكانه نصيب متكلف بما هو له من اسعاد وابعاد
قال اهل اللغة النصيب الحظ والكفل بالكسر الضعف والنصيب والحظ ومادة نصب
تدور على العلم المنصوب ويلزمه الرفع والوضع والتبيين والاصل والمرجع والتعب
فيلزمه الوجع ومن لوازمه ايضا الحد والغاية والجد والوقوف ومادة كفل تدور
على الكفل بالتحريك وهو العجز او ردفه ويلزمه اللين والضخامة والرق والتاخر ولما
كان الاليق بالرغبة ان لا يقطع في موجبها وان عظم بالفوز لئلا يكون ذلك موتفا عن
الازدياد من الخير وبالرهبة ان يقطع في موجبها بالخيبة ليكون ذلك زاجرا عن معارفه
شي منها وان صغر عبر في الحسنة بالنصيب وفي السيئة بالكفل ويويد اراده هذا انه
تعالى لما ذكر ما يوجب الجنة من الايمان والتقوي وكان في سياق الوعظ لاهل الكتاب
الذين هم على شرع اصله حق بتشريع رسول من عند الله فتركهم لذلك بعيد محتاج
الى زيادة ترغيب بالكفل فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله
يوتكم كفلين من رحمته الى اخرها ولما كان النصيب منهم بالنسبة الى علمنا التفاوت
بالنسبة الى قصور الشافعين واقدامهم على الشفاعة على علم او جهل وغير ذلك مما
لا يمكن الاحاطة به الا الله تعالى علما وقدرة قال تعالى مرغبا مرهبا وكان الله اي ذو
الجلال والجمال على كل شي من الشافعين وغيرهم وجزاء الشفاعة مقيتا اي
حفيظا وشهيدا وقديرا على اعطاء ما يقوت من اخلاق النفوس واحوال القلوب
وارزاق الابدان وجميع ما به القوام جزاء وابتداء من جميع الجهات وعلى تقدير ما يستحق

كل

كل احد من الجزاء على الشفاعة وكل حين وشي ولما كان ذلك موجبا للاعراض
عنهم راسا ومنابذتهم قولا وفعلا بين سبحانه ان التحية ليست من وادي الشفاعة وان
الشفاعة تابعة للعلم والتحية تابعة للظاهر فقال تعالى عاطفا على ما تقدير فلا
تشفعوا فيهم وانتم تعلمون سوء مقاصدهم واذا حييتم بتحية اي اي تحية كانت
مشروعة فحيوا باحسن منها او ردوها وما احسن جعلها تالية لاية الجهاد اشارة
الى ان من بذل السلام وجب الكف عنه ولو كان في الحرب على ان مقتضيات هاتين
الايتين ان مبنى هذه السورة على الندب الى الاحسان والتعاطف والتواصل
وسبب ذلك اما المال وقد تقدم الامر به في قوله تعالى واذا حضر القسمة الاية واما
غيره ومن اعظم القول لانه ترجمان القلب الذي به العطف ومن اعظم ذلك الشفاعة
والتحية قال عليه الصلاة والسلام فيما اخرجه مسلم والاربعة عن ابي هريرة
رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا افلا ادلكم على امر
اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم فناسب ذكرها تين الايتين بعد ذكر اية
الجهاد المختتمة بالباس والتنكيل ولما كانت الشفاعة اعظم في الاحسان قدمت ولا
سيما وموجبها الاعراض ومقصد السورة التواصل فشانها اهم والنظر اليها اكد ثم
رغب في الاحسان في الرد ورهب من تركه بقوله معللا ان الله كان اي ازلا وابدا
على كل شي حسيبا اي محصيا لجميع المتعددات دقيقها وجليلها كافيا لها في اقواتها
ومثوباتها محاسبا بها مجازيا عليها وذلك كله شان المقيت ثم علل ذلك بقوله الله لا اله
الا هو اي فلا معارض له في شي من الحساب ولا غيره ولا يخفى عليه شي فالحكم على
البواطن انما هو له تعالى وما انتم فلم تكلفوا الا بالظاهر ولما بين انه لا معارض
له انتج تسبب عنه بحرف الغاية فقال الى يوم القيمة ثم اكده بقوله لا ريب فيه اي فيفصل
بينكم وبين من اخبركم بهم من المنافقين وفقد احوالهم وبين محالهم فيجازي
كلا بما يستحق ولما كان التقدير فلا اعظم من الله قدرة عطف عليه قوله ومن اصدق
من الله حديثا اذ قد يجبر بما مضى ان المنافقين كفرة وحتم بان الخبر عنهم صدق لا
يدانيه صدق كان ذلك سببا لجزم القول بشقاوتهم والاعراض عنهم والتبعد عن الشفاعة
فيهم والاجماع على ذلك من كل مومن وان كان مبنى السورة على التواصل لان ذلك انما هو حيث
لا يودي الى مقاطعة امر الله فقال تعالى فما لكم في المنافقين اي اي شي لكم من امور
الدنيا والاخرة في افتراقكم فيهم فئتين بعضكم يشدد عليهم وبعضكم يرفق بهم
والله اي والحال ان الله اركسهم اي ردهم منكوسين مقلوبين بما كسبوا اي بعد
اقرارهم بالايمان من مثل هذه العظايم فلتحذروا ذلك ولا تختلفوا في امرهم بعد هذا
البيان ولما كان حال من يرفق بهم حال من يريد هداهم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال
اتريدون اي ايها المومنون ان تهدوا من اضل الله اي وهو الملك الاعظم الذي لا يرد

قوله مبينا لوقف الحساب الاعظم
ولما كان الجمع بالتدريج بالامامه
ليجمعنكم
شيا فشيا صح

لدا امر وهو معنى قوله ومن اي والحال انه من يضلل الله اى بمجامع اسمايه وصفاته
فلن تجد له سبيلا اى الى ما اضله عنه اصلا والمعنى ان كان رفقكم بهم رجا هدايتهم
فذلك امر ليس الا الله وانما عليكم اتمم الدعا فمن اجاب صار اهلا للمواصلة ومن ابى صار
مقاطعته دينا وقتله قربة والاغلاظ عليه واجبا ولما اخبر بضلالهم اعلم باغراقهم
فيه فقال ودوا اي احبوا وتمنوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون اي فتسبب عن ذلك
ان تكونوا انتم وهم سوا اي في الضلال فانتم ترجون في زمان الرفق بهم هدايتهم وهم
يودون فيه كفركم وضلالكم فقد تباعدتم في المذاهب وتباينتم في المقاصد ولما اخبر بهذه
الودادة فقال فلا تتخذوا اي ايها المومنون منهم اوليا اي اقربا منكم حتى يهاجروا
اي يوقعوا المهاجرة في سبيل الله اي الهجر لمن خالفهم فيه ويتسببوا في هجرانه لهم ان كانوا
في دار الحرب فيتركوها وان كانوا عندكم فيتركوا موادة الكفار والمرافقة لهم في اقوالهم وافعالهم
وان كانوا اقرب اقربايهم ويهجرونهم في جميع ذلك ليكونوا اصلتكم في جميع اقوالكم وافعالكم ولما نهى
عن موالاتهم وعنى النهي بالهجرة تسبب عنه قوله فان تولوا اي عن الهجرة المذكورة فخذوهم
اي افهروهم بالاسر وغيره واقتلوهم حيث وجدتموهم اي في حل او حرم ولما كان تولي هذه
الحالة لا يوالوا المومنين الا تكلفا قال ولا تتخذوا اي تتكلفوا ان تاخذوا منهم
وليا اي من تفعلون معه فعل المقارب المصافي ولا نصيرا الا الذين يصلون
اي قرارا منكم الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد ووثوق بان لا تقاتلوهم ولا يقاتلوا
من لجا اليهم او دخل فيما دخلوا فيه فكفوا حينئذ عن اخذهم وقتلهم او جاوكم حال كونهم
حصرت اي ضاقت صدورهم اي عن ان يقاتلوكم اي لاجل دينهم وقومهم او يقاتلوا قومهم اي
لاجلكم فرارا وان يكفوا عن قتالكم وقتال قومهم فلا تاخذوهم ولا تقاتلوهم ولعله عبر بالماضي
في حصرت اشارة الى ان شرط مساواتهم للواصلين الى المعاهدين عدم التكرر فان تكرر
ذلك منهم فهم الاخرون الاتي حكمهم ولما كان التقدير فلو شا الله لجعلهم مع قومهم
البا واحدا عليكم عطف عليه قوله ولو او يكون المعنى والحال انه لو شا الله وهو المتصف
بكل كمال لسلطهم اي هولا الواصلين والجايين عليكم بنوع من انواع التسليط تسليطا
جاريا على الاسباب ومقتضى العوايد لان بهم قوة على قتالكم فلقاتلوكم منفردين
او مع غيرهم من اعدايكم ولما كان المعنى على النهي عن قتالهم حينئذ صرح به بقوله فان
اعتزلوكم اي هولا الذين امرتكم بالكف عنهم من المنافقين فكفوا عنكم فلم يقاتلوكم
منفردين ولا مجتمعين مع غيرهم والقوا اليكم السلم اي الانقياد فما جعل الله اي بجهته
من الجهات لكم عليهم سبيلا اي الى شي من اخذهم ولا قتلهم ولما كان كانه قيل هل بقي من اقسام
المنافقين شي قيل نعم ستجدون اي بوعد لا شك فيه اخرين اي من المنافقين يريدون ان
يامنوكم فلا يحتمل لهم منكم ضرر ويامنوا قومهم كذلك لضعفهم عن كل منكم فهم يظهرون لكم
الايمان اذا لقوكم ولهم الكفر اذا لقوهم وهو معنى كلما ردوا الى الفتنه اي الابتلا بالخوف عند المخالطة

اركسوا

الذين م

اركسوا اي قلبوا فيها ولما كان هولا اعرق في النفاق واردى وادني من الذين
قبلهم واعدا اصرح بمفهوم ماصرح به في اوليك لانه اغلظ وهم اجدر من الاولين
بالاغلاظ وطوى ما صرح به ثم قال فان لم يعتزلوكم ولما كان المراد الاعتزال خضوعا
لا كبرا صرح به في قوله ويلقوا اليكم السلم ولما كان الالقا لا بد له من قراين يعرف
بها قال ويكفوا ايديهم اي عن اذاكم واذاكم فخذوهم اي اقهروهم بكل نوع من انواع
القهر تقدرون عليه واقتلوهم ولما كان نفاقهم كما تقدم في غاية الرداة واخلاقهم في
نهاية الدناة اشار الى الوعد بتيسير المتمكن منهم فقال حيث ثقفتموهم فان معناه صاد
ادركتموهم وانتم ظافرون لهم حاذقون في قتالهم فطنون بما تخففون فيه فان الثقف
الحاذق الخفيف الفطن ولذلك اشار اليهم باداة البعد فقال واوليكم اى البعدا عن
مسالك الرحمة من النصر والنجاة وكل خير جعلنا اي بعظمتنا لكم عليهم سلطانا اى تسلطا
مبينا اي ظاهرا قوته وتسلطه وهذه الايات منسوخة باية براة ولما بين اقسامهم
بيانا ظهر منه ان احوالهم ملبسة وامر قتالهم مع الاجتهاد في تعرف احوالهم وختم
بالتسلط عليهم اتبع بقوله وما كان لمومن اي يحرم عليه ان يقتل مومنا اى في حالة
من الحالات الا خطا اي في حالة الخطا بان لا يقصد القتل او لا يقصد الشخص او يقصد
بما لا يقصد به زهوق الروح او لا يقصد ما هو ممنوع منه كمن يرمي الى صف الكفار
وفيهم مسلم او بان يكون غير مكلف فان هذا القتل على هذا الوجه ليس بحرام وهذا الذي
ذكره في اقسام المنافقين اشارة الى انه ينبغي التثبت والتحري في جميع امر القتل متى احتمل
ان يكون المقاتل مومنا احتمالا يقتضي العادة بعيد فلزم من ذلك بيان حكم الخطا ولا م
الاختصاص قد يطلق على ما لا ما نع منه فما هي ككل او لا خيك او للذيب فكانه عبر به لبعد
ما يجاب الكفارة والدية غاية الزجر عن قتل المومن لانه اذا كان هذا جزاما هو له فما الظن
بما ليس له فقال تعالى ومن قتل مومنا خطا فتحرير اي فالواجب عليه تحرير رقبة اي نفس
عبر بها لانها لا تعيش بدونها مومنة قدم التحرير هنا حثا على رتق ما خرق من حجاب العهد
ودية مسلمة اي موداة بيسر وسهولة الى اهله اي ورثته الا ان يصدقوا بالعفو عن القاتل
وعبر بالصدقة ترغيبا فان كان من قوم اى فيهم منعه عدو لكم اي محاربين وهو اي
والحال انه مومن فتحرير اي فالواجب عن القاتل تحرير رقبة مومنة وكانه عبر بذلك اشارة
الى التحري في وجودة اسلامها وان كان من قوم اي كفرة ابعاد عدو لكم بينكم وبينهم
ميثاق فدية اي فالواجب فيه كالواجب في المومن المذكور قبله دية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مومنة وكانه قدم الدية هنا اشارة الى المبادرة بها حفظا للعهد فمن لم يجد اي
الرقبة فصيام اي فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين وعلل ذلك بقوله عاد للخطا
بعد التعبير عنه باللام المقتضية انه مباح دينا توبة من الله ولما كانت الكفارات من
المشقة على النفس بمكان رغبة فيها سبحانه بختم الاية بقوله وكان الله عليما اي بما يصلحكم

ثقفوهم

في الدنيا والاخرة حكيمًا في نصبه الزواجر بالكفارات وغيرها ولما ساق فالزموا اوامره وتباعدوا زواجره لتفوزوا بالعلم والحكمة ولما ساق تعالى الخطا ساق ما هو الفاعل متعمدا عند هذا التنفير ناسب كل المناسبة ان يذكر ما ليس له من ذلك اذ كان ضبط النفس بعد ارسالها شديدا فربما تهملت فقتل من تحقق اسلامه اخذه وجرت اليه ضغينة وترت الشبه فيه شدة سكينة ولعمري ان الحمل على الكف بعد الارسال اصعب من الحمل على الاقدام وانما يعرف ذلك من جرب النفوس حال الاشراف على الظفر واللذاذة بالانتقام مع القوي والقدر فقال ومن يقتل مؤمنا ولعله اشار بصيغة المضارع الى دوام العزم على ذلك لاجل الايمان وهو لا يكون الا كفرا وترك الكلام محتملا زيادة تنفير من قتل المسلم متعمدًا اي واما الخطا فقد تقدم حكمه في المومن وغيره فجزاؤه اي على ذلك جهنم اي تتلقاه بحالة كريهة جدا كالجهم العبوس خالدا فيها اي ماكثا الى ما لا اخر له وغضب الله اي يحل عليه ولعنه اي ابعده من رحمته واعد له عذابا عظيما اي لا يبلغ معرفته عقولكم ولما تبين بهذا المنع الشديد من قتل العمد وما في قتل الخطا من المواخذة الموجبة للتثبت وكان الامر قد برز بالقتال والقتل في الجهاد موكدا بانواع التاكيد وكان ربما التبس الحال اتبع هذا النصح بالامر بالتثبت جوابا لمن كانه قال ماذا يفعل بين امري الاقدام والاحجام فقال يا ايها الذين امنوا وما احسن التفاته الى قوله تعالى وحرض المومنين اشارة منه تعالى الى انهم يبادرون عن تحريضه صلى الله عليه وسلم وينقادون لامره بما دلت عليه كلمة اذا في قوله تعالى اذا ضربتم اي سافرتم في سبيل الله فتبينوا اي اطلبوا بالثاني والتثليث بيان الامور والثبات في ملبسها والتثبت الشديد عند مزالها وتمييز بعضها من بعض وانكشاف لبسها غاية الانكشاف ولا تقدموا الا على ما بان لكم ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام اي بادر بان حياكم بتحية الاسلام ملبيا فيادة لست مومنا اي بل متعوذا لتقتلوه حال كونكم تبتغون اي تطلبون طلبا حثيثا بقتله عرض الحيوة الدنيا اي باخذ ما معه من الحطام الفاني والعرض الزايل او بادراك ثار كان لكم قبله ثم علل النهي عن هذه الحالة بقوله فعند الله مغانم كثيرة اي يغنيكم بها عما تطلبون من العرض مع طيبها ثم علل النهي من اصله بقوله كذلك اي مثل هذا الذي تقتلونه كنتم من قبل اي قبل ما نطقتم بكلمة الاسلام فمن الله عليكم اي بان القى في قلوب المومنين قبول ما اظهرتم امتثالا لامر سبحانه بذلك حتى صرتم على ما انتم عليه من الرسوخ في الدين والشرح به والعز ولو شا لقسى قلوبهم وسلطهم عليكم فقتلوكم فاذا كان الامر كذلك فتبينوا اي الامور وتثبتوا فيها حتى تنجلي فاقبلوا من الداخلين في الاسلام ما قبله منكم غيركم ثم علل هذا الامر بقوله مرغبا مرهبا ان الله كان بما تعملون خبيرا اي يعلم ما اقدمتم عليه عن تبين وغيره فاحذروه بحفظ بواطنكم وظواهركم ولما ناسبت هذه الاية ما قبلها من اية القتل العمد والسبب الى وحرض المومنين والى اية التحية فاشتد اعتنا قها لما وعلم

بها

بها ان في الضرب في سبيل الله هذا الخطر فكان ربما فترعنه بين فضل من كان قال حينئذ سعد عن الجهاد لتسليم بقوله لا يستوي القاعدون اي عن الجهاد حال كونهم من المومنين لسد التصريح بتفضيل المومن المجاهد على المومن القاعد لئلا يخصه احد بالكافر الجاحد ولما كان من الناس من عذره سبحانه برحمته استثناهم فقال واضعا القاعدون او مستثنا منهم غير اولي الضرر اي المانع او العائق عن الجهاد في سبيل الله من عرج او مرض او عمى او نحوه وبهذا ابان الكلام في المهاجرين ثم ذكر القسم الاخر بقوله والمجاهدون في سبيل الله اي دينه الذي من سلكه وصل الى رحمته باموالهم وانفسهم ولما كان نفي المساواة سببا لترقب كل من الحزبين الافضلية قال مستانفا فضل الله المجاهدين ولما كان الحال في اول الامر ضيقا قال مقدما المال باموالهم وانفسهم اي جهادا كاينا بالفعل على القاعدين اي عن ذلك وهم يتمكنون منه بكونهم في دار الهجرة درجة اي واحدة كاملة لانهم لم يفوتونهم بغيرها وفي البخاري في المغازي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون من المومنين عن بدر والخارجون الى بدر ولما شرك بين المجاهدين والقاعدين بقوله وكلا اي من الصنفين وعد الله اي اجرا على ايمانهما الحسنى بين ان القاعد المشارك انما هو الذي فيه قوة الجهاد القريبة من الفعل وهو التمكن من تنفيذ الامر بسبب هجرته لارض الحرب وكونه بين اهل الايمان واما القاعد عن الهجرة مع التمكن فليس بمشارك في ذلك بل هو ظالم لنفسه فانه ليس متمكنا من تنفيذ الاوامر فلا هو مجاهد بالفعل ولا بالقوة القريبة منه فقال وفضل الله المجاهدين اي بالفعل مطلقا بالنفس او المال على القاعدين اي عن الاسباب الممكنة من الجهاد وهي الهجرة اجرا عظيما ثم بينه بقوله درجات منه وهي درجة الهجرة ودرجة التمكن من الجهاد بعد الهجرة ودرجة مباشرة الجهاد بالفعل ولما كان الانسان لا يخلو عن ذلك وان اجتهد في العمل قال ومغفرة اي محو الذنوبهم بحيث انها لا تذكر ولا يجازى عليها ورحمة اي كرامة ورفعة وكان الله غفورا رحيما ازلا وابدا لم يتجدد له ما لم يكن ثم علل ذلك بابلغ حث على الهجرة فقال ان الذين توفاهم اي تقبض ارواحهم كاملة الملايكة ظالمي انفسهم اي بالقعود عن الجهاد بترك الهجرة والاقامة في بلاد الحرب حيث لا يتمكنون من اقامة شعاير الدين كلها قالوا اي الملايكة موبخين لهم فيم كنتم اي في اي شي من الاعمال والاحوال قالوا كنا مستضعفين في الارض اي ارض الكفار لا نتمكن من اقامة الدين وكانهم اطلقوها اشارة الى انها عندهم لاتساعها عندهم لكثرة الكفار كانها هي الارض كلها فكانه قيل هل قنع منهم بذلك فقيل لا لانهم لم يكونوا ضعفا عن الهجرة فكانه قيل فما قيل لهم فقيل قالوا اي الملايكة الم تكن ارض الله اي المحيط بكل شي الذي له كل شي واسعة فتهاجروا فيها اي الى حيث يزول عنكم المانع فلا بد من الاجتناب ذكر الجهاد اولا في وفضل الله المجاهدين دليل على حذفه ثانيا بعد ظالمي انفسهم وذكر الهجرة ثانيا دليل على حذفها

ثانيا لعد ظالمي انفسهم وذكر الهجرة ثانيا دليل على حذفها اولا بالقعود عنها ولذلك
خص الطائفة الاولى بوعد الحسنى ولما وبخوا على تركهم الهجرة سبب عنه جزاوهم فقيل
فاولئك ماواهم جهنم اي لتركهم الواجب وتكثيرهم سواد الكفار وانبساطهم في
وجوه اهل النار وساءت مصيرا ولما توعد على ترك الهجرة اتبع ذلك بما زاد القاعد
عنها تخويفا بذكر من لم يدخل في المحكوم عليه بالقدرة على صورة الاستثنا تنبيها على انهم
جديرون بالتسوية في الحكم لولا فضل الله عليهم فقال الا المستضعفين اي الذين
وجد ضعفهم وعدوا ضعفا وتقوى عليهم غيرهم من الرجال والنسا والولدان
ثم بين ضعفهم بقوله لا يستطيعون حيلة اي في ايقاع الهجرة ولا يهتدون سبيلا
اي الى ضد ولما كانت الهجرة شديدة وكان ربما تركها بعض الاقويا واعتل بالضعف
نفر من ذلك بالاشارة اليهم باداة البعد فقال فاولئك ولما كان لله تعالى ان
يفعل ما يشا لا يجب عليه شي ولا يقبح منه شي بل له ان يعذب الطايع وينعم العاصي
ويفعل ويقول ما يشا لا يسال عما يفعل احد هولا المعذورين محل الرجا ايذانا بان
ترك الهجرة في غاية الخطر فقال عسى الله ان يعفو عنهم اي ولو واخذهم لكان له ذلك
وكل ما جا في القران من نحو هذا فهو للاشارة الى هذا المعنى وقول ابن عباس رضي الله
عنهما ان عسى من الله واجبة معناه انه ان يفعل ما يشا لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة
على ما يستصوبه منهاج العقل السليم وكان الله اي ازلا وابدا عفوا اي يمحو الذنب
اذا اراد فلا يعاقب عليه وقد يعاتب عليه غفورا اي يزيل اثره اصلا ورأسا بحيث لا يعا
عليه ولا يعاتب ولا يكون بحيث يذكر اصلا ولعل العفو راجع الى الرجال والغفران
الى النسا والولدان ولما رهب من ترك الهجرة رغب فيها فقال تعالى ومن يهاجر في
سبيل الله اي الذي لا اعظم من ملكه ولا اوضح من سبيله ولا اوسع يجد في الارض اي ذات
الطول والعرض مراغما اي مهربا ومضطربا يغضب الاعدا به ويرغم انوفهم كثيرا
وسعة اي في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصحوا وسافروا تغنموا اخرجه
الطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه ولفظه واغزوا تغنموا وهاجروا تفلحوا ولما كان ربما
مات المهاجر قبل وصوله الى النبي صلى الله عليه وسلم فظن انه لم يدرك الهجرة مع تجشمه
لفراق بلده قال ومن يخرج من بيته اي فضلا عن بلده مهاجرا الى الله اي رضاه
ورسوله اي ليكون عنده ثم يدركه الموت بعد خروجه من بيته ولو قبل الفصول
من بلده فقد وقع اجره اي في هجرته على الله اي فهو موفيه اياه توفيه ما يلتزمه الكريم
منكم ولما كان بعضهم ربما قصر به عن البلوغ توانيه في سيره او عن خروجه من بلده
فظن ان هجرته هذه لم تخل نقص قال وكان الله غفورا اي لتقصيره ان كان رحيما يكرم
بعد المغفرة بانواع الكرامات ولما اوجب السفر للجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مظنة
المشقة فكيف بسفرهما مع ما ينضم الى المشقة فيهما من خوف الاعدا ذكر تخفيف الصلاة بالقصر

بقوله

بقوله تعالى واذا ضربتم اي بالسفر في الارض اي سفر كان لغير معصية فليس
عليكم جناح اي اثم في ان تقصروا من الصلاة اي فاقصروا ان اردتم واتموا
ان اردتم والسياق كما ترى مشير الى شدة الاهتمام بشانها وان لا يسقطها عن
المكلف شي وقاض بان المخاطرة بالنفس والمال لا تسقط الجهاد ولا الهجرة اذ الخوف
والخطر مبنى امرهما ومحط قصدهما فبهذا اسر قوله ان خفتم ان يفتنكم اي يخالطكم
مخالطة مزعجة الذين كفروا الا انه شرط في القصر كما ثبت في شرطيته السنة وقد
كانت الصلاة قبل الهجرة ركعتين فلما تمت بعد الهجرة اشارة الى ان المدينة دار
الاقامة وما قبلها كان محل سفر ونقله روى الشيخان واحمد وهذا لفظه عن
عايشة رضي الله عنها قالت فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر ولما ذكر الخوف منهم علله مشيرا
بالاظهار موضع الاضمار باسم الفاعل الى ان من تلبس بالكفر ساعات اعرق فيه
فقال ان الكافرين كانوا ولعله اشار الى انهم مغلوبون بقوله لكم دون عليكم
عدوا مبينا اي ظاهر العداوة كان حضور النبي صلى الله عليه وسلم مظنة الامن بالتا بيد
بالملايكة ووعد ولما الحصينة هو الناس وما ينهض به من الشجاعة وتضربه من الرعب
وغير ذلك من الامور القاضية بان له العاقبة بين سبحانه ان صلاة الخوف تفعل
عند الامن بحضرته كما تفعل عند الاستيحاش فعينه صلى الله عليه وسلم بجوازها بتقدم
ليس هو صلى الله عليه وسلم فيهم مفهوم موافقة فقال تعالى واذا كنت فيهم اي في
اصحابك سوا كان ذلك في السفر او في الحضر فاقمت لهم الصلاة اي الكاملة وهي المفروضة
فلتقم طايفة منهم معك اي في الصلاة ولتقم الطايفة الاخرى وجاه العدو يطوفون
في كل موضع يمكن ان ياتي منه العدو وليأخذوا اي المصلون لانهم المحتاجون الى هذا
الامر لدخولهم في حالة تمنع ترك السلاح احدن اسلحتهم وسبب الامر بصلاة الخوف
كما في الصحيح مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه انهم غزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم قو تلوا
قوما من جهينة فقاتلوا قتالا شديدا قال جابر رضي الله عنه فلما صلينا الظهر قال
المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انها ستاتيهم
صلاة هي احب اليهم من الاولاد فلما حضرت العصر صفنا صفين والمشركون بيننا وبين
القبلة الحديث فاذا سجدوا يمكن ان يكون المراد بالسجود ظاهره فيكون الضمير حينئذ في
فليكونوا للجمع الذين منهم هذه الطايفة المذكورة بطريق الاضمار في قوله فاذا كنت
فيهم وفي فلتقم منهم اي فاذا سجد الذين قاموا معك في الصلاة فليكن الحرس عنهم وهم
الباقون الذين انت فيهم وهذه الطايفة منهم من ورايكم فاذا اتمت هذه الطايفة
صلاتها فلتذهب الى الحراسة ولتات طايفة اخرى اي من الجماعة لم يصلوا فليصلوا معك كما صلت

الطايفة الاولي فان كانت الصلاة ثنائية ولم تصل بكل طايفة جميع الصلوات فلتسلم
الطايفة الثانية وان كانت رباعية ولم تصل بكل فرقة جميع الصلاة فلتتم صلاتها ولتذهب
الي وجاه العدو ولتات طايفة اخري وهكذا حتي تتم الصلاة ويمكن ان يكون المراد
بالسجود الصلاة من اطلاق اسم الجزا علي الكل فكانه قال فاذا صلوا اي اتموا صلاتهم
والضمير حينئذ في فليكونوا للطايفة الساجدة وقوله وَليأخذوا ويمكن ان يكون
ضميره للكل لئلا يتوهم ان الامر بذلك يختص بالمصلي لان غيره لا عايق له عن الاخذ
متي شا اي وليأخذ جميع الطوايف الحارسون والمصلون حذرهم وَأسلحتهم في حال
صلاتهم وحراستهم واتيانهم الي الصلاة وانصرافهم منها وهذا الكلام علي وجازته محتمل
كما تري بجميع الكيفيات المذكورة في الفقه لصلاة الخوف اذا لم يكن العدو في جهة القبلة
والله الهادي وما احسن اتصال ذلك باول ايات الجهاد في هذه السورة يا ايها الذين
امنوا خذوا حذركم فهو من رد المقطع علي المطلع ثم علل امره بهذه الكيفيات على
هذا الاحتياط والجزم بقوله ود اي تمني تمنيا عظيما الذين كفروا اي باشروا الكفار
وديا ما يكيف بمن هو عريق فيه لو تغفلون اي تقع لكم غفلة في وقت ما عن اسلحتكم ولما
كانت القوة بالالات مرهبة للعدو وملكه قال وامتعتكم ولما كانت الغفلة ضعفا طا
تسبب عنها قوله فيميلون واشار الي العلو والغلبة بقوله عليكم واشار الي سرعة الاخذ
بقوله ميلة واكده بقوله واحدة ولما كان الله وله المن قد رفع عن هذه الامة الحرج وكان
المطر والمرض شاقين قال ولا جناح اي حرج عليكم ان كان بكم اذى وان كان
يسيرا من مطر اي لان حمل السلاح حينئذ يكون سبب البلة او كنتم مرضى اي متصفين بالمرض
وكان التعبير بالوصف اشارة الي ان اذي شي منه لا يرخص ان تضعوا اسلحتكم لان
تزيد المريض وهنا وخذوا حذركم اي في كل حالة فان ذلك نفع لا يتوقع ضرره علا من
بما تبشرنيه بالنصر تشجيعا للمومنين واعلاما بان الامر بالجزم انما هو للجري علي ما سنه من
الحكمة في ربط المسببات بالاسباب فهو من باب اعقلها وتوكل فقال ان الله اعد
اي في الازل للكافرين اي الدايمين علي الكفر لا من اتصف به وقتا ما وتاب منه عذابا
مهينا اي يهينهم به من اعظم حذركم الذي لا يدع لهم عليكم مقدما ولا تمكنهم معه منكم
فرصة ولما علمهم ما يفعلون في الصلاة حال الخوف اتبع ذلك ما يفعلون بعدها لئلا يظن
انها تغني عن مجرد الذكر فقال مشيرا بتعقيبه بها فاذا قضيتم الصلاة اي فرغتم من فعلها
علي حالة الخوف اوغيرها فاذكروا الله اي لانه لاحاطته بكل شي يستحق ان يراقب فلا
ينسي قياما وقعودا وعلي جنوبكم اي في كل حالة ولما كان الذكر اعظم حفظ للعبد وحارس
من شياطين الانس والجن ومسكن للقلوب الا بذكر الله تطمين القلوب اشار الي ذلك
بالامر بالصلاة حال الطمانينة تنبيها علي عظم قدرها وبيانا لانها اوثق عرى الدين واقوى
دعايمه وافضل تجليات القلوب ومهذبات النفوس لانها مشتملة علي مجامع الذكر ان

الصلاة

الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر فاذا اطمانتتم اي عما كنتم فيه من
الخوف فاقيموا الصلاة اي فافعلوها تامة العالم كلها ثم علل الامر بها في الامن
والخوف والسعة والضيق بقوله ان الصلاة مظهرا لما كان الاصل فيه الاضمار
تنبيها علي عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده كانت علي المومنين
كتابا اي هي مع كونها فرضا جامعة علي الله جمعا لا ريب فيه غير موقوتا اي
وهي مع كونها محدودة مضبوطة باوقات مشهورة قوت للابدان بما تسبب
من الارزاق وللقلوب بما تجلب من المعارف والانوار ولما عرف من ذلك
ان ايات الجهاد في هذه السورة معلمة للحذر وخوف الضرر مرشدة الي اتقان المكا يد
للتخلص من الخطر وكان ذلك مظنة لمتابعة النفس في المبالغة فيه وهو مظنة
التراخي في امر الجهاد اتبع ذلك قوله تعالى منبها علي الحذر في امره وانه لم يدع في
الصلاة ولا غيرها ما يشغل عنه عاطفا علي فافعلوا ما امرتكم به او علي فاقيموا الصلا ة
ولا تهنوا اي تضعفوا وتتوانوا بالاشتغال بذلك ولا صلاة فقد يسرت ذلك .
لكم تيسيرا لا يعوق عن شي من الجهاد في ابتغا القوم اي طلبهم بالاجتهاد وان
كانوا في غاية القوة والعناية بالامور ثم علل ذلك بقوله ان تكونوا تالمون اي
يحصل لكم الم ومشقة بالجهاد من القتل وما دونه فانهم يالمون كما تالمون لانهم
يحصل لهم من ذلك ما يحصل لكم وترجون اي انتم من الله اي الذي له جميع الاسما
الحسنى والصفات العلي ما لا يرجون اي من النصر والعز والكرم واللطف لانكم
تقاتلون فيه وهم يقاتلون في الشيطان وهذا لكل من يامر بالمعروف وينهى عن
المنكر سوي كان ذلك في جهاد الكفار اولا ولما كان العلم منفي كل خير وكانت الحكمة
التي هي نهاية العلم وغاية القدرة مجمع الصفات العلم قال تعالى وكان الله
اي لامر لكم بهذه الاوامر عليما اي بالغ العلم فهو لا يامر الا بما يكون بالغ الحسن
حكيما فهو متقن لما يامره الاحوال ويسدده في المقال والفعال فمن علم منه
خيرا اراده ورقاه في درج السعادة ومن علم منه شرا كاده منكس مبداه ومعاده
ولما كان اول هذه القصص التعجب من حال الذين اوتوا نصيبا من الكتاب في
ضلالهم ثم التعجب من ايمانهم بالجبت والطاغوت ثم التعجب من حال من ادعي الايمان
بهذا الكتب السالفة ثم رضي بحكم غيره وساق سبحانه اصول ذلك وفروعه ونصب
الادلة حتي علت علي الفرقدين وانتشر ضياوها علي جميع الخافقين وختم ذلك بانه العليم
الحكيم ناسب اتم مناسبة الاخبار بانه انزل هذا الكتاب بالحق وبين فايدته التي
عدل عنها المنافقون في استحكام غيره فقال انا انزلنا اي بما لنا من العظمة التي
تتقاصر عنها كل عظمة اليك اي وانت اكمل الخلق الكتاب اي الكامل الجامع لكل
خير بالحق اي ملتبسا بما يطابقه الواقع لتحكم بين الناس اي عامة لان دعوتك

عامة ولا اضل ممن عدل عن حكمك وابتغى خيرا من غير كتابك واشار الى انه لا ينطق
عن الهوى بقوله **بما اراك الله** اي عرفك ثم شرع سبحانه في اتمام ما بقي من اخبارهم
وكشف ما بطن من اسرارهم وبيان علاماتهم ليعرفوا ويجتنبها المومنون لئلا
يوسموا بسيمهم ولما كان سبحانه قد خفف عليه صلى الله عليه وسلم بان شرع له القناعة
في الحكم بالظاهر وعدم التكلف بالتنقيب عن السرائر هم صلى الله عليه وسلم بالدفع
عن طعمة بن ابيرق لان امره كان مشكلا فانه سرق الدرع واودعها عند يهودي
وجدت عنده فادعى ان طعمة اودعها عنده ولم يثبت ذلك على طعمة حتى انزل الله
الآية فاراد تعالى انزاله في هذه النازلة وغيرها مما يرد سبحانه في المقام الخضري
من الحكم بما في نفس الامر لا يعلمه الا الله تعالى اذ كان الصحيح الذي عليه الجمهور
كما نقله شيخنا حافظ العصر قاضي الشافعية بمصر ابو الفضل احمد بن علي بن حجر
رحمه الله تعالى في الاصابة في اسما الصحابة ان الخضر عليه السلام نبي وكان نبينا صلى
الله عليه وسلم قد اعطي مثل جميع معجزات الانبيا مع ما اختص به دونهم
على جميعهم افضل الصلوات واتم التسليم والبركات فقال تعالى عاطفا على ما
علم تقديره امن نحو فاحكم بما نريك من بحار العلوم التي اودعناها هذا الكتاب
ولا تكن للخائنين اي طعمة ولا غيره **خصيما** واتبع ذلك قوله **واستغفر الله** اي اطلب
مغفرته من الهم بالذب عنه ثم علل بقوله **ان الله كان** اي ازلا وابدا **غفورا رحيما**
وهذا الاستغفار لا عن ذنب اذ هو منزه عن ذلك معصوم منه ولكن عن مقام
عال نام للارتقا الى اعلى منه واتم ولما نهاه عن الخصام لمطلق الخائن وهو من
وقعت منه خيانة ما اتبعه النهي عن المجادلة عن متعمد الخيانة فقال تعالى **ولا تجادل
عن الذين يختانون** اي يتجدد منهم تعمد ان يخونوا **انفسهم** ويجوز ان يكون اشار
بصيغة الافتعال الى ان الخيانة لا تقع الا مكررة فانه يعزم عليها اولا ثم يفعلها
فادنى ذلك ان يكون قد خان نفسه مرتين ثم اشار تعالى الى ان من خان غيره
كان متبالغا في الخيانة بالعزم وخيانة الغير المستلزمة لخيانة النفس فلذا
اختتم بالتعليل بقوله **ان الله** اي الجليل العظيم **لا يحب** لا يكرم **من كان خوانا
اثيما** بصيغتي المبالغة على ان مراتب المبالغين في الخيانة متفاوتة وقدم سبحانه
ذلك لان فيه دفعا للضرر عن البري وجلبا للنفع اليه ثم اتبعه بعيب هذا الخائن
وقلة تاملهم والاعلام بان المجادلة عنه قليلة الجدوى فقال تعالى معجبا منهم
بما هو كالتعليل لما قبله **يستخفون** اي هو ومن الخونة **من الناس** حيا منهم وخوفا من ان يضروهم
علما هذا ثم لهم وتوقف الوهم كالبهائم **ولا يستخفون من الله** اي الذي لا شي اظهر منه
لما له من صفات الكمال **وهو** اي والحال انه **معهم** لا يغيب عنه شي من احوالهم ولا
يعجز عن شي من نكالهم **اذ يبيتون** اي يرتبون ليلا على طريق الامعان في الفكر والاتقان

للراي

للراي **ما لا يرضى من القول** اي من البهت والحلف عليه فلا يستحيون منه ولا يخافون
لاستيلا الجهل والغفلة على قلوبهم وعدم ايمانهم بالغيب ولما اثبت علمه سبحانه بهذا
من حالهم عمم فقال **وكان الله بما يعملون** اي من هذا وغيره **محيطا** اي علما وقدرة
ولما وبخهم سبحانه على جهلهم حذر من ناصرهم فقال مبينا انها لا تجديهم شيا
ها انتم هولا جادلتم عنهم اي في هذه الواقعة وغيرها **في الحيوة الدنيا** اي بما جعل
لكم من الاسباب **فمن يجادل الله عنهم** اي حين تنقطع الاسباب **يوم القيمة** ولا تفترق
الحال في هذا بين ان يكون ها من ها انتم للتنبيه او بدلا من همزة استفهام على ما
تقدم فان معنى الانكار هنا واضح على كلا الامرين ولما كان من اعظم المحاسن كف
الانسان عما لا علم له به عطف على الجملة من اولها من غير تقييد بيوم القيمة منبها
على قبح المجادلة عنهم بقصور علم الخلائق قوله **ام من يكون** اي فيما ياتي من الزمان
عليهم وكيلا اي يعلم منهم ما يعلم الله بان يحصي اعمالهم فلا يغيب عنه منها شي ليجادل
الله عنهم فيثبت لهم ما قارفوه وينفي عنهم ما لم يلابسوه ولما نهى عن نصر الخائن
وحذر منها ندب الى التوبة من كل سوء فقال **ومن يعمل سوءا** اي ما يسوء شرعا
عمدا او غير عمد **او يظلم نفسه** بما لا يتعداه او بالرضى لها بما غيرها اعلى منه **ثم يستغفر
الله** اي يطلب غفرانه بالتوبة **يجد الله** اي الجامع لكل كمال **غفورا** اي محا للزلات
رحيما اي مبالغا في اكرام من يقبل اليه من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن
تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ولما ندب الى التوبة
ورغب فيها بين ان ضرر اثمه لا يتعدى نفسه حثا على التوبة وتحبيبا اليها لما جبل
عليه كل احد من محبة نفسه ورفع الضر عنها فقال **ومن يكسب اثما** اي اثم كان **فانما
يكسبه على نفسه** لان وباله يحل راجع عليه اذ الله له بالمرصاد فهو مجازيه على ذلك
لا محالة غير حامل لشي من اثمه على غيره كما انه غير حامل لشي من اثم غيره ولما كان هذا
لا يكون الا مع العلم والحكمة قال تعالى **وكان الله** اي ازلا وابدا **عليما** اي بالغ العلم
بدقيق ذلك وجليله فلا يترك شيا منه **حكيما** فلا يجازيه الا بمقدار ذنبه واذا اراد
شيا وضعه في احكم مواضعه فلا يمكن غيره شي من نقضه ولما ذكر ما يخص الانسان
من اثمه اتبعه ما يعديه الى غيره فقال **ومن يكسب خطيئة** اي ذنبا غير متعمد
له **او اثما** اي ذنبا تعمده ولما كان البهتان شديدا جدا قل من يجترئ عليه اشار
اليه باداة التراخي فقال **ثم يرم به بريئا** اي ينسبه اليه من لم يعلمه وعظم جرم فاعل
ذلك بصيغة الافتعال في قوله **فقد احتمل** وبقوله **بهتانا واثما مبينا** وانما كان
مبينا لمعرفته بخيانة نفسه وبراة المرمي به ولان الله اجرى عادته الجليلة ان
يظهر براة المقذوف به في هذه النازلة وحذره ونهى وامره بين نعمته على نبيه صلى الله
عليه وسلم في عصمته عما ارادوه من مجادلته عن الخائن بقوله تعالى **ولولا فضل الله عليك**

اي بانزال الكتاب ورحمته اي باعلاء امرك وعصمتك من كل ذي كيد لهمت طائفة
منهم اي فرقة لا تزال تحل لها را وتقلب الامور وتدبر الافكار في ترغيب ما يريد ان
يضلوك اي يوقعوك في شيء ولكن الله حفظك في اصحابك فما هموا الى شيء وانما قصدوا
المدافعة عن صاحبهم بما لم يتحقق وكونهم انما اضلوك وما يضلون اي على حال من
حالات هذا الهم الا انفسهم اذ وباله ذلك عليهم وما يضرونك اي بوجه دون في ضرك
حالا ولا مالا باضلال ولا غيره من شيء وانزل الله اي الذي له جميع العظمة عليك اي وانت
اعظم الخلق الكتاب اي الذي تقدم اول القصة الاشارة الى كماله وجمعه لخيري الدارين
والحكمة اي الفهم بجميع مقاصد الكتاب وعلمك ما لم تكن تعلم اي من المشكلات
غيبا وشهادة وكان فضل الله عليك عظيما اي بغير ذلك من امور لا تدخل تحت
الحصر ولما كان قوم طعمة قد ناجوا النبي صلى الله عليه وسلم في الدفع عنهم نبههم
سبحانه وغيرهم على ما ينبغي ان يقع به التناجي ويحسن فيه التقاول والتجاذب على
وجه باه عزمهم اشد نهي بقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم اي تحوي جميع
المناجين الا من امر اي يحوي من امر بصدقة او معروف اي معروف كان مما يبيحه الشرع
من صدقة وغيرها ولما كان اصلاح ذات البين امرا جليلا نبه على عظمته بتخصيصه بقوله
او اصلاح بين الناس اي عامة فقد بين سبحانه ان غير المستثنى من التناجي لا خير فيه وكل ما
انتفى عنه الخير كان مجتنبا كما روى احمد والطبراني في الكبير بسند لا باس به وهذا لفظه عن
ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام قال انما الامور
ثلثة امر تبين لك رشده فاتبعه وامر تبين لك غيه فاجتنبه وامر اختلف فيه فرده
الى عالمه ولما كان التقدير فمن امر بشيء من ذلك فنجواه خير وله عليها اجر عطف عليه قوله
ومن يفعل ذلك اي الامر العظيم الذي امر به من هذه الاشياء ابتغاء مرضات الله
لان العمل لا يكون له روح الا بالنية فسوف نؤتيه اجرا عظيما ولما رتب سبحانه الثواب
العظيم على الموافقة رتب العقاب الشديد على المخالفة والمشاققة وكل المخالفة
الى تنشأ بقوله تعالى ومن يشاقق الرسول اي الكامل في الرسلية فيكون بقلب او بشيء
من فعله في جهة غير جهته على وجه المقاهرة من بعد ما ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه
وسلم في غاية الظهور تبين له الهدى اي الدليل الذي هو سببه ويتبع غير سبيل
المؤمنين اي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة نوله اي بعظمتنا ما تولى اي نكله
الى ما اختار لنفسه حد لا نمنا له ونصله جهنم اي نلقاه بالكراهة والغلظة والعبوسة
كما تجهموا اولياءنا وشاقهم وساءت مصيرا ولما كان قال على ذلك بعد بيان الهدى من اهل
الكتاب ومن اضلوه من المنافقين بما القوه اليهم من الشبهة فردوهم الى ظلام الشرك
والشك بعد ان بهرت ابصارهم اشعة التوحيد حسن ايلاء قوله تعالى معللا اشارة
الى ان من خرق اجماع المسلمين صار حكمه حكم المشركين فكيف بمن نابذ المرسلين ان الله لا يغفر

ان يشرك به اي وقوع الشرك به من اي شخص كان وباي شيء كان لان من قدح
في الملك استحق البوار والهلك ويغفر ما دون ذلك اي الامر الذي لم يدع
للشفاعة موضعا كما هو شان من القى السلام ودخل في ربقة العبودية ثم غلبته الشهوة
فقصر في بعض انواع الخدمة ثم دل على تفويض امره بقوله لمن يشاء ولما كان التقدير
فان من اشرك به فقد افترى اثما مبينا عطف عليه قوله ومن يشرك بالله اي الملك
الذي لا نزاع في تفرده بالعظمة لانه لا خفاء في ذلك عند احد فقد ضل اي ذهب عن
السنن الموصل ضلالا بعيدا لا يمكن سلامة مرتكبه وطوى مقدمة الافتراء الذي هو
تعمد الكذب وذكر مقدمة الضلال لان معظم السياق للعرب اهل الاوثان والجهل
فيهم فاش بخلاف ما مضى لاهل الكتاب فان كفرهم عن علم فهو تعمد للكذب ولما كان
المنافقون هم المقصودين بالذات بهذه الآيات وكان اكثرهم اهل اوثان
ناسب كل المناسبة قوله معللا لان الشرك ضلال ان يدعون ولما كان كل شيء دونه
سبحانه لانه تحت قهره قال من دونه اي وهو الرحمن ولما كانت معبوداتهم اوثانا متكثرة
وكل كثرة تلزمها الفرقة والحاجة والضعف قال الا اناثا اي فجعلوا انفسهم للاناث
عبادا وهم يانفون من ان يكن لهم اولادا هذا مع ان مادة انث ووثن يلزمها
في نفسها الكثرة والرخاوة والفرقة وكل ذلك في غاية البعد عن رتبة الالهية وسياتي
لذلك ان شاء الله تعالى بسط في سورة العنكبوت وان هذا القصر قصر قلب لاعتقادهم
انها الهة ومعنى الحصر ما هي الا غير الهة لما لها من النقص وان يدعون اي يعبدون
في الحقيقة الا شيطانا اي لانه هو الامر لهم بذلك المزين لهم مريدا اي عاتيا
مجردا من كل خير محترقا بافعال الشر بعيدا لمن كل امر من شاط وشطن ومرد ثم
تبين ذلك بقوله لعنه الله اي ابعده من كل خير فبعد فاحترق وقال لاتخذن
اي والله لاجتهدن في ان اخذ من عبادك الذين هم تحت قهرك ولا يخرجون عن
مرادك نصيبا مفروضا اي جزءا انت قدرته لي ولاضلنهم اي عن طريقك السوي
بما سلطتني به ولامنينهم اي كل ما اقدر عليه من الباطل من عدم البعث وغيره ولا
مرنهم فليبتكن اذان الانعام اي يشقونها علامة على ما حرموه على انفسهم
ولامرنهم فليغيرن خلق الله اي بانواع التغيير من تغيير الفطرة الاولى السليمة الى
ما دون ذلك من فقء عين الحامي ونحو ذلك وهو اشارة الى ما حرم اهل الجاهلية
على انفسهم بالتقريب للاصنام من السائبة وما معها المشار الى ابطالها اول المائدة
بقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم المصرح بنفي اخرها بقوله ما جعل
الله من بحيرة الاية ولما كان التقدير فقد خسروا باتخاذهم الشيطان وليا عطف
عليهما قوله ومن يتخذ اي يتكلف منهم ومن غيرهم تغيير الفطرة الاولى فياخذ الشيطان
وليا ولما كان ملزوما لمحادة الله قال من دون الله المستجمع لكل وصف جميل فقد خسر

خسرانا مبينا اي في غاية الظهور والرداة بما نقطيه صيغة الفعلان لانه تولى من لا
خير عنده ثم علل ذلك بقوله يعدهم اي بان يخيل اليهم في شيء من الاباطيل انه
قريب الحصول فيسعون في تحصيله فيضيع عليهم في ذلك الزمان ويرتكبون فيه ما لا
يحل من الاهوال والهوان ويمنيهم اي يزين لهم تعليق الامال بما لا ياتي حصوله ثم بين
ذلك بقوله وما اي والحال انه يعدهم واظهر في موضع الاضمار تنبيها على مزيد النفرة
فقال الشيطان اي المحترق البعيد عن الخير الا غرورا اي تزيينا بالباطل خداعا
ومكرا وتلبيسا اظهارا لما لا حقيقة له او له حقيقة سيئة في المهي الحقايق واشرفها
والذها الي النفس واشهاها الى الطبع فان مادة غرور ترجع وتدل على الشرف والحسن
ورفاعة العيش فالغرور ازالة ذلك ولما اثبت لهم ذلك انتج بلا شك قوله اوليك اي
البعدا من كل خير ماواهم جهنم اي تجهمهم وسعد عليهم ولا يجدون عنها محيصا اي
موضعا ما يميلون اليه شيا من الميل ولما ذكر ما للكافرين ترهيبا اتبعه ما لغيرهم
ترغيبا فقال والذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا اي تصديقا لا قرارهم
الصالحات سندخلهم اي بوعد لا خلف فيه جنات تجري من تحتها الانهار اي
لري ارضها فحيث ما اجري نهر منها جرى ولما كان الانزعاج عن مطلق الوطن ولو
لحاجة تعرض شديدا فكيف بهذا قال خالدين فيها ابدا ثم اكد ذلك بان الواقع يطابقه
وهو يطابق الواقع فقال وعد الله حقا اي يطابقه الواقع لانه الملك الاعظم وقد برز
وعده بذلك ومن احق من الله وعدا او اخبر به خبرا اصدقا يطابق الواقع ومن اصدق من
الله قيلا ولما اخبر تعالى عما اعدهم ولمن اضلهم من العقاب وعما اعد للمومن من الثواب
وكانوا يمنون انفسهم الاماني الفارغة من انه لا تبعة عليهم في التلاعب بالدين لا في
الدنيا ولا في الاخرة ويشجعهم على ذلك اهل الكتاب ويدعون انهم ابنا الله واحباوه
ولا يواخذهم بشي ولا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى او من شفعوا فيه ونحو
هذه النكاذيب مما يطعون به من والاهم بانهم ينجونه وكان المشركون يقولون نحن
اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ونحو ذلك كما قال القاضي بن وايل لخباب ابن
الارت وقد تقاضاه دينا كان له عليه دعني الى تلك الدار فاقضيك مما لي فيها فوالله
لا تكون انت وصاحبك فيها اثر عند الله مني ولا اعظم حظا فانزل في ذلك افرايت الذي
كفر باياتنا الايات من اخر مريم ويقول لهم اهل الكتاب انتم اهدى سبيلا لما كان
ذلك قال الله رادا على الفريقين ليس اي ما وعد الله وا وعده بامانيكم اي ايها
العرب ولا اماني اهل الكتاب اي التي يمنيكم جميعا بها الشيطان ولما كانت امانيهم
انهم لا يجازون باعمالهم الخبيثة انتج ذلك لا محالة قوله من يعمل سوا يجز به اي عاجلا اي ان
اريد به الخير واجلا ان اريد به الشر وما احسن ايلاها لتمنية الشيطان المذكور في قوله
يعدهم ويمنيهم ليكون الكلام وافيا بكشف عوار شياطين الجن ثم الانس في غرورهم لمن

خف

خف معهم مويسا لمن قبل منهم وما ابدع ختامها بقوله ولا يجد له ولما كان
كل واحد قاصرا عن مولاه عبر بقوله من دون الله اي الذي حاز جميع العظمة
وليا ولا نصيرا اي ينصره في وقت ما وما احسن التيامها بختام اول الايات
المحذرة منهم المرشد الي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الي
قوله وكفي بالله وليا وكفي بالله نصيرا اشارة الي ان مقصود المنافقين من
مشايعة اهل الكتاب ومتابعتهم وانما هو الولاية والنصرة وانهم قد ضيعوا
امنيتهم فاستنصروا بمن لا نصرة له وتركوا من ليست النصرة الا له ولما ابدى جزا
المسي تحذيرا اولاه اجر المحسنين تبشيرا فقال ومن يعمل وخفف تعالى عن عباده
بقوله من الصالحات ولما عم بذكر من صح بما انقسمه في قوله من ذكر وانثى وقيد
بقوله وهو اي والحال انه مومن ليكون بناو الاعمال على اساس الايمان فاوليك اي
العالوا الرتبة يدخلون اي يدخلهم الله الجنة اي الموصوفة ولا يظلمون نقيرا
اي لا يظلم الله المطيع منهم بنقص شي ولا العاصي بزيادة شي والنقير ما في ظهر
النواة من تلك الوهدة الصغيرة جدا كني بها عن العدم وهذا اعلى ما يتعارفه والا فالله
تعالى له ان يفعل ما يشا فان ملكه تام وملكه عام لا يتصور منه ظلم كيف ما فعل
ولما كشف سبحانه زورهم وبين فجورهم انكر ان يكون احد احسن دينا ممن تبع
ملة ابراهيم حنيفا الذي يزعمون انه كان على دينهم زعما تقدم كشف عواره وهتك
استاره في ال عمران فقال عاطفا على ما تقديره فمن احسن دابا ومجازيا وحاكما
منه سبحانه ومن احسن دينا ممن اسلم اي اعطى وجهه اي قياده اي الجهة التي
يتوجه اليها بوجهه اي قصده كله لله فلا حركة له ولا سكنة الا فيما يرضاه ولما عبر
بالماضي شرط فيه الدوام بقوله وهو اي والحال انه محسن اي مومن مراقب لا
غفلة عنده اصلا بل الاحسان صفة له راسخة ولما كان هذا ينتظم من كان على دين
اي نبي كان قبل نسخه قيده بقوله واتبع اي بجهده ملة ابراهيم حنيفا اي لينا سهلا
مايلا مع الدليل ولما كان التقدير فقد جعل الله ملة ابراهيم احسن الملل عطف
عليه قوله واتخذ الله اي اخذ اخذ من هو معتن بذلك مجتهد فيه ابراهيم خليلا
واظهر اسمه في موضع الاضمار تصريحا بالمقصود احترازا من الايهام واعلا لقدره بذكره
بذكره ولما اخبر بمن يحبه ومن يبغضه وما يرضيه وما يغضبه وكان ربما توهم عدم
القدرة على اخذ لغير ما اخذ وجعل لغير ما جعل او تعنت بذلك متعنت فظن ان في الكلام
دخلا قال ولله ما في السموات وما في الارض اشارة الي انه التام الملك العظيم الملك فلا
يعطي الا من تابع اولياه وجانب اعداه ولا يحتاج الا من علم خبارا وهو مع ذلك قادر على ما
يريد من اقرار وتبديل ولذلك قال وكان الله بكل شي اي منهما ومن غيرهما محيطا علما
وقدرة ولما تمت البراهين وسطعت الحجج وكان من اعظم مقاصد السورة العدل في الضعفا

اي تبعا بفعل معه
بفعل القريب

من الايتام وغيرهم في الميراث وغيره وكان توريث النسا والاطفال ذكورا كانوا ام اناثا
مما ابا الله نفوسهم واشربت بغضه قلوبهم وكان التعمق في اثبات ما هنا سبيله الجمع
والقاوه شيا فشيا في قوالب البلاغة اعمع وصل بذلك قوله تعالى ويستفتونك في جملة
حالية من اسم الجلالة في التي قبلها اي له ما ذكر فلا مساغ للاعتراض عليه والحال انهم
يستفتونك في النسا بعض ما اعطي من ملكه من الارث بعض مخلوقاته في النسا محتجين
بانه لا ينبغي ان يكون المال الا لمن يحمي الذمار والحال انهم قد عبدوا من دونه
اناثا وجعلوا لها نما خولهم فيه من الرزق الذي ملكهم له ضعيف من الحرث والانعام
نصيبا فلا اعجب من حال من كره الاستثنا الذي لا يكون في العرف غالبا الا ايما فيه
اعتراض في اناث احيا واطفال ذكور اعطاهم المالك التام الملك العظيم الملك
بعض ما يريد ولم يعترض على نفسه حيث اعطى اناثا لا حياة لها ولا منفعة كما في
بدع وملكه في الحقيقة لغيرهم ولم ياذن فيه المالك ما لا ينتفع به المعطى ولما كان
المقام بكثرة الاستثنا محتاجا الى زيادة الاعتنا قال قل الله امرا معبرا بالاسم الاعظم
منبها على استحضار ما ذكر اول السورة يفتيكم اي يبين لكم حكمه فيهن اي الان لان
تقوموا لهن بالقسط وما اي مع ما يتلى عليكم اي يجدد ذلك تلاوته الى اخر
الدهر سيفا قاطعا وحكما ماضيا جامعا في الكتاب اي فيما سبق اول السورة في
قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسا وغير ذلك في يتامى
النسا اي في شانهن اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض من الميراث وساير
الحقوق فرضا هو في غاية اللزوم وترغبون ان في اي او عن ان تنكحوهن ويفتيكم في
والمستضعفين من الولدان ولما كان التقدير في ان تقوموا لهم بالقسط اي من ميراثهم
وساير حقوقهم ولا تخفوهم لعزهم عطف عليه قوله وان تقوموا لليتامى
بالقسط اي بالعدل من الميراث وغيره ولما كان التقدير فما تفعلوا في ذلك
من شر فان الله كان به عليما وعليكم قديرا عطف عليه قوله ترغيبا وما تفعلوا من خير
اي في ذلك او غيره فان الله كان به عليما اي فهو جدير وهو اكرم الاكرمين واحكم
الحاكمين بان يعطي فاعله على حسب كرمه وعلق قدره فطيبوا نفسا وقروا عينا
روى البخاري في التركموا النكاح ومسلم في اخر الكتاب وابو داود والنسائي
في النكاح عن عروة انه سال عايشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل وان
خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الى ورباع قالت يا ابن اختي هي اليتيمة في حجر وليها
تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها بغير ان يقسط
في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن
ويبلغوا بهن اعلى سنتهن من الصداق وامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النسا
سواهن قالت عايشة رضي الله عنها ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية فانزل

الله عز وجل ويستفتونك الى وترغبون ان تنكحوهن الذي ذكر انه يتلى الاية الاولى
التي قال فيها فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى قالت عايشة رضي الله عنها وقول
الله تعالى في الاية الاخرى وترغبون ان تنكحوهن من رغبة احدكم بيتيمته وقال
مسلم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال فنهوا ان
ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النسا الا بالقسط من اجل رغبتهم
عنهن زاد مسلم اذا كن قليلات المال والجمال وقال البخاري في النكاح
فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا
لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وفي البخاري ومسلم في التفسير عن عروة
ايضا عنها ويستفتونك في النسا الاية قالت هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها
ووارثها فاشركته وقال مسلم لعلها ان تكون قد شركته في ماله حتى في العذق فيرغب
ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الاية
وفي رواية لمسلم نزلت في الرجل تكون له اليتيمة وهو وليها ووارثها ولها مال وليس
لها احد يخاصم دونها فلا ينكحها لمالها فيضربها ويسي صحبتها فقال ان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم يقول ما احللت لكم ودع هذه التي تضربها وفي رواية
له وللبخاري في النكاح فيرغب عنها ان يتزوجها ويكره ان يزوجها فيشركه في ماله
وقال البخاري فيدخل عليه في ماله فيعضلها ولا يزوجها زاد البخاري فيما يم الله عن ذلك
وما انسب ذكر هذا الحكم الذي كثرت فيه المراجعة على وجه يوذن بعدم اذعان
بعض النفوس له عقب اية الاسلام الذي معناه الانقياد والخضوع والاحسان الذي
صار في العرف اكثر استعماله للاعطا والتالف والعطف لا سيما للضعيف وذكر
ابرهيم عليه السلام الذي تقدم انه اتم ما ابتلاه الله به من الكلمات ووفى بها من غير
مراجعة ولا تلعثم وانه كان حنيفا ميالا مع الدليل تعسفا لمن قام عليه دليل
العقل وأباه صريح النقل وهو يراجع واذا تاملت قوله تعالى من يعمل سوا يجز به
مع قوله فيما قبل فليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم لاحت لك
ايضا مناسبة بديعة ولما صاروا يعطون اليتامى اموالهم وصاروا يتزوجون ذوات
الاموال منهم ويضاجرون بعضهن عقب ذلك تعالى باحوال المشاقة بين الازواج فقال
وان امراة اي واحدة او اكثر من خافت اي توقعت بما يظهر لها من القراين من بعلها
نشوزا اي ترفعا بما ترى من استهانته لها بمنع حقوقها او اساة صحبتها او اعراضا
عنها بقلبه بحيث ان يجر الى الفراق وان كان متكلفا لملاطفتها بقوله وفعله فلا جناح
اي حرج وميل عليهما ان يصالحا ان يوقعا بينهما صلحا اي بان تلين هي بتركها بعض
المهر او بعض القسم او نحو ذلك وان يلين لها هو باحسان العشرة في مقابلة ذلك ولما
كان التقدير ولا جناح عليهما ان يتفارقا على وجه العدل عطف عليه قوله والصلح اي

يترك كلا منهما حقه او بعض حقه خير اي من الجنوح اوصى المفارقة التي اشارت اليها الجملة المطوية لان الصلح مبناه الاحسان الكافل بالرضى من الجانبين والمفارقة مبناها العدل الذي يلزم منه في الاغلب غيظ احدهما وتخصيص المفارقة بالطلاق لان مبنى السورة عـ المواصلة ولما كان منشا التشاجر المانع من الصلح شكاكة في الطباع صور سبحانه ذلك تنفيرا عنه فقال واحضرت الانفس اي الناظرة الى نفاستها عجبا الشح اي الحرص وسوء الخلق واعوجاج الفطرة الاولى ولما كان هذا خلقا رديا لم يذكر فاعله والمعنى احضرها اياه محضر فصار ملازما لها لا تنفك عنه الا بتوفيق من الله في قهرها عليه بتذكيرها عند سبحانه من حسن الجزا ولما كان التقدير فان شححتم فانه اعلم بما في الشح من موجبات الذم عطف عليه قوله وان تحسنوا وتتقوا اشارة الى انه الشحيح لا محسن ولا متق فان الله وهو الجامع لصفات الكمال كان بما تعملون في كل شح واحسان خبيرا اي بالغ العلم به وانتم تعلمون انه الكريم الاكرم فهو يجازيكم عليه احسن جزا ولما ذكر سبحانه ان الوقوف عـ الحق فضلا عن الاحسان وان كانت المراة واحدة متعسر اتبعه ان ذلك عند الجمع اعسر فقال تعالى معبرا باداة التابيد ولن تستطيعوا اي توجدوا من انفسكم طواعية بالغة دايمة ان تعدلوا اي من غير حيف اصلا بين النسا اي في جميع ما يجب لكل واحدة منهن عليكم من الحقوق ولو حرصتم اي عـ فعل ذلك وهذا مع قوله تعالى وان خفتم الا تعدلوا فواحدة كالمحتم للاقتصار عـ واحدة ولما اخبر تعالى بانه لا يخلو انكاح العدد عن ميل سبب عنه قوله فلا اي فان كان لابد لكم من العدد فلا تميلوا كل الميل ثم سبب عنه قوله فتذروها اي المراة كالمعلقة اي بين النكاح والعزوبة والزواج والانفراد ولما كان التقدير فان ملتم كل الميل مع ابتنا العصمة فان الله كان منتقما حسيبا عطف عليه قوله وان تصلحوا وتتقوا بان توجدوا الاصلاح والتقوى عـ تجدد الاوقات فان الله كان غفورا رحيما اي محا للذنوب لمنع الاكرام فهو جدير بان يغفر لكم مطلق الميل ويسبغ عليكم ملابس الاكرام ولما كان من الاصلاح المعاشرة بالمعروف ذاكرا قسيمه فقال وان يتفرقا اي يفترق كل من الزوجين من صاحبه يغن الله اي الذي له صفات الكمال كلا اي منهما اي يجعله غنيا من سعته اي شمول قدرته وغناه من كل صفة كمال ولمزيد الاعتنا بتقرير هذه المعالي في النفوس لاحضارها الشح كرر اسمه الاعظم الجامع فقال وكان الله اي ازلا وابدا واسعا اي محيطا بكل شي حكيما اي يضع الاشيا في اقوم محالها ولما كان مبنى هذه السورة عـ التعاطف والتراحم والتواصل لم يذكر فيها الطلاق الا عـ وجه الايما في هذه الاية عـ وجه البيان لرافته وسعة رحمته وعموم تربيته وفي ذلك معنى الوصلة والعطف قاله ابن الزبير وكثيرا ما يعرض من رعي حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القرابة ويدق ذلك ويغمض لذلك ما تكرر كثيرا في هذه السورة الامر بالاتقا وبه افتتحت اتقوا ربكم اتقوا الله الذي تسالون به والارحام

ولقد

ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الاية ولما ذكر تعالى ابتدا التفرق وختمه بصفتي السعة والحكمة دل عـ الاولى بقوله ولله ما في السموات وما في الارض وعلى الثانية بالوصية بالتقوى لانه تعالى كرر الحث عـ التقوى في هذه الجمل في سياق الشرط بقوله وان تحسنوا وتتقوا وتصلحوا وتتقوا فاخبر تعالى بعد اللطف بذلك السياق ان وصيته بها موكدة لم تزل قديما وحديثا لان العلم بالمشاركة في الامر يكون الداعي للقبول واهون عـ النفس فقال تعالى ولقد وصينا اي عـ ما لنا من العظمة الذين اوتوا الكتاب اي التورية والانجيل وغيرهما من قبلكم اي من بني اسرايل وغيرهم واياكم اي ووصيناكم مثل ما اوصيناهم ان اتقوا الله ولما كان التقدير فان تتقوا فهو حظكم وسعادتكم في الدارين عطف عليه قوله وان تكفروا اي بترك التقوى فان لله ما في السموات وما في الارض منكم ومن غيركم من حيوان وجماد احسادا وارواحا واحوالا ولما كان المعنى لا يخرج شي عن ملكه ولا ارادته ولا يلحقه ضرر بكفركم ولم تضروا ان فعلتم الا انفسكم اكد بقوله دالا عـ غناه واستحقاقه للمحامد وكان الله غنيا اي عن كل شي الغنى المطلق حميدا اي محمودا بكل لسان قال وحال كفرتم او شكرتم فكان ذلك غاية في بيان حكمته ولما كان الملك قد لا يمنع الاعتراض عـ المالك بين ان ذلك انما هو في الملك الناقص وان ملكه تام فقال ولله ما في السموات وما في الارض اي هو قايم بمصالح ذلك كله مشتغل بجميع امره لا معترض عليه بل هما وكل ما فيهما ومن فيهما مظهر المعجز افتقر امره متلق منه لبدنه ونفسه واحواله اليه طوعا او كرها فهو وكيل عـ كل ذلك فاعل به ما يفعل الوكيل من الاخذ والقبض والبسط ولمثل ذلك كرر الاسم الاعظم فقال وكفى بالله وكيلا اي قايما بالمصالح قاهرا متفردا بجميع الامور ومن هذا شانه ان يشا يذهبكم ايها الناس المتفرعون من تلك النفس الواحدة كما قد لغناه عنكم وقدرته عـ ما يريد منكم ويات باخرين اي من غيركم وكان الله على ذلك اي الامر العظيم قديرا اي بالغ القدرة وهذا غاية البيان لغناه وكونه حميدا وقاهرا شديدا ولذا تاملت فتمام قوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام في اخر هذه السورة سبحانه ان يكون له ولد زاد ذلك هذا السر وهو كونه لا اعتراض عليه وضوحا ولما كان في هذا تهديد بليغ وتعريف بسعة الملك وكمال التصرف وكان مدار احوال المتشاجرين في الارث وحقوق الازواج وغيرها الاموال لهم وكان سبحانه تعقد بين فيما مضى ان مبنى احوال المنافقين عـ طلب العرض الفاني خصوصا قصة طعمة بن ابيرق الراضي لنفسه بالفضيحة في نيل شي تافه قال تعالى لارايهم وتخسيسا لهممهم حيث نزلوا الى الادنى مع القدرة عـ طلب الاعلى مع طلب الادنى الدنيا منه فقال يفوتهم شي مع معوقهم مع احراز الانفس من كان يريد ثواب الدنيا فعند اي فليقبل الى الله فانه عند الله ثواب الدنيا والاخرة اي فليطلبها منه فانه يعطي من اراد ما شا ومن علت همته عن ذلك فاقبل بكليته اليه وقصر همه عليه فلم يطلب الا الباقي جمع سبحانه له بينهما كمن يجاهد لله خالصا فانه يحصل له خير الاجر والمغنم

وما اشد التيامها مع مما قبلها لان من كان تام القدرة واسع الملك كان كذلك ولما
كان الناشى عن الارادة اما قولا او فعلا وكان الفعل قد يكون قلبيا قال وكان الله سميعا
اي بالغ السمع لكل قول وان خفي بصيرا اي بالغ البصر لكل ما يمكن ان يبصر من الافعال
والعلم بكل ما يبصر وما لا يبصر منها ومن غيرها فيكون من البصر ومن البصيرة فليراقبه
العبد قولا وفعلا ولما كان هذا من احسن المواعظ لقوم طهرهم الذين اعتصموا الا التفت
اليهم بصيغة الامر على وجه يعم غيرهم قايلا يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم
كونوا قوامين اي قايمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه ولما كان اعظم الشافعية
بمصر ابو الفضل احمد بن علي بن حجر رحمه الله في مباني هذه السورة العدل قدمه فقال بالقسط
بخلاف ما ياتي في المائدة فان النظر فيها الى الوفا الذي انما يكون بالنظر الى المدني لم
شهداء اي حاضرين متيقظين حضور المحاسب لكل شي اراد ثم الدخول فيه لله اي لوجهه
لا لشي غيره ولو على انفسكم اي فاني لا اريدكم بذلك الا عزا ولا تفعلوا ذلك فهو تكرم على الشهادة
على انفسكم على رؤوس الاشهاد ففضحتم في يوم يجتمع فيه الاولون والاخرون من جميع العباد
ولما ذكر اعز ما عند الانسان اتبعه ما يليه وبدا منه بمن جر الى ذلك الهيبة فقال او
الوالدين ما يعمهما وغيرهما فقال والاقربين اي من الاولاد وغيرهم ثم علل ذلك بقوله
ان يكن اي المشهود له او عليه غنيا اي ترون الشهادة له بشي باطل دافعة ضرا منه للغير
من المشهود عليه او غيره او ما نفعه فسادا اكبر منها او عليه بما لم يكن صلاحا طمعا في نفع الغني
بما لا يضره ونحو ذلك او فقيرا تخيل اليكم ان الشهادة له بما ليس له منفعة رحمة له او بما ليس
عليه لمن هو اقوى منه يسكن فتنته فالله اولى بهما اي بنوعي الغني والفقير المندرج فيهما
هذا ان المشهود بسببهما منكم فهو المرجو لجلب النفع ودفع الضر بغير ما ظننتموه ولما كان
هذا مسبب عنه قوله فلا تتبعوا الهوى وتتمكنوا فيه انهماك المجتهد فيه المحب له ازاي — اي تتكلفوا اتبع هو
ارادة ان تعدلوا فقد بان لكم انه لا عدل في ذلك ولما كان التقدير فان تبعوه لذلك اوتبعوه
فان الله كان عليكم قديرا عطف عليه قوله وان تلووا اي السنتكم لتحرفوا الشهادة نوعا
من التحريف او تدبروا السنتكم اي تقطعوا بالشهادة باطلا او تعرضوا اي عنها وهي حق لازم
ما فان الله كان اي لم يزل ولا يزال اي لم يزل ولا يزال بما تعملون خبيرا اي بالغ العلم
باطنا وظاهرا فهو يجازيكم على ذلك بما يستحقونه فاحذروه وكن نعد ما انفي من تاديبهم على
وجه الاشارة والايما من غير امر وما انسبها لختام التي قبلها واشد التحامها بختام
هذه بصفة الخبير وتلك بصفتي السمع والبصر ولما امر بالعدل على هذا الوجه امر بالحامل على
ذلك وهو الايمان بالشارع والمبلغ والكتاب الناهج لشرايعه المبين لاسرار الذي افتتح
القصة بحقيقة وبيان فابتداته فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما ناداهم
بوصف الايمان امرهم بما لا يحصل الا به فقال مفصلا له امنوا بالله اي لانه اهل لذلك لذاته
ورسوله اي لانه المبلغ عنه سوا كان من الملك او البشر والكتاب الذي ولما يكن تنزيل هذا

الكتاب

الكتاب القيم قديما عبر بصيغة التفعيل لذلك وتذكيرا بما فيه من المنة فقال نزل
اي مفرقا بحسب المصالح تدريجا تبيينا وتفهيما على رسوله اي لانه المفصل لشريعتكم
المتكفل بما تحتاجون اليه من الاحكام والمواعظ وجميع ما يصلحكم والكتاب
الذي انزل اي اوجد انزاله ومضى ثم بين المراد بقوله من قبل لان رسولكم بلغكم
ذلك فلا يحصل الايمان الا بتصديقه في كل ما يقوله ولما كان التقدير فمن امن بذلك
فقد اهتدى عطف عليه قوله ومن يكفر اي يوجد الكفر ويجدده وقتا من
الاوقات بالله وملايكته وكتبه اي التي انزلها على انبيايه بواسطة ملايكته او بغير
واسطة ورسله اي من الملايكة والبشر واليوم الاخر اي الذي اخبرت به رسله
وقضت به العقول الصحيحة وان كانت لا تستقل بادراكه قبل تنبيه الرسل لها عليه
وهو روح الوجود وسره وقوامه وعماده فيه تكشف الحقايق وتجمع الخلايق ويظهر
شمول العلم وتمام القدرة وبسط ظل العدل وتجتنى ثمرات الفضل فقد ضل ضلالا
بعيدا اي لا اصلة في رجوعه معه ولما كان المتمادي بعد نزول هذا الهدى موجدا
للكفر ومجددا له علل اغراقه في البعد بغضبه سبحانه لتماديه في ذلك الطف اسقوطا
الى النزوع عن الخلاف فقال ان الذين امنوا اي بما كانوا مهيئين له من الايمان
بالفطرة الاولى ثم كفروا اي اوقعوا الكفر فخرجوا ما اقامه الله من فطرتهم ثم امنوا
اي حقيقة او بالقوة بعد مجي الرسول باحيايه لهم باظهار الادلة واقامة الحجج ثم كفروا
اي بذلك الرسول او برسول اخر بتجديد الكفر والتمادي فيه ثم ازدادوا كفرا
اي باصرارهم على الكفر لم يكن الله ليغفر لهم اي ما داموا على هذا الحال لانه لا
يغفر ان يشرك به ولا ليهديهم سبيلا اي من السبل الموصلة الى المقصود ولما كانت
جميع صور الاية منطبقة على النفاق بعضها حقيقة وبعضها مجازا قال جوابا لمن
كانه سال عن جزائهم متهكما بهم بشر المنافقين فاظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم
بالوصف بان لهم عذابا اليما ثم وصفهم بما يدل على انهم المسارعون بالكفر بقوله تعالى
الذين يتخذون الكافرين اي المجاهدين بالكفر اولياء اي يتعززون بهم تقريرا من
مقاربة صفتهم ليتميز المخلص من المنافق وبيانا لان مرادهم بولايتهم انما هو التعزز بهم
فان محط امرهم على العرض الدنيوي من دون المؤمنين اي العريقين في الايمان
ثم انكر عليهم هذا المراد بقوله ايبتغون عندهم العزة فكانه قال طلبهم العزة بهم
سفه من الراي وبعد من الصواب لانه لا شي من العزة عندهم فان العزة لله جميعا
اي وهم اعداء الله فانما يترتب لهم ضرب الذلة والمسكنة وما احسن التفات هذه
الاية الى اول الايات المحذرة من اهل الكتاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
المختتمة بقوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا وقد اي والحال انه قد نزل عليكم اي ايتها
الامة في الكتاب اي في سورة الانعام النهي عن مجالستهم فضلا عن ولايتهم افلا تخافون عزة

من نهاكم عن ذلك ان يضربكم بذلك لا تخلصون منه ابدا لانهم لا ينفكون عن الكفر بايات
الله وذلك هو المراد من قوله ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها اي يستر ما اظهرت من الادلة
ويستهزئ بها اي يطلب طلبا شديدا ان يكون مما يهزا به فلا تقعدوا معهم اي الذين يفعلون
ذلك بها حتى يخوضوا في حديث غيره فهذا نهي عن مجرد مجالستهم فكيف بولايتهم ولما
كانت اية الانعام مكية اقتصر فيها على مجرد الاعراض وقطع المجالسة لعدم التمكن من الانكار
بغير القلب واما هذه الاية فمدنية فالتغيير عند ازالها باللسان واليد ممكن لكل مسلم فالمجا
من غير نكير راض فلهذا علل بقوله انكم اذا مثلهم اي في الكفر لان الرضى بالكفر كفر
فاشتد حسن ختم الاية بجمع الفريقين في جهنم بقوله مستانفا لجواب السوال عما يكون
به المماثلة ان الله جامع المنافقين اي الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر والكافرين
اي الذين يجاهرون بكفرهم لرسوخهم فيه في جهنم جميعا ثم وصفهم سبحانه بما يعرف
بهم فقال الذين يتربصون بكم اي يثبتون على حالهم انتظارا لوقوع ما يغيظكم فان
كان لكم فتح اي ظهور وحظ وظفر وقال من الله تذكيرا للمومنين بما يديم اعتمادهم
عليه وافتقارهم اليه قالوا الم نكن معكم اي ظاهرا بابدانكم بما تسمعون من اقوالنا
فاشركونا في فتحكم وان كان للكافرين اي المجاهدين وقال نصيب تحقيرا لظفرهم وانه
لا يضر بما حصل للمومنين من الفتح قالوا ليشركوهم في نصيبهم الم نكن معكم اي نطلب
حياطتكم والمحافظة على مودتكم حتى غلبنا على جميع اسراركم واستولينا عليها وخالطناها
مخالطة الدم للبدن من قولهم حاطه اي حاطه وحافظ عليه ونمنعكم من المومنين
بما كنا نخادعهم به ونشيع فيهم من الارجافات والامور المرعبات الصارفة لهم
عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لاظهارنا الايمان ورضانا من مداهنة من يكره
بما لا يرضاه انسان ولما كان هذا لاهل الله امرا عارضا معلقا موجبا سبب عنه قوله
فالله اي بما له من جميع العظمة يحكم بينكم يوم القيمة ولما كان هذا ربما ايا سهم من النصر في
الدنيا فقال ولن يجعل الله عبر بالاسم الاعظم لاستبعاد الغلبة على الكثرة لما لهم
في ذلك الزمان من القوة والكثرة للكافرين سوا كانوا مساترين او مجاهرين على المومنين
اي كلهم سبيلا اي بوجه في دنيا ولا اخرة وهذا تسفيه لارايهم واستخفاف بعقولهم
فكانه يقول يا ايها المتربصون باحباب الله الدوائر المتمنون لاعدائهم النصر
وقد قامت الادلة على ان العزة جميعا لله ما اضلكم في ظنكم انه يخذل اولياءه وينصر
اعداءه وما اغلظ اكبادهم ثم بين ان صورتهم في ضرائهم الشعث بالوجهين صورة المخادع
وما اضلهم حيث خادعوا من لا يجوز عليه الخداع لعلمه بالخفايا فقال معللا لمنعهم
السبيل ان المنافقين يخادعون الله اي يفعلون فعل المخادع لانه سبحانه يستدرجهم
من حيث لا يشعرون وهم يخادعون المومنين باظهار الايمان وابطان الكفر وهو الذي
امر المومنين بما امرهم فكانهم يفعلون ذلك معه وهو خادعهم لانه قادر على اخذهم

تستحوذ عليكم م

من ما منهم وهم ليسوا قادرين على خدعه بوجه واذا اي يخادعونه والحال انهم
قد فضحوا انفسهم بما اظهر مكرهم للمستبصرين وهو انهم اذا قاموا الى الصلاة اي المكتوبة
قاموا كسالى عادة لا ينفكون عنها بحيث يعرف ذلك منهم كل من تاملهم ثم استانف
في جواب من كانه قال ما لهم يفعلون ذلك فقال يراءون الناس اي يفعلون ذلك
ليراهم الناس ليس الا ليظنوهم مومنين كما يرونهم المومنين حين يصلون ولا يذكرون الله
اي في الصلاة وغيرها الا قليلا اي حيث تعين ذلك طريقا للخداع عنهم يفعلون ذلك
حال كونهم مذبذبين اي مضطربين كما يضطرب الشي الخفيف المعلق في الهوى ولما كان
ما تقدم يدل على ايمانهم تارة وكفرهم اخرى قال بين ذلك اي الايمان والكفر كذلك
قال لا الى اي لا يجدون سبيلا معزا الى هولاء اي المومنين ولا الى هولاء اي الكا قبل
ولما كان التقدير لان الله اضلهم بنى عليه قوله ومن يضلل الله اي الساملل القدرة الكا مل
العلم فلن تجد اي اصلا له سبيلا اي طريقا الى شي يريده ولما انقضى ما اراده من الانكار على من
ادعى الايمان في اتخاذ الكافرين اولياء المستلزم للنهي عن ذلك الاتخاذ صرح به مخاطبا للمومنين
فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم لا تتخذوا الكافرين اي المجاهرين
بالكفر العريقين فيه اولياء اي اقرباء تفعلون معهم من الود والنصرة ما يفعل القريب مع قريبه
من دون المومنين وهذا اشارة الى انه لا يصح لمن يواليهم دعوى الايمان ولذلك قال
منكرا اتريدون اي بموالاتهم ان تجعلوا لله عليكم اي في النسبة الى النفاق سلطانا
اي دليلا على كفركم باتباعكم غير سبيل المومنين مبينا واضحا مسوغا لعقابكم وحرمانكم ولم
في زمرة المنافقين ولما نهاهم عن فعل المنافقين استانف بيان جزائهم عند تعالى
ان المنافقين في الدرك اي البطن الاسفل من النار لان ذلك اخفى ما في النار واستره
وادناه واوضعه كما ان كفرهم اخفى الكفر وادناه وهو ايضا اخبث طبقات النار كما ان
كفرهم اخبث انواع الكفر وفيه ان من السلطان وضع فاعل ذلك في دار المنافقين لفعله
مثل فعلهم ومن تشبه بقوم فهو منهم ولما اخبرا انهم في هذا المحل الضنك اخبر دوامه
لهم على وجه مولم جدا فقال ولن تجد اي ابدا لهم نصيرا واشار بالنهي عن موالاتهم وعدم
نصرهم الى ختام اول الايات المحذرة من الكافرين اعم من ان يكونوا منافقين او لا
متعدو وانفعه مالا يمر الى ان ختم بما دل على ان النفاق اغلظ انواع الكفر واستثنى منه
دلالة على ان غيره من الكفر في هذا الاستثنا اولى تنبيها على ان ذلك النهي المبالغ فيه انما
هو لمن مات على ذلك ولكنه سيق على ذلك الوجه تهويلا لما ذكر في حيزه وتنفيرا منه فقال
تعالى الا الذين تابوا اي رجعوا عما كانوا عليه من النفاق بالندم والاقلاع واصلحوا اي
اعمالهم الظاهرة من الصلاة التي كانوا يراءون فيها وغيرها واعتصموا بالله اي اجتهدوا
في ان تكون عصمتهم اي ارتباطهم به ولما كان الاقلاع عن النفاق الذي من انواعه
الريا اصلا وراسا في غاية العسر قال حثا على مجاهدة النفس فيه واخلصوا دينهم اي كله

الله فأولئك اي العالوا الرتبة مع المومنين اي الذين صار الايمان لهم وصفا راسخا في الجنة
وان عذبوا على معاصيهم ففي الطبقة العليا من النار وسوف يؤت الله المومنين اي
بوعد لا خلف فيه وان اصابهم قبل ذلك ما اصابهم وان طال عذابهم لهذيبا لهم من
المعاصي بما اشار اليه لفظ سوف اجرا عظيما اي بالخلود في الجنة التي لا ينقضي نعيمها ولا
يتكدر يوما مزيلها ولما كان معنى الاستثنا انه لا يعذبهم وانهم يجدون السمع باذنه
قال مولدا الذلك على وجه الاستنتاج منكرا على من ظن انه لا ينقلهم بعد الاغراق في
المهالك ما يفعل الله اي وهو المتصف بصفات الكمال التي منها الغنى المطلق بعذابكم
اي فانه لا يجلب له نفعا ولا يدفع عنه ضرا ان شكرتم نعمه التي من اعظمها انزال الكتاب الهادي
الى الرشاد المنقذ من كل ضلال المبين ما يحتاج اليه العباد فاطكم التفكر في حالها الى
معرفة مسديها فاذا عسم له وهو عليم الى طاعته وابعدتم عن معصية ولما الشكر هو
الحامل على الايمان قدمه عليه ولما كان لا يقبل الا به قال وامنتم اي به ولما كان معنى
الانكار انه لا يعذبكم بل يشكر لكم ذلك قال عاطفا عليه وكان الله اي ازلا وابدا شاكرا
لمن شكره عليما بمن عمل له شيئا وان دق ولما اتم سبحانه ما اراد من تقبيح حال المجالسين
الخائضين وابانة بما هي منزهة عنه وما يتبعه من وصفهم وبيان قصدهم بتلك المجالسة
من النهي عن مثل حالهم ومن جزا من فعل مثل فعلهم الى ان ختم باشد عذاب المنافقين
وحث على التوبة بما ختمه بصفتي الشكر والعلم اخبر انه تعالى يبغض خوض الكافرين
الذين قبح بما لستهم حال التلبس به وكذا كل جهر بسوء الا ما استثناه فقال قدم على ما لا يحبه
لمريتم بحق عبوديته فقال معللا لما مضى قبل افتتاح امر المنافقين من الامر باحسان
التحية لا يحب الله الجهر بالسوء الذي يسوء ويزري من القول اي لا احد كائنا من كان فان ذلك
ليس من شكر الله في الاحسان الى عباده وعيا له ولا من شكر الناس في شي ولا يشكر الله من لا يشكر
الناس الا من اي جهر من ظلم ولما كان القول مما يسمع وكان من الظلم ما قد يخفى قال مرغبا مرهبا
وكان الله سميعا عليما اي فاحذروه لئلا يفعل بكم فعل الساخط وجهر من ظلم وان كان داخلا
فيما يحبه الله تعالى على تقدير كون الاستثنا متصلا لكن جعله من جملة السوء وان كان من باب
المشابهة فان فيه لطيفة وهي نهي الفطن عن تعاطيه وحثه على العفو لان من علم ان فعله يحب
ينطلق عليه اسم السوء على اي وجه كان اطلاقه كف عنه ان كان موفقا ولما اشار سبحانه الى
العفو وختم بصفتي السمع والعلم قال مصرحا بالندب الى العفو فكان نادبا اليه مرتين الاولى
بطريق الاشارة لاولي البصائر والثانية بصريح العبارة للراغبين في التجارة ان تبدوا خيرا
اي من قول او غيره او تخفوه اي تفعلوه خفية ولما ذكر فعل الخير اتبعه نوعا منه هو افضله
فقال او تعفوا عن سوء اي فعل اليكم ولما كان التقدير يعلمه بما له من صفتي العلم والسمع
فيجازي عليه بجزا افضل منه وعفوا اعظم من عفوكم سبب عنه قوله فان اي فانتم جديرون
بالعفو بسبب علمكم بان الله كان دايما ابدا ازلا عفوا ولما كان ترك العقاب لا يسمى عفوا الا

اذا

٣

اذا كان من قادر وكان الكف عند القدرة عن الانتقام ممن اثر في القلوب الاثار العظام
بعيدا شاقا على النفس شديدا قال تعالى مذكرا للعباد بذنوبهم اليه وقدرته عليهم
قديرا اي بالغ العفو عن كل ما يريد والقدرة على كل ما يريد وممن يريد فالذي لا ينفك
عن ريب وعجز اولى بالضعف طمعا في عفو القادر عنه وخوفا من انتقامه منه ولما
انقضى ذلك على اتم وجه واحسن سياق ونحو وختم بصفتي العفو والقدرة شرع في بيان
احوال من لا يغني عنه من اهل الكتاب وبيان انهم هم الذين اضلوا المنافقين
بما يلقون اليهم من الشبه التي وسع عقولهم لما انعم به عليهم سبحانه من العلم فابدلوا
الشر وكتموا الخير ووضعوا نعمته حيث يكره ثم كشف سبحانه عن بعض شبههم فقال مبينا لما افتتح
به قصصهم من انهم اشتروا الضلالة بالهدى ويريدون ضلال غيرهم بعدا لكان ختم هناك
ما قبل قصصهم بقوله عفوا غفورا ان الذين يكفرون اي يسترون ما عندهم من العلم بالله ورسله
ولما ذكر اخوانهم ذكر السبب الموقع فيه فقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي فيصد قون
بالله ويكذبون ببعض الرسل فيقفون ريثما لتم المستلزم لنسبتهم الى الكذب على الله
المقتضي لكون الله بريا منهم ولما ذكر الارادة ذكر ما نشا عنها فقال ويقولون نؤمن ببعض
من الله ورسله ونكفر ببعض اي من ذلك وهم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ويريدون ان
يتخذوا اي يتكلفوا ان ياخذوا بين ذلك اي الايمان والكفر سبيلا اي طريقا يكفرون
به وعطف الجمل بالواو وان كان بعضها سببا لبعض اشارة الى انهم جديرون بالوصف
بكل منها على انفراده وان كل خصلة كافية في نسبة الكفر اليهم وقدم نتيجتها وختم بالحكم
بها على وجه اضخم تقطيعا لحالهم واصل الكلام ارادوا سبيلا بين سبيلين فقالوا نكفر
ببعض فارادوا التفرقة فكفروا كفرا هو في غاية الشناعة على علم منهم فانتج ذلك
اولئك اي البعدا والبغضا هم الكافرون اي العريقون في الكفر حقا ولما كان التقد ير
فلا جرم انا اعتدنا اي هيانا لهم عذابا مهينا عطف عليه نعيما واعتدنا للكافرين اي جميعا
عذابا مهينا اي كما استهانوا ببعض الرسل وهم الجديرون بالحب والكرامة والاية شاملة
لهم ولغيرهم ممن كان حاله كحالهم وايلا ذلك لبيان احوال المنافقين انسب شي واحسن
للتعريف بانهم منافقون من حيث انهم يظهرون شيئا من امر النبي صلى الله عليه وسلم ويبطنون
غيره وان كان ما يظهرونه على الضد مما يظهره المنافقون وبانهم هم الذين اضلوا المنافقين
وللتحذير من اقوالهم وتزييف ما زخرفوا من محالهم وفي ذلك التفات الى اول هذه القصة
يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله الاية ولما بين سبحانه ما اعد لهم بين ما اعد لاضدادهم
من اهل طاعته بقوله والذين امنوا بالله ورسله ولما جمعوهم في الايمان ضد ما فعل
اهل الكفران صرح بما افهمه فقال ولم يفرقوا اي في اعتقادهم بين احد منهم
اي بان كفروا ببعض وامنوا ببعض كما فعل الاشقيا اولئك اي العالوا الرتبة في
رتب السعادة سوف نؤتيهم بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه وان تاخر اجورهم اي كاملة

ولما كان الانسان محل النقصان قال وكان الله اي الذي لا يبلغ الواصفون كنه ما له من
صفات الكمال غفورا لما يريد من الزلات رحيما اي بمن يريد اسعاده بالجناب ولما
اخبر تعالى بما على المفرقين بين الله ورسله وما لاضدادهم اتبعه بعض ما اراد
بالفرقة وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالوا لا نؤمن بك يا
نبيا فاتينا بكتاب جملة من السما كما اتى موسى عليه السلام بكتابه كذلك فانزل
الله تعالى موبخا لهم على هذا الكذب مشيرا الى كذبهم فيه من مرهبا لسوالهم محذرا
من عواقبه مبينا للكفرهم بالله ورسله يسألك ولما كانت هذه من اعظم شبههم
التي اضلوا بها من اراد الله ونسو انهم راوا ان هذا الكتاب المبين اعظم المعجزات
وان العرب لم يمكنهم الطعن فيه على وجه يمكن قبوله فوجهوا مكايدهم نحو هذه
الشبهة ونحوها دفعها سبحانه ثم تزييف وفضحهم بسببها غاية الفضيحة وزاد
سبحانه في تبكيتهم بقوله اهل الكتاب اشارة الى ان العالم ينبغي له ان يكون
ابعد الناس من التمويه فضلا عن الكذب الصريح ان تنزل عليهم كتابا من السما
وما ادعوه في قولهم هذا من ان موسى عليه السلام اتى بالتورية جملة كذب تلقفه
منهم من اراد الله من اهل الاسلام ظنا منهم ان الله تعالى اقرهم عليها وليس كذلك
كما يفهمه السامع السياق كله ويأتي ما هو كالصريح فيه في قوله انا اوحينا اليك الاية
كما سياتي بيانه واليهود الان معترفون بانها لم تنزل جملة ولما كان هذا مما يستعظم
النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ذلك مبينا تسليته له صلى الله عليه وسلم اذ عادتهم
التعنت وديدنهم الكفر وانهم لعرق الناس في غلظ الاكباد وجلافة الطبائع وان
اوائلهم تعنتوا على من بدعوته الايمان بما الان وانهم على شريعته مع ما اراهم
من تلك الايات العظام التي منها استنقاذهم من العبودية بل من الذبح وان ذلك
تكرر منهم مع ما يساعدونه من الخوارق والعفو فقال فقد اي ان تستعظم ذلك
فقد سالوا اي اباؤهم وهم على نهجهم والتعنت فهم شركا ولهم موسى اكبر اي اعظم
من ذلك ثم بينه بقوله فقالوا ارنا الله جهرة اي عيانا من غير ستر ولا حجاب فاخذتهم
اي عقب هذا السوال وتسببه من غير امهال الصاعقة اي نار نزلت من السما
بصوت عظيم هو جدير بان لا يسمى غيره اذا نسب اليه صاعقة فاهلكتهم بظلمهم اي
بسبب ظلمهم بهذا السوال وغيره لكونه تعنتا من غير مقتض له اصلا ثم بعد العفو
عنهم واحيايهم من اماتة هذه الصاعقة اتخذوا العجل اي تكلفوا اخذه وعملوا انفسهم
باصطناعه ولما كان الضلال بعد فرط البيان اجدر بالتبكيت من بعد ما جاءتهم البينات
اي بهذا الاحيا وغيره من المعجزات فعفونا اي على ما لنا من العظمة عن ذلك
اي الذنب العظيم واتينا اي بعظمتنا التي لا تدانيها عظمة موسى سلطانا مبينا اي
ظاهرا فانه امرهم بقتل انفسهم فبادروا الامتثال بعد ما ارتكبوا من عظيم هذا

الضلال ولما بين هذا من عظمته اتبعه امرا اخر اعظم منه فقال ورفعنا فوقهم
الطور اي الجبل العظيم ثم ذكر سبب رفعه فقال بميثاقهم اي حتى التزموه واذعنوا
له وقبلوه ولما ذكر الميثاق على هذا الوجه العظيم اتبعه ما نقضوا فيه على سهولته
دليلا على سوء طباعهم فقال وقلنا لهم اي على لسان موسى عليه السلام في كثير من
نصوص التورية لا تعدوا في السبت اي لا تعملوا فيه عملا من الاعمال تسمية للشي
باسم سببه واخذنا منهم اي في جميع ذلك ميثاقا غليظا وانما جزمت بان المراد
بهذا العلم والله اعلم على لسان موسى عليه السلام لانه تعالى كرر التأكيد عليهم في التورية
في حفظ السبت واوصاهم به وعهد اليهم فيه ما قل ان عهده في شي من الفروع غيره قال بعض
المترجمين للتورية في السفر الثاني في العشر الايات التي اولها انا الهك الذي اصعدتك
من ارض مصر من العبودية والرق لا تكون لك الهة غيري ما نصه اذكر حفظ يوم السبت
وطهره ستة ايام كد فيها واصنع جميع ما ينبغي لك ان تصنعه واليوم السابع سبت الله ربك
ربك لا تعمل فيه شيا من الاعمال انت وابنك وبنتك وعبدك وامتك ودوابك والساكن
في قراك لان الرب خلق السموات والارض في ستة ايام والبحور وجميع ما فيها واستراح في
في اليوم السابع ولذلك بارك الله اليوم السابع وقدسه اكرم اباك الى اخر ما مر
في سورة البقرة ثم اعاد العشر الايات في اوايل السفر الخامس وقال في السبت
احفظوا يوم السبت وطهروه كما امر الله ربكم واعملوا الاعمال في ستة ايام واصنعوا
ما اردتم ان تصنعوا فيها فاما يوم السبت فاسبوع ربكم لا تعملوا فيه عملا انتم وبنوكم
وعبيدكم واباوكم وثيرانكم وحميركم وكل بهايمكم والساكن في قراكم ليستريح عبيدكم
الى اخر ما في اوايل هذه الاية السورة عند قوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم
وقال في الثاني بعد ذلك وقال الرب لموسى وانت فامر بني اسرائيل ان يحفظوا
السبوت لا يرتاع امارة العهد وعلامته فيما بيني وبينكم لاحقابكم فتعلموا اني انا الرب
الهكم مقدسكم احفظوا يوم السبت فانه مطهر مخصوص لكم ومن نقضه واخذ
العمل فيه فليقتل ومن عمل عملا فليستأصل ذلك الانسان من شعبه اعملوا اعمالكم ستة
ايام واليوم السابع فهو يوم سبت قدس للرب لان الرب خلق السما والارض في ستة
ايام والبحور وما فيها وهدا في اليوم السابع ودفع الى موسى لما فرغ كلامه له في طور
سينا لوحي الشهادة وابلغ في تاكيد حفظه عليهم في غير ذلك من المواضع حتى انه
شرع لكم اسبات الارض ونحوها فقال في السفر الثاني ايضا ازرع ارضك ست
سنين واجمع اغلالها وفي السنة السابعة ابذرها ودعها فياكل مساكين شعبك
وما يبقى بعد ذلك ياكله حيوان البر وكذلك فافعل بكرمك وزيتونك اعمل عملك في
ستة ايام وفي اليوم السابع تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك ويستريح ابن امتك
وابن امتك والساكن في قراك ثم ذكر الاعياد في السفر الثالث وحرم العمل فيها

اي على ما انكره لهم من رويته عظمت لمن الالباب
اي الذي بيت المقدس
سجدا اي فنقضوا ذلك
العهد الوثيق وبدلوا الصح
وقلنا لهم
نحو ذلك
بحرمة حفظهم للسبت

فى بعضها وكل نفس تعمل عملا فى هذا اليوم تهلك تلك النفس من شعبها فلا تعملوا
وقال فيه عملا لانه سنه جاريه لكم الى الابد في جميع مسالكم فليكن هذا اليوم سبت السبوت
ثم امرهم بعيد المظال سبعة ايام وقال ليعلم احقابكم اني اجلست بني اسرايل
في المظال حيث اخرجتهم من ارض مصر ثم ذكر بعض العرابين وقال ويصف
هرون الخبز صفين في اليوم السادس وهو يوم الجمعة ويكون ذلك من عبيد بني اسرايل
وكلم الرب موسى وقال له في طور سينا كلم بني اسرايل وقل لهم اذا دخلتم الارض
التي اعطيكم ميرا فاسبت الارض سبتا للرب ازرعوا مزارعكم ست سنين واكسحوا
كرومكم ست سنين واستغلوا غلاتكم ست سنين فاما السنة السابعة فلتكن سبت
الراحة للارض لا تزرعوا مزارعكم ولا تكسحوا كرومكم ولا تحصدوا اما ينبت في ارضكم في تلك
السنة من غير ان يزرع ولا تقطعوا اعنب كرومكم بل يكون سبت الراحة للارض لكم ولبنيكم
ولعبيدكم ولامايكم ولاخوانكم وللسكان الذين يسكنون معكم واحصوا سبع مرات
سبعا سبعا ستا واربعين سنة وقد سموا سنة خمسين ولتكن رد الاشيا الى اربابها
ولا تزرعوا ارضكم في تلك السنة ولا تحصدوا اما ينبت فيها ولا تقطعوا عشبها لانها سنة
الرد واتقوا الله لاني انا الله ربكم احفظوا وصاياي واعملوا بها واحفظوا احكامي واعملوا بها
واسكنوا ارضكم بالسكون والطانينة تغل لكم الارض غلاتها وتاكلوا وتشبعوا وتسكنوها مطمئنين
وان قلتم من اين ناكل في السنة السابعة التي لا نزرع فيها ولا نهتموا انا منزل لكم بركاتي
في السادسة وتغل لكم ارضكم في تلك السنة غلات ثلاث سنين حتى اذا زرعتم في السنة
الثامنة لم تحتاجوا الى غلتها لانكم تاكلون من السنة السادسة الى السنة التاسعة واما
الارض فلا تباع بيعا صحيحا ابدا لان الارض لي وانما انتم سكان وحيث ما بيعت الارض في
ميراثكم فلتخلص وترد في سنة الرد هذا مع انه اكد سبحانه العهود عليهم في التوحيد وحفظ
جميع الاحكام في جميع التوراة على نحو ما تراه فيما انقله منها في هذا الكتاب فلما بين سبحانه
انه اكد عليهم الميثاق واكثر من التقدم في حفظ العهد بين انهم نقضوا فاعقبهم
ذلك ما هددوا به في التوراة من الخزي وضرب الذلة مع ما ادخر
لهم في الاخرة فقال **فبما** موكدا بادخال ما **نقضهم ميثاقهم** اي فعلنا بهم بسبب ذلك
جميع ما ذكرنا في التوراة من الخزي وقد تقدم كثير منه في القران وعطف على هذا الاسم
العام ما اشتدت به العناية من افراده عطف الخاص على العام **وكفرهم بايات الله**
اي مما جاءهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاستلزم كفرهم بر كفرهم بما انزل على موسى عليه
السلام لانه اعظم ما نقضوا فيه واخص من مطلق النقض **وقتلهم الانبيا** وهو اعظم من مطلق
كفرهم لان ذلك سد لباب الايمان عنهم وعن غيرهم لان الانبيا سبب الايمان وفي محو السبب
محو المسبب ولما كان الانبيا معصومين من كل نقيصة وبريين من كل دنية لا يتوجه عليهم
حق لا يودونه قال **بغير حق** ثم ذكر اعظم من ذلك كله وهو اسنادهم عظائمهم الى الله تعالى

فقال

تعالى **وقولهم قلوبنا غلف** اي لا ذنب لنا قلوبنا خلقت بعيدة عن فهم مثل ما يقول
الانبيا لكونها في اغشية فهي شديدة الصلابة وذلك سبب قتلهم ورد قولهم وهذا
بعد ان كانوا يعرفون بهذا النبي ويشهدون له بالرسالة وبانه خاتم الانبيا ويصفونه
بلصانهم صفاته ويترقبون اتيانه لاجرم رد الله عليهم بقوله **بل طبع الله عليها بكفرهم**
اي انه خلقها اولا على الفطرة متمكنة من اختيار الخير والشر فلما اعرضوا عن الخير واختاروا
الشر طبع سبحانه عليها بجعلها فاسدة محجوبة عن رحمته ولذا سبب عنه قوله **فلا يومنون
الا قليلا** اي من الايمان بان يومنوا وقتا يسيرا كوجه النهار ويكفروا اخره ويومنوا
ببعض ويكفروا ببعض او الا ناسا قليلا منهم كما كان اسلافهم يومنون بما ياتي به
موسى عليه السلام من الايات ثم لم يكن باسرع من كفرهم وتعنتهم بطلب اية اخرى
كما هو مذكور في توراتهم التي بين اظهرهم ويسلب كثيرا منهم في هذا الكتاب ولما
بين كفرانهم بقتل الانبيا بين كفرهم بالبهتان الذي هو سبب القتل والفتنة اكبر من القتل
تعالى محطا له باعادة العامل **وبكفرهم** اي المطلق الذي هو سبب اجترايهم على الكفر بمعين
لموسى عليه السلام وعلى القذف ولذلك قال **وقولهم على مريم** اي بعد علمهم بما ظهر على يديها
من الكرامات وانها ملازمة للعبادة بانواع الطاعات **بهتانا عظيما** ثم بهتهم بما
لم ينالوا من قتل اعظم من جا من انبيايهم باعظم ما راوا من الايات من بعد موسى
وهو عيسى عليهما السلام ثم بادعايهم لقتله وصلبه افتخارا به مع شكهم فيه فقال **وقولهم
انا قتلنا المسيح** ثم بينه بقوله **عيسى ابن مريم** ثم تهكموا به بقولهم **رسول الله** فجمعوا بين
انواع من القبايح منها التشبع بما لم يعطوا ومنها انه على تقدير صدقهم جامع لاكبر الكباير
مطلقا وهو الكفر بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لكونه نبيا واكبر الكباير بعده وهو مطلق
القتل ولم يكفهم ذلك حتى كانوا يصفونه بالرسالة مضافة الى الاسم الاعظم استهزاء
بمن ارسله عز اسمه وجلت عظمته وتعالى كبرياوه وتمت كلماته ونفذت اوامره
لكونه لم يمنعه منهم على زعمهم **وما** اي والحال انهم ما **قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**
اي فكانوا في جزمهم بذلك متشبعين بما لم يعطوا ولما افهم التشبيه الاختلاف فكان
التقدير فاختلفوا بسبب التشبيه في قتله فمنهم من قال قتلناه ومنهم جازما ومنهم من
قال ليس هو المقتول ومنهم من قال الظاهر انه هو عطف عليه قوله **وان
الذين اختلفوا فيه** اي في قتله **لفي شك منه** اي تردد كلهم وان جزم بعضهم ثم اكد
هذا المعنى بقوله **ما لهم به** واغرق في النفي بقوله **من علم الا** اي لكن **اتباع الظن**
اي يكلفون انفسهم الارتقا من درك الشك الى رتبة الظن وعبر باداة الاستثنا دون لكن
الموضوعة للانقطاع اشارة الى ان ادراكهم لما زعموه من قتله مع كونه في الحقيقة
شكا يكلفون انفسهم جعله ظنا ثم يجزمون به ثم صار عندهم متواترا قطعيا فلا
اجهل منهم ولما اخبر بشكهم فيه بعد الاخبار بنفيه اعاد ذلك على وجه ابلغ فقال

وما قتلوه اي اشفي تسليم له انتفا يقينا اي انتفاوه علي سبيل القطع بل رفعه الله الماله
من العظمة اليه وكان الله اي عند قصدهم له وقبله وبعده عزيزا يغلب ولا يغلب حكيما اي
اذا فعل شيا اتقنه بحيث لا يطمع احد في نقض شي منه وختم الاية بهاتين الصفتين يدل
على ان المراد ما قررته من استهزايهم وانه قصد الرد عليهم اي انه قد فعل ما يمنع من
استهزايكم من رفعه اليه بعزته وحفظه بحكمته وسوف ينزله بما لغ قدرته فيرد كيد
عن اهوايكم ويسفك دماءكم ويبيد خضراكم وله في رفعه وادخال الشبهة عليكم حكمة
تدق عن افكار امثالكم قصة رفعه عليه السلام من الانجيل الموجود اليوم بين اظهر النصارى
وهي تتضمن الانذار بالدجال والاخبار بنزوله حينيذ والبشارة بنبينا صلى الله عليه وسلم
الذي وصفه بالغاوقليط وبالاركون وان اخبارهم بقتله وصلبه ليس مستندا الى شك
كما قال الله تعالى واحسن ما رد على الانسان بما يعتقد قال مترجمهم في انجيل متى انه
عليه السلام دخل الى الهيكل في يروشليم وهي القدس وجرت بينه وبين الاحبار محاورة
كان اخرها اني اقول لكم انكم لا تروني من الان حتى تقولوا مبارك الاتي باسم الرب
ثم خرج من الهيكل فجا اليه تلاميذه كي يروه بنا الهيكل فاجاب وقال لهم انظروا هذا كله
الحق اقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر الا ينقض ثم جلس على جبل الزيتون قال مرقش قدام
الهيكل فجا اليه تلاميذه قايلين قل لنا متى هذا وما علامة مجيك وانقضا الزمان فقال
لهم انظروا لا يضلنكم احد قال مرقش ولوقا فان كثيرا يا تون باسمي قايلين انا هو المسيح ويضلون
كثيرا فاذا سمعتم بالحروب واخبار الحروب انظروا لا تقلقوا فلا بد ان يكون هذا كله تقوم امة
على امة ومملكة على مملكة ويكون خوف واضطراب وجوع ووبا قال لوقا وعلامات عظيمة
من السما وزلازل في اماكن وكل هذا اول المخاض وقال مرقش وهذه بداية الطلق
وقال لوقا وقبل هذا كله يضعون ايديهم عليكم ويطردونكم الى المجامع والسجون وتقامون
امام الملوك والقواد وتشهادة عليهم وعلى كل الامم ينبغي اولا ان يكرز بالانجيل فاذا اقدموكم
واسلموكم فلا تهتموا بما تقولون ولا ماذا تجيبون فانكم تعطون في تلك الساعة الذي
تتكلمون به ولستم المتكلمين لكن روح القدس قال لوقا فان يعطيكم فما وحكمة لا يقدر الذين
يناصبونكم نقضها ومقاومتها ولا الجواب عنها ويسلم الاخ اخاه للموت والاب ابنه ويثب الابنا
على ابايهم قال متى حينيذ يسلمونكم الى الضيق ويقتلونكم وتكونون مبغوضين من كل الامم
وحينيذ يشك كثير ويسلم بعضكم بعضا ويبغض بعضكم بعضا ويقوم كثير من الانبيا الكذبة
ويضلون كثيرا ولكثرة الاثم تبرد المحبة من كثير والذي يصبر الى المنتهى يخلص ويكرز بهذه البشارة
في الملكوت في جميع المسكونة شهادة لكل الامم قال مرقش فاذا رايتم فساد الخراب المذكور في
دانيال النبي قايما حيث لا ينبغي فليفهم القاري حينيذ الذين في يهودا يهربون الى الجبل والذي
فوق السطح لا ينزل الى بيته لياخذ شيا والويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام
وقال لوقا وحينيذ الذين في اليهودية يهربون الى الجبال والذين في وسطها يعبرون خارجا

فصل رفع عيسى عليه الصلاة والسلام

والذين في الكورة لا يدخلونها لان هذه هي ايام الانتقام لكي يتم كل ما هو مكتوب يكون
على الارض ضر وشدة عظيمة وسخط على هذا الشعب ويقعون في فم السيف ويسبون
في كل الامم ويكون يروشليم موطى الامم حتى يكمل الزمان ويكون علامات في الشمس والقمر
والنجوم وتخرج نفوس الناس من الخوف وقال متى وحينيذ ياتي الانقضا قال سيكون
ضيق عظيم قال مرقش تلك الايام لم يكن مثله من اول العالم حتى الان ولا يكون ولولا
ان تلك الايام قصرت لم يخلص ذو جسد وقال مرقش فلولا ان الرب اقصر تلك الايام
لم ينج ذو جسد لكن لاجل المنتخبين قصرت تلك الايام فان قال لكم احد ان المسيح ههنا
فلا تصدقوا سيقوم مسيحوا كذب وانبيا كذبة ويعطون علامات عظاما وايات
ويضلون المختارين ان قدروا وها انا قد تقدمت واخبرتكم فان قالوا لكم انه في البرية
فلا تخرجوا او في المخادع فلا تصدقوا وكما ان البرق يخرج من المشرق فيظهر في المغرب
كذلك يكون حضور ابن البشر لانه حيث تكون الجثة تجتمع النسور للوقت بعد ضيق تلك
الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والكواكب تتساقط من السما وقوات تتزعزع وحينيذ
تظهر علامات ابن الانسان في السما وتنوح كل قبايل الارض ويرون ابن الانسان
اتيا في سحاب السما مع قوات ومجد كثير ويرسل الملايكة مع صوت الناقور العظيم
ويجمع مختاريه من الاربعة الارياح من اقصى السموات وقال مرقش من اطراف الارض
الى اطراف السما فمن شجرة التين وقال لوقا ومن كل الاشجار تعلموا المثل اذا لانت
اغصانها واخرجت ورقها علمتم ان الصيف قد دنا كذلك انتم اذا رايتم هذا كله
قد قرب على الابواب الحق اقول لكم ان هذا الجيل لا يزول حتى يتم هذا كله والسما
والارض تزولان وكلامي لا يزول لاجل ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفها احد
ولا ملايكة السموات وقال مرقش ولا الابن الا الرب وحده وقال لوقا ساله الفريسيون
متى ياتي ملكوت الله فقال ليس ياتي ملكوت الله برصد ولا تقولون هو ذا هي ههنا وهناك
ها هو ذا الملكوت ثم قال لتلاميذه سياتي ايام تشتهون ان تروا يوما واحدا من ايام ابن
الانسان فلا ترون فان قالوا لكم هو ذا ههنا او هناك فلا تذهبوا ولا تسعوا لانه
كمثل البرق الذي يضي في السما فيضي تحت السما كذلك تكون ايام ابن البشر اتيه وكما
كان في ايام نوح عليه السلام كذلك يكون استعلان ابن الانسان لانه كما كانوا قبل
ايام الطوفان ياكلون ويشربون ويتزوجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الى السفينة
ولم يعلموا حتى جا الطوفان فادرك جميعهم كذلك يكون حضور ابن الانسان في قال
لوقا ومثل ما كان في ايام لوط ياكلون ويشربون ويبيعون ويشترون ويغرسون
ويبنون الى اليوم الذي خرج فيه لوط من سدوم وامطر من السما نارا وكبريتا واهلك
جميعهم كذلك في اليوم الذي يظهر فيه ابن الانسان وفي ذلك اليوم من كان في السطح
والسرفي البيت لا ينزل ياخذها ومن كان في الحقل ايضا لا يرجع هكذا الى ورايه انظروا

يسيون

امراة لوط من اراد ان يحي نفسه فليهلكها ومن اهلكها احياها اقول لكم انه في
هذه الليلة وقال متي حينئذ يكون اثنان في الحقل يوخذ واحد ويترك الاخر واثنتا
تطحنان علي رحي واحدة تاخذ الواحدة وتترك الاخري وقال من قبل فانظروا
واسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون متي يكون الزمان اسهروا فانكم لا تعلمون
متي ياتي رب البيت ليلا ياتي بغتة فيجدكم نياما والذي اقول لكما اقول
للجميع اسهروا قال لوقا في كل حين وتضرعوا لكي تقووا علي الهرب من هذه الامور
الكاينة كلها وتقفوا قدام ابن الانسان وقال متي فاسهروا لانكم لا تعلمون
في اي ساعة ياتي ربكم واعلموا انه لو علم رب البيت في اي هجمة ياتي السارق
لسهر ولم يدع بيته ينقب كذلك كونوا مستعدين لان ابن الانسان ياتي ساعة لا
تظنونها من تري هو العبد الامين الحليم الذي يقيمه سيده علي بيته ليعطيهم الطعام
في حينه طوبي لذلك العبد ياتي سيده فيجده يعمل هكذا الحق اقول لكم انه يقيمه علي جميع
ماله فان قال ذلك العبد الردي في قلبه ان سيدي يبطي فيبدا ياكل ويشرب مع
السكيرين فياتي سيده في يوم لا يظنه وساعة لا يعرفها فيجعل نصيبه مع المرايين هناك
يكون البكا وصرير الاسنان تشبه ملكوت السموات عشر عذاري اخذن مصابيحهن وخرجن
تلقا العروسين خمس منهن جاهلات وخمس حليمات فاما الجاهلات فاخذن مصابيحهن
ولم ياخذن زيتا واما الحليمات فاخذن زيتا في انا مع مصابيحهن فلما ابطا العروس
نعس كلهن ونمن وانتصف الليل فصرخ هوذا العروس قد اقبل اخرجن للقايه حينئذ
قام جميع العذاري وزين مصابيحهن فقال الجاهلات للحليمات اعطيننا من زيتكن
فان مصابيحنا قد طفيت فقلن ليس معنا ما يكفينا واياكن فاذهبن الي الباعة وابتعن
لكن فلما ذهبن ليبتعن جا العروس فالمستعدات ذهبن معه واغلق الباب بقية العذاري
قايلات يارب افتح لنا فاجاب وقال الحق اقول لكن اني لا اعرفكن اسهروا الان
فانكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة كمثل انسان اراد السفر فدعا عبيدا
له فاعطاهم ماله فاعطي خمس وزنات لواحد ووزنتين للاخر وواحدا وزنة
كلهم منهم علي قدر قوته وسافر للوقت فمضي الذي اخذ الخمس فتجر بها فربح
خمس وزنات اخري وهكذا الذي اخذ الوزنتين اخريين واما الذي اخذ الوزنة
فمضي وحفر في الارض ودفن فضة سيده وبعد زمان كثير جا سيد هولا فحاسبهم
فجا الذي اخذ الخمس وزنات فاعطي خمس وزنات اخري قايلا يارب خمس وزنات
اعطيتني وهذه خمس وزنات اخري ربحتها قال له سيده قال لو قايد ايها العبد
الصالح الغيت ابنا وقال متي نعم ياعبد صالح امين وجدت في القليل امينا انا اقيمك
علي الكثير امينا ادخل الي فرح سيدك وجا الذي اخذ الوزنتين فقال ياسيد وزنتين
دفعت الي وهوذا وزنتان اخريان ربحتهما فقال له سيده نعم ياعبد صالح امين وجدت

في القليل امينا انا اقيمك علي الكثير ادخل الي فرح سيدك فجا الذي مصيب
الذي اخذ الوزنة فقال ياسيد عرفت انك انسان شديد تحصد ما لم تزرع وتجمع
من حيث لا تبذر فخفت ومضيت فدفنت مالك في الارض هوذا مالك فاجاب
سيده وقال ايها العبد الشرير الكسلان علمت انني احصد من حيث لا ازرع واجمع
من حيث لا ابذر كان ينبغي لك ان تجعل فضتي علي مايده وانا اتي واخذ الي مع اربا حه
وامنة الوزنة واعطوها للذي له عشر وزنات لان من له يعطي ويزاد والذي
ليس له يوخذ منه ما معه والعبد الشرير الغير نافع القوه في الظلمة القصيا هناك
يكون البكا وصرير الاسنان اذا جا ابن الانسان في مجده وجميع الملايكة المقديسين
معه حينئذ يجلس علي كرسي مجده ويجمع اليه كل الامم فيميز بعضهم من بعض كما يميز
الراعي الخراف من الجدا ويقيم الخراف عن يمينه والجدا عن شماله حينئذ يقول
الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء
العالم جعت فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وغريبا كنت فاويتموني وعريانا
فكسيتموني ومريضا فعدتموني ومحبوسا فاتيتم الي حينئذ يجيب الصديقون
ويقولون يارب متي رايناك جايعا فاطعمناك او عطشانا فسقيناك ومتي رايناك
غريبا فاويناك او عريانا فكسوناك او مريضا او محبوسا فاتينا اليك فيجيب
الملك ويقول الحق اقول لكم الذي فعلتموه باحد هولا الحقيرين فبي فعلتم حينئذ
يقول للذين عن يساره اذهبوا عني ياملاعين الي النار المويدة المعدة لابليس
وجنوده جعت فلم تطعموني الي اخره فيذهب هولا الي العذاب الدايم
والصديقون الي الحياة الابدية ولما اكمل يشوع هذا الكلام كله قال لتلاميذه
علمتم ان بعد يومين يكون الفصح وقال مرقس وكان الفصح والفطير بعد يومين
واجتمع روسا الكتبة والكهنة ومشايخ الشعوب في دار ريس الكهنة الذي
يقال له قيافا فاتفقوا وتواطوا علي يشوع ليمسكوه قال مرقس بمكر ويقتلوه وقالوا
ليس في العيد لئلا يكون شغب وقال مرقس شغب في الشعب وقال يوحنا فجمع
عظما الكهنة والفريسيين محفلا وقالوا لكي لا يكون شغب في الشعب ماذا نصنع اذا كان
هذا الرجل يعمل ايات كثيرة وان تركناه هكذا فسيومن به جميع الناس ومن يسمع كلامي
ولا يومن بي انا لا ادينه لاني لم ات لادين العالم بل لاحيي العالم من جحدني ولم
يقبل كلامي فان له من يدينه الكلمة التي نطقت بها هي تدينه في اليوم الاخر
لاني لم اتكلم من نفسي لان الرب الذي ارسلني هو اعطاني الوصية ثم قال الحق الحق
اقول لكم من يومن بي يعمل الاعمال التي اعملها وافضل منها يصنع ان كنتم تحبوني فا حفظوا
وصاياي وانا اطلب من الاب يعطيكم فارقليطا اخر ليثبت معكم الي الابد روح الحق
الذي لم يطق العالم ان يقبلوه لانهم لم يروه ولم يعرفوه وانتم تعرفونه لانه مقيم عندكم

وهو فيكم لست ادعكم يتامى لاني سوف اجيئكم عن قليل من يحبني يحفظ كلمتي ومن لا
يحبني ليس يحفظ كلامي الكلمة التي تسمعونها ليست لي بل للرب الذي ارسلني كلمتكم بهذا
لاني عندكم مقيم والفرقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي هو يعلمكم كل شي
وهو يذكركم كل ما قلت لكم السلام استودعتكم سلامي خاصة اعطيكم لا تقلق قلوبكم
ولا تجزع قد سمعتم اني قلت لكم اني منطلق وعايد اليكم لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون
بمضيي الى الرب لان الرب اعظم مني وها قد قلت لكم قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنون
ولست اكلمكم كثيرا لان اركون العالم باتي وليس له في شي ولكن ليعلم العالم اني احب
الرب وكما اوصاني الرب كذلك افعل انا هو الكرمة الحقيقية وربي الغارس كل غصن
لا ياتي بثمار ينزعه والذي ياتي بثمار ينقيه لياتي بثمار كثيرة انتم انقيا من اجل
هذا الكلام الذي كلمتكم به اثبتوا في وانا فيكم كما ان الغصن لا يطيق ان ياتي بالثمار
من عنده ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم ان لم تثبتوا في انا هو الكرمة وانتم الاغصان
من ثبت في وانا فيه ياتي بثمار كثيرة وبغيري لستم تقدرون تعملون شيا فان لم يثبت
احد في طرح خارجا مثل الغصن الذي يجف فياخذونه ويطرحونه في النار فيحترق
وان انتم ثبتم في وثبت كلامي فيكم كان لكل ما تريدونه وبهذا المجد ربي بان تاتوا
بثمار كثيرة وانتم احبابي ان عملتم كل ما وصيتكم به انا اوصيكم بهذا لكي يحب بعضكم
بعضا فان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني قبلكم لو كنتم من العالم كان العالم
يحب من هو منه لكنكم لستم من العالم بل اخترتكم من العالم من اجل هذا يبغضكم
العالم لو لم ات واكلمهم لم يكن لهم خطية والان ليس لهم حجة في خطيتهم لو لم اعمل اعمالا
لم يعملها اخر لم يكن لهم خطية لتتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم انهم ابغضوني باطلا اذا
جا الفرقليط الذي ارسله اليكم روح الحق الذي من الرب هو يشهد وانتم تشهدون
لانكم معي [illegible] كلمتكم بهذا لكيلا تشكوا فانهم سوف يخرجونكم من مجامعهم ولم اخبركم
بهذا من قبل لاني معكم والان فاني منطلق الى من ارسلني اقول لكم الحق انه خير
لكم ان انطلق لاني ان لم انطلق لم ياتكم الفارقليط فاذا انطلقت ارسلته اليكم
فاذا جا ذاك فهو يوبخ العالم على الخطية وان لي كلاما كثيرا اريد اقوله لكم ولكنكم
لستم تطيقون حمله الان واذا جا روح الحق ذاك فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس
ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي
ويخبركم قليلا ولا تروني وقليلا وتروني قالوا ما هذا القليل الذي تقول فقال لهم
اني هنا يراطن بعضكم بعضا الحق اقول لكم انكم تبكون وتفرحون والعالم يفرح وانتم
تحزنون لكن حزنكم يول الى فرح كالمراة اذا حضر ولادها تحزن لان قد جات ساعتها
فاذا ولدت ابنا لم تذكر الشدة من اجل الفرح لانها ولدت انسانا في العالم تكلم يسوع
بهذا الكلام ورفع عينيه الى السما وقال يارب قد حضرت الساعة فمجد عبدك ليمجدك

عبدك

عبدك كما اعطيته السلطان على كل ذي جسد ليعطي الكل من اعطيته حياة الابد وهذه هي حياة الابد ان يعرفوك انك انت
الاله الحق وحدك والذي ارسلته يشوع المسيح انا قد مجدتك على الارض ذلك العمل الذي اعطيتني لاصنعه قد اكملت والان
مجدني انت يا رباه بالمجد الذي عندك قد اظهرت اسمك للناس الان علموا ان كل ما اعطيتني هو من عندك وعلموا حقا اني
من عندك اتيت وامنوا انك ارسلتني وانا اجي اليك ايها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي اعطيتني كي يكونوا واحدا كما نحن
اذ كنت معهم في العالم انا كنت احفظهم باسمك ليس اسل ان تنزعهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير لانهم ليسوا من العالم كما
اني لست من العالم قدسهم بحقك فان كلمتك خاصة هي الحق كما ارسلتني الى العالم ارسلتهم انا ايضا الى العالم وليست اسل
في هولاء فقط بل وفي الذين يومنون بي بقولهم ليكونوا باجمعهم واحدا كما انك يا رباه في وانا فيك ليكونوا ايضا فينا
واحدا ليومن العالم انك ارسلتني قال يشوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر عمرة وادي الارز وكان هناك
بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهودا الذي اسلمه يعرف ذلك المكان لان يشوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا
وقبل عيد الفصح كان يشوع يعلم ان قد حضرت الساعة التي ينتقل فيها من هذا العالم فلما حضر العشا خطر الشيطان في
قلب يهودا سمعان الاسخريوطي لكي يسلمه فقام يشوع عن العشا وترك ثيابه ووسطه بمنديل وبدا يغسل اقدام
التلاميذ وينشفها بمنديل كان موتزرا به فلما انتهى الى شمعون الصفا قال له انت يا سيدي تغسل لي قدمي فقال يشوع
ان الذي اصنع لست تعرفه الان ولكنك ستعرفه فيما بعد قال له شمعون الصفا انك لست تغسل لي قدمي
الى الابد قال له يشوع ان انا لم اغسلها فليس لك معي نصيب قال شمعون يا سيدي ليس تغسل لي قدمي فقط بل ويدي
وراسي قال له يشوع ان الذي يتطهر ليس يحتاج الا الى غسل قدميه فلما غسل ارجلهم تناول ثيابه واتكا وقال
لهم تعلمون ما صنعت بكم انتم تدعونني معلما وربا ونعما احسنتم ما تقولون فاذا كنت انا معلمكم وربكم قد غسلت اقدامكم
فانتم احرى ان يغسل بعضكم ارجل بعض والحق اقول لكم ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول اعظم ممن ارسله وقال الحق الحق
اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني وقال متى ولما كان يشوع في بيت عنيا في بيت سمعان الابرص جاته امراة معها قارورة
طيب كثير الثمن فافاضته على راسه وهو متكي حينئذ مضى احد الاثني عشر اي الحواريين الذين سيذكرون في المائدة والطعام
باسمايهم وهو الذي يقال له يهودا الاسخريوطي الى روسا الكهنة وقال لهم ماذا تعطوني حتى اسلمه اليكم فاقاموا له ثلثين
من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه وفي اول يوم الفطير قال مرقس لما دنا الفصح قال له تلاميذه اين تريد
تمضي نعد لنا لناكل الفصح فقال اذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له المعلم يقول زماني قد اقترب وعندك اصنع الفصح مع تلاميذي ففعل
التلاميذ كما امرهم يشوع واعدوا الفصح وقال لوقا وكان في النهار يعلم في الهيكل ويخرج في الليل يبيت في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون
وكان جميع الشعب يبكرون اليه ليسمعوا منه ولما قرب عيد الفطير المسمى الفصح وطلب الكهنة كيف يهلكونه وكانوا يخافون من الشعب
ودخل الشيطان في يهودا الذي يدعى الاسخريوطي الذي كان من الاثني عشر فمضى وكلم روسا الكهنة ليسلمه اليهم ففرحوا ووعدوه وكان
يطلب فرصة ليسلمه اليهم بغير علم الجمع فجا يوم الفطير الذي يذبح فيه الفصح فارسل بطرس ويوحنا وقال امضيا واعدا لنا الفصح
ثم قال فانطلقا واعدا الفصح قال متى ولما كان المسا اتكا مع الاثني عشر تلميذا قال فقال لهم شهوة اشتهيت ان اكل معكم الفصح فاني
اقول لكم اني ايضا لا اكل منه حتى يتم في ملكوت الله وقال متى وفيما هم ياكلون قال الحق اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني فنظر التلاميذ يتلومون
فحزنوا جدا وشرع كل واحد منهم يقول لعلي انا هو وقال يوحنا وقال الحق الحق اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني فنظر التلاميذ بعضهم الى
بعض وكان واحد من تلاميذه متكيا في حضن يشوع وهو الذي كان يشوع يحبه فاوما شمعون الصفا اليه ان يساله من الذي
قال لاجله فوقع ذلك التلميذ على صدر يشوع وقال له يا سيدي من هذا فقال يشوع هو الذي ابل الخبز واناوله فبل الخبز ودفعه

الى سمعان الاسخريوطي وقال متى فقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني وابن الانسان ماض كما كتب من اجله الويل لذلك الانسان
الذي يسلم ابن الانسان حسنا له لو لم يولد اجابه يهوذا اسلمه وقال العلي انا هو يا معلم قال انت قلت فسبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون
وقال لوقا فقال لهم ان ملوك الامم هم ساداتهم والمسلطون عليهم يدعون المحسنين اليهم فاما انتم فليس كذلك لكن الكبير منكم
يكون كالصغير والمقدم كالخادم من اكبر المتكي ام الذي يخدم اليس المتكي فاما انا في وسطكم مثل الخادم وانتم الذين صبرتم معي
في تجاربي وانا اعدكم كما وعدني ابي بالملكوت لتاكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي وتدينوا اثني
عشر سبط اسرائيل الاثني قال ثم خرج كالعادة ومضى الى جبل الزيتون ومعه ايضا تلاميذه فلما انتهى الى المكان قال لهم صلوا لئلا تدخلوا التجربة
وانفرد عنهم كرمية حجر ووضع على ركبتيه فصلى وقال متى ح قال لهم يشوع كلكم تشكون في هذه الليلة لانه مكتوب اضرب الراعي تتفرق خراف
الرعية فاجاب بطرس وقال له لو شك جميعهم لم اشك انا وقال له يشوع الحق اقول لك في هذه الليلة قبل ان يصيح الديك تنكرني
ثلاث مرات وقال يوحنا الحق الحق اقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلثا لا تضطرب قلوبكم امنوا بالله وامنوا بي وقال متى قال له بطرس لو لحقني
الى ان اموت معك لم اجحدك ما انكرت وقال مرقس فتمادى بطرس وقال يا ابت وان اضطررت الى ان اموت معك لم انكرك وهكذا قال جميع
التلاميذ حينئذ جاء معهم الى قرية تدعى جسمانية فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا لامضي اصلي هناك املثوا واسهروا معي وبعد ذلك
خر على وجهه يصلي وجاء الى التلاميذ فوجدهم نياما قال مرقس فقال لبطرس يا سمعان انت نائم ما قدرت تسهر معي ساعة واحدة اسهروا وصلوا
لئلا تدخلوا التجارب اما الروح فمستبشرة وقال مرقس مستعدة واما الجسد فضعيف ومضى ايضا وصلى وجاء ايضا فوجدهم نياما لان عيونهم كانت
ثقيلة فتركهم ومضى ايضا يصلي قال لوقا فظهر له ملاك من السماء ليقويه وكان يصلي تواترا وكان عرقه كعبيط الدم نازلا على
الارض وقال متى ح جاء الى التلاميذ وقال لهم ناموا الان واستريحوا قد اقتربت الساعة وفيما هو يتكلم اذ جاء يهوذا الاسخريوطي احد
الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة ومشايخ الشعب والذي اسلمه اعطاهم علامة وقال الذي اقبله هو هو فامسكوه
وجاء الى يشوع وقال له السلام يا معلم وقبله فقال له يشوع يا هذا الهذا جئت حينئذ جاؤوا فوضعوا ايديهم على يشوع وقبضوا عليه
ثم قال في تلك الساعة قال يشوع للجموع كانكم قد خرجتم الى لص بسيوف والعصي لتاخذوني في كل يوم كنت اجلس عندكم اعلم في الهيكل
فما قبضتم علي وهذا كله كان لتكميل كتب الانبياء وقال يوحنا ان يهوذا اخذ جندا من عند عظماء الكهنة والفريسيين وشرطا وجاء الى هناك
بسرج ومصابيح وسلاح ويشوع كان عارفا بكل شيء ياتي عليه فخرج وقال لهم من تطلبون قالوا يشوع الناصري قال انا هو وكان يهوذا واقفا
معهم فلما قال انا هو رجعوا الى ورائهم وسقطوا على الارض فقال يشوع ان كنتم تطلبوني فدعوا هولاء يذهبون لتتم الكلمة التي
قال ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد وقال متى ح تركه تلاميذه كلهم وهربوا والذين اخذوا يشوع اقتادوه الى دار قيافا رئيس
الكهنة واما بطرس فاتبعه على بعد منه الى دار رئيس الكهنة ودخل الى داخلها وجلس مع الخدام لينظر التمام وقال مرقس وجلس مع الخدام
عند النار يصطلي وقال يوحنا وان سمعان الصفا والتلميذ الاخر يعني الذي تقدم ان عيسى كان يحبه تبعا يشوع وكان عظيم الكهنة
يعرف ذلك التلميذ فدخل مع يشوع الى دار عظيم الكهنة واما سمعان فكان واقفا خارج الباب فخرج التلميذ الاخر الذي كان معارف رئيس
الكهنة فقال للبوابة وادخل معه بطرس فقالت الجارية البوابة لسمعان اما انت من تلاميذ هذا الرجل فقال لها لا وكان العبيد والشرط
قياما يوقدون نارا ليصطلوا لانها كانت ليلة باردة وقام سمعان معهم ايضا يصطلي قال متى فقال رئيس الكهنة استحلفك بالله الحي ان
تقول لنا ان كنت انت هو المسيح قال له يشوع انت قلت ثم ذكر انهم انتدبوا بقتله وقال عند ذلك بصقوا في وجهه وستروا وجهه بثوب
ولطموا وجهه فرقة قائلين يا ايها المسيح بين لنا من هو الذي ضربك قال مرقس وبينما بطرس في اسفل الدار جاءت فتاة من جواري رئيس
الكهنة فقالت له وانت ايضا قد كنت مع يشوع الناصري وقال متى مع يشوع الجليلي وقال لوقا فلما راته جارية جالسا عند الضوء
ميزته فقالت وهذا كان معه فانكر وقال ما اعرفه وقال متى فجحد بين ايديهم اجمعين وعند خروجه الى الباب ابصرته جارية اخرى

فقالت

فقالت وهذا ايضا كان مع يشوع الناصري فجحد ايضا بيمين اني لست اعرف الرجل وبعد قليل تقدم الوقوف فقالوا لبطرس بالحقيقة انك منهم
انت لان كلامك يدل عليك وقال مرقس وانت جليلي وكلامك يشبه كلامهم وقال ح اقبل بطرس يلعن ويحلف اني لست اعرف الانسان وفي
الحال صاح الديك فذكر بطرس كلمة يشوع قبل ان يصيح الديك تجحدني ثلثا فخرج الى خارج وبكى بكاء مرا ولما كان الصبح عملوا كلهم موامرة
على يشوع حتى يميتوه فربطوه وساقوه الى بيلاطس النبطي ولما ابصر يودس يعني يهوذا الاسخريوطي انه قد حكم عليه تندم ورد
الثلثين الفضة على رؤساء الكهنة قائلا اني اخطات اذ اسلمت دما زكيا فقالوا ما علينا فطرح الفضة في الهيكل على رؤساء الكهنة ومضى
خنق نفسه فاخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لن يجوز لنا نلقيها في بيت الزكوة لانها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفاخوري
على ما رسم لي واما يشوع فوقف امام الوالي ثم ذكر ان الوالي كان كارها لقتله وان امراته ارسلت اليه تقول اياك ودم ذلك الصديق
فاني توجعت في هذا اليوم كثيرا من اجله في الحلم وانه اجتهد بهم ليطلقوه فابوا الا صلبه وصاحوا عليه وانه قال لهم اي شر عمل فازدادوا
صياحا وقالوا يصلب فلما راى بيلاطس انه لا ينفع شيئا اخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع وقال انني بريء من دم هذا الصديق فقالوا
دمه علينا وعلى اولادنا وقال لوقا ان بيلاطس والرؤساء الكهنة اناموا على هذا الانسان علة حتى قال فلما علم انه من سلطان
هيرودس يعني من الجليل ارسله الى هيرودس لانه كان في تلك الايام باورشليم وان هيرودس لما راى يشوع فرح جدا لانه كان
يشتهي ان يراه من زمان طويل لما كان يسمع عنه من الامور الكثيرة وكان يرجو ان يعاين اية يعملها وان عنده كلام كثير ذكره وذكر
انه لم يجبه فاحتقره هيرودس وجنده واستهزوا به والبسه ثيابا حمرا وارسله الى بيلاطس وصار بيلاطس وهيرودس صديقين
في ذلك اليوم لانه كان بينهما عداوة ثم ذكر ان بيلاطس قال لهم لم اجد عليه علة اخذه بها ولا هيرودس ايضا وانهم لم
يقبلوا منه ذلك وصاروا يصيحون اصلبه اصلبه وقال يوحنا ثم جلس يعني بيلاطس على كرسي في موضع يعرف برصف
الحجارة وبالعبرانية يسمى جاجلة ثم ذكر جميع نقلة اناجيلهم انهم صلبوه بين لصين وانهم كانوا يستهزون به حتى
اللصان المصلوبان قال مرقس فلما كانت الساعة السادسة تغشت الارض كلها ظلمة الى الساعة التاسعة وانه صاح بصوت عظيم
منه الهي الهي لم تركتني فانشق ستر حجاب الهيكل باثنين من فوق الى اسفل والارض تزلزلت وتشققت الصخور وتفتحت القبور
وكثير من اجساد القديسين النيام قاموا من قبورهم ودخلوا المدينة فظهروا لكثيرين وكان هنا نسوة كثيرة ينظرن من بعيد وهن
اللواتي تبعن عيسى من الجليل منهن مريم المجدلانية ومريم ام يعقوب الصغير وام يوسا وام ابني زبدي وقال يوحنا
وكان واقفا عند صليبه امه واخت امه مريم ابنة كلاوبا ومريم المجدلانية ثم ذكروا انه دفن وذكر مرقس
انه كان يوم جمعة وقال يوحنا واما اليهود فلانه يوم الجمعة قالوا هذه الاجساد لا تبيت على صلبها لان السبت
كان عظيما ثم ذكر انهم انزلوهم وان عيسى دفن وقال متى ان الملاك جاء بعد ثلث واقامه وقال للنسوة
انه قد قام فاسرعن فقلن لتلاميذه هوذا سبقكم الى الجليل وان رؤساء اليهود رشوا الجند الذين
كانوا يحرسون قبره ليقولوا ان تلاميذه سرقوه من القبر فقالوا وشاع ذلك عند اليهود الى اليوم واما الاحد عشر
تلميذا فمضوا الى الجبل الذي امرهم به فلما راوه سجدوا له وبعضهم شك وقال لوقا وفيما هم يتكلمون
وقف عيسى في وسطهم وقال لهم السلام لكم يا هولاء لا تخافوا فاضطربوا وخافوا وظنوا انهم ينظرون
روحا فقال لهم ما بالكم تضطربون ولم تاتي الافكار في قلوبكم انظروا يدي ورجلي فاني انا هو جسوني و
انظروا الى الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون ان لي ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه واذ هم غير مصدقين
من الفرح والتعجب قال لهم اعندكم ههنا ما يوكل فاعطوه جزءا من حوت مشوي ومن شهد عسل فاخذ
قدامهم واكل واخذ الباقي واعطاهم ثم قال ثم اخرجهم خارجا الى بيت عنيا فرفع يديه وباركهم

وكان فيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السما قال يوحنا انه قال لمريم امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم وقال متى فجاء يشوع فكلمهم فقال اعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض فاذهبوا الان وتلمذوا كل الامم انتهى ما اردته هنا من الاناجيل من هذه القصة فقد بان لك ان اناجيلهم كلها اتفقت على ان علمهم في امره انتهى الى واحد وهو الاسخريوطي واما غيره من الاعداء فلم يكن يعرفه وانما وضع يده عليه ولم يقل بلسانه انه هو وان الوقت كان ليلا وان عيسى نعى نفسه قال لاصحابه كلكم تشكون في هذه الليلة وان تلاميذه كلهم هربوا فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما اتفق في امره وان بطرس انما تبعه من بعيد وان الذي دل عليه خنق نفسه وان الذي قال ان الملك قال انه قام من الاموات انما هو نسوة كن عند القبر في مدى بعيد وما يدري النسوة الملك من غيره ونحو ذلك من الامور التي لا تفيد غير الظن بالجهد واما الايات التي وقعت فعلى تقدير تسليمها لا يضرنا التصديق بها ويكون لجرائتهم على الله بصلب من يظنونه المسيح ومن احسن ما في ذلك قوله بعد اجتماعهم به بعد رفعه اعطيت كل سلطان فاثبت ان المعطي غيره وهذا كله يصادق القران في انهم في شك منه ويدل على ان المصلوب ان صح انهم صلبوا من ظنوه انه هو الذي دل عليه كما قال بعض العلماء انه القي شبهه عليه ويؤيد ذلك قولهم انه خنق نفسه فالظاهر انهم لما لم يروه بعد فات ظنوا انه خنق نفسه فجرى مواجه والله اعلم وقوله انك يا ابتاه فيّ وانا فيك لتكونوا اي التلاميذ فينا ونحوه مما يوهم حلولا المراد به الاتحاد في المراد بحيث انه واحد منهم لا يريد الا ما يريده الاخر ولا يرضى الا ما يرضاه فهو من وادي ما في الحديث القدسي كنت سمعه الذي يسمع به الى اخره وكذا اطلاق الابن والاب معناه انه يعاملهم في لطفه معاملة الاب ابنه فالمراد الغاية كما يؤول ذلك في اطلاق الغضب والمحبة ونحو ذلك في حق الله تعالى في شرعنا وقد مضى كثير من رد المتشابه في مثل ذلك الى المحكم في ال عمران ومضى في ذلك الموضع وغيره ان كل ما اوهم نقصا لا يجوز في شرعنا اطلاقه على الله تعالى والله الموفق **ولما** انجر الكلام الى امر عيسى عليه السلام على هذا المنهاج البديع بما ذكر في فضائح اليهود وقبائح افعالهم من انهم قصدوا قتله عليه الصلوة والسلام فخاب قصدهم واضلهم ربهم وقال ايهم ورد عليهم بغيهم وحصل له بذلك اعلى المناصب واولى المراتب قال محققا لما اثبته في الاية قبلها من القطع بكذبهم مثبتا انهم في مبالغتهم في عداوته سيكونون من اتباعه المصدقين بجميع امره الذي منه التصديق لمحمد صلى الله عليه وسلم موكدا له باشد تاكيد لما اغترهم من الانكار **وان** اي والحال انه ما **من اهل الكتاب** اي احد يدرك نزوله في اخر الزمان **الا** وعزتي **ليؤمنن به** اي بعيسى عليه السلام **قبل موته** اي موت عيسى عليه السلام اي انه لا يموت حتى ينزل في اخر الزمان يؤيد الله به دين الاسلام حتى يدخل فيه جميع اهل الملل اشارة الى ان موسى عليه السلام ان كان قد ايده الله تعالى بانبياء لم تزل يجددون دينه زمانا طويلا فالنبي الذي نسخ شريعة موسى هو عيسى عليه السلام هو الذي يؤيد الله به هذا النبي العربي في تجديد شريعته وتمهيد امره والذب عن دينه ويكون من امته بعد ان كان صاحب شريعة مستقلة واتباع مستكثرة امر قضاه الله في الازل فامضاه فاطيلوا ايها اليهود او اقصروا فمعنى الاية اذن والله اعلم انه ما من احد من اهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه السلام على شك الا وهو يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته بعد نزوله من السماء انه ما قتل وما صلب ويؤمن به عند زوال الشبهة والله اعلم روى الشيخان واحمد وابو بكر بن مردويه وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا واماما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها وفي رواية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين وفي رواية حتى يهلك الله الملل كلها غير الاسلام فيهلك

الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية موت عيسى عليه السلام ثم يعيدها ابو هريرة ثلاث مرار وليذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وفي رواية ويفيض المال حتى لا يقبله احد ولمسلم عنه رضي الله عنه كيف بكم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال الوليد بن مسلم احد رواة الحديث قال ابن ابي ذيب تدري ما امامكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولمسلم ايضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيمة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امرا تكرمة الله هذه الامة وروي عن ابن عباس ومحمد بن علي المشهور بابن الحنفية رضي الله عنهم ان المعنى الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موت ذلك الكتابي عند الغرغرة حين لا ينفعه الايمان لكون ذلك زيادة في حسرته قال الاصبهاني ويدل على صحة هذا التاويل قراءة ابي الا ليؤمنن قبل موتهم بضم النون ولما اخبر عن حالهم معه في هذه الدار اتبعه فعله بهم في تلك فقال **ويوم القيمة** اي الذي يقطع ذكره القلوب ويحمل التفكر فيه على كل خير ويقطع عن كل شر **يكون** وآذن بشقائهم بقوله **عليهم شهيدا** اي بما عملوا او لما اذن حرف الاستعلاء في الشهادة بانه لا خير لهم في واحدة من الدارين وبان التقدير فبظلمهم سبب عنه قوله دلالة على ان التورية نزلت منجمة **فبظلم** اي عظيم جدا راسخ ثابت وهو جامع لتفصيل نقض الميثاق وما عطف عليه مما تحلوه بعد ان حرمته التورية وقال مشيرا الى زيادة تبكيتهم **من الذين هادوا** اي تلبسوا باليهودية في الماضي ادعاء انهم من اهل التوبة والرجوع الى الحق ولم يضم تعيينا لهم زيادة في تقريعهم **حرمنا عليهم طيبات احلت** اي كان وقع احلالها لهم في التورية **لهم** كالشحوم التي ذكرها الله تعالى في الانعام ولما ذكر ظلمهم ذكر بجامع من جزئياته وبداها باعراضهم عن الدين الحق فقال **وبصدهم عن سبيل الله** اي الذي لا اوضح منه ولا اسهل ولا اعظم لكون الذي نهجه له معيد للعامل تاكيدا له من العظمة والحكمة ما لا يدرك وصدهم يجوز ان يكون قاصرا فيكون **كثيرا** صفة لمصدر محذوف وان يكون متعديا فيكون مفعولا به اي وصدهم كثيرا من الناس بالاضلال عن الطريق فمنعوا مستلذات تلك المآكل بما منعوا انفسهم وغيرهم من لذاذة الايمان ولما ذكر امتناعهم ومنعهم من المحاسن التي لا اطيب منها ولا اشرف اتبعه اقدامهم على قبائح دنية فيها ظلمهم للخلق فقال **واخذهم الربا** اي وهو قبيح في نفسه مضر بصاحبه **وقد** اي والحال انهم قد **نهوا عنه** فضموا الى المخالفة الطبع السليم الاجتراء على انتهاك حرمة الله العظيم ولما ذكر الربا اتبعه ما هو اعم منه فقال **واكلهم اموال الناس بالباطل** اي سواء كانت ربا او رشوة او غيرهما ولما ذكر بعض ما عذبهم به في الدنيا اتبعه جزاءهم في الاخرة فقال عاطفا على قوله حرمنا **واعتدنا للكافرين** اي الذين صار الكفر لهم صفة راسخة فماتوا عليه ولما علم ان منهم من يؤمن فيدخل الجنة فقال **منهم** ولما كان الجزاء من جنس العمل فقال **عذابا اليما** اي بسبب ما ابلوا الناس بأكل اموالهم وتغطيتهم على حقوقهم من الفضائل والفواضل ذكر تحريم الاموال بالربا وغيره من انواع الباطل بنص التورية قال في السفر الثاني بعد ما قدمته في البقرة من الامر بالاحسان الى الناس والنهي عن اذاهم وان اسلفت ورقك للمسكين الذي معك من شعبي فلا تكونن له كالغريم ولا تاخذن منه ربا وقال في الثالث وان افتقر اخوك واستعان بك فلا تتركه بمنزلة الغريب الساكن معك بل وسع عليه واياك ان تاخذ منه ربا او عينة ولا تقرضه بالعينة وقال في الخامس لا تظلموا ابيت الله ربكم اجر زانية ولا ثمن كلب ولا تاخذوا من اخوتكم ربا في فضة ولا في طعام ولا في شيء مما تعانونه واما الغريب فخذ وامنه ان اجبتم فقد ثبت من توراتهم النهي عن الربا واما تخصيصه بالغريب فتبديل منهم بلا ريب بدليل ما قدمته عنها في البقرة عند قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا ومن النهي عن غدر العدو وعند قوله تعالى لا تعبدوا الا الله من الاحسان الى عامة الناس لا سيما الغريب والله الموفق ولما بين تعالى ما للمطبوع على قلوبهم

الفريقين في الكفر من العقاب بين ما تنير به البصاير بالرسوخ في العلم والايمان من النوال فقال لكن الراسخون في العلم منهم
اي الذين هيئت قلوبهم في اصل الخلقة لقبول العلم فابعد عنها الطبع وجليت بالحكمة وشحنت بالرحمة فامتلأت
من نور العلم وتمكنت بانس الايمان ولما ذكر نعت العلم فيه تخصارهم خلقا لازما منهم ومن غيرهم المفيد لجميع الفضائل اتبعه ما نشأ عنه
فقال والمؤمنون اي الذين هيئوا للايمان وجلوا فيه فصار لهم خلقا لازما منهم ومن غيرهم يؤمنون اي يجددون الايمان
كل لحظة بما انزل اليك لانهم عرفوا الناس بانه حق وما انزل من قبلك اي على موسى عليه السلام وبسبب ايمانهم الخالص
امنوا بما انزل على عيسى عليه السلام ثم بما انزل اليك ولما كانت الصلوة اعظم دعايم الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء
والمنكر نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات اظهارا لفضلها فقال تعالى والمقيمين الصلوة اي بفعلها بجميع حدودها
ويجوز على بعد ان يكون المقتضي لنصبها جعل لكن بالنسبة اليها بمعنى الا وتضمينها لفظها لما بينهما من التاخي فيكون المعنى
انهم مستثنون ممن اعد له العذاب الاليم على معنى ان الله سبحانه وهو الفاعل المختار سبق علمه بان مقيم الصلوة بجميع حدودها لا يموت
كافرا بل ينالهم بركتها فيسلم وهذا اعظم مدح لها والحاصل ان لكن استعيرت لمعنى الا بجامع ان ما بعد كل منهما مخالف
في الحكم لما قبله كما استعيرت الا لمعنى لكن في الاستثناء المنقطع ولما كان الرجوع بما بعدها الى الاسلوب الماضي ابين في مدحها قال
والمؤتون الزكوة ولما ذكر انهم جمعوا الى الصلة للخالق الاحسان الى الخلائق ذكر الايمان ثانيا تنبيها على عظمته مفصلا
بعض التفصيل ومشيرا الى انه نفعه كما يشترط ان يكون فاتحا يشترط ان يكون خاتما فقال والمؤمنون بالله اي
مستحضرين ماله من صفات الكمال وضم اليه الحامل على كل خير والمقعد عن كل شر ترغيبا وترهيبا فقال واليوم الاخر
فصار الايمان مذكورا خمس مرات فان هذه الاوصاف لموصوف واحد عطفت بالواو تفخيما لها واشارة الى ان وصف الرسوخ
في العلم مقتض لانهم في الذروة من كل وصف منها والاتصاف بكل منها يتضمن الايمان بيوم الدين فانه لا يصح احد ان يتصف
بشيء منها عريا عن الايمان به لا جرم نبه على فخامة امرهم وعلو شانهم باداة البعد فقال اولئك اي العالو
الهمم والكون الى اسيما في الراسخين العاملين اكتفى في التاكيد بالسين لان المنكر هنا اقل منه في الاولى ولم يصف الاجر
ووصفه بالعظم فقال سنؤتيهم اي بعظمتنا الباهرة بوعد لا خلف فيه اجرا عظيما ولما كانت هذه الاوصاف
منطبقة على الانبياء عليهم السلام وكان من احوالهم الوحي قال ابطالا لشبهتهم القائلة لو كان نبيا لاتى بكتابه جملة من السماء
كما اتى موسى عليه السلام بالتوراة كذلك باقرارهم بنبوة هولاء الانبياء مع كونهم ليس لهم تلك الصفة ولم يكن ذلك
قادحا في نبوة احد منهم ولذا قال انا ويصح ان يكون هذا تعليلا ليؤمنون اي انهم امنوا بما انزل اليك لانا اوحينا
اليك كما اي مثل ما اوحينا الى نوح وقد امنوا به لما اتى به من المعجز الموجب للايمان من غير توقف على معجز اخر ولا غيره
لان اثبات المدلول انما يتوقف على ثبوت الدليل فاذا تم الدليل كانت المطالبة بدليل اخر طلبا للزيادة واظهارا للتعنت و
اللجاج والله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولما كان مقام الايجاز وهو الانبياء من قبل الله قال والنبيين من بعده اي
فهم يعلمون ذلك بما لهم من الرسوخ في العلم وطهارة الاوصاف ولا يشكون في ان الكل من مشكوة واحدة مع ان هذا الكتاب ابلغ
والتعبير فيه عن المقاصد اجلى واجمع فهم اليه اميل وله اقبل واما المطبوع على قلوبهم الممنوعون من رسوخ العلم فيها
بكثافة الحجاب حتى انها لا تنظر الى اسرار الامر وراء غشائهم غير قابلين لنور العلم المهيئ للايمان فاسرعوا الى الكفر
وبادروا الى كل جرم فهم لا يضرون الا انفسهم بما ينالهم من العذاب في الدنيا بالذل والصغار وفي الاخرة بالسخط والنار
ولما اجمل ذكر النبيين فصل فقال منبها على شرفهم بذكرهم وشهرتهم واوحينا الى ابرهيم اي ابيكم وابيهم كذلك
واسمعيل اي ابنه الاكبر الذي هو ابوكم دونهم واسحق وهو ابنه الثاني وابوهم ويعقوب اي ابن اسحق

والاسباط

والاسباط اي اولاد يعقوب ولما اجمل بذكر الاسباط بعد تفصيل من قبلهم فصل من بعدهم فقال وعيسى اي الذي هو اخرهم
من ذرية يعقوب وايوب وهو من ذرية عيصو بن اسحق على ما ذكروا ويونس وهرون وسليمن ولما كان المقام للتعظيم
بالوحي وكان داود عليه السلام من اهل الكتب قال واتينا داود زبورا اي وهم يعترفون الايمان به مع اعترافهم بانه لم ينزل
جملة ولا مكتوبا من السماء ولما تم ما اقتضاه مقام النبوة وكان فيهم رسل وكان ربما قال متعنت ان شان الرسل غير شان
الانبياء في الوحي قال لها عطفا على ما تقديره من معنى اوحينا ارسلنا من نبيائنا من هؤلاء الذين قصصناهم عليك هنا الى من دعونا
من الناس ورسلا اي غير هؤلاء قد قصصناهم اي تلونا ذكرهم عليك ولما كان القص عليه غير مستغرق للزمان الماضي
قال من قبل اي من قبل انزال هذه الاية ورسلا لم نقصصهم عليك اي الى الان ولما كان المراد انه لا فرق بين النبي والرسول
في الوحي بر على ذلك بقوله وكلم الله اي الذي له الكمال كله فهو يفعل ما يريد لا امر لاحد معه موسى تكليما اي على التدريج
شيئا فشيئا بحسب المصالح من غير واسطة ملك فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة والمعنى انكم لو كنتم
انما تتوقفون عن الايمان ببعض الانبياء تثبتا لتعلموا انه فعل به ما فعل بموسى عليه السلام من الكرامة لم تؤمنوا بابرهيم واسحق
ويعقوب والاسباط وهرون وغيرهم فانه خص بالتكليم دونهم فلم جعلتم الاتيان بمثل ما اتى به موسى عليه السلام شرطا في الايمان
ببعض الانبياء دون بعض وان جعلتم الشرط الاتيان بالكتاب جملة ومن السماء مدعين انه كان له ذلك دون التكليم
وغيره مما جعل له كان ذلك على تقدير التسليم تنزلا تحكما وترجيحا من غير مرجح على ان التورية ايضا كما تقدم بيانه لهذا القران في نزولها منجما
على حسب الوقايع على ما اشار اليه قوله تكليما ولم يكتب منها جملة الا اللوحان اللذان وضعا في تابوت الشهادة كما انزل بعض سور القران
جملة كسورة الانعام ولتحريره امر موسى عليه السلام بهما في جبل الطور مكتوبين دليل على نزولهما من السماء ويدل على ذلك كثير من نصوصها
امرها انه تقدم عليهم العمل في السبت عقب اغراقهم في البحر عند انزال المن كما بين في السفر الثاني منها ولم يبين كيف يفعل بالعاصي فيه
العبد ذلك بدهر دليل ما في السفر الرابع منها في قصة التيه ومكث بنو اسرائيل في البرية ووجدوا رجلا يحتطب حطبا يوم السبت فقدموه
اللذين وجدوه يحتطب الى موسى وهرون والى الجماعة كلها وحبسوه في السجن لانه لم يكن اوحي الى موسى كيف يصنع به فقال الرب لموسى
يقتل هذا الرجل يرجم بالحجارة خارج العسكر ورجمه الجماعة كلها بالحجارة ومات كما امر الرب موسى ومنها انه امرهم كما يحكي السفر
الثاني بنصب قبة الزمان التي كانوا يصلون اليها ويسمع موسى الكلام فيها ثم بعد ذلك بمدة امرهم كما بين في السفر الرابع بالزيادة
فيها ومنها كتب له الالواح في الطور اللوحين اللذين كسرهما غضبا من اتخاذهم العجل ثم لوحين عوضا عنهما ثم لما نصبت قبة
الزمان صار سبحانه وتعالى يكلمه منها وغالب احكامهم انها شرعت بالكلام الذي كان في قبة الزمان كما هو في غاية الوضوح في
التورية ومنها ما قال في اواخر السفر الخامس وهو اخرها فلما اكمل موسى كتاب ايات هذه التورية في السفر وفرغ منها امر موسى
الاحبار الذين يحملون تابوت عهد الرب وقال لهم خذوا سفر هذه السنن واجعلوه في جوف تابوت عهد الله ربكم في جانب
مذبح الله ليكون هناك شاهدا لاني قد عرفت جفاكم وقساوة قلوبكم وما تصيرون اليه وكيف لا يكون ذلك وقد اغضبتم
الرب وانا حي معكم فمن بعد موتي ما احرى ان تفعلوا ذلك فليجتمع الي اشياخ اسباطكم وكتابكم فاتلو عليهم هذه الاقوال
واشهد عليكم السماء والارض لانكم مفسدون من بعدي فاني تحيدون عن الطريق الذي امرتكم به شر شديد في اخر الايام اذا
عملتم السيئات بين يدي الرب واغضبتموه باعمال ايديكم وقال موسى بين يدي جماعة بني اسرائيل انصتي ايتها السماء فاتكلم
ولتسمع الارض منطق فيّ وقال كلاما كثيرا اخذ فيه انظر ان شاء الله تعالى في المائدة عند لعنه الله وغضب عليه ثم قال
يقول الله اخطو بي مع الغرباء باوثانهم واغضبوني حين ذبحوا للشياطين ومضى يتكلم عن كلام الله الذي هو من حين
التورية الى ان قال فلما اكمل موسى هذه الاية كلها لبني اسرائيل قال لهم قبلوا بقلوبكم الى هذه الاقوال ثم قال وكلم الرب

موسى في ذلك اليوم وقال له اصعد الى جبل العبرانيين هذا جبل يانو الذي في ارض مواب حيال اريحا وانظر الى ارض كنعان التي اعطي بني
اسرائيل ميراثا وذكر بعد ذلك كلاما طويلا وفيه كلها لمن يتأمله كثير مما هو ظاهر في ذلك بل صريح وفي قصة نوح وابرهيم عليهما السلام
ما هو صريح في ان الايحاء اليهما كان منجما كما مضى عنهما في قصة ابرهيم عليه السلام في البقرة وياتي ان شاء الله تعالى في ذكر الاصار في الاعراف
وفي قصة نوح عليه السلام في سورة هود والله الموفق وقد ابدا سبحانه في هذه الاية بنوح عليه السلام اول اولي العزم اصحاب الشرائع
وجودا وهو من اول الانبياء وزمانه في القدم بحيث لا يعلم مقداره على الحقيقة الا الله تعالى ثم ثنى بتاليه في الوجود وهو ابرهيم عليه السلام
ثم ذكر اولاده على ترتيبهم والاسباط يحتمل ان يراد بهم اولاد يعقوب عليه السلام انفسهم وقبائلهم ويكون المعنى ح وانبياء الاسباط
ويكون مما استعمل في حقيقته ومجازه ويكون شاملا لجميع انبياء بني اسرائيل ثم صرح ببعض من دخل منهم في العموم فبداهم باخرهم بعثا
وهو عيسى عليه السلام الذي هو احد نبيي اهل الكتابين وختم الاية باصحاب الكتب منهم وهو جده المشهور بالنسبة اليه فان
اليهود يقولون لعيسى عليه السلام يا ابن داود لانه من ذريته وختم الاية باول نبيي اهل الكتابين موسى عليه السلام الذي اخص شرعه
على الاثام واهله المتمنون لاتباعه ووسط اخاه هرون عليه السلام بين اثنين من اهل البلاء ايوب ويونس واثنين من اهل الملك
واحدهما صاحب كتاب وهما سليمان وداود وكذلك الاشارة الى انه لا فرق في كيفية الايحاء بينهما الى الانبياء بين متقدمهم ومتاخرهم
سواء كان من بني اسرائيل او من غيرهم وسواء منهم من اوتي الملك ومن لم يؤته ومن اوتي كتابا ومن لم يؤت ومن لطايف هذا
الترتيب ان المخصوصين بالذكر في الاية الاولى بعد دخولهم في العموم احد عشر اسما الاسباط احدها والمشهور بالكتب والصحف منهم
ثلاثة ابرهيم وعيسى وداود وقد وقع كل منهم سابع الصاحبة وهو العدد الذي كان فيه الخلق فلعل ذلك اشارة الى انه لا يحب العجلة
فكما انه لم يعجل في انشاء الخلق فكذلك لم يعجل بانزال الكتب التي بها قوامهم وبقاؤهم دفعة بل انزلها منجمة تبعا لمصالحهم وتثبيتا
لرعايتهم ومن لطائف انه تعالى بدا المذكورين وختمهم باثنين من اولي العزم اشتركا في ان كلا منهما اهلك من عاندوه كنفس واحدة بالاغراق
ترهيبا لهؤلاء الملبسين على اهل الاسلام بالباطل المدعين انهم اتباع ووسط بينهما وبين بقية المسلمين عموم النبيين والمرسلين
ولعله اخر الرسل ليفهم ان كلا ممن عطفوا عليه مرسل ولان رتبة النبوة قبل رتبة الرسالة يعني انها اعمها ولما سرد اسماء من دخل في العموم
بدا بهم باشرفهم ثم بالاقرب الى هذا النبي الكريم فالاقرب من المرتبين على حسب ترتيب الوجود اشارة الى انه سن به في الوحي سنة ابائه
واخوانه وذرياتهم والله اعلم ولما كان معلوما رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم بشارة ونذارة قال مبينا انهم مثله في ذلك كما كانوا
قبله في الوحي لان المقصود من ارسال الجميع الرسل جمع الخلق على الحق بالبشارة والنذارة رسلا اي جعلناهم كلا ويجوز ان يكون
بدلا من رسلا الماضي وان يكون حالا حال كونهم مبشرين ومنذرين ثم علل ذلك بقوله لئلا يكون اي لينتفي ان يوجد للناس
اي نوع منهم فيه قوة النوس ولما كانت الحجة قد تطلق على مطلق العذر ولو كان مردودا عبر باداة الاستعلاء فقال على الله حجة
اي واجبة القبول على الملك الذي اختص بجميع صفات الكمال في ان لا يعذب عصاتهم ولما كان المراد استغراق النفي لجميع الزمان المتعقب للارسال
اسقط الجار فقال بعد اي انتفاء ذلك انتفاء مستغرقا لجميع الزمان الذي يوجد بعد ارسال الرسل وتبليغهم للناس وفي ذلك
على ان وجوب معرفته تعالى انما يثبت بالسمع ولما انتفت المعرفة والنظر والتوحيد فطريقها العقل فالمعرفة متلقاة من العقل والوجوب متلقى
من الشرع والنقل ولما كان ذلك ربما اوهم انه ربما امتنع عليه قبل ذلك ان ينجحا احد بحجة او غيرها قال مزيلا لذلك وكان الله اي الجامع
لصفات العظمة عزيزا اي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء فهو قادر على ما طلبوه ولكنه لا يجيب اليه لانه على سبيل اللجاج وهم غير معجزين حكيما
اي يضع الاشياء في اتقن مواضعها فلذلك رتب امورا لا يكون معها لاحد حجة ومن حكمته انه لا يجيب المتعنت ولما لم يبق سبحانه لهم شبهة ٥
ولم يتم واهل عنادهم اشار تعالى الى ما تقديره انهم لا يشهدون لك عند اتضاح الامر فقال لكن اي وهم مع ما قام من البراهين على صدقك وكون
كتابك من عند الله فهم لا يشهدون بذلك لكن الله اي الذي له الامر كله فلا كفوء له يشهد اي لك بما انزل اليك اي من هذا

الكتاب

الكتاب المعجز الذي حير مداره الفصحاء وابكم البلغاء وفيه هذه الاحكام المصادقة لما عندهم وهم يريدون الاضلال عنها فشهادته بلاغته وحكمته
بفضل الاتي به شهادة الله لانه قائله ولذلك علل بقوله انزله بعلمه اي عالما بانزاله على الوجه المعجز مع كثرة المعارضين فلم يقدر احد ولا
يقدر على احداث شيء فيه من تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ولا معارضة والملائكة ايضا يشهدون بذلك لانهم كانوا حضورا
لانزاله واما على من كان منهم على يديه ليبلغه كما قال تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وهو اخطاب
للغبا على حسب ما يعرفون ولما كان ربما افهم نقصا نفاه بقوله وكفى بالله اي الذي له الكمال كله شهيدا اي وكفى شهادته في ذلك عن
شهادة غيره وذلك لانه انزله سبحانه شاهدا بشهادته ناطقا بها لاعجازه بنظمه وبما فيه من علمه من الحكم والاحكام وموافقة كتب اهل
الكتاب فشهادته بذلك هي شهادة الله وهي لعمري لا تحتاج الى شهادة احد غيره ولما بين سبحانه انه اقام الادلة على صحته بالمعجزات فصار
كانه شهد بحقيقته كان انفع الاشياء اتباع ذلك بوصف من جحده وصد عنه زجرا عن مثل حاله وتقبيحا لما ابدى من ضلاله فقال
ان الذين كفروا اي ستروا ما عندهم من العلم بصدقه بما دل عليه من شاهد العقل وقاطع النقل من اليهود وغيرهم وصدوا عن سبيل الله
اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه بانفسهم وباضلال غيرهم بما يلقونه من الشبه مثل هذه وقولهم كذبا ان في التوراة ان شريعة موسى
عليه السلام لا تنسخ وقولهم ان الانبياء لا يكونون الا ابناء هرون وداود عليهما السلام قد ضلوا اي عن الطريق الموصل الى مقصودهم
في حسدهم ومنع ما يراد من اعلائه ضلالا بعيدا اي لان اشد الناس ضلالا مبطل يعتقد انه محق ثم يحمل غيره على مثل باطله فصار له
بحيث لا يرجى لهم الرجوع الى الطريق النافع لا سيما ان ضم الى ذلك الحسد الذي هو ادوا الادواء ولا دواء ثم هال اغراقهم في الضلال باضلاله
لهم لتماديهم فيما ارتفعوا اليه نقيصة النفس من الظلم بقوله وعيدا لهم ان الذين كفروا اي ستروا ما عندهم من نور العقل وظلموا
اي فعلوا الحسد هو فعل الماشي في الظلام باعراضهم واضلالهم غيرهم لم يكن الله اي بجلاله ليغفر لهم لظلمهم ولا ليهديهم طريقا
اي لتغشيهم بما اتاهم من نور العقل ومنابذتهم ثم تهكم بهم بقوله الا طريق جهنم اي بما جهموا من ظلمه ولما كان المعنى فانهم سيكونون اياها
قال خالدين فيها اي ان الله تعالى لا يغفر الشرك اه واكد ذلك بقوله ابدا ولما كان ذلك مع ما لهم من العقول امرا عجيبا قال
الى الامر العظيم من كفرهم وضلالهم وعذابهم وكان ذلك على الله يسيرا لانه قادر على كل شيء ولما فتح بالحجاج معهم الحق واستبان بمحو شبههم كلها من
وجوه كثيرة الرشد واتضح فساد طرقهم وابلغ وعيدهم انتج ذلك صدق الرسول وحقيقة ما يقول فاذعنت النفوس فكان انسب الاشياء ان عم
سبحانه في الخطاب لما وجب من اتباعه على وجه العموم عند بيان السبيل ونهوض الدليل فقال مرغبا مرهبا يا ايها الناس اي كافة قد جاءكم الرسول
اي الكامل في الرسلية الذي كان ينتظره اهل الكتاب لرفع الارتياب ملتبسا بالحق اي الذي يطابقه الواقع وتنظرون الوقائع فتطيعونها
هي ما يطابق فيها من الاخبار كائنا ذلك الحق من ربكم اي المحسن اليكم فان اتبعتم رسوله وقبلتم احسانه فتممت نعمته عليكم ولما سبب عن ذلك قوله
فامنوا ولما كان التقدير بما ارشد اليه السياق توعدا لهم ان تؤمنوا يكن الايمان خيرا لكم عطف عليه قوله وان تكفروا اي تستمروا على كفركم
او تجددوا كفرا يكن الكفران شرا لكم اي خاصا ذلك الشر بكم ولا يضره منه ذلك شيء ولا ينقصه من ملكه شيئا كما ان الايمان لا ينفعه شيئا ولا زاد
في ملكه شيئا لان له الغنى المطلق وهذا معنى قوله فان لله اي الكامل العظمة ما في السموات والارض فانه من مقام العلة مقام المعلول
ولم يؤكد بتكريرها وان كان الخطاب مع المضطربين لان قيام الادلة اوصل الى حد من الوضوح بشهادة الله امرا زيد عليه فصار المدلول به كالمحسوس
ولما كان التقدير فهو غني عنكم وله عبيد غيركم لا يعصونه وهو قادر على تعذيبكم باسقاط ما اراد من السماء وخسف ما اراد من الارض وغير
ذلك وكان تنعيم الموالف وتعذيب المخالف وتلقي النصيحة بالقبول دائرا على العلم وعلى الحكمة التي هي نتيجة العلم والقدرة قال
وكان الله اي الذي له الاختصاص التام بجميع صفات الكمال ازلا وابدا ان له جميع الملك عليما اي فلا يسع ذا لب ان يعدل عما اخبر به
من ان امر هذا الرسول حق اذ لم يخبر به الا عن تمام العلم ولا يخفى عليه عاص ولا مطيع حكيما فلا ينبغي لعاقل ان يضيع شيئا من اوامره
لانه لم يضعها الا على كمال الاحكام فهو جدير بان يحل بمخالفه اي انتقام ويثيب مطاعه بكل انعام ولما اقتضى الاكمل فيها سبق اتمام

عيسى عليه السلام اذ كان الكلام في بيان عظيم جراءتهم وجفاهم وكان ما فعلوا معه ادل دليل على ذلك وكان كل من اعدائه واحبائه
قد ضل في امره وغلا في شانه اليهود بتنقيصه والنصارى برفعه اقتضى قانون العلم والحكمة المشار اليهما بختام الاية السالفة تبيين
ما هو الحق من شانه ودعاء الفريقين اليه فقال يا اهل الكتاب اي عامة لا تغلوا في دينكم اي لا تفرطوا في امره فتتجاوزوا
بسببه حدود الشرع وقوانين العقل ولا تقولوا على الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له شيئا من القول الا الحق اي الذي يطابقه
الواقع فمن قال عن عيسى عليه السلام انه لغير رشدة فقد اغرق في الباطل فانه لو كان كذلك لما وفقه الله للدوام على الطاعة ولا اظهر على يديه
عجائب الكرامات ولا تكلم وهو في المهد ولا ظهرت على لسانه ينابيع الحكمة ولا اقدر على احياء الموتى وذلك متضمن لان الله تعالى العليم الحكيم
اظهر المعجزات على يدي من لا يحبه وذلك مناف للحكمة فهو كذب على الله بعيد عن تنزيهه ومن قال انه الله او ابن الله فهو ابطل وابطل فانه لو كان
كذلك لما كان حادثا ولما احتاج الى الطعام والشراب وما ينشأ عنهما ولا قدر احد على اذاه ولثبتت الحاجة الى الصاحبة لانه فلم
يصلح للالهية وذلك ابطل الباطل ولما ادعى اليهود انه غير رسول والنصارى انه اله حق عقبه بقوله انما المسيح اي المبارك الذي
هو اهل لان يمسح الامام بدهن القدس لما فيه من صلاحية الامامة وهو اهل ايضا لان يمسح الناس ويطهرهم لما له من الكرامة ولما
ابتدأ سبحانه بوصفه الاشهر وكان قد يوصف به غيره بينه بقوله عيسى ثم خصه بقوله ابن مريم اتصل بها اتصال الاولاد
بامهاتهم لا يصح نسبته بالبنوة الى غيرها وليس هو الله ولا ابن الله كما زعم النصارى رسول الله لا انه لغير رشدة كما كذب اليهود
ولما كان تكوينه بكلمة الله من غير واسطة ذكر جعل نفس الكلمة فقال وكلمته لانه كان بها من غير تسبب عن اب لما كونا خارقا للعوائد
القيها اي اوصلها على علو امره وعظيم قدره ايصالا سريعا الى مريم وصلها فيها وزاده تشريفا بقوله وروح اي عظيم
نفخها فيما تكون في مريم من الجسد الذي قام بالكلمة لا بمادة من ذكر والروح هو النفخ في لسان العرب وهو كالريح الا انه اقوى بما له
من الواو والحركة المجانسة لها ولغلبة الروح عليه كان يحيي الموتى اذا اراد واكمل شرفه بقوله منه اي وان كان جبريل هو النافخ
واذا وصف شيء بغاية الطهارة قيل روح لا سيما ان كان به حياة في دين او بدن ولما انصح بهذا الحجج الحق تسبب عنه بقوله فامنوا
بالله اي الذي لا يعجزه شيء ولا يحتاج الى شيء ورسله اي عيسى عليه الصلاة والسلام وغيره عامة من غير افراط ولا تفريط ولا
تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض فان ذلك حقا هو الكفر الكامل كما تقرر ولما امر باثبات الحق نهاهم عن التلبس بالباطل فقال
ولا تقولوا اي في امر عيسى عليه السلام ثلثة اي استمروا ايها اليهود على التكذيب بما يقول فيه النصارى ولا تقولوا انه
متولد من ابن لغير رشدة المقتضي للتثليث وارجعوا ايها النصارى عن التثليث الذي تريدون به ان الاله
بثلثة وان ضممتم اليه انه اله واحد لان ذلك بديهي البطلان والحاصل انه نهى كلا عن التثليث وان كان المراد ان
بمختلفين وانما العدل فيه انه ابن مريم فهما اثنان لا غير وهو عبد الله ورسوله وكلمته وروح منه ولما نهاهم
عن ذلك بصيغة النهي صرح به في مادته مرغبا مرهبا في صيغة الامر بقوله انتهوا اي عن التثليث الذي تثبتونه
الى الله بسببه وعن كل كفر وقد ارشد سياق التهديد الى ان التقدير ان تنتهوا يكن الانتهاء خيرا لكم ولما نفى
ان يكون هو الله كما تضمن قولهم حصر القول فيه سبحانه في ضد ذلك كما فعل في عيسى عليه السلام فقال انما الله
اي الذي له الكمال كله ولما كان النزاع انما هو في الوحدانية من حيث الالهية لا من حيث الذات قال اله واحد
اي لا تعدد فيه بوجه ولما كان المقام عظيما زاد في تقريره فنزهه عما قالوه فقال سبحانه اي تنزه وبعد
بعدا عظيما وعلا علوا كبيرا ان اي عن ان يكون له ولد اي كما قلتم ايها النصارى فان ذلك يقتضي الحاجة
ويقتضي التركيب والمجانسة فلا يكون واحدا ثم علل ذلك بقوله له اي لانه الواحد الذي لا شريك له ما في السموات
واكد لان المقام له فقال وما في الارض اي خلقا وملكا وملكا فلا يتصور ان يحتاج الى شيء منهما ولا الى شيء

متحيز فيهما ولا يصح بوجه ان يكون بعض ما يملكه المالك جزءا منه وولدا له وعيسى وامه عليهما السلام من ذلك وكل منهما
محتاج اليهما في الوجود ولما كان معنى ذلك انه الذي دبرهما وما فيهما لان الارض في السماء وكل سماء في التي فوقها والسبع
في الكرسي والكرسي في العرش وهو ذو العرش العظيم لا نزاع في ذلك عند ذلك هو وظيفة الوكيل بالحقيقة ليكفي من وكله
كل ما يهمه كان كانه قيل وهو الوكيل فيهما وفي كل ما فيهما في تدبير مصالحكم فبنى عليه قوله وكفى بالله اي الذي احاط بكل شيء
علما وقدرة وكيلا اي يحتاج اليه كل شيء ولا يحتاج هو الى شيء ولا الى من كان وكيلا فان الوكيل من يقوم مقام الموكل ويفعل ما
يعجز عنه الموكل وكان الله تعالى لا يعجزه شيء ولا يحتاج الى شيء وكان عيسى عليه السلام لا يدعي المقدرة على شيء الا بالله وكان يحتاج الى
النوم والى الاكل والشرب وما يستلزمه صح انه عبد الله فقال سبحانه دالا على ذلك لن يستنكف اي يطلب ان يمتنع و
يابى وينتحي ويانف ويستكبر المسيح اي الذي ادعوا فيه الالهية وانفوا له من العبودية لكونه خلق من غير ذكر ولكونه ايضا يخبر
ببعض المغيبات ويحيي بعض الموات ويأتي بخوارق العادات ان اي من ان يكون عبدا لله اي الملك الاعظم الذي عيسى
عليه السلام من جملة مخلوقاته فانه من جنس البشر في الجملة وان كان خلقه خارقا للعادة البشر ولا الملئكة اي الذين هم اعجب خلقا
منه وكونهم ليسوا من ذكر ولا انثى ولا ما يجانس عنصر البشر فكانوا لذلك اعجب خلقا من ادم عليه السلام ايضا وهم لا يستنكفون
بذلك عن ان يكونوا عبادا لله ولما كان التقريب مقتضيا في الاغلب للاستحقاق وكان صفة عامة للملئكة قال المقربون
اي الذين هم في حضرة القدس فهم اجدر بعلم المغيبات واظهار الكرامات وجبريل الذي هو احدهم كان سببا في حياة عيسى
عليه السلام وقد ادعى بعض الناس فيهم الالهية ايضا وبهذا طاح استدلال المعتزلة بهذه الاية على افضلية الملك
على البشر لان العادة في مثل هذا السياق الترقي من الادنى الى الاعلى بعد تسليم مدعاهم لكن في الخالق لا في المخلوق ولما
اخبر تعالى عن خلص عباده بالتنزه عن العبودية اخبر عمن يابى ذلك فقال مهددا محذرا اموعدا ومن يستنكف اي من الموجود
كلهم عن عبادته ولما كان الاستنكاف قد يكون بمعنى مجرد الامتناع لا لكبر اتى مبينا للمراد ان معناه هنا ويستكبر
اي يطلب الكبر عن ذلك ويوجده لان مجرد الامتناع لا يستلزمه ولما كان الحشر عاما للمستكبر وغيره كان الضمير في
فسيحشرهم عائدا على العباد المشار اليهم بعبدا وعبادته ولا يحسن عوده على من لان التفصيل يا باه فالتقدير
ومن لم يستنكف فسيحشرهم لانه يحشر العباد اليه جميعا المستكبرين وغيرهم بوعد لا خلف فيه لان الكل يموتون ومن مات كان مخلوقا تحت
قطعا ومن كان مقدورا على ابتدائه وافنائه كانت القدرة على اعادته اولى والحشر الجمع بكره ولما عم بالحشر المستكبرين وغيرهم
جاء التفصيل الى القسمين فقال فاما الذين امنوا اي اذعنوا لله تعالى وخضعوا له وعملوا الصالحات تصديقا لاقرارهم
بالايمان فيوفيهم اجورهم اي التي جرت العادات بينكم ان معطوها وان كانوا في الحقيقة لا يستحقونها لان الله تعالى هو الذي
وفقهم لها فهي تفضل منه عليهم ويزيدهم اي بعد ما تقتضيه العادات من فضله اي شيئا لا يدخل تحت الحصر لانه ذو الفضل العظيم
واما الذين استنكفوا واستكبروا اي طلبوا العلو من الاباء والكبر فيعذبهم عذابا اليما اي بما اوجدوا من اللذاذة بالترفع
والكبر والتوابذ لا اولياء الله ولا يجدون لهم اي حالا ولا مالا من دون الله الذي لا امر لاحد معه وليا اي قريبا
يصنع معهم ما يصنع القريب ولا نصيرا اي وان كان اجنبيا وفي هذا اتم زاجر عما قصده المنافقون من موالاة اهل الكتاب وعظم
نافذ لمن منوهم اياه تماما لهم زعموا من المنزلة عند الله المقتضية لان يقربوا من شاؤوا ويبعدوا من شاؤوا وهو من انسب الاشياء لختام
اول الايات المحذرة منهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ولما ازاح شبه جميع المخالفين من سائر الفرق اليهود والنصارى والمنافقين
واقام الحجة عليهم كلهم واقام الادلة القاطعة على حشر جميع المخلوقات فثبتت الخصم كلهم عبيده عم في الارشاد لطفا منه بهم فقال
يا ايها الناس اي كافة اهل الكتاب وغيرهم ولما كان السامع جديرا بان يكون قد شرح صدره بقواطع الادلة بكلام معجز

جامع قال **قد جاءكم برهان** اي حجة نيرة واضحة مفيدة لليقين التام وهو رسول مؤيد بالادلة القاطعة من المعجزات وغيرها
من ربكم اي المحسن اليكم بارساله الذي لم تروا قط احسانا الا منه ولما كان القرآن صفة الرحمن اكمل مظهر العظمة فقال
وانزلنا اي على ما لنا من العظمة والقدرة والعلم والحكمة على الرسول الموصوف منتهيا **اليكم نورا مبينا** اي واضحا في نفسه موضحا
لغيره وهو هذا القرآن الجامع باعجازه وحسن بيانه بين تحقيق النقل وتبصير العقل فلم يبق لاحد من المدعوين به نوع عذر والحاصل
انه سبحانه لما خلق الادمي عقله ولكنه نور لا يضل ولا يميل مهما جرد ولكنه سبحانه خصه بالشهوات والحظوظ والملل والفتور فكان
في اغلب احواله قاصرا الا الانبياء عليهم السلام ومن الحقه سبحانه بهم انزل كتبه بذلك العقل مجردا عن كل عائق وامرهم ان يجعلوا عقولهم
تابعة له منقادة به لانها مشوبة وهو مجرد لا شوب فيه بوجه ولما اشار في هذه الاية الى الرسول الاصفى والنبي الاهدى المجبول
على هذا العقل الاقوم الاجلى والكتاب الاتم الاوفى الجاري على هذا القانون الاعلى الوافي بتعبيره الوجيز باحكام الاولى والاخرى الكفيل
فيها وترتيب اياته بوضوح الادلة وظهور الحجج اخذ في تقسيم المنذرين فقال تعالى **فاما الذين امنوا بالله** اي الذي اتضح انه لا امر لاحد معه
في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه بما دل عليه قاطع البرهان **واعتصموا به** اي جعلوه عصاما لهم في الفرائض التي هي
من اعظم مقاصد هذه السورة يربطهم ويضبطهم عن ان يضلوا بعد الهدى ويرجعهم الى الاستبصار لانه الاعلى الذي العصام هو الرابط للوعاء
ان يخرج شي مما فيه وصيغة الافتعال تدل على الاجتهاد في ذلك لان النفس داعية الى الاهمال المنتج للضلال **فسيدخلهم** اي بوعد
لا خلف فيه ولعل السين ذكر للتقييد مع تحقيق الوعد الحث على المثابرة والمداومة على العمل اشارة الى عزة ما عنده سبحانه **في رحمة**
منه اي ثواب عظيم هو برحمته لهم لا بشي استوجبوه واشار الى الزيادة على ما يقتضيه اعمالهم لو كانت لهم بقوله **وفضل** اي عظيم
يعلمون انه زيادة لا سبب لهم فيها **ويهديهم** اي في الدنيا والاخرة **اليه صراطا** اي عظيما واضحا جدا **مستقيما** اي هو رشد قومه
كانه طالب لتقويم نفسه فهو يوصلهم لا محالة الى وعده بما يحفظهم في سرهم وعلنهم ليتجلى انوار عالم القدس في ارواحهم وتوفيقهم
لاتباع ما امر به اليه من امر الفرائض وغيرها فقد اتى كما ترى بابا المقتضية للتقسيم لا محالة واتى باحد القسمين المذكورين في الاية
التي قبلها ووصفهم بالاعتصام باسنى النصرة وقبول جميع احكامه في الفرائض وغيرها وافتقاد هويتهم ومخالفتها تعريضا بالمنافقين
الذين والوا غيرهم وبالكافرين الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وترك القسم الاخر وهو قسم المستنكفين والمستكبرين ووضع موضعه
حكما من احكام الفرائض المفتتح بها السورة التي هي من اعظم مقاصدها من غير حرف عطف بل بكمال الاتصال فقال منكرا عليهم تكرير السؤال
عن النساء والاطفال بعد ما شفي القال تبيينا انه قد عرى في ذلك الحكم اقوم طريق **يستفتونك** اي يسالونك ان تفتيهم اي ان تبين لهم
بما عندك من الكرم والجود والسخاء ما انغلق عليهم امره وانبهم لديهم سره من حكم الكلالة والاعتناء بامر المواريث قال اشارة
الى انه استحق لم يكل امرها الى غيره **في النساء** **قل الله** اي الملك الاعظم **يفتيكم في الكلالة** وهو من لا ولد له ولا والد وروى البخاري
في التفسير عن البراء رضي الله عنه قال اخر سورة نزلت براءة واخر اية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فقال ابو بكر هو ما عدا
الوالد والولد ثم قال عمر اني لاستحي من الله ان اخالف ابا بكر رضي الله عنه ثم استانف قوله **ان امرؤ هلك** اي وهو موصوف بانه او حال كونه
ليس له ولد اي وان سفل سواء كان ذكرا او انثى عند ارث النصف وليس له ابا والد لانه كان له احد منهما لم يسم كلالة وقد بينت ذلك السنة
قال الاصبهاني وليس باو الحكمين بين امرهما بالكتاب لادخل السنة وهو قوله عليه الصلوة والسلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي
فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ **وله** اي والحال انه له **اخت** اي واحدة من ابيه شقيقة كانت او لاب لان تنسى ان اخاها يعصبها فلو
كان ولدا لم يعصب **فلها نصف ما ترك وهو** اي وهذا الاخ الميت **يرثها** اي ما تركت وبقي هو جميع مالها **ان لم يكن لها**
ولد اي ذكرا كان او انثى كما ترى في عكسه هذا ان اريد بالارث جميع المال والا فهو يرث مع الانثى كما انها هي ايضا ترث مع الانثى كما
يرشد اليه السياق ايضا ذو النصف ولما بين المرهل الانفراد اتبعه بيانه عند الاجتماع وقدم اقله فقال **فان كانتا**

ای

اي الوارثتان بنتيا السياق لهما وارشاده اليهما ولما اضمرهما دل على انه ثبتيا وكان الخبر صالحا لان يكون صالحتين او صغيرتين او غير ذلك
بين ان المراد كما يرشد اليه السياق ايضا مطلق العدد على اي وصف اتفق فقال **اثنتين** اي من الاخوات للاب شقيقتين كانتا او لاب
فلهما الثلثان مما ترك فان كانتا شقيقتين كان لكل منهما ثلث وان اختلفتا كان للشقيقة النصف وللتي للاب فقط السدس
تكملة الثلثين ولما بين اقل الاجتماع اتبعه ما فوقه فقال **وان كانوا** اي الوارث **اخوة** اي مختلطين **رجالا ونساء فللذكر**
اي منهم **مثل حظ الانثيين** وقد انهى سبحانه ما اراد من بيان ارث الاخوة لاب فتم بذلك جميع احوال ما اراد من الارث وهو على
وجازته كما ترى يحتمل مجلدات والله الهادي ووضع هذه الاية هنا كما تقدم اشارة منه الى ان من ابى توريث النساء والصغار الذي
تكرر الاستغناء عنه فقد استنكف عن عبادته واستكبر وان امن بجميع ما عداه من الاحكام ومن استنكف عن حكم من الاحكام فذلك هو
الكافر حقا كما ان من امن ببعض الانبياء وكفر ببعض فهو الكافر حقا وهذا مراد شياطين اهل الكتاب العارفين بصحة هذه الاحكام
الجاحدين لكم عليها المريدين اضلالكم عنها ليشاركوهم في الشقاء الذي وقع لهم لما بدلوا الاحكام المشار اليهم بعد ذكر ايات
الميراث وما تبعها من احوال النكاح بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقوله ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ثم المصرح بهم في قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا
السبيل والله اعلم باعدائكم ولذلك والله اعلم ختم هذه الاية بقوله **يبين الله** اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما **لكم** اي ولم
يكلكم في هذا البيان الى بيان غيرهم وقال مرغبا مرهبا **ان** اي كراهة ان **تضلوا والله** اي الذي له الكمال كله **بكل شي عليم** اي فقد
بين لكم بعلمه ما يصلحكم ببيانه تحيوا وتسعدوا دنيا واخرى حتى جعلكم على المحجة البيضاء في مثل ضوء النهار لا يزيغ عنها منكم الا هالك
والحاصل ان تاخير هذه الاية الى هنا لما تقدم من ان تفريق القول فيما تاباه النفوس والقاه شيئا فشيئا باللطف والتدريج ادعى
لقبوله وللاشارة الى شدة الاهتمام بامر الفرائض بجعل الكلام فيها في جميع السورة اولها واثنائها واخرها والتخويف من ان
يكون حالهم كحال المنافقين في اضلال اهل الكتاب لهم بالقاء الشبه واخذهم من الموضع الذي تهواه نفوسهم ومضت عليه اوائلهم
واشربته قلوبهم والترهيب من ان يكونوا مثلهم في الايمان ببعض والكفر ببعض فيوديهم ذلك الى اكمال الكفر لان الدين لا يتجزا
بل من كفر بشي منه كفر بجميعه ومن هنا ظهرت مناسبة اخر هذه السورة لاولها لان اولها مشير الى ان الناس كلهم شي واحد
وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم الا فيما شرعه الله واخرها مشير الى ذلك بالتسوية بين النساء والرجال في مطلق التوريث
بقرب الارحام وان اختلفت الانصباء فكانه قيل يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وسوى بينهم فيما اراد من الاحكام فانه من استكبر ولو عن حكم من احكامه فسيجازيه يوم الحشر
ولا يجد له من دونه ناصرا ولا يخفى عليه شي من حاله وما اشد مناسبة ختامها باحاطة العلم لما دل عليه اولها من تمام القدرة
فكان اخرها دليلا على اولها لان تمام العلم يستلزم لشمول القدرة قال الامام وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية
والالهية والجلال والعزة وبهما يجب على العبد ان يكون مطيعا للاوامر والنواهي منقادا لكل التكاليف انتهى ولختام اولها فيها بعلمه
ان الله كان عليكم رقيبا اي وهو بكل شي من احوالكم وغيرها عليم فلا تظنوا انه يخفى عليه شي وان دق فليشتد حذركم
منه ومراقبتكم له وذلك اشد شي مناسبة لاول المائدة والله الموفق

سورة المائدة

وتسمى سورة العقود وسورة الاخبار مقصودها الوفاء بما هدى اليه الكتاب ودل عليه ميثاق
العقل من توحيد الخالق ورحمة الخلائق شكرا للنعمة واستدفاعا للنقمة وقصة المائدة ادل ما فيها على ذلك فان مضمونها ان من زاغ عن الطمانينة بعد الكشف
الشافي والانعام الوافي نوقش الحساب فاخذه العذاب وتسميتها بالعقود اوضح دليل على ما ذكرت من مقصودها وكذا الاحبار **بسم الله** الذي
تمت كلماته فصدقت وعوده وعمت مكرماته **الرحمن** الذي عم بالدعاء الى الوفاء في حقوقه وحقوق مخلوقاته **الرحيم** الذي نظر الى القلوب

فتثبت منها على الصدق ما جبلت على التخلق بصفاته لما اخبر تعالى في اخر النساء ان اليهود لما نقضوا المواثيق التي اخذها عليهم حرم عليهم طيبات احلت لهم
من كثير من بهيمة الانعام المشار اليها بقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية واتبع ذلك هتك استارهم وبيان عوارهم الى ان ختم باية في ارث
الذي فتح اياته بالايصاء وختمها بانه شامل العلم ناسب افتتاح هذه بامر المؤمنين الذين اشتد تحذيره لهم منهم بالوفاء الذي جل مبناه القلب
الذي هو غيب فقال مشيرا الى ان الناس الذين خوطبوا اول تلك تاهلوا لاول اسنان الايمان فاوصاهم بما يحتاجون اليه وتخصيصهم يشير الى ان فوقهم
من الاسنان عنده من الرسوخ ما يكفيه عن الحمل بالامر وذلك ما يبعث له على التدبر والامتثال يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك بالسنتهم اوفوا
اي صدقوا ذلك بان توفوا بالعقود اي العهود الموثقة المحكمة وهي تعم جميع احكامه سبحانه فيما احل وحرم او ندب على سبيل الفرض او غيره التي
من جملتها الفرائض التي افتتحها بلفظ الايصاء الذي هو اعظم العهود وتعم سائر ما بين الناس من ذلك حتى ما كان في الجاهلية من عقد يدعو الى بر
واما غير ذلك فليس بعقد بل حل بيد الشرع القوي تذكيرا بما اشار اليه قوله تعالى في حق اولئك اذكروا نعمتي واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي
فارهبون واخبارا لهم بانه احل لهم ما حرم على اولئك فقال على سبيل التعليل مشيرا الى ان المقصود من النعمة كونها لا تفيد فاعل مخصص والى ان
المخاطبين يعلمون انه لا منعم غيره سبحانه احلت لكم والاحلال من اجل العقود بهيمة وبينها بقوله الانعام اي اوفوا بعهدي اوف بعهدكم لانه
احل لكم بشامل علمه وكامل قدرته لطفا بكم ورحمة لكم ما حرم على من قبلكم من الابل والبقر والغنم باحلال اكلها والانتفاع بجلودها واصوافها واوبارها
واشعارها وغير ذلك من شانها فاحذروا ان تنقضوا كما نقضوا فيحرم عليكم ما حرم عليهم مع ما يعد لكم من العقاب المعد لهم ولا تعترضوا على نبيكم ولا
تتعنتوا كما تعنتوا فان ربكم لا يسال عما يفعل وسياتي في قوله لا تسالوا عن اشياء ما يؤيد هذا ولما كانوا ربما فهموا من هذا الاحلال اما الفوا
من الميتات ونحوها قال مستثنيا من نفس البهيمة وحرف الاصل لحلها بحيث ان من اعظم العقود ما قدم تحريمه من ذلك في البقرة الا ما يتلى عليكم
اي من بهيمة الانعام محرما فانه لم يحل لكم ونصب غير محلي الصيد على الحال دليلا على ان هذا ارتقاء وان كان صريحه مذكرا بالنعمة لتشكر
فهو مشير الى التهديد بان تكفر اي احل لكم ذلك في هذه الحال فان تركتموها انتفى الاحلال وهذه مشيرة الى تكذيب من حرم من ذلك ما اشير اليه
بقوله تعالى في التي قبلها حكاية عن الشيطان ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله من السائبة وما معها مما كانوا اتخذوه
دينا وفصلوا فيه تفاصيل تحكما كما تقدم بيانها في اخر هذه بقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الاية وكذا في اخر الانعام وفي الامر بالوفاء
بالعقود بعد الاخبار بانه بكل شيء عليم غاية التحذير من تعمد الاخلال بشيء من ذلك وان دق وفي افتتاح هذه المسماة بالمائدة بذكر الاطعمة
عقب سورة النساء التي من اعظم مقاصدها النكاح والارث المتضمن للموت المشروع فيهما الولائم والماتم اتم مناسبة وقال ابن الزبير لما بين
حال العادل عن الصراط المستقيم ومن تنكب عن نهجهم ومال الفريقين من المغضوب عليهم والضالين وبين لعباده المتقين ما فيه هداهم
وبجلاهم اخذا وتركا وجعل على ذلك الاسهم الثمانية منهم والصلاة سهم والزكوة سهم والصوم سهم والحج سهم والامر بالمعروف سهم
والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له قلت وهذا الحديث اخرجه البزار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاسلام ثمانية اسهم
الاسلام سهم والصلوة سهم فذكره وصحح الدارقطني وقفه ورواه ابو يعلى الموصلي عن علي رضي الله عنه مرفوعا وللطبراني في الاوسط عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام عشرة اسهم وقد خاب من لا سهم له شهادة ان لا اله الا الله سهم وهي الملة والثانية الصلوة وهي الفطرة
والثالثة الزكوة وهي الطهور والرابعة الصوم وهي الجنة والخامسة الحج وهي الشريعة والسادسة الجهاد وهي العروة والسابعة الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وهي الحجة والثامنة الجماعة وهي الالفة والعاشرة الطاعة وهي العصمة وفي سنده من نسب الى ضعف قال ابن الزبير وقال صلى الله عليه
وسلم بني الاسلام على خمس الحديث في الحديث الذي اخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني الاسلام
على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان قال ابن الزبير وقد تحصلت اي الاسهم
الثمانية والدعايم الخمس فيما مضى وتحصل مما تقدم ايضا من احوال المخالفين حال من غضب الله عليه ولعنه وان ذلك ببغيهم وعدوانهم
ونقضهم العهود فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وكان النقض كل المخالفة قال الله لعباده المؤمنين يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود لان اليهود

والنصارى

والنصارى انما اتى عليهم من عدم الوفاء ونقض العهود فحذر المؤمنين انتهى والمراد بالانعام الازواج الثمانية المذكورة في
الانعام وما شابهها من حيوان البر ولكون الصيد مراد الدخول في بهيمة الانعام استثنى بعض احواله فقال وانتم حرم اي احلت
البهيمة مطلقا الا ما يتلى عليكم منه ميتا بتا وغيرها في غير حال الدخول في الاحرام بالحج او العمرة او دخول الحرم واما في حال الاحرام
فلا يحل الصيد اكلا ولا فعلا ولما كان زمن هذه السورة على الزجر والاحكام عن اشياء اشتد الغرم والتفاتهم اليها وعظمت
فيها رغباتهم من الميتات وما معها والازلام والذبح على النصب واخذ الانساب بحمية الغير والفساد في الارض والسرقة والخمر والسوائب
والبحاير وغير ذلك ذكر في اولها بالعهود التي عقدوها على انفسهم ليلة العقبة حتى تواثقوا على الكلام في السمع والطاعة في
المنشط والمكره والعسر واليسر فيما احبوا وكرهوا وختم الاية بقوله معللا ان الله اي الملك الملوك يحكم ما يريد اي من تحليل
وتحريم وغيرهما على سبيل الاطلاق كالانعام وفي حال دون حال كما شابهها من الصيد فلا يسال عن تخصيص ولا تفصيل ولا غيره
فما فهمتم حكمته فذاك وما لا فكلوه اليه وارغبوا في ان يلهمكم حكمته قال الامام وهذا هو الذي يقول اصحابنا ان علة حسن التكليف
هو الربوبية والعبودية لا ما يقوله المعتزلة من رعاية المصلحة ولما استثنى بعض ما احل على سبيل الابهام شرع في بيانه ولما
كان منه ما نهى عن التعرض له لا مطلقا بل ما لم يبلغ محله بدين بر لكونه في ذلك كالصيد وقدم على ذلك العموم النهي عن انتهاك
معالم الحج المنبه عليه بالاحرام او عن كل محرم في كل مكان وزمان فقال مكررا للنداء لهم تنويها بشانهم وتنبيها لعزايمهم وتذكيرا
لهم بما الزموه انفسهم يا ايها الذين امنوا اي دخلوا في هذا الدين طائعين لا تحلوا شعاير الله اي معالم حج بيت الملك الاعظم
الحرام او حدوده في جميع الدين وشعائر الحج اجل في ذلك بدوا او اصطلاحا اولاها ولما ذكر ما عممه من الحرم او مطلقا اتبعه ما
عممه في الزمان فقال ولا الشهر الحرام اي فان ذلك لم يزل معاقدا على احترامه في الجاهلية والاسلام ولعله وحده والمراد الجمع
اشارة الى ان الاشهر الحرم كلها في الحرمة سواء ولما ذكر الحرم والاشهر الحرم ذكر ما يهدى الى الحرم فقال ولا الهدي وخص منه اشرفه
فقال ولا القلائد اي صاحب القلائد من الهدي وعبر بها مبالغة في تحريمه ولما اكد في احترام ما قصد به الحرم من البهائم
رقي الخطاب الى من قصده من العقلاء فانه مماثل لما تقدمه في ان قصده البيت الحرام حام له وزاجر عنه مع ما زاد به من شرف العقل
فقال ولا امين اي ولا تحلوا التعرض لناس قاصدين البيت الحرام لان من قصد بيت الملك كان محترما باحترام ما قصده ولما
كان المراد القصد بالزيارة بينه بقوله يبتغون اي حال كونهم يطلبون على سبيل الاجتهاد فضلا من ربهم اي المحسن اليهم
شكرا لاحسانه بان يثيبهم على ذلك لان ثوابه لا يكون على وجه الاستحقاق الحقيقي اصلا ولما كان الثواب قد يكون مع السخط
قال ورضوانا وهذا ظاهر في المسلم ويجوز ان يراد به ايضا الكافر لان قصده البيت على هذا الوجه يرق قلبه فيهيئه للاسلام
وعلى هذا فهي منسوخة ولما كان التقدير فان لم يكونوا كذلك اي في اصل القصد ولا في وصفه فقد حل لكم وان لم تكونوا انتم
حرما فالصيد حلال لكم عطف عليه التصريح بما افهمه التقييد فيما سبق بالاحرام فقال واذا حللتم اي من الاحرام بقضاء المناسك
او الحصار فاصطادوا وترك الشهر الحرام اذ لو كان الحرام فيه حراما في غيره وانما صرح به تنويها بقدره وتعظيما
لحرمته ثم اكد تحريم قاصد المسجد الحرام وان كان كافرا ولو كان على سبيل المجازاة بقوله ولا يجرمنكم اي يحملنكم شنآن قوم
اي شدة بغضهم ولما ذكر البغض اتبعه سببه فقال ان على سبيل الاشتراط الذي يفهم تعبير الحكم به انه سيقع هنا في قراءة
ابن كثير وابي عمرو والتقدير في قراءة الباقين بالفتح لاجل ان صدوكم في عام الحديبية او غيره عن المسجد الحرام ان
اي على ان تعتدوا اي تتعمدوا وكم عليهم باذ يصدوهم عنه وبغير ذلك فان المسلم من لم يزده تعدي عدوه فيه حدود الشرع
الا وقوفا عند حدوده وهذا قبل نزول انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ولما نهاهم عن ذلك وكان
الانسان مطبوعا على الحظ شديدا على النفوس فكان لذلك لا بد في الغالب من منة واكد امرها بالتعاون في الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر فقال **وتعاونوا على البر** وهو الاتساع وهو ما دب من خلال الخير **والتقوى** وهو كل ما يحمل على الخوف من الله فإنه الحامل على البر فإن كان من منكم من اعتدى فتعاونوا على رده وإلا فإن ازدادوا بالمعاونة خيرا ولما كان المعين على الخير قد يعين على الشر قال تنبيها على الملازمة في المعاونة على الخير نهيا أن يغضب الإنسان لغضب أحد من صديق أو قريب إلا إذا كان الغضب داعيا إلى بر وتقوى **ولا تعاونوا على الإثم** أي الذنب الذي يستلزم الضيق **والعدوان** أي المبالغة في مجاوزة الحدود في الانتقام والتشفي وغير ذلك وكرر الأمر بالتقوى إشارة إلى أنها الحاملة على كل خير فقال **واتقوا الله** أي الذي له صفات الكمال الذاتية فلا تعتدوا شيئا من حدوده ولما كان كف النفس عن الانتقام وزجرها عن شفاء الغيظ عبر بجعلة الأمر في غاية العسر ختم الآية بقوله **إن الله** أي الملك الأعظم **شديد العقاب** ولما تم الكلام على احترام أعظم المكان وإكرام الزمان وما لابسهما وهذب النفوس بالنهي عن حظوظها وأمر بعد تخليتها عن كل شر بتحليتها بكل خير عاد على سبيل الاستئناف وعد بتلاوة ما عليهم من المحرم مطلقا إلا في حال الضرورة فقال **حرمت** بانيا الفعل للمفعول لأن المخاطب من يعلم أنه لا محرم إلا الله والإشعار بأن هذه الأشياء لشدة قذارتها كأنها محرمة بنفسها **عليكم الميتة** وهي ما فقد الروح بغير ذكاة شرعية فإن دم كل ما مات حتف أنفه يحتبس في عروقه ويتعفن ويفسد فيضر أكله البدن بهذا الضرر الظاهر والدين بما يعلمه أهل البصائر **والدم** أي المسفوح وهو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق **ولحم الخنزير** خصه بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى أكله كالدين **وما أهل** ولما كان القصد في هذه السورة إلى الوفاء بحكم العهود المذكر بجلال المعاهد قدم المفعول له فقال **لغير الله** أي الملك الأعلى **به** أي ذبح على اسم غيره من صنم أو غيره على وجه التقرب عبادة لذلك الشيء والإهلال رفع الصوت ولما كان من الميتات ما تعافه النفوس عيافتها لغير منخنق عليه فقال **والمنخنقة** أي بحبل ونحوه سواء خنقها خانق أو لا **والموقوذة** أي المضروبة بمثقل من وقذه إذا ضربه **والمتردية** أي الساقطة من عال المضطربة عالية في سقوطها **والنطيحة** أي التي نطحها شيء فماتت **وما أكل السبع** أي كالذئب والنمر ونحوهما ولما كان كل واحدة من هذه قد تدرك حية فتذكى استثنى فقال **إلا ما ذكيتم** أي من ذلك كله بأن أدركتموه وفيه حياة مستقرة بأن اشتد اضطرابه وانفجر منه الدم ولما حرم الميتات وعد في جملتها ما ذكر عليه اسم غير الله عبادة ذكر ما ذبح على الحجارة التي كانوا ينصبونها للذبح عندها تدينا وإن لم يذكر اسم شيء عليها فقال **وما ذبح على النصب** وهو واحد الأنصاب فهي حجارة حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح عندها تقربا إليها وتعظيما لها **وأن تستقسموا** أي تطلبوا علم ما قسم لكم **بالأزلام** أي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم وزلم وكانت ثلاثة على أحدها أمرني ربي وعلى آخر نهاني ربي والآخر غفل فإن خرج الآمر فعل أو الناهي ترك أو الغفل أجيلت ثانية فهو دخول في علم الغيب وافتراء على الله بادعاء أمره ونهيه وإن أراد بالرب الصنم فهو الكفر الصراح وقال صاحب كتاب الزينة يقال إنه كان عندهم سبعة قداح مستوية من شوحط وكانت بيد السادن مكتوب عليها نعم، لا، منكم، من غيركم، ملصق، العقل، فضل العقل، فكانوا إذا اختلفوا في نسب الرجل جاءوا إلى السادن بمائة درهم ثم قالوا للصنم يا إلهنا قد تمارينا في نسب فلان فأخرج علينا الحق فيه فتجال القداح فإن خرج القدح الذي عليه منكم كان أوسطهم نسبا وإن خرج الذي عليه من غيركم كان حليفا وإن خرج ملصق كان على منزلته لا نسب ولا حلف وإن أرادوا سفرا أو حاجة جاءوا بمائة فقالوا يا إلهنا أردنا كذا فإن خرج نعم فعلوا وإن خرج لا لم يفعلوا وإذا جنى أحدهم جناية فاختلفوا فيمن يحمل العقل جاءوا بمائة فقالوا يا إلهنا فلان جنى جناية فأخرج الحق فإن خرج القدح الذي عليه العقل لزم من ضرب عليه وبرئ الآخرون وإن خرج غيره كان على الآخرين العقل وكانوا إذا عقلوا العقل ففضل الشيء منه تداروا فيمن يحمله فضربوا عليه فإن خرج القدح الذي عليه فضل العقل لزم من ضرب عليه وإلا كان على الآخرين الذين لم يضرب عليهم فهذا الاستقسام الذي حرمه الله لأنه يكون عند الأصنام ويطلبون ذلك منها ويظنون أن الذي أخرج لهم ذلك هو الصنم وأما الحجارة والسهام إذا عملت على هذا الوجه فهي جائرة وصنيعهم من أنواع الاستقسام وقال أبو عبيد واحد الأزلام زلم بفتح الزاي

وقال

وقال بعضهم بالضم وهو القدح لا ريش له ولا نصل فإذا كان مريشا فهو السهم والله أعلم ويجوز أن يراد مع هذا ما كانوا يفعلونه في الميسر على ما مضى في البقرة فإنه طلب معرفة ما قسم من الجزور ويلتحق بالأول كل كهانة وتنجيم وكل طيرة يتطير بها الناس الآن من التشاؤم ببعض الأيام وبعض الأماكن والأحوال فإياك أن تعرج على شيء من الطيرة فتكون على شعبة جاهلية نجانا الله بمنه ولما كانت هذه الأشياء شديدة الخبث أشار إلى تعظيم النهي عنها بأداة البعد وميم الجمع فقال **ذلكم** أي الذي ذكرت لكم تحريمه **فسق** أي فعله خروج من الدين ولما كانت هذه المنهيات معظم دين أهل الجاهلية وكان سبحانه قد نهاهم قبلها عن إحلال شعائر الله والشهر الحرام وقاصد المسجد الحرام بعد أن كان أباح لكم ذلك في بعض الأحوال والأوقات بقوله وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه الشهر الحرام بالشهر الحرام واقتلوهم حيث ثقفتموهم علم أن الأمر بالكف عن انتهاز الفرص إنما هو للأمن من الغوائل وذلك لا يكون إلا عن تمام القدرة وهو لا يكون إلا بعد إكمال الدين وإظهاره على كل دين كما حصل به الوعد الصادق وكذا الانتهاء عن جميع هذه المحارم إنما يكون لمن رسخ في الدين قدمه وتمكنت فيه عزائمه وهممه فلا التفات له إلى غيره ولا همة له إلى سواه ولا مطمع لمخالفه فيه فعقب سبحانه النهي عن هذه المناهي كلها بقوله على سبيل النتيجة والتعليل **اليوم** أي وقت نزول هذه الآية **يئس الذين كفروا** أي لا سوى الكفر سواء كانوا من المشركين فيه أو لا **من دينكم** أي لم يبق لكم ولا لأحد منكم عذر في شيء من إظهار الموافقة لهم أو التستر من أحد منهم كما فعل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حين كاتبهم ليحمي بذلك ذوي رحمه لأن الله تعالى قد كثركم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة وأحيا بكم منار الشرع وطمس معالم الجهل وهدم منار الضلال فأنا أخبركم وأنتم عالمون بسعة علمي أن الكفار قد اضمحلت قواهم وماتت هممهم وذلت نخوتهم وضعفت عزائمهم فانقطع رجاؤهم مما يغلبونكم أو يستميلونكم إلى دينهم بنوع استمالة فإنهم رأوا دينكم قد قامت منابره وعلت في المجامع منابره وضرب بجرانه وبركت قواعده وأركانه ولهذا السبب علم من قوله **فلا تخشوهم** أي أصلا **واخشون** أي واخصوا الخشية بي وحدي فإن دينكم قد اكتمل بدره حتى غطى المحاق بحله وقته ورضي به الأمر ومكنه على رغم أنوف الأعداء وهو قادر على رد ذلك قوله تعالى مستوفيا مساق التعليل **اليوم أكملت لكم دينكم** أي الذي أرسلت إليكم به كاملا حقيقا لئن تدينوا به وتدانوا وكماله بأن أكمل ما يحتاج إليه من أصل وفرع نصا على البعض وبيانا للطريق القياسي في الباقي وذلك دينا لجميع الأحكام وأما قبل ذلك اليوم فهو وإن كان كاملا لكنه بغير هذا المعنى ثم يزيد كمالا إلى شيء فيكون به كاملا أيضا وأكمل مما مضى وهكذا إلى هذه النهاية وقد يكون هذا هو المراد بقوله **وأتممت عليكم نعمتي** أي التي قسمتها في القدم من هذا الدين على لسان هذا الرسول بأن جمعت عليه كلمة العرب الذين قضيت في القدم بإظهارهم على من ناواهم من جميع أهل الملل المظهرين بهم الدين وتنكسر شوكة المفسدين من غير حاجة في ذلك إلى غيرهم وإن كانوا بالنسبة إلى المخالفين كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود **ورضيت لكم الإسلام** أي الذي هو الشهادة لله بما شهد به لنفسه من الوحدانية التي يتبع الإذعان لها الإذعان بكل طاعة **دينا** تتجازون به فيما بينكم ويجازيكم به ربكم وروى البخاري في المغازي وغيره ومسلم في آخر الكتاب والترمذي في التفسير والنسائي في الحج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم فقال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة و في التفسير عن البخاري عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قالت اليهود لعمر إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت وقال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس ولم تجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده قلت ويوم الجمعة هو اليوم الذي أتم الله فيه خلق هذه الموجودات بخلق آدم عليه السلام بعد عصره وهو حين نزول هذه الآية

ان شاء الله تعالى فيكمل لك تلك السلعة في ذلك اليوم تماما وابتداء وروى هرون بن عنترة عن ابيه قال لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما وقد روي انه كان متحيرا النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة من العصر الى الغروب شهد الله انه لا اله الا هو الآية وكان ذلك جوابا منه صلى الله عليه وسلم لهذه الآية لفهمه صلى الله عليه وسلم ان آية آل عمران من الاسلام واعظم واكمل انتهى وهذه الآية من المعجزات لانها اخبار بغيب صدقه فيه الواقع ولما تمت هذه الجمل الاعتراضية التي صار بينها وبين ما قبلها وما بعدها باحكام الرصف وايثاق الربط من الامتزاج اشد مما بين الروح والجسد المشيرة الى ان هذه المحرمات هي التي تحقق بها اهل الكفر كمال المخالفة فايسوا منها من المواصلة والموالفة رجع الى تتمات تلك المحظورات فقال مسبغا لغرض الرضى بالاسلام الذي هو الحنيفية السمحة المحرمة لهذه الخبائث لاضرارها بالبدن والدين **فمن اضطر** اي الجئ الجاء عظيما الى شيء كان الى تناول شيء مما مضى انه حرم بحيث لا يمكنه معه الكف عنه **في مخمصة** اي مجاعة عظيمة **غير متجانف** اي متعمد ميلا **لاثم** اي بالاكل على غير سد الرمق او بالبغي على مضطر آخر بنوع مكر او قهر وعليه بعض جهته وزاد بعد هذا التقييد تخويفا بقوله **فان الله** اي الذي له الكمال كله **غفور رحيم** اي يمحو عنه اثر ارتكابه للنهي ولا يعاقبه عليه ولا يعاتبه ويكرمه بان يوسع عليه من فضله ولا يضطره مرة اخرى الى غيره لانه من الاكرام و ضروب الانعام ولما تقدم احلال الصيد وتحريم الميتة وختم ذلك بهذه الرخصة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل الكلاب فكان الصيد ربما مات في يد الجارح قبل ادراك ذكوته سال بعضهم عما يحل من الكلاب وبعضهم عما يحل من ميتة الصيد احلالا مطلقا لا بمعنى الرخصة اذ كان الحال يقتضي هذا السؤال روى الواحدي في اسباب النزول بسنده عن ابي رافع رضي الله عنه قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فقال الناس يا رسول الله ما احل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فانزل الله تعالى **يسألونك** ولما كان هذا اخبارا عن غائب قال **ماذا احل لهم** دون لنا قال الواحدي اي من امساك الكلاب واكل الصيود وغيرها اي من المطاعم ثم قال الواحدي رواه الحاكم ابو عبد الله في صحيحه وذكر المفسرون شرح هذه القصة قالوا قال ابو رافع جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل يا رسول الله ولكنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو قال ابو رافع فامرني ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فلما نزلت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه وامر بقتل الكلب الكلب العقور وما يضر ويؤذي ورفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين رضي الله عنهما وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وذلك انهما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وان كلاب آل ذريح وآل ابي حويرية تاخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت يسألونك الآية الطيبات يعني الذبائح والجوارح الكواسب الكلاب وسباع الطير انتهى ولما اريد كون الجواب على وجه يعم **قل** لهم في جواب سؤالهم **احل** وبناه للمفعول طبق سؤالهم ولان المقصود لا كونه من معين **لكم الطيبات** اي الكاملة الطيب فلا خبث فيها بنوع تحريم ولا نفرة منه لذوي الطباع السليمة مما لم يرد به نص ولا صح فيه قياس وهذا يشمل كل ما ذبح وهو ما اذن في ذبحه مما كانوا يحرمونه على انفسهم من السائبة وما معها وكل ما اذن فيه من غير ذبح كحيوان البحر وما اذن فيه من غير المطاعم **وما** وهو على حذف مضاف للعلم به فالمعنى وصيد ما **علمتم من الجوارح** اي التي من شانها ان تجرح او تكون سببا للجرح وهو الذبح او ما يجرح وهو الكسب ويعلم ما جرحتم بالنهار وهي كواسب الصيد من السباع والطير فاحل امساكها للقنية وصيدها وشرط فيه التعليم قال الشافعي في الكلب

لا يصير معلما الا عند امور اذا اشلي استشلى واذا زجر انزجر وحبس ولم ياكل واذا دعي اجاب واذا اراده لم يفر منه فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ولم يذكر حدا لان الاسم اذا لم يكن معلوما من نص ولا اجماع وجب الرجوع فيه الى العرف وبين الحال من الكلاب فقال لما كان المراد العموم لان التاديب فيها اكثر فقال **مكلبين** اي حال كونكم متكلفين تعليم هذه الكواسب ومبالغين في ذلك الواو وفائدة هذه الحال ان يكون المعلم نحريرا في علمه موصوفا به واكد ذلك بحال اخرى او استيناف فقال **تعلمونهن** وحوشا كن او طيورا **مما علمكم الله** اي المحيط بصفات الكمال من علم التكليف فافاد ذلك ان على كل طالب لشيء ان لا ياخذه الا من اجل العلماء به واشدهم دراية له واغوصهم على لطائفه وحقايقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله [illegible] ذلك قوله **فكلوا** ولما كان في الصيد من العظم ونحوه ما لا يوكل قال **مما امسكن** اي الجوارح مستقرا امساكها **عليكم** اي على تعليمكم لا على جبلتها وطبيعتها دون تعليمكم وذلك هو الذي لم ياكل منه وان مات قبل ادراك ذكاته واما ما امسك الجارح او عند الذبح ان ادركت ذكاته ليمحي الفرق بسنة الجاهلية وتاخذوه من مالكه وفرصا في نسبة هذه الجملة كما ترى الى حرمت عليكم الميتة نسبة المستثنى الى المستثنى منه والى المفهوم غير محلي الصيد وانتم حرم نسبة الشرح ولما كان تعليم الجوارح امرا خارجا عن العادة في نفسه وان كان قد كثر حتى صار مالوفا وكان الصيد بها امرا تعجب سرعته وتبهر النفوس كيفيته ختم الآية بما هو خارج عن عادة البشر وطوقها من سرعة الحساب ولطف العلم المحدد للاستحقاق من الثواب والعقاب فقال محذرا من اهمال شيء مما رسمه **واتقوا** اي حاسبوا انفسكم واتقوا **الله** عالم الغيب والشهادة القادر على كل شيء اي فيما ادركتم ذكاته وما لم تدركوها وما امسكه الجارح عليكم وما امسكه على نفسه الى غير ذلك من امور الصيد التي لا يقف عندها الا من غلبت عليه مهابة الله واستشعر خوفه فاتقاه فيما احل وما حرم ثم علل ذلك بقوله **ان الله** اي الجامع لمجامع العظمة **سريع الحساب** اي عالم بكل شيء وقادر عليه في كل وقت فهو قادر على كل جزاء يريده لا يشغله احد عن احد ولا شان عن شان ولما كان قد تقدم النهي عن نكاح المشركات والمنافرة لجميع اصناف الكفار ونهيا عن بغضهم وعداوتهم والحث على طردهم ومنابذتهم [illegible] تجنبهم في نحوها الضعف الامر اذ ذلك بكثرة الحاجة الى اظهار الفظاظة والغلظة لهم لتعظيم دين الله حتى كانت خلطتهم من امارات النفاق كما سيأتي في كثير من آيات هذه السورة وكان الدين قد قوي وصار عند نزولها من العظمة الى حد لا يحتاج فيه الى تعظيم معظم وكانت مخالطة اهل الكتاب لا بد منها عند فتوح البلاد التي وعد الصادق بها وسبق في الازل علمها وكانت الفتنة في مخالطتهم قد صارت في حد الامن بحيث احل الله طعامهم ونساءهم فقال [illegible] مكررا ذكر الوقت الذي اثر فيه هذه الآيات تنبيها على عظم النعمة فيه بذكر ما هم فيه من الكثرة والامن والجمع والالفة وتذكر ما كانوا فيه قبل ذلك من القلة والخوف والفرقة فقال معيدا لصدر الآية التي قبلها اعلاما بعظم النعمة فيه ومفيدا امر كون [illegible] الاحلال انه احلال مقصود به الثبات لكونه يوم اتمام النعمة فهو غير الاول **اليوم** ولما كان القصد انما هو الحل لا لكونه من محل معين مع ان المخاطبين بهذه الآيات يعلمون انه لا يحل الا الله بنى الفعل للمجهول فقال **احل** اي ثبت الاحلال فلا نسخ ابدا **لكم** ايها المؤمنون **الطيبات** التي تقدم في البقرة وصفها بالحل لزوال الاثم وملائمة الطبع فهي الكاملة في الطيب ولما كانت الطيبات اعم من الماكل قال **وطعام الذين** ولما كان سبب الحل الكتاب ولم يتعلق بذكر موتيه غرض بنى الفعل للمجهول فقال **اوتوا الكتاب** اي مما يصنعونه او يذبحونه وعبر بالطعام الشامل للمذبوح وغيره وان كان المقصود المذبوح لان غيره لا يختلف حاله من كتابي ولا غيره تصريحا بالمقصود **حل لكم** اي تناوله لحاجتكم الى مخالطتهم لان في اقرارهم على دينهم بالجزية [illegible] ولما كان هذا مشعرا بابقائهم على الاختيار وا لانفسهم زاده تاكيدا بقوله **وطعامكم حل لهم** اي فلا عليكم في بذلهم ولا عليهم في تناوله ولما كانت الطيبات اعم من المطاعم وغيرها وكانت الحاجة الى المناكح بعد الحاجة الى المطاعم وكانت المطاعم حلالا من الجانبين والمناكح من جانب واحد قال **والمحصنات** اي الحرائر **من المومنات** ثم اكد الاشارة الى اقرار اهل الكتاب فقال **والمحصنات** اي الحرائر **من الذين اوتوا الكتاب** وبنى الفعل للمفعول للعلم بمونته مع انه لم يتعلق بالتصريح به غرض ولما كان ايتاؤهم الكتاب لم يستغرق الزمن الماضي اثبت الجار فقال **من قبلكم** اي وهم اليهود والنصارى وعبر عن العقد

[margin: على مستقرا على جبلته وطبعه لا نفسه فلا ياكل ناظرا فيه الى [illegible] **واذكروا اسم الله عليه** اي على ما امسكن عند ارسال الجارح صح]

بالصداق للملابسة فقال محرجا للامة لانها لا تعطى الاجر وهو الصداق ولانها لا تملكه بل يعطاه سيدها **اذا اتيتموهن اجورهن** اى
عقدتم لهن ودل بسياق الشرط على تأكد وجوب الصداق وان من تزوج وعزم على عدم الاعطاء كان في صورة الزاني وورد فيه حديث
وتسميته بالاجر يدل على انه لاحد لاقله ولما كان المراد بالاجر المهر وكان في اللغة يطلق على ما تعطاه الزانية ايضا بينه بقوله **محصنين**
اى قاصدين الاعفاف والعفاف **غير مسافحين** اى قاصدين صب الماء لمجرد الشهوة جهارا **ولا متخذى اخدان** اى اصدقاء لذلك
في السر جمع خدن وهو يقع على الذكر والانثى فكانت هذه الاية مخصصة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فبقى على التحريم
مما تضمنته تلك ما عدا الكتابيات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المنتقلة من الكتابيات من دينها الى غيره من الاديان وصرح هنا
بالمؤمنات المفهوم من قوله تعالى في النساء واحل لكم ما وراء ذلكم وقوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات ولعل
ذكر وصف الاحصان الواقع على العفة للتنبيه على انه لا يقصد المتصفة بغيره لمجرد الشهوة الا من سلب الصفات البشرية واخلد الى
مجرد الحيوانية فصار في عداد البهائم بل ادنى معنى التعليق بذلك الوصف لا يفهم الحرمة عند فقده بل الحل من باب الاولى لان من
حكم مشروعية النكاح الاعفاف فاذا شرع اعفاف العفائف كان شرع اعفاف غيرهن اولى لان زناها اما الشهوة او الحاجة و
كلاهما النكاح مرض عظيم في نفيه والله اعلم ولما كان المشرع في النهى عن نكاح المشركات في الاصل ما يخشى من الفتنة وكانت الفتنة
واعلا الدين ورسخ الايمان واليقين لم تنزل عن درجة الامكان وكانت الصلوة تشيع ايانا لانها من اعظم شرائعه ولما كان الله
ليضيع ايمانكم اى صلوتكم وروى الطبرانى في الاوسط عن عبد الله بن قرط رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب به
العبد يوم القيمة الصلوة فان صلحت صلح سائر عمله وله في الاوسط ايضا بسند ضعيف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة ينظر في صلوته فان صلحت فقد افلح وان فسدت فقد خاب وخسر وكانت مخالطة الازواج مظنة
للتكاسل عنها ولهذا نزلت اية حافظوا على الصلوات كما مضى بالمحل الذى هى فيه لما كان من ذلك كذلك ختمت هذه الاية بقوله تعالى
منفرا من نكاحهن بعد حلاله اشارة الى ان الورع البعد عنه امتثالا للايات الناهية عن موادة المحاد لئلا يحصل ميل فيدعو الى
المتابعة او يحصل ولد فتستميله لدينها **ومن** اى احل لكم ذلك والحال انه من **يكفر** اى يوجد ويجدد الكفر على وجه طمانينة
القلب به والاستمرار عليه الى الموت **بالايمان** اى بسبب التصديق القلبى بكل ما جاءت به الرسل وانزلت به الكتب الذى منه حل
الكتابيات فيدعوه ذلك الى نكاحهن فتحمله الخلطة على اتباع دينهن فيكفر بسبب ذلك التصديق فيكفر بالصلوة التى يلزم من الكفر بها
الكفر به فالملاقة عليها تعظيم لها وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم **فقد حبط** اى فسد **عمله** اى اذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله
وهو في الاخرة من الخاسرين والاية من ادلة امامنا الشافعى على استعمال اللفظ الواحد في حقيقته ومجازه فحيث قصد التحذير من الكفر
حقيقة فالايمان حقيقة وحيث اريد الترهيب من اضاعة الصلوة فهو مجاز ومما يوكد ذلك ان في السفر الثانى من التورية لا
تعاهدن سكان الارض كيلا تضلوا باوثانهم وتذبحوا لالهتهم او يدعوك فتاكل من ذبائحهم وتزوج بنيك من بناتهم وبناتك
من بنيهم فتضل بناتك خلف الهتهم ويضل بنوك بالهتهم وقال في الخامس منها واذا ادخلكم الله ربنا الارض التى تحلونها
لترثوها واهلك شعوبا كثيرة من بين ايديكم حيثانيين وجرجانيين وامورانيين وكنعانيين وحاوانيين وبابسانيين سبعة
شعوب اكثر واقوى منكم ويدفعهم الله ربكم في ايديكم فاضربوهم واقتلوهم وانفوهم وحرموهم ولا تعاهدوهم عهدا ولا ترحموهم
ولا تخاتنوهم ولا تزوجوا بناتكم من بنيهم ولا تزوجوا بنيكم من بناتهم لئلا يغوين بنيكم عن عبادتى ويتخذ منهم فيعبدوا الهة اخرى
ويشتد غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا ولكن اصنعوا بهم هذا الصنيع استاصلوا مذابحهم وكسروا انصابهم وصطوا اصنامهم
المصنوعة واحرقوا اوثانهم المنحوتة لانكم شعب طاهر لله ربكم انتهى واذا تاملت جميع ذلك وانعمت فيه لاح لك سر تعقيبها
بقوله تعالى فيما مشير الى البشارة بان هذه الامة تطيع ولا تعصى فتؤمن ولا تكفر لما خصها به كتابها من البيان الاتم في النظم المعجز

مع غرض

مع غرض التذكير بما افاضه من جليل الايادى فافتتح هذه السورة بالامر بالوفاء بحق الربوبية واتبعه التذكير بما وفى به سبحانه
من حق الربوبية من نوعى المنافع في لذة المطعم وتوابعه ولذة المنكح وتوابعه وقدم المطعم لان الحاجة اليه فوق الحاجة
الى المنكح فلما اتم ما الزمه نفسه الاقدس من عهد الربوبية فضلا منه اتبعه الامر بالوفاء بعهد العبودية وقدم منه
الصلوة لانها اشرفه بعد الايمان وقدم الوضوء لانه شرطها فقال **يا ايها الذين امنوا** اى اقروا به صدقوه بانكم **اذا** عبر
باداة التحقق بشارة بان الامة مطيعة **قمتم** اى بالقوة والعزم الثابت على القيام الذى هو سبب القيام **الى الصلوة** اى
جنسها محدثين لما بينه النبى صلى الله عليه وسلم بجمعه لعدة صلوات بوضوء واحد وان كان التجديد اكمل وخصت الصلوة ومس المصحف
من بين الاعمال بالامر بالوضوء تشريفا لهما ويزيد حمل الايمان على الصلوة حسنا تقدم قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الثابت
انها نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم بعد عصر يوم عرفة والنبى صلى الله عليه وسلم على ناقته يخطب وكان من خطبته في ذلك
الوقت او في يوم النحر او في كليهما الا ان الشيطان قد ايس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم رواه احمد
ومسلم في صفة القيمة والترمذى عن جابر رضى الله عنه فقوله المصلون اشارة الى ان الماحى للشرك هو الصلوة فما دامت
قائمة فهو زائل ومتى زالت والعياذ بالله رجع والى ذلك يشير ما رواه مسلم في صحيحه واصحاب السنن الاربعة عن جابر رضى
الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بين العبد والكفر ترك الصلوة وللاربعة وابن حبان في صحيحه والحاكم عن بريدة رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الذى بيننا وبينهم الصلوة فمن تركها فقد كفر ولابى يعلى بسند ضعيف عن انس رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلوة واخر ما يبقى الصلوة ولما كان الوضوء
في سورة النساء انما هو على سبيل الاشارة اجمالا صرح به هنا على سبيل الامر وفصله فقال مجيبا للشرط اعلاما بان الامر
بالوضوء تبع للامر بالصلوة لان المعلق على الشىء بحرف الشرط يعدم عند عدم الشرط **فاغسلوا** اى لاجل ارادة الصلوة ومن
هنا تعلم وجوب النية لان فعل العاقل لا يكون الا مقصودا وفعله المامور به لاجل الامر هو النية **وجوهكم** وحد الوجه
منابت شعر الراس ومنتهى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا وليس منه داخل العينين وان كان ماخوذا من المواجهة لانه من الحرج وكذا
ايصال الماء الى البشرة اذا كثفت اللحية خفف للحرج واكتفى عنه بظاهر اللحية واما العنفقة ونحوها من الشعر الخفيف فيجب **وايديكم**
ولما كانت اليد تطلق على ما بين المنكب ورءوس الاصابع قال مبينا ان ابتداء الغسل يكون من الكفين لانهما العظم النفع اولى بالاسم
الى المرافق الى اخرها اخذا من بيان النبى صلى الله عليه وسلم بفعله فانه كان يدير الماء على مرفقيه وايضا فالاعتماد على البيان لان
الغاية تارة تدخل كقوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتارة لا تدخل كقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل والمرفق ملتقى
العظمين وعفى عما فوق ذلك تخفيفا **وامسحوا** ولما عدل عن تعدية الفعل الى الراس فلم يفعل كما فعل في الغسل بل اتى
بالباء فقال **برءوسكم** علم ان المراد ايجاد ما يسمى مسحا في اى موضع كان من الراس دون خصوص التعميم ولما كان غسل
الرجل مظنة الاسراف فكان مامورا بالاقتصاد فيه وكان المسح على الخف سائغا كافيا قرئ **وارجلكم** بالجر على المجاورة اشارة
الى ذلك او العطف على بابه والمسح فيه بمعنى الغسل لقول العرب تمسحت للصلوة اى توضأت وذلك لان الغالب في ذلك غلب
قال في القاموس المسح كالمنع امرار اليد على الشىء السائل فيكون في ذلك اشارة ايضا الى استحباب الدلك والقرينة الدالة
على استعمال هذا المشترك في احد المعنيين قراءة النصب وبيان النبى صلى الله عليه وسلم وسر استعماله فيه الاشارة الى الرفق
وبالنصب على الاصل ولما كانت الرجل من موضع الانشعاب من الاسفل الى اخرها خص بقوله دالا بالغاية على ان المراد
الغسل كما مضى في المرافق لان المسح لم يرد فيه غاية في الشريعة وعلى ان ابتداء الغسل يكون من رءوس الاصابع لان
القدم لعظيم نفعه اولى باسم الرجل **الى الكعبين** وهما العظمان الناتيان عند مفصل الساق والقدم وثنى اشارة

الى الحال لكل رجل كعبين ولو قيل الى الكعاب لفهم ان الواجب كعب واحد من كل رجل كما ذكره الزركشي في مقابلة الجمع بالجمع من حرف
الميم من قواعده والفصل بالمسح بين المغسولات معلم بوجوب الترتيب لان عادة العرب كما نقله الشيخ محيي الدين النووي
في شرح المهذب عن الاصحاب انها لا تفعل ذلك الا للاعلام بالترتيب وقال غيره معللا لما التزمت العرب ترك التمييز بين
النوعين بذكر كل منهما على حدته مستهجن في البليغ لغير فائدة فوجب تنزيه كلام الله عنه وايضا فدلالة الاية على وجوب
البداءة بالوجه مما لا مدفع له لترتيبها له بالجزائية على الشرط بالفاء وذلك مقتض لوجوب الترتيب في الباقي اذ لا قائل بالوجوب
في البعض دون البعض ولعل تكرير الامر بالغسل والتيمم للاهتمام بهما وللتذكير بالنعمة في التوسعة بالتيمم وان حكمه باق
عند امنهم وسعتهم كراهة ان يظن انه انما كان عند خوفهم وقلتهم وضيق التبسط في الارض لظهور الكفار وغلبتهم
كما كانت المتعة تباح تارة وتمنع اخرى نظرا الى الحاجة وفقدها وللاشارة الى انه من خصائص هذه الامة وللاعلام بانه
لم يرد به ولا بشيء من المامورات والمنهيات قبله الحرج وانما اراد الطهارة الباطن والظاهر من ادناس الذنوب
واوضار الخلائق السافلة فقال تعالى معبرا باداة الشك اشارة الى انه قد يقع وقد لا يقع وهو نادر على تقدير وقوعه
عاطفا على ما تقديره هذا ان كنتم محدثين حدثا اصغر وان كنتم اي حال القصد للصلوة جنبا اي ممنين باحتلام
او غيره فاطهروا اي بالغسل ان كنتم خالين عن عذر لجميع البدن لانه اطلق ولم يخص بعض الاعضاء كما في الوضوء
ولما اتم امر الطهارة عزيمة بالماء من الغسل والوضوء وبدا بالوضوء لعمومه ذكر الطهارة رخصة بالتراب فقال
معبرا باداة الشك اشارة الى ان الرخاء اكثر من الشدة وان كنتم مرضى اي بجراح او غيره فلم تجدوا ماء حسا او معنى بعدم القدرة
على استعماله وانتم جنب او على سفر طويل او قصير كذلك ولما ذكر الاكبر اتبعه بالاصغر فقال او جاء احد منكم وهو جنب من
الغائط اي الموضع المطمئن من الارض وهو مكان التخلي لقضاء حاجة الانسان التي لا بد له منها ونزه الكتاب عن التصريح بها
لانها من النقائص المذكرة له بتشديد عجزه وعظيم ضرورته وفقره ليكف من اعجابه وكبره وترفعه وفخره كما ورد ان بعض الامراء لقي
بعض البله في طريق فلم يفسح له فغضب وقال كانك ما تعرفني فقال بلى والله اني لاعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة
قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة ولما ذكر ما يخص الاصغر ذكر ما يعم الاكبر فقال او لامستم النساء اي بالذكر
او غيره امنيتم او لا فلم تجدوا ماء اي حسا او معنى بالعجز عن استعماله للمرض بجرح او غيره فتيمموا اي اقصدوا قصدا متعمدا
صعيدا او ترابا طيبا اي طهورا خالصا فامسحوا ولما كان التراب لكثافته لا يصل الى ما يصل اليه الماء بلطافته قصر الفعل
وعداه بالحرف اشارة الى الاكتفاء بمرة والعفو عن المبالغة وبينت السنة ان المراد جميع العضو فقال بوجوهكم وايديكم
منه اي حال النية التي هي القصد الذي هو التيمم ثم اشار لهم الى الحكمة سبحانه في هذه الرخصة فقال مستانفا ما يريد الله
اي الغني المطلق ليجعل عليكم واغرق في النفي بقوله من حرج اي ضيق علما منه بضعفكم فسهل عليكم ما كان عسره
على من كان قبلكم واكراما لكم لاجل نبيكم صلى الله عليه وسلم فلم يامركم الا بما يسهل عليكم ليقل عاصيكم ولكن يريد ليطهركم
اي ظاهرا او باطنا بالماء والتراب بامتثال الاوامر على ما شرعه سبحانه عقلتم معناه او لا ومنع لتسهيل الاوامر والنواهي لئلا يوقعكم
التشديد في المعصية التي هي رجس الباطن وليتم نعمته اي في التخفيف في العزائم ثم في الرخص وفي وعدكم بالاجور على ما شرع لكم من الافعال
عليكم لاجل التسهيل ليكون فعلكم لها واستحقاقكم لما يترتب عليها من الاجر مقطوعا به الا من لج طبعه في العوج وتمادى في الغواية والجهل
والبطر ولعلكم تشكرون اي فعل ذلك كله بالتسهيل وغيره ليكون حالكم بما سهل عليكم حال من يرجى منه الشكر لنعم ربه عليه في طاعاته
المسهلة له المحببة اليه روى البخاري في التفسير وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه

وليسوا

وليسوا على ماء وليس معهم ماء وفي رواية سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فاناخ النبي صلى الله عليه وسلم ونزل فثنى
راسه في حجري راقدا فاتى الناس الى ابي بكر فقالوا الا ترى الى ما صنعت عائشة فجاء ابو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال حبست الناس
صلى الله عليه وسلم في قلادة فبي الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اوجعني ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت
الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة الاية وفي رواية فانزل الله اية التيمم فتيمموا فقال
اسيد بن الحضير لقد بارك الله للناس فيكم يا ال ابي بكر ما انتم الا بركة لهم وفي رواية ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت فبعثنا البعير
الذي كنت عليه فاذا العقد تحته وفي رواية له عنها في النكاح انها استعارت من اسماء قلادة فهلكت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناسا من اصحابه في طلبها فادركتهم الصلوة فصلوا بغير وضوء فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت اية التيمم فقال
اسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك امر قط الا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين منه بركة وهذا الحديث يدل على ان
هذه الاية نزلت قبل اية النساء فكان تلك نزلت بعد ذلك لتاكيد هذا الحكم ومزيد الامتنان بما فيه من عظيم اليسر وليحصل في التيمم
من الجنابة نص خاص فيكون ذلك اصرح لشانه او ادل على الاهتمام به ولما كان في هذه المامورات والمنهيات خروج عن المالوفات وكانت
الصلوة اوثق عرى الدين وكان قد عبر عنها بالايمان الذي هو اصل الدين واساس الاعمال عطف عليها قوله تذكيرا بما يوجب القبول والانقياد
واذكروا اي ذكر اتعاظ وتامل واعتبار ولما كان المقصود بالانعام غايته قال نعمة الله اي الملك الاعلى عليكم اي في هدايته
لكم الى الاسلام بعد ان كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وفي غير ذلك من جميع النعم وانما لم يجمع لئلا يظن ان المقصود تعداد النعم
لا التذكير لطلب الشكر بتامل ان هذا الجنس لا يقدر عليه غيره سبحانه وعظم رسوله صلى الله عليه وسلم كما يستحقه بجعل نعمته نعمته فقال
صلى الله عليه وسلم فقال وميثاقه اي عقده الوثيق الذي واثقكم به اي بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره اذ اي حين قلتم سمعنا واطعنا وفي ذلك التحذير من مثل ما اراد بهم شاس بن قيس وتذكير
بما اوجب له صلى الله عليه وسلم عليهم من الشكر بهدايته لهم الى الاسلام المثمر لالتزام تلك العهود ليلة العقبة الموجبة للوفاء الموعود عليه
الجنة والتفاتا الى قوله اول السورة اوفوا بالعقود وحديث اسباغ الوضوء على المكاره مبين لحسن هذا التناسب ولما كان امر الوفاء
بالعهد صعبا لا يقوم به الا من صدقت عزيمته وصلحت سريرته وانما يحمل عليه مخافة الله قال واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين ما
يغضب الملك الاعظم الذي يفعل ما يشاء من نقض العهود وقاية من حسن القيام لتكونوا في اعلى درجات رعيه ثم علل ذلك الامر ترغيبا وترهيبا
بقوله ان الله اي الذي له صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي احوالها من ايمانها وان كان صاحبها لم يعلم بها لكونها لم
تبرز الى الوجود وعلانياتها وان كان صاحبها قد نسيها ولما تقدم القيام الى الصلوة وتقدم ذكر الازواج المامور فيهن بالعدل في اول
النساء واثنائها وكان في الازواج المذكورات هنا الكافرات ناسب تعقيب ذلك بعد الامر بالتقوى بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا
بالايمان ولما كان العدل في غاية الصعوبة على الانسان فكان لذلك يحتاج المتخلق به الى تدريب كبير ليصير صفة راسخة عبر بالكون فقال
كونوا قوامين اي مجتهدين في القيام على النساء اللاتي اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعلى غيرهن في الصلوة
وغيرها من جميع الطاعات التي عاهدتم على الوفاء بها ولما كان مبنى السورة على الوفاء بالعهد الوثيق وكان الوفاء بذلك انما يخف
على النفوس ويصح النشاط فيه ويعزم العزم عليه بالتذكر لجلالة موثقه وعظيم انتهاك حرمته لان المعاهدة انما تكون باسمه ولحفظ حرمته ورسمه
قدم قوله لله اي الملك الذي له الاحاطة بكل شيء بخلاف ما مضى في النساء ولما كان من جملة المعاهد عليه ليلة العقبة ان يتفقوا على
الاسلام ان يقولوا بالحق حيثما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم قال شهداء اي متيقظين محضرين افهامكم غاية الاحضار بحيث
لا يشذ عنها شيء مما تريدون الشهادة به بالقسط اي بالعدل وقال الامام ابو حيان في نهره ان التي في سورة النساء جاءت في معرض ترك
العداوة والاحن فبدئ فيها بالقيام لله اذ كان الامر بالقيام لله اولا ادعى للمؤمن الى الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والاقربين فبدئ

نيها بالقسط الذى هو العدل والسواء من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة وهنا جاءت فى معرض ترك العداوة والاحن فبدى فيها بالقيام لله اذ كان الامر بالقيام لله اولا اردع للمؤمن ثم اردف بالشهادة بالحق فالذى فى معرض المحبة والمحاباة بدى فيها بما هو اكد وهو القسط والتى فى معرض العداوة والشنان بدى فيها بالقيام لله فناسب كل معرض بما جى به اليه وايضا فتقدم هناك حديث النشوز والاعراض وقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا وقوله فلا جناح عليهما ان يصلحا فناسب تقديم القسط وهنا تاخر ذكر العداوة فناسب ان يجاورها ذكر القسط انتهى ولما امر بهذا الخير نهى عما يحجب عنه فقال ولا يجرمنكم اى يحملنكم شنان قوم اى شدة عداوة من لهم قوة على فى الامر مثل المشركين بحيث يخشى من اهمالهم ازدياد قوتهم على ان لا تعدلوا اى ان تتركوا قصد العدل ومن يمكن ان يدخل فيه بغض اهل الزوجة الكافرة او ازدراؤها حتى فى شى من حقوقها لاجل خسة دينها فامروا بالعدل حتى بين هذه المراة الكافرة وضرائرها المسلمات واذا كان هذا شان الامر به فى الكافر فما الظن به فى المسلم ثم استانف قوله امرا بعد النهى تاكيدا لامر العدل اعدلوا اى تحروا العدل واقصدوه فى كل شى حتى فى هذه الزوجة وفيمن تجاوز فيكم الحد فكلما عصوا الله فيكم اطيعوه فيهم فان الذى منعكم من التجاوز وخوف بركم من النصرة وصلاح الحال مايسركم ولما كان من ترك قصد الحق قد يقع لصاحبه العدل اتفاقا فيكون قريبا من التقوى قال مستانفا او معللا هو اى قصد العدل اقرب اى من ترك قصده للتقوى والاحسان الذى يتضمنه الصلح اقرب من العدل اليها وتعدية اقرب باللام دون الى المقتضية لنوع بعد زيادة فى الترغيب كما مر فى البقرة ولما كان الشى لا يكون الا بعد مقدماته وكان قد علم من هذا ان العدل مقدمة التقوى قال عاطفا على النهى او على نحو فاعدلوا واتقوا الله اى اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم وقاية بالاحسان فضلا على العدل ويوكد كون الاية ناظرة الى النكاح مع ما ذكر ختام اية الشقاق التى فى اول النساء بقوله ان الله كان عليما خبيرا وختام هذه بقوله معللا لما قبله ان الله اى المحيط بصفات الكمال خبير بما تعملون لان ما بين الزوجين ربما دق علمه عن ادراك غير العليم الخبير وقال ابو حيان لما كان الشنان محله القلب وهو الحامل على ترك العدل امر بالتقوى واتى بصفة خبير ومعناها عليم ولكنها مما يختص بما لطف ادراكه انتهى وشهداء يمكن ان يكون من الشهادة التى هى حضور القلب كما تقدم من قوله او القى السمع وهو شهيد وان يكون من الشهادة المتعارفة ويرجح المطابقة فيها مع ما ادرت من كونها بعد قوله ان الله عليم بذات الصدور مع قوله ومن يكتمها فانه اثم قلبه وختام اية النساء التى فى الشهادة بقوله وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا كما ختمت هذه بمثل ذلك ولما امر سبحانه ونهى بشر وحذر فقال وعد الله اى الملك الذى له الكمال المطلق فله كل شى الذين امنوا اى اقروا بالايمان بالسنتهم وعملوا تصديقا لدعواهم الاقرار الصالحات وترك المفعول الثانى انعد فى باب البشارة فانه يحتمل كل خير وتذهب النفس فى تجويزه كل مذهب ولما كان الموعود شيئين فضلا وعدلا قدم اهمهما لانه للخوف فقال واضعا له موضع الموعود فى صيغة دالة على الثبات والاختصاص لهم مغفرة اى لما فرط منهم لما طبع الانسان عليه من النقص نسيانا او عمدا بعمل الواجبات ان كان صغيرة وبالتوبة ان كان كبيرة وفيه اشارة الى انه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره ولما امنهم بالتجاوز اتبعه الجود بالعطا فقال واجر اى على قدر درجاتهم فى حسن العمل عظيم اى لا يدخل تفاوته ورتبته تحت الحصر ولما قدم الوعد لانه فى سورة الذين امنوا اتبعه الوعيد لاضدادهم وهو عطف وعد لاحبابه المومنين ايضا فقال والذين كفروا اى غطوا ما اتضح لعقولهم من ادلة الوحدانية وكذبوا اى زيادة على الستر بالعناد بآياتنا على ما لها من العظمة فى نفسها وباضافتها الينا اولئك اى البعداء البعداء من الرحمة اصحاب الجحيم اى النار التى اشتد توقدها فاشتد امرها فلا براح لهم عنها لانهم يلزمون فيها بما اقدموا على ما هو اهل للجحيم من التكذيب بما لا ينبغى لاصحاب التكذيب ثم يلازمونها فلا ينفكون عنها كما هو شان الصاحب ولما كان من الامر ما يحصل لهم بسبب التشاغل فى الدنيا قال ذاكرا لهم بعد ذلك مذكرا ببعض ما خاطبهم به ليقدموا على مباينة الكفرة وتعفو عند حدوده كائنة ما كانت يا ايها الذين امنوا اى صدقوا بالله ورسوله وكتابه اذكروا نعمت الله اى الذى احاط بكل شى قدرة وعلما عليكم عظمها بابها بها ثم زادها تعظيما بالتذكير بوقتها فقال اذ اى حين هم قوم اى لهم قوة ومنعة وقدرة على ما يقومون فيه ان يبسطوا اليكم ايديهم

اى بالقتال

اى بالقتال او القتل وهو شامل مع ما ذكر من اسباب نزوله لما اتفق صبيحة ليلة العقبة من ان قريشا تنطست الخبر عن البيعة فلما صبحهم طلبوا اهل البيعة ففاتوهم الا انهم ادركوا سعد بن عبادة باذاخر والمنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة وكلاهما كانا نقيبا فاما المنذر فاعجزهم واما سعد فاخذوه فربطوه واقبلوا يضربونه حتى خلصه الله منهم بجبير بن مطعم والحرث بن حرب بن امية بما كان بينه وبينهما من الجوار فكان فى سوق الاية بعد اية الميثاق الذى اعظمه ما كان ليلة العقبة اعظم مذكر بذلك فكف ايديهم عنكم اى مع قلتكم وكثرتهم وضعفكم وقوتهم ولم يكن لهم ناصر الا الذى امنتم به تلك الليلة وتوكلتم عليه وبايعتم رسوله فكيف ببعض الاعداء عنكم ايدى بعض ولو شاء لسلطهم عليكم كما سلط ابن ادم على اخيه وينبغى ان يعلم ان القصة التى عزيت فى بعض التفاسير هنا الى بنى قريظة فى الاستعانة فى دية القتيلين انما هى لبنى النضير وهى كانت سبب اجلائهم ولما امرهم بذكر النعمة عطف على ذلك الامر الامر بالخوف من المنعم ان يبدل نعمته بنقمته فقال واتقوا الله اى الملك الذى لا يطاق انتقامه لانه كفوا الاعداء وقادر ان يسلط عليكم اعداكم ومن غير ذلك من سطواته ولما كان التقدير فعلى الله وحده فى كل حالة فتوكلوا فانه حسب من انقطع اليه ولم يعتمد الا عليه عطف على ذلك قوله تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وعلى الله اى وحده لكونه لا مثل له فليتوكل المؤمنون اى فى كل وقت فانه يمنعهم اذا شاء هكذا المنع وان اشتد الخطب وتعاظم الامر فتوكلوا ولا تنكلوا عن عدوكم الذين وعدكم الله ارضهم وديارهم و ابناءهم وتهابوا بعموهم كما هاب بنو اسرائيل كما سيقص عليكم وقوله هنا المومنون وفى قصة بنى اسرائيل ان كنتم مومنين شديد المناسبة لما يعلم بعقابى الفريقين وفى حسن ختم الحسنى تعقيبها مع ما تقدم من امر العقبة وامر بنى النضير فى نقضهم عهودهم وعزمهم بما هموا به من قتل النبى صلى الله عليه وسلم بالقاء الرحى عليه من سطح البيت الذى اجلسوه الى جانبه بقوله اشارة الى ان اليهود ما زالوا على النقض قديما تحذيرا للمومنين من ان يكونوا مثلهم فى النقض لئلا يحل بهم ما حل بهم من الصغار واعلاما بان عادته سبحانه فى الالزام بالتكاليف قديمة غير مخصوصة بهم بل هى عامة للعبا وهل كلف اهل الكتاب تشريفا لهم بمثل ما كلفهم به ورغبهم ورهبهم ليسابقوهم فى الطاعة فان الامر اذا عم هان والانسان اذا سابق اجتهد فى اخذ الرهان واكد الخبر بذلك لئلا يظن لشدة انهماكهم فى الفسق انه لم يسبق لهم عهد فقال ولقد اخذ الله اى بما له من جميع الجلال و العظمة والكمال ميثاق بنى اسرائيل اى العهد الموثق بما اخذ عليهم من السمع والطاعة وبعثنا بما لنا من العظمة منهم اثنى عشر نقيبا اى شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم بالوفاء بما عليهم الوفاء به كما بعثنا منكم ليلة العقبة اثنى عشر نقيبا واخذنا منكم الميثاق على ما اجماله الاسلام كما قال كعب بن مالك رضى الله عنه فى تخلفه عن تبوك ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حتى تواثقنا على الاسلام واما تفصيله فمذكور فى السير والنقيب الذى ينقب عن احوال القوم كما قيل عريف لانه يتعرف بها من ذلك المناقب وهى الفضائل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها وقال الله اى المحيط بكل شى قدرة وعلما لبنى اسرائيل واكد لتنكر رجوعهم وتقلبهم فقال انى معكم وهو كناية عن الكفاية لان القادر اذا كان مع احد كان كذلك اذ لم يغضبه ولما انهى الترغيب بالمعية استانف بيان شروط ذلك بقوله موكدا المثل ماضى لئن اقمتم اى انشاتم الصلوة اى التى هى صلة ما بين العبد والخالق بجميع شروطها واركانها ولما كان المقصود فى الانفاق المواساة بالايتاء قال وآتيتم الزكوة اى التى هى بين الخلق والخالق ولما كان الخطاب مع من امن بموسى عليه السلام وكانوا اكثر قليل يرغبون عن اتباعه او كمال اتباعه وكان سبحانه عالما بان شانهم تغيره تكون اكثر فى الزلل انه يواتر اليهم بعده الرسل يحفظونهم من الزيغ ويقومون منهم الميل قال وآمنتم برسلى اى دمتم على الايمان بموسى عليه السلام وجددتم الايمان بمن يأتى بعده فصدقتموهم فى جميع ما يامرونكم به وعزرتموهم اى ذببتم عنهم ونصرتموهم ومنعتموهم اشد المنع والتعزير والتأزير من باب واحد ولما كان من تعظيم المصدق الايمان ونصر الرسل بذل المال فهو ابرها قال واقرضتم الله اى الجامع لكل وصف جميل قرضا حسنا

اي بالانفاق في جميع سبل الخير واعظمها الجهاد والاعانة فيه للضعفاء ولما كان الانسان محل النقصان فهو لا ينفك عن زلل او تقصير وان اجتهد في صالح العمل قال سادا بجواب القسم الذي وطات له اللام الداخلة على الشرط مسد جواب الشرط لاكفرن اي لاسترن عنكم سيئاتكم اي فعلكم لها من شانه ان يسوء ولادخلنكم اي فضلا مني جنات تجري ولما كان الماء يحي الارض ويعز بره واكتنافه عن بعض الارض قال من تحتها الانهار اي مسترة الري فمن كفر ولما كان الله سبحانه لا يعذب حتى يبعث رسولا وكان الاهمال في المعلم بعد الارسال ما اتصل بالموت فاحبط ما قبله لنزع الجار فقال بعد ذلك اي الشرط المؤكد بالامر العظيم الشان منكم اي بعد ما راى من الايات واقربه المواثيق فقد ضل اي ترك وضيع ويستعمل قاصرا بمعنى حار ومتعديا كما هنا سواء اي وسط وعدل السبيل لان ذلك الكفر بعد البيان العظيم فهو اعظم تجريم وفي هذا تحذير شديد لهذه الامة لان المعنى فان نقضتم الميثاق كما نقضوا ابتسل بستدرج شاس بن قيس وغيره صنعنا بكم ما صنعنا بهم حين نقضوا من الزامهم الذلة والمسكنة وغيرة الدهر اثار الغضب وان وفيتم بالعقود واتيناكم اعظم ما اتيناهم من فتح البلاد والظهور على سائر العباد قال ابن الزبير ولما الغرض والله اعلم اي عرض التحذير من نقض العهد ذكر هنا العهد المشار اليه في قوله تعالى واوفوا بعهدي فقال تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله فقد ضل سواء السبيل ثم بين نقضهم وبنى اللعنة وكل محنة ابتلوا بها عليه فقال فبما نقضهم ميثاقهم وذكر تعالى عهد الاخرين فقال ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم الاية ثم فصل تعالى للمؤمنين افعال الفريقين ليتبين لهم ما نقضوا فيه من ادعائهم في المسيح ما ادعوا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ونكوصهم عن فتح الارض المقدسة واسرافهم في القتل وغيرهم وتغييرهم احكام التورية الى غير ذلك مما ذكر في هذه السورة ثم بين تفاوتهم في البعد عن الاستجابة فقال تعالى لتجدن اشد الناس عداوة الاية انتهى وينبغي ذكر النقباء من هذه الفرق الثلاث باسمائهم وما دعى الى ذلك تحقيقا للامر وزيادة تبصر في امالهم فكان فيهم ذلك مرتين الاولى والى في السفر الرابع من التورية ان الرب تبارك اسمه كلم موسى النبي في جبل سينا وفي قبة الامد في اول يوم من الشهر الثاني في السنة الثانية لخروج بني اسرائيل من مصر وقال احصوا عدد جماعة بني اسرائيل كلها في قبائلهم كل ذكر من ابناء عشرين سنة الى فوق كل من من يخرج في الحرب واحصهم انت وهرون اخوك وليكن معكما في كل سبط رجل وسبط يكون الرجل رئيسا في اهل بيته ثم بين بعد ذلك ان كل رجل منهم يكون قائد جماعة ينزلون بنزوله حول قبة الزمان ويرحلون برحيله ويطيعونه فيما يامر به ففعل موسى وهرون ما امرهما الله به وانتدبوا اثني عشر رجلا كما امر الله فمن سبط روبيل اليصور بن شديا ومن سبط شمعون شلوميل بن صوريشدي ومن سبط يهوذا نحشون بن عميناداب ومن سبط ايساخار نتنائيل بن صوعر ومن سبط زابلون الياب بن حيلون ومن سبط يوسف من ال افرايم اليشمع بن عميهود ومن سبط [illegible] بني منشا جمليئيل بن فدهصور قلت ومنشا هو ابن يوسف وهو اخو افرايم ومن سبط بنيامين ابيدان بن جدعوني ومن سبط دان اخيعزر بن عميشدي ومن سبط اشير فجعيئيل بن عكرن ومن سبط جاد اليسافا ابن رعوئيل ومن سبط نفتالي احيرع بن عينن وسبط لاوي هم سبط موسى وهرون عليهما السلام لم يذكروا لانهم كانوا لحفظ قبة الزمان مع موسى وهرون عليهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم على قومه كما سيأتي . والمرة الثانية كانت ليجسوا ارض بيت المقدس قال في اثناء هذا السفر وكلم الرب موسى وقال له ارسل قوما يجسون الارض التي اعطي بني اسرائيل ويكون الذين ترسل رجلا من كل سبط من رؤساء اباءهم فارسلهم موسى من برية فاران عن قول الرب رجالا من رؤساء بني اسرائيل وهذه اسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شافاط بن حوري ومن سبط يهوذا كالاب بن يوفنا ومن سبط ايساخار يجال بن يوسف ومن سبط افرايم هوشاع بن نون ومن سبط بنيامين بلطي بن رافوا ومن سبط زابلون جديال ابن سودي ومن سبط يوسف من سبط منشا جدي بن سوسي ومن سبط دان عميال بن جملي ومن سبط اشير ساتور بن ميخائيل ومن سبط نفتالي نحبي بن وقسي ومن سبط جاد جوائيل بن ماخي هؤلاء الذين ارسلهم وتقدم اليهم بالوصية

واما

وأما النصارى ففي انجيل متى انه دعا يعني عيسى عليه السلام تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطانا على جميع الارواح النجسة لكي يخرجوها ويشفوا كل الامراض وفي انجيل مرقس وصعد الى الجبل ودعا الذين احبهم فاتوا اليه وانتخب اثني عشر ليكونوا معه ولكي يرسلهم ليكرزوا واعطاهم سلطانا على شفاء الامراض واخراج الشياطين وفي انجيل لوقا ودعى الاثني عشر الرسل واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء المرضى وارسلهم يكرزون بملكوت الله ويشفون الاوجاع ثم هذه اسماؤهم سمعان المسمى بطرس واندراوس اخوه ويعقوب بن زبدي ويوحنا اخوه وفي انجيل مرقس سماهما باسمي بوانرجس اللذين هما الرعد وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا ولبا الذي يدعى تداوس وقد اختلفت الاناجيل في هذا ففي انجيل مرقس بدله تدى وفي انجيل لوقا يهوذا بن يعقوب ثم اتفقوا وسمعان القانائي وفي انجيل لوقا المدعو الغيور ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه واما نقباء الاسلام فكانوا ليلة العقبة الاخيرة حين بايع النبي صلى الله عليه وسلم الانصار رضي الله عنهم على الحرب وان يمنعوه اذا وصل الى بلدهم وقال لهم صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس فقال لهم انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وانا كفيل على قومي قالوا نعم وهذه اسماؤهم من الخزرج ابو امامة اسعد بن زرارة وسعد بن زرارة وسعد ابن الربيع وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو ابن حرام ابو جابر وعبادة بن الصامت والمنذر بن عمرو ومن الاوس اسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر او ابو الهيثم بن التيهان قال ابن هشام وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما انشدني ابو زيد الانصاري وذكر ابو الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة فقال

ابلغ ابيا انه فال رايه ... وحان غداة الشعب والحين واقع
ابى الله ما منتك نفسك انه ... بمرصاد امر الناس راء وسامع
وابلغ ابا سفيان ان قد بدا لنا ... باحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبن في حشد امر تريده ... والب وجمع كل ما انت جامع
ودونك فاعلم ان نقض عهودنا ... اباه عليك الرهط حين تتابعوا
اباه البراء وابن عمرو كلاهما ... واسعد يأباه عليك ورافع
وسعد اباه الساعدي ومنذر ... لانفك ان حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع ان تناولت عهده ... بمسلمه لا يطمعن ثم طامع
وايضا فلا يعطيكه ابن رواحة ... واخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلي بن صامت ... بمندوحة عما تحاول يافع
ابو هيثم ايضا وفي بمثلها ... وفاء بما اعطى من العهد خانع
وما ابن حضير ان اردت بمطمع ... فهل انت عن احموقة الغي نازع
وسعد اخو عمرو بن عوف فانه ... ضروح لما حاولت ملا مر مانع
اولاك نجوم لا يغبك منهم ... عليك بنحس في دجى الليل طالع

وأما نقباء النصارى فنقض منهم واحد كما مضى عند قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه فاما نقباء اليهود في جس الارض فلم يوف منهم الا اثنان كما سياتي قريبا من نص التورية التي بين ايديهم واما نقباء النصارى فنقض منهم واحد كما مضى عند قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه وسياتي ان شاء الله تعالى في الانعام عند قوله تعالى لانذركم به ومن بلغ واما نقباؤنا فكلهم وفى وبر بتوفيق الله وعونه فله الحمد ولما ذكر سبحانه ما اخذ على اليهود من الميثاق و وعيدهم ان كفروا بعد ذلك ذكر انهم نقضوا مرة بعد مرة كما تقدم في سورة البقرة وغيرها كثير منه عن نقض ما عهد اليهم في التورية ما تحققوا ما هم فيه من الحرج فقال تعالى مسببا على نقض مؤكدا بما النافية لضد ما اثبته الكلام

فبما نقضهم ميثاقهم اى بتكذيب الرسل الاتين من بعد موسى عليه السلام وقتلهم الانبياء ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم فى كتمانهم امر محمد صلى الله عليه وسلم وعبر عن ذلك لا بغير ذلك كما نقض بنو النضير فسلطناكم عليهم بما اشار اليه فى سورة الحشر لعناهم اى ابعدناهم بعد ان وعدناهم القرب بالكون معهم ان وفوا ولما كان البعيد قد يكون رقيق القلب متاسفا على بعده ساعيا فى اسباب قربه باكيا على عافيه ربه فيرجى له بذلك غفرانه نبه اخبارا انهم على غير ذلك بقوله وجعلنا اى بعظمتنا قلوبهم قاسية اى صلبة عاسية بالغش فهى غير قابلة للنصيحة لان الذهب الخالص يكون لينا والمغشوش يكون فيه يبس وصلابة وكل لين قابل للاصلاح بسهولة ثم بين قساوتها بما دل على نقضهم بقوله يحرفون الكلم اى يجددون كل وقت تحريفه عن مواضعه فانهم كلما وجدوا شيئا فى كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه الى شهواتهم واولوه التاويل الباطل باهوائهم فهم يحرفون الكلام ومعانيه ولما كانوا قد تركوا اصلا وراسا ما لا يقدرون لصراحته على تحريفه قال معبرا بالماضى اعلاما بجرئتهم بالبراءة من ذلك ونسوا حظا اى نصيبا نافعا معليا لهم مما ذكروا به اى من التورية على السنة انبيائهم ان عيسى ومن قبله عليهم السلام تركوه ترك الناسى الشى لقلة مبالاتهم بحيث لم يكن لهم رجوع اليه وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولما ذكر سبحانه ما يفعلونه فى حقه فى كلامه الذى هو صفته اتبعه ما يعم حقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه معلم ان الخيانة ديدنهم تسلية له صلى الله عليه وسلم فقال ولا تزال اى بما نطلعك عليه يا اكرم الخلق تطلع اى تظهر ظهورا بليغا على خائنة اى خيانة عظيمة تستحق ان تسمى فاعلة للخون لشدتها منهم اى فى حقك بقصد الاذى وفى حق الله تعالى باخفاء بعض ما شرعه لهم الا قليلا منهم فانهم يكونون على نهج الاستقامة اما بالايمان واما بالوفاء وهم متمسكون بالكفر ثم سبب عن هذا الذى فى حقه صلى الله عليه وسلم قوله فاعف عنهم اى امح ذنبهم ذلك الذى اجترحوه وهو دون النقض والتحريف فلا تعاقبهم عليه ولما كان العفو لا يمنع المعاتبة قال واصفح اى واعرض عن ذلك اصلا وكلا فلا تعاتبهم عليه كما لم تعاقبهم فان ذلك لمن احسانا منك واذا احسنت احبك الله ان الله اى الذى له جميع صفات الكمال يحب المحسنين وذلك كما روى الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن الاعصم وفى رواية للبخارى انه رجل من بنى زريق حليف ليهود وكان منافقا حتى كان يخيل اليه انه ياتى النساء ولا ياتيهن وذلك اشد السحر ثم ان الله تعالى شفاه واعلمه ان السحر فى بئر ذروان فقالت له عائشة رضى الله عنها افلا اخرجته قال لا اما انا فقد عافانى الله وكرهت ان اثير على الناس شرا فامرت بها فدفنت وهو فى معجم الطبرانى الكبير وهذا لفظه ومسند ابى يعلى الموصلى وسنن النسائى الكبرى ومسند عبد بن حميد وابى بكر بن ابى شيبة واحمد بن منيع عن زيد بن ارقم رضى الله عنه قال كان رجل يدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فعقد له عقدا فجعله فى بئر رجل من الانصار فاتاه ملكان يعودانه فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما اتدرى ما وجعه قال فلان الذى يدخل عليه عقد له عقدا فالقاه فى بئر فلان الانصارى فلو ارسل رجلا لوجد الماء اصفر فبعث رجلا فاخذ العقد فحلها فبرا فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئا منه ولم يعاتبه وللشيخين عن انس رضى الله عنه ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجىء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك قال فما زلت اعرفها فى لهوات النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية انها كانت سبب موت النبى صلى الله عليه وسلم بانقطاع ابهره الشريف منها بعد سنين وفى سنن ابى داود من وجه مرسل انه قتل اليهودية والاول هو الصحيح وسياتى لهذا الحديث ذكر فى هذه

السوره

السوره عند والله يعصمك من الناس فهذا غاية العفو والاحسان امتثالا لامر الله سبحانه ولما دخل النصارى فيما مضى انهم من بنى اسرائيل خصهم بالذكر لان كفرهم اشد واسمج فقال ومن الذين قالوا اى مسمين انفسهم ملزمين لها النصرة متمسكين قولهم ردا على من يرتاب فيه انا نصارى اى عريقون فى نصرة الحق فالتعبير بذلك دون ومن النصارى تنبيه على انهم تسموا بما لم يفوا به اخذنا اى بما لنا من العظمة ميثاقهم اى كما اخذ على من قبلهم ولما كان كفرهم فى غاية الظهور والجلاء لم يبينهم لغير التزام فقال فنسوا اى تركوا ترك الناسى حظا اى نصيبا عظيما يتنافس فى مثله مما ذكروا به اى فى الانجيل مما يليق لهم ذكره فى التورية من اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الحق ولما ادى ذلك الى تشعبهم فرقا فانتج تشاحنهم وتقاطعهم وتدابرهم سبب عنه قوله فاغرينا اى الصقنا بعظمتنا الصاقا ما هو بالغراء لا ينفك بل يصير كالجزء من الشى بينهم اى النصارى بعد ان جعلناهم فرقا متباينين بتفريق الدين وكذا بينهم وبين اليهود العداوة ولما كانت العداوة قد تكون عن بغى ونحوه اذا زالت او خفت قال معلما انها لامر باطنى نشا من تزيين الهوى فهو ثابت غير منفك والبغضاء بالاهواء المختلفة الى يوم القيمة ولما اخبر بتكذيبهم فى الدنيا اتبعه ما لهم فى الاخرى فقال وسوف ينبئهم اى يخبرهم الله اى الملك الاعلى المحيط بكل شى قدرة وعلما اخبارا عظيم الشان بما فيه من عظيم التقريع والتوبيخ فى الاخرة بوعيد لا خلف فيه ولما كانت خبائثهم قد صارت لهم فيها ملكات بما لازموا منها حتى ضروا بها ومرنوا عليها حتى صارت لهم احوالا لانفسهم واخلاقا لقلوبهم سماها صنايع فقال بما كانوا يصنعون اى دربوا انفسهم عليه حتى صار كالصنعة فيجازيهم عليه بما يقيم عليهم من الحجة ولما علم بذلك كله احوال الفريقين اقبل عليهم واعظا لهم مستعطفا مرغبا مرهبا فقال يا اهل الكتاب اى عامة قد جاءكم رسولنا اى الذى ارسلناه بما لنا من العظمة فليظهرن بذلك علوه على من ناواه يبين لكم اى يوضح ايضاحا شافيا كثيرا مما كنتم اى بما لكم من جبلة الشر والكذب والخيانة تخفون من الكتاب اى العظيم المنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الزنا وغيرهما لاحياء سنته واماتة بدعة كما مضى منه ما شاء الله فى سورة البقرة وذلك دال بلا شبهة على صحة رسالته ويعفو عن كثير اى فلا يفضحكم باظهاره امتثالا لامر الله له بذلك كما تقدم انه احسانا منه صلى الله عليه وسلم الكريم لانه لا فائدة فى اظهاره الا فضيحتكم ولما اضرب عن فضله للخفايا وكان التفصيل لا يكون الا بالنور اقتضى الحال توقع الاخبار بانه نور فقال مفتتحا بحرف التوقع والتحقيق قد جاءكم وعظمه بقوله معبرا بالاسم الاعظم من الله اى الذى له الاحاطة باوصاف الكمال نور اى واضح النورية وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كشف ظلمات الشك والشرك ودل على جمعه مع فرقه بقوله وكتاب اى جامع مبين اى بين فى نفسه مبين لما كان خافيا على الناس من الحق ولما كانت هدايته مشروطة بشرط صلاح الجبلة بين ذلك بقوله وصفا له يهدى به اى الكتاب الله اى الملك الاعظم القادر على التصرف فى البواطن والظواهر من اتبع اى كلف نفسه واجهدها فى الخلاص من اسر الهوى بان تبع رضوانه اى غاية ما يرضيه من الايمان والعمل الصالح ومعلوم ان ذلك لا يكون الا بتوفيقه ثم ذكر مفعول يهدى فقال سبل اى طرق السلام اى الله باتباع شرائع دينه والعافية والسلامة من كل مكروه ويخرجهم من الظلمات اى كدورات النفوس والاهواء والوساوس الشيطانية الى النور اى الذى دعى اليه العقل فيصيروا عاملين باحسن الاعمال كما يقتضيه

اختيار من هو في النور باذنه اي بتمكينه ولما كان من في النور قد يغيب عنه غرضه الاعظم فلا ينظره لغيبته عنه
بعده منه ويكثر عليه الهباب فلا يدري بما يوصل او يقرب ايصاله ويسهل امره وانكا فلا لهم بالفوز مع بحا من تعب
السير ويهديهم اي بماله من احاطة العلم والقدرة الى صراط مستقيم اي طريق موصل الى الغرض من غير عوج
اصلا وهو الدين الحق وذلك مقتض للقرب المستلزم لسرعة الوصول ولما تم ذلك موضحا الان من لم يتبع الكتاب
الموصوف كان كافرا وعن الطريق الاقوم جايرا حايرا وكان محصل حال اليهود كما رايت فيما تقدم وياتي من
نصوص التورية انهم لا يعتقدون على كثرة ما يرون من الايات ان الله مع نبيهم دايما كان انسب الاشياء بعد
الوعظ ان يذكر حال النصارى في نبيهم فانه مباين لحال اليهود من كل وجه فاولئك على شك في انه معه وهولاء
اعتقدوا انه هو فقال تعالى مبينا انهم في اظلم الظلام واعمى العمى لقد او يقال ان اليهود لما فرطوا انكفروا انهم
ذلك ان النصارى لما افرطوا كفروا فصار حالهم كالنتيجة لما مضى فقال لقد كفر الذين قالوا موكدين لبعد
ما قالوه من العقل فهو في غاية الانكار ان الله اي على ماله من جميع صفات الكمال التي لا يجهلها من له ادنى تامل
اذا توخى الهدى وانخلع من اسر الهوى هو المسيح اي عينه وهذا اقطع الكفر وابينه بطلانا ووصفه
بما هو في غاية الوضوح في بطلان قولهم لبعده عن رتبة الالهية في الحاجة الى امراة فقال ابن مريم
فهو محتاج الى كفالتها بالهام الامومة ولما بطل مدعاهم على اتقن منهاج واخصره وكان ربما دق عن بعض
الافهام اوضحه بقوله قل دالا على ان المسيح عليه السلام عبد مملوك لله مسببا عن كفرهم فمن يملك من الله
اي الملك الذي له الامر كله شيا اي من الاشياء التي يتوهم انها قد تمنعه مما يريد بحيث يصير بذلك المملوك
احق به منه فلا ينفذ له فيه تصرف ان اراد اي الله سبحانه ان يهلك المسيح وكرر وصفه بالبنوة ايضاحا
للمراد فقال ابن مريم وازال الشبهة جدا بقوله وامه ولما خصهما دليلا على ضعفهما المستلزم للمراد عم دلالة
على عموم القدرة المستلزم لتمام القهر لكل من يماثلهما المستلزم بعجز الكل المبعد عن رتبة الالهية فقال موضحا
للدليل بتسويتهما ببقية المخلوقات ومن في الارض جميعا اي فمن يملك منعه من ذلك ولما كان التقدير
فان ذلك كله لله يهلكه كيف شاء متى شاء عطف عليه ما هو اعم منه فقال معلما بانه مع كونه مالكا
ملك له تمام التصرف ولله اي الملك الاعلى الذي لا شريك له ملك السموات اي التي بها قيام الارض والارض
وما بينهما اي بين النوعين وبين افرادهما به تمام امرهما ثم استانف قوله دليلا على ما قبله ونتيجة له يخلق
ما يشاء على اي كيفية اراد كما تقدم ان له ان يعدم ما يشاء كذلك فلا عجب في خلقه بشرا من انثى فقط لا بواسطة
ذكر حتى يكون سببا في ضلال من ضل به ولما دل ذلك على تمام القدرة على المذكور عم فقال والله اي ذو الجلال
والاكرام على كل شيء اي من ذلك وغيره قدير ولما هم سبحانه في ذكر فضايح بني اسرائيل تارة وخص اخرى
عم بذكر طامة منطواتهم حملهم عليها العجب والبطر بما انعم الله عليهم فقال وقالت اليهود والنصارى
اي كل طائفة قالت ذلك على حدتها خاصة لنفسها دون الخلق اجمعين نحن ابناء الله اي بما هو ناظر
الينا به من جميع صفات الكمال واحباؤه اي عريقون في كل من الوصفين كما يدل عليه العطف بالواو ثم شرع
ينقض هذه الدعوى نقضا بعد نقض على تقدير كون البنوة على حقيقتها او مجازها والذي اورثهم هذه
الشبهة ان لم يكونوا قالوا ذلك عنادا ان في مواضع من التورية عن قول الله عز وجل لموسى شعبي بكري
وفي الحي او النبوة موسى عليهما السلام كما ذكرته في الاعراف وقل لفرعون هكذا يقول الرب ابني بكري

اسرائيل

اسرائيل ارسل ليعبدني فان ابيت لان ترسل ابني فاني اقتل ابنك بكرك ونحو هذا وفي كثير مما بين ايديهم من
الانجيل عن قول عيسى عليه السلام افعلوا كذا لتكونوا ابني ابيكم الذي في السماء ونحو ذلك وقد بينت معناه
على تقدير صحته بما يوجب رده الى المحكم بلا شبهة في اول سورة ال عمران وقال البيضاوي في اول سورة الكهف
انهم كانوا يطلقون الاب والابن في تلك الاديان بمعنى المؤثر والاثر وقال في البقرة في تفسير بديع السموات انهم
كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاصلي ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة ولذلك
كفر قائله ومنع منه منعا مطلقا انتهى فاول نقض نقضه به سبحانه وتعالى هذه الدعوى بيان انه يعذبهم فقال
قل فلم يعذبكم اي ان كنتم جامعين بين كونكم ابناء واحباء بين عطف البنوة وحنو المحبة بذنوبكم وعذابهم
مذكور في نص توراتهم في غير موطن ومشهور في تواريخهم بجعلهم قردة وخنازير وغير ذلك فان كان المراد بالبنوة
الحقيقة فابن الاله لا يكون له ذنب فضلا عن ان يعذب به لان الابن لا يكون الا مجانسا للاب تعالى الله عن النوعية و
الجنسية والصاحبة والولد علوا كبيرا وان كان المراد المجاز اي بكونه يكرمكم اكرام الولد والحبيب كان ذلك مانعا
من التعذيب ولما كان معنى ذلك انه يعذبكم لانكم لستم ابناء ولا احباء عطف عليه نقضا اخر اوضح من الاول فقال
بل انتم بشر ممن خلق وذلك امر مشاهد والمشاهد من اوضح الدلائل فانتم مساوون لغيركم في البشرية والحدوث
لا مزية لاحد منكم على غيره في الخلق والبشرية وهما يمنعان البنوة فان القديم لا يلد بشرا والاله لا يخلق ابنه فامتنع بهذين الوصفين
البنوة وامتنع تعذيبهم ان يكونوا احباء الله فبطل الوصفان اللذان ادعوهما ولما كان التقدير يفعل بكم ما يفعل بساير
خلقه وصل به قوله جوابا لمن يقول ما هو فاعل بمن خلق يغفر لمن يشاء اي من خلقه منكم ومن غيركم فضلا منه تعالى
ويعذب من يشاء عدلا لما يشاهد من تعذيبكم ناسا منكم في هذه الدار وهي بين الفريقين ولما كان التقدير لانه مالك الخلقة
وملكهم لا اعتراض عليه في شيء من امرهم عطف عليه قوله نقضا ثالثا بما هو اعم مما قبله فقال ولله اي الذي له الامر كله فلا
كفوء له ملك السموات وقدم بالذكر لها دلالة على ملك غيرها بباب اولى وصرح بقوله والارض وما بينهما اي وانتم
مما بينهما وقد اجتمع بذلك مع الملك والابداع الملك والتصرف التام وذلك هو الغنى المطلق ومن كان كذلك لم
يكن محتاجا الى شيء من ولد ولا غيره ولا يكون لاحد عليه حق ولا يسوغ عليه اعتراض ولما كان التقدير فمنه وحده الابتداء
عطف عليه قوله واليه اي وحده لا الى غيره المصير اي الصيرورة والرجوع وزمان ذلك ومكانه يعني في الدنيا بانه لا يخرج شيء
عن مراده وحسا في الاخرة فيحكم بين مصنوعاته على غاية العدل كما هو مقتضى الحكمة وشان كل ملك في اقامة ملكه بانصاف
بعض عبيده من بعض لا يجوز عنده في موجب السياسة اطلاق قويهم على ضعيفهم فان ذلك يودي الى خراب الملك وضعف
الملك فاذا كان هذا شان الملوك من العبيد الناقصين فما ظنك باحكم الحاكمين واذا عاملهم كلهم بالعدل اسبغ على من
يريد ملابس الفضل ولما دحضت حجتهم ووضحت كذبتهم اقتضى ذلك الالتفات اليهم وعظهم على وجه الامتنان عليهم
وابطال ما عساهم يظنونه حجة فقال تعالى يا اهل الكتاب اي من الفريقين ولما كان ما حصل لهم من الضلال بتضييع ما
عندهم من البينات وتغييرها حالا يتوقع معه الارسال قال معبرا بحرف التوقع قد جاءكم رسولنا اي الذي عظمته من
عظمتنا فاعظامه واجلاله واجب لذلك ثم بين حاله مقدما له على متعلق جاء بيانا لانه اهم ما الى الرسول اليهم رشادا
لا قبول كل ما جاء به بقوله يبين لكم اي يوقع لكم البيان في كل ما ينفعكم بيانا شافيا لما تقدم وغيره ولما كان مجيئه ملتبسا
ببيانه وظرفا له غير منفك عنه وكان بيانه مستعليا على وقت مجيئه وما مضى قبله وما ياتي بعده ببقاء كتابه محفوظا
لعموم دعوته وختامه وتفرده فلا نبي بعده قال متعلقا بجاء على فترة اي طويلة بالنسبة الى ما كان يكون بين النبيين

من بني اسرائيل مبتدئة تلك الفترة **من الرسل** اي انقطاع من مجيئهم شبه فقدهم وبعد العهد بهم ونسيان اخبارهم وبلاء رسومهم
واثارهم وانطماس معالمهم وانواعهم بشيء منه كان يغني نفقد فلم يبق من وصفه المقصود منه الا انه خاف وعيهم دارس يقال
فتر الشيء اذا سكنت حدته وصار اقل مما كان عليه وذلك انه كان بين عيسى وبين النبي صلى الله عليه وسلم ستمائة الى سنة فسد
فيها امر الناس ولعله عبر بالمضارع في يبين اشارة الى ادينه وبيانه لا ينقطع اصلا بحفظ كتابه فكلما درست منه منح
الله بعالم يرد الناس اليها بالكتاب المعجز القائم ابدا فلذلك لا يحتاج الامر الى نبي مجدد الا عند الفتنة التي لا يطيقها
العلماء وهي فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج ثم علل ذلك بقوله **ان** اي كراهة ان **تقولوا** اي اذا حشرتم وسألتم عن
اعمالكم **ما جاءنا** ولتأكيد النفي قيل **من بشير** اي يبشر بالترغيب فنعمل بما نسعد به ونفوز **ولا نذير** اي يحذرنا
فنترك ما يشقينا لان الانسان مطبوع النقصان بين الرغبة والرهبة وقد كان اختلط في تلك الفترة الحق بالباطل
فالتبس الامر وجهل الحال لكنه لم يجهل جهلا يحصل به عذر في الشرك وسابينه في اول الحل ولما كان المعنى فلا تكونوا
ذلك سبب عنه قوله **فقد جاءكم** اي من هو متصف بالوصفين معا فهو **بشير ونذير** اي كامل في كل من الوصفين
وان تباينا ولما كان ربما توهم احد من ترك الارسال زمن الفترة ومن ترك التعذيب بغير حجة الاهمال والعدول
عن بني اسرائيل الى بني اسمعيل شيئا في القدرة قال كاشفا لتلك الغمة **والله** اي جاءكم والحال ان الملك الذي له الكمال
كله **على كل شيء** اي من ان يرسل في كل وقت وان يترك ذلك وان يهدي بالبيان وان يضل ومن ان يعذب ولا
يقبل عذرا وان يغفر كل شيء وغير ذلك **قدير** وفي الختم بوصف القدرة واتباعه تذكيرهم ما صاروا اليه من الغربة
بالنبوة والملك بعدما كانوا فيه من الذل والعبودية والجهل اشارة الى انكارهم لان يكون من ولد اسمعيل
عليه السلام نبي يلزم منه انكارهم للقدرة ولما ذكر سعة مملكته وتمام علمه وشمول قدرته اتبع ذلك الدلالة
عليه بقصة بني اسرائيل في استنقاذهم من اسر العبودية والرق واعلاء شانهم وايراثهم ارض الجبابرين بعد اهلاك
فرعون وجنوده وغير ذلك مما تضمنته القصة اظهارا لعدم ردهم الى مصر التي بادأ اهلها لتمام القدرة وسعة
الملك ونفوذ الامر وهي مع ذلك دالة على نقضهم الميثاق وقساوتهم ونقض ما ادعوا من بنوتهم ومحبتهم
وذلك انها ناطقة بتعذيبهم وتفسيقهم وتبرئهم من الله ولا شيء من ذلك فعل حبيب ولا ولد فقال عاطفا
على نعم في واذكروا نعمة الله عليكم تذكيرا لهذه الامة بنعمة التوفيق للسمع والطاعة التي اباها بنو اسرائيل
بعدما راوا من الايات وبما كف عنهم على ضعفهم وشجع به قلوبهم والزمهم الطاعة وكره اليهم المعصية
بحضرة ما فعل ببني اسرائيل وغير ذلك مما يرشد اليه انعام النظر في القصة **واذ** اي واذكروا حين **قال موسى**
لقومه اي من اليهود **يا قوم اذكروا** اي بالقلب واللسان ذكر اعتبار واتعاظ بما لكم من قوة القيام بما تحاولونه
نعمة الله اي انعام الملك الاعظم الذي له الاحاطة بالجلال والاكرام وعبر عن الانعام بالغاية لانها المقصود
عليكم وعظم ذلك التذكير بالاسم الاعظم ونبه بذكر ظرفها على اجل النعم وهي النبوة المنقذة لهم من النار
فقال **اذ** اي حين **جعل فيكم** وبشرهم بمن يأتي من بعده من الانبياء من بني اسرائيل فجمع جمع الكثرة في قوله
انبياء اي يحفظونكم من المهالك الدائمة ففعل معكم بذلك وغيره من النعم التي فضلكم بها على العالمين
في تلك الازمنة فعل المحب مع حبيبه والوالد مع ولده ومع ذلك عاقبكم حين عصيتم وغضب عليكم اذ
ابيتم فعلكم ان الاكرام والاهانة دائران بعد مشيئته على الطاعة والمعصية ولما نقلهم من الحيثية التي كانوا
فيها عبيدا لفرعون لا يصلح معها الملك ولا تحدثهم انفسهم به الحيثية الحرية القابلة لان يكون

كل

كل منهم معها ملكا بعد ان ارسل فيهم رسولا وبشر بانه يتبعه من الانبياء ما لم يكن في امة من الامم وغيرهم قال
وجعلكم ملوكا اي فكما جعلكم لذلك بعدما كنتم عبيدا مهانين في شيء منه فقد نقله منكم وجعله في غيركم بتلك القدرة التي
انعم عليكم بها وذلك لكفركم بالنعم وايثاركم الجهل على العلم فانكاركم لذلك وتخصيص النعم بكم تحكم وترجيح بلا
مرجح ويوضح ذلك ان كفر النعمة سبب زوالها وقد كانوا يتلونه في التوراة وغيرها بما هم فيه الان من ضرب الذلة و
المسكنة التي لا يصلح معها الملك لانهم كفروا كما سيأتي بعض ذلك في هذه السورة ولما ذكرهم تلك ما ذكرهم به من النعم
العامة اتبعه التذكير بنعمة خاصة فقال **واتاكم ما لم يؤت** اي في زمانكم ولا فيما قبله من سالف الزمان من اقتضاء
التعبير بلم **احدا من العالمين** اي من الايات التي اظهرها على يد موسى عليه السلام فاخرجكم بها من الظلمات الى النور و
الكتاب الذي جعله تبيانا لكل شيء اتبعه ما تقيد به هذه النعم من الشكر بامتثال الامر في جهاد الاعداء في سياق مؤذن
بالنصر معلم بانه نعمة اخرى يجب شكرها ولذلك وصله بما قبله وصل المعلول بالعلة فقال **يا قوم ادخلوا** عن امر الله
الذي اعلمكم بما صنع من الايات انه غالب على جميع امره **الارض المقدسة** اي المطهرة المباركة التي حكم الله ان يطهرها بانبيائه
ورسله من نجس الشرك ووضر المعاصي والافك ويبارك فيها ثم وصفها بما يوجب للمؤمن الاقدام لتحقق النصر فقال
التي كتب الله اي الذي له الامر كله فلا مانع لما اعطى **لكم** اي بان تجاهدوا اعداءه فترثوا ارضهم التي لا مثل لها
فتحوزوا سعادة الدارين وهي بيت المقدس التي وعدها اباكم ابرهيم عليه السلام ان تكون ميراثا لولده بعد ان جعلها
مهاجره ولما امرهم بذلك نهاهم عن التقاعد عنه فقال مشيرا الى ان مخالفة امر الله لا تكون الا بمعالجة للفطرة الاولى
ولا ترتدوا اي تكلفوا انفسكم الرجوع عن اخذها وصورتهم الفتور عن اخذها بما يستحي من له همة من ذكره فقال
على ادباركم ولما جمع بين الامر والنهي خوفهم عواقب العصيان معلما بان ارتدادهم سبب لهلاكهم بغير شك فقال
معبرا بصيغة الانفعال **فتنقلبوا** اي من عند انفسكم من غير قالب يسلط عليكم **خاسرين** اي بجري المعصية عند الله
وعار الجبن عند الناس وخيبة المسعى من خير الدارين ولما كان هنا لك ما يحركه النفس الى معرفة جوابهم عنه اورده
على تقدير سؤال من كانه قال ان هذا الترغيب مشوق وترهيب مقلق فما قالوا في جوابه فقال **قالوا** معرضين عن
ذلك كله بانهم سافلة واحوال نازلة مخاطبين له باسمه حقا وجلافة وقلة ادب **يا موسى** واكدوا قولهم تاكيدا من هو
محيط العلم فقالوا مخاطبين بجراءة وقلة ادب وحياء لاعلم احاز مانه **ان فيها** اي دون غيرها **قوما جبارين** اي عتاة
قاهرين لغيرهم مكرهين له على ما يريدون **وانا لن ندخلها** خوفا منهم **حتى يخرجوا منها** ثم صرحوا بالاتيان بالجملة
الاسمية المؤكدة بتهالكهم على الدخول وانه لا مانع لهم الا الجبن فقالوا **فان يخرجوا منها** اي باي وجه كان وعبروا باداة
الشك مع اعلام الله لهم باهلاكهم على ايديهم جلافة منهم وغراقة طبع في التكذيب **فانا داخلون** فكانه قيل
ان هذه لسقطة ما مثلها فما اتفق لهم بعدها فقيل **قال رجلان** واشار الى كونهما من بني اسرائيل بقوله ذما
لمن تقاعس عن الامر منهم **من الذين يخافون** اي يوجد منهم الخوف من الجبارين ومع ذلك فلم يخافا ووثقا منهما بوعد
الله ولما كان بنو اسرائيل اهلا لان يخافهم من يقصدونه بالحرب لان الله معهم بعونه ونصره قرئ يخافون مبنيا
للمفعول **انعم الله** اي بما له من صفات الكمال **عليهما** اي بالتثبيت على العمل بحق النقابة وهما يوشع بن نون
وكالب بن يوفنا كما انعم عليكم ايها الركب وخصوصا النقباء بالثبات في كل موطن **ادخلوا عليهم الباب**
اي باب قريتهم امتثالا لامر الله وايقانا بوعده ولما كانا يعلمان انه لا بد من دخولهم عليهم وان تقاعسوا
وان طال عليهم المدى لان الله تعالى وعده حق عبرا باداة التحقيق خلافا لما مضى لجماهيرهم فقال

فاذا دخلتموه ثم اكد جزمها ايقانا بوعد الله فقال فانكم غالبون اى لان الملك معكم دونهم وعلى الله اى
الملك الاعظم الذى وعدكم بارثها وحده فتوكلوا اى لا على عدة منكم ولا عترة ولا حول ولا قوة ولما كان
الاخلاص يلزمه التوكل وعدم الخوف من غير الله الهبهم بقوله ان كنتم اى جبلة وطبعا مومنين اى غريقين فى الايمان
بنبيكم صلى الله عليه وسلم والتصديق بجميع ما اتى به فكانه قيل لقد نصحا لهم وبرا واجتهدا فى اصلاح الدين
والدنيا فما خرعا ولا غرّا فما قيل قالوا فقيل لم يزدهم ذلك الا نفارا واستضعافا لانفسهم لاغراضهم عن
الله واستصغارا لانهم قالوا معرضين عن ضاطباهم غير عادين لهم يا موسى واكدوا نفيهم للاقدام عليهم بقوله
انا وعظموا تاكيدهم بقوله لن ندخلها وزادوه تاكيدا بقولهم ابدا وقيدوا ذلك بقولهم ما داموا اى الجبابرة
فيها اى لعلهم البدعليها ثم اتبعوه بما يدل على انهم فى غاية الجهل بالله الفعال لما يريد الغنى عن جميع العبيد فقالوا
مسببين عن نفيهم ذلك قولهم فاذهب انت وربك اى المحسن اليك فلم يذكروا انه احسن اليهم كافة طباع و
غلط اكباد بل خصوه بالاحسان وهذا القول ان لم يكن قالوه يعتقدون التجسيم فهم مشارفون له ولذلك وامثاله
كان اليهود الان غريقين ثم التجسيم ثم سببوا عن الذهاب قولهم فقاتلا ثم استانفوا قولهم موكدين لان من له
طبع سليم وعقل مستقيم لا يصدق ان احدا يتخلف عن امر الله لا سيما ان كان بمشافهة الرسول انا ههنا اى خاصة
قاعدون اى لا نذهب معكما فكان فعلهم فعل من يريد السعادة بمجرد ادعاء الايمان من غير تصديق له بامتحان
يفعل يدل على الايقان روى البخارى فى المغازى والتفسير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال المقداد بن
عمرو يوم بدر يا رسول الله لا نقول كما قال قوم موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا
نقول امض ونحن معك نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشرق وجهه وسره فكانه قيل فما قال موسى عليه السلام فقيل قال لما ايس منهم معرضا عنهم
شاكيا الى الله تعالى رب ايها المحسن الى وقد كان من حق الرسول ان يقيه كل احد بنفسه وولده فكيف
بما دون ذلك فكان لا يصدق احد ان اتباعه لا يطيعونه جرى على طبع البشر وان كان يخاطب علام الغيوب
فقال موكدا انى ولما فهم من امر الرجلين لهم بالدخول انهما قيدا دخولهما بدخول الجماعة خص فى قوله
لا املك الا نفسى واخى اى ونحن مطيعان لما تامر به فافرق بيننا اى انا مع اخى وبين القوم الفاسقين
اى الخارجين عن الطاعة قولا وفعلا ولا تجمعنا معهم فى شئ واحد فى فعل ولا جزاء قال فانها اى الارض المقدسة
محرمة عليهم اى بسبب قولهم هذه وافعالهم لا يدخلها ممن قال هذه المقالة او رضيها احد بل يمكثون
اربعين سنة ثم استانف جوابا لمن تشعب فكره فى تعرف حالهم فى هذه الاربعين ومحلهم من الارض قوله
يتيهون اى يسيرون متحيرين فى الارض حتى يهلكوا كلهم والتيه المفازة التى يحير سالكها فيضل
عن وجه مقصده روى انهم اقاموا هذه المدة فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين ثم يمسون فى الموضع
الذين ساروا منه ثم تسبب عن اخباره بعقوبتهم قوله فلا تاس اى تحزن حزنا مويسا على القوم
اى الاقوياء الابدان الضعفاء القلوب الفاسقين اى كانوا فاسقين الخارجين من قيد الطاعات ثم بعد هلاكهم
ادخلها بنيهم الذين نشاوا فى التيه لسلامتهم من اعوجاج طباعهم التى اكسبتهم اياها بلاد الفراعنة فانى
كتبتها لبنى اسرائيل ولم اخبر بتعيينهم وان كانوا معينين فى علمى كما اقتضت ذلك حكمتى وفى هذه القصة

ومنع

اوضح دليل على نقضهم للعهود التى بنيت السورة على طلب الوفاء بها وافتتحت بها وصرح باخذها عليهم فى قوله
ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى ان قال وامنتم برسلى وعزرتموهم وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه
وسلم فيما يفعلونه معه وتذكير له بالنعمة على قومه بالتوفيق وترغيب لمن اطاع منهم وترهيب لمن عصى ومات
فى تلك الاربعين كل من قال ذلك القول او رضيه حتى النقباء العشرة وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويكون
لهم عمود من نور بالليل يضئ عليهم وغير هذا من النعم لان المنع بالتيه كان تاديبا لهم لا غضبا فانهم تابوا
شرح هذه القصة
مما بين ايديهم من التوراة وذكر بعض ما عرفهم فيه بذنوبهم قال فى السفر الرابع منها
وكلم الرب موسى وقال له ارسل قوما يجسون الارض التى اعطى بنى اسرائيل فارسلهم موسى من برية فاران
رجالا من روساء بنى اسرائيل اثنى عشر رجلا فيهم كالاب بن يوفنا وهو شاع بن نون ودعى موسى هو
شاع بن نون يوشع وارسلهم ليستخبروا ارض كنعان وقال لهم اعرفوا خبر الشعب الذى بها اقوى هو ام
ضعيف اكثير هو ام قليل وما خبر الارض التى هم بها امخصبة ام لا افيها شجر ام لا وفى نسخة وما المدن
التى يسكنونها وان كانت محوطا عليها ام لا وتقروا وخذوا من ثمار الارض فصعدوا فاستخبروا الارض واخذوا
من برية صاين حتى انتهوا الى احوب التى هى مدخل حماه وصعدوا الى التيمن فاتوا حبران وفى نسخة حبرون وكان
بها بنو الجبابرة ثم اتوا وادى العنقود وقطعوا قضيبا من الكرم فيه عنقود عنب فحمله رجلان باسطار
ودعوا اسم ذلك الموضع وادى العنقود من اجل ذلك واخذوا من الرمان والتين ايضا ورجعوا الى
موسى من بعد اربعين ليلة الى برية فاران الى رقيم واخبروا موسى والجماعة كلها خبر الارض وقالوا انطلقنا
فاذا الارض تغل اللبن والعسل وهذه ثمارها ولكن الشعب الذى فى الارض عزيز قوى وقراهم كبار
مشيدة ورايناثم بنى الجبابرة ثم ذكروا ان الكنعانيين على ساحل البحر الى نهر الاردن قالوا وكنا عندهم
مثل الجراد كذلك راينا انفسنا وضجت الجماعة كلها ورفعوا اصواتهم بالبكاء وبكوا فى تلك الليلة
بكاء شديدا وتذمر جميع بنى اسرائيل على موسى وهرون عليهما السلام فى ذلك اليوم وضجوا عليهما وقال
لهما محافل بنى اسرائيل كلها يا ليتنا متنا بارض مصر على يدى الرب وليتنا متنا فى هذه البرية
ولا يدخلنا الرب الى الارض التى نصرع فيها قتلا وتنتهب مواشينا واهلونا كان المثوى
بارض مصر خيرا لنا وقال كل امرئ منهم لاخيه اجتمعوا حتى نصير علينا رئيسا ونرجع
الى ارض مصر فخر موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام على وجوههما ساجدين
بين يدى جماعة بنى اسرائيل كلها فاما يشوع بن نون وكالاب بن يوفنا اللذان
كانا من الجواسيس فقالا الارض مخصبة جدا فان شاء الرب دفعها الينا فهى
ارض تغل السمن والعسل فلا تعصوا الرب ولا تفتتنوا ولا تخافوا شعب
هذه الارض لان اهلها مبذولون لنا مثل الطعام للاكل واعلموا ان
قوتهم سيضعف وتزول عنهم شدتهم ونحن الغالبون لان الرب
معنا فلا تفرقوا منهم وظهر مسجد الرب بالسحابة فى قبة الزمان

تجاه بني اسرائيل وقال الرب لموسى الى متى يسخطني هذا الشعب وكم الى كم لا يصدقونني الم يروا
جميع الايات التي اتيتهم ساضربهم بالموت واهلكهم واصيرك لشعب اعظم من هذا واعز منهم فقال
موسى امام الرب يسمع اهل مصر الذين اخرجت هذا الشعب من بينهم بقوتك ويقول سكان هذه
الارض ايضا الذين سمعوا انك رب هذا الشعب فان انت قتلت هذا الشعب جميعا كرجل واحد
تقول الشعوب التي بلغها خبرك ان الرب لم يقدر ان يدخل هذا الشعب الارض التي وعد اباهم فلذلك قتلهم
في البرية فلتعظم قوتك الان يا رب كما وعدت وقلت يا رب انت ذو المودة والنعمة تغفر الاثم والخطايا
وتزكي من ليس بزكي اغفر يا رب كما غفرت لهم منذ خرجوا من ارض مصر الى الان فقال الرب لموسى قد
غفرت لهم كقولك ولكني حي قيوم اقسم بذلك وبمجدي الذي امتلات الارض كلها منه ان جميع الرجال
الذين عاينوا مجدي والايات الذي اظهرت لهم بمصر والعصا وجربوني عشر مرات ولم يطيعوا ولم يقبلوا
قولي لا يعاينون الارض التي اقسمت لابائهم اني اعطيهم ولا يدخلها احد من الذين اغضبوني فاقبلوا غدا
وارحلوا الى طريق بحر سوف وقال الرب الى متى تهتر هذه الجماعة الردية بين يدي فلي اقسم انكم تصيرون
الى ما قلتم وكما فكرتم ذلك يصيبكم في هذه البرية فتسقط جثثكم فيها وتبلى اجسادكم ويهلك
كل عددكم وحسابكم من ابن عشرين سنة الى فوق لانكم تشوشتم وتذمرتم علي لا تدخلوا الارض التي رفعت يدي
لانزلكم فيها ولا يدخلها الا كالاب بن يوفنا ويوشع بن نون واما مواشيكم التي قلتم انها تنتهب وبنوكم
الذين لا يعلمون الخير من الشر فهم يدخلون الارض واصيرهم اليها واورثهم الارض فاما جثثكم فتسقط
وتبلى في هذه البرية وتمكث بنوكم يترددون في هذه المفازة اربعين سنة يعاقبون حتى تهلك جثثكم في هذه
البرية على عدد الايام التي اجتس الجواسيس الارض فيها لكل يوم سنة وتعاقبون باثامكم لكل يوم سنة اربعين سنة
لاربعين يوما فتعلموا اني انما فعلت ذلك لتذمركم بين يدي انا الرب قلت كذلك اصنع بهذه الجماعة الردية
التي اجتمعت بين يدي تهلك في هذه البرية يموتون كلهم والقوم الذين ارسلهم موسى ان يجتسوا الارض لما
فانقلبوا وشغبوا عليه وافسدوا الجماعة كلها وذلك انهم اخبروا الشعب في امر الارض خبرا رديا ومات القوم
الذين اخبروا الخبر السوء موت الفجاة امام الرب فاما يسوع وكالاب فنجوا من الموت ولم يهلكا مع الذين
استجسوا الارض فاخبر موسى بني اسرائيل هذه الاقوال فجلسوا في حزن شديد وقالوا نحن صاعدون الى
الموضع الذي امر الرب ولقد اخطانا فقال لهم موسى اعلموا انكم لا تنجحون ولا يتم امركم لا تصعدوا والان الرب ليس معكم
لئلا يهزمكم اعداوكم فان صعدتم هزمتم وقتلتم لانكم اغضبتم الرب ورجعتم عن قوله فكذلك لا يكون الرب معكم
فصعد القوم الى راس الجبل فاما تابوت عهد الرب وموسى النبي فلم يبرحا من العسكر ونزل
العمالقيون والكنعانيون الذين يسكنون ذلك الجبل وحاربوهم وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة
وطردوهم الى حرما وكان ذكر قبل ذلك في السفر الثاني وقبل معصيتهم في امر الجواسيس
قتالهم في رفيديم ورقيم لعماليق فقال اما نصره ان عماليق جاء ليقاتل بني اسرائيل برفيديم فقال موسى ليشوع
اختر رجالا من اهل الجلد والشدة واخرج بنا نقاتل عماليق غدا وانا واقف على راس الاكمة وقضيب الله في يدي فصنع

يشوع

يشوع كما قال له موسى وخرج الى حرب عماليق وصعد موسى وهرون وحور الى راس الجبل وكان
موسى اذا رفع يديه قوي بنو اسرائيل واذا اخفض يديه قوي عماليق واعيا موسى فاخذ حجارة
ووضعها تحته ثم استوى عليها جالسا وكان هرون وحور يدعمان يديه احدهما يمينا والاخر
شمالا حتى غربت الشمس فهزم يشوع عماليق ومن معه وقتلوهم بحد السيف فقال الرب لموسى
اكتب هذا الامر في سفر الكتاب وضعه امام يشوع بن نون لاني امحق وابيد ذكر عماليق
من تحت اديم السما فبنى للرب مذبحا ودعا اسمه الله حرب ثم قال وارسل رسلا من رقيم الى
ملك ادوم بانهم نازلون في رقيم القرية التي في حد بلاده واستاذنه في الجواز في بلاده فهددهم
بالمقاتلة فقالوا لا نشرب لك ماء الا بثمن فقال لا تجوزوا في حدي وخرج اليهم بجيش عظيم وسلاح شاك
فتنحى بنو اسرائيل عنه وظعنوا من رقيم والى جميع بنو اسرائيل الى هور الجبل حيث توفي هرون
ثم قال ونزل موسى والعازر من الجبل فرات محافل بني اسرائيل كلها ان هرون قد توفي
وبكا على هرون جميع بني اسرائيل ثلثين يوما وسمع الكنعاني ملك حرد الذي كان يسكن
التيمن ان بني اسرائيل قد نزلوا في طريق الجواسيس فحاربهم وسبى منهم قوما فنذر بنو اسرائيل
نذرا للرب قالوا ان انت دفعت الينا هذا الشعب وقويتنا عليه جعلنا قراهم حريما للرب
فسمع الرب صوت بني اسرائيل ودفع اليهم الكنعانيين وقواهم عليهم وهزموهم وقتلوهم وجعلوا
قراهم حريما للرب ودعوا اسم تلك البلاد حريما فظعن الشعب من هور الجبل في طريق بحر سوف
ليدوروا حول ارض ادوم فتبرمت انفس الشعب من شدة الطريق وكلت وتذمر الشعب على الله
وعلى موسى وقالوا لم اصعدتنا من مصر لتميتنا في موضع ليس فيه خبز ولا ماء فقد ضاقت انفسنا من قلة
الطعام فسلط الله عليهم حيات فنهشت قوما من الشعب ومات منهم كثير فاجتمعوا الى موسى
وقالوا قد اخطانا اذ تذمرنا على الله وعليك صل امام الرب ليصرف عنا الحيات فصلى موسى فقال
له اتخذ حية من نحاس مثال الحية وارفعها على خشبة علامة ومن نهشته حية ينظر الى الحية المعلقة
فيبرا ففعل ذلك فظعن بنو اسرائيل فنزلوا اموت ثم ارتحلوا من اموت ونزلوا على عين العبرانيين
التي في البرية امام ارض مواب في الجانب الشرقي وحيث مشارق الشمس ثم ظعنوا من هناك
ونزلوا وادي زرد وارتحلوا من هناك ونزلوا عبر ارنون في البرية التي تخرج من حد الاموريين
وهي في حد المداسين لذلك يقال في كتاب حروب الرب اللهب تعاضف في وادي ارنون
واصلحت الاودية المايلة الى سكان عاد التي تنتهي الى حد المداسين ثم ارسل بنو اسرائيل
قالوا له نجوز في ارضك من غير ان نطالك حقلا ولا كرما ولا نشرب من ماء جبابك ولكن
نلزم الطريق الاعظم حتى نجوز ارضك فابى سيحون وجمع جميع اجناده وخرج الى البرية وحارب
بني اسرائيل سيحون واصحابه وورثوا ارضه وصعدوا الى ارض متقين وخرج عوج ملك مثنين اليهم
هو واجناده ليحاربهم في ادرعي وقال الرب لموسى لا تخفه لاني دافعه في يدك واصير
جميع شعبه وارضه في يدك فاصنع به كما صنعت بسيحون ملك الاموريين فكما حاربوه قتل هو وبنوه
وجميع شعبه ولم يبق منهم احد فظعن بنو اسرائيل ونزلوا عرابي مواب التي عند اردن اريحا ثم ذكر

قصة بلعام بن بعور وغيرها وقال ثم قال الرب لموسى اصعد الى هذا الجبل جبل العبرانيين وانظر
الى ارض كنعان التي اعطي بني اسرايل فاذا نظرت اليها اجتمع مع شعبك وصر الى ماصار اليه
اباوك كما صار هرون اخوك فتكلم موسى امام الرب وقال يامر الله رجلا يدبر الجماعة ويدخل
ويخرج امامهم ويدخلهم ويخرجهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم ليس لها راع فقال الرب
لموسى اعمد الى يشوع بن نون رجل عليه من الروح نعمة فضع يدك عليه واقمه بين يدي اليعازر
الحبر امام الجماعة كلها ومر نحاهم قبلا واعطه من المجد الذي عليك فتطيعه جماعة بني اسرايل
كلها ويقوم بين يدي اليعازر الحبر ليكون يسل الرب عن حوايجه وسننه ويخرج بنو اسرايل قوله
وعن قوله يخرجون وعن قوله يدخلون وفعل موسى كالذي امره الله في يوشع وغيره ثم ذكر
اشيا من القرابين والاعياد وفتح مدين وبقية قصة بلعام وغير ذلك ثم قال وكثرت مواشي بني
روبيل وبني جاد جدا ونظروا الى نعر وارض جلعاد انه موضع يصلح للمواشي فقالوا لموسى
ان نحن حظينا منك برحمة ورافة نعطي هذه الارض لعبيدك ميراثا ولا تجزنا نهر الاردن فقال
موسى اخوتكم يخرجون الى الحرب وانتم تستقرون ههنا لم تكسرون قلوب اخوتكم ان
لا يجوزوا الى الارض التي يعطيكم الرب ميراثا هكذا صنع ايضا اباوكم فاشتد غضب الرب
عليهم واقسم انه لا يعاين احد منهم الارض التي وعدت بها اباوهم لانهم لم يتموا قول
ولم يتبعوا وصيتي ماخلا كلاب بن يوفنا القنزاني ويشوع بن نون انهما اتما قول الرب فاشتد
غضب الرب على بني اسرايل وتوههم في البرية اربعين سنة حتى هلك حقب الرجال الذين اسخطوا
الرب وانتم اليوم ايضا تريدون ان ينزل غضب الرب ببني اسرايل وان انتم انقلبتم عن امر
الرب ايضا يعود ان يتوهكم في التيه وتفسدون على جميع هذا الشعب فدنوا منه القوم وقالوا
نبني هنا قرى لعيالاتنا وحظاير لانعامنا ونحن نتسلح امام بني اسرايل حتى ندخلهم الى مواضعهم
ولا نرجع الى بيوتنا حتى يرث بنو اسرايل كل انسان ميراثه ولا يرث معهم من عبر الاردن وما خلف
ذلك الانا قد قبضنا ميراثنا في مجاز الاردن في مشارق الشمس فقال لهم موسى اذا انتم فعلتم هذا
الفعل وتسلحتم امام ربكم حينيذ ترجعون وتستحلون ارضكم ويرضى بنو اسرايل عنكم وتصير هذه
الارض لكم ميراثا وان لم تفعلوا هذا تضروا امام الرب خطاه واعلموا ان خطاياكم تدرككم
ثم قال وهذه مضاعن بني اسرايل حيث خرجوا من ارض مصر فذكر ما تقدم في البقرة ثم قال
وارتحلوا من مقبرة الشهوة ونزلوا احصروت وظعنوا من حصروت ونزلوا رثما وارتحلوا من رثما
ونزلوا رمون فرص وظعنوا من رمن فرص ونزلوا لبنا وفي نسخة لبونا وارتحلوا من لبنا
ونزلوا اراسيا وفي نسخة رسا فظعنوا من راسيا اي رسا ونزلوا قهالات وفي نسخة بقهلات
وارتحلوا من قهلت ونزلوا جبل شافار وفي نسخة سافار وارتحلوا من جبل سافار ونزلوا
حدرو وفي نسخة حرذا وارتحلوا من حدر وفي نسخة حاردا ونزلوا مقهلوت وفي نسخة
مهقلوت وظعنوا من مقهلوت ونزلوا تحات وارتحلوا من تحات ونزلوا ترح وارتحلوا من
ترح ونزلوا منهقا وارتحلوا عن منقا ونزلوا احشمونا وظعنوا من حشمونا ونزلوا مسروث وارتحلوا

من

من مسروث ونزلوا الحي بن يعقان وظعنوا من حي بني يعقان ونزلوا جبل جدجاذ وارتحلوا
من جبل جدجاذ ونزلوا يطبث وفي نسخة يطباتا وظعنوا من يطبت ونزلوا عبرونا وفي نسخة
عبرونا وارتحلوا من عبرونا ونزلوا عصيونغبار وهي قلزم ورحلوا من عصيونغبار ونزلوا بر صين
وفي نسخة برية صين المعروفة بقداش وهي رقيم وظعنوا من قداش ونزلوا هور الجبل الذي
في اقاصي ارض ادوم وفي نسخة وظعنوا من برية صين ونزلوا في قفر فاران وهي القدس وارتحلوا
من القدس ونزلوا في جبل هور بحذا ارض ادوم وهم الروم وصعد هرون الحبر عن قول الله
الى هور الجبل وتوفي هناك في سنة اربعين لخروج بني اسرايل من ارض مصر في الشهر الاول
اول يوم منه وقد كان اتي على هرون يوم توفي مايه وثلث وعشرون سنة وبلغ الكنعاني
ملك حردا الساكن بالتيمن في ارض كنعان ان بني اسرايل اتوا حده وظعنوا من هور الجبل
ونزلوا صلمونا وارتحلوا من صلمونا ونزلوا فتنون وظعنوا من فتنون ونزلوا ابوب وفي نسخة اوبا
وارتحلوا من ايوب ونزلوا العين المعروفة بالعبرانيين على حد مواب وفي نسخة ونزلوا عانا
في العبر على تخوم مواب وارتحلوا من عانا ونزلوا جاد وفي نسخة ونزلوا من عبر العبرانيين ونزلوا
ارسون قرية جاد وارتحلوا من قرية جاد ونزلوا عيلمون التي تسمى وفي نسخة بلاثيم وظعنوا من عيلمون
التي تسمى وفي نسخة بلاثيم فنزلوا جبل عبرانيين الذي امام نابو وارتحلوا من جبل العبرانيين
ونزلوا غربي مواب التي باردن اريحا وفي نسخة ونزلوا مغارب مواب على الاردن قبالة اريحا
ونزلوا على شاطي الاردن من عند اسون الى ايل شاطيم التي عند غربه مواب وفي نسخة قباله مغاز
مواب وكلم الرب موسى على مغارب مواب عند الاردن قبالة اريحا فقال كلم بني اسرايل وقل لهم انتم
جايزون الاردن الى ارض كنعان لتهلكوا جميع سكان الارض وتحرقوا بيوت اصنامكم المسبوكة
وتقلعوا مذابحهم كلها وتصير الارض اليكم وترثونها فاقسموها لعشايركم سهاما وصيروا الكثير على
قدر كثرتهم والقليل على قدر قلتهم وكل قبيلة على ما يرتفع السهم بها ونصيبها القرعة وان لم تهلكوا
سكان الارض من بين ايديكم فالذين يبقون منهم يكونون اسنة في اعينكم وسهاما في
اصداغكم ويضيعون عليكم في الارض التي تسكنونها وكما رايت ان اصنع بهم كذلك اصنع
بكم فهكذا اقسموا الارض فيما اريتكم ارض كنعان بحدودها فاما حد التيمن فيكون
لكم من ساحل البحر الملح من ناحية المشرق ويبدو حدكم من التيمن الى عقبة سفر ويتم
ويجوز الى صين وتكون مخارجه من التيمن الى رقيم الجابا ويخرج من هناك الى حصر اداد
ويجوز الى عصمين الى وادي مصر ويكون مخارجه الى ناحية البحر ويكون حد البحر حدكم
والبحر الاعظم بحدوده هذا احدكم من ناحية البحر وما حدكم مما يلي الجربيا فيكون من
البحر الاعظم الى هور الجبل وحدود ذلك من الجبل الى مدخل حماه فتكون مخارج الجبل
الى صدد ويخرج الحد الى زفرون وتكون مخارجه الى حصر عينن هذه حدودكم من ناحية
الجربيا واما حدودكم من ناحية المشرق فحدوده من حصر عينن الى شافم وينزل
الحد عن شافم الى ربلة الى مشارق عاين حتى ينتهي الى بحر كنرت من مشارقه ويدور حتى

ينزل الى حد الاردن وتكون مخارجه الي بحر الملح هذه حدود الارض التي ترثونها كما تدور ثم
ذكر القسمة وشيا من الاحكام ثم قال في اول السفر الخامس هذه الايات والاقوال التي
قال موسى لبني اسرايل عند مجاز الاردن في البرية في غيرابا وهو الجانب العربي حيال
سوف بين فاران وبين نعال لبنان وحضروت ودرهات مسيرة احدعشر يوما من حوريب
الي ساعير والى رقام الجاي لما كان في سنة اربعين من خروج بني اسرايل مصر في الشهر الحادي
عشر في اول يوم منه كلم الرب موسى بني اسرايل وامرهم بعد قتلهم سيحون ملك الاموريين
وعوج ملك متنين في مجاز الاردن في ارض مواب قال الله تعالى قال لنا في حوريب
قد طال مكثكم في هذا الجبل انهضوا فارتحلوا من ههنا وادخلوا جبل الاموراينين وكل
ما حوله الى القري والجبل والي سواحل البحر اسفل الجبال واليمن ارض الكنعانيين ولبنان
الى النهر الذي هو الفرات ادخلوا ورثوا الارض التي وعد الله اباكم ابرهيم واسحق ويعقوب
ان يعطيهم ويورثها نسلهم من بعدهم ثم قال وامرتكم في ذلك الزمان بما ينبغي ان تصنعوا وارتحلنا
من حوريب وسرنا في البرية العظيمة المرهوبة كما امرني الله ربنا فانتهينا الى رقيم الجاني وقلت
لكم قد انتهيتم الى جبل الاموراينين الذي اعطانا الله ربنا اصعدوا ورثوا الارض كما قال
الله رب ابايكم لا تخافوا ولا تفزعوا وتقدمتم الي باجمعكم وقلتم نرسل بين ايدينا رجالا يجسسون
لنا الارض ويخبرونا بخبرها ويدلونا على الطريق الذي نسير فيه والقري التي تدخلها
فكان قولهم عندي حسنا وعمدت الى اثني عشر رجلا منكم من كل سبط رجل وارسلتهم
وصعدوا الى الجبل حتى انتهوا الى وادي العنقود واستخبروا الارض واخذوا من ثمار
الارض واتوا به واخبرونا وقالوا لنا ما اخصب الارض التي يعطينا الله ربنا ولم يعجبكم ان تصعدوا
ولكن اجتنبتم قول الله ربكم واغضبتموه وتشوشتم في خيمكم وقلتم بعضكم لبعض الرب
اخرجنا من ارض مصر ليدفعنا في ايدي الاموراينين يهلكونا الى اين نصعد اخوتنا كسروا
قلوبنا وقالوا الشعب اعظم واعز منا واقوي وقراهم عظيمة مشيدة الي السما ورابنا
هناك ابنا جبابره وقلت لكم لا تخافوا ولا تفزعوا منهم من اجل ان الله ربكم هو يسير
امامكم وهو مجاهد عنكم كما صنع بكم في ارض مصر في البرية كما رايتم انه عذ اكم كما يعذ والوالد ولده في كل الارض التي اسكنتموها حتى انتهيتم الي هذه البلاد وبهذا القول
لم تصدقوا ان الله ربكم يكمل له بكم انه يسير امامكم في الطريق ليهيي لكم موضعا تسكنون فيه
اليس هو الذي اراكم طريقا تسكنون فيه بالليل بالنار وسترتكم بالنهار من حر الشمس
بالغمام وسمع الرب كلامكم واصواتكم وغضب واقسم وقال لا يعاين احد من هولا
القوم اهل هذا الحقب الردي الارض المخصبة التي اقسمت ان اعطي اباهم غير كالاب
ابن يوفنا اني ادفع اليه الارض التي مشى فيها داورثها ولده لانه اتم قول الرب
واكمل سنته وقال لي وانت ايضا لا تدخلها ولكن يسوع بن نون الذي يخدمك هو يدخل
هناك اياه اتوي واويد لانه هو الذي يورث بني اسرايل الارض المخصبة التي وعدت

بها

بها اباهم ان اعطيهم واما مواشيكم التي قلتم انها تنتهب وبنوكم الذين لا يعلمون الخير
من الشر فهم يدخلون هناك واليهم ادفعها وهم يرثونها فاما انتم فاقبلوا وارتحلوا الي
البرية في طريق بحر سوف فرددتم علي وقلتم اسانا واجرمنا بين يدي الله ربنا نحن صاعدون
ومجاهدون كما قال لنا وتسلح كل امرء منكم بسلاحه وتهيا ثم للصعود الى الجبل وقال الرب
انذرهم وقل لهم لا تصعدوا ولا تجاهدوا لاني لست بينكم لئلا يهزمكم اعداوكم وقلت ولم
تقبلوا احسبتم قول الرب واغضبتموه وجسرتم وصعدتم الي الجبل وطردوكم كما تطرد الزنا
بالدخان ودفعوكم من ساعير الي حرمان وجلستم وبكيتم ولم يسمع الرب اصواتكم فمكثتم
امام الرب في رقام اياما كثيرة ما مكثتم فيها فاقبلنا فارتحلنا في البرية في طريق بحر سوف
كما قال الرب وترددنا حول جبل ساعير اياما كثيرة وقال لي الرب قد طال ترددكم حول هذا
الجبل اقبلوا الى الجانب الحربي وتقدم الي الشعب وقل لهم انتم تجوزون في حد اخوتكم بني عاسوا
الذين يسكنون ساعير فاحفظوا ان لا تولعوا لاني لست اعطيكم من ارضهم ميراثا ولا موضع
قدم ابتاعوا منهم طعاما بالمال كلكم وامتاروا منهم ما تقصنه لمشربكم ليبارك الله ربكم عليكم و
يبارك لكم في كل ما عملت ايديكم كما علم ان يوسكم في هذه البرية اربعين سنة فالله ربكم
مادام معكم لا يعوزكم شي وجزنا طريق العربي وعيرها الملح واقبلنا فجزنا في البرية الي
طريق مواب قال لي الرب لا تضيق على المواببين ولا تحاربهم لاني لست اعطيك من ارضهم
ميراثا بل قد جعلت هذه الارض ميراثا لبني لوط هذه التي سكنها امتي اولا شعبا كان عظيما
كان المرابيون يسمونهم امتي فاما ساعير فكان سكانها الحوراينين اولا وورثها بنو عاسوا
فمروا الان فجوزوا وادي زرد فجزنا وادي زرد حينيذ وكان عدد الايام التي سرنا من رقيم
الي ان جزنا وادي زرد ثمانية وثلثين سنة حتى هلك جميع الرجال الابطال اهل ذلك الحقب
من عسكر بني اسرايل كما اقسم عليهم الرب لان يد الرب كانت عليهم حتى هلكوا فلما ماتوا
من الشعب كلمني الرب وقال انت جاز اليوم الي حد مواب وتدنوا من حد بني عمون ولا
تتعرض لهم لست اعطيك ميراثا من ارض بني عمون لاني قد جعلتها ميراثا لبني لوط فقم وارتحل
وجز وادي ارنون اني قد دفعت اليك سيحون ملك الاموراينين فحاربه واهلك اصحابه
فاني ابتدي ان القي خوفك وفزعك على الناس منذ يومك هذا وعلى جميع الشعوب التي تحت السما حتى
اذا سمعوا بخبرك فرقوا وفزعوا منك وارسلت رسلا من برية قدموت الى سيحون ملك حجبون بكلام
طيب وبالسلام قلت له يجوز في ارضك ونسير في الطريق الاعظم لا نميل يمينه ولا يسارا لتمتار منكم
طعاما بفضة لما كلنا وكذلك ما مشربنا بثمن فدعونا نجوز سايرين في الطريق كما صنع بنا بنو
عاسوا الذين في ساعير والمرابيون الذين في عار حتى نجوز في الاردن الي الارض التي يعطينا الله
ربنا ولم يشا سيحون ملك حجبون ان نجوز في حده لان الله ربكم قسى قلبه وعظم روحه ليدفعه
في ايديكم وخرج الينا هو وجميع اجناده لمحاربتنا في باهاص فوضعه الرب الينا وقتلناه هو
وجميع اجناده وفتحنا قراه واهلكنا كل من كان في قراه ولم يبق منهم احد واهلكنا نساهم

وعبالهم ولم يبق منهم احد من حدعد واعمرالتي على حد وادي ارنون والقرية التي في الوادي
وال جلعاد لم يعتنا قرية بل دفعها الله ربنا في ايدينا فاما ارض بني عمون فلم نقربها وكل ما كان
على وادي يانق وقرى الجبال وكل ما امرنا الله ربنا به ثم اقبلنا وصعدنا الى ارض مسن وخرج
الينا عوج ملك مسن هو وكل شيعته ليحاربنا في اردعي وقال الرب لا تفرق فاني قد دفعته
في يديك واسلمت اليك كل اجناده وارضه وقتلناهم ولم يبق منهم احد وظفرنا بكل قراه
في ذلك الزمان ولم يفتنا قرية الا اخذناها منهم ستين قرية كل جبل ارحون كل القرى التي
كانت سوراتها مشيدة محصنة بالابواب الشديدة الموثقة واخربناهن كما صنعنا بسيحون
واخذنا الارض في ذلك الزمان من ملكي الاموراييين اللذين كانا عند مجاز الاردن من
وادي ارنون الى جبل حرمون فاما الصيد انيون فكانوا يدعون حرمون واما الاموراييون
فكانوا يسمونها ساعير واخذنا كل القرى التي كانت في الصحرا وكل جلعاد وكل مسن الى سلكي
واردعي جميع قرى ملك عوج لان عوجا كان الجبار الذي بقي وحده من الجبابرة وكان سريره
من حديد وفي مدينة بني عمون التي تسمى دسطوله تسع اذرع وعرضه اربع اذرع بذراع
الجبابرة وورثنا هذه الارض في ذلك الزمان ثم قال وامرت يشوع في ذلك الزمان وقلت
قد رايت بعينك ما صنع الله ربكم بملكي الاموراييين كذلك يصنع الرب بجميع المملكات التي
يجوزون اليها لان الله ربكم هو يجاهد عنكم وتضرعت الى الرب في ذلك الزمان وقلت
اطلب اليك يا رب والاهي ان تظهر لعبدك عظمتك بيدك المنيعة وبذراعك العظيمة
اي اله في السما او في الارض يعمل مثل اعمالك وجرايحك اتاذن لي الان فاعبر واعاين الارض
المخصبة التي في مجاز الاردن هذا الجبل المخصب ولبنان ولم يستجب لي وقال الرب
حسبك لا تعود ان تقول هذا القول بين يدي اصعد راس الاكمة وارفع عينيك الى المشرق
والمغرب والى الجرى والتيمن وانظر اليها نظرا ولا تجز هذا الاردن ومر يشوع وتقدم
اليه وقوه وايده لانه هو الذي يجوز امام هذا الشعب وهو يورثهم الارض التي تراها
ونزلنا الوادي حيال بيت بعور ثم قال واقسم اي الرب اني لا اجوز هذا الاردن
ولا ادخل الى الارض التي اعطاكم الله ربكم ميراثا فانا الان الان متوفي في هذه الارض
ولا اجوز هذا الاردن فاما انتم فتجوزون وترثون هذه الارض الخصبة احفظوا لا تنسوا
عهد الله الذي عاهدكم ولا تفسدوا وتتخذوا اصناما واشباهها من اجل ان الله ربكم
هو نار محرقة وهو اله غيور واذا ولد لكم بنون وبنو ابنين وعتقتم في الارض واتخذتم اصناما
واشباهها وارتكبتم الشر امام الله ربكم واغضبتموه قد اشهدت عليكم السما والارض انكم تهلكون
سريعا من الارض التي تجوزون لترثوها ولا تكثر ايامكم فيها ويبددكم الرب من بين
الشعوب ويبقى منكم عدد قليل بين الشعوب التي يغربكم الرب فيها سلوا الان الايام الاولى التي
مضت قبلكم منذ يوم خلق الله الناس على الارض من اقصى السما الى اقصاها هل كان مثل هذا
الامر العظيم او سمع بمثله قط هل سمع شعب اخر صوت الله يتكلم من النار كما سمعتم انتم وحييتم

الله الذي اتخذهم شعبا من الشعوب بالبلايا والايات والاعاجيب والحروب واليد
المنيعة والذراع العظيمة وبالمناظر العظيمة كما صنع الله باهل مصر تجاهكم انتم وعاينتم
وعلمتم ان الله هو رب كل شي وليس اله غيره اسمعكم صوته من السما ليعلمكم واراكم ناره
العظيمة وسمعتم اقاويله من النار ولحبه لابايكم اختار نسلهم من بعدهم واخرجكم بوجهه
من مصر بقوته العظيمة ليهلك من بين ايديكم شعوبا اعظم واعز منكم ليدخلكم ويعطيكم
ارضهم ميراثا لتعلموا يومكم هذا وتقبلوا بقلوبكم لان الرب هو الذي في السما فوق وفي الارض
اسفل وليس اله سواه احفظوا سننه ووصاياه التي امركم بها يومكم هذا لينعم عليكم وعلى
ابنايكم من بعدكم ويطول مكثكم في الارض التي يعطيكم الله ربكم طول الايام هذه الشهادات
والسنن والاحكام التي قص موسى على بني اسرايل حيث خرجوا من ارض مصر فانتهوا الى
مجاز الاردن في الوادي في مشارق الشمس والجانب الغربي الى سدود ونزحاتم قال بعد ذلك
في اواخر هذا السفر بعد ان قص عليه احكاما كثيرة وحكما عن الرب يقبل بكم الى الخير ونعمكم
كما فرح ابايكم وذلك ان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم سننه ووصاياه المكتوبة في هذا
الكتاب من كل قلوبكم وانفسكم من اجل ان هذه الوصية لم تخف عليكم ولم تغب وليس هو لمستور
في السما فتقولوا من ينزل لنا الى البحر ويايتنا به فنسمعه ونعمل به ولكن القول لعند عنكم في اقصى
البحر قريب من فيك وقلبك فاعمل به وانظر اني قد صرت بين يديك اليوم الحياة والخير واحذرتك
بالموت والشر وانا امرك اليوم ان تحب الله ربك وتسلك في طرقه وتحفظ سننه ووصاياه
واحكامه لتحيا وتكثر جدا ويبارك الله ربك عليك وينميك في الارض التي تدخلها لترثها وان
مال قلبك وزاغ ولم تسمع وضللت وتبعت الالهة الاخرى وسجدت لها فقد بينت لكم اليوم
انكم تهلكون هلاكا ولا يطول مكثكم في الارض التي تجوزون الاردن لترثوها واوعدت اليكم
وناشدتكم السما والارض الحياة والموت وتلوت عليكم اللعن والدعا فاختر الحياة لتحيا انت ونسلك
اذا احببت الله ربك وسمعت قوله ولحقت بعبادته لانه حياتك وطول عمرك وتسكن في الارض التي
اقسم الرب لابايك ووعد ابرهيم واسحق ويعقوب ان يعطيك ثم انطلق موسى فكلم بني اسرايل وقص
عليهم هذه الاقوال كلها وقال لهم لي اليوم مايه وعشرون سنه ولست اقدر على الدخول
والخروج ايضا والرب قال لي انك لا تجز هذا الاردن فالله ربكم هو يجوز امامكم وهو يهلك هذه
الشعوب من بين ايديكم فترثونهم ويشوع هو يجوز امامكم كما قال الرب وسيصنع بهم الرب كما صنع
بسيحون وعوج ملك الامورايين اللذين اهلكهما الله ويهزمهم الله ربكم من بين ايديكم فاصنعوا
بهم حينيذ ما امرتكم به تقووا واعتزوا ولا تخافوا ولا تفزعوا ولا ترعب قلوبكم لان الله ربكم سايرا
امامكم لا يخذلكم ولا يرفضكم ودعا موسى يشوع بن نون وقال له بين يدي جماعة بني اسرايل تقو واعتز
لانك انت الذي تدخل هذا الشعب الارض التي اقسم الله لابايهم ان يعطيهم وانت تورثها
ابناهم والرب هو يسير امامكم وهو يكون معك ولا يخذلك ولا يرفضك فلا تخف ولا تفزع
ولا ترعب قلبك وكتب موسى هذه التورية وسننها ودفعها الى الاحبار بني لاوي الذين يحملون

من يصعد لنا الى السما ويايتنا
به فنسمعه ونعمل به وليس بغايب
عنكم في اقصى البحر فتقولوا

وكلم الرب موسى في ذلك اليوم وقال ثم قال
تابوت عهد الرب والى جميع اشياخ بني اسرايل ثم قال
له اصعد الى جبل العبرانيين هذا جبل نابوا الذي في ارض مواب حيال اريحا وانظر الى
ارض كنعان التي اعطي بني اسرايل ميراثا وتموت هناك في الجبل الذي تصعد اليه واجتمع الى
ابايك كما توفي اخوك هرون في الجبل وصار الى قومه ثم قال في اخر هذا السفر وهو اخر التورية
فطلع موسى من عربوب مواب الى جبل نبوا الراس الاكمة التي قبالة وجه اريحا واراه الله جميع جلعد
الى دان وجميع ارض نفتالي وجميع ارض افرام ومنشا وجميع ارض يهودا الى اخر البحر والبرية
وما حول بقعة بلاد اريحا مدينة النخل الى صاغر فقال الرب لموسى ان هذه هي الارض التي اقسمت
لابراهيم واسحق ويعقوب وقلت اني لنسلكم اعطيها قد اريتكها بعينيك فاما انت فلا تدخلها
وقضي عبد الله موسى بارض مواب بامر الرب فدفن يعني في ارض مواب حذا بيت فغور ولم
يعرف احد الى قبره الى يومنا هذا وكان موسى يوم قضى ابن مائة وعشرين سنة لم يضعف
بصره ولم يتشنج جلده فناح بنوا اسرايل على موسى بعربوب ثلثين يوما وتمت ايام بكا ثم
موسى وامتلا يشوع بن نون روح الحكمة لان موسى وضع عليه يده واطاع له بنوا اسرايل
وامتثلوا ما امر الرب به موسى انتهى ما اردته من اخبار السير وما يصل بذلك من مساوانهم
بجميع الناس في العذاب بالمعاصي والالطاف بالطاعات المادم لكونهم ابنا واحبا وفيه مما
يحتاج الى تفسير الجربي وهو نسبة الى الجربيا بكسر الجيم والموحدة بينهما مهملة ساكنة
ثم تحتانية ممدودة وهي جهة الشمال والتيمن بفتح الفوقانية واسكان التحتانية وضم
الميم وهو نوء اليمن الذي يقابل الشمال فالمراد به الجنوب وفيه قاصمة لهم في انكار الفسخ في
امرهم بنص التورية بالدخول الى بيت المقدس ثم نهيهم عن ذلك لما عصوا فانه قال اصعدوا
ورثوا الارض كما قال لكم الله رب اباكم لا تخافوا ولا تفزعوا ولما عصوا هذا الامر واعلمهم موسى
عليه السلام بغضب الله عليهم وعقوبتهم بالتيه ارادوا امتثال الامر بالصعود توبة فقال لهم
موسى عليه السلام وقال لي الرب انذرهم وقل لهم لا تصعدوا ولا تجاهدوا لاني لست بينكم لئلا
يهزمكم اعداوكم هذا نصه فراجعه واما دخول ابنايهم الى بلاد القدس وغلبتهم على
اهلها وتسلطهم في ارضها تصديقا لمواعد الله على يد يوشع بن نون عليه السلام فسنذكر
ان شا الله تعالى عند قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق ولكني
اقدم منها من امر يوشع بعد موسى عليهما السلام والمعونة بالله ما ينبغي عليه بعض مناسبات
الاية التي بعدها قال البغوي فتوجه يعني يوشع ببني اسرايل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق
فاحاط بها ستة اشهر ثم نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة
ودخلوا فقاتلوا الجبارين فقتلوهم وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت
الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي فردت عليه وزيد في النهار
ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام واستباح منهم واحدا وثلاثين ملكا حتى
غلب على جميع ارض الشام وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنايم فلم تنزل النار فاوحي الله الى

يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك
فاتاه براس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر فجعله في القربان وجعل الرجل معه
فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان انتهى ورايت في تاريخ نبوة يوشع بعد موت موسى
عليه السلام ما ربما يخالف هذا في الاشهر والبلد واما الاشهر فجعلها سبعة ايام واما البلد
التي وقفت عندها الشمس فجعلها جبعون لا اريحا فانه قال ما نصه قال الرب ليوشع انظر اني قد
دفعت في يدك اريحا وملكها وكل اجنادها فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة ودوروا
حول المدينة مرة في اليوم وافعلوا ذلك سبعة ايام ويحمل سبعة من الكهنة سبعة ابواق
ويهتفون امام التابوت حتى اذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات ويهتف
الكهنة بالقرون واذا هتفت الابواق وسمعتم اصواتها يهتف جميع الشعب باعلى اصواتهم صوتا
شديدا فيقع سور المدينة مكانه ويصعد الشعب كل انسان حياله انتهى ثم ذكر امتثالهم لامر الله
وفتحهم لاريحا على ما قال الله واما البلد التي ردت فيها الشمس فهي جبعون وذلك انه ذكر بعد فتح اريحا
هذه ان سكان جبعون وهم الجاوانيون صالحوا يوشع بحيلة فعلوها ثم قال وهذه اسماء قراهم جبعون
واحيرا وعيروث وبعوان فلما سمع بذلك ادوني صداق ملك اورشليم فرق فرقا شديدا لان جبعون
كانت مدينة عظيمة كمثل مدن الملك وكان اهلها رجالا جبابرة فارسل الى هوهم ملك حبران
وفي موضع اخر والى برآن ملك يرموت والى يافع ملك لخيش والى دابير ملك عجلون وقال
لي بعض اليهود ان المراد بهذه عجلون وقال لهم اصعدوا وانقذوني على محاربة اهل جبعون
لانهم قد صالحوا يشوع فاجتمع الخمسة من ملوك الاموريين وجميع عساكرهم نزلوا على بعض
جبعون فارسل اهل جبعون الى يشوع فصعد يشوع من الجلجال هو وجميع ابطال الشعب فاوحى
الرب الى يشوع لا تخف ولا تفزع منهم لاني قد اسلمتهم في يدك فاتاهم بغتة لانه صعد من الجلجال
الليل اجمع فهزمهم الرب بين يدي ال اسرايل وجرحوا منهم جرحى كثيرة في جبعون الى
حوران وهو بوابي طريق عقبة حوران ولم يزالوا يقتلون منهم الى عاقار ومقدر فلما
هرب الذين سلموا منهم ونزلوا عقبة حوران انزل الرب عليهم حجارة بردكبار من السما
الى عاقار وماتوا فكان الذين ماتوا بحجارة البرد اكثر من الذين قتلوا ثم قام يشوع امام الرب
مصليا في اليوم الذي دفع الرب الاموريين في يدي بني اسرايل وقال ايتها الشمس
امكثي في جبعون ولا تسيري وانت ايها القمر لا تبرح قاع ايلون فثبتت الشمس وقام
القمر حتى انتقم الشعب من اعدايهم فكانت هذه الاعجوبة في سفر المياسر لان الشمس
ركدت في وسط السما ولم تزل الى الغروب وصار النهار يوما تاما ولم تكن مثل ذلك
اليوم قبله ولا بعده انتهى وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه القصة روى الشيخان
البخاري في الخمس والنكاح ومسلم في المغازي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبيا فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امراة
وهو يريد ان يبني بها ولما يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا احد اشترى

العريان

عما اوخلعات وهو ينتظر ولادها فغرا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس
انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنايم فجات يعني
النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل
بيده فقال ان فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين او ثلاثة بيده فقال فيكم
الغلول فجاوا براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعوها فجات النار فاكلتها ثم احل الله لنا
الغنايم راي ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وفي زوايد المسند للحافظ نور الدين الهيثمي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لم تحبس على احد
الا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس قال وهو في الصحيح ولم ار فيه حصرا كما هنا ولما كانت
قصتهم هذه في امرهم بالدخول الى الارض المقدسة لما فيها من نقض العهود والسر ومن الله
والحكم عليهم بالفسق والتعذيب ناقصة لما ادعاه اليهود من النبوة كان ذلك كافيا في
ابطال مدعى النصارى لذلك لانهم ابنا اليهود واذا بطل كون ابيك ابنا لاحد بطل
ان يكون انت ابنه لما كان ذلك كذلك ناسب ان تعقب بقصة ابني ادم لما يذكر فقال تعالى
عاطف على قوله واذ قال موسى واتل عليهم نبا ابني ادم اي خبرهما الجليل العظيم تلاوة
ملتبسة بالحق اي الخبر الذي يطابقه الواقع اذا تعرف من كتب الاولين واخبار الما
ضين كاينا اذ اي حين قربا اي ابنا ادم ولما لم يتعلق الغرض في هذا المقام ببيان اي نوع
قربا منه قال قربانا اي شيا من شانه ان يقرب الى المطلوب مقاربته غاية القرب ولما كان
المونر للحسد انما هو عدم التقبل لا بالنسبة الى متقبل خاص بناه للمفعول فقال فتقبل من
احدهما ابهم ايضا لعدم الاحتياج في هذا السياق الى تعيينه ولم يتقبل من الاخر ومناسبتها
لما قبلها من حيث انها ناقصة لدعواهم النبوة لان قابيل ممن ولد في الجنة على ما قيل ومع ذلك
فقد عذب لما نقض العهد فانتفى ان يكون ابنا وكان هو وغيره شرعا واحدا اذا امرا امرهم
في العذاب والثواب على الوفا والنقض من وفى كان حبيبا ولينا ومن نقض كان بغيضا عدوا واذا
انتفت النبوة عن ولد لادم صفي الله مع كونه لصلبه لا واسطة بينهما ومع كونه ولد في
الجنة دار الكرامة فانتفاها عمن هو اسفل منه من باب الاولى وكذا الجنة ومن
المناسبات ايضا ان في قصة بني اسرايل احجامهم عن قتال اعدا الله البعدا منهم المامور
بقتالهم الموعودين عليه بخيري الدارين وان الله معهم فيه وفي قصة ابني ادم اقدام قابيل
على قتل اخيه حبيب الله المنهي عن قتله الموعود بان الله يتبرا منه ان قتله ففي ذلك تاديب لهذه
الامة عند كل اقدام واحجام وتذكر بالنعمة في حفظهم من مثل ذلك وان فيها ان موسى وهرون
عليهما السلام اخوان في غاية الطواعية في انفسهما ورحم كل منهما للاخر والطاعة لله وفي
قصة بني اسرايل انهم لما قدموا الغنايم للنار لتاكلها علم نبيهم صلى الله عليه وسلم انها لم تقبل للغلول
فاستخرجه ووضعه فيها فاكلها ففي ذلك الاستدلال بعدم اكل النار على عدم القبول
كما في قصة ابني ادم وان بني اسرايل عذبوا بالمنع في بيت المقدس بالتيه وقابيل نفي من الارض التي

كان

كان فيها بقتل اخيه وان بني اسرايل تاهوا اربعين سنة على عدد الايام التي غاب فيها
نقباؤهم في حبس اخبار الجبابرة وان قابيل حمل هابيل بعد ان قتله اربعين يوما ذكره
البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقصده السباع فحمله على ظهره اربعين يوما
وكل هذه محسنات والعمدة هو الوجه الاول واحسن منه ان يكون الامر لموسى عليه السلام
عطفا على النهي في لا تاس والمعنى ان الارض المقدسة مكتوبة لهم كما قدمته انت اول
القصة في قولك التي كتب الله لكم فاما مورثة لا محالة لابنايهم وانت متوفى قبل دخولها
وقد اجريت سنتي في بني ادم بانهم اذا توطنوا واستراحوا تحاسدوا واذا تحاسدوا
تدابروا فقتل بعضهم بعضا فاتل عليهم هذه القصة لتكون زاجرة لهم من ان يفعلوا
ذلك اذا فرغوا من الجبابرة واباد وهم وصفت لهم البلاد فتوطنوها واخرجت لهم بركاتها
فابطرتهم النعمة ونسوا غوايل النقم ويكون ذلك وعظا لهذه الامة وما تعاصرتفعل
مثل ذلك بعد اكمال دينهم ووفاة نبيهم واظهارهم على الدين كله كما تقدم به الوعد لهم
فقهروا العباد وفتحوا البلاد واسلوا كنوزها وتحكموا في ابوابها فنسوا ما كانوا فيه من
القلة والحاجة والذلة فابطرتهم النعم وارتكبوا افعال الامم واعرضوا عن غوايل
النقم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم دب اليكم دا الامم قبلكم الحسد والبغضا الا والبغضا
هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين اخرجه الترمذي والامام احمد
وابو داود والطيالسي في مسنديهما والبزار قال المنذري باسناد جيد والبيهقي
وقال لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا رواه الطبراني ورواته ثقات وذكر الحافظ
ابو الربيع بن سالم الكلاعي في القسم الثاني من سيرته في فتح جلولا من بلاد فارس ان
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما ارسل الغنيمة الى عمر رضي الله عنه اقسم عمر رضي الله عنه
لا يجنها سقف بيت حتى تقسم فوضعت في صحن المسجد فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله
ابن ارقم رضي الله عنهما يحرسانها فلما جا الناس كشف عنه فنظر عمر رضي الله عنه الى ياقوته
وزبرجده وجوهره فبكا فقال له عبد الرحمن رضي الله عنه ما يبكيك يا امير المومنين
فوالله ان هذا الا موطن شكر فقال عمر والله ما ذاك يبكيني وتالله ما اعطى الله هذا
قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القى باسهم بينهم شرح قصة ابني ادم
من التورية قال المترجم في اولها بعد قصة اكل ادم عليه السلام من الشجرة ما نصه
فدعا ادم اسم امراته حوا من اجل انها كانت ام كل حي وصنع الرب لادم وامراته
سرابيل من الجلود والبسهما فارسلهما الله من جنة عدن ليحرث الارض التي اخذ فاخرجه
الله ربنا فجامع ادم امراته حوا فحبلت وولدت قابين وقالت لقد استفدت لله رجلا
وعادت فولدت اخاه هابيل فكان هابيل راعي غنم وكان قابين يحرث الارض فلما كان
بعد ايام جا قابين من ثمار ارضه بقربان لله وجا هابيل ايضا من ابكار غنمه بقربان فسر
الله بهابيل وقربانه ولم يسر بقابين وقربانه فسا ذلك قابين جدا وهم ان يسوه وعبس وجهه

فقال الرب لقابين ماساك ولم كشف وجهك ان احسنت تقبلت منك وان لم تحسن فان
الخطيئة رابضة على الباب وانت تقبل اليها وهي تتسلط عليك فقال قابين لهابيل اخيه
نمشي سائي البقعة فبينما هما يتمشيان في الحرث وثب قابين على اخيه هابيل فقتله فقال
الله لقابين ابن هابيل اخوك فقال لا ادري ارقيب انا على اخي قال الله ماذا فعلت فان
دم اخيك ينادي لي من الارض من الان ملعون انت تم الارض التي فتحت فاها فقبلت
دم اخيك من يدك فاذا انت عملت في الارض فانها لا تعود تعطيك حراثها وتكون
فزعا تايها في الارض فقال قابين للرب عظمت خطيئتي من ان يغفرها وقد اخرجتني
اليوم على وجه الارض واتوارى من قدامك واكون فزعا تايها في الارض وكل من وجدني
يقتلني فقال الله ربنا كلا ولكن كذلك كل قاتل واما قابين فانه يجزى بدل الواحد سبعة
فخرج قابين من قدام الله فحل في ارض نود شرقي عدن انتهى قال البغوي عن ابن
اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حوى في الجنة قبل
ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوامته فذكر قصة في النكاح وقتله لاخيه وشرب
الارض لديه وقول قابيل سبحن قال له انه قتله ان كنت قتلته فاين دمه فحرم الله
على الارض يومئذ ان يشرب دما بعده ابدا انتهى ولما اخبر تعالى بان احدهما فعل
معه من عدم القبول ما غاظه كان كانه قيل فما فعل حين غضب قيل قال اي لاخيه حسدا
له لاقتلنك فكانه قيل ثم اجابه فقيل سهلا اولا على ما يصل به الى دينه ليزول حسده بان قال
انما يتقبل الله من المتقين اي فتقبله لي مسبب لك عا حسد نبي عليه ولما وعظه بما يمنعه
من قتله ويقبل منه على خلاص نفسه اعلمه ثانيا ان الخوف من الله منعه من ان يمانع عن
نفسه خشية ان يجر الممانعة الى تعدي الحد المأذون فيه فقال لئن بسطت الي اي
خاصة يدك لتقتلني اي لتوجد ذلك باي قصة كان ثم بالغ في اعلامه بامتناعه من الممانعة
فقال ما انا بباسط اي اصلا يدي اليك لاقتلك اي في وقت من الاوقات ثم علله تعليله
اني اخاف الله اي جميع ما اقدر على استحضاره من كماله ثم وصفه بالاحسان الى خلقه لكون
ذلك مانعا له من الاساءة الى احد منهم فقال رب العالمين اي الذي انعم عليهم بنعمة
الايجاد ثم التربية فانا لا اريد ان اخرب ما بنى ولما كان من النهايات للواصلين الى حضرات
القدس ومواطن الانس بالله المتمكنين في درجة الفنا عن غير الفاعل المختار ان الايراد الا
ما يريد سبحانه فان كان طاعة اراده العبد ورضيه وان كان معصية اراده من حيث انه
مراد الله ولم يرضه لكونه معصية فيرضى بالقضا دون المقضي وكان من الممكن القريب
ان يكون هابيل قد كشف له عن انه سبق في علم الله ان اخاه يقتله قال مرهبا له معللا بتعليل
اخر صادله ايضا عن الاقدام على القتل اني اريد اي بعدم الممانعة لك ان تبوء اي
ترجع من قبلي ان قتلتني باثمي اي بالاثم الذي ينالك من اجل قتلك لي واثمك اي الذي
لا سبيل فيه وهو الذي كان سببا لرد قربانك واحرابك على وعداوتك وافوز انا باجري

واجرك

واجرك اي الجزي الذي لا سبب لك فيه وللاجر الذي اثمن لي استسلامي لك وكف يدي
عنك فتكون اي انك بسبب ذلك من اصحاب النار اي الخالدين فيها جزاك بظلمك بن فعلك
القتل عن غير موضعه ثم بين ان هذا يعم كل من فعل هذا الفعل فقال وذلك جزاء
الظالمين اي كلهم واكون انا من اصحاب الجنة جزا لي باحساني في ايثار حياتك على حياتي
وذلك جزا المحسنين وهذا مثل تمني الشهادة سوا ليس يستلزم لا رادة المعصية
من حيث كونها معصية بارادة ظهور الكفا ولما علم ان النصر بيد الله فهو قادر على نصر الباقي
بعد استشهاد الشهيد ولما كان هذا الوعظ جديرا بان يكون سببا لطاعته وزاجرا
له عن معصيته بين تعالى انه في قلبه فجعله سببا لاقدامه فقال مبينا بصيغة التفعيل
ان القتل لما جعل الله من الجرية وكساه من الهيبة لا يقدم عليه الا بمعالجة كبيرة من النفس
فطوعت له نفسه قتل اخيه اي فعالجته معالجة كبيرة حتى غلبت على عقله فاطاع لها فاقدم
عليه فقتله فاصبح من الخاسرين اي بغضب الله عليه لاجترايه على افساد مصنوعه وغضب
ابنا جنسه عليه لاجترايه على احدهم ثم انه لم يدر ما يصنع به اذ لم يكن الدفن معروفا
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليواري غرابا اخر مات ليريه اي ابن ادم كيف
يواري سوءة اخيه ولعل بعث الغراب اشارة الى غربة القاتل باستيحاش الناس منه
وجعله مما ينفر عنه ويقتله كل من قدر عليه ومن ثم سمي غراب البين وتشام به من يراه
ولما كان كانه قيل ان هذا لعجب فما قال قيل قال لما انبهه ذلك متفجعا منكرا على نفسه
يا ويلتي ولما تجمع غاية الفجيعة وتاسف كل الاسف انكر على نفسه فقال اعجزت ان اكون
مثل هذا الغراب وقوله فاواري سوءة اخي يجوز ان يكون جواب الاستفهام لانه انكاري
فمعناه النفي فاصبح من النادمين اي على ما فعل لانه فقد اخاه ولم يفد ذلك ما كان سبب
غيظه بل زاده بعدا ولما علم بهذا ان الانسان موضع العجلة والاقدام على الموبقات من غير
تامل فكان احوج شي الى نصب الزواجر اتبعه تعالى قوله من اجل ذلك اي جراة الانسان
على العظايم بغير تامل كتبنا اي بما لنا من العظمة ليفيد ذلك عظمة المكتوب على بني اسرائيل
اي اعلمناهم في التورية التي كتبناها لهم وعبر باداة الاستعلا التي هي للحتم من الوجوب
والحرمة لان الانسان السياق للزجر فهي تفهم المنع عن الاقدام على القتل في هذا المقام
انه من قتل نفسا اي من بني ادم وكانه اطلق تعظيما لهم اشارة الى ان غيرهم جماد بغير نفس
اي بغير ان يكون قتلت نفسا تستحق ان تقاد بها فاستحق قتلها لتلك النفس التي قتلتها
او قتلها بغير فساد وقع منها في الارض يبيح دمها كالشرك والزنا بعد الاحصان وقد علم
بهذا ان قصة ابني ادم مع شدة التحامها بما قبل توطية لما بعد وتغليظ امر القتل تقدم
عن التورية في سورة البقرة وقوله فكانما قتل الناس جميعا من جملة الادلة المبطلة
لما ادعوا من البنوة اذ معناه ان الناس شرع واحد من جهة نفوسهم متساوون
فيها كلهم اولاد ادم لا فضل لاحد منهم على اخر في اصل تحريم القتل بغير ما ذكر

من الموجب من قصاص او فساد لا من بني اسرايل ولا من غيرهم وكذلك كما قال تعالى في ثاني العقوص بل انتم بشر ممن خلق فصار من قتل نفسا واحدة بغير ما ذكر فكانما حمل اثم من قتل الناس جميعا **ومن احياها** اي بسبب من الاسباب كعفو او مدافعة لمن يريد ان يقتلها ظلما **فكانما احيا الناس جميعا** اي بمثل ما تقدم في القتل ومما يحسن ايراده هنا ما ينسب الى امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ورايت من ينسبه الى الشافعي رحمه الله

الناس من جهة التمثيل اكفاء ... ابوهم ادم والام حواء
نفس كنفس وارواح مشاكلة ... واعظم خلقت فيهم واعضاء
فان يكن لهم في اصلهم حسب ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر الا لاهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه ... وللرجال على الافعال ابناء
وضد كل امرء ما كان يجهله ... والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا ... والناس موتى واهل العلم احياء

ولما اخبر سبحانه انه كتب عليهم ذلك اتبعه حالا منهم داله على انهم بعيدون من ان يكونوا ابنا او احبا فقال **ولقد** اي والحال انهم قد **جاتهم رسلنا** اي على ما لهم من العظمة باضافتهم الينا واخبارنا لهم لان باتوا عنا نهم لذلك انصح الناس وابعدهم عن الغرض واجلهم واجمعهم للكمالات وارفعهم عن النقايض لان كل رسول دال على مرسله **بالبينات** اي الايات الواضحة للعقل انها من عندنا امراه لهم بكل خير زاجرة عن كل شر لم تقتصر في التغليظ في ذلك على الكتاب بل وابرما الرسل اليهم مواثق ولما كان وقوع الاسراف وهو الابعاد عن حد الاعتدال في الامر منهم بعد ذلك بعيدا عبر باداة التراخي موكدا بانواع التاكيد فقال **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** اي البيان العظيم والزجر البليغ **في الارض** اي التي هي شاغلة لما فيها من عظايم الكدورات وترادف القاذورات عن الكفاف فضلا عن الاسراف **لمسرفون** اي عريقون في الاسراف بالقتل وغيره ولما كان هذا الاسراف بعد هذه الموانع محاربة للناهي عنه وصل به قوله **انما جزا** وكان الاصل جزاوهم ولكن اريد تعليق الحكم بالوصف والتعميم فقال **الذين يحاربون الله ورسوله** اي بمحاربة من نهاها عن محاربته ولما كان عباد الرحمن يمشون على الارض هونا اعلم ان هولا عباد الشيطان بقوله **ويسعون في الارض** ولما كان هذا ظاهرا في الفساد صرح به في قوله **فسادا** اي حال كونهم ذوي فساد او للفساد **ان يقتلوا** اي ان كانت جريمتهم القتل فقط **او يصلبوا** اي مع القتل ان ضموا الى القتل اخذ المال **او تقطع ايديهم** اي اليمنى واخذهم المال **وارجلهم** اي اليسرى لاخافة السبيل وهذا معنى قوله **من خلاف** اي ان كانت الجريمة اخذ المال فقط **او ينفوا من الارض** اي بالاخافة والازعاج ليكونوا متنقلين من بلد الى اخر ذعرا وخوفا **ذلك** اي النكال الشديد المفصل الى ما ذكر **لهم خزي** اي اهانة وذل بايقاعه بهم **في الدنيا ولهم في الاخرة** اي التي هي موطن الفصل باظهار العدل **عذاب عظيم** اي هو بحيث لا يدخل تحت معارفكم اكثر من وصفه بالعظم ولما كان التعبير بانما يدل على تحتم الجزا على هذا

الوجه استثنى منه بقوله **الا الذين تابوا** اي رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى ولذا قال **من قبل ان تقدروا عليهم** فان تحتم الجزا المذكور يسقط فلا يجازون على ما يتعلق بحقوق الادمي الا اذا طلب صاحب الحق فان عفى كان له ذلك واما حق الله تعالى فانه يسقط والى هذا الاشارة ايضا بقوله تعالى **فاعلموا ان الله** اي على ما له من صفات العظمة **غفور رحيم** اي صفته ذلك ازلا وابدا فهو يفعل منه ما يشا لمن يشا ولما ذكر تعالى حكمهم عند التوبة وختم الاية بما يناسبه من الغفران والرحمة وكان ذلك بما حث اعالم يرجح في الهمة قدمه في الدين على احسانه المعالى اتبع ذلك الامر بالتقوى وجها دلك كل من افسد بقطع الطريق او الكفر وغيره فقال على وجه الاستنتاج مما قبله **يا ايها الذين امنوا** اي وجد منهم الاقرار بالايمان **اتقوا الله** اي تصديقا لما اقررتم به لما له سبحانه من العظمة التي هي جديرة بان تخشى **وابتغوا** اي اطلبوا طلبا شديدا **اليه** اي خاصة **الوسيلة** اي التقرب بكل ما يوصل اليه من طاعاته ولا تيأسوا وان عظمت ذنوبكم لانه غفور رحيم ولما كان للجهاد مزية خصوصية افرده بالذكر فقال **وجاهدوا في سبيله** لتكون كلمته هي العليا **لعلكم تفلحون** اي لتكون حالكم حال من يرجى نيله لكل ما يطلبه وهذا شامل لكل امر بمعروف ونهي عن منكر في اعلى درجاته وادناها ولما كان ترك هذه الاوصاف الثلثة التقوى وطلب الوسيلة والجهاد مزيلا للوصف الاول وهو الايمان ناسب كل المناسبة ذكر حال الكفار وانه لا ينفعهم وسيلة في تلك الدار فقال معللا لما قبله **ان الذين كفروا** اي بتركهم ما في الاية السابقة ورتب الجزاء على الماضي زيادة في التحذير **لو ان لهم ما في الارض جميعا** اي مما كان يطلب منهم شي يسير جدا منه وهو الادعان بتصديق الجنان وانفاق الفضل من المال وزاد الامر هولا بقوله **ومثله معه** ولما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة الى عظمة يوم القيمة التغابن اعاد الضمير على هذين السببين على كثرتهما وعظمهما مفردا فقال **ليفتدوا به** اي بما ذكر **من عذاب يوم القيمة** ولما كان المراد تهويلا للامر برده وكان ذلك يحصل بغير تعيين الراد قال **ما تقبل منهم** بالبنا للمفعول اي على حالة من الحالات وعلى يد من كان لان المدفوع اليه ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق ولما كان من النفوس ما هو سافل لا يكبه الرد وكان الرد لاجل امض المعذب من العذاب قال مصرحا بالمقصود **ولهم عذاب اليم** اي بالغ الايجاع بما اوجعوا اوليا الله بشرهم لما اظهروا من شموس البيان وانتهكوا من حرمات الملك الديان ثم علل شدة ايلامه بدوامه فقال **يريدون ان يخرجوا من النار** ثم نفى خروجهم على وجه التاكيد الشديد فقال **وما هم** واغرق في النفي بالجار واسم الفاعل فقال **بخارجين منها** اي ما ثبت لهم خروج اصلا ولما كان ربما دام المكث فيها وانقطع عنهم العذاب قال **ولهم عذاب مقيم** ولما كانت السرقة من جملة المحاربة والسعي بالفساد عقب بها فقال **والسارق** اي الاخذ لما هو في حرز خفية لكونه لا يستحقه **والسارقة** اي كذلك **فاقطعوا ايديهما** اي اذا

كان الماخوذ ربع دينار فصاعدا ثم علل ذلك بقوله جزا بما كسبا اي فعلا من ذلك ولو
انحط ادني وجوه السرقة ثم علل هذا الجزا بقوله نكالا اي منعا لهما كا يمنع العبد من الله اي
الذي له جميع العظمة فهو المرهوب لكل مرهوب واعاد الاسم الاعظم تعظيما للامر فقال
والله عزيز اي لا يقابله شي حكيم اي بالغ الحكم والحكمة فلا يستطاع الامتناع من سطوته
ولا نقص شي بفعله ولما ختم بوصفي الحكمة والعزة سبب عنهما قوله فمن تاب اي ندم واقلع
من بعد ظلمه وعدل عن ان يبول سرقته الى ظلمه تعميما للحكم في كل ظلم فشمل ذلك فعل طعمه وما ذكر
بعدهما تقدم في النسا وغير ذلك من كل ما يسمى ظلما واصلح اي برد الظلامة والثبات على
الاقلاع فان الله اي بما له من كمال العظمة يتوب عليه اي يقبل توبته ويرجع به الى ما كان
عليه قبل الظلم رحمة من الله ورفقا به لا يقدر احد ان يمنعه من ذلك ولا يحول بينه وبينه لحظة ما
ثم علل ذلك بقوله ان الله اي ازلا وابدا غفور رحيم اي بالغ المغفرة والرحمة لا مانع له من ذلك
ولا من شي منه ولا من شي يريد فعله بل هو فعال لما يريد والايه معطوفة على ايه المحاربين
واعا فصل بينهما بما تقدم لما ذكر من العلة الطالبة لمزيد العناية به ولما كان معنى ذلك انه لا اعتراض
عليه سبحانه في شي من ذلك ولا مانع لان قدرته تامة ليس هو كمن يشاهد من الملوك الذين ربما يحجرون
من اعتراض اتباعهم وربما يابهم عن تقريب بعض ما لم يباشر اساءة وابعاد من لم يباشر احسانا
فكيف بغير ذلك قال تعالى مقررا لذلك الم تعلم ان الله اي الذي له جميع العز له ملك السموات
والارض اي الملك خالص له عن جميع الشوايب ولما كان ايقاع النقمة ادل على العزة وكان السياق
لها قدم قوله يعذب من يشا اي من بني اسرايل الذين ادعوا البنوة والمحبة وغيرهم ويغفر لمن يشا
اي وان كان عظيم الذنب لانه لا يتصور منه ظلم ولا يسوغ عليه الاعتراض ولما كان التقدير لانه
قادر على ذلك عطف عليه قوله والله على كل شي قدير اي ليس هو كغيره من الملوك الذين قد يحجزهم
واحدهم عن تقريب ابيه وتبعيد اعدى عدوه وهذه القضيه الضرورية ختم بها ما دعت المناسبة
الى ذكره من الاحكام وكرها على انتم انتظام الى اوايل نقوض دعاويهم في قوله بل انتم بشر
ممن خلق الاية ولما تقرر ذلك كان من عزيتك علة لعدم الحزن على شي كما قال تعالى ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها الى ان قال لكيلا تاسوا
على ما فاتكم فقوله تعالى يا ايها الرسول اي المبلغ لما ارسل به معلول لما قبله وادل دليل
على ذلك قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا لا يحزنك اي لا يوقع عندك
شيا من الحزن صنع الذين يسارعون في الكفر اي يتغلغلون في اسراعهم في الوقوع فيه غاية
الاسراع فعل من يسابق غيره وفي تبيينهم بالمنافقين واهل الكتاب تبشير بتمام النعمة
على العرب بدوام اسلامهم فقال من الذين قالوا امنا ولما كان الكلام هو النفس
اخرجه بتعيين بقوله بافواههم وزاد ذلك بيانا بقوله ولم تومن قلوبهم ولما بين
المسارعين بالمنافقين عطف عليهم بقوله قسما اخرهم اشد الناس مواخاة لهم فقال ومن الذين
هادوا اي الذين عرفت قلوبهم وكفرت السنتهم تبعا للمخالفة قلوبهم لما تعرف عنادا

وطغيانا

وطغيانا ثم اخبر عنهم بقوله سماعون للكذب اي من قوم من المنافقين يأتونك فينقلون
عنك الكذب سماعون لقوم اخرين اي الصدق ثم وصفهم بقوله لم ياتوك اي لتغلية
البغض على نفاقهم يحرفون الكلم اي الذين يسمعونه عنك على وجهه فيبالغون تغييره
وامالته بعد ان تقيسوا المعنيين المعنى والمعنى اليه واللفظين فلا يبعد وابدلوا باخذ
الكلم عن حده وطرفه الى حد اخر قريب منه جدا ولذلك اثبت الجار فقال من بعد اي
يبينون الامالة من مكان قريب من مواضعه النازلة عن رتبته وذكر الضمير لارادة الكلام
او ليبينوا الفاظا غير الفاظه قريبة منها فلا يبعد واعنها المعنى جدا وهذا ادق مكرا
مما في النسا وهو من الحرف وهو الحد والطرف وانحرف عن الشي مال عنه قاله
الصغاني وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره وقال ابو عبد الله القزاز والتحريف
التفعيل من انحرف عن الشي اذا مال تعني صرفت الكلام ازلته عن حقيقة ما كان
عليه في المعنى وابقيت له شبه اللفظ ومنه قوله تعالى يحرفون وذلك ان اليهود كانت
تغير معاني التورية بالاشباه وفي الحديث سيلط عليهم طاعون يحرف القلوب اي
يغيرها عن التوكل ويدعوهم الى الانتقال عن تلك البلاد وحكي حرفته عن جهته بالتخفيف
مثل حرفته والمحارفة المقايسة من المحراف وهو الميل الذي يقاس به الجراح انتهى بان
يتاولوه على غير تاويله فالاية من الاحتباك حذف منها اولا الاتيان واثبت عدمه ثانيا
للدلالة عليه وحذف منها ثانيا الصدق ودل عليه باثبات ضده الكذب في الاول ولما
كان كانه قيل ما غرضهم باثبات الكذب وتحريف الصدق قال يقولون لمن يوافقهم
ان اوتيتم هذا اي المكذوب والمحرف فخذوه اي اعملوا به وان لم توتوه فاحذروا اي
من ان تعولوا عليه فتقبلوه ولما كان التقدير فاوليك الذين اراد الله فتنتهم عطف عليه
قوله ومن يرد الله فتنته اي ان يحل به ما يميله عن وجه سعادته فلن تملك له من
الله شيا اي من الاسعاد ولما كان هذا انتج لا محالة قوله اوليك اي البعداء الذين الذين
لم يرد الله اي وهو الذي لا راد لما يريد ولا فاعل لما لا يريده ان يطهر قلوبهم اي
بالايمان والجملة كالعلة لقوله فلن تملك له من الله شيا ولما ثبت ان قلوبهم نجسة انتج
ذلك قوله لهم في الدنيا خزي اي بالذل والهوان ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي
لعظيم ما ارتكبوه من هذه المعاصي المتضافرة ولما ذكر التحريف ذكر اثره وهو الحكم به فقال
مكررا لوصفهم زيادة في توبيخهم وتقبيح شانهم سماعون للكذب اكالون للسحت اي
الحرام الذي يسحت البركة اي يستاصلها وذلك اخذهم الرشا ليحكموا بالباطل على نحو ما
حرفوه وغيروه من كلام الله ولما كانوا ياخذون الرشوة ولا يقدرون على ابرام الحكم بما
ارادوه ويطمعون ان يفعلوا ذلك بواسطة ترافعهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فيترافعون
اليه فان حكم بينهم بما ارادوا قبلوه واحتجوا به على من لعله يخالفهم وان حكم بما لم يريدوه
قالوا اليس هذا في ديننا طماعا ان يخليهم فلا يلزمهم بما احكم اعلمه الله تعالى بما يفعل في

اي هم في غاية النهي
والانهماك في سماعهم

امر بهم وحدوه غوا يل مكن هم فقال مسببا عن الكلام الحرلم فان جاوك اي طمعا في ان
توتيهم ما حرفوا اليه الكلم فاحكم بينهم اي ان شيت او اعرض عنهم اي كذلك ولما كان قوله
وان د الا بعطفه على غير معطوف عليه ان التقدير فان حكمت بينهم لم ينفعوك شيا
لا نبالك عليهم قال وان تعرض عنهم فلن يضروك شيا اي لاعراضك عنهم واستهانتك
لهم ولما كان هذا التخذير غير مراد الظاهر في جوان الحكم بينهم عند الترافع الينا وعدمه
بل معناه عدم المبالات بهم اعرض عنهم او لا فحقيقته بيان العاقبة على تقديري الفعل
والترك علمه كيف يحكم بينهم فقال عاطفا على ما قدرته وان حكمت اي فيهم فاحكم اي اوقع
الحكم بينهم بالقسط اي العدل الذي اراكه الله على ان الاية ليست في اهل الذمة والحكم
في ترافع الكفار الينا انه ان كان منهم او من احدهم التزام لاحكامنا او منا التزام للذب
عنهم وجب لقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواهم والا لم يجب ثم علل ذلك
بقوله ان الله يحب المقسطين اي الفاعلين العدل السوي من غير حيف اصلا ولما كان التقدير
وكيف يحكمونك وهم يكذبونك ويدعون انك مبطل عطف عليه قوله معجبا منهم موبخا لهم
وكيف يحكمونك اي في شي من الاشيا وعندهم اي والحال انه عندهم التورية ثم استانف قوله
فيها حكم الله اي الذي لا يد انى عظمته عظمة ولما كان الاعراض عن حكمه سبحانه قطعا وكان
وقوعه ممن يدعي انه مومن به بعيدا قال ثم يتولون اي يكلفون انفسهم الاعراض عنه
سوا تايد بحكمك به او لا لاجل الاغراض الدنيوية من بعد ذلك اي الامر العالي ولما كان
التقدير فما اوليك بالمومنين بالحق في ترافعهم اليك عطف عليه قوله وما اوليك اي البعدا
من الله بالمومنين اي بكتابهم ولا بغيره مما يستحق الايمان به ولما تضمن هذا مدح التوراة
صرح به فقال تاكيدا لذمهم في الاغراض عما دعت اليه من اصل وفرع وتحذيرا من مثل
حالهم انا انزلنا اي على ما لنا من العظمة التورية ثم استانف قوله معظما لها فيها هدى اي
كلام لهدي بما يدعوا اليه الي طريق الجنة ونور اي بيان لا يدع لبسا ثم استانف المدح
للعاملين بها فقال يحكم بها النبيون ووصفهم باعلى الصفات وتلك هو الفنا المحض فقال
الذين اسلموا اي اعطوا انقيادهم لربهم سبحانه حتى لم يبق لهم اختيار اصلا ولما كان من
المعلوم ان حكمهم بامر الله لهم باتباع التورية ومراعاتها علم ان التقدير بما استحفظوا من كتاب
الله فحذف لدلالة ما ياتي عليه واشعار الاسلام به ثم بين المحكوم له تقييدا له اشارة الى انها
ستنسخ فقال للذين هادوا اي لمن التزم اليهودية والربانيون اي اهل الحقيقة منهم الذين
انسلخوا من الدنيا والاحبار اي العلما الذين اسلموا بما استحفظوا من كتاب الله اي بسبب
ما طلب منهم وامروا به من الحفظ له وكانوا اي وبما كانوا عليه شهدا اي رقبا حاضرين
لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته اصلا فالاية كما ترى من فن الاحتباك ترك اولا
بما استحفظوا لدلالة ما ذكرهنا عليه وترك ذكر الاسلام هنا لدلالة ذكره اولا عليه وانما
خص الاول بذكر الاسلام لان الانبيا احق به وهو داع الى الحفظ قطعا وخص الثاني

بالاستحفاظ

بالاستحفاظ لان الاتباع اولى به وهو دال على الاسلام ولما كان هذا كله دالا على اليهود بما تركوا
من كتابهم ومدحا لمن راعاه منهم قال مخاطبا لهذه الامة كلها طايعها وعاصيها محذرا لها
مثل حالهم ومرغبا في مثل حال الانبيا والتابعين لهم باحسان مسببا عن ذلك فلا تخشوا الناس
اي في العمل بحكم من احكامي لسبب واخشوني اي فان ذلك حامل لكم على العدل والاحسان
فمن كان مسلما طايعا فليشدد طاعة ومن لم يكن كذلك فليبادر الى الانقياد والطاعة وهذا
شامل لليهود وغيرهم ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا اي من الرشى وغيرها لتبدلوها كما
بدل اهل الكتاب ولما كان التقدير فمن حكم بما انزل الله فاوليك هم المسلمون عطف
عليه ما افهمه من قوله ومن لم يحكم بما انزل الله اي تدينا بالاعراض عنه اعم من ان
يكون تركه له حكما بغيره او لا فاوليك اي البعدا من كل خير هم الخاسرون اي المختصون بالعراقة
في الكفر وهذه الايات من قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الى هنا نزلت في
الزنا ولكن لما كان السياق للمحاربة وكان كل من القتل وقطع الطريق والسرقة
محاربة ظاهرة مع كونه فسادا اصرح به ولما كان الزنا محاربة خفية بالنظر الى خشية
وحرمته وجرى في بعض الصور الى المحاربة وغير محاربة بالنظر الى كونه في الغالب عن
تراض وصاحبه غير مستتر بزي المحاربين لم يصرح في هذه الايات باسمه وان كانت نزلت
فيه روى البيهقي عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم انه قال في خطبته ان الله بعث محمدا
وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل عليه اية الرجم فتلوناها ان الله ورعيناها الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد رجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده الحديث وفي اخره ولولا اني اخشى ان يقول الناس
زاد في كتاب الله لاثبته في حاشية المصحف واصله في الصحيحين وغيرهما وللحاكم والطبراني
عن ابي امامة بن سهل عن خالته العجما رضي الله عنها بلفظ الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة وفي صحيح ابن حبان عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه
قال لزر بن حبيش كم تعدون سورة الاحزاب من اية قال قلت ثلثا وسبعين
قال والذي يحلف به كانت سورة الاحزاب توازي سورة البقرة وكان فيها
اية الرجم الشيخ والشيخة الحديث وللشيخين البخاري في مواضع ومسلم وابي داود وهذا
لفظه والترمذي في الحدود والنساي في الرجم عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ان
اليهود جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التورية في شان الزنا فقالوا نفضحهم
ويجلدون فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه كذبتم فاتوا بالتورية فنشروها فجعل
احدهم يده على اية الرجم فجعل يقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع
يدك فرفعها فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فرايت الرجل يحنا على المراة

مطلب في اية الرجم

بينها الحجارة وفي لفظ للبخاري في التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجدون في التورية اية الرجم فقالوا لا نجد فيها شيا فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين وفي لفظ له في التوحيد ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ولابي داود عن ابن عمر ايضا رضي الله عنهما قال اتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فاتاهم في بيت المدارس فقالوا يا ابا القسم ان رجلا منا زنا بامراة فاحكم فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها ثم قال ايتوني بالتورية فاتي بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التورية عليها ثم قال امنت بك وبمن انزلك ثم قال ايتوني باعلمكم فاتي بفتى شاب فذكر قصة الرجم نحو الذي قبله وسكت عليه ابو داود والحافظ المنذري في مختصره وسنن حسن ولمسلم وابي داود وهذا لفظه والنسائي وابن ماجه عن البرا بن عازب رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم فدعاهم فقال هكذا تجدون في التورية حد الزاني فقالوا نعم فدعا رجلا من علمايهم فقال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى اهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم فقال اللهم لا ولولا انك انشدتني بهذا لم اخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الرجل الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فنجتمع على شي نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد وتركنا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذا اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم توتوه فاحذروا الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون في اليهود الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الظالمون في اليهود الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك هم الفاسقون قال هي في الكفار كلها يعني هذه الاية وروى الدارقطني في اخر الحدود من السنن عن جابر رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي ويهودية قد زنيا فقال لليهود ما يمنعكم ان تقيموا عليهما الحد فقالوا كنا نفعل اذ كان الملك لنا فلما ان ذهب ملكنا فلا نجتري على الفعل فقال لهم ايتوني باعلم رجلين فيكم فاتوه بابني صوريا فقال لهما انتما اعلم من وراكما قالا يقولون قال فانشدكما بالله الذي انزل التورية على موسى كيف تجدون حدهما في التورية فقالا الرجل مع المراة دسه وفيه عقوبة والرجل على بطن المراة ريبة وفيه عقوبة فاذا شهد اربعة انهم راوه يدخل الميل في المكحلة رجم قال ايتوني بالشهود فشهد اربعة فرجمهما النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهذه الاية ملتفتة الى اية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الاية والتي بعدها اي التفات وتبين انه لما تركوا الحكم جرهم الى الكفر وليس في هذه الروايات كما ترى تقييد الرجم بالاحصان وكذا هو فيما هو موجود عندهم من التورية قال في السفر الثالث وعرم ثم علم الله موسى وقال له قل لبني

اسرائيل اي رجل من بني اسرايل ومن الذين يقبلون الى ويسكنون بين بني اسرايل الذي زرعه في امراة غريبة فقبل بكر الرجل قتلا يرجمه كل الشعب بالحجارة وانا ايضا انزل غضبي بذلك الرجل واهلكه من شعبه لانه القي زرعه في غرسه واراد ان ينجس مقدسي وان ينجس اسم تقديسي فان غفل شعب الارض عن الرجل الذي القي زرعه في غريبة ولم يوجبوا عليه القتل انزل غضبي بذلك الرجل وبقبيلته واهلكه واهلك من يضل به لانهم ضلوا بالنسا غريبات لسن لهم بحلال ثم قال الرجل الذي ياتي امراة صاحبه وامراة رجل غريب يقتلان جميعا والرجل والرجل الذي يرتكب ذكرا مثله فيرتكب منه ما يرتكب من النسا فقد ارتكب نجاسة يقتلا ودمهما في اعناقهما والرجل الذي يتزوج امراة وامها فقد ارتكب خطية تحرق بالنار هو وهي والرجل الذي يرتكب من البهيمة ما يرتكب من النسا يقتل قتلا والبهيمة ترجم ايضا والمراة التي ترقد بين يدي البهيمة لترتكب منها البلا تقتل المراة والبهيمة جميعا يقتلان ودمهما في اعناقهما والرجل الذي ياتي امراة طامثا ويكشف عورتها فقد كشف عن ينبوعها وهي ايضا كشفت دمها يهلكان جميعا من شعبهما وقال والرجل الذي ياتي امراة ابيه قد كشف هذا عورة ابيه يقتلان جميعا ودمهما في اعناقهما والرجل الذي ياتي كنته يقتلان كلاهما لانهما ارتكبا خطية ودمهما في اعناقهما والرجل الذي يتزوج اخته من امه او من ابيه ويرى عورتها وترى عورته هذا عار شديد يقتلان قدام شعبهم وذلك لانه كشف عورة اخته يكون اثمهما في روسهما لا تكشفن عورة عمك ولا خالتك لانها قرابتك ومن فعل ذلك يعاقب باثم فضيحته والرجل الذي ياتي امراة عمه قد كشف عورة عمه يعاقبان بخطيتهما ولم والرجل الذي يتزوج امراة اخيه قد ارتكب اثما لانه كشف عورة اخيه يموتان بل صرح برجم البكر فقال في السفر الخامس في من تزوج بكرا فادعى انه وجدها ثيبا وان كان قوله حقا ولم يجد ها عذرا تخرج الجارية الى بيت ابيها ويرجمها اهل القرية بالحجارة وتموت لانها ارتكبت جرما في بني اسرايل وزنت في بيت ابيها فحوا الشر عنكم وان وجد رجل يضطجع بامراة رجل يقتلان كلاهما الرجل والمراة جميعا انتهى فالاحاديث المقيدة بالاحصان في هذه القصة ينبغي ان تكون موجهة لان رواتها ظنوا ان العادة الاسلامية شرع لهم ولما كان ختام هذه الايات في ترهيب المعرض عن الحكم بما انزل الله مطابقا لقوله في اول سياق المحاربين ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون رجع الى القتل فقال وكتبنا عليهم فيها اي في التورية عطفا على قوله كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا بغير نفس واذا انعمت النظر وجدت ما بينها لشدة التفاته وقوة الداعية اليه كانه اعتراض ان النفس اي مقتولة قصاصا مثلا بمثل بالنفس اي بقتل النفس بغير وجه مما تقدم والعين اي تقلع بالعين اذا قلعت بغير شبهة والانف يجدع بالانف كذلك والاذن تصلم بالاذن على ما تقدم والسن بقلع بالسن اذا قلعت عمدا بغير حق والجروح اي التي تنضبط كلها قصاص مثلا بمثل سوا بسوا فمن تصدق به اي بعاصر القصاص ممن يستحقه سوا كان هو المجروح ان كان باقيا او وارثه ان كان

هالكا فهو اي التصدق بالقصاص كفارة له اي ستارة لذنوبه فمن لم يحكم بما انزل الله فاوليك
هم المسلمون لا نقيادهم في هذا الامر الصعب لامر الله ومن لم يحكم بما انزل الله اي تدينا
بالاعراض عنه سوا حكم بغيره اولا فاوليك هم الظالمون اي الذين تركوا العدل فضلوا
فصاروا كمن يمشي في الظلام وابدي ابو حيان وجها اخر من المناسبة حسنا وهو ان اليهود
كانوا الماغيروا حكم الزنا غيروا احكم القتل ففضلوا بني النضير على بني قريظة وخصوا ايجاب
القود على بني قريظة دون بني النضير يعني املا احكم الزنا حكم القتل قلت روي ابن
اسحق في السيرة في تحاكمهم في الزنا نحو ما تقدم ثم قال وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الايات من المايدة التي قال الله فيها فاحكم بينهم او اعرض عنهم
الى المقسطين انما نزلت في الدية بين بني النضير وبني قريظة وذلك ان بني النضير وكان لهم
شرف يودون الدية كاملة وان بني قريظة كانوا يودون نصف الدية فتحاكموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك
فجعل الدية سوا قال ابن اسحق فالله اعلم اي ذلك كان واخرجه النساي في سننه من طريق
ابن اسحق فالله اعلم اي ذلك كان واخرجه وروي من طريق اخر عن ابن عباس ايضا رضي
الله عنهما قال كان قريظة والنضير وكان النضير اشرف من قريظه وكان اذا قتل رجل
من قريظة رجلا من النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ادي مايه وسق
من تمر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه
الينا نقتله فقالوا بيننا وبينكم النبي فاتوه فنزلت وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط النفس بالنفس
ثم نزلت افحكم الجاهلية يبغون انتهى وهذا نص ما عندهم من التورية في القصاص قال
في السفر الثاني وكل من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا واذا تشاجر رجلان فاصابا امراة حبلى
فاخرجا جنينها ولم تكن الروح حلت في السقط فليغرم على قدر ما يلزمه زوج المراة وليود ما حكم
عليه الحاكم فان كانت الروح حلت في السقط فالنفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن
واليد باليد والرجل بالرجل والجراحة بالجراحة واللطمة باللطمة وقال في السفر الثالث بعد ذكر
الاعياد في الاصحاح السابع عشر ومن قتل انسانا يقتل به ومن قتل بهيمة يدفع الى صاحبها
مثلها والرجل يضرب صاحبه ويوثر فيه اثرا يعاب به يصنع به كما صنع والجروح قصاص
الكسر بالكسر والعين بالعين والسن بالسن كما يصنع الانسان بصاحبه كذلك يصنع به القضا
واحد لكم وللذين يميلون الي وقال في الثاني واذا ضرب الرجل عين عبده او امته ففقاه
فليعتقه بدل عينه واذا قلع سن عبده او امته فليعتقه بدل سنه وذكر احكاما كثيرة ثم
قال ومن ذبح للاوثان فليهلك لله وحده وقال في الرابع ومن يقتل نفسا لا يقتل الا ببينة
عادلة ولا تقبل شهادة شاهد واحد على قتل النفس ولا تقبلوا رشوة في انسان يجب عليه القتل
بل يقتل ولا تاخذ وامنه رشوة ليهرب الى قرية الملجا ليسكنها الى وفاة الحبر العظيم ولا تنجسوا
الارض التي تسكنونها لان الدم ينجس الارض والارض التي يسفك فيها الدم لا يغفر لذلك الارض

حتى

حتى يقتل القاتل الذي قتل وقال في الخامس ولا يقبل من قد وجب عليه القتل الا بشهادة
رجلين ولا يقتل بشهادة رجل واحد واذا رجمتم فالذي يشهد عليه فليبدا برجمه الشهود
اولا ثم يبدا به جميع الشعوب واهلكوا الذين يعملون الشر واستاصلوهم من بينكم وان
شهد رجل على صاحبه شهادة زور يقوم الرجلان قدام الحبر والقاضي فيفحصون عن امرهما
فحصا شديدا فان وجدوا رجلا شهد شهادة زور يصنعوا به مثل ما اراد ان يصنع
باخيه وتحرموا الشر من بينكم وعا نتوا بالحق ليسمع الذين يتقون فيفزعوا ولا يعودوا ان
يفعلوا مثل هذا الفعل القبيح ولا تشفق اعينكم على الظالم بل يكون نفسا بنفس
وعينا بعين ويدا بيد ورجلا برجل ولما كانت هذه الايات كلها مع ما فيها من الاسرار ناقضة
لما ادعوه من البنوة بما ارتكبوه من الذنوب من تحريف كلام الله وسماع الكذب واكل السحت
والاعراض عن احكام التورية والحكم بغير ما حكم الله اتبعها بما اتى به عيسى عليه السلام
الذي ادعى فيه النصارى البنوة الحقيقية والشركة في الالهية وقد اتى بتصديق التورية
في الشهادة على من خالفها من اليهود بالتبري من الله موكدا لما فيها من التوحيد الذي
هو عماد الدين واعظم اياتها التي اخذت عليهم بها العهود ووضعت في تابوت الشهادة
الذي كانوا يقدمونه امامهم في الحروب فان كانوا باقين على ما فيه من الميثاق نصروا والا
خذلوا او ناسخا لشريعتهم مجازاة لهم من جنس ما كانوا يعملون من التحريف وشاهدا على من اطراه
بالضلال فقال تعالى وقفينا اي اتبعنا اخرها وكذا كل ما بعدها من اياتهم الى اخر السورة
لا تخلو اية منها من التعرض الى نقض دعواهم لها بذكر ذنب او ذكر عقوبة عليه او ذكر
تكذيب لهم من كتابهم او نبيهم ومعنى قفينا اوجدنا التقفية وهي اتباع شي بعدمه فيكون اتيا
في قفاه لكونه وراه والقاو في مظهر العظمة لتعظيم شان عيسى عليه السلام على اثارهم اي النبيين
الذين يحكمون بالتورية وذكر الاثر يدل على انهم كانوا قد تركوا دينهم لم يبق منه الا رسم خفي
بعيسى ونسبه الى امه اشارة الى انه لا والد له فقال ابن مريم مصدقا اي في الاصول
وكثير من الفروع لما بين يديه اي لما اتى به موسى عليه السلام قبله من التورية
واشار الى انه ناسخ لكثير من احكامها بقوله واتيناه الانجيل اي انزلناه بعظمتنا عليه
كما انزلنا التورية على موسى عليه السلام ولما كان في الانجيل الحكم الذي يفهمه كل احد والمتشابه
الذي لا يفهمه الا الافراد من خلص العباد ولا يقف بعد فهمه عند حد دون الا المتقون
قال فيه اي اتيناه اياه بعظمتنا كاينا فيه هدى اي وهو الحكم يهتدي به كل من سمعه
الى صراط مستقيم ونور لا يدع بشي الصراط لبسا ولما كان الناسخ للشي بتغيير حكمه قد يكون
مكذبا له اعلم انه كذلك بل هو مع النسخ للتورية مصدق لها فقال مبينا لحال الانجيل
ومصدقا اي بكماله لما بين يديه من التورية فالاول صفة لعيسى عليه السلام والثاني
صفة لكتابه بمعنى انه هو والتورية والانجيل متصادقون فكل من الكتابين يصدق الاخر
وهو يصدقهما لم يتخالفوا في شي بل هو متخلق بجميع ما اتى به ولما كان المتقون خلاصة الخلق

فهم الذين ينزلون كلما في كتب الله من محكم ومتشابه علي ما يتحقق به انه هدي ويتطابق
به المتشابه والمحكم قال وهدي وموعظة للمتقين اي كلما فيه يهتدون ويتعظون فترق
قلوبهم ويعتبرون به ويتعلمون مرقس من حال الي حاله اعلي منها ذكر بعض ما يدل علي ذلك
من الانجيل الذي بين ظهراني النصاري الان وقد مرجت فيه كلام بعض الاناجيل ببعض
واغلب السياق لمتي وعسب بعض ما جا لعه قال لوقا وجا اليه قوم واخبروه خبر الجليليين الذين
خلط بيلاطس دماهم مع دم ذبايحهم فاجاب يسوع وقال لهم لا تظنوا ان اوليك الجليليين
اشد خطا من كل الجليليين اذ اصابهم هذه الاوجاع لا اقول لكم ان لم تتوبوا كلكم تهلكون
مثلهم وهولا يك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سيلوحا وقتلهم اتظنون انهم
اكبر جرما من جميع سكان برو سليم كلا اقول لكم ان لم تتوبوا فجميعكم تهلك وقال لهم سحرتهي
كانت لواحد مغروسة في كرمه فجا يطلب فيها ثمرة فلم يجد فقال الكرام هذه ثلاث سنين
اني واطلب منها ثمرة فلا اجد اقطعها ليلا تبطل الارض فقال له يارب دعها في هذه السنة
لانكحها واصلحها لعلها تثمر في السنة الاتية فان هي اثمرت والا اقطعها قال متي ولما نزل من
الجبل وتبعه جميع كبير واذا ابرص قد جا يسجد له وقال ان شيت انت قادر ان تطهرني فمد يده
ولمسه وقال له قد شيت فاطهر وللوقت طهر برصه وقال له يسوع لا تقل لاحد ولكن امض فارنا نفسك
للكاهن وقدم قربانا كما امر الرب موسي للشهادة عليهم وقال مرقس لشهادتهم قال لوقا فذاع عنه
الكلام وزاد واجتمع جمع كثير ليسمعوا منه وليستشفعوا من امراضهم واما هو فكان يمضي الي
البرية ويصلي هناك وقال متي ولما دخل كفرناحوم جا اليه قايد ماية فطلب اليه قايلا يارب
فتاي ملقي في البيت مخلع وسقيم جدا فقال له اني اتي وابريه فاجاب قايد الماية وقال يارب
لست مستحقا ان تدخل تحت سقف بيتي لكن قل كلمة فقط فيبرا فاني رجل تحت سلطان ولي جند
ان قلت لهذا اذهب ذهب ولهذا ايت اتي ولعبدي اعمل هذا اعمل فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين
يتبعونه الحق اقول لكم اني لم اجد مثل هذه الامانة في اسرايل اقول لكم ان كثيرا ياتون من
المشرق والمغرب وقال لوقا والشمال والتيمن سيكون مع ابرهيم واسحق ويعقوب قال لوقا وكل
الانبيا في ملكوت الله وانتم خارجا ويكون الاولون اخرين والاخرون اولين وقال متي في ملكوت السموات
والارض وبنوا الملكوت يلقون في الظلمة البرانية الموضع الذي يكون فيه البكا وصرير الاسنان
وقال يسوع لقايد الماية اذهب كما امنت يكن لك فبرا الفتي في تلك الساعة وقال لوقا ولما اكمل
جميع كلامه ودخل كفرناحوم وكان عبد لقايد الماية قد قارب الموت وكان كريما عنده فلما سمع يسوع
ارسل الي شيوخ اليهود يسلونه المجي ليخلص عبده فلما جاوا الي يسوع طلبوا منه باجتهاد وقالوا انه
مستحق ان يفعل معه هذا لانه محب لامتنا وهو بني لنا كنيسة فمضي يسوع معهم وفيما هو قريب
من البيت ارسل اليه قايد الماية اصدقاه قايلا يارب لا تعن فاني لا استحق ان تدخل تحت سقف بيتي
من اجل ذلك لم استحق ان اجي انا اليك لكن قل كلمة فيبرا فتاي فاني رجل ذو سلطان تحت يدي
جند فاقول لهذا امض فيمضي ولاخر ايت فياتي فلما سمع يسوع هذا تعجب منه والتفت الي الجمع

الذي

الذي يتبعه وقال الحق اقول لكم اني لم اجد في بني اسرايل مثل هذه الامانة فرجع المرسلون
الي البيت فوجدوا المريض قد برا وفي غد كان يسوع ماضيا الي مدينه اسمها نايين وتبعه
تلاميذه اجمع وجمع كبير فلما قرب من باب المدينة اذا محمول قد مات وحيد لامه
وكانت ارملة وجمع كبير من اهل المدينة معها فلما راها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي
وتقدم ولمس النعش فوقف الحاملون له وقال له ايها الشاب لك اقول قم واجلس فجلس
الميت وبدا يتكلم ودفعه لامه ولحقهم خوف ومجدوا الله قايلين لقد قام فينا نبي عظيم
وتعاهد الله شعبه بصلاح نذاع هذا الكلام في كل اليهودية وكل الكور التي حولها قال
وجا الي بيت سمعان واندراوس مع يعقوب ويوحنا فراي حماة سمعون في حمي شديدة
فقالوا له من اجلها فتقدم وامسك بيدها واقامها وقال متي فمس يدها فتركتها الحمي
وقامت تخدمهم وقال لوقا ونهضت للوقت تخدمهم فلما كان المسا قال مرقس عند
غروب الشمس قدموا اليه مجانين كثيرا قال مرقس ووقف جميع اهل المدينة علي الباب وابرا
كثيرا ممن به علل ردية واخرج شياطين كثيرا وقال متي وكان يخرج الارواح بكلمة
وابرا كل سقيم لكي يتم ما قيل في اشعيا النبي القايل انه اخذ امراضنا وحمل اوجاعنا وبحرا
جدا قام وخرج الي البرية ليصلي هناك وسمعون ومن معه يطلبونه فلما وجدوه قالوا ان
الجمع يطلبك فقال لهم سيروا بنا الي القري والمدن القريبة لنكرز فاني لهذا اتيت فاقبل
يبشر في مجمعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين وقال لوقا وفي هذا اليوم خرج وذهب الي موضع
قفر والجمع يطلبونه وجاوا اليه وامسكوه ليلا يمضي من عندهم فقال لهم انه ينبغي ان
ابشر في المدينة الاخري بملكوت الله لاني لهذا ارسلت وكان يكرز في مجامع الجليل وكان لما
اجتمع اليه جمع ليسمعوا كلام الله كان هو واقفا علي بحيرة جناشر فراي سفينتين موقفتين علي
شاطي البحيرة والصيادون قد صعدوا اليها ليغسلوا شباكهم فصعد الي احداهما التي لسمعان
وامر ان يبعدها عن الشط قليلا وجلس يعلم في الجمع من السفينة ولما اكمل كلامه قال
لسمعان تقدم الي اللج والقوا شباككم فقال يا معلم قد تعبنا الليل اجمع ولم ناخذ شيا وبكلمتك
نحن نلقي شباكنا ولما فعلوا ذلك اخذوا سمكا كثيرا وكادت شباكهم تتخرق واشاروا الي
شركايهم في السفينة الاخري ليانوا يعينوهم فلما جاوا ملاوا السفينتين حتي كادتا ان تغرق
فلما راي سمعان ذلك خر عند قدمي يسوع وقال له ابعد عني يا سيدي لاني رجل خاطي لان الخوف
اعتراه وكل من معه لاجل صيد الحيتان التي اصطادوا وكذلك يعقوب ويوحنا ابنا زبدي
اللذان كانا صديقي سمعان فقال يسوع لسمعان لا تخف من الان تكون صيادا تصيد الناس
وقربوا السفن الي الشط وتركوا كل شي وتبعه وقال متي فلما نظر يسوع الي الجمع الذين حوله
امر ان يذهبوا الي العبر فجا اليه كاتب وقال له يا معلم اتبعك الي حيث تمضي فقال له يسوع ان
للثعالب اوجارا ولطير السما اوكارا واما ابن الانسان فليس له موضع يسند اليه راسه قال
لوقا وقال لاخر اتبعني فقال يارب ايذن لي ان امضي اولا وادفن ابي فقال له يسوع اتبعني

ودع الموتى يدفنوا موتاهم وقال لاخر فقال بل تاذن لي اولا ان ارتب اهل بيتي فقال ما
من احد يضع يده على سكة الفدان وينظر الى ورايه يستحق ملكوت الله وقال متى فلما صعد
السفينه تبعه تلاميذه وقال لوقا صعد السفينه هو وتلاميذه وقال لهم امضوا بنا الى عبر
البحيرة فساروا وفيما هم سايرون نام واذا اضطراب عظيم كان في البحر حتى كادت الامواج
تغطي السفينه لان الريح كانت مضادة لهم وهو نايم فتقدم اليه تلاميذه وقالوا يارب وقال
مرقس وكانت رياح عواصف عظيمة وكانت الامواج تضرب السفينه وتدخلها المياه حتى
كادت تمتلي وهو نايم في موخرها على وسادة فايقظوه وقالوا له يا معلم نجنا فقد هلكنا
فقال لهم ما خافكم يا قليلي الايمان ثم حينيذ قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدو عظيما
ثم قال متى فلما صعد السفينه وجا الى العبر دخل مدينته فقدم اليه مخلع ملقى على سرير وفي انجيل
مرقس ولوقا انهم ارادوا الدخول به اليه فلم يقدروا لكثرة الجمع فصعدوا الى السطح ودلوه بسرير
اليه حينيذ قال للمخلع قم احمل سريرك واذهب الى بيتك فقام ومضى الى بيته فنظر الجمع وتعجبوا
ومجدوا الله الذي اعطا هذا السلطان هكذا للناس وقال يوحنا في انجيله وبعد هذا كان
عيد اليهود فصعد يسوع الى يروشليم وكان هناك بيروشليم مكان يسمى بالعبرانيه بيت الرحمة
وكان فيه خمسة اروقة وكان خلق كثير من المرضى مطرحين فيها عمي ومقعدون وجافون
وكانوا يتوقعون تحريك الما لان ملاكا كان ينزل الى الصهريج حين بعد حين وكان يحرك الما والذي
كان ينزل فيه اولا بعد حركة الما يبرا من كل الوجع الذي به وكان هناك رجل سقيم منذ ثمان
وثلاثين سنة فنظر اليه يسوع ملقى فقال له اتحب ان تبرا فقال نعم يا سيدي ولكن ليس لي
انسان اذا تحرك الما يلقيني في البركة اولا فالى ان اجي انا ينزل قدامي اخر فقال له قم احمل
سريرك وامض فمن ساعته برا ونهض حاملا سريره وكان ذلك يوم السبت فقال له اليهود انه يوم
سبت ولا يحل ان تحمل سريرك فاجابهم الذي ابراني هو قال لي احمل سريرك وامش فسالوه
من هو فلم يكن يعلم من هو لان يسوع كان قد استتر في الجمع الكثير الذي كان في ذلك الموضع ثم
قال وقال لهم يسوع لقد عملت عملا واحدا فتعجبتم باجمعكم اعطاكم موسى الختان وليس هو من موسى
ولكنه من الابا وقد تختنون الانسان يوم السبت لكيلا تنقضوا سنة موسى فلم تنقمون
على لاني ابرات الانسان يوم السبت لا تحكموا بالمحابات لكن احكموا حكما عدلا ثم قال فبينما هو مار
راى رجلا ولد اعمى فقال تلاميذه يا معلم من اخطا هذا ام ابوه حتى انه ولد اعمى فقال لا
هو ولا ابوه ولكن لتظهر اعمال الله فيه ينبغي ان اعمل اعمال من ارسلني ما دام النهار سياتي
الليل الذي لا يستطيع احد ان يعمل فيه عملا ما دمت في العالم انا نور العالم قال هذا وتفل
على التراب وصنع من تفله طينا وطلى به عيني ذلك الاعمى وقال له امض واغتسل في عين
سيلوحا التي تاويلها المبعوث فمضى واغتسل فعاد ينظر فاما جيرانه والذين كانوا يرونه
يسول فقالوا اليس هذا هو الذي كان يجلس ويسول واخرون فقالوا انه واخرون قالوا انه
يشبهه فاما هو فكان يقول اني انا هو فقالوا له كيف تفتحت عيناك فقص عليهم فقالوا اين

هوذاك

هو ذاك فقال ما ادري فاتوا به الى الفريسيين لان يسوع صنع الطين يوم السبت فسالـه
الفريسيون كاخرهم فقال قوم منهم ليس هذا الرجل من الله اذ لا يحفظ السبت واخرون قالوا
كيف يقدر رجل خاطي ان يعمل هذه الايات فوقع بينهم لذلك شقاق فقالوا للاعمى ما تقول
انت من اجله قال لهم انه نبي ولم يصدق اليهود انه كان اعمى حتى دعوا ابويه وسالوهما فقالا
نحن نعلم ان هذا ولدنا وانه ولد اعمى ووقعت بين الاعمى وبينهم محاورة كان اخرها قالوا
له انت ولدت بالخطايا وانت تعلمنا واخرجوه وقال متى واجتاز يسوع هناك فراى انسانا
جالسا على التصبين اسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه وقال لوقا وبعد هذا خرج فنظر الى
عشار اسمه لاوي جالسا على المكس فقال له اتبعني فترك كل شي وقام وتبعه وصنع له لاوي
في بيته وليمة عظيمة وكان جمع كثير من العشارين واخرون متكيون معه وقال مرقس ثم
خرج الى شاطي البحر واجتمع اليه جمع كثير وعلمهم وعند مضيه راى لاوي بن حلفا جالسا على العشارين
فقال له اتبعني فقام وتبعه وبينما هو متكي في بيته وقال متى وفيما هو متكي في بيت سمعان جا
عشارون وخطاه كثيرون فاتكوا مع يسوع وتلاميذه فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه
لماذا معلمكم ياكل مع العشارين والخطاه فلما سمع يسوع قال لهم الاصحا لا يحتاجون الى طبيب لكن
ذوو الاسقام اذهبوا فاعلموا ما هو اني اريد رحمة لا ذبيحة لم ات لادعوا الصديقين لكن الخطاه
للتوبة وقال لوقا وطلب اليه واحد من الفريسيين ان ياكل معه فدخل بيت ذلك الفريسي وجلس
وكان في تلك المدينه امراة خاطية فلما علمت انه متكي في بيت الفريسي اخذت قارورة طيب ووقفت
من ورايه عند رجليه باكية وبدات تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر راسها وكانت تقبل
قدميه وتدهنهما بالطيب فلما راى ذلك الفريسي الذي دعاه فكر في نفسه قايلا لو كان هذا
نبيا علم ما هذه ولانها خاطية فاجاب يسوع وقال له يا سمعان عندي ان عليها لانسان دين على
اخر خمسماية دينار وعلى الاخر خمسون ولم يكن لهما ما يوفيان فوهب لهما فايهما اكثر حبا له فقال
اظن الذي وهب له الاكثر فقال له بالحق حكمت ثم التفت الى المراة وقال يا سمعان دخلت بيتك
فلم تسكب على رجلي ما وهذه بلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر راسها انت لم تقبلني وهذه
منذ دخلت لم تكف من تقبيل قدمي انت لم تدهن راسي بزيت وهذه دهنت بالطيب قدمي
لاجل ذلك اقول لك ان خطاياها مغفورة لها لانها احبت كثيرا ثم قال لها اذهبي بسلام ايمانك
خلصك وكان بعد ذلك يسير الى كل مدينة وقرية ويبشر بملكوت الله ومعه الاثني عشر ونسوة كن
ابرا من امراض والارواح الخبيثه مريم التي تدعى المجدلانيه التي اخرج منها سبعة شياطين
ويونا امراه خوزي خازن هيرودس واخر كثيرات وقال متى حينيذ جا اليه تلاميذ يوحنا
قايلين لماذا نحن والفريسيون نصوم كثيرا وتلاميذك لا يصومون فقال لهم يسوع لا يستطيع بنو
العرس ان ينوحوا ما دام العريس معهم وستاتي ايام اذا ارتفع العريس عنهم حينيذ يصومون
ليس احد ياخذ خرقة جديدة يجعلها في ثوب بالي لانها تاخذ ملاها من الثوب فيصير الخرق اكبر
وقال مرقس انه لا يرقع انسان ثوبا باليا بخرقة جديدة لا الجديد البالي فتخرقه وقال متى ولا يجعل

خمر حديده في زقاق عتق تنشق الزقاق وتهلك وتهراق الخمر لكن تجعل خمر جديده في زقاق
جديد فتحفظان قال لوقا وما من احد يشرب فربما يحب الجديد للوقت لانه يقول ان القديم
اطيب وقال متى وفيما هو يكلمهم واذا رئيس قد جا اليه ساجدا قايلا ان ابنتي ماتت الان
تأتي فتضع يدك عليها فتحيا فقام يسوع وتبعه تلاميذه واذا امراة بها نزف دم منذ اثنتي عشر
سنة قال مرقس اعتب من الاطبا انفقت كل ما لها لم تجد راحه بل تزداد وجعا فلما سمعت
يسوع فاتت جات من خلفه ومست طرف ثوبه فالتفت يسوع فراها فقال لها ثقي يا ابنه
ايمانك خلصك فبراه المراة في تلك الساعه وجا يسوع الى بيت الرئيس قال مرقس ولم يدع
احد ايتبعه الا بطرس ويعقوب ويوحنا اخا يعقوب انتهى فنظر الى الجمع مضطربين فقال
لهم اخرجوا لم تمت الجارية لكنها نايمة فضحكوا منه فلما خرج الجمع دخل وامسك بيدها فقال للجارية
وقال مرقس واخرج جميعهم واخذ معه ابا الصبية وامها والذين معه ثم دخل الى الموضع الذي فيه
الصبية موضوعة واخذ بيدها وقال لها طليثا قوم الذي تاويله يا صبية لك اقول قومي فللوقت
قامت الصبية ومشت وكان لها اثنتي عشر سنة فبهتوا وعجبوا عجبا عظيما فامرهم كثيرا ان لا يعلموا
احدا بهذا وقال اطعموها تاكل وقال متى وخرج خبرها في جميع تلك الارض ولما كان التقدير
اتيناه مكن ليبتني اهل التورية عما انتسخ منها عطف عليه قوله **وليحكم** في قراة حمزة بكسر اللام
والنصب والتقدير على قراة الجماعة بالاسكان والتقدير على قراة والجزم فليبنه اهل التورية عما نسخ
منها وليحكم **اهل الانجيل بما انزل الله فيه** ولما كان التقدير فمن ابى فاوليك هم المسلمين ومن
حكم بما انزل الله فيه فاوليك هم المفلحون عطف عليه قوله **ومن لم يحكم بما انزل الله** اي فيه او في
غيره وهو غير منسوخ تدينا بتركه **فاوليك هم الفاسقون** اي المختصون بكمال الفسق وهذا اشارة
الى ذنوب اهل الانجيل ليس نقض دعواهم البنوة والمحبة لان المعنى ومن الواضح بكتابك
الذي جعل مهيمنا على جميع الكتب انهم خالفوا احكامه فهم فاسقون اي خارجون عما من
شانه الاستقرار فيه لنفعه فواقعون في الظلمة الموجبة لوضع الشي في غير موضعه المقتضية
للتغطية والستر وقدم الوصف بالكفر لان السياق لمن حرف الكلم عن مواضعه وغير ما كتب
من محكم احكام التورية من الحدود ونكسه هوا لتغطيه التي هي معنى الكفر لانه من الظلام
كما ان الفسق سبب الظلم لانه الخروج عما من شانه النفع فكان الاخر اولى في المعنى والاول
نهاية في الحقيقه والاية داله على ان فيه احكاما وكذا قوله تعالى في ال عمران ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم وهذا هو الحق فاعظم ما غير تحريم السبت الذي كان اعظم شعايرهم فاحله
وغير ايضا غير ذلك من احكامهم قال فيما قراته في ترجمة الانجيل متى سمعتم ما قيل للاولين لا تقتل
فان من قتل وجبت عليه لايمة الجماعة ومن قال لاخيه احمق فقد وجبت عليه نار جهنم ان انت
قدمت قربانك على المذبح وذكرت هناك ان اخاك واجد عليك فدع قربانك قدام المذبح وامض
اولا وصالح اخاك ثم ايت وقدم قربانك كن منصفا لمن خصمك سريعا ما دمت معه في الطريق
ليلا يسلمك الخصم الى الحاكم والحاكم الى المستخرج وتلقى في السجن وفي انجيل لوقا اذا رايتم سحابة

تطلع

تطلع من المغرب قلتم ان المطر ياتي فيكون كذلك واذا هبت ريح الجنوب قلتم سيكون حرا
مرايين تحسنون تمييز وجه السما والارض وهذا الزمان كيف تميزونه ولا تحكمون بالصدق من
قبل نفوسكم لانك اذا ذهبت مع خصمك الى الرييس فاعط ما يجب عليك في الطريق تتخلص منه
ليلا يذهب بك الى الحاكم فيدفعك الحاكم الى المستخرج ويلقيك المستخرج في السجن وقال
متى الحق الحق اقول لكم انك لا تخرج من هناك حتى تودي اخر فلس عليك سمعتم ما قيل للاولين لا
تزنون وانا اقول لكم ان كل من نظر الى امراة واشتهاها فقد زنا بها في قلبه ان شككتك عينك
اليمنى فاقلعها والقها لانها خير لك ان تهلك احد اعضايك ولا يلقى جسدك في جهنم قيل ان من طلق
امراته من غير كلمة زنا فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنا وايضا سمعتم ما قيل للاولين
لا تحنث في يمينك واوف الرب قسمك وانا اقول لكم لا تحلفوا البته لا بالسما فانها كرسي الله ولا بالارض
لانها موطي قدميه ولا بيبت شليم فانها مدينة الملك العظيم ولا براسك لا تقدر تصنع شعرة بيضا او
سودا ولتكن كلمتكم نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من الشر سمعتم ما قيل العين بالعين والسن
بالسن وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر ولكن من لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر ومن اراد خصو
واخذ ثوبك فدع له رداك ومن سخرك ميلا فامض معه اثنين قال لوقا وكل من سالك فاعطه منك
ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده ولا تطلب من الذي ياخذ مالك وكما تحبون ان يصنع الناس
بكم كذلك فاصنعوا انتم بهم وقال متى سمعتم ما قيل احبب قريبك وابغض عدوك وانا اقول لكم
حبوا اعداكم وباركوا لاعنيكم واحسنوا الى من ابغضكم وقال لوقا يبغضكم وصلوا على من يطردكم
ويجرنكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه المشرق شمسه على الاخيار والاشرار والممطر
على الصديقين والظالمين واذا احببتم من يحبكم فاي اجر لكم اليس العشارون يفعلون مثل ذلك وان
سلمتم على اخوتكم فقط فاي فضل عملتم اليس كذلك يفعل العشارون وقال لوقا ان كنتم انما تحبون من
يحبكم فاي اجر لكم ان الخطاة يحبون من يحبهم وان صنعتم الخير مع من يحسن اليكم فاي فضل لكم ان
الخطاة هكذا يصنعون وان كنتم انما تقرضون من تظنون انكم تاخذون العوض منه فاي فضل لكم
الخطاة ايضا يقرضون الخطاة لكي ياخذوا منهم العوض لكن حبوا اعداكم واحسنوا اليهم وكونوا
رحما مثل ابيكم فهو روف وقال متى كونوا انتم كاملين مثل ابيكم السماي فهو كامل ثم قال في
الفصل الثالث والثلثين وفي ذلك الزمان مر يسوع في سبت بالزروع وجاع تلاميذه فبدوا يفركون
سنبلا وياكلون وفي لوقا كان تلاميذه يقطعون السنبل ويفركون بايديهم وياكلون فلما ابصرهم
الفريسيون قالوا له ها هوذا تلاميذك يعملون ما لا يحل في السبت وفي لوقا لماذا تفعلون ما لا يحل
ان يفعل في السبوت فقال لهم اما قراتم ما صنع داود لما جاع هو والذين معه كيف دخل الى بيت
الله واكل خبز التقدمة الذي لا يحل اكله الا للكهنة قال مرقس واعطى الذين كانوا معه ثم قال
لهم السبت من اجل الانسان كان ولم يخلق الانسان من اجل السبت قال متى اوما قراتم في الناموس
ان الكهنة في السبت في الهيكل ينجسون السبت وليس عليهم جناح اقول لكم ان ههنا اعظم من الهيكل
لو كنتم تعلمون ما هو مكتوب اني اريد الرحمة لا الذبيحة لم تحكموا على من لا ذنب له وقال لوقا ودخل

بيت احد الروسا الفريسيين في سبت ليا كل خبزا وهم كانوا يرصدونه فاذا انسان به استسقا
فقال يسوع للكهنه والفريسيين هل يحل ان يبرا في السبت فسكتوا وابراه ثم قال لهم من منكم
يقع ابنه في بير يوم السبت ولا يصعده في الوقت فلم يقدروا ان يجيبوه عن هذا ثم قال متي نجا
الفريسيون ليجربوه قايلين هل يحل للانسان ان يطلق امراته لاجل كل كلمة اجاب اما قراتم ان الذي
ان الذي خلق في البد خلقهما ذكرا وانثى من اجل ذلك يترك الانسان اباه وامه ويلصق بامراته
ويكونان كلاهما جسدا واحدا اوليس هما اثنين لكن جسد واحد وما زوجه الله لا يفرقه الانسان
وقال مرقس لا يقدر انسان يفرقه وقالوا له لماذا امر موسى ان يعطى كتاب الطلاق ويخلى
وقال لهم موسى من اجل قسوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساكم وفي مرقس انهم لما سالوه
قال لهم بماذا اوصاكم موسى قالوا امر ان يكتب كتاب الطلاق ويخلى قال لهم يسوع من
اجل قسوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصية من البدا لم يكن هكذا واقول لكم من طلق امراته
من غير زنا فقد الجاها الى الزنا ومن تزوج مطلقه فقد زنى وفي انجيل مرقس وفي البيت ايضا
ساله التلاميذ عن هذا فقال لهم من طلق امراته وتزوج اخرى فقد زنى عليها وان هي خلت
زوجها وتزوجت اخر فهي زانية وفي لوقا كل من يطلق امراته ويتزوج اخرى فهو يزني وكل من
تزوج مطلقه من زوجها فهو يزني قال متى فقال له التلاميذ ان كان هكذا علة الرجل مع امراته
فخير له ان لا يتزوج فقال لهم ما كل احد يستطيع هذا الكلام الا الذين قد اعطوا الان خصيان
ولدوا من بطون امهاتهم وخصيان اخصاهم الناس وخصيان اخصوا نفوسهم من اجل ملكوت
السموات والارض فمن استطاع ان يحتمل فليحتمل ولما ذكر سبحانه الكتابين ذكر ختامهما وتمامها
وهو ما انزل الي هذا النبي الامي من الفرقان الشاهد على جميع الكتب التي قبله فقال تعالى
وانزلنا اي بعظمتنا **اليك** اي خاصة **الكتاب** اي الكامل في جمعه لكل ما يطلب منه **بالحق**
اي الكامل الذي لا يحتاج الى تتمة ثم مدحه بمدح الانبيا الذين تقدموه فقال **مصدقا**
لما بين يديه اي تقدمه **من الكتاب** اي الذي جا به الانبيا من قبل **ومهيمنا** اي شاهدا
حفيظا وامينا ورقيبا **عليه** اي على كل كتاب تقدمه وفي هذه الصفة بشارة بحفظه سبحانه
لكتابنا حتى لا يزال بصفة الشهادة فان الله تعالى استحفظهم كتبهم فعجزوا عنها فحرفوها فحرفوهم
واسقطوا منها ما سر نوهم فتكفل هو سبحانه بحفظ كتابنا فكان فيما يليها فما كان فيها موافقا
له فهو حق وما كان فيها مخالفا فهو اما منسوخ او مبدل فلا يعتبر بل يحكم بما في كتابنا لانه
ناسخ لجميع الكتب والاتي به مرسل الي جميع العالمين فلذلك ناسخه لجميع الملل فانتج هذا وجوب
الحكم بما فيه على الموالف والمخالف بشرطه فلذا قال مسببا عما قبله **فاحكم بينهم** اي بين جميع
اهل الكتاب فغيرهم من باب الاولي **بما انزل الله** اي اليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم
المهيمن عليها في اثبات ما اسقطوا منها من امرهم باتباعك ونحو ذلك من اوصافك **ولا**
تتبع اهواهم فيما خالفه متحرفين **عما جاك من الحق** ولما كان كل من كتابهم من عند الله كان
كانه قيل كيف يكون الحكم بكتابهم الذي يصدق كتابنا انحرافا عن الحق على ذلك دالا على

النسخ

النسخ بقوله **لكل** اي لكل واحد **جعلنا** ثم خصص الابهام بقوله **منكم** اي يا اهل الكتب
شرعة اي دينا موصلا الى الحياة الابدية كما ان الشرعة موصلة الى الما الذي به الحياة
الدنيوية **ومنهاجا** اي طريقا واضحا مستنيرا ناسخا لما قبله وقد جعلنا شرعتك ناسخة لجميع
الشرايع **ولو شا الله** اي الملك الاعظم المالك المطلق الذي له التصرف التام والامر الشامل
العام ان يجمعكم على شي واحد **لجعلكم امة واحدة** ولم يجعل شيا من الكتب ناسخا لشي من
الشرايع **ولكن** لم يشا ذلك بل شا ان يكونوا على شرايع مختلفة **ليبلوكم** اي ليعاملكم
معاملة المبتلي المختبر **فيما اتاكم** من الشرايع المختلفة ليبرز الى الوجود ما تعملون في ذلك
من اتباع واذعان اعتقادا ان ذلك مقتضى الحكمة الالهية فترجعون عنه اذا قامت البراهين
المعجزات على صدق ناسخه ونهضت الادلة البينات على صحة دعواه على بعد طول الالف له
واخلاد النفوس اليه واستحكامه بمرور الاعصار وتقلب الادوار وزيغ وميل اليهما وتحريا
كما فعل اول المتكبرين ابليس فتوثرون الركون اليه والعكوف عليه لمتابعة الهوى والوقوف
عند مجرد الشهوة ولما كان في الامتحان اعظم تهديد سبب عنه قوله **فاستبقوا الخيرات** اي
افعلوا في المبادرة اليها بغاية الجهد فعل من يسابق شخصا يخشى العار بسبقه له ثم علل ذلك
بقوله **الى الله** اي الشارع لذلك لا الى غيره **مرجعكم جميعا** وان اختلفت مذاهبكم حسا في
القيمة ومعنى في جميع اموركم في الدارين **فينبئكم** اي يخبركم اخبارا عظيما **بما كنتم فيه**
تختلفون اي ويعطي كلا ما يستحقه ويظهر سر الاختلاف وفايدة الوفاق والايتلاف ولما
كان الامر بالحكم فيما مضى لكونه مسببا عما قبله من انزال الكتاب على الاحوال المذكورة
اعاد الامر سبحانه مصرحا بذلك بذاته لا لشي اخر ليكون الامر به موكدا غاية التاكيد بالامر
به مرتين مرة لان الله امر به واخرى لانه على وفق الحكمة فقال تاكيدا له وسرتيبها بعظيم
شانه ومحذرا من الاعدا فيما يلقونه من الشبه للصد عنه **وان** اي احكم بينهم بذلك
لما قلنا من السبب وما ذكرنا من العلة في جعلنا لكل دينا ولانا قلنا امرين لك ان **احكم**
بينهم بما انزل الله اي لانه يستحق ان يتبع امره لذاته وبين ان مخالفتهم له واعراضهم
عنه انما هو بمجرد هوى لان كتابهم داع اليه فقال **ولا تتبع اهواهم** اي في عدم التقيد به
واحذرهم ان يفتنوك اي يخالطوك بكذبهم لطوله بكذبهم على الله واخترايهم وتحريفهم الكلم
ومراهم مخالطة تميلك **عن بعض ما انزل الله** اي الذي لا اعظم منه فلا وجه اصلا للعدول
عن امره **اليك فان تولوا** اي عما حكمت به بينهم **فاعلم انما يريد الله** اي الذي له جميع العظمة
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي التي هذا منها وابهمه زيادة في استدراجهم واضلالهم وتحذيرا
لهم من جميع مساوي اعمالهم ليلا يعلموا عين الذنب الذي اصيبوا به فيحملهم ذلك على الرجوع عنه
ويصير ذلك كالالجا ولما كان التقدير فانهم بالقولي فاسقون عطف عليه **وان كثيرا من الناس**
اي منهم وغيرهم **لفاسقون** اي خارجون عن دايرة الطاعات ومعادن السعادات ولما كان
من المعلوم ان من اعرض عن حكم الله اقبل ولا بد على حكم الشيطان الذي هو عين الهوى

الذي هو دين اهل الجهل الذين لا كتاب لهم حادي ولا شرع ضابط سبب عن اعراضهم
للانكار عليهم بقوله افحكم الجاهلية اي خاصة يبغون اي يريدون باعراضهم عن حكمك
مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهد به كتابك بالعجز عن معارضته من وجوب رسالتك
الى جميع الخلايق ولما كان حسن الحكم تابعا لاتقانه وكان اتقانه دايرا على صفات الكمال من
تمام العلم وشمول القدرة وغير ذلك قال معلما ان حكمه احسن الحكم عاطفا على ما تقديره لم اضل
منهم ومن ويجوز ان يكون الجملة حالا من واو يبغون اي يريدون ذلك والحال انه يقال
من احسن من الله اي المستجمع لصفات الكمال حكما ثم زاد في تقريعهم بكثافة الطباع وجمود
الاذهان ووقوف الافهام بقوله لقوم اي فيهم نهضة وقوة محاولة لما يريدون وله يوقنون
اي يوجد منهم اليقين يوما ما وفي ذلك ايضا غاية التبكيت لهم والتقبيح عليهم من حيث انهم لم
يزالوا يصفون اهل الجاهلية بالضلال وان دينهم لم ينزل الله به من سلطان وقد عدلوا
في هذه الاحكام اليه تاركين جميع ما انزل من الله من كتابهم والكتاب الناسخ له فقد اركبوا
الضلال بلا شبهة على علم وتركوا الحق المجمع عليه ولما بين عنادهم وان عداوتهم لاهل هذا
الدين التي حملتهم على هذا الامر العظيم ليس بعدها عداوة نهى من اتسم بالايمان عن موالاتهم
لانه لا يفعلها بعد هذا البيان يومن ولا عاقل فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان
ولما كان الانسان لا يوالي غير قومه الا باجتهاد في مقدمات يعملها واشيا يسحب بها الى اوليك
الذين يريد ان يواليهم اشار الى ذلك بصيغة الافتعال فقال لا تتخذوا اي ان ذلك لو كان
تباني بسهولة لما كان ينبغي لكم ان تفعلوه فكيف وهو لا يكون الا ببذل الجهد اليهود والنصارى
اوليا اي اقربا تفعلون معهم ما يفعل القريب مع قريبه وترجون منهم مثل ذلك وهم اكثر
الناس استخفافا بكم وازدراءً لكم ثم علل ذلك بقوله بعضهم اوليا بعض اي كل فريق منهم يوالي
بعضهم بعضا وهم جميعا متفقون وان اختلفوا في الدين على عداوتكم يا اهل هذا الدين الحنيفي ومن
يتولهم منكم اي يعاملهم معاملة الاقربا فانه منهم لان الله غني عن العالمين فمن والى اعداه
تبرا منه ووكله اليهم ثم علل ذلك بقوله ان الله وكان الاصل لا يهديهم ولكنه اظهر تعميما وتعليقا
للحكم بالوصف فقال لا يهدي القوم الظالمين اي الذين يضعون الاشيا في غير مواضعها فهم
يمشون في الظلام فلذلك والوا من لا يصلح موالاته ونفي الهداية عنهم دليل على ان العز في الايمان
القلب اذ معناه ان هذا الذي يظهر من الاقرار ممن يواليهم ليس بشي لان الموالي لهم ظالم بموالاته
لهم والظالم لا يهديه الله فالمولى لهم لا يهديه الله فهو كافر وهكذا كل من كان يقول او يفعل
ما يدل دلالة ظاهرة على كفره وان كان يصرح بالايمان والله الهادي ولما علل ذلك كان
سببا لتمييز الخالص الصحيح من المغشوش المريض فقال فترى اي فتسبب عن ذلك انك
ترى الذين في قلوبهم مرض اي فساد في الدين يسارعون فيهم اي في موالاة اهل الكتاب
كان هذا الكلام الناهي لهم كان اغرا ويتعللون بما لا يقبل به الامر بغض الدين من النظر الى
مجرد السبب في النصرة عند خشية الدواير يقولون اي قايلين اعتمادا عليهم وهم اعدا الله

نخشى

نخشى ان تصيبنا دايرة اي مصيبة تحيط بنا ولما نصب سبحانه هذا الدليل الذي يعرف
به الخالص من المغشوش وكان فعلهم هذا الخالص سببا في ترجي امر من عند الله بنصرته
دينه اما الفتح او غيره من احاط به علمه وكونته قدرته يكون سببا للندم منهم فلذا قال فعسى الله
اي لا اعظم منه فلا يطلب النصر الا منه ان ياتي بالفتح اي باظهار الدين او امر من عنده
باخذهم قتلا بايديكم ونحو ذلك فينكشف لهم الغطا فيصبحوا اي فتسبب عن كشف غطايهم
ان يصبحوا على ما اسروا في انفسهم اي من تجويز محو هذا الدين واظهار غيره عليه نادمين ويقول
الذين امنوا من رفعه عطفه على معنى نادمين فان اصله يندمون ولكنه عبر بالاسم اعلاما
بدوام ندمهم بشارة بدوام الظهور لهذا الدين على كل دين ومن اسقط الواو جعله حالا
ومن نصبه جاز ان يعطفه على يصبحوا ان يكون ذلك مسببا لتحقق المومنين امر المنافقين
بالمنازعة في اهل الكتاب عند قيامهم من رايهم والندم عند خذلانهم ومحقهم فيقول
بعضهم لبعض تنبيها وانكارا اهولاء اي الحقيرون الذين اقسموا بالله اي وهو الملك الاعظم
جهد ايمانهم اي مبالغين في ذلك اجترا على عظمته انهم لمعكم ثم ابتدا جوابا لمن كانه قال
فماذا يكون حالهم فقال حبطت اي فسدت فسقطت اعمالهم فاصبحوا اي فتسبب على ذلك
انهم صاروا خاسرين اي دائمي الخسارة وعبر بالاصباح لانه اقبح من مصابحة السو لما في ذلك
من البعث بخلاف ما ينتظر ويومل ولما نهى عن موالاتهم واخبر ان فاعلها منهم نفي الجان
مصرحا بالمقصود فقال مظهرا لنتيجة ما سبق يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان من
يواليهم منكم هكذا كان الاصل ولكنه صرح بان ذلك ترك للدين فقال من يرتد منكم
عن دينه ان الذي معناه موالاة اوليك الله ومعاداة اعداء الله فيوالون اعداه ويتركون
اولياه فيبغضهم الله ويبغضونه ويكونون اعزة على المومنين اذلة للكافرين فالله غني عنهم
فسوف ياتي الله اي بماله من الجلال وان طال المدى بوعد صادق لا خلف فيه بقوم يكون حالهم
ضد حالهم يثبتون على دينه يحبهم فيثبتهم عليه ويثيبهم بكرمه احسن الثواب ويحبونه
فيثبتون عليه ثم وصفهم بما يعرف ذلك فقال اذلة ولما كان ذلك هنا في الحقيقة عزا اشار
اليه بحرف الاستعلا مضمنا له معنى الشفقة فقال على المومنين اي لعلمهم ان الله يحبهم
اعزة على الكافرين لعلمهم ان الله خاذلهم ويهلكهم وان اشتد امرهم وظهر علوهم وقهرهم
فالاية من الاحتباك حذف اولا البعض وما يثمره لدلالة الحب عليه وحذف ثانيا الحب
لدلالة البراءة عليه ثم علل ذلك بقوله يجاهدون في سبيل الله اي لا لشي غير ذلك ولما كان
المنافقون يخرجون في الجهاد فضلهم عنهم بقوله ولا اي والحال انهم يخافون لومة لايم
فيسبب ذلك يفعلون في الجهاد جميع ما تصل قدرتهم ويبلغ قوتهم اليه من انكا الاعدا واهانتهم
ومناصرة الاوليا ومعاضدتهم ولما كانت هذه الاوصاف من العلو في رتب المدح بمكان لا يلحق
قال مشيرا اليها باداة البعد واسم المذكر ذلك فضل الله اي الحاوي لكل كمال يوتيه من
يشا اي فليبذل الانسان كل الجهد في طاعته لينظر اليه هذا النظر برحمته والله واسع اي

عليم اي بالغ العلم محيطا بجميع اوصاف الكمال فهو يعطي من سعته ليس لها حد ولا يخفى اصلا بعض
بمن يستحق الخير ومن ليستوجب غيره ولما نفى سبحانه ولاء بعضهم بمعنى المحبة وبمعنى النصرة وبمعنى القرب
بكل اعتبار انتج ذلك حصر ولايته كل من يدعي الايمان وفي ولاية به فقال انما وليكم الله اي
لانه القادر على ما يلزم الولي ولا يقدر غيره على شيء من ذلك الا به سبحانه ولما ذكر الحقيق
باخلاص الولاية له اتبعه من تعرف ولايته سبحانه بولايتهم بادما باحقهم فقال ورسوله
واضافه اليه اظهارا لرفعته والذين امنوا اي اوجدوا الايمان واقروا به ثم وصفهم بما يصدق
دعواهم الايمان فقال الذين يقيمون الصلاة اي تمكينا لوصلتهم بالخالق ويؤتون الزكوة احسانا
الى الخلايق وقوله وهم راكعون يمكن ان يكون معطوفا على يقيمون اي ويكونون من اهل
الركوع فيكون فصلا مخصصا بالمسلمين وذلك لان اليهود والنصارى لا ركوع في صلاتهم كما
مضى بيانه في ال عمران ولما كان التقدير ومن يتول غيرهم فاوليك حزب الشيطان وحزب
الشيطان هم الخاسرون عطف عليه ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا واعاد ذكر
من خص الولاية بهم تبركا باسمائهم وتصريحا بالمقصود فانهم الغالبون هكذا كان الاصل ولكنه
اظهر ما شرفهم به ترغيبا لهم في ولايته فقال فان حزب الله اي القوم الذين يجمعهم ما حزبهم اي
اشتد عليهم فيه هم الغالبون اي لا غيرهم بل غيرهم مغلوبون ثم الى النار يحشرون لانهم حزب
الشيطان ولما نبه سبحانه على العلل المانعة من ولاية الكفار وحصر الولاية فيه سبحانه انتج ذلك
قطعا قوله منبها على علل اخرى موجبا للبراة منهم يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان وبينه
بصيغة الافتعال على ان من يواليهم يجاهد عقله على ذلك اتباعا لهواه فقال لا تتخذوا الذين
اتخذوا اي تكلفوا ان اخذوا دينكم اي الذي شرفكم الله به هزوا ولعبا ثم بين المنهي
عن موالاتهم بقوله من الذين اوتوا الكتاب ولما كان تطاول الزمان له تاثير فيما عليه الانسان
من طاعة او عصيان قال من قبلكم يعني انهم فعلوا الهزء عنادا بعد تحققهم صحة الدين
والكفار اي الذين لا علم لهم نقلي عن الانبيا وانما سردوا ما وضح لعقولهم من الادلة فكانوا اضل
اولياء اي فان الفريقين اجتمعوا على حسدكم وازدرائكم فلا تصح لكم موالاتهم اصلا ولما كان
المستحق لموالاة شخص اذا تركه ووالى غيره يسعى في اهانته حذرهم وخوفهم بموالاتهم على ضد
مقصودهم فقال واتقوا الله اي خافوه في كل حركة وسكون ان كنتم مومنين اي فان لم تخافوه
بان تتركوا ما نهاكم عنه فلا ايمان ولما عمهم في بيان استهزائهم جميع الدين خص روحه وخالصته
وسره فقال واذا ناديتم الى الصلاة اي التي هي اعظم دعايم الدين وموصل الى الملك العظيم
بحبله المتين اتخذوها على ما لها من العظمة والجد والبعد من الهزء هزوا ولعبا وبين سبحانه
ان سبب ذلك عدم انتفاعهم بعقولهم فكانوا لا عقول لهم وذلك لان تاملها في التطهر لها
وحسن حال فاعلها عند التلبس بها من التخلي عن الدنيا جملة والاقبال على الحضرة الالهية والتحلي
بالقراءة لاعظم الكلام والتخشع والتخضع لملك الملوك الذي لم تخف عظمته على احد ولا نازع قط
في كبريايه وقدرته منازع بمجرده كاف في اعتقاد حسنها وجلالها وهيبتها وكمالها فقال ذلك

اي

اي الامر العظيم الشناعة بانهم قوم وان كانوا اقوياء لهم قدرة على القيام في الامور لا يعقلون
ولما كانت النفوس نزاعة الى الهوى عميت عن المصالح جامحة عن الدواء بما وقفت عنده
من النظر الى زينة الحياة الدنيا وكان الدليل على سلب العقل عن اهل الكتاب دليلا على
العرب بطريق الاولى وكان اهل الكتاب لكونهم اهل علم لا ينهض بمحاجتهم الا الافراد
من خلص العباد قال تعالى والاعلى ما ختم به الاية من عدم عقلهم امر الاعظم خلقه تبكيتهم
وتوبيخهم وتقريعهم يا اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى هل تنقمون اي
تنكرون وتكرهون وتعيبون منا الا ان امنا بالله اي لما له من صفات الكمال التي
ملات الاقطار وجاوزت حد الاكثار وما انزل الينا اي لما له من الاعجاز في حالات
الاطناب والتوسط والايجاز وما انزل لما تشهد له كتابنا من قبل اي امنا كلنا مع ان
وان اكثركم فاسقون اي عريقون في الفسق وهو الخروج عن دار السعادة بحيث لا يمكن منهم
رجوع الى الحوض من العبادة فبين انهم لا ينقمون من المومنين الا المخالفة والمخالفة انما هي
بايمان المسلمين بالله وما امن به وكفر اهل الكتاب بجميع ذلك مع علمهم بما تقدم لهم ان من
امن كان الله معه ينصره على كل من ساواه وجعل ماله الى الفوز الدايم وان من كفر تبرا منه
فاهلكه في الدنيا وجعل ماله عذابا لا ينقضي سعيره ولا يتصرم انينه وزفيره ومن ركب
ما يوديه الى ذلك على علم منه واختيار لم يكن اصلا احد اضل منه ولا اعدم عقلا وتخصيص
النقم بما صدر من المومنين يمنع عطف وان على ان امنا وفتح همزة ان يمنع عطفها على ضمير امنا ولما
انزلهم سبحانه الى عداد البهايم بكونهم ينظرون الى ما فيه خلاصهم فيبعدون منه وينفرون
عنه من غير ان يستعملوا ما امتازوا به عن البهايم في ان المخالف ربما كان فيه الدواء والمكروه
تدبول الى الشفا والمحبوب يجر الى العطب وانوي بين لهم ان تلك رتبة سنية ومنزلة
علية بالنسبة الى ما هم فيه فقال على سبيل التنزل في ارخا العنان قل اي يا من لا ينهض
بمحاجتهم لعلمهم ولدد غيره لما جبلت عليه من قوة الفهم ثم لما انزل من العلم اي اخبركم
اخبارا متقنا معظما حالكم لا بشر من ذلك اي الذي تنقمونه علينا مع كونه فيما وان بعاملتم
عنه مثوبة اي جزاء صالحا يرجع اليه فان المثوبة للخير كما ان العقوبة للشر ثم نوع بشرنه بقوله
عند الله ثم رده اسعل سافلين على طريق بجنه بينهم ضرب وجمع بقوله جوابا لمن كانه
قال نعم من اي مثوبة من لعنه الله اي ابعده وطرده وغضب عليه اي اهلكه
وجعل منهم اي بالمسخ على معاصيهم القردة تارة والخنازير اخرى ثم عطف على قوله
لعنه سبب ذلك بعد ان قدم المسبب اهتماما به لصراحته في المقصود فقال وعبد الطاغوت
وهو كما قال في القاموس اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والاصنام
وكل ما عبد من دون الله ومردة اهل الكتاب للواحد والجمع فعلوت من طغو وكل هذه
المعاني تصلح ههنا اما اللات والعزى وغيرهما مما لم يعبد وصريحا فلتحسينهم دين اهله
حسدا للاسلام وقد عبدوا الاوثان في كل زمان حتى في زمان موسى عليه السلام كما نص في

التوريه ثم بالعوالي النجوم لاستعمال السحر فشاركوا الصابيين في ذلك فمعنى الاية تنزلنا الى ان
نسبكم لنا الى الشر صحيحة لكن لم يات كتاب بلعنتنا ولا بالغضب علينا ولا مسخنا قردة ولا خنازير
ولا عبدنا غير الله منذ اقبلنا عليه وانتم قد وقع بكم جميع ذلك لانقدرون ان تنبروا من شي
فلا يشك عاقل انكم شر منا واضل والعاقل مر اذا دار امره بين شرين لم يختر الا اقلهما
فثبت كالشمس صحة دعوى انهم قوم لا يعقلون ولذلك ختم الاية بقوله اولئك اي البعدا البغضا
الموصوفون باللعن وما معه شر مكانا واذا كان ذلك مكانهم فما ظنك بانفسهم واضل اي من
نسبوهم الى الشر والضلال وسلم لهم ذلك فيهم ارخا للعنان قصدا للابلاغ في البيان عن سواء
اي قصد وعدل السبيل اي الطريق ويجوز ان تكون الاشارة في ذلك الى ما دل عليه الدليل
من عدم عقلهم ولا تنزل حينئذ وانما قلت انهم لا يقدرون على انكار شي من ذلك لان في
نص التورية التي بين اظهرهم في السفر الخامس فالرب يقول لكم ويامركم ان تكونوا له
شعبا حبيبا وتحفظوا جميع وصاياه وتعملوا بها فانه يرفعكم فوق جميع الشعوب واذا جزتم
الاردن انصبوا الحجارة التي امركم بها اليوم على جبل جبل وكلسوها بالكلس وابنوا هناك
مذبحا من حجارة لم يقع عليها حديد ولكن ابنوا بحجارة كاملة لم تقطع وقربوا عليها ذبايح كاملة
امام الله ربكم وكلوا هناك وافرحوا امام الله ربكم واكتبوا على تلك الحجارة جميع ايات هذه السنة
ثم عين موسى رجالا يقومون على جبل اذا جازوا الاردن ويهتفون بصوت عال ويقولون
لبني اسرايل ملعونا يكون الذي يتخذ اصناما مسبوكة واوثانا منحوتة امام الرب والشعب
كلهم يقولون امين ملعونا يكون من يثقل حد صاحبه ويظلمه في ارضه ويقول الشعب كلهم امين
ملعونا يكون من يضل الاعمى عن الطريق ويقول الشعب كلهم امين ملعونا يكون من يحيف على
المسكين واليتيم والارملة في القضا ويقول الشعب كلهم امين الى ان قال ملعونا
يكون كل من لا يثبت على عهد ايات هذه التورية ويعمل بها ويقول الشعب كلهم امين ثم قال
وان انتم لم تسمعوا قول الله ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه ووصاياه التي امركم
بها اليوم ينزل بكم هذا اللعن الذي اقص عليكم كله ويدرككم السعاب وتكونوا ملعونين
في القرية ملعونين في الحرب ويلعن نسلكم وثمار ارضكم وتكونون ملعونين اذا دخلتم وملعونين
اذا خرجتم ينزل بكم الرب البلا والحسرات وينزل بكم الضربات الشديدة وبكل شي تمدون
ايديكم اليه لتعملوه حتى يهلككم ويبلغكم سريعا من اجل سوء اعمالكم وترككم لعبادتي
وسلط عليكم هذه الشعوب حتى تهلكوا وتكون السما التي فوقكم عليكم شبه النحاس والارض
تحتكم شبه الحديد ويكسركم الرب بين يدي اعدايكم تخرجون اليهم في طريق واحدة وتهربون
في سبعة طرق وتكونون مثلا وفزعا لجميع مملكات الارض وتكون جيفكم ماكلا لجميع السباع وطير
السما ولا يذب احد عنكم تكونون مقهورين مظلومين منصوبين كل ايام حياتكم يسبي بنيكم
وبناتك شعب اخر وتنظر اليهم ولا يقدر لهم على خلاص وتكون مضطهدا مظلوما طول عمرك
يسوقك الرب ويسوق ملكك الذي ملكته عليك الى شعب لم يعرفه ابوك وتعبد هناك الهة اخرى

عملت

عملت من خشب وحجارة وتكون مثلا وعجبا ويفكر فيك كل من يسمع خبرك من جميع الشعوب
التي تعركم الله فيها تزرع كثيرا وتحصد قليلا ويتعظم عليك سكانك ويصيرون فوقك
هذا اللعن كله يلزمك ويسرع بك ويدركك حتى تهلك لانك لم تقبل قول الله ربك ولم
تحفظ سننه ووصاياه التي امرك بها وتظهر فيك ايات وعجايب وفي نسلك الى الابد
لانك لم تعبد الله ربك ولم تعمل بوصاياه وتصير اعداك دق الحديد على عنقك ويسلط الله
عليك شعبا يانيك وانت جايع ظمان عريان فقير قد اعوزك كل شي يحتاج اليه وتخدم اعداك
ويسرع اليك مثل طيران النسر شعب لا تعرف لغتهم وجوههم صفيقة لا يستحيي من الشيوخ
ولا يرحم الصبيان ويضيق عليك في جميع قراك حتى يطم سوراتك المشيدة التي تتوكل عليها
وثق بها في كل ارضك وتضطر حتى تاكل لحم ولدك والرجل المدلل منكم المفتن تنظر عيناه الى
اخيه وحليلته والى من بقي من ولده جميعا لا يعطيهم من لحم ابنه الذي ياكل لانه لا يبقى عنده
شي الا الاضطهاد والضيق الذي يضيق عليك عدوك وان لم تحفظ وتعمل بجميع الوصايا والسنن
التي كتبت في هذا الكتاب لتتقي اسم ربك وتهاب اسمه المحمود المرهوب يخصك الرب بضربات من ع
موجعة ويبتليك بها ويبتلي نسلك من بعدك ويبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت
قد صارت مثل نجوم السما لانك لم تسمع قول الله كما فرح الرب وانعم عليكم وكثركم يسر بكم
بالعقاب والنكال ويدمر عليكم ويبلغكم ويجلون عن الارض التي تدخلونها لترثوها ويفرقكم فكم
الرب بين جميع الشعوب هذه اقوال العهد الذي امر الله بها موسى وان يعاهد بني اسرايل
في ارض مواب سوى العهد الذي عاهدكم بحوريب فان قالوا نحن لم ننقض بعد موسى عليه
السلام حتى يلزمنا هذا اللعن المشروط بنقض العهد قيل قد شهد عليكم بنقضكم ما بين ايديكم
من كتابكم فانه قال في اخر اسفاره ما نصه وقال الرب لموسى قد دنت ايام وفاتك فادع
يشوع وقوما في قبة الزمان لامره بما اريد وانطلق يشوع وموسى وقاما في قبة
الزمان وظهر الرب في قبة الزمان بعمود من سحاب وقام عمود من سحاب في باب قبة الزمان
وقال الرب لموسى انت مضطجع منقلب الى ابايك فيقوم هذا الشعب فيضل ويتبع الهة
اخرى الهة الشعوب التي تدخل وتري وتسكن بينها ويخالفني ويبطل عهدي الذي عهدته
ويشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم واخذلهم وازوي وجهي عنهم ويصيرون ماكلا لاعدايهم ويصيبهم
شر شديد وغم طويل لانهم تبعوا الالهة الاخرى فاكتب لهم الان هذا التسبيح وعلمه بني اسرايل
وصيره في افواههم ليكون هذا التسبيح شهادة على بني اسرايل لاني مدخلهم الارض التي اقسمت
لابايهم الارض التي تغل السمن والعسل وياكلون ويشبعون ويتلذذون ويتبعون الالهة الاخرى
ويعبدونها ويغضبوني ويبطلون عهدي فاذا نزل بهم هذا الشر الشديد والغموم يتلى عليهم
هذا التسبيح للشهادة ولا يعدم من افواه ذريتهم لاني عالم باهوايهم وكل ما يصنعونه ههنا اليوم
قبل ان ادخلهم الارض التي اقسمت لابايهم وكتب موسى هذا التسبيح ذلك اليوم وعلمه بني اسرايل
وذكر بعد هذا كلاما ذكرته عند انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح في النسا فراجعه ثم قال

انصتي ايها السما فاتكلم ولتسمع الارض النطق من في لانها ترجوا كلامي عطشانه وكمثل الندا ينزل دولي
وكالمطر على النخيل وشبه الضباب على الشعب لاني دعوت باسم الرب ابدا وابا لتعظيم لله الرب
العدل وليس عنده ظلم الرب البارئ الصادق اخطا اولاد الانجاس الجيل المتعوج المنقلب
وبهذا اكافوا الرب لانه شعب جاهل وليس الحليم اليس الرب استخلصك وخلقك اذكروا
ايام الدهر وتفهموا ما مضى من سنين جيلا بعد جيل اسال اباك فيخبرك وشيوخك فيفهمونك
حين قسم العلي الاسم بن ادوم الذين فرقهم واقام حدود الامم على عدد الملك وصار جزء
الرب شعبه يعقوب وجبل ميراثه اسرايل فاروه في البرية من عطش الحر حيث لم يكن ما حاطه
وادبه وحفظه مثل حدقة العين وكمثل النسر حيث يظل عشه والى فراخه اشتاق فنشر اجنحه
وتبلهم على صلبه الرب وحده ساقهم ولم يكن معهم اله آخر واصعدهم الى علو الارض واطعمهم
من ثمر الشجر وغذاهم عسلا من حجر من الصخرة اخرج لهم الزيت ومن سمن البقر ولبن الغنم
وشحم الخراف والكباش والثيران والجدا ولب القمح اكل يعقوب المخصوص حين سمن وغلظ وعرض
ترك الاله الذي خلقه وبعد من الله مخلصه بقول لله اسخطوا في سمع الغربا باوثانهم واغضبوني
حين ذبحوا للشياطين ولم يقربوا الالاه الالاهة ولم يعرفه الجيل الجديد الذي اوتوا ونسوا اباهم
هذا ما اردت ذكره من التورية في انها دالة على لزوم اللعن والغضب لهم لعبادتهم الطواغيت
وقد صدق الله قوله فيها وانتم كلامه وهو اصدق القايلين بما وقع لهم بعد وفاة موسى عليه السلام ثم
ثم بعد يوشع عليه السلام مع ما تقدم لهم في ايام موسى عليه السلام من عبادة يعللون الصنم كما مضى
في قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ذكر ما يصدق ذلك من سفر يوشع جميع بني اسرايل
وقل لهم انا قد شخت وطعنت في السن وانتم قد رايتم ما صنع الله بهذه الشعوب انه اهلكهم
من بين ايديكم وان الله ربكم هو الذي حرب بكم وظفركم قد علمتم ان لم اقسم لكم الشعوب التي
بقيت واما عند النهر الاعظم من مغارب الشمس فقد قسمته لكم والله ربكم يهزمكم ويهلكهم
من امامكم وترثون ارضهم كما قال الله ربكم ولكن تقووا واحدا واعملوا بجميع ما كتب في سفر
موسى عبد الرب اهلك الرب من امامكم شعوبا عظيمة ولم يثبت لكم انسان الى اليوم الرجل
منكم يهزم الف رجل لان الله ربكم معكم وهو يجاهد عنكم كما قال لكم فاحترسوا لانفسكم ان
انتم خالطتم الشعوب الذين بقوا بينكم وصرتم لهم اختانا صاروا لكم فخاخا وعثرات واسنه
في اصداغكم وسنارات في اعينكم حتى تهلكوا من الارض الصالحة التي اعطاكم الله ربكم واما
انا فسايري في طريق اهل الارض كلهم وقد تعلمون يقينا من كل قلوبكم وانفسكم انه ما سقطت
كلمة واحدة من الكلام الذي وعدكم الله ربكم ولما تم كل الكلام الصالح الذي وعدكم الله به كذلك
ينزل بكم اللعن حتى تهلكوا وتبيدوا ان انتم عصيتم وتعديتم على ميثاق الله ربكم والوصايا التي
اوصاكم بها وجمع جميع بني اسرايل الى سحام واقامهم امام الرب في قبة الزمان وقال اسمعوا
قول الله اله اسرايل كان اباوكم سكانا في مجاز النهر في الدهر الاول تيرح ابو ابرهيم وناحود
وكانوا يعبدون هناك الهة اخرى وعمدت الى ابرهيم ابيكم واخرجته من مجاز النهر وسيرته

في ارض كنعان كلها واكثرت ذريته ورزقته اسحاق ويعقوب وعيسو واعطيت عيسو جبل
ساعير ميراثا فاما يعقوب وبنوه فنزلوا الى مصر وارسلت موسى وهرون وعاقبت اهل مصر واكثرت
في ارضهم من الايات والاعاجيب ومن بعد ذلك اخرجتهم منها وشق لهم الرب بحر سوف
واجاز اماكم فيه مشيا فلما اراد المصريون ان يجوزوا قلب البحر عليهم وغرقهم وراءت اعينكم
ما صنعت باهل مصر ثم اتيت بكم المفاوز وسكنتموها اياما كثيرة اتيت بكم ارض الاموراسيين
الذين يسكنون عند مجاز الاردن وحاربوكم ودفعتهم اليكم ووثب عليكم بالاق بن صفور
ملك المواسيين وحارب اسرايل وارسل فدعا بلعام بن بعور ليلعنكم ولم يسرني ان اسمع
قول بلعام ولكن بارك عليكم وخلصكم من بين يديه ثم جزتم نهر الاردن واتيتم اهل اريحا
فحاربكم اهلها والاموراسيين ثم عد بقية الطوايف السبعة ودفعتهم اليكم اجمعين واعطيتكم
ارضا لم تتعبوا فيها فاتقوا الرب واعبدوه بالبر والعدل واصرفوا عن قلوبكم الفكر في عبادة
الالهة الاخرى التي عبدها اباوكم عند مجاز النهر وفي ارض مصر واعبدوا الرب وحده وان
كان يشق عليكم ان تعبدوا الرب اختاروا لانفسكم يومنا هذا من تعبدون انجبون ان
تعبدوا الاله الذي عبد اباوكم عند مجاز نهر الفرات ام الهة الاموراسيين الذين سكنتم
بينهم اما انا واهل بيتي فانما نعبد لله الرب فاجاب الشعب وقالوا حاشى لله ان نجتنب
عبادة الرب ونعبد الالهة الاخرى لان الله ربنا هو الذي اخرجنا من ارض مصر وخلصنا من
العبودية واكمل الايات والاعاجيب امامنا وحفظنا في كل الطريق التي سلكناها وقوانا
على جميع الشعوب التي حاربناها لذلك نعبد الرب لانه هو لا لنا وحده وهو الهنا فقال
انظروا لعلكم تجتنبون عبادة الله وتعبدون الالهة الغريبة فيغضب الرب عليكم وينزل
بكم البلا ويهلككم من بعد انعامكم عليكم فقالوا الشعب لا يكون لنا عبادة اخرى
غير عبادة الله ربنا قال يشوع اشهدتم على انفسكم انتم الذين اخترتم عبادة الرب قالوا
له نشهد فاول ما دخل عليهم الدخيل انهم لم يستاصلوا الكفرة وخالطوهم في ايام يوشع
قال في سفر القضاة فصعد رسول الرب من الجلجال الى بحيل وقال لبني اسرايل هكذا يقول
الرب اما الذي اصعدتكم من ارض مصر واتيت بكم الارض التي اقسمت لابايكم وقلت اني
لا ابطل عهدي الى الابد وامرتكم ان لا تعاهدوا اهل هذه الارض ولكن استاصلوا مذابحهم
ولم تقبلوا ولم يطيعوني وانا ايضا قد قلت لا اهلكهم من امامكم ولكن تكون لكم الهتهم
عثرة فلما قال الرسول لبني اسرايل هذا القول رفع القوم اصواتهم بالبكا ودعوا اسم ذلك
الموضع بختارات موضع البكا وذبحوا هناك ذبايح للرب وتوفي يشوع بن نون بن عبد الرب
ابن مايه وعشرين سنة ودفن في حد ميراثه بتمنسرح التي في جبل افرايم عن يسار جبل
وكل ذلك الحقب ايضا قبضوا ونشا من بعدهم حقب لم يعرف الرب ولم يعرف اعماله التي
عملها وارتكب بنوا اسرايل السيات امام الرب واجتنبوا عبادة لله الاله ابايهم الذي اخرجهم
من ارض مصر وتبعوا الهة الشعوب التي حولهم وسجدوا لها وتعبدوا بعلا واستروتا الصنمين

وغضب الرب على بني اسرايل وسلط عليهم المنتهبين ودفعهم الى اعدايهم ولم يقدروا ان يثبتوا
لاعدايهم وكلما كانوا يخرجون الى الحرب كانت يد الرب عليهم بالعقاب والبلا كما قال لهم الرب
وكما اقسم لابايهم واضطروا وضاق بهم جدا فبعث الرب عليهم قضاة واعان قضاتهم
وخلصوهم من ايدي اعدايهم وكان الرب يسمع انينهم وما يشكون من المضيقين عليهم
والمزعجين لهم فلما توفيت قضاتهم رجعوا الى الفساد كابايهم وعبدوا الاصنام وسجدوا لها
ولم ينقصوا من سوء اعمالهم الاول وطرقهم الردية فاشتد غضب الرب على بني اسرايل وقال
لان الشعب المتعدي والوصية التي اوصيت بها اباهم ولم يسمعوا قولي لا اعود ان اهلك
انسانا بين ايديهم من الشعوب التي خلف يشوع بعد وفاته ليجرب الرب بها بني اسرايل
يحفظون طرق الرب كما حفظ اباوهم ام لا فكذلك ترك الرب هذه الشعوب ولم يهلكهم
سريعا ولم يسلمها في يدي يشوع والذين تركوا روساء اهل فلسطين وجميع الكنعانيين
والصيدانيين والحاوانيين والذين يسكنون جبل لبنان ومن جبل بني حرمون الى مدخل
حماه ليجرب بهم بني اسرايل وجلس بنوا اسرايل بين الامورانيين وبقية القبايل وزوجوا
بنيهم من بناتهم وزوجوا بناتهم من بنيهم وعبدوا الهتهم وارتكب بنوا اسرايل الاسا
عند امام الرب ونسوا صنيع الرب الههم وعبدوا ابعلا واستراتا واشتد غضب الرب
على بني اسرايل ودفعهم الى كوسان الاثيم ملك حران فاستعبدهم ثماني سنين ودعا بنوا اسرايل
الرب متضرعين وصير الرب لهم مخلصا وخلصهم عسايال بن قناز اخي كالاب الاصغر فاعانه
الرب وصار حكما لبني اسرايل فخرج الى الحرب واسلم الرب في يده كوسان الاثيم واستراحت
الارض من الحرب اربعين سنة وتوفي عسايال بن قناز وعاد بنوا اسرايل في سوء اعمالهم امام
الرب فقوى الرب عليهم ملك موآب واستمروا هكذا في كل حين ينقضون ولسنة الرب
كل قليل يرفضون لا يستقيمون الا بقدر ما ينسون حرارة النقم ويذوقون لذاذة النعم
ولولا خوف الاطالة الموجبة للسامة والملالة لذكرت من ذلك كثيرا من الكتب التي
بين ايديهم لا يقدرون على انكار ما يلزمهم بها من الفضيحة والعار والله الموفق ولما
تم ذلك عطف سبحانه على واذا ناديتم الى الصلاة الاعلى استحقاقهم للعن وعلى ما اجر
به من شرهم وضلالهم بما فضحهم به من سوء اعمالهم دلالة على صحة دين الاسلام باطلاع شارعه
عليه افضل الصلاة والسلام على خبايا الاسرار **واذا جاوكم** اي ايها المومنون هولا
المنافقون من الفريقين واعاده ضمير الفريقين عليهم لانهم في الحقيقة منهم ما افادتهم
دعوى الايمان شيا عند الله والعدول الى خطاب المومنين دال على عطفه على ما ذكر
فيه اشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم في لحن القول فلا يغتر بخداعهم ولا يسكن
الى مكرهم بما اعطي من صدق الفراسة وصحة التوسم **قالوا امنا** اي لا تغتروا بمجرد قولهم
الحسن الخالي عن البيان بما يناسبه من الافعال فكيف بالمقترن بما ينفيه منها وقد علم ان
الفصل بين المتعاطفين بالاثنين المالغين لا يضر لكونهما علة للمعطوف عليه فهما كالجزء منه

ولما ادعوا الايمان كذبهم سبحانه في دعواهم بقوله **وقد** اي قالوا ذلك والحال انهم قد
دخلوا اي اليكم **بالكفر** مصاحبين له ملتبسين به ولما كان المقام يقتضي لهم بعد الدخول
حسن الحال لما يرون من سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجليل وكلامه العذب
ودينه العدل وهديه الحسن فلم يناسبهم ذلك لما عندهم من الحسد الموجب للعناد اخبر
عن ذلك بابلغ من الجملة التي اخبرت بكفرهم فقال **وهم قد خرجوا به** اي الكفر بعد
دخولهم ورويتهم ما راوا من الخير والاعلى قوة عنادهم بالجملة الاسمية المفيدة للثبات
وذكر المسند اليه مرتين وهم بما اظهروه يظنون انه يخفى ما اضمروا **والله اعلم** اي
منهم وممن توسم فيهم النفاق **بما كانوا يكتمون** اي من هذا وغيره في جميع احوالهم
من اقوالهم وافعالهم ولما كذبهم في دعوى الايمان سبحانه الدليل على كفرهم بقوله
مخاطبا لمن له البصر التام **وترى** اي لا يزال يتجدد لك ذلك **كثيرا منهم** اي اليهود والكفار
ومنافقيهم ومصارحيهم **يسارعون** اي يفعلون في تهالكهم على ذلك فعل من يناظر خصما **في
الاثم** اي كل ما يوجب اثما من الذنوب **والعدوان** اي التجاوز للحدود في ذلك ثم حقق الامر
وصوره باقدامهم على الحرام الذي لا تمكن معه صحة القلب اصلا فقال **واكلهم السحت** اي
الحرام الذي يستاصل البركة من اصلها فيمحقها وكان هذا دليلا على كفرهم لانهم لو كانوا
مومنين ما اصروا على شي من ذلك فكيف بالمسارعة فيه ولذلك استحقوا غاية الذم بقوله
لبيس ما كانوا ولما كانوا يزعمون العلم عبر عن فعلهم بالعمل فقال **يعملون** ولما كان
المنافقون من الفريقين واهل الكتاب قد صاروا شيا واحدا في الاخبار الى المصارحين
من اهل الكتاب فانزل فيهم سبحانه هذه الايات على وجه يعم غيرهم حتى بينت احوالهم
وانكشف زيفهم ومحالهم انكر على من يدعونهم اسرارهم ويمنحونهم مودتهم واخبارهم
من علمايهم وزهادهم عدم امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لكونهم جديرين بذلك
لما يزعمونه من اتباع كتابهم فقال **لولا** اي هلا **ينهاهم** اي يجدد لهم النهي **الربانيون**
اي المدعون للتخلي من الدنيا الى سبيل الرب **والاحبار** اي العلما **عن قولهم الاثم** اي الكذب
الذي يوجبه وهو محرم له **واكلهم السحت** وذلك لان قولهم للمومنين امنا وقولهم لهم انا معكم
انما نحن مستهزون لا يخلو عن كذب وهو محرم في توراتهم وكذا الاكل الحرام فما سكوتهم
عنهم في ذلك الا لتمرنهم على المعاصي وتعودهم في الكفر واستهانتهم بالجراة على من لا
يخفى عليه خافية ولا يبقى لمن عاداه باقية ولما كان من طبع الانسان الانكار على من
خالفه وكانت الفطرة الاولى مطابقة لما اتت به الرسل من قباحة الكذب وما
يتبعه من الفسوق وكان الانسان لا ينزل عن تلك الرتبة العالية الى السكوت
عن الفاسقين فضلا عن تحسين احوالهم الا بتدريب طويل وتمرن عظيم حتى يصير
له ذلك كالصفة التي صارت بالتدريب صنعة بالغها وملكه لا يتكلفها قال **لبيس ما
كانوا يصنعون** اي في سكوتهم عنهم وسماعهم منهم ولما لم تزل الدلايل على ابطال

ذعوى اهل الكتاب في النبوة والمحبة تقوم وجيوش البراهين تجرحتى انتشبت فيهم
سهام الكلام اي انتشاب قال تعالى تعجبا من عامتهم بعد تعيين خاصتهم معلما
بانهم لم ينتهوا بالسكوت عن المنكر حتى تكلموا بانكره مشيرا الى سفول رتبتهم ودناءة
منزلتهم باداة الغائب وقالت اليهود معبرين عن البخل جراة وجهلا بان قالوا
يد الله مغلولة اي مقبوضة عن بسط الرزق غاية البسط ولما نطقوا بهذه الكلمة الشنعاء فاهوا
بتلك الداهية الدهيا اخبر عما جازاهم به سبحانه على صورة ما كان العرب يعاملون
به من يستحق الهلاك من الدعا فقال غلت ايديهم دعا مقبولا وخبرا صادقا
عن كل خير فلا تكاد تجد فيهم كريما ولا شجاعا ولا حاذقا في حق وان كان ذلك
لم تظهر له ولعنوا اي ابعدوا وامطروا دون عن الجناب الكريم بما قالوا والمعنى
انهم كما راوا احوال المنافقين المقتضي في التورية بانها اثم واثروا عليها فكذلك
نطق بعضهم بكلمة الكفر التي لا اقطع منها وسكت عليه الباقون فشاركوه ولما كان
الغل كناية عن البخل وعدم الانفاق وكان الدعا بلعنهم وعليهم متضمنا ان
الامر ليس كما قالوا ترجم سبحانه بقوله بل يداه مبسوطتان مشيرا بالتثنية الى
غاية الجود ولما كان معنى هذا اثبات ما نفوه مختار ولا دعا على ابلغ الاحوال قال
مصرحا بالمقصود معرفا انه في انفاقه مختار بلا عذر وان يبسط لبعض دون بعض
ينفق ولما كان انفاقه سبحانه للاختبار على احوال متباينة بحيث انها تفوت الحصر
اشار الى التعجيب من ذلك بالتعبير باداة الاستفهام وان قالوا انها في هذا الموطن
شرط فقال كيف يشا اي على اي حالة اراد واعا بين تقتير وبسط وغير ذلك ولما اي كما
كان قولهم هذا غاية في العجب لان كتابهم كاف في تقبيحه بل تقبيح ماهو دونه
في الفحش فكيف وقد انضم الى ذلك ما انزل في القران من واضح البيان قال سبحانه
عاطفا على وترى كثيرا موكدا المضمون ما سبق من قوله ومن يرد الله فتنته فلن
تملك له من الله شيا فانه جعل سبب هذا القول منهم ما اتاهم من الهدى الكامل
في هذا الكتاب المعجز على لسان هذا النبي الذي هم به اعرف منهم بابنائهم وليزيدن
كثيرا منهم اي ممن اراد الله فتنته ما انزل اليك اي على ما له من النور وما يدعو اليه
من الخير من ربك اي المحسن بكل ما ينفعك دينا واخرى طغيانا اي تجاوزا
عظيما عن الحد تمتلي منه الاكوان في كل اثم وعدوان وذلك بما جرى اليهم ذا الحسد
لانهم كلما راوا انه سبحانه قد زاد احسانه اليك طعنوا في ذلك الاحسان وهو لما له
من الكمال وعلو الشان يكون الطعن فيه من اعظم الدليل عليه والبرهان فيكون
اعدى العدوان وكفرا اي سترا لما ظهر لعقولهم من النور ودعت اليه كتبهم
من الخير وهذا كما يوذي الخفاش ضيا الصباح وكلما اقوى الضيا زادة وفي
هذا اياس من توبتهم وتاكيد لعداوتهم ورجوعهم عن موالاتهم ومودتهم اى انهم لا يزدادون

بحسن

بحسن وعظك وجميل تلاوتك عليهم الايات الا شقاقا ما وجدوا قوة فان ضعفوا نفاقا
ولما كان الاخبار باجتماع كلمتهم على شقاق الكفر ربما احدث خوفا من كيدهم نفى ذلك
بقوله والقينا بينهم العداوة ولما كانت العداوة وهوان بعد وبعضهم الى اذى
بعض ربما زالت بزوال السبب افاد انها لازمة لا تنفك بقوله والبغضا اي لامور
باطنيه وقعت في قلوبهم وقوع الحجر الملقى من علو الى يوم القيمة ولما كان ذلك مبدا لو منهم
ترجمة بقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اي باحكام اسبابها وتفتيح جميع ابوابها اطفاها
الله اي الذي له جميع صفات الكمال ولقد قام لعمري دليل المشاهدة على صدق
ذلك بغزوة بني قينقاع ثم النضير ثم قريظة والقبايل الثلاث بالمدينة لم يتناصروا ولم
ينصروا ثم غزو خيبر واهل فدك ووادي القرى وهم متقاربون ولم يتناصروا
ولم ينصروا هذا فيما في خاصتهم واما في غيره فلكم تقدم البوا الاحزاب وجمعوا القبايل
وا تتوالى امرهم على زعمهم المكايد ثم اطفاها الله نارهم حسا ومعنى بالريح والملايكة
والزمهم حزبهم وعارهم وجعل الدايرة عليهم وساق جيش المومنين على ايدي المومنين
اليهم والى ذلك وامثاله من اداهم الله اشار بقوله ويسعون في الارض ولما كان
الانسان لكونه محل النقصان لا ينبغي ان يتحرك فضلا عن ان يمشي فضلا عن ان
يسعى الا بما يرضي الله وحينيذ لا ينسب الفعل الا الى الله لكونه امرا لها له فكلفت نسبة
السعي الى الانسان دالا على الفساد صرح به في قوله فسادا اى للفساد او ذوي فساد
والله اي والحال انه لا يحب المفسدين اي لا يفعل معهم فعل المحب فلا يغفر لهم جليشا
ولا يعلي لهم كعبا ولا يصلح لهم شانا وبذلك توعدهم سبحانه في التورية انهم اذا خالفوا امره سلط
عليهم من عذابه بواسطة عباده وبغير واسطتهم ما يفوت الحصر كما مضى ذلك قريبا عما بين
ايديهم من التورية منصوصا ولما اثبت بقوله وليزيدن انهم كانوا كفرة قبل اتيان هذا
الرسول عليه السلام وكرر ما اعد لهم من الخزي الدايم على نحو ما اخبر به كتابهم وعظم
ورجاهم سبحانه لئلا ييأسوا من روح الله على عادة منه في رحمته لعباده ورافته
بهم بقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب اى الفريقين منهم امنوا اي بهذا النبي
الكريم وما انزل اليه من هذا الهدى واتقوا اى ما هددوا به في كتابهم على ترك
الايمان به على حسب ما دعاهم اليه كتابهم كما في قصة اسمعيل وغيرها الى ان كان
اخر ما فارقهم عليه موسى عليه السلام في اخر كتابهم المتصرح بنبوته عليه السلام
والاشارة الى ان اتباعه احق من اتباعه فقال جا ربنا من سينا وشرق من ساعير وبدى
من جبال فاران فاضاف الرب اليهم وجعل الاتيان من جبال فاران التي هي سكنه لا نزاع
لهم في ذلك بتدبيا ظهورا اى للاحاطة بوجه ولا ظهور اتم منه لكفرنا عنهم سياتهم
اي التي ارتكبوها قبل مجيه ولادخلناهم اي بعد الموت جنات النعيم اى بدلا لما
نيتهم من هذا الشقا الذي لا يدانيه شقا ولما كان المعنى فعلوا ذلك فالزمناهم

الخزي في الدنيا والعذاب الدايم في الاخرة وكان هذا اجمالا لحالهم الدنيوية والاخروية
وكان محط نظرهم الامر الدنيوي رجع الى سبب قولهم تلك الكلمة الشنعا والداهية
القبيحة الصلعا وهو تقتير الرزق عليهم وبين ان السبب انما هو من انفسهم فقال
ولو انهم اقاموا التورية اي قبل انزال الانجيل بالعمل بجميع ما دعت اليه من
اصل وفرع وثبات عليها وانتقال عنها والانجيل اي بعد انزاله كذلك وفي
اقامته اقامة التورية الداعية اليه وما انزل اليهم من ربهم اي من اسفار
الانبيا المبشرة بعيسى ومحمد عليهما السلام ومن القران بعد انزاله وفي اقامته اقامة
جميع ذلك لانه مبشر به وداع اليه لاكلوا من فوقهم ولما كان ذلك كنا بهم عن عظيم
التوسعة قال موضحا له ومن تحت ارجلهم فبين بذلك انه ماحرمهم بالذل والمسكنة
الا تصديقا لما تقدم اليهم به في التورية قال مترجما في السفر الخامس من الدعا
والبركات وان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم وعملتم بجميع الوصايا التي امركم
بها اليوم يصيركم الرب فوق جميع الشعوب فتصير ولي هذا الدعا يبارك لكل من
منكم في العرس والحقل يبارك في اولادكم وارضكم يبارك لكم في بهايمكم وما يضع
في اقطاع بقركم واحزاب غنمكم ويبارك فيكم اذا دخلتم ويبارك فيكم اذا خرجتم
الرب يكسر اعداكم اسارى يخرجون اليكم في طريق واحد ويهربون منكم في
سبعة طرق بامر الله بين كانه في اهرايكم وفي جميع الاشيا التي تمد وتن اليها ايديكم
وينظر اليكم جميع شعوب الارض ويعلمون ان اسم الرب عليكم وقد وسمتم به
فيخافونكم ويزيدكم الرب خيرا ويبارك في ثمار ارضكم يفتح لكم ربكم اهرا
الارض السما ويبسط المطر على اهله في زمانه وتتسلطون على شعوب كثيرة
ولا يتسلط عليكم احد ويصيركم الرب راسا ولا يصيركم ذنبا وتصيرون
فوق ولا تصيرون اسفل اذا عملتم بجميع وصايا الله ربكم ولم تزوغوا عنها يمنة
ولا يسرة ولا تتبعوا الشعوب ولا تتبعوا الهتها وان انتم لم تسمعوا قول ربكم ولم
تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه ووصاياه التي امركم بها اليوم ينزل بكم
هذا اللعن الذي اقص عليكم كله ويدركم العقاب اذا سلكتم بسنتي وحفظتم
وصاياي وعملتم بها اديم امطاركم في وقتها وتبذل الارض لكم غلاتها وتبذل لكم
الشجر ثمارها ويدرك الدراس القطاف والقطاف يدرك الزرع وتاكلون
خبزا وتشبعون وتسكنون ارضكم مطمينين ولا يكون من يخرجكم واصرف عن
ارضكم السباع الضارية وتطردون اعداكم الخمسة منكم يهزمون مائة
والمائة منكم يهزمون عشرة الاف وتقطع اعداكم قتلى بين ايديكم في الحرب
واقبل اليكم واكثركم وادبم مقدسي بينكم ولا ابرعنكم بل اكون معكم واسير بينكم
وان لم تطيعوني ولم تسمعوا قولي ولا تعملوا بهذه الوصايا وابطلتم عهودي انا ايضا

اصنع

اصنع بكم مثل صنيعكم وامر بكم البلايا والبرص والبهق المفشي الذي لا يبرا والسل
الذي يطفي البصر ويهلك النفس ويكون تعبكم في الزرع باطلا وذلك لان اعداكم
ياكلون ما تزرعون وانزل بكم غضبي ويهزمكم اعداوكم ويتسلط عليكم شناتكم
وتنهزمون من غير ان يهزمكم احد واصير السما فوقكم مثل الحديد والارض تحتكم
مثل النحاس ولا تغل ارضكم غلاتها ولا تثمر الشجر ثمارها وارسل عليكم السباع الضارية
فتهلككم وتهلك بهايمكم وتستوحش الطرق منكم واسلط عليكم الموت وادفعكم
الى اعدايكم وتاكلون ولا تشبعون وتصيرون الى ضيق حتى تاكلون لحوم بناتكم واحرب
منازلكم وافرقكم بين الامم وتخرب قراكم فحينئذ تهوى الارض اسبابها وتسبت كل ايام
وحشتها ما لم تسبت حيث كنتم فيها عصاة لا تسبتون والذين يبقون منكم القي في
قلوبكم فزعه ويطردهم صوت ورقة تحرك ويهربون من صوت الورقة كما يهربون
من السيف ويعثرون باثمهم ويعاقبون باثم ابايهم ومن بعد ذلك تنكسر قلوبهم الغلف ولما
كان ما مضي من ذمهم ربما افهم انه لكلهم قال مستانفا جوابا لمن يسال عن ذلك
منهم امة اي جماعة يجتهدون في العدل وهم الذين هداهم للاسلام بحسن تحريهم واجتهادهم
وكثير منهم سا ما يعملون اي ما اسوا فعلهم الذي يزعمون انه لا يصدر منهم الا عن
علم وهم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وارتكبوا العظايم في عداوة الله ورسوله
ولما اتم ذلك سبحانه وعلم منه ان من اريدت العظايم سعادته يومن ولا بد ومن
اريدت شقاوته لا يومن اصلا ومن اقام ما انزل اليه سعد ومن كفر بشي منه
شقي وكان ذلك بما فتر عن الابلاغ قرن بقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر قوله حاثا على الابلاغ لاسعاد من اريد للسعادة وهم الامة المقتصدة
منهم وان كانوا قليلا وكذا ابلاغ جميع من عداهم يا ايها الرسول اي الذي موضوع
امره البلاغ بلغ اي اوصل الى من ارسلت اليهم ما انزل اليك اي كله من ربك اي المحسن
اليك بانزاله لتعلم ما لم تكن تعلم ويهدي على يدك من اراد الله هدايته فيكون لك
مثل اجره ولما كان ابلاغ ما يخالف الاهوا من الشدة على النفوس بمكان لا يحمله الا
ذو الهمم العالية والاخلاق الزاكية كان المقام شديد الاقتضاء للتاكيد الحث
على الابلاغ فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال والعامل فيها بان قال وان لم تفعل
اي وان لم تبلغ جميع ذلك فما بلغت رسالته لان من المعلوم ان ما تقع على كل جزء
مما انزل فلو ترك منه حرف واحد صدق نفي البلاغ لما انزل والمعنى فلتجازينك ولكنه
كنى بالسبب عن المسبب اجلالا له صلى الله عليه وسلم ولما تقدم انهم يسعرون الحروب
ويسعون في ايقاع اشد الكروب وكان ذلك وان وعد سبحانه باخماده عند ايقاده
لا يمنع من تجويز انه لا يخمد الا بعد قتل ناس وجراح اخرين وكان كانه قيل اذا
بلغ وهو ينقض ادبانهم خيف عليه قال والله اي بلغ انت والحال ان الذي امرك

اي جماعة يجتهدون
بان تقصد مقتصدة

يعصمك اي يمنعك منعا تاما من الناس اي ان يقتلوك قبل اتمام البلاغ وظهور
الدين ولما اذن ضمان العصمة بالمخالفة المؤذنة بان فيهم من لا ينفعه البلاغ فهو
لا يؤمن فلا يزال يسعى الغوايل اتى على هذا الفهم بتعليل عدم الايمان بقوله
ان الله اي الذي لا امر لغيره لا يهدي القوم الكافرين اي المطبوع على قلوبهم
في علم الله مطابقة لقوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا ويهدي
المؤمنين في علم البشارة لهم بقوله ويغفر لمن يشا والحاصل انه تبين من الاية الارشاد
الى ان لترك البلاغ سببين احدهما خوف فوات النفس والاخر خوف فوات ثمرة
الدعا فنفى الاول بضمان العصمة والثاني بختام الاية اي ليس عليك الا البلاغ فلا يحزنك
من لا يقبل فليس اعراضه لقصور في ابلاغك ولا خطك بل لقصور ادراكه وحظه
لان الله ختم بكفره وختم على قلبه لما علم من فساد طبعه والله لا يهدي مثله وتلخيصه
بلغ فمن اجابك فهم اشير اليه فيما سلف من غيرا الكثير الذين يزيدهم ما انزل اليك عمى على
عماهم ومن الامة المقتصدة وغيرهم فهو حظه في الدنيا والاخرة ومن ابى فلا يحزنك امره
لان الله هو الذي اراد ضلاله فالتقدير بلغ فليس عليك الا البلاغ والى الله الهدى والضلال
ان الله لا يهدي القوم الكافرين ويهدي القوم المؤمنين او فاذا بلغت هدى بك ربك
من اراد ايمانه ليكتب لك مثل اجرهم واضل من شا كفرانه ولا يكون عليك شي من وزرهم
ان الله لا يهدي القوم الكافرين والمعنى لا تقدم يعصمك من ان ينالوك بما يمنعك
من الابلاغ حتى يتم دينك ويظهر على الدين كله كما وعدتك وعلى مثل هذا دل
كلام امامنا الشافعي رحمه الله قال في الجزء الثالث من الام ويقال والله اعلم ان اول
ما انزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك الذي خلق ثم انزل عليه بعدها ما لم
يومر فيه بان يدعوا اليه المشركين فمرت لذلك مدة ثم يقال اتاه جبريل عليه السلام
عن الله عز وجل بان يعلمهم نزول الوحي عليه ويدعوهم الى الايمان فكبر ذلك عليه وخاف
التكذيب وان يتناول فنزل عليه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان
لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فقال يعصمك من قتلهم ان
يقتلوك حتى تبلغ ما انزل اليك انتهى ولقد وفى سبحانه بما ضمن ومن اوفى منه وعدا
واصدق قيلا فلما اتم الدين وارغم انوف المشركين انفذ فيه السم الذي تناوله
بخيبر قبل سنين فتوفاه شهيدا كما احياه سعيدا روى الشيخان البخاري في الهبة
ومسلم في الطب وابو داود في الديات عن انس بن مالك رضي الله عنه عن امراة يهودية
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجي بها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك او قال علي فقالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابو داود وهي اخت مرحب اليهودي قال الحافظ عبد العظيم المنذري

في مختصر سنن ابي داود وذكر غيره انها ابنة اخي مرحب وان اسمها زينب بنت
الحارث وذكر الزهري انها اسلمت ولابي داود والدارمي وهذا لفظه عن ابي
سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل الهدية
ولا يقبل الصدقة فاهدت له امراة من يهود خيبر شاة مصلية فتناول منها
وتناول بشر بن البرا ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده ثم قال ان هذه تخبرني انها مسمومة
فمات بشر بن البرا رضي الله عنه فارسل اليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على
ما صنعت فقالت ان كنت نبيا لم يضرك وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال ابو
داود فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت زاد الدارمي فقال في مرضه
ما زلت من الاكلة التي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهري وهذا مرسل قال
البيهقي ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي
الله عنه وقال البيهقي يحتمل انه لم يقتلها في الابتدا ثم لما مات بشر امر بقتلها
وقصة هذه الشاة عن ابي هريرة رواها البخاري في الجزية والمغازي والطب
والدارمي في اول المسند بغير هذا السياق كما مضى في البقرة في قوله تعالى وقالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودة وقد مضى في اول هذه السورة عند قوله فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين شي منه ولابي داود والدارمي عن ابن شهاب قال كان
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية
ثم اهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع
فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا
ايديكم وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فدعاها فقال لها اسممت
هذه الشاة قالت اليهودية من اخبرك قال اخبرتني هذه في يدي للذراع قالت نعم
قال فما اردت قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفى عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي بعض اصحابه الذين اكلوا من
الشاة واحتجم ابو هند بالقرن والشفرة وهو علي كاهله من اجل الذي اكل من
مولى لبني بياضة من الانصار قال الدارمي وهو من بني عامر وهم حي من الانصار قال
المنذري وهذا منقطع الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله وفي غزوة خيبر
من تهذيب السيرة لابن هشام فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت
له زينب بنت الحرث سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سالت اي عضو من الشاة احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها من السم ثم سمت سائر
الشاة ثم جات بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع
فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البرا بن معرور قد اخذ منها كما اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم

واحتجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كاهله
من اجل الذي اكل من
الشاة

قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك
قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان
كان نبيا سيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من اكلته
التي اكل وذكر موسى بن عقبة ان بشرا رضي الله عنه لم يسع لقمته حتى اساغ النبي
النبي صلى الله عليه وسلم لقمته وقال بعد ان اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم
والذي اكرمك لقد وجدت ذلك في اكلتي التي اكلت فما منعني ان الفظها
الا اني اعظمت ان انغصك طعامك فلما اسغت ما في فيك لم اكن لارغب بنفسي
عن نفسك ونقلت من خط شيخنا حافظ عصره ابي الفضل احمد بن علي بن حجر الكناني
الشافعي ما نصه واخرج الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في
مسنده المشهور وابو القسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني في معجمه
الكبير من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ياكل من هدية حتى يامر صاحبها ان ياكل منها للشاة التي اهديت له بخيبر قال
شيخنا الحافظ ابو الحسن الهيثمي رجاله ثقات قلت وذكره محمد بن اسحق في السير
الكبرى وكذا الواقدي في المغازي انتهى وقال ابن اسحق وحدثني مروان بن
عثمان بن ابي سعيد بن المعلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه
الذي توفي فيه ودخلت عليه ام بشر بنت البراء بن معرور يعوده يا ام بشر ان هذا
الاوان وجدت انقطاع ابهري من الاكلة التي اكلت مع اخيك بخيبر قال فان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من
النبوة ولابن ماجه في الطب عن ام سلمة رضي الله عنها قالت لا يزال يصيبك بكل عام وجع
من الشاة المسمومة التي اكلت قال ما اصابني شيء منها الا وهو مكتوب علي وادم في طينته
وللبخاري في اخر المغازي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان
وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم قال ابن فارس في المجمل الابهر عرق مستبطن
الصلب والقلب متصل به وهو قوله صلى الله عليه وسلم هذا اوان قطعت ابهري وعبارة المحكم
عرق في الظهر يقال هو الوريد في العنق ويجعله عرقا مستبطن وقال ثابت بن عبد
العزيز في كتاب خلق الانسان وفي الصلب الوتين وهو عرق ابيض غليظ كانه قصبة
وفي الصلب الابهر والابيض وهما عرقان وقال الزبيدي في مختصر العين والابهران
عرقان يكتنفان الصلب وقيل هما الاكحلان وقال العرد اباذي في قاموسه والابهر
الظهر وعرق فيه ووريد العنق والاكحل والكلية والوتين عرق في القلب اذا انقطع
مات صاحبه وقال ابن النبات والرواة من السقم من تاريخه قال الحربي العرق في الظهر
يسمى الابهر وفي اليد الاكحل وفي العنق الوريد وفي الفخذ النسا وفي الساق الابجل وفي

عرق مستبطن المتن الاصمعي
وفي الصلب الابهر وهو
عرق صاحبه الابهر صح

العين السان وهو عرق واحد كله يسمى الجدول وقال ابن كيسان ايضا هو الوتين
في القلب والصافن وقال الامام ابو غالب التياني الاندلسي في كتابه الموعب اسمعيل
ابو حاتم الابهر عرق في الظهر في الظهر يقال هو الوريد في العنق ثم قال الابهران
الاكحلان ويقال هما عرقان مكتنفا الصلب من جانبيه وقال صلى الله عليه وسلم ما زالت
اكلة خيبر تعاودني كل عام فالان حين قطعت ابهري يعني عرق ويقال الابهر عرق
مستبطن الصلب واذا انقطع فلا حياة بعده وهذا اللفظ الذي ذكره رواه البخاري والطبراني
عن عائشة رضي الله عنها ومعنى تعادني تناظرني وتجاذبني من العداد بمعنى الداء الذي
هو المثل المضاد والمنافر اي اني كلما زدت في جسمي صحة نقصته بما لها من الضرر الاذي
ولما امره سبحانه بالتبليغ العام امن منه على وجه يؤكد ما ختمت به انه التبليغ من
عدم الهداية لمن ختم بكفره ويبطل مع تاكيده هذه الدعوى قولهم نحن ابناء واحباؤه
تعالى **قل يا اهل الكتاب** اي من اليهود والنصارى **لستم على شيء** اي سار من دنيا ولا اخرة
حتى تقيموا اي بالعمل بالقلب والقالب **التورية والانجيل** ومما فيهما الايمان بعيسى ثم
بمحمد عليهما السلام بالاشارة الجلي كل منهما بالخصوص بنحو ما تقدم في الاشراق ما ساعر
والظهور من فاران وبالاشارة بالعموم الى تصديق كل من اتى بالمعجز وصدق ما قبله من
منهاج الرسل **وما انزل اليكم من ربكم** اي المحسن اليكم بانزاله على السنة انبيائكم من
البشارة بهما وعلى لسان هذا النبي العربي الكريم مما يصدق ما قبله فانهم يعلمون ذلك ولكنهم
يجحدونه ولما كان السياق لان اكثرهم هالك صرح به والا بالعطف على غير معطوف عليه
ان التقدير فليومنن به من اراد الله منهم فقال **وليزيدن كثيرا منهم** اي ما عندهم
من الكفر بما في كتابهم **ما انزل اليك من ربك** المحسن اليك بانزاله **طغيانا** اي تجاوزا
شديدا للحد **وكفرا** اي سترا لما دل عليه العقل ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة
على خلق الله سلاه في ذلك بقوله **فلا** اي فتسبب عن اعلام الله لك بذلك قبل وقوعه
ثم عن وقوعه كما اخبر ان تعلم انه بارادته وقدرته فيقال لك **تأس** اي تحزن
على القوم الكافرين لان ربك العليم القدير لو علم فيهم خيرا لاقبل بهم اليك والحاصل
انه ختم هذه الاية بمعلول الاية التي قبلها فكانه دليل على ان الله هو الهادي المضل
فلا تحزن على من ادبر ولما كان ما مضى في هذه السورة غالبا في فضائح اهل الكتاب
لا سيما اليهود وبيان انهم عسوا على الكفر ومردوا على الجحد وتمرنوا على البهت وعتوا عن
اوامر لله كان ذلك موجبا لانه ربما حدث في الخاطر انه ان امن منهم احد لم يقبل او ان
يتولاهم ليس في دعائنا حينئذ فاين فلا تدعنا اخبر ان الباب مفتوح لهم ولغيرهم من جميع
اهل الملل وانه ليس بين الانسان وبين ان يكون من اهل الا عدم الاخلاص فاذا اخلص
اذن في دخوله ونودي بقوله تعالى وهو محسن لما اخبر عن كثير منهم بالزيادة في
الكفر رغب القسم الاخر على وجه يعم غيرهم او يقال انه لما طال الكلام معهم كان ربما ظن

ان الامى ترغيبا وترهيبا وامرا ونهيا خاص بهم فوقع الاعلام بانهم وغيرهم من
جميع الفرق في ذلك سوا تسوبغا لمقدار هذا النبي الكريم بعموم الدعوة واحاطة
الرسالة فقال سبحانه ان الذين امنوا اي قالوا امنا والذين هادوا اي اليهود
والصابيون اي القايلون بالاوثان السماوية والاصنام الارضية والنصارى اي
الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام ولما كان اليهود قد عبدوا الاصنام متقربين
بها الى النجوم في استنزال الروحانيات ابها كا في السحر الذي جاءهم نبيهم موسى صلى الله
عليه وسلم بابطاله وكان ذلك هو معنى دين الصابية فرق بين فريقي بني اسرايل
بهم مكتفيا بهم عن ذكر بقية المشركين لما مضى في البقرة ولما سبق في هذه السورة
من ذم اليهود بالنقض للميثاق والكفر واللعن والقسوة وتكرر الخيانة واخفا الكتاب
والمسارعة في الكفر والنفاق والتخصيص بالكفر والظلم والفسق وغير ذلك من الطامات
ما سد الاسماع كان قبول توبتهم جديرا بالانكار وكانوا هم بتكبرون عنا دا
فلاح العرب من امن منهم ومن لم يومن فاقتضى الحال كون الفريقين في حيز الياس
ولم يتقدم للصابية ذكر هنا اصلا فاخرجوا منه تنبيها على ان المقام للترغيب في
التوبة وجعل هولا مع شناعة حالهم بظهور ضلالهم لكن لا انكار لقبول توبته كان
غيرهم اولى بذلك ولما كان حال النصارى مشتبها جعلوا في حيز الاحتمال للعطف
على اليهود لما تقدم من ذمهم وعلى الصابية لخفة حالهم بانهم مع ان اصل دينهم صحيح
لم يبلغ ذمهم السابق في هذه السورة مبلغ ذم اليهود من امن اي منهم مخلصا من
قلبه ولعله ترك الخالق اعترافا في التعميم بالله واليوم الاخر اي الذي يبعث فيه
العباد دار راحتهم واشباحهم ويبعث ذكره على الزهادة والجد في العبادة
وعمل صالحا اي صدق ايمانه القلبي بما امر به يعتد به في دنيا ولا
اخرة فلا خوف عليهم ولا هم اي خاصة يحزنون على شي فات لانه لا يفوتهم شي يوسف عليه اصلا واما
غيرهم فهم في الحزن ابدا وفي هذه الاية تكذيب لهم في قولهم ليس علينا في الاميين سبيل
المشار اليه في هذه السورة بنسبتهم الى اكل السحت في غير موضع وفي نصوص
التورية الموجودة بين اظهرهم الان اعظم فاضح لهم في ذلك كما سبق في اوايل البقرة
وقال في السفر الرابع منها عند ذكر التيه ووصاياهم اذا ادخلهم الى الارض المقدسة
ومكنهم فيها باشيا منها القربان وان سكن بينكم رجل غريب يقبل الى اوفى
لاحقا بكم اولادكم ويقرب قربانا لريح قدار الذبيحة للرب يفعل كما فعلتم انتم وللكن
السنة واحدة لكم وللذين يقبلون الى ويسكنون بينكم سنة جارية لاحقا بكم الى الابد والذين
يقبلون الى من الغربا يكونون امام الرب مثلكم وللكن لكم سنة واحدة وحكومة واحدة
لكم وللذين يقبلون الى ويسكنون معكم ولما كانت هذه البشارة الصادقة من العزيز
العليم الذي اهل الكتاب اعرف الناس بها لمن امن كاينا من كان موجبة للرحمة

في الايمان

في الايمان والتعجب ممن لم يسارع اليه وكان اكثر اهل الكتاب انما يسارعون في الكفر
كان الحال مقتضيا لتذكر ما مضى من قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وزيادة التعجب منهم مع ذلك فاعاد سبحانه الاخبار به
موكدا لتحقيقا الامر وتفخيما لشانه وسياقه على وجه يرد دعوى النبوة والمحبة
ملتفتا مع التذكير باول قصصهم في هذه السورة الى اول السورة اوفوا بالعقود
وعبر في موضع الجلالة بنون العظمة وجعل بدل النقبا الرسل تعالى مستانفا
لقد اخذنا اي على ما لنا من العظمة ميثاق بني اسرايل اي على الايمان بالله ثم
بمن ياتي بالمعجز مصدقا لما عندهم بحيث يقوم الدليل على انه من رسل الله الذين
تقدم اخذ العهد عليهم بالايمان بهم وارسلنا اليهم رسلا اي لم نكتف
بهذا العهد بل لم نخلهم لمن بعد موسى من الرسل الذين يرون الايات ويجددون
لهم اوامر الرب الى زمن عيسى عليه السلام روى الشيخان عن ابي هريرة رضي
الله عنه البخاري في بني اسرايل ومسلم في المغازي روى الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه البخاري في بني اسرايل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرايل تسوسهم
الانبيا كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وسيكون خلفا فيكثرون قالوا فما تامرنا
قال فوا ببيعة الاول فالاول فاعطوهم حقهم فان الله سايلهم عما استرعاهم انتهى ومع ذلك
فلم يخل لهم زمان طويل من الكفر لا في زمن من بعد من الانبيا عليهم السلام حتى قتلوا
كثيرا من الرسل وهو معنى قوله جوابا لمن كانه قال ما فعلوا بالرسل كلما جاءهم رسول
اي من اولئك الرسل اي رسول كان بما لا تهوى انفسهم اي بشي لا تحبه نفوسهم محبة بتنا قط
بها اليه خالفوه فكانه قيل اي مخالفة فقيل فريقا كذبوا اي من غير قتل ودل على شدة
بشاعة القتل وعظيم شناعته بالتعبير بالمضارع تصويرا للحال وتنبيها على ان هذا ديدنهم وهو
اشد من التكذيب فقال تعالى وفريقا يقتلون اي مع التكذيب وحسبوا اي مع مباشرتهم
لهذه العظايم التي ليس بعدها شي الا تكون فتنة اي انه يصيبهم بها عذاب في الدنيا ولا في
الاخرة بل استخفوا بامرها فلا تعجب انت من جراتهم في ادعايهم انهم ابنا واحبا
فعموا اي تسبب عن اولادهم اذلال الولد والمحبوب جهلا منهم وحماقة بطنهم انهم
لا ينالهم فتنة انهم عموا حتى في زمن موسى عليه السلام وصموا اي بعده وبعد يوشع عليه
السلام لان الصمم اضر من العمى ثم تاب الله عليهم اي فرجعوا الى الحق ويكون لهم ذلك
ثم عموا اي في زمن المسيح عليه السلام وصموا اي بعده ولما كان الاتيان بالضمير منهما
لان ذلك عمهم كلهم اعلم سبحانه ان ذلك ليس كذلك بقوله كثير منهم الا ان سوقه للعبادة
هذا المساق يدل على ان من لم يكفر منهم كان متزلزلا غير راسخ القدم في الهدى
والله اعلم وربما دل عليه قوله والله بصير بما يعملون اي وان دقوا وان كانوا يظنون
انهم اسروا اعمالهم على علم وقد مضى في قوله من لعنه الله وغضب عليه ما يشهد لهذا

من عباداتهم بعلا الصنم وغيره من الاصنام من بعد منة ولما اخبر تعالى بفساد
اعمالهم دل على ذلك بقوله مستنتجا مبينا من حال النصارى ما بين من حال اليهود
ومؤكدا الختم ايذن التبليغ بما ينقص دعواهم في البنوة والمحبة لقد كفر اي ستر ما دلا عليه
العقل وهدى اليه النقل الذين قالوا ان الله اي على ما له من نعوت الجلال والجمال
هو المسيح تبين بصيغة فعيل التي لا مانع من ان تكون للمفعول بعد عما ادعوا فيه ثم اوضح ذلك
بقوله ابن مريم ايضا حالا حقا معه ولما كانت دعوى الاتحاد الذي قول اليعقوبية
اشد في الكفر وابعد لله من دعوى التثليث الذي هو قول النسطورية والملكية
القايلين بالاقانيم قدمها وبين تعالى انهم خالفوا فيها امر المسيح الذي ادعوا انه هو
الاله فقال وقال اي والحال انه قال لهم المسيح اي الذي كفروا به والحال انه قال لهم المسيح
شفقة عليهم يا بني اسرايل اي الذي كان يتشرف بعبادة الله وتسميته بانه عبد اعبدوا
الله فامرهم باد الحق لا هلا مذكرا لهم بعظمته ثم ذكرهم باحسانه وانه واياهم
في ذلك شرع واحد فقال ربي وربكم فلم يطيعوا الاله الحق ولا الذي ادعوه الها
فلا اضل منهم ولا اسفه قال ابو حيان في النهر وهذا الذي ذكره تعالى عنه
هو مذكور في انجيلهم يعراونه ولا يعملون به وهو قول المسيح يا معشر بني العمودية وفي
رواية يا معشر الشعوب قوموا بنا الى ابي وابيكم والهي والهكم ومخلصي ومخلصكم انتهى وقد
اسلفت انا في عمران وغيرها عن الانجيل كثيرا من شواهد ذلك وياتي في هذه السورة
وغيرها كثير منه ولما امرهم بما يفهم منه الاخلاص لله تعالى في العبادة لما ذكر من جلاله
وان ما سواه مربوب ولا تداعي الاعنيا فمن اشرك به شيا لم يعتد له بعبادة علله
بقوله انه من يشرك اي الان اوبعد الان في زمن من الازمان بالله اي الذي
تفرد بالجلال فقد حرم الله عليه الجنة اي منعه من دخولها منعا عظيما متحتما ولما
كان المنع من دار السعدا مفهما للكون في دار الاشقيا صرح به فقال ومأواه اي محل سكناه
النار ولما جرت عادة الدنيا بان من نزل به ضيم تسعى في الخلاص منه بانصاره واعوانه
نفى ذلك سبحانه مظهرا للوصف المقتضي لشقايهم تعليلا وتعميما فقال وما للظالمين
اي لهم لظلمهم من انصار لا بفدا ولا بشفاعة ولا مقاهرة بمجاهرة ولا مساترة لان
من وضع عمله في غير موضعه فكان ماشيا في الظلام لا تمكنه اصلا مقاومة من هو في
النور اصلا ولما انقضى هذا النقض وقدمه لانه كما مضى اشد اشنعه ابطال دعوى
التثليث بقوله مبدلا من تلك النتيجة سحرا اخرى لقد كفر الذين قالوا ان الله اي
على ما له من العظمة التي منها الغنى المطلق ثالث ثلاثة ولما علم بكفرهم اشار الى ابطاله
كما اشار الى ابطال الاول كما سلف بما لا يخفى على احد تحقيقا لتلبسهم بمعنى الكفر
الذي هو ستر ما هو ظاهر فقال وما اغرق في النفي كما هو الحق واقتضاه المقام
من اله الا اله واحد اي قالوا ذلك والحال انه لا يصلح ولا يتصور في العقل ان يكون

ودعا الى الحق

الا له متعدد الا تحقيقا ولا تقديرا بوجه من الوجوه وقد بين عيسى عليه السلام في الانجيل
الذي بين اظهرهم انه لا يصلح ان يكون الاله الا واحدا بالمعتمد من ادلة ذلك
عند محققي اهل الاصول وهو برهان التمانع المشار اليه في كتابنا بقوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فقال مترجمهم في انجيل متى حينئذ اتى اليه اي عيسى
عليه السلام باعمى اخرس به شيطان فابراه حتى انه تكلم وابصر فبهت الجمع كلهم
وقالوا لعل هذا هو ابن داود فسمع الفريسيون فقالوا هذا لا يخرج الشياطين
الا ببعل زبول رئيس الشياطين فلما علم مكرهم قال لهم كل مملكة تنقسم
على ذاتها انها تخرب وكل مدينة او بيت تنقسم لا تثبت فان كان الشيطان
يخرج الشيطان فقد انقسم فكيف يقوم ملكه فان كنت انا اخرج الشياطين
ببعل زبول فابناؤكم بماذا تخرجونهم من اجل هذا يحكمون عليكم وان كنت
انا بروح الله اخرج الشياطين فقد قربت منكم ملكوت الله وكيف يستطيع
احد ان يدخل بيت القوي ويخطف متاعه الا ان يربط القوي اولا حينئذ
ينهب بيته وقال مرقش واما الكتبة الذين اتوا من يروشليم فقالوا ان بعلزبول
معه وباركون الشياطين يخرج الشياطين فدعاهم وقال لهم كيف يقدر
شيطان ان يخرج شيطانا وكل مملكة تنقسم لا تثبت تلك المملكة واذا
اختلف اهل البيت لا يثبت ذلك البيت وان كان الشيطان الذي يقاوم نفسه وينقسم
فلن يقدر ان يثبت لكن له انقضا لا يقدر احد ان يدخل بيت القوي وينتهب بيته الا
ان يربطه اولا وينتهب متاعه الحق اقول لكم ان كل شي يغفر لبني الناس من الخطايا
والتجديف الذي يجدفونه والمجدفين على روح القدس ليس يغفر لهم الى الابد بل يحل
بهم العقاب الدايم لانهم يقولون ان معه روحا نجسا قال متى من ليس معي فهو علي
ومن لا يجمع معي فهو يفرق من اجل هذا اقول لكم ان كل خطيئة وتجديف يترك للناس
والتجديف على الروح القدس لا يترك ومن يقل كلمة على ابن الانسان لا تترك له والذي
يقول على روح القدس لا يترك له في هذا الدهر ولا في الاتي اما ان تصيروا الشجرة
الجيدة وثمرتها جيدة واما ان تصيروا الشجرة الردية وثمرتها ردية لان من الثمر تعرف
الشجرة يا اولاد الافاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصلاح وانتم شرار انما يتكلم
الفم من فضل ما في القلب الرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج الصلاح والرجل الشرير
من كنزه الشرير يخرج الشر اقول لكم ان كل كلمة يتكلم بها الناس بطالة يعطون عنها
جوابا في يوم الدين لانك من كلامك تبرر ومن كلامك يحكم عليك وفي انجيل لوقا
وبينما هو يتكلم رفعت امراة من الجمع صوتها وقالت طوبى للبطن الذي حملتك
وللثدي الذي ارضعتك فقال لها مهلا طوبى لمن يسمع كلام الله ويحفظه انتهى
حينئذ اجابه قوم من الكتبة والفريسيين قايلين نريد يا معلم ان ترينا اية اجابهم

وقال لهم الجيل الشرير الفاسق يطلب اية فلا يعطى اية الا اية يونان النبي قال لوقا
فكما كان في يونان اية لاهل نينوى كذلك يكون ابن الانسان لهذا الجيل ايضا اتمتى
رجال نينوى يقومون في الحكم ويحاكمون هذا الجيل لانهم تابوا بكرز يونان وقال
لوقا بانذار يونان وههنا افضل من يونان ملكة التيمن تقوم في الحكم مع هذا الجيل
وتحاكمه لانها اتت من اقصى الارض لتسمع من حكمة سليمان وههنا افضل من سليمان
ان الروح النجس اذا خرج من الانسان ياتي اماكنه ليس فيها ما يطلب راحة فلا
يجد فيقول حينئذ ارجع الى بيتي الذي خرجت منه فياتي فيجد المكان فارغا مكنوسا
مزينا فيذهب حينئذ وياخذ معه سبعة ارواح اخر شرا منه وياتي ويسكن هناك
فتصير اخرة ذلك الانسان شرا من اولته وهكذا يكون لهذا الجيل الشرير انتهى والتجديف
هو الكفر بالنعم ويونان يونس عليه السلام والكرزة سيفها لوقا بانها للانذار ~~والانذار والتيمن~~
والتيمن اليمن ولاركون بضم الهمزة والكاف بينهما لوقا بانها الانذار والتيمن اليمن
وا مهملة ساكنة الكبير وبروسليم بفتح التحتانية وضم المهملة وشين معجمة بيت المقدس
وباعل زبول بوجه وعين مهملة وزا اوبا موحدة هذا الدليل على التوحيد وان الشركة
في الالهية لا تصح اصلا واما الدليل على عدم شركة كل من عيسى وامه عليهما السلام بخصوصهما
نسبا اتى تقريره بقوله تعالى كانا ياكلان الطعام والمراد من ذلك انه متى دخلت
الشركة الى النقص فعلا او امكانا ومن اعتراه شايبة نقص لم يصح كونه الها ولما
اخبر انهم كفروا واشار الى نقض اولهم كان انسب الاشيا بعده ان يعطف عليه ترهيبهم
ثم ترغيبهم فقال تعالى **وان لم ينتهوا عما يقولون** اي من هاتين المقالتين وما داناهما
ليمسن الذين كفروا اي داموا على الكفر وبشر سبحانه بانه يتوب على بعضهم بقوله
منهم عذاب اليم ولما كان من شان العاقل انه لا يقدم على باطل فان وقع ذلك منه وسعر بنوع
ضرر بادر الى الاقلاع عند تسبب هذا الانذار بعد بيان العوار الانكار عليهم
في عدم المبادرة الى التوبة ايضاحا لان معنى كفروا داموا عليه فقال **افلا يتوبون**
الى الله اي المتصف بكل وصف جميل **ويستغفرونه** اي يطلبون منه غفران ما اجرموا
عليه من العار البين العوار **والله** اي والحال انه ازلا وابدا **غفور** اي بليغ المغفرة
بمحو الذنوب فلا يعاتب عليها ولا يعاقب **رحيم** بالغ الاكرام لمن اقبل اليه ولما ابطل
الكفر كلوا باثبات افعاله من ارساله وانزاله وغير ذلك من كماله واثبت التوحيد على وجه
عام اتبع ذلك تخصيص ما كفر به المخاطبون بالابطال فكان ذلك دليلا خاصا بعد دليل
عام فقال تعالى على وجه الحصر في الرسلية ردا على من يعتقد فيه الالهية **ما المسيح ابن مريم**
الا رسول وبين انه ما كان بدعا ممن كان قبله من اخوانه بقوله **قد خلت من قبله الرسل**
اي فما من خارقة له الا وقد كان مثلها واعجب منها لمن قبله كادم عليه السلام في خلقه
من تراب وموسى عليه السلام في قلب العصى حية تسعى ونحو ذلك ولما كفروا بامه ابتدا عليها السلام

بين

٢٦١

بين ما هو الحق في امرها فقال **وامه صديقة** وهذه الاية من ادلة من قال ان مريم
عليها السلام لم تكن نبية فانه تعالى ذكر اشرف صفاتهما في معرض الرد على من
قال بالهيتهما اشارة الى بيان ما هو الحق في اعتقادهما لهما من اعلى الصفات وانه من
رفع واحد منهما فوق ذلك فقد اطراه ومن نقصه عنه فقد ازدراه فالقصد العدل
بين الافراط والتفريط باعتقاد ان اعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة واكمل
صفات امه الصديقية ولما كان المقام مقام البيان عن عز ولمهاعن رتبة الالهية
ذكرا بعد الاوصاف منها فقال **كانا ياكلان الطعام** وخص الاكل بانه نقصان ظاهر
ظاهر هو اصل النقايص المعتبرة للانسان فهو تنبيه على غيره ومن الامر الجلي ان الاله لا ينبغي
ان يدنوا الى حمى بعض اصلا وقد اشتمل قوله تعالى وقال المسيح وقوله كانا ياكلان الطعام
على اشرف احوال الانسان واخسها فاشرفها عبادة الله واخسها الاشتغال عنها بالاكل الذي
هو مبدا النقايص ولما اوضح ما هو الحق في امرهما حتى ظهر كالشمس بعدهما عما ادعوه فيهما ابعه
التعجيب من تمام قدرته على اظهار الايات وعلى الاضلال بعد ذلك البيان فقال **انظر**
كيف نبين لهم الايات اي نوضح ايضاحا شافيا العلامات التي من شانها الهداية الى الحق والمنع
من الضلال ولما كان العمى عن هذا البيان في غاية البعد اشار اليه باداة التراخي فقال
ثم انظر اني اي كيف ومن اين **يوفكون** اي يصرفون عن الحق وبيان الطريق صرف من لا
نور له اصلا ولما نفى عنهما الصلاحية لرتبة الالهية للذات اتبعها نفي ذلك من حيث
الصفات فقال منكرا مصرحا بالاعراض عنهم اشارة الى انهم ليسوا اهلا للاقبال عليهم **قل**
اتعبدون ونبه على ان كل شي دونه وانهم اتخذوهم وسيلة اليه بقوله **من دون الله** ونبه باثبات
الاسم الاعظم على ان له جميع الكمال وعبر عما عبدوه باداة ما لا يعقل تنبيها على انه هو سبحانه الذي
افاض عليه ما رفعه عن ذلك الحد ولو شا لسلبه عنه فقال **ما لا يملك لكم ضرا** اي من
نفسه فتخشوه **ولا نفعا** اي فترجوه ليكون لكم نوع عذر او شبهة ولا هو سميع يسمع كل
ما يمكن سمعه بحيث يغيث المضطر اذا استغاث به في اي مكان كان ولا عليم يعلم
كل ما يمكن علمه بحيث يعطي على حسب ذلك وكل ما يملكه من ذلك فبتمليك الله له
كما ملككم من ذلك ما شا ولما نفى عنه ما ذكر تصريحا وتلويحا اثبته لنفسه المقدسة
كذلك فقال **والله** اي والحال انه **هو** اي خاصة **السميع العليم** وهو وحده
الضار النافع وانما قرن بالسميع العليم دون البصير لارادة التهديد لمن عبد غيره
لان العبادة قول او فعل ومن الفعل ما محله القلب وهو الاعتقاد ولا يدرك
بالبصر بل بالعلم والاية كما ترى من الاجناس دل بما اثبته لنفسه على سبيل القصر
على نفيه في الجملة الاولى عن غيره وبما نفاه في الجملة الاولى عن غيره على اثباته
له والله الموفق ولما قامت الادلة لا حد على امره صلى الله عليه وسلم ان ينهى الفريقين
عن الغلو بالباطل في امر عيسى عليه السلام اليهود بانزاله عن رتبته والنصارى برفعه

عنها بقوله تعالى **قل يا اهل الكتاب** اي عامة **لا تغلوا** اي تجاوزوا الحد علوا ولا نزولا **في دينكم** ولما كان الغلو ربما اطلق على شدة التخصيص عن الحقايق واستنباط الخفي من الاحكام والدقايق من خبايا النصوص نفي ذلك بقوله **غير الحق** وعرفه لتفيد ان المبالغة في الحق غير منهي عنها وانما المنهي عنه تجاوز دايرة الحق بكمالها ولو نكر لكان من جاوز حقا الى غيره واقعا في الذي كرر حاوز الاجتهاد في صلاة النافلة الى الحد في العلم النافع ولو قيل باطلا لاوهم ان المنهي عنه المبالغة في الباطل لا اصله ومطلقه ولما نهاهم ان يضلوا بانفسهم نهاهم ان يقلدوا وافي ذلك غيرهم فقال **ولا تتبعوا** اي فاعلين فعل من يجتهد في تتبع **اهوا قوم قد ضلوا من قبل** اي من قبل زمانكم عن منهاج العقل قصرا واعلي ضلالهم واسرا بما تمادوا عليه من محالهم **واضلوا كثيرا** اي من الناس بتماديهم في الباطل حتى ظن حقا **وضلوا** اي بما بدلوا الشرع **عن سوا السبيل** لان الشرع هو الميزان القسط والحكم العدل وهذا اشارة الى انهم ان لم ينتهوا كانوا على محض التقليد لاسلافهم الذين هم في غاية البعد عن المنهج وترك الاهتدا بنور العلم وهذا غاية في التبكيت فان تقليدهم لو كان فيما يشبه الحق كان جهلا فكيف وانما هو تقليد في هوى ولما نهاهم عن ذلك ونجه عليهم علله محذرا منه بقوله تعالى **لعن** ووصفهم بما نبه على علة لعنهم بقوله **الذين كفروا** وصرح بنسبتهم تعيينا لهم تبكيتا وتقريعا فقال **من بني اسرايل** واكد هذا اللعن وفخمه بقوله **على لسان داود** اي الذي كان على شريعة موسى عليه السلام **وعيسى ابن مريم** اي الذي نسخ شرع موسى عليه السلام لانهم خالفوا النبيين معا فلاهم تقيدوا بما دعاهم اليه داود عليه السلام من شرعهم الذي هم مرعون التمسك به وعارفون بان ما دعاهم اليه منه حقا ولاهم خرجوا عنه الى ما امر وابالخروح اليه على لسان موسى عليه السلام في بشارته به معدين بطاعته فلم يبق لهم علة من التقيد بدولا التقيد بحق دعاهم اليه حتى نعلم قطعا انهم مع الهوى كما مضى ولم ينفعهم مع نسبهم الى واحد من الشريعتين نسبتهم الى اسرايل عليه السلام فانه نسب واحد عند الله دون التقوي لاسيما في يوم الفصل اذ الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولما اخبر بلعنهم واشار الى تعليله بكفرهم صرح بتعليله بقوله **ذلك** اي اللعن التام **بما** اي بسبب ما **عصوا** اي فعلوا في ترك احكام الله فعل العاصي على الله **وكانوا يعتدون** اي كانت مجاوزة الحدود التي حدها الله لهم خلقا ذكر الاشارة الى لعنهم في الزبور والانجيل قال في الزبور السابع والسبعين من الزبور انصت يا شعبي لوصاياي قربوا اسماعكم الى قول فمي فاني افتح بالامثال فمي وانطق بالسراير الازلية التي سمعناها وعرفناها واخبرنا اباونا بها ولم تخفوها عن ابنايهم ليعرفوا الجيل الاتي تسابيح الرب وقوته وعجايبه التي صنعها اقام شهادته في يعقوب وجعل ناموسا في اسرايل كالذي اوصي اباونا ليعلموا ابناهم لكي ما يخبر الجيل الاخر البنين الذين يولدون ويقومون

ويعلمون

ويعلمون ايضا بنيهم ان يجعلوا توكلهم على الله ولا ينسوا اعمال الرب ويتبعوا وصاياه ليلا يكونوا كابايهم الجيل المنحرف المخالف الخلف الذي لم يتق قلبه ولم يومن بالله المفرج عنه بنو افرام الذين اوتروا ورموا عن قسيهم وانهزموا في يوم القتال لانهم لم يحفظوا عهد الرب ولم يشاوا الى ان يسيروا في سبله ونسوا احسن اعماله وصنايعه التي اظهرها قدام ابايهم العجايب التي صنعها بارض مصر في مزارع صاعان فلق البحر واجازهم واقام المياه كالزقاق هداهم بالنهار في الغمام وفي الليل اجمع بمصابيح النار فلق صخرة في البرية وسقاهم منها كاللجج العظيمة اخرج الما من الحجر فجرت المياه تجري كالانهار وعاد الشعب ايضا في الخطية واسخطوا العلي حيث لم يكن ماجربوا الله في قلوبهم بمسلة الطعام لنفوسهم دمدموا على الله وقالوا هل يقدر ان يصنع لنا مايدة في البرية لانه ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الاودية هل يستطيع ان يعطينا خبزا او يعد مايدة لشعبه سمع الرب وغضب واشتعلت النار في يعقوب وصعد الرجز على اسرايل لانهم لم يومنوا بالله ولا رجوا خلاصه فامر السحاب من فوق وانفتحت ابواب السما وانزل لهم المن لياكلوا اعطاهم خبز السما اكل الانسان ارسل اليهم صيدا ليشبعوا اهاج ريح التيمن من السما واتى بقوة الغاصف وانزل اللحم مثل التراب وطير السما ذات الاجنحة مثل رمل البحار يستقطن في محالهم حول خيامهم فاكلوا وشبعوا جدا اعطاهم شهوتهم ولم يحرمهم ارادتهم فبينما الطعام في افواههم اذ غضب الله نزل عليهم فقتل في كثرتهم وصرع في مختاري اسرايل ومع هذا كله اعطوا اليه ايضا ولم يومنوا بعجايبه حسب بالباطل اياهم وتصرمت عاجلا سنوهم فحين قتلهم رغبوا الى الله وعادوا وانكروا اليه وذكروا ان الله معينهم وان العلي مخلصهم احبوه بافواههم وكذبوه بالسنتهم ولم تخلص له قلوبهم ولم يومنوا بعهده وهو رحيم روف يغفر ذنوبهم ولا يهلكهم ويرد كثيره سخطه عليهم ولا يبعث كل زجرة وذكر انهم لحم وروح يذهب ولا يعود مرارا كثيرة سخطوه في البرية واغضبوه في ارض طايبة وعادوا واجربوا الله واسخطوا قدوس اسرايل ولم يذكروا يده في يوم نجاهم من المضطرين انتهى هذا بعض ما في الزبور واما الانجيل وطابح بشي منه ما في انجيل متى قال وانتقل يسوع من هناك وجا الى عبر الجليل وصعد الى الجبل وجلس هناك وجا اليه جمع كثير معهم خرس وعمي وعرج وعسم واخرون كثير واعند رجليه فابراهم وتعجب الجمع لانهم منذ ثلاثة ايام ههنا وليس عندهم ما ياكلون ولا اريد اطلقهم صياما ليلا يضيعوا في الطريق قال مرقس لان منهم من جا من بعيد انتهى قال له التلاميذ من اين نجد من خبز القمح في البرية ما يشبع هذا الجمع فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز فقالوا سبعة ويسير من سمك فامر الجمع ان يجلس على الارض واخذ السبع خبزات والسمك وبارك وكسر واعطي تلاميذه وناول

التلاميذ الجمع فاكل جميعهم وشبعوا ورفعوا فضلات الكسر سبع قفاف مملوة وكان
الذين اكلوا نحو اربعة الاف رجل سوى النسا والصبيان واطلق الجمع وصعد السفينه
وجا الي تخوم مجدل وقال مرقش الى نواحي مابونا وجا الفريسيون والزنادقة
يجربونه ويسلونه ان يريهم اية من السما فاجابهم يسوع قايلا اذا كان المسا قلتم
ان السما صاحية الاحمرارها وبالغداة يقولون اليوم شتا الاحمرار جو السما العبوس
ايها المروان تعلمون ان هذا الزمان الجيل الشرير الفاسق يطلب اية ولا يعطى
الا اية يونان النبي وتركهم ومضى ثم جا التلاميذ الى العبر ونسوا ان ياخذوا خبزا
قال مرقش ولم يكن في السفينه الا رغيف واحد وان يسوع قال لهم انظروا واحترزوا من خمير الفريسيون والزنادقة وقال مرقش وخمير هيردوس ففكروا قايلين
انا لم نجد خبزا فعلم يسوع فقال لهم لماذا تفكرون في نفوسكم يا قليلي الامانة انكم
ليس معكم خبزا ما تفهمون او لا تذكرون الخمس خبزات بخمسة الالاف وكم سلا اخذتم
والسبع خبزات لاربعة الالاف وكم قفة اخذتم لماذا لا تفهمون لاني لم اقل لكم
من اجل الخبز حينئذ فهموا انه لم يقل لهم ان يحترزوا من خمير الخبز لكن من تعليم
الزنادقة والفريسيين وقال لوقا احترزوا لانفسكم من خمير الفريسيين الذي هو
الريا لانه ليس خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلم الذي يقولونه في الظلام سيسمع
في النور والذي وعيتموه في الاذان سوف ينادي به على السطوح اقول لكم يا احبابي
لا تخافوا ممن يقتل الجسد وبعد ذلك ليس له ان يفعل اكثر خافوا ممن اذا قتل له سلطان
ان يلقي في نار جهنم وستاتي بقية الاشارة الي لعنهم في سورة الصف ان شا الله تعالى
والقسم جمع اعسم بمهملتين وهو من في يده او قدمه اعوجاج او يبس ولما علل
تعالى لعنهم بعصيانهم وغلوهم في الباطل سببه مخصصا للعلما منهم بزيادة تهديد
لانهم مع كونهم على المنكر لا ينهون غيرهم عنه مع انهم احذر من غيرهم بالنهي فصاروا
على منكرين شديدي الشناعة فقال تعالى **كانوا لا يتناهون** اي لا ينهي بعضهم
بعضا وبين اغراقهم في عدم المبالاة بالتنكير في سياق النفي فقال **عن منكر**
ولما كان الفعل ما كان من الاعمال عن داعية من الفاعل سوا كان عن علم او لا عبرة
اشارة الى ان لهم في ايقاع المناكر غراما من غلب عليه الشهوة فلم يبق له نوع علم فقال
فعلوه ولما كان من طبع الانسان النهي عن كل ما خالفه طبعا او اعتقادا لا سيما ان تايد
بالشرع وكان لا يكف عن ذلك الا بتدريب النفس عليه لغرض فاسد اراه اليه مقسما معبرا بالفعل
الذي يعبر به عما قد لا يصحبه علم ولا يكون الا عن داعية عظيمة فقال **لبيس ما كانوا**
يفعلون اشارة الى انهم لما تكررت فضايحهم وتواترت قبايحهم صاروا الي حين ما
لا يتاتى منه العلم ولما اخبر باقرارهم على المناكر دل على ذلك بامر ظاهر منهم لازم ثابت
دايم متوص لبنيان دينهم هادم فقال موجها الخطاب لاصدق الناس فراسة وازهم

علما



علما وانبههم توسما وفهما **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا** اي المشركين مجتهدين
في ذلك مواظبين عليه وليس احد منهم ينهاهم عن ذلك ولا يقبح عليهم مع شهادتهم عليهم
بالضلال هم واسلافهم الي ان جا هذا النبي الذي كانوا في غاية الانتظار وبه في
نهاية الاستبشار وكانوا يدعون الايمان به ثم خالفوه فمنهم من استمر على المخالفة
ظاهرا وباطنا ومنهم من ادعي انه تابع واستمر على المخالفة باطنا فكانت موالاته
للمشركين دليلا على كذب دعواه ومظهر لما اضمر من المخالفة واخفاه ولما
كان ذلك منهم ميلا مع الهوي بغير دليل اصلا قال **لبيس ما قدمت** اي تقديم
النزل للضيف **لهم انفسهم** اي التي من شانها الميل مع الهوي ثم بين ما قدمت
بقوله **ان سخط الله** اي بجميع ما له من العظمة **عليهم وفي العذاب** اي الكامل من الادنى
في الدنيا والاكبر في الاخرة **هم خالدون** ولما كان هذا دليلا على كفرهم دل عليه بقوله
ولو اي فعلوا ذلك مع دعواهم الايمان والحال انهم لو **كانوا** اي كلهم **يؤمنون**
اي يوجد منهم ايمان **بالله والنبي** اي الذي له الوصلة التامة بالله ولذا اتبعه قوله
وما انزل اليه اي من عند الله اعم من القران وغيره **ما اتخذوهم** اي المشركين مجتهدين
في ذلك **اوليا** لان مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد فمن كان منهم باقيا على يهوديته
ظاهرا وباطنا فالالف في النبي لكشف سريرته للعهد اي النبي الذي ينتظرونه
ويقولون انه غير محمد صلى الله عليه وسلم او للحقيقة او لو كانوا يؤمنون بهذه
الحقيقة اي حقيقة النبوة ما والوهم فانه لم يات نبي الا بتكفير المشركين
كما اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله الانبيا اولاد علات امهاتهم شتى ودينهم
واحد كما سياتي قريبا في حديث ابي هريرة يعني والله اعلم ان شرايعهم وان اختلفت
في الفروع فهي متفقة في الاصل وهو التوحيد ومن كان منهم قد اظهر
الايمان فالمراد بالنبي في اظهار زيغه وميله وحيفه محمد صلى الله عليه وسلم
لانه نهي عن موالاة المشركين بل عن مشاركتهم ولم يرض الا بعداوتهم ومحاربتهم
ولما افهمت الشرطية عدم ايمانهم استثنى منها بوضع الفسق موضع عدم الايمان على
انه الحامل عليه فقال **ولكن كثيرا منهم فاسقون** اي متمكنون في خلق المروق
من دواير الطاعات ولما دل كالشمس ميلهم الى المشركين دون المؤمنين على انهم في غاية
العداوة لهم صرح تعالى بذلك على طريق الاستنتاج فقال دالا على رسوخهم في الفسق
لتجدن اشد الناس اي كلهم **عداوة للذين امنوا** اي اظهروا الاقرار بالايمان
فكيف بالراسخين فيه **اليهود والذين اشركوا** لما جمعهم من طعنهم بالانبيا هوى
جهلا واولايك عنادا وبغيا فعرف ان من صدق في ايمانه لا يواليهم بقلبه ولا بلسانه
وانهم ما اجتمعوا على الموالاة الا لاجتماعهم في اشد به العداوة لمن امن فهذه الاية
تعليل لما قبلها كانه قيل هب انهم لا يؤمنون بالله والنبي وذلك لا يقتضي موادة المشركين

فلم والوهم حينئذ فقيل لان الغريقين اجتمعوا في اشديه العداوة للذين امنوا ولما
اخبر تعالى بابعد الناس مودة لهم اخبر بضدهم فقال ولتجدن اقربهم اى الناس مودة
للذين آمنوا اى اوجدوا الايمان بالقلب واللسان الذين قالوا انا نصارى
اى لغلبة اهتمامهم بالدنيا بمجرد قولهم ذلك ولو لم يكونوا عريقين في الدين واقبالهم
على علم الباطن ولذلك علله بقوله ذلك بان منهم قسيسين اي مقبلين على العلم من
التخلي عن الدنيا وهو ملازمة الشيء وتتبعه ورهبانا اي في غاية التخلي من الدنيا ولما كان التخلي
منها موجبا للبعد من الحسد وهو سبب لمجانبة الكبر قال وانهم لا يستكبرون اي
لا يطلبون الرفعة على غيرهم ولا يوجد ذلك منهم ولما كان ذلك علة لرقة القلب قال واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول اي الذي ثبتت رسالته بالمعجز فكان من شانه ان يبلغ ما انزل
اليه للناس ترى اعينهم ولما كان البكا سببا لامتلا العين بالدمع وكان الامتلا سببا
للفيض الذي حقيقته السيلان بعد الامتلا عبر بالمسبب عن السبب فقال تفيض من الدمع
واصله يفيض دمعها ثم تفيض هي دمعا فهو من انواع التمييز ثم علل الفيض بقوله
مما عرفوا من الحق وليس لهم غرض دنيوي يمنعهم عن قبوله ثم بين حالهم في مقالهم
بقوله يقولون ربنا اى المحسن الينا آمنا اي بما سمعنا فاكتبنا ولما كان من
شان الشاهد احضار القلب والقا السمع والقيام التام بما يتلى عليه ويندب اليه
قال مع الشاهدين اى فان تقويتنا على ذلك ليست الا اليك وما اي ويقولون ما اى
اي شي حصل او يحصل لنا بسبب ان لا نؤمن بالله اي الذي لا خير الا منه وما جانا من
الحق اى الامر الثابت الذي نهى عرض على الوقايع طابقته الواقع سوا كان حالا
او ماضيا او اتيا ولما كانوا بهضمهم انفسهم عبروا بالطمع الذي لا نظر معه لعمل فقالوا
ونطمع ان يدخلنا ربنا اي بمجرد احسانه لا بعمل منا ولحرمهم في هذا المضمار عبروا
بمع دون من في قولهم مع القوم الصالحين هضما لانفسهم وتعظيما لرتبة الصلاح
ولما ذكر قولهم الدال على حسن اعتقادهم وجميل استعدادهم ذكر جزاهم عليه فقال
فاثابهم الله بما قالوا اي جعل ثوابهم على هذا القول المستند الى خلوص النية الناشي
عن حسن الطوية جنات تجري من تحتها الانهار ولما كان النقدير لاحسانهم
اي كلهم واختلفوا طرد الامر في غيرهم فقال وذلك اى الجزا العظيم جزا المحسنين
في هذه الواقعة بعد اتفاقهم على انها في النجاشي واصحابه وذلك مبسوط في شرحي لنظمي
للسيرة النبوية فمن ذلك انه لما قدم جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ممن هاجر
الحبشة مع اصحابه رضي الله عنهم قدم معهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي رضي الله عن
الجميع وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب الصوف اثنان
وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وهم بحيرا الراهب وابرهة وادريس
واشرف وتمام وتميم ودريد وايمن فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
يس

يس الى اخرها فبكوا حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل
على عيسى فانزل الله فيهم هذه الايات لتجدن اشد الناس الى اخرها ذكر ذلك
الواحدي في اسباب النزول بغير سند ثم اسند عن سعيد بن جبير في قوله تعالى
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا قال بعث النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خيار اصحابه ثلاثين رجلا فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يس فبكوا فنزلت
فيهم هذه الاية واذا نظرت مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم للملوك ازددت
بصيرة في صدق هذه الاية فانه ما كاتب نصرانيا الا امن او كان لينا ولو لم يسلم
كهرقل والمقوقس وهوذة بن علي وغيرهم وعامتهم انهم ظنوا بملكهم واما غير
النصارى فانهم كانوا على غاية الغطاطة ككسرى فانه مزق كتابه صلى الله عليه
وسلم ولم يجز رسوله بشي واما اليهود فكانوا جيران الانصار ومواليهم واحبابهم
ومع ذلك فاحوالهم في العداوة غاية كما هو واضح في السير مبين جدا في شرح لنظمي للسيرة
وكان السر في ذلك مع ما تقدم من باعث الزهد انه لما كان عيسى عليه السلام اقرب
الانبيا زمنا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان المنتمون اليه ولو كانوا كفرة اقرب الامم
مودة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم والى ذلك يشير ما رواه الشيخان في الفضايل عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اولى الناس بعيسى بن مريم
في الدنيا والاخرة الانبيا اولاد علات وفي رواية ابنا وفي رواية وفي رواية اخوة
لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيني وبينه وفي رواية وليس بيني وبين
عيسى نبي وفي رواية لمسلم انا اولى الناس بعيسى ابن مريم وفي الاولى والاخرة قالوا كيف
يا رسول الله قال الانبيا اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي
ولما ذكر سبحانه جزا المطيعين المبادرين الى الاذعان ترغيبا ذكر جزا من لم يفعل
فعلهم ترهيبا فقال والذين كفروا اي ستروا ما اوضحته له عقولهم من الدلالة
على صحة ما دعتهم اليه الرسل وكذبوا اي عاندوا باياتنا اي بالعلامات المضافة
لعظمها الينا اوليك اي البعدا من الرحمة اصحاب الجحيم ولما مدح سبحانه الرهبان
وكان ذلك داعيا الى الترهب وكانت الرهبانية حسنة بالذات قبيحة بالعرض
شريعة في المبدا دنية في المال فانها مبنية على الشدة والاجتهاد في الطاعات والتو ربع
عن اكثر المباحات والانسان مبني على الضعف مطبوع على النقايص يدعوه طبعه
ويساعده ضعفه الى عدم الوفا بما عاقد عليه ويشرع بما له من صغرا لحالة اليه
فيقع في الخيانة كما قال تعالى فما رعوها حق رعايتها عقب ذلك بالنهي عنها في
هذا الدين والاخبار بانه بناه على التوسط رحمة منه لاهله ولطفا بهم تشريفا لنبيهم
صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الافراط فيه والتفريط فقال تعالى يا ايها الذين
امنوا اي وجد منهم الاقرار بذلك لا تحرموا تصديقا لما اقررتم به ورعيهم في

كلوا طيبات
امتثال امره بان جعله موافقا لطباعهم ملايما لشهواتهم فقال
ما اي الطيبات التي ما احل الله وذكر هذا الاسم الاعظم اعظم مرغب في
ذلك فان الاقبال على المنحة يكون على مقدار المعطي واكد ذلك بقوله
لكم اي واما هو سبحانه فهو منزه عن الاغراض لا ضر يلحقه ولا نفع لان له
الغني المطلق ولما اطلق لهم ذلك حثهم على الاقتصاد وحذرهم من مجاوزة الحد
افراطا وتفريطا فقال ولا تعتدوا تدل بصيغة الافتعال على ان الفطر الاولي
مبنية على العدل فعدولها عنه لا يكون الا بتكليف ثم علل ذلك بقوله ان الله اي
وهو الملك الاعظم لا يحب المعتدين لا يفعل فعل المحب من الاكرام للمفرطين في الورع
بحيث يحرمون ما احلت ولا للمفرطين فيه الذين يحللون ما حرمت اي يفعلون
فعل المحرم من المنع وفعل المحلل من التناول ومما ذكر من سبب نزول الاية واضح في ذلك
روى الواحدي في اسباب النزول بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اذا اكلت من هذا اللحم انتشرت الى النسا
واني حرمت علي اللحم فنزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ونزلت وكلوا مما رزقكم
الله الاية وقال وتبعه عليه البغوي قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر الناس ووصف القيمة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من
الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر الصديق وعلي ابن ابي طالب وعبد
الله بن مظعون مسعود وعبد الله بن عمرو وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة
والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن واتفقوا على ان يصوموا
النهار ويقوموا الليل ولا ينامو على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النسا
والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم انبا انكم اتفقتم على كذا قالوا بلى
يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا
وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي
فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النسا والطعام
والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا
فانه ليس في ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم
ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة
واتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا فشدد
الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله تعالى هذه الاية فقالوا
يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه فانفقوا
فانزل الله عز وجل قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية ولا تعارض بين

سبب نزول الآية الكريمة

الخبرين لامكان الجمع بان يكون الرجل لما سمع تذكير النبي صلى الله عليه وسلم سال ولو لم يجمع
صح ان يكون كل منهما سببا فالشي الواحد قد تكون له اسباب جمة بعضها اقرب من
بعض ثم الاحاديث الواردة في ذلك ما روى البغوي بسنده من طريق ابن المبارك
في كتاب الزهد عن سعيد بن مسعود ان عثمان بن مظعون رضي الله عنه اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ايذن لنا في الاختصا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى
ولا اختصى ان خصا امتي الصيام فقال يا رسول الله ايذن لنا في السياحة فقال ان
سياحة امتي الجهاد فقال يا رسول الله ايذن لنا في الترهب فقال ان ترهب امتي
الجلوس في المساجد انتظار الصلاة وللشيخين والترمذي والنسائي والدارمي عن
سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال اراد عثمان بن مظعون رضي الله عنه ان يتبتل فنهاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو اذن له ولو اجاز له التبتل لاختصينا وللدارمي عن
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ايضا قال لما كان من امر عثمان بن مظعون رضي الله
عنه الذي كان من ترك النسا بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان اني لم
امر بالرهبانية ارغبت عن سنتي قال لا يا رسول الله قال من سنتي ان اصلي وانام واصوم
واطعم وانكح واطلق فمن رغب عن سنتي فليس مني يا عثمان ان لاهلك عليك حقا ولعينك
عليك حقا قال سعد فوالله لقد كان اجمع رجال من المسلمين على ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان هو اقر عثمان على ما هو عليه نختصي فنتبتل قال شيخنا ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف
وروى الطبراني من طريق ابن جريج عن مجاهد قال اراد رجال منهم عثمان بن مظعون
وعبد الله بن عمرو ان يتبتلوا ويخصوا انفسهم ويلبسوا المسوح ومن طريق ابن جريج عن
عكرمة ان عثمان بن مظعون وعلي ابن طالب وابن مسعود والمقداد بن الاسود وسالما
مولى ابي حذيفة في جماعة تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النسا ولبسوا المسوح وحرموا
طيبات الطعام واللباس وهموا بالاختصا واجمعوا لقيام الليل وصيام النهار
فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية فبعث اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وصلوا
وناموا فليس منا من ترك سنتنا وللترمذي عن سمرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن التبتل وقرا قتادة ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية وللنسائي عن عايشة رضي الله عنها نحوه اشار اليه الترمذي وللطبراني في
الاوسط عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالباه
وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الانبيا
يوم القيمة ومنها ما روى الشيخان عن عبد الله رضي الله عنه انه قال كنا نغزو
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا شي وفي رواية نسا وفي رواية كنا ونحن شباب
فقلنا يا رسول الله الا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المراة بالثوب ثم

موا

قرا علينا عبد الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية ومنها
ما روى البخاري وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اني
رجل شاب واني اخاف على نفسي العنت ولا اجد ما اتزوج به النسا قال النسائي
فاختصي فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم
قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة جف القلم بما انت لاق فاختص
على ذلك او ذر وقال النسائي اودع ومنها ما روى الشيخان وغيرهما عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال جا ثلثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهن يسالون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية مسلم والنسائي ان
نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سالوا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر
فلما اخبروا كانهم تقالوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل ابدا وقال اخر
انا اصوم الدهر ولا افطر وقال اخر انا اصوم الدهر ولا افطر اعتزل النسا ولا
اتزوج ابدا وفي رواية وقال بعضهم لا اكل اللحم وقال بعضهم لا انام على فراشي
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه وقال ما بال اقوام قالوا كذا وكذا
وفي رواية فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انتم الذين قلتم كذا
وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد
واتزوج النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني والمبهمون في الحديث قال
شيخنا في مقدمة شرحه للبخاري هم ابن مسعود وابو هريرة وعثمان
ابن مظعون وسياتي مفرقا ما يشير الى ذلك يعني ما قدمته انا فاني ذكرت قيل هم
سعد بن ابي وقاص وعثمان بن مظعون وعلي ابن ابي طالب وفي مصنف عبد الرزاق
من طريق سعيد بن المسيب ان منهم عليا وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهم وقال شيخنا في تخريج احاديث الكشاف ان هذا اصل ما رواه الواحدي
عن المفسرين وللشيخين والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم
فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة سوالهم واختلافهم على انبيايهم وفي رواية
ذروني ما تركتكم وفي رواية ما تركتم فانما اهلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم
واختلافهم على انبيايهم ولابي داود عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم وللامام احمد في المسند والحاكم
في علوم الحديث عن جابر وانس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض عبادة الله اليك فان المنبت لا ارضا
قطع ولا ظهرا ابقى المتين الصلب الشديد والايغال المبالغة والمنبت بنون وموحدة

وفقاية

وفوقانية مشددة هو الذي انقطع ظهره وروى البخاري عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا
وقاربوا وابشروا وفي بعض الروايات والقصد القصد تبلغوا ولمسلم وابن ماجه
وهذا اللفظ عن حنظلة الكاتب التميمي الاسيدي رضي الله عنه قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكرت الجنة والنار كانا راي عين فقمت الى اهلي فضحكت ولعبت
فذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت ابا بكر رضي الله عنه فقلت نافقت نافقت فقال
ابو بكر انا لنفعله فذهب حنظلة فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا حنظلة لو كنتم
كما تكونون عندي لصافحتكم الملايكة على فرشكم او على طرقكم يا حنظلة ساعة وساعة
ولفظ مسلم من طرق جمعت متفرقها عن حنظلة وكان من كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم قال لقيني ابو بكر رضي الله عنه فقال كيف انت يا حنظلة قلت
نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكرنا بالنار والجنة كانا راي عين فاذا خرجنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا قال ابو بكر رضي الله عنه فوالله
انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول
الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا راي عين فاذا خرجنا من عندك
عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم
الملايكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن ساعة وساعة وساعة ثلاث مرات وفي
رواية قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار وفي رواية
الجنة والنار ثم جيت الى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المراة فخرجت فلقيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله نافق حنظلة فقال مه فحدثته
بالحديث فقال ابو بكر وانا معه فقلت مثل ما فعل فقال يا حنظلة ساعة وساعة
ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملايكة حتى تسلم عليكم في الطرق
ومن هنا تبين لك مناسبة اول المجادلة لاخر الحديد الذي كاع في معرفتها الا الافاضل
وكع عن نظلها لغرضي الا اكابر الاماثل وسياتي ان شا الله تعالى بيان ذلك وايضاح
ما فيه من لطيف المسالك ومن هذه الاية وما اتبعها التفات الى قوله تعالى احلت لكم بهيمة
الانعام وقوله قل احلت لكم الطيبات وما احسن تصديرها بيا ايها الذين امنوا
كما صدر اول السورة به وقد مضى بيان ان جميع ما مضى في الوفا بالعقود فكان كانه
قال تعالى اوفوا بالعقود فلا تتهاونوا بها فتنقضوها ولا تبالغوا فيها فتكونوا
معتدين فتضعفوا فانه لن يشاد الدين احد الا غلبه بل سددوا وقاربوا والقصد

القصد بتلغوا وقال ابن الزبير بعد قوله من الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
ثم فصل للمومنين افعال الفريقين اي اليهود والنصارى ليبين لهم فيما نقضوا ثم
بين تفاوتهم في البعد عن الاستجابة فقال تعالى لتجدن اشد الناس الاية ثم نصح عباده
وبين لهم ابوابا منها دخول الامتحان وبالي سلب في كل الا بتلا فقال لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ولا تعتدوا فانكم ان فعلتم ذلك كنتم شارعين لانفسكم وظالمين انتهى
وما احل شامل لكل ما كانوا ارادوا ان يتورعوا عنه من الماكل والملابس والمناكح
والنوم وغير ذلك ولما كان الحال لما الزموا به انفسهم مقتضيا للتاكيد امر بالاكل
بعد ان نهى عن الترك ليجتمع على اباحته كل من الامر والنهي فقال تعالى وكلوا ورغبهم فيه
بقوله مما رزقكم الله ولما كان الرزق يقع على الحرام قيده بقوله حلالا ولما كان سبحانه
قد جعل الرزق منهيا وصفه امتنانا وترغيبا فقال طيبا ويجوز ان يكون تيدا
محذرا مما فيه شبهة تنبيها على الورع ويكون معنى طيبه بتيقن حله فتكون بحيث تتوافر
الدواعي على تناوله وتبا توفرها على تناولها ولما هي نهاية في اللذة شهوة وطبعا وان
يكون مخرجا لما نقا فر النفس مما اخذني الفساد في اللذة من الاطعمة ليلا يضر وان
يكون مخرجا لما فوق سد الرمق في حالة الضرورة ولهذا وامثاله قال واتقوا الله اي من
ان تحلوا حراما او تحرموا حلالا لاثم وصفه بما يوجب رعي عهوده والوقوف عند حدوده
فقال الذي انتم به مومنون اي تابتون على الايمان به فان هذا الوصف يقتضي
رعي العهود وخص سبحانه الاكل والمراد جميع ما نهي عن تحريمه من الطيبات لانه سبب
لغيره من الممتنعات فلما نزلت كما نقل البغوي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه
الاية قالوا يا رسول الله وكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا
عليه فانزل الله تعالى لا يواخذكم الله اي على ما لكم من تمام الجلال باللغو وهو ما يسبق
اليه اللفظ من غير قصد في ايمانكم على اني لم اعتمد على سبب النزول في المناسبة كما بينته
في اول غزوة احد في ال عمران وانما كان السبب هنا داخلا في مناسبة النظم لان
تحريم ما احل يكون تارة بنذر وتارة بيمين والنذر في المباح وهو مسلتنا لا ينعقد
وكفارته كفارة يمين فحينئذ لم تدع الحاجة الا الى التعريف بالايمان واحكامها
فقسمها سبحانه الى يمين مقصود وغير مقصود فاما غير المقصود فلا اعتبار به واما
المقصود فقسمان حلف على ماض وحلف على ات فاما الحلف على الماضي فهو اليمين
الغموس التي لا كفارة فيها وسياتي في اية الوصية واما الحلف على الاتي وهو الذي
يمكن التحريم به فذكر حكمه هنا بقوله تعالى ولكن يواخذكم ولما كان مطلق الحلف
الذي منه اللغو يطلق عليه عقد لليمين اعلم ان المواخذة انما هي بتعمد القلب
وهو المراد بالكسب في الاية الاخرى فعبر بالتفعيل في قراءة الجماعة والمفاعلة
في قراءة ابن عامر تنبيها على ان ذلك هو المراد من قراءة حمزة والكسائي بالتخفيف فقال

بما عقدتم الايمان اي بسبب توثيقها فلا يحل لكم الحنث فيها الا بالكفارة ولما
اثبت تعالى المواخذة سبب عنها بقوله فكفارته اي الامر الذي يستر هذا
التعقيد ويزيل اثره بحيث تصيرون كانكم ما حلفتم اطعام عشرة مساكين اي
لكل مسكين مد من طعام من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اعدله في
الجودة والقدر كيله وكيفيته فهو مد جيد من غالب القوت سوى كان من الحنطة
او التمر او غيرهما او كسوتهم اي بثوب يغطي العورة من قميص او ازار او غيرهما
او تحرير رقبة اي اعتاق فمن لم يجد اي مومنة كما تقدم في كفارة القتل هذا ما
على المكلف على سبيل التخيير والتعيين البدا اذا كان واحد للثلثة او لاحدها فمن لم
اي واحدا منها فصيام اي فالكفارة صيام ثلثة ايام ولما تم ذلك اكد في النفوس
وذرع بقوله ذلك اي الامر العدل الحسن كفارة ايمانكم اي المعقدة اذا حلفتم ولما
كان التقدير فافعلوا ما قدرتم عليه منه عطف عليه ليلا يتهاون الايمان لسهولة الكفارة
قوله واحفظوا ايمانكم اي فلا تحلفوا ما وجدتم الى ذلك سبيلا ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم فانه سبحانه عظيم ومن اكثر الحلف وقع في المحذور ولا بد ولما اشتملت هذه
الايات من البيان على ما يدهش الانسان كان كانه قيل هل يبين كل ما يحتاج
اليه هكذا فنبه من هذه الغفلة بقوله كذلك اي مثل هذا البيان العظيم الشان
يبين الله على ما له من العظمة لكم اياته على ما لها من العلو باضافتها اليه ولما اشتمل
ما تقدم من الاحكام والحكم والتنبيه والارشاد والاخبار بما فيها من الاعتبار على
نعم جسيمة ومنن عظيمة جليلة ناسب ختمها بالشكر المربي لها في قوله على سبيل التعليل
المودن بقطعه ان لم توجد العلة لعلكم تشكرون اي بحفظ جميع الحدود الامرة والناهية
ولما تم بيان حال الماكل وكان داعيه الى المشرب احتيج الى بيانه فبين تعالى المحرم منه
ليعلم ان ما عداه مادون في التمتع به وذلك محاذ في تحريم شي معترك تبلا لانه بعد الحلال اخر
لما في اول السورة من تحريم الميتة وما ذكر معها بعد احلال بهيمة الانعام وما معها فقال
تعالى انما الخمر واضاف اليها ما واخاها في الضرر دينا ودنيا وفي كونه سببا للخصام وكثرة
اللغط المقتضي المفضي للحلف والاقسام فقال والميسر اي الذي تقدم ذكره في البقرة والانصاب
والازلام المتقدم ذكرهما في اول السورة وحكمة ترتيبها هكذا انه لما كانت الخمر غاية في الحمل على
اتلاف المال قرن بها ما يليها في ذلك وهو القمار ولما كان الميسر مفسدة المال قرن به مفسدة
الدين وهي الانصاب ولما كان تعظيم الانصاب شركا جليا ان عبدت وخفيا ان ذبح عليها
دون عبادة قرن بها نوعا من الشرك الخفي وهو الاستقسام بالازلام ثم امر باجتناب الكل
اشارة وعبارة على اتم وجه فقال رجس اي قذر اهل لان يبعد عنه بكل اعتبار حتى
عن ذكره ووحد الخبر للنص على الخمر وللاعلام بان اخبار الثلثة حذفت وقدرت لانها اهل
لان يقال في كل واحد منها على حدته كذلك ولا يكفي عنها خبر واحد على سبيل الجمع ثم قال زاد في

فقال
التنفير عنها بقوله من عمل الشيطان ثم صرح بما اقتضاه السياق من الاجتناب
واكد بما تقدم من الحكم ثم علل بما يفهم انه لا يوثر شي من المطالب مع مباشرتها
فاجتنبوه
فقال لعلكم تفلحون اي تظفرون بجميع مطالبكم ولما كانت حكمة النهي عن الانصاب
والازلام قد تقدمت في اول السورة وهي انها فسق اقتصر على بيان علة النهي عن
الخمر والميسر فقال انما يريد الشيطان اي بتزيين الشرب والقمار ان يوقع
بينكم العداوة ولما كانت العداوة قد تزول بزوال اسبابها ذكر ما ينشا عنها
مما اذا استحكم تعسر او تعذر زواله فقال والبغضا في الخمر والميسر اي تعاطيهما
ولما ذكر سبحانه ضررهما في الدنيا ذكر ضررهما في الدين فقال ويصدكم عن ذكر
الله وكرر الجار تاكيدا للامر وتغليظا في التحذير فقال وعن الصلاة واعظم
التهديد بالاستفهام والجملة الاسمية الدالة على الثبات فقال فهل انتم
منتهون ولما كان ترك ما الوف امر من ضرب
السيوف اكد دعوتهم الى اجتنابه تحذيرا من المخالفة بقوله واطيعوا الله اي في
امركم بما من اجتناب ذلك واكد الامر باعادة العامل فقال واطيعوا الرسول
اي في ذلك وزاد في التخويف بقوله واحذروا اي من المخالفة ثم بلغ الغاية في ذلك
بقوله فان توليتم اي بالاقبال على شي من ذلك واشار بصيغة التفعل الى ان ذلك انما
يعمل بمعالجة من النفس للفطرة الاولى وعظم الشان في ابتدا الجزا بالتنبيه بالامر
بالعلم فقال فاعلموا انما على رسولنا اي البالغ في العظمة مقدارا يجل عن الوصف
باضافته الينا البلاغ المبين اي لا غير فمن خالف فلينظر ما ياتيه من البلا
من قبلنا وهذا ناظر الى قوله بلغ ما انزل اليك من ربك فكان قيل ما عليه
الا ما تقدم من الزامنا لتبيه من البلاغ فمن اختار لنفسه المخالفة كفر والله
لا يهدي من كان يختار لنفسه الكفر ولما كانوا قد سالوا عند نزول الاية
عما من شان الانفس الصالحة الناظرة للورع التحرك للسوال عنه وهو من مات
منهم وهو يفعلها قال جوابا لذلك السوال ليس على الذين امنوا وعملوا اي
تصديقا لايمانهم الصالحات جناح فبين سبحانه ان هذا السوال عبر وارد لانهم لم يكونوا
منعوا منه وكانوا مومنين عاملين للصالحات متقين لما يسخط الرب من المحرمات
وقد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر
وياكلون الميسر فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى يسالونك
عن الخمر والميسر الاية فقال الناس لم يحرم علينا انما قال فيهما اثم كبير فكانوا
يشربون الخمر حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين المغرب خلط في قراته
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فكانوا يشربونها

جـ

حتى ياتي احدهم الصلاة وهو مفيق فنزلت يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الاية
فقالوا انتهينا يا رب وقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرشهم
وكانوا يشربون الخمر وياكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان فانزل الله تعالى
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو حرمت عليهم
لتركوها كما تركتم ولا يضر كونه من رواية ابي معشر وهو ضعيف لانه موافق لقواعد
الدين وروى الشيخان عن انس رضي الله عنه قال كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر
في بيت ابي طلحة رضي الله عنه وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر واذا مناد ينادي
الا ان الخمر قد حرمت فقال ابو طلحة رضي الله عنه اخرج فاهرقها فاهرقتها فقال بعض
القوم قد قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح الاية على انه لو لم يرد هذا السبب كانت المناسبة حاصلة وذلك انه تعالى لما
اباح الطيب من الماكل وحرم الخبيث من المشرب نفى الجناح عمن ياكل او يشرب
ما عدا ما حرمه فاتى بعبارة تعم الماكل والمشرب فقال فيما طعموا اي ماكلا كان او
شربا وشرط ذلك عليهم بالتقوى فتخرج المحرمات فقال اذا ما اتقوا اي اوقعوا
جميع التقوى التي يطلب منهم فلم يطعموا محرما ولما بدا بالتقوى وهي خوف الله الحامل على
البعد عن المحرمات ذكر اساسها الذي لا تقبل الا به فقال وامنوا ولما ذكر الاقرار
بالايمان ذكر مصداقه فقال وعملوا اي بما اداهم اليه اجتهادهم بالعلم الا الفاق
الصالحات ثم اتقوا اي اجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه وامنوا اي بانه من عند الله
وان الله له ان يمحو ما يشا ويثبت ما يشا وهكذا كلما تكرر تحريم شي كانوا بلا بسوه
ولما كان قد نفى الجناح اصلا وراسا شرط الاحسان فقال ثم اتقوا واحسنوا اي
لازموا التقوى الى ان اوصلتهم الى مقام المراقبة وهي الغنا عن رويته غير الله فافهم ذلك
انه من لم يبلغ رتبة الاحسان لا يمتنع ان يكون عليه جناح مع التقوى والايمان
يكفر عنه بالبلايا والمصايب حتى ينال ما قدر له مما لم يبلغه عمله من درجات الجنان
ومما يدلك على نفاسة التقوى وعلو شانها انه سبحانه كما شرعها في هذا العموم حث عليها
عند ذكر الماكل بالخصوص كما مضى فقال واتقوا الله الذي انتم به مومنون وهذا في غاية
الحث على التورع في الماكل والمشرب في اشارة الى انه لا يوصل الى مقام الاحسان الا به
والله الموفق ولما كان التقدير فان الله يحب المتقين المومنين عطف عليه قوله والله يحب
المحسنين ولما كان مما حرمه في بعض الاوقات وكان من امثال مطعوماتهم وكان قد ذكر
لهم بعض احكامه عقب قوله واحلت لكم بهيمة الانعام واحلت لكم الطيبات اخذ هنا في ذكر
اشيا من احكامه وابتداها لانهم خافوا على من مات منهم على شرب الخمر قبل تحريمها
بان سلبهم لتيسر الورع من غيره بالصيد في الحال التي حرمه عليهم فيها كما ابتلى بني اسرايل
في السبت فكان ذلك سببا لجعلهم قردة ومن سبحانه على الصحابة من هذه الامة بالعصمة عند

اي الذي له صفات الكمال

ذكر ما حرم من الطعوم في كل حال

بلواهم بيانا لفضلهم على من سواهم فقال تعالى مناديا لهم بما يكنهم ذكرهم من المخالفة يا ايها
الذين امنوا اي اوقعوا الايمان ولو على ادنى وجوهه فعم بذلك العالي والداني ليبلونكم
الله اي يعاملكم معاملة المختبر في قبولكم تحريم الخمر وغيره المحيط بكل شي قدرة وعلما وذكر
الاسم الاعظم اشارة بالتذكير بما له من الجلال الى انه له ان يفعل ما يشا واشار الى
تحقير البلوى تسكينا للنفوس بقوله بشي من الصيد اي المصيد في البر في الاحرام
وهو ملتفت الى قوله هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الاية وشارح لما ذكر اول
السورة في قوله غير محلي الصيد وانتم حرم الاية وما ذكر بعد المحرمات من قوله فكلوا
مما امسكن عليكم ووصف المبتلى به بوصف هو من اعلام النبوة فقال تناله ايديكم
اي ان اردتم اخذه سالما ورماحكم ان اردتم قتله ثم ذكر المراد من ذلك وهو اقامة الحجة على
ما يتعارفه العباد بينهم فقال ليعلم الله اي وهو الغني عن ذلك بما له من صفات الكمال
التي لا خفا بها عند احد لعلمه هذا الاسم الاعظم من يخافه بالغيب اي بما حجب به من هذه الحجوب
الدنيا التي حجبتم عن ان يصدوا حتى معرفته سبحانه والمعنى انه يخرج بالامتحان ما كان من
افعال العباد في عالم الغيب الى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقا شهوديا كما كان تعلقا
غيبيا لتقوم بذلك على الفاعل الحجة في مجاري عاداتكم ويزداد من له اطلاع على اللوح المحفوظ من
الملائكة ايمانا ويقينا وعرفانا وقد حقق سبحانه معنى هذه الاية فابتلاهم بذلك عام الحديبية
حتى كان يغشاهم الصيد في رحالهم ويمكنهم اخذه بايديهم ولما كان هذا ازجر في العادة عن
التعرض لما وقعت البلوى به وحاسما للطمع فيه ميز اسم لما جعل محط الذم من الايمان بسبب
عنه قوله فمن اعتدى اي كلف نفسه تجاوز الحد في التعرض له ولما كان سبحانه يقبل التوبة
عن عباده خص الوعيد بمن استغرق الزمان بالاعتداء فاسقط الجار لذلك فقال بعد
ذلك اي الزجر العظيم بما التذ من تعرضه اليه لما عرف بالميل الى هذا انه
الى ما هو اشهى منه كالخمر وما معها اميل ولما اخبرهم بالابتلاء صرح لهم بما لوح اليه بذكر الخائف
من تحريم التعرض لما ابتلاهم به فقال منوها بالوصف الناهي عن الاعتداء يا ايها الذين امنوا
وذكر القتل الذي اعم من الذبح اشارة الى ان الصيد لما عد من النوع المتعذر التمكن
من ذبحه يحل باي وجه كان من انواع القتل فقال لا تقتلوا الصيد اي لا تصطادوا
ما يحل اكله من الوحش واما غير الماكول فيحل قتله الا الايذاء من اداته المراد بالفسق في قوله
صلى الله عليه وسلم خمس من الدواب فواسق لا جناح على من قتلهن في حل ولا حرم وذكر منهن السبع
العادي فدل الحكم برفع الجناح عقب الوصف بالفسق كانه نبه على انه علة في الاباحة ومعنى
لفسقها الا اذاها وانتم حرم اي محرمون او في الحرم ولما كان سبحانه عالما بانه لا بد ان يوافق
موافق تبعا لامره ويخالف مخالف موافقته لمراده شرع لمن خالف كفارة تحقيقا منه على
هذه الامة دفعا لما كان على من قبلها من الاصار فقال عاطفا على ما تقديره فمن انتهى
فله عند ربه اجر عظيم ومن قتله منكم متعمدا اي قاصدا للصيد ذاكرا للاحرام عالما بالتحريم

ولما

ولما كان هذا الفعل العمد موجبا للاثم والجزا ومتى اختل وصف منه كان خطا موجبا
للجزا فقط وكان الله سبحانه قد عفى عن الصحابة رضي الله عنهم العمد الذي كان سببا
لنزول الاية كانه اخرها لم يذكره واقتصر على ذكر الجزا فقال فجزا اي فمكافاة مثل
ما قتل لانه كان محرما والحرم ان كان فيه من النعم لما قتله عليه اي عليه ان يكافي ما قتله
بمثله وهو من الاضافة المصدر الى الفاعل هذا على قراءة الجماعة بالاضافة فيرجع الى مثل
واما على قراءة الكوفيين ويعقوب بتنوين جزا ورفع مثل فالامر واضح ولما كان انه
قيل لم يعرف المماثلة قال يحكم به اي بالجزا ولما كانت وجوه المشابهة بين النعم وبين
النوع كثيرة احتاج ذلك الى زيادة التامل فقال ذوا عدل منكم اي المسلمين وعن
الشافعي ان الذي له مثل ضربان ما حكمت فيه الصحابة وما لم تحكم فيه فما حكمت فيه
لا يعدل الى غيره لانه قد حكم به عدلان فدخل تحت الاية لانه قد حكم وهم اولى من
غيرهم لانهم شاهدوا التنزيل وحضروا التاويل وما لم يحكموا به يرجع فيه الى اجتهاد عدلين
فينظران الى الاجناس الثلاثة من الانعام فكل ما كان اقرب شبها به يوجبانه فان كان
القتل خطا جاز ان يكون القاتل احد الحكمين وان كان عمدا فلا لانه يفسق به ولما كان
هذا المثل يساق الى مكة المشرفة على وجه الاكرام والنسك دفعا لبسا كنيتها قال مبينا
حالا من الضمير في به هديا ولما كان الهدي هو ما تقدم تفسيره صرح به فقال بالغ
الكعبة اي الحرم المنسوب اليها وانما صرح بها زيادة في التعظيم واعلاما بانها هي المقصودة
بالذات بالزيادة والعمارة لقيام ما يأتي ذكره بذبح الهدي بمكة المشرفة ويتصدق به على
مساكين الحرم واضافته لفظية لان الوصف يشبه سلع فلذا وصفت بها النكرة ولما كان
سبحانه رحيما بهذه الامة خيرها بين ذلك فقال وبين ما بعده او عليه كفارة هي
طعام مساكين في الحرم بمقدار قيمة الهدي لكل مسكين مدا او عدل ذلك اي قيمة المثل
صياما في اي موضع تيسر له عن كل مد يوم فاو للتخيير لانه الاصل فيها والقول بانها للترتيب
يحتاج الى دليل ولما كان الامر مفروضا في المتعمد قال معلقا بالجزا عن فعليه ان يجازى
بما ينقص المال او يولم الجسم ليذوق وبال اي ثقل امره وسو عاقبته ليحزي عن مثل
ما وقع فيه ولما كان هذا الجزا محكوما به في دار العمل التي لا يطلع اهلها لمجرد عقولهم
فيها على غيب ولا يعرفون عاقبة امر الا تخرصا طرد الحكم في غير المتعمد لئلا يدعي المتعمد
انه مخطي كل ذلك حمى لحومة الدين وصونا لحرمة الشرع وحفظا لحرمة الشرع لجانبه ورعاية
لشانه ولما كان قد مضى منهم قبل نزولها من هذا النوع اشيا كانوا كانهم قالوا فكيف
يصنع بما اسلفنا فقال جوابا عفا الله اي الغني عن كل شي الذي له الاحاطة بجميع صفات
الكمال عما سلف اي تعمدتم اي لكم من ذلك فمن حفظ نفسه بعد هذا فاز ومن
عاد اي تعمد شي من ذلك ولو قل ولما كان المبتدا متضمنا معنى الشرط قرن الخبر بالجزا
بالفاء اعلاما بالسببية فقال فينتقم الله اي الذي له الامر كله منه اي بسبب

ولما كان فاعل ذلك منتهكا لحرمه الاحرام والحرم
عوده بما يستحقه من الانتقام ولما كان ذلك ما اقتضا المقام من الاتيان بالاسم الاعظم
وكان التقدير والله قادر عليه عطف على ذلك اي الملك الذي لا ند له في عظمته عزيز لا يغالب
ووصف العزة فقال والله ولما كان هذا عاما في كل صيد بين انه خاص
ذو انتقام ممن خالف امره اي اصطياده الذي مبناه غالبا على الحاجة
بصيد البر فقال احل لكم صيد البحر وطعامه اي تصيبه طريا وقد بدا
والمراد به جميع المياه من الانهار والبرك وغيرها وكل ما لا يعيش الا في البحر وما يؤكل مثله
ولو كان طافيا قذفه البحر وهذا الحيتان بانواعها
في البر ولما احل من ذكر علته فقال متاعا لكم اي اذا كنتم مسافرين في البحر
او مقيمين وللسيارة اي يترددون الى حيث ارادوا من البر او البحر وفي تحليل
صيد البحر حالة الابتدا من النعمة على هذه الامة ما يبين فضلها على من كان قبلها
ممن جعل صيد البحر له محنة يوم الابتلا ولله الحمد والظاهر ان المراد بصيد البحر
الفعل لانه ثم امر بالاصطياد والاكل والمراد بيان حكمها فكانه احل اصطياد حيوان
البحر واحل طعام البحر مطلقا ما اصطادوه وما لم يصطادوه سوا كانوا مسافرين
او مقيمين وذلك لانه لما قدم تحريم اصطياد ما في البر بقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
اتبعه بيان احلال اصطياد صيد البحر حال تحريم ذلك ثم اتبعه بيان حرمة صيد البر
بقوله وحرم عليكم صيد البر اي اصطياده واكل ما صيد منه لكم وهو ما لا عيش له الا فيه وما
يعيش فيه وفي البحر فان صيد الحلال حل للمحرم اكله فانه غير منسوب اليه اصطياده بالفعل
ولا بالقوة ما دمتم حرما لان مبنى امرها الا في الاصطياد والاكل مما صيد على الترف والرفا
وقد تقدم ايضا حرمة اصطياد صيد البر وحرمة الاكل مما صيد منه وتكرير ذلك
بتكرير الاحرام في اية غير محلي الصيد واية لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فلا يعارضه
مفهوم ما دمتم وعبر بذلك ليكون نصا في الحرمة في كل جزء من اجزا وقت الاحرام
الى تمام التحلل والله اعلم ولما سقط الجزا بالخطا والجهل كسائر محظورات الاحرام ولما
كان الاصطياد لحشر المصيد الى حيث يعجز عن الخلاص منه وكانت حالة الاحرام اشبه
شي بحالة الحشر في التجرد عن المخيط والاعراض عن الدنيا وتمتعاتها ختم الاية بقوله
عطفا على ما تقديره فلا تاكلوا شيا منه في حال احرامكم واتقوا الله اي الذي له
الامر كله في ذلك وغيره من الاصطياد وغيره الذي اليه تحشرون ليكون العرض
عليه نصب اعينكم فتكونوا مواظبين على طاعته محترزين عن معصيته ولما كان
الاحرام وتحريم الصيد فيه انما هو لقصد تعظيم الكعبة بين تعالى حكمة ذلك وانه كما
جعل الحرم والاحرام سببا لامن الوحش والطير جعله سببا لامن الناس وسببا لحصول
السعادة دنيا واخرى تعالى مستانفا مبينا ان الحكمة المنعي في اول السورة من استحلال من قصدها
للزيادة جعل الله اي بما له من العظمة هو وكمال الحكمة ونفوذ الكلمة الكعبة وعبر عنها
بذلك

بذلك لانها ماخوذة من الكعب الذي به قيام الانسان وقوامه وبينها ما ذكر بقوله
البيت الحرام اي الممنوع من كل جبار دائما الذي تقدم في اول السورة انه منعكم
من استحلاله من يومه قياما للناس اي في امر معاشهم ومعادهم لانها لهم
كالعماد الذي يقوم به البيت فيامن به الخائف ويقوى فيه الضعيف
ويقصده التجار والحجاج والعمار فهو عماد الدين والدنيا ولما ذكر ما به القوام
من المكان اتبعه ذلك من الزمان فقال والشهر الحرام اي الذي يفعل فيه
الحج وعبر بالمفرد لانه الطائف ولما ذكر ما به القوام العام من المكان والزمان اتبعه
ما به قوام الفقرا من شعائره فقال والهدي ثم اتبعه اعز واخصه فقال والقلائد
اي والهدي العزيز الذي يقلد فيذبح ويقسم على الفقرا وفي الاية التفات الى ما في اول
السورة من قوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاية فقوامها ان من قصدها
في الشهر الحرام لم يتعرض له احد ولو كان قتل ابنه ومن قصدها في غيره ومعه هدي قد قلده
او لم يقلده او لم يكن معه هدي وقلد نفسه من لحا شجر الحرم لم يعرض له احد حتى ان بعضهم
بلغ الهدي وهو مضطر فلا يعرض له ولو مات جوعا وسوا في ذلك صاحبه وغيره لان الله
تعالى اوقع في قلوبهم تعظيمها لانه تعالى جبل العرب على الشجاعة ليفتح بهم البلاد شرقا
وغربا ليظهر عموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم فلزم من ذلك شدة حرصهم على القتل
والغارات وعلم ان ذلك ان دام بهم شغلهم عن تحصيل ما يحتاجون اليه لمعيشتهم
فادى الى فنائهم فجعل بيته المكرم وما كان من اسبابه امانا يكون به قوام معايشهم فكان المكرم
ذلك برهانا ظاهرا على ان الاله عالم بجميع المعلومات وان له الحكمة البالغة ولما اخبر
بعلة التعظيم لما امر بتعظيمه من نظم امور الناس ذكر علة ذلك الجعل فقال
ذلك اي الجعل العظيم الشان امر على ما اراد جاعله سبحانه لتعلموا اي بهذا التدبير
المحكم ان الله اي الذي له الكمال كله الذي جعل ذلك يعلم ما في السموات فلذلك رتبها
ترتيبها فضلت به الايام والليالي فكانت من ذلك الشهور والاعوام وفصل من
ذلك ما فضل للقيام المذكور وما في الارض فلذلك جعل فيها ما قامت به مصالح الناس
وكف به اسدهم وانتهم عن ضعيفهم وامن فيه الطير والوحش فنودي ذلك من له
عقل رصين وفكر متين الى ان يعلم ان فاعل ذلك من العظمة ونفوذ الكلمة بحيث
يستحق الاخلاص في العبادة وان لا يتبع امره في احلال ما احل الله من الطعام وتحريم
تحريم ما حرم من الشراب وغير ذلك ولما ذكر هذا العظيم فكل ما هو اعم منه فقال العلم
وان اي ولتعلموا ان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما الذي فعل ذلك فتم له بكل شي عليم
ولما اثبت جميع مقتضيات ذلك ونفى جميع موانعه حتى كان ولقد اتخذ العرب كما في
السيرة الهشامية وغيرها طواغيت وهي بيوت جعل لها سدنة وحجابا وهدايا اكثروا
منها وعظمت كل قبيلة ما عندها اشد تعظيم وطافوا به فلم يبلغ شي منها ما بلغ امر

ولما انتج
الكعبة المشرفة والاقاربَ يحصل العلم بانه سبحانه لا شي مثله ولا شريك له
هذا كله انه على كل شي قدير لانه بكل شي عليم وكانت هذه الاية كما تقدم ناظرة الى اول
السورة من اية لا تحلوا شعاير الله وما بعدها ثم نظر ذكره سبحانه جا الكتف ابه
حرمت عليكم الميتة من الوعيد الذي ختم به ما قبلها والوعد الذي ختمت هي به
في هذه الاية على ترتيبه سابقا له مساق التنبيه والنتيجة لما قبله بيانا لانه لا من ارتكب شيا
من هذه المنهيات كان حظه فقال محذرا ومبشرا لان الايمان لا يتم الا بهما **اعلموا**
ان الله الذي له العظمة كلها الذي نهى عنها **شديد العقاب** فليكن على حذر منه وان
من اوقعه في شي منها المقدر ثم فتح له التوفيق باب الحذر بكفر فيما فيه كفارة وتاب
كان مخاطبا بقوله **وان** اي واعلموا ان **الله** مع كونه شديد العقاب **غفور رحيم** تب
يقبل عليه ويمحو زلله ويكرمه فكان اكتناف اسباب الرجا سابقا للانذار ولا خفا
معلما بان رحمته غلبت غضبه وان العقاب انما هو لا تمام رحمته قال ابن الزبير
ثم قال جعل الله الكعبة الاية علي سوء العاقبة في منع البحث عن التعليل وطلب
الوقوف على ما لعله مما استاثر الله بعلمه ومن هذا الباب اي علي نهي في امر
البقرة وغيرهن وجعل هذا التنبيه ابهام اعقبه بما يفسره يا ايها الذين امنوا لا تسالوا
عن اشيا الاية ووعظهم بحال غيرهم في هذا وانهم سالوا فاعطوا ثم امتحنوا وقد
كان التسليم اولى لهم فقال تعالى قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ثم
عرف عباده انهم اذا استقاموا فلن يضرهم خذلان غيرهم يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم الاية ولما رغب سبحانه ورهب علم انه المجازي وحذف نافج كلمة انه
ليس الى غيره الا ما كلفه به فانتج ذلك ولا بد قوله **ما على الرسول** اي الذي من شانه
الا بلاغ **الا البلاغ** اي بانه يحل لكم الطعام وغيره ويحرم عليكم الخمر وغيرها وليس عليه
ان يعلم ما تضمرونه وما تظهرونه ليحاسبكم عليه **والله** اي المحيط بكل شي قدرة وعلما
يعلم ما تبدون اي تجددون ابدا في الاستمرار **وما تكتمون** من ايمان وكفر وعصيان
وطاعة وتعمد لقتل الصيد وغيره ومحبة للخمر وغيرها وتعمق في الدين بتحريم الحلال من
الطعام والشراب وغيره افراطا وتفريطا لانه الذي خلقكم وقدر ذلك فيكم في
اوقاته فيجازيكم على ما في نفس الامر من عصى بعقاب شديد العقاب ومن اطاع منحه حسن
الثواب واما الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحمل الا بما يعلمه بما يبدونه ما لم يكشف
له الباطن وامره فيه بامره وهذه ايضا ناظرة الى قوله تعالى بلغ ما انزل اليك
من ربك ولما سلب سبحانه العلم عن كل احد واثبته لنفسه الشريفة انتج ذلك انه
لا امر لغيره ولا نهي ولا اثبات ولا نفي فاخذ سبحانه يبين حكمة ما مضى من الاوامر
في احلال الطعام وغيره من الاصطياد والاكل من الصيد وغيره والزواجر عن الخمر
وغيرها بان الاشيا منها طيب وخبيث وان الطيب وان قل خير من الخبيث وان كثر ولا يميز

هذا

اي الذي له الحلال والحرام

هذا امر ذاك الا الخلاق العليم فربما ارتكب الانسان طريقة شهيها لنفسه ظانا انها
حسنة تجره الى الشقاوة وهو لا يشعر فيهلك كالرهبانية التي كانوا عزموا عليها والخمر
التي ربما ادعا شغفهم بها الى لا نزال فيها مرة بعد اخرى الى ان اكد فيها هنا اكد
اشد تاكيد وحذر فيها ابلغ تحذير فقال تعالى طاويا الخطاب الى اشرف الورى
صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لا ينهض بمعرفته هذا من الخلق غيره **قل لا يستوي**
الخبيث اي من المطعومات والطاعمين **والطيب** اي كذلك فانما تشوهوتم في الكثرة
من الفضل لا يوازي النقصان من جهة الخبيث ولما كان الخبيث من الذوات
والمعاني اكثر في الظاهر واشهى قال **ولو اعجبك كثرة الخبيث** والخبث والطيب
منه جسماني ومنه روحاني واخبثهما الروحاني واخبثه الشرك واطيب الطيب
الروحاني واطيبه معرفة الله وطاعته وما يكون للجسم من طيب او خبث ظاهر
لكل احد فاما لطخه نجاسة صار مستقذرا لارباب الطباع السليمة وما خالط
الارواح من الجهل صار مستقذرا عند الارواح من الجهل صلوا الكاملة المنزهة
وما خالطه من الارواح معرفة الله فهو اطيب على قدمته اشرف ما تولد اللغات لا الطيبة
وابتهج بالقرب من الارواح المقدسة الطاهرة وكما ان الخبث والطيب لا يستويان
في العالم الجسماني فكذلك لا يستويان في العالم الروحاني والتفاوت بينهما في العالم
الروحاني اشد لان خبث الجسماني قليلة ومنفعته طيبة يسيرة واما خبث الروحاني
لمضرته عظيمة دايمة وطيب الروحاني منفعته فليلة دايمة وهي القرب من الله تعالى
ولا تحط في زمرة السعدا وادل دليل على ارادة القضاة قوله **فاتقوا الله** اي اجعلوا
بينكم وبين ما يسخط من الحرام وقاية من الحلال لتكونوا من قسم الطيب فانه لا
معرب الى الله مثل الا نتهاعما حرم كما تقدمت الاشارة اليه بقوله ثم اتقوا واحسنوا
ويزيد المعنى وضوحا قوله **يا اولي الالباب** اي العقول الخالصة عن سوايب النفس
نتويش الطيب وان قل في الحس للكثير المعنى على الخبيث وان كثر في الحس لنقصه في المعنى
لعلكم تفلحون اي لتكونوا على رجا من ان تفوزوا بجميع المطالب وحينئذ ظهر كالشمس مناسبة
تعقيبها بقوله على طريق الاستيناف والاستنتاج **يا ايها الذين امنوا** اي اعطوا من
نفوسهم العهد على الايمان الذي معناه قبول جميع ما جا به من وقع به الايمان **لا تسالوا**
عن اشيا وذلك انهم اذا كانوا على خطر فيما يشرعون وفيما به ينتفعون من المآكل والمشارب
وغيرها من الاقوال والافعال فهم سالوا فيما عنده يسلون سواسا لو اسرعه او لانه
ربما اجابهم من لا يضره شي الى ما فيه ضررهم مما سالوه فانهم لا يحسنون التفرقة بين الخبيث
والطيب كما فعل اهل السبت حيث ابوا الجمعة وسالوه فاشتد اعتناؤها حينئذ بقوله
ان الله يحكم ما يريد وبقوله ما على الرسول الا البلاغ فكان كانه قيل فما لكم زيادة تحذروه
بقبول وحسن انقياد وما الا فلا تسالوا عنه وسبب نزولها كما في الصحيحين عن انس رضي

الملك الاعظم الذي له صفات الكمال

فغضب فصعد المنبر فقال
الله عنه انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه المسلة
لا تسالوني اليوم عن شي الا بينته لكم وشرع يكرر ذلك واذا رجل كان اذا لاحى الرجال
يدعى لغير ابيه فقال يا رسول الله من ابي قال حذافة ثم انشا عمر رضي الله عنه
فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من الفتن وفي اخرى
فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم وللبخاري في
التفسير عن انس ايضا رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة
ما سمعت مثلها قط قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابي قال فلان فنزلت
لا تسالوا عن اشيا الاية وللبخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم
يسلون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزا فيقول الرجل من ابي ويقول
الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا
عن اشيا حتى فرغ من الاية كلها ولابن ماجه مختصرا وللحافظ ابي القسم ابن عساكر
في الموافقات فيما اولاه المحب الطبري في مناقب العشرة ولابي يعلى في مسنده مطولا
عن ابي رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان ونحن
نرى ان معه جبريل عليه السلام حتى صعد الى المنبر وفي رواية فخطب الناس
فقال سلوني فوالله لا تسلوني عن شي اليوم الا اخبرتكم وفي رواية انباتكم فما رايت
يوما كان اكثر باكيا منه فقال رجل يا رسول الله وفي رواية فقام اليه رجل فقال
يا رسول الله انا كنا حديث عهد بجاهلية من ابي قال ابوك حذافة لابيه الذي
كان يدعى اليه وفي رواية ابوك حذافة الذي تدعى له فقام اليه اخر فقال
يا رسول الله اني الجنة انا ام في النار فقال في النار فقام اليه اخر فقال يا رسول
الله اعلينا الحج كل عام وفي رواية في كل عام فقال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم
تقوموا بها عذبتم فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفي رواية رسولا لا تفضحنا سترنا وفي رواية فقام
اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله انا كنا حديث عهد بجاهلية فلا تبد
علينا سرايرنا لا تفضحنا بسرايرنا اعف عنا عفا الله عنك فسري عنه ثم التفت الى الحايط
فذكر تمثل الجنة والنار فيه والامام احمد ومسلم والنساي والدارقطني والطبري عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال خطب وفي رواية خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل وفي رواية النساي فقال
الاقرع بن حابس التميمي اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلثا فقال من السايل
فقال فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ثم اذا
لا تسمعون ولا تطيعون ولكن حجوا حجة وفي رواية الدارقطني والطبري ولو وجبت ما اطقتموها

دلو

ولو لم تطيقوها وفي رواية الطبري ولو تركتموها لكفرتم فانزل الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تسلوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من
من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيايهم فاذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم
واذا نهيتكم عن شي فدعوه وفي رواية فاجتنبوه وهذا الحديث له الفاظ كثيرة من طرق
شتى استوفيتها في كتابي الاطلاع على حجة الوداع ولا تعارض بين هذه الاخبار ولو
تعددت ردها الى شي واحد لما تقدم عند قوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
من ان الامر الواحد قد تتعدد اسبابه بل وكل ما ذكر من اسباب تلك وما اشبهه
كقوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكوة فلما كتب
عليهم القتال الاية يصلح ان يكون سببا لهذه وروى الدارقطني في اخر الرضاع من
سننه عن ابي ثعلبة الخشني وفي اخر الصيد عن ابي الدردا رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرض فرايض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها وقال
ابو الدردا فلا تتكلفوها رحمة من ربكم فاقبلوها واخرج حديث ابي الدردا ايضا الطبراني
ولما كان الانسان قاصرا عن علم ما غاب فكان زجره عن الكشف عما يسوه زجرا له
عن كل ما يتوقع ان يسوه قال تعالى ان تبد اي تظهر لكم باظهار عالم الغيب لها تسوكم
ولما كان ربما وقع وهم متعنت ان هذا الزجر انما هو لقصد راحة المسول من السوال
خوفا من عواقبه قال وان تسلوا عنها اي تلك الاشيا التي تتوقع مساتكم عند ابدايها
حين ينزل القران اي والملك حاضر تبد لكم ولما كان ربما قال قايل لا سبيل عنها
ام لا قال عفا الله بما له من الغنا المطلق والعظمة الباهرة وجميع صفات الكمال عنها
اي سترها فلم يبدها لكم رحمة منه لكم وراحة مما يسوكم ويثقل عليكم في دين او دنيا ولما
كانت صفاته سبحانه ازلية لا توقف لواحده منها على غيرها ومنع الظاهر موضع المضمر ليلا
يختص بما قبله فقال نادبا من وقع منه ذنب الى التوبة والله اي الذي له مع صفة
الجلال صفة الاكرام غفور ازلا وابدا يمحو الزلات عينا واثرا ويعقبها بالاكرام على عادة
الحلما حليم اي لا يعجل على العاصي بالعقوبة ولما نهى عن السوال عنها ليتعرف حالها علل
ذلك بان غيرهم عرف اشيا وطلب ان يعطاها اما بان يسال غيرها فمن واما بان
شرعها وسال غيره ان يوافقه عليها وهو قاطع بانها غاية في الحسن فكانت سبب
شقايه فقال قد سالها يعني امثالها ولم يقل سال عنها اشارة الى ما بدايته قوم
اي اولوا عزم وبابن وقيام في الامور ولما كان وجود القوم لم يستغرق زمان القبل
ادخل الجار فقال من قبلكم ولما كان الشي اذا اتى عن مثله جديرا بالقبول لاسيما
اذا كان من ملك فكيف اذا كان من ملك الملوك فكان رده في غاية البعد عبر عن استبعاده
باداة البعد فقال ثم اصبحوا بها اي عقب اتيانهم اياها سوا من غير مهلة كافرين اي

نابتين في الكفر وهذا زاجر بليغ لان يعود والمثل ما اراد وامن تحريم ما احل لهم ميلا الي
الرهبانية والتعمق في الدين المنهي عنه بقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولما فرغ
من زجرهم عن ان يشرعوا لانفسهم او يسلوه في ان يشرع لهم او ان يسلوا من جهتهم
بابتدا ايهم لهذا الشرع عن شي من الاشيا اعتمادا علي انه ما ابتدا بذلك الا وهو غير
مخف عنهم شيا ينفعهم ولا مبد لهم شيا يضرهم لانه بكل شي عليم كما قدم التنبيه علي ذلك
قال معللا لختام الاية التي قبلها اي الملك الذي له صفات الجمال فلا يشرع
شيا الا وهو علي غاية الحكمة واغرق في النفي بقوله من بحيرة واكد النفي باعادة النافي فقال
ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام الاية دالا بذلك علي ان الانسان قد يبتغي في شرعه لنفسه
علي الخبيث دون الطيب وذلك لان الكفار شرعوا لانفسهم هذا وظنوا من محاسن
الاعمال فاذا هو مما لا يعبا الله به بل ومما يعذب عليه لكونه او نفعهم فيما كانوا معترفين
بانه اقبح القبايح وهو الكذب في اقبح انواعه وهو الكذب علي من الملوك ثم صار لهم دينا وصاروا
ارسخ الناس فيه وهو عين الكفر وهم معترفون بانه ما شرعه الا عمرو بن لحي وهو اول
من غير دين ابراهيم كما رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه
وسلم قال ان عمرا اول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السوايب
ووصل الوصيلة وحمي الحامي ورواه عبد ابن حميد في مسنده عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما وفي اخره وكان عمرو بن لحي اول من حمل العرب علي عبادة الاصنام
ورواه البخاري في المناقب من صحيحه ومسلم في صفة النار عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال النبي صلي الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار
وكان اول من سيب السوايب قال ابن هشام في السيرة والبحيرة عندهم الناقة تشق
اذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف ويتصدق به لالهتهم
وروي البخاري في المناقب ومسلم في صفة النار عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها
للطواغيت ولا يحلبها احد من الناس والسايبة التي كانوا يسيبونها لالهتهم فلا يحمل عليها
شي وكذا رواه البخاري ايضا في التفسير وقال والوصيلة الناقة البكر تبكر في اول
نتاج الابل ثم تثني بانثي وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احديهما بالاخري ليس
بينهما ذكر وقال البرهان السفاقسي في اعرابه قال ابو عبيدة وهي الناقة اذا نتجت خمسة
ابطن في الاخر ذكر شقوا اذنها وخلوا سبيلها لا تركب ولا تحلب وقيل غير ذلك وقال ابو
حيان في النهر قال ابن عباس رضي الله عنهما السايبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق وكان
الرجل يسيب من ماله شيا يجي به الي السدنة وهم خدم الهتهم فيطعمون من لبنها السبيل
والوصيلة قال ابن عباس انها الشاة تنتج سبعة ابطن فان كان السابع انثي لم ينتفع النسا
منها بشي الا ان تموت فياكلها الرجال والنسا وان كان ذكرا ذبحوه واكلوه وان كان ذكرا
وانثي قالوا وصلت اخاها فيترك مع اخيها فلا تذبح ومنافعها للرجال دون النسا فاذا

مانت اشترك الرجال والنسا فيها وقال ابن هشام والحامي الفحل اذا انتج له
عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلي في
ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بشي غير ذلك وقال السفاقسي قال ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهم واختاره ابو عبيدة والزجاج هو الفحل ينتج من صلبه عشرة ابطن
فيقولون قد حمي ظهره فليسيبوه لاصنامهم فلا يحمل عليه شي ولما كانوا قد حرموا
هذه الاشيا وكان التحريم والتحليل قدمنا من خواص الاله وكان لا اله الا الله كان حكمهم
عليها بالحرمة نسبة لذلك الي الله سبحانه كذبا فقال تعالى بعد ان نفي ان يكون جعل
شيا من ذلك ولكن الذين كفروا اي ستروا ما دل عليه عقلهم من ان الله ما جعل
هذه الانعام لا وصول لهم اليه سبحانه وعز شانه فلذلك قال يفترون اي يتعمدون
علي الله اي الملك الاعلي الكذب فيحرمون ما لم يحرمه ويحللون ما لم يحلله واكثرهم
اي هولا الذين جعلوا هذه الاشيا لا يعقلون الا يتجدد لهم عقل ويتم الزيغ توا علي كفرهم
ثم لما حرموا هذه الاشيا اضطروا الي تحليل الميتة فحرموا الكلب واحلوا الخبيث ولما
اتخذوه دينا واعتقدوه شرعا ومضي عليه اسلافهم دعتهم الحظوظ والانفة من نسبة
ابايهم الي الضلال والشهادة عليهم بالسفه الي الاصرار عليه وعدم الرجوع عنه بعد انكشاف
قباحته وبيان شناعته حتي اكثرهم السيف ووطيتهم الدواهي فوطات اكنافهم
وذللت اعناقهم واكنافهم فقال تعالى دالا علي ختام الاية التي قبل من عدم عقلهم واذا
قيل لهم اي من اي قايل كان ولو انه ربهم بما ثبت من كلامه بالمعجز عنه انه لا اعظم منه
وقد ثبت انه انزله بحجركم عنه والي الرسول اي الذي من شانه لكونه سبحانه
ارسله ان يبلغكم ما يحبه لكم ويرضاه قالوا حسبنا اي يكفينا ما وجدنا عليه ابانا ولما كانوا
عالمين بانه ليس في ابايهم عالم وانه من تامل ادني تامل عرف ان الجاهل لا يهتدي لشي قال
منكرا عليهم موبخا لهم اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا اي من الاشيا حق علمه لكونهم لم ياخذوه
عن الله بطريق من الطرق الواصلة اليه ولما كان من لا يعلم قد يشعر بجهله فيتعلم فيصير
بصيرا اهلا للاقتدا به وقد لا يشعر لكون جهله مركبا فلا يجوز الاقتدا به بين انهم من هذا
القسم فقال ولا يهتدون اي لا يطلبون الهداية الي ولا توجد هدايتهم الي الصواب
لان من لا يعلم الصواب له لا نه ليس للهدي التي تسوي العلم واذا دليل علي عدم هدايتهم
انهم منعوا الطيب من اموالهم فاضطرهم ذلك الي اكل الخبيث من الميتة واغضبوا بذلك
خالقهم فدخلوا النار فلا اقبح مما يختار لنفسه المطبوع علي الكدر ولا احسن مما يشرعه
له رب البشر وهذه الاية ناظرة الي قوله تعالى في سورة النسا ان يدعون من دونه الا اناثا
وان يدعون الا شيطانا مريدا الي قوله ولامرنهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام فالتفت
حينيذ الي قوله رجس من عمل الشيطان اي التفات ولما كان المانع لهم من قبول الهدي
كون ذلك تسفيها لابايهم فيعود ضررا عليهم يسبون به علي زعمهم اعلم الله المومنين ان مخالفة

يجعل هذه الاشيا من تحريم وتحليل صح

كلامه تعالوا اي ارفعوا
انفسكم عن هذا الحضيض
السافل الي شريف ما انزل الله
اي الذي لا مح

الغير في قبول الهدى لا تضرهم اصلا بان عقب اثر الانكار عليهم في التقليد بابائهم لمتابعتهم
لهم في الكفر بقوله يا ايها الذين امنوا اي عاهدوا ربهم ورسوله على الايمان
عليكم انفسكم اي الزموا هدايتها واصلاحها ولما كان كانه قيل انا نسب ابائنا
وتنسب اليهم وربما صرتنا نسبتنا اليهم عند الله كما جوز اكثم ابن الجون الخزاعي ان يضره
شبه عمرو بن لحي بن حي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا انك مومن وهو كافر
كما في اول السير الهشامية عن ابي هريرة رضي الله عنه وكان ذلك ربما وقف بالاحد منهم
عن الاسلام قال لا يضركم من ضل اي من المخالفين بكفر وغيره بنسبتكم اليه ولا يعير
الكفار بانكم سفهتم اباكم ولا يغير ذلك من وجوه الضرر وحقق هدايتهم بشارة لهم
باداة التحقيق منها لوجود الضرر عند فقد الهداية فقال اذا اهتديتم اي بالاقبال
على ما انزل الله وعلى الرسول حتى تصيروا علماء وتعملوا بعلمكم فتخالفوا من ضل فان كان
موجودا قبلا جنها دفي امره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحسب الطاقة فان لم
يستطع رده انتظر به يوم الجمع الاكبر والهول الاعظم وان كان مفقودا فيما لقيه
في شك الضلال وان كان اقرب الاقرباء والي الاحباء الا كان الباقي اسفه من الماضي وقد
كان لعمري احدهم لا يسع اباه اذ الان سفههما امر دنياه عاجزا عن تحصيلها ولا يحاشي
من يخالفه في طريقته بل يعد الكدح في تحصيلها والتعمق في اقتناصها وحسن السعي في
تثمرها ولطف الحيلة في توسيعها من معاني الاخلاق واصالة الراي وجودة النظر على
ان ذلك ظل زايل وعرض فانية فكيف لا يخالفه فيما به سعادته الابدية وحياته الباقية
وياخذ بالحزم في ذلك ويشمر ذيله في امره ويسهر ليله في اعمال الفكر بكيف وترتيب النظر
فيما امره الله به للنظر فيه حتى يظهر له الحق فيتبعه وينتهك لديه الباطل فيتجنبه ما ذاك
الا لمجرد الهوى وقد كان الحزم العمل بالحكمة التي كشفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما
رواه احمد والترمذي وابن ماجه عن شداد بن اوس رضي الله عنه الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وروى مسلم والنسائي وابن ماجه
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن القوي خير واحب الى الله
من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك
شيء فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا وقال ابن ماجه ولا تقل لو اني فعلت كذا وكذا كان
لو تفتح عمل الشيطان وفي بعض طرق الحديث ولكن قل قدر الله وما شاء فعل يعني والله اعلم
اعمل عمل الحزمة فاوسع النظر حتى لا تترك امرا يحتمل ان ينفعك ولا يضرك الا اخذت به
ولا تدع امرا يحتمل ان يضرك ولا ينفعك الا تجنبته فانك ان فعلت ذلك وغلبك القضاء والقدر
لم تجد في وسعك امرا تقول لو اني فعلته او تركته ولكان كذا فانك حتما تقول لو اني فعلت
كذا وكذا الا ان الشيطان يفتح لك تلك الابواب التي نظر فيها الحازم ليكن لك من لولا تهاوننا
عمله ولبس الاية ما يتعلق بدرس بينها ولا في الامر بالمعروف كما يفعله كثير من البطلة روى احمد

في المسند

في المسند عن ابي عامر الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في
امر رآه يا ابا عامر الا غيرت فلا هلك الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اين ذهبتم انما هي لا يضركم من ضل من الكفار
اذا اهتديتم وروى احمد واصحاب السنن الاربعة واحمد بن منيع وابو يعلى ان ابا
الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية وتضعونها على غير مواضعها
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه
يوشك ان يعمهم الله بعقابه قال البغوي وفي رواية لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعون الله
خياركم فلا يستجاب لكم والله الموفق ولما حكم الله تعالى وهو الحكم العدل انه لا ضرر عليهم
من غيرهم بشرط هداهم وكان الكفار يغيرونهم قال مؤكدا لما اخبر به ومعرفا بالمعاد
الى الله اي الملك الاعظم الذي لا شريك له لا الى غيره مرجعكم اي انتم ومن يغيركم ومن هدى ذكم
وغيرهم من جميع الخلائق جميعا فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما مستوفى مستقصى بما كنتم
تعملون اي تعمدا اجله وطبعا ويجازي كل احد على حسب ما عمل ولا يواخذ احد بما عمل
غيره ولا بما اخطا فيه او تاب منه وليس المرجع ولا شيء منه الى الكفار ولا معبوداتهم ولا
غيرهم حتى تخشوا شيئا من عاقبتهم في شيء من الضرر ولما خاطب سبحانه اهل هذا الزمان
بانه نصب المصالح العامة كالبيت الحرام والشهر الحرام واشار باية البحيرة وما بعدها
الى ان اسلافهم لا وفروا عليهم ما لهم ولا نصحوا لهم في دينهم وختم ذلك بتفهيم
للعباد بالموت وكشف الاسرار يوم العرض بالحساب على النقير والقطمير والجليل
والحقير عقب ذلك باية الوصية اشارة منه سبحانه الى ما يكشف من خان فيها
علما منه سبحانه ان الوفا في مثل ذلك قليل وحثا لهم على ان يفعلوا ما امر سبحانه
به لينصحوا المخلفين بتوفير المال ويقتدي بهم فيما ختم به الاية من التقوى
والسماع والبعد من الفسق والنزاع فقال تعالى مناديا لهم بما عقد وابه العهد
شهادة بينكم صح بينهم وبينه من الاقرار بالايمان يا ايها الذين امنوا اي الخبر واعن انفسهم
بذلك هو كناية عن التنازع والتشاجر لان الشهود انما يحتاج اليهم عند ذلك وسبب
نزول الاية ما ذكره المفسرون وذكره الشافعي في الام فقال اخبرني ابو سعيد معاذ
ابن موسى الجعفري عن بكر بن معروف عن مقاتل ابن حيان قال اخذت هذا عن مجاهد
والحسن والضحاك ان رجلين نصرانيين من اهل دارين احدهما تميمي والاخر يماني
صحبهما مولى لقريش في تجارة فركبوا البحر ومع القرشي مال معلوم قد علمه اولياؤه من بين
ابنية وبز فمرض القرشي فجعل وصيته الى الداريين فمات وقبض الداريان المال
فدفعاه الى اولياء الميت فانكر القوم قلة المال فقالوا للداريين ان صاحبنا قد خرج
معه بمال اكثر مما اتيتمونا به فهل باع شيئا او اشترى شيئا فوضع فيه او هل طال مرضه

فانفق على نفسه قالا لا قالوا فانكم خنتماه فقبضوا المال ودفعوا امرهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم فلما
نزلت امرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقاما بعد الصلاة فحلفا بالله رب السموات
ما ترك مولاكم من المال الا ما اتيناكم به فلما حلفا خلى سبيلهما ثم انهم وجدوا
بعد ذلك انا من انية الميت فاخذوا الداريين فقالا اشتريناه منه في حياته
فكذبا وكلفا البينة ولم يقدرا عليها فرفعوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل فان عثر يعني الى اخرها ثم ذكر وقت الشهادة وسببها فقال
اذا حضر وقدم المفعول تهويلا كما ذكر في النسا ولان الاية نزلت لحفظ ماله وكان
اهم فقال احدكم الموت اي اخذته اسبابه الموجبة لظنه ولما كان الابتدا
اذ ذاك امرا متعارفا عرفته فقال معلقا بشهادة كما علق به اذا او مبدلا
من اذا لان الزمنين واحد حين الوصية اي ان اوصى ثم اخبر عن المبتدا فقال
اثنان اي شهادة بينكم في ذلك الحين شهادة اثنين ذوا عدل منكم اي من قبيلتكم
العارفين باحوالكم او اخران اي ذوا عدل من غيركم اي ان لم تجدوا قريبين يضبطان
امر الوصية من كلها للوصي وعليه وقيل هما الوصيان انفسهما احتياطا بجعل الوصي
اثنين وقيل اخران من غير اهل دينكم وهو خاص بهذا الامر الواقع في السفر الضرورة
لا في غيره ولا في غير السفر ثم شرط هذه الشهادة بقوله ان انتم ضربتم اي بالارجل
في الارض اي بالسفر لان الضرب بالاجل لا يسمى ضربا الا فيه لانه موضع الجد
والاجتهاد فاصابتكم واشار الى ان الانسان هدف لسهام الحدثان بتخصيصه بقوله
مصيبة الموت اي اصابت الموصي المغيبة التي لا مفر منها ولا منه وجه عنها ولما
كان قد استشعر من التفصيل في امر الشهود دخالفة لبنية الشهادات فكان
في معرض السوال عن الشهود ماذا يفعل بهم قال مستانفا تحبسونهما اي تدعونهما
البكر وتمنعونهما من التصرف لانفسهما لاقامة ما تحملاه من هذه الواقعة واداية
ولما كان المراد اقامة اليمين ولو في ايسر زمن لا استغراق زمن البعد بالحبس
ادخل الجار فقال من بعد الصلاة اي التي هي اعظم الصلوات فكانت بحيث اذا اطلقت
معرفة انصرفت اليها وهي الوسطى وهي العصر ثم ذكر الغرض فقال فيقسمان بالله اي من جنسها
الملك الذي له تمام القدرة وكمال العلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليمين انما تكون
اذا كانا من غيرنا فان كانا مسلمين فلا يمين وعن غيره ان كان الشاهدان على حقيقتهما
فقد نسخ تحليفهما وان كانا الوصيين فلا ثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال اعتراضا
بين القسم والمقسم عليه ان ارتبتم اي وقع لكم شك فيما اخبرا عن الواقعة ثم ذكر المقسم
عليه بقوله لا نشتري به اي هذا الذي ذكرناه ثمنا اي لم يذكر ليحصل لنا به عرض
دنيوي وليس قصدنا به الا اقامة الحق ولو كان اي الوصي الذي اقسمنا لاجله ذا

ذا قربى

ذا قربى اي لنا اي ان هذا الذي فعلناه من التحري عادتنا التي طبعنا عليها كونوا
قوامين بالقسط شهدا لله الاية لا انه فعلنا في هذه الواقعة فقط ولا نكتم شهادة الله
اي هذا الذي ذكرناه لم نبدل فيه ولما امر الله به من حفظ الشهادة تعظيما لها ولم نكتم
شيئا وقع به الاشهاد ولا نكتم فيما يستقبل شيئا نشهد به لاجل الملك الاعظم المطلع على
السرائر كما هو مطلع على الظواهر وسمي هذا شهادة كما سميت ايمان المتلاعنين شهادة
نبه على ذلك الشافعي ثم علل ذلك بما لقنهم اياه ليكون اخر كلامهم كلمة تغليظا
وتنبيها على ان ذلك ليس كغيره من الايمان فقال تذكيرا لهم وتحذيرا من التغيير انا اذا
اي اذا فعلنا شيئا من التبديل او الكتم لمن الاثمين فان ولما كان المراد مجرد الاطلاع
بنى للمفعول قوله فان عثر اي اطلع مطلع بقصد او بغير قصد قال البغوي واصل العثر
الوقوع على الشيء اي من عثر الرجل على انهما اي الشاهدين ان اريد بهما الحقيقة او الوصيين
استحقا اثما اي بسبب شيء خاناه من امر الشهادة فاخران اي من الرجال الاقربا
للميت يقومان مقامهما اي ليفعلا حيث اشتدت الريبة من الاقسام عند مطلق الريبة
ما فعلا من الذين استحق اي طلب وقوع الحق بشهادة من شهد عليهم هذا على قراءة الجماعة
وعلى قراءة حفص بالبنا للفاعل المعنى وجد وقوع الحق عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
ولما كان كانه قيل ما منزلة هذين الاخرين من الميت فقيل هما الاوليان اي الاحقان
بالشهادة الاقربان اليه العارفان ببواطن امره وعلى قراءة ابي بكر وحمزة بالجمع كانه قيل هما
من الاولين اي في الذكر وهم اهل الميت فهذا نعت للذين استحق فيقسمان اي
هذان الشاهدان الاخران بالله اي الملك الذي لا يقسم الا به لماله من كمال العلم وشمول
القدرة لشهادتنا اي بما خالف شهادة الحاضرين للواقعة احق من شهادتهما اي اثبت
فان تلك ايمانهما في الظاهر وشهادتنا ثابتة في نفس الامر وساعدها الظاهر
بما عثر عليه من الريبة وما اعتدينا اي تعمدنا في يميننا مجاوزة الحق انا اذا اي اذا وقع
منا اعتدا لمن الظالمين اي الواضعين للشيء في غير موضعه كمن يمشي في الظلام وهذا
اشارة الى انهم على بصيرة ونور مما يشهدون والبرهان ذلك انه لما وجد الانا الذي فقده
اهل الميت وحلف الداريان بسببه انهما ما خانا طالبوهما فقالا كنا اشتريناه منه
فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا شيئا فقلتما لا فقالا لم تكن عندنا بينة فكرهنا ان
نقر فرفعوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر فقام اثنان من اقارب الميت
فحلفا على الانا فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم اليهما لان الوصيين ادعيا على الميت البيع
فصار اليمين في جانب الورثة لانهم انكروا وسمى ايمان الفريقين شهادة كما سميت ايمان
المتلاعنين شهادة نبه على ذلك الشافعي وكان ذلك لما في الناس من مزيد التاكيد ولما تم
هذا على هذا الوجه الغريب بين سبحانه ما فيه فقال ذلك اي الامر المحكم المرتب هنا الترتيب
بالايمان بعد ردها ادنى اي اقرب ان اي الى ان يأتوا اي الذين يشهدون اولا بالشهادة

اي الواقعة في نفس الامر علي وجهها من غير ادني بيان سبب ان يخافوا من الحنث عند الله بعد هذا التغليظ او يخافوا ان لم يمنعهم من الخوف من الله ان ترد اي تثني وتعاد ايمان اي من الورثة بعد ايمانهم للعثور علي ريبه فيصيروا بافتضاحهم مثلا للناس قال الشافعي والبر في هذا رد اليمين وانما كانت يمين الداريين علي ما ادعي الورثة من الخيانة ويمين ورثة الميت علي ما ادعي الداريان مما وجد في ايديهما واقرا انه مال الميت وانه صار لهما من قبله فلم تقبل دعواهما بلا بينة فاحلف وارثاه قال واذا كان هذا كما وصفت فليست الاية ناسخة ولا منسوخة لامر الله تعالى باشهاد ذوي عدل ومن يرضي من الشهدا هذا ما انتهى ايلاها لما قبلها وقد نزعها الي مجموع هذه السورة منازع منها ما تقدم من ذكر القتل الذي هو من انواع الموت عند قصة ابني ادم وما بعدها ثم تعقيب ذلك بالجهاد الذي هو من اسباب الموت وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية ثم ذكر ايضا في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم وقد جرت السنة الالهية بذكر الوصية عقب مثل ذلك في البقرة ولم يذكر عقب واحدة من الايات المذكورة لزيادتها علي اية البقرة فمنازع منها الحلف فناسب كونها بعد اية الايمان ومنها تغليظ الحلف والخروج به عما شاكله من القسم علي المال بكونه في زمان مخصوص بعد عبادة مخصوصة فناسب ذكرها بعد تغليظ امر الصيد في حال مخصوص وهو الاحرام والخروج به عن اشكاله من الكفارات وتغليظ امر المكان الحرام وبعد تغليظ جزائه والخروج به عن اشكاله من الكفارات وتغليظ امر المكان المخصوص وهو الكعبة والخروج بها عن اشكالها من البيوت وكذا تغليظ الزمان المخصوص وهو الشهر الحرام والخروج به عن اشكاله من الازمنة وكل ذلك لقيام امر الناس واصلاح احوالهم وهكذا اية الوصية وما خرج من احكامها عن اشكاله كله لقيام الامور علي السداد واصلاح المعاش والمعاد وهي ملتفتة الي اول السورة اذ هي من اعظم العهود والوفا بها من اصعب الوفا والي قوله تعالى وتعاونوا علي البر والتقوي والي قوله تعالى كونوا قوامين لله شهدا بالقسط انظر الي ختمها بقوله ان الله خبير بما تعملون والي كون هذه الاية في سياق الاعلام بان الله عالم بالخفيات وقوله عطفا علي ما تقدمهم فالزموا ما امرتكم به وارشدتكم اليه فتفلحوا واتقوا الله اي ذا الجلال والاكرام الي اخرها ملتفت الي قوله وميثاقه الذي واثقكم به الاية اي الذي له تمام الحكمة وكمال العز والسطوة واسمعوا اي المواعظة سمع اجابة وقبول ذاكرين لقولكم سمعنا واطعنا فان يهدي المتمسكين بالميثاق والله اي خافوا الله خوفا عظيما يحملكم علي ان يجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية لئلا يحلفوا فادين او تخونوا ادني خيانة لا يهدي القوم اي لا يخلق الهداية في قلوب الذين لهم قدرة علي المجاولة الفاسقين اي الذين هم خارجون اي من عادتهم

ذلك

ذلك علي وجه الرسوخ فهم ابدا المتقيدين بقيد ولا منضبطين بدا من عقد ولا عهد ولما كان فيها اقامة الشهود وحبسهم من مقاصدهم حتى يفرغوا من هذه الواقعة المبحوث فيها عن خفا ربما منطقة بالموت والتغليظ بالتحليف بعد صلاة العصر كانت ساعة يجتمع فيها الناس ويفترق الملائكة المتعاقبين فينا ليلا ونهارا مع انها ساعة لا صيل المؤذنة بهجوم الليل وتقوض النهار حتى كانه لم يكن ورجوع الناس الي منازلهم وتركهم لما بشهم عقبها تعالى بقوله يوم يجمع الله اي الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة الرسل اي الذين ارسلهم الي عباده باوامره ونواهيه اشارة الي تذكر انصرام هذه الدار وسرعة هجوم ذلك اليوم بمشابهة هذه الاحوال المؤذنة بروبانه يوم يقوم فيه الاشهاد ويجتمع فيه العباد ويفتضح فيه اهل الفساد الي غير ذلك من الاشارات لارباب البصاير والقلوب والظواهر ان يوم طرف المضاف المحذوف الدال عليه الكلام فان من المعلوم انك اذا قلت خف من فلان ان المعنى خف من عقابه ونحو ذلك فيكون المراد هنا واتقوا غضب الله الواقع في ذلك اليوم اي اجعلوا بينكم وبين سطوته في ذلك اليوم وقاية او يكون المعنى اذكروا هذه الواقعة وهذا الوقت الذي يجمع فيه الشهود ويحبس المعترف والجحود يوم الجمع الاكبر بين يدي الله ليسلهم عن العباد ويسل العباد عنهم فيقول اي للرسل تشريفا لهم وبيانا لفضلهم وتشريفا للمحق من اممهم وتبكيتا للمبطل وتوبيخا للمفرط منهم والمفرط ولما كان مما لا يخفى اصلا انهم اجيبوا ولا يقع فيه نزاع ولا يتعلق بالسوال عنه عرض تجاوزت السوادة الي الاستفهام عن نوع الاجابة فقال ما اجبتم اي اي اجابة اجابكم من ارسلتكم اليهم اجابة طاعة او اجابة معصية ولما كان المقصود من قولهم بيان الناجي من غيره وكانت الشهادة في تلك الدار لا تنفع الا فيما وافق فيه الاضمار الاظهار فكانما دينهم لا ينفع المشهود له بحسن الاجابة الا ان طابق ما قاله بلسانه اعتقاده بقلبه قالوا نافين لعلمهم اصلا وراسا اذ كان موقوفا علي شرط هو من علم ما غاب ولا علم لهم به لا علم لنا اي علي الحقيقة لانا لا نعلم الا ما ليس بعلم لانه غير مطابق الواقع ولهذا عللوا بقولهم انك انت اي وحدك علام الغيوب اي كلها تعلمها علما تاما فكيف بما غاب عنا من احوال قومنا فكيف بالشهادة فكيف بما شهد من ذلك وهذا في موضع قولهم انت اعلم لكن هذا احسن ادبا بانهم محوا انفسهم من ديوان العلم بالكلية لان كل علم يتلاشى اذا نسب الي علمه ويضمحل بمها قرن بصفته او اسمه ولما كان سواله سبحانه للرسل عن الاجابة متضمنا لتبكيت المبطلين وتوبيخهم وكان اشد الامم افتقارا الي التوبيخ اهل الكتاب لان تمردهم تعدى الي رتبة الجلال بما وصفوه سبحانه من اتخاذ الصاحبة والولد ومن ادعا الالهية

م

ذاع

لعيسى عليه السلام لما اظهر من الخوارق التي دعا بها مع اقترانها بما يدل على عبوديته الى السرم
ورسالته لئلا يهتضم حقه او يطرا فيه بحيث اتهم لغيرهم في اذى الرسل عليهم
السلام بالتكذيب وغيره وكان في الاية السالفة ذكر الاباء وما اثروا للانبيا
ذكرامر عيسى عليه السلام بقوله مبدلا امادا او يوم يجمع معبرا بالماضي تذكيرا
بما لذلك اليوم من تحتم الوقوع وتصوير العظيم بجمعه وتنبيها على انه لقوة قربه
كانه قد وقع ومضى **اذ قال الله** اي المستجمع بصفات الكمال **يا عيسى** ثم بين
بما هو الحق من نسبته فقال **ابن مريم** ولما كان ذلك يوم الجمع الاكبر والاحاطة بجميع
الخلايق واحوالهم في حركاتهم وسكناتهم وكان الحمد هو الاحاطة بجميع الكمال امر
بشكر حمده سبحانه على نعمته عنده فقال **اذكر نعمتي عليك** اي خاصة لنفسك
وذكر مايدل العاقل على انه عبد مربوب فقال **وعلى والدتك** الى اخره
مشيرا الى انه اوجده من غير اب فاراحه مما يجب للاباء من الحقوق ومما يورثون
ابناهم من اقتدا او اهتدا واقامه بحقوق امه فاذاع وهو في المهد على النهاية
لها بالبراءة والحصانة والعفاف وكل نعمة انعمها عليه صلى الله عليه وسلم فهي نعمة
على امه دنيا ودينا ولما ذكر سبحانه هذه الامة المدعوة من العرب واهل الكتاب
وغيرهم بنعمه عليهم في اول السورة بقوله اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي
اذكروا نعمة الله عليكم اذهم وكانت هذه الايات من عنده لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم كلها في النعم اخبرهم انه يذكر عيسى عليه السلام بنعمه يوم الجمع اشارة الى انهم
ان لم يذكروا نعمته في هذه الدار دار العمل بالشكر ذكرهم واحسن يذكرهم
بها في ذلك اليوم فسرا بالكفر وبالها فضيحة في ذلك الجمع الاكبر والموقف الا
هول ولما كان اعظم الامور التنزيه بدا به كما فعل بنفسه الشريفة
في كلمة الدخول الى الاسلام ولما كان اعظم ذلك تنزيهه امه عليهما السلام وصح
ما خرق لها في العادة في ولادته وكان احكم ما يكون ذلك بتعويه بروحه
حتى يكون كلامه طفلا ككلامه كهلا قدمه فقال معلقا باذكر ما بيننا بكل
نعمة ما يدل على عبوديته ورسالته ليحرز من علا في امره او قصر في وصفه
وقدره **اذ ايدتك** اي قويتك **بروح القدس** اي الطهر الذي يحيي القلوب ويطهرها
من اوصاف الكمال الاثار ومنه جبريل عليه السلام فكان له منه في الصغر
حتى لم يكن لغيره قال الحرالي وهو ما بسط بروح القدس في القلوب بما
يحييها الله به من روح امره ارجاعا اليه في هذه الدار قبل ارجاع روح
الحياة بيد القبض من عزرايل عليه السلام ثم استانف تفسير هذا التاويل
فقال **تكلم الناس** اي من اردت من عاليهم وسافلهم **في المهد** اي بما براءه
الله براءمك واظهر به كرامتك وفضلك ولما ذكر هذا الفضل العظيم اتبعه خارقا

اخر وهو احياؤه نفسه وحفظه جسده اكثر من الف سنة لم يدركه الهرم فانه
رفع شابا وينزل على ما رفع عليه ويبقى حتى يصير كهلا فقال **في وكهلا** وتسويته كلامه
في المهد بكلامه في حال بلوغ الرشد وكمال العقل خرقا لما جرت به العوايد
ولما ذكر هذه الخارقة اتبعها روح العلم الرباني فقال **واذ علمتك الكتاب**
اي الخط الذي هو مبدا العلم وتلقيح لروح الفهم **والحكمة** اي الفهم لحقايق
الاشيا والعمل بما يدعوا اليه العلم **والتورية** اي المنزلة على موسى عليه السلام
والانجيل اي المنزل عليك ولما ذكر تاييده بروح الروح اتبعه تاييدك بافاضته
الروح على جسد لا اصل له فيها فقال **واذ تخلق من الطين** اي هذا الجنس
كهيئة الطير باذني ثم سبب عن ذلك قوله **فتنفخ فيها** اي في هذه الصورة المهياة
فتكون اي تلك الصورة التي هياتها **طيرا باذني** ثم بان انضافة روح ما على بعض
جسد اما ابتداء في الاكمه كما في الذي قبله واما اعادة كما في الحادث العمى والبرص
بقوله **وتبرئ الاكمه والابرص** ولما كان من اعظم ما يراد بالسياق توبيخ من كفر
بركرر قوله **باذني** ثم يرد روح كامل الى جسدها بقوله **واذ تخرج الموتى** اي من
القبور فعلا وقوة حتى يكونوا كما كانوا من سكان البيوت **باذني** ثم بعصمة روحه هو
ممن اراد قتله بقوله **واذ كففت بني اسرايل عنك** اي اليهود لما هموا بقتلك ولما
كان ذلك ربما اوهم نقصا استحلوا فصلوا بربين انه لضد ذلك كعادة الناس
مع الرسل والانبيا من اتباعهم بتسليته لهذا النبي الكريم والتابعين لهم باحسان
فقال **اذ جيتهم بالبينات** اي كلها بعضها بالفعل والباقي بالقوة لدلالة ما وجد
عليه من الايات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك **فقال الذين كفروا** اي
غطوا تلك البينات عنادا **منهم ان** اي ما **هذا الا سحر مبين** ثم بتاييده بالانصار الذين
احيى لهم ارواحهم بالايمان واجسادهم باختراع الماكل الذي من شانه في العادة
حفظ الروح وذلك في قصة المايدة وغيرها فقال **واذ اوحيت** اي بالالهام باطنا
وبالايصال الاوامر على لسانك ظاهرا **الى الحواريين** اي الانصار **ان امنوا بي وبرسولي**
اي الذي امرته بابلاغ الناس ما امرهم به ثم استانف مبينا لسرعة اجابتهم
بحله مجيبا اليهم مطاعا لهم بقوله **قالوا امنا** ولما كان الايمان باطنا فلا بد في
اثباته من دليل ظاهر وكان في سياق عد النعم والطواعية لروح الملك الاعظم
دلوا عليه بتمام الانقياد وناسب المقام زيادة التاكيد باثبات النون الثالثة
في قولهم **واشهد باننا** بخلاف آل عمران **مسلمون** اي منقادون اتم انقياد ولا اختيار
لنا الا ما تامرنا به وانظر ما انسب اعادة اذ عند التذكير بروح كل مل حسا او معنى
وحذفها عند الناقص فاثبتها عند التاييد بها في اصل الخلق وفي الكمال الموجب
للحياة الابدية وفي تعليم الكتاب وما بعده المفيض لحياة الابد على كل من تخلق

باخلاقه وفي خلق الطير وهو ظاهر وهكذا الى الآخر ذكر شي مما عزي اليه من الحكمة

في الانجيل قال متى وكان يسوع يطوف المدن والقرى ويعلم في مجامعهم

ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل الامراض والاوجاع ثم قال فلما سمع يوحنا في

السجن باعمال المسيح ارسل اليه اثنين من تلاميذه قايلا انت هو الآتي ام ننتظر

آخر قال لوقا وفي تلك الساعة ابرا كثيرا من الامراض والاوجاع والارواح الشريرة

ووهب النظر لعميان كثير فاجاب يسوع وقال لهما قال متى اذهبا واعلما يوحنا بما

رايتما وسمعتما العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يتطهرون والصم يسمعون

والموتى يقومون والمساكين يبشرون فطوبى لمن لا يشك في فلما ذهب تلميذا

يوحنا ابتدا يسوع يقول للجمع من اجل يوحنا لماذا خرجتم الى البرية تنظرون انسانا

لابسا لباسا ناعما ان اللباس الناعم يكون في بيوت الملوك وقال لوقا ان

الذين عليهم لباس المجد والنعيم هم في بيوت الملوك انتهى لكن لماذا خرجتم

تنظرون نبيا نعم اقول لكم انه افضل من نبي هذا الذي كتب من اجله هوذا

انا مرسل ملكي امام وجهك ليسهل طريقك قدامك الحق اقول لكم انه لم يقم في

مواليد النسا اعظم من يوحنا المعمد والصغير في ملكوت السما والارض اعظم منه

وجميع الشعب الذي سمع والعشارون شكروا الله حيث اعتمدوا من معمودية يوحنا

فاما الفريسيون والكتبة فعلموا انهم رفضوا امر الله لهم اذ لم يعتمدوا منه

قال متى ثم قال من له اذنان سامعتان فليسمع بما ذا اشبه هذا الجيل يشبه

صبيانا جلوسا في الاسواق يصيحون لا ياكل ولا يشرب فقالوا معه جنون جاء

ابن الانسان ياكل ويشرب فقالوا هذا انسان اكول شريب خليل العشارين

والخطاة فتبررت الحكمة من بنيها حينئذ ندا بعض المدن التي كان فيها اكثر قواته

لانهم لم يتوبوا ويقول الويل لك يا كورزين والويل لك يا بيت صيدا لان

القوات اللاتي كن فيكما قديما لو كن في صور وصيدا لقد تابوا بالمسوح والرماد

لكن اقول لكم ان لصور وصيدا راحة في يوم الدين اكثر منكن وانت يا كفرنا

حوم لو ارتفعت الى السما ستهبطين الى الجحيم لانه لو كان في سدوم هذه القوات

التي كانت فيك اذن لثبتت الى يوم الدين واقول لكم ايضا ان ارض سدوم تجد راحة

يوم الدين اكثر منك ثم قال وانتقل يسوع من هناك ودخل الى مجمعهم واذا رجل

هناك يده يابسة وقال لوقا يده اليمنى يابسة فسالوه قايلين هل يحل ان يشفي

في السبت فقال لهم اي انسان منكم يكون له خروف يسقط في حفرة في السبت

ولا يمسكه ويقيمه فكم اخرى الانسان افضل من الخروف فاذن يجب هو

فعل الخير في السبت وقال لوقا وقال للرجل اليابس اليد قف في الوسط فقام

وقال لهم يسوع اسالكم ماذا يحل ان يعمل في السبت خير ام شر نفس تخلص او تهلك

فسكتوا

فسكتوا قال متى حينئذ قال للانسان امدد يدك فمدها فصحت مثل الاخرى

فخرج الفريسيون وقال مرقس مع اصحاب هيرودس متوامرين في اهلاكه فعلم

يسوع وانتقل من هناك وتبعه جمع كثير فشفى جميعهم وامرهم ان لا يظهروا انه

لكي يتم ما قيل في اشعيا النبي القايل ها هو ذا فتاي الذي هويت وحبيبي الذي

به سرت نفسي اضع روحي عليه فيخبر الامم بالحكم لا يماري ولا يصيح ولا يسمع احد صوته

في الشوارع قصبة مرضوضة لا تكسر وسراج مطفطف لا يطفا حتى يخرج

الحكم بالغلبة وعلى اسمه تتكل الامم ثم قال وفي ذلك اليوم خرج يسوع من البيت

وجلس جانب البحر فاجتمع اليه جمع كثير حتى انه صعد الى السفينة وجلس وكان الجمع كله

قياما على الشط وكلمهم بامثال كثيرة قايلا ها هوذا خرج الزارع ليزرع وفيما هو

يزرع سقط البعض على الطريق فاتى الطير واكله وقال لوقا فديس واكله

طاير السما وبعض سقط على الصخرة حيث لم يكن له ارض كثيرة وللوقت نبت

اذ ليس له عمق ارض ولما اشرقت الشمس احترق وحيث لم يكن له اصل يبس وبعض

سقط في الشوك فطلع الشوك وخنقه وقال مرقس فخنقه وعلوه عليه فلم يات

بثمرة وقال متى وبعض سقط في الارض الجيدة فاعطى ثمرة للواحد ماية وللاخر ستين

وللاخر ثلثين قال لوقا فلما قال هذا نادى من له اذنان سامعتان فليسمع فتقدم

اليه تلاميذه وقالوا له لماذا تكلمهم بالامثال فاجابهم وقال انتم اعطيتم معرفة

سراير ملكوت السموات وقال لوقا فقال لهم لكم اعطي علم سراير ملكوت الله واوليك

لم يعطوا ومن كان له يعطى ويزاد ومن ليس له فالذي له يوخذ منه وقال لوقا

والذي ليس له ينزع منه الذي يظن انه له فلهذا اكلمهم بالامثال لانهم يبصرون

فلا يبصرون ويسمعون فلا يسمعون ولا يفهمون لكي يتم فيهم نبوة اشعيا القايل

سمعا تسمعون ولا تفهمون وتنظرون تنظرون ولا تبصرون لقد غلظ قلب هذا

الشعب وثقلت اذانهم عن السماع وغمضوا عيونهم لكيلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعوا

باذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم فاما انتم فطوبى لعيونكم لانها تنظر

ولاذانكم لانها تسمع قال ومثل الزرع هذا هو كلام الله وقال متى كل من يسمع

كلام الملكوت ولا يفهمه ياتي الشرير فيخطف ما زرع في قلبه هذا الذي

زرع على الطريق والذي زرع على الصخرة هو الذي يسمع الكلام وللوقت

يقبله بفرح وليس له فيه اصل لكن الى زمان يسير اذا احدث ضيق او طرد

فللوقت يشك وقال مرقس لسبب الكلمة فيشكون للوقت وقال لوقا وهم ايمانهم

الى زمان التجربة وفي زمان التجربة يشكون والذي زرع في الشوك هو الذي

يسمع الكلام فيخنق الكلام فيه وقال لوقا مرقس فتغلب عليهم هموم الدهر وطلب

الغنى وقال مرقس ومحبة الغنى وساير الشهوات التي يسلكونها فتخنق الكلمة فلا تثمر فيهم

يوحنا المعمد هو يحيى عليه السلام

وقال متى يشكون بغير ثمرة والذي زرع في الارض الجيدة هو الذي يسمع الكلام ويفهم
ويعطي ثمرة وقال لوقا واما الذي وقع في الارض الصالحة فهم الذين يسمعون الكلمة
بقلب جيد فيحفظونها ويثمرون بالصبر قال متى للواحد مايه وللاخر ستين وللاخر
ثلاثين وضرب مثلا اخر قايلا يشبه ملكوت السموات انسانا زرع زرعا جيدا
في حقله فلما نام جا عدوه فزرع زوانا في وسط القمح ومضى فلما نبت القمح
ظهر الزوان فجا عبيد رب البيت فقالوا يا سيدنا اليس زرعا جيدا زرعت
في حقلك فمن اين صار فيه زوان فقال لهم عدو فعل هذا فقال له عبيده
نريد ان نذهب فنجمعه فقال لهم لا لعلكم تقلعون معه الحنطة دعوهما ينبتان
جميعا الى زمان الحصاد فاقول للحصادين اولا اجمعوا الزوان وشدوه حزما
ليحرق فاما القمح فاجمعوه الى اهرايي وضرب لهم مثلا اخر قايلا يشبه ملكوت
السموات حبة خردل اخذها انسان وزرعها في حقله وهي اصغر الزرايع
كلها وقال مرقس وهي اصغر الحبوب التي على الارض فاذا طالت صارت اكبر
من جميع البقول وتصير شجرة وقال مرقس وصنعت اغصانا عظاما وقال لوقا
نمت وصارت شجرة عظيمة حتى ان طاير يستظل تحت اغصانها وكلمهم بمثل اخر وقال
لهم يشبه ملكوت السموات خميرا اخذته امراة وخباته في ثلاثة اكيال دقيق فاختمر
الجميع وقال مرقس وكان يقول لهم لعل يوخذ سراج فيوضع تحت مكيال او سرير
لكن على منارة فيرى نوره كل من يدخل قال مرقس لانه ليس خفي الا سيظهر
ولا مكتوم الا سيعلن وقال لوقا سراج الجسد العين فاذا كانت عينك بسيطة
فجسدك كله نير وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما احرص ان لا
يكون النور الذي فيك ظلاما فان كان جسدك كله نيرا وليس فيه جزء مظلم فانه
يكون كاملا نيرا كما ان السراج ينيرك بلمع ضيايه وقال مرقس من له اذنان
سامعتان فليسمع وقال لهم انظروا ماذا تسمعون فبالكيل الذي تكيلون يكال
لكم وتزادون ايها السامعون لان الذي له يعطى ومن ليس عنده فالذي
عنده يوخذ منه وقال يشبه ملكوت الله انسانا يلقي زرعه على الارض وينام
ويقوم ليلا ونهارا والزرع ينمو ويطول وهو لا يعلم اولا اعشب وبعد ذلك
سنبل ثم تملى السنبل حتى اذا انتهت الثمرة حينيذ يضع المنجل اذ قد دنا
الحصاد قال متى هذا كله تكلم به يسوع للجموع ليتم ما قيل في النبي القايل افتح فاي
بالامثال وانطق بالخفيات من قبل اساس العالم حينيذ ترك الجمع وجا الى البيت
فجا اليه تلاميذه وقالوا فسر لنا مثل زوان الحقل اجاب الذي زرع الزرع الجيد
هو ابن الانسان والحقل هو العالم والزرع الجيد هم بنو الملكوت والزوان هم
بنو الشر والعدو الذي زرعهم هو الشيطان والحصاد هو منتهى الدهر والحصادون

هم

هم الملايكة فكما انهم يجمعون الزوان اولا وبالنار يحرقونه هكذا يكون منتهى
هذا الدهر يرسل ملايكته ويجمعون من مملكته كل الشكوك وفاعلي الاثم فيلقون
في اتون النار هناك يكون البكا وصرير الاسنان حينيذ يضي الصديقين نهم
مثل الشمس في ملكوت ابيهم من له اذنان سامعتان فليسمع ويشبه ملكوت
السموات كنزا مخفي في حقل وجده انسان فخباه ومن فرحه مضى وباع كل شي
واشترى ذلك الحقل وايضا يشبه ملكوت السموات انسانا تاجرا يطلب
الجوهر الفاخر الحسن فوجد درة كثيرة الثمن فمضى وباع كل ماله واشتراها وايضا
يشبه ملكوت السموات شبكة القيت في البحر فجمعت من كل جنس فلما امتلات اطلعوها
الى الشط فجلسوا وجمعوا الخيار في الاوعية والردي رموه خارجا هكذا يكون
في انقضا هذا الزمان تخرج الملايكة ويميزون الاشرار من وسط الصديقين
ويلقونهم في اتون النار هناك يكون البكا وصرير الاسنان فلما اكمل يسوع هذه
الامثال انتقل من هنا وجا الى بلدته وكان يعلم في مجامعهم حتى انهم بهتوا
وقالوا من اين هذه الحكمة والقوة وقال مرقس من اين له هذا التعليم وهذه
الحكمة التي اعطيها لنا والقوات التي تكون على يديه اليس هذا ابن النجار
وقال لوقا وكان جميعهم يشهدون له ويتعجبون من كلام النعمة التي كان يخرج
من فمه وكانوا يقولون اليس هذا ابن يوسف اليس امه تسمى مريم واخوته
يعقوب وسمعان ويهوذا اليس هو واخوته عندنا جميعا فمن اين له هذا كله
وكانوا يشكون فيه فقال يسوع لهم لا يهان نبي الا في بلدته وبيته وقال
مرقس ليس يهان نبي الا في بلدته وعند انسابه وبيته وقال لوقا فقال لهم لعلكم
تقولون لي هذا المثل ايها المتطبب اشف نفسك والذي سمعنا انك صنعت في
كفرناحوم افعله ايضا ههنا في مدينتك فقال لهم الحق اقول لكم ان لا يقبل نبي في
مدينته الحق اقول لكم ان الارامل كثيرة كن في اسرايل في ايام اليا اذ اغلقت
السما ثلاث سنين وستة اشهر وصار جوع عظيم في الارض كلها ولم يرسل اليا
الى واحدة منهن الا الى ارملة في صارفة صيدا وبرص كثير كانوا في اسرايل
على عهد اليسع النبي ولم يطهر واحد منهم الا نعمان الشامي فامتلا جميعهم غضبا
عندما سمعوا هذا واخرجوه خارج المدينة وجاوا به الى اعلى الجبل الذي كانت
مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه الى اسفل فاما هو فجاز وسطهم ومضى ونزل الى
كفرناحوم مدينة في الجليل وكان يعلمهم في السبت وبهتوا من تعليمه لان كلامه
كان بسلطان وقال في موضع اخر وجا اليه ناس من الفريسيين وقالوا له اخرج
واذهب من ههنا فان هيرودس يريد يقتلك فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب
اني هوذا اخرج الشياطين واتمم الاشفية اليوم وغدا وفي اليوم الثالث اكمل وينبغي

ان اقيم اليوم وغدا وفي اليوم الاتي اذهب لانه ليس يهلك نبي خارجا عن بيت سليم
اورشليم ابا بني سليم ما قاتله الانبيا ورجم المرسلين اليها كم من مرة اردت
ان اجمع بنيك مثل الدجاجة التي تجمع فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا
هو ذا اترك بيتكم خرابا فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان فتحير لان كثيرا
كانوا يقولون ان يوحنا قام من الاموات واخرون يقولون ان اليا ظهر
واخرون يقولون نبي من الاولين فقال هيرودس انا قطعت راس يوحنا فمن هو
الذي تسمع عنه هذا وطلب ان ينظره وفي الانجيل متى وفي تلك الزمان سمع هيرودس
رئيس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمداني وهو قام من الاموات
من اجل هذه القوات التي يعمل بها قوله الحمد اي من احمد اذا اغسله في ماء المعمودية
قوله بريت اي صارت بريه بالنسبة اليهم قوله يعني المدين اي يذكر ما اوجب
لها العار قوله القوات جمع قوة وهي المعجزات هنا قوله الذي هويت يعني احببت
حبا شديدا ولفظ الهوى الظاهر انه يفهم نقصا فلا يحل في شرعنا اطلاقه على الله
تعالى قوله مطوطف اي محلولا راسه لا يزال كذلك قوله شرق وزن فرح اي
ضعف اي ضعف من سرف وبريعه وشرقت الشمس اذا ضعف ضوءها قوله
الهون هو الهوان قوله يجفف احدود الجبال والجصاص قوله بسيطة اي
على الفطرة الاولى قوله يرو وسليم بمختانيه ومهملة وسين معجمة بيت المقدس ولما
كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافرين والمومن
ليزداد ايمانا وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ اليهود المدعين انهم ابنا
واحبا الى غير ذلك مما اراد الله فرغت به الاسماع ولم يتعلق بما يجب برموم
اليهم عند امره بذلك غرض فطوى ولما كان اجل المقاصد تاديب هذه الامة
لنبيها عليه السلام والصلاة لتخلع عن ان تبدا بسوال وتفريح عليه شيا في
حال من الاحوال ذكر لهم شان الحواريين في اقتراحهم بعد ما تقدم من امتداحهم
بعدهم في عداد الوحي ومبادرتهم الى الايمان امتثالا للامر ثم الى الاشهاد
على سبيل التاكيد بتمام الانقياد دون سلب الاختيار فقال معلقا بقالوا امنا
مقربا لمن من نفسهم من زمن ايمانهم مذكرا لهذه الامة بحفظها على الطاعة
ومبكتا لبني اسرائيل الكرام بقلبهم وعدم تماسكهم ابعادا لهم عن درجة المحبه
فضلا عن النبوة وما احسن ان تكون هذه الفصل بعد قصة الايحاء اليهم فيكون
اذ هذه طرفا للملك فيكون الايحا اليهم بالامر بالايمان في وقت سوالهم
هذا بعد ابتدائه ويكون فائدته حفظهم من ان يسالوا انه اجري كما سالوا
هذه بعد ما راوا منه صلى الله عليه وسلم من الايات اذ قال واعاد وصفهم
ولم يضمر تنصيصا عليهم لبعد ما يذكر من حالهم هذا من حالهم الاول فقال الحواريون

وذكر

وذكر انهم نادوه باسمه واسم امه فقالوا يا عيسى بن مريم ولم يقولوا يا رسول الله
ولا يا روح الله ونحو هذا من التبجيل هل يستطيع ربك باليا مسندا الى الرب
وبالتا الفوقانيه مسندا الى عيسى عليه السلام ونصب الرب ومعناهما واحد
يرجع الى التهييج والالهاب بسبب الاجتهاد في الدعا بحيث تحصل الاجابة
وتكون هذه العبارة ايضا للتلطف كما يقول الانسان لمن تعظمه هل تقدر
ان تذهب معي الى كذا وهو يعلم انه قادر لكنه مكني بشي عن ان السايل يحب
ذلك ولا يريد المشقة على المسول ان ينزل اي الرب المحسن اليك علينا مائدة
وهي الطعام ويقال ايضا للخوان اذا كان عليه الطعام والخوان شي يوضع
عليه الطعام للاكل هو في العموم بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر
بالخصوص وهي من ماده اذا اعطاه واطعمه ولما كان هذا ظاهرا في انها
سماويه صرحوا به اخرا اذ اعاد عوهم بر صلى الله عليه فسلم من انه يدعوهم
بالقليل من الطعام فيبارك فيه فيمده لمدد فيكفي الفيام من الناس فقالوا من
السما اي لا صنع للادميين فيها ليخص بها عمر تقدمنا من الامم ولما كان
المقصود من هذا وعظنا وارشادنا الى ان لا نسال نبينا صلى الله عليه وسلم
شيا اكتفا بما يرحمنا به ربنا الذي رحمنا بان بدانا بارسالة الينا لا بسوالنا
اليه سبحانه وتخويفا من ان يكون مثل من مضى من المقترحين الذين كان اقتراحهم
سبب هلاكهم دل على ذلك بالنزول من اسلوب الخطاب الى الغيبة فقال مستانفا
ارشادا الى السوال عن جوابه قال ولم يبذل فقلت اتقوا الله اي اجعلوا بينكم
وبين غضبه الملك الاعظم الذي له صفات الكمال وقاية تمنعكم عن الاجترا على
الاقتراح ان كنتم مومنين اي بانه قادر واني رسوله فلا تفعلوا فعل من وقف ايمانه
على رويه ما يقترح من الايات ويعود عن الامتحانات ولما كان في هذا الجواب
اتم زجرهم لانهم قد اظهروا الايمان قبل ذلك تشوف السامع الى جوابهم فقيل لم ينتهوا
بل قالوا انا لا نريدها لاجل ازالة الشك بمزيل نريد مجموع امور ان ناكل منها ولما فانا جاع ص
كان التقدير فتحصل بركتها عطف عليه وتطمين قلوبنا اي بضمها راينا منها الى ما
سبق من معجزاتك من غير سوالنا فيه ونعلم اي بعين اليقين وحقه ان قد صدقتنا
اي في كل ما اخبرتنا ونكون عليها واشاروا الى عمومها بالتبعيض فقالوا من الشاهدين
شهادة روية مستغلبة عليها بانها وقعت لا شهادة ايمان بانها جايز الوقوع قال
عيسى ونسبه زيادة في التصريح به وتحقيقا لانه لا اب له وتسفيها لمن اطراه او
وضع من قدره ابن مريم اللهم فافتتح دعاه بالاسم الاعظم ثم بوصف الاحسان فقال
ربنا اي ايها المحسن الينا انزل علينا وقرر المقصود فقال مائدة وحقق موضع
الانزال بقوله من السما ثم وصف بما يكون به بالغة العجب غالبة الرتب فقال

ثم قيد بالبروق
تكون اي هي او يوم نزولها لنا عيدا واصل العيد كل يوم فيه جمع
فالمعنى يعود الهام بعد مرة سرورها ولعل منها ما ياتي من البركات حين
نزوله عليه السلام كما في الاحاديث الصادقة ويويد ذلك قوله لاولنا واخرنا ولما
ذكر الامر الدنيوي اتبعه الامر الديني فقال واية منك اي علامة على صدقي
وارزقنا اي رزقا مطلقا غير مقيد بها ولما كان التقدير فانت خير المسولين
عطف عليه قوله وانت خير الرازقين اي فانك تعطي من تعطيه وتبين بين عما بوصله
ويرتجيه مما لا ينقص شيا مما عندك ولا تطلب منه شيا غير ان ينتفع بما توتيه عليه
من طاعتك بسبب الرزق قال الله اي الملك المحيط علما وقدرة ولما كان ظاهر سوالهم
في الاستفهام عن الاستطاعة الاضطراب وان كان للالهام اكد الجواب فقال
اني منزلها عليكم اي الان بقدرتي الخاصة بي فمن يكفر بعد اي بعد انزالها
منكم وهذا السياق يشعر بانه يحصل منهم كفر وقد وجد ذلك حتى في الحواريين
على ما نقل في يهودا الاسخريوطي الذي دل على عيسى فالقي شبهه عليه ولذلك حصنه
هذا العذاب فقال فاني اعذبه اي على سبيل البت والقطع عذابا لا اعذبه اي
مثله ابدا فيما ياتي من الزمان احدا من العالمين وفي هذا اتم زاجر لهذه الامة
عن اقتراح الايات وفي ذكر قصة المايدة في هذه السورة التي افتتحت باحلال الماكل
واختتمت بها اعظم تناسب وفي ذلك كله اشارة الى تذكر هذه الامة بما انعم عليها
بما اعطى نبيها من المعجزات ومن عليها من حسن الاتباع وتحذيرمن كفران
هذه النعم المعددة عليهم وقد اختلف المفسرون في حقيقة هذه المايدة وفي احوالها
قال ابو حيان واحسن ما يقال فيه ما اخرجه الترمذي في ابواب التفسير عن عمار
ابن ياسر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المايدة من السما
خبزا ولحما وامروا ان لا يدخروا لغد ولا يخونوا فخانوا وادخروا ورفعوا العد
فمسخوا قردة وخنازير انتهى قلت ثم صحح الترمذي وقفه على عمار وقال لا نعلم للحديث
المرفوع اصلا غير ان ذلك لا يضر لكونه لا يقال من قبل الراي ولا اعلم
احدا ذكر عمارا ممن اخذ عن اهل الكتاب فهو مرفوع حكما وهذا الخبر يوكد
ان الخبر في الاية على بابه فينبغي قول من قال انها لم تنزل لانهم لما سمعوا الشرط
قالوا لا حاجة لنا بها لان خبره تعالى لا يخلف ولا يبدل القول لديه وهذا
الرزق الذي من السما قد وقع مثله لاحاد الامة روى البيهقي في اواخر الدلايل
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كانت امراة من دوس رضي الله عنه يقال
لها ام شريك اسلمت في رمضان فاقبلت تطلب من يصحبها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلقيت رجلا من اليهود فقال ما لك ام شريك قالت اطلب رجلا يصحبني
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتعالي اصحبك قالت فانتظرني حتى املا سقايي ماء

نفسه صح

قال
معي ماء قال لا تريدين ماء فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى امسوا فنزل اليهودي
ووضع سفرته فتعشى وقال يا ام شريك تعالي الى العشا فقالت اسقني من الما
فاني عطشى ولا استطيع ان اكل حتى اشرب فقال لا اسقيك حتى تهودي قالت لا جزاك
الله خيرا غربتني ومنعتني احمل ماء فقال لا والله لا اسقيك منه قطرة حتى
تهودي فقالت لا والله لا اتهود ابدا بعد اذ هداني الله للاسلام فاقبلت
الى بعيرها فعقلته ووضعت راسها على ركبتيه فنامت قالت فما ايقظني الا برد
دلو قد وقع على جبيني فرفعت راسي فنظرت ماء اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل فشربت حتى رويت ثم نضحت على سقاي حتى ابتل ثم ملاته ثم رفع
بين يدي وانا انظر حتى توارى مني في السما فلما اصبحت جا اليهودي فقال
يا ام شريك قلت والله قد سقاني الله قال من اين انزل عليك من السما قلت
نعم والله لقد انزل الله علي من السما ثم رفع بين يدي حتى توارى عني في السما
ثم اقبلت ثم اقبلت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصت
عليه القصة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها نفسها فقالت يا
رسول الله لست ارضى نفسي لك ولكن بضعي لك فزوجني من شيت فزوجها
زيدا رضي الله عنه وامر لها بثلاثين صاعا وقال كلوا ولا تكيلوا وكان معها
عكة سمن هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لجارية لها بلغي هذه العكة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي ام شريك تقريك السلام وقولي هذه عكة
سمن اهديناها لك فانطلقت بها فاخذوها ففرغوها وقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم علقوها ولا توكوها فعلقوها في مكانها فدخلت ام شريك
فنظرت اليها مملوة سمنا فقالت يا فلانة اليس امرتك ان تنطلقي بهذه العكة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قد والله انطلقت بها كما قلت ثم اقبلت
بها اصوبها ما يقطر منها شي ولكنه قال علقوها ولا توكوها فعلقتها في مكانها
وقد اوكتها ام شريك حين راتها مملوة فاكلوا منها حتى فنيت ثم اكلوا الشعير
فوجدوه ثلثين صاعا لم ينقص منه شي قال وروي ذلك من وجه اخر وللحديث
في العكة شاهد صحيح عن جابر رضي الله عنه وروى باسناده عن ابي عمران الجوني
ان ام ايمن رضي الله عنها هاجرت من مكة الى المدينة وليس معها زاد فلما كانت
عند الروحا وذلك عند غيبوبة الشمس عطشت عطشا شديدا قالت فسمعت
خفيفا شديدا فوق راسي فاذا دلو مدلى من السما برشا ابيض فدنا ولنه بيدي
حتى استمسكت به قالت فشربت منه حتى رويت قالت فلقد اصوم في اليوم
الحار الشديد ثم اطوف في الشمس كي اظما فما ظميت بعد تلك الشربة وفي الجهاد من
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة

رهط سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري جد عاصم بن عمر بن
الخطاب رضي الله عنهم فذكر الحديث حتى قال فابتاع خبيبا يعني ابن عدي
الانصاري بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيبا هو قتل
الحرث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا فاخبرني عبيد الله بن عياض
ان ابنة الحرث قالت والله ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته
يوما ياكل من قطف عنب في يده وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول
انه لرزق من الله رزقه خبيبا الحديث ومن الامر الجلي ان عيسى عليه السلام بعد
امر الله تعالى له بذكر هذه النعم يقوم في ذلك ويجمع بذكرها وبذكر المقصود
من التذكير بها وهو الثنا على المنعم بها بما يليق بجلاله فيحمد ربه تعالى بمحامد تليق
بذلك المقام في ذلك الجمع فمن انسب الامور حينئذ سواله وهو المحيط علما بمكنونات
الضماير وخفيات السراير اثر التهديد لمن يكفر عما كفر به النصارى فلذلك
قال تعالى عاطفا على قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي **واذ قال الله**
اي بما له من صفات الجلال مشيرا الى ما له من علو الرتبة باداة النداء **يا عيسى ابن**
مريم وذلك تحقيقا لانه عمل بمقتضى النعمة وتبكيتا لمن ضل فيه من النصارى وانكارا
عليهم **انت قلت للناس** اي الذين ارسلت اليهم من بني اسرايل وكانه عبر بذلك
لزيادة التوبيخ لهم بكونهم اعتقدوا ذلك وفيهم الكتاب فكانه لا ناس غيرهم **اتخذوني**
اي كلفوا انفسكم خلاف ما تعتقدونه بالفطرة الاولى في الله بان تاخذوني **وامي الهين**
ولما كانت عبادة غير الله ولو كانت على سبيل الشرك مبطلة لعبادة الله لانه سبحانه
اغنى الاغنيا ولا يرضى الشرك الا فقير قال **من دون الله** اي الملك الاعلى الذي لا
كفو له فيكون المعنى اتخذ واما لهما تتوصلون به الى الله ويجوز ان يكون المعنى
على المغايرة ولا دخل حينئذ للمشاركة ولما كان من المعلوم لنا في غير موضع ان لم يقل
ذلك صرح به هنا توبيخا لمن اطراه وتاكيدا لما عندنا من العلم وتبجيلا له صلى
الله عليه وسلم بما يبدي من الجواب وتفضيلا بالاعلام بانه لم يحد على طريق
الصواب بل بذل الجهد في الوفا بالعهد وتقريعا لمن قال ذلك عنه وهو
يدعي حبه واتباعه عليه السلام وتجهيلا لهم فلما تشوقت لجوابه الاسماع
واصغت له الاذان وكان في ذكره من الحكم ما تقدم من الاشارة
الى بجوابه ذكره سبحانه قايلا **قال** مفتتحا بالتنزيه **سبحانك** اي لك التنزه
الاعظم عن كل شائبة نقص وذلك بالمصابيح على ان هذا القران لا
يزال ممنوعا منه فقال **ما يكون لي** اي ما ينبغي ولا يصح اصلا **ان اقول** اي
في وقت من الاوقات **ما ليس لي** واعرق في النفي كما هو حق المقام فقال
بحق ولما بادر عليه السلام اعظاما للمقام الى لا سيما الى نفي ما سيل عنه اتبعه

مايدل

مايدل على انه كان يكفي في الجواب عنه انت اعلم وانما اجاب بما تقدم
اشارة الى ان هذا القول تكاد السموات والارض يتفطرن منه ومبادرة الى
تبكيت من ادعاه له فقال دالا على انه لم يفه بما تضمن اعظم المدح لان
المقام للخضوع **ان كنت قلته** اي مطلقا للناس او حدثت به نفسي **فقد علمته** وهو
مبالغة في الادب واظهار الذلة وتفويض الامر كله الى رب العزة ثم علل الاخبار
بعلمه بما هو من خواص الاله فقال **تعلم** ولما كان النفس يعبر بها عن الذات
قال **ما في نفسي** اي وان اجتهدت في اخفايه فانه خلقك واما انا له الا الة
ووعا فكيف به ان كنت اظهرته ولما اثبت له سبحانه ذلك نفاه عن نفسه توبيخا
لمن ادعى له الالهية فقال مشاكلة **ولا اعلم ما في نفسك** اي ما اخفيته عني
من الاشيا ثم علل الامرين كليهما بقوله **انك انت** اي وحدك **علام الغيوب**
ولما نفى عن نفسه ما يستحق النفي ودل عليه اثبت ما قاله لهم على وجه مصرح
بنفي غيره ليكون ناسبا اليه من دعوى الالهية منفيا مرتين اشارة وعبارة
فقال معبرا عن الامر بالقول مطابقة للسوال ونسبه للامر بيانا لان كل ما
قاله من مباح او غيره داير على الامر من حيث الاعتقاد بمعنى ان المخاطب بما قاله
الرسول مامور بان يعتقد فيه ان تلك المنزلة لا يجوز ان يعتقد فيه انه فوقها
ولا دونها تعبيدا لله تعالى بذلك **ما قلت لهم** اي ما امرتهم شيا من الاشيا **الا ما**
امرتني به ثم فسره والا بان المراد بالقول الامر بالتعبير في تفسيره بحرف التفسير
بقوله **ان اعبدوا** اي ما امرتهم الا بالعبادة **الله** اي الذي لم يستجمع نعوت
الجلال والجمال احد غيره ثم اشار الى انه كما يستحق العبادة لذاته يستحقها لنعم
فقال **ربي وربكم** اي انا وانتم في عبوديته سوا وهذا الحصر يصح ان يكون
للقلب على ان دون بمعنى غير وللافراد على انها بمعنى سفول المنزلة وهو من بدايع
الامثلة ولما فهم صلى الله عليه وسلم من هذا السوال ان اتباعه غلوا في شانه
ننزه الله سبحانه وعز شانه من ذلك واخبره بما امر الناس به في حقه سبحانه
من الحق اعتذر عن نفسه بما يذكر ما مضى نفيا واثباتا فقال **وكنت عليهم**
اي خاصة لا على غيرهم **شهيدا** اي بالغ الشهادة لا ارى فيهم منكرا الا اجتهدت
في ازالته **ما دمت فيهم** واشار الى الثنا على الله تعالى بقوله **فلما توفيتني** اي رفعتني
الى السما كامل الذات والمعنى مع بذلهم جهدهم في قتلي **كنت انت** اي وحدك **الرقيب** اي الحفيظ القدير
عليهم لا يغيب عليك شي من احوالهم وقد منعتهم انت ان يقولوا شيا ما امرتهم
انا به مرغبا ذلك بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم على لساني من البينات
وانت على كل شي اي منهم ومن غيرهم حيوان وجماد **شهيد** اي من مطلع غاية
الاطلاع لا يغيب عنك شي منه سوا كان في عالم الغيب او الشهادة فان كانوا قالوا

ذلك فانت تعلمه دوني لاني لما بعدت عنهم في المسافة انقطع علمي عن احوالهم
ولما ذكر هذا الذي سلف كله سوالا وجوابا واخبارا حمد الله تعالى وثنا عليه
بما هو اهله بالتنزيه له والاعتراف بحقه والشهادة له بعلم الخفايا والقدرة
والحكمة وغير ذلك من صفات الجلال والجمال وكان هذا السوال يفهم ارادة
التعذيب للمسول عنهم قال مشيرا الى الشفاعة فيهم على وجه الجرسه والثنا الجميل
عليه لان العذاب ولو للمطيع عدل والعفو عن العاصي باي ذنب كان فضل مطلقا
وعفران الشرك ليس ممتنعا بالذات **ان تعذبهم** اي القايلين لهذا القول **فانهم عبادك**
اي فانت جدير بان ترحمهم ولا اعتراض عليك في عذابهم لان كل حكمك عدل
وان تغفر لهم اي تمح ذنوبهم عينا واثرا **فانك انت** اي خاصته **العزيز** اي فلا
احد يعترض عليك ولا ينسبك الى وهن **الحكيم** فلا تفعل شيا الا في اعلى درج الاحكام
فلا قدرة لاحد على نقضه ولا الاعتراض على شي منه ولما انقضى جوابه عليه السلام
على هذا الوجه الجليل تشوف السامع الى جواب الله له فقال تعالى مشيرا الى كون
جوابه حقا ومضمونه صدقا منبها على مدحه حاثا على ما بنيت عليه السورة من
الوفا بالعقود **قال الله** اي الملك المحيط بالجلال والاكرام جوابا لكلامه **هذا** اي
مجموع يوم القيمة ولما كان ظهور الجزا المانع هو المقصود قال **يوم ينفع الصادقين**
اي العريقين في هذا الوصف نفعا لا يضرهم معه شي **صدقهم** اي الذي كان لهم في
الدنيا وصفا ثابتا باتخاذهم على الوفا بما عاهدوا عليه فكانه قيل بما ينفعهم بان ي
شي فقال **لهم جنات** اي بساتين من اي الارض الذي يستلزم زكا الشجر وطيب
الثمر بحيث **تجري** ولما كان تفرق المياه في الاراضي ابهج بعض قال **من تحتها**
الانهار ولما كان مثل هذا لا يبهج الا اذا دام قال **خالدين فيها** واكد معنى ذلك
بقوله **ابدا** ولما كان ذلك لا يتم الا برضى المالك قال **رضي الله عنهم** اي بجميع ما
له من الصفات وهو كناية عن انه اتاهم بما يكون من الراضي ثوابا يتنوع ما
بتنوع ما له من جميع صفات الجلال والجمال ولما كان ذلك لا يكمل ويبسط ويحمل
الا برضاهم قال **ورضوا عنه** بمعنى انه لم يدع لهم شهوة الا اتاهم اياها وقال
ابن الزبير بعد ما اسلفته عنه فلما طلب تعالى المومنين بالوفا فيما نقض فيه غيرهم
وذكرهم ببعض ما وقع به النقض وما اعقب ذلك فاعله واعلمهم بثمرة التزام التسليم
والامتثال لما امرهم جل وتعالى ثمرة الوفا وما قبته فقال تعالى واذ قال الله يا
عيسى بن مريم اانت قلت للناس الى قوله هذا يوم ينفع الصادقين الى اخرها فحصل
من جملتها الامر بالوفا فيما تقدمها وحال من جاد ونقض وعاقبته من وفى وانقى
الصادقون وقد امرنا ان نكون معهم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
انتهى ولما كان سبحانه قد امرهم اول السورة بالوفا شكرا على ما احل لهم في دنياهم

اي الذي له صفات الكمال لهم

ثم

ثم اخبر انه زاد الشاكرين منهم ورقاهم الى ان اباحهم اجل النفايس
في اخراهم ووصف سبحانه هذا الذي اباحه الى ان بلغ في وصفه ما لا مزيد
عليه اخذ يغبطهم به فقال **ذلك** اي الامر العالي لا غيره **الفوز العظيم**
ولما كان هذا الذي اباحه لهم واباحهم اياه لا يكون الا باسباب لا تسعها
العقول ولا تكسبه بفروع ولا اصول علل اعطاه اياه وسهولته لديه بقوله
مشيرا الى ان كل ما ادعيت فيه الالهية مما تقدم في هذه السورة وغيرها بعيد
عن ذلك لانه ملكه وفي ملكه وتحت قهره **لله** اي الملك الذي لا تكسبه عظمته
ولا تضعف قدرته لا لغيره **ملك السموات والارض** على اتساعها وعظمهما
وتباعد ما بينهما **وما فيهن** اي من جوهر وعرض ولما كان ذلك انهى ما نعلمه
عمم بقوله **وهو على كل شي** اي من ذلك وغيره من كل ما يريد **قدير** فلذلك
هو يحكم ما يريد لانه هو الاله وحده وهو قادر على اسعاد من شا واشقا من شا
واحلال ما شا وتحريم ما شا والحكم بما يريد ونفع الصادقين المومنين بالعقود
الثابتين على العهود لان له ملك هذه العوالم وما فيها مما ادعي فيه الالهية
من عيسى وغيره والكل بالنسبة اليه اموات بل موات جدير ولك بان يعبر عنهم
بما لا بمن فمن يستحق معه شيا ومن يملك معه ضرا او نفعا وقد انطبق اخر السورة
على اولها كما ترى اي انطباق واتسقت جميع اياتها احدا بعضها بحجز بعض اي
اتساق فسبحان من انزل هذا القران على اعظم البيان محلا لمزايا من الامم
معجزا لاصحاب السيف والقلم الحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل تم

٢٨٤

سورة الانعام

مقصودها الاستدلال على ما دعى اليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد بانه الحائز لجميع الكمالات من الايجاد والاعدام والقدرة على البعث وغيره وانسب الاشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الانعام لان الاذن فيها كما ياتي مسبب عما ثبت له من الفلق والتفرد بالخلق وتضمن باقي ذكرها ابطال ما اتخذوه من امرها دينا لانه لم ياذن فيه ولا اذن فيها كما ياتي لاحد معه لانه المتوحد بالالهية لا شريك له وحصر المحرمات من المطاعم التي هي جلها في هذا الدين وغيره فدل ذلك على احاطة علمه كما ياتي في سورة طه البرهان على ان احاطة العلم ملزومة لشمول القدرة وسائر الكمالات وذلك عين مقصود السورة وقد ورد من عدة طرق كما بينت ذلك في كتابي مصاعد النظر انها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح وفي رواية ان نزولها كان ليلا وان الارض كانت ترتج لنزولها وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعين والقدرية واهل الملل الزائغة وعليها مبنى اصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وابطال مذاهب الملحدين وانزالها على الصورة المذكورة يدل على ان اصول الدين في غاية الجلالة وان تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة بخلاف الاحكام فانها تفرق بحسب المصالح ونزولها ليلا دليل على غاية البركة لانه محل الانس بنزوله تعالى الى سماء الدنيا وعلى ان هذا العلم لا يقف على اسراره الا البصراء الايقاظ في سنة الغفلات اولوا الالباب اهل الخلوات والارواح العالية على الابدان وهم قليل **بسم الله** اي الذي بين دلائل توحيده بانه الجامع لصفات الكمال **الرحمن** الذي افاض على سائر الموجودات من رحمته بالايجاد والاعدام ما حير العقول والافهام فضاقت بالاوهام **الرحيم** الذي حبا اهل الايمان بنور البصائر حتى كان الموجود ناطقا لهم بالاعلام بانه الحي القيوم السلام

الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال **لله** لما ختم سبحانه تلك بتمجيد عيسى عليه السلام لجلاله في ذلك اليوم في ذلك الجمع ثم بتحميده لنفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة وان الحمد هو الوصف بالجميل افتتح هذه بالاخبار بان ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل ايجاد الخلق وبعد ايجاده سواء شكره العباد او كفروه لما له من صفات الكمال على ما تقدمت الاشارة اليه في الفاتحة فاتى بهذه الجملة الاسمية المفتتحة باسم الحمد الكلي الجامع لجميع انواعه الدالة على الاستغراق اما باللام له عند الجمهور او بانها للجنس كما هو مذهب الزمخشري ويؤول المعنى الى مذهب الجمهور فان الجنس اذا كان مختصا به لم يكن فرد منه لغيره اذ الجنس لا يوجد الا ضمن افراده فمتى وجد فرد منه لغيره كان الجنس موجودا فيه فلم يكن الجنس مختصا به وقد قلنا انه مختص وهذا الحصر بوصف فرد من افراد تحميد الفاتحة تحقيقا لكونه الها ثم وعقبه سبحانه بالدليل الشهودي على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة **الذي خلق** ولما دل تعدد السموات باثارها كالكواكب في سيرها وحركاتها في السرعة والبطء واستتار بعضها ببعض عند الخسوف وغيره وغير ذلك مما هو محرز عند اهله جمعها فقال **السموات** اي على علوها واحكامها وقدمها لما تقدم قريبا **والارض** اي على تخللها بالمنافع وانتظامها ولما كان الجعل بمعنى التضمين فلا يقوم المجعول بنفسه قال **وجعل** اي احدث وانشأ لمصالحكم **الظلمات** اي الاجرام المتكاثفة **والنور** وجمع الاول وافرد الثاني تنبيها على ان طرق الضلال كثيرة تدور على الهوى وتتفرق بحسبه ما افتتح به السورة لانه تفرد باختراع الاشياء كان هو المختص بجميع المحامد واختص بجميع المحامد لم يكن اله سواه ولم يكن له شريك لا ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة ولا غير ذلك وما احسن ختمها بعد الاشارة الى هذه المقاصد المعدة لان يكفر به او يعدل به شيء بقوله **ثم الذين كفروا** اي ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من دلالة وحدانيته التي لا خفاء بها على احد ممن نفسه من الهوى وعالج داءه بانفع دواء لاحاطته بجميع صفات الكمال وزاد الامر تقبيحا عليهم بابدال المظهر من الاصل في الكلام الضمير فقال **بربهم** اي المحسن اليهم الذي ربيهم واحسنا اليهم **يعدلون** اي يجعلون غيره مما لا يقدر على شيء معادلا له مع معرفتهم بانه الذي ابدع الاشياء كلها النعمة وبعد ازمنة فبعضهم عدل به عن بعض الجواهر من خلقه من السماء كالنجوم ومن الارض كالاصنام او بعض ما ينشا عن بعض خلقه من الاعراض وهو خلقه كالنور والظلمة ولما كان الانقلابات من تراب الى نطفة الى علقة الى غير ذلك ادل دليل على الصلاحية للاعادة لتغيرها الى الاحوال الافلين ذات ان قدرة خالقها ومغيرها على البعث لايجاد كل منها بعد اعدامه كما هو شأن البعث الى غير ذلك

من الاسرار التي تروع عن الانكار وتقديم الظلمة مناسب لسياق العادلين والتعبير بثم للتنبيه على انه كان ينبغي على كل وارد لهذا الخالق من الابعاد عن الكفر لبعده عن الصواب فقد لاح ان مقصود السورة الاستدلال على ما دعى اليه الكتاب الذي تبين انه الهدى من توحيد اسعد اجتماع حلية والوفاء بعهوده بانه سبحانه وحده الخالق الحائز لجميع الكمالات من القدرة على البعث وغيره وما انسب ذلك لختم المائدة بذكر يوم الجمع وان له جميع الملك وهو على كل شيء قدير وهذه السورة اول السور الاربع المشيرة الى جميع النعم المندرجة تحت النعم الاربع التي اشتملت عليها الفاتحة وكل سورة منها مشيرة الى نوع من النعم الاربع فهذه بخلق السموات والارض الاية ثم خلقكم من طين ثم ما من دابة في الارض الاية متكفل بتفصيل نعمة الايجاد الاول لجميع العالمين من السموات والارض وما بينهما وما فيهما من ادمي وغيره المشار اليه في الفاتحة برب العالمين كما تقدم ولما تكفلت السورة المتقدمة بالرد على مشركي العرب واليهود والنصارى مع اشارة الى ابطال جميع انواع الشرك بين مقصود هذه السورة في اساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق وهم الثنوية من المجوس القائلين بالهين اثنين وباصلين النور والظلمة ويقرون بنبوة ابرهيم عليه السلام فقط والصابئة القائلين بالاوثان السماوية والاصنام الارضية متوسطين الى رب الارباب وينكرون الرسالة في الصورة البشرية واصحاب الروحانيات اعني مدبرات الكواكب والافلاك المعينين ينتسبون الى ملة ابرهيم عليه السلام ويدعون انهم على دينه وقد اعاده الله من ذلك والشمسية القائلين بالهية الشمس مع تاكيد الرد على الفرق المتقدمة على ان جميع فرقهم تجمعهم في اعتبار النجوم يتبين ذلك لمن نظر في كتب فتوح بلاد الفرس في ايام الصديق والفاروق رضي الله عنهما وقال تنكلوشا البابلي في اول كتابه في احكام الدرج الفلكية ان القدماء من الكسدانيين استنبطوا غوامض اسرار الفلك وكان عندهم اجل العلوم ولم يكونوا يظهرون علم الفلك لكل الناس بل كانوا يخفونه اكثر عن عامتهم ويعطونهم منه بمقدار ما يصلح ويتداولون الباقي بينهم مطويا بين علمائهم وحكمائهم ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلاثمائة وستين ثم قال وقسموا الدرج اقساما كثيرة حتى قالوا ان بعضها ذكور وبعضها اناث وبعضها سعيدة وبعضها منحسة ثم قال كل ذلك يريدون الدلالة منها على ما تدل عليه في عالمنا على نحو ما جعلوا لكل درجة عالما وخلقا تنفرد بتربيته وان ذلك العالم والخلق يدركونه ويثبتونه ابعد بعضهم الى غير ذلك من الكلام الذي يرجع الى الاعتقاد بتاثير النجوم بنفسها فنفى الله ان يكون له شريك او يكون له كفوا احد ولما قرر سبحانه انه هو الذي خلق السموات والارض اللتين منهما وفيهما الاصنام والكواكب والاجرام التي عنها النور والظلمة فثبت وجوده على ما هو عليه من الاحاطة باوصاف الكمال التي اثبتها الحمد فبطلت جميع مذاهبهم فعجب منهم بكونهم يعدلون به غيره اتبع ذلك الاختصاص بخلق هذا النوع البشري هو مع ما فيه من التشويق له بالاختصاص بالحمد والرد على المطرين لعيسى عليه السلام المخلوق من الطين بخلق ابيهم ادم مؤكد لابطال مذهب الثنوية وذلك انهم يقولون ان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر فاذا ثبت انه الخالق لنوع الادميين الذين منهم الخير والشرير من شيء واحد وهو الطين الذي ولد منه المني الذي جعل منه الاعضاء المختلفة في اللون والصورة والشكل من القلب وغيره من الاعضاء البسيطة كالعظام والغضاريف والرباطات والاوتار ثبت انه خالق اوصافهم من الخير والشر وانه قدير عليم لان تولد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة لا يكون الا بمبدع واحد مختار لا اله الا هو وهو الذي خلق الادمي التي منها اصلهم الذي اختص بالحمد فقال **هو الذي خلقكم** ولما كانوا يستبعدون البعث لصيرورة الاموات ترابا واختلاط تراب كل بعضه ببعض وبتراب الارض فيتعذر التمييز وكان تمييز الطين اشد لاختلاط اجزائه بالماء واعسر تمييزا للتي قال **من طين** اي خمير طينة كل منكم مع ان منكم الاسود والابيض وغير ذلك والشديد وغيره من طينة الاخر بعد جعلها ماء مخينا له بقوة الدفق وغالها الى ان شاب منها الكبير وبلغ من المعلوم انهما من شيء واحد كانت مدة بقائهما واحدة نبه باداة التراخي على كمال قدرته واختياره في المغايرة بين الاجال فقال **ثم قضى** اي حكم حكما ماضيا وبت واوجبه **اجلا** اي وقتا مضروبا لانقضاء العمر وقطع التأخر لكل واحد منكم خيرا كان او شرا قويا كان او ضعيفا من اجل يا اجل اجوله انا تام ولما ذكر الاجل الاول الذي هو الابداع من الطين اشارة الى ما فرع منه من الاجال المتفاوتة ذكر الاجل الاخر الجامع للكل لان ذكر المبدء يستدعي ذكر النهاية فقال مشيرا الى التعظيم بالاستئناف والتنكير **واجل** اي عظيم **مسمى** اي لكم اجمعين لانقضاء البرزخ للاعادة التي هي في مجاري عاداتكم اهون من الابتداء لمجازاتكم والحكم

بينكم الذي هو محط حكمة ومظهر نعمة ونقمة في وقت واحد يتساوي فيه الكل وستر علمه عن الكل كما اشار اليه بالتنكير وهذا لا يصح
ان يكون الا لواحد استعد والا للمتباينات المقادير والارادات ولتشوق كل مقدور في صنف لا يتعداه والا لعلا بعضهم على بعض وفيه تنكيت
اسرار البعض بالبعض سبحانه وتعالى عما يصفون وعبر هنا الى الكمية اشارة الى اختصاصه بعلمه وانه ثابت لا شك فيه حيث كرر اثباته
قوله عنده في هذه الجملة وحذفها من الاولى هنا في قوله ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى وقدم المبتدا مع تنكيره والاصل تاخيره افادة
لتعظيمه ولما كان في هذا من البيان للوحدانية وتمام قدرته لاسيما على البعث الذي هو مقصود حكمته ما يبعد معه الشك في الاعادة
اشار اليه باداة التراخي وصيغة الانفعال فقال ثم انتم تمترون اي تطلبون من انفسكم الشك في كل من الوحدانية والاعادة
التي هي اهون على مجاري عاداتكم من الابتداء بتقليد الاباء والركون الى مجرد الهوى والاعراض عن الادلة التي هي اظهر من ساطع الضياء
وهذه الاية نظيرة اية الروم اولم يتفكروا في انفسهم اي كيف خلقهم الله من طين وسلط بعضهم على بعض بالظلم والعدوان
وجعل لهم اجالا متفاوتة بينها وسا وهي ذلك مبين الاصل والفرع فانتج هذا كله اية ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق اي بسبب اقامة العدل في جميع ما وقع بينكم من الاختلاف كما هو شان كل مالك في عبيده واجل مسمى الاية وقال الامام
ابو جعفر بن الزبير لما بين سبحانه وتعالى حال المتقين وهو الصراط المستقيم واوضح ما يحذر من جانبي الاخذ والترك وبين حال من تنكب
عنه ممن كان قد علم بحجتهم اليهود والنصارى وكونهم لم يلتزموا الوفاء وحادوا عما انهج لهم وانقضى امر الفريقين ذما لحالهم
وبيانا لنقضهم وتحذيرا للمتقين ان يصيبهم ما اصابهم وختم ذلك ببيان حال المؤمنين في القيامة يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقد كان انجر مع ذلك ذكر مشركي العرب وصممهم عن الداعي وعماهم عن الايات وكانوا اشبه بالبهائم منهم بالاناسي اعقب ذلك
بالاشارة الى طائفة اومات الى النظر والاعتبار فلم توفق لاصابة الحق وقصرت عن الاستضاءة بانوار الهدى وليسوا
ممن يرجع الى شريعة قد حرفت او غيرت بل هم في صورة من ان يهتدي بمجرد الفطرة ويستدل بما بسط الله تعالى في المخلوقات
فلم يعن النظر ولم يوفق فضل وهم المجوس وسائر الثنوية ممن كان قصاراه نسبة الفعل الى النور والاظلام ولم يكن تقدم
لهولاء ذكر ولا اخبار بحالهم فقال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فبدا تعالى بذكر خلق السموات
والارض التي عنها حصل النور والظلمة اذ الظلمة ظلال هذه الاجرام والنور عن اجرام نيرة محمولة فيها وهي الشمس والقمر والنجوم
فافتتاح الكلام بالحمد لله الذي اوضح الامر لمن اعتبر واستبصر فعلم ان وجود النور والظلمة متوقف بحكم السببية التي شاء تعالى على
وجود اجرام السموات والارض وما اودع فيها ومع بيان الامر في الايجاد عند من عمي عن الاستبصار ثم الذين كفروا بربهم يعدلون السموات
وقوله هو الذي خلقكم من طين ما يزيد هذا المعنى وضوحا فانه تعالى ذكر اصلنا والمادة التي عنها اوجدنا كما ذكر للنور والظلمة
ما هو كالمادة وهو وجود السموات والارض ولم نستطع جعل يتوقف الوجود بحسب المشيئة على ما ذكر فكان قد قيل اي فرق بين وجود
النور والظلمة عن وجود السموات والارض وبين وجودكم عن الطين حتى يقع امتراء فيدعى نسبة الايجاد الى النور والظلمة وهما
لم يوجدا الا بعد مادة او سبب كما طرا في ايجادكم فالامر في ذلك واضح شيء ثم انتم تمترون ثم مر في السورة من اولها الى اخرها
منبهة على بسط الدلالات في الموجودات مع التنبيه على ان ذلك لا يحصل الا لمن استنار الا من هيئ بحسب السابقة فقال تعالى انما يستجيب
الذين يسمعون ثم قال تعالى والموتى يبعثهم الله وهو والله اعلم نمطا ومن كان ميتا فاحييناه اجمل هنا ثم تشرح بعد في السورة
بعينها والمراد من الخلق من جعله الله سامعا مطيعا متيقظا معتبرا باول وهلة وقد راى المثال سبحانه وتعالى من ذلك في
قصة ابراهيم عليه السلام في قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فكان نصب قوله لعين المتقين تعالوا فانه يحق طريق
الاعتبار وحلية ابيكم ابراهيم كيف نظر عليه السلام نظر السامع المتيقظ فلم يعرج في اول نظره على ما بسبب وجوده بين فيه حتى ع
الحي فرضها فرض في الكواكب القمر والشمس بالنظر فيما عنه صدر النور فلما جن عليه الليل راى كوكبا فتامل كونه عليه السلام

ثم يطول

ثم يطول النظر بانقضاء النور ثم شيئا كما يرجع الى اعتبار الجرم الذي عنه النور بل لما راى النور عن اجرام سماوية تامل تلك الاجرام وما قام بها
من الصفات فراى الافول والطلوع والانتقال والتقلب فقال هذا لا يليق بالربوبية لانها صفات حدوث ثم رقي النظر الى القمر والشمس
فراى ذلك الحكم جاريا فيهما فحكم بان وراءها سرا لهما منزه عن الانتقال والغيبة والافول فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض وخص عليه السلام ذكر هذين لحملهما اجرام النور وسببيتهما في وجود الظلمة ثم تامل هذا النظر منه عليه السلام وكيف خص
بالاعتبار اشرف الموجودين واعلاهما فكان في ذلك وجهان من الحكمة احدهما علو النظر ونفوذ البصيرة في اعتبار الاشرف الذي اذا بان
فيه الامر فهو فيما سواه ابين فجمع بين قرب التناول وعلو التنبيه والوجه الثاني التناسب بين حال الناظر والمنظور فيه والتفاول
والجري على الفطرة العلية وهو من قبيل اخذ نبينا صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه اللبن والخمر فاختار اللبن فقيل له اخترت الفطرة
فكان قد قيل هذا النظر والاعتبار بالهام لا النظر من اضل الى الارض وعبد الضياء والظلام وينبغي لذريته في قصة ابراهيم عليه السلام
في هذا الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم في قوله هذا ربي انما قصد قطع حجة من عبد شيئا من ذلك اذ كان دين قومه فبسط لهم الاعتبار
والدلالة واخذ بعرضها قد تنزه قدره عن الميل اليه فهو كما يقول المناظر لمن يناظر هب ان هذا على ما تقول بذلك اذعان
خصمه واستدراجه للاعتبار حتى تكون فيما ذكره ما لا يعتقد ليبني على ذلك مقصوده ليقطع خصمه وهو على يقين من امره فهذا
ما ينبغي لذريته هنا كقول يوسف عليه السلام ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء فالعصمة قد اكتنفتهم عما يتوهمه المبطلون ويقوله
المفترون ويشهد لما قلناه قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه فهذه حال من علت درجته الذين يسمعون من الخلق من
جعله الله سامعا باول وهلة وهذا مثال شاهد في ذلك وجعلهم الميت والموتى على ضربين منهم من يراح من جهله وعمهه ومنهم من يبقى في
ظلماته مبيالا مرات فيه بين ذلك قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
ولما كانت السورة متضمنة جهات الاعتبار ومحركة الى النظر ومعلنة من مجموع ايها ان المعتبر والمتامل وان لم يكن متيقظا باول
وهلة ولا سامعا اول التحرك وكم يستجيب اول سامع قد ينتقل حاله عن جموده وغفلته الى ان يسمع ويلحق بمن كان تيقظ في اول
وهلة ناسب تحريك العباد وامرهم بالنظر ان تقع الاشارة في صدر السورة الى حالتين حالة السامعين لاول وهلة وحالة السامعين
في ثاني حال فقيل انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ولم يقع هنا اشارة الى القسم الثالث من العلم به وهو الباقي على جموده وموته
ممن لم يحركه زاجر ولا واعظ ولا اعتبار ولان هذا الضرب يكون ذكره هنا لا كان انحسا يكسل من ضعفت همته وصعبت حالة ابتدائية فقيل
والموتى يبعثهم الله واطلق ليعمل الكل على هذا البعث من الجهل والتيقظ من الغفلة كما دعى الكل الى الله دعاء واحدا فقيل يا ايها الناس
اعبدوا ربكم ثم اختلفوا في اجابة الداعي بحسب السوابق هكذا ورد هذا والموتى يبعثهم الله ولم يقع هنا اشارة اسماعا للكل وفي
سورة النساء مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد حتى اذا انبسطت الدلائل وانشرحت الصدور لتلقيها وتثبتت النفوس وتعلقت
بحسب ما قدر وفاز بالخير اهله قال تعالى بعد اي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
وكان قد قيل من ينتقل عن حالة الموت فراى قدر نعمة الله عليه باحيائه هل تسبه الان حالة اهل الثروة بما منحه حين اعتبر في حالة الجمادية فشكر
بل يسعى ما ضرع اليه في طلب الزيادة واتعظ بحاله عن لزم حال موته فلم تغن عنه الايات وهو المشار اليه بقوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان
يشاء الله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم وكان القسم المتقدم الذي سمع لاول وهلة لم يكن لينفع ذكره هنا من جهة قصد ان راه
قدر هذه النعمة وانقاذ المتصف بها من حيرة شكه موقعها فيما تقدم من قوله انما يستجيب الذين يسمعون فذكر هنا ما هو واقع
في اراءه قدر نعمة الانقاذ والتخلص من عمى الجهل وهذا حال من انتقل بتوفيق الله من حال الغي بعد على موته اذ يكون الضربان قد شملهما قوله
او من كان ميتا فاحييناه ولما الكتاب وهو الذي شبهت فيه صورة النقل فامره صريح من الاية واما الضرب الاول وهو السامع

لاول وهلة الملكي المؤمنة بواقي العصمة من طوارق الجهل والشكوك وتحوله تحت مقتضى هذا اللفظ من حيث ان دقائقه تلاله او تماعه
باول وهلة ليس من جهته ولا بما سبق او تكلف بل بابتداء الرحمة وتقديم النعمة ولو ابقاه لنفسه او وكله اليها لم يكن كذلك وما بكم من نعمة
فمن الله فبهذا النظر تكون الاية قد شملت الضروب الثلاثة وهو اولى لسقوط الضرب الثالث من قوله انما يستجيب الذين يسمعون فلما اقدم
والله اعلم بما اراد ولما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار وابداء جهات النظر ما اذا تامله المتامل علم ان حجة الله قائمة على العباد
وان ارسال الرسل رحمة ونعمة وفضل واحسان اذ تمت الدلالات مبسوطة والموجودات كلها شاهدة مفصحة ودلالة النظر من سمع وابصار و
افئدة موجودة فكيف يتوقف عاقل في عظيم رحمته تعالى بارسال الرسل فتاكدت الحجة وتعاضدت البراهين ولما عرف الخلق بقيام الحجة عليهم
بطريق الاصغاء الى الداعي والاعتبار بالصنعة كان كمن قيل فلله الحجة البالغة فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فما عذر المعتذر
بعد هذا التردد من كشف الغطاء ورؤية الامر عيانا لو استبصرتم لحصل لكم ما منحتم هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك
او ياتي بعض ايات ربك الاية ثم ختمت السورة بمن التسليم والتفويض بما تحصل مع قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وحصل من السور الاربع
بيان اهل الصراط المستقيم وطبقاتهم في سلوكهم وما ينبغي لهم التزامه او تركه وبيان حال المتنكبين عنه من كفرة اهل الكتاب اليهود والنصارى
وعبدة الاوثان والمجوس انتهى ولما كان من علم جميع احوال المخلوق دالا على ان العالم بها هو خالقها وان من ادعى ان خالقها غيره من
ضعفاء مملكته عن كشف ضره لعواراتها وعلم ما لا يعلمه هو منها فلم يكن الها وكان الاله هو العالم وحده وكان المحيط العلم لا يعسر
عليه تمييز التراب من التراب وكان صلى الله عليه وسلم يخبرهم عن الله مغيبات اسرارهم وخفايا اضمارهم بما يقضي منه العجب ويعلم منه احاطة
العلم حتى قال ابو سفيان بن حرب يوم الفتح لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصباء قال عاطفا على ما هو الدليل الاعلى على الوحدانية بشمول
العلم بعد قيام الدليل على تمام القدرة والاختيار لان انكارهم للعالم لامرين احدهما ظن ان المؤثر في العالم امتزاج الطبائع وانكار
ان المؤثر قادر مختار والثاني انه على تقدير تسليم الاختيار غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو فاذا
قام الدليل على كمال قدرته سبحانه واختياره وشمول علمه لجميع المعلومات الكليات والجزئيات زالت جميع الشبهات **وهو الله** اي الذي له هذا
الاسم المستجمع لجميع الاسماء الحسنى والصفات العلى المدعو به تالها وخضوعا وتعبدا او على هذا المعنى قوله **في السموات** لان من في شيء
يكون متصرفا فيه ولما كان الخطاب لمنكري البعث اكد فقال **وفي الارض** اي هذه صفته دائما هذا المراد من الاية بخبايا كل هذا الكلام
الذي تفرد به على وجه التاله والتعبد في كل من جهتي العلو والسفل ولا يفهم ذو عقل صحيح ما يقتضيه الظاهر من انه محوي فان كل محوي
منحصر محتاج الى حاويه وحاصره وضعيف التصرف فيما وراءه ومن كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للالوهية وللمشبه بحديث الجارية
اين الله قالت في السماء محجوج بحديث انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء
وانت الباطن فليس دونك شيء فان ظاهره مناف لظاهر الاول وظاهر هذا مؤيد بقاطع العقل من انه غير محتاج ومؤيد بصحيح النقل
ليس كمثله شيء اي لا في ذاته ولا في صفاته ولا شيء من شئونه وحديث كان الله ولا شيء معه وحديث فليس فوقك شيء رواه مسلم والترمذي
وابن ماجه في الدعوات وابو داود في الادب عن ابي هريرة رضي الله عنه والله الموفق ولما كان المراد اثبات احاطة علمه تعالى بكل
الخفي والجلي اليه على السواء وكان السر ههنا الخفي والجلي اليه فانه في بيان خلق الانسان وعجيب صنعه فيه بما خلق فيه من ادراك المعاني
وهياه له من قبل ان يقدر على التعبير عنه ثم اقدره على ذلك قدم الخفي فقال في رضاهم كونه لا يغيب عنه شيء **يعلم سركم** ولما كان لا ملازمة
بين علم السر والجهر لانه قد يكون في الجهر لغط شديد يمنع اختلاط الاصوات فيه من علم صحيحه فقال **وجهركم** ونسبة كل منها اليه على حد
سواء لا تزيد واحدة منها بقرب في المسافة اليه ولا بعد ولما كان السر والجهر شايعين في الاقوال وكانت الاقوال تتعلق بالسمع
ذكر ما يعمها وهو شايع في الافعال المتعلقة بالبصر فقال **ويعلم ما تكسبون** فافاد ذلك صفتي السمع والبصر مع اثبات العلم فلما
تظاهرت الادلة وتظافرت الحجج وهم عنها ناكبون وصرح بذلك في جملة حالية قوله معرضا عنهم ايذانا باستحقاقهم شديد الغضب

وما

وما تاتيهم اي هؤلاء الذين هم اهل الاعراض عنهم واغرق في النفي بقوله **من اية** اي علامة على صحة ما دعاهم اليه رسولهم صلى الله عليه وسلم وبعض
قوله **من ايات ربهم** اي المحسن اليهم بنصب الادلة وافاضة العقول وبعث الرسول **الا كانوا عنها معرضين** اي هذه صفتهم دائما قصدا
للعناد لئلا يلزمهم الحجة ويجوز ان يكون معطوفا على يعدلون ولما كان اعراضهم عن النظر سببا لتكذيبهم وهو سبب لتعذيبهم قال **فقد كذبوا**
اي دفعوا بالتكذيب الصادق **بالحق** اي بسبب الامر الثابت الكامل في الثبات كله لان الايات كلها متساوية في الدلالة على ما نزل عليه الواحدة منها
لما جاءهم اي لم يتاخروا عند المجيء اصلا لنظروا وغيره وذلك ادل ما يكون على العناد ولما كان الاعراض عن الشيء هكذا فعل المكذب المستهزئ
الذي بلغ تكذيبه الغاية القصوى وهي الاستهزاء قال **فسوف ياتيهم** اي بوعد صادق لا خلف فيه عند تردد العذاب عليهم وان تاخر اتيانه
انباء ما كانوا اي جبلة وطبعا **به يستهزؤن** اي يجددون الهزء به بغاية الرغبة في طلبه وهو ابعد شيء عن الهزء والنبا الخبر العظيم
وهو الذي يكون معه الجزاء وافاد تقديم الظرف انهم لم يكونوا يستهزؤن بغير الحق الكامل كما ترى كثيرا من المترفين لا يعجب العجب ويعجب من غير العجب
او انه عند استهزائهم بغيره بالنسبة الى الاستهزاء به عدم ولما اخبر بتكذيبهم على هذا الوجه وتوعدهم بتوبيخهم تعذيبهم استعجب تجريهم مع
الموعظة والنصيحة فعجب من تماديهم مع ما علموا من اهلاك من كان اشد منهم قوة واكثر جمعا وجبي من سوابغ النعم ما لم يصيروه فيه مع
ما ضموه الى تحقق اخبارهم من مشاهدة اثارهم وعجيب اصطناعهم في ابنيتهم وديارهم مستدلا بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد
على الاستهزاء فقال مقررا منكرا موبخا معجبا **الم يروا** ودل على كثرة المخبر عنهم تهويلا للخبر بقوله **كم اهلكنا** ولما كان المراد
ناسا معنيين لم يستغرقوا زمن القبل وهم اهل المكنة الزائدة كقوم نوح وهود وصالح ادخل الجار فقال **من قبلهم** وبين كم بقوله
من قرن اي جماعة مقترنين في زمن واحد هم اهل كل مائة سنة كما صححه في القاموس لقول النبي صلى الله عليه وسلم لغلام عش قرنا
فعاش مائة وهذا نهاية القرن والاقرب انه لا يتعين بل اذا انقضى اكثر اهل عصر قيل انقضى القرن ودل على ما هو اهد وامن اثارهم
بقوله **مكناهم** اي ثبتناهم بتقوية الاسباب من البسط في الاجسام والقوة في الابدان والسعة في الاموال **في الارض** اي بالقوة
في الصحة والفراغ ما لم نمكنكم ومكنا لهم بالخصب والبسط والسعة **ما لم نمكن** اي تمكينا لم نجعله **لكم** اي نخصكم به فالاية
من الاحتباك او شبهه والالتفات من الغيبة الى الخطاب لئلا يلتبس الحال لان ضمير الغائب يصلح لكل من المفضل والفاضل ولا ينفي اللبس
التعبير بالماضي في قوله **وارسلنا السماء** اي المطر تسمية للشيء باسم سببه او السحاب **عليهم** ولما كان المراد المطر كان التقدير حال كونه
مدرارا اي ذا سيلان غزير متتابع لانه صفة مبالغة من الدر وهو يستوي فيه المذكر والمؤنث ولما ذكر نفعهم بماء السماء
وكان غير دائم اتبعه ماء الارض لدوامه وملازمته للبساتين والرياض فقال **وجعلنا الانهار تجري** ولما كان عموم الماء بالارض
وبعده مانعا من تمام الانتفاع به اشار الى قربه وعدم عموم الارض به بالجار فقال **من تحتهم** اي على وجه الارض ومكنا من اعماقها
فصارت بحيث اذا حفرت نبع فيها من الماء ما يجري منه نهر ولما كان من المعلوم انه من الماء كل شيء حي فكان في اظهر الاشياء انه غزرت نباتهم
واخضرت سهولهم وجبالهم فكثرت نعمهم وتمادوا فاتسعت احوالهم وكثرت اموالهم فاشرق اما لهم علم سبحانه ان ذلك ما كان
للاهواء بل لهم استدراجا بهم بقوله مسببا عن ذلك **فاهلكناهم** اي بعظمتنا **بذنوبهم** اي التي كانت من بطرهم النعمة ولم يبال بهم
ولا اغنت عنهم نعمهم ولما كان الانسان ربما ابقى على عبده او صاحبه خوفا من الاحتياج الى مثله بين سبحانه انه غير محتاج الى شيء فقال
وانشانا ولما كان لم يحصل بجانب لاصل الخلد ادخل الجار فقال **من بعدهم** اي فيما كانوا فيه **قرنا** ودل على انه لم يبق من الهالكين
احد وان هذا القرن الثاني لا يرجع اليهم بسبب بقوله **اخرين** ولم ينقص من ملكنا شيئا فاحذروا ان نفعل بكم كما فعلنا بهم وهذه
الاية مثل اية الروم اولم يسيروا في الارض لانه فتمكينهم هو المراد بالشدة هناك والتمكين لهم هو المراد بالعمارة والاهلاك
بالذنوب هو المراد بقوله فما كان الله ليظلمهم الى اخر الايتين ولما كانت من ترجمة ما مضى تحتهم يعدلون بربهم غيره ويكذبونك فيما جئت
به من الحق مع ما اوضحت عليه من الحجج ونصبت من الدلائل وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم كان المقام يقتضي ان يقول

لشاكل الحال انزل عليهم يا رب ما يستقلون به من النظر بالفكر الى العيان كما اقترحوا على فاخبر انهم لا يؤمنون بذلك بقوله عطفا على وما
تاتيهم من اية تحقيقا له وتصويرا لحجزيهم ولو نزلنا اي على ما لنا من العظمة عليك كتابا اي مكتوبا من السماء في قرطاس
او ورق اجابة لما اشار عليهم اليهود باقتراحه ثم حقق انه لو وضح الامر ليبحثوا ولا فيه نوع لبس بقوله فلمسوه اي زيادة
على الرؤية وزاد في التحقيق والتصوير ورفع التجوز بقوله بايديهم لقال واظهر ولم يضمر تعليقا للحكم بالوصف وتنبيها على ان
من الموجودين من سكت ويؤمن ولو بعد ذلك فقال الذين كفروا اي حكمنا بان تكفيهم ستر الايات عنادا او مكابرة ولعله اسقط منهم
اشارة الى عموم عونه او من العرب ومن غيرهم من امتد عتوك ولا سيما اليهود المشار الى تعنتهم وكذبهم بقوله يسالك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء ان اي ما هذا الا سحر اي تمويه وخيال لا حقيقة له وزاد في الوقاحة فقالوا مبين اي واضح
ظاهر قال صاحب كتاب الزينة معنى السحر في كلام العرب التعليل بالشيء والمدافعة به والسعر بشيء لا يحصل له يقال سحره اذا علله
وعرده وشبه عليه حتى لا يدري من اين يتوجه ويقلب عن وجهه فكان السحرة يعللون الناس بالباطل ويشبهون الباطل في صورة الحق و
يقلبونه عن جهته ولما بين ما يترتب على الاجابة الى ما دعا الكتاب اليهود واقترحوه من انزال الكتاب اخبر انهم اقترحوا ظهور الملك لهم وبين
لوازمه فانهم قالوا لو بعث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون اكثر علما واقوى قدرة واظهر امتيازا عن البشر فيكون الشبهة في رسالته
اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم كان الادعى تحصيله بما هو اشرع ايصالا اليه فقال وقالوا لولا اي هلا ولم لا انزل عليه ملك
اي من السماء ظاهر لنا يكلمنا ونكلمه ولا يحتجب عنا ولما ذكر قولهم شرع في الشبهة نقضه بقوله ولو اي الحال انا لو انزلنا
واسقط اداة الاستغراق لعدم الاحتياج في رد كلامهم الى ذكرها ولئلا يكون فيه تسليم لما الوحوا اليه من انكارهم نزول الملك عليه
بالوحي ملكا اي كما اقترحوه فلا يخلو اما ان يكون على صورتنا او لا فان كان على صورته التي خلق عليها لم يثبتوا لرؤيته ولو كان كذلك
لقضي الامر اي باهلاكهم وبناه للمفعول اشارة على طريق كلام القادرين الى غاية السرعة لسهولة الامر وخفة مؤنته فانه
لا ينظر احد منهم الا صعق ولئن اعطيناهم قوة يثبتون بها للنظر ليكونن قضاء الامر وانفصال النزاع من وجه اخر وهو ان ذلك
كشف للغطاء وموالي الايمان بالغيب فجرت عادتنا بالاهلاك عند ذلك فاذا هم هالكون على كل من هذين التقديرين ونفي معنى
قوله من علو الرتبة بحرف التراخي ثم لا ينظرون اي على حال من الحالتين ولما اذا جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا
نجعله على صورة رجل فانها اكمل الصور وح يقع لهم اللبس الذي وقع لهم برعاية وهو معنى ولو جعلناه اي مطلوبهم
ملكا اي يكون في مجاري العادات في هذه الدار رؤيتهم له وبقاؤهم بعد رؤيته لجعلناه رجلا اي في صورة رجل لكنه قد [illegible]
اشارة الى تمام اللبس حتى انه لا يشك احد يراه في كونه رجلا كما كان جبريل عليه السلام ينزل في بعض الاوقات في صورة دحية الكلبي
فاذا راه بعض الصحابة رضهم لم يشك انه دحية رض ولو جعلناه رجلا للبسنا عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم بجعلنا
اياه ما يخلطونه على انفسهم وعلى غيرهم في قولهم ان الرسالة لا تصح من البشر فلو كان هذا الذي يقول انه رسول رسولا لكان ملكا فيقع
اللبس عليهم بانه لم كان هذا الذي يقول انه رسول ملكا كان رجلا ويجوز ان يقرر ذلك على وجه اخر وهو ان يكون ولو نزلنا في حيز
كانوا ذا معرضين لما عرضوا عنها لو نزلناها عليك في غير قرطاس ولو نزلنا عليك من السماء كتابا في قرطاس فجمعنا لهم في ذلك بين
حسي البصر واللمس لاعرضوا وقال الذين ابدا لكفرهم عنادا ومكابرة ما هذا الا سحر ظاهر ويكون وقالوا معطوفا على لقال الذين كفروا
ويكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك كما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الاسرى بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الى اخرها فيكون اخبارا بالمغيب ولما قطع الرجا لهدايتهم من حكم بشقاوته وكان طلبهم لانزال الملك ونحوه انما هو على سبيل التعنت
والاستهزاء وكان ذلك ربما شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضهم غاية المشقة التفتت النفس الى الاراحة منهم
ووقعت لما تقدم من مظاهر العظمة فاخبر انه فاعل ذلك في وقت متكفل بتسليته وان تلك لم تزل سنته فيمن فعل فعلهم

فقال

فقال عاطفا على قوله فسوف ياتيهم انباء ولقد اي وعزتنا انهم لما هو يستهزئون بك ولقد استهزئ اي وقع الهزء ولحق من الامم وبني للمفعول
لان المقصود الاستهزاء لا كونه من معين واشارة الى انه كان من جميع لهم من الاعلى والادنى برسل ولما كان القريب الى الذهن في مثل هذا
تما يسلي وكان كل من الارسال والاستهزاء لم يستغرق الزمان اثبت الجار فقال من قبلك فاهلكنا من عزائمهم وهو معنى فحاق
اي فاحاط بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل ما كانوا به يستهزءون اي من العذاب الذي كانوا يتوعدون به وكان حسبا
لرؤوسهم ولما علم تعالى انهم يقولون في جواب هذا ان هذا الا اساطير الاولين امره صلى الله عليه وسلم بعد ما مضى من التعجيب من كونهم لم
ينظروا بقلوبهم او ابصارهم مصارع الماضين في قوله الم يروا كم اهلكنا ان يامرهم بان يشاهدوا مصارعهم من تمكن في قلوبهم علم
انهم اهلكوا بعد تمكينهم من قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ليعينهم ذلك عن مشاهدة ما اقترحوا فقال تعالى قل سيروا اي وقعوا السير
للاعتبار ولا تغتروا بما لكم من التمكن في الارض الاية وهي كالدليل على قوله لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولما كان
السياق للتهديد بالتحذير من مثل احوال الامم الماضية وكان قد سلف انه لا يقدمهم على حالهم امهالهم في التنظر فانه اقوى في التهديد وادل
على القدرة وادعى الى النصفة ولا سيما والسورة من اوائل القران نزولا واوائله ترتيبا فقال ثم انظروا واشار الى ان هذا اهل
لان يبالغ فيه بقوله كيف كان عاقبة اي اخر امر المكذبين اي الغوا النظر وبالغوا في التفكر والميل والتدبر اذا رايتم اثار المعذبين لاجل
تكذيب الرسل فانكم اذا شاهدتم تلك الاثار حملكم الاعتبار وقوي الاستبصار وفي ذلك اشارة الى ان الامر في غاية الانكشاف فكلما طال
التفكر فيه ازداد ظهورا ولما امرهم سبحانه بالسير اليهم هل يرون في سيرهم وتطوافهم وجوالهم واعتسافهم شيئا لغير الله تنكيرا لهم
بما رحمهم به من ذلك في ايجاده بهم اولا وتيسير منافعهم ورفع مضارهم ثانيا استعطافا لهم الى الاقبال عليه والاعراض عن الخضوع لما هو مثلهم
او اقل منهم وهو ملك لله سبحانه وفي قبضته وتقبيحا لان يكفر احدهم ويعبد غيره فقال مقررا لهم على اثبات الصانع والنبوة والمعاد
ومبكتا بسفههم وشدة جهلهم قل لمن ونبه بتقديم الاعم على الاهتمام بالمعبود ما في السموت والارض ولما كانوا في مقام العناد
حيث لم يبادروا الى الاذعان بعد نهوض الادلة وانحلال علة اشار الى ذلك بقوله معرضا عن انتظار جوابهم توبيخا لهم بعدم النصفة التي يدعونها
قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة قدرة وعلما ولا قول لاحد غيرهم وهم وان كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك [illegible]
جهاله انما يحسن ان يتعاطاه هو بنفسه اذا كان قد بلغ في الظهور الى حد لا يقدر على انكاره منكر وهو هنا كذلك لان اثار الحدوث والامكان
ظاهرة على صفحات الاكوان فكان الاقرار به ضروريا لا خلاف فيه ولما كان اكثرها في هذا الكون منافع مع كونها حسنة لزينة طيبة شهية
وما كان فيه من مضار فهي محجوبة ممنوعة عنهم بفضل وصولها اليهم لا تسببهم فيها والكل مع ذلك شاهد لا كل ظاهره على وحدانيته وتمام علمه
وقدرته وكان ذلك اهلا لان يتعجب منه لعموم هذا الالاء لهم مع ما هم عليه من الاثم والعدوان وتاخير العذاب عنهم مع العناد والطغيان قال
دالا على ان رحمته سبقت غضبه مستانفا كتب اي وعد وعدا هو كالمكتوب الذي حتم واكد غاية التاكيد وكتب حيث اراد سبحانه
ولما كانت النفس يعبر بها عن الذات على ما هي عليه قال على نفسه الرحمة اي فلذلك اكرمكم بهذا الاكرام بوجوه الانعام وامضى عنكم الانتقام
بالاستيصال ولو شاء لسلط عليكم الضار وجعل عيشكم من غير اللذيذ كالتراب وبعض القاذورات التي تعيش بها بعض الحيوانات ولما
كان ذلك ربما اطمع الظالم البطر واحجب المنكسر قال محذرا مرجيا مبشرا ملتفتا الى مقام الخطاب لانه ابلغ وانص على
المقصود دالا على البعث على بعض من اثبات ان الاكوان لله لان كل ما فيه موصوف بصفات جعل اتصافه باضدادها ممكنا فاختصاص كل جسم بصفته
المعينة انما يكون بتخصيص الفاعل المختار فيكون قادرا على الاعادة لان التركيب الاول انما كان لان صانعه قادر على جميع الممكنات لكونه عالما
بجميع المعلومات والاتصاف بذلك لا يجوز انفكاكه عنه فهو مالك مطاع امرنا فلا بد من بلوغ عنه امره ونواهيه لاظهار ثمرة الملك من الثواب
والعقاب في يوم الجمع ليجمعنكم اي والله لتحشرون شيئا فشيئا الى يوم القيمة للعرض بين جميع العباد كائنا لا ريب فيه بوجه من الوجوه
وذلك الجمع لتخصيص الرحمة في ذلك اليوم باوليائه والنقمة الخالصة باعدائه بعد ان كان عمهم بالرحمة الفريقين في يوم الدنيا

وجعل الرحمة اظهر في حق الاعداء وبهذا الجمع تمت الرحمة من كثير من الخلق ولولاه لارتفع الضبط وكثر الخبط لما كانوا في الجاهلية ولما
كان ذلك كذلك في عدم الريب لاخبار الله به على السنة رسله ولما عليه من الادلة لما في هذا الخافق من بدايع الحكم مع خروج اكثر افعال
الحيوان عن الاولى فصار من المعلوم لكل ذي وعي ان البعث محط الحكمة لاظهار التجلي بالصفات العلى لجميع الخلق الشقي والسعيد والقريب والبعيد
كان كانه قيل فما للناس اكثر الناس كافر به فقال جوابا الذين خسروا انفسهم اي اهلكوها باهمالها بتكذيبهم به لمخالفة الفطرة الاولى التي
تزكي الاخرى وستر العقل السليم فهم اي بسبب خسارتهم لانفسهم باهمال العقل واعمال الحواس والتقيد بالتقليد لا يؤمنون فصار والحمى
ملقي نفسه من شاهق ليحيي لغرض من الاغراض القاصرة لانه من حيث بلغ الى القيمة ولا اليسير يوقع ريبا وما آل المعنى ان الذين لا يؤمنون في هذا اليوم
هم المقضي بخسارتهم في ذلك اليوم ولما استنارت الادلة استنارة الشمس وانتصبت البراهين حتى لم يبق اصلا نوع لبس جاء الخبر بما تقدم
مما يشاهد ونذوغيره فقال ذاكرا الزمان بعد المكان وقدمه لانه اظهر والعالم الكامل هو الذي يبدا بالاظهر فالاظهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى
فتم بذلك الخبر عن الزمان والزمانيات والمكان والمكانيات وله اي وحده ما سكن اي حل وتحيز وحصل في الليل والنهار اي مما من شانه ان يكون
فيهما وان كان متحركا ولكنه عبر بذلك دون التحرك لانها دار الموت ودخل في ذلك النور والظلمة اللذان اشرك بهما من اشرك ولما دل
ما مضى على القدرة التامة وانقسم الى متحرك وساكن وكانت القدرة لا تتم الا بالعلم دل عليه بقوله وهو اي لا غيره السميع اي البالغ
السمع لكل متحرك العليم اي البالغ العلم بالبصر والسمع وغيرهما بكل متحرك وبكل ساكن من اقوالكم وافعالكم وغيرهما فلا تطمعوا في
ان يترك شيئا من مجازاتكم والعليم هنا ابلغ من البصير وذلك مثل ما تقدم في قوله قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله
هو السميع العليم وهو ترجمة قوله يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ولما نهض الحجج ما لم يبق معه لذي بصيرة شك كان لسان الحال
مقتضيا لان ينادى بالانكار عليهم في الالتفات عن جنابه والاعراض عن بابه فابرز تعالى في قالب الامر له صلى الله عليه وسلم بالانكار على
نفسه ليكونوا ادعى لهم وارفق بهم ولان ما تقدم منبئ عن غاية المخالفة منذر بما اندرهم سوء عاقبة المشاققة فانهم قالوا في كل تحيل
الى الموافقة فقيل لا الا بان نتخذ لهم لكي ليا وذل لمن يحن سعادتكم في الدارين او بتطعيمكم في اتخاذ لي بعكم امدادكم اولياء وهذا
ما لم يكونوا ابدا وهو معنى قوله تعالى قل اي منكرا عليهم بالانكار انكار عليه الى الذادهم بوجه ولما كان الانكار منصبا الى كون الغير متخذا لا الى اتخاذ
الولي اولى بعد الهمزة فقال اغير الله اي الذي لا شيء يدانيه في العظمة اتخذ اي بجملة تميل الى خلاف ما تدعو اليه الفطرة الاولى والعقل
المجرد عن الهوى كما فعلتم انتم واخذ وليا اي اعبده لكونه يلي جميع اموري ثم وصفه بما يحقق ولايته ويدحض ولاية غيره فقال فاطر
السموات والارض اي خالقهما ابتداء على غير مثال سبق وهو اي والحال ان الله يطعم اي يرزق كل من سواه مما فيه روح ولما كان النفي
كونه سبحانه مفعولا من المطعم لكون ذلك من مطعم معين بني للمفعول قوله ولا يطعم اي ولا يبلغ احد بوجه من سواه مما فيه روح ولما كان
الوجه ان يطعم والمفاد المنافع من جنده ولا يجوز عليه الانتفاع فامتنع في العقل اتخاذ غيره وليا لان غيره محتاج في ذاته وفي جميع
صفاته اليه وهو سبحانه الغني على الاطلاق وهذا التفات الى قوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام وتعريض بكل من عبد من دون الله ولا سيما الاصنام فانهم كانوا يهدون لها الاطعمة فتاكلها الدواب والطيور
فيعلمون انها لا تطعم ولا تطعم روى الدارمي في اول مسنده بسند حسن عن الاعمش عن مجاهد قال حدثني مولاي ان اهله بعثوا معه بقدح فيه
زبد ولبن الى الهتهم قال فمنعني ان اكل الزبد مخافتها فجاء كلب فاكل الزبد وشرب اللبن ثم بال على الصنم ومولاه كان شريك النبي صلى الله عليه
وسلم قبل الاسلام واختلف فيه فقيل هو قيس بن السايب بن عويمر بن عابد بن عمران بن مخزوم وقيل قريبه السايب بن ابي السايب
صيفي بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وقيل عبد الله بن السايب والله اعلم ولعل مجاهدا هو العطاردي وهو مخضرم قال كنا
في الجاهلية اذا اصبنا حجرا حسنا عبدناه وان لم نصب حجرا جمعنا كثبة من رمل ثم جئنا بالناقة الصفي فتفاج عليه فنحلبها على الكثبة
حتى نرويه ثم نعبد تلك الكثبة ما اقمنا بذلك المكان وفيه ايضا ايماء الى انه لما خلقكم كلكم من طين حتى على اختلافكم في المقادير والالوان

والاخلاق

والاخلاق وهو غني عنكم فكذلك خلق المطعومات على اختلاف اشكالها وطعومها ومنافعها والوانها من طين وجعلها منافع لكم وهو غني عنها
وفي ذلك التصريح بذلك في قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الى قوله في ضمائره فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وفي الاية
كلها التفات الى قوله اول السورة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله في التي قبلها ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم
اولياء في امثالها مما فيه تولي الكفار لغيرها لهم سبحانه ولما كان هذا الولي لم يرد امر من قبل الخالق كان النظر السديد كافيا في النزوع عنه بحيث كلما
قبل النبوة لا التفت الى اصنامكم ولا اعتبر للعبادة شيئا من انصابكم فكيف وقد امرت بذلك وهو معنى قل اني امرت اي ممن له
الامر ولا امر الا له وهو من تقدم ان له كل شيء وهو الله وحده ان اكون اي بجبلتي وقالبي اول من اسلم في الرتبة مطلقا وفي
الزمان بالنسبة الى الامة ولما كان الامر بالاسلام نهيا عن الشرك لم يكتف به بل صرح به جمعا بين الامر والنهي من هذا الرب الكريم الذي بدع احساننا
وكرمه الى ولايته ونهى عن ملكه وحيزونته عن شيء من عداوته في قوله عطفا على قل وعلى محل لتاكيد ولا تكونن اي بوجه من الوجوه في
وقت من الاوقات اصلا من المشركين اي في عدادهم باتباعهم في شيء من اغراضهم وهذا التاكيد لقطع اطماعهم عنه صلى الله عليه وسلم في سؤالهم
ان يطرد بعض اتباعه ليوالوه ونحو ذلك مما كانوا يرجون به مقاربته منهم بل علم المعاينة فعل مثلي مما يريدونه مصحح للنسبة اليهم والكون
في عدادهم من شانه يقوم في منهم ولما كان فعل المنهي عنه لا يجوز عليه قالوا اعلمنا بان المخالفة فهذا من ابلغ المخالفات فصحح المستحق لاعظم الانتقام
وكان ذلك قطعا لهم من الطمع فيه واكره لذلك ولانكارهم مضمونه قل اني ولما كان المقام للخوف قدمه فقال اخاف ان عصيت اي بشيء مما
يريدون مني او انفكم فيه مما امرت به او نهيت عنه ربي اي المحسن الي عذاب يوم ولما كان عظم الظرف بعظم مظروفه قال عظيم ولما
كان قد تقدم من عموم رحمته ما اطمع الفاجر ثم ان انذر ذلك بما اشير اليه من الخسارة صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم فقال واصفا لذلك العذاب
مبينا ان الرحمة في ذلك اليوم على غير المعهود الان فانها خاصة لا عامة دائمة السبوع على من نالته لا زائلة وكذا النقمة هكذا اسند ذلك اليوم
من يصرف عنه اي ذلك العذاب ولما كان المراد دوام الصرف في جميع اليوم قال يومئذ اي يوم اذ يكون عذاب ذلك اليوم فقد رحمه اي
فعل به بالانعام عليه فعل المرحوم وذلك اي الامر العالي الفوز اي الظفر بالمطلوب المبين اي الظاهر جدا من لم يصرف عنه فقد اهانه و
ذلك هو الفوز العظيم ولما كان التقدير فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد رحمك عطف عليه دليلا عليه لانه لا يجوز في العقل ان يتخذ غيره
وليا فقال معمما الحكم في ذلك العذاب وغيره مبينا انه لا يخلص لمن اوقع به وان يمسسك الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له ولما كان المقام
للترهيب قدم قوله بضر اي هنا او هناك فلا كاشف له اصلا بوجه من الوجوه الا هو لانه لا كفو له فهو قادر على اقلاعه ولا
يقدر غيره على دفاعه لانه على كل شيء قدير وان يمسسك بخير اي فلا راد له ولما كان التفضل جائزا ولا موجبا لان يكون الجزاء فلا مانع له
كان وضعه موضعه قوله فهو على كل شيء اي من ذلك وغيره قدير ولا يقدر غيره على منعه منها على ان رحمته سبحانه سبقت غضبه ولما كان
الحاملان الاصطناع فافادنا بما ذكر وما دل عليه المذكور ملحوظا ان تعالى غالب على امره قال مصرحا بذلك وهو القاهر اي الذي يعلم ارادته كلها ويمنع
غيره مراده متى شاء وصورته فهو وحقيقة بتمكن الغلبة بقوله فوق عباده وكل ما سواه عبده ولما كان في القهر ما يكون من غير ما ينافيه بقوله وهو
اي وحده الحكيم فلا يحصل اثر القهر بايقاع المكروه الا لمستحق ولما تم المعنى بقوله الخبير اي بما يستحق كل شيء فتمت الادلة على عظم سلطانه وانه لا في
غيره ولما فتم بصفتي الحكمة والخبرة كان كانه قيل فلم لم يعلم انا نكرمك بخبرته فيسمعك بحكمته من يشهد لك على ما تقول من انه امرك بان تكون اول من
اسلم ونهاك عن الشرك لنصدقك عن مثل ذلك كما تقدم سؤالنا الكتب فيه او كتابا في قرطاس او غيرهما فقال قد فعل ولم يرض لي الا بشهادته المعجزة فقال
او قال انه لما اقام الادلة على الوحدانية والقدرة ووصل الى صفة القهر المؤذن بالانتقام لم يبق الا الاشهاد عليهم ابتنانا بما يستحقونه من سوء العذاب
وانذارا به لئلا يقولوا اذا حل بهم انه لم ياتنا من نذير فقال قل اي يا ايها الرسول لهم اي شيء اكبر اي اجل واعظم شهادة فان انصفوا
وقالوا الله فقال هو الذي شهد لي كما قال في النساء لكن الله يشهد بما انزل اليك وكنه قطع الكلام هنا اشارة الى عنادهم وان سكوتهم او التنزيل منزلة
المعاند او العالم الذي العامل عمل الجاهل فقال امر له صلى الله عليه وسلم قل الله اي الملك الاعظم المحيط علما وقدرة اكبر شهادة ولما كان

بمرض ان يسلموا ذلك ويقولوا انه لكذلك ولكنهم لم يشهدوا بشهادة قال **شهيد** اى هو ابلغ شاهد **بينى وبينكم** اى بهذا القران الذى ثبت بعجزكم
عنه انه كلامه وبعجزكم عن الايات التى عجزتم عن معارضتها ولما قرر انه اعظم شهيد واشار الى شهادته بالايات جملة نبه على اعظمها لان اظهاره تعالى القران
على النبى صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه شهادة من الله له بالصدق فقال ذاكرا الفائدة فى شهادته بيد متكفل باثبات الرسالة واثبات الوحدانية وقدم
الدال انه المقرر للنافى المنزل لمقايقة عاطفا على جملة شهيد بانيا للمفعول تشبيها على ان الفاعل معروف للاعجاز وبنى الفاعل فى الشاذ **واوحى الى**
وحقق الموحى به وشخصه بقوله **هذا القران** ولما كان فى سياق التهديد قال مقتصرا على ما يليه **لانذركم** اى اخوفكم واحذركم ما اعتقادا
شانه نقص فى الاله كاسما الشرك **به ومن** اى وانذر به كل من **بلغ** اى بلغه قال الفرا والعرب تضمر الهاء فى صلات الذى ومن وما وقال
البخارى فى اخر الصحيح لانذركم به يعنى اهل مكة ومن بلغ هذا القران فهو له نذير علقه بصيغة الجزم عن ابن عباس ووصله اليه ابن ابى حاتم كما قاله
شيخنا فى شرحه وقال عبد الرزاق فى تفسيره اخبرنا معمر عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن بلغته اية من كتاب الله فقد بلغه امر الله
وقال الامام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى فى جواب سؤال ورد عليه سنة ثمان وثلثين وسبعمائة فى ان النبى صلى الله عليه وسلم هل بعث الى الجن
ومن خصه نقله الكتاب والسنة ناطقان بذلك والاجماع قائم عليه لا خلاف بين المسلمين فيه ثم نقل الاجماع عن الى طالب القضاعى وابن عمر بن عبد البر
فى التمهيد وابى محمد بن حزم فى كتاب الفصل وغيرهم ثم قال اما الكتاب فايات احدها لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القران فكانما
راى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس فذكره وقال السبكى من بلغ القران فهو له نذير وقال ابن زيد من بلغه هذا القران فانا نذيره وهذه
كلها اقوال متفقة المعنى وقد امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكون هذا الكلام وانه ينذر بالقران كل من بلغه ولم يخص انسا ولا جنا من اهل التكليف ولا خلاف ان
الجن مكلفون انتهى وحكى مما ذكر من الايات وغيرها ما يليق به واستدلال على الرسالة الى الملائكة عليهم السلام فالمعنى لمن صدق هذا القران فقد افلح ومن كذب
فليات بسورة من مثله ثم عجزه شاهد على نفسه بالكذب وهو شهادة الله بالصدق ولاجل ان الله هو الشاهد لم تنقض الشهادة بموت النبى صلى الله عليه وسلم
بل استمرت على مر الاباد وكر الاعوام لبقاء الشاهد وتعاليه عن شوائب النقص وسمات الحدث والى ذلك الاشارة بقول النبى صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء
نبى الا اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة اخرجه الشيخان عن ابى هريرة
ولعل الاقتصار على الانذار مع ما تقدم اشارة الى ان اكثر الخلق هالك وقد ذكر فى نزول هذه الاية ان اهل مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
اما وجد الله رسولا غيرك او ما نرى احدا يصدقك بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انهم ليس عندهم منك ذكر فارنا من يشهد انك
رسول الله كما تزعم فانزل الله ولما لم يبق بعد هذه شبهة فى ذلك وقطع دابر ذلك وتطلب دابر تجويز التوحيد الذى جعلت الرسالة مرقاة اليه فاذا ثبت فى قلب
نامت انواره بحسب ثباته حتى انها ربما ملأت الاكوان وعلم على كون سياق الاستفهام على طريقة الانكار والتعجيب تعظيما للشان وتفخيما للمقام وتنبيها
لهم على ان يعودوا عن الشرك فقال **ائنكم لتشهدون ان مع الله** اى الذى حاز جميع العظمة **الهة** ولما كانوا لكثرة تعنتهم ربما اطلقوا
على الله سبحانه الهة كما قالوا حين سمعوه صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن كما ياتى ان شاء الله فى الحجر ولئن كان هذا صريحا بالمقصود على وجه يحتمل
النزاع فقال **اخرى** ولما كان لانه قيل انهم ليقولون ذلك الصغار اذ يقال لهم قال **قل لا اشهد** اى معكم بشئ مما يقولونه لانه باطل ولو كان حقا
لشهدت به ولما كان قد اعرض عما علم لطمعهم فيه حبسه من اصله وبرقته بقوله **قل انما هو** اى الاله **الواحد** وهو الله الذى لا يعجزه شئ وهو
يعجز كل شئ لانه واحد لا كفو له فانكم عجزتم عن الاتيان بسورة من مثل كلامه وانتم افصح الناس ولما كان معنى هذا البراءة من انداده صرح به فى قوله
فصل اسمه **وانى برئ مما تشركون** الان وفى مستقبل الزمان ابعادا من تطمعهم ان يكون الموافقة بينه وبينهم باتخاذه الانداد او شيئا منها
ولما فنيت التوحيد بهذه الاية باعظم طرق البيان وابلغ وجوه التاكيد ولقد امتثل صلى الله عليه وسلم الامر بالانذار فمكن ابلاغه القران
فلما التراع منه من قريش وكثير ممن حولهم من العرب فى عام الحديبية وهو سنة ست من الهجرة واعلمه الله تعالى ان ذلك فتح مبين ارسل الى من يليهم من ملوك
العجم فى ذلك العام وما بعده وكان اكثر عندهم منذ ذلك الاعتماد بتدعوهم الحنفا وانها فى دار القرار وبين يديهم دار البوار
قال اهل السير خرج صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من عمرة الحديبية التى صد عنها على اصحابه رضى الله عنهم فقال ايها الناس ان الله بعثنى

رحمة

رحمة وكافة وانى اريد ان ابعث بعضكم الى ملوك العجم الاعاجم قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر عن عبد الرحمن بن عبد القارى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر فحمد الله واثنى عليه وتشهد ثم قال اما بعد فانى اريد ان ابعث بعضكم الى ملوك العجم فلا تنازعوا على
يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم عليه السلام قال دعاهم الى الذى وفى رواية لمثل الذى دعوتكم اليه فقال المهاجرون
يا رسول الله والله لا نختلف عليك فى شئ ابدا فمرنا وابعثنا فسالوه كيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام قال دعاهم الى الذى وفى رواية لمثل الذى
دعوتكم اليه وقال ابن عبد الحكم ان الله تبارك وتعالى اوحى الى عيسى عليه السلام ان ابعث الى ملوك الارض فبعث الحواريين فاما من بعثه مبعثا قريبا
فرضى وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل وقال ابن عبد الحكم وقال الاحسن كل من يبعث اليه فشكى ذلك عيسى عليه السلام الى الله عز وجل
فاصبح كل رجل قال ابن عبد الحكم فاوحى الله تعالى اليه انى سأكفيك فاصبح المتثاقلون كل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التى بعث اليها فقال عيسى عليه السلام
هذا امر قد عزم الله عليكم فامضوا له وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى فى القاموس ان الحكماء الذى جمع عيسى بن الحواريين وابعدهم الى النواحى قرية
بناحية طرابلس تسمى الكرسى وقال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن حبيب المصرى انه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البلدان وملوك
العجم وما قال لاصحابه حين بعثهم قال فبعثت به الى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه فذكر نحو ما تقدم الى ان قال ابن اسحق وكان من بعث عيسى عليه السلام
من الحواريين والاتباع الذين كانوا بعدهم فى الارض بطرس الحوارى ومعه بولس وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين الى رومية واندرايس ومنتا
الى الارض التى ياكل اهلها الناس وتوماس الى ارض بابل من ارض المشرق وفيليبس الى قرطاجنة وهى افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف
ويعقوبس الى اورى شلم وهى ايليا قرية بيت المقدس وابن تلما الى الاعرابية وهى ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر ويهودا ولم يكن من الحواريين
جعل مكان يودس انتهى كذا رايته فى نسخة معتمدة مقابلة من تهذيب السيرة لابن هشام وكذا فى مختصرها للامام جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى
عدد كله واسماؤهم مخالف لما فى قوله مكان يودس ولم يتقدم ليودس ذكر والموجود من تسمية من الاناجيل التى بايدى النصارى غير هذا ولعل اصح
وقد جمعت ما تفرق من الفاظها قال فى انجيل متى ما نصه ومعظم السياق له ودعا يعنى عيسى عليه السلام تلاميذه الاثنى عشر واعطاهم سلطانا
على جميع الارواح لكى يخرجوها ويشفوا كل الامراض وفى انجيل مرقس وصعد الى الجبل ودعى الذين احبهم فاتوا اليه وانتخب اثنى عشر
ليكونوا معه ولكى يرسلهم ليكرزوا واعطاهم سلطانا على شفاء الامراض واخراج الشياطين وفى انجيل لوقا وكان فى تلك الايام
خرج الى الجبل يصلى وكان ساهرا فى صلوة الله فلما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر وفى موضع اخر ودعى الاثنى عشر الرسل
واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء المرض وارسلهم يكرزون بملكوت الله ويشفون المرضى وهذه اسماء الاثنى عشر
الرسل سمعان المسمى بطرس وفى موضع من انجيل متى بن يونا واندراوس اخوه ويعقوب بن زبدى ويوحنا اخوه قال فى انجيل
مرقس وسماهما باسمى بوانرجس الذى هما ابنا الرعد وفيليبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا
ولبا الذى يدعى تداوس وجعل فى انجيل مرقس بدل لبا تدى وفى انجيل لوقا بدلهما يهوذا ابن يعقوب ثم اتفقوا وسمعان القانانى وقال
فى انجيل لوقا المدعو الغيور ويهوذا الاسخريوطى الذى اسلمه اى دل عليه فى الليلة التى ادعى اليهود القبض عليه فيها هولاء الاثنى عشر الرسل الذين
ارسلهم يسوع وفى انجيل مرقس ودعى الاثنى عشر وجعل يرسلهم اثنين اثنين واعطاهم السلطان على الارواح النجسة قال لا تسلكوا طريق
الامم ولا تدخلوا مدينة السامرة وانطلقوا خاصة الى الخراف التى ضلت من بنى اسرائيل واذا ذهبتم فاكرزوا وقولوا اقترب ملكوت السموات اشفوا
المرضى اقيموا الموتى طهروا البرص اخرجوا الشياطين مجانا اخذتم مجانا اعطوا لا تكنزوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ولا همانا
فى الطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصى لان الفاعل مستحق طعامه وفى انجيل مرقس وامرهم ان لا ياخذوا فى الطريق غير عصى فقط ولا همانا
ولا خبزا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقهم الا نعالا فى ارجلهم ولا يلبسوا قميصين وفى انجيل لوقا وقال لهم لا تحملوا فى الطريق شيئا لا عصى
ولا همانا ولا خبزا ولا فضة ولا يكون لكم ثوبان واى مدينة او قرية دخلتموها فحصوا فيها عمن يستحقكم وكونوا هناك حتى تخرجوا
فاذا دخلتم الى البيت فسلموا عليه فان كان البيت مستحقا فسلامكم يحل عليه وان لم يكن مستحقا فسلامكم راجع اليكم ومن لا يقبلكم

ولا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من ذلك البيت او تلك القرية او تلك المدينة انفضوا غبار ارجلكم وفي انجيل مرقس وقال لهم واي بيت دخلتموه
اقيموا فيه الى ان تخرجوا منه واي موضع لم يقبلكم ولم يسمع منكم فاذا خرجتم من هناك فانفضوا الغبار التي تحت ارجلكم الشهادة عليهم
الحق اقول لكم ان الارض سدوم وعامورا احسن في يوم الدين اكثر من تلك المدينة ها انا ذا ارسلكم كالخراف بين الذئاب كونوا حكماء
كالحية ووداعا كالحمام احذروا من الناس فانهم يسلمونكم الى المحافل وفي مجامعهم يضربونكم ويقربونكم الى القواد والملوك
من اجلي شهادة لكم وللامم وفي انجيل مرقس شهادة عليهم وعلى كل الامم ينبغي اولا ان تكرزوا بالانجيل فاذا اسلموكم فلا تهتموا
بما تقولون وفي انجيل مرقس ولا ماذا تجيبون فانكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ولستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم وفي
انجيل مرقس لكن روح القدس يتكلم فيكم وسيسلم الاخ اخاه الى الموت والاب ابنه ويقوم الابناء على ابائهم فيقتلونهم وتكونون مبغوضين
من الكل من اجل اسمي والذي يصبر الى المنتهى يخلص فاذا طردوكم من هذه المدينة اهربوا الى اخرى الحق الحق اقول لكم انكم لا تكملون مداين
اسرائيل حتى ياتي ابن الانسان ليس تلميذ افضل من معلمه ولا عبد افضل من سيده حسب التلميذ ان يكون مثل معلمه والعبد مثل سيده ان كانوا سموا
رب البيت باعل زبول فكم بالحري اهل بيته فلا تخافوهم فليس خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلم الذي اقول لكم في الظلمة قولوه انتم
في النور وما سمعتموه باذانكم فاكرزوا به على السطوح لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس
والجسد جميعا في جهنم اليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط على الارض دون ارادة ابيكم وانتم فشعور رؤوسكم كلها
محصاة فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة لا تظنوا اني جئت لالقي على الارض سلاما لكن سيفا اتيت لافرق الانسان من ابيه والابنة
من امها والعروس من حماتها واعداء الانسان اهل بيته من احب ابا او اما اكثر مني فما يستحقني ومن وجد نفسه فليهلكها ومن اهلك نفسه
من اجلي وجدها ومن قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل الذي ارسلني ومن تقبل نبيا باسم نبي فاجر نبي ياخذ ومن قبل صديقا
باسم صديق فاجر صديق ياخذ ومن سقى احد هولاء الصغار كاس ماء بارد فقط باسم تلميذ الحق اقول لكم ان اجره لا يضيع ولما
اكمل يسوع امره لتلاميذه الاثني عشر انتقل من هناك ليعلم ويكرز في مدنهم وفي انجيل مرقس فلما خرجوا يعني الرسل كرزوا بالتوبة
واخرجوا شياطين كثيرة ومرضى عدة يدهنونهم بالدهن فيشفون وفي انجيل لوقا ومن بعد هذا ايضا ميز الرب سبعين اخر وارسلهم اثنين
اثنين قدام وجهه الى كل مدينة وموضع ازمع ان ياتيه وقال لهم ان الحصاد كثير والفعلة قليل اطلبوا الى رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده
وفي انجيل متى ما ظاهره ان هذا الكلام كان للاثني عشر فانه قال قبل ذكر عددهم فلما راى الجمع تحنن عليهم لانهم كانوا ضالين ومطرحين
كالخراف التي ليس لها راعي ثم قال للتلاميذ الاثني عشر الى اخر ما ذكرته عنه اولا فيجمع بانه قاله للفريقين رجع الى لوقا اذهبوا
ها انا ذا ارسلكم كالخراف بين الذئاب لا تحملوا هميانا ولا مزودا ولا احذية ولا تقبلوا احدا في الطريق واي بيت دخلتموه فقولوا اولا السلام لاهل
هذا البيت فان كان هناك ابن السلام فان سلامكم يحل عليه والا فسلامكم راجع اليكم وكونوا في ذلك البيت كلوا واشربوا من عندهم فان الفاعل
مستحق اجرته ولا تنتقلوا من بيت الى بيت واي مدينة دخلتموها ويقبلكم اهلها فكلوا مما يقدم لكم واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا
لهم قد قرب ملكوت الله واي مدينة دخلتموها ولا يقبلكم اهلها اخرجوا من شوارعها وقولوا نحن ننفض لكم الغبار الذي لصق
بارجلنا من مدينتكم لكن اعلموا ان ملكوت الله قد قرب اقول لكم ان سدوم في ذلك اليوم لها راحة اكثر من تلك المدينة الويل لك
يا كورزين والويل لك يا بيت صيدا لانه لو كان في صور وصيدا القوات التي كن فيكن جلسوا وتابوا بالمسوح والرماد واما صور
وصيدا فلهما راحة في الدينونة اكثر منكم وانت يا كفرناحوم لو انك ارتفعت الى السماء سوف تهبطين الى الجحيم من سمع منكم فقد سمع
مني ومن جحدكم فقد جحدني ومن جحدني فقد جحد الذي ارسلني فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب الشياطين باسمك تخضع لنا فقال لهم
رايت الشيطان سقط من السماء مثل البرق وها انا قد اعطيتكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء
ولكن لا تفرحوا بهذا ان الارواح تخضع لكم فرحوا لان اسماءكم مكتوبة في السموات وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال

التلاميذ

الى تلاميذه خاصة وقال طوبى للاعين التي ترى ما رايتم اقول لكم ان انبياء كثيرا وملوكا اشتهوا ان ينظروا ما نظرتم فلم ينظروا ويسمعوا
ما سمعتم فلم يسمعوا وفي انجيل متى بعد ما ادعى اليهود صلبه انه ظهر لتلاميذه الاحد عشر لما تقدم من غير يهوذا الاسخريوطي الذي الحد في الجليل في الجبل
الذي امرهم به يسوع وكلمهم قائلا اعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض فاذهبوا الان وتلمذوا كل الامم وفي انجيل مرقس انه ظهر لهم وهم مجتمعون
وكانوا في تلك الايام يبكون وينوحون فبكتهم لقلة ايمانهم وقسوة قلوبهم وقال لهم امضوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها
فمن امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدان وهذه الايات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين ويتكلمون بالسنة جديدة ويحملون بايديهم الحيات ولا تؤذيهم
ويشربون السم القاتل فلا يضرهم ويضعون ايديهم على المرضى فيبرؤون ومن بعد ما كلمهم يسوع ارتفع الى السماء فخرجوا ولذلك يكرزون في كل مكان
وفي انجيل لوقا فالان خرجوا كانوا يطوفون في القرى ويبشرون ويشفون في كل موضع وفي اخره بعد ان ذكر تلامذته الاحد عشر وكلاما كانوا
يتخوضون فيه بعد ادعاء اليهود لصلبه وفيما هم يتكلمون وقف يسوع في وسطهم وقال لهم السلام لكم انا هو لا تخافوا فاضطربوا وظنوا انهم
ينظرون روحا فقال لهم ما بالكم تضطربون ولم تاتي الافكار في قلوبكم انظروا ايدي ورجلي فاني انا هو جسوني وانظروا ان الروح ليس
له لحم ولا عظم كما ترون انه لي ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه واذا هم غير مصدقين من الفرح فقال لهم اعندكم ههنا ما يؤكل فاعطوه جزءا من
حوت مشوي ومن شهد عسل فاخذ قدامهم واكل واخذ الباقي واعطاهم وقال لهم هذا الكلام الذي كلمتكم به اذ كنت معكم وانه سوف يكمل
كل ما هو مكتوب في ناموس موسى والانبياء والمزامير من اجلي وحينئذ فتح اذهانهم ليفهموا وقال لهم اجلسوا انتم في المدينة يروشليم حتى تلبسوا
القوة من العلا ثم اخرجهم خارجا الى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وكان فيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء اما هم فرجعوا الى يروشليم
بفرح عظيم وكانوا في كل حين يسبحون ويباركون الله انتهى ما نقلته من الاناجيل وما كان في خبر لفظ يوهم نقصا فقد تقدم في اول الاعراف انه يجوز
في شرعنا اطلاقه على الله تعالى وان كان مع اطلاقه في شرعهم فهو مؤول او قد نسخ   وقال الامام محيي السنة البغوي في تفسير ال عمران فيما نقله عن
وهب فلما كان بعد سبعة ايام اي من ادعاء اليهود لصلبه قال الله لعيسى عليه السلام اهبط على مريم المجدلانية في جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم
يحزن حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في
الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى عليه السلام اليهم
فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين هذا ما ذكر من شان رسل عيسى عليه السلام انهم كانوا دعاة   واما رسل النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا
مبلغين كتبه صلى الله عليه وسلم فمن قبل ذلك حفظه الله ومن ابى كان جوابه السيف الماحق لدولته كما ذكرته مستوفى في شرحي لنظم السيرة وهو
مذكور في فتوح البلاد   واما بعثه صلى الله عليه وسلم رسله اتخذ لاجل مكاتبة الملوك الخاتم اخرج ابو يعلى في مسنده عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر وفي رواية واكيدر دومة والنجاشي يدعوهم الى الله   واخرج الشيخان في صحيحيهما وهذا لفظ مسلم عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى الروم وفي رواية الى العجم قالوا انهم لا يقرؤون كتابا الا مختوما فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتما من فضة كاني انظر الى بياضه في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم نقشه محمد رسول الله فبعث دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه الى قيصر ملك الروم وامره
ان يوصل الكتاب الى عظيم بصرى ليوصله اليه فعظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وقراه ووضعه على وسادة وعلم صدقه صلى الله عليه وسلم ولكنه غلب
على ملكه فجمع الروم وامرهم بالاسلام فابوا فخافهم فقال انما اردت ان اجربكم ثم لم يقدر الله له الاسلام فان الله حكم في الشام وكثير من الروم على يدي
ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم كثير من الروم ايضا على يد بعدهم ومكن بها الاسلام لكن اثابه الله على تعظيم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بان
ابقى ملكه في اطراف بلاده الى الان وبلغني ان الكتاب محفوظ عندهم الى هذا الزمان   وبعث شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه الى الحارث بن ابي شمر الغساني
وقال القضاعي الى المنذر بن ابي شمر عامل قيصر على تخوم الشام ثم جبلة بن الايهم الغساني فاما الحارث او المنذر فغضب من الكتاب وهم بالسير الى النبي
صلى الله عليه وسلم ليقاتله زعم فنهاه عن ذلك قيصر فاكرم شجاعا ورده وسالم حاجبه مري الرومي بما عرف من صفة النبي صلى الله عليه وسلم في الانجيل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم باد ملك الحارث وفا زمن فقال ما لبث الحارث حتى مات وولي بعده في مكانه جبلة بن الايهم الغساني

رض

وهو من ملوك غسان على بوادي الشام فرد اليه النبي صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رض فرد على النبي صلى الله عليه وسلم ردا جميلا ولم يسلم وكتم
يتربص حتى يسلم فخلافة عمر رض لما راى ظهور نور الاسلام وخمود نار الشرك ثم انه ارتد ولحق ببلاد الروم في لطمة اريد ان يقتص منه
فيها فسبحان الفاعل لما يشاء   وبعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه الى كسرى ملك الفرس وامره ان يدفع الكتاب الى عظيم البحرين
ليوصله اليه فلما راى ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا باسمه الشريف مزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه ورجع عبد الله فلما سكن غضب الخبيث التمسه
فلم يجده فارسل في طلبه فسبق الطلب فلما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتمزيق الكتاب دعا على كسرى ان يمزق كل ممزق فاجاب الله دعوته فشتت
شملهم وقطع وصلهم على يد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم قتل يزدجرد اخر ملوكهم في خلافة عثمان رضي الله عنه فاصبح ملك الاكاسرة كامس الدابر
وعم بلادهم الاسلام وظهرت بها كلمة الايمان بل تجاوز الاسلام ملكهم الى ما وراء النهر والى بلاد الخطا   وبعث حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه
الى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية فعلم من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ما علمه قيصر من الانجيل فاكرم الرسول واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ورد
ردا جميلا ولم يسلم فاباد الله ملكه على يد عمرو بن العاص امير العمر رضي الله عنهما   وبعث عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي فامن رضي الله عنه
وقال انه اشهد للنبي الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهما السلام وان العيان
ليس باشفى من الخبر واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدايا كثيرة وارسل ابنه بالامه في سبعين من الحبشة وقال في كتابه واني لا املك الا نفسي
ومن امن بي من قومي وان جئت اتيتك يا رسول الله فعلت فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على النجاشي واستغفر له   وبعث العلاء بن الحضرمي
رضي الله عنه الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين والى سبخت مرزبان هجر بكتاب يدعوهما فيه الى الاسلام والجزية وارض البحرين من بلاد العرب
لكن كان الفرس قد غلبوا عليها وبها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم فاسلم المنذر وسبخت وجميع من هناك من العرب وبعض
العجم فاقره النبي صلى الله عليه وسلم على عمله   وبعث سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه الى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة وكان عاملا
لقيصر على قومه فقرا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا دون رد فصادف ان قدم عليه راهب من دمشق فاخبره انه لم يجب الى الاسلام فقال
لم قال ضننت بملكي قال الراهب لو تبعته لاقرك والخير لك في اتباعه فانه النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام قال هوذة للراهب فما لك
لا تتبعه فقال الجبن احسده واحب الخمر فكتب هوذة كتابا وبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بهدية يكافئه بذلك وشعر به قومه فاتوه فزهدوه
فرد الرسول وثبت على نصرانيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع اليه سليط باد هوذة وباد ما في يده فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم
من فتح مكة جاءه جبريل عليه السلام بان هوذة مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبا يقتل بعدي فكان ذلك
كما هو مشهور من امر مسيلمة الكذاب   وبعث المهاجر بن ابي امية المخزومي رضي الله عنه الى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن
فلما بلغه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم قال الحارث قد كان هذا النبي عرض نفسه علي فخطئت منه وكان ذخر لهما دا ابيا نظر وتباطا به الحال
الى ان اسلم عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة الوفود وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك   وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه الى جيفر
وعبد ابني الجلندى الازديين ملكي عمان فتوقفا واضطرب رايهما ثم عزم الله لهما على الرشد فقال جيفر انه والله قد دلني على هذا النبي الامي انه
لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر وانه يوفي بالعهد وينجز الوعد ولا يزال
يطلع على سر قوم نبيا ويعرفه اهله وانا اشهد انه رسول الله واسلم واسلم اخوه ايضا وكتبا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهما فقال خيرا واثنى
خيرا وكان في سيرة هؤلاء الملوك وغيرهم مما ذكرناها عجائب اقاصيص من ابين دلائل النبوة واعلام الرسالة خشيت من ذكرها الاطالة
وان تمل وان لم يكن فيها ما يقتضيه الدليل وقد سقت في شرحي لنظمي للسيرة ما يشفي الغليل في ترتيب جميل ونظم سلس باسلوب جميل جليل هؤلاء
رسل البشر واما رسل الجن فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران
قال كانوا تسعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم قال الهيثمي وفي سنده النضر ابو عمر وهو متروك
ويؤيد عموم هذه الاية قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا واذا تاملت سياق الايات التي بعدها

مع

مع اخر السورة التي قبلها قطعت بذلك لينذر من كان حيا انما تنذر من اتبع الذكر كما هم من جملة العالمين وممن بلغه القران وممن هو حي
وممن اتبع الذكر والخطاب بالانذار وارد مورد التغليب اذ الاشرف الجن اهل له فانتفى ما يقال ان الملائكة في غاية الخوف من الله مع عصمتهم
فليسوا ممن يخوف ويزيد ذلك وضوحا قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ولا انذار اعظم من
ذلك وان عيسى عليه السلام من هذه الامة وممن شملته الايات الدالة على عموم الرسالة بغير شك وان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي
بيده لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي اخرجه الامام احمد والدارمي والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه ومذهب اهل السنة ان رسل
البشر افضل من رسل الملائكة وقد ثبتت رسالته الى الافضل المعصوم بالفعل لعيسى وبالتعليق بالحياة لموسى وقد اخذ الله سبحانه ميثاق
النبيين كلهم عليهم السلام ان ادركوه ليؤمنن به وقد خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وهو اشرف الخلق واحلمهم بالانذار في غير اية فيما اوله
ذلك فخوطب صلى الله عليه وسلم قبل مثله في حق من عليهم السلام ومما يرفع النزاع ويدفع تعلل المتعلل بالانذار قوله تعالى لتنذر من كان حيا وذكرى
للمؤمنين بحرف معطوف ذلك على عموم الرسالة وتعليق الذكرى بالمؤمنين مدخل لهم بالادب لانهم من رؤسهم عليهم السلام وقوله تعالى
لتبشر به المتقين الى غيرها من الايات فيكون عموم الرسالة لهم زيادة شرف له وهو واضح وزيادة شرف لهم بحمل انفسهم على طاعته والتقييد بما
جده لهم من اعمال ملته طاعة لله تعالى زيادة في اجورهم ورفعة درجاتهم وذلك معنى ما قال ابو حيان في قوله تعالى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين
ان الخطاب له بذلك مع تنزيه تاكيد وتحصيل اجر بالامتثال وقال القاضي عياض في الفصل السابع من الباب الاول من القسم الاول واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه
ليؤمنن به وتقتضيه ذلك عما قالوا في الباب الاول منه وحكى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة المذكورة
في قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم امين وروى مسلم في كتاب الصلوة عن ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع
الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وحمل من حمل الخلق
على الناس للرواية التي فيها الى الناس تحكم بل العكس اولى لمطابقة الايات وقد خرج من هذا العموم من لا يعقل بالدليل العقلي فبقي غيرهم داخلا
في اللفظ لا يحل لاحد ان يخرج منه احدا منهم الا بنص صريح ودلالة قاطعة ترفع النزاع وقال عياض في الباب الثالث من القسم الاول وذكر
البزار عن علي بن ابي طالب رض لما اراد الله ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان فذكر المعراج وسماع الاذان من وراء الحجاب ثم قال
ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السماء فيهم ادم ونوح انتهى وروى عبد الرزاق عن سلمان الفارسي رض قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل بارض قي فحانت الصلوة فليتوضا فان لم يجد ماء فليتيمم فان اقام صلى معه ملكان وان اذن
واقام صلى خلفه من جنود الله ما لا يرى طرفاه قال المنذري القي بكسر القاف وتشديد الياء وهي الارض القفر وروى مالك في الستة الا الترمذي
وابو يعلى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين وفي رواية اذا امن الامام فامنوا
فانه من وافق تامينه تامين الملائكة وفي رواية من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية في الصحيح اذا قال احدكم في
الصلوة امين وقالت الملائكة في السماء امين فوافقت احداهما الاخرى غفر له ما تقدم من ذنبه وللشيخين عن ابي هريرة ايضا رض
وفي رواية لابي يعلى اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الذين خلفه امين التقت من اهل السماء واهل الارض غفر للعبد ما تقدم
من ذنبه وللشيخين عن ابي هريرة ايضا رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق
بامام الملائكة باميننا قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية فاذا وافق قول اهل السماء قول اهل الارض غفر له ما تقدم من ذنبه
ولا اشكال في ذلك مما يوذن بائتمام الملائكة بائمتنا وذلك ظاهر في التقييد بشرعنا وروى احمد وابو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان
في صحيحيهما والحاكم وجزم ابن معين والذهبي بصحته عن ابي بن كعب رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وان الصف الاول على مثل

صف الملائكة . وادل من جميع ما مضى ما رواه مالك والشيخان وابو داود وابن خزيمة عن ابي هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة
الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج
الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفي رواية فاذا قعد الامام طويت الصحف وفي رواية لاحمد عن ابي سعيد رض فاذا اذن المؤذن وجلس
الامام طويت الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر فان تركهم لكتابة الناس واقبالهم على الاستماع دليل واضح على الاهتمام بما رواه الشيخان
وغيرهما عن ابي هريرة ايضا رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت انتهى قال الحليمي
في الرابع من شعب الايمان في الجواب عما اورده على قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله من ان التخصيص بالانس
والجن لا يمنع قدرة الملائكة على المعارضة ما نصه واما الملائكة فلم يتحدوا عن ذلك لان الرسالة اذا لم تكن اليهم لم يكن القران
حجة عليهم وسواء كانوا قادرين على مثله او عاجزين وهم عندنا عاجزون وقال في الخامس عشر منه فهذا من انواع تعظيم الصلوة
عليه فامر عباده ان يصلوا عليه ويسلموا وقدم قبل ذلك اخبارهم بان الملائكة يصلون عليه لينبههم بذلك على ما في الصلوة
عليه من الفضل اذ كانت الملائكة مع انفكاكهم عن شريعته تتقرب الى الله تعالى بالصلوة والتسليم ليعلموا انهم بالصلوة والتسليم عليه اولى
واحق هذا نصه في الموضعين ولم يذكر لذلك دليلا ونسب الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك الى البيهقي في الشعب فانه قال
وصرح الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان بانه عليه الصلوة والسلام لم يرسل الى الملائكة وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه
قال وفي تفسير الامام الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير الاية الثانية ليكون للعالمين نذيرا انه لم يكن رسولا اليهم انتهى
وهو شهادة نفي كما ترى لا ينهض بما ذكر من النصوص على ان الحليمي لم يقل بذلك الا لقوله بان الملائكة افضل من الانبياء كما نقله عنه الامام
فخر الدين في كتاب الاربعين والشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد وغيرهما ولم يوافقه على ذلك احد من اهل السنة الا القاضي
ابو بكر الباقلاني فكما لم يوافق على الاصل لا يوافق على الفرع واما البيهقي فانما نقله عن الحليمي وسكوته عليه لا يوجب القطع برضاه قال
الزركشي في شرح جمع الجوامع وهي مسئلة وقع النزاع فيها بين فقهاء مصر مع فاضل درس عندهم وقال لم الملائكة ما دخلت في دعوته
فقاموا عليه وقد ذكر الامام فخر الدين في تفسير سورة الفرقان انه احتج بقوله ليكون للعالمين نذيرا على ان الملائكة داخلون في هذا العموم انتهى وهذا يتوقف
فيما نقل عنهم عند نقل الاجماع وعلى تقدير صحته ففيه امور اما اولا فالاجماع لا يرجع فيه الا الى اهل الاطلاع على المنقولات من حفاظ الاثار واقاويل
السلف واما ثانيا فالنقل يحتمل التصحيح والتضعيف لانه يتطرق احتمال الزيادة نقل عمن يعتد به او يكون اخذه عن احد مذاكرة واحتمال الظن به
او حصل السهو ونحو ذلك من الخلل او توقف الا بعد معرفة المنقول عنه عند ذلك النقل ولا اعتمدنا بما يوجب الثقة ليقا وهذه الظواهر الكثيرة واما ثالثا
فانه حكى عن الامام تقي الدين السبكي عن بعض المفسرين القول بالارسال الى الملائكة وقال الامام ولي الدين ابو زرعة احمد بن الحافظ زين الدين العراقي في شرحه
لجمع الجوامع واما كونه مبعوثا الى الخلق اجمعين فالمراد المكلف منهم وهذا شامل للانس والجن والملائكة فاما الاولان فبالاجماع واما الملائكة ففيه
خلاف فاين الاجماع هذا على تقدير صحة هذا النقل والمطلع على ذلك بدر فاني خرجت تفسير الامام للاية المذكورة فلم اجد فيه نقل الاجماع وانما قال
ثم قال واحد الاية تدل على احكام الاول ان العالم ما سوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا بينا انه عليه السلام لم يكن رسولا
الى الملائكة فوجب ان يكون رسولا الى الجن والانس جميعا وبطل قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض الثاني ان لفظ العالمين يتناول
جميع المخلوقات فدلت الاية على انه رسول الى كل المكلفين الى يوم القيمة فوجب ان يكون خاتم الانبياء والرسل انتهى لفظه في اكثر النسخ وفي بعضها لكنا
اجمعنا بينا وهي غير صحيحة في اجماع الامة كما ترى ولم يعين الموضع الذي احال عليه في النسخ الاخرى فليطلب من مظانه ويتامل واما
النسفي فمختصر له والله الموفق ثم رايت في خطبة كتاب الاصابة في اسماء الصحابة لشيخنا حافظ عصره ابي الفضل ابن حجر في تعريف الصحابي
وقد نقل الامام فخر الدين في اسرار التنزيل الاجماع على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مرسلا الى الملائكة ونوزع في هذا النقل بل رجح الشيخ تقي الدين

السبكي

السبكي انه كان مرسلا اليهم واحتج باشياء يطول شرحها انتهى والعجب من الرازي في نقل هذا الذي لا يوجد لغيره مع انه قال في اسرار التنزيل في اواخر الفصل
الثاني من الباب الثالث في الاستدلال بخلق الادمي على وجود الخالق الوجه الرابع اي في تكريم بني ادم انه جعل اباهم رسولا الى الملائكة حيث قال انبئهم باسمائهم
وقد تقرر ان كل كرامة كانت لنبي من الانبياء فلنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او اعظم منها وقال في تفسيره الكبير وعلم ادم الاسماء ولا يبعد ايضا ان
يكون مبعوثا الى من توجه التحدي اليهم من الملائكة لان جميعهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسول كبعثة ابرهيم الى لوط عليهما السلام انتهى
واستخبر بهم عيسى عليه السلام بعونه ولو ان السماء والحاصل ان رسالته صلى الله عليه وسلم اليهم صلوات الله عليهم رتبة فاضلة ودرجة عالية كاملة جائزة
له لائقة بمنصبه مطابقة لما ورد من القواطع بعموم رسالته وشمول دعوته وقد دل على جوازها ظواهر الكتاب والسنة مع انه لا يلزم من اثباتها له
اشكال في الدين ولا محظور في الاعتقاد فليس لنا ان نحجر على نفسها الا بقاطع كما قال امامنا الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة في اية الانعام قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما الاية فان احتملت معنيين احدهما انه لا يحرم على طاعم يطعمه ابدا الا ما استثنى الله عز وجل وهذا المعنى الذي اذا وجه رجل مخاطبا به كان
الذي يسبق اليه انه لا يحرم غير ما سمى الله عز وجل محرما وما كان هكذا فهو الذي يقول له اظهر المعاني واعمها واغلبها لو احتملت الاية معنى سواه
كان هو المعنى الذي يلزم اهل العلم القول به الا ان تاتي سنة للنبي صلى الله عليه وسلم او اجماع وليس تدل على معنى غيره مما تحتمله الاية فيقول هذا معنى ما
اراد الله عز وجل ولا يقال لخاص في كتاب الله ولا سنة الا بدلالة فيهما او في واحد ولا يقال لعام حتى يكون الاية تحتمل ان يكون اريد بها ذلك الخاص
فاما ما لم يكن محتملا له فلا يقال فيه بما لا تحتمل الاية انتهى وشرحه الامام ابو محمد بن حزم في المحلى فقال ولا يحل لاحد ان يقول في اية او خبر عن منصوص
او مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تاويلا بغير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا
بنص اخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر او بضرورة حس موجبة انه كما ذكر برهانه وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن
الله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقال فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في
اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد اسقط بيان النص واسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة وليس بعض ما يقتضيه النص باولى بان يقتصر
عليه من سائر ما يقتضيه انتهى وقال اهل الاصول ان الظاهر هو ما دل على المعنى دلالة ظنية اي راجحة والتاويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح
فان حمل عليه لدليل فصحيح او لما يظن دليلا وليس في الواقع بدليل ففاسد او لا لشيء فلعب لا تاويل وقال الامام الغزالي في كتاب المحبة من الاحياء في
الكلام على رؤية الله تعالى في الاخرة هل هي بالعين او القلب والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون
لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع يجري على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا بضرورة انتهى وقال الامام تقي الدين
السبكي في جواب السؤال عن الرسالة الى الجن الذي تقدم في اول الكلام على هذه الاية اي اية تخطر الاية العاشرة ليكون للعالمين نذيرا قال
المفسرون كلهم في تفسيرها الجن والانس قال بعضهم والملائكة الثانية وما ارسلناك الا كافة للناس قال المفسرون معناه الا ارسالا عاما
شاملا لجميع الناس اي لا يختص ببعض الناس فمقصود الاية نفي الخصوص واثبات العموم ولا مفهوم لها فيما وراء الناس بل فحواها في العموم تقتضي
عدم الخصوصية بهم وحيث يشمل الجن ولو كان مقصود الاية حصر رسالته في الناس لقال وما ارسلناك الا الى الناس فان كلمة الا تدخل على ما يقصد
الحصر فيه فلما ادخلها على كافة دل على ان المقصود الحصر في قوله للناس لا مفهوم له اما اولا فلانه مفهوم لقب واما ثانيا فلانه لم يقصد بالكلام
واما ثالثا فلانه قد قيل ان الناس يشمل الانس والجن بناء على القول بانه مشتق من النوس وهو التحرك وهو على هذا شامل للملائكة ايضا وممن صرح من
اهل اللغة بان الناس يكون من الانس ومن الجن الامام ابو ابرهيم اسحق بن ابرهيم الفارابي في كتابه ديوان الادب قال السبكي الاية الحادية عشر ان هو الا ذكر
للعالمين الثانية عشر انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ونحوها كقوله لينذر من كان حيا وكذا قوله هدى للمتقين واما السنة فاحاديث
الاول حديث مسلم عن ابي هريرة وارسلت الى الخلق كافة والخلق عام يشمل الجن بلا شك ولا يرد على هذا انه ورد في رواية هذا الحديث من طريق اخرى
في صحيح البخاري وغيره الناس موضع الخلق لانا نقول ان البعض رواية جابر وهذا من رواية ابي هريرة فلعلهما حديثان وفي رواية الخلق زيادة
معنى على الناس فيجب الاخذ بها اذ لا تعارض بينهما ثم جوزنا ان يكون رواية الناس كرواية بالمعنى فلم يوف به قال وهذا الحديث يؤيد قول من قال انه مرسل

الى الملائكة ولا يستنكر هذا فقد يكون ليلة الاسرا سمع من الله كلاما فبلغه لهم في السماء او لبعضهم وبذلك صح انه مرسل اليهم ولا يلزم من كونه مرسلا اليهم من حيث الجملة ان يلزمهم جميع الفروع التي تضمنتها شريعته فقد يكون مرسلا اليهم في بعض الاحكام او في بعض الاشياء التي ليست باحكام او يكون تحصل لهم بسماع القران زيادة ايمان ولهذا جاء وفيهم في سورة الكهف فنزلت عليه مثل الظلة ثم قال في اثناء كلام بخلاف الملائكة لا يلتزم ان هذه التكاليف كلها ثابتة في حقهم اذا قيل بعموم الرسالة لهم بل يحتمل ذلك ويحتمل في شخاص كما اشرنا اليه فيما قبل انتهى قلت ولا ينكر تخصيص الاحكام ببعض الرسل اليهم دون بعض في شرع واحد كما في الاحرار والعبيد والنساء والرجال والحطامين والرعايا بالنسبة الى بعض اعمال الحج وغير ذلك مما يكثر تعداده والله الموفق ومن تجرى على نفي الرسالة اليهم من اهل زماننا من غير نص صريح يضطر اليه كان ضعيف الهمة مضطرب الايمان من ارذل البقين سقيم الدين ولو كان حاكما لما قبل على وجه الرضى به فاكم انما يعلمه تقال وكفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع ولحري ان الامر لعلى ما قال صاحب البردة وتلقته الامة بالقبول وضرب عليه في المحافل الجموع ● دع ما ادعته النصارى في نبيهم ● واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ● ولما ابتدا بشهادته القدوة له بالتصديق بانه حق وكان ذلك ربما اوهم ان غير الله تعالى لا يعرف ذلك الحق لا سيما وقد ادعى كفار قريش انهم سالوا اهل الكتابين فادعوا انهم لا يعرفونه اتبعه بقوله على طريق الاستيناف **الذين اتيناهم** اي على ما لنا من العظمة من اليهود والنصارى **الكتاب** اي الجامع لخيري الدنيا والاخرة وهو التورية والانجيل **يعرفونه** اي الحق الذي كذبتم به مما جاءكم وحصل النزاع بيني وبينكم فيه لما عندهم في كتابهم من وصفي الذي لا يشكون فيه ولما هم عليه من انسون ما اثبت به من المعجزات ولما في هذا القران من التصديق لكتابهم والكشف لما اخفوا من اخبارهم وكما لبيب التي لا يرتابون انها خارجة من مشكوة كتابهم مع زيادتها بالاعجاز فهم يعرفون هذا الحق **كما يعرفون ابناءهم** اي من بين الصبيان بحلاهم ونعوتهم معرفة لا يشكون فيها وقد وضعتهم موضع الوثوق وانزلتهم منزلة الحكم بسؤالهم لهم عني وقد امن جماعة منهم وشهدوا لي فما لكم لا تتابعونهم لعقد بان الهوى وانكشف عنهم لا عنكم الغطا ولما كان اكثرهم يخفون ذلك ولا يشهدون به قال جوابا لمن يسال عنهم **الذين خسروا** اي منهم ولكنه حذفها للتعميم **انفسهم فهم** اي بسبب ذلك **لا يؤمنون** اي حق عليهم في القضاء بالشقاء الذين خسروا ابدا انفسهم بالعدول عما دعت اليه الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة ومن خسر نفسه فهو لا يؤمن فكيف يشهد فقد بينت هذه الجملة ان من لا يشهد منهم فهو في الحقيقة ميت او موات لا روح فيه فاتته نفسه كذلك بل هو اشقى منه فلقد اداهم ذلك الشقاء الى ان حرفوا كتابهم واخفوا كثيرا مما يشهد لي بالنبوة فكانوا اظلم الخلق بالكذب في كتاب الله والتكذيب لرسالة الله ولما كان التقدير خسروا انفسهم لايمان لانهم ظلموا بكتمان الشهادة فكان الظالم خسيسا انهم ممن الظلم منهم عطف ما يوجب بانهم بدلوا كتابهم ونسبوا اليه ما ليس فيه فقال واضعا للظاهر موضع ضميرهم لذلك **ومن اظلم ممن افترى** اي تعمد **على الله كذبا** كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم ونسبوا الى الله ما لم يقله زيادة كتبوها بايديهم لا اصل لها اضلالا منهم لعباده **او كذب باية** اي فكيف بالايات ولما كان معنى هذا انهم كذب الناس وحلية اي الاتي به الرسل كالقران وغيره من المعجزات كالمشركين لا احد اظلم منهم فهم لا يفلحون **انه لا يفلح الظالمون** اي فكيف بالاظلمين ولما كان معنى هذا انهم اكذب الناس ودل عليه بكذبهم يوم الحشر بعد انكشاف الغطا فقال **ويوم** اي اذكر كذبهم على الله وتكذيبهم في هذه الدار واذكر اعجب من ذلك وهو كذبهم في عالم الشهادة عند كشف الغطا وارتفاع الحجب **نحشرهم** اي نجمعهم بما لنا من العظمة وهم كارهون صاغرون **جميعا** اي اهل الكتاب والمشركين وغيرهم ومعبوداتهم وعنا ر العظمة ذلك اليوم وطوله ومشقته وهوله بقوله باداة التراخي **ثم نقول** اي بما لنا من العظمة التي انكشفت لهم استارها و تبت لهم بحوها واغوارها توبيخا وتنديما **للذين اشركوا** اي سموا شيئا من دوننا الها وعبدوه بالفعل من الاصنام او عزيرا او المسيح او الظلمة او النور او غير ذلك او بالرضى بالشرك فان الرضى بالشي فعل له لا سيما ان انضم اليه التكذيب بالحق والشهادة للمبطل بان دينه خير **اين شركاؤكم** اضافهم الى ضميرهم لتسميتهم لهم بذلك **الذين كنتم تزعمون** اي انهم شركاؤنا بالعبادة والشهادة بما يؤدي اليها ادعوهم اليوم لينفعوكم مما نزل بكم من ضركم او يدفعوكم مما نزل بكم من ضعفكم وسوالهم هذا يجوز ان يكون مع غيبة

الشركاء

الشركاء عنهم وان يكون عند احضارهم لهم فيكون الاستفهام عما كانوا يظنون من نفعهم فكان غيبتهم غيبتهم ولما كان اخبارهم بغير الواقع في ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب على الاهوال وظهور الزلازل والاوجال اشار اليه باداة البعد فقال **ثم لم تكن فتنتهم** اي عاقبة الفتنا لهم لهذا السؤال ولمثاله من البلايا التي من شانها ان تميل فتميله لو انه جبل عن حاله بما ناله من قوارعه وزلازله الا كذبهم في ذلك الجمع وهو معنى قوله **الا ان قالوا** تبا نامنهم فيما هم عربيون فيه من وصف الكذب **والله** فذكروا الاسم الاعظم الذي تندك لعظمته الجبال الشم وتنطبق باوده الاحجار الصم الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى التي ظهر لهم كثير منها في ذلك اليوم واكدوا ذلك بذكر الوصف المذكر بتربيتهم ودوام الاحسان اليهم فقالوا **ربنا** فلم تنفعهم المجرد الكذب حتى اقسموا ولا لمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع والوصف المحسن **ما كنا مشركين** اي ان نكذبهم للعلم وعلمهم الحق يكذبون فيه في ذلك اليوم بعد كشف الغطا تطمعا بما لا ينفعهم كما ترى الحاير المدهوش في الدنيا مثل ذلك فهو اياس من فلاح لجميع المشركين واهل الكتاب ويكون المعنى تبرءا لهم وتاسفا انه لم يكن عاقبة كفرهم الذي اغتشوا به في لزومه والافتخار به والقتال عليه لكونه دين الاباء الا جحوده والبراءة منه والحلف على انتفاء من التدين به والمعنى على قراءتي النصب والرفع في فتنة على جعلها خبرا او اسما واحد فمعنى قراءة النصب لم يكن شي الا قولهم اي غير قولهم الكذب فتنتهم اي لم يكن شي فتنتهم الا هذا القول فهذا القول وحده فتنتهم فنفي عن فتنتهم وسلب عنها كل شي غير قولهم هذا فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب والكذب قد يكون ثابتا لغيرها اي انهم يكذبون من غير فتنة بل في حال الرخاء وهذا بعينه معنى قراءة ابن كثير وابن عامر وحفص برفع فتنة اي لم تكن فتنتهم شيئا غير كذبهم فقد نفيت فتنتهم عن كل شي غير الكذب فانحصرت فيه ويجوز ان يكون ثابتا في حال غيرها على ما تقرر وهذا التقرير نفيس عزيز الوجود دقيق المسالك على ان شاء الله تعالى عنده وما كانت صلوتهم عند البيت في الانفال ما ينفع هنا فراجعه ولما كان هذا امرا عجيبا اشار اليه بقوله **انظر** وبالاستفهام في قوله **كيف كذبوا** وبالاشارة الى انهم يعلمون مع علمهم بما انكشف لهم من العظمة انه لا يجديهم بقوله **على انفسهم** وهو نحو قوله تعالى فيحلفون لكم كما يحلفون لكم الاية ولما كان قولهم هذا مرشدا الى ان شركاءهم غابوا عنهم فلم ينفعوهم بنافعة وكان الاعلام بفوات ما الخصم مقبل عليه فرح به سار للخصم جالبا لغمه صرح به في قوله **وضل** اي غاب **عنهم** اما حقيقة واما مجازا اذ هما بالنظر الى وقتين ليكونا **ما كانوا يفترون** اي يتعمدون الكذب في اتخاذهم الهة عنادا للملك عند ضده من الدلائل الواضحة ولما علم ان هذه الايات قد ترابطت حتى كانت كانها اية واحدة وختم بان مضمون قوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم الاية قصارا وصفا لهم ثابتا حتى ظهر في يوم الجمع فسلم الموعودين بما كانت تلك الاية سببا له وهو الاعراض عن الايات المذكورة في قوله الا كانوا عنها معرضين فكان كانه قيل فمنهم من اعرض بكليته فعطف عليه قوله **ومنهم من يستمع اليك** اي يصغي بجهده كما في السيرة من ان ابا جهل بن هشام وابا سفيان بن حرب والاخنس بن شريق ان كلا منهم جلس عند بيت النبي صلى الله عليه وسلم في الليل يستمع القران لا يعلم احد منهم بمجلس صاحبه فلما طلع الفجر انصرفوا فضمهم الطريق فتلاوموا وقالوا لو راكم سفهاؤكم لسارعوا اليه وتعاهدوا على ان لا يعودوا فاتم عادوا تمام ثلاث ليال ثم سال الاخنس ابا سفيان عما سمع فقال سمعت اشياء عرفتها وعرفت المراد منها واشياء لم اعرفها ولم اعرف المراد منها فقال وانا كذلك ثم سال ابا جهل فاجاب بما يعرف منه علمه انه صدقه وترك تصديقه حسدا وعنادا وذلك هو المراد من قوله **وجعلنا** اي والحال انا قد جعلنا **على قلوبهم اكنة** اي اغطية جمع كنان اي غطاء **ان** اي كراهة ان **يفقهوه** اي القران **وفي اذانهم وقرا** اي ثقلا يمنع من سمعه حق السمع لانه يمنع من وعيه الذي هو غاية السماع فهم لا يؤمنون بما يسمعون منك لذلك ولما ذكر ما يتعلق بالسمع ذكر ما يظهر للعين معبرا بما يعم السمع وغيره من اسباب العلم فقال **وان يروا** اي بالبصر او بالبصيرة **كل اية** اي من اياتنا سواه **لا يؤمنوا بها** لما غلب عليهم من الغفلة والنخوة في تقليد الاباء والاجداد ولما كانت غايتهم في هذا الطبع على قلوبهم انهم مع عدم فقههم **حتى اذا جاؤك يجادلونك** اي بالفعل او بالقوة والغاية داخلة في الكلام قبل تعجبا ماذا يقولون فجعلهم فقال مظهرا للوصف الذي اداهم الى ذلك **يقول الذين كفروا** اي غطوا ما هو ظاهر لعقولهم وهو معنى الطبع **ان** اي ما **هذا** اي الذي وصل الينا **الا اساطير** جمع سطور وسطر جمع سطر وهي ايضا جمع اسطار

واسطير بكسرها واسطور وبالهاء في الكل الاولين وقد قال ذلك النضر بن الحارث فقصد قوله اخبار هذه الاية وهم حال من فاعل يستمع اي
يستمعون اليك والحال انهم ينهون عنه اي عن الاستماع او اتباع القرآن وينئون اي يبعدون عنه اي كما وقع لابي جهل ومصاحبيه المعاهدة
على ترك المعاودة للسماع وما يتبعه وان اي وما يهلكون اي بعنادهم ومكابرتهم الا انفسهم اي وما هم بضايرك ولا بضاير احد من
اتباعك فيما يقدح في المقصود اما لك من اظهار الدين ومحو الشرك واذلال المفسدين وما يشعرون اي ما لهم نوع شعور بما يؤديهم اليه الحال
بل هم كالبهائم بل هي اصلح حالا منهم ولما جعل عدم ايمانهم بشيء من الايات موصلا لهم الى [illegible] من الجهل [illegible] اذعانهم في هذه الدار وهي محل اذعانهم
له صلى الله عليه وسلم وختم الاية بما لاينه عظيم التهديد حتى ترقت النفس الى عظيم حالهم عند ردهم الى [illegible] والكشف لهم عما هددوا به فاعلم نبيه
صلى الله عليه وسلم ان حالهم اذ ذاك الايمان حيث تغير غاية التروي وتصديقهم له وتمنيهم متابعته لما يركبهم من الذل ويحيط بهم من الصغار ولا يزيدهم
ذلك الا ضرا وغما فيذما حصرته فكانه قيل فلو رايت حالهم عند كشف الغطاء وهو المطلع لرايتهم يؤمنون ولو ترى اذ اي حين وقفوا اي حبسوا
وبني للمجهول لان المشكي الايقاف لكونه متعينا على النار اي [illegible] على كل ما فيها من انواع النكال وذلك ابلغ في النكاية او [illegible]
وهو الصراط وهي تحتهم ليعرفوا حقيقتها ومقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا عرفته اياه فقالوا تمنيا للمحال يا ليتنا نرد
الى الدنيا ولما كان التقدير بشهادة قراءة من نصب الفعلين جوابا للتمني واو همها فتطبع عطف على الجملة قوله ولا اي والحال انا لا
نحو لا نكذب ان رددنا بايات ربنا المحسن الينا ونكون من المؤمنين اي الراسخين في الايمان والتقدير عند ابن عامر في نصب الثالث
ليتنا نرد وليتنا لا نكذب فنسعد وان نكون وعلى قراءة حمزة والكسائي وحفص بنصب الفعلين ليتنا نرد فنسعد وان لا نكذب وان نكون
والمعنى لو رايت تلقيهم وخوضهم في ذلك الذل والانكسار والخزي والعار وسؤالهم وجوابهم لرايت امرا هائلا فظيعا ومنظرا كريها شنيعا
ولكنه حذف تفخيما له لتذهب النفس فيه كل مذهب وجاز حذفه للعلم به في الجملة ولما اخبر في قراءة الرفع عن انفسهم بما تمنوا اجله الرد وتضمنت
قراءة النصب الوعد فانه كما لو قال قائل ليت الله يرزقني مالا فاكافئك على صنيعك فانه يحل [illegible] ان رزقني الله مالا كافيتك فصار لذلك يحتمل
يقبل التكذيب اضرب سبحانه عن تكذيبه بقوله بل اي ليس الامر كما قالوا لان هذا التمني ليس عن حقيقة بالله في انفسهم من محبة مضمونه ثم ترتد بدا
او ظهر لهم من العذاب الذي لا طاقة لهم به ما كانوا يخفون اي من احوال الاخرة ومداينهم على ما [illegible] ولما كان اخفاهم ذلك كالعلم بعض الزمن قال
من قبل ان يدعوا انه خفي [illegible] حقيقة له ويسترون ما بدا [illegible] مع انه اوضح من الشمس نهارا ولو ردوا اي الى الدنيا
لعادوا لما نهوا عنه اي من الكفر والفضائح التي كانوا عليها وستر ما اتضح لعقولهم من الدلائل وانهم لكاذبون اي فيما اخبروا به عن انفسهم
من مضمون تمنيهم انهم يفعلونه لو ردوا واكد طبعهم على الكفر بقوله عطفا على قوله لعادوا وقالوا اي بعد الرد مما كانوا يقولونه قبل الموت
في انكار البعث ان هي اي ما هذه الحيوة التي نحن ملابسوها الا حياتنا الدنيا اي التي كنا عليها قبل ذلك وما نحن ولما كان في النفي
فقالوا بمبعوثين اي بعد ان نموت [illegible] رؤيتنا لما رايناه قبل هذا من البعث الا سحر لا حقيقة له ولن تنفعهم مشاهدة البعث بل ضرتهم هذا
محتمل وظاهر لكن الانسب بما في الاية قبل وبعد ان يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه وسلم في هذه الدار عطفا على قوله وقالوا ان [illegible]
عليه [illegible] على الوجه الاول قوله ولو ترى متصل بذلك اي قالوا هذا القول لما اخبرتهم بالبعث في ذلك من قولهم والحال انك لو رايت
اعترافهم به اذا [illegible] وعبر بالمضارع تصويرا لحالهم في ذلك قوله اذ وقفوا على ربهم بمجاز الحبس
في مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه اضافة الرب اليهم [illegible] فاظهر لهم ما ظهر في ذلك المقام من تبكيتهم وتوبيخهم
وتقريعهم [illegible] الاستعلاء على ما [illegible] من صفات العظمة من الكبرياء والانتقام في الترتيب ولم [illegible] ذكروا احسانا في [illegible]
وكان سياق الاية يقتضي ان يكون الجواب [illegible] فكان سائلا قال [illegible] المقام [illegible] حتى كانه
شاهد [illegible] يشعر به التعبير بوصف الربوبية فقيل نعم لكن كلام [illegible] قال اليس هذا اي الذي انكم به [illegible]
من امر البعث وغيره [illegible] بالحق اي الامر الثابت الكامل في الحقيقة الذي لا خيال فيه ولا سحر قالوا اي حين ايقانهم

عليه

عليه فكانه ما اراد بلى وزادوا على ما امروا به في الدنيا القسم فقالوا وربنا اي الذي احسن الينا بانواع الاحسان وكان كلامهم هذا
منزلا على حال الانكشاف لهم فيها امور بعد اخرى كل امر اهول مما قبله ويوم القيمة كما قال ابن عباس رض ذو الوان تارة لا يكلمهم الله وتارة
يكلمهم فيكذبون وتارة يسئلهم عن شيء فينكرون فتشهد جوارحهم وتارة يصدقون كهذا الموقف ويحلفون على الصدق ولما اقروا
جهرا بعد كشف الغطاء وفوات الايمان بالغيب بما كانوا يكذبون بسبب عنه اهانتهم فلذا قال استئنافا قال اي الله سبحانه على اقرارهم حين
لا ينفع وتركهم في الدنيا حيث كان ينفع فذوقوا العذاب اي الذي كنتم به توعدون بما كنتم تكفرون اي بسبب دوامكم على
ما دلتكم عليه عقولكم من صدق رسولكم ولا شك ان الكلام وان كان على هذه الصورة فيه نوع احسان لانه اهون من التعذيب مع الاقراع
في مقام اخسئوا فيها ولا تكلمون وكذا [illegible] ذلك [illegible] المقامات ولما انتج هذا ما تقدم الاخبار به عن خسرانهم لانفسهم في القيمة توقع
السامع ذكره فحقق الحقيقة لذلك وزاده الحمل فانه من ذوق العذاب قد خسر واظهر موضع الاضمار تعميما وتنبيها على ما
اوجب لهم ذلك فقال الذين كذبوا بلقاء الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه وجه خسر واكل شيء يمكن
احرازه من الثواب العظيم واستمر تكذيبهم حتى اذا جاءتهم الساعة الحقيقية وكذا الموت الذي هو مبدؤها فان من
مات جاءت ساعته وحذرهم منها بقوله بغتة اي باغتة او ذات بغتة او بغتتهم باتيانها على حين غفلة لا يمكن ان يشعروا بعين
الوقت الذي تجيء فيه نوع علم من الشعور قالوا يا حسرتنا اي يا حسرتنا احضري انه الحسرة التي بلغ هذا المقام فانه لا ندم لنا
سواك وهو كناية على عظمة الحسرة وتنبيه عليه لينتهي [illegible] على ما فرطنا اي قصرنا فيها اي بسبب الساعة [illegible]
ما يسعد فيها من تهذيب الاخلاق المهيئة للسعادة بترك اتباع الرسل وذلك ان الله خلق المكلف وبعث له النفس الناطقة القدسية
منزلا لها الى العالم السفلي وافاض عليه نعما ظاهرة وهي الحواس الظاهرة المدركة والاعضاء والالات الجسمانية ونعما باطنة
وهي العقل والفكر وغيرها ليتوصل باستعمال هذه القوى والالات الى تحصيل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة التي تعظم
منافعها بعد الموت وبعث الانبياء عليهم السلام للهداية واظهر عليهم المعجزات ليصدقوا فاعرضوا عما دعوا اليه من تزكية النفس
واقبلوا على استعمال الالات والقوى في اللذات والشهوات الفانية ففاتت الالات البدنية التي هي راس المال وما ظنوه من اللذات
التي عدوها ارباحا فاتت فعدموا الذات ولم يهيئوا النفوس للاهتداء فلا راس مال ولا ربح فصاروا في غاية
الانقطاع والغربة ولا ضلال اعظم من هذا ولما كان هذا امرا مفظعا زاد في تفظيعه بالاخبار بجملة حالية بشدة تعبهم
في ذلك الموقف وهو ظهور ذنوبهم حتى كانها عليهم احمال الاثقال لانتقال وهم اي قالوا ذلك والحال انهم يحملون اوزارهم
اي احمال ذنوبهم التي من شانها ان تثقل وحقق الامر وصوره بقوله على ظهورهم اعتبارا بالحمل عليه كما يقال ثقل عليك كلام فلان ويجوز
ان يجسد لها لهم اجسادا اثقالا فيكلفوا حملها ولما كان ذلك الحمل امرا لا يبلغ الوصف الذي يحتمل عقولنا حقيقة ما هو عليه من التعب
والثقل اشار الى ذلك جامعا للمذلة الا ساء ما يزرون فلما كان السياق تاكد امر البعث غاية التاكيد ولم يبق فيه لذي لب
وقفة صرح بما اقتضاه الحال من امر هذه الدار تعقالا منها على خستها تعجبا منهم في قوة رغبتهم في الدار لذاتها معلما بانه قد
كشف الحال [illegible] ما ركنوا اليه خيال [illegible] كذبوا بحقيقة ثابتة ليس لها زوال عكس ما كانوا يقولونه وما الحياة الدنيا ولما كان الحال [illegible]
كما اكثر ما يكون من اللعب واللهو جعل ما ينبذ [illegible] سرور النفس على وجه غير مشروع ويسرع انقضاؤه قدمه فقال الا لهو ولعب اي للاشقياء والحيوة
الدنيا [illegible] الذين يلعبون واللهو [illegible] انه [illegible] من النفس كالغنا والزينة من المال والنساء على وجه لم يؤذن فيه فيكون سببا للغفلة عما ينفع [illegible]
اشارة الى ان الجهلة كما قرنوا الى اللعب واللهو اشتغال بالامور السافلة والشهوات الباطلة بعشق النفوس واثاروا الشهوات بالملاهي والمعنى
انه تحقق من هذه الايات زوال الدنيا فتحققت سرعته لان كل ات قريب فحينئذ ما هي الا ساعة لعب [illegible] على ما فرطوا فيها كما [illegible] الذي
لا كان له عقل على تفويت الارباح اذا راى ما حصل اولو الجد وارباب العزايم ولما كان التقدير بما ارشد اليه المعنى وما الدار الاخرة الا جنة

وحفوف وبقاؤها للاتقياء اتبعه قوله مؤكدا ﴿وللدار الآخرة خير﴾ ولما كان الكل ما لهم الى الآخرة خصص فقال ﴿للذين يتقون﴾ اي يوجدون
التقوى وهي الخوف من الله المزعج على فعل الطاعات وترك المعاصي لتكون ذلك وقاية لهم من غضب الله فذكر حال الدنيا وحذف نتيجتها لاهلها لدلالة
ثمرة الآخرة عليه وحذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه فهو احتباك ولما كان من شأن العقلاء الاقبال على الخير وترك غيره تعجب ابلغ تعجب منهم
على الفاني وتركهم الباقي قوله منكرا ﴿افلا يعقلون﴾ ولما كثر في هذه السورة امره بمقاولتهم واطال في الحث على مجادلتهم وختم بما يقتضي
سلبهم العقل مع تكرير الاخبار بان المقتضي لشقاوته منهم لا يؤمن بآية من الآيات وكشف المعلوم من حال اسماعهم ما امر به لا يسكتون لما غشيهم من عظيم النخوة
وشماخة الكبر وقوة الجراءة وانه لا جواب لهم الا السفه والبذاء كما هو دأب المعاند المغلوب وان ذلك يحزنه صلى الله عليه وسلم لما جبل عليه
من الحياء والشهامة والصيانة والنزاهة كان الحال محتاجا الى التسلية فقال تعالى ﴿قد نعلم﴾ والمراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر الى زمن
وعدل عن الماضي لئلا يظن الاختصاص به فالمراد تحقق التجدد لتعلق العلم بتجدد الاقوال ﴿انه ليحزنك﴾ اي يوقع على سبيل التجديد والاستمرار لك
الحزن على ما فاتك من حالات الصفا التي كدرها ﴿الذي يقولون﴾ اي من تكذيبك فقد علمنا امتثالك لاوامرنا في اسماعهم ما يكرهون من تنزيهنا
علمنا ردهم عليك بما لا يرضيك وعلمنا انه يبلغ منك فلا تحزن لان من علم ان ربه يرضي المطيع له ويخزي عاصيه وهو عالم بما ينال المطيع
في طاعته لا ينبغي ان يحزن بل يبشر وهو كقوله تعالى في سورة يس فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ولا شك ان الحزن عند وقوع
ما يسوء من طبع البشر الذي لا يقدر على الانفكاك عنه فالنهي عنه انما هو نهي عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدي الى عدم الصبر وتناسيا ما يغري
فهو نهي عن سبب للمبالغة في النهي عن المسبب وحسن ذكر ما يحزن بعد تقرير ان الدنيا لاهلها لعب ولهو وان الآخرة خير للمتقين من المعلوم
انهما ضدان فلا تنال احدهما الا بنقص الاخرى فلا تنال الآخرة الا بنقص لاهل الدنيا من اللعب واللهو وذلك هو الحزن الذي لا يتوقع ان يحامل
عليها الخوف كما روي في حديث قدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ولما اخبره بعلمه بذلك سبب عنه قوله ﴿فانهم﴾ اي فلا يحزنك ذلك
فانهم ﴿لا يكذبونك﴾ بل انت عندهم الامين ويكون ما يلقى منهم سببا لزوال الحزن وكذا اخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك بل انت عندهم في نفس
الامر امين غير متهم ولكنهم لشدة عنادهم ووقوفهم مع الحظوظ وعجزهم عن جواب يرد عللهم ويشفي غللهم ينكرون آيات الله مع علمهم بحقيتها
فليخفف حزنك ليتسلى عما انتهكوا من محض اساءتك والآية من الاحتباك حذف من الجملة الاولى اظهار التزيع النبي صلى الله عليه وسلم وادبا معه
سبب الحزن وهو التكذيب لدلالة الثانية عليه ومن الثاني النهي المسبب لدلالة الاولى عليه روى الطبراني في تفسيره عن ... انه لما كان يوم بدر
قال الاخنس بن شريق لبني زهرة ان محمدا ابن اختكم وانتم احق من كف عنه فانه ان كان نبيا لم تقاتلوه وان كان كاذبا كنتم احق من كف عن
ابن اخته قفوا ههنا حتى القى ابا الحكم فان غلب محمد رجعتم سالمين وان غلب محمد فان قومكم لن يصنعوا بكم شيئا فيومئذ سمي الاخنس وكان
اسمه ابي فالتقى الاخنس وابو جهل فخلا الاخنس به فقال يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا من قريش احد غيري وغيرك
يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة
والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وعن ناجية قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولكن نتهم
الذي جئت به فانزل الله الآية وعلى ذلك يدل قوله تعالى ﴿ولكن﴾ وقال ﴿الظالمين﴾ في موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
الذي كانوا به عملوا عمل الظلام ﴿بآيات﴾ اي بسبب آيات ﴿الله﴾ اي الملك الاكبر الذي له الكمال كله ﴿يجحدون﴾ قال ابو علي الفارسي في اول
كتاب الحجة اي يجحدون ما عرفوه من صدقك وامانتك وعلق بالجحد بالظالمين كما في قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها
ونحوها وقال ابن القطاع في كتاب الافعال جحد الشيء جحدا وجحودا انكره وهو عالم به هذا قصدهم غير انه لا طريق لهم الى انكار الآيات
الا بالتكذيب لما يؤول اليه وانت تعلم ان الذي ارسلك على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فاقتضت
قدرته وقهره وانتصاره لاهل ولايته وحبه ان يحل الآن باعدائهم سطوة تجل عن الوصف واقتضت حكمته عدم المعاجلة
بها تشريفا لك وتكثيرا لامتك وتمليه لهم بوعده النصر المستبشر عن علم المراد الفاد ... وبان تكذيبهم انما هو له تعالى ومع ذلك

يصبر

يصبر عليهم ويحلم عنهم بل ويحسن اليهم بالرزق والمنافع زاده ان ذلك سنته في اتباع الرسل فقال ﴿ولقد﴾ ولما كان المنكي هو
التكذيب لا كونه من معين بني للمفعول قوله ﴿كذبت رسل﴾ ولما كان تكذيبهم لم يستغرق الزمان وكان الاشتراك في شيء يهونه وكلما قرب الزمن
كان اجدر بذلك ادخل الجار فقال ﴿من قبلك﴾ بان جحد قومهم ما يعرفونه من صدقهم وامانتهم كما فعل بك ﴿فصبروا﴾ اي فتسبب عن تكذيب
قومهم لهم انهم صبروا ﴿على ما كذبوا واوذوا﴾ اي فصبروا ايضا على ما اوذوا ثم اشار الى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال ﴿حتى﴾ اي وامتد
صبرهم حتى ﴿اتاهم نصرنا﴾ فليكن لك بهم اسوة وفيهم مسلاة فاصبر حتى يأتيك النصر كما اتاهم فقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون من قولنا فان حزب الله هم الغالبون ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ اي الذي له جميع العظمة فلا خلف لقوله ودل تحاشي صعوبة مقام الصبر
جدا بالتأكيد فقال ﴿ولقد جاءك﴾ ودل على عظيم ما تحملوا بقوله ﴿من نبإ المرسلين﴾ اي خبرهم العظيم في صبرهم واحتمالهم وطاعتهم وامتثالهم
ودفعهم عن ارسلوا اليهم ونصرنا لهم على من بغى عليهم وبجميع انبائهم تقدم اجمالا وتفصيلا اما اجمالا ففي مثل قوله وكاين من نبي قاتل معه
ربيون كثير او كلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم واما تفصيلا ففي ذكر موسى وعيسى وغيرهما وفي قوله فصبروا ادل دليل على ما تقدم
من ان النهي عن الحزن نهي عن تابعه المؤدي الى عدم الصبر والتعبير بمن التبعيضية تهويل لما لقوا فهو ابلغ في التعزية وللملاءة بما هو في غاية
الكفاية في التسلية اخبره بانه لا حيلة له غير الصبر فقال عاطفا على ما تقديره فتسل واصبر كما صبروا وليصغر عندك ما لاقيت منهم في جنب الله
﴿وان كان كبر﴾ اي عظم جدا ﴿عليك اعراضهم﴾ اي عما اتيتهم به من الآيات التي قدمنا الاخبار عنه بقولنا وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين واردت ان تشتغل في اضبارنا لك الصبابة لا تنفعهم الآيات المقترحات من علم اليقين الى عين اليقين ﴿فان استطعت ان تبتغي﴾
اي تطلب بجهدك وغاية طلبك ﴿نفقا﴾ اي منفذا ﴿في الارض﴾ تنفذ فيه الى ما عساك ان تقدر على الانتهاء اليه ﴿او سلما في السماء﴾
لوجهة العلو لترتقي فيه الى ما تقدر عليه ﴿فتأتيهم بآية﴾ اي مما اقترحوه عليك فافعل فالشاهد انهم لا يزدادون عند اتيانك بها الا اعراضا كما
اخبرناك لان الله تعالى قد شاء ضلال بعضهم والمراد بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم بان لو قدر على ان تتكلف النزول الى تحت
الارض او فوق السماء فتأتيهم بما يؤمنون به لفعل ولما كان هذا الخيار ربما اوهم شيئا في القدرة نفاه ارشادا الى التقدير بما قدرته فقال
﴿ولو شاء الله﴾ اي الذي له العظمة الباهرة والقدرة الكاملة القاهرة ﴿لجمعهم على الهدى﴾ اي لان قدرته شاملة وايمانهم في حد ذاته ممكن
ولكنه تعالى شاء افتراقهم باضلال بعضهم ولما كان صلى الله عليه وسلم بعد اعلام الله له بما اعلم من حكمة ان الآيات لا تنفع من ختم بكفره حريصا على اجابتهم
الى ما يقترحونه وجاء جمعهم على الهدى لما طبع عليه من مزيد الشفقة على الغريب فضلا عن القريب مع ما وصاه الله به ليلة الاسراء من غير واسطة كما
افاده الحرالي من ادامة الشفقة على عباده والرحمة لهم والاحسان اليهم واللين لهم وادخال السرور عليهم فضلا عن على ذلك الطبع والايصاء
حتى كان لا يكفه عنه الا امر جازم ونهي مؤكد صادم سبب عن ذلك قوله ﴿فلا تكونن﴾ فكذا الكلام في حال العلم صلى الله عليه وسلم انه قد ختم
بانقيادهم فيسكن الى ذلك ويخالف ما جبل عليه من شدة الشفقة عليهم ﴿من الجاهلين﴾ اي انك اعلم الناس مطلقا ولك الفراسة التامة
والبصر النافذ والفكرة الصافية من ان تحاشرهم فكيف من دعوتهم ناشئا وكهلا ويافعا فلا تحمل نفسك ما اوصاك الله به من الصبر والصفح وجبلك
عليه من الاناة والحلم في ابتغاء ايمانهم بخلاف ما تعلم من خسرانهم فلا تطمع نفسك حينئذ او تطمع فيه فان من شأنه لا يكون ... فهذه
الآية وامثالها مما في ظاهره غلظة من الدلالة على عظيم رتبته صلى الله عليه وسلم ومن لطيف امداح القرآن له كما بين ان شاء الله تعالى
في سورة التوبة عند قوله تعالى عفا الله عنك ولما افهم هذا القضاء الختم انه قد صار حالهم حال من ختم بالموت فلا يمكن اسماعه الا الله ولا
يمكن ان يستجيب عامه قال ﴿انما يستجيب﴾ اي في مجاري عاداتكم ﴿الذين يسمعون﴾ اي فيهم قابلية السمع لانهم احياء فيتدبرون ما يلقى اليهم
فينتفعون به وهؤلاء قد ساووا الموتى في عدم قابلية السماع للختم على مشاعرهم ﴿والموتى﴾ اي كلهم حسا ومعنى ﴿يبعثهم الله﴾ اي
المحيط علما وقدرة فهو قادر على بعثهم بافاضة الايمان على الكافر واعادة الروح الى الهالك فيسمعون ح فالآية من الاحتباك حذف
من الاول الحياة لدلالة الموتى عليها ومن الثاني السماع لدلالة يسمعون عليه ولما قرر ان من لا يؤمن كالميت حثا على الايمان وترغيبا فيه

وقرر قدرته على البعث خوفا من سطواته بقوله ثم اليه اى وحده يرجعون اى معنى فى الدنيا فانه قادر على كل ما يشاء منهم لا يخرج شىء من احوالهم عن ارادته اصلا وحسابا بعد الموت فيساقون قهرا الى الموقف فيفصل بين كل مظلوم وظالمه ويجازيه صلى الله عليه وسلم فيما احزنه من اقوالهم بما شرح صدره ويسر خاطره واعلم تخفيفا عليه ان ارحم انما هو بين ذكره بعض كلامهم الا بل الى التكذيب عقب اخباره بالحشر الذى يجازى فيه كلا بما يفعل فقال عاطفا على قوله وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا او قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك تعجيبا اخر وقالوا اى مغالطة وعنادا او مكابرة لولا اى هلا نزل اى بالتدريج عليه اى خاصة اية اى واحدة تكون ثابتة بالتدريج لا تنقطع وهذا منهم اشارة الى انهم لا يعدون القران اية وكذا ما اراده منه صلى الله عليه وسلم من غير ذلك نحو انشقاق القمر من ربه اى المحسن اليه على حسبما يدعيه لتدلنا على ما يقول عن التوحيد والبعث فلما كان فى هذا مع ما تقدم اشارة منهم الى انه لم يات باية على هذه الصفة اما مع برده واما مغالطة امره بالجواب بقوله قل ان الله اى الذى له جميع الامر قادر على ان واشار بتشديد الفعل الى ان اية القران المتكررة عليهم كل حين ترعوهم الى المبارزة وتتحداهم بالمغالبة والمعاجزة فقال ينزل وقراءة ابن كثير بالتخفيف مشيرة الى انهم بلغوا فى الوقاحة الغاية وانهم لو قالوا لولا انزل لكمرة واحدة لكان اخف فى الوقاحة او الى انه ان اراد انزل عليهم اية كانت تضطرهم الى الايمان وتضطرهم اليه فى ان واحد كما قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولكنه لا يشاء ذلك الا بالتدريج كما يشير اليه صيغة التفعيل فى قراءة غيره المذكرة بان اية القران لا تنقضى بل كلما سمعها احد منهم او من غيرهم طول الدهر كانت منزلة عليه لكونها دالة اليه فهو ابلغ من طلبهم اية تنزل عليه وحده والحاصل انهم طلبوا اية باقية مخصصة فلوح لهم الى ان اية هى مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف عامة لكل من بلغته باقية طول المدى اية اى مما اقترحوه ومن غيره لا يعجزه شىء وفى كل شىء له من الايات ما يعجز الوصف وكفى بالقران العظيم مثالا لذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون اى ليس فيهم قابلية العلم فهم لا يتفكرون فى شىء من ذلك الذى يحدثه من مصنوعاته ليدلهم على انه على كل شىء قدير فلا فائدة لهم فى انزال ما طلبوه واما غير الاكثر فهو سبحانه يردهم باية القران او غيرها مما لم يقترحوه ولما عجب منهم فى قولهم هذا الذى يقتضى انهم لم يروا اية قط بعد ما جاءهم من الايات الخاصة به ما ملأ الاقطار ورد الى الصم الاسماع وانار من العمى الابصار ذكرهم باية غير اية القران تشتمل على ايات مستكثرة كافية لصلاحهم ربتها سبحانه قبل سؤالهم تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث وغيره من الايات التى طلبوها وغيرها وعلى تفرده بجميع الامر اذا تاملوها حق تاملها كفتهم فى جميع ما يراد منهم فقال تعالى وما اى قالوا ذلك والحال انه ما وهى ناظرة الى قوله هو الذى خلقكم من طين اى فعل ذلك بكم وما من دابة فى الارض اى تدب اى تنتقل برجل وغير رجل ولا طائر يطير وقرر الحقيقة بقوله بجناحيه وشمل ذلك جميع الحيوان حتى ما فى البحر لان سيرها فى الماء اما ان يكون دبيبا او طيرانا مجازا ولما كان المراد بالدابة والطائر الاستغراق قال الا امم اى يقصد كل منها فى نفسه ويقصد هو نوعه وينضم الى شكله امثالكم اى فى ذلك ونحن خلقناكم وهم ولم يكونوا شيئا وحفظنا جميع احوالهم وقدرنا لكل ارزاقهم واجالهم وجعلنا لكم فيهم احكاما جردناها لكم وجعلنا لكل منكم اجلا للموت لا يتعداه بعد ان فاوتنا بينهم فى الحيوة ولكل اجل فى علمنا فى البرزخ مثبت قبل ان نخلقهم لا ينقص ذرة ولا يزيد خردلة وجعلنا فى هذه الحيوانات ما هو اقوى منكم وما هو اضعف وجعلناكم اقوى من الجميع بالعقل ولو شئنا لجمعنا له بين قوة البدن والعقل وربما سلطنا الاضعف عليكم كالجراد والفار والدود بما تعجز عنه عقولكم ولو شئنا لسلطنا عليكم من اضعف خلقنا البعوض ما اخذ بانفاسكم ومنعكم القرار و اخرجكم عن حركات الاختيار الى ان اهلككم جميعا هلاك نفس واحدة الى غير ذلك من امور تكل عنها العقول وتقف دونها فوائد الفكر وهذا كله معنى قوله ما فرطنا اى تركنا واغفلنا لما لنا من القدرة الكاملة والعلم الشامل فى الكتاب اى اللوح المحفوظ والقران واغرق فى النفى بقوله من شىء اى لم نذهب ذكره كما يذهب العقد الذى ينقطع سلكه فيتفرط بل ذكرنا جميع احوال خلقنا من الجن والانس والملائكة وغيرهم من ناطق وصامت فصار فى غاية الضبط حتى ان الحفظة يعرضون ما يجدونه من عمل المكلفين وفيه اخر النهار

على مكان

على مكان مثبتا فى ام الكتاب فيجدونه كما هو لا يزيد شيئا ولا ينقص فيزدادوا ايمانا واثبتنا فى هذا القران بجامع الامور تبيانا لكل شىء من الاحكام الاصلية والفرعية والدلالة على كل ذلك واخبار الاولين والاخرين وكل علم يمكن ان يحتاجه المخلوق فمن اراد الهداية هداه بما يقول ومن اعرض اوقعه فى الردى وعمى عن واضح انواره والاية كما قال الله ان فى خلق السموات والارض الى ان قال وبث فيهما من كل دابة لايات لقوم يعقلون وفى كل شىء له اية تدل على انه واحد افلا يكون لكم فى ذلك ايات تغنيكم عن سؤال الرسل فضلا عن ان تتوقفوا بعد ارسالهم ولا ترضوا منهم من خوارق العادات الا بما تقترحونه ولما اشار الى ما شاركه فيه سائر الحيوان الادميين من احوال الحياة وغيرها نص على الحشر الذى هو محط الحكمة فقال ثم اى بعد طول الحبس والاقامة فى البرزخ الى ربهم اى خاصة وبنى للمفعول على طريق كلام القادرين قوله يحشرون اى يجمعهم جمعا كما بداهم يعيدهم كلهم كما بداهم وينصف كل مظلوم منهم من ظالمه كل ذلك عليه هين ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والكل محفوظ فى كتاب مبين على اختلاف انواعهم وتباين حقايقهم واشخاصهم وزيادتهم فى العدد ان يوجب نحوهم لعده سبحانه احاط بكل شىء علما واحصى كل شىء عددا ان ذلك على الله يسير وهو على كل شىء قدير ولما كان التقدير بعد التذكير بهذه الاية التى تنوعت فيها الايات وتكررت وتكثرت فيها الدلالات فالذين امنوا احياء سامعون لاقوالنا ناطقون بمحامدنا راؤن لافعالنا عطف عليه قوله والذين كذبوا اى اوقعوا التكذيب باياتنا اى على ما لها من العظمة المقتضية لاضافتها الينا مرئية كانت او مسموعة تكذيبا متكررا على عدد الايات بالفعل او بالقوة ولو بالاعراض عنها صم اى اموات فهم لا يسمعون وبكم لا ينطقون فى الظلمات اى عمى لا يبصرون فلذلك لا يزالون خابطين خبط العشواء عن غاية السعى الى الرد الذى ذلك بخائض فى الظلمة فكيف بمن هو فى جميع الظلمات ولعل جمعها اشارة الى ان المكذب لا ينتفع ببصره ولا ببصيرة وذلك انهم لما لم ينتفعوا بحياتهم ولا باسماعهم ولا بنطقهم ولا بابصارهم ولا عقولهم كان كل ذلك منهم عدما ولما بين انهم الصم البكم العمى لا تمكن هدايتهم بين ان ذلك انما هو بالنسبة لغيره سبحانه قطعا عن طلب اجابتهم الى ما يقترحونه من الايات واما هو سبحانه فيفعل ما يريد فقال محجوبا سبحانه قال اما تمكن هدايتهم من يشا الله اى الذى له الامر كله ولا امر لاحد معه اضلاله يضلله ومن يشاء هدايته يجعله واشار بتمكينه باداة الاستعلاء فقال على صراط مستقيم بان يخلق الهداية فى قلبه ومن يهدى الله فما له من مضل ومن يضلل الله فما له من هاد مع ان الكل عباده وخلقه متقلبون فى نعمه عاد وزائحون فى بره وكرمه ان فى ذلك اعلى وحدانيته وتمام قدرته لايات بينات لقوم يعقلون ولما كانت هذه الاية بما فيها من التصريح بالتكذيب شديدة الاعتناق لقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء الاية التى يعجب بالذى بعدها الى فذلكة التفاصيل الماضية وواسطة عقدها وفريدة دهرها وهى التوحيد المدلول بانه الاولة قبل الايتين فقال دالا على اعتقادهم القدرة التى تستلزم بطلب الاية نفيها واعتقادهم التوحيد فى الجملة وهم يكذبون بها الا انهم فى الظلمات متهورون ضربا بالمشيئة لعدم تحليتهم للتناقض معجبا منهم قل ارايتكم اى اخبرونى يا من كذب بالايات والقدرة عنادا وتمهلا مع الله الهة اخرى وعدل بالله الذى يعلم السر والجهر وهو مع من يدعوه فى كل سماء وكل ارض حيا نه ونصره ولما كانت حقيقة ارايتكم هل رايتم انفسكم وكان هذا لكونه سؤالا عن معلوم لا يجهله احد يشير الى ان السؤال عن غيرهم مما قد يخفى من احوال النفس كان كانه قيل عن احوال نفوسنا تسال فقيل تنبيها لهم على حالة تلزمهم بالتوحيد والعناد الذى يصير فى العلم كالمحسوس عن روية النفس سواء ان اتيكم اى قبل مجى الساعة كما اتى من قبلكم عذاب الله اى الملك الجامع لجميع العظمة فلا يقدر احد على كشف ما يأتى به او اتتكم الساعة اى القيمة بما فيها من الاهوال والملاجئ بما مضى كما مضى فى الجيب للشرط موبخا لهم منكرا عليهم عدم احترازهم على دعائه ولزومهم سواله وبابه ويجوز ان يكون جواب الشرط محذوفا تقديره من تدعون ثم زادهم توبيخا وتبكيتا بقوله اغير الله اى الملك الذى له العظمة كلها تدعون لشدة تلك الشدايد ولا تدعون الله مع ذلك الغير ان كنتم صادقين فى ان غير الله يغنى شيئا حتى يستحق الالهية وجواب الشرط محذوف تقديره فادعوا ذلك الغير وهذه حجة لا يسعهم معها غير التسليم فان عادتهم كانت مستمرة انهم اذا اشتد الامر وضاق الخناق لا يدعون غير الله ولا يوجهون الهمم الا اليه فان سلكوا سبيل الصدق الذى له

ينتحلونه وبه يتفاخرون فقالوا لا ندعو غيره فقد لزمتهم الحجة في انه لا يعدله شي ولا شريك له وان عاندوا ونطق لسان الحال انه على محض الضلال
وان سكتوا اثنت عليهم الحقايب وجمع ذلك كما ترى دليل على ما اخبرت به الاية قبلها من ان الامر كله لله اي انكم مع كونكم مشتركون في وضوح الامر
في انه لا متصرف الا هو وقد افترقتم فصدق بعض وكذب اخرون فلولا ان الامر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل على نهج واحد هذا
ونقل ابو حيان عن الفرا انه قال للعرب في ارايت لغتان ومعنيان احدهما ان يسال الرجل ارايت زيدا اي بعينك فهذه مهموزة وثانيهما ان تقول
ارايت وانت تريد اخبرني فهمهنا تترك الهمزة ان شئت وهو اكثر كلام العرب وتومى الى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين ثم قال ابو حيان ثم كونه
ارايت وارايتك بمعنى اخبرني نص عليه سيبويه وغيره من ائمة العربية وهو تفسير معنى لا تفسير اعراب لان اخبرني يتعدى بعن وارايت يتعدى
لمفعول به صريح والى جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني اكثر ما يكون وقال في سورة يونس عليه السلام تقدم في سورة الانعام ان العرب
تضمن ارايت معنى اخبرني وانها تتعدى اذ ذاك الى مفعولين وان المفعول الثاني اكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها وما قبلها مبتدا وخبر
تقول العرب ارايت زيدا ما صنع المعنى اخبرني عن زيد ما صنع وقبل دخول ارايت كان الكلام زيد ما صنع انتهى قلت وحقيقة المعنى كما
هل رايت زيدا ولما اتعظتم من رؤيته والمراد الخبر لا البصر علم ان السوال عن بعض احواله فكانه قيل ما له فقيل ما صنع ولما كان استفهام الانكار بمعنى
النفي كانه قيل لا تدعون غيره فعطف عليه قوله بل اياه اي خاصة تدعون اي ح ولما كان يتسبب عن دعائهم تارة الاجابة واخرى
غيرها قال فيكشف اي هو في الدنيا او في الاخرة فانه لا يجب عليه شي ولا يقبح منه شي ما تدعون اليه اي الكشف ان شاء اي
ذلك تفضلا عليكم كما هي عادته معكم في وقت شدايدكم ولكنه لا يشا كشفه في الاخرة لانه لا يبدل القول لديه وان كان له ان يفعل ما يشاء
ولو كان مسكم دايما وانتم لا تدعون غيره لكان ذلك كافيا في الدلالة على اعتقادكم انه لا قادر الا هو فكيف وهو يجيبكم في الدنيا اذا دعوتموه تارة
ويجيبكم اخرى ومع ذلك فلا يرد كم عدم اجابته عن اعتقاد قدرته ودوام الاقبال عليه فمثل تلك الحال المارة كرن في العقول السليمة والفطر
الى جزم انه الفاعل المختار وعلى ذلك دل قوله عطفا على تدعون وتنسون اي تتركون في تلك الاوقات دايما ما تشركون اي من معبوداتكم
الباطلة لعلمكم انها لا تغني شيئا كما هي عادتكم دايما في اوقات الشدايد رجوعا الى الحال المستقامة فلا يكون كم هذا ان جرا على الشرك في وقت الرخا
فخلت عادة الضراء ولما اقام لهم بهذه الاية على توحيده الدليل حتى سال السيل في تذكيرهم ان التضرع قد يكشف البلا اخبرهم ان تركه موجب
الشقا ترغيبا في ادامته وترهيبا من مجانبته فقال ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة الى امم اي ناس يؤم بعضهم بعضا وهم اهل
لان يقصدهم الناس لما لهم من الكثرة والعظمة ولما كان المراد بعض الامم وهم الذين اذا اراد الله اشهادهم وقص اخبارهم ادخل الجار فقال
من قبلك اي رسلا فخالفوهم وحسن حذف الحرف كونه مفهوما فاخذناهم اي فتسبب عن ارسالنا اليهم سببا لا انا اخذناهم بعظمتنا لما جعلوا عما
دعاهم اليه الشيطان الى ما تدعوهم اليه الرسل بالباساء من تسليط القتل عليهم والضراء بتسليط الفقر والجوع لعلهم يتضرعون اي ليكون
حالهم حال من يرجى خضوعه وتذلله على وجه بليغ بما يرشد مع صيغة التفعل الاظهار لان مقصودهما الاستدلال على التوحيد وعند الكشف لا اصل ينبغي
الابلاغ في التحبب اخفا ما يلي في الامرا وولما لم يقع منهم اصحبت الحال لحاه تسبب عنه الانكار عليهم في تخلفهم فقال معبرا باداة التحضيض ليفيد
مع النفي انهم ما كان لهم عذر في ترك التضرع فلولا اي فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولما كان معنى الانكار انهم ما تضرعوا قال
ولكن قست قلوبهم اي فلم يتذكروا ربهم اصلا وزين لهم الشيطان اي بما دخل عليهم به من باب الشهوات ما كانوا يعملون من العظايم
والمناكر التي اوجبها التكبر بالرد اسفل سافلين فلما نسوا ما ذكروا اي فتسبب عن تركهم الذكر والاخذ بفايدته التي هي التخشع والتمسكن
كما هو اللايق بهم لا سيما في تلك الحالة انا فتحنا اي بما يليق بعظمتنا عليهم ابواب كل شي اي من الخيرات والارزاق والملاذ التي
كانت مغلقة عنهم ونقلناهم من الشدة الى الرخاء وذلك استدراجا لهم ومد دنا زمانه وطولناه بانه حتى اذا فرحوا اي تناهى بهم الفرح
بما اوتوا اي معرضين عن تمام هذا الرخا بعد ان كان ابتلاهم بذلك فعلم انهم غاية في الغباوة لا يرتدعون بالتاديب بسياط البلا ولا
ينتفعون ببسط المنة والرخا بل لنوا ان البلا عادة الزمان والرخا باستحقاقهم لا امتنان فعلم ان قلوبهم لا يرجى لها انتباه بجار ولا باد

ولا طلب

ولا طلب ولا يابس اخذناهم بعظمتنا وانما اخذناهم في حال الرخا ليكون اشد لتحسرهم بغتة فلم نمكنهم من التضرع عند حقوق الاهانة
ولا امهلناهم اصلا بل بولغ عليهم بما نقال العذاب واناخ بهم من اهوال الشدايد وصروف البلايا ما ادهشهم وشغلهم عن كل شي حتى بهتوا
فاذا هم مبلسون اي تسبب عن ذلك البغت انه فاجاهم السكوت على ما في انفسهم والياس تحيرا وتحيرا لما لهم وابعدانا سكتوا الى ان
هدروا وحققوا في نفي التضرع عن المتقدمين بعد ان ثبت لمن تبعهم هذه الامة استعطافا لطيفا وفي ذكر الشدائد اولئك بالنعم عند سياما ذكروا
به الى ما اخذهم بغتة من قواصم النقم غاية التحذير ولما كان من عادة الغالب اهل الدنيا ان يفوته اخر الجيش وشذا منهم لطلال اصحابه في طلب ونجدتهم
في النصب والتعب وقصورهم عن الاحاطة بجميع الادبار الا ان يخرج الجنزه على غير ذلك لما وانه لا الاخر كنيلة الاول على حد سواء فقال مسبباعن
الاخذ الموصوف مشيرا بالبناء للمفعول الى تمام القدرة وبالدابر الى الاستيصال فقطع دابر اي اخر القوم الذين ظلموا اي وضعوا الشي في غير موضعه
دا ب الماشي في الظلام ووضعوا القسوة موضع الرقة التي تدعوا اليها الشدة ووضعوا الفرح بالنعمة موضع الخشية من الرد الى الشدة كما ظلمتم
انتم بدعاء الاصنام وقت الرخا وكان ذلك موضع دعا من افاض تلك النعم ودعوتم الله وقت الشدة وكان ذلك موضع دعا من عبدتموه
وقت الرخا لتلا تنفعوا فيما جرت عادتكم بالذم به واذا تكون كريهة ادعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جندب ولما كان استيصالهم من اجل
النعم على من عاداهم في نهاية من الرسل عليهم السلام واتباعهم رضي الله عنهم نبه على ذلك بالحمد مع ما يشير اليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال والحمد اي
قطع الثمر بهم كله والحال ان الاحاطة باوصاف الكمال لله المنفرد بنعوت الجلال والجمال رب العالمين الموجد لهم اجمعين بما عليه ذلك كله
بعد بناء الخالق على الى صفة كانوا من ايمان او كفر كما كانوا كذلك قبل وجودهم ومن خلقهم على كل من حاليتهم كما اشير اليه باول السورة فكانه قيل
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فقطع دابرهم والكمال له لم يتغير لانه لا يزيد
وجود موجود ولا ينقصه فقد مفقود فهو محمود حال الاعدام والمحق كما هو محمود حال الايجاد والخلق فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات فانه لا يخرج شي من ايمانهم وكفرهم عن ارادته سبحانه فلا عليك منهما فرجعوا الايات اولا فانه ليس عليك الا البلاغ ولما قدم
التنبيه باتيان مطلق العذاب في مطلق الاحوال وكان الاتيان بالكاف ثم شير اليه اعافة التاكيد الى ان ثم نوع مهلة واتبعه اخذ الامم
كما نبهت اعقبه التنبيه بعذاب خاص تصور غاية تهد الاركان ويقطع الكبود ويملأ الجنان فانه الاخذ حال الام اصم اعمى مجنون فقال
مشيرا اليه قال كاف الخطاب مع التعبير بالاخذ الذي حصلته البغت بالسطوة والقهر لغاية التحذير من سمعه الاخذ قل ارايتم فكان
حقيقة المقرب بالكاف فهل رايتم انفسكم وهنا هل رايتم مطلق رويته لما تقدمت الاشارة اليه من الايماء الى طلب الاسراع بالجواب
خوف المفاجاة بالعذاب وان كان المراد في الموضعين اخبروني ان اخذ الله اي القادر على كل شي العالم بكل شي سمعكم واخذ
لقلة المفاوتة لانه اعظم الطرق لادراك القلب الذي لا اعظم من المفاوتة فهو في الاذنين الواحد بالنسبة الى الاحوال المختلفة ليكون
ذلك دالا على الفعل بالاختيار وابصاركم اي فاصمكم واعماكم عمى وصما ظاهريا او باطنيا بسلب المنفعة وختم على قلوبكم
فجعلها لا تتوصل اولا تنتفع بالوعي من اله اي معبود لان الحاطة العلم والقدرة ثم وصف هذا الخبر بقوله غير الله
اي الذي لجميع العظمة ياتيكم به اي بذلك الذي هو اشرف اعضائكم او بشي منه ولما بلغت هذه الايات من الابلاغ
في البيان في وحدانيته وبطلان كل معبود سواه اعلى المقامات نبه على ذلك بالامر بالنظر فيها وفي حالهم بعدها الداعي الى ما تقدم من المقترحات
لا تنفع من اراد سبحانه شقاوته فقال انظر كيف نصرف بما لنا من العظمة الايات اي نوجهها اليهم ولغيرهم في كل وجه من وجوه
البيان بالغ من الاحسان ما يا خذ بالعقول ويدهش الالباب ويكون كافيا في الانتهاء الى المطلوب ولما كان الاعراض عن مثل هذا في غاية البعد
عبر باداة التراخي فقال ثم هم اي بعد هذا البيان بصميم ضمايرهم يصدفون اي يعرضون لعرضا لا زما لهم لزوم الصدف وهما
قرن الاخذ بالبغت تارة صريحا وتارة اشارة باسقاط الكاف وكان ربما وقع في وهم السوال عن حالة الجهر اتبع ذلك ذكره مفصلا لما
اجمل من الاحوال في الايتين قبل فقال قل ارايتكم ولما كان المعنى اخبروني وكان كانه قيل عما ذا قال ان اتيكم ان اتيكم

اي الذي له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شيء **بغتة** اي بحيث لا يرى الا ملتبسا بكم من غير شعور به ويظهر شيء من اماراته **او جهرة** اي بحيث
ترونه مقبلا اليكم مقدما عليكم **هل** ولما كان المخوف بالذات هو الهلاك من غير نظر الى تعيين الفاعل بنى للمفعول قوله **يهلك** اي في واحدة
من الحالتين هلاكا كما هو الهلاك وهو هلاك السخط **الا القوم** اي الذين لهم قوة الموافقة وشدة المقاتلة في زعمكم والمقاومة **الظالمون**
اي بوضع الاشياء في غير مواضعها من اعطاء الشيء لمن لا يستحقه ومنعه المستحق ماله واما المصلح فانه ناج اما في الدارين واما في الاخرة التي هي دار
فلا نوتى عليه وذكر ابو حيان انه لما كان مطلق العذاب صالحا للكل ما يعلم منه تفاصيل احواله مما لا يعلم كان التوعد به اهول فلذلك اكد فيه في
الايتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب في التوعد باخذ السمع ونحوه من جملة الانواع التي اشتمل عليها ذلك المطلق فافرغ عنه حرف الخطاب ولما
كان زعمهم الكاذب في ضلالة في كذب الرسل واعراضهم عما اتاهم به من الايات التي امنها الاما من على مثله البشر وطلبهم منهم ما لا يقدر عليه الا من هم
من الانبياء بغير ما اتو به من الايات يبين لهم حقيقة الرسالة اشارة الى ظلمهم في طلبهم من الرسل ما لا يطلب الا من الاله فقال عاطفا على
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك **وما نرسل المرسلين** اي نوجد هذا الامر في هذا الزمان وكل زمان من الماضي وغيره **الا مبشرين**
لمن اطاع **ومنذرين** لمن عصى عريفين في كل من الوصفين لا يجيبون الى ما يقترح الامم ولا معنتين لمن يعاندهم ثم سبب عن ذلك
غاية الرسالة من النفع والضر فقال **فمن امن واصلح** اي تصديقا لايمانه **فلا خوف عليهم** اي في الدنيا ولا في الاخرة
اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا الفانية فلان خوفهم فيها يزيدا منهم في الاخرة لما فيه فهو الى فناء ثم الى سرور دائم
فهو عدم **ولا هم يحزنون** اي حزنا يضر بحياتهم لا بتلائه ولما بين حال المصلحين اتبعه حال المفسدين فقال **والذين
كذبوا باياتنا** اي على ما لها بنسبتها الينا من العظمة **يمسهم العذاب** اي الدائم التجدد وكني عن قوته بان جعل له قوة المس
كانه حي مريد فقال **بما كانوا** اي جبلة وطبعا **يفسقون** اي يديمون الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه من الايمان وما يقتضيه
واما الفسق العارض فان صاحبه بصدد التوبة منه فيعفى عنه ولما بين وظيفة الرسل وقسم المرسل اليهم امره بنفي ما يتسبب
عنه قولهم من ان البشر لا يكون رسولا واقتراحهم عليه الايات من ظن قدرته على ما يريد يتصرف فيها بما يريد والزامه بذلك منها
انهم على وجه ظلمهم وعنادهم فقال **قل** اي نفحص جواب لولا انزل عليه اية ونحوه ولما لم يكن لهم عهد بان بشرا يكون عنده الخزائن
وان كل ما يقدر عليه بيديه لهم وكانت اياتهم من الايات من انشقاق القمر ومشي الشجر وكلام الضب والحجر ونبع الماء والحراسة بشواظ
النار وحمل الجمال ونحو ذلك مما هو معلوم في دلائل النبوة بما ربما اوقع في ظنهم ان ذلك من دعواه لانه يملك الخزائن فكانوا
يقترحون عليهم الايات الزاما له بذلك لقصد التكذيب نفى ما ظنوا انه يلزمه دعواه فقال **ولا اقول** اي الان ولا فيما يستقبل
من الزمان ولما كان اسرع في اعطاه مفاتيح خزائن الارض فاباها تواضعا لله سبحانه قيد بقوله **لكم** انما انا اخبر به المؤمنين
من ذلك ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم واما الكفرة فان اخبارهم بذلك ما يغريهم على الاقتراحات استهزاء فلا فائدة له **عندي خزائن
الله** اي الملك الاعظم الذي له الغنى المطلق والعزة البالغة فلا كقوله فاتيكم بما تقترحونه من الايات وما تشتهونه من الكنوز وما
تستهزؤون به من العذاب انما الخزائن بيده يفعل بها ما يشاء ولما كانوا يعرفون ان بعض البشر من الكهان يخبرون بشيء من المغيبات
وكان الكهان يخلطون الصدق بالكذب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال لا اخلف في شيء منها ولا زيادة ولا نقص
فصاروا يظنون انه يعلم الغيب ولكنهم يظنونه من باب الكهانة حتى اطلقوا عليه انه كاهن فكانوا يسالونه عن وقت العذاب الذي يتوعدهم به وغيره
لعلهم يظفرون عليه بشيء مما يقوله الكهان ولا يكون فيعرفونه عليه نفي ما ظنوه غيرهم على هذا المقام ان ينسب الى غير ما لكه الذي لا يجوز ان يكون
لغيره تعالى نافيا الشيء بلا للقول نفيا كما في سابقه ولاحقه عاطفا على الا قول الاول على عنده **ولا اعلم الغيب** اي فاخبركم بوقت الفصل بيني وبينكم
من حلول العذاب او قيام الساعة فان هاتين الحالتين من الخزائن وعلم الغيب ليسا الا للرتبة الالوهية وانا لم ادع الاولى كما الزمتموني به
ولا اتصف بالثاني بما ظننتم ولما كانوا يظنون ان الرسل لا يكون الا ملكا فكانوا يلزمونه بدعواه الرسالة دعوى الملكية ليلزموه بذلك

ادعا

ادعا ما هو ظاهر البطلان قال **ولا اقول** اي بوجه من الوجوه ولما كان صلى الله عليه وسلم اعلى الانبياء صفاء وانورهم قلبا واشدهم في كل هدى
اضاءة وانقاهم من نقائص البشر وكان هذا امرا لا يخفى قيد بقوله **لكم** انما انا لا يمتنع عليه ان يقول ذلك بل لو قاله كان صادقا ومثله كثير في
مجازاتهم ومجاري عاداتهم في محاوراتهم واما اسقاط لكم في قصة نوح في سورة هود عليه السلام فلما انه سيأتي من قوله من غير تصريح بلفظ
الامر فيه الى السابق **اني ملك** فاقوى على الافعال التي تقوى عليها الملائكة من التجرد عن الاكل والشرب وغيرهما من افعال الملكية فلما انتفى عنه ما الزموه
به وما ظنوه فيه من كونه الها او ملكا انحط الامر في انه رسول واقف عند ما حد له ربه فقال على وجه النتيجة **ان** اي ما **اتبع** اي بغاية جهدي
الا ما يوحى الي اي وما تبتغي الا امتثال ما يامرني به ربي في هذا القرآن الذي هو معجزكم عن معارضته اعظم شاهد لي ولم يوح الي في علمه قول
شيئا مما تقدم نفيه واوحى الي انه يغنيكم خصوصا وانذر به كل من بلغه عموما وذلك غير منكر في العقل ولا مستبعد بل قد وقع الارسال الكثير من البشر وقد
قام على نبوته لي واضح الدلائل وثابت الحجج وقاطع البراهين فان كان فيه الاذى لي بان زحارفا برزنة وان كان فيه الاعلام بمغيبات ولا اقتصرت
على الابلاغ مع التحدي وهو مخبر بان الله الذي ثبت عجزكم عن معارضته انه قوله شاهد لي بصحة دعوى وصدق المقالة ولما ثبت بهذا انهم عمي
الابصار والبصائر لا يهتدون الى ما ينفعهم ولا يقدرون على انفكاك جهلهم ولا التقصي عن عماهم ولا وصم لهم كالسالك بين المهالك بيتين بادي
بدي في مهامه الحكمة زوره وكذبه وفجوره لاتباع الهوى الذي هو ادوى داء وانه صلى الله عليه وسلم ابصر البصراء واحكم الحكماء لاتباعه علام الغيوب
وكان موضع ان يقال ما يوحي اليه ابلغ هذا المقام قال على جهة التبكيت لهم **قل** اي لكل من يسمع قولك بعد هذا البيان الذي لم يتضح لقولها شيئا **هل يستوي**
اي يكون سواء من غير مرية **الاعمى والبصير** فان قالوا نعم كابروا الحس وان قالوا لا قيل فمن تبع هذه الايات الجليات فهو البصير ومن اعرض عنها
فهو الاعمى ومن سوى بين الخالق وبين شيء من خليقته فهو على العمى ثم امره بعد الانكار للتسوية بينهما بان ينكر عليهم فساد نظرهم وعمى فكرهم بقوله
افلا تتفكرون اي فيرد لكم فكركم عن هذه الضلالات ولما امر بتوبيخهم امره عاطفا على قوله قل بالانذار على وجه يخص امر ايضا فقال **وانذر به**
اي بما يوحى اليك وليس للسلطان تخصيص الانذار بالخائف بل الاشارة الى جلالتهم وعظيم ديانتهم وكتابتهم في عدم تجويز الجائز السالك بقوله **الذين
يخافون** اي تجويز الجائز معتاد عادة ولما كان المرهوب المخشي نفسه لا بقيد كونه من معين بني للمفعول قوله **ان يحشروا** اي يجمعوا جمعهم كارهين
الى ربهم اي المحسن اليهم بالايجاد والتربية الذي هو هول الانجاف في كل احد حال كونهم **ليس لهم** واشار الى تحقير ما سواه وسفوله بالجار فقال
من دونه اي من المنزلة التي هي تحت منزلته ومن المعلوم ان كل شيء تحت قهر عظمته متضائل عن رتبته ليس لهم ذلك على جهة الانفراد والتوصل **ولي**
يتولى امورهم فينقذهم قهرا مما يخافون **ولا شفيع** ينقذهم بحسن شفاعته وعظيم رتبته وتربيته **لعلهم يتقون** اي ليكون حالهم حال
من يرجى ان يجعل بينهم وبين غضب الله وقاية ولما امره بدعاء من اعرض عنه ومجاهرته امره بحفظ من تبعه وملاطفته فقال **ولا تطرد الذين يدعون**
وهم الفقراء المسلمين **ربهم** اي المحسن اليهم عكس ما طلبه الكفار في دعاء من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ثم بين حالهم من الملازمة ما يقتضي الاخلاص
فقال **بالغداة والعشي** اي في طرفي النهار مطلقا وبصلاتهما او يكون كناية عن الدوام ثم اتبع ذلك نتيجة فقال معبرا عن الذات بالوجه لانه
اشرفها ليتعارفه وتذكره يوجب التعظيم ويورث الخجل من التقصير **يريدون وجهه** اي لا انه لو كان رياء لاضمحل على طول الزمان وتناقض الحال
باختلاف الشان ولما كان الحامل للمشركين واغنيائهم على وعده صلى الله عليه وسلم الاتباع ان طرد من تبعه ممن يانفون من مجالستهم
وزعموه فيهم بفقرهم وبانهم غير مخلصين في اتباعه انما دعاهم اليه الحاجة بين له تعالى انه لا حظ له في طردهم ولا في اتباع اولئك
بهذا الطريق الا من جهة الدنيا التي هو منزه عن التنفير عنها فقال معللا لما مضى او مستانفا **ما عليك** وقدم الاهم عنده وهو تحمله
من حسابهم واغرق في النفي فقال **من شيء** اي ليس الا ظاهرهم وليس عليك شيء من حسابهم حتى تعاملهم بما يستحقونه في الباطن
من الطرد ان كانوا غير مخلصين **وما من حسابك** قدم ما هو الاهم اليه ايضا **عليهم من شيء** اي وليس عليهم شيء من حسابك لانتخشى ان يحيفوا
عليك فيه على تقدير غشهم وليس عليك من رزقهم شيء فيثقلوا به عليك ولا من رزقك عليهم من شيء فيضعفوا عنه لفقرهم بل الرازق
لك ولهم الله ثم اجاب النفي مسببا عنه فقال **فتطردهم** اي فيتسبب عن الحساب طردك لهم ليقبل عليك الاغنياء فلا يكلفونك

لعلنيه

ما كان اولئك يكلفونكه وان كلفهم ما كان اولئك عاجزين عنه طاقته والحاصل انه يجوز ان يكون نحو جملتي ما عليك من حسابهم الى اخرها فليس شيء
راجعا الى اية الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا فيكون المعنى ناظرا الى الرزق يعني ان دعاءك الى الله انما مداره الامر الاخروي
من رزق هولاء عليك حتى تستثقلهم وترغب في الاغنياء ولا شيء من رزقك عليهم فيعجزوا عنه وفي الفظين كلام اهل اللغة ما يقبل هذا
المعنى قال صاحب القاموس وغيره الحساب الكافي ومنه عطاء حسابا وحسب فلان فلانا اطعمه وسقاه حتى يشبع ويروى وقال ابو عبيد الهروي
يقال العطية فاحسبه اي اعطيته الكفاية حتى قال حسبي وقوله ترزق من تشاء بغير حساب اي بغير تقتير وتضييق وفي حديث سماك ما حسبوا
ضيفهم اي ما اكرموه وقال ابن فارس في المجمل واحسبته اعطيته ما يرضيه وحسبته ايضا واحسبني الشيء كفاني ولما نهاه عن طردهم مبينا
انه ضرر بغير فائدة سبب عن هذا النهي قوله فتكون من الظالمين اي بوضعك الشيء في غير محله فان طردك هولاء ليس سببا لايمان اولئك وليس
هوانهم الا الينا وقد طلبوا منا فيك لما فتناهم بتخصيصك بالرسالة ما لم يخف عليك من قولهم لولا انزل عليه ملك ونحوه مما
ارادوا به الطرف عنك حكما لم نقبله فيك فلا تقبل انت في اوليائنا فانا فتناهم بك حتى قالوا فيك ما قالوا وتمنوا ما تمنوا
وكذلك اي ومثل ما فتناهم بارسالك فتنا اي فعلنا فعل المختبر فسر ابها النا العظمة بعضهم ببعض بالتخصيص بالايمان والغنى والفقر
ونحو ذلك ليقولوا اي انكارا لان يفضل غيرهم عليهم احتقارا لهم واستصغارا اهؤلاء اي الذين ايسوا ونتنا بل لا يقاربوننا في خصلة
من خصال الدنيا من الله اي على جلاله وعظمته عليهم اي وفقهم لاصابة الحق ولسبقهم عنده وهم فيما نرى من الحقارة من بيننا فالاية
ناظرة الى ما بانه في هذه السورة من قوله حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله ولما كان الانكار لا يسوغ الا مع نهاية العلم بمراتب الفضلين ولن
المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به انكر انكارهم بقوله اليس الله اي الذي له جميع الامر فلا اعتراض عليه باعلم بالشاكرين اي الذين يستحقون
ان يفضلوا لشكرهم على غيرهم ولما نهاه صلى الله عليه وسلم عن طردهم علمه كيف يلاطفهم فقال عاطفا على تقديره فاذا جاءك الذين يحقرون
الضعفاء من عبادي فلا تجفل بهم واذا جاءك واظهر موضع الاضمار دلالة على الوصف الموجب لاكرامهم وتعميما لغيرهم فقال الذين يؤمنون
اي هم وغيرهم اغنياء كانوا او فقراء او اشار بنظر العظمة الى انهم امنوا بما هو جدير بالايمان به فقال باياتنا على ما لها من العظمة بالنسبة اليها
فقل اي لهم بادئا بالسلام اكراما لهم وتطييبا لخواطرهم سلام عليكم اي سلامة مني ومن الله وتكرمة لما يلحقهم في الدنيا من المصايب ثم علل ذلك
بقوله كتب ربكم اي المحسن اليكم على نفسه الرحمة ثم علل ذلك او استانف بيانا حاصله انه علم من الانسان النقصان لانه طبعه على طبايع الخسران
الا جبله موضع المنة فقال انه من عمل منكم سوءا اي سوء كان متلبسا بجهالة اي بسفه وخفة وحركة اخرجته عن الحق والعلم
حتى كانه لا يعلم شيئا ثم تاب اي رجع بالندم والاقلاع وان طال الزمن ولذا ادخل الجار في قوله من بعده اي بعد ذلك العمل واصلح
بالاستمرار على الخير فانه اي ربكم بسبب هذه التوبة يغفر له لانه غفور اي بالغ الستر والمحو لما كان من ذلك رحيم يكرم من تاب هذه التوبة
بان يجعله كمن حسن بعد ان جعله بالغفر كمن لم يذنب ومن اصر وافسد فانه يعاقبه لانه عزيز حكيم وربما كانت الاية ناظرة الى ما اقترفه المغترون
من عدم الاخلاص في كونه مرشحا لان المراد بالحسنات المحسنة على الذنوب ما الحق في هذه السورة وما قبلها من عجايب التفاصيل لجميع الاحوال
متضمنة واضح الدلالات وباهر الايات البينات وعطفا على كذلك فتنا عطف القصة على ضدها فان في الاختبار نوع خفاء وفي
وكذلك اي ومثل ذلك الفتن بايراد بعض ما فيه دقة وخفا من بعض الوجوه لنضل من نشاء فنميز الضال من المهتدي نفصل الايات
التي نريد بيانها ليتضح سبيل المصلحين فتتبع ولتستبين اي تظهر ظهورا بينا سبيل المجرمين فتجتنب وخصها بالذكر وان كان يلزم
منه بيان الاول لان دفع المفاسد اهم ولما كان محط حالهم في السؤال في طرد الضعفاء قصد اتباع اهوائهم امره تعالى بان يخبرهم بانه مباين لهم بما
بين له بالبيان الواضح من سوء عاقبة سبيلهم مباينة لا يمكن معها اتباع اهوائهم وهي المباينة في الدين فقال قل اني نهيت اي ممن له الامر كله
ان اعبد الذين تدعون اي تعبدون ابتناءً منكم على محض الهوى والتقليد في اعظم اصول الدين وحقرهم بسفول رتبتهم فقال من دون الله
اي الذي له العظمة كلها فقد وقعتم في ترك الاعظم ولزوم الدون التحهود ونكم اعظم الجهل المؤذن بعمى القلب مع الكفر بالحسن الجلي

مبناها

مبناها على المقاطعة فكيف تطمع مع هذا في متابعتي ثم اكد ذلك بامر مراد العلاية لانه تلطفهم في عبادتهم فقال قل لا اتبع اهواءكم اي عوضا
عما انا عليه من الحكمة البالغة المؤيدة بالبراهين الساطعة والادلة القاطعة ولما كان من المعلوم ان الهوى لا يدعو الى هدى بل الى الغواية الردى حقق
ما افهمته هذه الجملة بقوله قد ضللت اذا اي اذا اتبعت اهواءكم وما انا الضال فيجمع بين هذا لبيكن اعرافتهم في الضلالة فقال
معبرا بالجملة الاسمية الدالة على الثبات وما انا اي اذ ذاك في شيء من الهداية لاعد من المهتدين ولما كان طلبهم للايات اي العلامات الدالة على صدقه
تارة بالرحمة في انزال الانهار والكنوز وازاحة الجبال وتارة بالعذاب بايقاع السماء عليهم كسفا ونحو ذلك مما طلبوه في هذه السورة تعيينا وقت
نزوله وامره هنا ان يصرح لهم بالمباينة ويويسهم من الملاينة ما دلوا على المداهنة امره بان يخبرهم بما هو متمكن فيه من النور وما هم فيه من العمى بقوله
قل اني واشار الى الحكمة في الادلة الظاهرة والحجج القاهرة بحرف الاستعلاء فقال على بينة اي امر الفصل لما يصانع عدوه اما العدم الثقة
بالنصر عليه وتعذيبه بعداوته ولما العدم وثوقه بانه على الحق واما انا فواثق بكلا الامرين من ربي اي المحسن الي بالكشف التام
لعزيز الملك والملكوت و الحال انكم كذبتم به اي بربي حيث رددتم رسالته فهو منتقم منكم لا محالة ولما قل ذلك فرض ان يسالوا الا بال
فاتنا بهذه البينة فقال ان ربي تام القدرة فلا يخاف الفوت فلا يعجل واما انا فعبد ما عندي اي وقدرتي وامكاني ما تستعجلون به اي في
قولكم امطر علينا حجارة من السماء ونحوه حتى احكم فيكم بما يقتضيه طبع البشر من العجلة ان اي ما الحكم في شيء من الاشياء هذا وغيره
الا لله اي الذي له الامر كله فلا كفوء له ثم استانف قوله مبينا انه سبحانه يأتي بالامر في الوقت الذي يحكم لعلمه بما هو اللائق به من غير قدرة لاحد
غيره على تقديم ولا تاخير فقال يقص اي يفصل وينفذ في قولكم امطر علينا حجارة من السماء ونحوه وهو معنى قراءة الحرميين وعاصم
يقص اي يقطع القضاء او القصص الحق ويظهره فيفصله من الباطل ويوضحه لمن يتبعه من قضى له سعادته وينكب عنه من حكم بشقاوته
وهو خير الفاصلين لانه اذا اراد ذلك الفصل يبدع لبسا لمن يريد هدايته وجعل في ذلك الظاهر شبها لمن يريد ضلاله ثم اكد ذلك لمن زاد قلبه
في الجلالة مبينا ما في غيره من وخيم العاقبة فقال قل لو ان عندي اي على سبيل الفرض ما تستعجلون به اي من العذاب لقضي
الامر بيني وبينكم اي فكنت اهلكت ... وبناؤه للمفعول لان المخوف انما هو الهلاك لا كونه من معين غضب الرب الحاكم الى الله اكبر
وقد يكون فيهم من كتب في ديوان السعداء لكنه لم يكن الامر الي بل الى الله الاعلم الظالم عند الله من غيره فالي الامر الى الله لانه اعلم
بالمنصفين فيخبرهم والله اي الذي له الكمال كله اعلم بالظالمين اي المكتوبين في ديوان الظلمة منكم ولما كانت هذه الايات
مثبتة لجزئيات من علمه تعالى وقدرته وكان ختامها العلم بالظالم وغيره اتبعها الاختصاص بما هو اعم من ذلك وهو علم مفاتيح الغيب
الذي لا يصل اليه الا خازنها اذ لا يطلع على الخزاين الا من فتحها ولا يفتحها الا خازن مفاتيحها وعلم كيف يفتح بها فاثبات ذلك
في هذا الاسلوب من باب الترقية في مراقي الاعتقاد من درجة كاملة الى اكمل منها فقال عاطفا على معنى ما سبق وهو فعنده خاصة
جميع ذلك وعنده اي وحده مفاتح الغيب التي لا يدرك الغيب الا من علمها ولما كان معنى ذلك الاختصاص صرح به في قوله
لا يعلمها الا هو وتخصيصها بالنفي دون الخزائن دال على ما فهمته من التقييد فيها بل كم يفهم انه يجوز ان يقول ذلك
المؤمنين ولما ذكر علم الغيب اتبعه علم الشهادة لان القضايا العقلية المحضة يصعب تحصيلها على سبيل التمام الا للكمل
من الانام الذين تجردوا واعتادوا التحصنا والمعقولات المجردة والقرآن انما انزل لنفع جميع الخلق الذكي منهم والغبي فكان ذكر المحسوسات
الداخلة تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول ورسوخه في القلب فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلي المجرد بمثال
داخل تحته يجري مجرى المحسوس وعطفه بالواو وعطف الخاص على العام اشارة الى العظمة فقال ويعلم ما في البر وقدمه لان الانسان
اكثر ملابسة له بما فيه من القرى والمدن والمفاوز والجبال والتلال وكثرة ما بها من الحيوان والنبات النجم وذي الساق والمعادن والبحر
واخره لان احاطة العقل باحواله اقل وان كان الحس يدل على ان عجايبه اكثر وطولها وعرضها اعظم وما فيها من الحيوانات واجناس المخلوقات
العجيبة فكان هذا الامر المحسوس مقويا لعظمة ذلك الامر المعقول ولما ذكر ما يعم الثابت والمنتقل خص المنتقل تنصيصا على الجزئيات وتعظيما

للعلم بتعظيم المعلوم فقال وما تسقط واغرق في النفي بقوله من ورقة ونكرها اتماما للتعميم الا يعلمها ولما كان هذا مع عظم
ظاهرا ذكر ما هو ادق منه فقال ولا اي ومن حبة ودل على ان الارض ليس لها في نفسها نور تنبيها على ما اودع هذا الادنى المكون منها
من الغرايب بقوله في ظلمات الارض اي ولو كانت في اقصى بطنها فكيف بما هو في النور وهو اكبر من الحبة ولما خص رجع الى التعميم ورد الاخر
على الاول فقال ولا رطب ولا يابس اي وجد او لم يوجد او سيوجد الا في كتاب مبين اي موضح لاموره واعيانها وكل اموره واحيانا فثبت
انه فاعل لجميع العالم بجواهره واعراضه على سبيل الاحكام والاتقان لانه وصفه عالم بجميع المعلومات ومن اختص بعلم جميع المعلومات كان مختصا
بصنع جميع المصنوعات وقادرا على جميع المقدورات ولما كان من مفاتيح الغيب الموت والبعث الذي يكرونه وكان من ادلته العظيمة النوم
والايقاظ منه مع ما فيه من الاحسانات المتكرر وكان في جميع ذلك تقرير لكمال القدرة بعد تقرير لكمال العلم اتبع ذلك قوله وهو اي وحده
الذي يتوفاكم اي يقبض ارواحكم كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور اصلا فيمنعكم التصرف بالنوم كما يمنعكم بالموت وذكر الاصل في ذلك
فقال بالليل ويعلم اي والحال انه يعلم ما جرحتم اي كسبتم بالنهار اي الذي يعقبه النوم من الذنوب الموجبة للاهلاك ويعاملكم فيها
بالحلم بعد العلم ولا يعجل عليكم وهو معنى ثم يبعثكم اي يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق فيصيركم كما يشاء فيه اي في النهار الذي يعقب
ذلك النوم بعد استحقاقكم للانتقام ليقضى اي يتم اجل مسمى كتبه للموتة الكبرى علما منه بعد النشر بعد ذلك الطي في الموتة الصغرى
القدرة على مثل ذلك في الموتة الكبرى وكان فيه تقرير عظيم لمن قال ثم يبعثكم من تلك الموتة كما بعثكم من هذه ويكون اليه اي وحده
مرجعكم اي حسا بالحشر لحضار الجزاء ومعنى بانقطاع الاسباب على ما هو الحال في الدنيا ثم بعد تلك المواقف الطوال والزلازل والاهوال ويمكن
ان تشير اداة التراخي الى عظمة العلم بذلك والمنبه لكثير ما قبلها في الدنيا ينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما جليلا مستقصيا بما كنتم تعملون
اي فيجازيكم عليه ولعله عبر بالعمل لان الحساب يكون على المكلفين الذين اهلية العلم … مع كمال القدرة سبحانه على اختراع هذه الاشياء
والعلم بها انتقل الى حفظها في كل حال وتدبيرها على احسن وجه ولما اخبر بتمام العلم والقدرة اخبر بغلب السلطنة وعظيم جبروته في
انه الحفظة على سبيل القهر لا تستطيع مخالفتها فلو بالغ احد في الاجتهاد في ان ينام في غير وقته ما قدر او ان يقوم وقت النوم لعجز او ان
يحيى وقت الموت لم يستطع الى غير ذلك فقال وهو اي يفعل ذلك والحال انه وحده بالذي غلب الغيب وحجب الكبر القاهر وصور ذلك بقوله
فوق عباده اي في الاحاطة بالعلم والفعل اما قهره للعدم فبالتكوين والايجاد واما قهره للوجود فبالافناء والافساد بنقل الممكن من العدم
الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم اخرى فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى غير ذلك من ضروب الكائنات و
صنوف الممكنات ويرسل ورجع الى الخطاب لانه امرع فقال عليكم من نكتة حفظة اي يحفظون عليكم كل حركة وسكون لتستحيوا منهم وتخافوا
عاقبة كتابتهم وتقوم عليكم بشهادتهم الحجة على مجاري عاداتكم والا فهو سبحانه غني عنهم لانه العالم القادر فيحفظونكم على حسب ارادته فيكم
حتى اذا جاء ولما كان تقديم المفعول اهول قال احدكم الموت اي الذي لا محيد له عنه ولا محيص توفته رسلنا اي اخذ روحه كاملة
من ملك الموت واعوانه على ما هو العظمة بالاضافة الينا وهم لا يفرطون في نفس احد ولا ما دونه ولا ما فوقه بالتواني عنه يتقدم ذلك
عن دقته او تأخر ولما اشار سبحانه الى غيبة بالجنود التي تفوت الحصر وان كان عنهم غنيا بصفة القهر نبه بصيغة الجمع الى انحصار عظمته
وشامل جبروته وقدرته فقال ثم اي بعد حبسهم في قيد البرزخ ردوا اي ردهم راد منه لا يستطيعون دفاعه اصلا الى الله اي الذي
لا تحد عظمته ولا تعد جنوده وخدمته مولاهم اي مبدئهم ومدبر امورهم كلها الحق اي الثابت الولاية وكل ولاية غير ولايته … الحفظة
وغيرهم عدم لان الحفظة لا يعلمون الا ما ظهر لهم وهو سبحانه يعلم السر واخفى ولما التحق … عزبه دق قهره وتصور جبروته وكبره فتاهل
قلبه وسمعه لما يلقى اليه ويتلى عليه قال الا له اي وحده حقا الحكم ولما كان الانفراد بالحكم بين جميع الخلائق امر يحير الفكر ولا يكاد يدخل تحت
الوهم قال محتقرا لجنب قدرته وهو وحده اسرع الحاسبين يفصل بين الخلائق كلهم في اسرع من اللمح كما انه يقسم ارزاقهم في الدنيا في مثل ذلك
لا يقدر احد ان يتوقى من عقابه بطاول في الحساب ولا مغالطة في ثواب ولا عقاب لانه سبحانه لا يحتاج الى فكر وروية ولا عقد وكتابة فلا يشغله

حساب

حساب عن حساب ولا شيء عن شيء ولما تعرف بافعاله وشئونه حتى اتضحت وحدانيته وثبتت فردانيته ذكرهم احوالهم في الاقرار بتوحيده وقت الشدايد
والرجوع عن ذلك عند الانجاء منها على انه لو كان طالب عن شخص شيئا واكد له الميثاق على الشكر فلما احسن اليه باعطائه سوله نقض عهده وبالغ في الكفر
الكفر وذلك عندهم في غاية من القبح لا توصف فقال قل اي لهولاء الذين يرضون بمحاسن الاعمال من ينجيكم اي تنجيرا وعظيما من ظلمات البر و
البحر اي حيث لا هداية لكم بنجم ولا جبل ولا غيرهما او عبر بالظلمات عن الكروب التي بلغت شدتها الى ان صاحبها يكون كانه في اشد ظلام من
بحيث لا يهتدي فيها الى وجه حيلة بنوع وسيلة تدعونه على وجه الاخلاص له والتوحيد والاعراض عن كل شرك وشريك لزوال الحظوظ عند
احاطة الرعب وميلانه على مجامع القلب فلا يبقى الا الفطرة السليمة قال الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي تضرعا اي مظهرين الضراعة
وهي شدة الفقر وحقيقة الخشوع وقوله وخفية اي تخفون في انفسكم مثل ما تظهرون قال … يقال ضرع له وضرع وتضرع اي تخشع له
وذل ثم قال وضرع الرجل يضرع ضرعا اذا استكان وذل وهو ضارع بين الضراعة وفي الذل بين الضراعة وهولاء قوم ضرع اي اذلاء وهم
ضرعة اي متضرعون والتضرع الى الله التخشع اليه والتذلل وعاد كان الرجل نحيل الجسم قلت انه لضارع الجسم بين الضروع وفي الذل بين الضراعة
انتهى ولما بين صفتهم وقت الدعاء بين قولهم اذ ذاك فقال لئن انجيتنا من هذه فاكدوا وحضوا وبينوا غاية البيان لنكونن
من الشاكرين اي العريقين في الشكر ولما كانوا مقرين بان فاعل ذلك هو الله ولكنهم يكفرون نعمته عند … فامره بالجواب عنهم غير
منتظر الجواب بهم بقوله قل الله اي الذي له جميع العظمة ينجيكم منها اي تلك الشدة ومن كل كرب اي وقعتم فيه من اعظم موقع
قوله ثم انتم مع التزام الاخلاص في وقت الكرب ومع التزام الشكر تشركون مشيرا الى استبعاد نقضهم باداة التراخي مع ما فيه من الجناس
لما كان ينبغي لهم من انهم يشكرون ولما كانوا بشركهم كانوا يظنون ان الشدة زالت عنهم زوالا لا يعود وكان … دوام … وفاء
واما خوفا اخبرهم ترهيبا لهم من سطوته وتحذيرا من بالغ قدرته ان شدتهم تلك التي ذلتهم لم تزل في الحقيقة فان قدرة الملك عليها
حالة الرخا كالقدرة عليها في وقتها سواء فانه خالق الحالتين وطباعهما وما فيهما ولكنهم عمي البصاير جلاف الطبايع فقال قل
اي وحده القادر ولم يصفه صيغة مبالغة لانهم لم يكونوا … قدرته انما كانوا يدعون المشاركة التي نفاها بالتخصيص على ان التعريف
يفيد المبالغة على ان يبعث اي في كل وقت يريده عليكم اي في كل حالة عذابا من فوقكم باسقاط السماء قطعا او شيء منها كالحجارة
التي حصب بها قوم لوط واصحاب الفيل وبتسليط اكابركم او من تحت ارجلكم اي بالخسف او اثارة الحيات او غيرها من الارض كما وقع
لبعض من سلف او بتسليط سفلتكم وعبيدكم عليكم او يلبسكم اي يخلط بينكم حال كونكم شيعا اي متفرقين كل شيعة على هوى
فيكون ذلك سببا للسيف ويذيق بعضكم اي بعض تلك الشيع باس بعض فيستوي في ذلك بين الحرم وغيره ويصير التخطف بالنهب
والقتل عاما وسوق هذا الكلام هكذا يلهم ايقاعه في وقت ما … لان كلام الملوك يصان عن ان لا يكون لمضمونه توجد وان كان
على سبيل الشرط ونحوه فكيف بملك الملوك علام الغيوب والتدريب على مثل هذا الفهم في كلام … وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي
في التفسير عن سعد بن ابي وقاص رض اما انها كائنة ولم يات تاويلها بعد وقال حسن غريب وستاتي لهذا مزيد بسط وتحقيق في قوله تعالى
في الفرقان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية ولما كان هذا بيانا عظيما اشار الى عظمه بقوله انظر ولما عظم تعظيما اخر
بالاستفهام فقال كيف نصرف الآيات اي نكررها موجهة في جميع الوجوه البديعة النافعة البليغة لعلهم يفقهون اي ليكون
حالهم حال الراجي فهمه وانتفاعه به كان هذا وقد كذب به اي هذا العذاب او القران المشتمل على الوعد والوعيد والاسباب المبينة
للخلق جميع ما ينفعهم ليلزموه وما يضرهم ليحذروه قومك اي الذين من حقهم ان يقوموا بجميع ما امرك ويسر … فان
القبيلة اذا ساد احد منها عرف بها فان عزه عزها وشرفه شرفها ولا سيما اذ كان من بيت الشرف ومعدن السيادة واذا سفل حقرها اهتمت به
غاية الاهتمام وسترت عيوبه بما امكنها فان عاره لاحق بها فهو من عظيم التوبيخ لهم ودقيق التقريع وزاد ذلك بقوله وهو اي والحال
انه الحق اي الثابت الذي لا يضره التكذيب ولا يمكن زواله ولما كان الانسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه كان صلى الله عليه وسلم

في هذا المقام بعرض انه يخاف عاقبة ذلك ويقول فماذا اصنع بهم فقال تعالى معلما انه ليس عليه بأس من تكذيبهم قل لست وقدم الجار والمجرور
للاهتمام به معبرا بالاداة الدالة على القهر والغلبة فقال عليكم بوكيل اي حفيظ ورقيب لازم لكم على الرد عما انتم فيه ولما كانوا بصدد
ان يقولوا انه يحكي كذا لم ضلال علينا منك قال مهددا لكل ولما اشار الى جلالته خبره بقوله نبإ اي خبر من اخباركم من هذه الاخبار
العظيمة ومعنى مستقر موضع قرار من صدق وكذب اي لا بد ان يحط الخبر على واحد منهما لا ينفك خبر من الاخبار عن ذلك وسوف تعلمون
اي يحط خبر العظيم بوعد صادق لا خلف فيه ولا تأخر وقوعه ولما امره بما يكون جوابا لتكذيبهم تقدم اليه فيما يفعل وقت خوضهم في التكذيب
فقال واذا رايت خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون اردع الذين يخوضون اي يتكلمون في اياتنا اي بغير علم ولا بصيرة
بل طوع الهوى كما يفعل خائض الماء في وضعه رجله على غير بصيرة لستر مواضع الخطا وبغير تمام الاختبار لغلبة الماء فاعرض عنهم بترك
المجالسة او ما يقوم مقامها ولما كان الخوض في الايات دالا على قلة العقل قال حتى يخوضوا في حديث غيره بحكم على حديثهم فيما لو كان ذلك ايضا
بالخوض لان فيه الغث والسمين لانه غير مقيد بنظام الشرع ولما كان الله تعالى والملهم قد رفع حكم النسيان عن هذه الامة قال موكدا واما ينسينك
الشيطان اي انساك فعلها اشارة الى ان مثل هذا الامر جدير بان لا ينسى فلا تقعد بعد الذكرى اي التذكر لهذا النهي مع القوم
الظالمين اظهر موضع الاضمار تعميما ودلالة على الوصف الذي هو سبب الخوض وهو الكون في الظلام ولما كانت هذه الاية مكية وكانوا
اذ ذاك عاجزين بغير القلب قال وما على الذين يتقون اي يخافون الله فلا يكذبون باياته في مجالستهم الكفرة من حسابهم اي الخائضين اذا
كانوا اقوى منهم من شيء وما نهيناه عن المجالسة لان عليهم فيها والحالة هذه اثما ولكن نهيناه لتكون المفارقة اظهارا لكراهة ذكرى
للخائضين لاستحيائهم من ذي الجليس لعلهم يتقون اي ليكون حالهم بذلك حال من ترجى منه التقوى فيجتنب الخوض في الايات اكراما
للجليس ولما ابرز هذا الامر في صيغة النهي اعاده بصيغة الامر اهتماما به وتاكيدا له واظهر لهم وصفا اخر هو غاية الوصف الاول
محوا فيه النهي الارشاد الى الاسماح المعاطب فقال وذر اي اترك اي ترك الكمال ولو كان على ادنى الوجوه الذين اتخذوا اي كلفوا
انفسهم في اتباع الهوى بمخالفة العقل السليم المستقيم والطبع الفطري السليم بان اخذوا دينهم على نمط الكهف من دنياهم ولما كان
ملكه راسخة في النفس لا شيء بكيفيات النفس ابرح منها ولا اثبت وهو اثر ما عند الانسان وكان اللعب ضده لانه اسرع من انقضائه قال
اذا انهم بدلوا مقصود هذه السورة الذي هو الاستدلال على التوحيد الذي لا اشرف منه مطلقا ولا اعلى ولا انفس بوجه ولا اعلى بحال
ادنى منه ولا اوهى ولا امحق للمروءة ولا ادهى لعبا ولما كان ربما قيل انهم اذا انقضى اللعب عادوا الى الاشتغال بالدين انتبه الباعث عليه
اشارة الى انه كلما ملوا اللعب بعثتها النفوس اليه باللهو كما ترى الراقص كلما افتر في رقصه بعثوه عليه بتقوية اللهو والانتقال من فن الى
اخر من فنونه بحيث ان بديع يشتغلونه فقال ولهوا اي محل استهزاء بالدين الحق بالمكاء والتصدية وما يشبهه من المزامير والاسواق ونحو
ذلك مما تبال ايهم ولا يشغل قلبك بعدهم وغرتهم اي خدعتهم الحيوة الدنيا التي هم اعرف الناس بزوالها وان كل من فيها هالك فنستهم
النعم التي منّ عليهم سبحانه بها فيما نيالونه من السعادة الابدية باتباع اوامره واجتناب نواهيه ولما كان ربما الهم ذلك تركهم في كل حالة نفاه
بقوله وذكر به اي بحديث الايات وهي القران المتجدد انزاله والضمير في الحقيقة للايات اي دعهم يفعلوا ما ارادوا لا تبال بشيء من ذلك ولا تترك
وعظهم بهذا القران اي ما عليك الا البلاغ لم تكلف في هذه الحالة باكثر منه ان تبسل قال في الجمل البسل المحلى لسلسلة اسلمته للهلكة
فالمعنى كراهة ان تخلي وتسلم نفس بما اي بسبب ما كسبت في دنياها حال كونها ليس لها من دون الله اي المنفرد بالعظمة ولي
اي يتولى نصرها ولا شفيع ينقذها بشفاعته ولما كان الفداء سببا للخلاص قال وان تعدل اي تلك النفس لاجل التوصل الى انفكاكها كل
عدل اي كل شيء يظن انه يعدلها ولو كان انفس شيء ولما كان الفداء عدم الاخذ لكونه معين بنى للمفعول قوله لا يؤخذ منها ولما انتج ذلك
قطعا ان هذا حاله هالك قال اولئك اي الذين عملوا هذه الاعمال البعيدة عن الخير الذين ابسلوا اي اسلموا بما كسبوا ثم استانف قوله
لهم شراب من حميم اي هو في غاية الحر يصهر به ما في بطونهم بما اعتقدوا في الايات ما ظهر على السنتهم وعذاب اليم اي يعم دائما ظواهرهم

وبواطنهم

وبواطنهم بما ظهر عليهم من ذلك بعد ما بطن بها اي بسبب ما كانوا يكفرون اي يجددون من تغطية الايات ولما تقرر ان غير الله لا يمنع من الله شيئا ومنع
الهتهم التي زعموا انها شفعاؤهم وغيرها ثبت انهم على غاية التشبيه من ان كل ما سواه لا ينفع شيئا ولا يضر فكان في غاية التبكيت لهم قوله
قل اي تعبدونا اوثانا ولا دلالة على انه ليس لي جدوى مع الله منكرا عليهم موبخا لهم اندعوا اي دعاء عبادة وبين حقارة معبوداتهم فقال
من دون الله المنفرد بجميع الامور ولما كان اشد اسباب التعبد النعم الذي خلق السموات والارض خلقكم من طين يعلم ولا يطلع ويرسل عليكم
حفظة من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الله ينجيكم منها ومن كل كرب قدم النفع في قوله ما لا ينفعنا ولا يضرنا اي لا يقدر على شيء من ذلك
ليكونوا على غاية اليأس من اتباع غير الله لهم وهذا كالتعليل لقوله اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله ولما ذكر عدم المنفعة في
دعائهم اشارة الى عجز الخسارة في رجائهم فقال ونرد اي برجوعنا الى الاشراك وبناه للمفعول لان المنكر الرد نفسه اي رد كان
على اعقابنا اي فنأخذ في الوجه المخالف للقصد فنصير كل وقت في خسارة بالبعد عن المقصود بعد اذ هدينا الله اي الذي لا خير الا وهو
عنده ولا ضر الا وهو قادر عليه الى التوجه نحو المقصد ووفقنا له وانقذنا من الشرك ولما صور حالهم مثله فقال كالذي اي نرد من علو القرب
المقصود الى سفول البعد عنه وذكره الذي استهوته اي طلبت نزوله من درجته الشياطين فانزلته عن نحو مقصده الى الحضيض معطبه
شجاله بحال من سقط من عال في مهواه مظلمة فهو في حال هويته في غاية الاضطراب لتحقق التلف والعمى عن الخلاص في الارض حال كونه حيران
تائها ضالا لا يهتدي لوجهه ولا يدري كيف يسلك ثم استانف قوله له اي الذي هو اصحاب اي عدة وكنه يتمكن الحيرة منه لا يقبل يدعونه
الى الهدى ويبين دعاءهم بقوله ائتنا وهو قد اعتسف الهمة تابعا للشياطين لا يجيبهم ولا يأتيهم لانه قد غلب عن نفسه فحصل من
العبر والنزوان ولما كان هذا ما يتعرفونه من هدوء مرادا وكانوا عالمين بان دعاء اصحابه له في غاية النصيحة والخير وان اتبعهم نجا
والا هلك هلاكا لا تدارك له فكان جوابهم ان دعاء صحابه له الهدى بين انه مضمحل تافه جدا بحيث انه يجوز ان يقال اليه هو هدى بالنسبة
الى هذا الذي يدعوهم اليه بقوله قل ان هدى الله اي المستجمع لصفات الكمال هو اي خاصة الهدى اي الذي غيره كدعاء صحابه هدى بل ذلك
الهدى معه انقاذه من الهلاك الى حصن جنب الهدى كلا شيء لان لا شيء هو الموصل الى السعادة الابدية ولما كان هدى التقدير فقد امرنا ان نلزمه وتركه
كل ما عداه عطف عليه امرا عاما فقال وامرنا لنسلم اي وجعلنا الامر من الامر لغيره بكل ما يرضيه بان نسلم بان نوقع الاسلام
وهو الانقياد التام فيتخلى عن كل هوى ويقيم الصلوة بان نوقعها بجميع حدودها الظاهرة والباطنة فتتحلى بفعلها اشرف حلي
لرب العالمين اي احسان الكل احد بكل شيء خلقه ثم فسر المامور به مكانه قال ان اسلموا وان اقيموا الصلوة لوجهه واتقوه
مع ذلك اي افعلوها الا على وجه الهزء واللعب بل على وجه التقوى والمراقبة لين ما ظهر منها على ما بطن من الاكرام المحسن ولما كان
التقدير فهو الذي ابتدأ خلقكم من طين فاذا انتم بشر منتشرون وجعلكم احياء فبقدرته على تكرر الايام تنتشرون عطف عليه
قوله وهو الذي اليه اي الى غيره بعد بعثكم من الموت تحشرون فانه ما البعث الذي هم له منكرون اكثر ما اقام من الادلة على
تمام القدرة في سياد العالمين انه مما لا يجال الخلاف فيه وان النظر انما هو فيما وراء ذلك وهو ان علمهم بالباطل سوغ تنزيلهم
منزلة من يعتقد انه يحشر الى غيره سبحانه ممن لا قدرة له على جزائهم فاخبرهم ان الحشر اليه لا الى غيره لانه لا كلام هناك سواه فلا علق
بين المحشورين ولا مناصر كما في الدنيا والحاصل مع ذلك كالتعليل للامر بالتقوى وقد بان ان الاية من الاحتباك وانه حذف الصلوة اولا
لدلالة الذكرها ثانيا والاسلام ثانيا لدلالة ذكره اولا ولما كانوا بعبادة غيره مع اقرارهم بانه هو خالق السموات والارض في حال
من يعتقد ان ذلك الذي يعبدونه من دونه هو الذي خلقهما او شارك فيهما فلا قدرة لغيره على حشر من في مملكته قال منبها لهم من
غفلتهم وموقظا من رقدتهم معيدا الدليل الذي ذكره اول السورة على وجه اخر وهو اي وحده الذي خلق اي اوجد واخترع
وقدر السموات والارض على عظمتهما وفوت ما فيهما من الحكم والمنافع الحصر بالحق اي بسبب اقامة الحق وانتم ترون انه غير قائم في هذه
الدار ولا هو قريب القيام فوجب على كل من يعلم ان الله حكيم خبير ان يعتقد انه لا بد من بعثه العباد بعد موتهم كما وعد بذلك ليظهر

العرض بينهم فيبطل كل باطل ويحق كل حق ويظهر الحكمة لجميع الخلائق ولما قرر أن إقامة الحق هي المراد من قدرته عليها بقوله ويوم يقول
الحق ولكل شيء يريد في هذه الدار وتلك الدار كن فيكون أي فهو يكون لا يتخلف أصلا ولما قرر أنه لا يتخلف شيء عن أمره علله فقال
قوله الحق أي لا قول غيره لأن قول غيره باطل لأنه يقول شيئا فلا يكون ما أراد ولما كان في مقام الترهيب من سطوته قال مقررا لقوله
وهو الذي إليه تحشرون وله أي وحده بحسب الظاهر والباطن الملك يوم ولما كان المقصود تعظيم النفخ بنى للمفعول قوله ينفخ في الصور
لانقطاع العلائق بين الخلائق لا كما ترون في هذه الدار من توصل الأسباب فقوله عالم الغيب وهو ما غاب عن كل أحد سواه سبحانه والشهادة
وهو ما صار بحيث يطلع عليه الخلق مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في طه من تمام الترهيب أي أنه لا يخفى عليه شيء
من أحوالكم فاحذروا جزاءه يوم تنقطع الأسباب ويذهب التعاضد والتعاون وهو على عادته سبحانه في أنه ما ذكر أحوال البعث إلا
قرر فيه أصلين القدرة على جميع الممكنات والعلم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات لأنه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين وهو
أي وحده الحكيم أي التام الحكمة فلا يضع شيئا في غير محله ولا على غير إحكام فلا معقب لأمره فلا بد من البعث الخبير بجميع الموارد
والمصادر فلا يخفى الشيء من أفعال أحد من الخلق عليه في ظاهر ولا باطن ليحملهم عن الحساب ولما كان مضمون هذه الآية مضمون الآيات
الثلاث المفتتح بها السورة الهادية لمذهب الثنوية وهم أهل فارس قوم إبرهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف لأن أكثرهم من نسله
كاليهود والنصارى والمشركين من العرب والمسلمين لما يعلمون من خلاصة صدقه وانتصابه للمحاجة من أشرك به واحتمال الأذى فيه سبحانه
تلاها بمحاجته لهم بما أبطل مذهبهم وأدحض حججهم فقال وإذ أي اذكر ذلك المتقدم كله أي في الدلائل على اختصاصه بالخالق وتمام
القدرة ما أعظمها وأجلها وأفخمها وتفكر في عجائبه وتدبر في دقائقه وغرائبه تجده لا يقدر على مثله إلا الله واذكر إذ قال
إبرهيم أي اذكر قوله وحكمة التذكير بوقته التنبيه على أن هذا لم يزل ثابتا مقررا على ألسنة جميع الأنبياء في جميع الدهور وكان في هذه
المحاجة التصريح بما لوح إليه أول السورة من إبطال هذا المذهب وانعطف هنا على ذلك أتم انعطاف وصار كأنه قيل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
الأصنام والنجوم والنور والظلمة فنبههم برسول الله على ذلك بأنه لا متصرف غيرنا اذكر لهم إذ أنا الذي خلقتهم وخلقت جميع
ما يشاهدون من الجواهر والأعراض فإن تنبهوا فهو حظهم وإلا فاذكر لهم محاجة خليلنا إبرهيم عليه السلام إذ قال لأبيه ثم بينه في
قراءة الجر بقوله آزر وناداه في قراءة يعقوب بالضم قال البخاري في تاريخه الكبير إبرهيم بن آزر وهو في التوراة تارح انتهى وتقدم معنى
ذلك عن التوراة في البقرة فلعل أحدهما لقب وكان أهل تلك البلاد وهم الكلدانيون ويقال لهم أيضا الكسدانيون بالمهملة موضع اللام يعتقدون
إلهية النجوم في السماء والأصنام في الأرض يجعلون لكل نجم صنما إذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم بزعمهم
إلى النجم فقال عليه السلام لأبيه منكرا عليه منبها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه أتتخذ أي أتكلف نفسك إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى
بأن تجعل أصناما آلهة أي تعبدها وتخضع لها ولا نفع فيها ولا ضر فنبهه بهذا الإنكار على معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج
إلى كبير تأمل بل هو أمر بديهي أو قريب منه فإنهم يباشرون أمرها بجميع حواسهم ويعلمون أنها مصنوعة وليست بصانعة وكثرتها تدل على
بطلان إلهيتها بما أشار إليه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولما خص بالنصيحة أقرب الخلق إليه عمم بقية أقاربه فقال إني أراك وقومك
أي في اتفاقكم على هذا في ضلال أي بعد عن الطريق المستقيم مبين أي ظاهر جدا ببديهة العقل مع مخالفته لكل نبي نبأه الله من آدم
من بعده عليهم السلام مع ظهوره في نفسه بظهور الحق مع أن الإله لا يكون إلا كافيا لمن يعبده وإلا كان فقيرا إلى ثالث يكفيه ولما كان كأنه قيل بصر الله
إبرهيم عليه السلام هذا التبصير في هذا الأمر الجزئي من بطلان الأصنام قال عاطفا عليه وكذلك أي ومثل هذا التبصير العظيم الشأن نحكي
الحال الماضية بقولنا نري أي بالبصر والبصيرة على مر الزمان وكر الشهور والأعوام إلى ما لا آخر له بنفسه وبالصلحاء من أولاده إبرهيم
ملكوت أي باطن ملك السموات والأرض أي ملكهما العظيم أجمع وما فيه من الحكم ليترقى في أمر التوحيد فيعلم أن كل من عبد غير الله من صنم
أو غيره من قومه وغيرهم في ضلال كما علم ذلك في قومه وعبدة الأصنام وليكون من الموقنين أي الراسخين في وصف الإيقان في أمر التوحيد

تكلم كله

فتكلم كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أريناه ببصره وبصيرته فتأمل فيه حتى وقع بعد علم اليقين على عين اليقين بل حق اليقين ولما كانت الأمور
السماوية مشاهدة لجميع الخلق دائما قاصيهم ودانيهم وهي أشرف من الأرضية فإذا بطلت صلاحيتها للإلهية بطلت الأرضية من باب الأولى نصب لهم
الحجاج في أمرها فقال مسببا عن الإراءة المذكورة فلما جن أي ستر وأظلم وقصر وإذا كان متعديا دل على شدة ظلام تلك الليلة ولذلك
عداه بأداة الاستعلاء فقال عليه الليل أي وقع الستر عليه فحجب ملكوت الأرض فشرع ينظر في ملكوت السماء رأى كوكبا أي قد بزغ فكأنه قيل
فماذا فعل فقيل قال هذا ربي فكأنه من يبصر إذ أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خبرا واستفهاما أن يوهمهم أنه مخبر فيكون ذلك أنفى للغرض وأنجى
من الشغب فيكون أشد استجلابا لهم إلى النظر المنفرد تنبيها على موضع الغلط وقبول الحجة ولمثل هو ذلك ختم الآية بقوله فلما أفل أي غاب
بعد ذلك الظهور الذي كان به سلطان قال لا أحب الآفلين لأن الأفول حركة والحركة تدل على حدوث المتحرك وإمكانه ولا يجوز أن يظن به
أنه قال ما قاله أولا عن اعتقاد ربوبية الكوكب لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الخافقين وجعله موقنا
فخص الأمر بالحقيقة تنبيها لهم واستدلالا بالأفول لأن دلالته لزوال السلطان وحقارة الشأن تامة ولم يستدل بالطلوع لأنه وإن كان حركة دالة
على الحدوث والنقصان شرف في الجملة وسلطان فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان والممكن لا بد له من موجد واجب الوجود يكون منتهى الآمال ومحط
الرحال وأنه إلى ربك المنتهى والأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة فلا بد من الاستناد إلى قديم والعوام يفهمون أن الأفول كالعزل والزوال نوره وسلطانه
وإن ما كان كذلك لا يصلح للإلهية وخص الأفول أيضا لأن قومه الفرس كانوا منجمين ومذهبهم أن الكوكب إذا كان صاعدا من المشرق إلى وسط السماء كان قويا
عظيم التأثير فإذا نزل كان ضعيف الأثر والأدلة عموما لا يتغير وهذا الاستدلال برهان في أصل الدين مبني على الحجة ولما بصرهم قصوره صغر الكوكب
رقي النظر إلى أكبر منه فسبب الإعراض عن الكوكب لقصوره قوله فلما رأى القمر بازغا أي طالعا أول طلوعه قال الأزهري كأنه مأخوذ من البزغ وهو
الشق كأنه بنوره يشق الظلمة قال هذا ربي دأبه في الأولى ولما تأمل أن الكوكب محل للحوادث بالأفول افتقر في أسماعهم من خلع الصور جهم قال
فلما أفل قال مؤكدا غاية التأكيد لئن لم يهدني ربي أي الذي قدر على الإحسان إلي بالإيجاد والتربية لكونه لا يتغير ولا شريك له بخلق الهداية
في قلبي فدل ذلك على أن الهداية ليست إلى غيره ولا تحمل على نصب الأدلة لأنها منصوبة قبل ذلك ولا على معرفة الاستدلال فإنه عارف به لأكونن
أي بعبادة غيره من القوم الضالين فكانت هذه أشد من الأولى وأقرب إلى التصريح بنفي الربوبية عن الكواكب وإثباتها لله وحده مع الملاطفة
وإبعاد الخصم عما يوجب عناده ولما كانت تنفي الأجرام السماوية مما ربما يحتج به الخصم قال فلما رأى أي بعينه الشمس بازغة أي عند طلوع
أولها وإشراق النور واتحاد عوامها لما دعوا قال مبينا القصور أما أكبر من النور وهو ما هنا النور هذا مذكرا إشارة لوجود المسوغ
وهو تذكير الخبر لظاهر التعظيم بإبعاد على التهمة وتنبيها على أول اللام فصرح بالمقصود على أن المؤنث لا يصلح للربوبية ربي كما قال فيما
مضى ثم علل ذلك بيانا لوجه الذي خادع فيه ما مضى فأوهى شبهة فقال هذا أكبر أي مما تقدم فلما أفلت أي غربت مختفي ظهورها وانقلب
نورها ديجورا من حيث الظلام بقدرة الملك العلام قال يا قوم نصح باب الكلام لهم جميعا ونادى على رؤوس الأشهاد ولما كانت القلوب قد
فرحت بما التقى من هذا الكلام المعجب للحجة وتهيأت لقبول الحق ختم الآية بقوله إني بريء مما تشركون أي من هذا وغيره من باب الأولى فصرح
بالمقصود لأنه لم يبق في المحسوس من العالم العلوي كوكب أكبر من الشمس ولا أنور فلما أبطل بذلك جميع مذهبهم ظهر التوجه إلى الإله الحق
وأنه قد انكشف له الصواب بحسب النظر والمراجعة ولكن ورد على هذا الوجه أدعى لقبولهم إياه فقال مستنتجا ما دل عليه الدليل العقلي
في الملكوت إني وجهت وجهي أي أخلصت قصدي غير معوج على شيء أصلا فعبر بالوجه عن الانقياد التام لأن من انقاد لشيء أقبل
عليه بوجهه ودل على كماله وتفرده بالكمال بعبارة وعبر بالاسم ذي الجلال إذ هو الخير فقال للذي فطر أي لأجل عبودية من شق
وأخرج السموات والأرض فختم الدليل بما افتتح به السورة من قوله الذي خلق السموات والأرض ودل دليل على ما تقدم
أي فرض الحنفيين من أنا مال مع الدليل سهولة ولطافة على ما هو دأب الفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها ولما بعد نصب هذا
الدليل حنيفا أي سهلا هينا لينا لطيفا سيالا مع الدليل غير كز جاف جامد على التقليد دأب الغليظ البليد وأكد البراءة منهم بقوله

وما انا من المشركين اي منكم ولكنه اظهر الوصف المقتضي للبراءة والتعميم اي لا اعد في عدادكم بشيء اقاربكم به ولما ابدى هذه الادلة
في ابطال الضلال بالكواكب والشمس التي هي اوضح الاشياء عطف عليها الاخبار بانهم لم يرجعوا اليه بل حاجوه فقال وحاجه قومه بانهم
لا ينفكون عن عبادتها لانهم وجدوا اباءهم كذلك وانه ان لم يرجع عن الكلام فيها اصابته ببعض النوازل وذلك من اعظم التسلية لهذا
النبي العربي الكريم عليه افضل الصلوة والتسليم ولما كان من المعلوم ان محاجتهم بعد هذه الادلة الواضحة في غاية من السقوط لفت
عن الحضيض نزه المقام عن ذكرها اشارة الى انها بحيث لا يستحق الذكر وبين جوابه لما فيه من الفوائد الجمة بقوله قال اي منكرا عليهم موبخا
لهم اتحاجوني وصرح باسم الرب العلم الاعظم في قوله في الله اي في شيء مما يختص به المستجمع لصفات الكمال الاسماء التوحيد وقد اي والحال انه قد
هدان اي ارشدني بالدليل القطعي الى معرفة كل ما يثبت له وينفى عنه لانه قادر فبين انه حق قد احسن الي فهو يرجوه لمثل ذلك الاحسان ويخاف
من عواقب العصيان لانه من رجي خيره خيف ضيره ومن كان بيده النفع والضر والهداية والاضلال فهو من وضوح الامر وظهور الشان بحيث لا يتوجه
نحوه المحاجة واتبعه بيان ان معبوداتهم مسلوب عنها ما يوجب اليها الاصغاء فقال عاطفا على ما تقديره فانا ارجوه واخافه لانه قادر ولا اخاف
ما تشركون به ولا ارجوه لهداية ولا اضلال ولا غيرهما لانه عاجز فاثبت سبحانه القدرة بالهداية لانها اشرف وطوى الاضلال لدلالة ما اثبت
ودلالة ما نفي عن جانب الشركاء عليه واثبت لالهتهم العجز بنفي الخوف المستلزم لنفي القدرة على الضر وذلك ادل دليل على ان لا تكون اهلا
لان يخاف منها كل ذلك تلويحا الى الحصم بان العاقل لا ينبغي له ان يخاف الا من بيده ضر وفهم في مخالفتهم من غاية من الخطر لا يرتكبها عاقل
ولا ينبغي الاحتياط ولما نفى عن نفسه خوف الهتهم ابدا في الحال والاستقبال وكان من الامر البين في الدين الحق انه لا يصح الامن مع الاعتراف بجهل
العواقب على العبد واثبات العلم بها لمن بيده مفاتيح الغيب اليه وقصرها عليه قال مستثنيا من سبب النفي وهو انها لا تقدر على شيء الا ان
يشاء ربي اي المحسن الي في حال الفقر كما هو محسن في حال النفع شيئا اي من شيء يحلها بنفسها او باتباعها لانه قادر على ما يريد فان اراد
انطق الجماد واقدره واخرس الناطق الفصيح واعجزه فانا لا اخاف في الحقيقة غيره ولما كان هذا في صورة التعليق وكان التعليق من شانه ان لا يصدر الا من متردد فيكون موضع اطماع للخصم علله بان العلم الحاصل فقال وسع ربي كل شيء علما اي فاحاط بكل شيء قدرة
فهو اذا اراد اقدار العاجز ازال عنه كل مانع من القدرة واثبت له كل مقتض لها وذلك غير مشكل العالم كما تقدم بيانه ان شاء الله في سورة طه
فالمراد اني ما تركت الجزم لشك عندي وانما تركته لعدم علمي بالعواقب اعلاما بان تلك رتبة لا تصلح الا لله الذي وسع علمه كل شيء واداديل
على هذا اتباعه له بانكاره عليهم عدم الابلاغ في الذكر بقوله منظرا ثناء التفعل اشارة الى ان في جبلاتهم اصل الذكر الصادع عن الشرك
افلا تتذكرون اي فيقع منكم تذكر فتميزوا بين الحق والباطل بان تذكروا ما لكم من انفسكم من انه لا يخاف من مربوب ضعيف او كاد وان هذه
الجمادات لا ينفع ولا يضر وانها مصنوعكم وتحجيبه منكم في ظنكم خوفه من معبوداتهم بقوله منكرا وكيف اخاف ما اشركتم اي من دون
الله من الاصنام وغيرها مع انها لا تقدر على شيء ولا اي والحال انكم انتم تخافون انكم اشركتم بالله اي المستجمع لصفات العظمة والقدرة
على العذاب والنقمة ولما كان له سبحانه ان يفعل ما يشاء قال ما لم ينزل به اي باشراكه ولما كان المقام صعبا لانه اصل الدين اثبت الجار وقدمه فقال عليكم سلطانا اي حجة يكون مانعة من انزال الغضب بكم والحاصل انه عليه السلام اوقع الامن في موضعه وهم اوقعوه
في موضع الخوف فعجب منهم لذلك وعباد ان هنا وقول شعيب عليه السلام في الاعراف وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا الاية وقوله
تعالى في الكهف ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله من مشكاة واحدة ولما كان المحذور المنفي هنا انما هو خوف الضر ومن الهتهم
وكان حصول الضر لمخالفها بواسطة اتباعها او غيرهم من سنن الله الجارية في عباده اقتصر الخليل عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية
للرأفة والرحمة والكفاية والحماية وقد وقع في قصة الامر ان اما نهم من اسباب ضرره بانقاد النار والقائهم له فيها ورحمته بجعلها
عليه بردا وسلاما ولما كان المحذور في قصة شعيب العود في ملتهم زاد الايتيان بالاسم الاعظم الجامع لجميع الكمالات المنزه عن جميع النقائص
المقتضي لاستحضار الجلال والعظمة والتفرد والكبر المانع من تو ساوس الكفر والله الموفق ولما بان كالشمس بما اقام من الدليل انه

احق بالامن منهم قال مسببا عما مضى تقريرا لهم فاي الفريقين اي حزب الله وحزب ما اشركتم به ولم يقل فاينا تعميما للمعنى
احق بالامن والزمهم بالجواب حتما بقوله ان كنتم تعلمون اي ان كان لكم علم فاخبروني جوابا لكم عنه ثم وصل بذلك دلالة على
انه علم لهم اصلا ليخبروا اما سالوا عنه قوله استئنافا الذين امنوا اي اوجدوا هذا الفعل ولم اي وصدقوا دعواهم بانهم لم يلبسوا ايمانهم
اي يخلطوه ويشوبوه بظلم ولما كان المعنى احق بالامن عدل عنه الى قوله مشيرا اليهم باداة البعد تنبيها على علو رتبتهم اولئك
لهم اي خاصة الامن اي لما تقدم من وصفهم وهم مهتدون اي وانتم ضالون فانتم هالكون لاشراككم على الهلاك وتفسير النبي
صلى الله عليه وسلم بما اخرجه الشيخان والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الظلم المطلق في قوله بظلم بالشرك الذي هو ظلم
موصوف بالعظم في قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم تفسير الصحابة رضي الله عنهم على ان التنوين للتعظيم وانهم اهل اللسان المطبوعون فيه فمنعوا نزلة
واطمأنوا اليه ولا اشكال في ان شكلا في التنفير عن الشرك وانه دال على الحث على التبري من تخييل الشرك وكثيرا ما اكلام الى الارادة ولم يلبسوا
ايمانهم بشيء من الشرك فالتنوين للتحقير كما هو للتعظيم فهو من استعمال الشيء في حقيقته ومجازه او في معنييه المشترك فيهما لفظه معا والله اعلم
ولما كان ابرهيم عليه السلام قد انتصب لاظهار حجة الله في التوحيد والرد عنها وكان التقرير تنبيها للسامع على ما مضى بالتدبر هذه
مقالة ابرهيم عليه السلام لابيه وقومه عطف عليه قوله معددا وجوه نعمه عليه حسنا اليه دالا على اثبات النبوة بعد اثبات الوحدانية
وتلك اي هذه الحجة العظيمة الشان التي تلوناها عليكم وهي حاج ابرهيم عليه السلام قومه وعظمه بعظمها فقال حجتنا اي التي
يحق لها بما فيها من الجلالة ان تضاف الينا لانها من ارفع النعم واجل العطايا اتيناها اي بما لنا من العظمة ابرهيم واوقفناه
على حقيقتها وبصرناه بها ونبه على ارتفاع شانها باداة الاستعلاء مضمنا لاتينا اقمنا فقال على قومه اي ستعليا عليهم غالبا
لهم قائمة عليهم الحجة التي نصبها ثم زاد في الاعلام بفضله لفضله بقوله استئنافا نرفع اي بعظمتنا درجات من نشاء بما لنا من العظمة
على ذلك كما رفعنا درجة ابرهيم عليه السلام على جميع اهل ذلك العصر ولما كانت محاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوي الذي نسبوا
الخلق والتدبير الى النور والظلمة اليه وكان في ختام محاجته لهم ان الجار على قانون الحكمة ان الملك الحق لا يهين جنده فلا خوف عليهم وكان
قبل ذلك في الاستدلال على البعث الذي هو محط الحكمة كان الانسب ان يقدم في ختام الاية وصف الحكمة فقال ان ربك خاصا
لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة بلطيف الاشارة تنبيها على ان حجبه الدليل عمن يشاء لحكم ارادها سبحانه ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم حكيم
اي فلا يفعل بحزبه الا ما فيه تسلية لخليله صلى الله عليه وسلم مما تقر اعينهم اما في الدنيا واما في الاخرة واما فيهما عليم فلا يلتبس عليه احد
من غيرهم فيفعل به ما يفعل بحزبه بالحكمة ولما اشار الى رفعته باتيه بصره بالحجة حتى كان على بصيرة من امره وانه اعلاه على المخالفين برفع الدرجات
اتبع ذلك ما دل على ذلك وعلى حكمته بعلمه بالعواقب فقال معلما بانه جعله عزيزا في الدنيا لان اشرف الناس الانبياء وجعلهم من نسله وذريته
ورفع ذكره ابدا لاجل قيامه بالذب عن توحيده ووهبنا له اي لخليلنا عليه السلام بما لنا من العظمة اسحق ولدا له على الكبر حين لا
يولد لمثله ولا لمثل زوجته ويعقوب اي ولد ولده وابتدأ سبحانه بهما لان القصة الاسلية على الخليل عليه السلام وهو تبشير بولد ابنه
الذي متع به ولم يوم بفراقه وابن ابنه الذي اكثر الانبياء الداعين الى الله من نسله ومن خواصه وهو الموجب الاعظم للبداية ان ابناءه طهروا
الارض المقدسة التي هي مهاجر ابرهيم عليه السلام ومختاره للسكنى بنفسه ونسله بل اختارها الله له ولهم بعده بمدد طهروها من الشرك
وعبادة الاوثان ودعوا الى الله وعمروا الارض بعبادته ولما كانت النعمة لا تتم الا بالهداية قال استئنافا مقدما للمفعول ليشمل الكلام اباهما كلا
اي منهما ومن ابيهما هدينا ثم اتبع ذلك ما يعم المهتدين قديما وحديثا تاكيدا لان هذا المذهب لم يزل خلص العباد دعاة اليه في قديم الزمان وحديثه
فكانه يقول ان كنتم ملزمين دينكم لانه عندكم حق فقد بين لكم بطلانه وان الحق انما هو التوحيد وان كنتم تلزمونه لقدمه فهذا الدين الذي
دعاكم اليه رسولي مع وضوح الدلالة على حقيته هو القديم الذي دعاكم اليه نوح ومن تلاه من خلص ذريته الى ابرهيم ابيكم الاعظم ومن بعده
من خلص ذريته الى عيسى ثم الى هذا الرسول الذي هو دعوة ابرهيم وبشارة عيسى على الكل افضل الصلوة واتم السلام فهو احق

بلا اتباع من جهة الحقية والاقدمية وان كنتم تكرمونه لمجرد اتباع الاباء فليحل اباكم مثل ابرهيم عليه السلام وقد بلوت عليكم في كلامي الذي اقمت الدليل القطعي يحجركم عنه على صحة نسبته الى ما حاج به اباه وقومه في ابطال الاوثان التي اضلتكم فهو اولى اباكم ان يقلد وابه والله الموفق ولما كان ربما وقع في وهم ان هداية كل من اسحق وابنه بتربية ابيه ذكر العاشر من اباء الخليل وهو نوح عليه السلام لرفع ذلك وان اول من اتى بالانكار على اتخاذ الاوثان وهو اول من نهى عن عبادتها وهو جد اباء الخليل عليه السلام فقال **ونوحا هدينا** اي بما لنا العظمة من بين ذلك الجيل الذي هو جيل كانت لم ... زمنه وكان زمنه بعض ازمن المتقدم اثبت الجبار وقطع عن الاضافة لتراخي زمانه فهم كثير اعن زمانه فقال **من قبل** اي ولم تكن هدايته الا شاق زمانه كان اهله من شدة الضلال ولزوم الظلم في مثل [illegible] وطال ما دعاهم الى الله وما هم فلم يرجع منهم كثير احد حتى لقد خالفه زوجه وبعض ولده ولمثل ذلك فصل بين اسمعيل وابيه ويوسف وابيه عليهم السلام اشارة الى فراق كل منهما لابيه في الحياة وانه ما حفظ كلا منهما على [illegible] طول المدى لاسيما ابتدا المذكورين بعد بمن بنى على يديه وبابنه مسجدا هو ثاني المسجد الذي بناه ابرهيم وعاده اسمعيل عليهما السلام فقال **ومن ذريته** ولما كان السياق كله لمدح الخليل وكان المذكورون الا لوطا من نسله وكان ... العرب لاسيما ولوطا ابن اخيه ومثل ولده حكم بان الضمير لابرهيم عليه السلام وقول من قال الذي يونس عليه السلام ليس من نسله غير صحيح بل هو من بني اسرائيل وهو احد من ذكر في سفر الانبياء وفي تاريخ خبره في السفر المذكور في سورة والصافات ان شاء الله تعالى وقد صرح ابو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي في قصص الانبياء انه من ذرية ابرهيم واقتضى كلامه انه من بني اسرائيل كما اقتضى ذلك كلام البغوي في سورة الانبياء عليهم السلام واما ايوب فروى انه من نسل عيص بن اسحق عليهما السلام **داود** اي هدينا ه **وسليمان** اي اللذين بنيا بيت المقدس بامر الله داود بخطه وتأسيسه وسليمان باكماله وتشييده ولما كانا مع ذلك ملكين تلاهما بمن شاركهما في الملك او الحكم على الملوك فقال **وايوب** وقرنه لمناسبة ما بينه وبين سليمان في ان كلا منهما ابتلي باخذ كل ما في يده ثم رده الله اليه **ويوسف** وكل من هؤلاء الاربعة ابتلي فصبر واغنى فشكر وايوب لم يكن ملكا فقد كانت ثروته غير منقصة عن ثروة الملوك على ان بعض الطلبة اخبرني عن تفسير الكواشي فيما اظن انه صرح بانه ملك وايضا فالاثنان الاولان كانا سبب اصلاح بني اسرائيل بعد افسادهم وانتقامهم من ذل الفلسطين والاثنان الباقيان كل منهما ابتلي بفراق اهله ثم رد اعليه ايوب بعد ان ماتوا ويوسف قبل الموت وايضا فداود عليه السلام شارك ابرهيم عليه السلام في انه كان سبب نجاته من ملك زمانه الاختفاء في غار وذلك ان نمرود بن كنعان كان ادعى الالهية واطلع فيها وقال المنجمون يولد في بلدك هذا العام غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك على يده فامر بذبح كل غلام في ناحيته في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وحملت ام ابرهيم به في تلك السنة فلما وجدت الطلق خرجت ليلا الى غار قريب منها فولدت فيه ابرهيم واصلحت من شانه ثم سدت عليه الغار ورجعت ثم كانت تطالعه فتجده يمتص ابهاميه وكان يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة واما داود عليه السلام فانه لما قتل جالوت وزوجه طالوت ابنته او ناصفه ملكه على ما كان شرطه لمن قتل جالوت مال اليه الناس واحبوه فحسده فاراد قتله فطلبه فهرب منه فدخل غارا فنسجت عليه العنكبوت فقال طالوت لو دخل هنا لخرق بناء العنكبوت فانجاه الله منه وتلاه بسليمان لانه مع كونه من اهل الملك والبلاد شارك ابرهيم عليهما السلام في ابطال عبادة الشمس في قصة بلقيس رضها وقصة يوسف عليه السلام في ابطال عبادة الاوثان شهيرة في قوله يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ولما كان يوسف عليه السلام ممن اعلى الله كلمته على كلمة ملك مصر واهلها واهلكهم بها فكان بين بعض قصصهم وفاق وبعضها تقابل وطباق فقال **وكذلك** اي ومثل ما جزيناهم وموسى وهرون اي كلهم في ذلك اشارة الى علو مقامهم في هذه الحسنة وهي انهم من اهل السراء المطغية والضراء المنسية ومع ذلك فقد احسنوا ولم يفتروا ولم يبغوا ولما كان المذكوران قبل ممن سلطهما على الملوك اتبعهما من سلط الملوك عليهما بالقتل فقال **وزكريا ويحيى** ثم اتبعهما من عاندهما الملوك ولم يسلطوا عليهما وادام سبحانه حياتهما الى ان يريد سبحانه فقال **وعيسى والياس** ولما كان هؤلاء الاربعة من الصابرين قال واما حالهم على وجه يعم من قبلهم **كل** اي من المذكورين **من الصالحين**

نجزي المحسنين

وموسى وهرون [illegible]

ثم اتبعهم من لم يكن بينهما وبين الملوك امر وهو يحب بهما من كانا بين ظهرانيه فقال **واسمعيل واليسع** هذا ان كان اليسع هو ابن اخطوب ابن العجوز خليفة الياس كما ذكر البغوي في سورة الصافات ان الله تعالى ارسل الى الياس وهو من سبط الاوى من نسل هرون عليه السلام فرسا من نار فركب فرفعه الله وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سمائيا وسلط الله على احب بعض الملك الذي سلط على الياس عدوا فقتله ونبأ الله اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل وايده فامنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وان كان اليسع هو يوشع بن نون كما قال زيد بن اسلم فالمناسبة بينه وبين اسمعيل عليهما السلام ان كلا منهما كان صادق الوعد لان يوشع احد النقيبين اللذين وفيا لموسى عليه السلام حين بعثهم يجسون بلاد بيت المقدس كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقوله قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما الاية وايضا فكل منهما كان سبب عمارة بلد الله الاعظم بالتوحيد فاسمعيل سبب عمارة مكة المشرفة ويوشع سبب عمارة البيت المقدس كما ياتي في سورة يونس ان شاء الله تعالى ولما كان اسمعيل واليسع ممن هدى الله بهما قوما من غير عذاب اتبعهما ممن هدى الله قومه بالعذاب وانجاهم بعد اتيانه مخايله فقال **ويونس** اي هديناه ولما انقضت ذرية ابرهيم عليه السلام ختم بابن اخيه الذي عمل قومه فهلكوا بغتة فبين قصتي هذين الاخيرين طباق من جهة الهلاك والنجاة ووفاق من حيث ان كلا منهما ارسل الى كثير قومه فقال **ولوطا** ثم وصفهم بما يعم من قبلهم فقال **وكلا** اي ممن ذكرنا **فضلنا** اي بما لنا من العظمة بتمام العلم وشمول القدرة **على العالمين** فكل هؤلاء الانبياء ممن هداه الله بهداه وجاهد في الله حق جهاده وبدأهم تعالى بابراهيم وختمهم بابن اخيه لوط عليهما السلام على هذه المناسبة الحسنة وقيل ان الله تعالى اهلك قوم ابرهيم نمرود وجنوده بعد هجرته فان صح ذلك تمت المناسبة في هلاك كل من قومه وقوم ابن اخيه لوط بعد خروج نبيهم فيكون بينهما وفاق ثم كان بين قصته وقصة يونس عليه السلام طباق ومن لطائف ترتيبهم هكذا ايضا ان اسمعيل يوازي نوحا فانه رابع في العد لهذا العقد اذا عددته من اخره كما ان نوحا عليه السلام رابعه اذا عددته من اوله والمناسبة بينهما ان نوحا عليه السلام نشر الله منه الادميين حتى كان منهم ابرهيم الذي جعله الله ابا الانبياء والمرسلين واسمعيل عليه السلام نشر الله منه العرب الذين هم خلاصة الخلق حتى كان منهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي جعله خاتم الانبياء والمرسلين فهذا كان بداية وهذا كان نهاية وان المذكورين من قبل ذريته اثنان هم عليه السلام وبعدها وهما نوح ولوط عليهما السلام اهلك الله قوم كل منهما عامة وغيب هؤلاء في جامد الارض كما اغرق اولئك في مائع الماء واستثنى كل منهما زوجته بيانا لان الرسل كما يكونون في الناس رحمة يكونون على قوم نقمة وانه لا نجاة بهم ولا انتفاع الا بحسن الاتباع وان ابني عمران اشتركا مع ابرهيم عليهم السلام في ان كلا من ملكي زمانهم امر بقتل الغلمان خوفا ممن يغير دينه ويسلبه ملكه وكما ان الله تعالى انجى ابرهيم وابن اخيه لوطا عليهما السلام من ملك زمانهما المدعي للالهية فكذلك انجى موسى واخاه هرون عليهما السلام من ملك زمانهما المدعي للالهية وانجى ذرية ابرهيم بهما فاذا جعلت ابرهيم وابن اخيه لوطا كالواحد تابعا له واحدا وموسى واخاه هرون واحدا لمثل ذلك ونظمت اسماء جميع هذه الانبياء في سلك الذي لوطا مع ابرهيم كموسى مع هرون وكان الاربعة واسطة عقده فبين ابرهيم وموسى سبعة كما ان بين هرون ولوط سبعة واذا ضممت اليهم المقصود بالذات المخاطب بهذه الايات المامور بقوله فبهديهم اقتده كان منزلة في السلك بين ابن عمه لوط وابيه ابرهيم ويكون من بين يديه تسعة ومن خلفه تسعة فمن ابرهيم الى موسى تسعة ومن لوط الى هرون كذلك فكان صلى الله عليه وسلم واسطة العقد ومكمل العقد فانه العاشر من كل جانب ففيه تكمل الهدى والنجاب الى ذي فوذلك طبق قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رض مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين والبخاري نحوه عن جابر هذا مع اقترانه باقرب اولي العزم رتبة وشبها بالمقصود ابرهيم عليهما السلام وان جعلت موسى وهرون كشيء واحد كانا واسطة من الجانب الاخر فان عددت من جهة ابرهيم كان بينه وبينهما ثمانية وان عددت من جهة لوط كان كذلك ولما نص سبحانه على هؤلاء وختم بتفضيل كل من العالمين اتبعه على سبيل الاجمال الذي هم كالاصول وان فضل هؤلاء هو علة النعت

على اسمائهم فقال ترغيبا في سلوك هذا السبيل بكثرة سالكيه وحثا على منافستهم في حلائن الاستقامة عليه والسلوك فيه ومن اي
وهدينا او وفضلنا من آبائهم اي اصولهم وذرياتهم اي فروعهم من الرجال والنساء واخوانهم اي فروع اصولهم وعطف على العامل المقدر
قوله واجتبيناهم اي واخترناهم ثم عقبه ببيان ما هدانا واليه جالنا على سكره ما ادنا من فضله فقال وهديناهم اي بما تقدم من الهداية
الى صراط مستقيم واما الصراط المستقيم فخصصناهم به واتممناكم عليه فاتم فوانعمتنا عليكم واذكر تفصيلنا لكم ولما كان ربما اوهم تنكيره
نقصا في ذلك استانف بيانا لكماله وتعظيما لفضله وافضاله ذلك اي الهدى العظيم الرتبة هدى الله اي المجتمع لصفات الكمال يهدي
لا بخالق الهداية به اي بواسطة الاقامة عليه من يشاء من عباده اي سواء كان له اب يعلمه او كان له من يحمله على الضلال او لا ولما
بين فضل الهدى ونص على ذوي اهله تهديدا لتركه كائنا من كان فقال مظهرا لغرة الالهية بالغنى المطلق منزها نفسه عما لحظ غيرهم
ولو باد في لحظ ولو اشركوا اي هؤلاء الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعت وتبينا من اختصاصنا لهم لو عملت شيئا من شرك وقد عاذهم الله
من ذلك واقام بهم معوج المسالك وانار بهم ظلام الارض بطولها والعرض لحبط عنهم اي لفسد وسقط ما كانوا يعملون اي
وان كان في غاية الاتقان بقوانين العلم وزاد في الترهيب من التواني في السير والزيغ عن سواء القصد بقوله اولئك اي العالو الرتبة
الذين قدمنا ذكرهم واخبرنا انهم لو اشركوا سقطت اعمالهم الذين آتيناهم بعظمتنا الكتاب اي الجامع لكل خير فمن ملكه ما فيه من
العلوم والمعارف حكم على البواطن وذلك لان الناس يحكمون فيتقادون لارباب الهم والحكم اي العمل المتقن بالعلم ومنه نفوذ الكلمة
على الظواهر بالسلطنة وان كرهت البواطن والنبوة اي العلم المزين بالحكمة وهي وضع كل شيء في احق مواضعه فهي جامعة للمرتبتين
الماضيتين ولذلك كان الانبياء يحكمون على البواطن بما عندهم من العلم وعلى الظواهر بما يظهرونه من المعجزات ثم سبب عن تعظيمها بذلك
تعظيمها بانها لا تبور فقال تسلية بطعن الطاعنين فيها واعراض الجاهلين عنها وتوجيه عند ما يوجب الياس من نفرة اكثر المدعوين فان
يكفر بها اي هذه الاشياء العظيمة هؤلاء اي اهل مكة الذين انت بين اظهرهم وقد حبوناهم بها على اتم وجه واكمله واعلاه
واجله وانت تدعوهم الى ان يكونوا اسعد الناس بما اشتملت عليه من الهدى وهم عنه معرضون ولعل الاشارة على هذا الوجه لتحقيرهم فقد وكلنا اي
بما لنا من العظمة في الماضي والحال والمستقبل بها قوما اي ذوي قوة على القيام بالامور بالايمان بها والحفظ لحقوقها ليسوا وقدم
الجار اهتماما فقال بها بكافرين اي بساترين لشيء مما فيها من شموس ادلتها وهم الانبياء ومن تبعهم وقد هدى الله ومن لحق من امته
فتحا في ضوء الائمة من العلماء الاخيار والراسخين الاحبار الذين لا يحصيهم الا الله ولما كان المراد بسوقهم هكذا والله اعلم ان كلا منهم بادر بعد
الهداية الى الدعاء الى الله والى غيره على جلالة كرم الاشراك ثم لم يشغل احدا منهم عن ذلك عسر ولا اضراء بمال ولا غيره من مال ولا غيره بل
لازموا الهدى وحضوا الدعاء اليه على كل حال فاستانف التكرير لمدحهم بما يحمل التحلي باوصافهم موكدا لاثبات الرسالة اولئك اي العالو المراتب
الذين هدى الله اي الملك الحائز لرتب الكمال الهدى الكامل ولذلك سبب عن مدحهم قوله فبهداهم اي خاصة في وجوب الالتزام لجميعها
اقتده واشار بهاء السكت التي هي امارة الوقوف وهي ثابتة في جميع المصاحف الى ان الاقتداء بهم كاف وغير محتاج الى شيء ثم فسر الهدى بعظم
اسبابه فقال قل اي لمن تدعوهم كما كانوا يقولون مما ينفي التهمة ويمحض النصيحة فيوجب الاتباع الامن نحو تلقى لا اسئلكم اي ايها المدعوون
عليه اي على الدعاء اجرا فان الدواعي تتوفر بذلك على الاقبال الى الداعي والاستجابة الى المرشد ثم استانف قوله ان اي ما هو
اي هذا الدعاء الذي ادعوكم به الا ذكرى اي تذكير بليغ بكل ما يحتاج اليه في المعاش او المعاد للعالمين اي الجن والانس والملائكة دائما
لا ينقضي دعاؤه ولا ينقطع نداؤه وفي التعبير بالاقتداء ايماء الى تبكيت كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدوة من آبائهم وتركوا
من يجب الاقتداء به ولما حصر الدعاء في الذكرى وكان ذلك لا ينفع الا من وفقناه لانه لا يزيد طاعتهم في الطاعة شيئا ولا ينقص اعراضهم من
عظمته شيئا ان كان ذلك بارادته سبحانه لا منهم فقال لتأكيد امر الرسالة بالانكار على من جحدها والزاما بما هم معترفون به اما اهل الكتاب فعلما قطعيا
واما العرب فتقليدا لهم ولانهم لم يلوا العلم وجعلوهم محط سؤالهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وما اي فعلنا ذلك لانهم ما عظمة والحال انهم ما

قدروا

قدروا اي عظموا الله اي المجتمع لصفات الكمال حق قدره اي تعظيمه في حجرهم لذكراهم وصدهم عن بشرائهم في مقابلتهم للشكر عليه بالكفر له
قال الواحدي يقال قدر الشيء اذا سبره وحزره واراد ان يعلم مقداره يقدره بالضم قدرا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاقدروا له اي فاطلبوا
ان تعرفوه هذا اصله في اللغة ثم قيل لمن عرف شيئا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته انه لا يقدر قدره اذ اي حين قالوا اي اليهود والاية مدنية
وقريش في قبولهم لقولهم ويمكن ان تكون مكية ويكون قولهم هذا حين ارسلت اليهم قريش تسالهم عنه صلى الله عليه وسلم في امر رسالته واحتجاجه عليهم بحال
موسى عليه السلام وانزال التورية عليه ما انزل الله اي الذي هو المتصف بالكمال على بشر من شيء لانه يتسبب عن تمام الملك الا ان يرسل
او امره في رعيته بما يرضيه ليفعلوه وما يسخطه ليجتنبوه فقد نسبه الى نقص عظيم فكيف اذا كانت هذه النسبة كذبا وهذا وان كان ما قاله الا بعض
العالمين بل بعض اهل الكتاب الذين هم بعض العالمين المنسبين الى الكمال الا انهم لم يردوا على قائله ولم يعاجلوه بالاخذ تفظيعا للشناعة وتهويلا للدين
وبيانا لانه يجب على كل من سمع باية من ايات الله ان يسعى اليها ويتعرف امرها فاذا تحققه فمن طعن فيها اخذ على يده بما تصل اليه قدرته كما انه كذلك كان
يفعل لو كان ذلك نائيا من ابيه او احد ممن يكون فخره به من ابناء الدنيا وفي ذلك اعظم اشارة الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الامور كلها
من فرط فيه هلك واهلك روى الواحدي في اسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي ان اليهود قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ه
فانزل الله تعالى هذه الاية فقال مشيرا الى ان اليهود قالوا ذلك ملزما لهم الاعتراف بالكذب او المساواة للاميين في التمسك بالهوى دون كتاب موجبا
لهم ناعيا عليهم سوء جهلهم وعظيم بهتهم وشدة وقاحتهم وعدم حيائهم قل اي لهؤلاء السفهاء الذين تجري على السنتهم هذه المقالة غير ناظرين في
عاقبتها وما يلزم منها توبيخا لهم وتوقيفا على موضع جهلهم من انزل الكتاب اي الجامع للاحكام والمواعظ وخيري الدنيا والاخرة الذي جاء
به موسى اي الذي انتم تزعمون انكم تتمسكون به حال كونه في ذلك الكتاب نورا اي ذا نور يمكن الاخذ به من وضع كل شيء في حاق موضعه وهدى
للناس اي ذا هدى لهم لكلهم اما في ذلك الزمان فبالتقيد به واما عند انزال الانجيل فبالاخذ بما ارشد اليه من اتباعه وكذا عند انزال القرآن فقد بان انه هدى
في كل زمان تارة بالدعاء الى ما فيه وتارة بالدعاء الى غيره ثم بين انهم اخفوا منه ما هو نص صريح في الدعاء الى غيره ابتلاء منهم للهوى لا لوما اللهم فقال
تجعلونه اي ايها اليهود قراطيس اي اوراقا متفرقة لتتمكنوا بها من اخفاء ما اردتم ابداءه تبدونها اي تظهرونها للناس وتخفون
كثيرا اي منها مما تريدون به تبديل الدين هذا على قراءة الجماعة بالفوقانية وعلى قراءة ابن كثير وابي عمرو بالغيبة هو التفات مؤذن بشدة الغضب
مشير الى ان ما قالوه حقيق بان يستحيى من ذكره فكيف بفعله ثم التفت اليهم للزيادة في تبكيتهم اعلاما بانهم مساوون لبقية الانسان في اصل الفطرة بل
اذكى منهم عاقبة لقبحها ما قالوا اما اتاهم به موسى عليه السلام ما فاتوهم بغيهم ولا زادوا عليهم في علم فقال وعلمتم اي يا ايها اليهود بالكتاب الذي انزل على
موسى ما لم تعلموا انتم اي يا ايها اليهود من اهل هذا الزمان ولا اباؤكم اي الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ولما كانوا قد وصلوا في هذه المقالة الى حد
من الجهل عظيم قال مشيرا الى عنادهم قل اي انت في الجواب عن هذا السؤال غير منتظر لجوابهم فانهم اجلف الناس على تمام الله اي الذي انزل ذلك الكتاب
ثم بعد ان تقولوا ذلك لا تسمع لهم شيئا بل ذرهم في خوضهم اي قولهم وفعلهم المبنيين على الجهل المشبهين على انهم في ظلام الضلال كالخائض في
الماء يعملون ما لا يعلمون يلعبون اي يفعلون فعل اللاعب وهو ما لا يجلب لهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا مع تضييع الزمان ولما اثبت سبحانه انه الذي انزل التورية
تكميلا لاثبات الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم عطف على ذلك قوله تاكيدا لاثباتها وتقريرا وهذا اي القرآن الذي هو الحاضر الان في جميع
الاذهان كتاب اي جامع لخيري الدارين وحكم السياق ان يقال انزله الله ولكنه التفت الى نون العظمة لانها ادل على تعظيمه فقال انزلناه اي وليس من عند محمد
صلى الله عليه وسلم من نفسه انما هو بانزالنا اياه اليه وارسالنا له به مبارك اي كثير الخير ثابت الامر لا يقدر احد من الخلق على انكاره لاعجازه لتعلم اهل
الكتاب خصوصا حقيته بتصديقه لكتابهم لانه مصدق الذي بين يديه اي كله من كتبهم وغيرها فيكون لهم دليلا لايمانهم به وتعلم جميع اهل الارض
عموما ذلك بذلك وباعجازه لتنذر اي به ام القرى اي مكة لانها اعظم المدن بما لها من الفضائل ومن حولها ممن لا يؤمن بالاخرة فهو لا يؤمن
من اهل الارض كلها من جميع البلدان والقرى لانها ام الكل وهم في سلالتهم مفرطون والذين يؤمنون بالاخرة اي فيهم قابلية الايمان بها على ما هي عليه من اهل
ام القرى ومن حولها بكل خير بشيرته يؤمنون به اي بالكتاب بالفعل لان الايمان بها داع الى كل خير بالخوف والرجا والكفر بها حامل على كل شر

ولما ذكر وصف المنافقين بالتكاسل عن الصلوة جعل المحافظة عليها علما على الايمان فقال وهم على صلوتهم يحافظون اى يحفظونها غاية
الحفظ فالاية من عجيب فن الاحتباك ذكر الانذار والام اولا دالا على حسمها ثانيا واثبات الايمان والصلوة ثانيا دليلا على نفيهما اولا
ولما كان في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء صريح الكذب وتضمن تكذيبه وحاشاه صلى الله عليه وسلم اما من اليهود فبالفعل واما من قريش
فبالرضى وكان بعض الكفرة قد ادعى الايحاء الى نفسه ارادة للطعن في القرآن تاركا مهولا لامر الكذب لا سيما عليه لا سيما في امر الوحي عاطفا
على مفعول قل من انزل ابطالا للتنبؤ بعد تصحيح امر الرسالة واثباتها اثباتا لا مرية فيه فكانت براهين اثباتها ادلة على ابطال التنبؤ وكذب
مدعيه ومن اظلم ممن افترى اى بالفعل كاليهود والرضى كقريش على الله كذبا اى اى كذب كان فضلا عن انكار الانزال على البشر او قال اوحى
الى ولم اى والحال انه لم يوح اليه شيء فهذا تهديد على سبيل الاجمال كعادة القرآن المجيد يدخل فيه كل من اتصف بشيء من ذلك كمسيلمة والاسود
العنسي وغيرهما ثم رايت في كتاب غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود للسموأل بن يحيى المغربي الذي كان من اجل علمائهم فحدوده
سنة ثنتين وخمسمائة ثم هداه الله الى الاسلام وكانت له يد طولى في الحساب والهندسة والطب وغير ذلك من العلوم فاظهر بعد اسلامه
فضايحهم ان الربانيين منهم زعموا ان الله كان يوحي الى جميعهم في كل يوم مرات ثم قال بعد ان قسمهم الى قرائين وربانيين وقال
ان الربانيين اكثرهم عددا وهم الذين يزعمون ان الله كان يخاطبهم في كل مسئلة بالصواب قال وهذه الطائفة اشد اليهود عداوة
لغيرهم من الامم ومن قال سانزل اى بوعد لا بد منه مثل ما انزل الله كالنضر بن الحارث ونحوه ولما كان الجواب قطعا من كل منصف
لا احد اظلم منهم بل هم اظلم الظالمين كان كانه قيل فلو رايتهم وقد حاق بهم جزاء هذا الظلم ووجوههم مسودة وهم يسحبون بالسلاسل
على وجوههم مصحبهم يكاد يتميز عليهم سطاوهم قد هدهم الندم والحسرة وقطع بهم الاسف والحيرة لرايت امرا يهول منظره فكيف يكون منه
مخبره فعطف عليه ما هو اقرب منه فقال كالمفصل لاجمال ذلك الذي الم ترهيبا بدلا بعمومهم الوصف الذي اداهم الى ذلك ولو ترى اى تكون
منك رؤية فيما هو دون ذلك اذ الظالمون اى لاجل مطلق الظلم فكيف بما ذكر منه والاسم للجنس الداخل فيه هؤلاء دخولا اوليا
في غمرات الموت اى شدائده التى قد غمرتهم كما يغمر البحر الخضم من يغرق فيه فهو يرفعه ويخفضه ويبتلعه ويلقطه لا يدرك معه والملائكة
اى الذين طلبوا منهم انزال بعضهم على وجه الظهور لهم واخبرناهم انهم لا ينزلون الا للفصل الاحق وانجاز المقدور باسطوا ايديهم
اليهم بالمكروه لنزع ارواحهم وسلها وافية من اجسامهم كما يسل السفود المتشعب الحديد من الصوف المشتبك المبلول لا بعثرتهم
تمزيقها من الجسد ولا يخفى عليهم شيء منها في شيء منه قائلين ترويعا لهم وتصويرا للعنف والشدة في السياق والالحاح والتشديد
الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ الملازم اخرجوا انفسكم كانهم قالوا لماذا يا رسل ربنا فقالوا
اليوم اى هذا الشأن وكانهم عبروا به لتصوير طول العذاب تجزون عذاب الهون اى الهوان الجامع بين الايلام العظيم والهوان الشديد
والخزي المديد بالنزع وسكرات الموت وما بعده في البرزخ الى ما لا نهاية له بما كنتم تقولون اى تجددون القول دائما على الله اى الذي
له جميع العظمة غير الحق اى غير القول المتمكن غاية التمكن في درجات الثبات ولو قال بدله باطلا لم يؤد هذا المعنى ولو قال الباطل
لقصر عن المعنى اكثر وقد مضى في المائدة ما ينفع هنا واذا نظرت الى الاشياء الاصول الدين اذ ذاك المراد ومنها وكنتم اى وبما كنتم عن اياته
تستكبرون اى تطلبون الكبر المجاوزة عنها ومن تكبر عن اية واحدة كان مستكبرا عن الكل اى لو رايت ذلك لرايت امرا فظيعا وحالا
هائلا شنيعا وعبر بالمضارع تصويرا لحالهم ولما كانوا ينكرون ان يصل الى الميت شيء بعد الموت او يفهم كلاما وكان التقدير كما دل عليه ما في
نتوفاهم ملائكة لا يقدر احد على منعهم فنقول لهم قد اتيتم ملائكتنا الذين اخبرناكم ولا السورة انهم اذا اتوا لم يمهلوا لان القضاء الفصل والا
البت الحتم الذي ليس فيه مهل عطف عليه قوله مشيرا الى ما كان سبب تكبرهم من الاجتماع على الضلال او التقوى بالاموال ولقد جئتمونا
اى بما لنا من العظمة بالموت الذي هو دال على شمول علمنا وتمام قدرتنا قطعا ودل على تمام العظمة وان المراد بمجيئهم بالموت قوله فرادى
اى متفرقين ليس احد منكم مع احد ومنفردين عن كل شيء صدكم عن اتباع رسلنا كما خلقناكم اى بتلك العظمة التى امتناكم بها

بعينها

بعينها اول مرة في الانفراد والضعف والفقر فاين جمعكم الذي كنتم به تستكبرون وتركتم ما خولناكم اى ملكناكم من المال ومكناكم من
اصلاحه نعمة عليكم لتتوصلوا به الى رضانا فظننتم انه لكم بالاصالة واعرضتم عنا بدلتم ما دل على عظمتنا بضد ذلك استهانة
باوامرنا وراء ظهوركم فما اغنى عنكم ما كنتم به تستكبرون ولما كانوا يعدون الاصنام الهة ويرجون شفاعتها اما استهزاء واما في الدنيا
واما في الاخرة على تقدير التسليم لصحة البعث قال تهكما بهم واستهزاء بشانهم وما نرى معكم شفعاءكم اى التى كنتم تقولون فيها ما تقولون
الذين زعمتم اى كذبا وجرأة وفجورا انهم فيكم شركاء اى انهم فيكم نصيبا مع الله حتى كنتم تعبدونهم في وقت الرخاء وتدعونه في وقت
الشدة اروناهم لعلهم يتزحزحون عنا ساترا وحجبنا عنهم حاجبهم ثم دل على بهتهم في جواب هذا الكلام الهايل المرعب بحيرة فعجزا ودهشا ودلا بقوله
لقد تقطع اى تقطعا كثيرا ولما كان البين في شيء يدل على قربه في الجملة وحضوره ولو في الذهن لانه يقال بيني وبين كذا وكان فلان بيننا
ونحو ذلك مما يدل على الحضور قال منبها على زوال ذلك وهي بالمرور بالبال والخطور في الذهن لشدة الاشتغال بينكم فاسند التقطع المبالغ
فيه الى البين واذا انقطع البين تقطع ما كان فيه من الاسباب التي كانت سبب الاتصال فلم يبق لاحد منهم اتصال بالاخر لان ما بينهما كالجزء في
بانقطاع نفس البين فلا يتاتى معه الوصل هذا على قراءة الجماعة بالرفع وهذا المآل معنى قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب
على الظرفية ولما رجع المعنى الى تقطع الوصل بين بسبب ذلك وهو زوال المستند الذي كانوا يستندون اليه قال وضل عنكم اى ذهب
وبطل ما كنتم تزعمون اى من تلك الاباطيل كلها ولما ثبت بما مضى الوحدانية والنبوة والرسالة وتفاريع من تفاريعها وانتهى الكلام
هنا الى ما تجلى به مقام العظمة وانكشف له قناع الحكمة وتمثل نفوذ الكلمة فتهيأ السامع لتامله وتفرغ فهمه لتدبره قال دالا
عليه مشيرا اليه معلما ان ما مضى انتجه واظهره لمن دبره وابرزه من كرا اياته والذين يؤمنون بالاخرة وبمحاجة ابراهيم عليه السلام قوما
ما مضى اول السورة من دلائل الوحدانية على وجه اخرى اعلى مما بان دلائل الجلال تفوق عدد الرمال وتنبيها على ان القصد
بالذات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته ان الله اى الذي له جميع صفات الكمال فهو قادر على ما يريد فالق الحب اى فاطره وشاقه
عن الزرع والنبات وعبر بذلك لان الشيء قبل وجوده كالمعدوم والعقل يتوهم ويتخيل من العدم ظلمة متصلة فاذا خرج من
العدم المحض والفناء الصرف فكانه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم والنوى وهو ما يكون داخل الثمار الماكولة كالتمر ولا
يكون مقصود الذات يفلقها عن الاشجار وفي ذلك حكم واسرار تقرع الافكار وتدل على كمال الواحد المختار وقال الامام الرازي ما
حاصله ان النواة والحبة تكون في الارض الرطبة مدة فيظهر الله فيها شقا في اعلاها واخر في اسفلها فيخرج الشجرة من الاعلى متعلق
وتهبط من الاسفل شجرة اخرى في اعماق الارض هي العروق وتلك الحبة او النواة سبب اتصال بين الشجرتين الصاعدة والهابطة فيشهد الحس
والعقل بان طبع الصاعدة والهابطة متعاكس وليس ذلك قطعا بمقتضى الطبع والخاصية بل بالايجاد والاختراع والتكوين والابداع
ولا سيما ان العروق الهابطة في غاية اللطافة والرقة بحيث لو دلكت باليد ادنى قوة صارت كالماء وهي مع ذلك تقوى على النفوذ
في الارض الصلبة التي لا ينفذ فيها المسلة والسكين الحادة الا باكراه عظيم فحصول هذا النفوذ لهذه الاجرام اللطيفة لا يكون قطعا
الا بقوة الفاعل المختار ولا سيما اذا تاملت ظهور شجرة من نواة صغيرة ثم جمع الشجرة طبايع مختلفة في قشرها ثم فيما تحته من جرم
الخشب وهو وسط ترديس الخشب جرم ضعيف كالعهن المنفوش ثم يتولد من ساقها اغصانها ومن الاغصان اوراقها اولا ثم انوارها
وازهارها ثانيا ثم الفاكهة ثم قد يحصل للفاكهة اربعة انواع من القشور مثل الجوز واللوز فقشره الاعلى ذلك الجرم الاخضر وتحته
القشر الذي كالخشب وتحته القشر الذي كالغطاء الرقيق المحيط باللب المشتمل على جرم كثيف هو ايضا كالقشرة وعلى جرم لطيف هو
الدهن وهو المقصود بالذات فتولد هذه الاجسام المختلفة طبعا وصفة ولونا وشكلا وطعما مع تساوي تاثيرات الطبايع والنجوم
والعناصر والفصول الاربعة دال على القادر المختار وقد تجتمع الطبايع الاربع في الفاكهة الواحدة كالاترج قشره حار يابس ولحمه
بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره ولحمه بارد يابس وماوه ولحمه حار رطب مع انك تجد احوالها

مختلفة بعينها اللب داخله وقشره خارجه كالجوز واللوز وبعضه يكون المطلوب منه في الخارج وخشبه في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضه
نواة لب كالمشمش وبعضه الب لنواه كالتمر وبعضه يكون كله مطلوبا كالتين فاختلاف هذه الطبائع والاحوال المتضادة والخواص المتنافرة
حتى في الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة بل عن الواحد المختار والحبوب مختلفة الالوان والاشكال والصور فشكل الحنطة كانه نصف مخروط وشكل
الشعير كانه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما وشكل الحمص على وجه آخر واودع سبحانه كل نوع منها خاصية ومنفعة غير ما في الآخر وقد تكون الثمرة
غذا الحيوان كما الحيوان اخر فهذا الاختلاف مع اتحاد الطبائع وتاثير الكواكب العلوية انما حصلت بالفاعل المختار ثم انك تجد في ورقة
الشجر خطا في وسطها مستقيما فنسبته لتلك الورقة نسبة النخاع الى بدن الانسان تنفصل عنه خيوط مختلفة وعن كل واحد منها خيوط اخرى
ادق من الاولى ولا تزال على هذا المنهج حتى تخرج الخيوط عن الحس والبصر كما ان النخاع تنفصل منه اعصاب كثيرة يمنة ويسرة في البدن ثم لا يزال
ينفصل عن كل شعبة شعب اخرى ولا تزال تستمر حتى تلطف عن الحس فجعل سبحانه ذلك في الورقة لتقوى القوى المركوزة في جرم تلك الورقة
على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الطبقة فهذا يعلمك ان عنايته سبحانه في ايجاد جملة تلك الشجرة اكمل بعناية في تكوين
جملة النبات اكمل وهو انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان فعنايته في تخليق الحيوان اكمل والمقصود من تخليق جملة الحيوان هو الانسان فعنايته
في تخليقه اكمل وهو سبحانه انما خلق الحيوان والنبات في هذا العالم ليكون غذاء ودواء للانسان بحسب جسده والمقصود من حفظ تركيبه
لاجل المعرفة والمحبة والعبودية فسبيلك ان تنظر في ورقة الشجرة وتتامل في تلك الاوتار ثم تترقى منها الى درجة تخليق الشجرة ثم الى
فوقها رتبة رتبة لتعلم ان المقصود الاخير منها حصول المعرفة والمحبة في الارواح البشرية وح ينفتح لك ابواب المكاشفات لا اخر لها وتظاهر
لك ان نعم الله في حقك غير متناهية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والله الهادي ولما انكشف بما كان فلق بما عن النبات من جنس الاحياء
لما فيه من النمو فسر معنى الفلق وبينه اشارة الى الاعتناء به وقتا بعد وقت بقوله **يخرج** اي على سبيل التجدد والاستمرار تنبيها على امر
البعث **الحي** اي كالنجم والشجر والطير والدواب **من الميت** من الحب والنوى والبيض والنطف فكيف تنكرون قدرته على البعث ولما انكشف
معناه وبان مغزاه باخراج الاشياء من اضدادها لئلا يتوهم لو كان لا يخرج على شيء الا مثله ان الفاعل الطبيعة والخاصية عطف على فالق زيادة
في البيان قوله معبرا باسم الفاعل الدال على الثبات لانه لا منازعة لهم فيه فلم يدع حاجة الى التعبير بالفعل الدال على التجدد **ومخرج الميت** من الحب ومما
من الحي اي من النجم وما معه ولما تقررت له سبحانه هذه الاوصاف التي لا قدرة اصلا لاحد غيره على شيء منها قال منبها لهم على غلطهم
في اشراكهم اعلاما بان كل شريك ينبغي ان يساوي شريكه في شيء ما من الامر المشترك فيه ولا مساوي له سبحانه في شيء من الاشياء فلا
شريك له بوجه **ذلكم** اي العالي المراتب المنيع المراقي **الله** اي المستجمع لصفات الكمال وحده فلا تحق الالهية الا له ولما كان هذا معنى الكلام
سبب عنه قوله **فانى** اي فكيف ومن اي وجه **تؤفكون** اي تصرفون وتقلبون عما ينبغي اعتقاده ولما وصف سبحانه نفسه المقدسة
من فلق الجواهر بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال وغرمه لكونه من اظهر دلالة القدرة على البعث الذي هو المطلوب مع الالف له بقربه
ومعالجته اتبعه ما هو مثله في الدلالة على الاحياء لكنه في المعاني وهو سماوي كما ان ذلك ارضي لما اشار اليه الخليل عليه السلام في محاجة قومه
من ابطال الهية كل من النور والظلمة والكواكب التي هي منشا ذلك فقال ترقيا من العالم السفلي الى العالم العلوي **فالق الاصباح**
اي موجده وحقيقته فالق ظلمة الليل عن الصباح لكنه لما كثر استعماله وامن اللبس فيه اسند الفعل الى الصبح كما يقال انفجر الصبح وانفجر
عنه الليل ويمكن ان يراد بالفالق الكاشف لانه يكشف من المفلوق ما كان خفيا فعبر بالمسبب الذي هو الاظهار بالسبب الذي هو الفلق وعبر
بالصباح بهذه الصيغة التي تقال للدخول في الصبح لتصلح لارادة فالق السكون بالنوم او عدم التصرف بالحركة المترتبة على الدخول
في الصباح فدلنا ذلك على جاعل الاصباح حركة وساد الليل **وجاعل الليل** بما يكون منه لازما **سكنا** يسكن الناس فيه اليه
ويبين بحق فيه فالاية من الاحتباك حذف من الاول الحركة ودل عليها بالسكن وحذف من الثاني السلخ ودل عليه بالفلق وهنا
الفلق من اعظم الدلائل على قدرته سبحانه وفيه دلالتان لان الاصباح يشمل الفجر الكاذب والصادق والاول اقوى دلالة لان مركز

الشمس

الشمس اذا وصل الى دائرة نصف الليل في الموضع الذي تكون تلك الدائرة افقا له تطلع الشمس من مشرقه فيضيء في ذلك الموضع نصف كرة
الارض فيحصل الضوء في الربع الشرقي من بلد ما ويكون في ذلك الضوء منتشرا مستطيرا في جميع الجو ويجب ان يقوى لحظة فلحظة فلو كان الاول من قرص
الشمس لامتنع ان يكون خطا مستطيلا بل كان يجب ان يكون مستطيرا في الافق منتشرا متزايدا لحظة فلحظة لكن ليس هو كذلك فانه يبدو كالخيط
الابيض الصاعد حتى يشبه ذنب السرحان ثم تحصل عقبه ظلمة خالصة ثم يكون الثاني الصادق والمستطير فكان الاول اعلى القدرة لانه
بتخليق الله ابتداء تنبيها على ان الانوار ليست بالمحل وجودها بالابداع في الظلمة الذي هو بيان ثبات الا بتقديره ولما ذكر الضياء والظلمة ذكر منشاهما
وضم اليه قرينه فقال عاطفا على محل الليل الذي جاعله ليس بمعنى المضي فقط لتكون الاضافة حقيقية بل المراد استمراره في الازمنة كلها
والشمس اي التي ينشا عنها كل منهما هذا عن غروبها وهذا عن شروقها **والقمر** اي الذي هو آية الليل **حسبانا** اي ذوي حسبان وعلمين على الحساب
يعلم بدورهما وسيرهما وبسبب ذلك نظم سبحانه مصالح العالم في الفصول الاربعة فيكون من ذلك ما يحتاج اليه من نضج الثمار وحصول الغلات وعبر
عنهما بالمصدر المبني على هذه الصيغة البليغة اشارة الى ان الحساب بهما امر عظيم كثير النفع كبير الدخول مع ماله في الدنيا في ابواب الدين من حل
نفعهما الديني وقع التكاليف فكانه لما تم الامر كذلك كان حقيقتهما التي يعبر عنهما بها واما غير ذلك من منافعهما فلا يحتمل الغبا فيه ولما كان
هذا امرا باهرا وصنعا قاهرا اشار اليه باداة البعد فقال **ذلك** اي التقدير العظيم الذي تقدم من الفلق وما بعده **تقدير العزيز**
اي الذي لا يغالب فهو الذي قهرهما على ما سخرهما فيه وغلب العباد على ما منعهم منها فلو اراد احد ان يجعل ما جعله من النوم يقظة
او اليقظة نوما او يجعل محل السكن الحركة او بالعكس وغير ذلك مما اشارت اليه الاية لاعياه ذلك **العليم** اي الذي جعل ذلك بعلمه
على منهاج لا يتغير وميزان قويم لا يزيغ ولما ذكر ذلك اتبعه منفعة اخرى تعمهما مع غيرهما مبينا ما اذن فيه من علم النجوم ومنافعها فقال
وهو اي لا غيره **الذي جعل** ولما كانت العناية بنا اعظم قدم قوله **لكم النجوم** اي كلها سائرها وثابتها وان كان علمكم يقصر عنها كلها
كما يقصر عن الرسوخ والبلوغ في علم التسيير للسيارة منها **لتهتدوا** اي لتكلفوا انفسكم علم الهداية بها لتعلموا القبلة واوقات
الصلوات والصيام وغير ذلك مما ينفعكم دينا ودنيا ولما كانت الارض والماء ليس لهما من انفسهما الا الظلمة وانضمت الى ذلك ظلمة
الليل قال **في ظلمات البر** اي الذي لا علم فيه وان كانت له اعلام فانها قد تخفى **والبحر** فانه لا علم به والاضافة اليهما ملابسة او تشبيه
اللبس في الطرق وغيرها بالظلمة روى الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي في جزء جمعه في النجوم من طريق احمد بن حنبل الاسماعي عن عمر بن
الخطاب رض قال تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا وتعلموا من الانساب ما تصلون به ارحامكم وتعرفون ما يحل لكم ويحرم
عليكم من النساء ثم انتهوا وفيه من طريق عبد الله بن الامام احمد في زيادات على المسند عن علي رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي
اسبغ الوضوء وان شق عليك ولا تاكل الصدقة ولا تنز الحمير على الخيل ولا تجالس اصحاب النجوم وفيه عن ابي ذر رض عن عمر رض
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسالوا عن النجوم ولا تفسروا القرآن برايكم ولا تسبوا اصحابي فان ذلك الايمان المحض
وعن ابي هريرة رض ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر في النجوم رواه من طرق كثيرة وعن عائشة رضها مثله سواء وعن ابن مسعود رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا رواه من طرق واسند عن قتادة قوله تعالى وانهارا
وسبلا قال طرقا وعلامات قال هي النجوم قال ان الله عز وجل انما خلق هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها
وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد اخطا حظه وقال برايه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وهذا كلام طويل حسن
وهذا الاثر الذي عن قتادة اخرجه عنه البخاري في صحيحه وقال صاحب كنز اليواقيت في استيعاب المواقيت في مقدمة الكتاب اعلم
ان العالم منه محمود ومنه مذموم لا يذم لعينه انما يذم في حق العباد بسبب ثلاثة اولها ان يكون مؤديا الى ضرر كعلم السحر والطلسمات وهو
حق اذ شهد القرآن به وانه سبب للتفرقة بين الزوجين وسحر النبي صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل واخرج السحر من تحت حجر
في قعر بئر كما ورد في الحديث الصحيح ومعرفة ذلك من حيث انه معرفة ليس مذموما ومن حيث انه لا يصلح الا للاضرار ضار بالخلق

يكون منه موما والوسيلة الى الشر شر الثاني لئن يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كالقسم الثاني من علم النجوم الاحكامي استدل به على الحوادث بالاسباب كاستدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة بمجاري سنة الله وعادته في خلقه ولكنه ذمه الشرع وزجر عنه لثلثة اوجه احدها انه يضر باكثر الناس فانه اذا القي هذا الامر بسبب سير الكواكب وقع في نفس الضعيف العقل انه مؤثر فينمحي ذكر الله عن قلبه فان الضعيف يقصر نظره على الوسايط بخلاف العالم الراسخ فانه يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات وفرق كبير بين من يقف مع الاسباب وبين من يترقى الى مسبب الاسباب ثم ذكر ما حاصله ان السبب الثاني في النهي عنه انه تخمين لا يصل الى القطع والثالث انه لا فائدة فيه فهو خوض في فضول وان السبب الثالث مما يذم به ما يذم من المعلوم انه مما لا تبلغه عقول اكثر الناس ولا تستقل به ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الاشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيع انتهى وروى ابو داود وابن ماجه عن ابن عباس رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وقال صاحب كتاب الزينة في اخر كتابه بعد ان ذكر العيافة والعرافة والزجر ونحوها ويأتي اكثره عنه في سورة الصافات وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والنجوم فانها تدعو الى الكهانة قال وهذه الاشياء كلها لها اصل صحيح فمنها ما كانت من علوم الانبياء مثل النجوم والخط وغير ذلك ولولا الانبياء الذين ادركوا علم النجوم وعرفوا مجاري الكواكب في البروج ومواقعها السير واستقامتها ورجوعها وما قد ثبت وصح من الحساب في ذلك مما لا ارتياب فيه لما قدر الناس على ادراكه وذلك كله بوحي من الله عز وجل الى الانبياء عليهم السلام وقد روي ان ادريس عليه السلام اول من علم النجوم وروي في الخط انه كان علم نبي من الانبياء ولولا الوحي لما ادرك الناس هذه اللطائف ولا عرفوها انتهى ولما كانت هذه الآيات قد بلغت في البيان حدا علا عن طوق الانسان وللملائكة ولجلالة كونها صنعة الرحمن فكانت بحيث يتوقع فيه التنبيه عليه قال **قد فصلنا** اي بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة **الآيات** واحدة في اثر واحدة على هذا الاسلوب المنيع والمثال الرفيع ولما كانت في الوضوح في حد لا يحتاج الى كبير تأمل قال **لقوم يعلمون** اي لهم قيام فيما اليهم ولهم قابلية العلم ليستدلوا بالشاهد على الغائب ولما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الارضي والسماوي اتبعه كما مضى في اول السورة الخلق المعرب الجامع لجميع الملكوت وهو الانسان الاعلى كمال القدرة على كل ما يريد مبطلا بتفاوته اول الابداع واخر الاحوال ما اعتقدوا في النور والظلمة والشمس والقمر وغيرها لانه لا اختيار له في شيء يصدر عنه بل هو مسخر مقهور كما هو محسوس ومشهور فقال **وهو** لا غيره **الذي انشاكم** اي وانتم في غاية التفاوت في الطول والقصر واللون والشكل وغير ذلك من الاعراض التي دبرها بجلاله على ما اقتضته حكمته **من نفس واحدة** ثم اقتطع منها زوجها ثم فرعكم عنهما ولما كان الغالب الناس في الحياة الدنيا يعمل عمل من لا يموت ولا يزول الا بعد على شرف الزوال والجماد لا يمنت فيه تعجب من حياة قال **فمستقر** اي فسبب عن ذلك ان منكم مستقر على الارض هذا على قراءة ابن كثير وابي عمرو بكسر القاف اسم فاعل والمعنى في قراءة الباقين بفتحها اسم مكان وكم من خالد ومن متمتع ومتاع الى حين ولما كانت في الجميع قد كشف عنهم الغطاء فهم موقنون بالبعث غير عاملين على ضد ذلك وكذا من في الصلب والرحم عبر بما يدل على عدم الاستقرار فقال **ومستودع** اي في الاصلاب او في الارحام او في بطن الارض فدلت المفاوتة في كل منهما مع ان الكل من نفس واحدة على القادر المختار لا يقدر غيره ان يعكس شيئا من ذلك وكل ذلك مضمون الدينين في اول السورة وقدم الاصباح والليل ومتعلقهما التفاوت في الخلق ثم تلاه بخلق الانسان على حسب ما في اول السورة وذكر هنا انه جعل في اول الطين نفسا واحدة فرع الانس كلهم منها مع تفاوتهم فيما هنالك وفي غيره ولما ذكر هذا المعرب الجامع وفصله على هذه الوجوه العجيبة كان بحال لتوقع التنبيه عليه فقال **قد فصلنا** اي بعظمتنا **الآيات** اي اكثرنا بيانها في هذا المعرب الجامع في اطوار الخلقة وادوار الصنعة تارة بان يكون من التراب بشر واخرى بان تخرج الانثى من الذكر وتارة بان تفرع من الذكر والانثى ما لا يحيط به العد ولا يجمعه الحصر من النطفة الى الولادة الى الكبر ولما كان انشاء الناس من نفس واحدة وتصريفهم على تلك الوجوه المختلفة جدا الطف وادق صنعة فكان لا يحتاج الى تدبر واستعمال فطنة وتدقيق نظر قال **لقوم يفقهون** اي لهم اهلية الفقه والفطنة ولما ذكر وجوه الابداع التفريعي في هذين الكونين واسباب البقاء لما ينشأ عنه الفصول وغيرها اتبعه سببه القريب وهو الماء الذي جعل منه كل شيء حي مفصلا ما اجمله في الحب والنوى سابقا لما في الاحسان لما قبله من الدلائل فان الدليل اذا كان على وجه الاحسان ومذكر

بالانعام كان تاثيره في القلب عظيما فينبغي للمتغافل بدعوة الخالق ان يسيل اغصان المسالك ليكون للقلوب امالك **وهو** اي لا غيره **الذي انزل** بقدرته وعلمه وحكمته **من السماء** اي الحقيقية التي تعرفونها كما دل عليه صريح العبارة وما اشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الاشارة **ماء** اي منهم او دافقا ولما كان تفريع الخالق من الماء بكان من العظمة لا يصل اليه بنبه عليه بالانتقال الى التكلم في مظهر العظمة فقال **فاخرجنا** اي على ما لنا من العظمة التي لا يدانيها احد **به** اي الماء **نبات كل شيء** مختلفا طعومه والوانه وروايحه وطبايعه ومنافعه وهو بماء واحد فالحب والنوى والمسبب كثيرة متفننة سواء كان ذلك النبات حقيقيا من النجم او الشجر او مجازيا من الانثى والذكر ثم سبب عن الحقيقي لظهوره قوله دالا على العظمة **فاخرجنا منه** اي النبات **خضرا** اي شيئا اخضر غضا طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة ثم زادها في بيان عظمته بقوله **نخرج** اي حال كوننا مقدرين ان نخرج **منه** اي من ذلك الخضر **حبا متراكبا** اي في السنبل ركب بعضه بعضا ونحرسه من ان يلتقطه الطير بعد سترة بالقشر بحسك طويل الطيف حيث لا يرخش بعد ان كان اصله حبة واحدة على صورته او منفقه في التراب بعد ان طوره بجلاله في عدة اطوار ان فاعل ذلك القادر المختار ولما كرر نسبة الاخراج والابداع اليه نحا وحده في مظهر العظمة خصوصا وعموما فعلم انه كل منه وصار الحال في صدده الوضوح جديرا بان يؤمن منه نسبة شيء الى غيره لكنهما الذي هم له معالجون وبالعجز عن ابداعه عالمون وبدا بما بدا به اولا في الآية الفالق من الحب ثم بما من النوى فقال مغيرا لذلك الاسلوب **ومن النخل** وتقديم الحب عليه هنا وفيما قبل يدل على ان الزرع افضل منه فانه قوت في اكثر البلاد لا غلب الحيوانات والغذاء مقدم على الفاكهة ثم ابدل بما اجمل من ذلك قوله مبينا **من طلعها** اي النخلة وهو اول ما يخرج منها في كمامه **قنوان** جمع قنو وهو العذق بالكسر الشمراخ وهو الكباسة والعرجون عوده الذي يكون فيه البسر **دانية** اي قريبة المتناول وان طال اصلها بما علمكم وسهل لكم من صنعة الوصول اليها ولما لم يكن لهم من معالجة الاعناب وغيرها ما لهم من معالجة النخيل عطف على نبات منبها لهم على ان ما للنخيل هو منه المنفرد بابداعها وقدم النخيل لانها قوت للعرب وبينها وبين الانسان مشابهة في خواص كثيرة لا توجد في النبات ولهذا جاء في الحديث اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من طينة آدم عليه السلام وليس من الشجر يلقح غيرها رواه ابو يعلى وابو نعيم في الحلية وابو الشيخ عن علي رض فقال **وجنات** اي بساتين **من اعناب** وجمعها لكثرة انواعها وبدا بها بين الشجر لفضلها كما تقدم على غيرها لان ثمرها فاكهة وقوت وقدم الاول لانهم لم يكن كالنابتة وكان العنب اشرف انواع الفواكه فانه ينتفع به اولا وظهوره لانه يكون خيوطا خضرا دقيقة حامضة لذيذة ثم يكون حصرما وهو طعام شريف للاصحاء والمرضى وقد يتخذ منه رب الحصرم والشربة اللطيفة للمذاق نافعة لاصحاب الصفراء وقد يطبخ منه الذ الاطعمة الحامضة وهو عنبا الذ الفواكه واشهاها ويدخر عنبا وزبيبا من سنة ويكون زبيبه غذاء ويكون منه الدبس والخل وغير ذلك واحسن ما فيه عجمه وهو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للمعدة الضعيفة الرطبة واتبعها ما يليها في الفضيلة فقال **والزيتون** اي لحرجنا به وقدمه لكثرة منفعته وينفصل منه دهن عظيم النفع في الاكل والضياء وغيرهما من وجوه الاستعمال **والرمان** ختم به لحسنه وعظيم نفعه وهو مركب من اربعة اشياء قشره وشحمه وعجمه ومائه فالثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة عفصة قابضة جدا والماء بضدها وهو الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطبع المعتدل وفي ذلك تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه ولما ذكر الاقوات من الثمار والحب والادهان واشرف الفواكه واعمها وكان اشبه شيء بالادمي في نشأته وبعثه واتفاقه واختلافه وكان اشتباه بعضها واختلاف بعضها مع كونها تسقى بماء واحد في ارض واحدة دالا على القدرة والاختيار وكان القياد اثبات الوحدانية ونفي الشريك باثبات كمال القدرة التي هي منتفية عن غيره فلا يصح ان يكون له شريك لانه لا يكون الا مشابها لشريكه كمال المشابهة فيما وقعت الشركة فيه والبعث فكان المراد التفكر في ظواهرها وتقلباتها من العدم الى الوجود وبعد الوجود ولجعلها اهل الكتاب من اهل العلم المنسوب الى الحصة الادبية وغيرهم من الفرق وكان افتعل ياتي للتصرف وهو المبالغة في اثبات اصل الفعل والاجتهاد في تحصيله والاعمال فيه فكان حصوله ان احصل اكمل قال الابيا حال الاختيار كل ما تقدم **مشتبها** اي في غاية الشبه بعضه لبعض حتى لا يكاد يتميز فلو قطع ثمرتان من شجرتين منه لم يتميز ثمرة هذه من ثمرة هذه فلا يقال بلح بنفي التفاعل فانه لا يجمع مشاركة امرين او اكثر في اصل الفعل فعلم ان التقدير وغير مشتبه ومتشابها ثم لما كان ربما تمسك القائل بالطبايع بهذه العبارة نفيها ربما ظن ان لهذه الاشياء عملا في اشتباه بعضها ببعض فقال **وغير متشابه**

اى بغير ابل الاشتباه مع انه لابد من خبرة تامة في الاية من الاحتباك اثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده وعدم المتشابه كذلك ولان الاشتباه ابلغ لمن تشابه علق الامر بالنظر الذي هو اخص من الحواس و دلالة ثم دل على ان المراد انما هو هذا لانه كاف في الدلالة على البعث والتوحيد الذي هو غاية فقال

انظروا الى ثمره وهذا بخلاف الحرف الثاني فانه فيه الرد على الوثنية لانهم يجعلون من خلقه اصنامهم التي لا قدرة لها على شيء اصلا ولذلك ختم الاية بالاذن لهم في الاكل منه لا انتهاء ونعم والمراد نواحي موضع على انفسهم بالامر بالتصديق على الامر بالصدقة عليه ثم نبه على تعميم النظر في جميع حالاته بقوله اذا اثمر اي حين يبدو ضعيفا قليل النفع او عدمه وينعه اي وانظروا الى ادراكه وحال قطافه وتعليمه ذلك النظر فيما بين ذلك لانه يلزم منه مراقبة الاول والاخر فيعلم استحالة الوانه ومقادير طعومه واشكاله وغير ذلك من شؤونه واحواله ويلزم من ذلك ايضا النظر الى الاشجار ليعلم تفاوت بعضها واشتباه البعض الاخر في الطول والقصر والصغر والكبر وغير ذلك من الاحوال فكان ذلك موجودا في الثمر كاشفا دهره التبدلات والتغيرات ليدل على الفاعل المختار ادون نسبته الى الطبائع والفصول على حد سواء فلو استند الى الطبائع لم تتغير ولما كان اتحادها هذه المذكورات اولا والمخالفة بين اشكالها ومقاديرها والوانها ثانيا دالا على كمال القدرة المستلزم للوحدانية دل على عظمته بقوله مستانفا مشيرا باداة البعد وميم الجمع ان في ذلكم اي الامر العظيم الشان العالي الرتبة لايات اي علامات على قدرة الصانع واختياره ولما كانت الايات لا تغني عمن ريب شقاوته قال لقوم يؤمنون اي حكم بانهم يجدد فيهم ونشاطهم وقوتهم على ايجاد ولونه بحيث تزيد الايمان كلما تاملوا في مصنوعات الله التعالية المشيرة بكمالها الى كمال الله وملكه والمشركون على اصناف منهم عبدة اصنام شركوا في العبودية لا في الخالق منهم الذين حاجهم ابراهيم عليه السلام ومنهم عبدة كواكب وهم فريقان منهم من قال هي واجبة الوجود ومنهم من قال ممكنة خلقها الله وفوض اليها تدبير هذا العالم الاسفل وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالافول ومنهم من قال لهذا العالم كله الهان فاعل خير وفاعل شر وقالوا ان الله وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور ويلقبون الزنادقة وهم المجوس لان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من عند الله سمي بالزند فالمنسوب اليهم زندي ثم عرب فقيل زنديق وكان هذا كله من قوله فالق الاصباح ثم الى اية ان الله فالق الحب دلالة على تمام القدرة الدال على الوحدانية للدلالة على البعث حسن كل الحسن العود الى تقبيح حال المشركين بالتعجيب منهم فوصلته حالية من الضمير في فالق او غيره مما تقدم فقال الى شارحا امر هذا الصنف لان امر غيرهم تقدم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية في الزنادقة وجعلوا اي هو وحده فعل هذا الذي لا يدع لبسا في تمام علمه وقدرته وكمال حكمته ووحدانيته والحال ان الذين فعل ذلك لاجلهم قد جعلوا وعبر بالاسم الاعظم زيادة في تعظيما لما لا يعدل به شيء لله اي الذي له جميع الامر ولما كان المشرك في غاية الفظاعة والشناعة قدمه فقال شركاء يعني وما كان ينبغي ان يكون له شريك مطلقا لان الصفة اذا ذكرت مجردة غير مجراة على شيء كان ما يتعلق به النفي عاما في كل ما يجوز ان تكون له تلك الصفة وحكم الانكار حكم النفي ولما اهتز السامع بهذا التقديم لزيادة المعنى في غير زيادة اللفظ تشوف لمعرفة النوع الذي كان منه الشركاء فبينهم بقوله الجن اي الذين هم اخفى الموجودات عليهم واعلمهم لهم فاطاعوهم كما يطاع الاله فكان عبادة لهم وتنبيها وقد رايتهم ما اللبس بل الايهام الحسن اياهم وخلقهم اي والحال انهم قد علموا ان الله خلقهم اي قدرهم بعلم ونديهم فلذلك كان خلقه لهم محكما وخرقوا اي العابدون له بنين اي كعزير والمسيح وبنات اي من الملائكة فجمعوا بذلك جهالات هي غاية في الضلال لا وصف الملائكة بالانوثة والاجتراء على مقام الربوبية بالحاجة وتخصيصه بعد ذلك بما لا يرضونه لانفسهم بوجه ومادة خرق تدور على النفوذ والاتساع والاطلاع والتقدير بغير علم ولا معرفة فيحدث عنه الفساد ولذلك قيل لمن لا يحسن العمل اخرق وللكذب خرق اي ان خرقا يعني انهم كذبوا واختلفوا واتسعوا في هذا القول الكذب فابعدوا به في المجاوزة عن حقيقته اتساع من رتع في خرق اي برية واسعة بعيدة وتنوفة جوفاء متباعدة الارجاء الحين لم يسبقه اليه بشر فضل عن الجادة ضلالا لا ترجى معه هداية الا بعد شديد فصار حديثا بالهلاك والى ذلك يرجع معنى ما قرئ في الشاذ وحرفوا بالمهملة والفاء ولما لم يكن لقولهم اصلا حقيقة ولا شبهة وكان الخرق التقدير بغير علم دل على ذلك مصرحا بما افهم تنبيها على الدليل القطعي في احتياج قولهم

من جهله

من جهله وذلك لانه قول لا حجة له وسائل الكل اصول الدين لا يصار الى شيء منها الا بقاطع وذلك منكرة في سياق النفي فقال بغير علم ثم نزه نفسه المقدسة تنبيها على ما يجب على كل من سمع ذلك فقال سبحانه اي تنزه تنزيها يليق بجلال الله الذي يضاف اليه ولما كان معنى التسبيح الابعاد عن السوء وكان المقام يقتضي كونه في العلو صرح به فقال وتعالى اي تباعد امر علوه الحقيقي حد له ولا انتهاء عما يصفون وللختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك والولد استدل على ذلك التنزيه بان الكل خلقه محيط بهم علمه وان يكون المصنوع كالصانع فقال بديع السموات والارض اي مبدعهما وله صفة الابداع اي القدرة على الاختراع ثابتة ومن كان كذلك فهو غني عن التوليد فلذا حسن التعجب في قوله انى اي كيف ومن اين ومن اي جهة يكون له ولد وزاد في التعجيب بقوله ولم اي والحال انه لم تكن له صاحبة و الحال انه خلق كل شيء اي مقدور ممكن من صاحبة مفروض وكل ولد متوهم وكل شريك يدعى فكيف يكون المبدع محتاجا الى شيء من ذلك على صحة التوليد وغيره ولما كانت القدرة لا تتم الا بشمول العلم قال وهو ولم يضمر تنبيها على ان عموم العلم لا تخصيص فيه كالخلق فقال بكل شيء عليم اي فهو على كل شيء قدير لان شمول العلم يلزم منه تمام القدرة كما ياتي برهانه ان شاء الله تعالى في طه ومن كان له ولد لم يكن محيط العلم ولا القدرة بل يكون محتاجا الى التوليد ولما ثبت انه لا كفؤ له بما ذكر من صفاته وافعاله وبين فساد قول المشركين وفصل مذاهبهم على احسن الوجوه وبين فساد كل واحد منها باتقن الحجج فثبت بذلك ما افتتح السورة به من احاطته بصفات الكمال قال مشيرا الى ذلك كله بمبتدا اخبر عنه بعدة اخبار ذلكم اي العالي الاوصاف جدا الذي لا حاجة له الى شيء وكل شيء محتاج اليه الله اي الذي له كل كمال ربكم اي الموجد لكم والمحسن بجميع انواع الاحسان الذي في ذلكم ما قبلها وثمرته لانه من اتصف بذلك كان هو رب الكل وحده والخالق للجميع مستحق العبادة وحده فلذا اتبع ذلك قوله لا اله الا هو لان المقام للتوحيد اللازم للاحاطة باوصاف الكمال التي هي معنى الحمد المفتتح به السورة وساق قوله خالق كل شيء الذي هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا على ذلك فلما قام الدليل تسبب عنه الامر بالعبادة فقال فاعبدوه اي وحده لان من اشرك به لم يعبده لانه الغني المطلق ومن كان له الغنى المطلق لا يحسن ان يقبل مشتركا وختم الاية بقوله وهو ولما كان المقام للنفي الحاجة الى شيء قدم قوله على كل شيء وكيل اشارة الى ان الولد والشريك انما يحتاج اليه العاجز المفتقر واما هو فهو القادر ومن سواه عاجز وهو الغني ومن سواه فقير فكيف يحتاج القدير الغني الى العاجز الفقير هذا ما لا يكون ولا ينبغي ان يتخيله الظنون وفيه اشارة الى ان العابد ينبغي ان يتفرغ للعبادة ويقطع اموره عن غيره وكالته فانه يكفيه بفضله عمن سواه ولما كان الكلام في الولد والشريك الذي لا بد ان يكون يجانس الولد والشريك بوجه وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه المقام من تنزيهه فقال لا تدركه اي لا تحيط به الادراك بالاحاطة الابصار اي من جعلتموه ولده او شريكه هو مدرك بابصاركم كعيسى وعزير عليهما السلام والاوثان والنجوم والظلمة والنور واما الملائكة والجن فان كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم ممن تقدمهم وان كان عن اخبار فهو عن الانبياء ليس غيرهم وكلهم مخبر بانهم عباد الله غير هم وانه منزه عن شريك وولد وهذه كتبهم وصحح اخبارهم شاهدة بذلك وورا ذلك كله انهم بحيث يدركون بالابصار في الجملة ليس ادراكهم مستحيلا واما هذا الاله العزيز فهو غير مدرك لكم بالبصر كما يدرك غيره ادراكا تاما فيتامله ناظره فيقوه بالخبرة بما فيه من رضى وغضب وغيرهما بما ابدته القرائن واوضحه التوسم لانه سبحانه متعال عن ان يحاط به هذا على انه من عموم السلب وان كان من سلب العموم فالمعنى انه عزيز لا يراه كل احد بل يراه الخلص اذا اراد فكشف لهم الحجاب على جرى الاسباب وهو مع ذلك يدرككم ويدرك ما لا تدركونه من انفسكم الابصار وهي القوى المودعة في عصبة العين لتدرك بها المبصرات وهو اللطيف اي لا تحيط به الابصار لانه يمنع الاسباب عن ان تشاع عنها مسبباتها ويوجد ادق الاسباب ولغرابها فلا يستغرب عليه ادراك الحال لانه الذي اوجدها لا يعلم من خلق واصل اللطف دقة النظر في الاشياء الخبير اي المحيط بالابصار فاحاطته باصحابها اجدر وبتحقيق معنى الاسمين يتحقق المعنى قال الحرالي في شرح الاسماء اللطف اخفاء التوصل الى الشيء باظهار ما يضاده ولا يتم الا بخبرة ولذا انتظم باسمه الخبير لانه اخفاء حكمة في ظاهر يضادها فاللطف خبرة في حكمة وباسمه تعالى اللطيف انتظام محكمة ما بين الدنيا والاخرة وبذلك قام امر اهل ولايته في الدنيا لما جمع لهم امره فيها فتبدو عزمهم

منوراً وذلاً ونبرا أي ذلهم ومن دونه عز فيبقى عزهم صـ

إلى القلوب مع تنزلهم في الحوامر ويؤول بحسوبهم إلى العز في عقبى الدنيا ومبادرة الآخرة مع تأنيس القلوب بهم أن ربي لطيف لما يشاء لما أراد أن
يمكنه من جعل وسيلة ذلك استبعاده بها وحصل معناه بتمام الحكمة والخبرة ومآل ابداء الشيء في صورة مستضح اختصاصاً بالحق فهو الذي أطعم من جوع
وآمن من خوف الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فهو تنبيه اللطيف الذي لا لطيف إلا هو ثم قال والخبرة إدراك خبايا الأشياء وخفاياها بحيث لا يبدو منه
حيثية الإمكان إدراك الخبير بما تقابل بروقها وذلك الذي يتم الأول المبدء بما الذي هو يخرج خباها وهو الذي يخرج الخبء في السموات والأرض وبخبرة الخلق
لا بد فيها من إظهار ما يبدو من الخبء بمقتضى التجربة والذي يصح لهم الخبرة كما قيل اختبر المرء فيما يبدو ومنطقه وما يظهر من اليوم والليلة من عمله
والخبير الحق خبير بالشهود من بادي بطائن خبيئة أمره فهو الحقيقة الذي لا خبير إلا هو ولما انتظم إقامة الأدلة على وحدانيته وختم بهذا
الدليل المحسوس الذي معناه أن كل شريك وكل ابن مدرك شريكه وأباه وهو متعال عن أن يدركه أي يحيط به أحد ناسب أن يعظم ويمدح
الأدلة حثاً على تدبرها وجعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه لنور قلبه وكمال عقله وصفاء لبه وغزارة علمه وشرف
أخلاقه واستقامة عزائمه وبعد مدى همته تخلص عن شيب الجحود وترمى بنفسه حقيق بأن يقول بعد إقامتها من غير تعلثم تقرير الأمر دعوة بعد
تقرير المطالب العالية الإلهية **قد جاءكم** ولما كانت الآيات لقوتها وجلالتها التي أشار إليها بذكر الفعل توجب المعرفة فتكون سبباً لانكشاف الحقائق
الذي هو كالنور في جلاء المحسوسات قال **بصائر** أي أنوار هي للقلوب بمنزلة الضياء المحسوس لعيونكم **من ربكم** أي المحسن إليكم بجلاء أحشاء
ذلك إنما أصلا لغيره عندكم صعود ولعل النظر بالأبصار إلى الاعتبار بالبصائر ولا تهبطوا في حضيض التقليد إلى أن تصلوا إلى الواحد لا تفهمون
معه إلا ما يحسن بالإبصار بل ترتقوا في أوج المعرفة إلى السموات الأحدية دوحدوا القطاع الطريق صوارم البصائر فإنكم إن ضيتم بالدون
لم تضروا إلا أنفسكم وإن نافستم في المعالي فإياها نفعتم ولذلك سبب عن هذا النور الباهر والسر الظاهر قوله **فمن أبصر** أي عمل بالأدلة
فلنفسه أي خاصة أبصاره لأنه خلصها من الضلال المؤدي إلى الهلاك **ومن عمي** أي لم يهتد بالأدلة **فعليها** أي خاصة عماه لأنه
يضل فيعطب ولما كان المعنى أنه لي ولا لغيري من أبصاره من ينقصه شيئاً ولا علي ولا غيري شيء من عماه كان التقدير فما أنا إلا بشير ونذير
عطف عليه قوله **وما أنا** وأشار إلى أنه حقق الأدلى في التواضع وسلام الجبروت عن القهر بأداة الاستعلاء فقال **عليكم** وأغرق في
النفي بقوله **بحفيظ** أي أقودكم قسراً إلى ما يحييكم وأمنعكم قهراً مما يرديكم ولما كان التقدير التفاتاً إلى مقام العظمة إعلاماً بأن العظمة
كلها بيده لئلا يظن نقص في نفي الكلية فانظروا ما صرفنا لكم في هذه السورة من الآيات وأوضحنا بها من تصريف الدلالات لقد أتينا فيها
بعجائب التصاريف وكشفنا عن غرائب التعاريف عطف عليه قوله **وكذلك** أي ومثل هذا التصريف العظيم **نصرف** أي ننقل جميع
الآيات من حال إلى حال في المعاني المتنوعة سالكين من وجوه البراهين ما يفوت القوى ويعجز القدر ويحير الألباب ليعترفوا و
ويتطلس أفكار المنافين علماً بأنهم عجزة عن الإتيان بما يدانيها فتلزمهم الحجة **وليقولوا** اعتذاراً عن ظهور عجزهم **درست**
أي تعلمت من أهل الكتاب وغيرهم في زمن حتى انتظم لك هذا الانتظام وتم لك هذا التمام فيأتوا ببهتان بيّن عواره ظاهرة أسراره
مهتوكة أستاره فيكونوا كأنهم قالوا إنك أتيت به عن علم ونحن جاهلون لا نعلم شيئاً فيعلم كل موفق أنهم ما رضوا لأنفسهم مع
ادعاء الفضل والمنافسة في أبعد من أضار الكذب إلا لفرط الحيرة وتناهي الدهشة وأعواز القادح والحاصل أنه أتى به على هذا
المنهاج الغريب والأسلوب العجيب ليعمى بأس عن بينة ويبصر آخرون وهم المراد بقوله **ولنبينه** أي القرآن لأنه المراد بالآيات المسموعة
لقوم يعلمون أي لأنه المراد للإبلاغ في البيان أي يزداد الجهلة به جهلاً ويهتدي به من كان للعلم أهلاً فلا يقولون درست
بل يقولون أنه من عند الله فالآية من الاحتباك إثبات ادعاء المدارسة أولاً دليل على نفيها ثانياً وإثبات العلم ثانياً دليل على عدمه أولاً
وهي من معنى يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ولما انكشف بهذا في أثناء الأدلة وتقضى عيون البراهين أن القرآن كنز لا يبلغ مثله كنز ومن
لا يبالي عن وأنه في الذروة التي تضاءلت دون مراقيها نواح الأفكار وكلت عن التماعها نوافذ الأبصار وختم بأن المراد بالآيات العلماء
ناسب أن ينبه على أن كل لا يفتر عنه طعنهم بقولهم درست ونحوه فقال مخصصاً له صلى الله عليه وسلم بالخطاب إعلاماً بأنه العالم على الحقيقة

اتبع

اتبع أي أنت ومن تبعك **ما أوحي إليك** أي فالزم العمل به ثم أكد مدحه بقوله **من ربك** أي المحسن إليك بهذا البيان ثم علل ذلك بقوله
لا إله إلا هو أي فلا يحق غيره أن يتبع له أمر ولا يلتفت لغيره في نفع ولا ضر **وأعرض عن المشركين** أي بغير التبليغ فإنما عليك ذلك وفرغ بهم صدرك
على إيمانهم لا يزيدهم ذلك إلا شقوة الاعتماد في إخطار الشركة والركاباً في قيود اشراكه ولما كان الحبيب يشتد عليه شيء مما يريد حبيبه قال مسلياً له صلى الله
عليه وسلم عن استهزائهم به وردهم لقوله عاطفاً على ما تقديره فلو شاء أسمع الخلق ولا نكلموا فيك شيئاً **ولو شاء الله**
أي الذي له الأمر كله **ما أشركوا** أي ما وقع منهم إشراك أصلاً فقدر أن ذلك لو وقع فيك مراده لنفسه فليكن لك في ذلك سلوة ولما كان
التقدير فإنه سبحانه حفيظ عليهم عطف عليه قوله **وما جعلناك** أي بعظمتنا وأشار إلى أن العلو ليس لغيره سبحانه فقال **عليهم حفيظاً**
أي تحفظ أعمالهم لئلا يكون منها ما لا يرضينا فيردهم عنه قسراً **وما أنت** وقدم ما هو أهم من نفي التحقيق بالعلي المحيط القاهر الذي هو خاص بالإله
فقال **عليهم بوكيل** فتأخذ الحق منهم قهراً وتعاملهم بما يستحقونه خيراً وشراً إنما أنت مبلغ عنا ثم الأمر في هدايتهم وإضلالهم إلينا
وغاية التغفير عما اتخذ من دونه من الأنداد والأنبياء لأنها أقل من ذلك وأحقر كان ذلك ربما كان داعياً إلى سبها فنهى عنه لمفسدة يجرها
السب كبيرة جداً فقال عاطفاً على قوله وأعرض عن المشركين غير مواجه له وحده صلى الله عليه وسلم إكراماً له **ولا تسبوا** ولما كانت الأصنام
لا تعقل وكان المشركون يزعمون لها العقل والعلم ويسندون إليها الأفعال أجرى الكلام على زعمهم لأنه في الكف عنها فقال **الذين يدعون**
أي يعبدون عبادة ذي الأصنام وغيرهم بذكر ما فيهم من النقص ثم بين ضعف النوع كرامهم أنهم في سفول بقوله **من دون الله** أي الملك الأعلى
الذي لا كفؤ له عدلاً بعلم منكم بما لهم من المعايب بل أعرضوا عن غير عابئهم إلى الله حتى عن سب أصنامهم بما يستحقونه فإنا زينا لهم عملهم فوقع مع
غزارة عقولهم فيما لا يرتضيه عاقل وكذبوا بجميع الآيات الموجبة للإيمان فربما جرهم سبكم لها لما غشيهم من حمية الجاهلية إلى ما لا يليق **فيسبوا**
أي فيتسبب عن ذلك أن يسبوا **الله** أي الذي تدعونه وله الإحاطة بصفات الكمال حال ظن تصريحاً بالمقصود وإعظاماً لهذا الأمر وتهويلاً له
وتنفيراً منه ولما كان الحنق يوجب الإسراع أشار إليه سبحانه بقوله **عدواً** أي جرياً إلى السب ولما كان العدو قد يكون مع علم قال مبيناً أنه يريد به
الإسراع أنه يجاوز الحد **بغير علم** لأنا زينا لهم عملهم فالطاعة إذا استلزمت وجود منكر عظيم احترز منه ولو أدى الحال إلى تركها وقتاً ما لعدم
القوة على دفع ذلك المنكر فحكم الآية باق ولم ينسخ ولما كان ذلك شديداً على النفوس ضيقاً به الصدر واقتضى الحال أن يقال هل هذا التزيين
مختص بهؤلاء المجرمين أم كان لغيرهم من الأمم مثله فقيل **كذلك** أي بل كان لغيرهم فإنا مثل ذلك التزيين الذي زينا لهؤلاء **زينا لكل أمة**
أي طائفة عظيمة مقصودة **عملهم** أي القبيح الذي أقدموا عليه بغير علم بما خلقنا في قلوبهم من المحبة له وأعمينا عن قبحه العقل الرصين أسفل
سافلين حتى رأوا حسناً ما ليس بالحسن لتبيين قدرتنا وفي ذلك أعظم تسلية وتأسية وتعزية والآية من الاحتباك إثبات بغير علم أولاً
دليل على حذفه ثانياً وإثبات التزيين ثانياً دليل على حذفه أولاً ولما كان سبحانه طويل الأناة عظيم الحلم وكان الإمهال ربما أطمع جاهلاً بعمل
القائم في ذلك بقوله **ثم** أي بعد طول الإمهال **إلى ربهم** أي المحسن إليهم بالحلم عنهم وهم يقودون بنعمه على معاصيه لا إلى غيره **مرجعهم**
أي الحشر الأعظم **فينبئهم** أي يخبرهم إخباراً عظيماً بليغاً **بما** أي بجميع ما **كانوا يعملون** على سبيل الاستمرار ديناً في جبلاتهم
من الداعية إليه وإن ادعوا أنهم عاملون على مقتضى العلم ولما نصب سبحانه هذه الدلالات في هذه الآيات البينات حتى ختمها بإعلام
من الإسراع إلى السب حسن أنه لهم بأن أصحهم ما وجد لهم كلها في الكون ومن نوع عليهم الأدهى منه عجبهم في الوعد بالإيمان
على وجه التأكيد بما يأتيهم من مقترحاتهم إعلاماً بأن ذلك مما زين لهم من عملهم وهو أمنية كاذبة ويمين حانثة فقال عاطفاً على وجعلوا
لله شركاء الجن **وأقسموا** أي المشركون **بالله** أي الذي لا أعظم منه **جهد أيمانهم** أي باذلين فيها جهدهم حتى كأنها هي جاهدة
ووطأ القسم فقال **لئن جاءتهم آية** أي من مقترحاتهم وتلقى القسم بقوله **ليؤمنن بها** ولما كانوا بهذا ظالمين من حيث
أنهم طلبوا ما لم يكن ما لهم إليه بعد إثباته من المعجزات بما أزال معاذيرهم وأوجب عليهم الاتباع نبه على ذلك بقوله مستأنفاً
قل أي إذا تعنتهم **إنما الآيات** أي هذا الجنس **عند الله** أي الحائز لجميع صفات الكمال الذي لا يعجزه شيء من هذا

الجنس لتفيد الاحتياج شيئا غير اعضائه ولما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شيء اصلا فلا يصح لان يحكم على ان اصلا لا من نفعاله ولا من افعال
غيره قال منكرا عليهم ملتفتا الى خطابهم اشارة الى انهم حقيقون بالمواجهة بالتبكيت وما اي واي شيء يشعركم اي ادنى شعور بما اقسمتم
عليه في الايمان بعد مجيئها حتى توهموه ادنى توهم فضلا عن الظن فكيف بالجزم وكلما على هذا الوجه ثم علل الاستفهام بقوله مبينا انه لا علم
في الايمان بالاية المقترحة انها بالفتح في قراءة نافع وابن عامر وشعبة في رواية عنه وحفص وحمزة والكسائي لكانه قيل لم ذكرت علمهم
لانها اذا جاءت لا يؤمنون بالخطاب في قراءة ابن عامر وحمزة التفات الى الغيبة في قراءة غيرهم اعلاما بانهم بعيدون عن الايمان ثم
اهل للاعراض عنهم المحقق لمن نصب التعليل غير كسرها فاوضح ومكن التقدير فانا نطبع على قلوبهم ونزين لهم سوء اعمالهم عطف عليه قوله
ونقلب بما لنا من العظمة افئدتهم اي قلوبهم حتى لا يهتدوا بها وابصارهم حتى لا ينفعهم الابصار بها فلا يعتبرون
فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اي بمثل ذلك اول مرة اي عند اتيان الايات التي قبل تلك ونذرهم اي نتركهم في طغيانهم اي تجاوزهم
الحدود يعمهون اي يتحيرون التحير على الحال المانية من الدلالة لا يقتضي حيرة بوجه ولما اخبر انهم لا يؤمنون عند اية مقترحة عمم على
وجه مفصل ما قبله فقال ولو اننا اي على عظمتنا العالية بما لنا الى جميع النونات نزلنا اي على حسب ما يليق بعظمتنا اليهم الملائكة
اي كلهم فراوهم عيانا وكلمهم الموتى اي كذلك وحشرنا عليهم اي بما لنا من العظمة كل شيء قبلا جمع قبيل جمع قبيلة
في قراءة ضم القاف والباء كرغيف ورغف اي جامع ذلك المحشور كله قبيلا قبيلة تبرا او مواجهة ومعاينة ومنه اتيتك قبلا لا دبرا
اي من قبل وجهك لا من جهة قفاك ومثل ان كان قميصه قد من قبل وهذا المعنى الذي هو معنى القراءة الثانية بكسر القاف وفتح الباء وبه
فسرها ابن عباس رض وجماعة غيره وقال المبرد وجماعة هي بمعنى جهة وناحية من قولهم لي قبل فلان دين ماكانوا ليؤمنوا اي على حال
من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة لايمانهم لانه الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه فاذن لا عبرة بالايات فالاية داعية
لاهل القدر ولا من ضلاته ولا نفعها في ذلك فلا يطمع احد في ايمانهم بغير ذلك ويقرب عندي ولا بعد ان يكون واتسع معطوفا
على قوله تقسم وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه وهذا من المتعارف في كلام البلغاء ان يحكي الانسان جملة من كلام خصمه ثم يشرع في توجيهها
ويخرج الى ابور جيها المقام كثيرة الانواع طويلة الذيول جدا ثم يحكي جملة اخرى فيقول عجبا منه وقال كذا وكذا ثم يشرع فيما
يتعلق بذلك من النقض والرد ومما يؤيد ذلك توجيه ختمها بما ختم الاولى ولكن اكثرهم لا يعلمون وختم هذه ولكن اكثرهم يجهلون
اي يجعلهم جهلا مطبوعة فيه لذلك يقسمون على الايمان عند مجيء اية مقترحة ولا يشعرون ان المانع لهم من الايمان انما هو مشيئة
والا لا يؤمنوا بما جاءهم من الايات فانه كفاية في المبادرة الى الايمان والايات كلها متساوية الاقدام في الدلالة على صدق الداعي بخرق
العادة والعجز عن الاتيان بمثلها ولما كان مضمون ما تقدم اثبات عداوة الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم كان كانه قيل تسلية له وتثبيتا
لفؤاده فقد جعلناهم اعداء لك لانك عالم والجاهلون لاهل العلم اعداء وكذلك اي ومثل ذلك ما جعلنا لك اعداء
من كفار الانس والجن جعلنا لكل نبي اي ممن كان قبلك وعبر عن الجمع بالمفرد المراد به الجنس اشارة الى انهم يد واحدة في العداوة
فقال عدوا وبين ان المراد به الجنس وانهم اهل الشر فقال مبدلا شياطين اي شرار الانس والجن المتمردين منهم وربما
استغنى شيطان الجن بشيطان الانس لعرفه به منه ثم يكون نوعه التاميل واشار الى حصول امرهم وسوء عاقبتهم بقوله
يوحي بعضهم من الشياطين من النوعين الى بعض اي يكلمه في خفاء زخرف القول اي مزينة ومنمقة ولما كان في بيان اعدائه
صلى الله عليه وسلم هذا يدل على انه لكونه لا حقيقة له لولا الزخرفة ما قبل زاده بيانا بقوله غرورا اي لاجل ان يغروهم بذلك
اي يخدعوهم فيصير القبول لهم كالدهم كالغافلين الذين شانهم عدم التحفظ والغرور وهو الذي يعتقد فيه النفع وليس بنافع
ولما كان اول الاية معلما ان هذا كان بمشيئة الله وجعله اتيت ذلك ومكنه في اخرها بانه لو شاء ما كان وكان في ذلك تعريم على مقام الالهية
وتنزيها لصفة الربوبية ان يخرج شيء عنها فيدل على الوهن ويحرقطعا الى اعتقاد العجز فقال ولو شاء ولما كان

في بيان اعدائه صلى الله عليه وسلم والمسلطين عليه اشار الى ذلك لاكرامه واعزازه لا لاهانته فقال ربك اي المحسن اليك بجميع انواع التربية
عز تريبة الاحسان مع ماله من تمام العلم وشمول القدرة ان لا يفعلوه مافعلوه اي هذا الذي انبانك به من عداوتهم لك ما تقرع عليه اولما
قرر ان هذا من باب التربية فعاقبته الى الخير تسبب عنه قطعا قوله فذرهم اي اتركهم على اي حالة اتفقت وما يفترون اي يتعمدون كذبه
واختلاقه واذكر ما ربك عليك من العاطفة لتعلم ان الذي سلطهم عليك هذا في غاية الرافة بك والرحمة لك وهو المحسن التربية كما
يخفى عليك ان تخرق به واعلم ان له في هذا الطيف سر برة سترتها عن الافكار نجلاه في الايات الاتية التي عبر فيها باسم الجلالة فانها في عظيم تجوهرهم
على مقام الالهية ولما كان التقدير ذرهم لتعرض عنهم قلوب الذين يؤمنون بالاخرة وليسخطوه وليعملوا ما هم له ميسرون ويعاقبون من
بذلك درجاتهم عطف عليه قوله ولتصغى اي تميل ميلا قويا تعوص فيه اليه اي كذبهم وما في حيزه افئدة اي قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة اي ليس في طبعهم الايمان بها لانها غيب وهم لبلادتهم واقفون مع الوهم ولذلك استولت عليهم الدنيا التي هي اصل الغرور
وليرضوه اي بما تمكن من ميلهم اليه وليقترفوا اي يفعلوا بجهلهم ما هم مقترفون وهذه الجمل كما نبه عليه ابو حيان على غاية الفصاحة
لانه اولا يكون الخدع فيكون الميل فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف فكان كل واحد مسببا عما قبله ولما كان فيما تقدم الاخبار عن مغيب
وعن انهم لا يؤمنون عند مجيء الايات المقترحة وكانت عادة العرب عند الاعداء والمخالفين الى حاكم يفصل بينهم وكانوا مما
يرجعون في الامور المغيبة الى الكهان لما كانوا يكشفون لهم بما يقرع اليهم اخوانهم من الجان مما يسترقونه من السمع فيزيدونه كذبا كثيرا
ثم لا يضرهم ذلك عندهم لذلك القليل الذي يصدقون فيه كما ابتلينا نحن به في هذا الزمان من الفساد بمن يفعل مثل ذلك من المجانين
والمتشبهين بهم وكانت الايات التي قد فرغ منها قد اثبتت انه لا حاكم غيره وتسبب عن ذلك وجوب نفي اتخاذ غيره حكما لما اتصف
في جميع ما خالف اليه اهم بصفات القوى في اخباره عن حقايق الامور مفصلة احسن تفصيل في اساليب قصرت دونها سوابق الافكار وكعت
عنها نوافذ الاذهان فتثبت بذلك نبوته وصحت رسالته فكان افتراحهم ظاهرا في كونه تعنتا لانهم كذبوا باعظم الايات القران ولم يؤمنوا به
وطعنوا فيه بما رادهم فضايح فثبت انه لا فائدة في اجابتهم الى مقترحاتهم فصح الجواب عما اقتضاه لسان حالهم من طلب التحاكم الى اوليائهم
ببليغ الانكار عليهم بقوله افغير الله اي الملك الاعظم على غاية من البلاغة لا تدرك والفاء فيه للسبب وانما تقدمت عليها همزة الانكار
لاقتضائها الصدر ابتغي اي اطلب طلبا كبيرا من ان الغير حكما اي يحكم بيني وبينكم ويفصل نزاعنا ثم استدل على هذا الانكار بتفصيل
الكتاب هذا التفصيل المعجز فقال وهو اي والحال انه لا غيره الذي انزل اي بلطفه بكم اليكم اي خاصة نعمة عليكم بالقصد الاول وعليكم
بالقصد الثاني الكتاب اي الكامل المعجز وهو هذا القران الذي هو تبيان لكل شيء مفصلا اي ميز فيه الحلال والحرام وغير ذلك من جميع
الاحكام مع ما تفيده فواصل الايات من اللطائف والمعارف الكاشفة لحقايق البدايات والنهايات ولقد اشتد الاعتناء في هذه السورة بالتنبيه
على التفصيل لوقوع العلم لارباب البصائر في الصنايع بانه لا يحسن التفصيل الا متقن التركيب ولما كان التقدير فانتم وجميع ارباب البلاغة
تعلمون حقيته بتفصيله والعجز عن مثله عطف عليه قوله والذين ويجوز ان تكون جملة حالية اتيناهم اي بعظمتنا التي يعرفون انه ذو عقود
بها الحق من الباطل الكتاب اي المعهود ايتاؤه انزاله من التورية والانجيل والزبور يعلمون اي لما لهم من سوابق الانس بالكتب الالهية
انه منزل ولما تقدم ذكر الجلالة الشريفة في حاق موضعه في بيان الحكم لانه لا يكون الا مع التفرد بالكمال وكان هذا المقام بمعنى الانزال
يقتضي الانزال الاحسان لم يضمر بل قال من ربك اي المحسن اليك بما خصك به في هذا الكتاب من انواع الفضائل بالحق اي الاكمل لما عندهم
من البشائر في كتبهم ولما لهم من موافقتها في ذكر الاحكام المحكمة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه ترق القلوب وتفيض الدموع
وتفسح الصدور مع ما تزيد به على كتبهم من التفصيل بما يفهم المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية والاعجاز
بكل اية ولما كان اهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ويقولون للمشركين انهم اهدى سبيلا مما قد يوهم انهم يعتقدون بطلانه لو ان الامر ملبس
عليهم بسبب اخباره سبحانه قوله على طريق التهييج والالهاب فلا تكونن اي انت نفيا مؤكدا جدا ان تكون في وقت ما من الممترين

اى العالمين عمل التنال فيما اخبر بالى به وان زاد اخفاؤهم له واظهارهم لما يوهم خلافه واذا جارتهم فى ذلك وانت افطن الناس
واعرفهم بما تظهره المحاورات من خفايا الاسرار تحققت ما قلناه وان اجتهدوا فى الكتم لما انكشف عنه قصة المناظرة فى امر الزانيين وغيرها
وقال البغوى قال مشركو قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا
عنك بما فى كتابهم من امرك فنزلت ولما دل على كونه حقا من عند الله بعلم اهل الكتاب صريحا واهل اللسان تلويحا دل عليه بوصف اخر منه هو دى
وهو انه ما فارقت شيئا الا كان على وفق ما قال وانه لم يستطع ولا يستطيع احد منع شىء مما اخبر به ولا تعويقه ساعة من نهار ولا اقل
ولا اكثر فقال بهذى مظهرا فى موضع الاضمار لتذكيره صلى الله عليه وسلم بماله سبحانه من الاحسان والتنبيه على ما يريده من التشريف والاكرام
وتمت اى نفذت وتحققت كلمات ربك اى المحسن اليك المدبر لامرك حال كونها صدقا اى لا يقدر احد ان يبدى فى شىء منها خدشا بتخلف
عن مطابقة الواقع ولما تم الصدق عمّ نفى الجور فقال وعدلا ولما تم الصدق والعدل فلا يتم معه مراد القائل ولا ينفذ فيه كلام لامر
لمنع من هو اقوى منه اخبر انه لا راد لامره ولا معقب لحكمه تصريحا بما افهمه مطلع الاية من التمام مظهرا موضع الاضمار تعميما وتبركا وتلذيذا
فقال لا مبدل لكلماته اى من حيث لفظها لانه معطل القار غير تخصيص سرع ما نكل ما اخبر به فهو كائن لا محالة رضى من رضى وسخط من
سخط ولما كان المغير لشىء انما يتم له ما يريده من التغيير بكون المغير عليه لا يعلم الاسباب المنجحة لما اراد ليحكمها والموانع العائقة ليبطلها
قال عاطفا على ما تقديره فهو العزيز الحكيم وهو اى لا غيره السميع اى البالغ السمع لجميع ما يمكن سمعه من الاقوال والافعال العليم
اى البالغ العلم بجميع ذلك فهو اذا الكامل القدرة النافذ الامر بجميع الاسباب والموانع فلا يدع احدا يغير شيئا منها واذ لو شبه
ولما اجاب عن شبهات الكفار وبين صحة نبوته عليه السلام وشرع فى الحث على الاعراض عن جهال الجهال والاقبال على ذى الجلال الكان
التقدير فان اطعته فيما امرك به اهتديت الى صراط الله الذى يتم لك به سلوكه جميع ما وعدك به عطف عليه قوله الضال اى لا نهم ما وان تطع
ولما كانت انفس الكثرة مغترة بالاكثر اشار الى ان ذلك لا يفعله الا جاهل مخلد الى التقليد فقال اكثر من فى الارض اى توقع طاعتك لهم فى شىء
فاذا وقع ذلك جعلت الى اكثرهم انما يتبع الهوى واكثرهم لا يقودهم العلم لا يشكرون يضلوك عن سبيل الله اى الجامع لصفات
الكمال ثم علل ذلك بقوله ان اى لانهم ما يتبعون فى امورهم الا الظن اى كما يظن هؤلاء جهلا ان اباهم كانوا على الحق ولما
كان اكثر كلام من يجزم بالامور بما دعاه اليه ظنه كذبا وكان الخارص يقال على الكاذب والمخمن والحازر فقال وان هم اى بضمائرهم
الا يخرصون اى يحرزون بالموجب حسب ما يقدرون فيكشف الامر على انه كذب فيقع الفرق بينك وبينهم فى تمام الكلام ونفوذه نفوذ
السهام او تخلفه عن التمام ونكوصه كما سيف الكهام فلا يبقى شبهة فى امر المحق والمبطل ولما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق المبين
لما يتبع وما يجتنب قال معللا لهذا الاخبار ان ربك اى المحسن اليك بانزال هذا الكتاب الكاشف للارتياب الهادى الى الصواب هو اى وحده
اعلم ولكون الحال شديد الاقتضاء للعلم قطعه عما بعده ليسبق الى الفهم انه اعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال من اى يعلم
يضل اى يقع منه ضلال اى ما عن سبيله اى الذى يسير بعلمه وهو اى وحده اعلم بالمهتدين كما انه اعلم بالضالين فمن امركم باتباعه
فاتبعوه ومن نهاكم عنه فاجتنبوه فمن ضل ارداه ومن اهتدى نجاه فاستمسكوا باسبابه حذرا من وبيل عقابه يوم حسابه ولما
قدم سبحانه نفى ذلك الشوايب عامها فى المائدة حاميدين بر اهل الجاهلية فى اكل الحيوان الذى جر اليه الغرور واتبعه بيانا انه لا ضرر
على اهل الايمان من ضلال اهل الضلال اذا اهتدوا واتبع ذلك دلالة وانتظم فى سلكه دلائل حتى ظهر اى ظهور ان له الملك وملكه
وانه لا شريك له فوجب شكره وحده وكانوا مع ذلك قد كفروا نعمته فاتخذوا معه شركاء ولم يكفهم ذلك حتى جعلوا له مما
ذرا من الحرث والانعام نصيبا فكانوا بذلك مانعين الحق عن اهله ومانحين ما خولهم فيه من لا ملك له ولا يملك ضرا ولا نفعا
وتاركين بعض ما انعم عليهم به صاحب الحق رعاية لمن لا حق له ولا حرمة وكانت سنته اسرع قد جرت بانه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية
ويستدل على ذلك بانه خالق السموات والارض وما اودع فيهما للناس من المنافع وما ابدع من المرافق والمصالح ثم يعجب ممن اشرك به

ثم يامر

ثم يامر بالاكل مما خلق تذكيرا بالنعمة ليكون ذلك داعية لكل ذى لب الى شكره كما قال تعالى فى البقرة عقب واله كم اله واحد ان فى خلق
السموات والارض ثم قال ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا ثم يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا اجرى هذه السنة
الجليلة فى هذه السورة ايضا فقال ان الله فالق الحب والنوى بعد انى وجهت وجهى ثم وجعلوا لله شركاء الجن ودل على انه لا شريك له
فى ملكه ولا ملكه وختم بانه لا حاكم سواه ينازعه فى حكمه او يبارزه فى شىء من امره وبين ان من الهداية التى جعلها شرطا لعدم ضرر
يلحق من اهل الشرك فسبب عن جميع ما ذكر قوله فكلوا مما ذكر اى وقت الذبح اسم الله اى الملك الذى له الاحاطة الكاملة فلم
كل شىء عليه اى لانه قابل لذلك سواء بالفعل او لا وعبر عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم ان الذكر بالفعل منه وجب اليه ولا تكونوا
ممن بنى دينه على اتباع الاهوية والظنون الكاذبة فكان من قبيل ابتغوا من يعرف الحق اهله فانه متعبد غير معرج على غيره فانه ضال
والله اعلم بالفريقين فكونوا من المهتدين فكلوا مما خلق الله لكم حلالا شاكرين لنعمته وانما اطال هنا دون البقرة ما بين حل الكلام تقرير
لمضامينها ودبا استتبعه واحتجاجا على جميع ذلك لانها سورة التفصيل واتى بالذكر والمراد قبول الماكول له اى كلوا مما يقبل ان
يسمى عليه على مقتضى ما شرعه وذلك هو الذى احله من الحيوان وغيره سواء كان مما جعلوه لاوثانهم اولا دون ما مات من الحيوان
حتف انفه او ذكر عليه اسم غير الله او كان مما حرم اكله وان ذبح وذكر عليه اسم الله فانه لا يقبل التحليل من التسمية فى غير موضعها
لورود التسمية بالتحريم ولا تتبعوا المشركين فى منعهم انفسهم من جزء مما خلق الله لهم من الحرث والانعام بتسميتهم اياه لالهتهم
التى لا غناء عندها ويكون ذلك حثا على التسمية على جميع الماكول الحلال فتكون الاية كاية البقرة بزيادة ولما كان هذا امرا لا يقبله
الا من زال دين الشرك وجميع توابعه من قلبه قال ان كنتم اى عادتكم من الجبلة الصالحة باياته اى علاماته التى منها اياته التحليل والتحريم
مؤمنين اى عريقين فى وصف الايمان ولاح بذلك حسن الانتظام قوله وما لكم اى اى شىء يكون لكم فى ان لا تاكلوا مما ذكر اى يقبل
ان يذكر اسم الله اى الذى له كل شىء عليه فان التسمية قائمة مقام اذنه وقد اى والحال انه قد فصل لكم اى من قبل ذلك من له الخلق
والامر امره ما حرم عليكم اى ما لم يحرم مفصلا واضح البيان ظاهر البرهان الا ما اضطررتم اليه فان الضرورة تزيل التفصيل عنه
يرده الى ما كان عليه قبل التفصيل فيصير الحلال الذى لا تفصيل فيه والمراد فى هذه الاية مختلف باختلاف المخاطبين فاما من خوطب بها وقت
الانزال فالمراد بالتفصيل الذى اتاه الاية الاتية اخر هذه فانها نزلت جملة وكذا كل ما ثبت تحليله مما انزل بمكة قبل هذه السورة وكذا ما
اخبر به صلى الله عليه وسلم فى وحى متلو اذ ذاك ولعله نسخت تلاوته وبقى حكمه او وحى غير متلو من جميع الاحاديث التى تقدمت على هذه
السورة واما من خوطب بها بعد ترتيبه على هذا الوجه فالمراد فى حقه ما فى البقرة والمائدة وغيرهما من السور الماضية من الحلال والحرام
ولما كان التقدير من عمل بهذه الاوامر اهتدى بما نال من العلم وهم قليل عطف عليه قوله وان كثيرا اى من الناس ليضلون اى يقع منهم
الضلال فيوقعون غيرهم فيه بتنكبهم عما دعت اليه اوامر الله وهدى اليه بيانه فيكونون بعرض العطب باهوائهم اى بسبب اتباعهم
الهوى ولما كان الهوى وهو ميل النفس ربما كان موافقا لما ادى اليه العلم بصحيح الفكر وصريح العقل قال بغير علم اى داع الى ذلك
من شريعة ماضية منزلة من الامر ولما كانوا ينكرون هذا اثبت لنفسه الشريفة ما هو مسلم عند كل احد فقال دليلا على صحة ما اخبر
ان ربك اى المحسن اليك بانزال هذا الكتاب شاهدا لك باعجازه بالتصديق هو اى وحده اعلم وكان الموضع للاضمار فاظهر
للتعميم والتنبيه على الوصف الذى اوجب لهم ذلك فقال بالمعتدين اى الذين يتجاوزون الحدود مجتهدين فى ذلك ولما كان
مما يقبل فى نفسه ان يذكر اسم الله عليه ما يحرم لكونه ملكا للغير او فيه شبهة نهى عنه على وجه يعم غيره فقال عطفا على فكلوا وذروا
اى اتركوا على كل حالة اتفقت وان كنتم تظنونها غير صالحة ظاهر الاثم اى المعلوم الحرمة من هذا او غيره وباطنه من كل ما فيه شبهة
من الاقوال والافعال والعقايد فان الله جعل له فى القلب علامة وهو انه يضطرب عنده ولا يسكن كما قال صلى الله عليه وسلم والاثم ما حاك
فى القلب وتردد فى الصدر اخرجه مسلم عن النواس بن سمعان ثم علل ذلك بقوله ان الذين يكسبون الاثم اى ولو باخفى انواع الكسب

بما دل عليه بتجريد الفعل وهو الاعتقاد ولما كان العاقل يخاف من مطلق الجزاء بنى للمفعول قوله **سيجزون** اى بوعد لا خلاف فيه **بما** اى
بسبب ما **كانوا** اى بغاية جبلاتهم **يقترفون** اى يكتسبون اكتسابا يوجب الفرق وهو اشد الخوف ويزيل الرفق وصيغة الافتعال للدلالة
على ان افعال الشر انما تكون معالجة من النفس للفطرة الاولى السليمة ولما امرهم بالاكل مما ينفعهم ويعينهم على شكره يحذرا من اكل ما يغبش
مرائى بصائرهم اتبعه نهيهم نهيا جازما خاصا على الاكل مما يضرهم فى اديانهم واخلاقهم وهو ما ضاد الاول فى خلوه من الاسم الشريف فقال
ولا تأكلوا مما لم يذكر اى مما لا يقبل ان يذكر **اسم الله** اى الذى لا يعظم شئ الا منه لان له الكمال المطلق فله الاحاطة الكاملة واشار
باداة الاستعلاء الى الاخلاص ونفى الاشراك فقال **عليه** اى يكون اسمه قد جرد فصار يجلى العين او المعنى فصار محيطا بالبدن والنفس
مما ذكر عليه غير اسمه سبحانه بما دل عليه تسميته فسقا وتفسير الفسق فى اية اخرى بما اهل به لغير الله وكذا ما كان فى معناه مما او كان نصرا ما
وغير ذلك واسمه تعالى منزه عن ان يذكر على غير الحلال فان ذكر عليه كان تلاعبا فلم يطهره واما ما كان حلالا ولم يذكر عليه اسم الله ولا اسم غيره
فهو حلال لما فى الصحيح عن عائشة رضها قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك يأتوننا بلحمان لا ندرى يذكرون اسم الله عليها
ام لا فقال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قال البغوى ولو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك فى وجودها مانعا من اكلها كالشك فى
اصل الذبح انتهى ولما كان التقدير فانه خبيث فى نفسه بخبث عطف عليه قوله **وانه** اى الاكل منه او هو نفسه لكونه سببا **لفسق**
فجعله نفس الفسق وهو الخروج عما ينبغى الى ما لا ينبغى لانه عرتو حيدى لكونه شبيهة لمن تاصل عندهم من امره وانتشر من شره وهذا دليل على
اولته به لان الشئ الذى يسبب الفسق والذى تركت التسمية عليه نسيانا ليس بفسق والناسى ليس بفاسق كما قاله البخارى وفى ذلك
اشارة بحديث عائشة رضها الماضى فهذا كله يدل على ان المراد انما هو كونه مما يحل ذبيحة وليس المراد اشتراط التسمية بالفعل ولما كانت
الشبه ربما زلزلت ثابت العقائد قال محذرا منها **وان الشياطين** اى الخابثين المردة من الجن والانس البعيدين من الخير المحترقين بعضهم
كلامهم فهذا كله يدل على اى ليضلوكم عما امركم الله به بان يقولوا لكم ما قتله الله احق بالاكل مما قتلتموه انتم وجوارحكم اى ليضلوكم
للشر المحترقين باللعنة من مردة الجن والانس **ليوحون** اى يوسوسون وسوسة بالغة سريعة **الى اوليائهم** اى المقاربين لهم فى
الطباع المهيئين لقبول كلامهم **ليجادلوكم** اى ليضلوكم عما امركم الله به بان يقولوا لكم ما قتله الله احق بالاكل مما قتلتموه انتم وجوارحكم
ونحو ذلك واهل الحرم ينبغى ان يقفوا فى غيره والغريب ينبغى ان يعرى فى الطواف فى ثيابه والنذر للاصنام كالنذر للكعبة ونحو
هذا من خرافاتهم التى بنوا امرهم فيها على الهوى الذى هم مقترفون بانه مضل مفرق وبالغوا فى الذم باتباعه والميل اليه ويكفى فى ذمهم جميع بابهم
الحجار نصائحب الدين وما لك الملك ومنع منها ولما كان التقدير فان اطعتموهم تركتم الهدى وتبعتم الهوى وكان من المعلوم ان الهوى يقود الى
الشرك عطف على هذا قوله **وان اطعتموهم** اى المشركين تدينا بما يقولونه فى ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه والاكل مما لم يذكر اسم
الله عليه وفى شئ مما جادلوكم فيه **انكم لمشركون** اى فانتم وهم فى الاشراك سواء كما اذا سميتم غيره على ذبائحكم على وجه العبادة
لان من اتبع امر غير الله فقد اشركه بالله كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث عدى بن حاتم رضه فى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله ان عبادتهم لهم تحليلهم ما احلوا وتحريمهم ما حرموا فنبه صلى الله عليه وسلم بذلك على ان الاسماء تتبع المعانى قال الشيخ محيى الدين
محيى الدين النواوى الشافعى فى باب الضحايا من كتاب الروضة حكى فى الشامل وغيره عن نص الشافعى انه لو كان لاهل الكتاب ذبيحة يذبحونها
باسم غير الله كالمسيح لم تحل وفى كتاب القاضى ابن كج ان اليهودى لو ذبح لموسى والنصرانى لعيسى عليهما السلام او للصليب حرمت ذبيحته وان
المسلم لو ذبح للكعبة او لرسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغى ان يقال تحرم لانه ذبح لغير الله قال وخرج ابو الحسن وجها آخر انها تحل
لان المسلم يذبح لله ولا يعتقد فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعتقده النصرانى فى عيسى عليه السلام قال واذا ذبح للصنم لم تؤكل ذبيحته
سواء كان الذابح مسلما او نصرانيا وفى تعليقة الشيخ ابرهيم المروذى ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه
لانه مما اهل به لغير الله واعلم ان الذبح للمعبود ولاسمه نازل منزلة السجود له وكل واحد منهما نوع من انواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله الذى

هو المستحق للعبادة فمن ذبح لغيره من حيوان او جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحل ذبيحته وكان فعله كفرا كمن سجد لغيره سجدة تعبدا
وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه فاما اذا ذبح لغيره لا على هذا الوجه بان ضحى او ذبح للكعبة تعظيما لها لانها بيت الله تعالى او لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا لا يجوز ان يمنع حل الذبيحة والى هذا المعنى يرجع قول القائل اهديت للحرم او للكعبة ومن هذا القبيل الذبح عند استقبال
السلطان فانه استبشار بقدومه نازل منزلة ذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب الكفر وكذا السجود لغيره تذللا وخضوعا
نعم هذا اذا قال الذابح باسم الله وباسم محمد واراد اذبح باسم الله واتبرك باسم محمد فينبغى ان لا يحرم وقول من قال لا يجوز ذلك يمكن ان
يحمل على ان اللفظة مكروهة لان المكروه يصح نفى الجواز والاباحة المطلقة عنه وحكى الرافعى انه وقعت فى هذه منازعة بين اهل قزوين
افضت الى فتنة فى انه هل تحل ذبيحته وهل يكفر بذلك قال والصواب ما بيناه قال الشيخ محيى الدين ومما يؤيد ما قاله الرافعى ما ذكره
الشيخ ابرهيم المروزى فى تعليقه قال حكى صاحب التقريب عن الشافعى ان النصرانى اذا سمى غير الله كالمسيح لم تحل ذبيحته قال صاحب التقريب معناه
ان يذبحه له فاما ان ذكر المسيح على معنى الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجائز قال وقال الحليمى تحل مطلقا وان سمى المسيح على معنى الصلوة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ثم قال فى المسائل المنثورة الثالثة قال ابن كج من ذبح شاة وقال اذبح لرضى فلان حلت الذبيحة لانه لا
يتقرب اليه بخلاف من تقرب بالذبح الى الصنم وقال الرويانى ان من ذبح للجن وقصد به التقرب الى الله تعالى ليصرف شرهم عنه فهو حلال وان قصد الذبح
لهم فحرام ومما يوضح لك سر هذا الانتظام ويزيده حسنا ان هذه الايات من قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى الى اخر السورة تفصيل لقوله تعالى
فى اول السورة قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الاية فلما ذكر انواع المربيات والارض بقوله ان الله فالق الحب والنوى ونحوه وانكر
اتخاذ من دونه بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وما يحفى نحوه قال فكلوا اشارة الى وهو يطعم ولا يطعم وقوله او من كان ميتا فاحييناه وقوله
فمن يرد الله ان يهديه ونحوها اشارة الى قوله قل انى امرت ان اكون اول من اسلم وقوله ويوم يحشرهم جميعا ونحوه مشير الى انى اخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم ولما انقضى التفصيل عند قوله فسوف تعلمون الاية شرع فى تفصيلها ثانيا بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام
نصيبا الى اخرها والسر فى الاعادة ان الشئ اذا اثبت او نفى واصمت المراد كان على اثبات ما ثبت منه ونفى ما نفى ثم اعيد ذلك فى اسلوب اخر
كان اثبت فى النفس واصدق بالقلب لا سيما ان كان فى الاسلوب الثانى كما هى عادة القران زيادة فى البيان وتنبيه على ما لم يتقدم اولا ولا سيما
ان كانت العبارة فائقة والالفاظ عذبة رائقة وانت خبير بان هذا كله دأب القران فى اساليب الافتنان قال الغزالى فى اول كتاب الجواهر فى
الفصل الذى فيه اشتمال الفاتحة على ثمانية اقسام وقوله ثانيا الرحمن الرحيم اشارة الى الصفة مرة اخرى ولا تظن انه مكرر فى القران اذ
حد المكرر ما لا ينطوى على مزيد فائدة وذكر الرحمة بعد ذكر العالمين وقبل ذكر مالك يوم الدين ينطوى على فائدتين عظيمتين فى تفصيل
مجارى الرحمة ثم ذكر ما حاصله الاحديهما تلتفت الى خلق كل من العالمين على اكمل انواعه وافضلها وايتائه كل ما يحتاج اليه والثانية تلتفت
الى ما بعده بالاشارة الى الرحمة فى المعاد يوم الجزاء عند الانعام بالملك المؤبد وشرح ذلك يطول والمقصود انه لا مكرر فى القران وان
رايت شيئا مكررا من حيث الظاهر فانظر الى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة فى اعادته انتهى وفى ذلك نكتة اخرى وهى ان
الرحمن مشير الى ما قال من جهة الربوبية فى الايجادين الاول والثانى والرحيم مشير الى خصوصه بما يرضاه الالهية الى الايجاد الثالث والابقاء الثانى
بالرحمة الجزائية والى ما يفهمه الخصوص من النقمة بمن لم تخصه الرحمة كما مضت الاشارة اليه فى الفاتحة ولما كان معنى التحذير من طاعة المشركين
انكم ان فعلتم كنتم قد رددتم انفسكم الى ظلام الضلال بعد ان منحتم نور الهداية فكان التقدير افمن كان هكذا كمن نصح لنفسه باتباع الادلة
وتوقى الشبه عطف عليه قوله **او من كان ميتا** اى بالغرق فى امواج ظلام الكفر ليس له من ذواتهم الا الجمادية بل العدمية **فاحييناه**
اى بما لنا من العظمة باشراق انوار الايمان على قلبه الذى اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله **وجعلنا** اى بعظمتنا على وجه
الخصوص **له نورا** اى بالهداية الى كل خير **يمشى** مستضيئا **به فى الناس** فيعرفون افعاله الخلاقة واقواله **كمن مثله** اى الذى
مثل به وهو ما يكشف بوجه الشبه روحه ولبه وخلاصته حال قلبه اذ يكون المعنى صفته انه **فى الظلمات** اى ما لا منفسه من ظلمة الجهل وظلمة

ماينشا عنه الهوى وظلمة ما نشأ عن الهوى من الكفر واذا كان المثل الذى هو على من الممثول فى شى كان الممثول عريقا فيه بطريق الاولى فلذلك قال
ليس بخارج اى ذلك المثل منها اى الظلمات بمازين له من سوء عمله حتى صار احب اليه من نفسه وماله واذا لم يخرج المثل من شى لم يخرج الممثول
منه والا لم يكن بينهما تماثل ومن كان يعمل زين له سوء عمله وهى ناظرة الى قوله اول السورة انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله وقوله
والذين كذبوا باياتنا صم وبكم فى الظلمات ولما كان كانه قيل من زين لهم ذلك قيل الشياطين الذين ابوا لهم ان يتبعوا العمى ليس الا التزيين للقبائح فكانهم مما يتعجب
منه كان كانه قيل الولد رويتنا الحال انهم ما صدقوا انها فلا يرضى انما ظلموه بانفسهم فهل وقع لاحد قط مثل حالهم فقيل نعم كذلك اى مثل ما
زين لهم سوء اعمالهم زين للكافرين اى كلهم ما كانوا يعملون بما جبلناهم عليه ثم ابدل الظلمات فالاية من الاحتباك اثبت اولا كونه
فى الظلمات دليلا على تقديره ثانيا وثانيا التزيين دليلا على تقديره اولا ولما كان معلوما ان عداوتهم له صلى الله عليه وسلم الشارالها بقوله وكذلك
جعلنا لكل نبى عدوا الاية لا يقوم بها الا اكابر الناس لما كان تحليه صلى الله عليه وسلم من جلالة المنصب وشرف العشيرة وكثرة الاقارب وانه لا يتمالى
عليها الا جاهل مطموس البصيرة من زين له قبيح اعماله عطف تعالى على التزيين للكافرين قوله وكذلك اى ومثل ما زينا للكافرين سوء اعمالهم وجعلنا
اكابر اهل مكة يمكرون فيتبعهم غيرهم مكرهم جعلنا اى بما لنا من العظمة فى اقامة الاسباب لما يعجز عنه الانسان او بجعل اخبار ان
فى كل قرية اى بالرجاع ولما كان الكبر يختلف الانواع باختلاف اشخاص المجرمين جاء بافعل التفضيل المقصود به الجمع على احد
اللغتين وعبر بصيغة منتهى الجموع دلالة على تناهيهم فى الكثرة فقال اكابر مجرميها اى القاطعين لما ينبغى ان يوصل ولما كان من شان
الانسان استجلاب اسباب الرفعة لنفسه وكان لا يحصل الحذ الصغو اربط المسبا بجملة الاسباب الا بالمكر وكان الاكابر اقدر على انفاذ
المكر وترويج الاباطيل بما لاغلب الناس من السعى فى رضاهم طمعا فيما لعندهم ومن الانسان كلما تمكن من ذلك تعبير الله كان باقرر له ذلك
كانه خلقه له فقال معبرا بالجعل لما فيه من التقصير والتسبب ليمكروا فيها ليخدعوا اصاغرهم ويغرهم بما يلبسون عليهم من الامور حتى يتبعوهم فيلقيا
بهم فى رايهم ومكانه ذلك الموضع وغانطا لمن تاق الصغير لشانهم وتحقير امرهم وما اى والحال انهم ما يمكرون الا بانفسهم لان علمهم
بالمكر وبال عليهم موبق لهم لان مكرهم باولياء الله اعاهو مكر بالله وذلك خيبات والكاين بوجه من الوجوه وكيف يتاتى مكر من لا يعلم شيئا من
الغيب بمن يعلم جميع الغيب وما يشعرون وما لهم نوع شعور بان مكرهم عائد على نفوسهم لان الله تعالى الذى يعلم سرهم وجهرهم يجعل
يديه لهم تدميرهم فى تدبيرهم وانما اجرى سنته الالهية بذلك ليحتج عليهم اعلام النبوة فان غلبة شخص واحد بمفرده او باتباع كثير
منهم من لا يوبه لهم مع قلة العدد وضعف المدد لرؤساء الناس واقويائهم مع طول تكذيبهم منابذتهم وعنادهم يا عليهم بان دينكم يمحى
ودينى يظهر وان كرهتم من خوارق العادات وابهر الايات تصديقا لقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلى وان جندنا لهم الغالبون فى امثال ذلك
ولما قررهنا انبعه بقالة لهم تدل على تعظمهم وتكبرهم فقال عاطفا على واقسموا بالله جهد ايمانهم تعجيبا من حالهم فيما تقعلهم من ضلالهم
وتصديقا لما تقدم من الاخبار بانهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية الا ان يشاء الله وتحقيقا لما فى الاية السالفة من مكرهم بغيرهم وعوده
على انفسهم واذا جاءتهم اى الكافرين من اكابر المجرمين والاتباعهم اية قالوا حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم اكابر مكذبين
للنبى لما المعجزات للانبياء عليهم السلام من القهر الموجب لظن الاذعان لا على اهل الكبر لن نؤمن اى ابدا حتى نؤتى لما لنا من العلو والعظمة
المقتضية لان لا يختص احد عنا بشى مثل ما ولما كان نظرهم مقصورا على العالم الحسى غير نظر الى جانب الله لكونه غنيا بنوا الفعل للمفعول قالوا لهم
اوتى رسل الله يجوز ان يكون المراد حتى يوحى الينا لئلا يكونوا اعظم منا كما قال تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة وتقدم
اول السورة عن ابى جهل انه قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف حتى اذا كنا كفرسى رهان قالوا منا نبى ياتيه الوحى من السماء فمن يدرك
مثل هذه والله لا نؤمن به ابدا وان يكون المراد اتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل ايات الاولين من شق البحر واليد والعصى واحياء الموتى ونحوه
وسموهم رسلا تنزلا او استهزاء وعبروا بالجلالة اشارة الى القدرة التامة فلا عذر ولما ذكر اسم الجلالة ايذانا بعظيم ما اجترؤا عليه
لعماهم عما طمس على انوار قلوبهم من ظلمات الحظوظ عما اليه من الجلال الذى تخضع له شوامخ الانوف اعادها ايضا تهويلا لهم وتنبيها على

هناك من عظيم القدرة فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم من دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله الله اى بماله من صفات الكمال اعلم
اى من كل من يمكن منه علم حيث يجعل اى يصير بما بتسبب من الامور رسالاته اى كلها بالنسبة الى كل فرد من افراد الخلائق فهو لا يضع شيئا
منها الا بالمنتهى فى ملكه فهذا النظم علم انهم احتجوا على ما لا ينبغى الاجتراء عليه فانهم اصروا ولعلى اقبح انحاء الكفر لا لطلب الدليل
بل لداء الحسد تاقت انفسهم الى معرفة ما يحل بهم فقال جوابا سيصيب اى بوعد لا خلف فيه واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا
للحكم بالوصف فقال الذين اجرموا اى قطعوا ما ينبغى ان يوصل صغار اى رضى بالذل لعدم التامر وطلبهم ان يرى شى يعظم بعظمه بحاله ومن زكا
منه ذلك الشى فان عند الله اى الجامع لصفات العظمة وعذاب اى مع الصغار شديد اى فى الدنيا بالقتل والخزى وفى الاخرة
بالنار بما اى بسبب ما كانوا يمكرون ولما تقدم ان من اعلم ممن طبع على قلبه فلا ينفك عن الضلال ومن يقبل الهداية فى الحال
او فى المال وان مكر المجرمين انما هو بارادته وبا قدرته علم ان الامر له والقلوب بيده فتسبب عن ذلك قوله فمن يرد الله اى
الذى له جميع الجلال والاكرام ان يهديه اى يخلق الهداية فى قلبه من اكابر المجرمين او غيرهم يشرح صدره اى يوسعه بان يجعله سابقا
قابلا بالنور للاسلام قال الامام ابو جعفر النحاس روى عبد الله بن مسعود رضه انه قال يا رسول الله وهل ينشرح الصدر فقال نعم
يدخل القلب نور فقال وهل لذلك من علامة فقال صلى الله عليه وسلم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل الموت ويفرد وايا الفوت ومن يرد اى الله ولم يظهر هنا اشارة الى ان الضلال اعلى مقتضى الطبع ان يضله اى يخلق الضلال
ويديمه فى قلبه يجعل صدره اى الذى هو مسكن قلبه الذى هو معدن الانوار ضيقا حرجا اى شديد الضيق فيصير من تخشاه اى
مضطربا روى عن عمر رضه احضر اعرابيا كنانيا من بنى مدلج فقال له ما الحرجة فقال الشجرة لا تصل اليها وحشية ولا راعية وسلق
البغوى القصة ولفظه قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل راعية ولا وحشية ولا شى ثم اتفقا فقال عمر رضه كذلك
قلب الكافر لا يصل اليه شى من الايمان والخير وزاد البغوى قال سيبويه الحرج بالفتح المصدر ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو اشد
الضيق وقال المهدوى وهنا الحرج الشديد الضيق وقد تقدم القول فيه وقال فى النساء فى قوله تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت
اى ضيقا والمعنى المعنى يرجع قول مجاهد انه الشك وقول الضحاك انه الاثم كانه ضيق شك او ضيق اثم وقال البخارى حرجا
مما قضيت اى شكا وضيقا واصل الحرج الضيق انتهى وتحقيق ذلك ان الاية هنا فيها بلاغة التاكيد بالاتيان بصيغة فعيل دون
فاعل تاكيدا ما اما بالمصدر او باسم الفاعل فافاد زيادة على اصل الفعل وهى الشدة فيه فمعنى الفتح ضيقا ضيقا بكسر الضاد واسكان
الياء ومعناه اكثر حرجا ضيقا ضيقا بامادة اسم الفاعل ومادة حرج بخصوص هذا الترتيب تدور على الحرجة الضيق المكثر
الشجر ويلزمه الشخوص على وجه الارض والارتفاع والجمع والمنع والشدة والحيرة والحر والبرد وهى باى ترتيكان وهى خمسة
مرح حمر رحج جمر حرح تدور على الحجر الذى هو الجسم المعروف ويلزمه الثقل والمنع والحرة والشخوص والصلابة التى هى القسوة
فيلزمها الصلابة الحرج بمعنى الضيق والحرجة للعصد والحرج للقلادة من الودع والحرجوج الريح الشديدة الباردة
والناقة الحرجوج الموقادة القلب ويجوز رجوعها الى الحرة والمرج لسرالموتى لضيق الصدر منه ومن ذكر ولضيقه
على سرة الاحياء ومنازلهم جحر الضب ونحوه للثقب المحتفر فى الارض ويرجع الى الثقل الحرج بمعنى الاثم ويشتعل ذلك الثقب المفضى
الى الحيرة ومنه حرجت عينه اى حارت فلا تطرف ويلزم الثقل ايضا الحرج بمعنى الطعن النافذ فى الابط ومن ذلك الحجاج اذا الكسب
مالا انه منا ثاره ومنه الرجحان بمعنى الثقل والحلم الراجح الذى يوجب رزانة صاحبه ومنه الارجوحة لان كلا من طرفيها
يرجح بالاخر ويرجع الى المنع الحجر بمعنى العقل وبمعنى الحضن والحرام والفرس الانثى لانها قد تمنع من الركوب للحمل والولد والحجر
فى المال والحجرة للناحية القريبة لان الشى اذا ابعد منك ولو قرب اجامع امتنع منك وكان التانيث فيه لقربه ويرجع الى الشخوص
الحرج للناقة الطويلة وقال الامام ابو الفتح ابن جنى رح فى كتابه المحتسب فى توجيه القراات الشواذ عند قوله تعالى فى هذه السورة

وحرج حجر بتقديم الراء اي جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقي معانيها في الضيق والشدة والاجتماع واذا انعمت النظر وتركت الملل
والضجر وجدت الامر كما قال والله العليم نحو الحجر والتحجر الطين والحجرة وبقيته وكله الى التماسك والضيق ومنه الحرج الضيق والحرج منه
والحرجة ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله ومنه الحجر والباب الضيقة ومنه الجرح لملاقاة الحديد اللحم وتلاحمه عليه ومنه جمع درج الميزان
لانه مال احد شقيه نحو الارض فقرب منها وضاق ما كان واسعا بينه وبينها كذلك فانه اذا مال احدهما الى الارض فقد بعد الاخر
فيكون لا مساعد على الراجح والراجح هو الذي على الارض فاما الاخر فلا يقال له راجح واذا نبت ذلك وقرنت فلذلك قوله تعالى وحرث حجر
حرج في معنى حجر معناه عندهم انها ممنوعة محجورة لن يطعمها الا من يشاء ان نطعمه اياها بزعمهم انتهى وممكنا صاحب هذا الصدر
لا يكاد الهداية تصل اليه واذا وصل اليه شيء منها على لسان واخطاء من طريق رشد نادى صح لم تجد مسلكا فنكست وهكذا لا تزال في منفرد
وتردد ابدا كانت ترجمة قوله فكانما يصعد اي يتكلف هذا الشخص في قبول الهداية الصعود في السماء في فضاء حياء من مزاولة ما
لا يمكن بها اشارة اليه قراءة من ادغم التاء في الصاد فكلما اصعد تهيئة حركته الاختيارية اهبطته حركته الطبيعية القسرية كما ترى بعض الحشرات
يحمل شيئا فيتقلد ويصعد به فيحبذ الملك فيصير يتكلف ذلك فيقع ثم يتكلف الصعود ايضا فربما وصل الى المكان الاول وسقط دونه وربما سقط
دونه فهو مما يمتنع عادة فلا يزال مرتجا مضطربا ويجامع الاضطراب عقيب ما يعده كما يأتي ولما كان ما وصف به صدر الضال مما
ينفر عنه وكان الرجس في الاصل لما يستقذر والمستقذر ينفر منه وكان هذا الكلام ربما اثار سؤالا وهو انه يقال هل هذا هو جعل الضلال
على هذه الصفة خاص باهل هذا الزمان اجيب بما حاصله لا كذلك اي مثل ما جعل الله الرجس على من اراد ضلاله من اهل هذا الزمان يجعل الله
اي بما له من القدرة التامة والعظمة الباهرة الرجس اي الاضطراب والقذر على الذين لا يؤمنون من اهل كل زمان لارادته سبحانه دوام اضلالهم فالاية
من الاحتباك ذكر اولا الضلال دليلا على حذفه ثانيا وذكر الرجس ثانيا على حذفه اولا والاية نص في ان الله يريد هدى المؤمن وضلال الكافر
ولما ذكرنا الزمرا اهل الضلال بلفظ ما يستقذر كان في غاية الحسن تعقيبه بالصراط فانه مما يحتشو الاستقامة واضافته الى الرب الذي
لم من استجماع الكمالات كلها صفة العطف والاحسان واللطف واضافته الى ضمير الرسول الذي هو اشرف خلقه واعلمهم برواه او يسمع
برواه في ذلك ولمن ان زيادة رجسيته وعلى الاضطراب الملزوم للعوج الملزوم الضلال المانع من الايمان فلما ثبت بهذا حال الضال
بحال المضطرب ولحيرانه الزم هذا الاضطراب كل من لا يؤمن اتبعه وصف سبيله بالاستقامة التي هي ابعد شيء عن الاضطراب الملزوم العوج
وكان التقدير فهذه حال اهل الضلال فعطف عليه قوله وهذا اي الذي ذكرناه من الشرائع الهادية في هذا القران التي ضمنها بان الهادي
المضل هو الله وحده لا الاتيان بالمقترحات ولو جاءت كل اية صراط اي طريق ربك اي المحسن اليك حال كون هذا الصراط مستقيما اي
لا عوج فيه اصلا بل هو على منهاج الفطرة الاولى التي هي في احسن تقويم بالعقل السليم الذي لم يشبه هوى ولم يدنسه خلل فكان
الامر كله بيد الله كيلا يظن الانسان انه فاعل لما يريد راجيا لله القادر على كل شيء واما غيره فلا قدرة له الا بتقديره لانه خالق
القوى والقدر عندنا وعند المعتزلة فلا يكون الجزئيات كذلك لان الخلق لا يتصور بغير علم وليس غير الله يحيط بالعالم قال الامام فالايات
التي قبلها في المحكمات فيجب اجراؤها على ظاهرها ويحرم التصرف فيها بالتاويل ولما كان جميع ما في هذا الصراط على منهاج العقل ليس
منه خارجا عنه وان كان فيه ما لا يستقل باد راكه العقل بل لا بد له فيه من ارشاد الهداة من الرسل الاخذين عن الله قال مبينا لمحسنه الى
انتظامه مع العقل قد فصلنا اي غاية التفصيل بما لنا من العظمة الايات اي كلها فصلا فصلا بحيث تميزت تميزا لا يختلط واحد منها
بالاخر لقوم يذكرون اي يجهدون انفسهم في التخلص من شوائب العلائق للعقل من الهوى وغيره ولو على ادنى وجوه الاجتهاد بما يشير اليه الادغام
ليذكروا انه ما من شيء ذكرناه الا وقد اودعنا في عقولهم شاهدا عليه ولما كان التذكر عند الايات لا يكون الا من اهل الغنا في طرق الهدايات
كان المرغبا في التذكر فانه سبب الفيض الالهي على القلوب المحيية له لهم اي المتذكرين دار السلام اي الجنة اضافها سبحانه اليه زيادة
في الترغيب فيها وخص هذا الاسم تشويقا لانه لا يلم بها شيء من عطب ولا خوف ولا نصب ثم زاد الترغيب فيها بقوله عند ربهم في ضمان

المحسن اليهم وحضرته بما هيأها لهم وبيّنه لهم وهو اي وحده وليهم اي المتكفل بتولي امورهم لا يكلهم الى احد سواه وهذا يدل على
قربهم والعندية تدل على قربهم منه بما شرح من صدورهم بالتوحيد ولما كان ذلك ربما قصر على التذكر بين ان المراد هنا التأدية
الى الاعمال فانها معيار الصدق وميزانه فقال بما اي بسبب ما كانوا اي جبلة جبلهم عليه فلما كان ذلك لا بفضله يعملون ولما فصل
سبحانه احوال الفريقين وحض على التذكر تنبيها على ان كل ما في القران مما يهدي اليه العقل وذكر مال المتذكرين فانهم نعمهم الى العطب
لانهم تولوا ما يضرهم لانهم اتبعوا شهواتهم وكان من المعلوم انهم يعبدون غير مالكهم وانه ما من عبد يخدم غير سيده بغير امر سيده
الا عاقبه او عاقب هذا من كون في كل عقل ذكر سبحانه ما يتقدم ذلك المالك لا يعول في الاجل المسمى الذي اخفاه عنهم وجعله
من اعظم مقاصد هذه السورة والمهم ولها وبين في اثنائها بعض احوال المراد في وجوه منافاتين البيان وهو يوم الحشر فذكر سبحانه بعض
احوال الغافلين وبعض ما يقولهم فيه وما يفعله معهم من عتاب وعقاب لطفا بهم واستعطافا الى المتاب فقال جامعا الفريقين
ويوم اي واذكر في تذكرك يوم نحشرهم اي اهل ولايتنا واهل عداوتنا جميعا لا نذر منهم احدا يا اي فنقول لاهل الكفر منهم نشاء
من جنود نا اهل عداوتنا تبكيتا وتوبيخا حين لا يكون لهم مرافقة اصلا يا معشر الجن اي المستترين المتوحشين من مردة
الشياطين المسلطين على الانس وهم يرونهم من حيث لا يرونهم قد استكثرتم اي طلبتم واوجدتم الكثير من الانس اي من
اغوا الموسوسين الظاهرين حتى صار اكثرهم اتباعكم فالاية من الاحتباك عبّر بما يدل على الستر اولا دلالة على ضده وهو الظهور
ثانيا وبما معناه الاستيلاء والسكون ثانيا دلالة على ضده وهو الاجتلاء والنفرة اولا وقال هو عطف على جواب الجن المستتر
المسبب عن العامل يا معشر الذي تقديره كما يهدي اليه الايات التي تاتي في السورة الاتية في تفصيل هذه المحاورة فقالوا ربنا هم ضلوا
لانهم كانوا يستمتعون بنا في نفوذهم وسماعهم الاخبار الغريبة منا فاستوجبوا العذاب بمفردهم وسترجواب الجن مع كونه لا يخفى
لدلالة المعطوف عليه مناسب لحالهم في الاستتار مع شرتهم وذكره بلفظ الماضي اشارة الى تحققه وقوعه لانه خبر من لا يخلف الميعاد
والمراد بهذه المحاورة ضرب ما يأتي تفصيله بقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا الاية وقوله فقال الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا الاية اولياؤهم اي الجن من الانس اي الذين تولوهم بالاتباع والطاعة فيما دعوهم اليه من الضلال
معترفين متعطفين ربنا ايها المربي لنا المحسن الينا استمتع اي طلب المتاع واوجده بعضنا ببعض نحن بهم فيما قالوا وهم بنا
في طاعتنا لهم وعياذنا بهم وبلغنا اي نحن وهم اجلنا واحالوا الامر على فقالوا الذي اجلت لنا وهو الموت الذي كتبته
علينا وسويت بيننا في سطوته وتجرع كؤوس جرعه ومرّه ثم هذا اليوم الذي كنا مشتركين في التكذيب به فاستوجبنا العذاب كلنا
ولما تم ذلك الاعتذار كأنه قيل فما قال الله لهم بعد هذه المحاورة الغريبة التي هي ضرب من كلام اهل الباطل في الدنيا بكلام مضطرب
ادحاض له فقيل قال اي المخاطب لهم عن الله النار مثواكم اي منزلكم جميعا من غير ان تنفعكم الاحالة على القدر خالدين فيها
اي الا ما الا اخر له لان الاعمال بالنية وقد كنتم على عزم ثابت انكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو بقيتم ما لا اخر له فالجزاء من جنس العمل ولما
كان من المقرر انه لا تمام الملك من يجب عليه شيء ويلزمه بحيث لا يقدر على الانفكاك عنه بيّن سبحانه ان ملكه ليس كذلك بل هو في
على غاية الكمال لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء بل كل فعله جميل وجميع ما يبدو منه حسن فعلق دوام عذابهم على المشيئة فقال
الا ما شاء ولما كان القصد في هذه السورة اظهار العظمة للتفرد بمقام الالهية عبّر بالاسم الاعظم فقال الله اي الذي له رداء الكبرياء
فلا يستطيع احد ان يعترض عليه ولولا انهم بذلك خبرنا هنا انقطعت دركوا ذلك الامال وطلب تاكسة اعناق الرجال وبيده اثار
العز فلم اختلج في سرهم ان يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل وانزله في مخازي الخزي وقد تقرر انه سبحانه لا يشاء انقطاع شيء من ذلك
عنهم في حال من الاحوال ونطق الكتاب بذلك صار اي الاحوال في سوقه معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة في عذابهم بتعليق رجائهم
من انفكاك عذابهم بما لا مطمع فيه ولما كان اظهار الجلال في هذه الحال في عظيم الاهوال ما لا يسعه المقال اتبعه للطف المخاطب به صلى الله

فقال إن ربك اي المحسن اليك برفع اوليائك وخفض اعدائك ولما كان القياس في مثل هذه المقاولة في جمع الكلم للحكمة والعلم كان
النظر للحكمة في تنزيل كل شيء منزلته اعظم قدم وصفها فقال حكيم اي فلا يعذب المخلص ويترك المشرك ولا يعذب بعض اشراكهم ويترك
بعضا عليم اي بدقائق الامور وجلائلها من الفريقين فلا يخفى عليه عمل احد ممن يعمله لذلك ولما افهم هذا ان ولي الكفرة من ظالمي الجن ظالمي
الانس فسلطهم عليهم اخبر ان هذا عمله مع كل ظالم اي فيسلك سواء كان كافرا او لا فقال وكذلك اي ومثل ذلك التولية التي سلطنا
سلطنا بها الجن على الانس بازدياد عذاب الفريقين نولي اي نتبع في جميع الازمان من جميع الخلق بعض الظالمين اي الفريقين في الظلم بعضا
اي بان نجمع بين الاشكال في الاوصاف الباطنة والخصال ونسلط بعضهم على بعض في الضلال والاضلال بما كانوا بجبلاتهم يكسبون اي بسبب
اجتماعهم في الطباع التي طبعناهم عليها يجتمعون وينقاد بعضهم لبعض بحسب ما سببنا من اسباب الملاءمة لذلك التعلم الذي يسرناه
لهم حتى صارت اعمالهم كلها في غير مواضعها فيظلم بعضهم بعضا ويهلك بعضهم بعضا وهم لا يزدادون الا اثماما حتى تحق الحال ما
كتبناه لهم من عذاب روى الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول انتقم ممن ابغض بمن ابغض
ثم اصير كلا الى النار وعن مالك بن دينار قرات في بعض كتب الله المنزلة ان الله تعالى يقول افني اعدائي باعدائي ثم افنيهم باوليائي او نقال
قد اخبرنا ان الله ولي المؤمنين بسبب محاسن اعمالهم ومثل ما تولاهم بعزهم يولي بعض الظلمة بعضا اليهم بسبب مساوي اعمالهم التي يتعاطونها بين تساوي
وردي الخلال وغث الخصال فيؤديهم الى مهالك الادواء والاوحال او يقال لعقد بانه ان كان من ظالمي الانس والجن كان وليا لكل وكما جعلنا
بعضهم اولياء بعض في الدنيا نفعل اذا حشرناهم في النار فنجعل بعضهم اولياء اي اتباع بعض ليتمتع بعضهم ببعض وينهم بعضهم بعضا ان
قدروا وهيهات منهم ذلك بل يشغلهم البكاء والعويل والندم والنحيب ولما انقضت هذه المحاولة وما انتجته من بعض الموالاة المحاورة
ونحصاصلها انها موالاة ضرر وعداوة ابتعها سبحانه بمحاورة اخرى حاصلها معاداة امنون معاداته فقال مبدلا منها لاذى عنا ما اشتمل من التقريع
والتوبيخ والتشنيع يا معشر الجن قدمهم لان السياق للتمام غلبتهم والانس وبكتهم بقوله تحذيرا للسامعين الان واستعطافا لهم الى التوبة
الم يأتكم رسل ولما صار القبيلان بتوجيه الخطاب نحوهم دفعة كالشيء الواحد قال منكم وان كان الرسل من الانس خاصة ولما كان النظر في هذه
السورة الى العلم غالبا لاثبات تمام القدرة الذي هو من لوازمه بدليل يعلم سركم وجهركم الليس باعلم بالشاكرين وعنده مفاتح الغيب
وغيرها وكذلك اكثر فيها من ذكر التفصيل الذي لا يكون الا لعالم كان الفصل الذي هو تتبع الاثر انسب لذلك يقصون اي بالتلاوة والبيان
للموضع الدلائل عليكم اياتي اي يتبعون بالعلامات التي يحق لها بما لها من الجلال والعظمة ان تنسب الي مواضع شبهكم فيجلونها جلاء متطوا به
وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا اي عاقبة لو الكم انه يطلبكم طلبا حثيثا وانتم سائرون اليه في سفن الايام ومراكب الانام
وانتم لا تشعرون سيرا سريعا قالوا معتذرين من انفسهم بالذل والخضوع شهدنا بما فعلت بنا انت تجاوزه من المحاسن وما فعلنا نحن من القبائح
على انفسنا اي باتيان الرسل الينا ونصيحتهم لنا بدليل الاية الاخرى قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وبين ان ضلالهم كان
بارداء الوجوه واحقها الدنيا بحيث انهم اغتروا بها مع لذاتها الحضورها على الاخرة مع شرفها الغيابها وغرتهم اي شهدوا هذه الشهادة
والحال انهم قد غرتهم الحيوة الدنيا اي الحاضرة غشيتهم اذ ذاك الدنية في نفسها لغنائها عن اتباع الرسل الجاهل في الرضى بالدون والدابة في
القناعة بالحاضر فشهادتهم ضارة بهم ولكنهم لم يستطيعوا كتمانها بل وشهدوا اي في هذا اللوطن من مواطن القيمة الطوال على انفسهم
ايضا بما هو صريح في الضر عليهم من هذا وهو انهم كانوا جبلة وطبعا كافرين اي عريقين في وصف الكفر ويجوز ان يكون المغرور بانهم ظنوا
احوال الاخرة تمشي على ما كانوا يالفونه في الدنيا من ان الاعتراف بالذنب والتكلم بالصدق قد ينفع الذنب ويكف من سورة الغضب حتى يترك
العقاب ويصفح عن الجريمة فلذلك شهدوا باتيان الرسل اليهم واقامة الحجة عليهم وشهدوا على انفسهم بالكفر فما زادهم ذلك الا وبالا
وخزيا ونكالا ولما ذكر سبحانه اقامة الحجة على الكافرين في المعاد بالرسل عليهم السلام علل ارسالهم لهم ترغيبا وحثا في اتباعهم في ايام المهلة
بعد ترهيب وتنبيها وارشادا الى صادع تخويفه تاديبا فقال ذلك اي الامر العظيم الجدا وهو ارسالنا الرسل ان اي لاجل انه

لم يكن

اخبر

لم يكن ربك اي المحسن اليك بتشريف قومك مهلك اي ثابتا اهلاكه القرى بظلم اي بسبب ظلم ارتكبوه واهلها غافلون
او غير يقظين في الغفلة عما يجب عليهم مما لا يستقل به عقولهم بما ركب فيهم من الشهوات وغلب عليهم من اللذات فاوقف عقولهم عن نافذ المعرفة
بما يراد بهم ثم ارسلنا اليهم الرسل حتى ايقظوا من رقدتهم وانبهوهم من غفلتهم فصار تعذيبهم بعد تكذيبهم هو الحق الواجب والعدل الصائب
ويجوز ان يكون المعنى مهلكهم ظالما فيكون المنفي من الظلم كالمنفي في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولما بين سبحانه ان لاحد الفريقين دار
السلام وللاخر دار الملام قال جامعا للفريقين عاطفا على قوله لهم دار السلام عند ربهم ولكل اي عامل من الفريقين صالح وطالح
من مثقلي الجن والانس في الدارين درجات اي يعليهم الله بها مما اي من اجل ما عملوا ودركات يهويهم فيها كذلك ولما تقدم انه
نفى انه يهلك المجرمين لا بعد الاعذار اليهم وتضمن ذلك امهالهم وختم احوالهم بانهم موضع لثبوت الغفلة وكان ربما نفي ان يكون شيء
من ذلك بجناب عظمته على وجه ثبت له احاطة العلم بجميع اعمالهم فقال وما ربك اي المحسن اليك باعلاء اوليائك واسفال
اعدائك واغرق في النفي لاثبات مرتبة العلم فقال بغافل عما يعملون اي عن شيء من عمل احد من الفريقين بل هو عالم بكل شيء
من ذلك وبما يحقه العامل وقادر على مجازاته فلا يقع في وهم ان الامهال للخفاء اذ لا استحقاق بمخالفة الموجب له فالاية من النصوص في اثابة الصالحين
من الجن ولما كان طلب العقبى الاتمام والانتهاء وربما اوهم الحاجة اليها لنفع في الطاعة او ضرر يلحقه سبحانه من المعصية وكان الامهال مع المبارزة
ربما ظن انه عجز او غيرها وربك اي المحسن اليك وبمشيئته بذلك وحط المبتدا في الجن بقوله الغني اي وحده الغنى المطلق
عن كل عابد وعبادة فليعمل العامل لنفع نفسه او ضرها ذو الرحمة اي وحده بالامهال والارسال للتنبيه على ما يحقه من الاعمال ولما
ذكر اختصاصه بالغنى والرحمة فلا رحمة الا منه ولا غنى الا عنه وانه ما رتب الثواب والعقاب الا رحمة منه وجود استانف بيان
ذلك او اخبر عن هذا المبتدا بوصفيه عنه جعلهما وصفين بقوله مصرحا بما افاداه ان يشا يذهبكم اي جميعا بالاهلاك فلا
يقع في وطن احد منكم ان الاهلاك متوقف على شيء غير مشيته ولكنه قضى بامهالكم الى اجالكم رحمة لكم واكراما لنبيكم صلى الله
عليه وسلم ثم حقق الغناء ايضا ويستخلف ولما كان لم يجعل لاحد الخلد دخل الجار فقال من بعدكم اي بعد اهلاككم
ما يشاء اي يبدع غيركم من الخلق من جنسكم او غير جنسكم كما ابدع اباكم ادم من التراب والتراب من العدم وفرعكم منه كما انشاكم
من ذرية اي نسل قوم آخرين اي بعد ان اهلكهم اجمعين وهم اهل السفينة وتركتم نطفا في اصلابهم لم يكن في واحد
منها حياة ولما تقرر ان له الوصفين المستلزمين للقدرة انتج ذلك قوله جوابا لاستعجالهم بالعذاب استهزاء ان ما توعدون
اي من البعث وغيره لآت اي لابد من وقوعه لان المتوعد لا يبدل القول لديه ولا كفوء له يعارضه فيه وما انتم بمعجزين اي بثابت
لكم الاتيان بشيء يعجز عنه الخصم فيتم له الامر من جهته ومن جهتكم لوجود المقتضي وانتفاء المانع وفي ذلك تقرير لامر رحمته لان القادر
اذا اراد النقمة اخذ على غرة ولم يهدد واذا اراد الرحمة تقدم بالوعيد ليحذر الفارون ويستسلم الحائرون ولما تقرر ذلك من
التهديد على انكار البعث وتحرر فانتج الاجتهاد للعاقل ولابد في العمل وكان اكثر الخلق احوج امره سبحانه بالنصيحة بقوله قل يا قوم
اي اقرب الخلق الي واعزهم علي ومن لهم قيام في الامور وكفاية عند الملمات اعملوا واشار الى مزيد القوة بعد التعبير بالقوم بحرف الاستعلاء
فقال على مكانتكم اي على ما لكم من القدرة على العمل والمكنة قبل ان ياتي الدواهي وتسبقكم القواصم بحلول الاجل وفيه مع النصيحة
تخويف اشد مما قبله لانه تهديد الحاضر على لسان الغير مع التعريض اشد من مواجهته بالتهديد اي انكم ان لم تقبلوا بذلك التهديد الاول كنتم اهلا
للاعراض والبعد ولما كان ذلك مبنيا على النصيحة مبادرة الناصح الى المباشرة ما نصح به ودعا اليه قال مستانفا او معللا اني عامل اي على مكانتي
ويقدر استطاعتي قبل الفوت بحادث الموت ويمكن ان يكون من محض التهديد فيكون المعنى اعملوا بما انتم تاتون الان من المخالفة بغاية ما لكم
من القوة اني الى اعمل فيما جئت به ولما كان وقوع المتوعد به سببا للعلم بالعاقبة وكان القياس العدم لكثرتهم وعزهم وقلة فطنتهم
حسن الاتيان بالفاء في اسقاطها لانه لا يكاد يكون لا على المقال متفطن للسؤال فقال فسوف تعلمون اي بتقيع لهم بوعد ه

لا خلف فيه العلم فكأنه قيل اي علم فقيل من تكون له كونا نجبل عليه عاقبة الدار اي مني ومنكم وهذا في اثبات الفاء بخلاف ما في قصة
شعيب عليه السلام في سورة هود في حذفها ولما كان التقدير جوابا لما يقتضيه السؤال لهم عاقبة الدار للعامل العدل استانف قوله انه لا يفلح الظالمون
اي الغريقون في الظلم كائنين من كانوا فلا تكون لهم عاقبة الدار فالاية من الاحتباك ذكر العاقبة اولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الظلم ثانيا دليلا
على حذف العدل اولا ولما تمت هذه الآيات في قبح طريقتهم في انكار البعث حسن طريقة الكلام على هذا الاسلوب البديع والمثال البعيد المنال الرفيع
وختمت بحال الظالم شرع في تفصيل دلائل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض على اسلوب اخر ابداه ببيان ظلمهم وجهالاتهم واباطيلهم تنبيها
على سخافة عقولهم تنفيرا عنهم بوضعهم الاشياء في غير مواضعها واطراحهم ما هو حق ونسبتهم الى من لا يملك شيئا وقتل الاولاد وسائب الانعام وغير
ذلك من قبائح الافعال فقال عاطفا على وجعلوا لله شركاء الجن وجعلوا اي المشركون العادلون بربهم الاوثان لله اي الملك الاعلى الذي لا كفؤ له مما ذرأ
اي خلق وانشأ وبث ولم يشركه في خلقه احد من الحرث اي الزرع وغيره والانعام نصيبا اي جعلوا لشركائهم نصيبا ولما كان الجعل لا يعرف
الا بالقول سبب عنه قوله فقالوا اي بالسنتهم بعد ان قالوا بافئدتهم هذا لله اي الملك الاعلى بزعمهم اي ادعائهم الباطل وتصرفهم
يكذب لانه عام التخصيص باسه ولذا اسقط الزعم من قوله وهذا لشركائنا اي وليس لهم سند في هذه القسمة الا هواهم ولما كان هذا
سخفا بتسويتهم من لا يملك شيئا بمن يملك كل شيء بين من فعلهم ما هو اشد سخفا منه بشرح ما لوح اليه التعبير بالزعم فقال مسببا عن ذلك ومعرضا
فما كان لشركائهم اي بزعمهم انهم شركاء فلا يصل الى الله اي الذي هو المالك الاوسع اتصافه بصفات الجلال والجمال وما كان لله على
من الكبر والعظمة والجلال والعزة فهو يصل الى شركائهم فاذا هلك ما سمي لشركائهم او اجدب وكثر ما لله قالوا ليس لالهتنا بد من نفقة
فاخذوا ما لله فانفقوه على الهتهم واذا اجدب الذي لله وكثر ما لالهتهم قالوا لو شاء الله لازكى الذي له فلا يردون عليه شيئا مما للالهة
ولما بلغ غاية السفه قال ساء ما يحكمون اي حكمهم هذا اسوء حكم ذكر الامام ابو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي في سيرته في وفد
خولان انه كان لهم صنم يسمى عم انس وانهم لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له انهم كانوا يجعلون من انعامهم وحروثهم جزءا له
وجزءا بزعمهم قالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا اخر حجرة لله عز وجل فاذا مالت الريح بالذي سميناه لله
جعلناه لعم انس واذا مالت الريح بالذي جعلناه لعم انس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل انزل عليه في ذلك
وجعلوا لله الآية قالوا وكنا نتحاكم اليه فنتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم قالوا فاصبحنا يا رسول الله وقلوبنا
تعرف انه كان لا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبده وقال ابن هشام في مقدمة السيرة انهم كانوا يقسمون له مما دخل في حق عم انس من حق الله
الذي سموه له تركوه وما دخل في حق الله من حق عم انس ردوه عليه قال وهم بطن من خولان يقال لهم الاديم وقال عبد الرزاق في تفسيره اخبرنا معمر
عن قتادة قال كانوا يعزلون من اموالهم شيئا فيقولون هذا لله وهذا لاصنامهم فان ذهب بعض ما جعلوا لشركائهم تخالطه شيئا مما جعلوا لله ردوه
وان ذهب شيء مما جعلوا لله تخالطه شيئا مما جعلوا لشركائهم تركوه وان اصابتهم سنة اكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم
فقال عز وجل ساء ما يحكمون وقال البغوي كانوا يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم نصيبا فما جعلوه لله صرفوه
للضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا
ان الله غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك او انتقص
شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا هلك او انتقص شيء مما جعلوه للاصنام جبروه بما جعلوه لله ولما كان هذا استهتارا لانهم نقصوا
اموالهم بانفسهم في غير طائل فجعلوها لمن لا يستحقها نبه تعالى على ان ذلك بتزيين من اضلهم من الشياطين من سدنة الاصنام وغيرهم من الانس
والجن المتكلمين في اجواف الاصنام وغيرهم فقال عطفا على انهم زينوا لهم ما هو اهون منه وكذلك اي ومثل ما زين لجميع المشركين
تضييع اموالهم والكفر بربهم شركاؤهم زين لكثير من المشركين ولما كان المزين لحسنه اهلا لان لا يقبل تزيينه ولا يلتفت اليه فكان
امتثال قولهم غريبا وكان الاقدام على فعل الامر المزين اشد غرابة قدمه تنبيها على ذلك فقال قتل اولادهم اي بالوأد خشية الاملاق

والنحر

والنحر لالهتهم شتان بين من يوجد لهم الولد ويرزقه والرزق ويخلفه وبين من لا يكون له سبب في اعدامه ولما كان هذا في غاية الغرابة
تشوفت النفس الى فاعل التزيين فقال شركاؤهم اي هم اقل منهم بما يخاطبونه من اجواف الاصنام وبما يحسن لهم السدنة والاهوية بسبب الاصنام
ولما كان هذا امرا عجيبا كان لامر في قراءة ابن عامر الموجود في زمان النبي صلى الله عليه وسلم المشهود له ببركة ذلك العصر الاخذ عن جلة من الصحابة الموصوفين
بغزارة العلم ومتانة الدين وقوة الحفظ والضبط وصحة النقل في اسناد القتل الى الشركاء باضافة المصدر الى فاعله العجب وفصل بين المضاف
والمضاف اليه بالمفعول وهو الاولاد لان وقوع القتل فيهم كما تقدم لعجب تما ذلك ربما كان لفائدة استهجن لها هذا الفعل العظيم ذكر انه
ليس فائدة الا الهلاك في الدنيا والدين الذي هو هلاك في الاخرة ليكون ذلك اعجب فقال ليردوهم اي يهلكوهم هلاكا لا فائدة تحته يوجبه
وليلبسوا اي يخلطوا ويشبهوا عليهم دينهم وهو دين ابراهيم الذي اراد ذبح ولده اسمعيل عليهما السلام فما اقدم عليه الا بامر
الله له فداه ولم يمض بحسب خالف هؤلاء عن امر الشركاء الامرين معا فجمعوا بذلك بين اهلاكهم في النفس والدين فان القتل في نفسه عظيم جدا
ووقوعه ثابتا بغير اصل ولا شبهة اعظم فلا اضل ممن شرع من كان سببا لاهلاك دينه ونفسه ولما كان العرب يدعون الاذهان الثاقبة والافكار
الصافية والاراء الصائبة والعقول الوافرة النافذة ذكر لهم ذلك على سبيل التعليل والتهزاء بهم يعني انهم فعلوا ذلك لهذه العلة فلم
تفطنوا بهم ولم يتركوا ما ارادوا بكم مع انهم حجارة فانتم اسفل منهم ولما اثبت للشركاء فعلا هو التزيين وكان قد نفى سابقا عنهم وعن
سائر اعداء الاستقلال بربوبية الامر هنالك لان السياق للاعداء بصفة الربوبية المقتضية للحياطة والكفاية وكان الكلام هنا في
خصوص الشركاء علق الامر باسم الذات الدال على الكمال المقتضي للعظمة والجبروت والكبرياء الاسماء الحسنى على وجه الاحاطة والجلال فقال
ولو شاء الله اي بما له من العظمة والاحاطة بجميع اوصاف الكمال المقتضية للعلو عن الانداد والتنزه عن الشركاء والاولاد
ان لا يفعله المشركون ما فعلوه اي ذلك الذي زينه لهم لكن ذلك انما هو بارادته ومشيئته احترازا ممن ظن انهم يقدرون على شيء
استقلالا وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخفيفا واكد التسلية بقوله فذرهم وما يفترون اي يتقولون من الكذب ويتعمدونه
ولما ذكر اقدامهم على ما تقبحه الشرع والامة على تقبيحه العقل من قتل الاولاد اتبعه احجامهم عما يستحسنه الشرع من ذبح بعض الانعام لنفعهم وضم
اليه حبالا مما منعوا انفسهم منه ودانوا به مجرد لاهوائهم فقال وقالوا اي المشركون سفها وجهلا هذه اشارة الى قطعة من اموالهم
عينوها لالهتهم انعام وحرث حجر اي حرام محجور عليه فلا يصل احد اليه وهو وصف يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والمؤنث
لانه حكمه حكم الاسماء غير الصفات لا يطعمها اي لا ياكل منها الا من نشاء اي من السدنة ونحوهم بزعمهم اي بتقولهم بمجرد الهوى من غير سند
عن الله الذي له ما في السموات والارض وهم كاذبون في هذا الزعم في اصل التحريم وفي نفوذ المنع فلو اراد الله ان يوكل لاكلت ولم يقدروا
على منع وانعام ولما كان ذمهم على مجرد التحريم لا على كونه حرميا بين المحرم فقال حرمت ظهورها يعني البحائر وما معها فلا تركب
وانعام لا يذكرون اي هؤلاء المتقولون على الله اسم الله اي الذي له جميع العظمة عليها اي في الذبح او غيره افتراء اي تعمدا للكذب
عليه ولما كان هذا العظيم من جهة انه تعمد للكذب على ملك الملوك موضع تشوف السامع الى ما يكون عنه استانف قوله سيجزيهم اي بوعد
صادق لا خلف فيه بما اي بسبب ما كانوا اي جبلة وطبعا يفترون اي يتعمدون من الكذب اما بعد اظهار الحق فواضح واما قبله فلكونه
في غاية ما يكون من ظهور الفساد ولما ذكر من سفههم ما فيه اقدام محض وما فيه احجام خالص عجب باتباعه ما هو مختلط منهما فقال وقالوا
اي المشركون او بعضهم واقره الباقون ما في بطون هذه اشارة الى ما اقتطعوه لالهتهم وبينوه بقولهم الانعام اي الاجنة خالصة
اي خلوصا لا شوب فيه انث الحمل على معنى الاجنة او تكون الهاء للمبالغة او تكون مصدرا كالعاقبة اي ذو خالصة لذكورنا ولما كان المراد
العراقة في كل صفة اتى بالواو فقال ومحرم وحذف الهاء اما حملا على اللفظ وتحقيقا لان المراد بخالصة المبالغة على ازواجنا
اي اناثنا وكانه عبر بالازواج بيانا لموضع السفه بكونهن شقائق الرجال هذا ان ولد حيا وان يكن اي ما في بطونها ميتة وكانه انث
هاء التانيث مبالغة وانث الفعل ابو جعفر وابن عامر وابو بكر عن عاصم حملا على معنى ما ورفع الاسم على التمام ابن كثير وابو جعفر وابن عامر

وذكر ابن كثير لان التانيث غير حقيقي ونصب الباقون على جعلها ناقصة مع التذكير حملا على لفظ ما **فهم** اي ذكورهم واناثهم **فيه** اي في الكائن
الذي في البطون **شركاء** على حد سوا ولما كان ذلك كله وصفا منهم للاشياء في غير مواضعها التي يحبها الله قال **سيجزيهم وصفهم** اي
بان نضع العذاب الاليم في كل موضع يكرهونه وضعه فيه حتى يكون مثل وصفهم الذي حكموا به تابعا لهواهم فيجتني صار خلقا لهم ثابتا
فهو يزيد بهم وضعهم اثره ثم علل ذلك بقوله **انه حكيم** اي لا يجازي على الشي الا بمثله ويضعه في احق مواضعه واهدها **عليم** اي بالغ العلم
ومن يستحقها وعلى اي وجه يفعل وعلى اي كيفية يكون اتم واكمل وفي ذلك تمام اشارة الى ان هذه الاشياء في غاية البعد عن الحكمة فهو
متعال عن ان يكون شرعها وهي سفه محض لا يفعلها الا ضال جاهل ولما ذكر تفاصيل احكامهم ونبه الى معايبها جمعها وصرح بما
اثمرت من الخيبة في سبع خلال لكل واحدة منها سبب من خصوص الذم فقال **قد خسر** واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
فقال **الذين قتلوا** قرأها ابن عامر وابن كثير بالتشديد لارادة التكثير والباقون بالتخفيف **اولادهم سفها** اي خفة الى الفعل المذموم وتلبيسا
نوئهم الشياطين الذين يتكلمون على السنة الاصنام لوسنتها عن ادنى تدبر وتفكر وتبصر قاصحا بما افهمه **بغير علم** اي وامام
قتل ولده بعلم كما اي اذا انهم كانوا فقرا او في الحال او يحصل زانيا فليس حكمه كذلك ولما ذكر عظيم ما اقدموا عليه ذكر جليل ما احجموا
فقال **وحرموا ما رزقهم الله** اي الذي له الكمال كله رحمة لهم من تلك الانعام والفلاحة بغير شرع ولا نفع بوجه **افتراء** اي تعمدا للكذب
على الله اي الذي له جميع العظمة ولما كان لو امرهم ضرر وانذر خسارا مع ادعائهم غاية البصر بالتجارات النفس بقتل الاولاد
والمال بتحريم ما رزقهم الله فاداهم ذلك الخسارة التي كانت نتيجة قوله **قد ضلوا** اي جاروا وحادوا عن الحق وجاروا
ولما كان الضال قد يكون ضلاله قليلا عارضة له ويكون الهداية وصفا اصلا فيه نبه على ان الضلال وصفهم الثابت بقوله **وما كانوا**
اي في شي من هذا في خلق من الاخلاق **مهتدين** اي لم يكن في كونهم وصف الهداية بل زادوا بذلك الضلال اي قال البخاري في المناقب من صحيحه حدثنا
ابو النعمان نا ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة من
سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها الى قوله وما كانوا مهتدين ولما في وفد بني حنيفة من المغازي عن مهدي بن ميمون قال
سمعت ابا رجا العطاردي يقول كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا احسن منه القيناه فاخذنا الاخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب
ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة
الا نزعناه فالقيناه شهر رجب ولما كان مدار القران على تقرير التوحيد والنبوة وتوابعها والمعاد والقضاء والقدر والفعل
بالاختيار وايقن تقرير هذه الاصول كلها في هذه السورة وانتهى الى شرح احوال السعداء والاشقياء وعجب سبحانه ممن اشرك وانكر
البعث وفعل افعال المشركين تعجيبا بعد تعجيب وهجن طريقهم ووبخهم توبيخا في اثر توبيخ لتكذيبهم للداعي من غير حجة وحكى اقوالهم
الباطلة وحاويهم الغافلة مع ادعائهم انهم انصف الناس عن مخالفتهم الهادي لغير ريبة ولا بينة مع ادعائهم انهم ابصر الناس و
يطلبهم الايات تعنتا مع ادعائهم انهم اعقل الناس واخلاهم من الشبهة واشراكهم في الرخاء مع ادعائهم انهم اشكر الناس وعبادتهم الجن
وتعوذهم بهم مع ادعائهم انهم اشجع الناس الا انه عجب منهم فيما شرعوه لانفسهم فيما رزقهم سبحانه من حيوان وجماد وضلوا عليه خلفا
عن سلف تنبيها على ضعف عقولهم وقلة علومهم تنفيرا للناس عن الالتفات اليهم والاغترار باحوالهم وكان موضع الحال ممن جعلوا لله مما
ذرا من الحرث الاية مبينا عظيم ملكه وشمول قدرته وباهر اختياره وعظمته زيادة في التعجيب منهم في تصرفهم في ملكه بغير اذنه وشرعهم
ما لم ياذن فيه نحى نحو ما فعل باقامة الحجة على تقرير التوحيد عودا على بدء وعلل بعضها لانه المدار الاعظم والاصل الاقوم **وهو**
اي لا غيره **الذي انشا** اي بعد العدم **جنات** اي من العنب وغيره **معروشات** لا تصلح الا مطروحة على الارض منقلة بما يحكم وصولها اليها
ومتى ارتفعت عن الارض لفت فذلك بالطبيعة ولا غيرها والا لاستوت الجنات كلها لان نسبتها الى السماء والارض واحدة فلما
اختلفت الابنا على مختار واحد لا شريك له لايلين الا ما يريد ولما ذكر الجنات الجامعة خص افضلها وادلها على الفعل بالاختيار

وغير معروشات صح

وبدء

وبدا باشرها عند المخاطبين بهذه الايات فقال **والنخل** اي وانشا النخل **والزرع** حال كونه **مختلفا اكله** اي ثمر احد النوعين وهو ثمره الذي
يوكل بالنسبة الى الاخر واكل كل نوع بالنسبة الى الاشجار وغيرها في الهيئة واللون والطعم وغيرها مع انه يوجد في العذق الواحد الاختلاف واما اختلاف
مقداره يكون هذا في غاية الطول وهذا في غاية القصر فامر واضح جدا **والزيتون والرمان** ولما كان معظم القصد في هذا السياق نفي الشريك
واثبات الفعل بالاختيار لم يدع الحال الى ذكر كمال الشبه فاكتفى باصل الفعل فقيل **متشابها** اي كذلك **وغير متشابه** اي في اللون او الطعم
والفساد وعدمه والتفكه والاقتيات والدهن والماء الى غير ذلك من احوال وكيفيات لا يحيط بها حق الاحاطة الا بارئها سبحانه وعز شانه
ولعله جمع الاولين لان كلا منهما يدخر للاقتيات ولا يسرع فساده مع المقاربة في الشكل والاختلاف في النوع بالشجر والنجم والتفاوت
العظيم في المقدار والاخيرين لان الاول لا يفسد بوجه والثاني يسرع فساده ويمكن كل منهما بالعلاج على غير الهيئة التي يدخر فيها الاخر
مع كونهما من الشجر وتقاربهما في المقدار وتفاوتهما في الشكل والقدر وغير ذلك ولما كان قوله وهو الذي انزل من السماء ماء في سياق
الاستدلال على انه لا فاعل الا الله امر فيه بالنظر الى الثمر والينع ليعتبر بحالهما وكانت هذه الاية في سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله والامر
بالاكل من حلال ما انعم به والنهي عن تركه تدينا فقال تعالى هنا **كلوا** وقدم الاولى المستدل بها على وجود الباري وتفرده بالامر لان اعتقاد ذلك
سعادة روحانية ابدية وقال ابو حيان في النهر لما كان ما يجيء تلك الاية في معرض الاستدلال بها على الصانع وقدرته والحشر واعادة الارواح
الى الاجساد بعد العدم وابراز الجسد وتكوينه من العظم الرميم وهو مجتنب عن النظر والعبرة اذا اثمر وينعه اشارة الى الايجاد والى غايته وهنا
لما كان في معرض الامتنان واظهار الاحسان بما خلق لنا ودل على ان الرزق اكثر من الخلق بقوله **من ثمره** ولما كان هذا الامر للاباحة لا للارادة
قيده لئلا يقتضي ايجاد الثمر في كل حينة في كل وقت فقال **اذا اثمر** فحصل بمجموعهما الحياة الابدية والحياة الدنيوية السريعة الانقضاء
تقدم النظر وهو الفكر على الاكل لهذا السبب وعبر باذا دون ان تحقيقا لرجاء الناس في الخصب تسكينا لامالهم رحمة لهم ورفقا بهم لعلمه بانه
ان وقع مرة كان في ناحية دون اخرى واباحه للاكل في جميع احوال الثمرة نضيجة وغير نضيجة ولما كان في الاية التي قبلها من مذاهب الكفار تقبيح ان
يجعلوا شيئا من اموالهم يحلها لاحد باهوائهم اشار هنا الى انه فرض فيها حقا وجعل له مصارف بقوله **واتوا حقه** ولما اباح سبحانه
اكله ابتداء وانتهاء بين انه خفف عنهم الوجوب قبل الانتهاء فقال **يوم حصاده** اي قطعه جذاذا كان الحصاد افق الحظ واوقت الانصباب
الامر وهو موسع والحق يعم الواجب والمندوب فان اريد الندب عم الانواع الخمسة الماضية العنب المشار اليه بالعرش وما بعده وان اريد
الوجوب فقد اشير بالتعبير بالحصاد الى ان الاصل في ذلك الحبوب المقتاتة واما غيرها فتابع لها بما بينه النبي صلى الله عليه وسلم فيطلق على التمر
الحصاد مجازا ولما امر الله بالاكل من ثمره وباتياء حقه نهى عن مجاوزة الحد في البسط والقبض فقال **ولا تسرفوا** وهذا النهي يتضمن افراد
الاسراف فيدخل فيه الاسراف في اكل الثمرة حتى لا يبقى منها شي للزكوة والاسراف في الصدقة حتى لا يبقى لنفسه ولا لعياله شيئا ويؤيده وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا ولا تبسطوها كل البسط ثم علله بقوله **انه لا يحب المسرفين** اي يعاملهم معاملة المحب لا يكرمهم وقيل لحاتم الطائي لا خير في السرف فقال
لا سرف في الخير ولما كانت الايات الماضية في الحرث والانعام من حلال وحرام وفرغ من تحرير امر الحرث الذي قدم في الجملة الاولى لانه مادة الحيوان
قال **ومن** اي وانشا من **الانعام حمولة** اي ما يحتمل الاثقال **وفرشا** اي ما يفترش للذبح او للتوليد ويعمل من وبره وشعره فرش ولما
استوفى القسمين امر بالاكل من ذلك كله على وجه يشمل غيره مخالفة للكفار فقال **كلوا مما رزقكم الله** اي لانه المالك الاعظم الذي لا يسوغ
رد عطيته **ولا تتبعوا** ولعله اشار بالتشديد الى العفو عن هفوة اذا ذكر الانسان فيها رجع ولم يتماد في هواه **خطوات الشيطان** اي طريقه
في التحليل والتحريم كما قال في البقرة كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان وعبر بذلك لانه مع كونه من مادة الخطيئة دال على
نزعه شريعة الانداد واسع لا مزيد لا عتنا من الفسقة بالتبع في كل خطوة حال اثارها البادي رايها المحو لبطلانها في نفسها فلا امر من الله
يحيها ولا كتاب يبقيها وانما اسقط هنا حلالا طيبا لتقدمها سابقا في قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
ولا اخفاء في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي ثم علل النهي عن اتباعه فقال **انه لكم عدو** اي فهو لذلك لا يامركم بخير **مبين** اي ظاهر العداوة

لان امر مع ابيكم شهير ولما رد دين المشركين واثبت دينه وكانوا قد فصلوا الحرمة بالنسبة الى ذكور الانعام واناثه الى ما تقدم تفصيله فصّله
بالنسبة الى ذكور الانعام واناثه تفصيلا امرها في اسلوب ابان فيه ان فعلهم رث القوى هلهل النسج بعيد عن قانون الحكمة فهو موضع
للاستهزاء واهل للتهكم فقال مبينا للحمولة والفرش ثمانية ازواج اي اصناف لا يكمل صنف منها الا بالاخر انشاها بازواج كل
من الذكر والانثى بالاخر ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون اخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر ولما
كان الزوج يطلق على الاثنين وعلى ما معه اخر من نوعه قال مبينا ان هذا هو المراد لا الاثنان مفصلا لهذه الثمانية من الضان جمع ضاين
وضائنة كصاحب وصحب اثنين اي ذكرا وانثى كبشا ونعجة ومن المعز جمع ماعز وماعزة كخادم وخدم وفي قراءة ابن كثير وابي عمرو
وتاجر وتجر في قراءة غيرهم اثنين اي زوجين ذكرا وانثى تيسا وعنزا ولما كان كانه قيل ما المراد بهذا التفصيل قيل والمراد ابطال تحريمهم
قل اي لهم مستفهما ولما كان هذا الاستفهام بمعنى التوبيخ والتهكم والانكار اتى فيه بام التي هي مع الهمزة قبلها بمعنى اي يستفهم بها عما يعلم
ثبوت بعضه وانما يطلب تعيينه فقال معترضا بين المعدود تاكيدا للتوبيخ لان الاعتراضات انما تساق للتاكيد ء الذكرين ولما كان
المستفهم عنه بنصبه ما بعده لا ما قبله قال حرم اي الله فان كان كذلك لزمكم تحريم جميع الذكور ام الانثيين ليلزمكم تحريم جميع الاناث
ولتوعب جميع ما يفرض من اثر الاقسام في قوله اما اي حرم ما اشتملت اي انضمت عليه وحملته ارحام الانثيين اي من الذكور و
الاناث ومتى كان كذلك لزمكم تحريم الكل فلم تلتزموا شيئا مما اوجبه هذا التقسيم فلم تمشوا على نظام ولما علم انه لا انتظام لهم فعلم انهم
جديرون بالتوبيخ زاد في توبيخهم فقال نبئوني اي اخبروني اخبارا عظيما تم انه من اخبار جليلا عظيما ولما كان هذا الاخبار الموصوف لا يكون
بشيء فيه شك قال بعلم اي امر معلوم من جهة الله لا مطعن فيه ان كنتم صادقين اي ان الله حرم ذلكم هذا الوصف ولما فصل الغنم
الى ضان ومعز لغنى ذلك عن تنويع الابل الى العراب والبخت والبقر الى العراب والجواميس ولان هذه يتناتج بعضها من بعض بخلاف الغنم
فانها لا تطرق واحدة من غيرها الاخر نقله الشيخ بدر الدين الزركشي في كتاب الوصايا من شرح للمنهاج عن كتاب الاضداد لابن سراقة فقال
ومن الابل اثنين اي ذكرا وانثى ومن البقر اثنين اي كذلك قل اي لهؤلاء الذين اختلقوا جهلا وسفها ما تقدم عنهم ء الذكرين ام الانثيين اي حرمهما
اي من هذين النوعين حرم اي حرمهما الله اما اي الذي اشتملت عليه اي ذلك المحرم على زعمكم ارحام الانثيين اي حرمه الله
ولما كان التقدير اجاءكم هذا عن الله الذي لا حكم لغيره على لسان نبي عادله فوبخهم وانكر عليهم بقوله ام كنتم شهداء اي حاضرين
اذ وصاكم الله اي الذي له الملك كله فلا حكم لسواه بهذا اي كما جزمتم عليه به او جزمتم بالحرمة فيما حرمتموه والحل فيما احللتموه
ولا محرم ولا محلل غير الله فكنتم بذلك مستندين للحكم اليه ولما كان التقدير كما انتجه السياق كذبتم على الله حيث نسبتم اليه ما لا اخذ لكم
عنه لا بواسطة ولا بغير واسطة تسبب عنه قوله معمما لعلمه انه لا ادنى في التحريم والتحليل كان الكذب في اصول الدين اشد فمن اظلم ووضع موضع
منكم قوله معمما ومعلقا الحكم بالوصف ممن افترى اي تعمد على الله اي الذي له العظمة كلها لانه ملك الملوك كذبا كعمرو بن لحي الذي
غير شريعة ابرهيم عليه السلام وكل من فعل فعله ولما كان يلزم من شرعهم لهذه الامور اضلال من تبعهم فيها اغراء السو وكانوا يدعون انهم افطن
الناس واعرفهم بدقائق الامور غير باياتها ونهاياتها وما يلزم عنها جعل غاية فعلهم مقصودا لهم تهكما بهم فقال ليضل الناس ولما كان
الضلال قد يقع من العالم الهادي خطا قال بغير علم ولما كان هذا محل عجب من يفعل هذا كشفه سبحانه بقوله استينافا ان الله وهو الذي
لا حكم لاحد سواه لا يهديهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تعميما بما هو اعم من وصفهم ليكون الحكم عليهم بطريق الاولى فقال لا يهدي القوم الظالمين
اي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها فكيف بالاظلمين وما احسن الختم لاحكامهم واسناد ابنائها عليه بقوله انه لا يفلح الظالمون
ولما تضمن قوله افتراء عليه افتراء على الله والتعبير في ذلك كله بالاسم الاعظم ان كون التحريم من الله اسلم معلوم ليس موضعا للشك لانه الملك
الاعظم ولا حكم لغير الملك وعن حلمه فلم يعز منه تحسن ابطال دينهم والبيان لانهم لم يحرموا شيئا بالشرع فضل عن ظالم قوله مبينا البيان الصحيح
لما يحل ويحرم جلب المنفعة لغا الذي هو من سبحانه وما الذي نحله قل معلما ان التحريم لا يثبت الا بوحي كريم لا اجد اي الان لي فيما

يستقبل

يستقبل من الزمان فان لكلمة لا تدخل على مضارع الا وهو بمعنى الاستقبال فيما ولما كان ما اتاه صلى الله عليه وسلم قد ثبت انه من عند الله معارضته
انه من الله مبني للمفعول قوله اوحي الي اي من القرآن والسنة شيئا مما تقدم من محرمه مطلقا او على حال او على ناس دون اخرين طعاما
محرما على طاعم اي طاعم كان من ذكر او انثى يطعمه اي شيئا وله اكلا او شربا او دواء او غير ذلك الا ان يكون ميتة اي يكون ذلك الطعام ولما
كان اي شرعا والميتة الشرعية هي ما لا يقبل التذكية وهو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية او دما مسفوحا اي مراقا من شانه السيلان
لا ما من شانه الجمود كالكبد والطحال ولما كان النصارى قد اتخذوا اكل الخنزير دينا نحوا فيه وان كان داخلا في قوله ميتة على ما قررته في المراد بها
وقال او لحم خنزير ليفيد تحريمه على كل حال سواء ذبح لهما او لو قتل او خنزير لاحتمل ان يراد تحريم ما اخذ منه حيا فقط وقال فانه اي الخنزير
رجس ليفيد نجاسة عينه فعوض من لحمه وكذا سائر اجزائه بطريق الاولى وكل ما وافقه في هذه العلة كان نجسا ولا يعاد الضمير على اللحم لانه قد علمت
نجاسته من تحريمه لعينه فلو عاد عليه كان تكرارا ولما ذكر المحرم لعينه ذكر المحرم لعارض فقال مبالغا فيما نهى عنه بان جعله نفس الحدث لاجله وقع النهي
او فسقا اي او كان الطعام خروجا مما ينبغي القرار فيه من جناب الله الذي من توطنه امن واهتدى وعلم الحكمة ضيق الهوى في ذكر العلة الذي
من خرج اليه خاف وضل وهلك ثم قال مفسرا له مقدما لما هو داخل في الفسق من الالتفات الى الغير اهل لغير الله اي الذي له الكمال كله
به اي ذكر غير اسمه عليه بان ذبح له تدينا ثم ذكر لطفه بهذه الامة في اباحته لهم في حال الضرورة كل محرم رحمة منه لهم وسترا لتقصيرهم فقال
فمن اضطر اي حصل له جوع خشي منه التلف وبني الفعل للمفعول لان المعتبر حصول الاضطرار لا كونه من معين وفي التعبير بذلك توقف حرمة
ما زاد على سد الرمق لانه لا يكون مضطرا غير باغ اي على غيره بتكبيره ولا عاد اي على غيره بقوته ولا متجاوز سد الضرورة فان ربك اي المحسن
اليك بارسالك والى امتك الضعيفة بجعل دينها الحنيفية السمحة غفور اي يمحو الذنوب اذا اراد رحيم اي يكرم المذنب بعد الغفران بانواع
الكرامات فجدير بان يمحو عن هذا المضطر اثر تلك الحرمة التي قربها ويكرمه بان يجعل له في حفظه بذلك لنفسه اذا صحت فيه نيته اجرا
عظيما وقد تكفلت الاية على وجازتها بجميع المحرمات الماكولات مع الاشارة بلفظ الرجس والفسق الى جميع اصناف المحرمات والحاذر بكيها موجب للخبث
والانسلاخ من الخير وذلك هو سبب تحريمها قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة وجه انزال هذا الحرف احكام الحلال والحرام طهرة الخلق من مضار ابدانهم
وحياة نفوسهم وبهجة قلوبهم فما اجتمعت فيه كان اشد تحريما وما وجد فيه شيء منها كان تحريمه بسبب تلك الضرورة الظاهرة وكما اختلفت احوال
بني ادم بحسب اختلاف طينتهم من بين خبيث وطيب وما بين ذلك اختلفت احوالهم فيما به تحته خلقهم من رزقهم فمن اغتذى بدنه من شيء ظهرت اخلاقه
نفسه ذلك المغتذى به واوصافه ورين على القلب واوصاف القوة بما يجري عليه من ذكر اسمه او كفر به بذكر غيره وجامع منزل على حرف من التنزيل
من شجع الحلال قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا هذا المضرة بالبدن او لحم خنزير
وهذا التخبيث للنفس بتجنبها كما قال تعالى فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به وهذه الرينة على القلب وهذه الاية مدنية واتت بالحق
في سورة مكية اشعارا بان التحريم كان مستحقا في اول الامر ولكن اخر الحكم من اجتماع جملة الاحكام بالمدينة تاليفا لقلوب المشركين وتيسيرا
على ضعفاء الذين امنوا واكتفاء للمؤمنين بتنزههم عن ذلك وعما يشبهه استبصارا منهم حتى ان الصديق رضي الله عنه كان قد حرم الخمر على نفسه في
زمن الجاهلية لما راى فيها من ترخ العقل فكيف باحوالهم بعد الاسلام وحلق بها في سورة الذين امنوا ما تماقتله السطوة من غير ذكر الله عليه من المنخنقة
والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما تداركه بالتذكية المنهر للدم الموصل لحياتها لتصير نفسا مسفوحة بما هو خارج عن حد
الطعام في الابتداء قبل التذكية والاعضاء في الانتهاء المستدركة ببركة التسمية اثر ما اصابها من مفاجاة السطوة والحق بها ايضا في هذه
السورة تحريم الخمر لرجسها كما الحق بما تحقق المقتولة بالميتة وكما حرم الله فيها جماع الرجس من الخنزير وجماع الاثم من الخمر حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كان فيه حظ من ذلك الا في الحق بالخنزير لما بالسباع حاميه من سورة غضبها للشدة المضرة في ظهور الغضب الحبيل لانه لا يصلح الاسلام وحرم
الحمر الاهلية لما فيه من بلادة وصرامتها الذي هو علم عن بئر الخرق في الخلق والحق صلى الله عليه وسلم بتحريم الخمر التي سكرها مطبوع تحريم المسكر
الذي سكره مصنوع وكما حرم الله ما يضر العبد في ظاهره وباطنه حرم عليه ما يضره فيما بينه وبينه مما يقطعه عنه من اكل الربا بالربا بضع وسبعون بابا

والشرك بغير ذلك وجامع منزله في قوله تعالى الذين ياكلون الربا الى قوله واحل الله البيع وحرم الربوا الى انتهاء ذكره الى ما ينتظم من ذلك في قوله
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة الاية الى ما يلحق بذلك في قوله وما اتيتم من ربا الاية هكذا قال ان هذه الاية
مدنية وهو مع كونه لم اره لغيره مشكل بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الاية ولما كان تحريم الربا لما بين الرب والعبد كان فيه الوعيد
بالاذان بحرب من الله ورسوله ولذلك جعل الاعمر درابعه اشد الصحابة وكان اشدهم في ذلك عالم المدينة حتى انه حمى من صورته مع انه
بسلامة الباطن منه وعمل بضده ذلك في تحريم ما بين العبد ونفسه وكما حرم الله الربا فيما بينه وبين عبده من جهة الوجه الاعلى كذلك حرم اكل
المال بالباطل فيما بين العبد وبين غيره من الطرف الادنى وجامع منزله في قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الاية الى ما يستظم
بذلك من قوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم الى ما يستظم بمن قوله تعالى وانوا اليتامى اموالهم
الاية في اموال اليتامى فحرم ما تحرم من جهة الاعلى والمثل والادنى وانتظم التحريم في ثلثة اصول من جهة ما بين الله وبين عبده ومن جهة ما
بين العبد وبين غيره مما يستقرا جملة اية في القران واحاديثه في السنة ومسائله في فقه الائمة ولما كان للمتسع وقع فيما بين الحلال البين والحرام
البين امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس لانها تشبه الحلال من وجه وتشبه الحرام من وجه فلو توقع ما بينهما تختلف فيها الائمة علما وتجتنب
جميعها الصالحون عملا من اتقى الشبهات استبرا لدينه في العقبى ولعرضه في الدنيا وعن حماية الله عباده من وبيل الحرام تحقق لهم اسم الطيب فلم يغذ
بطيب الله من لم يحتم على محرماته ومتشابهاته وهو الورع الذي هو ملاك الدين والاصول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال فيما به تحصيل قراءة
حرف الحرام تماما في العلم والحال والعمل اعلم ان الانسان لما كان خلقا جامعا كانت فيه بزرتان بزرة الخير وبزرة الشر وبحسب تطهيره وتخليصه
من تراجم نبات بزرة الشر تنمو فيه وتذكو بزرة الخير ولكل واحدة من البزرتين منبت في جسمه ونفسه وفؤاده فاول الحروف في الترتيب الاولى
والاسس لما بعده هو قراءة حرف الحرام لتحصل بطهارة البدن الذي هو اصل في وجود الانسان فمن غذي بالحرام في طفولته لم يقدر على اجتناب
الاثام في كهولته الا ان يطهره الله بما شاء من نار الورود في الدنيا من الامراض والضراء فطهور الساس الذي يبتنى عليه تطهير النفس من الملاهي وتطهير
الفؤاد من العمه والمجاهل والذي تحصل به قراءة هذا الحرف هو الورع الحاجز عما يضر بالجسم ويؤذي النفس وما يكره الخالق مما يغضب الرب
فمن اصاب شيئا من ذلك ولم يبادر اليه بالتوبة عذب بكل اية قرأها وهو مخالف لحكمها ولم يبال الله باي باب دخل عليه رزقه لم يبال الله من اي باب
ادخله النار ولما كان الورع كف اليد ظاهر الحرام في الضار وكانت الجوارح لا تنقاد الا عن تاثير من النفس لم يصح الورع ظاهرا الا ان يقع في النفس
روعة باطنة تنازل ذلك الشي ولما كانت النفس لا تتاثر الا عن تبصر القلب في الشي الضار كما لا تنكف اليد الا عند تقذر النفس لما يدرك العين
قذرة حتى ان النفس الرضية تانف من الحرام حمية تستانف المستطعمات المستقذرات فاكلة الحرام هم دود جيفة الدنيا يستقذرهم اهل
البصائر كما يستقذرون دود جيف المزابل ولما كان الحرام ما يضر العبد في نفسه كالميتة تيسر على المستبصر كف يده عنها لما يدرك من ضررها
بجسمه وكذلك الدم المسفوح لانه ميتة بانفصاله عن الحي ومفارقته لروح الحياة التي تجري الطف في العروق قلما سبق تحريمه قرينا بتحليله
في التورية بما يقتضي انه اكثر فعلا في النفس وتطبيعا لها بخلق ما هو دمه من اللحم والله الموفق وكذلك ما يضر بنفسه كلحم الخنزير لانه حيوان
والرجس هو ضبائث الاخلاط التي هي عند العقلاء اقبح من خبائث الابدان وذلك لان من اغتذى جسمه بلحم حيوان اغتذت نفسه بنفسيته
ذلك الحيوان وبخلق من اخلاقه وفي نفس الخنزير جماع رذائل الاخلاق من الاباء والحران والمكر والاقدام على ما يعاين فيه الهلاك ومتابعة
الفساد والانكباب على ما يقبل عليه من الذي لا شيء على ما اظهرت في خلقته ايايه فانه ليس له التفات وكذلك الاعناق وكذلك ما يضر بهما
وبالعقل كالخمر في نزفها العقل وتصديعها للراس وايقاعها العداوة والبغضاء في خلوق النفس ولذلك هي جماع الاثم فالمتبصر في
المحرمات ما يانف منها لما يورث من مضرتها واذاها في الوقت الحاضر ومعرتها في يوم الدنيا الى ما اخبر به من سوء عقباها في يوم الدين ومن شرب
الخمر في الدنيا ولم يتب منها كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة اهل النار ولو نهرت وتنها في الدنيا من لا امر بالاستقيه من يحبه
وحبيبه لوجد من الروع ما يحمله على الورع عنها وادا المتبصر في وداته فيما يضره في ذاته فانف منه رعاية لنفسه لحق له بذلك

الالزام

الالزام عليها تحامياً مما يتطرق له منه ذلك من جهة غيره فيتورع عن اكل اموال الناس بالباطل لما يرد من المواخذة عليها في العاجل وما اخبر به من المعاقبة
عليها في الاجل ولها في ذاته مضرة في الوقت يسعى فيها من موارد القران بنوداً الايمان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم
نارا ولو لم يحس بها ولم يقع عليه الوعد بالنار الا من ذلك لنبا عنه قوله تعالى وسيصلون سعيرا وكذلك ان ذا انف مما يضره في نفسه
ويخاف مما يتطرق اليه من غيره اعظم ان يتورع عما يتطرق اليه سطوته من ربه لاجله وذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه وعدم
التفاوت في امر رحمانيته في يوم الربا ولما فيه ايضا من مضرة وقته الحاضر التي يقبلها بالايمان من تعريفه به فانه تعالى كما عرف ان اكل مال
الغير بالباطل نار في البطن عرف ان اكل مال الربا جنون في العقل وخبال في النفس الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس واعظم من ذلك ما حرمه الله لعزائه عليهم عند ازهاق روحه لانه ماخوذ من غير الله وما اخذ من غير الله كان اكله فسقا وكفى لانه تناول
الروح ممن يرى لا يملكها ولذلك فرضت التسمية في التذكية ونقلت فيما سوى ذلك فلا يصح قراءة هذا الحرف الا بتبصرة القلب فيه ورد عنه
النفس منه وورع اليد عنه والا فهو من الذين يقرؤن حروفه ويضيعون حدوده الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي
القراء لاكثرهم ايمن لم تصح له قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حروف سواه ولا تصح عبادته وهو الذي لا تزيده صلوته من الله الا بعدا
ولا يقبل منه دعاء الرجل يطلب الله مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يقول يا رب يا رب فاني يستجاب لذلك فهذه قراءة
هذا الحرف وشرطه والله ولي التوفيق ولما كان قوله طعام نكرة في سياق النفي يعم كل طعام من اهل شرعنا وغيرهم وكان سبحانه قد حرم على اليهود اشياء
غير ما تقدم اقتضت احاطة العلم ان قال مبينا لاحاطة علمه ومكذبا لليهود في قولهم لم يحرم الله علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرم اسرائيل
على نفسه وعلى الذين هادوا اي اليهود حرمنا بما لنا من العظمة التي لا تدافع كل ذي ظفر اي على ما هو كالاصبع للادمي من السباع والطيور التي
تتقوى باظفارها ومن البقر والغنم اي التي هي دوات الاظلاف حرمنا اي بما لنا من العظمة عليهم شحومهما اي الصنفين ثم استثنى فقال
الا ما حملت ظهورهما اي من الشحوم ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما او الحوايا وهي الامعاء التي هي متعاطفة متلوية جمع حوية
فوزنها فعائل كسفينة وسفائن وقيل هي جمع حاوية او حاويا كعاصفاء فوزنها فواعل او ما اختلط من الشحوم بعظم مثل شحم الالية فان ذلك
لا يحرم وهذا الاستثناء في تقديمه الجار وبناء الكلام عليه يدل على ان ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم ولما كان قيل الحرم عليهم هذه الطيبات قال ذلك
اي التحريم العظيم والجزاء الكبير وهو تحريم الطيبات جزيناهم اي بما لنا من العظمة ببغيهم اي في امورهم التي تجاوزوا فيها الحدود وفي هذه
الاية التي فيها ما حرم على اليهود لما قبلها من الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الامة وغيرها امر جليل وهو انها لا اطلاع لاحد عليها الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
على تفصيل ما اوحى الله بتقدمه ولما يسامحهم احد من اتباعهم ولا دارس علما ولا دارس علما فقط ان ذلك دليل على صدقه على انه اعظم من ذلك وكانا تفصيله
هذه الاية بانه احل لها الخبائث عند الضرورة رحمة لهم وان العنت في تلك الحال مرتفع ولم يفعل بها كما فعل باليهود في انه حرم عليهم طائفة من الطيبات
ولم يحلها لهم في حال من الاحوال عقوبة لهم وفي ذلك تمام تحذير لهذه الامة من ان يبغوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم على ما نبه عليه في قوله غير محلي الصيد
وانتم حرم فبان الفضل وحصحص الحق ولم يبق لمتعنت كلام فحسن جدا ختم ذلك بقوله وانا لصادقون اي ثابت صدقنا ازلا وابدا كما اقتضاه
ما لنا من العظمة وتعقيبه بقوله فان اي فلتسبب عن هذا الايجاز الجامع الوجيز الدال على الصدق الذي لا مثنوية فيه انا نقول لك ان كذبوك فقل
والتعبير باداة الشك مشير الى ان الحال يقتضي ان يستبعد ان يقع منهم تكذيب بعد هذا ربكم اي المحسن اليكم بالبيان والامهال مع كمال امتنان ذو رحمة واسعة
اي فهو مع اقتداره قد قضى بان يحلم عنكم بالامهال الى الاجل بعلمه ولما اخبر عن رحمته نوه بعظيم سطوته فقال ولا يرد باسه اي اذا اراد الامتنان
عن القوم المجرمين اي القاطعين لما ينبغي وصله فلا يغتر احد بامهاله في سوء اعماله وتحقق ضلاله وفي هذه الاية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف
ما هو مستول على الحد الاقصى من البلاغة ولما تم ذلك فعلم ان اقدامهم على الاحكام الدينية بغير حجة اصلا اقتضى الحال ان يقال قد بطل بالعقل والنقل جميع
ما قالوه في التحريم على وجه بطل به حجتهم فهل بقي لهم مقال فاخبر سبحانه بشبهة يقولونها لتعللهم عن جهلهم على وجه هو معجز كاف في الدلالة على حقية
ما يقول في هذه الدالة فوقع طبق ما قال عن اهل الضلال في حال الغضب بما يقولونه قبل وقوعه دلالة على صدقه وكذب المشركين فيما يخالفونه فيه

سيقول اى فى المستقبل واظهر موضع الاضمار تخصيصا عليهم وتبكيتا لهم فقال الذين اشركوا تكذيبا منهم لو شاء الله اى الذى له جميع الكمال عدم اشراكنا وتحريمنا ما اشركنا اى بصنم ولا غيره ولا اباؤنا اى ما وقع منا اشراك ولا حرمنا من شئ اى مما تقدم من البحائر والسوائب والزروع وغيرها ولكنه لم يشا الترك بل شاء الفعل ففعلنا طوع مشيته وهو لا يشاء الا الحق والحكمة لانه قادر فلو لم يكن حقا بل رضاه لمنعنا منه وهو لم يمنعنا منه فهو حق ولما كان هذا عنادا منهم ظاهرا بعد وضوح الامر بما اقام على صدق رسله من البينات كانه قيل تعجبا منهم على طريق النقل اخبثهم مثل فعلهم هذا وقال اشل ما قالوا فقيل نعم كذلك اى ومثل ذلك التكذيب البعيد عن الصواب كذب الذين ولما لم يعم التكذيب على ما دخل الجار فقال من قبلهم من الامم الخالية بما اوقعوا من نحو هذه المجادلة فى قولهم اذ دعى ان الكل بمشيته اسرتو كان التكليف عبثا فكانت دعوى الانبياء باطلة وهذا القول المشركين عنادا بعد ثبوت الرسالة بالمعجزات والخبار الرسل بانه يشاء الشئ ويعاقب عليه لانه ملك تام وملكه عام لا يسأل عما يفعل وتمادى بهم غرورهم والتكذيب حتى ذاقوا باسنا اى عذابنا بما لنا من العظمة فانه لا امر له لا يسأل عما يفعل فلم ينفعهم عنادهم عنده وقد ابطل الى النخلة عن ايهم فخضعوا لنا وامنوا برسلنا فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فالاية من الاحتباك اثبت اولا الاشراك دليلا على حذفه ثانيا وثانيا التكذيب دليلا على حذفه اولا وحكى بها توجيه انه لا يمتنع تضليل احدى الطائفتين وان كان الكل بمشيته اسر لانه لا مانع من اتيان الامر على خلاف الارادة ولما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم على حالها من ان تكون من انواع الخطابة فتقيلا للظن فى اعظم مسائل العلم الاصول الذى لا يحل الاعتماد فيه الا على القطع لعمرو ان يتوالهم ما يبنيهم على ذلك فقال قل اى لهؤلاء الذين تلقوا ما يلقيه الشيطان اليهم كما اشير اليه فى سورة الحج تهكما بهم فى بعدهم عن العلم وجدالهم بعد نهوض الحجج هل عندكم اى ايها الجهلة وان قوى فى السؤال فقال من علم اى بصح الاحتجاج به فى مثل هذا المقام الضنك فتخرجوه لنا اى لنا حاولا تباعه وان كان مما يجب ان يكون مكتوبا مصونا به عن غير اهله مخزونا فهو تهكم به ولما كان جوابهم عن هذا السكوت لانه لا علم عندهم قال دالا على ذلك ان اى ما تتبعون اى فى قولكم هذا وغالب اموركم الا الظن اى فى اصل دينكم وهى لا يحل فيها قول الا بقاطع وان اى وما انتم الا تخرصون اى تقولون تارة بالحزر والتخمين وتارة بالكذب المحض اليقين ولما انتفى ان تكون لهم حجة وثبت ان الامر انما هو ما ثبت انه المختص بالحجة الواضحة فقال مسببا عن ذلك قل فلله اى الاله الاعظم وحده الحجة البالغة الحجة البالغة اعلى درجات الحق قوة ومتانة وبيانا ووضحا ورصانة بسبب انه شامل العلم كامل القدرة كما اقررتم بذلك حين قلتم لو شاء الله ما اشركنا وان كنتم قلتموه على سبيل الالزام والعناد لا لاجل التدين والاعتقاد فلو شاء اى الله هدايتكم لهديكم اى انتم ومخالفيكم اجمعين ولكنه لم يشا ذلك بل شاء هداية بعض وضلال الاخرين فوقع ذلك على الوجه الذى شاء فلزم على قولكم ان تكون الفريقان محقين فيكون الشئ الواحد حقا غير حق فى حال واحد وهذا لا يقوله عاقل ويلزمكم على ذلك ايضا ان لا تنالوا الخصامكم ولا تعادوهم وان فعلوا ما فعلوا لانه حق يرضى الله لانه بمشيته وانتم لا يقولون ذلك فبطل قولكم فثبت انه قد يشاء الباطل لانه لا يسأل عما يفعل ويرسل الرسل لازالته ليقيم بهم الحجة على من يريد عقابه على ما يتعارف الناس بينهم وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ولما صدق الحق واكب جنود الباطل وانزق سلطان جميع شبههم ونطقت الدلائل واغلم المجادل فتبين انه لا شاهد لهم يحق لانه لو كان لهم شاهد بحق لبين امره قيل قل لهم هاتوا قد شهد بما قلتم من لا ترد شهادته وزكا فى زمن لا يقبل الا تزكيته بهذا الكتاب الذى كما عجز كم عن الاتيان بشئ من مثله شاهد بانه قوله تعالى فهل لكم انتم من شاهد بقبل وهم لم يكن لهم شاهد غير مجرد مسهم فان المبطل يخاف بالمالة من المحاققة تبين انه سترة فيظهر للناس تو ابهم بما يلوح من شبهاتهم انهم ليسوا على شئ امره سبحانه ان يامرهم بما تهم لينظر من بينهم فضيحتهم فقال قل هلم اى احضروا وهى كلمة دعوة يستوى فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع عند الحجازيين شهداءكم ولما كان قيل الى شهداء قال الذين يشهدون اى يؤدون الشهادة على ان الله اى الذى له الحكم كله حرم هذا اى الذى ذكر تموه قبل واضافة الشهداء اليهم ووصفهم بالذين دليل على انهم معروفون يكونون بنصرة مذهبهم بالباطل ولو قال شهداء من غير اضافة لافهم ان المطلوب من يشهد بالحق وليس كذلك لانه انهم الدليل العقلى على انه لا حجة لهم وان الحجة لله بخلاف ما ادعوه فبطل قطعا ان يكون لاحد فيه شئ على الحق ولما كان كانه قيل فانهم لا احضروا الا يقدر من ان كان لهم عقل او فيهم حياء على النطق اذا سمعوا هذا الحق بنى عليه قوله فان شهدوا اى اجترءوا من قلة حياتهم وشهدوا اى كذبا وزورا بذلك الذى ابطلناه بالادلة القطعية فلا تشهد معهم اى فاتركهم ولا تسلم لهم فانهم على الضلال وليست شهادتهم مستندة الا الى الهوى ولا تتبع اهواء واظهر موضع

موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف دلالة على ان القائد الى التكذيب فى كل ردى انما هو الهوى وان خالف ظاهر اديانهم انما هو صاحب هوى فقال الذين كذبوا اى اوقعوا التكذيب باياتنا اى على ما لها من الظهور بما لها من العظمة باضافتها الينا ولما وصفهم بالتكذيب اتبعه الوصف بعدم الايمان ودلالة على انهم بالوا على العراقة فى كلا الوصفين فقال والذين لا يؤمنون بالاخرة اى التى هى محل الجزاء فانهم لو جوزوها ما اجترءوا على الفجور وهم بربهم اى الذى لا نعمة عليهم ولا خير عندهم الا وهو منه وحده يعدلون اى يجعلون غيره عديلا له ويسعون حين يقولون لشركائهم وهم فى جهنم يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ولما ابطل دينهم كله اصولا وفروعا فى التحريم والاشراك وبين فساده بالدلائل النيرة وانه مستند الى الجهل بامر من له الملك والذى له الخلق والامر ومن غيره فليس التحريم لاحد غيره فقال قل تعالوا اى اقبلوا الصاعدين من حضيض الجهل والتقليد وسوء المذهب الى اوج العلم ومحاسن الاعمال والاصالة والكشف وهو المكان الذى صار رعاما فيه حتى صار يقوله لمن فى الاسفل الاعلى اتل اى اقرا من التلاوة وهى اتباع بعض الحروف بعضا والقصد عموم كل احد بالتلاوة وانما خص المخاطبين بالذكر لاعتقادهم خلاف ذلك ولما كان المحرم اهم قدمه فقال ما حرم ربكم اى المحسن اليكم بالتحليل والتحريم عليكم فسخط منكم ما وصيكم به ابدا وامرا واجبا فرضية لكم من قبيلى الاصل والفروع ثم شرع فى التلاوة ناهيا عن الشرك ما بعده موجب للامر ابما عرى عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا اى تلاوتها احسن ترتيب فبدا بالتوحيد من صريح البراءة من الشرك اشارة الى ان التخلى عن الرذائل قبل التحلى بالفضائل لا دن التفتيه بالحمية قبل الدواء وقرن به البر لانه بعد شكر المنعم تعظيما لامر العقوق ثم ولاه القتل الذى هو اكبر الكبائر بعد الشرك حيداه بقتل الاولاد لانه الخشيه والخشية مطلقة فعله خوف القلة فلما وصى بالوالدين المنعم الاول الموجب للعدم المتعصبا الاول منع بعوضه بالتسبب فى الوجود فقال ناهيا عن الاساءة فى صورة الامر بالاحسان على اكد وجه لما للنفوس من التهاون فى حقهما وكذا جميع المامورات ساقها هذا السياق فى المنهيات لان اضدادها منهى عنها لتكون مامورا بها منهيا عن اضدادها فيكون ذلك اكد لها واوضح وبالوالدين اى افعلوا بهما احسانا ولما اوصى بالسبب فى الوجود نهى عن التسبب فى الاعدام وبدا بابشعه فقال ولا تقتلوا اولادكم ولما كان النهى عاما وكان ربما وجب على الولد قتل خص سبب الجهة فقال من املاق اى من اجل فقر حاصل بكم ثم علل ذلك ولاجل ان الظاهر حصول الفقر قدم الاباء فقال نحن نرزقكم بالخطاب اى ايها الفقراء ثم عطف عليهم الابناء فقال واياهم وظاهر قوله فى الاسراء خشية املاق ان الاباء موسرون ولكنهم يخشون من اطعام الابناء الفقر فبدا بالاولاد فقال نحن نرزقهم واياكم تنبيها عليه ابو حيان ولما نهى عن قتلهم الخشية الفواحش بعد الشرك اتبعه النهى عن مطلق الفواحش وهو ما علطت قبحه وعظم امرها بالنهى عن القربان فضلا عن الغشيان فقال ولا تقربوا الفواحش ثم ابدل منها تاكيد التعميم قوله ما ظهر منها اى الفواحش وما بطن ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيما له بالتخصيص بعد التعميم فقال ولا تقتلوا النفس التى حرم الله اى الملك الاعظم عليكم قتلها الا بالحق اى الكامل ولا يكون كاملا الا وهو كالشمس وضوحا لا شبهة فيه فصار قتل الولد منهيا عنه ثلاث مرات ثم اكد المذكور بقوله ذلكم اى الامر العظيم فى هذه المذكورات ولما كانت هذه الاشياء شديدة على النفس ختم بما لا يقوله الا المحب الشفوق لينقبلها القلب فقال وصيكم به امرا ونهيا ولما كانت هذه الاشياء لعظيم خطرها وجلالة وقعها فى النفوس لا يحتاج الى مزيد فكر قال لعلكم تعقلون اى لتكونوا على حال من يرجى على منهاج العقل فعلم من ذكر الوصية ان هذه المذكورات هى الموصى بها والمحرمات اضدادها فصار انها مؤكدة من وجهين التصريح بالوصية بها والنهى عن اضدادها ولما كان المال العديل الروح من حيث انه لا قوام لها الا به ابتدا الاية التى تليها بالاموال ولما كان اعظمها خطرا وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلة ناصره ابتدا به فنهى عن قربه فضلا عن اكله او شربه فقال ولا تقربوا مال اليتيم اى بنوع من انواع القربان بعمل فيه او غيره الا بالتى هى احسن من الخصال من السعى فى تنميته وتثميره وليستمر ذلك حتى يبلغ اشده وهو سن يبلغ به او ان حصول عقله عادة وعقل يظهر به رشده ثم ثنى بالمقادير على وجه يعم فقال واوفوا اى اتموا الكيل والميزان لانهما الحكم فى اموال الايتام وغيرهم ولما كان الشئ ربما اطلق على ما قاربه نحو قربات الصلوة اى قرب حلها وهذا وقت كذا اذا قرب جدا ازيل هذا الاحتمال بقوله بالقسط اى ايفاء كائنا من غير افراط ولا تفريط ولما كانت المقادير لا تكاد تتساوى لا سيما الميزان فانه ابعد من ذلك واقربها الذرع وهو داخل فى الكيل فانه يقال كال الشئ بالشئ قاسه اشار الى انه ليس على المكلف المبنى امره على العجز للضعف الا الجهد فقال لا نكلف اى على ما لنا من العظمة

نفسا الا وسعها وما وراء الوسع معفو عنه ثم تلاه بالعدل في القول لان الحكم على الاموال وغيرها وقد حمل عليه الفعل لانه دال عليه فصار
الفعل موصى به مرتين فقال واذا قلتم اي في شهادة او حكم او توفيق بين اثنين او غير ذلك فاعدلوا اي توفيقا بين القول والفعل
ولما كانت النفوس مجبولة على الشفقة على القريب قال ولو كان اي المقول له او عليه بشهادة او غيرها ذا قربى ولا تحابوه طمعا
في مناصرته او خوفا من مضاررته ثم ختم بالجمع الكلي في القول والفعل فقال وبعهد الله اي الملك الاعظم خاصة اوفوا وهذا يشمل كل
ما على الانسان وله فان الله لم يهمل شيئا بغير تقويم فيه ثم اكد تعظيم ذلك بقوله ذلكم اي الامر المعتنى به وصاكم به اي ربكم المحسن اليكم ولما
كانت هذه الافعال والاقوال شديدا على النفس العدل فيها لكونها شهوات تقدم بالترغيب فيها والترهيب منها بان كل من يفعل شيئا منها مع غيره يوشك
ان يفعل معه مثله فلذلك حضوضا على التذكر في الوصية بها ولانها خفية تحتاج الى مزيد تدبر فقال لعلكم تذكرون اي لتكونوا بحيث يحصل لكم
التذكر ولو على وجه خفي بما اشار اليه الادغام فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم فتحكموا للغير كما تحكمون به لانفسكم ولما قرر هذه
الشرائع نبه على تعظيمها بالخصوص على جزء من جميع ما ذكر في السورة بل وفي غيرها فقال وان اي ولان على قراءة الجماعة بالفتح اي اتبعوه لذلك وعلى
قراءة ابن عامر ويعقوب بالكسر هو ابتداء هذا اي الذي شرعته لكم صراطي حال كونه مستقيما فاتبعوه اي بغاية جهدكم لانه الجامع للخير على
الحق الذي فيه كل خير ولما كان الامر باتباعه متضمنا للنهي عن غيره صرح تاكيدا للامر فقال ولا تتبعوا السبل اي المتشعبة عن الاهوية المفرقة بين العباد
ولذا قال مسببا فتفرق بكم اي تلك السبل الباطلة عن سبيله على وجه خفي ملبس كما اشار اليه الادغام ولما كان امرا بينا هيا غير مبينا
للعلة في ذلك اكده موحدا فقال ذلكم اي الامر العظيم من اتباعه وصاكم به ولما كان قد حذر من الزلل عنه وكان من المعلوم ان من ضل عن الطريق
الاقوم وقع في المهالك وكان كل من يتخيل ان يقع في مهلك يخاف قال لعلكم تتقون اي لتتبعوه وتتركوا غيره فتكون حالكم حال من يرجى له ان يخاف
من ان يزل فيضل فيهلك وهذا كما ختم سبحانه بها في قوله وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون وفصل ما هنا من الاحكام في
ثلاث ايات وختم كل اية منها بالوصية ليكون ذلك اكد في القبول فيكون ادعى الى القبول وختم كل اية واحدة منها بما ختم لانه اذا تم العقل صار الى التذكر
فحمل على التقوى ولما كانت هذه الايات الثلاث وافية بالايات العشر التي كتبها الله لموسى عليه السلام على لوحي الشهادة في اول ما اوحى اليه في طور سيناء المنبا
اليها بقوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وبني عليها التورية وامره ان يضعها في تابوت العهد لتكون شهادة عليهم وعلى اعقابهم كما هو مذكور في
وسط السفر الثاني من التورية وقد مضى بيانه في البقرة ويأتي نحو هذه القولة وزادت عليها من الاحكام والمحاسن ما شاء الله احسن ان يذكر بعدها التورية
فقال مشيرا باداة التراخي الى الكامن الترتيب والتعظيم ثم اتينا اي بما لنا من العظمة التي تقتضي تعظيم ما كان عندنا موسى الكتاب اي المشار اليه بقوله
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وهي والله اعلم معطوفة على قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لانه كان بعد ان اعطى موسى العشر ايات
دعاه الى الجبل مواعدة ثانية فشرع له بعض الاحكام وامره بنصب قبة الزمان التي يوحى اليه فيها ويصلون اليها ومضى ما يتحرر من ذلك كما مضى في البقرة
ثم ذكر بعد ذلك بيسير تحريم الشحوم عليهم فقال في اوائل السفر الثالث وهو سفر الكهنة وفيه تلخيص احكام القرابين ودعا الرب موسى وكلمه في قبة
الزمر وقال كلم بني اسرائيل وقل لهم كل انسان منكم اذا قرب للرب قربانا من البهائم فليكن قرابينكم من البقر ومن الغنم الى ان قال ويقرب قربانا
للرب الحجاب المبسوط على الاحشاء وكل الثرب الذي على الكشاح والكليتين والشحم الذي عليهما وعلى الجنب الى ان قال وكل الشحوم للرب عهدا الى الابد
ولا تاكلوا دما ولا شحما ثم قال وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرائيل وقل لهم لا تاكلوا شحم البقر ولا شحم الغنم الضان والماعز جميعا لان كل من اكل
شحم بهيمة تقرب قربانا للرب تهلك تلك النفس من شعبها ولا تاكلوا دما حيث ما سكنتم لا دم البهائم ولا دم الطير وايما نفس اكلت دما تهلك
تلك النفس من شعبها وقال في السفر الخامس ما الدم فلا تاكلوا وكل ذي نقرة على الارض تاكل الاثم قال بعده بقليل وكلوا من قوتكم من كل
انفسكم وكلي ما يكم ان تاكلوا دما لان دم البهيمة هو نفسها فلا تاكلوا النفس مع اللحم ليحسن اليكم والى اولادكم من بعدكم اذا عملتم الحسنات
امام الله ربكم ثم رجع الى السفر الثالث ثم قال ودخل موسى وهرون الى قبة الزمان وخرجا ودعوا الشعب فظهر مجد الرب امام جميع الشعوب
ونزلت نار من قبل الرب فاحرقت الشحم والذبيحة الكاملة التي على المذبح وعاين ذلك جميع الشعب وحمدوا الله وخروا الشعب كلهم على وجوههم

ثم ذكر

ثم ذكر عقيب ذلك بيسير محرمات الحيوان وكذا ذكره في السفر الخامس وقد جمعت بينهما ومعظم السياق للخامس قال لا تاكلوا شيئا نجسا هذا ما تاكلون من جميع
البهائم من الثور والجمل والنعجة والمعز والايل والظبي والجوذر واللمح والريم والوعل والثيتل وكل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلفها تجتر كلوها
وحرموا ما في البهائم التي ليست لها اظلاف التي تجتر والتي لها اظلاف مقسومة ولا تجتر الجمل والارنب والوبر التي تجتر وليس لها اظلاف مقسومة هي نجسة لكم
وفي الثالث ومن لحم البهائم التي ليست لها اظلاف والتي تجتر الجمل الذي يجتر وليس له اظلاف هو نجس محرم عليكم والارنب التي تجتر وليس
لها اظلاف نجس محرم عليكم رجع والخنزير الذي له اظلاف ولا يجتر هو نجس لا تاكلوا لحوم هذه ولا تقربوا الى اجسادها وقال في الثالث ولا تمسوا
لحومها لانها نجسة محرمة عليكم وقال في الخامس من ترجمة الاثنين والسبعين واياكم ان تاكلوا كل نجس ويكون التي تاكلون من الدواب العجل من البقر
والخروف من الغنم والجدي من المعز والايل والغزال واليحمور والوعل وعنز الجبل والبحمور وناقة النمر والزرافة وكل دابة مشقوقة الظلف
وهي تنبت اظافير في ما ظلفها وتجتر من الدواب فاياه فكلوا والذي لا تاكلون منه من الذي يجتر ومن المشقوق الظلف الذي ينبت له اظافير
الجمل والارنب واليربوع فان ذلك يجتر ولكنه غير مشقوق الظلف وهو لا يحل لكم والخنزير ايضا فان ظلفه مشقوق ولا ينبت في ظلفه
اظافير غير انه لا يجتر وما لا يجتر فانه لا يحل لكم فلا تاكلوا لحومها ولا تقربوا اجسادها وقال في الثالث منها وكلم الرب موسى وهرون وقال لهما
كلما بني اسرائيل وقولا لهما ان الذي تاكلونه من المواشي من جميع الانعام التي على الارض كل بهيمة قد شق ظلفها وهي تخرج الظفار الى كلا
ظلفيها وتجتر فذلك الذي تاكلونه من الانعام والذي لا يحل لكم مما يجتر ولم يشق ظلفه الجمل الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه غير
طاهر لكم واليربوع وفي نسخة السنجاب الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه لا يطهر لكم والارنب الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه
لا يطهر لكم والخنزير فانه مشقوق الظلف ويخرج اظفارا من ظلفه وهو لا يجتر فانه لا يطهر لكم فلا تاكلوا من لحومها ولا تمسوا ماتتها
فان ذلك لا يطهر لكم رجع الى نسختي ثم ذكر الطيور ودواب البر قريبا مما في شرعنا الى ان قال ولا تاكلوا شيئا نجسا بل ادفعوها الى السكان الذين في
قراكم ياكلونها او يبيعونها من الغرباء لانك شعب طاهر به ربك لا تطبخوا جديا بلبن امه وقال في ترجمة الاثنين والسبعين ولا تطبخ الخروف
بلبن امه وقال في السفر الخامس وكلوا من الطير ما كان ذكيا وحرموا هذه التي اصف لكم لا تاكلوا منها شيئا النسر والحداة وذكر نحو ما عندنا
وقال في نسختي في الثالث فمن مس شيئا من هذه اي المحرمات يكون نجسا الى المساء ومن حمل منها شيئا فليغسل ثيابه ويكون نجسا الى الليل انتهى الظبي
بالمعجمة المشالة معروفة والجوذر بفتح الجيم والذال المعجمة ولد البقرة الوحشية والريم بكسر الراء الظبي الخالص البياض والثيتل بمثلثتين
مفتوحتين بينهما ياء تحتانية ساكنة بقر الوحش والايل بفتح الهمزة وكسر التحتانية المشددة الوعل بفتح الواو وكسر المهملة وهو تيس الجبل والحمل
بفتح المهملة الرضيع من اولاد الضان وقوله لا تطبخوا جديا بلبن امه الظاهر ان معناه النهي عن اكله ما دام يرضع وما بعد الذي في الثالث هو معظم
التورية والذي في الخامس انما هو اعادة لما في الثالث فان الخامس تلخيص لجميع ما تقدم من القصص والاحكام مع زيادات فصدق ان اتينا الكتاب
اي معظمه بعد تحريم ما حرم عليهم ويجوز وهو احسن ان يكون معطوفا على محذوف تقديره ذلكم وصيكم به كما وصى بني اسرائيل في الفصل الذي
نسبته من التورية نسبة ام القران من القران وذلك الفصل العشر الايات التي هي اول ما كتبه الله لموسى عليه السلام وهي اول التورية في الحقيقة لانها اول
الاحكام وما قبلها فهو قصص وحاصل هذه العشر انا الرب الهك الذي اصعدك من ارض مصر من العبودية والرق لا يكون لك اله غيري لا تقسم باسمي كذبا
احفظ يوم السبت اكرم والديك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور ولا تمد عينيك الى ما في ايدي الناس فالمعنى ذلكم وصيناكم به كما
وصينا بني اسرائيل بهذه العشر الايات وبعض ما اتينا موسى من التورية ويجوز ان يكون التقدير لكون هذه الايات محكمة في كل الشرائع لم تنسخ
في امة من الامم ولا تنسخ وصاكم به يا بني ادم في الزمن الاقدم ولم يزد الامر بها في التوصية لا اشتد ثم اتينا اي بما لنا من العظمة موسى
الكتاب اي جميعه وهي فيه حال كونه تماما لم ينقص شيئا يصلحهم شيئا على الوجه الذي احسن اي اتى بالاحسان فاثبت الحسن وجمع بما بين من
الشرع وبما هي طوائف اهل الارض من بني الاهلاك بعامة فانه نقل ان الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد انزال التورية وتفصيلا
لكل شيء من جملة الفصل المحتوي على الكلمات العشر الحاوية لكل شيء يحتاج اليه من امر الدين والدنيا كما ان القران تفصيل لكل شيء من الجامع السبع

التي حوتها ام القرآن الحاوية لمصالح الدارين وفي هذين الاحتمالين المقتضيين لكون ثم على حقيقتها من الترتيب والمهلة علم من اعلام النبوة وهو الاطلاع
على ان العشر آيات وتحريم ما حرم عليهم بالبغي في اداكلها اوحي الى موسى عليه السلام بعد اغراق فرعون وان معظم التورية انزل بعد ذلك وهذا لا يعرفه الا احبارهم
وهدى اي بيانا ورحمة اي اكراما لمن يقبله ويعمل به لعلهم اي بني اسرائيل بلقاء ربهم اي الذي اخرجهم من مصر العبودية والرق بقوته العظيمة
وكلماته التامة يؤمنون اي ليكون حالهم بعد انزال الكتاب لما يرون من حسن تشريعه وفخامة كلامه وجلالة اوامره حال من يرجى ان يجدد الايمان في كل وقت
بلقائه لقدرته على البعث الذي لا يكمل برهانه تصديق الانبياء لانه لا تستقل به العقول وانما تثبت بالسمع مع تجويز العقل له فيعلموا انه لا شبه به
شئ كما ان كلامه لا يشبهه كلام فلا يبغوا باتخاذ عجل فانه امرخوار لا يفهم ويجهجه لا تفيد فلما بين ان انزال الكتب رحمة منه لان غايتها الدلالة
على بينة لها فتمتثل اوامره وتتقى مناهيه وزواجره بين انه لم يخص تلك الامم بذلك بل انزل على هذه الامة كتابا ولم يرض لها كونه مثل تلك الكتب
بل جعله اعظمها بركة وابينها دلالة فقال وهذا اي القرآن كتاب اي عظيم انزلناه اي بعظمتنا اليكم بلسانكم حجة عليكم مبارك
اي ثابت كل ما فيه من وعد ووعيد وخبر وغيره ثباتا لا يتمكن ازالته مع اليمن والخير جامع لهما هذا معناه وكان داعيا اليه مجيبا فيه بسبب قوله
فاتبعوه اي بجهدكم ليكون جميع اموركم ثابتة ميمونة ولما امرنا باتباعه وكان الانسان ربما اتبعه في انه هو امر بايقاع التقوى المصححة للباطن
ايقاعا علما ولذلك حذف الضمير فقال واتقوا اي ومع ذلك فافعلوا التقوى وهي ايجاد الوقاية من كل محذور فان الخطر شديد والسلامة
على غير القياس فلا تزايلوا الخوف منه منزلة فان ذلك اجدر ان يحملكم على تمام الاتباع والخلاصة لعلكم ترحمون اي ليكون حالكم حال من يرجى له الاكرام
بالعطايا الجسام والاوتية ناظرة الى قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وهم على صلوتهم يحافظون تحريضا للمراد من انزاله من
اقامة الحجة البالغة فقال ان اي لاجل لا تقولوا او كراهة ان تقولوا ايها الامة الامية انما انزل الكتاب اي الرباني المشهور على طائفتين
وقربهما ونبعضه بادخال الجار فقال من قبلنا اي اليهود والنصارى وان اي وانا كنا عن دراستهم اي قراءتهم كتابهم قراءة مرددة
ولما كانت هي المخففة اتى باللام الفارقة بينها وبين النافية فقال لغافلين الى معرفة حقيقتها بل كنا عالمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب
الا على المكتوب اليه فلم نتبعه ولو انا اهلكنا لما اهلنا للحق انزل علينا الكتاب اي جنسه او الكتاب الذي انزل اليهم من عند ربنا لكنا
اهدى منهم اي لما لنا من الاستعداد ببلوغ العقل وحدة الاذهان واستقامة الافكار واعتدال الامزجة والاذعان للحق ولذلك سبب عن ذلك قوله مثبتا من
العالمين قوله فقد جاءكم وذكر الفعل مع الهاء القرآن وتفضيل وتشريفا له على كل ما تقدمه وتنبيها على ان بيانه هذه السورة في النهاية
لانها سورة اصول الدين بينة اي حجة ظاهرة بلسانكم من ربكم اي المحسن اليكم على لسان رجل منكم تعرفون انه اولاكم بذلك وهدى اي بيانا
لمن تبعه عظيم ورحمة اي اكرام لمن قبله فكذبتم بها ولما قامت عليهم الحجة حسن موقع التقرير بقوله فمن اي فتسبب عن تكذيبكم انه يقال
بيانا لانكم اظلم الناس من اظلم ممن كذب بآيات الله اي الذي لا اعظم منه فلا اعظم من آياته لان الاثر على قدر المؤثر
وصدف اي اعرض واعرض غيره وصار صادفا عنها بعدما عرف صحتها ولما كان الجواب قطعا لا احد اظلم منه
نكال الحال مقتضيا التوقع لما يجازى به قال سنجزي اي بوعد صادق لا خلف فيه واظهر ما اصله الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال
الذين يصدفون اي يجددون الاعراض ولا يزالون عن آياتنا اي على ما لها من العظمة سوء العذاب اي الذي يسوء منه بما كانوا يصدفون
اي بسبب اعراضهم الذي كان عادة لهم ولما كان اسوأ السوء حصول العذاب كانه محقق بعدم قبول التوبة فسره بقوله مهددا لهم هل ينتظرون
الفعل هل ينظرون اي ما ينتظر هؤلاء في تكذيبهم الا ان تأتيهم الملائكة اي بالامر الفيصل من عذابهم كما هي عادتها في اتيانها المكذبين او يأتي ربك
اي ظهور امر المحسن اليك انهم ظهور بجميع الآيات التي يحتملها العقول وذلك يوم الجزاء او يأتي وابهم تهويلا للامر وتعظيما فقال بعض آيات ربك
اي اشراط الساعة التي يكون فيها ظهور التام واحشا اليك الاعظم مثل دابة الارض التي تميز الكافر من المؤمن وطلوع الشمس من مغربها
المؤذن باغلاق باب التوبة روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
فاذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ثم قرأ الآية ولما كان اتيان الملائكة اي كلهم مما لا يحتمل

العقول

العقول ومنع عظمته ولا بشرى للمجرمين عند رؤيته فانه لو وقع على صورهم لتقطعت اوصالهم ولم تحتمله قواهم فقضى الامر ثم لا ينظرون واما تجلى الرب
سبحانه وعز اسمه وجلت عظمته فالامر اعظم من مقالة قائل ان رقق ابلغا او انحوا ترك بما يترتب عليه وقال يوم يأتي اي يتكشف ويظهر
بعض آيات ربك اي المحسن اليك بالاتيان بذلك تصديقا لك ونصرتها وتدمير المخالفيك لا ينفع نفسا تركها مما يترتب عليها اي كافرة ايمانها
اي ذلك ولا نفسا مؤمنة كسبها الخير اذ ذاك في ايمانها المتقدم على تلك الآية بالتوبة عن ولها ولذا اوصيه بقوله واصفا نفسا لم تكن اي
الكافرة آمنت وتبرأ امره ببعض زمان القبل ولم يكلف باستغراقه بالايمان فقال من قبل اي قبل مجي الآية في زمن متصل بمجيئها ولما ذكر
الكافرة اتبعها المؤمنة فقال عاطفا على آمنت او لم تكن المؤمنة العاصية كسبت اي من قبل في ايمانها اي السابق على مجي الآية خيرا
اي توبة وعبادة اي من نفسا كافرة ايمانها المجرد بعد مجي الآية وهو من لم تكن آمنت من قبل او نفسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجي الآية
ما لم تكن كسبت في ايمانها السابق على الآية خيرا والحاصل انه لا يقبل عند ذلك ايمان كافر ولا توبة فاسق كما قال البغوي لان المقصود من التصديق
والتوبة الايمان بالغيب وقد فات بالآية الملجئة فيكون فاعل الفعل المقدر في كسبت محذوفا والتقدير لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل او لم تكن
كسبت في ايمانها خيرا ايمانها وكسبها فالآية من باب الاحتباك والآية راجع الى من لم يكسب وهو ظاهر التهديد بعدم نفع الايمان عند مجي الآية
العظمى دليل على ما ذكرته من التقدير والآية من الاحتباك ذكر ايمانها اولا دليلا على حذفه ثانيا في الجملة الثانية وذكر جملتي امنت وكسبت
ثانيا دليل على ضده وكافرة ومؤمنة اولا ولما كان هذا تهديدا كان ربما اتبعه ما هو اشد منه للتنبيه على ان اهل الايمان سالمون من ذلك بقوله
قل انتظروا اي بغاية جهدكم ايها المكذبون انا منتظرون بجهدنا وستعلمون لمن تكون العاقبة ولما نهى عن اتباع السبل لانه سبب التفرق
عن الحق وكان قد كرر في هذه السورة نصب الحجج واثارة الادلة وازاحة الشكوك ومحو آثار الشبه واشرفت السورة على الانقضاء وكان من
المعلوم قطعا ان الحق حين يظهر حتى تنويرا لتاثيره في ازهاق الباطل فكيف اذا كان كلام الملك الذي لا يخالف امره ولا يخرج عن ارادته اشتد
التشوف للنبي صلى الله عليه وسلم الى رؤية ذلك الاثر مع ما عنده من الحرص على اسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق عموما وعليهم خصوصا
وانما يكون ذلك الاثر باتحادهم على دينهم ومحو غوايتهم فلما ختم سبحانه بهذين التهديدين العظيمين الدالين على عنادهم فانه صلى الله عليه وسلم مما كان
رجاه من هدايتهم مما كان قد تحصل وذلك ما حوش المشفوق من الاسف ما لا يدري قدره ولا يوصف حره فثبته سبحانه وتعالى بقوله ان الذين
فرقوا اي بجد بالا غاية لهم دينهم اي بتكذيبهم ببعض آيات الله وصدوفهم عنها وايمانهم ببعضها ففارقوه لان الكفر ببعضه كفر بجملته
واضيف الدين اليهم لشدة رغبتهم فيه ومقاتلتهم عليه وكانوا شيعا كل فرقة تشايع وتتبع امامها كالعرب تحزبوا احزابا لما اتكثار من
الاصنام فكان لكل قطر منهم معبود او اثنان فاكثر وكاهل الكتاب الذين ابتدعوا في دينهم بدعا اوصلتهم الى تكفير بعضهم بعضا وآمنوا ببعض الانبياء
وكفروا ببعض وكالمجوس الذين فرقوا دينهم باعتقاد ان الاله اثنان النور والظلمة وعبدوا الاصنام والنجوم وجعلوا لكل نجم صنما يتوسل به في زعمهم الى
لست منهم اي من حسابهم ولا من عقابهم ولا من خلق الهداية في قلوبهم في شيء وفي هذا غاية الحث على الاجتماع ونهاية التوعد على الافتراق
ولما خفف عنه صلى الله عليه وسلم بالبراءة منهم سلاه بما يتضمنه المقدر مما يجب له من احاطة علمه وعزته فقال جوابا لمن يقول فالى من يكون امرهم انما امرهم
اي في ذلك كله وفي كل ما يتعلق بهم مما لا يحصره حد ولا يحصيه عد الى الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه لا الى غيره فمن شاء هداه ومن شاء اعماه
ومن شاء اهلكه ومن شاء ابقاه لانه له كمال العظمة ولما كان الحشر متراخيا عن ذلك كله في الرتبة وفي الزمان لا يبلغ كنه عظمته العقول نبه على ذلك
بالتعبير باداة التراخي والتنبيه ثم بعد استيفاء ما ضرب لهم من الآجال ينبئهم اي تنبئة عظيمة جليلة مستقصاة بعد ان يحشرهم اليه داخرين
بما كانوا اي جبلة وطبعا يفعلون اي من تلك الاشياء القبيحة التي كان لهم اليها اتم داعية غير متوقفين في اصدارها على علم مع ادعاء الدين
بها والآية مع ما تقدم من مقتضيها تعليل لقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ولما اخبر ان امرهم ليس الا اليه كان كانه قيل فماذا يفعل
بهم حين فاجيب بقوله من جاء اي منهم او من غيرهم بالحسنة اي الكاملة بكونها على اساس الايمان فله من الحسنات عشر امثالها كرما واحسانا وجودا
وامتنانا ثابتا يجازيه بذلك في الدنيا او في الآخرة وهذا المحقق لكل احد ويزاد البعض بحسب النيات وذكر العشر لان معنى الحسنة وهو مضاف الى ضميرها وما

تضمن قوله واوفوا الكيل والميزان بالقسط مع تعقيبه بقوله لا نكلف نفسا الا وسعها الاشارة الى ان المساواة في الجزاء مما تنقطع دونه اعناق الخلق
اخبر ان ذلك عليه هين لانه علم شامل وقدرة كاملة بقوله ومن جاء بالسيئة اي من سكان من هذا الجنس فلا يجزى اي في الدارين الا مثلها اما جزاء
ويعفو عن كثير ولما كانت المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه وان كانت ظاهرة في ذلك وكيف ما كان في هذه العبارة حث على المكارم لانها اطيب للنفس واسكن للروع
فقال وهم لا يظلمون اي يكون مثلها في الوحدة وان كانت اكبر او من جنس اشرف من جنسها او نحو ذلك بل المماثلة موجودة في الكم والكيف فلا ينقص احد
في ثواب ولا يزاد في عقاب ولما تضمن ما مضى تصحيح التوحيد بالادلة القاطعة وتحقيق امر القضاء والقدر وابطال جميع اديان الضلال ووصفها بتفرق
اهلها الدال على بطلانها واعوجاجها وختم بهذا التحرير الذي لا شيء اقوم منه ولا احكم امره صلى الله عليه وسلم بالاعلاء بامره وانه يصيف دينه الذي شرعه
له وهداه اليه بما فيه من المحاسن تحبيبا فيه وحثا عليه لان ذلك هو نتيجة هذه السورة فقال قل واكد بالاتيان بالنونين فقال انني هداني اي بيانا
وتوفيقا ربي اي المحسن الي بكل خير لا سيما هذا الذي احداه الي وانتهى على الى الصراط اي طريق واسع بين مستقيم ثم ابدل منه بطله دينا قيما اي بالغ
الاعتدال والاستقامة ثابتا هذا على قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو بفتح القاف وتشديد الياء المكسورة وهو في قراءة الباقين بكسر القاف وفتح الياء
الخفيفة مصدر بمعنى القيام ووصف به للمبالغة وزاده مدحا بقوله ذكرا لهم لتقليدهم الاباء انه دين ابيهم الاعظم ملة ابراهيم والملة ما اظهر نور
العقل من الحق بحكم ما التزمه الناس عوايد امر الدنيا افاده الحرالي ولذلك قال حنيفا اي لينا هينا سهلا قابلا للاستقامة بكونه سهلا مع الدليل
غير جاف ولا كز واقعا مع التقليد عميا عن نور الدليل كما تقدم في ذلك في البقرة وهو معنى قوله وما اي والحال انه ما كان من المشركين بين
مع اتصالهم في انتهاء شركهم مع رؤيتهم لما يكونه لا يضر ولا ينفع ولا يصلح لشركة ادنى فضلا عن غيره بوجه بانقيادهم دليل ولا يصغون الى قيل
فهل منعهم ما لهذا الدين الذي هو داعي اليه صلى الله عليه وسلم وبيانا لانه الذي اختاره سبحانه لخليله ابراهيم عليه السلام رجوعا الى واذ قال ابراهيم لابيه ازر
الى الذي بنيت السورة في الحقيقة عليه لعيت لازمة اطرافها اليه وترغيبا في هذا الدين لان جميع الطوائف يتخشون بابيهم ابراهيم عليه السلام
العرب واهل الكتابين بنسبة الابوة واليهود بنسبة البلد والاخوة واشار بذلك الى انه محمدا صلى الله عليه وسلم فهم ما حاج به ابوه ابراهيم عليه السلام
قومه وقبله نكم ينسب لغيره الى الحجو ولا عنادا دونهما الا لا اما هذه الملة التي يكره وعدمها والدعاء اليها اجاب بخوله لينا لي به اهل الايمان
فيلزموا جميع ما يرجى اليه الاخلاص قل ان صلوتي اي التي هي باب الدين وصفاوته ونسكي اي جميع عبادتي من الذبائح وغيرها ومحياي
اي حياتي وكل ما يجمعه من زمان ومكان وفعل ومماتي لله اي الملك الاعظم الذي لا يخرج شيء عن امره ولما علم بالاسم الاعظم انه يستحق ذلك لذاته اعلم انه
يستحقه من كل احد احسانا اليه وانعاما عليه فقال رب العالمين اي الموجد والمربي لهم ولما العلم انه يستحقه لذاته ووصفه اعلم انه يستحقه
وحده فقال لا شريك له ليكون لشركه على زعمكم شيء من العبادات لكمال شيء من الربوبية فاعلم بهذا ان وجهه صلى الله عليه وسلم مع من يتبعه واحد
لا افتراق فيه وهو قصد الله وحده على سبيل الاخلاص كما انه توحد بالاحياء والاماتة فينبغي ان يوحد بالعبادة ولما دل على ذلك بما حكم العقل
اتبعه بما يجازم النقل فقال عاطفا على ما تقديره الى ذلك ارشدني دليل العقل وبذلك على سبيل الاخلاص امرت يعني ان هذا الدين لو لم يرد به امر
كان ينبغي للعاقل ان يدين به ولا يعدل عنه في نشرة ظهوره وانتشار نوره بما قام عليه من الدلائل ودرج على اتباعه الافاضل والاماثل فكيف وقد ورد
به الامر الالهية وصعت اليه الدواعي الربانية وانا اول المسلمين اي المنقادين لما يدعى اليه دولي اسه في هذا الدين لا اختيار لي اصلا بل انا
مسلوب الاختيار فيه منقاد تمام انقياد وهذه الاولية على سبيل الاطلاق في الزمان والرتبة بالنسبة الى الامة صلى الله عليه وسلم وفي الرتبة بالنسبة الى من
تقدمه من الانبياء وغيرهم وهنا ايضا من باب الاحسان في الدعاء بالتقدم الى ما يدعو اليه وان يحب لهم ما يحب لنفسه ليكون انفى للتهمة وادل على النصيحة
فيكون ادعى الى القبول ولما حاجوه في الشرك في هذه السورة غير مرة كما حاج ابراهيم عليه السلام قومه وكان اخر ذلك ان عابهم صلى الله عليه وسلم الى تلاوة
ما انزل عليه سبحانه في تحريم الشرك وشرح دينه القيم ثم كرر هنا ذمهم بالتفرق الدال على الضلال وادبر ومدح دين ابراهيم الذي تقدم انهم لم يخالفو
فليصلا وابايكلا وفار من نعمته صلى الله عليه وسلم لهم نوعا من الموافقة وميله مع منهم شيئا ما لميل امره سبحانه بعد ان ثبت باول السورة واثنائها وآخرها
انه لا رب غيره بالانكار عليهم يريد منه ميلا عليه الى غيره تفرد بحياه ومماته فكان له التفرد بما بينهما وما بعد ذلك من غير شبهة والتوبيخ الشديد فقال

قل اي لهؤلاء الذين يطمعون ان تطرد اصحابك من اجلهم اغير الله اي الذي له الكمال كله ابغي اي اطلب واريد بالاسترسال فان البغاء الطلب الذي يقبل
من اشرك به شيئا ربا اي منعما متوليا مصالحي كما بغيتم انتم وهو تعريض بهم وتجنيبه لهم وكان الاسناد اليه صلى الله عليه وسلم والمراد جميع الخلائق من باب الانصاف
في المناظرة كما استعطافا وهو اي والحال انه كما ثبت بالقواطع وركز في العقول الثوابت وطبع في انوار الافكار اللوامع رب كل شيء اي موجده ومربيه
فلا ينبغي لاحد ان يدين لغيره وذلك الغير مربوب مثله لسيده هذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه ولما انكر على من يجنح الى الغير مع عموم بره وخيره
اتبعه الترويع من قوم عدله في عظيم ضره فقال ولا اي والحال انه لا تكسب كل نفس اي ذنبا وان قل مع التصميم والعزم القوي الذي هو بحيث
يصدق العمل كما مضى في اية البقرة الا عليها اي لا يكون ان تكون اثامها الا عليها او على غيرها وان حمله عليه بما لا يمكن ان يحاسب به سبحانه سواها
لانه من حكيم فكيف ادعو غيره عاما جليا او خفيا وذلك اعظم الذنوب والمتنفر من الشرك الخفي بالرياء وكل معصية وان صغرت وجرد الفعل من
الافتعال لئلا يتوهم انه لا يكون عليها الاما بالغت فيه وان فيها هنا وضح في ان الكسب مقيد بالذنب فانه عري عما بغيره ما في اية البقرة للايماء الى ان
الذنب لا يقع الا بشهوة شديدة من النفس لطبعها على النقائص فهي لا تثنى في هذه لان مما كسبته من الذنوب قد علم ثم انه كتابي احسن جزاء
ان تقال ولما كان المعنى لي ان تعبت بلغيره وملي الى ما توليته وانا انسان والانسان مطبوع على النقائص فهلكت عبر عنه بقوله مجردا
الفعل لقصد العموم ولا تكسب كل نفس اي ما هي نفس طرفة في نفاستها معرضة عن ربها موكولة الى حولها وقوتها الا عليها ولا يحمل عنها غيرها شيئا
من وزرها ولما كان ربما حمل احد عن غيره شيئا من اثقاله مستتبعا له نفى ذلك بقوله ولا تزر وازرة اي تحمل حاملة ولو كانت والدا او ولدا
وزر اي اثم اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى فاذا كان الامر كذلك فلا يحمل ما قال الزعيم في نفسه لحمل شيء
ثم غضب هذا الملك الذي لا شريك له واليه المرجع وان طال المدى ولما عم في الكسب وحمل الوزر لئلا يقول متعنت ان خص هذا لك
الا الناس في المرجع ايضا امثال ذلك فقال مهددا لهم بعد كمال الايضاح عاطفا على ما ارشد اليه الايجاز من النفي نحو ان يقال الحق الا ان اعمل شيئا
من ذلك لا ابغي ربا غيره اصلا واما انتم فافعلوا ما انتم فاعلون فان ربكم عالم به ثم اي بعد طول الامهال لكم لطفا منه بكم الى ربكم
اي الذي احسن اليكم بكل نعمة لا الى غيره مرجعكم اي بالحشر وان عمرتم كثيرا وبقيتم طويلا فينبئكم اي يخبركم اخبارا جليلا عظيما
مستوفى ولما كان في تقدم انهم فرقوا دينهم قال بما كنتم اي جبلة وطبعا ولذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم اليه من غير
اكراه ولا ذهول ولا نسيان فقال فيه تختلفون اي مع رسولي وغيره وبينكم على جميع ذلك بما يستحقونه وحالكم جدير بان يعظم
عقابكم لانكم كفرتم نعمه قال ابو حيان حكى النقاش ان رؤساء الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واعبد
الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه في دنياك واخراك فنزلت هذه الاية انتهى ولما قدم انه المحسن
الى كل شيء بالربوبية وختم بالتهديد بالحشر اتبعه التذكير بتخصيصهم بالاحسان فقال عاطفا على وهو رب كل شيء مستعطفا لهم
اليه بالتذكير بنعمته وهو اي لا غيره الذي جعلكم لي خلفا الان خلائف الارض اي تفعلون فيها فعل الخليفة متمكنين من كل
ما تريدونه ويجوز ان يراد بذلك العرب ويكون ظاهر الكلام ان المراد بالارض ما هم فيه من جزيرة العرب باطنه البشارة باعلائهم
الاسلام على الدين كله وغلبتهم على الكل احل الارض في هذه الازمان وعلى جميع اهل الارض في اخر الزمان ورفع بعضكم في مراقي
العقل والعلم والدين والمال والجاه والقوة الحسية والمعنوية فوق بعض درجات اي مع كونكم من نفس واحدة وربما كان الوضيع
اعقل من الرفيع ولم ينفعه عقله فيدل ذلك على الله واضحة على ان ذلك كله انما هو فعل الواحد القهار لا العجز ولا جهل ولا بخل ثم علل
ذلك بقوله ليبلوكم اي يفعل معكم فعل المختبر ليقيم الحجة عليكم وهو اعلم بكم منكم في ما اتيكم فينظر هل يرحم الجليل الحقير ويرضي
الفقير بعطائه اليسير ويشكر القوي ويصبر الضعيف ولما ذكر علو بعضهم على بعض وكان من طبع الادمي التجبر اتبعه التهديد للظالم
والاستعطاف للتائب بالبشير بما له سبحانه من علو الشان وعظيم القدرة للضعف العاصي وعجزه عن عقاب السافل لمن يحوي اليه وبين من
شفيع وناصر وبما يحتاج اليه من تمهيد الاسباب بحذر من البغي والعصيان فقال موجها الخطاب الى اكمل الخلائق تطييبا لقلبه اعلاما

بانه رباه سبحانه اجمل تربية وادبه احسن تاديب **ان ربك** اي المحسن اليك **سريع العقاب** اي لمن يريد عقابه ممن يكفر نعمته لكونه لا مانع بينه وبين ما يريد من عقابه ولا يحتاج الى احضار آلات العقاب بل كل ما يريد حاضر لديه عتيد انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي ذلك تهديد شديد لمن لا يتعظ ولما هدد وخوف رجى من اراد التوبة واستعطف فقال **وانه لغفور رحيم** معلما بانه على تمام قدرته عليهم في امهالهم فيما يوجب الاهلاك بليغ المغفرة اي عظيم الرحمة ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة حثا على عفو الرفيع عن الوضيع وتاكيده الثاني دون الاول ناظر الى قوله كتب على نفسه الرحمة ان رحمتي سبقت غضبي لانه في سياق التاديب لهذه الامة والتذكير بالانعام عليهم بالاستخلاف وسياق الاعراف بتاكيد الاثنين لانه في حكاية ما وقع لبني اسرائيل من اسراعهم في الكفر ومبادرتهم اليه واستحقاقهم على ذلك العقوبة وجاء ذلك على طريق التنبيه والتذكير ان قال تعالى الى يسرع العقوبة الى السافل فاجيب بان الله فوق كل احد واسرع عقوبة فخوف وحمل على ان تسليط الوضيع والحقير منه على الرفيع فيهلكه ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بانه على غناه عن الكل قبل غفرانه ورحمته بامهاله العصاة وقبوله التوبة من الطالع بانه خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ومنافع لهم ثم هم به يعدلون ولولا غفرانه ورحمته لاسرع عقابهم لما اراده من غيرهم بان اسقط عليهم السموات وخسف بهم الارض التي انعم عليهم بالخلافة فيها واذهب عنهم النور وادام الظلام فقد ختم السورة بما ابتداها فان في قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض هو الذي خلقكم من طين وقوله اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء رجوعا الى قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والله الموفق

سورة الاعراف

مقصودها انذار من اعرض عما دعى اليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الانعام وتحذيره بقوارع الدارين وهذا احسن مما كان ظهر لي حين كتابة عند والوزن يومئذ الحق وادل ما فيها على هذا المقصد امر الاعراف فان اعتقاده يتضمن الاشراف على الجنة والنار والوقوف على حقيقة ما فيهما وما اعد لاهلهما الداعي الى امتثال كل خير واجتناب كل شر والاتعاظ بكل مرقق **بسم الله** المتردي برداء الكبر وازار العظمة والجلال **الرحمن** الذي من رحمته انتقامه من اهل الظلم والضلال **الرحيم** الهادي لاهل الاصطفاء الى لزوم طريق الوفاء **المص** لما ذكر سبحانه في اخر التي قبلها انه انزل اليهم كتابا مباركا وامر باتباعه وعلل انزاله وذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه في منهاج البلاغة وميدان البراعة وكان جملته ان امر المدعوين به ليس الا اليه ان شاء هداهم وان شاء اضلهم واستمر فيما لا بد منه في تتميم ذلك الى ان ختم السورة بما التفت على ما افتتحت به فانتظمت اعتناقة الحتها اكثر شي واصاحه وبيتدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه فقال مخبرا عن مبتدا تقديره هو **كتاب** اي عظيم اوضح الطريق المستقيم فلم يبق به لبس ولم يدع خيرا الا امر به ولا شرا الا نهى عنه فانزاله من عظيم رحمته ثم وصفه بما اكد ما اشار اليه من رحمته بقوله **انزل اليك** اي وانت اكرم الناس نفسا واوسعهم صدرا واحلمهم قلبا واعرفهم اصالة وامرهم باستعطاف المباعد واستجلاب الشاغر المباغض وهذا شي تخصك به فوقت على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا تضاهى لا تستقصى ولما كان المقصود من البعثة اولا النذارة للرد عما هم عليه من الضلال وكانت مواجهة الناس بالانذار شديدة على النفوس وكان الاقدام عليها لما فيها من الصعوبة بمكان عظيم وكان التخصيص بهذه الرحمة **فلا يكن** وجه القلب مسكنه الذي هو اوسع منه مبالغة في الامر فقال **في صدرك حرج** اي شي من ضيق بهم او خوف ونحو ذلك **منه** على ان يتعلق بانزل من قوله **لتنذر به** اي تنذر المخالفين من سرعة العقاب على نحو ما وقع من بين الحنا بالقرون الماضية والامم السالفة كما اشار اليه اخر الانعام وسيقص من اخبارهم في هذه السورة **و** لتذكر به **ذكرى** اي عظيمة **للمؤمنين** اي بالبشرى والمواعظ والغفران والرحمة على ما اشار اليه ختام الانعام وحرف العطف يدل على عموم الرسالة لكل من يمكن انذاره وتذكيره من العقلاء ويجوز ان يتعلق لام لتنذر بمعنى النهي اي انف الحرج لكنا فان من كان منشرح الصدر اقدم على ما يريد او بحرج اي لا يكون الحرج الواقع لاجل ان تنذر اي لاجل انذارك به والنهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحرج مبالغة وادبا ويجوز ان يكون التقدير لتنذر به وتذكر به فانه نذير للكافرين وذكرى للمؤمنين ولا تناقض على كل تقدير من الاحتباك اثباته لتنذر

اولا دالا على حذف تذكر ثانيا واثبات المؤمنين ثانيا دال على حذف المخالفين اولا فان النفوس على قسمين نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في طلب اللذات الجسمانية والشهوات الحيوانية فبعثة الرسل في حقهم انذار وتخويف ونفوس شريفة مشرقة بالانوار الالهية فبعثة الرسل في حقهم تذكير لان هذه النفوس بمقتضى جواهرها الاصلية وجبلاتها الخلقية مستعدة الانجذاب الى العالم القدسي الا انه ربما غشيها غواش من عالم الاجسام فيعرض لها نوع ذهول وغفلة فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصلت بها انوار ارواح رسل الله تذكرت مركزها وابصرت منشاها فاشتاقت الى ما حصل هنالك من الروح والريحان فطارت نحوهم كل مطار فتمحضت لديها انوار الانوار وقال ابو حيان واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو انه لما ذكر تعالى قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واستطرد منه لما بعده الى قوله في اخر السورة وهو الذي جعلكم خلائف الارض وذكر ابتلاءهم فيما اتاهم وذلك لا يكون الا بالتكاليف الشرعية ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الالهي وذكر الامر باتباعه كما امر في قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه انتهى وقال شيخه الامام ابو جعفر بن الزبير لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين ثم قال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ثم قال تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم قال ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا الاية وقال تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء الاية وقال تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فوقعت الاحالة في هذه الاي على الاعتبار بالامم السالفة وما كان منهم حين كذبوا انبياءهم وهلاك من هلك من القرون بتكذيبهم وعتوهم وتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر ما جرى لمن تقدم من الرسل فقد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون وكانت هذه الاحالة والتسلية بسط اخبار الامم السالفة وتلك القرون الماضية والاعلام بصبر الرسل عليهم السلام عليهم وتلطفهم في دعائهم ولم يقع في السور الاربع قبل سورة الانعام مثل هذه الاحالة والتسلية وقد تكرر في سورة الانعام كما تبين بعد انقضاء ما قصد منها بطريق المتقين اخذا وتركا وحال من حاد عن سننهم ممن لم يعلم او قصده فلم يوفق له ولا تم له لما من الفريقين المستندة السمع والمعتمدة النظر فحاد الاولون بطاري التغيير والتبديل وتنكب الاخرون بسوء التناول وقصور الافهام وعلة حصر الفريقين السابقة الازلية علما انقضى امر هؤلاء ومن الخطاب الى تسليته عليه السلام وتثبيت فؤاده بذكر احوال الانبياء مع اممهم واحوال الخلق بالاعتبار بالامم الماضية وقد كان قدم لرسوله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الانبياء اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده بسط الحال في وقعت الاحالة عليه واستوفى الكثير من قصصهم الى اخر سورة هود الى قوله سبحانه وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك فتامل بما افتتحت به السورة المقصود فيها قصص الامم وبما اختتمت يلح لك ما اشرت اليه والله اعلم بمراده وتامل افتتاح سورة الاعراف بقوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وختم القصص فيها بقوله فاقصص القصص لعلهم يتفكرون بعد تعقيب قصص بني اسرائيل بقصة بلعام واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الاية ثم قال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فتامل هذا الايماء بعد ذكر القصص وكيف لحق من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم بمن قص ذكره من المكذبين وتامل افتتاح ذكر الاشقياء بقصة ابليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما ممن كفر على علم رغم ذلك اعظم موعظة قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم فصل لمهتد بهذه الاية فهذا ما استجابه بنبيه صلى الله عليه وسلم بذكر ما انعم عليه على الخطاب فقال المص كتاب انزلناه اليك فاشار الى النعمة بانزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين واشار هنا الى ما يحملها من التسلية وشرح الصدور بما جرى من العجايب في القصص مع كونه هدى ونورا فقال فلا يكن في صدرك حرج منه اي انه قد تضمن مما احللناه عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس لتنذر به كما انذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل ولتتبين في انذارك ودعائك وصبرك بسنتهم وليتذكر المؤمنون ثم امر عباده بالاتباع لما انزل فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فان هلاك من نقص خبره عليكم من الامم انما كان لعدم الاتباع واتخاذهم اولياء من شياطين الجن والانس ثم اتبع ذلك بقصة ادم عليه السلام ليتبين لعقبه ما جرت سنته فيهم من تسلط الشيطان وكيده وانه عدو لهم يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ووقع في قصة ادم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما اجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد وتفوهه بخيريته بخلقه من النار

وطلبه الانذار والتسلط على ذرية ادم والاذن له في ذلك ووعيده ووعيد متبعيه ثم اخرجه في وسوسته الى ادم عليه السلام وصلفه له في
قسمه بما الى ذكاه من الناصحين وكل هذا مما اجمل في سورة البقرة ولم تتكرر قصته الا وهذا شانها اعنى انها تفيد مما تكرر ما لم يكن حصل منها
اولا ثم انجرت الاي الى الابتداء قصة نوح وكمرة القصص الى قصة بني اسرائيل فبسط هنا من حالهم واخبارهم شيئا ابسط في قصة ادم عليه السلام
وما جرى في محنة ابليس وفصل هنا الكثير وذكر ما لم يذكر في البقرة حتى لم يتكرر بالحقيقة ولا التعرض لقصص طائفة معينة فقط ومن عجيب
الحكمة ان الواقع في السورتين من كلا القصتين مستقل شاف وان ضم بعض ذلك الى بعض ارتفع اجماله ووضح كماله فتبارك من هذا كلامه ومن
جعله حجة قاطعة واية باهرة ولما اعقب تعالى قصصهم في البقرة بامره نبيه والمؤمنين بالعفو والصفح فقال فاعفوا واصفحوا اعقب تعالى
ايضا هنا بقوله لنبيه عليه السلام خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقد ضاعن القصص فلنرجع الى الاية انتهى ولما تقدم سبحانه اليه
صلى الله عليه وسلم في امر الانذار والاذكار بالكتاب تقدم الى اتباعه فامرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع اهل الضلال لما يوحي اليهم اولياؤهم
من زخارفهم بعد ان اخبر بكونه ذكرى انه سبب لعلو شانهم وعز سلطانهم فقال ملتفتا اليهم مقبلا بعز جلاله عليهم اتبعوا اي احملوا
انفسكم حملا عظيما بجد ونشاط على اتباع ما انزل اليكم اي خصصتم به دون غيركم فاشكروا لهذه النعمة من ربكم اي الذي
لم يزل محسنا اليكم ولا تتبعوا ولعله عبر بالافتعال ايماء الى ان ما كان دون علاج بل هفوة وسبق غفلة في محل العفو من دونه اي
دون ربكم اولياء اي من الذين يتسليكم عنهم في الانعام ريبا من زهم لكم من شياطين الانس والجن وعدم اغنائهم وان الامر كله لربكم ولما
كانوا قد الفوا في اتباعهم صريح العقل وسليم الطبع وعدم مثلة ذلك لو تذكروا اقام منبها لهم على تذكر ما يعرفونه تصرفاتهم قليلا
وكد التقليل بما وبادغام تاء التفعل فقال ما تذكرون اي تعالجون انفسكم على ذكر ما هو مركوز في فطركم الاولى فانكم مقرون بان ربكم
رب كل شيء فكل من تدعون من دونه مربوب وانتم لا تجدون في عقولكم ولا طباعكم ولا شيء لا ما تكم ايرا لبنوع دلالة على ان مربوبا يكون
شريكا لربه ولما كان من اعظم ما يذكر يسار النعم وضار النقم للادبار الهي اليه والاعراض عما سواه وعدم الاغترار باسباب الامن والراحة
قال وكم اي قل تذكركم وخوفكم سطواتنا والحال انه كم من قرية وانجلت لما كان المراد المبالغة في الاهلاك اسنده الى القرية والمراد
اهلها فقال اهلكناها اي بما لنا من العظمة لظلمها باتباع من دون الله فلا تغتروا باوليائكم من دونه وانتم عالمون بانهم لم ينفعوا من ضل
من الامم السالفة وقت انزالنا بهم السطوة واحلالنا بهم النقمة وتحقق المهلكون اذ ذاك مع انهم كانوا اشد منكم بطشا واكثر جنودا
واشد كيدا عدم اغنائهم فلم يرجعوا اما الهم بحزمهم ولما كان المعنى اردنا اهلاكها وحكمنا به سبب عنه قوله فجاءها باسنا اي عذابنا
بما لنا من القوة والعظمة او الاهلاك على حقيقته وهذا تفصيله وتفسير ولما كان لا فرق في اتيان عذابه سبحانه بين كونه ليلا او نهارا وكان
لحلول البأس واشده ما كان في وقت الراحة والدعة والغفلة قال بياتا اي وقت الاستكنان في البيوت ليلا كما جاء قوم لوط ولما كان المراد
بالقرية اهلها بينه بقوله لانه اي احد المضاف فيه اعتبار او حسب ما يحسن من المعان الا يلتفت اليه كما في اول الاية وان لا يلتفت اليه كما في
هذا الاضراب الى ان الاهل هم المقصودون بالذات لانه موضع التهديد او هم قائلون اي نائمون وقت القائلة او مستريحون من غير نوم كما اهلك
قوم شعيب يعني انهم كانوا في احد الوقتين غافلين بسبب انهم كانوا امنين لم يظنوا ان شيئا من اعمالهم موجب للعذاب ولا كانوا مفترين لشيء منه فالتقدير
بياتا هم فيه بائتون اي نائمون وقائلة هم فيها قائلون اي نائمون فالاية من الاحتباك ودل اثبات بياتا اولا على حذف قائلة ثانيا واثبات
هم قائلون ثانيا على حذف هم بائتون اولا والذي ارشد الى هذا المعنى المحسوق هم شعيرا وهذا ترتيب قوله تعالى تنبيها الى افامن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون فالاوجه يكون المحذوف اولا نائمون وثانيا نهارا فيكون التقدير بياتا هم فيه نائمون او نهارا هم فيه
قائلون ويبين عظمة ما جاءهم وهوله بانهم مع كل من الوقتين لم يقع في فكر احد منهم التصويب الى مدافعته بل تسبب عن ذلك قوله فما كان دعويهم
اي قولهم الذي استدعوه اذ جاءهم باسنا اي بما لنا من العظمة الا ان قالوا اي الا قولهم انا كنا اي بما لنا من الجبلة ظالمين
اي في انا لم نتبع ما انزل الينا من ربنا فلم يغنهم ذلك شيئا غير شدة التحسر ثم سبب عما مضى من امر الرسول والامم قوله دفعا للوهم من ظن

ان الامر

لنا الا ان نقضي بما عذبوا به في الدنيا فلنسئلن اي بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ والتقريع للعصاة والتشريف والتعظيم للمطيعين
واظهر موضع الاضمار تعميما فقال الذين ولما كانت الدلالة على تكذيب الرسل لا بقيد كونه معينا بنى للمفعول قوله ارسل اليهم اي وهم الامم
هل امتثلوا اوامرنا واجتنبوا عن زواجرنا لما امرتهم الرسل ام لا ولنسئلن اي بعظمتنا المرسلين اي هل كان لهم صدود وحرج مما ارسلنا
هم به وهل بلغوه ام لا يوم تكونون شهداء على الناس بما علمتم من شهادتي في هذا القرآن ويكون الرسول عليكم شهيدا فلا بد ان نحييكم بعد الموت ثم
نسألكم في يوم تظهر فيه السرائر وتتكشف وان اشتد خفاؤها الضمائر ولتزنن الافعال والاقوال والنيات ولا نترك شيئا من الاحوال ولما كان السؤال
يفهم خفاء المسؤل عنه على السائل سبب عن ذلك ما يزيل هذا الوهم بقوله مؤذنا بانه اعلم من المسؤلين بما لديهم عنه فلنقصن اي بما لنا من صفات
العظمة المستلزمة لكمال علمهم اي المسؤلين من الرسل واممهم جميع احوالهم وما يستحقون من جزائها بعلم اي مقطوع به لا مظنون فقد كنا معهم
في جميع تقلباتهم وما كنا اي في وقت من الاوقات غائبين اي مطلقا ولا عن احد من الخلق بل علمنا شامل لجميع الكليات والجزئيات لان ذلك مقتضى
العظمة ومقتضى ما لنا من صفات الكمال ومن لم يكن محيط العلم حتى يميز بين المطيع والعاصي لا يصح ان يكون الها ولما تقدمت الاشارة بقوله توا واوفوا
الكيل والميزان بالقسط الاية الى ان المساواة الحقيقية في الميزان مجهود عنا وانه ابعد المقادير عن التساوي والنقص في قدرته وعن جاهه بالسية
فلا يجزي الا مثلها على قدرة القدير لحد ذلك وختم الاية السالفة باحاطة العلم على الوجه الابلغ المقتضي لان الله على الوجه الاكمل الامر ايضا
وقصر على علمه هنا فقال والوزن بميزان حقيقي لصحف الاعمال او للاعمال انفسها بعد تصويرها بما يحقق الصواب او بغير ذلك مما يعلمه الله يقدره
الله في القلوب الحلم به ولعله عبر بنون العظمة في الاية التي قبلها اي انا لا نكتفي بما نقص بل نزنه فيصير بحيث يظهر لكل احد انه على غاية ما
يكون من التساوي قال ابو حيان وعلى الجيني النحوي الى تنبهها على عرب الوزن مبتدا يومئذ ظرف منصوب به الحق خبر المبتدا زاد ابو حيان
فقال ولا تضعف اعمال المصدر وفيه لام التعريف قد ذكرنا انه جاء في التنزيل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم انتهى والوزن في ذلك
اليوم مقصور على الحق يطابقه الواقع مطابقة حقيقية لا فصل فيها اصلا ولا يتجاوز الوزن في ذلك اليوم الحق الى شيء من الباطل بزيادة ذرة
ولا نقصها ولا ما دون ذلك فيجوز ان مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب وهو يتضمن الحث على اتباع الرسول والدلالة على التوحيد والقدرة على
البعث بيانا لافعال الهائلة في ابتداء الخلق واهلاك الماضين اشارة الى ان من لم يتبعه ويوحده نزلة على هذه الاحوال التي لا يستطاع ولا يتهاج
الا وقفت دونه العقول والطباع لما قام من الادلة على توحيده بعجيب مواقعه لقوله وافعاله او هلك ان يعاجله قبل يوم البعث بعقاب مثل عقاب
الامم السالفة والقرون الخالية معها ادخر له في ذلك اليوم من سوء المنقلب واظهار اثر الغضب ولما اخبر ان العبرة بالميزان على وجه يظهر انه دقيق
فيه بوجه تسبب عنه قوله فمن ثقلت اي رجحت ورسبت على ما يعهد في الدنيا موازينه اي موزونات اعماله اي اعماله الموزونة ولعله
جمعها اشارة الى ان كل عمل يوزن على حدة ليبسع في اصلاحه فاولئك اي العالو الهمم هم اي خاصة المفلحون اي الظافرون بجميع
مآربهم ومن خفت اي طاشت موازينه التي يوزن فيها الاعمال الصالحة فاولئك اي المتبعدون الذين خسروا انفسهم اي التي هي راس مالهم
فكيف بما دونها بما كانوا باياتنا اي على ما لها من العظمة يظلمون اي يا ثمرتها ما يجد وفي وضعها في غير المحل الذي يليق بها فعل من هو في ظلام
قال الحسن وحق لميزان لا يوضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف ولما امر الخلق بمتابعة الرسل فابلغ في تحذيرهم بعذاب
الدنيا ثم بعذاب الاخرة التفت الى تذكرهم ترغيبا في ذلك بابلاغ نعمه وتحذيرا من سلبها الا ان المواجهة ادعى الى طب فقال في موضع الحال
من ضيروا انفسهم ولقد مكناكم اي خبروها والحال انا مكناهم من ايجادها بجلائل القوى في القدر ودار النعم وجعلنا لكم ما يحصل به التمكن
في الارض اي كلها ما منها بقعة الا وهي صالحة لانتفاعهم بها ولو باعتبار وجعلنا لكم اي بما لنا من العظمة فيها معايش جمع معيشة
وهي اشياء يحصل بها العيش وهو التصرف ايام الحياة بما ينفع والياء اصلية ولذا لا تهمز وكذا ما ولي الف جمع من حرف علة اصلي وليس فيه الف
واو وكاو ائل واوايل وخيار جمع اول وخيرة فانه لا يهمز الا شاذا كمناير ومصايب جمع منارة ومصيبة ولما كان حاصل ما مضى ان الله سبحانه
اوجدهم وقواهم وخلق لهم ما يديم قواهم فكانوا اجدر وعبدوا غيره انتج قوله على وجه التاكيد قليلا ما تشكرون اي لمن اسبغ عليكم

نعمة ظاهرة وباطنة ما تنجون به انفسكم وقال ابو حيان انه راجع للذين خوطبوا باتبعوا ما انزل اليكم وما بينهما اعتراض ومورد الاعتبار والاتعاظ
بذكر ما آل اليه امرهم في الدنيا وما يؤول اليه في الاخرة انتهى ولما ذكر سبحانه ما نعمهم به من التمكين ذكرهم ما كانوا عليه قبل هذه المكنة من العدم تذكيرا
بالنعم في سياق الدليل على البعث الذي فرعه بقوله وعلى ما خص به اباهم ادم عليه السلام من التمكين في الجنة بالخلق والتصوير وافاضة روح الحياة
وروح العلم وامر اهل سمواته بالسجود له والغضب على من عاداه وطرده عن محل كرامته ومحل سعادته واسكانه هو بذلك المحل الاعلى والوطن
الاسنى ماذونا له في كل ما فيه الا شجرة واحدة فلما خالف الامر ازاله عنه واخرجه منه وفي ذلك تحذير لاهل المكنة من ازالة المنة في سنة زوال النعمة
وحلال النقمة فقال ولقد خلقناكم اي بما لنا من صفة العظمة ثم صورناكم اي قدرنا خلقكم ثم تصويركم بان جعلنا فيكم قابلية قريبة
من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقداره المعين بتخمير طينة ادم عليه السلام على حالة تصلح لذلك كما يهيا التراب بتخميره بانزال المطر لان يكون منه
شجرة وقد يكون تلك الشجرة مهياة لقبول صورة الثمرة وغير ذلك كما قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر وقال صلى الله عليه وسلم
كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رض ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك
فينفخ فيه الروح وعنه رض ايضا عند مسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا
فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك الحديث فظاهر هذا
الحديث مخالف للفظ الذي قبله ولا دلالة فيحمل على ان معنى صورها هياها في مدة الاربعين الثانية لقبول الصورة تهيئة قريبة من الفعل
وسهل اولها بالتخمير على هيئة مخصوصة بحيث وما قبل ذلك انها كانت نطفة فكانت بعيدة عن قبول الصورة ولذلك اختلفوا في احترامها
وهل يجوز افسادها والتسبب في اخراجها ومعنى خلق قدر اي جعل لكل شي من ذلك حدا لا يتجاوزه في الجملة والدليل على هذا المجاز تشكيكه في كونها
ذكرا او انثى ولو كان ذلك على ظاهره لما حصل شك في كونها ذكرا او انثى اذ آلة الذكر والانثى من جملة الصورة وبعض ما تتم هذه الاية مع قوله
واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فهذا خلق بالفعل والذي في هذه السورة بايداع
القوة القريبة منه والمراد من الاية التذكير بالنعم استعطافا الى الموافقة وتفظيعا لحال المخالفة في حق انفسهم والحال انا انعمنا عليهم
بنعم التمكين بعد ان انشاناهم على الصورة المذكورة بعد ان كانوا عدما واسجدنا ملائكتنا لابيهم وطردنا من تكبر عليه طردا لا طرد مثله في
ابعاده عن محل قدسنا بعدا لا قرب معه واسكنا اباهم الجنة دار رحمتنا وقربنا فقال تعالى ممتنا جاعلا ذلك ثم قلنا اي على ما لنا من الاختصاص
بالعظمة للملائكة الموجودين في ذلك الوقت من اهل السموات والارض كلهم بما دلت عليه الاستثناء قلنا انها للاستغراق او للجنس اسجدوا لادم
اي بعد كونه رجلا قائما سويا ذا روح كما هو معروف من التسمية ثم سبب عن هذا الامر قوله فسجدوا اي كلهم بما دل عليه الاستثناء في قوله الا ابليس
ولما كان معنى ذلك الا اخراجه من سجد انه لم يسجد صرح به فقال لم يكن من الساجدين اي لادم ولما كان مخالف الملك في محل العقاب تشوف السامع
الى خبره فاجيب بقوله قال اي الله لابليس انكارا عليه وتوبيخا له واستخراجا للكفر الذي كان يخفيه بما يبدي من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده ما منعك ولما
كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم سجوده فكان المعنى لابليس بادخال لا في قوله ان لا تسجد اي في التقييد التاكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع
من الفعل والاقدام على الترك لان مقصود هذه السورة الانذار نحو البيق فيه شي بتاكيد هذا التهديد بخلاف سورة ص فكانه قيل ما منعك من السجود
وحملك على تركه اذ اي حين امرتك اي حين حضر الوقت الذي يكون فيه اداء المامور به قال اي ابليس بادرته سبحانه الى الجحود وعدم العلم بالحق
انا خير منه اي فلا يليق لي السجود لمن هو دوني ولا امري بذلك لانه مناف للحكمة ثم بين وجه الخيرية التي تصورها بسوء فهمه او عناده الذي اوقعه فيه طبعه
بقوله خلقتني من نار اي هي اغلب اجزائي وهي مشرقة مضيئة عالية غالبة وخلقته من طين اي هو اغلب اجزائه وهو كدر مظلم سافل مغلوب
وقد غلط غلطا فاحشا فان الايجاد خير من الاعدام بالانزاع والنار سبب الاعدام والمحق لما خالطته والطين سبب النماء والتربية لما خالطه هذا
لو كان الامر في الفضل باعتبار العناصر والمبادي وليس كذلك بل هو باعتبار الغايات ولما كان هذا امرا ظاهرا وكان مجرد التكبر على الله كفرا

علی

على الوجه الكامل اعرض عن جوابه بغير الطرد الذي معناه نزول المنزلة الذي هو ضد ما طلب من علوها فاستانف قوله قال مسببا عن ابائه
قوله فاهبط منها مضمرا للدار التي كان فيها وهي الجنة فانها لا تقبل عاصيا وعبر بالهبوط الذي يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج لان
مقصود هذه السورة الانذار وهو ادل عليه وسبب عنه بالهبوط الذي معناه النزول والحدور وهو الانحطاط والانتقاص والوقوع قوله
فما يكون اي يصح ويتجه بوجه من الوجوه لك ان تتكبر اي تتعمد الكبر وهو الرفعة في الشرف والعظمة والتجبر والامتنوع لقوله لك
والقوله فيها لوجود الصريح بالمنع من المتكبر الا لنا وكلما اقرب مطلقا انه لا يحب المستكبرين كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر قال الذين استكبروا
انا كل فيها وانما قيد بذلك تهويلا للامر فكانه قيل لا ينبغي التكبر الا لنا وكلما اقرب الشخص من محل القدس الذي هو مكان المطيعين المتواضعين
حل تحريم الكبر عليه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر رواه مسلم وغيره عن ابن مسعود رض وسبب عن كونها لا يقبل الكبر قوله
فاخرج اي من الجنة دار الرضوان فانتفى ان يكون الهبوط من موضع عال من الجنة الى موضع منها احط منه ثم علل امره بالهبوط والخروج بقوله مشيرا
الى ان كل من ظهر استكبارا رد الى الصغار انك من الصاغرين اي الذين هم اهل الطرد والبعد والحقارة والهوان ولما علم الحسد وابعده
ونزل به عن جنة الرضوان واقعده تمادى في فساده بما يتسبب به عن الانزال المحسوس بين عن درجاتهم العالية الى دركته السافلة ولم يسال الشقاوة
فيما يعليه من دركته السافلة الى درجاتهم العالية وذلك بان قال اي ابليس وهو استيناف وعلما كان قد قاسيا الحكم بالصغار العاجل
من تقييد بان يكون سببا لسؤاله الانظار وذكره بصفة الاستحقاق انظرني اي امهلني الاجل اي موجودا بحيث انظر واتصرف هو
في زمن ممتد الى يوم يبعثون اي من القبور وهو يوم القيمة وكان اللعين طلب بذلك انه لا يموت فان ذلك الوقت ليس وقتا للموت انما هو
وقت افاضة الحياة الابدية في شقاوة او سعادة فاعلمه سبحانه بانه حكم بالانظار لكن لا على ما اراده ولا على انه اجابة له ولكن حكما
سبق في الازل في حكمه في قديم علمه والى ترشد التعبير بقوله قال انك من المنظرين اي في الجملة ومنعه من الحماية عن الموت بقوله كما ذكره
في سورة الحجر وص الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي تموت فيها الاحياء فيموت هو معهم وكان نزل هذه الجملة من هذه
السورة لان هذه السورة للانذار وابهام الامر اشد في ذلك واجابه الى الانظار وهو يريد به الفساد لانه لا يحجر وامره فيه
وتقديره به ولانه سبحانه لا يسال عما يفعل ولتظهر حكمته تعالى في الثواب والعقاب لما كان قد حكم عليه بالشقاء قابل نعمة الامهال
واطالة العمر بالتمادي في الكفر واخبر عن نفسه بذلك بان قال مسببا عن ابتلائه في المعصية بسبب نوع الادميين فبما اغويتني
اي فبسبب اغوائك لي وهو ايجاد الغي وهو اعتقاد الباطل في قلبي من اجلهم والله لاقعدن لهم اي افعل في قعدهم عن الخير فعل
المتمكن المقبل بكليته المتاني الذي لا شغل له غير ما اقبل عليه في مدة امهالك لي لقطعهم عنك بمنعهم من فعل ما امرتهم به وحملهم على
فعل ما نهيتهم عنه كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للخطف صراطك اي في جميع صراطك يعاد اليه بنزع الخافض المستقيم
وهو الاسلام بجميع شعبه ومن اسند الاغواء الى غير الله بسبب اعتقاده ان ذلك مما ينزه الله عنه فقد وقع في شر مما فر منه وهو ان جعل
في الوجود فاعلين يخالف اختيار احدهما اختيار الاخر ولما كان قد اقام نفسه في ذلك بغاية الجد فهو يفعل فيه بالوسوسة بنفسه ومن
اطاعه من شياطين الجن والانس ما يفوت الحد ويعجز القوى اشار اليه بحرف التراخي فقال مؤكدا ثم لاتينهم اي اتيانا لا بد لي
منه بما لنا ابتداؤه من بين ايديهم اي مواجهة فاحملهم على ان يفعلوا ما يعلمون انه خطا ومن خلفهم اي مغافلة فيعملون
ما هو فاسد في غاية الفساد ولا شعور لهم بشيء من فساده حين تعاطيه فاد ربهم بذلك على تعاطي مثله وهم يشعرون وعن اي
ومجاوزة الجهة التي عن ايمانهم اليهم وعن اي مجاوزة الماعن شمائلهم اي مخالة فيفعلونه وهو مشتبه عليهم وهذه هي
الجهات التي يمكن الاتيان منها ولعل فائدة عن المفهمة للمجاوزة وصل خطى الاقدام والخلف ليكون اتيانه مستوعبا لجميع الجهة المحيطة
وافهمت الجهات الاربع قد جرو تلبيسه فيما يعلمون حتى علمه ولا يعلمون شيئا منه وما هو مشتبه عليهم اشتباها قليلا او كثيرا ولم يذكر ترك
ذكر الاعلى لانه لا قدرة له على الاتيان منه لئلا يلتبس امره بالملائكة وقد ذكر ذلك في بعض الاثار كما ذكرته في ترجمة ورقة بن نوفل

رضي الله عنه ولما عزم اللعين على هذا عزماً صادقاً ورأى بما به بصيرة من الانظار وبحوه ظن بما رأى لهم من الشهوات والحظوظ بانه يظفر
باكثر حاجته فقال على ما تقديره فلاغوينهم وليتبعني ولا تجد اكثرهم كما هي عادة الاكثر في الخبث شاكرين فاراد به الشقاق فافرق بين الحسد
ولو اراد بالتنحي الخير استبدل بالحسد الغبطة فطلب ان يرتقي هو الى درجاتهم العالية بالبكاء والندم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل
النصيحة خضوعاً لمقام الربوبية وذلا لعظيم شأنه ولما كان كانه قيل ماذا قال له الملك في جواب ما ذكر لنفسه هنالك مما في من القوة و
الاقتدار وابان عنه من الكبر والافتخار وما دل عليه انه من اجهل الصغار لا يقدر على شيء الا باقدار العزيز الجبار ممتحياً بما ارتد من الهبوط الذي
ربما حمل على النزول من موضع الجنة على الحكم الماضي اخطانه اخرج منها اي الجنة مذؤوماً اي محقوراً بحقيراً بما تفعل ان اللبن القطاع
ذامت الرجل حقرته وقال الفارسي ذامته حقرته مدحوراً اي مبعداً مطروداً عن كل ما اريده ولما علم بعض حاله تشوفت النفس الى حال
من تبعه فقال مقسماً موكداً لما يحق لمن له القدرة التامة والعظمة الكاملة لمن تبعك منهم اي بني ادم واجاب القسم بما اغنى عن جواب
الشرط فقال لاملان جهنم منكم اي منك وممن قبلك منهم اجمعين اي لا يفوتني منكم احد فلم يزد من فعل ذلك منكم على ادى نفسه
ولا ابالي انا بشيء ولما وجب لما مضى ذكر من الشقاوة بتماديه في الحسد وكثرة كلامه فيما يحشو النفث الى محشو الذي لم يتكلم فيه بكلمة واحدة
بل اشتغل بنفسه في البكاء والتني بفعل ربه بما ينجيه من حبائل مكره التي نصبها بما ذكر ليكون ذلك سبب سعادته فقال عاطفاً على اخرج
منها ويا ادم اسكن ولما كان المراد بهذا الامر هو نفسه لا التجوز به عن بعض من لابسه اكد ضميره لتصحيح العطف ودفع التجوز فقيل انت
وزوجك الجنة ولما كان من تسليها هنا التعريف بان مكن لابينا في الجنة اعظم من تمكينه لنا في الارض بان خصه فيها برغد العيش مقارنا
لوجوده بحسن في قوله فكلا العطف بالفاء الدال على ان الماكول كان مع الاسكان متاخر عنه ولا منافاة بينه وبين التعبير بالواو في البقرة
لان مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو ولا منافاة بين النوع والجنس وقوله من حيث شئتما بمعنى رغداً وسعاً فانه يدل
على اباحة الاكل من كل شيء فيها غير المنهي عنه ولما اية البقرة فرتد على اباحة الاكل منها في كل مكان وهذا السياق الى الحزم مشير الى انه خالف امره
في تل عرشه وهدم عزه وملكان في غاية المكنة ونهاية القوة كما اخرج من اعظم المكنين بانجاملكة واسكا جنته واباحة اكل ما فيها
غير شجرة واحدة اكد تحريمها بالنهي عن قربانها دون الاكتفاء بالنهي عن غشيانها فقال ولا تقربا اي فضلا عن ان تتناولا هذه الشجرة
مشيراً الى الشجرة بعينها او نوعها ثم سبب عن القربان العصيان بانه حاجو الحمى وشك ان يواقعه فقال فتكونا اي بسبب قربها من الظالمين اي بالاكل
منها الذي هو مقصود النهي فتكونا بذلك واضعين فعلا في غير موضعه كالماشي في الظلام ثم سبب عن الاستباحة الخادع المحسوب فيما آلا الانظار بسببه
وانه وقع على كثير مراده ولتعوى منهم مما لحاوز الحد وقصر عنهم مرتقى العظمة ثم بين انه اقل من ان يكون له فعل وان الكل انما هو بخلق الله سبحانه الذي
جعله الله لمراده منه ومنهم ولذا يحيد انه سبحانه وتعالى بهذا الفصل لتهم الحاسر ودون فقال فوسوس اي القى في خفاء وتزيين و
تكرير وتنبيه لهما الشيطان اي بما امكنه الله منه من انه يجري في الانسان مجرى الدم ويلقي في خفاء ما يميل الله ابه الى ما يريد بهم بعلة الوسوسة بقوله
ليبدي اي يظهر لهما ما وورى اي ستر وغطى بان جعل كانه وراءهما لا يلتفتان اليه عنهما والبناء للمفعول اشارة الى ان السرشي لا كلف
عليهما فيه كما يأتي في قوله ينزع عنهما لباسهما من سوآتهما اي المواضع التي تسوءهما انكشافها وفي ذلك اظهارا السوءة موجب بعدهما من الجنة
وان بينهما منعية الجمع وكمال التباين ولما اخبر بالوسوسة وطوى مضمونها معظما انه امر كبير وخداع طويل عطف عليه قوله وقال اي في وسوسته
ايهما اي زين لهما ما خطر في خواطرهما بسبب هذا القول ما نهاكما وذكرهما بوصف الاحسان تذكيراً باكرامه لهما تجرئة لهما على ما يريد منهما فقال
ربكما والبناء للمفعول اي المحسن اليكما بما تعرفانه من انواع احسانه عن اي ما جعل نهيكما في الاباحة للجنة متجاوزة عن هذه الشجرة مع
ان الاشارة والاسم زيادة في الاعتناء والتخصيص الا ان اي كراهة ان تكونا ملكين اي في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران و
التشكل وغير ذلك من خواصهم او تكونا اي بما يصير لكما كالجبلة من الخالدين اي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة اصلا ولما اوصل
اليهما هذا المعنى اخبر انه اكده تاكيداً عظيماً كما يوكد المخالف بالحلف عليه فقال وقاسمهما اي اقسم لهما الكن ذكر المفاعلة ليدل

على انه

على انه حصلت بينهما في ذلك مراوغات ومحاولات بذل فيها الجهد واكد المعرفة انهما طبعا على النفرة من المعصية ما اقسم عليه انواع من
التاكيد في قوله اني لكما فافاد تقديم الجار للفهم للاختصاص انه يقول لم اخصصتكما بجميع نصيحتي لمن الناصحين وفيه تنبيه
على الاحتراز من المخالف وان الاغلب ان كل حلاف كذاب فانه لا يحلف الا عند ظنه ان سامعه لا يصدقه ولا يظن ذلك الا وهو معتاد
للكذب ولما اخبر بعض وسوسته لهما سبب عنها ترجيتها بانها اهبطهما من اوج شرفهما الى حضيض ذلك وشرّ فقال فدلاهما اي انزلهما عما
كانا فيه من علو الطاعة مثل ما فعل بنفسه بالمعصية التي اوجبت له التسوية من دار الكرامة بغرور اي بخداع وحيلة حتى نسي ادم عهد ربه
وقوله فلما ذاقا مشير الى الاسراع والعجلة بالفاء والذوق فانه هو مبدأ الاكل الشجرة اي وجد طعمها بدت اي ظهرت لهما سوآتهما
اي عورتهما التي يسوءهما ظهورها ونهافت عنهما لباسهما فابصر كل واحد منهما ما كان مستورا عنه من عورة الآخر وذلك اول قصد الحسود
فاستحييا عند ذلك وطفقا اي شرعا واقبلا يخصفان عليهما اي يصلان بالخياطة من ورق الجنة ورقة الى اخرى
وناداهما ربهما اي المحسن اليهما بامرهما ونهيهما ولم ينفعهما شيئا من ذلك الابرام منه فقال منكرا عليهما ما فعلاه ومعاتبا
يا عبديّ الم انهكما اي اجعل لكما نهاية فيما اذنت لكما فيه متجاوزة عن تلكما الشجرة اي التي كان حقها البعد منها الموجب للغربة
عن هذا الموضع الشريف احساناً اليكما واقل لكما ان الشيطان لكما اي الذي تكبر عن السجود حسدا لك يا ادم ولنفاسة عليك
فاخر وتغضب وطرد وابعد عن رحمتي لكما اي لك يا ادم ولزوجك ولكل من تفرع منكما ونسب اليكما عدو مبين ظاهر العداوة
باتيكم في كل موضع يمكنه الاتيان منه بمجاهرة ومسارة ومماكرة فهو مع ظهور عداوته دقيق المكر بما اقدرته عليه من اقامة الاسباب
فاني اعطيته قوة على الكيد واعطيتكم قوة على الخلاص وقلت لكم تغالبوا فان غلبتموه فانتم منصورون وان غلبكم فانتم مرجوم
معه الا لكم العداوة فالاية منبهة على ان من غوى فانما هو تابع لاعدى اعدائه تارك لاولى اوليائه ولما كان هذا تشوف السامع
الى جوابهما فاجيب بقوله قالا اي ادم وحوى عليهما السلام وازكى التحية والاكرام قول الخواص مسرعين في التوبة ربنا اي ايها
المحسن الينا المنعم علينا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بان اخرجناها من نور الطاعة الى ظلام المعصية فان لم يرجع بنا وتكتب
علينا النسيم عاصين وان لم تغفر لنا اي تمحو ما عملنا عينا واثراً وترحمنا فتعلي درجاتنا لنكونن من الخاسرين عملنا
فاعرب الآية عن انهما فزعا الى الانصاف بالاعتراف حيث اذنبهما وان كان انما هو خلاف الاولى لانه بطريق النسيان بحكم انه ظلم كما هي
عادة الاكابر في استعظام الصغير منهم وعن تم يحاولا كما فعل ابليس في الاشارة الى ان المبادرة الى الاقرار بالذنب من فعال الاشراف
لكونه من معالي الاخلاق وانه لا مثل له في اقتضاء العفو وازالة الكدر وان الجدال من فعال الاراذل وهو من مساوئ الاخلاق وموجبات
الغضب المقتضي للطرد ولما تشوفت النفس الى جواب العلي الكبير سبحانه اجيب بقوله قال اهبطوا اي انزلوا الى دار المجاهدة و
المقارعة والمناكرة حال كونكم بعضكم لبعض عدو اي انتما ومن ولدتماه اعداء ابليس ومن ولده وبعض اولادكم اعداء
لبعض ولا خلاص الا باتباع ما منحتكم من هدى العقل وما انزلت اليكم من تأييده بالنقل وفي ذلك تحذير صادع لمن له ادنى
مسكة بالاشارة الى قبح معنى المخالفة ولو مع التوبة وحث على دوام المراقبة خوفاً من سوء المعاقبة ولكم في الارض
الجنس مستقر اي موضع استقرار بسهول من اشابههما ومتاع الى حين اي انقضاء آجالكم ثم انقضاء اجل الدنيا ولما
علم بهذا ان الكون في الارض حرادتا ما يرى الفلاسفة التناسخية وغيرهم ممن يقول باتحاد ان النفوس مجردة عن الجسمية
علايقها وانها اذا رحلت الجسد اتصلت بالعلويات او الكواكب او غيره او انخرطت في سلك الملائكة وبطل تعلقها بالبدن بكل وجه فلا تتصل به الا
تدبير ولا غيره ولا بالبعث عنده ممن قال منهم بالبعث كان كانه قيل فماذا يكون بعد ذلك فاجيب بقوله قال اي الله رادا عليهم ما يعتقدونه من بطلان
التعلق بالبدن معبرا في الخطاب بالضمير الذي يعبر به عن هذا الهيكل المخصوص وحاصيا فيها اي في الارض لا في غيرها تحيون اي اولا وثانيا
على ما انتم عليه بطولكم وبما منكم ابدانا وارواحا وفيها اي كذلك لا في غيرها كما انتم لذلك مشاهدون تموتون اي الحيوان لا الى

بجملتكم فيكون للارواح تعلق بالابدان يوجد بها حتى يعقل الميت في القبر ويجيب سؤال الملكين عليهما السلام وتلتذ الاجساد بلذتها وتتالم بالمها الى الحشر مع تفصيل حال الكون في الارض وختمت القصة بما ابتدئت به من الاعلام بالبعث بقوله **ومنها** اي لا من غيرها باخبار الصادق **تخرجون** اي روحا وبدنا بعد موتكم فيها وعودكم الى ما كنتم عليه اولا ترابا للجزاء واظهار ثمرة الملك بانصاف بعضكم من بعض والتحلي بصفة العدل فيما كان بعضكم يفعل مع بعض من العسف والجور الذي لا يرضى قل رئيس منكم ان يقر عليه عبيده وعلم بهذا ان الدالة على الحشر فذلكة القصة وهذا ايضا من ذكره فيما مضى في قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم الايات ولما بين فيما مضى ان موجب الاخراج من الجنة هو ما اوجب كشف السواة من المخالفة وفرع من التسبب حتى اخبر بانه حكم باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار شرع يحذرنا من عدونا كما حذر ابانا عليه السلام وبدا بقوله بيانا لانه انعم علينا فيها بكل ما يحتاج اليه في الدين والدنيا وايذانا بما في كشف العورة من الفضيحة والابعاد عن كل خير واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى **يابني ادم** ولما كان الكلام في كشف العورة وان ادم عليه السلام اعوزه الساتر حتى فزع الى الورق كان موضع ان يتوقع ما يكون في ذلك فقال مفتتحا بحرف التوقع **قد انزلنا** اي بعظمتنا **عليكم** من اثار بركات السماء اما ابتداء بخلقه واما بانزال الماء من المطر ونحوه **لباسا** اي لم يقدر عليه ابوكم في الجنة **يواري سواتكم** ارشادا الى الدواء ذلك من الداء واعلاما بان نفس الكشف نقص لا يصلح لحضرات الكمال وقال **وريشا** اشارة الى انه تجاوز به ذلك الى ما يستر زيادة الزينة والجمال استعارة من ريش الطائر تحبيبا فيما يبعد من الذنب ويقرب الى حضرات الرب ولما ذكر اللباس الحسي وقسمه الى ساتر ومزين اتبعه المعنوي فقال مشيرا بقطعه في قراءة الجمهور عما قبله الى الكمال تعظيما حثا عليه وندبا اليه **ولباس التقوى** فعلم ان ساتر العورة حسي ومعنوي فالحسي لباس الثياب والمعنوي التحلي بما يبعث على الثواب ثم زاد في تعظيم المعنوي بقوله **ذلك خير** اي ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب ولكنه فصل ما بين الاشارة المقترنة باداة البعد ايماء الى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه اعم اللباسين لان بعده يكون بكشف العورة الحسية والمعنوية فلم يحصل للانسان الكمال بلبس ما هو غير متق كان كالعريان ولو كان متقيا وليس عليه الا خرقة تواري عورته كان في غاية الجمال والستر والكمال بل ولو كان مكشوف العورة في بعض الاحوال كما قال صلى الله عليه وسلم ستر ما بين عورات بني ادم واعين الجن ان يقول احدكم اذا دخل الخلاء بسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث رواه الترمذي وابن ماجه عن علي رضي الله عنه والذي يقطع بان المعصية سبب لاجلاء السوء الذي منه ضعف القلب وقطع العصيان او معنى مجيء الكثير منه لما يفهمه التعجب في البقرة في بدء الخلق عن التورية ان الله قال لادم عليه السلام كل من جميع اشجار الفردوس فاما شجرة علم الخير والشر فلا تاكل منها لانك في اليوم الذي تاكل منها تموت موتا اي تهبط الى رتبة نقصا وتبقى عليك باشتغال بطلب المعيشة فيقصر عمرك ويمضي بذهاب بركته والله اعلم ولما كان في شرع اللباس تمييز الانسان عن بقية الحيوان وتهيئة لطاعة ربه التي لم يجد ادم عليه السلام في الجنة انفسه الفضل والنعمة والدالة على عظمة المنعم ورحمته وقدرته واختياره ما هو معلوم قال **ذلك** اي انزال اللباس **من ايات الله** اي الذي حاز صفات الكمال الدالة على فضله ورحمته قطعا ولعل الالتفات لهذا الى الغيبة في **لعلهم يذكرون** وعلى الالف في وجه التذكر بها يشير الى الادغام لئلا يقول المتعنت انه خصهم بالتذكر خاص بالمخاطب ويرعى انه للسلف فقط اي انزلنا ذلك اليكم حال كونهم حالهم يتذكر فيعلم انه يتبعه ما يستقبح غيره ولما كان المقصود من ذكر القصص لا سيما قصص الانبياء الاعتبار بها وكان بيان ما وقع بين ادم وبين الشيطان من شديد العداوة مقتضيا للتحذير من الشيطان ومن المقام خطرا والتخلص عسرا اشار الى ذلك بالتاكيد وبين ان مطلق الاستيطان من المكايد الخفية والاسباب الدقيقة ليعلم الناجي انه انما نجا بمحض التوفيق ومجرد اللطف فيقبل على الشكر متبريا من الحول والقوة فقال مناديا لهم بما يفهم الاستعطاف والتراؤف والتخلص والتحنن والترقق والاستعطاف **يابني ادم** اي الذي خلقته بيدي واسكنته جنتي وانزلته الى دار محنتي ارادة الاعلاء لكم الى الذروة من عبادتي والاهمال للحضيض من معصيتي **لا يفتننكم** اي يخالطنكم بما يميلكم ويحيلكم عن الاعتدال **الشيطان** اي البعيد من الرحمة المحترق بالذنوب بصيدكم بما يكون سببا لردكم الى وطنكم بتزيين ما ينزع عنكم من لباس التقوى المفضي لهتك العورات الموجب لخزي الدنيا فيمنعكم من الدخول الى الجنة ويدخلكم النار **كما اخرج ابويكم من الجنة** بما فتنهما به بعد ان كانا سكناها وتمكنا فيها وتوطناها وقد علمتم ان الدفع اسهل من الرفع فاياكم ثم اياكم فالاية من الاحتباك ذكر الفتنة اولا دليلا على حذفها ثانيا والاخراج ثانيا دليلا على حذف ضده اولا وهو التعليم اولا ولما كان الشيطان قد بذل الجهد في اخراجهما اتبعه الاخراج

مشيرا الى ذلك باطالة الوسواس وادامة المكر والخديعة بالتعبير بالفعل المضارع فقال في موضع الحال من ضمير الشيطان **ينزع عنهما** بالتسبب بادامة التزيين والاخذ في المامن **لباسهما** اي الذي كان يجاد سترهما به ولاما كانا حافظين لانفسهما من موافقة ما نهيا عنه ودل على ما فاته الكشف المحبة بالتعليل بقوله **ليريهما سواتهما** فان ذلك مبدا ترك الحياء والحياء والايمان في قرن كما اخرجه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما والحياء لا ياتي الا بخير رواه الشيخان عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ولما كان نهي الشيطان عن فتنتنا انما هو في الحقيقة نهي لنا عن الافتتان به فهو في قوة لتشتد حذركم من فتنته فانه دقيق الكيد بعيد الغور بديع المخاتلة علل ذلك بقوله **انه يراكم** اي الشيطان **هو وقبيله** اي جنوده **من حيث لا ترونهم** على اللحب دينا لا تعد ولا يراكم ولا تراه لتشتد المؤنة الا من عصمه الله ولما كان قد قيل لهم سلطوا علينا هذا التسليط العظيم الذي لا يكاد يسلم معه احد قال مخففا الامر وهو هين في الحقيقة كليم **انا** اي بعظمتنا ذلك الان بما لنا من العظمة **جعلنا الشياطين** اي المحترقين بالغضب المبعدين من الرحمة **اولياء** اي قرباء **للذين لا يؤمنون** اي يجددون الايمان لان بينهم تناسبا في الطباع يوجب الاتباع واما اولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم او فتناهم يسيرا بهم خلصناهم بلطفنا منهم فليسوا لهم باولياء بل هم لهم اعداء واسمهم انهم يؤمنون والمعنى انا مكناهم من مخاتلتكم بسترهم عنكم واظهاركم لهم وسلطناهم بذلك على من حكمنا بانه لا يؤمن بتزيينهم لهم وتسويلهم واستخفافهم بالنيه وجهم في بعض المواضع ويصلهم الى الشيء من المطالب فعلنا ذلك لتحسين الرجل الكامل الذي يستحق الدرجات العلى ولترد اليه الملائكة بالسلام والحيي من غيره فخذوا حذركم فان الامر خطر والخلاص عسر وبعبارة اخرى انا مكناهم طريقا وجعلنا بجنبتيها عدوا يرونكم ولا ترونهم وقدرناهم على تعيينكم فمن سلك سواء السبيل نجا ومن خرج عنه اسرع العدو ومن دنا من الحافات بمواقعة الشبهات قارب العدو فمن قاربه استغواه فكلما دنا منه تمكن من اسره وكلما بعد تمكن من اسره بعد من الخلاص فاحذروا وعدم رويتنا لهم في الجملة لا يقتضي امتناع رويتهم على انه قد صح تصورهم في الاجسام الكثيفة ورؤية بني ادم لهم في تلك الاجسام كالشيطان الذي راه ابو هريرة رضي الله عنه حين امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الصدقة وكذا ابي بن كعب رضي الله عنه وحديث خالد بن الوليد رضي الله عنه في شيطان العزى معروف في السير وكذا حديث سواد بن قارب رضي الله عنه في شان رئيه من الجن له وكذا حديث ابن مالك رضي الله عنه في مثل ذلك وغيرهما وفي شرحي لنظمي للسيرة كثير من ذلك وكذا حديث العفريت الذي انفلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلوته فاخزاه الله وامكن منه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا دعوة اخي سليمان لاصبح مربوطا بسارية المسجد يتلاعب به ولدان اهل المدينة قال البيضاوي الا ان رؤيتهم في الصور نادرة كما ان الملائكة تبدو في صور كحديث جبريل عليه السلام ولما جعل امارتهم في ولاية الشيطان عدم الايمان عطف عليه على ذلك امارة اخرى فقال **واذا فعلوا فاحشة** اي امرا بالغا في القبح كالشرك وكشف العورة في الطواف **قالوا** معللين لارتكابهم اياها **وجدنا عليها** اي الفاحشة **اباءنا** ولما كانت هذه العلة ظاهرا عوارها بينا عوارها ضموا اليها افتراء ما يصلح للعلية فقالوا معبرين بالاسم الاعظم غير محتشمين من جلاله وعظمته وكماله **والله امرنا بها** ولما كانت العلة الاولى ملغاة وكان العلم ببطلانها بديهيا لان من المعلوم انهم لو وجدوهم على سفه في تحصيل المال ما تابعوهم اعرض عنها اشارة الى ذلك وامر بالجواب عن الثانية التي هي افتراء على الملك الاعلى مع علمهم انهم ابعد الناس عن مطلق الكذب اشدهم تحريما بقوله **قل ان الله** اي الذي له الكمال كله **لا يامر بالفحشاء** اي بشيء من هذا الجنس ولما كان الكذب قبيحا في نفسه وهو عندهم افحش القبيح مطلقا فكيف به على كبير منهم فكيف اذا كان على اعظم العظماء قال منكرا عليهم موبخا لهم مشددا **اتقولون على الله** اي الذي له جميع العظمة **ما لا تعلمون** لانكم لم تسمعوا ذلك من الله بلا واسطة ولا نقل اليكم بطريق صحيح عن نبي من انبيائه عليهم السلام وفيه تقريع شديد على الجهل والقول على الله بالظن ولما كان تعليلهم بامر الله مقتضيا لانه اذا امر بشيء اتبع امره بين لهم امره الذي جاء به دليل العقل مؤيدا بجائز النقل فقال **قل** اي لهؤلاء الذين نابذوا الشرع والعرف **امر ربي** المحسن الي بالتكليف بمحاسن الاعمال التي يدعو اليها الهمم العوال **بالقسط** وهو الامر الوسط بين ما فحش في الافراط صاعدا عن الحق وفي التفريط هابطا منه ولما كان التقدير فاقسطوا اتباعا لما امر به وكان القسط مصدرا ينحل الى ان اقسطوا عطف عليه **واقيموا وجوهكم** مخلصين غير ملتفتين لشيء من الجور

عند كل مسجد اي مكان ووقت وحال يصلح للسجود فيه واسعد احد بحاله ولا زمان بان تقول وقد ادركتك الصلوة اذهب فاصلي في مسجدي وادعوه اي عند ذلك دعا عبادة مخلصين له الدين اي لا تخلطوا ولا تشركوا به شيئا ولما كان المعنى فان لم يفعل ذلك عذبه بعد اعادته له بعد الموت ترجمه مستدلا عليه بقوله معللا كما بداكم اي في النشاة الاولى فانتم سدون يعيدكم بعد الموت فانتم تعودون حال كونكم فريقين فريقا هدى اي خلق الهداية في قلوبهم تحقيقهم ثواب الهداية وفريقا اضل ثم فسر اضل لانه واجب التقدير بالنصب بقوله حق اي ثبت ووجب عليهم الضلالة اي لانه اضلهم فيحشرون على ما كانوا عليه في الدنيا من الاديان والابدان وهو ترتيب الاخرة هنا احتباك من الشرع اولها بداكم دليلا على حذف بعيد وذكر تعودون دليلا على حذف تبدون واثبت في الثاني هدى دليلا على حذف اضل وذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى ولما كان سبحانه ذكر البعث كما تدعو اليه الحكمة في تقدير ما ينكره المخاطب تاسيسا له به وكسر الشوكة وايهانا القوة وقمعا لسورة الى ان ختم بما هو دليل عليه مما قبل من قوله ومنها تخرجون ولنسئلن الذين ارسل اليهم علل ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة اي وجوبها او وجوب ابطالها عليهم بقوله انهم اتخذوا اي كلفوا انفسهم ضد ما دعتهم اليه الفطرة الاولى بان اخذوا الشياطين اولياء اي اقرباء وانصارا من دون الله اي الملك الاعلى الذي لا مثل له ويحسبون اي والحال انهم يظنون بقلة عقولهم انهم مهتدون فاشار بذلك الى انهم استحقوا النكال لانهم تبعوا في الاصول التي يجب فيها الانتهاء الى القطع بالظنون ولما امر سبحانه بالقسط وباقامة الوجه عند كل مسجد امرهم بما ينبغي عند تلك الاقامة من ستر العورة الذي تقدم الحث عليه وبيان فحش الهتك وسوء اثره معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيبا فيه واذنا في الزينة وبيانا لانها ليس مما يتورع عنه بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب اذا بسط على عبد رزقه ان يرى اثر نعمته عليه رواه احمد والترمذي وابن منيع عن ... رضي الله عنه واتبع ذلك اعظم ما ينبغي لابن ادم ان يعتبر فيه القسط من الماكل والمشرب فقال مكررا النداء استعطافا واعظاما للعظيم الاشفاق وتذكيرا بقصة ابيهم ادم عليه السلام التي اخرجته من الجنة مع كونه صفي الله ليشتد الحذر يا بني ادم اي الذي زيناه فغره الشيطان ثم وقيناه شره بما الهمنا عليه به من التوبة وعظيم الرغبة خذوا زينتكم اي التي تقدم التعبير عنها بالريش لستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة عند كل مسجد واكد ذلك كونهم كانوا قد شرعوا ان غير الحمس يطوفون عراة ولما امر بكسوة الظاهر بالثياب لان صحة الصلوة متوقفة عليها امر بكسوة الباطن بالطعام والشراب لتوقف القدرة عادة عليها فقال وكلوا واشربوا وحسن ذلك ان بعضهم كان يتدين في الحج بالتضييق في ذلك ولما امر بالملبس والمطعم نهى عن الاعتداء فيهما فقال ولا تسرفوا بوضع شيء من ذلك في غير موضعه ولو بالزيادة على الكفاف ومن ذلك ما تبع السنة في الشرب فيسير لان العكر يرسب في الاناء فربما اذى من شرعه ولذلك نهى عن التنفس في الاناء لانه ربما انتن فعافته النفس واما الطعام فيلحس الاناء والاصابع لنيل البركة وهو انظف ثم علل ذلك بقوله انه لا يحب المسرفين اي لا يكرمهم ولا شك ان من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحيط به كل شر ومن جملة الاسراف الاكل في جميع البطن والاقتصاد والاقتصار على الثلث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه والكافر ياكل في سبعة امعاء والمؤمن ياكل في معاء واحد اخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الاطباء الامعاء سبعة فالمعنى ان الكافر ياكل شبعا فيملا الامعاء السبعة والمؤمن ياكل تقوتا فيملا معاء واحدا وذلك سبع بطنه والى الاشارة بلقيمات فان لم يكن ففي معاءين وشيء وهو الثلث والله اعلم وسبب الاية انهم كانوا يطرحون ثيابهم اذا ارادوا الطواف يقولون لا نطوف في ثياب اذنبنا فيها ونتعرى منها لنتعرى من الذنوب الا الحمس وهم قريش ومن ولدوه وكانوا لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما فقال المسلمون يا رسول الله فنحن احق ان نفعل ذلك فانزلت ولما كان من المعلوم ان من كانوا الفوه واتخذوه دينا يعظمون تركه لان الشيطان يوسوس لهم بان التوسع في الدنيا والتوسع فيها مما ينبغي الزهد فيه كما دعا اليه كثير من الايات اذن سبحانه في ذلك الا الانكار على من حرمه فقال منكرا عليهم اعلاما بان الزهد المحمود ما كان مع صحة الاعتقاد في الحلال والحرام واما ما كان مع تبديل شيء من الدليل بتحليل حرام او عكسه فهو مذموم قل منكرا موبخا

من حرم

من حرم زينة الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه التي اخرج لعباده اي ليتمتعوا بها من النبات والمعادن وغيرها ولما ذكر الملابس التي هي شرط في صحة العبادة على وجه عم غيرها من المراكب وغيرها اتبعها الماكل والمشارب فقال والطيبات اي الحلال المستلذ من الرزق كالبحائر والسوائب ونحوها ولما كان معنى الانكار ليس مما تعيير بحرمتها من اصلها وكان ربما غلا في الدين عن ... متمسكا بالايات المنفرة عن الدنيا المهونة لشانها مطلقا فضلا عن زينة اللباس وطيبات الرزق قال مستانفا الجواب بقول لمن قل هي اي الزينة والطيبات للذين امنوا وعبر بهذه العبارة ولم يقل ولغيرهم تنبيها على انها لهم بالاصالة في الحيوة الدنيا واما الكفار فهم تابعون لهم في التمتع بها وان كان لهم اكثر فهي غير خالصة لهم وهي للذين امنوا خالصة اي لا يشاركهم فيها احد هذا على قراءة نافع بالرفع والتقدير على قراءة غيره حال كونها خالصة يوم القيمة وفي هذا تاكيد لما مضى احل لها بتوكيد ومحو الشكوك وتاسيس الى التامل في الفصل بين المقامين لبيان ان الزهد المامور به انما هو بالقلب بمعنى انه لا يكون للدنيا عنده قدر ولا له اليها التفات ولا هي اكبر همه ولما كونه ينتفع بها فيما اذن الله فيه فهي محفوفة غير مستهتر بها فذلك من المحاسن ولما كان هذا المعنى من دقائق المعاني ونفائس المباني ناسب تعقيبه قوله جوابا لمن يقول لانه هذا التفصيل فاتى فهل يفصل غيره هكذا كذلك اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الايات اي نبين احكامها ونميز بعض المشتبهات من بعض لقوم يعلمون اي لهم ملكة وقابلية للعلم ليتوصلوا به الى اعتقاد الحق والعمل الصالح ولما بين ان ما اباحه ليس بحرام فتقرر ذلك تقررا انتزع من النفوس ما كانت القته من خلافه ومحي عن القلوب ما كانت اشربته صنعه كان كانه قيل فما ذا حرم الله الذي ليس التحريم الا اليه فامره تعالى بجوابهم عن ذلك وبريهم بانه لم يحرم غيره فقال قل انما حرم ربي اي المحسن الي بجعل ديني احسن الاديان الفواحش اي كل فرد منها وهي ما زاد قبحه ولما كانت الفاحشة ما تزايد قبحه فكان ربما ظن ان الامر ربما غير مراد بالنهي قال ما ظهر منها بين الناس وما بطن ولما كان هذا خاصا بما عظمت بشاعته قال والاثم اي مطلق الذنب الذي يوجب الجزاء فان الاثم الذنب والجزاء ولما كان البغي من اشد القبح مخصوصا بانه من اسرع الذنوب عقوبة خصه بالذكر فقال والبغي وهو الاستعلاء على الغير ظلما لكنه لما كان قد يطلق على مطلق الطلب حقق معناه العرفي الشرعي فقال بغير الحق اي الكامل الذي ليس فيه شائبة باطل التي كان فيه شائبة باطل كان بغيا ولعله يخرج العلو بالحق بالانتصار من الباغي فانه حق كامل الحقية وتكون تسميته بغيا على طريق المشاكلة تنفيرا بحاله بحيث اسم البغي من تعاطيه وندبا الى العفو كما تقدم مثله في لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ويمكن ان يكون تقييده تاكيدا للمنع بانه لا يتصور الا موصوفا بانه بغير الحق كما قال تخصيصا وتنصيصا تنبيها على لحق الشنع وان تشركوا بالله اي الذي اختص بصفات الكمال ما لم ينزل به سلطانا فانه لا يوجد اصلا تسمية احد شريكا الا وهو مما لم ينزل به سلطانا بل لا حجة به في الواقع ولا برهان ولعله انما قيد بذلك ارشادا الى ان اصول الدين لا يجوز اعتقادها الا بالقاطع فكيف باعظمها وهو التوحيد ولذلك عقبه بقوله وان وحرم ان تقولوا على الله اي الذي لا اعظم منه ولا كفو له ما لا تعلمون اي ما ليس لكم به علم بخصوصه والا هو مستند الى العلم العام مما يكون من الصلوا ولا ولما تقدم ان الناس فريقان مهتد وضال وتكرر ذم الضال الى ان جعله هدى الله بفعل ما منعه منه وترك ما امره به وكانت العادة المستمرة للملوك انهم لا يمهلون من يتكرر مخالفته كانه قيل فلم لا يهلك من يخالفه فقيل وعظا وتحذيرا انهم لا يغترون بذلك الا انفسهم هم لا يفعلون شيئا منه الا باذنه فسواء عنده بقاهم وهلاكهم انما يستعجل من يخاف الفوات او يخشى الضرر ولهم الاجل لا بد من استيفائه وليس ذلك خاصا بهم بل ولكل امة اجل وهو عطف على فيها تحيون وفيها تموتون فاذا جاء اجلهم ولما كان نظرهم الى الفسحة في الاجل وكان قطع حياتهم منه من جملة عذابهم قدمه فقال لا يستاخرون اي عن الاجل ساعة عبر بها والمراد اقل ما يمكن لانها اقل الاوقات في الاستعمال في العرف ثم عطف على الجملة الشرطية مما لا على جزائها قوله ولا يستقدمون اي على الاجل المحتوم لانه الاعرض به لم يضربه الا وهو عالم بجميع ما يكون من امرهم لم يتجدد له علم لم يكن يتجدد شيء من احوالهم ويجوز ان يكون معطوفا على قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وتكون الاية معلمة بانهم سيسالونه فيكثرون حتى يكونوا امما ولا ينقرضون جملة بل يكون لكل امة وقت ولما كان من اشراف النفس الى السوال عما يكون بعد حين المستقر والمتاع اشد من اشرافها الجهل الكون ...

اخفى منه فهو ابعد من خطوره فى البال قدم قوله قال فيها تحيون الاية ولما كان ذكر الدواء لداء هتك السوءة اهم قدم انزلنا عليكم
لباسا ثم ما بعده حتى كان الانسب لهذه الاية هذا الموضع فنظمت به ولما انقضت الاشارة الى الحث على اتباع الرسل باتيان القصص الاول
من مقاصد هذه السورة كقوله تعالى كتاب انزل اليك ولتنذر واتبعوا ما انزل اليكم وقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم الاية وقوله
قل امر ربى بالقسط انما حرم ربى الفواحش والتحذير من الشياطين بقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء وبقوله لاقعدن لهم صراطك
المستقيم لا يفتننكم الشيطان وغيره فتحرر انه لا سبيل الى النجاة الا بالرسل وضم الى ذلك الاجل حثا على العمل فى ايام المهلة
اتبع ذلك قوله حاثا تاما على التعلق باسباب النجاة باتباع الدعاة الهداة قبل الفوت بحادث الموت ببيان الجزاء لمن احسن
الاتباع فى الدارين **يا بنى ادم** ولما حكم سبحانه ان نعرف من خالف داعى العقل من غير رسول وكان ارسال الرسل جائزا له وفضلا
منه سبحانه اذ لا واجب عليه اشار الى ذلك بحرف الشك فقال **اما** هى ان الشرطية وصلت بها ما تاكيدا **يأتينكم رسل** ولما
كانت زيادة الخبرة بالرسول اقطع للعذر واقوى فى الحجة قال **منكم** اى من نوعكم من عند ربكم ولما كان الاغلب على مقصود السورة
العلم بما تقدم فى فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ويأتى فى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وغيرها كان التعبير بالقص
الذى هو تتبع الاثر كما تقدم فى الانعام اليق فقال **يقصون عليكم اياتى** اى تابعين ذكرها لكم على وجه مقطوع به وتتبع
بعضهم اثر بعض لا يختلفون فى اصل واحد من الاصول ولما كان لقاء الرسل حتما والهجرة اليهم واجبة لان العمل لا يقبل الا بالاستناد
اليهم مهما وجد الى ذلك سبيل ربط الجزاء بالفاء فقال **فمن اتقى** اى خاف مقامى خوفا بعيدا بسبب التصديق للرسل والتلقى عنهم **واصلح**
اى عمل صالحا باقتفاء اثارهم **فلا خوف** اى غالب **عليهم** اى بسبب ذلك من شىء يتوقعونه **ولا هم** اى بضمائرهم **يحزنون** اى يتجدد
لهم فى وقت ما حزن على شىء فاتهم لان الله يعطيهم ما تقربه اعينهم وكانه غاير فى التعبير لان لحاق ما يتوقع ومصيبته مما يمكن ان يطلق عليهما
خوف ولما ذكر المصدق اتبعه المكذب فقال **والذين كذبوا باياتنا** اى على ما لها من العظمة باضافتها الينا ولما كان التكذيب قد يكون عن شبهة او
نوع من العذر نفى ذلك بقوله **واستكبروا عنها** اى اوجدوا الكبر ايجاد من هو طالب له عظيم الرغبة فيه متجاوزين عنها الى اضداد ما دعت
اليه ولما كان ذلك ليس سببا حقيقيا للتعذيب وانما كاشف عمن ذراه الله لجهنم لاقامة الحجة عليه اعرى عن الفاء قوله **اولئك**
اى البعداء البغضاء **اصحاب النار** ولما كان صاحب الشىء هو الملازم له المعروف به قال **هم** اى خاصة ليخرج العاصى بغير تكذيب ولا
استكبار **فيها** اى النار خاصة وهى تصدق بكل طبقة من طبقاتها **خالدون** فقد تبين ان اثبات الفاء اولا للترغيب فى الاتباع وتركها ثانيا
للترهيب من شكاسة الطباع فالمقام فى الموضعين خطر ولعل من فوائد الاشارة الى انه اذا بعث رسول وجب على كل مرتجع بان يقصد لتحرير امره
فلا يابى لن صدقه تبعه وان تخلف عن ذلك كان مكذبا والله الموفق ولما كان تكذيب الرسل تارة يكون من شرع شىء لم يشرعوه وتارة برد ما شرعوه
قولا او فعلا وابراز المكذبين اهل النار علل ذلك بقوله **فمن اظلم** اى لا احد اظلم **ممن افترى** اى تعمد **على الله** اى الملك الاعلى **كذبا** اى
كمن شرع فى المطاعم والملابس غير ما شرع او ادعى انه يوحى اليه محكم بوجوب ما لم يوجبه **او كذب باياته** اى برد ما اخبر به الرسل من الحكم بانكار ما جاء به
ولما كان الجواب الحصر ان لا احد اظلم من هذا بل هو اظلم الناس كان مما علم ان الظالم يستحق العقوبة فكيف بالاظلم قال **اولئك** اى البعداء من الحضرات
الربانية **ينالهم نصيبهم من الكتاب** اى الذى كتب حين نفخ الروح اى من الاجال التى ضربها سبحانه لهم والارزاق التى قسمها تاكيدا لرد
اعتراض من قال ان كنا خالفنا فما له لا يهلكنا ومن نيل النصيب بقوله **حتى اذا جاءتهم رسلنا** اى الذين قسمنا لهم من عظمتنا ما شئنا حال
كونهم **يتوفونهم** اى يقبضون ارواحهم كاملة من جميع ابدانهم **قالوا اينما كنتم** عنادا لحهم وفى صلابة **تدعون** اى على عباده **من دون الله** اى
تزعمون انهم واسطة لكم عند الملك الاعظم او تدعونهم حال كونكم معرضين عن الله ادعوهم الان ليمنعوكم من عذاب الحق الذى فنيكم **قالوا ضلوا**
اى غابوا **عنا** فلا نامرهم لنا ولما كان الدال لا يغيب فعلموا ضلالهم بغيبتهم عنهم قال مترجما عن ذلك **وشهدوا على انفسهم** اى بالغوا فى الاقرار
انهم كانوا كافرين اى تركوا عناد المكاشف لهم عن نور العقل فلا مانع منه الا حظوظ النفوس ولنعم البؤس ما كان كانه قيل القدر عرفوا

والاعتراف

والاعتراف كما قيل انصاف فهل ينفعهم قيل هيهات فات محله بفوات دار العمل لاجرم **قال** اى الذى جعل الله اليه امرهم **ادخلوا** كائنين **فى امم** اى
جماعات وفرق لم بعضها بعضا ثم وصفهم دالا الابتلاء التانيث على ضعف عقولهم فقال **قد خلت** ولما كان فى ازمن المطلق من ادخال الجار
من قبلكم ولما كان الجن الاصل فى الاغواء قدمهم فقال **من الجن والانس** ثم ذكر محل الدخول فقال **فى النار** ولما جرت عادة الزوج
بانهم ليتسلون وحين الاجتماع يتسلمون تشوف السامع لحالهم فى ذلك فقال مجيبا له **كلما دخلت امة** اى منهم فى النار **لعنت اختها**
اى القريبة منها فى الزمن والملة التى تمت الى ردها واتبعت مناديها يلعن المشرك اليهود والنصارى النصارى وهكذا واستمر ذلك منهم
حتى اذا اداركوا اى تداركوا وتلاحقوا بركب بعضهم بعضا بما اشير اليه بالادغام **فيها جميعا** لم يبق منهم امة ولا واحد من امة **قالت**
اخراهم اى فى الزمن والمنزلة وهم الاتباع والسفل **لاولاهم** اى لاجلهم مخاطبين لله خطاب المخلص **ربنا** ايها الذى ما قطع احسانا
فى الدنيا عنا على ما كان منا مقابلة لحقنا بالاساءة **هؤلاء** اى الادون **اضلونا** اى لكونهم اقدم منا فى الضلال **فاتهم** اى اذ قدم
بسبب ذلك **عذابا ضعفا** اى يكون بقدر عذاب غيرهم مرتين لانهم ضلوا واضلوا لانهم سنوا الضلال لمن بعدهم فكان عليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ومنه لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل ثم اكد
شدة العذاب **من النار** ولما كان كانه قيل فما قيل لهم فى جوابهم قيل **قال** اى مجيبا لهم **لكل** اى من السابق واللاحق والمتبوع والتابع
ضعف وان لم يكن الضعفاء متساويين لان المتبوع وان كان سبب الضلال التابع فالتابع ايضا كان سببا لتمادى المتبوع فى ضلالته
وشدة شكيمته فيه بتقويته بالاتباع وتاييده بالمناضلة عنه والدفاع ولما كانوا جاهلين بما يستحقونه من الضعف بسبب هذه الدقيقة
قال **ولكن لا تعلمون** اى بذلك ولما ذكر سؤال الاخرين على الاولين عطف عليه جواب الاولين فقال **وقالت اولاهم** اى اولى
الفرق والامم **لاخراهم** مسببين عن تلبيسهم الضلال ودعائهم اليه **فما كان لكم علينا** اى بسبب انقيادكم لنا واتباعكم فى الضلال
من فضل اى لتحمل عنكم بسببه شيئا من العذاب لانه لم يعد علينا من ضلالكم نفع وقد تمادينا فى الكفر **فذوقوا** اى بسبب ذلك **العذاب**
فى سجين **بما** اى بسبب ما **كنتم تكفرون** لا بسبب اتباعكم لنا فى الكفر ولما جرت العادة بان اهل الشدائد يتوقعون الخلاص اخبر
ان هؤلاء ليسوا كذلك لانهم ليسوا اهلا لمواطن الاقدام فقال مستانفا الجواب كانه قال اما لهؤلاء خلاص فى مواضع ما
تعميما وتعليقا للحكم بالوصف **ان الذين كذبوا باياتنا** اى وهى المعروفة بالعظمة بالنسبة الينا **واستكبروا عنها** اى اوجدوا
الكبر متجاوزين عن اتباعها **لا تفتح لهم** اى لصعود اعمالهم ولا دعائهم ولا ارواحهم ولا لنزول البركات عليهم **ابواب السماء**
لانها طاهرة عن الانجاس الحسية والمعنوية فاذا صعدت ارواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب غلقت الابواب دونها ثم القيت من هناك
الى سجين **ولا يدخلون الجنة** اى التى هى اطهر المنازل لعاشرفها **حتى** يكون ما لا يكون بان **يلج** اى يدخل ويجول **الجمل** على كبره
فى سم اى خرق **الخياط** اى الابرة ثم تعليقه على المحال لان الجمل مثل فى عظم الجرم وسم الابرة مثل فى ضيق المسلك يقال اضيق من خرق
الابرة ومنه الماهر الخريت للدليل الذى يهتدى فى المضايق المشبهة باخرات الابرة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة
استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر غير هذا الظاهر تكلف ولما كان هذا المكذبين المستكبرين اجترائه لمطلق القاطعين ايضا
فقال **وكذلك** اى ومثل ذلك الجزاء بهذا العذاب وهو ان دخولهم الجنة محال عادة **نجزى المجرمين** اى القاطعين لما امر الله به ان
يوصل وان كانوا اذنابا مقلدين للمتكبرين المكذبين ثم فسر جزاء الكل فقال **لهم من جهنم مهاد** اى فرش من تحتهم جمع مهد ولعله لم يذكر
لانه لما كان الصريح فيه **ومن فوقهم غواش** اى اغطية جمع غاشية تغشيهم من جهنم وصرح فى هذا بالفوقية لان الغاشية ربما كانت عن يمين او
شمال او كانت بمعنى مجرد الوصول والادراك ولعله انما حذف فى الاول لان الاية من الاحتباك فذكر جهنم اولا دليلا على ارادتها ثانيا
وذكر الفوق ثانيا دليلا على ارادة التحت اولا ولما كان بعضهم ربما لا يكون له اهلية قطع ولا وصل قال عاما لجميع انواع الضلال **وكذلك**
اى ومثل ذلك الجزاء **نجزى الظالمين** ليعرف ان المدار على الوصف الجرم المذكور وما دونه يرجع الى القطع والظالم الواضع للشىء فى غير موضعه

كفعل من يمشي في الظلام ويجوز ان يكون سبحانه بتغاير الوصفين على تلازمهما في ان كل ظالم لزمه الاجرام والتكذيب والاستكبار وبالعكس
ولما اخبر عن احوالهم ترهيبا اتبعه الاخبار عن احوال المؤمنين ترغيبا فقال والذين امنوا في مقابلة الذين كذبوا ولما قال وعملوا اي تصديقا
لايمانهم في مقابلة الذين استكبروا الصالحات وكان ذلك مظنة لتوهم ان عمل جميع الصالحات لانه جمع محلى بالالف واللام شرط في دخول الجنة
خلل ذلك بجملة اعتراضية تدل على التخفيف فقال لا نكلف نفسا الا وسعها وترغيبا في اكتساب ما الى به وصف النعيم بما هو في الوسع اولئك
اي العالو الرتبة اصحاب الجنة ولما كانت الصحبة تدل على الدوام صرح به فقال هم فيها خالدون ولما كانت الدار لا تطيب الا بحسن
الجوار قال ونزعنا اي بما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء ما كان في الدنيا في صدورهم من غل اي ضغينة وحقد وحنق من بعضهم على
بعض يغل اي يدخل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى الذنوب الدقيقة ويقال انغل في الشيء وتغلغل فيه اذا دخل فيه بلطافة
كالحب يدخل في صميم الفؤاد حتى ان صاحب الدرجة السافلة لا يحسد صاحب العالية ولما كان حسن الجوار لا يلذ الا بطيب القرار باحكام الدار وكان
الماء سبب العمارة وطيب المنازل وكان الجاري منه اعظم نفعا واشد استجلابا للسرور قال تعالى تجري من ولما كان ادل على علوهم بقوله تحتهم الانهار
فلما تمت لهم النعمة بالماء الذي به حياة كل شيء فرفه انه تكون عنه الرياض والاشجار وكل ما به الزين اخبر عن تعاطيهم الشكر لله ولرسوله
المستجلب للزيادة بقوله وقالوا الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي المحيط بكل شيء علما وقدرة لذاته لا لشيء اخر ثم وصفوه
بما يقتضي ذلك له لاوصافه ايضا فقالوا معلمين انه لا كسب لهم في الوصول الى النعيم غير فضله في الاولى والاخرة الذي هدينا اي بالبيان
والتوفيق واوقع الهداية على ما وصلوا اليه اطلاقا للمسبب على السبب فقالوا لهذا اي للعمل الذي اوصلنا اليه وما اي والحال انا ما كنا
لنهتدي اصلا لبناء جبلاتنا على خلاف ذلك لولا ان هدانا الله اي الذي له الامر كله وقراءة ابن عامر بغير واو على ان الجملة موضحة
لما قبلها والقراءتان داحضتان للقدرية ولما كان تصديقهم للرسل في الدنيا ايمانا بالغيب بلغ علم اليقين اخبر انه في الاخرة بما وصلوا اليه من عين
اليقين سرورا وتبجحا بالنعم او ثناء على الرسل ومدحا لهم بقولهم مفتتحين بحرف التوقع لانه محله لقد جاءت رسل ربنا اي المحسن الينا بالحق
اي الثابت الذي يطابقه الواقع الذي لا زوال له ولما غبطوا انفسهم وحقروها وانبتوا الفضل لاهله عطف على قولهم قوله ما نا عليهم بقبول اعمالهم
ولما كان السار الاخبار عن الايراث لكونه من معين بني للمفعول قوله ونودوا اي اتماما لنعيمهم ان هي المخففة من الثقيلة او هي المفسرة
تلكم الجنة العالية اورثتموها اي صارت اليكم من غير تعب ولا منازع بما اي بسبب ما كنتم تعملون لانه سبحانه جعله سببا ظاهرا اكرمه
وان الحقيقي هو ما ذكروه من توفيقه ولما استقر بهم الدار ونودوا بدوام الاستقرار اخبر سبحانه انهم اقبلوا متبجحين على اهل النار
شامتين بهم في احلالهم دار البوار تلذيذا لانفسهم بالنعيم وتكديرا على الاخرين في قوله ونادى اصحاب الجنة اي بعد دخول كل من الفريقين الى
داره اصحاب النار يخبرونهم بما اسبغ عليهم من النعم ويقررونهم بما كانوا يتوعدونهم به من حلول النقم مخبرين ما وقع لهم مؤكدا بقوله ان او
هي مخففة من الثقيلة وذكر حرف التوقع لانه محله فقال قد وجدنا اي بالعيان بما كنا واجدين له بالايمان ما وعدنا ربنا اي المحسن الينا في
الدارين من الثواب حقا اي وجدنا جميع ما وعدنا ربنا لنا ولغيرنا حقا كما كنا نعتقد فهل وجدتم اي كذلك ما وعد واثبت المفعول الاول
في الاول تلذيذا وحذفه هنا احتقارا للمخاطبين وليشمل ما للفريقين فيكون وجد بمعنى العلم ومعنى اللقي والتعبير بالوعد في الوعيد مع ذلك تهكم
بهم ربكم اي الذي احسن اليكم فقابلتم احسانه بالكفر من العقاب حقا لكونكم وجدتم ما توعدكم به ربكم حقا قالوا نعم اي وجدنا ذلك كله
حقا قال سيبويه نعم عدة او في جواب التطبيق كذا وتصديق في مثل قد كان كذا والاية من الاحتباك اثبت المفعول اولا دليلا على حذف مثله ثانيا
وحذف ثانيا دليلا على حذف مثله اولا والله اعلم ولما اجابوا من النعم بما تقدم وكان من الجلي الحسن وكان العيش مع ذلك لا يهنأ الا بابعاد الجار السوء
اخبر باسعده وزيد واسروا باهانته فقوله فاذن اي بسبب ما اقر به اهل النار على انفسهم مؤذن بينهم اي بين الفريقين ان مخففة
او مفسرة في قراءة نافع وابي عمرو وعاصم وشددها الباقون ونصبوا لعنة الله اي طرد الملك الاعظم وابعاده على وجه الغضب على الظالمين
اي الذين كانوا مع البيان الواضح يضعون الاشياء في غير مواضعها كما لم يبنوا اصلا الذين يصدون اي لهم فعل الصد عن ادراك الايات

ولمن امن ولغيرهما بالاضلال بالارغاب والارهاب والمكر والخداع عن سبيل الله اي طريق الملك الذي له كمال الوضوح الواسع ويبغونها اي يطلبون
لها عوجا بالقاء الشكوك والشبهات وقد تقدم ما فيه في ال عمران وهم بالاخرة كافرون اي ساترون ما اظهرت لعقولهم دلائلها فتمحض هذه الصفات
الاربع حقت اللعنة وبينهما اي حال الفريقين عند هذه المناداة انه بينهما او بين الدارين حجاب اي سور لئلا يجد اهل النعيم في ذاتهم ما
يكدر نعيمها وعلى الاعراف جمع عرف وهو كل عال مرتفع لانه يكون اعرف مما انخفض وهي الشرفات من ذلك الحجاب رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم
يوقفون هنالك حتى يقضي الله بينهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جاء مفسرا في مسند ابن ابي خيثمة من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون
كلا من اصحاب الجنة واصحاب النار قبل دخول كل منهم داره بسيماهم اي علامتهم ونادوا اي اصحاب الاعراف اصحاب الجنة اي بعد
دخولهم اليها واستقرارهم فيها ان سلام عليكم اي امنة وامن من كل ضار ولما كان هذا السلام ربما اشعر انه بعد دخول اهل الاعراف الجنة فكانه
قيل الان نزاههم بوصفاتهم الامراض ودخولها فقيل لم يدخلوها اي الجنة بعد وهم اي والحال انهم يطمعون في دخولها وعبر
بالطمع لانه لا سبب للعباد الى الله من انفسهم وان كان لهم اعمال فضلا عن هؤلاء الذين لا اعمال لهم ولما دل ما تقدم على انهم مقبلون على الجنة واهلها
قال مرغبا مرهبا واذا صرفت بناه للمفعول لان المخيف المزعج لكونه من معين ابصارهم اي صرفها صارف من قبل الله بغير اختيار منهم تلقاء
اي وجاه اصحاب النار اي بعد استقرارهم فيها فراوا ما فيها من العذاب قالوا اي اصحاب الاعراف لكونهم لم يدخلوها وهم يخافون مستعيذين منها
ربنا اي ايها المحسن الينا في الدنيا بكل احسان وفي الاخرة بكونك لم تدخلنا الى هذا الوقت الى النار لا تجعلنا مع القوم الظالمين بان تدخلنا مدخلهم
ولما تقدم كلامهم لاهل الجنة بالسلام اخبر انهم لا يكلمون اهل النار الا بالتوبيخ والملام فقال ونادى واظهر الفاعل التغليب باهل الجنة اصحاب
الاعراف اي حال القوم ومعهم الحجة لاهل النار رجالا اي من اهل النار يعرفونهم اي باعيانهم واما معرفتهم اجمالا فقد تقدم
وانما قال هنا بسيماهم لان النار قد اكلتهم وغيرت معالمهم مع تغيرهم بالسمن وسواد الوجوه وعظم الجثث ونحوه قالوا نفيا لما اغنى عنهم
توبيخا وتقريعا ما اغنى عنكم جمعكم اي للمال والرجال وما كنتم تستكبرون اي تجددون بها هذه الصفة وتوجدونها دائما في الدنيا
زاعمين انه لا غالب لكم ثم زادوا في توبيخهم في تقريعهم وتخزينهم وتابيخهم والانكار عليهم بقولهم مشيرين الى ناس كانوا يستضعفونهم من اهل
الجنة ويحتقرونهم اهؤلاء وكانه يكشف لهم عنهم حتى يروهم زيادة في عذابهم الذين اقسمتم اي في الدنيا لا ينالهم الله اي الذي
له صفات الكمال برحمة فكيف بكمال الرحمة ولما كان التصريح بامرهم بدخول الجنة انكى لاهل النار لانه انفى لما اقسموا عليه قالوا ادخلوا اي
قال الله لهم او قال لهم من قبله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم اي من شيء يمكن توقع اذاه ولا انتم تحزنون بتجدد لكم حزن في وقت من
الاوقات على شيء فات لما عندكم من الخيرات التي لا تدخل تحت الوصف ولما تقدم نداء اهل الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها لاصحاب النار
بما يؤلم ويبكي وختم بذكر الرحمة التي يطمع المحروم فيها اسير وبين كيف خذل اصحاب النار ينادون اصحاب الجنة عندما حصل لهم من الغم بدخولها
لكن بما انه لا يرقي ويبكي فقال ما يدل على ان عذابهم كلها تبع عن اهل الجنة في ختام الاية السالفة من الخوف والحزن ونادى اصحاب
النار اي بعد الاستقرار اصحاب الجنة بعد ما عرفوهم اياهم وامر الجنة فتح فكان ذلك زيادة في عذابهم فطلبوا ما ندبر فقال
ان افيضوا علينا من الماء اي لانكم على مكان افضتموه وصل الينا وهذا غاية فرط ما هم فيه من البلاء فان بين النار والجنة اهوية
لا قرار لها ولا يمكن وصول شيء من الدارين الى الاخرى معها ولما كانت الافاضة تتضمن الانزال قالوا او اي او انزلوا علينا
مما رزقكم الله اي الذي له الغنى المطلق من اي شيء كان عليكم انزاله قالوا اي اصحاب الجنة ان الله اي الذي له جميع العظمة حرمهما
اي منعهما بتلك اللاهوتية وغيرها من الموانع على الكافرين اي الساترين لما دلهم عليه وهم العقل وصريح النقل الذين اتخذوا اي
تكلفوا غير ما دلهم عليه العقل الفطري حين نبه بالعقل الشرعي بان اخذوا دينهم بعد ما تحققوا صوابه وحقيقته كما يحق الطين اذا اتخذ
من فاضل الدين لهوا اي اشتغالا بما من شانه ان يغفل وينسي عن ذلك مما ينفع من الامور الجيدة للنفس من غير نظر في عاقبة ولعبا وامن
جن عليهم بان ينظروا في اصلاح العاقبة ولما قدم ما هو ادعى الى الاجتماع على الباطل الذي هو ضد مقصود السورة من الاجتماع على الحبل

وادعى الى الغفلة وكان من شأن الغفلة عن الخير ان تجر الى التجاذب الى الافراح والانهماك في الهوى حقق ذلك بقوله **ولعبا** اي اقبالا على ما يجلب
السرور ويقطع الوقت الحاضر بالغرور ولذلك اتبعه قوله **وغرتهم** اي في ضد ذلك **الحياة الدنيا** اي بما فيها من الاعراض الزائلة من تأميل طول
العمر والبسطة في الرزق ورغد العيش حتى صاروا بذلك محجوبين عن نظر معايبها وعما دعا اليه تعالى من الاعراض عنها فلم يحسبوا حساب
ما وراءها ولما كان تركهم من رحمته سبحانه مسببا عن ذلك اسقط الجار فقال **فاليوم** اي فتسبب عن ذلك انا في هذا اليوم **ننسيهم** اي نتركهم ترك المنسي
كما فعلوا هم بانفسهم بان **نسوا** اي تركوا **لقاء يومهم هذا** فلم يعدوا له عدة **وما** اي وكما **كانوا** اي جبلة وطبعا **بآياتنا**
على ما لها من العظمة بنسبتها الينا **يجحدون** اي ينكرون وهم يعرفون حقيقتها لانها في غاية الظهور ولما ذكر نسيانهم وجحودهم ذكر حالهم عند
ذلك فقال **ولقد** اي فعلوا ذلك والحال انا وعزتنا **جئناهم** اي على عظمتنا بآياتنا برسولنا اليهم عنا **بكتاب** ليجتمع لهم موضعا
للحجة الاصل ثم بين ذلك في سياق معجب للمؤالف مرهب للمخالف فقال **فصلناه** اي بينا معانيه لم ندع فيها لبسا وجعلنا لآياته فواصل
حال كون ذلك التفصيل **على علم** اي عظيم نجاء معجزا في نظمه ومعناه وسائر علمه ومغزاه وحال كونه **هدى** اي بيانا **ورحمة** اي اكراما
ثم خص المنتفعين به لان من لا ينتفع بالشيء فهو كالمعدوم في حقه فقال **لقوم يؤمنون** اي فيهم قابلية ذلك وفيه رجوع الى وصف الكتاب
الذي هو احد مقاصد السورة على ابدع وجه في احسن اسلوب ولما وصف الكتاب وذكر المنتفع به تشوفت النفس الى السؤال عن حال غيرهم الذين
بردهم الجاحدين فقال مشيرا الى انهم في توقفهم عن المتابعة بعد العلم بصدقه بجزمهم عنه كحال من ينتظر ان يأتي مضمون وعيده **هل ينظرون** اي
ينتظرون ولكنه لما لم يكن القصد في ذلك بغير ما يفهمه الحال جرد الفعل والافادة انه لتحقق اتيانه في غاية القرب حتى كانه مشاهد لهم
الا تأويله اي تفسير ما فيه وعد وعيد الحقاره وعواقب امره التي اخبر انه يصير اليها وهي كما كانه قبل ما يكون حالهم حال المتحير
والاتضاح حيث لا ينفع والتصديق والتماحي لا يقبل معتذر عنه ذلك بقوله **يوم يأتي تأويله** اي بلوغ وعيده الى المبلغ في الدنيا او في
الآخرة ولما قدم اليوم اهتماما به تبعه العامل فيه فقال **يقول الذين نسوه** اي تركوه ترك المنسي ويجوز ان يكون عدد ذلك نسيانا لانه ركز
في الطباع او كل مالك اطاع لمن عنهم حقيقته ومحاسبتهم فلما اعرضوا عن ذلك فيما هو من جانب الله عده نسيانا منهم لما ركز في طباعهم ولما كان
نسيانهم في بعض الزمان السابق ادخل الجار فقال **من قبل** اي قبل كشف الغطاء محققين للتصديق **قد جاءت** اي فيما مضى من الدنيا
رسل ربنا اي المحسن الينا **بالحق** اي المطابق لهذا الواقع الذي نراه مما كانوا يتوعدوننا به فما صدقنا جحدا او فلم نؤمنوا بالغيب
واذا وقعوا الآن في دار العمل فلذا لم ينفعهم عملا وصفوه سبحانه بالاحسان لما كشف الحال عنه من حلمه وطول اناته سببوا عن قولهم
فهل لنا من شفعاء اي في هذا اليوم كائنين من جميع الشفعاء لدخولهم في جملة الناس في الشفاعة العظمى لفصل القضاء ثم سببوا عن ذلك
تحقيق كونهم لهم بالخصوص فقالوا **فيشفعوا لنا** اي سواء كانوا ممن كانوا شركاءنا الذين كنا نتوهم فيهم النفع او من غيرهم ليغفر لنا ما تقدم من
الجرائم **او نرد** اي او هل يغفلنا الى الدنيا التي هي دار العمل والمعنى انه لا سبيل لنا الى الخلاص الا باحد هذين الشيئين ثم سببوا عن جواب
هذا الاستفهام الثاني قولهم **فنعمل** اي في الدنيا **غير الذي كنا** اي بجبلاتنا من غير نظر عقلي **نعمل** ولما كان المعلوم عند من
عقل القرآن علم مواقع ما فيه من الاخبار انه لا يكون لهم شيء من ذلك كانت نتيجته قوله **قد خسروا انفسهم** اي فلا احد اخسر منهم **وضل** اي
غاب وبطل **عنهم ما كانوا** اي جبلة وطبعا لا يمكنهم الرجوع عنه الا عند رؤية البأس **يفترون** اي يتعمدون في الدنيا من الكذب في امر
لقطعهم لعناد الرسل وادعاء ان الاصنام تشفع لهم ومن غير ذلك من اكاذيبهم ولما كان مدار القرآن على تقرير الاصول الاربع التوحيد والنبوة و
المعاد والعلم وطال الكلام في اخباره سبحانه عن اوامره ونواهيه وافعاله باوليائه واعدائه الدالة على تمام القدرة والعلم وختم بان شركاءهم
لا تغني عنهم علل ذلك بانه الرب لا غيره في سياق دال على الوحدانية التي هي اعظم مقاصد السورة كفيل باظهار الحجج عليها وعلى المقصد الثاني وهو
الاعادة التي فرع تقرير احوالها بالآية الذي تقرر في العقول انه اشد من الاعادة بادلة متكفلة بتمام القدرة والعلم فقال **ان ربكم**
اي المحسن اليكم بالايجاد من العدم وتدبير المصالح هو **الله** اي الملك الذي لا كفؤ له وحده لا الصنم ولا غيره ثم وصفه بما حقق ذلك فقال

الذي

الذي خلق السموات والارض اي على اتساعهما وعظمتهما ولما كان ربما قال الكفار ما له اذ كان قادرا وانت محق في رسالتك لا يعجل لنا
الآتية بتأويله تبيينا ان عادته الاناة وان كان امره واحدة كلمح بالبصر اذا اراد فقال **في ستة ايام** اي في مقدارها ولما كان تدبير هذا الخلق امرا
باهرا لا تسعه العقول ولهذا كانت قريش تقول كيف يسع الخلق اله واحد اشار الى العظمة وعلو رتبته باداة البعد فقال **ثم استوى على**
العرش اي اخذ في التدبير لما اوجده واحدث خلقه اخذا مستويا في مستقصى مستقلا به لان هذا شأن الى العظمة وعلو رتبته من يملك ملكا
ويأخذ في تدبيره واظهار انه لا منازع له في شيء منه ليكون خطاب الناس على ما الفوه من ملوكهم ليستقر في عقولهم عظمته سبحانه وركز في نظرهم الاولى
من نفي التشبيه ويقال فلان جلس على سرير الملك وان لم يكن هناك سرير ولا جلوس وكما يقال في ضد ذلك فلان ثل عرشه اي ذهب عزه وانتقض
ملكه وفسد امره فيكون هذا كناية لا يلتفت فيها الى الجزء التركيبي والالفاظ على ظواهرها كقولهم للطويل طويل النجاد وللكريم عظيم الرماد ولما
كان سبحانه لا يشغله شأن عن شأن ابتدأ التدبير بما هو آية ذلك مما نشاهده في تغطية الارض بظلامه في آن واحد فقال دالا على كمال القدرة المراد
بالاستواء بامر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التي جعل سبحانه بها انتظام هذا الوجود **يغشي** اي الستر حال كونه يغشي **الليل والنهار**
قال ابو حيان وقرأ حميد بن قيس يغشي الليل بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام كذا نقل عنه ابو عمرو الداني وقال ابو الفتح ابن جني
عن حميد بنصب الليل ورفع النهار وقال ابن عطية وابو الفتح اثبت هذا الذي قاله ابن عطية من ان ابا الفتح اثبت كلام لا يصح اذ رتبة ابو عمرو الداني في
القراءة وضبط رواياتها واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه احد ولا دونه عنهم القراءة احد هذا مع الديانة الزائدة والتثبت في النقل
وعدم التجاسر ووفور الحظ من العربية فقد رأيت له كتابا في كلا وكتابا في ادغام ابي عمرو الكبير ولا على الاطلاع على ما لا يكاد يطلع عليه ائمة
النحاة ولا المقرئين الى سائر تصانيفه والذي نقله ابو عمرو الداني عن حميد امكن من حيث المعنى لان ذلك موافق لقراءة الجماعة اذ الليل
في قراءتهم وان كان منصوبا هو الفاعل من حيث المعنى اذ همزة النقل والتضعيف صيره مفعولا ولا يجوز ان يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى لان
المنصوبين يصح ان يكون كل منهما الفعل واحدهما فاعل من حيث المعنى فيلزم ان يكون الاول منهما كما لزم ذلك في ملكت زيدا عمرا اذ رتبة التقديم
هي الموضحة انه الفاعل من حيث المعنى كما لزم ذلك في ضرب موسى عيسى انتهى ولما اخبر سبحانه ان الليل يغطي النهار ورد على ان النهار كذلك
بقوله مبينا لحال الليل **يطلبه** اي الليل يتجدد طلب النهار دائبا الطلب **حثيثا** اي سريعا جدا ليغطيه الليل جد ذلك لان الشيء لا يكون مطلوبا
الا بعد وجوده واذا وجد النهار كان مغطيا لليل لانهما ضدان وجود احدهما ماح لوجود الآخر ثم ابتدأ سبحانه بذكر الليل لان الغشاء والظلمة
بعد تكمل الخلق وحركتهما بواسطة حركة العرش ولذا ربطهما به وهي اشد الحركات سرعة واكملها شدة ولشدة نوع ما من الحركة احدهما بحسب ذاتها
يتم بقطع الدرج كلها في جميع الفلك وبسببها تحصل السنة والثانية بحسب حركة الفلك الاعظم تتم في اليوم بليلته والليل والنهار انما يحصلان
بسبب حركة السماء الاقصى الذي يقال له العرش لا بسبب حركة النيرين ولجاز ابن جني ان يكون يطلبه حالا من النهار في قراءة الجماعة وان كان
مفعولا اي حال كون النهار يطلب الليل حثيثا السعطية وان يكون حالا منهما معا لان كلا منهما طالب للآخر وبهذا ينتظم ما قاله في قراءة حميد فان
كلا منهما يلوي على تثنية الامر وفي كتاب المحتسب في القراءات الشواذ ووجه صحة القراءتين واتفاقهما معنييهما ان الليل والنهار يتعاقبان
وكل واحد منهما وان ازال صاحبه فان صاحبه ايضا مزيل له وكل واحد منهما على هذا فاعل وان كان مفعولا ومفعول وان كان فاعلا على
الظاهر في الاستحثاث هنا انما هو النهار لانه بسفوره وشروقه اظهر اثرا في الاستحثاث من الليل ولما ذكر الملوين اتبعهما آيتهما كل فقال
والشمس والقمر والنجوم خلقها او يغشى كل قبيل منهما ما الامر ابيه حال كون الكل **مسخرات** اي للسير وغيره **بامره** وهو ارادته
وكلامه يقوم بها الملائكة كما روي ان لله ملائكة يجرون الشمس والقمر ولما صح ان جميع ما يراه من الذوات خلقه وما فعله انما امره انتج قطعا
قوله **الا له** اي وحده وقدم المعجب بسبب فيه كما هو مقتضى الحكمة من المحسوس الى المعقول فقال **الخلق** وهو ما كان من الايجاد
بتسبيب وتنمية وتطوير قال الرازي فكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق فعالم الخلق
بتسخيره وعالم الامر بتدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره **والامر** وهو ما كان من ذلك اخراجا من العدم من غير تسبيب

كالروح وما كان حفظا وتدبيرا بالكلام كالاديان وكل ما يلاحظ القيومية وقال الرازي كل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار كان من عالم الامر وعد الملائكة
من عالم الامر فانتج ذلك قطعا قوله على سبيل المدح الذي تنقطع دونه الاعناق وتتقاصر دون نيله ذرى الآفاق **تبارك** اي ثبت ثبوتا
لا ثبوت في الحقيقة لغيره مع اليمن والبركة الفاضلة والنتائج الشريفة **الله** اي ذو الجلال والاكرام ولما دل على انه يستحق هذا الثناء لذاته
دل على انه يستحقه لصفاته فقال **رب العالمين** اي مبدع ذلك كله ومربيه خلقا وتصريفا بامره وفي الجزء السادس من فوائد المخلص عن
سفيان بن عيينة انه قال ما يقول في هذه الدويبة يعني بشر المريسي قالوا يا ابا محمد يزعم ان القرآن مخلوق فقال كذب قال الله عز وجل الا له الخلق والامر
فالخلق خلق الله والامر القرآن انتهى وهذا الذي فسر به مما تحتمله الآية بان يكون الامر هو المراد بقوله بامره وهو الارادة والكلام مع احتمال
ما قدمته ولما ذكر تعالى تفرده بالخلق والامر المقتضي لتفرده بالعبادة المتوجهة الى تحصيل المعارف النفسية والعلوم الحقيقية امر بهذا المقتضي
اللائق بتلك المعارف وهو الدعاء الذي هو مخ العبادة فقال **ادعوا ربكم** اي الدائم الاحسان اليكم دعاء عبادة وخضوع **تضرعا** اي
تذللا ظاهرا **وخفية** اي وتذللا باطنا وقد اثنى على عبده زكريا عليه السلام فقال اذ نادى ربه نداء خفيا الى غير ذلك لان الخضوع الظاهر
ضوع الباطن الخلص هو العبادة انه يحب المخلصين لان تفرد ما به يدعا هو اللائق بمقام عز الربوبية والتذلل على هذه الصفة هو اللائق
بمقام ذل العبودية وهذا هو المقصود من الدعاء لا تحويل العلم الازلي وهو المقصود من جميع العبادات فلهذا كان الدعاء مخ العبادة وقد
جمع هذا الكلام على وجازته كل ما يراد تحقيقه وتحصيله من شرائط الدعاء بحيث انه لا مزيد عليه ومن فعل خلاف ذلك فقد تجاوز الحد والى ذلك
او ما بتعليله بقوله **انه لا يحب المعتدين** اي المجاوزين لما امروا به في الدعاء وغيره قالوا فالمعنى انه من ترك هذا لا يحبه اي لا يثيبه
البتة ولا يحسن اليه فالآية من الاحتباك ذكر ما يدل على ضد فضده من صدرها وصدرها يدل على انه حذف قبل الاخر ولا تتركوا الابتهال بل كونوا
معتدين ولما كان ذلك من الوفاء بحق الربوبية والقيام بحق العبودية مقتضيا للصلاح امر بادامته بالنهي عن ضده في قوله **ولا تفسدوا**
اي لا توقعوا افسادا **في الارض** اي بالشرك والظلم وهو منع من ايقاع ماهية الافساد في الوجود وذلك يقتضي المنع من جميع انواعه فيتناول الحليا
الخمس التي اتفقت عليها الملل وهي الاديان فالابدان فالعقول فالاموال فالانساب **بعد اصلاحها** والظاهر ان الاضافة بمعنى اللام وهي اضافة الى المفعول
اي لا تدنسوها بفساد بعد ان اصلحها لكم خلقا بما لوح فيها من المنافع المشار اليها بقوله يغشي الليل النهار الآية الدال على الوحدانية الداعي الى الحق
اقامة للابدان وامرا بما انزل من كتبه على السنة رسله عليهم السلام اقامة للاديان فجمع حال الايجاد الاول الابقاء الاول ولما كان الدعاء قد يقتضي
الاقتصار بحال التذلل على مقام الخوف نفى ذلك بقوله **وادعوه خوفا** اي من عدله ولما كان الاسباب للعبادة من انفسهم في الوصول اليه بتحاقير بالطمع
فقال **وطمعا** اي في فضله فان من جمع بين الخوف والرجاء كان في مقام الاحسان وكانه مشاهد للرحمن ما زجره زاجر الجلال بسطوته الاعناء دعى
بجمال الرابط فتوجه جاوز مقام الاحسان كان لهما للرحمة **ان رحمت الله** اي اكرام ذي الجلال والاكرام بان يدعو على هذه الصفة وفخمها
بالتذكير لاضافتها الى غير مؤنث فيما قال سيبويه فقال **قريب** وكان الاصل منكم ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال **من المحسنين**
ولما كان دوام الصلاح لا يكون الا بالغيث وهو من اجل انواع الرحمة لا يكون الا بالسحاب وهو لا يكون الا بالريح والريح اعظم فاعل ان ربكم الله تنبيها بتحقيق
المبدأ على تحقيق المعاد **وهو** اي لا غيره **الذي يرسل** اي بالتحريك **الرياح** هذا في قراءة الجماعة اي لما لها من جنوب وشمال وصبا ودبور
ونكبا وهي كل ريح انخرقت فوقعت بين ريحين ووقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على ارادة الجنس **بشرا** بضمتين في قراءة اهل البصرة والحجاز
اي منتشرة جمع نشور من النشر وهو بسط ما كان مطويا وتفريقه في كل وجه لان الريح والادام ذلك منها ولا بقوة فلك او بحجم لان نسبتها
الى الهوا واحدة **بين يدي** اي قبل **رحمته** اي المطر ولعله عبر باليدين اليمنى والشومى لولا انه مع ما فيه من الغمامة على انه تارة يكون رحمة
وتارة عذابا كما كان على قوم نوح وان كانت الرحمة فيه اغلب على اهل اليمين وتارة يكون الرياح جامعة لها حافظة للماء وتارة مفرقة مبطلة لها وتارة
تكون مقوية للزرع والاشجار مكملة لها وهي اللواقح وتارة تكون منمية لها او مهلكة كما يكون في الخريف وتارة تكون طيبة وتارة مهلكة اما
بشدة الحرارة والبرودة ثم غيى الارسال بقوله **حتى اذا اقلت سحابا** اي حملتها لقلتها عندها لخفتها عليها **ثقالا** اي بالماء ولما دل على العظمة

بالجمع

بالجمع حقق الامر على الوصف افرده على اللفظ دلالة على غاية العظمة بسوقه مجتمعا لا منقطعة واحدة لا يفترق جزء منه
عن سائره اذ لو تفرق لاختل امره فقال **سقناه لبلد** اي لاجل **ميت** اي بعدم النبات **فانزلنا** اي بما لنا من العظمة **به** اي بالبلد
او بسبب ذلك السحاب **الماء** اي هذا الجنس واشار الى العظمة الانبات بالنون فقال **فاخرجنا به** اي بالماء **من كل الثمرات** اي الحقيقية
على الاشجار والمجازية من النبات وحبوبه ولما كان هذا مع ما فيه من التذكير بالنعمة المقتضية لتوحيده بالدعوة دليلا ثانيا في غاية الدلالة
على القدرة على البعث قال تعالى **كذلك** اي مثل ما اخرجنا هذا النبات من الارض بعد ان لم يكن **نخرج الموتى** اي من الارض بعد ان صاروا
ترابا **لعلكم تذكرون** اي قلنا هذا لتكون حالكم حال من يرجى تذكره بهذه الآية المشاهدة القريبة المأخذ ولعله ادغم وجوب التذكر
بما شار اليه الادغام لانه سبحانه كما قدر على اعادة النبات بجميع المادة من جوف الارض بعد ان كان تفتت في الارض وصار ترابا واحيي الشجرة
بعد ان كانت لا روح لها بابداع الثمرة التي هي روحها فهو قادر على اعادة الاشباح وابداعها الارواح كما كانت اول مرة لانه لا فرق بين
الامرين ولما كان المردود حسيا ومعنويا كما اشير اليه في الانعام في آية انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله وآية اومن كان ميتا
فاحييناه كان كانه قيل الا فرق في ذلك عندنا بين اموات الايمان واموات الابدان فكما انا فاوتنا بين جواهر الارض فجعلنا بعضها جيدا وبعضها
رديا كذلك فاوتنا بين عناصر الاناسي فجعلنا بعضها طيبا وبعضها خبيثا فالجيد العنصر يسهل ايمانه والخبيث الاصل يعسر اذعانه وتعد
استقامته وايمانه **والبلد الطيب** اي الذي طابت ارضه فكانت كريمة منبتة **يخرج نباته** اي اذا انزل عليه الماء خروجا كثيرا حسنا
سهلا عزيزا **باذن** اي بتمكين **ربه** اي المربي له بما هياه له والذي طاب في الجملة ولم يصل الى الغاية يخرج له نبات دون ذلك في الخبث
لا يخرج له نبات اصلا بمنع ربه له **والذي خبث** اي حصلت له خباثة في جبلته بكون ارضه سبخة او نحوها مما لم يهياه الله تعالى لانبات
لا يخرج اي نباته **الا** حال كونه **نكدا** اي قليلا ضعيفا للنفعة وهو مع كونه دالا على ان ذلك ما تم عليها وصف مع استواء الارض
في الاصل واستواء المياه ونسبتها الى الافلاك والنجوم الا بالفاعل المختار مثل ضربه سبحانه للمؤمن والكافر عند سماعهما الذكر من الكتاب
والسنة والآية من الاحتباك ولما اتت هذه الآيات على الدر وقضت بدائع الدلالات وابرازها كان السامع جديرا بان يقول هل تبين
جميع الآيات هذا البيان فقيل **كذلك** اي نعم مثل هذا التصريف وهو التردد مع اختلاف الانحاء لاختلاف الدلالات وابرازها في قوالب
الالفاظ الفائقة والمعاني الرائقة في النظوم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر **نصرف الآيات** اي كلها ولما تم ذلك دل على هذا المنزع
الغريب والمنوال العجيب المذكر بالنعم في اسلوب الدال على التفرد وتمام القدرة كان ان الاشياء ختمه بقوله مخصصا بالمنتفع لانه بالمنبه
على الخير كانها لم توجد **لقوم يشكرون** اي فلا يوجد منهم الشكر للنعم وجود مستمر الا الذين يكونون بل يستغفرون بما انعم عليهم به وحده في
عبادته وحده وينظرون بعقولهم انه اقدرهم بنعمه على ما هم عاجزون عنه فلا يسلبون عنه شيئا من قدرته على بعث ولا غيره فانهم يرجعون
انهم اهل معالي الاخلاق التي منها انه ما جزاء الاحسان الا الاحسان ولما طال تهديده سبحانه المجرمين على فسقها ولم يرجع عن غيه وعناده بمثل مصارع
الاولين ومهالك الماضين ونوع في هذه الآيات محاسن الدلالات على التوحيد والمعاد بوجوه ظاهرة وبينات قاهرة وبراهين قاطعة وحجج ساطعة
ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيا على ان في الناس الخبيث والطيب مع الكفالة بالدلالة على تمام القدرة والعبرة لمن تنزل على تلك
الحضرة بتفصيل احوال من سلفت الاشارة الى اهلاكهم وبيانا مصارعهم وانه لم تغن عنهم قوتهم شيئا والى كثرتهم بقوله وكم من قرية اهلكناها
الآية وقوله فاذا جاء اجلهم الآية تخويفا ومراعاة الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية لصالحي اتباعه بالتنبيه على ان الاعراض عن الآيات
ليس مخصوصا بهذه الامة بل هو عادة الامم السالفة وعلى ان النعم خاصة بالشاكرين ولما كانت النقم مقصورة على الكافرين فقال تعالى **لقد ارسلنا**
اي بعظمتنا وافتتحه بحرف التوقع لما للسامع الفطن من التشوف الى ذكره لما تكرر من الاشارة اليه ولان اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطلق
بها غالبا الا مقرونة بقد لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد
عند استماع المخاطب كلمة القسم **نوحا** يعني ابن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس عليه السلام وكان عند الارسال ابن خمسين سنة

ولما كان ابن اسه صلى الله عليه وسلم قبل تفرق القبائل باختلاف اللغات قال **الى قومه** اى الذين كانوا ملء الارض كما في حديث الشفاعة في الصحيحين وغيرهما انه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وفيهم من القوة على القيام بما يريدونه ما لا يخفى على من تامل اثارهم وعرف اخبارهم فلان كانت اثارهم فقد حصل المراد وان كانت لمن بعدهم علم بحكم قياس الاستقراء انهم اقوى على مثلها ولعل من انها ولتشوف الرد ليلاه عليها ذكر جاء مجردا عن ادوات العطف وهو مع ذلك كله منبه على ان جميع الرسل متطابقون على الدعوة الى عبادة الله برهان ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض من التوحيد والصلاح الى غير ذلك من بحور الدلائل والحجاج المتلاطمة الامواج والله الهادى الى سبيل الرشاد وكون نوح عليه السلام رسولا الى جميع اهل الارض لانهم قومه لوحدة لسانهم لا يقدح في تخصيص نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة لان معنى العموم ارساله الى جميع الاقوام المختلفة باختلاف الالسن والى جميع من يوجد من الانس والجن والملائكة وسيأتي ان شاء الله تعالى في سورة الصافات لهذا مزيد بيان ولما كان من المقاصد العظيمة الاعلام بان الذي دعى اليه هذا الرسول لم تزل الرسل على جميعهم افضل الصلوة والسلام والتحية والاكرام تدعو اليه وكان نوح اول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر ارساله بذكر ما ارسل به بالفاء بقوله **فقال يا قوم** فتحببهم اليهم بهذه الاضافة **اعبدوا الله** اى الذي له جميع العظمة من الخلق والامر فانه يستحق لذلك وقد كلف عباده به ولما كان المقصود افراده بذلك علله بقوله مؤكدا باثبات الجار **ما لكم** واغرق في النفي فقال **من اله غيره** ثم قال معللا او مستانفا تخويفا مؤكدا لاجل تكذيبهم **انى اخاف عليكم** اى في الدنيا والاخرة ولعله قال هنا **عذاب يوم عظيم** وفي هود اليم وقال في المؤمنون افلا تتقون لان ترتيب السور الثلاث على ان الصحيح انه باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم فلعله جاء على ترتيبها في النزول لانها مكيات وعلى ترتيب مقالات نوح عليه السلام لهم فانه قال لهم اولا المقالة من حيث انه اوهم ان العظم للموصوف به اليوم لا بسبب العذاب بل الاعراض فيصير العذاب مطلقا يقينا والعذاب ... ولو قيل فيما تمادى تكذيبهم بين لهم ان عظمه انما هو من جهة ايلام العذاب الواقع فيه فلما تمادى لغ عتوهم قال لهم قول القادر اذا هدد عند مخالفة غيره له الا تفعل ما اقول لك اى متى خالفت بعد هذا عاجلتك بالعقاب وانت تعرف قدرتي ولما تم ذلك وكان الحال مقتضيا لمع ما نصب من الادلة الواضحة على الوحدانية لان يجيبوا بالتصديق كان كانه قيل فاذا اجابوا فقال **قال الملأ** اى الاشراف الذين يملأ العيون مراءهم عظمة وتتوجه العيون في المحافل اليهم ولم يصفهم في هذه السورة بالكفر لان ذلك ادخل في التسلية لانها اول سورة قص فيها مثل هذا في ترتيب الكتاب ولان من امن به مطلقا كانوا في جنب من لم يؤمن في غاية القلة فكيف عند تقييدهم بالشرف وكان ذمهم تسلية لهذا النبي الكريم بالتعريف بقومهم منه في النسب **من قومه** وقالوا رقة وادبا غلظة مؤكدة ما تضمنته من البهتان لان حاله مكذب لهم فقالوا **انا لنراك** اى كل واحد منا يعتقد اعتقادا هو في الثقة به كالرؤية انك **في ضلال** اى خطاء وذهاب عن الصواب جعله ظرفا له محيطا بك **مبين** اى ظاهر في نفسه حتى كانه يظهر ذلك لغيره ولما قذفوه بضلال مقيد بالوضوح نفى الضلال المطلق الذي هو اعم وبنفيه ينتفي كل اخص منه بل نفى اقل شيء من الضلال فقال متعجبا عنه **قال يا قوم** مجددا استعطافهم **ليس بي ضلالة** فنفى وحدة غير معينة ولا يصدق ذلك الا بنفي كل فرد فهو انص من نفي المصدر ولم يصف الملأ من قومه هنا بالذين كفروا ووصفهم بذلك في سورة هود اما لانها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى باثباتها ولا بنفيها واما لانهم اجابوه بذلك مرتين احديهما قبل ان يسلم احد من اشرافهم والثانية بعد ان اسلم بعضهم وطائفتها رموه به على هذا الوجه البليغ اثبت لنفسه بالشرف ما يكون من صفات الخالق فقال مستدركا بعد نفي الضلال اثبات ما يزعم ضده **ولكني رسول** اى اليكم بما امرتكم به فانا على اقوم طريق **من رب العالمين** اى المحسن اليهم بارسال الرسل لهدايتهم بانقاذهم من الضلال فرد الامر عليهم بالطف اشارة ثم استانف الاخبار عن وظيفته بيانا للرسالة فقال **ابلغكم** وكان ابواب كفرهم كانت كثيرة جمع باعتبارها او باعتبار تعدد معجزاته او تعدد نوبات الوحي في الازمان المتطاولة او المعاني المختلفة او انه جمع له ما ارسل به من قبله كادم وشيث وهو ثلثون صحيفة وخمسون صحيفة عليهما السلام فقال **رسالات ربي** اى المحسن الى من الاوامر والنواهي وجميع انواع التكاليف من احوال الاخرة وغيرها لا ازيد فيها ولا انقص منها كما هو شان كل رسول مطيع ولما كان الضلال من صفات الفعل اتى بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث في قوله **وانصح**

مقيدته

وقصر

وقصر الفعل ودل على تخصيص النصح بهم ومحضته لهم فقال **لكم** والنصيحة الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ولما كان الضلال من الجهل قال **واعلم من الله** اى من صفات الذي له صفات الكمال ما لا تبلغونه **ما لا تعلمون** اى من عظيم اخذه لمن يعصيه وغير ذلك مما ليس لكم قابلية لعلمه بغير سفارتي تحذروه من تعيير واعلاء ولا تتركوه ينسبني الى الضلال تردادا واضلالا ولما كان الحامل لهم على هذا مجرد استبعاد ان يختص عنهم بفضيلة وهو منهم كما تقدم في غير هذه السورة انكر ذلك عليهم بقوله **اوعجبتم** اى اكذبتم وعجبتم **ان جاءكم** وضمن جاء معنى انزل فلذلك جعل صلته على فقال **ذكر** اى ذكرى رسالة **من ربكم** اى المحسن اليكم بالايجاد والتربية منزلا **على رجل** اى كامل في الرجلية وهو مع ذلك عجيب لانكم تعرفونه فانه **منكم** لقولهم ما سمعنا بهذا اى ارسال البشر في ابائنا الاولين **لينذركم** ليحذركم واما ينذركم به **ولتتقوا** اى تجعلوا بينكم وبين ما يحذركم ونه وقاية لعلكم تنجون **ولعلكم ترحمون** اى ولتكون حالكم اذا اتقيتم الله حال من ترجى رحمته بان يرفعه الله في الدارين ولما تسبب اولا الى الضلال وهو قريب من خطا عن ذهول ونحوه فاقام لهم الدليل على انه على الصواب خبرانه لم يتسبب عن ذلك الا انهم حملهم الوحوا اليه اولا بالضلال من التكذيب فقال **فكذبوه** اى الملأ وتبعهم من دونهم ولما تسبب عن تكذيبهم لا تصديق الله له باهلاكهم وانجائه ومن امن به قال مقدما لانجائه اهتماما به **فانجيناه** بما لنا من العظمة من اهل الارض كلهم ومن عذابنا الذي اخذناهم به **والذين معه** اى بصحبته الصالحة الدينية **في الفلك** وهي السفينة التي من الله على الناس بتعليم عملها لتنجية من الطوفان فكانت اية ومنفعة عظيمة لمن اتى بعدهم **واغرقنا** اى بالطوفان وهو الماء الذي طبق ظهر الارض فلم يبق منها موضعا حتى جاوزه واظهر موضع الاضمار تعليقا للفعل بالوصف اشارة الى انه فعل مع اكثر شيئا فانما فعل مع كله فهو يجازيه بما يحققه فقال **الذين كذبوا باياتنا** اى وهي في الظهور بحيث لا خفاء بها لما لها من العظمة بالنسبة اليها وعبر هنا بفعل النجاة بالهمزة وهي الاصل في التعدية وقرنت بالذين لانه خلص الموصولات واصرحها ولما عيد القصة في سورة يونس عليه السلام كان الاليق بكلام البلغاء والاشبه بطريق الفصحاء التفنن في العبارة فعبر بالتضعيف مع ما فيه من الابلغية بافهام مزيد الاعتناء مناسبة لما تقدم من مزيد التفويض في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم الاية وتلاه بمن ضما للفرع الى الفرع فانه مشترك بين الوصل والشرط وهي ايضا قد تطلق على ما لا يعقل فناسب ذلك الحال وزيد هناك في وصف الناجين وجعلناهم خلائف نظرا الى قوله في اول السورة ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا الاية ثم قال ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون فلوح لهم بالاهلاك ان ظلموا ثم اشار لهم في قصة نوح عليه السلام بكونه اعلم ان الخلائف هم الناجون الباقي ذكرهم وذريتهم لانه تفضل عليهم بالتوفيق للاجابة ورحمهم بهذا النبي الكريم عليه افضل الصلوة والتسليم فقضى انهم غير مهلكين ولما افتتح القصة بنسبتهم له الى الضلال بالا لاوهو ناشئ عن عمى البصيرة او البصر ناسب تقليب الامر عليهم على وجه الحق فقال موكدا لانكارهم ذلك **انهم كانوا** اى لما في جبلتهم من العوج **قوما عمين** اى مطبوعين في عمى القلب مع قوتهم فيما يحاولونه ثابت لهم ذلك عما اشار اليه فعل ذي اذ قال فاعل وختمت القصة في يونس بقوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين لقوله اولها ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري اى انذاري لانه اعلم انه كبر عليهم ولو كان تبشيرا ما عز عليهم ولما تم ما عاد بعدهم ولم يكن هنا ما يقتضي تشويش الترتيب اتبعهم بهم مقدما المرسل اليهم ليفيد تخصيص رسالته بهم وهم بعض اهل الارض فقال **والى عاد** اى الخاصة **اخاهم** اى في النسب لانهم عنه افهم وبحاله في الثقة والامانة اعرف وبالعطف على نوح عليه السلام تقدير المرسل اليهم بينه بقوله **هودا** بخلاف قوم نوح فانهم كانوا جميع اهل الارض من القبائل لم تكن فرقت الناس ولا الالسنة اذ كانت السنة الكل واحدة ولم يفرق الالسنة الا بعد الصرح وهذا عم الغرق جميع اهل الارض فكان المعنى لا يختلف في قصته بتقديم ولا تاخير فناسب تقديم الرسالة والمرسل لانه اهم ولما كانت قصة نوح عليه السلام اول قصص الانبياء مع قومهم ولم يكن للعرب عهد بمجاورة الانبياء ومن يرسلون اليه فاتى فيها بالاصل من الماء فقال سيأتي واحداه اخبار المنهو فارغ الذهن من كل جزء من اجزائها اتت قصة هود بعد علم السامعين بقصة نوح بما وقع من تبليغه لهم وردهم عليه فلما ذكر ارساله تشوف السامع الى انه هل قال لهم كما قال نوح وهل ردوا عليه كرد قومه اوكان الامر بخلاف ذلك فاجيب سؤال المتشوف بقوله **قال** كقول نوح عليه السلام سواء **يا قوم** مذكرا لهم بانه احدهم بهمة ما بهم **اعبدوا الله**

اى لاستحقاقه ذلك لذاته ثم علل او استانف بقوله ما لكم واغرق في النفي فقال من اله غيره ولما كانوا عارفين بما اصاب قوم نوح
قال افلا تتقون اى افلا تجعلون بينكم وبين عذاب هذا الواحد الجبار وقاية ولما تشوف السامع الى جوابهم بعد هذا الترغيب
الممزوج بالترهيب اجيب بقوله قال الملأ اى الاشراف الذين يملأون العيون بهجة والصدور هيبة ولما كانت عاد قبيلا بالنسبة
الى قوم نوح عليه السلام وكان قد اسلم من اشرافهم من له غناء في الجملة قيد بقوله الذين كفروا اى ستروا ما اوضحته الظهور من ادلة الوحدانية
ووصفوا تسلية لهذا النبي الكريم فيما يرى من جفاء قومه بان مثل ذلك المكان الخطابي من الانبياء بقوله من قومه واكدوا اما وابلغ
من الجفاء لانهم عالمون بانه حاله في علمه وحكمه بكذبهم بقولهم انا لنراك اى نعلمك علما متيقنا كانه محسوس في سفاهة اى
مظروفا للخفة العقلية محيطة بك من جميع الجوانب لا خلاص لك منها فلذا ادتك الى قول لا حقيقة له فالتنوين للتعظيم فان قيل بل للتحقير
كانهم توقفوا في وصفه بذلك كما توقفوا في الجزم بالكذب فقالوا وانا لنظنك من الكاذبين اى المتعمدين الكذب وذلك لانه كان غير عالم بهم
عالمين الرسل وما ياتي مخالفهم من العذاب في قصة نوح ولم يكن العهد بعيدا واما قوم نوح فجزموا بالضلال واكدوه بكونه مبينا لانه
لم يكن عندهم شعور بارسال الرسل وعذاب الامم قبل ذلك ولهذا قالوا ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين قيل لهم كذلك فقد ورد في جواب
قوم نوح في سورة هود مثل هنا وهو قوله بل نظنكم كاذبين فان قيل انما كان هذا في ثاني الحال بعد ان نصب لهم ادلة واقام البراهين
على صحة مدعاه ونارت حظوظ النفس بالجدال الغاشي بعد ان كان في قومه لجاجوه بذلك واما عاد فجزموا الامر كذلك في قصته هود عليه السلام
سواء فانه لم يقل الله الا الكفار من قومه فتقييدهم بالوصف يعطي انه كان فيهم من اتبعه بل واتبعه كان من اشرافهم وتعبيرهم بالظن في
الكذب لارادتهم انه يكفي في وصفه بالسفاهة التي زعموها الادلة على ما يحتمل معه ظنهم كذبه او يكون قولهم الحق في زعمهم مرددا بين ان
يكون تعمد الكذب تعمدا وحمله عليه ما رموه به من السفه من غير تامل ولما قابلوا لينه لهم وشفقته عليهم بهذه الغلظة اعرض عن ذلك علما منهم
من العلم بضد ما وسموه به وكانه قال معلما الادب في مخاطبة السفهاء يا قوم مذكرا اياهم بما بينهم من النسب الداعي الى الود والمناصحة والعطف
والملاطفة ليس بي سفاهة فنفى ان يكون به شيء من خفة حلم فانتفى ان يكون كاذبا لان الداعي الى الكذب الخفة والطيش فلم يحتج الى
تخصيصه بنفي ولما نفى السفاهة اثبت ما يلزم منه ضدها بقوله ولكني رسول وبين المرسل تعظيما للامر بقوله من رب العالمين اى المحسن
اليهم بعد نعمة الايجاد والارزاق بارسال الرسل اليهم ليكسبوهم معالي الاخلاق التي بها انتظام نعمة الابقاء ابلغكم وجمع الرسالة
لما تقدم في قصة نوح فقال رسالات ربي اى المحسن الي بتعليمي ما لم اكن اعلم وتاهيلي لما لم يكن في حسباني ولما كانوا قد رموه بالسفه
الذي هو من ارذل النقائص لانه ضد الحلم والرزانة وعبر بمضي الجملة النافية له بما يقتضي الثبات فقال وانا لكم ناصح اى لم يزل النصح
من صفتي وليس هو مما تلبست به بل غريزة في قد بلوتموني فيه قبل الرسالة واظهرها بهذه المقالة دهرا دهيرا وزمانا طويلا ولما قالوا
انهم يظنونه كذبا زادهم صفة الامانة فقال امين وفي ذلك لكنا يعرفون ما يعتقدون من امانته وعقله وظن ان ما حملهم على هذا الا العجب
من ان يطلع على ما لم يطلعوا عليه انكر عليهم في ذلك ذاكرا الملاطفة جاعلا لهم ملوحا بالعطف الى التكذيب فقال او عجبتم اى اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم ذكر اى شرف وتذكير من ربكم اى الذي لم يقطع احسانه عنكم قط منزلا على رجل منكم اى تعرفونه غاية المعرفة وشرفه شرف لكم فما
في ذلكم شيء لينذركم اى يحذركم ما لم يكن فعلى ما انتم عليه وخامة العاقبة ولما كان التقدير فاحذروا واعطف عليه تذكيرهم بالنعمة
مشيرا به الى التحذير من عظيم النقمة في قوله واذكروا اذ اى حين جعلكم خلفاء اى فيما انتم فيه من الارض ولما كان زمنهم متراخيا بعد زمنهم
اتى بالجار فقال من بعد قوم نوح او يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام في قوله او عجبتم من طلب الجواب اى اجيبوا واذكروا اى
ولا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما انعم به عليكم وفيه الاشارة الى التحذير مما وقع لقوم نوح او يكون العطف على معنى الاستفهام الانكاري في
افلا تتقون او عجبتم اى لا تتقوا ولا تعجبوا واذكروا او يكون العطف وهو حسن على العهد والله وقوله خلفاء قيل انه يقتضي ان يكونوا اقاموا
مقامهم ومن المعلوم ان قوم نوح كانوا ملأوا الارض وان عادا انما كانوا في قطعة منها يسيرة وهي الشحر من ناحية اليمن فقيل ان ذلك لكون

شداد

شداد بن عاد ملك جميع الارض وكانه قيل جعل جدكم خليفة في جميع الارض فلو حصل الشكر لتمت النعمة فاطيعوا فقيل
ان في قصة ثمود مثل ذلك ولم يكن فيهم ملك الارض ولا ارض عاد فاجيب بما يطرد وهو ان عادا انما كانوا افوى اهل الارض ابدانا
واعظمهم اجساما واشدهم خلقا واشهرهم قبيلة وذكرا وكان سائر الناس لهم تبعا وكذا ثمود فيما اعطوه من القدرة على نحت الجبال
ونحوها بيوتا وعندي ان السؤال من اصله لا يرد فان بين قولنا فلان خليفة فلان وفلان خليفة من بعد فلان فرقا بين الفريقين ما لا يخفى
فالمخلوف في الثاني لم يذكر فكانه قيل جعلكم خلفا لمن كان قبلكم في هذه الارض التي انتم بها وخص قوم نوح وعادا بالذكر تذكيرا بما
حل بهم من العذاب في هذا بعينه وخصوص هذه الامم التي ورد في القران بالذكر والاقتصار دون الامم الكثيرة العدد اللاتي على العظيمة
الانتشار في جميع الاقطار ومعلوم ان الله لم يترك واحدة منها بغير رسول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفي قصة
هود في سورة الاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ولا يبعد ان هذه الامم كان عند العرب كثير من اخبارهم
ففصلت لهم احوالهم وطوى عنهم من لم يكن عندهم شعور بهم فلم يذكروا الا اجمالا لئلا يسارعوا الى التكذيب بما ينزل فيهم من غير
دليل شهودي يقام عليهم ولما ذكرهم بمطلق الابقاء بعد ذلك الاغراق العام اتبعه التذكير بالزيادة فقال وزادكم اى على من
قبلكم او على من هو موجود في الارض في زمانكم في الخلق الخاص بكم بسطة اى في الحسن بطول الابدان والمعنى بقوة الاركان
قيل كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعا وقيل اكثر ولما عظمت النعمة كرر عليهم التذكير فقال مسببا عن ذلك فاذكروا الاء الله
اى نعم الذي يجمع صفات العظمة التي انعم عليكم بها من الاستخلاف والقوة وغيرهما واذكروا انه لا نعمة عندكم لغيره اصلا لتخصوه لاختصاصه استحقاقا
بالعبادة لعلكم تفلحون اى ليكون حالكم حال من يرجى فلاحه وهو ظفره بجميع مراده لان الذكر موجب للشكر الموجب للزيادة ولما
كان هذا منه موجبا ولا بد لكل مانع منصف المبادرة الى الاذعان لهذه الحجة القطعية وهي استحقاقه للافراد بالعبادة للتفرد بالانعام
ازداد تشوف المخاطب الى جوابهم فاجيب بقوله قالوا منكرين عليه معتمدين على محض التقليد اجئتنا اى عندنا من عند من ادعيت انك رسوله لنعبد
الله اى الملك الاعظم وحده ولما كان ذلك منهم في غاية العجب المستحق للانكار اتبعوه ما هو كالعلة لانكارهم عليه ما دعاهم اليه فقالوا ونذر اى
نترك على غير صفة حسنة ما كان يعبد اباؤنا اى مواظبين على عبادته بما دلوا عليه بكان وصيغة المضارع مع الاشارة بها الى التصوير
اباؤهم بما له ذلك ليجعل في زعمهم انكارهم ذا العقل لهم ولما كان معنى هذا الانكار انا لا نطيعك وكان قد لوح لهم بالتذكير بقوم نوح و
قوله افلا تتقون الى الاخبار انه عرف طيبوا لغير ذلك فقولهم فاتنا اى عاجلا بما تعدنا اى من العذاب الذي لوحت اليه ايماء الى التكذيب
بقولهم ان كنت من الصادقين وتسميتهم الانذار بالعذاب على باب الاستهزاء ولما كانوا قد بالغوا في السفه في هذا القول وكان قد علم
في مجاورته صلى الله عليه وسلم لهم الحلم عنهم شدة التطلع الى ما يكون من جوابه لهذا والتوقع له فشفى غليل هذا التشوف بقوله قال قد
وقع اى حق ووجب فكانه قد وقع عليكم من ربكم اى الذي غركم به تواتر احسانه اليكم وطول امهاله لكم رجس اى عذاب شديد
الاضطراب في تتبع اقصاكم وادناكم موجب لشدة اضطرابكم وغضب اى شدة في ذلك العذاب فقال اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ولما كان لا بد للفاعل ان يفعل ما يشاء وان يامر بالخضوع لمن يشاء قال نافيا التنزيل فانه يلزم منه نفي الانزال ما نزل الله اى الذي له الامر كله
بها اى بخبركم بها او بتسميتكم لها حين كانت الهتهم تلك التي يجادلون فيها لا تزيد على الاسماء لكونها خالية من كل معنى واغرق
في النفي فقال من سلطان ولعل التعبير بصيغة التنزيل لان التفعيل ياتي بمعنى الفعل المجرد وبمعنى الفعل بالتدريج فقصد لانه نفي
شيئا المجادلة وفي سورة مقصودها انذار من اعرض عما دعا اليه هذا الكتاب النازل بالتدريج النفي بكل اعتبار سواء كان بتجديد او تدريج
والاشارة الى انه لو نزل عليهم في الامر بعبادتها شيء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر عليهم الامر فيه مرة بعد اخرى فيعلموا ان
ذلك امر حتم لا بد منه كما فعل بنو اسرائيل في الامر بذبح البقرة لاجل القتيل لاجل انهم لم يعقلوا معناه فوق ذلك قطعا على ان
الامر لهم بعبادتها انما هو ظلام الهوى خال من علم محض من شانه الانتشار كونه بلا دليل اصلا ولما اخبرهم بوقوع العذاب بسببه بين

لا تعلقون ان ... ولولا انهم ... بعد ذلك ... فقال انجا ... من بعثه

ان الوقوع ليس على ظاهره في الانجاز وانما معناه الوجوب الذي لا بد منه فقال فانتظروا ثم استانف الاخبار بحاله بقوله اني واشار بقوله معكم الى انه لا يفارقهم لخشية منهم ولا غيرها من المنتظرين ولما تم هذا ينبغي ان يكون سببا للتصديق الذي هو سبب الرحمة بين انه لما سبب العذاب له ولمن تبعه النجاة مبتديا بالمومنين اهتماما بشانهم بقوله فانجيناه اي بما لنا من العظمة انجاء وحيلا بيننا وللناهم بسبب ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين والذين معه اي في الطاعة واشار الى انه لا يجب على الله شيء بقوله برحمة اي باكرام وحياطة منا اي بعمل ولا غيره ولما قدم النجاء اهتماما به اتبعه الهلاك فقال معلما بان اخذه على غير اخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء في الطلب فتفوتهم اواخر العساكر وشذاذ الجنود والاتباع وقطعنا دابرهم اي اخرهم هذا كان الاصل ولكنه اظهر تصريحا بالمقصود وبيانا للعلة اخذهم فقال دابر اي اخر [illegible] استاصلنا وجعلنا ذلك الاستيصال بعجزة لهو عليه اليوم الذين كذبوا باياتنا اي ولم يراقبوا عظمتنا بالنبذ لها وقوله وما كانوا اي خلقا وجبلة مومنين عطف على صلة الذين وهي كذبوا باياتنا وهي جارية مجرى التعليل لاخذهم موذنة بانه لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح بقوله انهم كانوا قوما عمين تعليلا لاغراقهم اي انا قطعنا دابرهم وهم مستحقون لذلك لانهم غير قابلين للايمان لما فيهم من شدة العناد ولزوم الجفاء المعنى وما كانوا الايمان من صفتهم اي ما امنوا في الماضي ولا يومنون في الاتي فيخرج منه من امن وكان قد كذب قبل ايمانه وفيه لم ينفع فيهم دعائه لهم ونحن علم الله انه لا يومن فيؤتيه حسنا انهم لما افتتحوا كلامهم بانهم ينسبوه الى السفاهة كاذبين ثم ختم القصة بانه يقلب الامر عليهم فيوصفون بمثل ذلك موصلا بكلام يبين ان اتصافهم به هو الموجب لما فعل بهم لان الايمان لا يتم الا عن كمال الثبات والرزانة وترك الطيش والهوى وقمع رعونات النفس لانقيادها لواضح الادلة وظاهر البراهين فمن تركه مع ذلك فهو في غاية الطيش والخفة وعدم العقل وايضا فوصفهم بالتكذيب بالفعل لما يبين انه لا يفهم دوامهم على تكذيبهم فقال بحاذ ذلك النفي لاحتمال انهم امنوا بعد التكذيب فحال تكذيبهم وعدم ايمانهم ولما تم ما اراد من قصة عاد اتبعهم ثمود فقال والى ثمود اي خاصة منع الصرف لان المراد به القبيلة وهو مشتق من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ارسلنا اخاهم صالحا ثم استانف الاخبار عن قوله كما مضى في هود على نبينا وعليه السلام قال يا قوم مستعطفا لهم بالتذكير بالقرابة وعاطفا انسابه اعبدوا الله اي الذي له الكمال الا انه مالكم واكد النفي بقوله من اله غيره ولما دل على صدقه في ذلك انهم دعوا اوثانهم فلم تجبهم ودعا هو صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه فاخرج لهم الناقة علم صحة ما دعا اليه بقوله قد جاءتكم بينة اي اية ظاهرة جدا على صدقي في ادعاء الرسالة وصحة ما امرتكم به وزادهم رغبة بقوله من ربكم اي الذي لم يزل محسنا اليكم ثم استانف بيانها بقوله هذه مشيرا اليها بعد تكوينها تحقيقا لها وتعظيما لشانها وشانه في عظيم خلقها وسرعة تكوينها الاجل ولما اشار اليها علمها فقال ناقة الله مشرفها بالاضافة الى الاسم الاعظم ودل على تخصيصهم بها بقوله لكم حال كونها اية اي لمن شاهدها ولمن سمع بها وصح عنده امرها ثم سبب عن ذلك قوله فذروها اي اتركوها ولو على ادنى احوال الترك تاكل اي من النبات في ارض الله اي مما انبت الله الذي له كل شيء وهي ناقته كما ان الارض كلها ملكه ارضه والنبات رزقه ولذلك اظهر لئلا يختص اكلها بارض دون ارض ولما امرهم بتركها اكد الامر بنهيهم عن اذاها فقال ولا تمسوها بسوء فضلا عما بعد المس فياخذكم اي اخذ قهر بسبب ذلك المس عقبه عذاب اليم اي مولم ولما امرهم ونهاهم ذكرهم ترغيبا مشيرا الى ترهيب فقال واذكروا نعمة الله عليكم اذ جعلكم خلفاء اي فيما انتم فيه من بعد عاد اي اهلاكهم وبوأكم في الارض اي جعل لكم في جنسها مساكن تبوءون اي ترجعون اليها وقت راحتكم سهل عليكم من عملها في اي ارض رمتم ما لم يسهله على غيركم ولعل هذا تفسير المراد بقوله تتخذون اي على الكم في الصنائع من سهولها قصورا اي ابنية باللبن والطين والاجر واسعة عالية حسنة تقصر امال الامل ونظر الناظر عليها بما فيها من المرافق والمحاسن وتنحتون الجبال اي الحجارة الكبار بيوتا اي تجبل ارضكم تقدرونها بيوتا ولما ذكرهم بهذه النعم مرغبا مرهبا كرر ذلك الاشارة وعبارة فقال سببا عما ذكرهم به فاذكروا اي ذكر اذعان ورغبة ورهبة الاء اي نعم الله اي الذي له صفات الكمال فلا حاجة به الى احد احسانا هو احسان في الحقيقة ولا تعثوا في الارض اي الغي هو الفساد وهو مقلوب عن العيث قال ابن القطاع وحده يكون قوله مفسدين

بعض متعدين للفساد ولما حصل الالتفات الى جوابهم قيل قال الملأ اي الاشراف وبين قولهم الذين استكبروا اي اوجدوا الكبر واتصفوا به فصار لهم خلقا فلم يومنوا ونبه على التمادي بقوله من قومه ولما قال للذين استضعفوا لما كان ربما فهم انهم امنوا كلهم فنفى ذلك بقوله مبدلا منه لمن امن منهم اي المستضعفين فهو اوقع في النفس واروح للجنان المبينة في اول وهلة مع الاشارة الى ان اتباع الحق هم الضعفاء وانه لم يؤمن الا بعضهم ففيه ايماء الى ان الضعف اجل النعم لملازمته لطرح النفس المؤدي الى الاذعان للحق وبناه للمفعول دليل على انهم في غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل احد اتعلمون يريدون بالانكار ضلالهم في الايمان ان صالحا سموه باسمه جفاء وغلظة واوردها بالتفاصيل للسوال ليجيبوهم بما يرضيهم مرسل من ربه وكانهم قالوه ليعلموا حالهم فيبنوا عليه ما يفعلونه لان المستكبرين لا يتم لهم كبرهم الا بطاعة المستضعفين ولما علموا ذلك منهم اعلموهم بالمنابذة اعتمادا على الكبير المتعال الذي يضمحل كل كبر عند كبره ولا يعد لاحد امر مع امره بان قالوا منبهين لهم على غلطتهم في توقفهم في حالهم معبرين بما دل على العلم بذلك والاذعان له انا بما ارسل به وبناه للمفعول اشارة الى تعميم التصديق والى ان كونه من عند الله امر مقطوع به لا يحتاج الى تعيين مومنون اي عريقون في الايمان به ولذلك قال قال الذين استكبروا اي في جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم والمعاندة انا بالذي ووضعوا موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما واخذوه مسلما امنتم به اي كائنا ما كان كافرون ثم سبب عن قولهم قوله فعقروا الناقة اي التي جعلها الله لهم اية وعبر بالعقر دون النحر لشموله كل سبب للقتل لان ابن اسحق ذكر انه اجتمع لها ناس منهم فرماها احدهم بسهم وضرب اخر قوائمها بالسيف ونحرها اخر فاطلق اسم السبب على المسبب لكن قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وقوله اذ انبعث اشقاها وقوله صلى الله عليه وسلم انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه قالوا وهو قدار بن سالف جعلت له امراة من قومه ابنتها ان عقرها ففعل فكان اشقى الاولين والتقى الاخرين عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه جعلت له قطام امراة من بني عجل جميلة نفسها ان قتله فالمناسبة بينهما ان كلا منهما القى نفسه في المعصية العظمى لاجل شهوة فرجه في زواج امراة وقوله صلى الله عليه وسلم اشقى الاولين عاقر الناقة يدل على ان عاقرها رجل واحد يكون المراد به قطع القوائم بحيث جمع ارادة الحقيقة والمجاز معا وحيث افرد اراد الحقيقة فقط فالتعبير به لانه الاصل والسبب الاعظم في ذبح الابل قال البغوي قال الازهري العقر هو قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره انتهى وكان هذا اشارة الى ان المراد بالعقر في كلامه النحر ولا ريب ان اصل العقر في اللغة القطع ومادته تدور على ذلك عقر النخلة اذا قطع راسها فيبست والغرض قطعها بالسيف واكثر ما يستعمل العقر في الفساد واما النحر فيستعمل غالبا في الانتفاع بالمنحور لحما وجلدا وغيرهما فلعل التعبير به دون النحر اشارة الى انهم لم يقصدوا بنحرها الا اهلاكها عتوا على الله وعنادا وفعلا للسوء بمخالفة لنهي صالح عليه السلام ولا يشكل ذلك بما ورد من انهم اقتسموا لحمها لانه لم يمتنع بعد العقر ان يشتركوا فيها لشناعته تعريفا برضاهم ومشاركتهم فيه باكلهم وعتوا اي تجاوزوا الحد في الغلظة والتكبر عن امر اي امتثال امر ربهم اي المحسن اليهم الذي اتاهم على الشك رسولا من تركها وقالوا زيادة في العتو يا صالح ائتنا ولما نزلوا وعيده لهم حيث لم يومنوا به منزلة الوعد والبشارة قالوا بما تعدنا استخفافا منهم ومبالغة في التكذيب كانهم يقولون نحن على القطع بانك لا تقدر على ان تاتينا بشيء من ذلك وان كنت صادقا فافعل ولا توخر رفقا بنا وشفقة علينا فانا لا نتاذى بذلك بل نتلذذ به تلذذ من يلقى الوعد الحسن وحاصله التهكم منهم به والاشارة الى عدم قدرته واكد ذلك بقولهم باداة الشك ان كنت من المرسلين اي الذين سمعنا اخبارهم فيما مضى ثم سبب عن عقرهم قوله فاخذتهم الرجفة اي التي كانت عنها او منها الصيحة لخذهم وهي في الغيضة على غاية من الصغار والحقارة ولعل توحيد الدار هنا مع الرجفة في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام في قوله تعالى فاصبحوا في دارهم اي مساكنهم وجمعها في القصتين مع الصيحة في سورة هود للاشارة الى عظم الزلزلة والصيحة في الموضعين وذلك لان الزلزلة اذا كانت في شيء واحد كانت امكن فتكون في المقصود النكال اعظم والصيحة من شانها الانتشار فاذا عمت الاماكن المتنائية والديار المتباعدة فاهلكت اهلها دون فتت جماعتها وفرقت شملها كانت من القوة المفرطة والشدة البالغة

بحيث ينزعج منها كل واصفها النفوس وتجب له القلوب حاصله انه حيث عبر بالرجفة وحد الدار اشارة الى شدة العذاب بعظم الاضطراب
وحيث عبر بالصيحة جمع ايماء الى عموم الموت بشدة الصوت ولا مخالفة لان عذابهم كان بكل منهما ولعل احدهما كانت سببا للاخرى ولعل
المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا قطعها وازال الدار رجفت فرجفت القلوب وهو اقرب وخصت الاعراف بما ذكر فيها لان مقصودها
انذار المعرضين والرجفة اعظم في هذا المعنى والله اعلم جاثمين اي باركين على ركبهم لازمين اماكنهم ولم يبق منهم في تلك الاماكن
الا رجل واحد كان في الحرم فلما خرج منه اصابه ما اصاب قومه وهو ابو رغال ومسافة الحرم من ارضهم تزيد على مسيرة عشرة ايام ومن الايات
العظيمة ان الزلزال الذي خلع قلوبهم وازال دورهم لم يؤثر في صالح عليه السلام والمستضعفين معه شيئا وذلك مثل الريح التي زلزلت
الاحزاب وانالتهم اشد العذاب ورمتهم بالحجارة والتراب حتى هزمتهم وما نال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منها كبير اذى وكفها الله عن حذيفة
وكذا البرد الذي كاد ان ... زمانه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف له اخبارهم فلما اصابهم ذلك تسبب لما جنح عنه ديار السوء
والغضب واللعنة فقال تعالى دالا على انه ما تاب بذلك فتولى اي كلف نفسه الاعراض عنهم وقال اي لما ادركه من احوال البشر من الرقة على فوات
ايمانهم وهم اهله وعشيرته يا قوم اي الذين يعز علي ما يؤذيهم لقد ابلغتكم ولعله وحد قوله رسالة ربي لكون الآية واحدة
ونصحت وقصر الفعل وعداه باللام فقال لكم دلالة على اخلاصه لهم روي انه خرج عنهم في مائة وعشرين من المسلمين وهو يبكي
وكان قومه الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولما كان التقدير ففعلت معكم ما هو مقتض لان تحبوني لاجله عطف
عليه قوله ولكن لم تحبوني هكذا كان الاصل ولكنه عبر بما يفهم ان هذا كان دأبهم وخلقهم مع كل ناصح فقال لا تحبون كحالهم الماضية
الناصحين اي كل من نصح فعل فعل الناصح التام ولما اتم سبحانه ما اقتصد هذه السورة في هذه السياق من قصصهم اتبعه بعدهم من
تعرفه العرب كما فعل فيما قبل فقال ولوطا اذ قال ولما كانت رسالته الى من شتى وكانهم كانوا قبائل شتى قيل كانوا خمسة وهي المؤتفكات
وقيل كانوا اربعة لا في بين الشام والمدينة الشريفة قال لقومه وقد جوزوا ان يكون العامل به ارسلنا واذكر ولا يلزم منه تقدير ارسلنا
ان يكون ارساله في وقت تقويمه لهم بهذا القول غير سابق عليه لانه كما ان ذلك الزمن المطبق على اول القول واخره وقت له فكذلك ذلك اليوم
الذي وقع فيه هذا القول وقت له بل وذلك الشهر وتلك السنة وذلك القرن فان من شأن العرب تسمية الايام المشتركة في الفعل الواحد
قوما قالوا يوم القادسية وهو اربعة ايام ان اعتبر مباشرة القتال فقط وعدة شهور ان اعتبر بالاجتماع له وكذا يوم صفين
وقال تعالى في قصة بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الى ان قال اذ تستغيثون ربكم الى ان قال اذ يغشاكم النعاس امنة منه
اذ يوحي ربك الى الملائكة وكلها ابدال من قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين ولا ريب في ان زمان الكل لم يكن متحدا الا باعتبار
جمع الايام المتعلقة بالوقعة من سير وقتال وغير ذلك والله اعلم وعبر في قصة نوح عليه السلام بارسلنا نوحا الى قومه ثم نسق
من بعده عليه فقيل والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا والى مدين اخاهم شعيبا وعدل عن هذا الاسلوب في قصة لوط
فلم يقل والى اهل سدوم اخاهم لوطا او والى اهل سدوم لوطا او وارسلنا لوطا الى قومه ونحو ذلك كما سيأتي في قصة موسى
عليه السلام لان من اعظم المقاصد بسياق هذه القصص تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في مخالفة قومه له وعدم استجابتهم وشدة
اذاهم وانذار قومه ان يحل بهم ما حل بهذه الامم من العذاب وقصص عدا قوم لوط متشابهة لقصة قريش في الشرك بالله
والاذى لعباده المؤمنين واما قصة قوم لوط فزائدة على ذلك بامر فظيع عظيم الشناعة شديد العار والفحش فعدل عن ذلك
النسق تنبيها عليه بقوله لوطا للامر وتبشيعا له ليكون في التسلية اشد في استدعاء الحمد والشكر اتم وحيث يترجح ان يكون العامل
اذكر لا ارسلنا اي واذكر لوطا وما حصل عليه من قومه زيادة على شركهم من رسوخ فيهم هذا الامر الذي يحق تبيين للشناعة
منعا فالقصة في الحقيقة تسلية وتذكير بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال وانذارهم بسوء المآل مع ما شاركت فيه
اخواتها من الدلالة على سوء جبلة هؤلاء القوم وشرارة جوهرهم المقتضي لتفردهم عن اهل الارض بذلك الامر الفاحش

والتذييل

والتذييل على انه ابشع الشنع بعد الشرك مع ما جعل الله تعالى في كل طبع سليم من النفرة عنه اختصاصا بمشاركته للشرك في انه لم يحل في ملة
من الملل في وقت من الاوقات ولا مع وصف من الاوصاف وبقية المحرمات ليست كذلك فاما قتل النفوس فقد حل في الجهاد والقصاص
وغير ذلك والوطء في القبل لم يحرم الا بقيد كونه زنا ولولا التحكم بالوصف لحل وكل المال الاصل فيه الحل وما حرم الا بقيد كونه
بالباطل وكذا غير ذلك قال ابو حيان ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه مركوزا في العقول فحشه اتى معرفا في قوله بعد انكاره عليهم
وتقريعه وتوبيخه لهم اتأتون الفاحشة اي تفعلون السيئة المتمادية في القبح وان يكون بينكم وبينها مسافة بعيدة
او يكون ال فيه للجنس على سبيل المبالغة فانه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد الحرمة عن ذلك البعد التام بخلاف الزنا فانه
قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ولما كان غير مستبعد على صفاقة وجوههم ووقاحتهم ان يقولوا لم نكون فعلنا منكرا
مرتجا عليها ما قال ما سبقكم بها واغرق في النفي بقوله من احد وعظم ذلك بتعميمه في قوله من العالمين فقطعت عنهم شيئا
لا يكون مثل فحشه لتذكروا بانه اسوء ذكركم ان ذوي الهمم العوال والفضل والكمال يستنبطون من المحاسن والمنافع ما يبقى لهم ذكره
وينفعهم اجره وفي ذلك اعظم اشارة الى تقبيح البدع والتشنيع على فاعليها لان العقول لا تستقل الا بمعرفة المحاسن ولما ابهم
الفاحشة ليحصل التشوف الى معرفتها عينها بحيث لتفهم مصرحا لا ولا في انكاره وتوبيخه فيكون ادل على تناهي الزجر عنها فقال
انكم لتأتون الرجال اي تغشون غشيان النساء ولما ابلغ التشوف بحالا عين بقوله شهوة اي مشتهين او لاجل الشهوة
لا حامل لكم على ذلك الا الشهوة كالبهائم التي لا داعي لها من جهة العقل من دون النساء فلما لم يدع لهم بسلوكهم هذا ريبا
اوهم اقامة عذر لهم في عدم وجدان النساء او عدم كفايتهن لهم اضرب عنه بل انتم قوم مسرفون ولما كان مقصود هذه السورة
الانذار كان الاليق به الاسراف الذي هو غاية الجهل المذكور في سورة النمل تجهلون اي لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة
تدعونها بل اعتبار المجاوزة للحدود ولم يسم قوم لوط في سورة من السور كما سميت عاد وثمود وغيرهم صونا للكلام عن تسميتهم
واما قوم نوح فانهم لم يسموا لعدم تفرقهم قبائل اذ ذاك اذ كانوا اذ ذاك جميع اهل الارض ولذا عمهم الغرق والله اعلم ولما
كان كانه قيل هذا التقريع يوجب غاية الاستحياء بل الذهاب كل من سمعه منهم الى مكان لا يعرف فيه تلك الحالة فليت شعري ما كان حالهم
عنده فقيل كانوا انهم اجابوه بوقاحة عظيمة وفجور زائد على الحد فما كان جوابهم الا اذى لوط عليه السلام والرغبة في التحقق
منهم بدل شديد الانذار الذي هو مقصود السورة عطف عليه قوله وما كان جواب قومه اي المقصودين بالانذار اسرعوا اجابة
بما يكنه ضميرهم لا يشكل بالاضمار او انه لما كان ذلك في البيان الخبيث بينه ان لا اخبث من هؤلاء الذين بلغ من ذاتهم انهم عدوا الطاهرين
المتطهرين مما يصنع الشاعن ذكره فقال تعالى مشيرا الى ذلك في حكاية قولهم الا ان قالوا اخرجوهم اي لوطا عليه السلام ومن انضم اليه
من قريتكم والمراد بسياق الاستثناء في هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في رد قومه كلامه لكون ذلك في صدره خرج من انذارهم
ثم عللوا اخراجهم بقوله انهم اناس اي ضعفاء يتطهرون وكانهم قصدوا بالتفعل نسبتهم الى محبة هذا الفعل القبيح
وان تركهم له انما هو تصنع وتكليف لنفوسهم بردها عما هي مائلة اليه واقبال على الطهر في غير وجهه فاظهار ...
اليه اظهار تاء التفعل وفيه مع ذلك ضرب من السخرية وحصر جوابهم في هذا المعنى المؤدي بهذا اللفظ لا ينافي اية العنكبوت القائلة فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله الاية لان اطلاق الجواب على هذا تجوز والمعنى مما كان قولهم في جوابه الا اتيانهم بما لا يصلح جوابا
وذلك مضمون هذا القول وغيره مما لا يتعلق بالجواب او ان هذا الجواب كان نهاية في التكذيب والايذان بالامر والاغلاظ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستلزما للعذاب كانوا كانهم نطقوا به فقالوا ائتنا بعذاب الله جعل نطقهم بالسبب نطقا بالمسبب لانهم استعملوا الكل مقام
مقالا ويؤيده ان المعنى لما اتحد هنا وفي النمل حصر الجواب فيه في تعالى فما كان جوابهم بهذا القول الا هنا ولما زادهم في العنكبوت في التقريع
فقال انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر اتوه بابلغ من هذا تكذيبا واستهزاء فقالوا ائتنا بعذاب الله

الاية ولما تسبب عن عنادهم اهلاكهم وانجاؤه ومن تبعه عليه السلام بالنجاة مع كونه بينهم اهلكهم اجمعين قال فانجيناه واهله اي من اطاعه الا

امراته ولما كان كانه قيل ما لها قال كانت من الغابرين اي الباقين الذين لحقتهم العذاب الغير والتذكير اشارة الى انها اصابها

مثل عذاب الرجال سوا لم تنقص عنهم لانها كانت كافرة مثلهم ولما افهم هذا اهلاكهم بينه دالا على نوعه بقوله وامطرنا اي حجارة

الكبريت بعد ان قلعت مدائنهم ورفعت وقلبت حتى رجم بها مسافروهم وشذاذهم لانه عذاب الاستيصال ممن لم يعجزه شي واوضحه بنقض الفعل

وتعديته بحرف الاستعلاء فقال عليهم واكد كونه من السماء لا من سطح او جبل ونحوه مطرا واشار الى عظمه بزيادة اللبس صادا بما تسبب

عنه بقوله فانظر كيف كان عاقبة اي اخر امر المجرمين واظهر موضع الاضمار تعليقا للحكم بوصف القطع لما حقه الوصل ووصل ما حقه

القطع من فاحش المعصية دليلا على ان الرجم جزاء من فعل هذا الفعل بشرطه لان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما في سورة هود سياق

قصتهم من التورية بعد ان مضى في البقرة عند اذ قال له ربه اسلم او ال عمران وهذا مما سوغ الحجارة لقريش لما اجمعوا ان يرجعوا بعد توجههم

عن غزوة احد الى الطريق ليفرغوا من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على زعمهم كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد سومت

لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب ولكنه صلى الله عليه وسلم لما كان رسول رحمة لم يقض برجوعهم فمضوا حتى اسلم بعد ذلك

كثير منهم وكما امطر الله الحجارة على اصحاب الفيل سنة مولده صلى الله عليه وسلم حماية لبلده ببركته ولما انقضت هذه القصة العجيبة

في القصص اعاد النسق الاول فقال والى مدين اي ارسلنا وهي بلد وقيل قبيلة من اولاد مدين بن ابرهيم الخليل عليه السلام اخاهم

الى النسب وبينه بقوله شعيبا وهو موصوف بانه خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ثم استانف حوله على ذلك النسق قال يا قوم

دالا على النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة وبدا بالاصل المعتبر في جميع الشرائع المأثورة عن الانبياء عليهم السلام فقال اعبدوا الله

اي الذي يحق العبادة لذاته بما له من الاسماء الحسنى والصفات العلى ولما كان المراد افراده بالعبادة لانه لا يقبل الشرك لانه غني علل

ذلك بقوله ما لكم واغرق في النفي بقوله من اله غيره ثم استانف التذكير بما دل على صحة دعوته في نفسها وصدقه في دعوى الرسالة

بقوله قد جاءتكم اي على يدي بينة ولما كنا عالمين من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من الانبياء نبي

الا اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر ان هذه البينة معجزة مثلها كاف في صحة الدعوى ولم تدع ضرورة الى ذكرها لنا لم تعين ثم زادهم ترغيبا

بقوله من ربكم اي الذي لم يزل احسانه اليكم ولما كانت اتيانه بالبينات سببا للوجوب لامتثال امره قال مسببا عنه فاوفوا الكيل

اي المكيال والوزن والميزان اي ابذلوا ما تعطون بهما وافيا فالاية من الاحتباك وفي الحكي عنه هنا من اوكد قوله لهم فترك التاكيد

الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط ولما كان الامر بالوفاء يتضمن النهي عن البخس صرح به على وجه يعم غيرهم فقال ولا تبخسوا اي تنقصوا

وتفسدوا كما تفسد السبخة الناس اشياءهم اي شيئا من البخس في كيل ولا وزن ولا غيرهما والناس قال في القاموس يكون من الانس

ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز دخل عليه ال وقال ابو عبد الله القزاز الناس اصله عند البصريين اناس ثم دخلوا الالف واللام على ذلك

وحذفوا الهمزة فبقي الناس كان اصله فقال انه مشتق من نسى فكانه قيل انه الذي يصح على القلب قال الذي يونس اليهم انتهى ولعل هذا علم ان نهيه

صلى الله عليه وسلم عن نخس الجمع الذين فيهم قوة المدافعة نهي عن بخس الواحد باب الاولى لان الشرائع انما جاءت بتقوية الضعيف على حقه

ولما نهى عن الفساد بالبخس ولا تفسدوا اي توقعوا الفساد في الارض بوضع شي من حق الحق او الخلق في غير موضعه ولما نهاهم عن هذه

الرذايل ذكر بنعمة الله تاكيدا للنهي بما في ذلك من التخويف حثا على التخلق بوصف السيد فقال بعد اصلاحها اي اصلاح الله لها

بنعمة الايجاد الاول للخليقة وخلق منافعها التي فيها على هذا النظام البديع المحكم ثم بنعمة الابقاء الاول بانزال الكتب وارسال الرسل ونصب الشرايع

التي بها يحصل النفع وتتم النعمة باصلاح امر المعاش والمعاد بتعظيم امر الله والشفقة على خلق الله وجمع ذلك كله الاشارة ولما

تقدم اليهم بالامر والنهي اشار الى عظمة ما تضمنه ذلك حثا لهم على امتثاله فقال ذلكم اي الامر العظيم العالي الرتبة ما ذكر في هذه القصة

خير لكم ولما كان الكافر ناقص المدارك كامل المهالك اشار الى ذلك بقوله ان كنتم مومنين اي فلا تفسدوا وفانتم تعرفون صحة

ما قلته

ما قلته واذا عرفتم صحة ما قلته عملتم به واذا عملتم به افلحتم كل الفلاح ويجوز وهو احسن ان يكون التقدير فهو خير لكم لان المومن يثاب على فعل البنانة

له على اساس الايمان والكافر اعماله خاسرة فلا يكون فعله لهذه الاشياء خير له منجية استحقاق الاخرة لانه لا ثواب له ولما كان التعميم بعد التخصيص

والتفصيل بعد الاجمال له الموقع في النفوس ما لا يخفى وكان النهي عن الافساد بالصد عن سبيل الله هو الحق بالذات لانه نهي عن كل فساد خصه بالذكر

اشارة الى انه زبدة المراد بعد التعميم فقال ولا تقعدوا اي تفعلوا فعل المترصد المقبل بكليته بكل صراط اي طريق من طرق الدنيا

والدين من الحلال والحرام والاوامر والنواهي والمحكم والمتشابه والامثال توعدون اي تتهددون من سلكه بكل شر ان لم يوافقكم على

ما تريدونه ولما كان طريق الدين اهم خصه بالذكر فقال وتصدون اي توقعون الصد على سبيل الاستمرار عن سبيل الله اي طريق من له الكمال

كله ولما ذكر المصدود عنه ذكر المصدود فقال من امن به اي بالله فسلك سبيله التي لا اقوم منها ولما كانوا لا يقتنعون بطلق الصد

بالتهديد ونحوه بل يريدون للمصدود شبها توهمه انه على ضلال عطفا وتبغونها عوجا اي وتطلبون السبيل حال كونها ذات عوج

اي تطلبون لها عوجا بالقاء الشبهات والشكوك كما تقول اريد فلانا ملكا اي اريد ملكه وقد تقدم في ال عمران ان نصبه على الحال ابلغ وان قوله

صلى الله عليه وسلم في الصحيح ابغني احجارا استنفض بها يرجح نصبه على المفعولية والله اعلم ولما كان افعالهم نقص الناس من اموالهم بالبخس واما

في الايمان والنصرة بالصد ذكرهم ان الله تعالى فعل معهم ضد ذلك التكثير بعد القلة في سنا منذ زمان جنسا يعمرونه عجلة الارض وحصونهم فضلا عن

تقليلهم ونقصهم فقال عاطفا على قوله اعبدوا الله وما بعده من الاوامر والنواهي واذكروا اذ اي حين كنتم قليلا اي في العدد والمدد

فكثركم اي كثر عددكم واموالكم وكل شي ينسب اليكم فلا تقابلوا النعمة بضدها فان ذكر النعمة مرغب في الشكر ولما رغبهم بالتذكير

بالنعمة حذرهم بالتذكير بالنقمة فقال وانظروا كيف كان عاقبة اي اخر امر المفسدين اي في عموم الاهلاك وبانواع العذاب

لتحذروا من ان يصيبكم مثل ما اصابهم كما صرح به في سورة هود لكون الحال هناك مقتضيا للبسط كما سيأتي ان شاء الله تعالى ولما حذرهم

وخامة الفساد الذي نهاهم عنه وعلق انتهاهم عنه بوصف الايمان رجع الى تقسيم ما شرط به لانتهاء على الحقيقة فقال وان كان طائفة منكم

اي جماعة فيهم كثرة بحيث يتحلقون بمن يريدون امنوا بالذي ارسلت به وبناه للمفعول اشارة الى ان الفاعل معروف بما تقدم من السياق وانه صار

بحيث لا يتطرق اليه شك لما نصب من الدلالة وطائفة اي منكم لم يؤمنوا اي بالذي ارسلني به من ابرحكم ما علمتم من البينات وحذرهم سطوته

بقوله فاصبروا اي ايها الفريقان حتى يحكم الله اي الذي له جميع العظمة بيننا اي بين فريقينا بالغرق للمصلح واهلاك المفسد

كما اجرى بذلك عادته وهو اي والحال انه خير الحاكمين لانه يفصل النزاع على اتم وجه واحكمه ولما انتهى كلامه عليه السلام

على هذا الوجه البديع احب ان يجابا انهم فوقه لم يجدوا عن جوابه اصلا لانهم انتقلوا الى الدفاع بالفعل وهو امارة الانقطاع فقال

مستانفا قال الملأ اي الاشراف الذين استكبروا اي اوجدوا الكبر ايجاد من هو طالب له بغاية الرغبة وخصهم ليحصل تمام التسلية

بقوله من قومه لنخرجنك وبين غلظتهم وجفاءهم بقوله يا شعيب من غير استعطاف ولا اجلال والذين امنوا ويجوز ان يتعلق قوله

معك بامنوا وبنخرج من قريتنا اي من المحل الجامع لنا لمفارقتكم ايانا او لتعودن اي الا ان تعودوا الى الكون الحالمين لها

الى الخراج واما العود في ملتنا اي بالسكوت عنا كما كنتم ولم تردوا منه العود الى الكفر لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا قبل النبوة كاخوانه

من الانبياء بل كانوا يعدون سكوته عليه السلام قبل ارساله اليهم عن عيبهم وسب الهتهم وعيب دينهم كونا في ملتهم ومن اوهم الاية رجوعه عليه

السلام الى الحالة الحالية والقناعة ممن تعبد بذلك فيكون مرادهم بالعود حقيقته في الجميع ولما كان كل من الاخراج والرد مستفظعا اخبر

تعالى انه انكره بقوله قال او لو اي انخرجوننا او تعيدوننا لو كنا راضين بالاخراج والعود ولو كنا كارهين ولما كان العرب

ابعد الناس عن مطلق الكذب واشدهم له تحاميا ومنه نفرة فكيف بالكذب على الاكابر فكيف بالكذب على الملوك فكيف به على ملك

الملوك علق الكذب على الله تعالى بالعود الى ملتهم بقوله مستانفا الاخبار لمن تشوف الى علم ما كان منه بعد هذا الكلام اللين وتوقع

غيرهم قد افترينا اي تعمدنا الان بما نقوله لكم من ان الله حرم الكفر والاقرار عليه على الله اي الذي له جميع العظمة كذبا ويجوز

ان يكون تنوينه للتعظيم ويجوز ان يكون للتحقير ولكل وجه يدعو اليه المقام لينجحي ان عدنا اى عشنا من الدهر في ملتكم اى بسكوتنا او بسكوتي وكفر من كان من يتبعني كافرا بعد اذ نجانا الله اى الملك الاعلى خارقا للعادة بما كنا مجبرين بالانغماس في متابعة للاباء والاجداد والخبرة بما له من القدرة والعظمة منها اى ان فعلنا ذلك بعد ان ركبنا اقبح القبائح على بصيرة منا بذلك فهو تعليق على محال عادة وهو وادي قول الاشتر النخعي ● بقيت وفرى وانحرفت عن العلى ● ولقيت اضيافي بوجه عبوس ● ان لم اشن على ابن هند غارة ● لم تخل يوما من نهاب نفوس ● غير ان المعلق في البيت تقديري وفي الاية تحقيقي لانهم اخبروهم ان الشرك نهي عن الكفر وامرهم بانذار كل كافر فمتى تركوا ذلك لزمهم الكذب حتما وما يكون لنا اى ما يصح وما ينبغي ان نعود فيها اى ملتكم ولما كان لله سبحانه ان يفعل ما يشاء لا واجب عليه ولا قبيح منه اشار الى ذلك بقوله الا ان يشاء الله فذكر اسم الذات اشارة الى ان له جميع الحمد لذاته ثم ذكر صفة الاحسان عينا في انه يراد بهم الهوان فقال ربنا اى خرق العادة فلو ذلك نعوذ بالله من باب التذكر للمخاوف والاشراف على المحاسن العواقب للعبد في التضرع الى الله تعالى والالتجاء اليه والاستعاذة من مكره ولذلك اتى باسم الجلالة الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى وصفة الربوبية الملتمس بذكرها فعل ما يفعل المربي المشفق فكانه قال ان عودنا الى ملتكم غير ممكن عادة ومحال العادة لا يقدر عليه الا بقدرة الله بل ولا توجه لهم اليه والله تعالى اكرم من ان يعيدنا فيها وهب لنا من هذا الامر الجليل وينزع عنا هذا اللباس الجميل وهو صريح في ان الكفر يكون بمشيئته سبحانه بل ولا يكون الا بمشيئته وقوله وسع ربنا اى المحسن الينا كل شيء علما زيادة في خشية اهل الالتجاء والتبري من الحول والقوة اى انه عالم لما يحل من الاعمال والعلم لله فهو التام العلم الكامل القدرة فهذه الجملة كالتعليل للتعليق بالمشيئة قطعا لما عساه ان يحدث من طمع المخاطبين في عودهم كانه قيل وانما علقنا العود بالمشيئة لنقص علومنا فربما كان في سعة علمه قسم ثالث وهو ان يكون في القرية على ديننا وتكونون انتم اولا او توافقونا على ما نحن عليه وهكذا ينبغي للمربوب ولا ينبغي الجزم بامر مستقبل الا لله ربنا الاحاطة علمه والاية تدل على انه كان في الازل عالما بكل شيء في الكليات والجزئيات لان كل ما ضيع وقد تقدم في الانعام ان قول الخليل عليه السلام وهذه واية الكهف من نحو واحد والله اعلم ولما كان المراد من هذا ما ذكر كان من عجب القلوب مقلقا للنفوس من جنونا الخواطر مزلزلا للافكار سالما من هذه الاخطار المشفية على غاية الخسار كان المؤمنين قالوا ما العمل واين المفر فقال على الله اى الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه وحده لا على غيره توكلنا اى فوضنا جميع امورنا اليه وهو اكرم من ان يختار لنا غير الرشد وقد تبرأنا من حولنا وقوتنا واعتصمنا بحوله وقوته وجعلنا جميع امورنا كلها محمولة على قدرته كما يحمل الوكيل امر موكله عنه ويريحه من همه وقلقه منه ولما جرت العادة بان الموكل يخبر الوكيل بما يريد ليفعله اتبع ذلك الدعاء بالحكم بما يقتضيه ظاهر الحال من نصر المحق وخذل المبطل فقال ربنا اى ايها المحسن الينا افتح اى احكم بيننا ولما كان يريد استعطافهم لاسعادهم قال وبين قومنا وفيه اشارة الحميد الى الدعاء بهدايتهم وادب بعدم التصريح بما لم يؤذن له فيه بالحق اى بالامر الفيصل من معاملة كل من المحق والمبطل بما يستحقه شرعا وعرفا بحيث يكون لكل فريق باب يصل به الى غاية امره وهذا مقام الانصاف فقد تعلم منه اشارة قوله العنا بقومه ومن عبارته الانصاف من نفسه ولو اراد ترجيح نفسه متعديه لدعا لهم ان يعاملوا بالفصل وان يعامل ضدهم بالعدل لان الاية معلمة بان له تعالى ان يفعل ما يريد من خذلان الظالم ونصر المظلوم وتعذيب العاصي واثابة الطائع وعكس ذلك لا يسئل عما يفعل لانه التام الملك العظيم الملك الشامل القدرة الحكيم الخبير ويجوز ان يكون المراد لا نعود الى ما كنا عليه من السكوت عن دعائكم الى الله ونهيكم عن افعال الضلال لان امرنا بانذاركم الا ان يشاء الله سكوتنا بامر يحدثه الينا في ذلك لمصلحة اقتضاها علمه وقصرت عنها علومنا فاذا اراد ذلك وامرنا به فعلنا فله الخلق والامر ولما اشار الى الدعاء لقومه اشار بالعطف على غير معطوف عليه ظاهر الى ان التقدير فانت خير الراحمين وانت خير الفاتحين اى على من سد عليه الابواب فلم يجد مخلصا ولما انقضى جواب الفصل المبني على بطلان الفضل واظهار العدل ذكر نتيجة قولهم بعد عاطفا له على ما مضى من قولهم او على قوله وقال الملأ الذين وكان الاصل ان يقال وقالوا ولكنه اظهر الوصف بالكفر اشارة الى انه الذي حملهم على نتيجة الاستكبار وهي الكفر ثم لم يرضوا حتى اضافوا اليه تكفير غيرهم فقال وقال الملأ اى الاكابر الذين يملؤن العيون مرائي والقلوب مهابة لجلالهم

التكبر

التكبر على انهم كفروا ولما كان من المستبعد ان تكون اقاربه يتنكبون عما اتاهم به من الخير لحسد او اتهام او غيرهما فكان ربما ظن ان هؤلاء الذين يعاملونه بهذه الغلظة اجانب عنه قال من قومه بيانا لان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه البغيض البعيد ويمنعه الحبيب القريب ووطأوا للقسم بقولهم لئن اتبعتم اى ايها الاتباع ممن لم يؤمن بعد شعيبا اى وتركتم ما انتم عليه مما ورثتموه عن اباءكم واجاب القسم بما اغنى عن جواب الشرط بقوله انكم اذا اى وقت اتباعه لخاسرون اى لانكم استبدلتم بدين الاباء غيره وحرمتم فوائد البخس والتطفيف وقطع السبل ولما كمل انهم بالضلال لعالى الاضلال استحقوا الاخذ فقال فاخذتهم اى فتسبب عن قولهم هذه وافعالهم انه اخذتهم الرجفة اى الزلزلة العظيمة في القلوب والديار التي كانت سببا للصيحة او مسببة عنها فاصبحوا في دارهم اى مساكنهم وتقدم سر توحيدها جاثمين اى باركين على الركب او لازمين امكنتهم لا حراك بهم وهذا دون ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الملائكة بحنين فكان الكفار يسمعون في اجوافهم مثل وقع الحصاة في الطست وهو دون ما كان بتحالفه من الرعب منهم مسيرة شهر من ورائه وشهر من امامه ولكونه كان نبي الرحمة ما اقتضى ذلك الهلاك بل النجاة ولما اخبر سبحانه بهلاكهم وما بين من اقوالهم وافعالهم وكان التلخيص من العظمة في القلوب بتصوير الشخص للاذهان ما لا يخفى لخص من ذلك ذاكرا انه حل بهم بالخصوص ما نسبوا الى المؤمنين من الخسارة فقال الذين كذبوا شعيبا اى نسبوه الى الكذب فيما قاله هنا وابديناه فيه بالبينات كان اى هم المخصوصون بالهلاك حتى كانهم لم يغنوا اى يمكثوا ويقيموا وبطل مقامهم لاهين بالافراح والغنى والاغتناء في المغاني وهي المنازل والاغتناء فيها اى الدار بسبب تكذيبهم ولما كان تكذيب الصادقين لاسيما الرسل في غاية الشناعة كرره اشارة الى ذلك واعلاما بانه سبب لهم اعظم من هلاك الاشباح ضد ما سبب التصديق للمؤمنين فقال الذين كذبوا شعيبا فكان تكذيبهم سببا لهلاكهم كانوا اى بسبب التكذيب ايضا هم اى خاصة الخاسرين اى خسروا ارواحهم كما خسروا اشباحهم فهم لما سوى ذلك اخسر واما الذين اتبعوه فما نالهم شيء من الخسارة وفي هذا الاستئناف والابتداء والتكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لارائهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم ولما صارت تلك الدار محل الغضب سبب ذلك ان هاجر عنها كما كانت عادة من قبله من الانبياء عليهم السلام فقال فتولى عنهم اى بعد نزول العذاب او قبله عند رؤيته مخايله ذاهبا الى مكان غيرهم يعبد ربه فيه وقال متأسفا على ما فاته من هدايتهم يا قوم اى عشيرتي واقرب الناس الي لقد ابلغتكم ولعله جمع لاجل كثرة ما اتاهم به من المعجزات فقال رسالات ربي اى المحسن الي بانجائي ومن تبعني من عذابكم لتوفيقه لنا الى ما يرضيه ونصحت اى واوقعت النصح لكم اى خاصة ولما كان هذا مفهما لما هو طبع البشر من الكف على اهله وعشيرته سبب عنه منكرا على نفسه قوله فكيف اسى اى احزن حزنا شديدا على قوم كافرين اى غريقين في الكفر فعرف انه اسف عليهم من اجل قربهم وفوات الايمان لهم غير اسف عليهم من اجل كفرهم وتخصيص ذكر هذه القصص الخمس على هذا الترتيب في كثير من سور القرآن دون قصة ابراهيم وهو اعظمهم لانتظامهم في انهم اقر الله اعينهم باهلاك مصارع مخالفيهم واما ابراهيم عليه السلام فانه وقع النص في قوله اني ذاهب الى ربي سيهدين بانه خرج من بين قومه قبل عذابهم ولم يسلك بهم سبيلهم في اقرار عينه باهلاك من كذبه بحضرته وهو افضلهم لان الكائن في قصته اعظم في الافضلية وهو طبق ما اتفق لولده افضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانظر الى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم تعرف ما في هذا المقام من الاكرام وان الامر كما قيل لعين تجازى الف عين وتكرم ولما قدم سبحانه اجمال الانذار بما اشتركت فيه الامم من الاهلاك بقوله تعالى وكم من قرية اهلكناها الاية ثم اتبعه بعد تقدم ما يحتاج اليه على النظم الذي سبق السبيل عليه تفصيل ما انفردت به كل امة من العذاب والحادث على سبيل الصواب اتبع ذلك اجمالا اخر ابسط من الاول على نمط غريب دال على عادته المستمرة وسنته المستقرة في شرح هؤلاء الامم الذين ذكرهم وغيرهم لئلا يظن ان غيرهم كان حاله غير حالهم فبين ان الكل على نهج واحد وان السبب في استيصالهم واحد وهو التكذيب والاستكبار على الحق ليكون الاجمال كالضوابط والقواعد الكلية لتنطبق على الجزئيات فيفيد ذلك الاستبصار بما يكون من نافع او ضار وعدم الاغترار بامهال المستدرجين الاشرار متكفلا بالتسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم والتأسية متقدما على قصة موسى وهرون عليهما السلام لطولها وتمهيدا بما في ذلك من صادع الانذار بقوله تعالى وما اى ارسلنا فلانا

فكان كذا وفلان فكان كذا وما ارسلنا اى بما لنا من العظمة في قرية اى من قرى اولئك وغيرهم من نبي اى من الانبياء الذين نقصنا قصصهم
الا كان ما نخبر من ترهيبهم من سطواتنا وهو انا اخذنا اى بعظمتنا اهلها اى اخذ قهر وسطوة لاجل تكبرهم عن الحق بالباساء
اى قهر الرجال والضراء اى المرض والفقر لعلهم يتضرعون اى ليكون حالهم عند المساة حال من يرجى تضرعه وتذلله وتخضعه لمن له
يكشف عنه ذلك غيره ولو كان التضرع في ادنى المراتب على ما اشار اليه الادغام لان ذلك كاف في الانقاذ من عذاب الانذار الذي هذه سورته
بخلاف ما مضى في الانعام ولما لم يتضرعوا صادقين من قلوبهم معترفين بالحق لاهله كما يجب لمن يستدرجهم بادرار النعم فقال مشيرا الى طول مدة
الابتلاء او الاستبعاد لهم لكشف ذلك البلاء ثم بدلنا ومظهر العظمة يويد الاحتمال الثاني مكان اى جعلنا بدل السيئة اى النقمة
الحسنة اى النعمة وبين انه مد النعمة بقوله حتى عفوا اى كثروا وكثرت نعمهم فلم يشكروا وقالوا مسندين الامر الى غير اهله
قد مس اباءنا الضراء والسراء اى الشدة والرخاء والنقمة والنعمة معتقدين ان هذه عادة الدهر لا فعل الفاعل المختار ولما لم يعتبروا
ويعلموا ان ذلك ممن يحب ان يعول عليه ولا يغفل عن جنابه وظنوا ان ذلك داب الدهر وفعل الزمان واستمروا على فسادهم في حال الشدة
والرخاء سبب عنه قوله فاخذناهم اى بعظمتنا اشد الاخذ وقطعهم في الظاهر والباطن بغتة اى فجاة حتى لا ينفعهم التوبة و
اكد معنى البغت تحقيقا لامره بقوله وهم لا يشعرون فحق من سمع هذا ان يبادر الى الرجوع عن كل مخالفة هو فيها خوفا من الاخذ بغتة
ولما بين ما تحقق لهم بسبب اهانة الاخذ بغتة بين ما كان ضد ذلك لهم بسبب اتيان البركات لو وقع بقوله ولو ان اهل القرى اى هذه التي
قصصنا اخبارها امنوا اى بما اتتهم به رسلهم واتقوا اى خافوا امر الله وجعلوا بينهم وبين سخطه وقاية من طاعته كما ثبتوا
على ايمانهم لفتحنا عليهم بركات اى خيرات ثابتة لا يقدر احد على ازالتها من السماء اى بالمطر الذي يكون كافواه القرب وما شابهه
والارض بالنبت الغليظ وما قاربه وقراءة ابن عامر بالتشديد يدل على كثرة تلك البركات واصل البركة المواظبة على الخير ولما كان الكلام
بما تضمنته لو في قوة انهم لم يؤمنوا عبر بقوله ولكن كذبوا اى كان التكذيب دينهم وشانهم فلذلك لم يصدقوا رسلنا في شيء ولما كان التكذيب
موضع الجلافة والجمود الذي هو سبب لعدم النظر في الدليل سبب عنه العذاب فقال فاخذناهم اى بما لنا من العظمة بما اى بسبب ما كانوا
يكسبون اى بجبلاتهم الخبيثة من الاعمال المكتسبة لها ولما كانوا قد ضلوا ضلالا بعيدا في غلظهم في جعلهم السراء والضراء سببا للرضى
من كبر الله كان من نكر الاعلم عليهم انهم عاطفا له على كذبوا لانه سبب الغلظ وهو سبب الامن فقال افامن اهل القرى اى كذبوا لما لهم انعامنا
الرهبة بالمضار والرغبة بالمسار فامنوا ان ياتيهم باسنا اى الذي بما لنا من العظمة التي لا يدانيها الاحساس بياتا اى ليلا وهم قد
اخذوا الى الراحة في بيوتهم ولما كان النوم شيئا واحدا يعم الحواس فيقتضي الاستقرار عبر بالاسم الدال على الثبات فقال وهم نائمون
اى في غاية الغفلة عنه ولما كان ربما قال الجاهل لو جاءهم وهم ايقاظ لامكن ان يدافعوا قال اوامن اهل القرى اى مجتمعين او متفرقين
فانه لا فرق عندنا في ذلك ان ياتيهم باسنا ضحى في وقت راحتهم واجتماع قواهم ونشاطهم ولما كانت اليقظة موجبة للحركة عبر
بالمضارع في قوله وهم يلعبون اى يجددون لعبهم شيئا فشيئا في ذلك الوقت وفيه تقريع لهم بنسبتهم الى انهم صبيان العقول لا التفات
لهم الى غير اللعب ولما كان ضلالهم الزهو نسبوا فيه الامر الى غير اهله الشنيع ضلال التضمن التعطيل وما يجر اليه من الاباطيل كرر الانكار عليهم على
وجه اشد من الاول فقال مسببا الانكار عما اثبت هذا الانكار كلام من العظمة التي لا يتمارى فيها ذو لب افامنوا مكر الله اى فعله
في الجبر بالاخذ الانسان من حيث لا يشعر به باستدراجهم بما يريدهم من النعم والنقم وسبب عن ذلك قوله فلا يامن مكر الله اى الذي لا اعظم منه
فلا يرد له امر الا القوم الخاسرون اى الذين كانت عقولهم سببا لعراقتهم في الافعال الضارة والخصال المهلكة ولما بان بما مضى حال
الكفار مجملا ومفصلا وكان المقصود من ذلك غيره من السامعين وكان اخذهم بالباساء والضراء مع ابقاء مهجهم وحفظ ارواحهم و
افهامهم بعد اهلاك من قبلهم في بعض الحقهم من ذلك وايلاتهم لا رضى بحالهم حالا يكونون عليها في حين من يرجى منه الخوف المقتضي
للتضرع والعلم قطعا بان الفاعل لذلك هو الله وانه لو شاء اهلكهم بالذنوب او طبع على افهامهم بحيث يصيرون كالبهائم لا يسمعون

الادعاء ونداء فضلا عن سماعهم حيث لا فهم كالسماع فجعلوا ذلك سببا للامن انكر عليهم ذلك بقوله افامن الختم انكر عليهم عدم الاستدلال
على القدرة فقال عاطفا على افامن اولم يهد اى يبين اخذنا للامم الماضية بالباساء والضراء وغيرهما لا اكبر اذا لم يتعظوا للذين
يرثون الارض واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واشار الى بلادتهم لعدم البحث عن الاخبار ليعلموا منها ما يضر وما
ينفع فلم يكونوا كالبهائم فانهم لو تاملوا احوالهم واحوال من ورثوا ارضهم واحوال الارض لكفاهم ذلك في الهداية الى سواء السبيل ولما
كان ارثهم غير مستغرق للزمان الى الجار فقال من بعد اهلها ثم ذكر مفعول يهد بقوله ان اى انا لو نشاء اى اتى وقت اردنا اصبناهم
بذنوبهم اى اصابة تمحقهم بها كما فعلنا بمن ورثوا ارضهم ولما كان هذا تخويفا للموجودين بعد المهلكين ومنهم قريش وسائر العرب الذين
يخاطبون بهذا القران وكان المخوف به لم يقع بعد عطف على اصبنا ونطبع على قلوبهم اى بازالة عقولهم حتى يكونوا كالبهائم ولذلك سبب
عنه قوله فهم لا يسمعون اى سماع فهم وعبر عن الاصابة بالماضي اشارة الى سرعة الاهلاك لو حكم كونه شيئا واحدا غير متجزئ وعن الطبع
بالمضارع ايماء الى التجدد حيث لا يبرز من الاكانوا فيه في طبع جديد ولما انقضى ذلك على هذا الوجه الاعظم والنظم الابلغ الاحكم وكانت
هذه القرى بحيث تعرفها العرب وتسير في مساكنها اشار اليهم حثا على الاعتبار بهم ولما كان اهلها جديرين بالبعد عنهم والهرب منهم عبر عنهم باداة البعد
فقال تلك القرى اى بحال القبائل الخمس ويجوز ان تكون البعد لعظمة ما حصل لاهلها من العذاب وبين بقوله مبينا لحالها نقص عليك
ولما كان العاقل من يكفيه ادنى شيء من هول الامر بان اخبارها تفوق الحصر وان ما قص منها يكفي المعتبر فقال من انبائها اى اخبارها العظيمة الهائلة
المطابقة للواقع شيئا بعد شيء كما يفعل من يتبع الاثر وان الضمير في رؤية القرى انفسها مخبرا في معرفة اخبار اهلها ولما كان المقام مقام
العجب من التكذيب بعد ذلك البيان كان ربما تخيل متخيل انهم لم يؤتوا بالبيان الشافي فشهد الله تعالى للرسل عليهم السلام تصديقا لمن اعرض منهم فجاء بكم
بينة بقوله ولقد اى والحال انه قد جاءتهم اى اهل القرى لانهم المقصودون بالذات رسلهم اى الذين ارسلناهم اليهم بالبينات فما اى
فلم يتسبب عن ذلك السبب طبعنا على قلوبهم الا انهم ما كانوا مرتقين ليؤمنوا اى عند مجيئها وقد اكدنا فاقتحالهم الايمان والكون اتم
تاكيد بما اى بالذي كذبوا اى به وحدنا ادل على الرسوخ في مطلق التكذيب واوفق لمقصود السورة ولما كان تكذيبهم غير مستغرق للزمان
اثبت الجار فقال من قبل اى قبل مجيء الرسل اليهم وبتكذيبهم الواقع منهم للرسل فيما اتوا به عن الله من قبل الاخذ بغتة او من قبل مجيء الرسل
بالايات فانهم لو لما جاؤهم فاجاوهم بالتكذيب مجوزا وعلى تكذيب الحق من غير نظر في دليل بالطبع على قلوبهم فاتتهم بالمعجزات فاصروا على
ذلك التكذيب ووقفوا لذلك الطبع مع مطولهم ومنعتهم شجاعتهم وشدة شكائمهم عن الايمان لئلا يقال انهم ضعفوا اولا فيما وقع منهم
من التكذيب فكانوا فيه على غير بصيرة او انهم خافوا ثانيا ما قرعتهم به الرسل من الوعيد فدخلوا جبنا فيما يعلمون بطلانه فكانت بين هذا
لهم طبعا على قلوبهم فكانهم قيل ان هذا العجب فهل يقع في مثل ذلك احد فقيل نعم مثل ما طبعنا على قلوبهم حتى صاروا مع الفهم لا
تنتفع فكانها لا تفهم فكانها لا تسمع كذلك يطبع الله اى الجامع لصفات الكبر ونعوت الجلال ابدا بما يجعل مني الرين بما له من العظمة على
قلوب الكافرين اى كل من يغطي ما اعطاه الله من نور العقل مما تدعوه اليه نفسه من الهوى عن نقل في لا تفتح بذلك فيترك ايات الله
ولما كان نقض العهد افظع شيء وكان مما تعير به العرب قال عاطفا على فما كانوا وما وجدنا اى في عالم الشهادة لاكثرهم اى الناس وكد
الاستغراق فقال من عهد طبق ما كان عندنا في عالم الغيب وهذا ما اشارة الى الميثاق يوم الست بربكم ان كان ذلك على حقيقته او
الى ما يفعلونه حال الشدائد من الاقلاع عن الشكر والمعاهدة على الشكر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين او الى اقامة الحجج بافاضة العقول
ونصب الادلة فصار بنصبها وايضاحها للعقول كانه اخذ العهد على من عقل انه يدل الجهد في التامل ولا يتجاوز ما ابداه له صحيح النظر وان
اى وانا وجدنا اى علمنا في عالم الشهادة اكثرهم لفاسقين اى خارجين عن دائرة العهد مارقين مما اوقعهم عند الحج بعقبى في ذلك
طبق ما كنا نعلمه منهم في عالم الغيب وما ابرزناه في عالم الشهادة الا لنقيم عليهم به الحجة على ما يتعارفونه بينهم في مجاري عاداتهم ومدارك
عقولهم ولما انقضى بيان هذا الاجمال الخالع للقلوب الرجال الباعث لكشف عما كان بعد قصة شعيب من قصة صهره موسى عليه السلام

مع فرعون وقومه وهي كالدليل على آيات الإجمال كما كانت القصص الماضية كالدليل على ما في أول السورة من الإجمال فأتى بقصة فرعون مشتملة
على الأخذ بالبأساء والضراء ثم الإنعام بالرخاء والسراء ثم الأخذ بغتة بسبب شدة الوقوف مع الضلال بعد كشف الشافي والتبيين لما على
قلوبهم من الطبع وما قادت إليه الحظوظ من الفسق وكان فصلها عن القصص الماضية تنويها بذكرها وتنبيها على علو قدرها لأن معجزات
صاحبها أعظم من معجزات من كان قبله وجهل من عالجهم كان أعظم وأفحش من جهل أولئك الأمم ولذلك عطفها بأداة البعد مع قرب زمنها من التي
قبلها إشارة إلى بعد رتبتها بما فيها من العجائب ومما اشتملت عليه من الرغائب والغرائب لذلك مد لها الميدان وأطلق في سياقها للجواد العنان فقال
ثم بعثنا أي على عظمتنا من بعدهم أي الرسل المذكورين والأمم المهلكين موسى بآياتنا أي التي يحق لها العظمة بإضافتها إلينا فثبتت
بها النبوة إلى فرعون هو علم جنس لملوك مصر ككسرى لملوك فارس وقيصر لملوك الروم وكان اسم فرعون موسى عليه السلام قابوس وقيل الوليد
ابن مصعب بن الريان وملائه أي عظماء قومه وخصهم لأنهم إذا أذعنوا أذعن من دونهم فكأنهم المقصودون والإرسال إليهم إرسال إلى الكل ولما
سببت لهم الظلم قال فظلموا أي وقعوا في مثل الظلام حتى وضعوا الأشياء في غير مواضعها فوضعوا الإنكار موضع الإقرار بها أي
بسببها خوفا على رياستهم وملكتهم الفانية أن تخرج من أيديهم ولما كان ذلك من أعجب العجب وهو أنه بعد أن يكون سبب الظلم وكان هذا
الظلم أعظم الفساد سببه عنه قوله معجبا فانظر أي بعين البصيرة كيف كان عاقبة أي آخر أمر المفسدين فالختم في هذه الآية على ما كان
جميع قصتهم على طولها وقدم ذكر الآيات اهتماما بها ولأنها الدليل على صحة دعوى البعث ولما كان التقدير عطفا على فظلموا بها و
وضعها موسى مواضعها عبر عنه بقوله وقال موسى يا فرعون خاطبه بما يعجبه امتثالا لأمره تعالى أن يلين في خطابه وذلك أن فرعون لقب
مدح لمن ملك مصر ولما أتاهم عليه السلام وهم عارفون بأمانته وصدقه وعظم مكانته ومكارم أخلاقه وشريف عنصره وعظيم محتده
وفرعون أعظم معرفة به لأنه ربي في حجره كان هذا حاله مقتضيا لأن يلقي إليهم الكلام غير مؤكد لكن لما كان ما أتى به من عند الله أمرا عظيما
جدا وكان المقصود به تخلية سبيل بني إسرائيل وكان فرعون ضنينا بذلك أكده بعض التأكيد فقال إني رسول ثم بين من أرسله بقوله
من رب العالمين أي المحسن إليهم أجمعين وأنتم منهم بإيجادهم وتربيتهم فهو تنبيه لمن يجعله على أن فرعون مربوب مثلهم ولما
خلعهم بهذا مما يدعيه من الربوبية دالا على الشركة ببقية العالمين ناطقهم وصامتهم فكان ذلك بعيدا عن الإذعان لهذا الكلام أتبعه قوله
على وجه التأكيد مستأنفا بيانا لما يلزم المرسل حقيق أي بالغ في الحقية وهي الثبات الذي لا يمكن زواله على أن لا أقول على الله أي الذي
له جميع الكمال ولا عظمة لسواه ولا جلال إلا الحق أي الثابت الذي لا تمكن المماراة فيه أصلا لما يصدقه من المعجزات وحاصل العبارة
ومآلها حق على قولي الذي أطلقه على الله أن لا يكون إلا الحق أي غير الحق ولذلك عبر بالاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات وقراءة نافع بتشديد
ياء الإضافة في على بمعنى هذا سواء لأن من حق عليه شيء حق هو على ذلك الكلام ولما كان الحال إذ ذاك يقتضي توقع إقامة موسى عليه السلام البينة
على صحة رسالته كان كأنه قيل ما دليل صدقك فقال مفتتحا بحرف التوقع والتحقيق قد جئتكم أي كلكم لا أخص أحدا منكم ببينة دليلا
عظيما التي وقتي لي الحق من ربكم أي المحسن إليكم بكل نعمة ترونها لديكم من خلقكم ورزقكم وكف الأمم عن انتزاع هذا الملك منكم وإهلاككم
وتلك البينة هي المعجزة فكرر البيان في هذا الكلام على أن فرعون ليس كما يدعي لأنه مربوب لا فرق بينه وبين بقية العالمين في ذلك ولما
كان من المعلوم أن مثله في تمام عقله وشرف خلائقه لا يدعي في تلك المجامع إلا حقا مع ما نبه عليه من البيان على تفرد الله بالإلهية كما تفرد
بالإحسان كان كأنه أظهر البينة التي أقلها أن كفهم عن إهلاكه فأتبع ذلك طلب النتيجة إعلاما بغاية ما يريد منهم بقوله مسببا عن مجرد هذا الإخبار
الذي كأنه قد أوقع مضمونه فأرسل أي يا فرعون معي بني إسرائيل أي فتسبب عن إعلامي الدليل على صحة ما قلته أن أمرتك أن ترسلهم وهو
رد لهم عمن صار له سلطان بإقامة الدليل البينة ليذهب كلهم إلى البيت المقدس موطن الآباء التي أقسم الله لهم أن يورثها أبناءهم وفي
جعل ذلك نتيجة الإرسال إليه تنبيه على أن رسالته مقصورة على قومه فكأنه قيل فماذا قال فرعون في جواب هذا الأمر الواضح فقيل قال
معرضا عنه معيا له خوفا من غائلته عنه يعرف موسى عليه السلام حق المعرفة معبرا بأداة الشك إبقاء لهم إن كنت جئت بآية

أي علامة

أي علامة على صحة رسالتك فأت بها فأوهم أنه لم يفهم أن المراد بالبينة الآية بأنه غيره يكون في كلامه السابق دلالة على صدقه وأكد الإيهام و
الشك بقوله إن كنت أي جبلة وطبعا من الصادقين أي في عداد أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواك عندي وتثبت ولما ساق هذا
الطلب مساق الأعلى أن شاك في أمره أخبر تعالى أنه فاجأه بإظهار الآية الأعلى ذلك وبالفاء المسببة المعقبة من غير مهلة فقال عن فعل موسى
فألقى عصاه وعبر بقوله هي تحتها فإذا هي أي العصا ثعبان مبين أي ظاهر في كبره وسرعة حركته بحيث إنه لشدة ظهوره كأنه
ينادي الناس فيظهر لهم أمره وهو موضح لكل من تبع عن فعله في جميع مقالته روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب من سريره هاربا وأحدث وحمل
على الناس فانهزموا وصاحوا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وصاح فرعون يا موسى خذه وأنا أومن بك فأخذه
فعاد عصا ثم قال هل معك آية أخرى قال نعم ونزع يده أي أخرجها من جيبه بعد أن أراه إياها محترقة أو ما كانت عليه فإذا
هي بيضاء ونبه على ثبات بياضها وزيادة إعجابه بقوله للناظرين قال أبو حيان أي للنظارة وفي ذلك تنبيه على عظم بياضها لأنه
لا يعرض العجب لهم إلا إذا كان بياضها خارجا عن العادة وقال ابن عباس صارت نورا ساطعا يضيء ما بين السماء والأرض له لمعان مثل لمعان
البرق فخروا على وجوههم وما أعجب أمر هذين الخارقين العظيمين أحدهما في نفسه وذلك اليد البيضاء والآخر في غير نفسه وهي العصا التي
يمسكها بيده وجمع بذينك تبديل الذوات من الحسية إلى الحيوانية وتبديل الأعراض من السمرة إلى البياض الساطع فكانا دالين على جواز
الأمرين انتهى ولما أتى بالبينات وأقام واضح البرهان اقتضى الحال السؤال عما أبرزوه من المقال فجوابه فقال قال الملأ أي الأكابر
من قوم فرعون مما تلقفوه من فرعون واحدا بعد واحد يلقيه أكبرهم إلى أصغرهم إن هذا لساحر أي فهذا الذي أتى به إنما هو
الناس من تخييله لا حقيقة له فلا تبادروا إلى المتابعة ولما كان ذلك إخبارا جامعا القوة من السحر قال عليم أي ماهر فيه بالغ في علمه
إلى حد عظيم فلذلك جاء ما رأيتم منه فوق العادة فكأن فرعون قال ذلك ابتداء كما في سورة الشعراء فتلقفوه منه وبادروا إلى قوله
بعضهم لبعض إعلاما بأنهم على غاية الطواعية له خوفا على رياستهم تحقيقا لقوله تعالى فاستخف قومه فأطاعوه واختير هنا إسناده إليهم لأن
السياق للاستدلال على فسق الأكثر وأما هنا إسناده إلى السياق لأن أراد سبحانه أن الآية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤيته ما رأى من موسى
عليه السلام حتى رضي لنفسه بأن يخاطب عبيده على ما زعم بما يقتضي أن يكون لهم عليه أمر فإن كان إسناد القول إليه أحسن لأن النص في مقام
الرأس ظاهر وخضوع عنقه أضخم وأكبر ولما خيلوهم حتى أوقفوهم عما نهموا عنه من المبادرة إلى المتابعة بادعاء أنه ساحر نفروهم من ذلك
وخوفوهم بأنه يريد أن يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم ويخرجهم من ديارهم التي هي لأشباحهم كأرواحهم بقوله يريد أن يخرجكم أي أيها
القبط من أرضكم أي هذه التي أنتم ملاككم أباؤكم ... ولما كان ذلك شيئا لم يسبقهم إسقاط قولهم في الموضع الآخر بسحره إما لأنهم
في ابن حال الأمر فرض إشارة إلى تغاليهم في الفسق بعلمهم أنه محق وليس بساحر ولما كان المقصود بهذا الكلام استعطاف المخاطبين استعطفوهم
بعد أن روعوهم ثم خوفوهم بما يبعثوا على الخطاب السابق في قولهم فماذا تأمرون أي تقولون في هذه المشورة أيها السادة المتكلمون
ولما كان كأنه قيل فعلى أي شيء استقر رأيهم فقيل على تأخير الأمر إلى حشر السحرة للمعارضة فأخبر تعالى دالا على أن أصل قول الملأ أنهم
أقبلوا عليه يخاطبونه مبلغين من أبلغهم عنه تعظيما له مسندين الأمر إليه بقوله قالوا أي الملأ لفرعون بعد ما استقر في أذهانهم ما نسبوه
إليه من الإرادة أرجه أي موسى عليه السلام وأخاه أي أخرهما تنفيسا للناس عن الخناق إلى وقت ما حتى ننظر في أمرهما وأرسل في المدائن
أي مدائن مصر حاشرين يحشرون إليك السحرة ويجمعون من كل فج والحشر الجمع بكره يأتوك بكل ولما كانت مدة اللبث هنا على عادة
فرعون أقل مما في الشعراء لما اقتضاه الحال في كل منهما قرأ الجمهور ساحر عليم أي بالغ العلم في السحر وفي قراءة حمزة والكسائي سحار زيادة
مبالغة أيضا لما رأوا من قلق فرعون من الحال وهذا يدل على أن السحرة كانوا في ذلك الزمان كثيرين جدا في غاية الكثرة ويدل على أن في طباع الناس
المعارضة فيها إذ أمكنت بطلت دعوى النبوة وإذا تعذرت صحت الدعوى ولما كان التقدير فأرسلهما وأرسل من حاشرين فجمعوا من وجدوه

ثم عطف عليه قوله وجاء السحرة فرعون ولما تشوف السامع الى خبرهم قال مجيبا له مستأنفا قالوا اى لفرعون عند ما حضروا بين يديه مستوثقين
لنفع انفسهم مفهمين له انهم علموا انه لا مانع لهم من ذلك الا هو انصافهم سابقين الكلام في قراءة الجماعة مشيرا بالاستفهام ادبا معه في طلب الاكرام
ائن لنا لاجرا واكدوا طلبا لاخراج الوعد على حال التأكيد ان كنا نحن اى خاصة الغالبين ولما خبر باداة الاستفهام وهم نافع
وابن كثير وحفص عن عاصم قال اى فرعون نعم اى لكم اجر مؤكد الخبر به وزادهم في التأكيد بما زادهم به رغبة في قوله وانكم اى زيادة
على ذلك لمن المقربين اى عندي في الحضرة ولما فرغوا من محاورته تشوف السامع الى قولهم لموسى فاستأنف قوله جوابا قالوا بادئين باسمه
يا موسى مخيرين له ادبا معه كما هي عادة عقلاء الاخصام قبل وقوع الخصام في ستر ما فهم من قصدهم الالقاء اولا وذلك قولهم اما
ان تلقي اى انت اولا ما تريد ان تلقيه للمغالبة تخاطرا في صحة دعواك واما ان نكون نحن اى خاصة الملقين اى لما معنا اولا ولما
فهم موسى عليه السلام مرادهم مما عبر هذا النظم عن حقيقة معناه من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر والحاق المنفصل وكان واثقا من
الله تعالى بما وعده به جازما بانه مراده لا فرق بين ان يتقدم او يتأخر اجابهم الى سؤالهم وهو واقع في ازدراء شأنهم ولما تشوف السامع الى الخبر عنه بقوله
قال القوا اى انتم ايها السحرة ما تريدون القاءه وهو امر تعجيز ولما اذن لهم بادروا الى ذلك كما افهمه العطف بالفاء في قوله فلما القوا اى
لعدم المسحر سحروا اعين الناس اى غيروا صحة ادراكها حتى خيلوا اليها ما لا حقيقة له وهي ان حبالهم وعصيهم وكانت كثيرة جدا تلوي
بعضها على بعض ونعقوا جماعة ينادي ايها الناس احذروا واسترهبوهم اى واوجدوا رهبهم ايجادا رغبوا فيها طالبين غاية الطلبة ولما
قيل ان ذلك كان عن باطن انهم خافوا مما لا يخاف من مثله فقال تعالى مبينا انهم معذورون في خوفهم وجاءوا بسحر عظيم قال صاحب كتاب الزينة
السحر على وجوه كثيرة منه الاخذ بالعين ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ومنه غير ذلك واصله اما مأخوذ من التعلل بالباطل وقلب الامر عن وجهه
كما ذكر في لغة العرب ولما تناهى الامر واشتد التشوف الى صنع موسى عليه السلام قال معلما عنه عطفا على وجاءوا واوحينا اى بما لنا من
العظمة على رؤوس الاشهاد لا يقدر احد ان يضاهيه الى موسى ان الق عصاك اى فالقاها فاذا هي من حين القائه لها تلقف
اى تلتقم التقاما حقيقيا شديدا سريعا جدا بما دل عليه حذف التاء ودل على كثرة ما صنعوا بقوله ما يأفكون اى يجددون حين القائهم
في تزويره وقلبه عن وجهه فابتلعت ما كان املأ الوادي من العصي والحبال ثم اخذها موسى فاذا هي كما كانت لم تزد شيئا من مقدارها على ما كانت
عليه وفي هذا السياق المعلم بتثبيت موسى عليه السلام بعد عظيم ما راى من سحرهم الى الايحاء اليه بيانا لادبه عليه السلام في ذلك المقام المقتضي وسكونه
تحت المقادير مع مراقبة سبحانه الى بروز اوامره الشريفة ولما علم ان ما صنعوه انما هو خيال وما صنعه موسى ثابت من الحبال تسبب عنه معقبا قوله
فوقع الحق اى الذي لا شيء اثبت منه فالواقع يطابقه لان باطن الامر مطابق لما ظهر منه من ابتلاعها لامتعتهم فالاخبار عنه صدق وفيه تنبيه
على ان فعلهم انما هو خيال بالنسبة الى الظاهر واما في الباطن والواقع فلا حقيقة له فالاخبار عن تحركها بالقوة كذب ولما اخبر عن ثبات الحق
اتبعه زوال الباطل فقال وبطل بحيث عدم اصلا ورأسا ما كانوا يعملون ذكر الكون والمضارع على انهم مع بطلان ما عملوا انسوا علمهم
بحيث انه انسد عليهم باب العمل بعد ذلك كان لهم اية ملكة كما لكنه ما هو كالجبلة والله اعلم ثم تسبب عن هذا قوله فغلبوا هنالك اى عند هذا الامر العظيم
العالي الرتبة وانقلبوا اى جزاء على قلبهم لتلك الحقائق عن وجوهها حال كونهم صاغرين اى بعد ان كانوا عند انفسهم من تلك الاعمال قولهم
هم الغالبون ولا ذل والاصغار اعظم من حق المبطل من ظهور بطلانه وتوطيه على وجه لا تكون فيه حيلة ولما كان الادب في ذلك النفس لا يأتي الا بنجيب
لانه الالتقى بالعبيد فاكثر امنهم الى السجن الابدية فلذلك قال والقي السحرة اى القاهم ملقي الخوف خاشية والشوق الى الخضوع بين يديه
والذل لديه حين عرفوا ان ما فعله موسى عليه السلام مرسما وصدق الله به موسى عليه السلام في انه رسوله ولم يتمالكوا بعد ذلك اصلا حتى كانهم
خروا من غير اختيار ساجدين شكرا لله تعالى وانسلاخا عن الكفر ودليلا على اقصى غايات الخضوع فعل الله ذلك حتى بهر بهم فرعون وملاه
وتحير عقولهم ولما كانوا بعرض التشوق العظيم الى معرفة قولهم بعد فعلهم اخبر عن ذلك سبحانه بقوله قالوا اى حال القائهم للسجود امنا
اى كلنا برب العالمين الذي خلق فرعون ومن قبله وما يعيشون به ثم خصوا بعد اطلاقهم على ابيه ما تصريحا بالمراد وتشريفا لهما فقالوا

رب

رب موسى ثم ازالوا الشبهة بحذافيرها لان فرعون كان ربا ادعى بتربيته موسى عليه السلام انه المراد بقولهم وهرون وفي الاية دليل على
ظهور الاية موجب للايمان عند من ظهرت له ولو ان الرسول غير مرسل اليه ولما صرحوا بالايمان وابرز التصريح منع فرعون ان يزيد لبسهم بما يخيل
على قومه شرع في تهديدهم على وجه يكر فيه بقوته ويلبس عليهم ايقانا فانهم عن المبادرة الى الايمان كما بادر السحرة الى وقت ما فاستأنف الخبر
عنه سبحانه بقوله مصرحا باسمه غير مضمر له في غير هذه السورة لان مقصود السورة الانذار وهو لحق الناس بالمنادة عليه في ذلك المقام وقصته
مستوفيا في اكثر وهو افسق اهل ذلك العصر قال فرعون منكرا عليهم موبخا لهم بقوله امنتم اى صدقتم به اى بموسى تصديقا
امنتم من رجوعكم عنه ومن اخبار اداة الاستفهام واوهم فرعون من فهم عنهم من القبط ارادة الايمان لاجل ما راوا من الدليل في صدق موسى عليه السلام
واقتداء بالسحرة بقوله قبل ان اذن لكم ليوقفهم عن خطر المخالفة له بما رجاهم فيه من اذنه فلما اظن انهم وقفوا خيلهم بما يذهب عنهم ذلك
الخاطر اصلا ورأسا بقوله نفيا لما على مضمون قوله من لوائح الكذب ان هذا لمكر اى عظيم جدا وطول الكلام تبيينا لما اراد تنبيهه من حال
الايمان فقال مكرتموه في المدينة اى على ميعاد بينكم وبين موسى وحيلة احتلتموها قبل اجتماعكم وليس الذي صدقه ظهر لكم ثم علل بما يقلق
بدلالكم ويشوش قلوبهم فقال لتخرجوا اى انتم وموسى عليه السلام منها اهلها اى وتسكنوها انتم وبنو اسرائيل ولما اثبت له ما اراد
من فتنهم لكن شرع في تهديدهم بما يمنع غيرهم وبما ردهم فقال متبعا عن ذلك فسوف تعلمون اى بوعيد لا خلف فيه ما افعل بكم من عذاب
لا يحتمل ثم فسر ما اجمل من هذا الوعيد بقوله لاقطعن ايديكم اى اليمين مثلا وارجلكم اى اليسرى ولذلك فسره بقوله من خلاف
اى يخالف الطرف الذي يقطع منه اليد الطرف الذي يقطع منه الرجل ولما كان من مقصود هذه السورة الانذار ذكر فيها ما وقع لموسى عليه السلام
والسحرة على وجه يهول ذكر ما كان من امر فرعون على وجه يقرب من ذلك فعبر بحرف التراخي لانه فيه مع الاطناب الذي يكون بما علا الاصبح عماد هيهم
حارا وانقطعها الا من صلب فيكون به ارهب للسحرة ولمن تزلزل بهم من قومه فقال ثم لاصلبنكم اى جعلكم موجودة ايديكم النصف على هيئة
الصليب او حتى تيبسا ام صلبكم وهو الرهن الذي فيكم اجمعين اى لا اترك منكم احدا لا اجعلكم نكالا لغيركم ولما كان حالا يشوق النفوس
الى جوابهم استأنفه بقوله قالوا اى جميعهم لم يرتع منهم انسان ولا تزلزل عما منحه الله به من ثبات الايمان انا الى ربنا اى الذي ما زال يحسن الينا بنعمه
الظاهرة والباطنة حتى جعل اخر ذلك اعظم النعم الا وهي منقلبون اى بالموت انقلابا ثابتا لا انفكاك لنا عنه ان صلبتنا او تركتنا الى ان
لنا في البقاء في الدنيا فنحن لا نبالي بعد علمنا بانا على حالة السعداء بالموت على اي حالة كان او المراد انا نتقلب اذا قتلتنا الى من يحسن الينا بما منه
الانتقام منك ولذلك اتبعوه بقولهم وما تنقم اى تنكر منا اى في فعلك في ذلك بنا وتعيب علينا الا ان امنا اى الا ما هو افعل المفاخر كلها
وهو الايمان بآيات ربنا اى التي عظمت بكونها صادرة عنه ولم يزل محسنا الينا فوجب علينا شكره لما اى حين جاءتنا لم نتأخر عن معرفة الصدق
وهذا يوجب الاكرام لا الانتقام ثم اذنوه بانهم مقدمون على كل ما عساه ان يفعل بهم فقالوا ربنا اى ايها المحسن الينا القادر على خلاصنا افرغ
علينا اى فيما تهددنا به هذا الذي قوتنا عليه صبرا اى كثيرا تغمرنا به كما يغمر الماء من يفرغ عليه حتى لا يدع عنا ما يخوفنا به وتوفنا اى
اقبض ارواحنا وافية حال كوننا مسلمين اى عريقين في الانقياد بالظاهر والباطن لدلائل الحق مع الظاهر لزاسه تعالى اجابهم فيما سألوه
تلويحا بذكر الرب فلم يقدره عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون ولم يأت في خبر يعتمد انه قتلهم وسيأتي في اخر الحديد عن تاريخ ابن عبيد
الحكم ما هو صريح في خلاصهم ولما قنع فرعون في ذلك الوقت الذي بهرت فيه تلك المعجزة الظاهرة بالانفصال على هذا الوجه الذي
لم يبق فيه حيلة الا حيل بها وخلص موسى عليه السلام بقومه متمكنا منهم بعض التمكن وكان السياق في البيان ان اكثر الخلق فاسقون اخبر تعالى بما قال قوم
فرعون بعد ما راوا من المعجز الباهر دليلا على ذلك فقال عاطفا على والقي السحرة ساجدين وما بعده او على قول فرعون وقال الملأ اى الاكابر والاشراف
من قوم فرعون اى ظانين ان فرعون متمكن مما يريد بموسى من الذي هو متكبر لما وصل اليه الحال من امر موسى عليه السلام حين فعل ما فعل وامن به
السحرة حيث ابانه سحرهم وما حمل فرعون شيئا لانه قتله ولا حبسه لانه كان لا يقدر على ذلك ولا يعترف به لقومه أتذر موسى وقومه وهل كان
ما كان في اول المجلس من ايمان السحرة تحذيرا له بجر الية امثاله سموه فسادا او جعلوه مقصود الفرعون لجاء لهم استغضابا فقالوا ليفسدوا

ان يوقعوا الفساد وهو تغيير الدين في الارض اي التي هي الارض كلها وهي ارضنا هذه والارض كلها تكون مثل هذا الفعل جدير بان يرد اهل الارض
كلهم عن عقايدهم ويذرك والهتك قيل كان امر قومه ان يعبدوا الاصنام تقربا اليه وقال الامام الاقرب انه كان دهريا منكرا لوجود الصانع وكان
يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب ويعبد كالة المحروم في العالم للخلق او لتلك الطائفة والمربي لهم ثم قال واذا كان مذهبه ذلك لم
يبعد ان يقال انه كان اتخذ اصناما على صور الكواكب ويعبدها على ما هو دين عبدة الكواكب انتهى ولذا قال انا ربكم الاعلى هكذا قيل وهي عبارة التوراة
الاتية في اية القمل ولكن ارادة غير ملايمة لهذه المعادلة بل الظاهر انه كان يسمى امراء المملكة ويسمى كل امر قومه بما يامرونه الهة اي يطيعونه فانه نقل عنهم
انهم كانوا يسمون الحاكم بل والكبير الها كما سيا عن عبارة التوراة بحيث وقعت الموازنة بين موسى وقومه وبين فرعون وقومه عبر بالالهة تعظيما
لجانبه بالاشارة الى انه الرب الحاكم معبود ليس وراءه منتهى وملاءه كلهم الهة اي حكام دونه وموسى عليه السلام ليس بالغ والى قومه اله بل هم
محكوم عليهم فهم ضعفاء فكيف يتركون بحيث نفى الالهية عن غيره فبالنظر الى الخطاب للملا ما علمت لكم من اله غيري وحيث حشر الرعية ناداهم
بقوله انا ربكم الاعلى وكان ذلك كان يطلق على الحاكم مجازا فجعلوه حقيقة وصاروا يفعلون ما يختص به الاله من التحليل والتحريم كما قال تعالى
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فكفروا بادعاء الربوبية بغير العبودية ونفي المعبود الحق بدليل انه ما علمت والحاصل انهم عبروا
بالرضى بان يكون رئيسا على القبط وموسى عليه السلام رئيسا على بني اسرائيل فيكونوا بهذه المتاركة اكفا للقبط ولما اعجزه انه سبحانه ان
يفعل بهم اكثر مما كان يفعل قبل مجيء موسى عليه السلام لما يراد به من الاستدراج الى الهلاك اخبر عنه سبحانه بما يفهم ذلك فقال مستانفا قال اي فرعون
سنقتل اي تقتيلا كثيرا ابناءهم اي كما كنا نفعل ونستحيي نساءهم اي نبقيهم احياء اذلالا لهم وامتهانا في غايلتهم في المستقبل
وانا فوقهم اي الان قاهرون ولا اثر لغلبة موسى لنا في هذه المناظرة لئلا تتوهم العامة انه المولود الذي حدث المنجمون والكهنة
بذهاب ملكهم على يده فيثبطهم ذلك عن الطاعة موهما بهذا ان تركه لاذى موسى عليه السلام لعدم التفاته اليه لا لعجزه عنه ولما كان هذا امرا
يزيد في قلق بني اسرائيل لما شوهد من لهجة الفرح استانف بحكي الخبر عما ثبتهم به موسى عليه السلام قائلا قال موسى لقومه اي بني اسرائيل الذين
فيهم قوة وقيام فيما يريدون من الامور لو اجتمعت قلوبهم استعينوا اي اطلبوا العون بالله الذي له العظمة بما يشملها من العبادة
واصبروا ثم علل ذلك بانه تعالى الفعال لما يريد لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه فقال ان الارض اي كلها مصر وغيرها لله كرر ذكره تعظيما
وتصريحا وتبركا ثم استانف قوله يورثها من يشاء من عباده ولما اخبر ان نسبة الكل اليه واحدة اخبر بما يرفع بعضهم على بعض فقال والعاقبة
اي الحال الاخر الامر وان حصل بلاء للمتقين اي الذين يتقون انفسهم سخط الله بعمل ما يرضيه فلا عبرة بما ترونه في العاجل فانه قد يكون
استدراجا ولما تشوف السامع الى ما كان منهم اجابه باشارته الى ان قلقهم كان وصل الحد لا صبر معه بقوله مستانفا قالوا ولما كان المرجع
هو الاذى لا كونه من معين بنوا للمفعول قولهم اوذينا اي بالقتل والاستبعاد ولما كان اذاهم غير مستغرق اخلوا للجار فقالوا
من قبل ان تاتينا اي كما تعلم ومن بعد ما جئتنا اي فما انتفعنا بمجيئك قال مسليا لهم وداعيا عسى ربكم اي الذي احسن
اليكم بما تعرفون والبكم بارسالي اليكم ان يهلك عدوكم فلا يهولنكم ما ترون ويستخلفكم اي وبوجب خلافتكم لهم متمكنين
لا يحكم عليكم غيركم في الارض اي جنسها ان كنتم متقين ثم سبب عن الاستخلاف قوله مذكرا لهم بحذر ان يسطو الله بهم فينظر
اي فيعلم وانتم خلفاء متمكنون كيف تعملون اي يعاملكم معاملة المختبر وهو في الازل اعلم بما تعملون منكم بعد ايقاعكم
للاعمال ولكنه يفعل ذلك لتقوم الحجة عليكم على مجاري عاداتكم ولما رجاهم موسى عليه السلام بذلك اخبر سبحانه انه فعل ما اخبرهم
به فذكر مقدماته فقال ولقد اي قال لهم ما قال والحال انا وعزتنا قد اخذنا اي قهرنا ال فرعون وليناء عريكتهم وسهلنا
شكيمتهم بالسنين اي القحط والجوع فان السنة تطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام ولما كانت السنة قد تطلق على
نقص الحبوب صرح بالثمار فقال ونقص من الثمرات اي باعاهاتها وان كان الماء كثيرا والسنة للبادية والنقص للحاضرة لعلهم
يذكرون اي ليكون حالهم حال من يرجو ناظرهم ان يتذكر في نفسه ولو بادنى وجوه التذكر بما اشار اليه الادغام فالحضر بزيل

الشامة

الشامة التي هي مظنة الوقوع مع الحظوظ ويوجب للانسان الرقة فيقول هذا انما حصل لي بسبب تكذيبي لهذا الرسول وعبادتي من
لا يكشف السوء عن نفسه ولا غيره ولما لم يتذكروا اول الامر سبب عنه اخذهم قوله معرفا بعبادتهم معبرا في الخير باداة التحقق اشارة
الى ان اغلب الشر هنا على الشكر فاذا اي فكان سبب عن ذلك انهم كانوا اذا جاءتهم الحسنة اي الحالة الكاملة التي يحبونها من الخصب
وغيره مع معرفتها بعد تحقيقها اشارة الى كمالها قالوا لنا هذه اي نحن حقيقون بها ودل على ان الخير اكثر من غيره بقوله باداة الشك مع
التنكير وان تصبهم سيئة اي حالة يكرهونها ولما كانت الاصابة بالسيئة تخصهم ولا يلحق بني اسرائيل منها شيء فكان اظهارهم للتطير بهم
ظاهرا في رده عليهم وتكذيبهم فيه اشار سبحانه بادغام التاء الى انهم كانوا انما يرشون الى ذلك بكلمتهم خدعة من الجهلة والاغبياء على
وجه الحيلة والخفاء لا جلاء فقال يطيروا اي يتشاءموا بموسى ومن معه اي بان يقولوا انما حصل لنا هذا السوء الا بشومهم
وهو تفعل من الطير وهو تعمد قصد الطير لان يطير والتفاؤل به خيرا وشرا واصله ان العرب كانوا اذا مر الطاير من ميامنهم الى جهة مياسرهم تبركوا
قالوا بارح اي مشوم من البرح وهو الشدة فاذا طار من جهة اليسار الى جهة اليمين عدوه مباركا قالوا من لي بالسانح بعد البارح اي المبارك
بعد المشوم ومن ان المراد هنا التشاوم لاقترانه بالسيئة ولما كذبوا في الموضعين قال مستانفا على وجه التاكيد الا انما طائرهم
اي قدرهم الذي سبق في الازل من الخير والشر فلا يزاد ولا ينقص عند الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لغيره وقد قدر كل شيء فلا يقدر على محوه
بغير اصله ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا علم لهم اصلا فهم لا يهتدون الى ما ينفعهم ويظنون ان للعباد حيلة في ذلك فلذلك تراهم
يضيفون الاشياء الى اسباب يتوهمونها ولما كان هذا الذي قالوه يدل على سوء المزاج وجلافة الطباع بما لا يقبل العلاج اتبعه ما
هو شر منه وهو انهم جزموا بانه كلما اتاهم شيء في المستقبل قابلوه بالكفر فقال وقالوا مهما هي مركبة من ما مرتين الاولى
الشرطية والثانية تاكيد قلبت الف الاولى هاء استثقالا وقيل مه هي الصوت الذي يكون للكف واما على زعمه ولذلك علوه بقولهم
هه هه اي تحيل بقولنا هه وتلقيتنا الشرطية اي كف عنك ما انت فيه ثم استانفوا ما تاتنا به اي في اي وقت وعلى
اي حال كان ثم بينوا الماتي به بقوله من اية اي علامة على صدقك وهذا على زعمه ولذلك علوه بقولهم لتسحرنا اي تخيل عقولنا
بها وتلفتنا عما نحن عليه الى ما تريده فنحن نسميها سحرا وانت تسميها اية ثم اجابوا الشرط بقولهم فما نحن اي كلنا لك اي خاصة
بمؤمنين اي من ان نكذبك ولما بارزوا بهذه العظيمة استحقوا النكال فسبب عنه قوله فارسلنا عليهم اي عذابا لهم لما ليغنيهم
جزاء لكم تعلى الطوفان اي الرعد والبرق والنار مع المطر والبرد الكبار الذي يقتل البقر فما دونها والظلمة والريح الشديدة التي عمت
ارضهم وطافت بها ولما كان ذلك ربما اخصبت به الارض اخبر انه ارسل ما يفسد ذلك فقال والجراد ولما كان الجراد ربما طار وقد ابقى
شيئا اخبر بما يستمر لازقا في الارض حتى لا يدع بها شيئا فقال والقمل وفي القاموس القمل كسكر صغار الذر والدبا الذي لا اجنحة له
وهو اصغر الجراد او شيء صغار بجناح احمر وشيء يشبه الحلم خبيث الرائحة او دواب صغار كالقردان يعني القراد وقال البخاري في بني اسرائيل من
صحيحه القمل الحنان يشبه صغار الحلم ولما كان ربما كان عندهم شيء مخزون لم يصل اليه ذلك اخبر بما يسقط نفسه في الاكل فيسقطه او
ينغصه فقال والضفادع فانها عمت جميع اماكنهم وكانت تتساقط في اطعمتهم وربما وثبت الى افواههم حين يفتحونها للاكل ولما تم ما
يضر بالماكل اتبعه ما افسد المشرب فقال والدم اي مياههم انقلبت كلها دما منتنا وعم الدم الشجر والحجارة وجميع الارض في حق القبط
واما بنو اسرائيل فسالمون من جميع ذلك ولما ذكر هذه الآيات العظيمة نبه على عظمتها بذكر حالها فقال آيات اي علامات على صدقه
عظيمات مفصلات اي بين بعضها بعضا وبين كل واحدة واختها حين يختبرون فيه مع ان مغايرة كل واحدة لاختها في غاية الظهور وكذا
العلم بانها من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره ولما كانت حقيقة بان يتسبب عنها الايمان عند سلامة القلب سبب عنها قوله فاستكبروا مبينا
ان الذي منعهم من الايمان مرض القلب بالكبر والطغيان وكانوا قوما مجرمين اي في جبلتهم قطع ما ينبغي وصله مع قوتهم على ما يحاولونه
ولما كان هذا في الحقيقة نقضا لما اخذه الله على العباد بما ركز في العقل اتبعه نقضا حقيقيا فقال مبينا لحالهم عند كل اية ولعله

عبر بما يشملها ولم ينص على التكرار لان ذلك كاف فيما ذكر من النقص في الفسق ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل الموجب للاضطراب
قالوا يا موسى ادع لنا ربك اي المحسن اليك ولم يسموه اكبرا واشمئزازا من تغيير توابه ليقولوا ربنا بما عهد عندك اي من النبوة التي منها
هذا البر الذي تراه يضعف بعضهم كرّروا العهد بقولهم استيفافا او تعليلا لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب الذي اضطربت قلوبنا
وجميع احوالنا له لنؤمنن لك اي لنجعلنك من امنا من التكذيب بايقاع التصديق ويكون ذلك احالصا لاجلك خاصا بك ولنرسلن
معك اي مصحبا لك لا نخلي احدا منكم عن الخرج بني اسرائيل كما سالت ودل على قرب الاجابة بالفاء في قوله فلما كشفنا اي بما لنا
عنهم الرجز كرره تقريحا وتهويلا ومددنا الكشف الى اجل اي حد من الزمان هم بالغوه اي فعلمنا اذا هم اي بغاية
التي تجري ظواهرهم على حسبها ينكثون ولما اخبر انهم فاجوا النكث وكرروه سبب عنه قوله فانتقمنا منهم اي انتقاما ليس
كالذي كنا نؤذيهم به بل انتقام هلاك غيره لوصولهم بعد كشف جميع الشبه الى محض العناد ثم فسره بقوله فاغرقناهم بما لنا
من العظمة في اليم اي البحر الذي يقصد لمنافعه بانهم اي بسبب انهم كذبوا باياتنا اي على ما لها من العظمة بما عرفوا من صحة نسبتها
الينا ودل على انهم كذبوا بغير شبهة عرضت لهم بل عنادا بقوله وكانوا اي جبلة وطبعا عنها غافلين اي يكون حالهم بعدها
كحالهم قبلها فكانها لم تاتهم اصلا فاستحقوا الاخذ لوقوع العلم بان الايات لا تفيدهم ولما اخبر باهلاكهم عطف عليه ما صنع ببني اسرائيل
فقال واورثنا اي بعد اهلاكهم بما لنا من العظمة القوم ولما اشار بهذه العبارة التي معناها انه كانت فيهم قوة وكثرة وشدة
عزم على ما يحاولونه ويقومون به الى انه هو الذي اذلهم لفرعون اتبعه ما يدل عليه فقال الذين كانوا يستضعفون اي يطلب ضعفهم
ويوجد بالشوكة واجتماع الكلمة بحكم تمكنت عظمته في القلوب حتى الوهم غالب عليها وهم بنو اسرائيل مشارق الارض التي الكاملة
البركات ومغاربها اي ارض الشام من البحر الفرات الى بحر سوف الموضع الذي خرجوا منه من البحر وغرق فيه فرعون والدليل كما مضى نقله في
المائدة من التورية ببعض حكمنا بابراهيم في ذلك وانجزناه لابناء الذين خرجوا من مصر بعد اهلاكهم في التيه ووصفها لتغبيطهم بها بقوله
التي باركنا فيها اي في ارضها بالمياه والاشجار والثمار والخصب وفي ابدانها بالكثرة والطيب وفي رجالها بالعلم والنبوة
وفي طباعهم بالاستقامة وفي عزايمهم بالنجدة والشجاعة والمكارم وفي جميع احوالهم بانهم لا يبغيهم ظالم الا عوجل بالنقمة
وتمت اي وجدت صحتها بوجود مضمونها في عالم الشهادة وظهوره من ستور الغيوب كلمة ربك اي المحسن اليك بانزال هذه الانباء
على هذه الوجوه المفيدة مع اعجازها لغاية العلم والحكمة الحسنى مستعلية على بني اسرائيل التي هي احسن الكلام وهي وعده بنجاتهم
لهم بالخروج من العبودية وايراثهم مساكن بالهم كما كانوا يسمعون من اسلافهم وانه اذا اشتد عليهم منعت اعداهم من الوصول اليهم بما صبروا
اي بسبب صبرهم على الاستعباد وذبح الاولاد وما حصل بعد ذلك من طويل الانكاد ودمرنا اي اهلكنا اهلاكا عظيما جعلهم مرة
كالرماد الاخير فليه فصلا ما كان يصنع اي صنعا بغاية الاقبال عليه حتى كانهم خلقوا له فرعون وقومه اي من الصنايع الهائلة المعجبة
لكل من يراها او يسمع بها مع انهم قد مرنوا عليها فصارت اسهل شيء عندهم وما كانوا اي بما هو كالجبلة والطبع يعرشون اي
من الجنات والقصور العالية الاركان وكفى بهذه الاية حاثة على الصبر وصانعة على كل حال الاوجب الفرج على المظلوم ونصره واهلاك
الظالم وقهره شرح ما يحتاج الى شرحه هنا من التورية الموجودة الان بين اظهر اليهود قال المترجم لها في الاصحاح الثالث
من السفر الثاني ما نصه وقال الرب لموسى في مدين انطلق ارجع الى مصر لان الرجال الذين كانوا يطلبون نفسك قد هلكوا اجمعا
فانطلق موسى بامراته وابنيه وحملهم على حماره واخذ بيده عصى الرب قال الرب لموسى انظر كل اية اجريتها على يديك فاصنعها
امام فرعون وانا اقسي قلبه فلا يرسل الشعب وقل لفرعون هكذا يقول الرب ابني بكري اسرائيل ارسل ابني يعبدني فان ابيت ان ترسل ابني
فاني اقتل ابنك بكرك فلما صار موسى في الطريق في المبيت لقيه ملاك الرب فاخذت صفورا حجرا من حجارة المرو فختنت غرلة
ابنها واخذت برجله وفي نسخة السبعين ووقعت عند رجليه وقالت انك اليوم عرس الدم يعني الختان فقال الرب لهرون اخرج

تلقى

تلقى اخاك الى القفر فخرج فلقيه في جبل الله في حوريب فعانقه وقبله فاخبر موسى هرون بجميع قول الرب الذي ارسله فيه وما امره به من
الايات وانطلق موسى وهرون فجمعا اشياخ بني اسرائيل فقص عليهم جميع ما قال الرب لموسى وخرج حراج والايات قدام الشعوب وسمعوا ان الرب
وفي نسخة السبعين فجمعا مشايخ بني اسرائيل وتكلم هرون بجميع الكلام الذي كلم الله به موسى وعمل الايات قدام الشعب فامن الشعب وسمعوا ان الرب قد
ذكر بني اسرائيل وابصر الى خضوعهم وجثا الشعب وسجدوا للرب من بعد هذه الايات والخطوب دخل موسى وهرون وقالا لفرعون هكذا يقول الله رب
اسرائيل ارسل شعبي يحجوا الى القفر وفي نسخة السبعين ليعبدوني في البرية عوض يحجوا الى القفر فقال فرعون من هو الرب حتى اطيعه لا اعرف الرب
ولا ارسل بني اسرائيل وقالا له الرب اله العبرانيين اعتلن لنا فننطلق مسيرة ثلثة ايام في القفر ونذبح الذبايح للرب الهنا كيلا ينزل بنا الحرب
والوبا وفي نسخة السبعين لئلا يلقانا حتف موت او قتل وقال فرعون لهما لماذا تبطلان الشعب عن اعمالهم فامر فرعون ولاة الشعب وكتبتهم وقال
لهم لا تعودوا ان تعطوا الشعب تبنا لضرب اللبن كما كنتم تعطونهم بل هم ينطلقون فيجمعون لانفسهم التبن وخذوا بحساب اللبن على ما كنتم
تاخذون منهم بالامس وامس ولا تنقصوا وفي نسخة السبعين فليتضاعف عمل هؤلاء القوم في كل يوم ولا تنقصوهم شيئا من عملهم لانهم بطرون لذلك
يضجون يقولون ننطلق فنذبح للرب الهنا فليشتد العمل على الرجال وفي نسخة السبعين فليتضاعف عمل هؤلاء القوم حتى يهتموا به ولا يهتموا بكلام
الباطل فخرج ولاة الشعب وكتبتهم بما قال فرعون فتفرق الشعب في جميع ارض مصر في جمع التبن وجعل ولاتهم يلحون عليهم ويقولون ارفعوا
الينا العمل كما كنتم ترفعون من قبل حيث كنتم تعطون التبن فقرع كتبة بني اسرائيل وعوقبوا من الذين ولوهم عليهم وقالوا لم ترفعوا الينا حساب
اللبن كما كنتم ترفعون فاتى كتبة بني اسرائيل وشكوا الى فرعون وقالوا لماذا بالعبيد يصنع بهم هذا الصنيع فقال فرعون انهم بطرون يقولون
ننطلق لنذبح لربنا فصار اولو الكتبة في بني اسرائيل وقالوا لهم لا تنقصوا من لبنكم شيئا بل ارفعوا الينا كما كنتم ترفعون كل يوم فلقوا
موسى وهرون وهما واقفان امامهم وفي نسخة السبعين وهما يجيئان نحوهم اذ خرجوا من بين يدي فرعون فقالوا لهما الله يحكم بيننا وبينكما لانكما
حرضتما علينا فرعون وعبيده حتى صيروا علينا بان يضع السلاح فينا فيقتلنا فرجع موسى الى الرب فقال يا رب لم اسات بشعبك وامرتني به
لاني ساعة اتيت فرعون فذكرت اسمك له اساء بهذا الشعب وشق عليهم وانت فلم تخلص شعبك فقال الرب لموسى الان ترى ما اصنع بفرعون لانه
يرسلهم وفي نسخة السبعين سوف ترى ما اصنع بفرعون وكيف يرسلهم بيد منيعة وبذراع عظيمة يخرجهم من ارض مصر انا الرب الذي تجليت لابرهيم و
اسحق ويعقوب وسميت لهم المواعيد ولم اعلمهم اسمي الرب وفي نسخة السبعين واسمي الرب فلم اظهره لهم واثبت عهدي اليهم ووعدتهم ان اعطيهم ارض
كنعان ارض غربتهم التي سكنوها وقد سمعت ضجيج بني اسرائيل من تعبد اهل مصر واخلصكم من اعمالكم واخلصكم بيد منيعة وذراع عالية وباحكام عظيمة
واختصكم لي شعبا واكون لكم الها وتعرفون اني انا الرب الهكم الذي اخرجتكم من تعبد المصريين واقبل بكم الى الارض التي رفعت يدي لاعطيها اباكم
ابرهيم واسحق ويعقوب واجعلها لكم ميراثا انا الرب انا الرب فقال موسى لبني اسرائيل هذه الاقاويل فلم يسمعوا من موسى ولم يطيعوه من قصر نفوسهم و
من شقاق نفوسهم من الكد الشديد وكلم الرب موسى وقال له انطلق الى فرعون ملك مصر وقل له فيرسل بني اسرائيل من ارض مصر فقال موسى للرب ان
بني اسرائيل لا يسمعوني ولا يطيعوني وانا ارت المنطق ثقيل اللسان فكيف يطيعني فرعون ويسمع مني فقال الرب لموسى انظر اني قد جعلتك الها لفرعون وهرون
اخوك يكون نبيا عليك انت تقص جميع ما امرتك به وهرون اخوك يقول لفرعون وفي نسخة السبعين وهرون اخوك يكون لك نبيا وانت فتكلم بجميع
ما امرتك به وهرون اخوك يكلم فرعون ليرسل بني اسرائيل من ارضه وانا اقسي قلب فرعون فاكثر اياتي وعجايبي بارض مصر فلا يطيعكما فرعون والقي
شكا فامد يدي على مصر واخرج جميع جنودي وشعبي بني اسرائيل من ارض مصر بالاحكام العظام فيعرف اهل مصر اني انا الرب فصنع موسى وهرون كما امرهما
الرب وانتهيا الى امره وكان قد اتى على موسى ثمانون سنة وكان هرون ابن ثلث وثمانين سنة اذ كلما فرعون فقال الرب لموسى وهرون ان قال لكما فرعون اظهرا لي
اية ومعجزة قال لهرون خذ عصاك القها بين يدي فرعون فتكون تنينا عظيما فاتى موسى وهرون الى فرعون فصنعا كما امرهما الرب فالقى عصاه وفي نسخة
السبعين فالقى هرون عصاه بين يدي فرعون وامام خبرانه وفي نسخة السبعين وعبيده فصارت تنينا عظيما فدعا فرعون بالحكماء والسحرة فصنع
سحرة مصر ايضا بسحرهم كذلك فالقى كل امري منهم عصاه فصارت تنينا فابتلعت عصى هرون عصيهم فقسى قلب فرعون ولم يرسلهم كما قال

الرب فقال الرب لموسى ثقل قلب فرعون وقسى وابى ان يرسل الشعب انطلق الى فرعون بالغداة هوذا يخرج ليغتسل على شاطى النهر وخذ العصا التى تحولت
في يدك ثعبانا وقل له الرب اله العبرانيين ارسلني اليك يقول لك ارسل شعبي حتى يعبدني في البرية لانك حتى الان لا تسمع ولا تطيع هكذا يقول الرب
بهذا تعلم انى انا الرب ها انا اضرب ماء النهر بعصاى فيصير دما وتموت الحيتان التى في النهر وتنتن وفي السبعين ولا يقدر اهل مصر ان يشربوا
الماء من هذا النهر وقال الرب لموسى مر هرون ان ياخذ عصاه وارفع يدك على ماء المصريين على انهارهم وعلى غدرانهم وعلى اجامهم وعلى دواليب
مياههم وفي السبعين وقال الرب لموسى قل لهرون خذ عصاك ومد يدك على ماء مصر وعلى انهارها واجامها وبقارها فتحل كل مياهها المستنقع
فيتحول دما فيصير الدم في جميع اهل مصر في الارض في الخشب والحجارة فصنع موسى وهرون كما امرهما الرب فرفع هرون العصى التى في يده فضرب بها
ماء النهر وفرعون وعبيده ينظرون اليه فتحول ماء النهر فصار دما وماتت الحيتان التى في النهر فنتن ماء النهر وانتن ولم يقدر اهل مصر على شرب
الماء من الدم فصار الدم في جميع ارض مصر وقسا قلب فرعون فلم يطعهما كالذى قال الرب فانصرف فرعون فدخل منزله ولم يفكر في شي من ذلك
وتهاون به وكملت سبعة ايام من بعد ما ضرب الرب النهر وقال الرب لموسى انطلق الى فرعون وقل له هكذا يقول الرب ارسل شعبي حتى يعبدني فان
ابيت ان ترسله فانى اضرب جميع حدودك بالضفادع فتربى الضفادع فتصعد وتدخل الى بيتك وتبطونك وفي بيتك وعلى مضجعك و
اسرتك وفي بيوت عبيدك وشعبك وفي مخادعك وفي طعامك وتربى الضفادع عليك وعلى جميع شعبك فقال الرب لموسى قل لهرون
اضرب بعصاك مد يدك بعصاك على الانهار وعلى الدواليب وعلى الاجام فاصعد الضفادع على ارض مصر فرفع هرون يده على مياه المصريين فاصعد
الضفادع فغشيت ارض مصر فدعا فرعون موسى وهرون وقال لهما صليا بين يدى الرب فتنصرف الضفادع عنى وعن شعبي حتى ارسل الشعب
فيذبحوا بين يدى الرب فقال موسى لفرعون سل وقتا اصلى عليك فيه وعلى عبيدك وشعبك فتنصرف الضفادع عنك وعن عبيدك وفي السبعين
عنك وعن قومك وعن بيوتك فقال له غدا فقال له موسى يكون كما قلت فتعلم انه لا اله الا الهنا فتنصرف الضفادع عنك وعن بيتك وفي
السبعين بيوتك وعن عبيدك وعن شعبك ما عدا الضفادع التى في النهر فخرج موسى وهرون من بين يدى فرعون فصلى موسى بين يدى الرب
فاستجاب الرب لموسى فماتت الضفادع في الدور والبيوت والرياض فجمعوها ابابير ابابير فاصلت الارض وانتنت وفي السبعين فجمعوها صبيا
صبيا فانتنت الارض فراى فرعون الفرج والراحة وجفا قلبه فلم يطعهما كالذى قال الرب فقال الرب لموسى مر هرون يرفع عصاه ليضرب تراب
الارض فيكون القمل في جميع عمل ارض مصر ففعل ذلك فضرب التراب فخرج القمل في الناس والبهايم وصار جميع تراب الارض قملا في جميع ارض مصر فصنع مثل ذلك
السحرة بسحرهم فلم يقدروا ان يخرجوا القمل وضرب القمل في الناس والبهايم فقالت السحرة لفرعون ان هذا فعل رب العالمين فقسي قلب فرعون ولم
يطعهما كما قال الرب لموسى ادلج باكرا وقف بين يدى فرعون وهو ذا يخرج ليغتسل وفي السبعين فانه يخرج الى الماء فقل له هكذا يقول الرب
ارسل شعبي ليعبدني فانك ان ابيت فها انا مرسل وفي السبعين فانى مرسل عليك وعلى عبيدك وعلى اهل بيتك هوام وحشرات من كل جنس
تتمالى وفي نسخة ذباب الكلب فتمتلي بيوت المصريين من الهوام والحشرة وتمتلي تربة الارض التى هم عليها واميز في ذلك اليوم ارض جشان التى يسكنها
شعبي فلا يكون فيها من الهوام والحشرة شي لتعلم انى انا الرب واميز بين شعبي وشعبك وتكون هذه الاية غدا وفعل الرب كذلك وانزل الهوام
على بيت وفي نسخة بيوت فرعون وعبيده وعلى جميع ارض مصر ففسدت الارض بالهوام فدعا فرعون موسى وهرون وقال لهما انطلقوا
فاذبحوا الذبايح لربكم في هذه الارض فقال موسى لا يحسن بنا ان نفعل ذلك لانا انما نذبح للرب الاهنا من نجاسة المصريين ويدعهم فان
نحن ذبحنا امام الهة المصريين رجمونا بل ننطلق مسيرة ثلثة ايام في القفر فنذبح هناك للرب الاهنا على ما يامرنا ويقول لنا فقال فرعون
انا ارسلكم فتذبحوا الذبايح للرب الهكم في البرية ولكن لا تنطلقوا فتتوانوا بل صلوا على ايضا وفي السبعين ولكن لا تبعدوا وصلوا على
ايضا الى ربكم فقال موسى لفرعون ها انذا اخرج من بين يديك فاصلى بين يدى الرب فينصرف الهوام والحشرة عن فرعون وعن عبيده وشعبه غدا
ولكن لا يعود فرعون انه يكذب في قوله ويابى ان يرسل الشعب ليذبحوا الذبايح فخرج موسى من بين يدى فرعون وصلى بين يدى الرب فتقبل الرب
صلوة موسى وصرف الهوام فلم يوجد منها ولا واحد فقسى قلب فرعون بعد هذا ايضا ولم يرسل الشعب فقال الرب لموسى انطلق الى فرعون

وقل له

وقل له هكذا يقول الرب اله العبرانيين ارسل شعبي حتى يعبدني فان ابيت ان ترسله وفي السبعين وتمسكت به حتى الان فهذه يد الرب وفي السبعين
وتمسكته فان يد الرب تضرب ماشيتك التى في القفر من الخيول والحمير والبقر والغنم فيقع فيها الوباء العظيم الصعب الشديد ويميز الرب بين
دواب بني اسرائيل وبين بهايم اهل مصر فلا يموت من بهايم اسرائيل ولا واحد ووقت الرب وقتا ليكمل فيه هذا القول على الارض فاكمل الرب هذا الامر
من غد ذلك اليوم فماتت جميع بهايم المصريين ولم يمت من دواب بني اسرائيل ولا واحد وارسل فرعون فراى انه لم يمت من دواب بني اسرائيل ولا دابة
فقسا قلب فرعون فابى ان يرسل الشعب فقال الرب لموسى وهرون خذا في حفنتيكما من رماد الاتون فيذره موسى الى السماء نحو فرعون فيكون
العجاج في ارض مصر فيصير بالناس والبهايم جميعا قروح نابتة رخوة في ارض مصر كلها فاخذا رماد الاتون ووقفا بين يدى فرعون فذره موسى
نحو السماء امام فرعون فظهرت قروح نابتة رخوة نفاخات في الناس والبهايم فلم يقدر السحرة على الوقوف بين يدى موسى من كثرة القروح التى
ظهرت في السحرة وفي جميع اهل مصر فقسى الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما ولم يطعهما كالذى قال الرب لموسى فقال الرب لموسى ادلج باكرا وقف
بين يدى فرعون وقل له هكذا يقول الرب اله العبرانيين ارسل شعبي فيعبدني والا فانا مرسل في هذا الوقت ضرباتي على قلبك وعلى عبيدك وعلى شعبك
لتعلم انه لا اله غيري في الارض كلها لانى مجمع من الان ان امد يدى فاضربك وشعبك بالوباء وتبيد عن جديد الارض وانما بقيتك لهذا الامر
لاظهر بك عزى وقدرتي وليتادى باسمى في الارض كلها وانت حتى الان متمسك بالشعب وتاتى ان ترسله وغدا في هذا الوقت اهبط البرد العظيم
الشديد ما لم يكن وفي السبعين الذى لم يكن مثله بمصر منذ اليوم الذى استست فيه قواعدها الى يوم الناس هذا والان ارسل فادخل جميع دوابك
وكل ما لك في الحقل لان كل بهيمة او انسان يلقى في الحقل ولا يدخل البيت يهبط عليهم البرد فيموتون وكل من خاف كلمة الله من عبيد فرعون نقل عبيده
وبهايمه الى البيوت والذى لم يفكر في كلمة الله وتهاون ترك دوابه وعبيده في الحقل وقال الرب لموسى ارفع يدك الى السماء يهبط البرد على جميع
ارض مصر على الناس والبهايم وجميع الحقول وفي السبعين على الناس والدواب وجميع نبات الصحراء فرفع موسى عصاه نحو السماء فارجفهم الرب
بالرعد والبرق وجعلت النار تضطرم على الارض فاهبط الرب البرد وكان البرد يهبط والنار تضطرم في البرد وكان شديدا عظيما ولم يكن
مثله في جميع ارض مصر منذ اليوم الذى سكنها بنو البشر فضرب البرد جميع ارض مصر لكل من كان في الحقول من الناس والبهايم واهلك البرد جميع
عشب الحقل وحطم جميع اشجار الغياض فاما ارض جشان التى كان ال اسرائيل يسكنونها فلم يهبط عليها البرد فارسل فرعون فدعا موسى
وهرون فقال لهما قد خطئت في هذه المرة ايضا والرب بار وانا وشعبي فجار فصليا بين يدى الرب فانه ذو امهال وانا قد فيصرف
عنا الرجفة والرعد والبرد فارسلكم فلا تعودوا ان تتاخروا وفي السبعين وانا ارسلكم ولا تعودوا ان اوخركم فقال موسى لفرعون
اذا ما خرجت من القرية ابسط يدى الى الرب فيصرف عنكم صوت الرعد والرجفة ولا يعود البرد يهبط ايضا لكى تعلم ان الارض من
عليها لله وانا اعلم انك وعبيدك الى الان لم ترهبوا الله ولم تخافوا عقابه وقد هلك الكتان والشعير وفي السبعين وضرب
البرد الشعير والكتان لان الشعير كان قد بدا ان يسنبل والكتان قد بدا ان يبرز فاما زرع الحنطة والكسب فلم يهلك لانه كان
متاخرا فلما جاء موسى في القرية من بين يدى فرعون بسط وفي السبعين فاما زرع الحنطة والذرة فانه لم يضرهما لانهما
كانا القسا وخرج موسى من عند فرعون خارج المدينة فبسط يديه بين يدى الله نحو السماء فصرف عنهم الرعد والبرد وانقطع
المطر عن الارض فراى فرعون ان القطر والبرد والرعد قد انقطع وسكن فعاد وخطا وقسى قلب فرعون وعبيده وفي السبعين
وقسى قلبه وقلب عبيده وجفا ولم يرسل بني اسرائيل كرسالة الرب وفي السبعين على ما تكلم به الرب على يدى موسى فقال الرب
لموسى انطلق الى فرعون لانى انا الذى اقسيت قلبه وقلوب عبيده فاظهر هذه الايات التى بينهم وبين بنيك بما صنعت باهل مصر
من الايات الكثيرة التى اظهرت فتعلموا انى انا الرب فانطلق موسى وهرون الى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب اله العبرانيين حتى متى تابى ان
تخافني وترهبني ارسل شعبي ليعبدني فان ابيت ان ترسل شعبي فها انذا احدر لعلى جميع تخومك الجراد وفي السبعين فانى اجلب عليك
غدا في هذا الوقت جرادا عظيما على جميع حدودك فيغطى عين الارض فلا يقدر انسان على النظر الى الارض فيهما ابقى لكم البرد اكله

ويأكل جميع الشجر التي تنبت لكم في الحقل وتمتلي منه بيوتك وبيوت عبيدك وبيوت جميع المصريين ما لم يرى مثله اباؤك واجدادك من اليوم الذي
استوت الارض الى اليوم الى هذا ورجعا من بين يدي فرعون فقال العبيد حتى متى تكون لنا هذه العثرة ارسل القوم فيعبدون وفي نسخة
السبعين فقال عبيد فرعون لفرعون حتى متى يكون لنا هذا البلا ارسل القوم فيعبدوا الرب الههم اما تعلم وفي السبعين او
علمت ان مصر قد خربت فرد موسى وهرون الى فرعون فقال لهم انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب الهكم ولكن من منكم ينطلق فقال له
موسى انا ننطلق بشبابنا وشيوخنا وبنينا وبناتنا وبغنمنا وبقرنا لانه عيد لنا للرب فقال لهما ليكن كما قلتما والله يصحبكما
اذا ما ارسلتكم وحشمكم لعله ان يعرض لكم في الطريق افة ولكن ليس هكذا انطلقوا الان معاشر الرجال اعبدوا بين يدي الرب الهكم
انما تطلبون بذلك الراحة فاخرجوهما من بين يدي فرعون فقال الرب لموسى ارفع يدك على ارض مصر فياتي الجراد فيصعد على ارض اهل مصر فياكل
عشب الحقل وجميع ما نجا من البرد فرفع موسى عصاه على ارض مصر فاهب الرب على الارض ريح السموم جميع ذلك اليوم وفي السبعين
وارسلت ريحا قبلية على الارض نهار ذلك اليوم وتلك الليلة فلما كان بالغداة احتملت ريح السموم الجراد فصعد الجراد وفي السبعين
لقد ساقت الريح القبلية الجراد واصعدته على جميع ارض مصر فسقط على جميع تخوم ارض المصريين وكان منيعا عظيما جدا ولم يكن مثل ذلك
الجراد فيما خلا ولا يكون مثله فيما بعد فغطى جميع الارض فاظلمت الارض واكل جميع عشب الحقل وجميع الشجر التي نجت من البرد ولم تبق
في الشجر غصن ولا ورق ولا في الحقل عشب في جميع ارض مصر فاستعجل فرعون ودعى موسى وهرون وقال لهما قد خطئت بين يدي الله
الهكما والان اعفوا عن ذنبي هذه المرة وصليا بين يدي الرب الهكم فيصرف عني هذه الافة والموت فخرج موسى من بين
يدي فرعون وصلى بين يدي الرب فعاد الرب ريح السموم عاصفا فاحتملت الجراد فقذفته في بحر سوف وفي نسخة فغير الرب تلك
الريح بريح من البحر شديدة فاخذت الجراد والقته في البحر الاحمر ولم يبق في جميع تخوم المصريين شي من الجراد فقسى الرب قلب فرعون
فلم يرسل بني اسرائيل فقال الرب لموسى ارفع يدك الى السماء فليكن الدجى والحنادس على جميع ارض مصر فيلمسهم الظلمة فرفع موسى يده الى السماء
فكانت الظلمة والدجى وفي نسخة السبعين فصارت ظلمة وزوبعة على جميع ارض مصر ولم ير المرء منهم صاحبه ثلثة ايام فاما جميع
بني اسرائيل فكان لهم الضياء والنور في مساكنهم فدعا فرعون موسى فقال له انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب الهكم فاما بقركم وغنمكم فدعوها
ههنا واما حشمكم فانطلقوا بهم معكم فقال موسى لفرعون وانت ايضا تعطينا من الذبايح فنذبح لله ربنا وبهايمنا ايضا تنطلق بها
معنا ولا يبقى منها ههنا ظلف لانا منها ناخذ لنذبح بين يدي الرب الهنا ولسنا نعلم بماذا نعبد الله اذا بلغنا هناك
فقسى الرب قلب فرعون وابى ان يرسلهم فقال فرعون لموسى اخرج من بين يدي واحذر ان تتراى لي ايضا لان اليوم الذي تتراى لي بين يدي
تموت فيه فقال له موسى ما احسن قولك ولست بعايد ان ارى وجهك قال الرب لموسى اني اعود ايضا فانزل بفرعون وبالمصريين ضربة واحدة
وعند ذلك يرسلكم من ههنا فاذا ارسلكم فاخرجوا كلكم وامر الشعب وقال لهم ليستعير المرء منكم من صاحبه والمراة من جارتها حلي ذهب
وفضة وفي السبعين انية الفضة وانية الذهب والكسوة وجعل الرب للشعب في قلوب المصريين محبة ورحمة وموسى كان له هيبة و
كرامة عظيمة في جميع ارض مصر وفي نسخة السبعين عند المصريين وعند فرعون وعند جميع عبيده فقال موسى هكذا يقول الرب اني خارج نصف
الليل فاجوز في ارض مصر فاتوفى جميع ابكار مصر من بكر فرعون الجالس على منبره الى بكر الامة التي في بيت الرحا وتموت جميع ابكار البهايم فتسمع
الولولة العظيمة والصراخ والانين الفظيع ما لم يسمع مثله ابدا وفي نسخة السبعين ولا يعود ايضا ان يكون مثلها فاما ال اسرايل فلا يصاب منهم
ولا الناس وفي البهايم ولا الكلب يلبث وفي نسخة السبعين ولا يعوي في جميع بني اسرائيل كلب بلسانه ليعلموا ان الرب قد ميز بين المصريين واسرايل
فينزل جميع عبيدك هولاء فيسجدون لي ويقولون اخرج انت وجميع الشعب معك وعند ذلك اخرج فخرج موسى من بين يدي فرعون
بغضب شديد فقال الرب لموسى ان فرعون لا يطيعكما لكي ان تكثر اياتي وعجايبي بارض مصر وان موسى وهرون فصنعا هذه العجايب واظهرا هذه
الايات كلها بين يدي فرعون فقسى الرب وفي نسخة السبعين واقسى الرب قلب فرعون فلم يرسل بني اسرائيل من ارضه وقال الرب لموسى وهرون

بارض مصر هذا الشهر لكم بديا يكون لكم راس الشهور ويكون هذا اول شهور السنة قل لجميع جماعة بني اسرائيل في عشر من هذا الشهر فلياخذ الرجل
منهم حملا وفي السبعين خروفا لبنيه وحملا لال ابيه وان كان اهل البيت قليلا لا يحتاجون الى الحمل فليشترك هو وجاره القريب الى بيته على عدة الناس
وعدة اكل امري منهم على قدر اكله من الحمل حملا بلا عيب فيه ذكرا ابن سنة يكون الحمل من الاغنام او الجديان تاخذونه ويكون محفوظا لكم حتى يوم
الرابع عشر من هذا الشهر ويذبحه كل جماعة كنيسة بني اسرائيل اصيلا وياخذون من دمه ويضعون على القايمتين والعتبة من البيت الذي تاكلونه
فيه علامة للملائكة الذين يؤمرون بقتل ابكار المصريين وتاكلون اللحم في هذه الليلة مشويا بفطير ولا تاكلوا منه نيا ولا مطبوخا بالماء
ولا تبقوا منه شيئا الى الغد ولا تكسروا منه عظما وما فضل منه الى الغد فاحرقوه بالنار وكلوه وانتم قيام وقد شددتم اوساطكم ونعالكم في ارجلكم
وعصيكم في ايديكم وكلوه بعجلة فانه فصح للرب وانا فاني اعبر في ارض مصر في هذه الليلة واضرب كل بكر بارض مصر من الناس والبهايم واعمل
نقمة من جميع الهة المصريين انا الرب ويكون لكم هذا اليوم ذكرا وتعيدونه عيدا للرب لدهوركم الى الابد وتعيدونه سبعة ايام وتاكلون فطيرا
وتعزلون الخمير من بيوتكم من اول اليوم وكل من ياكل خميرا فان تلك النفس تبيد من اسرائيل من اليوم الاول الى اليوم السابع وكل عمل يعمل فلا تعملوه
فيها واحفظوا هذه الوصية فبهذا اليوم خرج عسكركم من مصر فاجعلوا هذا اليوم لدهوركم سنة فاذا ابدا يوم الرابعة عشر من الشهر الاول
من العشي كلوا فطيرا الى يوم احد وعشرين من الشهر الى العشاء ولا يوجد خمير في بيوتكم سبعة ايام وكل من ياكل خميرا فان تلك النفس تبيد من جماعة
اسرائيل من الملة والذمة ومن سكان الارض ما كان خميرا فلا تاكلوه وكلوا فطيرا في جميع مساكنكم فدعا موسى جميع اشياخ بني اسرائيل وقال لهم
عجلوا الى خرافكم او غنمكم لقبايلكم واذبحوا للفصح وخذوا حزمة من ريحان الدبا واغمسوها بدم الحمل ورشوا على عتبات ابوابكم ومعاضدها و
في نسخة السبعين على العتبة وكلا القايمتين من الدم الذي في الاناء ولا يخرج احد منكم من باب بيته الى الغدوة وفي نسخة السبعين الى الصباح فتحفظون
هذه السنة والوصية انتم وبنوكم الى الابد واذا دخلتم الارض التي يعطيكم الرب كما وعدكم فاحفظوا هذا العمل واذا سالكم بنوكم فقالوا
ما هذا الفعل فقولوا لهم هذه ذبيحة فصح الرب اذ فصح على بيوت بني اسرائيل بمصر اذ قتل المصريين وخلص بيوتنا فركع الشعب كله ساجدا لله وانطلق
بنو اسرائيل فصنعوا كما امر الله موسى وهرون وفي بيوت اسرائيل فلما كان عند نصف الليل قتل الرب الابكار بارض مصر وفي السبعين كل بكر بارض
مصر من بكر فرعون الجالس على منبره وفي نسخة السبعين على كرسيه وحتى بكر المسبي المحبوس في السجن وجميع ابكار البهايم فوثب فرعون في تلك
الليلة هو وجميع عبيده وكل ارض مصر وفي نسخة السبعين وجميع المصريين وكانت ولولة عظيمة في جميع ارض مصر لانه لم يوجد بيت لم يكن فيه
ميت فدعا فرعون بموسى وهرون في تلك الليلة وقال لهما انهضا فاخرجا من بين شعبي انتما وبنو اسرائيل ايضا وانطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب
الهكما وسوقوا غنمكم وبقركم ايضا كما قلتما وانطلقوا وصلوا على انا ايضا وادعوا لي والح المصريون على الشعب ليخرجهم من الارض عاجلا لانهم
قالوا انا جميعا نموت فحمل الشعب عجينهم قبل ان يختمر والبارد من فطيرهم مشدودا في عمايمهم ملقى على اعناقهم وصنع بنو اسرائيل كما امرهم موسى
واستعاروا من المصريين حلي ذهب وفضة وكسوة وفي نسخة السبعين انية الفضة والذهب والكسوة وجعل الرب للشعب في اعين المصريين محبة
ورحمة فاعاروهم فخربوا المصريين وظعن بنو اسرائيل من رعمسيس وعلى حاشية في نسخة السبعين انها عين شمس الى سكوت نحو ستماية الف رجل سوى
الحشم والعيال وصعد معهم من الغرباء ايضا من كل خلط ومن البقر والغنم والماشية كثير جدا فاختبزوا العجين الذي اخرجوه معهم من مصر رغفا
وفي نسخة السبعين قرص فطير لم يختبزوه وفي نسخة السبعين لم يختمر وذلك لان المصريين اخرجوهم فلم يقدروا ان يلبثوا ولم يتزودوا زادا
للطريق ايضا وكان مسكن بني اسرائيل في ارض مصر اربعماية وثلثين سنة في هذا اليوم خرج جميع جنود الرب من ارض مصر وفي نسخة السبعين ليلا لان
الرب وفي نسخة سابق علمه حفظ تلك الليلة التي خرجوا فيها من مصر وكانت هذه الليلة محفوظة لان الرب ابطل ابكار مصر ولاخراج جميع بني
اسرائيل ليكون ذكر ذلك في جميع احقابهم وحلوقهم وقال الرب لموسى وهرون هذه سنة الفصح لا ياكل منه غريب وكل عبد لرجل اشتراه اذا اختتنه
عند ذلك فيطعمه الفصح والاجير والساكن فلا ياكل منه في بيت واحد فليوكل وفي السبعين وكل عبد لرجل اشتراه فليختتن ثم ياكل منه
الملتجي والاجير وليوكل في بيت واحد ولا تخرجوا من اللحم خارجا من البيت شيئا ولا تكسروا منه عظما واذا سكن معكم غريب فختن كل ذكر

فيبيته عند ذلك فليقترب وفيصنعه لسبعين وليحتشي منهم كل ذكر ثم يرتون بعد ذلك الى اكل الفصح وليكن عنده الى بمنزلة اهل الارض
ولا ياكل منه اغرل ولتكن سنة واحدة لاهل الارض والغرباء الذين يسكنون معكم وصنع جميع بني اسرائيل كما امر موسى وهرون وفي هذا
اليوم اخرج الرب بني اسرائيل من ارض مصر جميع جنودهم وقال الرب لموسى طهر لي كل ذكر بكر فاتح كل رحم من بني اسرائيل من الناس والبهائم ثم يكون لي
فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من العبودية وان الرب اخرجكم من هاهنا بيد منيعة الى ان قال مما مضى في سورة
البقرة ثم ذكر في الخامس علة الفصح فقال احفظوا شهر ابيب واعملوا فصحا لله ربكم لانه انما اخرجكم من ارض مصر في شهر ابيب ليلا لله
واذبحوا فصحا لله ربكم من البقر والغنم في الموضع الذي يختار الله ربكم فلا تاكلوا منه خميرا بل كلوا فطيرا سبعة ايام خبز ابيب على الموضع لانكم
انما خرجتم من ارض مصر بعجلة لتذكروا اليوم الذي اخرجتم فيه من مصر كل ايام حياتكم ولا يرى الخمير في حدودكم سبعة ايام ولا يحل لكم ان تاكلوا الفصح
في قرية من القرى التي يعطيكم الله ربكم ولكن في الموضع الذي يختار الله ربكم ان يصير فيه اسمه فهناك اذبحوا الفصح ويذبح عند غروب الشمس في الوقت الذي
خرجتم من ارض مصر ثم قال واحصوا سبعة سوابيع من بعد عيد الفصح ثم اعملوا عيد السوابيع وائتوا بخواص غلاتكم الرب كما بارك لكم الله ربكم في الموضع
الذي يختار الرب ان يصير اسمه فيه واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر فاحفظوا هذه السنن كلها واعملوا بها واعملوا عيد المظال سبعة ايام اذا
ما دخلتم بيادركم وخرتم معاصركم ليبارك الله ربكم في جميع غلاتكم وفي كل عمل ايديكم وتكونوا فرحين ويرى ذكوركم ثلث ايام الله ربكم في
الموضع الذي يختار ثلاث مرات في السنة في عيد الفطير وعيد السوابيع وعيد المظال انتهى وفيه مما لا يجوز اطلاقه في شرعنا اضافة الابن
في قوله ابني بكري وهو مؤول انه يكرمه اكرام الولد واطلاق الاله على غير الله سبحانه مرادا به الحاكم ولا يجوز هذا الاطلاق عندنا ولما انقضى
ما اراهم سبحانه من الافعال الهائلة التي تخلصهم بها من ذلك الجبار شرع يذكر ما قابلوه به من الجهل به سبحانه وما قابلهم به من الحلم ثم ما احل بهم
بعد طول المهلة من ضرب الذلة والمسخ بصورة القردة فقال عاطفا على قوله فاغرقناهم في اليم او قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى
وجاوزنا اي قطعنا بما لنا من العظمة وساقه على طريق المفاعلة تعظيما لما روي انه في جوازهم كان يوم عاشورا وان موسى عليه السلام
صامه شكرا لله تعالى على انجائهم واهلاك عدوهم ببني اسرائيل بعد الايات التي شاهدوها حين البحر ولما جعلته معطوفا على اول القصة
لان هذه القصص كلها بيان لا في الناس [?] الجهم التي لا يغني الايات كما مضى عند قوله والبلد الطيب وبيان لقوله اخذنا اهلها بالباساء
والضراء الى اخرها وزيل على ذلك مع ما ابتدئت به القصص حينها بقوله ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقوله ولقد ذرانا
لجهنم وحسن موقعها بعد قوله وتمت كلمت ربك الحسنى لانه لما قيل بما صبروا اشتوفت النفس الى حال الرخاء هل شكروا وفيه ان كثيرا منهم كفروا
نعمتها لقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وما شاكله وما احسن تعقيب ذلك بقوله فاتوا اي مروا بفاء التعقيب على قوم اي ذوي قوة
تبلكانوا لهم يعكفون اي يديرون ويتحلقون ملازمين مواظبين على اصنام لهم اي لا قوة فيها ولا نفع فيهم فعكوفهم
عليها امثل في الغباوة وقيل انها كانت تماثيل بقر وكان ذلك اول امر العجل ولما اخبر سبحانه بذلك علم السامع انهم بين امرين اما
شكر ولما ففي فتشوف الى ما كان منهم فاجاب سبحانه بقوله سؤاله قالوا اي لم يلبث ذكرهم لما اراهم سبحانه من عظمته وشكرهم لما افاض
عليهم من نعمته الا ريثما امنوا من عدوهم بمجاوزتهم البحر واغراقه فيه حتى طلبوا الطاغية بقولهم يا موسى سموه كما ترى باسمه
جفاء وغلظة اعتمادا على ما عمهم من بره وحلمه غير متمادين بما بهرهم من جلال الخطة من الله وقتهم اجعل لنا الها اي شيئا
نراه ونطوف به تقيدا بالوهم كما لهم الهة وهذا منهم قول من لا يعرف الاله الذي فعل معهم هذه الافاعيل شيئا ولا يستحضر شيئا من عظمته
ولما كان هذا منهم عظيما استانف جوابا لمن تشوف الى قول موسى عليه السلام لهم ما هو بقوله قال انكم قوم اي ذوو اقيام في شهوات النفوس
فقال تجهلون مضارعا اشعارا بان ذلك ادمنهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه في ماض ولا مستقبل والله اعلم انه
لا تكرير في هذه القصص فان كل سياق منها لامر لم يسبق مثله فالمقصود من قصة موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة والملام
هنا الاستدلال الوجودي على قوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ومن هنا تعلم ان سياق قصة بني اسرائيل بعد الخلاص من عدوهم

لبيان اسراعهم في الكفر ونقضهم العهود واتم بيان في هذا الاستدلال الى اخر السورة وما انسب واذ اخذ ربك من بني ادم الاية لقوله
وما وجدنا لاكثرهم من عهد وذكر في الانفال التي تليها تنازعهم في الانفال تحذيرا لهم من ان يكونوا من الاكثر المذمومين في هذه وهذا
بخلاف المقصود من سياق قصص بني اسرائيل في البقرة فانه هناك الاستدلال على ما دعي اليه بالتذكير بالنعم لان ذلك في سياق خطابه سبحانه
لجميع الناس بقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم
ودفع النقم والله اعلم ولما استفيد من كلامه لهم غاية الانكار عليهم علل هذا الانكار بقوله ان هؤلاء اي القوم متبر ما
هم فيه اي مكسر مفتت مهلك على وجه المبالغة واذا افسد الظرف فسد المظروف واليه الاشارة بجعل هؤلاء اسما لان
واياليه خبر الجملة الواقعة خبرا مقدما على مبتدائه ولما كان الشيء قد يهلك في الدنيا وهو حق اعلم بان هذا الهلاك انما هو لما هم عليه
اعم من كونه في الدنيا او في الاخرة لبطلان ما هم فيه فقال معبرا بالاسمية اشارة الى انه الان كذلك وان رئي بخلافه
وباطل اي مضمحل زائل ما كانوا اي جبلة وطبعا يعملون مواظبين عليه من الاصنام والعكوف وجميع اعمالهم
لاجله لا وزن لشيء منها اصلا ولا اعتبار وفيه اشارة الى ان العبادة لا تنبغي الا للباقي الذي لا يجوز عليه التغير فاذا كان كذلك كان
العمل ايضا ثابتا باقيا لا يجوز عليه البطلان وفي تعقيبها الشريعة الذين اشارة الى موجب ذلك وان كل من كان على مثل حالهم من عبادة
غيره كانت عاقبته الدمار ولما كان هذا استدلالا على ان مثل هذه الاصنام التي فتنوا عليها لا تصلح لان تعبد كان غير ذلك قيل نعم
قال منكرا متعجبا اغير الله اي الذي له جميع العظمة وهو المستحق للعبادة ابغيكم اي اطلب لكم الها فانكر ان يتابع غيره وحصر الامر فيه
ثم بين بقوله وهو اي والحال انه هو وحده فضلكم دون غيركم ممن هو في زمانكم او قبله على العالمين اذ لو لم يكن لوجوب اختصاصهم
له بالعبادة سبب سوى اختصاصه لهم بالتفضيل لكفى في عبادته الذين بلغهم علمهم ممن هو اقوى منهم حالا واكثر عددا واموالا لكان كافيا ولما انتبت له
الالهية لا تصلح لغيره وان غيره لم يكن يقدر على تفضيلهم وكان المقام للعظمة وكانت قبيل ايذانا بغلظ اكبادهم وقلة فطنتهم وسوء
مقابلتهم للمنعم ذكروا اذ ذاك ان تفضيله لكم باصطفاء ابائكم ابرهيم واسحق ويعقوب مما تقدم له عندهم وغير ولادهم من النعم لا سيما
يوسف عليه السلام الذي حكمه في جميع الارض الذي استرقكم اهلها عاطفا عليها اشارة اليه قوله التفاتا الى مظهر العظمة تذكيرا بنعمه مرحولة
واذ اي واذكروا اذ انجيناكم اي على ما لنا من العظمة التي انتم بها عارفون ولها كل وقت في تلك الايات تشاهدون من ال فرعون
وما افضنا عليكم بعد الانجاء من النعم الجسام واريناكم من الايات العظام تعرفوا انا فضلناكم على جميع الانام ثم استانف بيانا مما انجاهم عنه
بقوله يسومونكم اي يذيقونكم دائما سوء العذاب ولما كان في ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في الكفر وشدة عسائرتهم وقسوتهم وجلافتهم
ونحو مقصود السورة انذار المعرضين وتحذيرهم من القوارع التي احلها بالماضين بين سوء العذاب لذي ينبئ عن التشنيع لانه قد لا يكون
لانه قد لا يكون عند الانزياح وهو في الاصل لمطلق الشق لا التعبير بالقتل لانه ادل على الاماتة واهول لانه قد يكون على هيئة غريبة بشنعة
كالتقطيع والتخنق والخبط وغير ذلك مع انه لابد فيه من تفويت النفس فقال يقتلون اي تقتيلا كثيرا ابناءكم ودل على حقيقة القتل بقوله
ويستحيون ولما كان المعنى انهم لا يعرضون لهن لا صغارا ولا كبارا وكان انكار ما يكون من ابقاء النساء بلا رجال لما يخشى من الضياع والعار
ونحو مغلبة العار الكبير عبر عن ذلك بقوله نساءكم وتنبيها على ان قتل الابناء انما المقصود منه صيرورتهن حبالا لئلا يسلبهم واحد منهم اعلمهم به
كهانهم ملكهم واشار الى شدة ذلك بقوله وفي ذلكم اي الامر الصعب المهول بلاء اي اختبار لكم ولهم من ربكم اي المحسن اليكم في حال
الشدة والرخا فانه اخفي عنهم الذي قصدوا القتل لاجله وانقذكم به بعد ان ربي عند الذي هو مجتهد في فجيعته عظيم ولما ذكرهم بنعم
انجاء الابدان اتبعها التذكير باكبر منها وهي الكائنة لحفظ الاديان وصيانتها جوهرة الايمان بما نصب لهم من الشرع في التورية فقال مجيبا لهم
اذكارا في الانعام عليهم بنصب الشرع الهادي لهم من الضلال واختصاصهم بمزيد القرب المنجاة وهم في اتخاذ الهة سواه لا نفع فيه اصلا ولا يرضى
كلب العقل ان يعبده عاطفا له على ما يتعجب به منهم في قوله وجاوزنا ببني اسرائيل وواعدنا اي على ما لنا من العظمة

كان فيهم ملا تعرض عليهم فربما ظنوا ان غيرها كما يعبدون الله يجوز عبادته فلما قيل هذا الا [?] جوا بالتعرض له فرق الكلام غير صح

موسى ثلثين اى لمناجاته ثلثين ليلة اى عقبها واتممناها اى المواعدة بعشر اى ليال وذلك انه لما مضت ثلثون ليلة وهو
شهر ذى القعدة فيما قيل وكان موسى عليه السلام قد صامها ليلها ونهارها انكر ريح فمه فتسوك فاعلمه الله انه قد افسد ريح فمه وامره بصيام
عشرة ايام اخرى هى عشر ذى الحجة ليرجع ما ازاله منه الى ما كان وذلك ان موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل وهو بمصر انه اذا اهلك الله سبحانه عدوهم
اتاهم بكتاب من عنده فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك الله عدوهم سال موسى عليه السلام الكتاب فامره بصوم ثلثين يوما ثم امره بالعشر
ولما كان من الممكن ان يكون الثلثون هى النهاية وتكون مفصلة الى عشرين ثم عشر ازال هذا الاحتمال بقوله فتم ميقات ربه اى الذى قدره فى الازل لان
يناجيه بعده بالفا اربعين ولما كانت العشر غير صريحة فى الليالى قال ليلة فانتفى ان يكون ساعات مثلا وعبر بالميقات لانه ما قدر فيه عمل
من الاعمال واما الوقت فزمان الشى سواء كان مقدرا ام لا وعبر بالرب اشارة الى اللطف به والعطف عليه والرحمة والميقات هو الاربعون قاله الفارسى
فى الحجة وقدر انقضاء الاربعين بعد وداها العدد كما تقول تم القوم عشرين رجلا عدوه وبين هنا العدد واجمل سبحانه الاربعين فى البقرة لان المراد
بذلك السياق تذكيرهم بالنعم الجسام والمنة اليهم بالاحسان والاكرام ليكون ذلك ادعى الى رجعهم الى الايمان وامكن فى ردعهم عن الكفران بدليل ما سبق قصتهم
من قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم كيف تكفرون بالله وما اكتنفها اوله واخرها من قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم الايتين المبدو بهما والمختتم
بهما وفصل هنا الاربعين الى الثلثين وعشر لان المراد بهذا السياق كما تقدم بيان قرب هم ومرودهم على فسهم ومكرهم وانه لم ينفعهم تواتر النعم ولا اغنى عنهم
شيئا تواتر النعم والايات وكان ذلك فى قصص الامم الخالية والقرون الماضية ممن ذكر فى هذه السورة استدلالا كما تقدم على ان المفسد اكثر من المصلح
الى غير ذلك مما اجمل فى قوله وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها الاية تسلية لهذا النبى الكريم وترهيبا لقومه بما وقع لهم من العقاب الاليم
والفصل بين السياقين يدق الا عن اولى البصاير والله اعلم فيكون المراد بتفصيل الاربعين هنا بيان ان ابطاء موسى عليهم عن الميعاد انما كان بعشر ليال
فانكبوا فيها هذه الجريمة التى هى اعظم الجرايم واشارته الى عظيم جرائتهم وعراقتهم فى السفينة بقوله عاطفا على واعدنا وقال موسى اى
لما واعدناه لاخيه ثم بينه صريحا باسمه فقال هرون اخلفنى اى كن خليفتى فيهم تفعل ما كنت افعل وكان الارتسام بما يجده بقوله
فى قومى واشار الحثه على الاجتهاد بقوله واصلح اى كن على ما انت عليه من ايقاع الاصلاح ولما كان عالما بانه صلى الله عليه وسلم مبرا من السوء
فيراعنده لينا قال ولا تتبع اى تكلف نفسك غير ما طبعت عليه بان تتبع سبيل المفسدين اى اتصلاحا لهم خوفا من تنفيرهم فاخلوا
على الطريق كما تفرس فيهم من كرهم ولم يذكروا عاقبة فلا هم خافوا بطش من بطش من كان يسومهم سوء العذاب ولا هم سمعوا الاخيه فى الصلاح
ولا هم انتظروه عشرة ايام فلا اضعف منهم حلما ولا اشد على انبيائهم اقداما ولما ذكر سبحانه المواعدة وما حيطا طرق الصلاح قومه شرح امره حال
المواعدة وحالهم بعد غيبته عنهم فقال ولما جاء موسى لميقاتنا اى عند اول الوقت الذى قدرناه للمناجاة ولما كان مقام الجلال مهولا
لا يستطاع معه الكلام التفت الى مقام الاكرام فقال وكلمه اى من غير واسطة ربه اى المحسن اليه بانواع الاحسان المتفضل على قومه
بانواع الامتنان والذى سمعه موسى عليه السلام عند اهل السنة من الاشاعرة هو الصفة الازلية من غير صوت ولا حرف واستبعد فى ذلك كما لا يبعد
فى رويته ذاته سبحانه وهى ليست بجسم ولا جوهر ولا عرض وليس كمثله شى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سبحانه كلمه فى جميع الميقات وكتب له
الالواح وقيل انما كلمه فى اول الاربعين والاول اولى فلما كلمه بصفة الربوبية الناظرة الى العطف واللطف وكانت الرؤية جائزة
اشتاق الى الرؤية شوقا لم يتمالك معه لما اخلد من لذاذة الخطاب فسال العلم بانها جائزة قال مسقطا الاداة كعادة اهل
القرب رب ارنى اى ذاتك الاقدس بان ترفع عنى الحجاب فتجعلنى متمكنا من النظر وهو معنى قول الحبر ابن عباس اعطنى وحقق انها رؤية
العين بقوله منحصا للامر ولما اى لم يحب تحقيق العين واشار الى عظمته سبحانه وعلو شانه وعلو العظمة لا المسافة بالتعدية بحرف النهاية
بعد ان اشار بحذف اداة النداء الى غاية القرب بالاحسان فقال انظر اليك اى فان الموعد كلما جانه تحقق ان عليه السلام لا يراه حتى يرينا
قال نافيا المقصود وهو الرؤية لا مقدمتها وهو النظر الذى هو التحديق بالعين لن ترانى ودل سبحانه بهذه العبارة على جواز
رؤيته حيث لم يقل ارنى لن ارى لن احد ثم زاد ذلك بيانا بتعليقه بممكن فقال ولكن انظر الى الجبل اشارة الى جبل بعينه

وهو

وهو اعظم جبل هناك وزاد فى الاشارة الى امكان الرؤية بالتعبير باداة الشك واتباعها بامر ممكن فقال فان استقر مكانه اى وجد
قراره وجودا ثابتا واشار الى بعد الرؤية ايضا وجلالة المطلوب منها بقوله فسوف ترانى اى بوعد لا خلف فيه فلما تجلى ربه
اى المحسن اليه بكل عطاء ومنع وبين بتعبيره باللام انه تجلى قدر خصوصيته ولو عبر بعلى مثلا لكان امرا آخر فقال للجبل اى بان كشف
للجبل عن ما شاء من حجب عظمته جعله دكا اى مدكوكا والدق والدك اخوان وخر اى وقع موسى صعقا اى مغشيا عليه مع صوت
هائل فعلم ان معنى الاستدراك انك لن تثبت لرؤيتى فى هذه الدار ولا تعرف ذلك الان ولكن تعرفه بمثال اريكه وهو الجبل فان كان
كما نقل عن الامام مالك لا ينبغى له ان يرى الباقى فلما افاق اى من غشيته قال سبحانك اى تنزيها لك عن ان اطلب منك ما لم تاذن فيه
تبت اليك اى من ذلك وانا اول المؤمنين اى مبادر غاية المبادرة الى الايمان بكل ما اخبرت به وكل ما تضمنت هذه الايات فتعبيره بالايمان
فى غاية المناسبة لعدم الرؤية لان شرط الايمان ان يكون بالغيب وقد ورد فى نبينا صلى الله عليه وسلم ايتان احديهما يمكن ان يشير الى الرؤية
بالتعبير بالمسلمين دون المؤمنين فى قوله وانا اول المسلمين والثانية تومى الى عدمها وهى امن الرسول الى قوله كل امن بالله والله اعلم وكل
هذا تبكيت على قومه وتبكيت لهم فى عبادتهم العجل وردع لهم عن ذلك وتنبيه لهم على ان الالهية مقرونة بالعظمة والكبر بعيدة جدا
عن ذوى الاجسام لما يعلم سبحانه انهم سيكررونه عبادة الاصنام فاثبت لاله الحق الكلام والرد عن الرؤية بحجاب الكبر والعظمة
واندكاك الجبل عند تجليه ونصب الشرع الهادى الى القوم سبيل تعريضا بالعجل والذى اشير قوله تعالى الم يروا انه لا يكلمهم الاية منعه الرؤية
بعد طلبه اياها وقال الذات بمحاسن الافعال والاقوال لا تشوف السامع الى ما قوبل به من الاكرام كان استانف سبحانه الاخبار عما منحه به تسلية
له عما منعه وامرا بشكره بقوله قال يا موسى مذكرا له نعمه فى سياد الحكى عظيم قدرها ولجا بتكريرها مسقطا عنه مظهر العظمة
تانيسا له ورفقا به انى اصطفيتك اى اخترتك اختيارا بالغا كما يختار ما يصفى من الشى عن كل دنس على الناس اى الذين فى زمانه
برسالاتى اى الايات المستكثرة التى اظهرتها واظهرها على يديك من اسفار التورية وغيرها وبكلامى اى من غير واسطة وكانه اعاد
حرف الجر للتنبيه على ذلك كما اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على الناس عامة فى كل زمان برسالته العامة وبكلامه المعجز وبكلمته من غير واسطة
فى السماء التى قدست دائما ونزهت عن التدنيس بمعصية ولما كان ذلك مقتضيا لغاية الاقبال والنشاط سبب عنه قوله فخذ ما اتيتك
اى خصصتك به وكن من الشاكرين اى العريقين فى صفة الشكر المجبولين عليها ولما اقتضى ما انسه سبحانه به لحق الكلام فى الاخبار
بنا عن عظيم ما اتاه الى مظهر العظمة فقال مفصلا لتلك الرسالة ومبينا بعض ما كان من الكلام وكتبنا اى بعظمتنا له فى الالواح عرفها
لعظمتها تنبيها على انها لجلالتها ما اختصت بها كانت المختصة بهذا الاسم واعظم من هذا جعل قلب النبى الامى لوحا قابلا لما يلقى اليه جامعا العلوم
الاولين والاخرين من كل شى اى يحتاج بنو اسرائيل من ذلك هو العشر الايات التى نسبتها الى التورية نسبة الفاتحة الى القران
ففيها اصول الدين واصول الاحكام والتذكير بالنعم والامر بالزهد والورع ولزوم محاسن الاعمال والبعد عن مساويها ولذا قال مبدلا موعظة
وتفصيلا اى على وجازتها لما كانت سببا لكل شى اى انها مع كونها امهات وجوامع مفصلة ترجع اليها بحور العلم وتتشعب منها
ينابيعها ولما كان نظمها هكذا تسبب عنه حتما قوله التفاتا الى الخطاب بحسم محطاب الثانى اشارة الى ان التزام التكاليف صعب فخذها
اى الالواح بقوة اى بجد وعزيمة اى فى العلم والعمل وامر قومك اى انت قويا على ذلك ولتهم ما يراد يأخذوا باحسنها كانه سبحانه اطلق
لموسى عليه السلام الاخذ بكل ما فيها لما عنده من الملكة الحاجزة له عن شى من المجاوزة ولذا اوقع الاخذ بالقوة وقيدهم بالاحسن ليكون الحسن حجزا ما بعث
لهم الوصول الى القبيح وذلك مثل الاقتصاص والعفو والانتصار والصبر ولما كان كانه قيل وهل يترك الاحسن احد فقيل نعم الفاسق يتركه
بل ويتجاوز الحسن الى القبيح بل والى افتح القبيح ومن تركه اهلكته وانزل به وعظم جنوده واموال قال معللا التعليل لان له ساريكم دار
الفاسقين اى الذين يخرجون عن اوامرى الى ما انهاهم عنه فانصركم عليهم وامكنكم بنفسهم من رقابهم واموالهم من العمالقة و
الكنعانيين وغيرهم من سكان الاراضى المقدسة لتعلموا ان من اغضبنى وترك امرى امكنت منه وانما ذكر الدار لئلا تعجزهم منعتها اذ تفوا

بافيظنوا ان لا غالب لهم فيها بوعورة ارضها وشهوق جبالها واحكام اسوارها واذا تاملت ما سياتي في شرح هذه الآيات من التورية لاح لك
هذا الحضور كما ذكر في التورية عند قوله تعالى في المائدة قل اونبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله وهذه الجملة المختصرة بشارة باتمام الوعد
بنصرتهم عليهم بطاعتهم ونذارة على تقدير معصيتهم فكانه قيل ان اخذوا بالاحسن اريتهم دار الفاسقين واتممت عليهم النعمة وادمتها
على الشكر وان لم ياخذوا اهلكتهم كما اهلك الفاسقين من بين ايديهم تحذيرا لهم ان يفعلوا افعالهم اذا انقرضت بهم الدار وزالت عنهم
الاكدار ويؤيد كون المراد القدس لا مصر قراءة من قرا ساورثكم من الارث لانها هي المقصودة باخراجهم من مصر وبعث موسى عليه السلام وكان ينبغي
ذلك احتمال مصر ايضا والله اعلم ولما انقضى ذلك الكلام كانه قيل وكيف يختار رعا قال ذلك فكيف من راى الآيات وشاهد المعجزات فقال
ساصرف عن اياتي اي المسموعة والمرئية على عظمتها بما اشارت اليه الاضافة بالصرف عن فهمها واتباعها والقدرة على الطعن فيها بما يوثر
في ابطالها الذين يتكبرون اي يطلبون الكبر بالبغي ويعملون قواهم فيه في الارض اي جنسها الذي امرت بالتواضع فيه ولما كان
من طالبه بصفة فاضلة فوضع نفسه موضعها ولم يهنها نظرا لما انعم الله به عليه وصحه اياه ربما سمي ذلك منه كبرا او بما سمي طالبه لذلك
الاخلاق التي توجب رفعة تكبرا وليس كذلك وان وافقه في الصورة لمفارقته له في المعنى فانه صيانة النفس عن الذل وهو انزال النفس
دون منزلتها صفة لا تواضعا والكبر رد الحق واحتقار الناس ففي التقييد هنا اشارة تخفية لاثبات العزة بالحق والوقوف عند حد التواضع
من غير انحراف الى الصفة وتوقفا على شرط العزة المنصوص على مثل نار الكبر قاله الامام السهروردي وقال ولا تو يتحقق ذلك ويثبت عليه الا
اقدام العلماء الراسخين فالعاصم الاحتراز عنه ومن ظن كل كبر خلاف الحق الكامل بغير الحق اي انما يختار غير الاحسن غير خياره بقضاء الذي
ايردوا امرهم على امر ذي حجة فان من لمن علت خيانة عنهم ورداءة جوهرهم ما اريد حتى يرتكبوا كل قبيحة ويتركوا كل مليحة فيهم نوع عز الا
ويعمون من الدلالات الواضحات ولما اخبر بتكبرهم في الحال اعطف عليه فعلهم في المال فقال وان يروا كل آية اي مرئية او مسموعة لا يؤمنوا بها اي
لتكبرهم عن الحق وان يروا سبيل اي الطريق الرشد اي الصلاح والصواب الذي هو اهل السلوك لا يتخذوه سبيلا اي لا يسلكونه بقصد منهم
ونظر وتدبر بل ان سلكوه فعن غير قصد وان يروا سبيل الغي اي الضلال يتخذوه سبيلا اي بغاية الشهوة والتعمد والاعتماد لسلوكه
ولما كان هذا محل عجب من ان سال عنه بقوله ذلك اي الصرف العظيم الذي زاد عن مطالع الصرف بالعمى عن الايمان واتخاذ الرشاد بانهم اي بسبب انهم
كذبوا باياتنا اي على ما لها من العظمة وكانوا عنها خاصة جبلة وطبعا غافلين اي كان دابهم وديدنهم معاملتهم لها بالاعراض
عنها حتى كانها معقول عنها فهم لذلك عمون على ما ينفع منهم ولما ذكر احوال المتكبرين الذين اداهم كبرهم الى التكذيب في الدنيا ذكر حالهم في الاخرة
فقال والذين اي كذبوا بها والحال ان الذين كذبوا باياتنا اي فلم تعتبر لعظمتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم اياها ولقائهم ما وعدوا به
فيها الازم من التكذيب بالآيات الحامل التصديق بها على محاسن الاخلاق حبطت اي فسدت فسقطت اعمالهم والآية من الاحتباك اثبات
الغفلة اولا دليلا على ارادتها ثانيا واللقاء ثانيا دليلا على ارادته اولا ولما كان كانه قيل لم بطلت قيل هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اي بابطال اعمالهم وان عملوا كل حسن كونه كالايمان بسبب انهم ابطلوا الآيات والاخرة بتكذيبهم بها اي عدوها باطلة والجزاء من جنس العمل والحاصل
انهم لما عموا عن الآيات لانهم لم ينظروا فيها ولا انقادوا امر سادات عقولهم عليه امرها بل سدوا باب الفكر فيها اعماهم الله عمى فختم على مداركهم
فصارت لا تنتفع بها فصاروا لا يعون وهذه الآيات اعظم زاجر عن التكبر فانها بينت انه يوجب الفكر والاصرار عليه والوقوع في جميع الاثم ولما
كان ذلك الكلام ما ينبغي الموقف من ارتكاب اعقبه ثم مبينا له وهو مصور لو يحقق الوقوع ومقررا قوله عطفا على فاتوا على قوم يعكفون مبينا
لسرعتهم في الكفر واتخذ اي بغاية الرغبة قوم موسى اي اتخاذ السامري ورضاهم ولم يعتبروا شيئا مما اتاهم به من تلك الآيات التي لم ير
مثلها من بعده اي من بعد ابطائه عنهم بالعشرة الايام التي اتممنا بها الاربعين من حليهم اي التي كانت معهم من مالهم ومما استعاروه من القبط
عجلا ولما كان العجل اسما للولد البقر بين انه انما شبهه صورة فقط فقال مبدلا منه جسدا ولما كان الاخبار بانه جسد مفهما لادخال ما شبه
الثاني عن الروح قال له خوار اي صوت كصوت البقر والمعنى انه لا اضل ولا اعمى من قوم كان معهم حلي واخذوه ومكنوا ان يتعبدوا ويؤذونهم

وهم

وهم مع ذلك الكفر الكفرة فكان جديرا بالبغض لكونه من اثار الظالمين الاعداء فاعتقدوا انه بالصوغ صار الها وبالغوا في محبته العبودية له وجهوا
يرونه ويلمسونه ونبيهم الذي هو احق بالعبودية واصطفاه كلامه يسال روية الله فلا يصل اليها ولما لم يكن في الكلام نص باتخاذه الها دل على ذلك بالانكار
عليهم في قوله الم يروا اي الذين اتخذوه الها انه لا يكلمهم اي كما كلم الله موسى عليه السلام ولا يهديهم سبيلا كما هداهم الله تعالى سبل
النجاة منها سلوكهم في البحر الذي كان سببا لاهلاك عدوهم كما كان سببا لنجاتهم وقال ابو حيان سلب عنه هذين الوصفين دون باقي اوصاف الالهية
لان انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم وانتفاء الهداية الى سبيل انتفاء القدرة وانتفاء هذين الوصفين يستلزم انتفاء باقي الاوصاف ولما كان
هذا امرا عظيما جدا يستبعد الوقوع ولا سيما من قوم فيهم نبيهم ولا سيما مع قرب عهدهم من النعم والآيات بما ملأت انواره الافاق وكان جديرا بالتاكيد فقال
اتخذوه اي بغاية الجد والنشاط والشهوة وكانوا اي جبلة وطبعا مع ما اثبت لهم من الانوار ظالمين اي حالهم حال من يمشي في
الظلام وان المقصود الظلم وصف لهم لازم فلا بدع اذا فعلوا امثال ذلك ولما كان هذا في قوة ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
وكان قد تقدم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فانتج ان من كذب على هذه الصفة اهلك فانتظر السامع الاخبار بتعجيل
هلاكهم اخبر بانه منعهم من ذلك وحرسهم المبادرة بالتوبة ولما اشتد تشوف السامع اليه قدمه على سببه وهو رجوع موسى عليه السلام اليهم و
انكاره عليهم ولان السياق في ذكر اسراعهم في النسق لم يذكر قبول توبتهم كما في البقرة ولما كان من المعلوم انهم تبين لهم عن قرب سوء مرتكبهم لكون
نبيهم فيهم عبر بما افهم ان التقرير فسقط في ايديهم وعطف عليه قوله لا يقاله مساق ما هو معروف ولما سقط اي سقطت اسنانهم في ايديهم
بعضها اذ ما سقوطا كانه بغير اختيار لما غلب فيهم من الوجد والاسف الذي ازال المهم ولذلك بناه للمفعول وراوا انهم قد ضلوا اي عن الطريق الواضح
قالوا توبة ورجوعا الى الله كما قال ابوهم ادم عليه السلام لئن لم يرحمنا ربنا اي الذي لم يقطع قط احسانه عنا فيكف غضبه ويديم احسانا
ويغفر لنا اي يمحو ذنوبنا عينا واثرا فلا ينتقم منا في المستقبل لنكونن من الخاسرين اي فينتقم منا بذنوبنا ولما اخبر بالتسبيح بتاخير الانتقام
عنهم مع مسا وانهم من او تعت بهم النقمة في موجب الانتقام اخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه اليهم من الغضب والتبكيت لهم لانه
مع ما اشتمل عليه من الرحمة والتواضع فقال ولما رجع موسى اي من المناجاة الى قومه غضبان اي في حال رجوعه لما اخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل
اسفا اي شديد الغضب والحزن قال بئسما اي خلافة خلافتكم التي خلفتموني اي قمتم مقامي وفعلتم خلفي وما كان هذا ربما اذهم انهم فعلوا امن
ورائه وهو حاضر في طرف العسكر قال من بعدي اي حيث عبدتم غير الله بها العبرة وحيث لم تكفوا عن يرا الموحدين بعد ذهابي الى الجبل للمواعدة الالهية
وبعد ما سمعتم مني من التوحيد لله تعالى وافراده عن خلقه بالعبادة ونفي الشركاء عنه وقد رايتم حين كففتكم وزجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم
اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف ولما كان الفوه في شيء ولما كان قد راجعهم ان لا يحدثوا حدثا حتى يعود اليهم انكر عليهم
عدم انتظاره فقال اعجلتم قال الصغاني في المجمع سبقتم وقال غيره عجل عن الامر اذا تركه غير تام ويضمن معنى سبق فالمعنى سابقين
امر ربكم اي ميعاده الذي وعدنا اليكم اي فعلتم هذا قبل بلوغ الموعد الذي ادنيه وهو العشر الايام برجوعي اليكم لحده فظننتم
الموت فغيرتم كما غيرت الامم بعد موت انبيائها وقال الامام ابو عبد الله القزاز ايضا عجلتم سبقتم ومنه تقول عجلت فلانا سبقته وانشد ابن السكيت
الا الصمعي والقى الالواح اي التي فيها التورية غضبا لله وارهابا للقوم ودل هذا على ان الغضب بلغ منه الحد الذي ما عده ذلك في ابدانه
واخذ براس اخيه اي بشعره يجره اليه اي بناء على انه قصر واعلاما لهم بان الغضب في هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يجل عن الوصف لانه
احتياط للدين من اصله ولما كان هرون عليه السلام غير مقصر في نهيهم اخذ في اعلام موسى بذلك خصصا الام وان كان شقيقه تذكيرا له بالرحم
الموجبة للعطف والرقة ولا سيما وهي مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف فكانه استانف بيان الاخبار عن ذلك بقوله قال ابن ام وحذف اداة النداء
وياء الاضافة لما يقتضيه الحال من الايجاز وفتح الجمهور الميم تشبيها له بخمسة عشر وعلى حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وكسر الميم ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر عن عاصم بتقدير حذف ياء الاضافة تخفيفا ان القوم اي عبدة العجل الذين يعرف قيامهم في الامر الذي يريدونها
استضعفوني اي عدوني ضعيفا واوجدوا ضعفي بارهابهم لي وكادوا يقتلونني اي قاربوا ذلك لانكاري ما فعلوه فسقط عني الوجوب

وما تسبب عن ذلك اطلاقا وخاف ان يتمنع الغضب من ثبات ذلك في ذهنه وتقرره في قلبه فقال **فلا تشمت بي الاعداء** اي لا تسرهم بما تفعل
فانهم علموا منهم وبذلك وطلب التعطف بالتذكير بالشماتة التي هي شماتة بك ايضا التعرض بالخصوص فقال **ولا تجعلني** اي بمواخذتك لي
مع القوم الظالمين اي فتقطعني بعد ذلك اي معهم وجعلني في زمرتهم عمي لحيته من الصالحين وتحطني عن ابعضه من الفاعلين الذين فعلوا
فعل من هو في الظلام فوضعوا العبادة في غير موضعها من غير شبهة ولا لبس اصلا ولما تبين له ما هو اللايق بمنصب اخيه الشريف من انه لم يقصر
في عتابهم الي الله ولا وني في نهيهم عن الضلال ورأى ان ما ظهر منه من الغضب مهيب لقومه وارغ لهم عما ارتكبوا دعا له ولنفسه مع الاعتراف
بالعجز وانه لا يسع احدا الا العفو فقال سبحانه ذلك مساق الجواب السؤال بقوله **قال رب** اي ايها المحسن الي **اغفر لي** اي ما عملت عليه الغضب
لك ضيقا عليا في **ولاخي** اي في كونه لم يبلغ ما كنت اريده منه من جهادهم ولما دعا بمحو التقصير اتبعه الاكرام فقال **وادخلنا** اي وانا
واخي وكل من انتظم معنا **في رحمتك** لتكون غامرة لنا محيطة بنا ولما كان التقدير فانت خير الغافرين عطف عليه **وانت ارحم الراحمين** الي انك
تنعم بما لا يحصر الحد ولا يحصيه العد من غير نفع يصل اليك ولا اذى يلحقك بفعل ذلك ولا تركه ولما كان السوال له ولاخيه وهما معصومان
من الذنوب طوى ما يتعلق بالمغفرة النقيب انفس الي حال المفسدين فقال مخبرا عن ذلك **ان الذين اتخذوا العجل** اي رغبوا رغبة تامة
في اخذهم الهامع الموافقة المخالفة لما ركز في الفطرة الاولى وعلاهم اليه الكليم عليه السلام **سينالهم** اي بوعد لا خلف فيه **غضب** اي
عقوبة فيها طرد وابعاد ولعله بالامر وابن قتل انفسهم واشار الى انه فيه رفق بهم وحسن تربية لمن ترى يبقى منهم بقوله **من ربهم** الي الذي
لا يحسن اليهم غيره يلحقهم في الدنيا ويتبعهم في الاخرة **وذلة في الحيوة الدنيا** اي جزاء لهم على افترائهم وكذا الحال من رضي فعلهم ولا سيما ان كان له
في اولادهم كقريظة والنضير واهل خيبر **وكذلك** اي ومثل جزائهم **نجزي المفترين** اي المتعمدين للكذب من انفسهم ان كل مفتر ذليل
كما هو المشاهد وان تاخر الجزاء بعضهم ولما ذكر المجترين على المعصية عطف عليه التائبين ترغيبا في مثل حالهم فقال **والذين عملوا السيئات**
عبر بالعمل اشارة الى العفو وان ادوموا عليها على علم وجمع اعلاما بانه لا يتعاظمه ذنب وان عظم وكثر وان طال زمانه وكذا في العطف باداة
البعد فقال **ثم تابوا** وحققوا الامر ونفي المجاز بقوله **من بعدها** ثم ذكر الاساس الذي لا تقبل الاعمال الا بني عليه وحجبوهم انه لا فرق بين
ان يكون في السيئات ردة او لا فقال **وامنوا** ثم اجاب المبتدا بقوله **ان ربك** اي المحسن اليك بقبول توبة التائبين لما يسرك من ذلك لانك
بهم رؤوف رحيم **من بعدها** اي التوبة **لغفور** اي محاء لذنوب التائبين عينا واثرا وان جل واد عظم وكثر **رحيم** اي فاعل بهم
فعل الرحيم من البر والاكرام واللطف والانعام وكان المجترين هم الذين قتلوا لما امرهم موسى عليه السلام بقتل انفسهم فلما اهلك المصر وتاب
الباقي وصح برا اخيه وبقاه على رتبته من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتهاد في امر الله زال موجب الغضب فاخبر سبحانه عما تعقبه
فقال **ولما سكت** اي كف شيء الغضب بتكلم كانه يحث موسى عليه السلام ويغريه على ما يوجبه ويقتضيه فلما انتفى غيظه سكن وقطع كلامه
خلفه منه وهو الرضى **عن موسى الغضب** وهو غليان القلب بما يدعو الى الانتقام بالنفس **اخذ الالواح** اي التي جاء بها من عند الله بعد ما القاها
وفي اي والحال انه في **نسختها** اي الامر المكتوب فيها فعلة بمعنى مفعول وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما القاها صام للمناجاة اربعين
يوما اخرى فردت عليه في لوحين مكان ما تكسر **هدى** اي شيء موضح للمقاصد **ورحمة** اي سبب للاكرام **للذين هم لربهم** اي لا لغيره **يرهبون**
اي هم اهل لان يخافوا خوفا عظيما مقطعا للقلوب معجبا للهرب وشيرون على ذلك شرح ما في هذه الايات من قوله ساريكم دار الفاسقين
من السابع من التوراة قال المترجم في السفر الخامس منها بعد ان بكتهم ببعض ما فعلوه مما اوجب لهم الغضب والعقوبة بالتيه وحثهم على لزوم
امر الله ونهيهم فاما الوصايا التي امركم بها اليوم فاحفظوها واعملوا بها لتحيوا وتكثروا وترثوا الارض التي اقسم الله لابايكم فتذكروا كل
الطريق التي سيركم الله ربكم فيه ودبركم منذ اربعين سنة في البرية ليواضعكم ويجربكم ويعلم ما في قلوبكم هل تحفظون وصاياه ام لا
ثم واضعكم واجاعكم واطعمكم منا لم تعرفوه انتم ولا اباؤكم ليبين لكم انه ليس انما يعيش الانسان بالخبز فقط بل انما يعيش بما يخرج
من فم الله ربكم وسيروا في طرقه واتقوه لان الله ربكم هو الذي يدخلكم الى الارض المخصبة ارض كثيرة الاودية والينابيع والعيون

التي تجري في الصحاري وفي الجبال ارض الحنطة والشعير فيها الكروم والتين والرمان والزيتون والدهن والعسل ارض لا تحتاجون فيها ولا تاكلون
خبزكم بالفقر ولا يعوزكم فيها شيء ارض حجارتها حديد تخرجون النحاس من جبالها فاحتفظوا لا تنسوا الله ربكم واحفظوا وصاياه وشرايعه
التي امركم بها اليوم لا تبطروا فاذا اكلتم وشبعتم وبنيتم بيوتا وسكنتموها وكثرت غنمكم وبقركم وكثرت اموالكم فتعظم قلوبكم وتنسوا الله ربكم
الذي اخرجكم من ارض مصر وانقذكم من العبودية ودبركم في البرية المرهوبة العظيمة حيث الحيات والجرذان والعقارب وفي مواضع العطش
وحيث لم يكن الماء اخرج لكم من ماء الظران واطعمكم منا لم تعرفه اباؤكم ليواضعكم ويجربكم ويحسن اليكم اخر ذلك وانظروا لا تقولوا
في قلوبكم انا انما استفدنا هذه الاموال بقوتنا وعزة قلوبنا ولكن اذكروا الله ربكم الذي قواكم ان تستفيدوا هذه الاموال بقوتنا وعزة
قلوبنا ولكن ليثبت العهد الذي اقسم لابائكم وان انتم نسيتم الله ربكم وتبعتم الهة اخرى وعبدتموها وسجدتم لها انا اشهدت عليكم اليوم
فاعلمتكم انكم تهلكون هلاك السوء كما اهلكت الشعوب التي اباد الرب من بين ايديكم كذلك تهلكون اسمعوا يا بني اسرائيل انتم تجوزون اليوم
نهر الاردن وتنطلقون لتهلكوا الشعوب التي هي اقوى واعظم منكم وتظفروا بالقرى الكبار المشيدة الى السماء وشعب كبير عظيم بني الجبابرة
وقد علمتم وسمعتم انه ما يقدر انسان ان يقوم بين يدي الجبابرة وتعلمون يومكم هذا ان الله ربكم يجوز امامكم وهو نار محرقة وهو يهلكهم
ويهزمهم امامكم ولا تقولوا في قلوبكم انما ادخلنا الرب لبرنا في هذه الارض من اجل برنا لانه انما يهلك الرب هذه الشعوب من اجل خطاياهم
وليثبت الاقوال التي وعدها اباكم ابرهيم واسحق ويعقوب فاعلموا انه ليس من اجل بركم يورثكم الله هذه الارض المخصبة لانكم صلاب الرقاب فاذكروا
ولا تنسوا انكم اسخطتم الله ربكم في البرية منذ يوم خرجتم من ارض مصر حتى انتهيتم الى هذه البلاد ولم تزالوا مسخطين لله ربكم وبحوريب
ايضا اغضبتم الرب وغضب الرب عليكم واراد هلاككم حيث صعدت الى الجبل واخذت لوحي العهد الذي عاهدكم الرب ومكثت في الجبل اربعين
يوما بلياليها لم اذق خبزا ولم اشرب ماء واعطاني الرب لوحين من حجارة مكتوب عليهما باصبع الله وكانت كل الايات التي كلمكم الرب بها في الجبل يوم
الجماعة من بعد الاربعين واعطاني لوحي العهد قال لي الرب قم فانزل من ههنا سريعا لان شعبك الذي اخرجت من ارض مصر قد فسدوا وما لوا عن
الطريق الذي امرتهم عاجلا وعملوا لهم الها مسبوكا وقال لي الرب رايت هذا الشعب فاذا هو شعب قاسي القلب فدعني الان حتى اهلكهم وابيد اسماهم
من تحت السماء واصيرك مدبرا لشعب اعظم واعز منهم واقبلت فنزلت من الجبل والجبل يشتعل نارا ولوحا العهد بيدي ورايت انكم اذنبتم امام الله
ربكم سريعا وعمدت الى لوحي الحجارة فرميت بهما من يدي وكسرتهما قدامكم وصليت امام الرب كما صليت اولا اربعين يوما بلياليها لم اذق
طعاما ولم اشرب ماء من اجل جميع الخطايا التي ارتكبتم وما عملتم من الشر بين يدي الرب واغضبتموه لاني فرقت وخفت غضب الله وزجره
انه اراد اهلاككم واستجاب الله لي في ذلك الزمان واما عجل خطاياكم الذي عملتموه فاخذته واحرقته بالنار وسحقته وطحنته جدا حتى صار
مثل التراب وطرحت ترابه في الوادي الذي ينزل من الجبل وبالحريق والبلايا وبقبور اصحاب الشهوة اغضبتم الرب واذ ارسلكم ربكم من رقام
الى وقال لكم اصعدوا ورثوا الارض التي اعطيكم اجتنبتم قول الرب واغضبتموه ولم تؤمنوا به ولم تسمعوا قوله ولم تزالوا لله مسخطين
منذ يوم عرفتكم وصليت امام الرب اربعين يوما بلياليها لان الرب امر باهلاككم وقلت في صلاتي يا رب لا تهلك شعبك وميراثك الذي خلصت
بعظمتك واخرجتهم من ارض مصر بيد عزيزة ولكن اذكر عبيدك ابرهيم واسحق ويعقوب لا تنظر الى معصية هذا الشعب واثمه وخطاياه لئلا
تقول سكان تلك الارض التي اخرجتهم منها ان الرب لم يقو ان يدخلهم الارض التي قال لهم وانما اخرجهم من عندنا بالبغضة لهم ليقتلهم في البرية وهو
شعبك وميراثك التي اخرجتهم بقوتك العظيمة وذراعك العزيزة فقال لي الرب في ذلك الزمان انقر لوحين من حجارة مثل اللوحين الاولين
واصعد الى الجبل الى واعمل تابوتا من خشب الشمشار وفي نسخة السنط ونقرت اللوحين من الحجارة مثل اللوحين الاولين وصعدت الى الجبل
واللوحان في يدي وكتب على اللوحين الكتاب الاول وهي العشر ايات التي كلمكم الرب بها من الجبل من النار يوم الجماعة ودفعها الرب الي فاقبلت
نازلا من الجبل ووضعت اللوحين في التابوت التي عملت وتركتهما فيه كما امر الرب وارتحل بنو اسرائيل من بروت بني يعقان وساروا وتوفي هرون
هناك وصار النعازر ابنه حبرا مكانه وارتحلوا من هناك الى جدجد الى يطبث ارض سيل الماء وفي ذلك الزمان افرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت

عهدا الرجال ان يقوموا امام الرب يخدموه ويذكروا باسم الرب الى اليوم ولذلك ليس لبنى لاوى حصة مع بنى اسرائيل فميراثهم كما وعد الله

لهم ربهم كما قال لهم وانا قمت بين يدى الرب في الجبل مثل الايام الاولى اربعين يوما بلياليها واستجاب الرب لى في ذلك الزمان ايضا ولم يهلككم الله

ولم يفسدكم وقال لى الرب قم فارتحل وسر امام الشعب ليدخلوا ويرثوا الارض التى اقسمت لاباءهم ان اعطيهم والان يا بنى اسرائيل ما الذى يطلب

ربكم منكم ما يطلب الا ان تتقوا الله ربكم من كل قلوبكم وتسيروا في طرقه وتحبوه وان تعبدوا الله ربكم من كل قلوبكم وانفسكم وان تحفظوا

وصايا الله ربكم التى امركم بها اليوم ليحسن اليكم لان السماء وسما السماء لله ربكم والارض وجميع ما فيها وبابائكم وحدهم سر الرب واحبهم

وانتخب نسلهم من بعدهم وفضلهم على جميع الشعوب كاليوم اختنوا غلفة قلوبكم ولا تقسوا رقابكم ايضا ان الله ربكم هو اله الالهة

ورب الارباب اله عظيم جبار مرهوب لا يحابى ولا يرتشى ينتصف للايتام والارامل ويحب الدخيل الذى يقبل اليه برزقه طعاما وكسوة فاحبوا الذين

يقبلون اليه واذكروا انكم كنتم سكانا بارض مصر فاتقوا الله ربكم واتبعوه واعبدوه واقسموا باسمه لانه الهكم ومرحكم وهو الذى كمل

لديكم العجايب التى رأت اعينكم واعلموا انه انما نزل اباؤكم الى مصر سبعين رجلا والان قد كثركم الله ربكم مثل نجوم السماء احبوا الله ربكم

واحفظوا سننه واحكامه كل الايام واعلموا اليوم هذا انه ليس ليفيكم الذين لم يعاينوا ولم يعلموا ما ادب الرب وعظمته ويده المنيعة وذراعه

العظيمة واياته واعماله التى عمل بمصر وبفرعون ملك مصر وكل ارضه وما صنع باجناد ملك مصر وما فعل بالخيل والمراكب وفرسانها

الذين قلب عليهم ماء بحر سوف حيث جاءوا في طلبكم واهلكهم الرب الى اليوم وجميع ما صنع بكم في البرية حيث انتهيتم الى هذه البلاد

وما صنع بداثان وابيرم ابنى اليئاب بن روبيل اللذين فتحت الارض فاها وابتلعتهما وبيتهما وخيامهم وكل شئ هو لهم اذ كانوا قياما على

ارجلهم بين يدى جميع بنى اسرائيل ولكن قد رأت اعينكم جميع اعمال الله العظيمة التى عمل فاحفظوا جميع الوصايا التى امركم بها اليوم لكى

تدخلوا الارض التى تجوزون اليها لترثوها وتطول اعماركم في الارض التى اقسم الله لابائكم ان يعطيهم ويورثها نسلهم وستلقى تتمة

ان شاء الله تعالى عند ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وفيه من المتشابه قوله خم الله واصبع الله والاول مع كونه لا يجوز اطلاقه في شرعنا

مؤول بالكلام والثانى بالقدرة ولما فرغ مما نشأ من ذكر الوعد بالميقات المقصود به سماع الكليم عليه السلام فيما يهديهم الى صراط الله وذكر

سببهم فيما اضلهم عن الطريق باتخاذهم العجل وكان ختام ذلك ما بدا من موسى عليه السلام من الشفقة على اخيه ثم على الكافة باخذ الالواح

عند الفراغ مما يجب الغضب له رد الكلام على ذكر شئ فعله في الميقات مرادا به عصمتهم في صراط الله بنقلهم بمشاركته في سماعهم كلام الله

من علم اليقين الى عين اليقين بل حق اليقين شفقة عليهم ورحمة لهم ليكون اخبارهم عيانا او مؤيدا لما يخبر به فيكون ذلك سببا لحفظهم من

مثل ما وقعوا فيه من عبادة العجل ومع ذلك وقع منهم العصيان بطلب ما لا ينبغي لهم من الرؤية على وجه التعنت فقال **واختار** اى اجتهد في

اخذ الخيار **موسى قومه** ثم ابدل منهم قوله **سبعين رجلا** اشارة الى ان من عداهم عدم لا يطلق عليهم اسم القوم في المعنى الذى اراده

وهو نحو ما قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما الناس كالابل المائة لا يكاد يجد فيها راحلة ثم ذكر علة الاختيار

فقال **لميقاتنا** اى انما اختار الامر راى انه يصلح لما نريد من عظمتنا في الوقت الذى حددناه له ودنى بهم من الحضرة الخطابية في الجبل

هو وهرون عليهما السلام واستخلف على بنى اسرائيل يوشع بن نون عليهما السلام كل ذلك عن امر الله له وهذا الكلام عطف على قوله وواعدنا موسى

ثلاثين ليلة فيكون الميقات هو الاول وهو ظاهر التورية كما مر بيانه في البقرة ويجوز ان يكون عطفا على قوله واتخذ موسى او على قوله اخذ

الالواح وح يكون هذا الميقات غير ميقات الاول ويؤيده ما نقل من ان هرون عليه السلام كان معهم وكانهم لما سمعوا كلام الله طلب بعضهم الرؤية

جاعلين لها شرطا لايمانهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كما فعل النقباء الاثنا عشر حين ارسلهم لجس احوال الجبارين فنقض اكثرهم

فاخذتهم الرجفة فماتوا فخشى موسى عليه السلام ان يتهمه بنو اسرائيل في موتهم كنفس واحدة **فلما اخذتهم** اى اخذ قهر وغلبة **الرجفة**

التى تسببت عنها الصاعقة التى تقدمت في البقرة فزلزلت قلوبهم وامانتهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هؤلاء غير السبعين الذين قالوا

ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وان اولئك كانوا قبل هؤلاء فالظاهر ان سبب الرجفة ما راوا عند سماع الكلام من جلال الله

وعظيم

وعظيم هيبته من الغمام الذى تغشى الجبل والعمار والبروق واصوات القرون وغير ذلك بحيث كادت الرجفة وهى رعدة كانت تفرق

اوصالهم بعضها من بعض **قال** اى موسى لقاء ربه بجانبه **رب** ايها المحسن الى **لو شئت اهلكتهم** اى اماتتهم ولما لم يكن اهلاكهم مستغرقا

للماضى ادخل الجار فقال **من قبل واياى** اى قدرتك على وعليهم قبل ان تقربنى هذه الحضرة المقدسة ونحن بحضرة قومنا قهرتك علينا

حين خرقنا بها وقد اسبلت علينا ذيل عفوك واسبغت علينا نعمتك ونحن في غير هذه الحضرة فلم تهلكنا فانا نعامل معاملينا ونحن

في حضرة القدس وبساط القرب والانس اولى بتمام كمال الحال المقتضيا لاديقال لم ترل العاجة علية وكان كانه قال انا فاذا اوقع منهم سفه

دل على ذلك بقوله استعطافا **اتهلكنا** وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجفتهم كانت بسبب انهم لم ينهوا عن عبادة العجل مع انهم لم يرضوا

بذلك وكان موسى عليه السلام عبر بهذه العبارة المقتضية لاهلاك الجميع لانه جوز انه كما اهلك هؤلاء يهلك غيرهم لتقصيرهم بسبب ذلك

لعدم الجهاد فلا حتى يعمهم الهلاك **بما فعل السفهاء منا** فكانه صلى الله عليه وسلم رضى الله ان الم شيلهم العفو لانه يختص العفو عن الذين

بالفعل ويعفو عمن قصر بالسكوت هى على تقرير كون الميقات غير الاول ويجوز ان يكون بعد اتخاذهم العجل كما تقدم عن ابن عباس فيكون موسى عليه السلام

خاف ان يكون اهلاكهم فتنة لبنى اسرائيل وسببا لكفرهم كما كان ابطاوه عنهم بزيادة عشرة ايام على الثلثين في الميقات الاول سببا لاتخاذهم العجل

ويجوز ان يراد بفعل السفهاء اتخاذ العجل ويؤيده التعبير بالفعل دون القول وتقدم نقله عن ابن عباس رضى الله عنهما ولما كان قوله هذا دالا فهم

رضاه بهلاك المذنبين قال معرضا بالسؤال في العفو عن الجميع **ان هى** اى الفتنة التى اوقعها السفهاء **الا فتنتك** التى ابتلاؤك و

اختبارك **تضل بها من تشاء** اى تظهر في عالم الشهادة من ضلالته ما كان معلوما لك في عالم الغيب **وتهدى من تشاء** اى تظهر ما

في علمك من ذلك ولما اثبت له الكل اسنده استانف سؤاله في ان يفعل لهم الاصلح فقال **انت** اى وحدك **ولينا** اى نعتقد انه لا يقدر على

عمل مصالحنا غيرك وانت لا ينفعك في شئ من الامرين ولا يضرك الكل بالنسبة اليك على حد سواء ونحن على بصيرة من ان افعالك لا تعلل بالاغراض

وعفوك عنا ينفعنا وانتقامك منا يضرنا ونحن في حضرتك قد انقطعنا اليك وحططنا رحال افتقارنا لديك ولما ثبت انه

الفعال لما يشاء وانه اولى لهم من غيره وكان من شان الولى جلب النفع ودفع الضر عنه بكونه الولى وحده قوله باديا بدفع الضر **فاغفر لنا**

اى امح ذنوبنا **وارحمنا** اى ارفعنا ولما كان التقدير فانت خير الراحمين عطف عليه قوله **وانت خير الغافرين** اى لانه غيرك يتجاوز عن

الذنب طلبا للثناء او الثواب او دفعا للصفة الخسيسة وهى صفة الحقد ونحوه وانت منزه عن ذلك وكان احسن العفو عنهم فقال عاطفا

على ما له فيه **واكتب لنا** اى في مدة احيائك لنا **في هذه الدنيا** اى الحاضرة والدنية **حسنة** اى عيشة راضية وحيوة طيبة

وفى الاخرة كذلك ثم علل ذلك بقوله **انا هدنا اليك** اى تبنا اليك عما لا يليق بجنابك كما امرتنا ان نجبر ما عسانا ان نقع فيه

بالمبادرة الى التوبة فيبادر كى تعززه الربوبية وتمنى بذلة العبودية وهما اقوى اسباب السعادة وهذا تلقين لهم وتعليم وتدريب لما وقعوا

فيه وحث على التسليم وكانه لما كان من سهم الجهر بما لا يليق بجنابه من طلب الرؤية عبر بهذا اللفظ او بما يدل على معناه تنبيها لهم على ان ما بهم يدل

على التوبة والرجوع الى الحق والصيرورة الى الصلاح واللين والضعف في الصوت والاستكانة في الكلام والسكوت عما لا يليق وان يهود

الذى اخذنا اسمه من ذلك لما تابوا ونسبوا اليه تفاؤلا لهم ليبادروا الى التوبة ولما كان في كلامه عليه السلام انكار اهلاك الطايع بذنب العاصى

وان كان ذلك انما كان على سبيل الاستعطاف منه والتملق مع العلم بانه عدل منزه ولذا يفعل ما يشاء بدليل قوله لو شئت اهلكتهم من قبل

وايانا استانف سبحانه الاخبار عن الجواب في كلامه على وجه منه للجاهل على انه المتصرف المطلق بقوله **قال عذابى** اى انتقامى الذى ينزل

كل عقوبة عمن وقع به **اصيب به** اى في الدنيا والاخرة **من اشاء** اى اذنب اولم يذنب **ورحمتى** اى انعامى واكرامى على ما ينبغى الرحمة

فانه خير من العدم فهو اكرام في الجملة قال **وسعت كل شئ** اى هذا شانها وصفتها في نفس الامر وان بلغ في القبايح ما عساه ان يبلغ وهذا

هذا هو معنى حديث البخارى في الصحيح ان رحمتى سبقت وفى رواية تغلب غضبى سواء قلنا ان السبق بمعنى الغلبة او قلنا انه على بابه

اما الاول فلان تعلق الرحمة اكثر اذ كل من تعلق به الغضب تعلقت به الرحمة بايجاده وافاضة الرزق عليه لا عكس كل الحيوانات العجم والجماد

واهل السفقا من المؤمنين والملائكة والحور وغيرهم من جنود الله التي لا يحصى لها علم ان رحمته واسعة وقدرته شاملة وكان ذلك موسعا للطمع
سبب عنه قوله ذاكرا شرط اتمام تلك الرحمة ترهيبا لمن يتوانى عن تحصيل ذلك الشرط **فساكتبها** اى اخصها وامها بوعد لا خلف فيه جل كتبى
بتمام القدرة ما دبر مثبتا امرها بالكتابة **للذين يتقون** اى يوجد لهم هذا الوصف الحامل على كل خير ولا يخل بوصفهم ان امنو واما بعد
الايمان من غيرهم فان الكل لو خلوا منها دائما ما ضاقت بهم فهى فى نفسها واسعة لكنى افعل ما اشاء ولما ذكر نظرهم الى الخالق بالانتهاء عما نهى
ولا ائتمار بما امر به اتبعه النظر الى الخلايق فقال **ويؤتون الزكوة** ولعله خصها لان فرضها كان فى هذا الميقات كما تقدم فى البقرة ولانها امانة
فيما بين الخلق والخالق كما ان صفات النبى صلى الله عليه وسلم التى كتمها وشرط قبول العالم باتباعه كذلك ولانه ختم بذكر ثمرة التقوى فقال المنجا لمن
يوجد منه ذلك الوصفان فى الجملة على غير جهة العموم **والذين هم باياتنا** اى كلها **يؤمنون** يصدقون بالقلب ويقرون باللسان ويعملون
تصديقا لذلك بالاركان اى فلا يكفرون ببعض ويؤمنون ببعض ولما كان اليهود ربما ادعوا ذلك مكابرة افصح غاية الافصاح بقوله **الذين يتبعون**
اى بغاية جهدهم **الرسول** ولما كان هذا الوصف وحده غير مبين للمراد ولا صريح فى انه رسول الله اسه ولانه كونه المخبر **النبى** اى الذى يتبعه الذى
من اسه فبرا بالشرف وتخصيصا بما خصه به رسالة الله وكونه من الادميين لا من الملائكة ولما لم يتم المراد قال مبينا لا عظم المعجزات وهى اعلمه بغير معلم
من البشر **الامى** اى الذى هو مع ذلك العلم المحيط على صفة الام وامة العرب لا يكتب ولا يقرأ ولا يخالط العلماء للتعلم منهم بل للتعليم فانطبق
الوصف على الموصوف مع التوبة بمحل الاوصاف والتشويق الى الموصوف ولم يعطف لئلا يوهم تعداد الموصوف والمعنى انه لا اعفو لاحد من بنى اسرائيل
ولا من غيرهم الا ان اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه وتارة يخرج من القوة الى الفعل
لمن لحق زمان دعوته فمن علم الله منه انه لا يتبعه اذا ادركه لا يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق
اليهم عند مجيئه ريب ولا يتعلل فى امره بعلة ولذلك اتبعه بقوله **الذى يجدونه** اى علماء بنى اسرائيل ولما كان التشوق السامع بذكر الوجدان
قال **مكتوبا** ثم قرب الامر بقوله **عندهم** ثم بين انه مما لا يخلد بقوله **فى التورية والانجيل** هم الذين يعلمون انهما من عند الله
بصفته البينة كما تقدم بيانه مما غفلوا عن تبديله منهما فى البقرة عند واذا ابتلى ابرهيم ربه وفى ال عمران عند ان الله اصطفى ادم ونحو الايات
وفى النساء عند وما قتلوه يقينا وفى التورية ايضا من ذلك ما فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس اذا دخلتم الارض التى يعطيكم الله ربكم
فلا تعملوا مثل اعمال تلك الشعوب لا يوجد فيكم من يطلب تعليم العرافين ثم قال لان هذه الشعوب التى ترثونها كانت تطيع العرافين والمنجمين
فاما انتم فليس هكذا يعطيكم الله ربكم بل يقيم لكم نبيا من اخوتكم مثلى فاطيعوا ذلك النبى كما طلبتم الى الله ربكم فى حوريب يوم الجماعة وقلتم
لا نسمع صوت الله ربنا ولا نعاين هذه النار العظيمة كيلا نموت فقال الرب احسنوا فيما تكلموا انى سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامى فيه
ويقول لهم ما امره به والرجل لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى انا انتقم منه ومن سبطه انتهى هكذا رايته مترجما فى بعض نسخ التورية ثم رايت
الشموال بن يحيى المغربى ترجمه فى كتابه الذى ذكر فيه سبب اسلامه وكان من اكابر علمائهم بل العلماء فقال نبيا اقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك به
فليؤمنوا انتهى وهو يعين ان يكون هذا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه من بنى اسمعيل اخى اسحق وقد اتى بشريعة مستقلة لا تعلق لها بشريعة
قبلها ولا توقف لها عليها وقد ذلت فى العبارة كلمتين مثل واخوه وحقيقة الاخ ابن اخى الابوين وهو اينما اتى فى احد انبيائهم فاقرب
المجاز الى حقيقته الحمل على اخى الاب وهو اسمعيل عليه السلام والشائع فى الاستعمال فى نحو ذلك على تقدير ارادة احد منهم انه قال من نفسهم لا من اخوتهم
وحقيقة المثل المشارك فى اخص الصفات واخص صفات موسى عليه السلام الرسالة والكتاب بشريعة مستقلة ولم يات منهم بعده من هو بهذه
الصفة لان عيسى عليه السلام لم ينسخ من شريعة موسى عليه السلام الا بعض الاحكام وعلى تقدير دعوى ذلك فيه لكونه نسخ فى الجملة وتسليم ذلك لا ينافى
قصره بهذا النص لوجهين احدهما انه ليس من رجالهم الا بواسطة امه فحق العبارة فيه من بنى اخواتهم مع انهم اذا اريد به المجاز فيهم العدل
من المجاز فى بنى اسمعيل لما تقدم ولا ينتقل الى الابعد الا بقرينة تصرف عن الاقرب والله اعلم وقال الشموال بن يحيى حد احبارهم فى سبب اسلامه
ان اليهود يقولون ان هذه البشارة نزلت فى حق شموال احد انبيائهم الذين بعد موسى لانه كان مثل موسى فانه من سبط لاوى وقال انه

راى

راى شموال عليه السلام فى المنام وانه دفع اليه كتابا فوجد فيه هذه البشارة فقال الهينا الى يا بنى اسه ما حصل لى اسه به فنظر مغضبا وقال
او اياى اراد اسه بهذا ايا ذكيها افادتك او ذا البراهين الهندسية فقلت يا نبى اسه فمن اراد اسه بهذا قال الذى اراد فى قوله هو فيع مهار فاران
وتفسيره اشارة الى النبوة وعد بنزولها على جبال فاران فعرفت انه يعنى المصطفى صلى الله عليه وسلم لان المنعوت من جبال فاران وهى جبال
مكة ثم قال وما علمت ان الله لم يبعث بنسخ شىء من التورية وانما بعثنى اذكرهم بها واحيى لهم ايامها واخلصهم من اهل فلسطين فقلت بلى يا
نبى الله قال فاى حاجة بهم الى ان يوصيهم ربهم باتباع من لا ينسخ دينهم ولم يغير شريعتهم ارايتهم احتاجوا الى ان يوصيهم بقبول نبوة دانيال
وارميا او حزقيل فقلت لا لعمرى فاخذ الكتاب بيمينى وانصرف مغضبا فارتعبت لغضبه وازدجرت لموعظته واستيقظت مذعورا
وقال فى كتابه غاية المقصود فى الرد على النصارى واليهود ان الله يطلق الاخوة على غير بنى اسرائيل كما قال فى بنى العيص بن اسحق عليه السلام
فى الجزء الاول من السفر الخامس فى تفسيره انتم عابرون فى تخم اخوتكم بنى العيص فاذا كان بنو العيص اخوة لبنى اسرائيل لان العيص واسرائيل
ولدا اسحق فكذا بنو اسمعيل اخوة بجميع ولد ابرهيم عليهم السلام قال وفى الجزء الثالث من السفر الاول من التورية فى ذكر البشارة لابرهيم
عليه السلام ما تفسيره واما اسمعيل فقد قبلت دعاك وها قد باركت فيه واثمره واكثره جدا جدا وقال الاخر احدابك ما العبرانى
مفسره بماد ماد وهذان الكلمتان اذا عدد ناحروفهما بحساب الجمل كان اثنين وتسعين وذلك عدد حروف اسم محمد صلى الله عليه وسلم
يعنى فتعين ان يكون مرادا بها لانها فى البشارة بتكثير اسمعيل عليه السلام ولم يكن فى اولاده من كثره الله به وعدده هذا العدد غير محمد صلى الله
عليه وسلم قال وانما جعل ذلك فى هذا الموضع ملغزا لانه لو صرح به لبدلته اليهود او اسقطته من التورية كما عملوا فى غيره انتهى وفى اخر
فصل التورية دعا موسى عبد الله لبنى اسرائيل قبل وفاته وقال الله تارنا من سيناء وشرق لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبل فاران وفى نسخة جبال
فاران معه ربوات الاطهار على يمينه اعطاهم وحببهم الى الشعوب بارك على جميع اطهاره وهم يتبعون اثارك ويقبلون كلامك وفى نسخة
نزل معه ربوات الاطهار الاخر والذى ربوات القدس بشريعة نوره يعنيهم واصطفى ايضا شعبا بجميع خواصه فى طاعتك وهم يقفون
اثارك ويتلقون كلامك انتهى فلو نحى ظهر من جبال فاران هو محمد صلى الله عليه وسلم لانهم معترفون انها مكة ومعه ربوات اى جماعات الاطهار
وامر حببه الى الشعوب لان كلا من فريقى اهل الكتاب يقدمهم على الفريق الاخر ولم يقبل احد جميع كلام موسى ويتبع جميع اثاره فى بشارة
بمن ياتى بعده غيرهم هذا واما الانجيل فالبشاير فيه كثيرة وقد تقدم كثير منها وهى تكاد ان تكون صريحة فى سورة النساء فمنها قوله عليه السلام
وعادلية مثلا ما فى الانجيل متى وغيره واغلب فى الكثير اولون يصيرون اخرين واخرون يصيرون اولين لان ملكوت السموات انسانا رب بيت
خرج بالغداة يستاجر فعلة لكرمه فشارط الاكرة على دينار واحد فى اليوم وارسلهم الى كرمه ثم خرج فى ثالث ساعة فابصر اخرين قياما
فى السوق بطالين فقال لهم امضوا انتم الى كرمى وانا اعطيكم ما تستحقون فمضوا وخرج ايضا فى الساعة السادسة والتاسعة فصنع كذلك و
خرج فى الحادية عشر فوجد اخرين قياما فقال لهم ما قيامكم كل النهار بطالين فقالوا له لم يستاجرنا احد فقال لهم امضوا انتم ايضا
الى الكرم وانا اعطيكم ما تستحقون فلما كان المساء قال رب الكرم لوكيله ادع الفعلة واعطهم الاجرة وابدا من الاخرين الى الاولين
فجاء اصحاب الساعة الحادية عشر فاخذوا دينارا دينارا فلما جاء الاولون ظنوا انهم ياخذون اكثر فاخذوا دينارا لكل واحد فلما اخذوا
تقمقموا على رب البيت وقالوا ان هؤلاء الاخرين عملوا ساعة واحدة جعلتهم اسوتنا ونحن حملنا ثقل النهار وحره فقال لواحد منهم
يا صاحب ما ظلمتك الست بدينار شارطتك خذ ما لك وامض ارايت اعطى هذا الاخير مثلك او ما لى ان افعل ما اريد او عينك
عينك شريرة كذلك يكون الاخرون اولين والاولون اخرين ما اكثر المدعوين واقل المنتخبين وقال ودخل الى الهيكل فجاء اليه رؤساء
الكهنة وشيوخ الشعب وقالوا له وهو يعلم باى سلطان تفعل هذا ومن اعطاك هذا السلطان اجاب يسوع وقال لهم انا اسالكم عن كلمة
واحدة فان انتم قلتم لى قلت لكم باى سلطان افعل هذا معمودية يوحنا من اين هى من السماء ام من الناس ففكروا فى نفوسهم قائلين ان
قلنا من السماء قال لنا لماذا لم تؤمنوا به وان قلنا من الناس خفنا من الجمع وقال لو قالوا ان قلنا من الناس كان جميع الشعب يرجمنا لانهم قد تيقنوا

قائلا

ان يوحنا نبي قالوا من فقالوا لا نعلم فقال ولا انا ايضا اعلمكم باي سلطان افعل هذا قال مرقس وبدا يكلمهم بامثال قائلا قال متى
ماذا تظنون بانسان كان له ابنان فجاء الى الاول فقال له يا بني اذهب اليوم فاعمل في الكرم فاجاب وقال ما اريد وبعد ذلك ندم ومضى
وجاء الى الثاني وقال له مثل هذا فاجاب وقال نعم يا رب انا امضي ولم يمض فمن منهما فعل ارادة الاب فقالوا له الاول فقال لهم يسوع
الحق اقول لكم ان العشارين والزناة يسبقونكم الى ملكوت الله جاءكم يوحنا بطريق الحق فلم تومنوا به والعشارون والزناة
امنوا به فاما انتم فرايتم ذلك ولم تندموا اخيرا لتومنوا به اسمعوا مثلا اخر انسان رب بيت غرس كرما واحاطه بسياج وحفر فيه
معصرة وبنى فيه برجا ودفعه الى الفعلة وسافر قال لوقا زمانا كثيرا فلما اقترب زمان الثمار ارسل عبيده الى الفعلة لياخذوا ثمرته فامسك الفعلة
عبيده ضربوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا فارسل ايضا عبيدا اخرين اكثر من الاولين فصنعوا بهم كذلك وفي الاخر ارسل اليهم
ابنه قائلا لعلهم يستحيون من ابني فلما راى الفعلة الابن قالوا هذا هو الوارث تعالوا نقتله ونأخذ ميراثه فاخذوه واخرجوه خارج الكرم
وقتلوه فاذا جاء رب البيت ماذا يفعل بهولاء الفعلة قالوا له يهلكهم ويدفع الكرم الى فعلة اخرين ليعطوه ثمرته في حينه
فقال لهم يسوع اما قراتم قط في الكتب ان الحجر الذي رذله البناؤون صار راس الزاوية هذا كان من قبل الرب وهو عجب في اعيننا من هنا
اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة يصنعون ثمرته ومن سقط على هذا الحجر ترضض ومن سقط عليه طحنه فلما سمع روساء
الكهنة والفريسيون امثاله علموا انه يقول من اجلهم فهموا ان يمسكوه وخافوا من الجموع لانه كان عندهم مثل نبي وقال ايضا يشبه
ملكوت السماء رجلا ملكا صنع عرسا لابنه فارسل عبيده ليدعوا المدعوين الى العرس فلم يريدوا ان ياتوا فارسل عبيدا اخرين وقال قولوا للمدعوين
ان طعامي قد هيات وعجولي والمعلوفة قد ذبحت وكل شيء معد فتعالوا الى العرس فتكاسلوا وذهبوا فمنهم الى حقله ومنهم الى تجارته
والبقية امسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم فلما بلغ الملك غضب وارسل جنده واهلك هولاء القتلة واحرق مدينتهم ثم
قال لعبيده اما العرس فمستعد والمدعوون فغير مستحقين اذهبوا الى مسالك الطرق وكل من وجدتموه ادعوه الى العرس فخرج اولئك
العبيد الى الطرق فجمعوا كل من وجدوا اشرارا وصالحين فامتلا العرس من المتكئين فلما دخل الملك لينظر الى المتكئين راى هناك رجلا
ليس عليه ثياب العرس فقال يا هذا كيف دخلت ههنا وليس عليك ثياب العرس فسكت ثم قال الملك للخدام شدوا يديه ورجليه واخرجوه
الى الظلمة البرانية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان ما اكثر المدعوين واقل المنتخبين وعبارة لوقا عن ذلك انسان صنع وليمة
عظيمة ودعا كثيرين فارسل عبده يقول للمدعوين ان تعالوا فكل شيء معد فبدءوا باجمعهم يستعفون فالاول قال قد اشتريت كرما والضرورة
تدعوني الى الخروج فانظره فاسالك ان تعفيني فاجعلني قال الاخر قد اشتريت خمسة ازواج بقر وانا ماض لاجربها اسالك ان تعفيني فاجعلني
وقال الاخر قد تزوجت امراة لاجل ذلك لا اقدر ان اجي فاتى العبد واخبر سيده فحينئذ غضب رب البيت وقال لعبده اخرج مسرعا الى الطرق
وشوارع المدينة وادع المساكين والعور والعميان والمقعدين اخرج الى الطرق والسياجات والحح عليهم حتى يدخلوا ويمتلي بيتي ولا احد
من هولاء المدعوين يذوق عشائي وقال يوحنا الحق اقول لكم ان من لا يدخل من الباب هو راعي الخراف بل يتسور من موضع اخر فان ذلك لص
والذي يدخل من الباب هو راعي الخراف والبواب يفتح له والخراف تسمع له وكلما تتبعه لانها تعرف صوته والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف
فاما الاجير الذي ليس براعي وليست الخراف له فاذا راى الذئب قد اقبل ترك الخراف وهرب فياتي الذئب ويخطف ويبدد الخراف
وانما يهرب الاجير لانه اجير ولا يشفق على الخراف انا الراعي الصالح ولي كباش اخر ليست من هذا القطيع فينبغي لي ان اتي بهم ايضا
ويكون الرعية واحدة والراعي واحد فوقع ايضا بين اليهود خلف من اجل هذا القول حتى قال كثير منهم ان به شيطانا وقد جن فما استماعكم منه وقال الاخرون
ان هذا ليس كلام مجنون وفي كلما قيل السيرة الهشامية قال ابن اسحق وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله
في الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اثبت يحنس الحواري لهم حين نسخ لهم الانجيل انه قال من ابغضني فقد ابغض الرب ولولا
اني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها احد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الان بطروا وظنوا انهم يعزونني وايضا للرب ولكن لا بد

من ان تتم

من ان تتم الكلمة التي في الناموس انهم ابغضوني مجانا اي باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب وروح القسط الذي
من عند الرب خرج فهو شهيد علي وانتم ايضا لانكم قديما كنتم معي هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا فالمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البار قليطس
انتهى ثم لما دل سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم باوصافه في نفسه وفي الكتب الالهية دل على شريعته فقال **يامرهم بالمعروف** اي بكل ما يعرفونه
من التورية والانجيل ومما يعرفونه فيهما انه ينسخ شرعهم ويأتي من عند الله بهذا المذكور **وينهاهم عن المنكر** اي عن كل ما ينكرونه فيهما اقتضت
بذلك رسالته فانه لكونه اميا لا يعرف المعروف والمنكر فيهما الا وهو صادق عن علام الغيوب ثم شرع بعد ثبوت رسالته يبين لهم ما في رسالته من المنة
عليهم بالتخفيف عنهم باباحة ما كانوا قد حملوا ثقل تحريمه فلما توالوا الذين يعصون الله بانتهاك حرماته والاعراض عن شعائره فقال **ويحل لهم**
الطيبات اي التي كانت حرمت عليهم عقوبة لهم كالشحوم **ويحرم عليهم** وعبر بصيغة الجمع اشارة الى ان الخبيث اكثر من الطيب في كل ما
في الارض فقال **الخبائث** اي كل ما يستخبثه الطبع السليم او يؤدي الى الخبث كالخمر المؤدية الى الاسكار والربى المؤدية الى النار بعد قبيح العار
ويضع عنهم اصرهم اي ثقلهم الذي كان يحمل عليهم فجعلهم لثقله كالمحبوس الممنوع من الحركة **والاغلال التي كانت عليهم** اي جميع ما حملوه من
الاثقال التي هي لثقلها وكراهة النفوس لها كالغل الذي يجمع اليد الى العنق فيذهب القوة **فالذين امنوا به** اي اوجدوه بسبب الايمان من
التكذيب بشيء من اياته **وعزروه** اي منعوه من كل من يريده بسوء وقووا ايديهم تقوية عظيمة على كل من يكيده قال في القاموس والتعزير
ضرب دون الحد او هو اشد الضرب والتفخيم والتعظيم ضد والاعانة كالعزر والتقوية والنصر انتهى وقال عبد الحق العزر المنع تقول
عزرت فلانا عن كذا اي منعته انتهى في المادة كلها تدور على هذا المعنى والضرب واضح فيه والتعظيم يرجع معناه منع من يكيده **ونصروه**
اي ايدوه ومنعوا مخالفه **واتبعوا النور** اي الوحي من القران والسنة **الذي انزل معه** اي مصاحبا انزاله لرساله سمي نورا لانه يجلي
المقتبس به بسلوك طريق الحق كما يمشي في ضوء النهار **اولئك هم** اي خاصة **المفلحون** اي الفائزون بكل ما مولي وما تركت الاي
وطال المدى في اقامة سيدنا موسى عليه السلام ربما مناقبه العظام ومآثره الجسام كان ذلك ربما اوقع في بعض النفوس انه اعلى المرسلين منصبا
واعظمهم رتبة نفى سبحانه هذه الاية الاتية على هذا الوجه الذي بين ان اعلاهم مرتبة وازكاهم مناقب الذي خص برحمته من يوجد به
مخلقه قوة او فعلا وجعل سبحانه ذلك في اثناء قصة بني اسرائيل اهتماما به وتعجيلا لسمع ما يذكر مما يظهر افضليته ووضع كمليته بعقبه
مع قومه من عبد امره واحاطه ومثراه في سورتي الانفال وبراءة بكمالهما ذكر شيئا من الاصار التي كانت عليهم وخففت عنهم لو دخلوا
في الاسلام ببركته صلى الله عليه وسلم غير ما سلفت في اخر البقرة عند قوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته وفي المائدة عند قوله وليحكم اهل الانجيل قال
في السفر الثالث من التورية وقال الرب لموسى عهد نجمنطيبا الى الاقفال وليكن معجونا طيبا للقدس ودقه واجعله منه قدام تابوت الشهادة
في قبة الزمان واعدك الحك هناك ويكون عندكم طهرا قدسا وايما رجل اتخذ مثله ليتبخر به فليهلك ذلك الرجل من شعبه وقال في الثالث
ثم كلم الرب موسى قال له كلم هرون وبنيه وجماعة بني اسرائيل وقل لهم هذا ما امرني به الرب ان اخبركم اي رجل من بني اسرائيل ذبح في محلة بني اسرائيل
او يذبح خارجا من العسكر ولا يجي بقربانه الى باب قبة الزمان ليقربه فليعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلا وكلم الرب موسى قال له كلم هرون
وقل له من كان في نسله عيب من نسلك في الاحقاب من جميع الاحقاب لا يدنو من مقدسي ليقرب قربانا مثل الرجل الاعرج والافطس والاصم الاذن
او رجل قصير او منحني او رجل قد استرخى حاجباه او ابيض العين او في عينه بياض او ابرص او اجذم او رجل الخصية واحدة اي رجل مكسور اليد او
رجل كان فيه عيب من نسل هرون الكاهن لا يدنو من المذبح ليقرب قربان الرب لان فيه عيبا وقال في السفر الرابع وهو من الحج على ان التورية لم تنزل جملة
وكلم الرب موسى في برية سينا في خروج بني اسرائيل من مصر الاول وقال يعمل بنو اسرائيل الفصح في وقته في اربعة عشر يوما من هذا الشهر الى الاقفال وعلى
الفطير والقوم الذين تنجسوا بانفس الناس لم يقدروا ان يعملوا الفصح فقالوا قد تنجسنا بانفس الناس اي مسسنا ميتا فهل يحرم علينا عمل الفصح
فقال لهم موسى قوموا في مواضعكم حتى تسمعوا ما يامر الرب فيكم وكلم الرب موسى قال له قل لهم الرجل اذا تنجس منكم بميت او كان في سفر بعيد يعمل
فصح للرب في اربعة عشر يوما من الشهر الثاني ومن كان زكيا ولم يكن مسافرا ولم يعمل الفصح في وقته تهلك تلك النفس من بين بني اسرائيل وقال

قيل ذلك وكلم الرب موسى قال مر بني اسرائيل الذين حولوا عن عسكرهم كل من به برص او سلس وكل من كان نجسا بنفسه ذكرا كان او انثى يخرجونهم خارج العسكر
ولا ينجسوا عساكرهم لاني نازل بينكم ثم ذكر الرجل الذي يغار على امراته واتهمها انه ياتي الكاهن فيقيمها ويلقيها العناق وذاق التكتبة واخذ ماء مقدسا
في وعاء فخار ووضع فيه من التراب الذي اسفل المذبح وسقاها فان كانت خانت انتفخ بطنها وفسد فخذاها وتصير لعنة في شعبها وان كانت
لم تخن تطهرت وولدت ذكرا ثم رحم بذبح بقرة ولم اقها حتى تصير رمادا ويغسل الحبر الذي ذبحها ثيابه ويديه وكل من يقرب الميت او ميتة يكون
نجسا سبعة ايام وينضح عليه من ذلك الماء في اليوم الثالث واليوم السابع ويتطهر وان لم يرش عليه كذلك فلا يتطهر وكل من دنا من انسان ميت ولم
ينضح عليه من ذلك الماء فقد نجس خباء الرب فلتهلك تلك النفس لانه لم ينضح عليه من ماء الرش شيء فلذلك يكون نجسا ولا تفارقه نجاسته وهذه
سنة الانسان اذا مات في قبة الزمان كل من يدخل في القبة وكل من بها يكون نجسا سبعة ايام وكل وعاء يكون مكشوفا غير مغطى يكون نجسا وكل من دنا
من قتيل او ميت او عظم انسان او دخل القبر يكون نجسا سبعة ايام ويوخذ للمتنجس من رماد البقرة ويصب في وعاء ماء عذب وينضح منه على
كيفية ذكرها ليكون زكيا ومن تنجس ولم يرش عليه من ذلك الماء تهلك تلك النفس من جماعتها ومن دنا من ماء الرش يكون نجسا الى
الليل ومن اقترب الى الذي تنجس يكون نجسا الى الليل ثم قال ثم كلم الرب موسى وقال له مر بني اسرائيل وقل له قرابيني تكون محفوظة
في اوقاتها ثم ذكر له كثيرا من امر القرابين ثم ذكر من اوقاتها يوم السبت ويوم الشهر ثم قال وفي اربعة عشر ليلة من الشهر الاول
فصح الرب ويوم خمسة عشر اتخذوه عيدا وكلوا الفطير سبعة ايام وصيروا اول يوم من سبعة جميعا مطهرا لا تعملوا فيه عملا
واليوم السابع يكون مطهرا لا تعملوا فيه عملا واول يوم من الشهر السابع يكون مختصا مطهرا لا تعملوا فيه شيئا مما يعمل بكل يوم
يوم يتفرغ فيه بالقرون وقربوا ذبائح كاملة ثم وصفها وكذا غيرها من الايام ثم قال وكذلك افعلوا في اول الشهر ابدا وفي
عشر من الشهر السابع اجعلوه يوما مختصا مطهرا لا تعملوا فيه عملا ولكن قربوا ويوم خمسة عشر من هذا الشهر من هذا الشهر السابع
ويكون عيدا لا تعملوا فيه عملا بل اتخذوه عيد الرب سبعة ايام ثم قال حتى اذا كان اليوم الثامن فاحتفلوا باجمعكم ولا تعملوا
شيئا مما يعمل وقربوا قرابين كاملة واطال في الحث على كيفيتها وحفظها وفضلها عن العادة بها في غاية المشقة ثم قال
وقربوا للرب في ايام اعيادكم غير نذوركم وغير صلواتكم التي تختصون الرب ثم قال خاطبا للمجاهدين في مدين واما انتم فانزلوا
خارجا من العسكر سبعة ايام كل من قتل نفسا او مس قتيلا ينضح عليه من ماء التطهير في الثالث والسابع وامرهم باشياء من
الاصلاح ثم قال وتطهروا بالماء في اليوم السابع ثم بعد ذلك تدخلون العسكر ثم قال في الخامس هذه السنن والاحكام التي تجب
عليكم ان تعملوها وتحفظوها في الارض التي يعطيكم الله ربكم ميراثا كل ايام حياتكم خربوا كل البلدان التي ترثونها والالهة التي
عبدها اهلها فوق الجبال الرفيعة والاكام وتحت كل شجرة كبيرة تظل واستاصلوا مذابحهم وكسروا اصنامهم واحرقوا اصنامهم
المصنوعة وكسروا اوثانهم المنحوتة ولا تصنعوا انتم مثل صنع اولئك في عبادتكم الله ربكم ولكن الموضع الذي يختار الله ربكم ان
تصيروا اسمه فيه من جميع قبائلكم وتخصوا بحلته وانطلقوا جميعكم بقرابينكم الكاملة كلوا هناك امام الله ربكم انتم واهاليكم
ولا تعملوا كما يعمل هاهنا اليوم قبل الوصول الى الارض الطيبات ثم قال انظروا ولا تقربوا قرابينكم في الموضع الذي تريدون لكن في الموضع
الذي يختار الرب في حد سبط من اسباطكم ثم قال واذا بنيت بيتا جديدا فاجعل على البيت ابلا يقع
انسان من فوقه فيلزمك دمه ولا تزرعن في كرمك خلطا لئلا تفسد غلة زرعك وكرمك لا تحرث بالثور والحمار جميعا
ولا تنسج ثوبا من قطن وصوف جميعا اعمل ضفائر في اربعة اطراف الملاءة التي تلبس ثم قال وان وجد رجل فتاة عذراء لم تملك
فيظفر بها ويضاجعها ويوخذ يدفع الى ابيها خمسين مثقالا من فضة وتصير امراته لانه فضحها ولا يقدر ان يطلقها حتى يموت ولا يدخل
ولد الزنا الى بيت الرب ولا يدخل نسله من بعده العشرة احقاب ولا يدخل عماني ولا موابي الى بيت الرب ولا يدخل نسلهما من بعدهما الى
عشرة احقاب لانهم لم يضيفوكم ولا يعطوكم بالخبز والماء حيث خرجتم من ارض مصر ولانهم اكروا بلعام بن فعور من فتور ارام

من بين

من بين النهرين وحيحرون ليلعنكم ولم يجب الرب ان يسمع قول بلعام بن فعور وقلب الله لعنه الى الدعاء لان الله ربكم احبكم فلا تريدوا لهم
الخير ايام حياتكم لا تشفعوا الادوميين عنكم لانه اخوكم ولا تبعدوا المصريين ايضا لانكم كنتم سكانا بارض مصر وان كان في معسكركم رجل
اصابته جنابة يخرج خارج العسكر ولا يجلس بين اصحابه في العسكر واذا كان العشي فليستحم بالماء واذا غابت الشمس فليدخل
العسكر وليكن لكم موضع معروف خارج العسكر تخرجون اليه الى الخلاء ويكون على السلاح وتد فاذا جلستم للخلاء احفروا موضعا
للخلاء وغطوا رجيعكم لان الله ربكم معكم في العسكر لينقذكم ويدفع اليكم اعداءكم فليكن عسكركم مطهرا زكيا لكي لا يرى فيكم امرا
قبيحا فيرتفع عنكم ولا يصحبكم ثم قال واذا سكن اخوان جميعا ومات احدهما ولم يخلف ولدا لا تتزوج امراته من رجل غريب لكن يتزوج بها اخو
ويقيم زرعا واول ولد تلده ينسب الى اخيه الذي مات ويقال له ابن الذي مات ولم يخلف ولدا لئلا يبيد اسمه من بني اسرائيل وان لم يحب
الرجل ان يتزوج امراة اخيه ترتفع امراة اخيه الى المشيخة فيدعونه فان ثبت على قوله تتقدم اليه المراة بين يدي المشيخة وتخلع خفيه من قدميه
وتبصق في وجهه وتقول كذلك يصنع بالرجل الذي لا يحب ان يبني بيتا لاخيه ويدعى اسمه في بني اسرائيل صاحب خلع الخفين وان تشاجر رجل
صاحبه فدنت امراة احدهما لتخلص زوجها من الذي يقاتله فتمد يدها الى مذاكير الرجل تقطع يدها ولا يشفق عليها ولا ترحم انتهى وكل
هذه الاصار على النصارى ايضا مما لم يرد في الانجيل نسخها ولما تم ما نظمه تعالى في اثناء هذه القصص جواهر وكان ها هنا
النبي الكريم حثا على الايمان به وايجابا له على وجه علم منه انه رسول الله الى الكل من تقدم زمانه او تاخر امره ناسب ان يصرح بما تقدم
التلويح اليه ويصدح بما اخذ ميثاق الرسل عليه تحقيقا لعموم رسالته وشمول دعوته فقال **قل** وادى باداة البعد لتحمل
يا ايها الناس وقد مضى في الانعام ان اشتقاقهم من النوس وان الامام السبكي قال ان ذلك يقتضي دخول الجن والملائكة
فيهم وتقدم عند ولا تبخسوا الناس اشياءهم في هذه السورة ما ينفع هنا **اني رسول الله** اي الذي له جميع الملك **اليكم**
جميعا اي لا فرق بين من ادركني ومن تاخر عني او تقدم في ان الكل يشترط عليهم الايمان والاتباع لي وهذا المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
فيما اخرجه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة حين رفع اليه الذراع فنهس منها فقال انا سيد الناس يوم القيمة ولله ادمي في الحمد وكفى عنده
عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا قائد المرسلين ولا فخر وانا خاتم النبيين ولا فخر وانا اول شافع ومشفع ولا فخر و
للترمذي في المناقب عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اول الناس خروجا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا
وانا شافعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال حديث حسن
غريب وله في المناقب ايضا عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم
غير فخر وقال حسن صحيح غريب وللترمذي والدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا
حامل لواء الحمد يوم القيمة تحته ادم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وللترمذي وقال حسن عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي الفخر ادعاء العظمة والكبر والشرف اي لا اقوله تبجحا ولكن شكرا وتحديثا
بالنعمة وما اجتمع بهم في مجمع الا كان امامهم قبل موته وبعده اجتمع بهم ليلة الاسرى في بيت المقدس فصلى بهم اماما ثم اجتمع بهم في السماء
فصلى بجميع اهل السماء اماما ولا تمام يوم الجمع الاكبر والكرب الاعظم في تحويل الكل عليه وهو يميلون بالرياسة اليه وما احال بعض الاكابر على
بعض الا علما منهم ان الختام يكون به ليكون اظهر لاعتراف بامامته والانقياد لطاعته لان المحيل على الشيء يحيل على ذلك الشيء
ولو احال احد ممن قبل عيسى عليهم السلام عليه لطرقه احتمال ان يحيل الله صلى الله عليه وسلم فتظهر في ذلك الموقف رسالته بالفعل الى الخلق كافة
فيظهر سر هذه الاية الذين يتبعون الرسول والله الموفق ولما دل بالاضافة الى الاسم الاعظم الدال على جميع الصفات على عموم دعوته وشمول رسالته
حتى للجن والملائكة ايد ذلك بقوله **الذي له** اي وحده **ملك السموت والارض** اي فلا بدع ان يرسل الى الجميع من فيهما بل وما فيهما

ولما كان ما ألفه في الدنيا أنه ربما كان في مملكة الملك من ينازعه أو يقرب منه من ولي عهد أو نحوه فربما أدى البعض أمره في صورة نصح أو غيره
نفى ذلك بقوله مبينا تمام ملكه **لا إله إلا هو** أي فالكل منقادون لأمره خاضعون له لأنه لا مجوز بالفعل ولا بالإمكان من يصلح للإلهية سواه
ثم علل ذلك بقوله **يحيي ويميت** أي له هاتان الصفتان مختصا بهما منجحا كل الإمكان منفردا بما ذكر وإذا أحييت ما يأتي إن شاء الله
في أول الفرقان بعد ما مضى في أوائل الأنعام لم يبق عندك شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة ولما تقرر أنه لا مانع له تسبب
عن ذلك توجيه الأمر بالانقياد لرسوله فقال **فآمنوا بالله** أي لما ثبت له من العظمة والإحاطة بأوصاف الكمال وبكل شيء فإن الإيمان به أساس
لا ينبني شيء من الدين إلا عليه ولما كان أقرب الفروع الأصلية الرسالة قال **ورسوله** أي لأنه رسوله ثم وصفه بما دل على قربه فقال **النبي**
أي الذي يخبره بما يريد من الأمور العظيمة غيبا وشهادة ويعليه عن كل المخلوق بإخباره بأن له ولما كان علوه على كل عالم مع أنه لم يتعلم من آدمي
أدل شيء على صدقه قال **الأمي** أي الذي هو مع كونه لا يحسن كتابة ولا قراءة بل هو على الفطرة الأولى السليمة التي لم يخالطها هوى ولا
دنس بحظ ولا شهوة بحيث يعم ويقصد الاقتداء به لما حوى من علوم الدنيا والآخرة والتخلق بأوصاف الكمال ولما أشار بهذه الصفة
إلى سبب الإيمان الخالص من الهوى بالكون على الفطرة الأولى قال منبها على وجوب الإيمان به لكونه أول فاعل لما يدعو إليه **الذي يؤمن بالله** أي
ما تقتضيه ذاته سبحانه من التعبد له لما له من العظمة فكلما تجدد له علم من علوم الذات بحسب ترقيه في رتب الكمال من رتبة كاملة إلى أكمل منها
إلى ما لا نهاية له جدد له إيمانا بحسبه ولا يعتريه غفلة ولا يخالطه سهو ولا تشوبه شائبة فتور **وكلماته** كذلك أيضا كلما تجدد له علم بصفة منها
جدد لها إيمانا ومنها المعجزات التي جرت على يديه كل واحدة منها كلمة لأن ظهوره بالكلمة كما سمي عيسى كلمة لذلك ولما تقرر أنه امتثل ما
أمر به فثبت بذلك رسالته استحق أن يكون قدوة فقال **واتبعوه** أي في كل ما يقول ويفعل مما لم ينه عنه أو يأمر به أو يأذن فيه
لعلكم تهتدون أي ليكون حالكم حال من يرجى له حصول ما سأل في الفاتحة من الاهتداء إلى خلق الهداية في القلب مع دوامه ولما كان هذا مثالب
بني إسرائيل وختم بتخصيص المتبع لهذا النبي الكريم بالهداية والرحمة المسببة عنها وكان فيهم المستقيم على ما شرعه له ربه المتمسك بما لزمه أهل
طاعته وحزبه سواء كان من صفات النبي صلى الله عليه وسلم أو غيرها مع الإذعان لذلك كما نبه عليه ما بعده إلى تتميم أخبارهم ثم ما وقع في أيام موسى
عليه السلام وبعدها من شرائعهم تعريضا لهذا النبي الكريم وتسلية وتطييبا للنفس الزكية ... من أدلة ... إلى الآية
فقال تعالى عاطفا على ... **ومن قوم موسى أمة** أي قوم يستحقون أن يؤموا لأنهم لا يتكبرون ... بغير الحق بل
يهدون أي يوقعون الهداية ... **بالحق وبه** أي خاصة **يعدلون** أي يجعلون القضايا المختلفة المتنازع فيها متعادلة
ليقع الرضا بها لا يقع منهم جور في شيء منها ومنهم الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام ومخيريق رضي الله عنهما ولما ... بذكرهم
شيئا مما أنعم عليهم من النعم لأجل هؤلاء المهتدين من التكثير بعد القلة والإعزاز بعد الذلة بجعلهم ... استعطافا لغيرهم وبذكر بعض عقوبتهم
ترهيبا فقال **وقطعناهم** أي فرقنا بينهم بالأشخاص بعد أن كانوا ماء واحدا في شخص واحد هو أبوهم إسرائيل عليه السلام وصرح بالكثرة بعد أن لوح
بها بالتقطيع بقوله **اثنتي عشرة** وميزه موضع المفرد الذي هو مميز العشرة بالجمع إشارة إلى أن كل سبط يشتمل لكثرته على عدة قبائل بقوله
أسباطا والسبط بالكسر ولد الولد والقبيلة من اليهود وعنه المادة تدور على الكثرة والسبط ... عظمتهم وكثرة انتشارهم وتشعبهم بقوله
أمما أي هم أهل لأن يقصدهم الناس لما لهم من الكثرة والقوة والدين أو أن كل أمة منهم تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى ولما وصفهم بهذه الكثرة وكان
ذلك محذرا لذكر الإنعام عليهم بالكفاية في الأكل والشرب ذكر نعمة خارقة للعادة في الماء وبدأ به لأنه الأصل في الحياة وهي من نوع تقسيمهم من نفس
واحدة مشيرا إلى ظلمهم واتباعهم في المروق فقال **وأوحينا إلى موسى إذ** أي حين **استسقاه قومه** أي طلبوا منه في برية لا ماء بها أن يسقيهم
وذلك في التيه والتعبير بالقوم إشارة إلى تبكيتهم بكونهم أهل قوة ولم يتأسوا بموسى عليه السلام في الصبر إلى أن يأتي الله الذي ... بهذا المسير الفرج بل
طلبوا منه ذلك على التوجه المذكور في البقرة من إظهار القلق والعدمة **أن اضرب بعصاك** أي التي جعلناها لك آية وضربت بها البحر فانفلق
الحجر أي أي حجر أردت منه الجنس وبين سبحانه سرعة امتثال موسى عليه السلام وسرعة التأثير عن ضربه بحذف فضربه وقوله مشيرا إليه **فانبجست**

أي فانشقت وظهرت ونبعت وذلك كناية عن تعنتهم وذمهم على كفرهم بعد المن به في هذا السياق الذي هو لبيان إسراعهم في الكفر ... بيانا في أن يكون على وجه
الانفجار ويكون التعنيف أشد **قد علم كل أناس** على عدد الأسباط وأشار إلى الكثرة وتمايزها بقوله **مشربهم** أي من الأسباط
ولما لم يتقدم للأكل ذكر والنجاة هنا لسياق الامتنان لم يذكر ما أتم هذه الآية به في البقرة ولما ذكر تبريد الأكباد بالماء أتبعه تبريدها بالظل فقال
وظللنا أي في التيه **عليهم الغمام** أي لئلا يتأذوا بالشمس ولما أتم تبريد الأكباد أتبعه غذاء الأجساد فقال **وأنزلنا عليهم المن** أي الخبز
والسلوى إداما وقال السمول بن يحيى هو طائر صغير يشبه السمانى وخاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية يموت إذا سمع صوت الرعد كما أن الخطاف
يقتله البرد فيلهمه الله عز وجل أن يسكن جزائر البحر التي لا يكون بها مطر ولا رعد إلى انقضاء أوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الأرض ولما ذكر
عظمته في ذلك ذكر نتيجته فقال **كلوا من طيبات ما رزقناكم** أي بعظمتنا القاهرة مما تريده أنفسكم من غير معالجة ودل على أنهم قابلوا
هذا الإحسان بالطغيان والظلم والعدوان بقوله عطفا على ما تقديره فعدلوا عن الطيبات المأذون فيها وأكلوا الخبائث التي حرمناها عليهم بأن اصطادوا
يوم السبت كما يأتي وفعلوا غير ذلك من المحرمات فظلموا أنفسهم بذلك **وما ظلمونا** أي بشيء مما قابلوا فيه الإحسان بالكفران **ولكن كانوا** أي
دائما جبلة وطبعا **أنفسهم** أي خاصة **يظلمون** وهو مع كونه من أدلة ما صرح به باقي الآية دليل على صحة ما وصف به هذا الرسول بالنبي
فإن من علم هذه الدقائق من أخبارهم مع كونه أميا ولم يخالط أحدا من أحبارهم كان صادقا قطعا عالما بالغيوب من غير مرية وكذا ما بعده ولما ذكر ما حباهم
به في القفار أتبعه إنعامه عليهم عند الوصول إلى الدار فقال **وإذ** أي اذكر لهم هذا البعض قولا أو بعضهم وإلى غاية الظلم كأصحاب السبت
فيتوقعوا أمثال عذابهم واذكر لهم ما لم تكن حاضره ولا أخذته عنهم وهو وقت أخذوا عن ... الإكرام بالخطاب ... العظمة لأن السياق للإسراع في الكفر
فقال **قيل لهم اسكنوا** أي ادخلوا مطمئنين على وجه الإقامة ... الأبعد التوطن بخلاف الدخول فإنه يكون بمجرد الولوج في الشيء
على أي وجه كان **هذه القرية** فهو دليل آخر على الإعراض والصدوف وعبر هنا بالمجهول في قيل إعراضا عن تلذيذهم بالخطاب إيذانا بأن هذا السياق
للغضب عليهم بتماديهم في الكفر وإعراضهم عن الشكر أي قائله كان وبأي صيغة ورد القول وعلى أي حالة كان وإظهارا للعظمة حيث كانت
أدنى إشارة منه كافية في سكناهم في البلاد واستقرارهم فيها قاهرين لأهلها الذين ملأوا قلوبهم هيبة حتى قالوا إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها
ولما خلت نعمة الأكل في هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة من التعقيب صوابا أسقط ذكره بالواو الدالة على مطلق الجمع وهي لا تنافي تلك فقال
وكلوا منها أي القرية **حيث شئتم** وأسقط الرغد لذلك وقدم **وقولوا حطة** ليكون أول قارع للسمع مما أمروا به من العبادة مشعرا
بعظيم ما تحملوه من الآثام إذ ذاك بما سبقت له هذه القصص في هذه السورة من المقام ولما أمروا بالحطة قولا أمروا أن يشفعوها بفعل التحط
عنهم ذنوبهم ولا تنافي التقديم هنا التأخير في البقرة لأن الواو لا ترتب فقال **وادخلوا الباب** أي باب بيت المقدس حال كونكم **سجدا**
نغفر لكم ولما كان السياق هنا لبيان إسراعهم في الكفر ناسب ذلك جمع الكثرة في قوله **خطاياكم** في قراءة أبي عمرو ولما قراءة خطيئتكم
بالإفراد وقراءة غيرها خطيئاتكم جمع قلة ففيه إشارة إلى أنها قليل في جنب عفوه تعالى وكذا بناء تغفر للمجهول ... وتذكير الحال لذلك ترجية
لهم واستعطافا إلى التوبة ولذا الإسراع ... ما بعده مساق السؤال الكائن قال هذا الرجا فحصل فضل مع المغفرة من كرامه فقال
سنزيد أي بوعد لا خلف فيه عن قريب وهو دليل في إثبات الواو في البقرة **المحسنين** إلى ... فهذا الوصف ... الذي
وصفت فيه قوله **فبدل الذين ظلموا** بقوله **منهم** لئلا يتوهم أن أهل الضلال فيهم **قولا غير الذي** ... ولما كان من المعلوم أن القائل
من لم يأمرهم بذلك للمجهول فقال **قيل لهم** وقال **فأرسلنا** أي بما لنا من العظمة **عليهم** بالإضمار تحديدا لاحتمال العموم بالعذاب
رجزا من السماء ولفظ الظلم في قوله **بما كانوا يظلمون** بما يقتضيه أنهم لا ينفكون عن الكون في الظلام إما مطلقا وإما مع تجدد
فعل كفعل من هو فيه أهول من هو منه لفظ الفسق المقتضي لتجديد الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه كمال لفظ الإرسال المعدى بعلى كون ذلك
بالنسبة إلى لفظ الإنزال ... ولما فرغ من هتك أستارهم فيما عملوه أمام موسى عليه السلام وما يليها أتبعه ... مما قبله كان بعد ذلك
بمدة لا يعلمها أحد إلا من جهتهم أو من الله وإذا انتفى الأول ثبت الثاني فقال **واسألهم** أي بني إسرائيل تبكيتا لهم وتقريرا

عن القرية اي البلد الجامع التي كانت حاضرة البحر اي على شاطئه وهي ايلة وعبر بالسؤال ولم يقل واذ تعدو والقرية التي الى اخرها نحو
ذلك ايذانا بانهم لا اطلاع لهم على هذه الفضيحة اشد مما مضى حتى يدل على الطرف والصدق ولما كان السؤال عن خبر اهل القرية قال مبدلا بدل
اشتمال من القرية اذ اي حين يعدون اي يجوزون الحد الذي امرهم الله به في السبت اي العدو وحين تاتيهم وزاد في
التبكيت بالاشارة الى المسارعة في الكفر بالاضافة في قوله حيتانهم ايماء الى انها مخلوقة لهم فلو صبروا لنالوها وهم مطيعون كما في حديث
جابر رضي [illegible] بين العبد وبين رزقه حجاب فان صبر ضج اليه والا هتك الحجاب ولم ينل الا ما قدر له يوم سبتهم اي الذي يعظمونه
بترك الاشتغال فيه بشيء غير العبادة شرعا اي قريبة مشرفة لهم ظاهرة على وجه الماء جمع شارعة وشارع اي دان ويوم لا يسبتون
اي لا يكون سبت [illegible] اشارة الى انهم لو عظموا الامر على انه سبت جاءتهم فيه [illegible] اذا عظمت سبتها لا تاتيهم اي
[illegible] لهم علوا انهم صبروا ازال الله هذه العادة فاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولما كان هذا بلاء عظيما قال مجيبا لسؤال من كانه قال الشدة
[illegible] هذا الامر [illegible] ولم يكتف [illegible] في علم الغيب [illegible] الشهادة كذلك اي مثل
هذا البلاء العظيم نبلوهم اي نجدد اختبارهم كل قليل بما اي بسبب ما كانوا جبلة وطبعا يفسقون اي يجددون فعلهم من
الفسوق وهو الخروج مما هو اهل التوطن من الطاعات ولما اخبر [illegible] الفسق [illegible] عطفا على اذ يعدون واذ اي واذكر لهم حين
قالت امة منهم اي جماعة [illegible] الواعظين [illegible] لا يقلعون عن الوعظ
تخويفا للموعوظين بما يتجاوزون لم تعظون قوما اي معتمدين على قوتهم الله اي الملك الذي له الملك كله مهلكهم اي
[illegible] على الفسق [illegible] بالمواعظ او معذبهم عذابا شديدا اي بعظيم ما يرتكبونه وتماديهم فيه قالوا اي الامة
الاخرى الواعظين وعظنا معذرة الى ربكم اي المحسن الينا [illegible] الذنب والاقبال على الوعظ حتى [illegible] في
تقول [illegible] ولعلهم يتقون اي وليكون حالهم [illegible] ولما تراجعوا بهذا
ليكون زاجرا للعاصين [illegible] فلما نسوا ما ذكروا به اي فعلوا
في اعراضهم عنه فعل الناسي وتركوه ترك المنسي [illegible] من غير اعراض
انجينا اي بعظمتنا الذين ينهون [illegible] عن السوء اي الحرام واخذنا اي [illegible] الذين ظلموا اي بالعدو
في السبت بعذاب بئيس اي شديد جدا بما كانوا اي جبلة وطبعا يفسقون اي بسبب [illegible] الفسق [illegible]
[illegible] فلما عتوا اي تكبروا [illegible] عما نهوا عنه اي بعد الاخذ بالعذاب الشديد
وتجاوزوا الى الاجتراء على جميع المعاصي [illegible] وعدم المبالاة [illegible] مع الوعظ [illegible]
ذلك [illegible] عن الخوف [illegible] العذاب [illegible] على الاثام [illegible] وقيل [illegible]
كل امره [illegible] هذه الاية وقيل [illegible] الوعظ والتنبيه [illegible]
اي جاوزوا المقدار [illegible] جاوزوا الائتمار بامره [illegible] ترجع الى [illegible] والشدة و
الصلابة قلنا لهم اي بما لنا من القدرة العظيمة كونوا قردة اي في صورة القردة حال كونكم خاسئين اي صاغرين مطرودين بعيدين
عن الرحمة [illegible] بما مضى [illegible] على [illegible] لدوام الخزي والصغار [illegible] ذلك
على [illegible] بانهم مرتكبون في الضلال [illegible] ذلك الاشكال فقال واذ وهو عطف على [illegible] اي
واذكر لهم حين تاذن اي اعلم اعلاما [illegible] ربك المربي لك والمحسن [illegible] على خلافك
ولما كان ما قبل جاريا مجرى القسم [illegible] ليبعثن اي [illegible] وانهم
[illegible] عليهم اي اليهود [illegible] التسليط فقال الى يوم القيمة الذي هو [illegible]

الاعظم

الاعظم من يسومهم اي يذيقهم دائما سوء العذاب بالاذلال [illegible] وضرب الجزية والاحتقار وكذا فعل سبحانه فقطع ملكهم الا مم
وتفرقهم في الارض كل ممزق حين انكروا رسالة المسيح عليه السلام كما اتاهم به الوعد الصادق في التوراة وترجمة ذلك موجودة بين ايديهم
الان في قوله في اخر السفر الاول لا يزول القضيب من يهوذا [illegible] مسلطا [illegible] حتى ياتي الذي له الملك واليه
تنتظر الشعوب [illegible] وقال [illegible] غاية [illegible] في التوراة التي [illegible]
تفسير [illegible] اليهود والراس [illegible] المسيح فلا يقدرون على جحده [illegible] انكم كنتم اصحاب [illegible]
الى [illegible] المسيح [illegible] ملككم [illegible] رسالة المسيح عليه السلام [illegible] تحت حكم البابليين واخر
تحت ايدي المجوس وكرة تحت قهر الروم بني العيص [illegible] الى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الجزية هو واهله ولما
كان [illegible] العذاب [illegible] بقوله ان ربك اي المحسن اليك باذلال اعدائك الذين [illegible]
لسريع العقاب اي [illegible] ظاهرا [illegible] فانه
في [illegible] ولما [illegible] بقوله وانه لغفور اي [illegible] للذنوب [illegible] رحيم اي [illegible]
[illegible] في الدنيا والاخرة ذكر [illegible] على العصيان والبغي [illegible] في
[illegible] لم تحفظ [illegible] جميع الوصايا والسنن التي [illegible] هذا الكتاب
[illegible] ربك [illegible] عليك [illegible]
نسلك [illegible] مثل نجوم السماء [illegible] الشعوب [illegible]
هناك [illegible] الحجارة والخشب [illegible] قلوبكم هناك [illegible]
[illegible] وفي الصبح [illegible] الله الى ارض مصر [illegible]
قال الرب [illegible] بني اسرائيل [illegible]
[illegible] جميع بني اسرائيل وقال لهم قد رايتم ما صنع الله بارض مصر [illegible]
والبلايا العظيمة التي رات اعينكم والايات والاعاجيب [illegible]
هذا [illegible] اربعين سنة [illegible] انا الله ربكم وانا [illegible]
الى هذه البلاد فاحفظوا وصايا هذه التوراة [illegible]
بارض مصر [illegible] عبادة الله ربنا [illegible]
[illegible] هذا العهد [illegible] يكون لي السلام [illegible] الرب [illegible]
الرب [illegible] في هذا الكتاب [illegible] الرب [illegible] جميع اسباط بني اسرائيل
والبلايا [illegible] الذين [illegible] الرب بها [illegible]
صنع الرب هكذا ولماذا اشتد غضبه على هذا الشعب العظيم ويقولون لانهم تركوا عهد الله [illegible] على هذه الامة وانزل بها
كل اللعن الذي كتب في هذا الكتاب [illegible] الخفايا [illegible]
[illegible] الظاهرة المكشوفة [illegible] بعثنا عليهم [illegible] سوء العذاب بالقتل
والسبي [illegible] قوله وقطعناهم اي [illegible] في الارض
حال كونهم امما [illegible] بعضهم بعضا [illegible]
[illegible] منهم الصالحون اي الذين [illegible]

كتابهم ومنهم دون ذلك اى بالفسق تارة وبالكفر اخرى وبلوناهم اى عاملناهم معاملة المبتلى ليظهر للناس ما نخبر به منهم عالمين بالحسنات
النعم والسيئات اى النقم لعلهم يرجعون اى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه من غير رغبة او رهبة ولما كان العذاب الادنى وقع الاذى بسبب ممتد
الى يوم القيمة تسبب عنه قوله فخلف اى نشا من بعدهم خلف اى قوم اسوء حالا منهم ورثوا الكتاب اى الذى هو نعمة وهو التورية فكان
لهم نقمة لشهادته عليهم بقبح افعالهم لانه بقى فى ايديهم بعد علمائهم يقرؤنه ولا يعملون بما فيه قال ابن فارس والخلف ما جاء من بعد اى سواء
كان متحركا او ساكنا وقال ابو عبيد الهروى فى الغريبين ويقال خلف سوء اى بالسكون وخلف صدق وقال الزبيدى فى مختصر العين والخلف خلف السوء
بعد ابيه والخلف الصالح وقال ابن القطاع فى الافعال خلف خلف سوء صاروا بعد قوم صالحين وخلف سوء قال الاخفش هما سواء منهم من يسكن
ومنهم من يحرك فيهما جميعا ومنهم من يقول خلف صدق اى بالتحريك وخلف سوء اى بالسكون يريد بذلك الفرق بينهما وكل ذلك اذا اضفت يعنى
فاذا لم يضف كان السكون للفساد والتحريك للصلاح وقال فى القاموس خلف نقيض قدام والقول الردى ومنه خلف سوء والردى من القول و
بالتحريك الولد الصالح فاذا كان فاسدا سكنت اللام وربما استعمل كل منهما مكان الاخر يقال هو خلف صدق من ابيه اذا قام مقامه والخلف بالسكون
وبالتحريك سواء الليث خلف للاشرار خاصة وبالتحريك ضده والمادة ترجع الى الخلف الذى هو نقيض قدام كما بينت ذلك فى نوع المضعف
من حاشيتى على شرح الفية العراقى ولما كان المطلوب ممن ورث الكتاب الخير فكان كانه قيل ما فعلوا من الخير فيما ورثوه قال مستانفا ياخذون
اى يجددون الاخذ دائما وحقر ما اخذوه بالاعلام بانه مما يعرض اى لا يثبت بل هو زائل فقال عرض وزاده حقارة باشارة الحاضر فقال
هذا وصرح بالمراد بقوله الادنى اى الموجودين وهو الدنيا ويقولون اى دائما من غير توبة ولما كان النافع الغفران من غير نظر الى معين
بنوا للمفعول قولهم سيغفر لنا اى من غير شك فاقروا على السوء وقطعوا بوقوع ما يبعد وقوعه فى المستقبل حكما على من يحكم ولا يحكم عليه
وصرح بما فهم ذلك من اصرارهم معجبا منهم فى جزمهم بالمغفرة مع ذلك بقوله وان اى والحال انه ان ياتهم عرض مثله اى فى الرذالة والخسة
والحرمة كالرشى ياخذوه ولما كان هذا عظيما انكر عليهم مشددا للنكير بقوله مستانفا الم يوخذ عليهم بناه للمفعول اشارة الى ان العهد يجب
الوفاء به على كل حال ثم عظمه بقوله ميثاق الكتاب اى الميثاق المؤكد فى التورية ان لا يقولوا اى قولا من الاقوال وان قل على الله اى الذى له
كمال العظمة الا الحق اى المعلوم ثباته وليس من المعلوم ثباته اثبات المغفرة على القطع بغير توبة بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب ولما كان ربما
وقع فى الفهم او وهم انه اخذ عليهم الميثاق وهم لم يعلموا بهوا به بنفى ذلك بقوله ودرسوا ما فيه اى ما فى ذلك الميثاق الذى فى الكتاب او الكتاب بتكرير
القراءة للحفظ والدار الاخرة اى فعلوا ما تقدم من مجانبة التقوى والحال ان الاخرة خير اى مما ياخذون للذين يتقون ولكنهم يعلمون
ذلك ولا يحملهم علمهم على تركها بهوا لذلك وانكر عليهم بقوله افلا يعقلون اى فيأخذوا ما يشقيهم ويفنى بدل ما يسعدهم ويبقى وعلى قراءة نافع وابن
عامر وحفص بالخطاب يكون المراد الاعلام بتناهى الغضب ولما بين ما للمفسدين من كونهم قالوا على الله غير الحق فلا يغفر لهم بين ما للمصلحين المذكورين
فى قوله من قوم موسى امة يهدون بالحق ومنهم الصالحون فقال عاطفا على ما تقديره اولئك حبطت اعمالهم فيما تركوا من الكتاب ولا يغفر لهم ما اتوا
من الفساد والذين يمسكون اى يمسكون امساكا شديدا يتجدد على وجه الاستمرار وهو اشارة الى ان التمسك بالسنة فى غاية الصعوبة لا سيما
عند ظهور الفساد بالكتاب اى فلا يقولون على الله الا الحق ومن جملة تمسكهم التجرد اتباعهم ذلك الكتاب عند اتيان الصنع الناسخ
انه ناطق بذلك والله الموفق ولما كان من تمسكهم بالكتاب ... نزول هذا الكلام انتقالهم عن دينهم الى الاسلام كما وقع الامر به فى المواضع
التى تقدم بيانها عبر عن اقامة الصلوة المعروفة لهم بلفظ الماضى ... فى المضارع لئلا يجعلوه حجة فى الثبات على دينهم فيفيد ... المراد
فقال واقاموا الصلوة وخصها اشارة الى ان الاولين تركوها كما صرح به فى سورة مريم وتنويها بشانها بيانا لانها من اعظم شعائر الدين
ولما كان التقدير اثبناهم ... اجرهم لاصلاحهم وضع موضعه للتعميم قوله انا لا نضيع اى بوجه من الوجوه اجر المصلحين
ولما ذكر الكتاب ... من مخالفته ... مع الفتن ... عذاب الاخرة مستقبلا وعاجلا وكان ما هذا شانه لا يوثر فى الجامدين
امره ان يذكرهم بترهيب ... مضى ايقاعه بهم ليأخذوا مواثيق الكتاب بغاية الجد مع انه لا يجهله الا جاهل وهم ممن يكون علم الامى له من اعلام

بنوة

بنوة الظاهر فقال واذ اى اذكر لهم حين لا يتعظوا اذ كرلهم اذ نتقنا اى قلعنا ورفعنا وانى بنون العظمة لزيادة الترهيب الجبل عرفه
لمعرفتهم به وعبر به دون الفعل على الصعوبة والمشقة ذى الطور كما فى البقرة لان سياق ... باسرائهم ... الدالة على غلظ القلب
ولما كان النتق الجميع الجهة المواذنة لعساكرهم عن ظاهر فقال فوقهم ثم بين انه كان ابهمهم بقوله كانه ظلة اى سقف وحقق انه صار
عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله وظنوا هو على حقيقته انه واقع ولما كان ما تقدم قد حقق العلو لم يحتج الى حرف الاستعلاء
فقال مشيرا الى ... بهم اى ان لم ياخذوا ما فى التورية قالوا ولما رادوا ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وصار ينظر بعينه اليمنى
الى الجبل من خوف سقوطه وهى سنة لهم فى سجودهم الى الان يقولون هذه السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما كان كانه قيل فقالوا اخذنا برب
عهودك قال مشيرا الى عظمة ليثبتنهم عليه الاشارة الى انه علة رفع الجبل خذوا ما اتيناكم اى بعظمتنا فهو جدير بالاقبال عليه وان يعتقد
فيه الكمال واكد ذلك بقوله بقوة اى عزم عظيم على احتمال المشاقة ولما كان الاخذ الشئ بقوة ربما نسخ وقت قال واذكروا ما فيه من
الاوامر والنواهى وغيرهما فلا تنسوه لعلكم تتقون اى ليكون حالكم حال من ترجى تقواه فرفع سبحانه بهذا على تاكيد المواثيق عليهم فى اخذ
جميع ما فى الكتاب الذى من جملته ان لا يقولوا على الله الا الحق ولا يكتموا شيئا منه قالوا ولما قرا موسى عليه السلم الالواح وفيها كتاب الله لم يبق
على الارض شجر ولا جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التورية الا اهتز وانغض راسه ولما ذكر انه الزمهم احكام الكتاب على
هذه الهيئة القاهرة الملجئة القاسرة التى هى من اعظم المواثيق عند اهل الاخذ وانه اكد عليهم المواثيق كثيرا فى فصول الكتاب وكان ذلك كله خاصا
بهم اتبعه ما يذكرهم انه ركب فيهم فى عموم هذا النوع الادمى من العقول ونصب الادلة الموضحة للامر ايضاح المشهود للشاهد ما لو عذب تاركه و
المتهاون به لكان تعذيبه جاريا على المناهج ملائما للعقول ولكنه لسبق رحمته وغلبة رافته لم يواخذ بذلك حتى ضم اليه الرسل وانزل معهم الكتب
واكثر فيهما من المواثيق وزاد فى الكشف والبيان والى ذلك الاشارة باسم الرب كان من عنده علم اشد ملامة من الجاهل فقال واذ اى واذكر لهم
اذ اخذ اى خلق بقوة وقدرة ربك اى المحسن اليك بالتمهيد لرسالتك كما يوخذ القمل بالمشط من الراس ولما كان السياق الاخذ المواثيق والاخذ
بقوة ذكر اخذ الذرية من اقوى نوعى الادمى وهم الذكور فقال من بنى ادم وذكر انه جعلها من اقوى الاعضاء فقال من ظهورهم كل احد من ظهر ابيه
ذريتهم اشارة الى انه لما اكد عليهم المواثيق والاخذ بقوة ذكر اخذ الذرية من اقوى وشدها وامرهم بالقوة فى امرها اعطاهم من القوى
فى التركيب والمزاج ما يكونون به مطيقين لذلك فحقق تكليفهم بما فى الوسع وجعل لهم عقولا عند من قال هو على حقيقته كنملة سليمان عليه السلام واشهدهم
على انفسهم اى اوضح لهم من البراهين من الانعام بالعقول مع خلق السموات والارض وما فيهما على هذا المنوال الشاهد بالوحدانية وتمام العلم والقدرة
ومن ارسال الرسل المويدين بالمعجزات ما صاروا به كالشاهد بانه لا رب غيره وقد ذكر معنى هذا الامام حجة الاسلام الغزالى فى الكلام على العقل فى باب العلم من الاحياء
فانه قال فى معنى هذه الاية والمراد اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا فى اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ثم ذكر ان النفوس فطرت
على معرفة الاشياء كما هى عليه لقربها من الاستعداد للادراك ولما تبين انه فرد لا شريك له فلا راد لامره وانه رب لا ارفق منه ولا ارحم كان ذلك داعيا الى الطاعة
خوفا من سطوته ورجاء لرحمته فلذلك نزل ذلك منزلة من سئل فاجاب فلذلك قال الست بربكم اى المحسن اليكم بالخلق والتربية بالرزق وغيره
قالوا بلى شهدنا اى علمنا بذلك علما شهوديا وذلك لانهم وصلوا بغاية البيان الى حد لا يكون فيه الجواب الا ذلك فكانهم قالوه فهو والله اعلم من وادى
قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها الاية ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملئكة وهم لا يستكبرون ولما كان كانه
قيل لم فعل ذلك قيل دلالة على ان المتقدم انما هو على طريق التمثيل بجعل تمكينهم من ادراك ذلك كالاشهاد فعله كراهة ان تقولوا يوم القيمة اى لئلا لم
تنصب لهم الادلة انا كنا عن هذا اى وحدانيتك وربوبيتك غافلين اى لعدم الادلة على ذلك او تقولوا اى لو لم ترسل اليهم الرسل
انما اشرك اباونا من قبل اى قبل ان نوجد وكنا ذرية من بعدهم فلم نعرف لنا مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشغلنا اتباعهم عن النظر ولم يأتنا
رسول ينبهنا فتسبب عن ذلك انكارهم فى قولهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اى من اباءنا ... والمعنى ان الكفرة لو لم يوخذ عليهم عهد ولا جاءهم
رسول يذكرهم بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان احديهما كنا غافلين والاخرى كنا اتباعا لاسلافنا فكيف الذنب

لعل

اصل

انما هو لمن طرق لنا واضلنا انتهى ومما يؤيد معنى التمثيل حديث انس في الصحيح يقول الله لاهون اهل النار عذابا لو ان لك ما في الارض من شيء كنت تفتدي به
قال نعم قال فقد سالتك ما هو اهون من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك وذلك لان التصريح بالاباء ينافي كون الاقرار
على حقيقته والامر وهو في الصلب انما هو بنصب الادلة وتقرير الخلق على وجه يتهيأ لكم الاستدلال بتركيب العقل على القانون الموصل الى المقصود
عند التخلي من الحظوظ والشوائب فهذا الذي رجح تاويل الاية بذلك لا يعارضه حديث الاستنطاق في عالم الذر على تقدير صحته فانه روي من طرق كثيرة
جدا ذكرتها في كتابي سر الروح منها في الموطا ومسند احمد وعبد بن حميد بن راهويه ومحمد بن نصر المروزي وابي يعلى الموصلي ومستدرك الحاكم وكتاب
المائتين لابي عثمان الصابوني عن صحابة وتابعين مرفوعا وموقوفا منهم عمر وابي بن كعب وابو هريرة وحكيم بن حزام وعبد الله بن سلام وعبد الله
ابن عمرو وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ومحمد بن كعب وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيب وابي العالية رحمهم الله وانما كان لا يعارضه لان في بعض
طرقه عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال بعد ان استنطقهم فاني اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم آدم ان تقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئا فاني ارسل اليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وانزل عليكم كتبي فقالوا نشهد انك
ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فالاستنطاق في الحديث على بابه عرض لابينا آدم ومن حضره من الخلائق وابقانا لهم على يمين قريبة
وعظيم علمه واشهاد ما اشهد من الخلق فالمعنى انه نصب فيهما من الادلة ما يكون اقامة الحجة به عليهم بالنقض لا يشركوا كشهادة الشاهد الذي
لا يرد وليس في صحة الروايات ما ينافي هذا والحاصل انه اخذ علينا عهدين احدهما حالي تهدي اليه العقول وهو نصب الادلة والاخر مقالي
اخبرت به الرسل كل ذلك للاعلام بمزيد الاعتناء بهذا النوع البشري لما له من الشرف الكريم ويراد به الامام الاعظم في هذا الموضع ولما كان
كانه قيل تنبيها على جلالة هذه الآيات انظر كيف فصلنا هذه الآيات هذه التفاصيل الفائقة وابرزناها في هذه الاساليب الرائقة قال ٥
وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع **نفصل الآيات** اي كلها لئلا يتوهموا ما لا يليق بجنابنا جهلا لعموم الدليل **ولعلهم**
يرجعون اي وليكونوا في حال من يرجى رجوعه عن الضلال الى ما تدعو اليه الهداة من الكمال عن قرب [illegible]
والذي حضر ليخرج الانكار وما وجدنا لاكثرهم من عهد وانهم عن اياتي [illegible] ذكرهم ما اخذ عليهم في كتابهم من الميثاق الخاص الذي انسلخ منه واتبعه
الميثاق العام الذي طبع به الاعذار اتبعها بنبا ما يعرفونه من حال من انسلخ من الآيات فاسقطه الله من ديوان السعداء فامره صلى الله عليه وسلم ان يتلو ذلك
عليهم لانه مع الوفاء بتبكيتهم من ادلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه فذكرهم ما وقع له من نبذ العهد والانسلاخ من الميثاق بعد ان كان قد اعطي الآيات
وافرغ عليه من الروح فقال **واتل** اي اقرا شيئا بعد شيء **عليهم** اي اليهود وسائر الكفار بل الخلائق كلهم **نبا الذي** وعظم ما اعطاه بمظهر العظمة
ولفظ الاتيان بعد ما عظم خبره بلفظ النبا فقال **اتيناه** ولما كان تعالى قد اعطاه من اجابة الدعاء وصحة الرؤيا وغير ذلك [illegible] امرا
عظيما يخرج على الاستعداد الا لمن [illegible] وكانت الآيات كلها متساوية الاقدام في الدلالة وان كان بعضها اوضح من بعض قال **اياتنا** وهو بلعام
من غير شك في السياق والحاق وقيل هو رجل لقيه موسى الى مدين فرشاه فتبع دينه فافتتن به الناس وقيل هو امية بن ابي الصلت الثقفي الذي
قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه قاله عبد الله بن عمرو وابن سعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وقيل هو ابو عامر الراهب الذي سماه النبي
صلى الله عليه وسلم الفاسق وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فانكروه ولما كان الذي جرهم على عظمة تجاوز
ما انعم عليهم به من اعطاء الكتاب ظنا منهم انه لا يشقيهم بعد ان رحمهم ببيان الذي سببه هذا الشقاء هو اباء الآيات فقال **فانسلخ منها**
اي فارقها بالكلية كما تنسلخ الحية من قشرها وذلك بسبب انه لما كان مجاب الدعوة سأله ملك زمانه الدعاء على موسى وقومه فامتنع فلم يزل يرغبه
حتى خالف لرياسة تبلغ عالي الهوى نفسه فتمكن منه الشيطان فاشار عليه بان يرسل اليهم النساء مزينات [illegible] فاشقاه الله وهذا معنى
فاتبعه الشيطان اي فادركه بمكره فصار قرينا له **فكان** اي فتسبب عن ادراك الشيطان له ان كان **من الغاوين** اي الضالين الراكبين هوى [illegible]
وتعبيره في هذه القصة بقوله اتل [illegible] على نحو ما مضى في القرية لان هذا الخبر مما يحب ذكره لان [illegible]
عنه لبادروا الى الاخبار به [illegible] فلا تكون تلاوته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لها الا [illegible] قيل

ولعل

ولعل المقصود الاعظم في هذه الاية والتي قبلها الاستدلال على كذب دعواهم في قولهم سيغفر لنا بما هم قائلون به فيكون من باب الالزام وكانه قيل انتم
قائلون بان من اشرك لا يغفر له لتركه ما نصب له من الادلة حتى انكم لتقولون ليس علينا في الاميين سبيل لذلك فما لكم تدعون المغفرة لكم في ترككم ما اخذ
عليكم به الميثاق الخاص وتضيقونها على غيركم في تركه ما اخذ عليهم به الميثاق العام ما ذلك الا مجرد هوى فان قلتم الامر في اصل التوحيد اعظم
فلا يقاس عليه قيل لكم اليس المعبود قد حرم الجميع وعلى [illegible] المسطور وكتابكم امر بلعام وانه ضل وكان اعظم من احادكم فانا آتيناه الآيات من غير واسطة
رسول وكان سبب هلاكه كما تعلمون خضوعه لرغبة الدنيا واصلا ذلك مشورته على ملك زمانه بان يرسل النساء الى عسكر بني اسرائيل متزينات حتى
ارادهن وذلك من الفروع التي هي اخف من باب الاموال فقد تحتم كذبكم في قولكم سيغفر لنا وانكم لم تتبعوا فيه الا الهوى كما تبعه بلعام فانتظروا ما فعل به
ولما كان هذا السياق موهما لمن لم يرسخ قدمه في الايمان ان الشيطان له تاثير مستقل في الاغواء بغير ذلك غيره على هذا المقام في مظهر العظمة فقال **ولو شئنا**
اي ان نرفعه الى اعلى ما لنا من المنازل العظيمة [illegible] **لرفعناه** اي في المنزلة رفعة دائمة **بها** اي الآيات حتى لا يزال عاملا بما
علق الامر بالمشيئة تنبيها على انها هي السبب الحقيقي وان ما لم يشا سبحانه لا يكون وكان التقدير ولكنا لم نشا ذلك وشئنا له الكفر فخذلناه [illegible]
تعليما للادب [illegible] الخير الخالص والشر الى غيرهم وان كان الكل خلقه حفظا لعقول الضعفاء من ان ينقضوا [illegible] مسندا نفعله اليه **ولكنه**
اخلد اي فعل فعل من اوقع الخلود وهو الدوام واوجده **الى الارض** اي رضي بنفسه بالدنيا وزينتها اكبابا على ما فيها من الملاذ الحيوانية والشهوات
النفسانية **واتبع** اي اتباعا عانديا **هواه** فاعرض عن التمسك بما اتاه الله من الآيات [illegible] على نفسه عن علو روحه لان القلب الذي هو نتيجتهما
في عالم الامر له وجهان وجه الى الروح العلوي الروحاني [illegible] المذكورة المناسبة للعلو ووجه الى النفس التي هي الروح الحيواني التي هي الادنى
ولها المناسبة للارض بالدنوة وبان اصلها من التراب الذي له الرسوب بوضع الجبلة فالتقدير فحط نفسه حطا عظيما الا انا لم نشا رفعه بما اعطيناه
من الآيات وانما جعلناه وبالا عليه لئلا يغتر احد بما اوتي من المعارف وما حاز من المفاخر واللطائف فان العبرة بالخواتيم ولنا بعد ذلك ان نفعل
ما نشاء ولما كان هذا حاله سبب عنه ان قال تعالى **فمثله** اي مع ما اوتي من العلم في اتباعه لمجرد هواه من غير دليل [illegible] الهوى **كمثل الكلب**
حال كونه **ان تحمل عليه** اي بالتضربه **يلهث او تتركه يلهث** فانه اوجب الحمل عليه ظن ان لهثه لما حاوله من ذلك التعب وان تركه لهثه في الدعة
فتعلم انه ليس لسبب الا اتباع الهوى فتابع الهوى مثل الكلب كما بين ومثل هذا المنسلخ الجاهل الذي لا يتصور ان يتبع غير الهوى مع ايتاء الآيات فبعد
الانسلاخ منها اولى فقد وضح تشبيه مثله بمثل الكلب لا تشبيه مثله بالكلب وهذه القصة تدل على انه كانت نعم الله في حقه اكثر كان بعده عن الله
اذا اعرض عنه اعظم واكبر ولما تقرر المثلان وكان كل منهما منطبقا على حال كل مكذب كانت النتيجة قوله **ذلك** اي كل من المثلين **مثل القوم** اي الاقوياء
على ايجاد ما لو [illegible] **الذين كذبوا باياتنا** اي فان تركهم لها انما هو لمجرد الهوى لان لها من الظهور والعظمة بنسبتها الينا ما لا يخفى على من له ادنى بصيرة
فاقصص القصص اي فاخبر الاخبار العظيم الذي تتبعت به مواقع الوقائع واثار الاعيان حتى انه لم تدع في شيء منها لبسا [illegible]
وغيرهم وهو مصدر قص الشيء اذا تتبع اثره والتقصي في ذلك **لعلهم يتفكرون** اي ليكون حالهم حال من يرجى تفكره في حال الآيات فيعلمون انه لا يأتي
بمثلها الا خبير عالم [illegible] الى الصواب حذرا من مثل حال هذا ولما ظهر بهذا ان مثل الكلب الذي [illegible] من السوء والقذارة ما لا
يعلمه حق علمه الا الله تعالى مثل المكذبين بالآيات انتج ذلك قطعا تاكيدا لذمهم وزجرهم **ساء مثلا القوم** اي مثل القوم **الذين كذبوا باياتنا** اي فلم يكن
عليهم درك في فعلهم الا انه لهذا المثل عليهم لما اعظم لمن له ادنى مروة لانهم نزلوا عما لهم من نسبتها من العظمة الى الحضيض بهذا المثل الخسيس فكيف وهم
يضرون انفسهم بذلك ولا يضرون الا اياها وذلك معنى قوله **وانفسهم** اي خاصة **كانوا يظلمون** اي كان ذلك طبعهم وجبلة لهم لا يقدر على غيره الا الله
على تغييره ولما كان ذلك بحال عجيب محير في المنهج بعد ايضاح هذا الايضاح الشافي قال جوابا لمن كانه قال فما لهم لا يؤمنون مفصلا لقوله ولو شئنا
لرفعناه بها **من يهد الله** اي يخلق الهداية في قلبه الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه **فهو المهتدي** اي لا غيره ولما كان في سياق الاستدلال على
الاكثر الخالق حال بالفسق ونقض العهد وحد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الضال نظرا الى معناها فقال **ومن يضلل فاولئك** اي البعداء البغضاء
خاصة لا غيرهم **هم الخاسرون** اذ لا فعل لغيره اصلا والاية من فذلكة ما مضى واحسن ختم بالخاسر في عظم ترك الامر باقباله على الدنيا

الدنيا واعراضها الفانية ثم تعقيبها بتزوجهم الذين لا حصر لها ذكر قصة بلعام في التورية في السفر الرابع منها بعد ان اق فنالهم
لسيحون ملك الاموراسين وفرق الملوك من الشعب فرقا شديدا لانهم راوه شعبا عظيما فاضطرب المواببيون ورجفت قلوبهم خوفا من بني
اسرائيل وقال ملك مواب لاشياخ مدين اعلموا ان هذا الجمع يرتعي حولنا ولا يدع احدا الا اهلكه ويرتعي كل من حولنا كما يرتعي الثور عشب الارض
وكان ملك المواببيين في ذلك الزمان بالاق بن صفور فارسل رسلا الى بلعام بن بعور العراف المعبر للاحلام الذي كان ينزل على شاطئ النهر قريبا من ارض بني
عمون ليدعوه اليه فيستعين به اذ قيل انه قد خرج شعب من ارض مصر فغشي وجه الارض كلها وقد نزل حيالنا فالان اطلب اليك ان تاتي وتلعن هذا
الشعب لانه اقوى منا لعلنا نقدر ان نحاربه ونهلكه عن جديد الارض لاني عارف ان الذي تباركه هو مبارك والذي تلعنه هو ملعون وانطلق
اشياخ مواب واشياخ مدين ومعهم هدايا وجوائز فاتوا بلعام فقالوا له قول بالاق فقال لهم بيتوا ههنا ليلتكم هذه فاخبركم بما يقول الرب فاقام
اشراف مواب عند بلعام فاتى ملاك الله بلعام وقال له من القوم الذين اتوك قال بلعام للملاك بالاق بن صفور ملك مواب ارسل الي وقال
قد خرج شعب من ارض مصر فغطى وجه الارض فاقبل الينا حتى تلعنه لعلي اقدر ان احاربه واهلكه وقال الملاك لبلعام لا تنطلق مع القوم ولا تلعن
الشعب لانه مبارك فقال بلعام بكرة لعظماء بالاق انطلقوا الى اصحابكم لان الرب لم يحب ان يدعني انطلق معكم ونهض عظماء مواب فاتوا بالاق
وقالوا له لم يحب بلعام ان ياتي معنا فعاد بالاق ايضا فارسل رسلا اعظم واكرم من الاولين فاتوا بلعام وقالوا له هكذا يقول بالاق بن صفور
لا تمتنع ان تاتيني لاني سا عظمك واكرمك جدا وما قلت لي من شي فعلت واقبل الينا هذا الشعب فرد بلعام على رسل بالاق وقال
لو ان بالاق اعطاني مل بيته ذهبا وفضة لم اقدر ان اتعدى قول ربي الهي ولا احيد عن قول صغير ولا كبير الا قوله فعرجوا انتم
ايضا عندي ليلتكم هذه حتى انظر ما يخبرني ملاك الله في امركم فنزل وحي الله على بلعام ليلا وقال له ان كان هولاء القوم انما
اتوك ليدعوك فقم فانطلق معهم ولكن اياك ان تفعل الا ما اقول لك فنهض بلعام بكرة واسرج اتانه وانطلق مع عظماء مواب
فقام ملاك الرب في الطريق ليكون له لدادا فراءت الاتان ملاك الله قائما في الطريق بيده سيف مسكة في يده فحادت عن الطريق
وسارت في الحرث فضربها بلعام ليردها الى الطريق فقام ملاك الرب في سبيل ضيق بين كرمين فراءت الاتان ملاك الرب فرصت الحائط
وضغطت رجل بلعام في الحائط فعاد بضربها ايضا ثم عاد ملاك الرب فقام في موضع ضيق حيث ليس لها موضع تحيد يمنة ولا
يسرة فبصرت بملاك الرب فربضت تحت بلعام فاشتد غضب بلعام وضرب الاتان بالعصى ففتح الرب فم الاتان وقالت لبلعام
ما الذي صنعت بك حتى ضربتني ثلاث مرات فقال بلعام لانك ازدريت بي ولو ان كان في يدي سيف كنت قد قتلتك الان فقالت
الست اتانك التي تركبني منذ صباك الى اليوم هل صنعت مثل هذا الصنع قط قال لا فجلى الرب عن بصر بلعام فراى
ملاك الله قائما في الطريق بيده سيف مسكة بيده فجثا وخر على وجهه ساجدا فقال له ملاك الرب لما ذا ضربت اتانك
ثلاث مرات انا الذي خرجت لاكون لك لددا لانك اخذت في طريق خلافا لامري فلما راتني الاتان حادت عني ثلاث مرات
ولو انها لم تحد عني كنت قد قتلتك وابقيت عليها فقال بلعام لملاك الرب اسات واجهت لم اعلم انك قائم بازائي في
الطريق فالان ان كان انطلاقي مما يكرهه رجعت فقال ملاك الرب لبلعام انطلق مع القوم واياك ان تفعل شيئا الا ما اقول
لك فانطلق بلعام فسمع بالاق فخرج ليتلقاه وقال بالاق كيف لم تاتني قال قد اتيتك الان لعلك تظن اني اقدر ان اقول
شيئا الا القول الذي يجريه الله على لساني فانطلق فلما صار الغد عمد بالاق الى بلعام واصعده الى بيت بعل الصنم فرأى من هناك
اقاصي منازل شعب اسرائيل وقال بلعام لبالاق ابن لي ههنا سبع مذابح وهيئ لي سبع ثيران وسبع كباش وفعل بالاق
كما قال له بلعام ورفع بالاق الكباش والثيران على المذبح قربانا وقال بلعام لبالاق قم ههنا عند قربانك حتى انطلق انا
لعل الرب يوحي الي ما اهواه وانا مظهر لك ما يوحى به الي فانطلق فظهر الله له والهمه قولا وقال له انطلق الى بالاق وقل له
هذا القول فاتاه وهو قائم عند قربانه وجميع قواد مواب معه ورفع بلعام صوته بامثاله وقال اقتني بالاق ملك المواببيين

منازلهم التي في المشرق وقال اقبل حتى تلعن يعقوب وتهلك اسرائيل فكيف العنه ولم يلعنه الله وكيف اهلكه والرب لا يريد هلاكه رايته
من رؤوس الجبال ونظرت اليه من فوق الاكام واذا هو شعب وحده لا يختلط مع الشعوب ومن يقدر ان يحصي جميع عدد يعقوب او من يقدر يحصي ربع
بني اسرائيل تموت نفسي موتا ويكون اخري كاخراهم قال بالاق لبلعام دعوتك لتلعن اعدائي فاذا انت تباركهم وتدعو لهم فرد
بلعام الذي يلهمني الرب ويجريه على لساني اياه احفظ وبه انطق قال له بالاق مر معي الى موضع اخر لتراهم من هنالك وانما ترى
اخرهم ولا تراهم جميعا وانطلق به الى حقل الربية واقامه على راس الاكمة وابتنى هناك سبع مذابح وقرب عليها الثيران والكباش وقال
بلعام قف ههنا عند قربانك حتى انطلق انا الان فانظر ما الذي يقال وتجلى الرب على بلعام والهمه واجرى فيه قولا وقال له انطلق الى
بالاق فاخبره بهذا القول فاتاه وهو قائم عند قربانه ومعه اشراف مواب فرفع بلعام صوته بامثاله وقال انهض يا بالاق واسمع قولي
واصنع لشهادتي يا ابن صفور لتعلم ان الله ليس مثل الرجل يحلف ويكذب اذا قال الرب قولا فعله وكلامه دائم الى الابد فانني لا ادعو له وابارك
ولا ارد البركة ولا اخالف امر ربي لست ارى في يعقوب اثما ولا عزرا عند بني اسرائيل ولا ظلما لان الله ربه معه الذي اخرجهم
من مصر بعزة وعظمة قوية ولست ارى في يعقوب طيرة ولا احساب النجوم او عراف بين بني اسرائيل كيف اقول والشعب قائم مثل الضرغام
لا يربض حتى يفترس فريسته ويشرب دم القتلى فقال بالاق لبلعام اطلب اليك ان لا تلعنه ولا تدعو له فرد بلعام على بالاق قائلا الست
قلت لك اني انما انطق بما يقول لي الرب فقال بالاق انطلق بنا الى موضع اخر لعل الله يرضى بذلك فتلعنه لي هنالك فاصعده الى راس
فعور الذي بازاء الشيمون فامره بمثل ما تقدم من الذبح والقربان فراى بلعام ان الرب يحب ان يدعو لبني اسرائيل ولم ينطلق كما كان
ينطلق في كل وقت ليطلب الوحي ولكن اقبل بوجهه الى البرية ومد بصره فراى بني اسرائيل نزولا قبائل قبائل فحل
عليه روح الله ورفع صوته بامثاله وقال يا بلعام بن بعور وقال ايها الرجل الذي جلى عن بصره قل ايها الذي يسمع قول الله وراى رويا
الله وهو ملقى وعيناه مفتوحتان ما احسن منزلك يا يعقوب ومنازلك يا اسرائيل وخيمك كالاودية الجارية ومثل الفراديس التي على شاطئ
النهر ومثل الخبا الذي كرمه الله ومثل شجر الارز على شاطئ الماء يخرج رجل من بنيه ذريته اكثر من الماء الكثير ويعظم على الملك عوذ الذي يقوده الله
الذي اخرجهم من ارض مصر بعزة قدرته ياكل عشرات شعوب اعدائه ويكسر عظامهم ويقطع ظهورهم ربع وربض كالاسد ومثل الليث من
يقدر ان يثيره يبارك مباركوك ويلعن لاعنوك فاشتد غضب بالاق على بلعام وصفق بيديه ثم قال دعوتك لتلعن اعدائي
فاذا انت تباركهم وتدعو لهم ثلاث مرات انطلق الى بلادك قد كنت عزمت على اكرامك واجازتك فاذا الرب قد حرمك ذلك فرد بلعام
على بالاق قائلا قد كنت قلت لرسلك الذين ارسلتهم الي انه لو وهب لي بالاق مل بيته ذهبا وفضة لم اقدر ان اتعدى قول الرب ولكن انما انطق
بما يلهمني الرب فانا منطلق الان الى ارضي فاسمع ما اشير اليك واعلمك واخبرك بما يصنع هذا الشعب بشعبك اخر الايام ثم رفع صوته بامثاله
وقال قال بلعام بن بعور قال ايها الرجل المجلي عن بصره قال ايها الذي يسمع قول الله ويعلم علم العلي وراى رويا الله وهو ملقى وعيناه مفتوحتان
قال رايته وليس بالاوان ونظرت في امره وليس بقريب يبشر ويخرج من يعقوب ويقوم رئيس من بني اسرائيل ويهلك
جبابرة من مواب ويبيد جميع بني شيث ويصير ادوم ميراثه وساعير وراثة اعدائه تصير له ويستغني بنو اسرائيل قوة بقوته ونحو ذلك من الكلام
الذي لم يكن نسبا الى نسله اخذناه ولكن ذكر المفسرون انه اشار عليه باختلاط نساء بلاده ببني اسرائيل متزينات غير ممتنعات لمن اراد من منهم
لم يزنوا بهن فيحل بهم الرجز فوقع بهم ذلك وهو المطلوب لانه في الاشارة التي في التورية عند فتح مدين بقوله ما ذا ابقيتم على النساء
وهن كن عثرة لبني اسرائيل عن قول بلعام مشورة ويشيء ذلك قريبا في ما فيه ذكر الوحي فهو محمول على المنام او غير ذلك من الحيل ثم قال وقام
بلعام فرجع منصرفا الى بلاده وبالاق ايضا رجع الى بيته وحل بنو اسرائيل ساطيم وبدا الشعب يزنون ببنات مواب ودعين الشعب الى ذبائح الهتهم
واكل الشعب من ذبائحهم وسجدوا لالهتهم وكمل بنو اسرائيل لعبادة بعل فغور الصنم واشتد غضب الله على بني اسرائيل فقال الرب لموسى اجمع جميع
بني اسرائيل فاقتلهم فقال موسى لهم يقتل كل رجل منكم كل من خطا بسجوده لبعل فغور واذا رجل من بني اسرائيل قد اتى بجراة امام اخوته من غير ان يستحي فدخل

على امراة مدينية وموسى وبنو اسرائيل يبكون في باب قبة الامد فراه فنحاس بن العازر بن هرون الحبر فنهض من الجماعة غضبا لله واخذ بيده رمحا
ودخل الى الخباء الذي كانا فيه فطعنهما بالرمح فقتلهما فكف الموت الفاشي عن بني اسرائيل وكان عدد الذين ماتوا في الموت البغتة اربعة وعشرين الفا
وكلم الرب موسى وقال له فنحاس قد صرف غضبي عن بني اسرائيل وغار غيرة بينهم وطهر بني اسرائيل وكان اسم القتيل الذي قتل مع المدينية زمري بن سلو وكان
رئيسا في قبيلة شمعون وكانت المراة المدينية كزبي بنت صور وكان ابوها رئيسا من رؤساء اهل مدين وقال بعض المفسرين انه خرج رافعا الحربة
الى السماء وقد عقد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل ولد فنحاس من كل ذبيحة القبة والذراع واللحي والبكر من كل
اموالهم وانفسهم لانه كان بكر العيزار بن هرون عليه السلام انتهى ثم كلم الرب موسى وقال له ضيقوا على اهل مدين واهلكوهم بما ضيقوا عليكم ومحنوكم ثم قال ثم
كلم الرب موسى وقال له انتقم من المدينيين ما صنعوا ببني اسرائيل ثم تقبض الى شعبك ثم قال موسى للشعب اتخذوا منكم قوما للحرب لينتقموا للرب من المدينيين
وليكونوا اثني عشر الفا فانتخب موسى من بني اسرائيل الفا من كل سبط اثني عشر الفا ابطالا مستلئمين وارسلهم وصير معهم فنحاس بن العازر الحبر ومعه
اوعية القدس وقرون ينفخ فيها وهبوا على مدين كما امر الرب موسى وقتلوا كل ذكر فيها وقتلوا املاك مدين مع القتلى وقتل بلعام بن فعور معهم
في الحرب وسبى بنو اسرائيل نساء مدين وانتهبوا مواشيهم وسلبوا جميع دوابهم واموالهم واحرقوا جميع قراهم ومساكنهم واتوا بما انتهبوه الى موسى وخرج
موسى وجميع عظماء الجماعة فتلقوهم خارج العسكر وغضب موسى على قواد الاجناد ورؤساء الالوف والمئين الذين اتوا من الحرب فقال لهم لماذا ابقيتم
على الاناث وهن كن عثرة لبني اسرائيل عن قول بلعام بمشورته وفتنوا وغدروا ومردوا على الرب في امر فعور وفي نسخة بعين فان هو لا يكن شيئا
لبني اسرائيل كقول المعلم ان يتباعدوا ويتهاونوا بكلمة الرب من اجل فعور وفي نسخة من اجل تقرب الرب في النسخة الاخرى وتسلط الموت على جماعة
الرب بغتة فاقتلوا الان جميع الذكورة من الصبيان وكل امراة ادركت وعقلت وعرفت الرجال فاقتلوها وابقوا على جميع النساء اللواتي لم يعرفن رجال
وانتم فانزلوا خارج العسكر سبعة ايام الى اخر ما مضى قريبا في المائدة ولما انقضت هذه القصص الدالة على ان اكثر الخلق ضال الا من حفظه الله
نقال مقسما انه لا يكاد يصدق ان الانسان يكون اضل من البهائم عاطفا على ما تقديره هؤلاء الذين قصصنا عليكم اخبارهم ذرأناهم لجهنم **ولقد**
وعزتنا وجلالنا **ذرأنا** اي خلقنا بعظمتنا وانشانا وبثثنا وبذرنا **لجهنم كثيرا** اي وجعلناهم لها ولم نجعل بينهم وبينها حائلا ولما
كانوا يعظمون الجن ويخافونهم ويفضلونهم بهم مراتبهم فقال **من الجن** اي ينصبهم انفسهم الهة باضلال من اتبعهم وتزيين عبادة غير الله فهم في الحقيقة
المعبودون كالحجارة ونحوها **والانس** اي بعبادتهم من لا يصلح شيئا من الالهية صالحة لان تكون معطوفة على الجملة التي قبلها نهى عن ذلك ما تقدم
ولما كان كانه قيل ما لهم رضوا لانفسهم بطريق يوجب قيل **لهم** ولما كان التفكر بالقلوب فقال **قلوب لا يفقهون بها** اي الفقه الذي كلفوا به
وهو النظر في دلائل التوحيد وثبوت النبوة وما تفرع عن ذلك وهو الفقه المستعمل عنه بما انه لم ينفعهم النفع المقصود في الحقيقة واحسن
التعبير بالفقه عن شيئا اقامة الادلة التي هي مصالح الدين وانزل الكتب ولما كان البصر اعم من السمع لانه ينتفع به الصغير الذي لا يفهم القول وكذا
من حكمه قدمه فقال **ولهم اعين** ولما لم يترتب عليها الابصار النافع في الاخرة الباقية نفى ابصارهم وان كانوا احد الناس ابصارا فقال
لا يبصرون بها الايات المرئية ابصار تفكر واعتبار **ولهم اذان** ولما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم نفاه على نحو ما مضى فقال **لا يسمعون بها**
الايات المسموعة وما يلقى عليهم سماع ادكار وافتكار ولما كانت عنهم هذه المعاني كانت النتيجة **اولئك** اي البعداء من المعاني الانسانية
كالانعام اي في عدم الفقه ولما كانوا قد زادوا على ذلك بفقد نفع السمع والبصر قال **بل هم اضل** لانهم اما معاندون واما جاهل بما يضرهم وينفعه
والانعام تهرب اذا سمعت صوتا منكرا او رات بعينها امرا يترتب عليه ضررها وتنظر ما ينفعها من الماء والمرعى فتقصده والانعام لا قدرة لها على ما يترتب
على هذه المدارك من الفقه وهؤلاء مع قدرتهم على ذلك اهملوه فنزلوا عن رتبتها درجة كما ان من طلب الكمال وسعى له بسعيه مع منازع الشهوات
علا عن درجة الملائكة بما قاسى من الجهاد ولما شاركوا الانعام بهذا في الغفلة وزادوا عليها انتج ذلك قطعا على طريق الحصر **اولئك** اي
البعداء البغضاء **هم الغافلون** لا الانعام فانها وان كانت حاقة عما يراد بها غير الة في العذاب فلم يشاركهم في العمى
والصمم عما ينفعها منها ولا في الغفلة عن الخسارة الدائمة فقد اشارت الاية الى تفضيل الانسان على الملائكة كما اقتضته سورة الزيتون
لانه

لانه جعل في خلقه وسطا بين الملك الذي هو عقل صرف والحيوان الذي هو شهوة مجردة فان غلب عقله كان اعلى بما على الجهاد الشهوات فكان في
احسن تقويم وان غلبت شهوته كان اسفل من الحيوان بما اضاع من عقله فكان اسفل سافلين ولما انتج هذا ان لهم الاسماء السوأى ولمعبوداتهم اسوئها
عطف عليه فعالوهم تريحهم بالحكم بالضلال والذرء لجهنم ما لا يليق وتنبيها على ان الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله وعاية قوله
ولله اي الملك الاعلى المحيط بجميع صفات الكمال وحده **الاسماء** ولما كان الاسم اذا اطلق فيه المناسبة كان تعجيل الصفة اتى في قوله **الحسنى**
اي كلها بالقصاف به غيره بصفات الكمال التي كل واحد منها احسن شي وجملة وتنزهه عن شوائب النقص سمات الحدث فكل افعاله حكمة ولما كان مختصا
بذلك لان الاشياء غير ممكنة لتغيرها وكل ممكن محتاج وادنى ما يحتاج الى مرجح يرجح وجوده وبذلك نعلم وجود المرجح ونعلم ان ترجيحه على سبيل
الصحة والاختيار لا الوجود والا لدام العالم بدوامه وبذلك ثبتت قدرته وبكون افعاله محكمة تثبت علمه وبتخصيصها بوقت دون بعض تثبت
ارادته ووحدانيته والا لوقع التنازع فوقع الخلل فالعلم بصفاته العلى لم يحصل دفعة واحدة بل مترتبا وعلم بهذا ان الكمال له لذاته وان ما
فيه بكماله به وهو براته غريق في بحار الفنا واقع في حضيض النقصان **فادعوه** اي خصوه وكونوه واولاه **بها** لتنجوا من جهنم قال ابو الكل
ما تحمد عاقبته او بعضه فتعطلوا فان القلب اذا اغفل عن ذكر الله اقبل على الدنيا وشهواتها فوقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال من رغبة الى
رغبة حتى لا يبقى له مخلص واذا اقبل على الذكر تخلص عن نيران الافات واستغرق في معرفة الله حتى يتخلص من رق الشهوات فيصير حرا فيسعد بجميع المرادات
وكثرة الاسماء لا يقدح في التوحيد بل يدل على عظم المسمى **وذروا** اي اتركوا على حالهم وزيه **الذين يلحدون** اي يميلون عما حد لهم بزيادة فيشبهوا
او نقصان فيعطلوا **في اسمائه** اي فيطلقوها على غيره بان يسموه الهة فيلزمهم ان يطلقوا عليه جميع اوصافها الدالة فقد الحروا في البعض بالفعل
وفي الباقي باللزوم او بان يسموه بما لم ياذن فيه وما لم ياذن فيه تارة يكون مادونا فيه في الجملة كالضار لا يجوز ذكره الا مع النافع وتارة
لا يسوغ اطلاقه الا بعينه والجسم وكذا كل ما اوهم نقصا فلم يكن حسنا ولو ورد اطلاق بعض مشتقاته تعالى مثل علم لا يجوز ان يقال الا حالة علم
ولذا يجمع لم يجوز لاحد ان يحب وكذا الخالق لا يجوز لاجل ان يقال يا خالق الديدان والقردة مثلا وكذا لا يجوز ان يذكر اسم لا يعرف الذاكر معناه
ولو كان الناس يفهمون منه معنى كما يقول بعض الهند ولا يبض العجم بانا الحادم فان ذلك كله الحاد وهذا الفعل يستعمل مجردا ومزيدا
فيقال لحد والحد فيه بمعنى واحد وهو العدول عن الحق والادخال فيه ما ليس فيه نقله ابو حيان عن ابن السكيت وقال الامام ابو القاسم
علي بن جعفر بن القطاع في كتاب الافعال لحد الميت لحدا والحد شق له في جانب القبر والشي عدل وفي الدين مال وقرى بهما كذلك ولما
كان كانه قيل فما يفعل بالحدين وكان المرهب ايقاع الجزاء لكونه من معين قال بانيا للمفعول **سيجزون** اي في الدنيا والاخرة بوعد لا خلف فيه
ما كانوا يعملون اي بجبلاتهم **يعملون** اي فيفعل بهم من انواع الانتقام العقوبة ما يوجب وصفهم باقبح الاوصاف مما كانوا يصفون
في الدنيا من براثهم ولما اخبر تعالى عن ذروجهنم من القبيلين تشوف السامع الى معرفة حال الباقين منهما فقال مصرحا بالخبر عنهم
عطفا على ولقد ذرانا مشيرا بمن التبعيضية الى قلتهم تصديقا لقوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين **وممن خلقنا** اي بما لنا من العظمة
امة اي جماعة عرف منهم اهل لان يؤمهم ويهتدى بهم فقصدتهم فاقتبس من انوارهم فصار لهم اهلا لان يقصدهم ويؤتم بهم
ولما ابهم لفظ الامة هذا صرح به في قوله **يهدون بالحق** اي الثابت الذي يطابقه الواقع **وبه** اي بالحق خاصة **يعدلون** اي يجعلون
الامور متعادلة لا زيادة في شي منها على ما ينبغي ولا نقص لانا وفقناهم وكشفنا عن بصائرهم حجاب الغفلة التي الزمناها اولئك
قال اكثر المفسرين امة محمد صلى الله عليه وسلم ورواه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وابهم الامر بعد تعيين قوم موسى تعظيما لهم ولما بين
حال الهادين المهديين كان اصلا في الضالين المضلين اتبعه بقية الحديث عنهم على وجه يلوح بان علة الهداية التوفيق فقال عاطفا
على ما تقديره فنحن نعلي امرهم ونطيب ذكرهم **والذين كذبوا** اي نسبوا الرسل الى الكذب بسبب اتيانهم **باياتنا** على ما يشاهدون من
عظمتها **سنستدرجهم** اي سننزلهم ونستدنيهم بوعد لا خلف فيه الى ما نريد بهم من الشر العظيم درجة درجة بسبب انهم كلما
احدثوا جريمة اسبغنا عليهم نعمة وادامة العافية فقصرنا عنهم في الانعام اوضربناهم بسوط الانتقام فيظنون ان المعاقب بسبب النعم

فيتسلون من الدين ولذا قال من حيث لا يعلمون اي من تكبيرهما يتعجب من دناءته فضلا عن مباشرته ومعاناته من له ادنى بصيرة حتى يكمل
ما نريد منهم من المعاصي وهو ضد [illegible] وفي الاستدراج باداة العظمة وفي الاملاء بضمير الواحد فقال واملي لهم اي امهلهم [illegible]
جازم زمانا طويلا وامد لهم وهم يعصون حتى يظنوا ان الله يحبهم حتى يزيد [illegible] لانهم لا يفعلون شيئا الا بارادتي ولا بتوفيقي ولم يات
بهما على نهج واحد لان الاستدراج يكون بواسطة وبغيرها فكانه قال سنستدرجهم بنفسي من غير واسطة تارة وبما نبيح لهم النعم على يد
[illegible] واما الاملاء وهو تطويل الاجل فلا يتصور ان يكون الا من الله تعالى ولما كان هذا موجبا لعجبهم [illegible] الاصرار على المعاصي
حتى يصلوا الى ما حكم عليهم به من النار [illegible] ان كيدي اي فعلي الذي ظاهره رفعه وباطنه ضعة ظاهره احسان وباطنه خذلان
متين اي شديد قوي لا يمكن احد ان يقطعه قال الامام بعد تاويل المعتزلة حملهم عليه ايجابهم رعاية الاصلح [illegible] التعجب المعتزلة يروي
القران [illegible] الدلائل العقلية القاهرة مطابقة لها ثم يكتفون في تاويلها [illegible]
الضعيفة [illegible] ما اراد الله [illegible] هذا التعجب [illegible] او السورة [illegible]
بامر الاستدراج [illegible] النعم الظاهرة
بجنون وكان التقييد [illegible] الاستدراج [illegible] على اكمل البشر ووصفه
بالجنون ووصفهم افضل الكلام بالسحر والكذب الى غير ذلك مما يغضب [illegible]
النقم هل ذلك الا استدراج قال منكرا عليهم [illegible] اولم يتفكروا اي يعملوا افكارهم
ويتفكروا في ترتيب المقدمات ليعلموا انه لا يتوجه لهم طعن [illegible] شبهة بوجه من الوجوه [illegible] هذا التفكر [illegible] ما بصاحبهم اي الذي
طالت خبرتهم له انه امتنهم عقلا وافضلهم شمائل [illegible] في النفي فقال من جنة اي حالة
من حالات الجنون ولما نفى ان يكون به شيء مما نسبوه اليه [illegible] في النذارة لانها النافعة لهم [illegible] المقام لها في هذه السورة
فقال ان اي ما هو الا نذير اي بالغ في نذارته مبين اي موضح للطريق [illegible] الخلق عن معارضة
شيء مما يأتي به مع انه احسن الناس خلقا واعلاهم خلقا وافضلهم عشرة واوضحهم طريقة واعدلهم سيرة واطهرهم سريرة [illegible] واحكمهم
علما وارصنهم رايا واعظمهم عقلا واشدهم امانة واطهرهم بلدا ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على تقرير ادلة التوحيد وكان المقصود الانذار
الرجوع عن الكفر قال منكرا عليهم عدم النظر في دلائل التوحيد [illegible] اولم [illegible] ينظروا اي نظر تامل
واعتبار [illegible] بالبصيرة [illegible] فقال اشارة الى ان كل ذرة فيها دلالة [illegible] في ملكوت وعظم الامر بقوله السموات
والارض اي ملكهما البالغ [illegible] العظمة [illegible] ولما كانت ادلة التوحيد
تفوت الحصر ففي كل ذرة برهان تام ودليل قاطع باهر قال وما اي وفيما خلق الله اي على ماله من الجلال والجمال من شيء اي غيرهما
ليعلموا انه لا يقدر على شيء من ذلك غيره فضلا عن [illegible] ويتحققوا ان كتابه [illegible] مباين لجميع مخلوقاته فيعلموا انه صفته سبحانه وكلامه
فلا يلحدوا في اسمائه فلا يسموا بشيء منها غيره لما ظهر لهم من تمام قدرته وتمام عجز غيره عن كل شيء ومن شمول علمه [illegible] بكل شيء
الى غير ذلك حتى يعلموا بعظمة هذا الكون انه سبحانه عظيم [illegible]
بلباغ النعم انه رحيم كريم الى غير ذلك من اسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تنطق [illegible] بالسنة الاحوال [illegible]
وان لم يكن لها مقال [illegible] الكمال وان عسى اي وينظروا في [illegible] انه يمكن [illegible] وجدير
ان يكون قد اقترب اي دنا دنوا عظيما اجلهم [illegible] هذه الاسم [illegible] النفس
واحدة او بالتدريج فيبادروا بالايمان خشية انخرام الاجل للنجاة من اعظم الهول فان كل عاقل اذا احس بخطر ينبغي له ان ينظر في عاقبته
ويجتهد في الخلاص منه ولما كان قد تقدم في اول السورة النهي عن التحرج من الانذار بهذا الكتاب وبان بهذه الايات انه صلى الله عليه وسلم

اتصف

اتصف بالانذار به حق الاتصاف وبان ان القران مباين لجميع المخلوقات فثبت انه كلام الله [illegible] الانكار على من يتوقف عن الايمان به والتخويف من اخلال اجله
قبل ذلك فيقع فيما لا يمكنه تداركه [illegible] اسلوب [illegible] الايمان بعد هذا البيان ما لا يسوغ التوقف فيه الا لانتظار كلام اخر فقال فباي
حديث اي كلام يتجدد [illegible] بعده اي بعد هذه الرتبة العظيمة يؤمنون فقد دلت هذه الاية على ان الايمان [illegible] طريقين
احدهما سمعي والاخر عقلي [illegible] في اصول الفقه الحكم انما يتلقى من خطاب الله البالغ على السنة رسله [illegible] والسمع من طرق
تفهم خطاب الله [illegible] الرؤية وسائر [illegible] خطاب الله ايضا يعني منه
الدليل العقلي [illegible] كتابه المخلوق [illegible] مفهوم كلامه المنطوق وقوم من [illegible] كتاب الله [illegible] رسالا ولقن احكاما
يسمون الحنيفيين كقس بن ساعده وزيد بن عمرو بن نفيل [illegible] صلى الله عليه وسلم بان كل واحد منهم يبعث امة واحدة لاهتدائه من نفسه
من غير [illegible] خارج عنه بل من رسول موحدة واحسانا للعالم ولانه انما اخذ بكليته [illegible] خلق الله
وصار مع ذلك [illegible] ما يحصل له عقلا من مسموع خطاب الله وعلى نحو من حال الانبياء والصديقين قبل ورود الوحي على النبي
صلى الله عليه وسلم وقبل سماع صديقه وارد وحيه وهؤلاء هم الذين لا يتوقفون عن الايمان بالنبي عند ابتداء دعوته [illegible] ويحكم
بل يبلغ عن الله فكذلك النظر العقلي لا يلزم ولا يحكم بل يبلغ عن الله فيكون الحكم الذي [illegible] شرعي اي
ماخوذ من الارسال الشرعي وعقلي اي ماخوذ من الارسال العقلي وحاصل ذلك [illegible] فالعالم مبلغ لي
بما يفهمه الفاهم من كلام الله فان النحاة قالوا كما ذكره ابن عصفور في شرح الايضاح لابي علي وكذا غيره ان الكلام في الاصطلاح لا يقع الا على اللفظ
المركب وجودا او تقديرا المفيد بالوضع قالوا احترزوا باللفظ مما يقال له كلام لغة وليس بلفظ كالخط والاشارة وما في النفس ومما يفهم من حال الشيء
وقال [illegible] نحو حال الخجل والغضبان وبالفعل نحو الاشارة باليد والعقد بالانامل وباثار الفعل كالصنائع والاعمال وباللفظ الذي يلفظ به
القلب الى ظاهر اللسان وباثار [illegible] وهو اللفظ انتهى ولما كان [illegible] قطعا تعليل
لما قبله من اعراضهم عما لا ينبغي الاعراض عنه [illegible] سبحانه قوله من يضلل الله اي الذي له جميع العظمة فلا هادي اصلا
له بوجه من الوجوه ولما دل بالافراد على ان كل فرد في قبضته [illegible] على ان جميعهم [illegible] في الحق شيئا
فقال ويذرهم اي يتركهم [illegible] في طغيانهم [illegible] وحال كونهم يعمهون
اي يتحيرون ويترددون في الضلال لا يعرفون طريقا [illegible] التوحيد والنبوة [illegible] المطالب الاربعة التي هي
امهات مطالب القران [illegible] يسالونك [illegible] عن الساعة
اي عن وقتها [illegible] ايان مرسيها [illegible] السفينة اذا ثبتت
بالحرية المتشعبة [illegible] السؤال [illegible] ما قام عليه من
الادلة [illegible] في هذه السورة [illegible]
والهيبة [illegible] ادعى الى الطاعة واجرع عن المعصية واقرب الى التوبة [illegible] الساعة [illegible] خامسا
بالسؤال عن وقتها [illegible] قل انما علمها اي علم وقت ارسائها وغيره عند ربي اي المحسن الي باقامتها لينعم على من [illegible]
من تركني [illegible] انفع للخلائق [illegible] ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية واقرب الى التوبة [illegible] لا يجليها اي يبينها غاية البيان لوقتها الا هو ولما
كان [illegible] ثقلت اي الساعة [illegible]
الى ما علم العباد [illegible] في السموات والارض [illegible] على حد سواء [illegible]
قادر على [illegible] لا تاتيكم اي في حالة من الحالات الا بغتة اي على حين غفلة ولما كانوا

قد الحفاوة من السؤال المحتمل انه لك علم عنها وكانت صفة الربوبية المذكورة في الجملة التي ربما حملت على سوال الطمع في تعرفها من المحسن اليه قطع الاطماع بقوله مؤكدا
للمعنى يسئلونك اي الساعة مطلقا في وقت وقوعها وما يحصل من امورها ويحدث بشدايدها اي يلحفون في سؤالك كما اضجرهم انه لا يعلمها الا الله
كانك حفي اي عالم بامرها مستقص مبالغ في السوال عنها قل اي قطعا لسوالهم انما علمها عند الله اي الذي له جميع العزة والعظمة والكبرياء
فلا يستطاع علم شيء مما عنده الا باذنه ولم ياذن في علمها لاحد من الخلق ولكن اكثر الناس اي الذين غلبت عليهم صفة الاضطراب لا يعلمون اي ليسوا
من اهل العلم فلهذا يسئلون عنها يستهزون ولو كانوا من اهله ما كذبوا بها ولو تعلموا ما لا يعنيهم من السوال عنها وغيرها من انواع التعنت وتركوا ما يعنيهم من
من المبادرة الى الايمان بهذا القران خوفا من انخرام الاجال وهم يهيمون في اودية الضلال ولما كان علم الغيب ملزوما لجلب الخير ودفع الضير وكانوا استعتا
ابو علم الغيب مرو بنفي هذا اللازم فينتفي الاعم فينتفي باستفائه الاخص وقدم النفع لانه اهم الى النفس ولرتبه ارفع مما يوجب تاخيره بخلاف ما في
سورة يونس فقال امرا باظهار رذل العبودية قل لا املك اي في وقت من الاوقات اصلا لنفسي نفعا اي شيئا من جلب النفع قليلا ولا كثيرا ولا
ضرا الا ما شاء الله اي الذي له الامر كله والامر الاحل سواه ان يقدرني على تحصيله وما ينفعهم في هذا ان سوالهم عن الساعة وغيرها من المغيبات جهل منهم لان حالي
في انه لا علم لي به ذلك الا ما علمني الله الذي اختص بعلم الغيب لاعلم به خلقه ولو كنت اي من ذاتي اعلم الغيب اي جنسه لاستكثرت اي اوجدت
لنفسي كثيرا من الخير باجتلاب المنافع بنصب اسبابها ولما كان الضر لا يحتمل منه شيء قال وما مسني السوء اي هذا الجنس باقامة الموانع له عني لان
ملازم حالة العالم شمول القدرة كما يفهم ذلك ما ذكر الله تعالى في سورة طه ولما بين ان علم الغيب يشبه الالهية ختم الاية ببيان رتبته فقال قاصرا
ما ادعوه فيه من الجنون لما بادت يقول يا بني عبد مناف اتقوا الله يا بني فلان وكذا ما الزمخشري من الزامهم له بعلم الساعة من انه يكون الها
ان انا الا وللملامات السورة للانذار قدمه فقال نذير اي مطلقا للكافر ليرجع عن كفره والمؤمن يثبت على ايمانه وبشير لقوم يؤمنون
اي خاصة او الصفتان للخاصة بالنظر الى النفع واما لا نفع فيه فعدم ولما كان ذكر بني النسا هنا لم يذكرها اول السورة بما لم يذكره هنالك من
تهكمهم واستهزائهم وختم بما يحصل العلم والقدرة لله تعالى الموجب لتفرده بالالهية وكان الذي حملهم على ذلك الاستهزاء اشراكهم ذكر ما ذكر قبلها
اول السورة من ابتداء الخلق وجه الحصر المستلزم لتمام القدرة الموجب لنفي الشريك واعتقاد القدرة على البعث وغيرها والصرف في كل ما وقع
الضار ربنا امرنا وغير الموجب للاستقامة في قبول بشارته ونذارته والاقبال بالكلية على الخالق فقال مقررا للتوحيد عائبا من هو اي وحده
الذي خلقكم اي ولم تكونوا شيئا من نفس واحدة اي خلقها ابتداء من تراب وهي آدم عليه السلام كما مر بيانه ومن قدر على اختراع حي من شيء ليس
اصل في الحيوة كان على اعادته حيا من ذلك الشيء بعد ان صار له اصل في الحيوة اقدر وهو لما كان آدم عليه السلام بعضه وصار اقرب الى
السبيه الخلق ذات لحم ودم منزلة العبد بالولد في نفي الشريك في التحذير منه بما اخذ من فانه الاتباع عن
الاباء بعد او العلية المنزلة الاصل وجعل اي الجعل منها اي لا من غيرها زوجها اي حواء من لحمها
ودمها وعظمها ولما كان المراد بالنفس آدم عليه السلام وكان الزوج يقال على الذكر والانثى ذكر علة الجعل بقوله
ليسكن اي آدم لانه هو المراد بالنفس ولما كان الزوج هنا هو المراة انث الضمير فقال اليها وتنقلكم بذلك السكون منها الى الدنيا
النفس الى الجنس اميل وعليه اقبل بعضا الا ترى المحبة الوالد لولده والقريب لقريبه وانما نكاح الاصل والفرع لما في ذلك
من الضرر وغيره من الحكم الكبار فبغشيانها عندما يسكن اليها يحصل الحمل والولادة فتتفرع النفوس من تلك النفس ولما كان السكون هنا
كناية عن الجماع اعاد بلفظ اقرب الى الدلالة على ذلك فقال تقديره فسكن اليها فمالت نفسه
اليها فلم فلما تغشيها اي غشيها آدم عليه السلام المعبر عنه بالنفس حملت حملا خفيفا لانه نطفة فمرت به
اي فعلت به اعمالها وقامت وقعدت لم يعقها عن شيء من ذلك لعلمها بان امرها على عادة النسا التي تحمل فلما اثقلت اي صارت
ثقيلة بكبره وتحركه في بطنها دعوا الله اي كما هو على عادتهم ولما ذكر الاسم الاعظم استحضارا لانه المدعو هو الذي له جميع الكمال فهو
قادر على كل ما يريد ذكر صفة الاحسان فقال ربهما اي الذي احسن اليهما مقسمين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا لا عيب فيه

لنكونن

فانظره في كلام ... وعلى ... وكلام ... العلوم ... الا ما شاء الله صح

لنكونن من الشاكرين اي نحن واولادنا على نعمتك علينا وذلك انهما جوزا ان يكون غير سوي لقدرة الله على كل ما يريد لانه الفاعل المختار
لا الطبيعة ولا غيرها واشار بالفاء الى قرب الولادة من الدعاء فقال فلما آتيهما اي ابواكم آدم وحوى صالحا اي جنس الولد الصالح في تمام
الخلق بدنا وقوة وعقلا فكثروا في الارض وانتشروا في نواحيها ذكورا واناثا جعلا اي النوعان من اولادهما الذكور والاناث لان صالحا صفة لولد
وهو الجنس فيشمل الذكر والانثى والقليل والكثير فكانه قيل فلما آتاهما اولادا صالحي الخلقة من الذكور والاناث جعل النوعان له شركاء اي بعضهم
اصناما وبعضهم نارا وبعضهم شمسا وبعضهم غير ذلك هذا على قراءة الجماعة وعلى قراءة نافع وابي بكر عن عاصم بكسر الشين واسكان الراء والتنوين
التقدير ذوي شرك فيما آتيهما اي من القوت بالحبة والرزق بالبلد ونحوها ولما لم يضر اشراكهم بالشرك الا انفسهم تسبب عن ذلك قوله
فتعالى الله اي بما له من صفات الكمال التي ليست لغيره تعاليا كبيرا والدليل على ارادة النوعين قوله عما يشركون بالجمع وكذا ما بعده من تعييب
عبادة الاصنام ولما ذكر علوه سبحانه شرع يذكر اوصافه عبارة واشارة ما يدل على ذلك ويقيم الادلة على عدم صلاحية ما اشركوا به للشركة بعجزها
بانها من جملة خلقه ولا تصرف لها تستحق به وجها من التعظيم فقال منكرا على عبادها دالا على ان المراد الشرك الحقيقي لما ذكر من قضية ابليس في تسبيبه
في التسمية بعبد الحرث ونحوه ايشركون اي المشركون اولادهما في العبادة ما لا يخلق اي من الاصنام والطبايع والكواكب وغيرها شيئا اي يوجده
من العدم كما يفعل الله الذي اشركوها به ولما كان يلزم من يكون ما لا يخلق شيئا مخلوقا لانه لا يكون عاجزا غير قادر الا وهو مربوب في قبضة غيره بالايجاد
يجري اولى العالم لتنزيلهم منزلته في الاعتقاد والعبادة وهم ولما كان المصنوع لا يكون صانعا اتى بالبناء للمفعول فقال يخلقون اي يتجدد خلق
اجرامهم وذواتهم وامثالهم ولا يستطيعون لهم اي للمشركين الذين يعبدونها نصرا وهو المعونة على العدو ولعله عبر بصيغة العاقل اشارة الى انهم لو
كانوا يعقلون وكانوا بهذه الصفات الحسنية ما اهلوهم لان يكونوا احبابهم فضلا عن ان يجعلوهم اربابهم ولما كان من لا ينصر غيره قد ينصر نفسه نفى ذلك
بقوله ولا انفسهم ينصرون اي في وقت من الاوقات عند ما يصيبهم بسوء بل عبدتهم يدافعون عنهم وما ابين هذا الاستفهام الانكاري المعجب حالهم
في ضلالهم في اسلوب الغيبة ان من اشركوه ليس فيه نوع قابلية لما اهلوه له فان المعبود يجب ان يكون قادرا وهذا كان عاجزا نوع عجز كان مربوبا وكان
بالتشبيه بالجماد العبير له بالغيبة اتبع ذلك في اسلوب تعجيبا اخر منهم اشد من الاول وذلك ان معبوداتهم التي اشركوا بها كما انها لا تنفع غيرها من تلقاء
انفسها لا تنفعه عند دعاء الداعي ولا تهتدي اليه فقال وان تدعوهم اي وان تدعوا ايها المشركون اصنامكم على وجه التجدد الى الهدى اي الذي
بين الداعي ليرتفعا على المتخلف حسية المحتاج الى العلاج لكونه تخلف عما لا يتخلف عنه من له نوع صلاح لكونه اشرف الاشياء فالمتخلف عنه
ارذل نفسه بالبدن لا يتبعوكم اي في ذلك الحق الذي دعوتموهم اليه ولو بالعلم في الاستماع ولعله عبر بصيغة الافتعال اشارة الى انهم لا يتصورون منها
قصد التبع فضلا عن ايجاده ثم بين ان ذلك ليس بامر عارض بل هو مستمر دائم بقوله مستانفا تاكيدا للمعنى سواء عليكم ولما كان السوال لا يكون
الا بين امرين تشوف السامع اليهما فقال ادعوتموهم اي وجد منكم ذلك الدعاء الذي اخبر الحق وعبر بالاسمية اشارة الى انهم لا يدعونهم في
وقت الشدائد بل يدعون الله فقال ام انتم صامتون اي عن ذلك على الدوام على عادتكم في الاعراض عند عادتهم في اوقات الملمات فالذين يدعون
معتقدهم في وقت الضرورات اقبح حالا في ذلك من المشركين ويجوز ان تكون الاية من الاحتباك فيكون نظمها ادعوتموهم مرة ام انتم داعوهم دائما او صمتم
عن دعائهم في وقت ما ام انتم صامتون عن دعائهم دائما حالكم في كل هذه الاحوال سواء في عدم الاجابة لا اختلاف فيه بوجه دل على الفعل اولا
على حذف مثله ثانيا وبالاسم ثانيا على حذف مثله اولا ولما كان اتباع من يدعى لا يعقل عن النقايص في مكارم الاخلاق وارفعهم
عن سفاسفها سبيلا اخزى الخزي واقبح العار وكانوا اصح الناس عقولا الذي وصفت به معبوداتهم يتعقلون في اشراكهم وجاههم ما هو
عين الجهل كرر تبكيتهم باتباعهم في اوضح مما قبله في تبيين النقايص والتنبيه على المعايب ملجيا الى الاعتراف والتصريح بالعناد والجنون فقال مؤكدا
ان الذين تدعون اي ايها المشركون دعاء عبادة ملازمين لذلك وانه اطلق الدعاء على العبادة اشارة الى انه لا يصح عبادة من ليس فيه قابلية
ان يدعى والحاصل ان الدعاء يلازم المعبود ولما كان دعاؤهم لهم انما هو على سبيل الاشراك قال مشيرا الى سفول رتبتهم باثبات الجار من دون الله اي الذي
له صفات الكمال والعظمة والجلال عباد امثالكم اي في العجز عن كل شيء لا سيما عما وقع به التحدي من معارضة القران وغيرها وانتم تريدون

عليها بالحياة والعقل والمعبود لا يصح ان يكون مثل العابد فكيف اذا كان دونه ولما كان لا يمكن الا انهم امثالهم سبب عن ذلك امرهم بما يبين دعواهم المخلقية
بل الدونية فقال فادعوهم اي الى شيء من الاشياء ولما كان الاله الحق يجيب لسبعة عشر التحري من غير تخلف اشار الى ذلك بالربط بالفاء فقال
فليستجيبوا لكم اي يوجدوا لكم اجابة بينة في الاتيان بسورة تماثل شيئا من القران او في شيء من المنافع ولما كان المقام محتاجا الى مزيد توبيخ والهاب
قدم منهما ما ليه ثم زاد في الالهاب فقال ان كنتم اي جبلة وطبعا صادقين اي في دعواكم انها آلهة فان دعوى الاله يقتضي ذلك وقرا سعيد بن جبير
ان خفيفة وعباد امثالكم بنصب الدال والميم والنفر المفسرون على تخريجها على ان ان هي النافية اعملت عمل ما الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر
واعمالها عمل غير خلاف اجازه الكسائي واكثر الكوفيين ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنع منه الفراء واكثر البصريين واختلف
النقل عن سيبويه والمبرد والصحيح ان اعمالها لغة ثبت ذلك في النظم والنثر ذكر ذلك كله ابو حيان وذكر انه اشبع الكلام فيه في شرح التسهيل
واعترض على هذا التخريج بانه يلزم منه منافاتها للقراءة المشهورة وانما يسلم له ذلك لو تواردا النفي والاثبات على شيء واحد من قبيل الامر
هنا كذلك الاثبات لمماثلتهم في مطلق العجز والنفي لمساواتهم فيه لزيادتهم عنها بالبطش ونحوه او يكون الاثبات كما قال الزمخشري ان الاثبات
على سبيل التنزل والنفي على الحقيقة ولما اثبت عجزهم وانهم امثالهم دل عليه وعلى انهم دونهم بالاستفهام الانكاري وتحقيقه مفصلا لبعضها بنفيه عنهم فقال
مقدما الرجل لانها اول ما يحتاج اليه الشيء لنقله الهم ارجل ولما كانت الجوارح مقصودة بل المراد بقوله يمشون بها ولما كان المحتوي بعد
الاستقلال بالمشي قال ام لهم ايد اي موصوفة بانهم يبطشون بها اي يوقعون بها البطش وكان الخوف يحمل على البطش بالبصر قال اولا
قال ام لهم اعين اي موصوفة بانهم يبصرون بها اي من يريد الابصار ولما كان الانسان ربما خاف مما يقصد ضرره فتغيب عنه فلا يصل اليه
بعد ذلك الا بالسمع قال خاتما ام لهم اذان اي موصوفة بانهم يسمعون بها اي شيئا من السمع وعلموا ابهم ونفي عنهم ما نفي لزم
نقصانها عنهم وانهم في الحقيقة مسلوب عنهم لانه ليس لهم من ذواتهم الا العدم والقدرة فيما يقدرون عليه انما هي من الصانع لهم لم يزلهم
معها وقال الاحلي الذي يثبت لنا فقال قل اي لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم اي هذه التي توهمتموها وسميتموها شركاء واستعينوا بها
في عداوتي ولما كان هذا تحديا عظيما يحق لفاعله التمدح به حلي باداة التراخي فقال ثم كيدون اي جميعا انتم وهم وانتم اكثر من حصى البطحاء
ورمل الفضاء وانا وحدي ولما كان المعنى وعجلوا عطف بفاء السبب قوله فلا تنظرون اي تمهلون لحظة فما فوقها الا تعلقوا في الانتظار بعلة
وعلل عدم المبالاة بكيدهم بقوله دالا على القضاء معقبا بما نفاه عن شركائهم من الاحاطة بمنافع الدارين فيما يتعلق بالادبار والاقبال وقدم
الدينية لانها الاهم فقال مؤكدا في مقابلة انكارهم ان وليي اي متولي امري ومتولي جميع امري الله اي الجامع لصفات الكمال الذي نزل اي بحسب
التدريج متكفلا بفصل الوقائع الكتاب اي الجامع لعلوم الاولين والاخرين في امر المعاش والمعاد واحوال الدارين وكل ما فيه صلاح من احوال القلوب
وغيرها الذي عجزتم باجمعكم ومن دعيتم من شركائكم عن معارضة شيء منه ولما تكفل هذا التنزيل بجميع الصفات وهي الحياة التامة المستلزمة للارادة
والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام وكان عجزهم عن المعارضة للكتاب دليلا شهوديا قوليا على كذبهم اتبع ذلك دليلا اخر شهوديا فعليا
فقال وهو اي وحده يتولى اي يلي ولاية تامة الصالحين اي كلهم بنصرهم على كل اعداء وكفايتهم لكل مهم وقد علمتم ما قدمته في
هذه السورة من وقائعه بمن كذب انبياءه وانه انجى كل نبي ومن والاه واهلك الجميع ممن عاداه لا كمن عبدتم الذي هو يعبده وما
قبله ملتفت الى قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء بالشرع وهو دال على انه هو الذي فعل ما تقدم لاجل اوليائه
بدليل انه نجى جميعهم معا من شيء منكما بدوعلى الوصول الجميع ما يريد مكن من اوليائه واحبابه ولما صور بهذا جلاله وقرر عظمته وكماله
باتصافه بجميع الصفات العلى التي منها القدرة التي تكفهم عنه كرر التشنيع على انداده بوجه اخر تاكيدا للمعنى السابق بزيادة بالغة في العجز
تصويرا لبعضهم غير بصائر مع ان الاول التقريع وهذا الفرق بينه من بعد تجويز من بصيرة بحسبهم عناده فقال مبينا انهم ليسوا
في شيء من صفات مدحا بنفي النصرة التي اثبتها لنفسه من المواجهة بالخطاب لانه ادخل في القطع في الجواب والذين تدعون اي تديمون دعاءهم من دونه
فانهم يدعونه سبحانه في بعض الاوقات ان تدعونهم تاركين له لا يستطيعون نصركم اي بوجه من وجوه النصر بل الى حيكم وانا وحدي وانتم

اهل

اهل الارض ولا انفسهم ينصرون بدليل ان الكلاب يستعلي عليهم فلا يستنقذون ولما كان دعاء الجماعة اقرب الى السماع من دعاء الواحد نسق على ما قبله
قوله وان تدعوهم اي يا من هم اضل منهم واعجز الى الهدى اي الذي هو اشرف الخلال البشرية وافي نصر انفسهم او غير ذلك لا يسمعوا اي شيئا من ذلك
الدعاء ولا تعين ولما كان حالهم في البصر بالنسبة الى كل احد كحالهم سواء قال مفردا للخطاب وتراهم اي ايها الناظر اليهم ينظرون اليك اي كانهم
ينظرون بما صنع لهم من الاعين وهم لا يبصرون اي شيئا من الابصار ومما يشبه مضمون هذه الايات ما في سفر انبياء بني اسرائيل في نبوة اشعيا
هكذا يقول الرب ملك اسرائيل ومخلصه انا الاول وانا الاخر وليس اله غيري من مثلي يدعي وينطق من قوته ويخبر عنا منذ بسطت الدنيا الى الابد والايات
القديمة تظهر للشعوب فلا تفزعوا ولا تخافوا الم اسمعكم منذ اول الدهر واظهرت لكم وانبيكم الامور وانتم شهدائي ان ليس اله غيري وليس عزيز منيع
الا انا اعز منه لان جميع الصناع الذين يعملون الاصنام انما عملهم باطل ولا يغني عنهم منفعة ولان الصناع الذين يعملونها هم يشهدون عليها انها لا تبصر
ولا تسمع ولا تعلم لذلك تخزى جميع صناع الاوثان المسبوكة لان جميع ما صنعوا اعقل الناس فيجتمعون كلهم ويخزون ويفتضحون لان الحداد ينحت بحديده
ويهيئ صنما بمنقاره ويسرده بقوة ساعده فيجوع ويعطش في عمله والنجار ايضا يختار خشبة ويقدرها ويلصق بعضها الى بعض بالغراء ويركبها ويعملها
كشبه ابن الانسان قائما من الخشب الذي قطع من الغيضة كشبه رجل الذي ينبت من شجر المطر ليصير للناس للوقود فيحملونه الى العواد ويسخنون ويحمون والذي
نصفه يخبزون به خبزا ويشوون اللحم عليه على جمره ويأكلون ويشربون ويصطلون ويقولون قد احمينا الان وقد رأينا النار واصطلينا والذي يبقى منه يتخذونه
الها منحوتا ويسجدون ويصلون له ويقولون انجنا لانك الهنا ولم يخطر على بالهم فكر ان يقولوا انا قد اوقدنا نصفه بالنار وخبزنا خبزا وشوينا لحما على
الجمر واكلنا ولم يبق الا الباقية قد عمل منه صنم ونسجد له لان قلوبهم متمرغة في رماده وضلت عقولهم فلا يقدرون ان ينجوا انفسهم ولا يقولون
ان ايدينا التي عملت الباطل والخزي الكذب ثم قال الرب انا الرب منذ الاول وليس اله غيري ولا مخلص ولي اذ نوالي يا جميع الذين في اقطار الارض
لتنجوا لاني انا الرب وليس اله غيري حلفت بيميني واخرجت كلمة صدق ولست ارجع عنها لانه لي تنحني كل ركبة وبي يحلف كل انسان ويقول انما البر
واليه يرتد الاعزاء ويخزى جميع المبغضين وبي يتمدح ويتبرر زرع بني اسرائيل وانتم تتقربون بالضالين الذين اخرجوا الذهب من اكياسهم ووزنوا
الفضة بالميزان واكتروا الصناع حتى عملوا الهة يسجدون لها ويحملونها على اكتافهم ويمشون بها ثم يجعلونها ويدعونها ولا تجيبهم ولا
تخلصهم من شدائدهم ثم يحولونها ايضا ويردونها الى مواضعها اذكروا هذه الاشياء واعقلوا ايها الاثمة واخطروها على قلوبكم واذكروا الايام
التي كانت من الابتداء لاني انا الله الخالق وليس اله غيري ولا مثلي انا اظهر العتيدات واخبر بالذي يكون قبل ان يكون لكيلوا وثبت رأيي وكل ارادتي
وهواي واعوانه في المشارق فيأتيني اسرع من الطير وآتي بالرجل الذي قد عمل بسر من الارض البعيدة لاني انا اذا تكلمت بشيء فعلته انا حلفت وانا
اخلق وفي الزبور في المزمور الثالث عشر بعد المائة الهنا في السماء وفي الارض كلما شاء صنع اوثان الامم ذهب وفضة عمل ايدي البشر لها افواه
ولا تتكلم لها اعين ولا تنظر لها اذان ولا تسمع ولها انف ولا تشم ولها ايد ولا تلمس ولها رجل ولا تمشي ولا صوت بحناجرها ولا روح في افواهها فليكن صانعوها
مثلها وجميع من يتوكل عليها انتهى ولما كان محصل امرهم انهم اعرضوا عما اتاهم بالتكذيب والاقبال على ما لم يأتهم بالطلب والتعنت كالسؤال عن الساعة والايات
بالمكر من الشرك وما يلزم عنه من مساوي الاخلاق والنهي عن المعروف والتحيد مما تبعه من محاسن الشرع وذلك هو الجهل وختم ذلك بالاخبار
بانه سبحانه اصلح الدارين بالكتاب وانه يصلح الدنيا بالخلق لانه كلما يستانف نحالهم به حالا من سياسة اخذهم معرضا عن عزائم الحق الصحيح كان النبي
صلى الله عليه وسلم كانه قال فما اصنع في امرهم فاجابه بالتجزئة من مثل حالهم والاعراض عن قالهم وفعالهم والابلاغ في الرفق بهم فقال خذ العفو اي خذ
ما اتاك من الله والناس بلا جهد ومشقة وهذه المادة تدور على السهولة وتارة تكون عن الكثرة وتارة عن القلة فعفو المال الكثير وفضله وما لا
اخرجه ويسمح به لزيادته على الحاجة وعفا المنزل اي دثر وتبين شكل اثره حتى صار لا يلتفت اليه ولما امره بذلك في نفسه امره بغيره فقال
وامر بالعرف اي بكل ما عرفه الشرع واجازه فانه من العفو سهولة وشرفا وقد تضمن ذلك النهي عن المنكر فاستغنى بذلك عن ذكره ولما كان
ذلك المساهلة ولما امره بالفعل في نفسه وغيره اتبعه الترك فقال واعرض عن الجاهلين اي فلا تكافئهم بجفاهم وسفههم ولا
تمارهم فان ذلك اكثر الناس سببا وذلك بعد نصيحتهم بالدعاء وذلك ان يحصل لهم اتباع الهوى فيدعوهم الى الكلف من هذه الخصال

وفيه اشارة الى النهي عن ان يذهب نفسه عليهم حسرات مبالغة في الشفقة عليهم وصح عن الصادق انه ليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها
ولما كان الشيطان بعداوته لبني آدم مجتهدًا في التنفير من هذه المحاسن والترغيب في اضدادها وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزع منه حظ
الشيطان بطرح تلك العلقة السوداء من قلبه اذ شق جبريل عليه السلام صدره وغسل قلبه وقال هذا حظ الشيطان منك شرع لامته ما يعصمهم
منه عند نزغه مخاطبًا له بذلك ليكون ادعى لهم الى القبول واجدر باشتداد الخوف المقتضي للفرار المثمر للنجاة لانهم اذا علموا ان الشيطان لمن
نزع منه حظه وعصمه من كل محنة علموا انه لهم اشد قصدًا واعظم كيدًا وصوّب الفعل مؤكدًا بانواع التاكيد اشارة الى شدة قصد الشيطان
للفتنة وافراطه في ذلك [illegible] والا فقدره [illegible] الانكار لعلمه بعصمته ولذا عبر باداة الشك وكان [illegible] اشارة
الى ضعف كيده للنبي صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اعانه على قرينه فاسلم واما اي وان ذكرت [illegible] اثباتًا للغيظ ونفيًا للقدرة ينزغنك
اي ينخسنك نخسًا عظيمًا من الشيطان نزغ اي نخس بوسوسته من شانه ان يزعج فيسوق الى خلاف ما تقدم من المحاسن في نحو غضب
من جهل الجاهل وسفه السفيه وافراط في بعض [illegible] الدابة [illegible] فيفسد وجعل النخس ناخسًا اشارة الى شدته
فاستعذ اي فاوجد واطلب العوذ وهو الاعتصام بالله اي الذي له جميع العز والعظمة والقدرة والقهر لانقطاعك
عن الاعوان والالتجاء اليه فلا ولي لك ولا ناصر الا هو فانه اذا اراد عاذتك ذكرك من عزيز نعمه وشديد نقمه ما يرد عن الغيظ
رغبًا ورهبًا والاية ناظرة الى قوله [illegible] صراطك المستقيم ولما ابطل [illegible] ان يكون لشركائهم سمع او علم صار اثبات
ذلك له كافيًا في اختصاصه من غير حاجة الى الحصر المتضمن لنفيه عن غيره [illegible] بخلاف ما في فصلت فقال معللًا انه سميع
اي بالغ السمع فهو سميع استعاذتك فيجيبك اذا شاء عليم شامل العلم بما [illegible] فلا يعجزه شيء وختم
بصفة العلم في الموضعين لان الوسوسة من باب ما يعلم وختم ما في سورة المؤمن بالبصير [illegible] البصر والبصيرة لان [illegible] تعاذ منه امر
الناس [illegible] ولما كان لا يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم الا شيء خفيف [illegible] عليه [illegible] بالنزغ [illegible] عبر فيه
اداة الشك وكان لا يستعيذ بالله الا المتقون فكانه قيل افعل ذلك [illegible] لتكون من المتقين علله بقوله ان الذين اتقوا
اي حصل لهم هذا الوصف [illegible] اداة التحقيق بخلاف ما مضى عند افراد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا مسهم
طيف اي طواف [illegible] ويجوز ان يكون تخفيف طيف [illegible] قراءة طائف على انه فاعل [illegible]
ان يكون مصدرًا ايضًا وهو اشارة الى ان الشيطان دائر [illegible] فتارة يؤثر فيه [illegible] فيكون [illegible] مسهم [illegible]
لكونه طائفًا بهم من جميع الجوانب وتارة لا يؤثر من الشيطان اي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة تذكروا اي كلفوا انفسهم ذكر الله
بجميع ما ينفعهم [illegible] الاسراع بالتذكر كانهم لم يمسهم شيء من امره اشار الى ذلك بالجملة الاسمية مؤكدًا
لسرعة البصر باذا الفجائية فاذاهم اي [illegible] مبصرون اي ثابت ابصارهم [illegible] الشيطان فان [illegible]
[illegible] التذكر كانهم لم يمسهم شيء من امره اشار الى ذلك [illegible] ظالم
والظالم [illegible] ولما وصف المتقين الذين هم العلماء [illegible] النصح [illegible] انهم اعداء الشيطان
وعرف [illegible] اولياؤه اتبعه بوصف الجاهلين [illegible] فقال واخوانهم اي واخوان الجاهلين
من الشياطين [illegible] يمدونهم اي [illegible] الجاهلين من المد [illegible] في قراءة الجماعة وهو بمعنى قراءة اهل
المدينة بالضم من الامداد على الاضلال والاغراء في الغي وهو ضد الرشاد واشار الى [illegible] اعتنائهم بالاغواء ومثابرتهم [illegible] فقال
[illegible]
[illegible] في صورة الناصح الشفيق [illegible] لانهم في مقابلة الذين اتقوا ويكون الضمير للشيطان
المراد به الجنس [illegible] وهم الجاهلون الذين لا يتقون يمدونهم اولياؤهم من الشياطين باداة التراخي فقال

ثم لا يقصرون

ثم لا يقصرون اي يتركون اغواءهم [illegible] شرهم ولما تقرر [illegible] التعفف وعدم التبطر والتكلف [illegible]
السؤال [illegible] والشياطين لا يقصرون عن اغوائهم اخبر عن مطلق تكلفهم [illegible] مع اعوانهم الشياطين [illegible] صلى الله عليه وسلم
بما يجيبهم به فقال عاطفًا على [illegible] واذا لم تاتهم باية اي على حسب اقتراحهم قالوا لولا اي هلا اجتبيتها والجبي الجمع والاجتباء
الاجتباء [illegible] الجمع ويلزم منه الاصطفاء والاختيار [illegible] اجتبيتها اي تكلفت [illegible] عن نفسك [illegible] باختيارك ولما كان المقام
داعيًا الى السؤال [illegible] تعليم الجواب [illegible] بقوله قل اي اذا قالوا ذلك انما اتبع اي اتكلف اتباع ما يوحى الي اي [illegible]
[illegible] من ربي اي المحسن الي [illegible] لا اقترح على ربي [illegible] في اتباع الوحي فكانه قيل
ما هذا الذي يوحى اليك فقال [illegible] يجوز ان يكون تعليلًا لاتباعه [illegible] اثبات نبوته مغن عن الايات المقترحة [illegible] في وجوب اتباعه
هذا مشيرًا الى ما يوحى اليه [illegible] مستحضرًا في سائر الاذهان حاضرًا بين عيني كل انسان بصائر اي [illegible] على حسب ما
طلبتم [illegible] القلب [illegible] الكتاب [illegible] الايات [illegible] العلوم [illegible]
[illegible] حجج بينة [illegible] التوحيد والنبوة
والمعاد وجميع الشريعة اصولًا وفروعًا [illegible] تسمية السبب باسم المسبب [illegible] بقوله من ربكم اي [illegible]
[illegible] ولما كانت البصائر جمعًا وكانت العادة جارية بان مفردات الجمع [illegible] متفاوتة [illegible] خارقة
العادة في انها [illegible] فقال وهدى اي [illegible] فقال ورحمة اي اكرام
ولما كان من لا ينتفع بالشيء [illegible] النافع النفع بالنسبة اليه فقال لقوم يؤمنون اي يوجدون هذه الحقيقة [illegible]
[illegible] عليهم عذابًا ولما [illegible] القران [illegible] التقدير [illegible] عطف عليه قوله واذا قرئ
القرآن اي [illegible] الذي يوحى الي [illegible] فاستمعوا له اي القوا اليه اسماعكم [illegible]
يشغلكم عن السمع [illegible] فقال
وانصتوا اي [illegible] قلوبكم [illegible]
الانصات [illegible] فقال لعلكم ترحمون اي [illegible]
[illegible] الراحم والمرحوم ولما تقدم الامر بالذكر عند نزغ الشيطان [illegible] الاقتصار
على الذكر في حالة النزغ [illegible]
عليه وسلم فقال واذكر اي [illegible] ربك اي [illegible] في نفسك اي ذكرًا يكون [illegible]
[illegible]
[illegible] تضرعًا [illegible] وخيفة [illegible]
[illegible] ودون الجهر [illegible]
[illegible] من القول [illegible]
[illegible]
فان المقصود [illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
والتعظيم فقال بالغدو اي اوقات البكر [illegible]

فقال ﴿والآصال﴾ أي أوقات العشي قبيل الغروب جمع غدوة فيراد مع الصبح الضحى وأمر كل نهار متصل بأول الليلة اليوم الثاني فسمي في اليوم أصلاً
لأنه متصل بما هو أصل اليوم الثاني وخص هذين الوقتين وإن كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم والليل باسم جزئه ليذكر بالغدو والانتشار من الموت
وبالآصال السكون بالموت والرجوع إلى حال العدم فيستحضر بذلك جلال الله فيكون ذلك داعياً إلى تعظيمه حق تعظيمه ولما كان ربما أوهم هذا
الخصوص بهذين الوقتين وإن كان ظاهراً في الدوام قال مصرحاً ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ أي في وقت من الأوقات بل كن ذاكراً في كل وقت على كل حال
ثم علل الأمر بالمراقبة الدالة على عظم الخشوع بأنه وظيفة المقربين فقال ﴿إن الذين﴾ وزاد ترغيباً في ذلك بقوله ﴿عند ربك﴾ أي المحسن إليك
بتقريبك من جنابه وجعلك أكرم أحبابه وهم الملائكة الكرام أولو العصمة والقرب في مكانة لا مكان ﴿لا يستكبرون﴾ أي لا يوجدون ولا يطلبون
الكبر ﴿عن عبادته﴾ أي الخضوع له والتذلل بل يجأرون بالتذلل مع من يقربهم وغاية طهارتهم وجبلتهم ﴿ويسبحونه﴾ أي ينزهونه عن كل ما لا يليق
مع خلوصهم عن دواعي الشهوات والحظوظ ولما كان هذا يرجع إلى المعارف وقدمه دلالة على أن الأصل في العبادة أعمال القلوب أتبعه بقوله
﴿وله﴾ أي وحده ﴿يسجدون﴾ أي يخضعون بإثباتهم له كل كمال وبالمباشرة بمحاسن الأعمال وقد تضمنت الآية الإخبار عن الملائكة الأبرار
بثلاثة أخبار عدم الاستكبار الذي هو أصل أنواع العبادة وهو الحامل على الطاعة كما أن ضده حامل على المعصية والتسبيح الذي هو التنزيه عن كل
ما لا يليق وتخصيصه بالسجود ولما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار وكانت على قسمين قلبية وجسمانية أشار إلى القلبية بالتنزيه
وإلى الجسمانية بالسجود وهو الحال الذي لا يكون العبودية عند ربه كالملائكة قرباً ودنواً أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فنبه على أن هو حاء
على أن العبادة بين يديه رجعها القلب وأحدهما موكل عليهما بالقول والأمر بالفعل وقد رجع إلى أول السورة في الأمر باتباع القرآن إلى أدلها أحسن
رجوع ولوصف المقربين بعدم الاستكبار والمواظبة على وظائف الخضوع إلى وصف إبليس بعصيانه أمر الله في السجود لآدم عليه السلام على طريق
الاستكبار أي التفات بدرع في رد المقطع على المطلع حين تم قصص الأنبياء فقوله ولقد دراناه وقوله الذي خلق لا يخرج إلا نكداً يتضح لك
ذلك إذا راجعت قرنته في الأعراف منه ومن الأسماء الحسنى فادعوه بها أو ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ومن خلقنا أمة هو والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم هو إذا جاء أجلهم
لا يستأخرون ويسألونك عن الساعة هو كما بدأكم تعودون ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين وهو الذي خلقكم من نفس واحدة هو ولقد
خلقناكم ثم صورناكم وإنما أتبع ما يوحى إلي من ربي إلى أخرها بعد التنفير من الأنداد هو كتاب أنزلناه إليك فلا يكن في صدرك حرج منه
إلى قوله ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون فسبحان من هذا كلامه وتلك محاسنه وعز مرامه وعلت عن أن تكون عليه صلاته ولا منه بحبك إكرامه

سورة الأنفال وتسمى الجهاد

﴿بسم الله﴾ الذي له جميع الحول والقوة والطول ﴿الرحمن﴾ الذي أحاط دائرة العقل بشموس الأدلة من كل منقول
﴿الرحيم﴾ الذي من على من شاء من الأتباع بحسن الاتباع مقصودها هذه السورة تبرئة العباد من الحول والقوة وحثهم على التسليم لأمر الله
واعتقاد أن الأمور ليست إلا بيده وأن الأنساب التي من فعل الخبير من ذلك الاعتصام بأمر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين وإذلال
المفسدين المنتج لكل خير والجامع لذلك كله أنه لما ثبت بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الله والاجتماع عليه لما ثبت من تفرده و
اقتداره كان من مقصود هذه إيجاب اتباع الداعي إليه بغاية الإذعان والتسليم والرضى والتبرؤ من كل حول وقوة إلى الخالق نعم بين الحال ولو
شاء سلبه وأدل ما فيها على ذلك قصة الأنفال التي اختلفوا في أمرها وتنازعوا في قسمها فنزعها الله منهم وكف عنهم حظوظ الأنفس والنهم
الأطباع والتواضع وأعطاها نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه الذي هداهم بما رمى من الحصباء التي خرق الله فيها العادة بأن بثها في أعين جميعهم
وبما أيده من جنوده فكان الأمر له وحده يمنح من شاء ثم لما صار له صلى الله عليه وسلم رده فيهم منة منه عليهم وإحساناً إليهم وحكمها
الجم بأكد الأفعال أن الكفار رداً بما أضعاف المسلمين والجاهد فيه من أهل الإسلام قط إلا أكثرهم وتعجب من مصابرة الضعف فلو كان النظر إلى
غير قوته سبحانه لما طمع في المناصب ولهذه المقاصد قرأها في الجهاد للتنشيط المؤمنين الجلاد وأكثرت على الأعادي الجموع والأعداد

وتوالت المديح زمن الأمراء أمير الحديث العباس كما ذكره الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي المغربي في فتوح البلاد من كتاب الاكتفاء في سيرة المصطفى
وأصحابه الثلاثة الخلفاء وكذا شيخه الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش في كتابه الذي جمعه في الفتوح قال في فتح اليرموك من فتوح الشام
عن عمرو بن الشعبي سيف بن عمر وهذا لفظ ابن سالم وكان القارئ يوم ذلك المقداد قال ومن السنة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر أن تقرأ
سورة الجهاد عند اللقاء وهي سورة الأنفال ولم يزل الناس بعد ذلك وقال في وقعة القادسية من فتوح فارس واللفظ لابن سالم أيضاً قالوا
ولما صلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الظهر أمر غلاماً كان عمر رضي الله عنه ألزمه إياه وكان من القراء يقرأ سورة الجهاد وكان المسلمون كلهم إذ ذاك
يتعلمونها فقرأها على الكتيبة التي تليه وقرئت في كل كتيبة فهشت قلوب الناس وعرفوا السكينة مع قراءتها قال مصعب بن سعد وكانت قراءتها سنة
يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الزحوف ويستقرئها فعرف الناس بذلك انتهى ومناسبتها لآخر الأعراف أنه لما ذكر تعالى كما تقدم قصص الأنبياء عليهم السلام
مع أممهم في مآلهم ثم أتبع بذكر قصة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مع قومه وتقدم أنه لما أطنب سبحانه في قصة موسى عليه السلام كان ذلك ربما أفهم
تفضيله على الجميع فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن في سورتين كاملتين الأنفال في أحوال العرب وأتباعه وبراءة في ختام أمره وانتهائه وفرق بين
المقصدين وذلك أن قوم موسى كانوا في سوء العذاب وكانوا يعلمون على ما لديهم أن الله سيذكرهم وينجيهم من أيدي القبط فلما أتاهم موسى عليه السلام
وبين لهم الآيات التي أمره الله بها لم يشكوا في أنه الموعود من رحمة الله لهم وأنها تنفع لهم عاجل ما فيه النفع الأول فأطيقوا على اتباعه وكانوا أكثر
رحمة له في المقاتل ومع ذلك فقد كانوا في الغم عليه في كل ما غلب ولم يجزوا فيه ولو بأيام في بلد القبط في الأدباء بعين امتثال أوامرهم ولما كان محمد صلى الله
عليه وسلم فإنما أتى قومه وإنما استعجب من نبوته ولا يعلم لهم بذلك علم يكونوا تحت ذل الكفار وكانوا ملوك العرب فعندهم أنه جاء يسلبهم عزهم ويصيرهم تبعاً
في الفواتش المخالفة ولم يدعوا كيداً حتى باشروه في رده عما جاء به ومع ذلك فنصره الله عليهم ولم يزل يؤيده حتى دخل الناس هم وغيرهم في دين
الله أفواجاً وأظهر دينه على الدين كله كما وعده سبحانه ثم إن أمره من بعده ولم يزل التابعة ظاهرين ولا يزالون إلى يوم الدين فبين القصتين فرقان لأولي
البصائر والانتقاد وأما مناسبة أولها لآخر تلك فقد بينا أن آخر الأعراف آخر قصة موسى المختتمة بقصة بلعام وأن ما بعد ذلك إنما هو تتمات لما
تقدم لا بد منها وتتمات للتتمات حتى كان آخر ذلك مدح من أهلهم لعندية سبحانه بالإذعان وتمام الخضوع فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية
اقتضى ذلك سؤال الأعجال الذين عند المخاطب صلى الله عليه وسلم فأجيب بقوله تعالى ﴿يسألونك﴾ أي الذين عند ربك هم الذين هم من الكفار
في الحقيقة كما علمتم ذلك وسيأتي بيانه فهم المستحقون للأنفال وليس لهم إليها التفات وإنما همهم العبادة والذين عندك إنما جعلتهم الله ظاهرة ومع
ذلك هم يسألونك ﴿عن الأنفال﴾ أي لمن هي وكيف تقسم يفعلها بأي وجه يكون سؤال منازعة ينبغي الاستعاذة بالله منها كما نبه عليه آخر الأعراف لأن ذلك يفضي إلى
افتراق الكلمة والضعف عن مقاومة الأعداء وهو جمع نفل بالتحريك وهو ما يعطاه الغازي زيادة على سهمه والمراد بها هنا الغنيمة وهي المال
المأخوذ من أهل الحرب قهراً سميت هنا بذلك لأن أصلها في اللغة الزيادة وقد فضل المسلمون بها على سائر الأمم ولما كان السؤال عن حكمها كأنه قيل
ماذا يفعل فقال والأعلى أنهم سألوا عمن فيها حكمها ليطابق الجواب السؤال ﴿قل﴾ أي لهم في جواب سؤالهم ﴿الأنفال لله﴾ أي الذي ليس النصر إلا من عنده
لما له من صفات الكمال ﴿والرسول﴾ أي الذي كان جازماً بأمر الله مسلماً القضاء ماضياً فيما أرسله به من غير تخوف من مخالطة الردى بمواقعة العدى
قال أبو حيان واختلاف أن الآية نزلت في يوم بدر وغنائمه وقال ابن زيد لا نسخ إنما أخبر أن الغنائم لله من حيث إنها ملكه ورزقه وللرسول
عليه السلام من حيث هو مبين لحكم الله والصادع فيها بأمره ليقع التسليم من الناس وحكم القسمة نازل خلال ذلك انتهى وطأ من سبحانه كأنه لا شيء
لهم فيها إلا ما يغني الله ورسوله ولما كان ذلك موجباً لتوقفهم إلى بروز أمره سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت التقوى ربما أدت التوقف
حتى يأتي الدليل الذي يجبر على الشيء وإنه سبحانه بعد ذلك قوله ﴿فاتقوا الله﴾ أي خافوا خوفاً عظيماً في جميع أحوالكم من الذي أعطته لغيركم ولا أمر
لسواه فلا يطلبوا شيئاً بغير أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخاصموا فإن الله تعالى الذي حكم بأن الرسول أنجانكم وأنزل الكتاب لعصمتكم
غير مهمل ما يصلحكم فهو يعطيكم ما هو خير من الحكم بأن لكم ويمنعكم ما ليس لكم ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ أي الحال التي هي صاحبة افتراقكم
لاجتماعكم فإن الطلب أصلها البين الذي هو القطيعة وقد أشرف على الفساد بطلب كل فريق الأثرة على صاحبه في أن يقبلوا على ما يرتها بالتسليم

لاستعجاب

امر الله ورسوله الامرين بالاعراض عن الدنيا ليقسم بينكم على سواء القوي والضعيف سواء فانكم انما ترزقون وتنصرون بضعفائكم لتجتمع كلمتكم فيشتد امركم ويقوى ازركم فتقدروا على اقامة الدين ودفع المفسدين واطيعوا الله اي الذي له جميع العظمة ورسوله اي الذي عظمته من عظمته في كل ما يامركم به من تنفيل من يراه وانفاذ شرط من شرط ووفاء عهد من عاهد ولما امرهم بما هيج والهب فقال مبينا كون الايمان مستلزما للطاعة ان كنتم مؤمنين اي صادقين في دعوى الايمان فليس كل من يدعي شيئا يكون صادقا في دعواه فخصص البيان الامتحان ولذلك وصل به قوله مؤكدا غاية التاكيد لان التخلص من الاعراض الدنيوية عسر انما المؤمنون اي الراسخون في وصف الايمان الذين اذا اي يصدقون الدليل على دعوى الايمان بتصديق افعالهم لاقوالهم فيكونون اذا ذكر الله اي الجامع لصفات الكمال من الجلال والجمال بمجرد ذكره في نحو قوله الانفال لله وجلت اي خافت خوفا عظيما بتحلل صميم عظامهم ويجول في سائر معانيهم واجسامهم قلوبهم اي بمجرد ذكره لتعظيمهم الله واذا تليت اي قريب على سبيل الموالاة والاتصال اي بالحفظ عليهم اياته اي كما يامره لاقامة الادلة على ان الحكم له نحو ورود ذكره فيه زادتهم ايمانا اي بايمانهم به وبما حصل لهم من نور القلب وطمانينة اليقين بسببها فانها هي الدالة على اسمه بما تبين من عظيم افعاله ونعوت جلاله وجماله وتظاهر الادلة اوضح للمدلول عليه وكمال قدرة الله تعالى انما يعرف بواسطة اثار حكمته في مخلوقاته وذلك بحر لا ساحل له ولما كانت مراتب التجلي والمعرفة لا نهاية لها فالزيادة في التخلص التصديق وعلى اي والحال انهم على ربهم اي الذي لم يزل احسانه اليهم وحده يتوكلون اي يجددون اسناد امورهم اليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر او غيره فيكفيهم من حيث لا يحتسبون فان خزائنه واسعة وبيده سح الليل والنهار كما انهم لما توكلوا عليه في القتال نصرهم وقد كانوا في غاية الخوف من الخذلان وكان حسبا لهم حين ابدلهم بقلتهم وخوفهم وذلتهم وضعفهم ولما وصفهم بالايمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع للهم الدافع للمانع منها انتقل منتقلا من عمل الباطن الى عمل الظاهر مبينا ان جميع ما هو العبادة والمكارم الذين يقيمون الصلوة اي تحريمه لا يفترون عن تجديد ذلك ولما كانت صلة بين الخلق والخالق اتبعها الوصلة بين الخلائق فقال ومما رزقناهم اي على عظمتنا وهم لنا دونهم ينفقون ولو كانوا مقلين اعتمادا على ما عندنا في الانفاق واهانة الدنيا جميع الخطاب لهم ايجب يكونون كالذين عند ربك في التخلي بالعبادة والتخلي عن الدنيا امرا سابقا وزهادة وهو تذكير بوصف المتقين المذكورين اول الكتاب بقوله الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ولما حققوا ايمانهم بافعالهم والجوارح والاموال وكانوا قد توفوا بذلك جميع شعب الدين عظم سبحانه شانهم بقوله اولئك اي العالوا الهمم هم اي خاصة المؤمنون وكدا مضمون الجملة بقوله حقا ولما كانت صفاتهم الخمس المذكورة المشتملة على الاخلاق والاعمال الظاهرة لها تاثيرات في تصفية القلوب وتنويرها بالمعارف الالهية وكلما كان المؤثر اقوى كانت التاثيرات اعلى فلما كانت هي درجات كان جزاؤها كذلك ولذلك قال تعالى في جواب كانه قال ما جزاؤهم على ذلك لهم درجات ولما كان حلها جميع السلامة بما لعلية يا في الحسنات عظمها بقوله عند ربهم اي بتسليمهم لامره ولما كان قد لا يقوم احد لله تعظيما وكان الانسان عن بلوغ ما يجب عليه من ذلك ضعيفا حقيقا وكان بادنى شيء في عمله بما يفتر الاعجاب اشار سبحانه الى انه لا يسعه الا العفو ولو بذل غاية الجهد فقال ومغفرة اي لذنوبهم ان رجعوا الى المنازعة في الانفال وغيرها ورزق كريم اي لا منقوص فيه ولا كدر دونه من منازعة ولا غيرها فهو يغنيهم عن هذه الانفال وعما في ايديهم من الاموال من غنائم فارس والروم وغير ذلك هذا في الدنيا واما في الاخرة فما لا يحيط به الوصف قال البيضاوي لما تقدم ثلاث صفات قلبية وهي الوجل وزيادة الايمان والتوكل وبدنية ومالية ترتب عليها ثلاثة اشياء فقوبلت الاعمال القلبية بالدرجات والبدنية بالغفران وقوبلت المالية بالرزق الكريم وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع انتهى ولما كان الايمان عند الشافعي الاعتقاد والاقرار والعمل جوز ان يقال مؤمن ان شاء الله استيفاء الاعمال مشكوك فيه وان كان الاعتقاد والاقرار يقينيا وعند ابي حنيفة الايمان الاعتقاد والاقرار فقط فلم يجوز الاستثناء فالخلاف لفظي هذا اذا حمل الاستثناء للشك وان كان لغيره كالتبري من التمدح والشهادة بالجنة التي هي للمؤمن والحكم على حالة الموت فلا منافاة بين الكلمة لان معنى الجزم ان وجود التبرك كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين ذكر ذلك الامام فخر الدين ولما كان ترك الدنيا شديدا على النفس ولا سيما بعد التشوف فيها اتبع ذلك بما يذكرهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم ولامرهم به لعلمه بالعواقب فحمد اثره ليكونوا ادعى لتسليمهم لامره وازدجارهم بزجره فشبه حال كراهتهم لترك مرادهم في الانفال

بحال

بحال كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير ثم انهم راوا حسن العاقبة في كلا الامرين فقال كما اي حالهم في كراهية تسليم الانفال مع كونهم التسليم والاولى لهم كحالهم اذ اخرجك ربك اي المحسن اليك بالارشاد الى جميع مصالح الخير من بيتك بالحق اي بالامر الفيصل الفارق بين الثابت والمزلزل وان اي والحال ان فريقا غير يسير لان اراءهم كانت صالحة ولو كانت مفترقة من المؤمنين اي الراسخين في الايمان لكارهون ثم ذكر دليل كراهتهم فقال يجادلونك اي يكررون في ذلك ارادة ان يفتلوا عن اللقاء للجيش الى الرجوع عنه ولما كان لقاء الجيش في امر قد حتمه الله ولا بد من وقوعه مع انه من ضيه قال في الحق اي الذي هو ايثار الجهاد بعد ما تبين اي وضح وضوحا عظيما من غير كلفة نظر بقرائن الاحوال بفوات العير وتيسير امر النفير وباعلام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تارة صريحا وتارة تلويحا كقوله والله كاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وذا مصرع فلان ولما كان مجادلتهم في كرههم للقاء والنصرة وتاييد الدين واعلاء لكلمته مع شدة كراهتهم لذلك شبيه سوقهم الى مرادة فقال انيا المفعول الى المكروه وما لهم التشوق ولكونه مخوفا كانما يساقون اي يسير قهرا لا قدرة لهم على ممانعته الى الموت وهم ينظرون اي كانت لهم الغزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وكانها القاء وكانوا فيه متاهبين للقتال غاية التاهب انما خرجوا للقاء العير هذا مع انهم عدد يسير وعدد اهل النفير كثير وكانوا في غاية الهيبة للقائهم والرعب قتالهم وكل هذا تذكير لهم بانهم لم يتم لهم الامر بالاصنع منهم بل كانوا في قدرته كالالة في يد احدهم لينتج ذلك انه لا ينبغي لهم ان ينازعوا في الانفال ولما كانوا بهذا الخطاب اقبلوا على الملك التواب اقبل عليهم فقال واذ اي واذكروا هذا الذي ذكره الله لكم وقد سماه لكم فيما ذكره ثم انقضى الى السعادة عظيمة وعزا لا تتبعه عز واذكروا اذ يعدكم الله اي الجامع لصفات الكمال احدى الطائفتين العير او النفير وابدل منه الاحدى ليكون الوعد بها مكررا بقوله انها لكم اي تنكرونها هي لقاء ذات الشوكة وتودون اي والحال انكم تحبون محبة عظيمة ان غير ذات الشوكة اي السلاح والقتال والكفاح الذي به تعرف الابطال ويتميز بين الرجال الحية والحجال تكون لكم اي العير لكونها لم يكن فيها الا اناس قليل يقال انهم اربعون رجلا جهلا منهم بالعواقب ثم بين لكم ان ما فعله الله خير لكم مما اردتم من ذلك فسلموا له الامر في الانفال والجهاد تنالوا الغنى والنصر قال الامام ابو جعفر ابن الزبير العاصمي في مناسبة تعقيب الاعراف بهذه السورة ومناسبة اخرى لما قصه ان هذه مما قصه الله تعالى على نبيه صلى الله عليه في سورة الاعراف اخبار الامم وقطع المؤمنين جميع ذلك انه لا يكون الهدى الا بتقدير السعداء لامتناع السوء ذكر الاشقياء بقصة ابليس وختم بقصة بلعام وكلاهما كفر على علم ولم ينفعه ما تقدم له حصل عليه ونبه تعالى على الاسباب التي تمنع بلعام بقوله سبحانه ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فاشار سبحانه الى ان اتباع الاهواء اصل الضلال لينبهوا على ما فيه الحزم من ترك الاهواء جملة فقال تعالى يسالونك عن الانفال الانفال لله فالحكم له في قسمها وفي تركه اياها وتزولون عن حقوقكم وجيب عليكم ان تفوضوا امره لله وللرسول فذلك اسلم لكم والحكم في ردع اغراضكم وقمع شهواتكم وترك اهوائكم وقد الف في هذه الشريعة السمحة البيضاء حسم الذرائع كثيرا او اقامة مظنة الشيء مقامه كتحريم الجرعة من الخمر والقطرة والحقنة في العدة واعتداد النوم الثقيل ناقضا للوضوء وهي مما لم يقع الحكم فيها على ما هو لانفسها ولكنها هي كذا لما هي مظان ومواقعة ما منع لعينه او لموجب الحكم العينه وعلته الخاصة به ولما امر المسلمين حال اليهم من الانفال يوم بدر اذ كان للمقاتلة قد حموا اخذها وصدقوا انفسهم بالانفراد بها وراوا انها حقهم وانه لم يباشر قتال المشركين ومن ثم جاز رقبته هو في الدنيا ليس فيها وراوا الاحرى ايضا الحق لهم فيها لانهم كانوا فئة للمقاتلين وعدة وملجأ وردا ظهرا لهم كانوا ما ارهم الله به من تسليم الحكم في ذلك الى الله ورسوله باحسم الذرائع لان تشتيتهم في ذلك والتعلق كل من الفريقين بحجة مظنة لركيه النفوس ومظنتها الاتباع الاهواء فامرهم الله بالتنزه عن ذلك والتفويض لله ورسوله فان ذلك اسلم لهم واوفق بينهم وابقى مع اصلاح ذات البين واحسن الاتباع فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم الاية ثم ذكروا بما ينبغي لهم من التزموا فقال انما المؤمنون الى قوله زادتهم ايمانا ثم نبهوا على الاعراض عن الدنيا من نفل او غيره لا ينبغي للمؤمن ان يعتمد عليه الاعتماد بل يدخل ليضرب الناس بالشرك او التفات اليه بل يجعله سبحانه بقوله وعلى ربهم يتوكلون ثم ذكروا بما وصف به المتقين من الصلوة والانفاق ثم قال اولئك هم المؤمنون حقا تنبيها على ان من قصر في هذه الاصول ولم يات بها على كمالها لم يخرج عن الايمان ولكن ينزل عن درجة الكمال بحسب تقصيره وكان في هذا اشعار بعذرهم في كلامهم في الانفال لانهم قد كانوا في طلبهم على حالة من الصواب وشرب التمسك والاتباع الى على الدرجات ما بين لهم ومنحوه وانه الكمال والفوز

ثم نبههم سبحانه بكيفية اخراجهم للخروج الى بدر ووعدهم الى غير ذات الشوكة تكون لهم وهو سبحانه يريد لهم العاقبة فيما اختاره لهم فقد كانوا عنوا القافلة
العير والخسار وذلك على لقاء العدو ولم يعلموا ما اراد الله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين الى ما قصه تعالى عليهم من كتابه من رحمته
وتمكين الطائفة والامة وبسط نفوسهم ونبههم على ما يثبت يقينهم ويزيد في ايمانهم ثم اعلمهم ان الخير كله في التقوى فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل
لكم فرقانا الاية وهذا الفرقان هو الذي حرمه ابليس وبلعام فكان منهما ما تقدم من اتباع الاهواء القاطعة لهم عن الرحمة وقد تضمنت الاية حصول خير
الدنيا والاخرة بنعمة الاتقاء ثم اجمل الخبر اضعافا في قوله والله ذو الفضل العظيم بعد تفصيل ما اليه اسرع المومنين من الفرقان والتكفير والغفران ولم يقع
التصريح بخير الدنيا الحاصل لهم مع اقتضاء الاية اياه تنزيها للمومن في مقام اعطاء الفرقان وتكفير السيئات والغفران عن ذكر متاع الدنيا التي هي لهو ولعب
فلم يكن ذكر متاعها الفاني ليذكر مفصلا مع ما يجانسه ولا يشاكله وان الدار الاخرة لهي الحيوان ثم التحمت الاي ووجه من وجوه بسجال الما والولد
في القران كانهم مثل يعقد لهم كيفية هذا الاستماع والذي يتصف به المومن ويه فقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله الاية فهولاء لم يسمعوا باذانهم فقط
وانما سمعهم ان لا يسمعوا بها ولا قلوب يفقهون بها ولو كانوا كذا لما وجلت وعم التوجع والخشية وزادتهم الايات ايمانا فاذن انما يكون سماع
المومن هكذا ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون على ما هو لما غا الذي علتهم من اتباع اهوائهم والوقوع مع اغراضهم وشهواتهم باخذه
عرض هذا الادنى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وهذه بعينها كانت افة ابليس اذ رأى لنفسه المزية واعتقدها الحق ثم اتبع هذا الهوى حين قال
لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فلما كان اتباع الاهواء اصلا في الضلال وتنكب الصراط المستقيم امر المومنين بحسم باب الاهواء والتسليم
فيما لم يتعلق وان لم يكن هو مجرد الكنه مظنة تغيير اتباع الهوى فافتتحت السورة بسؤالهم عن الانفال والخبر وانها لله وللرسول يحكم فيها بما شاء
فاتقوا الله واحذروا الاهواء التي اهلكت من قص عليكم ذكره واصلحوا ذات بينكم برفع التنازع واطيعوا الله ورسوله ولا تكونوا سامعين وقد ارتم
ان يعوا السماع الذي يحمد ويرتجى الرحمة وبيانه في قوله انما المومنون الاية وعطف صورة تضمن بنحو من ابيل عقب بوصاة للمومنين وخصوصا
بالتقوى على حسب ما يكون الغالب فيما يذكر من امر بني اسرائيل في البقرة اثر قصصهم بقوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ولما كان
قصصهم مفتتحا بذكر تفضيلهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين افتتح خطاب هذه الامة فيما يخص بتفضيلهم وتامل
ما بين يا بني اسرائيل ويا ايها الذين امنوا وابر او لئك والايما واسنوا بما انزلت وامرهم بدءا بتعبد احتياطي فقيل وقولوا انظرنا واسمعوا ثم اعقب البقرة بال عمران
وافتتحت بثناء المحكم والمحكم الذي خص بهذا على بني اسرائيل وكثير من تكذيباتهم ولما ضمنت سورة ال عمران من ذكرهم ما ورد فيها اعقب بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ثم اعقب السورة بقوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وعدل عن الخطاب باسم الايمان المطابقة لذلك سورة ال عمران خصت من تكذيب بني اسرائيل بحالهم كقوله في الكفار هولاء اهدى من الذين
امنوا سبيلا فهذا بهت ومنها قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات ومنها قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء الى ما تحلل هاتين من الايات المنبئة من توغلهم في الجرائم
فلعله خص يا ايها الذين امنوا الى يا ايها الناس ليكون اوقع في الترتيب واوضح مناسبة لما ذكر ولما ضمنت سورة النساء قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم واكلهم اموال الناس بالباطل اتبعت بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ثم ذكرهم ما احل لهم وما حرم عليهم ليحذروا مما وقع فيه اولئك
فعلى هذا ما ضمنت سورة الاعراف من قصصهم جملة وبين فيها اعتداءهم وبناه على اتباع الاهواء والجنوح الى الاعراض الدنيوية بانقاد ذلك
والبعد عما يشبه جملة فقيل في اخر السورة ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ثم افتتحت السورة الاخرى بعد عما لهم به تعلق وانه
تثبت يقينهم عنهم ثم اعلموا فيما كانهم وما قيل لهم تراني هذا اسلم لكم عن اتباع الاهواء فسلموا الى ذلك الحكم لله ورسوله واتقوا الله ثم
تناسخ ايتها والتحمت الاي وترتيب وطابق الانفال بالاعراف من وجوه والحمد لله انتهى ولما اخبر تعالى بما هو الحق من ارادتهم بل ود اداتهم
انما كانت منصبة الى العير لا الى النفير بين انه لا صنع لهم فيما وقع اذ لو كان الامر الى ما ارادوا فلا حظ لهم في الغنيمة الا ما يقتضي الله لهم الحكم لما اراده
فقال تعالى عاطفا وتودون ويريد الله اي بما له من العز والعظمة والعلم ان يحق الحق اي يثبت في عالم الشهادة الثابت عنده في عالم الغيب
وهو اصابة ذات الشوكة بكلماته اي التي اوحاها الى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم مهزومون ويقتلون ويكرون وان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان

ليعلو دينه ويظهر امره على كل امر ويقطع دابر الكافرين اي اخرهم يقطع اولهم فيستاصلهم بحيث لا يبقى منهم احد يشاق اهل حزبه فهو يدبر
امركم على ما يريد فلذلك اختار لكم ذات الحد والشوكة ليحق الحق ويبطل الباطل وهو كل ما خالفه ولو كره اي ذلك المجرمون الى القطعيين ما الحق به
ان يصل وفيه فوز الدارين اذ ظرف ليحق الحق تستغيثون ربكم اي تطلبون اغاثة المحسن اليكم وهو بعض اذ يعدكم فهو من اتيانه الكريم
لقاء ذات الشوكة بشدة جزعهم الموجب لهم الاستغاثة مع السفار العاقبة عن الخير فيما كرهوه وانه احق الحق واظهر الدين واهلك المشركين
ولما امر سبحانه الاجابة دل على ذلك بقوله فاستجاب اي فاوجد الاجابة ايجاد من هو طالب لها شديد الرغبة لكم بغاية ما يريدون وتثبيتا لقلوبكم
اني اي باني ممدكم اي مجيبكم بالمدد لكم اي باسعادكم ولعله حول العبارة لما في التصريح بضميره من العظمة والبركة بالف من الملائكة
حال كونهم مردفين اي متبعين بامثالهم ولما تمت نصرة المسلمين في هذه الغزوة ظاهرة جلا قال وما جعله الله اي الامداد والوعد
على ما له من جميع العظمة التي هي رابطها لم يهب شيئا الا بشرى اي لتبتبشر به نفوسكم ولم يحتج الى التقييد بان يقال لكم ولما في قصته احد
فقد كان المقتول منهم كثير من المقتول من الكفار فلولا قوله لكم لربما طرق بعض الاوهام حين سماع اول الكلام ان الامداد بشرى للكفار ولما كان الذي
وقع الحكم به هنا على الامداد بشرى نفسه من غير قيد علم ان العناية باشد بان المحكوم به الطمانينة كذلك ليكون اصل الكلام الا بشرى هو طمانينة
هو فلذلك وجب تقديم ضميره في قوله به على القلوب تاكيدا للامر وتفخيما لشانه واشارة الى انتمامه على عادة الذي تقدم بما هو به اعني وهو
ولتطمئن اي وطمانينة لتطمئن به اي وحده من غير نظر الى شيء من قوتكم ولا غيرها قلوبكم فالايتين الاحتباك عندهم امر فقال
واما في قصة احد فكلها سواء في قصة احد فلما وقع البشرى بالامداد بلكم لما تقدم على ان الطمانينة كذلك فكان الانسب تاخير ضميره وتقديم
القلوب المحلاة بضميرهم موازنة لقوله لكم وتماما ذلك ان حاصلها ان النصر من الاسباب وان شيئا من الامداد او غيره لا يوجب النصر بذاته صرح به في قوله
وما النصر اي حاصلا وموجودا بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله اي الذي له وحده صفات الكمال فما عنده ليس منحصرا في الامداد بالملائكة
فالنصر وان كانت بالملائكة فلا تعتمدوا على وجودها ولا تهنوا بفقدها اعتمادا عليه سبحانه خاصة فانما عند من الاسباب لا يحاط به علما هذا
اذا اراد النصر بالاسباب وان اراد بغير ذلك فعل في التنجيز بعدما لا نهام ذلك ولما كانت هذه الغزوة في اول الامر وكانوا بعد بروز الوعد
الصادق لهم باحدى الطائفتين كارهين لقاء ذات الشوكة جدا ثم وقع لهم ما وقع من النصر كان المقام مقتضيا لاثبات عزة الله وحكمته على سبيل
التاكيد علما بان صفات الكمال ثابتة له دائما فهو ينصر من صبر واتقى بعزته ويحكم امره على اتم وجه بحكمته هذا فعله دائما كما فعل في هذه الغزوة
فلذلك قال معللا لما قبله موكدا ان الله اي الملك الاعظم عزيز اي هو في غاية الامتناع والقهر لمن يريد قهره ازلا وابدا لا يغالب ولا يحوج
وليه الى زيادة العدد ولا نفاذة العدد حكيم اي اذا قضى امرا كان في غاية الاتقان والاحكام فلا يستطيع احد نقص شيء منه فلذا دائما يفعل
في نصركم هكذا امهما اشتم الى البشرى ولم تنظروا الى قوتكم ولا غيرها سواه فلا تعلقوا اذا امركم بالهجوم على الباس ولو كان فيه لقاء جميع الناس
ولما اكد هنا لم يحتج الى اعادة تاكيده في ال عمران فقيل العزيز الحكيم اي الذي اخبركم عن عزته وحكمته في غزوة بدر بما يليق بذلك المقام
من التاكيد واخبركم انكم ان فاديتم الاسرى قتل منكم في العام المقبل مثل عددهم فوقوع الامر على ما قال اغنى عن التاكيد ولم يكن احد من المسلمين في
احد مترددا في اللقاء ولا هائبا له الا ما وقع من الهم بالفشل من الطائفتين والعصمة منه في الحال وقد مضى في ال عمران لهذا مزيد بيان ولما
ذكر البشرى والطمانينة بالامداد تابعه يذكرهم انه اتبع القول الفعل فالقى في قلوبهم بعزته وحكمته الطمانينة والامن السكينة بدليل النعاس الذي
غشيهم في موضع صوابه الاشياء عنه وهو موطن الجلاد ومصاولة الانداد والتيقظ لمخاتلة اهل العناد وكذا المطر واثره فقال مبدلا
ايضا من اذ يعدكم ومعلقا بالنصر او بما في الظرف من رائحة الفعل تصور الغزوة وحكمته اذ يغشاكم بفتح حرف المضارعة في قراءة ابن كثير
وابي عمرو والفاعل النعاس وضم النعاس الباقين واسكن نافع العين وفتح الباقون وشددوا الشين المكسورة والفاعل في القراءة الاولى ضمير له
هنا والفاعل ضمير يعود على اسمه وتم ذكر هذه التغشية الغريبة الخارقة للعوائد ذكر ما فعلت لاجله فقال امنة ولما كان ذلك خارقا للعادة
جاء الوصف بقوله منه اي بحكمته لان الانام في مثل تلك الحال الا الامن ويدفع عنكم العدو وانتم نائمون بعزته ولم يختلف فاعل الفعل

المعلل في القرآن الثلث لان يكون النعاس فاعلا مجازا ويصح عندي نصبها على الحال طالما ان النعاس ابة الموت فذكر بضده اية الحياة فقال **وينزل عليكم**
وحقق كونه مطرا بقوله **من السماء ماء** ووقع في البيضاوي واصله وكذا تفسير ابي حيان ان المشركين سبقوا الى الماء وغلبوا عليه وليس كذلك
بل الذي سبق الى بدر وغلب على مائها المؤمنون كما ثبت في صحيح مسلم وغيره فيكون شرح القصة انهم مطروا فتلبد الرمل الدهس وامتلأت الحياض
للمسلمين منه ماء ملاء ولمنه اسقيتهم فتطهروا ولمن حدث لوجنابة وتلبد لهم الرمل وسهل عليهم المسير واصاب المشركين ما زلق ارضهم
حتى منعهم المسير فكان ذلك سببا لسبق المسلمين لهم الى المنزل وتمكينهم من بناء الحياض وتعويضها ولولا ذلك لما ... الذين نزلوا عليه من
القلب كما هو مشهور في السير ويكون رجز الشيطان وسوسته لهم بالقلة والضعف والتخويف بكثرة العدو والربط على القلوب طمأنينتهم
وطيب نفوسهم بما رأوهم من الكرامة كما يوضح ذلك صنيعه قول ابن هشام وينزل عليكم من السماء ماء للمطر الذي اصابهم تلك الليلة فحبس
المشركين ان يسبقوا الى الماء وخلى سبيل المؤمنين اليه **ليطهركم به** اي من كل درن وابتدأ من فوائد الماء بالتطهير لانه اقرب من صفات
الملائكة المقربين من حضرات القدس وعطف عليه بقوله **ويذهب عنكم** اي لا غيركم **رجز الشيطان** بغير لام ما هو لازم له وهو
البعد الذي كان مع الحدث الذي منه الجنابة المقربة من الخبائث الشيطانية بضيق الصدر والتشاؤم والخوف لبعادها من الحضرات الملكية اذ
تدخل الملائكة بيتا فيه جنب والرجز يطلق على القذر وعبادة الاوثان والعذاب الشرك وقد كان الشيطان وسوس لهم والشلل الى سوسته
ان اعظم القذر فانه يجر من تمادى معها الى الكفر ما ذكر ثم عطف عليه ما يتهيأ له القلب للحكم الالهية وهو افراغ السكينة فقال **وليربط**
اي بالصبر اليقين ومما كان ذلك ربطا محكما عاليا غالبا على جميع آفاته الاستعلاء فقال **على قلوبكم** اي بعد ان كان بها الوثوق بلطفه
عند كل ملمة حتى امتلأت من كل خير وثبت فيها بالربط فشبهها بجراب ملئ شيئا ثم ربط راسه حتى لايجد شيء من ذلك الذي فيه مخرجا ولعل الادغام
اشارة الى انه المقصد الاعظم وما قبله وسيلة اليه وعطف عليه بغير لام لانه من لازم التثبيت فقال **ويثبت به** اي بالربط او بالمطر
الاقدام اي لعدم الخوف فان الخائف لم يثبت قدمه في المكان الذي يقف فيه بل تصير رجله تنتقل من غير اختياره او بتلبيد الرمل ولما ذكر حكمة
الامداد وما تبعه من الامن المشتمل للقلوب والاقدام ذكر ما امر به الملائكة من التثبيت بالقول والفعل فقال **اذ** بدلا ثانيا من اذ يعدكم
اوظرفا ليثبت **يوحي ربك** اي المحسن اليك بجميع ذلك **الى الملائكة** وبين ان النصر لانه المدد بقوله **اني معكم** اي ومن كنت
معه كان ظافرا بجميع ما موله **فثبتوا** اي بسبب ذلك **الذين آمنوا** اي بانواع التثبيت من تكثير سوادهم وتقوية قلوبهم وقتال عدوهم
وتقليلهم في اعينهم وتحقيرشانهم ثم بين المعية بقوله **سالقي** اي بوعد لاخلف فيه **في قلوب الذين كفروا الرعب** اي الوجل والكلف
فلا يكون لهم ثبات **فاضربوا** اي ايها المؤمنون الملائكة ولتشاركهم ابين بسبب ذلك ولما كان ضرب العنق والراس احصى ما يهلك الانسان
وكان العنق ستره في الحرب غالبا عبر بقوله **فوق الاعناق** اي الرؤس او على الاعناق منهم لانها مفاصل ومذابح ولما كان افتنا الاصابع انكي ما
يكون بعد ذلك قال **واضربوا منهم كل بنان** اي لانه لا مانع من ذلك كونيه معكم ثم علل تسليطهم عليهم بقوله **ذلك** اي التسليط العظيم
واخبر عنه بقوله **بانهم** اي الذين تلبسوا الان بالكفر ولو كانوا ممن يقضي بايمانه بعد **شاقوا الله** اي الملك الاعلى الذي لا يطاق انتقامه
ورسوله اي طلبوا ان يكونوا بمخالفة الاوامر والنواهي في شق غير الشق الذي هو فيه ضرب البغداي فمكر منهم ضاع وناتقوه باشهار سيف
جهرا ثم بين ما لفاعل ذلك فقال عاطفا على ما تقديره فمن شاق الله ورسوله فانا فعلوا به ذلك فاني فاعل به ما فعلت بهؤلاء واظهر الادغام
في المضارع لان القصة للعرب وامرهم في عداوتهم كان بعدا ابحر شديدا ومجاهرة وادغم في الحشر لان الامر معنى عليه كما بين ساترته بالمماكرة
ومجاهرته بالمقاهرة وعبر بالمضارع ندبا الى التوبة بتقييد الوعيد بالاستمرار وادغم في الحشر في الموضعين لان القصة لليهود وامرهم كان ضعيفا في
مساترة ومماكرة **ومن يشاقق الله** اي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه ويشاققه سرا وجهرا **ورسوله** بانه يكون في شق غير الشق الذي يرضاه
فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال **شديد العقاب** اي له هذه الصفة فليتوقع مشاققه عذابه فالآية من الاحتباك ذكر الفعل
المدغم اولا دليلا على حذفه المظهر ثانيا والمظهر ثانيا على حذف المدغم اولا ولما ختم الآية ببيان السبب الموجب لاهانة الذين كفروا وبين له

من الوصف العظيم تبعه ما يقول لهم لسان الحال عند ذلك بقوله التفاتا اليهم لمزيد التبكيت والتوبيخ **ذلكم** اي هو بحانبا الهوهذا الوصف العالي بل يزيد
عدوهم عذابا لا طاقة لهم ولا بد ان يصير لسان الحال مخاطبا لهم بنيابتهم المقال الامر الذي حوزتكم منه الرسل وانذركم به الكتب وكنتم تستهزؤن
به ايها الكفرة هو هذا الامر الشديد ووقعه البعيد على من يبرك عليه فعدوه قد حصلكم فالكم لا تدافعونه كلا واسهل كلا ما قالكم ولم يقدر ازيد اولم
يمكنه ما وقع لهم في وقعة بدر من القتل والاسر والقهر يسيرا جدا بالنسبة الى ما لهم في الاخرة سماه ذوقا لانه يكون بالقليل ليجرى بالكثير فقال
فذوقوه اي باشروه مباشرة الذائق واعلموا انه بالنسبة الى ما تستقبلونه كالمذوق بالنسبة الى ما لهم في الاخرة سماه ذوقا لانه يكون بالقليل ليجرب به
الى المذوق لاجله **وان** اي والامر الذي انذركم به الرسل والكتب ان لكم مع هذا الذي ذقتموه في الدنيا هكذا اتما الاصل ولكنه اظهر تعميما وتعليقا بالوصف
فقال **للكافرين** اي على كفرهم وان لم يظهروا المشاققة **عذاب النار** وهو بوانقكم وهو اكبر مكتوعنونه لما قرر اهانتهم في الدنيا
والاخرة بما حسر عليهم القلوب حسن ان يتبع ذلك النهي وطلعى الايمان عن الفرار منهم وتعدد من ينكص منهم بعد هذا البيان وهو يدعى الايمان فقال **يا ايها
الذين آمنوا** اي بما اتاهم من عند ربهم **اذا لقيتم الذين كفروا** اي با بالذين فشاقوه وعبر عن حال القائهم بالمصدر مبالغة في تشبيهه به فقال
زحفا اي حال كونهم زاحفين مجاربين وهم من الكثرة بحيث لا يدرك حركتهم ولا كانت سريعة الاجتل الزحف **فلا تولوهم الادبار** اي هربا
منهم وان كنتم اقل منهم **ومن يولهم** ولما كان الاغلب في وقوع القتال النهار وكانت التولية مما يكون الطرف معيار الا انها مما لا يستر منه
فالعصيان يقع بمجرد الالتفات بقصد التمادي والفرار تكريرا امثال الاشتراط في صحة اطلاق الاسم عبر باليوم وجرده عن فيزنه بالكل بالمجرد
مع عدم الالباس فان الطرف لا يكون معيارا للفعل الا اذا كان ممتد الزمان كالصوم فقال **يومئذ** اي اذ لقيتم على هذه الحالة في اي وقت كان وكان
القتال ليلا كان او نهارا **دبره** اي يجعل ظهره اليهم شيئا من الاشياء تولية لا يريد الاقبال الى القتال منها **الا** اي حال كونه **متحرفا** او الحال انه
التحرف وهو الزوال عن جهة الاستواء **لقتال** اي لا يتسهل له الا بذلك او يخيل الى عدوه انه منهزم خداعا ثم يكر عليه **او متحيزا** اي مستقلا
من حيز الحيز ومتنحيا **الى فئة** اي جماعة من حيث اهل حزبه هي لهم اهل لان يرجع اليهم مستعين بهم او يعينهم ولما كان هذا محل توقع السامع
الجزاء وتشوق ذهنه له اجابه ابطالا بالفاء اعلاما بان الفعل المحدث عنه سبب لهذا الجزاء فقال **فقد باء** اي رجع **بغضب من الله** اي الحائز لجميع صفات
الكمال **ومأواه جهنم** اي تجهمه كما انه هاب تجهم الكفار ولقاء الوجوه العابسة بوجه كالح عابس **وبئس المصير** هذا ان لم يرد الكفار
على الضعف كما سيأتي النسخ ولما تقدم اليهم في ذلك سلاله بتقريع غربته وحكمته والنصر لبيان الاخر عنه في ايمانه لم يتوقف عن امتثال الاوامر فقال
مسبباعن تحريمه الفرار وان كان العدو كثيرا تذكيرا بما صنع لهم في بدر لتحريهم على مثله والنصح منعا لهم من الاعجاب بما كان على ايديهم في ذلك
اليوم من الخوارق **فلم تقتلوهم** اي حل على المدبر الغضب لانه قد تبين لكل مؤمن ان الله لا يأمر احدا الا بما هو داخل تحت قدرته ومسخر على تطويعه له وانه
ونصح بما يجري على قوانين العوائد بانكم لم تقتلوهم وقتالي بعد وان تعاطيتم اسباب قتلهم لانكم لم تخلو قلوبكم الى الجيش العظيم الرعب الذي كان
سبب هزيمتهم التي كانت سبب تمكنكم من قتلهم لضعفكم عن مقاومتهم في العادة وفيهم مع ذلك من زجرهم عنا ان يقول احدهم على وجه الافتخار قتلت
كذا وكذا رجلا وفعلت كذا **ولكن الله** اي الذي له الامر كله فلا يخرج شيء عن مراده **قتلهم** اي بانهزامهم لكم لما راوا الملائكة وامتلاء اعينهم
من التراب الذي رماهم به صلى الله عليه وسلم وقلوبهم رعبا حتى تمكنتم من قتلهم خرقا للعادة وكان وعدكم بها فصدق مقاله وتمت افعاله ولما رد ما
باشروه اليه سبحانه اتبعه ما باشره نبيه صلى الله عليه وسلم دلالة على ذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا مقبلة قال اللهم هذه قريش قد اقبلت
بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك فقال له جبريل عليه السلام خذ قبضة من تراب فارمهم بها ففعل فامتلأت اعينهم فانهزموا فقال **وما رميت**
اي بايصال الرمي الى اعين الكفار **اذ رميت** اي اوقعت صورة الرمي من كفك لان هذا الاثر الذي وجد عن رميك خارق للعادة من الرمي
الى ان يصل الى ... وهذا هو الجواب عن كونه لم يقل فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم لان زهوق النفس عن الجراح المثخن هو العادة فهم الذين قتلوهم حقيقة بما ضربوا
من تهم فلا يصح فلم تقتلوهم حين قتلتموهم والمنفي انما هو السبب المتقدم على القتل الممكن من القتل وهو تسكين قلوبهم الناشئ عنه اقدامهم وارعاب
الكفار الناشئ عنه ضعفهم ولذلك اسهم الممكن منهم فالمنفي عنهم البداية والمنفي عنه صلى الله عليه وسلم الغاية او ان الملائكة لما باشرت قتل بعضهم

صح ان ينتج عن قتل المجموع مطلقا او انهم لما افتخر بعضهم بقتل من قتل نفاه سبحانه عنهم مطلقا لان مباشرتهم لقتل من قتل في جنب ما اعد لهم من الاسباب وايدهم به من الجنود عدم واما النبي صلى الله عليه وسلم فانه فعل اعظم من ذلك وهو رمي الرمل ولم يعد فعله ولا ذكره فاثبته سبحانه له ونفى تأثيره عنه واثبته لمن اليه ترجع الامور ناديا منه سبحانه لهذه الامة الى انه لا ينظر اصلا الى شيء من طاعته فانا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن اكمل الخلق مع انه عالم مقر بانه منا فليحذر الذي يرى له فعلا من عظيم سطواتنا ولكن لينسب جميع افعاله الحسنة الى الله تعالى كما نسب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله **ولكن الله** اي الذي له الامر كله **رمى** لانه الذي اوصل اثره الى عيون كلهم وما اهانهم الكفار فعل ذلك كله ليبلي الكفار منه بالنكبة اراد من عباده بلاء عاقبته سيئة **وليبلي المؤمنين** اي الراسخين في الايمان **منه** اي وحده **بلاء حسنا** من النصر والغنيمة والاجر ومادة بلى بالياء والواو باي ترتيب كانت تدور على الخلط وتارة تكون مطلقة بنحو ابلاه عذرا وتارة يكثره ويحاوله وعناه وهو اغلب احوال المادة وتكون تارة للمدح وتارة للذم والي بالي الامر من البال الذي هو الخاطر فهو من بول لا بالعواقب لانه من ذوات الاربعة ومعناه ما افعله بالبال اي ما اكترث به فكانه من خاطري الى البال لعله احواله حيث يتصرف هو خاطره الى اي افكر في امره لهوانه علي وسيأتي بسط معاني المادة ان شاء الله تعالى في سورة يوسف عند قوله تعالى ما بال النسوة وهذه المادة معناها من الدعة لان ذهنه يلزمها شغل الخاطر الذي عنه نشأ التعب فقد الملابس للدعة يلزمه اهدار السر وفراغ البال الذي هو من الراحة فجمع الاية انه تعالى فعل ذلك من الاحكام ان الكفار لينالهم من شوونه ما يكون لهم في مدافعته عاقبة سيئة وليبلي المؤمنين من ذلك ما يكون لهم في مزاولته عاقبة حسنة بل الحسنى الراحة لانه يفضي بهم الى راحة دائمة والدعة تفضي الى تعب طويل والله الموفق ولما ثبت بما مضى انه المتولي الافعال العظيمة والبطشات الجسيمة ودلت افعاله من قهر المؤمنين انا لهم شاهد ذلك فأذى الشوكة على ضعف العزائم ختم الاية بقوله **ان الله** اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال **سميع** لاقوالكم من استغاثتكم في المعونة على النصر وغيرها **عليم** اي بنواياكم وان لم تتكلموا بها فهو يجازي المؤمن على حسب ايمانه ونيته والكافر على ما يليق به ويخفى في كونه الامر **ذلكم** اي العظيم الشأن البعيد المتناول الذي امركم فيه وامره ونهاكم به عن مناهيه وابلاكم فيه البلاء الحسن واراكم باعينكم توهينه لهذه الطائفة التي قصدتكم وانتم عند ها كلا شيء ووعد صفقوا بين صفوفو وبين كم من عجائب مقدوره ما لم يبق معه عذر لمن فالزموا طاعته وتسابقوا في طاعة رسوله ولا تنظروا في عاقبة شيء مما يامر به فانه ما ينطق عن الهوى بل انما يامر عنا ونحن لم نامر بشيء الا بعد تدبيره على احكم الوجوه واتقنها **وان** اي والامر ايضا ان **الله** اي الذي له جميع صفات العز والعظمة والكبر **موهن** اي مضعف اضعافا شديدا ثابتا دائما ابدا **كيد الكافرين** اي الراسخين في الكفر جميعهم فلا تهنوا في ابتغاء القوم وان نالكم قرح فانا نجعله لكم تطهيرا وللكافرين تدميرا لان العاقبة للتقوى فيطلعكم على عوراتهم ونلقي الرعب في قلوبهم ونوقع كلمتهم وننقص ما يبرمونه ولما تضمن ذلك ايقاع الاهانة بالكفار بهذه الوقعة والوعد بالزامهم الاهانة فيما يأتي كان ذلك مفصلا للالتفات الى تهديدهم في قالب التهكم بهم والاستهزاء بهم وتخييم امر المؤمنين فقال **ان تستفتحوا** اي تسألوا الفتح ايها الكفار بعد هذا اليوم كما استفتحتم في هذه الوقعة عند اخذكم استار الكعبة وقت خروجكم بقولكم اللهم انصر اهدى الحزبين واكرم الجندين واعلى الفئتين وافضل الدينين وقت تراءى الجمعين بقول ابي جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا يعلم فاحنه الغداة اي كما اتاكم الفتح كما اتاكم في هذا اليوم **فقد جاءكم** اي في هذا اليوم بنصر المؤمنين **الفتح** اي الذي استفتحتم له لانهم اعلى الفئتين واكرم الطائفتين **وان تنتهوا** اي بعد هذا عن مثل هذه الاقوال والافعال المتضمنة للشك او العناد **فهو خير لكم** وقد رايتم دلائل ذلك **وان تعودوا** اي الى المغالبة لانكم لم تنتهوا **نعد** اي الى الخذلان لكم **ولن تغني عنكم** اي ابدا **فئتكم** اي جماعتكم التي ترجعون اليها للاعتزاز بها **شيئا** اي من الاغناء **ولو كثرت** لان الله معي الكافرين **وان الله** اي الملك الاعظم **مع المؤمنين** اي الراسخين في الايمان ولعل عبر بالمستقبل في الشرط والماضي في الجزاء اشارة الى انكم استفتحتم في بدر وجاءكم من الفتح ما رايتم فان رجعتم الى محاربتكم فالزموه في المستقبل فاني لا احييكم ابدا ما دمتم على حالكم لانما احييتكم بدر يومئذ والفتح يحتمل ان يكون بمعنى النصر فيكون تهكما بهم وان يكون بمعنى القضاء ولما نهى عن مثل حالة الكفار من الاعراض عن اجابتهم فيما قصد عن دعائهم وعن خذلانهم في حزن الوقعة وايجاب مثل ذلك لهم ابدا هو عصيانهم الرسول وتوليهم عن قبول ما يسمعون منه الروح حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادي في التنازع

في الغنيمة او غيرها فقال **يا ايها الذين امنوا** اي ادعوا ذلك **اطيعوا الله** اي الذي له جميع العز والعظمة **ورسوله** تصديقا لدعواكم الايمان ولما كانت طاعة الرسول من طاعة الله لانه انما يدعو اليه وانما خلقه القران وحد الضمير فقال **ولا تولوا عنه** اي عن الرسول في حال من الاحوال التي تدعو الى الاوامر لهم او غيرهم من الغنائم وغيرها خفيف او ثقيل سهل او صعب **وانتم** اي والحال انكم **تسمعون** اي لكم سمع لما يقوله او وانتم تصدقونه لان ارتكاب شيء من ذلك مناف لدعوى الايمان وينطبق على احوال الكفار والى ذلك اشار بقوله **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا** اي باذاننا **وهم لا يسمعون** اي سماع تحقيق فكانهم لم يسمعوا لما انتفت الثمرة عند المشرع ولما كان قال من هذا شانه مشابها لحال الاصم في عدم سماع الدعاء الانتفاع به والابكم في عدم كلامه بكلام ينفع والعادم للعقل في عدم عقله لعدم انتفاعه به قال معللا لهذا النهي عبر بابين الاشياء لما وصفهم به **ان شر الدواب** اي التي تدب على وجه الارض جعلهم من جنس الحشرات او البهائم ثم جعلهم شرها ولما كانوا نهى بغضهم وكان العبرة بما عنده سبحانه قال **عند الله** اي الذي له جميع الكمال من احاطة العلم والقدرة وغيرها **الصم البكم** اي الطرش الخرس طرشا وخرسا بالغين **الذين لا يعقلون** اي لا يتجدد لهم عقل فهم لم ينتفع بسماع الداعي كذلك ولما كان ذلك ربما نحل السامع الى انه هو انما للقادر لم يقبل فهذا شانه الى الخبر اجاب بانه جبلهم شرا والامر والنهي فعل في ملكه يحكم ما يريد جبلة غريبة في الفساد وجعل صورهم شريرة كجوهر العقرب التي لا تقبل التاديب بوجه ولا تمر بشيء الا لسبته فعلم سبحانه انه لا خير فيهم تركهم على ما علم منهم **ولو علم الله** اي الذي له الكمال كله **فيهم خيرا** اي قبولا للخير **لاسمعهم** اي سماع هو اهل الاسماع وهو ما تعقبه الاجابة المثمرة ولما كان ما علم الله تعالى محيطا واجب ما يعلم كونه كما علمه حاصلا وكان عدم علمه بوجود شيء من لوازم عدمه فلا جرم كان التقدير هنا لكنه لم يعلم فيهم خيرا بل علم ان لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الاسماع **ولو اسمعهم** وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير اسماعا اقسرهم فيه على الاجابة **لتولوا** اي بعد اجابتهم **وهم معرضون** اي ثابت اعراضهم مرتدين على اعقابهم ولم يستمروا على اجابتهم لما جبلوا عليه من ملامة الشر ومباعدة الخير فلم يريدوا الاسلام واهل بعد ثباتهم لا وهنا كما كان لاهل الردة الذين قتلوا مرتدين بعد ان كانوا دخلوا في الاسلام خوفا من السيف او رغبة في المال وهو من وادي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فان علم الله اربعة اقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا كيف يكون حاله والقسمان الاولان علم بالواقع والاخيران علم بالمقدر والاية من القسم الاخير ولعمري انا دفعنا الى زمان غلب فيه على قريب من هذا الاكثر اجراء الناس على الباطل وانبتهم في المصاولة فيه واوسعهم حيلا في التوصل اليه واحسنهم عملا في الدعوة الى الحق واسرعهم نكوصا عنه الا قدام بوجه جليه ولكنهم عند الجدال له فيصارون كما مقدارا من مفروضا حاصلا وموجودا وكلمة لو هنا يحتمل ان تكون هي التي تعلق بها امر على امر هو بتقديره اولى فيكون المراد المعلق وهو الثاني موجود دائما مثل قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فالمراد هنا على هذا انهم دائما يتولون مع الاسماع والاجابة فتوليهم مع عدمهما اولى فنبه على ذلك الرضى ويحتمل ان تكون على بابها من الدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون منفيا وانتفاء التولي انما يكون خبرا اي انتفاء الاسماع المرتب على علم الخير فيهم واعلم بعدم الاسماع الموصوف لانه لا خير فيهم فليس من الخير في شيء بل هو شر محض والتولي المنفي عنهم ليس هو الموجود منهم بل هو الناشئ من الاسماع الموصوف فلا ينافي قصور دعاوة تحقق عنادهم وعدم انقيادهم وتحقيقه ان المنفي انما هو زيادة التولي الناشئة عن الاسماع فالمعنى ولو اسمعهم لزادوا اعراضا فالمنفي هو هذا التولي الزيادة والله الموفق ولما كان ما مضى من حال الكافرين سببا عن عدم الاستجابة امر المؤمنين بها تحذيرا من ان يكون مع الكفرة في مثل حالهم فيخزيهم في ما لهم فقال **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بالايمان بالسنتهم **استجيبوا** اي صدقوا دعواكم ذلك بايجاد الاجابة ايجادا هو في غاية الرغبة فيها **لله** اي واجعلوا اجابتكم هذه خاصة للذي له جميع صفات الكمال **وللرسول** الذي له جميع الخلائق ولما كان صلى الله عليه وسلم لم يدعهم لا بحالة لان الله تعالى امره بدعائهم وكان لا يدعوهم الا الى ما امره الله به وكان لا يدعو الا الى الاصلاح ورشد عبر باداة التحقق ووحد الضمير وسوق باثمار الحياة فقال **اذا دعاكم** اي الرسول بالترغيب والتحريض وعظا كان ثمرة الطاعة في غاية القرب ونبه على ذلك باللام دون الى فقال **لما يحييكم** اي سيلكم من الايمان والعلم عن حال الكفرة من الصمم والبكم وعدم العقل الذي هو الموت المعنوي الى الحياة المعنوية ولا يعوقكم عن الاستجابة في امر من الامور تقولوا انا نتجنبا لكلا

فتولهم ب

وكثير من شرائعه فلولا ان رسالته فيما الخير ما اسمعنا فنحن ما جوى روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي سعيد بن المعلى رضه قال كنت اصلي فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آته حتى صليت ثم اتيته فقال ما منعك ان تاتي فقلت كنت اصلي فقال الم يقل الله يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول الاية ثم قال الا اعلمك اعظم سورة في القران قبل ان اخرج من المسجد فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له فقال هي الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وللترمذي عن ابي هريرة رضه خرج على ابي بن كعب رضهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي وهو يصلي فالتفت ابي فلم يجبه فخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلوة قال فلم تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله قال تحب ان اعلمك سورة لم ينزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقرا في الصلوة قال فقرا ام القران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انزلت في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وانها سبع من المثاني والقران العظيم الذي اعطيته هذا حديث حسن صحيح ولما كان الانسان اذا كان على حالة يستبعد ان يصير على غيرها قال تعالى مرغبا مرهبا **واعلموا ان الله** اي الذي له جميع العظمة **يحول** اي بشمول علمه وكمال قدرته **بين المرء وقلبه** فيرده على حالة اعلم منه فيصير فيما يكشفه الحال كافرا معاندا بعد ان كان في ظاهر الحال مؤمنا مسلما فيكون ممن علم الله انه لا خير فيه وفسره على الاجابة فلم يتم عليها او يرد الكافر بعد عناده الى الايمان بغاية ما يرى من سهولة قياده فكنى بذلك عن شدة القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقتدار على تبديل العزايم والمراد او هو تحريض على المبادرة الى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفا من تغيرها ولما فهم عاقبة الحال حذرهم شان المال فقال **وانه** اي واعلموا انه تعالى **اليه تحشرون** لا الى غيره فيحشر المستجيبين في زمرة المؤمنين والمعرضين في عداد الكافرين ولذا ابو حكما واحدا ان الدين لا يتجزا وقد علم ان الذين قبلوا وانما هو تنبيه على وجوب اتباعه في كل ما يدعو اليه لعصمته وحكمة الاتيان بالاعلام بانه ما ترك حين الادعا اليه والهم الى في او امر كتابه في اطلاقه ولهذا الى العصمة معنيان احدهما عصمة الحفظ وهي معنى بشان التزام الحكم عليه بما مضى شرعته وهي العصمة العامة للانبياء وفي هذه الرتبة يقع الكلام في الحفظ من الصغاير بعد الاتفاق على الحفظ مما يخل بالتبليغ ويحط الرتبة من الكبائر وحقيقة الصغاير معدمتها الذنوب التي لم تتم فيكون تمامها كبيرتها وعلى ذلك ينبني قوم احتمال وقوع الفعل محظورا منبني كل ذلك وان كان من احوال الانبياء فان المتحقق من امر النبي صلى الله عليه وسلم انما هو علو عن هذا المحل الخفي الثاني من العصمة رفع الحكم عن النبي بما حفظه الى افظ من ماضي ظاهر شرعته وكما بلغ اليه بهم من مبادي التشريع من سنته واحاد فعله مبدا الاحكام في كل ان من غير التفات لما تقرر فيما مضى الزمان وهي هذه العصمة الخاصة بالنبي الخاتم فلا يكون لفعله حكم الا ما يفهمه ابناؤه من حال وقوعه وتكون الاحكام تبعا لفعله لا ان فعله يتبع حكما فهذا وجه عصمته الخاصة الممتنع عليها جواز الخروج منها فمن كان يسبق اليه الا من الصحابة بنحو من هذا المعنى لا يتوقف في شيء من امره كالصديق رضه وكما كان عبد الله بن عمر رضهما في اقتدائه حتى في ادارة راحلته وصبغه بالصفرة ولبس النعال السبتية ونحو ذلك من امره ومن خفا منهم هذا الحد ومن كان يتوهم الحكم عليه بمقتضى علمه وفهم من امر شرعته لا يكاد يسلم من وقوع في امر يرد عليه انتحاله كما حكم ابي رضه لما كان يصلي بامضاء عمل الصلوة اذا دعاه حتى بين له قصور فهمه عن الله فحقه اي يقول الم تسمع الله يقول استجيبوا لله وللرسول وكالذي قال انزل فاصدح لنا فقال ان عليك نهارا فقال له الثالثة او الرابعة انزل فاصدح لنا ويلك او ويحك وقد اوضح ان فعله مبدا الحكم ومعالم الانبياء الزم صحة التاسي به في جميع احواله الا ما على بيانه من نحو رتبة الحكم والاتكال على ما عنده هو صلى الله عليه وسلم من العلم فيه التاسي به على ابهام في الحكم ربما كان اتم من العمل بالتبيين حكمه احرم علي رضه وهو باليمن موقعه الحكمة باحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسترق لشيء من امره صلى الله عليه وسلم بما وقع من كونه يفتي بامر

ثم يوافق

ثم يوافق في غيره لان الاخذ في ذلك من قصور في العلم بمكانته من علم ربانية الله وكلمته وتنزيله الى موافقة امر سنة الله وحكمته نحو الذي افتاه بتكفير الجهاد كل ذنب بناه على علمه بربانية الله وامضاء كلمته ثم ذكر ما قال جبريل عليه السلام من استثناء الدين بما انزل على حكم امر الله في محكم شرعته وسنته يعني والله اعلم ان من صح جهاده تكفر كل ذنوبه وان توقف الدين على ارضاء الله للخصم فالاخبار بالكفارة ناظر الى المال والاستثناء بنفيها ناظر الى الابتداء وكذلك افتى بترك التلقيح بناء على انفاذ كلمة الله وردهم الى العادة دنياهم حين لم يختموا الصبر الى ظهور كلمة الله على سنتهم عادة فقد وصل باولي فتياه غير واحد ممن لم يستبق في نفاذ حكمه وصحته فاخفق ثمر ثلاث سنين ثم عاد في غنى عن التلقيح الى احسن حاله في تقدم عادته ولا يتقاصر عن ادراك ذلك من امره في كل ان الا من نحو الامم لم يسبر التابعين الى معرفة حظ من مكانته فاذا وضح ذلك فكل فعل يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان بيانا للواجب فصحيح من عقاب الله وان كان تعليما للقرب فهو وسيلة الى محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وان لم يتضح له محل منهما تاسى به على ابهام بعينه عمله وتعلو به نيته ومما يخص ذلك من الفاظها وامر اختصاصها بخطاب من الله سبحانه او منه عليه السلام كما قال الحوضي الصفة الدعوة دون المؤمنين انتهى فحملها على المجيب وعلى ما قال الرسول على الاجابة في خاصة نفسه وليس على تعرض نفسي للاذى بالاخذ على يد غيره نبه سبحانه على ان ذلك من ابواب الدين واجتناب له من اصله لان ترك الحث على عصيانا كثيرا له كان على كفره وذلك موجب لعموم البلاء ومزيد العقاب فقال تعالى **واتقوا فتنة** اي بلاء مميلا محيلا ان لا تتقوه يعمكم فحقها الاصل لكن لما كان نهي الفتنة عن اصابتهم اردع من سوق ذلك مساق الشرط وانهاهم عن التعرض لها لما فيه من تسويغ حصولها ونهيها للنهي الذي به ولما كان تهديد تخصيص الظالم اشد روعة لافهامه امرها بانه تعم قال مجيبا للامر **لا تصيبن** ولحقه نون التاكيد لان فيه معنى النهي **الذين ظلموا** اي فعلوا ما يوافقه المعصية بما لا يفعله الا من لا نور له **منكم** ايها الماموري بالتقوى **خاصة** اي بل تعمكم فمن نهى للفتنة والمراد نهي مباشرها اي لا يفعل احد منكم الذنب يصيبكم اثره عموما اولا بيان ان اسباب العذاب بعضكم والبعض الاخر مقره يعمكم الله بروز الدخل لارتباك هاهنا والمعنى تكون هاهنا فان الاخر النقير وجعلوا بينكم وبين البلاء العام وقايه باصلاح ذات بينكم واجتماع كلمتكم على امر الله ورد من خالف الى امر الله ولا تختلفوا كما اختلفتم في الغنيمة فتفشلوا فيسلط عليكم عذابا عاما من اعدائكم او غيرهم ولكن الطايع منكم اقوى حالا وليس اضعف منه فلم يرده فقد اشترك الكل في الظلم ذاك بفعله وهذا برضاه فيكون العذاب عذاب انتقام للجميع روى اصحاب السنن الاربعة وحسنه الترمذي عن ابي بكر الصديق رضه انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتؤولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وللترمذي وحسنه عن حذيفة رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحاضن على الخير او ليسحتنكم الله جل ذكره جميعا بعذاب او ليؤمرن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يجاب لهم وهو في حكم المرفوع لانه لا يقال من قبل الراي فان كان الطايع اضعف من العاصي نزل عليها روى ابو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه عن ابي ثعلبة الخشني رضه انه قيل له كيف تقول في هذه الاية عليكم انفسكم فقال اما والله لقد سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع عنك العوام فان من ورائكم ايام الصبر صبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال يا رسول الله اجر خمسين رجلا منهم قال اجر خمسين رجلا منكم والاحاديث في مثله كثيرة وحيث يكون العذاب للعاصي نقمة وللطايع رحمة وسيبعثون على نياتهم ولما حذرهم سبحانه عموم البلاء اتبعه الاعلام بانه قادر وهو ليلزموا سبيل الاستقامة فقال **واعلموا ان الله** اي الذي له الاحاطة بصفات العظمة **شديد العقاب** ولما كان من اشد العقاب الاذلال حذرهم بالتذكير بما كانوا فيه من الذل لانه ابعث على الشكر وانجع في الكف فقال **واذكروا** وذكر المفعول به فقال **اذ انتم** اي في اوائل الاسلام **قليل** اي عددكم ولما كان وجود مطلق الاستضعاف

والاعلى غاية الضعف المقلق فقال **مستضعفون** اي اسفه عندكم **في الارض** اطلقها والمراد مكة لانها العظمى بل كانها ظاهر الارض كلها او لان حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها او قريبا من ذلك ولذلك عبر بالناس في قوله **تخافون** اي حال اجتماعكم فكيف عند الانفراد **ان يتخطفكم** اي على سبيل التدريج **الناس** اي كما يتخطف الجوارح الصيود فحذرهم سبحانه بالتنبيه على انه قادر على ان يعيدهم الى ما كانوا عليه من الاحوال المخالفة بين كلمتهم وترك التسبب الى اجتماعها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك ايضا اشارة الى انهم لما كانوا في تلك الحالة التي هي في غاية الضعف وكانت كلمتهم مجتمعة على امر الله الذي هو توحيده وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم اعقبهم الا بوا في دار منيعة وايدهم بالنصر واصبر نفوسهم وذلك معنى قوله مسببا عما قبله **فآواكم** اي في دار الهجرة رحمة لكم **وايدكم بنصره** اي لا بها مع المملكة **ورزقكم من الطيبات** اي الغنايم الكاملة الطيب بالاحلال وعدم المنازع التي لم تحل لاحد قبلكم وغيرها **لعلكم تشكرون** اي لتكون حالكم حال من يرجى شكره فيكون بعيدا من المنازعة في الانفال وذلك اشارة الى انهم مهما اتموا على تلك الحالة كان باقيا لهم على مثل ما اتاهم به وزادهم من فضله اعيا له سادة في الدارين بما يهب لهم من الفرقان الاتي في الاية بعدها والتوفيق عند اتيانه فالاية منعطفة الى الصحابة رضي الله عنهم بالقصد الاول وهي صالحة للعرب كافة فتنعطف اليهم بالقصد الثاني قال قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واجوعهم بطونا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم تردى في النار معكوفين على راس الحجرين الشديدين فارس والروم يوكلون ولا ياكلون وفي بلادهم شيء عليه يحسدون حتى جاء الله بالاسلام فمكن لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنايم وجعلهم ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام اعطى الله ما رايتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم يحب الشكر والشاكر في مزيد من الله ولما ختم الاية بما هو غاية النصيحة من تذكيرهم من الابواء والنصر والرزق الطيب المنابه الى الامتثال باداء المغنم وختم ذلك بالحث على الشكر نهاهم عن تضييع الشكر فحذر من الخيانة في اوامره بغلول او غيره فقال **يا ايها الذين امنوا** تذكيرا بما الزموا به انفسهم من الوفاء **لا تخونوا الله** اي تنقصوا حقوق الملك الاعظم فان اصل الخون النقص ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء فصار نقصا خاصا **والرسول** بغلول ولا غيره بل ادوا الامانة في جميع ذلك ولعله كرر العامل في قوله **وتخونوا اماناتكم** من الفرائض والحدود والنوافل وغيرها اشارة الى ان الخيانات تختلف فخيانتهم لله حقيقة وخيانتهم للامانات استعارة لان حاملها لما اخل بها كان كانه خانها خفف عنكم بقوله **وانتم تعلمون** حال الغفلة ونحوها ويجوز ان يكون المفعول غير مراد فيكون المعنى وانتم علماء ويكون ذلك مبالغة في النهي عنها بانهم جديرون بان لا يقبل منهم عذر بجهل ولا نسيان لانهم علماء والعالم هو العارف بالله والعارف بالله لا ينبغي ان يغفل عن المراقبة ولما كان سبب الخيانة غالبا محبة المال او الولد وكان سبب البقاء الحبيب نزلت هذه السورة كما تقدم في ابتداء اول هذه الاموال من الانفال وكان اعظم الخيانة في الانفال الغلول وكان الحامل على الغلول المحنة بجمع المال لمنالة التلذذ به او لانفاقه على محبوب وكان الولد اغلى محبوب حسن كل الحسن ايلاء ذلك قوله **واعلموا** وهي كلمة ينبه بها السامع على ان ما بعدها مهم جدا **انما اموالكم** قلت او جلت هانت او عزت **واولادكم** كذلك **فتنة** اي سببها يفعل الله بكم فعل المختبر ليكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفاني ممن يسمو نفسه عن ذلك فلا يحملنكم ذلك على مخالفة امر الله فتهلكوا **وان الله** اي المحيط بكل كمال **عنده اجر عظيم** عاجلا واجلا لمن وقف عند حدوده فيحفظ له ماله ويثمره واولاده ويبارك له فيهم مع ما يدخر له في دار البقاء وعنده عذاب اليم لمن ضيعها فاقبلوا بجميع هممكم اليه تسعدوا او راد وضعها هنا لسبب نزول التي قبلها في قصة ابي لبابة رضي الله عنه الحامل له عليها ماله وولده وكانت قصته في قريظة سنة خمس وغزوة بدر في السنة الثانية ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف وامتن عليهم بما اعزهم به وختم هذه بالتحذير من الاموال والاولاد الموقعة في الردى وبتعظيم ما عنده الحامل على الصابرة تلاها بالامر بالتقوى الناهية عن الهوى وبالاشارة الى الخوف من سطواته اشارة الى انه يجب الجمع بينهما وبين الرجاء لانه سبب عن الانفس فيهم في الحق والنجاة من عذاب في الاخرى فقال تعالى **يا ايها الذين امنوا** تكريرا لهذا الوصف تذكيرا بما يلزم بادعائه **ان تتقوا الله** اي الذي له الامر كله **يجعل لكم فرقانا** اي نصرا لان مادة فرق ترجع الى الفصل بين الشيئين اذا كانا متصلين كل جزء منه متميز عن الاخر ملازمة

صاحبه

صاحبه فاذا جعل له قوة الفرق قدر على الاتصال والانفصال الحقيقة يجعل لكم عزا تنصرون به بحيث تفترقون متى اردتم وتتصلون بمن اردتم متى اردتم لما عندكم من عزة الممانعة وتفرقون بين من اردتم متى اردتم لما لديكم من قوة المراجعة اي يجعل لكم ما يفيد لكم به قوة التصرف فيما تريدون من الفصل والوصل الذي هو وظيفة السادة المرجوع الى قولهم عند التنازع لا كما كنتم بمكة لا تامنون في المقام ولا تقدرون على الكلام فضلا عن الخصام الا على تعقيب شديد ومع ذلك فلا يوثر كلامكم اثرا ليسمى فارقا والفاروق من الناس الذي يفرق الامور ويفصلها وسمي عمر رضي الله عنه لانه اظهر الاسلام بمكة اظهارا فيه عز وقوة جعل فيه الايمان مفارقا الكفر لا يخافه وفرق بالكسر بمعنى خاف يرجع الى ما دارت عليه المادة فان المراد به تفرقت همومه من اتساع الخوف والفرق الذي هو المكيال الكبير كانه هو الفارق بين الغني والفقير قال الهروي وهو اثنا عشر مدا وافرق من علته اذا برا اي صار له حالة فرقت بين صحته ومرضه الذي كان به ومنه الفريقة وهي تمر وحلبة يطبخ للنفساء وقرفت الشيء بتقديم القاف قشرته والقرف الخلط كانه من الازالة لانهم قالوا ان فعل يخل من كل ما يجيء منه قرف الشيء واقرفه الكسب والاقتراف بمعنى الجماع ويمكن ان يرجع الى الوعاء لان القرف الوعاء لانه يفصل المظروف من غيره وفلان قرفتي اي موضع ظني منه كانه صار وعاء لذلك وفرس مقرف بين القرفة اي هجين لانه واضح التميز من العربي وقرف بسوء رمي به اي جعل وعاء له وقرفه من والقفر بتقديم القاف على الفاء المكان الخالي الذي لا ينقصه الناس واقفر المكان خلي واقفر الرجل من اهله انفرد عنهم واقفر جلده من الادم ورجل قفر الراس لا شعر عليه لانفصاله عنه وقفر الجسد لا لحم عليه والقفار الطعام لا ادم له واقتفرت الاثر اتبعته لتفصله من غيره و الفقرة بتقديم الفاء والفقارة ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب لتميز كل واحدة عن اختها وفقرت الارض وفقرتها احفرتها حفرا فصارت كل واحدة منفصلة من الاخرى والفاقرة الداهية الكاسرة الفقار ومنه الفقر والافتقار الحاجة وافقر في دابته اعاره ظهرها ورامية من ادنى فقره من ادنى معالم لان المعالم منفصل بعضها عن بعض والتفقير في رجل الدابة بياض لانفصاله عن بقية لونها ورفقت بالامر لطفت به ولا يكون ذلك الا بتفصله عما يضره ومنه الرفيق للصاحب من الرفقة والمرفق من ذلك لما يحصل به من اللطف ولما كان الانسان محل النقصان فلا يخلو من زلة او هفوة اشار الى ذلك بقوله **ويكفر عنكم سيئاتكم** اي يسترها ما دمتم على التقوى **ويغفر لكم** اي يمحو ما كان منكم من صغائر عينا واثرا وفيه تنبيه لهم على ان السادة على خطر عظيم لانهم مامورون بالمساواة بين الناس والنفس مجبولة على حب من لا هو على من نازعها واشارة الى ان الحكم بالعدل في اعلى الدرجات بحيث لا يفرد الا الفرد النادر ثم قوله **والله** اي المحيط بجميع صفات الكمال **ذو الفضل العظيم** مرجح للزيادة على الكفارة والمغفرة من فضله ومعلم بانه لا يمتنع عليه شيء فمن الممكن ان يلزم كلا منهم طريق العدل وان كانت بعض فرق العادة في اهل ويجوز في الاية اعظم مناسبة لقصة ابي لبابة رضي الله عنه لانه لما كان الحامل له على ما فعل بنفسه من العقوبة التقوى فكفر عنه خطيئته وغفر له عقبت بها ترغيبا للغير في الاسراع بالتوبة عند مواقعة الهفوة وختم هذه الاية بالفضل عقب ما كان من نقص اشارة تفضله سبحانه بما رزق اهل الاسلام من علو المنزلة وانتشار الهيبة وفخامة الامر في قلوب المخالفين كما هو مشاهد وختم الاية المحذرة من المداهنة بشدة العقاب اشارة الى ما البسهم من الاحوال المذكورة في التي تليها من قلة منعتهم واستضعافهم وخوفهم من تخطف المخالفين لهم وكثرتهم لكنه نزع رحمهم بان جعل ذلك في بعضهم ممن شمله اسم الاسلام لبعض لا من غيرهم فلبسهم شيعا واذاق بعضهم باس بعض فكل خائف من الاخر وصار المنتقم كثرة المخالف لديرا في المعاطب والمتالف خائفا يترقب وساعد الا يفر على ائمتهم لا يعدون انصارا يؤيدهم اعداءهم ولا يزال اهل الظلم يختلفون فيما بينهم فيرجع الفريقان اليهم ويقولون عليهم في نصرته فهو المنصور فكلاهم عند المضايق هو الفرقان ولهم في قلوب الظالمين هيبة وان زلت بهم الحال اكثر مما للظلمة في قلوبهم من الهيبة ليتحقق الكل انهم على الحق والله ناصره وان اهل الشر على الباطل الذي الله خاذله قال الحسن البصري رحمه الله وان حققوا العالمين في الارض لما واساءت المعصية في قلوبهم لما وان طقطقت بهم البغال فقد اقتسم الخوف بينهم نصفين وشتان ما بين الحزبين لخوفهم يزيدهم الله به اجرا ويجعله لهم ذخرا وخوف اهل الباطل يزيدهم به وزرا ويجعله لدينهم ازرا فهذه حقيقة الحال في وصف اهل الحق والمحال ولما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم والثناء الجسيم ذكرهم احوال اعاديهم وقاتلهم

وهاديهم عليه السلام والتحية والاكرام بما يدعوهم الى الملازمة اسبابا في المخاطبة له صلى الله عليه وسلم تذكيرا بنعمته واشارة الى دوام نصرته
فقال الله عاطفا على اذ انتم **واذ يمكر بك** اي يدبر في اذاك على وجه الستر **الذين كفروا** اي اوجدوا هذا الوصف وفيهم من لم يكن
راسخ القدم فيه ثم بين غاية مكرهم فقال **ليثبتوك** اي ليمنعوك من التصرف بالحبس في بيت يسدون عليك بابه كما هو واضح من قصة
مشاورتهم في دار الندوة في امره صلى الله عليه وسلم في المسير ومن قراها بالموحدة ثم التحتانية من البيات الذي معناه اهلاك العدو ليلا
او يقتلوك عنده بجمعهم القتل نهارا جهارا وكانه عد البيات لكونه استخفاء بعدا بالنسبة الى المجاهرة **او يخرجوك** اي من مكة **ويمكرون**
اي والحال انهم يمكرون باخفاء ما يريدون بك من ذلك وغيره من الكيد **ويمكر الله** اي يفعل في امرهم فعل من يمكر باخفاء ما يقابلهم به **والله**
خير الماكرين لانه لا يمكن احد علم ما يريد اخفاءه لانه الملك الاعلى المحيط بالجلال والجمال والنافذ امره ومكروه والمكر انما هو نصرة
فلا نتيجة يقول انظروا الى مصداق ما وعدتكم به في احوال النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان وحده وجميع الناس مخالفون فثبت على اداء
الرسالة اليهم وابلاغ النصيحة لهم على ما يصله منهم من الاذى ولا يزيده اذاهم الا اجتهادا في اداء ما ينفعهم اليهم ولما ذكر مكرهم
بالرسول ذكر مكرهم بما ارسل به فقال عاطفا على اذ انتم **واذا تتلى** اي من اي تال كان **عليهم اياتنا** اي التي هي الفرقان جلالة
وعظما لم يدعوها تؤثر في تلك الحالة بل **قالوا** اظهارا للعناد وتثبيطا لما لم يعطوا وادعاء لما لم يبلغوا **قد سمعنا** ولما
لم يتاثر عن سماعهم الا الادعاء تشوف السامع الى العاطف في اعراضهم فقال معللا **لو نشاء** اي في اي وقت اردنا **لقلنا مثل هذا** اي الذي
ليس قول الله كما يزعم محمد **ان** اي ما **هذا** اي الذي يتلى **الا اساطير** جمع سطور واسطار جمع سطر **الاولين** اي من بني آدم سطروا
فيها علومهم واخبارهم فهو مجتنى كلاما وقائله مترجم لنا وهذا غاية المكابرة لانه قد تحداهم بقطعة من مثله ان كان كما يزعمون
شاو وبالغ في تقريعهم فما منعهم من ابراز شيء مما يدعون وليس بينه وبينهم بزعمهم الا ريب الى امع انتقالهم الى اشد الامور السيف
الماحق على تهالكهم على قهره صلى الله عليه وسلم وعلى ما لهم من فرط الانفة من العار والبعد مما يقضي عليهم بالغلب وان يوسموا بالكذب
الماحق الاعلام بانه دليل في انحطهم وتخزيهم مدى الدهر وفضائحهم والمعنى اني اثبت هذا النبي الكريم على صبره على ذلك ومثابرته على اداء
الامانة بالاجتهاد في النصيحة على ما يلقى من الخبيثة منهم ومنعته من جميع ما كادوه به وكنت لا ازال اويده باتباع من اعلم فيه الخير حتى
هيات له دارا وخبات له انصارا وجعلت داره بالاصحاب منيعة وبنيت لها اعمدة بصوادم الاحباب ثابتة رفيعة ونقلته الى ذلك
مع اجتهاد اهل العناد وهم جميع اهل الارض في المنع فلم يؤثر كيدهم ولما اذاقهم مع ايدي ايديهم وجعلت نفس نقلته له فرقانا يفرق
بها بين الحق والباطل وصار الحاضرون من قبلي لاجل جلالة القدر ونفاذ الفصل بين الامور وظهور دينه اي ظهور فالتقوى ملازمته
وداوموا على الطاعة مراغمة له اهب لكم من سيادة واجعلكم بالامامة ولما كان ذلك موضع عجب من عدم ابحال الضلال بالعذاب في
امهالهم الى ان اوقع بهم في غزوة بدر لكن سماع قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح بان السر في ذلك وان الغول الى استعجال فقال **واذ قالوا**
الى اوده المجاهرة بالتخييل الى الناس انهم على القطع من انه باطل والا لما دعوا بهذا الدعاء **اللهم** اي يا من له تمام الملك وعموم الملك **ان كان هذا**
الى الامر الذي اتانا به محمد **هو** اي لا ما نحن عليه **الحق** حال كونه منزلا **من عندك** قال الزجاج انه لا يعلم احدا قرأ الحق بالرفع افاده
ابو حيان **فامطر علينا حجارة** ولعل تقييده بقوله **من السماء** مع ان الامطار لا يكون الا منها لازالة وهم من توهم ان الامطار مجاز عن مطلق الرجم
وانه انما ذكر بيانا ان الحجارة المرجوم بها في الكثرة مثل المطر **او ائتنا بعذاب اليم** اي غير الحجارة ولعل مرادهم بقوله من السماء الاشارة الى ان
مجيء الوحي اليه من السماء خارق كما ان اتيان الحجارة منها كذلك فان كنت صادقا في اتيان الوحي اليه منها فائتنا بالحجارة منها كما اتت
الحجارة منها اصحاب الفيل حين تعرضوا لبيته الذي اراد الحبشي انتهاك حرمته ولعلها اما ان اشار الحذاق ابو حيان وهذه الاية والتي قبلها
في النضر بن الحارث اسره المقداد يوم بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد اسيري يا رسول الله فقال انه كان يقول في كتاب الله
ما يقول فعاد المقداد لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال ذلك الذي اردت يا رسول الله فقتله النبي

صلى الله عليه وسلم فانشدت اخته قتيلة ابياتا منها: ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق * فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو بلغني
هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه وعن معاوية رضي الله عنه انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا ان
كان هذا هو الحق من عندك ولم يقولوا فاهدنا به والسر الذي بينه في هذه الاية في امهالهم وهو انه ما منعه من الاسراع الى اجابة دعائهم كما فعل في وقعة بدر
الا اجلال مقامه صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم فقال تعالى **وما كان الله** اي مع ما له من صفات الكمال والعظمة والجلال واكد النفي بقوله **ليعذبهم** اي ليجدد
لهم ذلك في وقت من الاوقات **وانت** اي يا اكرم الخلق **فيهم** فانه لعين مجازي الفضل وتكرم ولما بين بركة وجوده اتبعه بركة خلفه صلى الله
عليه وسلم اذا غاب في العبادة فقال **وما كان الله** اي الذي له الكمال كله **معذبهم** اي مثبتا وصف تعذيبهم بحيث يدوم **وهم يستغفرون**
اي يطلبون الغفران بالدعاء او يوجد منهم هذا اللفظ فيقولون استغفر الله فان هذا اللفظ وان كان خبرا فهو دعاء وطلب فوجوده صلى الله عليه وسلم
في قوم ابلغ في نفي العذاب عنهم وهذا الكلام ندب لهم الى الاستغفار وتعليم لما يدفع العذاب عنهم كما تقول ما كنت لاضربك وانت تطيعني اي
فاطعني نبه عليه الامام ابو جعفر النحاس وفي ذلك حث عظيم لمن صاحب صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم من المسلمين صادقهم ومنافقهم على الرغبة في
مواصلته والرهبة في مفارقته وتعريف لهم بما لهم في حلول ذاته المشرفة في ساحتهم من جليل النعمة ترغيبا في المحبة لطول عمره والاكتساب بغرزة
في نهيه وامره اذ المراد والله اعلم بالاستغفار طلب المغفرة بشرطها الايمان والطاعة وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان في هذه الامة امانان اما النبي
صلى الله عليه وسلم فقد مضى قال واما الاستغفار فهو كائن فيكم الى يوم القيامة ولما كان هذا ليس نصا في استحقاقهم العذاب قال تعالى عاطفا على تقديره
وليعذبهم الله اذا هاجرت عنهم ولم يوجهوا ليستغفروا **وما لهم** قال ابو حيان الظاهر ان ما استفهامية اي اي شيء لهم في انتفاء العذاب وهو
استفهام معناه التقرير اي كيف لا يعذبون وهم متصفون بهذه العذاب وهي صدهم المومنين عن المسجد الحرام وليسوا بولاة البيت انتهى
وتقدير الكلام واي حظ لهم في **الا يعذبهم الله** اي الذي له كمال العز والعظمة على الظالم والاكرام والرفق بالطائع عاجلا **وهم** اي والحال انهم
مستحقون للعذاب فهو واقع بهم لا محالة وان تاخر مدة ابانه وتوعاينهم من نال الوصال الى الآن وان عظم علوهم شانا واحتد طويلا زمانا لانهم
يصدون اي يوجدون الصد **عن المسجد** اي الذي تعظيمه بالصلوة التي وضع المسجد لها وغيرها **الحرام** اي العظيم حرمته عند كل احد فلا
اختصاص به لشخص دون آخر اي شانهم فعل حقيقة الصد في الماضي والحال والمال لا ينفكون عن ذلك كما كانوا يمنعون من شاءوا من دخول البيت ويقولون نحن
ولاته نفعل ما نشاء ويصدون المومنين عن الطواف به بالتعذيب والفتنة وصدوا رسول الله ومن معه بالاخراج ثم صدوهم عام الحديبية
عن الوصول الى البيت وعام عمرة القضية عن الاقامة بعد الثلاثة الايام **وما** اي والحال انهم لم يكن لهم ذلك لانهم ما **كانوا اولياءه** اي اهلا لولايته
بحيث انصدهم ربما وقع موقعه روى البخاري في التفسير عن انس رضي الله عنه قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم الى عن المسجد الحرام ولما نفى عنهم الولاية ذكر اهلها فقال **ان** اي ما **اولياؤه** اي
بالاستحقاق **الا المتقون** اي العريقون في هذا الوصف بما يجعلون بينهم وبين ما يسخط الله من وقايات الطاعات لا كل من امن بل خاصة المومنين
وهم ليسوا كذلك لتلبسهم الان بالكفر **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي ليس لهم علم بالامور ليميزوا بين الحق والباطل والمتقي والفاسق وحسن
العواقب وسيئها ولعله عبر بالاكثر اعلاما بان فيهم المعاند علما انه كان منهم من يعد ذلك فصار من اولي العلم ولما كانوا يفعلون
عند البيت ما ينزه البيت عنه مما هو غاية في الجهل والمبين لجهلهم واستحقاقهم للنكال وبعدهم عن استحقاق ولايته **وما كان صلوتهم**
اي التي ينبغي ان تكون مبنية على الخشوع وزاد في التشنيع عليهم بقوله **عند البيت** اي فعلهم الذي يعدونه صلوة او يبدلونها به
الا مكاء اي صفيرا شبه صفير الطير والدبر بريح الحرث من مكا يمكو مكوا اذا صفر بفيه او شبك اصابعه ونفخ فيها ومكت الشجرة
بريحها صوتت والدبر بريح الحرث صوت قال ابو حيان وجاء مكاء على فعال اي بالضم ويكثر فعال في الاصوات كالصراخ انتهى **وتصدية**
اي تصفيقا كان اهل الجاهلية يطوفون عراة ويصفرون بافواههم ويصفقون بايديهم فجعلوا تصويتهم ذلك بشبه الشكل الذي
هو رجع الصوت في المحل الخالي فهو كناية عن ان صلوتهم لا معنى لها واصله صدد مضاعف لان العرض ومعما لشال التفطي حر طرني فهذا

لهوا لعبادة وهو لا اجر معه ان الامر جبر والتحديد كما قال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون اى ولا تبكون في حال
جبركم بل يكم في العمل الصالح فهذا الذي يعملونه عند البيت فهو تخريب لا تعمير والمكاء كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى في المسجد
قام جماعة من المشركين عن يمينه يصفرون ويصفقون ورجلان كذلك عن يساره ليخلطوا عليه صلوته وتقدير الكلام على قراءة الاعمش صلوتهم
بالنصب وما كان شيء الا مكاء وتصدية صلوتهم فنفى عما يجعلونه صلوة كل شيء الا المكاء والتصدية فالصلوة مقصورة عليهما بهذا
الاعتبار فقد صار بهذا الطريق بمعنى القراءة المشهورة سواء فتامله فانه نفيس جدا واوضح منه ما في اية الانعام ثم لم تكن فتنتهم
وغيرها وقد مضى هنالك ما ينفع هنا ومما يجب ان يعلم ان هؤلاء لم يذمهم الله بهذا الفعل لكونه منزلا على الكفر اقبح القبيح وهو يكفي في
ذمهم لانه لعلة الذم بل ذمهم لكونهم اتخذوا العبادة لعبا ليشبهوا بذلك على ذم من تشبه بهم في ذلك فعمد الى ما هو مباح في اصله فاتخذه
دينا فكيف اذا كان مكروها ام كيف اذا كان حراما فقبح الله قوما ادعوا انهم اعرضوا عن الدنيا ثم اتخذوا الطبول والغنا والتصدية
شعارهم ثم ضربوا به حتى فعلوه في المساجد وزادوا على فعل الجاهلية الرقص الذي ابتدعه قوم السامري لما عبدوا العجل فاخذوا انواعا
من افعال انواع الكفرة وجعلوها عاداتهم وشعارهم ودياناتهم فلقد انتهكوا حرمة الشريعة وبدلوها واستهانوا بها واسترذلوها ولما
تم مثال الكلام لبيان استحقاقهم العذاب وانه لا مانع لهم منه وكان قد اوقع بهم في هذه الغزوة مباديه وكانت المواجهة بالتعنيف وقت ايقاع
ما لا يطاق بالعقوبة انكا قال مسببا عن قبيح ما كانوا يرتكبونه فذوقوا العذاب اى الذي وعدكم الله والذي ما ابتوه ببدر فطلبتموه
في استفتاحكم استهانة به بما كنتم تكفرون اى انكم قد صرتم بهذا الفعل اهلا لذوقه بما تسترون ما دلتكم عليه عقولكم من هذا الحق الواضح
ولما اخبر بحال الكفار في الاعمال البدنية فقال ان الذين كفروا اى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم التي هي الانسان بالحقيقة
فنقصوا بذلك نقصا لا يدرك كنهه ينفقون اموالهم اى يعزمون على انفاقها فيما ياتي ليصدوا مبينا لاعمالهم المالية عن سبيل الله اى عن
سلوك طريق الذي لا يداني عظمته عظمة مع السنا ووضوح وسهولة فسينفقونها اى بحكم تام منا لهم لا يقدرون على الانفكاك عنه ثم
تكون اى بعد انفاقها بمدة وعبر بعبارة ظاهرة في ضررها فقال عليهم وبالغ في ذلك بان اوقع عليهم المصدر فقال حسرة اى لضياعها
وعدم تاثيرها ثم يغلبون اى كما انفقوا في بدر سواء فانهم انفقوا مع الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيئا مما اراد الله
بهم بل كان وبالا عليهم فانه كان سببا لجراتهم حتى قدموا انظر الطعام وقصور الفعل الغائب كالبهايم فهلكوا وكان ذلك قوة للمؤمنين فما كان في الحقيقة
الا لهم وهذا الكلام منطبق على ما كان سبب نزول الاية وعلى كل ما كان مثله وذلك انهم لما قهروا في بدر قال لهم ابو سفيان ينبغي ان تنفقوا اموال
تلك العير يعني التي كانت معه وبحث على حرب محمد فاجابوا وانفقوه على غزوة احد فحصل لهم منها بعض ظفر ثم تعقبه الحسرة والمغلوبية في بدر
الموعد وكل ما بعدها ثم اظهر وصفهم الذي استحقوا به ذلك تعليقا للحكم به وتعميما منذرا لهم عما هو اشد من ذلك فقال والذين كفروا اى حكم
بدوام كفرهم عامة سواء زادوا الى الكفر فعل ما تقدم اولا الى جهنم لا الى غيرها ولما كان المنكي هو الحشر لا كونه من معين بنى للمفعول قوله
يحشرون اى بعد الموت فهم في خزي دائم دنيا واخرى ويجوز ان يتجوز بجهنم عن اسبابها فيكون المعنى انهم يسيرون بما يباشرونه من اسبابها
اليها فيصلون في الدنيا عليها وهذه الاية مع كونها معلمة بما لهم في الدنيا وما لهم في الاخرة من ان اعراضهم في الدنيا الغلب كما كشف عنه
الزمان علم من اعلام النبوة ومع الاخرة جهنم هي مبينة لكذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فانهم لو كانوا صادقين في دعواهم
لقالوا مثله ثم قالوا لو كان هذا هو الحق لا غيره ما قلنا مثله موضع قولهم ان كان هذا هو الحق الخ واما اية المكاء والتصدية فكانها تقول
هذا القران في اعلى رتب البلاغة ولم تقولوا انتم مع ادعائكم السبق في البلاغة لا ان تعارضوه بشيء له اهلية بشيء من البلاغة
بل نزلتم الى اصوات الحيوانات العجم حقيقة فلا اجلى من هذا البيان على ما ادعيتم من الزور والبهتان واما اية الانفاق فقائلة لهم لو
قدرتم فيما وضعته على انفاق الاقوال ما عدلتم عنه الى انفاق الاموال المفضي الى مقاساة الاهوال وفشا الاشباح ونفوق ما حوت
من الارواح المؤدي الى الذل السرمد بالعذاب المؤبد ولما ذكر حشر الكافرين ذكر علته فقال معلقا بيحشرون ليميز الله اى الذي له صفات

الكمال

الكمال بذلك الحشر الخبيث من الطيب اى انما جعل للكفار دارا تخصهم وتحصرهم لاظهار العدل والفضل بان يميز الكافر من المؤمن فيجعل لكل دارا
يتميز بها عما لا يلائمه عدلا في الكافرين وفضلا على المؤمنين فيجعل الطيب في مكان واحسن ويجعل الخبيث اى الفريق المتصف بهذا الوصف بعضه على بعض
والركم جمع الشيء بعضه فوق بعض فكان قوله فيركمه جميعا عطف تفسير توكيدا لمعنى قبله في ارادة الحقيقة مع افهام شدة الاتصال حتى يصير
الكل كالشيء الواحد كالسحاب المركوم والنتيجة قوله فيجعله في جهنم اى دار الضيق والغم والتجهم دائما ولما كان هذا امرا لا فلاح معه
استانف قوله جامعا تصريحا بالعموم اولئك اى البعداء البغضاء الذين انهم لهم سوء الجانب في الخبيث هم الخاسرون اى خاصة لتناهي
خسرانهم لانهم اشتروا باموالهم هلاك انفسهم وبما بين من حالهم في عباداتهم البدنية والمالية وكان في كثير من العبارات السالفة القطع للذين كفروا
بلفظ الماضي بالشقاء كان ذلك موهما لان يراد من اوقع الكفر في الزمن الماضي وان تاب فيكون موئسا من التوبة فيكون موجبا للثبات
على الكفر قال تعالى متلطفا بعباده مرشدا الى طريق الهدى مبينا المخلص مما هم فيه من الوبال في جواب من كانه قال اما لهم من حيلة يتخلصون بها
من الخسارة قل للذين اى لاجل الذين كفروا اى اقبل توبة من تاب منهم لمجرد انتهائه عن حاله ان ينتهوا اى يجددوا لهم وقتا ما الانتهاء عن
مغالبتهم بالانتهاء عن كفرهم فيدلوا لله ويخضعوا لامره يغفر لهم بناه للمفعول لان النافع نفس الغفران وهو محو الذنب ما قد سلف اى
مما اجترحوه كائنا ما كان فيمحى عينا واثرا فلا عقاب عليه ولا عتاب وان يثبتوا على كفرهم ويعودوا الى المغالبة فقد مضت سنة اى طريقة
الاولين اى وجدت وانقضت ونفذت فلا مرد لها بدليل ما سمعتم من اخبار الماضين وشوهد من حال اهل بدر بما اوجب القطع بان اسم
المؤمنين وعلى الكافرين ومن كان معه نصر ومن كان عليه خذل واخذ وقد كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولينصرن الله من ينصره والعاقبة للمتقين
وان كانت الحرب سجالا ولما اشار ختم الاية الى انها لهم ان اصروا وكان التقدير فاقدموا عليهم حيثما عادوا وكم اقدام الملوك بالحرب غير هائبين كثرتهم
ولا قوتهم فان الله خاذلهم عطف عليه قوله مصرحا بالمقصود وقاتلوهم اى دائما حتى لا تكون فتنة اى سبب يوجب ميلا عن الدين اصلا ويكون
الدين ولما كانت هذه الوقعة قد سرت كثافة هيبتها في القلوب فوجبت ايمان جبين فضاقت وضعفت صدور الكافرين وانشرحت وقويت
قلوب المؤمنين اقتضى هذا المقام التاكيد فقال كله لله اى الملك الاعظم خالصا غير مشوب بنوع خوف واغضاء على قذى واصل الفتن
الخلطة المحيلة ويلزم ذلك ان يكون السبب الذي يحول عن حاله الى الامر عظيم لانه مخالفة المالوف وهو مرة ومنه الشقة وكذا فتنت القدر وهي
ان تغلي المرق فلتزق بجوانبها والشوفة الفقر لانه موضع ذلك ويلزمه الاخلاص فتنت الذهب ادخلته النار لتميز جيده من رديه وتارة يكون الميل
الى جهة الردي وهو الاغلب وتارة الى الجيد ومنه وفتناك فتونا ولما تم حال المراد الالقاء حال الادبار واقبال وكفروا عراض واخلال قال مبينا
لحكم القسمين فان انتهوا اى عن قتالكم بالمواجهة بالكلام فاقبلوا منهم وان انتهوا عن مسهم بسوء ولا تقولوا انهم متعوذون بذلك غير متمسكين بالكلية
بجملة فانه ليس عليكم الا ردهم عن المخالفة الظاهرة واما الباطن فالى الله فان الله اى المحيط علما وقدرة ومنعا الجزء واهتماما به انهما ما يلي العلم
بالمختص فقال بما يعملون وازدة بصير فيجازيهم عليه واما انتم فلستم عالمين بالظاهر والباطن معا فعليكم قبول الظاهر والله يتولى منهم
ايمن يركب منهم وقتل لهم ولحظ بصير فيجازيكم على حقائق الامور وبواطنها وان اظهرتم للناس ما يقيم عذركم ويكمل لكم اجر ما كان عن
على مباشرته من قتالهم لو لم ينتهوا على انهم ينتهوا ابلا فهو لعلى قتالكم هكذا تمام الاصل ولكنه سبحانه عبر بقوله وان تولوا اى عن الاجابة بتبشير لهم
بمن تبعهم وقاتلهم لما القى في قلوبهم من الرعب ويؤيد ذلك قوله فاعلموا ان الله اى الذي له الصفات الكاملة بكل شيء مولاكم اى متولي
اموركم فهو يفعل معكم ما يفعل من يتولى امر من يحبه من الاجتهاد في تحصيل ما ينفعه ودفع ما يضره فهو لا محالة ناصركم ثم استانف مدحه بما هو اهله تعريفا
بقدره وترغيبا في توليه فقال نعم المولى ولم يذكر فان المبتلى له المامور به العلم واعتقاد كونه مولى لجلالة لا الشيء امر بخلاف ملحق امر
الحج فان المامور به هنالك الاعتصام ونعم النصير اى فلا تخافوهم اصلا وان زادت كثرتهم وقويت شوكتهم فلا تهابوهم حتى لا يبقى الا كلمة الله
ولما كان التقدير فاذا اعانكم مولاكم عليهم وغلبتموهم وغنمتم منهم فلا تنسبوا الى انفسكم فعلا بل اعلموا انه هو الفاعل وحده لان جميع الافعال
منكم مثنية بالنسبة الى فعله فلا تتنازعوا في المغنم تنازع من اخذه بقوته وحازه بقدرته عطف عليه قوله واعلموا ابتدا بهذا الامر اشارة

الا ما يتعلق بعلم الحماية ليبذلوا الجهد في تفريغ اذهانهم لوا عيه وتنزيله منازله ووعيه انما اي الذي غنمتم والغنيمة لغة الفوز بالشي وشرعا
ما دخل في ايدي المسلمين من مال الكفار قهرا بالخيل والركاب وزاد في التعميم حتى لحقل ما يمكن بقوله من شيء اي حتى الخيط والمخيط فان كله
لله لانه الناصر وحده وانما انتم الة لا قدرة لكم على مقاومة الاعداء لانهم جميع اهل الارض ولا نسبة لكم منهم في عدد ولا قوة اصلا
فالجاري على منهاج العدل المتعارف عندكم ان يا خذه كله ولا يملككم منه شيئا كما كان فيمن قبلكم يعزل فتنزل نار من السماء فتاكله ولكنه سبحانه علم
ضعفكم فخفف عليكم به ورضي منكم منه بالخمس فيما والنفل ورده عليكم وهو معنى قوله فان لله اي الذي له الكمال كله خمسه ولما كان من المعلوم ان
الله تعالى اجل من ان ينتفع او يتضرر كان من المعلوم ان ذكر اسمه سبحانه انما هو للاعلام بان بذل هذا الخمس والتخلي عنه لا حظ للنفس فيه وانما هو
لمحض الدين تقربا الى الله سبحانه فذكر مصرفه بقوله وللرسول اي يصرف اليه خمس هذا الخمس مدة حياته يصرفه في مصالح المسلمين ويصرف بعده الى
القائم مقامه يفعل فيه ما كان صلى الله عليه وسلم يفعله ولذي القربى اي من الرسول وهم الال الذين تحرم عليهم الزكوة بنو هاشم وبنو المطلب
واليتامى اي الضعفهم والمساكين اي الجنتهم وابن السبيل اي المسافر لان اسفاره مظنة الافتقار فالحاصل انه سبحانه لم يرزكم من المغنم شيئا
فاعرفوا فضله عليكم اولا بالانعام بالنصر وثانيا بحل المغنم وثالثا بالامكان من الاربعة الاخماس ورابعا برد الخمس الخامس فيكم كما تستغلوا
بشكره فضل الحق ان تغفلوا افضاله على ان تتوهموا ان لكم فضلا تستحقون به شيئا فضلا عن ان تفعلوا فعل المنازعة في المغنم فعل القاطع
بالاستحقاق اعلموا ذلك كله علم المصدق المذعن العالم لتشاهدنه تمام العلم ان كنتم صادقين في انكم امنتم بالله اي الذي
لا امر لاحد معه وما اي وبالذي انزلنا اي انزالا ولحاربا الاجل التفريج عنكم من القران والجنود والسكينة في قلوبكم وغير ذلك
مما تقدم وصفه على عبدنا اي الذي تحقق انه لا فعال له الا بنا فلا ينسب لنفسه شيئا الا بنا يوم الفرقان اي يوم بدر الذي جعلنا لكم
فيه عزا استغنيتم به اقوالكم وافعالكم في فصل الامور ولما وصفه سبحانه بالفرقان تذكيرا لهم بالنعمة بينه بما صور حالهم فيه اتماما لذلك وبدل منه فقال
يوم التقى اي بغير قصد من الفريقين بل بمحض تدبير اسه الجمعان اي اللذان احدهما انتم وكنتم حين التراي لولا فضلنا قاطعين بالموت
وثانيهما اعداؤكم وكانوا على اليقين بانكم في قبضتهم وذلك هو الجاري على مناهج العوايد ولو قيل يوم بدر لم يفد هذه الفوائد
ولما كان انعكاس الامر في النصر محل العجب ختم الاية بقوله والله على كل شيء اي من نصر القليل على الكثير وعكسه وغير ذلك من جميع الامور
قدير فكان ختمها بذلك كاشفا للسر ومزيلا للعجب ومبينا ان ما فعله هو الجاري على سنته المطردة في قديم عادته عند من يعلم ايامه
الماضية في جميع الاعصر الخالية ولما ذكرهم يوم ملتقاهم صور لهم حالتهم الموضحة للامر المبينة لما كانوا فيه من افتقارهم بالعجز تذكيرا لهم بذلك
ترغيبا وعطفا لهم على ما زجرتهم ورد الى الطاعة فقال مبدلا من يوم الفرقان اذ انتم نزول بالعدوة الدنيا اي القربى الى المدينة وهم اي المشركون نزول
بالعدوة القصوى اي البعداء منها القريبة الى البحر والقاتلين فاوماوه قد جاء كذلك الا ان هذا اكثر استعمالا وتقل استعماله والعدوة
بالكسر في قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وبالضم في قراءة غيرهم جانب الوادي وسطه وما دنا بما يترتب كان تدور على الاضطراب في المرسة المجرده
والسكون والتقبال والرجوع والاستباق والمحل القابل لذلك في انه الموضع الذي عن محل السيل فهو موضع العدو والركب اي العير
الذي فيه المتجر الذي خرجتم لانتظاره رئيس جماعته ابو سفيان ونصب على الظرف وقوله اسفل منكم ايها الجمعان اي الى جانب البحر على ثلاث من قربه
تكادون تقفون عليه وتمدون ايديكم اليه مسافة ثلاثة ايام كما قال البغوي وهو كان فضلكم وسولكم فلو كان بكم قوة على طروقه لبادرتم اليه الطرف
وغالبتم عليه الحيف ولكن منعكم من ادراكه موكلكم منه حماتها بتلك العدوة جثوم الاسد وانقاما هو فيه من القوى والعدد كما قال
صلى الله عليه وسلم لسلمة بن سلامة بن وقش رضي لما قال في تحقيرهم بعد قتلهم وتدميرهم ان وجدنا الا عجائز صلعا ما هو الا ان لقيناهم فمنحونا
اكتافهم حوا بالرا اولئك يا ابن اخي الملا لو رايتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم مع احتقاركم لانفسكم عن مقاومتهم لولا رسول الله بين اظهركم و
جنوده تثبتكم والحاصل هذه المقالة اشارة تصوير مكانهم ومكان الركب الذي الى ما كان فيه العدو من قوة الشوكة وتكامل العدة وتمهد اسباب الغلبة
وضعف حال المسلمين وانطراحهم فمثال هذا الحال الى الى صنع المسلمين في البيضاوي تبعا للكشاف من ان العدوة الدنيا كانت رخوة فيها

ا لاقدام

الاقدام ولاما وبها تقدم رده اول السورة بان المشهور في صحيح مسلم والسير منه ما لم يقدروا معه على الحركة ولو تواعدتم اي انتم وهم على الموافاة
الى تلك المواضع في وقت واحد لاختلفتم في الميعاد لان العادة قاضية بذلك لامرين احدهما بعد المسافة التي كنتم بها منها وتعذر توقيت سير كل فريق
بسير صاحبه والثاني كراهتكم لقاءهم لما وقر في انفسكم من قوتهم وضعفكم وكان الذي كره اليكم لقاءهم قادرا على ان يكره اليهم لقاكم فيقع الامر
من جهتهم كما كان في بدر الموعد واما في هذه الغزوة فرجاهم حماية عيرهم داع لم يستطيعوا التخلف معه وطامس بصائرهم وقسى قلوبهم معهم وقيل
ابو جهل الذي كان السبب الاعظم في اللقاء لمن عرض عليه المدد بالسلاح والرجال ان كنا نقاتل الناس فما بنا ضعف عنهم وان كنا انما نقاتل
كما يزعم محمد الله فما للناس بالله من طاقة وقوله ايضا في هذه الغزوة للاخنس بن شريق ان محمدا صادق وما كذب قط فعل الله ذلك لما علم في لقائهم
لكم من اعلاء كلمته واظهار دينه ولكن اي دبر ذلك سبحانه حتى توافيتم الى موطن اللقاء كلكم في يوم واحد عن غير ميعاد ولم تختلفوا في موافاة
ذلك الموضع مع خروج ذلك عن العادة لكونه اتقن اسبابه فاطمعكم في العير ولاسيما انتم فيه من الحاجة ثم وعدكم احدى الطائفتين مبهما واخرج قريشا
لحماية عيرهم عن حالهم بجد ولتستبد لما بحثهم غيرهم او ردهم الرياء والسمعة والبطر بما هم فيه من الكثرة والقوة كما قال ابو جهل لا نرجع حتى نرد
بدرا فننحر بها الجزور ونشرب الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم من حضرنا من العرب فلا يزالون يهابوننا اخر الزمان ليقضي الله اي الذي له جميع
الامر امرا كان اعزاز دينه باعزازكم واذلالكم لعدوكم كما تكون الجبلات والطبايع لان التمكن والتمام مفعولا اي مقدورا لغير اذلاله لكم وما وقع
فيه من قتلهم واسرهم على ذلك الوجه العظيم فهو مفعول لا محالة ليثبت من ايمانه من امن باعتماده على الله وتصديقه بموعوده وكفر من كفر ولما
علل ذلك التدبير في اللقاء بقوله ليقضي علل ذلك العلة بقوله ليهلك اي بعد رؤية ذلك القضاء الخارق للعادة من هلك اي من فريق الكفار
في حالة القتال وبعدها والمال في هلاك من جاوزوا وانشا عن بينة لما ايات من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الوقعة في كلما
وعد به وكذب الكفار في كل ما كانوا يقولونه قاطعين به من ظاهر الحال المقتضى لهم ذلك فان ذلك من اعظم المعجزات ويحيى من حي اي بالاسلام حياة هي في
اعلى الكمال بما يشير اليه قراءة نافع والبزي عن ابن كثير وابي بكر عن عاصم باظهار اليائين او في ادنى الكمال بما يشير اليه ادغام الباقين تخفيفا لحياة مجاوزة
ثانية عن حالة بينة اي كاينة بعد البينة في كون الكافر في غاية الباطل والمؤمنين على الحق ما بينا من انهم كانوا يقولون عن هؤلاء دينهم حتى نبين المغرور
وتشتغل محاسنه المقدور وغير عيني القلوب المستعد ولما كان التقدير فان الله في فعل ذلك لعزيز حكيم عطف عليه قوله وان الله لسميع اي لما كنتم تقولونه
وغيرهم عليم بما كنتم تضمرونه وغيره كما كنتم تكيفون العظمة واوجعوا منها نعتكم خشيته ثم انه سبحانه تصوير حالتهم بقوله مبينا ما اشار اليه من اللطف
تذكيرا اذ اي اذكروا اذ كان ذلك الرحيم يريكهم الله اي الذي له صفات الكمال الخلق فيفعل ما يشاء في منامك قليلا تاكيدا لما تقدم على
بيان المصادمة فضلا عما نشا عنها ما كان الامنة وانهم كانوا في الحالة التي الاختيار لها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم راهم في منامه قليلا فخبر اصحابه
رضهم بذلك فاطمانت قلوبهم وتجمعهم ذلك وعينهم ما كان يحصل من الفشل اولا ذلك فقال ولو اريكهم اي في منامك او غيره كثيرا ولما كان
الخبار يعلة لو قعت بفضل وقع فيها بما يقتضي طبع البشر التوقف فيه اكد قوله لفشلتم اي جبنتم ولتنازعتم اي اختلفتم فنزع كل واحد منكم الى
خلاف من صاحبه في الامر اي فوهبتم فزادكم ذلك ضعفا وكراهة للقائهم ولكن الله اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما سلم اي وكون
لم يريكم كذلك فحصلت السلامة عما كان يتسبب منها من النكوص ثم بين العلة في ترتيبه ذلك واخباره بهذا الامر المفروض بقوله انه عليم اي بالغ
العلم بذات الصدور اي ضمايرها من الجراة والجبن وغيرهما قبل خطورها في القلوب لما يترتب عليها فلا تنشاع عن رؤيته صلى الله عليه وسلم من قلتهم وما كان
بين لهم وتبيا الكثرة لو وقعت لانه صلى الله عليه وسلم لما هو عليه من النصيحة والشفقة كان مخبرهم بما راى كما اخبرهم في غزوة احد بالبقر المذبحة
اتبعه ما فعل من اللطف في رؤيتهم بانفسهم يقظة فقال واذ اي واذكروا ايضا اذ يريكموهم اي يبصركم اياهم اذ اي حين التقيتم ونبه
على ان الرؤية ليست على حقيقة ما هم عليه بقوله في اعينكم اي لا في نفس الامر حال كونكم قليلا اي عددهم يسيرا الحزم مصداقا لما اخبركم به النبي صلى
الله عليه وسلم عن رؤياه لتتجرؤوا عليهم روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال
اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا قال الحرالي الحكمة في اعزاز فعل القليل وصفاهم لا زمان اتباد امما عليهم بما اوجب فيهم

من نقص عزائمهم بخفا فطرتهم وما وراء اخلاق الفطرة من الزوائد قال تعالى ويقللكم صيغة تفعل والغرض تقليلا وصفا لهم من حيث انه لو اراهم اياه
على الارادة الحقيقية لراوهم مضاعفين بالعشر في النواير ومنهم ثلثة الاف ومائتين وثلثين انتهى في اعينهم قبل اللقاء ليجترؤا على مصادمتكم
حتى قال ابو جهل انما هم اكلة جزور ثم كثركم في اعينهم حين المصادمة حتى عن مواحيز فالجاتهم الكثرة فظنوا الظنون قال الحرالي فقللهم حين لم يرهم اياه
على الحقيقة القسرية ولا اراهم اياهم على الصورة الحسية وكان ذلك اية للمومنين على قراءة يا الغائب في آل عمران وكانت للكفار على قراءة ترونهم
بتاء الخطاب وكان في ذلك روح اظهار الارادة في اعين الفئتين نحو مما كان في الرائين الواقعة بين موسى عم والسحرة في اذ موسى عليه السلام ومعرفة خيل اليهم
من سحرهم انها تسعى وان فرعون ومن معه راوا ثعبانا مبينا يتلقف ما يافكون رؤية حقيقية فتشابهت الايات الماضية والايات القائمة لهذه الامة بوجه ما
وكانت هذه الاية اشرف والطف كما هي في مرافقة بغيرة من مضى لما حصل في ذوات الفئتين واحساسهم انتهى ولما ذكر ما اتاله بهما من حسن الفئتين علله
بقوله ليقضي الله اي الذي له العزة البالغة والحكمة الباهرة من نصركم وخذلانهم بان يفاجئهم كثرتكم بعد رؤيتكم قليلا فيجبنهم ذلك ويهزمهم
امرا كان مفعولا اي لتحقيقهم ما يحملهم من الكثرة بعد القلة على جبن والاستعداد لذلك وما نفعل بايديكم في هذه الغزوة من القتل والاسر والهزيمة
المثمر لذل جميع اهل الكفر كان مقدرا في الازل فلا بد من وقوعه على ما حده لانه اراد لامره ولا مبدل لكلماته فعل ذلك كله وحده ولما كان التقدير
فتبيه سبحانه بالامور بتقديره اياها في الازل لا بد احدث غيره عطف عليه قوله والى الله اي الملك الاعلى الذي بيده وحده كل امر ترجع الامور
اي كلها فلا ينفذ الا ما يريد انفاذه فلا تجري الامور على ما يظنه العباد ومن ذلك هذا الامر راجع اليه واليه بما اراده فيه مضى ولو فرض
ان غيره فعل ما لم يوثر فيه ولا يزال كذلك حتى يرجع اليه فيمضي فالحاصل انه في قوة الرجوع بهذا الاعتبار وان لم يكن هناك رجوع الفعل وفي
هذا تنبيه على ان امور الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا ليوم المعاد ولما تقرر ذلك ودعتم على هذا السبيل الاقوم
والمنهاج الاقوم كانت علة لمضمون قوله يا ايها الذين امنوا الايتين فانها نتيجة لانه اذا علم ان الامر كله له ولا اثر لقلة ولا كثرة اتجه لهم نهي ادنى
درجات الايمان فضلا عن غيرهم قلة المبالاة بالظالمين وان تجاوزت قواهم الحد وزادوا كثرة على الحد والايتان تذكير لهم بحالتهم التي اوجبت نصرهم
ليلزموها في كل معترك وايتانا عن تجاوز عوا في المغنم اذا لقيتم اي قاتلتم لان اللقاء اسم للقتال غالبا فئة اي طائفة متحيزة للقتال كما
اغني عن وصفها بذلك ووصفهم بالايمان فاثبتوا اي في لقائها بقتالها كما ثبتم في بدر ولا تحدثوا انفسكم بفرار واذكروا الله اي الذي له كل
كمال فكل شيء بيده ذكرا يليق بما له عنده يوجب كثيرا اي كما صنعتم ثم ان ذلك امارة الصدق في الاعتماد عليه وحده وذلك موجب للنصر لا محالة كما في الحديث
القدسي ان عبدي كل عبدي للذي يذكرني عند لقاء قرنه ولما امر بذلك علله باداة الترجي ليكون ذلك اعلى انه سبحانه لا يجب عليه شيء فيكون اثبت للايمان
فقال لعلكم تفلحون اي لتكونوا على رجاء من الفلاح وهو الظفر بالمراد من النصر والاجر كما كنتم اذ ذاك واطيعوا الله اي الذي له الغنى المطلق
فلا يقبل الا الخالص والكمال الاكمل فلا يفعل الا ما يريد ورسوله اي في الاقدام والاحجام لحكمكم بالعواقب وتلك الطاعة امارة اخلاصكم في الذكر
ولا تنازعوا اي يريد كل واحد نزع ما عند صاحبه من راي وغيره واشار تعالى الى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة فقال فتفشلوا
اي تضعفوا قال في القاموس فشل كفرح فهو فشل ككتف وضعف وتراخى وجبن انتهى والمادة راجعة الى الفيشلة وهي الحشفة ويلازمها الرخاوة
ومن شان الرخاوة الجبن مع الصلف والخفة والطيش ولما كان الفشل ربما كان معه الظفر بفشل في العدو واكثر منه او غير ذلك عطف ما يلزمه غالبا
بالواو دون الفاء فقال وتذهب ريحكم اي غلبتكم وقوتكم واصله ان الريح اذا كانت في الحرب من جهة صف كانت في وجوه اعدائهم فمنعتهم ما يريدون
فحين لو انقضت كانها قوة من انت من عنده فصار ذلك كناية عنها ثم ختم هذه الاسباب بالجامع لشملها الناظم لمقاصدها فقال واصبروا اي على ما
يكون من تلك المشاق فانكم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وانتم ترجون من الله ما لا يرجون ثم علله بما يكون عنه الصبر النصر في الحقيقة فقال ان الله
اي المحيط بصفات الكمال مع الصابرين اي لانهم لا يصبرون الا اعتمادا عليه ومن كان معه عز وهذه الجملة جمع فيها كما قال الامام شمس الدين محمد بن قيم
الجوزية في اخر كتاب الفروسية المحمدية تدبير الحرب احسن جمع على اتم وجه فامر فيها بخمسة اشياء وما اجتمعت قط الا انتصرت وان قلت فخمسة عشر
خامسها ملاك ذلك وقوامه واساسه وهو الصبر فعلى هذه الدعائم الخمس تنبني قبة النصر ومتى زالت او بعضها زال من النصر بحسبه واذا اجتمعت

قوي بعضها ببعض وصار لها اثر عظيم ولما اجتمعت في الصحابة رضي الله عنهم لم تقم لهم امة من الامم ففتحوا البلاد شرقا وغربا ودانت لهم العباد سلما وحربا ولما تفرقت
فيمن بعدهم وضعفت آل الامر قليلا قليلا الى ما ترى فلا قوة الا بالله والجامع لذلك كله طاعة الله ورسوله فانها موجبة لشد بنيان المطيع بقوة من هو في
طاعته وذلك سر قول ابي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه البخاري في باب عمل صالح قبل القتال انما تقاتلون الناس باعمالكم وهو شرع قديم قال في اثنا السفر
الخامس من التوراة واذا انتم سمعتم قول الله ربكم وتحفظتم وعملتم بكل هذه الوصية التي امركم بها اليوم يبارك عليكم الله ربكم كما قال لكم وترزقون
ان تقرضوا شعوبا كثيرة ولا تقترضون وتسلطون على شعوب كثيرة ولا يتسلطون عليكم ولما ذكرهم سبحانه ما اوجب نصرهم امرهم بالثبات عليه ذكر لهم
حال اعدائهم الذي اوجب قهرهم ناهيا عنه تعريضا بحال المنازعة في الانفال وانها حال من يريد الدنيا فيوشك ان تمادت ان تجر الى مثل احوال اولئك
الذين بعد نظرهم الدنيا فقال ولا تكونوا اي يا معشر المؤمنين كالذين وصور قبيح حالهم من اوله الى اخره فقال خرجوا من ديارهم اي كلها وجلهم
من دارهم اهل مكة وكان عمل مثل عملهم كان مثلهم وكذا عبر بالوصف ليعم بطرا اي طغيانا وتكبرا على الحق ومادة بطر باي ترتيب تتفق ترود
على اللين القابل للعمل حتى يبطل انه لولا الضعف ما التوتى من المربوط ومنه بطر الجرح وهو شقه والبيطار وتارة تكون ذلك الملين عن دهش
ومنه ابطر من حاله اي ادهشه عنه وذهب به بطرا اي باطلا الضعف عنه للحيرة في الامر الموصل اليه وتارة تكون من مجاوزة الحد في الصلابة بترك
ومنه بطر النعمة اذا لم يشكرها فتجاوز الحد في المرح فان فعل ذلك عاكس الحكيم من تعاليه فيأخذه وهو يرجع الى عدم احتمال القوي للشكر فقام على
ذلك ضعيف واظهر من خلاف ذلك كما قال عمر رضي الله عنه العدل وان رئي لينا اقوى على الظالم من الجور وان رئي شديدا او كما قال رض واقرب
من ذلك ان تكون المادة دائرة على الخلطة الناقلة عن الحال ولما ذكر الحامل لهم على الخروج من انفسهم ذكر ما اوجبه لهم من غيرها فقال
ورئاء الناس اي خرجوا ليروا الناس من وجههم وما بانهم عند ليروهم ما يقولون فيه فانهم لما قيل لهم قد نجى الله عيركم فارجعوا
بطروا النعمة تبعا لابي جهل حيث قال والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنشرب الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان فتسمع بنا العرب
فلا تزال تهابنا ابدا فسقوا مكان الخمر كؤوس المنايا والحمم وناحت عليهم نوائح الرماح مكان الغرف والقيان ولما ذكر نفس الخروج وما فيه من
الفشل ذكر ثمرته الخبيثة المانعة عن دينك الخلقين وعبر عنهما بالاسم اشارة الى الثبات كما هو شان الاخلاق وعن الثمرة بالمضارع
تنبيها على انهم لا يزالون يجددون ذلك فقال ويصدون اي يوجدون الصد وهو المنع لانفسهم وغيرهم عن سبيل الله اي الملك الاعظم
في كل الوجه وهم عازمون على تجديد ذلك في كل وقت فلما كانت هذه مقاصدهم كان نسبتهم هلاكها دينيا لهم واهيا فانها
من عمل الشيطان وكل عمل لا يكون لله اذا صدم باهو لله اضمحل لان ذلك سبحانه اجرى سنته ولن تجد لسنة الله تحويلا في العاملين عن ابيه
والله اي فعلوا ذلك والحال ان المحيط بكل شيء الذي عادوا اولياءه بما او ويكون ذلك معطوفا على ما تقديره فابطل الله بجلاله
وعظمته اعمالهم وهو بكل ما يعملون محيط فهم في قبضته فاوردهم اذ خرجوا بحادونه بدرا فنحر بها الجزور وقاتلهم وسقاهم
بها مكان الخمور كؤوس المنايا واصاح عليهم مكان القيان صوائح النوائح ولعله قدم الجار اشارة الى انه لشدة احاطته باعمالهم كانه
لا نظر له الى غيرها فالمنا غل الغزنا ولما بين لهم قبيح اعمالهم الفسانية ثم تنفيرا منها زاد في التنفير بالاشارة الى الامر بدوام تذكرها
بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال واذ نعلم ان التقدير قطع اذكروا ذلك وحوا اذكروا اذ وزاد في التنفير بذكر العدو المبين
والتنبيه على ان كل ما يامر به انما هو خيال لا حقيقة له كما سول لهم هذا الامر فقال زين لهم الشيطان اي العدو المحترق
البعيد من الخير اعمالهم اي التي ابتغوها بزعمهم في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه تبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني
حين خافوا من قومه بني كنانة ان يخلفوهم في اهليهم بسوء لما كان بينهم مما يوجب لهم ذلك وكاد ذلك ان يثبطهم عن المسير وقال غار لهم
في انفسهم لا غالب لكم اليوم من الناس والجار خبر لا ولا انتصب اسمها لكونه يكون اذ ذاك شبيها بالمضاف وغار لهم فنحن نخلفكم
بقوله واني جار لكم اي مخلفكم كناية بشيء تكرهونه ساء معهم الى بدر ينشطهم ويشددهم ويبسطهم بهذا القول الظاهر
الى ما يسوءهم بنزع الصدور فلما تراءت الفئتان اي راات كل فئة الاخرى وراى جبريل عليه السلام في جنود

الله نكص اي رجع يمشي القهقرى وبطل كيده وتبار سوسته على عقبيه اي الى ورائه فقالوا اين اي سراقة ولا يظنونه الا سراقة
فر ولم يجبهم ولا عرج عليهم وقال اي بلسان الحال والقال وهم يسمعونه او لا يسمعونه اني بريء منكم ثم علل براءته منهم بقوله
اني ارى اي بعيني بصري ما لا ترون اي الملائكة والغضب الذي حل بكم فقال له الحارث بن هشام وكانت يده في يده
والله ما نرى الا جواسيس يثرب فاستانف قوله مؤكدا لانكارهم لذلك اني اخاف الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما ان يهلكني معكم
بالمعاجلة بالعقاب والله اي الملك الاعظم شديد العقاب فكانوا يقولون انهزم بنا سراقة فبلغه فقال بلغني انكم تقولون كذا والله ما
علمت بمسيركم الا عندما بلغني انهزامكم فكانوا يكذبونه حتى اسلموا فعلموا انه الذي غرهم الشيطان وذلك مشهور في السير وهو
في ان يحمل على يحد الوسوسة وفي الحديث ما رئي ابليس يوما هو اصغر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة الا ما
رئي يوم بدر ولما انه تونفى ما كان نقطع به في حق اولئك مما هو من انفسهم ومما هو من تزيين الشيطان ابدل منه ما كان يقطع
به في حقهم من اهل الجهل بالله وبايامه الماضية واثاره عنادا وليائه واعدائه فقال اذ يقول المنافقون اي من العرب وبني اسرائيل
قولا مجددا دونه كل وقت لما لهم فيه من الرغبة والذين في قلوبهم مرض اي ممن لم يرسخ الايمان في قلبه ممن امن ولم يهاجر او نهو
المصاحين بالكفر حين رؤوا قلة الكفار وقوتهم وكثرتهم والمؤمنين وضعفهم وقلتهم غر هؤلاء مشيرين الى اكم دينهم اي
اقدامهم على ما يقطع فيه بالهلاك ظنا منهم ان الله تعالى ناصرهم وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف هم ملوك العرب فيغيظكم
ذلك فلقيهم اسير وصدق امركم بتوكلكم عليه وصبركم على دينكم ومن اي قالوا ذلك جاهلين بانكم متوكلون على من يدبر
له والحال انه من يتوكل على الله اي الذي له الاحاطة الشاملة فهو يفعل ما يشاء منكم ومن غيركم بشرط من الايمان والسعي
في الطاعة كما فعلتم فانه معز ومكرم ولما كان من نجاته محيطا بكل صفة كمال على الاطلاق من غير قيد بتوكل ولا غيره اظهر فقال
عاطفا على ما تقديره فان الله قادر على نصرهم فان الله اي الذي له الكمال المطلق عزيز اي غالب لكل من يغالبه فهو جدير بنصرهم
حكيم اي متقن الافعال فهو حقيق بان يخذل عدوه والمتوكل عليه من المنع الذي لا تنفعه فيه حيلة ولما ذكر ما لهم من حال العدم
المجاهرين والساترين في الدنيا مرصعا ذلك بجواهر الحكم وبدائع الكلم التي هي لازمة لها تكون السعداء وبالاضلال تحمل الشقاء
اتبعه ما يتهم من حال العدم عند الموت وبعده فقال مخاطبا لمن لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا حاديا بتخصيصه بالخطاب
كل سامع على قوة اليقين ليحصل لمثل هذا المخاطب الكاشف لحالهم في ذلك الوقت ولو اي يقولون ذلك والحال انك لو ترى
يا اعلى الخلق اذ يتوفى اي يستوفي اخراج نفوس الذين كفروا اي من هؤلاء القائلين ومن غيرهم ممن قتلتموهم ببدر ومن غيرهم
بعد ذلك وقبله الملائكة اي جنودنا الذين وكلناهم بهم حال كونهم يقولون يضربون ولما كان ضرب الوجه والدبر ادل ما
يكون على الذل والخزي قال وجوههم وادبارهم اي اعلى اجسامهم وادناها فتغيرهم او في حال كونهم يقولون لهم ذوقوا
ما كنتم به تكذبون وذوقوا عذاب الحريق اي لرايتم منزلا هائلا وامرا فظيعا فسركم ذلك غاية السرور وما ازال كلامهم
في غيظكم فانهم يعلمون حق النبي غيرهم دينه ولو وان كانت تقلب المضارع ماضيا فلابد من التعبير بالمضارع في حيزها من فائدة وهي
ما ذكر من الاشارة الى ان هذا لا يختص ميتا منهم دون ميت بل لا فرق بين متقدمهم ومتاخرهم من مات ببدر او غيرها وليس في الكلام ما
يقتضي ان يكون القائلون غر هؤلاء دينهم حضروا بدرا بل الظاهر ان قائله كانوا بالمدينة وتعبيرهم بهؤلاء التي هي اداة القرب للتحقير
والتسهيل لامرهم كما ان اداة البعد تستعمل للتعظيم ببعد الرتبة وعلى مثل هذا يتنزل قول فرعون بعد ان سار بنو اسرائيل زمانا تلك ليلة
وبعض يوم كما حكاه الله عنه ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ان البغوي قد نقل في تفسير قوله يرونهم مثليهم راي العين ان جماعة من
اليهود حضروا القتال ببدر لينظروا على من تكون الدائرة واذا تاملت هذا مع قوله تعالى كداب ال فرعون علمت ان اجل المراد من هذه الايات الى قوله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون اليهود وفي تعبيره بلا يفقهون تبكيت شديد لهم كما قال في اية الحشر لانتم اشد رهبة في صدورهم

من الله

من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ولما عذبوهم قولا وفعلا علل ذلك بقولهم زيادة في تاسيفهم ذلك اي هذا الفعل العظيم
الذي يفعله بكم من العذاب الاليم بما قدمت ايديكم اي من الجراة على الله وان اي والحال ان له ان يفعل وان لم تقدموا شيئا
فان الله اي الذي له صفات الكمال ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد فان ملكه لهم تام والمالك التام الملك يفعل ما يملكه
الملك الذي لا شيء يخرج عن دائرة ملكه وهو الذي جبلكم هذه الجبلة الشريرة التي تاترت عنها هذه الافعال القبيحة وهو لا يسئل
عما يفعل وانما الذي يسئله ويجوز ان يكون المعنى وليس بذي ظلم لانه لا يترك الظالم يبغي على المظلوم من غير جزاء لكم على ظلمكم لاهل
طاعته ويجوز في فصلت حكمة التعبير بصيغة تحتمل المبالغة ولما تبين بما مضى ما يوجب الاجتماع عليه في الرجوع في كل امر اليه وبين ان من
خالف ذلك هلك كائنا من كان اتبعه بما يبين ان هذا من العموم والاطراد بحيث لا يخص زمانا دون زمان ولا مكانا دون مكان فقال في
كداب اي عادة هؤلاء الكفار في [illegible] الذي دابوا فيه وداوموا واطبقوا عليه كعادة ال فرعون اي الذين هؤلاء
اليهود من اعلم الناس باحوالهم والذين ولما كان المهلكون لاجل تكذيب الرسل بعض اهل الزمان الماضي ادخل الجار فقال من قبلهم وهم مع
ذلك من ادلة فلم تقتلوهم لان هؤلاء الذين اشار اليهم كان هلاكهم بغير قتال بل بعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف الذي هو غرق
في الجامد فحين يقول لا ينسب احد لنفسه فعلا فانه لا فرق عنده في اهلاك اعدائه بين ان يكون اهلاكهم بتسليط من قتال او غيره
الكل بفعله لولا انا ما وقع وهو زاجر عظيم لمن افتخر بقتل من قتله الله على يده او نازع في النفل وصور لجمع الى قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما
فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وبحث الحث على التمرن على عدم الاكتراث بشيء يكون للنفس فيه ادنى حظ ليصير ذلك خلقا كما هو
داب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضيف شيئا من محاسنه الا الى الخالق الا ان كان مامورا فيه بالتشريع بل يقول قتلهم الله هزمهم الله
نصرنا الله كفى الله فاذا صار ذلك للمتمسكين به خلقا افضى بهم الى مدح الخالق والمخلوق لهم كما قال كعب بن زهير في مدحهم رضي الله عنهم
ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم وليسوا مجازيعا اذا نيلوا ثم بين تعالى الذي سلكوا فيه من قبلهم بقوله كفروا بايات الله
اي ستروا ما دلتهم عليه انوار عقولهم من دلالات الملك الاعلى وعظوها لانهم لم يعملوا بها وصدوا ولعلى من تبعهم فكان جزاؤهم
ما تسبب عن ذلك من قوله فاخذهم الله اي الذي له مجامع الكبر ومعاقد العظمة والعز اخذ غلبة وقهر وعقوبة بذنوبهم
كما اخذهم فانهم تجرؤا على رتبة الالوهية التي تحسد دون شوامخها نوافذ الابصار وتظلم عند بوارق اشعتها سواطع الانوار
وتضمحل بالبعد عن اوامر ادانيها القوى وتنقطع بتوهم الدنو فيا فيها الاعناق فنزلت بهم صواعق هيبتها وانا اختت عليهم صروف
عظمتها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ولا تحس الا ملاعبهم واماكنهم ولما اخبر باخذهم علله بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة
الشاملة قوي اي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء شديد العقاب ولما كانت [illegible] قيل ما له يمهلهم ولا يعاجلهم بالاخذ قبل النكاية
في اوليائه واهل وده واصفيائه قال ذلك اي الاخذ على هذه الحالة بان الله اي بسبب انهم غيروا ما في انفسهم وعرفان له نجا
ان اخذهم قبل ان يغيروا والعلة علة ضمائرهم ولكنه تعالى اجرى سنة الالهية لتمام علمه وكمال قدرته ولاحاطته بجميع صفات الكمال بانه لم يك
هكذا كان الاصل ولكن حذف اختصارا للتقريب التبيان تعجيم العلة انفاذا للسامع من مثل ذلك وحذف نون يكن اشارة الى ان هذه
الموعظة خليقة بان يوجز بها غاية الايجاز فيبادر الى القائها الى حيث تلقتها بعظيم المنفعة لان من خالفها جدير بتعجيل الانتقام
مغيرا نعمة اي قلت او جلت وبين انه لا نعمة على احد الا منه فقال انعمها على قوم اي من اي طائفة كانوا حتى يغيروا اي
يبدلوا ما يعتقدونه ما بانفسهم بغيره مما هو عزيزة لهم وضوحها عنهم يظنون اتصافهم بضده مما هو ظاهر لهم اتصافا
عزيزا وان اي وبسبب ان الله اي الذي له الكمال كله سميع اي بما يكذبون به بالرسل وللاقوالهم من ما يظهرونه وصفهم الحقيقي عليم
اي بما تكن ضمائرهم من غيرهم وان جهلوه هم فيبتليهم بما يظهر به ذلك المكنون ويبرز كل ما هو مصون فاذا تعلق به العلم ظاهرا علق به
الحكم قاهر النظام فقيام الحجة ولتمام علمه بحالهم امهلهم وانما يستعجل من يخاف الفوت او يخيب فراسته او يتغير علمه واما الذي علمه بالظاهر

والضمائر على حد سواء فالحالتان عنده سيان فهو يمهل لتمام الحكمة ولا يهمل لمن يستحق النقمة وذلك التعبير الذي اظهر ما ابداه هو التكذيب بالحق عنادا
والبعد عما كانوا عليه من ترك العدول والمشي على مناهج العقل والاستحياء من العناد والتنزه من طرق الفساد هكذا كانت كل امة ارسلت اليها الرسل
ما عندها من ذلك مستور في ضمائرها مكنون في سرائرها لا تعلمه كما نشاهد كثيرا ممن يعاشر يظن في نفسه ما ليس فيها وعند الامتحان يكون
العيان فلما جاءتهم الرسل واوضحوا لهم الامر ابين ايضاح بحيث لا يبقى لبس فكذبوا بحجج غيروا ما كان في نفوسهم مما كانوا يزعمونه ثم كرر قوله **كدأب آل فرعون**
اي فرعون وقومه فانهم اتباعه فلا يتخيل انهم يفعلون شيئا الا وهو قائدهم فيه **والذين من قبلهم** لدقيقة وهي انه قد تقدم ان نهاية الامة الاولى تليت
بالضراء والسراء فالاولى باسم الذات الجامع لجميع الصفات باسم ينظر اليه مقام الالهية الناظر الى العظمة والكبرياء والقهر والانتقام و
الثانية ثم مقام الربوبية الناشئ عنه التودد والرحمة والرافة والاكرام ولذا عبر في الاولى بالاسم الاعظم الذات الجامع لجميع الصفات الذي لفظه عند من يقول
باشتقاقه موضوع لمعنى الالهية اشارة الى انهم اعرضوا عن آيات الضراء على التصديق وعاملوا بالتجلد والاصرار ولذا عبر في هذه الثانية باسم الرب
فقال **كذبوا** اي عنادا زيادة على تعطيلها دل عليه العقل بالتكذيب بالنقل **بآيات ربهم** فاشار بذلك الى بطرهم بالنعم وتكذيبهم انها بسبب
عدم الرسل ولما اشار بالتعبير به الى انهم عاملوه بالعطف والاحسان قال **فاهلكناهم** اي جميعا **بذنوبهم واغرقنا** فاتى
بنون العظمة اشارة الى انه اتاهم بما انساهم ذلك الطيب **آل فرعون** واشارة الى انهم سنوا آل الرحمن انه يتصف بالرحمة فلا بد ان يتصف
بالعظمة والنقمة والا لم تتم ربوبية وهذا اوضح مما تقدم في الاعراف في شرح فارسلنا عليهم الطوفان الى ان فرعون كان يسال
موسى عليه السلام عند كل نازلة اليه العار برفعها معتقدا بان الرب ذو حلم واناة ورحمة وقدم الاولى اشارة الى انهم بلغوا الغاية في الجراة
والتعبير بها بكفروا امور يدل لذلك اي انه جرد الستر لا دينا بالاعراض عنها كاف في ايجاب الانتقام ولو لم يصرح بتكذيب لعظم المقام ومادة كفر
باي ترتيب كان تدور على الخلطة الجميلة المحيلة وبخصوص هذا الترتيب وعلى الستر اي غطوا التصديق بآيات ربهم فيجوز ان يكون حسن
ان يكون دورانها مطلقا لا بقيد ترتيب على الفكر وصول العين البصيرة ثم في طلب امر ويلزمه الكشف والستر لانه تارة يرفع اذيال الشبه
عن ... فيتجلى ويتحقق وتارة يسلط قواطع الادلة عليه فيعدم ويمحق وربما ارخى اذيال الشبه عليه فاخفى بعد ان كان جليا كما كان شرحها
عنه فالفكر ... خفيا ولما اخبر بجاء اهلاكهم اخبر بالوصف الجامع لهم في الهلاك فقال **وكل** اي من هؤلاء ومن تقدمهم من آل فرعون ومن قبلهم
كانوا اي جبلة وطبعا **ظالمين** اي لانفسهم وغيرهم واضعين الاشياء في غير مواضعها وهم يظنون بانفسهم العدل ثم علل اتصافهم بالظلم او
استانف بيانا له بقوله **ان شر الدواب** لحظوا انهم كفروا بآيات ربهم الذي تفرد بالاحسان اليهم وشر الدواب **عند الله** اي في حكم الحكم
بالعدل الذي له الامر كله وفي علمه **الذين كفروا** اي منهم ومن غيرهم اي حكم عليهم بلزوم الكفر لما ركب فيهم من فساد الامزجة بعدم الملايمة للخير فكانوا
بذلك قد نزلوا عن رتبة الانسان الى رتبة مطلق الحيوان ثم الى دركة الحشرات والديدان بل الجعلان لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين
الناكثون للعهود **فهم** اي بسبب ذلك **لا يؤمنون** اي لا يتجدد منهم ايمان يستمرون عليه لما سبق من علم الله فيهم فلم ينتفعوا بما اتاهم من صفة الربوبية
فحقت عليهم صفة الالهية ولعله انما خص الفرعون تذكيرا لان الاكثر منهم كان يقول لغرضه ... اليهود بانهم كانوا بالنسبة الى فرعون والضعفاء من الصحابة
رضي الله عنهم بالنسبة الى قريش واتباعهم فان اليهود مع قلتهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بل العبيد لمواليهم بل اعظم ومع ذلك فانهم نصروا عليهم
لما كانوا ... لانه كان فرعون في العناد مع ما لهم فيه من القلة والذلة فقد جمعوا من كل قوم اوصافهم وادخالهم
ولذلك ابرزهم في عموم الذين كفروا وهم اليهود بلا شك اما بنو قينقاع او النضير او قريظة او الجميع بحسب التوزيع
فكل منهم نقض ما كان اخذ عليه صلى الله عليه وسلم من العهود واخلف ما كان اكد من الوعود والمظاهرة ... بالوفاء ولا سيما من العلماء وعبر بقوله
ثم ينقضون عهدهم اي يجددون نقضه كلما لاح لهم حيلة او زور بطل تعير في وجه الحق ثم عظم الشناعة عليهم بقوله
في كل مرة ثم نبه على رضاهم من رتبة الشرف والعلية القلة بعدم ثقة السفه والفجر بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله **وهم لا**
يتقون اي ليس لهم من الثناء في الدم لهم على ذلك ولا الله في الدنيا بان يمكن منهم ولا في الآخرة بان يخزيهم ثم يركسهم بعد المناداة بالعار

في

في النار ولما ايأسه من تقواهم بما اشتملوا عليه من تكرير النقض الناشئ عن غاية الحسد وصلابة الرقاب وقساوة القلوب والغشاوة على الاكباد
امره بما يوهن قواهم ويحل عراهم من الباس البايس من انزال البلاء بهم كما جرت عادته سبحانه ... بالرفق ببعض الناس لعلمه ان عليه يتركوا ابدا به
على الحسن والاساءة فقال موكدا لاجل ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من محبة الرفق **فاما تثقفنهم** اي تصادفنهم وتظفر بهم **في الحرب**
التي بينك وبينهم فيما يجرب فيها المبطل ويربح ويخسر المحق المجمل **فشرد بهم من خلفهم** اي فنكل بهم تنكيلا يصدع ويفرق جماعتك
من وراءهم ممن هو على مثل رايهم في المناقضة لك ولا تتركهم اصلا لان اتباعك امر منهم واحرق فيهم لذلك ما تيسر وامكن فاذا وقعت
بهم ذلك لم يجسر عليك احد بعده ايقاظا بهم واعتبارا بحالهم ومادة شرد بكل ترتيب تدور على النفود فان كان على قصد وسنن
فهو رشد ويلزمه الاجتماع وان كان على غير سنن جامع الاستقامة فهو شرود ودرشا اي جماعة ويلزمه التفرق قال ابن فارس شرد
البعير شرودا وشردت تشريدا فاما قوله فشرد بهم فالمراد نكل بهم وسمع وقال القزاز شردت الجمل تشريدا اذا طردته وشردت به اذا سمعت
وذكرت عيوبه للناس وقوله تعالى فشرد بهم اي اجعلهم مطرودين انتهى فالمراد المبالغة في الايقاع بهم لانهم اذا ضربوا ضربة نفروا فيها
على غير وجه ولا انتظام علم من شرد واليه ممن وراءهم انه قد تناهى بهم الذعر فهو توقع في الشرد قوة او فعلا فعلى قراءة من
جعل من حرف جر يكون المفعول محذوفا والتقدير اوقع بما تفعل بهؤلاء من الامور الهائلة التشريد في كل الذين خلفهم بشرود من فيه
قوة او فعلا بجمعوا او وارا من حال هؤلاء حين واجهوك للقتال وعلى قراءة من جعلها اسما موصولا تكون هي المفعول فالمعنى شرد
الذين خلفهم عن اماكنهم اما بالفعل او بالقوة بان تفرق قلوبهم بما تفعل بها ولا تقتصر على ترجيح قبيل حالهم قابلة للشرود ويكون
اختلاف المعنى بالتبعيض في جعلها حرف جر والتعميم في جعلها موصولا بالنظر الى القوة والفعل ولما ذكر الحكم ذكر ثمرته باداة
الترجي اشارة له على الرجا فقال **لعلهم** اي المشردين والمشرد بهم **يذكرون** ما سبق من آيات الله فيعلموا ان هذه افعاله وهؤلاء
رجاله فينفعهم ذلك فلا ينقضوا عهدا بعده ولقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانهم ان كانوا بني قريظة فقد ضرب بهم صلى الله عليه وسلم اعناق
لم يفلت منهم بجروحه بل ضرب اعناقهم في حفاير في سوق المدينة وكانوا نحو سبعمائة على دم واحد الا من اسلم منهم وهم يسير وسبى ذراريهم
ونساءهم وغنم اموالهم وان كانوا بني قينقاع فقد نزل بساحتهم بعد نقضهم واظهرهم غاية الاستخفاف والعناد فلم يلبثهم الله ان جعلهم
في قبضته ولم يبق الا ضرب اعناقهم كما وقع لبني قريظة فسأله فيهم عبد الله بن ابي المنافق والح عليه صلى الله عليه وسلم في امرهم وكانوا لغيرهم في
يتالف به فتركهم له صلى الله عليه وسلم واجلاهم من المدينة وكانت واقعتهم اول وقايع اليهود بالمدينة وان كانوا بني النضير فقد نقضوا ايضا
فنحاطوا بهم مواعيد المنافقين الغرور فقذف الله الرعب في قلوبهم فسالوه صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم ففعل ثم اتم الله
لما امر فيهم في خيبر ووادي القرى وغيرهما الى ان لم يبق منهم في جزيرة العرب فريقا الا ضربه بالذل واجرى عليه الهوان والصغار
ووقايعه فيهم مشهورة الخبر معروفة في السير ولما امره بما يفعل لمن تحقق نقضه ارشده الى ما يفعل بمن خاف غدره فقال **وإما**
اي في ذلك العهد فانبذ صح
تخافن واكده اشارة الى ظهور القرائن ووضوح الامارات **من قوم** اي ذوي قوة بينك وبينهم عهد **خيانة** اي طرح
طرح مستهين محتقرين **اليهم** اي ذلك العهد نبذا كائنا **على سواء** اي امر مستو في العلم بزواله بينكم وبينهم وعدل ونصفة
ولا تناجزهم وهم على توهم من بقاء العهد وهذا اشارة الى ان يكونوا على غاية الحذر والفحص عن اخبار العدو بحيث لا يتركونه
الى ان ينقض بل يعلمون ميله الى النقض فينبذون اليه عهده لان ذلك اودع له فهو ادعى الى السلم ثم علل جواز النبذ ووجوب
النصفة بقوله **ان الله** اي الذي له صفات الكمال **لا يحب الخائنين** اي لا يفعل بهم فعل المحب لا منكم ولا من غيركم ولما كان نبذ
العهد مظنة الخوف من تكثير العدو وايقاظه وكان الاتباع اولى بالخوف فاتبع سبحانه ذلك ما يجري عليه من سلى عن فوت من هرب من الكفار
في غزوة بدر فلم يقتل ولم يوسر فقال **ولا يحسبن** بالياء غيبا على قراءة ابن عامر وحمزة وحفص اي لا يحسبن احد من اتباعك في وقت
من الاوقات وصحت قراءة الباقين بالخطاب لما امر الرئيس من نهي اوقع في نفوس الاتباع وادعى لهم الى السماع **الذين كفروا** اي عامة

من بدو ومن لم يبيد سبقوا اي وقع لهم سبق وهو الظفر في وقتها فانهم لم يفوتونا شيئا من مرادنا ثم علل ذلك بقوله انهم لا يعجزون اي
لا يفوتون شيئا مما يريد تسليطه عليهم اي لا يغرنك علوهم وكثرتهم وجريهم في كثير من الامور على مرادهم فكل ذلك بتدبيرنا ولا يخرج شيء عن ارادتنا
ولا بد ان نهلكهم فانهم في قبضتنا لم يخرجوا منها ولا يخرجون فضلا عن ان يفوتوها فاصبر ولما كان ربما ادى الى ترك المناصبة والمحاربة
والمغالبة اعتمادا على الوعد الصادق والتوثق بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر مع نقص العدة والعدد اتبعه بما بين ان الامر ربط الاسباب
بمسبباتها ليتبين الصادق في دعوى الايمان من غيره فقال واعدوا لهم اي للاعداء ما استطعتم اي دخل في قوتكم وطاعتكم و
بقوة جهدكم تحت مقدوركم وطاقتكم من قوة اي قوة كانت وفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالرمي اشارة الى انه اعظم عدده
على نحو الحج عرفة وخارجهم بقوله ومن رباط الخيل ايماء الى باب الاستعانة بالنصر في بدر لانه لم يكن معهم فيه غير فرسين والرباط
هو الخيل التي ترتبط في سبيل الله الخمس منها فما فوقها وخصها مع دخولها فيما قبل اشارة الى عظيم غنائها والرباط ايضا ملازمة ثغر العدو
وربط الخيل به اعداد للعدو ثم اجاب من كانه قال لم تفعل ذلك وما النصر الا بيده بقوله ترهبون اي تخيفون تخويفا عظيما باهرا
يؤدي الى الرهب على ما اجريت من العوائد به اي بذلك الذي امرتكم به من المستطاع ومن الرباط عدو الله اي الذي له العظمة كلها
لانه الملك الاعلى وعدوكم اي المجاهرين والاتيان بقوله واخرين اي وترهبون بذلك اخرين من دونهم ان يحمل على المنافقين
لوصفهم بقوله لا تعلمونهم كما قال تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ولانهم لا يكونون دونهم
الا اذا لم يكونوا في العداوة مثلهم ممن كلام فرض غير المنافقين يظهرون العداوة واما المنافقون فانهم مدعون باظهار الاسلام انهم اولياء لا اعداء
الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما يعلمهم اي فهو يكفيكم ما بطن من امرهم وليس عليكم الا الجهد بحسب ما تعلمون والاية بالنسبة الى ما تقدمها
من باب اعقلها وتوكل والمعنى لا تظنوا ان الكفار فاتونا وافلتوا عذابنا بامتناعهم منكم فانهم في قبضتنا اينما توجهوا وحيث ما حلوا
فنحن نهلكهم ولا يعجزوننا ومع ذلك فلا يحملنكم الاتكال على قوتنا على ترك اسباب مغالبتهم بما اعطيناكم من القوى بل ابذلوا جهدكم
وطاقتكم في اعداد ما يرهب العدو مما يتعلق بالرمي من القوة وبالخيل من الطعن والضرب والفروسية لتلقي بذلك الرعب منكم في قلوب عدوكم
القريب والبعيد تعلمونه منهم ومن لا تعلمونه ولما كان اغلب ما يعوز في هذه الاية الانفاق لان مبنى اعداد القوة عليه رغب فيه بقوله وما تنفقوا
من شيء اي من الاشياء وان قل في سبيل الله بطريق من له صفات الكمال من الجهاد وغيره يوف اليكم اي اجره كاملا في الدنيا والاخرة او فيهما
يكون مضاعفا احوج ما تكونون اليه وانتم لا ولما كان المحو في مطلق النقص بنفي المفعول قوله تظلمون اي لا تنقصون شيئا منه واما الزيادة
فلا بد منها وهي على قدر النية ولما كان فهم ان النصر الخلف في النفقة موجبا للدوام للمصارمة والبعد من المسالمة اتبعه قوله امرا بالاقتصاد
وان جنحوا اي مالوا واقبلوا في نشاط وطلب جازم للسلم اي المصالحة والتعبير باللام دون الى للدلالة على انهم انتهوا الى ذلك التحقق
فيه قيل فاجنح ولما كان السلم مذكرا يجوز تانيثه قال لها اي للمصالحة او يكون تانيثه تنبيها على ضده الحرب وكانه اختير التانيث اشارة
الى انه يقتصر على اقل ما يمكن من المدة بحسب الحاجة هذا اذا كان الصلاح للمسلمين في ذلك بان يكون بهم ضعف واقصى مدة الجهاد عشر سنين اقتضاء
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تجوز الزيادة ولما كان ذلك مظنة ان يقال انه عهد منهم من الخداع ما اعلم انهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون
معه فمسالمتهم خطر بغير نفع لوح الى ما ياتي في ذلك بقوله وتوكل على الله اي الذي له مجامع العظمة فيما تتوهم من ضلالهم فانه يكفيك امره
ويجعله سببا لدمارهم كما وقع في صلح الحديبية فان عذرهم فيه كان سبب الفتح ومن لا تعلق في هذا وامثاله يعلم بانه يفعل مع المتوكل
فعل الحامل لما وكل اليه المطيق لحمله ثم علل الامر بالتوكل الذي معناه عدم الخوف من عاقبة امرهم في ذلك بقوله انه هو اي وحده السميع
اي البالغ السمع فهو يسمع كلما ابرموه في ذلك وغيره سرا كما يسمعه علانية العليم اي البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما اخفوه
كما انه يعلم كل ما اعلنوه ثم صرح بالتهاون بكيدهم فقال وان يريدوا اي الكفار ان يخدعوك اي بان يخونوك في الصلح او غيره فان
حسبك اي كافيك الله اي الذي له صفات العز كلها ثم علل كفايته او استانف بيانا لها بقوله هو اي وحده الذي ايدك بنصره

اذ كنت وحدك وبالمؤمنين اي بعد ذلك في هذه الغزوة التي كانت العادة قاضية فيها بان من معك لا يقومون للكفار فواق ناقة ولعل
هذا تذكير بما كان من الحال في اول الكلام اي انا الذي ايدك مع وحدتك في مكة بين جميع الكفار وغربتك فيهم وان كانوا بني عمك بسبب
دعوتك الى هذا الدين وعدولك عن احوالهم البهيمية الى الاخلاق الملكية وهو الذي قواك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدروا لك على
اذى يردك عن الدعاء الى الله مع نصب جميعهم لك وللمتبعين لك شباك العز ومدهم اليك ايدي الكيد ثم سلكهم من بين اظهرهم كما تسل
الشعرة من العجين مع اجتهادهم في منعكم من ذلك وايدكم بالانصار وجمع بين كلمتهم بعد شدة العداوة والف بين قلوبهم بعد تمادي تباغضهم
فصار البعيد منهم قريبا والبغيض حبيبا والعدو صديقا وكانوا على قلب واحد ثم استانف الاخبار بما دل على بعد الفتهم لولا هو فقال
لو انفقت اي انت لفرط الخلق لما تصنعه ما في الارض جميعا اي من الذي ذلك ما الفت بين قلوبهم ثم اكد ذلك بقوله
ولكن الله اي وهو الذي له جميع صفات الكمال الف بينهم ثم علل نفوذ امره فيه بقوله انه عزيز حكيم اي انه لولا عزته التي تغلب كل شيء
وحكمته التي يتقن بها ما اراد بحيث لا يمكن احدا ان يغير شيئا منه لما تالفوا بعد ان كانت تقتل كل احد من فريقيهم لاحد اشهى من لذيذ الحياة وصافي
العيش لما بينهم من الاحن التي لا تزال تثور فتغلي لها الصدور حتى تفور بقتل الاصحاب والوالدين والاولاد والقهر بانواع الاذى مع المجاورة
المقتضية لدوام التحاسد واثارة الضغاين وكذا فعل بجميع العرب بعد ما كان بينهم من القتل المنتشر مع ما لهم من الحمية والانفة الحاملة
على الانتقام والذي ادرك بهذه الالطاف حتى لا يموت باق على ما كان عليه من القدرة والقوة فهو الكفيل بحمايتك ممن يريد خداعك
فاذا امركم بامر فامتثلوه غير مفكرين في عاقبة فانه قد ثبته بعزته واتقنه بحكمته وستعلمون ولما صرح بان الله كافيه وكملت كفاية الله
للعبد اعظم المقاصد التفتت الانفس الى انه هل يكفيه مطلقا او مع المؤمنين ايضا مثل ذلك فاتبعها بقوله معبرا بوصف النبوة الذي
معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد الاتية في سياق الاخبار ببعض المغيبات والتصرف في القلوب يا ايها النبي اي العالي
القدر الذي نعلمه بعواقب اموره حسبك اي كافيك الله اي الذي بيده كل شيء ومن اي مع من اتبعك من المؤمنين فيجوز ان
تكون المعية من ضميره صلى الله عليه وسلم فيكون المؤمنون مكفيين وان يكونوا من الجلالة فيكونون كافين حتى يكون المعنى فهو كافيهم ايضا وهم كافوك
لانهم ساقوا تجاهلا اهلكوا تطييبا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم وبالمعنى الثاني لتضمن الاول وزيادة عليه قال ابن زيد والشعبي حسبك
الله وحسبك من اتبعك وساقه سبحانه على وجه مكرر لكفايته نبيه صلى الله عليه وسلم يحتمل الامرين من كان على اتباعه في ذلك الوقت كفاية
لئلا يتغالوا بالنسبة الى كثرة اعدائهم ولما بين انهم كافون مكفيون وكان ذلك مشروطا بفعل الكيس والحزم وهو الاجتهاد
بحسب الطاقة امره بان يامرهم بما يكونون به كافين من الجد في القتال وعدم الهيبة للابطال في حال من الاحوال فقال معبرا بالوصف الناظر الى
جهة التلقي عن الله تثبيتا وتوفيقا للسامع بما يسمع يا ايها النبي اي الرفيع المنزلة عندنا الممنوح من اخبارنا بكل ما يقر عينه وعين اتباعه
حرض المؤمنين اي الغريقين في الايمان على القتال اي بالغ في حثهم عليه وندبهم بكل سبيل اليه ومادة حرض بانحو تراكيبها تدور على
حرض حرض وحرض تجمع الى الحضور ويلزمه الخفض والدعة ويلزمه الكسل فيلزمه الضعف فيلزمه الفساد ومنه الحرض الذي اشفى على الهلاك
اي حرض هلاكه وحضر هو موضعه الذي هو فيه فصار لما به لا يزايله ما دام حيا ورحض الثوب اي غسله من الدعة التي هي شان الحضور غير
المسافرين والرحضاء عرق الحمى تشبيها بالمجلس والرضاح الحجر الذي يلزم الحاضر الرضح النوى والضريح شق مستطيل يصنع فيه الميت فيكون حاضرا
لازما له دائما الى الوقت المعلوم ويلزمه الرمي والطول ومنه المضرحي للطويل الجناحين من الصقور ولان كل ما يصل عنده حاضر لقوة طيرانه
والرجل الكريم لعلو همته واحضر الدابة عدت فجعلت الغائب حاضرا والتحريض الحث على حضور الشيء فحرض على القتال حث على الطيران
اليه بتعاطي اسبابه والاستعداد لحضوره حتى يصير المحثوث كانه حاضر حتى قيل يا صباحاه طار الى المنادي وكان اول حاضر الى المنادي
لانه لا مانع له من شيء من الاشياء بل استعداده استعداد الحاضر في الصف وقال الامام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني في تفسيره التحريض الحث
الوكيد بما يبعث النفس على امر والحث والتحريض والتحضيض نظائر ونقيضه التفتير والتحريض ترغيب الفعل بما يبعث

على المبادرة اليه مع الصبر اليه انتهى فجعله حقيقة كما قال في الكشاف وتبعه عليه البيضاوي ولما نبههم الى القتال اعلمهم بانهم منصورون
فيه ان لزموا آلة النصر فقال مشيرا الى ما جبلهم عليه ... ما عاقبتهم اذا رعبوا فبادروا الى ذلك **ان يكن** ولما كانت لذة الخطاب تشحذ الهمم
وتبعث العزائم وتوجب غاية الوثوق بالوعد عدل عن الغيبة فقال **منكم عشرون** اي رجال **صابرون** اي الصبر المتقدم **يغلبوا مائتين**
اي من الكفار والاية من الوعد الصادق الذي حققه وقائع الصحابة رضي الله عنهم **وان يكن منكم مائة** اي صابرة **يغلبوا الفا** اي كائنين
من الذين كفروا في الاية من الاحتباك اثبت في الاول وصف الصبر دليلا على حذفه ثانيا وفي الثاني الكفر دليلا على حذفه اولا
ولعل ما اوجب عليهم من هذه المصابرة علة الامر بالتحريض لحرضهم لان اعنت كلا منهم على عشرة لا عذر لهم في التواني وعلل علوهم
عليهم وغلبتهم على هذا الوجه بقوله **بانهم** اي هذا الذي اوجبته ووعدت بالنصر عنده بسبب انهم اي الكفار **قوم لا يفقهون**
اي ليس لهم فقه يعلمون به علم الحرب الذي دبره اهل الكتاب وان كنتم ترونهم اقوياء الابدان فهم كفاية بما ينوبهم من امر الدنيا لانهم ابدان
بغير معان فكان الدنيا كذلك الصورة بلا روح لانهم لم يبنوا اصابتهم على تلك المكارم الحسنى التي قدرتها لكم والهمتكم اياها في بدر
بل يحيوها بحقيقة الحرب لان الجيش اذا لم يكن له رئيس يرجع اليه لم يفلح وذلك الرئيس ان لم يكن امره مستندا الى ملك الملوك كما قلبه
ضعيفا وعزمه واكثر جموعه فانهم يكونون صور الاشكالها والصور منفعلة لا فعالة والمعاني هي الفعالة والمعتمد على الله صورة مقترنة
بالمعنى فاقل ما يكون في مقابلة اثنين من اعدائه كما حط عليه الامر في الجهاد ولعل هذا هو السر في انتصار الخوارج من اتباع شبيب وانتظاره على قلتهم
على الجيوش التي كانوا يلقونها من ملوك زمانهم على كثرتها فان الخوارج معتقدون ان قتالهم مستندين في ظنهم الى اعتقاد الظالم اولئك الملوك
ومن وجهه من امرائه والذين يلقونهم منهم اولئك الملوك وان اعتقدوا انهم اهل طاعة لطاعتهم الامام الواجب طاعته لكنهم يعلمون ان اسناد امامهم
الى الله ضعيف لمخالفته لمنهاج الاستقامة وذلك الرئيس نفسه معتقد ذلك او زوايه مفسدة وان تحريم النبي صلى الله عليه وسلم القتاله انما هو
ذلك لاعظم المفسدتين فصار استناد الخوارج الى مالك الملوك اعظم من استناد اولئك وطعن انا على استناد الخوارج الزهاد الذي هو
اعظم اسباب النصر ونشاط من استناد اولئك الملوك والاخلاد الى الدنيا الذي هو اعظم الموجبات للخذلان مصداق ذلك انهم لما خرجوا على
علي رضي الله عنه فشامنهم بسنته من اللطف بهم وتقديمهم وعظهم والاعذار اليهم ودعاهم الى الله فلما لم يقبلوا قصدهم في سنتهم قال بعض من كان
يعتني بالنجوم ان هذه الساعة نحس او نحوه رديء فامر بالقتال فيها فانه ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم منجم فلما التقى الخوارج لم يرو افقهم حلب ناقة ولا افلت
منهم احد ولم يقتل من جماعته اثنا عشر وفهم الحال في قوله ان يكن منكم عشرون الاية وان الخبر فيه بمعنى الامر قوله **الان خفف الله** اي الملك
الذي له الغنى المطلق وجميع صفات الكمال **عنكم** اي رحمة لكم ورفقا بكم **وعلم** اي قبل التخفيف وبعده **ان فيكم ضعفا** اي في العدد والعدد
ولكنه اوجب عليكم ذلك ابتلاء فبعد التخفيف علم ضعفكم فعلا وقبله علم انه سيقع وتصدير هذه الجملة بالان يشير الى ان النسخ كان قبل ان تمضي
مدة يمكن فيها الغزو وفائدة الامر المعقب بالنسخ حيازة الاجر بقبوله والعزم على امتثاله وقيل مما كان النسخ الا بعد مدة بعد ان لو في التخفيف
وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم
ان لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف الان خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم والمعنى انه كان
كتب مقدار الغزاة الصبر بكل مؤمن فلما خفف ازال ذلك بالنسبة للمجموع وهذا لا يمنع استمرار البعض على ما كان كما فعل سبحانه بالصحابة
رضي الله عنهم في غير موضع منها غزوة مؤتة فقد كانوا فيها ثلاثة الاف وكان من لقوا من جموع هرقل مائتي الف من الروم والف من العرب المتنصرة
فصبروا وهزموا ونصروا عليهم كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مخبرا عنهم في هذه الغزوة ثم اخذ الراية عن غير امرة سيف من سيوف الله
خالد بن الوليد ففتح الله عليه ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت عامة الناس حتى لم يثبت على الاسلام عشر العشر فصبر الصحابة رضي الله عنهم
ونصروا عليهم بل المنتصر في الحقيقة ابو بكر رضي الله عنه ثم افاض الله صبره ونوره على جميع الصحابة فصبروا وانفذ من الجيوش وامر عليهم الذي
سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله فاخمد الله به نار الشرك وقطع بصبره وحسن نيته جادرة الكفر فلم تقم قائمة وفي بلاد العرب

مشرك فلما اجمع امة العرب على الدين على قلب رجل واحد قصدوا الاعاجم من الفرس والروم والقبط فقاتلوا اهل فارس في عدة وقائع منها
القادسية وكان الصحابة رضي الله عنهم فيها دون اربعين الفا وكان المجوس اكثر من اربعمائة الف وقاتلوا الروم كذلك فكانوا في اليرموك دون اربعين
الفا وكان الروم نحو اربعمائة الف الى غير ذلك من الوقائع وقد صبروا في اكثرها ونصروا وان كان لهم العاقبة فطردوا الشرك واهله واظهر الله بهم دينه
كما وعد به سبحانه وما اجتمع اهل الاسلام واهل الضلال قط في معركة الا كانت قتلى الكفار اضعاف قتلى المسلمين غير ان الله تعالى جده وتبارك
اسمه وتمت كلمته لطف بالعرب على امنه بانهم خلاصة الناس بما طبعهم سبحانه عليه من الخصال الحميدة والاخلاق السديدة فلم يكن كل من
اشتملت عليه جريدتهم بعد وقائع كثيرة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمان الردة ولم يبلغ قتلاهم فيما اظن عشرة الاف انسان فاما جاهدوا
الاعاجم فارس والروم وغيرهم كانت قتلى الكفار تبلغ في المعركة الواحدة مائة الف وما يقارب الف كما هو مشهور في كتب الفتوح للمدائني
وسيف وابن عبد الحكم والبلاذري وغيرهم وقد جمع اشتات ذلك ابو الربيع بن سالم الكلاعي وشيخه ابن حبيش ولعل هذا في الثانية
التقييد بالكفار ليشمل كلا من نحو القتال اهل البغاة فقال تعالى مسببا عن التخفيف المذكور رادا الامر الى ايجاب مصابرة عشرة الى الامر بمصابرة
الضعف فان زاد العدو على الضعف جاز الفرار والصبر حسن **فان يكن منكم مائة صابرة** اي الصبر الذي تقدم التنبيه عليه **يغلبوا مائتين**
اي من غيركم باذن الله **وان يكن منكم الف** اي على النعت المذكور وهو الصبر **يغلبوا الفين** ثم ارشد الى ان المراد بالصبر هو كل المامور به
في اية اذا لقيتم فئة فاثبتوا فقال **باذن الله** اي بارادة الذي له جميع الامر لذلك واباحته لكم وتمكينه فان لم يقع الاذن لم يقع الظفر
في الاية من الاحتباك ذكر في الاول صابرة دلالة على حذفه ثانيا وذكر ثانيا الاذن دليلا على حذفه اولا ثم نبه على عموم الحكم
بقوله **والله** اي المحيط بجميع الكمال **مع الصابرين** اي بنصره ومعونته ومن ثم قال ابن شبرمة وانا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
كذلك ومادة اذن مهموزة وغير مهموزة واوية وياوية بتقاليبها الاربعة اذن ذان ذود ذين ترجع الى العلم الناشئ عن حاسة
السمع المتعلقة بجارحة الاذن وتارة يلزم الاباحة وتارة المنع فاذن بالشيء كسمع علم به فاذنوا بحرب اي كونوا على علم ومن اذن
ابيح واذن له بالشيء كسمع ايضا اباحه له واذنه الامر وبه اعلمه واذنا ومعنى فجعله مباحا له او ممنوعا منه واذن فلانا تاذينا ترك
اذنه واذنه رده عن الشرب فلم يسقه كان التفعيل فيه للازالة واذن النعل وغيرها جعل لها اذنا وفعله باذني بعلمي وتمكيني
واذن اليه وله كفرح استمع باذنه الى الحاح ذلك بسمعه وقلبه واذن لرائحة الطعام اشتهاه كانه اباحه لنفسه واذنه ايذانا اذا
اعجبه مثل ذلك سواء واذنه ايضا منعه كان الهمزة للازالة والاذن الجارحة المعروفة بضمة وبضمتين والمقبض والعروة من كل شيء
وجل لان كلا من ذلك سبب للتمكن من حمل ما هو فيه والاذن الرجل المستمع القائل لكل ما يقال له كانه لما قبل اباحه قلبه ومكنه منه والاذان
النداء الى الصلوة لانه اعلام باباحتها والمكنة منها وتاذن اقسم واعلم وتارة يتاثر عنه اباحة ومكنة من الشيء وتارة منع وحرمة
فيكون من الازالة واذن العشب ان يجف فبعضه رطب وبعضه يابس كانه امكن من جزه وجمعه ببدو صلاحه والاذن الحاجب لانه
للتمكين والمنع والاذنة محركة صغار الابل والغنم كانما ابيح لكل احد ما يريد منها وطعام لا اذنة له لا شهوة لريحه فكانه ممنوع منه
لعدم اشتهائه وتاذن الامير في الناس نادى فيهم بتهدد فهو يرجع الى المنع والزجر عن شيء بتعزير او الذين بالكسر البال الحسن وكذا
اللدان بالالف منقلبة عن واو العنب لجانبه لسهولة تناوله ولذة مطعمه امكن من نفسه والذوذن بالواو مشددة الغنى والنعمة
لانهما سبب للتمكن مما تشتهي والذوذن مهموز كزنبور نبت من نبات الارض والمعنى انه انما اذن لكم في ذلك اذا فعلتم الشرط
المذكور لانكم فقهتم علم الحرب وبنيتم امركم فيه على دعائم الخمس التي ملاكها والداخل في كل منها الصبر فكان الله معكم وهو مع كل صابر
هذا الصبر المثبت في الدعائم الخمس في كل اوان ومما يكمل حسن الاية انه ابتدى في العشرات بثاني عقودها وفي المئات والالاف باولها
سالت شيخنا الامام الراسخ محقق زمانه تقي الدين محمد بن علي القاياتي قاضي الشافعية بالديار المصرية ما حكمة ذلك فقال لان الاصل الابتداء
باول العقود لكن لو قيل ان يكن منكم عشرة صابرة يغلبوا مائة لربما توهم انه لا تجب مصابرة الواحد للعشرة الا عند بلوغ المؤمنين

هذا العقد فعدل الى الابتداء بثاني عقود هذه المرتبة ليبتنى هذا الجزء ولما انتهى وعلم انه بحيث مصابرة كل واحد من العشرة ذكر باقي المراتب
في الباقي على الاصل المعتاد واما تكرير المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده فللدلالة كما قال الكساني
على ان الحال مع القلة والكثرة لا يتفاوت وان كان قد يظن تفاوته وكانه لم يذكر الاحاد اشارة الى تكثير هذه الامة واجتماعها وبدا بالعشرات
وختم بالالوف ليستوفي مراتب الاعداد الاصلية والله اعلم ولما تقدم الامر بالاثخان في فشرد بهم ثم باعداد القوة ثم بالتحريض على القتال
بعد الاعلام بالكفاية ثم ايجاب ثبات الواحد لعشرة ثم انزال التخفيف الى الاثنين كان ذلك مقتضيا للامعان في الاثخان في عتاب الاصحاب في اختيار
غير ما افهمه هذا الخطاب لكون ذلك اقعد في الامتنان عليهم بالعفو والغفران بسبب ان اكثرهم مال الى الفداء الهادي فان النبي صلى الله عليه وسلم
استشارهم فيهم فاشار ابو بكر رض بالفداء ومال معه الاكثر واشار عمر رض بضرب اعناقهم وروى انه قال صلى الله عليه وسلم لو نزل
من السماء عذاب ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضهم فقال تع ملتفتا [illegible] ما كان اي ما صح وما استقام لنبي
في شرع نبي من الانبياء مستقل ولا مقرر ولعله عبر بوصف النبوة ليفيد مع العموم ان الكلام في رفعة القدر والاخبار من الله عنه عن الاقدام
على فعل بدون اذن خاص ان تكون له اسرى اي ان يباح له امر العدو حتى يثخن في الارض اي يبالغ في قتل اعدائه فهو عتاب لمن اسر
من الصحابة غير من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلهم من المشركين او رضي بذلك وانما اسند الى النبي وقرئ شاذا بالتعريف لم يقل لمكان
في شرع نبي تهويلا للامر تعظيما للعفو للمبالغة في القيام بالشكر وهذا كان يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد
سلطانهم انزل الله تع فاما منا بعد واما فداء قاله ابن عباس رضهما ومادة ثخن تدور على الضخامة وتارة يلزمها اللين
والضعف وتارة الصلابة والقوة فحقيقته يبالغ في القتل فيغلظ امره ويقوى ويلين له اعداؤه ويضعفوا ثم بين لهم ان الميل
عن ذلك انما هو لارادة الاعراض الدنيوية المبكت عليه لهم في الطرائق قبلها بقوله تع يا ايها النبي حرض هذا الكلام كما ان النزاع في الانفال ميلا الى
الدنيا وكذلك بغير لعرض معاني الاخلاق وكرائم السجايا معللا لعدم الكون المذكور بما تقديره لان الاسرى انما يراد بهم الدنيا هكذا الاصل
ولكنه ابرز في اسلوب الخطاب لانه اوقع في النفس فقال تريدون اي ايها المؤمنون المرغبون في الانفال والاسرى الجميع باستبقائهم عرض
الدنيا قال الراغب العرض ما لا ثبات له ومنه استعارة المتكلمين لما لا ثبات له الا بالجوهر كاللون وقال ابن هشام في تهذيب السيرة اي
المتاع الفدا باخذ الرجال والله اي الذي له الكمال كله يريد اي لكم الاخرة اي جوهرها لانه دائم باق فامره امرها وفي تاكيده تمثيل
لان الارادة التي لا يتخلف مرادها وذلك بالاثخان في قتلهم لظهور الدين الذي تريدون اظهاره والذي به تدرك الاخرة انتهى
ولا ينبغي للمحب ان يريد الا ما يريد حبيبه والله اي الملك الاعظم عزيز اي منزه جنابه العلي عن لحاق شيء مما فيه ادنى سفول حكيم
اي لا يصدر عنه فعل الا وهو في غاية الاتقان فهو يأمر بالاثخان عند ظهور قوة المشركين فاذا ضعفت وقوي المسلمون فانتم بالخيار
ولا يصح لهما ولاية الامر ترقى في معارج صفاته فيكون عزيزا في نفسه فلا يدنسها بالاطماع الفانية وفعله فلا يحطه عن اوج
المعالي الى حضيض المهاوي وحكيما فلا ينشأ عنه فعل الا وهو في غاية الاتقان ولما علم من ادته ما اشار اليه في ان كانهم قالوا
رضي الله عنهم فما المقتضي عزته وحكمته سبحانه في تطهيرنا عما دنسنا به استانف تع الجواب في ذلك ممتنا غاية الامتنان ومحذرا من
التوغل في مواقع الخطر فقال لولا كتاب اي قضاء حتم ثابت مبرم من الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء قدرة وعلما سبق
اي في ام الكتاب بالحكم باسعادكم وبانه لا يعذب احدا الا بعد التقدم اليه بالنهي ومنه ان يحل لكم الفداء والغنائم اي التي حرمها على من
قبلكم تشريفا لكم كما قال ابن عباس رضهما لمسكم فيما اخذتم اي من هؤلاء الاسرى المراد بهم الفداء عذاب عظيم ولكن سبق حكمي باحلال الغنم
ولو بالفداء لكم حل وان تعجلتم فيه مرة ولما ساق سبحانه هذه البشارة في اشارة سبب عنها قوله فكلوا مما غنمتم اي من
الفدية وغيرها حال كونه حلالا اي لا حرج ولا تبعة فيه من جهتي طيبا اي شهيا لكم ملائما لطباعكم وهذا اذن الجامع الشروط التي
افتتها لكم من عدم الغلول والخيانة بوجه من الوجوه والاستئثار وتشديد الرغبة السابقة الى ما لا يليق لمن التنازع وغير ذلك رعاية

فيه

فيه ايكم واتقوا الله اي الذي له جميع صفات الكمال في جميع ذلك فلا تغلوا ولا تنازعوا ولا تقدموا الا على ما يسمحه لكم الرسول صلى الله عليه وسلم
ان الله اي المتصف بالجلال والاكرام غفور اي لمن يعلم من قلبه انه من اهل التقوى رحيم اي له فلاجل ما علم في قلوبكم من الخير غفر لكم فلم يعذبكم
بتسرعكم الى السارين لهم بامركم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم للمفاداة دون توقف على اذنه ورحمكم باحسن التكييف فاحل لكم الغنائم انظر الى قوله تع
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم تعرف حسن تعليل الامر بالتقوى بالمغفرة والرحمة ويجوز ان يكون علة لكلوا كل
اي كلوا فان الله قد غفر لكم ما عاتبكم عليه وفائدة الامر بالتقوى التحذير من العود اعتمادا على سعة الحلم وايضا فقد تقديم تهديد ومغفرة فما
ان يرهم عطف على ان علة المغفرة التقوى فكان ترجمة ذلك انه لما رهبهم بمس العذاب عند اخذ الفداء لولا سبق الكتاب رغبهم بانه كلما صدر منهم خبا به نعظم
صار في ذنب فرجعهم اليه عطف التقوى اسبل عليهم ذيل المغفرة والرحمة ولما علم من هذا اباحة ما يصنع من الامر في الفداء وكان ما يؤخذ منهم
مشقة عليهم اقبل عليهم مستعطفا لهم ترغيبا في الاسلام فاقبل على نبيه صلى الله عليه وسلم بالامر بمخاطبتهم تنبيها على انهم ليسوا باهل الخطاب
سبحانه بابعدوا انفسهم عنه باختيارهم للكون في زمرة الاعداء وحلا للكون في عداد الاولياء فقال معبرا بالوصف الناظر الى التلقي المعالم
ترغيبا في التلقي منه صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اي الذي انبأناه بكل معنى جليل يظهر دينه ويزكي امته مع فخم مقداره واعمام انواره قل
لمن في ايديكم اي في ايدي اصحابك واهل دينك فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب من الاسارى ترغيبا لهم فيما عند الله ان يعلم الله اي بما له
من صفات الجلال والجمال ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي شيئا من تقواه الحاملة على الايمان الذي اس الخير وعلى كل خير يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
اي مما يفتح به عليكم من المغانم في الدنيا ويدخر لكم من الثواب في الاخرى ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم والله اي الذي بيده كل شيء
غفور رحيم اي من شانه ذلك والمعنى على ما علم من قصة العباس الاتية رض ان الله سبحانه يعاملكم وامثالكم في غير ما ياخذه منكم جنده بالكرم
واما انه يحكم بالقائها الفداء عنكم ويأمر برده واطلاقكم مجانا بما يعلم في قلوبكم من خير واياه كنتم تكتمونه فلا تطيعون انه لا في ذلك تفتح
باب الدعاوي الباطلة لما نعته الغنائم الموهبة للدين قال الحافظ ابو عمر بن عبد البر في سيرته قال ابن عباس وعبيد بن الريب كان العباس رض في الاسرى
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افد نفسك وابني اخيك نوفلا وعقيلا وحليفك فانك ذو مال فقال يا رسول الله اني كنت مسلما ولكن القوم
استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك ان كان حقا ما تقول فالله يجزيك به واما ظاهر امرك فقد كان علينا قال ليس لي مال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واين المال الذي وضعته عند ام الفضل حين خرجت وليس معكما احد ثم قلت ان اصبت في سفري هذا فاعطي الفضل كذا وعبد الله كذا فقال
والذي بعثك بالحق نبيا ما علم بهذا احد غيري وغيرها ففدى نفسه بمائة اوقية وكل واحد باربعين اوقية وقال تركتني اسال الناس ما عشت واسلم وامر عقيلا
فاسلم ولم يسلم من الاسارى غيرهما ولما كان التقدير فان صدقوا في قولهم وقبلوا بشرى الله وفي ايديهم عطف عليه قوله وان يريدوا اي الاسرى او الكفار
كلهم او واحد منهم كابي عزة خيانتك اي والله على الخلق في عهد ابن ادم وغيرهم بما يقولونه لك مرضيا في المن عليهم بغير فداء ان يرد الله ان يكون
وبال ذلك راجعا اليهم فيمكن منهم ولا تخش من امرهم فقد خانوا الله اي الملك الاعظم ولما كانت خيانتهم غير مستغرقة للزمان ادخل الجار فقال
من قبل اي من قبل هذا الوقت بالكفر وغيره من انواع الفسق فامكن اي فاوجد الامكان منهم وقصر ليدل على انهم صاروا لما الكل احد منهم اي يوم
بدر بسبب خيانتهم فمثل ما امكن منهم عند وقوع الخيانة سيمكنك منهم اذا ارادوا الخيانة فان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون والله اي
الذي له الاحاطة بكل شيء عليم اي بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الاشياء كلها التي منها احوالهم حكيم اي بالغ الحكمة فهو يتقن كل ما يريده فهو يوهي
كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة وكذا فعل سبحانه في ابي عزة الجمحي فانه سال النبي صلى الله عليه وسلم في المن عليه بغير شيء لفقره وعياله
وعاهده على ان لا يظاهر عليه احدا ومدحه بشعر فظفر به في غزوة حمراء الاسد عقب يوم احد اسيرا فاعتذر وسال في العفو عنه فقال
لا تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمدا مرتين لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين وامر به فضربت عنقه وقال البيهقي في الخيانة هي كونهم اظهروا
بعضهم الاسلام ثم رجعوا الى دينهم ولما بين لهم الحق الذي لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله الذي ينفعهم في اسقاط الفداء عنهم انه لا دليل عليه
وكل ما لا دليل عليه يحكم بحكم العدم لان مبنى الشرع على ما يمكن الخلق معرفته وهو الظواهر وختم بصفتي العلم والحكمة شرع يبين الجابر الذي

يفيد القرب الذي تنبني عليه المناظرة وكل خير فقال مقسماً أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أقسام قسم جمع الأقسام الأربعة الإيمان والهجرة أولاً والجهاد
وقسم أوى وقسم آمن ولم يهاجر وقسم هاجر بعد إن الذين آمنوا أي بالله ورسوله وهاجروا أي وأوقعوا الهجرة من بلاد الشرك وهم المهاجرون
الأولون هجروا أوطانهم وعشائرهم وأحبابهم حباً لله ورسوله وجاهدوا أي وأوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر وأهله
ولما كانت الآية المتقدمة في الجهاد من الجهاد بالنفس والمال تارة بالحث على النفقة وأخرى بالنهي عن حبه وتارة بالتسلية عن فقده كان الأنسب
تقديم قوله بأموالهم أي بإنفاقها في الجهاد وتضييع بعضها بالهجرة للديار والنخيل وغيرها وأنفسهم بإقدامهم على القتال مع كثرة الأعداء
وكثرتهم وقدم المال لأنه سبب قيام النفس وكان في غاية العزة في أول الأمر وأخر قوله في سبيل الله أي الملك الأعظم كذلك وفي تسميته
لجاهد [illegible] حتى لا يكون يصد عنه [illegible] ويسهل المرام [illegible] غير قاطع ولعله عبر في [illegible] بما أنه ينبغي أن يكون متمكناً
من السبيل تمكن المغزو [illegible] حتى يكون الدين غالباً [illegible] عند [illegible] وأما في سورة براءة فلما كان [illegible] في بعض الأماكن
بها السبيل قدم [illegible] أيضاً فإن هذه السورة نزلت في ابتداء الأمر بعد وقعة بدر [illegible] الحجة [illegible] الحال إذ ذاك شديد
جداً والأموال في غاية القلة والأعداء لا يحصون فكان الاهتمام بشأن المال والنفس فقدمهما ترغيباً في بذلهما وأما براءة فنزلت في غزوة تبوك
[illegible] وكان المال قد اتسع والدين قد عز [illegible] وقوي [illegible] وعلم [illegible] الناس فبعدت مواضع الجهاد فعظمت المشقة وتواكل
الناس بعضهم على بعض ورغبوا في الإقبال على إصلاح الأموال [illegible] هناك بالسبيل ولما ذكر أهل الهجرة الأولى أتبعهم أهل النصرة
وهو القسم الثاني من المؤمنين الذين كانوا أعلى رتبة صلى الله عليه وسلم فقال والذين آووا أي [illegible] إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
[illegible] في ديارهم وقسموا [illegible] أموالهم وعرض عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم [illegible] وأغاظ الفعل إشارة إلى القطع
فعلهم [illegible] فعلوا وكذا قوله ونصروا أي الله ورسوله والمؤمنين وهم الأنصار رضي الله عنهم [illegible] صفتين
الشريفين [illegible] الذروة [illegible] الحسنيين ولولا إيواؤهم ونصرهم لما تم المقصود والمهاجرون الأولون أعلى منهم لسبقهم في الإيمان الذي
هو [illegible] الفضل كله [illegible] الكفار زماناً طويلاً وصبرهم على فرقة الأوطان والعشائر وأشار إلى القسمين بأداة البعد لعلو مقامهم وعز
مرامهم فقال أولئك أي العالو الرتبة بعضهم أولياء بعض أي في الميراث دون القريب الذي عدم الوصفين أي الإيمان أو لم يقترن بإحدى
هما الهجرة والجهاد [illegible] المدينة [illegible] الأولياء والنصرة من أهل المدينة [illegible] النسب كل النفوذ
فكان من ولي [illegible] المهاجر والأنصار [illegible] وعادة [illegible] بجميع تصاريفها ترجع إلى الميل ويلزم منه القرب والبعد وربما نشأ عن كل منهما
الشدة والترتيب [illegible] تدور على القرب [illegible] النصرة فالمعنى بعضهم أقرباء بعض يلزم كلاً منهم في حق الآخر [illegible] المناصرة وغيرها ما يلزم
القريب لقريبه [illegible] جميعهم وصف [illegible] شركاء فيما [illegible] وصف الحضور [illegible] غزوة [illegible] بينهم في الغنائم [illegible] أنواع الجهاد كثيرة وكل واحد منهم
باشر بعضها [illegible] الكل بنشأة النصرة والمهاجر في الأصل [illegible] الكفار بقلبه [illegible] المؤمنين بجسده [illegible] لكن لما كان
هذا قد يخفى [illegible] الظنة وهي الدار لأنها أمر ظاهر فصار المهاجر من باعد دار المشركين فراراً بدينه ثم صار شرط ذلك بعد هجرة النبي صلى الله
عليه وسلم أن تكون النقلة إلى دار هجرته المدينة الشريفة هذا حكم كل مهاجر إلا [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم كان قد [illegible] مؤمنهم وكافرهم
حبه ونصحه وبعض عدوه فلم يلزم مؤمنهم النقلة قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب [illegible] الاستيعاب ونقل الخزاعة خلفاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأنهم خلفاء بني هاشم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب القضية عام الحديبية إلى الإسلام وأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم منزلة لم
يعطها أحداً من الناس أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك كتاباً انتهى وقال [illegible] بن عمران الخزاعي [illegible] وغيرهم [illegible] عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام سحاب الهيدب المتراكب وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير ممل وكاتب
ومن أجلها حلت بمكة حرمة لندرك ثأراً بالسيوف القواضب ذكر ذلك الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكلاعي في غزوة الفتح من سيرته والذي يقتضي أنهم
أولاهم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله الواقدي في أول غزوة الفتح وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عارفاً

ولقد جاءته

ولقد جاءته يومئذ يعني يوم الحديبية خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة إذ قدم عليه سرواتهم وأهل
الرأي غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ما لا ينسى أبداً اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء وما بل
بحر صوفة لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أبداً أبد الدهر سرمداً فقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه فقال ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه
من الحلف وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة ولا حلف في الإسلام قال الواقدي وجاءته أسلم وهو بغدير الأشطاط جاء بهم بريدة
ابن الحصيب فقال يا رسول الله هذه أسلم وهذه محالها وقد هاجر إليك من هاجر منها وبقي قوم منهم في مواشيهم ومعاشهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنتم مهاجرون حيث كنتم ودعا العلاء بن الحضرمي فأمره أن يكتب لهم كتاباً فكتب هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم لمن آمن منهم بالله وشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإنه آمن بأمان الله وذمة رسوله وأن أمرنا وأمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم اليد واحدة
والنصر واحد ولأهل باديتهم ما لأهل قرارهم وهم مهاجرون حيث كانوا وكتب العلاء بن الحضرمي فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول الله نعم الرجل بريدة
لقومه وعير قومه يا أبا بكر الأخير القوم من كان مدافعاً عن قومه ما لم يأثم فإن الإثم لا خير فيه انتهى وأسلم شعب من ربيعة شعوب من خزاعة ولما فتحت
مكة انقطعت الهجرة لظهور الدين وضعف المشركين وقام مقام الهجرة النية الخالصة المدلول عليها بالجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية وقال صلى الله عليه وسلم والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه فإن كان المؤمن لا يتمكن من إظهار دينه وجب عليه النقلة ولما بين سبحانه
من جميع الشروط وشرع [illegible] حكم من [illegible] بعضها وهو القسم الثالث فقال والذين آمنوا أي أقروا بإيمانهم ولم يهاجروا أي قبل الفتح بل
استمروا في بلادهم ما لكم من ولايتهم ولما كان [illegible] النفي قال من شيء أي في التوارث ولا في غيره ورغبهم في الهجرة بقوله حتى يهاجروا أي
يوقعوا الهجرة إلى دار [illegible] وإن استنصروكم أي طلبوا نصركم في الدين أي بسبب أمر من أموره وهم متمكنون من الدين تمكن المغزو في الغزو
فعليكم النصر أي واجب عليكم أن تنصروهم على المشركين فالمعنى أنه ليس لهم عليكم حق القريب إلا في الاستنصار في الدين فإن [illegible]
كما أن من والاهم [illegible] ثم استثنى من الوجوب فقال إلا على قوم ووقع وكان بينكم وبينهم ميثاق أي لأن الاستنصار بهم يوقع بين [illegible]
ترك نصرتهم للوعد ونقض العهد وهو أعظمهما فقد [illegible] وترك نصرتهم فإن نصرهم الله على الكفار فهو المراد [illegible]
نصر الكفار حصل لمن قتل من إخوانكم الشهادة ولمن بقي [illegible] الكفاية وكان ذلك [illegible] لهم إلى الهجرة ومن [illegible] منهم بعده الله ولن يضر إلا نفسه
والله غني حميد فقد وقع كما ترى تقسيم المؤمنين إلى الثلاثة أقسام أعلاها المهاجرون ويليه الناصر وأدناها القاعد وبقي قسم رابع يأتي في آخر الآيات
فبدأ بالمهاجرين الأولين لأنهم أصل الإسلام وأول من استجاب لله تعالى فهاجر قوم إلى المدينة وقوم إلى الحبشة وقوم إلى ابن ذي يزن ثم هاجروا إلى المدينة
وكانوا قدوة لغيرهم في الإيمان وسبب تقوية الدين ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة وثنى بالأنصار لأنهم ساووهم في الإيمان
وفي الجهاد بالنفس وفي المال لكنه عادل بالهجرة الإيواء والنصرة وانفرد المهاجرون بالسبق وذكر ثالثاً من آمن ولم يهاجر ولم ينصر ففاتتهم هاتان
الفضيلتان وحرموا الولاية حتى يهاجروا ثم قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار إذ لم يكن له بالمدينة ولي مهاجر
ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجر قال ابن زيد وثم أمرهم كذلك إلى فتح مكة انتهى لكن ما ذكر أبو عبد البر كما يأتي آخر الحكم ذلك
بوقعة بدر وأول الآية الآتية آخر السورة مع ما يؤيد ذلك من آخر الأحزاب ولما كان التقسيم فائدة [illegible] الحكم خير وكانت النفوس داعية إلى مناصرة
الأقارب والأحباب ومعاداة غيرهم خفية [illegible] عطف على هذا المقدر والله أي المحيط علماً
وقدرة ولما كان [illegible] المصالح التي تنظم الدين وتهدم الأعداء وكان [illegible] النفوس [illegible] أحوال اقتضى تأكيد العلم بالخفايا فقدم الجار
الدال على الاختصاص الذي هو هنا كناية عن إحاطة العلم فقط فقال بما تعملون بصير وفي ذلك أيضاً ترغيب في العمل بما حث عليه
من الإيمان والهجرة والنصرة والإنفاق والتحري في جميع ذلك وترهيب من العمل بأضدادها وفي البصير إشارة إلى العلم بما يكون من ذلك من الأعمال الصالحة وباطنه
من حيث على الإخلاص ولما بين شرط موالاة المسلم بين موالاة الكافر [illegible] وأنه لا شرط لها غير مطلق الكفر
فإنه وإن اختلفت أنواعه وتباعدت أنحاؤه يجمعه عداوة الله وولاية الشيطان فقال والذين كفروا أي أوجدوا هذا الوصف على أي حال

كانوا فيه بعضهم اولياء بعض اى في الميراث والنصرة وغيرهما وهو خبر محض مشير الى النهى عن موالاتهم واما الذى مضى في حق المؤمنين فهو امر
في صورة الخبر وصيغته يعني ان في ظاهر الكفار قوة الموالاة الزاجرة عليكم وللميل العظيم الحامل لهم على المسارعة في ذلك وان اشتدت عداوة بعضهم
لبعض لانكم حرب لجميعهم من حيث جمعهم [illegible] الشيطان بوصف الكفران كما جمعكم داعي الرحمن بوصف الايمان والا فهم كانوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعادي اهل الكتاب منهم قريشا [illegible] بهم الدوائر فصاروا بعد بعثته صلى الله عليه وسلم يوالي بعضهم بعضا [illegible] على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما ذكره مذكور في السير [illegible] الا تفعلوه اى مثل ذلك من تولي المؤمنين ومعاداة الكافرين كما يفعل الكفار بالتعاضد والتعاون
بالنفس والمال [illegible] فانكم حتى تتعاونوا على قتالكم [illegible] ان تكونوا اعظم منهم في ذلك لانهم يريدون [illegible]
ودنياهم الفانية وانتم تبتغون اخرتكم الباقية ودفعكم [illegible] فضلا ان تنزلوا الى الحضيض [illegible] في الغنائم
تكن فتنة اى عظيمة في الارض اى خلطة اى مميلة للقاصد عن وجهها وفساد كبير اى ينشأ عن تلك الفتنة والكبر ناظر الى العظم وقرئ شاذا
بالمثلثة فيكون [illegible] مخصوصا بالانواع [illegible] الفساد انه اذا قارب المؤمن الكافر وتناصروا [illegible] انه يحل النظام فاختل
كل من النقض والابرام فاختلف الكلام فتباعدت القلوب [illegible] بالواجب عليكم ان تكونوا [illegible] واحدا ويدا واحدة في الموالاة وتقاطعوا
الكفار بكل اعتبار ليقوم امركم [illegible] غاية الصلاح دنياكم واخرتكم والاية شاملة [illegible] ما يسمى توليا حتى في الارث
وقتال الكفار ومدافعة المسلمين بالامر والانكار ولما ترك بعض العلماء اعانة بعض فيه حصل نحو ما ذكر الله منه من الفتنة والفساد
حتى صار الامر الى ما ترى من علو المفسدين وضعف اهل الدين فالامر بالمعروف فيهم في غاية الذل والغربة [illegible] الناس فلا يجد ناصرا
ذلك الا [illegible] اعوانا كثيرة وصار [illegible] والله المستعان
ولما تقدمت انواع المؤمنين المهاجر والناصر والقاعد وذكر احوال الموالاة اخذ يبين تفاوتهم في الفضل فقال والذين امنوا اى [illegible]
وهاجروا اى فيمن يعاديه سابقين مع نبيه صلى الله عليه وسلم وجاهدوا اى بما تقدم من المال والنفس او باحدهما في سبيل الله اى الذى له صفات
الكمال [illegible] والذين اووا اى من هاجر اليهم ونصروا اى حزب الله [illegible]
بقوله اولئك اى الصنفين الاولين خاصة هم المؤمنون حقا اى حق الايمان لانهم حققوا ايمانهم المهاجر بالانسلاخ من كل ما يحبه من المال والوطن
والناصر من جميع اهل الكفر بايواء اهل الله ونصرتهم ولما بين [illegible] الاعلى [illegible] محل النقصان فهو وان اجتهد
حتى [illegible] القسم الاعلى [illegible] لهم مغفرة اى [illegible]
اجتهد والدين متين [illegible] ورزق اى من الغنائم وغيرها في الدنيا
والاخرة كريم اى لا كدر فيه بوجه لا في قطعه ولا في نقصه ولا في شيء من شأنه ولما [illegible] ان من ترك ما هو عليه
لزوم دار الكفر والقعود عن الجهاد [illegible] فقال ذاكرا القسم الرابع والذين امنوا ولما كانوا قد تأخروا
عن [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال من بعد اى بعد اخراجهم عن السابقين وهاجروا [illegible] بالسابقين [illegible] هاجروا
بعد الحديبية [illegible] الهجرة الثانية وجاهدوا معكم اى [illegible] فاولئك منكم اى لهم ما لكم وعليهم ما عليكم من الموالاة
والمغانم وغيرها لان الوصف الجامع هو المدار للاحكام وان تأخرت رتبتهم عنكم [illegible]
المحصل للولاية [illegible] فقال واولوا الارحام اى من المؤمنين الموصوفين بعضهم اولى ببعض اى في الارث وغيره
من المتصفين بولاية الدين [illegible] عن الرحم في كتاب الله اى القران او في حكمه وقسمه الذى انزله اليكم [illegible] وهي مقيدة
بالعصبات [illegible] الدلالة على توريثهم [illegible] وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة المنذر بن عمرو ان [illegible] بدر انقطعت المواخاة بين الصحابة
رضي الله عنهم يعني فيكون هذه الاية ناسخة لاية بعضهم اولياء بعض [illegible] قبل غزوة بدر [illegible] والاية التي في سورة الاحزاب
مؤيدة لذلك [illegible] فقال ان الله اى الذى له صفات الكمال كلها بكل شيء عليم [illegible]

عليه

عليه المصلحة [illegible] كما علم في اول [illegible] وغيره من لوازم القرب [illegible] تكثير قلتكم ونصر ذلتكم
وجمع شتاتكم [illegible] الاخوة كلحمة [illegible] فقد ضرب الدين [illegible] وثبتت قواعده واركانه [illegible]
[illegible] بالاسلام والقرابة وقاطعوا الكفار قربوا او بعدوا وانحازوا عنهم كما انحازوا عنكم [illegible]
[illegible] ذات البين وبيان المؤمنين حقا [illegible] العليم في جميع الاعمال [illegible] على اول براءة والله الموفق

سورة براءة

مقصودها معاداة من اعرض عما دعت اليه السورة الماضية من اتباع الداعي [illegible] وموالاة من اقبل عليه
[illegible] قصة المخلفين [illegible] بغير عذر في غزوة تبوك [illegible] الاعراض بالقلب
[illegible] عن الكلام [illegible] تسميتها بالتوبة [illegible] البراءة [illegible] حتى في رد السلام [illegible]
التوبة [illegible] تسميتها ببراءة [illegible] الفاضحة [illegible] البحوث لانه
لا [illegible] البعثرة [illegible] والمبعثرة والمنفرة والمثيرة [illegible] والمخزية والمهلكة والمشردة والمدمدمة والمنكلة [illegible]
[illegible] المناسبة [illegible] الانفال [illegible] وسورة العذاب ايضا [illegible]
وكذا المقشقشة [illegible] المبرئة من النفاق [illegible] اذا [illegible] ورسوله
والمؤمنين [illegible] المنافقين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقال الخليل [illegible]
[illegible]

يشق عليه الامر صعب فيفرق نفسه وشق عليه وقعد في مشقة وشق بصر المحتضر نظر الى شيء لا يرتد عليه طرفه لانه التصويب الى جهة واحدة
مفترق من بقية الجهات والشق واصل الشقوق والصبح لانه يفرق حيث الظلام وجوبه ما بين الشفرين من جهاز المراة ذو التفريق وبينه شق
عصى المسلمين واستطالة البرق الى وسط السماء من غير ان ياخذ يمينا وشمالا لانه مشق السحاب مستقيما واستطالة البرق الى وسط السماء من غير
ان ياخذ يمينا وشمالا لانه يشق السحاب مستقيما اي يشق اللوح والعصى والشق بالكسر الجانب لانه مفارق للجانب الاخر واسم لما نظرت اليه
لانه في جانب واحد وجنس من اجناس الجن لانه فرقة منهم ومن كل شيء نصفه ونفحت المال بيني وبينك شق الشعرة ويفتح نصفا سواء
والشقة بالكسر شظية من لوح ونحو العصا والثوب وغيرهما شق مستطيلا والشقيقة ضرب من الجماع كانه على شق واحد والشقة
بالضم والكسر البعد والناحية يقصدها المسافر والسفر البعيد وكله واضح في التفرقة والمشقة ايضا لانها تاخذ احد شقي النفس والفرس
الاشق البعيد ما بين الفروج والطويل كان اجزاءه تفرقت وطال ضد ما تقدم من اصتبار الصغير والاشق ايضا الجمل الذي يحكم كانه
عما هو اهل من شق الارض بالحراثة وكل ما انشق نصفين والشقيقة كسفينة الفرجة بين الجبلين تنبت العشب لانها فرقت بين
الجبلين وفرق عشبها بين ملتئم ارضها والمطر الوابل المتسع لان الغيم تشقق عنه ومن البرق ما انتشر في الافق لانه يشق السحاب
ووجع ياخذ نصف الراس والوجه وشقائق النعمان معروف وسميت لحمرتها تشبيها بشقيقة البرق كذا قال او وعندي انها سميت لتفرق
اوراقها وتصعفها فانها مشققة مع التجمع والشقاق كغراب تشقق يصيب ارساغ الدواب والشقشقة بالكسر شيء كالرئة
يخرجه البعير من فيه اذا هاج كانه يشق حلقه فيخرج ويذهب الذي يشق لطافة وتجويفا ومنه شقشق الفحل هدر
والعصفور صوت وشقق الكلام اخرج احسن مخرج وشقق الحطب فرق كل واحدة باثنتين او اكثر وانشقت العصى تفرق الامر
والاشتقاق اخذ شق الشيء والاخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد لانه يشقق جهة المعنى وهو ايضا اخذ
الكلمة من الكلمة فانه فرق بين اجزائها وهذا اخي وشق نفسي وشقيقي كانه شق نسبه من نفسه او كانه شقة منه وهذه السورة
اخر سورة نزلت روى البخاري في التفسير وغيره في صحيحه عن البراء رضه قال اخر اية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة واخر
سورة نزلت براءة ولما كانت مناسبة اولها الدال على البراءة ممن يخشى نقضه لاخر الانفال المبين لمن يصلح للولاية المختتم بشمول
العلم فيه من عظيم الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة اخر الاعراف لاول الانفال قرنت بالانفال مع قصرها عن براءة مع طولها و
اشتباه امرها على الصحابة في كونها سورة مستقلة او بعض سورة كما تقدمت ال عمران مع قصرها عن النساء ولمثل ذلك في الكتابة
فكما ذكر في براءة من البراءة والتولي شرح لاخر الانفال روى الامام احمد في مسنده وابو داود في السنن والترمذي في الجامع
وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واسحق بن راهويه وابو يعلى والبزار والبيهقي والامام ابو محمد اسحق بن ابراهيم البستي القاضي
في تفسيره بسند الترمذي والبيهقي والامام ابو جعفر النحاس بغير سنده عن ابن عباس رضه قال قلت لعثمان بن عفان رضه ما حملكم على ان عمدتم
الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال
ما حملكم على ذلك فقال عثمان رضه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما وقال البستي ربما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه
السور ذوات العدد فكان اذا انزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا
وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت البراءة من اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها قال النحاس وذهب عني ان اسأله عنها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر
بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول زاد ابن راهويه وكانتا تدعيان القرينتين فجئ انهما اشتبهتا عليه لنه ووضعهما في
الطول لمناسبتها لها على تقدير كونهما سورة واحدة قال في القاموس والسبع الطول كصرد من البقرة الى الاعراف والسابعة سورة
يونس او الانفال وبراءة جميعا لانهما سورة واحدة انتهى وقال في الكشاف وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما

نزلت

نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من يقول
هما سورتان وتركت بسم لقول من يقول هما سورة واحدة انتهى وعن ابي بن كعب رضه انه قال انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي
براءة نبذ العهود فوضعت احديهما بجنب الاخرى والمراد بالمثاني هنا ما دون المئين وفوق المفصل قال ابو عبيد الهروي قيل لها مثاني لان المئين جعلت
مبادي والتي تليها مثاني انتهى والاحسن كون ذلك بالنسبة الى المفصل من وجهين الاول ان المفصل اول القصار للسور باعتبار القصر وفوقه
المثاني ثم المئون ثم الطول فالمثاني ثانية لحقيقة وما هي ثانية للمئين الا ان اعتبار الابتداء بالطول من الطرف الاخر الثاني انها لما زادت
على المفصل كانت تقسم السورة منها في ركعتين من الصلوة كقراءة سورتين من المفصل فكان ثنتين من التثنية في مجموع الصلوة باعتبار
قراءة بعضها في كل من الركعتين قال ابو جعفر النحاس قال ابو اسحق حدثني بعض اصحابنا عن اصحابنا محمد بن يزيد انه قال لم تكتب في اول سورة براءة
بسم الله الرحمن الرحيم لان بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء خير وبراءة اولها وعيد ونقض العهود فلذلك لم تكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن
عباس رضهما قال سألت عليا رضه لم لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ههنا قال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود
وليس فيها امان انتهى وبهذا اخذ الامام ابو القاسم الشاطبي في قصيدته حيث قال ومهما تصلها او بدات براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسملا
وقال الحاكم في مستدركه عن ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا تكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا
قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول السلام على من
اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة انتهى ولا يعارض هذا خبر ابن عباس رضهما عن عثمان بن عفان رضه بل هو سبب لما ترك مع غير بسملة
للمعنى المذكور واشتبه امرها على الصحابة رضهم ولم يقع السؤال عنها حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت مع موافقتها للسور في
تسميتها لهم بخصوصها دليلا على انها سورة براسها ومخالفتها في ترك انزال البسملة في اولها مع احتمال انها تركت للمعنى المذكور او لغيره دليلا
على انها بعض سورة فقد روى ابو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة
وفي رواية لا يعلم انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم قال الحافظ ابو شامة هذا حديث حسن والحاكم في المستدرك ايضا عن
ابن عباس رضه قال كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم فاذا انزل علموا ان السورة قد انقضت فلما اشتبه
امرها ترك كتابة البسملة في اولها وفصلوها عن الانفال تكميلا والله الموفق هذا وقد مضى تناسب قصتيهما في اول الانفال ومن اثنائها
الاعراف اجمالا واما تفصيلا فلما ختم كل منهما بما في نبذ العهد الى من خيف نقضه وان المسجد الحرام لا يصلح لولايته الا المتقون وان المشركين نجس
لا صلاحية فيهم لقرابة وان قلة حزب الله لا تضرهم اذا رموا على كثرة الخصم وكثرتهم لا تغنيهم اذا حصل من بيانهم كسر والحث على الجهاد
في غير موضع وضمان الغنى كما اشار اليه في الانفال بقوله لهم مغفرة ورزق كريم وذكر احكام الصدقات التي هي من وادي الغنائم وعد اصناف
كل والامر بالانفاق المشار اليه في الانفال بقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الى التناصر في الانفاق وغيره كما فعلوا في مال التجارة
الذي ارصدوه حتى استعانوا به على غزوة احد المشار اليه بان الذين كفروا ينفقون اموالهم من ايثار لا تفعلوه وبيان احوال المنافقين
المشار اليهم في الانفال بقوله اذ يقول المنافقون الاية والامر الجامع للكل انهما معا في بيان حال النبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر
واثنائه ومنتهاه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في كتابه اتصالها بالانفال اوضح من ان يتكلف توجيهه حتى ان شدة المشابهة والالتئام
مع ان الشارع عليه السلام لم يبين انفصالهما اوجب ان لا يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك ان الانفال قد تضمنت الامر بالقتال
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبين احكام الفرار من الزحف وحكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت والحق التائب للفار وانها على الحين الضعف
واحكام الاسرى وحكم ولاية المؤمنين وما يدخل تحت هذه الولاية ومن يخرج عنها ثم ذكر في السورة الاخرى حكم من عهد اليه من المشركين
والبراءة منهم اذا لم يوفوا وحكم من استجار منهم الى ما يتعلق بهذا وكله باب واحد واحكام متواردة على قضية واحدة وهو تكرير

حكم المخالف فالتحمت السورة من اعظم التحام ثم تعالى الكلام على حكم المنافقين وهتك استارهم انتهى واما تطابق طرفي الانفال معا وطرفها
فقد ظهر مما مضى وايضا فلما ذكر في اخر التي قبلها امر العهد تارة بنبذه الى من خيفت خيانته كائنا من كان في قوله فانبذ اليهم على سواء
وتارة بالتمسك به عند الامن منه الى مدة في قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وبين من يصلح للموالاة ومن لا يصلح وختم بالاخبار بتحول
علم ابتدئت هذه السورة بالامر بالنبذ الى الكل عند ما تبين انهم نقضوا او خيف منهم ذلك وذكر التصريح بما انتهت اليه الموالاة في التي قبلها
في الحد بين الفريقين لا تصلح للموالاة الا اخرى فقال تعالى براءة اي عظيمة ثم وصفها بقوله من اي حاصلة وواصلة من الله اي المحيط
بصفات الكمال فهو العالم بمن يستحق الولاية ومن يستحق البراءة ورسوله اي المتابع لامره لعلمه به ولما كانوا قد توقفوا في الحديبية
او كثير منهم تارة في نقض العهد وتارة في التاخر عن الامر بالحلق ثم تابعوه في كل منهما وكان الكفار بمحل البعد من كل خير اشار الى ذلك
باعادة الغاية وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم معه اشارة الى انه لا يخالفه اصلا واسندت المعاهدة اليهم اشارة الى ذلك والتوقف
تحذير لهم ان يقع مثله فقال الخبر على المبتدأ الموصوف الى الذين عاهدتم اي اوقعتم العهد بينكم وبينهم من المشركين اي وان كان معاهدتكم
لهم انما كانت باذن من الله ورسوله فقد تبين عن ذلك اما الله فبالغنى المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذي اختاره له من البراءة
لانه ما فعل ذلك الا وهو قادر على نصره بغير سبب وعلم ان ذلك فيمن نقض او قارب بقوله بعد الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
شيئا الاية قال البغوي لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا
كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره الله بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم الاية
انتهى وذكر ذلك ابن اسحق وغيره ولعله اطلق هنا ولم يقيد بمن خيف نقضه لتكون اول السورة مؤذنا بان الخيانة واهل النقض
كان شأن اكثرهم ولا سيما مشركوا قريش فهم لكونهم قريشا ورءوس الناس والناس تبع لهم في الخير والشر يستحق ان يعبر عنهم بما يعم الكل ومبنى
هذه السورة على البراءة من المشركين والموالاة للمؤمنين الدال على ايمانهم طاعة الله بالصلوة والزكوة والجهاد والامر بالبراءة منتقل او كثر ترتيب
او بعد في المنشط والمكره والعسر واليسر لما كان ما هو الحال وقت تكامل نزولها وهو شوال او ذو القعدة او ذو الحجة سنة تسع بعد رجوع
النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك ان الحرب قد وضعت اوزارها واطفئ نارها بتبسط الاسلام في الخاص والعام ما بين اليمن والشام وانتشار
الوثنية واعلامه وتأثير رتبته واما من بقي من الكفار وقصد الناس بالمبايعة من جميع الامصار اكرام الجهاد ومصارمة الانداد في هذه
السورة تأكيدا لم يؤكد في غيرها ذكر الواقدي في اواخر غزوة تبوك كلاما ثم قال قالوا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من غزوة تبوك
في رمضان سنة تسع ثم قال فجعل المسلمون يبيعون اسلحتهم ويقولون قد انقطع الجهاد فجعل القوي منهم يشتريها لفضل قوته فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك وقال لا تزال عصابة من امتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال وانما قلت ان تكامل نزولها كان
في شوال او في ذي القعدة او في ذي الحجة لان البغوي نقل عن الزهري ان اولها نزل في شوال وقال ابن اسحق ونقله عنه البيهقي في دلائل النبوة
ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من تبوك بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث ابا بكر رضه اميرا على الحج سنة تسع
ليقيم للمؤمنين حجهم والناس من اهل الشرك على منازلهم من حجهم واسند البيهقي في دلائله الى عروة قال اقام الناس الحج عام سنة تسع بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر اميرا على الناس وكتب له سنن الحج انتهى فخرج ابو بكر والمؤمنون رضهم ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه ان لا يصد عن البيت احد جاءه ولا يخاف احد في الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما
بينه وبين الناس من اهل الشرك ونقل ابو محمد البستي عنه انه قال كانت هذه المدة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
العرب ان لا يصد احد عن البيت ولا يتعرض لحاج ولا معتمر ولا يقاتل في الشهر الحرام وكان امانا مستفيضا من بعضهم لبعض على حيز مدة معلومة
رجع الى رواية ابن هشام في سيرته وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص الى اجال مسماة فنزلت
فيه وفيمن تخلف من المنافقين في تبوك وفي قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر اقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ثم قال

قوله العهد المعاهدة بان وصفها بالاحد فعلم النقض نقل لها وبيان ان الاطلاق ... تعبير الاشتقاق من العهد انما هو ... وصح المؤمنين لاما لله ورسوله

ابن هشام

ابن هشام قال ابن اسحق وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن ابي جعفر محمد بن علي انه قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
كان بعث ابا بكر الصديق رضه ليقيم للناس الحج قيل له يا رسول الله لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من اهل بيتي ثم دعا علي بن
ابي طالب رضه فقال اخرج بهذه القصة من صدر براءة فاذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له الى مدته فهذا فيه انها نزلت بعد سفر ابي بكر رضه وانما فيه دلالة على تكامل
نزولها لانه ورد ان الذي نزل في النقض فبعث به عليا رضه انما هو عشر ايات او سبع وفي بعض الروايات التصريح بنزولها قبل سفر ابي
بكر رضه ففي زيادات مسند الامام احمد عن علي رضه قال لما نزلت عشر ايات من براءة على النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا بكر رضه فبعثه
بها ليقرأها على اهل مكة ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادرك ابا بكر فحيث ما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به الى اهل مكة فاقرأه
عليهم فلحقته فاخذت الكتاب منه ورجع ابو بكر فقال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما رجع انزل فيّ شيء قال لا ولكن جبريل عليه السلام جاءني فقال لن يؤدي عنك الا انت
او رجل منك ونقل البغوي عن ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم بعث مع ابي بكر اربعين اية من صدر سورة براءة ليقرأها على اهل الموسم ثم بعث
بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة وفيه ان ابا بكر رضه قال يا رسول الله انزل في شيء
قال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الامر الا رجل من اهلي فتبين ان الاول انما اطلاق الكل على الجزء كما هو الذي فيه البراءة وما فيه
السورة من البراءة الابد وان المعنى لا يؤدي عني في النبذ مطلقا فقد ارسل الاداء عنه من غير اهل بيته وقال المهدوي في تفسيره
في النقض وقيل ان هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروج ابي بكر بالناس ليحج بهم سنة تسع فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضه
يتلوها على الناس بالموضع الذي يجتمع فيه الفريقان وهو منى وامره ان ينادي ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فنادى علي
واعانه ابو هريرة وغيره وكان على مكة عتاب بن اسيد رضه استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وعلى ثماد حج عتاب
وابي بكر سنة تسع في ذي القعدة كذا قال وهذا ليس بباطل لانه تقدم خلافه عن ابن اسحق ودلائل النبوة وقال الامام ابو محمد اسحق بن ابراهيم
البستي القاضي في تفسيره حدثنا قتيبة ثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من تبوك فاراد الحج
فقال انه يحضر البيت المشركون يطوفون عراة فلا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فارسل ابا بكر وعليا رضهما فطافا في الناس بذي المجاز
وبامكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله واذنوا اصحاب العهد بان يامنوا فالقوا لهم اربعة اشهر يعني الاشهر الحرم المنسلخات
المتواليات عشرون من اخر ذي الحجة الى عشر يخلون من ربيع الاخر ثم لا عهد لهم فاذن الناس كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا فامن الناس اجمعون ولم يسر
البستي حدثنا يونس بن بكير عن اسباط بن نصر الهمداني عن اسمعيل بن عبد الرحمن السدي نحوه في الاجل اربعة اشهر قال عشرين من ذي الحجة
الى عشر ربيع الاخر ثم لا امان لاحد ولا عهد الا السيف او الاسلام وقال ابن اسحق حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب رضه فاذن في الناس
بالذي امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم واجل الناس اربعة اشهر من يوم اذن فيهم ليرجع كل قوم الى مأمنهم وللترمذي عن زيد بن اثيع
قال سألت عليا رضه باي شيء بعثت قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم
هذا ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ومن لا مدة له فاربعة اشهر ونقل ابن اسحق انهم ... انه
لما نزل المشركين هذا الاجل قالوا اي لا ينبغي تلك المدة برئنا منك ومن ابن عمك الا من الضرب والطعن فحج الناس عامهم ذلك
فلما رجعوا ارغب الله المشركين في الاسلام طوعا وكرها وصدق الله ورسوله فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان
وقد وردت نصوص وظواهر في كثير من سورة براءة انه نزل قبل الرجوع من تبوك او قبل الاعتذار فمن النصوص قوله تعالى لو كان عرضا
قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم وقوله فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا الاية يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا
الله من اخباركم الى ان قال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم الاية واما الظواهر فان الواقدي قال في سيرته

فانزل الله القرآن في غزوة تبوك ثم ذكر سورة براءة وقال هو وغيره من اصحاب السير وكان رهط من المنافقين يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم
في تبوك منهم وديعة بن ثابت فذكر القصة التي فيها ان بعضهم قال اترهيبا للمومنين اتحسبون قتال اهل بني الاصفر كقتال غيرهم والله لكانا بكم
غدا مقرنين في الجبال وقال كل منهم شيئا الى ان قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر ادرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا
فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا الى ان قال ان بعضهم قال انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيه ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
الى قوله بانهم كانوا مجرمين ثم ذكر اصحاب الجلاس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف ما قال من ذلك شيئا وكان قد قال لئن كان محمد صادقا فنحن شر
من الحمير فانزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى اخرها فاعترف الجلاس وتاب وحسنت توبته وذكر مسجد
الضرار واهله كانوا سالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو متجهز الى تبوك ان يصلي لهم فاعتذر اليهم بشغله في السفر ووعدهم ان يصلي فيه اذا
رجع فلما نزل صلى الله عليه وسلم بذي اوان وقال ابن هشام بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار اتاه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا اثنين
من اصحابه فامرهما بهدمه وتحريقه وتفرق اهله ونزل فيه من القرآن والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى اخر القصة قال الواقدي وكان عاصم بن
عدي يقول كنا نتجهز الى تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فرايت عبد الله بن نبتل وثعلبة بن حاطب قائمين على مسجد الضرار الى ان قال فلما رجعنا
من سفرنا حتى نزل القرآن بذمه وذم اهله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية فهذا ومن ذلك تسميتها بالفاضحة فلولا نزولها قبل معرفة اخبارهم
لم تكن فاضحة ومعنى الظاهر للمعاهدين وفي الباطن مشيرة الى اهل الردة وان لا يقبل منهم الا ما لم يجمعوا بين الصلوة والزكوة كما فهم
ابو بكر رض والائمة على ذلك ترى ان منها تكرير الجمع بين الصلوة والزكوة في سياق الايمان تكريرا لم يكن في غيرها من السور فهي من اعلام
النبوة وروى ابو محمد اسحق بن ابرهيم القاطي البستي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان هذه الآية [illegible] عشر آيات من براءة وعشر
من الانعام وعشر في المومنين [illegible] وهما اعلمهم [illegible] بان يرد اليهم عهدهم كانوا مختلطين مع اهل الاسلام جعل لهم مخلصا ان ارادوا
البقاء على الشرك مع اعلامهم بان الاخلاص لهم لانهم في قبضته فقال مخاطبا لهم [illegible] سببا على البراءة فسيحوا والسياحة الاسراع
في السير والبعد في المدى والعمارة مع ادلال [illegible] الطعام والشراب ولذلك يقال للصائم سائح والمراد هنا مطلق السير ولما كانت السياحة تطلق
على غير حقوق [illegible] بقوله في الارض اي في جهة شئتم اربعة اشهر اي ايام الحج [illegible] ربيع الاخر [illegible] فيها
منا لا نعرض لكم بسوء بل تذهبون فيها حيث شئتم او تتحصنون [illegible] وتلمون شعثكم [illegible] على [illegible]
ولو لا ان الامر يتعلق بنفوسنا ما نبذنا عهدكم ولا نقضنا [illegible] في النفس وقد ظهرت منكم امارات الغدر ولوائح الشر وعن ابي
[illegible] فاذا انقضت الاربعة الاشهر [illegible] لنا وترعوا لنزالنا [illegible] الاسلام [illegible] كان خفيا وقوي بعد ان كان
ضعيفا افتتح وعظم بالجملة التي تقال [illegible] تفريغ سمعه وايقاظ قلبه وتنبيها على ان ما بعدها امر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به
واعلموا انكم ايها الكفرة وان كثرتم غير معجزي الله لانه محيط بكل شيء فهو قادر على كل ممكن وان الله اي بما له من الاحاطة
بالجلال والاكرام مخزي الكافرين اي كلهم منكم ومن غيركم في الدنيا والاخرة لان قوله قد سبق بذلك ولا يبدل القول لديه والاخزاء الاذلال
مع اظهار الفضيحة والعار واظهر الوصف موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم به ولعل الالتفات الى الخطاب اشارة الى [illegible] امر الله حربا على قريب
او عشير [illegible] وقد برئت منه الذمة فلينج بنفسه لاتحالة ويكون [illegible] الكفار بالدين [illegible] وترهيبهم بزواجر العقاب ولما ان
البراءة [illegible] الاعلام [illegible] الجمع الاعظم ليقع النجح فقال عاطفا [illegible] الجملة التي [illegible] الاخبار بوجوب الاعلام [illegible] الجملة الاولى المعطوفة
عليها من البراءة واذان اي وهذا اعلام واعلان [illegible] واصل من الله اي المحيط بجميع صفات العظمة ورسوله اي الذي عظمته من عظمته
فلا يوجد [illegible] الاعلام عليه [illegible] المقصود الابلاغ الذي هو وظيفة الرسل [illegible] فقال الى الناس اي كلهم من اهل
البراءة وغيرهم يوم الحج الاكبر قيده لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولما كان قيل ما هذا الاعلام قال مفسرا له [illegible] بما هو المقصود لئلا يقع
فيه نوع لبس [illegible] الصلة اعلاما بان هذا استئنافا على تقدير سؤال سائل [illegible] الاذان ان الله اي الذي له الغنى المطلق والقوة

الباهرة

الباهرة بريء من المشركين اي الذين عاهدتم خاص [illegible] والذين [illegible] البراءة منهم صنفان احدهما كانت مدته دون اربعة اشهر
فرفع اليها والاخر مدته غير محدود فقصر عليها [illegible] لم يكن له عهد فهو [illegible] كان عهده مجهولا او محدودا باكثر من اربعة اشهر ولم يجد شرا امر باتمام
عهده الى مدته ورسوله اي بريء منهم [illegible] بالرفع عطفا على المنوي في بريء وعلى محل ان المكسورة واسمها [illegible] وقرئ بالنصب عطفا على
اسم ان او لان الواو بمعنى مع وبالجر على الجوار وقيل على القسم قال في الكشاف ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريئا من رسوله
فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر رض فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر رض بتعلم العربية وروى الامام ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري في
كتاب الوقف والابتداء بسنده عن ابن ابي مليكة قال قدم اعرابي في زمان عمر رض فقال من يقرئني مما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم فاقرأه رجل براءة
فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي او قد بريء الله من رسوله ان يكن الله بريء من رسوله فانا ابرأ منه فبلغ عمر رض مقالة
الاعرابي فدعاه فسأله فاخبره فقال عمر رض ليس هكذا يا اعرابي قال فكيف هي يا امير المومنين فقال ان الله بريء من المشركين ورسوله فقال الاعرابي
وانا والله ابرأ مما بريء الله ورسوله منه فامر عمر بن الخطاب رض ان لا يقرئ القرآن الا عالم باللغة وامر ابا الاسود فوضع النحو [illegible]
بشان العرب [illegible] حكاه الشريف محمد بن اسعد الجواني النسابة في كتابه في الانساب في ترجمة ابي الاسود الدولي بسنده اليه قال دخلت على امير المومنين
علي بن ابي طالب رض فرايته مطرقا متفكرا فقلت فيم تفكر يا امير المومنين فقال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فاردت ان اضع كتابا في اصول العربية
فقلت له ان فعلت هذا بقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد ايام فالقى الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم
ما انبأ عن المسمى والفعل ما انبأ عن حركة المسمى والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم ان الاشياء
ثلثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل الناس في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر قال ابو الاسود فجمعت اشياء وعرضتها عليه
فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكان ولم اذكر لكن فقال لم تركتها فقلت لم احسبها منها فقال بلى هي منها فزدها
فيها وقال ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في طبقات النحويين وقال ابو العباس محمد بن يزيد [illegible] ابو الاسود الدولي اول من فتح الطريق الى الوضع في النحو وارشد
اليه فقال [illegible] علي بن ابي طالب [illegible] اصولا احتذى عليها وفي مختصر طبقاتهم للحافظ محمد بن عمران المرزباني كان علي بن ابي طالب
قد رسم لابي الاسود الدولي حروفا يعلمها الناس لما فسدت السنتهم فكان لا يحب ان يظهر ذلك ضنا به بعد علي رض فلما كان زياد وجه اليه ان اعمل شيئا يكون
للناس اماما وينتفع به الناس [illegible] فقد كنت [illegible] يصلح الله به السنة الناس فدافع بذلك حتى مر يوما بكلاء البصرة واذا قارئ يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله
وحتى سمع رجلا يقول سقطت عصاتي فقال لا احسب [illegible] ان ادرك الناس فجاء الى زياد فقال انا افعل ما امر به الامير فليبغ لي كاتبا حصيفا
ذكيا يعقل ما اقول فاتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فاتي باخر من ثقيف وقال ابن الانباري في كتاب الوقف حدثني ابي نا ابو عكرمة قال قال
العتبي كتب معاوية الى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فرده الى زياد وكتب اليه كتابا يلومه فيه ويقول امثل عبيد الله
يضيع فبعث زياد الى ابي الاسود فقال يا ابا الاسود ان هذه الحمراء قد كثرت وافسدت من السن العرب فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم
ويعربون به كتاب الله فابى ذلك ابو الاسود وكره اجابة زياد الى ما سال فوجه زياد رجلا وقال له اقعد في طريق ابي الاسود فاذا مر بك
فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مر به ابو الاسود رفع الرجل صوته يقرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله فاستعظم ذلك ابو
الاسود وقال عز وجه الله ان يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد فقال يا هذا قد اجبتك الى ما سالت ورايت ان ابدأ باعراب القرآن
فابعث الي ثلثين رجلا فاحضرهم زياد فاختار منهم ابو الاسود عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغا
يخالف لون المداد فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة في اسفله
فان اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى اتى على اخره ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك انتهى ويوم الحج
المذكور هنا للجنس يعني جميع ايام الحج قاله سفيان الثوري كيوم صفين والجمل وبعاث يراد به الحين والزمان الذي كان فيه ذلك ولهذا
نادى علي رض بنفسه ومن ندبه لذلك في جميع تلك الايام وقال ابو حيان الظاهر انه يوم واحد فقال عمر رض وجماعة هو يوم عرفة وروي عن

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو موسى وجماعة هو يوم النحر وقيل ايام الحج كلها قاله سفيان بن عيينة والذي تظافرت به الاحاديث ان عليا رضي
اذن بتلك الايات يوم عرفة اثر خطبة ابي بكر رضي الله عنه ثم راى انه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان بها يوم النحر وفي ذلك اليوم بعث
ابو بكر رضي الله عنه من يعينه بها كابي هريرة وغيره رضي الله عنهم وتتبعوا بها ايضا اسواق العرب كذي المجاز وغيره وبهذا ترجح قول سفيان انتهى وروى عبد الرزاق
عن علي رضي الله عنه انه يوم النحر وقال في تفسيره ايضا اخبرنا معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر لانه حج ابو بكر رضي الله عنه الحجة التي حجها واجتمع فيه المسلمون
والمشركون ووافق ذلك عيد اليهود والنصارى ولما علم بجانب البراءة بسبب عنها خبر امرها ترد التفات الى الخطاب فان تبتم اي عن الكفر
والغدر فهو اي المتاب العظيم وهو المتاب خير لكم اي لانكم تفوزون في الوفاء بالامان في الدنيا وفي الاخرة بالسلامة في الدارين
ولما كانت التوبة محبوبة بالطبع لما لها من النفع قال وان توليتم اي كلفتم انفسكم خلاف ما تشتهي من التوبة موافقة للفطرة الاولى وامرتكم
على الكفر والغدر اتباعا للهوى المكتسب من خباثة الجبلة ورداءة الاخلاط التي تعلقت بالروح عن اوجها الاول الحنيفي الاصل فاعلموا
اي علما لا شبهة فيه انكم غير معجزي الله اي الذي له صفات الكمال من الجلال والجمال والالتفات هنا مثله في فسيحوا والاشارة به للعاد كما في
ذلك وعلما واجههم بالتهديد اعرض عنهم فوجه الخطاب بتحقيرهم مخاطبا لاعلى خلقه مبشرا له بما طلوب التهكم بهم فقال عاطفا على ما
تقديره فبشر العائدين بالجنة او فبشر التائبين بنعيم مقيم وبشر الذين كفروا اي اوقعوا هذا الوصف بعذاب اليم اي في الدنيا
او في الاخرة او فيهما ولما اعلمهم بالبراءة وبالوقت الذي يؤذن بها فيه وكان معنى البراءة منهم نبذ العهد اليهم استثنى بعض المعاهدين فقال
الا الذين عاهدتم اي اوقعتم بينكم وبينهم عهدا من المشركين ثم اي بعد طول المدة اتصفوا بانهم لم ينقصوكم شيئا اي من الامارات الدالة
على الوفاء في انفسهم كما نقض بنو الديل من بني بكر في قتالهم لخزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا اي يعاونوا معاونة تظهر
عليكم احدا اي من اعدائكم كما ظاهرت قريش حلفاءهم من بني الديل على حلفائكم من خزاعة فاتموا واشار الى بعدهم عن الخير بحرف الغاية
فقال اليهم عهدهم الى مدتهم وان طالت قال البغوي وهم بنو ضمرة حي من كنانة وقال قد بقي من عهدهم تسعة اشهر وكان
السبب فيه انهم لم ينقضوا وقال النحاس ويقال ان هذا مخصوص يراد به بنو ضمرة خاصة وقال ابو جعفر الطبري ثنا قتيبة ثنا الحجاج عن ابن جريج
عن مجاهد قال كان بين بني مدلج وخزاعة عهد وهم الذين قال الله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ولما كانت محافظتهم على عهدهم من اثر التقوى
وكان الامر بالاحسان الى شخص من افعال المحب قال معللا ان الله اي الذي له صفات الكمال يحب المتقين اي يفعل بهم وبكم افعال المحب فهو
ترغيب للكل على التقوى وكل يدل على ما فيهم فهو من الاعجاز الباهر ولما قرر امر البراءة اثباتا ونفيا ارشد الى ما يصنع بعد ما ضرب لهم من الاجل فقال
فاذا اي فتسبب عن ذلك انه اذا انسلخ اي انقضى وانجرد وخرج ومضى الاشهر الحرم اي التي حرمت عليكم فيها قتالهم رضي بها لهم
اجلا لسياحتهم والتعريف فيها مثله في فارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاقتلوا المشركين اي الناكثين الذين ضربتم لهم هذا
الاجل احسانا وكرما قال البغوي قال الحسين بن الفضل هذه الاية تنسخ كل اية في القران فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء انتهى ومعنى
حيث وجدتموهم اي في حل او حرم في شهر حرام وغيره وخذوهم اي بالاسر واحصروهم اي بالحبس عن اتيان المسجد والتصرف في بلاد الاسلام وكل مقصد
واقعدوا لهم اي لاجلهم خاصة فان ذلك من افضل العبادات كل مرصد اي ارصدوهم وخذوهم بكل طريق يمكن ولو على غرة واغتيال من غير دعوة
وانتصابه على الظرف لان معنى اقعدوا لهم ارصدوهم ومتى كان العامل في الظرف المختص لفظه اي معناه جاز ان يصل اليه بغير واسطة في فكما يتعدى
الفعل الى المصدر غير لفظه اذا كان بمعناه فكذا الى الظرف ذكره ابو حيان والتعبير بالقعود للارشاد الى التأني والترصد والاستقرار والتمكن
وايصال الفعل الى الظرف اشارة الى ان يشغلوا في الترصد كل جزء من اجزاء كل مرصد قدروا على ذلك بخلاف ما لو عبر بفي فانه انما يدل على شغل
كل مرصد الصادق بالكون في موضع واحد منه اي من كل مكان ولما امر بالتضييق عليهم بين ما يوجب الكف عنهم فقال فان تابوا اي عن الكفر
واقاموا اي وصدقوا دعواهم التوبة بالبينة العادلة بان اقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي فوصلوا ما بينهم وبين الخالق وما بينهم وبين
الخلائق بخضوعا وتركا للفساد ومباشرة للصلاح على الوجه الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا وجد هذان الشاهدان العدلان

فخلوا

فخلوا سبيلهم اي بان لا تعرضوا لشيء مما تقدم لان الله يقبل ذلك منهم ويغفر لهم ما سلف ان اي لان الله اي الذي له الجلال والاكرام
غفور رحيم اي بليغ المحو للذنوب التي تابوا منها حتى لا عتاب عليها والاتباع له بالاكرام ولما سد عليهم طرق مخالطتهم ما لم يتصفوا بالتوبة
المدلول عليها بالشاهدين المذكورة سدا مطلقا وفتح عند الانقضاء بابا فتحا مطلقا عطف على ذلك طريقا اخر وسطا مقيدا فقال
وان احد من المشركين اي الذين امرناكم بقتالهم استجارك اي طلب ان تعامله في الاكرام معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة فاجره
اي فامنه ودافع عنه من يقصده بسوء حتى يسمع كلام الله اي الملك الاعظم بسماع التلاوة الدالة عليه فيعلم بذلك ما يدعو اليه من المحاسن
ويتحقق انه ليس من كلام الخلق ولما ذكر اجارته وكان له بعدها توبة واصرار وكان حال التائب قد ذكر بين ما يفعل به ان اصر فقال ثم ابلغه اي
ان اراد الانصراف ولم يسلم مأمنه اي الموضع الذي يأمن فيه ثم قاتله بعد بلوغه المأمن ان شئت من غير غدر ولا خيانة قال الحرالي هي حكمة
الحليم الفهمة تعالى اذ الاحب اي يجيء عذرهم بقوله ذلك اي الامر بالاجارة للغرض المذكور بسبب بانهم قوم لا يعلمون اي لا علم لهم
لانهم لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة ولا كتاب فاذا علموا اوشك ان ينفعهم العلم ولما كان الامر بالنبذ مظنة لان يعجب منه عجب من نوى المحو شعبية من
وانكرها عليه فقال كيف يكون للمشركين اي اهل العراقة في الشرك الذي توجب غرابتهم فيه محبتهم لظهوره نكث العهد الذي لا اقبح منه عند
العرب ولا اشنع عهد عند الله اي المستجمع لصفات الكمال الذي يجب النقض من اوليائه فكيف بمن اعدائه وعند رسوله اي الذي هو
اكمل الخلق واوفاهم واحفظهم للعهود والعامهم ضمن اضداده فاعمالهم اضداد اعماله وقد بدا منهم الغدر ولما كان استفهام الانكار في معنى النفي
صح الاستثناء منه فكانه قيل لا يكون للمشركين عهد الا الذين عاهدتم اي عاهدتم منهم كما تقدم عند المسجد الحرام اي الحرم يوم الحديبية وهذا
مما يدل على ان الاستثناء المتقدم من الذين في قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال البغوي قال السدي والكلبي وابن اسحق
هم قبائل بكر بني خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل
من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض لما استثنى بين حكم المستثنى فقال فما استقاموا لكم اي ركبوا الطريق الاقوم في الوفاء بعهدهم
فاستقيموا لهم والقول في ان الله اي المحيط بالجلال والجمال يحب المتقين كما سبق ولما انكر سبحانه ان يكون للمشركين غير المستثنين عهد
بين السبب الموجب للانكار مكررا لاداة الانكار تاكيدا للمعنى فقال كيف اي يكون لهم عهد ثابت وان اي والحال انهم مضمرون لكم الغدر
والخيانة بحيث ان يظهروا عليكم اي يعلوا جوركم على امركم بان يظفروا بكم بعد العهد والميثاق لا يرقبوا اي ينظروا او يرعوا فيكم اي
في اذاكم بكل جليل وحقير الا اي قرابة محققة ولا ذمة اي عهدا لعلمهم ان الامر المبيح للنبذ خوف الخيانة وعلامات الغيوب بحجبكم ابدهم في عدة
الخيانة لكم والال هنا القرابة وهو قول ابن عباس والمادة تدور على الالة وهي حربة في نصلها عرض يلزمها الصفا والرقة والبريق
ويشبه الاسراع في العدو والثبات في نفسها ومنه القرابة والعهد والتغير في وصفها ومنه تغير رائحة الاناء وفساد الاسنان
والصوت ومنه الانين والحوارة في الدعاء مع البكاء وخرير الماء والطعن في القفى ومنه ارجعها الى كلام مسيلمة ما يخرج من ال اي من ربوبية
وفي الال اي عزته والهيبة وكما كان ذلك مظنة لان يقال قد ذكروا انا الايمان واوثقوا العهود ولم يدعوا بابا من ابواب الاستعطاف عال
مع الالماما مضى جوابا لمن استبعده يرضونكم وعبر باقصى ما يكن الكلام به من القلوب تحقيقا لانه لم ينفعكم شيء منه فقال بافواههم
اي بالتاكيد وصرح بالمقصود بقوله وتأبى قلوبهم اي العمل بما ابرزته السنتهم وقليل منهم من يحمله وبحوه على الثبات او يرجع عن
هذا الفسق عينه واكثرهم فاسقون اي راسخون الاقدام في الفسق خارجون بمخالفة الفعل للقول عما تريدونه واذا انقض
الاكثر اضطر الاقل الى موافقتهم ولما قدم ما ترتب على كشف سرائرهم شرع سبحانه يقيم لهم الدليل على فسقهم في خيانتهم بتذكيرهم ما
يامن بعضهم من النقض بعد ان اثبت فيما مضى انهم شرع واحد بعضهم اولياء بعض وفيما يلي ان بعضهم من بعض فقال معبرا بما يفيد
انهم تمكنوا في الايمان تمكنا صار كانه في حوزتهم اشتروا اي لجوا في اهويتهم بعد قيام الدليل الذي لا يشكون فيه فاخذوا وتركوا
بايات الله اي الذي لا شيء مثله في جلال ولا جمال على ما لها من العظم في انفسها وباضافتها اليه ثمنا قليلا اي من اعراض الدنيا

وضوا بها مع عقبا الكفر وذلك ان الحبيان اطعمهم اكله فنقضوا بها عهودهم ولما دل على ما اخبر به من فسا قلوبهم استانف بيان ما استحقوه
من عظيم الذم بقوله معجبا منهم **انهم ساء ما** وبين غرابتهم في القبايح وانها خصلة لهم بذكر الكون فقال **كانوا يعملون** اي يجددون عمله
في كل وقت وكانه سبحانه يشير بهذا الى ما فعلت عضل والقاره بعاصم بن ثابت وخبيب بن عدي ذكر ابن اسحق في السيرة عن عاصم بن عمرو والبخاري
في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه كل منهما يكمل صاحبه وقد جمعت بين حديثيهما انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة
فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث نفرا من اصحابك يفقهونا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرايع الاسلام فبعث معهم نفرا ستة
وقال البخاري عشرة وامر عليهم عاصم بن ثابت فخرجوا معهم حتى اذا كانوا بالرجيع ماء لهذيل غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا فلما اتوهم
اخذوا اسيافهم ليقاتلوهم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتل
منكم احدا فاما عاصم فلم يقبل وقاتل حتى قتل هو وناس من اصحابه ونزل منهم ثلثة نفر على العهد والميثاق فلما تمكنوا منهم اطلقوا اوتار
قسيهم فربطوهم بها فقال رجل منهم هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ان لي بهولاء اسوة القتلى فجرروه وعالجوه فابى ان يصحبهم
فقتلوه فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فقتلوهما وقصة العرنيين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاظهروا الاسلام ثم خرجوا الى لقاح النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا الراعي واستاقوا اللقاح بعدما راوا الآيات فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
في آثارهم فقتلهم وفي تاريخ ابن الفرات عن القتيبي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن عوسجة البجلي الى بني حارثة بن عمرو بن قرط
بكتاب فرقعوا دلوهم بالكتاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لهم ذهب الله بعقولهم فهم اهل رعدة وكلام مختلط ولما خرج اهل مكة بعد
ان عاملهم النبي صلى الله عليه وسلم بغاية الاحسان اعتقهم وعفى عنهم بعد تلك الحروب والاذى في المبالغة بالنكايات التي لا يعفو عن مثلها
الا الانبياء خرجوا معه الى حنين غير راجين النصرة ولا محبين لعلو امره بل هم الذين انهزموا بالناس كما نقله البغوي عن قتادة وقال
ابو حيان ويقال ان الطلقا من اهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمة في المسلمين وبلغ فلهم مكة انتهى وقال الواقدي وخرج اهل مكة مع النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يتغادر منهم احد على غير دين ركبانا ومشاة ينظرون لمن تكون الدبرة فيصيبون من الغنايم ولا يكرهون ان تكون الصدمة
لمحمد واصحابه وقال هو وغيره فلما كانت الهزيمة حيث كانت والدبرة على المسلمين تكلم قوم بما في انفسهم من الكفر والضغن والغش وذكروا انه عزم
ناس منهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله منعهم هذا بعض ما غدر به كفار العرب وان اليهود كلهم نقض بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة
ثم اهل خيبر حتى كان ذلك سبب اخراجهم منها واجلايهم الى بلاد الشام ويجوز ان يكون في ذلك اشارة الى انهم قد تبين لهم مثل الصبح جميع ما اخبرهم
به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا لمجرد اهوائهم كانوا قد اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وهو التمتع بما هم فيه مدة حياتهم على ما صاروا اليه
من علو الكلمة وادبار الامر فمن قاده هواه الى ترك السعادة العظمى لهذا العرض الزائل اليسير كافر مات على شيء لانه وصية داعي الهوى وامر
الشيطان لا اذا وانما بدا بنفسه فغدر بها وغشها غير ناظر في مصلحة ولا مفكر في عاقبة ولما اخبر عن بغاتهم بالفسوق دل عليه بان خيانتهم
ليست خاصة بالمخاطبين بل هي عامة لكل من اتصف بصفتهم من الايمان فما اضيانتهم على الوصف فقال **لا يرقبون في مؤمن الا** اي
قرابة واصلا ثابتا جيدا **ولا ذمة** اي عهدا اكيدا **واولئك** البعدا من كل خير **هم** اي خاصة لتناهي عدوانهم **المعتدون** اي عادتهم
المبالغة في حمل انفسهم على التعدي والحدود لعدم ما يردهم عن ذلك من وازع الهي ورادع شرعي كما فعل عامر بن الطفيل باهل بئر معونة مع المهم
في جوار عمه وكان من خبرهم ان عمه ابا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لو بعثت رجالا من اصحابك الى
اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة المعنق ليموت في سبعين رجلا من اصحابه من خيار
المسلمين فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه وعدا عليه فقتله
ثم استصرخ عليهم بني عامر فابوا وقالوا لن نخفر ابا براء فاستصرخ عليهم قبايل من سليم عصية ورعلا وذكوان فقتلوهم فلم يفلت منهم
الا ثلثة نفر عمرو بن امية الضمري واحدهم فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا على قتلتهم شهرا قال البغوي وقال ابن عباس رضي الله عنهما

ثابت

[illegible] رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... اني اخشى عليهم اهل نجد

الا اهل

الا اهل الطائف فانه وهم يعني قد رشيا بالاموال اليهود وهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا الذي احكمه تعالى من نبذ العهد اليهم نظر الدين الذي
نظر لجميع اهله الذين لا يوجد الا بهم ولما بين ما اوجب بعدهم منهم ومعاداتهم لهم بين ما يصيرون به اهلا فقال **فان تابوا** اي الايمان
بسبب ما بين لهم من الغلظة **واقاموا** اي ابدوا ذلك بان اقاموا **الصلوة** اي بجميع حدودها **واتوا الزكوة** اي كما حده رسول الله صلى الله
عليه وسلم **فاخوانكم** اي فهم وبين انها ليست اخوة النسب فقال **في الدين** لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فلا تعرضوا لهم بما يكرهونه ولما كان ذلك
قيل بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل لهم في هذه الآيات تفصيلا عطف عليه قوله **ونفصل** اي في كل امر يحتاج من جميع **الآيات** وعظم هذه
الآيات وحثهم على تدبرها بقوله **لقوم يعلمون** اي صار العلم لهم صفة فلهم ملكة يتصرفون بها في اصوله وفروعه لا يغترون بمجرد كلام
من شانه الرداءة والمخالفة بين القول والعمل والاعتراض بهذا بين هذه الجمل المتلاحمة اشارة الى عظم الامر الذي نبه عليه وتحريض على العمل
النظر فيه ليعلم ان من خوله جليل الامر عظيم القدر لئلا يظن انه تكرار ولما بين الموجب لمجازاتهم بحسب عملهم وهو البراءة منهم وما يتبع
ذلك الى ان ختم بتقدير توبتهم رجع الى قسم قوله فما استقاموا لكم فقال **وان نكثوا ايمانهم** اي التي حلفوها لكم ولما كان النقض ضارا
وان قصر زمنه اتى بالجار فقال **من بعد عهدهم** اي الذي عقدوه **وطعنوا** اي اوقعوا الطعن **في دينكم** اي بقول او فعل ولما كان
هذا الفعل لا يستقل به في الاغلب الا الرؤساء اشار الى ذلك بقوله **فقاتلوا** ووضع موضع ضميرهم تحريضا على قتالهم واشارة الى
انهم ما نكثوا وتقدموا على هجنة الكذب ولم يستحيوا من الخروج عن عادات الكرام الا وقد رسخوا في الكفر فقال **ائمة الكفر** ثم استانف
بقوله معللا لجواز المقاتلة **انهم لا ايمان لهم** اي اذا ولو فعله الاتباع ولم يكفهم الرؤساء فهو عن امر منهم فابدوا بالرؤوس فاقطعوها
تنقطع الاذناب وفي قراءة ابن عامر بالكسر معناها لا امان لهم لانهم قد نقضوا العهد الموجب للامان فمن طعن من اهل الذمة في الاسلام طعنا
ظاهرا جاز قتله فان العهد ماخوذ عليه ان لا يطعن ثم علل المقاتلة بقوله **لعلهم ينتهون** اي ليجعلوا قصدكم بقتالهم ان يكون حالهم حال من
ينتهي عن غيه بما يرى منكم من صادق الجلاد في الجهاد روى البخاري في التفسير عن حذيفة رضي الله عنه قال ما بقي من اصحاب هذه الآية الا ثلثة ولا من
المنافقين الا اربعة احدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده ولما نفى ايمانهم بنفي ايمانهم شرع يعيبهم الدليل على ذلك بامور يكون كل
منها سببا باعثا على الاقدام عليهم وحث على قتالهم في صورة تعجيب ممن يتولى عنه فقال **الا** وهو حرف عرض ومعناه هنا الحض لدخول همزة
الانكار على النافي فنفته فصار مدخولها مثبتا على سبيل الحث عليه فهو ابلغ مما لو اثبت بغير هذا الاسلوب **تقاتلون قوما** اي وان كانوا
منعة عظيمة **نكثوا ايمانهم** اي في قصة عاصم واصحابه والمنذر واصحابه والاعانة على خزاعة وغير ذلك فكان النكث لهم عادة وخلقا
وهذا ايضا ادل على ان قتال الناكثين اولى من قتال غيرهم ليكون في ذلك زاجر او كانت قصة خزاعة انه كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة
قتل في الجاهلية وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية لما كان لهم فيه من المحبة مسلمهم وكافرهم لما بينهم من الحلف
كما تقدم في الانفال ودخلت بنو بكر في عهد قريش فمر على ذلك مدة ثم ان انس بن زنيم الديلي هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام
من خزاعة فوقع به فشجه فخرج الى قومه فاراهم شجته فثار الشر مع ما كان وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دماءها فكلمت بنو نفاثة من بني بكر
اشراف قريش فوجدوا القوم الى ذلك سراعا فاعانوهم بالسلاح والكراع والرجال فخرج نوفل بن معاوية الديلي وهو يومئذ قائدهم
قال ابن اسحق وليس بني بكر تابعه وقال الواقدي واعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد حتى بيتوا خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فاصابوا
منهم رجلا وتجاوزوا واقتتلوا وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل متخفيا متنكرين منتقبين صفوان بن امية ومكرز بن حفص بن الاخيف
وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن ابي جهل واجلبوا معهم ارقاءهم وكانت خزاعة آمنة لمكان العهد والموادعة ولما ذكرهم بمطلق نكثهم في
حق عامة ذكرهم بما خص ابن سيدهم بل سيد الخلق كلهم فقال **وهموا باخراج الرسول** اي من مكة في عمرة القضا بل امروه بالخروج عند
انقضاء الثلثة الايام والحوا في ذلك وهو وان كان ماضيا على ذلك لكن قد نقل ابن اسحق وغيره في قصة النداء بسورة براءة انه كان
في القضية والعهد الذي كان بينه وبينهم ان لا يمنع من البيت احد جاءه زايرا ولعلهم هموا باخراجه قبل الثلثة الايام لما اعلمهم من الحسد عند ما عاينوا

بنشاطا اصحابه وكثرتهم وحسن الهيئة وذلك بغير تعيين افعالهم واظهارهم البر بهم صلى الله عليه وسلم وتواضعه وهو اعلى الخلق مقدارا
واظهرهم هيبة وانوارا واطهرهم سيرة واوثقهم اثارا على المسلم عليه الخروج من بلد ابائه واجداده الذين هم حقهم ايجابا ومستقبلا بيده ووضع
مرتبة [illegible]
[illegible] المدينة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
مقاربين ومباعدين [illegible] فقال وهم بدءوكم
اول مرة اي بالقتال والصد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اتخشونهم
[illegible] فالله اي [illegible] احق اي منهم ان تخشوه
اي لانهم بحيث [illegible] ان كنتم مؤمنين اي فانكم صرحتم بانه الواحد المتفرد
بصفات العظمة لم ينظر الى غير هيبة ولما بكتهم في التولي عنهم وعدهم بما يزيل خشيتهم منهم بل يعقب اقدامهم عليهم ورغبتهم فيهم فقال جوابا
بما تضمنه الاستفهام الانكاري في الا تقاتلون من الامر قاتلوهم اي لا لغرض غيرهم يعذبهم الله اي الذي انتم مؤمنون بانه المتفرد بصفات
الجلال والجمال بايديكم اي بان تقتلوهم وتاسروهم وتهزموهم ويخزهم اي بالذل في الدنيا والفضيحة والعذاب في الاخرى ولما كان ذلك
قد لا يقتضي النصر الذي هو علو العاقبة قال وينصركم عليهم اي فتصيروا بكم بذلك دلالة من يعاديه بكم ولما كان نكالهم
بما ذكر يشفي بعض المؤمنين سرور الهم فيه حظ بين تعالى انه لا يوقر في العمل بعد شماتة على سائر الاخلاص فقال ويشف اي بذلك صدور
قوم مؤمنين اي راسخين في الايمان ممن لحقوا اليهم مساوي بحر لو حبت ضغاين ولحيا الخزاعة وغيرهم ممن اعانوا عليه ومالوا اليه ولما
كان الشفاء قد لا يراد به الكمال اشعر تحقيقا له الكمال قوله ويذهب غيظ قلوبهم اي يثبت لهما من اللذة ضد ما القوه منهم من المكروه وثنى
عنها الالم بقتل من يريد سبحانه من اعدائهم وذل الباقين مما قد برح بهما ولقد وفى سبحانه بما وعد به فكانت الاية من ظواهر
الدلائل ولما كان التقدير قاتلوهم فانكم ان قاتلتموهم كان كذا عطف سبحانه على اصل هذه الجملة قوله ويتوب الله اي الملك الذي
له صفات الكمال على من يشاء اي منهم فيصيروا اخوانا لكم اولياء والمعنى قاتلوهم يكن القتال سببا لهذه الخمسة الاشياء واما التوبة
فتارة تتسبب عنه وتارة عن غيره ولاجل احتمال التسبب عنه قرئ شاذا بالنصب على ان الواو للصرف ولما كان ما تضمنته هذه
الوعد الصادق يدور على القدرة والعلم وكان العلم يستلزم القدرة فكان التقدير فانه على كل شيء قدير عطف عليه قوله
والله اي الذي له الاحاطة بكل شيء علما وقدرة عليم اي بكل شيء وبمن يصلح للتوبة وممن لا يصلح وما في قلوبكم من الاقدام
والاحجام لو برز الى الخارج كيف كان يكون حكيم اي احكم جميع امره ولهذا شرع الاحكام الشرعية من افعالكم الكسبية لانها تعلق
العلم به في عالم الظهور ولما كان التقدير لما ارشد اليه تقاعدهم عن القتال او خالا لهم المرشد الى ان من حوله وسط الكلام

قال

فان لا ابتداء لها الا فيه وهل احسبتم انه تعالى لا يعلم ذلك او لا يقدر على نصركم بني عليه قوله موبخا لمن تثاقل عن ذلك بنوع
تثاقل ام حسبتم اي المنقص في الحكم العقل ان يبنى الامر فيه على غير الحكمة وذلك هو المراد بقوله ان تتركوا اي قارين على ما انتم عليه من غير
ان تبتلوا بما يظهر به المومن من المنافق ولما عبر بها الدالة مع استغراق الزمان الماضي على ان تبين ما بعدها متوقع كان لن يعلم الله اي
المحيط بجميع صفات الكمال الذين جاهدوا منكم اي علما ظاهرا تقوم به الحجة عليكم في مجاري عاداتكم على مقتضى عقولكم بان يقع
الجهاد في الواقع بالفعل ولما كان المعنى جاهدوا مخلصين ترجمه وبسطه بقوله ولم اي والحال انهم لم يتخذوا ويجوز ان يكون حالا ودل
على تراخي الرتب عن كل ما سوى الله سبحانه بقوله من دون الله اي الذي لا يعدل عنه ويرغب في غيره من له ادنى بصيرة لما دل عليه الافتقال
لانه المنفرد بالكمال واكد النفي بتكرير لا فقال ولا رسوله اي الذي هو خلاصة خلقه ولا المؤمنين اي الذين اصطفاهم من عباده
وليجة اي بطانة تباطنونها وتسكنون اليها فتلج اسراركم اليها واسرارها اليكم فان الوليجة كل شيء ادخلته في شيء ليس منه
والرجل يكون في قوم وليس منهم وليجة فوليجة الرجل من يختصه بداخلة امره دون الناس يقال هو وليجتي وهم وليجتي الواحد والجمع نقل
ذلك البغوي عن ابي عبيد وقال ابن هشام وليجة دخيلا وجمعها ولائج تقول لم يتخذوا وليجة دخلا من دونه يسرون اليه غير ما
تظهرون نحو ما يصنع المنافقون يظهرون الايمان للذين امنوا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم والحاصل انه لا يكون الترك
بدون علم الامرين حاصلين والمراد بنفي العلم نفي المعلوم فالمعنى ولما يكن مجاهدون مخلصون ولما كان ظاهر ذلك ربما ظن انه يتمسك
به من لم يرسخ قدمه في المعارف ختم بقوله والله اي الذي له الاحاطة الكاملة خبير بما تعملون اي سواء برز الى الخارج اولا ولما
حذرهم من اتخاذ وليجة من دونه شرح بين ان الوليجة التي يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به من محاسن الاعمال
ما لم توضع تلك المحاسن على الاساس الذي هو الايمان المبين بدلائله فقال جوابا لمن قال ان فيهم من افعال الخير ما يدعو
الى الكف عنهم من عمارة المسجد الحرام وخدمته وتعظيمه ما كان للمشركين عبر بالوصف دون الفعل لان جماعة ممن اشرك [illegible] فصار
اهلا لما نفي عنهم ان يعمروا مسجد الله وهو المنزه باحاطته بصفات الكمال قال البغوي قال الحسن ما كان للمشركين ان يتركوا فيكونوا
اهل المسجد الحرام ثم قال في توجيه قراءة الجمع قال الحسن انما قال مساجد الله لانه قبلة المساجد كلها يعني فعامره عامر جميع المساجد
ويجوز ان يراد الجنس واذا لم يصلحوا لعمارة الجنس دخل المسجد الحرام لانه صدر الجنس وذلك اكد لانه بطريق الكناية قال الفراء وربما
ذهب العرب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد الا ترى ان الرجل يركب البرذون فيقول اخذت في ركوب البراذين ويقال فلان كثير الدرهم
والدينار انتهى فتحرر ان المعنى منعهم من اقامة شعايره بطواف او زيارة او غير ذلك لانهم يجيبون كما ياتي شاهدين على انفسهم اي التي
هي معدن الارجاس والاهوية بالكفر اي باقرارهم انهم يعبدون غير الله وقد نصبوا فيه الاصنام بغير اذنه وادعوا انها شركاؤه
فاذن عمارتهم تخريب لتنافي عقدهم وفعلهم قال البغوي قال ابن عباس شهادتهم سجودهم للاصنام وذلك انهم كانوا نصبوا اصنامهم خارج البيت
الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا لاصنامهم ولما نفي قبيح ما يفعلونه من حسن ما يعتقدون اشار
الى عدم نفعهم بالخير بقوله اولئك حبطت اعمالهم اي من العمارة والحجابة والسقاية وغير ذلك فسدت ببطلان معانيها لبنائها على
غير اساس وفي النار هم اي خاصة من فعل كفعلهم نحوه منهم خالدون اي بجعلهم الكفر مانع الايمان ولما نفي عنهم اهلية العمارة بين من يصلح
لها فقال انما يعمر مساجد الله اي انما يوهل لذلك القرب من حوله الاسماء الحسنى والصفات العلى حسا باصلاح الذات ومعنى
بالتعظيم بالقربات من قم او تنظيفها ورم ما تهدم منها وتنويرها بالمصابيح الحسية وبالمعنوية من الذكر والقراءة ودرس
العلم حول ذلك وصيانتها عما لم تبن له من احاديث الدنيا من امن بالله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله واليوم الاخر الذي هو محط
اهل المعرفة الذين تصح عبادتهم وتفيدهم فانها انما تفيد في ذلك اليوم ولم يذكر الايمان بالرسول لان هذه البراءة على لسانه اخذ
في التلبس بها ايذانا به لا محالة تقدم ذكره اقعد في ايجاب الايمان به واقام الصلوة واتى الزكوة اي عاين دعواه الايمان بتعديد الشاهدين

ود لان عمارة المساجد ليست مقصودة لذاتها بل للدلالة على رسوخ الايمان بعد بيان الشاهدين والصلوة اعظم عمادتها والزكوة
هي المعين لعمرتها على عمادتها وعلى تكاثرها بما فهم من قوله امن انه يكون في الايمان بمجرد الاقرار باللسان اعلم انه لا بد في ذلك من ايجاب التصديق
والتصديق حقيقة المثمر لخشية الله فلذا قال ولم يخش احد في الاعمال الدينية الا الله اي لم يعمل بمقتضى خشية غير الملك الاعظم
وكيف عمل يرضى به بما فيه سخطه بل مقدم على ما تحضره ولو ان فيه تلفه وحاصله انه يقدم خشية من الله على خشية من غيره فهو يرجع الى
قوله فالله احق ان تخشوه لكن هذا ابلغ لكونه نفى نوع الخشية وان كان المراد نفي الاول بها عادة وفيه تعريض لهم بانهم لا يصلحون للخلصة لانهم
يخافون الاصنام ويفعلون معها بعبادتها افعل من يخافها ولما اثبت عن ما مضى نفيا واثباتا ان المتصف بهذه الاوصاف فيما يكون
جديرا بالهداية وحقيقا بها قال تعالى فعسى اولئك اي العالون الهمم ان يكونوا اي جبلة وخلقا من المهتدين فاقام معهم مع
قدم لهم من الكمال بالمعارف والافعال بين الرجا والخوف مع الاشارة بافراد الخشية الى ترجيح الخوف على الرجا ايذانا بعلو امره وعظم
كبره اشارة الى انه لا حق لاحد عليه وانه ان شاء اثاب وان شاء اراد حكم وهو الحكم العدل بالعقاب للاخيال عما يفعل وكرر الاسم
الاعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وعزة المرام ومادة عسى بجميع تصاريفها تدور على الحركة وهذه بخصوص الاطماع
فالحاصل من اتصف بالاوصاف الاربعة كان جديرا وخليقا وجديرا وحقيقا بان يحرك طمعه ويمد امله الى ان يكون من جملة اهل
الهدى فكيف تحسبون انتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاة هكذا كان ظهر لي اولا في مدار المادة
ثم ظهر لي ان ذلك في اكثر تقاليبها مع امكان ان يكون غيرها لازمة وان الشامل لها يائية وواوية بتقاليبها العشر عسى عيس
سعي سيع عوس سوع سعو وسع وعس عسو انها الجدارة لما يمكن ان يكون فهو جدير وخليق بان يكون من قولهم اعسى
الى الخلق وبالعسى ان يفعل اي بالحري وانه لمعساه بكذا اي مخلقه وبهذا فسرها سيبويه قال ابن هشام الخضراوي في شرح الايضاح
لابي علي وقال سيبويه ان عسى بمنزلة اخلولق والمعساء كمكسال الجارية المراهقة لانها جديرة بقبول النكاح ومعنى ثم انست للطمع
والاشفاق وتقريب الرجا فيطلق على القرب فيكون مثل كاد وقد تشتد فيصل الى اليقين فيستعمل بمعنى كان ومنه عسى الغوير ا
بؤسا لكن قال الرضي انا لا اعرف عسى في غير كلامه تعالى لليقين وقد يضعف الرجا فيصير شكا ومنه المعسية للناقة يشك
ابها لبن ام لا وعسى النبات كفرح وعسا غلظ يبس اي صار خليقا لان يرعى وان يقطع واليد من العمل مثله اي فصارت جديرة
بالصبر على المشاق والعالي النخل لانه جدير بكمال ما يطلب منه من المنافع وعسى الشيخ كرضي عساء وعسى كدعا يعسو كبر اي صار
خليقا بالموت وبان لا يتعلم ما لم يكن في غريزته وكذا عسي وعسا الانسان عن الادب ابى كبر عنه والعود يبس وصلب وعسا اشتد
اي فصار خليقا لما يراد منه والليل اشتدت ظلمته فصار جديرا بمطابقة اسمه لمسماه وبتغطية الامور والعسو الشمع كانه لازالته
ظلمة الليل بنوره اذا امرق وعسى الشيء كفرح لزم اي فصار جديرا باضافته اليه والعيس بالفتح ضراب الفحل ويقال ماؤه لانه جدير بالانتاج
والعيس بالكسر الابل البيض يخالط بياضها شقرة وجمل وظبي اعيس وناقة عيساء لانها خليقة بكل مصره لحسن لونها وتعيست الابل صارت
بيضا في سواد كذلك ايضا وعيسا امراة والانثى من الجراد لشبهها بالابل العيس واعيس الزرع اذا لم يكن فيه رطب لانه صار حقيقا
بالحصاد والعوس بالفتح والعوسان الطوفان بالليل لانه جدير ببلوغ المقاصد وبالضم ضرب من الغنم وهو كبش عوسي لحاقا لها بالعيس
لكنها لصغرها اختير لها الضم جبرا لها وتقوية وتفاولا بالكبر واختير للابل الكسر تفاولا بسهولة القياد وبالتحريك دخول
الشدقين عند الضحك وغيره تشبيها بالغنم لانه جدير بان يترك ما يحدث منه الى الضحك وغيره والنعت اعوس وعوس وساس
على عياله كدعليهم وكسب وعياله قاتهم من العوس وعيالته اي القيام عليه فعمل بما هو اللايق به في كل ذلك والعوانة بالضم
الشربة من اللبن وغيره لانها جديرة بالري والاعوس الصيقل والوصاف للشي لانه جدير باظهار الخبئ والعوسا كثير الحامل
الخنافس لانها في تلك الحالة اجدر بان تغربها ذاتها من الكراهة فانه يقال خنفس عن القوم كرههم وعدل عنهم والخنافس بالضم الاسد

لانه

لانه جدير بان يكره ويعدل عنه والسعي عدو دون الشديد وكل عمل من خير او شر وفي القاموس سعى كرعى قصد وعمل ومشى وعدا ونم وكسب
كما ان ذلك يكون به جديرا بادراك الحاجة والسعاية مباشرة عمل الصدقات التي بها يدلي الامام اخذ الحقوق فيكون خليقا باغناء الفقراء وبعث
الامة بغت فكانت خليقة بعمل الاماء عند العرب ما طلبها للبغاء واسعاه جعله يسعى والمسعاة المكرمة والمعلاة في انواع
المجد لانها جديرة بان يسعى لها واستسعى العبد كلفه من العمل ما يؤدي به عن نفسه اذا عتق بعضه ليعتق بما بقي لانه جدير بذلك والسعي
بالكسر ما كلف من ذلك والسيع الماء الجاري على وجه الارض وقد انساع اذا جرى لان الماء خليق بالجري والحركة وساع الماء والشراب اضطرب
على وجه الارض وسيعا من الليل وكسر قطع منه كانه ينظر الى الساعة وهي جزء هو لنهاية خليق بان يحفظ ولا يضيع وانسياع ادى
انضيع والسياع بالفتح ما يطين به والشحم يطلى به المزادة كانه يمنع ما هو خليق بالجري ومن سيعت الحب اذا طينته بطين او جص وكذلك
الزق والسفن اذا طليت بالقار والمسيعة خشبة ملسة يطين بها تكون مع مذاق الطيانين والتسييع التطيين والتدهين
وقال الفرا السياع تطيينك بالجص والطين والقير تسيع به السفن والسياع شجر من شجر العضاة لم تر كهيئة الفستق وشجر اللبان
وكل منها خليق بالرغبة فيه والمسياع الناقة تذهب في المرعى كانها تشبهت بالماء الجاري وهي ايضا خليقة بالسمن والتي تحمل الضيعة وسوء
القيام عليها والنجيب يرفق عليها ويعاد لانها خليقة بان يرغب فيها واساعه اهمله اي ان الماهو خليق من الحفظ فصار خليقا بالهلاك
والسعوة بالكسر الساعة كالسعوا بالكسر والضم وقد تقدم توجيهها والمراة البذية الخالعة كانها جديرة بسرعة الفراق والكلبة والساعي
الوالي على اي امر وقوم وكان اليهود النصارى رئيسهم لانه خليق بان يسعى عليهم ويزيد عنهم والسعاة النمو فلان لانسا جدير به
ويسعيه علم للمعتزلة لانها خليقة بالسعو والسعا بالضم الصبور على السهر والسفر قياسا السعي على حضر بليغ وهو خليق بان يرغب فيه و
اسعوا ابو اي طلبوه بقطع حرمتهما والساعة جزء من اجزاء الجديدين والوقت الحاضر والقيامة لان كلا ذلك جدير وحقيق بالاحتفاظ من اضاعته
ولها الكون كالجماعة كانهم اضاعوا ساعتهم فكانوا جديرين بما حصل لهم وساعد سوعا اشتدت وساعة الابل سوعا بقيت بلا راع فصارت
جديرة بالهلاك والضياع واساعه اهمله وضيعه فصار كذلك ومنه ناقة مسياع تدع ولدها حتى ياكله السباع وبعد سوع من الليل وسواع
اي هدأة وسوع انتقل من جماعة الى جماعة فصار جديرا بان يتحفظ فيتدارك في الثانية ما فاته في الاولى وسوع الحمار ارسل غرموله
فصار جديرا بالنزوان وسواع اسم صنم في عهد نوح عليه السلام غرقه الطوفان واستثاره ابليس حتى عبد ايضا كانه خليق عندهم وفي زعمهم
بما اهلوه له قبحهم الله عن ذلك والوسع مثلثة الجدة والطاقة كالسعة ومعناها الحلاقة بالاحتمال وسعة الشي بالكسر تسيعه
ليضعه سعة كدعة وزنة كان جديرا باحتماله والله وسع علينا اي وسع وليسعك بيتك امر بالقرار فيه وهذا الاناء يسع عشرين
كيلا اي يتسع لها والواسع ضد الضيق كالوسيع وفي الاسماء الحسنى الكثير العطا الذي يسع لما يسئل والمحيط بكل شي الذي وسع رزقه
جميع خلقه ورحمته كل شي والوساع كسحاب الندب وهو الخفيف في الحاجة الظريف النجيب لانه جدير بان يندب لذلك ومن الخيل الجواد
او الواسع الخطو والذرع كالوسيع وقد وسع ككرم وساعة وسعة واوسع صار ذا سعة والله عليه اغناه وتوسعوا في المجلس تفسحوا
فصاروا جديرين باحتمال الداخل بينهم ووسعه توسيعا ضد ضيقه ورحمة الله وسعت كل شي اي احاطت به ووسع كل شي علما
اي احاط به واحصاه والوعس كالوعر شجر تعمل منه البرابط والعيدان لانه احق الاشجار بذلك والرمل السهل يصعب فيه
المشي لانه يرى لحسنه خليقا بان يمشي فيه واذا حقق النظر كان خليقا بالصعوبة في المشي لكونه رملا واوعس ركبه والوعسا رابية من
رمل لينة تنبت احرار البقول لانها لينها حقيقة من ينزل بها والى الرمل بالنبت وكحاوعس وامكنة وعس والميعاس اشكب عن الغلظ
فهو جدير بالمشي فيه والارض لم توطأ فهي جديرة بان تكف عن سلوكها والطريق لانه جدير بان يسلك قال في القاموس كانه ضد وكلواسه
ضرب من سير الابل كانه وسط فهو جدير بالخير والاكتنا المباراة في السير او لا يكون الا بالليل وقال الفراء توعست في وجهه حمرة او صفرة
اي تبينت خليقة بالظهور قال واذا ذكروا الرملة قالوا وعسا هذا ما في تنزيل الحريشات في اللغة على مدار هذه المادة واما

كلام اهل العربية في قواعد عسى الكلية فقال ابو عبد الله القزاز هو فعل لا يتصرف فلا يقال يعسى ولا هو عاس وقال ابو عبد الحق الاشبيلي ولا
ياتي منه مستقبل ولا فاعل ولا مفعول ولا مصدر قال القزاز ويصحبه ان ويجوز حذفها وان وما بعدها بمعنى المصدر وهي في موضع
نصب ولا يقع بعدها المصدر ولا اسم الفاعل وانما جاء هنا في مثل العرب عسى الغوير ابؤسا وابؤس جمع باس وهذا يدل على ان خبر
عسى في موضع نصب وقال في القاموس والابؤس الداهية ومنه عسى الغوير ابؤسا اي دواهيه وقال ابو عبيد في الغريب كانه اراد
عسى الغوير ان يحدث ابؤسا او ان ياتي بابؤس فهذا طريق النصب ومما يبينه قول الكميت قالوا اسا بنو بكر فقلت لهم عسى
الغوير بابؤس واغوار وقال شارح الجزولية ابو محمد بن الموفق لما كانت للرجاء دخلها معنى الانشاء فلم تتصرف لان تصرفها
ينافي الانشاء لانها اذا تصرفت دلت على الخبر فيما مضى والحال والاستقبال وذلك ينافي معنى الانشاء الذي لا يصلح للماضي
ولا مستقبل وقال بعض المتاخرين عسى موضوعة لفعل يتوهم كونه في الاستقبال وهو على لفظ الماضي فاحتيج الى ان بعده اذ لا مستقبل
وذهب بعضهم الى ان عسى حرف لعدم تصرفها ولا معناها في غيرها والصحيح انها فعل لفظا ومعنى اما لفظا فلالحاق الضماير
وتاء التانيث الساكنة واما معنى فلانه اخبار عن طمع وقع للمتكلم وجعل لفظها بلفظ الماضي لان الطمع قد وقع وانما المطموع
هو الذي يتوقع وينتظر واجل ان على المطموع فيه لانه لم يقع بعد وجرت اخواتها على ان لان خبرها محقق في الحال اذ قد شرع
فيه الا كاد فانها للمقاربة في الجملة وقال ابن هشام المصري في توضيحه ويجب كون خبرها جملة وشذ كونه مفردا نحو عسى الغوير
ابؤسا ويكون الاسم مرفوعا بعسى وان والفعل في موضع نصب على الخبر وقال الرضي انما لم يتصرف في عسى لتضمنه معنى الحرف اعني انشاء
الطمع والرجاء وقولهم ابؤسا وصابما التضمين معنى كان فاجري مجراه ومذهب المتاخرين ان عسى ترفع الاسم وتنصب الخبر ككان
وقال ابو طالب العبدي في شرح الايضاح للفارسي الافعال موضوعة للتصرف حيث كانت منقسمة باقسام الزمان ولولا ذلك
لاغنت المصادر عنها ولهذا قال سيبويه فاما الافعال فامثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء فبنيت لما مضى ولما يكون
ولما هو كاين لم ينقطع ولما خالف هذه الافعال اعني عسى ونعم وبئس وليس وفعل التعجب سائر الافعال في الدلالة ترك
تصرفها وقال الرماني منعت ذلك [illegible] ابدا عاما زيد لتنما المبالغة فيما جعلت دالة عليه فمعنى عسى الطمع والاشفاق كذا قال
سيبويه ولما اختصت بمعنى المعنى ترك التصرف فيها وقال الرماني منعت ذلك حملا على لعل لما حملت هي على ليت والاولى انه لا ينبغي ان
يحمل باب الافعال على الحروف لان الافعال في بابها بمنزلة الحروف في بابها في لزوم البناء وانما الاسماء تحمل عليها كما تقول في قطام
وحذام انه بني لوقوعه موقع الفعل وان اسماء الاستفهام بنيت لوقوعها موقع حروف ولا تقول في الافعال انها بنيت حملا على الحروف
ولا الحروف بنيت حملا على الافعال بل كل منهما اصل فكذلك ان التصرف ليس امتناعه بحمله على الحرف وجريه مجراه وعسى من اخوات كان
وانما لم يذكرها معها لانها لغة بتركها التصرف وبلزوم ان الخبر وبكونه فعلا ويدل على انها من اخوات كان عسى الغوير ابؤسا فقد انكشف
الاصل كما انكشف اصل قام واطال ونحوه بقوله صددت واطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم ولزوم
الفعل الخبر لها جعله عوضا من التصرف الذي كان ينبغي ان يكون لها واما لزوم ان فلما اريد من صرف الكلام الى تاويل الاستقبال لان ذلك
يخالف اصل البيت والبيت المتمثل به فيه شيء طريف وهو مصدر مجموع واقع موقع مصدر واقع موقع فعل في المعنى اذ اصلها التجمع ولكنه ضرورة
ومثل فالاصل ان يباس ثم يباسا ثم ابؤسا انتهى كلام العبدي وعندي انه عندما يقوى المعنى الذي سبقت له من طمع او اشفاق بجعل خبرها
اسما تنبيها على انها الان بمنزلة كان لما اشتد شبهها بها ابن الصقال ابو طالب وانما وليها ان والفعل وهو في موضع رفع وشرط طول الكلام
مسد الخبر ومعناها الذي هو الاشفاق والطمع قريب من المقاربة في كاد فلذلك حذف ان من خبرها حملا لها على كاد كما جوزوا دخول
ان في خبر كاد حملا لها على عسى وقال شارح الجزولية وحذف ان من خبر عسى اكثر من الحاقه في خبر كاد للمقاربة بكاد ذات الفعل وان تنافي
ذلك قال ومن الفرق بينهما ان عسى لا يضمر فيها ضمير الشان والقصة لشبهها بالحرف ولعدم تصرفها وتضمنها كاد لتصرفها ثم رجح انه يضمر فيها

وان لم تتصرف

وان لم تتصرف كما اضمر في نعم وبئس وقال ابن هشام الخضراوي في شرح الايضاح ايهم اكثر سيبويه قد عسى بقارب اي خبر فيه وتنصب لان قارب
متعد وقد حوها بقرب لا يحسن وتنصب لعدم تعديه قال ولا تدخل عسى على الماضي قال ابو علي لانها للاستقبال المحض ولذلك وقع بعدها ان
فلا تصلح للماضي بوجه وقال شارح الجزولية عسى لها مع الظاهر مذهبان احدهما ان تكون ناقصة بمعنى كان الناقصة تحتاج الى اسم وخبر
الا انه يشترط في خبرها ان يكون فعلا واصله ان يكون اسما مثل خبر كان الا انه عدل عنه الى الفعل تنبيها على الدلالة على ما هو المقصود من الرجاء
ويقويها بتعيين الرجاء من الاستقبال وشبهت في هذا الوجه بقارب زيد الخروج تحقيقا لبيان الاعراب الذي في المعنى لان قارب زيد الخروج
ليس فيه انشاء رجاء ولا غيره وانما هو تمثيل للتقدير الاعرابي اللفظي لان اصلها ان تكون كذلك وانما طرء عليها انشاء الرجاء كما كان
ذلك في التعجب ونعم وبئس وغيرهما والمذهب الثاني ان تاتي تامة فتستعمل استعمال قرب فتدخل على ان مع الفعل فتقول عسى ان يقوم
زيد وتستغني فيه بان والفعل عن الجزئين كما استغني في ظننت ان يقوم زيد عن المفعولين وذلك لاشتماله على مسند ومسند اليه وهو المقصود
بهذه الافعال فاذا قلت زيد عسى ان يقوم احتمل ان تكون الناقصة فيكون فيها ضمير يعود على زيد هو اسمها وان مع الفعل خبرها ويحتمل
ان تكون التامة فلا يكون فيها ضمير وتكون ان مع الفعل فاعلها وقال ابن الخباز الموصلي في كتابه النهاية في شرح كفاية الكفاية عسى للطمع والمبالغة في
الطمع فلا يكون خبرها ماضيا لان معناها الرجاء والطمع والماضي لا يطمع فيه ولا يرجى حصوله واستدل على انها تختص بالاستقبال انها لا تستعمل الا في المستقبل
بقول بعض شعراء الحماسة عسى طيء من طيء بعد هذه ستطفي غلات الكلى والجوانح فاتى بالسين لانه لم يمكنه الاتيان بان في الشعر وقال
شارح الجزولية ما معناه انه التزم في خبرها الفعل الدال على الاستقبال والتزم ان تقويته لذلك حتى لم يكن خبرها اسما وان كان اصله ان يكون
اسما اذ لا دلالة للاسم على الزمان ولم يوضع مكانها السين وسوف لانهما يدلان على تنفيس في الزمان والغرض هنا التقريب وقد يجي في الشعر قليلا دون ان
البيت المذكور وقال ابن الخباز ودخول الاستفهام عليها يوذن بانها ليست للطمع لان الاستفهام لا يدخل على الطمع ولا على ما ليس بخبر فقوله
هل عسيتم مما يوذن بانها خبر انتهى فتفسيرها بما ذكرته من انها لما يمكن ان يكون وهو خليق بان يكون اولى ويكون الطمع لازما لمضمون الكلام
لا انه مفهوم بالمطابقة والله الموفق ولما نفى سبحانه الصالح لذلك من غيره انكر على من لم يفرق بين الصنفين فقال **اجعلتم**
سقاية الحاج اي بمجرده عن الايمان **وعمارة المسجد الحرام** اي كذلك كالايمان بالله واليوم الاخر والجهاد واهل السقاية والعمارة من غير ايمان
في سوا ايمانهم والكف عن معاداتهم **كمن امن بالله** اي الحامل اعتقاده بجلاله على كل كمال **واليوم الاخر** اي الحامل خوفه على كل خير **وجاهد في سبيل الله**
اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء فالاية على قراءة الجماعة من الاحتباك حذف اولا المشبه لدلالة المشبه عليه وثانيا المشبه به لدلالة المشبه به
عليه واما على رواية عيسى بن وردان عن ابي جعفر شاذا سقاة وعمرة بالجمع فلا يحتاج الى التقدير ولما كان كانه قيل كما نظن ذلك فما
حالهم قال **لا يستوون عند الله** اي الملك الذي له الكمال كله المشركين ظلموا ابرك الكامل **والله** الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه
لا يهدي القوم الظالمين الذين وضعوا الاشياء في غير مواضعها والكفر اعظم الظلم فلا توجب لهم الهداية ولا المساواة بالمهتدين فان باشروا
جميع افعال المهتدين ما عدا الايمان ومن فعل ذلك منكم كان ظالما وخيف عليه سلب موجب الهداية ولما نفى عنهم المساواة من غير تصريح باهل
الترجيح ليشتد التشوف الى التصريح فيكون ابلغ في النفس واوقر في القلب كان كانه قيل فمن الراجح فقال **الذين امنوا** اي اوقعوا هذا الفعل
وهو ايمان المخاطب من ان يكذبوه بشيء مما يخبرهم عن الله وقصر الفعل وهو في الاصل متعد ليفيد انه لا ايمان غير هذا وان وجد غيره فهو عدم
بالنسبة اليه وكذا كل فعل قصر فهو على هذا المنوال ايثار به الى انه لعظم نفعه لا فعل من جنسه غيره **وهاجروا** اي **وجاهدوا** ولما كان المحدث
عنه فيما قبل المجاهد في سبيل الله اقتضى المقام تقديمه على الالة بخلاف ما في اخر الانفال فان المقام اقتضى هناك تقديم المال والنفس لما تقدم من
موجبه في غزاة بما لها سايه وايضا ففي هذا الوقت كان المال قد كثر ومواضع الجهاد قد بعدت فناسب الاهتمام بالسبيل فلذلك قدم **في سبيل الله**
اي خلوصا لانه الملك الذي لا كفو له ثم اتبعه قوله **باموالهم وانفسهم** فصرح بالنفس ترغيبا في المباشرة بها **اعظم درجة** اي من جهة
ايقاع الرجة وهي الفضيلة المقربة الى الله ولما لم تكن العبرة الا بما عنده سبحانه لا بما عند الناس قال **عند الله** اي الملك الاعلى الاعظم من اهل السقاية

وما هم عليه من غير ايمان مما لوا عليه بشواهده وانما لم يذكر المفضل عليه ليفيد ان تفضيلهم على الاطلاق فيكون المفضل عليه جملة المدلول عليه وكرر
الاسم الاعظم تنبيها للترغيب لخطر المقام وصعوبة المرام وفهم هذا ان تلك الافعال الشرعية في انفسها اقوى باشرها كان على درجة عظيمة بالنسبة الى من
لم يباشرها ومن بناها على الاساس كان اعظم ثم بين ما يخص اهل ما امر به فقال واولئك اى العالو الرتبة هم اى خاصة لا انتم ايها المفاخرون مع الشرك
الفائزون اى بالخير الباقي من الدارين دون من عداهم وان فعل من الخير ما فعل لانهم ترقوا من العبودية الى العندية ولما بين انجزاءهم وانالة الخلود في
النار تبرءا من الحول فقال مفسرا لفوزهم يبشرهم ربهم اى المحسن اليهم بهدايتهم واحسانهم وناهيك بهذه البشارة الدالة على علو مقامهم
لانها ... وكون المبشارة على ... العلى ان هذه البشارة لا نهاية لها ولا يحيط بمعرفة مقدارها برحمة اى عظيمة
وزادها عظما بقوله منه وذلك اشارة الى انه لا نجاة بدون العفو ثم اخبر ان الرحمة كما اثمرت العفو الذي هو ادنى المنازل اثمرت ما هو اعلى
فقال ورضوان اى بان يكون راضيا عن الله والرضا بقضاء الله وذلك يكون اذا اقتصر نظره على الله فانه لا يتغير ابدا بقضاء ومقتضيته كما ان الله الذي
هو راحمه لا يتغير ومن كان نظره الى المطالب حظه كان ابدا في تغير من الفرح الى الحزن ومن السرور الى الغم ومن الراحة الى الجراحة ومن اللذة الى الالم فثبت ان
الرحمة التامة لا تحصل الا للراضي بقضاء الله ويكون الله راضيا عنه فتكون نفسه راضية مرضية ولهذا لم يقيده بقوله منه ورضوان في الدنيا والآخرة
ولما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها في الدنيا اتبعه بيان الجنة الروحانية البدنية الخاصة بالدار التي فيها القرار فقال وجنات اى بساتين
كثيرة الاشجار والثمار لهم فيها نعيم اى عظيم جدا خالص عن كدر ودل على الخلود بقوله مقيم ثم صرح بخلودهم فيها بلفظ الخلود ليكون اقر للنفس
فقال خالدين فيها وحقق ذلك بقوله ابدا ثم استأنف المدح لذلك الموعود بما لم يزد بقوله ان الله اى الذي له الغنى المطلق والقدرة الكاملة
عنده اجر عظيم وناهيك بما يصفه العظيم بالعظم وخص هؤلاء المؤمنين بمزيد الثواب المعتبر عنده وابهم هذه العبارات الثلاث المعروفة بالتعظيم
والاسم الاعظم فكان اعظم الثواب لهم اى لانهم اعظم الايمان ولما فرغ من العاطفة بمحاسن الاعمال شرع في العاطفة بالانتهاء الى الاموال وقدم الاول اشارة
الى ان المجانبة في الافعال مقدمة على جميع الاحوال ولما كان محط الموالاة المناصرة وكانت النصرة بالاباء والاخوان اعظم من النصرة بغيرهم لانه
جعلها الكثرة الاعوان والاحداث اقتصر عليها فقال يا ايها الذين امنوا اى اقروا بالسنتهم بالايمان بربهم معرضين عما سواه لما لمانه الظاهر
صدقوا ادعاكم ذلك بان لا تتخذوا اى تتعمدوا وتتكلفوا ان تاخذوا اباءكم واخوانكم اولياء اى على ما يدعو اليه الطباع وتقوى الاطماع فتلقوا
اليهم اسراركم وتوثروا رضاهم في المقام عندهم ان استحبوا اى طلبوا واوجدوا ان احبوا الكفر وهو تغطية الحق والتكذيب على الايمان
... بصيغة الاستفعال على ان الايمان بكثرة محاسنه وظهور دلائله معشوق بالطبع فلا يتركه احد الا بنوع معالجة ومكابرة لعقله ومجاهدة ولما
كان الحكم في اخيار الذين وكان الدليل الا بالهداية وكما قد تقدم سلبها عن الظالم رهبهم من انتزاعها بقوله ومن يتولهم اى يتكلف ان يفعل معهم ما يفعل
القريب مع قريبه منكم اى بعد ان اعلمكم الله في امرهم بما اعلم فاولئك اى البعداء من الحضرات الربانية هم الظالمون اى الواضعون الموالاة في
غير موضعها بعد ان تقدم اليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر وهذا صريح بالامر بالتولي واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الاية الولاية لبيان المؤمنين حقا
واشارة الى انه يضلهم ولا يهديهم لما تقدم من الخبر بانه لا يهدي الظالمين ولما كانت النفوس مختلفة الهمم متباينة السجايا والشيم وكان هذا غير كاف في التهديد لكلها
فاتبعه تهديدا اشد منه بالنسبة الى تلك النفوس فقال منتقلا من اسلوب الى اقبال على الحكام الاعراض المؤذن بزواجر الغضب قل اى يا اعظم الخلق شفقة
ورفقا ونصيحة لمن لم يرتدع بما تقدم من الزواجر انه يجب على جميع هذه المضار في الدنيا لتبقى الدين لما لا يشملهم ان كان اباؤكم اى الذين انتم اشد شيء
توقيرا لهم وابناؤكم اى الذين هم اعز الناس لديكم واحبهم اليكم واخوانكم اى الذين هم من اصلكم فهم كانفسكم وازواجكم اى اللاتي هن سكن لكم وعشيرتكم
التي بها تمام الراحة في قيام العز والمنعة مع اهل الانساب الادنين الذين يعاشرونكم ولما قدم سبحانه ما هو مقدم على المال ... الهمم الموال قال واموال
اقترفتموها اى اكتسبتموها بالمعالجة من الاسفار وغيرها وتجارة تخشون كسادها اى لفوات اوقات نفاقها بسبب تشاغلكم بما يرضي الله سبحانه فيفوت على ما
ترجون ما به قوامكم ومساكن ترضونها اى لانها تجمع ذلك كله ولقد رتبها سبحانه احسن ترتيب فان الاب الحب المذكورين لما هناك مناسبة النصرة وبعده الابن
ثم الاخ ثم الزوج ثم العشير الجامع للذكور والاناث ثم المال الموصوف بالسبب المتوقع رمحه بالمتجر وختم بالمساكن لانه الغاية التي كلما تقدم اسباب لكثرة ... واح

فيه

فيه التمرد به احب اليكم من الله اى الجامع لصفات الكمال الذي انعم عليكم بجميع ما ذكر ومتى شاء سلبكموه ورسوله اى الذي اتاكم عنه بما به
حفظ هذه النعم في الدارين وجهاد في سبيله اى لرد الشارد عن عباده اليه جمعهم عليه وخفف قوله فتربصوا اى انتظروا وتبصروا من تهديد
بليغ حتى ياتي الله اى الملك الاعلى الاحاطة بكل شيء بامره اى الذي لا تبلغه اوصافكم ولا تحتمله قواكم ولما كان من اثر حب شيء من ذلك
على حبه تعالى ما رضي من دينه راجعا الى دين من اثره وكان التقدير فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها ولا تهتدون الى دفعها بنوع حيلة لانكم
اخترتم لانفسكم مباينة الهداية ومعلوم ان من كان كذلك فهو مطبوع في الفسق عطف عليه قوله والله اى الجامع لصفات الكمال لا يهدي
القوم اى لا يخلق الهداية في قلوب الفاسقين اى الذين استعملوا ما عندهم من قوة القيام فيما يريدون في الفساد حتى صار الفسق وهو
الخروج مما حقه المكث فيه والتقيد به وصفا لهم ههنا الطا اختفاء خلافهم ولا ازمانهم لو انهم بل يكلهم الى نفوسهم فيخيرو الدنيا والآخرة
ولما كان في بعض النفوس من العزوف بالكثرة ما يكسبها عسكرة يعقلها عن بعض مواضع القدرة ساق قصة حنين دليلا على ذلك اى الذي
ابهمه من التهديد يجوابا السائل كانه قيل اما ذاك الامر الذي نتربص اتيانه فيخشى من عظيم شانه فقيل الذل للخوف والافتقار
والانكسار في انه قليل وكيف يكون ذلك فقيل بان يسلط القدير عليكم وان كنتم كثيرا اقوياء غيركم وان كانوا قليلا ضعفاء كما
سلطكم وغيركم كذلك وخصصتم الى العاصين تم اليه لقد نصركم الله اى الملك الاعلى مع شدة ضعفكم في مواطن اى مقامات وموقف
واماكن توطنون فيها انفسكم على لقاء عدوكم كثيرة اى الغزوات التي تقدمت لكم كبدر وقريظة والنضير وقينقاع وحنين
وخيبر وغيرها من مخاصم الكفار وكنتم من الذلة والقلة والانكسار بحال لا يتخيل معها نصركم وظهوركم على جميع الكفار
وانتم فيهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وما وكلكم الى انفسكم من تقدم امره لكم بمقاطعتهم فدل ذلك على ان اطاع
الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه وان عاداه الناس اجمعون ودل بما بعدها من قصة حنين على
ان من اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا الا ان يتداركه الله برحمة منه فيرجع به فقال ويوم اى ونصركم بعد ان قواكم وكثركم
هو وحده لا كثرتكم وقوتكم يوم حنين وهو واد بين مكة والطائف الى جانب ذي المجاز وهو الى مكة اقرب وهو وراء عرفات
الى الشمال ولما كان سلمة بن سلامة بن وقش الانصاري رضي الله عنه قد قال حين التقى الجمعان واعجبته كثرة الناس لن نغلب اليوم من قلة
فساء النبي صلى الله عليه وسلم كلامه وان نعمته الا على الله وكان الاعجاب سببا قاتلا للاصحاب ادبنا الله سبحانه في هذه الغزوة
بذكر سوء اثره لنحذره ثم عاد سبحانه بالانعام لكون الذي قاله شخصا واحدا كره غيره مقالته فقال اذ اى حين اعجبتكم كثرتكم
اى فقطعتم لذلك انه لا يغلب غالب واسند سبحانه الفعل للجميع اشارة الى انهم لعلو مقامهم ينبغي ان لا يكون منهم من يقول مثل ذلك
فلم تغن عنكم شيئا اى من الاغناء وضاقت عليكم الارض اى لو سعة بما رحبت اى مع اتساعها اقصر تم لا ترون ان فيها مكانا
يحصنكم مما انتم فيه لفرط الرعب فهي ضاقت في الحقيقة الا مكان من الاماكن التي سكنت الى الاموال والرجال ولعل عطفه لتوليهم باداة
التراخي في قولهم ثم وليتم اى تولية كثيرة ظهوركم الكفار وحقوق الرعب ... مدبرين اى انهزاما مع ان الفرار كان حين اللقاء ثم
... اشارة الى ما كان عندهم من استبعاده اعتمادا لعلى القوة والكثرة ثم انزل الله اى الذي له الاحاطة بصفات الكمال سكينته
اى رحمته وهي الامر الذي يسكن القلوب فتثبت لتأثرها وهما من البلاء من الوثوق به سبحانه ومشاهدة جناب الاقدس والغناء
عن غيره ولما كان المقام للرسالة وكان تاييده مدعيها من امارات صدقه في دعوى انه رسول الله وان رسله قادر على ما يريد فيما ان كان تاييده على
وجه خارق للعادة عبر به دون وصف النبوة فقال على رسوله اى زيادة على ما كان بها من السكينة التي لم يخرج شيئا منها احد ثبت بها المكين
الفا وعشرين الفا واربعة الاف على اختلاف الروايات في عشرة انفس او مائة او ثلثمائة على الاختلاف الضالم يكن سابهم الابهم ثم
يرده ذلك الا مقدما على الكفار العباس عمه وابو سفيان بن الحارث ابن عمه رضي الله عنهما يكفان بغلته على بعض التقدم ولعل العطف ثم اشارة
الى علو رتبة ذلك الثبات واستبعاد ان يقع مثله في مجاري العادات وعلى المؤمنين اى الذين كان دينهم ثابتا فزيادة على ما كان

لم يشهد ذلك واما غيره فاعطى لما لم يكن في ذلك الوقت له وذلك انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس رض بعد ما فر الناس نادهم يا عباس فنادى
وكان صيتا يا عباد الله يا اصحاب السمرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ويحتمل ان يكون ذكر الرسول عليه السلام
لمجرد التبرك كما في خمسه فان ذكره وزيادة في تعظيم الامتنان بان النفوس الى ما اعطى منه الرسول اميل والقلوب له اقبل
لاعتقاد جلالته وعظمته وكماله **وانزل** اي من السماء **جنودا لم تروها** اي الملائكة عليهم السلام **وعذب** اي بالقتل والاسر والنهب والتبديد و
التسبا والنهب **الذين كفروا** عبر بالفعل اذ فيهم من امن بعد ذلك ولما كان ذلك ربما لعذب به منها وجد مطلق هذا الوصف عظيما
اتبعه بيانا جزاء العريق في ذلك ترهيبا لمن اثر حب شئ مما مضى على طاعة الله فقال **وذلك** اي العذاب العظيم الذي عذب به هولاء وغيرهم
جزاء الكافرين اي الراسخين في وصف الكفر الذين اثروا حب من تقدم من الاباء وغيرهم على الله فثبتوا على تقليد الاباء في الباطل
بعد ما راوا من الدلائل ما بهر الشمس ولم يبرح شيئا من اللبس واما الذين لم يكن كفرهم راسخا في ذلك الاصل احالهم لانه قادهم الى الاسلام
فقد تبين ان المنصور من نصره الله قليلا كان او كثيرا وان القلة والكثرة والقوة والضعف بالنسبة الى قدرته سواء فلا تغتروا
بما الزمكم من النعم فانه قادر على نزعها اذا استحقها احد عليه شيئا ولا يقدر احد على رد قضائه ومن في ذلك اعلام بانه لا يرتد بعد ايمانه
الا من كان عريقا في الكفر وفيه بلغ تهديد لانه اذا عذب من وجد منه الكفر وقتا ما فكيف بمن رسخ فيه ولما بين ان العذاب جزاء الكافرين
بين انه يتوب على من يريد منهم وهو كل من علم منه قابلية للايمان وان كان شديد البلوغ في وصف الكفران فقال عاطفا على وعذب **ثم يتوب الله**
اي الذي له الاحاطة علما وقدرة ولما لم يكن احد يستغرق في التوبة زمان البعد اثبت الجار فقال **من بعد ذلك** اي العذاب العظيم
على من يشاء اي فيهديه الى الاسلام ويغفر له جميع ما سلف من الذنوب **والله** اي الذي له صفات الكمال **غفور رحيم** اي محاء
للخطايا عظيم الاكرام لمن تاب وفي ذلك اشارة الى انه جعل هذه الوقعة بحكمته التي اقتضت ربط المسببات باسبابها سببا لاسلام من حضرها من كفار قريش
وغيرهم من المؤلفة بما قسم فيهم صلى الله عليه وسلم من غنايم هوازن وبما راوا من عز الاسلام وعلوه فكان في ذلك ترغيب لهم بالمال عوض ما سبقوا
القتال والاسلام وفد هوازن بما حصل لهم من القهر ومما شاهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم من عظيم النصر ولاهل الاسلام غيرهم من العرب بسبب علم كل منهم
بهذه الوقعة انهم اضعف ناصرا واقل عددا وكل ذلك رحمة منه سبحانه لهم ورفقا بهم وقد كان جميع ذلك كما اشار اليه سبحانه فاسلم الطلقا
وحسن اسلامهم وقدم وفد هوازن ليسالوا النبي صلى الله عليه وسلم جبرهم برد ما اخذ لهم فقال لهم اني استانيت بكم فلما ابطاتم قسمت بين
الناس فيئهم فاختاروا المال او السبي فاختاروا السبي فشفع لهم عند الناس فاجابوه فرد اليهم ابناءهم ونساءهم رحمة منه وذل
العرب لذلك وختم هذه الاية بالمغفرة والرحمة على ما هو الانسب لسياق التوبة بذلك على انه ما على الختم الاولى بعليم حكيم الا
لما قرينة من جعل ام في ام حسبتم معادلة للهجرة والله عليم ولما تقدم من الاوامر والنواهي وبيان الحكم الرغبة والرهبة لم يبق لمن عنده
ادنى تمسك بالدين شيئا من الالتفات الى المفسدين ببيان العلة في مدافعتهم بحسن مقاطعتهم انهم نجس وان المواضع التي تظهر فيها انوار
عظمته وجلالته واشرقت عليها شموس نبوته ورسالته ولمعت فيها بروق كبره وجالت صوارم نهيه وامره مواضع القدس ومواطن الانس
من دنى اليها من غير اهلها اخرق بنيانها وهدم بصرام اشعة انوارها فقال متخلصا مما تقدم مستنتجا **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بالسنتهم
بالايمان وهم ممن يتبع الكذب **انما المشركون** الذين يقولون في الشرك بدليل اتمامهم عليه ولما كانوا متصفين به وكانوا لا يغتسلون ولا يغسلون
ثيابهم من النجاسة بولغ في وصفهم بان جعلوا عينها فقال **نجس** اي وانتم تبعدون انكم ابعد الناس عن النجس حسا ومعنى فيجب ان يتقذروا
وان يبعدوا ويجتنبوا كما يفعل بالشيء النجس لما اشتملوا عليه من خلال الشر واتصفوا به من خصال السوء واما ابدانهم فاتفق الفقهاء على
طهارتها لان النبي صلى الله عليه وسلم شرب من انيتهم ولم يبين عن غسلها ولا امر بالغسل منها ولو كانت نجسة ما طهرها الاسلام ولما تسبب عن ذلك
ابعادهم فقال **فلا يقربوا** اي المشركون وعدل الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك عبر بنهيهم مبالغة فيه **المسجد الحرام** اي الذي اخرجوكم منه
اطهر الناس واعزهم فلما واسقط الجار ونهاهم على الزمان واتساع الخرفية بالتعبير بالعام فقال **بعد عامهم** وحقق الامر وازال اللبس

بقوله **هذا** وهو اخر سنة تسع سنة الوفود مرجعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فعبر بقرب بانه لا باتيانه بعد التقدم اليهم بانه لا يقبل من مشرك
الا الاسلام او القتل اشارة الى اخراج المشركين من جزيرة العرب وانها لا يجتمع بها دينان لانها محل النبوة العربية وموطن الاسرار الالهية فمن
ثم فيها ولو في اقصاها فقد قارب جميع ما فيها وتكون مع بالنسبة الى الحرم كافنية الدور ورحاب المساجد وفي الصحيح عن ابي هريرة رض ان النبي صلى
الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رض اميرا على الحج بعد رجوعه من تبوك ثم اردفه بعلي رض فامر ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا علي يوم النحر
في اهل منى ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وهذه سنة قديمة فقد امر الله تعالى بني اسرائيل في غير موضع من التوراة بان لا
يبقوا في جميع بلاد بيت المقدس احدا من المشركين بخلاف غيرها من البلاد التي يفتحها الله عليهم منها ما قال المترجم في اواخر السفر الخامس واذا تقدمتم
الى قرية او مدينة لتقاتلوا اهلها ادعوهم الى الصلح فان قبلوه وفتحوا لكم من كان فيها من الرجال يكونوا عبيدا لكم يؤدوا اليكم الخراج وان
لم يقبلوا الصلح وحاربوكم فحاربوهم وضيقوا عليهم فان الله ربكم يدفعها اليكم وتظفرون بمن فيها فاذا ظفرتم بمن فيها فاقتلوا الذكور
كلهم بالسيف كذلك اصنعوا بجميع القرى البعيدة النائية التي ليست من قرى هذه الشعوب فاما قرى هذه الشعوب التي يعطيكم الله ميراثا فلا تبقوا
من اهلها احدا ولكن اقتلوهم قتلا كما الذي امركم الله ربكم لئلا يعلموكم النجاسة التي يعلمون لالهتهم ومثل ذلك كثير فيها وقد مضى بعضه فيما ذكرته
عن التوراة والله الموفق وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال لظاهر هذه الاية الثاني الحجاز و
فحكمه وهو جزيرة العرب فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولا يقيم اكثر من مقام المسافر ثلاثة ايام لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب
وهي من اقصى عدن ابين وهي في الجنوب الى اطراف الشام وهي في الشمال طولا ومن جدة وهي اقصى الجزيرة غربا على شاطئ بحر الهند الى ريف العراق وهي
في المشرق عرضا الثالث ساير بلاد الاسلام يجوز للكافر الاقامة فيها بذمة وامان ولكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم ذكر ذلك البغوي قال ابن
الفراتي في تاريخه عند غزو بخت نصر لبني اسرائيل وارض العرب انما سميت بلاد العرب جزيرة لاحاطة البحار والانهار بها من اقطارها مثل الجزيرة
من جزاير البحر وذلك ان الفرات اقبل من بلاد الروم فظهر من ناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى وقع في البحر من ناحية البصرة والابلة
وامتد البحر من ذلك الموضع مطيفا ببلاد العرب فاتى منه على كاظمة وتعدى الى القطيف وهجر وعمان والشحر ومال منه الى حضرموت وناحية ابين
وعدن واستطال ذلك العنق فطعن في تهامة اليمن ومضى الى ساحل جدة واقبل النيل في غربي هذا العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا
للبحر معه حتى وقع في بحر مصر والشام ثم اقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها واتى على بيروت ونفذ الى سواحل حمص
وقنسرين حتى خالط الناحية التي اقبل منها الفرات منحطا على اطراف قنسرين والجزيرة الى سواد العراق واقبل جبل السراة في قعر اليمن حتى بلغ اطراف
الشام فسمته العرب حجازا لانه حجز بين الغور ونجد فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه الغور وهو تهامة وما دونه في شرقيه نجد انتهى ولما كان
ماوى اهلها من ارض الشام ونحوها مما انهار وجبال احاطته كانه بحر الله في حكم شاطئه ولما كان قوامهم بالمتاجر وكان قوام المتاجر باجتماعهم في
اسواقهم وكان نفيهم من تلك الاراضي مظنة لخوف انقطاع المتاجر وانعدام الارباح المفضي الى الحاجة وكان قوام منعهم اعادة لامر الدين وكان
سبحانه عالما بان ذلك يشق على النفوس لما ذكر من العلة ولا سيما وقد قال بعضهم لما قرا علي رض ايات البراءة على اهل الموسم يا اهل مكة ستعلمون
ما تلقون من الشدة من انقطاع السبيل وبعد الحمولات وعد سبحانه وهو الواسع العليم بما يغني عن ذلك او لان من ترك الدنيا لاجل الدين اوصله سبحانه الى المطلوب
من الدنيا مع ما اعد له من امر الدين من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فقال **وان خفتم** اي بسبب منعهم من قربان المواطن الالهية **عيلة** اي فقرا وحاجة
فسوف يغنيكم الله اي وهو ذو الجلال والاكرام **من فضله** وهو ذو الفضل والطول والقوة والحول ولما كان سبحانه الملك الغني القادر القوي
الذي لا يجب لاحد عليه شيء ويجب طاعته على كل شيء نبه على ذلك بقوله **ان شاء** ولما كان ذلك عندهم مستبعدا علله تقريبا له بقوله **ان الله** اي الذي
له الاحاطة الكاملة **عليم** اي بوجوه المصالح **حكيم** اي في تدبير استجلابها وتقرير ادرارها ولقد صدق سبحانه ومن اصدق من الله قيلا فانه
اغناهم بالمغانم التي اسلها بايديهم بعد نحو ثلاث سنين من انزال هذه الاية كنوز كسرى وقيصر وغير ذلك مما لم يطرق اوهامهم قط ثم جعل في ذلك سببا
لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض لصيرورتهم اخوانا في الدين الذي كان سببا لان يجتمع في سوق منى وغيره في ايام الحج كل عام

في المتاجر مع العرب والعجم ما لا يكون مثله في بقعة من الارض والعيلة الفاقة والافتقار ومادتها بهذا الترتيب تدور على الحاجة وانسداد وجوه الحيلة وقد تقدم اول النساء انها لا تفيد ترتيبها وتقاليبها الثمانية على الارتفاع ويلزمه الزيادة والميل ومنه تاتي الحاجة وبرهن على ذلك في جميع الجزئيات ولما كان ذلك موضع تعجب يكون سببا لان يقال من لنا بان يكون هذا الغنى اجاب بقوله قاتلوا اي اهل الاموال والغنى الذين لا يؤمنون بالله اي الذي له جميع صفات الكمال ايمانا هو على ما اخبرت به عنه رسله ولو امنوا هذا الايمان ما كذبوا رسولا من الرسل وايضا فالنصارى مثلثة وبعض اليهود مثنية ولا باليوم الاخر كذلك وافكار ذلك انكم لا تقولون بحشر الاجساد ولا يحرمون ما حرم الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله ورسوله اي من الشرك واكل الاموال بالباطل وغير ذلك ومن تبديل التورية والانجيل ولا يدينون اي يفعلون ويقيمون ما يتبعون من الدين فعلا ثم اضافه الى الصفة لفراقا في اتحاده بدل الموصوف فقال دين الحق اي الذي اخذت عليهم رسلهم العهود والمواثيق باتباعه ثم بين الموصول مع صلته فقال من الذين ودل على دنائتهم سبحانه بهم وبراءته منهم بان بنى للمفعول قوله اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى ومن الحق بهم حتى يعطوا الجزية اي وهي ما قرر عليهم في نظير سكناهم في بلاد الاسلام امنين فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه عن يد اي قاهرة ان كانت بيد الاخذ او مقهورة ان كانت بيد المعطي من قولهم فلان اعطى بيده وهم صاغرون نفي للجمع عن الريب بمكانتهم فيه من قتال بعضكم لبعض لتغنم ما في يده من ذلك المال الحقير ولا ما كنتم تعدونه غنى من المتاجر التي لا يبلغ اكبرها اصغر ما ادت اليه كم البيع ما في ذلك من القرب الممكن من الصلاح والطاعة وسترون وعبر باليد عن السطوة التي ينشأ عنها الذل والهوان لانها الالة الباطشة فالمعنى عن يد قاهرة لهم اي عن قهر منكم لهم وسطوة بافعالكم التي اصغرتهم عظمتها واذلتهم شدتها قال ابو عبيد يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطاه عن يد انتهى وعبر بعن التي هي للمجاوزة لان الاعطاء لا يكون الا بعد البطش المذل هذا اذا اريد باليد يد الاخذ ويمكن ان يراد بها يد المعطي وتكون كناية عن النفس لان مقصود الجزية المال واليد اعظم اسبابه فالمعنى حتى يعطي كل واحد منهم الجزية عن نفسه ومما ان المراد التعميم انه نكرة لتقييد ذلك ويؤيد هذا ما نقل العلماء من الرواة لفتوح البلاد منهم الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي قال في كتاب الاكتفاء في وقعة جلولاء من بلاد فارس قالوا فاقال بعضهم فكان الفلاحون للطرق والجسور والاسواق والحرث والدلالة مع الجزية عن ايديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن ايديهم والعمارة وانما اخذوا الجزية من المجوس لان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر واخذها منهم لانهم اهل كتاب في الاصل قال الشافعي في باب المجوس والمغنم من كتاب اختلاف الحديث والمجوس اهل كتاب غير التوراة والانجيل وقد نسوا كتابهم وبدلوه فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخذ الجزية منهم اخبرنا سفيان عن ابي سعد سعيد بن مرزبان عن نصر بن عاصم قال قال فروة بن نوفل الاشجعي علام تؤخذ الجزية من المجوس وليسوا باهل كتاب فقام اليه المستورد فاخذ بتلبيبه فقال يا عدو الله تطعن على ابي بكر وعمر وعلى امير المؤمنين يعني عليا وقد اخذوا منهم الجزية فذهب الى القصر فخرج علي رضي الله عنه عليهما فقال البدا البدا فجلسا في ظل القصر فقال علي انا اعلم الناس بالمجوس كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه وان ملكهم سكر فوقع على ابنته او اخته فاطلع بعض اهل مملكته فلما صحا جاؤوا يقيمون عليه الحد فامتنع عليهم فدعا اهل مملكته فقال تعلمون دينا خيرا من دين ادم وقد كان ينكح بنيه من بناته فانا على دين ادم فتابعوه وقاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم وذهب العلم الذي في صدورهم وهم اهل الكتاب وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منهم الجزية ولما امر بقتالهم ووصفهم بما هو السبب الباعث على ذلك عطف عليه بعض اقوالهم المبيحة لقتالهم الموجبة لنكالهم فقال وقالت اي قاتلوا اهل الكتاب لانهم كفروا بما وصفناهم به وقالت اليهود منهم كذبا وبهتانا عزير ونونه عاصم والكسائي في الوضع لكونه مبتدا وانما قد منعوه نظرا الى عجمته مع العلمية وليس فيه تصغير والخبر في القراءتين قولهم ابن الله اي الملك الاعلى المطلق فليس كمثله شيء وعزير هذا هو المسمى عندهم في سفر الانبياء ملاخيا ويسمى ايضا العازر وهو الاصل والعزير تعريبه واما الذي جمع لهم هذه التورية التي بين ايديهم فقال الشمول

ابن يحيى

ابن يحيى المغربي الذي كان يهوديا فاسلم انه شخص اخر اسمه عزرا وانه ليس بنبي ذكر ذلك في كتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود وهو كتاب حسن جيد وكان الشمول هذا مع تمكنه من المعرفة بشريعة اليهود واخبارهم متمكنا من علوم الهندسة وغيرها وكان فصيحا بليغا وكان بعد الاسلام يضرب المثل بعقله ورايت اليهود في غاية النكاية منه واراني بعضهم رسالة اليه من بعض احبارهم يستعطفه فيها ان يبقي للامة ويثني عليه باشياء خطابية وشعرية فاجابه بجواب افتتحه بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ثم رد كلامه احسن رد ثم قال ما حاصله دع عنك مثل هذه الخرافات واجب عن الامور التي الزمتكم بها في كتابي غاية المقصود فما احتجوا بانه ثم القائل لهذا القول منهم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اربعة وقيل قاله واحد واسند الى الكل كما يقال فلان يركب الخيول وقد لا يكون له الا فرس واحد وهو كقوله تعالى الذين قال لهم الناس الاية وقيل كان فاشيا فيهم فلما عابهم الله به تركوه وهم الان ينكرونه والله تعالى اصدق حديثا وقالت النصارى اي منهم افكا وعدوانا المسيح واضربوا عنه بقولهم ابن الله مع ان له الغنى المطلق والكمال الاعظم والمسيح هذا هو ابن مريم بنت عمران ثم استانف قوله مترجما عن بغيهم ذلك اي القول البعيد من العقول المكذب للمنقول قولهم بافواههم اي حقيقة لم يحتشموا من قوله مع مخالفته وهو بعد الله في قول الاتحاد وحقيقته الافواه الى العقول انه لا يتصوره عاقل بل هو قول لهم كالاصوات الحيوانات العجم التي لا تستحق لها معنى قال ومعناه الحالي انه قائله لا عقل له ليس لحيوان وراء ذلك ولبعده عن ان يكون مقصود العاقل عبر فيه بالافواه التي هي ابعد من الالسنة الى القلوب ولما كان كانه قيل فما لهم اذا كان هذا حالهم قالوه قال ما حاصله انهم قوم مطبوعون على التشبه بمن يفعل المقالة كما انهم تشبهوا بعبدة الاوثان فعبدوها غير مرة والانبياء بين اظهرهم يدعونهم الى الله وكتابهم ينادي ببطلان ذلك وتنذرهم اشد الانذار يضاهئون اي حالكونهم يشابهون بقولهم هذا قول الذين كفروا اي عبدته وهم العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله كما انهم لما راوا الذين يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ولما كان لا يمتنع ان يكون الذي شابهوهم مما كانوا بعدهم او في زمانهم من قبل النبيين فيتسقا في قولهم نفى ذلك بقوله مشيرا بالجار الى كفرهم لم يستغرق زمان القبل من قبل اي قبل ان يحدث منهم هذا القول وهذا دليل على ان العرب غيروا دين اسمعيل عليه السلام واجترؤوا على مثل هذا القول قبل ايقاع بخت نصر باليهود او في صدره ولكن ذلك بعيد مع طول الزمان واغواء الشيطان فقد كان بين زمان ابرهيم وعزير نحو الف وخمسمائة سنة هذا على ما ذكره بعض علماء اهل الكتاب عن كتبهم وايده ما ذكره المسعودي في مروج الذهب في تاريخ ملوك بابل من نمرود الى بخت نصر وذكر بعض المؤرخين ان بين الزمنين زيادة على الفي سنة على انهم قد نقلوا ما هو صريح في كفر العرب في ذلك الزمان فروى عن هشام بن الكلبي انه قال كان بدء نزول العرب الى ارض العراق ان الله عز وجل اوحى الى برخيا من ولد يهوذا ان ائت بخت نصر ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ويطا بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح اموالهم واعلمه بكفرهم بي واتخاذهم الالهة دوني وتكذيبهم انبيائي ورسلي وعن غير ابن الكلبي انه قال فنظم ما بين ايلة والابلة خيلا ورجالا ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذي روح قدروا عليه واوحى الله الى برخيا وارميا بمعد بن عدنان الذي من ولده محمد المختوم به النبوة وكان ذكر مشابهتهم لاهل الشرك تحقيرا لشانهم وتجرئة على الاقدام عليهم اذ جعلهم مشابهين لمن دربوا قتالهم وضروا عليهم فاذلوهم بعد ان كانوا في عزة لا يخشون زوالها وعزائم شريفة لا يخافون انحلالها كل ذلك بطاعة الله في قتالهم وطلب مرضاته بنزالهم لانه عليهم من كان عليهم لم يفلح والى مثل ذلك اشار بقوله في حق هؤلاء قاتلهم الله اي اهلكهم الملك الاعظم لان من قاتله لم ينج منه وقيل لعنهم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كل شيء في القران من مثله فهو لعن انى يؤفكون اي كيف ومن اين يصرفون عن الحق مع قيام الادلة القاطعة عليه ثم زادهم جراءة عليهم بالاشارة الى ضعف مستندهم حين كان مخلوقا مثلهم بقوله اتخذوا اي كلفوا انفسهم العدول عن الله القادر على كل شيء واخذوا احبارهم اي من علماء اليهود والحبر في الاصل العالم من اي طائفة كان ورهبانهم اي من زهاد النصارى والراهب في الاصل من تمكنت الرهبة من قلبه فظهرت اثارها على وجهه ولباسه فاختص في العرف بعلماء النصارى اصحاب الصوامع اربابا اي الهة لكونهم يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا وتحليل ما حللوا واشار الى سفول امرهم بقوله من دون الله اي الحائز لجميع صفات الجلال فكانوا يقولون

عليهم ويسندون امورهم اليهم حتى انهم كانوا يتبعونهم في الحلال والحرام **والمسيح** اي المبارك الذي هو اهل لان يمسح بدهن القدس وان يمسح غيره
ابن مريم اي بكونهم يفعلون له ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا وتحليل ما حللوا مع كونه ابن امراة فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته للادميين في الحمل
والولادة والتربية والاكل والشرب وغير ذلك من اعراض البشر الموجبة للحاجة المنافية للالهية ومع تصريحه لهم بانه عبد الله ورسوله فتطابق العقل
والنقل على انه ليس باله ولما قبح عليهم ما اختاروه لانفسهم قبحه عليهم من جهة مخالفته لامره تعالى فقال **وما** اي فعلوا ذلك والحال انهم ما
امروا اي من كل من له امر من ادلة العقل والنقل **الا ليعبدوا** اي ليطيعوا على وجه التعبد **الها واحدا** اي لا يقبل القسمة بوجه لا بالذات ولا
بالمماثلة وذلك معنى وصفه بانه **لا اله الا هو** اي لا يصح ان يكون معه الآخر فلما تعين ذلك له اسمه وكانت رتبته زائدة البعد عما اشركوا به
نزهه بقوله **سبحانه** اي بعدت رتبته وعلت **عما يشركون** اي كونه معبودا او مشرعا ذكر ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي القاضي في تفسيره وغيره عن عدي
ابن حاتم رض قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اقطعه فقطعته ثم اتيته وهو يقرأ سورة براءة اتخذوا احبارهم و
رهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون قلت يا رسول الله انا لم نكن نعبدهم
قال اجل اليس كانوا يحلون لكم ما حرم الله فتستحلونه ويحرمون عليكم ما احل الله فتحرمونه قلت بلى قال تلك عبادتهم ولما وصفهم سبحانه بما هم به من جهة
استنادهم زاده توضيحا من جهة مرادهم بالاعلام بانهم بقتالهم لاهل الطاعة انما يقاتلون الله وانه لا ينفذ غرضهم بل يبرم غير ما يريدون وعن [illegible] انه
لا يكون الا ما يريد فقال مستانفا او معللا لما مضى من اقوالهم وافعالهم **يريدون ان يطفئوا** اي بما مضى ذكره من احوالهم **نور الله** اي دين الملك الاعلى
الذي له الاحاطة العظمى وشرعه الذي شرع لعباده على السنة الانبياء والرسل كل ذلك ليتمكنوا من العمل بالاعراض والاهوية فان اتباع الرسل حاسم للشهوات
ومحكم ابعد الناس عن ذلك ولما حقر شانهم هذا بالكلية بقوله **بافواههم** اي بقول خال عن شيء يثبته او يمضيه وينفذه وفي تسمية دينه نورا ومعاندهم
اطفاء بالافواه تمثيل لحالهم بحال من يريد اطفاء نور الشمس بنفخه **ويابى** اي والحال انه يفعل فعل الابي وهو انه لا يريد **الله** اي الذي له جميع العظمة والعز
ونفوذ الكلمة **الا ان يتم نوره** اي لا يقتصر على مجرد اشراقه بل وعد وقوله الحق بانه لا بد من كماله واطفائه لكل ما عداه واحراقه ولما في
يابى من معنى الجحد دخل عليها الاستثناء اي انه يابى كل حالة الا حالة تمامه بنوره على التجدد والاستمرار **ولو كره الكافرون** اي الذين يغطون
في الكفر فكيف بغيرهم ولما اخبر انه مبطل لقولهم وكل ومبطل لقولهم وفعل على ذلك بما حاصله ان شان الملوك وهو انهم اذا برزت لهم امر
بشيء لم يرضوا ان يرده احد فان ذلك يوضح الملك الذي لا يجاري المطلق فيه الا بالهلاك فقال **هو** اي وحده **الذي ارسل رسوله**
اي محمدا صلى الله عليه وسلم **بالهدى** اي البيان الشافي بالمعجزات القولية والفعلية **ودين الحق** اي الكامل في بيانه وثباته كمال الاظهر لكل عاقل ثم
زادهم مرارة على العدو بقوله معللا لارساله **ليظهره** اي الرسول صلى الله عليه وسلم والدين او ام اظهوره **على الدين كله** ثم ساق ذلك مستانفا
الجواب لمن كانه قال كيف يقاتلهم وهم في الكثرة والقوة على ما لا يخفى فقال انهم لا تقاتلونهم وانتم لا تعتمدون على احد غيره من كل شيء تحت قدرته
وهم انما يعتمدون على مخاليق مثلكم كيف لا تجسرون عليهم وهم يقاتلكم انما يقاتلون ربهم الذي انتم في طاعته فكيف لا تنصرون عليهم وهو
الذي امركم بقتالهم ليتم كرم ويظهر ايته ولعل الختم بقوله **ولو كره المشركون** ابلغ لان الكفر قد لا يكون فيه عناد والشرك مبناه
على العناد باتخاذ الانداد لاجل تحصيل ما خالف مجرد مخالفة اوضح الدلالة وصنا بالاستعانة بمن اراد ولما قرر ادهم
بتقليم عتاديهم على رؤسائهم في عدم من فهو انه لا ينفع عندهم ولا ضر واعلى امر اهل الله باجتماعهم عليه وطوله اياهم على كل شيء وكان
الاقبال على الدنيا اعظم علامة امارة على الخذلان وكونه بحق فكيف اذا كان بالباطل فبين بخاره وعرشانه على اهل وده مستعطفا
متلطفا مناديا باسم الايمان الذي يحاجر من في اول هذا الكتاب على الانفاق لا على التحصيل ولو كان بحق فكيف اذا كان بباطل وبهم يوتون الزكوة
وما رزقناهم ينفقون منبها على شف من ترك من لا ينبه على برد الهدى والدعوة الى دين الحق اجرا وهو يسير يحصل لينطوي الفوت ولم
يعتقدوا رسولا وانما يحسنوا بمثله وهو ياخذ ماله بالباطل ياوذ ذلك مقتض لتحقيرهم لا لمطلق تعظيمهم فضلا عن الرتبة التي انزلوهم
بها ولعلهم انها مع الترفع عليهم يقصد اكل اموالهم بالباطل فقال **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بايمانهم داعيهم من التكذيب بما يوصل اليه

ان كثيرا

ان كثيرا من الاحبار اي من علماء اليهود **والرهبان** اي من زهاد النصارى **ليأكلون** اي تناولا ولونرا ولكنه عبر به لانه معظم المراد من المال والاغانة الى
تحقير الاحبار والرهبان بانهم يفعلون ما ينافي مقامهم الذي اقاموا انفسهم فيه **اموال الناس بالباطل** اي بأخذها بالرشا وانواع التصيد باظهار الزهد
والمبالغة في الدين المستجلب لحباب الندور ونحوها فيكنزونها ولا ينفقونها في سبيل الله اتاهم بها اقبالهم بقلوب عباده اليهم ولما اخبر عن
اقبالهم على الدنيا اتبعه الاخبار عن اعراضهم عن الآخرة فقال **ويصدون** اي يحتالون في صرف من يأتيهم بتلك الاموال وغيرهم **عن سبيل الله**
اي الملك الذي له الامر كله بابعادهم عنه باخفاء الآيات الدالة عليه عنهم خوفا من انقطاع دنياهم بزوال رياستهم لو اقبلوا او الناس على الحق
ولما كانوا انهم يكنزون تلك الاموال شرع سبحانه يهدد على مطلق الكنز فقال منهم بالجل والى القصد الذي هو سبب الجمع الذي هو سبب الكنز
فقال **والذين** اي يفعلون ذلك والحال انهم يعلمون ان الذين **يكنزون** اي يجمعون تحت الارض او فوقها من قولهم للمجتمع اللحم المكتنز **الذهب**
والفضة اي منهم ومن غيرهم من غير تزكية ولما كان المعلوم انهما اجل ما للناس وكان الكنز والاعلى للكاثرة فيهما اعاد الضمير عليهما بما يدل
على الانواع الكثيرة فقال **ولا ينفقونها** اي ينفقون ما وجب عليهم من هذه الاموال التي جمعوها من هذين النوعين مجتمعين او منفردين ولو ثني
لاوهم ان اجتماعهما شرط الترهيب وانما عاد الضمير عليها من غير ذكرهن وهي مرادة لمزيد الترغيب في الانفاق والترهيب من تركه ويجوز ان يعاد الضمير الى الفضة
لان الهم على كنزها والحاجة اليها لكثرتها اكثر فالنهي على كنز الذهب باب الاولى لانه اعلى منها واعز بخلاف النهي على كنز الذهب وقال الحرالي
في العمران فادي الانفاق عليها ولم يخصصه من حيث لم يكن ولا ينفقون منها كما قال في الموضع خذ من اموالهم صدقة لان هذين النوعين الجوهرين
خواتم نيالها اهل الدنيا منافعهم وقدم فرعنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة الا بانفاقهما لانهما اصنام هذه الامة فكان كسرهما
باذهابهما انتهى **في سبيل الله** اي الملك الذي له ما في اسه بانفاقها فيه **فبشرهم** اي فقول فيهم بسبب ذلك تهكما بهم بشرهم **بعذاب اليم** عوضا عما
ارادوا بابهامهم من السرور وانجاح المقاصد ولما كان اقبال الادلالة واضحة على ان هذا العذاب يحصل لهم ويقع بهم نصب ذلك بقوله **يوم يحمى**
اي يحصل الاحماء وهو الايقاد الشديد **عليها** اي الاموال التي جمعوها **في نار جهنم** اي التي لا نقاديرها نار كهو بلقي داخلها بالتجهيم والعبوسة كما كا
يلقى بذلك الفقرا وغيرهم من اهل الله لا سيما من منعه ما يجب له من النفقة **فتكوى بها** اي بهذه الاموال **جباههم** التي جمعوا اشرف اعضائهم لانها مجمع
الوجوه والروس موضع الجاه التي تجمع المال لاجله ولتعبيسهم بها في وجوه الفقراء **وجنوبهم** التي يجوونه لملها بالماكل التي تهاة و
للمشارب المستلذة ولان ورائهم بهافي الفقراء **وظهورهم** التي يجرونه لتقويتها وتحليها بالملابس وتحليها ولتوليتهم اياها اذا اجتمعوا
مع الفقراء في كلام ثم يقال لهم **هذا ما كنزتم** ولما كان الحامل على الجمع المنافي للعقل بقوله **لانفسكم** اي لتنافسوا به وتلتذوا اي فلم تنفقوه
فيما امرتم فكان اولى لعزيز مغارم اي وبال وعذاب **ما كنتم تكنزون** اي تجددون جمعه على سبيل الاستمرار مصرين عليه واشار بفعل الكون الى انهم مجبولون
على ذلك روى البخاري في التفسير عن زيد بن وهب قال مررت على ابي ذر رض بالربذة قال كنا بالشام فقرات والذين يكنزون الذهب والفضة
الآية قال معاوية ما هذه فينا ما هذه الا في اهل الكتاب قلت انها لفينا وفيهم وروي عن ابن عمر رض انه قال هذا قبل ان تنزل الزكوة فلما انزلت
جعلها الله طهرا للاموال يعني فما اعطى صاحبه ما وجب عليه فيه فليس بكنز ولما تقدم كثير مما ينبني على التاريخ الحج في غير موضع والاشهر واتمام
زايم ميرة المدة والزكوة والجزية وختم ذلك بالكنز الذي لا يطلق شرعا الا على ما لم تؤد زكوته وكان مشركو العرب الذين تقدم الامر بالبراءة
منهم والتاذين بهذه الآيات يوم الحج الاكبر فيهم قد صرفوا الاشهر بالنسي الذي امروا ان ينادوا في الحج بابطاله ما تحرم السنين حتى صرعها كما
الذي وضعها الله عليه فضاهوا به فعل اهل الكتاب بالدين تحليل احبارهم وتحريمهم كما ضاهوا اولئك في قول اهل الشرك في النبوة والابوة
فقال تعالى **ان عدة الشهور** اي منتهى عدد شهور السنة **عند الله** اي في حكم وعالم الذي خلق الزمان كله وحده وهو الاله وحده فلا
وهو فلا امر لاحد معه **اثنا عشر شهرا** اي لا زيادة عليها ولا تعتبر لها كما تفعلونها في النسي **في كتاب الله** اي كلام الملك المحيط
بكل شيء قدرة وعلما وحكمه الذي هو مجمع الهدى فهو الحق بانه لكنت وليست الشهور ثلثة عشر واكثر كما كان يفعل من امرتكم بالبراءة منهم كانسي
وكانوا في النسي **يوم** اي كان ذلك وثبت يوم **خلق السموات والارض** اي اللذين نشا عنهم الزمان والمعنى ان الحكم بذلك كان قبل

ان يخلق الزمان منها اي الشهور اربعة حرم اي باعيانها لا بمجرد العدد ذلك اي الامر العظيم والحكم العالي الرتبة في الاتقان خاصة الدين القيم اي الذي
لا عوج فيه ولا مدخل للعباد وانما هو بتقدير الله تعالى القهر روى البخاري رحمه الله عن ابي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعني في حجة الوداع ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان ولما بين الامر سبب عنه النهي عن النسأ بعضها وتحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد لا العين الا زمن احلاله كل منها بايقاع الظلم فيه فتحريم
كل من غيرها قال قتادة العمل الصالح والفساد فيها اعظم منه في غيرها وان كان ذلك في نفسه عظيما فان الله يعظم من امره ما شاء وقال ابو حيان ما حاصله
ان العرب تعيد الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال منها اربعة اي من الشهور وعلى جمع القلة لما لا يعقل بنون جمع المؤنث فلذا قال
فلا تظلموا فيهن اي من الاربعة ولما كان انتشارهم انما هو لتحمل الهم للمقاتلة على زعمهم قال وقاتلوا المشركين كافة اي كلكم في ذلك سواء
في الائتلاف واجتماع الكلمة كما يقاتلونكم كافة اي كلهم في ذلك سواء وذلك الحكم في جميع السنة الا ان يكفكم عن قتالهم في شهر منها اهلها فانتم
لا تحتاجون لتغيير حكمي فيه القتال على غيرهم ان النفيس الله فلا تخافوهم وان زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لان الله يكون معكم واعلموا
ان الله اي الذي له جميع العظمة معكم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف تعليقا للحكم به وتعميما فقال مع المتقين اي جميعهم وهم الذين
تقواهم على ما شرعه لهم لا على النسيء ونحوه ومن كان الله معه نصر لا محالة ولما فهم من هذا ابطال النسيء لانه فعل اهل الجاهلية بلا تقوى فيه
كانه قيل فما في النسيء من تقوى فان سببه انما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال في الشهر الذي حرمه وذلك انهم كانوا اصحاب غارات
وحروب وكانوا يحرمون الاشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الانسان قاتل ابيه لم يمنعه منه لم يعرض له فكانوا اذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون يشق
وكما يشق عليهم ترك ذلك [illegible] ثلاثة اشهر متوالية فجعلوا النسيء لذلك فقيل تصريحا بانهم ما مضى لهم فيه شيء من تركه انما النسيء اي تأخير
الشهر الى شهر اخر على انه مصدر نسأه نسيئا اذا اخره او هو اسم مفعول الشهر الذي تأخر العرب حرمته من الاشهر الحرم وقتها زيادة في الكفر
لانه على خلاف ما شرع الله وفيه شرع تحريم ما لم يظهر الله تحريمه ولما بين ما في النسيء من القباحة وحرمانهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا
في الشهر الحرام قاتلوا وهم معتقدون الحرمة خائفون عاقبتها فكانوا اخيرا خائفين من دائرة التقوى فاذا هم بتحليله قد صاروا عن دائرتها بمراحل
بارتكابهم فيه كل عظيمة مع الامن باعتقاد الحل بتحليل ذلك الذي اعتقدوه ربا فكانوا يقول الداعي لا العامي اني لا امر لغضاب ولي احللت المحرم
وحرمت صفر الى غير ذلك من الكلام الذي لا يليق الا بالله وذلك معنى قوله تعالى بيانا لما قبله يضل به اي بهذا التأخير الذي هو النسيء الذين كفروا
اي يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله هذا على قراءة الجماعة والمعنى على قراءة حمزة والكسائي وحفص بالبناء للمفعول يضلهم مضل من قبل الله وعلى
قراءة يعقوب بالضم يضلهم الله ثم بين ضلالهم بقوله يحلونه اي الشهر الحرام وعبر عن الحل بالفطير وكذلك على معنى السعة اشارة الى انهم يفعلون
ولم يضبطوا هوى الى ذلك حد بسنة ولا غض زمان بل بمجرد الشهوة فقال عاما ويحرمونه عاما هكذا دائما بل ما ارادوا وليس المراد انهم كل سنة
يفعلون ذلك من غير احلال السنة من البين وهذا الفعل نسخ منهم مع انهم يحلون النسخ من معائب الدين ليواطئوا اي يوافقوا عدة
ما حرم الله اي المحيط بالجلال والاكرام في كون الاشهر الحرم اربعة فيحلوا اي فيتسبب عن هذا الفعل ان يحلوا ما حرم الله اي الملك الاعظم
منها كلها فلا يبقى لهم هذا الفعل شهرا الا انتهكوا حرمته فارادوا ابدال عدم انتهاك الحرمة فاذا هم لم يدعوا حرمة الا انتهكوها فما
ابعده من ضلال ولما انتهكت بهذا البيان قباحة فعلهم كان كانه قيل ان هذا العجب ما حملهم على ذلك فقيل زين اي زين مزين وقرئ شاذا
بالبناء للفاعل الى الله لهم سوء اعمالهم اي حتى راوا اقبحها احسن فضلوا ولم يهتدوا وفعل الله بهم ذلك لما علم من طبعهم على الكفر
فلم يهدهم والله اي الذي له صفات الكمال لا يهدي اي لا يخلق الهداية في القلوب القوم الكافرين اي الذين طبعهم على الكفر فهم عريقون
فيه لا ينفكون عنه والنسيء كما قال في القاموس الاسم من نسأ الشيء بمعنى زجره وساقه واخره قال وشهر كانت تؤخره العرب في الجاهلية
فنهى الله عز وجل عنه وقال ابن الاثير في النهاية والنسيء فعيل بمعنى مفعول وقال ابن فارس في المجمل والنسيء في كتاب الله التاخير وكانوا
اذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول انا الذي لا يرد لي قضاء فيقولون انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر

القسم

انتهى

انتهى ومادة نسأته وعلى التغيير وسبب فعلهم هذا انهم كانوا رعاعا الا ان ادوا قتالا في شهر حرام فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا من اشهر الحل ويؤخرون
ذلك الشهر قال ابن فارس وذلك انهم كانوا يكرهون ان تتوالى عليهم ثلاثة اشهر لا يغيرون فيها لان معاشهم في الغارة فيحل لهم الكناني المحرم
انتهى وكان النساة من بني فقيم من كنانة وكان اول من فعل ذلك منهم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم واخرهم الذي قام عليه الاسلام ابو ثمامة
جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة نسأ اربعين
سنة كانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فحرم الاشهر الحرم الاربعة فاذا اراد ان يحل منها شيئا احل المحرم فاحلوه وحرم مكانه
صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة الاشهر الحرم فاذا ارادوا الصدر قام فيهم فقال اللهم اني احللت لهم احد الصفرين الاول ونسأت الاخر للعام المقبل
ذكره اهل السير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول من نسأ عمرو بن لحي وتحقيق معنى ما كانت العرب تفعله واختلاف اسماء الشهور بحيث توجب
دوران السنة فلا تصادف اسماء الشهور مسمياتها الا في الحين بعد الحين عسر قلنا اتي فيه بما يتضح به قول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
كما مضى ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وها انا اذكر فيه ما لا يبقى بعده لبس ان شاء الله تعالى فمعنى قوله ونسأت الاخر حتى
العام المقبل انه اذا احل المحرم وسماه صفرا ابتدأ السنة بعده بالمحرم ثم صفر الى اخرها فيصير بين صفر وذي الحجة الذي وقع النسيء فيه شهران
وقد كان ينبغي ان يكون بينهما شهر واحد فاخر هذا الذي ينبغي الى العام المقبل فالمعنى واخرت الصفر الاخر عن محله الى العام المقبل فاذا جاء العام
المقبل انتهى التاخير واذا انتهى رجع الى الحالة ويمكن ان ينزل على هذا قول ابي عبيد في غريب الحديث قال بعد النصف من الجزء الثالث منه في
شرح الاستدارة ان بدء ذلك والله اعلم ان العرب كانت تحرم الشهور الاربعة وكان هذا مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه السلام فربما احتاجوا
الى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم فيكرهون ان يستحلوه ويكرهون تاخير حربهم فيؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم
وهذا هو النسيء الذي قال الله انما النسيء الاية وكان ذلك في كنانة هم الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب والنسيء هو التاخير فكانوا يمكثون
بذلك زمانا يحرمون صفر وهم يريدون به المحرم ويقولون هو احد الصفرين وقد تأول بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم لا صفر على هذا
ثم يحتاجون ايضا الى تأخير صفر الى الشهر الذي بعده كحاجتهم الى تاخير المحرم فيؤخرون تحريمه الى ربيع فيمكثون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون الى مثله
ثم كذلك فكذلك يتدافع شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله به وذلك
بعد دهر طويل فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يقول رجعت الاشهر الحرم الى مواضعها
وبطل النسيء وقد زعم بعض الناس انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فاذا كان من قابل ردوه الى تحريمه قال ابو عبيد والتفسير الاول احب الي لقول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار وليس في التفسير الاخير استدارة وعلى هذا التفسير الذي فسرناه قد يكون قوله يحلونه عاما ويحرمونه عاما
مصدقا له لانهم اذا حرموا العام المحرم وفي قابل صفر ثم احتاجوا بعد ذلك الى تحليل صفر ايضا احلوه وحرموا الذي بعده فهذا تأويل قوله
في التفسير يحلونه عاما ويحرمونه عاما وقال ابو حيان في النهر ما حاصله كانت العرب لا عيش لاكثرها الا من الغارات فيشق عليهم توالي الاشهر الحرم
وكان بنو فقيم اهل دين وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبيد بن فقيم فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه
على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه امية ثم خلفه ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام كانوا اذا فرغوا من
حجهم جاءوا اليه [illegible] مجتمعين فقالوا انسئنا شهرا فيحل المحرم ثم يليه من حرمته محرم صفرا ليوافقوا عدة الاشهر الاربعة ويسمون
ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الاخر ربيعا الاول وهكذا سائر الشهور فيسقط على هذا حكم المحرم الذي حلل
لهم ويجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا اولها المحرم الذي هو في الحقيقة صفر وقال البغوي قال مجاهد كانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة
عامين وحجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور فوافقت حجة ابي بكر السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم
في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة وقال عبد الرزاق في تفسيره اخبرنا معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله انما
النسيء زيادة في الكفر قال فرض الله الحج في ذي الحجة فكان المشركون يسمون الاشهر ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان

وشوال وذا القعدة وذا الحجة ثم يحجون فيه مرة اخرى ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه فيسمون احسبه قال المحرم صفر ثم يسمون رجب جمادى الآخرة
ثم يسمون شعبان رمضان ورمضان شوال ثم يسمون ذا القعدة شوال ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه واسمه عندهم
ذو الحجة ثم عادوا بمثل هذه الصفة فكانوا يحجون عامين في كل شهر حتى وافق حجة ابي بكر الآخرة من العامين في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم
حجته التي حج فوافق ذا الحجة فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقال ابن اسحق
في السيرة سألت ابن ابي نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا وانما كانوا يوافقون ذا الحجة كل
اثنتي عشرة سنة مرة فوفق الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة فحج فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فقلت لابن ابي نجيح فكيف بحجة ابي بكر وعتاب بن اسيد فقال على ما كان الناس يحجون عليه ثم قال
ابن ابي نجيح كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهرا انتهى وقوله هنا يوهم ان في حج ابي بكر وعتاب رضي الله عنهما
اختلالا وتقدم عن المهدوي وغيره التصريح بانه كان في ذي القعدة وفيه نظر لان السنة التي حج فيها ابو بكر رض يؤذن فيها بتحريم النسيء
وغيره من امور الجاهلية فلا دليل على انه لم يكن في ذلك العام انساء ولما مضى من الشهر الذي حج فيه عشرة اشهر وكان الحادي عشر وهو ذو القعدة
سار النبي صلى الله عليه وسلم في اواخره الى الحج موافقا الهلال ذي الحجة فلما وقف بعرفة اخبر ان الزمان قد استدار فعلم قطعا ان الاستدارة كانت
في حج ابي بكر في سنة تسع وفي السنة التي حج فيها عتاب بالمسلمين وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يعتبرون
حساب اهل الجاهلية لانسائهم ولا غير نسائهم لا نعلم من القول بانهم اعتبروا امر النساة انهم اعتبروا ما هو زيادة في الكفر وهذا
ما لا يقوله ذو مسكة وقد تقدم النقل ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رض الى الحج في اواخر ذي القعدة او بعد انقضائه من سنة تسع
ووافاه العرب في ذي الحجة الكفار وغيرهم ووقع اعلامهم ببراءة في ايام الحج واماكنه فلو كان حصل في سنة عتاب اختلال في العدد حتى
كان ذو الحجة بحساب الكفار هو المحرم بحساب الاسلام فكان يتناقض حج الكفار الحج عن حج المسلمين فثبت بهذا ايضا ان حجه كان
في ذي الحجة فحفظ الله اهل الاسلام ان يقع في حجهم اختلال في هذه السنين وهي بركة نعمة عليهم والله الموفق وقال الامام ابو العباس احمد بن
ابي احمد المشهور بابن القاص من اكابر متقدمي اصحاب الشافعي رض في كتابه دلائل القبلة في باب معرفة عدد ايام السنة فالسنة اثنا عشر شهرا
بالاهلة وربما كان الشهر ثلثين وربما كان تسعا وعشرين فمبلغ السنة الهلالية ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وثماني ساعات واربعة
اخماس ساعة وقالت الهند السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وست ساعات وخمس ساعة وجزء من اربعمائة جزء من ساعة وذلك من
دخول الشمس راس الحمل الى ان تحل فيه من قابل ففضل ما بين السنة الهلالية والسنة الشمسية عشرة ايام واحد وعشرون ساعة وخمس ساعة فاذا
زيدت عليها هذه الساعات والايام استقامت تتابع دور الشمس وكانت العرب تدبره في الجاهلية وكان الذي امر لهم ذلك رجل من كنانة
يقال له القلمس حيث ذلك انه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده في السنة وجعل تلك السنة ثلثة عشر شهرا وسماها النسيئا
ويحج بهم تلك السنة ايام كانت في المحرم فانزل الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر فاذا كانت السنة التي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع وافق الحج في تلك السنة ذا الحجة لما اراد الله تعالى باثبات الحج في تلك السنة فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايها
الناس الا ان السنة قد استدارت كهيئتها يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم يعني بالحساب القيم فالحرم رجب
بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم يعني فلك الحج الا قوم وقال القتال وابطل ذو العرش النسيء وقلمسا
وفاز رسول الله بالحج الا قوم انتهى والقلمس بفتح اللام وتشديد الميم فالنسيء في البيت مجرور لا به يصح الوزن والاقوم منقول
حركة الهمزة وقوله ان علة النسيء التطبيق بين السنة الشمسية والقمرية فيه نظر والظاهر ان علته ما ذكر في السير من اضطرارهم الى
القتال وامر الاستدارة فحصل من هذه الاقوال واضح الاستدارة وقيل المراد بها مصادفة كل فصل من فصول السنة لموضعه من الحر والبرد
ومصادفة اسم كل شهر مسماه بحيث يتفق حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا وكذلك غيره وان كان الواقع ان الامر كان في هذه الحجة

كذلك

كذلك لما تقدم من ان غزوة تبوك كان ابتداؤها في شهر رجب وكان ذلك في شدة الحر وحين طابت الثمار وانما المراد الاعظم بالاستدارة مصادفة
اسم كل شهر لمسماه لا المسمى آخر لاجل الدوران بالنسيء بدليل انه صلى الله عليه وسلم ما ذكرها الا لاجله فقال في بعض طرق حديث جابر الطويل
رض ان النسيء زيادة في الكفر وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا فانظر الى تعقيبه بحطه الاشهر
في الاثني عشر نفيا لجعلهم اياها في السنة النسيء ثلثة عشر وقال منها اربعة حرم وعينها وقال اي شهر هذا فلما سكتوا قال ذو الحجة ثم رام كل
لبيان ان المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره اهل الجاهلية الى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه وجعلت اشهر باهلته
مع المنع من النسيء ليحصل الاستدارة فيحصل به كل عبادة تعبدنا بها من صوم وعيد وحج وغيره في كل فصل من فصول السنة بخلاف
ما يؤديه الحساب من عبادتهم خاصة بوقت من السنة لا يتعداه والله الموفق وقال القاضي ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي في تفسيره حدثنا
ابن ابي عمر وثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس قال الشهر الذي انتزعه الله من الشيطان المحرم والى الله اشار فان النسيء لم يكن قط الا المحرم
لما تقدم وان الحج لم يكن قط في الجاهلية والاسلام الا في شهر يسمى ذو الحجة لما قاله نقلة اللغة والحديث والاخبار وقال الدابي في تاريخ النهاية ونشوان
اليمني في شمس العلوم والقزاز في ديوانه وابن مكتوم في ترتيب العباب والمحكم وذو الحجة بالكسر شهر الحج زاد المحكم سمي بذلك للحج وقال القزاز ان الفتح فيه اشهر
وفي النهاية يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة سمي به لانهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعده اي يستقون ويسقون وقال المجد في القاموس يوم عرفة التاسع
من ذي الحجة وفي كتاب اسواق العرب لابي المنذر هشام بن محمد الكلبي ورواية ابي عبيد البكري ان عكاظ كانت من اعظم اسواق العرب فاذا اهل اهلها
هلال ذي الحجة ساروا باجمعهم الى ذي المجاز وهي قريب من عكاظ في العلياء والجد فاقاموا بها حتى يوم التروية ووافاهم بمكة حجاج العرب ورؤسهم
ممن اراد الحج ممن لم يكن شهد تلك الاسواق وقال الازرقي في تاريخ مكة فاذا راوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فاقاموا بها ثماني ليال
اسواقهم قائمة ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذي المجاز وانما سمي يوم التروية لترويهم الماء بذي المجاز
ينادي بعضهم بعضا ترووا من الماء لانه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ثم ذكر انه لا يحضرها الا التجار ومن لم يكن له تجارة فانه يخرج من
اهله متى اراد ومن كان من اهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية وروى البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عروة وعن موسى بن عقبة
عن قرتهما قالوا واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة من الجعرانة في ذي القعدة ثم اسند عن ابن اسحق انه قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عمرته انصرف راجعا الى المدينة واستخلف عتاب بن اسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم فكانت عمرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة او في ذي الحجة وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه وحج تلك السنة عتاب بن اسيد في سنة ثمان
وحديث اعتماره صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة رواه الشيخان وغيرهما على ما كانت العرب من الطواف عراة ونحوه وذكر الواقدي عن مشايخه
قالوا وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بالجعرانة ثلث عشرة ليلة فلما اراد الانصراف
الى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فاحرم فذكر عمرته ثم قال واستعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عتاب بن اسيد على مكة وخلف معاذ بن جبل وابا موسى الاشعري رضهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين واقام للناس الحج عتاب
ابن اسيد رض تلك السنة وهي سنة ثمان وحج ناس من المسلمين والمشركين على مدتهم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الجمعة لثلاث
بقين من ذي القعدة قال الواقدي فاقام بقية ذي القعدة وذي الحجة فلما راى هلال المحرم بعث المصدقين انتهى اذا تقرر هذا علم ان
الحج لم يكن قط الا في شهر يسمونه ذا الحجة وهو مما لا يبدو ولا يخطر ولا يقع في وهم فيه تردد ولا يحتاج الى تطويل بذكره ولا الاطناب في امره
فتارة يوافق مسماه وتارة لا يوافقه لاجل النسيء وعلم ايضا ان حج عتاب بن اسيد كان في ذي الحجة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم
من الجعرانة الى المدينة الشريفة وانه تاخر عن ذي الحجة والانتقال وان حج ابي بكر رض سنة تسع كان في ذي الحجة لذلك ولما تقدم من ان قدومه
من المدينة الشريفة كان في اخر ذي القعدة واول ذي الحجة ولقوله ان الاربعة الاشهر المضروبة للمشركين من يوم النحر كان اخرها عاشر ربيع الآخر
وعلم ان ذا الحجة تلك السنة لو كان وافق مسمى ذي القعدة لم يقع ذو الحجة سنة عشر التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي

وضعوا اسبابه بكون السنة ثلاثة عشر شهرا بنسي كما وغيره وكلا الامرين باطل اما الاول فلان الله تعالى ابطل النسي في تلك السنة فيما
ابطله من امور الجاهلية في هذه السورة وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالمناداة بها كما مر واما الثاني فهو امر خارق للعادة لم يكن مثله منذ حين
خلق الله السموات والارض والخارق مما يتوفر الدواعي على نقله ولا نقل لهذا ايضا فبطل واذا ابطل ثبت ان السنة عشر كانت اثني عشر شهرا
ولكنه اعلم انزال الله تعالى في ذلك ما انزل في هذه السورة واذ بان ان الامر كذلك كان الشهر الذي وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم في موضع
الشهر الذي وقف فيه الصديق رض سواء بسواء وقد ثبت ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض فثبت بغير مرية
ان شهر الصديق كذلك كان وثبت ايضا من ان عتاب بن اسيد رض كذلك كان بما قدمت من انه لم يكن فيها شيء لم يوافق حج المسلمين والمشركين
في شيء من ذلك على انها كانت اثني عشر شهرا فانزه ذو الحجة فيها موضع الذبح وصلاة الله تعالى كما كانت في شرع ابراهيم وقول مجاهد عبيد
فقام للاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه كما مضى ان الله حفظ في الاسلام كله عن نسي وقد لاح بذلك ان الاختلاف في قوله قال ان حج الصديق رض
وافق ذي القعدة انما فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار ان الاستدارة لم تكن الا في تلك السنة وليس ذلك بلازم لو لا هذا التركيب
كما لا يخفى والله الموفق ثم وجدت النقل الصريح في زوائد معجم الطبراني الاوسط والصغير للحافظ نور الدين الهيثمي بمثل ما فهمته فقال في تفسير براءة
ثنا ابراهيم يعني ابن هاشم البغوي ثنا الصلت بن مسعود الجحدري ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي ثنا داود بن ابي هند عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كانت العرب يحلون عاما شهرا وعاما شهرين ولا يصيبون الحج الا في كل ست وعشرين سنة مرة
وهو النسيء الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فلما كان عام حج ابو بكر رض بالناس وافق ذلك العام الحج فسماه الله الحج الاكبر ثم حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل الناس الاهلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
لم يروه عن عمرو الا داود تفرد به الصلت انتهى وهو حديث حسن ان شاء الله ثم رايت الهيثمي في مجمع الزوائد قال رجاله ثقات فاكد ذلك
الجزم بانه من قبيل الحسن وانما اطلت هذا بما قد يحتاج في ايضاحه اليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المماحلين الجاهدين
ولما امر سبحانه في هذه الاية بالجهاد وامر بجميع عليهم وبين ان حسنه لا يختص بشهر دون شهر وان بعضهم كان يحل لهم ويحرم فيتبعونه بما يودي الى تحريم الشهر الحلال
وتحليل الشهر الحرام بالقتال فيه عاقبهم استرع على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امرهم بالنفر في غزوة تبوك عام امره سبحانه وكان ابتداؤها في
شهر رجب سنة تسع فقال تعالى عليهم مستعطفا بالتذكير بنعمة الايمان بعد ضمنهم التي تحملها بانه لا يهدي الكافرين الذين يعم الحرب في غير الموجب للحجيج عليهم
لا يرضى لهم ما اتيته الهمة الاهتمام لا يخفى **يا ايها الذين امنوا** اي ادعوا ذلك **ما لكم** اي اي شيء يحصل لكم في ان كم **اذا قيل لكم** اي من اي قائل كان
انفروا اي اخرجوا مسرعين مجدين ونشاط جماعات ووحدانا امداد الحرب ونصر الدين تصديقا لدعواكم الايمان والنفر مفارقة مكان الى مكان
لامر هاج على ذلك **في سبيل الله** اي بسبب تسهيل الطريق الى الملك الاعظم الذي له جميع صفات الكمال والجلال بنحو القتل للعدو والقائل النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يذكر اعلاما انه حيث انشط لهم وصونا لذكره اذ لا خلاف الى الجموع بنافي الفاقره انتهى **اثاقلتم** اي تثاقلتم تثاقلا عظيما وفيه ما لم يذكروا البساط عاهر
مائلت بالية الادعام احلا او مائلين **الى الارض** ليكون اي لين دلالها وطيب هوائها في نضج ثمارها فكنتم راضين في سفول الهمم لاستماس بطهارة
الشيم ولما لم يكن في كتاب التي تقدم انها كانت تحمل على التباطؤ عن الجهاد ما يحصل القيام في هذه الغزوة الا الخوف من القتل والميل الى الاموال
الحاضرة وتوقي بها والعرض من الغنى الموعود به الزهد بما يلزم من الاعراض عنه التكذيب فيودي الى خسارة الاخرة هذا مع ما يلزم على ذلك ولا بد من الرضى
بالابطال بما لم يستعد العقبى بهذا النفي الخسيس قال معنيا خساسة ما اخلدوا اليه تزهيدا فيه وشرف ما اعرضوا عنه ترغيبا فيه منبها على ان ترك الخير الكثير
لاجل الشر اليسير شر عظيم منكرا على من تثاقل موبخا لهم **ارضيتم بالحيوة الدنيا** اي بالخفض والدعة في الدار الدنية العاجلة **من الاخرة** اي الفاخرة الباقية
قال ابو حيان ودنظائرة قول المفسرين انها بمعنى بدل لا صحابنا لا يثبتون ان من تكون للبدل انتهى والذي يظهر لي انهم لم يريدوا انها موضوعة للبدل بل
انه يطلق عليها لما قد يلزم في مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها للابتداء الغاية فاذا قلت رضيت بكذا من زيد كان المعنى ان الذي اخذت
ذلك منه عوضا منه فيلتفت الى ما عداه في ذلك جعلت ذلك العين كل شيء يفيد انه بالك منه من غير ذلك الماخوذ ولما كان انزل عطوا الاجر

على الاتباع كما استبدلوا بالاستمتاع كان البقاء لهم على الدنيا كانه مبتدع حاكما انواقد توطنوا من الاخرة مع الاعراض عنها في ان قيل ارضيتم بالميل الى الدنيا
من الاخرة ويونيه فيهمته ان العلامة علم الدين ابا محمد القاسم بن الموفق الاندلسي ذكر في شرح الجزولية انه عدد المحققين معانيها ترجع الى الابتداء الغاية
عند المحققين وبين كيفيته ذلك معنى غير البيانية فمعنى فاجتنبوا الرجس من الاوثان الذي ابتدؤه من الاوثان لان الرجس جامع للاوثان وغيرها ولما كان
الاستفهام انكاريا لما زعمنا الذي فيه من التقدير لا تتصوابها فان ذلك السفه راى وانسره فقال تعالى معللا لهذا النهي **فما** اي بسبب انه **ما متاع**
الحيوة الدنيا في جوار الحجب **في الاخرة الا قليل** الذي ينتسب ضم التحقير يحرمه ويحاذي الخلل فيبعد فاعل ذلك السفيه ولما كان طول
الاستعطاف بالتذكير عاده الخلاف وترك الانتصار توعدهم بقوله **الا تنفروا** اي في سبيله **يعذبكم** اي على ذلك **عذابا اليما** اي في الدارين
ويستبدل اي يوجب بدلا منكم **قوما غيركم** اي ذوي باس ونجدة يخالفونكم في الخلال التي كانت سبب الاستبدال والاسبه ونصر دينه
ولما التبس الى ضرورهم بما يضرهم اخبرهم لا يضر ولا نفعتم وهم غير انفسهم فقال **ولا تضروه** اي الله او رسوله **شيئا** لانه متم امره ومنجز وعده ولما
اثبت بذلك قدرته عليهم لم يعصوهم عن الوصول الى الحضرة كان التقدير لانه قادر على نصر دينه وبنبيه بغيركم فعطف عليه تعميما للقدرة ترهيبا من عظيم
سطوته قوله **والله** اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة **على كل شيء قدير** ولما وصف سبحانه نفسه الاقدس باصوله اهل من شمول القدرة
عظيم البطش والقوة اتبع ذلك الصبر ليل يتضمن ان المستقل بالاهم هو نبيه صلى الله عليه وسلم غير محتاج اليهم ولا متوقف نصره عليهم كما لم يحتج اليهم بحياته
القادر له فيما مضى من الهجرة التي ذكرها وان نفع ذلك انما هو لهم بانجاحها وعودة وانتفاعها وعوده في الدارين للمشار الى ذلك كله بقوله
وامتاع الاية بقوله الا تنفروا الاية فقال **الا تنصروه** اي انتم طاعة لامر الله والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم اما على طريق الاستخدام من سبيل الله لانه
المنهج له الداعي اليه او لتقدم علمه الشريف اضمارا بقوله اذا قيل لكم لان قائل رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصارا منه لكم واظهارا في قوله تعالى هو الذي ذكر
الاية وفيه ما في كل صلة من المناسبة المقتضية لان تعلق التي بعدها ولا تنفك عنها واقتضى الفصل بين اللفظ وضميره وذكر الغار والصاحب وضح لان
ذلك انه سبحانه ليل للماعا بهم باتخاذ الرحمة اربابا اشترت الحاجة الى بيانه انهم في العجز عن ذلك على غاية لا تخفى على متامل فوصفهم بالاكل المستلزم للحسنة
المستلزمة للحاجة وبانه ما كلهم اموال غيرهم باطلا وانهم يعيشون بمصادهم اياهم عن السبيل التي لا يخفى حسنها على من له ادنى نظر ولما كان ذلك
شديد الاثارة للتشوف النفوس الى السؤال عن الوجه الذي فعلوا افعالهم واتبعوا سنتهم لاجله بان علمهم في تحليل النساء لهم بعض الشهور الحرم وتحريم
بعض اشهر الحل والزيادة في عدة اشهر السنة لعلمهم بهم سواء ولما امر بقتال المشركين كافة وحثهم على التقوى وكان بعضهم قد توانى في ذلك
اشتد اقتضاء الحال المعاتبة على التثاقل عن النفر فلما تم ذلك في هذا الاسلوب البديع والطراز الرفيع حث على نصر الرسول الذي ارسله ليظهره على الدين
كله فقال جوابا للشرط **فقد** اي فانه لم يتجرد منكم له نصره الله قادر على نصره وسينصره ويعينه عنكم ولا تضرون الا انفسكم فقد **نصره الله**
اي الملك الاعظم وحده والامر في غاية الشدة ولا شك عند عاقل ان المستقبل عنده كالماضي **اذ** اي حين **اخرجه الذين** وعبر بالماضي اشارة الى فيهم من اسلم
بعد ذلك فقال **كفروا** اي من مكة وهم في غاية التمالؤ عليه حين تشاوروا في قتله او اخراجه او اثباته فكان ذلك سببا لاذن الله له
في الخروج من بينهم حال كونه **ثاني اثنين** اي احدهما ابو بكر ولا ثالث لهما ينصرهما الا الله **اذ هما في الغار** اي غار ثور الذي في اعلى الجبل المواجه
للركن اليماني باسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كمنا فيه ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب وذلك قبل ان يصل اليهم او يعولوا في النصر عليهم **اذ يقول**
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم **لصاحبه** اي ابي بكر الصديق رض وثوقا بربه غير منزعج من شيء **لا تحزن** والحزن هم غليظ يتوجع يرق له القلب حزن
واحزن بمعنى وتاركه في القاموس واحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا ثم علل ذلك فيه لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الاعظم مستحضر لجميع ما جمعه من الاسماء
الحسنى والصفات العلى التي تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك لعظمتها شوامخ الجبال الصلاب **ان الله** اي الذي له الامر كله **معنا** اي بالعون
والنصر وهو كاف لكل مهم قوي على دفع كل ملم فالمعنى انه لا نصر الا بالله فانه تعالى قادر على ان يامر الجنود التي ايدها بها على اهلاك الكفار كلهم
وهذا مثل نصره لكم في ذلك الامر او يحصل لكم بذلك اجر او كما انه نصره في ذلك الزمان باسمائه الحسنى وصفاته العلى هو على ذلك في هذا الزمان
كل زمان فتبين ان الشرك النفع في ذلك انما هو لمن نصره وانه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال الا لفوزكم وفي هذه الاية من التنويه

بعد ان الصديق وتقدمه وسابقته في الاسلام وعلو منصبه وفخامة امره مما لا يجهله الا من اعطاه قال ابو حيان وغيره قال العلماء من انكر صحبة
ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة ولما كان رضي الله عنه ناقد البصيرة في المعارف الالهية راسخ القدم في ذرى المقام
وذلك لم يتعلم من اول الامر فحصل جميع العنا بخلع الانداد ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث عشرة سنة وكان الذي به القلق انما هو الخوف
فات تحصيل النبي صلى الله عليه وسلم اذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين وقمع المعتدين ولم يكن جبانا ولا سيء الظن
لما كان ذلك كذلك كان من تحقيقا بحصول السكينة له عند سماع الكلام الشريف الاعظم الدال على ذلك المقام المذكر بتلك العظمة الذي
عنده هامل عظيم ويتصاغر في جنبها كل كبير فلذلك ذكر هذا الاسم الاعظم وقدم واشرك الصديق في المعية وبرك بالنهي عن الحزن لانه
الموت بالذات وما بعده علة له واما بنو اسرائيل فلما لم يكن عندهم من المعرفة الا ما شاهدوا من احسانه تعالى الى موسى عليه السلام باظهار
تلك الايات على يديه حتى استنقذهم بها مما كانوا فيه ومنع موسى عليه السلام معه وحده من سطوات فرعون على عظمته وما كانوا اجترو به من المكروه
فلما راوا الجمع مقبلة كان ذا لهم مقتضيا السؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الايات هل هو مع موسى على ما كان عليه فيمنعهم ام لا
فلذلك قدم انكار الادراك ثم اثبات المعية على سبيل الخصوص به وعبر عن الاله باسم الرب الدال على ذلك الاحسان المذكر به فقال
كلا ان معي ربي ولما قيل بما ذا يفعل والبحر امامنا والعدو وراءنا فقال سيهدين اي الى ما افعل فيفعل ذلك كما منقلعا بالسير
وقصص بني اسرائيل على ما ذكر اهل الاعراف عن التورية لان الصديق رضي الله عنه كان في صعودهما الى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه وسلم
ليفديه بنفسه ثم يذكر الطلب فيتاخر ثم يذكر ما عن اليمين والشمال فينتقل اليهما فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اذ قتلت انا فانا
رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة وانه كان عارفا ان الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسوله صلى الله عليه وسلم المتقضي لحياة نفسه
الشريفة قبل ذلك ولذا الايمان بين في هذا اليوم من القلق بما ذكر وكما عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اثبت الناس ولذلك اتى بالفاء
المعقبة في قوله **فانزل الله** اي الملك الاعظم **سكينته** اي السكون المبالغ فيه الموقر للنفس **عليه** اي الصديق كما قال ابن عباس رضي الله عنهم
لان السكينة لم تفارق النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف على نصره الله قوله **وايده** اي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف الضمائر هنا لا يضر
لانه غير مشتبه **بجنود لم تروها** اي من الملائكة الكرام **وجعل كلمة** اي دعوة **الذين كفروا** اي قهروا الكفر اي منهم بعد ذلك
السفلى فخيب سعيهم ورد كيدهم ثم ابتدا الاخبار عما له سبحانه على الدوام بغير انقطاع اصلا في وقت من الاوقات فقال **وكلمة الله**
اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء ونصبها يعقوب عطفا على كلمة ابقى **هي العليا** اي وحدها لا يكون ابدا الا ما يشاؤه ... قادر
على ذلك **والله** اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما **عزيز** اي مطلقا يغلب كل شيء من ذلك وغيره **حكيم** لا يمكن ان ينقض شيء من مراده
لما ينصب له من الاسباب التي لا مطمع لاحد في نقضها ومنها فلا محيص عن نفوذها ولما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبلغا هيأها به للقبول
اقبل عليها سبحانه بالامر فقال **انفروا خفافا وثقالا** والمراد بالخفة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد والنشاط اليه وبالثقل كل ما يحمل
على الابطاء عنه وقال البغوي والخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ولمن يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالاعمى ونحوه
فخارج عن هذا انتهى وقال البغوي قال الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وروى ابو يعلى الموصلي بسنده سند صحيح عن انس ان ابا طلحة
قرا سورة براءة فاتى على هذه الاية فقال لا ارى ربي الا يستنفرني شابا وشيخا جهزوني فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة
ايام فما تغير **وجاهدوا** اي اوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار ولما كانت هذه الاية في سياق المعاتبة لمن تثاقل الى الارض عن الجهاد عند الاستنفار
في غزوة تبوك وكان سبب التثاقل ما كان في ذلك الوقت من العسرة في المال والشدة بالحر مع ما كان من طيب الظلال في ابان الحصاد وقت الاخذ في جني
الثمار كما هو مشهور في السير اقتضى المقام هنا تقديم المال والنفس كما مضى فان الكلام كان في المفاضلة بين الجهاد في سبيل الله وخدمة البيت من
حجيج في هذه السورة التي صار وقت نزولها بعيدا من الجهاد وطول المفارقة للاموال والاولاد وقدم المال لان النظر اليه من وجهين فلقلة

ومحبته

ومحبته لاقامته في الحدايق ايثار التمتع بها خوفا من ضياعها او نقصها بما يتوهم الانفس فصار النظر اليها هو الحامل على الشح بالانفس فقال
باموالكم وانفسكم اي بهما معا على ما امكنكم او باحدهما **في سبيل الله** اي الملك الاعلى الذي لا يستقي منه مانع **ذلكم** اي الامر العظيم **خير**
اي في نفسه حاصل **لكم** اي خاصا لكم فيجوز ان يكون افعل تفضيل بمعنى ان عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كما ثبت ان النبي صلى الله
عليه وسلم سئل عن عمل يعدل رتبة المجاهد فقال لا تستطيع ان تقوم فلا تفتر وتصوم فلا تفطر وختم الاية بقوله **ان كنتم تعلمون** اشارة
الى ان هذا الامر وان كان عاما فانما ينتفع به ذووا الاذهان الصافية والمعالم الوافية فان العلم ولا يعد علما الا النافع يحث على العمل ويعلي الحسنات
بافعال التي ... تصحيح المقاصد وتقوية العزم وغير ذلك من ضده يورث ضده ولما كان هذا العتاب موذنا بان فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا بجمع
الاموال والاولاد وكان ما اشتملت عليه هذه الايات من الاوامر والزواجر والمواعظ جديرا بان يخفف كل متثاقل وينشط كل متكاسل تشوف النفوس
الى ما اتفق بعد ذلك فاعلم سبحانه بعد في الغيب البالغة المخبرة عن احوال القاعدين واقاصيص الحاضرين المفهمة ان هنالك من غلب عليه الشقاء
فلم ينتفع بالمواعظ فالتفت بخطاب الاقبال الى تبكيت المتثاقلين باسلوب الاعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم المبعد
لقبائحهم المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الايمان فقال **لو كان** اي ما تدعوهم اليه **عرضا** اي متاعا دنيويا **قريبا** اي سهل التناول **وسفرا**
قاصدا اي وسطا غير متناه في الابعاد **لاتبعوك** اي لاجل رجاء العرض مع سهولة السفر لان هممهم قاصرة منوطة بالحاضر **ولكن** اي الحال انهم تثاقلوا
الى الارض ورضوا بالفاني الحاضر عن الباقي الغائب لانها **بعدت عليهم الشقة** اي المسافة التي تطوى بسرعة الاجل بالسير فيحصل بها الكلال والمشقة
فلم يوازنوا ما يحصل لهم من التعب بما يرجونه من العرض كما استاذنوك وفي هذا اشارة الى ختمهم بسفول الهمم ودناءة الشيم بالعجز والكسل والنهم
والى ان هذا الدين متين لا يحمله الا الماضي الهمم صادق العزم اذا هم القى بين عينيه عزمه واعرض عن ذكر العواقب جانبا فلله در ارباب العزائم
والصبر على الشدائد والمغارم ولما ذمهم بالشح بالدنيا اتبعه وصمهم بالسماح بالدين فقال مخبرا بما يكون منهم علما من اعلام النبوة **وسيحلفون**
اي المتخلفون باخبار محقق لا خلف فيه **بالله** اي الذي لا اعظم منه عند رجوعكم اليهم جميعا الى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله
بالكذب قائلين والله **لو استطعنا** اي الخروج الى ما دعوتنا اليه **لخرجنا معكم يهلكون انفسهم** اي بجعل الحلف الذي
الذين يريدون به حياتها لانهم كذبوا فيه فانتهكوا حرمة اسم الله **والله** اي والحال ان الملك المحيط علما وقدرة سبحانه **يعلم انهم لكاذبون** فقد
جمعوا بين اهلاك انفسهم والفضيحة عند الله بعلمه بكذبهم في انهم غير مستطيعين وجزاء الكاذب بمثل ذلك الغضب الموبد الموجب للعذاب الدائم
المخلد ولما بكتهم على حب الاعراض لاجل التخلف والحلف عليه كذبا اقبل على النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاب في لذيذ الخطاب على الاذن لمن سال في التخلف
والاستيلاف واخذ العفو وترك الخلاف الهين الذي فقال موذنا بانهم ما تخلفوا الا باذنه صلى الله عليه وسلم لاعذار ادعوها كاذبين فيها
ثم كذبوا في هذا الحلف مقدما الدعاء على العتاب لشدة الاعتناء بشانه والتلطف به صلى الله عليه وسلم **عفا الله** اي ذو الجلال والاكرام
عنك وهذا كما كانت العرب تخاطب ملوكها بان يقولوا اصلح الله الامير والملك ونحو ذلك ومن المعلوم انه لا يأذن الا لما يرى
انه رضي الله في الفهم ونحوه بين انه سبحانه يرضى له ترك الاذن فقال كناية عن ذلك **لم اذنت لهم** اي في التخلف عنك تمسكا بما تقدم
من الامر باللين لهم والصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق وهذا غاية في ذلك ... الشارع في الفتنة ولما دل الدقة على
الدين وتمكن امر المؤمنين في المامور به الاغلاظ على المنافقين فضل تركه في الاذن لهم **حتى يتبين لك** اي غاية التبيين **الذين صدقوا** اي
في التزام الاوامر بما اقروا به من كلمة التوحيد **وتعلم الكاذبين** اي فما ظهر وما ... فانك لو لم تاذن لهم لقعدوا بلا اذن بغير
... هيبتهم الذي ... عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره قال ابو حيان وحتى غاية للاستفهام انتهى وذلك لانه
وان دخل على فعل مثبت فمعناه النفي اي ما لك لم تحملهم على الغزو معك لتحقق بذلك الحمل من يطيع ومن يعصي فالحاصل ان الذي
فعله صلى الله عليه وسلم حسن موافق لما امره الله به فانه لا ينطق عن الهوى بل عن امر الله اما بايحاء اصلي جديد او استناد الى وحي حاصل
عتيد والذي اشار اليه سبحانه احسن منه فهو مثل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ومن باب الترقية

مقام عال الى مقام اعلى تيسيرا عليهم بالجملة لما انكشف انهم ليسوا باهل للفضل قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة في تفاوت وجه
الخطاب فيما بين ما انزل على موسى في التورية وانزل على محكم الكتاب اعلم ان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين وخلقه بالعفو
والمعروف كما ورد في الكتب السابقة من قوله تعالى واجعل العفو والمعروف خلقه وبذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اوصاني ربي
من غير ترجمان ولا واسطة بسبع خصال بخشية الله في السر والعلانية وان اصل من قطعني واصفح عمن ظلمني واعطي من حرمني وان يكون نطقي ذكرا
وصمتي فكرا ونظري عبرة فكان فيما اوصاه به ربه تبارك وتعالى من غير ترجمان ولا واسطة ان يصل من قطعه ويصفح عمن ظلمه ولا انطع له
من كفر به وصح عنه ان هو صلى الله عليه وسلم يحكم ما بعث به وصل عليه ووصي به ملتزما العفو عن ظلمه والوصل لمن قطعه الا ان يعلن عليه
بالاكراه على ترك الحق الرجوع الى الحق والعدل والاقتصاص والانتصاف الى الفسحة وصيته الموافق لما نقل من احكام سنن الاولين في مواخذتهم
بالحق والعدل الجامع شرعته ليوجد فيها نحو مما تقدم من الحق والعدل واذ قال وتنفصل رحمته بما اختص هو به صلى الله عليه وسلم من ابتغاء بسعة
الرحمة والفضل وامد اليه بالعدل والاحسان ومكان امته بعيد بهم وانتفى بهم من القران ما انزل على الوجه الذي بعث له ووصل عليه ووصي به نحو قوله تعالى
ادفع بالتي هي احسن السيئة وقوله تعالى خذ العفو واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و
استغفر لهم وشاورهم في الامر وقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام واصل معناه في مفتتح قوله تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم فما كان من المنزل على هذا الوجه تخلصت فيه الوصية والكتاب وقبله هو صلى الله عليه وسلم جبلة
وحالا وعملا ولم تكن له عنه وقفة لتطابق الامرين وتوافق الخطابين خطاب الوصية وخطاب الكتاب في هذا الوجه المنزل خاص بالقران
العظيم الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم لم يوته احد قبله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ومن القران ما انزل على حكم العدل
والحق المتقدم بفضله من سنن الاولين وكتب المتقدمين وامضاء عدل الله سبحانه في الماضين والاكتفاء فيه بوصل الواصل وابقاء المتقي و
الاقبال على القاصد والاستقامة الشارد وذلك خلاف ما جبل الله عليه نبيه وما وصى به حبيبه صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه من الكتاب
على مقتضى الحق وامضاء العدل ترقب تخفيفه وترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالاكراه في اخذه والتزام حكمه حتى يقوم فيه به ويظهر عنده
في امضائه فيكون له في خطاب التخيير عليه في اخذه اعظم حرج وابلغ ثناء من الله عنده ما يتوهمه الجاهل فمما انزل الله عليه من توقفه
على امضاء حكم العدل والحق جاء تدارك الخلق واستعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا
الحديث اسفا ونحو قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ونحو قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون ومما انزل على حد الاعلان عليه بما هو عليه من الرحمة وتوقفه عن الاخذ بسنن الاولين حتى يكره عليه ليقوم عنده
في الاقتصار على حكم الوصية وحال الجبلة ما هو نحو قوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ونحو قوله
تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين ونحو قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ولما استوقف لطلب الرحمة لهم كما استوقف المهمي في السنى او الشان فيه
لما قد علم انه لا بد ان تمتري خطة من مضى من كلمة العدل فيهم ونحو عليهم العذاب عليهم واجرا بعضهم وكلهم على سنن من تقدمهم من اهل الكتب
الماضية في المواخذة بذنوبهم وانفاذ حكم السطوة فيهم فاخذهم الله بذنوبهم فكلا اخذنا بذنبه ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الايات
الان وقد عصيت قبل لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم وذلك ان كل مطالع بالعذاب راجع ولا يبرع عن باطله حين لا ينفعه
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا لما ابطن تعالى في قلب نبيه
عليه السلام عزما على هلاكهم اظهر تعالى رحمته عليهم ولما املى نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة لامته كافرهم ومؤمنهم ومنافقهم اشار باتي من اظهار
مؤاخذتهم واعلم بكف نبيه صلى الله عليه وسلم عن التفهم واحببه منهم دون كافرهم ومنافقهم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين
ومثل ذلك معلوم عنده سبحانه صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه نحو قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا سنة الله التي قد خلت من قبل لما كانوا

ليومنوا

ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه فان كنت
في شك مما انزلنا اليك لا اشك ولا اسال لانه قد علم جملة امر الله في ان منهم من تداركه الرحمة ومن يحق عليه كلمة العذاب لكنه لا يزال
ملتزما التالف لهم والتجاوز عنهم حتى يكره على ترك ذلك بعلن خطابه نحو قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى واما من جاءك
يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ونحو قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم
فهذا الاي ونحوها يسمعها العالم برافتها على كراه لنبي الرحمة حتى يرجع الى عدل الملحمة من جملة امداح اهل الله لرواشتهاله فلا بد عهد
وصيته حتى يحقق له رسميته بنبي الرحمة ثباتا على الوصية وبنبي الملحمة امضاء في وقت حكم الحق واظهار العدل فهو صلى الله عليه وسلم بكل القران
ممدوح وموصوف في الخلق العظيم جامع لما تضمنته كتب الماضين مما اختصه الله به من سعة القران العظيم فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية والكتاب
في محكم الخطاب في ان سميع عليم انتهى علما فانه صلى الله عليه وسلم معرفتهم بهذا الطريق شرع العالم بما في الضمائر يصفهم بما يوضح ذلك
فقال الحاطي طريق الجهاد بالسؤال لا يستاذنك اي يطلب اذنك بغاية الرغبة فيه الذين يؤمنون بالله اي يجددون الايمان كل وقت جمعا
من انفسهم بالملك الذي له صفات الكمال واليوم الاخر اي الذي يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب ان اي في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
بل يبادرون الى الجهاد عند اشارتك اليه وبعثك عموما عليه فضلا عن ان يستاذنوا في التخلف عنه فان الخلص من المهاجرين والانصار كانوا
يقولون لا نستاذنه صلى الله عليه وسلم في الجهاد فان ربنا ندبنا اليه مرة بعد مرة فاي فائدة في الاستيذان ولنجاهدن معه باموالنا
وانفسنا وكانوا بحيث لو امرهم صلى الله عليه وسلم بالقعود لشق عليهم كما وقع لعلي رضي الله عنه في غزوة تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى ولما كان التقدير فمن اتصف بذلك فاعلم انه متق باخبار الله عطف عليه قوله والله اي الذي
له الاحاطة الكاملة عليم بالمتقين اي الذين يخافون الله كلهم ولما اخبر بالمتقين عرف بغيرهم على وجه الحصر تاكيدا للتحقيق بصفة العالم
بما اخبر به سبحانه فصار الاستيذان منفيا عن المومنين مرتين فثبت للمنافقين على ابلغ وجه انما يستاذنك اي يطلب ذلك تكلف
بالاستيذان في التخلف الذين لا يؤمنون اي يجددون الايمان بالله اي الملك الاعلى الذي له نهاية العظمة ايمانا جامعا للشرائط واليوم
الاخر لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا وان ادعوا ذلك بالسنتهم ولما كانت هذه صفة المصارحين بالكفر بين ان المراد المنافقون
بقوله وارتابت قلوبهم اي تابعت الوساوس وتحكمت المشي معها حتى تخلقت بالشك ولما كان الشاك على الريب يجاذبه حسن الفطرة
وسوء الوسوسة قال فهم اي فتسبب عن ذلك انهم في ريبهم يترددون بين النفي والاثبات دأب المتحيرين لا يجزمون بشي منهما وان صدقوا
ان الله موجود فان المشركين يصدقون بذلك لكنه لا ينفعهم لاختلال بشرطه وليس استيذانهم في ان يجاهدوا لارادة الجهاد بل لان
لا يقولوا اذا امرتهم به انه لا عدة لنا في هذا الوقت فاذن لنا في التخلف حتى نستعد وقد كذبوا ما دل على ذلك ايمانهم انهم لا يريدون
الخروج معك ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اي قوة واهبة من المتاع والسلاح والكراع بحيث يكونون متمكنين
بها وقت ان يامرهم التحريض على نحو ما وقع الامر به في الانفال فيكونون كالحاضرين في صف الحرب الواقفين في الصف قد استعدوا لها بجميع
عددها ولكن لم يريدوا ذلك قط فلم يعدوا له عدة فلما امرت به شرعوا يعتلون بعدم العدة وما ذاك بهم انما مانعهم كراهتهم
للخروج وذلك بسبب ان كره الله اي ذو الجلال والجمال بان فعل فعل الكاره فلم يرد انبعاثهم اي سيرهم معك لطاعة امرهم
بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له فثبطهم اي حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حبب اليهم من الشهوات وكره اليهم من ارتكاب
المشقات بسبب انهم لا يرجون ثوابا ولا يخشون غير السيف عقابا فقصر واهمتهم الدنية على الصفات البهيمية فلما استولت عليهم الشهوات
وملكتهم الانفس الدنيئة نودوا من قبلها الحاضرين في وقيل اي لهم لما اسرعوا الاقبال عليها اقعدوا اي جنبوا لا تصحبوهم وفي قوله
مع القاعدين اي الذين شانهم ذلك كالمرضى والزمنا والصبيان والنساء من التبكيت ما لا يعلم مقداره الا اولوا الهمم العلية والانفس

الابنية وعبر بالمجهول اشارة الى انهم يطيعون الامر بالقعود حقيقة ومجازا لكائن من كان كما انهم يعصون الامر بالنفر كائنا من كان لان انفتهم
قائلة للدنيا غير صالحة للمزايا بوجه ولما علم بهذا انه قيل ما لهم ثبطهم وقد كنا قاصدين سفرا بعيدا وعدوا كثيرا شديدا فنحن محتاجون الى
الاشياع ولو بتكثير السواد قيل لو اى فعل بهم ذلك لانهم لو خرجوا فيكم اى وهم معكم وان كانوا قليلا مغمورين بجماعتكم ما
زادوكم اى بخروجهم شيئا من الاشياء الا خبالا اى ما لا يكم بشئ ان تكرهوا عليه عندكم من الاشياء غير الخبال والاستثناء مفرغ ومستثنى
منه القدر الثابت لهم لا النقص به هو الشئ وذلك لا يقتضى ان احدا منهم بالخبال قبل خروج المنافقين والخبال الفساد وهو سطوح
الى النزاع والاخذ على غرة ولاوضعوا اى اوقعوا الايضاع حذف المفعول اشارة الى ان مرادهم الايضاع نفسه لا بقيد
بالايضاع لانه للراكب وهو سرعة المماشي خلالكم اى اسرعوا في السير ذهابا وايابا في تتبع عوراتكم واستقصاء زلاتكم ليجدوا
منها مدخلا الى الفساد بالنميمة وغيرها ان لم يجدوها والايضاع في السير يكون برفق ويكون باسراع والمراد هنا الاسراع ومادة وضع بجميع
تراكيبها تدور على الحركة وتارة تكون على علو وتارة الى سفول ويلزم ذلك السكون والمحل القابل لذلك وعلى ذلك يتخرج العضو
والقرض وحوض الزرع وهو يعنى الدهر وضوع الريح والتصويت بالبكاء والضعة لشجرة في البادية والوضع للطرح في مكان
والسير اللين والسريع والخلال جمع خلل وهو الفرجة يبغونكم اى حال كونهم يريدون لكم الفتنة اى بتشتيت الشمل وتفريق
الاصحاب عن عدو قاتلوهم حتى لا تكون فتنة انها الخلطة المميلة المحيلة اى يريدون لكم الشئ الذى يصيبكم فيغير حالتكم
الى ما يسوؤكم غيرهم وفيكم اى والحال ان فيكم سماعون لهم اى في غاية القبول لكلامهم لضعف معاقدهم وارائهم وربما كان
سماعهم منهم بالمسالمة والله اى الذى اخبركم بهذا من حالهم بما له من الاحاطة بكل شئ علما عليم بهم فثقوا باخباره هكذا كان
الاصل وانما قال بالظالمين اشارة الى الوصف الذى اوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن الخير وتعميما للحكم بالعلم بهم وبمن جمع
لهم وبكل ظالم سعيهم فيهم بالفساد بموضع لغيرهم تخاض فيها اجرام متقاربة تضيق غاية الانتقال الى معرفة
ما فيها من الفرح والتامل لذلك الحجر فيستقيم كاس الحمام فلا يشغل لهم الابغية فسادكم بعدهم
الى شئ من مرادكم ولما اخبر سبحانه بذلك وحض على قبول اخباره بما وصف نفسه به من احاطة العلم شرع يقيم الدليل على ما قال
بتذكيرهم باشياء تقدمت مشاهدتها منهم فقال معللا لما اخبر به لقد ابتغوا الفتنة اى طلبوا طلبا عظيما كلهم لتشتيتكم
من قبل اى قبل هذه الغزوة في يوم احد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى همت بعضهم ان تفشل وفي المريسيع بما قال ابن ابى
ليخرجن الاعز منها الاذل وفي غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب في اخذ كنوز كسرى وقيصر والارجاف بكم في نقض بنى قريظة وغير ذلك
كما صنعوا قبل في غزوة قينقاع والنضير في تخصيصهم وتقويتهم كل منهم عليكم وفي غير ذلك من ايامهم التى عكس فيها قصودهم وانعكس
جدودهم وقلبوا اى تقليبا كثيرا لك الامور اى التى لك فيها ادنى ظهور البطن باحالة الاراء وتدبير المكايد والحيل لعلهم
يجدون فرصة في نقض امرك واستمر بهم الحال في هذا المحال حتى جاء الحق اى الثابت الذى لا مرام
في زواله مما تقدم به وعده سبحانه من اظهار الدين وقمع المعتدين وظهر امر الله اى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال والجمال
حتى اطلع لهم وهم كارهون اى لجميع ذلك فلم يبق لهم مطمع في محاولة بمواجهة ولا مخاتلة فصار همهم الان الاعتزال
والمبالغة في اخفاء الاحوال وستر الافعال والاقوال في الحكم وكان قد اشار الى انهم من كان قد استاذن في الرجوع
توطئة للاعتذار وعنه شرع يفصلهم وبدا المفصلين بمن صرح بالاستئذان في القعود فقال عاطفا على لقد ابتغوا ومنهم من يقول اى
في جبلته تجديد هذا القول من غير احتشام ائذن لى اى في التخلف عنك ولا تفتني اى تكن سببا في فتنتى لاجل امرى بالسفر
فافتتن اما بالتخلف فاكون مصارحا بالمعصية او بالسفر فاميل الى نساء بنى الاصفر فارتد عن الدين فانه لا صبر لى عن النساء وقائل ذلك
هو الجد بن قيس كان من الانصار منافقا ولما اظهروا انهم قصدوا البعد عن شئ فاذا هم قد ارتكبوا فيه انتهزت فرصة الاخبار بذلك مطابعا

باخلال

باخلال ناف على ناف ليحصل الثبوت الاكيد باقرار المسؤل فقيل الا في الفتنة سقطوا اى بما قالوا وفعلوا افتضاحا مطرفا لهم فوضعوا انفسهم بذلك
في جهنم وفي التعبير بالسقوط دلالة على انتشابهم في اشراك الفتنة انتشابا سريعا بقوة فصار يعسر خلاصهم منه وان جهنم لمحيطة اى بسبب احاطة
الفتنة التى اسقطوا انفسهم فيها بهم واغراق بالكافرين تعميما وتنبيها على الوصف الذى حملهم على ذلك ولما كان ذلك قيل ما الفتنة
التى سقطوا انفسهم فيها فاحاطت بهم جهنم بسببها قيل ان اى هي كونهم ان ويجوز ان يكون علة لاحاطة جهنم بهم وكانهم لاجل انهم من الاوس
والخزرج فالانصار اقاربهم خصوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعداوة وشديد الخضوع ولذا ايضا كان الاحسن لعموم ويسرهم من الحسنة والسيئة لما
وقع ما ذكرته بالتعبير بالاصابة في المسلمين ما دون حفظا القلوب بهم وزعبا لاسرار دسائسهم فقال اشارة الى ذلك تصبك اى بتقدير
الله حسنة اى بنصر او غنيمة تسؤهم اى لما في قلوبهم من الضعف والمرض وان تصبك مصيبة اى نكبة وان صغرت كما وقع يوم احد يقولوا
اى سرورا وتبجحا بحسن ارائهم قد اخذنا امرنا اى عصينا الذى حاربنا ولم نسلم قيادنا لاحد فتحكم كالامعة لانا الامر الحادثة وضد النهي ومنه
الامير ورجل امر وامرة بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة وبفتح ضعيف الراى يوافق كل احد على ما يريد من امره كله وهو الامعة وزنا ومعنى
من قبل اى قبل ان تكون هذه المصيبة فلم تكن مؤتمرين بامره فيصيبنا ما اصاب من تبعه فظنوا من امرهم لو كانوا مطيعين كان شيئا متحققا
بيد الامر فلما عصوه كانوا كانهم قد اخذوه منه ولما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة فكان جديرا بان لا يقال وان قيل كان حقيقا بان
يستقال بالمبادرة الى الرجوع عنه والاستغفار منه اشار تعالى الى تماديهم فيه فقال ويتولوا اى عن مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك وان
طال الى اهاليهم وهم فرحون اى لمصيبتكم لكفرهم وخلاصهم منها ولما كان قولهم هذا استغناءا لتوهمهم القدرة على الاحتراز من القدر قال دالا
معلما الجواب لهم بما يطابق الرسول قل اى انا نحن لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بانا لا نملك ضرا ولا نفعا بل نقول لن يصيبنا اى من الخير والشر
الا ما كتب اى قدر الله اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما ولما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن ان اصابته سراء شكر وان اصابته ضراء صبر
فقال لنا اى لا يقدر على ردة عنا الا هو هو اى وحده مولينا اى القريب منا الذى يلى جميع امورنا لا قريب منا سواه فلو اراد لدفع عنا
كل مصيبة لانه اقرب الينا منها لا يصل الينا بدون علمه وعرضه فنحن نعلم ان الرحمة ذلك لطيف من دونها الانكار ويخصها
الاحاطة بحقيقتها نوافذ الابصار فنحن لا نتهمه في قضائه لانا قد توكلنا عليه وفوضنا امورنا اليه والموكل لا يتهم الوكيل وعلى الله اى الملك
الاعلى لا غيره فليتوكل المؤمنون اى كلهم توكلا عظيما حازما لا معدل عنه فالفيصل بين المؤمن والكافر لام النفوس اليه وحده بلا
اعتراض عليه بقلبه بل كيف شاء ويحكم فيه بما يريد ولما تضمن ذلك سرورهم رضى بالقضاء موجب لاقبال
القاضى على المقضى عليه بالرافة والرحمة صرح بذلك في قوله قل هل تربصون اى تنتظرون انتظارا عظيما بنا الا احدى الحسنيين
اى هو ان نصيب اعداءنا فنظفر ونغنم ونوجر او يصيبونا بقتل وغيره فنوجر وكلا الامرين حسن فاما
واما الضراء فموجبه لرضى الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ورضانا بها اجلالا له وتسليما لامره كما
يتهمون ونحن نتربص بكم اى ننتظر احد السوائين ان يصيبكم الله اى الذى له جميع القدرة ونحن مزحزحون بعذاب من عنده اى
لا بسبب لنا فيه كما اهلك القرون الاولى بصبائر للناس او بايدينا اى بسببنا من قبل الذين واسر وغير ذلك يمنعكم
وكل ذلك مكروه عندكم ولما تسبب عن هذا البيان ان السوى خاصة اهم الى ذلك
تحقيقا لشانهم فقال فتربصوا اى انتم منها انا اى نحن معكم متربصون بغفل كما تفعلون والقصد مختلف جهاتك
حذوا الاصابة للدلالة عليها بما اثبت ثانيا وثانيا احد السوائين للدلالة عليها باثبات الحسنيين اولا من جملة
ما يصيبهم العذاب الانفاق بتركيته ما ظهر من امر العدو بالاعانة ضعفا انفاقهم بالنفاق في اول والنفسهم
في السفر قال قل انفقوا اى اوجدوا الانفاق كل ما يسمى نفاقا طوعا او كرها اى مظهرين الطواعية او مظهرين الكراهية
ولما كان الاعراض عنهم انما سببه كونهم لا انفاقهم لم يربط الجواب بالفاء بل قال لن يتقبل منكم اى يقع تقبل الشئ قبلكم

اسلام من اجل ان يتقبل لما ثبت من ذلك والعدول عن ايضا بناه للمفعول ان قلوبكم كارهة ليست لكم نية صالحة في الانفاق ولا في غيره فعدم تقبل انفاقكم
لا للطوع والكره انما هو باعتبار الظاهر وكانه عبر بالفعل اشارة الى قبول منهم ظاهرا وانما امتنع القبول باطنا عليه لما ذكر من الاحوال العلل لقوله **انكم**
كنتم اي جبلة وطبعا **قوما فاسقين** اي عريقين في الفسق بالغين فيه انهى غاية ولما علل بالفراق في الحروج عن الطاعة تبينه في قوله
وما منعهم ان تقبل اي باطنا ولذا عبر بالمجرد وبناه للمفعول لان النافع القبول في نفس الامر لكونه من معين **منهم نفقاتهم** اي وان جلت
الا انهم كفروا بالله اي الذي له جميع صفات الكمال من الجلال والجمال الفسا جبلاتهم وسوء غرايزهم ولما كانت النفقات هي للطهارة التي
تورثها الصلوة كانت شيئا العدم قبولها التسبب عنه الانهى عن الصلوة عليهم ابلغ لانه ادل على الخبث فاكد كفرهم بزيادة الجار اشعارا بان الكفر
بكل منهما على حياله مانع فقال **وبرسوله** اي فسقهم بانهم غير مؤمنين حصول المانع بمجرده من القبول ثم قدح في شاهد يحاسبه في الايمان
وهما الصلوة والزكوة وغيرها من الانفاق في الخيرات عاطفا على المانع لكفرهم الصلية فقال **ولا ياتون الصلوة** اي المفروضة وغيرها **الا وهم**
كسالى اي في حال كسلهم لا ياتونها قط بنشاط **ولا ينفقون** اي نفقة من الواجب وغيره **الا وهم كارهون** اي في حال الكراهة وان ظهر لكم
خلاف ذلك وذلك كله لعدم النية الصالحة واعتقاد الاخرة وهذا لا ينافي طوعا لان ذلك بحسب الغرض والظاهر وهذا بحسب الواقع ولما
استوعب اموالهم النفع الاخروي الذي هو النفع تسبب عنه ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات اليها بعدم اعتقاد ان فيها بركة ودلالة
على خير فقال مبينا ما فيها من الفساد الذي يظن انه صلاح **فلا** بفاء السبب فالسباق ابلغ من سياق الاية بعد النهي عن الصلوة عليهم
تعجبك اموالهم اي وان انفقوها في سبيل جهز وابها الغزاة فان ذلك عن غير اخلاص منهم ولا حسن نية ولا جميل طوية وانما هو لما اذاهم
من عزة الاسلام ولخافهم من سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب عطف عليها الاولاد لمشاركتها لها في الملاذ والقوة والاستعمال
في النهي فقال موكدا للنفي باعادة النافي **ولا اولادهم** فكانه قيل فما ذا يراد باعطائهم ذلك حيث لو منعوها واعطيها المخلصون لكانت
قوة للدين فقال **انما يريد الله** اي بوقع الارادة لهم الملك الذي له الاحاطة بجميع الحكمة كما ان له الاحاطة بتمام القدرة وابلغ
في الحصر بادخال اللام في قوله **ليعذبهم** اي لاجل ان يعذبهم **بها في الحيوة** اي وان كان يرى انها الزينة لان ذلك من شان الحيوة فانما هي
لهم موت في الحقيقة **الدنيا** اي تارة بجمعها وتربيتها وتارة بذلها كرها في سبيل الله او في تزكيتها وتارة بغير ذلك **وتزهق** اي
يريد تمكينهم من الاجل انه تخرج وقت الموت بغاية الصعوبة **انفسهم** اي بسببها **وهم** اي والحال انهم **كافرون** اي عريقون في
الكفر وهكذا يجعل من اراد استدراجه سبحانه فانه في الغالب يكثر اموالهم واولادهم لنحو هذا انهم اذا راوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا
ان ذلك انما هو لكرامتهم وحسن حالهم فيستمرون عليها حتى يموتوا وهو سبحانه لم يرد بها محبتهم بل فتنتهم ومحنتهم واما الذين فان
القادر يقويهم بغير ذلك ليكون الظهر لديله واوضح لسبيله فلا يضل انه ظهر لهم انهم اكرموا بها وخفي عنهم انها سبب لعذابهم في الحيوة بالكلام
عليها وفي الممات بصعوبته عليهم المشار اليه بالزهوق وفي الاخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها ولما المؤمن فلا يموت
حتى يري من الثواب ما يسليه عن كل شيء فيشتاق الى لقاء الله وتخرج نفسه وهو في غاية المحبة لخروجها لان البدن عائق له عما يرى
ولما وضح بهذه الامور منابذتهم للمؤمنين وخروجهم من ربقة الدين المصحح لوصفهم بالفسق اوضح لبسا اضمرا حوالهم بقيمهم
بالايمان الكاذبة فقال **ويحلفون** اي طلبوا لكم الفتنة والحال انهم يجددون الايمان **بالله** اي على ما له من تمام العظمة **انهم** اي
المنافقين **لمنكم** اي ايها المؤمنون في الاعتقاد كم باطنا كما هم ظاهرا **وما** اي والحال انهم ما **هم** صادقين في حلفهم انهم **منكم**
ولكنهم قوم اي مع ان لهم قوة وعيا شديدا فيما يحاولونه **يفرقون** اي يخافون منكم على دمائهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو
الملجي لهم الى الحلف كذبا على التظاهر بالاسلام فكانه قيل فما لهم يقيمون بينا والمبغض لا يعاشر من يبغضه فقيل لانهم يجدون ما
يحميهم منكم **لو يجدون ملجا** اي شيئا يلجئون اليه من حصن او جبل او قوم يمنعونهم منكم **او مغارات** في الجبال التي تسعهم جمع
مغارة مفعلة من غار في الشيء اذا دخل فيه والغور المنخفض من الارض ولما كانت المغيرات وهي النقوب في الجبال واسعة

والوصول

والوصول اليها بها لا قال **او مدخلا** اي مكانا يدخلونه بغاية العسر في السعوبة لضيقه او المانع في طريقه وقوما يدخلونهم وان كانوا كارهين لهم
بما اشار اليه التشديد **لولوا اليه** اي لاشتدوا في التوجه اليه متولين مرتدين عنكم على اعقابهم **وهم يجمحون** اي حالهم حال الدابة التي
كانت مسرحة في طواعية راكبها فاذا هي قد نكصت على عقبها ثم اخذت في غير قصده لا يردها شيء تقع فيه ولا مهلكة ولا شيء ولما
تم حال من يتخلف عن الجهاد وربما بدا له ما اراد فيه ابتداء السفر من شرع في ذكر من يسلك من النفاق ويخالفه في الانفاق فقال **ومنهم**
من يلمزك اي يعيبك عند شياطينه على طريق الملازمة في تستر وخفاء وتظاهر وقلة حياء **في الصدقات** اي التي لا دخل لك فيها بوجه الا تباعك
ولما اخبر عن لمزه اخبر انه لحظ انفسه لا للدين فقال **فان اعطوا منها رضوا** اي عنك **وان لم يعطوا منها** فاجاءوا السخط
الذي يتجدد في كل الحظة ولم يتخلفوا عنه اصلا وعبر عن ذلك بقوله **اذا هم يسخطون** فوافقوا الاولين في جعل الدنيا همهم وخالفوهم
في ان اولئك انفقوا ليتمتعوا بالتخلف وهولاء طلبوا ليتمتعوا بنفس المال الذي ياخذونه قيل انها نزلت في ذي الخويصرة لما قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم حنين اعدل يا محمد فاني لم ارك تعدل فقال له صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل وسياتي في
حديث ولما اخبر عن حالهم السيئ الدني الذي لا يحر بهم في الدنيا ويهلكهم في الاخرة نبههم على ما هو الاصلح لهم من الحال الشريف السني
فقال **ولو انهم** اي المنافقين **رضوا ما اتاهم الله** اي المنعم بجميع النعم لان له جميع الكمال **ورسوله** الذي عظمته من عظمته قل ذلك
المؤتى او كثر طال زمنه او قصر **وقالوا** اي مع الرضى **حسبنا الله** اي كافينا لان له جميع العظمة وهو الغني المطلق ولما كانت الكفاية
تارة تكون بالتنجيز العاجل وتارة بالوثوق بالوعد الاجل بين ان الثاني هو المراد لانه ادل على الايمان فقال **سيؤتينا الله**
اي الملك الاعظم بوعد لا خلف فيه واعتقدوا ان لا حق عليه لاحد فقالوا **من فضله ورسوله** اي الذي لا يخالف امره ما
قدر لنا في الازل ثم علل ذلك بقوله **انا الى الله** اي المستجمع بصفات الكمال وحده **راغبون** اي عريقون في الرغبة فلا نرجو تكميل
ما يأتي من قبله كانا نملكه اي لكان ذلك خيرا لهم لانه لا ينالهم الا ما قسم الله سبحانه لهم شاءوا او ابوا ولما اخبر عن لمزهم في الصدقات وقرر
هو خير لهم ارشدهم الى النجاة علم فعل رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وبين انه لا يفعل غير ما لانه الحق الذي لا يجوز في شرعه الاكمل غيره
لمزوا او تركوا ازهدوا او رغبوا معبرا باداة القصر على من ذكر **انما الصدقات** اي هذا الجنس بجميع ما صدق من افراده والظاهر انه
قدم الاهم فالاهم فلذا قال الشافعي الفقير اشدهم حاجة لكونه ابتدا به فقال **للفقراء** اي الذين لا شيء لهم او لهم شيئا لا يقع موقعا من
كفايتهم **والمساكين** اي الذين لا كفاية لهم بدليل اما السفينة الاية واما مسكينا ذا متربة فتقييده دل على ان المطلق بخلافه
والعاملين عليها اي المؤتمنين في السعي والولاية على جمعها **والمؤلفة قلوبهم** اي ليسلموا او يسلم بسببهم غيرهم او يثبتوا
على الاسلام روى الشيخان في التفسير وغيرهما عن ابي سعيد رض قال بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فقسمه بين اربعة وقال اتالفهم
فقال رجل ما عدلت فقال الخارج من ضيضي هذا قوم يمرقون من الدين وفي رواية فاستاذنه رجل في ضرب عنقه فقال لا دعه فان له اصحابا يحقر
احدكم صلوته مع صلوتهم الحديث وفيه لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد ولا يقال ان العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فانه عمل
بالمقام الحمري لما تقرر انه ما تكرر استئلافه للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا وعلى منهاجه بتغير او ماجر منه امته ولما فرغ من الاصناف الاربعة الذين
يعطون الصدقة في ايديهم يتصرفون فيها كيف شاءوا كما دل عليه التعبير باللام اتبعهم من يعطى في حاجة معينة لا يتصرف فيما يعطاه في غيرها
كما دل عليه التعبير بفي فقال **وفي الرقاب** اي والمكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق **والغارمين** اي الذين استدانوا في غير معصية
يصرف ما يعطونه الى قضاء ديونهم فقط **وفي** اي والمجاهدين في **سبيل الله** اي الذي له الامر كله بالنفقة والحمل والاعانة بالسلاح
وغير ذلك ونقل القفال عن بعض الفقهاء انه عمم السبيل فاجاز صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وعمارة المساجد
ونحوها **وابن السبيل** وهو المسافر المنقطع عن بلده يعطى ما يوصله الى ان رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم يفعل ما ادى الى الحزم له
بسبب الا بما فانا قد عينا له اهل الصدقات فهو لا يعود عليهم شيء من الاشياء لانه واقف عند ما يرضينا فان كانوا منهم اعطاهم

ولا منعهم رضي من رضي وسخط من سخط وقد فرض في الصدقات لهم كانية الفقراء حال كونها **فريضة** كائنة **من الله** اي المحيط بكل شي قدرة وعلما
لعلمه بان في ذلك اعظم صلاح وهذا كالزجر عن مخالفة الظاهر **والله** اي الذي له جميع صفات الكمال **عليم** اي بالغ في العلم بما يصلح الدين
والدنيا ويولف بين قلوب المومنين **حكيم** اي فهو يجعل افعاله الاحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها انما ان كانت وضعت للحصر
فالحصر مستفاد من لفظها وان لم توضع للحصر فالحصر مستفاد منها وصفا اذ مناط الحكم بالوصف يقتضي التعليل به والتعليل بالشي يقتضي
الاقتصار عليه وحكمة الزكوة من جهة المالك ان المال محبوب لانه يحصل المحبوب والتمادي في حبه يوجب الاعراض عن الله المعطي فكان من الحكمة
تذكير المالك ان المالك الحقيقي في انه اوجب عليه اخراج طائفة منه ليكف ذلك من انصباب النفس بالكلية اليه ويطهر النفس عن محبته له
ويطهره عن محض الانفاق في الشهوات ومن جهة الاخذ انه لما اجتمعت حاجته اليه وحاجة المالك ولو احتاج الاخذ كان هناك سببان للتسلط
على المال احدهما اكتساب المالك له والثاني احتياج الاخذ اليه فرجح الشارع سبب الاكتساب وجعل المالك اولى بالقليل الكثير وصرف الى الاخذ اليسير
وابطل الشافعي الاية على ظاهرها فقال اذا خرجها رب المال سقط منهم العامل مع سهم المؤلفة وصرف الى الستة الاصناف وان قسم الامام
ففي سبعة ويجب ان يعطى من كل صنف ثلثة انفس ومن لم يوجد من الاصناف رد نصيبه على الباقين ويسوي بين الاصناف لا بين احاد
الصنف وقال ابو حنيفة يجوز صرف الكل الى الواحد من الاصناف لان الاية اوجبت ان لا يخرج الصدقة عنهم لا ان يكون في جميع الاصناف وهو قول
عمر بن الخطاب رض وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطا وابي العالية وميمون بن مهران رضي الله عنهم ولما بين الصنفين السالفين ختم اوجها
بصفتي العلم والحكمة اتبعها بصنف اخر يودي عما يجعله نقصا في صفات الرسول صلى الله عليه وسلم فيلزم الطعن في علم مرسله وحكمته فقال
ومنهم الذين يؤذون النبي اي الذي اطلعه الله على ما غدا وهو بنبيه بما يريد بهما حتى خفايا الاسرار ولما اضرب بطلق الاذى الشامل للقول
والفعل عطف عليه قوله **ويقولون هو** اي من فرط سماعه لما يقال له **اذن** فمرادهم انه يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد كما حكي عن
حينا قال ابو صالح كان جذام بن خالد وعبيد بن هلال والجلاس بن سويد في اخرين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لا تفعلوا
فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شينا فان محمدا اذن سامعة ثم ناتيه فيصدقنا فنزلت وقيل غير ذلك يقال رجل اذن
اذا كان يسمع مقال كل احد يستوي فيه الواحد والجمع انتهى ومرادهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرف مكر من يمكر به ولا خداع من يخادعه وكذبوا هو اعرف
الناس بذلك ولكنه يعرض عنه لمصالح لا يليق بحال الذين في حقهم بينها الحق تعالى بقوله **قل اذن خير** ثم بين ان نفع ذلك عايد اليهم بقوله **لكم** فسر ذلك
بقوله **يؤمن** اي يوقع الايمان الملك الذين يامنه من التكذيب بان يصدقهم معترفا **بالله** اي بما يخبره عنه بحق الايمان لما له من كمال العلم بما له
سبحانه من صفات الجلال والاكرام وحاصله ان فعل الايمان ضمن فعل التصديق ثم حذف واقيم حال مقامه ثم حذفت وابقيت صلة تدل عليها
كما قال الواقي في قوله لتكبروا الله على ما هداكم اذ التقدير حامدين على ما هداكم فالتقدير هنا يؤمن مصدقا بالله في حيث احقيقته وهو بمحبة المؤمنين
ولبيتهم ولذا اتبعه قوله **ويؤمن للمؤمنين** اي الراسخين بوقع الايمان له من التكذيب بان يصدقهم في كل ما يخبرونه مما يحتمل التصديق وذلك
لاجل مصالحهم والتاليف بينهم مع ما شئت من صدقهم فانه لو حملهم على حقه ومبلغ علمه محسنه لحاذ في جانب الخائنين بمجرد حمد وتعرسه فقهرت
عن المعالب الحرام وتاهت بسبب كثرة اوهام فتنفرت القلوب ووقع الى غلب الاتهام ولما كان التصديق بوجوه الله علما انه من صفات الكمال
المقتضي للامر والنهي عن الاباء وهنا لما كان التصديق انما هو في الاخبار بان شي كما عدي باللام بين ان تصديقه لغيرهم انما هو في الظاهر فقال
ورحمة اي هو رحمة **للذين امنوا** اي اظهروا الايمان بالسنتهم **منكم** فهو والله اعلم اشارة الى المنافقين ومن في حكمهم ممن لم يرسخ الايمان في قلبه
من اول اظهار تصديقهم فتولوا لما ظهر منهم وستر قبايح اسرارهم بسبب الكف عن ذاتهم واظهار للمومنين لقتهم وربما كان ذلك سببا
لصدق ايمانهم بما يرون من محاسن الايمان بتمادي الزمان ان ينبغي التعبير بالماضي اشارة الى المنافقين لا سيما بعد التعبير باسم الفاعل فقد قال
ابو الحسن الحرالي في كتاب المفتاح ما نصه الباب الرابع في ترتب البيان على تطور الانسان بترقية في درج الايمان وتردية في دركات الكفران اعلم ان الله
محيط بكل شي خلقا وامرا واولا واخرا وظاهرا وباطنا وهو جمع وله علق في ظهور امره وكبير خلقه واحتجب في مقابل ذلك في خلقه وامره

بما ابداه

بما ابداه من حكمته واسباب بعداه وفتنته وذلك العلو هو الاهتيه والاحتجاب هو ملكه وبينهما اقامة كل خلق لما خلق له وتاسيس كل امر
من الامرين لما اقيم له وذلك الظهور ربانيته ولكل فوق خلقه وامره رتب تنابيه ولكل تفاوت سواء وذلك هو وحدانيته ولكل اقرب في مدد
الحجاب اختصاص وذلك هو رحيميته ولكل ابعد في مدد الحجاب بطش منه شديد في رده الى الكفر الفرق وتلك هي نقمته ولكل من تنزلاته
العلية ظاهرا وباطنا امر خاص ولكل امر خلق يرد بيانه القران لكل خلق بحسب كنه ذاته واختصاص تنبيه قربه وبعد بعده وان الله سبحانه
جعل ادم وذريته خليفة له في جميع امره وتفصيله وانزل القران بيانا من جملة ذلك فاردا الاحوال لهذا المستخلف المحل الذي يسمى فيه
بالانسان وهو سن حيث انس بنفسه وغيره ونسي عهده به فيرد لذلك نباه بالذم في القران قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لربه لكنود
ثم المحل الذي يتداركه فيه تنبيه لسماع الزجر به وهو له بمنزلة سن المميز لا بسبع ولا يقع الاحتجاج ونداء وذلك هو السن المسمى
فيه الناس لنوسهم اي ترددهم بين سماع الزجر وغلبة اهوائهم عليهم فيرد لذلك نباهم بذم اكثرهم في القران ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ولا يشكرون ثم المحل الذي يتقدم لهم قبول سماع وايمان الغائب الامر والخلق ولكنهم تنزل نوع عنه كثير منهم عند كل عارضة ثقيل وخادعة دفعة
وهو لهم بمنزلة سن الحلم الذي قد ذاق طعم برق النطفة من باطنه الظاهر العقل المنظور في حقايق المحسوس وذلك هو السن الذي يسمى
فيه الذين امنوا الحسنين وهو اوسن لتلقي ذلك وجميع ادب القران وتعليمه انما مورده اهل هذا السن كان ابن مسعود رض يقول اذا سمعت الله
عز وجل يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك فانه خير يامر به او شر ينهى عنه وكما انما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ولا يخص
المميز لا يدخل فيه البالغ كذلك خطاب الذين امنوا لم يصل الى الناس وخطاب الناس قد جاوزه الذين امنوا لم يصل اليه الناس لانهم قد
انجبروا بالاقبال فلي بهم عما ينقض عند الناس من اثرهم وانما يامر به الناس وهذه الاسنان الخالية عند اولي البصائر تحقق خطابها اشد
ظهورا من اسنان الابدان عند اهل الابصار وعدم التبصرة بهذه المراتب في الاموال والابنيا هي اقفال القلوب المانعة من تدبر القران وكذلك ما فوق
سن الذين امنوا من الذين يؤمنون وهم في اول الحد القرب بمنزلة بلوغ الاشد وسن الذين امنوا التابع في مدة حد البعد ولذلك يخاطبون
بحرف النداء المرسلة الحد البعد يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وفوق ذلك المؤمنين
وادني قربا ولذلك لم يرد في القران خطابهم بالبعد وهذا السن بمنزلة الاكتهال ومن الشيب وتمام سنهم المؤمنون حقا وكذلك السن المحسنين
الا غيب سن المؤمنين الى ما وراء ذلك فان اسنان الجسم اسابيع واسنان القلب اسابيع يعرفها من تطور فيها ويجهلها من نبت في قلبه على
بحمل وتطورت صحبه الى الهرم يهرم ابن ادم ويشب منه اثنان الحرص والامل فالحرص فقر ولو ملك الدنيا والامل هم وتعبه ثم يجمع
بجموع اسنان القلب وتفاوت خطابها لم ينفتح له الباب الى فهم القران ولم يتضح له تنزلات الخطاب بين يدي خطابه من خطاب الحق من
خطاب الملك الى الديان انتهى ولما بين ما يلقى من صدقه باطنا او ظاهرا من الرحمة بين ما على من كذبه فاداه من النقمة فقال **والذين يؤذون**
اي بعدوا وغيرهم **رسول الله** اي الذي عظم وهو الملك الاعلى شرف وعظمه بالجمع بين الوصفين واعلاه باضافته اليه وزاد في رفعته
بالتعبير باسمه الاعظم الجامع وهو واسطة بين الحق والخلق في اصلاح احوالهم فانما يستحق منهم الشكر والاكرام لا الاذى والايلام ولما كان
اذاهم موليا جهل جزاهم فخيبه فقال **لهم عذاب اليم** ثم علل ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله واخبر انهم يخشون على دمائهم فيصلحون
ظواهرهم حفظا لها بالايمان الكاذبة فقال **يحلفون بالله** اي الذي له تمام العظمة **لكم** اي انهم ما اذوا النبي صلى الله عليه وسلم خصوصا
ولا اذوكم بالمخالفة عموما وبين غاية مرادهم بقوله **ليرضوكم** ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتاذى بالمعنى الذي ارادوه بيقين انه لم
يكن اصلا بايمانهم لعدم صدقهم في قلبه ولكنه اظهر تصديقهم لما تقدم من الاصلاح فقال **والله** اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه **ورسوله**
اي الذي هو خليفته وبلغ النهاية في تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة الرضا لان كلا ما يرضي احدهما يرضي الاخر فقال **احق ان** اي بان **يرضوه**
ولما كان مناط الارضاء الطاعة ومدار الطاعة الايمان قال معبرا بالوصف لانه محرك **ان كانوا مؤمنين** اي فعلم بعلمهم انه احق بالارضاء فيجعلون
في ذلك اشارة الى انهم اجتهدوا ارضاه كل وقت كان دليلا على ايمانهم واخلفوهم كان قاطعا على كفرانهم ولما بين انهم لفهم

هذا انما هو لكراهة الخزي عند المؤمنين وذكر من هو الاحق بان يرضوه اقام الدليل على ذلك في استفهام انكار وتوبيخ مبينا انهم فروا من خزي
منقض فسقطوا في خزي دائم والخزي استحيا في هوان فقال الم يعلموا اي لما علم من الدين بالضرورة ولما كان ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا افخم
اضمر الشأن فقال انه اي الشأن العظيم من يحادد الله وهو الملك الاعظم ويظهر المحادة بما اشار اليه الفك ورسوله اي الذي عظمته
من عظمته بان يفعل معهما فعل من يخاصم في حد ارض فيريد ان يغلب على حد خصمه ويلزمه ان يكون في حد غير حده فان له نار جهنم اي فكونها له
جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه خالدا فيها اي دائما من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة ابدا ثم نبه على عظمة هذا الجزاء بقوله ذلك اي الامر
البعيد الوصف العظيم الشأن الخزي العظيم ولما علل فعل المستهزئين اتبعه تعليل امر صنف اخف منهم نفاقا بما غشهم مما يقارب التصديق
فقال يحذر المنافقون وعبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيرا لمن هو ادنى النفاق فانه يجر الى اعلاه ان تنزل ولما كانت السورة الفضحة
لهم داهية وناشئة من نوائب الدهر وشرا يبتغ عن الفعل بعلى فقال عليهم سورة اي قطعة من القران غريزة الانتظام تنبئهم اي
تخبرهم اخبارا عظيما مستقصى بما في قلوبهم لم يظهروا عليه احدا من غيرهم او احدا مطلقا ولعل هذا الصنف كانوا يسلفون الايمان العلها فتشكك
بعض الناس فخففت عنهم اذن ابانتهم روي انهم كانوا يقولون ما يؤذي ويدل على النفاق ويقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا وقال
بعضهم بعد كلام قالوه والله اني لارى انا شر خلق الله ولوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا قل استهزءوا
اي افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ان الله اي المحيط بكمال العلم وتمام القدرة مخرج اي مثبت له في صولته اخراجه ما تحذرون اي
من قبائحكم وعن الحسن كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة حفرت ما في قلوب المنافقين واظهرته ولما وصفهم بالنفاق حققه بعدم مبادرتهم
الى التوبة التي هي فعل المؤمنين وباجترائهم على الانكار مع كون السائل لهم من بلغ الغاية في الجلال والوقار والكمال فقال ولئن سألتهم اي وانت
من يجب ان يصدق مسؤلة عما اخرجت السورة مما ظهروا وابينهم من الكفر وذلك حين قال بعضهم انظروا الى هذا الرجل يظن ان يفتح قصور الشام و
حصونه هيهات هيهات فاعلمه الله فقال احبسوا على الركب فسألهم ليقولن انما اي ما قلنا شيئا من ذلك انما كنا نخوض اي نتحدث على غير نظام
ونلعب اي عادم جد علينا فيه يقصر عنا ثقل الطريق فكانه قيل فماذا يقال لهم اذا حلفوا على ذلك على العادة فقال قل اي لهم تقريرا على
استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا اعلاما بانه غير اهل لان يسمع جاعلا لهم كانهم معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يليهم في التقرير
وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته تكذيبا لهم في قولهم انك انما زين بالمعنى الذي ارادوه دينا لما في اظهار تصديقهم من الرفق بهم
أبالله اي وهو المحيط بصفات الكمال وآياته اي التي لا يمكن تبديلها ولا تخفى على ذي بصر ولا بصيرة ورسوله اي الذي عظمته من عظمته
وهو يجتهد في اصلاحكم وتشريفكم واعلائكم كنتم اي دائما تستهزءون ولما حقق استهزاءهم انتج قوله لا تعتذروا اي لا تبالغوا في
اثبات العذر وهو ما ينفي الملام فان ذلك لا يغنيكم وان اجتهدتم فيه لان القطع حاصل بانكم قد كفرتم اي بقولكم هذا وداعليكم من احبط
ما كان لكم من عمل بنزع الخافض تشديدا على من تكلب منهم تخويفا له وتحقيقا للحال الحاضر فقال بعد ايمانكم اي الذي ادعيتموه بالسنتكم صدقا
من بعضكم ونفاقا من غيره ولما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا اليه بعد كفا من توبتهم او اصرارهم بين انهم قسمان مطبوع على قلبه ومقضي بتوبته
وختم به هذا الاشرف هو المراد بقوله بانيا الفعل للمفعول علما بان المقصود الاعظم هو الفعل لا بالنظر الى فاعل معين ان يعف اي لا وكلام
الملك عن ذنب يجري في مضمار الشرط فهو مشرف الى التحقق ليحصل الفرق بين كلام الاعلى والادنى عن طائفة منكم اي لصلاحيتها للتوبة
نعذب طائفة اي قوم ذوو اعداد فيهم اهلية الاستدارة وقرا عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة بانهم اي بسبب انهم كانوا مجرمين
اي كسبهم الذنوب القاطعة عن الخير صفة لهم ثابتة لا تنفك فهم غير اهلين للعفو وخرج هذه القصة انه كان يسير بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقران والرسول والاخر يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه
يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا المقيمين في المدينة قران وانما هو
قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا الركب علي فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انا كنا

نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب بقطع الطريق بالحديث واللعب قال ابن اسحق والذي عفي عنه رجل واحد هو مخشن بن حمير
الاشجعي يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما نزلت الآية تاب فقال اللهم لا ازال اسمع
آية تقرا تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب
يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره رض ولعل الملاق للطائفة عليه تعظيما له وسترا عليه وتبشيرا بتوبة غيره ولعل مخشنا كان
مؤمنا ولكن كان ايمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله قد كفرتم بعد ايمانكم والتعبير بذلك ابشع في الذم واكثر ما عند العرب لانهم يتقادحون بالثبات
على اي امر اختاروه ويتذامون بالطيش ولعل الجلاس للعني بالقصة الآتية وحده او مع غيره لم يكن من كغيره ممن عني بما في الآية
تاب فلذا عبر هناك بقوله وكفروا بعد اسلامهم قال ابو حيان قال ابن عمر رايت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه و
سلم يماشيها والحجارة تنكته وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته الآية ولما بين تعالى
افعال واقوال الطوائف من المنافقين منهم من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العسكر وهي في غاية الفساد كان ذلك ربما اقتضى ان يقيل
عن المتخلفين لو خرجوا ما كانوا يكون حالهم فقال جوابا عن ذلك مستدلا على ان اجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم المنافقون و
المنافقات اي الذين اظهروا الايمان وابطنوا الكفران بعضهم ولما كان جمعهم الجود على الهوى والطبع والعادة والتقليد من
التابع منهم للمتبوع قال من بعض اي في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد امورهم متشابهة في اقوالهم وافعالهم وجميع احوالهم
والقصد ان حالهم ينفي حال اهل الايمان ولذلك بينه بقوله يأمرون بالمنكر اي ما تقدم من الخبال والايضاع في الخلال وغير ذلك من سيئ
الخصال وينهون عن المعروف اي كل ما يكون فيه تعظيم الاسلام ولعله يعني بذلك الفتنة ويقبضون ايديهم لشحهم فلا ينفقون الا
وهم كارهون ولما كان كانه قيل ما لهم خافوا بذلك من معاجلة العقاب اجاب بقوله نسوا الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله ولا امر
لاحد معه ويصلح ان يكون علة لما تقدم عليه ولما اقدموا على ذلك عقبه بقوله فنسيهم اي فعل بهم فعل الناسي لما استهان به
بان تركهم من رحمته فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته ولما تطبعوا بهذه النقائص كلها اختصوا بكمال الفسق فنتج ذلك
في اسلوب التعجيب من حالهم فقال مظهرا موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ان المنافقين هم اي خاصة الفاسقون اي
الخارجون عن ادنى ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك فقد علم بهذا انهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لان الكل من طينة واحدة
ولما بين كثيرا من احوالهم فاشتد التشوف الى مالهم وكان مقصودهم باظهار الايمان والاعتذار على النقائص بتأكيد الايمان انما هو التقرب الى
المؤمنين والتحبب طمعا في العيش في اكنافهم وفرقا من المعاجلة بما يستحقون من ان نافهم بين ان لهم على هذه الخلائق العذاب الدائم والطرد
اللازم وجمع معهم المصارحين بالكفر اعلاما بانهم ان لم يكونوا اعظم عنادا منهم فهم سواء فقال وعد الله وساقه بصيغة البشارة
تهكما بهم وابلاغا في مساءتهم المنافقين والمنافقات اي الساترين لاعتقادهم والكفار اي المجاهرين في عنادهم ولما
كانوا يحبون لين على تجهم المؤمنين والانقباض عنهم وان اظهروا لهم خلاف ذلك فهو تصنع قال نار جهنم اي الدار التي تتجهم داخلها
ولقاهم بالعبسة الزائدة خالدين فيها اي لا براح لهم عنها هي حسبهم اي كافيتهم في العذاب لكونها لما كان الخلود قد يتجوز به
عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج قال ولعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته وهو الملك العليم الحكيم الذي لا امر لاحد معه فافهم
انه لا فرج لهم ثم نفى كل احتمال للتجوز ولهم اي بالاصالة عذاب مقيم اي لا وصف له غير الاقامة في الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة
الاسلام وجنوده اكثر الاعلام وفي الاخرة بما لا يعلمه حق علمه الا الملك العلام ولما كان حالهم في الاقبال على العاجلة لكونها حاضرة والاعراض
عن العاقبة لانها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الامم الخالية والقرون الماضية بين لهم ذلك موضحا سبيل سؤ احوالهم وقبح ما لهم
بلا شيء اعمالهم فقال ملتفتا الى اسلوب الخطاب لانه اوقع في باب العقاب وادعى في استجلاب المصالح للمتاب كالذين اي حاصل ما مضى
من امركم ايها المنافقون انكم مثل الذين ولما كان المحل ما يذكر انما هو بعض من مضى اثبت الجار فقال من قبلكم اي الامم الخالية

ثم شرع في شرح حالهم وذكر وجه الشبه فقال كانوا اشد منكم قوة لان ازمانهم كان اذ ذاك اقرب الى سن الشباب واكثر اموالا واولادا
وهذا ناظر الى قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فاستمتعوا اي طلبوا المتاع والانتفاع في الدنيا بغاية الرغبة معرضين
عن العقبى بخلاقهم اي نصيبهم الذي قدره الله وخلقه لهم وكان الاليق بهم ان يستبلغوا به في السفر الذي لا بد منه الى الآخرة
فاستمتعتم بخلاقكم اي كالمقتفين لآثارهم والقاصدين لمنارهم كما استمتع في الاتيان بقوله الذين ولما كانوا لم
يستغرقوا الزمن الماضي اثبت الجار فقال من قبلكم بخلاقهم ظاهرا غير مضمر تنبيها على ذمهم بقلة النظر لانفسهم المستلزم لقلة
عقولهم حيث كانوا دونهم في القوة ابدانا واموالا واولادا او لم يكفوا عن الاستمتاع والخوض خوفا مما محق اولئك الاضراب
على قوتهم من العذاب غير انه يشفعهم بتتبع الاسباب وخضتم اي دخلتم في اقوالكم وافعالكم خبطا على غير سنن قويم كالذي
خوضهم الذي خاضوا وهو ناظر الى قولهم انما كنا نخوض ونلعب قال ابو حيان وهو مستعار من الخوض في الماء ولا يستعمل الا
في الباطل لان التصرف في الحق انما هو على ترتيب ونظام وامور الباطل انما هي خوض ومنه قوله رب متخوض في مال الله له النار
يوم القيمة ولما آذن هذا النظم لهم بالخسارة حصل التشوف الى عاقبة امرهم فاخبر عن ذلك بقوله اولئك اي البعداء من الخير
والظاهر انه اشارة الى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الاموال والاولاد حبطت اي فسدت فبطلت اعمالهم في الدنيا
اي بزوالها عنهم ونسيان لذاتها والآخرة اي وفي الدار الباقية لانهم لم يسعوا لها سعيها وزاد في التنبيه على بعدهم
مما قصدوا لانفسهم من النفع فقال واولئك هم اي خاصة الخاسرون اي الخاسر في الحقيقة غيرهم لانهم خسروا
خلاقهم في الدارين فخسروا انفسهم فلا اخسر ممن تشبه بهم ولعل في الالتفات الى مقام الخطاب ايضا اشارة الى التحذير لكل سامع
من مثل هذه الحال الصعبة ان يكون مرادا بهذا المقال خاص من اسرار القرآن في اعجازه ان تكون عبارته متوجهة الى الشيء واشارته
شاملة لغيره من جميع ما يصلح له بعلة ذلك الحال او غيره من الخلال قال الامام ابو الحسن الحرالي في لغز عرفة المفتاح في بيان تناول كلية القرآن بكلية الامة
ولكل قاري يقروه من اهل الفهم والايقان في العلم ان الله سبحانه انزل القرآن نبا عن جميع الحدثان وان جميع ما انبا عنه من امر آدم الى تمام محمد عليهما الصلاة والسلام من امر
النبوات والولايات والخلائق واصناف الملوك والفراعنة والطغاة واصناف الجبابرة وجميع ما اصابهم من المثوبات والمثلات من يوم آدم الى زمان
محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو تمام الالف سنة ونحوها كل ذلك متكرر بجملته في يوم محمد الذي هو الف سنة ونحوها اعدادا باعداد ولحوقا
باحوال الخير او شر فكل ما في الماضين مثل متكرر في هذه الامة الخاتمة كما قال صلى الله عليه وسلم لكل نبي قبلي في امتي نظير ثم ذكر صلى الله عليه وسلم
نظراء مثل ابرهيم كابي بكر ومثل موسى كعمر ومثل هارون كعثمان ومثل نوح كعلي ومثل عيسى كابي ذر وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
النظراء من امتي باسمائهم واسماء ابائهم وعشائرهم كما فرهم ومنهم من كان ومنهم من هو كائن ومنهم من يكون بعد ولو شئت ان اسميهم لفعلت فمما
صد اكثر هذه الامة عن فهم القرآن ظنهم ان الذي فيه من قصص الاولين واخبار المثابين والمعاقبين من اهل الاديان اجمعين ان ذلك انما
مقصود الاخبار والقصص فقط كلا وليس كذلك انما مقصود الاعتبار والتنبيه لمشاهدة متكررة في هذه الامة من نظائر جميع اولئك
الاعداد وتلك الاحوال والآثار حتى يسمع السامع جميع القرآن من اوله الى خاتمته منطبقا على هذه الامة وائمتها هدايتها وضلالها فح
ينفتح له باب الفهم ويمضي لسنن العلم ويحيط له حال الخاتمة ويرى في اصناف هذه الامة ما سمع من احوال القرون الماضية وانه كما قيل في المثل
السائر اياك اعني واسمعي يا جاره ثم اذا شهد انطباق القرآن على كلية الامة وكان مبدا لك انما ينفتح له باب ترق في سمعه الى ان يجد جميع
كلية القرآن المنطبق على كلية الامة منطبقا على ان في احوال نفسه وتقلباته وتصرفات احواله وازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه
فينتفع بسماع جميعه ويعتبر باي آية سمعها منه فيطلب موقعها في نفسه فيجدها بوجدان رغبة كانت او رهبة تقريبا كانت او تبعيدا الى جامع
الغايات او الى ادنى الدركات فيكون بذلك عارفا فهذا معتمد التنبيه في هذا الفصل جملة ولنتخذ لذلك مثالا يسيرا لتفهم ذلك الانطباق
على كلية الامة عملا وعلى خصوص ذات القاري السامع عرفانا فاعلم ان اصل الاديان المزدوجة التي لم تتنزل لاثبات حقايق المؤمنين فمن فوقهم من

المحسنين

المحسنين والموقنين التي جعلها تحت حياطة الملك والجزاء والمداينة الذين ترفعهم رايحة المتوا ولا تم رائحة القيمة ثانيا الى ما يشتمل عليه يوم الدين
من احوال المواقف الخمسين التي كل موقف منها الف سنة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فعن هذه الاديان سبعة مما من دين منها الا ويوجد في
صنف من اصناف هذه الامة وكونوا المعتبر في نفسه في وقت ما بقلة او كثرة بدوام او خطرة بضعف او شدة على اثر بين غالب او عن لمح عين زايل
وهذه الاديان السبعة هي دين الذين امنوا من هذه الامة ولم يتحققوا بحقيقة الايمان فيكونوا من المؤمنين الذين صار الايمان وصفا ثابتا في قلوبهم
الموصوفين المتبرين من الحول والقوة المتحققين لمضار اقدار الله عليهم كلما شاء ولا يما شاء من الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون اولئك هم المؤمنون حقا واما الذين امنوا فهم الذين يثبتون على حال ايمانهم ولكن تارة وتارة ولذلك هم
المنادون والمنهيون والمامورون في جميع القرآن الذين يتكرر عليهم الندا في السورة الواحدة مرات عديدة من نحو ما بين قوله يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى قوله يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه الى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم
اهل دين ثابت يتنقلون بجمعهم ليس لهم ثبات من ماضي الاديان المنتقلين معهم له اصل في الصحة من الاديان الثلثة في نحو قوله تعالى ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الآخر المنتقلين ايضا مع المفترين لاديانهم والمفترين لدين لم ينزل الله به سلطانا في نحو قوله
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس فهذا هو الدين الاول واما الدين الثاني فهو دين الذين هادوا والذين منهم الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها والذين ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
والذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله والذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله والذين ياكلون الربوا
وقد نهوا عنه والذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم واما الدين الثالث فدين الذين قالوا انا نصارى
الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا في دينهم وقالوا على الله غير الحق واتخذوا رهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن
مريم واما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متالهو النجوم عباد الشمس والقمر والكواكب ومعبروهم بالترتيب لعل من عبد
محسوسا سماويا واما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا الهين اثنين نورا وظلمة وعبدوا محسوسا
افاقيا واما الدين السادس فدين الذين اشركوا وهم الذين عبدوا محسوسا ارضيا غير مصور وهم الوثنية او مصورا
وهم الصنمية فهذه الاديان الستة المرتبة بعد السابع احاء فيه واما الدين السابع فاعلم ان الله سبحانه جعل السابع
ابدا جامعا للستة خيرا كانت او شرا فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهرهم مع الذين امنوا وباطنهم مع احد الاديان
الخمسة المذكورة الحادي دين شركها الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا
انا معكم فهذه الاديان السبعة متكررة بكليتها في هذه الامة بجمعها ومنع قبل في الامم الماضية وهو مضمون الحديث الجامع
لذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لتاخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى ان
احدا من اولئك دخل في جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم قال فهل الناس الا هم وما بينه صلى
الله عليه وسلم في هذا الحديث هو من مضمون قوله تعالى كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا واهل هذه الاديان السبعة هم اهل جهنم من
دركات جهنم السبع على ترتيبهم والناجون بالكلية الفائزون هم المؤمنون ثم فوقهم المحسنون والموقنون ومزيد تفصيل
في ذلك وتشييد قول بما ينبه عليه بحول الله تعالى من جهات بتتبع طوائف من هذه الامة سنن من تقدمهم في ذلك على ما وجه
تكرار دين الذين اشركوا في هذه الامة فباتخاذهم اصناما والهة يعبدونها من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون
الاصنام والاوثان من الحجارة والخشب واتخذت هذه الامة بوجه الطف واخفى اصناما واوثانا فانها اتخذت الدينار و
الدرهم اصناما والسنابك والنقر اوثانا من حيث ان الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة قال صلى الله عليه وسلم صنم امتي

الدينار والدرهم وقال صلى الله عليه وسلم لكل امة عجل وعجل امتي الدينار والدرهم فلا فرق بين ظن المشرك ان الصنم الذي صنعه بيده
ينفعه وظن المفتونين من هذه الامة انما اكتسبوا من الدينار والدرهم ينفعهم حتى يشير مثلهم ما ينفعك الا درهمك يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم فما انزل من اية نزلت في المشركين في ذكر احوالهم وتبيين ضلالهم في تفاصيل
امرهم واعلانهم الا وهي منطبقة على كل مفتون بديناره ودرهمه فموقع قول المشركين في اصنامهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
مثله موقع نظره في قول المفتون ما احب المال الا لاعمل الخير واستعين به على وجوه البر ولو اراد البر لكان ترك التكسب والتمول له
ابر فلذلك قال صلى الله عليه وسلم انما اهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم فكل من احبها واحب جمعها فهو مشرك
هذه الامة وهما لاته وعزاه اللتان سلطانه عليه قول لا اله الا الله كانه تاله ماله قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله نجاة
لعباد الله من عذاب الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فمن وجوه من هنا مسته فليسمع جميع ما انزل في المشركين من القران
مطبقا عليه ومنزلا اليه حقا به حتى يخلصه الله من خاص شركه كما خلص من اخرجه من الظلمات الى النور من الاولين فيخلص هذا المشرك
بالامر من ظلمته التي غشيت ضعيف ايمانه الى صفاء نور الايمان في معنى قوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور
هذا وجه تفصيل يبين نحو من تكرير دين الشرك في هذه الامة واما وجه وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الامة فانطباق الناس
على روية الافعال من انفسهم خيرها وشرها واسنادهم افعال الله المخلفة حيث استحكمت عقايدهم على ان فلانا فاعل خير وفلانا
فاعل شر وفلانا يعطي وفلانا يمنع وفلانا امرني وفلانا اعطاني حتى ملوا الدواوين من الاشعار والخطب والرسايل في امداح الخلق الله
على ما لم يفعلوا او ذمهم على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله ويذمونهم على ما لم يوتهم الله ويلحدون في اسمائه حتى يكتب
بعضهم لبعض سيدي وسندي ويسمي عبدي عبدك ومملوكك يبطلون بذلك اخوة الايمان ويكفرون تسوية خلق الرحمن ويدعون
لانفسهم افعال الله فيقولون فعلنا وصنعنا واحسنا وعاقبنا كلمة نمرودية ان اباهم ابنه لم يشعروا بها اختصنا الله فيه بامره كالذي
حاج ابرهيم في ربه ان اتيه الله الملك [illegible] قال انا احيي واميت وهذه هي المجوسية الصرف والقدرية المحضة التي لا تصلح دين الاسلام
معها الا ان المسلم من اسلم الخلق والامر لربه الملك وحياه يسمع الا له الخلق والامر وما سوى ذلك قدرية هي مجوسية هذه
الامة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب وجعلوا له معه في قدرة وقوة ومشية واختيارا وتدبيرا ولم يعلموا ان المقدور من
التدبير والله هو يدبر الامر من السماء الى الارض قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة فكل ما انزل الله عز وجل في القران
الجامع لذكر جميع الملل والاديان مما عزاه لمن ونزع الافعال بين الحق والخلق من كلام ذي فرعنة او نمرودية او ذي سلطان فالمعتقد
المدح والذم فيه منه على حسب توهمهم واستواقهم من الذين زعموا انهم فيهم شركاء فخافوهم ورجوهم فكل ما نفى من الخلق ادراج
نبيهم من عداد الذين امنوا والذين اسلموا في هذه الامة فهم مجوس هذه الامة فليسمع السامع ما يقروه من ذلك حجة عليه ليسال الله
التخلص منها وليعلم ان ذلك نزل لحجة عليه وان كان لم يشعر به من قبل فهذا وجه وقوع المجوسية في هذه الامة واما وجه وقوع الصابئة
ونظيرها في هذه الامة فما غلب على اكثرهم وخصوصا ملوكها وولاة امورها وذوو الرياسة منها من النظر في النجوم والعمل بحسب ما تنطق به هيئتها
عندهم من سعد ونحس والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الانواء واقبال القلب على الاثار الفلكية قضاء بها وحكما بحسب ما جرى عليه المحللين
الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون من الغاية بها قال صلى الله عليه وسلم اربعة في امتي هن بهم كفر وليسوا
بتاركيهن ذكر منها الاستمطار بالنجوم فالمتعلق خوفهم ورجاوهم بالاثار الفلكية هم صابئة هذه الامة كما ان المتعلق خوفهم ورجاوهم
بانفسهم وغيرهم من الخلق هم مجوس هذه الامة وكما ان المتعلق خوفهم ورجاوهم بدرهمهم وديناهم هم مشركو هذه الامة وما انطوى عليه
سوى كل طائفة منهم مما تعلق به خوفهم ورجاوهم فهو ربهم ومعبودهم الذي اليه يتصرف جميع احوالهم واسم كل امرء مكتوب على [illegible]
بر قلبه فكل ما انزل في القران من تزييف اراء الصابئة فهو حجة عليه حيث يقروه او يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرا قوم القران وهو يذمهم

بين

بين يدي عذاب شديد وهم لا يشعرون ويحسبون انهم يحسنون به وهم به الخسرون ولا يزيد الظالمين الا خسارا فمما يختص بهذه الطائفة المقتبسة
ما هو نحو قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين الايات في ذكر الكواكب والقمر والشمس الى الايات في ذكر التسخير من نحو
قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وانه هو رب الشعرى كل ذلك ليديم و
تعا خوف الخلق ورجاوهم من الافلاك والنجوم المسخرة الى الملك القاهر فوق عباده الذي استوى على جميعها فهذا وجه وقوع الصابئة في
الذين امنوا والذين اسلموا في هذه الامة واما وجه وقوع ما غلب على هذه الامة وكثر فيها وفشا في اعمالها واحوالها من تمادي طوايف منهم
على نظير ما كان عليه اليهود والنصارى في اختلافهم وغلبة احوال ملوكهم وعلمائهم على احوال انبيائهم وعلمائهم واوليائهم فهو الذي حذر منه
هذه الامة واشعر اولوا العلم بوقوعه فيهم بنحو ما في معنى قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وعما انبا
صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم وفي بعض طرقه حتى لو كان فيهم
من اتى امه جهارا لكان فيكم ذلك قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وانما قوي وكثر في هذه الامة حال هاتين الملتين لما اتاهما الله
من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالاغراض والاهواء وايثارا لعرض الدنيا وسامحوا الملوك والولاة وحللوا لهم ما حرم الله و
حرموا لهم ما حلل الله وتوسلوا بهم الى اغراضهم في الاعتداء على من حسدوه من اهل الصدق والتقوى وكثر البغي بينهم فاستحر حالهم على مثل
حالهم وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم وتمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا الى ان تضع الحرب اوزارها وتصير الملل كلها
ملة واحدة ويرجع الافتراق الى الالفة والتوحيد فكل من اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا مختصا
ظاهرا او باطنا حظا مختصا ولم يجمع بينهما في علمه وعرفانه فهو بما لزم الظاهر الشرعي دون حقيقة باطن منه يهود هذه الامة
كالمقيمين لظواهر الاحوال التي بها تتم الدنيا على حسب ما يرضي ملوك الوقت وولاتهم المضيعين لاعمال السراير المنكرين لاحوال اهل الحقايق
والشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجاهم باهل الدنيا الموثرين لعرض هذا الادنى فبهذا ظهرت احوال اليهودية في هذه الامة ثم الاعراب مع النبي صلى الله
عليه وسلم بسدرة خضراء نضرة وكان لاهل الجاهلية سدرة يعظمونها ويجتمعون عندها وينوطون بها اسلحتهم ويسمونها ذات انواط فقالوا
يا رسول الله اجعل لنا هذه السدرة ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال صلى الله عليه وسلم قلتموها ورب الكعبة كما قال بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما
لهم الهة انها السنن فمن حيث ظهرت اصناف اليهودية من البغي والحسد وتعظيم ما ظهر تعظيمه من حطام الدنيا واحتقار ضعفاء المومنين فهنالك اعلام
اليهودية ظاهرة وكذلك ايضا من اقتصر في هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن من اصلاح باطن حال او تلبس مع تضييع ظاهر الامر ومجامع الخير
وتعاضد الاسلام والتفرغ بالمستبطن وتراءى بما استظهره فهو من نصارى هذه الامة ليس بصاحب فرقان فكيف ان يكون صاحب قران وذلك ان هذا الدين
الجامع انما يقوم بمعالم اسلام ظاهرة وشعاير ايمان في القلوب واحوال نفس باطنة وحقايق احسان شهودية لا يشهد المحسن مع الله سواه ولا
يرى المومن مع الله غيره ولا يخضع المسلم الى شيء من دونه فبذلك يتم وقد التزم بمعالم الاسلام طوايف يسمون المتفقهة والتزم بشعاير الايمان
طوايف يسمون الاصوليين والمتكلمين وترامى الى الاحسان طوايف يسمون المتصوفة فمتى كان المتفقه منكر الصدق في احوال الصوفية لما العله
يراه من خلل في احوال المتصوفة فقد تسنن بسنن اليهودية ومتى كان المتصوف غير عامل للفقه لما العله يراه من خلل في احوال المتفقهة فقد
تسنن بسنن النصارى وكذلك حال المتكلم بين الفرقتين لديهما ماله وانما ائمة الدين الذين جمع الله لهم اقامة مجامع الاسلام والايمان
اهل الايمان شهدوا اهل الاحسان الذين تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فقيامهم بمراسم الصوفية وتظاهر انوار قلوبهم على ظلم المتشابهات فيامر بهم كما
اهل الايمان وتبدو انوار علمهم معالم الاسلام تامة فيامر بهم اهل الاسلام عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
افضل الناس مومن فقيه في خلقه حسن من اكثر الناس كان من فقه في حلوق فاولوا الفرقان جامعون مستبصرون فمن اقتصر على ظاهر وانكر باطنا فرقته
مذام اليهود فيما انزل من القران فيهم بحسب توغله في اقتصاره ومن اقتصر على باطن دون ظاهر لزمته مذام النصارى فيما انزل من القران فيهم

يذكر ان رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال الراهب فيها دلني على موضع طاهر اصلي فيه فقال الراهب طهر قلبك عما سواه وقم حيث شئت
قال ذلك الرجل الصالح المسلم فخجلت منه فاعلم ان كل واحد من هذين الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب القرآن لان صاحب القرآن لا يجعل
لهذا القول الا تخالة وقلبه تطهر عما سوى الله مع ذلك لا بد ان ينظف ظاهره لان الله سبحانه يحب الباطن فيجب صفاء البواطن فانه الظاهر يجب صلاح
الظواهر فصاحب القرآن اذا دعي الى صفاء باطن اجاب ولم يتلعثم واذا دعي الى صلاح ظاهر اجاب ولم يتلكأ القيامة بالفرقان وحق القرآن يذكر
ان ملكا رحمه دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما يراه
مذهبا فقيل له في ذلك فقال خشيت ان اكون من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ووقف النبي صلى الله عليه وسلم على سقاية زمزم وقد وضع العباس
رضه اوعية من شراب فيه التمر والمسلمون يردون عليه وقد خاضوا فيه بايديهم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم ليشرب من شرابهم فقال له العباس يا
رسول الله الا نسقيك من شراب لنا في القربة فقال صلى الله عليه وسلم اشرب من هذا النمير بركة ايدي المسلمين فشرب منه صلى الله عليه وسلم فصاحب القرآن
يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر ولا على اول دون آخر ولا على آخر دون اول قال صلى الله
عليه وسلم امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره فمن حق القارئ ان يعتبر القرآن في نفسه ويلحظ مواضع مذامه للفرق ويزن بها احوال النفس من هذه
الادناب الستة في هذه الامة واما وجه وقوع النفاق فهي داهية القراء وآفة الخليقة قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي امتي قراؤها وقال
بعض كبار التابعين ادركت سبعين ممن راى النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه واصل دخله على الخلق من ايثار رحمة الخلق
على رحمة الحق جهلا بانهم مرجل وافترارا بالناس فيلتزم لذلك محاسن الاولى البر والصدق ظاهرا ويكرههم بقلبه باطنا ويتبع ذلك من
الدمدنة بين الحالين ما وصف الله تعالى من احوالهم وما نبه النبي صلى الله عليه وسلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين
المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وكما قال تبارك وتعالى لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
ينظر المنافق الى العايب مستقطبا فضائل اهل الفضل ويتعامى عن محاسنهم كما روي ان الله يبغض المتارك للحسنة المومن الاخذ للسيئة والمومن
الصادق يتغافل عن مساوي اهل المساوي فليف بمعايب اهل المحاسن ومن اظهر علامات المنافق تبرمه باعمال الصادق كما ذكر ما كان مومن
فيما مضى ولا مومن فيما بقي الا وله حسد ومنافق يكره عمله ومن علامات المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع مستثقل في مجامع الخير اجنبيها
مستخف في مواطن الشر متقدم فيها طلق اللسان بالغيبة والبهتان ثقيل اللسان مراوحة ذكر الله تبارك وتعالى عمي عن الله في كل حال ناظر
الى الناس بكل وجه وهو مع ذلك يحيا بغيهم ولا يصادقهم يأخذ من الدين ما ينفع في الدنيا ولا ياخذ ما ينفع في العقبى ويجتنب في الدين
ما يضر في الدنيا ولا يجتنب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا فهذا وجه من وقوع شياع النفاق في هذه الامة فلذلك من حق القارئ ان
يستشعر مواقع الى القرآن في نفسه في ذات قلبه وفي احوال النفس وفي اعمال البدن وفي سره مع ربه وفي علانيته مع خلقه فانه مع ذلك يجد القرآن
كله منطبقا عليه صابة حتى كان جميعه لم ينزل الا فيه حتى اذا رغب في امر رغب هو فيه من وجه ولا يقول هذا انما انزل في كذا واذا رهب القرآن
من امر رهب من وجه واذا اعلى فلذلك واذا اسفل فكذلك ولا يقول هذا انما انزل في كذا حتى يجد لكل القرآن موقعا في عمله او عمل كان
ويحاول في نفسه انتحاله ومشغل لقلبه او ملحظ كان فيسمع القرآن بلا غالين من الله سبحانه وتعالى اليه بلا واسطة بينه وبينه فعند ذلك
يوشك ان يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم يلين له جلده وقلبه انتهاء وربما يجد من الله سبحانه وتعالى نفحة رحمة تفتح له بابا الى التخلق
بالقرآن اسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم سئلت عائشة رضها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وبذلك هو ذو
الخلق العظيم والله ولي عليم بما اتى ولما قرر سبحانه بهذه الاية تشبيههم في التمتع بالعاجل وختم بهذا الختام المؤذن بالانتقام اتبع
ذلك بتخويفهم من مشابهتهم فيما حل بهم لئلا يقع منهم بلتفت الى مقام الغيبة لانه اوقع في الهيبة مقرر الخسارتهم **الم ياتهم** اي هؤلاء
الاخابث من اهل النفاق **نبا الذين من قبلهم** اي خبرهم العظيم الذي هو جدير بالبحث عنه ليعمل بما يقتضيه حين عصوا رسلنا ثم ابدل من
ذلك قوله **قوم نوح** اي في طول اعمارهم وامتداد آثارهم وعليهم قرارهم بحسن التمتع في ارضهم وديارهم اهلكهم بالطوفان لم ينفعهم عصيانهم

انشاء وعطف على قوم القبيلة فقال **وعاد** اي في قوة ابدانهم وعظيم شانهم ومصانعهم وبنيانهم وتجبرهم في عظيم سلطانهم اهلكهم
بالريح الصرصر لم يبق ممن كفر منهم بشر **وثمود** اي في تمكنهم من بلاد الحجر ضرها وطولها جبالها التي هو لها اهلكوا بالرجفة لم يبق من الكفار
منهم ديار **وقوم ابرهيم** اي في ملك جميع الارض بطولها والعرض سلب الله منهم الملك بعرش ديار الهلاك **واصحاب مدين** اي في جميع
الاموال ومد الامال الى اخذها من حلال وحرام ونقص الميزان والمكيال فعمهم الله بالنكال بما حصل لمداين قوم لوط من العذاب بما حصل
لهم بالخسف والقلب والغمر بالماء الخبيث عطفها بدون ذكر اصحاب فقال **والمؤتفكات** اي في عراضهم فاغرتهم بعد الخسف
عموم انقرانهم ولما كان ما نقيل ما نباهم قال **اتتهم** اي جميع المذكورين **رسلهم** اي الى كل امة منهم رسولها **بالبينات** اي المعجزات
الواضحات حرات بسبب انهم ارتكبوا من القبايح ما اوجب دمارهم **فما** اي فتسبب عن ذلك انه ما **كان الله** اي مع ما له من صفات الكمال مريدا
ليظلمهم اي لان يفعل بهم في الاهلاك قبل الانذار وابانة البينات فعل من تعدونه فيما بينكم ظالما ولكنه ارسل اليهم الرسل فكذبوا
ما اتوهم به من البينات فصار العالم بحالهم اذا سمع بهلاكهم وزوالهم يقول ما ظلمهم الله **ولكن كانوا** اي دائما في طول اعمارهم **انفسهم**
لا غيرها **يظلمون** اي يفعل ما سبب هلاكها فان لم ترجعوا انتم فنحن نجدد لكم مثل عذابهم ولعله خص هؤلاء بالذكر من بين بقية الامم
لما عند العرب من اخبارهم وقرب ديارهم مع انهم كانوا اكثر الامم عددا وانبياءهم اعظم الانبياء نبه على ذلك ابو حيان ولعله خص هؤلاء بالذكر
من بين بقية الامم قدم اصحاب مدين على قوم لوط لانهم بعدهم في الزمان الا هنا في شان من وصفوا بانهم لم يجدوا اما يحميهم مما هم فيه من العذاب
بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجا او مغارات او مدخل كما ان من قبل المؤتفكات جمعهم على هذا الوصف فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما
اتاهم الما معقل منيع ولا جبل رفيع مع انه يقال انهم الذين بنوا الاهرام لما امنها ماهو بالحجارة لم يمنعهم من الحادث الذي جعدوا به
اركانها وما هو بالمطلوب الطلوب النبي ليحميهم منه ان كان نارا وعاد لما اتتهم الريح بادروا الى البيوت فقلعت الابواب وصرعتهم في
اجواف بيوتهم ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة والقصور المشيدة والحصون المنيعة وحال ثمود معروف في توسعهم في البيوت
جبال الوسع والما منعتهم من الصيحة التي اعقبت الرجفة وقوم ابرهيم عليه السلام بنوا الصرح ارتفاعه خمسة الاف ذراع او فرسخان
يتوصل به نمرود زعم الى السماء فاتى الله بنيانهم من القواعد فقلب الريح راسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته واتاهم العذاب من
حيث لا يشعرون واصحاب مدين لما اتاهم العذاب فاخذتهم الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم وان كانوا هم اصحاب الايكة فانهم لما اشتد عليهم
الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها احر من وجه الارض فخرجوا منها هاربين فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته اليهم وبعثت
به عليهم فلما اجتمعوا تحتها امرتهم نارها وبقي عليهم عارها واما قوم لوط فاتاهم الامر بغتة لم يشعروا حتى قلبت مداينهم بعد ان
رفعت الى عنان السماء واتبعت بحجارة الكبريت تضطرم نارا ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين ليحمدها الوصف لان العرب
كانوا يمرون على مواضع مداينهم ويشاهدونها وعبر عنهم بالمؤتفكات اي المقلوبات للمنافقين الذين مبنى امرهم على الكذب ومن الافك صرف
ظواهرها وتقليبها عن وجوهها فالمعنى ان اولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مداينهم فهؤلاء جديرون بمثل هذه
العقوبة لقلب القول عن وجهه ومادة افك بكل ترتيب تدور على القلب فان الافاك الرجل قلبت فعله فردت اليه وصرفته عنه
والمكان الذي به شبه بالادناء القلوب والكذب صرف الكلام عن وجهه فهو افك لذلك والله اعلم ولما بين حال المنافقين بعضهم من بعض
وما توعدهم به وما استتبعه من تقريعهم باهلاك من شابهوه وختم بما سبب هلاكهم من اصرارهم وعدم اعتبارهم عطف ببيان حال المؤمنين
ترغيبا في التوبة طمعا في مثل حالهم فقال **والمؤمنون والمؤمنات** اي بجماعتهم عن دينهم **بعضهم اولياء** ولم يقل كما قال في
المنافقين من **بعض** دلالة على ان احدا منهم لم يقلد احدا في اصل الايمان ولا وافقه بحكم الهوى بل كلهم مصوبون بالذات
وبالقصد الاول الى الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالدليل القطعي على حسب قسم كل واحد منهم فذلك دليل على صحة ايمانهم وركونهم
في تسليمهم وايمانهم ثم بين ولايتهم بانهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

الواحد المشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر فقال يأمرون بالمعروف وهو كل ما عرفه الشرع
واجازه وينهون عن المنكر اي [illegible] ولما ذكر الدليل القطعي على صحة الايمان اتبعه افضل العبادات فقال ويقيمون الصلاة اي يجعلونها
[illegible] قيامها بجميع اركانها وشروطها وحدودها [illegible] ويؤتون الزكاة اي
مواساة منهم للفقراء وصلة للخلائق [illegible] وفي المنافقين ويقبضون ايديهم [illegible] انهم
لا [illegible] ويطيعون الله [illegible] ورسوله اشارة الى حسن سيرتهم
[illegible] اولئك اي العظماء [illegible] سيرحمهم الله [illegible] بوعد
[illegible]
بعض الجنات اعلى من بعض وكان اعلاها ماثرة بوصف العدنية المؤذن بالقرب مع بنائه بما يكون معنى الدوام قال في جنات عدن اي اقامة
دائمة وعدنا وصحة جسم وطيب مقر وموطن ومنبت وغير ذلك كما قال في حق اضدادهم عذاب مقيم وربما انسب ذكر هذه الجنة في قرب التعبير بالوصف
المؤذن بالرسوخ فانه ورد في الحديث انها خاصة بالنبيين والصديقين والشهداء ولما كان ذلك لا يصفو عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال مشيرا
اشارة الى انتهى التعظيم ورضوان اي رضى لا يبلغه وصف واصف ولا يشير اليه صيغة المبالغة ولو كان على ادنى الوجوه بما افاده التنوين
من الله الذي لا اعظم منه عنهم اكبر اي مطلقا فهو اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز ولا يقع السرور الذي هو عظم النعيم الا برضى السيد
واذا كان القليل منه اكبر فانظر بالكثير ولما تم ذلك على هذا الحسن مقابلة بما وصف به اضدادهم قال بصفة زيادة في الترغيب فيه ذلك اي الامر
العالي الرتبة هو اي خاصة لا غيره الفوز العظيم اي الذي يستصغر دونه كل شيء من امور الدنيا والاخرة وفي كون ذلك وعدا لمن
اتصف لا جرم ما اتصف به ترغيب في الجهاد المامور به بعد لكونه من افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعي الاعظم الى الموالاة ولما ثبتت
موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للمنافقين والكافرين وكان ما مضى من الترغيب والترهيب كافيا في الانابة وكان من لم يرجع بذلك عظيم الطغيان
غريقا في الكفر كان انسب ذلك الامر بجهادهم بما يليق بعنادهم فقال الى الاعظم المتصفين بالاوصاف المذكورة مخاطبا المقداره باجل افراد الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر يا ايها النبي اي العالي المقدار بما نزل اليه من الاخبار [illegible] ولما كان الجهاد اعرف في المقاتلة
وكان اولى به لشدة شكايمهم وتحرق نفوسهم وعزايمهم بوابهم فقال جاهد الكفار اي المجاهرين والمنافقين اي المساترين
كلا بما يليق به من السيف والآن [illegible] صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرفق موصى به قال واغلظ عليهم اي في الجهادين ولا تعاملهم
بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم في القعود هذا مجاز فيما مضى وعيد المنافقين حيث قسمهم فقال المنافقون والمنافقات
والكفار فختم بما هو الايق به وما كان الحقيقة فانه ظاهرهم عليهم وقاهرهم طعام السيف ووقوع العصي عطف عليه بقوله

ومأواهم

ومأواهم اي مخلاهم في الاخرة جهنم وبئس المصير ولما اتى بالدليل العام اجرامهم اتبعه الدليل الخاص عليه وهو ايضا دليل على الدليل فقال يحلفون
بالله اي الملك الاعلى الذي لا شيء اعظم منه [illegible] ما قالوا اي ما وقع منهم قول [illegible] تعيينا للمقول اعلاما بانهم مهما عنفوا على قول
مما نماه [illegible] بادروا الى الحلف على نفيه كذبا لانهم مردوا على النفاق فتطبعوا بالكذب ومردوا على شيء الاخلاق فصار حاصل [illegible] انهم طمعوا
في العفو وحذروا من عذاب الباقين بسبب اجرامهم لانهم يأمرون بالمنكر وما يليه مقتفين اثار من قبلهم في الانهماك في الشهوات غير مقلعين
خوفا من ان يصيبهم بمثل ما اصابهم ولا رجاء ان ينيلهم مما اعد للمؤمنين مجترئين على الايمان الباطلة باعظم الحلف على اي شيء فرض
سواء كان يستحق اليمين او لا غير خائفين من ان يهتكهم كما هتك غيرهم من فعل مثل افعالهم ثم دل على عظيم اجرامهم ما تضمنه قوله
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض الاية من كبائرهم ويجوز ان تكون هذه الاية واقعة موقع التعليل للاية التي قبلها بانهم نقضوا
عهدهم ما يحقونه به [illegible] والنار في الحلف كذبا على نفي كل ما ينقل عنهم استخفافا بالله وبعظمته اتخذوا ايمانهم جنة فتكون جوابا لمن
كانه قال اما جهاد الكفار فالامر فيه واضح واما المنافقون فكيف يجاهدون وهم يتكلمون بلفظ الايمان ويظهرون افعال اهل الاسلام
فقال انهم يحلفون ولقد اي والحال انهم كاذبون لقد قالوا كلمة الكفر اي التي لا اكبر في الكفر منها وهي تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم
او الطعن فيه ولما كان هذا قد يكون في المنفق مجيدا دون الاختفاء باسم [illegible] على المضارع [illegible] دل على ان اقرارهم بالايمان كذب وافعالهم
صور لا حقائق لها نعم باللازم فقال وكفروا اي اظهروا الكفر بعد اسلامهم اي بعد اظهارهم افعالهم واقوالهم وذلك غاية الفجور
ولما كان اعلى المخوف الانسان شيء ان يحرثه نفسه فيه بما لا يصل اليه فيكون ذلك اعظم بلا من الحصول قال وهموا بما لم ينالوا اي
قتل الرسول صلى الله عليه وسلم او اخراجه من المدينة فجمعوا بين انواع الكفر القول والفعل والاعتقاد ويجوز ان يكون حالا من الضمير فيما قبلهم
والتقدير على هذا يحلفون مع الحالين بانهما قالوا كلمة الكفر ولقد قالوها فيكون كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين ولما بين ما هو الطعم الذي لا يحمل على فعلها الا امر عظيم قال وما اي قالوا وفعلوا والحال انهم ما نقموا اي كرهوا شيئا من
الاشياء التي انتهم من اسد الا ان اغناهم الله اي الذي له جميع صفات الكمال بعفوه وغناه عن العالمين ورسوله اي الذي هو اشرف الخلق
بانه يجوز عطفه الصافة اليه سبحانه وكان ذلك اذاهم من النبي صلى الله عليه وسلم وهم يقتلهم لعطائه لهم اغناهم بعد [illegible]
فكان لا تعد في ذمهم تاخير قوله من فضله فهو من باب فخر ولا عيب فيهم ولما نبه على ان هذه المساوئ قابلوا بها الحق الذي رغبهم
بانه قابل المتاب عليهم ورهبهم بانه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله فان يتوبوا ولما كان المقام جديرا بان يشتد تشوف السامع
الى معرفة حالهم فيه حذف نون الكون اختصارا تنبيها على ذلك فقال يك اي ذلك الامر خيرا لهم من اصرارهم ولما كانت النفوس [illegible] اصل الفطرة
الاولى باعثة حثيثة الى المتاب وكان القران في عظم الترغيب في العتاب عظيم الاخذ بالقلوب في العطف للاحباب اشار الى ذلك
بصيغة التفعل فقال وان يتولوا اي يكلفوا انفسهم الاعراض عن المتاب يعذبهم الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما
بحوله وقوته عذابا اليما اي لا صبر لهم عليه في الدنيا اي بما هم فيه من الخوف والخزي والكلف وغيرها والاخرة اي بالعذاب
الاكبر الذي لا خلاص لهم منه وما لهم في الارض اي التي لا يعرفون غيرها بسبب قصور همهم من ولي اي يتولى امورهم فيصلح
ما افسد العذاب منهم او يشفع لهم ولا نصير ينقذهم واما السماء فهم اقل من ان يطمعوا منها بشيء ناصرا وغيره واغلظ
[illegible] ترقي فكرهم الى العالم العالي العجايب فيما بعد الحجود وسبب نزول الاية على ما قال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان ينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله الاية
وقال الكلبي نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين
فسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة

فاتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس بعد العصر
فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر وقام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه
الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه
الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته
وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته ولا مانع ان يكون كل ذلك اسبابا لها كما تقدم
ويأتي ولا دفع لها في السببية الخبر الاول للتعبير في الكفر بالمؤذنة بالكمال لعيبهم نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ارتكب كل كفر وفي الاية
دليل على قبول توبة الزنديق المسر للكفر المظهر للايمان كما قال ابو حيان وقال هو مذهب الجمهور والشافعي وقال مالك لا يقبل فان جاء تائبا من قبل
نفسه من قبل ان يعثر عليه قبلت توبته ولما اقام سبحانه الدليل على ما ذكر بهذه الاية التي ختمها بانه اغناهم من فضله اتبعها باقامة الدليل
عليها وعلى انهم يقبضون ايديهم وعلى اجترائهم على قبيح الكذب فقال **ومنهم من عاهد الله** اي الذي لا اعظم منه **لئن اتينا**
اي نحن بما عندنا واعترفوا بانه لا حق لاحد عليه بقوله **من فضله** اي باي طريق كان من تجارة او غنيمة او زراعة او غيرها واكد لانه كاذب
فظن ان الناس يكونون مثله كذا وكل كاذب فقال **لنصدقن** اي مما اتانا من غير رياء بما يشير اليه الادغام **ولنكونن** اي كونا هو
الدال على انا مجبولون على الخير **من الصالحين** اي لكل خير تندب اليه **فلما اتاهم من فضله** تقريرا لما قاله المعاهد تاكيدا
للاعلام بانه لا حق عليه لاحد ولا صنع فيما اتيهم به ولا قدرة عليه بوجه **بخلوا به** اي كذبوا فيما عاهدوا عليه واكدوه غاية
التاكيد فلم يتصدقوا بل منعوا الحق الواجب تطهيرا فضلا عن صدقة البر **وتولوا** اي كلفوا انفسهم الاعراض عن الطاعة لمن تفضل
عليهم مع معرفتهم بقبح نقض العهد ولما كان التولي قد يحمل على ما بالجسد فقط قال **وهم معرضون** اي بقلوبهم والاعراض وصف لهم
لازم لم يتجدد لهم بل كان غريزة فيهم ويحتمل عالمون بها منهم اوقعوا العهد قال ابو حيان قال الضحاك هم نبتل بن الحرث وجد بن قيس
ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الاية انتهى وحسن تعقيبها بها ايضا ان في الاولى كفران نعمة الغنى عن عدو وفي هذه
كفرانها مع العهد فهو ترق الى الاعلى ودل على عظيم شان العهد وتفخيم الجزاء على خيانته بقوله **فاعقبهم** اي الله او التمادي
على البخل جزاء على ذلك **نفاقا** متمكنا **في قلوبهم** اي بان لا يزال يقولون ما لا يفعلون **الى يوم يلقونه** اي بالموت عند فوت
الفوت **بما اخلفوا الله** اي الملك الاعظم **ما وعدوه** لان الجزاء من جنس العمل ولما كان اخلاف الوعد شديد القباحة
فكان مرتكبه غير متحاش من مطلق الكذب قال **وبما كانوا يكذبون** اي يجددون الكذب مع اخلاف الوعد ومنفكا منه فقد استكملوا
النفاق عاهدوا فغدروا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا ولما كانت المعاهدة سببا للاغناء في الظاهر وكان ذلك ربما
كان مظنة لان يتوهم من لا علم له ان في خفاء امر البواطن عليه سبحانه وكان الحكم هنا واردا على القلب بالنفاق الذي هو اقبح الاخلاق
مع عدم القدرة لصاحبه على التخلص منه كان ذلك ادل دليل على انه تعالى اعلم بما في كل قلب من صاحب ذلك القلب فعقب ذلك بالانكار
على من لا يعلم ذلك مع التوبيخ له والتقريع فقال **الم يعلموا ان الله** اي الذي له صفات الكمال **يعلم سرهم** وهو ما اخفوه في صدورهم
ونجويهم اي ما فاوض فيه بعضهم بعضا لا يخفى عليه شيء منه **وان الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **علام الغيوب** اي كلها
اي الم يعلموا انه تعالى لا يخادع لعلمه بالعواقب فيخشوا عاقبته فيوفوا بعهده وفائدة الاعطاء مع علمه بالخيانة اقامة الحجة والتوبيخ
وقرا علي وابو عبد الرحمن والحسن الم تعلموا بالتاء وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير انتهى وفائدة الالتفات الاشارة الى ان هذا
العلم مما ينبغي ان يهيئ للايمان ولما اخبر تعالى انه لم يكفهم كفران نعمة الغنى من غير معاهدة حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب مع المعاهدة
اخبر انه لم يكفهم ايضا ذلك حتى تعدوه الى عيب الكرماء الباذلين بصفة جبهم لربهم ما لم يوجبه عليهم فقال تعالى معبرا بصيغة تصلح
لجميع ما مضى من اقسامهم اذا ما الا انهم كلهم كانوا متخلفين بذلك وان لم يقله الا بعضهم **الذين يلمزون** اي يعيبون في خفاء

المطوعين اي الذين ليس عليهم واجب في اموالهم فهم يتصدقون ويجهدون اخفاء صدقاتهم بما يشير اليه الادغام **من المؤمنين** اي الراسخين
في الايمان **في الصدقات** ولما كان ما مضى شاملا للموسر والمعسر نص على المعسر لزيادة فضله واشارة الى ان الحث على قليل الخير كالحث
على كثيره فقال عاطفا على المطوعين **والذين لا يجدون** اي من المال **الا جهدهم** اي طاقتهم التي اجهدوا انفسهم فيها حتى بلغوها
ولما كان اللمز هو العيب وهو ينظر الى الخفاء كالغمز ومادته بكل ترتيب تدور على اللزوم والمعنى يلمزون المطوعين عيبا ولا يظهرون
ذلك لكل احد وانما يتخافتون به فيما بينهم وهو يرجع الى الهزء والسخرية تسبب عنه قوله **فيسخرون منهم** ولما كان لا شيء اعظم
للشخص من ان يتولى العظيم الانتقام له من ظالمه قال **سخر الله** اي وهو الذي له الامر كله ولا امر لغيره **منهم** اي جازاهم على فعلهم باهل
حزبه وزادهم قوله **ولهم عذاب اليم** اي بما كانوا يولمون القلوب في العد واذا حققوا عليه فقعوا على انفسهم ما يرد عنهم عنه
بالايمان الكاذبة روى البخاري في التفسير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما امرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء ابو عقيل بنصف صاع وجاء
انسان باكثر منه فقال المنافقون ان الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الاخر الا رياء فنزلت هذه الاية الذين يلمزون الاية ولما
كان صلى الله عليه وسلم معروفا بكثرة الاحتمال وشدة اللين المشير اليه عفا الله عنك لم اذنت لهم المبالغة في استجلابهم والحرص على نجاة
جميع الخلق فكان معروفا بالاستغفار لهم تارة على وجه الخصوص لسوالهم عند اعتذارهم وحلفهم وتارة على وجه العموم عند استغفاره
لجميع المسلمين اخبر تعالى عن عاقبة امره بما يزهده فيهم ليعرض عنهم اصلا وراسا لانهم تجاوزوا حق الله في ترك الجهاد ومنع الصدقة
وحقه صلى الله عليه وسلم في لمزه في الصدقات ووصفه بما يجل عنه الحقوق والمجاهدين الذين هو سبحانه خليفتهم في انفسهم واهليهم واموالهم
مع ما سبق في علمه للمنافقين من انه لا يغفر لهم تعالى **استغفر** اي اطلب الغفران **لهم او لا تستغفر لهم** اي استوى في امرهم استغفارك
لهم وتركه **ان تستغفر لهم** اي تطلب الغفران **سبعين مرة** اي على سبيل الحقيقة او المبالغة ولما كان الاخبار باستواء الامرين الاستغفار
وتركه كان سببا لطلب الغفران وربما كان مسببا للحزن لان عينه في هذا التاخير فقال **فلن يغفر الله لهم** اي الذي تقضي بشقائهم وهو الذي لا راد
امره وهو يحتمل ان يكون جوابا بالامر وهو الشرط محذوف لدلالة هذا عليه والمراد بالسبعين على ما ظهر في المثال المبالغة انه لا يغفر لهم
لشيء من الاشياء ولو غفر لهم لشيء لكان لقبول شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم والعرب تبالغ بما فيه لفظ السبعة لانها غاية مستقصاة
جامعة لاكثر اقسام العدد وهي تتمة عدد الخلق كالسموات والارض والبحار والاقاليم والاعضاء ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد
الحرص على رشدهم ونفعهم وكان حقيقة نظم الاية التخيير في الاستغفار وتركه ونفي المغفرة بالاستغفار بالعدد المخصوص في حين
جعل صلى الله عليه وسلم هذه الاية مقيدة لما في سورة المنافقين فاستغفر لابن ابي وصلى عليه وقام على قبره وصرح بانه لو يعلم
انه لو زاد على السبعين لزاد واستعظم عمر رضي الله عنه ذلك منه صلى الله عليه وسلم وشرع يمسكه بثوبه ويقول اتصلي عليه وقد نهاك الله عن ذلك ولانه
لم يفهم من الاية غير المجاز لما عنده من بغض المنافقين واما النبي صلى الله عليه وسلم فراى التمسك بالحقيقة لما في الرفق بالخليقة من جميل
الطريقة بتحصيل الايتلاف الرافع للخلاف وغير ذلك من الفوائد وجليل العوائد ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول لما نزل النهي الصريح فعجبت بعد
من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تفطنت بعد هذا الصريح ان ذلك ادولا كان يحتمل ولولا انكر الله الصلاة عليه ففي موافقة
الله تعالى لعمر رضي الله عنه منقبة شريفة له وقد وافقه الله تعالى مع هذا في اشياء كثيرة روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه وفي رواية في اللباس فاعطاه قميصه
وقال اذني اصلي عليه فآذنه فلما فرغ آذنه فجاء وفي رواية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على السبعين وفي رواية لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر الله له لزدت
عليه قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى وهم فاسقون فترك
الصلاة عليهم قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم ولابن اسحاق في اواخر الجهاد عن جابر بن عبد الله

رضي الله عنهما قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي
يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه قال ابن عيينة كانت له عند النبي
صلى الله عليه وسلم يد فاحب ان يكافئه وفي رواية عنه في البخاري انه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي بعد ما ادخل في قبره فامر به
فاخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه انتهى فكان ابنه رضي الله عنه استحيى ان يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم به
لما يعلم من نفاقه او اذنه صلى الله عليه وسلم فصادف منه شغلا فدفنه فجاء صلى الله عليه وسلم بعد ادخاله القبر وقبل تمام الدفن
فاخرجه تطييبا لخاطر ابنه الرجل الصالح ودفعا لما قد يتوهم من احنة عليه وتاليفا لغيره فقد روي انه قال صلى الله عليه وسلم اني اؤمل من الله
ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فاسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه هو الذي
طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يكفنه في قميصه وتعطيه عليه ادعى الى تراحم المسلمين وتعاطف بعضهم على بعض وقوله والبسه قميصه بالواو
لا ينافي الرواية الاولى او تحمل الرواية الاولى على انه وعده اعطاء القميص لما نزع كان من التنجيز وقت السؤال فحمل الجزم بالاعطاء على الوعد
الصادق ثم نجزه بعد اخراجه من القبر والله اعلم وقد دلت هذه الاية على طريق الجواب لمن كانه قال لما تقدم من احوال المنافقين كان
اما انها كالحرمة لله ولحق الرسول صلى الله عليه وسلم واما هذان القسمان فاصرحهما اخبر بانه ينبههم منافقين والكانت انتهك حرمة المخلصين
من الصحابة رضي الله عنهم فهل ينفعهم الاستغفار لهم فقال انه قد استوى الاستغفار وعدمه في انه لا ينفعهم وختمها بعلة عدم المغفرة في قوله **ذلك**
اي الامر الذي يبعد فعله من الحليم الكريم **بانهم كفروا بالله** اي وهو الملك الاعظم **ورسوله** اي فهم لا يستاهلون الغفران لانهم لم يقدروا الله حق قدره
على الفسق وهو معنى قائم بهم في الزيادة على السبعين كما هو قائم بهم في الاقتصار على السبعين **والله** اي المحيط علما وقدرة **لا يهدي**
القوم الفاسقين اي انه لا يهديهم لانه جبلهم على الفسق وكل من لا يهديه لانه جبله على الفسق لا يغفر له فهو لا يغفر لهم لما علم منهم مما جبلهم عليه
غيرهم فهو تمهيد لعذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره قبل العلم بالطبع الذي لا يمكن معه رجوع ولما علل بما علل من عدم المغفرة بفسقهم
واتى بالظاهر موضع المضمر اشارة الى اتصافهم به وتعليقا للحكم بالوصف علل رسوخهم بالفسق بما تقدم ان المنافقين بعضهم من
بعض فهم كالجسد الواحد بقوله **فرح المخلفون** اي الذين وقع تخلفهم باذن لهم وكراهة الله لانبعاثهم **بمقعدهم** اي قعودهم عن غزوة
تبوك ولعله عبر بهذا المصدر لصلاحيته لموضع القعود ليكون دلالته على الفرح اعظم دلالة بدلالته على الفرح بالموضع وهو مدني عن ابن
عباس رضي الله عنهما واظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة في تبكيتهم بما رضوا به لانفسهم وزاده تهجينا ايضا بقوله **خلاف** اي بعد وخلف
او لاجل خلاف **رسول الله** اي الملك الاعظم الذي تخلفوا عنه بعد ذلك **وكرهوا ان يجاهدوا** ولما كان زهدهم في بذل الاموال تارة بالزكاة
ببذلها في سخط لحرمانها وتارة بتقليل الانفاق لها وتارة بالاستمتاع بالخلاق الذي هو النصيب المقصود من تكثيرها بالمال او النفس تارة
بعيب الباذل لهما وغير ذلك مما تقدم قوله **باموالهم وانفسهم** على قوله **في سبيل الله** اي طريق الملك الذي له صفات الكمال الذي ليس
فيهم من الايمان ولحي الايقاع الذي يعجب المؤمنين ودل ذلك على غرائبهم في الفسق بان الانسان قد يفعل المعصية ويحزن على فعلها وهو
لا يتركها مع ما فيها من الدناءة وقد يتسر الانسان بالمعصية ولا يكره ان يكون بدلها او معها طاعة وهؤلاء ضموا الى سرورهم بها كراهة الطاعة
وقد يكره ولا ينهى غيره وهؤلاء جمعوا الى ذلك كله نهي غيرهم ففعلوا ذلك كله **وقالوا** اي لغيرهم **لا تنفروا في الحر** بعدا لهم عن الكلام وعمى
عن سبيل الحكام لان غزوة تبوك كان في شدة الحر ولما كان هذا قولا لم يخطر الا من على باله امره تعالى بان محذورا يضيعوا اليهم او يقبل عليهم لقوله
قل اي لهم **نار جهنم** اي التي اعدها الله لمن خالف امره وما ولفت الكلام الى الغيبة بدلالة على ان اعظم المراد بهذا الوعظ ضعفاء
المؤمنين لئلا يتشبهوا بهم طمعا في الحلم فقال تعالى **لو كانوا** اي المنافقون **يفقهون** اي لو كان لهم فهم يعلمون به صدق الرسول وقدرة مرسله
على ما توعد به لعلموا ذلك فلا يفرون من الحر الاشد لانهم فروا من حر ساعة الى حر الابد كان اجهل الجهال وقال ابو حيان لما ذكر تعالى ما ظهر
من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه الى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه يعني في قوله فرح المخلفون

اشد حرا

انتهى

انتهى فتكون الاية جوابا لمن كانه قال هذه احوال من خرج فما حال من قعد وقد خرج بما في هذه الاية من الاوصاف كعب بن مالك ورفيقاه رضي الله عنهم
ونحوهم ممن لم يفرح بالقعود ولا اتصف بما ذكر معه من اوصافهم ولما كان غاية السرور الضحك وكان اللازم لهم في الاخرة البكاء في دار الشقاء الذي
هو غاية الحزن لهم فيها زفير وشهيق وهم يصطرخون فيها قال تعالى مهددا لهم مسببا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرا في صورة الامر ايذانا بانه امر لا بد
من وقوعه **فليضحكوا قليلا** اي فليتمتعوا في هذه الدار بفرحهم بقعودهم التمتع الذي غاية السرور به الضحك وسيرا فانها دار قلعة وزوال
وانزعاج وارتحال **وليبكوا كثيرا** اي في نار جهنم التي تغافلوا ذكر حرها واهملوا الاتقاء من شديد سعيرها بدل ذلك الضحك القليل كما
استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقير **جزاء بما كانوا يكسبون** اي من الفرح بالمعاصي والسرور بالشهوات والانهماك في اللذات ولما كان المسرور بشيء
الكاره لضده الناهي عنه لا يفعل الضد الا تكلفا ولا تقبله الا بجهد وكان هذا الدين مبنيا على العزة والغنى اتبع ذلك بقوله مسببا عن فرحهم
بالتخلف **فان رجعك الله** اي الملك الذي له العظمة كلها والغنى المطلق من سفرك هذا **الى طائفة منهم** وهم الذين يريد الله اقامتهم الى ان ترجع
اليهم وهذا ايماء الى انه اهلك سبحانه في غيبته بعضهم فان ترك الخروج الى سفر اخر **فاستاذنوك** اي طلبوا ان تاذن لهم **للخروج** اي معك في سفرك
ذلك **فقل** عقوبة لهم وغنى عنهم وعزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدق قوله فيه علما من اعلام النبوة وبرهانا من براهين الرسالة **لن تخرجوا**
معي ابدا اي في سفر من الاسفار لان الله اغناني عنكم ولحوقكم الي **ولن تقاتلوا معي عدوا** لانكم جعلتم انفسكم في عداد ربات الحجال
فلا تصلحون للقتال والتقييد بالمعية يفهم انهم يكونون في الغزاة يخرجون ما كان بعده صلى الله عليه وسلم مع اصحابه رضي الله عنهم في سفرهم وقتالهم ولما
اخبرهم سبحانه بما اخزى به انفسهم علله بقوله **انكم رضيتم بالقعود** اي عن الشرف بمصاحبتي ولما كانت الاولية لا تعطي تمكن الغرائز
من الايمان والكفر او غيرهما قال **اول مرة** اي في غزوة تبوك ومن عادتنا ان نكفي الناقص وقال ابو حيان فعلل بالسبب وهو الرضى
الناشئ من السبب وهو النفاق انتهى ولما انهى الحكم والعلة سبب عنه قوله **فاقعدوا مع الخالفين** اي الذين رضوا لانفسهم بهذا الوصف
الذي من جبلة معانيه الفاسد فهم لا يصلحون للجهاد ولا يلقون ابدا في موطن الانجاد وقال بعضهم المراد بهم الذين تخلفوا بغير عذر في
غزوة تبوك او النساء والصبيان او الرجال الاوساط او المخالفون او المرضى والزمنى او اهل الفساد والاولى الحمل على الجميع لان المراد
تبكيتهم وتوبيخهم ولما اتم سبحانه الكلام في الاستغفار وتعليله الى ان ختم باهانة المتخلفين وكان القتل الموجب للجهاد سببا لترك
الصلوة على الشهيد تشريفا له جعل الموت الواقع في القعود المقتضي بين الجهاد سببا لترك الصلوة اهانة لذلك القاعد فقال عاطفا
على ما انتهت جملته تستغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية من نحو فلا تستغفر لهم اصلا **ولا تصل** اي الصلوة التي شرعت لتشريف المصلى عليه
والشفاعة فيه **على احد منهم** ثم وصف الاحد بقوله **مات** وقوله **ابدا** متعلق بالنهي لا بالموت **ولا تقم على قبره** بجميع معانيه
لم يحتج الى التاكيد باعادة الجار اي لان قيامك رحمة وهم غير اهلها ثم علل ذلك بقوله **انهم كفروا بالله** اي الذي له العظمة كلها
ولما كان مطلق الموت على الكفر مانعا من الصلوة على الميت بجميع معانيه لم يحتج الى التاكيد باعادة الجار فقيل **ورسوله** اي الذي هو
اعظم الناس نعمة عليهم بما له من نصائحهم بالرسالة والمعنى انهم لعظيم ما ارتكبوا من ذلك يحيد بهم ادب ما قدموا واعلى الضلال حتى ماتوا
على صفة من وقع النهي عن الاستغفار لهم المشار اليها بقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين وذلك المراد من قوله معبرا بالماضي والمعنى على
المضارع تحقيقا للخبر وانه واقع لا محالة **وماتوا وهم** اي والحال انهم بضمائرهم وظواهرهم **فاسقون** اي غريقون في الفسق ولما
كان ابن ابي سبب النهي عن الاستغفار لهم وكان عبد الله بن عبد الله من خيار المؤمنين من خلص المحسنين وكان لبعض المنافقين ابناء مثله وكان طبع البشر
انه ربما ذكره مقالة اغلاط ما يندم عليه كان شديد التوقف والخوف من العلائق البدنية وشعلة من العوائق بالاوهام النفسانية مع ان اهامه
عواقبه قامر اعلى ضده ولا ينفك العادة الكلام وتكريره وترديده ومزيد تقريره تاكيدا في النفوس تعديه وتثبيته في القلوب كثرة العجاب
لهذه الاسباب ولان تكون حكمها على ما لزم للمخاطب لا ينساه الاعتقاد ان العمل به مهتم جدا يفتقر الى فضل عناية وان ذلك الشبيه عام اصحابه
فهو يتكلم فيه ثم ينتقل الى غيره لغرض صحيح ثم يرجع اليه في اثناء حديثه لشدة اهتمامه بتنبيها على ذلك ولا يرجع اليه الا على غاية ما يكون من حسن

الربط ببراعة التناسب وعطفها بالواو دون الفاء لان ذلك ليس مسببا عما قبله كما سبق في الاية الاولى اي لا تستغفر لهم ولا تصل عليهم ولا
تجبك اقوالهم مستعطفين لك في طلب صحبتك وان زخرفوه واكدوه بالايمان التي اتخذوها جنة ولا تعجبك اموالهم ولما لم يكن هنا
ما يقتضي تاكيد النفي كما مضى في الاية الاولى لم يعد النافي ولا اثبت اللام ولا الحياة وقال واولادهم اي وان اظهروا انهم يجاهدون بها
معك ويتقربون بها الى الله فان الله لا يريد بهم ذلك وانما يريد لهم لما علم من مباعدتهم للخير وعدم قابليتهم له فلا يحملك الاعجاب بشيء
من ذلك على فعل شيء مما تقدم النهي عنه تاليفا لامثالهم للمباعدة باولادهم واموالهم وتطييبا لقلوب المؤمنين من اولادهم فانهم ان كانوا
مؤمنين لم يضرهم ترك ذلك والا فبعدا لهم وسحقا انما يريد الله اي بعزته وعظمته وعلمه واحاطته ان يعذبهم اي بعسرهم بها فالفعل
واقع بجملة في الاية السابقة في الدنيا اي بجمعها ومحبة الاخلاد اليها والى الاولاد ان كانوا مثلهم في الاعتقاد والا كانوا زيادة
عذابهم في الدارين وتزهق اي تخرج بغاية العسر انفسهم وهم كافرون لافتراقهم بها ولا شك ان خطاب الراسخ في شيء اوقع
في قلوب المحجابين بغلظ الوقع فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من اتباعه وجماعته واشياعه ممن قد يحتاج الى الاسباب ويقف عندها
كما هو طبع النفوس في تامل ما تشهده ونسيان ما غاب عنها تدريبا لهم على الحب في الله والبغض فيه لانهما اوثق ابواب الدين فيهما واجلها
قدرا وعليه ينبني غالب ابوابه ومنه تجتنى اكثر ثمراته وادابه وذلك انه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا انه من الناجين فيوادده
لحسن قوله وتغافلا عن سوء فعله او يظن ان اهل الدين فقراء الى المساعدة لهم في جهاد او غيره بماله وذويه فيواده فاعلمهم تعالى ان هذا سبيله
مقطوع البركة نهيا عن النظر الى الصور وتنبيها على قصر الانظار على الحقائق لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الاية واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ولما افتتحت قصتهم بان المتقين لا يتوقفون في الانتداب الى الجهاد على امر جديد ولا
استيذان بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه والندب اليه فيبادرون اليه اطرافا وايحادا وان المنافقين يستاذنون في الجهاد
عاجلا استيذانه فيه بابا للاستيذان في التخلف عنه ومنهم من يصرح بالاستيذان في القعود ابتداء من غير تستر وعقب ذلك بالنهي عن الاعجاب
باموالهم واولادهم ثم رجع الى ذكر اقسامهم مما الزمهم من فضائحهم واثامهم الى ان ختم القصة بان اموالهم انما هي فتنتهم لا رحمتهم وغنمتهم
اتبع ذلك دليلا على انهم لا يتصلون بالجهاد ولا يتوصلون الى الدار المنافقة لعاملها على ما انهم اسيا مخوان نقال الا انهم لا يفعلون بها خيرا
ولا يكسبون اجرا وبانيا حالهم الكافي في تعجيبك واذا انزلت سورة اي قطعة من القران ولما كان الانزال يدل على المنزل حتما فسره
بقوله ان امنوا بالله اي الذي له الكمال كله وجاهدوا اي اوقعوا الجهاد مع رسوله استاذنك اي في التخلف من لا عذر لهم اولوا الطول
اي اهل الفضل من الاموال والسعة والثروة في غالب الاحوال منهم وخصهم بالذكر لان الذم لهم الزم ولا سيما بعد سماع القران ويجوز ان يكون معطوفا
على خبر ان في قوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله وهذا مع ما تضمن استيذانهم من رذائل الاخلاق وردائها اليهم المحكي بقوله وقالوا ذرنا اي
اتركنا ولو على حالتنا السيئة نكن اي طائعين مع القاعدين اي بعذر المتخلفين لا سيما مع التعبير بذرنا الذي مادته تدور على ما يكره دون
دعنا ثم استانف او بين قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي النساء وطبع اي وقع الطبع المانع على قلوبهم اي حتى رضوا لانفسهم
بالتخلف عن اسباب السعادة مع الكون في عداد الحريم بما هو عار في الدنيا وعار في العقبى ولما ابهم فاعل الطبع نفى عنهم العلم فقال فهم اي بسبب
الطبع لا يفقهون اي لا فقه لهم يعرفون به ما في الجهاد من العز والسعادة في الدارين وما في التخلف من الشقاء والعار فلذلك رضوا بما هو عار لا شيء
اضر من هذه الاموال والاولاد التي ابتغوا بها المدائح والزينة فجلبت المذام والقوادح فقد كشف اية الاموال الى اخر القصة واظهرها ما يلحقهم
ولما انتج القصة بمدح المتقين بمسابقتهم الى الجهاد من دون استيذان ختمها بذلك وذكر ما اعد لهم فقال معلما بالغنى عنهم من هو الخير المحض تبكيتا
لهم وتقريعا لكن الرسول اي الذي بعثناه لرد العباد عن انفسها الى السداد والذين امنوا اي ايمانا عظيما كائنا ما كان معه اي مصاحبين
له لا تاخر لا في جميع ما لا يسال اليهم جاهدوا باموالهم وانفسهم اي بلغوا كل الامر الا في صحبته صلى الله عليه وسلم تحقيقا لشرط الايمان وكنى
واقعه موقعها ببين متنافيين لمن مضى حالهم كله ناطق بانهم لم يجاهدوا ولما كان الفيا في التجلي لهم بالنفي فيما او سلب النفع من اموالهم

واولادهم

واولادهم اقتصر في مدح اوليائه على الجهاد بالنفس والمال ولم يذكر السبيل وقال واولئك والاعلى انه معطوف على ما تقديره فاولئك الذين
نورت قلوبهم فهم يفقهون وقوله لهم اي لا لغيرهم الخيرات تعريض بتوبيخ الاموال المنافقين لان الخير يطلق على المال وتحليته بال يدل على
ما تقديره فاولئك الذين استغرقت لجميع منافع الدارين والتعبير باداة البعد اشارة الى علو مقام اوليائه على الجهاد بالنفس وبعد منالها الا بفضل
منه تعالى وكذا التعريف بهم واولئك هم اي خاصة المفلحون اي الفائزون بجميع مرادهم لا غيرهم ثم بين الافلاح الاعظم بقوله اعد الله اي الذي
له صفات الكمال لهم اي الان لينعمهم به بعد موتهم وانتقالهم من هذه الدار التي هي محل الاكدار جنات تجري اي دائما من تحتها اي من قربها
الانهار ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال فقال خالدين فيها ثم رغب فيها بقوله ذلك اي الامر العالي الرتبة الفوز العظيم اي لا غيره
ولما قسم اهل المدر بينهم اولي الطول منهم بتخلفهم وكان ذمهم اغلظ لكونهم قادرين على الخروج في ذلك الوجه وتقدمهم بكثرة سماعهم الحكمة
ذكر اهل الوبر اقدر الناس على السفر لان مبنى امرهم على الحل والارتحال فهم احق بالذم لانهم في غاية الاستعداد لذلك الا من اتهم فقال وجاء
المعذرون اي المبالغون في اثبات الخفاء في الاعذار لما تعتمت الجهاد بما اشار اليه الادغام وحقيقة المعذر ان يوهم ان له عذرا ولا عذر له والعذر
ايساع الجبلة نحو ما يرفع ماظن من التقصير من الاعراب قيل هم رهط عامر بن الطفيل من بني عامر وقيل اسد وغطفان وقيل رهط من غفار ليؤذن
لهم اي في تخلفهم عن الغزو لهم اي فاعتذروا بما كذبوا فيه وقعدوا عن الغزو معك هكذا كان الاصل ونحو موضعه وقعد الذين
كذبوا الله اي وهو المحيط علما وقدرة ورسوله تنبيها على وصفهم وليكون اظهر في شمول الاعراب وغيرهم ولما كان منهم المختوم بكفره وغيره قال
سيصيب اي بوعد لا خلف فيه الذين كفروا اي ختم بكفرهم منهم عذاب اليم اي في الدارين ولما كان من القاعدين من اهل المدر والوبر من له
عذر استثناهم سبحانه وساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة فقال ليس على الضعفاء اي بنحو الهرم ولا على المرضى اي بنحو الحمى والرمد
ولا على الذين لا يجدون ولو بدين يؤدونه في المستقبل ما ينفقون اي لحاجتهم وفقرهم حرج اي اثم يميل بهم عن الصراط المستقيم ويخرج دينهم
ولما كان ربما كان احد من المنافقين بهذه الصفة احترز عنه بهذه الصفة بقوله اذا نصحوا اي في تخلفهم وجميع احوالهم لله اي الذي له الجلال والاكرام
ورسوله اي سرا وعلانية فانهم ح محسنون في نصحهم المانع منه تجسسهم على القعود عن هذا الوجه وعزمهم على الخروج متى قدروا وقوله ما على
المحسنين في موضع ما عليهم لبيان احسانهم بنصحهم مع عذرهم من سبيل اي طريق الى ذمهم ولومهم والجملة بيانا لنصحهم لله ورسوله
وقوله والله اي الذي له صفات الكمال غفور اي محاء للذنوب رحيم اي محسن اشارة الى ان الانسان محل التقصير والعجز وان اجتهد
فلا يسعه الا العفو ثم عطف على ذلك قوله ولا على الذين اذا ما اتوك واكد المعنى بقوله ما اتوك اي ولم يتوانوا بغير قصد الراغبين في الجهاد معك لتحملهم
وهم لا يجدون محملا قلت اي اتوك قائلا او حال قولك لا اجد ما احملكم عليه وجاء الجواب بقوله ويجوز ان يكون استئنافا وقوله هو الجواب
تولوا اي عن سماع هذا القول منك واعينهم تفيض اي تمتلي فتسيل وسناد الفيض اليها ابلغ من حيث انها جعلت كلها دمعا ثم بين الفائض
بقوله من الدمع اي دمعا والاصل يفيض دمعها ثم علل فيضها بقوله حزنا ثم علل حزنهم بقوله الا يجدوا اي لعدمهم وجدانهم ما ينفقون
فهم في الحقيقة على غاية من انفاقه والكون في حزبك وهذه قصة البكائين صح انهم كانوا داخلين في الذين لا يجدون واظهار الشرفهم وتقريرا
لان الناصح لو اجتهد لا غنى له عن العفو حيث بين انهم مع اجتهادهم في تحصيل الاسباب وتحسرهم عند فواتها بما افاض اعينهم ممن لا سبيل عليه ومن لا
حرج عليه المغفور له ولما نفى السبيل عمن ضعف كرم على من انتفى عنه الوصف فقال انما السبيل اي باللوم وغيره على الذين يستاذنوك
اي يطلبون اذنك في التخلف عنك راغبين فيه وهم اغنياء اي فلا عذر لهم في التخلف عنك وعدم مواساتك ويتضمن قوله مستانفا رضوا
بان يكونوا اي كونا كانه جبلة مع الخوالف انتفاء الضعف والمرض عنهم من حيث انه علل فعلهم برضاهم بالتخلف عنك مع علمهم بانهم
ذلك لانه لا علة لهم سواه وافهم ايضا ان الكلام كان كذلك مساويهم مع لو انه ضعيف او مريض وكرر ذكر الخوالف تكريرا لعيبهم برضاهم بالكون
في عداد النساء ولما كان ذلك من اعظم المعايب بعد الوقب سمي الفاعل للطبع حيث حذفه من الاولى ولما ذكره عظم الامر فاقتضى ذلك عظم الطبع فنفى
مطلق العلم فقال عاطفا على رضوا وطبع الله اي الذي له القدرة الكاملة والعلم المحيط على قلوبهم ثم سبب عن ذلك الرضى والطبع قوله

فهم لا يعلمون اي لا علم لهم فلذا لجهلوا ما في الجهاد من منافع الدارين فلذلك رضوا بما لا يرضى به عاقل وهو ابلغ من نفي الفقه في الاولى وذلك المقابلة
حسانا لما لا عراب في هذه الآيات الى اهل الحاضرة وهم بعيدون عن الفقه جديرون بعدم العلم ثم شرع يخبر عن اشياء تقع منهم عند الرجوع دالا على انه علام وانه
عالم بالمغيبات كلها جزئياتها وكلياتها ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فقال مبينا لعدم علمهم يعتذرون اي يثبتون الاعذار لانفسهم واثباتها
اليكم بالقلوب بقولهم اليكم اي عن التخلف اذا رجعتم اليهم اي من هذه الغزوة فكأنه قيل فماذا يقال في جوابهم فقال الرسول الذي اتاكم خبره
في اسه لو مترا لم قل لا تعتذروا اي فان اعذاركم كاذبة ولذلك علل النهي بقوله لن نؤمن لكم اي نصدقكم في شيء منها لانا علمنا عدم تصديقهم بما ادى
الى القطع بذلك فقال قد نبأنا الله اي الذي اعلمنا الملك الاعلى الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء اعلاما جليلا من اخباركم اي التي انتم جاهدون
بانها تخفى فخفي علمنا ها ثم هددهم بقوله وسيرى الله اي لانه عالم بكل شيء وكان قادر على كل شيء عملكم اي بعد ذلك اتتوبون ام تثبتون
على حالكم هذا الخبيث كما رأى الذي قبل ورسوله اي بما يعلمه به تنجيما وتوسما ومجمل الكلام في المنافقين فهذه تزكية للنفاق الذي يجتهدون
في اخفائه والمؤمنون لا اطلاع لهم عليهم لم يذكرهم بخلاف من ياتي بعد فانهم مؤمنون ولما كان هذا ربما فهم منه انه لا يعلم الا ما وقعوه بالفعل
نفى ذلك بانها ووضعه في موضع الاضمار مهددا بقوله مشيرا باداة التراخي الى تباعدهم لقيامهم الى معادهم وستردون اي براد
قاهر لا يقدرون على دفاعه بعد استيفاء آجالكم وهو الموت وان طالت غيبتكم بالبعث الى عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق والشهادة وهو
ما اطلع عليه احد منهم فصار بحيث يطلع عليه الذي علمه لشيء قبل كونه كعلمه بعد كونه فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما جليلا مستوعبا
بما كنتم اي جبلة لكم تعملون اي مما برزتموه الى الخارج ومما كان في جبلاتكم ولو تأخرتم لبرز وهو تهديد عظيم ووقع ترتيبهم لا اعتذار
على الاسم فالاسهل على ترتب الاولى مطلق الاعتذار وتحضي ما فيها الثانية تاكيد ذلك بالحلف للاعراض عنهم فقال سيحلفون بالله
اي الذي لا اعظم منه لكم اذا انقلبتم اليهم لا جهد ايمانهم انهم كانوا معذورين في التخلف كذبا منهم ارادة ان يقلبوا قلوبكم عما اعتقدتم فيهم
لتعرضوا عنهم اي اعراض الصفح عن معاتبتهم فاعرضوا عنهم اعراض المقت روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم
ثم علل وصول الاعراض بقوله انهم رجس اي لا يطهرهم العتاب فهو عبث ولما افهم المقت انه لابد لهم من جزاء وان النفس تتشوف لمعرفته فقال
ومأويهم اي في الآخرة جهنم جزاء اي لاجل جزائهم بما كانوا يكسبون اي فلا تتكلفوا لهم جزاء غير ذلك من توبيخ ولا غيره ثم رتب الثالثة
الحلف للرضى عنهم فقال يحلفون لكم اي مجتهدين في الحلف لما تقدم انهم يحلفون به وهو الله لترضوا عنهم خوفا من غائلة غضبكم فان
ترضوا عنهم اي لجهد ايمانهم للنبي عن عدم ايمانهم فان الله اي الذي له الغنى المطلق لا يرضى عنهم هكذا كان الاصل ولكنه قال عن القوم الفاسقين
اشارة الى تعليق الحكم بالوصف وتعميما لكل من اتصف بذلك والمعنى انه لا ينفعهم رضاكم ويكونون به مخالفين لله فهو في الحقيقة نهي للمؤمنين عن الرضى عنهم
ابرز في هذا الاسلوب العجيب البليغ ولما رتب سبحانه الاستيذان في القعود والرضى بما فيه من الدناءة على عدم الفقه تارة والعلم اخرى وختم بصفة الاعراب
بين ان الاعراب الجبلة لكونهم اعرق في هذا الوصف واجدر بالفسق لبعدهم عن معدن العلم وصرفهم افكارهم في مجرد الدنيا وانواع المحال لتحصيل
المال الذي كلما داروا عليه طار عنهم فابعد فهم لا يزالون في جمة تشغلهم عن كل مهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقال الاعراب
اي اهل البدو منهم اشد اي من اهل المدر كفرا ونفاقا لبعدهم عن دار الهجرة ومعدن العلم وجفائهم عن اي قلوبهم لتنقل انوار الكتاب والسنة
واجدر ان اي واحق بان لا يعلموا ولما كان الاجسام اصعب الاقدام والاطراف الاشياء المختلطة في غاية الالتباس قال حدود ما انزل الله
اي المحيط علما وحكمة بكل شيء على رسوله اي الذي هو اعلم الخلق من القرآن والشرائع والاحكام لعدم اقبالهم عليه شغلا بغيره وان الله حليم ذلك منهم
والله اي الذي له جميع صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بكل شيء حكيم اي بالغ الحكمة في وضع الاشياء في اتم محالها ولما ابان هذا الوصف هذا
الصنف بين انه اراد انقسموا الى خبيث ثبت على ما هو لا يليق بحالهم وقسم نزع الى ما هو الاليق باهل المدر الحقل ذلك وبدأ بالخبيث لانه الاليق بهم فقال
ومن الاعراب اي المذكورين من يتخذ اي يتكلف غير ما يدعو اليه الفطرة الاولى من الاريحية والهمم العلية بان يعد ما ينفق مغرما اي ثقلا لازما
الا كرها ولا يرجو له فائدة اخرى بل يراه مثل الضائع بالنهب ونحوه ويتربص بكم اي يكلف نفسه التربص وهو ان يسكن ويصبر وينتظر بكم

الدوائر

الدوائر اي الدواهي التي تدور بصاحبها فلا يتخلص منها وذلك ليستريح من الانفاق وغيره مما الزمه به الدين ولما تربصوا هذا التربص دعا عليهم
بمثل ما تربصوه فقال عليهم دائرة السوء اي دائما لا ينفك اما باذلال الاسلام واما بعذاب الاصطلام فهم فيما ارادوه بكم على الدوام وقرا ابن كثير
وابو عمرو بضم السين على معناه الشر والضر وقراءة الباقين بالفتح على المصدر فهو ذم للدائرة ولما كان الانتقام من الاعداء وايقاع البأس
بهم لا يتوقف على القادر الغالب الاعلى على سماع اخبارهم والعلم بها جرت سنته تعالى في ختم مثل ذلك بقوله والله اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة
الكاملة سميع وهو سميع ما يقولون عليم فهو عليم بما يضمرون عطفا على نحو ان يقال فالله على كل شيء قدير ونحوه قوله انني معكما اسمع وارى
ولما انتج الآية التامة التمييز بقوله ومن الاعراب من يؤمن اي يجدد ايمانه تجديدا ثابتا الدين بالله واليوم الآخر علم ان القسم الاول غير مؤمن
بذلك وانما وقع منهم الاقرار باللسان غير اذعان والايمان هو الاصل الذي ترتب عليه الانفاق عن طيب نفس لما يرجى من ثوابه في اليوم الآخر الذي
لولا هو لانتفت الحكمة من هذا الخلق على هذا الترتيب ثم عطف عليه ما يثمره الايمان فقال ويتخذ اي يجتهد نفسه ويجاهدها ان عرضت له الوساوس
الشيطانية على ان يعد ما ينفق اي فيما امر الله به قربات جمع قربة لما يقرب الى الله تعالى عند الله اي الذي له اشرف القرب منه لانه الملك
الاعظم وصلوات اي دعوات الرسول اي الذي وظيفته التبليغ فهو لا يقول لهم شيئا الا عن الله واطلق القربة والصلوة على سببهما ولما
اخبر عن فعلهم اخبر عن عاقبتهم في الهم فقال مستانفا محققا لرجائهم ترغيبا في الصدقة بابلغ تاكيد لما لاعدائهم من التكذيب الا انها اي نفقاتهم
قربة لهم اي عظيمة على ما ارادوا ثم بين ثمرة كونها قربة بقوله سيدخلهم الله اي الذي له صفات الكمال بوعد لا خلف فيه في رحمته اي اكرامه
فتكون محيطة بهم ثم علل ذلك بقوله معبرا بالاسم الاعظم تنبيها على انه لا يسع الانسان الا العفو وان عظم الاجتهاد ان الله اي الذي لا يقدر
احد على ان يقدره حق قدره غفور اي بليغ الستر للقبايح من تاب رحيم اي بليغ الاكرام ذلك وصف له ثابت بحال لله كل من ولما
ذكر القسم الصالح منهم وكانوا متفاوتين فمنهم الثابت والكريم التابع اللاحق اتبعه ذكر السابقين على وجه شامل حاصر لصنفي البادي والحاضر اشارة
الى ان من اخر من اصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى اهل الكمال في مطلق الاخبار بسلكهم والفوز برحمتهم لا حسنا في اتباعهم ترغيبا لاهل
المغفرة والرحمة في اتباع اهل الرضوان والنعمة فقال والسابقون ولما دل على سبقهم بالعلو فمن ابتدل على قدمهم فيه فقال الاولون
اي الى هذا الدين القيم من المهاجرين اي لدار الكفر فضلا عن اهلها والانصار اي الذين آووا ونصروا والذين اتبعوهم اي العريقين باحسان
اي في اتباعهم فلم يحولوا عن شيء من طريقهم رضي الله اي الذي له الكمال كله عنهم اي بافعالهم هذه التي هي وفق ما امر به ورضوا عنه اي بما
آتاهم عنه من البشرى وقذف في قلوبهم من النور بلطيف الوعظ والذكرى واعد لهم اي جزاء على فعلهم جنات تجري ونبه على عموم ريها لها
بنزع الجار في قراءة الجماعة تحتها الانهار اي هي كثيرة المياه فكل موضع اردته نبع منه ما يجري بحسنه نهر ولما كان المقصود من الماء انما هو السقي
في ابناطه بقربه وتيسر جريه وانبساطه اثبته ابن كثير دلالة على ذلك كسائر المواضع ولعل تخصيص هذا الموضع بالخلاف لانه يخص هذه الامة فلعلها
تخص بجنة هي اعظم الجنات ريا وحسنا وزيا ولما كان اعظم العيوب الانقطاع نفاه بقوله خالدين فيها واكد المراد من الخلود بقوله ابدا ثم استانف
مدح هذا الذي اعده لهم بقوله ذلك اي الامر العالي الكامل خاصة الفوز العظيم ولما استوفى الاقسام الاربعة قسمي الحضر وقسمي البدو ختم
خلط بين منهم تشريفا للسابق وترغيبا اللاحق خلط بين الجميع على وجه جاطهم ثم ذكر منهم فرقا منهم من يجزاء الحكم بجزائه باعراضه ومتاب ومنهم
اخر امره الى يوم الحساب وابتدا الاقسام بالمستور عن غيره لعلمه ليعلم اهل ذلك القسم انه تعالى عالم بالخفايا فلا يزالوا اذلاء مما هددهم به فقال عاطفا
بما لم يتقدم التصريح به من نفاقهم وممن حولكم اي حول بلدكم المدينة من الاعراب اي الذين قدمنا انهم اشد كفرا لما لهم من الجفا منافقون اي راسخون
في النفاق وكانه قدمهم لجلافتهم وعتوهم واتبعهم مواضع منهم في النفاق فقال ومن اهل المدينة اي منافقون ايضا ثم بين انهم لا يتوبون بوصفهم
بقوله مردوا اي استعلوا على هذا الوصف اي صلبوا وداموا وعتوا وعسوا وعصوا وصار لهم به دربة عظيمة وضراوة حتى دلت اليه جميع اعضائهم
الظاهرة والباطنة وصار لهم خلقا على النفاق اي استعلوا على هذا الوصف بحيث صار ولو في غاية المكنة منه ثم بين مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم
اي باعيانهم مع مالك من عظيم الفطنة وصدق الفراسة لفرط توقيهم وتحاميهم ما يشكك في امرهم ثم هددهم وحقر شأنهم بقوله نحن اي خاصة نعلمهم

ثم عند انفجار هم سنعذبهم اي بوعد لا خلف فيه مرتين اي احديهما برجوعك سالما وشفوف امرك وعلو شانه وضخامة اركانه وعز
سلطانه وظهور برهانه فانهم قطعوا لغباوتهم وجلافتهم وقساوتهم كما اشرت اليه بقوله ويتربص بكم الدوائر املا ان لا ترجع هذه
المرة من هذه السفرة لما يعرفون من ثباتك للاقران واقدامك على الليوث الشجعان واقتحامك للاهوال اذا ضاق المجال ونكص ابطال الرجال
ومن عظمة الروم وقوتهم وتمكنهم وكثرتهم وغاب عن الاغبياء وخفي عن الاشقياء الادنياء ان الله الذي خلقهم اعظم منهم واكبر وجنوده
اقوى من جنودهم واكثر والثانية بعد وفاتك بفتن اهل الردة وقتلهم ورجوع ما اصلته بخليفتك الصديق رض الى ما كان عليه في ايامك من
الظهور وانتشار الضياء والنور والحكم على مخالفه بالويل والثبور وسياتي انه يمكن ان تكون المرة الثانية اضطراب سحب الظنون والاخبار بما
اضمروا في شانهم من خفي الاسرار ثم يردون اي بعد الموت الى عذاب عظيم اي لا يعلم عظمه حق علمه الا الله وهو العذاب الاكبر الدائم الذي
لا ينفك اصلا ولما ذكر هذا القسم المارد الجافي ثنى بمقابله اللين الصافي وهي الفرقة التي تجبر لما عليها والنظر يعني الرحمة اليها فقال
وآخرون اي ومن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة آخرون اعترفوا بذنوبهم اي كلفوا انفسهم ذكرها توبة منهم نحوا وندما
وعزما ولم يرجعوا الى المعاذير الكاذبة وهم المقتصدون ولما كان الخلط جمعا فيه امتزاج كان مجرد ذكره يفهم ان المخلوط امتزج بغيره
قال الامتزاج بالواو وغاير بينهم ان المعنى خلطوا عملا صالحا بسيء وآخر سيئا بصالح نحو خلطت الماء لبنا شاهد لنوع الاحتياك ولعل
التعبير بما انهم في الاشارة الى التساوي في العملين وانه لم يحصر احدهما بالوحي الاخر بان يكون اصلا وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في اناس
راهم في المنام شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح كما رواه البخاري في التفسير عن سمرة رض ثم اوجب تحقق توبتهم المذكورة لاعترافهم بقوله
عسى الله اي الذي له صفات الكمال ان يتوب عليهم فان عسى منه سبحانه وتعالى واجبة لان هذا داب الملوك ولعل التعبير بها
يفيد مع الايجاب بانه لا يجب عليه لاحد شيء وان كل احسان يفعله فانما هو على سبيل الفضل اشارة الى انهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين
غير المعصومين في مواقعة التقصير وتوقع الرحمة من الله بالرجوع بهم الى المراقبة فكما ان اولئك معدودون في حزب الله مع هذا التقصير
المرجو له العفو فكذلك هؤلاء ثم علل فعله بهم مرجيا للمزيد بقوله ان الله اي ذا الجلال والاكرام غفور رحيم اي لم يزل موصوفا
بقبول المعرض اذا اقبل وابدال السيئة بحسنة فضلا منه واكراما وروى البخاري في صحيحه في التفسير عن سمرة بن جندب رض قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لنا اتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهيا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء
وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة قالا لي
هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم
ولما كان من شان الرضا قبول القربان امره صلى الله عليه وسلم تطهيرا لهم وتطييبا لقلوبهم بقوله خذ ودلهم بالتبعيض فقال من اموالهم صدقة
اي لتطيب انفسهم باخراجها تطهرهم اي تمحو ذنوبهم وتجري بهم مجرى الكفارة وتزكيهم اي تنميهم وتثبتهم بقوله ان صلواتك
اي دعواتك التي تصلهم بها فتكون موصلة لهم الى الله سكن لهم اي تطمئن بها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من ان
القبول لا يكون الا بحصول الرضى عنهم وان الله سميع لقولك اجابة لك وعليم بقصدك في صلاتك لهم والله اي المحيط بكل شيء سميع عليم
اي بكل ما يمكن ان يسمع وما يمكن ان يعلم منك ومنهم ومن غيركم فهو جدير بالاجابة والاثابة وذلك ان هذا الصنف لما اشتد ندمهم على
التخلف وثقوا انفسهم بسواري المسجد فسال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم فقيل ندموا على التخلف عنك فحلفوا لا يطلقهم
الا انت فقال وانا لا اطلقهم حتى اومر بذلك فانزل الله هذه الاية فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها
فقال لم اومر بذلك فلما انزل الله هذه الاية اخذ الثلث فتصدق به ولما ساق توبتهم سبحانه في حيز عسى وكان الاصل فيها الترجية
في المحبوب والاشفاق في المكروه وامره صلى الله عليه وسلم بالاخذ من اموالهم لذلك وكان اخراج المال شديدا على النفوس لا سيما في ذلك الزمان كان
ربما توقف الشيطان من لم يرسخ قدمه في الايمان عن التوبة وما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بانها تقبل فاتبع ذلك سبحانه بقوله

الم يعلموا

الم يعلموا اي المعترفون بالذنوب حتى تسمح انفسهم بالصدقة او غيرهم حتى يرغبوا في التوبة والصدقة ان الله اي الذي له الكمال كله هو اي وحده
يقبل اي من شانه ان يقبل التوبة متجاوزا عن عباده اي التائبين المخلصين وياخذ الصدقات اي ممن تقرب بها اليه بنية خالصة وان
الله اي المحيط بصفتي الجلال والاكرام هو اي وحده التواب الرحيم اي لم يزل التجاوز والاكرام من شانه وصفته وفي ذلك انكار على غيرهم
من المتخلفين في كونهم لم يفعلوا مثل فعلهم من الندم الحامل على ان يعذبوا انفسهم بالايثاق في السواري ويتقربوا ببعض اموالهم كما فعل هؤلاء
او نحو ذلك مما يدل على الاعتراف والندم ولما امرهم من تطهيرهم بما يعيدهم الى ما كانوا عليه قبل الذنب عطف على قوله خذ قوله تحذيرا لهم من
مثل ما وقعوا وقل اعملوا اي بعد طهارتكم فسيرى الله اي الذي له الاحاطة الكاملة عملكم اي بما له من احاطة العلم والقدرة
فاعملوا اعمال من يعلم انه بعين الله ورسوله اي باعلام الله له ولما كان هذا القسم من المؤمنين في اتباعهم لا اخفاء فيها قال والمؤمنون
فزينوا اعمالكم جهدكم واخلصوا وفي بعض الاحاديث لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لاظهر الله عمله للناس كائنا ما كان ولما كان هذا الكشف للمؤمنين في
منه ختم نكته لما كان للمذنبين اكد بالسين فقال وستردون اي بوعد لا خلف فيه الى عالم الغيب والشهادة اي بعد الموت والبعث فينبئكم
اي يعلمكم بكل شيء بما كنتم تعملون اي ما ظهر منه وما كان في خزائنكم فلو تاخرتم لطهرتكم ثم يجازيكم على حسنه ويزيدكم من فضله وعلى سيئه
من اراد ولا يظلم مثقال ذرة ولما ذكر القسمين المنجز عذابهم والمتاب عليهم ذكر الموخر امرهم وهو القسم الظالم لنفسه الذي بدا به في سورة فاطر
وسورة الحشر ولا يبعد ان يكون هذه سورة الحشر الاول لانه صلى الله عليه وسلم ساق الناس الى الارض المحشر فقال وآخرون اي ومنهم آخرون
مرجون اي موخرون بين الرجاء والخوف لامر الله اي لما يامر به فيهم الملك الاعظم الذي له الامر كله الذين لا يعرفون لم يرجون وقوله اما
يعذبهم ان اصروا تخويفا حملا على المبادرة الى التوبة وتصفيتها والاخلاص فيها وحثا على ان يكون الخوف ما دام الانسان صحيحا اغلب ونبه بقوله
واما يتوب عليهم ان تابوا ترجية لهم وترقيقا لقلوبهم بالتذكير بنزل الادنى الذي اخرجوا انفسهم منه ومنعوها من حلوله وطيب مستقره
ومقيله وحلي اوقاته وعلى مقاماته وشهي ثوابه ولما كان ربما قال القائل ما فائدة التاخير وما المانع من التنجيز قال والله اي المحيط بكل شيء قدرة
وعلما عليم حكيم ترهيبا وترغيبا وتبعيدا وتقريبا ولعل ما يقرب من الترديد من الشك وتدريبا وقراءة غفور رحيم المزيدة
في الترجية ولما ذكر الذين اقامهم في مقام الخطر اتبعه تعيين طائفة من القسم الاول المستور الموصوف بالمرود فالحق بهم النضر فقال
والذين وهو معطوف على قراءة من اثبت الواو على قوله وآخرون وحمل على ما يليق بالقصة منافقون ماردون واما على قراءة المدنيين
وابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سؤال سائل وذلك انه لما قال لا تعلمهم نحن نعلمهم تشوقت النفس الى الاعلام بهم فلما قال وآخرون
اعترفوا بذنوبهم تشوف السامع بتفهمه وربما ظن انه ياتي في اواخر الكلام من تسميتهم ما يغنيه عن السؤال فلما انتقل بقوله وآخرون مرجون الى
قسم آخر وختم الاية بصفتي العلم والحكمة ليعلم ان الترديد للتقسيم وانه ان كان شك فهو بالنسبة الى العباد واما الله تعالى فمنزه عنه فذكر السامع
بالمنافقين ممن ما دار في خلده ومال اليه فكتب من الاعلام بالماردين على النفاق ما اشتد تشوفه اليه فخاطب بما انه قال ومن الماردين فقال تعالى والذين
اتخذوا مسجدا من الماردين وهم من اعظمهم مهارة في النفاق واضعفا الكيد والشقاق لانهم توصلوا الى ذلك بان كلفوا انفسهم الاضرار لاهل
الدين مع المنازعة للفطرة الاولى والخوف من ان يفضحوا في كاختتام هذه الاية بربيع الختام فانه احتراس عما يتوهم فيما قبله ودليل على ما بعده
ولذلك ختم قصتهم ايضا بصفتي العلم والحكمة ولاح من هذا ان قوله سنعذبهم مرتين يمكن ان يراد به مرة بجوعهم ومرة باخراب مسجدهم وتفريقهم
لشملهم بعد هتك استارهم بكشف فضائحهم وبين تجاهله في اتخاذهم بقوله ضرارا اي لاهل مسجد قباء وللحرب لله عامة وكفرا اي بالله اتخاذه ومنه
هزؤا وتفريقا اي بما يبيتون فيه من المكايد وباجتذابهم لبعض من كان يجتمع من المؤمنين ويطعنون فيه ليأتي مسجدهم ويترك المسجد المؤسس على التقوى
بين المؤمنين اي الراسخين في الايمان بما جاء عن الله لانهم كانوا يجتمعون في مسجد قباء فيقتص منهم وارصادا اي اعدادا وانتظارا لمن
حارب الله اي الملك الاعظم ورسوله ولما لم يكن محاربتهم مستغرقة للزمن لما كان اخل الجار فقال من قبل اي قبل اتخاذهم لهذا
المسجد بزمن قريب وهو ابو عامر الفاسق ليأتي اليهم فيرتبهم فيه على نفاقهم بان يصير كهفا يأوون اليه وعلما لهم يجتمعون عليه وذلك

انه كانت منه بنو غنم بن عوف وهو والد حنظلة الغسيل الذي من خيار الصحابة رضي الله عنهم وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال ما هذا الدين الذي جئت به قال الحنيفية دين ابرهيم قال ابو عامر انا عليها فقال صلى الله عليه وسلم لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها قال ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية قال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا فقال صلى الله عليه وسلم امين وسماه الفاسق ثم خرج الى قريش وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم معهم يوم احد وقال لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلما قاتل يوم حنين مع هوازن وانهزموا ايس وهرب الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا فاني ذاهب الى قيصر فآت بجنود نخرج محمدا واصحابه وكانوا قد حسدوا اخوانهم بني عمرو بن عوف في مسجد قبا لما بنوه وكان النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه فيصلي فيه فبنوا مسجد الضرار وارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأتيهم فيصلي فيه وكان يتجهز لتبوك فقال انا على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا صلينا فيه ان شاء الله فلما قدم من تبوك قريبا من المدينة نزلت الاية فدعا مالك بن الدخشم ووحشيا وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر صلى الله عليه وسلم ان يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام وحيدا غريبا طريدا وقيل كل مسجد بني مباهاة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ولما اخبر عن سرائرهم اخبر عن نفاقهم وظواهرهم بقوله **وليحلفن** اي جهد ايمانهم **ان** اي ما **اردنا** اي باتخاذنا له **الا الحسنى** اي من الخصال ثم كذبهم بقوله **والله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **يشهد** اي يخبر اخبار الشاهد **انهم لكاذبون** وقد بان بعد هذا كله ان سبب فضيحتهم ما تضمنه فعلهم من عظيم الضرر للاسلام واهله ثم قال ناهيا عن اجابتهم الى ما ارادوا من التلبيس انتاجا عن هذا الكلام الذي هو امضى من السهام **لا تقم فيه** اي مسجد الضرار **ابدا** اي سواء تابوا او لا واراد بعض المخلصين ان ياخذه او لا اي ابن اخرابه ومحا اثره عن وجه الارض وكنا دمنه وذم اهله مدح مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي بالمدينة الشريفة واما الذي بني عمرو بن عوف بقبا على الخلاف في ذلك وهو الذي اتخذ في اول الاسلام مسجدا احسانا وايمانا وجمعا بين المؤمنين ولعباد المرصاد والله ورسوله وسع اهله ارشادا لكل من كان من التابعين المؤمنين لقرب او بعد الى العوض عنه ولعله ابهم تعيينه وذكر وصفه ليكون صالحا لكل من المسجدين ولما اتصف بهذا الوصف من غرضنا فقال مؤكدا تعريضا بالذين الحق ومما للمنافقين من التكذيب **لمسجد اسس** اي وقع تأسيسه **على التقوى** بحيث احاطت التقوى به لانها اذا احاطت باوله احاطت باخره ولما كان التأسيس قد تطول مدة ايامه بين ان ذلك اوله بخلاف الاخر قال **من اول يوم** اي من ايام تأسيسه وفيه اشارة الى ما تقدم من احتمال الذين يرجون لعمل الاخلاص ان يتخذه مصلى فبين انه لا يصلح لذلك الا ما كان تأسيسه كذلك لما هو مباعد له **احق ان تقوم فيه** الى الصلوة والوعظ وغيره من مسجد لم تقصد به التقوى على تقدير فرض حال الا فيها ثاني الحال ولما مدح مدح اهله بقوله **فيه رجال** اي بهم كمال الرجولية **يحبون ان يتطهروا** اي في ابدانهم وقلوبهم بكمال الطهارة بما اشار اليه الاظهار رغم دائما في حصها انفسهم في ذلك دخا حبهم الله **والله** اي الذي له صفات الكمال **يحب** اي يفعل ما يفعل المحب من الاكرام بالفضل والاحسان واثبات ما فيهم من اجتهاد حصول الغناه فطهارة تاء التفعل والمد الى الطهارة ولو على ادنى الوجوه المجزية فقال **المطهرين** اي قاطبة منهم ومن غيرهم ولما علم من هذا بطريق الاشارة والتلويح ان التأسيس مثل البنا او خلق الحي له من جبلة خير والامر جبلة شر لا يصلح للخير ابدا ولا يقبله كما قال تعالى ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ذكره على سبيل التصريح فبين ما مضى قوله تمثيلا للباطل بينا على من فوائده من حرا على شفير جهنم **افمن اسس بنيانه** اي كما اسس المسجد المحثوث بالاقبال عليه **على تقوى من الله** اي الملك الاعلى **ورضوان** فكان كمن بنى بنيانه على جبل لا تنقصه الامطار ولا تؤثر فيه السيول **خير** **ام من اسس بنيانه** على نقيض ذلك من فجور وعدم اكتراث بالامور فكان كمن بنى بنيانه **على شفا** اي حرف وهو الشفة **جرف** اي مكان حفرة السيل وجرفه فصار مشرفا على السقوط ولذلك قال **هار** اي هائر من هار الجرف اذا اشرف بتحريف السيول على السقوط **فانهار** اي فكان بناؤه ذكره كذلك سببا لانه سقط سقوطا لا تماسك معه **به** وهو فيه امينا من سقوطه بقلة عقله وسفاهة رايه **في نار جهنم** فالى الجنة سلك الاول وخير بالاخير في الثاني اصلا ولا يعجب العجب من كونه بني هذا البنا ههنا فاجيب بانه لا عجب لان الامر بيد الله لا مفر من قضائه وهو قد حكم بكمال المعافية للاول وسم الثاني لما علم فيه من عدم قابلية الخير **والله** اي الذي له صفات الكمال **لا يهدي القوم**

اي الذين لهم قوة المحاولة لما يريدونه **الظالمين** اي المطبوعين على ظلام البصائر فهم لا يفكرون في شيء الا جاء في غير موضعه وعلى غير نظام كخطوات الماشي في الظلام وقد علم ان الاية من قبيل الاحتباك اثبت اولا التقوى لاهل الاسلام لحذفها ثانيا واثبت ثانيا ضعف البناء الذي هو مسجد الضرار اولا ليدل على ضده اولا فذكر النهاية المعقولة لاهلها والبداية المحسوسة للناظرين لها وروي عن جابر رضي قال رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار وحكي عن خلف بن يسار انه رأى فيه حجرا يخرج فيه الدخان في اوائل دولة بني العباس ولما كان ما تقدم غير قاطع في الظاهر بما ثبت للمساجد من الحرمة استانف الاخبار عن انه لا يجب اعادة المسجد بوجه وانما هو في عداد بيوت الاصنام فهو واجب الاعدام فقال **لا يزال بنيانهم** اي نفس المبنى وهو المسجد **الذي بنوا ريبة** اي شكا ونفاقا ثابتا **في قلوبهم** اي كما ان بيوت الاصنام كذلك لاهلها فكان ذلك حثا على اخرابه ومحوه وقطع اثره والمعنى انه جامع لهم على الريبة في كل زمان يمكن ان يكون **الا ان** ولما كان القطع محصلا للمقصود من غير نظر الى قاطع معين قال بانيا للمفعول **تقطع قلوبهم** اي الا زمانا يوصف فيه القطع البليغ الكثير لقلوبهم وعزايمهم وتباعد بينهم ويفرق شملهم باخرابه وقراءة يعقوب الى بالجارة واضحة في المراد ويكون المراد انه لا يزال حاملا لهم على التصميم على النفاق الى ان يموتوا وكناية عن عدم توبتهم ولما كان التقدير فان الله عليم بما اخبركم به فلا تشكوا فيه عطف عليه تعظيما للحكم وتفظيعا للامر قوله **والله** اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء **عليم** اي بالغ العلم بكل معلوم **حكيم** فهو متقن ما يأمر به ولما تقدم الانكار على المتثاقلين عن النفر في سبيل الله في قوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم انفروا الاية ثم الجزم بالامر بالجهاد بالنفس والمال في قوله انفروا خفافا وثقالا الاية وكان امره تعالى كافيا للمؤمن الذي صدق ايمانه بان له لامتثاله لذلك في منشطه ومكرهه وكان كثير منهم قد فعلوا بتثاقلهم ما يقدح في ايمانهم طعنا في سترهم بمعاذيرهم وايمانهم اقتضى المقام تبكيت المتثاقلين وتانيب المنافقين على وجه مهتك لاستارهم مكشف لاسرارهم فلما استوفى تعالى في ذلك اقسامهم ونكس الويتهم واعلامهم وختمه بجزء القصة التي ظهر فيها امتثاله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بازهاق مسجدهم وخرقه بالنار وازالة بنيانه وتفرقته وقد ادمج في خبر بيان الدين ومرتبة اتبع ذلك الاستجابة بتذكير المؤمنين ما امرهم به في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله انفروا خفافا وثقالا ليفعلوا فيه ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امر به فساق مساق الجواب لسؤال من كانه قال القرطال المديح وعظم الخطب في هذه السورة في ابانة الفضائح وهتك السرائر واظهار القبائح فلم فعل ذلك وقد جرت عادته بالامر بالستر ولحث العفو قوله **ان الله** اي الملك الاعلى الذي لا مالك في الحقيقة غيره ولا يخشى الا عذابه ولا يرجى الا خيره **اشترى** اي بعهود اكيدة ومواثيق غليظة شديدة ولذلك عبر بما يدل على اللجاج فيناكه فقال **من المؤمنين** اي بانه مما جا من عند الله وقدم النفس اشارة الى ان المبايعة سابقة على اكتساب المال فقال مقدما للاعز **انفسهم** اي التي تفرد بخلقها **واموالهم** اي التي تفرد برزقها دونهم ولما ذكر المبيع اتبعه الثمن فقال **بان لهم الجنة** اي خاصة بهم مقصورة عليهم لا تكون لغير مؤمن في غيرهم حتى تعامل كل بما يستحقه فكانه قيل اشترى منهم ذلك لماذا فقيل **يقاتلون في سبيل الله** اي الملك الاعلى بسبب دينه الذي لا يضيع من قاتل ايكون الدين محيط طالبه وطريقا له فلا يكون فيه شائبة لغيره ثم سبب عن ذلك ما هو حقيق به فقال **فيقتلون ويقتلون** اعم من ان يكون ذلك بالقوة او بالفعل فيختص بهم الجنة كما وعدهم وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول امدح لان من طلب الموت لا يقف له خصمه فيكون المعنى فطلبوا ان يكونوا مقتولين فقتلوا اقرانهم ويجوز ان يكون النظر الى المجموع فيكون المعنى انهم يقاتلون بعد رؤية مصارع اصحابهم من غير ان يوهنهم ذلك وعن بعض الاعراب انه لما سمع هذه الاية قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد ولما كان القتل لكونه سببا للجنة بشارة ووعدا اكد ذلك بقوله **وعدا** وزاده بحرف الايجاب فقال **عليه** واتم التأكيد بقوله **حقا** ولما كان القتل اكد هذه المبايعة الكريمة هذه التأكيدات العظيمة زاد ذلك بركة في جميع الكتب القديمة فقال **في التورية** كتاب موسى عليه السلام **والانجيل** كتاب عيسى عليه السلام **والقران** اي الكتاب الجامع لكل ما قبله ولكل خير وهؤلاء المذكورون في هذه السورة كلهم مدعى الايمان وارتدى به حلل الامان ثم انهم فعلوا بتخلفهم عن الاقبال وتوقفهم عن الاسراع والايقاظ وغير ذلك من اقوالهم وما ساويها من افعالهم فعل الكاذب في دعواه او الشاك اعم من ان يكون كذبا بالامور المشتملة على الجنة او يكون شكا في وعد الله بما يراه اباها وتخصيصهم بها وجوز ان يخلها غيرهم وطمع

ان يكون هو ممن يدخله مع التكذيب بالله تعالى منزه عن جميع ذلك الموعود في تعهده ومن وعدنا الى والحال انه اوفى العاهدين فمن اوفى
على طريق الاستفهام الانكاري من اوفى بعهده من الله اي الذي له جميع صفات الكمال لان الاخلاف لا يقدم عليه الكرام من الناس فكيف بجناب الغني الذي
له الغنى المطلق ولما كان ذلك سببا للبشر لانه لا ترغيب في الجهاد احسن منه قال مهنيا لهم فاستبشروا اي فافرحوا في نفوسكم غاية البشر
بصفات المجاهدين ولما ذكر في ابتداء العقد بلفظ يدل على التاكيد ذكره في اخره بلفظ يدل على السعة اشارة الى سعة الجزاء فقال
ببيعكم الذي بايعتم اي اوقعتم المبايعة لله به فانه موفيكم لا محالة فذلك هو الاجر الكريم وذلك اي البيع العظيم الرتبة بما اثمر لكم من الجنة وتخصيصكم
بها الفوز العظيم والحاصل انه جعل الاية موقع التعليل للامر بالنفر بالنفس والمال وما ثبت المعاقدة واحكامها وصف المعاقدين على
طريق المدح المحث على اوصافهم فقال التائبون مبتديا باوصافهم بالتوبة التي هي اساس العمل الصالح ثم ابتدأ الموئس بمطلق العبادة الشاملة
لجميع انواع الدين من العلم وغيره فقال العابدون اي الذين اقبلوا على العبادة فاخلصوها لله ولما كان التزام الدين لا يوجد الا بالاقرار بالست
اتبع ذلك الحمد الذي هو رمادته على بلوغ الغاية الذي هو جملة الثناء الكسب بالجميل الشامل للتوحيد وغيره فقال الحامدون اي المثنون
عليه سبحانه ثناء عظيما انطبقت عليه السنتهم وقلوبهم فتبعته اثاره ولما كان الاقرار باللسان لا يقبل الا عند مطابقة القلب تلاه بالسياحة
التي تزود بكمال ترتيب الاتساع على الزهد صلاح القلب تسبيع للتجرد عن ضيق المالوف الى فضاء الحضرة الاحدية فقال السائحون ولما
كانت الصلوة نتيجة ذلك لكونها جامعة لعمل القلب والاتساع الان وغيرها من الاركان وهي اعظم توصل الحبيب الانس في حضرات القدس
والمجرد عن الوقوف مع المالوف فكان اول مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع ونهايتها السجود وكان جميع اشكال الصلوة تمونا فقا
للعادة الا الركوع والسجود اشار اليه بقوله مخصصا لهما بالذكر تنبيها على ان المراد من الصلوة نهاية الخضوع الراكعون فبين ان تمام
هذه البشرى لهذه الامة لان صلوة غيرهم لا ركوع فيها واتمها بقوله الساجدون ولما كان الناصح لنفسه يتهذب بلسانه وقلبه وجميع
جوارحه لا يقبل الا ان الجهد في نصيحة غيره كما صرح به مثال السفر في السفينة ليحصل المقصود من الدين وهو جمع الكل على ما به المقتضى للتعاضد
والتناصر الموجب لدوام العبادة والنصرة وبذلك يتحقق التجرد عن كل ما لو جانس وغيره مما انس اتبع ذلك قوله الامرون بالمعروف اي
السنة ولما كان الدين متينا فلن يشاده احد الا غلبه كان المراد من المامور كمالها دون تمامها ومنتهاها اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
والمراد من المنهيات تركها كلها ومن الحدود الوقوف عندها من غير مجاوزة واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه رواه البخاري في الاعتصام
من صحيحه ومسلم ايضا عن ابي هريرة رض ولهذا عطف العرب بما تقدم في البقرة عند قوله والصلوة الوسطى وفي ال عمران عند قوله الصابرين والصادقين
عن الاستاذ ابي الحسن الحرالي اذا اتبعت بعض الصفات بعضا من غير عطف علم انها غير تامة فاذا عطفتها ارادت التمكن فيها والعراقة والتمام
فاعلم سبحانه ان المراد فيما تقدم من الاوصاف في الاتيان بها ما امكن منها فاتى بها اتباعا دون عطف لذلك واشار الى ان الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والوقوف عند الحدود لا ينفع منه الا بالتمام لان المقصر في شيء من ذلك اما راض بهدم الدين واما هادم بنفسه فيجب التجرد التام فيه
لان النهي اصعب اقسام العبادة لانه متعلق بالغير وهو مثير الغضب موجب للحمية وظهور الخصومة فربما كان عنه ضرب وقتل فلذلك عطفها وقدمها
فقال والناهون اي بغاية الجد عن المنكر اي البدعة ولما كان فاعل الخير لا ينفعه فعله الا باستمراره عليه الى الموت اتبعه قوله
والحافظون اي بغاية الجزم والقوة لحدود الله اي الملك الاعظم التي حدها في هذا الشرع القيم فلم يتجاوزوا ولم يقصروا عنها
ختم بما يبلغ قيد الدوام بالرعي والقوة والحاصل ان الوصف الاول التجرد عن ربقة ما لو خامر هو شرك المعصية بشهوة او غيره
والثاني التجرد عن قيود العادات الى فضاء العبادات والثالث لبلوغ الغاية في تهذيب الظاهر والرابع للتوجه الى التجرد عن قيود الباطن والخامس
والسادس الجمع بين كمال الباطن والظاهر والسابع هو السير الى الخاصة ذلك على الغير والثامن للدوام على تلك الحدود بترك جميع القيود
تفصيلا لاية العروج من الحضيض الجسماني الى الشرف الروحاني ثم امره صلى الله عليه وسلم بتبشير المتحلين بهذه الاوصاف عاطفا الامر بدل على محذوف
تقديره والله اعلم فانذر من تخلى منها بكل ما يسوءه بعد سجنه في دار الشقاوة فانه كافر وبشرهم اي هؤلاء الموصوفين هكذا بما

هو اي خاصة لا غيره

الاصل

الاصل الاصيل وكنه انظر ختاما بما به بدا او تعليقا بالوصف وتعميما فقال وبشر المؤمنين اي المتخلقين بهذا بكل ما يسرهم بعد تخصيصهم بدار
الشقا وفي ختم الايتين بالبشارة تارة من الخالق وتارة من اكمل الخلائق اعظم مزية للمؤمنين وفي جعل الاولى من الله اعظم ترغيب في الجهاد واعلى
حث على خوض غمرات الجلاد وفي ابتداء الايتين بالوصف المشعر بالرسوخ في الايمان الذي هو الوصف المتمم للعشر وختمها بمثله اشارة الى
ان هذه مائدة لا يجلس عليها طفيلي وان من عدا الراسخين في درجة الاهمال لا كلام معهم ولا التفات بوجه اليهم ولما كثرت في هذه السورة
الاوامر بالبراءة في احياء المشركين حتى والامر ايضا بالبراءة من اموات المنافقين بالنهي عن الدعاء لهم جاءت هذه الاية مشيرة الى البراءة من كل مشرك
فوقع التصريح بعدها بما اشارت اليه وذلك انه لما ثبت بهذه الاية في تقديم الجار ان المبايعة وقعت على تخصيص الجنة بالمؤمنين وانه لا
اوفى بما عاهد ثبت انه لا يجوز ان يدخل غيرهم الجنة وان غيرهم اصحاب النار لانه قد علم ان الاخرة دار جنة ونار ولما ثبت هذا كله علم قطعا
على النتيجة من المقدمات الصحيحة انه ما كان اي في نفس الامر للنبي اي الذي لا ينطق الا بما عنده فيه بيان من الله والذين امنوا اي
اقروا بايمانهم صدقوا بموته فلا يفعلون الا ما عندهم منه علم ان يستغفروا اي يطلبوا المغفرة ويدعوا بها للمشركين اي الراسخين في
الاشراك في عبادة ربهم ولو كانوا اي المشركون اولي قربى اي للذين امنوا من بعد ما تبين لهم اي بموتهم على الشرك
وانزال هذه الاية المختتمة بالتخصيص بالجنة انهم اصحاب الجحيم اي لا اهلية لهم للجنة فان الاستغفار معناه محو الذنوب حتى ينجو صاحبها
من النار ويدخل الجنة وما ينبغي لهم ان يكون لهم اليهم التفات فان ذلك ربما جر الى الاعانة تفتر عن القتال الواقع عليه المبايعة فلا ينبغي
الا محض المقاطعة والمجانبة والمنازعة وتقييد النهي بالتبيين يدل على جواز الدعاء للحي فان القصد بالاستغفار الدعاء بهدايته الى الايمان
الموجب للغفران ولما انكر ان يكون لهم ذلك وكان الخليل عليه السلام المامور بالاقتداء به واللزوم لملته قد استغفر لابيه بين انه كان ايضا
قبل العلم بما في نفس الامر من استحقاقه للتأبيد في النار فقال دافعا والعطف على ان التقدير فما استغفر لهم بعد العلم احد من المؤمنين
وما كان استغفار ابرهيم اي خليل الله عليه السلام لابيه اي بعد ان خالفه في الدين الا عن موعدة اي وهي قوله لاستغفرن لك
وما املك لك من الله من شيء واكد صدور الوعد بقوله وعدها اياه اي الخليل لابيه قبل ان يعلم انه ابدي الشقاوة وقيل الضمير
لابيه كان وعده انه يسلم فاستغفر له ظنا انه صدق في وعده فالحو والذي يدل على انه كان قبل علمه بذلك قوله فلما تبين له اي بيانا
شافيا قاطعا انه عدو لله اي الملك الاعلى مؤبد العداوة له بموته على الكفر او بالوحي بانه يموت عليه تبرأ منه اي اكره نفسه
على البراءة منه ثم علل ما افهمته صيغة التفعل من المعالجة بقوله ان ابرهيم لاواه اي شديد الرقة المصيبة للتاوه من خوف الله
والشفقة على العباد قال الزجاج والتاوه ان يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء حليم اي شديد التحمل والاغضاء عن المؤذي له
هكذا خلقه في حد ذاته فكيف في حق ابيه ولو قال له لارجمنك واهجرني واضعاف ذلك قال الامام ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي
القاضي في تفسيره ثنا حرملة ثنا ابن وهب اخبرني ابن جريج عن ايوب بن هاني عن مسروق بن الاجدع عن عبد الله بن مسعود رض ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وخرجنا معه حتى انتهى الى المقابر فامرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها
فجلس اليه فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان النبي صلى الله
عليه وسلم اقبل الينا فتلقاه عمر بن الخطاب رض فقال ما الذي ابكاك يا نبي الله فقد ابكانا وافزعنا فاخذ بيد عمر رض ثم اقبل الينا
فاتيناه فقال افزعكم بكائي قلنا نعم يا رسول الله قال ان القبر الذي رأيتموني اناجي قبر امنة بنت وهب واني استاذنت ربي في
الاستغفار لها فلم ياذن لي ونزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين حتى ختم الاية وما كان استغفار ابرهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه فاخذني ما ياخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي ابكاني وهذا شاهد حسن ولمسلم وابي داود والنسائي وابن ماجه
في الجنائز عن ابي هريرة رض قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله وقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم ياذن لي
واستاذنته ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وللبخاري في التفسير وغيره ومسلم في الايمان عن ابن المسيب عن ابيه

رض قال لما حضرت ابا طالب الوفاة دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي عم قل
لا اله الا الله احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب وفي رواية فلم يزالا يكلمانه حتى
ان قال هو على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت الاية ومما يعلم انه لم يستغفر لما بين موته وغزوة تبوك حتى نزلت وروي
في سبب نزولها غير هذا ايضا وقد تقدم انه يجوز ان تتعدد الاسباب ولما كان الاستغفار للمشركين امرا عظيما وكان فيه نوع ولاية لهم
اظهر سبحانه للمؤمنين ما من عليهم به من عدم المواخذة بالاقدام عليه تهويلا لذلك وقطعا لما بين اوج الايمان وحضيض الكفران بكل
اعتبار فقال تعالى **وما كان الله** اي الذي له صفات الكمال ولما كان الضلال سبب الهلاك وكان من شرع شريعة ثم عاقب على تركها من غير بيان لمن دل
على طريق غير موصل فحاله كحال صاحب من الدال بذلك مضلا قال **ليضل قوما** اي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لاجل
ارتكابهم ما نهي عنه بناسخ نسخه **بعد اذ هديهم** اي بشريعة نصبها لهم **حتى يبين لهم** اي بيانا شافيا بالنداء الذي **ما يتقون**
اي ما هو جدير بان يحذروه ويتجنبوه خوفا من نكته بناسخ ينسخ حال الاباحة التي كانوا عليها والمعنى ان الذي يامر رسله وطريق ثم
يترك بيانها ما يحتاج الى البيان انما يوقع عليه من الجهل والنسيان نفى ذلك سبحانه عن نفسه فقال معللا لعدم الضلال **ان الله** اي المحيط
بصفات الكمال **بكل شيء عليم** اي بالغ العلم فلا يتطرق اليه خفا بوجه من الوجوه في حين من الاحيان فهو يبين لكم جميع ما تاتون وما تذرون
مما يتوقف عليه الهدى وما تركه فهو لانه غير ركب رحمة لكم لا يضل ربي ولا ينسى فلا تبحثوا عنه ثم علل علمه بكل شيء بان قدرته شاملة فهو
قادر على نصرة من يريد والانتقام ممن يريد فلا ينبغي لاحد ان يحب الا فيه ولا يبغض الا فيه ولا يهتم بعداوة احد مع عداوة فقال **ان الله**
اي الملك الاعظم **له** اي بكل اعتبار تعدد من اعتبارات الكمال **ملك السموت والارض** فلا يخفى عليه شيء فهو خبير بكل ما ينفعكم او
يضركم فهو يبين لكم ما يبينه لكم وحكاه ان جميع الملك كان بحيث لا يستعصي عليه امر شيء علمه ولا غرض له العلم من اعظم القوى في القدر
ولا يكون الملك العالم الا قادرا ثم علل قدرته وعلمه بما يشاهد من تكرار فعله في الحيوان والنبات وغير ذلك **يحيي ويميت** اي بكل معنى
فهو الذي احياكم وغيركم الحيوة الجسمانية وخصكم انتم بالحيوة الايمانية وكما جعل غيركم بعضهم اولياء بعض وجمعهم كلهم على ولاية عدوهم
الشيطان جعلكم انتم اولياء ربكم الرحمن فهو وليكم وناصركم **وما** اي والحال انه ما **لكم** ولما كان ليس الحصر ان يجوز كل ما دون رتبته
سبحانه اثبت الجار فقال **من دون الله** اي الذي له الامر كله واغرق في النفي بقوله **من ولي** اي قريب يفعل معكم من الحياطة والنصح ما يفعل
القريب في النصر وغيره ولما كان الانسان قد ينصر غير قريبه قال **ولا نصير** اي فلا تتولوا الا من كان من حزبه واهل حبه وقربه وفيه تقرير
لمن قدم على ما ينبغي ان يتقي لا سيما الملاينة لاعداء الله من المسارتين والمصارمين فان نهاية ذلك موالاتهم وهي لا تغني من الله شيئا ولما
اشار الى انه هو وليهم احياهم بروح منه مبين انه ما يصلحهم وانه لا ولي لهم غيره اقام الدليل على ذلك بقوله **لقد تاب الله** اي الذي له
الجلال والاكرام **على النبي** اي الذي لا يزال عنده من ابناء خير عظيم يرشده الى ما يوذن بتقوية حياته برفع درجاته في كل مقام يرقيه اليه
الادنى انه لمزيد علوه توبة للمقام الذي كان دونه فهو يكمل المحبة وارتقاء من كامل الى اكمل الى لا نهاية له ولما اخبر تعالى بعلو رتبة
النبي صلى الله عليه وسلم بترقيته في رتب الكمالات والتكميلات الى ما لا نهاية له على وجه هو في غاية البعث لكل مؤمن على المبادرة الى التوبة
اكد ذلك بقوله **والمهجرين والانصار** بحفظ بواتهم ورفع درجاتهم **الذين اتبعوه** اي النبي صلى الله عليه وسلم **في ساعة العسرة**
اي زمنه غزوة تبوك التي كانوا في عسرة من الزمان بالجدب والضيقة الشديدة والحر الشديد وعسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير
واحد وعسرة من الزاد تزود والتمر والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة
ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وسماها ساعة تهوينا لاوقات الكروب وتشجيعا على مواقعة
المكاره فان امدها يسير واجرها عظيم خطير فانه تعالى حالهم باتباعه في هذه الغزوة اكمل من حالهم قبلها واشار سبحانه الى تفاوتهم في

على

على مقاماتها حالية ترقوا بالتوبة الى اعلامها وفي قبول الكل ومن بعدهم التوبة حين قبولها بقوله **من بعد ما كاد** اي قرب قربا عظيما **تزيغ** اي
تزول عن اماكنها الموجبة لصلاحها واشار بمن الى تقارب ما بين كيدوده الزيغ والتدارك بالتوبة ولما كان المقام للتزلزل كان سبب التعبير عما منه
الانقلاب والفرقة فقال **قلوب فريق** اي منهم بحيث يحصل بينهم الفرقة لما هالت من الزلازل المميلة **منهم** اي مع عظيم ما نالهم من الشدائد فتميل
لذلك عن الحق كابي خيثمة ومن احب الراحة وهاب السفر في ذلك الحر الشديد الى بني الاصفر الملوك الصيد الابطال الصناديد وهم ملوك الارض
كثرة وقدرا والحصى عددا ومثل الجبال الشدة ثم عزم لهم على اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع سبحانه بالجميع الى ما كانوا عليه قبل مقاربة الزيغ
من متابعته ولما صاروا والحمد لله بمقاربة الزيغ اعلامهم الى مقام اخر عبر عن عظمته باداة التراخي فقال **ثم تاب عليهم** اي كلهم تكريرا للرفعة
او على من كاد يزيغ بالثبات على مباعدة الزلات والترقي في اعلى الدرجات الى الممات ونقل ابو حيان عن الحسن ان زيغها هو بالانصراف لما لقيت من
المشقة او قيل ساورها اماراته من شدة العسرة وقلة الوفر وبعد المشقة وقوة العدو والقصد انتهى ويجوز ان يكون عبر بثم لوصولهم الى حالة
يبعد معها الثبات فضلا عن مباعدة مواقع الزلات فثبتها حتى عادت كالحديد من فرسيب طاهر بحيث اي وغيره فثبت بذلك انه مالك الملك متمكن من فعل
كل ما يريده وانه لا ولي لهم سواه ثم علل الخفة بهم بقوله **انه بهم رءوف رحيم** والرأفة شدة الرحمة فقدم الابلغ فيقال فيه ما قيل في الرحمن الرحيم
والمعنى انه يرحمهم اعلى الرحمة باسباغ جلائل النعم ودفع جلائل النقم ويرحمهم ايضا باسباغ دقائق النعم ودفع دقائق النقم وقيل الرأفة ازالة
الضر والرحمة ايصال النفع ومادة رأف ورد على السعة على ما تراه في سورة سبحان على غزارة الوصلة والرأفة كما قال الحرالي في البقرة عطف العاطف
على من يجد عنده منه وصلة فهي رحمة ذي الصلة بالراحم والراحم تتم من لا صلة له بالراحم انتهى فتكون الرأفة للتائبين والرحمة لمن قارب الزيغ فيصير
مرحوما مرتين لانه منظور اليه بالصفتين وتقدم عند الحزب من البقرة ما ينفع هنا ولما صرح بالتوبة على من قارب الزيغ وخلطهم باهل الثبات عبارة
الى ان لا احد فقير الى الغني الكبير وليكون اقترانهم باهل الثبات وجعلهم في حيزهم تشريفا لهم ثانيا للثلاثة الذين لانكسارهم اتبعه التوبة على من وقع منه
ثلاثة لانكسارهم اتبع التوبة على من وقع منه الزيغ فقال غير مصرح بالزيغ تعليما للادب في نهي التناصح عن كلامهم واضح الحكم فيهم **وعلى** اي
ولقد تاب الله على **الثلاثة الذين** ولما كان الخالع للقلوب مطلق التخليف بني للمفعول قوله **خلفوا** اي خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجران وجبر الخواطر
المنكسرة ليا اي اخر سبحانه امرهم ولم يخليهم **حتى اذا ضاقت** واشار الى عظيم الامر باداة الاستعلاء فقال **عليهم الارض** اي كلها **بما رحبت**
اي مع سعة اتساعها اي ضاق عليهم فسيحها ووسيعها ولما كان ضيق المحل قد لا يستلزم ضيق الصدر اتبعه الدلالة على انه المجاز فقال **وضاقت عليهم**
بالغم المزعج والهم المقلق **انفسهم** اي بحرمة ما لا في الهجران حتى الكلام ومن رد السلام ولما كان ذلك لا يقتضي التوبة الا بالمراقبة اتبعه بيانا للتخلي بها قوله
وظنوا اي ايقنوا ولعله عبر بالظن ايذانا بانهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم لا تطمئن على حال من الحالات يغتنم بستره الخواطر كان ظنا او يقال وحسن التعبير به عن
يقين المخلصين اشارة الى ان اعلى اليقين في التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هي عليه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره كما قال اصدق الخلق صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا من النفايس فاستعمله في امثاله **ان لا ملجا** اي مهرب ومفزع **من الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة
الا اليه اي بارضيه وهو مثل لتحيرهم في امرهم وجواب اذا محذوف دل عليه صدر الكلام تقديره تداركهم بالتوبة فردهم الى ما كانوا عليه قبل موقعة الذنب
ولما كان ما عملوه من التخلف عن امر الرسول صلى الله عليه وسلم عظيما لمجرد المخالفة ثم بترك المواساة ثم بالرغبة عنه صلى الله عليه وسلم ثم بامور عظيمة شديدة
القبح وخيمة في ما يبعد معه الزيادة عن رتبة التوبة اعلمهم سبحانه انه رقاهم في رتب الكمال لاجل ذلك بسبب التطهير لهم من جميع الادناس وتنقيتهم من
سائر الادران المقتضي لمزيد القرب بالعروج في منصة المعارف كما اشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب رضي ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك
اتبع ذلك التنجي الاعلام به بقوله مشيرا الى بعده لولا فضل الله باداة التراخي **ثم تاب عليهم** اي رجع بهم بعد التوبة الى مقام من مقامات سلامة الفطرة
الذي هو احسن تقويم بعد لعلوه بالنسبة الى ما دونه توبة **ليتوبوا** اي ليرجعوا الى ما يقتضيه الفطرة الاولى من الثبات على ما كانوا عليه من الاحسان في
الدين والتخلق باخلاق السابقين ولعله عبر بالظن موضع العلم اشارة الى انه يكفي في الخوف من جلاله الانقطاع اليه بمجرد الظن بانه طالب اليه الا منه — باذ الاسباب
لانه محيط بكل شيء لا يعجزه شيء ويمكن ان يكون التعبير بثم اشارة الى عظيم ما سواه من الاهوال وما ترقوا اليه من مراتب الخوف وامتنانا عليهم بالتوبة

من عظيم ما ارتكبوا وانما حصل لهن وفقا لهم بان ادخلوا الامر الله لعلو مقامهم عالم من السابقة ورسوخ القدم في الاسلام فالمخالفة اليسيرة منهم تعظم
من الكبيرة من غيرهم لانهم ائمة الهدى ومصابيح الظلم ومن هنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم علل التوبة بما يحثهم وغيرهم ترغيبا فقال معبرا بما
يشير مع اعلاء مقامهم الى نزولهم عن مقام من قبلهم ان الله اي المحيط بكمال الكمال هو اي وحده التواب اي البليغ التوبة على من تاب وان عظم
جرمه وتكررت توبته الرحيم اي المكرم لمن اراده من عباده بان يحفظه على ما يرتضيه فلا يزيغ ويبالغ في الانعام عليه ولما كان الذي تاب لاجله الاقبال
من هولاء عليهم ما وصفهم به من الضيق ومعدن ما هو التقوى والصدق في الايمان كما كان ما يعده الانسان في نفسه من الموت عنده والقرب من النار
احب اليه من التلفظ بصريح [illegible] بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم رغب سبحانه في الصدق فقال يايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك
اتقوا الله اي خافوا سطوته من له العظمة الكاملة تصديقا لدعواكم لذلك تفعلوا الا ما يرضيه وكونوا اي كونا راسخا في جميع الطبع والجبلة
مع الصادقين اي في كل ما يطلب منهم ولعله اخرج الامر مخرج العموم ليشمل كل مؤمن فمن كان مقصرا كانت امرة له بالمحاق ومن كان سابقا كانت حاثة
له على حفظ مقام المسابقة ولعله عبر بمع ليشمل ادنى الدرجات وهو الكون بالحيثية وقد روى البخاري توبة كعب احد هولاء الثلثة رضي الله عنهم في مواضع
من صحيحه منها التفسير وكذا رواه غيره عن كعب نفسه انه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة يعني غزوة
وغزوة بدر وان تخلفه ببدر انما كان لان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينفر الناس اليها ولا حثهم عليها لانه ما خرج اولا الا للعير قال فاجمعت
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قل ما يقدم من سفر سافره الا ضحى وكان يبدا بالمسجد فيركع ركعتين ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي
يعني مرارة بن الربيع العمري وهلال بن امية الواقفي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من
شي اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يصلي علي فانزل الله
عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة رضي الله عنها وكانت ام سلمة محسنة في شاني معنية
في امري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى اذا
رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلوة الفجر اذن بتوبة الله علينا وكان اذا استبشر استنار وجهه حتى كانه قطعة من القمر وكنا ايها الثلثة الذين خلفوا خلفنا عن الامر الذي
قبل من هولاء الذين اعتذروا وحين انزل الله لنا التوبة فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به احد
قال الله عز وجل يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم الاية ولما كان ما نالهم من الهم والاهوال انما هو بتخلفهم عن اشرف الخلق والذي التفتت بهم الى رابع
الاقبال انما هو الصدق قال ناهيا بصيغة الخبر ليكون ابلغ جامعا اليهم من كان على مثل حالهم في مطلق التخلف ما كان اي ما صح وما انبغى بوجه
من الوجوه لاهل المدينة اي التي هي مسكن الرسول صلى الله عليه وسلم وهي دار الهجرة ومعدن النصرة ومن حولهم اي في جميع نواحي المدينة الشريفة
من الاعراب سكان البوادي الذين لا نسمو الكلام ان يتخلفوا اي فاحش الامر عن رسول الله اي الملك الاعلى ومن تخلف منهم الا ولي لا يبعد عن
جناب الرسول لا سيما وهو كان مع الصادقين الذين وقع الامر بالكون معهم ولا يرغبوا اي ولا كان لهم ان يرغبوا ولعله قال لهم بصيغة القلة بالنسبة
الى من اتبعه صلى الله عليه وسلم من جنوده فقال بانفسهم عن نفسه اي التي هي اشرف النفوس مطلقا بان يصونوها عما باشره صلى الله عليه وسلم
بل يلقونها في المتالف دونه وصيانة لنفسه الشريفة عن ادنى الاذى فهي التعليل اللام بالتقوى اي خافوا الله واصدقوه كما صدق هولاء
ليتوب عليكم كما تاب عليهم فانه لم يكن نكير التخلف نهي ابلغ في تقبيح وتوبيخ والهاب وتهييج ولما علل الامر بالتقوى علل النهي عن التخلف
بما يلحقه في صدق الايمان فيصير نقيضه الاعلى نقيضه فقال ذلك اي النهي العظيم عن التخلف في هذا الا كونه بانهم لا يصيبهم ظماء
اي عطش شديد ولا نصب اي تعب بالغ ولا مخمصة اي شدة مجاعة في سبيل الله اي طريق دين الملك الاعظم المتوصل به اليه جهادا اعدائه
ورتب هذه الاشياء ترتيبها في الوجود فان مطلق الحركة تهيج الحرارة فيبث العطش وتماديها يورث التعب والاغلب ان يكون قبل الجوع ولما
كان المقصود من ذلك احضار النفس بما ذكر ارغام الكفار بانتحام رضهم المتوصل به الى اهانتهم بالنيل منهم اتبع ذلك قوله ولا يطؤون موطئا اي وطا
او مكانا وطئا يغيظ الكفار اي وطوهم له بارجلهم ودوابهم ولا ينالون من عدو نيلا اي كائنا ما كان صغيرا وكبيرا الا كتب لهم به اي بخصيها

الاعمال

الاعمال بنحو المعطل ولان القصد اثبات انه لامزيد في عمل صالح اي يرتب عليه اجر جزيل ولما كان فاعل هذه الاشياء متوقفا على العاملين نفسه ومحصلا
لعرض الحيفا اشير على وجه التاكيد في جملة اسمية الى انه محسن اما في حق نفسه فباقامة الدليل بما عاناه على صدق ايمانه واما في حق غيره من المؤمنين فبحمايتهم
عن طمع الكافرين واما في حق الكفار فبحملهم على الايمان بغاية الامكان فالتحم معلل المجازاة ان الله اي الذي له صفات الكمال لا يضيع اي لا يترك
ماهو ثابت الاهمال اجر المحسنين واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا بالوصف ولما كانت المشقة بالانفاق العائد ضرره الى المال ووطي مطلق الارض
الذي فقد لا يلزم منه وصول الى ما يغيظ العدو دون المشقة الحاصلة في النفس بالظما وما معه من فعل ما يغيظ العدو وينقصه قدم ذلك على قوله
ولا ينفقون ولما كان القليل قد يحتقر ابتدا به ترغيبا في قوله نفقة صغيرة ولما كان ربما تعنت متعنت فجعل ذكرها قيدا قال ولا كبيرة
اعلاما بانه معتد به لئلا يترك وفيه اشارة الى الاية الامر المطوعين في الصدقات ولا يقطعون واديا اي من الاودية بالسير في الجهاد والوادي كل
منفرج بين جبال او اكام ينفذ فيه السيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال الا كتب لهم اي ذلك الانفاق والقطع بناه للمفعول لان
القصد الحفظ بالكتابة مطلقا ليجزيهم الله اي ذو الجلال والاكرام بذلك من فضله احسن ما كانوا اي جبلة وطبعا يعملون مضاعفا
على قدر النيات وانزل في فاصلة الاولى دون هذه لزيادة تلك في المشقة والنفع ولذا صرح فيها بالاجر والعمل الصالح لتبعد عن ذلك الادماج
ابو حيان ومن هنا بل من عند ان الله اشترى شرع في عطف الاخر على الاول الذي مضمونه البراءة من المشركين والاجتهاد في قتالهم بعد انقضاء مدتهم
حيث وجدوا الى ان قال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله الى ان قال ما لكم اذا قيل لكم انفروا في
سبيل الله اثاقلتم الى الارض ثم قال انفروا خفافا وثقالا ثم اتبع ذلك قصص المنافقين كما انه فعل هنا كذلك ثم ختم بقوله قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار الاية ثم اتبعها ذكر المنافقين ولما توالت النواهي للمتخلفين وتواصلت الزواجر وتعاظم التبكيت والتهديد
طارت القلوب واشفقت النفوس فكان ذلك مظنة ان لا يتخلف بعدها احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن تقويم مقامه فيتمكن حرا الاعداء
من الاموال والذراري والعيال فاتبع ذلك قوله تعالى وما كان المؤمنون اي الذين حثهم على النفر الرسوخ في الايمان لينفروا كافة اي جميعا
فان ذلك يخل بكثير من الاغراض الصالحة وهو تعليم لما هو الانسب بالدين والدنيا من انقسام الناس قسمين قسما للجهاد وقسما للتفقه وحفظ
الاموال والاولاد وكذلك امره عليه السلام والعمل بما يرضاه ولكن ذلك على المخلص ولعل التعبير بالفعل الماضي في قوله سببا عما قبله
فلولا نفر لبقيهم تبكيت من قصر بتبكيته من المتخلفين في جميع هذه السورة بانه كان عليهم ان ينفر مع النبي صلى الله عليه وسلم من كل فرقة اي
كثير بسهل افرادهم قالوا وهو اسم يقع على ثلثة منهم طائفة اي ناس لا ينفكون حافين بالنبي صلى الله عليه وسلم نوبة قيل والطائفة
واحد او اثنان فالاية حجة على قبول خبر الواحد وعلى وجوب العمل به وكانه عبر بها للاشارة الى الحث على كثرة النافرين كما هو اصل مدلولها الا
فيه ليتفقهوا اي ليكلف النافرون انفسهم الفهم منه صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا في الدين اي بما يسمعونه من اقواله ويرونه من جميل افعاله
ويصل الى قلوبهم من مستنير احواله وهذا غاية الشرف للعلم حيث جعل غاية الملازمة له صلى الله عليه وسلم في الجهاد هذا ان كان هو صلى الله عليه وسلم
النافر في تلك الغزاة وان كان غيره كان ضمير ليتفقهوا للباقين معه صلى الله عليه وسلم ولما كان العلم بشارة ومنه نذارة وكان الانسان لما فيه
من النقصان احوج شي الى النذارة خصها بالذكر فقال عاطفا على نحو ليخافوا في انفسهم فيعملوا في خلاصها ولينذروا قومهم اي يحذرونهم
ما امامهم من المخاوف ان فرطوا في جانب التقوى اذا رجعوا اليهم اي ما انذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويبشروهم بما بشرهم به
ثم بين غاية العالم مشيرا الى انه جعل الغاية غيرها من ترفع وافتخار وتفضل ضلالا كبيرا فقال مرجيا بالقبول من بلغهم لعلهم اي كلهم
يحذرون اي ليكون حالهم حال اهل الخوف من الله بما حصلوا من الفقه لانه اصل كل خير به تنجلي القلوب فتقبل على الخير وتعرض عن الشر فان الحذر
تجنب الشي لما فيه من الضرر والمراد بالفقه هنا حفظ الكتاب والسنة وفهم معانيهما من الاصول والفروع والاداب والفضائل وقال
الرماني الفقه فهم موجبات المعاني المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها ولما علمت المقاصد وتهيأت القلوب لقبول الفوائد وامر بالانذار بالفقه
وكان الناس لا يرجع الا بشدة الباس اقبل على الكمل المخاطبين بها بادنى اسنان القلوب المتوجه الى الادنى دينا والاعلى منزلا بالادنى فقال

يا ايها الذين امنوا اي ادعوا بالسنتهم الايمان قاتلوا اي تصديقا لدعواكم ذلك الذين يلونكم اي يقربون منكم من الكفار فالذين يلونهم ان لم تردوا غيرهم
اصلح لمعتبرين ملتجين ذلك من حسن الترتيب ومقتضى الحكمة ولان الجهاد معروف وفضله للاقرب اولى بالمعروف ولتبعدوا العدو عن بلادكم فيكثر
صلاحكم ويقل فسادكم وتكونوا قد جمعتم بالتفقه والقتال بين الجهادين جهاد الحجة وجهاد السيف مع الامر على هذا الترتيب لانه ميسر ومن واكم
اذا قاتلتم تحشون كيده ولما كانت الملاينة اولى بالمسالمة والمخاشنة اولى بالمصارمة قال وليجدوا اي لم يجدوا فيكم غلظة اي شدة
وحمية لان ذلك اهيب في صدورهم واكف عن فجورهم وحقيقة الغلظة في الاجسام استعيرت هنا للشدة في الحرب وهي تجمع الجراة والصبر على القتال
وشدة العداوة فاذا فعلوا ذلك كانوا جامعين بين جهادي الحجة والسيف كما قيل ٭ فما هو الا الوحي او حد مرهف ٭ تميل ظباه اخدعي كل مائل ٭
نبه عليه ابو حيان ولما كان التقدير وليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال او جاه فانهما ملاك الامر كله نبه بقوله على ذلك المعقول له واعلموا ان الله اي الذي
له الكمال كله مع المتقين فلا تخافوا ان يودي شي من مصاحبتها الى وهن فان العبرة بكون الله معه ولما ذكر هذه السوق الى الطائفة الخاصة
بصيغة لولا على النفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر بجهاد الكفار والغلظة عليهم وكان لا يحمل على ذلك الا ما افاد اليه ختم الاية السالفة
من التقوى بتجديد الايمان كلما انزل شي من القران وكان قد ذكر سبحانه المخالفين الامرين بالتخلف ولم الايمان حين قال واذا انزلت سورة ان امنوا
بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين النفقة الى ان ذكر القسم الاخر وهو القاعد عن الايمان فقال
واذا واكد بالنافي تنبيها على فضل الايمان فقال ما ولما كان المنكي لهم مطلق النزول بني للمفعول قوله انزلت سورة اي قطعة من القران
في معنى من المعاني فمنهم اي المنزل اليهم من يقول انكارا او استهزاء وهم المنافقون ايكم اي ايها العصابة المنافقة زادته هذه ايمانا لانهم لما لم
متقصفون باصل الايمان لان الزيادة ضم الشي الى غيره مما يشاركه في صفته هذا ما يظهرون تسترا واما حقيقة حالهم عند امثالهم فالاستهزاء
استبعادا لكونها تزيد احدا في حالة شيئا وسبب شكهم واستفهامهم جهلهم بمعنيها انقسم الى قسمين مومنين ومنافقين ولذا اجاب تعالى بقوله
مسببا عن ان لهما فاما الذين امنوا اي اوقعوا الايمان حقيقة لصحة امزجة قلوبهم فزادتهم اي تلك السورة ايمانا اي بايمانهم بها الى ما
كان لهم من الايمان بغيرها وبتدبرها ورقة القلوب بها وفهم ما فيها من المعارف الموجبة لطمانينة القلوب وثلج الصدور ولما كان المراد بالايمان الحقيقة
وكانت الزيادة منه تستلزم بيرعليه تتعرض ان يقول الا ايمانهم لذلك ولدلالة الذين امنوا عليه وهم يستبشرون اي يحصل لهم البشر بما زادتهم من
الخير الباقي الذي لا يعدله شي واما الذين وبين انه اشرف ما فيهم مسكن الافة فقال في قلوبهم مرض اي منعهم الايمان واثبت لهم الكفر اذ لم
يومنوا ولما كان المراد بالمرض الفساد المعنوي المودي الى الخبث العقيدة عبر عنه بالرجس فقال فزادتهم رجسا اي اضطرابا موجبا للشك و
زاد الامر بيانا بان المراد المجاز بقوله الى رجسهم اي شكهم الذي كان في غيرها وماتوا اي واستمر لهم ذلك لتمكنه عندهم الى ان ماتوا وهم كافرون
اي عريقين في الكفر وسمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في الروح يحتاج الى العلاج كفساد البدن في الاحتياج ومرض القلب اعضل واعلاجه
اعسر واشكل ودواه العز واطباوه اقل ولما زاد الكفار بالسورة رجسا الى رجس كفرهم كانت كانها هي التي زادتهم وحسن وصفها بذلك
كما حسن كفى بالسلامة داء وكما قال الشاعر ٭ ارى بصري قد رابني بعد صحة ٭ وحسبك داء ان تصح وتسلما ٭ قال الرماني فالمومنون
يخبرون عن زيادة ايمانهم وهو لا يخبرون عن حدوثه في وجدانهم فهذا موجب شكهم وتماديهم في غيهم الى هلكهم ولو انهم رجعوا
الى حاكم العقل لازال شكهم وعرفهم صدق المومنين بالفرق بين حالتيهم فان نظهور الثمرات مزيل للشبهات والاية من الاحتباك
اثبات الايمان اولا دليلا على حذف ضده ثانيا واثبات المرض ثانيا دليلا على حذف الصحة اولا ولما كان التقدير تسببا عما جزم به
من الحكم بعراقتهم في الرجس وازديادهم منه انهم لا يرون الى ما هم فيه من النفاق وثباتهم عليه عطف عليه تقريرهم بعذاب الدنيا
والانكار عليهم في قوله او لا يرون اي المنافقون قال الرماني والروية هنا قلبية لان روية العين لا تدخل على الجملة لان ما يرى
لا يكون مخبر عنه تختلف انهم اي المنافقين ولما كان مطلق وقوع الفتنة من العذاب بني للمفعول قوله يفتنون اي يخالطون من حوادث
الزمان ونوازل الحدثان بما يضطرهم الى ابداء اخلاقهم بالامتحان الى ما هم فيه من نفاقهم في كل عام اي وان كان الناس خصب ما يكونون وارفعه عيشا

مرة او مرتين فيفتضحون وذلك موجب للتوبة للعلم بانه يعلم سرائرهم التي هم مجتهدون في اخفائها عالم بكل شي قادر على كل مقدور
فهو جدير بان يمتثل اوامره ويخشى زواجره ولما كان عدم توبتهم مع فتنتهم على هذا الوجه مستبعدا اشار اليه باداة التراخي فقال
ثم لا يتوبون اي يجددون توبة ولا هم اي بضمائرهم يذكرون اي ادنى تذكر بما اشار اليه الادغام فلولا انه حصلت لهم زيادة في الرجس
او شك تكرار الفتنة ان يوهي رجسهم الى ان يزيله ولكن كلما اوهي شيئا خلفه مثله او اكثر بسبب الزيادات المترتبة على نجوم القران
والتذكر طلب الذكر للمعنى بالتفكر فيه فالاية ذامة لهم على عدم التوبة باصابة المصائب لعدم تذكرهم انه سبحانه ما اصابهم بها الا بذنوبهم
ويعفو عن كثير كما ان الحدس الايعامي فتاه الاهزنب وما الهيت فصولوا الى عقابه ولما ذكر ما يحدث منهم من القول استهزاء اتبعه تاكيدا
لزيادة كفرهم وتوضيحا لتصويره ما يحدث في فعلهم استهزاء بالايماء والتغامز بالعيون فقال واذا واكد بالنافي فقال ما ولما
كان الغرض نفس النزول لا التعيين المنزل بني للمفعول قوله انزلت سورة اي طائفة من القران نظر بعضهم اي المنافقين الى بعض اي متغامزين
سخرية واستهزاء قائلين هل يريكم واكدوا العموم فقالوا من احد اي من المومنين ان انصرفتم فانه يشق علينا سماع مثل هذا ويثقل
علينا ان يطلع المومنون على هذا السر منا ولما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام مستهجنا اشار الى شدة قبحه باداة التراخي فقال ثم انصرفوا
اي انهم لم يكن احد يراهم وان راهم احد من المومنين تخشعوا المشقة وتبعوا ولما كانوا متحقين لكل سو اخبر عنهم في اسلوب الدعاء بقوله
صرف الله اي الذي له الغنى المطلق والكمال كله قلوبهم اي عن الايمان ثم علل ذلك بقوله بانهم قوم وان كانوا ذوي قوة على ما يحاولونه وانهم
لا يفقهون اي قلوبهم مجبولة على عدم الفهم لما بان من الغلظة وهذا دليل على ختام الاية قبلها وهاتان الايتان المختتمتان بلا يفقهون والتي لبيان
الامر بالجهاد في قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار والموازية لانفروا خفافا وثقالا الاية قد احتوتا مع حائز تيهما على حاصل اوصاف المنافقين البالية
لاية انفروا والمختتم ما هو العام منهما في اهل الحاضرة في قوله استاذنك اولوا الطول منهم بلا يفقهون ثم عند اعادة ذكرهم بلا يعلمون وتضيق هاتين
الايتين الى اهل الحاضرة لظاهر كونهم ممن يحضر نزول الذكر كثيرا مع احتمالهما للعموم والختم هنا بلا يفقهون انسب لان المقام وهو النظر في زيادة الايمان
بالنسبة اليهم يقتضي فكرا وتاملا وان كان بالنظر الى المومنين في غاية الوضوح ولما امر صلى الله عليه وسلم ان يبلغ هذه الاشياء الشاقة جدا من امر
هذه السورة وكان من المعلوم انه لا يحتمل ذلك الا من وفقه الله ولما المنافقون فيكرهون ذلك وكان النصر انهم الاعلى الكراهة عرفهم ان الامر كان
يقتضي توفر دواعيهم على محبة هذا الداعي لهم المقتضي لملازمته والبعد عما يفعلونه من الانصراف عنه من احواله الداعية لهم الى المحبة اعظم
احوال ابائهم التي اوجبت لهم منهم من المحبة عليهم من الحقوق وما هم مفتخرون به بالتلبس والمغالاة به من النسب وان كل ما يحصل لهم من القران من العز
والشرف في الدنيا فهو لهم بل لمن امن به فقال لقد جاءكم رسول كان الامر واجب اكرامه والتوفر في خدمته لاجل مرسله ولو تجرد عن غير ذلك من شرع يزكيهم
نبه ومما يقتضي لهم مزيد اكرامه فقال من انفسكم اي تعرفون معدنه في نفسه على صحة بانكم اقرب به لكثرة ذلك قريب الى الالفة واسرع الى فهم الحجة وابعد
من المحك واللجاج عزيز اي شديد جدا عليه ما عنتم والعزة امتناع الشي بما يتعذر معه مما يحاول منه بالقدرة او بالقلة او بالصعوبة و
العنت لحاق الاذى الذي يضيق الصدر به ولا يهتدي للمخرج حريص اي بليغ الحرص عليكم اي على نفعكم والحرص شدة طلب الشي على الاجتهاد
فيه وقدم الجار لافادة الاختصاص فقال بالمومنين اي الغريقين في هذا الوصف خاصة ولما ذكر الوصف المقتضي للرسوخ قدم ما يقتضي
العطف على من يتسبب له بما يقتضي الوصلة فقال روف اي شديد الرحمة لمن له منه عاطفة وصلة لما تقدم من معنى الرافة قريبا ولما كان المومن بطلق
مجازا على من يكون منه الايمان وصلة الله ليس بالفعل بل بالارادة قال لتعميم الرحمة عليه السلام كما هو اللائق بشريف منصبه وعظيم خلقه رحيم ولكل
مثل هذه الاعراض النفيسة رتب سبحانه هذين الوصفين هكذا او لكل المعنى المراد تارة يظهر الله تعالى لعبده منحة له واكراما وتارة يخفيها اظهارا
لعجزه ونقصانه ثم يظهرها له في وقت اخر لزيادة في التضرع واظهار الاستسلام للافتقار والتذلل ودوام الطلب لغيره ممن هو اقل منه علما
واضعف نظرا وفهما واذا تاملت كتاب هذا ظهر لك ان كثيرا من الايات فسرها على غير المراد منها قطعا اكابر العلماء فعلى الانسان اذا خفي عليه
امر ان يقول الله اعلم ولا يظن انه رتب شي من هذا الكتاب العزيز لاجل التوصل فذلك مما لا يليق بكلام الله تعالى وقد عاب النبي صلى الله

السجع لان المتسجع يكون محط نظره الالفاظ فيدير المعنى عليها ويتبعها اياها فربما عجز اللفظ عن توفية المعنى روى البخاري في الطب وغيره ومسلم في الديات وابو داود والنسائي وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في الجنين يقتل في بطن امه بغرة عبد او وليدة فقال الذي قضي عليه كيف اغرم ما لا شرب ولا اكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك بطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هذا من اخوان الكهان من اجل سجعه الذي سجع وفي رواية فقال النبي عليه السلام سجع كسجع الاعراب وغير ذلك والله اعلم انه لو كان نظره الى المعنى وتصحيحه اغنى عن هذا السجع ان يقال كيف اغرم من لا حياة له ولو قصد السجع وتهذيب المعنى لاتى بما يدل على نفي الحياة التي جعلها محط امره فان من اتى به لا يستلزم نفيها ولو تقيد بالصحة لاغتنى بنفي النطق عن نفي الاستهلال فصح بهذا انه دائر مع تحسين اللفظ صح المعنى ام لا ولا ينطبع في عقل عاقل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يذم السجع وهو يأتي به ويقصده في القرآن او في السنة ولو كان ذلك لاسرعوا الرد عليه وذكر اصحاب فتوح البلاد في فتح مكران من بلاد فارس ان الحكم بن عمرو لما افتتحها امر باخماس مع صحاري العبدي فلما قدم على عمر رضي الله عنه ساله عن مكران وكان لا ياتيه احد الا ساله عن الوجه الذي يجيء منه فقال يا امير المؤمنين ارض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل بها ضائع وما وراءها شر منها فقال اسجاع انت ام مخبر فقال بل مخبر قال لا والله لا يغزوها جيش لي ما اطعت فقد جعل الفاروق السجع قسيما للخبر فدل على ان التقيد به يجيب لاخلاله بالفائدة او بتمام الفائدة ولعله انما جوز ان يكون مخبرا لانه انقلع عن السجع في آخر كلامه وكرر لفظ قليل فكانما ظنه لانه لو اراد السجع لامكنه ان يقول والكثير بها دليل والقليل بها ضائع كليل وما وراءها شر منها باقوم قيل وقد نفى سبحانه عن هذا القرآن المجيد تصويب النظر الى السجع كما نفى عنه الشعر فانه قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فكما ان قول الشاعر اتيانه بالكلام موزونا فكذلك قول الكاهن اتيانه بالكلام مسجعا والقرآن ليس من هذا ولا من هذا وان وقع فيه كل من الامرين فغير مقصود اليه ولا معول عليه بل لكون المعنى انتظم به على اتم الوجوه فيؤتى به لذلك ثم تبين انه غير مقصود بالانفكاك عنه في كثير من الاماكن بقرينة ليس لها مجانس في اللفظ تمام المعنى المراد عندها فيعلم قطعا ان الحرف غير مقصود اصلا لان مثل ذلك لا يرضى به اقل الساجعين بل يراه عجزا وضيقا عن تكميل المشاكلة ونقصا تعالى الله عنه علوا كبيرا ومما يوجب القطع بان ترتيب هذين الاسمين الشريفين هكذا لغير رعاية الفواصل قوله تعالى في سورة الحديد وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وسيأتي ان شاء الله تعالى في سورة طه عن الفخر الرازي والقاضي ابي بكر الباقلاني منع النظر الى السجع في الكتاب العزيز نقلا عن جميع الاشاعرة واذا تاملت الفواصل في الايات بها تارة بكثرة وتارة بقلة وتارة تترك اصلا ويؤتى في كل اية بفاصلة لا توافق الاخرى علمت ان هذا المذهب هو الصواب ولا سيما اخر سورة اقرأ واذا تاملت كتب اهل العدد اتقنت علم هذا المستند واذا تاملت ما قلته في هذا النحو في كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور لم يبق عندك شك في شيء من هذا فاياك ان تحتج لهذا القول فتكون قد وقعت في امر عظيم وانت لا تشعر ولو رد سبحانه هذه الاية ايراد المخاطب المتلطف المزيل لما عندهم من الريب بالقسم فكانه قال ما لكم تنفرون عن حضرته الشماء وشمائله العلي والله لقد جاءكم الى الخر ثم اقبل عليه مسليا له مقابلا لاعراضهم ان اعرضوا بالاعراض عنهم والبراءة منهم ملتفتا الى اول السورة الامر بالبراءة من كل مخالف قائلا مسببا عن النصيحة بهذه الاية التي لا يشك عاقل في مضمونها فان تولوا اي صدوا على تكليف نفوسهم الاولان ولو امر بين عنك بالانصراف المذكور او غيره بعد النصيحة لهم بهذه الاية فقل اي استعانة بالله حسبي اي كافي قال الرماني وهو من الحساب لانه يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمته ما لا يبلغ الحد في الاية اذ نعمه دائمة ومننه متظاهرة الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له وانما كان كافيا لانه لا اله الا هو فلا شريك له ولا راد لامره ولا معقب لحكمه ولما قام الدليل على انه لا كفو له وجب قصر الرغائب عليه فقال عليه اي وحده توكلت لان امره نافذ في كل شيء وهو رب اي مالك ومخترع ومدبر ولما كان هذا السياق للقهر والكبرياء بالبراءة من الكفار والكفاية لكل ابرار كان المقام بالعظمة انسب كانت الاية افتتاحا فقال العرش العظيم اي المحيط بجميع الاجسام الحاوي لسائر الاجرام الذي ثبت باية الكرسي وغيرها ان ربه اعظم منه لان عظمته على الاطلاق فلا شيء

الا هو

الا هو في قبضته وداخل في دائرة مملكته واذا كان كافي فانا بريء ممن تولى عني وبعد مني كائنا من كان في كل زمان وحين فقد انتظم اخر السورة باولها وصلح مختتمها بمبتداها فكانما نتيجته من سئل النقاص في ضيحا وفي فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله والله تعالى اعلم قال مخرجه الجزء ويخطه مولفه رحمه الله ما نصه اخر الجزء الثاني من كتاب نظم الدرر من تناسب الآي والسور انشاء كاتبه افقر الخلائق الى عفو الخالق ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي وكان الفراغ منه في يوم السبت السادس عشر من شهر شوال سنة سبعين وثمانمائة بمسجدي من رحبة العيد من القاهرة المعزية جعلها الله دار السلام الى يوم القيامة قال مبرده ومنشيه والمفتتح عن خفي سره ومعانيه وكنت فرغت من مسودته في محرم سنة اربع وستين ثم نقلته على ما عليه الى المبيضة وحررته واحرزت اول القرآن العظيم الى هنا في ... فرغت من المبيضة في صفر سنة خمس وستين هذا ما قعدني ذلك من موت اولادي وطول النكاد بمرض طال وتعاظم فيه الاشكال ثم الحقت فيه كثيرا بحيث صارت المبيضة مسودة ثم رايت بعد وصولي الى سورة يوسف انه غير موف بالمقصود فكنت اريد عمله على هذا المنهج الذي تحرر لي ولا اقدر فتعوق والاكدار تمنع الى ان يسر الله ذلك بعد وصولي الى سورة القصص في ... لم ... العزم وايقظت عين الفكر واعانني الله وله الحمد وتانيت في تحريره اكثر مما تانيت في الاول المبتداة وتعبت في تحريره ولو لاني سلكت هذا الطريق النفيس وليس لي فيه سلف فكنت اقوم فيه واقعد واهتدي تارة وتارة اشرد الى ان استقام لي المنهج واعتدل بي السنن بعد بضع سنين في السورة المذكورة فرجعت الى الاول فاتممت في تحرير نحو سنين حتى يسر الله وله الحمد تمامه في التاريخ المذكور من سنة سبعين وذلك بعد دخولي في السنة العاشرة من ابتدائي فيه وتلك هي الكرة الرابعة من تحرير هذا الثلث والله المسؤول ان يجعله موجبا للفوز لديه والوصول من غير محنة اليه انه على كل شيء قدير وهو بالاجابة جدير الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما حسبنا الله ونعم الوكيل انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علما قال احوج الخلائق الى عفو الخالق ابو الحسن ابرهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي لطف الله بهم

سورة يونس عليه السلام

وهي اولى المئين وان جعلنا براءة مع الانفال من الطول والا فبراءة اولاهن مقصودها وصف الكتاب بانه من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة وانه ليس الا من عنده سبحانه لان غيره لا يقدر على شيء منه وذلك دال بلا ريب على انه واحد في ملكه لا شريك له في شيء من امره وتمام الدليل على هذا قصة قوم يونس عليه السلام بانهم لما امنوا عند المخايل كشف عنهم فدل قطعا على ان الاتي به هو الله الذي امنوا به اذ لو كان غيره لكان ايمانهم به موجبا للايقاع بهم لو عريه لغيرهم لقدرته على عادة الدهر كما قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء ودل ذلك على ان عذاب غيرهم من الامم انما هو من عند الله لكفرهم لما اتسق من اطراد احوال الامم من انه كلما جدد الامر على التكذيب جدد العذاب وعكسا من انه كلما انتفى في وقت يقبل قبول التوبة انتفى والله الموفق بسم الله اي الذي لا امر لاحد سواه فلا كلام يشبه كلامه فلا كقوله الرحمن الذي عم بكلامه جميع خلقه باوضح البيان الرحيم الذي اتم لمطيعهم نعمة الامتنان الر فخم الف را ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم واما الها وعن نافع بين بين والباقون بالامالة المحضة والفصل في ذلك الفتح وكذا ما كان من امثالها من الفاتها التي ليست منقلبة عن ياء نحو ما ولا وامالتها للتنبيه على انها اسماء للحروف وليست حروفا نقل ذلك عن الواحدي لما ختم في اول الاعراف الحث على ابلاغ النصيحة بهذا الكتاب وفرع مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقائع الاولين ومصارع الماضين ومما استتبع ذلك من توصيل القول في ترجمة هذا النبي الكريم مع قومه في اول امره واثنائه واخره في سورتي الانفال وبراءة وختم ذلك بان سورة الكتاب يريد كل احد بما هو ملايم له متهيئ لقبوله وتبعده عما هو مناف له بعيد عن قبول ملائمته وان الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قد حوى من الاوصاف والحلى في الاوصاف العلي ما يوجب الاقبال عليه والاسراع اليه والاخبار بان توليهم عنه لا يضره شيئا لان ربه كافيه لانه لا مثل له وانه ذو العرش العظيم لما كان ذلك كذلك اعاد سبحانه القول في شان الكتاب الذي افتتح به الاعراف وختم به سورة التوبة وزاده وصف الحكمة واشار باداة البعد الى رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال تلك اي الايات العظيمة جدا التي اشتملت عليها هذه السورة او السورة التي تقدمت هذه السورة او هذه الحروف المقطعة المشيرة الى ان القرآن كلام الله والا لما عجز القادرين

على التلفظ بهذه الاحرف **ايات الكتاب** اي الذكر الجامع لكل خير وهو هذا القران الذي دانوا بما فيه من القصص كلها في التورية والانجيل من ذلك
فدل ذلك على صدق الاتي به قطعا لانه لم يكن يعرف شيئا مما في الكتابين ولا جالس احدا يعلمه **الحكيم** فكانه فيما مضى ان كونه من عند الله كاف
في وجوب اتباعه وفيما هنا تاكد الوجوب بكونه مع ذلك حكيما والاية العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والحكيم الناطق بالحكمة
وهي المعرفة بما يجتمع عليه مما يمنع العقل من الفساد والنقص استعير له ذلك لانه دليل كالناطق بالحكمة لانه يؤدي الى المعرفة التي يميز بها
طريق النجاة من طريق الهلاك وهو حاكم يبين الحق من الباطل في الاصول والفروع ويحكم بالعدل الذي اجود فيه بوجه في كل نازلة ويحكم
لما اتى به مانع لمن الفساد لا يمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا تغيره الدهور هذا ما ظهر لي في التحامها بما قبلها وقال الامام ابو جعفر بن
الزبير لما تضمنت سورة براءة قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله ورحمة للذين امنوا منكم والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقوله لقد جاءكم رسول الى اخر السورة الى ما تخلل اثناء هذه السورة الكريمة مما شهد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بتخصيصه بمزايا السبق والقرب الاختصاص والملاطفة في الخطاب ووصفه بالرافة والرحمة هذا مع ما انطوت عليه
والانفال عليه من قهر اعداه وتاييده ونصره عليهم وظهور دينه وعلو دعوته واعلاء كلمته الى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه كان ذلك
كله مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك وميز المتحير ساكن الحسد من العدو لتعظيم ما منحه عليه السلام قال تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا
الى رجل منهم ان انذر الناس الى السحر مبين ثم قال ان ربكم الله الايات فبين انفراده تعالى بالربوبية والخلق والاختراع والتدبير فكيف يعترض
افعاله او يطلع البشر على وجه الحكمة في كل ما يفعله ويبديه واذا كان الكل ملكه وخلقه فيفعل في ملكه ما يشاء ويحكم في خلقه بما يريد ذلكم
الله ربكم فاعبدوه ما خلق الله ذلك الا بالحق ثم توعد سبحانه الغافلين عن التفكر في عظيم اياته حتى ادتهم الغفلة الى مركب سلوكهم في التعجب
والانكار حتى قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وهذه مقالات الامم
المتقدمة قالوا ما انتم الا بشر مثلنا ما نراك الا بشرا مثلنا انؤمن لبشرين مثلنا ان هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم
فقال تعالى متوعدا للغافلين ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا الاية ثم وعد المعتبرين فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم الايات وكل هذا يبين التحام جليل الالتئام من الكلام ثم تناسجت اي السورة انتهى ولما كان كونه من عند الله مع كونه حكيما
حكيما موجبا للقبول بادي بدء وكان المتروي فيه لما تقرر في العقول وجبلت عليه الفطر من انه تعالى الخالق الرازق كاشف الضر وصبر الامر كان ذلك موضع
ان يقال لهم ما حالهم اذا تلي عليهم فقيل لم يؤمنوا فقيل ما شبهتهم هل قدروا على معارضته او الطعن في حكمته فقيل لا بل تعجبوا من انزاله على محمد
صلى الله عليه وسلم وليكن تعجبهم ما لا ولا باقدامهم سنا فرجع حاصل تعجبهم الى ما قالت الامم الماضية فانه لو اراد ذلك امتنع قالوا ما نتعجب وهل ذلك
محل العجب **اكان** اي بوجه من الوجوه **للناس** اي الذين هم اهلية التحرك والمشي **عجبا** والعجب تغير النفس بما لا يعرف سببه مما خرج عن العادة
ثم ذكر الناسي على التعجب وهو انهم كانوا فقال بعد ما حصل لهم منه تشوقا اليه **ان اوحينا** اي القينا او امرنا بما لنا من العظمة بواسطة رسلنا في خفاء
منهم **الى رجل** اي هو في غاية الرجولية وهو مع ذلك **منهم** بحيث انهم يعرفون جميع امره كما فعلنا بمن قبلهم والملك العظيم لملك المالك
الناس الملك لا اعتراض عليه فيما به تظهر خصوصية مما علا من شاء ولما كان في الايحاء معنى القول فسره بقوله **ان انذر الناس** اي عامة
وهم الذين تقدم ذكرهم او الذين قد علم ما امامهم من البعث وغيره ان لم يؤمنوا اصلا او ايمانا خالصا في كل معصية صغيرة او كبيرة
وكل هفوة جليلة او حقيرة على اختلاف الرتب وتباين المقامات **وبشر** اي خص **الذين امنوا** اي اوجدوا هذا الوصف بقبول
حسناتهم وتكفير سيئاتهم والتجاوز عن هفواتهم ورفع درجاتهم كما تمام ارسال الرسل قبله وكما هو مقتضى العدل في اثابة الطائع و
عقاب العاصي وفي الانذار الاعلام بما ينبغي ان يحذر منه والتبشير التعريف بما فيه السرور واضاف القدم الذي هو السابقة بالطاعة
الى الصدق في قوله موصلا بمحل البشارة الى المبشر به ذوي خبر **ان لهم** اي خاصة **قدم صدق** اي اعمالا لاحقة ثابتة قدموها
لانفسهم صدقوا فيها واخلصوا فيما يسروا له لانهم خلقوا له وكلا ما يسعى اليه بالاقدام وزاد في البشارة بقوله **عند ربهم**

ففي

ففي اضافة القدم تنبيه على انه يجب ان تخلص الطاعة كاخلاص الصدق من شوائب الكذب وفي التعبير بصيغة الاحسان اشارة الى المضاعفة
ولما انبته ان المرسل والمرسل به على وفق العادة انتفى ان يكون عجبا من هذه الجهة فصار المحل قابلا لان يتعجب منهم فيقال ماذا قالوا حين اظهروا
التعجب فيما اتى به من اراده عجبا **قال الكافرون** اي الراسخون في هذا الوصف منهم ومن تبعهم غيرهم مؤكدين لما يحق لقولهم من الانكار **ان هذا** اي القول وما تضمنه
من الاخبار بما لا نعرفه من البعث وغيره **لسحر** او مع لساحر كما في قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي **مبين** اي ظاهر في نفسه وهو من شدة ظهوره مظهر
لكل شيء انكروا التعجب وابانوه في غاية البعد من وصفه فان السحر قد تقرر لكل ذي لب انه مع كونه غرورا لا حقيقة له شر محض ليس فيه شيء من الحكمة فضلا عن
ان يشتمل على الذروة منها مع ان في ذلك الرد عليهم امرا مشتقا وهو انه من قبل البشر كما هي العادة في السحر وانهم لا يجزون عنه لان السحر فعل تخفى الحيلة
فيه حتى يتوهم التعجب انه قد اعجز فعلوا بالعجز عنه وكذبوا في ادعاء انه سحر لان الاتي به منهم لم يفارقهم قط ولا خالط عالما بالسحر ولا بغيره حتى
يتوهم مخالطتهم فيه شبهة فهم يعلمون ان قولهم في غاية الفساد فشرع سبحانه يقيم الدليل على بطلان قولهم انه مع ما تضمنه من البعث سحر وعلى حقيته
انه من عنده من غير شبهة وعلى ان الرسالة لا عجب فيها لانه سبحانه خلق الوجود كله وهو نافذ الامر فيه وقد ابتلى من فيه من العقلاء عليه ما هو اليه و
محتاجهم فلما لم يخلهم سدى لانه حكيم فلا بد من رسول يخبرهم بما يرضيه وما يسخطه ليقيم بذلك الحجة فقال **ان ربكم** اي الموجد لكم والمربي
المحسن **الله** اي الذي ان تذهب شيئا ينبغي ان يكون حكيما وقادرا على الباطل وصالحا من ان تقطعوا انفسكم من سنة مغفلة تعلموا ان هذا
الكتاب من عنده من له العظمة كلها قطعا وانه قادر على بعثكم لانه ربكم **الذي** بدا الخلق بان **خلق** اي قدر واوجد **السموات
والارض** على اتساعهما وكثرة ما فيهما من المنافع **في ستة ايام** لحكم اراده على ان ذلك وقت يسير لا يفعل مثل ذلك في مثله
الا من لا يعجزه شيء ولما اوجد سبحانه هذا الخلق الكبير المتباعد الاقطار الواسع الانتشار المفتقر الى عظيم التدبير ولطيف التصريف
والتقدير عبر سبحانه عن عمله فيه عمل الملوك في ممالكهم بقوله مشيرا الى العظمة باداة التراخي **ثم استوى** اي عمل في تدبيره واتقان ما فيه
واحكامه عمل المعتني بذلك **على العرش** المتقدم وصفه بالعظمة وليست ثم للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وبعد منالها والاستواء بقوله
يدبر لان التدبير احد احوال الملك فالاستواء كناية عنه **الامر** اي كله فلا يخفى عليه عاقبة امر من الامور فحصل الامن بهذا من ان يفعل شيء
بغير علمه لان التدبير تنزيل الامور في مراتبها على احكام عواقبها وهو مع ذلك منزه عما تعرفونه من احوال الملوك من انه يكون في ممالكهم
من يقضي بعض الامور بغير اذن منهم وان علموا به لعجزهم عن المجاهرة بادامة فعله بل هو متصف بانه **ما من شفيع** اي وان كان بليغ الاتصاف بذلك
ولما كان تمام قهره وعظيم سلطانه لا يتبين الا باذنه لان اذنه عام لجميع الازمان والاماكن اتى بالجار فقال **الا من بعد اذنه** فاذا لم يقدر شفيع
على الاقدام في الشفاعة الا باذنه فكيف يقدر احد ان ياتي بشيء من الاشياء بغير اذنه فكيف ياتي بكتاب حكيم ليس عنده يعجز الخلائق عن
معارضته فحصل الامن من ان يكون غيره عاله او شفع فيمن ابلغه فابلغه من غير ارادة منه سبحانه فتقرر انه ليس الامر عنده وانه امر بكل
وقد عرف من هذا انه ما من شفيع في موضع الدلالة على انه لا يخرج عن تدبيره امر من الامور ولا يغلبه شيء اصلا فبطل ما كانوا يقولون في الاصنام
من الشفاعة وغيرها والشفيع السائل في غيره بتبليغ منزلة من عفو او زيادة منزلة وعد وقع ذكر الكتاب والرسول والرسالة والعرش
مرتبا في الهيئة على ما رتب اخر ذلك فلما تقرر ما وصف به من العظمة التي لم يشاركه فيها احد وجب ان يعبد عبادة لا يشاركه فيها
شيء فنبه على ذلك بقوله **ذلكم** اي العظيم الشان العالي المراتب **الله** اي الملك الاعلى **ربكم** اي الذي تقرر له من العظمة والاحسان بالايجاد
والتربية ما لا يبلغه وصف **فاعبدوه** اي مخصوصه بالعبادة فان عبادتكم مع الاشراك ليست عبادة ولولا فضله لم يكن لمن زل ادنى زلة طاعة
ولما لبس سبحانه عن اوصاف العلى ما وجب لمن الامر بالعبادة تسبب عن ذلك الانكار عليهم في التوقف عنها والاحتياج فيها الى بروز الامر بها قائم
على استحقاقه للافراد بها من الادلة التي فيهم شواهدها فقال **افلا تذكرون** اي ولو بادنى انواع التذكر بما اشار اليه الادغام ما اخبركم سبحانه
برونه كم عليه بما يعلم كل احد من نفسه من انه لا يقدر احد ان يعمل كل ما يريده ويعمل كثيرا مما لا غرض له فيه ويعلم انه يضره الى غير ذلك من الامور
ليعلم قطعا ان الفاعل الحقيقي غيره وان ذلك لهذا الوجود من مؤثر فيه هو في غاية العظمة لا يصح بوجه ان يشاركه شيء ولو كان اعظم ما يعرف

من اشياء فكيف بجماد لا يضر ولا ينفع فلما تقرر انه هو الذي بدا الخلق تقرر بذلك انه قادر على الاعادة فقال اليه مرجعكم
ومرجع رسلكم ... جميعا لا يتخلف منكم احد ... وعد الله حقا ...

على عظمته وانه تام القدرة منفرد بالخلق والامر نبه به على الاعادة كما قدم على الابتدا وان المراد بالكتاب البشارة والنذارة الفوز عند البعث
والنجاة من غوائل يوم الحشر مع انه سبحانه نافذ القضاء فلا تغني الايات والدلالات البينات عمن حكم بشقاوته وقضى بغوايته وان في الحكمة وعدله
فيجب التسليم لامره وقطع الهمم عن سواه ثم شرع سبحانه يقرر امر بداه للخلق واعادته في سياق مذكر بالنعم التي يجب شكرها ويسمى العرض عن شكرها كافرا
فقال هو اي لا غيره الذي جعل اي عاهيا لكم من اسباب الشمس ولما كان النور كيفية قابلة للشدة والضعف لفت سبحانه الى اسمائه بما يدل على ذلك
فقال في حق الشمس ضياء اي ذات نور ساطع وقوة لمنازل العكس التقدير لكنها كانت في تقلبها بطية بالنسبة الى القمر ذكره دونها فقال والقمر
او جعل القمر نورا اي ذا نور من نورها وقدره اي وزاده عليها بان قدر مسيره منازل سريعا تتقلب فيها وباختلاف حاله في زيادة نوره و
نقصانه يختلف احوال الرطوبات والحرارات التي تترابس بها هذا الوجه الى غير ذلك من الاسرار التي هي فرع وجود الليل والنهار لتعلموا بذلك اي علما لا
عدد السنين اي المنقسمة الى الفصول الاربعة وما يتصل بذلك من الشهور وغيرها مما يمكنكم تدبير المعاش في احوال الفصول وغيرها والحساب
اي وغير ذلك مما يدل على بقيتي تدبيره سبحانه ولما كان ذلك مشاهدا لامرية فيه فعلم انه قادر على ايجاد الشاكل له اذ لا فرق وان كان خلقه كذلك
فكيف يكون امره الناشي عنه الحلول غير حق بان يكون من السحر الذي مبناه على التمويه والتخييل الذي هو من الباطل او ما خلقه الا ب اظهار الحق وهو العدل
بل يعتنا بالجزاء الطايع واذلال العاصي فانه لا نعيم كالانتصار على المعادي والانتقام من المشاني والجعل وجوه مابه يكون الشي على صفة لم يكن عليها
والشمس جرم عظيم النور به يكون ضياء النهار والقمر جرم يبسط نوره على صيع الظاهر من الارض ويكشف نور الشمس والنور شعاع فيه ما ينافي
الظلام والحساب عدد يحصل به مقدار الشي من غيره ولما تم النظر في هذه الايات من الوضوح بحيث لا يحتاج الى الكثرة من الانصاف بقابلية العلم ختم الاية بقوله
يفصل اي الله في قراة ابن كثير وابي عمرو وحفص عن عاصم بالياء التحتية وبالالتفات الى اسلوب العظمة تعظيما للبيان في قراة الباقين بالنون الايات
اي يبين الدلائل الباهرة واحدة في اثر واحدة متفاصلة بيانا شافيا ولما كان البيان لمن لا علم له كالعدم قال لقوم اي لهم قوة المحاولة لما يريدون

فصل بقوله ما خلق الله ذلك الا بالحق امر النور لتكمل الكمال ذلك الامر العظيم عما الا بالحق من خلقه ملتبس بالحق المحض والحكمة لا مرية فيه صح

يعلمون

يعلمون اي لهم هذا الوصف على سبيل التجدد والاستمرار ولما كانت الشمس المعرفة التامة والنظر الثاقب في منازل القمر عرف من الجلوع لما قاله سبحانه
الاستدلال على فناء العالم بتغيره والى القدرة على البعث بايجاد كل من الملوين بعد اعدامه وفي تكوده مؤكدا له لانكارهم ان يكون في ذلك دلالة ان في
اختلاف الليل اي على تباين اوصافهما والنهار اي كذلك وما اي وفيما خلق الله اي الذي له الاحاطة الكاملة في السموات والارض اي من
احوال السحاب والامطار وما يحدث من ذلك ومن الخسوف والزلازل والنبات والمعادن والحيوانات وغير ذلك من احوال الكل التي لا يحيط البشر باحصائها للمعتبار
الى ذلك ختمها بقوله لايات اي دلالات بينات جدا لقوم يتقون اي لمن ينظر في هذا الاختلاف وتامل تغير الاجسام الكبار كالجبال وان تغير
ان تغير احواله وتضطرب امورها فيتقي الله لعلمه قطعا بان اهل هذه الدار غير مهملين فلا بد لهم من امر ونهي ثواب وعقاب والاختلاف ذهاب كل من
الشيئين في غير جهة الاخر فاختلاف الملوين ذهاب هذا في جهة الضيا وذاك في جهة الظلام والليل ظلام من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني
وهو جميع ليلة كتمر وتمرة والنهار اتساع الضيا من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والخلق فعل الشي على ما تقتضيه الحكمة واصله التقدير ومنه
ما خلق في السموات والارض على وجه الدلالة لان الدلالة في الشي قد تكون من جهة خلقه او اختلاف صورته او حسن منظره وكثرة نفعه او عظم امره
او غير ذلك ولما بين بالادلة الى انقراض الدنيا بان الحادث لا ثبات له وقام الدليل القطعي على المعاد ناسب تعقيبه بعيب من اطمانت اليها في سياق مبين ان من
الطمانينة انكار الطمانينة اعتقادا او حالا ولما ختم تلك بالمتقين لاح انه ربما يتقي من لا يتقي عملا لكمال المغرور واكثر ما يدعي به تنفير اعجاله لان
درء المفاسد اولى من جلب المصالح فقال مؤكدا لاجل انكارهم ان الذين ولما كان الخوف والرجا معا ثمرتي السعداء وكان الرجاء اقرب الى الحث على الاقبال قال
مصرحا بالرجاء والحال المخوف لا يرجون لقاءنا بالبعث بعد الموت ولا يخافون ما لنا من العظمة ورضوا اي عوضا عن الاخرة بالحيوة الدنيا
اي فعلوا لها فعل اللئيم فرضوا مع ما اشتملت عليه مما يدل على حقارتها واطمانوا اليها راضين بها طمانينة لا يزعج عنها مع ما في ذلك من سرعة زوالها
والذين هم اي خاصة عن اياتنا اي على ما لها من العظمة لا عن غيرها من الاحوال الدنيوية الفانية غافلون اي غريقون في الغفلة بتضمن قوله لا
يرجون فاولئك اي البعداء البغضاء ماويهم النار بما اي بسبب ما كانوا اي جبلة وطبعا يكسبون فان كسبهم كله ضلال لانه لا يعاجلهم بالعقاب
على ما خيل لهم فجعلت ملاقاته ما لا يقدر عليه الا الله ولاقاه له لقيهما الشان كما فصل الاية جل كل اية من الله في قوله الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام
ونحوه والاطمينان الركون الى الشي على تمكن فيه من هواه وتمكنوا الاحوال الدنيا فصار فرحهم وسخطهم لها والغفلة ذهاب المعنى عن القلب بما يقتضيه حضوره
اياه واليقظة نقيضها ولما انقضى هذا القسم حالا وما لا اتبعه سبحانه القسم الاخر بقوله مؤكدا لانكار الكفار هدايتهم ان الذين امنوا اي اوجدوا
هذا الوصف بالعلم من القوة النظرية التي كمالها معرفة الاشياء التي اعظمها معرفة الله وعملوا اي وصدقوا دعواهم الايمان بان عملوا الصالحات بالقوة
العملية التي سلطانها مجبتها لله والصالح ما جاء بالحث عليه الانبياء عليهم السلام يهديهم اي على سبيل التجديد والاستمرار ربهم اي المحسن اليهم
بايمانهم اي بسبب تصديقهم واعانهم بمعرفة الايات التي غفل عنها الذين يحلونها البقاء ولا يرجون اللقاء فقادتهم الى دار السلام وهذا كما كان
كثير من الصحابة رضي الله عنهم بعد الاسلام يشتد تعجبهم مما كانوا يتعاطونه من عبادة الاصنام وكما ترى انك تحقق على بعض الكلمة فلا يدعو عليه حظ النفس من حركة حسنة
ثم انك تر ترضى عنه فتراه كله بحاسن ولما ذكر ما للقسم الاول للنار ذكر ما لهذا القسم في معرض مقال من يقول ماذا تكون هدايتهم فقيل له
تجري واشار الى قرب المياه وانكشافها عن كل ما ينتفع به في غير ذلك باثبات الجار فقال من تحتهم اي تحت غرفهم واسرتهم وغير ذلك من
مشتهياتهم كقوله قد جعل ربك تحتك سريا وكذا قوله عن وهذه الانهار تجري من تحتي الانهار اي كائنين في جنات النعيم اي التي
ليس فيها شي غيره ولما كان الواجب على العباد اولا تنزيهه تعالى عن النقايص التي اعظمها الاشراك وكان فعل ذلك سلم من غوايل الضلال فيريح نفسه
فوف به وفارقه من شر حضرته بمشاهدة اوصاف الكمال اشار الى التسليك من ذلك بقوله دعويهم اي دعاوهم العظيم الثابت الكثير الذي يقولونه
فيها لا على وجه التكليف بل بالهام اللذة كما الهم النفس في الدنيا اشار الى الجامع التنزيه عن كل شائبة نقص فقال سبحانك اللهم اشارة الى الاسرار والتجلي
هو الاساس وهو المعراج في الاخرة وتحيتهم اي به وفيما بينهم فيها سلام اشارة الى اول نتايج السلامة بان العطب معه بعجز وهو نزول عن
المعراج بالنظر في احوال الخالق واخر دعويهم اي دعاهم العظيم وهو المعراج الكمالي ان الحمد اي الكمال لله اي المحيط بجميع اوصاف الجلال والجمال

يعلمون

بعضا من التنزيه عن النقص وجب لهم السلامة ومما حلوا من كل نقص وصلوا الى الحضرة فغرقوا في بحار الجلال وانكشفت لهم صفات الكمال واليه الدعوى
فواطر بيوعى بيد الحامد والتحية المكرمة بالحال الجلية واصلهم قولهم لحيالك حيوة طيبة واشار بقوله رب العالمين الى نعمة الايجاد ارشادا
بذلك الى القدرة على اللقاء وفيه هبوط عن المعارج الكمالى ورجوعهم الى الخلق وذلك اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن الحاجة والنقصان ولما
اشير في هذه الايه الى تنزهه تعالى وعلوه وتفرده بنعوت الكمال لعدم تخيلهم بالجمل لحاجته وبرب العالمين على تمام قدرته وحسن تدبيره في ابدائه
واعادته ابتعته بما يدل على ذلك مع لطفه في معاملته من انه لا يعجل شيئا قبل اوانه لان الاستعجال من سمات الاحتياج بل ورد عن ابو يعلى واحمد بن
منيع عن انس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التاني من الله والعجلة من الشيطان قال شيخنا ابن حجر ورواه ابن سهل وسعد منها فقال تعالى عاطفا
على قوله يدبر الامر ومعناه انه تعالى يفعل فعل من ينظر في ادبار الامور فلا يفعل الا ما هو في غاية الاحكام فهو لا يعاجل العصاة بل يمهلهم و
يسبغ عليهم النعم وهم في حالة عصيانهم لهم لعلهم يطلبون خيرا ويستعجلونها ولو يعجل الله اي المحيط بصفات الكمال للناس اي الذين
اتخذوا القران عجبا لما لهم من صفة الاضطراب الشر استعجالهم اي على اذنه لايقاع الشر بهم مثل عجلهم في ارادتهم وطلبهم العجلة بالخير
لقضي اي ختم وبت على قراءة بنا للمفعول في قراءة الجماعة دلالة على هوانه عنده وان المحذوف دجد فعلا لكونه معين وبناه ابن عامر للفاعل
وضعت الاجل اليهم اي الناس خاصة اجلهم اي عمرهم وامر لحظة يكون منه فاهلك من في الارض فاختل النظام الذي دبره ولكنه لا يفعل الا ما
تقدم من انه لم الى ما تقتضي الاجال المتفاوتة وذلك بسبب ضلال من يريد ضلاله ولعل التعبير بنون العظمة في فنذر اشارة الى ان الامر في غاية
الظهور في كل الفساد حد اهم بكثرتهم اهلية ما يدل كل الخلاص وكنه تعالى اراد ضلالهم وهو ذو العظمة بحيث لا يعجزه شيء ويجوز ان يكون معطوفا على
قوله اولئك ما واهم النار لانه معناه اولئك يمهلهم الله الى انقضاء ما ضرب لهم من الاجال بما لفعتهم في الاعراض ثم يكون ما ويهم النار ولا يعجل لهم
ما يستحقونه من الشر ولو يعجل الله للناس الشر اي ولو يريد تعجيل الشر للناس في احاد الفوه واذا استعجلوه به في نحو قولهم امطر علينا ودعاء الانسان
على ولده وعبده ومثل استعجالهم لهم اراد بهم تعجيل الخير وعدل عن ان يقال ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اي يعجل فعاله ايهام النقص بان من
يستعجل الشيء ربما يكون طالبا عجلته من غيره لعدم قدرته وتنبيها على ان الامر ليس الا سبق لقضي اليهم اجلهم فانه اذا اراد شيئا كان ولم يتخلف
اصلا ولما كان التقدير لانه لو استاعته ولكنه سبحانه لا يفعل ذلك لانه لا يفوته شيء بل امهل الغافلين ويديم لهم النعم ويفيض بهم تبعي من النعم حتى
يقولوا عنه عادة الدهر قد مس اباءنا الضراء والسراء بسبب غفلتهم فقد دارت حالهم في ما كانت ووضع موضع الضمير تخصيصا وتنبيها على ما
اوجب لهم الاعراض والجراة قوله الذين وكان ينبغي الرجاء الى نفي الخوف على الوجه الابلغ فقال لا يرجون لقاءنا اي يعرفون بهذا الظاهر دائم على ما لنا من
العظمة التي من شانها ان تخاف لان من اكل الانعام في طغيانهم اي تجاوزهم للحدود وتجاوزا لا يفعله من له ادنى روية يعمهون بحيث لا يشعرون الشيء في
ان الاعمى عن روية الاشياء بل اشد مما عن سماع البينات والتعجيل التقديم مبني على وقت اتى هو ولي من الشر ظهور ما فيه الضر واصله الاظهار من قولهم
شرقت الثوب اذا اظهرته للشمس ومنه شرار النار لظهوره بانتشاره والطغيان الغلو في ظلم العباد والعمه شدة الحيرة ولما بين تعالى ان ذلك بهم
استعجالهم بالخير وكان من عادته سبحانه اكتشاف الضر بين انهم لعنه الا ما ذكرهم على النجاة منه لا امتاري ذا بهم الطغيان والعمه وذلك في غاية
المنافاة لما يعونه من جانب العقل واصالة الارا بل لامة الطباع فالى الاصل الاستكنان عند البلاء غير صابر وعند الرخاء غير شاكر فكانه
قيل فاذا مس الانسان منهم الخير كان في غفلة بالفرح والاشر والمرح واذا مس الانسان منهم الضر وان كان من جهة يتوقعها الطغيان
هو فيه ولا ينفعه عن خوفا مما يتوقعه من حلول الضر لشدة طغيانه وجهله دعانا مخلصا معترفا بحقنا عالما بانا الناس لكمال العظمة على
بر الله معرضا عما دعاه غيرنا الينا كائنا لجنبه اي مضطجعا حال الراحة للراحة وكانه عبر باللام اشارة الى انه اضطر واحوال اليه قاعدا
اي منحطا في الجهالة او قائما اي في غاية السعي في مهماته لا يشغله عنده ذلك شيء في حال من الاحوال بل يكون مطرق المستولي لقدرهم في الدعاء
بالكشف ويجوز ان يكون عبر بالاحوال الثلاثة عن مراتب الضر فالجنب اشارة الى استحكام الضر وغلبته بحيث لا يستطيع جلوسا يقال
فلان لما بر واستار بالقاعد الى قرب زمن الكشف فقال فلما كشفنا اي بما لنا من العظمة عنه ضره الذي دعانا لاجله مر اي في كل

ما يريده لاهيا عنا بكل اعتبار كان اي كانه لم يدعنا اي على حالة يعترف به فيها بالدعاء من عظمتنا ولما كان المرجو ما ينبغي الى البلاء فيعمل ما دعاه
لاجله قال الى كشف ضر مسه اي كانه لم يكن لربنا معرفة اصلا فضلا عن ان يعترف بانا نحن كشفنا عنه ضره فهذه الاية في بيان ضعف الانسان
وسوء عبوديته التي قبلها في بيان قدرته سبحانه وحسن ربوبيته والمس لقاء من غير فصل والدعاء طلب الفعل من القادر عليه والضر ايجاب الالم بفعله او
السبب الموجب اليه ولما كان هذا من فعل الانسان من العجب كانه قيل من فعل له ذلك فقيل المزين لهم الامور التي يقع بها الاستدراج لامر اقرهو هذا
دابنا ابدا كذلك اي مثل هذا التزيين العظيم الرتبة ولما كان الضار مطلق التزيين بنى للمفعول قوله زين للمسرفين اي العريقين في هذا الوصف
ما كانوا اي بجبلاتهم يعملون اي يقبلون عليه على سبيل التجديد والاستمرار من المعصية والكفر وغيره مع ظهور فحشه ووضوح ضرره والاسراف
الافراط في الخروج عن الحد ولما كان هذا محط نظرهم لدنياهم وكان هذا صريحا في امهال الظالمين والاحسان الى المجرمين اتبعه بقوله مهددا لهم ان اعمالهم فيه
من اتباع الزينة مؤكدا لانهم منكرون ان هلاكهم لاجل ظلمهم ولقد اهلكنا اي بما لنا من العظمة القرون اي على ما كانوا فيه من الشدة والقوة ولما كان المهلكون
هلاك عذاب الاستئصال بعض من تقدم لا جميع من تقدمه ادخل الجار فقال من قبلكم لما ظلموا اي بكمال ظلمهم اهلاكا عاما في حين واحد بهم كنفس واحدة دفعا لتوهم انه يجب
لا يعمهم بالهلاك او قال اتى عطفا على اهلكنا وجاءتهم رسلهم اي كل امة رسولها بالبينات اي التي تثبت ثبوتهم بالرسالة وما اي والحال
انهم ما كانوا اي بجبلاتهم واكد النفي لمن يكن اريتابهم في ايمانهم بالبينات فقال ليؤمنوا ولو جاءتهم كل اية تنبيها على ان طلب المجاب نبيهم بها وراد
العذاب وما اقترحوه من الايات ليؤمنوا غير منتسب الى ان ذلك لا يكون سببا للايمان من قضى بكفره بل يستوي في التكذيب حاله قبل مجيء الايات وبعدها ليكون
سببا لهلاكه فلما كان قيل يختص ذلك بالامم الماضية فقيل بل كذلك اي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي القوم اي الذين لهم قوة على محاولة ما
يريدونه المجرمين لان السبب هو الغواية في الاجرام وهو قطع ما ينبغي وصله بتحيف مما وجد وجبره جزاؤه والاهلاك لا يقع فيما لا يتخلص منه من
الغوايات في القرن اهل العصر لمقارنة بعضهم لبعض ولما صرح بان ذلك عام لكل مجرم اتبعه قوله ثم جعلناكم اي ايها المرسل اليهم اشرف رسلنا خلائف
في الارض اي لا فخص ما كانوا فيه ولما كان زماننا لم يستغرق ما بعد زمان الهالكين ادخل الجار فقال من بعدهم اي القرون المهلكة اهلاك
الاستئصال لننظر ونحن بما لنا من العظمة اعلم بكم من انفسكم وانما ذلك لنراه في عالم الشهادة لاقامة الحجة كيف تعملون فيتعلق نظرنا
باعمالكم موجودة تخويفا اللجا لنبيه ان يجري وافيصيبهم ما اصاب من قبلهم ولما تقدم ان من قضى بشقاوته لا ياتي ايمانه باية من الايات حتى تنزل به
سطوته ويذيقه باسه ونعتد وكان القران لعظمته انزلت الى الناس لم يضحى اتبعه ان عطفا على قوله قال الكافرون ان هذا لسحر مبين بقوله بيانا لذلك
واذا تتلى بناه للمفعول لان لا بذاتا بتكذيبهم عند تلاوة اي تال كان واتاه مضارعا اشارة الى انهم يقولون ذلك ولو تكررت التلاوة عليهم اي على
هؤلاء الناس اياتنا اي على ما لها من العظمة باسنادها الينا بينات فانهم مع ما اشتملت عليه الزموهم به الاقرار بحقيتها قالوا فيها لا معنى لها الا التلاعب
والعناد ويجوز عطفه على ثم جعلناكم خلائف الاية والالتفات الى مقام الغيبة للايذان بانهم اهل الاعراض لاساءتهم الخلافة والموصول بصلته في محل
قال الذين لا يرجون لقاءنا في موضع الضمير تنبيها على ان هذا الوصف علة قولهم ولعله عبر بالرجاء ترغيبا لهم لان الرجاء يحط امرهم في طلب تعجيله
الخير ودفعه للضير فكان من حقهم ان يرجو لقاءه تعالى رغبة في فضل ما اعده لمن اجابه ولوح الى الخوف بنون العظمة ليكون ذلك ادعى لهم الى الاقبال
ائت اي من عندك بقران اي كلام مجموع جامع لما تريد غير هذا في نظمه ومعناه او بدله اي بالفاظ اخرى والمعاني باقية وقد كانوا
عالمين بانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا انه ياخذ في التغيير حرصا على اجابة مطلوبهم فيبطل ما ادعاه او يهلك ولما
كان كانه قيل فماذا اقول لهم قال قل ما يكون اي يصح ويتصور بوجه من الوجوه لي ولما كان التبديل يعم القسمين الماضيين قال ان ابدله
وقال من تلقاء اي عند وقبل نفسي اشارة الى ان تعليمهم في انكار تبديل الذي انزله بالنسخ بحسب المصالح كما انزل اصله لمصلحة العباد مع نسخ
الشرائع الماضية به فانتج ذلك قطعا قوله ان اتبع اي بغاية جهدي الا ما ولما كان قد علم ان الموحي اليه انه قال يوحى الي اي سواء كان
بدلا او اصلا ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لانكارهم مضمونه اني اخاف اي على سبيل التجدد والاستمرار ان عصيت ربي اي المحسن الي والموجد لي والمربي
والمدبر بفعل الغير ما شرع لي عذاب يوم عظيم فاني مكذب به غير مكذب ولا شاك كغيري ممن يتكلم من الهذيان بما لا يخاف عاقبته في ذلك اليوم

وإذا حققته مع اختصار صيغة الإحسان هذا الموجز فكيف يكون نحو في مع اختصار صفات الجلال ولما تم ما دفع به مكرهم في طعنهم أتبعه بعوزه صلى الله
عليه وسلم في الإبلاغ على وجه يدل قطعا على أنه كلام الله وما تلاه إلا بإذنه فيحبط طعنهم من أصله وبين يليه بحذافيره قال قل لي أعلم أنه ليس لي
أمر ذلك شيء من الفعل وأما أنا ثابت عدمه وليس شيء حاله سكوت أصلا لو شاء الله أي الذي له العظمة كلها أن لا أتلوه عليكم ما تلوته
أي بعث قراءته أنا عليكم ولا أدراكم أي أعلمكم على وجه المعالجة هو نشأ به على لساني ولما ذكر ذلك أتبعه السبب المقتضي به فقال فقد لبثت
فيكم عمرا ولما كان عمره لم يستغرق زمان القبل قال من قبله مقدار أربعين سنة بغير واحد من الأمرين لكون الله لم يشأ واحدا منهما إذ ذاك
ثم أتيتكم بهذا الكتاب الأحكم المشتمل على حقائق علم الأصول ودقائق علم الفروع ولطائف علم الأخلاق وأسرار قصص الأولين بعبارة قد
عجزتم وأنتم أفصح الناس وأبلغهم عن معارضة آية منها فوضح بذلك العلم القطعي الظاهر جدا أنه من عند الله فلذلك سبب عنه إنكار العقل
فقال أفلا تعقلون إشارة إلى أنه يكفي في معرفة أن القرآن من عند الله وأن غيره عاجز عنه كون الناظر في أمره وأمركم من أهل العقل أي
أفلا يكون لكم عقل فتعرفوا به حقية القرآن بما أرشدكم إليه في هذه الآية من هذا البرهان الظاهر والسلطان القاهر القائم على أنه ما يصح لي بوجه
أن أبدله من قبل نفسي لأني مثلكم وقد عرفتم أنكم عاجزون عن ذلك مع التناهي فأنا مع كوني أميا أعجز ومن أنه لو كان ذلك ما بلغكم
ومع أني مكثت فيكم قبل إتياني به زمنا طويلا لا أتلو عليكم شيئا ولا أدعي فيكم علما ولا أتردد إلى عالم وتعرفون أن من يكون أما قلتم مكذب
بآيات الله وقائل ما طلبتم كاذب على الله وكل من ذلك أظلم الظلم لأن من يقال إنه أي فهو سبب أنه لا يقال إنه فمن أظلم ممن افترى أي تعمد على الله أي الذي حاز
جميع العظمة كذبا أي أي كذب كان وكان الأصل مني على تقدير أن لا يكون هذا القول إلى القرآن من عند الله ولكنه وضع هذا الظاهر تخفيا تعميما
وتعليقا للحكم بالوصف أو كذب بآياته كما فعلتم أنتم وذلك من أعظم الكذب ولما كان التقدير لا أحد أظلم منه فهو لا يفلح لأنه مجرم
علله بقوله مؤكدا لأجل إنكارهم إنه لا يفلح أي بوجه من الوجوه المجرمون فقد وضح أن المقصود نفي الكذب عن نفسه صلى الله عليه وسلم
وإلحاق الوعيد بهم حيث كذبوا بالآيات بعد ثبوت أنها من عند الله والإعلام بأنه لا أحد أظلم منهم لأنهم كذبوا على الله في كل ما ينسبون إليه مما نهى عنه
وكذبوا بآياته والإتيان بالغير قد يكون مع وجود الأول والتبديل لا يكون إلا برفع الأول ووضع غيره مكانه واللقاء جهة مقابلة الشيء في
جهة ما والتلاوة اتباع بعض الحروف بعضا في الكلام والتلاوة للشيء أتبعه بحيث يجيء بعده والمشيئة خاصة تكون سببا مؤديا إلى وقوع الشيء
ومرتبا على وجه قد يمكن أن يقع على خلافه والإرادة نظيرها والعقل العلم الغريزي الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب ويجوز أن يكون
ويعبدون حالا من الذين لا يرجون لقاءنا أي قالوا ذلك عابدين من دون الله أي الملك الأعلى الذي له جميع صفات الكمال الذي ثبت عندهم أن
هذا القرآن كلامه لعجزهم عن معارضة شيء منه وهو ينهاهم عن عبادة غيره وهم يعلمون قدرته على الضر والنفع ولما كان أوفق بالتهديد والتخويف
قدم الضر لذلك وتنبيها لهم على أنهم مغمورون في نعمه التي لا قدرة لغيره على منع شيء منها فعليهم أن يقيدوها بالشكر فقال ما لا يضرهم
أي أصلا من الأصنام وغيرها ولا ينفعهم في معارضة القرآن بتبديل أو غيره ولا في شيء من الأشياء ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة
معاقبا على المعصية وإلا كانت عبادته عبثا معرضين عما جاءهم من الآيات البينات من غير أن يعلموا أنه يضرهم وينفعهم ولا يملك شيئا من ذلك
أصلا وقد أقام الأدلة على ذلك غيره وفي هذا غاية التبكيت لهم عنادا بنزرة العقل مع ادعائهم رسوخ الأقدام فيه مستمرين بعد علمه
هؤلاء أي الأصنام وغيرهم شفعاؤنا أي ثابتة شفاعتهم لنا عند الله أي الملك الأعظم الذي لا يمكن الدنو من شيء من حضرته
إلا بإذنه وقد مضى بطلان ما تضمنته هذه المقالة في قوله ما من شفيع إلا من بعد إذنه وفيه تجهيلهم في العجز عن تبديل القرآن والإتيان بشيء
مثله حيث لم تنفعهم في ذلك فصاحتهم ولا أغنت عنهم شيئا بلاغتهم ولعوزهم في شأنه نصحاؤهم ومسألة شفعاؤهم ... ذلك
قطعا على أنه ما من شفيع إلا من بعد إذنه فلما كان قالوا ماذا أجيبهم فقال قل منكرا عليهم هذا العلم أتنبئون أي تخبرون إخبارا عظيما الله
وهو العالم بكل شيء المحيط بكل كمال بما لا يعلم أي لا يوجد له به علم في وقت من الأوقات في السموات ولما كان الحال مقتضيا لغاية الإيضاح
كرر النافي تصريحا فقال ولا في الأرض وفي ذلك من الاستخفاف بعقولهم ما لا يقدر على الطعن فيه بوجه ما يخفى الجافان

ما لا يكون

ما لا يكون معلوما لله لا يكون له وجود أصلا فلا نفي أبلغ من هذا كما أنك إذا بالغت في نفي شيء عن نفسك تقول هذا شيء ما علمه الله مني ولما بين تعالى
هنا ما لهم عليه من سخافة العقل وركاكة الآراء ختم ذلك بتبرئة نفسه بقوله سبحانه أي تنزه عن كل شائبة نقص تنزيها لا يحاط به وتعالى
أي وفعل بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال فعل المبالغ في التنزه عما يشركون أي يوجدون الإشراك به ولما بين شركهم بعبادة غير الله وختم
بتنزيهه وكان المراد بيان أن هذا الدين من الباطل حادث وبين نزاهته وكان المراد بيان أن الناس كانوا أولا مجتمعين على طاعته ثم خالفوا أمره فلم يقع
إحشاء إليهم بل استدرجهم بإمهالهم مع تماديهم في سوء أعمالهم على ما سبق في علمه ومضى به قضاؤه فقال تعالى وما كان الناس أي كلهم مع ما لهم من الاضطراب
إلا أمة ولما أفهم ذلك وحدتهم في القصد حققه وأكده فقال واحدة أي حنفاء متفقين على طاعة الله فاختلفوا في ذلك
عليهم من نوح عليه السلام كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عقب وحدتهم بسبب ما طبعهم من النوم والتحيي كان من تعجيل العقاب ولولا كلمة أي عظمة
سبقت أي في الأزل من ربك أي المحسن إليك برحمة أمتك بإمهالهم وبين لنا كثيرا بالتأخير إلى الأجل أن لا يكون تأخيرهم لأجل ذلك فقال
لقضي بينهم أي عاجلا بالأمر فيما ولما المراد بين الكلام على الاتحاد الذي دعوا إليه أي الأمر طاريا حادثا فيكون بحيث يتوقف فيه النظر
في عواقبه والتأمل في مصادره وموارده بل هو مع ظهور فساد دلائله واستقامة مناهجه وصحة مذاهبه والقاء الفطرة لزمه الانقياد إليه
أصل ما كانوا عليه أو هم غيره أن هو الطارئ الحادث مع ظهور فساده ووضوح سقمه وهو الطارئ المخوف ... أكان للناس عجبا إلى قوله قال
الكافرون إن هذا لسحر مبين دال على أنهم قسمان كافر ومؤمن والأمة الجماعة على معنى واحد في خلق واحد كأنها أمت لجهة تقصد شيئا واحدا ثم قال
عطفا على قوله ويقولون أي أنهم لما أتتهم البينات قالوا ائت بقرآن غير هذا كافرين بها عابرين عنه دونه ما لا يرضى عاقل بتسوية
بنفسه فكيف بعبادته قائلين لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد لولا أي هلا ولم لا أنزل أي بأي وجه كان عليه آية أي كائنة أو آتية
من ربه أي المحسن إليه غير ما جاء به وذلك إما لطلبهم آية ملجئة لهم إلى الإيمان أو لكونهم لم يعدوا ما أنزل عليه من الآيات فضلا عن كونها بينات
وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات مع عجزهم عن معارضته بتبديل أو غيره فأي عناد أعظم
من هذا ولما كان في ذلك شوب من الاستفهام قال مسببا عن قولهم فقل فأمر أفضل حقيقيا إنما الغيب أي الذي عنادكم على الإسلام
بقولي قد أعلم ما في نفسك وهو لم يطلع عليه مخلوق أصلا لله أي الذي له الإحاطة الكاملة وحده لا علم لي بعلة عدم إنزال ما تريدون
هل يكون الآيات لا ولما خص سبحانه بالعلم وكان إنزال الآيات من الممكنات سبب عنه قوله فانتظروا ثم أجاب من كأنه يقول فما تعمل أنت بقوله
إني معكم أي في هذا الأمر غير مخالف لكم في التشوف إلى أنه يحصل ما يجاهد ابتكم تحقق المعنى وأكده بقوله من المنتظرين أي لما يرد
على من آية وغيرها ولما كان طلبهم لذلك تحركا للنفوس المتحيرين إلى ترجي إجابة تسوقهم إليه أتبعه سبحانه بما يبين أن ذلك غير نافع لهم لأنه محض تعنت
فقال عاطفا على قوله قال الكافرون إن هذا لسحر مبين أو على قوله وإذا مس الإنسان الضر مبينا أن رحمة الله محققة الوجود كثيرة الورود
إليهم مبينا أن لهم آية عظمى في أنفسهم لا يحتاجون معها إلى التعنت بطلب آية وهي دالة على نتيجة مقصود السورة التي هي الوحدانية وعلى أن
أشركهم إنما هو عناد بعض الغرائز الموجب لكفران الإحسان وذلك أنهم عامة إذا أكرموا بنعمة قابلوها بكفر جعلوا طرفه على مقدار طرف
تلك النعمة بما لها زالية التغيير بأذى إذا مسهم الضر ألجأهم إلى أن أخلصوا ولم يختلف حالهم في هذا قط وهذا الإجماع من الجانبين دليل واضح على
كلا الأمرين الكفر لما جاء إليهم البطر والتوحيد حقا بما دعا إليه الفطرة القويمة الكائنة في أحسن تقويم بما أزال عنها من حاق الضر من
الحظوظ والشهوات والفتور وهذا كما وقع في سورة الروم الموافقة لهذه في الدلالة على الوحدانية فلذا عبر في كل منهما بالناس ليكون أجمع لهم
دليلا كافيا عليها وسلطانا جليلا مضطرا إليها والله الهادي وإذا أذقنا أي على ما لنا من العظمة الناس أي الذين لهم وصف
الاضطراب رحمة أي نعمة رضاهم بها من غير استحقاق ولما كان وجود النعمة لا يستغرق الزمان الذي تعقب النعمة أدخل الجار فقال من بعد ضراء
أي قحط وغيره مستهم فاجأوا المكر وهو معنى إذا لهم مكر أي عظيم بالحيل التي يفعلونها في الاستخفاء بأغلبها فعل الماكر في آياتنا
إشارة إلى أنهم لا ينفكون عن آيات العظام فلو كانوا منتفعين بالآيات اهتدوا بها فإذا أتتهم رحمة من بعد نقمة لهم عدوها آية دالة

علمنا مثلها انهم يمكرون فيها لما كانوا فيه من عادة النقمة مع انهم يعترفون بانه لا يقدر على كشفها وهو في التسمية الا هو سبحانه بل يعلنون فيها حمل المكر فيه
بان يصرفوها عن ذلك بانواع الصوارف فكانهم ينسبونها الى الاسباب كنسبة المطر الى الانواء ونحو ذلك غير خائفين من اعادة مثل تلك الضراء او ما هو
اشد منها ولما كانت هذه الجملة دالة على زعمهم المكر من ثلثة اوجه التعبير باذا الفجائية الى الذي هو اول المخالطة وبلفظ من التي هي لابتداء واذا
الفجائية سبحانه قيل امر جوابهم في المكر فقيل قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي اسرع مكرا ومعنى الوصف بالسرعة انه قضى
بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم نبه عليه ابو حيان ولما كان المكر اخفاء الكيد بين لهم سبحانه انهم غير قادرين على مطلق المكر في جهة من جهته عز شانه
وتعالى كبرياؤه وسلطانه لانه عالم بالسر واخفى بل لا يمكرون مكرا الا ورسله سبحانه مطلعون عليه فكيف هو سبحانه وعز شانه فقال مؤكدا لاجل انكارهم
ان رسلنا اي على ما لهم من العظمة باضافتهم الينا يكتبون اي كتابة متجددة على سبيل الاستمرار بالمكرر ما تمكرون لانه قد وكلوا بكم
قبل كونكم نطفا ولم يوكلوا بكم الا بعد علم موكلهم بكل ما تفعلونه ولا يكتبون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه فانه اذا قضا قضاء
لا يمكن ان يطلع عليه رسله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين انه عالم باموركم وهم جاهلون باموره علم انه لا يدعهم يدبرون كيدا الا ورتب
له ما يجعله في نحورهم والمكر قتل الشي الى غير وجهه على طريق الحيلة فيه والسرعة عمل الشي في قلة المدة وهو حق به وقد تضمنت الاية البيان عما
يوجبه حال الجاهل من تضييع حق النعمة والمكر فيها واجلت منزلتها وانت على فاقة اليها وشدة حاجة الى برزلها مع الوعيد بعبادة الذي لا
على المكر فيها ثم اتضح انه سبحانه بين ما اتضح به اسرعية مكره في مثال دال على ما في الاية قبلها من نقلة سبحانه لعباده من الضر الى النعمة ومن
سرعة تقلبهم فقال هو اي لا غيره الذي يسيركم اي في كل وقت تسيرون فيه سيرا عظيما لا يقدرون على الانفكاك عنه في البر والبحر اي
يسبب لكم اسبابا توجب سيركم فيهما ويقدركم على ذلك ويهديكم من بين سائر الحيوانات الى ما فيه من اصناف المنافع مع قدرته على اصابتكم في البر
بالخسف وما دونه وفي البحر بالغرق وما تحته ولما كان العطب باهوال البحر اظهر مع ان السير فيه اكبر اية واوضح البيان بينه معرضا عن
ذكر البر فقال حتى اذا كنتم اي كونا لا براح لكم منه في الفلك اي السفن يكون واحدا وجمعا واعرض عنهم بعد الاقبال لما حكيناه فقال وجرين
اي السفن بهم ولما ذكرتهم باوهم فيها ذكر سببه فقال بريح طيبة ثم اوضح لهم عدم علمهم بالعواقب بقوله وفرحوا بها اي بتلك الريح
وبالفلك الجارية بها جاءتها ريح عاصف فاذهبت سفنهم سياتهم وجاءهم الموج اي الموجود في كل احد بالردية والوصف من كل مكان
اي بعثا دالة [illegible] فاجف قلوبهم وظنوا انهم ولما كان المخوف الهلاك [illegible] ما هو كناية عنه لان العدو اذا احاط
بعدوه ايقن بالهلاك فقال احيط بهم ولما تم ما تقدم من حالهم الغريبة التي تجب لها القلوب وتضعف عندها القوى مقتضيا لان يسال عما يكون
منهم عند ذلك الحال على مقتضى هذا السوق اخبر عن تركهم الفنا الى خالقهم الدال على جزعهم عند غلوائه [illegible] في مشاهدة
ضربانه وعبارة [illegible] الاتصال دعوا اتصال الاجوبة كانه قيل لما ظنوا انهم احيط بهم دعوا الله اي الذي له صفات الكمال بالرغبة اليه في الخلوص والعبادة
لا للاخلاص مخلصين اي من كل شرك له الدين اي التوجه والقصد بالظاهر والباطن وقد تضمنت الاية البيان عما توجبه بديهة العقل من الفزع
عند الشدة الى واهب السلامة وسابغ النعمة في كشف تلك البلية ثم اتبع نجاة ذلك حكاية حالهم في وعدهم الشكر على النجاة ثم كذبهم في ذلك مع ادعائهم
انهم اطهر الناس [illegible] من الكذب واشدهم استقباحا له وابعد الناس من كفران الاحسان فقال تعالى حاكيا قولهم الذي دلوا بتاكيدهم له انهم قالوه بغاية
الرغبة نافين ما يظن بهم من الرجوع الى ما كانوا فيه قبل تلك الحالة من الكفر لئن انجيتنا اي ايها الملك الذي لا سلطان لغيره من هذه اي القادحة
لنكونن اي كونا لا انفكاك عنه من الشاكرين اي المعدودين بالشكر الراسخين في الاتصاف به ولما اعلم سبحانه انهم اكدوا لهذا الوعد
هذا التاكيد استعقبه بانهم اسرعوا في نقضه غاية الاسراع فقال فلما انجيهم ولما ابانت الفاء عن الاسراع في النقض اكده بمفاجأتهم لذلك بقوله
اذا هم يبغون اي يتجاوزون الحدود في الارض اي جنسها بغير الحق اي الكامل فلا يزال الباغي من عاص حتى يكون على الحق الكامل الذي
لا باطل فيه بوجه وصار الخطاب اولا في يسيركم ليعم المؤمنين لان التسيير يصلح للامتنان ثم التفت الى الغيبة عند صدور ما لا يليق بهم نبه على ذلك
ابو حيان وحسن منه ان يقال انه سبحانه اقبل عليهم تنبيها على انه جعلهم بما هيأ فيهم من القوى اهلا للخطاب ثم اعرض عنهم اشارة الى انهم استحقوا الا

لاعراضهم

لاعراضهم اعتبارا لما اتاهم من الريح الطيبة في محل الحب في الاقبال عليه والفنا عن كل ما سواه لعظم الخطر وشدة الامر فكانه يذكر لغيرهم من حالهم ما
يعجبه منه لينكر عليهم ويقبح حالهم والتسيير التحريك في جهة تمتد كالسير والبر الارض الواسعة التي تنقطع من بلد ومنه البر لاتساع الخير به والبحر مستقر
الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه والفلك السفن التي تدور في الماء واصله الدور ومنه فلكة المغزل والفلك الذي تدور فيه النجوم والنجاة
التخلص من الهلاك والبغي قصد الاستعلاء بالظلم واصله الطلب والحق وضع الشي في موضعه على ما يدعو اليه العقل ثم بين ان ما هم فيه من اهمال [illegible] انما هو
متاع الدنيا وانها دار زوال فقال تعالى يا ايها الناس اي الذين غلب عليهم وصف الاضطراب انما بغيكم اي كل بغي يكون منكم على انفسكم لعود الوبال
عليها وهو على تقدير انتفاعكم به عرض زائل متاع الحيوة الدنيا ثم يبقى عاره وخزيه بعد الموت ثم الينا اي خاصة مرجعكم بعد البعث
فننبئكم على ما لنا من العظمة انباء عظيما بما كنتم اي كونا هو كالجبلة تعملون ونجازيكم عليه ولما كان السياق الى اثبات البعث وتخويفهم
به وكانوا ينكرونه ويعتقدون بقاء الدنيا وانها انما هي ارحام تدفع وارض تبلع دائما بلا انقضاء فهي دار يرضى بها ويطمأن اليها والمستغني من البغي
والتعزز بغير الحق وكانت الامثال اجلى المحال الاشكال والى ممثلا لمتاعها قاصرا الاهتمام على الفناء ورد عليهم في اعتقاد دوامها من غير بعث انما فهو
قلب مثل الحيوة الدنيا اي التي يتنافسون فيها في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها بعد عظم اقباله كماء انزلناه اي بما لنا من العظمة وحقق امره وبينه
بقوله من السماء فشبهه بامر النبات وانه عما قليل يبلغ منتهاه فتصبح الارض منه بلاقع بعد ذلك الاخضرار والتنوع وفي ذلك اشارة الى البعث والى انه
[illegible] على [illegible] به قبل نهايته او بعدها ببعض الافات كما يوجب في بعض السنين فيفقرون منه ويفتقرون اليه وفي ذلك تحذير عظيم فاختلط اي بسبب انزالنا له
به اي بسبب تليينه ولطافته نبات الارض عموما في بطنها مما يأكل الناس اي كافة والانعام اي من الحبوب والثمار والبقول فظهر على وجهها
ولم يزل ذلك ينمو ويزيد في الحسن والحجم حتى ولما كان الخصب هو الاصل عبر باداة التحقيق فقال اذا ولما كانت بهجة النبات تابعة للخصب فكان الماء كانه
يعطيها اياها فيأخذه قال اخذت الارض التي لها اهلية النبات زخرفها وازينت بانواع ذلك النبات زينة منها الجلي ومنها الخفي صنائعهم الا ما
وظن اهلها اي ظنا مؤكدا بما افاده التعبير [illegible] غرورهم الى انهم قادرون عليها اي ثابتة قدرتهم على جنى الثمرة من ذلك النبات وغاب عنهم
لجهلهم علم العاقبة فلما تم ذلك اتاها امرنا اي الذي لا يرد من البرد او الحر المفرطين ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وزينتها بعظمتنا بسبب ذلك
الامر وبعقبه بالاهلاك حصيدا وعبر عنها بفعيل للمبالغة والثبات بقوله كأن اي كانها لم تغن اي تكن غانية اي ماكثة حسنة غنية ذات وفر
مطلوبة مرغوبا فيها اي زرعها وزينتها بالامس فكما حال الدنيا في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها بعد عظيم اقباله كحال النبات الارض في جفافه وذهابه
حطاما بعدما التف وزين الارض بخضرته والوانه وبهجته ولما كان هذا المثل في غاية المطابقة للمشاهد للسامع له فازداد عجبه من تفصيله بعد تاصيله فقيل جوابا له
كذلك اي مثل هذا التفصيل الباهر نفصل اي تفصيلا عظيما الايات لقوم اي ناس اقوياء فيهم قوة المحاولة لما يريدون يتفكرون اي
يجددون الفكر على وجه الاستمرار والمبالغة والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول والاختلاط تداخل الاشياء بعضها في بعض والزخرف حسن الالوان ولما
ترتبت هذه الايات التي تجد فيها من انواع الاذى وتبين ان الدار التي رضوا بها واطمأنوا اليها دار المصائب ومعدن الهلكات والمعاطب وانها ظل زائل تحذيرا منها
وتنفيرا عنها بين تعالى الدار التي دعا اليها [illegible] النصب وهم ونصب ثابتة بالرد والفعل عاطفا على قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ترغيبا
في الاخرة وحثا عليها والله اي الذي له الجلال والاكرام يدعو اي يعلق دعاءه على سبيل التجدد والاستمرار بالمدعوين الى دار السلام عن قتادة انه سبحانه
اضافها الى اسمه تعظيما لها وترغيبا فيها يعني انها لا عطب فيها اصلا والسلامة فيها دائمة والسلام فيها فاش من بعضهم على بعض ومن الملائكة وغيرهم والدعاء
طلب الفعل بما يقع له وجله والداعي الى الفعل خلاف الصارف عنه ولما اعلم بالدعوة بالهداية بالبيان وانهم ختم الاية بقوله ويهدي من يشاء اي بما يخلق في قلبه
من الهداية الى الصراط المستقيم اي من الناس من يهديه منهم من فضله وان الكل عاجزون لما يشاء كما وضح ان ينال اهل [illegible] فجزائهم وحالهم والحق في الاتقياء
لمراده فقيل لابل هم فريقان للذين احسنوا اي الاعمال في الدنيا منهم وهم من هداه الحسنى اي الخصلة التي هي في غاية الحسن من الجزاء وزيادة اي عظيمة
من فضل سائر الناس [illegible] من الجهاد والترجي [illegible] والدعوة الى الجنة بالبيان عامة ٥
والهداية الى الصراط خاصة لانه الطريق الى المنعم ولما كان النعيم لا يتم الا بالدوام والامن من المضار قال ولا يرهق اي يغشى ويلحق وجوههم قتر

اي غبرة كغبرة الموت وكربه وهو تغير في الوجه معه سواد وعبوسة تركبها غلبة **ولا ذلة** اي كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان ولما
كان زهو الوجه وضياؤه دالا على انهم اهل السعادة وصل به قوله **اولئك** اي العالو الرتبة **اصحاب الجنة** ولما كانت الصحبة جديرة بالملازمة صرح بها في قوله **هم**
اي لا غيرهم **فيها** اي خاصة **خالدون** اي مقيمون لا يبرحون لانهم لا يريدون ذلك لطيبها ولا يراد بهم ولما بين حال الفضل فيمن احسن بين حال العدل فيمن اساء
فقال **والذين كسبوا** اي منهم **السيئات** اي المحيطة بهم **جزاء سيئة** اي منهم **بمثلها** بعدل الله من غير زيادة **وترهقهم ذلة** هي من جملة جزائهم
فكانه قيل جوابا **ما لهم من الله** اي الملك الاعظم واغرق في النفي فقال **من عاصم** اي يمنعه من شيء يريده بهم ولما كان من المعلوم ان ذلك مغير لاحوالهم
وصل به قوله **كانما** ولما كان المكروه مطلق كونها بالمنظر السيء بني للمفعول قوله **اغشيت وجوههم** اي اغشاها مغش لشدة سوادها لما
هي فيه من السوء **قطعا** ولما كان القطع يوذن عند تشتركا بين ظلمة اظلم الليل جمع القطعة من الشيء بينا واكد فقال **من الليل** اي هذا الجنس حال
كونه **مظلما** ولما كان ذلك ظاهرا في انهم اهل الشقاوة وصل به قوله **اولئك** اي البعداء البغضاء **اصحاب النار** ولما كانت الصحبة الملازمة
بينها بقوله **هم فيها** اي خاصة **خالدون** اي لا يمكنون من مفارقتها والرهق لحاق الامر ومنه الراهق الغلام لحوقه حال الرجال والقتر الغبار
ومنه الاقتار في الانفاق لقلته والذلة صغر النفس بالاهانة والكسب الفعل لاجتلاب النفع الى النفس او استدفاع الضر ولما بين سبحانه مآل
الفريقين نبه على بعض مقدمات ذلك المانعة من ان يشفع احد منهم بغير اذنه بقوله **ويوم** اي وفرقنا بينهم لانه لا اسباب هنالك ولا انساب فلا تناصر
يوم **نحشرهم** اي الفريقين الناجين والهالكين العابدين منهم والمعبودين حال كونهم **جميعا** ثم نقطع ما بين المشركين وشركائهم فلا يشفع
فيهم شيء مما يعتقدون شفاعته ولا ينفعهم بنافعة بل يظهر بينهم الخصومة ويبارزون بالعداوة وهو ناظر الى قوله تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده
والى قوله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم والحشر الجمع بكره من كل جانب الى موقف واحد واشار سبحانه الى طوله وتوبيخهم بقوله
ثم نقول للذين اشركوا اي منهم لمن لم نشارك في خلقهم وقوله **مكانكم** نقل ابو حيان عن النحويين انهم جعلوه اسما لاثبتوا ورد على
الزمخشري تقديره بالزموا لانه متعد ويجاب بان نسبا ويجاب بين الاسم والمسمى في التعدية واللزوم اي نقول لهم قفوا وذوقوا الذل **انتم وشركاؤكم**
حتى ينفذ فيكم امرنا لاظهار الضعف معبوداتهم التي كانوا يرجونها وتحسيرهم فلا تمكنهم مخالفة ذلك ولما كان التقدير فقفوا موافقة
للامر لانه على حسب الارادة عطف عليه مسببا عنه قوله **فزيلنا** اي ازلنا ازالة كبيرة مفرقة ما كان **بينهم** في الدنيا من الوصلة والالفة
حتى صارت عداوة ونفرة فقال الكفار ربنا هؤلاء الذين اضلونا وكنا ندعو من دونك **وقال شركاؤهم** لهم متبرئين منهم بما خلق لهم
من النطق **ما كنتم** اي ايها المشركون واضاف الشركاء اليهم لانهم هم الذين نصبوهم بغير دليل ولانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم
ايانا تعبدون اي تخصوننا بالعبادة لانا لا نستحق ذلك اشارة الى انه لا يعبد الا من يستحق الاخلاص فمن ذلك بان يعبد وحده من غير شريك
ومن لم يستحق ذلك لم يستحق مطلق العبادة ولا يصلح لها وكل عبادة فيها شرك لا تعد اصلا ولا يرضى بها جماد لو نطق فمتى نفي المقيد بالخلوص
نفي المطلق لانه لا يعتد به اصلا ومن المعلوم ان من كان بهذه الصفة لا يقدم عليه احد فنحن نظن انه لم يعبدنا عابد فضلا عن ان يخصنا بذلك
والشخص يجوز له ان ينفي ما يظن نفيه ونحن لم نعلم شيئا من ذلك ولما نفوا ذلك عطفوا عليه مسببين عنه قولهم **فكفى بالله** اي المحيط علما وقدرة
شهيدا اي هو يكفينا كفاية عظيمة جدا من جهة الشهادة التي لا غيبة فيها بوجه ولا ميل اصلا **بيننا وبينكم** فهو الذي يشهد لنا وعلينا
ثم استانفوا خبرا يصحح نفيهم فقالوا موكدين لانهم كانوا يعتقدون علمهم **ان** اي انا **كنا** اي كونا هو جبلة لنا **عن عبادتكم** لنا او لغيرنا
خالصة او مشوبة وعلم ان ان هي المخففة من الثقيلة بلقيت باللام الفارقة بينها وبين النافية فقيل **لغافلين** اي لانه لا ارواح فينا فلم
نكن بحيث نامر بالعبادة ولا نرضاها فاللوم عليكم دوننا وذلك افتداء من موقف الذل او انهم لما تخيلوا في الشركاء صفة عبدوها لاجلها
كانت خالية عنها صح النفي لانهم عبدوا ذوات موصوفة بصفات لا وجود لها في الاعيان وايضا فانهم انما عبدوا الشياطين التي كانت تزين لهم
ذلك وتغويهم ويكون التقدير على هذا التحلية فزيلنا بينهم اي منعناهم ما كانوا فيه من التواصل والتواد المقتضي للتناصر [illegible]
فقال المشركون لشركائهم لما ابطا عنهم نصرهم انا كنا نعبدكم من دون الله فاغنوا عنا كما كنا نذب عنكم وننصر دينكم وقال شركاؤهم ما كنتم

ايانا

ايانا تعبدون اي كشف لنا اليوم بتنبيه الله امثال الامر كما زعمتم وانكم لم تخصونا بالعبادة حتى يلزمنا منعكم على انكم لو خصصتمونا ما قدرنا على ذلك كما قال
الشيطان ما انا بمصرخكم فكفى اي فتسبب عن نفينا لذلك ما كشف لنا من العلم ان نقول كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم في ذلك يشهد انكم لم تخصوا احدا منا
بعبادة بل كنتم مذبذبين وهذا كله اشارة الى ان العبادة المشوبة لا اعتداد بها ولا يرضاها جماد لو نطق وان من يستحق العبادة استحق الاخلاص فيها وان
لا يشرك به احد وانه لا يستحق ذلك الا القادر على كشف الكرب والمنع من ان ينقطع بينه وبين متوليه عليه قاطع ولما كانت فائدة الشاهد ضبط ما
قد ينساه المشهود عليه علل الاكتفاء بشهادة الله بقولهم ان كنا عن عبادتكم في تلك الازمان لغافلين فاقروا لهم بما هو الحق مما كان يعلمه من له
ادنى تامل صحيح انهم لم يشعروا بعبادتهم ساعة من الدهر فهل ما عتبهم هذه فهم اصدق الخلق بالاكتفاء بشهادة الشهيد لانهم اسوء حالا من عالم بما هو
ويخشى النسيان او يقال فقال المشركون لشركائهم انا كنا نعبدكم فهل انتم تامرونا ان تدفعوا لنا فتنجونا مما وقعنا فيه وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
تعبدون اي ما كنتم تخلصون لنا العبادة حتى يلزمنا ان نخلصكم كما اعلمنا بذلك الله ربنا وربكم المحيط بكل شيء علما فكفى اي فتسبب عن ذلك انه
كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم في ذلك ومما المشركون قالوا اقد تضمن كلامكم انا عبدناكم على غير منهج الاخلاص افليس قد عبدناكم افلا تغنون عنا
شيئا فاجاب الشركاء بقولهم ان كنا عن عبادتكم خالصة كانت او مشوبة لغافلين فلا نقر لكم بعبادة اصلا وان تيقنا الاخلاص لسلب العلم
عنا بما كنا فيه من الجمادية فضلا عن ان نامركم او نرضى بعبادتكم على انه لا اغناء عندنا على تقدير من التقادير او يقال وهو احسن مما مضى وقال
شركاؤهم لما تحققوا العذاب طلبا لان يخفف عنهم من توزيعه عليهم وعلى كل من عبدوه من غيرهم ما كنتم ايها العابدون لنا ايانا اي خاصة تعبدون
بل كنتم تعبدون ايضا غيرنا وهذا ايهام وانه كلام من برأته غير تعمل وهو يعلم انه برائته فيقرن ولا يذكر فهو عليه لما فهموا بنفي العبادة بقيد الخصوص
انهم كانوا يعبدون معهم غيرهم وكانوا في ذلك الوقت قاصري العلم غير محيطة بوجه احوال انفسهم فكيف باحوال غيرهم مع ذلك قولهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
ان اي انا كنا عن عبادتكم اي في الجملة لغافلين والحاصل ان هذا ترجمة كلام الكفار وهو ناشي منهم على محض غلبة ودهش في طغيهم ونفي
وقلق فلا يشترط ان يكون معناه على الوجه الاسد والطريق الابلغ فالاعجب انهم نظم وعدهم بان يخفف عنهم من العذاب ولو بمشاركة من كانوا
يعبدونهم معهم فهو من وادي قولهم فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار فاتهم عذابا ضعفا من النار
ونحوه فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب والله اعلم ولما اخبر عن حال المشركين تشوفت النفس الى الاطلاع على حال غيرهم فقال مستانفا مخبرا
عن كلا الفريقين **هنالك** اي في ذلك الموقف من المكان والزمان العظيم الاهوال المتطاول الزلزال **تبلو** اي تخبر وتخالط مخالطة مميلة محيلة
كل نفس طايعة وعاصية **ما اسلفت** اي قدمت من العمل فتعرف كل اهل كان خيرا او شرا وهل يؤدي الى السعادة او الشقاوة ولما كان مطلق الرد وهو صرف
الشي الى الموضع الذي ابتدأ منه كافيا في الرهبة لمن له لب بني للمفعول قوله **وردوا** اي بالبعث بالاحياء كما كانوا اولا **الى الله** اي الملك الاعظم
مولاهم الحق فلم يكن لهم قدرة على قصد غيره ولا الالتفات الى سواه ثم تلك الحال باطل بل انقطع رجاؤهم من كل ما كانوا يرجونه في الدنيا وهو المراد
بقوله **وضل عنهم** اي بطل وذهب وضاع **ما كانوا** اي كونا هو جبلة لهم **يفترون** اي يتعمدون كذبه من انهم معبودات لهم شركاء ويتقنونه في ذلك
المقام انه وليهم بعز الله كانه لا عن صدق والتزييل تفريق يزول به كل واحد عن مكانه وهو تفريق الجثث وليس من الواو بل من الياء
يقال زلته على الشيء زيلا اذا فرقت بينه وبينه والكفاية بلوغ مقدار الحاجة في دفع الاذية او حصول المنفعة والاسلاف تقديم امر لما بعده والرد
الذهاب الى الشيء بعد الذهاب عنه كالرجع والمولى من يملك تولي الامر [illegible] ولما قدم سبحانه ان شركاءهم بربوبيتهم يتبرؤون منهم لا قدرة لهم
الا على ما يقدرهم امر عليه وانه وحده المولى الحق وبانت بذلك فضائحهم اتبعه ذكر الدلائل على فساد مذهبهم فوبخهم بان وجه السؤال
اليهم عالما بانهم معترفون بانه مختص به وبذلك قطعا على تفرده بجميع الامر الموجب غير وقفة لاعتقاد تفرده بالالهية فقال **قل** اي لهم من خلقنا
وارزقهم بالعبادة **من يرزقكم** اي يجلب لكم الخيرات ايها المنكرون البعث المدعون للشركة **من السماء** اي بالمطر وغيره من المنافع **والارض**
بالنبات وغيره لتعيشوا **امن يملك السمع** اي الذي تسمعون به الايات وجعله للتساوي في الغالب **والابصار** التي تبصرون
بها ما انعم عليكم به فخلقها ثم حفظها في المدد الطوال على كثرة الافات فيفيضها عليكم لتكمل حياتكم الحسية ببقاء الروح

والمعنوية بوجود العالم وبحي من علم منه انه كل حي جامد بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم فلما سالهم عن اوضح ما هم فيه واقربه
نبههم على ما قبله من بدء الخلق فقال ومن يخرج الحي من الحيوان والنبات من الميت اي من النطفة ونحوها ويخرج الميت اي
النطفة ونحوها مما لا ينمو من الحي اي فينقل من النقص الى الكمال ثم عم فقال ومن يدبر الامر اي كله التدبير العام ولما كانوا مقرين بالرزق
وما معه من الخلق والتدبير اخبر عن جوابهم اذا سالوا عنه بقوله فسيقولون الله اي مسمى هذا الاسم الذي له الكمال كله بالحياة والقيومية
بخلاف ما ياتي من الاعادة والهداية فقل اي فتسبب عن ذلك انا نقول لك قل لهم مسببا عن جوابهم هذا الانكار عليهم في عدم التقوى
افلا تتقون اي تجعلون وقاية بينكم وبين عقابه على اعترافكم بتوحده في ربوبيته واشراككم غيره في الهيته ثم علل انكار عدم تقواهم
بقوله فذلكم اي العظيم الشان الله الذي له الجلال والاكرام فكانت هذه قوتية وانفعاله ربكم اي الموجد لكم المدبر لاموركم الذي لا احسان
عندكم لغيره الحق اي الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لاجتماع الصفات الماضية له فيحق لانه لا يكون الربوبية حقيقة لمن لم يجتمع له تلك الصفات
فما اي فتسبب عن ذلك انه يقال لكم ماذا بعد الحق اي الذي له اكمل الثبات الا الضلال فانه لا واسطة بينهما بما انبلع عنه سقاط الجار ولا يعدل عن قل
عن الحق الى الضلال ولذلك سبب عنه قوله فانى اي فكيف ومن اي جهة تصرفون اي انتم منصرفون مع ما كان امامكم عن الحق الى الضلال وما كانوا
جديرين عند تقريعهم بهذه الاية اقرارهم بمضمونها بان يقولوا لكنا ولا نصرف عن الحق ابدا فلم يقولوا كانوا حقيقين بان يقال لهم حقت
عليكم كلمة الله لفسقكم وروغانكم عن الحق فقيل هل خصوا بذلك فقيل بل كذلك اي مثل ذلك الحقوق العظيم حقت كلمة ربك
اي المحسن اليك باهلاك اعدائك او الكلمة الواحدة النافذة التي لا تردد فيها ومعنى الجمع في قراءة نافع وابن عامر انه لا شيء من كلماته يناقض الكلمة
التي اوجبت عذابهم بل كلها توافقها فالمراد واحد او يكون ذلك كناية عن ان عذابهم دائم فان كلماته لا تنفد على الذين فعلوا
فعلهم لانهم فسقوا اي وقعوا الترك لامر الله واجبروا اعصيا وفعلوا الخروج عن طريق الحق والخروج من دائرة الصلاح وهو كونهم امة واحدة
على دين ابيهم ادم صلى الله عليه وسلم ثم علل ذلك الحقوق بقوله انهم لا يؤمنون اي لا يتجدد منهم ايمان اصلا وعبر بالفسق المراد به الكفر لان
في السياق الخروج عن دائرة الدين الحق في قوله وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وهذا المعنى احق بالتعبير بالفسق الذي اصله الخروج عن
محيط من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اي خرجت او يكون المعنى حقت الربوبية لله لتحقيقها هذا الدليل وهو فعل هذه الامور المختتمة بالتدبير
المقتضي للوحدانية قطعا لانه لو كان قادر يساويه في مقدوره لامكن ان يمانعه وبطل ان يكون قادرا وحق ان من نازع عن الحق كان في
الضلال كما حق هذا كذلك حقت اي ثبتت ثباتا عظيما كلمة ربك على الذين فسقوا منهم وانهم لا يؤمنون تفسير للكلمة التي حقت
والرزق جعل العطاء الجاري ولما علم انهم يقرون ببدء البداية وما يتبعها من الرزق والتدبير اعاد سبحانه السؤال عنها مقرونة
بالاعادة تنبيها لهم على ما يتعاقبون نحوه من الاعادة التي فانكارهم مع ذلك اما جحود او عناد وانكار المسلم هكذا وسيق على طريق
الاستفهام لانه ابلغ واوقع في القلب فقال قل اي على سبيل الانكار عليهم والتوبيخ لهم هل من شركائكم اي الذين زعمتم شركاءكم واشركتموهم
في اموالكم من انعامكم وزروعكم من يبدؤا الخلق كما بدا الله ليصح لكم ما ادعيتم من الشركة ثم يعيده ولما كان الجواب قطعا من غير
توقف ليس فيهم من يفعل شيئا من ذلك وكان لجاجهم في انكار الاعادة وعنادهم لا يدعهم ان يجيبوا بالحق امره يجيبهم بقوله
قل الله اي الذي له الامر كله يبدؤا الخلق اي يوجده اول مرة ثم يعيده واتى هنا بجزأي الاستفهام وكذا فيما ياتي في السؤال عن الهداية
تاكيدا للامر بخلاف ما تقدم في جوابه فانه اكتفى فيه باحد الجزئين في قوله فسيقولون الله ولم يقل يرزقنا الخ ثم زاد في تبكيتهم على عدم
الاذعان لذلك بالتعجب منهم في قوله فانى تؤفكون اي كيف ومن اي جهة تصرفون باقبح الكذب عن ... صارفا وقد
استدارت جميع الجهات ورتب هذه الجمل احسن ترتيب فبدا بانه سالهم اولا عن سبب دوام حياتهم وكمالها بالرزق والسمع
والبصر ثم عن بدء الخالق في اخراج الحي من الميت وما بعده وكل ذلك تنبيها على النظر في احوال انفسهم مرتبا على الاوضح فالاوضح
فلما اعترفوا به كله اعاد السؤال عن بدء الخلق ليقرن به الاعادة تنبيها على انهما بالنسبة الى قدرته عليه سواء فلما

فرغ

فرغ من احوال الجسد امره ان يسلم عن غاية ذلك والمقصود منه من احوال الروح في الهداية التي هي سبب السعادة اعمالها في الاستدلال بالمصنوع
على الصانع على وجه يشير الى التفضيل فقال قل اي يا اعلم العباد واعرفهم بالمعبود هل من شركائكم اي الذين زعمتم انهم شركاء لله فلم
تكن شركتهم الا لكم لانكم جعلتم لهم حظا من اموالكم واولادكم من يهدي اي بالبيان او التوفيق ولو بوجه من الوجوه الى الحق فضلا عن ان
يهدي للحق على اقرب ما يكون من الوجوه واعلاها ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك ومعاندين امره ان يجيبهم معرضا عن
انتظار جوابهم اتيانا بجزئي الاستفهام ايضا فقال قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة يهدي ولما كان قادرا على غاية الابداع
عبر باللام فقال للحق ان اراد ويهدي الى الحق من يشاء لا احد ممن زعمتم شركاءه فالاشتغال بشيء منها بعبادة او غيرها جهل محض
ولعل الانتراح بعيد في الاية من الاحتباك ذكر الى الحق اولا دليلا على حذفه ثانيا وللحق ثانيا دليلا على حذفه اولا ثم تسبب
عن ذلك انكار اتباعهم لهم فقال افمن يهدي اي منتهيا في هداه ولو على بعد الى الحق اي الكامل الذي لا زيغ فيه بوجه ولو على
ابعد الوجوه احق ان يتبع اي بغاية الجهد امن لا يهدي اي يهتدي فضلا عن ان يهدي غيره الى الشيء من الاشياء اصلا وادشا
وادغام تاء الافتعال للايماء الى انتفاء جميع اسباب الهداية حتى ادناها فان التاء عند ارباب القلوب معناها انتهاء التسبب الى
ادناه الا ان يهدى اي يهديه هاد غيره كائنا من كان وهذا يعم كل من عبد من دون الله ممن يعقل ومما لا يعقل فلما تم ذلك على
هذا النهج القويم كان كانه قيل اتجيبون ام تسكتون واذا اجبتم اتوثرون الحق فترجعوا عن الضلال ام تعاندون فتسبب عن ذلك
سؤالهم على وجه التوبيخ بقوله فما اي اي شيء ثبت لكم في فعل غير الحق من كلام او سكوت ثم استانف تبكيتا اخر فقال كيف تحكمون
فيما سالناكم عنه بما لا ينبغي ان يخفى على عاقل ابالباطل ام بالحق فقد تبين الرشد من الغي والبدء الفعل الاول والاعادة ايجاد
الشيء ثانيا والهداية التعريف بطريق الرشد من الغي ولما اخبر تعالى باقرارهم عن بعض ما يسالون عنه ثم عقبه بما لوح الى انكارهم او
سكوتهم عن بعضه مما يتعلق بشركائهم عطف على ما صرح به من قولهم فسيقولون وما لوح اليه من فسينكرون او فسيسكتون قوله
وما يتبع اي بغاية الجهد اكثرهم اي من نطقه او سكوته في عبادته للاصنام وقولهم انها شفعاء وغير ذلك الا ظنا تنبيها على انهم
اتباعهم مقلدون وتابعون للاهواء ولما كان الظن لا ينكر استعماله في الشرائع نبه على ان محله انما هو حيث لا يوجد نص على المقصود فيقاس
على النصوص بطريقه واما اذا وجد القاطع في حكم فانه لا يجوز العدول عنه بوجه من الوجوه فقال تعالى في جواب من يقول اوليس الظن مستعملا
في كثير من الاحكام وان الظن لا يغني اي اصلا من الحق اي الكامل شيئا اي بدله ولا يكون في الحق الا اذا كان تابعا بحالة فيه للقاطع بعلمه
ولما صار ظهور الفرق مزوريا اوقع تهديدا للمتمادي في غيه في جواب كانه قال ان ذلك غير خفي عنهم ولكنهم يستكبرون فلا يرجعون فقال
ان الله اي المحيط بكل شيء عليم اي البالغ العلم بما يفعلون فاصبر فليسوا يعجزون ولما تقدم في هذه السورة قولهم لولا انزل عليه اية
من ربه واتى بما رد عليهم ووعظهم من الايات البالغة في الحكمة حدا يتجاوز قوى البشر ويضمحل دونه من الخلق القدر وكان من ذلك
التنبيه على ان شركاءهم لا يهتدون الا ان يهديهم الهادي فضلا عن ان يهدوا واقامة الدليل على ان مذاهبهم ليست مستندة الى علم
بل هي تابعة للهوى اتبع ذلك دليلا قطعيا في امر القرآن انه لا يصح اصلا ان يوحى به من دون امره سبحانه رادا لقولهم انه مفترى لانه
من وادي ما ختم به هذه الايات من اتباعهم للظنون لانه لا مستند لهم في ذلك بل ولا شبهة اصلا وانما هو مجرد هوى بل واكثرهم عالم
بالحق في امره فنفى ذلك بما ينزح الظنون ويدمغ الخصوم ولا يدع شبهة لمفتون وابتدانه الاية الكبرى والحقيق بالاتباع لانه يهدي
فقال تعالى وما كان عاطفا على قوله ما يكون لي ان ابدله الخ فهو من مقول القول اي قل لهم ذلك الكلام وقل لهم ما كان اي قط
بوجه من الوجوه وعينه تعيينا لا يمكن معه لبس فقال هذا القرآن اي الجامع لكل خير مع التادية باساليب الحكمة المعجزة جميع الخلق
ان يفترى اي يقع في وقت من الاوقات ان تعمد نسبته كذبا الى الله احد من الخلق كائنا من كان وعرف ... دون شانه
ورتبته سبحانه بقوله من دون الله اي الذي تقرر انه يدبر الامر كله فما من شفيع الا من بعد اذنه فلا يعزب عنه شيء فسبحانه المتفضل على عباده

بايضاح الحجج وازالة الشكوك والدعاء الى سبيل الرشاد مع غناه عنهم وقدرته عليهم والافتراء الاخبار على القطع بالكذب لانه من فرى
الاديم وهو قطعه بعد تقديره ولما كان ربما تاتي الادمي الذي لم يجالس عالما بالاخبار والقصص الماضية على التحرير دليلا قطعيا على صدق
الاتي في ادعائه انه لا معلم له الا الله عبر باداة العناد فقال **ولكن** كان كونا لا يجوز غيره **تصديق الذي** تقدم **بين يديه** اي قبله
من الكتب والدليل على المصادقة شاهد الوجود مع ان القوم كانوا في غاية العداوة له صلى الله عليه وسلم وكان اهل الكتابين عندهم في جزيرة العرب
على غاية القرب منهم مع انهم كانوا يتجرون الى بلاد الشام وهم متمكنون من السؤال عن كل ما ياتي به فلو وجدوا مغمزا لقدحوا به
فدل عدم قدحهم على المصادقة قطعا ولما كان ذلك سلطانا قاهرا على صدقه صلى الله عليه وسلم زاده ظهورا بما اشتمل الكتاب الاتي به
عليه من التفصيل الذي هو نهاية العلم فقال **وتفصيل الكتاب** اي الجامع المجموع فيه الحكم والاحكام وجوامع الكلام في جميع الكتب السماوية
في تبيين مجملاتها وايضاح مشكلاتها فهو ناظر الى قوله افمن يهدي الى الحق الاية فهو برهانها على انه هو الهادي وحده فهو الحقيق بالاتباع والتفصيل
تبيين الفصل بين المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقه ونظيره التقسيم ونقيضه التخليط والتلبيس وبيان تفصيله انه اتى من العلوم
العلمية الاعتقادية من معرفة الذات والصفات باقسامها والعملية التكليفية المتعلقة بالظاهر وهي علم الفقه وعلم الباطن ورياضة
النفوس بما لا مزيد عليه ولا يدانيه فيه كتاب وعلم الاخلاق كثير في القران مثل خذ العفو الاية ان الله يامر بالعدل الاية وامثالهما ولما كان
مع الشهادة المحسة بالصدق بتصديق ما ثبتت حقيقته معجزا بالجمع والتفصيل لجميع العلوم الشريفة عقليها ونقليها اعجازا لم يثبت لغيره
ثبت انه مناقض لافترائه حال كونه **لا ريب فيه** وانه **من رب العالمين** اي موجدهم ومربيهم والمحسن اليهم لانه مع الجمع لجميع ذلك لا
اختلاف فيه بوجه وذلك خارج عن طوق البشر ولما كان زعمهم موضع ان يزعموا ان هذا القران ليس الا من عند الله وبامره قطعا كان كانه
قيل ارجعوا عن غيكم فامنوا واستقاموا **ام** اي استمروا على منوالهم **يقولون** على سبيل التجديد والاستمرار تعنتا **افتراه** اي تعمد نسبته
كذبا الى الله فكانه قيل نعم او على عتوهم فقالوا ذلك فكانه قيل ما الحق في بطلانه لانهم اصلوا اصلا لو لزم عليه قطعا ان ياتوا
بمثله لانهم عرب مثله بل منهم من قرا وكتب وخالط العلماء واشتد اعتناؤه بانواع البلاغة من النظم والنثر والخطب وتمرنه فيها بخلافه صلى
الله عليه وسلم في جميع ذلك فلهذا امره في قولهم جوابا لهم بقوله **قل** اي لهم يا ابلغ خلقنا واعرفهم بمواقع الكلام بجميع انواعه واتى بالفاء
السببية في قوله **فاتوا** اي ان كنتم تصدقون تحقيقا لقولكم هذا الذي تبين انكم فيه معاندون ولما كانوا قد جزموا في هذه السورة بانه افتراه وكان
مفصلا الى سور كل سورة منها لها مقصد معين يستدل فيها عليه وتكون خاتمتها مرتبطة بفاتحتها متحدة بها التي في تحديهم بالاتيان
بقطعة واحدة غير مفصلة الى سور لكن تكون مثل جميع القران في الطول والبيان وانتظام العبارة والتئام المعاني فلذلك قال **بسورة**
قال الرماني والسورة منزلة محيطة بايات من اجل الفاتحة والخاتمة كحائط سور البناء وهذا نظر الى ان المتحدى به سورة اصطلاحية و
انها لغوية وهي كما قال الطرابلسي تمام جملة من مسموع محيط بمعنى تام بمنزلة احاطة السور بالمدينة ووصفها بقوله **مثله** اي في البلاغة وحسن النظم
وصحة المعاني ومصادقة الكتب وتفصيل العلوم لانكم مثلي في العربية وتزيدون بالكتابة ومخالطة العلماء من غير ايات بين لما تقدم من ان المراد
كونها مثل القران كله ولذلك فسح لهم في الاستعانة بجميع ما قدروا عليه ووصلت طاقتهم اليه ولم يقتصر على نجدتهم فقال **وادعوا**
اي للمعاونة **من استطعتم** اي قدرتم على طاعته ولو ببذل الجهد من الجن والانس وغيرهم وحققوا ان هذا القران من عنده سبحانه باستثنائه في قوله
من دون الله اي الذي له الكمال كله ونبه على انهم متعمدون فيما نسبوه اليه وحاشاه من تعمد الكذب وانتم معاندون بقوله **ان كنتم** اي جبلة و
طبعا **صادقين** اي في اني اتيت به من عندي لان العاقل لا يجزم بشيء الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر
باهر وقد مضى في البقرة ويأتي في هود ان شاء الله تعالى ما يوضح هذا المعنى والاستطاعة حالة تتطاوع بها الجوارح والقوى للفعل لانها ماخوذة من الطوع
ثم كانه قيل فقالوا لهم ذلك فلم ياتوا قطعا بشيء تجب شبهة فضلا عن مثله لانه معجز لكونه كلاما في اعلى طبقات البلاغة بحسن النظام
والجزالة منزلا من عند الله المحيط علما وقدرة فهو مشتمل من كل معنى على ما لا يكمل العلوم عنه ان **بل** واحسن من ذلك انه لما اقام

الدليل على ان القران كلامه وكان الدليل انما من شانه ان ينفع من عرض له غلط او شبهة وكان قولهم افتراه لا عن شبهة وانما هو مجرد عناد
نبه سبحانه على ذلك وعلى انه انما قام الدليل لاظهار عنادهم لا لازاحة شبهة في كونه عقبا بالاضراب عن قولهم فقال **بل** اي لم يقولوا
افتراه عن اعتقاد منهم لذلك بل **كذبوا** اي اوقعوا التكذيب الذي هو التكذيب الشنيع مسرعين في ذلك من غير ان يتفهموه ويتدبروه **بما لم يحيطوا**
بعلمه اي في نظمه او معناه من غير شبهة اصلا بل عنادا او طغيانا ونفورا عما يخالف دينهم ومراد انهم من باب من جهل شيئا عاداه و
الاحاطة ادارة ما هو كالحائط حول الشي فاحاطة العلم بالشي العلم به من جميع وجوهه ولما كان لا بد من وقوع تاويله وهو اتيان ما فيه من
الاخبار بالمغيبات على ما هي عليه قال **ولما ياتهم تاويله** اي الى الان من تكذيبهم اي مرجع الاخبار والى مراجعها وغاياتها حتى يعلموا اصدق هي ام
كذب فانه معجز من جهة نظمه ومن جهة صدقه في اخباره والتاويل لغة الذي يؤول اليه التفسير وهو منتهى التصريح من النفسين ولما كان كانه
قيل ان فعلهم هذا العجب فما حملهم على التمادي فيه فقيل تبعوا في ذلك من قبلهم لموافقتهم في سوء الطبع قال مهددا لهم ومسليا له صلى الله
عليه وسلم **كذلك** اي مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم في اتيانه قبل تدبر المعجز **كذب الذين** ولما كان المكذبون بعض السالفين اثبت
الجار فقال **من قبلهم** اي من كفار الامم الخالية فظلموا اذا هلكناهم بظلمهم ولما كان التكذيب خطر لما يثير من الشر وسبب عنه تحذيرا منه
النظر في عاقبته فقال **فانظر** اي بعينك ديارهم وتقلبك اخبارهم ولما كان من نظر هذا النظر وجد فيه اجل معتبر واعلى مزدجر وجه
السؤال اليه بقوله **كيف كان عاقبة** اي اخر امر **الظالمين** اي الذين رسخت اقدامهم في وضع الاشياء في غير مواضعها حتى كذبوا من لا
يجوز عليه الكذب بوجه وفي المقطوع به ان هذا المسلك يقول فيه غير تلعثم ولا تردد عاقبة وخيمة قاصمة ذميمة والعاقبة ما تؤدي اليه
البادية في التحدي الى فعلا كهم بعذاب الاستئصال لما تقدم من ظلمهم لانفسهم وعتوهم في كفرهم ولما ذكر سبحانه تكذيبهم كان ذلك ربما ايئس
من ايمانهم وتصديقهم واذن باستئصالهم لتكمل المشابهة للاولين وكان صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة عليهم والحرص على ايمانهم فاتبعه
بقوله بيانا لان علمه باقسامهم اوجب عدم استئصالهم عطفا على كذبوا **ومنهم** اي قومك **من يؤمن به** اي في المستقبل **ومنهم من لا**
يؤمن به اي بهذا القران اصلا ولو راي كل اية **وربك** اي المحسن اليك بالرفق بامتك **اعلم بالمفسدين** اي الذين هم عريقون في الافساد
فيعاملهم بما ينبغي في صدك ولما قسمهم هذه الاية قسمين وثلث بذكر القسم الثاني بالواو عرف انه معطوف على مطوي القسم الاول كانه
قيل فان صدقوك فقل الله ولي هدايتكم ولي مثل اجوركم بتسببي فيها افضلا من ربي **وان كذبوك فقل** قول منصف معتمد على قادر عالم **لي**
عملي بالايمان والطاعة **ولكم عملكم** ما لاحد منا ولا عليه من عمل الاخر شيء ثم صرح بالمقتضى من ذلك بقوله محذرا لهم **انتم بريئون مما اعمل**
اي فان كان خيرا لم يكن لكم منه شيء وان كان غيره لم يكن عليكم منه شيء **وانا بريء مما تعملون** لا جناح علي في شيء منه
لا تدعي عليكم ردكم عنه والبراءة قطع العلقة التي توجب رفع المطالبة ولا حجة الى ادعاء نسخ هذه الاية باية السيف فانه لا منافاة
بينهما لان هذه في رفع لحاق الاثم وهو لا ينافي الجهاد ولما قسمهم الى هذين القسمين قسم القسم الاخير الى قسمين فقال **ومنهم** اي المكذبين **من**
ولما كان المستمع اليه اكثر لانهم اشهى الناس الى تعرف حاله وكانوا يحبون ذلك السمع والبصر وكان تحديق العين اليه لا يخفى فكان اكثرهم يتركه اظهارا
لبغضه وخوفا من انكار من يراه عليه وكان القاء السمع بغاية الجهد يمكن اخفاؤه بخلاف الابصار عبر هنا بالافتعال وجمع دالا على
كثرتهم نظرا الى معنى من وافرد في النظر اعتبارا للفظها ودالا على قلة الناظر لما ذكر فقال **يستمعون** وضمن الاستماع الاصغاء
ليؤدي مؤدى الفعلين ودل على الاصغاء بصلته معلقة بحال انتزعت منه فكانه قال مصغين **اليك** اي عند قراءة القران وبيانه
بالسنة ولكنهم وان كانوا قسمين بالنسبة الى الاستماع والنظر فهم قسم واحد بالنسبة الى الضلال فكان تعقب ذلك بحصرهم بحصر الهداية
عليه نتيجة لما كرره فيما مضى بتقسيمهم الى قسمين بعد قوله ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخطابه صلى الله عليه وسلم يريد باسماعه لهم
ما انزل اليه هدايتهم بسبب سماعهم انكارا لسماعهم لاسماع المراد مع علمه بالحق فقال **افانت** اي وحدك **تسمع الصم** اي في اذان
قلوبهم لانهم يستمعون اليك وقد ختم على اسماعهم فهم لا ينتفعون باسماعهم لانهم يطلبون السمع المراد للفهم والسمع ادراك الشيء

بانه يكونون سمعا في التوابع عدم انتفاعهم كانهم مجانين او الاصم العاقل ربما فهم بالنظر في تحريك الشفاه وغيرها فلذلك قال ولو كانوا اي
جبلة وطبعا لا يعقلون اي لا يتجدد لهم عقل اصلا اختصارا وبحيث لا يمكن اسماعهم الا باسماع الصوت الدال على المعنى وبفهم المعنى والمانع
من الاول الصمم ومن الثاني عدم العقل فيها واشار الى انهم بهائم لانها وان كانت لا تعقل فهي تسمع والاصم المفسد السمع بما يمنع من ادراك الصوت
ومنهم من ينظر تحدقا او رايا ببصره من بعيد اليك وهو من التضمين كما سبق في يستمعون نقل ابو حيان انه قال الحصاني في الكشاف وحقيقة
التضمين ان يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل اخر يناسبه وهو كثير في كلام العرب وفي الجمع حذف حالا ماخوذا من الفعل الاخر بمعونة القرينة
اللفظية ويتعين جعل الفعل المذكور اصلا والمذكور حالا تبعا الا زخرفه والدلالة عليه بصلته يدل على عنايا وفي الجملة لا على زيادة القصد اليه
ومن امثلته احمد اليك الله اي منهيا اليك حمده ويقلب كفيه على كذا اي نادما عليه ولا تعد عيناك عنهم اي يتجاوزن عنهم الى غيرهم ولا تاكلوا
اموالهم ضاما اليها الى اموالكم الرفث مفضين الى نسائكم ولا تعزموا اي على النكاح وانتم تنوون عقدة ولا يسمعون مصغين الى الملأ الاعلى سمع الله
اي استجاب لمن حمده والله يعلم المفسد مميزا له من المصلح والذين يؤلون ممتنعين من وطء نسائهم ومعنى الكلام انك يا اكرم الخلق ترى من ينظر من الناس
البله ان ينظر الى ما تاتي به من باهر الايات فيهتدي وهو غير منتفع بنظره لما جعل عليه من الغشاوة في عينه كالاعمى الذي زاد على عدم نظره عدم العقل
فلا بصر ولا بصيرة قال منكرا لذلك افانت تهدي العمي اي عيونا وقلوبا ولو كانوا اي مع ما جبلوا عليه لا يبصرون اي لا يتجدد لهم بصر
ولا بصيرة فلا تمكن هدايتهم لان هداية الطريق الحسي لا تمكن الا بالبصر وهداية الطريق المعنوي لا تمكن الا بالبصيرة والنظر طلب الرؤية بتقليب
البصر ونظر القلب طلب العلم بالفكر والعماية تمنع الرؤية على العين والقلب والابصار ادراك الشيء بما به يكون مبصرا فكانه قيل ما له فعل بهم هذا
والامر بيده فقيل لانه تام الملك العظيم الحكم وهو متفضل في جميع نعمه لا يجب عليه لاحد شيء فهو لا يسئل عما يفعل وبنى عليه قوله ان الله واحسن منه
القليل ولما كان التقدير اذا علمت ذلك فخفف عنك بعض ما انت فيه فانك لا تقدر على اسماعهم ولا هدايتهم لان الله تعالى لا يريد ذلك منهم لا ظلما منهم لا عليهم
ذلك الظلم انفسهم علله بقوله ان الله اي المحيط بجميع الكمال لا يظلم الناس شيئا وان كان هو الذي جبلهم على الشر ولكن الناس اي بما غلب عليهم من شهوة
الاضطراب والتقلب انفسهم اي خاصة يظلمون بحملهم لها على الشر وصرف قواهم فيه باختيارهم مع زجرهم عنه فذلك حجبهم عما جبلوا عليه وان
كان الكل بيده سبحانه ولا يكون الا بخلقه ولما كان في هذه الايات ما ذكر فانتج جدالهم في اباطيلهم وضلالهم وكان فعل ذلك ممن لا يرى حشرا ولا جزاء ولا
نعيما وراء نعيم هذه الدار فعل فارغ الصبر المستطيل للزمن الامن من نوازل الحدثان … بانهم يرون يوم الحشر من الاهوال ما يستقصرون معه
لبثهم في الدنيا فقد خسروا اذ دنياهم بالنزاع واخرتهم بالعذاب الذي لا يستطاع وليس له انقطاع فقال تعالى مهددا لهؤلاء الكفار الذين يعاندون
فلا يسمعون ولا يبصرون عاطفا على ويوم نحشرهم الاول ويوم يحشرهم اي واذكر لهم وانذرهم في الدنيا يوم الحشر بما يستقبلهم من الاهوال
والزلازل الطوال فكانه قيل الى اي غاية فقيل كان اي كانهم لم يلبثوا في دنياهم او الجملة في موضع الحال في ضمير يحشرهم البارز اي مشبهين بمن لم يلبثوا
الا ساعة اي حقيرة من النهار وقوله يتعارفون بينهم حال اخرى تلك الساعة الحقيرة يعرف فيها بعضهم بعضا ليزدادوا بذلك حسرة في
ذلك اليوم بعدم القدرة على التناصر والتعاون والتظاهر كما كانوا يفعلون في الدنيا وعلم ان حالهم هذه هي الخسارة التي ليس معها تجارة فكان السامع
متوقعا الخبر عنها قال متعجبا منهم موضع ما اضمرهم قد خسر اي خفا الذين كذبوا اظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف مستهينين
بلقاء الله اي الملك الاعظم بالاقبال على الدنيا من الخسيس الفاني وتركوا لما كشف لهم عند البعث من النعيم الشريف الباقي ولما كان الذي وقع منه
تكذيب مرة في الدهر قد يفيق بعد ذلك فيهتدي بعد ذلك فيهتدي قال عاطفا على الصلة وما كانوا اي جبلة وطبعا مهتدين مشيرا الى
تسفيههم فيما يعون البصر فيه من المتجر والمعرفة بانواع الهداية ولما كان اخبار الصادق بهلاك الاعداء مقر للعين وكان مشاهدة هلاكهم اقر لها
عطف على قوله قد خسروا واما نرينك اي الان بعظمتنا قبل وفاتك بعض الذي نعدهم اي في الدنيا بما لنا من العظمة فهو اقر لعينيك او نتوفينك
قبل ذلك فالينا مرجعهم فنريك فيما هنالك ما هو اقر لعينيك واشفى لقلبك … الاحتباك ذكر اولا الاداة دليلا على حذفها ثانيا
والوفاة ثانيا دليلا على حذفها اولا وثم في قوله ثم الله اي المحيط بكل شيء شهيد اي بالغ الشهادة على ما يفعلون في الدارين يمكن ان تكون

على ما

تكون مشيرة الى التراخي بين ابتداء رجوعهم بالموت وانتهائه بالقيامة وليس المراد بقوله شهيد ظاهره بل العذاب الناشئ عن الشهادة في الاخرة لان الله
يعاقبهم بعد مرجعهم فيزيدهم ما نعدهم لانه عالم بما يفعلون ولما كان في هذه الاية التهديد بالعذاب اما في الدنيا او في الاخرة غير معين له صلى الله عليه وسلم
واحدة منهما اتبعها بما هو الحكم بالامرين بالنسبة الى كل رسول اشارة الى ان احوال الامم على نظام واحد فلذلك لم يجزم بتعيين واحدة من الدارين للجزاء
وجعل الامر منوطا بالقسط فهو الى ما كان الحكم جعله فيها فقال تعالى الاعلى انه لما ذكر الاجماع وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
من لدن ادم عليه السلام الى اخر الدهر على وجه لم يحصل الاندراس في دهر من الدهور فمن تركه استحق العذاب سواء كان ممن بين عيسى ومحمد عليهما السلام ام لا
فلا تغتر بما يقال من غير هدى ولكل امة اي من الامم الخالية قبلك رسول يدعوهم الى الله ثم شيء عن اتيان رسولهم بيان القضاء فيهم فقال فاذا جاء
اليهم رسولهم في الدنيا بالبينات والهدى وفي الاخرة في الموقف بالاخبار بما صنعوا في الدنيا من تكذيب او تصديق قضي بينهم اي في جميع الامور بما
افاده نزع الجار على اسهل وجه من غير شك بما افاده البناء للمفعول ولما كان السياق بالترهيب اجدر قال بالقسط فاظهر ما كان خفيا من حقائقهم في القضاء
بالعدل والقسمة المنصفة بينهم كلهم بالسوية فاعطى كلا منهم مقدار ما يخصه من تعجيل العذاب او تاخيره كما فعل معك ولما كان ذلك لا يستلزم
الدوام قال وهم لا يظلمون اي لا يتجدد لهم ظلم منه سبحانه ولا من غيره ولما تقدم في هذه الايات تهديدهم بالعذاب في الدنيا او في الاخرة حكى سبحانه
جوابهم عن ذلك عطفا على قوله ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقال ويقولون اي هؤلاء المشركون مجددين لهذا القول مترتبين على ذلك استهزاء
متى هذا الوعد اي بالعذاب في الدنيا او في الاخرة واصبروا وجيء بقولهم ان كنتم اي انت ومن تبعك بالقول الحق صادقين والقول كلام متضمن في ذكر
بالحكاية وقد يكون كلاما لا يعبر عنه فلا يكون له ذكر متضمن بالحكاية فلا يكون قولا لانه انما يكون قولا من اجل تضمنه ذكره بالحكاية قاله الرماني والتضمين جعل
الشيء في وعاء والوعد خبر بما يعطي من الخير والوعيد خبر بما يعطي من الشر وقد يراد الاجمال كما هنا فيطلق الوعد على المعنيين ويجوز التخويف بالشيء
بالعقاب والصدق الخبر عن الشيء على ما هو به والكذب الخبر عنه على خلاف ما هو به ولما تضمن قولهم هذا استعجاله صلى الله عليه وسلم بما يتوعدهم به امره
بان يتبرأ من القدرة على شيء لم يقدره الله عليه بقوله قل اي لقومك المستهزئين لا املك لنفسي فضلا عن غيري ولما كان السياق للنقمة قدم الضر منبها
على ان نعمة اكثر من نقمة وانهم في نعمة عليهم ان يقيدوها بالشكر خوفا من زوالها فضلا عن ان يتمنوه فقال ضرا ولا نفعا ولما كان من المشاهد ان
كل حيوان يتصرف في نفسه وغيره ببعض ذلك قال الا ما شاء الله اي المحيط علما وقدرة ان املكه منه ذلك الوقت فكانه قيل فما لك لا تدعوه بان يشاء ذلك او
يقدرك عليه فقيل لكل امة اجل فكانه قيل ماذا يكون فيه فقيل اذا جاء اجلهم هلكوا ولما كان قطع رجائهم من الفسحة في الاجل من اشد عذابهم قدم قوله
فلا يستاخرون اي عنه ساعة ثم عطف على الجملة الشرطية بجملتها ولا يستقدمون فلا تستعجلوا فان الوفاء بالوعد لا بد منه والسين فيهما بمعنى
الوجدان اي لا يوجد لهم الفعل الذي صيغ منه الفعل مثل استكمل الشيء واستقله ويجوز كون المعنى لا يوجدون التاخر ولا التقدم وان اجتهدوا في الطلب فكانه
في السين معنى الطلب في الملك قوة يتمكن بها من تصريف الشيء اتم تصريف والنفع ايجاب اللذة بفعلها او التسبب المؤدي اليها والضر ايجاب الالم بفعله او التسبب
اليه والاجل الوقت المضروب لوقوع امر ولما كان اجل قصدهم بذلك الاستهزاء وكان وقوعه امرا ممكنا وكان من شان العاقل ان يبعد عن كل خطر ممكن امره صلى الله
عليه وسلم بجواب اخر خوفا منه واو العطف لئلا يظن انه لا يكفي في كونه جوابا الا بضمه الى ما عطف عليه فقال قل اي لمن استبطا وعيدنا بالعذاب في الدنيا
او في الاخرة وهو لا يكون الا بعد الاضر في الدنيا اعلاما بان الذي يطلبونه ضر لا نفع فيه بوجه فهو مما لا يتوجه اليه قصد عاقل ارايتم وهي من رؤية
القلب لانها دخلت على الجملة من الاستفهام ان اتاكم عذابه في الدنيا ولما كان اخذ الليل انكى واسرع قدمه فقال بياتا اي في الليل بغتة وانتم نائمون كما
يفعل العدو ولما كان الظفر ليلا يستلزم الظفر نهارا بل اجدر قال او نهارا اي مكافحة وانتم مستيقظون مستمرون على عنادكم فلا تؤمنوا فكانهم قالوا
لا فليعجل به لنرى فقيل انكم لا تدرون ما تطلبون انه لا طاقة لمخلوق بنوع منه وليجزى على مثل هذا الكلام الاجرم ماذا اي ما الذي يجوز ان
يكون هذا جواب الشرط يستعجل اي يطلب العجلة منه اي من عذابه وعذابه كله مكروه لا يحتمل شيء منه المجرمون ان سنة الله قد استمرت بان المكذب لا يثبت
الا عند ما تقاله واما اذا برك بكلكله واناخ بثقله فانه يؤمن حيث لا ينفعه الايمان ولن تجد لسنة الله تحويلا وهذا معنى التراخي في قوله اثم اذا ما وقع اي عذابه
وانتهى كل ما يضاده امنتم به وذلك انه كانت عادتهم تكذيب قبلهم الاستعجال بالعذاب عند التوعد به وكانت سنة الله قد جرت بان المكذبين اذا اتاهم

العذاب بتراخي ايمانهم بعد مجي مقدماته وقبل احساسهم بعظائم صلابة لشدة عنادهم فيه وتوطنهم عليه كما وقع للاولين من الامم
بغيا وعتوا كقوم صالح لما تغيرت وجوههم بالوان مختلفة في اليوم الاول ثم الثاني ثم الثالث وما ايقنوا بالهلكة ووقع بعضهم
بعضا ولم يومنوا وجريانهم اذا ذاقوا مس العذاب واخذتهم نواصيه الصعاب شغلتهم دواهيه عن العناد واضطرتهم اهواله الى
سبيل الانقياد فكان في غاية الحسن وصح تقريعهم على الاستعجال عقيب الوعيد ثم وضع التراخي عن الايمان بالعذاب بعد الاشراف على الهلاك وشيء من
التلف فكانه قيل اخبروني على تقدير اتيكم عذابه الذي هو العذاب الاعظم منه كما دل على ذلك اضافته اليه هل يسكم او كاشفكم ماذا تفعلون
اتومنون فقالوا الا فليعجل به لبرح فطلب فلما كان استعجالهم بعد هذا الانذار تسفيههم على ذلك فقيل ماذا اي اي نوع منه يطلب عجلته
المجرمون ولا نوع منه الا وهو فوق الطاقة ووراء الوسع ان هذا المنكر في الاستبعاد تراخي ايمانكم عن مخايل صدمته ومشاهدة مبادي
وشدته اوجدتم ايمانه به عند وقوعه تقبلا لكم حين اضطرتكم فواجئه الى الايمان وحملتكم قوارعه على صورة الاذعان آلآن تؤمنون به
الى سببه بعد ان زال ابطنتنا فواكم وحل عزايم همكم واوهاكم وقد كنتم به تستعجلون اي كونا كانكم مجبولون عليه اي تطلبون تعجيله
طلبا عظيما حتى كانكم لا تطيقون عجلته شيء غيره تكذيبا وعزما على الاستمرار على العناد لو وقع فلم تقبل ايمانكم هذا منكم ولا كف عذابا
عنكم بل يصيركم كاستيل الدابر ولما كان ما ذكر هو العذاب الدنيوي اتبعه ما بعده اعلاما بانه لا يقتصر عليه في جزائهم فقال ثم قيل اي يوم الجزاء
قائلا على سبيل الاستهانة للذين ظلموا اي وعبدا زكم في الدنيا والبرزخ بالعذاب وعزكم بشديد العقاب قيل لكم يوم الدين لظلمكم بالاباء وعبا
ام ترون فيما بوضعكم الامر ذلك في غير موضعه ذوقوا عذاب الخلد فالاتيان بثم اشارة الى تراخي ذلك عن الاهلاك في الدنيا بالمكث في البرزخ
او الى بعد ابه ادنى في عذاب يوم الدين بناه للمفعول لان المخيف مطلق الجزاء ولما كان الاستفهام الانكاري بمعنى النفي وكان المعنى لا شيء
تستثنى منه فقال هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اي تجبلة ثم في الدنيا من العزم على الاستمرار على الكفر ولو طال المدى لا تنفكون عنه لشيء من الاشياء وان عظم
فما جزاوكم الخلود في العذاب طبق الفعل بالفعل والعذاب الالم المستمر واصله الاستمرار ومنه العذوبة لاستمرارها في الحلق واستسابه الشيء ليلة
والذوق طلب الطعم بالفم في ابتدا الاخذ ولما انقضى ما تستملح عليه الاية من التهديد بصادع الوعيد الذي اخبرتهم انهم صادرون الى ما هو جدير بسامع
ذلك من النزول عن ذلك العنا الى مبادي الانقياد بقوله ثم ويستنبئونك عطفا على قوله ويقولون متى هذا الوعد اي ويطلبون منك
الانباء وهو الاخبار العظيم عن حقيقة هذا الوعيد الجسيم ويمكن ان يكون ذلك منهم على طريق الاستهزاء كالاول فيكون التعجيب والتوبيخ فيه لكونه ماضي
في الادلة اشد احق هو اي اثابت هذا الذي تتوعدنا به ام هو كالسحر لا حقيقة له كما تقدم انهم قالوه قل اي في جوابهم اي وربي المحسن الي بالتدبير
لي والمقصد لجميع ما اتي به ولما كانوا منكرين اكد قوله انه لحق اي كائن ثابت لا بد من نزوله بكم ولما كان الشيء قد يكون حقا ويكون الانسان قادرا
على دفعه قال نفيا لذلك وما انتم اي بمن يتوقعكم بمعجزين فيما يراد بكم ولما اخبرهم بحقيقته اخبرهم بما يكون منهم الظالم ايضا عند معاينته
بالسماح ببذل جميع ما في الارض حيث لا ينفع البذل بعد ترك المامور به وهو ايسر الاشياء واحسنها فقال ولو ان لكل نفس ظلمت اي غلط المعاينة
ما في الارض كلها من خزائنها ونفائسها لافتدت به اي جعلته فدية لها من العذاب لكنه ليس لها في الحال ولو كان ما قبل منها فاذا وقع ما يوعدون استسلموا
واسروا الندامة اي اخفوا ندمهم ولم يقدروا على الكلام لما رأوا العذاب لانهم بهتوا لعظم ما دهمهم فكان فعلهم فعل المسر لانهم لم يطيقوا
بكاء ولا شكاية ولا شيئا مما يفعله الجازع وههنا الاستنباء طلب النبا بما له شان والاستفهام طلب الفهم والنبا خبر عن يقين في امر كبير والحق
عقد على المعنى على ما هو به تدعو الحكمة اليه وكل ما بني على هذا العقد فهو حق لاجله والحق في الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما
طريقه العلم والقوة فيما طريقه غالب الظن وذلك فيما يجتمع امرين احدهما الشبه بالاصل الذي جاء به النص والافتداء ايقاع الشيء بدلا من غيره
نزع المكروه فداه فدية وفدا به وافتداه افتداء وفاداه مفاداة وفداه تفدية وتفادى منه تفاديا والاسرار اخفاء الشيء في النفس والندامة
الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وهي حال المعقول يتاسف صاحبها على ما وقع منها ويود انه لم يكن اوقعها ولما اشتملت الايات الماضيات
على تحتم انجاز الوعد والعدل في الحكم ختمت بقوله وقضى اي اوقع القضاء على ايسر وجه واسهله ولما استغرق القضاء جميع وقائعهم دل

عليه

عليه بتنزيه الجائر فقال بينهم اي الظالمين والمظلومين والظالمين لا للظالمين بالقسط اي العدل ولما كان وقوع ذلك لا ينفي الظالم في وقت ما قال
وهم اي والحال انهم لا يظلمون اي لا يقع فيهم ظلم من احد اصلا في شأنهم في وقت ما ولما كان الحامل للملوك في الدنيا على الكذب والجور والظلم
العجز او طلب النفع من الملك اشار الى تنزهه عن ذلك بقوله موكدا مستولهم مشاقا للمنكر لانه فعلهم في عبادة الاصنام فعل من ينكر مضمون الكلام
الا ان لله اي الملك الاعظم وحده ما في السموات بدابها لعلوها معنى وحسا وعظمتها ولما كان المقام للغنى عن الظلم لم يحوج الحال الى تاكيد
باعادة النافي فقال والارض اي من جوهر وعرض مما نشوه ونطق فلا شيء خارج عن ملكه يحوجه الى الظلم او اخلاف وعد لحيازته والحاصل
انه لا يظلم الا ناقص الملك ولما له الملك كله فهو الحكم العدل لان جميع الاشياء بالنسبة اليه على حد سواء ولا يخلف الوعد الا ناقص القدرة
ولما له كل شيء ولا يخرج عن قبضته شيء فهو المحق في الوعد العدل في الحكم وفي الاية زيادة تحسير وتندم للنفس الظالمة حيث اخبرت بان ما
تود ان تفتدي به ليس لها منه شيء ولا يقدر على التوصل اليه ولو قدرت ما قبل منها وانما هو لمن رضي منها بالقليل منه فضلا منه فخلتها على ما
امر به على السنة رسله وعلى هذا فيجوز ان يكون التقدير لو ان لها ذلك لافتدت به لكنه ليس لها بل لله فلما ثبت ان لله حكمه بالعدل
وتنزه عن اخلاف الوعد صرح بمضمون ذلك بقوله موكدا لانكارهم الا ان وعد الله اي الذي له الكمال وحده حق لانه تام القدرة والغنى
حامل له على الاخلاف ولكن اكثرهم اي الذين تدعوهم وهم يدعون دقة الافهام وسعة العقول لا يعلمون اي لا علم لهم فهم لا ينظرون فيما
نصبنا من الادلة فلا ينقادون لما امرنا به من الشريعة فهم باقون على الجهل معدودون من البهائم والا مركبة من همزة الاستفهام ولا وكانت
تقريرا فتذكير فصارت تنبيها وكسرت ان بعدها لانها استئنافية تنبيه لها على معنى يبتدا به ولذا يقع بعدها الامر والدعاء بخلاف لو
والا لكثرة تقبل الظلم يجري بعدها الاكثر والا ما قد يكون بمعنى حقا في قولهم اما انه منطلق وهي الحال تجاز في ان بعدها الوجهان ذكره الرماني
والسموات طباقا مرفوعة او لها سقف مزين بالكواكب وهي سما بمعنى علا ولما تقرر انه لا شيء خارج عن ملكه وانه تام القدرة
لانه منجا من عذابه شامل العلم لقضائه بالعدل صادق الوعد لانه لا حامل له على غيره وثبت تفرده بانه يحيي ويميت ثبت انه قادر
على الاعادة كما قدر على الابتداء فثبت انه لا يكون الرد الا اليه فنبه على ذلك بقوله هو اي وحده يحيي اي كما انتم به مقرون ويميت
كما انتم تشاهدون واليه اي لا الى غيره ترجعون لانه وعد بذلك في قوله اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا وفي قوله فالينا مرجعهم وفي قوله اي
وربي انه لحق وغير ذلك ولا مانع منه والحيوة معنى يوجب صحة العلم والقدرة ونقيضه الموت وهو يحل سائر اجزاء الحيوان فيكون بجميعه حيا واحدا
والحي هو الذي يصح ان يكون قادرا والقادر هو الذي يصح ان يفعل ويصح ان لا يفعل والموت محو يضاد الحيوة على البنية الحيوانية وليس كذلك الجماد
ولما ثبت ان ذلك كله حق مباين للسحر الذي بناه على التخييل اقبل على الذين تقدم الاخبار عنهم في اول السورة في قولهم اكان للناس عجبا انهم
قالوا انه سحر فقال يا ايها الناس اي الذين قالوا ان وعدنا والاخبار به سحر ولما كان بين الارواح والابدان حب عظيم بالتعلق والتأثر الواقع
لذلك بشهواتها في هذه الحيوة الدنيا بما انطبع فيه من مطامع الحس ظلم ياته نور العقل حتى نمو النقائص بقوة التلفح التعلق فحدث له اخلاق ذميمة
وهي امراض روحانية فاحتاج الى دواء يوجد ويدبره واحتاج اليه طبيبا حاذقا هو الرسول صلى الله عليه وسلم لعلاج هذه الامراض وكان كتاب الله
لوصف الادوية فكان كالحكيم الطبيب ينفع المريض من اسباب المرض قال قد جاءتكم موعظة اي امر عظيم عن التحلي عن كل ما يشغل القلب عن الله
المحظورات وغيرها من كل ما لا ينبغي وذلك هو الشريعة ولما كان الناس والعدو شديد الخطر وهو انواع الى النفوس لما بينها من الابنية النقص وكان كالعرف
عند اشق شيء عليها رغبها في القبول بقوله من ربكم اي المحسن اليكم المدبر لمصالحكم بهذا القرآن ولما كان الترقي ما يعمل بعد الحمية تعاطي الدواء
المزيل للاخلاط الفاسدة من الباطن قال وشفاء اي عظيم لما في الصدور من ادواء الجهل وذلك الشفاء يحصل بتطهير الباطن بعد
التخلي عن الاخلاق الذميمة بالتحلي بالصفات الحميدة ليصير الباطن سالما عن العقائد الفاسدة والاخلاق الناقصة كما سلم الظاهر عن الافعال الدنية
وهذا هو الطريقة ولما كانت الروح اذا انصقلت مرآتها صارت قابلة لتجلي الانوار عليها تفيض عليها البروق الالهية والنفحات القدسية
والمواهب الملكوتية لانها دائمة للمعالي قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه ان لربكم ايام دهركم نفحات الا

الا لتعرضوا لها الحرمين وليس المانع منه ولهذا فيجعل القلب العدم القابلية من بعضها لتراكم الظلمات فيها من صدا المخالفة ورين الاعراض و
الغفلة فيكون بذلك كالمرايا الصدية لا يقبل انطباع الصور بها قال تعالى **وهدى** الى الحق لانه نور عظيم يقود صاحبه ولا بد الى الطريق الاقوم
وهذا للصديقين وهو الحقيقة ولما كان هذا النور اذا زاد عظمه وانتشر اشراقه يفيض بعد الوصول الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية
على ارواح اتباعهم فيض النور من جوهر الشمس على اجرام العالم فيتنير كل قابل له بتقبل عليه قال تعالى **ورحمة** اى اكرام عظيم بالامامة بالغ فى الكمال
والاشراق الحاصل لمن يرد عليه وهذا للانبياء عليهم السلام ولما كان لا ينتفع بانوارهم الا من توجه اليهم ثم ان الانتفاع بهم يتفاوت بتفاوت درجات التوجه اليهم
والاقبال عليهم قال **للمؤمنين** الذين اتبعوه وهم راسخون فى التوجه المتشرفين والاستسلام لهم فكان ذلك سببا لنجاتهم اشار الى هذا الامام
وقال فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الحكم الاربع القرانية على وجه لا يمكن تاخير شىء منها عن موضعه ولا تقديمه هذا
بخلاف ما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من السحر فانه داء كله وضلال يجر الى الشقاء والموعظة ابانة تدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة
والوعظ داعية الى الخشوع والنسك ومرفوع على الفسوق والاثم والشفاء ازالة الداء وداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه عسر واطباؤه
اقل والشفاء منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع فى الحى لشرف القلب والهدى بيان عن غى يؤدى الى الحق وهو ادلة تؤدى الى المعرفة
والرحمة نعمة على المحتاج ولما ثبت ذلك حتم عليه لبعده من السحر بشبابه وعدم القدرة على ازالته فضلا عن ازالة ويتم شفاء وموعظة
وهدى ورحمة فهو جامع لمراتب القرب الالهى كلها وزهدهم فيما هم عليه مقبلون من الحطام المشارك للسحر فى سرعة التحول والتبدل بالفناء و
الاضمحلال لتطوهل الزهد فيه والاعراض عنه فقال تعالى **قل بفضل الله** الاية دعى كل الحسن تعقيب ذلك لقوله هو يحيى ويميت لما ذكر من
عجز الحيل عنه ولان القرآن محياة من الجهل من اقبل عليه افاده العلم والحكمة فكان للقلب كالحياة للجسد ومن اعرض عنه صار فى ضلال وخبط
نوصل الى الهلاك الدائم فكان من اعرض عنه ميت الروح وجعل ابو حيان متعلق الباء فى بفضل محذوفا تقديره قل ليفرحوا بفضل الله اى الملك
الاعلى **وبرحمته** ثم عطف على ذلك **فبذلك** اى الامر العظيم جدا وحده ان فرحوا بشئ ما **فليفرحوا** فهما جملتان وقال الرازى ان الاظهر
وفائدة الثانية قصر الفرح على ذلك دون ما يؤثرون من الحطام فالسعادات الروحانية افضل من السعادات الجسمانية ثم صرح بسبب الفرح فقال
هو اى المحدث عنه من الفضل والرحمة **خير مما يجمعون** اى من حطام الدنيا وان كان اشرف ما فيها من المتاع دار يبيت فيه على تعاقب
الاوقات والعاقل يختار لتعلقه الافضل والفضل الزيادة فى النعمة والفرح لذة فى القلب بنيل المشتهى ولما وصف القرآن العظيم بالشفاء وما معه
المقتضى لاستقامة المناهج وسداد الشرائع ووضوح المذاهب واشار الى ان العاقل ينبغى له ان يخصه بالفرح لبقاء اثاره وما يدعو اليه وزهد
فيما يجمعون لفنائه ولانه يدعو الى رذائل الاخلاق فيحط من اوج المعالى اشار الى انهم كما خبطوا فى الفرح فخصوه بما يفنى معرضين عما
يبقى فلذلك خبطوا فى طريق الجمع فوعروها على انفسهم بان حرموا بعض الحلال فمنعوا انفسهم ما هم فيه فرحون ذلك امر الله تعالى فتنقصوا
بذلك حظوظ فى الدنيا بهذا المنع وفى الاخرة بكونهم على بهيم فى تحريمه حيث جعلوه شرعا مرضيا وهو فى غاية الفساد والبعد عن
الصواب والقصور عن مراقى السداد فقال تعالى **قل** اى لهؤلاء الذين يستهزؤن بك استهزاء تماضيا عليهم بانهم لا عقول لهم
مستهزيا بهم وموبخا لهم توبيخا هو فى احكم مواضعه وسياقه على طريق السؤال لبحيث انهم لا يقدرون على الجواب اصلا بغير الاقرار
بالافتراء فقال **ارايتم** اى اخبرونى وعبر عن الخلق بالانزال تنبيها على انه شئ لا يمكن ادعاؤه لاصنامهم لنزوله من السماء موضع التعلق
لهم به بوجه فقال **ما انزل الله** اى الذى له صفات الكمال التى منها الغنى المطلق **لكم** اى خاصة بكم **من رزق** اى اى رزق كان **فجعلتم**
منه اى ذلك الرزق الذى خصكم به **حراما وحلالا** على النحو الذى تقدم فى الانعام وغيرها قصة وبيانا فنشا على انه جلى الفساد
ظاهر العوج ثم ابتدا امرا من تاكيد الانكار عليهم فقال **قل** اى من اذن لكم فى ذلك **الله** اى الملك الاعلى **اذن لكم** فتوضحوا المستند به
ام اى لم ياذن لكم فيصح نسبتكم اياه اليه لانكم فصلتموه الى حرام وحلال ولا يحلل ويحرم الا الله فانتم **على الله** اى المحيط بكل شى
عظمة وعلما **تفترون** مع نسبتكم الافتراء الى من ... هذا القران الذى عجز الافكار والشرع الذى بهر العقول وادعائكم انكم

ابعد الناس من مطلق الكذب واظهرهم ديولا منه وتقديم الجار للاشارة الى زيادة التشنيع عليهم من حيث انهم اشد الناس تبريا من الكذب وقد
خصوا الله على تقدير التسليم لهم بان نعزو الكذب عليه ولما كان قد مضى من ادلة المعاد ما صيره كالشمس وكان زاغ افرادهم قد ثبت بعدم قدرتهم
على سند باذن الله لهم فى ذلك تعالى يشير الى القيمة مما هو معلوم لا يسوغ انكاره **وما ظن الذين يفترون** اى يتعمدون **على الله** اى الملك
الاعظم **الكذب** انه نازل بهم **يوم القيمة** اى هب انكم لم تستحيوا منه ولم تخافوا عواقبه فى الدنيا فما تظنون انه يكون ذلك اليوم اتظنون انه لا يحاسبكم
فيكون قد فعل ما لا يفعله ربع مع مربوبه ولما كان تعالى يعاملهم بالحلم وهم يتمادون فى هذه العقوق قال **ان الله** اى الذى له الكمال كله **لذو**
فضل عظيم **على الناس** اى بنعم منها انزال الكتب مفصلا فيها ما يرضاه وما يسخطه وارسال الرسل عليهم السلام لبيانها بما تحتمله عقول
الخلق منها ومنها طول امهالهم على سوء اعمالهم فكان شكره واجبا عليهم **ولكن اكثرهم** اى الناس لاضطراب ضمائرهم **لا يشكرون** اى يتجدد منهم
شكر فهم لا يتبعون رسله ولا كتبه فهم يخبطون خبط عشواء فيفعلون ما يغضبه سبحانه فى التحريم عقد معنى النهى عن الفعل وفى التحليل حل معنى النهى
بالاذن والشكر حق يجب بالنعمة من الاعتراف بها والقيام فيما تدعو اليه على قدرها وافتراء الكذب تزويره وتنميقه فهو افحش من مطلق الكذب
ولما وصف القران بما وصفه به من الشفاء وما معه بعد اقامة الدليل على اعجازه واشار الى ان ما ترددوا به فى غاية الخبط وانه مع كونه كذبا
يقدر كل احد على تغييره باحسن منه لكونه غير مبنى على الحكمة وختم ذلك بتهديدهم على افتراء الكذب فى شرع ما لم ياذن به مع ادعائهم ان القرآن مفترى
وهم عاجزون عن معارضته وبانهم لم يشكروه على نعمه التى اجلها تخصيصهم بهذا الذكر الحكيم والشرع القويم وكان قد اكثر فى ذلك الكلام من الامر
له صلى الله عليه وسلم بمحاجتهم قل لا املك لنفسى قل ارايتم ان اتيكم عذابه قل اى وربى انه لحق قل بفضل الله الاية قل ارايتم ما انزل الله لكم
قل الله اذن لكم قال تعالى عاطفا الى قوله ومنهم هذا القرآن يفترى الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم وتقوية لهمته وزيادة فى تهديدهم عطفا
على ما تقديره فقد انزلنا اليهم على لسانك ما هو شرف لهم ونعمة عليهم وهو فى غاية البعد عن مطلق الكذب فان كل شئ منه فى احكم مواضعه
واحسنها لا يتطرق اليه الباطل بوجه وهم يقابلون نعمته بالكفر **وما تكون** انت **فى شان** اى امر ما كان **وما تتلو منه** اى من القران المحدث
عنه فى جميع هذه السورة الذى تقدم انهم كذبوا به من غير شبهة لهم **من قران** اى قليل او كثير **ولا تعملون** اى الكم طائعكم وعاصيكم واغرق
فى النفى فقال **من عمل** صغير او كبير **الا كنا** اى على ما لنا من العظمة **عليكم شهودا** اى عالمين باحاطة علمنا وكمال حضورنا عمل الشاهد
اذ تفيضون فيه الاية اى دنا بانك بعينى فى جميع هذه المراجعات وغيرها من شؤنك وانا العالم بتدبيرك والقادر على نصرك وهى
كلمات كتابى التى تنضال القوى دونه وتقف الافكار عن محاذاته لانه حكيم لكونه من عزيز فجل عن مطلق المعارضة لفظا او معنى
فضلا عن التغيير فضلا عن الاتيان بما هو مثله فكيف بما هو احسن منه لاستقامة امره وتناسب احكامه وكونه شفاء وهدى ولما كان ذلك مخصوصا
عندهم قطعوا بان جزما ما لا عالم بالاضافة فيه الا انفصل عنه وجميع الامور الواقعة منك ومنهم ومن غيرهم ولما كان ربما ظن ظان
من انهم كنا وشهودا للحضور انه سبحانه يحتاج اليهم نفى ذلك بقوله **وما** اى والحال انه ما **يعزب** اى يغيب ويخفى **عن ربك** المربى لكل
مخلوق بعام افضاله ولك بخاص نعمه واشرف نواله واغرق فى النفى فقال **من مثقال ذرة** اى وزن نملة صغيرة جدا وموضع وزنها
وزمانه ولما كان فى شؤون اهل الارض كان تقديمها اولى فقال **فى الارض** ولما لم يدع الى السياق الى الجمع بها كما يأتى فى سباق الكفار بالمفرد
الدال على الجنس **ولا فى السماء** اى ما علا عن الارض كائنا ما كان ولما كان ربما ادعى الجحود بعض الاشياء لا يحيل المثقال على حقيقته وتحمل
ان المراد به المبالغة قال عاطفا على الجملة من اولها وهو على الابتداء سواء رفعنا الراء على قراءة حمزة ويعقوب او نصبناها عند
الباقين **ولا اصغر من ذلك** اى من مثقال الذرة **ولا اكبر** ولما انتهى الابتداء الشامل للحاضر اخبر عنه بقوله **الا** اى الا شئ من ذلك
الا موجود **فى كتاب** اى جامع **مبين** اى ظاهر فى نفسه مظهر لكل ما فيه وسيأتى نبأ ما يتم به هذا المعنى فى الدفع ... لهم وتثبيت له
صلى الله عليه وسلم ولاح بهذا ان ما بعد الا حال من الفاعل اى ما تفعل شيئا الا وانت باعيننا فثبت ان القرآن بعلمه فلو افتراه احد عليه
لامكن منه والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانصباب اليه وهو الانبساط فى العمل اخذا من فيض الاناء اذا انصب ما فيه من جوانبه

وافتتم تفرقتم كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء والعزوب ذهاب المعنى عن العلم وضده الحضور والذر صغار النمل وهو خفيف الوزن
جدا ولما تقدم انه سبحانه شامل العلم علم من ضح احوال ... في كتاب مبين اي بين من انكشف
منه وجده في غير خفاء ولا احتياج الى تفتيش وانه كامل القدرة بعد ان تقدم انهم فريقان صادق في امره ومفتر عليه وانه متفضل على الناس
بعدم المعاجلة والتاخير الى القيمة وخوف المفتري عواقب امره عاجلا واجلا ورجى المطيع كان موضع ان يقال ليت شعري ماذا يكون
تفصيل حال الفريقين في الدارين على الجزم فاجيب بان الاولياء فائزون والاعداء هالكون ليقيم كل مطيع عن ساعد جده ويبذل غاية
جهده في لحاق المخلصين ويتحامى جانب المفترين بقوله تعالى موكدا لاعتقادهم انهم يهلكون حزب الله وانكارهم غاية الانكار ان
يفوتوهم الا ان اولياء الله اي الذين يتولونه بالطاعة من لا شيء اعز منه ولا اعظم ويتولاهم لا خوف اي ثابت عال عليهم اي
من شيء يستقبلهم ولا هم اي بضمائرهم يحزنون اي يتجدد لهم حزن على فائت لان قلوبهم معلقة بالله سبحانه فلا يؤثر فيهم خوف
لذلك ولا حزن اثرا يقطع قلوبهم كما يعرض لغيرهم ثم فسرهم بقوله الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف المصحح للاعمال وهو كمال القوة العلمية
وكانوا اي كونا صار لهم جبلة وخلقا يتقون اي يوجدون التقوى وهي كمال القوة العملية في الايمان والاعمال ويجددونها فانه لا يقدر
احد ان يقيد لله حق قدره وانتهى الجواب بقوله ان الذين يفترون على الله الكذب الاية وهذا الذي فسرنا به الاولياء لا مرية في حسنه وعن
علي رضي الله عنه قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الخوى وقيل الولي من لا يرائي ولا ينافق وما اقل صديق من هذا
خلقه وصح عن كل من الامامين ابي حنيفة والشافعي كما نقل ذلك عنهما الشيخ محيي الدين النووي في شرح المهذب والتبيان ان كلا منهما
قال ان لم يكن العلماء اولياء الله فليس لله ولي وهذا في العالم العامل بعلمه كما بينته عند قوله تعالى في سورة الزمر قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولما نفى عنهم الخوف والحزن زادهم فقال مبينا لتوليه بعد ان شرح توليهم له لهم اي خاصة البشرى الكاملة
في الحيوة الدنيا اي بان دينهم ظاهر وحالهم مشهور وعدوهم مخذول وعمله لا يقبل وبالرؤيا الصالحة وفي الاخرة بانهم مع الشهداء
واعداؤهم الاشقياء وتتلقاهم الملئكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ولما كان الغالب على احوال اهل الله في الدنيا الضيق ولا سيما
في اول الاسلام كان السامع لذلك معرضا لان يقول يا ليت شعري هل تتم هذه البشرى فقيل نعم واكد بنفي الجنس لان الجبابرة ينكرون ذلك لهم
لما يرون من انه غرهم من وراء ذلك ... ما الباطل المتكبرين ... لا تبديل اي بوجه من الوجوه لكلمات الله اي الملك
الاعلى الذي له الاحاطة بكل شيء علما وقدرة وعلله بقوله ذلك اي الامر العالي الرتبة هو اي خاصة الفوز العظيم في موضع البيان والكشف
لمضمون هذه البشرى والخوف انزعاج القلب بما يتوقع من المكروه ونظيره الجزع والفزع ونقيضه الامن والحزن انزعاجه وغلظ الهم بما وقع
من المكروه من الحزن الارض الغليظة ونقيضه السرور وهما يتعاقبان على حال الحي الذاكر للمحبوب والبشرى الخبر الاول بما يظهر سروره
في بشرة الوجه ولما تقدمت البشرى بنفي الخوف والحزن معا عن الاولياء علم ان المعنى هذه البشرى للاولياء وانت رأسهم فلا تخف فعطف
عليه قوله ولا يحزنك قولهم اي في تكذيبك وفي الاستهزاء بك وتهديدك فان ذلك قول ...
المنة الغني القدير عن ... ذلك الضعيف الفقير فكيف بالعلي الكبير واوضح التعليل لهذا النهي بقوله ان العزة اي الغلبة والقهر
وتمام العظمة لله اي الملك الاعلى حال كونها جميعا فيعز لهم ويعز دينه والمراد بذلك التسلية عن قولهم الذي يؤذونه به ولما
بنيت الاية بقولهم ختمها بالسمع ... العلم به ... بالنسبة الى الصفات فقال هو اي وحده السميع
اي البليغ السمع لاقوالهم العليم اي المحيط العلم بضمائرهم وجميع احوالهم البالغ القدرة على كل شيء فيجازيهم بما تقتضيه وهو
تعليل التفرد بالعزة لانه يوجب هذين الوصفين فانتفيا عن غيره ومن انتفيا عنه كان من الحيوانات العجم فانى تكون له عزة والعزة قدرة
على كل جبار بالارغام ولا يضام ... في اللفظ للقول وفي المعنى للسبب المؤدي الى التا
بالقول وكسرت ان هنا للاستيناف بالتذكير بما ينفي الحزن الا انها بعد القول لانها ليست حكاية عنهم وتجيء فتحها على معنى لان

ولما ختمت بعموم سمعه وعلمه بعد قصر العزة عليه كان كانه قيل ان العزة لا تتم الا بالقدرة فاثبت اختصاصه بالملك الذي لا يكون الا بها فقال
مؤكدا لما يستلزمه اشراكهم من الانكار المضمون هذا الكلام الا ان لله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما كان بعض الناس قد اشركوا
ببعض النجوم جمع فقال معبرا باداة العقلاء تصريحا بانهم ... باداة غيرهم من في السموات اي كلها وابتدا بها لان ملكها يدل
على ملك الارض بطريق الاولى ثم صرح بالحق بقوله موكدا لما تقدم ومن في الارض اي كلهم عبيده مملوكهم ومن دونهم فهم تحت قهره
منقادون لما يريده وهو ايضا تعليل ثان لقوله ولا يحزنك قولهم او للتفرد بالعزة وعبر بمن التي للعقلاء والمراد كل ما في الكون لان
السياق لنفي العزة عن غيره من العقلاء بالجد فنفيها عنهم نفي عن غيرهم بطريق الاولى ثم غلبوا لشرفهم على غيرهم ولذا تطلق ما التي
هي لغيرهم في سياق هو بها احق ثم يراد بها العموم تغليبا للاكثر الذي لا يعقل على الاقل ثم نفى ان يكون له في ذلك شريك بقوله عاطفا على
ما تقديره فما له شريك مما ادعاه المشركون منهما او من احدهما وما يتبع اي بغاية الجهد الذين يدعون اي على سبيل العبادة
من دون الله اي الذي له العظمة كلها شركاء على الحقيقة ويجوز ان تكون ما موصولة لتحقير الشركاء بالتعبير باداة ما لا يعقل
ومعطوفة على من ان اي ما يتبعون في ذلك الذي هو اصل اصول الدين يجب فيه القطع وهو عبادتهم لهم شركاء الا الظن
المخطئ على انه لو كان صوابا كانوا مخطئين فيه حيث قنعوا في الاصل بالظن ثم نبه بالخطاب بقوله وان اي وما هم الا يخرصون
اي يحزرون في ذلك ويقولون ما لا حقيقة له اصلا والاتباع طلب اللحاق بالاول على تصرف الحال فهؤلاء اتبعوا الداعي الى عبادة الاوثان
ونصروا فيما دعا اليه وظنهم في عبادتهم انما هو شبهة ضعيفة كقصد زيادة التعظيم ومعنى تقليد الاسلاف ويجوز ان يكون
شركاء مفعول تنازعه يتبع ويدعون ثم اثبت سبحانه اختصاصا بشيء جامع للعلم والقدرة تاكيد الاختصاص بالعزة وتفرده بالوحدانية
وان من اشرك به خارج عن دائرة العلم بوجه لكثرة الدلائل على وحدانيته ووضوحها فقال هو اي وحده الذي جعل اي ... الافلاك
الذي اتقنه لكم اي نعمة منه الليل اي مظلما لتسكنوا فيه راحة لكم ودلالة على قدرته سبحانه على الايجاد والاعدام وانسا
للمحبين لربهم والنهار واعاد السبب وصف المسبب فقال مبصرا اي لتنتشروا فيه فحذف وصف الليل وذكر علته عكس ما فعل بالنهار
ليدل ما اثبت على ما حذف فالاية من الاحتباك ولما كانت هذه الاية من الظهور بحيث لا يحتاج الى اكثر من سماعها قال ان في ذلك اي الامر
العظيم لايات لقوم اي لهم قوة المحاولة على ما يريدونه يسمعون اي لهم سمع صحيح وفي ذلك ادلة واضحة على انه مختص
بالعزة فلا شريك له لان الشريك لا بد وان يقاسم شريكه شيئا من الافعال والاحوال والممالك واما عند انتفاء جميع ذلك فانتفاء
الشركة اوضح من ان يحتاج فيه الى دليل ويجوز ان يكون المعنى لايات لقوم يبصرون ايضا اعتبارا ويسمعون سماع تأمل وادكار ولكنه حذف
مبصرون لدلالة مبصرا عليه ويزيد ذلك حسنا كون السياق لنفي الشركاء فهو اشارة الى انها لا تسمع ولا تبصر اصلا فكيف بالاعتبار
والادكار ... الذين عبدوهم اكمل حالا منهم ولما لم يكن شبهة على اعتقاد الولد لله سبحانه ولا لهم اطلاع عليه بوجه ساق ... قالوا
اتخذ اي تكلف الاخذ بالنسب على ما نعهد الله اي المسمى بهذا الاسم الذي يقتضي تسميه به ان يكون له الكمال كله فلا يكون محتاجا
الى شيء بوجه ولدا مثال البيان بقوله ان يتبعون الا الظن وهو اصلح لان يكون تعجيبا لمن ادعى في الملائكة او عزير او المسيح او غيرهم
والمعجب منهم في ذلك للمنافاة بما يدل عليه من النقص لما ثبت لله تعالى من الكمال التام نزه نفسه الشريفة عنه فقال سبحانه اي تنزه
عن كل شائبة نقص التنزه كله ثم علل تنزهه وبينه بقوله هو اي وحده الغني اي عن الولد وغيره لانه فرد منزه عن الابعاض
والاجزاء والمجانسة ثم بين غناه بقوله له ما في السموات ولما كان سياق الاستدلال يقتضي التاكيد اعادها فقال وما في الارض
من صامت وناطق فهو غني عن ذلك كله ... ان يكون شيء منه ولدا له لان الولد لا يملك وعدم ملكه نقص مناف للغنى ولعله عبر بما
لان الغني محيط نظره الصامت مع شمولها للناطق ولما بين بالبرهان القاطع والدليل الباهر الساطع امتناع ان يكون له ولد
بكتهم بنفي ان يكون لهم بذلك نوع حجة فقال ان اي ما عندكم واغرق في النفي فقال من سلطان اي حجة بهذا

اى اتخاذ ولد وتسمية الحجة سلطانا لاعتلاء المتمسك بها ثم زادهم تبكيتا بالانكار عليهم بقوله اتقولون اى على سبيل التكرير على الله اى الملك الاعظم على سبيل الاستعلاء ما لا تعلمون لان طالب شهادة عليه في الامر لفرض جهل فكيف بما قام الدليل على خلافه والسلطان البرهان القاهر لانه يتسلط به على صحة الامر ويقهر به الخصم واصله القاهر للرعية بعقد الولاية ولما قام ان في لهم كذب بكيتهم عليه مواجهة اتبعه ما يشير الى انهم اهل للاعراض عنهم شيابهم دعى على الكذب فقال معرضا عنهم خطابهم موكدا لان اجترائهم على ذلك دال على التكذيب بالمواخذة عليه قل اى للذين ادعوا الولد لله وحرموا ما رزقهم من السائبة ونحوها ان الذين يفترون اى يتعمدون على الله اى الملك الاعلى الكذب لا يفلحون ثم بين عدم الفلاح بقوله متاع اى لهم ونكره اشارة الى قلته كما قال في الاية الاخرى متاع قليل واكد ذلك بقوله في الدنيا اى الدنيئة الزائلة وما كان الى زوال وتلاشى واضمحلال كان قليلا وان تناهت مدته وتطاولت مدده وجل مدده وزاد على الحصر عدده وبين حالهم بعد النقلة بقوله ثم اى بعد ذلك الاملاء لهم واطالة الينا اى على ما لنا من العظمة لا الى غيرنا مرجعهم بالموت ثم نذيقهم عذابا شديدا لكنه دون عذاب الاخرة ثم نذيقهم يوم القيمة العذاب الشديد بما اى بسبب ما كانوا اى كونا هو جبلة لهم يكفرون ووجب كسر ان بعد تقول لانه حكاية كما يستانف الاخبار به كما في فعل لام الابتداء لذلك ولما تقدم سوالهم الاتيان بما يقترحون من الايات ومضت الاشارة الى تيسيرهم في الفلك لعظم الايات وان كانوا لا يفهمون له تقدما مواد الصوت الذي كما سلف الى ان بنى هنا ان متاع المفترين الكذب قليل تخويفا من شديد السطوة وعظيم الاخذ عقب ذلك بقصة قوم نوح عليه السلام لانهم كانوا اطول الامم الظالمة مدة واكثرهم عدة ثم اخذوا اشد اخذ فزالت اثارهم وطمست اعلامهم ومعالمهم فصاروا كانهم لم يكونوا اصلا ولا ظهروا ولا فعلوا فعلا فقال تعالى عاطفا على قوله قل ان الذين مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم في المصيبة اذا عمت مخففين تخويفا للكفار ليرجعوا ويخففوا اذاهم واتل اى اقرا قراءة متتابعة مستعلية عليهم نبا نوح اى خبره العظيم مذكرا باول كون الفلك وانه كما انه ذلك اية غريبة خارقة للعادة عجيبة وان قوم نوح لم ينفعهم ذلك ولا اغنى عنهم اغترارهم وعنادهم مع تطاول الامد وتباعد المدد بل صار امرهم الى زوال واخذ عنيف ونكال كانهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار رتعا دون بينهم معجزات رسولهم وخيبة ما مولوه وقد لبث فيهم ما لم يلبثه نبي في قومه ولا دون في المدة الف سنة الا خمسين عاما وما امن معه الا قليل اذ قال لقومه اى بعد ان دعاهم الى الله فاطال دعاءهم متغولين في الدنيا كثيرا واملى لهم طويلا فما زادهم ذلك الا نفورا يا قوم اى يا من يعز على خلافهم ويشق على ما يسوؤهم لما ان بيننا من القرب مع قوتهم على الطاعة ان كان كبر اى شق وعظم مشقة سابق كالجبلة عليكم ولما كانت عادة الوعاظ والخطباء ان يكونوا حال الخطبة واقفين قال مقامى اى قيامي وهيئتي ولعله خص هذا المصدر لصلاحيته لموضع القيام وزمانه فيكون الاخبار بكراهته لاجل ما وقع فيه من القيام ادل على كراهة القيام وتذكيري لكم بايات الله اى الذى له الجلال والاكرام فان ذلك لا يستحق يجاهرني بما يكبر عليكم من ذلك خوفا منكم لاني اسلم في نفسي به وانا لا اخاف عند نزلت ولا ابالي بكراهيتكم لان الخوف عاقبة تصدكم الا الذى تعالى اى فاني على الله اى الذى له العزة كلها وحده توكلت فاقامة ذلك مقام الجزاء من اطلاق السبب وهو التوكل على المسبب الذى هو انتفاء الخوف مجازا زاد في ارسالا علاما لهم بعظمة الله وحقارتهم بسبب انهم عرضوا عن الايات وهم يعرفونها [illegible] التعبير بالتذكير فوق ذلك على عنادهم بالباطل والمبطل لا يخشى امره لان الباطل لا ثبات له ودل على ذلك بقوله فاجمعوا امركم اى في اذاى بالاهلاك وغيره اعزموا عليه وابنوه واجمعوا به والواو بمعنى مع في قوله وشركاءكم ليدل على انه لا يخافهم ولا كثرتهم وان كانوا احياء كانوا اى كانت كلمتهم واحدة لا فرقة فيها بوجه ولما كان الذي يستتر بالامر ربما تفوته بعض المقاصد لاشتراطه الاستتار صرح بانه لا يبالي بهم سواء ابدوا او اخفوا فقال ثم لا يكن اى لبعد التاني وطول زمان المحاورة في المشاورة امركم اى الذى تقصدونه في عليكم غمة اى خفيا يستتر عليكم شيء منه بسبب ستر ذلك المعنى لئلا اسعى في معارضتكم فلا تفعلوا ذلك بل اظهروه وجاهروا فاني لا معارضة لي الخبير الذي يستوي عنده السر والعلن والتعبير بثم اشارة الى التاني واتقان الامر لامن معارضته بشيء من حول منه او قوة ثم اقضوا ما تريدونه اى بتوه بت المقضى به واصله الى ولما كان ذلك ظاهرا في الانجاز وليس صريحا صرح به بقوله ثم لا تنظرون اى [illegible] قلة المبالاة بهم لاعتماده على الله لانه لا يعجزه شيء ومعبوداتهم لا تغني شيئا ثم سبب عن ذلك قوله فان توليتم اى كلفتم انفسكم الاعراض عن الحق بعد مجيئي لكم عن اهلاكي ولم ينفعكم علمكم بان الذي منعني

وانا

وانا وحده منكم وانتم ما لكم الا الاولى العزة جميعا واني من اوليائه الذين تقدم وعده الصادق بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فما اى فلم يكن توليكم عن تفريط مني لاني سالتكم الاجر علي ما يجب بما سالتكم اى في ساعة من الدهر وامر من الاشياء فقال من اجر اى على جعالي لكم يفوتني بتوليكم ولا تتهمونني به في دعائكم ولما كان من المحال ان يفعل عاقل شيئا لا لغرض بين غرضه بقوله مستانفا ان اى ما اجرى الا على الله اى الذى له صفات الكمال ثم عطف عليه غرضا اخر وهو اتباع الامر فاجهر وصول الخير لغيره فقال وامرت اى ممن له الامر والاعلى الذى لا امر لغيره وبناه للمفعول للعلم بانه هو الامر وليزيد في الترهيب للمامور به وتعظيمه بجعله عمدة الكلام باقامته مقام الفاعل فقال ان اكون اى كونا متخلقا به فلا انفك عنه ولما كان في مقام الاعتذار عن مفاجاته لهم بالانذار عبر بالاسلام الذي هو الانفعال الظاهر ثم قال من المسلمين اى المخلصين في صفة الانقياد بغاية الاخلاص في مالهم وعلى ما عليهم انا ادعوهم في الاسلام سواء لا مزية لى فيه تهمة ولا استسلم لكل ما يصيبني في الله لا يرد في ذلك عن انفاذ امره والحاصل انه لم يكن بدعاية اياهم في موضع تهمة لكونه سالهم غرضا دنيويا يريده ان اقبلوا ولا ينقصه ان ادبروا ولا ان ياتي بشيء من عند نفسه ليظن انه اخطا فيه ولا سلك به مسلكا يظن به استبعاده اياهم في اتباعه بل اعلمهم بانه اول مؤتمر بما امرهم به مستسلم لما دعاهم اليه ولكل ما يصيبه في الله ولما لم يردهم كلامه هذا عن غيهم سبب عنه قوله مخبرا بابتدائهم فكذبوه اى ولم يزدهم شيء من هذه البراهين الساطعة والدلائل القاطعة الا ادبارا وكانوا في اخر المدة على مثل ما كانوا عليه من التكذيب فنجيناه اى تنجية عظيمة بما لنا من العظمة الباهرة بسبب امتثاله لاوامرنا وصدق اعتماده علينا ومن معه اى من العقلاء وغيرهم في الفلك كما وعدنا اولياءنا وجعلنا ذلك اية للعالمين وجعلناهم اى على ضعفهم بما لنا من العظمة خلائف اى في الارض بعد من اغرقناهم في فعل الطاعة فعلهم كان جديرا بان يجازيه عاجلا بنا ياهم واغرقنا اى بما لنا من كمال العزة الذين كذبوا اى مستخفين مستهينين باياتنا كما توعدنا الذين يفترون على الله الكذب ولما كان هذا امرا باهرا يتعظ به ذو البصيرة سبب عنه امرا على الخلق لهما نظم اشارة الى انه لا يعتبر به حق الاعتبار غيره فقال فانظر واشار الى انه اهل لان يعجب منه باداة الاستفهام وزاد الامر عظمة بذكر الكون فقال كيف كان اى كونا كانه جبلة عاقبة اى اخر امر المنذرين اى عرفتين في هذا الوصف وهم الذين انذرتهم الرسل فلم يكونوا اهلا للبشارة لانهم لم يؤمنوا التعلم ان من تنذرهم كذلك لا ينفعهم انذارنا شقاوتهم من انزال الاية ولا ايضاح حجة والتوكل جعل الامر الى من يدبره للتقدير في تدبيره والغم ضيق الامر الذى يوجب الحزن والتولي الذهاب عن الشيء والاجر النفع المستحق بالعمل والاسلام الاستسلام لامر الله بطاعته بانها خير ما يكتسبه العباد ولما لم يكن في قصص من بينه وبين موسى عليهم السلام ما يناسب مقصود هذه السورة الامما ذكر فيه قوم نوح من انهم لم تنفعهم الايات من اذيتهم ٥ شقاوتهم منهم ذكره سبحانه وطويا لما عداه فقال تعالى ثم اى بعد مدة طويلة بعثنا اى على عظمتنا ولما كان البعث لم يستغرق زمان البعد ادخل الجار فقال من بعده اى نوح عليه السلام رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام ولما كان ربما ظن ان قوم لا انتفاء لا يكذبونه واكذبوه لم يتمادوا على التكذيب لا سيما ان اتاهم بما يقترحونه من الخوارق قال الى قومهم اى فجاؤوهم قومهم بالتكذيب فجاءوهم اى فتسبب عن ارسالنا اياهم الى عظمتنا ان جاؤوهم بالبينات ليزول تكذيبهم فيؤمنوا فما اى فتسبب عن ذلك ضد ما امروا به وقامت دلائله وهو انهم ما كانوا اى بوجه من الوجوه ليؤمنوا اى مقرين بما كذبوا اى مستهينين به اول ما جاؤوهم ولما كان تكذيبهم في بعض الزمن لكنه لا جل الجار فقال من قبل اى قبل مجيء البينات لانا طبعنا على قلوبهم قال ابن عباس [illegible] النبي [illegible] بالامر الجحود ليدل على ان ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع انتهى ويجوز ان يكون التقدير من قبل مجيء الرسل اليهم ويكون التكذيب اسند اليهم لان اباهم كذبوا بما بلغهم مما كان عندهم من الدين الصحيح الذى اتتهم به الرسل عن رضوانهم بما احدث اباؤهم اتخذوا [illegible] بين اظهرهم بقايا على بقايا مما شرعته الرسل فكانوا يعظمونهم فيما سيدعون ولا يغيرون اليهم كما فعل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهم قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم لكن المعنى الاول اولى ولما قرر عدم انتفاعهم بالايات بنى ما يليه على سؤال من لعله يقول هل استمر هذا الخلق ذميم بعدهم فكانه قيل نعم كذلك اى مثل ما طبعنا على قلوبهم هذا الطبع العظيم نطبع اى نوجد الطبع ونجدده متى شئنا بما لنا من العظمة على قلوب المعتدين في كل زمن لكل من تعمد العدو فيما ليحيل له

وهذا كما لموسى عليه السلام لفرعون فدعاه الى الله فكذبه فاخبره ان معه آية تصدقه فقال له ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين
فلما أتاه بها استمر على تكذيبه وكان كلما رأى آية ازداد تكذيبا وكان فرعون قد قوي ملكه وعظم سلطانه وعلا في كبريائه وطال تجبره على الضعفاء
فطمست اموالهم وآثاره وبقيت اخباره احاديثه واخباره ولهذا افصح بما بقصته فقال دالا على الطبع ثم بعثنا اي وبعد زمن طويل
من اهلاكنا اياهم بعثنا ولعدم استغراق زمن البعد ادخل الجار فقال من بعدهم اي بعد اولئك الرسل موسى و كذا بعثنا هرون تأييدا
له لان اتفاق اثنين اقوى لما يقررانه واوكد لما يذكرانه ولما استقر في الاذهان بما مضى ان ديدن الامم تكذيب من جاءهم بحسب الله ونفاسة
عليه كان ربما ظن ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو دعا غير قومه كان الامر على غير ذلك فبين ان الحال واحد في القريب والغريب فقال معمما القول له
الى فرعون وملائه اي الاشراف من قومه فان الطرف يتبع لهم بآياتنا اي التي لا تكسب عظمتها لنسبتها الينا فطبعنا على قلوبهم فاستكبروا
اي طلبوا الكبر على قبول الآيات واوجدوا ما يدل عليه من الرد بسبب اسنادها اليهم وعقب ذلك وكانوا اي جبلة وطبعا قوما مجرمين
اي طبعهم قطع ما ينبغي وصله ووصل ما ينبغي قطعه فلذا اجترؤا على الاستكبار مع ما فيها ايضا من شديد المناسبة لما تقدم من قول الكافرين
هذا سحر مبين في نسبة موسى عليه السلام اليه وبينا حقيقة السحر في زواله وخيبة متعاطيه لانه فساد الخير ذو العدم الاسراد التي ترفع عن
الافكار وهذا الى ما ينضم اليه مناسبة ما بين اهلاك القبط وقوم نوح بآية الغرق وانه لم ينفع اصحاب الفريقين معاينة الآيات و
مشاهدة الدلالات البينات بل ما آمن لموسى الا ذرية من قومه بعد تلك المعجزات الباهرة والبراهين الظاهرة ثم اتبعهم فرعون بعد ان كانت انجت
عنهم عزاة وقد اشتد من تجبره قواه وشاهد من الضربات ما يهد الجبال ودخل في طلبهم البحر بجراءة لا تقرب ساحتها الابطال لما قدره
عليه ذو الجلال ولم يؤمن حتى اتاه البأس حيث يفوت الايمان بالغيب الذي هو شرط الايمان فلم ينفعه ايمانه مع اجتهاده فيه وتكريره لفوت
شرطه لاجابة لدعوة موسى عليه السلام ثم ان بني اسرائيل كانوا قبل مجيء موسى على منهاج واحد فما اختلفوا الا بعد مجيء العلم اليهم وبيان الطريق
واضحة لديهم ولهذا المراد ذكر هنا هرون عليه السلام لانه اعظم مقاصد السورة المنع من طلب الآيات لمن يريد الايمان بعد الآيات بها اشارة
الى ان القول من الاثنين او كد ومع ذلك فلم يصدق من حكم التقرير بشقاوته كل ذلك حثا على الرضى والتسليم وكل الامر الى الرب الحكيم فهما امر به
قبل وما اعرض عنه من ترك السؤال فيه بغاية تشبيهه باحسن التدبير وتقدير الطف المقادير ولما اخبر سبحانه باستكبارهم بين انه تسبب
عنه طعنهم في معجزاته من غير تأمل بل بغاية المبادرة والاسراع بما اشعرت به الفاء والسياق فقال فلما جاءهم اي فرعون وملاءه
الحق اي البالغ في الحقيقة ثم زاد في عظمته بقوله من عندنا اي على ما لنا من العظمة التي عرفوا بها انه ما منا الا من رسولين قالوا
اي غير متأملين له ولا ناظرين في امره بل عنادا ودلالة على استكبارهم مؤكدين لما علموا من تصديق الناس به ان هذا لسحر مبين كما قال
الناس الذين اخبر عنهم سبحانه في اول السورة في هذا القرآن مع ما بانه من البعث فلما قالوا ذلك كان كانه قيل فما اجابهم فاخبر انه انكر عليهم بقوله
قال موسى ولما كان تكريرهم لذلك القول اجدر بالانكار عبر بالمضارع الدال على انهم كرروه ليمسحوا ما ثبت في قلوب الناس من عظمته
أتقولون للحق ونبه على انهم بادروا الى التكذيب من غير نظر ولا توقف بقوله لما جاءكم اي هذا القول الذي قلتموه وهو انه سحر
او لا مصرف فان القول يطلق على المكروه تقول فلان قال في فلان يعني في ذمه وفلان يخاف القالة وبين الناس تقاول ثم كرر الانكار
بقوله أسحر هذا اي الذي هو في غاية الثبات والمخالفة للسحر في جميع الصفات حتى تقولوا فيه ذلك فالآية من الاحتباك ذكر القول في
الاول دالا على حذف مثله في الثاني وذكر السحر في الثاني دالا على حذف مثله في الاول ولما كان التقدير اتقولون هذا والحال انكم قد رأيتم
فلاحه ومن عليه ولا يفلح اي يظفر بما يريد في وقت ما لا وقت السحرون لان اصل امرهم تخييل وتمويه فهو باطل فالظفر بعيد عنهم ويجوز
ان تجعل هذه الجملة معطوفة على قوله اسحر هذا لانه انكاري بمعنى النفي فلما انكر عليهم السلام ما ظهر به الفرق الجلي بين ما اتى به في كونه اثبت الاشياء
وبين السحر لانه لا ثبات له اصلا عدلوا عن جوابه الى الاخبار بما يتضمن انهم لا يقرون بحقيته لانه يلزم على ذلك تركهم ما هم عليه من العلو وبهم تكونه
وأوهموا الضعفاء ان مراده عليه السلام الاستكبار معللين لاستكبارهم عن اتباعه بما دل على انهم لا مانع لهم منه الا الكبر فقال تعالى حكاية عنهم

قالوا

قالوا اي منكرين عليه معللين بامرين التقليد والحرص على الرياسة ولما كان هو الاصل في الرسالة وكان اخوه له تبعا وحدوا الضمير فقالوا
أجئتنا اي انت يا موسى لتلفتنا اي لتفتلنا وتصرفنا عما وجدنا عليه قالوا مستندين الى التقليد غير محتجين من ترك الدليل
آباءنا من عبادة الاصنام والقول بالطبيعة لتحقر نحن بذلك وتكون لكما اي انت ولا خيك دوننا الكبرياء اي الكبر في
الارض اي ارض مصر التي هي لما فيها من المنافع كانها الارض كلها وما اي وقالوا ايضا ما نحن لكما وبالغوا في النفي وغلب عليهم
الدهش فعبروا بما دل على انهم غلبهم بحسن ما هو مسلك الامر فعرفوا انه صدق ولم يذعنوا فقالوا بمؤمنين اي غير مقبين في الايمان فهو عطف على
أجئتنا اي قالوا ذلك وقالوا هذا او يكون عطفا على نحو فما نحن بموصليك الى هذا الغرض فردوه اولا بالانكار عليه في المجيء ليضعف
ويكف اخوه عن مساعدته واشركوه معه ثانيا تأكيدا لذلك الغرض وقطعا للطمع والبغي الاطلاق في امر يمضي فيه وهو خلاف الاطلاق من
عقال والملأ الجماعة الذين هم وجوه القبيلة لان هيبتهم تملأ الصدور عند منظرهم والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق والمجرم من
اكتسب سيئة كبيرة من جرم التمر اذا قطعه فالجرم يوجب قطع الخير عن صاحبه والسحر ايهام المعجزة على طريق الحيلة ويشبه بالبيان في خفاء سبب
والحق ما يجب الحمد عليه ويشتد دعاء الحكمة اليه ويعظم النفع به والضرر بتركه والكبرياء استحقاق صفة الكبر في اعلى المراتب وهي صفة
مدح لله وذم للعباد لانها منافية لصفة العبودية ولما لبسوا بوصفهم بما هم به متصفون ارادوا الزيادة بالتلبيس على نهم ان ما اتى به سحر
تمكن معارضته ايقافا للناس عن اتباعه فقال توحاية عطفا على قوله قالوا أجئتنا وقال فرعون اراد المناظرة لما اتى به موسى عليه السلام
ائتوني بكل ساحر عليم اي بالغ في علم السحر لئلا يفوت شيء من السحر باخذ البعض في فراحهم والكسائي بصيغة فعال دالة على زيادة تلق
فرعون وقراءة الجماعة بصيغة فاعل انسب لهذا السياق لان دلالته على زيادة رحمه اقل من باقي الشعراء كما مضى في الاعراف ولما كان التقدير
فامتثلوا امره وجمعوهم دل على قرب اجتماعهم بالفاء في قوله فلما جاء السحرة اي كل من في ارض مصر منهم قال لهم موسى مريدا لهذا لا يهام
القوا جميع ما انتم ملقون اي راسخون في صنعة الالقاء اشارة الى انه جاء والبرهان لا ان يلتفت اليه قال فلما القوا اي وقع منهم الالقاء
لحبالهم وعصيهم على اثر مقالته وخيلوا بسحرهم لعيون الناس ما زلزل عقولهم قال موسى منكرا عليهم ما جئتم به ثم بين انه ما استفهم عنه
جهلا بل احتقارا وانكارا وزاد في بيانه كلا الامرين بقوله السحر لانه استفهام ايضا سواء قطعت الهمزة ومدت كما في قراءة ابي عمرو وابي جعفر او
جعلت همزة وصل كما في قراءة الباقين فان همزة الاستفهام مقدرة والتعريف اما للعهد واما للحقيقة وهو قريب يجوز في قراءة الجماعة ان يكون
خبرا لما يقصد به الحصر اي هو السحر لا ما سميتموه لي ثم استأنف بيانا ما حقره به فقال ان الله اي الذي له احاطة العلم والقدرة سيبطله اي عن
قريب بوعد لا خلف فيه ثم علل ذلك بما بين انه فساد فقال ان الله اي الذي له الكمال كله لا يصلح اي في وقت من الاوقات عمل المفسدين اي العريقين
في الفساد بان لا ينفع بعملهم ولا يديمه ثم عطف عليه بيانا لا صلاحه عمل المفسدين فقال ويحق اي يثبت اثباتا عظيما الله اي الملك الاعظم الحق
اي الشيء الذي له الثبات صفة لازمة ولما كان في مقام تحقيرهم دل على ذلك بتكرير الاسم الجامع الاعظم واشار الى ماله من الصفات العلى بقوله
بكلماته اي الازلية التي لها الثبات الاعظم وزاد في العظمة بقوله ولو كره المجرمون اي العريقون في قطع ما امر الله به ان يوصل فكان كما قال
عليه السلام ابطل سحرهم واضمحل مكرهم وصول الحق كما بين في سورة الاعراف ولما حكى سبحانه ان موسى عليه السلام اخبرهما بان بطلان السحر وكونه
افسادا فثبت ما اتى به من المخالفة له اخبر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقطعا عن طلب الاجابة للمقترحات انه ما تسبب عن ذلك وان الامر عقب ابطال
سحرهم غير مهلة الا ايمان ناس ضعفاء غير كثير فقال تعالى فما آمن اي مسبعا مصدقا لموسى اي بسبب ما فعل ليعلم ان الآيات ليست سببا للهداية
الا من اراد الله منه وبين ان الضعفاء اسرع الى القبول بقوله الا ذرية اي شبان هم اهل لان تقذف فيهم البركة من قومه اي من قوم موسى عليه السلام
الذين لهم قدرة على القيام في المحاولة لما يريدونه والظاهر انهم كانوا ايتاما واكثرهم كما قال مجاهد على خوف اي عظيم من فرعون وملائهم
اي اشراف قوم الذرية وطما كان انكار الملأ اعظم هو سبب في خوف ان يسلبهم رياستهم انحصر الخوف فيه فاشار الى ذلك بوحدة الضمير فقال ان
يفتنهم واشعر بما يوضح عذرهم بقوله مؤكدا انزيلا لقريش منزلة من يكذب بعلو فرعون لتكذيبهم لان ينعم عليهم الضعفاء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

لعلوهم وان فرعون لعال اى غالب قاهر متمكن بما افتناه من طاعة الناس له في الارض اى ارض مصر التى هى بكثرة ما فيها من المرافق
كانها جميع الارض وانه لمن المسرفين اى لعريقين في مجاوزة الحد بظاهره وباطنه واذا ضممت هذه الاية الى قوله وان المسرفين هم
اصحاب النار كان ذلك ربما منتجا انتاجا صحيحا قطعيا ان فرعون من اصحاب النار تكذيبا لاهل الوحدة في قولهم انه امن لم تتوفر الهمم
عند الناس تحملوا بذلك عقايد اهل الدين ولما ذكر خوفهم وعذرهم اتبعه ما يوجب طمانينتهم وهو التوكل على الله الذى من راقبه تلاشى عنده
كل عظيم فقال وقال موسى اى لمن امن به موطنا لهم على الجنة لانها لا تنال الا بمشقة عظيمة يبتلى الناس على قدر ايمانهم يا قوم كانه عطفهم
بالتذكير بالقرب وهزهم الى المعالى بما فيهم من القوة ثم هيجهم والهبهم على الثبات بقوله ان كنتم اى كونا هو في ثباته كالخلق الذى لا يزول امنتم
بالله وثبتهم بذكر الاسم الاعظم وما دل عليه من الصفات واجاب الشرط بقوله فعليه اى وحده لما علمتم من عظمته التى لا يدانيها شىء سواه
توكلوا وليظهر عليكم اثر التوكل من الطمانينة والثبات والسكينة ان كنتم اى كونا ثابتا مؤمنين جامعين الى تصديق القلب اذعان
الجوارح وجواب الشرط ما دل عليه الماضى من قوله فعليه توكلوا فقالوا اى على الفور كما تقتضيه الفاء على الله اى الذى له العظمة كلها
وحده توكلنا اى فوضنا امورنا كلها اليه ربنا اى ايها الموجد لنا المحسن الينا لا تجعلنا فتنة اى موضع مخالطة بما يميل ويحيل
للقوم الظالمين اى لا تصبنا انت بما يظنون به انك ... فيزدادوا نفرة عن دينك لظنهم انا على الباطل ولا تسلطهم علينا بما يفتننا
عن ديننا فيظنوا انهم على الحق ونجنا برحمتك اى اكرامك لنا من القوم اى الاقوياء الكافرين اى العريقين في تغطية الادلة وفي تقديمهم
هذا اشارة الى ان امر الدين اهم من امر النفس ولما اجابوه الى اظهار الاعتماد عليه سبحانه وفوضوا الامور اليه اتبعه ما يزيدهم طمانينة من التوسل
في ازل العدو اشارة الى عدم المبالاة به لانه روى انه كانت متعبداتهم فيها فلما بعث موسى عليه السلام اخربها فرعون فامرهم الله تعالى
ان يجعلوا في بيوتهم لئلا يطلع عليهم الكفرة فقال تعالى عاطفا على قوله وقال موسى واوحينا اى بما لنا من العظمة البالغة الى موسى واخيه اى الذى
طلب مؤازرته ومعاضدته ان تبوءا اى اتخذا لقومكما بمصر وهى ما بين البحر الى اقصى اسوان والاسكندرية منها بيوتا تكون لهم
مرجعا يرجعون اليه ويأوون اليه واجعلوا اى انتما ومن معكما من قومكما بيوتكم قبلة اى مصلى للتعبد وانتم مستترين عن الاعداء
تخفيفا من اسباب الخلاف واقيموا الصلوة اى بجميع حدودها واركانها مختفين ممن يؤذيكم جمعا بين اسباب النصر والصبر والصلوة وعزما
على الدين وتثبيتا له في القلب ولما كان الاجتماع فيما تقدم اضخم واعز واعظم وكان واجبا على الامة كوجوبه على الامام جمع فيه وكان
حلال المقاصد من اعظم البشاير اثر اسناده الى صاحب الشريعة ابتداء الامر واظهر العظمة وانبت في قلوب اصحابه واقر لاعينهم
افرد في قوله وبشر المؤمنين اى الراسخين في الايمان ... وما ضمتهم ببشارة من دل على ايمانهم بسلامتهم بفعل ما يدل على هوان
امر العدو وكان هلاك ... من اعظم البشاير وكان ضلال فرعون وقومه بالزينة والمال الضلال لغيرهم سال موسى عليه السلام ازالة ذلك كله
لراحته من تره فقال تعالى حاكيا عنه وقال موسى اى بعد طول دعائه لفرعون واظهار المعجز الديه وطول تكبره على امره وتجبره على المستضعفين
من عباده ولما كان من اعظم اهل الاصطفاء لعظم الاداة تسنابهم واشار بصفة الاحسان الى ان هلاك اعدائهم اعظم احسان اليهم فقال ربنا
اى ايها المحسن الينا انك اكد الجهال من انكار ان يكون عطاء الملك الاعظم سببا للاهانة اتيت فرعون وملاه اى اشراف قومه على ما هم
فيه من الكفر والكبر زينة اى عظيمة يتزينون بها من الحلية واللباس وغيرهما واموالا اى كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما في الحيوة الدنيا
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ثم بين غايتها
لهم فقال مفتتحا بالنداء باسم الرب ليعينه وابتاعه من مثل حالهم ربنا اى ايها الموجد لنا المحسن الينا والمدبر لامورنا ليضلوا اى في انفسهم
ويضلوا غيرهم عن سبيلك اى الطريق الواسعة التى نهجتها للوصول الى رحمتك ولما بين ان ما لهم الضلال دعا عليهم فقال مفتتحا ايضا
بالنداء باسم الرب فانه لا ذل الا له ... الصحابة كما اشير اليه في ال عمران واشارة الى انه لا صلاح لهم بدون هلاكهم وهلاكها ربنا
اطمس اى اوقع الطمس وهو التسوية بين المطموس وبين غيره مما لا نفع فيه على اموالهم ولما كان ذلك لا يمنعهم التكبر على الله والتكذيب لاياته

مسلمين

ويشغب

والتعذيب لانه لما علم انه لا يشفى غيظه منه الا دوام تنقلهم في دنيا واخرى وكان عالما بان فترة الشيء ابقاهم على الكفر مع تحسيرهم بسلب
المال القدرة على ذلك بسبب احتياجهم اليه بالمال قال واشدد اى شد اظاهر الكل الحد كما اشار اليه لفظ ... مستعليا على قلوبهم قال ابن عباس رضى الله عنهما
اطبع عليها وامنعها من الايمان واجاب الدعاء بقوله فلا يؤمنوا اى ليتسبب عن ذلك الشد عدم ايمانهم الى ان راوا مبادى العذاب بالغرق حتى يروا اى
باعينهم العذاب الاليم حيث لا ينفعهم الايمان فيكونوا جامعين ذل النفوس المطلوب منهم اليوم ليعقبهم العز الدائم الى شدة الغضب بوضع الشيء في غير
موضعه المنتج لدوام ذلهم بالعقاب وهذه الاية منبهة على ان الرضى بكفر الكافر ليس بكفر ... الكفر من حيث هو كفر قال الامام الحليمى في كتاب
شعب الايمان المسمى بالمنهاج واذا تمنى مسلم كفر مسلم فهذا على وجهين احدهما ان يتمناه له كما يتمنى الصديق لصديقه الشيء يستحسنه فيجب ان
يكون له فيه نصيب فهذا كفر لان استحسان الكفر كفر والاخر ان يتمناه له كما يتمنى العدو لعدوه الشيء يستفظعه فيحب ان يقع فيه ليس بكفر فقد تمنى موسى
عليه السلام بعد ان اجهد في فرعون ان لا يؤمن فرعون وملاؤه ليحق عليهم العذاب وزاد على ذلك ان دعا الله تبارك وتعالى فلم ينكر الله ذلك عليه
لعلمه ان شدته على فرعون وغلظته عليه لما راه من عتوه وتجبره هى التى حملته على ذلك فمن كان في معناه فله حكمه وقد نقل ذلك عنه
الزركشى في فروق الفقه من قواعده مرتضيا له ونقل عنه ايضا انه قال ولو كان في قلب مسلم على كافر فاسلم فحزن المسلم لذلك وتمنى لو عاد الى الكفر
لا يكفر لان استقباحه الكفر هو الذى حمله على تمنيه واستحسانه الاسلام هو الحامل له على كراهته ونقل الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه لو قتل عدو
الانسان ظلما ففرح هل يأثم ان فرح بكونه عصى الله فيه فنعم وان فرح بكونه خلص من شره فلا باس لاختلاف سببى الفرح انتهى ويؤيده ما
رواه البيهقى في دلائل النبوة بسنده عن مقسم ... ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابى وقاص يوم احد حين كسر رباعيته ودمى وجهه
فقال اللهم لا يحل عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال عليه الحول حتى مات كافرا الى النار ومسئلة ان الرضى بالكفر كفر نقلها الشيخان عن المتولى وسكتا عليها
لكن قال الشيخ محيى الدين في شرح المهذب ان ذلك افراط فما تقدم من التفصيل عن الحليمى وابن عبد السلام هو المعتمد والمسئلة في اصل الروضة فانه
قال لو قال المسلم اسلبه الله الايمان او للكافر لا رزقه الله الايمان فليس بكفر لانه ليس رضا بالكفر لكنه دعا عليه بتشديد الامر والعقوبة قلت
ذكر القاضى حسين في الفتاوى وجها ضعيفا انه لو قال المسلم سلبه الله الايمان كفر والله اعلم وحكى الوجهين في القاضى في الاذكار وقال ان الدعاء
بذلك معصية ولما اخبر سبحانه عن دعاء موسى عليه السلام اخبر باجابته بقوله استينافا قال ولما كان الموضع محل التوقع للاجابة افتتحه بحرف ... فقال
قد اجيبت دعوتكما وابناه للمفعول دالا على العظمة وايقاعه في النفس من جهة الدلالة على الفاعل بالاستدلال وثنى للاعلام بان
هرون مع موسى عليهما السلام في هذا الدعاء لانه معه كالشىء الواحد لا اختلاف فيه له اصلا وان كان تابعا وذلك كما بايع النبى صلى الله عليه وسلم
عن عثمان رضى الله عنه في عمرة الحديبية فضرب باحدى يديه على الاخرى وهو غائب في حاجة النبى صلى الله عليه وسلم وكذا ... في غزوة بدر بسهمه واجره وكان
غائبا ولما كانت الصلاة وانتظار الفرج وان طال زمنه اعظم اسباب الاجابة سبب عن ذلك قوله فاستقيما اى فاثبتا على التعبد له والتذلل
والخضوع لربكما كما ان نوحا عليه السلام ثبت على ذلك وطال زمانه جدا واشتد ... ولم يضجر ولما كان الصبر شديدا اكد قوله ولا تتبعان
بالاستعجال او الفترة عن الشكر سبيل الذين لا يعلمون ولما امر بالثبات الذى هو نتيجة العلم عطف على ذلك الاخبار بالاستجابة قوله
وجاوزنا اى فعلنا بعظمتنا في اجازتهم فعل المناظر المبارى له ودل بالافتعال على ... الجواز بهم على حسب ... سبحانه لهم لا التعدى ...
بفعلهم فقال ببنى اسرائيل اى عبيدنا المخلصين لنا البحر اعلاما بانه امرهم بالخروج من مصر وانجز لهم ما وعد من هلاك فرعون وملاه باتباعهم
سبيل من لا يعلم بطيشهم وعدم صبرهم ونجى بنى اسرائيل بصبرهم وخضوعهم والالتفات من الغيبة الى التكلم لما في هذه المجاوزة
ومقدماتها ولواحقها من مظاهر العظمة ونفوذ الاوامر ومظاهر الاحكام وبين سبحانه كيفية استجابة الدعوة بقوله مسببا عن المجاوزة
فاتبعهم اى بنى اسرائيل فرعون وجنوده اى الحقوا اتبعهم اى حملوا نفوسهم على تبعهم وطول السير في اثرهم واتبعه اذا سبقه فلحقه
ويقال تبعه في الخير واتبعه في الشر ولما افهم ذلك صرح به فقال بغيا اى تعديا للحق واستهانة بهم وعدوا اى ظلما وتجاوزا للحد ولما
كان فاعل الحدير ... عجب فقال عاطفا على ما تقديره واستمروا متمادين في ذلك حتى ولما كا

رؤية انفراج البحر عن مواضع يرهم مظنة تحقق رجوع الماء الى مواضعه فيغرق فعبر باداة التحقق فقال **اذا ادركه** اى قهره واحاط به **الغرق** اى الموت بالماء وكما سال موسى ان لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم **قال امنت** اى اوقعت الحجة الداعى لى سنا التكذيب ثم علل ايمانه بقوله مبدلا من امنت في قراءة حمزة والكسائي بالكسر موكدا من شرة الجزع **انه** وعلى تقدير الباء تعليلا في قراءة الجماعة اى معترفا بانه **لا اله الا الذى** ويجوز ان يكون اوقع امنت على انه وما بعدها اى امنت نفى الالهية عن كل شىء غير المستثنى من اخترع او اجمع عنه ولما كان قد تحقق الهلاك وعلم انه لا نجاة الا بالصدق اراد الاعلام بغاية صدقه فقال **امنت** اى اوقعت التصديق معرفة **به بنوا اسرائيل** فعينه تعيينا ازال الاحتمال ثم قال **وانا من المسلمين** فكرر قبوله ما دعى اليه فاباه استكبارا وعبر بما دل على اعجاز الرسوخ فيه ايماء لانه ذل ذلا لم يسوعه شىء من ذلك الكبر ولم ينفعه ذلك لفوات شرطه فاتصل ذله ذلك بذل الخزى فى البرزخ وما بعده وقد كانت المرة الواحدة كافية لعند وجود الشرط وزاده ذلك بالايمان من الفلاح يقول على لسان الحال او جبريل عليه السلام او ملك الموت او غيرهم من الجنود **الان** اى تجيب الى ما دعيت اليه فى هذا الحين الذى لا تنفع فيه الاجابة لفوات الايمان بالغيب الذى لا يصح ان يقع اسم الايمان الا عليه **وقد** اى والحال انك قد **عصيت** اى بالكفر **قبل** اى فى جميع زمان الدعوة الذى قبل هذا الوقت ومعصية الملك توجب الارض والغضب كيف كانت فكيف وهى بالكفر **وكنت** اى كونا جبليا **من المفسدين** اى الراسخين فى الفساد والافساد ثم اكده بذل شماتة الاعداء الذين كانوا عنده اقل شىء واحقره بقوله سببا عما تضمنه ذلك من الانكار الاذلال بالاهلاك واشارة الى انه لما احاط وصار ينفع قليلا قليلا حتى استد زمان التوبيخ **فاليوم ننجيك** اى تنجية عظيمة ولما كان ذلك ساراً وكانت النجاة بما يلزم السرور قال دالا على ان ذلك بعد نزع روحه **ببدنك** اى من غير روح وكاملا لم ينقص منه شىء حتى لا يدخل فى معرفتك لبس **لتكون** اى كونا هو فى غاية الثبات **لمن خلفك** اى تاخر عنك فى الحياة من بنى اسرائيل وغيرهم **اية** فى انك عبد ضعيف حقير لست برب فضلا عن ان تكون اعلى ويرى فوا الذى عصى الملك اضعاف ما كان القوم الناس واكثرهم جنودا وقد ادعى بعض الملحدين ايمانه بهذه الاية زاده لما يعيذه منه من حل العقد الواجب الى فرعون من الكفر الكفرة بجملة اهل الملل اليهود والنصارى والمسلمين اجتراء على الله وادعى انه لا نص فى القران على انه من اهل النار وضل عن الصريح الذى فى القران فى ذلك فى غير موضع وعن ان قوله وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين مع قوله وان المسرفين هم اصحاب النار قطعى الدلالة بديهى النص على انه من اهل النار والاية التى كما دليل على قوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا الاية لو كان فرعون مثل قريش فكيف ولا نسبة لهم منه فى شدة الاستكبار التابعة لكثرة الجموع ونفوذ الكلمة بفخامة الملك وعز السلطان والقوة بالاموال والاعوان وقد روى ان جبريل عليه السلام كان اتاه بفتيا فى عبد نشا فى نعمة سيده فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يجزى ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق فى البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه ولما لم يحصل فرعون الا ما يقتضيه ما راوا من الايات كان حكمهم حكم الغافلين عنها قال تقديرا لقد غفلوا عما جاءهم من الايات **وان كثيرا** الاية لان مثله ينبغى لبعده عن الصواب ان لا يعتقد ان احدا يقع فيه **من الناس** اى وهم من لم يصل الى الصدق ولم يثبت اهل الايمان الا فيهم من النوس وهو الاضطراب والانس بانفسهم **عن اياتنا** اى على ما لها من العظمة **لغافلون** والاصلاح تقويم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر ولحقنا فى الحق اظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة حتى يرجع الطاعن فيه حسيرا والمناصب مغلولا والاسراف الابعاد فى مجاوزة الحق والفتنة البلية وهى معاملة تظهر الامور الباطنة والنجاة الاخلاص مما فيه المخافة ونظيرها السلامة ويطلق النجاة بالرحمة لانها انعام على المحتاج بما تطلع اليه نفوس العباد فهو على اوكد ما يكون من الدعاء الى الصلاح والوحى والقاء المعنى الى النفس فى خفاء والايحاء والايماء والاشارة نظائر ولا يجوز ان يطلق الصفة بالوحى الا لنبى وتبوا اتخذ لمحله الرجوع فى المتبوا المنزل لانه يرجع اليه للمقام فيه والطمس محو الاثر فهو تغيير الى الدثور والدروس والاجابة موافقة الدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة والدعوة طلب الفعل بصيغة الامر وقد تكون بالمد والمجاوزة الخروج عن الحد من احد الجهات والبحر مستقر الماء الواسع بحيث لا يرى طرفيه من كان فى وسطه وهو ماخوذ من الاتساع والاتباع اللحاق بالاول والبغى طلب الاستعلاء بغير حق والان فصل الزمانين الماضى والمستقبل مع اشارة الى الحاضر ولهذا بنى كما بنى ذا والبدن مسكن روح الحيوان على صورته ولما ذكر تعالى عاقبة امر فرعون وقومه وانهم لم ينتفعوا بما جاءهم من الايات مع ما تمادى بها من جلى البينات وفى بعضها من البشارات والامتحانات حتى كان اخرها انه لما راى مبادى الهلاك

من انفراق البحر لم يرتدع عن لحاجه غفلة منه عن عاقبته وختمها بالاخبار بكثرة الغفلة اشارة الى ان هذا الخلق من غير القبط ايضا اتبع ذلك ذكر خاتمة امر بنى اسرائيل فيما خولهم فيه بعد الانجاء من النعم المقتضى للعلم القطعى بانه لا اله غيره وان من خالفه كان على خطر الهلاك وانهم مع مشاهدتهم الايات التى بينهم الى فرعون اتاهم من الايات الخاصة بهم المنجزة لصدق وعده سبحانه الاباء بهم ما فيه غاية الاحسان اليهم والاكرام لهم وانهم كانوا تحت يد فرعون على طريق واحد ليس بينهم خلاف وما اختلفوا فصاروا فرقا فى الاعتقاد واحزابا فى الديانات حتى جاءهم العلم الواضح من الله فكان المقتضى لاجتماعهم على اتباعه مفرقا لهم على سبل الشيطان لخبث سرائرهم وسوء ضمائرهم وقوفا مع الشاهد الزائل وجمودا مع المحسوس الفانى ونسيانا للغائب الثابت والمعلوم المتيقن وكل ذلك تسلية لنا وتقضيا بان الامر تابع لما نريد لا لما تامر به وتنهى عنه فكان اعظم زاجر عن طلب الايات وظن انها توجب الردع عن الغوايات فقال تعالى **ولقد بوانا** اى مكنا بما لنا من العظمة التى تنقطع الاعناق دون علياتها وتتضاءل ثواقب الافكار عن احصائها **بنى اسرائيل مسكنا** اى موطنا لا يريدون الخروج منه وهو المراد بقوله **مبوا صدق** اى فى الارض المقدسة لانه كان قد تقدم لهم بها وعد وعادة العرب اذا مدحت الشىء اضافته الى الصدق لانه مع متانة حبيبة الى كل نفس ويصدق ما يظن به من الخير ولما كان المنزل لا يطيب الا بالرزق وكان التعبير عنه بالمبوا دالا على الرزق صرح به فقال **ورزقناهم** اى بما لنا من العظمة **من الطيبات** اى الحسية حلالا وشهيا من الفواكه والحبوب والالبان والاعسال وغيرها والمعنوية من الشريعة والكتاب والمعارف كما تقدم وعدلنا بالهم بذلك وهم كانوا كغيرهم اذ كانوا على امور يتواضعون عليها ينقادون فيها لحكام وتواضعوا واذا كانوا على حدود حدها لهم المحسن اليهم وحرم لم يلبثوا ان يختلفوا عابهم الله بذلك فقال **فما** اى فتسبب عن ضد ما قدمنا لهم فى الوصل انهم **اختلفوا** اى نوعوا الخلف المقتضى لجعل كل منهم صاحبه خلفه ووراء ظهره واشار بقوله **حتى جاءهم العلم** الموجب للاجتماع على كلمة واحدة لما له من الضبط حتى يكون اتباعهم على قلب واحد فكانه قيل فماذا يفعل بهم لاجل ما جاءهم من العلم بعقولهم بنبيهم ولا بما جاءهم من الحق يرجعون فقيل مؤكدا للانكار العرب المبعث **ان ربك** اى المحسن اليك بابتعاث الانبياء بك ووصفك فى كتبهم وجعلك صاحب لواء الحمد فى القيامة **يقضى بينهم** ولما كان هذا تهديدا عظيما زاده هولا وعظمة بقوله **يوم القيمة** الذى هو اعظم الايام **فيما كانوا** اى بافعالهم الجبلية **فيه يختلفون** فيبين الحق من الباطل والصديق من الزنديق ويسلك كلا داره ذكر بعض ما فى التوراة من الوعد بالارض المقدسة قال فى اثناء السفر الخامس قد رات اعينكم جميع اعمال الله العظيمة التى عملها فاحفظوا جميع الوصايا التى امركم بها اليوم لتدخلوا الارض التى تجوزون اليها لترثوها وتطول اعماركم فى الارض التى اقسم الله لابائكم ان يعطيكم ويرثها نسلهم الارض التى تغل السمن والعسل لان الارض التى تدخلونها لترثوها ليست مثل ارض مصر التى خرجتم منها التى كنتم تحتاجون فيها ان تسقوا بارجلكم وتسقوها مثل بساتين البقل ولكن الارض التى تجوزون اليها لترثوها هى ارض الجبال والصحارى وانما تشرب من مطر السماء ويتعاهدها الله ربكم فى كل حين وعينا الله ربنا فيها من اول السنة الى اخر السنة فان انتم سمعتم الاحكام التى امركم بها الله اليوم وتتقون الله ربكم وتعبدونه من كل قلوبكم وانفسكم يديم نظره اليكم ويعطيكم فى الخريف والربيع جميعا وتستغلون طعاما وشرابا وزيتا وينبت فى مرابكم عشبا لمواشيكم وتاكلون وتشبعون احفظوا ان لا تخدع قلوبكم وتزوغوا الى الالهة الاخرى وتسجدوا لها وتعبدوها فيشتد غضب الرب عليكم ويمنع السماء من المطر والارض غلاتها وتهلكون سريعا من الارض التى يعطيكم الله ربكم بل اجعلوا هذه الايات فى قلوبكم واصبروها ميسما بين اعينكم وعلموها بنيكم ان يتكلموا بها فى حضوركم وفى سفركم واذا رقدتم واذا قمتم واكتبوها على معاقم بيوتكم وابوابكم لتطول اعماركم واعمار اولادكم فى الارض التى اقسم الله لابائكم ان يعطيهم وان انتم حفظتم هذه الوصايا كلها وعملتم بها واحببتم الله ربكم وسرتم فى طرقه ولحقتم به فيبيد الرب الملوك كلها من بين ايديكم وترثون شعوبا اعظم واعز منكم وكل بلاد تطؤها اقدامكم تكون لكم من البرية ولبنان ومن النهر الى الفرات النهر الاكبر وتكون تخومكم عند البحر الاخر ولا يقدر احد ان يقاومكم ويلقى الله ربكم خوفكم وفزعكم على كل الارض التى تطؤونها كما قال لكم الرب انظروا انى اتلو عليكم دعاء ولعنا اما الدعاء فتصيرون اليه ان انتم حفظتم وصايا الله ربكم واما اللعن فيدرككم ان انتم لم تسمعوا وصايا الله ربكم وزغتم عن الطريق الذى امركم به اليوم وتبعتم الهة اخرى لم تعرفوها واذا ادخلكم الله ربكم الى الارض التى تدخلونها لترثوها اتلوا الدعاء على جبل

حوريب والعمون على جبل جبل بلها في مجاز الاردن خلف الطريق عند مغارب الشمس في ارض الكنعانيين الذين يسكنون العربة بازاء الجبال و
جبال البلوط وفي نسخة مرج بمري لانكم تجوزون الاردن لتدخلوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله ربكم وتسكنونها وتحفظون وتعملون
بجميع الوصايا التي امركم بها اليوم انتهى وفي سفر يوشع بن نون عليه السلام ولما كان بعد موت موسى عبد الله قال الله ليوشع بن نون خادم موسى عليهما السلام
موسى عبدي قد مات والان فقم فاعبر هذا الاردن انت وكل هذا الشعب الى الارض التي انا معطيها لبني اسرائيل كل موضع تطوه ارجلكم اعطيته
كما قلت لموسى عبدي من البر وهذا اللبنان والى النهر الكبير نهر الفرات كل ارض الزلعرين لا يقف احد قدامك طول ايام حياتك كما كنت مع موسى
اكون معك لا ادعك ولا اتركك اشتد وتايد فانك انت تنحل هذا الشعب الارض التي قسمت لابائهم لاعطائها لهم لا يزول درس
كتاب هذه الشريعة من فيك ولا تتزعزع ان معك الله ربك وتلهج به نهارا وليلا لكي تحفظ للعمل بجميع المكتوب فيه طرقك وحينئذ ترشد
اليس قد وصيتك اشتد وتايد ولا ترهب ولا تتزعزع ان معك الله ربك في جميع ما تسير فيه ووصى يوشع عرفاء القوم قائلا جوزوا
في وسط العسكر ووصوا القوم قائلين اعدوا لكم زادا فانكم بعد ثلثة ايام عابرون هذا الاردن للدخول لارث الارض التي الله ربكم
معطيها لكم اذكروا ذكرا القول الذي امركم به موسى عبد الله قائلا الله ربكم مريحكم بما اعطاكم هذه الارض نساكم واطفالكم ومواشيكم
يجلسون في مدينتكم التي اعطاكم موسى في مجاز الاردن وانتم تجوزون مخلصين الخلص بين يدي اخوتكم كما اراحكم ويرثوا ايضا الارض
التي الله ربكم معطيكم ثم ترجعون الى ارض حوزكم التي اعطاكم موسى عبد الله في مجاز الاردن مشرق الشمس فاجابوا يوشع قائلين جميع ما
اوصيتنا به نعمل والى كل موضع ترسلنا نمضي كجميع ما قبلنا من موسى كذلك نقبل منك اذ كان الله معك كما كان مع موسى كل انسان يخالف
امرك ولا يقبل كلامك بجميع ما تامره به تقتل فاشتد وتايد فبعث يوشع بن نون من الكفر برجلين جاسوسين في خفية قائلا امضيا
انظرا الارض كلها مع اريحا فمضيا ودخلا الى بيت امراة زانية اسمها رحاب واضطجعا ثم فقيل لملك اريحا هوذا اناس من
بني اسرائيل قد جاوا الى هنا الليلة ليجسوا البلد فارسل ملك اريحا الى رحاب قائلا اخرجي القوم الجائين اليك الذين دخلوا دارك فانهم
ليجسوا جميع البلد جاوا فاخذت المراة الرجلين فاخفتهما وقالت كذلك كان القوم جاوا الي ولم اعلم من اين هم وكان عند اغلاق
الباب في الظلام ثم خرج القوم ولم اعلم اين مضوا اطلبوهم سرعة فانكم تلحقونهم ثم اصعدتهما الى السطح وطمرتهما في قش الكتان
والقوم طلبوهما في طريق الاردن الى المعابر وفي نسخة الى المخاضات والباب اغلقوا بعدما خرج الطالبون خلفهما وهما قبل ان يناما صعدت اليهما
الى السطح فقالت لهما قد علمت ان الله قد سلم اليكم البلد وانه قد وقعت هيبتكم علينا وقد ماج جميع سكان البلد من قبلكم وانا سمعنا الان
ايبس لكم بحر القلزم عند خروجكم من مصر وما عملتم بملكي الاموريين اللذين في مجاز الاردن سيحون وعوج اللذين اصطلمتموهما فمذ سمعنا ذابت
قلوبنا ولم يثبت ايضا روح في احد منا من قبلكم فان الله ربكم هو الرب في السموات من فوق ومن على الارض من تحت الان فاحلفا لي بالله
اذ قد عملت معكما فضلا فتعملان ايضا انتما مع اهل ابي فضلا وتعطياني علامة حق لتستبقوا ابي وامي واخوتي وجميع من يتصل بهم وتخلصوا
انفسنا من القتل فقالا لها انا نبذل نفسنا دونكم للموت ان لم تخبري بامرنا هذا فيكون عند تسليم الله البلد نعمل معك فضلا وامانة فاحدرتهما بالحبل
من الطاقة اذ بيتها في حائط السور وفي السور هي ساكنة وقالت لهما سيرا الى الجبل كيلا يلقاكما الطالبون وبعد ذلك سيرا الى طريقكما فقالا لها
بريان نحن من يمينك هذه التي استحلفتنا ان لم تفعلي ما نقول لك هوذا نحن داخلون الى البلد فاعقدي خصلة خيط من القرمز في الطاقة التي احدرتنا
منها واجمعي ابيك وامك واخوتك وكل بيت ابيك تضميهم اليك الى المنزل فيكون كل من يخرج من ابواب منزلك الى الخارج دمه في عنقه ونحن بريان
وكل من يكون معك في المنزل دمه في رقابنا ان بطشت به يد وان اخبرت بخبرنا هذا فنحن بريان من قسمك الذي استحلفتنا فقالت كما قلتما
فاطلقتهما ومضيا وعقدت خصلة القرمز في الطاقة فمضيا الى الجبل واقاما هناك ثلثة ايام الى ان رجع الطالبون ولم يجدوهما ورجع
الرجلان وانحدرا من الجبل وجازا الاردن وجاءا الى يوشع بن نون وقصا له كل ما وافاهما وقالا ليشوع ان الله قد دفع بايدينا كل الارض وقد ماج
جميع سكانها امامنا وادلج يشوع بالغداة ورحلوا من الكفرين وجاوا الى الاردن هو وجميع بني اسرائيل وباتوا ثم قبل ان يجوزوا

فلما

فلما كان بعد ثلثة ايام جاز النقباء في وسط العسكر وامروا القوم قائلين لهم عند نظركم صندوق عهد الله ربكم والائمة اللاويين حاملين
له انتم ترحلون من موضعكم وتمشون خلفه لكن ليكن بينكم وبينه بعد مقدار الفي ذراع بالمساحة لا تقربوا منه لاجل ان تعرفوا الطريق التي تمشون
فيها اذ لم تمشوا فيها امس واول امس قال يوشع للقوم استعدوا فان غدا يعمل الله في وسطكم عجايب وقال يوشع للائمة احملوا صندوق
العهد وجوزوا قدام القوم فحملوا صندوق العهد وساروا قدام القوم وقال الله ليوشع هذا اليوم ابتدي بتعظيمك في اعين جميع اسرائيل
لكي يعلموا انني كما كنت مع موسى اكون معك وقال يوشع لبني اسرائيل تقدموا ههنا واسمعوا الله ربكم وقال يوشع بهذه الحالة تعرفون ان قادرا
حيا الاله في وسطكم وانه طردا يطرد من قدامكم قبائل الامم الكنعانيين والزلعرين وفي نسخة الحاثيين المنسوبين الى حاث جدهم
والخبريين الى الفصحاء البلغاء وفي نسخة المجتمعين الى الحي والرمضيين والفلاحين والاموريين اي الروسا واليبوسيين اي الجبارين القاهرين
هاهو ذا صندوق عهد سيد كل الارض جايز قدامكم في الاردن والان خذوا لكم اثني عشر رجلا من اسباط اسرائيل رجلا واحدا
من كل سبط ويكون عند قرار اقدام رجال الائمة حاملي صندوق عهد سيد كل الارض في مياه الاردن من الامر العظيم ان تنقطع مياه الاردن
المنحدرة من فوق وتقف طودا واحدا كانها في زق مصرورة ولما ارتحل الشعب وقلعوا خيمهم ليجوزوا الاردن ساروا والكهنة الذين
حملوا التابوت امام الشعب فلما انتهوا الى الاردن وكان ممتليا يفيض كل ايام الحصاد انشق الاردن وقام الماء الذي كان ينحدر من فوق
كانه في زق ناحية وتباعد من قرية ادام التي عند صرتان والذي كان ينحدر الى البحر العربة الذي يدعى بحر الملح انشق وصار وانقطع
وجاز الشعب حيال اريحا وقام الكهنة الذين حملوا تابوت العهد في الاردن يابسا حتى عبر جميع الشعب الاردن فلما جاز الشعب
جميعا قال الرب ليشوع احمد الاثني عشر رجلا من الشعب من كل سبط رجلا واحدا وقل لهم خذوا من ههنا من جوف الاردن من تحت اقدام الكهنة
اثني عشر حجرا واعبروها معكم وانصبوها في موضع المبيت الذي تبيتون فيه الليلة فامرهم يشوع بذلك وان يحمل كل واحد حجرا على
عاتقه فاخذوها الى الموضع مبيتهم ونصبوها هنالك فمكثت الحجارة التي اخذوها من الاردن الى ان يقضي على الشعب كما اوصى موسى
يشوع وعجل الشعب على المجاز وجازوا فلما جاز جميع الشعب وجاز الكهنة الذين كانوا حاملين التابوت امام الشعب
وجاز بنو روبيل وبنو جاد ونصف سبط منشا وهم متسلحون امام اخوتهم كما امر موسى ابطال النفاذ والقوة جازوا
امام الرب الى قاع اريحا للمحاربة في ذلك اليوم عظم يشوع عند جميع بني اسرائيل وخافوه كخوفهم من موسى طول ايام حياته وقال
الرب ليشوع مر الكهنة الذين حملوا تابوت الشهادة يصعدوا من الاردن فامرهم فلما صعدوا رجع ماء الاردن الى مواضعه اولا كما
استقر قدام الكهنة في الشط بريح في سواحل الاردن كما كان اولا فصعدوا من الاردن في عشر خلت من الشهر الاول وهو
نيسان على ما قال بعض فضلاء اليهود ونزلوا الجلجال اقصى شارق اريحا فاما الاثنى عشر حجرا التي اخذوها من الاردن فنصبها
يشوع في الجلجال وقال يشوع لبني اسرائيل اذا سالكم بنوكم غدا وقالوا ما هذه الحجارة قولوا لهم ان بني اسرائيل فلق لهم هذا
الاردن فجازوه يابسا لان الله ربكم ايبس ماء الاردن امامهم حتى جازوه كما فعل الله ربكم ببحر سوف الذي ايبسه امامنا
حتى جزناه ليعلم جميع شعوب الارض ان يد الرب قوية ويتقوا الله ربكم كل الايام فلما سمع جميع ملوك الاموريين الذين
في جانب الاردن الغربي وجميع ملوك الكنعانيين الذين على شاطي البحر ان الرب ايبس ماء الاردن امام بني اسرائيل حتى جازوا فزعت
قلوبهم فلم يبق فيهم رمق فزعا من بني اسرائيل في ذلك الزمان قال الرب ليشوع اتخذ سيفا من صوان واختن بني اسرائيل ثانية
فختن بني اسرائيل ثانية في اكمة الغلفة والذي ختن يشوع هم جميع الذكورة الذين كانوا ولدوا في البرية حين خرجوا من ارض مصر
لان جميع الرجال الابطال المقاتلة هلكوا في البرية لانهم لم يطيعوا الله ربهم وكانوا كلهم مختنين فاقسم الرب عليهم ان لا يريهم
الارض التي وعد اباهم ان يعطيهموها الارض التي تغل السمن والعسل فبنوهم الذين اقامهم بعدهم هم الذين ختن يشوع لانهم
كانوا غلفا فلما ختن جميع الشعب مكثوا مواضعهم في العسكر حتى برئوا وقال الرب ليشوع اليوم صرفت عنكم عار اهل

معروه عاسمه ذلك الموضع جلجالا ونزل بنو اسرائيل الجلجال وعملوا فصحا في اربعة عشر يوما من الشهر الاول عند المسا في قاع اريحا واكلوا
من بر الارض بعد الفصح واكلوا في ذلك اليوم فطيرا وسنبلا مقلوا وارتفع المن عن بني اسرائيل منذ ذلك اليوم حيث اكلوا من بر الارض
وغلات ارض كنعان في تلك السنة وبينا يشوع في قاع اريحا قائما اذ نظر رجلا قائما اراه بحربة لطيفة ممسكة بيده فاقبل يشوع
اليه وقال اانت منا ام من اعدائنا قال انا رئيس اجناد الرب الان اتيتك فخر يشوع ساجدا على وجهه على الارض وقال ما الذي يقول السيد
لعبده وقال اخلع نعليك (خفك) من قدميك فان الموضع الذي انت قائم فيه طاهر ففعل يشوع ذلك وكان بنو اسرائيل قد حاصروا اريحا
ولم يكن يقدر احد من اهلها يدخل ولا يخرج قال الرب ليشوع انظر اني قد دفعت في يدك اريحا وملكها وكل اجنادها فليحط بالمدينة جميع
الرجال المقاتلة ودوروا حول المدينة سبع مرات وتهتف الكهنة بالقرون فاذا هتف الكهنة سبعة ابواق حين ينفخون امام التابوت حتى
اذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات وتهتف الكهنة بالقرون فاذا هتف الابواق وسمعتم اصواتها يهتف جميع الشعب باعلى اصواتهم صوتا
شديدا فيقع سور المدينة مكانه ويصعد الشعب كل انسان حياله فدعا يشوع الكهنة وقال لهم احملوا تابوت عهد الرب ويحمل سبعة من الكهنة قرون
ويهتفوا امام تابوت الرب فلم يزالوا ينفخون في القرون والذين يحملون التابوت يتبعون اصحاب الابواق والمتسلحون يسيرون امام الكهنة
الذين يهتفون بالقرون ويسيرون التابوت وقال يشوع للشعب لا تهتفوا ولا تسمعوا اصواتكم ولا تخرج كلمة من افواهكم الى اليوم الذي امركم
ان تهتفوا فدارت الجماعة بالتابوت كل يوم مرة كما امرهم يشوع فلما كان اليوم السابع ادلجوا سحرا واحاطوا بالمدينة كسنتهم دون ان في ذلك
اليوم السابع داروا حولها سبع مرات ففي المرة السابعة هتف الكهنة بالقرون وقال يشوع للشعب اهتفوا لان الرب قد دفع المدينة في
ايديكم ولكن صيروا هذه المدينة وكل ما فيها جرما للرب الا راحاب الزانية تبقى مسلمة وابقوا على راحاب الزانية يعني الفندقانية كما اخبرني بعض
فضلائهم عن يوشع التعبير عنها فيما مضى بالسوقية والله اعلم وعلى كل من معها في بيتها لانها غيبت الجاسوسين الذين ارسلنا فاما انتم فاحتفظوا
من الحرام ولا تنجسوا انفسكم باخذ الحرام فتصيروا عسكر بني اسرائيل حراما فنفخوا في القرون فلما سمع الشعب صوت الابواق ضجوا كلهم ضجة شديدة
فوقع سور المدينة فصعد الشعب الى المدينة كل انسان حياله فافتتحوها وقتلوا كل من فيها رجالها ونساءها والمشيخة والصبيان والثيران والحمير
والغنم قتلوها بالسيف واما الرجلان اللذان اجتسا الارض فقال لهما يشوع ادخلا الى بيت المراة الزانية يعني الفندقانية كما مضى
فاخرجاها واخرجا كل من معها في البيت كما حلفتما لها ففعلوا وانزلوهم خارج عسكر بني اسرائيل واحرقوا المدينة وكل ما فيها بالنار واحيا
يشوع الزانية ودار ابيها وكل من لها واقسم يشوع في ذلك الزمان ولعن وقال ملعونا يكون امام الرب الرجل الذي يقوم ويبني مدينة اريحا هذه وكان
الرب بعونه مع يشوع ونصره وشاع خبره في الارض كلها واثم بنو اسرائيل وتناولوا من الحرام وذلك ان عاجار بن كرمي بن زبدي بن زرح من
قبيلة يهوذا اخذ واحدة من الحرام وغيب في خيمته فاشتد غضب الرب على بني اسرائيل ثم ارسل يشوع رجالا الى العاي التي تثبت عند اون من مشارق
بيت ايل يتجسسوها فقالوا له ان يخرج اليها الفان او ثلثة الاف لان اهلها قليل فصعد والقى ربوهم عند باب المدينة فانهزم بنو اسرائيل و
جرح منهم جرحى كثير فذكر القصة في سجود يشوع وانزعاجه واخبار الله تعالى اياه ان قومه غلوا ثم امره بالقرعة حتى خرج الذي عنده
الغلول وهو عاجار وكان غلوله طنفسة بابلية ومايتي مثقال فضة وسبيكة من ذهب فيها خمسون مثقالا فاخرجه يشوع مع كل شي له
وقد مضى ذلك في اوائل البقرة عند اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة وتقدم في المائدة فتح بعض البلاد بيد بيت المقدس [illegible]
هكذا يفتحون بلدا بعد بلد ويقتلون جبابرتها عددا بعد عدد ويرون في ذلك من عجائب الامور وبدائع المقدور ما يبقى على مر الاباد
وتتابع الدهور ذكرهم وفي اثناء ذلك كل قليل يكفرون وينقضون العهود ولا ينكرون كما هو مبين في سفر يوشع بن نون وقد مضى شي منه
في المائدة عند قوله تعالى فعموا وصموا الاية كل ذلك بعد ان جاءهم من العلم ما لا يحتمله مرية ولا يخالطه شك [illegible]
الامر كله لا مضل لمن هدى ولا هادي لمن يضل ولما كان ما مضى من ايات هذه السورة المبينة ان من ارتد من شقاوته لا تنفعه مشاهدة
الايات سببا للنفي الشك عنه واثبات اليقين بضد شيهما لما في تلك الادلة على تلك المضامين الى ان ختم ذلك بنجاة من عمل عمل

مرة في اليوم وفعلوا كذلك ستة ايام ويحمل سبعة من الكهنة سبعة ابواق من قرون يهتفون امام التابوت حتى اذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة صح

الشاك

الشاك بعد الحجارة بما يوجب اليقين من العلم وكان صلى الله عليه وسلم كما مضى في امر التي قبلها اشفق الخلق لا سيما على العرب لا سيما على قومه منهم
وكانت الخشية قد برزت من الجناب الالهي له بما يوافق طبعه من بذل الجهد في هلاكهم كان ذلك التجبر [illegible] يحرك طبع البشر لتمني الاجابة
لما يقترحون وكان طلب ذلك بعد العظام عند افعال الشاك في الجملة فاريد صرف النفس عنه بالكلية ولو بالخطور في البال فقيل سببا عما
قبله فان كنت اي يا ارحم الخلق في شك اي ولو قل مما انزلنا اي بعظمتنا واصلا على لسان الواسطة اليك في ذلك فاسئل اي بسبب ذلك
الشك الذين يقرءون اي موالين لذلك الكتاب اي السماوي من اليهود والنصارى فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك على
عظيم حال من منهم ومن منصف [illegible] فاوضه في الايمان ولما كانوا بعض من اوتي الكتاب في الزمن السالف اثبت
الجار فقال من قبلك وهم عند ذلك الخبر بان فلا تحتاج الى سوال غيرهم وهذا مضمون وكرره موكدا اثباتا بخرق التوقع لان كلام الله
في حق مواضعه لقد جاءك الحق اي الثابت الكامل ثباته وهو مضادة العدل فيهم وزاده تشريفا وترغيبا فيه بقوله من ربك اي
المحسن اليك باصطفائك لذلك فلذلك سيق ساق البيان لا غير واو فاذا ثبت انه الثابت على الثبات تسبب عنه ابعد من [illegible]
من جاهه وغلب ايتباعه بقوله فلا تكونن اكده لانه لا خفيت بان لا ينبغي عنه احد بوجه من الوجوه من الممترين اي الغافلين عما ياتي الله
فتطلب الفضل لهم الهدي وقال ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم ولما نهى عن ذلك لم يبق مما اقتضته القسمة
العقلية الا العناد من يكون منه كما فعل بنو اسرائيل بعد مجي العلم فاتبعه النهي عن مثل حالهم بقوله ولا تكونن اي بوجه من الوجوه
والمراد بهذا اتباعه من الذين كذبوا اي فعلوا فعل المكذب تهييجا باية الله اي الذي لا اعظم منه باضافتها الى الذي لا اعظم منه
فتكون اي كونا راسخا من الخاسرين بل اثبت على ما انت عليه من اليقين والطمانينة والثقة بالله والسكينة وهذا ونحوه مما غلظت
فيه العبارة دلالة على مزيد قرب المخاطب لان المراد غيره وعظيم منزلته ولطيف خصوصيته كما مضى بيانه عن الامام ابي الحسن الحرالي في سورة
براة عند قوله تعالى عفا الله عنك الاية وتغليظ العبارة فيه تاديب عظيم لتابعيه والشك الوقوف بين النقيضين وهو من شك العود
فيما ينفذ فيه لانه يقف بذلك الشك بين جهتيه والامتراء طلب التشكك مع ظهور الدليل من مري
الضرع وهو مسحه ليدر ولما بين ما مضى من هذه الايات وما كان نظائرها بانه لا تغني الايات عنهم صرح به في قوله تعالى ان الذين حقت
اي وجبت وثبتت عليهم اي بانهم اشقياء وعبر بالاسم المفهم للاحسان اعلاما بانه ما وجب عليهم العذاب الا للاحسان اليك [illegible]
وغير ذلك من الحكمة كلمت ربك اي المحسن اليك في جميع امرك لا يؤمنون اي لا قبول لهم لتجدد الايمان ولو جاءتهم كل اية ونسبتها الى القول لقد
جاءك الحق تسبب لقد جاءك الحق الى فان كنت في شك لانه في البيان المستفاد من حرف العاطفة لدخال الكلام في معنى واحد كان بمنزلة
الكلمة الواحدة فسمي بها حتى يروا العذاب الاليم اي حين لا ينفعهم الايمان لفوات شرطه كما لم ينتفع فرعون لذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن
تجد لسنة الله تحويلا ولما كان هذا موضع ان يقال انما تطلب الايات لما يرجى من تسبب الايمان عنها سبب عنه ان يجاب بقوله تعالى فلولا اي فهلا
كانت قرية اي واحدة من قرى الامم الماضية التي اهلكناها امنت اي من قومها عند اتيان الايات او عند روية اسباب العذاب فنفعها
اي تسبب عن ايمانها ذلك انه نفعها ايمانها ولما كان معنى لولا النفي كان التقدير لم تومن قرية منهم لاضطرهم العذاب كما فعل فرعون لو امن
عند روية البحر على حال انفلاقه وعند توسطه وقيل للسيابة عليه قبل ولكنه ما امن الا بعد انهياره ومسه وذلك حين لا ينفع لفوات شرط
الايمان بالغيب الا قوم يونس فانهم امنوا عند المخايل وقبل نفاد التكليف فنفعهم ذلك فانهم لما امنوا ودل على انه كان قد اظلهم بقوله
كشفنا اي بعظمتنا عنهم اي حين ايمانهم روي انه لم يبق بينهم وبين العذاب الا قدر ميل عذاب الخزي اي الذي كان يوجب لهم لو
نزل عليهم هوان الدارين في الحيوة الدنيا اي فلم ياخذهم وقد رددناه لهم ومتعناهم اي تمتيعا عظيما الى حين وهو انقضاء اجالهم بموت
كل واحد منهم في وقته المضروب له وما ذكرته في معنى الاية نقله القاضي ابو محمد اسحق بن ابرهيم البستي في تفسيره المسند عن ابن ابي عمر قال
سفين الثوري فلولا كانت قرية امنت قال فلم تكن قرية امنت فهذا تفسير معنى الكلام واما لولا فهو بمعنى هلا وهي على وجوه تحضيض

وتأنيث او توبيخ وهي هنا للتوبيخ ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى لم لا ويلزم كلا المعنيين النفي والنفع ايجاب اللذة بفعلها او ما يؤدي
اليها كالدواء الكريه المؤدي الى اللذة والضر هو ايقاع الالم وهو فضح صاحبه وهو نوع من القتل المغم الذي يلحق به واصله التعب ولما كان ما مضى
ربما اوجب اعتقاد ان ايمانه مثل اولئك محال جاءت هذه الآية في مقام الاحتراس منه مع البيان لان حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ايمانهم لا ينفع
ومبالغته في ازالة الشبهات وتقرير الدلائل لا يفيد الا بمشيئة الله تعالى لهم فيهم وهدايتهم ولو كان وحده كافيا لآمنوا بهذه السورة فانها
ازالت شبهاتهم وبينت ضلالاتهم وحققت بقصتي نوح وموسى ضعفهم ووهن مرادهم فقال تعالى ولو شاء اي ايمان الناس ربك اي
المحسن اليك باقبال من اقبل العمل الخير فيه وادبار من ادبر لعدم قابليته للخير لآمن من في الارض من الكفار ولما كان هذا ظاهرا في العموم اتبعه بمؤكدا
لان المقام يقتضيه فقال كلهم جميعا اي مجتمعين في زمن واحد لا يختلفون في شيء منه ولكن لم يشأ ذلك وانت لحرصك على امتثال اوامري
ووصيتي لك بالتلطف بخلقي للموافق لما جبلتك عليه من الخير تريد ذلك افانت تكره الناس اي الذين لم يرد الله ايمانهم مع ما طبعهم عليه من
الاضطراب حتى يكونوا اي كونا جبليا مؤمنين اي راسخين في الايمان وايلاء الاستفهام الاسم مقدما على الفعل للاعلام بان الفعل وهو هنا
الاكراه ممكن من غير ذلك الاسم وهو هنا الله وحده القادر على تحويل الطباع فان قدرته قاهرة لكل شيء ومشيئته نافذة في كل شيء مع الدلالة
على ان وقوع خلاف المشيئة مستحيل لا يمكن لغيره حتى بالاكراه ولا غيره والمشيئة معنى يكون به الفعل مرادا اخذ من الشيء والمراد بالآية تخفيف
ما يلحق النبي صلى الله عليه وسلم من التحسر والحرص على ايمانهم وما كان اي وما ينبغي ولا يتأتى لنفس اي واحدة فما فوقها ان تؤمن اي يقع
منها ايمان في وقت ما الا باذن الله اي بارادة الملك الاعلى الذي له الخلق والامر وتمكينه فيجعل الثبات والطمأنينة اللازمين للايمان الذي
هو ابعد شيء عن السحر على الذين يتفكرون بعقولهم فيلزمون مكارم الاخلاق التي هي ثمرات الايمان ويجعل الرجس اي الاضطراب والتزلزل الذي
يلزمه التكذيب الذي هو اشبه شيء بالسحر لانه تخييل ما لا حقيقة له والقذر والقباحة والغضب والعقاب الناشئ عنه ولما كان ما في هذه السورة
من الدلائل قد وصل في البيان الى حد لا يحتاج فيه الى غير مجرد العقل قال على الذين لا يعقلون اي لا يجددون لعقل فيهم لانهم لا ينتفعون بالآيات وهم يدعون
انهم اعقل الناس فبينها تطهر من مساوي الاخلاق وهم يرون انهم ابعد الناس عنها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والخاصة الشيء التي لو بطل
ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد ولما تقرر ما مضى من النهي عن الاسف والنهي عن طلب الآيات وختم بتعليق الامر بمجرد المشيئة
كان كأنه قيل فماذا يفعل العباد اذا طلبوا فقال قل اي يا اشرف الخلق لهم غير مهتم بامرهم ومنبها لهم على ابطال مذهب الجبر المتعلق اصحابه بنحو هذه
الآية لان المشيئة مغيبة والعبد مامور ببذل الجهد في الطاعة بما له من القدرة والاختيار ولما امر بهذا الفكر فكان ربما ظن لاجله ان للانسان
قدرة مستقلة نبه على اهل السنة القائل بالكسب الذي هو كما قال الامام علي رضي الله عنه امر بين امرين لا جبر ولا تفويض فقال معلما ان من حكم
بشقاوته لا ينفعه شيء انظروا اي بابصاركم وبصائركم لتخرجوا بالانتفاع بالعقل عن عداد البهائم قال الامام ولو ان الانسان تفكر في كيفية
حكمة الله في خلق جناح بعوضة لانقطع فكره قبل ان يصل الى اول مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد فلذلك ابهم في قوله ماذا اي الذي
في السموات والارض اي من الآيات وواضح الدلالات التي اخرجتموها بالفكر لها عن عداد الآيات وهي عند التأمل من اعظم الخوارق والآيات قال الامام
فكأنه سبحانه نبه على القاعدة الكلية حتى يتنبه لاقسامها وقال ابو حيان اخذا من الامام السبيل الى معرفته هو التفكر في مصنوعاته ففي
العالم العلوي في حركات الافلاك ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما يختص بذلك من المنافع والفوائد وفي العالم السفلي في احوال
العناصر والمعادن والنبات وخصوصا حال الانسان انتهى ولما كان ما فيها من الآيات في غاية الدلالة نبه سبحانه على ان المتوقف عن الايمان
بلا تنبيه على كيفية الاستدلال معاند فقال وما وهي نافية او استفهامية تغني الآيات اي وان كانت في غاية الوضوح والنذر اي الانذارات
او الرسل المنذرون عن قوم اي وان كانت فيهم قوة لا يؤمنون اي الحكم بشقائهم فكان ذلك سببا لانه يدينهم بقوله فهل ينتظرون
اي بجميع قواهم في تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتخلفهم عن الايمان الا اي ايام اي وقائع مثل ايام اي وقائع الذين خلوا ولما كان
اهل الايام الهائلة بعضهم كان قبل الى بالجار فقال من قبلهم اي مكذبي الامم وهم القبط وقوم نوح ومن طوي بينهما من الامم من حقوق

سبحانه

الكلمة عليهم فنحل بهم باسنا ثم ننجيكم بحمدنا ايانكم كما كنا نحل باولئك اذا كذبوا رسلنا ثم ننجي الرسل ومن امن بهم حقا علينا ذلك للعدل بين
العباد ولما تقدمت الاشارة الى ان الكلمة حقت على الكافرين بعدم الايمان والرجس الذي هو العقاب في تهديدهم بالاعراض بما سبب فعلهم فعل من
ينتظر العذاب بقوله قل فانتظروا اي بجميع جهدكم ما تريدون ولعقابكم بسبب ما تقتضيه عندكم مما كان يقع بالماضين في ايام الله وزاد التحذير
بالتنبيه على قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب اني واعلمهم بالنصفة بقوله معكم من المنتظرين ولما كان التقدير فانا كما في ايام الذين خلوا
نوقع الرجس بالمكذبين عطف عليه بيانا لما كان يفعل بالرسل عليهم السلام واتباعهم اذا اهلك الظالمين قوله ثم ننجي اي تنجية عظيمة
وننجيهم انجاء عظيما وجاء به مضارعا حكاية للاحوال الماضية وتصويرا لها تحذيرا لهم من مثلها واعلاما بانه كذلك يفعل
بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه رضي الله عنهم واشعارا باداة التراخي الى طول زمن الابتلاء وعظيم رتبة التنجية وحذف مقابل الانجاء
لان المقام بعد آية الا ان اولياء الله ناظر الى البشارة الزم من النظر الى النذارة رسلنا اي الذين عظمتهم من عظمتنا والذين
امنوا اي بالرسل وهم معهم في زمانهم ولو كانوا في ادنى درجات الايمان تشريفا للرسل فانهم بصدد الرسوخ بملازمتهم ثم وصل بذلك
تشريفا للراسخين ترغيبا في مثل حالهم قوله كذلك اي كما حق علينا اهلاك الكافرين هذا الاهلاك العظيم حقا علينا
الحق حالهما اي بما اوجبناه على انفسنا بالاعظم ننجي المؤمنين اي العريقين في الايمان ولو كانوا بعد موت الرسل تنجية عظيمة
وننجيهم انجاء عظيما فالآية من الاحتباك حذف ما اشارت اليه القراءتان بالتخفيف والتثقيل او يكون ذلك جوابا لسؤال من لعله
يقول هل حقوق النجاة تختص بالرسل ومن معهم فقيل لا بل كذلك الحق وحقا علينا اي على ما لنا من العظمة ننجي المؤمنين في كل
زمن وان لم يكن بين ظهرانيهم رسول لان العلة الاتصاف بالايمان الثابت فيكون الكاف مبتدأ وننجي خبره والنظر طلب المعنى
بالقلب من جهة الذكر كما يطلب ادراك المحسوس بالعين والعين حصول ما ينافي الضر وصفة النقص ونقيضه الحاجة والنذر
جمع نذير من النذارة وهي الاعلام بموضع المخافة لتقع السلامة والانتظار الثبات لتوقع ما يكون من الحال والمثل ان كان
من الجنس فهو ما سد مسد غيره في الحس وان كان من غيره فالمراد ما كان فيه معنى يقرب من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكافر بالسراب
والنجاة من النجوة وهي الارتفاع من الهلاك ولما تقدم العظام على الجبل من طلب الآيات وكان طلبهم لها انما هو على وجه الشك
وان لم يكن على ذلك الوجه فانه فعل الشاك غالبا وتقررت اجوبة لهم وختم ذلك بتهديدهم وبشارة المؤمنين الموجبة لثباتهم
ناسب كل المناسبة ان يعقب الامر بجواب المجرد الشاك على ثباته صلى الله عليه وسلم وانه مظهر دينه رضي من رضي وسخط من سخط لان السياق
قد وصل الى الغاية في قوله تعالى قل يا ايها الناس اي الذين هم في حيز الاضطراب لم ترقهم هممهم الى رتبة الثبات ان كنتم
اي كونا هو كالجبلة متغمسين في شك كائن من جهة ديني تطلبون لزواله بعد تكلف العقل بالدلالة عليه انزال
الآيات فانا لست على شك من صحة ديني وبطلان دينكم فاعرضوه على عقولكم وانظروا لما فيه من الحكم مستحضرين ما نبهتكم
عليه في الذي تقدم بيانه في قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق ونحوه فلا اعبد اي الآن ولا في مستقبل الزمان
الذين تعبدون اي الآن او بعد الآن من دون الله اي الملك الاعظم لعدم قدرتهم على شيء من ضر او نفع فلا تطمعوا
في انه يحصل لي شك بسبب حصول الشك لكم فانا لا اعبد غير الله اصلا ولما كان سلب عبادته عن غيره ليس صريحا في اثباتها له
قال ولكن اعبد الله اي الجامع لاوصاف الكمال العبادة المستمرة ثم وصفه بما يوجب الخوف منه ويدل على كمال قدرته الذي
يتوفاكم بانتزاع ارواحكم التي لا شيء عندكم يعدلها فلا تطيقون عند ارادته لنزعها في المحاولة لتوحيده دفاعا عن ذلك
وفي هذا الوصف مع ما فيه من الترهيب اشارة الى الدلالة على الابداء والاعادة فكأنه قيل الذي اوجدكم من عدم كما انتم به معترفون
ويعدمكم بعد هذا الايجاد وانتم صاغرون فثبت قطعا انه قادر على اعادتكم بعد هذا الاعدام بطريق الاولى فاحذروه
ليعبدوه كما اعبده فانه قد امرني بذلك وانتم تعرفون ان الملك اذا خولف في ... الا كنتم في شك مع انهم يعرفون

بيطلان دينه لانهم في حكم الشاك المضطرب عند ورود الادلة او لان فيهم الشاك فغلب لانه اقرب الى الخير والشك هو توقف بين المعنى ونقيضه وضده الاعتقاد فانه قطع بصحة المعنى دون نقيضه وعبر بمن اشارة الى ان فعلهم ذلك ابتعاد عن الدين ولو عبر بفي لافهم انهم دخلوا فيه لانهم في الشك مع الشك في الدين والظرف لطرف الشيء طرف له لان الشيء وترك العطف اشارة الى ان كل جواب منها كاف على حياله ولما اقر ما هو الحق بطريق العقل اتبعه بما ورد من النقل بتاييده وايجابه بقوله **وامرت** اي بامر جازم ماض ممن لا امر معه وعظم المامور به بجعله ثمرة الكلام باقامته في مقام الفاعل فقال **ان اكون** اي دائما كونا جليا ولما كان الايمان في ما يحتمل الشك من الامر الباطن عبر بالايمان الذي هو للقلب فقال **من المؤمنين** اي الراسخين في هذا الوصف **وان اقم** ايها الرسول **وجهك** اي كليتك على الاخلاص الذي لا شوب فيه **للدين** فوصل ان بالامر بمعنى الامر وثانيا بالمصدر جمعا بين الاسلوبين وكلاهما بمعنى المصدر وخص الثاني بذلك لطوله لانه كالتفصيل للاول فالخطاب فيه اوكد واشد وقوله **حنيفا** حال من فاعل اقم ومعناه مسلما مبالغا مع الدليل كما اوضحته في البقرة اي جمع بين الايمان بالقلب والاستسلام بالجوارح **ولا تكونن** اي في وقت من الاوقات **من المشركين** الذين هم على ضد صفة الكلام من الجفاء والغلظة والجهل والقسوة ولما نهاه عن الشرك اكده بما هو كالتعليل له بما يلزم من العبث بالخضوع لما لا ضر فيه ولا نفع بقوله **ولا تدع** اي في رتبة من الرتب الكائنة **من دون الله** اي الذي بيده كل شيء **ما لا ينفعك** اي ان فعلت شيئا من ذلك فاتاك باثباته **ولا يضرك** اي ان تعسى على العتاب مع نصرتنا **فان فعلت** اي شيئا مما نهيناك عنه **فانك اذا** اي اذا دعوت ذلك الغير بسبب ذلك **من الظالمين** اي العريقين في وضع الدعوة في غير محلها لان ما هو كذلك في غاية البعد عن منصب الالهية قال الحرالي عاطفا على قوله فان فعلت **وان يمسسك الله** اي الذي لا راد لامره **بضر** اي بمحنة كان على اي وجه كان وان كان ظاهر اجرائها اتباعا عند الاظهار **فلا كاشف له** اي اصلا بوجه من الوجوه **الا هو** لانه لا اراده له ارادة لا يكون غيره فلا شيء سواه في ازالته بخير وعبر بالمس لانه احوف **وان يردك** اي مطلق ارادة **بخير فلا** اي فلا لا محالة فانه لا **راد** ونبه على انه سبحانه لا يجب عليه شيء بان وضع مكان الضمير قوله **لفضله** اي عمن يريده به كما يفعل بعض العاجزين من اتباع ملوك الدنيا في رد بعض ما يريدون بل هو بحيث لا يستطيع احد الا باذنه فلا تخش غيره فالاية من الاحتباك ذكر المس اولا دليلا على الارادة ثانيا والارادة ثانيا دليلا على حذفه اولا ولم يستثن في الارادة كما استثنى في المس لان دفع المراد محال وعبر بالارادة بالخير وبالمس في الضير تنبيها على انه صلى الله عليه وسلم مراد بالخير بالذات وبالضر بالعرض تطييبا لقلبه بما تكرر في هذه السورة من الاخبار باحقاق العذاب على الفاسقين والايلاس من الظالمين فلما تقرر ذلك حسن موقع قوله مبينا لحال ذلك الفضل **يصيب به** اي ذلك الفضل او ما تقدم من الخير والضر **من يشاء** اي كائنا من كان ادنى واعلى مبينا العلة في كونهم مقهورين بقوله **من عباده** وهذا كله اشارة الى الزام وجوب الاعراض عن معبوداتهم بانها لا تغني او وجوب الاقبال عليه بتبوله لاختصاصه به وختم الاية بقوله **وهو الغفور** اي البليغ الستر للذنوب **الرحيم** اي البالغ في الاكرام اشارة الى ان اصابة بالخير لا يكون الا تفضلا منه بعد الستر للذنوب والرحمة للضعف فهو الحقيق بان يعبد والمستجمع التقاءين من غير تضاد وفيه المطابقة والمجامعة ونقيضه المباينة والكشف رفع الستار يجعل الشيء كانه مانع من ادراك الانسان وسائر ما تكرر في هذه السورة الاولى والنواهي والاجوبة بما تقتضي ترجمه على وجه التعنت وضمنا بانهم دعاهم كان من التحالف في الظلم لا مجير له منه ختم ذلك بجواب يعلم به ان فائدة الطاعة ليست راجعة اليه بل ... عائدة الا عليهم فقال **قل يا ايها الناس** اي عامة [illegible] قابلية التحرك والاضطراب **قد جاءكم الحق** اي الكامل في الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب ذكركم خير عظيم اصابكم ... وزاد الرغبة فيه بقوله **من ربكم** المحسن اليكم **فمن** اي فتسبب عن ذلك انه من **اهتدى** اي الى ... صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب **فانما يهتدي لنفسه** لانه تبع الحق الثابت وترك الباطل الزائل فانقذ نفسه من النار واوجب لها الجنة **ومن ضل** اي كفر بهما او بشيء منهما **فانما يضل عليها** لانه ترك الباقي وتمسك بالبائس بيده منه شيء لانه قال

فقد

فقد غر نفسه **وما انا** ولما كان السياق لنفي تصرفه فيهم وان ذلك انما هو الى الله كان تقديم ضميرهم اهم فقال **عليكم بوكيل** فيطلب مني حفظكم مما يؤدي الى الهلاك ومنعه عنكم كما يطلب من الوكيل ولما كان الذي ذلك وعظا لهم وتنزيلا ختمه بامره صلى الله عليه وسلم بما يفعله في خاصة نفسه اجابوا او لم يجيبوا عطفا على قوله قل يا ايها الناس **واتبع** اي بجميع جهدك **ما يوحى اليك** وبناه للمفعول لان ذلك كان بعد ان تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم وعلم ان كل ما يأتيه عن الله فكان ذلك امكن في امره باتباع كل ما ياتيه منه سبحانه وفي الايذان بانه لا ينطق عن الهوى **واصبر** في تبليغ الرسالة على ما اصابك من عظيم الضرر وبليغ الحزن من ضلال من لم يهتد واعراضه وجفوته واذاه **حتى يحكم الله** اي الملك الاعظم بين من ضل من امتك ومن اهتدى **وهو** اي وحده **خير الحاكمين** لانه يوقع الحكم في اولى مواقعه واحقها واحسنها ولعلها ... وهو المطلع على السرائر في عمل انت كما تؤمر به وبشر وانذر واخبر وادع الى الله بجميع ما امرك به واترك المدعوين يمضي امره فيهم بامره قال الزمخشري وروي انها لما نزلت هذه الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني وتبعه على ذلك ابو حيان وغيره فان صح فالسر فيه والله اعلم انه لما اعلمت هذه الاية ان من اتبع الوحي ابتلي بما ينبغي الصبر عليه وفهمت ان من كان اشد اتباعا كان اشد بلاء وكان الانصار رضي الله عنهم احق بهذا الوصف من غيرهم من حيث انهم كانوا اول قبيلة جمعوا الايمان ومن حيث كانوا اسهل قيادا والين عريكة مع كونهم لم يتقدم لهم عشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا خبرة باحواله توجب لهم اتباعه مما يوجب لمن كان من بني عمه قريش من الطواعية ومن يرى منه من كرم الاخلاق وكريم الشمائل ما يوفر داعيته على اتباعه فلما كان ذلك كذلك خص النبي صلى الله عليه وسلم الانصار بهذا الامر تفضيلا لهم في ذلك من الجهتين المذكورتين فلا يتوهم تفضيلهم على المهاجرين بل المهاجرون افضل لانهم جمعوا الى النصرة الهجرة مع ان اكثرهم اقرب نسبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبق في الاسلام حظ واوضح هذا ما ظهر لي في مناسبته على تقدير صحته والذي في الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يقطع الانصار من البحرين فقالت الانصار حتى تقطع لاخواننا من المهاجرين مثل الذي تقطع لنا قال سترون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني فهذا فيه ان ... على الانصار وهو يدل على ان المنصف يقل انصاف الناس له ... والوحي القاء المعنى الى النفس في خفاء وهو ما يجيء به الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى فيلقيه اليه على اختصاصه من غير ان يرى ذلك سواه من الناس والصبر تجرع مرارة الامتناع من المشتهى الى الوقت الذي ينبغي فيه تعاطيه ويعين على ذلك العلم بعاقبته وكثرة الفكر في الخير الذي ينال به واعتياد الصبر في خصلة يسهل الصبر في خصلة اخرى لان الخير يدعو الى الخير فتمكن الانسان في خصلة يصير له آلة تدعوه الى غيرها كلها وقد ختمت هذه السورة بما ابتدئت من امر الكتاب في الاشارة الى الارشاد لما ينفع من ثمرة انزاله والعمل بما دل عليه واشار اليه الى تجلي الحكيم الذي انزله بالحكم في الدنيا او في الاخرة بالامر له عما برز به من مواعيده الصادقة وكلماته التامة وهذا بعينه هو اول التي بعدها فختم هذه السورة وسطا بين اولها واول التي تليها ففيه رد المقطع على المطلع ومتبع لما اتبع والله الموفق

سورة هود عليه السلام

مقصودها وصف الكتاب بالاحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة المقتضي لذلك سبحانه وضع كل شيء في اتم محاله واتقانه بما اريبا الموجب للقدرة على كل شيء وانسب ما فيها لهذا المقصد ما ذكر في سياق قصة هود من احكام البشارة والنذارة بما العاجل والاجل والتصريح بالجزم بالمعاجلة بالمنابذة الناظر الى عظم مرارات السورة فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك والعناية بكل دابة والقدرة على كل شيء الموجب ... المقتضي للعلم اللازم منه التفرد بالملك وسيأتي في الاحقاف وجه اختصاص كل منهما باسمها **بسم الله** اي الذي له تمام العلم وكمال الحكمة وجميع القدرة **الرحمن** لجميع خلقه بعموم البشارة والنذارة **الرحيم** لاهل ولايته بالحفظ في سلوك سبيله **الر** لما ختم السورة التي قبلها كما ترى بالحث على اتباع الكتاب في لزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الصبر المؤدي الى مغاور الخير اعتمادا على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه فقال بعد الاشارة الى اعادة القرع بالتحدي على ما سلف في البقرة **كتاب** اي عظيم جامع لكل خير ثم وصفه بقوله **احكمت** بناه للمفعول بيانا لان احكامه امر قد فرغ منه على ايسر وجه

ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وان الاعراض سبب الضيق كما قال صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي ذكر الفضل اشارة الى ثواب الاخرة فالتوبة سبب طيب العيش في الدنيا والاخرة وقال الامام ابو جعفر
ابن الزبير ولما كانت سورة يونس قد تضمنت من اي التنبيه والتحريك للنظر في العظات والتخويف والتهديد والترغيب والترهيب و
تقريع المشركين والجاحدين والقطع بهم والاعلام بالجريان على حكم السوابق ووجوب التفويض والتسليم ما لم يشتمل على مثله سورة لكثرة
هذه الاغراض فيها وبسبب تكرر ذلك فيها والله اعلم انها اعقبت بها السبع الطوال وقدم التنبيه على غير سورة الانعام بما وقع استيفاء
بيان حال المتنكبين عن الصراط المستقيم على اختلاف احوالهم ثم استوفت سورة الانعام ما وقعت الحالة عليه من احوال الامم السالفة
مما تقدم وبسطت ما اجمل من امرهم ثم اتبع ذلك بخطاب المستجيبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحذروا وانذروا وكشف حال من
تلبس بهم من عدوهم من المنافقين وتم المقصود من هذا في سورتي الانفال وبراءة ثم عاد الخطاب الى طريقة الدعاء الى الله والتحذير
من عذابه مع بسط ما تقدم في ان مقتضى للتاكيد التخويف والترهيب لاستئناف ذلك مع بسط حال وايضاح ادلة فلهذا كانت سورة يونس
مضمنة من هذا ما لم يتضمن غيرها الا ترى افتتاحها بقوله ان ربكم الله الاية ومناسبة هذا الافتتاح دعاء الخالق الى الله في سورة البقرة
بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم تنبيهه واحتجاجه بقوله تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله ثم تاكيد المواعظ
والزواجر والاشارات الى احوال المكذبين والمعاندين من التنبيه ان ربكم الله هو الذي جعل الشمس الى في اختلاف الليل والنهار
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل انظروا ماذا في السموات والارض الى غير هذا وعلى
السنن تكررت العظات والاغراض المشار اليها في هذه السورة الى قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فحصل من سورة الاعراف
والانفال وبراءة ويونس تفصيل ما كان اجمل منها فيما تقدم كما حصل مما تقدم تفصيل احوال السالكين والمتنكبين فلما تقرر هذا
كله اتبع المجموع بقوله كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وتامل مناسبة الاسمين الكريمين وهما الحكيم الخبير
ثم تامل تلاوة صدر السورة هود كتاب احكمت اياته ثم فصلت فكان من فوض في الحق والموعظة وان كانت محكمة مفصلة فحقها
ان تكون شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وحق توبيخهم في قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والعجب في عمههم مع احكام تفصيله
ولكن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون وتامل قوله تعالى اخر هذه السورة وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين فكان الكتاب حق وموعظة وذكرى وانما الاشارة والعلم بما اراد الحكيم تقرر الابتداء به من
كمال بيان الصراط المستقيم وملتزمات متبعيه اخذا وتركا وذكر احوال المتنكبين على شتى طرقهم واختلاف اهوائهم وغاياتهم وشرهم المبين
فانه متبعهم والقائل بجحيم في خبار الله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وقد بسط امره وقصته في البقرة والاعراف
ما يسر على المؤمن الحذر منه وعرفهم به وذكر اليهود والنصارى والمشركون والصابئون والمنافقون وغيرهم وفصل مرتكب كل فريق
منهم كما اتوعب ذكر اهل الصراط المستقيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وفصل من احوالهم ابتداء وانتهاء والتزاما
وتركا ما اوضح طريقهم وعين حزبهم وفريقهم اولئك الذين هدى الله وذكر احوال الامم مع انبيائهم واخذ كل من الامم بذنبه مفصلا
وذكر ابتداء الخلق وتخصيص ادم على الملائكة في التعليم والاعطاء وذكر فريقا الجن من مؤمن وكافر وامر الاخرة وانتهاء حال الخلائق واستقرارهم
الاخروي وتكرر دعاء الخالق الى الله طمعا في رحمته واعلام الخلق بما هو عليه سبحانه وما يجب له من الصفات العلى والاسماء الحسنى وتنبيه العباد على
الاعتبار وعلموا طرق الاستدلال ورغبوا ورهبوا وبشروا وانذروا وعلموا بافتقار المخلوقات بجملتها اليه سبحانه كما هو المنعم بخلقهم الى ما يحصل
ذلك مما يعجز الخلائق عن حصره والاحاطة به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فلما تقدم هذا كله في السبع الطوال وما تلاها اعقب ذلك بقوله
كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ثم اتبع هذا بالايماء الى الفصول ثلاثة عليها مدار اي الكتاب وهي فصل الالهية وفصل الرسالة وفصل
التكاليف اما الاول فاشار اليه قوله ان لا تعبدوا الا الله واما فصل الرسالة فاشار اليه قوله انني لكم منه نذير وبشير واما فصل التكاليف ففي قوله

سبحانه اياته اي اتقنت اتقانا لا نقص معه فلا ينقضها الذي انزلها بنسخها كلها بكتاب اخر ولا غيره ولا يستطيع غيره نقض شيء منها
ولا الطعن في شيء من بلاغتها او فصاحتها بشيء يقبل والمراد بحكمها في الامران عدم التشابه ولما كان للتفصيل رتبة هي في غاية العظمة اتى
باداة التراخي فقال ثم اي وبعد هذه الرتبة العالية التي لم يشاركه في مجموعها كما جعلت له رتبة لعلى منها جدا بحيث لم يشاركه في شيء
منها كتاب في الرتبة فصلت اي جعلت لها مع كونها مفصلة الى حلال وحرام وقصص وامثال فواصل ونهايات تكون بها مفارقة لما بعدها وما
قبلها تؤتيهم من علوم جمة ومعارف مهمة واشارات الى احوال عالية وموارد عذبة صافية ومقامات من كل علة شافية وحكم تتفصل
القلائد بالفرائد وهذا التفصيل لم يشاركه في شيء منه شيء من الكتب السالفة بل هي مدمجة ادماجا لا فواصل لها كما يعرف ذلك من طالعها
ويكفي في معرفة ذلك المطلقة منها في تضاعيف هذا الكتاب وما انسب اختتام هذه الاية للاحكام والتفصيل بقوله من لدن اي نزلت اياته
محكمة مفصلة حال كونها مبتدأة من حضرة هي اعلى الحضرات الكائنة من الحكيم خبير منتهية اليك وعند لعلى التنزل في كل وصف فلذلك
يلحق لاحكامها ولا تفصيلها بلا شك ثم قال ان لا تعبدوا اي بوجه من الوجوه الا الله اي الاله الاعظم ولما كان هذا معظم ما ارسل به
صلى الله عليه وسلم ومداره استانف الخبار بانه رسل سبحانه مؤكدا لاجل انكارهم فقال انني وعلما كان ارساله صلى الله عليه وسلم لاجل رحمة العالمين
قدم ضميرهم فقال لكم منه اي خاصة ثم اجمل القرآن كله في وصفيه صلى الله عليه وسلم بقوله مقدما ما هو انسب لختام التي قبلها بالصبر نذير وبشير
كامل في كل من الوصفين غاية الكمال وهذا التقرير يرشد اليه قوله تعالى اول التي قبلها اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس الاية
مع ايضاح ما عطف عليه قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه ان اعطفنا عليه واظهاره لفائدة عظيمة عطفه كما سيأتي ان شاء الله تعالى ويرجح
ان ان ناهية جازمة لتعبدوا وعطف ان استغفروا وعليه فقد ظهر تلويح هذا ونتيجة تصريح ما في بقية السورة ان مقصودها وصف الكتاب
بالاحكام والتفصيل لما يعجز الخلق لانه عند من هو شامل العلم كامل القدرة فهو بالغ الحكمة بعيد الخلق للجزاء كما برا هم للعمل فوجب افراده
للعبادة وان يمتثل جميع امره ولا ينه لشيء منه رجاء اقبال احد ولا خوف ادباره ولا يخشى غيره ولا يركن الى سواه على ذلك مضى جميع النبيين
وعليه درج سائر المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين ولما تقدم انه نذير وبشير اتبع ذلك ما يشمل الامرين بقوله عطفا على ان لا تعبدوا مشيرا الى انه لا
يقدر احد ان يقدر الله حق قدره وان استغفروا ربكم اي اطلبوا مع الاخلاص في العبادة ان يغفر لكم المحسن اليكم ما فرطتم فيه واشار باداة التراخي
الى علو رتبة التوبة وان كمال الطلب الغفران لاجلها فقال ثم توبوا اليه اي ارجعوا بالظاهر والباطن رجوعا لا رجعة فيه وان كان المراد
به الدوام فجليل رتبة غير خفي يمتعكم اي يديم تغذيتكم بالعيش من امتع النهار ارتفع والضحى بلغ غايته وامتعه الله بكذا ابقاه
وانشاه الى ان يبلغ شبابه ولما كان التمتع وهو المتاع المبالغ فيه حتى لا يكون فيه كدر لا يكون الا في الجنة حذف المصدر ووضع مكانه
اسم المصدر فقال متاعا ووصفه بقوله حسنا ليدل على انه انهى ما يليق بهذه الدار ولقد كان ما اوتيه الصحابة رضي الله عنهم في زمن عمر رضي
من الظفر بالاعداء وسعة الدنيا وخفض العيش كذلك الى اي منتد الى اجل مسمى اي في علمه اما بالموت لكل واحد وبانقضاء ما ضرب من
الاجل للنعمة التي اشار اليها ويؤت كل ذي فضل اي عمل فاضل فضله اي جزاء ما قصد بعمله على وجه التفضيل منه سبحانه فانه لا يجب
عليه شيء وهو مع ذلك على حسب التفضيل الحسنة بعشر امثالها فالويل لمن غلبت احاده عشراته ولما اقتضى الشرغيب
مجزوما به اتبعه التحذير تخوفا منه لطفا بالعباد واستعطافا لهم فقال وان تولوا اي تطلبوا انفسكم ضد ما طبعها الله عليه من
سلامة الفطرة في سهولة الانقياد للاعراض ولو بادنى درجاته بما اشار اليه حرف التاء فاني اخاف عليكم اي والعاقل من يبعد من
المخاوف عذاب يوم كبير اي بكبر ما فيه من العذاب صفة له على ابائكم وفي وصفه بالكبر تذكير بما له من النعم في الايجاد والافناء
والترتيب وفي التعبير عن العمل بالفضل اشارة الى انه لم يقع التكليف الا بما في الوسع مع انه من محاسن الاخلاق لان الفضل في الاصل ما فضل
عن الانسان وتعاليه من كريم الشمائل وما كان كذلك فهو في الذروة من الاحكام لانه منع الفعل من الفساد والحكيم من الحكمة وهي العلم بما يمنع عليه
مما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبما يميز الحسن القبيح والفاسد من الصحيح ومن ثم كانت الاية الى الاستغفار والتوبة سبب السعة

ولوانهم

قوله سبحانه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وهذه الفصول التي هي نبوة وعليها بني القران وعليها مدار السورة الكريمة فلما حصل الشفاء
ذلك كله فيما تقدم ولم يبق وجه شبهة المعاند ولا تعلق للجاحد واتضح الحق وبان قال سبحانه وتعالى وتبارك في هذه الحق اشارة الى كمال
المقصود وبيان المطلوب واستبقاء التعريف بوضوح الطريق وقد وضح من هذا تلاؤم هذه السورة الكريمة لما تقدمها وحاشيها لهذا والله اعلم
قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا فقد وضح طريقك وفاز بالفلاح
حزبك وفريقك ولا تركنوا الى الذين ظلموا انفسهم فقد بين سبيله ومصيرهم فقد بان طريق الحق وكيف ينكب عنه من لم يكن من الحق ونظير قوله سبحانه
وتبارك في هذه الحق عقب ما ذكر سبحانه لمن الملك اليوم وقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله فتامل ذلك والله سبحانه اعلم انتهى
ولما خوف المنذرون اليوم الكبير كانوا كانهم قالوا ما هذا اليوم فقيل الجزاء يوم يرجعون اليه ولما كانوا ربما حملوا الرجوع على مجرد الموت
والصيرورة ترابا بينه بما بين انه بغير الحق الذي يتوهمونه بل بعض اعادتهم كما كانوا فقال الى الله اي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما وحده
مرجعكم اي رجوعكم ووقته ومكانه لا حصل الحسنات الا الى التراب ولا الى غيره وهو بكل شيء عليم ومنه مبدؤكم لاخذ الزاد للمعاد وجعل فاصلة
الا تحكما على المراد فقال وهو اي وحده على كل شيء اي ممكن قدير اي بالغ القدرة لانهم يقرون بقدرته على اشياء هي اعظم من
الاعادة فهو قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء فالاية من الاحتباك ذكر المرجع اولا دليلا على المبدا ثانيا وتمام القدرة ثانيا دليلا
على تمام العلم اولا لانهما متلازمان ولما تقدم من التخويف والاطماع ما هو مظنة لاقبالهم ورجوعهم على القول بخصوصه فكان موضع ان يقال هل
اقبلوا فقيل لا او بعيسانا ان التولي بالباطن كالتولي بالظاهر الا ان الباطن هو العمدة موكدا لانه امر لا يكاد يصدق والتاكيد تعدى بتكبيتهم الا انهم
اي الكفار المعاندين يثنون صدورهم اي يطوونها ويحنون ويحرفون على غل وغيظ من اقبل على الشيء اقبل عليه بصدره ليستخفوا منه
اي يريدون ان يجعلوا اخفاء سرهم على غاية ما يكون كما مرادهم بالثني الاستتار رتب اسم فاعل في الضمير لله سبحانه وتعالى ووضح ان كان
النبي صلى الله عليه وسلم فالاستخفاء منه استخفاء ممن ارسله ثم اعلم ان ذلك غير مغن عنهم لانه يعلم سرهم وعلنهم في اخفى احوالهم عندهم وهو حين
استغشائهم ثيابهم فيغطون الوجوه الى التستر فقال الا حين يستغشون ثيابهم اي يوجدون غشيانها اي تغطيتهم
رؤوسهم بها لاستخفاء كراهية لسماع كلام الله واخبار رسوله يعلم ما يسرون اي يخفون اي نوع كان من غير
وتامل على السر العلني ملازمة لاختصاص العلن بخفاء يكون لغيبة واختلاط اصوات او لفظ او لاختلاف لغة ونحو ذلك قال تصريحا
وما يعلنون اي يوقعون اعلانه لا تفاوت في علمه بين سرائرهم واعلانهم فلا وجه لاستخفائهم نفاقا فان سر نفاقهم غير خاف عنده سبحانه بما علله
بما هو ادق منه ذلك كله مع شموله للنوعين فقال انه عليم اي بالغ العلم جدا بذات الصدور اي بضمائر قلوبهم التي في داخل صدورهم التي
يثنونها من قبل ان يقع اضمارها بل من قبل ان يخلقهم واصل الثني العطف ومنه الاثنان لعطف احدهما على الاخر والثناء لعطف المناقب في المدح
ولهذا لما قال العبد في الفاتحة الرحمن الرحيم بعد الحمد لله اثنى علي عبدي كما في حديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والاستثناء لعطف
الثاني على الاول بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء ثم اتبع ذلك بما يدل على شمول العلم والقدرة معا فقال وما واغرق في العموم
بقوله من دابة ودل على ان الانتفاع بالاموال مخصوص باهل العالم السفلي بقوله في الارض اي صغرت او كبرت الا على الله اي الملك الاعلى
الذي له الاحاطة وحده لا غيره رزقها اي قوتها وما تنتفع وتعيش به بمقتضى ما اوجبه على نفسه تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه لان
الانفصال على كل نفس لا يعيش الا به ولا يلايمها الا هو ومن حياتها ادق ما في العلم مع تضمنه لتمام القدرة والاية مع ذلك ناظرة
الى الترغيب الذي في ان استغفروا ربكم فالمراد اخلصوا العبادة له ولا تعرضوا عن عبادته لاشتغال بالرزق فانه ضمنه لكم وهو عالم بكل شيء فلا يخشى
ان ينسى احدا وقال في الارض ليعم ما يمشي على وجهها وما في اطباقها من الديدان ونحوها مما لا يعلمه الا هو لقد شاهدت داخل حصاه
من شاطئ بحر قبرس شديدة الصلابة كانها العقيق لا بيض دودة عندها ما تاكل واخبرني الفاضل عز الدين محمد بن احمد التكروري الكتبي
انه شاهد واخل حجارة تقطع من جبل مصر الدود عنده ما ياكل من الحشيش الاخضر وما يشرب من الماء ونبه بقوله ويعلم مستقرها

اي مكانها الذي تستقر فيه ومستودعها اي موضعها الذي توضع فيه قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة او بعده من قبر او فلاة او غير ذلك
علما محيطا بجملته تفاصيل السكنات والحركات ما كان منها وما يكون من كل ذلك ما يحير الفكر ويدهش الالباب ثم جعل فاصلة الاية ما هو
في نهاية العظمة عند الخلق وهو كل اي من ذلك في كتاب مبين فانه ليس كل ما يعلمه العبد يقدر على كتابته ولا كل ما يكتبه يكون مبينا
بحيث انه كلما اراد الكشف عنه وجد بريده واذا وجده كان مفهما له والدابة الحي الذي من شانه الدبيب والمستقر الموضع الذي يقر فيه الشيء
وهو قراره ومكانه الذي ياوي اليه والمستودع المعنى المجعول في قرار الولد الذي يكون في البطن والنطفة التي في الظهر وقد جعل كتابة
في كتاب ما ذكر حكما منها ما للملائكة فيه من العبرة عند المقابلة بما يكون من الامور المكتوبة قبل وجودها ولما كان خلق ما منه الرزق اعظم
من خلق الرزق وتوزيعه في شمول العلم والقدرة معا تلاه بقوله وهو اي وحده الذي خلق اي اوجد وقدر السموات والارض
لم يشركه في ذلك احد كما انتم به معترفون في ستة ايام ولما كان خلق العرش اعظم من ذلك كله فان جميع السموات والارض بالنسبة اليه
كحلقة ملقاة في فلاة واعظم من ذلك ان يكون محمولا على الماء الذي لا يمكن حمله في العادة الا في وعاء ضابط لحكم تلاه بقوله
وكان اي قبل خلقه لذلك عرشه مستعليا على الماء ولا يلزم من ذلك الملاصقة كما ان السماء على الارض من غير
ملاصقة وقد سعلم من هذا السياق انهما قبل الارض فثبت انه وما تحته محمول بمحض القدرة من غير سبب اخر قريب او بعيد فثبت
بذلك ان قدرته في درجات العظمة لا تتناهى وهي زيادة تفصيل لما ذكر في سورة يونس من امر العرش لان هذه سورة التفصيل
ونبه بقوله ليبلوكم معلقا بخلق اي انه خلق ذلك كله لكم سكنا كاملا بهيئة سقفه وزرقته من اكله وشربه وكل ما تحتاجون
اليه وما يصلح لكم من انفسكم ومكنكم من جميع ذلك اي والحكمة في خلق ذلك على هذا الوجه انه يعاملكم معاملة المختبر ودل
على شدة الاهتمام بذلك بسوقه مساق الاستفهام في قوله ايكم اي ايها العباد احسن عملا على انه فعل هذه الافعال الهائلة
لاجل هذه الامور التي هم لها مستهينون وبها مستهزءون وعلق فعل البلوى عن جملة الاستفهام لما فيه من معنى العلم لانه طريق اليه روى
البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل انفق انفق عليك وقال يد الله ملاى لا يغيضها
نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارايتم ما انفق منذ خلق السماء والارض فانه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان
يخفض ويرفع وفي الاية حث على محاسن الاعمال والترقي دائما في مراتب الكمال من العلم الذي هو عمل القلب والعمل الظاهر الذي هو وظيفة
الاركان ولما ثبت بهذا الخلق الذي هم فيه معترفون القدرة على الاعادة وثبت بالابتلاء انه لا يتم الحكمة في خلق المكلفين الا باعادتهم
ليجازي كلا من المحسن والمسيء بما فعل وانهم ما خلقوا الا لذلك عجب من انكارهم له واكد لذلك فقال ولئن قلت اي لهؤلاء الذين
خلقت هذا الخلق العظيم لاجلهم انكم مبعوثون اي موجود بعثكم ثابت قطعا لا بد منه ولما كان زمن البعث بعض الزمن
قال من بعد الموت الذي هو على هذا الابتداء ليقولن اكد بهما دليلا على العلم على العواقب علما من اعلام النبوة الذين كفروا ان
اي ما هذا اي القول بالبعث الا سحر مبين اي شيء مثل السحر تخييل باطل لا حقيقة له لاضاع لصرف الناس عن الانهماك في اللذات
للدخول في هذا الامر ولما كان ما تقدم عنهم من الانفعال ومضى من الاقوال مظنة لمعاجلتهم بالاخذ وكان الواقع انه يعاملهم بالامهال
فضلا منه وكرما حكى مقالتهم في مقابلة رحمته لهم فقال ولئن اخرنا اي بما لنا من العظمة التي لا يفوتها شيء عنهم اي الكفار
العذاب المتوعد به الى امة اي مدة من الزمان كالدهر معدودة اي محصورة الايام اي قصيرة معلومة عندنا حتى يعد الانفاس
ليقولن على سبيل التكرار ما يحبسه اي العذاب عن الوقوع الاله تكذيبا واستهزاء وهو تهديد لهم بانه اتيهم عن قريب
فليعتد والزلد ولما كان العاقل لا ينبغي ان يسال عن مثل ذلك الا بعد قدرته على الدفع اعرض عن جوابهم وذكر لهم انهم عاجزون عن دفعه عند
ايقاعه اعلاما بانهم عكسوا في السؤال وتحقيقا لانه ياتيهم ولا بد بلا محالة فقال موكدا لشديد انكارهم الا يوم وهو منصوب
بخبر ليس الدال على جواز تقديم الخبر ياتيهم ليس العذاب مصروفا عنهم اي بوجه من الوجوه ووضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا

ومبالغة في التهديد فقال وحاق بهم اي ادركهم اذ ذاك على سبيل الاحاطة ما كانوا اي بجبلاتهم وسيئ طبايعهم وقدم الظرف اشارة الى
شدة اقبالهم على الهزء به حتى كانهم لا يهزؤن بغيره فقال به ولما كان استعجالهم استهزاء وضع موضع يستعجلون قوله
يستهزؤن اي يوجدون الهزء به ايجادا عظيما حتى كانهم يطلبون ذلك ولما كان قولهم ذلك ناشيا عن طبع الانسان على الوقوف مع الحالة
الراهنة والعمى عن الاستضاءة بنور العقل فيما بعدها في العاقبة بين ان ذلك لم يعلم من طبعه منافيا لما تضمنه مقصود السورة من الاحكام الذي
هو ثمرة العلم وبعلم ذلك يعلم مقدار نعمته تعالى على من حفظه على ما فطره عليه من احسن تقويم بقوله موكدا لان كل احد ينكر ان يكون طبعه كذلك
ولئن اذقنا اي بما لنا من العظمة الانسان اي هذا النوع المستانس بنفسه ولما كان ... من قبح الحال احتمال الاستعار وكانت النعم عوارى
عليه عبر بالذوق ... عباده ... دليلا على العارية فقال منا رحمة اي نعمة عظيمة تفضلا منا عليه لا بحوله ولا بقوته من جهة
لا يرجعها ... ولن عليه اداة الشك وبكناية من الكلام ذهابها تمكين الرايق من المرزوق ثم نزعناها اي بما لنا من العظمة وان كره
ذلك منه اخذ الحقنا انه ليؤس اي شديد اليأس من ان يعود له مثلها كفور اي عظيم الستر لما سلف له من الاكرام لكن شانه ذلك
خلقة الا من رحم ربك ولئن اذقناه نعماء من فضلنا ولما كان ... العارية طبعا له لا ينفك عنه الا بمعونة شديدة ... دل عليه
بما افهم انه لو كان طول عمره في الضر ثم نال حاله يرضاها عقب ذلك ... بادر الى الاعتقاد انها هي الحالة الاصلية وانها لا تفارقه اصلا
ولا يشوبها نوع ضرر ولا يخالط صفوها شيء من كدر ... بالقول ... الخافض ... بعد ضراء اي فقر وشدة
مضر ... ولم يسند المس اليه سبحانه كما فعل في النعماء تعليما للادب فقال مسته اي كانت بلاء ليقولن مع قرب عهده بالضراء
خفة وطيشا ذهب السيئات اي كل ما يسوءني عني وقوله انه الضمير فيه ... الانسان ... مسورة بمستغرق
او ان كان انه لفرح فخور اي خارج عن الحد في فرحه شديد الافراط في فخره على غيره بكل نعمة تفضل الله عليه بها لا يحمد صنعها بنفسه
ومنه ... ولهذا اتصل بها قوله مستثنيا ... الا الذين صبروا اي في وقت الشدايد وزوال النعم رجاء
لمولاهم وعمن ظن به ... الموصي ... بالشرع وعملوا الصالحات من اقوال الشكر وافعاله عند حلول النعم فهو دايما
مشغولون بمولاهم شكرا وصبرا وهم الذين اتم عليهم سبحانه نعمه بخلقهم في احسن تقويم وهم اقل القليل العظيم جهادهم لنفوسهم فيما جبلت
عليه من الحظوظ والشهوات وغيرها و... شياطينهم ولما كان ... فانهم لم يكونوا كذلك انتج السياق مدحهم فقال اولئك اي العالو المرتبة
لهم مغفرة اذا وقعت منهم هفوة واجر كبير على صبرهم وشكرهم والذوق تناول الشيء بالفم لادراك الطعم كما ان الشم ملابسة الشيء
الانف لادراك الرايحة والنزع رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكا له كالقلع والقشط واليأس القطع بان الشيء لا يكون وهو ضد الرجاء
ويؤس كثير اليأس ... لانه للجهل بسعة الرحمة الموجبة لقوة الامل لكل ما يجوز في الحكمة فعله والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه
كما ان الضراء ضر يظهر الحال به لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة من حمراء وعوراء مع ما في معناها من المبالغة والسيئة ما يسوء من جهة
نفور طبع او عقل وهي هنا المرض والفقر ونحوه والفرح انفتاح القلب بما يلتذ به وعبارة البغوي هو لذة القلب بنيل المشتهى وهو اعظم
من ملاذ الحواس والفخر التطاول بتعديد المناقب والصبر حبس النفس عن المشتهى من المحارم وحبسها والصبر على مر الحق يؤدي الى الفوز
بالنصر مع ما فيه من الجمال في الدنيا والكبير ... مقدار غيره عنده والكبير جميع ... على عدد غيره ولما استثنى سبحانه من الجاحدين
مع الطبع الطائشين بالحظوظ من تجلى بزينة الصبر الناشئ عن وقار العلم المثمر لصالح العمل وكان صلى الله عليه وسلم راس الصابرين وكان ما مضى
... ذلك الهم وافعالهم مثل قولهم لهم ما يحبسه وتثنيهم صدورهم اسبابا بالضيق صدره صلى الله عليه وسلم فربما كان مظنة لرجائهم تركه صلى
الله عليه وسلم بعض ما يوحى اليه من عيب الهتهم وتضليل ابائهم وتسفيه احلامهم وغير ذلك مما يشق عليهم طمعا في اقبالهم وخوفا من ادبارهم فانهم
كانوا يقولون ما نرى يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى مثل الذي يذكرنا به من الشرك ... سببا عن ذلك ناهيا في صيغة الخبر
فلعلك تارك اي اشفاقا او طمعا بعض ما ولما كان المحرر ... ولذا ... فيه بني للمفعول قوله يوحى اليك

كالانذار

كالانذار وتسفيه احلامهم بانهم وضائق به اي بذلك البعض صدرك مخافة ردهم لما اذا بلغته لهم ثم علل بقوله ان اي مخافة او لاجل ان
يقولوا تعنتا ومغالبة اذ لو كانوا مسترشدين لكفتهم اية واحدة لولا اي هلا ولم لا انزل عليه كنز ليستغني به ويتفرغ لما يريد
وينزه المفعول لكان الحق مطلق حصلوا وكانوا ... بالقران لعلمهم ان الاية العظمى لكانوا لا يعدونه اية عنادا منهم ومكابرة او جاء معه
ملك اي ليؤيد كلامه ويشهد له فكان النبي صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بمثل اقوالهم هذه ويثقل عليه ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون
منه فحركه الله بهذا لاداء الرسالة كما ... فيها ما كان من المعنى فاذا تقرر ان الانسان مطبوع على نحو هذا من التقلبات فلا تكن موضع حالهم في
ان تكون تاركا ما يغيظهم مما امرت به بل كن من الصابرين قال اهل السير فلما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله لم
يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها فلما فعل ذلك اعظموه وناكروه واجمعوا خلافه ... وعن ابن عباس ان المشركين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا ولما افهم هذا شيئا الا انه ربما يفتر عن الانذار كان كانه قيل هذا الرجاء والمرجو منكر
والمولى الاعظم امر بابلاغ النذارة لانها هي الشاقة على النفوس واما البشارة فكل من قام يقدر على ابلاغها فلذا قال انما انت نذير فبلغهم ما
ارسلت به فيقولون ما يقدره الله لهم فلا يهمنك فليس عليك الا البلاغ وما انت عليهم بوكيل تتوصل الى ردهم الى الطاعة بالقهر والغلبة بل
الوكيل الله الفاعل لما يشاء والله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما كان السياق في الاحاطة بشيء قدم قوله على كل شيء منهم ومن غيرهم ومن
قبولهم وردهم وحفظك منهم ومن غيرهم وكيل فهو يرد الامر على ما يعلمه من الحكم فان شاء نجاك بما لو اراد ان يشاء لم يأت به ولا اعتراض
عليه فوكل اليه كل امر وان ضعف ولعله اقتصر على النذارة لان المقام يقتضيها من اجل انهم اهل لها وانها هي التي يطمع في تركها باطماعهم في الموالفة
بالاعراض عما يوجب المخالفة والصدر مسكن القلب شبه به رئيس القوم والمجلس لشرف منزلته على غيره من الناس والكنز المدفون
وصار في الدين صفة ذم لكل مال لم يخرج منه الواجب الزكوة وان لم يكن مدفونا والاية من الاحتباك نفي اولا قدرته صلى الله عليه وسلم على
الايمان بما الهوا دليلا على قدرته ... على ذلك وغيره ثانيا واثبت الوكالة ثانيا دليلا على نفيها اولا ... الحكم ... لكي
الكنوز والاموال كان الملك انما يراد لتطييب النفس بتثبيت الامر وكان فيما اشتهر به اعجاز القران ببديع نظمه وباهر حكمه وزاجر غرائبه و
وافر حكمه ما يغني عن ذلك وكان في كل اية منه ما يبين اللغز ... كان موضع الانكار لكان كانه قيل اتقولون ذلك تعنتا منهم وافراحا
واعراضا عن معجز القران فانه ... فانه لا يعتبر في وجه الدليل ام يقولون اي بل ايقولون افتراه فكان ذلك موضع ان يقال نعم انهم ليقولون ذلك و
فيقدحون في الدليل ... فقيل قل اي لهم على سبيل التنزل فاتوا يا معاشر العرب فانكم مثلي في العربية والنشأة والمولد والرحم وزدتم
... علي في الكتابة والقراءة ومخالطة العلماء والتعلم من الحكماء ونظم الشعر واصطناع الخطب والنثر وتكلف الامثال وكل ما يكتسب به شرف
بعشر سور اي قطع كل قطعة منها تحيط بمعنى تام يستدل فيها عليه مثله اي تكون العشر مثل جميع القرآن في طوله وفي مثل اشتماله على اساليب
البلاغة وافانين العذوبة والمتانة والفخامة والرشاقة حال كونها مفتريات اي انكم عجزتم على الاتيان بسورة اي قطعة واحدة اية او ايات من مثله
فيما هو عليه من البلاغة والاخبار بالمغيبات والحكم والاحكام والوعد والوعيد والامثال وادعيتم مكابرة انه مفترى فارغ عن الحكم فاتوا بعشر مثله
في مجرد البلاغة غير ملزمين بحقايق المعاني وصحة المباني ذكره البغوي عن المبرد وقد مضى في البقرة عند فاتوا بسورة من مثله عن الجاحظ وغيره
ما يؤيده قال البيضاوي وساغ ... بتعجيزه شخص ... ولا بد ... يفعل مثل ما يفعله هو ثم اذا تبين عجزه قال افعل مثل الواحد انتهى
فلما تحدوا اولا بجميع القرآن في قوله فليأتوا بحديث مثله الى التنجيم والتطبيق على الوقائع سورا او ايات تحدث وتجدد كما في التي ثم قطع
بعجزهم بدوام عجزهم في قوله لئن اجتمعت الانس والجن الاية تبكيتا لهم واخزاء وبعثا على ذلك ولعلهم تحدوا في سورة يونس بسورة
واحدة مثل جميع القرآن غير معتنين فيها بالتفصيل الى السور تخفيفا عليهم واهانة بامرهم فلما عجزوا تحدوا بعشر مفتريات ولما خفف عنهم ما
التقيد بفضل المعنى وحقيقة المبنى الزمهم بما خففه عنهم في يونس من التفصيل ولم يخفهم في التخفيف اشارة الى هوان امرهم واحتقارا لهم بان
جعلها الى العشر فقط فلما عجزوا اعيد في المدينة الشريفة لاجل اهل الكتاب تحديهم بسورة اي قطعة واحدة مقرونا ذلك بالاخبار بدوام عجزهم

عن ذلك في قوله في البقرة فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاية فالتحدي به في كل السورة غير متحدى به في الاخرى وقد مضى في يونس والبقرة وياتي في سبحان والطور
بناء استوعب ما يتم به فهم هذا المقام والبلاغة ثلاث طبقات فاعلاها معجز واوسطها وادناها ممكن والتحدي وقع بالعليا وليس الحاصل امرا بالافتراء لانه
تحد فهو للتعجيز **وادعوا من استطعتم** اي طلبتم ان يطيعكم فيفعل ولما كانت الرتب كلها تحت رتبته تعالى والعرب مقرة بذلك قال **من دون الله** اي الملك الاعلى
واشار الى عجزهم بقوله **ان كنتم صادقين** وفي ذلك زيادة بيان وتبكيت للدليل فان من كان ظهيره سواهم ودونهم في البلاغة فعجزهم عجز لغيرهم بطريق الاولى
ولما كان ادنى درجات الافتراء اتيان الانسان بكلام غير صحيح في علمه وكان عجزهم عن المعارضة دليلا قاطعا على انهم لم يصلوا الى شيء من كلامه بغير علمه
ولا وجدوا اهل فيالا اتيتم بمثله ثبت قطعا ان هذا القران غير مفترى فقال مخاطبا للجميع بخلاف ما في القصص اشارة الى وضوح الامر كما في الافتراء
عند كل احد وان المنكرين قد وصلوا الى التبكيت بالتحدي بعد مرة وردوهم لانفسهم من ذلك المضارة في تركه الى الصد عن العجز لا يقدر ومعه على
النطق فذلك بعينه شفه **فان لم يستجيبوا لكم** اي يطلبوا جابتكم ويوجدوها **فاعلموا** ايها الناس كافة **انما انزل** اي ما وقع انزاله هذا القران الملتبسا
بعلم الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما بمقتضى ان محمدا او احدا منهم يمنع الفعلان بعينه دون جميع اهل الارض على العالم باذن فيه ربه كلامه فضلا عن
ان يكون مخترعا له ويجوز ان يكون ضمير يستجيبوا لمن استطعتم واكرم المنكرين وكذلك فاعلموا او انتم **وان** اي واعلموا ان **لا اله الا هو** فانه لو كان
معه اله غيره لكان قادرا على الاتيان بمثل كلامه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم ولما كان هذا دليلا قطعيا على ثبوت القران سبب عنه قوله
مرغبا مرهبا **فهل انتم مسلمون** اي منقادون اتم انقيادا ولما كان في هذا من الحث على الثبات على الاسلام والدخول فيه والوعيد على التقاعس عنه ما من حق
السامع ان يبادر اليه وكان من حق المسلم الاعراض عن الدنيا لسوء عاقبتها وكان اعظم الموانع للمشركين من التقيد بذلك استيلاء احوال الدنيا عليهم كذلك
تعلقوا بالكبر اشار الى عواقب ذلك بقوله **من كان يريد** اي بقصده وعماله الحسنة الى الناس غير **الحيوة الدنيا** اي ورضي بها مع دناءتها من
الاخرة على علوها وشرفها **وزينتها** فاخلد اليها لحضورها ونسي ما يوجب الاعراض عنها في فنائها وكدرها **نوف** موصلين **اليهم اعمالهم** اي جزاء
فيها اي الدنيا بالمال والجاه وبحوز العز **وهم فيها** اي اعمال او الدنيا **لا يبخسون** اي لا ينقص شيء من جزاءاتهم فيها واما ابدانهم وارواحهم وادبانهم
كلها تبخس في الدارين معا وفي الجملتين بيان سبب حسبان العذاب عنهم في مدة امهالهم مع سوء اعمالهم ومطابقين حالهم في الدنيا بحالهم في الاخرى من غير
باداة البعد الى انهم اهل البعد واللعنة والطرد في قوله نتيجة لما قبله **اولئك** اي البعداء البغضاء **الذين ليس لهم** اي فيها من الاشياء **في الاخرة الا النار**
الحسو اعمالهم واستيفائهم جزاءها في الدنيا **وحبط** اي بطل وفسد **ما صنعوا فيها** اي مصنوعهم او صنعهم لبنائه على غير اساس ولما كان التقييد
بالحبوط بالاخرة ربما اوهم انه شيء في نفسه قال **وباطل** اي ثابت البطلان في كلا الدارين **ما كانوا يعملون** اي معمولهم او عملهم وان توافيه اداب
فهو مطبوع عليه لانه صورة لا معنى لها البنائه على غير اساس والزينة تحسين الشيء بغيره من لبسه او حلية او هيئة والتوفية تادية الحق
على تمام وحبوط العمل بطلانه من قولهم حبطت بطنه اذا فسد بالماكل الردي ولما انفتحت الحجج وانتهضت الدلائل على غرفتهم عوالي الحجج كان ذلك موضع الانكار
على من يسوي بين المهتدي والمعتدي فكيف من يفضل اما باعتبار النظر الى الرياسة الدنيوية غفلة عن حقائق الامور او عنادا كمن قال من اليهود للمشركين
انتم اهدى منهم فقال **افمن كان على بينة** اي برهان وحجة **من ربه** بما اتاه من نور البصيرة وصفاء العقل فهو يريد الاخرة ويبني افعاله على اساس ثابت
ويتلوه اي ويتبع هذه البينة **شاهد** هو القران **منه** اي من ربه تاييدا لذلك البرهان بانه رسول من ربه بكلام معجز **ومن قبله** اي هذا
الشاهد مؤيدا له **كتاب موسى** اي شاهدا ايضا وهو التورية حال كونه **اماما** يحق الاقتداء به **ورحمة** لكل من اتبعه ولما كان الجواب ظاهرا حذفه
وتقديره والله اعلم كمن هو على الضلالة فهو يريد الدنيا فهو يفعل من المكارم ما ليس مبنيا على اساس صحيح فيكون في دار البقاء والشقاء هباء منثورا ولما
كان هذا الذي على البينة عظيما ولم يكن يراد به واحد بعينه استانف البيان العلو مقامه باداة الجمع بشارة لهذا النبي الكريم بكثرة امته فقال
اولئك اي العالو الرتبة بكونهم على هدى من ربهم وتلاه برهانهم بشاهد من قبله وشاهد من بعده مصدق له **يؤمنون به** اي بهذا القران الذي
هو الشاهد ولا يبتغون الدنيا به الا انه افتراه **ومن يكفر به** اي بهذا الشاهد **من الاحزاب** من جميع الفرق واهل الملل سواء ستحق بين الفريقين
جهلا او عنادا **فالنار موعده** اي وعيده وموضع وعده يصلى سعيرها ويقاسي زمهريرها وهما معا بعيدان الانس تشوق النفس لما سبب

عنه بعد ما بان له ما جاءت من ذلك بالايجاز فاقتضى الامر حذف نون تكن فقيل **فلا تك** اي ايها المخاطب الاعظم **في مرية**
اي شك وتهم **منه** اي من القران ونحو لا يضيق صدرك عن ابلاغه او من الموعد الذي هو النار والخيبة وان تعنا على المتوعد بذلك
وتمتعناه في الدنيا ثم علل النهي **انه** اي القران والموعد **الحق** اي الكامل وزاد في الترغيب فيه بقوله **من ربك** اي المحسن اليك بانزاله
عليك ولما كان ذكر هذا سببا يعلق الامل بايمان كل من سمعه قال **ولكن اكثر الناس** اي الذين هم في حيز الاضطراب **لا يؤمنون**
بانه حق لكون الريب يتطرق اليه بل لما على قلوبهم من الرين ويولونها اليه العذاب المعد لهم من اجل القول الردي ولا ينسب الظلم اليه
والقصد بهذا الاستفهام الحث على ما حث عليه الاستفهام في قوله فهل انتم مسلمون من الاقبال على الدين الحق على وجه مبين لسخافة عقول
المميزين وركاكة ارائهم ولما كان الكافرون قد كذبوا على الله بما احدثوه من الدين من غير دليل وما نسبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
من الافتراء اتبع ذلك سبحانه قوله **ومن اظلم** اي لا احد اظلم **ممن افترى** اي تعمد ان اختلق متكبرا **على الله** اي الملك الاعظم **كذبا**
الاية وهو موضع ضمير لو اتى به لقيل لا يؤمنون ظلما منهم ومن اظلم منهم اي هم اظلم الظالمين فاتى بهذا الظاهر بيانا لما الفرق
بدلالة ان تعلق الحكم بالوصف دل على انه علته ولما بين انهم اظلم اتبعه جزاءهم بقوله مستانفا **اولئك** اي المستحقون البعداء
ولما كان نفس العرض مخوفا بني للمفعول قوله **يعرضون** اي لذلك العرض والدلالة على انهم على صفة الهوان ومستلمون لكل عارض عرض عليهم
في غاية السهولة **على ربهم** اي الذي احسن اليهم فلم يشكروه العالم بالحقايا فيفتضحون بين يديه مما قابلوا به احسانه
في اللوم **ويقول** على سبيل التكرار **الاشهاد** وهم الذين امنوا بالكتب الشاهد بعضها لبعض المشار اليها بقوله ويتلوه شاهد
منه والملائكة الذين شهدوا اعمالهم واعضاؤهم حين يختم على افواههم **هؤلاء** اشارة باداة القرب للتحقير هم **الذين كذبوا**
متكبرين **على ربهم** في ادعاء الشريك والولد والتحليل والتحريم وغير ذلك مما غرهم من احسانه وطول حلمه في الاتيان
بصفة الربوبية غاية التشنيع عليهم فتكريرهم بهذا القول فضيحتهم عند حسبهم وبعدهم عن كل من سمع هذا الكلام لانه لا ابعد
على القلوب الكاذب فكيف بالمجترئ بالكذب على الرؤساء فكيف على ملك الملوك الذي عدباهم وكل من اهل الموقف مترقب خائف
من انتقامه فلانه قيل فما لهم بعد هذا العذاب العظيم بهذه الفضيحة فقيل **الا لعنة الله** وهي طرد الملك الاعظم وابعاده ونظر
الى التهويل الامر باسم الذات ما اشده **على الظالمين** فكيف باظلم الظالمين ثم فصل ظلمهم بقوله **الذين يصدون** اي يعرضون
في انفسهم ويمنعون غيرهم **عن سبيل الله** اي دين الله اي الملك الاعلى الذي له الكمال كله مع انه الولي الحميد **ويبغونها** اي يريدون
لطريق الدين السهلة الواسعة **عوجا** بالقاء الشبهات والطعن في الدلائل مع كونها في غاية الاستقامة ولما كان النبط شديدا
الحث بالكذبهم وتكذيبهم بولع في تاكيد قوله **وهم** اي بضمائرهم وظواهرهم ولما كان تكذيبهم بالاخرة شديدا قدم قوله
بالاخرة واعاد الضمير تاكيدا لتعيينهم واثبات غاية الفساد لبواطنهم واختصاصهم بمزيد الكفر **هم كافرون** اي
عريقون في هذا الوصف والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله والصد المنع بالاغراء الصارف عن الامر والبغية
طلب امر من الامور وهي ارادة وجدان المعنى ما يطمع فيه والعوج العدول عن طريق الصواب وهو في المعنى كالدين بالكسر وفي غيره
كالعود بالفتح فرقا بين ما يرى وما لا يرى جعلوا السهل للسهل والصعب للصعب روى البخاري في التفسير عن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في النجوى يدني المومن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا يقول
اعرف يقول رب اعرف مرتين ويقول سترتها عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم ثم يطوى حسناته واما الاخرون
او الكفار فينادى على رؤوس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ولما هددهم بامور الاخرة
اشار الى بيان قدرته عليهم في الدارين بقوله **اولئك** اي البعداء عن حضرات الرحمة **لم يكونوا** اي بوجه من الوجوه
معجزين واشار الى عجزهم بانهم لا يقدرون على بلوغ العالم العلوي بقوله **في الارض** اي ما كانوا اعجاز وهو الامتناع

من دون الله لهم لا هو في قدرته لان قدرته على جميع الممكنات على حد سواء ولما نفى التعزز بانفسهم نفاه عن جهة غيرهم فقال
وما كان لهم ولما كانت الرتب التي دون عظمته سبحانه متكاثرة جدا بين انهم معزولون عن كل منها باثبات الجار فقال من دون الله اي الملك
الاعظم واغرق في النفي بقوله من اولياء اي يفعلون معهم ما يفعل القريب من تولي المصالح والحماية من المصائب ومن لم يقدر على الامتناع وهو
حي لم يمتنع بعد موته فكانه قيل ماذا يفعل بهم فقال يضاعف اي يفعل فيه فعل من ينظر ويضرب في الزيادة وبناه للمفعول لان المرجع وجود
المضاعفة مطلقا لهم العذاب بما كانوا يضاعفون المعاصي ثم علل سبب المضاعفة بانه خلق لهم سمعا وبصرا فضيعوهما بتصامهم عن الحق
وتعاميهم عنه فكان لا فرق بينهم وبين فاقدهما فقال ما كانوا اي بما لهم من فساد الجبلة يستطيعون السمع اي يقدرون فيه لما غلب
على فطرهم الاولى السليمة بانقيادهم للهوى من التخلق بنقائص الشهوات على ان توجد عندهم فما كانوا يسمعون وما كانوا يستطيعون الابصار
فما كانوا يبصرون حتى يعرضوا عن الشهوات فتوجد استطاعتهم للسمع والابصار وهو كناية عن عدم قبولهم للحق وان شدة اعراضهم
عنه وصلت الى حد صارت فيه توصف بعدم الاستطاعة كما يقول الانسان لما تشتد كراهته له هذا مما لا استطيع ان اسمعه
وتكون المضاعفة بالكفر والصد ونفي الاستطاعة اغرق في النفي العيب وادل على النقص وانما كان نفي السمع لانهم قد يحملونه على
الاجابة واما نفي البصر فغير منفك عن النقص سواء كان للعين او للقلب هذا ان لم تخرج الاية على الاحتباك وان خرجت عليه استوى الامران
وصار نفي الاستطاعة اولا دالا على نفيها ثانيا ونفي الابصار ثانيا دالا على نفي السمع اولا ولما ثبت انهم لا سمع ولا بصر ثبت انهم لا شيء
فقال اولئك اي البعداء البغضاء الذين خسروا انفسهم اي بتضييع الفطرة الاولى التي هي سهولة الانقياد للخير وصعوبة
الانقياد للشر ولما كان العاجز بما ينفعه كان يحتاج من يكسبه قوة بعد الضعف ونشاطا بعد العجز نفى ذلك بقوله على احسن وجه وضل عنهم
ما كانوا اي كونا جبلوا عليه فصاروا لا ينفكون عنه يفترون اي يتعمدون كذبه مما ادعوا كونهم آلهة ولا شك ان من خسر نفسه وخسر ما
يجلب بادعائه انه شريك الخالق ونحو ذلك كان اخسر الناس فلذلك قال لا جرم اي لا شك انهم اي هؤلاء الذين بالغوا في انكار الآخرة
في الآخرة ولما كان المقام جديرا بالمبالغة في وصفهم بالخسارة اعاد الضمير فقال هم اي خاصة الاخسرون اي الاكثر خسرانا من كل من يمكن وصفه
بالخسران والاعجاز الامتناع من المراد بما لا يمكن معه بقاؤه والمضاعفة الزيادة على المقدار بمثله او اكثر والاستطاعة قوة ينطاع بها الجوارح
للفعل واما لا جرم فقد اضطرب علماء العربية في تفسيرها قال الرضي في شرح الحاجبية والبرهان السفاقسي في اعرابه ما حاصله والغالب بعد لا جرم
الفتح اي في ان فلا اما رد للكلام السابق على ما هو مذهب الخليل او زائدة كما في لا اقسم لان في جرم معنى القسم وهي فعل ماض عند سيبويه والخليل
مركبة مع لا عند سيبويه فعل بمعنى حق فان فاعله وقيل جرم بمعنى حق وهو اسم لا وانهم خبره وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع وظن الزجاج
انها غير مركبة ولا نفي لما قبل اي ليس لهم اصنام ما تنفعهم وجرم فعل ماض بمعنى كسب وفاعله مضمر يعود على فعلهم وانهم مفعول وقال الفراء هي كلمة
كانت في الاصل بمعنى لا بد ولا محالة لانه يروى عن العرب لا جرم بمعنى بضم فسكون والفعل بفتحين كما يشتركان في المصادر كالرشد و
الرشد والبخل والبخل والجرم القطع اي لا قطع من هذا كما ان لا بد بمعنى لا قطع فكثرت وجرت على ذلك حتى صارت بمعنى القسم فلذلك تجاب
بما يجاب به القسم فيقال لا جرم لآتينك ولا جرم انك قائم من فتح فللنظر الى الاصل لا جرم كما تقول لا بد ان تفعل كذا وانك تفعل اي من ان
ومن انك تفعل ومن كسر فلمعنى القسم العارض في لا جرم انتهى في تفسيرهم لها بالقطع نظر منه الى المادة جرم بخصوصها دائرة على القطع والمنع
وتفسيرها بالظن نظر الى العادة وعليه المادة حيثما باي ترتيب كان من جرم وجمر ورجم ورمج ومجر ومرج وانما جعلناها كذلك لانهم
قالوا جرم النخل خرصها واجمر النخل ايضا خرصها ورجم اذا ظن والمجر العقل ويلزم الظن انعقاد الذهن ومنه جمرة النار والجمر بمرض الشدة
الحر ويلزم الظن ايضا اجتماع الفكر ومنه الجمرة للقبيلة وكلما اشار الى الجمع ومنه الجرم بالكسر وهو الجسد فانه بالنظر الى جمعه والصوت
او جهارته فانه يجمع في الحلق لقطعه ويلزم الاجتماع ايضا العظمة ومنه جرم اذا عظم والجمير كامير مجتمع القوم ومن الجمع الربا والعقل
فينشأ منه الصفا ومنه المرج الى الادخال فيه ومنه اجرم لونه صفا من الاجتماع المجر بالتحريك وهو ان يملأ بطنه من الماء ولم يرو

والكسب جرم لاهله اي كسب ومنه الذنب فانه كسب خاص ويمكن ان يكون من القطع لانه يقطع صاحبه عن الخير ويلزم الاجتماع ايضا الاستتار ومنه
اجرمت الليلة استتر فيها الهلال والمجر كما في بطون الحوامل من الابل والغنم او يجعل هذا مما يلزم نفس الظن من الخفاء ومن الاجتماع الضمور اجمر الخيل
اضمرها وشاة مجرة مهزولة ويلزم الاجتماع الصلابة والتمام ومنه حول مجرم كمعظم تام فينشأ الافتراق ومنه تجرم الليل ذهب واتينا
جمير الليل كامير عامة اي ويكون ذلك من لوازم القطع كما يأتي ومن الاجتماع الرجم الذي هو الخليل والنديم ويلزم الظن الفصل بين الاشياء ومنه
جرام النخل الصرامها والجمرة الحصاة فيلزم مطلق الرمي فينشأ الرمي بالحجارة وهي الجمار فينشأ القتل المرجوم وصوت جمع ايضا الى نفس القطع
فانه قطع النفس عما ترتب عليه ويلزم الفصل القذف والعيب والايهام كسحاب كعود والريح لانفصال بعضها عن بعض ومن الرجم بالفتح وطول القاء
الطير درقه ويلزم الظن المبالغة في النظر فيأتي المبالغة في الكلام والعزيمة ومنه المرجام لما دعنقه في السير من الابل واجمر اسرع في السير ومنه
يلزم الظن الحيرة ومنه حديث مرجم كمعظم لا يوقف على حقيقته فيلزم الذنب الغشاء والقلق والاضطراب ومنه مرج العهد لم يف به
اي جعله مما جاز له والتمريج افساد سطور بعد كتبها ويلزم الظن الاختلاط ومنه الجرم اللون لانه لا يخلو عن شوب وامر بالدم به والمرج
متاع الرعي ومعنى الكسب والجرام كرمان السماء والمرج موضع المرعى وقد علم من هذا ان جميع تصاريف المادة تدور على الاضطراب وهو بين
في غير العقل وما فيه فانه بقدر العقل يكون اضطراب الرأي لان العاقل كلما انعم النظر انفتح له ما كان مغلقا فيعدل اليه فاذا تم هذا ظهر ان معنى لا جرم
انهم لا ظن ولا اضطراب في انهم ويكون نفي الظن في مثل هذا السياق نفيا لجميع ما يقابله الا العلم الذي هو بمعنى القطع كما اذا قيل لا شك في كذا
ولا ريب فاتضح ان تفسيرهم لها بحقا تفسير معنى لمجموع الكلمتين لانه اذا نفى في مثل هذا السياق الظن ثبت اليقين والقطع واليه يرجع تفسيرهم
بلا حق لانه يريد والله اعلم ان لا صلة وموضوعها في الاصل النفي فهي نافية لضد ما دخلت عليه فكانه قيل حق وثبت انهم كذا وانتفى كل ما
يضاده فهذا وجه كونها صلة مؤكدة وقريب منه ما قيل في انما نحو انما زيد قائم اي ان زيدا قائم ما هو الا كذلك فتقدر بان النافي في
مثل ذلك مؤكد والله اعلم ولما توعد الكافرين واخبر عن ما لهم بسببه كان موضع ان يسأل عن حال المؤمنين فقال ان الذين آمنوا اي اوجدوا
هذه الحقيقة وعملوا الصالحات ولما كان حاصل ما مضى من وصف الكافرين بعد مطلق الاعمال السيئة الاعراض عن ربهم والنفرة من المحسن اليهم
فتكبروه فوقهم لاستطاعة السمع والابصار ولما ذكر جلافة وغلظة وصف المؤمنين بالاقبال عليه والطمأنينة اليه فقال واخبتوا اي خضعوا
متوجهين منقطعين الى ربهم اي المحسن اليهم فشكروه فوفقهم لاستطاعة السمع والابصار ولما ذكر وصفهم ذكر جزاءهم عليه بقوله
اولئك اي العالو الرتبة اصحاب الجنة ولما كانوا مختصين بها وبالخلود اول الامر اعاد الضمير فقال هم فيها اي خاصة لا في غيرها خالدون
ولما استوفى اوصاف الحزبين وجزاءهم ضرب للكل مثلا بقوله مثل الفريقين اي الكافرين والمؤمنين وهو من باب اللف والنشر المرتب فان الكافرين ذكر فيما
قبل اولا كالاعمى اي العام العمى في بصره وبصيرته والاصم في سمعه كذلك وخص الكافرين والبصير بعينه وقلبه والسميع على التمام احوالهما
وهذا المؤمنين وفي افراد المثل طباق وترتيب ايضا هل يستويان اي الفريقان مثلا اي من جهة المثل ولما كان الجواب قطعا لمن له ادنى تأمل لا يستويان
مثلا فلا يستويان ممثولا حسن تسبيب الانكار عنه في قوله افلا تذكرون اي يحصل لكم ادنى تذكر بما اشار اليه الادغام فتعلموا صدق ما وصفوا به
بما ترونه من احوالهم وذلك مما تقدم في حق الكفار من قوله ما كانوا يستطيعون السمع الآية والاخبات الخشوع المستمر على استواء فيه واصله
الاستواء من الخبت وهي الارض المستوية الواسعة ولعله وصله بالى في موضع اللام اشارة الى ان احوال اخباتا تنتهي الى ربهم من غير ان
يحجب عنه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الاول والامثال لا تغير عن صورتها ولما تم ذلك على اوضح المسالك وختم بالحث
على التذكر وكان تقديم ذكر كتاب موسى كالتوقع لذكر نبائه ونبأ غيره من الرسل عطف مقرونا بحرف التوقع على العامل الذي قدرته في
قوله الا تعبدوا الا الله او على قوله انما انت نذير وهو حسن واقرب قوله ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة نوحا الى قومه اي الذين
هم على لسانه وكذا ذكر ما بعد ذلك من القصص تقرير المضمون هذا المثل وتثبيتا وتسلية وتعزية لهذا النبي الكريم لئلا يضيق صدره
بشيء مما امر بابلاغه على ايمانه احد وان كان اقرب الخلائق اليه كما تقدمت الاشارة اليه في قوله فلا يكن في صدرك

حرج منه وقوله وضائق به صدرك ويأتي في قوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك فوضح ان هذه القصص هنا لهذا المعنى سيقت وان
سياقها في الاعراف وغيرها كان لغير ذلك كما تقدم وان تضمن هذا العرض بيان اهلاك من كانوا اشد من العرب قوة واكثر جمعا وامكن امرا واقوى
عنادا واعظم فسادا واحد شوكة وما اتفق في دمارهم من انتقامات والاهوال المتقطعات تحذيرا من مثل حالهم بارتكاب افعالهم ففرق بين ما يساق
للشيء وما يلزم منه الشيء ولهذا الغرض المقصود هنا طولت قصة نوح في هذه السورة ما لم تطول في غيرها وصدرت بقوله انّي اي قائلا على
قراءة الجمهور بالكسر في التقدير عند ابن كثير وابي عمرو والكسائي ملتبسا بأني لكم اي خاصة نذير مبين اي محقق في ابلاغ التحذير ابين ما
ارسلت به غاية البيان وذكر فيها انه طالت مجادلته لهم وانه لما وضح لهم امر ابنه نعوذ من السؤال فيه وفي كل ما يشبه به وختمت قصته بقوله
ام يقولون افتراه خطابا لهذا النبي الكريم وختمت بقوله فاصبر ان العاقبة للمتقين وذكرت قصة ابرهيم لما تضمنته انه بشر بالولد بعد ما يحصن
بقلة عادة فلم يتردد فيه وانه جادل الرسل في ابن اخيه لوط وانما تحقق ختم الامر ونبّت الحكم سلم لربه مع كونه حليما اواها منيبا
الى غير ذلك مما يومى اليه سياق القصص فكانه قيل انما انت نذير ارسلناك لتبلغ ما ارسلت به من الانذار وان شق عليهم وعزتنا لقد
ارسلنا قبلك رسلا منذرين فدعوا الى ما امرت بالدعوة اليه وانذروهم ما يشق عليهم من بأسنا امتثالا لامرنا وما تركوا شيئا منه خوفا
من اعراض ولا رجاء في اقبال على ارغامهم قالوا لهم ما قالت لك امتك كما يشير اليه قوله تعالى عن نوح عليه السلام ولا اقول لكم عندي خزائن الله
وقد كان في المخالفين من اممهم القريب منهم نسبه والعزيز عليهم امره من ابن وصاحبة وغيرهما هذا مع ان قصصهم دليل على قوله الا يوم يأتيهم
ليس مصروفا عنهم وزجر لهم عن مثل قولهم ما يحبسه وتأييد لقوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وغير ذلك مما تقدم فقد علم من
هذا الوجه في تكرير هذه القصص وان في كل سورة لمقصد يخالف المقصد في غيرها وان كان قد يستفاد منه ما هو المراد من غيرها ايضا اظهار
القدرة في باب الاعجاز بتصريف المعنى في الوجوه المختلفة لما في ذلك من علو الطبقة في البلاغة لانه ربما قال متعنت عند التحدي ولم نؤتى
اللفظ البليغ على الاسلوب الكامل البديع في هذه القصص فلم تتوارد الالفاظ تعبر بها عن هذه المعاني حتى نأتي بمثل هذه القصة فأتي بها
ثانيا اظهارا للعجز وقطعا للحجة وربما كررت ثالثا او رابعا توكيدا لذلك وتمكينا للاعتبار بضرب في البيان وتصبيرا للنبي صلى الله عليه وسلم على
اذى قومه لا محالة فان قيل فما بالها تأتي تارة في غاية البسط وتارة في غاية الايجاز وتارة على الوسط قيل هذا من اعلى درجات البلاغة واجل
مراتب الفصاحة في البراعة فان قيل فانا نرى القصة تبسط في بعض السور غاية البسط ثم توجز في غيرها غاية الايجاز ويؤتى فيها بما لم يؤت
في المبسوط كما في العنكبوت فانه عين فيها مقدار لبثه وانه كان الف سنة الا خمسين عاما فلم لا استوعبت جميع المعاني في الموضع المبسوط كما هو اللائق
بمقام البسط لئلا يخفى على شيء ولا ينسى واذا وقع حذف كان في الموجزة قيل قال شيخنا حافظ العصر ابن حجر ان الامام ابا حاتم بن حبان
البستي ذكر في كتابه التقاسيم والانواع انه انما رتبه ليحفظ اذ لو رتبه ترتيبا سهلا لاتكل من يكون عنده على سهولة الكشف منه فلا يحفظ ولذا
وعر طريق الكشف كان ادعى الى حفظه ليكون على ذكر من جميعه وذكر انه فعل ذلك اقتداء بالكتاب العزيز فانه ربما اتى بالقصص غير مرتبة وكذا فيها
ومن هنا يظهر ان من اسرار تخصيص بعض المواضع بما ليس في المبسوط الحث على حفظ الجميع انتهى وهذه فوائد لا ينبغي اهمالها بل تعمل حيث امكن والعمدة
في المناسبة الوجه الاول وهو ان في كل سورة مناسبة تخص تلك السورة ثم يأتي في البسط وغيره [illegible] المناسبة للمقصد الذي سبقت له القصة في
الموضع واللام في لقد للقسم قال الامام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني انها تدخل على الفعل والحرف الذي يختص بالفعل بما يصح معناه معه ولم تدخل على الابتداء
لانكم خاصة ومعنى قد توقع الخبر للتقريب من الحال نقول قد ركب الامير لقوم يتوقعون ركوبه فعلى هذا القول جرى ولقد ارسلنا والابانة اظهار المعنى
للنفس بما يمكن ادراكه واصله القطع فالابانة قطع المعنى من غيره ليظهر في نفسه انتهى والمقصود من رسالته ونذارته ان اي انذر لاجل ان
لا تعبدوا اي شيئا اصلا الا الله اي الملك الاعظم ومعنى النذارة هو قوله انّي اخاف عليكم وعظم العذاب المحذر منه بقوله عذاب
يوم اليم واذا كان اليوم محلا لما الظن بما فيه من العذاب فهو اسناد مجازي مثل نهاره صائم ولم يذكر بشارة كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله انني لكم منه نذير وبشير ارشادا الى ما يقتضيه القصة من تقرير معنى انما انت نذير ولان الذي صرح بالالم بخلاف الاعراف وكذا ما

امره

امره النبي صلى الله عليه وسلم اول هذه من عذاب يوم كبير وعما استقاربانه ثم ساق سبحانه جواب قومه على وجه هو في غاية التسلية والمناسبة لذلك بقوله
فقال اي فتسبب عن هذا النصح العظيم ان قال وبما كان هذا بعد ان شعب بعضهم قال الملأ وبين ان الجدال مع الضلال يعد ان بين انهم هم الاشراف زيادة
في التسلية بقوله الذين كفروا وبين انهم اقارب له وعترة بقوله من قومه اي الذين هم في غاية القوة لما يريدون محاولة القيام به ما نراك
اي شيئا من الاشياء الا بشرا اي ادميا مثلنا اي في مطلق البشرية لست على ما تقول [illegible] لا تصلح لمزية الرسالة وهذا قول البراهمة وهو منع نبوة
البشر على الاطلاق وهو قول من يحسد على فضل الله ويعمى عن جلي حكمته فيمنع ان يكون الشيء شرفا ويجعل الاله حجرا ولما كانت العظمة عندهم
منحصرة في عظمة الاتباع قالوا وما نراك ولما نفوا الرؤية عنه فتشوف السامع الى ما يقع عليه من المعاني بينوا ان مرادهم رؤيتهم تبعة فقالوا
اتبعك اي تكلف اتباعك الا الذين هم اي خاصة اراذلنا اي كالحائك ونحوه ولم يعن رذل غيرهم وهو جمع ارذل كالكلب جمع رذل
ككلب والرذل الخسيس الدني وهذا ينتج انهم سيتبعهم اجدر له قدرة قالوا واتبعك عامل في قوله بادي الرأي وهو ظرف اي اتبعوك
بديهة بغير تأمل فاتباعهم لا يدل على سداد لما اتبعوه فوجهه رد التهم في انفسهم وانهم لم يتفكروا فيه لكن بضعفه ايراد الاتباع
بصيغة الافتعال التي تدل على علاج ومجاذبة فالاحسن ان يكون ما قالوه ايضا الى الاراذل اي انهم بحيث اول ما يقع نظرهم عليهم اول وقوع
بصرهم عليهم انهم سفلة اسقاط ويجوز ان يكون المراد بادي رأيك اي انك تظن انهم اتبعوك ولم يتبعوك ولما كانوا لا يعظمون الا من
بالتوسع في الدنيا قالوا وما نرى لكم اي لك ولمن تبعك علينا واغرقوا في النفي بقولهم من فضل اي في شرف او مال وهذا مع ما مضى
من قولهم قول من يعرف الحق بالرجال ولا يعرف الرجال بالحق وذلك وانه يستدل على كون الشيء حقا بعظمة متبعه في الدنيا وعلى كونه باطلا
بحقارة متبعه فيقع وجوع قولهم يدل على انهم يريدون لو صح كون النبوة في البشر لكانت في واحد ممن اقر له بالعلو في الارض وعمل اتبعك
في بادي منعه تمادي الاتباع على الايمان فانتفى الطعن بعدم التأمل بل نظنكم كاذبين اي لكم هذا الوصف لازما دائما لانكم لم تتصفوا
بما جعلناه مظنة الاتباع مما يوجب العظمة في القلوب والانقياد للنفوس من التقدم في الدنيا بالمال والجاه فحادوا عن طريق الحق وغمط
الناس وهو احتقارهم وهذا قد سرى الى اكثر اهل الاسلام فصاروا لا يعظمون الا ابناء الدنيا وهو من اجهل الجهل لان رسل الله الذين هم في الدنيا
وانظر الى رضاهم لانفسهم بالعمى وعن البينة الى اتباع الظن مما اداه وهذا افظع مما حكي هنا من قول قريش لولا انزل عليه كنز او جاء معه
ملك والبشر والبشرة ظاهر جلده لان الغالب على غيره من الحيوان سترها بالصوف او الشعر او الوبر او الريش
والمثل المساوي [illegible] غيره في الحس [illegible] انه لو ظهر للمشاهدة لسدّه والفضل الزيادة من الخير والافضال مضاعفة الخير الى [illegible]
الشكر ولما كان ختام جوابهم اشد [illegible] جوابه رده مبينا الضلال لانهم مغضبا على [illegible] شفقة عليهم ومحبة لنجاتهم فقال
[illegible] عنه قال يا قوم وشرع يكرر هذه اللفظة كل قليل تذكيرا لهم انه منهم ليعطفهم الارحام ويرد عنهم القرابة عن جوره او
اتهامه الى قبول ما يلقي اليهم من الكلام واشار الى اداة البعد مع قربهم الى مباعدتهم فيما يقتضي غاية القرب ارايتم اي اخبروني ان كنت
على سبيل الفرض منكم والتقدير على بينة اي برهان ساطع وزاد ترغيبا فيه بقوله من ربي اي الذي اوجدني واحسن الي بالرسالة وغيرها
تشهد بصحة دعواي شهادة لا يتطرق اليها عند المنصف شبهة فكيف بالظن وآتاني نضلا منه يعني المعنى في انه [illegible] عليكم بل رحمة
اي اكراما بالرسالة بعد النبوة وعظمها بقوله من عنده فيها فضل عظيم النور واضح الظهور ولما كانت البينة من الرحمة وحد الضمير فقال
فعميت اي فتسبب عن تخصيصي بها ان الظلام وقع ظلامها عليكم اي نعميتم انتم عنها لضعف عقولكم ولم يقع عليكم شيء من نورها
وذلك لان الدليل اذا كان اعمى عاد ضرره على التابع بالحيرة والضلال وهو معنى قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالبناء للمفعول مشددة
انلزمكموها وقوله وانتم لها كارهون مع تسميتها بينة اشارة الى انها لم تعم ولا خفيت عليهم لقوة نورها وشدة ظهورها ولكنها
هم معاندون في نفيهم لفضله وفضل من تبعه والتعبير في ذلك بالجملة الاسمية واسم الفاعل اشارة الى ان افعالهم افعال من كراهته لها ثابتة
مستحكمة وكانه لم يكن مأمورا بالقتال كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في اول الامر ولذلك اية ناظرة الى قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين

ويجوز ان يكون ذلك كناية عن انهم معاندون مع قطع النظر عن الجهاد وغيره فان الانبياء مامورون بالمجادلة للمعاندين الى ان يلزمهم الحجة وهي لا تفيد
الا الالزام في الظاهر مع الانكار والكراهة في الباطن والدعوة الى سبيل الله بالحكمة للكاملين وبالموعظة والخطابة للناقصين الذين لا يعاندون
ويحسنون الظن في الداعي فيكون المعنى ان البينة لم تنفعكم لشكاسة اخلاقكم وعوج طباعكم فلم يبق الا الموعظة وهي لا تفيد الا مع حسن الظن واما مع
الكراهة فلا ينفعكم النصح فلا فائدة في المجادلة الا الالزام وهو مع الكراهة غير نافع لكم ولما كان نفيهم عنه الفضل الدنيوي وكان الانصاف
بقلة ما في اليد غالبا يكون صارفا لمن كان صاحبه سبيل غيره نفى عنه هذا اللازم الغالب فقال مجيبا عن نفيهم الفضل عنه وعن اتباعه بانه قد يريد منهم على
ذلك ثوابا دنيويا **ويا قوم** مستعطفا لهم **لا اسالكم** اي في وقت من الاوقات **عليه** اي الانذار كما ياخذ منكم من يريد ذلك اي يرى بكم بعض ما يكرهون
في امور دنياكم حتى تكون عاقبة ذلك ان تتهموني **مالا ان** اي ما **اجري الا على الله** اي الذي له الجلال والاكرام فبيده الخزائن كلها ونبه بهذا على
انه لا غرض له من عرض دنيوي ينفر المدعو عنه فوجب تصديقه وفيه تلقين للجواب عن قول قريش لولا القي اليه كنز كما سياتي بابين من ذلك عقب قصة
يوسف في قوله وما تسالهم عليه من اجر ان القصص كالشي الواحد متتابعة في بيان حقية هذا القران والتسلية في الاقتداء بالرسل في الصبر على اذى
جميع الرسالة مع ما يلزم ذلك من تحليل العبر وبديع الحكم فلما انجز الغرض منها مع توالها اجدرت متفرقاتها ولما كان التعبير برذالة المتبع مما ينفر اهل
الدنيا عن ذلك التابع بان انه لم يكن شانه غير شانهم وان رفيعه على بامن برفيع به بعيمه ولا كان متاخرا في الدنيا … وما منها خوفا من انه لدى
اتبعوه فيه فقال **وما انا** اي واغرق في النفي بتوكيد **بطارد الذين امنوا** اي قروا بالسنتهم بالايمان ثم علل ذلك بقوله موكدا لانكارهم **انهم ملاقوا ربهم**
اي المحسن اليهم بعد ايجادهم وتربيتهم بهدايتهم فلو طردتهم لشكوني اليه فلا اراكم … الاشارة الى طردهم ولا في شي مما اوجبتموني
به **ولكني اريكم** اي اعلمكم علما هو كالروية **قوما تجهلون** اي تفعلون افعال اهل الجهل فتكذبون الصادق وتهجرون المؤمنين بما لا
يعيبهم وتنسون لقاء الله ويوقعون الاشياء في غير مواقعها فكني بتعبيره بتجهلون دون جاهلين اشارة الى ان الجهل متجدد لهم وعن
عادتهم مستعطفا لهم الى الحلم عطف الجهل … استعطاف في سياق تحذير من سطوات الله فقال **ويا قوم** اي الذين هم اعز الناس علي
من ينصرني من الله اي الذي له جميع العظمة **ان طردتهم** ولو لم يشكوني اليه لاطلاعه على ما دق وجل ولما تم الجواب عن ذلك انه سبب عنه
الانكار لعدم تذكرهم ما قاله لهم بما يجرونه في انفسهم فقال **افلا تذكرون** اي ولو ادنى تذكر بما يشير اليه الادغام فتعلموا ان من طرد
صديقكم الكم عاديتموه وقصدتموه بالاذى فرجعوا عما طراكم من الجهل الى ما ركب فيكم من الحلم الباعث على التامل الموقف على الحق و
الطرد ابعاد الشي على جهة الهوان والقوم الجماعة الذين يقومون بالامر اسم جمع لا واحد له من لفظه والتذكير طلب معنى قد كان حاضرا
للنفس بالتفكر طلب وان لم يكن حاضرا ولما كان نفيهم للفضل شاملا للاموال وعلم الغيب … على ذلك منزلا على خطابهم ضربا بانه
لم يقل بينهم قط ما يكون سببا فقال عاطفا على قوله لا اسالكم عليه اجرا **ولا اقول لكم** اي في وقت ما **عندي خزائن الله**
اي الملك الاعظم فاتفضل عليكم بها ولما كان من الجائز ان يمكن الله من شاء من خزائن الارزاق ونحوها فيسوغ ان يطلق مالك ذلك
مجازا ولا يجوز ان يمكنه من علم الغيب وهو ما غاب عن الخلق كلهم لانه خاصته سبحانه قال عاطفا على قوله الاعلى القول **ولا اعلم الغيب**
حقيقة ولا مجازا فاعلم وقت ما تتوعدون به او ما في قلوب المؤمنين ما قذفتموهم به من السوء واعلمهم انه انما نفى عن البشر بقوله
ولا اقول اني ملك فتكونوا في الفضل مثلي ثم ان خلق اعظم من خلقكم ونحو الفضل الصوري الذي جعلتموه هو الفضل
فالتكون الاية دليلا على افضلية الملائكة وتقديم الانعام باسقاطه لكم ولما كان تعريضهم بنفي الملكية عنه من باب الازدراء اتبعه تاكيد
قبوله لمن امرنا ان … وان ازدروه بقوله **ولا اقول للذين** اي لاجل الذين **تزدري** اي تحتقر وتستصغر **اعينكم** اي
تقصرون عن الفضل عند نظركم له وتعيبونه **لن يؤتيهم الله** اي الذي له الكمال كله **خيرا** ولما كان كانه قيل لم لا تقول ذلك اجاب
بما تقديره لاني لا اعلم ضمائرهم ولا احكم الا على الظاهر **الله** اي المحيط بكل شي **اعلم** اي منكم ومني **بما في انفسهم** ونحو المعلوم انه لا يعلم
احد من كان في نفسه خيرا جازما عليه يجوز ان يكون هذا راجعا الى بادي الراي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم ثم علل كفه

عن ذلك

عن ذلك بقوله موكدا لانكارهم ظلمه عن ذلك التقدير **اني اذا** اي اذا قلت لهم ذلك **لمن الظالمين** اي العريقين في وضع الشي في غير موضعه
والخزائن الخبية للمتاع الفاخر وخزائن الله مقدوراته لانه يوجد منها ما يشاء وفي وصفها بذلك بلاغة والغيب ذهاب الشي عن ادراك
ومنه الشاهد خلاف الغائب واذا قيل علم الغيب كان معناه علم من غير تعليم والازدراء الاحتقار وهو افتعال من الزراية زريت عليه اذا عبته
وازريت عليه اذا قصرت به والملك اصله مالك من الالوكة وهي الرسالة فلما استوفى نقض ما ابرموه في زعمهم من جوابهم على غاية الانصاف
واللين والاستعطاف استانف الحكاية عنهم بقوله **قالوا** اي قول من لم يجد في رده شبهة يبديها ولا امرا يعتمد عليه **يا نوح قد جادلتنا** اي
اردت فتلنا وصرفنا عن ارائنا بالحجاج واردنا صرفا وقمع رايك فتلنا عن ذلك **فاكثرت** اي فتسبب عن عزمك انك اكثرت **جدالنا** اي كلامنا
على صورة الجدال **فاتنا** اي فتسبب عن ذلك تضجرنا انا نقول لك لم تصح عندنا دعواك ائتنا **بما تعدنا** من العذاب **ان كنت** اي كونا هو
جبلة لك **من الصادقين** اي العريقين في الصدق فانه ياتينا فصرحوا بالعناد المبعد من الانصاف والانقضاء بالسداد دعوه باسمه ولم يحوا بادب
يقولوا له يا ابن عمنا مرة واحدة كما كرر لهم يا قوم فكان المعنى انا غير قابلين لشي مما تقول وان اكثرت واطلت بغير حجة منهم بل عنادا وكبرا
فلا تتعب بل قصر الامر بما تتوعدنا به ودعوه وعدا استخرية بل استبعادا لاعتقادنا الذي جعلته وعيدا هو عندنا وعد من سار باعتبار انا نحب
حلوله لان المعنى انك لست قادرا على ذلك ولا انت صادق فيه فان كان حقا فاتنا به فكانه قيل ماذا قال لهم فقيل **قال** جريا على سنن قوله
ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب **انما ياتيكم به الله** اي الذي له الاحاطة بكل شي فتبرا من الحول والقوة ورد ذلك الى من هو له
واشار بقوله **ان شاء** اي مخير في ايقاعه وان كان قد تقدم قوله به ارشادا الى انه سبحانه لا يجب عليه شي ولا يقبح منه شي بل ولا يسال عما يفعل وان
كان لا يقع الا ما اخبر به ثم بين عجزهم وخطاهم في تعرضهم للهلاك فقال **وما انتم بمعجزين** اي بفائتين شيئا من الاشياء مما يريده بكم سبحانه والاكثار
الزيادة على مقدار الكفاية والمجادلة المقاتلة بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة او شبهة وهو من الجدل وهو شدة الفتل والمطلوب بها الرجوع
عن المذهب والمطلوب بالحجاج ظهور الحجة فهو قد يكون مذموما كالمراء وذلك حيث يكون الشك في الحق بعد ظهوره وحيث قيد الجدال بالتي
هي احسن فالمراد به اظهار الحق ولما بين انهم اغماهم في قبضته سبحانه زادهم بيانا عظمته وان ارادته تضمحل معها كل ارادة في سياق الحط
انه بذل لهم النصح … خالص لهم فقال جوابا لما اوهموا من ان جداله لهم كلام بلا طائل **ولا ينفعكم نصحي** وذكر ارادته لما يريد انه يذكر
من ارادة الله تعالى فقال **ان اردت** اي جعلت الى فعل النصح ارادة **ان انصح لكم** باعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليتبع وجزاؤه محذوف تقديره
لا ينفعكم نصحي **ان كان الله** اي الذي له الامر كله **يريد ان يغويكم** اي يضلكم ويريد بكم غير الصواب فان ارادته سبحانه تغلب ارادتي وفعلي معا
ولا ينفعكم شي اشارة الى انكم لا تقدرون على دفع العذاب بقوة فتكونوا غالبين ولا بطاعة فتكونوا محبوبين مقربين ان كان الله يريد اهلاككم
بالاغواء وان اردت انا نجاتكم واشارة الى اني لا املك الا الارادة لنصحكم فاذا اردته فغاية ما يترتب عليه من فعلي وقوع النصح وظهوره
لكم واما النفع به فلا شي منه الي بل هو تابع لمراد الله فان اراد غوايتكم حصلت لا محالة ولم يقع ما قد يترتب على النصح من عمل المنصوح بمقتضاه
المستجلب للنفع المستدفع للضر ثم رغبهم في احسانه ورهبهم من انتقامه بقوله معللا لعدم ما لا يريده **هو ربكم** اي الموجد لكم المدبر لامركم
فهو يتصرف فيكم وحده بما يريد ولما كان التقدير فمنه مبدؤكم عطف عليه قوله **واليه** اي لا الى غيره **ترجعون** اي بايسر امر واهونه بالموت
ثم البعث فيجازيكم على اعمالكم كما هي عادة الملوك مع عمالهم ولما كان مضمون هذه الاية نحو مضمون قوله انما انت نذير والله على كل شي وكيل
كان الذين … المنذر والوكيل هو المرجوع اليه في الشي الموكول اليه وما قبلها تعريضا بنسبة نوح عليه السلام الى الافتراء … بما
تلا به ذلك من النسبة الى الافتراء اشارة الى ان هذه القصص كلها للتسلية في امر النذارة والكافية فكانه قيل ايقولون كذا من مثل هذه الاقوال
في قوم نوح كما ترى ثم والى عليهم الانذار ما لم يطيعوا معه في ترك شي مما امرناه به اعجبهم او اغضبهم فلا عليك من ذلك فحسبك
بربك قدوة في ان تعرض كلامهم عرضا وتقبل على ما ارسلناك به من بذل النصيحة بالنذارة **ام يقولون** في القران **افتراه** امرا على ما تقوله
فرحا بالدليل على ما حصل من الحجة فيه ثم قيل نعم انهم يقولون ذلك فقيل الاعلى … ان نقول يقصدون بمجرد العناد … خلافه

وعن تضجرنا صح

بما اقام عليهم من الحجج التي وصلوا معها الى عين اليقين فلا يهمنك قولهم هذا فانهم يجعلونه وسيلة الى تركك لبعض ما يوحى اليك فلا تفعل بل
قل في جوابهم ان افتريته اي تعمدت كذبه فعلي اجرامي اي وبال او عقاب ذنوبي واذا انتقل على الاجرام عرف
ذلك لارباب العقول وظهر ظهورا افتضح به وانتم اعرف الناس بالحق بعضه ذلك ادعا بين اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين مما تقولون
منع طهارة الشيم وعلو الهمم وطيب الذكر وشريف القدرة وكريم الامر هذا لو كنت قادرا على ذلك فكيف وانا وانتم عنه في العجز سواء
وانا بريء اي غاية البراءة مما تجرمون اي تجددون اجرامه الى على الاجرام لكم عاير ضر بعدا او صحبة كلم وكشفت عنكم غطاء الشبه
اغاضره عليكم فاعملوا على تزكو هذا المعنى فان سوق جوابهم على هذا الوجه انكا لهم اقامة حجة اخرى لانهم لا يعلمون منه انه
الزامهم بالفضيحة لانقطاعهم لكن لم يدع ويمكن ان يكون التقدير هل انتبه قومك بالجهل فعلوا قبح هذه الحال وانها حال
المعاندين فرجعوا ام كرملعن ركوب مثلها والحيا ام يقولون افتراه اي كذبه متعمدا استمرارا على العنا وتماديا في البغي كما تمادى قوم نوح
فيحل بهم ما حل بهم اي هل رجعوا بعد هذا المقدار في قصة قوم نوح ام هم مستمرون على ما نسبوك اليه في اول السورة من افترائه فيحتاجون
الى تكميل القصة بما وقع من عذابهم لينجا فوا امثل مصابهم وافتراء الكذب افتعال من قبل النفس فخلص من مطلق الكذب لانه قد يكون
تقليدا للغير ولما فرغ من هذه الجملة التي هي المقصود بهذا السياق كله وان كانت اعتراضية في هذه القصة رجع الى كمالها بيانا لان
نوحا كان يكاشفهم بجميع ما امر به واعظمه مشقة عليهم بحيث لم يكن قط موضع الطمع في ان يترك شيا منه وتحذيرا لكل من
سمع قصتهم من ان يحل به ما حل بهم فقال واوحي اي من الذي لا موحي الا هو وهو ملك الملوك الى نوح بعد تلك الخطوب انه
لن يؤمن بما جئت به من قومك الا من قد آمن ولما كان الذي يجيب الانسان الى ما يسأله تلوح عليه مخايل قبل الاجابة بتوقع السائل
بها الاجابة قال قد امن فلا اي تعب حقك بانه قد تم شقاؤهم فانا نقول لك لا تبتئس اي يحصل لك بوس اي شدة يعظم عليك
خطرها بكثرة تاملك في عواقبها بما كانوا اي جبلوا عليه يفعلون فانا ناخذ لك بحقك منهم قريبا وكانه كان يعلمه انهم ان
لم يجيبوا اغرقهم وانجاه من تبعه في فلك يحملهم فيه على متن الماء فقال واصنع الفلك حال كونك محفوظا باعيننا بحفظك
ان تزيغ في عملها وجمع مبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله اوحى اليه ان يصنعه مثل جؤجؤ الطائر
اي صدره واشار الى خفة على قومه وعصبه لنجاتهم كما هو حال هذا النبي الكريم مع امته فقال ولا تخاطبني اي بنوع مخاطبة وان قلت في الذين ظلموا
اي اوجدوا الظلم واستمروا عليه في ان انجيهم ثم علل النهي بان الحكم فيهم قد ابرم فقال انهم مغرقون قد فرغ من ذلك والامتثال حرز
في ستنهانة لان اصل البوس الفقر والمسكنة والوحي القا المعنى الى النفس في خفاء وقد يكون ذلك بغير كلام باشارة ونحوها وقد يكون بكلام
خفي والفلك السفينة يؤنث ويذكر واحده وجمعه سواء واصله الادارة من الفلكة ولما امره تعالى ونهاه اخبر انه امتثل ذلك بقوله عاطفا
على ما تقديره فايس من ايمان احد منهم فترك دعاءهم وشرع يسلي نفسه ويصنع اي صنعا ما هو جدا انه ملكة عظيمة بذلك الصنع الفلك
حكى فعله حال عمله بانه سبحانه تبارك الامر بانه كان يعمل ما امر به سبحانه ولم يخاطبه فيهم ولا استعطفه عليهم واشار الى انهم ازدادوا بغيا بقوله
وكلما اي والحال انه كلما مر عليه ملأ اي اشراف من قومه واجاب كلما بقوله سخروا منه اي ولم يمنعهم شرفهم من ذلك وذلك انهم
راوه يفعل ما لم يروا قبله مثله يجري على الماء وهو في البر وهو على صفة من الهول عظيمة فعن الحسن طولها الف ذراع ومائتا ذراع
وعرضها ستمائة فقالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا على الماء ويجوز ان يكون سخروا صفة لملأ وجواب كلما قال ولما اياسه الله من خيرهم ترك
ما كان يلينه لهم من التعطف فانهم تعاطوا من ذلك ما كان الا له سبحانه فقال حاكيا عنه قال ان تسخروا منا ولما كانوا يظنون انه عابث في عمله كان
عندهم موضعا للخزي والسخرية وكان هو صلى الله عليه وسلم عالما بان عملهم سبب لخزيهم بالعذاب المستاصل في المعنى ان تسخروا منا اي مني وممن
يساعدني لظنكم ان عملنا غير مثمر فانا نسخر اي نجدد السخرية منكم جزاء لكم كما تسخرون منا الان لان عملنا منج وعملكم ليس مقتصرا على الضياع
بل هو موجب لما توعدتم من العذاب فانتم المخزيون دوننا ولما كان قولهم نسخر منكم واقعا موقع هذا الاخبار حسن الاتيان بالفاء المؤذنة بتسبب العلم

ووحينا نحن ... اصالة ايحي ... العظمة ... فلا ... ولا يغيب ... صح

المذكور

المذكور عنه في قوله فسوف تعلمون اي بوعد لا خلف فيه من يأتيه عذاب يخزيه اي يفضحه فيذله وكان المراد به عذاب الدنيا ويحل عليه اي حلول
الدين الذي لا محيد عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة وتقدم نحوه في الانعام عند قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار واشير بنحوه
الى ما في الحال الى الباطل تعليمية تقدم استصغار العقل في التسخير وهو التذلل استصغارا بالقهر وهي تفارق اللعب بان فيها خديعة استنقاص فلا تكون
الا من الحيوان واللعب قد يكون بجماد لانه مطلق طلب الفرح والخزي العيب الذي تظهر فضيحته والعار به ونظيره الذل والهوان واستمر ذلك دابه
ودابهم حتى اذا جاء امرنا اي وقت اهلاكهم وفار اي علا وطغى التنور روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد انه الحقيقي الذي يخبز فيه
وهذا هو الظاهر فلا يعدل عنه الا بدليل لان صرف عن ظاهره بغير دليل عبث كما قال اهل الاصول قلنا بعظمتنا احمل ولما كان استقرار
ان يجعل الغطاء كما قال اهل التفسير لئلا تمتلئ من شدة الامطار وكانت المغرقة فيها بخلاف غيرها من السفن وصحح فلذلك قال فيها اي
السفينة من كل زوجين من الحيوانات والزوج فرد يكون معه اخر لا يكمل نفعه الا به اثنين ذكرا وانثى واهلك اي حملهم والاهل العيال
الا من سبق عاليا عليه القول بانه الغرقة وهو امراته وابنه كنعان ومن آمن اي واحمل من آمن قال البيضاوي وكانت السفينة ثلاث طبقات
السفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب والعليا له ولمن آمن معه ثم سلى المخاطب بهذه القصص صلى الله عليه وسلم وذكره نعمته بكثرة من
اتبعه صدقه بطول الانذار على قصر الزمان دون نوح مع تطاول الزمن فقال وما اي والحال انه ما آمن كائنا معه اي باتباعه الا قليل
بسبب تقيدنا لا باغضائهم عما كلفوا به من الانذار والتنور والايصيا وزنه فعول عند ابي علي وهو عجمي وقال ثعلب وزنه تفعول من النور واصله
تنوور وهمزت الواو ثم خففت وشدد الحرف الذي قبلها والزوج قد كثر على الرجل الذي امرة قال الرماني وقال الحسن ومن كل شيء خلقنا
زوجين السماء زوج والارض زوج والشتاء زوج والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج حتى يصير الامر الى الله الفرد الذي لا يشبهه
شيء ومعنى ذلك في صحيح البخاري واقل ما قيل فيمن كان في السفينة ثمانية نوح وامراته وثلاثة بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم واكثر ما
قيل انهم ثمانون رجح عن ابن عباس ولما اتاه الامر بذلك بادر الامتثال فجمع من امره الله به الى السفينة بعد ان هياها لهم وقال اي نوح لمن
امر بحمله اركبوا ولما كانت الغرفة اغلب على السفينة قال فيها اي السفينة ولما امرهم بالركوب فركبوا استانف قوله اوامرهم بالركوب
قائلين بسم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة مجراها ومرسيها اي اجراؤها وارساؤها او محلهما ووقتهما وقرا الحسن وقتادة وحميد
الاعرج واسمعيل بن مجالد عن عاصم بكسر الراء والسين كسرا خالصا على انهما صفتان على اي اسمين صفتين للجلالة ثم علل نجاتهم
بالاجراء والارساء اعترافا بانه لا نجاة الا بعفوه بقوله ان ربي اي المحسن الي بما دبر من هذا الامر وغيره وزاد في التاكيد تطبيبا للقلوب
من معرفتهم بان امرا ربي يغير ... وان العبد لا يسعه الا العفو فقال لغفور اي بالغ الستر للزلات والهفوات رحيم اي بليغ
الاكرام لمن يريد فركبوها وتمروا ... وهي اي والحال انها تجري بهم ولما كان الماء مهيا للاغراق وفي ذلك
السير على ظهره من الخوارق اشار الى ذلك بالظرف فقال في موج ونبه على علوه بقوله كالجبال اي في عظمه وتراكمه وارتفاعه فالجملة
خالية من ركوبها المقدر لانه لظهوره في قوة الملفوظ وكان نصه الحال مع ان حذف الركوب في حصول الاشارة الى سرعة امتلاء الارض من الماء
وصيرورته فيها امثال الجبال عقب ركوبهم السفينة من غير كبير تراخ قالوا وكان اول ما ركب معه الذرة واخر ما ركب الحمار وتعلق ابليس
بذنبه فلم يستطع الدخول حتى قال له نوح ادخل ولو كان الشيطان معك كذا قالوا وقيل انه منع الحية والعقرب وقال انكما سبب الضرر فقالا
انكما سبب الضرر فقالا احملنا ولك ان لا نضر احدا ذكرك ثم قال سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
لم تضراه ولما كان ابتداء الحال انفجار الارض كلها عيونا وانهمار السماء انهمارا يصير الحال الى كون الموج كالجبال
فيحصر الاله البيت الذي ... فعلم سبحانه تلاه بذكر امر ابن نوح فقال عاطفا على قوله وقال اركبوا ونادى نوح ابنه اي كنعان وهو
نصلبه نقله الرملي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وكان اي الابن في معزل اي عن ابيه في مكانه وفي دينه لانه كان كافرا وبين
ان ذلك المعزل كان على بعض البعد بقوله يا بني صغره تحننا وتعطفا اركب كائنا معنا اي في السفينة لتكون من الناجين

ولا تكن اي بوجه من الوجوه مع الكافرين اي في دين ولا مكان اشارة الى ان حرص الرسل وشفقتهم وان كان مع روية الايات العظام و
الامور الهائلة ليست سببا الا لين القلوب وخضوع النفوس ما لم ياذن الله انظر الى استعطاف نوح بقوله يا بني ذكرا له بالبنوة مع تصغير التحنن
والتراوف وغلاظة الابن في عدم سماحه بان يقول يا ابه ولم يكن مع ما راى من الايات العظام ولا متناهيا لشي منها عن تقحم الجهل بما لا يعلم
وتعسف الشبهة من لا يرد الحجة ولما كان الحال حال دهش واختلال كان السامع جديرا بان لا يصبر بل يبادر الى السؤال فيقول فما قال فقيل
قال قول من ليس عقل يتبع المراد الله ساوي الى جبل يعصمني اي يعلوه من الماء اي فلا اغرق قال اي نوح عليه السلام لا عاصم اي لا
مانع من جبل ولا غيره موجود اليوم اي احد من امر الله اي الملك الاعظم المحيط امره وقدرته وحكمه وحكمه بالغرق على كل ذي روح
لا يعيش في الماء الا من رحم اي الا مكان من رحمه الله فانه مانع من ذلك وهو السفينة او لكن من رحمه الله فان الله يعصمه ولما ركب نوح عليه السلام
ومن امره الله به واراده ولم يبق حاجة في تدريج ارتفاع الماء فعلا وطما وغلب وعتا فهال الامر وزاد على الحد والعد وفات العقل وطفا
على ما تقدير فلم يسمع ابنه ذلك بل عصى اباه كما عصى الله فاوى الى الجبل الذي اراده فعلى الماء عليه ولم يمكنه بعد ذلك اللحاق بابيه ولا
الوصول اليه وحال بينهما اي بين الابن والجبل او بينه وبين ابيه الموج المذكور في قوله موج كالجبال فكان اي الابن بما غواه من المغرقين
هم كلهم لم يركب مع نوح عليه السلام من جميع اهل الارض الا بو حيا فيما قيل كانا يتراجعان الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا
على فرس قد بطر واعجب بنفسه فالتقمته وفرسه وحيل بينه وبين نوح عليه السلام فغرق انتهى واركوب العلو على ظهر الشي كركب الدابة والسفينة
والبر والبحر والجري مر سريع يقال هذه العلة تجري في احكامها اي تمر من غير مانع والموج جمع موجة لقطعة عظيمة من الماء الكثير ترتفع عن جملته
واعظم ما يكون ذلك اذا اشتدت الريح والجبل جسم عظيم الغلظ شاخص من الارض هو لها كالوتد والعصمة المنع من الافة وقيل بادنى اشارة
بعد هلاك اهل الارض وخلوها من الكافرين وتدميرهم في السهل والجبال الشامخات وهي طالت في وجه الفعل على البناء للمجهول لارادة التصوير
امر مامور هو في غاية الطاعة فانه اوقع في النفس واملك لكل شي ومن مقام الجلال والكبرياء والعزة بامر لا يعلم الا الله دل على ذلك بادا
البعد فقال يا ارض ابلعي اي اجذبي في مرعة الى مكان خفي بالتدريج ومعنى البلوع لئلا يضر فتبلع كل شي على وجهها من جبل وغيره ولذلك افرد
ولم يجمع فقال ماءك اي الذي تجدد على ظهرك للاغراق ليكون ذلك كالغذاء للاكل الذي يقوى به بدنه فتقوى به على الانبات وسائر المنافع وجعله
ما بها لاتصاله بها اتصال الملك بالمالك ويا سماء اقلعي اي امسكي عن الامطار ففعلتا مبادرتين لامر الملك الذي لا يخرج عن مراده شي
وغيض الماء اي المعهود حكم عليه بالرجوع في اعماق الارض المتشربة فانه يقال غاض الماء وغاضه الله كما يقال نقص الشي ونقصته انا وقضي الامر
اي فرغ وانبت وابرم من اهلاك من هلك ونجاة من نجا على اليد الجليل على ما تقدم به وعده نوحا لم يقدر احد ان يحبسه عنهم ولا ان يصرفه ولا ان
يؤخره دقيقة ولا اصغر منها فليحذر من خرج عليه العذاب الذي يقل ما يحبسه لئلا يستعجل ما الى هولا اي بعثهم واستوت اي استقرت واعتدلت السفينة
على الجودي اشارة باسمه الى ان الانتقام العام قد مضى وما بقي الا الجود بالنماء والخير والخصب والرحمة العامة وهو جبل بالموصل بعد خمسة
اشهر قال قتادة استقلت بهم لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا واهبطت بهم يوم عاشوراء وقيل
اي اعلاما بهوان الهالكين والراحة منهم بعدا هو من بعد بالكسر مراد به البعد من خير الحلال الى حقيقة بعدا بعيدا لا يرجى منه عود ثم المعنى للهلاك
وخص بجانب السوء وعبر بالمصدر لتعليقه باللام الدالة على الاستحقاق والاختصاص للقوم اي المعهودين في هذه القصة الذين كان فيهم من ملك
القيام فيما يحاولونه ما لا يعلمه الا الله الظالمين اي الغريقين في الظلم وهذه الاية تشتمل على لفظة فيها احد وعشرون نوعا من البديع عدها
ابو حيان وقال وروي ان اعرابيا سمعها فقال هذا كلام القادرين وذكر الرماني عدة من معانيها منها اخراج الامر على جهة التعظيم لفاعله من غير معاناة
ولا لغوب ومنها حسن تقابل المعاني ومنها حسن ائتلاف الالفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال ومنها تقبل الفهم على اتم الكمال
الكلام على البناء للمفعول والبلع اجراء الشي في الحلق الى الجوف والاقلاع اذهاب الشي من اصله حتى لا يبقى له اثر والغيض غيبة الماء في الارض
على جهة النشف ابراز الكلام على البناء للمفعول دل على الكبرياء والعظمة للفاعل واشارة الى انه معلوم لانه لا يقدر على مثل هذه الافعال غيره

ونقل الاصبهاني عن صاحب المفتاح فيها كلاما اغلاق الحرح ولما كان الاستثناء من اهله في قوله الا من سبق عليه القول يجوز ان يراد به امراته فقط فتكون نجاة
ابنه جائزة وكان ما عند الانبيا عليهم السلام من فرط الشفقة على الخلق لا سيما الاقارب يحملهم على السعي في صلاحهم ما كان لذلك وجه كما تقدم مثل ذلك
في قوله استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم الذين احبتهم الخلق كثيرة وايديهم قصيرة واعمارهم ضعيفة معها امرهم فاذا فحص عن يوم في الجناب والمحناب
الحق طبيح في شانه عظيم وامر علي فلا يجد نقص بوصب ولا يدانيه ضرر ولا يعتري امره وهن ولما كان ذلك كذلك سال نوح عليه السلام نجاة ولده
كما اخبر عنه تعالى في قوله ونادى نوح ربه اي الذي عوده بالاحسان الجزيل ودل بالعطف بالفاء دون ان يأتي بالاستيناف على ان ما ذكر هنا
من نداء نوح بعض نداءه وان هذا المذكور مرتب معقب على شي منه اقرب ما يكون ما ارشد اليه ما في سورة المؤمنين ويشير قوله تعالى بعد هذا جوابا له
يا نوح اهبط بسلام منا فيكون تقدير الكلام قال رب انزلني منزلا مباركا وما قرب من الكلام فقال اي عقب ما حمله على ذلك من رحمة النبوة وشفقة
الابوة وبجبلة البشر متعرضا لنفحات الرحمة وعواطف العفو والافا وتفصيل الحمل بما في مثلها في بعضها فقال رب ان ابني اي الذي غرق من اهلي اي
وقد امرتني بحمل اهلي وذلك الامر يحتمل كل اشارة الى ارادة نجاتهم وان وعدك الحق اي الكامل في نجاتهم الا من سبق عليه القول وقد علمت ان من في المراة الكافرة
وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم وعن كان اعلم كان احكم فتعالى ان قولك الا من سبق عليه القول يصح باستثنائها وحدها فان كان ابني ممن نجا فائتني به وان كان
هذا الدعا عنه حولة الموج بينهما فلا تهلكه قال يا نوح واكد نفي ما تقدم من اثباته فقال انه ليس من اهلك اي المحكوم بنجاتهم لانهم وكفره
ولهذا علل بقوله انه عمل اي ذو عمل ولكنه جعله نفس العمل في قراءة الجماعة مبالغة في ذم دال ان الجوهر مساو للاقدام في نفس الوجود لا ينفك ابدا
فبين انه ليس فيه اثر صالح اصلا وبينت قراءة يعقوب في الكسائي بالفعل ان نفسه باشر السوء ومطلقه مباشرة وجبت البراة منه ولهما الا كابر فلا يوصل الابار عن عمر
بالعلم في الفعل الزمه انه المبينة على العلم واكده بما لا يخفى من سؤال نوح هذا غير صالح بعلمي وحكمتي في هذا الامر اي الى ابني من الا من اتصف بالصلاح وانا
عليم بذات الصدور وانت تخفى عليك كثير من الامور فربما ظننت الايمان بمن ليس بمؤمن لبناك الامر على ما تراه من ظاهره وقد نقل البغوي عن الحسن انه كان ينافق
باظهار الايمان وهذا يدل على ان الموافقة في الدين الصحيح تكون وان كان في غاية البعد في النسب والتخالف فيه يقطع وان كان في غاية القرب بالنسب ولما تسبب عن هذا
المجوب ان ترك السؤال كان اولى ذكر امرا كليا يندرج فيه فقال فلا تسألن اي بنوع من انواع السؤال ما ليس لك به علم فلا تعلم اصواب السؤال فيه ام لا
لان الابوة ما نشأ الا من الميل الى القرب بناء امورهم على التحقيق وانتقال العلوم منا انظر الى قول موسى عليه السلام في حديث الشفاعة في الصحيح من حديث ابي هريرة ولكن
قتلت نفسا لم اومر بقتلها والمعلوم ان تلك النفس كانت كافرة من الفرعون اني اعظك اي ابوعظك كراهة ان تكون اي كونا تتخلق به من الجاهلين
اي في عداد الذين يعملون بالظن لانهم لا سبيل لهم الى الوقوف على حقائق الامور قبل ان فسال مثل ما يسال ان ولما انجلى للسامع ما هو فيه صلى الله عليه وسلم من علو المقام
وعظيم الشان الموجب للعتاب على الكثير من الصواب تشوف الى جواب ما تعظيما بيانه بقوله قال اي مبادرا على حسب ما يقتضيه ماله من كمال الصفات رب اي ايها المحسن الي
واكد دلالة للسامعين على عظيم رغبته فقال اني اعوذ بك اي من ان اسالك في شي من الاشياء ما ليس لي به علم تادبا باديك واتعاظا بموعظتك
وارتقاء بما رقيتني اليه علو الرتبة ورفيع المنزلة والا تغفر لي اي الان وفي المستقبل وترحمني اي تسترزلاتي وتكرمني اكن من الخاسرين اي
العريقين في الخسارة فكأنه قيل ماذا اجيب في ذلك فقيل قيل بالبناء للمفعول لانه على العظمة والجلال الذي تكون الامور العجيبة لاجله بادنى اشارة
يا نوح اهبط اي انزل من السفينة بسلام اي عظيم منا اي من سلمنا نعليه ولا هلاك الحقه وبركات اي خيرات نامية صالحة عظيمة عليك اي خاصة بك
وعلى امم اي ناشئة ممن معك لكونهم على ما يرضينا ولا نمتعهم في الدنيا الا قليلا ولهم اذا رجعوا الينا نعيم مقيم وقد دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة
الى يوم القيمة وامم اي منهم سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش على وفق علمنا وارادتنا ولا بركات عليهم منا وكلام فالاية من
الاحتباك ذكر البركات اولا دليلا على نفيها ثانيا والمتاع والعذاب ثانيا والمتاع دليلا على حذف ضدها اولا ثم يمسهم منا اي بعدها لجريهم على غير هدينا و
جرائتهم على ما يسخطنا ويجوز ان يكون امم مبتدا في تقدير صفة محذوفة فيكون المسوغ للابتداء كون المقام مقام التفصيل والهبوط النجاة بما يمنع من
الشر والبركة ثبوت الخير بنمائه حالا بعد حال واصله الثبوت ومنه البروك والبركة لثبوت الماء فيها ذكر قصة نوح عليه السلام من التوراة وهو
نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ بن بارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم عليه السلام وذلك انه قال في اول السفر الاول منها قال ان ادم طاف

عند الربع

نحو حليلة فحبلت وولدت له ابنا فسماه شيث وقال الان اخلف الله علي نسلا اخر بدل هابيل الذي قتله قابيل وذلك بعد ان عاش ادم مائة وثلثين سنة
وكان جميع حيوة ادم تسعمائة وثلثين سنة وعاش شيث مائة وخمس سنين فولد له انوش وكان جميع حياة شيث تسعمائة واثنتي عشرة سنة وعاش انوش تسعين
فولد له قينان وكان جميع حياة انوش تسعمائة وخمس سنين وعاش قينان سبعين سنة فولد له مهلائيل وكان جميع حياة قينان تسعمائة وعشر سنين
وعاش مهلائيل خمسا وستين سنة فولد له يارد وكانت جميع حياة مهلائيل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش يارد مائة واثنين وستين
سنة فولد له حنوخ فكانت جميع حياة يارد تسعمائة واثنين وستين سنة وعاش حنوخ خمسا وستين سنة فولد له متوشلح وكانت جميع حياة حنوخ
ثلثمائة وخمسا وستين سنة وعاش متوشلح مائة وسبعا وثمانين سنة فولد له لمك وكانت جميع حياة متوشلح تسعمائة وتسعا وستين وعاش لمك
مائة واثنين وثمانين سنة فولد له ابنا فسماه نوحا ثم قال هذا ابن يحط عنا عملنا وكد ايدينا في الارض التي قد لعنها الله وكانت جميع ايام حياة لمك
سبعمائة وسبعا وسبعين سنة وتوفي ونوح ابن خمسمائة سنة فولد لنوح بنون سام وحام ويافث فلما ابتدا الناس ان يكثروا على وجه الارض
وولد لهم البنات نظر بنو الاشراف منهم بنات العامة حسانا جدا فاخذوا منهن النساء على ما اختاروا واحبوا فقال الله عند ذلك لا تحل
عنايتي وشفقتي على هولاء الناس لانهم يتبعون اهواء الجسد واللحم وكان على الارض جبابرة في تلك الايام ومن بعد ما دخل بنو الاشراف على
بنات العامة فولد لهم جبابرة مذكورون فراى الرب ان شر الناس قد كثر على الارض وان هموم فكرهم ردي في جميع الايام فقال الرب امحو الذين
خلقت وابيدهم عن وجه الارض من الناس الى البهايم حتى الهوام وطير السماء وظفر نوح من الله برحمة ورافة وكان نوح رجلا بارا تقيا
في حقبه فارضى الله وفسدت الارض بين يدي الله وامتلات اثما وجورا فراى الرب الاله ان الارض قد فسدت وقال الله لنوح قد وصل الي خبر جميع
الناس وسوء اعمالهم لان الارض قد امتلات اثما وجورا بسوء سيرتهم فها انا ذا مفسدهم مع الارض فاتخذ لك انت تابوتا مربعا من خشب الساج وفي
نسخة الشمشار واجعل في التابوت علالي واطلها بالقار من داخلها ومن خارجها وليكن طول الفلك في جانبه واجعل فيها منازل اسفل واواسط
ثلثمائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا وسمكه ثلثين ذراعا واجعل في التابوت كوى وليكن عرضها من علائها ذراعا واحدا واجعل باب الفلك في
جانبه واجعل فيها منازل اسفل واوساطا وعلالي وها انا ذا محدر ماء الطوفان على الارض لافسد به كل ذي لحم فيه نسمة الحياة من تحت السماء فيبيد
كل ما على الارض واثبت عهدي بيني وبينك وتدخل التابوت انت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك ومن كل ذي حي من ذوي اللحوم من كل
صنف اثنين لتحيا معك ولتكن ذكورا واناثا من كل الطيور لاجناسها ومن الانعام لاصنافها ومن كل الهوام التي تدب على الارض لجواهرها اثنين اثنين
ادخل معك من كلها لتحييها ذكرا وانثى واجعل لنفسك كل ما يوكل فاختزنه معك وليكن ماكلك وماكلها فصنع نوح كل شيء كما امره الله ثم قال الله
لنوح ادخل انت وكل اهل بيتك الى التابوت لاني اياك وجدت بارا تقيا في هذا الحقب ومن كل الانعام الزكية ادخل معك سبعة سبعة من الذكور
والاناث ومن الانعام التي ليست بزكية ادخل معك اثنين اثنين ذكورا واناثا ومن الطير الزكي سبعة سبعة ذكورا واناثا ومن الطير الذي ليس
بزكي اثنين اثنين ذكورا واناثا ليحيى منها نسل على وجه الارض لاني من الان الى سبعة ايام اهبط القطر على وجه الارض اربعين يوما وليليها
وابيد كل ما خلقت على وجه الارض فصنع نوح ما امره الرب الاله فلما كان بعد ذلك بسبعة ايام نزلت مياه الطوفان تفجرت مياه الغمر وتفتحت
شبابيك السماء واقبلت الامطار على وجه الارض اربعين نهارا واربعين ليلة وفي هذا اليوم دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامراة نوح
ونساء بنيه الثلاث معه الفلك هم وجميع السباع لاجناسها وجميع الدواب لاصنافها وكل حشرة تدب على الارض لجواهرها وجميع الاجناس و
دخل مع نوح التابوت من كل عصفور وكل ذي جناحين اثنين اثنين ومن كل ذي لحم فيه روح الحيوة وكل شيء دخل من ذوي اللحوم دخلوا ذكورا
واناثا كما امر الله نوحا ثم اغلق الله الرب الباب عليه وكان الطوفان على الارض اربعين يوما واربعين ليلة وكثرت المياه حتى حملت التابوت فارتفع
على الارض فعززت المياه وكثرت على الارض جدا وجعل التابوت يسير على وجه الماء واشتدت المياه على وجه الارض جدا وتوارت جميع الجبال العالية
الشاهقة التي تحت السماء وارتفعت المياه فوق كل جبل خمسة عشر ذراعا وباد كل ذي لحم على الارض من الطيور اجمع والسباع والدواب
وجميع الحشرة التي تدب على الارض وجميع الناس والبهايم ومات كل شيء كان فيه نسمة الحياة مما في اليبس وبقي نوح ومن معه في الفلك واشتدت

المياه

كل المياه على الارض مائة وخمسين يوما وان الله ذكر نوحا وكل السباع والدواب وجميع الطيور التي معه في التابوت فاهاج الله ريحا على وجه الارض فسكنت
المياه وانسدت ينابيع الغمر وميازيب السماء وغاضت المياه بعد مائة وخمسين يوما وسكن التابوت وقعد في الشهر السابع لثلاث
عشرة ليلة بقيت من الشهر على جبال قردى وجعلت المياه تنصرف وتنقص الى الشهر العاشر وظهرت رءوس الجبال في اول يوم من الشهر العاشر فلما كان بعد ذلك
باربعين يوما فتح نوح الكوة التي عملها في التابوت فارسل الغراب فخرج الغراب عنده فلم يعد اليه حتى يبست المياه عن وجه الارض ثم ارسل الحمامة من بعده
ليرى هل قلت المياه عن وجه الارض فلم تجد الحمامة موضعا لموطئ رجليها فرجعت الى التابوت لان المياه كانت بعد على وجه الارض فمد يده واخذها
وادخلها اليه وانتظر سبعة ايام اخر ثم عاد فارسل الحمامة فعادت عند المساء وفي منقارها ورقة زيتون فعلم ان الماء قد غاض عن وجه الارض فصبر ايضا
سبعة ايام اخر ثم ارسل الحمامة فلم تعد اليه ايضا ففتح نوح باب الفلك فراى فاذا وجه الارض قد ظهر وجفت الارض فكلم الرب الاله نوحا وقال له اخرج من
التابوت انت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك وكل السباع التي معك من كل ذي لحم والطيور والدواب وافرج كل الهوام التي تدب على الارض
معك ولتتوالد وتنمو في الارض وتكثر وتردد على الارض فخرج نوح ومن ذكر وبنى المذبح لله واخذ من جميع الدواب والطيور الزكية فاصعدها
على المذبح قربانا للرب فقال الرب الاله لا اعود العن الارض بعد من اجل اعمال الناس لان هوى قلب الانسان وفكره ردي منذ صباه و
لا اعود ايضا ابيد كل حي كما فعلت من الان جميع ايام الارض يكون فيها الزرع والحصاد والبرد والحر والقيظ والشتاء فبارك الله
على نوح وابنيه وقال لهم انموا واكثروا واملؤا الارض وليغش رعبكم وخوفكم جميع السباع وبهايم الارض وكل طير السماء وكل
دابة تدب على الارض وجميع حيتان البحور تكون تحت ايديكم وكل الدواب الطاهرة الحية تكون لكم ماكلا وقد جعلت لكم الاشياء كلها حلالا لا
لكم مثل عشب البرية وخضرها والا المخنوق الذي دمه فيه فلا تاكلوه فان دمه نفسه واما دماؤكم من انفسكم فاطلبها بالنهي من يد
جميع الحيوان ومن يد جميع الناس من انسان قتل اخاه طالبته بدمه ومن يسفك دم انسان يسفك دمه لان الله خلق ادم بصورته وانتم
فانموا واكثروا وتوالدوا في الارض واكثروا فيها وقال الله لنوح ولبنيه معه ها انا ذا مثبت عهدي بيني وبينكم ومع انسالكم من بعدكم
ومع كل نفس حية منكم .. ومع الطيور والدواب ومع كل سباع الارض جميع الذين خرجوا من الفلك واثبت عهدي بيني وبينكم
فلا يبيد كل ذي لحم ايضا بماء الطوفان ولا يهبط الطوفان ايضا ليفسد جميع الارض قال الله لنوح هذه علامة العهد الذي جعلته
بيني وبينكم وبين كل نفس حية معكم في جميع احقاب العالم قد اظهرت قوسي في السحاب فهي امارة ذكر العهد بيني وبينك وبين
اهل الارض فاذا انشات السحاب في الارض وظهرت قوسي في السحاب فاذكر العهد الذي بيني وبينكم وكان بنو نوح الذين خرجوا
من التابوت سام وحام ويافث وحام يكنى ابا كنعان هولاء الثلاثة هم بنو نوح وتفرق الناس من هولاء في الارض كلها ثم ذكر
ان نوحا نام فراى حام عورته فاظهر ذلك لاخوته فتناول سام ويافث رداء فالقياه عليه كما فهما مشيا على اعقابهما بريين
فرجعا على ابيهما فلما علم نوح ما صنع ابنه الاصغر دعا عليه ان يكون عبدا لاخويه وكان جميع ايام حياة نوح تسعمائة وخمسين
ثم توفي عليه السلام ثم ذكر ان الناس بعده ارادوا ان يبنوا صرحا لاحقا بالسماء واجتمع جميعهم على ذلك لان لغتهم كانت واحدة
ورايهم واحدا ففرق الله السنتهم وفرقهم من هنالك على وجه الارض ولم يبنوا القرية التي هموا بها ولذلك سميت بابل وبابل معناه
بالعبرانية الشتات وفي تفسير البغوي وغيره ان عوج بن عنق بعضهم جعلها في القاموس كان من زمن نوح الى الطوفان وان الماء لم يجاوز
ركبتيه ونحو هذا كذب بحت منابذ لقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وقوله
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ونحوها فان كلا من ذكر ذلك ذكر ان موسى عليه السلام قتله كافرا ولما تمت هذه القصة على
النحو الوافي ببيان اجتهاد نوح عليه السلام في ابلاغ الانذار من غير مراعاة اقبال ولا ادبار وكانت مع ذلك دالة على علم تام واطلاع
على دقائق لا سبيل اليها الا من جهة الملك العلام فهي على ازالة اللبس عن امره صلى الله عليه وسلم واضح من قرى قال تع منبها على
ذلك **تلك** اي هذه الانباء البديعة الشان الغريبة الامر البعيدة عن طوق المعارض العلية الرتبة عن يد المتناول **من انباء الغيب**

اي اخباره العظيمة ثم اشار الى انه لا يزال يجدد له امثالها بالمضارع في قوله **نوحيها اليك** فكانه قيل ان بعض اهل الكتاب يعلم بعض تفاصيلها
فاشار الى ان الذي عند المجموع عنده مما يعلمون غيب يشبهه بقوله **ما كنت تعلمها** اي على هذا التفصيل **انت** ولما كان خفاؤها عن قومه
دليلا على خفائها عنه لانه لم يخالط غيرهم قال **ولا قومك** اي وان كانوا اهل قوة في القيام على ما يحاولونه وعدد كثير
ومنهم من يكتب ويخالط العلماء ولما كان زمان خفاء ذلك عنهم وان كان عالما به بعض الزمان الماضي ادخل الجار فقال **من قبل هذا**
اي الذي جاءك اليك حتى يطرق الوهم حينئذ انك تعلمتها من احد منهم وان كان يعلم كثيرا منها اهل الكتاب كما رايت من نص التورية فتبين
ان الغرض لقومك الا العناد **فاصبر** على ذلك ولا تفتر عن الانذار فستكون لك العاقبة كما كانت لنوح لاجل تقواه **ان العاقبة**
اي اخر الامر في الفوز والنصر والسعادة **للمتقين** اي العريقين في مخافة الله في كل زمن وقد تضمنت القصة البيان عما يوجبه حال اهل
الخير والايمان واهل الشر والطغيان من الاعتبار بالنبا عن الفريقين ليجتنب حال هؤلاء وتبتغى حال اولئك لسوء العاقبة في الدنيا
والاخرة ولما تم ذلك ما هو كفيل بغرض السورة وختم بان العاقبة دائما للمتقين اتبع بالدليل على ذلك من قصص الانبياء مع الوفاء
بما بقيت له قصة نوح من الحث على المجاهرة بالانذار رفقا لتلقائه **والى** اي ولقد ارسلنا الى **عاد اخاهم** وبينه فقال **هودا**
ولما تقدم امر نوح عليه السلام مع قومه تشوف السامع الى معرفة ما قال هود عليه السلام هل هو مثل قول نوح او لا فاستانف الجواب بقوله
قال يا قوم اي الذين هم اعز الناس لدي **اعبدوا الله** اي ذا الجلال والاكرام وحده ثم صرح وعلل فقال **ما لكم** واغرق في النفي
فقال **من اله** اي معبود بحق **غيره** فرجع الى اصل الدين كما هو داب سائر النبيين والمرسلين ثم ختم ذلك بمواجهتهم بما يسوؤهم
من الحق وما اتاه عن ذلك رجاء ولا خوف فقال **ان** اي ما **انتم الا مفترون** اي متعمدون الكذب على الله في اشراككم به سبحانه
لان ادلة التوحيد بدلالة العقل غير خافية على عاقل فكيف مع تنبيه النقل وذلك مكذب لمن اشرك اي فاحذروا عقوبة المفتري
ثم نفى ان يكون له في ذلك غرض غير نصحهم بقوله موضع اني ناصح لكم بهذا الامر فلا تتهموني في مواجهتي لكم فيه بما تكرهون **يا قوم** مكررا
للاستعطاف **لا اسالكم** اي في المستقبل كما لم اسالكم في الماضي **عليه** اي على هذا الانذار **اجرا** اي فلست موضع تهمة **ان** اي ما
اجري ثم وصف من توكل عليه بما يدل على الكفاية وعلى وجوب شكره فقال **الا على الذي فطرني** اي ابتدا خلقي ولم
يشاركه فيه احد فهو الغني المطلق لا ارجو رضى غيره كما يجب على كل احد ذلك لكونه فطره ولما كان الخلاف في الذي احاط فيه
من جهة الدنيا لاحتياج الانسان الى الدلالة على ان صاحبه يلجا اليه من جهتها وانه لا حاجة له الى غير العقل سبب عن قوله هذا الانكار
عليهم في قوله **افلا تعقلون** ولما دعاهم الى الخير ترهيبا مستدلا على الصدق بنفي الغرض رغبهم في ادامة الخوف مما مضى من قوله
ويا قوم ومن هو اعز الناس علي ولهم قدرة على طلب منهم **استغفروا ربكم** اي اطلبوا غفرانه بطاعتكم له لما يجب له باحسانه اليكم واشار
الى علو رتبة التوبة باداة التراخي فقال **ثم توبوا اليه** اي ... على هذه الرتبة بان تطلبوا ستر الله لذنوبكم ثم ترجعوا الى طاعته بالندم و
الاقلاع والاستمرار **يرسل السماء** اي الماء والنازل منها او السحاب ... بالماء **عليكم مدرارا** اي هاطلة بمطر غزير متتابع **ويزدكم**
قوة اي عظيمة مجموعة **الى قوتكم** ثم عطف على قوله استغفروا قوله **ولا تتولوا** اي تكلفوا انفسكم غير ما جبلت عليه من الاقبال
تبعا للغواية في الاعراض بما اشار اليه اثبات التاء **مجرمين** اي قاطعين لانفسكم عما امركم على الظنون الفاسدة عن خيرات الدنيا والاخرة
وطالما محض لهم النصح على عادة الانبياء مما كان جوابهم الا ان **قالوا** اي عاد بعد ان اظهر لهم هود من المعجزات ما مثله امن عليه البشر **يا هود**
نادوه باسمه غلظة وجفاء **ما جئتنا ببينة** فاوضحوا لكل ذي لب انهم ممن لا يرى لقويم العقل وصريح النقل فهم مغترون كما كان العرب
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان اتاهم من الايات على يديه ما يفوت الحصر لولا انزل عليه اية من ربه **وما نحن** واغرقوا في النفي
فقالوا **بتاركي الهتنا** متجاوزين لها وصادرين **عن قولك** وتركهم للعطف بالفاء المؤذنة بان الاول سبب الثاني الى الواو
في قولهم **وما نحن لك** اي خاصة واغرقوا في النفي فقالوا **بمؤمنين** دليل على انهم تركوا اتباعه عنادا لانهم يعتقدون انه لما يات

ببينة

ببينة والحال انه كذلك وقد ايضا تعبيرهم بالاسمية التي تدل على الثبات فان نفي لم ينتقض باصل والبينة الحجة الواضحة في الفصل بين الحق والباطل
والبيان نفي للعنف بغير هم حتى يظهر للنفس تجرد ما هواه والحامل على ترك البينة بعد ظهورها اضلال الشبهة عنها او تقليد الرؤساء في
دفعها او اتهام موردها او لاعتقاد اصول فاسدة تدعو الى جحدها او العناد للحسد ونحوه والجامع لذلك وجود الشبهة عنها او تقليد
ولما قالوا هذا الكلام البين الفساد من غير تعرض لنقض ما قال لهم بنوع شبهة كان كانه قيل لهم هذا الذي قلته لكم وهؤلاء ابين منه و
لا تدل افرضوا انه ما ظهر لكم صحته فما تقولون انه حملني عليه مع ان فيه منابذتكم وانتم اولاد عمي واعز الناس علي فقالوا **ان نقول الا**
اعتراك اي اصابك بعرض يدهش انا ان النفوس العزيزة بما هي فيه من النعم والقوة **بعض الهتنا بسوء** من نحو الجنون والخبل
فذلك الحامل لك على النهي عن عبادتها ولما كان الطبع البشري قاضيا بان الانسان يخشى من مس بسوء وهو يتهم متوهم انه قادر على ضرره
فلا يواجهه بما يكره وكان ما قالوه لهم محركا السامع الى الكلام تعلق عن جوابه لهم استانف سبحانه الاخبار عنه بقوله **قال** نافيا لما قالوه مبينا
ان الهتهم لا تنفع شيئا ما لهم معها واكد لانهم بحيث لا يظنون ان احدا يقول ما قاله **اني اشهد الله** اي الملك الاعظم الذي يقوم حجة عنده
ولهذا دابا مع الله ان يقول واشهدكم لئلا يوهم تسويته الى الصنعة الامر تهاونا بهم فقال **واشهدوا** اي انتم لتقوم الحجة عليكم لا بكم وتبين
عجزكم ويعرف كل احد لكم بحيث تبينها وبين ربكم وبينكم ولا يبالي بكم ولا بهم **اني بريء مما تشركون** وبين سفههم بقوله
من دونه بما كانوا ليثبتوا ... كان فكيف اذا لم يكن لا ايما **فكيدوني جميعا** اي فرادى ان شئتم او مجتمعين انتم والهتكم
ولما كانت العاجلة تنفي الحزن اهول وكان شانها اصعب والخطر بين عظمتها باداة التراخي فقال **ثم لا تنظرون** والكيد طلب الغيظ
بالستر في مكر وهذه الاية من اعلام النبوة الواضحة لهود عليه السلام فهو نذير قال ليس لهم الهتنا الاشي فما حملك على الاجتراء على مخالفتنا
نحن وانت تعلم كثرتنا وقوتنا وانت لا تزيد على ان تكون واحدا منا فقال **اني** اي لحصر على ذلك لاني **توكلت** معتمدا **على الله**
الملك الاعظم عقبا به الذي لا مالك سواه ولا رب غيره وبين لعاطفة ملكه بقوله **ربي وربكم** اي الذي اوجدنا ودبر امورنا قبل ان
يخلقنا فعلم ما يعمل كل منا في طول الحزانه **ما من دابة** اي صغرت او كبرت **الا هو اخذ** اي اخذ قهر وغلبة **بناصيتها** اي قادر
عليها وتصارا الاخذ بالناصية عرفا في القدرة لان الجارين مع مراده لا مع مرادهم بل لا ينفك احد عن كراهة لبعض ما هو
فيه فدل ذلك قطعا انه بغير مرادهم انما هو بمراد قاهر قهرهم على ذلك وهو الملك الاعلى سبحانه والناصية شعر مقدم الراس
ومن اخذ بناصيته فقد انقاد لاخذه لا يستطيع ميلة **ان** اي لان **ربي** اي المحسن الي بما اقامني فيه **على صراط** اي طريق واضح
واسع بين **مستقيم** ظاهر امره لكل احد لا لبس فيه اصلا ولا خلل ولا اضطراب ولا اعوجاج بوجه فلذلك كان كل من في الكون بيانه
ويرجوه ويخافه ويرجوه وان اتخذ بعضهم من دونه فلا يعظمه الا عابده واما غير عابده فانه لا يقيم له وزنا فصح بهذا انه غالب
على كل شيء غلبة يعلمها كل موجود من غير خفاء اصلا فهو مرجو مرهوب باجماع العقلاء بخلاف معبوداتكم والحاصل انه يلزم الصراط
المستقيم الظهور فيلزم عند الاختلاف لانتفاء اللبس فمن كان عليه كان على الحق ورشيد الامر بصيرا بما يريد مع الثبات والتمكين
من هو العاقبة مقصودا بالاتباع والمحبة من لم يقبل اليه ضل ومن اعرض عنه اخذ لكثرة اعوانه وعز سلطانه فظهرت قدرته على عصمة من توكل
عليه وعجز معبوداتهم معهم عن نواصي كل نبي وهو بهم ودب كل شيء فقد نطق بختام الاية على قولهم ما جئتنا ببينة
رد له لان من كان على صراط مستقيم لم يكن شيء ابين من امره وعلى صوابه في توكله وما في حيزه اتم انطباق ومع الناصية اصلها الاتصال
من قولهم مفازة تناصي مفازة اذا كانت متصلة بها ولما انتفى فان كيد من سواهم ... اخذ يحذرهم فقال مبينا ان العدو اعمالهم
بما لا يكون الا عما لحقه الطبع السليم **فان تولوا** او لو ادنى تولية بما يشير اليه حذف التاء فعليكم اللوم دوني لاني فعلت ما علي **فقد**
اي بسبب اني قد **ابلغتكم ما** اي كل شيء **ارسلت** اي تقدم ... عنده لا مرسل في الحقيقة غيره **به اليكم** كاملا لم ادع منه شيئا
رجاء لاقبالكم ولا خوفا من اعراضكم فابيتم الا التكذيب والاستكبار عما جئت به فالذي ارسلني سينتقم منكم فيهلككم **ويستخلف ربي**

اي يوجد المحسن الي ما في امتي فيما يرضيه قوما غيركم يخلفونكم في دياركم واموالكم فتكونون اعداه ويكونون مخلفين متعوضين لان يكونوا
اولياءه مع كونهم ذوي باس وقوة فيختص الضرر بكم ولا تضرونه اي انتم باعراضكم شيئا من ضرر لعلو وعيده لهم بقولهم وكذا لان كان
فاعل بعضيا فعل من يظن انه غافل عنه ان ربي اي المحسن الي المدبر لمصالحي ولما كان الاهم في هذا السياق بيان استقلاله وقدرته قدم قوله
على كل شيء صغير وكبير جليل وحقير حفيظ اي عالم بكل شيء وقادر على كل شيء وبالغ الحفظ له فيعلم ما يعمل محفوظه فيجازيه بما يستحق من
نعمة ونقمة فهو تعليل لاستخلاف غيرهم وتنزيهه عن لحوق ضرر لان الحفظ الحراسة ويلزمها العلم والقدرة فمن لا قدرة له حافظ العين التي يغلبه
نوم والحفيظة الحمية والغضب ومن بينهما معا المحافظة للمواظبة على الشيء والتوقي للشيء لذهاب الغيرة مخرجة اعراضا عنه والابلاغ الحاق
الشيء زيادة والاتحاد وجعل الثاني بدلا من الاول يقوم مقامه والضر ايجاب الالم بفعله او التسبب له ولما جاء وتم ذلك كانه قيل فلم يرجعوا
ولم يرعووا بالبينة ولا رغبة ولا رهبة فانزلنا بهم امرنا ولما جاء امرنا اي وقت ارادتنا لاهلاك عاد نجينا اي تنجية عظيمة بما لنا
من العظمة هودا والذين امنوا اي كائنين معه في الايمان والنجاة من قومهم فلم يقدروا ان يصلوا اليهم بسوء مع اجتهادهم في ذلك
واعجابهم بقواهم ويقال ان المومنين كانوا اربعة الاف ولما كان نجاته بحيث لا يجب عليه لاحد شيء لانه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره
وان اجتهد في طاعته فان طاعته نعمة منه عليه اشار الى ذلك بقوله برحمة منا تحقيقا للتوكل لعبدنا ولما بين انجاهم من قومهم
بين انجاهم مما اهلكهم به فقال مكررا ذكر التنجية دلالة على ان عذابهم كان في غاية الفظاعة ونجيناهم اي بما لنا من العظمة وبين فظاعة
ما اهلك به اعداءهم بقوله من عذاب غليظ اي اهلكنا به مخالفيهم وهو الريح الصرصر وهذا اولى من حمله على عذاب الاخرة لما ياتي من قوله
ومن خزي يومئذ لانهم كانوا اذا راوا مخايل العذاب قصدوا اذية من امن به ليهلكوهم قبلهم كما صرح به في قصة صالح والنجاة السلامة
من الهلاك وحقيقة الغلظ عظم الجثة واستعير للعذاب لثقله على النفس وطول مكثه ولما تمت قصتهم على هذا الوجه البديع والاسلوب المعجب
قال تعالى عاطفا على قوله تلك من انباء الغيب وتلك عاد اي قصة القوم البعداء البغضاء ما كنت تعلمها على هذا التفصيل
انت ولا قومك ولا اهل الكتاب وانما نفيت عن اهل الكتاب لانهم لا يعلمون الا ما له اصل عن انبيائهم وهذه وقصة ثمود ليستا في التورية
ولا في شيء من اسفار انبيائهم وقد سالت بعض علمائهم فلم اجد عنده شيئا من علمها ولا عرف واحدا ولا سمع بهما ولا هود ولا تحقيق قصتهما ثم جحدوا
اي كذبوا عنادا بايات ربهم المحسن اليهم وعصوا استهانة رسله فانه من عصى احدا منهم فقد عصى الكل لاتفاقهم على امر واحد مع
التساوي في مطلق المعجزة واتبعوا اي بغاية جهدهم امر كل جبار اي قاهر بليغ القهر يجبر غيره على ما يريد على انه لا عذر في اصل
بوجه فان الضمائر لا يعلمها الا الله فيمكن كل احد مخالفة الجبار فيه وهو لا يعلم عنيد اي طاغ باغ لا يقبل الحق بوجه فاهلكوا
ولم يمنعهم تجبرهم ولا اغنى عنهم عنادهم وتكبرهم واتبعوا جميعا بعد اهلاكهم بايسر وجه لعظيم قدرة المتبع في هذه الدنيا حقرها
في هذه القصة بما اشارت اليه الاشارة من التصغير وبما دل على التنوع بان اغرقها فهو ممنوع ومع الشاهد ما لزمه الجحود لعنة
اي طردا وبعدا وهلاكا ويوم القيمة اي كذلك بل اشد فانه نقيل انما المصيبة بهم من تلاف فقيل لهم الا افتتاح الاخبار عنهم
بهذه الاداة التي لا تذكر الا بين يدي كلام يعظم موقعه ويجل الخطب والتاكيد في الاخبار بكفرهم تحقيق لحالهم وفيه رد لما
النبوة واعلام الرسالة الرد على طائفة تحصرت بالقرب في زماننا يصوبون جميع الملل وخصوصا عادا هذه لكونها اغناهم
بان قالوا انهم من المقربين الى الله وانهم يعنيهم الرضى منه خالية المسئول في اداء الله عليهم وشفاء الصدور منهم وهم اتباع ابن عربي
الكافر العنيد اهل الاتحاد المجاهرون بعظيم الالحاد المستحقون بل الجبار فلذلك قال تعالى مبينا لحالهم بيانا لا اخفاء معه
ان عادا كفروا ولم يقصروا الفعل بل عدوه اعظاما لطغيانهم فقال ربهم اي غطوا جميع انوار الظاهر الذي لا يصح اصلا
خفاؤه لانه لا نعمة على مخلوق الا منه فكان كفرهم اغلظ الكفر ومع ذلك فلم يبين ثمن هود عن ابلاغهم جميع ما امر به ولا ترك
شيئا مما اوحي اليه فان له بهم اسوة وفيهم قدوة ومن كبرها حسن اليه بعد بعد الاقرب معه ولما كان الامر عظيما والخطب

جليلة

جليلة كرر الاداة التي تقال عند الامور الجليلة فقال الا بعدا لعاد هو من بعد بكسر العين اذا هلك بعده بالهلاك وبينهم بقوله قوم هود
تحقيقا لهم لانهم عادان اولى وعاد الاخرة وابعاد الان استحقاقهم لا ابعادا واصلها الابعاد من الخير والاتباع جعل الثاني على اثر الاول لعلا بلاغ اخص
بما جرى لهو معهم من الانجاد والدعاء عليهم بعد الهلاك كناية عن الاخبار بانهم كانوا مستحقين للهلاك وفي الخبر عما يعلم صحته انه لا يعلمها وهو ظاهر في
لما ان النفي ضد الاثبات فهو خبر بمجرد العدم فهو عم والعصيان خلاف ما امر به الداعي على طريق الايجاب واللعنة الدعاء بالابعاد واصلها الابعاد من الخير والاتباع
جعل الثاني على اثر الاول لا بلاغ اخص منه والمراد هنا اللوم الهم لان الذي قضى به الاعتقاد وقد لحق بهم عذاب الدنيا المبعدهم من مظان الرحمة ولما
انقضت قصتهم على ما دعا اليه الايجاز اتبعها قصة من كانوا عقبهم في الزمن ومثلهم في سكنى ارض العرب وعبادة الاوثان والمقاربة في الامر بحرب لانه
المتقبل الصيحة الى الاهلاك هو الرجف وخففوا امرهم مفصلا على اسلوب ذلك فقال والى اي ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم وبينه بقوله صلحا
ثم اخرج قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير سوال فقال قال يا قوم اي يا من يعز علي ان يحصل لهم سوء اعبدوا الله اي الملك الاعظم وحده لان عبادتكم
له مع غيره ليست بشيء ثم استانف تفسير ذلك فقال ما لكم واغرق في النفي فقال من اله غيره جريا على منهاج الدعاة الى الله في اصل الدين وهو افراد
المنعم بالعبادة ولما امرهم بذلك ذكرهم قدرته ونعمته مرغبا مرهبا فقال هو اي وحده انشاكم اي ابتدا خلقكم من الارض بخلق ادم
عليه السلام منها بغير واسطة وبخلقكم من المني من الدم وهو من الغذاء وهو من النبات وهو من الارض كما انشا اوائلكم منها و رفع مقداركم
بان استعمركم اي اهلكم لما لم تتاهل له الاوثان من ان تكونوا عمارا فيها فلا تنسوا حق الحكم الذي فضلكم به من حق انفسكم بخضوعكم لما لا
يساويكم فكيف بمن انشاكم واياها والانشاء الابتداء بالايجاد من غير استعانة بشيء من الاسباب فلما بين لهم عظمته سبحانه وكان الشيطان
قد شبه عليهم انه لعظمته لا يصل اليه احد الا بوسيلة كما هو حال الملوك وعد التقي اليهم ان الاوثان وسائل نفي ذلك لهم مبينا طريق الرجوع اليه بقوله
فاستغفروه اي فاقبلوا بكل قلوبكم عليه طالبين ان يستر ذنوبكم وذكر شرط المغفرة بقوله مشيرا باداة البعد الى عظيم المنزلة ثم توبوا اي
ارجعوا بجميع قلوبكم اليه ثم علل ذلك بلطفه وعطفه ترغيبا في الاقبال اليه فقال موكدا لان من يرى امهاله للعصاة يظن الظنون في
عصاه كما ان عمل من ينكر قربه واجابته ان ربي اي الذي اخلصت له العبادة لاحسانه الي وادعوكم الى الاخلاص له لاحسانه اليكم قريب
من كل من اقبل اليه من غير حاجة الى معاناة مشي ولا حركة جارحة مجيب لكل من ناداه لا كمعبوداتكم في الامرين معا ولما دعاهم الى الحق ونصب
لهم عليه من الادلة ما هم به معترفون وذكرهم نعمه مومئا الى التحذير من نقمه وسهل لهم طريق الوصول اليه ما كان جوابهم الا ان لحوه من طور البشرية
بمحض التقليد فلذلك استانف الاخبار عن جوابهم بقوله قالوا اي ثمود يا صالح نادوه باسمه قلة ادب منهم وجفاء قد كنت فينا اي فيما بيننا
اي ايام كونا امرك مرجوا اي في حيز من يصح ان يرجى ان يكون فيه خير وسود دون رشد وصلاح وهو لحقوق الزمان نحن من ذو الجار وكالوا قبل هذا
اي الذي دعوتنا اليه فاما بعد هذا فانسلخت من هذا العدم ثم بينوا ما اوجب سقوطه عندهم بقوله منكرين انكار محترق اتنهانا اي مطلق نهي
ان نعبد اي نجدد ايحما ما يعبد اباؤنا وعبروا بصيغة المضارع تصويرا للحال كان اباءهم موجودون فلا تمكن مخالفتهم اجلالا لهم فاجلوا
من نهيهم نسبا قريبا في وجودهم ولم يابوا لحجاهم واباهم اولا من الارض وثانيا من النطف ثم خولهم فيما هم فيه ثم فرعوا في اصل الدين بعد
ذكر ابلهم على الكفر المانع لهم من تركه الى انهت بان ما يوجب القطع لكل عاقل من ابتناء اباهم لم يوثر عندهم الا ما هو دون الظن في ترك الجانبه
فقالوا مؤكدين لان نكيهم حقيق بان ينكر لانه في امر واضح جدا لا يحتمل الشك اصلا وانا لفي شك وزاد التاكيد بالنون واللام وبالاداة بالظرف
الى احاطة الشك بهم مما ولما كان الداعي واحدا وهو صالح عليه السلام لم يلحق الفعل غير نون واحدة هي ضميرهم بخلاف ما في سورة ابرهيم فلذلك
قالوا تدعونا اليه من عبادة الله وحده مريب اي موقع في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين والرجاء تعلق النفس بمجيء الخير
على جهة الظن ونظيره الامل والطمع والنهي المنع من الفعل بصيغة لا تفعل ولما ابرزوا لهم ما هم في قالب الشك على سبيل الجزم قابلهم عليه على
سبيل الفرض انصافا لهم وابلاغا في الخطاب للمخاطبين فاستانف سبحانه الاخبار عنه بذلك في قوله قال اي صالح ناديا لهم الى النظر في امره برفق
يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت ذا يقين واستعلاء على بينة من ربي المحسن الي لا شك عندي فيها واتاني منه رحمة اي اعاما حتى

سببه البصيرة فمن ينصرني واظهر موضع الاضمار وعبر بالاسم الاعظم لاقتضاء المقام التهويل فقال من الله اى الملك الاعظم ان عصيته اى ان
وقعت في الشك على زعمكم حملكم على هيبة اداء بانى الى التلبيس باعمالهم مع زوالهم واضمحلالهم ولو كانوا موجودين وعصيتهم لم يبالوا بهم
واما انا فالرحمن بعباده محتج قادر على جزاء من يطيعه او يعصيه واقل ما يحمل على طاعته الشك في حقيقته وهو كاف للعاقل في ترك الخطر
فما اى فما تسبب عن نهيكم لي عن الدعاء اليه سبحانه انكم ما تزيدونني بذلك شيئا في عملى فيما تريدونه منى من عطفى عنه باتباعكم في عملكم
او الكف عنكم لا صير في عدادكم يرجع عندكم ممن له عقل غير تخسير اى ايقاع في الخسارة على هذا التقدير فلا تطمعوا في تركى للتحذير من
مخالفتكم ما دمتم على ما انتم عليه والاية كما ترى ناظرة الى قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ولما اخبرهم ان معصيته الخسران ذكرهم
امر الناقة التي اخرجها سبحانه لهم من الارض شاهدا على كونهم مساوين عما دعاه صالح عليه السلام وبين الاشارة بقوله عليه السلام اى الملك
الاعلى ثم بنحو الاشارة مقدما عليها ما كان وقت تحديهم بها مفضلين عليها بالحياة محذرا لهم شديد انتقامه فقال ويا قوم هذه اشارة
الى الحاضر وذلك بعد ان اخرجها لهم سبحانه عندما دعاه صالح عليه السلام وبين الاشارة بقوله ناقة الله اى الملك الاعلى ثم بنحو الاشارة مقدما
عليها لئلا يكون صفة لها فقال لكم اى خاصة لتنظركم اياها عند ما خرجت ولكل من سمع بها بعدكم وليس الخبر كالمعاينة اشير اليها حال كونها اية
يكون اخراجها لكم من صخرة وهي عشراء على حسب ما اقترحتم وانتم تشاهدون وبكونها تنفرد بشرب يوم وتنفردون بكلكم بشرب يوم وتنفر عن يوم
وتنفر جميع الحيوانات منه وابلكم ووحوش بلادكم عن يوم وغير ذلك مما انتم له مبصرون وبه عارفون فذروها اى اتركوها على اى حالة كان
تركتكم لها تاكل اى مما ارادت في ارض الله اى الملك الذى له الامر كله التي خلقها منها ولا تمسوها بسوء والامر منع يقع عند بلع ولمس
مطلق الاصابة ويكون بين الحيوان وغيره والمس اخص منه لما فيه من الادراك فياخذكم اى فيتسبب عن ذلك ان ياخذكم عذاب قريب اى من زمن
اصابتكم لها بالسوء ثم اشار الى قرب مخالفتهم امره فيها بقوله مسببا عن ذلك ومعقبا فعقروها اى الناقة فقال اى عند بلوغه
الخبر تمتعوا اى تعيشوا في داركم اى هذه وهي بلدة الحجر ثلاثة ايام اى بغير زيادة عليها فانظروا ماذا يغنى عنكم تلذذكم وتركهم
وانما اجتهدتم فيه ولما كان كانه قيل هل في هذا الوعيد مثنوية قال مجيبا ذلك اى الوعد العالى الرتبة في الصدق والغضب وعد غير مكذوب
اى فيه والتمتع التلذذ بالمدركات الحسان من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس وسميت البلد دارا لانها جامعة لاهلها كما تجمع الدار ويدار
فيها وفي ذلك دليل على ان العذاب يتعقب الايام وتسبب عن الوعيد قوله فلما جاء امرنا بالفاء بخلاف ما في قصة هود وشعيب عليهما السلام اى مع مضى الايام
كان اول ما فعلنا ان نجينا بما لنا من العظمة اولياءنا صالحا والذين امنوا معه من كيد قومهم وبين ان احسانه سبحانه لا يكون الا فضلا منه
بقوله برحمة منا وذلك انه عليه السلام قال لهم تصبحون غدا يوم مونس يعنى الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم عروبة يعنى الجمعة ووجوهكم محمرة
ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول الاحد فقال التسعة الرهط الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا
فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطاوا
على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا
لهم والله لا تقتلونه ابدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم وراء
ما تريدون فانصرفوا فلما اصبحت وجوههم مصفرة عرفوا انه قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فجاء الى بطن منهم يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم فغيبه
عنده فعدوا على اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقالوا يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك افندلهم قال نعم فدلوهم عليه فاتوه فقال
الغنمي نعم عندي ولا سبيل اليه وشغلهم عنه ما انزل الله بهم ذكر ذلك البغوي عن ابن اسحق ووهب وغيرهما مطولا ولما ذكر نجاتهم من كل هلكة
ذكر نجاتهم من خصوص ما عذب به قومهم فقال ومن اى ونجيناهم من خزى اى ذل وفضيحة يومئذ اى يوم اذ جاء امرنا باهلاكهم بالصيحة
وحل بهم دونهم فرقا بين اوليائنا واعدائنا وفخر نجينا هنا بالعطف على عذابهم دون عذاب عاد ثم عقب ذلك بتعليله اهلاكا وانجاء
باختصاصه بصفات القهر والغلبة والانتقام فقال ان ربك اى المحسن اليك كما احسن الى الانبياء من قبلك هو اى وحده القوى فهو يغلب

كل شي

كل شي العزيز اى القادر على منع غيره من ظفر بعقد ما طلبه وعلى الامتناع منه من عز الشي اى امتنع ومنه العزاز الارض الصلبة الممتنعة بذلك
على التصرف فيها او الخزى العيب الذى يظهر فيفضحه وسيجى مثله ثم بين ايقاعه باعدائه بعد انجائه لاوليائه فقال معظما للامر بتذكير الفعل واخذ
الذين ظلموا الصيحة وسبب عنها قوله فاصبحوا في ديارهم جاثمين اى ساقطين على وجوههم وقيل جاثين على الركب موتى لا حراك بهم وتقدم
سر التعبير بالديار مع الصيحة والدار مع الرجفة في الاعراف وخصت هود بما ذكر فيها لان مقصودها اعظم نظر الى التفصيل وكان الديار مع الصيحة
اقرب الى التفصيل ذلك ولما كان الجثوم كناية عن الموت اوضحه بقوله كان اى كانهم لم يغنوا فيها اى يقيموا اغنياء لاهين بالغناء فيها ثم نبه على
استحقاقهم ذلك بما لعله يغفل فيسال بقوله مفتتحا بالاداة التي لا تقال الا عند الامر الهائل الا ان ثمودا قراءة الجمهور دالة على استخفاف
بهم لطيشهم في المعصية كفروا ربهم اى اوقعوا التغطية والستر على المحسن اليهم بالخلق والرزق والارسال وهو الظاهر بصفاته وافعاله لا يخفى
على احد اصلا فاتصال الفعل وتعديه كما في اكثر الاصل ابيننا الغلط كفرهم ثم كرر ذلك تاكيدا له واعلاما بتابيد هلاكهم الا بعدا لثمود ترك صرفهم في
قراءة غير الكسائي ايذانا بدوام لبثهم في الطرد والبعد والصيحة صوت عظيم من فم حي وقال الاصمعي زيادة في التخويف والتاليف عما وقع لهم
من التحسير لواحد ركاضهم لان الانسان يفرح اذا اصبح بقيامه من نومه مستريحا قادرا على ما يريد من الحركات والاستمتاع بما يشتهي مما انتشر فاصبح
هؤلاء بعد هذه الصفة على ما قطع بخفوتا اجمعين كنفس واحدة رجالا ونساء صغارا وكبارا لكانهم لم يكونوا اصلا ولا ابدوا فصلا
ولا وصلا كانهم لم يكونوا الحيوة قرة ولم يعدوا في الاحياء مرة كان لم يبقوا لانقطاع اثارهم الا ما بقى من اجسامهم الدالة على الخزى والمغانى
المنازل واصل الغنا الاكتفاء ومعنى الا التنبيه قال الرماني وهي الف الاستفهام دخلت على لا فالالف تقتضى معنى ولا تنفى معنى فاقتضى الكلام
بهما معنى التنبيه مع نفى الغفلة انتهى وتمام حقيقته والله اعلم انه دخلت على ما بعدها فنفته ثم دخلت عليها همزة الانكار فنفتها ومن المعلوم
ان نفى النفى اثبات فرجع المعنى بها كما ترى الى اتم وجوه التاكيد لان اثبات المعنى بعد نفيه اكد من اثباته عريا عن النفي وكيما ان كانت المفيد لذلك
الانكار وهذا المعنى مطرد في الا العرضية وهلا التحضيضية ونحوها ويمشى في كل اصلة بان ترد الى اصل مدلولها في اللغة ثم
تتصرف بما يقتضيه الحال والله الهادى ولما انقضت القصة على هذا الوجه الرائع اتبعها قصة لوط عليه السلام اذ كانت من اشهر الوقائع
بعدها وهي افظع منها واروع وقدم عليها ما يتعلق بها من امر ابراهيم عليه السلام وذكر بشارته لما في ذلك كله من التنبيه لمن تعنت بطلب انزال
الملائكة في قولهم او جاء معه ملك على ان ذلك ليس عزيزا عليه وقد اكثر من فعله ولكن نزولهم مرهب وامرهم عند المكاشفة مرغب
واما مع الستر فلا يقطع تعنتهم هذا مع ما في ذلك من مناسبة امر هذا الولد لامر الناقة في تكوين كل منهما بخارق للعادة اشارة الى تمام
القدرة وكمال العلم المبنى عليه امر السورة في احكام الكتاب وتفصيله وتناسب حال نوح وابراهيم عليهما السلام في ان كلا منهما شفقة على [illegible]
رجاء نجاتهم من العذاب بجدال الكتاب ولهذا سبحانه كرر لقد في صدرها عطفا على ما في قصة نوح للتنبيه على ما لهذه الاغراض لان في التوقع
نجاة لتوذن بان السامع في حال توقع لذلك لانه اذا انقضت قصة توقع الخبر عما بعدها فقال تع ولقد قال الرماني دخلت اللام لتاكيد
الخبر كما يؤكد القسم جاءت رسلنا اى الذين عظمتهم من عظمتنا قيل كانوا جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ابرهيم هو خليل الله
عليه السلام بالبشرى اى التي هي من اعظم البشاير وهي اكرامه بمجى [illegible] عليه السلام والولد من زوجته ساره رضى الله عنها جاؤه في الصفة التي
يحبها وهي صفة الاضياف فلم يعرفهم مع انه الخليل بل انكرهم كما قال تع في الذاريات قال سلام قوم منكرون فيحمل انكاره اولا على الاستغراب
بمعنى انه لم ير عليهم زى اهل تلك البلاد ولا اثر السفر فكانه قيل ما كان من امرهم فقيل قالوا سلاما اى سلمنا عليك سلاما عظيما
قال سلام اى ثابت دائم عليكم لا زوال له ابدا فالرفع مرتب على النصب لانه اخبار عن ثابت والنصب تجديد ما لم يكن فصار مندرجا
في تحية الله من ناسخ اكرم نزلهم وذهب يفعل ما طبعه الله عليه من سجايا الكرم وافعال الكرام في ادب الضيافة مع التعجيل الذى تقتضيه
فما لبث اى تسبب عن مجيئهم وتعقبه انه ما تاخر ان جاء بعجل حنيذ اى مشوى على حجارة محماة في اخدود وفوقه حجارة محماة
ليشتد نضجه فحنيذ بعد الشي يقطر دسما لانه سمين كل ذلك وهو لا يعرف انهم ملائكة بل هو قاطع بانهم ممن ياكل وهذا ناظر الى قوم

نوح عليه السلام وما نرى لكم علينا من فضل وقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم الاية اي انه جعل الحكم الى القلوب وباطنها السعادة و
الشقاوة وقد تخفى تلك المعاني كما خفي على كمل اهل ذلك الزمان انه ضيف ملائكة حتى خاف منهم وقد اتوه بالبشرى فلا ينبغي لاحد ان يحتقر
احدا الا باذن الله فيه ولما وضع الطعام بين ايديهم لم يلوا به فلما رأى ايديهم اي اثر عقب الوضع سواء لا تصل اليه اي العجل الذي صنعه
لياكلوه نكرهم اي اشتدت نكارته لهم وانفعل لذلك وهذا يدل على ما قال بعض العلماء ان نكر ابلغ من انكر واوجس اي اضمر مخفيا في قلبه
منهم خيفة اي عظيمة لما راى من حالهم مما شاهد مما جاء لهم واصل الوجوس الدخول والدليل على ان خوفه كان لعلمه بالتوسم انه ملائكة نزلوا لامر
يكرهه من تعذيب من يعز عليه او نحو هذا انهم قالوا لا تخف ثم علل ذلك بقولهم انا ارسلنا اي ممن لا يرد امره الى قوم لوط فانهم
نفوا الخوف عنه بالاعلام بمن ارسلوا اليه لا بكونهم ملائكة قالوا ذلك وبشروه بالولد وامراته اي جاءته الرسل بالبشرى اي ذكروها له
والحال ان زوجة ابرهيم عليه السلام التي هي كاملة المروة وهي ساره رضها قائمة قيل على باب الخيمة لاجل ما لعلها تفوز به من المعاونة
على خدمتهم فسمعت البشارة بالولد التي دل عليها فيما مضى قوله بالبشرى فضحكت اي تعجبت من تلك البشرى لزوجها مع كبره
وبما ظنته من غير حالها مع انها كانت عقيما عجوزا فهو من اطلاق المسبب على السبب اشارة الى انه تعجب عظيم فبشرناها اي تسبب عن
تعجبها انا اعدنا لها البشرى مشافهة بلسان الملائكة تشريفا لها وتحقيقا انه منها باسحق تلده ومن وراء اسحق يعقوب
اي يلد يعقوب عليه السلام ابنا لاسحق عليه السلام والذي يدل على ما قدرته انهم بشروه بالولد قبل امراته فسمعت فعجبت ما ياتي عن نص
التورية والحكم بالعدل على ذلك كله قوله تعالى في الذاريات قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها الاية
ولما تشوفت بذلك الى صرحت بعبارة العجب مما له جامع بين عجيبين كونه منه ومنها بان قالت يا ويلتى وهي كلمة تؤذن بامر فظيع تخف على
افواه النساء وتستعملنها الى اليوم لكنهن غيرن في لفظها كما غير كثير من الكلام والويل حلول الشر والالف في اخره بدل من ياء الاضافة
كني بها هنا عن العجب الشديد لما فيه من الشهرة ومراجعة الظنون وقال الرماني معناها الايذان بورود الامر الفظيع كما تقول العرب يا للدواهي
اي تعالين فانه من احيانك لحضور ما حضر من اشكالك ولما كان ما بشرت به منكرا في نفسه بحسب العادة قالت ءالد وانا اي والحال اني
عجوز وهذا اي من هو حاضر برى بعلي شيخا ثم ترجمت ذلك بما هو نتيجة فقالت مؤكدة لانه لما كان من خرق العوائد في حين
المنكر عند الناس ان هذا اي الامر المبشر به لشيء عجيب فكانه قيل فماذا قيل لها فقيل قالوا اي الملائكة متعجبين من تعجبها
اتعجبين من امر الله اي الذي له الكمال كله وهو لا ينبغي لك لان عادته معتادة من الله بما ليس لغيرهم من الخوارق والعجب انما يكون مما
خرج عن اشكاله وخفي سببه وانت لثبات علمك بان السبب الذي هو قدرة الله على كل شيء وحضوره لديك مع اصطفاء الله لكم
وتكرر خرقه للعوائد في شؤنكم لست كغيرك ممن ليس كذلك ثم عللوا انكارهم لتعجبها بقولهم رحمت الله اي كرامة الذي له
الاحاطة بصفات الجلال والاكرام وبركاته اي خيراته النامية الثابتة عليكم وبينوا خصوصيتهم باسقاط اداة النداء مدحة
لهم فقالوا اهل البيت قد تمرنتم على مشاهدة العجائب لكثرة ما ترون من اثاره بمثل ذلك وغيره ثم علل احسانه اليهم مؤكدا
تثبيتا لاصل الكلام الذي انكرته فقال انه اي بخصوص هذا الاحسان حميد مجيد اي كثير التعرف الى من يشاء من جلايل النعم وعظيم المقدور
بما يعرف انه مستحق الحمد على المجد وهو الكرم الذي ينشأ عنه الجود فلما سمعوا ذلك واطمانوا اخذ يغض عما كان بصدده فقال مشيرا بالفاء
الى قلة زمن الانكار الذي هو سبب الفزع فلما ذهب بانكشاف الامر عن ابرهيم الروع اي الخوف والفزع الشديد وجاءته البشرى
فامتلأ سرورا يجادلنا اي اخذ يفعل معنا بمجادلة رسلنا فعل المجادل الذي يكثر كلامه ارادة لفتل مخاطبه عما يقوله في قوم لوط
اي يسئلنا في نجاتهم سؤال لا يحرص فيه حرص المجادل خصوصا في الشيء من الجدل وهو الفتل ووضع المضارع موضع الماضي اشارة الى تكرير
المجادلة مع تصوير الحال التي جادلنا فيهم حب الاكثر ثم علل مجادلته بقوله ان ابرهيم لحليم اي بليغ الحلم وهو امهال صاحب الذنب
على ما يقتضيه العقل اواه اي رجاع للتاوه خوفا من التقصير منيب اي رجاع الى الله بالسبق في ارتقاء درج القرب فهو لما عنده

من هذه

من هذه المحاسن لا يزال يتوقع الاقلاع من العصاة ولما اكثر المجادلة لما عنده من الشفقة على عباد الله لما له من هذه الصفات الجليلة اعلمه الله
ان الامر قد ختم بقوله حكاية ان الرسل قالت له بعد طول المجادلة منادين بالاداة التي هي ام الباب اعلاما بان ما بعدها عظيم الشان عالي المنزلة
يا ابرهيم اعرض بكليتك عن هذا السؤال في نجاتهم ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لانه بمجادلته في حيز من ينكر ثبوت الامر انه قد نفتح بحرف
التوقع لانه موضعه جاء امر ربك اي الذي عودك باحسانه الجم فلولا انه ختم الامر بعذابهم لامهلهم لاجلك ولما عطف على العلة قوله
مؤكدا اعلاما بانه امر قد انبرم ومضى وانهم اتيهم اي اتيانا ثابتا عذاب غير مردود اي بوجه من الوجوه من احد كائنا من كان والاعراض
الانصراف وحقيقته الذهاب عن الشيء في جهة العرض والرد اذهاب الشيء الى ما جاء منه كالرجع والدفع اعم لانه قد يكون الى جهة القدام
ثم علم مراد الله تعالى فيهم قدمه على مراده ولم ينطق بعده بنت شفة ذكر هذه القصة من التورية قال في السفر الاول وتجلى الله لابرهيم
في مرج وفي نسخة بين بلوط ممرى الاموراني وكان جالسا على باب خيمته اذا اشتد النهار فرفع عينيه فنظر فاذا هو بثلثة رجال وقوف على راسه
فلما راهم احضر اليهم من باب الخيمة وسجد على الارض وقال يا رب وفي نسخة يا ولي الله ان كان لي عندك مودة فلا تبعد عن عبدك حتى اتي
بماء اغسل به ارجلكم واتكئوا تحت الشجرة واصيبوا شيئا من الطعام تقرون به انفسكم ثم حينئذ تجوزون لانكم مررتم بعبدكم بغتة فقالوا
له اصنع كما قلت فاستعجل ابرهيم فاحضر الى الخيمة الى ساره وقال اعجلي بثلثة اصع من درمك وفي نسخة دقيق سميذ فاعجنيه واخبزي
منه مليلا وسعى الى قطيع البقر فاخذ عجلا سمينا شابا فدفعه الى الغلام وامر بتعجيل صنعته واحضر سمنا ولبنا والعجل الذي صنع له ايضا
فقربه اليهم وكان هو واقفا بين ايديهم تحت الشجرة وقالوا له اين ساره امراتك فقال هي في الخيمة فقال له اني ارجع اليك في مثل هذا الحين
من قابل وهي في الحياة ولها منك ابن فسمعت ساره وهي على باب الخيمة مستترة وكان هو خلفها وكان ابرهيم وساره قد شاخا وقدم
سنهما وانقطع عن ساره سبيل النساء فضحكت ساره في قلبها امن بعد ما بليت ارجع شابة وسيدي قد شاخ فقال الله لابرهيم لم ضحكت
ساره وقالت انى لي بالولد وقد شخت ايعسر هذا على الله اني ارجع اليك في هذا الحين من قابل وهي حية ولها ابن فجحدت ساره و
قالت ما ضحكت لانها فزعت فقال لا ولكنك قد ضحكت ثم قام الرجال وتعمدوا طريق سدوم وعامورا وانطلق معهم ابرهيم ليشيعهم وقال الله
ايكتم عن عبدي ابرهيم شيئا مما اصنع وابرهيم يكون رئيسا لشعب عظيم كبير وتتبارك به شعوب الارض لاني عالم انه يوصي بنيه واهل بيته
من بعده ان يحفظوا طرق الرب ليعملوا بالبر والعدل لان الرب يكمل لابرهيم جميع ما وعده به فقال الرب لابرهيم لقد وصل الي حديث
سدوم وعامورا وقد كثرت خطاياهم جدا نحو الى القوم ومضوا الى سدوم وكان ابرهيم بعد واقفا قدام الرب فدنا ابرهيم وقال
يا رب تهلك الابرار مع الفجار بغضب واحد ان كان في القرية خمسون بارا اتهلكهم بغضب واحد حاشاك يا رب ان تصنع هذا الصنع
وتهلك البر مع السقيم ويكون البري بحال السقيم حاشاك يا حاكم الارض كلها لا يكون هذا من صنيعك فقال الرب ان وجدت بسدوم
خمسين بارا في القرية عفوت عن جميع البلد من اجلهم فاجاب ابرهيم وقال اني قد بدات بالكلام بين يدي الرب وانما انا تراب ورماد
فان نقص من الخمسين بار خمسة تخرب القرية كلها من اجل الخمسة فقال لا اخربها ان وجدت بها خمسة واربعين بارا فعاد ابرهيم وقال له فان
وجدت فيها اربعون قال لا اخربها ان وجدت فيها اربعين فقال لا يغضب الرب كلامي فاني متكلم فان كان هناك ثلثون قال لا اخربها ان وجدت
فيها ثلثين فقال اني قد امعنت في الكلام بين يدي الرب فان وجدت بها عشرون فقال لا اخربها من اجل العشرين فقال لا يشتد على الرب فاني متكلم
هذه المرة يا رب فقط فان وجدت بها عشرة رهط فقال لا افسدها من اجل العشرة فارتفع استعلان الرب عن ابرهيم لما فرغ ابرهيم
من كلامه ورجع ابرهيم الى موضعه انتهى وقد مضى امر حبل ساره وولادها في البقرة ولما انقضى امر ابرهيم ببشارة الاولياء وهلاك
الاعداء وعلم من ذلك انهم لا ينزلون الا بالامور الهائلة والاحوال المعجبة اخذ يقص امرهم مع لوط عليه السلام فقال عاطفا على ما تقديره ففعلوا
مع ابرهيم ما ذكر ثم فارقوه نحو لوط ولم يذكر الحرف المصدري لان السياق ومقصود السورة لا يقتضي ذلك كما اشير اليه في العنكبوت
ولما جاءت رسلنا على ما لهم من عظمتنا لوطا بعد انفصالهم عن ابرهيم عليه السلام وبين البلدين ثمانية اميال وقيل اربعة فراسخ

استضافوه فلم يجد بتمام قبولهم على ما اوصى الله بالضيف مطابقا لعوائد اهل المكارم فقبلهم وازمع المقاتلة عنهم لما راى من حسن
اشكالهم ورونق جمالهم مع ما يعلم من قبيح افعال قومه وخبث سرائرهم ولما جاوه على هذه الصفة سيء بهم اي حصلت لهم المساءة بسبب
مجيئهم الى قريته لما يعلم من لوم اهلها والتعبير عن هذا المعنى بالمبني للمفعول اخصر واوقع في النفس وارشق وضاق بهم ذرعا
اي ذرعه اي اتساعه في كل قوة او فيهما وهو مثل يقال للمرء لم يجد من المكروه مخلصا ومادة ذرع باي ترتيب كان تدور على الاتساع
لانه لا يذرع الا الكثير ومن ذرع الرمل اتسع وموذريع فاش والمذرع الذي امه عربية وابوه غير عربي فهو اكثر انتشارا ممن
انحصر في احدهما والذريعة ما يختل به الصيد فهو يكبر له الامل ما يحمله على الاقدام وحلقة يتعلم عليها الرمي لانها تتسع
السهم ولا تضيق بابه الامر فصناعة الرمي والوسيلة لانها توصل المتوسل والذرع الخوف لاتساع الفكر فيه وتجويز ادنى
احتمال والعذر ايساع الحيلة على وجه يزيل ما ظهر من التقصير من العذرة والمجاز الواسع الخوف هو ايضا الملام لسعته والعذار
اوسع ما في الوجه واعذرت الغلام ختنته اي وسعت كمرته والاعذار لطعام الختان ونحوه منه وعذرة الجارية موجبة لعذرها
في التفرق للخوف على نفسها والعذرة وجع في الحلق وهو سقوطه حتى يخرج كانه شبه بعذرة البكر في شدة الحلق مما يوجب الخوف
وكذا العذرة للناصية لبذل الجهد في المدافعة عنها والعذراء نجم اذا طلع اشتد الحر فاتسع بسط الارض والعذرة بفتح ثم كسر فناء
الدار وبه سمي الحدث والعذر اشياء حديد يعذب الارض لما انه سمي لانه يوسع الخوف مما يجب ما يوجب الاعتذار ولا تزال بالبلد الجدبة
بكر لا يجد من يعذرها واما عذر بالتشديد اذا قصر فهو للسلب اي فعل ما لا يجد له عذرا وكذا تعذر الامر صعب يعني انه
تجنب العذر فلم يبق لسهولته وجه واعذر اذا كثرت عيوبه اي دخل فيما يطلب له العذر كما تجد ولما ذكر حاله ذكر قاله دلالة وقال
اي لوط عليه السلام هذا اي اليوم يوم عصيب اي شديد جدا لما اعلم من جهالة من انا بين ظهرانيهم وهو مشتق من العصب وهو اطناب
المفاصل وروابطها ومداره على الشدة وجاءه قومه اي الذين فيهم قوة المحاولة يهرعون اليه اي كانهم يحملهم على ذلك حامل لا
يستطيعون دفعه اليه اي في غاية الاسراع فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه فهو يضطرب لذلك او لاجل الرعب من لوط او من الملائكة
ولما كان وجدانهم فكيف عصيانهم لم يستغرق زمن القبل ادخل الجار فقال ومن قبل اي قبل هذا المجيء كانوا اي جبلة وطبعا يعملون
اي مع الاستمرار السيئات اي الفواحش التي تسوء غاية المساءة فضروا بها ومرنوا عليها حتى زال عنهم استقباحها فهو يعرف
ما يريدون وكانهم كانوا لا يدعون ملتجيا ولا يخرجون عن الغرباء يخلد الكلم بذكر ان الرسل عليهم السلام كانوا على هيئات المرد الحسان ولا قدم الذكر
في قصتهم في موضع من المواضع فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال يا قوم مستعطفا لهم هؤلاء بناتي حاديا لهم الى الحياء والكرم
ولما كان تقييدا ما يفعل بهن قال هن ولما كان في مقام المدافعة باللين قال ارخاء للعنان في تسليم طهارة ما يفعلونه على زعمهم
مشيرا بلطافة الى خبث ما يريدونه اطهر لكم وليس المراد من هذا حقيقته بل تنبيه القوم على انهم لا يصلون اليهم الا ان يصلوا
الى البنات لان الخزي فيهما على حد سواء او في الضيف اعظم ومثل هذا ان يشفع الانسان فيمن يضرب فاذا عظم الامر القى نفسه عليه فصورته
انه فعله ليقيه الضرب بنفسه ومعناه احترامه باحترامه وعلى هذا يدل قوله في الاية الاخرى ان كنتم فاعلين وهنا قوله فاتقوا الله
اي الملك الاعظم في هذا الامر الذي تريدونه ولا تخزون اي توقعوا بي الفضيحة التي فيها الذل والهوان والعار في ضيفي اذ لا يشك
ذو مسكة من مروءة ان التقوى اذا حصلت منعت من الامرين وان الخزي على تقدير عدمها في البنات اعظم لانه عار لازم للخزي ولم البنات
للاب وكل هذا دليل على انه لا يشك انهم بشر ولم يلم بخاطره انهم ملائكة ثم هو تنبيه للكفار على انه لا ينتفع بانزال الملائكة الا الباد
الرشد التابع للحق ثم انكر اشد الانكار حالهم في انهم لم يكن منهم رشيد حثا على الاقلاع عن الغي ولزوم سبيل الرشد فقيل أليس منكم
رجل اي كامل الرجولية رشيد اي كامل الرشد ينهاكم عن هذا القبيح فلم يكن فيهم ذلك الرجل قالوا لقد علمت اي يا لوط بجريان الكلام على
حقيقته غير معرجين على ما كنى به عنه ما لنا في بناتك وعبر بما افهم التي فقالوا من حق اي حاجة ثابتة ولم يريدوا به ضد الباطل

لان البنات

لان البنات والضيف في نفي حقهم عنهم فيه سواء واكدوا معلمين بما لهم من الرغبة في الفجور وقاحة وجراءة فقالوا وانك لتعلم اي علما
لا شك فيه ما نريد وهو اتيان الذكور للتطارف والتظرف تخلوا عن البنات على الحقيقة خبثا منهم وشرعوا يبنون معنى ذلك بوقاحة وعدم مبالاة
بالعظائم فاخبر تعالى عن قوله لهم على طريق الاستيناف بقوله قال اي متمنيا ان يكون له بهم طاقة ليردوا ما يصنعون من الايقاع بهم منفجعا على فوات ذلك
لو ان لي بكم اي في دفعكم قوة بنفسي او لو اني آوي من الاعوان والانصار الى ركن شديد اي جماعة هم كالركن الموصوف بالشدة تحول بينكم وبين ما
جئتم له وحذف الجواب ابلغ لذهاب النفس فيه كل مذهب واسوء ما يظن من كرهه لصاحبه والعصيب الشديد في الشر خاصة كانه التف شره والقوي خاصة
يمكن ان تقع بها الفعل وان لا يقع والركن معتمد البناء بعد الاساس والركن هنا من هو مثله والشدة تجمع يصعب منه الامكان وصيغة الركن
بالشدة وهو يتضمنها تاكيد يدل على ان قومه كانوا في غاية القوة والجلادة وانه كان يود معاجلتهم لو قدر وذلك ان مادة ركن بكل
ترتيبها تدور على الرزانة من ركن بالضم بمعنى رزن ويلزمها القوة ومنه الركن الجانب الاقوى والامر العظيم وما يتقوى به من ملك
وجند وغيره والعز والمنعة ومن ذلك النكر بالضم للدهاء والفطنة والنكر المنكر والامر الشديد وما يخرج من الزحير من دم
او قيح ونكر الامر صعب وطريق منكور على غير قصد والمنكر ضد المعروف لان الشيء اذا جهل صعب امره وتناكر القوم تعادوا او
التنكر التغير من حال تسر الى حال تكره والمكان المكين المتحدث الضخم اسم ويلزم الرزانة ايضا الميل والسكون ومنه ركن اليه بالفتح مال
وسكن وركن بالمنزل بالكسر اقام والكنارة بالكسر والتشديد المشقة من ثياب الكتان لانه يمال اليه لبهجته وكذا الكنارات العيدان
والطبول والكران ككتاب للعود او الصنج او يكون ذلك من الشدة لقوة اصواتها والله اعلم فلما عظم الشقاق وضاق الخناق
كان كانه قيل فما قال الرسل فقيل قالوا ولو بحرف النداء الموضوع للبعد على انه كان قد خرج عن الدار واغلق بابها او ان الصياح
كان شديدا يا لوط انك لتاوي الى ركن شديد ثم عللوا ذلك بقوله انا رسل ربك اي المحسن اليك بالجميع كما ترى مما يسوءك
ويسرك ثم لما ثبت له ذلك كان من المحقق انه ينبغي ان لا يوانيه معهم سوء فاوضحوا بقولهم لن يصلوا اليك من غير احتياج الى
الربط بالفاء اي ونحن مهلكوهم وقالوا مثم بهم فاسر اي سر بالليل ماضيا باهلك موقعا ذلك السير والاسراء بقطع
اي طائفة من الليل اي الحال انه قد بقي عند خروجك جانب من الليل ولا يلتفت اي ينظر الى ورائه ولا يتخلف منكم احد اي لا تلتفت انت
ولا تدع احدا من اهلك يلتفت الا امراتك استثناء من احد بالرفع والنصب لان المنهي كالمنفي في جواز الوجهين والنهي له
صلى الله عليه وسلم في الفعل بالنسبة اليه نهي بالنسبة اليهم منفي فيمكن ان يكون خرج بها معه لان معنى الاستثناء انه غير مامور
بالاسراء بها لا انه منهي عنه واستثناؤها من الالتفات مفهم انه لا حجر عليه في الاسراء بها وانه خلفها فتبعتهم فيكون قراءة النصب
من اهلك وقراءة الرفع من احد ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل مخالفتها للمستثنى منه في عدم النهي لذلك عللوا اما فهم
دهم الهاء من الاسراء والنهي انها تلتفت بقولهم موكدين لان تعلق الامل بنجاتها رحمة لها شديد انه اي الشان مصيبها لا محالة
ما اصابهم سواء التفتت او تخلفت او لا ثم ظهر لي ان التعبير في حقها باسم الفاعل وفي حقهم بالماضي انه حكم باصابة العذاب
لهم عند هذا القول للوط عليه السلام لان ذنوبهم تمت واما هي فاستمر الحكم بذلك في حقها عند تمام ذنوبها التي رتب عليها
الاصابة وذلك عند الالتفات ولما عبروا بالماضي تحقيقا للوقوع وتنبيها على انه تقدم دخولها معهم في اسباب العذاب كان
منبها لانه لما كان الايقاع بهم قريبا جدا فقيل نعم واكدوا تحقيقا للوقوع تلذذا به ولانه لقرب الوقت بحيث ينكر
ان موعدهم اي ابتداء الاخذ الصبح وكان لوط عليه السلام بطا في جمع اهله وما يصلحهم فكان فعله فعل من يستبعد الصبح فانكروا ذلك
بقولهم أليس الصبح بقريب اي فاسرع الخروج بمن امرت بهم والاسراء سير الليل كالسرى ولما انقضى تسكين لوط والتقدم اليه فيما
يفعل اخبر تعالى عن قومه فقال فلما جاء امرنا بالفاء لما مضى في قصة صالح عليه السلام من التسبيب والتعقيب ان خرج منها لوط
باهله جاءها امرنا ولما جاء امرنا الذي هو عذابنا او الامر به جعلنا بما لنا من العظمة عاليها اي عالي مدنهم وهم فيها

سافلها وامطرنا عليها اي على مدنهم بعد قلبها لمن كان خارجا منها ولم يكن في سورة الحجر الا ايمانه هنا بمقتضى دون ضميرهم **حجارة من سجيل**
اي مرسلة من مكان هو في غاية العلو **منضود** بالحجارة هي فيه متراكبة بعضها على بعض حال كونها **مسومة** اي معلمة بعلامات تدل على
انها معدة للعذاب من السما والسومة هي العلامة تجعل للابل السائمة لتتميز اذا اختلطت في المرعى وقال ابن كثير حجارة من طين وذلك
ان الحجارة اصلها تراب يجعل الله فيه بواسطة الماء قابلية الاستحجار كما جعل فيه قابلية التحول الى المعدن من الذهب والفضة والحديد
وغيرها فباعتبار اصله هو طين وباعتبار اوله حجر وكبريت ونار ولعل حجر الكبريت اثقل الحجارة مع ما فيه من قوة النار وفيح الريح
ثم فخمها بقوله **عند ربك** وعبر بالرب اشارة الى كثرة احسانه اليه صلى الله عليه وسلم وانه انما امره صلى الله عليه وسلم بالانذار رحمة
لامته التي جعلها خير الامم ويجعلها اكثر الامم ولا يهلكها كما اهلكهم ومادة سجل بأي ترتيب كان تدور على العلو من الجلوس لما ارتفع
على الغور وهو النجد ويلزم منه الغلظ والعلو ومن الغلظ الجلس للغليظ من الارض والجمل الوثيق ويلزم العلو التقويب ومنه جلس اذا
قعد والسجل الدلو العظيمة ويكون غالبا في مقابلة اخرى كلما نزلت واحدة طلعت الاخرى فتاتي المساجلة والسجل بالكسر من الاسم
الكتاب لانه يذكر فيه ما يكون من المفاخرة والمغالبة وسلج الطعام بلعه والسلجانيات رخوية سمي بذلك لانه انفصاله تاخذ الى الفعل
نجادته وقد دل على هذا المعنى في هذه الآية بثلثة اشياء الامطار ولفظ على وسجيل ولما كان المعنى انها من مكان هو في غاية العلو ليعظم
وقعها حسن كل الحسن اتباع ذلك قوله **وما هي** على شدة بعد مكانها **من الظالمين** اي من احد من العرب في الظلم في ذلك الزمان ولا فيما
ولا زمن من الازمان **ببعيد** لئلا يتوهم الاحتياج في وصولها الى المرمي بها الى زمن طويل ذكر هذه القصة من التوراة قال في السفر الاول
بعد ما مضى في قصة بشرى ابرهيم فاتى الملكان الى سدوم عشاء وكان لوط جالسا على باب سدوم فنظر اليهما لوط فتلقاهما وخر على
وجهه ساجدا على الارض وقال اطلب اليكما يا سيدي ان تميلا الى منزل عبدكما فتبيتا فيه واغسلا اقدامكما وانطلقا في طريقكما فقالا كلا
ولكنا نبيت في السوق فالح عليهما لوط الحاحا شديدا فانصرفا معه ودخلا منزله فاعد لهما طعاما ومن قبل ان يناما اذا اهل قرية
اهل سدوم قد احاطوا بالباب من الفتى الى الشيخ جميع الشعب باسره فدعوا لوطا وقالوا له اين الرجلان اللذان اتياك ممسيين
فنعرفهما فخرج لوط اليهم واغلق الباب خلفه وقال لهم لوط لا تسيئوا بي يا اخوة هذان لي ابنتان لم يمسهما رجل
اخرجهما اليكم فاصنعوا بهما ما حسن في اعينكم ولا تركبوا من هذين الرجلين شيئا لانهما ولجا ظلال بيتي فقالوا له تنح عنا ان
واحدا اتى ليسكن بيننا فصار يحكم بيننا فالان نسيء اليك اكثر منهما فجاهروا لوطا القوم جدا فدنوا ليكسروا الباب فمد الرجلان
ايديهما فادخلا لوطا اليهما الى المنزل ثم ان القوم الذين كانوا بالباب ضربوا بالعشا من كبيرهم حتى صغيرهم فاعيوا في طلب الباب فقال
الملكان للوط ما تصنع ههنا اعمد الى اختانك وبنيك وبناتك وجميع ما لك في هذه القرية فاخرجهم من هذه البلد لانا نريد
الخسف بالبلدة لان افعالهم وخبث صنيعهم قد بلغ الرب فارسلنا الرب لنفسدها فخرج لوط وكلم اختانه وازواج بناته وقال لهم
قوموا فاخرجوا من هذه القرية فان الرب مزمع لخرابها وكان عند اختانه كالمستهزئ بهم فلما كان عند طلوع الصبح الح الملكان على لوط وقالا له
قم فاخرج امراتك وابنتيك اللتين معك لكيلا تبتلى بخطايا اهل هذه القرية فابطا لوط فاخذ الملكان بيده وبيد امراته
وابنتيه لان الله رحمه وصيراه خارجا عن القرية فلما اخرجاهم خارجا قالا له انج بنفسك ولا تلتفت الى خلفك ولا تقف
في شيء من جميع القاع والنجي الى الجبل وخلص نفسك فقال لهما لوط اطلب اليكما يا سيدي ان ظفر الان عبدكما برحمة ووافقه وكثرت نعما كما
الى لتحيى نفسي لست اقدر ان انجو الى الجبل لعل الشر يعتفني فاموت وهذه القرية هي قريبة للهرب اليها وهي صغيرة انا اذن ان
لي اهرب اليها لانها حقيرة فلتحيا نفسي فقال له قد شفعتك في هذه ايضا فلا اقلب هذه القرية التي قلت اسرع فنج نفسك
الى هناك لانا لسنا نقدر ان نعمل شيئا حتى تدخلها ولذلك سميت تلك القرية صاغار وفي نسخة زغر فشرقت الشمس على الارض
وقد دخل لوط صاغار وفي نسخة زغر فاهبط الرب على سدوم وعامورا نارا وكبريتا من بين يدي الرب من السماء فقلب هذه

القرى

القرى والقاع باسره واهلك جميع سكانها وجميع من فيها وجميع نبت الارض فالتفتت امراته الى خلفها لتنظر فصارت نصبة ملح فادلج
ابرهيم باكرا الى الموضع الذي كان يقف فيه بين يدي الرب فتبصر نحو سدوم وعامورا والى جميع ارض القاع فنظر فاذا دخان القرية
يرتفع كدخان الاتون وفيما خسف الله قرى القاع ذكر الله ابرهيم فارسل لوطا من الهلاك فيما اذ قلب الله القرى التي كان نزلها لوط
فطلع لوط من صاغار وفي نسخة زغر فسكن الجبل هو وبنتاه معه لانه تخوف ان يسكن صاغار فجلس في مغاره ولما انتهت القصة
معلمة بما قام به لوط عليه السلام من امر الله غيرة وانه فيه لرغبة ولا رهبة وبما في انزال الملائكة من الخطر اتبعت اقرب القصص الشهيرة اليها في
الزمن فقال تعالى **والى** اي ولقد ارسلنا الى **مدين** وهم قبيلة ابوهم مدين بن ابرهيم عليه السلام **اخاهم شعيبا** ثم اتبع ذلك ما قال لهم
فقيل **قال** ما قال اخوانه من الانبياء في البداءة باصل الدين **يا قوم** مستعطفا لهم مظهرا لغاية الشفقة **اعبدوا الله** اي الملك الاعلى
غير مشركين به شيئا لانه واحد **ما لكم** واغرق في النفي فقال **من اله غيره** فلقد اتفقت كما ترى كلمتهم واتحدت على الله وحده دعوتهم
وهذا وحده قاطع الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعا من تباعد اعصارهم وتنائي ديارهم وان بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف اخبار الناس
الا من الحي القيوم قال الامام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي في كتابه رشف النصائح الايمانية وكشف الفضائح اليونانية في ذكر الانبياء
اتخذت مصادرهم كانهم بنيان مرصوص عبروا بالسنة مختلفة تنتهي الى بحر متصل بالقلوب متخيرها يستمد من البحر المحيط بعالمي الشهادة والغيب قال
واختلفت الموارد من الشرائع بحسب ما اقتضت الحكمة الالهية من مصلحة اهل كل زمان وكل ملة فما ضر اختلافهم في الفروع مع اتحادهم في الاصول
قبل ذلك ان الفلاسفة لما لم يغترفوا من بحار الانبياء وقفت بهم افهامهم في عالم الشهادة فلما حاولوا الخوض في الالهيات انكشفت عورة
جهلهم وافتضحوا باضطرابهم واختلافهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى انقطع بهم سير الفكر في منتهى عالم الملك والشهادة ولم يزل اسكندر نظرهم
في ظلمات عالم الغيوب حتى يظفروا بعين الحيوة التي من شرب منها لا يموت انتهى ولما دعا الى العدل فيما بينهم وبين الله دعاهم الى العدل فيما بينهم وبين عبيده
في اقبح ما كانوا قد اتخذوه بعد الشرك ديدنا فقال **ولا تنقصوا** اي بوجه من الوجوه **المكيال والميزان** لا الكيل ولا آلته ولا الوزن ولا آلته وكل
تعديل الشيء بالالة في القلة والكثرة والوزن تعديله في الخفة والثقل فالكيل للعدل في الكمية والوزن للعدل في الكيفية ثم علل ذلك بقوله **اني اراكم**
بخير اي بسعة تغنيكم عن البخس رغبا ورهبا بالاشارة الى ان الكفر موجب للنقمة كما ان الشكر موجب للنعمة ولما كان نقيضا قال فاني اخاف عليكم
الفقر بالنقص عطف عليه مؤكدا لانكارهم **واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط** بكم صغارا وكبارا وباموالكم طيبا وخبيثا اي مهلك
اهلكم لو اميط بثمره ولصلة اماطة العدو ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ لانه محيط بما فيه من عذاب وغيره والعذاب محيط بالمعذب فذكر
المحيط بالمحيط الهول وهو الدائر بالشيء من كل جانب وذلك يكون بالتقاء طرفيه والنقص اخذ شيء من المقدار كما ان الزيادة ضم شيء اليه وكلاهما
خروج عن المقدار بعد الاحاطة ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما لم ينقص قوم المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور
السلطان عليهم ولم يمنعوا زكوة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولما كان عدم النقص قد يكون بمجرد التقريب اتبعه ما ينفي هذا
الاحتمال وللتنبيه على انه لا يكفي الكف عن تعمد التطفيف بل يلزم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى بدونها ولان التصريح بالامر بالشيء بعد النهي
عن ضده اوكد فقال مستعطفا لهم بالتذكير بانه منهم يسوءه ما يسوءهم وبانهم لما عطلهم الله من القوة جديرون بان يعرضوا عن تعاطي سفساف الاخلاق
ورذائلها **ويا قوم** اي الذين لهم قوة في القيام فيما يحاولونه **اوفوا** اي اتموا اتماما حسنا **المكيال والميزان** اي الكيل والوزن والتهما
واكده بقوله **بالقسط** اي العدل السوي فصار الوفاء مامورا به في هاتين الجملتين مرارا تاكيدا له وحرصا عليه واظهارا للعموم نفعه و
شمول بركته قرن بالمجموع توهم المجاز على ابلغ وجه وقد مضى في الانعام ويأتي في هذه السورة عند غير منقوص ان الشيء يطلق
مجازا على ما قارب ثم اكده ايضا بتعميم النهي عن كل نقص بذلك وغيره في جميع الاموال فقال **ولا تبخسوا** اي تنقصوا على وجه
التجبر والاهانة **الناس اشياءهم** ثم بين افعالهم ثمرة الهجوم عن فكر لانها ليست ناشئة عن شرع فاولها لطافة واخرها
فسادا فقال **ولا تعثوا في الارض** اي تتصرفوا وتضطربوا فيها عن غير بصيرة ولا تامل حال كونكم **مفسدين** اي فاعلين

ما يكون فسادا في المعنى كما كان فسادا في الصورة فهو دعا إلى تقويم التامر والتردي على كل فعل وذلك ان مادة عثى بكل ترتيب
دائرة على الطلب من غير بصيرة من العيثة للارض السهلة فانها لسهولتها يغتر بها فيسلكها الغبي بلا دليل فيأتي الخفاء والجهل
ومنه التعبيث لطلب الشيء والأعثى الأحمق الثقيل ولون إلى السواد والكثير الشعر ويلزم ذلك اتباع الهوى فيأتي الافساد
والمسارعة فيه وذلك هو معنى العثي والأئمة اللغة عثى وعاث افسد وفي مختصر العين للزبيدي عثى في الارض بمعنى عاث يعيث
عيثا وهو الاسراع في الفساد فالمعنى على ما قال الجمهور لا تفعلوا الفساد عمدا وهو واضح وعلى ما قررته من أصل المعنى الذي
هو المدار أوضح وعلى ما قال الزبيدي ولا تسرعوا فيه فلا يظن أنه يكون الاسراع حقيقيا حتى ينصب النهي إليه بل هو اشارة إلى أنه
لا يكون إلا قيام بالاثام إلا كذلك عملا بهيمية للشهوة والعلم والوفاء تمام الحق والبخس النقص فهو أخص من الظلم لانه
وضع الشيء في غير موضعه ولما كان نظرهم بعد الشرك مقصورا على الأموال وكان نهيه عما نهى عنه موجبا لمحقها في زعمهم
كانوا كأنهم قالوا انا اذا اتبعناك فيما قلت فنيت أموالنا أو قلت فتضعضعت أحوالنا فلا يبقى لنا شيء فقال **بقيت الله**
أي فضل الملك الأعلى المحيط بصفات الكمال من بركة حق في أموالكم وجميع أحوالكم وإبقاؤه عليكم ونظره لكم وإليكم الموجب لعفوه
الذي هو ثمرة اتباع أمره **خير لكم** فيما تظنونه زيادة بالنقص والظلم وذلك أن بقية الشيء ما فضل منه وتكون أيضا بمعنى
البقيا من أبقى عليه يبقى إبقاء واستبقيت فلانا اذا عفوت عن ذنبه كان ذلك الذنب لعجب فناء ودّه أو فنائه عندك فاذا
استبقيته فقد تركت منه ما كان وجب ويقولون ارعك تبقي هذا ببصرك اذ كما ينظر اليه قاله الامام أبو عبد الله القزاز في ديوانه
الجامع وسيأتي في آخر السورة بيان تمام ذلك عليه المادة ولما كانت خيرية ما يبقيه العدل من الظهور بمحل لا يخفى على ذي لب تركها
وبين شرطها بقوله **إن كنتم** أي جبلة وطبعا **مؤمنين** أي مخلصين في الإيمان اشارة إلى أن خيريتها لغير المؤمن مبنية على غير
أساس فهي غير محمية إلا في الدنيا فهي عدم لسرعة زوالها المتزوع عنها وارتحال العدل الواو العاطفة على غير مراد كونه
ان المعنى فآمنوا فاعلمين ما أمرتكم به لمنتفعوا بالخير فإنما أنا نذير **وما أنا** وكرر ما متوهمون نجح قصد كره تعالى نافيا له فقال
عليكم وأغرق في النفي **بحفيظ** أعلم جميع أعمالكم وأقدر على كفكم عما يكون منها فسادا ولما كان حاصل ما دعاهم إليه ترك
ما كان عليه اباؤهم من السفه في حق الخالق بالشرك وفي الخلائق بالخيانة وكان ذلك الترك عندهم قطيعة وسفها كان ذلك
محك العقول ومحز الآراء يعرف به نافرها من حاجرها فكأنه قيل ما قالوا فقيل **قالوا يا شعيب** سموه باسمه جفاء
وغلظة وانكروا تعظيما بصلاته **أصلواتك تأمرك** أي يفعل معك فعل من يأمر دائما بتكليفنا **أن نترك ما يعبد**
أي على سبيل المواظبة **آباؤنا أو** نترك **أن نفعل** أي دائما **في أموالنا ما نشاء** من قطع الدرهم والدينار وإفساد
المعاملة والمقامرة ونحوها مما يكون أمثالنا الملأ يعنون أن ما تأمرنا به لا يمشي على منهاج العقل فما يأمرك به إلا
ما تراك تفعله من هذا الذي تسميه صلوة أي أنه وادخلك الصلوة ومادة صلا واوية ويائية مهموزة وغير مهموزة
بجميع تقاليبها تدور على الوصلة فالصلاة لصلة العبد بربه وكذا الدعاء والاستغفار وصلوات اليهود كنائسهم الأدنى
بجمعهم والصلا وسط الظهر ويجمعه وما حول الذنب أيضا والمصلي من الخيل التابع للسابق وصال الفحل اذا حمل على العانة
والصو الرجل ولصيته عتبه كأنك ألصقت به العيب والوصلة واضحة في ذلك وكأنها الحقيقة التي تفرعت منها جميع معاني
المادة وسيأتي شرح ذلك عند قوله تعالى بالغدو والاصال في سورة الرعد إن شاء الله تعالى فمعنى الآية حينئذ أما تعانيه من الصلوات
الحقيقية ذات الأركان والمعنوية من الدعاء والاستغفار وجميع أفعال البر الحاملة على أنواع الوصل الناهية عن كل قطيعة
تأمرك بمجاهرتنا إلا بائنا بالقطيعة مع تقرر حضورهم ومشاهدتهم لما نفعل مما يخالف أغراضهم وبترك التنمية لأموالنا
بالنقص وهو مع مخالفة أفعال الآباء تبذير فهو سفه فدارت شبهتهم في الأمر بني على تقليد الآباء وتنزيههم عن الغلط

لاحتمال

لاحتمال ان يكون لافعالهم وجه من الصواب خفي عنهم وزاد في الأموال يظن التبذير فقد صرحت بمعانيها إلى كمال الأمر بين حد داعيا
إلى ضد ما أنت متلبس به **إنك** إذن **لأنت** وحدك **الحليم** في رضاك عما يغضب منه ذوو الأحلام **الرشيد** في تضييع
الأموال التي يبقون بها أرادوا عموا اسلحة من كل ما هو متصف به دونهم من هاتين الصفتين الفائقتين بما خيل إليهم سفههم أنه دليل
عليه قاطع وهو أبين لك نسبته إلى السفه والغي على طريق التهكم ولما تموه بالقطيعة والسفه شرع في إبطال ما قالوا ونفى
التهمة فيه وأخرج مخرج الجواب لمن كأنه قال ما أجابهم به فقيل **قال يا قوم** مستعطفا لهم بما بينهم من عواطف القرابة منبها لهم
على حسن النظر فيما يأتي على سبيل الفرض والتقدير ليكون أدعى إلى الوفاق والانصاف **أرأيتم** أي أخبروني **إن كنت** أي كونا هو غاية
الثبات **على بينة** أي برهان **من ربي** الذي احسن إلي بما هو حسنا إليكم وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله
ورزقني وعظم الرزق بقوله **منه رزقا حسنا** جليلا أي لا جماحلا لا ظلم فيه أحدا ولا بخس وفق لتزهيد
النفس فيه كل مذهب ويمكن أن يقال فيه هل يسع عاقلا أن ينسبني إلى السفه بتبذير المال بترك الظلم أو ينسبني إلى الحلم بمحو غضب
غيرهم وأترك عاكم إلى الله فعرفوا بأن هذا الذي أمرتكم بما يسوءكم من ترك ما ألفتم وتعرضت لغضبكم كلكم وتركت مثل أفعالكم
الأخروية غضبه وجاء لرضاه فظهر أن لا تهمة في شيء من أمري ولا خطأ ما فعلت بشيء ما نهيتكم عنه فيما مضى **وما أريد**
أي في وقت من الأوقات في المستقبل **أن أخالفكم** أي بأن أذهب جاهدا **إلى ما أنهاكم عنه** بنقص ما لي بترك مثل أفعالكم فهو
ارشاد إلى النظر في باب ٭ لا تنه عن خلق وتأتي مثله ٭ عار عليك إذا فعلت عظيم ٭ فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ٭
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم ٭ وقد نبه بهذه الأجوبة الثلاثة على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتي ويذر أحد حقوق ثلاثة
أهمها وأعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق العباد على وجه الإخلاص في الكل فثبت ببعده عن التهمة مع سداد الأفعال
والمقاصد حكمه صلى الله عليه وسلم ورشده فلذلك أتبعه ما تضمن معناه مصرحا به فقال **إن** أي ما **أريد** شيئا من
الأشياء **إلا الإصلاح** وأقر بالعجز فقال **ما استطعت** أي مدة استطاعتي للإصلاح وهو كما أردت فإن ما كنتم مع اجتنابي
ما أنتم عليه صالح ليس يوهن مال أحد منكم فعلم مشاهدة أن لا تبذير في العدل وأما التوحيد فهو مع انتفاء التهمة عني فيه دعاء
إلى القادر على كل شيء الذي لا خير إلا منه ولا محيص عن الرجوع إليه ثم تبرأ من الحول والقوة وأسند الأمر إلى من هو له فقال
وما توفيقي أي فيما استطعت من فعل الإصلاح **إلا بالله** أي الذي له الكمال كله ثم بين أنه لا أهل لأن يرجى غيره إشارة إلى محض التوحيد
الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ فقال **عليه** أي وحده **توكلت** ولما طلب التوفيق لإصابة الحق فيما يأتي ويذر من الله وكان
الاستعانة به في مجامع أمره وأقبل عليه بكليته وحسم أطماع الكفار عنه وأظهر الفراغ عنهم وعدم المبالاة بهم وكان
في قوله ما استطعت إقرار بأنه محل التقصير أخبر بأنه لا يزال يجدد التوبة لعظم الأمر وعبر عن ذلك بعبارة صالحة للتحذير من
يوم البعث تهديدا لهم فقال منبها على معرفة المعاد المكمل للإيمان بالله واليوم الآخر **وإليه** أي خاصة **أنيب** أي أرجع معنى
بتيسير التوبة وحسا بنفسي بالبعث بعد الموت والتوفيق خلق قدرة ما هو وفق الأمر من الطاعة من الموافقة للمطابقة والتوكل
على الله تفويض الأمر إليه إلى الرضاء بتدبيره مع التمسك بطاعته ولما بين لهم عذره عما اتهموه به تهمة اتبعه بما يدلهم على أن
الحق واضح لهم في وضوح حالهم لم يبق معه إلا المعاندة فحذرهم عواقبها وذكرهم أمر من أذكرهم بها فقال **ويا قوم** وأعز الناس علي
لا يجرمنكم أي يحملنكم **شقاقي** أي شقاقكم لي على **أن يصيبكم** من العذاب **مثل ما** أي العذاب الذي **أصاب قوم نوح**
بعد طول أعمارهم وتمادي اقطارهم **أو قوم هود** على شدة أبدانهم وتمادي أمانيهم **أو قوم صالح** مع نحتهم البيوت من الصخر
وتشييدهم عوالي القصور ولما كان للمقارنة أثر في المشاكلة والكتابة غير الاسلوب تعظيما للتهويل فقال **وما قوم لوط** على
قبح أعمالهم وسوء حالهم وقوة أحشهم وبلغهم **منكم ببعيد** أي لا في الزمان ولا في المكان فإنهم أجدر الناس بكبر حالهم للاتعاظ بها

وانما قرئ جرم يجرمكم لان ابن القطاع نقل انه يقال اجرمت الرجل حملته على الشيء وقد عزا الرماني تفسيرها بذلك للحسن وقتادة ويجوز
ان تفسر بما تدل عليه المادة من القطع اي لا يقطعنكم شقاقي عن اتباع ما ادعوكم اليه خوف ان يصيبكم وقد جوزه الرماني ولما رجّاهم
اتبعه الترغيب في سياق موذن بانهم لم يبادروا الى الايمان باحد وجهم العذاب بقوله عاطفا لهذا الامر على ذلك الامر المتقدم **واستغفروا
ربكم** اي اطلبوا ستر المحسن اليكم ونبه على علو مقدار التوبة باداة التراخي فقال **ثم توبوا اليه** ثم علل ذلك مرغبا في الاقبال
عليه بقوله **ان ربي** اي المحسن الي بما ترون من الاحسان دنيا ودينا **رحيم ودود** اي بليغ الاكرام لمن يرجع اليه بان يحفظه
على ما يرضاه بليغ التحبب اليه ببراه (؟) واستعطفهم على عادته بقوله يا قوم اشارة الى انه لم يبق لي وقت امن فيه وقوع العذاب
حتى تتعرض فيه باستعطاف فربما كان الامر معجلا من ذلك فاطلبوا مغفرته بالتحلي بها عرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة فتح على بابها
في الترتيب واما التراخي فباعتبار عظم مقدار التوبة وعلو رتبتها لان الغفران لا يحصل بالطلب الا ان اقترن بها هذا الشأن في كل
كبيرة من انها لا تكفر الا بالتوبة وذلك لان الطاعة المفعولة بعدها يكون مثلها كبيرة في جنس الطاعات لان تلك كبيرة في جنس المعاصي
فلا يقوى الطاعة على محوها وتكرر الطاعات يقابله تكرر الجفا (؟) بالاصرار الذي هو بمنزلة تكرير المعصية في كل حال فلما راوه لا ينزع
عنهم ولم يقدروا الكلام على حلو ينجع (؟) قولهم ايأسوه من الرجوع بان انزلوا انفسهم عناد الفهم لهذا الكلام الواضح جدا الى
عداد البهائم وهددوه فاخبر تعالى عنهم بذلك استينافا (؟) فحصوا بمن يقول لهم قالوا بعد هذا الدعاء الحسن بقوله **قالوا يا شعيب**
منادين له باسمه جفاء وغلظة **ما نفقه** اي الان لانا ما نحسن التحمل **كثيرا مما تقول** وان لم يفهم الكثير من الكلام لم يفهم مقصوده
يعنون خفض عليك واترك كلامك فانا لا نفهمه تهاونا به كما يقول الانسان لخصمه اذا نسبه الى الهذيان انا لا ادري ما تقول
ولما كان غرضهم مع العناد قطع الامر خصوا عدم الفهم بالكثير ليكون اقرب الى الامكان وكانهم والله اعلم اشاروا الى ان الكلام غير منتظم فلا
حاصل له والمفهوم موجود في الخارج ولما كان في ذلك اشارة الى انه ضعيف العقل لانه تكلم بمثل كلام المجانين اتبعوه قولهم
وانا لنراك اي رؤية مجردة مستمرة **فينا ضعيفا** اي في البدن وغيره فلا يتعرض لسخطنا فانك لا تقدر على الامتناع
من مكروه يحله بك بقوة عقل ولا جسم ولا عشيرة واشاروا الى ضعف العشيرة بتعبيرهم بالرهط في قولهم **ولولا رهطك
لرجمناك** اي قتلناك شر قتلة فان الرهط من ثلاثة الى العشرة والكثير ما قيل حده اربعون ثم انا عليك تمتنع لضعفك وقلة قومك
وما انت اي خاصة لان ما النفي الحال والحال اختص بالزمان والفعل ان يكون مرتبطا فعلا او شبهه حيث لو ليت الاسم
لا سيما الضمير دل على ان التقديم للاهتمام والاختصاص **علينا بعزيز** تكرير معدود (؟) يقول العزة فلا نا اذ نهابك عندك
وقد بل قومك هم الاعزة عندنا لموافقتهم لنا ولو كان المراد ما عززت علينا لكان الجواب لم اعز وقد تشرفني (؟)
ويصح ان يراد بالعزيز القوي الممتنع ويصير فهامه لامتناع رهطه محمولا على ان المانع لهم موافقتهم لهم لا قوتهم والفقه
فهم الكلام على ما تضمن من المعنى وقد صار اسما لضرب من علوم الدين واصل الرهط الشدة من الترهيط لشدة الاكل ومنه الراهطاء
جحر اليربوع لشدته وتوثقه ليخبا فيه ولده ولما كان تخصيصهم نفي العزة به يفهم ان رهطه عليهم عزة انكر عليهم ذلك في
سياق تهددهم فقال تعالى حاكيا عنه استينافا **قال** اي شعيب **يا قوم** ولم يجعل الامر جذب في استعطافهم بذكر الرحم العاطفة
ارهطي اي اقاربي الاقربون منكم **اعز عليكم من الله** اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما حتى نظرتم اليهم في القرابة بينهم ولم تنظروا
الي في قربي منه بما ظهر علي من كرامة الله **واتخذتموه** اي بما كلفتم به انفسكم مما هو خلاف الفطرة الاولى **وراءكم** اي اعرضتم عنه
اعراض من يجعل الشيء وراءه وحقق معنى الوراء بقوله **ظهريا** اي جعلتموه كالشيء الغائب عنكم المنسي عندكم الذي لا يعبا به ولم
يراقبوه في نسبتي اليه بالرسالة والعبودية ولما كان معنى الكلام لاجل الانكار انكم عكستم في الفعل فلم تعرفوا الحق لاهله
اذ كان ينبغي لكم ان لا تنسوا الله بل تراقبوه في كل اموركم حسن تعليل هذا المفهوم بقوله **ان ربي** اي المحسن الي ولما كان

المراد

المراد المبالغة في احاطة علمه تعالى اعاد الرقم قوله **بما تعملون محيط** من جليل وحقير فهو مقتدر في كل فعل لمن نعاكم على انفاذه وابطاله
فهو محيط بكم لا يرده عن نصرتي منكم والايقاع بكم مراعاة لاحد لعزة ولا قوة بل لكم عنده اجل هو موخركم اليه لانه لا يخشى الفوت
والاتخاذ اخذ الشيء لامر يستمر في المستانف كاتخاذ البيت والمحيط المدير على الشيء كالحائط يحيط بحيث لا يفوته منه شيء ولما ختم
الاية بتهديدهم بما بين ان فقد ينتهم (؟) لعدم الدين بابراهيم ما بهتة من انه لن يطلب لك شيئا من عمله لشيء مما ختلوا به وزاد في
التهديد فقال **ويا قوم اعملوا** اي اوقعوا العمل الكلام ما تريدون قادرين متعلين **على مكانتكم** اي حالكم الذي تتمكنون به من العمل
اني عامل على ما صار لي مكانة اي حالا اتمكن به من العمل لا انفك عنه ما انا عامل من تحذيري لمن كفر وتبشيري لمن امن وقيامي
بكل ما اوجب علي الملك غير هائب لكم ولا خائف منكم ولا طامع في موالاتكم ولا معتمد على سواه ولما كانت ملازمتهم لاعمالهم لم
سببا لوقوع العذاب المتوعد به ووقوعه سببا للعلم عن يخزيه لم يعلم اي الفريقين الامرين يراد ذكره بعد هذا التهديد فحذف حرف
الفاء من قوله **سوف تعلمون** اي بوعد لا خلف فيه وان تاخر زمانه وسوق مساق الجواب لمن كانه قال اما المراد بهذا
الامر بالعمل المبالغ فيه في النهي عنه وقد تقدم في قصة نوح ما يوضحه واحسن منه انهم لما قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول كذبهم في اخراج الكلام
على تقدير سوال من هو منتصب للفكر كما الكلام قائلا ماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا فعملت انا على مكانتي مشيرا الى التقدير بالسوال ولو ذكر الفاء
لكان وصلا ظاهرا وقد ظهر الفرق بين كلام ملك العالم بالاسباب وما يتصل بها من سبب الامور به اشرف خلقه صلى الله عليه وسلم في سورة الانعام
والزمر والكلام المحكي عن نبيه شعيب عليه السلام في هذه السورة **من** اي اينا او الذي **ياتيه عذاب يخزيه** ولما كان مضمون قولهم
ما نفقه كثيرا مما تقول النسبة الى الكذب لان المتكلم بما ليس له نسبة في الواقع تطابقه قال **ومن هو كاذب** اي مني ومنكم فالتقدير ان كانت
من موصولة ستعلمون المخزي بالعذاب والكاذب انا وانتم وان كانت استفهامية اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب في زعمه ما نكم لا تستطيعوا (؟)
عنها **وارتقبوا** اي انتظروا ما يكون من عواقبها ولما كانوا يكذبونه وينكرون قوله اكد فقال **اني معكم رقيب** لمثل ذلك وانما قرنت
هذه المعطوف عليه بالفصل الكلام في قوله سوف ويجوز عطفه على اعملوا اجرد ولم يقل مرتقب اشارة الى انهم الاجتهاد بعاميه الا انه
مبالغ في ارتقاب عاقبته معهم ستهانته بهم ولما كانه قيل فاخذوا الكلام على ظاهره ولم ينتفعوا بصادع وعيده وباهر كلامه واعاهم
عليه من القبيح الى انجاز امر باتي الاجل المضروب لحق العاطفا عليه وكان العطف بالواو لانه لم يتقدم وعيد بوقت معين بخلاف قصتي صالح ولوط
يتسبب عنه المجيء ويتعقبه **ولما جاء امرنا** اي تعلق ارادتنا بالعذاب **نجينا** بما لنا من العظمة **شعيبا** اي تنجية عظيمة **والذين امنوا**
كائنين **معه** منهم ومما عذبناهم به وكما ايجابا نالهم **برحمة منا** ولما ذكر نجاة المؤمنين اتبعه هلاك الكافرين فقال **واخذت الذين
ظلموا** اي اوقعوا الظلم ولم يتوبوا **الصيحة** وكانها كانت دون صيحة ثمود لانهم كانوا اضعف منهم فلذلك برز علامة التانيث
فهذه دون ذلك ولما ذكر الصيحة وكما تسبب عنها فقال **فاصبحوا** اي في الوقت الذي يتوقع الانسان فيه السرور وكل خير **في ديارهم جاثمين**
اي ساقطين لازمين لمكانهم ولما كان الجثوم قد لا يكون بالموت اوضح المراد بقوله **كان لم يغنوا فيها** اي لم يقيموا في ديارهم اغنياء متمكنين
مترددين مع الغواني لاهين بالغناء ولما كان مضمون ذلك الابعاد اكده بقوله **الا بعدا لمدين** بعدا مع انه بمعنى ضد القرب مع هلاك في كونه بعد
بالكسر وايذانا بتهمة منازلهم كما خف حال ثمود بقوله **كما بعدت ثمود** ولما كان شعيب ختن موسى عليهما السلام كان ذكر قصته هنا متوقع
مع ما جرى له المتوقع لعند ذكر كتابه في اول السورة وفي عصا موسى من مناسبة ناقة مع ختم بالتنبيه بحالهم فذكرها بعدها مغتنما لها بحرف التوقع
فقال مؤكدا تنبيها على ان فرعون فعل فعل قريش في الادبار عن الايات العظيمة ولم ير لموسى شيئا مما اوحي اليه انذاره **ولقد ارسلنا**
اعاد الفعل وابرزه من مظهر العظمة اشارة الى باهر معجزاته **موسى باياتنا** اي المعجزات التي اظهرها **وسلطان** اي امر قاهر القبط والظاهر
انه ما نبه موسى عليه السلام منه على ما كان له من السطوة والتحرق عليه **مبين** اي بين بنفسه وهو في قوة بيانه كانه مبين لغيره ما فيه من
الاسرار والاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء **الى فرعون** طاغية القبط **وملائه** اي

اشراف قومه الذين يتبعهم الادنا لان القصد الاكبر رفع ايديهم عن بني اسرائيل ولما كان الناصح لنفسه من لا يتبع احدا الا فيما يعلم انه صواب
قال معجبا منهم المشير الى سرعة تكذيبهم بالبينات واتباعهم فيما ضلاله لا يخفى على من له مسكة **فاتبعوا** اى فتسبب عن هذا الامر الباهر ان
عصى فرعون وحمل ملاه انفسهم على ان تبعوا الارادة ذلك منهم **امر فرعون** اى كل ما يأمرهم به لانه يهواه ويأمر به وتبعهم السفلة
فاطبقوا على المنابذة الاتمن شاء الله منهم **وما** اى والحال انه ما **امر فرعون برشيد** اى بسديد مع ان في هذا التعقيب بعد ذكر ثمود من التذكير باسى
الناقة والعصى اشارة الى المعجزة على البعث المذكور اول السورة الموجب خوفه لكل خير كما ان ذلك ايضا كان من فوائد تعقيب قصة ابرهيم لقصة صالح
واقتصر هنا على ذكر فرعون وقومه لان المقصود من هذه القصص كما تقدم التثبيت في المكافحة بابلاغ الانذار وان اشتد كراهية المبلغين وقل المتبع
منهم وانه لا يترك شى منه خوف اعراضهم او ادبارهم ولا رجاء اقبالهم وكثرة مومنيهم وهذه حال الا فرعون واما بنو اسرائيل فانهم لم يتوقفوا الا
خوفا من فرعون في اول الامر ثم اطبق كلهم على الاتباع ثم صاروا بعد ذلك كل قليل يرتدون لا كراهية للانذار بل لغير ذلك من الامور وعجايب المقدور
كما بين في قصصهم والملا الاشراف الذين تملا الصدور رهبتهم عند رؤيتهم والاتباع طلب الثاني المتصرف بتصرف الاول والامر من جهة الاحرى وقد
يكون عن كره بخلاف الطاعة والامر الايجاب بصيغة افعل وهو يتضمن ارادة المامور به في الجملة وقد لا يراد امتثال على المامور والرشيد
القائد الى الخير الهادي اليه ثم اوضح عدم رشد فرعون بقوله **يقدم قومه** اى الذين كان لهم قوة المدافعة **يوم القيمة** ويكونون له
تبعا كما كانوا في الدنيا واشار بايراد ما حقه المضارع ماضيا الى تحقق وقوعه تحقق ما مضى ووقع فقال **فاوردهم النار** اى كما اوردهم
في الدنيا عطاشا وهو البحر ولما كان التقدير فبئس الوارد عطف عليه ببنا الفعل للمفعول **وبئس الورد المورود** لما كان في البحر
اذ ورده اقبح ورد وورده انسان لان الورد يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد وهنا يفيد ضد ذلك ولما كان فرعون موصوفا
بعظيم الحال وكثرة الجنود والاموال والضخامة المملكة حقر تعالى دنياه بتحقير جميع الدنيا التي هي منها باسقاطها في الذكر اكتفاء
بالاشارة اليها ولم يشبتها كما في قصة عاد فقال **واتبعوا** ببنائه للمفعول لان المنكي الفعل لا كونه من معين **في هذه** اى
الحياة الخسيسة **لعنة** اى يلعنون فيها في كل الامر من المسلمين وغيرهم من اهل الملل فلعنة الله على من حسن احوالهم حالهم وارتضى
ضلالهم لاضلال العباد من اهل الالحاد بفتنة الاتحاد **ويوم القيمة** ايضا يلعنهم الا هل حتى اهل الاتحاد الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين ثم بين ما يحق ان يقول سامع ذلك بقوله **بئس الرفد المرفود** اى التابع المتبوع والعون المعان فان اللعنة
تابعة لعذابهم في الدنيا ومتبوعة باللعنة في الاخرة والعذاب فيها وهي رفده ومادة رفد تدور على التبع او يكون المراد
ان لعنهم لا يزال مترادفا تابعا بعضها لبعض فكل لعنة تابعة لشئ من خزي وعذاب او لعن متبوعة بلعنة مضافة اليها وسمى الارداف
وهو حقيقة العون بابقى لهم تحية بينهم ضرب وجيع ومعنى يقدم انه يكون قدامهم غير بعيد لانهم بل هم على اثره متلاحقين فيكون
دخولهم الى النار معا واليقمة القومة من الموت للحساب والاتباع طلب الثاني اللحاق بالاول كيف تصرف واللعن ابعاد الابعاد من الرحمة
بالحكم بذلك ومن العباد الدعاء به ولما كانت هذه الاخبار على نهاية من التحرير لا يرفعه الا الغني العلم كامل المعلوم قطعا انه صلى الله عليه
وسلم لم يأت بها الا عن الله العلم لمشاهدة بانه لم يكن عالما ولا الم بعالم يوما هذا مع ما اشتملت عليه من انواع البلاغة وتضمنته
من نكات الفصحا واعيات البلغا بحسن ساقاتها من ضروب الحكم وافادة تفصيلها من فنون المعارف فلذلك تحققت ان اشير اليها باداة
البعد ايماء الى بعد الرتبة وعلو الامر فقال تعالى **ذلك** اى النبا العظيم والخطب الجسيم **من انباء القرى** واكد هذا المعنى بلفظ
النبا لانه الخبر عما فيه عظيم الشان ومنه النبى واشار بالتعبير بالمضارع في قوله **نقصه عليك** الى انا كما قصصناها في هذا الحال
القصص المتقدم سنقصها عليك لغير ذلك من الاعراض في فنون البلاغة وتصاريف الحكم كما يرى على قصة ثم اشار الى اختبار حالها
بقوله **منها** اى القرى **قائم وحصيد** الا ان بعض ما جمعت ما قصصنا امرها باذنك وعيته بقلبك تحسها بعينك
بمشاهدة ابنيتها وانها قائمة او محصودة اى متهدمة لم يبق من بنيانها الا بعض جدرانها ولما كان فيما تقدم في هذه السورة من القصص

اشد تهديدا واعظم وعيدا لمن له تبصر وصرح لغليظي الاكباد الموجب للايقاع بهم انما هو الظلم فقال نافيا عاطفا على نحو ان يقال فعلنا بهم ما انبانك
وما ظلمناهم في شئ منه **ولكن ظلموا انفسهم** واعتمدوا على الذين هم معرضين عن جنابنا امنين من عذابنا فاخذناهم **فما** اى فتسبب عن ذلك انهم
على غيرنا انهما **اغنت عنهم** اى بوجه من الوجوه **الهتهم التي** وصوحالهم الماضية فقال **يدعون** اى يدعونها ونعتهم ولعلي عادتهم في حال الحين
الاخذ وبين خسة رتبتها فقال **من دون الله** اى الذي له جميع صفات الكمال وذكر مفعول اغنت مغرقا في النفي فقال **من شئ** اى وان قل **لما جاء**
امر اى عذاب **ربك** اى المحسن اليك بتاخير العذاب المستاصل عن امتك وجعلك نبي الرحمة **وما زادوهم** في احوالهم التي كانت لهم قبل عبادتهم اياها
غير تتبيب اى اهلاك وتخسير فانهم كانوا في عداد من يرجى فلاحه فلما تورطوا في عبادتها ونشبوا في غوايتها وبعدوا عن الاستقامة بضلالتها
خسروا انفسهم التي هي راس المال فكيف لهم بعد ذلك بالارباح والفضل اتباع الاثر فهو هنا الاخبار بالامور التي تتلو بعضها بعضا والدعا طلب
الطالب الفعل من غيره ونداء الشي باسمه بحرف النداء وكلا الامرين مراد لهم ومن نزل منزلة ادنى من منزلة عبادة الله لانه من الادون وهو الاقرب الى جهة
السفل ولما كان المقصود من ذلك ردعهم وقلوب العرب عما فيه من سهام التهديد لينقلعوا عما تمكنوا فيه من عمى التقليد قال تعالى معلما بان الذي اوقعه باولئك يظلمهم
هو لكل ظالم بالمرصاد سواء ظالم نفسه او غيره **وكذلك** اى ومثل ذلك الاخذ العظيم **اخذ ربك** ذكره بوصف الاحسان ما له اليه البر لمن يخاف
على قومه من مثل هذا الاخذ **اذا اخذ القرى** اى اهلها وان كانوا غير من تقدم الاخبار عنهم وان عظموا وكثروا وكنى الاخبار عنها باهلها لانه ينفهم
انه ربما ايعمها الهلاك الى اجلهم لشدة الغضب فعلهم كقرى قوم لوط **وهي ظالمة** روى البخاري في التفسير عن ابي موسى رضى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك الاية ولما كان مثل هذا الاخذ لا يدانيه مخلوق ولا يقدر عليه ملك
حسن كل الحسن اتباع ذلك **ان اخذه اليم** اى مولم قاطع للامال عالى للكبر والروح والنفس بالنكال **شديد** اى صعب مغتت للقوى ولعله
عبر هنا باسم الرب مضيفا الى اشارة بهذه الانباء ومكررا له ذلك في هذا المقام الذي ربما سبق فيه الوهم الى انه باسم الجبار والمنتقم مثلا اليق الى انه
سبحانه يربيه باحسن تربية في اظهار دينه على الدين وانقياد العظماء لامرك وذل الاعزة لسطوتك وخفض الرؤس لعلو شانك فلا تكلفن انت
شيئا من قصد اجابتهم الى انزال اية ادبرك ما يغيظ من انذار او ترك ما يحوك نحو ذلك والله الموفق ولما كان ما جرى في هذه القصص وهذه المواعظ
تكذيبهم لما يوعدون من العذاب الناشي عما كان البعث المذكور في قوله تعالى ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت الايات اشار تعالى الى تحقق امره
وانه ما ينبغي الاهتمام به ردا للمقطع على المطلع واعلاما بانه لا فرق بينه وبين ما تحقق ايقاعه من عذاب هذه الامم في القدرة عليه وهوله
موكدا الاجل جحودهم انه يكون شئ مما مضى دلالة عليه بوجه من الوجوه **ان في ذلك** اى النبا العظيم والقصص والوعظ بما يذكر **لاية**
اى علامة عظيمة ودلالة بينة ولما كان وجود الشي عدما بالنسبة الى من لا ينفع له به قال **لمن خاف عذاب** اى يوم الحياة **الاخرة** لانه ينفع ما
به وانما كان اية له لانه اذا نظر الى اهلاكه للظالمين اهلاكا عاما بسبب ظلمهم وانجائه للمؤمنين علم انه قادر على ما يريد وانه لا بد ان يجازى
كلا بما فعل فاذا راى ان ظلمة كثيرين يموتون بغير انتقام علم انه لا بد من يوم يجازيهم فيه وهو اليوم الذي اخبرت به عنه رسله وزاد سبحانه
في الاشارة الى تهويله باعادة اسم الاشارة في قوله **ذلك** اى اليوم العظيم الذي يكون فيه عذاب الاخرة **يوم** واشار الى جبر البعث مع مهولته عليه
وانه امر ثابت لا بد منه باسم المفعول من قوله **مجموع له** اى لاجل اظهار العدل وفيه الفضل **الناس** اى كل من فيه اهلية التحرك والاضطراب وما ثم
يوم غيره يكون بهذه الصفة اصلا ولما لم يبق يوم يجتمع فيه جميع الخلائق من الجن والانس والملائكة وجميع الحيوانات احيانا كان ذلك مسؤلا لان
تعد شهادة غير صحيحا فقال تعالى **وذلك** اى اليوم العظيم **يوم مشهود** اى هو نفسه لهم ولغيرهم من جميع الخلق فيكون تنوينه للتعظيم بدلالة
المقام ويكون المعنى انه اهل لان يشهد وتتوفر الدواعي على حضوره لما فيه من عجايب الامور والاهوال العظام والمواقف الصعبة فلا يكون ثم شغل
الا النظر فيها والاحاطة بجواب خوف التلاف ورجاء الخلاص والخوف من ارتعاج النفس بتوقع الشر وضده الامن وهو سكون النفس بتوقع الخير
والعذاب استمرار الالم ولما تقدم قولهم ما يحبسه كان كانه قيل في الرد عليهم نحن قادرون على تعجيله وهو كما اشرنا اليه في هذه الاية عندنا في شئ
في غاية السهولة **وما نؤخره** اى اليوم او الجزاء مع ما لنا من العظمة والقدرة التامة على ايجاده لشئ من الاشياء **الا لاجل** اى لاجل انتهاء اجل

معدود سبق في الازل تقديره محرر لا يبدل القول لديه وكل شيء في حكمه فهو لا يخشى الفوت ومادة أجل بتراكيبها الاربعة اجل وجال وجلا
ولجا تدور على المدة المضروبة للشيء في الاجل بحركة مدة الشيء وغاية الوقت في الموت وحلول الدين من تسمية الكل والتاجيل تحديد الاجل
ويلزمه التاخير ومنه اجل الشيء كفرح اذا تاخر والاجلة الاخرة واجل الشيء بالفتح حبسه ومنعه لان الاجل حابس ولان مانع الموجل ومنه اجلي
كجمزى صعود يرعى لهم معروف كانه لحسنه يحبس الراعي فيه واجل الشر عليهم جناه اواثاره وهيجه ولاهله كسب وجمع واحتال لان في ذلك كله لوازم
ذي الاجل والمخاض أوجد اجل ذلك وكمقعد ومعظم مستنقع الماء لانه يحيط باحاطة الاجل بالموجل واجله فيه تاجيلا جمعه فاجل والماجل
الحوض يحبس فيه الماء واجلوا مالهم حبسوه في المرعى والاجل بالكسر قطيع من بقر الوحش تشبيها له في اجتماعه من حيث انه احصن له بالاجل لانه
كما قيل حصن حصين والاجل بالكسر ايضا وجع في العنق لانه سبب حلول الاجل واجله داواه منه وبالضم جمع اجيل للمتاخر وللمجتمع
من الطين يجعل حول النخلة لاحاطته بها احاطة الاجل وتحصينه لها وتاجل القوم تجمعوا لان التجمع احصن لهم واجل بفتحتين ثم سكون
جواب كنعم وزنا ومعنى الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام وحقيقة ذلك ان الاخبار بان اجل اي وقت ذلك
الفعل الموجب او المستفهم عنه قد حضر وفعلت ذلك لاجلك من غير ومن اجلك ومن اجلاك ويكسر في الكل اي من جلالك قاله في القاموس
وقال في فصل الجيم وفعلته من جلالك بالضم وجلالك محركا وتجلتك واجلالك بالكسر ومن اجل اجلالك ومن اجلك بمعنى
انتهى وحقيقته ان فعلي مبتدى من اجلك بالتحريك او تكون من سببية اي اجلك سبب فعلي ولولا وجودك ما فعلته فهو للتعظيم والملجا
والملجا محركة العقل والملاذ كانه شبه بالاجل ومنه لجا اليه كمنع وفرح لاذ والجا امره الى الله اسنده والجا فلانا الى كذا اضطره والتلجية
الاكراه والجابح كالضفدع لالتجائها الى الماء ومنه الجيال كصيقل وجيال وجيالة ممنوعين وجبيل بلا همز كله اسم الضبع لكثرة
لجائها الى وجارها ومنه جيئل كفرح جال ناعرج كانه شبه بمشيتها لان من اسمائها العرجاء او تشبيه بمشية الراقح ومدرج الملجا اي
الحصن وكذا الاجل كقنب وقبر وهو ذكر الاوعال الذي قرونه كالحصن له وجيالة الجرح غثيثته وهو مرته لانه سبب قرب الاجل وكذا
الاجلال الى الفزع ربما كان سببا لذلك وعدمه كان سببا للمبادرة الى الحصن وجال كمنع ذهب وجاء والصوف جمعه واجتمع لانه متعد
كله لوازم الاجل بمعنى المدة وجلا بالفتح بالرجل كمنع صرعه وثبوبه رماه كانه جعله في قوة من حضر اجله وان نشسقلت في ضبط ذلك الى ان
المادة معدود وانها على المدة تارة الى منفعتها وتارة الى غايتها نظرا في النظر الى نفس المدة التاجيل بمعنى تحديد الاجل وحوزة الشيء وفعلت
هذا من اجلك اي لولا وجودك ما فعلته واجل بمعنى نعم اي حضر وقت الفعل وفي النظر الى الاخر نفى الاجل في الموت والدين وفي النظر الى التاخر
اجل الشيء اذا تاخر والاجلة الاخرة ومن النظر الى السبب المرض الاجل بالكسر لوجع في العنق وجيالة الجرح لغثيثته اي مرته وجلا بالرجل صرعه وثبوته
رماه واجل الشر عليهم جناه اواثاره وهيجه والاجلال الفزع ومن النظر الى المنفعة دعوى ان التاجيل الذي هو تحديد الاجل للشيء مانع من اخذه
دون ما ضرب له من المدة الاجل بالكسر للقطيع من بقر الوحش واجل الشيء حبسه ومنعه واجلي كجمزى مرعى لهم معروف وتاجل القوم تجمعوا وجال الصوف
جمعه والملجا والملجا العقل والملاذ والضفدع للزومها ملجاها من الماء والجيال للضبع للزومها وجارها ولذلك سمي ابن عامر وجيئل كفرح
عرج كانه شبه بمشيتها لانها تسمى العرجاء والاجل كقنب وقبر لذكر الاوعال لتحصنه بقرونه والاجل بالضم للمجتمع من الطين يجعل حول النخلة والماجل
الحوض يحبس فيه الماء ومستنقع الماء مطلقا واجله تاجيلا جمعه ومن النظر الى غايته في المدة اجل لاهله كسب وجمع وجلب وجال الرجال كمنع
جاء وذهب فقد تبين ان المراد بالاجل هنا الحين ولما كان كانه قيل يا ليت شعري ماذا يكون حال الناس اذا اتى ذلك الاجل وفيهم الجبابرة
والرؤساء وذوو العظمة والكبراء اجيب بقوله يوم ياتِ اي ذلك الاجل لا يقدر على الامتناع ولا على اطلاق الكلام وحذف
ابن عامر وعاصم وحمزة الياء اجتزاء عنها بالكسرة كما هو فاش في لغة هذيل وكان اشارة الى ان شدة هوله يمنع اهل الموقف الكلام اصلا
في مقدار ثلثيه ثم يوذن لهم في الكلام في الثالث الاخر بدلالة المحذوف وقرينة الاستثناء فان العادة ان يكون المستثنى اقل من المستثنى منه
لا تكلم ولو اقل كلام بدلالة حذف التاء نفس من جميع الخلق في ذلك اليوم الذي هو يوم الاخرة وهو ظرف هنا الاجل وهو

يوم

يوم طويل جدا ذو الوان وفنون واهوال وشئون تارة يوذن فيه في الكلام وتارة يكون على الافواه الختام وتارة يسكتهم الخوف والحسرة و
الالام وتارة ينطقهم الجدال والخصام الا باذنه اي باذن ربك المكرر ذكره في هذه الايات اشارة الى حسن التربية واحكام التدبير وللعلم من
هذا انه يوم عظمة وقهر بسبب تلك العظمة تقسيم الحاضرين فقال فمنهم اي الخلائق الحاضرين لامره شقي ثبتت له الشقاوة فيسر في الدنيا لاعمالها
وسعيد ثبتت له السعادة فمشى على منوالها والتاخير الاذهاب عن جهة الشيء بالابعاد منه وضده التقديم والقدم نزل على العلة والغرض والحكمة
بخلاف الحو والشقاوة قوة اسباب البلاء ولما كان اكثر الخلق حالكا مع ان المقام مقام تهديد وتهويل بدا بالاشقياء ترتيبا للتقسيم على ترتيب التفريق
فقال فاما الذين شقوا اي ادركهم العسر والشدة ففي النار اي محكوم لهم بانهم يدخلون النار التي هي النار لو علمتم لهم فيها زفير اي عظيم جدا
وشهيق من زفر اذا اخرج نفسه بعد مدة اياه وشهق اذا تردد البكاء في صدره قاله في القاموس وقال ابن كثير في تفسير سورة الانبياء الزفير
خروج انفاسهم والشهيق اخره حين يفرغ من صوته انا رده في جوفه وسيأتي كلام الرماني في ذلك خالدين فيها اي بلا انقطاع وعبر عنه بقوله جريا
على اساليب العرب ما دامت السموت والارض ولما كان لكل شيء لا يقبح منه شيء وهو قادر على كل شيء دل على ذلك بقوله الا ما شاء اي مدة شائها
فانه لا يحكم لهم بالدخول فيها فلا يدخلونها ولما كان الحال في هذه السورة مقتضيا كما تقدم لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما اخبر به سبحانه في قوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية من ضيق صدره ولذلك اتى بجزء القصص كما مضى بيان ذلك عبر باسم الرب اشارة الى انه يحسن اليه بكل ما يسر
قلبه ويشرح صدره فقال ربك وقد حار الناس في هذه الاستثناء على ظاهرهم ثم اطالوا الاختلاف في تعيين المستثناة والذي ظهر لي
والله اعلم انه لما تكرر الجزم بالخلود في الدارين وان الشرك لا يغفر والاية موجبة للجنة فكاد ربما ظن انه لا يمكن غير ذلك كما ظنه المعتزلة
لا سيما اذا تومل القطع في مثل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به مع تقييد غيره بالمشية في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء جاء هذا الاستثناء
معلما ان الامر فيه الى الله كغيره من الامور له ان يفعل في كلها ما يشاء وان جزم القول فيه لكنه لا يقع غير ما اخبر به وهذا كما تقول اسكن هذه الدار
عمرك الا ما شاء زيد وقد لا يشاء زيد كما ان التعليق بدوام السموات والارض غير مراد الظاهر كذلك الاستثناء ايضا والله قطع الجلود لا حد من الفريقين
وسوقه هكذا ادل على القدرة واعظم في تقليد المنة ثم رأيت الامام ابا محمد البغوي قد ذكر معنى هذا ان ضما اوده في تفسير الاول في قال في الاية
وحكى نحوه عن الفرا ومثله بان تقول والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه وعزاه الطحاوي في بيان المشكل الى اهل اللغة منهم الفرا
ولما كان تخليد الكفار من الحكم بالقسط بين الفريقين لانه اكبر تنعيم المؤمنين الذين عادوهم في الله كما تقدم التنبيه عليه اول سورة يونس
عند قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط كان ربما توهم ان الاستثناء لو اصح على ظاهره لم يكن اخراجهم من النار حسنا نفى
هذا التوهم بقوله ان ربك اي المحسن اليك فعال لما يريد اي لا يجوز عليه البدا بالرجوع عما اراد ولا المنع عن مراده ولا يتعذر
عليه شيء منه مع كثرة المرادات فلا اعتراض عليه ولا يلزمه لاحد شيء بل له ان يخلد العاصين في الجنة ويخلد الطايعين في النار لكنه كما
ثبت ذلك ليحقق كونه متصفا بالكمال ثبت انه لا يفعل ذلك سبحانه ولا يبدل القول لديه لان ذلك من صفات الكمال ايضا مع ان
في ختم الاية بذلك ترجية لاهل النار في اخراجهم منها زيادة في عذابهم ولما تم امر الاشقياء عطف عليه قسيمهم فقال
واما الذين سعدوا اي فازوا بمطالبهم وتيسير امرهم ففي الجنة اي التي صارت معلومة من الدين بالضرورة خالدين فيها
اي دايما ابدا ما دامت السموات والارض على ما جرت به عادة العرب في ارادة التاكيد بالامر بمثل هذا الا ما شاء ربك واد دليل
على ما قلت في الاستثناء قوله عطاء فهو نصب على المصدر غير مجذوذ اي مقطوع ولا منكسر ولا مفصول لعطائه الا عطية
ولا مفرق ولا مشتهى به لانهم لو انفكوا من النعيم حقيقة ومعنى ولو لحظة لكان مقطوعا او منقوصا وفي الختم بذلك من الجزم
بالدوام طمانينة لاهل الجنة زيادة في نعيمهم عكس ما كان لاهل النار قال ابو الحسن الرماني والزفير ترديد النفس مع الصوت
حتى تنتفخ الضلوع واصله الشدة من المرفور الخلق والزفير الحمل على الظهر لشدته والزفر السيد لانه يطيق حمل الشدايد
وزفرت النار اذا سمعت لها صوتا في شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس واصله الطول المفرط

من قوله عطاء غير مجذوذ اي ممنوع طولا اي الخالد الكائن في الشيء ابدا والدائم الباقي ابدا ولهذا يوصف الله تعالى بالدائم دون الخالد ولما اخبر تعالى بوقوع القضاء بتمييز الناس في اليوم المشهود الى القسمين المذكورين على الحكم المشروح مرهبا ومرغبا كان ذلك كافيا في الثبات على امر الله والمضي لانفاذ جميع ما ارسل اليه وان شق اعتمادا على النصرة في ذلك اليوم بحضرة تلك الجموع فكان ذلك سببا للنهي عن القلق في شيء من الاشياء وان جل وقعه وتعاظم وقعه فقال تعالى **فلا** ولما كان ما تضمنه هذا التقسيم امرا عظيما وخطبا جسيما اقتضى عظيم تشوف النفس وشديد شوقها العلم ما يتسبب عنه فاقتضى ذلك حذف النون ليكون ايجازا في الكلام للاسراع بالاتفاق على المراد والابلاغ في نفي الكون على اعلى الوجوه فقال **تك** اي بحالة من الاحوال **في مرية** والمرية الشك مع ظهور الدلالة للتهمة قاله الرماني **مما يعبد هؤلاء** اي لا تفعل فعل من هو في مرية بان تضطرب من اجل ما يعبدون مواظبين على عبادتهم بتجديد ذلك كل حين فتبخع نفسك في ارادة مبادرتهم الى امتثال الاوامر والنزوع عن ذلك بالكف عن مكاشفتهم بعايط الانذار والطلب لاجابة مقترحاتهم رجاء الادجار كما مضى في قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية وذلك ان زيادة مرية باي ترتيب كان تدور على الاضطراب فيلزمه الطرح والفصل رمى يرمي رميا والمرماة ظلف الشاة لانه يطرح والرمي قطع من السحاب رقاق والريح البراح ما يريم يفعل كذا ما زال والريم الدرج للاضطراب فيها والقبر لنبوة من جانب من الارض وطرح الميت فيه وريم فلان بالمكان اقام به وتجاوز الغير منفصلا عنه كانه رمى بنفسه فيه ورميت السحابة اذا دامت فلم تقلع لان من شانها رمي القطر ومريت الضرع مسحه للحلب والريح تمري السحاب والمرى الملح لقذفهما ما فيها والمرية الشك اي تنزل الاعتقاد والميرة جلب الطعام ثم استانف تعالى خبرا هو بمنزلة العلة لذلك فقال **ما يعبدون** اي يوقعون العبادة على وجه الاستمرار **الا كما يعبد اباؤهم** ولما كانت عبادتهم في قليل من الزمن الماضي ادخل الجار فقال **من قبل** اي انهم لم يفعلوا ذلك لشبهة اذا كشف عنها القناع رجعوا بل المحض تقليد الاباء مع اختصاصهم لتلبسها بالعبادة كانهم حاضرون لديهم يشاهدونهم مع العمى عن النظر في الدلائل والحجج كما كان من قصصنا عليك اخبارهم من الامم في تقليد الاباء سواء بسواء مع عظم كثرتهم وكثرة عصبيتهم للاجانب فكيف بالاقارب فكيف بالاباء فاتم عليهم الحجة بابلاغ جميع ما نامرك به كما فعل من قصصنا عليك انباءهم من اخوانك من الرسل غير مختطر في البال شيئا مما قد يترتب عليه الى ان ينفذ ما يريد من امرنا كما سبق في العلم فلا تعجل فانا ندبر الامر في سفول شانهم وعلو شانك كما نريد **وانا** بما لنا من العظمة **لموفوهم نصيبهم** من الخير والشر من الاجال وغيرها وفاء هو ثابت ثباتا لا يفارق اصلا ولما كانت التوفية قد تطلق على مجرد الاعطاء وقد يكون ذلك على التقريب نفى هذا الاحتمال بقوله **غير منقوص** والنصيب القسم المجعول لصاحبه كالحظ والمنقوص المقدار الماخوذ جزء منه والنقص اخذ جزء من المقدار ولما كان الضار والمسلي نفس الاختلاف بني للمفعول ولما ذكر في هذه الاية اعراضهم عن الاتباع مع ما اتى به من المعجزات وانزل عليه من الكتاب سلاه باخيه موسى لان الحال انا عم خفف وابتدا ذكرهم بحرف التوقع لما دعى الى توقعه من تردد ذكر من فرعون مع ذكر كتابه اول السورة فقال تعالى **ولقد اتينا** اي بما لنا من العظمة **موسى الكتاب** اي التورية الجامعة للخير ولما كان الضار والمسلي نفس الاختلاف بني للمفعول قوله **فاختلف فيه** فامن به قوم وكفر به اخرون مع انه امام ورحمة وكتب سبحانه فيه من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وكان معجبا لاهل ذلك الزمان كما اختلف في كتابك مع اعجابه لاهل هذا الزمان وبيانه الهدى اتم بيان اشارة الى ان الخلق مهما جاءهم عن الله وهو لا يكون الا مصحوبا بالادلة القاطعة نازعوا فيه واختلفوا فيه ومهما تلقفوه عن ابائهم تلقوه بالقبول وتناصلوا عنه وتحاموا فيه باللجج وان كان منابذا للعقول فكان قوم موسى اختلافهم في الكتاب كان قليلا باقي فريق منهم بعض اخلى معه يريدون نقص ابرامه كما سلف بيانه غير مرة عند نص التورية وسفر يوشع الى ان الامر هم الان الى ان صاروا الان فرق ربانيين وقرائين وسامرة يضلل بعضهم بعضا ومع ذلك فلم يعاجلهم بالاخذ مع قدرته على ذلك كما فعل بمن قص امرهم من الامم لما سبق من حكمه بتاخيرهم الى الاجل المعدود وفصل بين هذا وبين قصة موسى مع فرعون ليكون مع ما دعا الى تقديم ما تقدم من الايات ارفع في التسلية

وابلغ

وابلغ في التعزية والتسلية كما هو شان الكلام الملقى الى المحتاج شيئا فشيئا **ولولا كلمة** اي عظيمة لا يمكن تغييرها لانها من كلام الملك الاعظم **سبقت من ربك** اي المحسن اليك والبهم بارسالك رحمة للعالمين **لقضي** اي لوقع القضاء **بينهم** اي بين من اختلف في كتاب موسى ما جاوا ولكن سبقت الكلمة ان القضاء الكامل انما يكون يوم القيامة كما قال في سورة يونس فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الاية ولما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين انه به فقال مؤكدا لانكارهم ذلك تعنتا منهم اليهود تنكر انكرها فيه ونفعلها افعل الشاك **وانهم لفي شك** اي عظيم يحيط بهم **منه** اي من القضاء او الكتاب **مريب** اي موقع في الريب وهو التهمة والاضطراب مع ما راوا من الايات التي منها سماع كلام الله ورؤية ما كان يتجلى في جبل الطور من الجلال ويتبدى لهم في قبة الزمان من خارق الاحوال **وان كلا** من المختلفين في الحق من قوم موسى عليه السلام وغيرهم ممن هو على الحق وممن هو على الباطل وان عند نافع وابن كثير وابي بكر عن عاصم عاملة مع تخفيفها من الثقيلة وفي قراءة غيرهم اعتبارا باصلها **لما** هي في قراءة ابن عامر وحمزة وعاصم بالتشديد الجازمة حذف فعلها قال ابن الحاجب وهو شائع فصيح وفي قراءة غيرهم بالتخفيف مركبة من لام الابتداء وما الموكدة بنفي نقيض ما اثبته الكلام ليكون ثبوته مع نفي نقيضه على ابلغ وجه ولما كان الشرط في حذف الفعل بعد لما الجازمة ان يكون مما يتوقع بوقوع فعل قبلها يدل عليه كان التقدير يقض بينهم وسيقضي وهو معنى ما قرن بعدها بلام القسم من قوله **ليوفينهم ربك** اي المحسن اليك بالقائمة على المنهاج الاعدل والفصل بين العباد **اعمالهم** لا يدع منها شيئا لانه لا يخفى عليه منها شيء **انه بما يعملون** قدم الظرف لتاكيد الخبر **خبير** فاذا علمت ان شانك في امتك شان الرسل في اممهم وانه لا بد من الاختلاف في شان الرسول والكتاب كما جرت بذلك السنة الالهية وان الجزاء بالاعمال كلها لا بد منه **فاستقم** اي اوجد القوم بغاية جهدك بسبب انك لا تكلف الا نفسك وانا لا نجازيك الا بفعلك لا بفعل غيرك ومن استقام استقيم له ولما كان من المقطوع به ان الامر له صلى الله عليه وسلم من له الامر بني للمفعول قوله **كما امرت** اي كما استقام اخوانك من الانبياء في جميع الاصول والفروع سواء كان في نفسك او في تبليغ غيرك معتدلا بين الافراط والتفريط ولا يضيق صدرك من استهزائهم وتعنتهم واقتراحهم للايات وارادتهم ان تترك بعض ما يوحى اليك من التشنيع عليهم والعيب لدينهم بل اصدعهم بالامر واتركهم واهواءهم نحن ندبر الامر كما نريد على حسب ما نعلم ولما كان الفاصل بين المعطوف والمعطوف عليه يقوم مقام التاكيد بالضمير المستتر عطف عليه قوله **ومن** اي وليستقم ايضا من **تاب** من الكفر مثلا **معك** على ما امروا تاركين القلق من استبطائهم للنصرة كما روى البخاري وابو داود والنسائي عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا الا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع فوق راسه فيشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اية اشد ولا اشق من هذه الاية والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة ولما كانت وسطا بين افراط وتفريط وكان التفريط لا يكاد يسلم منه الا الفرد النادر وهو في الاغلب يورث انكسار النفس واحتقارها والخوف من الله وكان الافراط يورث اعجابا وربما افضى بالانسان الى ظن انه شارع فينسلخ لذلك من الدين طوى التفريط ونهى عن الافراط فقال **ولا تطغوا** اي تتجاوزوا الحد فيما امرتم به او نهيتم عنه بالزيادة افراطا فان الله تعالى اغنى لكم وما لتهذيب نفوسكم الحاجة الى ذلك ولن تطيقوا ان تقدروا الله حق قدره والدين متين لن يشاده احد الا غلبه فقد رضي منكم سبحانه بالاقتصاد في العمل مع الحق قاصد ويجوز ان يكون المعنى ولا تبطركم النعمة فتخرجكم عن طريق الاستقامة يمنة او يسرة ولما نهى عن الافراط وهو الزيادة تصريحا فافهم النهي عن التفريط وهو النقص عن المامور تلويحا من باب الاولى علل ذلك مؤكدا تنزيلا لمن يفرط او يفرط منزلة المنكر فقال **انه بما تعملون** قدم الظرف لما تقدم من تاكيد الابصار **بصير** ومادة طغى واوية ويائية لكل ترتيب تدور على مجاوزة الحد مع العلو في العظام مما تريد الشيء غالبا عليه ولا يكون ساترا لجميعه الا اذا فضل عنه فتجاوزه حتى وعلى الميل

اذا غشي وكل شيء ارتفع فهو غامط وطغى السيل اذا جاء بماء كثير والبحر هاجت امواجه والطغيان مجاوزة الحد في العصيان والغايط
والغيط المطمئن من الارض لان ماءها كذلك ويمان ارضه طيبة كانت الاثراك فيتغلو ما نبت فيها لو يخصب فيتجاوز الحد في ذلك
ومنه الغوطة لموضع بالشام كثير المياه والشجر ولما نهى عن الافراط والتفريط على وجه عام وكان الحب والبغض فيه اوثق عرى
الايمان اشار الى الضد الذي هو منار وثق عرى الشيطان فقال **ولا تركنوا** اى شيئا من ركون وقال **الى الذين ظلموا** اى وجد منهم الظلم ولم
يقل الظالمين اى بالميل اليهم بان تثاقل انفسكم نحوهم بالميل الى اعمالهم ولو بالرضى والتشبه بهم والتزيي بزيهم وحاصل الايتين لا تظلموا
بانفسكم ولا تستحسنوا افعال الظالمين وفسر الزمخشري الركون بالميل اليسير وهو حسن من جهة المعنى لكني لم اره لغيره من اهل اللغة
وقال الرماني وهو اقرب الى كون السكون الى الشيء بالمحبة والانصباب اليه ونقيضه النفور عنه وهو على التفسير الثاني في تطغوا من عطف
الخاص على العام والاية ملتفتة الى قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك **فتمسكم النار** اى فيتسبب عن ركونكم اليهم مسها لكم
فلا تقدروا على التخلص منها بنوع حيلة من انفسكم ومن اجلال النبي صلى الله عليه وسلم افراده بالخطاب في الامر بافعال الخير والاتيان
بضمير الجمع في النهي عن افعال الشر تنبيها على ذلك الا ما لا بد منه ولما كان كل معبود سوى الله في قهره وتحت امره قال تعالى **وما لكم** ولما
كان دون رتبته تعالى من الرتب والذوات ما لا يحصيه غيره سبحانه ادخل الجار تبعيضا فقال **من دون الله** اى الملك الاعظم واغرق في
النفي فقال **من اولياء** اى يخلصونكم من عذابه ما تقرر اذ دونه وهولاء من جهة السفل والولي المختص بما من شانه تولي
المعونة عند الحاجة واشار الى انه نصر من لا ناصر له من الله بحال باداة البعد وبناء الفعل للمفعول فقال **ثم لا تنصرون** اى ثم اذا فاتكم
هذا فما ابعدكم من النصرة ولما كان العلم حاصلا بما سبق من الحكم من ان الادمي محل العجز والتقصير اتبع ذلك باعلى مكفر لما يوجبه
العجز ويقتضيه الفتور والوهن من الصغائر واعمه واجلبه للاستقامة وذلك دليل على انها بعد الايمان افضل العبادات فقال تعالى
واقم الصلوة اى اعملها على استواء **طرفى النهار** بالصبح والعصر كما كان مفروضا بمكة في اول الامر قبل الاسراء ويمكن ان يراد
مع ذلك الظهر لانها من الطرف الثاني **وزلفا** اى طوائف ودرجات واوقات جمع زلفة **من الليل** يمكن ان يكون المراد به التهجد فقد كان
مفروضا في اول الامر ويمكن ان يراد المغرب والعشاء مع الوتر او التهجد ثم علل ذلك بقوله **ان الحسنات** اى الطاعات كلها الصلوة
وغيرها المبنية على اساس الايمان **يذهبن السيئات** اى الصغائر واما الكبائر التي يعبر عنها بالفواحش ونحوه فقد تقدم
في قصة شعيب عند قوله ثم توبوا اليه انه لا يكفرها الا التوبة لما فيها من الاشعار بالتهاون بالدين واجتنابها لا يكفر الا اذا
كان عن نية صالحة كما افهمه صيغة الافتعال في قوله ان تجتنبوا روى البخاري في التفسير عن ابن مسعود رضه ان رجلا اصاب من امراة
قبلة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله عليه اقم الصلوة طرفي النهار الاية قال الرجل الى هذه قال لمن عمل
بها من امتي وهذا الحديث يؤيد قول ابن عباس ان هذه الاية من هذه السورة المكية مدنية ولما تم هذا على هذا الوجه الاعلى
والترتيب الاولى قال منبها على عظمه ما دحاله ليعرف مقداره فيلزم **ذلك** اى الامر العالي الرتبة التي تقدم من الترغيب والترهيب والتسلية وتعليم الدواء
والدواء للخلاص من الشقاء **ذكرى** اى ذكر عظيم **للذاكرين** اى لمن فيه اهلية الذكر والانتباه به بحضور القلب وصفاء الفكر ونفوذ الفهم
ولما كان الصبر على المكاره اعلى الطاعة اتبع ذلك قوله **واصبر** اى ليكن منك صبر على الطاعات وعن المعاصي ولا تترك انذارهم بما امرت به مهما
كان ولا تخفهم فان العاقبة لك اذا فعلت ولما كان مقام الصبر صعبا والاستقامة على المحمود منه خاصة خطرا وكانت النفس لما لها من الفزع
في كثير من الاحوال كالمنكرة اكد قوله **فان** اى اصبر لاحسان العمل الاحسان **وان الله** اى المحيط بصفات الكمال **لا يضيع** اى بوجه من الوجوه
اجر المحسنين اى العريقين في وصف الاحسان بحيث انهم يعبدون الله كانهم يرونه فان ذلك يجود عليهم الصبر وذلك لان الطاعة كلفة
فلا تكون الا بالصبر وكلما عداها فهو هوى النفس لا صبر فيه فالدين كله صبر حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ولذا فضل ثواب الصابر
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصبر المحمود حبس النفس عن المزعج الى ما لا يجوز من ترك الحق ونقيضه الجزع قال الشاعر

ان تصبر

ان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالصبر ما تريان وهو الصبر الذي هو المر المعروف لانه يجرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخروج الى المشتهى
مع الزاجر المعتبر من الشرع والعقل فهو كره شيء الى النفس والمعين عليه ما في الاستشعار لزوم الحق من العز والاجر بالطاعة والعلم بما
يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس وقد غلب اطلاقه على الحق حتى لا يجوز اطلاقه الا فيه قاله الرماني ولما كان ما تقدم كله مشيرا الى
استبعاد ايمان المعاندين لشيء من تدبير ادمي كما تكاد القصص تنطق به وكذا الاعلام بان عبادتهم انما هي التقليد وباختلاف
قوم موسى في كتابهم الذي هو هدى ورحمة وكان ذلك ربما اخطر في الخاطر تمني اجابتهم الى ما يقترحون او الكف عن بعض
ما يغيظهم من الانذار وكان مطبع البشر البعد عن الانتهاء من الخواطر الا بعد التجربة كان ذلك ربما اوجب ان يقال لو اجيبوا الى سؤالهم
لرجعوا عن كثير مما هم فيه فرجاهم ذلك الى الرشاد فتسبب عنه ان يقال فلولا كان ويجوز ان يكون اتصاله بما انه لما
ذكر اهلاك القرون الماضية والامم السالفة بما مضى الى ان ختم الامر بالصبر على الاحسان من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان في الجائز
ان يقع في فكر المعترض بان يقال ما الموجب لذلك فبين ان سبب الهلاك الاعراض عن نهي من ينهاهم عن الكفر والمجاهرة عن مثل هذه الاستار
الجليلة والربع في الجمع مع تمكنهم بما اودع فيهم سبحانه من القوى والقدر على اختيار جانب الخير والاعراض عن جانب الشر فقال تعالى
فلولا بصيغة تحتمل التخصيص وفيها معنى التفجع والتأسف **كان** على مثل حالهم **من القرون** اى المهلكين الماضين
في زمانك ولما كان المراد القرون التي تقدم ذكر اهلاكها وكانت ازمنتهم بعض الزمان الماضي ادخل الجار فقال **من قبلكم**
اولوا اى اصحاب **بقية** اى حفظ وخير ومراقبة لما يصلحهم لان زيادة بقي تدور على الجمع ويلزمه القوة والثبات والحفظ
من قولهم ابقه بقوتك ما لك وزنه اى احفظه حفظك ما لك ويلزمه النظر والمراقبة بقيت الشيء اذا انظرت اليه ورصدته
ويلزمه الثبات بقي بقاء اذا دام والخير والجودة قال الزمخشري لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله ويقال فلان
من بقية قوم اى من خيارهم وسيأتي شرح ذلك مستوفى عند قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا ان شاء الله تعالى **ينهون** اى يجددون
النهي في كل حين اشارة الى كثرة المفسدين **عن الفساد** الكائن **في الارض** ولولا هنا كالتي في يونس توبيخية او استفهامية
كما جوزهما الرماني ويجوز ان تكون تخصيصية كما قال الزمخشري ويكون التخصيص للسامع لان الملك الى الهالك لان الاية لما تضمنت اهلاك
المقر على الفساد كان ذلك اقوى حث لغيرهم على الامر والنهي واوفى تهديد زاجر عن ارتكاب مثل حالهم الموقع في اصعب نكالهم
وفي تعقيب هذه الاية لاية الطلب اشارة الى ان الصبر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الذروة العليا والاية ناظرة الى قوله تعالى
انما انت نذير ولما كانت المعاني الثلاثة متضمنة للنفي كان المعنى لم يكن من يفعل ذلك فاتصل الاستثناء في قوله **الا قليلا** اى
صالحين **ممن انجينا منهم** والظاهر ان من بيانية اى هم الذين انجينا فانهم نهوا عن الفساد وعبر بالانجاء لانه الدال على الخير الحاصل
للنهي عن الفساد دون التنجية الدالة على التدريج والابلاغ في الانجاء فلو عبر بها فسد المعنى **واتبع** الاكثر وهم **الذين
ظلموا** اى اوقعوا الظلم بترك النهي عن الفساد واحسن اطلاقها عن التقييد بهم **ما** ولما كان المبطر بنفسه لترفه بني للمفعول قوله
اترفوا فيه فابطرتهم النعمة حتى طغوا وتجبروا **وكانوا مجرمين** اى متصفين على سبيل الرسوخ بالاجرام وهو قطع حبل الله
على الدوام فاهلكهم ربك لاجرامهم ولولا ذلك لما فعل فان اهلاكهم على تقدير الانفكاك عن الاجرام يكون ظلما على ما يتعارفون
ولما اوضح بما مضى ان العبرة في الاهلاك والانجاء للاكثر قرره واكده وبينه بقوله **وما كان ربك** ذكر سبحانه بالوصف المفهم
للاحسان تثبيتا له وتأمينا **ليهلك القرى** اى اهلاكا عاما **بظلم** اى في حال ظلم **واهلها مصلحون** بان يقع اهلاكهم في حال
اصلاحهم الذي هم عليه فيكون الاهلاك في غير موقعه على ما يتعارف العباد مع العلم بانه لا يفعل ذلك في نفسه لانه
لا يسأل عما يفعل والاهلال اى بجانب ما يبطل به الاحسان والهلاك ضياع الشيء وهو حصوله بحيث لا يدرى اين هو والاصلاح
ايجاب الاستقامة في الامر ولما كان مثل هذه الايات ربما اوهم ان اختيار المشية نفي ذلك للوهم مبينا انفكاك المشية عن الامر

بقوله ولو شاء ربك اى المحسن اليك بكل احسان يزيدك رفعة لجعل الناس كلهم امة واحدة على الاصلاح فهو قادر على ان
يجعلهم كلهم مصلحين متفقين على الايمان فلا يهلكهم ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء اختلافهم والامر تابع لمشيئته فاختلفوا ولا يزالون
مختلفين اى ثابتا اختلافهم لكونهم على اديان شتى الا من رحم ربك اى المحسن اليك بالتاليف بينهم فجعلهم من اهل طاعتك
فانهم لا يختلفون فى اصول الحق ولذلك اى الاختلاف خلقهم اى اخترعهم واوجدهم من العدم وقدرهم وذلك انه لما طبعهم سبحانه
على طرائق من الخير والشر يقتضى الاختلاف لتفاوتهم فيها وجعلوا انهم خلقوا له فجروا على مع القضاء والقدر ولم يمكنهم الجرى على ما تدعو
اليه العقول لان الاتفاق رحمة والاختلاف نقمة فاستحق فريق منهم النار وفريق الجنة وليس ذلك بمخالف لقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون بل هو مشاكل له اى انه لما ركبهم على العجز ومنحهم العقول مع نصب الادلة كان ذلك مهيأ للعبادة فكانوا كانهم
ما خلقوا الا لها اى ما خلقتهم الا ليعرفونى بنفوذ اقضيتى وتصاريفى فيهم فيعبدونى اى يخضعوا لى فمن كان منهم طايعا فهو عابد حقيقة
ومن كان عاصيا كان عابدا مجازا اى خاضعا للامر لنفوذه فيه وعجزه عن الامتناع كما قال تعالى وله يسجد من فى السموات والارض طوعا
وكرها الاية فقد بان انه خلقهم للعبادة فقط لا ينافى خلقهم للاختلاف لان جريهم فى قضائه بالاختلاف عبادة وسجود لغة
وذلك ان مادة عبد وسجد تدور على الخضوع والذل والانقياد وبذلك كان الكل عبيدا لله او الاشارة الى مجمع الاتفاق
والاختلاف ليظهر فضله على من ثبتهم ويظهر عدله فيمن خذلهم ولما كان هذا الاختلاف سبب الكفر الذى تحارب اهله بالقتال عليه كان
ربما ظن انه بغير مشيئته فبين انه انما هو بمراده ولا اعتراض عليه فقال وتمت اى الكلمة التى تلقى المعذب فيها بالتجهم والعبوس اى فبادروا
الى ما خلقتهم له معرضين عن اوامره ولم تغن عنهم عقولهم وتممت كلمة ربك اى المحسن اليك بقهر اعدائك التى سبقت فى الازل
وهى وعزتى لاملان جهنم اى التى تلقى المعذب فيها بالتجهم والعبوسة من الجنة اى قبيل الجن قدمهم لانهم اصل فى الشر ثم
قال والناس اجمعين لمشوا على ما اراد ولم يمكنهم مع عقولهم الجيدة الاستعداد وقواهم الشداد غير الانقياد فمن قال انه
يخلق فعله او له قدرة على شى فليفعل غير ذلك بان يخبر باتفاقهم ثم يفعله ليتم قوله والا فليعلم انه مربوب مقهور فيسمع كلام
ربه ويقبل اليه بقالبه وقلبه ولما اخبر سبحانه بما فعل بالقرى الظالمة وحذر كل من فعل بافعالهم بسطوته فى الدنيا والاخرة وامر
باتباع امره والاعراض عن اختلافهم الذى حكم به واراده عطف على قوله نقصه عليك وكلا نقص اى وكل نقص عليك من انباء
اى خبر عظيم جدا من انباء الرسل مع اممهم صالحهم وطالحهم فهم تفخيم الامر ولما كان الذى جر هذه القصص ما مضى من قوله فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الاية وكان ذلك لما يحصل للقلب وهو الفواد الذى به قوام الانسان بل الحيوان وهو اضر ما فيه ولذا
عبر عنه بما اشتق من الفاد وهو الحرق وكان من لازم الحرارة الاضطراب والتقلب الذى اشتق منه القلب فيضيق به الصدر ابدله من كلا قوله
ما نثبت به اى تثبيتا عظيما به فوادك اى فيسكن فى موضعه ويطمئن ويزداد يقينه فلا يضيق الصدر من قولهم لولا انزل عليه
كنز او جاء معه ملك ونحوه وبهذا يتبين ان المراد بذلك العام خاص لحصول المقصود به وهو التسلية نظرا الى قوله تعالى وضائق به صدرك
او المشاركة فى الامور الصعبة تهون على الانسان ما يلقى من الاذى والاعلام بعقوبات المكذبين فيها تانيس للمكروب والتثبيت تمكين اقامة
الشى والفواد العضو الذى من شانه ان يحمى بالغضب الحادث فيه من المعاد وهو المشتوى ولما بين اذ كلما قص عليه من اخبارهم بين ثمرة
هذا المقصود بين انه ليس كما يعللون به غالب الناس الاخبار الفارغة والاحاديث المزخرفة الباطلة ولا فيما ينقله المورخون مشوبا بالتحريف
فقال وجاءك فى هذه اى الاخبار الحق اى الكامل فى الثبات الذى لا مرية فيه وفائدة الظرف التاكيد لعظم المقصود من اية فلعلك و
صعوبته ولما كان الحق حقا بالنسبة الى كل احد عرفه ونكر ما هو خاص بقوم دون قوم فقال وموعظة اى ترقق القلوب وذكرى اى تذكير
عظيم جدا للمؤمنين اى الراسخين فى الايمان وقد تضمنت الاية الاعتبار بقصص الرسل بما فيها من حسن صبرهم على اممهم واجتهادهم
على دعائهم الى عبادة الله بالحق وتذكير الخير والشر وما يدعو اليه كل منهما من عاقبة النفع والضر للثبات على الحق جميعه اقتداء بهم

ولما ذكر

ولما كان انما [illegible] رحمة [illegible] الى [illegible] الا الهدى ومن شرع [illegible] الذى [illegible] فقد [illegible] صح

ولما ذكر نفع هذا الحق كان كانه قيل فعظهم بذلك وذكرهم به فعطف عليه قوله وقل ويجوز ان يكون معطوفا على قوله واصبر اى اصبر على ما
امرناك به من تبليغ وحينا وامتثاله وقل للذين اى لم تؤثر فيهم هذه الموعظة فهم لا يؤمنون اى يتجدد منهم ايمان منذرا لهم اعملوا متمكنين
على مكانتكم اى طريقتكم التى تمكنتم من العمل عليها ولما كان العمل واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل من تبعه فهم عاملون لا محالة استوى عمل الكفار
اولا فقال مؤكدا لاجل انكار الكفار ان يدوموا على العمل المخالف لهم مع ما يصل اليهم لاجله من الضرر ما له عن فعل البتة بالله او لكونه استيناف
انا اى انا ومن معى عاملون اى ثابت عملنا لا ننحرف عنه لان كل ما لله فهو دائم بدوامه سبحانه وحذف النون الثانية اكتفاء بمطلق التاكيد لانه
كاف فى الاعلام بالجزم فى النية وفيه تأدب بالاشارة الى ان المستقبل امر لا اطلاع عليه لغير الله فينبغى ان لا يبلغ فى التاكيد فيه جزما وهذا بخلاف
ما فى سورة فصلت مما هو جار على السنة الكفرة وانتظروا اى ما انتم منتظرون له من قهرنا انا منتظرون اى ما وعدنا الله فى امركم فان
الله مهلككم ومنجينا لانه عالم بغيب حالكم وحالنا وقادر عليكم والانتظار طلب الادراك لما ياتى من الامر الذى يقدر النظر اليه والتوقع طلب ما
يقدر انه يقع وهما يكونان فى الخير والشر ومع العلم والشك والترجى لا يكون الا مع الخير والشك ولما تضمن هذا التهديد العلم والقدرة قال
عاطفا على ما تقديره فلله كل ما شوهد من امرنا وامركم وامر عالم الشهادة كله ولكنه من ابتداء امورنا ولله اى المحيط وحده بكل شى
مع ذلك غيب السموات والارض اى جميع ما غاب علمه عن العباد فهو تام العلم ومنه ما ينهى عنه وان ظن الجهلة انه خارج عن قدرته
لما ظهر من الزجر عنه ومن كراهته ولما كان الشيا هنا ان الله سبحانه خلق الخلق ذواتهم ومعانيهم للاختلاف وكان تهديدهم على المعاصى
ربما اوهم انه بغير ارادته فكان ربما قال الجاهل انا نرى المخالفين لاوليائه كثيرا جدا وعادة الملوك ان من خالفهم خارج عن امرهم كان الجواب
على تقدير التسليم لهذا الامر الظاهر فلما كان الامر كله بدءه ظاهرا وباطنا واليه اى وحده يرجع بعد ان كان ظهر للجاهل انه خرج
عنه والرجوع ذهاب الشى الى حيث ابتدأ منه الامر كله فى الحال على اللبس والخفاء وفى المال على ظهور واتضاح وجلاء فهو شامل القدرة
كما هو شامل العلم فلا بد من ان يرجع اليه امرك وامر اعدائك اى يعامل فيه عمل من يرجع اليه الامر فيجازى المحسن باحسانه والمسى باسائته
ولذلك سبب عن اسناد الامور كلها اليه قوله فاعبده اى وحده عبادة لا شوب فيها وتوكل اى اعتمد فى امورك كلها عليه
فانه القوى المتين وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد ولما كانت العادة جارية بان العالم قد يغفل
نزه عن ذلك سبحانه نفسه فقال مرغبا مرهبا وما ربك اى المحسن اليك بما يعلمه باحاطة علمه احسانا والغرق فى النفى فقال
بغافل عما يعملون ولا تهديد ابلغ من العلم وهذا بعينه مضمون قوله تعالى كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
ان لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير

المجلد الثالث

تفسير البقاعي الشافعي رحمة الله عليه

قد دخل في سلك ملك
الفقير اليه سبحانه وتعالى
الشيخ الحاج عمر بن الشيخ
عيسى الواعظ بجامع
حضرت شيخ وفا قدس سره
عفي عنهما العفو

الحمد لله عز وجل
[illegible]





بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

قال احوج الخلايق الي عفو الخالق العالم العلامة المحقق المدقق ابو الحسن ابرهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين

سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

مقصودها وصف الكتاب بالابانة لكل ما يوجب الهدي لما ثبت فيما مضى وياتي في هذه السورة من تمام علم منزله غيبا وشهادة وشمول قدرته قولا وفعلا وهذه القصة كما ترى انسب الاشيا لهذا المقصد وادل عليه مما في اخرها فلذلك سميت سورة يوسف والله اعلم بسم الله الذي وسع كل شي قدرة وعلما الرحمن الذي لم يدع لبسا لعموم رحمته في طريق الهدي الرحيم الذي خص حزبه بالابعاد عن سوطن الردي لما خلل سبحانه تلك بما خللها به من القصص والايات القاطعة بان القران من عنده وباذنه نزل وانه لا يومن الا من شا ايمانه وانه مهما شاه كان وبين عظيم قدرته على مثل ما عذب به الامم وعلى التاليف بين من اراد وايقاع الخلاف بين من شا واشار الى انه حكم بالنصر لعابديه فلابد ان يكون ما اراد لانه اليه يرجع الامر كله تلاها بهذه السورة لبيان هذه الاغراض بهذه القصة العظيمة الطويلة التي لقي فيها يوسف عليه الصلاة والسلام ما لقي من اقرب الناس اليه ومن غيرهم ومن الغربة وشتات الشمل ثم كانت له العاقبة فيه على اتم الوجوه لما تدرع به من الصبر على شديد البلا والتفويض لامر الله جل وعلا تسلية لهذا النبي الامين وتاسية بمن مضى من اخوانه المرسلين فيما يلقى في حياته من اقاربه الكافرين وبعد وفاته ممن دخل منهم في الدين في البيته كما وقع ليوسف عليه الصلاة والسلام بالفعل باهم الكفار من اقارب النبي صلى الله عليه وسلم بفعله به كما حكاه سبحانه في قوله ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك فنجاه منهم ان يكون شي منه بابدع الا ما كان من الحصر في شعب ابي طالب ومن الهجرة بامر الحكيم العليم ثم نصره الله كما نصر يوسف عليه الصلاة والسلام على اخوته الذين فعلوا به ذلك وملكه فيادهم فكان من سوق قصته عقب الاخبار بان المراد بهذه القصص تثبيته صلى الله عليه وسلم وتسلية فواده اشارة الي البشارة بما وقع له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من ملك قيادهم ورد عنادهم ومنته عليهم واحسانه اليهم وفي اشارتها بشارة بان المحسود يعان ويعلي ان عمل ما هو الاحري به والاولى ومن فوايد ذكرها التنبيه على ان الحسد دا عظيم شديد التمكن في النفوس حتى انه لعظم تمكنه وكثرة مكامنه وتعدد كمايبنه ربما غلب اهل الصلاح الامن بادر منهم بالتوبة داعي الفلاح وتركت اعادتها دون غيرها من القصص صونا للاكابر عن ذكر ما ربما اوجب اعتقاد نقص او توجه طعن او غمض او هون دا الحسد عند ذي تهور ولدد وخللها سبحانه ببليغ الحكم وختمها بما انتج عن ثبوت امر القران ونفي التهمة عن هذا النبي العظيم هذا مناسبة ما بين السورتين واما مناسبة الاول للاخر فانه تعالى لما اخبر في اخر تلك بتمام علمه وشمول قدرته دل على ذلك اهل السبق في الفصاحة والعوت في البلاغة في اول هذه بما فعل في كلامه من انه تعالي يقدر على ان ياتي بما تذهب الافهام والعقول على كر الازمان وتعاقب الدهور وتوالي الايام وتمادي الليال في معناه كل مذهب ونظير كل مطار مع توفر الدواعي واستجماع القوي ولا تقف من ذلك على امر محقق ولا مراد معلوم وعلى

ان ياتي بما يفهم من اول النظر ادني معناه فيما يوثق بانه مراد ثم لا يزال يبرز منه من دقايق المعاني كلما كرر التامل وتغلغل الفهم الي حد يعلم انه معجوز عن كل ما فيه من جليل معانيه ولطيف مبانيه فقال تعالى الر قال الرماني لم تعد من الفواصل لانها لا تشاكل روس الاي لانها على حرفين فاجريت مجري الاسما الناقصة وانما يوم بالفواصل التمام واما طه فيعد لانها تشبه روس اييها انتهى وهذا قول من ذهب سهوا الى ان السجع مقصود في القران وهو قول مردود غير معتد به كما مضى القول فيه في اخر سورة براة فانه لا فرق بين نسبته الي انه شعر وبين نسبته الى انه سجع لان السجع صنع للكهان فيودي ذلك الى ادعا انه كهانة وذلك كفر لا شك فيه وقد اطنبت فيه في كتاب مصاعد النظر وبينت مذاهب العادين للايات وان مرجعها التوقيف مثل نقل القرات سواوالله الهادي ولما ابتدئت السورة الماضية بان هذا الكتاب محكم وختمت بالحكمة المقصودة من قص انبا الرسل وكان السياق للرد عليهم في تكذيبهم به في قوله ام يقولون افتراه ودل على انه انزل بعلمه ابتديت هذه لاتمام تلك الدلالة بالاشارة الي ماله من علو المحل وبعد الرتبة فعقب سبحانه هذه المشكلة التي القاها بالاحرف المقطعة وبان انها مع اشكالها عند التامل واضحة بقوله مشيرا الي انما تقدم من القران او الى هذه السورة تلك اي الايات العظيمة العالية ايات الكتاب اي الجامع لجميع المرادات ولما تقدم اول سورتي يونس وهود وصفه ما بحكمه والاحكام والتفصيل وصف هنا بما خص من ذلك فقال تعالى المبين اي البين في نفسه انه جامع معجز لا يشتبه على العرب بوجه والموضح لجميع ما حوي وهو جميع المرادات لمن امعن التدبر وانعم التفكر ولانه من عند الله ما كان حديثا يفتري ولكنه موعظة وذكرى للمومنين والبيان اظهار المعنى للنفس بما يفصله عن غيره وهو غرض كل حكيم في كلامه ويزيد عليه البرهان بانه اظهار صحة المعنى بما يشهد به وابان لازم متعد ثم علل المبين بقوله معبرا بالانزال لانه في سياق تكذيبهم به بخلاف ما عبر فيه بالجعل كما ياتي في الزخرف انا انزلناه بنون العظمة اي الكتاب المفسر بهذه السورة او بالقران كله قرانا سمي بعضه بذلك لان القران اسم جنس يقع على الكل والبعض عربيا وعلل انزاله كذلك بقوله لعلكم تعقلون اي لتكونوا على رجا من ان تكونوا من ذوي العقل او من ان تعقلوا ما يراد منكم قال ابو حيان ولعل ترج فيه معنى التعليل وهذه الاية تدل على ان اللسان العربي افصح الالسنة واوسعها واقومها واعدلها لان من المقرران القول وان خص بخطابه قوم يكون عاما لمن سواهم ولما بين انه يقص عليه من انبا الرسل ما يثبت به فواده قال مثبتا ومعللا لابانة الكتاب بعلة اخري مشاهدة هي اخص من الاولى نحن نقص عليك وعظم هذه القصة بمظهر العظمة واكد ذلك بقوله احسن القصص اي الاقتصاص او المقصوص بان نتبع بعض الحديث كما تعلمه بعضا فنبينه احسن البيان لانه من قص الاثر تثبيتا لفوادك وتصديقا لنبوتك وتاييدا لرسالتك على احسن ترتيب واحكم نظام واكمل اسلوب واوفى تحرير وابدع طريقه مع ما نفصلها به من جواهر الحكم وبدايع المعاني من الاصول والفروع وهي قصة يوسف عليه الصلاة والسلام قصة طويلة في التوراة في نيف وعشرين ورقة لا يضبطها الاحذاق احبارهم من تامل اقتصاصها فيها او في غيرها من تواريخهم ذاق معنى قوله تعالى

احسن القصص حتى لقد اسلم قوم من اليهود لما راوا من حسن اقتصاصها روى البيهقي في اواخر الدلايل بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان حبرا من اليهود دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وكان قاريا للتوراة فوافقه وهو يقرا سورة يوسف عليه الصلاة والسلام كما انزلت على موسى عليه الصلاة والسلام في التوراة فقال له الحبر يا محمد من علمكها قال الله علمنيها فرجع الى اليهود فقال لهم اتعلمون والله ان محمدا ليقرا القران كما انزل في التوراة فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ونظروا الى خاتم النبوة بين كتفيه فجعلوا يستمعون الى قراته لسورة يوسف فتعجبوا منه وقالوا يا محمد من علمكها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنيها الله فاسلم القوم عند ذلك وقد ضمنها سبحانه من النكت والعبر والحكم امرا عظيما وذكر فيها حسن محاورة يوسف عليه الصلاة والسلام لاخوته وصبره على اذاهم وحلمه عنهم واغضاه عند لقيا هم عن تبكيتهم وكرمه في العفو والانبيا والصالحين والملايكة ه والشياطين والانس والجن والانعام والطير وسير الملوك والممالك والتجار والعلما والجهال والرجال والنسا ومكرهن والتوحيد والنبوة والاعجاز والتعبير والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش وجميع الفوايد التي تصلح للدين والدنيا وذكر الحبيب والمحبوب ولم يدخل فيها شيا من غيرها دون سائر القصص وكان عقباها الى خير وسلامة واجتماع شمل وعفو من الله وتجاوز عن الكل **بما اوحينا** اي بسبب ايحاينا **اليك** ولما كان انزال القران يجمع الخيرات عين المراد بالاشارة والاسم العلم فقال **هذا القران** الذي قالوا فيه انه مفترى فنحن نتابع فيه القصص قصة بعد قصة والحكم حكمة في اثر حكمة حتى لا يشك شاك ولا يمتري ممتر في انه من عندنا وباذننا ويكون امره في البعد من اللبس اظهر من الشمس ولما كانوا مع معرفتهم به صلى الله عليه وسلم عارفين بانه كان مباعدا للعلم والعلما وكان فعلهم في التكذيب فعل من ينكر ذلك قال **وان** اي وان الشان والحديث **كنت** ولما كان كونه لم يستغرق الزمان الماضي اثبت الجار فقال **من قبله** اي هذا الكتاب او ايحاينا اليك به **لمن الغافلين** اي عن هذه القصة وغيرها موكدا له بانواع التاكيد وهو ناظر الى قوله اخرها وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون بعد التفاته عن كسب الى اخر التي قبلها وما ربك بغافل عما تعملون والحس معنى يتقبله العقل ويطرق الى طلب المتصف به مادة للجبل ومادة غفل لكل ترتيب تدور على الستر والحجب من الغلاف الذي يوضع فيه الشي فلا ينظر منه شيا ولا ينظر ما دام فيه ومنه الغلفة للجلدة التي على الكمرة والغفل بالضم ما لا علامة له من الارض ودابة غفل لا سمة لها لان عدم العلامة مود الى الجهل بها فكانها في غلاف لا ينظر منه ومنه رجل غفل لا حسب عنده لان ذلك اقرب الى جهله والتغفل الختل اي اخذ الشي من غير ان يشعر فقد ظهر ان مقصود السورة وصف الكتاب بعد الحكمة والتفصيل بالابانة عن جميع المقاصد المنزل لها وقال الامام ابو جعفر بن الزبير هذه السورة من جملة ما قص عليه صلى الله عليه وسلم من انبا الرسل واخبار من تقدمه مما فيه التثبيت الممنوح في قوله سبحانه وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك ومما وقعت الاحالة عليه في سورة الانعام كما تقدم وانما افردت على حدتها ولم تنسق على قصص الرسل مع اممهم في سورة واحدة لمفارقة مضمونها تلك القصص الا ترى ان تلك قصص ارسال من تقدم ذكرهم عليهم الصلاة والسلام وكيفية تلقي قومهم لهم واهلاك مكذبيهم اما هذه القصة فحاصلها فرج بعد شدة وتعريف بحسن عاقبة الصبر فانه تعالى

امتحن

امتحن يعقوب عليه الصلاة والسلام بفقد ابنيه وبصره وشتات بنيه وامتحن يوسف عليه الصلاة والسلام بالجب والبيع وامراة العزيز وفقد الاب والاخوة والسجن ثم امتحن جميعهم بشمول الضر وقلة ذات اليد مسنا واهلنا الضر وجينا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل ثم تداركهم الله بالفرج وجمع شملهم ورد بصر ابيهم وايتلاف قلوبهم ورفع ما نزغ به الشيطان وخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من كيد من كاده واكتنافه بالعصمة وبراته عند الملك والنسوة وكل ذلك مما اعقبه جميل الصبر وجلالة اليقين في حسن تلقي الاقدار بالتفويض والتسليم على توالي الامتحان وطول المدة ثم انجر في اثنا هذه القصة الجليلة انابة امراة العزيز ورجوعها الى الحق وشهادتها ليوسف عليه الصلاة والسلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين ثم استخلاص العزيز اياه الى ما انجر في هذه القصة الجليلة من العجايب والعبر لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فقد انفردت هذه القصة بنفسها ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام وما جرى في اممهم فلهذا افصلت عنهم وقد اشار في سورة براسها الى عاقبة من صبر ورضي وسلم ليتنبه المومنون على ما في طي ذلك وقد صرح لهم بما اجملته هذه السورة من الاشارة في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الى قوله امنا وكانت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بجملتها اشبه شي بحال المومنين في مكابدتهم في اول الامر وهجرتهم وتشتتهم مع قومهم وقلة ذات ايديهم الى ان جمع الله شملهم اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واورثهم الارض وايدهم ونصرهم ذلك بجليل ايمانهم وعظيم صبرهم فهذا ما اوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص والله اعلم واما تاخر ذكرها عنها فمناسب لحالها ولانها اخبار بعاقبة من امن واتعظ ووقف عندما حد له فلم يضره ما كان ولم يذكر اثر قصص الاعراف لما بقي من استيفا تلك القصص الحاصل ذلك في سورة هود ثم ان ذكر احوال المومنين مع من كان معهم من المنافقين وصبرهم عليهم مما يجب ان يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة الصبر والحض عليه كما مر فلخرت الى عقب سورة هود عليه الصلاة والسلام لمجموع هذا والله تعالى اعلم ثم ناسبت سورة يوسف ايضا ان تذكر اثر قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات وقوله واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة الاية وقوله وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون فمن بر ذلك اما مناسبتها الاولى فان ندم اخوة يوسف واعترافهم بخطا فعلهم وفضل يوسف عليهم لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطين وعفوه عنهم لا تثريب عليكم اليوم وندم امراة العزيز وقولها الان حصحص الحق الاية كل هذا من باب اذهاب الحسنة السيية واما مناسبة السورة لقوله تعالى واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فان هذا امر منه سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر على قومه فاتبع بحال يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام وما كان من صبرهما مع طول المدة وتوالي امتحان يوسف عليه الصلاة والسلام بالجب ومفارقة الاب والسجن حتى خلصه الله اجمل خلاص بعد طول المشقات الا ترى قول نبينا وقد ذكر يوسف عليهما الصلاة والسلام فشهد له بجلالة الحال وعظيم الصبر فقال ولو لبثت في السجن ما لبث

اخي يوسف لاجتث الداعي فتامل عذره له عليهما الصلاة والسلام وشهادته بعظم قدر يوسف وكلا
نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك لما قيل له عليه الصلاة والسلام واصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين انتج بحال يعقوب ويوسف من المحسنين ووهبنا له اسحق ويعقوب الى قوله وكذلك
نجزي المحسنين وقد شملت الاية ذكر يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام ونبينا عليه الصلاة
والسلام قد امر بالاقتدا في الصبر بهم وقيل له فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ويوسف عليه
الصلاة والسلام من اولي العزم ثم ان حال يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام في صبرهما ورؤية
حسن عاقبة الصبر في الدنيا مع ما اعد الله لهما من عظيم الثواب انسب شي لحال نبينا عليه الصلاة والسلام
في مكابدة قريش ومفارقة وطنه ثم تعقب ذلك بظفره بعدوه واعزاز دينه واظهار كلمته ورجوعه
الى بلده على حالة قرت بها عيون المومنين وما فتح الله عليه وعلى اصحابه فتامل ذلك ويوضح ما ذكرناه ختم
السورة بقوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا الاية فحاصل هذا كله
الامر بالصبر وحسن عاقبة اوليا الله فيه واما النسبة لقوله ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة
ولا يزالون مختلفين فلا انسب لهذا ولا اعجب من حال اخوة فضلا لاب واحد من انبيا الله وصالحي
عباده جرى بينهم من التشتت ما جعله الله عبرة لاولي الالباب واما النسبة لاية التهديد فبينة
وكان الكلام في قوة اعملوا على مكانتكم وانتظروا فلن نقص عليكم مدة صبر يعقوب ويوسف عليهما الصلاة
والسلام فقد وضح بفضل الله وجه ورود هذه السورة عقب سورة هود والله اعلم انتهى ولما تم ما اراد
تعالى من تعليل الوصف بالمبين ابدل من قوله احسن القصص **اذ** اي نقص عليك خبرا اذ اي خبر يوسف
اذ **قال يوسف** اي ابن يعقوب اسرايل الله عليهما الصلاة والسلام **لابيه** مبينا ادبه بقوله
مشيرا باداة البعد الى ان اباه عالي المنزلة جدا والى ان الكلام الاتي مما له وقع عظيم فينبغي ان يهتم
بسماعه والجواب عنه وغير ذلك من امره **يا ابت** تاوه للتانيث لانه يوقف عليها عند بعض القرا بالها
وكسرها عند من كسر دالة على يا الاضافة التي عوض عنها بتا التانيث واجماع الكسرة معها كاجتماعها
مع اليا وفتحها عند من فتح عوض عن الالف القايمة مقام يا الاضافة ولما كان صغيرا وكان المنام عظيما
خطيرا اقتضى المقام التاكيد فقال **اني رايت** اي في منامي فهو من الرويا التي هي روية في المنام فرق
بين حال النوم واليقظة في ذلك بالف التانيث **احد عشر كوكبا** اي نجما كبيرا ظاهرا جدا مضيا
براقا وفي عدم تكرار هذه القصة في القران رد على من قال كررت قصص الانبيا عليهم الصلاة
والسلام تمكينا لفصاحتها بترادف السياق وفي تكرير قصصهم رد على من قال ان هذه لم تكن تكرر
لئلا تغير فصاحتها فكان عدم تكريرها لان مقاصد السور لم تقتض ذلك والله اعلم ولما كان للنيرين
شان يخصانهما هما في غاية الشهرة قال معظما لهما **والشمس والقمر** ولما تشوفت النفس الى الحال التي
راهم عليها فكان كانه قيل على اي حال وكانت الروية بباطن البصر الذي هو باطن النظر فكان
التعبير بها للاشارة الى غرابة هذا الامر زاد في الاشارة الى ذلك باعادة الفعل والحقه ضمير
العقلا لتكون دلالته على كل من عجيب الرويا ومن فعل المرئى الذي لا يعقل فعل العقلا من وجهين
فقيل **رايتهم لي** اي خاصة **ساجدين** فكانه قيل ماذا قال له ابوه فقيل **قال** عالما بان اخوته سيحسدونه

علي

على ما تدل عليه هذه الرويا ان سمعوها **يا بني** فبين شفقته عليه واكد النهي باظهار الادغام فقال
لا تقصص روياك اي هذه **على اخوتك** ثم سبب عن النهي قوله **فيكيدوا** اي فيوقعوا **لك كيدا**
اي يخصك فاللام للاختصاص وفي الاية دليل على انه لا نهي عن الغيبة للنصيحة بل هي مما يندب اليه
قال الرماني والرويا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فاذا تصور
الانسان المعنى توهم انه يراه وقال الامام الرازي في اللوامع هي ركود الحواس الظاهرة عن الادراك
والاحساس وحركة المشاعر الباطنة الى المدارك فان للنفس الانسانية حواس ظاهرة ومشاعر
باطنة فاذا سكنت الحواس الظاهرة استعملت الحواس الباطنة في ادراك الامور الغايبة فربما
تدركها على الصورة التي هي عليها فلا تحتاج الى التعبير وربما تراها في صورة محاكية مناسبة لها
تحتاج الى التعبير مثال الاول رويا النبي صلى الله عليه وسلم انه دخل المسجد الحرام والثاني كرويا
يوسف عليه الصلاة والسلام هذه وقال الرماني والرويا الصادقة لها تاويل والرويا الكاذبة
لا تاويل لها انتهى وهذا لمن ينام قلبه وهو من عدا الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولما كانت العادة
جارية بان شفقة الاخوة تمنع من مثل ذلك علله تقريبا له بقوله **ان الشيطان** اي المحترق
المبعد **للانسان** اي عامة لا سيما الاكابر منهم **عدو مبين** اي واضح العداوة وموضحها لكل واع
فيوقع العداوة بما يخيله من فوت الحظوظ بتركها وفي الاية دليل على ان امر الرويا مشكل فلا ينبغي
الا ان تقص على شفيق ناصح ولما علم يعقوب عليه الصلاة والسلام من هذه الرويا ما سيصير اليه
ولده من النبوة والملك قال **وكذلك** اي قد اجتباك ربك للاطلاع على هذه الرويا العظيمة الدالة
على شرف وعز ومثل ما اجتباك لها **يجتبيك** اي يختارك ويجمع لك معالي الامور **ربك** المربي لك
للاحسان بالملك والنبوة **ويعلمك من** اي بعض **تاويل الاحاديث** من الرويا وغيرها من كتب الله
وسنن الانبيا وغوامض ما تدل عليه المخلوقات الروحانية والجسمانية لان الملك والنبوة لا
يقومان الا بالعلم والتاويل المنتهى الذي يصير اليه المعنى وذلك فقه الحديث الذي هو حكمه لانه
اظهار ما يوول اليه امره مما عليه معتمد فايدته واكثر استعماله في الرويا **ويتم نعمته** بالنبوة **عليك**
بالعدل ولزوم المنهج السوي **وعلى آل يعقوب** اي جميع اخوتك ومن اراد الله من ذريتهم فيجعل نعمتهم
في الدنيا موصولة بنعمة الاخرة لانه عبر عنهم في هذه الرويا بالنجوم المهتدى بها ولا يستعمل الال الا
فيما له خطر وشرف واضافته مقصورة على اعلام الناطقين قال الراغب واما آل الصليب ان صح نقله
فشاذ ويستعمل فيمن لا خطر له الاهل **كما اتمها على ابويك** ولما كان وجودهما لم يستغرق الماضي ادخل
الجار فقال **من قبل** اي قبل هذا الزمان ثم بين الابوين بعده وجد ابيه فقال **ابرهيم** اي بالخلة وغيرها
من الكرامة **و** ولده **اسحق** بالنبوة وجعل الانبيا والملوك من ولده واتمام النعمة الحكم بدوامها على خلوصها
من شايب فيها ينقصها ولما كان ذلك لا يقدر عليه الا العالم المحيط بجميع الاسباب ليقام منها ما يصلح
والحكمة التي بها يحكم ذلك السبب عن ان يفاومه سبب غيره وكان السياق بالعلم اولى لما ذكر من علم
التاويل مع ما تقدم من قوله اخر تلك ولله غيب السموات والارض به وما شاكل ذلك اول هذه فقال
ان ربك عليم اي بليغ العلم **حكيم** اي بليغ الحكمة وهي وضع الاشيا في اتقن مواضعها ولما كان ذلك

توقع السامع له مايكون بينه وبين اخوته هل يكتمهم الرويا او يعلمهم بها وعلي كلا التقديرين مايكون فقال تعالي جوابالمن كانه قال ما كان من امرهم مفتتحا له بحرف التوقع والتحقيق بعد لام القسم تاكيدا للامر واعلاما بانه علي اتقن وجه **لقد كان** اي كونا هو في احكم مواضعه **في يوسف واخوته** اي بسبب هذه الرويا وما كان من تاويلها واسباب ذلك **ايات** اي علامات عظيمة دلالات علي وحدانية الله ونبوة محمد صلي الله عليه وسلم وغير ذلك مما تضمنته القصة **للسايلين** الذين يسلون عنها من قريش واليهود وغيرهم وايات علي عظمة الله وقدرته في تصديق رويا يوسف عليه الصلاة والسلام ونجاته ممن كاده وعصمته واعلا امره والمراد باخوته هنا العشرة الذين هم من ابيه وهم روبيل وشمعان بمعجمة اوله ولاوي ويهوذا وزبلون بزاي وموحدة وايساخار بهمزة مكسورة وتحتانية وسين مهملة وخا معجمة ودان بمهملة وجاذ بجيم بينها وبين الكاف واشير بهمزة ممدودة وشين معجمة ثم تحتانية وراء مهملة ونفتالي بنون مفتوحة وفا ساكنة ومثناة فوقانية ولام بعدها يا وشقيقه بنيامين بضم الموحدة هكذا ذكرهم في التوراة وحررت التلفظ بهم من العلما بها وقد تقدم ذلك في البقرة بزيادة والاية الدالة علي ما كان من الامور العظيمة ومثلها العلامة والعبرة والحجة اخص منها لانها معتمد البينة التي توجب الثقة بصحة المعني الذي فيه اعجوبة ولما تقرر ذلك ابتدا بذكر الايات الواقعة في طرف هذا الكون فقال **اذ قالوا** اي كان ذلك حين قال الاخوة بعد ان قص الرويا عليهم وسول لهم الشيطان كما ظن يعقوب عليه الصلاة والسلام مقسمين دلالة علي غاية الاهتمام بهذا الكلام وانه مما حركهم غاية التحريك او هي لام الابتدا الموكدة المحققة لمضمون الجملة **ليوسف واخوه** اي شقيقه بنيامين **احب** وحدوا لان افعل يستوي فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان او موَنثا اذا لم يعرف او يضف **الي ابينا منا** اي يحبهما اكثر مما يحبنا والحب ميل يدعو الي ارادة الخير والنفع للمحبوب بخلاف الشهوة فانها ميل النفس ومنازعتها الي ما فيه لذتها **و** الحال انا **نحن عصبة** اي اشدا في انفسنا ويشد بعضنا بعضا واما هما فصغيران لا كفاية عندهما والعصبة من العشرة الي الاربعين فكانه قيل فكان ماذا علي تقدير ان يكونا احب اليه فقالوا موكدين لان حال ابيهما في الاستقامة والهداية داع الي تكذيبهم **ان ابانا لفي ضلال** اي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك **مبين** حيث فضلهما علينا والقرب المقتضي للحب في كلنا واحد لانا في البنوة سوا ولنا مزية تقتضي تفضيلنا وهي انا عصبة لنا من النفع له والذب عنه والكفاية ما ليس لهما قال الامام ابو حيان واحب افعل التفضيل وهو مبني من المفعول شذوذا ولذلك عدي بالي لانه اذا كان ما تعلق به فاعلا من حيث المعني عدي اليه بالي واذا كان مفعولا عدي اليه بفي تقول زيد احب الي عمرو من خالد فالضمير في احب مفعول من حيث المعني وعمرو هو المحب واذا قلت زيد احب في عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الاول محبوب وفي الثاني فاعل قال والضلال هنا هو الهوي قاله ابن عباس رضي الله عنهما انتهي ولما كان ذلك وكان عندهم ان الشاغل الاعظم لابيهم عنهم انما هو حب يوسف عليه الصلاة والسلام وحب اخيه انما هو تابع كان كانهم تراجعوا فيما بينهم فقالوا قد تقرر هذا فما انتم صانعون فقالوا او من شا الله منهم **اقتلوا يوسف** اصل القتل اماتة الحركة بالسكون **او اطرحوه ارضا** اي وصلوا الفعل بدون حرف ونكروها

دلالة

دلالة علي انها تكون منكورة مجهولة بحيث يهلك فيها وعني قايلهم بذلك ان تورعتم عن مباشرة قتله بايديكم ولما كان التقدير ان تفعلوا ذلك اجابه بقوله **يخل لكم** اي خاصا بكم **وجه ابيكم** اي قصده لكم وتوجهه اليكم وقصدكم ونيتكم له ولما كان اهل الدين لا يهملون اصلاح دينهم لانه محط امرهم قالوا **وتكونوا** اي كونا هو في غاية التمكن ولما كانوا عالمين بان الموت لابد منه فهو مانع من استغراقهم للزمان الاتي ادخلوا الجار فقالوا **من بعده** اي يوسف عليه الصلاة والسلام **قوما** اي ذوي نشاط وقوة علي محاولة الامور **صالحين** اي عريقين في وصف الصلاح مستقيمين علي طريقة تدعو الي الحكمة بوقوع الالفة بينكم واستجلاب محبة الوالد بالمبالغة في بره وبالتوبة من ذنب واحد يكون سببا لزوال الموجب لذا الحسد الملزوم لذنوب متصلة من البغضا والمقاطعة والشحنا فعزموا علي التوبة قبل وقوع الذنب فكانه قيل ان هذا لمن اعجب العجب من مطلق الاقارب فضلا عن الاخوة فماذا قالوا عند سماعه فقيل **قال** ولما كان السياق لان الامر كله لله فهو ينجي من يشا بما يشا لم يتعلق القصد ببيان الذي كانت علي يده النجاة فقال مبهما اشعارا بانه يحب قبول النصح من اي قايل كان وان الانسان لا يحقر نفسه في بذل النصح علي اي حال كان **قايل** ثم عينه بعض التعيين فقال **منهم** اي الاخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام **لا تقتلوا يوسف** بايديكم ولا بالالقا في المهالك فان القتل اكبر الكباير بعد الشرك وكانه لم يكن في ناحيتهم تلك غير جب واحد تعرفه فقال **والقوه** وكانه كان فيه ما ومكان يمكن الاستقرار فيه ولا ما به فاراده بقوله **في غيابة الجب** اي غوره الغايب عن الاعين فان ذلك كاف في المقصود وانكم ان تفعلوا **يلتقطه بعض السيارة** جمع سيار وهو المبالغ في السير هذا **ان كنتم** ولابد **فاعلين** ما اردتم من تغييبه عن ابيه ليخلو لكم وجهه والجب البير التي لم تطو لانه قطع عنها ترابها حتي بلغ الما ومن ابي عمرو ان هذا كان قبل ان يكونوا انبيا فكانه قيل ان هذا الحسن من حيث انه صرفهم عن قتله فهل استمروا عليه او قام قايم منهم في استنزالهم عنه بعاطفة الرحم وود القرابة فقيل بل استمروا لانهم **قالوا** اعما لا للحيلة في الوصول اليه مستفهمين علي وجه التعجب لانه كان احس منهم الشر فكان يحذرهم عليه **يابانا مالك** اي اي شي لك في حال كونك **لا تامنا علي يوسف و** الحال **انا له لناصحون** والنصح دليل الامانة وسببها ولهذا قرنا في قوله ناصح امين والامن سكون النفس الي انتفا الشر وسببه طول الاهمال في الامر الذي يجوز قطعه بالمكروه فيقع الاغترار بذلك الا مما لا من الجهال وضده الخوف وهو انزعاج النفس بما يتوقع من الضرر والنصح اخلاص العمل من فساد يتعمد وضده الغش واجمع القرا علي حذف حركة الرفع في تامنا وادغام نونه بعد امكانه تبعا للرسم بعضهم ادغاما محضا وبعضهم مع الاشمام وبعضهم مع الروم دلالة علي نفي سكون قلبه عليه عليهما الصلاة والسلام بامنه عليه منهم علي ابلغ وجه مع انهم اهل لان يسكن اليهم بذلك غاية السكون ولو ظهرت ضمة الرفع عند احد من القرا فات هذا الايما الي هذه النكتة البديعة ولما كان هذا موضع ان يقال لاي غرض يكون ذلك قالوا في جوابه **ارسله معنا غدا** الي مرعانا ان ترسله **نرتع** اي ناكل ونشرب في الريف ونتسع في الخصب **ونلعب** اي نعمل ما تشتهي الانفس من المباحات تاركين الجد وهو كل ما فيه كلفة

ومشقة فان ذلك له سار وانا له لحافظون اي بليغون في الحفظ قال ابو حيان وانتصب غدا
على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد
واصل غد غدو فحذفت لامه انتهى فكانه قيل ماذا قال لهم قال لما زاد صدودهم توغرا لان
ما قالوه له هو بحيث يسر به لسرور يوسف عليه الصلاة والسلام به اني ليحزنني اي حزنا ظاهرا
محققا بما اشار اليه اظهاره النون واثباته لام الابتدا ان تذهبوا به اي يتجدد الذهاب به
مطلقا لاني لا اطيق فراقه ولا لحظة وفتح لهم بابا يتخوفون به عند فعل المراد بقوله جامعا بين
مشقتي الباطن والبلا كما قالوا موكل بالنطق واخاف اي اذا ذهبتم به واشتغلتم بما ذكرتم ان
ياكله الذيب اي هذا النوع كانه كان كثيرا بارضهم وانتم عنه اي خاصة غافلون اي عريقون
في الغفلة لاقبالكم على ما يهمكم من مصالح الرعي والحزن القلب بما كان من فراق المحبوب ويعظم اذا
كان بفراقه الى ما يبغض والاكل تتطيع الطعام بالمضغ الذي بعده البلع فكانه قيل ان تلقيهم
لمثل هذا العجب فماذا قالوا فقيل قالوا مجيبين عن الثاني بما يلين الاب لارساله موكدين لتطييب
خاطره واليمين على القسم بلامه لئن اكله الذيب ونحن اي والحال انا عصبة اي اشدا يغضب
بعضنا لبعض واجابوا القسم بما اغنى عن جواب الشرط انا اذا اي اذا كان هذا لخاسرون اي كاملون
في الخسارة لانا اذا ضيعنا اخانا فنحن لما سواه من اموالنا اشد تضييعا واعرضوا عن جواب الاول
لانه لا يكون الا بما يوغر صدره ويعرف منه انهم من تقربه في الحب على غاية من الحسد لا توصف
واقله ان يقولوا اما وجه الشح بفراقه يوما والسماح بفراقنا كل يوم مما حوز بينهم وبين المراد فكانه
قيل ان هذا لكيد عظيم وخطب جسيم فما فعل ابوهم فقيل اجابهم الى سوالهم فارسله معهم فلما ذهبوا
ملصقين ذهابهم به واجمعوا اي كلهم اجمع كل منهم بان عزم عزما صادقا والاجماع على الفعل
العزم عليه باجتماع الدواعي كلها ان يجعلوه والجعل ايجاد ما به يصير الشي على خلاف ما كان عليه
ونظيره التصيير والعمل في غيابة الجب فعلوا ذلك من غير مانع ولكن لما كان هذا الجواب في غاية
الوضوح لدلالة الحال عليه ترك لانهم اذا اجمعوا عليه علم انهم لا مانع لهم منه ثم عطف على هذا
الجواب المحذوف لكونه في قوة الملفوظ قوله واوحينا اي بما لنا من العظمة اليه اي الى يوسف عليه
الصلاة والسلام ولما كان في حال النجاة منها بعيدة جدا اكده قوله لتنبينهم اي لتخبرنهم اخبارا عظيما
على وجه يقل وجود مثله في الجلالة بامرهم هذا الذي فعلوه بك وهم لا يشعرون لعلو شانك وكبر
سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد للمبدل للهيات المغير للصور والاشكال انك
يوسف قاله ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وابن جريج على ما نقله الرماني والشعور ادراك الشي
مثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن قالوا وتصديق هذا انهم لما دخلوا عليه ممتارين دعا
بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف
وكان ابوكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وكان يوسف
عليه الصلاة والسلام حين القوه في الجب ابن اثنتي عشرة سنة قاله الحسن ولما كان من المعلوم انه ليس
بعد هذا الفعل الا الاعتذار عطف على الجواب المقدر قوله وجاوا اباهم دون يوسف عشا في ظلمة

الليل

الليل ليلا يتجرسوا ابوهم في وجوههم اذا راها في ضيا النهار ضد ما جاوا به من الاعتذار وقد قيل
لا تطلب الحاجة بالليل فان الحيا في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار
والاية دالة على ان البكا لا يدل على الصدق لاحتمال التصنع يبكون والبكا جريان الدمع
من العين عند حال الحزن فكانه قيل انهم اذا بكوا حق لهم البكا خوفا من الله وشفقة على الاخ ولكن
ماذا يقولون اذا سالهم ابوهم عن سببه فقيل قالوا يا ابانا ولما كانوا عالمين بانه عليه الصلاة
والسلام لا يصدقهم لما له من نور القلب وصدق الفراسة ولما لهم من الريبة اكدوا فقالوا انا
ذهبنا نستبق اي نوجد المسابقة بغاية الرغبة من كل منا في ذلك وتركنا يوسف اخانا عند
متاعنا اي ما كان معنا مما نحتاج اليه في ذلك الوقت من ثياب وزاد ونحوه فاكله اي
فتسبب عن انفراده ان اكله الذيب وما اي والحال انك ما انت بمومن لنا اي من التكذيب
اي بمصدق ولو كنا اي كونا هو جبلة لنا صادقين اي من اهل الصدق والامانة بعلمك لانك
لم تجرب علينا قط كذبا ولا حفظت عنا شيا منه جدا ولا لعبا ولما علموا انه لا يصدقهم من وجوه
منها ما هو عليه من صحة الفراسة لنور القلب وقوة الحدس ومنها ان الكذب في نفسه لا يخلو عن
دليل على بطلانه ومنها ان المرتاب يكاد يعرب عن نفسه اعملوا الحيلة في التاكيد بما يقرب
قولهم فقال تعالى حاكيا عنهم وجاوا على قميصه اي يوسف عليه الصلاة والسلام بدم كذب اي
مكذوب اطلق عليه المصدر مبالغة لانه غير مطابق للواقع لانهم ادعوا انه دم يوسف عليه الصلاة
والسلام والواقع انه دم سخلة ذبحوه ولطخوه بها نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن
مجاهد قال والدم جسم احمر سيال من شانه ان يكون في عروق الحيوان وله خواص تدرك بالعيان
من ترجرج وتلزج وسهوله روي ان يعقوب عليه الصلاة والسلام اخذ القميص منهم والقاه على
وجهه وبكا حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني
ولم يمزق قميصه فكان في القميص ثلاث ايات دلالته على كذبهم ودلالته على صدق يوسف عليه الصلاة
والسلام في قده من دبر وعود البصر الى ابيه به فكانه قيل هل صدقهم فقيل لا لان العادة جرت
في مثله انه لا ياكله كله فلا بد ان يبقى منه شي يعرف معه انه هو ولو كان كذلك لاتوا به شرية لساحتهم
وليدفنوه في جبانتهم مع بقية اسلافهم وقد كان قادرا على مطالبتهم بذلك ولكنه علم انهم ما قالوا ذلك
الا بعد عزم صادق على امور لا انطاق فخاف من ان يفتح البحث من الشرور اكثر مما جاوا به من المحذور
بدليل قوله بعد ذلك فتحسسوا من يوسف واخيه ونحو ذلك فكانه قيل فماذا قال فقيل قال بل
اي لم ياكله الذيب بل سولت اي زينت وسهلت من السول وهو الاسترخا لكم انفسكم امرا اي
عظيما ابعدتم به يوسف فصبر اي فتسبب عن ذلك القادح العظيم انه يكون صبر جميل مني وهو
الذي يكون لا شكوى معه للخلق والله اي المحيط علما وقدرة المستعان اي المطلوب منه العون
على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف عليه الصلاة والسلام ولا يقال انهم بعد اجمعوا اوصاف
المنافق اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا ائتمن خان لان هذا وقع منهم مرة والمنافق يكون
ذلك فعله دايما او في اغلب احواله ومادة سول بتقاليبها الخمسة ولس وسلاو وسل ولوس

وسول وسيل بتقاليبها الخمسة لشي ويسل وسيل وسلي ولبس يدوران على ما يطمع فيه من المراد ويلزمه رغد العيش والزينة وبرد القلب والشدة والرخاوة والعلاج والمخادعة والملازمة من الرجا فالمراد السول بالواو وقد يهمز وهو المطلوب والوسيلة الدرجة والمنزلة عند الملك قال الفزاز وقيل توسلت وتوصلت بمعنى والوسيلة الحاجة ووسل فلان اذا طلب الوسيلة والكووس الظفر ومن العمل والعلاج توسل بكذا اي تقرب واللوس الاكل ولاس الشي في فيه بلسانه اذا اداره ولاست الناقة في مشيتها تليس ولسانا لضرب من العنق ومن رغد العيش فلان في سلوة من العيش اي رغد يسليه الهم ومنه السلوى وهو طاير معروف وهي ايضا العسل واسلى القوم اذا احسنوا الشبع ومن الزينة سولت له نفسه كذا اي زينته فطلبه ومن برد القلب سلوت عن الشي اذا تركه قلبك وكان قد صبا به وسقيتني منك سلوة اي طبت نفسي عنك واللبس محركا الغفلة والالبس الديوث لابعا والحسن الخلق وتلابس عنه اغمض ومن الرخاوة السلاوة الذي يكون فيه الولد وهو باي تقول منه سليت كرضي سلا انقطع سلاها ومنه السول وهو استرخا في مفاصل الشاة والسحاب الاسول الذي فيه استرخا لكثرة مايه والاسول المسترخي ومنه ليس اخت كان لان الشي اذا ازداد في الرخاوة ربما عدم ومنه سال بمعنى جري والسايلة من الغرر المعتدلة في قصبة الانف واسال غرار النصل اطاله والسيلان بالكسر سنخ قايم السيف ونبات له شوك ابيض طويل اذا انتزع خرج منه اللبن او ما طال من السمر ومن المخادعة الولس وهي الخيانة والمولاسة المداهنة والتوسل السرقة ومن اللزوم اللبس محركا والملابس البطي وهو ايضا من الرخاوة والاليس من لا يبرح منزله ومن الشدة الليس محركا وهو الشجاعة وهو اليس والاليس البعير يحمل ما حمل والاسد ووقعوا في سلا جمل امر صعب لان الجمل لا سلى له وانقطع السلا في البطن مثل كبلغ السكين العظم ويمكن ان يكون من الشدة ايضا اليسل بفتح وسكون وهم بد اي جماعة من قريش الظواهر والبسل بالبا الموحدة البد الاخري ولما اكل اكلا شديدا ولما تم امرهم هذا وشبوا على ابيهم نار الحزن التفتت النفس الي الخبر عن يوسف عليه الصلاة والسلام فيما اشار اليه قوله لتنبينهم الاية فقال تعالى مخبرا عن ذلك في اسبابه **وجات سيارة** اي قوم يبلغوا السير الي الارض التي الفوا يوسف عليه الصلاة والسلام في جبها **فارسلوا واردهم** اي رسولهم الذي يرسلونه لاجل الاشراف على الما الي الجب ليستقي لهم **فادلى** فيه **دلوه** اي ارسلها في البير ليملاها وامادلا فاخرجها ملاي فاستمسك بها يوسف عليه الصلاة والسلام فاخرجه فكانه قيل ماذا قال حين ادلي الما فتعلق يوسف بالحبل فاطلعه فاذا هو بانسان اجمل ما يكون فقيل **قال** اي الوارد يعلم اصحابه بالبشري **يا بشراي** اي هذا اوانك فاحضري فكانه قيل بم تدعوا البشري فقال **هذا غلام** فاتي به الي جماعته فسروا به كما سر **واسروه** اي الوارد واصحابه **بضاعة** اي حال كونه متاعا بزعمهم يتجرون فيه **والله** اي المحيط علما وقدرة **عليم** اي بالغ العلم **بما يعملون** وان اسروه قال ابو حيان ونعم ما قال وتعلقه بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر او سبعة عشر لم يحمله الحبل غالبا ولفظة غلام ترجح ذلك اذ تطلق عليه ما بين الحولين الي البلوغ حقيقة وقد تطلق على الرجل الكامل انتهى ولما كان سرورهم به مع ما هو عليه من الجمال والهيبة والجلال مقتضيا لان يبادروا الي امره ويغالوا بثمنه اخبر تعالى انهم لم يفعلوا ذلك ليعلم ان جميع اموره على

نسق

نسق واحد في خرقها للعوايد فقال **وشروه** اي تمادي السيارة ولجوا في اسرارهم اياه بضاعة حتى باعوه من العزيز والمعنى التمادي عبر بشرى دون باع ويمكن ان يكون شري هنا بمعنى اشتري اي واشتراه السيارة من اخوته **بثمن** وهو البدل عن الذهب والفضة وقد يقال على غيره تشبيها به **بخس** اي قليل ومادة شري باييه بتقاليبها الثلاثة شري وشير وريش وواويه بتراكيبها الستة شور وشرو ووشر وورش ورشو وزوش ومهموزة بتراكيبها الثلاثة ارش واشر ورشا تدور على اللجاجة وهي التمادي في الانتشار ويلزمه تبين ذلك الامر ويلزمها القوة تارة والضعف اخري فمن مطلقه شريت الشي بمعنى ملكته بالبيع وشريته بمعنى ازلت ملكي عنه به وكذا اشتريت فيهما والاسم الشرا بالمد ويقصر فحصل التمادي والانتشار تارة بالازالة وتارة بالتحصيل وكل من ترك شيا وتمسك بغيره فقد اشتراه وشاراه مشاراة بايعه وشروى الشي مثله واوه من يا كانه ماخوذ من بدل المبيع لانه يتحري فيه المماثلة وهو اوسع مما لم يوجد له مثل وشري البرق استطار وزيد غضب ولج حتى استطار غضبا والفرس في سيره بالغ واستشرى الرجل لج والبرق لمع والمشاراة الملاحة والمجادلة والمبايعة والشريبة كغنية الطريقة والطبيعة وكان هذا اصل المعنى الذي عنه تنوعت اغصانه لان الطبع مظنة اللجاج وشري الثوب واللحم والاقط شرها اي وضعها على خصفة او غيرها منشورة لتجف وشري فلانا سحرته اي ارغمه كانه تمادي معه حتى قهره وشري بنفسه عن القوم تقدم بين ايديهم فقاتل عنهم او الي السلطان فتكلم عنهم والشري كعلي الجبل لانتشاره علوا والطريق للانتشار فيه وطريق يسلكه كثيرة الاسد وجبل بتهامة كثير السباع لانتشارها فيه او لان السابر فيه اقوي الناس والجهم وجبل بنجد لطيء والناحية ويمد واشراه ملاه واماله لما يلزم من انتشار ما فيه واشري الجمل تعلقت عقيقته اي صوفه وبينهم اغرى وشري البعير في سيره اسرع وشرب الفرس لجامه اذا جذبه والشريه كغنية من النسا اللاتي تلد الاناث كانها تمادت في الميل مع طبعها الانوثة فلجت فيه او هو راجع الي الضعف اللازم للحاجة والمشتري نجم لتلالؤه وطاير يلمعه بجناحه وانتشاره واشروري اضطرب وشري زمام الناقة كثر اضطرابه وهو من الانتشار ومن الضعف واستشرت الامور تفاقمت وعظمت وشري جلده اصابه بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا كانها سميت لانتشارها في جميع البدن فوتها وتشري القوم افترقوا وتشري السحاب تفرق والشري شجر الحنظل او الحنظل نفسه والنخل ينبت من النواة كانه لنباته بغير سبب من ادمي لجوج والشريان من شجر القسي كانه لقوته ونشره السهام اذا رميت عنه وواحد الشرايين للعروق النابضة لقوتها وانتشارها وشيار بالكسر يوم السبت لانه اول يوم ابتديت فيه الخلايق فكانها انتشرت عنه والريش بالكسر من الطاير معروف كالراش لانه منتشر في جميع بدنه وله قوة نشره متي شا وهو سبب صلاحه وقوته على الانتشار في الهوا ومنه الريش والرياش للباس الفاخر والعصب والمعاش وذات الريش نبات كالقيصوم وراش الصديق اطعمه وسقاه وكساه واصلح حاله وكالارتيش كهين وهين

كثير الورق والريش محركا كثرة الشعر في الاذنين والوجه والمريش لمعظم الازب وريشت السهم
فوقته اي الزقت عليه الريش عند فوقه فكان له بذلك قوة الانتشار ورمح اراش خوار يشبه بالريش
ضعفا والمريش الرجل الضعيف الصلب وهو ايضا البر الموشي لتلونه كالريش وهو ايضا القليل
اللحم وناقة مريشة قليلة اللحم لان ذلك اقوى لها على السير والمريش ايضا الهودج المصلح بالقد
لان ذلك سبب قوته وهوله كالريش والعصب والشوار والشورة والشارة الحسن والجمال والهيبة
واللباس والسمن والزينة واستشار فلان لبس لباسا حسنا كانه من الريش ولانها ملزومة اللجاج
والانتشار غالبا واستشارت الابل واخذت مشوارها سمنت والمشوار بالكسر المكان تعرض
فيه الدواب وشار رها راضها اي انشرها لتقوى على ما يراد منها وشار العسل واستشاره
استخرجه من الوقبة للمبالغة في ذلك والشور مقدم الرأ بالفتح وبكسر العسل والمشوار ما شاره
به وما ابقت الدابة من علفها معرب كانها شبه بما يبقى من مشتار العسل مما لا يعتد به او اصله
نشوار بالنون فابدلت منها الميم لتقاربها فان كان كذلك فهو من نشر والشوار مثلثة متاع البيت
لانتشاره فيه وذكر الرجل وخصياه واسته لما ينتشر من كل منها وشور بفلان فعل به فعلا
يستحيي منه كانه لج في ذلك حتى قطع انتشاره في الاعتذار وتشور الرجل خجل كانه مطاوع سورته
وسؤر اليه اوما كاشار لنشر ما اشار به واشار النار رفعها والشوران العصفر للمعه وجبل
قرب عقيق المدينة فيه مياه سما كثيرة لقوته على امساكها وقوة من يقيم فيه بها على الانتشار فيه
وجبل شبار رمان حسان والسوره بالضم الناقة السمينة لقوتها على الانتشار وبالفتح الحلة
لانتشارها وعلوها واشرت عليه بكذا امرته للانتشار في الكلام قبل الاشارة للوقوع على الراي
والاسم المشورة او هو من الاشارة التي هي تحريك اليد او الحاجب ونحوهما نحو المشار اليه والرشوة
مثلثة الجعل ورشاه اعطاه اياها فنشره للفعل ولا يفعل ذلك الا من لج في الامر ويمكن رده
الى الضعف والراش السفير بين الراشي والمرتشي واسترشى طلب الرشوة والفصيل طلب الرضاع
وارشيه اليقطين والحنظل خيوطهما لانتشارها وشبهها بالرشا بالكسر والمد وهو الحبل والرشى
كغنى الفصيل او البعير يقف فيصيح الراعي ارشه او ارشيه ارشه فيجعل خوارنه اي يعدو بيده ارشه هم
فيعدو وقال ابن فارس والخوران مجرى الروث من الدابة وارشى فعل ذلك والقوم في دمه شركوا
لان ذلك انتشار وصلاحهم فيه اشرعوه والرشا نبت يشرب للمشي ومن مهموزه رشأ جامع ولا
الح من المنهي للجماع وفيه الانتشار ايضا ورشات الظبية ولدت والرشا بالتحريك اسم للظبي
اذا قوي ومشى مع امه فيكون حينئذ اهلا للانتشار واللجاج في الجري والرشا ايضا شجرة تسمو
فوق القامة وعشبه كالقرنوه بالقاف كانها شديدة الحرافة فشبهت باللجوج لان القرنوة يدبغ
بها انتهى للمهموز ووشر الخشبة بالميشار غير مهموز لغة في اشرها اذا نشرها اي قطعها بالتشين او
الكثر والوشر ايضا تحديد المراة اسنانها وترقيقها وهو من القوة واللمعان والمتروق والمؤتشرة
التي تسئل ان يفعل بها ذلك وموشر العضدين ويهز الجعل لان اعضاده كالمنشرة حزوزا ومن
مهموزه اشر بالكسر اي مرح اي ازدري الخلق وعاملهم معاملة المستهين بهم فظلمهم ولج في عتوه

وناقة

وناقة ميشير نشيطة واشر الاسنان تحزيزها تشبيها لها باسنان الميشار الذي يقطع به الخشب
ونحوه قطعا سريعا فهو كفعل اللجوج انتهى المهموز وورش الطعام تناوله واكل شديدا حريصا
وطمع واسف لمداق الامور لان ذلك لا يكون الا عن تماد ولجاج وورش فلان بفلان اغراه
وورش عليهم دخل وهم ياكلون ولم يدع وورش اسم وشي يصنع من اللبن لانه انتشر على اصل خلقته
والورش بالتحريك وجع في الجوف وكتف النشيط الخفيف من الابل وغيرها وهي بها والتوريش
التحريش والورشان طاير ومن مهموزه الارش وهو الدية لانها يلج في طلبها والرضى بها واكثر
ما يتعاطى من امرها وهو ايضا الرشوة وما نقص من العيب من الشي قال في القاموس لانه سبب للارش
والخصومة وبينهما ارش اي اختلاف وخصومة والارش الاغراء والاعطا لان المعطي يغلب نفسه
فكانه خاصمها فلج حتى غلبها والارش الخلق لانه منشا اللجاج يقال ما ادري اي الارش هو اي
الخلق وللاروش المخلوف وارش كصاحب جبل انتفى للمهموز والروش الاكل الكثير والاكل
القليل فهو من التمادي والضعف الذي ربما نشا من التمادي مع شبهه بالريش وجمل راش
كثير شعر الاذن ومن التبيين شار الدابة اذا ركبها عند العرض على مشتريها وسورها نظر كيف
مشوارها اي سيرها او بلاها ينظر ما عندها او قلبها وكذا الامة واستشار الفحل الناقة كرمها
فنظر اليها الاقح هي ام لا واستشار امر فلان تبين والمستشير من يعرف الحامل من غيرها وهو يرجع
الى التمادي لانه لولاه ما عرف الامر ومن الضعف راشاه حاباه وصانعه وترشاه لاينه وانك
للمسترشي لفلان مطيع له لمشرته وهو من الرشوة وجمل راش ضعيف الصلب وكذا رمح راش وهي
بهاء وراشه المريض ضعفه كانه من الريش وكل ذلك يرجع بعد التامل الى التمادي والله اعلم
ومادة بخس بكل ترتيب من بخس وخبس وسبخ وسخب تدور على القلة ويلزمها الاخذ بالكف
بخسته حقه نقصته فجعلته اقل مما كان والبخس فقؤ العين فهو نقص خاص والبخس ارض تنبت
بلا سقي كانه لقلة ما ينبت بها بالنسبة الى ارض السقي والبخس المكس وسبخت عن فلان خففت
عنه والسبخة ارض ملحة لقلة نبتها ونفعها وسبخت القطن اذا قطعته فصارت جملته قليلة
والتسبيخ ما يسقط من ريش الطاير لنقصه منه والتسبيخ النوم الشديد لنقصه صاحبه وتخفيفه
ما عنه من الثقل ومن ذلك الخبس وهو الاخذ بالكف وهو لازم للقلة ومنه قيل للاسد الخابس لاخذه
ما بين يديه بكفه والسخاب قلادة من قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ ولما كان البخس القليل الناقص
ابدل منه تاكيدا للمعنى تسفيها لرايهم وتعجيبا من حالهم قوله **دراهم** اي لا دنانير **معدودة** اي اهل
لان تعد لانه لا كثرة لها يكثر معها ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما **وكانوا**
اي كونا هو كالجبلة **فيه** اي خاصة دون بقية متاعهم انتهاز الفرصة فيه قبل ان يعرف عليهم فينزع
من ايديهم **من الزاهدين** اي كمال الزهد حتى رغبوا عنه فباعوه بما طف والزهد انصراف الرغبة
عن الشي الى ما هو خير منه عند الزاهد وهذا يعين ان الضمير للسيارة لان حال الاخوة في امره فوق الزهد
بمراحل فلو كان لهم لقيل وكانوا له من المبعدين او المبغضين ونحو ذلك ولما كانت العادة جارية
بان الغني يمتهن اخبر تعالى انه اكرمه عن هذه العادة فقال منبها على ان شراه كان بمصر **وقال الذي**

اشتراه اي اخذه برغبة عظيمة ولو توفقوا عليه غالي في ثمنه من مصر اي البلدة المعروفة والتعبير بهذا
دون ما هو اخصر منه للتنبيه على ان بيعه ظلم وانه لم يدخل في ملك احد اصلا لامراته آمرا لها
باكرامه على ابلغ وجه اكرمي مثواه اي موضع مقامه وذلك اعظم من الامر باكرامه نفسه فالمعنى اكرميه
اكراما عظيما بحيث يكون ممن يكون كل ما لابسه لاجله لبرغب في المقام عندنا ولما كانت كانها قالت
ما سبب ايصابك لي بهذا دون غيره استانف قوله عسى ان اي ان حاله خليق جدير بان ينفعنا اي
وهو على اسم المشتري او نتخذه اي برغبة عظيمة ان رايناه اهلا ولدا فانا طامع في ذلك ولما اخبر تعالى
بمبدا امره وكان من المعلوم ان هذا انما هو لما مكن له في القلوب مما اوجب توقيره واجلاله وتعظيمه اخبر
تعالى بمنتهى امره مشبها له بهذا المضمون للعلم به فقال وكذلك اي ومثل ما مكنا ليوسف بتزهيد السيارة
اهل البدو تارة واكرام مشتريه ومنافسته فيه اخرى مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر التي هي
كالارض كلها الكثرة منافعها بالملك فيها لتمكنه من الحكم بالعدل وبالنبوة لنعلمه بما لنا من العظمة من تاويل
الاحاديث اي بتزجيها من ظواهرها الى بواطنها فاشار تعالى الى المشبه به مع عدم التصريح به لما دل عليه
من السياق واثبت التمكين في الارض ليدل على لازمه من الملك والتمكين من العدل وذكر التعليم ليدل على
ملزومه وهو النبوة فدلالا بالملزوم على اللازم وثانيا باللازم على الملزوم وهو كقوله تعالى فئة تقاتل
في سبيل الله واخرى كافرة فهو احتباك او قريب منه ولما كان من اعجب العجب ان من وقع التمكين من ان يفعل
به مثل هذه الافعال تمكن من ارض هو فيها مع كونه غريبا استعبد فردا لا عشيرة له فيها ولا اعوان قال
تعالى نافيا لهذا العجب والله اي الملك الاعظم غالب على امره اي الامر الذي يريده غلبة ظاهر امرها الكل
من له بصيرة امر يعقوب يوسف عليهما الصلاة والسلام ان لا يقص رؤياه حذرا عليه من اخوته فغلب
امره سبحانه حتى وقع ما حذره فاراد اخوته قتله فغلب امره عليهم وارادوا ان يلتقطه بعض السيارة
ليندرس اسمه فغلب امره سبحانه وظهر اسمه واشتهر ثم باعوه ليكون مملوكا فغلب امره سبحانه حتى صار
ملكا ثم ارادوا ان يغيروا اباهم ويطيبوا قلبه حتى يخلو لهم وجهه فغلب امره تعالى فاظهره على مكرهم واحتالت
عليه امراة العزيز لتخدعه عن نفسه فغلب امره سبحانه فعصمه حتى لم يهم بسوء مما هو به منه غاية الهرب ثم
بذلت جهدها في اذلاله والقاء التهمة عليه فابى الله الا اعزازه وبراءته ثم اراد يوسف عليه الصلاة والسلام
ذكر الساقي له فغلب امره سبحانه فانساه ذكره حتى مضى الاجل الذي ضربه سبحانه وكم من امر كان في هذه
القصة وفي غيرها يرشد على ان لا امر لغيره سبحانه ولكن اكثر الناس اي الذين هم اهل الاضطراب
لا يعلمون لعدم التامل انه تعالى غالب على كل امر وان الحكم له وحده لاشتغالهم بالنظر في الظواهر للاسباب
التي يقيمها فهو سبحانه محتجب عنهم بحجاب الاسباب ذكر ما مضى من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام
من التوراة قال في اواخر السفر الثاني منها كان يوسف بن يعقوب ابن سبع عشرة سنة وكان يرعى الغنم
مع اخوته وكان اسرائيل يحب يوسف اكثر من حبه اخوته لانه ولد على كبر سنه فاتخذ له قميصا ذا كمين فراى
اخوته ان والدهم اشد حبا له منهم فابغضوه ولم يستطيعوا ان يكلموه بالسلم فراى رؤيا فقصها على اخوته
فقال لهم اسمعوا هذه الرؤيا التي رايت كانا نحزم حزما من الزرع في الزراعة فاذا حزمتي قد
انتصبت وقامت واذا حزمكم قد احاطت بها تسجد لها قال له اخوته اترى تملكنا وتتسلط علينا

وازدادوا

وازدادوا له بغضا لرؤياه وكلامه فراى رؤيا اخرى فقال اني رايت رؤيا اخرى رايت كان الشمس
والقمر واحد عشر كوكبا يسجدون لي فقصها على ابيه واخوته فزجره ابوه وقال له ما هذه الرؤيا
هل اتيك انا وامك واخوتك فنسجد لك على الارض فحسده اخوته وكان ابوه يحفظ هذه الاقاويل
وانطلق اخوة يوسف يرعون غنمهم في نابلس فقال اسرائيل ليوسف هوذا اخوتك يرعون في نابلس
هلم ارسلك اليهم فقال ها انا ذا فقال له ابوه انطلق فانظر كيف اخوتك وكيف الغنم وائتني بالخبر
فارسله يعقوب عليه الصلاة والسلام من قاع حبرون فاتى الى نابلس فوجده رجل وهو يطوف في
الحقل فساله الرجل وقال ما الذي تطلب في الحقل فقال اطلب اخوتي دلني عليهم اين يرعون قال له
الرجل قد ارتحلوا من ههنا وسمعتهم يقولون ننطلق الى دوثان فتبع يوسف اخوته فوجدهم
بدوثان فراوه من بعيد ومن قبل ان يقترب اليهم بقتله فقال بعضهم لبعض هوذا حالم الاحلام
قد جاء تعالوا نقتله ونطرحه في بعض الجباب ونقول قد افترسه سبع خبيث فننظر ما يكون من
احلامه فسمع روبيل فانقذه من ايديهم وقال لهم لا تقتلوا نفسا ولا تسفكوا دما بل القوه في هذا
الجب الذي في البرية ولا تمدوا ايديكم اليه واراد ان ينجيه من ايديهم ويرده الى ابيه فلما اتى يوسف
اخوته خلعوا عنه القميص ذا الكمين الذي كان لابسه واخذوه فطرحوه في الجب فارغا لا ماء فيه
فجلسوا ياكلون خبزا فمدوا ابصارهم فراوا فاذا رفقة من العرب مقبلة من جلعاد وفي نسخة من
الجرش وكانت ابلهم موقرة سمنا ولبنا وبطما وكانوا يعمدون الى مصر فقال يهودا لاخوته ما منفعتنا
بقتل اخينا وسفك دمه تعالوا نبيعه من العرب ولا نبسط ايدينا اليه لانه اخونا لحمنا ودمنا
فاطاعه اخوته فمر بهم قوم تجار مدينيون فاصعدوا يوسف من الجب وباعوه من الاعراب بعشرين
درهما فاتوا به الى مصر فرجع روبيل الى الجب فاذا ليس فيه يوسف فشق ثيابه ورجع الى اخوته
وقال لهم اين الغلام الى اين اذهب انا الان فاخذوا قميص يوسف فذبحوا عنودا من المعز ولوثوا
القميص بدمه وارسلوا به مع من اتى به اباهم وقالوا وجدنا هذا فانظر هل هو قميص ابنك ام لا
فعرفه وقال القميص قميص ابني سبع خبيث افترس يوسف ابني افترسا فحزن على ابنه اياما كثيرة
فقام جميع بنيه وبناته ليعزوه فابى ان يقبل العزاء وقال انزل الى القبر وانا حزين على يوسف فبكى
عليه ابوه وباع المدينيون يوسف من قوطيفور صاحب شرطة فرعون انتهى وفيه ما يخالف
ظاهر القرآن ويمكن تاويله والله اعلم ولما اخبر تعالى عما يريد بيوسف عليه الصلاة والسلام بما ختمه
بالاخبار عن قدرته اتبعه الاعلام بايجاد ذلك الفعل الدالة على تمام القدرة وشمول العلم فقال
ولما بلغ اشده اي مجتمع قواه اتيناه اي بعظمتنا حكما اي نبوة او ملكة يكف بها النفس عن هواها
من حكمة الفرس فلا يقول ولا يفعل الا امرا فصلا تدعو اليه الحكمة قال الرماني والاصل في الحكم تبيين
ما يشهد به الدليل لان الدليل حكمة من اجل انه يقود الى المعرفة وعلما اي تبيينا للتشغل بما هو عليه
جزاء له لانه محسن وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الذي جزيناه به نجزي المحسنين اي العريقين في الاحسان
كلهم الذين راسهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي اسرى به فاعلاه ما لم يعل غيره وعن الحسن من احسن عبادة
الله في شبيبته اتاه الحكمة في اكتهاله والاشد كمال القوة وهو جمع شدة عند سيبويه مثل نعمة وانعم

وقال غيره جمع شد قال ابن فارس في المجمل وبعضهم يقول لا واحد لها ويقال واحدها شد انتهي قيل وهذا هو
القياس نحو ضب واضب ومك واصك وحظ واحظ وضر واضر وشر واشر قال الرماني
قال الشاعر ❊ بعل غيران كثر الاشر واهلكت ❊ حرب الملوك اكاثر الاموال ❊
انتهي واختلفوا في حد الاشد فقيل هو من الحلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه من عشرين سنة
وروي غير ذلك والمادة تدور على الصعوبة وهي ضد الرخاوة ويلزمها القوة فالشد على العدّ منها
وشد الحبل وغيره احكم فتله والشديد والمتشدد البخيل لصعوبة البذل عليه والشدة صعوبة
الزمان وشدّ النهار ارتفاعه وهو قوته وشددت فلانا قويت يده ودبرت امره واشد القوم
اذا كانت دوابهم شدادا فهم مشدون ضد مضعفين ولما اخبر تعالى ان سبب النعمة غلبة
احسانه اتبعه دليله فقال **وراودته** اي راجعته الخطاب ودارت عليه بالحيل فهو كناية عن
المخادعة **التي** هي لازم معني راد يرود اذا جآ وذهب التي هي متمكنه منه غاية المكنة بكونه **هو في بيتها**
وهو في عنفوان الشباب **عن نفسه** اي مراودة لم يكن لها سبب الا نفسه لان المراودة لا تكن
ان تتجاوز نفسه الا بعد مخالطتها كما تقول كان هذا عن امره وذلك بان دارت عليه بكل حيلة ونصبت
له اشراك الخداع واقامت حبنا تفتل له في الذروة والغارب وذلك لان مادة راد واوية ويائية
بجميع تقاليبها السبعة رود ودور وورد ودبر وردي وربد ودري تدور على الدوران وهو
الرجوع الى موضع الابتدآ ويلزم منه القصد والاتيان والاقبال والادبار والرفق والمهلة واعمال
الحيلة وحسن النظر وربما يكون عن غير قصد فياتي منه الحيرة فيلزم الفساد والهلاك يقال دار
فلان يدور اذا مشى على هيئة الحلقة والدهر دواري لدورانه باهله بالرفع والحط والدّوار شبه
دوران في الراس ودارة القمر معروفة والدايرة الحلقة والدار تجمع العرصة والبنا لدوران بنايها
وللدوران فيها وللذهاب معها والرجوع اليها والداري الملاح الذي يلي الشراع وهو القلع
لانه يديره على عمود المركب او لانه يلزم دار السفينة والرايد الذي يرتاد الكلا اي يذهب ويجي
في طلبه لما لم يكن مقصده لارض معين كان كانه يدور فيها والذي لا منزل له وكل طالب حاجة
قاله ابن دريد وراودت الرجل اردته على فعل ورايد الرحي يدها اي العود الذي تدار به ويقبض
عليه الطاحن والرياد اختلاف الابل في المرعى مقبلة ومدبرة ورادت المراة اذا اختلفت الي بيوت
جاراتها وراد وساده اذا لم يستقر والرود الطلب والذهاب والمجي وامشي على رود بالضم
اي مهل وتصغيره رويد والمرود الذي يكتحل به لانه يدار في العين وحديدة تدور في اللجام وتحوز
البكرة من حديد والدبر معروف ويقال للرجل اذا كان راس اصحابه هو راس الدبر كانه من ادارة
اصحابه به وتردبت بالردا وارتديت كانه من الادارة والردا السيف لانه يتقلد به في موضع
الردآ والرّديان محركا مشي الحمار بين آريه ومتمعكه ورديت فلانا مثل راودته وردت الجارية
اذا رفعت احدي رجليها وقفزت بواحدة لان مشيها حينئذ يشبه الدوران والرِّيد بالكسر
الترب لانه يراودك اي يمشي معك من اول زمانك ومن الاتيان الورد وهو اتيان المورد من
ما وطريق والوارد الصاير الى الما للاستقآ منه وهو الذي ينزل الي الما ليتناوله والورْد

معروف ونور كل شجرة ورد لانه يقصد للشم وغيره ويخرج هو منها فهو وارد اي آت وهو ايضا مع
ذلك مستدير والورد بالكسر يوم الحمى اذا اخذت صاحبها لوقت لانها تاتيه وهو من الدوران
ايضا لانها تدور في ذلك الوقت بعينه وهذا كله يصلح للاقبال ومنه ارنبة واردة اي
مقبلة على السبلة والوبد انف الجبل قاله ابن فارس وقال ابن دريد والرّيد الجيد الثاني
من الجبل والجمع ريود وفي القاموس الجيد من الجبل شاخص كانه جناح ويسمي الشجاع الوارد لاقباله
على كل ما يريده واستعلايه عليه والوريد ان عرقان مكتنفا صفحتي العنق مما يلي مقدمه غليظان
والورد النصيب من القران لانه يقصد بالقراة ويقبل عليه ويدار عليه ودريت الشي علمته فانت
مقبل عليه وارد اليه والدريّة مهموزة حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي والدرية مهموزة
وغير مهموزة دابة يستتر بها رامي الصيد فيختله فهي من الاقبال والخداع وان بني فلان ادّروا
مكانا اي اعتمدوه بالغزو والغارة وللدري شبه بمدري الثور وهو قرنه لانه يقصد به الشي
ويقبل به على مراده فيصلحه به وما ادري اين ردي اين ذهب والارواد المهلة في الشي
وامشي رويدا على مهل والرادة والريدة السهلة من الرياح فكانها تاتي على مهل ومن الحيرة
والفساد والهلاك ردي الرجل اذا اهلك وارداه الله وتردي في هوّة تهوّر فيها وردّيته
بالحجارة رجمته والمرداة الصخرة يكسر بها الشي والمرادي المرامي ومن حسن النظر ارددت
على الخمسين زدت لانه يلزم من حسن النظر الزيادة واراد الشي على غيره اي ربا عليه وسياتي
بيان المهموز من هذه المادة في سورة اقتربت ومن هذه السورة ان شا الله تعالى **وغلقت** اي تغليقا
كثيرا **الابواب** زيادة في المكنة قالوا وكانت سبعة والاغلاق اطباق الباب بما يعسر معه
فتحه **وقالت هيت** اي تهيات وتصنعت **لك** خاصة فاقبل الي وامتثل امري والمادة على
تقدير اصالة التآ وزيادتها بجميع تقاليبها يائية وواوية مهموزة وغير مهموزة تدور على
ارادة امتثال الامر هيت لك مثلثة الاخر وقد يكسر اوله هلم وهيّت به تهييتا صاح ودعاه
وهات بكسر التآ اعطني قال في القاموس والمهاياة مفاعلة هيه والهيت الغامض من
الارض كانه يدعو ذا الهمة الي الوقوف على حقيقته والهيه بالكسر الكبريا والصلف فالشانه
داع بالقوة الي امتثال امره والمفازة فانها تتهر سالكها والضلال من المفازة تسمية للشي
باسم موضعه ومنه تهي بمعنى غفل ومنه مضى هوا من الليل اي طايفة لانها محل الغفلة او لانها
تدعو ساهرها الي النوم ونايمها الي الانتباه هذا على تقدير اصالة التآ واما على تقدير انها زايدة
فهاب نفسه الي المعالي رفعها فهو براها اهلا لان يمتثل امرها والهوا الهمة والامر الماضي والهوى
ايضا البطن ويمم وهوت به فرحت ولا يكون ذلك الا لفعل ما يشتهى فكانه امتثل امرك وهوى
اليه كفرح همّ وهاء لحاؤلي اي امتثل الامر وهاءِ بالكسر هات وها لحاؤ اي هاك بمعنى خذ
والهيئة حال الشي ولبغضه الداعية الي تركه او لزومه وتهايؤوا توافقوا وهاء اليه اشتاق
فكانه دعاه الي رويته وتهيا للشي اخذ له هيئته فكانه صار قابلا للامر لان يمتثل امره وهيّاه
اصلحه والهيء بالفتح والكسر الدعا الي الطعام والشراب ودعا الابل للشرب وايهِ بكسر الهمزة كلمة

استزادة واستنطاق وباسكان الهاء زجر بمعنى حسبك واها تهقهه في ضحكه ولا يكون ذلك الا من
امتثل مراده ولما قالت ما قالت وفعلت ما فعلت مع ما هي عليه من القدرة في نفسها ولها عليه من
التسلط وهو عليه من الحسن والشباب كان كانه قيل ان هذا الموطن لا يكاد ينجو منه احد فماذا
كان نعته فقيل قال اي يوسف مستعملا للحلم بالعلم معاذ اي اعوذ من هذا الامر معاذ الله اي
الرحمن الذي له صفات الكمال وهو محيط بكل شي علما وقدرة وملجأه الذي ينبغي الاعتصام به
والالتجا اليه ثم علل ذلك بقوله انه اي الله ربي اي موجدي ومدبري والمحسن الي في كل امر فانا ارجو
احسانه في هذا احسن مثواي بان جعل لي في قلب سيدي مكانة عظيمة حتى خولني في جميع ما يملك
وايتمنني على كل ما لديه فان خالفت امر ربي خنت من جعلني موضعا للامانة كنت ظالما واضعا
للشي في غير موضعه وهذا التقدير مع كونه اليق بالصالحين المراقبين احسن لانه يستلزم نصح
العزيز ولو اعدنا الضمير على العزيز لم يستلزم التقوي ولما كان من المعلوم ان لسان حالها يقول
واذا كان ظلما كان ماذا قال ما تقديره اني اذن لا افلح وعلله بقوله انه لا يفلح اي لا يظفر بمراد
اصلا الظالمون اي العريقون في الظلم وهو وضع الشي في غير موضعه الذين صرف في عدادهم
على تقدير الفعل فيا له من دليل على احسانه وحلمه وعلمه فانه لما راي المقام الدحض بادر الى
الاعتصام بمن بيده ملكوت كل شي ثم استحضر احسانه اليه الموجب للشكر عليه المباعد عن
الهفوات ثم مقام الظلم وما يوجب لصاحبه من الخزي بعدم الفلاح ولما كان هذا الفعل لا يتم
حسنه الا اذا كان عند غلبة الهوى وترامي الشهوة كما هو شان الرجولية قال تعالى ردا
على من يتوهم ضد ذلك ولقد همت به اي اوقعت الهم وهو القصد الثابت والعزم الصادق
المتعلق بواقعته ولا مانع لها من دين ولا عقل ولا عجز فاشتد طلبها وهم بها كما هو شان الفحول
عند توفر الاسباب لولا ان راي بعين قلبه برهان ربه اي الذي اتاه اياه من الحلم والعلم اي
لهم بها لكنه كان البرهان حاضرا لديه حضور من يراه بالعين لم يخطه وفور شهوة ولا غلبة هوى
فلم يهم اصلا مع كونه في غاية الاستعداد لذلك لما اتاه الله من القوة مع كونه في سن الشباب
فلولا المراقبة لهم بها لتوفر الدواعي غير ان نور الشهود محاها اصلا وهذا التقدير هو اللائق
بمثل مقامه مع انه هو الذي تدل عليه اساليب هذه الايات من جعله من المخلصين والمحسنين
المصروف عنهم السوء وان السجن احب اليه من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزا
من اراد باهلك سوا الاية من مطلق الارادة ومع ما حتم تقديره كو بعد لولا في خصوص هذا
التركيب من اساليب كلام العرب فانه يجب ان يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه ما قبله وهو
مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها اي لابدت به واما ما ورد عن السلف
مما يعارض ذلك فلم يصح منه شي عن احد منهم مع ان الاقوال التي رويت عنهم اذا اجمعت تناقضت
فتكاذبت ولا يساعد على شي منها كلام العرب لانهم قدروا جواب لولا المحذوف مما لا دليل عليه من
سابق الكلام ولا لاحقه نبه على ذلك الامام ابو حيان وسبقه الى ذلك الامام الرازي وقال ان هذا
قول المحققين من المفسرين واسع على هذا بما يطرب الاسماع وقوم ما يدل على جواب الشرط ليكون اول

مايقرع

ما يقرع السمع ما يدل على انه كان في غاية القدرة على الفعل وانه ما منعه منه غير العلم بالله فكانه
قيل ان هذا التثبيت عظيم فقيل اشارة الى انه لازم له كما هو شان العصمة كذلك اي مثل ذلك
التثبيت نثبته في كل امر لنصرف عنه السوء اي الهم بالزنا وغيره والفحشا اي الزنا وغيره فكانه
قيل لم فعل به هذا فقيل انه من عبادنا اي الذين عظمناهم بما لنا من العظمة المخلصين اي هو في
عداد الذين هم خير صرف لا يخالطهم غش ومن ذريتهم ايضا وهذا مع قول ابليس لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين شهادة من ابليس ان يوسف عليه الصلاة والسلام بري من الهم
في هذه الواقعة قال الامام فمن نسبه الى الهم ان كان من اتباع دين الله فليقبل شهادة الله وان كان
من اتباع ابليس وجنوده فليقبل شهادة ابليس بطهارته قال ولعلهم يقولون كنا تلامذة ابليس ثم
زدنا عليه كما قيل * وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بي الامر حتى صار ابليس من جندي *
* فلو مات قبلي كنت احسن بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدي *
ثم ذكر سبحانه مبالغة في الامتناع بالجد في الهرب دليلا على اخلاصه وانه لم يهم اصلا فقال
واستبقا الباب اي اوجدا المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا للهرب منها وهذه لمنعه فاوصل
الفعل الى المفعول بدون الى دليلا على ان كلا منهما بذل اقصى جهده في السبق فلحقته عند الباب الاقصى
مع انه كان قد سبقها بقوة الرجولية وقوة الداعية الى الفرار الى الله ولكن عاقه انغلاقها لكون
الابواب كانت مغلقة فكان يشتغل بفتحها فتعلقت بادنى ما وصلت اليه من قميصه وهو ما كان
من ورائه خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه هو عنها وهربه منها ففتحه واراد الخروج فمنعته
ولم تزل تنازعه حتى قدت قميصه وكان القد من دبر اي الناحية الخلف منه وانقطعت منه قطعة
فبقيت في يدها والفيا اي وجدا مع ما بهما من الغبار والهيئة التي لا تليق بهما سيدها اي زوجها
ولم يقل سيدهما لان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يدخل في رق كما مضى لان المسلم لا يملك وهو السيد
لدى اي عند ذلك الباب اي الخارج على كيفية غريبة جدا هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام لان السيد
لا يقدر على فتحه فضلا عن الوصول الى غيره لغلق الجميع ولما علم السامع انهما الفياه وهما على هذه الحالة
كان كانه قيل لها اتتقي فقيل قالت مبادرة من غير حيا ولا تلعثم ما نافية ويجوز ان تكون استفهامية
جزا من اراد اي منه ومن غيره كائنا من كان لما لكم من العظمة باهلك سوا اي ولو انه غير الزنا الا
ان يسجن اي يودع في السجن الى وقت ما الحكم فيه بما يليق او عذاب اليم اي دائم ثابت غير السجن
والجزا مقابلة العمل بما هو حقه هذا كان حالها عند المفاجاة واما هو عليه الصلاة والسلام فجري على
سجايا الكرام بان سكت سترا عليها وتنزها عن ذكر الفحشا فكانه قيل فماذا قال حين قذفته بهذا فقيل
قال دافعا عن نفسه لا هاتكا لها هي بضمير الغيبة لاستحيائه عن مواجهتها باشارة او ضمير خطاب
راودتني عن نفسي وما قال ذلك الا حين اضطرته اليه بنسبته الى الخيانة وصدقه لعمري فيما قال
لا يحتاج الى بيان اكثر من الحال الذي كانا فيه وهو انهما عند الباب ولو كان الطلب منه لما كانا الا في محلها
الذي تجلس فيه وهو صدر البيت واشرف موضع فيه وشهد ولما كان كل صالح للشهادة كافيا فلم تدع
ضرورة الى تعيينه قال شاهد اي عظيم من اهلها لان الاهل اعظم في الشهادة رضيع برآته نقله الرماني

عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهما وسعيد بن جبير كما شهد للنبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع صبي
من اهل اليمامة يوم ولد بانه رسول الله فكان يدعى مبارك اليمامة فقال ذلك الشاهد ان كان اي جاء
المراودة قميصه اي فيما يتبين لكم قُدَّ اي شق شقا مستانا صالا من قبل اي من جهة ما اقبل من
جسده فصدقت ولابد من تقدير فعل اليقين لان الشروط لا تكون معانيها الا مستقبلة وان كانت
الفاظها ماضية ولما كان صدقها ليس قاطعا في منع صدقه قال وهو من الكاذبين لانه لولا اقباله
وهي تدفعه عنها او تهرب منه وهو يتبعها ويعثر في قميصه ما كان القد من القبل وان كان اي فيما يظهر لكم
قميصه اي يوسف عليه الصلاة والسلام قد من دبر اي من جهة ما ادبر منه وبني قُدَّ للمجهول للنزاع في القادّ
فكذبت ولما كان كذبها في ارادته السوء لا يعين صدقه في ارادتها له قال وهو من الصادقين لانه
لولا ادباره عنها واقبالها عليه لما وقع ذلك فعرف سيدها صحة ذلك بلا شبهة لان معنى ان هنا الشرط
في جهة التقرير للمعنى الذي يوجب غيره لا على الشك وقدم امارة صدقها لانه مما يحبه سيدها فهو في
الظاهر اهتمام بها وفي الحقيقة تقرير لكذبها مرتين الاولى باللزوم والثانية بالمطابقة ولما كان المعنى
فمنظوري عليه قوله فلما راى اي سيدها قميصه اي يوسف عليه الصلاة والسلام قد من دبر قال وقد
قطع بصدقه وكذبها مؤكدا لاجل انكارها انه اي هذا القذف له من كيدكن معشر النسا والكيد طلب
الانسان بما يكرهه ان كيدكن عظيم والعظيم ما ينقص مقدار غيره عنه حسا او معنى فاستعظمه لانه
ادق من مكر الرجال والطف واخفى لان الشيطان عليهن لنقصهن اقدر وكيدهن الذي هو من كيد
الشيطان اضعف ضعيف بالنسبة الى ما يدبره الله عز وجل في ابطاله ثم قال العزيز آمرا له عليه الصلاة
والسلام مسقطا لحرف الندا دلالة على ان قربه من قلبه على حاله يوسف اعرض اي انصرف بكليتك مجاوزا
عن هذا اي اجعله بمنزلة ما تصرف وجهك عنه الى جهة العرض بان لا تذكره لاحد ولا تهتم به فاني لم انا تر
منك بوجه لان عذرك غوبان واقبل اليها فقال واستغفري اي اطلبي الغفران لذنبك في ان لا
يحصل لك عقوبة مني ولا من الله واستانف بيان ما اشار اليه بقوله انك كنت اي كونا جبليا من
الخاطئين اي العريقين في الخطا بغاية القوة يقال خطئ يخطأ اذا اذنب متعمدا ولما كان في هذا من شرف
العفة ما يدل على كمال العصمة الله تعالى بما يدل على تسامي حسنه وتعالي جماله ولطفه لان العادة جرت
بان ذلك اذا كان بعضه لاحد كان مظنة لميله لتوفر الدواعي على الميل اليه فقال تعالى وقال نسوة
اي جماعة من النسا لما شاع الحديث ولما كانت البلدة كلما عظمت كان اهلها اعقل واقرب الى الحكمة قال
في المدينة اي التي فيها امراة العزيز ساكنة امراة العزيز فاضفنها الى زوجها ارادة الاشاعة للخبر لان
النفس الى سماع اخبار اولي الاخطار اميل والعزيز المنيع بقدرته من ان يضام فالعزة اخص من مطلق
القدرة وعبرن بالمضارع في تراود فتاها اي عبدها انازلة من افتراش العزيز الى افتراشه عن نفسه
انها ما لان لا لاصرار على المراودة صار لها كالسجية والفتى الشاب وقيده الرماني بالقوي قال وقال الزجاج
كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا ففيه اشتراك على هذا قد شغفها ذلك الفتى حبا اي من جهة
الحب قال الرماني شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه يقال دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب عن السدي
وابي عبيدة وعن الحسن انه باطن القلب وعن ابي علي وسط القلب انتهى والذي قال في المجمل وغيره

انه

انه غلاف القلب واحسن من توجيه ابي عبيدة له ان حبه صار شغافا لها اي حجابا اي ظرفا محيطا
بها واما شعفها بالمهملة فمعناه غشي شعفة قلبها وهي راسه عند معلق النياط وقال الرماني
اي ذهب بها كل مذهب من شعف الجبال وهي روسها ولما قيل ذلك كان كانه قيل فكان ماذا فقيل
والكدلان من وراه عذرها وقطع بانهن لو كن في محلها عملن عملها ولم يضللن فعلها انا لنراها اي
نعلم امرها علما هو كالروية في ضلال اي محيط بها مبين لرضاها لنفسها بعد عز السيادة بالسفول
عن رتبة العبد ودل بالفا على ان كلامهن نقل اليها بسرعة فقال فلما سمعت اي امراة العزيز
بمكرهن وكانهن اردن بهذا الكلام ان تنازعنه ما فعلت امراة العزيز لتريهنه فلذلك سماه مكرا
ارسلت اليهن لتريهن ما يعذرنها بسببه فتسكن قالتهن واعتدت اي هيات واحضرت
لهن متكا اي ما يتكئن عليه من الفرش اللينة والوسائد الفاخرة فاتينها فاجلستهن على ما اعدته
لهن واتت كل واحدة على العموم منهن سكينا ليقطعن بها ما يحتاج الى القطع مما يحضر من الاطعمة
في هذا المجلس قال ابو حيان فقيل كان لحما وكانوا لا ينهشون اللحم انما ياكلونه حزا بالسكاكين
وقال الرماني ليقطعن فاكهة قدمت اليهن انتهى هذا الظاهر من علة ابتائهن وباطنه اقامة
الحجة عليهن بما لا يجدن له مدفعا مما يتاثر عن ذلك وقالت ليوسف فتاها عليه الصلاة والسلام
اخرج عليهن فامتثل ما امرته به كما هو دابه في كل ما لا معصية فيه وبادر الخروج عليهن فلما راينه
اي النسوة اكبرنه اي اعظمن يوسف عليه الصلاة والسلام جدا اعظاما كربهن وقطعن اي
جرحن جراحا كثيرة ايديهن وعاد لومهن عذرا والتضعيف يدل على التكثير فكان السكين كانت
تقع على يد احديهن فتجرحها فترفعها عن يدها بطبعها ثم يغلبها الدهش فيقع على موضع اخر وهكذا
وقلن حاش اي تنزيها عظيما جدا لله اي للملك الاعلى الذي له صفات الكمال التي خلق بها مثل هذا ولما
كان المراد بهذا التنزيه تعظيمه بينه بقولهن ما هذا بشرا لانه فاق البشر في الحسن جدا والعرض
عن الشهوة من غير علة نراها مانعة له لانه في غاية القوة والفحولة فكانه قيل فما هو فقلن ان اي ما
هذا اي في هذا الحسن والجمال واعدن الاشارة دفعا لامكان الغلط الا ملك كريم وذلك لما ذكر
في الطباع من نسبة كل معنى فائق الى الملكية من الحسن والعفة وغيرهما وان كانوا غير مرئيين كما
ركز فيها نسبة ضد ذلك الى الجن والشياطين فكانه قيل فما قالت لهن امراة العزيز فقيل قالت
فذلكن اي الفتى العالي الرتبة جدا الذي لمتنني فيه ولما علمت انهن عذرنها قالت مؤكدة استلذاذا
بالتهتك في حبه ولقد اي اقول هذا والحال اني والله لقد تحقق اني راودته عن نفسه اي لاصل
اليه بما اريد فاستعصم اي فاوجد العصمة والامتناع على فاشتد اعتصامه وما انا براجعة
عنه ثم توعدته وهو يسمع ليلين فقالت لهن مؤكدة لان حالها يوجب الانكار ولان تفعل ما يوجب
المحبوب ولئن لم يفعل اي هذا الفتى الذي قد تم عذري عندكن فيه ما آمره اي امري ليسجنن
اي ليمنعن من التصرف بالحبس بايسر سعي مني ولما كان عزمها على السجن اقوى من العزم على
ايقاع الصغار به اكدته بالنون الثقيلة وقالت وليكونا بالنون الخفيفة من الصاغرين اي الاذلا
او ان الزيادة في تاكيد السجن لانه يلزم منه ابعاده وابعاد الحبيب اولى بالانكار من اهانته فقال

له النسوة اطعنها لئلا تسجنك ولتهينك فكانه قيل فما قال فقيل **قال** يعنف من فني بشهوده عن كل
مشهود دافعا عن نفسه ما ورد عليه من وسوسة الشيطان في امر جمالها وامر رياستها ومالها
ومن مكر النسوة اللاتي نوعن له القول في الترغيب والترهيب عالما بان القوة البشرية تضعف
عن حمل هذا الابتلاء بيد عظيم مسقطا الاداة على عادة اهل القرب **رب السجن** وهو محيط مانع
من الاضطراب فيما خرج عنه **احب الي** اي اقل بغضا **مما يدعونني** اي هولاء النسوة كلهن **اليه** لما
علم من سوء عاقبة المعصية بعد سرعة انقضاء المدة وهذه العبارة تدل على غاية البغض لموافقتها
فان السجن لا يتصور حبه عادة وانما المعنى انه لو كان يتصور الميل اليه كان ميلي اليه اكثر لكنه
لا يتصور الميل اليه لانه شر محض ومع ذلك فانا اوثره على ما دعونني اليه لانه اخف الضررين
والحاصل انه اطلق المحبة على ما يضادها في هذا السياق من البغض بدلالة الالتزام فكانه قيل
السجن اقل بغضا الي وذلك هو ضد احب الذي معناه اكثر حبا ولكن حولت العبارة ليكون كدعوى
الشي مقرونا بالدليل وذلك انه لما فوضل في المحبة بين شيئين احدهما مقطوع ببغضه فهم قطعا
ان المراد انما هو ان بغض هذا البغيض دون بغض المفضول فعلم قطعا ان ذلك الذي يظن حبه
ابغض من هذا المقطوع ببغضه وكذا كل ما فوضل بينهما في وصف يمتنع حمله على الحقيقة كون المفضل
متحققا بضده والله الموفق والدعا طلب الفعل من المدعو وصيغته كصيغة الامر **والا تصرف** اي
انت يا رب الآن وفيما يستقبل من الزمان مجاوزا **عني كيدهن** اي ما قد التبس لي من مكرهن
وتدبيرهن الذي يردن به الخبث احتيالا على الوصول الى قصدهن خديعة وغرورا
اصب اي امل ميلا عظيما **اليهن** لما جبل الادمي عليه من الميل النفساني الى مثل ذلك ومنه
الخرق سيباج صبا نه بواحدة تبعها امثالها واتسع الخرق على الراقع ولذلك قال **واكن** اي
كونا هو كالجبلة **من الجاهلين** اي العريقين في الجهل بارتكاب مثل افعالهم **فاستجاب له ربه**
اي اوجد المحسن اليه ايجادا عظيما اجابة دعائه الذي تضمنه هذا الثنا لان الكريم يغنيه التلويح
كما قيل ٭ اذا اثنى عليك المرء يوما ٭ كفاه من تعرضه الثناء ٭
وفعل ذلك سبحانه اكراما له وتحقيقا لما سبق من وعده في قوله كذلك لنصرف عنه السوء الاية
فصرف عنه كيدهن ثم علل ذلك بقوله **انه هو السميع** اي للاقوال **العليم** بالضماير والنيات
فيجيب ما صح فيه القصد وطاب منه العزم ولما كانت هذه الامور موجبة لرفعته فكان حينئذ
ابعد شي عن السجن لو كان الناس متمكنين من جري امورهم على حسب السديد من عقولهم اخبر
تعالى انهم خالفوا داعي السداد واستبدلوا الغي بالرشاد لحكمه بان السجن سبب عظيم لصرف
كيدهن عنه واثبات العز والمكنة له فعلوا مع علمهم بان ذلك ظلم وسعه اجابة لغالب امر الله
واظهار العلي قدره بمخالفة العوايد مرة بعد مرة وهدم شداد الاسباب كرة اثر كرة فقال **ثم**
لهذا المعنى وهو انهم كان ينبغي ان يكونوا من سجنه في غاية البعد **بدا** اي ظهر بعد الخفا كما هي عادتهم
لهم والبدا في الراي التلون فيه لظهور ما لم يكن ظهر منه ولما كان الظهور في حين من الدهر تلونوا
بعده الى راي اخر ادخل الجار دلالة على ذلك فقال **من بعد ما راوا** اي رويتهم **الايات** القاطعة

ببرائة

ببرائته القاضية ببراهينه من قد القميص وشهادة الشاهد وغير ذلك ولما كان فاعل بدا بداء اي
راي نسره بقوله موكدا لانه لا يصدق ان الانسان يفعل ما ظهر له المانع منه **ليسجننه** فيمكث
في السجن **حتى حين** اي الى ان تنسى تلك الاشاعة ويظهر للناس انها لو كانت تحبه ما سعت في
سجنه وقيل ان ذلك الحين سبع سنين قيل كان سبب ذلك انها قالت للعزيز ان هذا قد فضحني
في الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر كما يحب وانا محبوسة فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر
كما يعتذر واما ان تسويه في السجن قال ابو حيان قال ابن عباس فامر به فحمل على حمار وضرب امامه
بالطبل ونودي عليه في اسواق مصر ان يوسف العبراني اراد سيدته فهذا جزاوه ان يسجن قال
ابو صالح ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما هذا الحديث الا بكى انتهى وهذا دليل على قوله ان كيدكن
عظيم قال الامام فخر الدين الرازي في كتاب اللوامع وعلى الجملة فكل احوال يوسف عليه الصلاة
والسلام لطف في عنف ونعمة في طي بلية ونقمة ويسر في عسر ورجا في يأس وخلاص بعد لات
مناص وسابق القدر ربما يسوق القدر الى المقدور بعنف وربما يسوقه بلطف والقهر
والعنف احمد عاقبة واقل تبعة انتهى ولما ذكر السجن وكان سببا ظاهرا في الاهانة شرع سبحانه
يقص من امره فيه ما حاصله انه جعله سبب الكرامة كل ذلك بيانا للغلبة على الامر والاتصاف
بصفات القهر مع ما في ذلك من بيان تحقق ما تقدم به الوعد الوفي ليوسف عليه الصلاة والسلام
وغير ذلك من الحكم فقال تعالى **ودخل** اي تسببوه كما بدا لهم ودخل **معه السجن فتيان** خباز
الملك وساقيه رفع اليه ان الخباز اراد ان يسمه وظن ان الساقي مالاه على ذلك ومع تدل
على الصحبة واستخدامها في تدل على دخول الثلاثة السجن في آن واحد قاله ابو حيان فلما دخلوا
السجن كان يوسف عليه الصلاة والسلام يحسن الى اهله فيسلي حزينهم ويعود مريضهم ويسل
لفقيرهم ويهديهم الى الخير ويذكرهم بالله فمالت اليه القلوب وكلفت به النفوس لحسن حديثه
ولطف تاديبه وما حباه الله به من الفضل والنبل وحسن الخلق والخلق وكان في السجن ناس قد
انقطع رجاوهم واشتد بلاوهم فلم يزل يرفق بهم حتى قالوا بارك الله فيك ما احسن وجهك واحسن
خلقك واحسن حديثك لقد بورك لنا في جوارك ما نحب انا كنا في غير هذا لما تخبرنا به من الاجر والكفارة
والثواب والطهارة من انت يا فتى فاخبرهم بنسبه الشريف فقال له عامل السجن لو استطعت خليت
سبيلك ولكن ساحسن جوارك واثارك واحبه الفتيان ولزماه فقال لا انشدكما الله ان تحباني
فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من جهته بلا لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلا ثم
احبني ابي فدخل علي من حبه بلا ثم احبتني زوجة صاحبي هذا فدخل علي من حبها بلا فلا تحباني
فابيا الا حبه فكانه قيل اي شي اتفق لهما بعد الدخول معه فقيل **قال احدهما** ليوسف عليه الصلاة
والسلام ولعل التاكيد اما لانه كانت عادتهما المزح واما لانهما ما رايا شيئا قال الشعبي وانما
صنعا هذا ليختبراه **اني اراني** حكى الحال الماضية في المنام **اعصر** والعصر الاعتماد على ما فيه مايية
ليتحلب منه **خمرا** اي عنبا يؤول الى الخمر **وقال الاخر** موكدا لمثل ما مضى **اني اراني احمل** والحمل
رفع الشي بعماد بنقله **فوق راسي خبزا** اي طعاما مهيا للاكل بالخبز وهو عمل الدقيق المعجون بالبسط

واللزق في حام بالنار حتى يصلح للاكل تاكل الطير منه وسياتي شرح الرويا من التوراة فكانه قبل
فماذا تريدان من الاخبار بهذا فقالا نبينا اي اخبرنا اخبارا عظيما بتاويله اي ما يرجع امره ويصير
اليه فكانه قيل فما يدريكما اني اعرف تاويله فقالا انا نراك اي على حال علمنا بها هو كالروية
انك من المحسنين اي العريقين في وصف الاحسان لكل من تعانيه فلذلك لاح لنا انك تحسن التاويل
قياسا فلما راهما بصيرين بالامور قال اشارة الى انه يعرف ذلك وادق منه ليقبلا نصحه فيما هو اهم
المهم لكل احد وهو ما خلق العباد له من الاجتماع على الله لتفريغهما للفهم لكلامه والقبول لكل ما يلقيه
لاحتياجهما الى افتائهما موكدا ما وصفاه به من الاحسان بما اتبعه من وصف نفسه بالعلم انتهازا
لفرصة النصيحة عند هذا الاذعان باعظم ما يكون النصح به من الامر بالاخلاص في عبادة الخالق
والاعراض عن الشرك فعلى كل ذي علم اذا احتاج الى سواله احد ان يقدم على جوابه نصحه بما هو الاهم
ويصف له نفسه بما يرغبه في قبول علمه ان كان الحال محتاجا الى ذلك ولا يكون ذلك من باب التزكية
بل من الارشاد الى الايتمام به بما يقرب الى الله فيكون له مثل اجره لا ياتيكما اي في اليقظة طعام
وبين انه خاص بهما دون اهل السجن بقوله ترزقانه بناه تتميما الا نباتكما اي اخبرتكما اخبارا
جليلا عظيما بتاويله اي به وبما يوول ويرجع اليه امره ولما كان البيان في جميع الوقت الذي
بينه وبين الطعام الذي قبله نزع الخافض فقال قبل ان ياتيكما اي اخبرتكما ان اردتما بانه
ياتيكما طعام كذا فيكون سببا لكذا فان للسبب الناشي عن السبب هو المال ولما وصف نفسه من
العلم بما يدعو كل ذي همة الى السعي في الاسباب التي يحصل له ذلك بها ليصير مثله او يقرب منه وكان
محل ان يقال من علمك ذلك قال مرشدا الى الله داعيا اليه احسن دعا بما تميل اليه النفوس من الطمع
والفضل ذلكما اي الامر العظيم ونبه على غزارة علمه بالتبعيض في قوله مما علمني ربي اي الموجد لي
والمربي لي والمحسن الي ولم اقله عن تكهن ولا تنجيم فكانه قيل ما للغير لا يعلمه مثل ما علمك فقال معللا
له مطمعا كل من فعل فعله في فضل الله موكدا اعلاما بان ذلك امر عظيم يحق لمثله ان يفعل اني تركت
ملة قوم اي وان كانوا اقويا على محاولة ما يريدون فلذلك قدروا على اذاية سجني بعد روية الايات
الشاهدة لي ونبه على ان ذلك لا يقدم عليه الامن لا يحسن العاقبة بوجه فقال لا يومنون اي
يجددون الايمان لما لهم من العراقة في الكفر بالله اي الملك الاعظم الذي لا يخفى امره على ذي لب من اهل
مصر وغيرهم ثم لوح الى التحذير من يوم الجزا الذي لا يغني فيه احد عن احد منبها على ان الكفر به هو
القاطع عن العلم وعن كل خير فقال موكدا تاكيدا عظيما اشارة الى ان امرهم ينبغي ان ينكره كل من يسمعه
ولا يصدقه لما على الاخرة من الدلايل الواضحة حدا الموجبة لان لا يكذب بها احد وهم بالاخرة اي الدار
التي لا بد من الجمع اليها لانها محط الحكمة هم اي بضمايرهم كما هم بظواهرهم وفي تكرير الضمير تنبيه على ان هولا
اختصوا بهذا الجهل وان غيرهم وقعوا على الهدى كافرون اي عريقون في التغطية لها فلذلك اظلمت
قلوبهم فكانوا اصور الامعاني لها والملة مذهب جماعة يحمي بعضها لبعض في الديانة واصله من المليلة
وهي حمى تلحق الانسان قاله الرماني وفي القاموس ان المليلة الحر الكامن في العظم وعبر بتركت موضع
تجنبت مثلا مع كونه لم يلابس تلك الملة قط تانيسا لهما واستدراجا الى تركهما ثم اتبع ذلك بما يدل على

شرف اصله وتقدم فضله بانه من بيت النبوة ومعدن الفتوة ليكون ذلك ادعى الى قبول كلامه
واصابة سهامه اقصى مرامه فقال واتبعت اي بغاية جهدي ورغبتي ملة اباي ابرهيم خليل الله
وهو جد ابيه واسحاق ابنه نبي الله وهو جده ويعقوب ابنه اسرايل الله وهو ابوه حقيقة
وتلك هي الحنيفية السمحة التي هي الميل مع الدليل من غير جمود مع هوى بوجه من الوجوه روى
البخاري في التفسير وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس
اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسيلك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله
ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسلك قال فعن معادن العرب تسلوني قالوا نعم قال فخياركم في
الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا فكانه قيل ما تلك الملة فقال ما كان لنا اي ما صح وما
استقام بوجه من الوجوه لما عندنا من نور العلم الذي لم يدع عندنا لبسا بوجه اصلا ان نشرك
اي نجدد في وقت ما شيا من اشراك بالله اي الذي له الامر كله واغرق في النفي فقال من شي
اي بما شرعه لنا من الدين القويم كانت ملتنا التوحيد ومن لنا كيد العموم في سياق النفي ليعم
ذلك كل شي من عاقل ملك او انسي او جني او غيره ثم علل ذلك بما يعرف به انه كما وجب عليهم
ذلك وجب على كل احد ذلك اي كان هذا الانتفا او ذلك التشريع للملة الحنيفية وتسهيلها
وجعل الفطر الاولى منقادة لها مقبلة عليها العلي الشان العظيم المقدار من اجل فضل الله اي
المحيط بالجلال والاكرام علينا خاصة وعلى الناس الذين هم اخواننا في النسب عامة فنحن
وبعض الناس شكرنا الله فقبلنا ما تفضل به علينا فلم نشرك به شيا والفضل النفع الزايد
على مقدار الواجب فكل عطا الله فضل فانه لا واجب عليه فكان لذلك واجبا على كل احد اخلاص
التوحيد له شكرا على فضله لما تظافر عليه دليلا العقل والنقل من ان شكر المنعم واجب ولكن
اكثر الناس اي لما لهم من الاضطراب مع الهوى عموا عن هذا الواجب فهم لا يشكرون فضله
باخلاص العمل له ويشركون به اكراها لفطرهم الاولى فالاية من الاحتباك ذكر نفي الشرك اولا يدل
على وجوده ثانيا وذكر نفي الشكر ثانيا يدل على حذف اثباته اولا ولما اقام لهم الدليل على ما هو
عليه من الدليل الحقيقي تبعا لخلاصة الخلق بما تقرر في الاذهان من ان الله تعالى هو المنعم وحده
سبحانه فيجب شكره بعد ان قرر لهم امر نبوته واقام دليلها بما يخبرهم به من المغيبات ودعاهم
الى ما يجب عليهم من التوحيد وهو الاسلام وكان اكثر الخلق الا الفذ النادر يقرون بالاله الحق
ولكنهم يشركون به بعض خلقه اتبعه برهان التمانع على فساد كل ملة غير الاسلام الذي تطابق
عليه الانبيا والرسل كلهم تاييدا لادلة النقل بقاطع العقل فقال منا ديا لهما باسم الصحبة بالاداة
التي تقال عندما له وقع عظيم في النفوس في المكان الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة
وتصفو فيه القلوب ويتعهد الاخلاص رجا الخلاص يا صاحبي السجن والصحبة ملازمة اختصاص
كاصحاب الشافعي مثلا لملازمة الاختصاص بمذهبه وهي خلاف ملازمة الاتصال ولما فرع افهامهما
بالنداء لما يلقيه قرع اسماعهما بالانكار مع التقرير فقال ءارباب اي الهة متفرقون متباينون بالذوات
والحقايق تتشاهدونهم محتاجين الى المكان مع كونهم جمادا ولو كانوا احيا لامكن تمانعهم فادى

الي امكان عجز كل منهم القاطع بعدم صلاحيته للالهية خير اي اعظم في صفة المدح واولى بالطاعة
ام الله اي الملك الاعلى الواحد بالذات فهو لا يحتاج الي شي اصلا القهار لكل شي لا يزال قهره
متكررا ابدا فهذا برهان لاخطا به كما ظن وابرزه صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام استجلابا
لمسامع برد العلم اليه وسماها اربابا لمثل ذلك بنا على زعمهم ولذا المشاركة في افعل التفضيل لان
ذلك اقرب الي الانصاف لكونه الين في القول فيكون ادعي الي القبول ولما كان الجواب لكل من
يعقل الله خير اشار الي ذلك بجزم القول بعد ذلك الاستفهام في سلب صلاحيتهم قبل هذا الامكان
بعدم حياتهم وعلى تقدير حياتهم بعجزهم فقال ما تعبدون والعبادة خضوع بالقلب في اعلى مراتب
الخضوع وبين حقارة معبوداتهم وسفولها بقوله من دونه اي الله الذي قام برهان التمانع الذي
هو البرهان الاعظم على الهيته وعلى اختصاصه بذلك الا اسما وبين ما يريد واوضحه بقوله سميتموها
اي ذوات اوجدتم لها اسما انتم واباوكم لا معاني لها لانه لا ارواح لها فضلا عن ان تحقق بمعنى
ما سميتموها به من الالهية وان كان لها ارواح فهي منتف عنها خاصة الالهية وهي الكمال المطلق
الذي يستلزم احاطة العلم والقدرة ولما كان مقصود السورة وصف الكتاب بالابانة للهدي وكان
نفي الانزال كافيا في الابانة لان عبادة الاصنام باطله ولم يكن في السياق كالاعراف مجادلة
توجب مماحكه ومماطله ومعالجة متطاولة قال نافيا الانزال باي وصف كان ما انزل الله اي المحيط
علما وقدرة فلا امر لاحد معه بها واغرق في النفي فقال من سلطان اي برهان يتسلط به على تعظيمها
فانتفى تعظيمها لذاتها او لغيرها وصار حاصل الدليل لو كانوا احيا حاكمين لم يصلحوا للالهية لامكان
تمانعهم المودي الي امكان عجز كل منهم الملزوم لانهم لا صلاحية فيهم للالهية لكنهم ليسوا احيا فهم
احدر بعدم الصلاحية فعلم قطعا انه لا حكم لمقهور وان كل من يمكن ان يكون له ثان مقهور فانتج هذا
قطعا ان الحكم انما هو لله الواحد القهار وهو لم يحكم بتعظيمها وذلك معنى قوله ان اي ما الحكم الا لله اي
المختص بصفات الكمال والحكم فصل الامر بما تدعو اليه الحكمة ولما انتفى الحكم عن غيره وكان ذلك كافيا
في وجوب توحيده رغبة فيما عنده ورهبة مما بيده اتبعه تاكيدا لذلك والزاما به انه حكم به فقال
امر ان لا تعبدوا اي ايها الخلق في وقت من الاوقات على حال من الاحوال الا اياه اي وهو النافذ
الامر المطاع الحكم ولما قام الدليل على هذا الوجه البين كان جديرا بالاشارة الي فضله فاشار اليه
باداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظم شانه فقال ذلك اي الشان الاعظم وهو توحيده
وافراده عن خلقه الدين القيم الذي لا عوج فيه فيا تيه الخلل من جهة عوجه الظاهر لمن كان له
قلب ولكن اكثر الناس اي لما لهم من الاضطراب مع الحظوظ لا يعلمون اي ليس لهم علم لا نفهم
لا ينتفعون بعقولهم فكانهم في عداد البهايم العجم فلاجل ذلك هم لا يفردون الله بالعبادة ولما تم
نصحه وعلا قدحه بالقايه اليهما ما كان اهمهما لو علما ما له الي الحياة الابدية والرفعة السرمدية
اقبل على حاجتهما تمكينا لما ذكره وتاكيدا للذي قرره فناداهما بالاداة الدالة على ان ما بعدها كلام
له موقع عظيم لتجتمع انفسهما لسماع ما يلقي اليهما من التعبير فقال يا صاحبي السجن اي الذي تزول
فيه الحظوظ ويحصل الانكسار للنفس والرقة في القلب فتخلص فيه المودة ولما كان في الجواب

ما يسؤ الخباز ابهم ليجوز كل واحد انه الفايز فان الجأه الي التعيين كان ذلك عذرا له في الخروج
عن الابتو فقال اما احدكما وهو الساقي فيخلص ويقرب فيسقي ربه اي سيده الذي كان في خدمته
خمرا كما كان واما الاخر وهو الخباز ولما كان الذي له قوة ان يصلب انما هو الملك بني للمفعول قوله
فيصلب ويعطب فتاكل اي فيتسبب عن صلبه انه تاكل الطير من راسه والاية من الاحتباك
ذكر ملزوم السلامة والقرب اولا دليلا على العطب ثانيا وملزوم العطب ثانيا دليلا على السلامة
اولا وسيا تي شرح تعبيره من التوراة فكانه قيل انظر جيد اما الذي تقول وروي انهما قالا ما راينا
شيا انما كنا نلعب فقال مشيرا بصيغة البنا للمفعول الي عظمة الله وسهولة الامور عليه قضي
الامر وبينه بقوله الذي فيه اي لا في غيره تستفتيان اي تطلبان الافتا فيه عملا با لفتوة
فسالتما عن تاويله وهو تعبير رويا كما كذبتما او صدقتما لم اقله عن جهل ولا غلط وما احسن
ايلا هذا العلم الثابت لختم الاية السالفة بنفي العلم عن الاكثر والاحد المختص من المضاف اليه يبهم
له مثل صفة المضاف ولاكد لك المبعض فلا يصدق رايت احد الرجلين الا برجل منهما بخلاف بعض
والفتيا الجواب بحكم المعنى وهو غير الجواب بعلته ذكره الرماني ولعل رويتهما تشيران الي ما تشير
اليه رويا الملك فالعصر يشير الي السنابل الخضر والبقر السمان لانه لا يكون الا عن فضل
والخبز الذي طارت به الاطيار وسارت بروح صاحبه الاقدار يشير الي اليابسة والعجاف
والله اعلم ولما كان كل علم بالنسبة الي علم الله عدما عبر عن علمه بالظن ويمكن ان يكون الظن
على بابه لكونه قال ما مضى اجتهادا بقراين فيوخذ منه انه يسوغ الجزم بما ادى اليه الظن فقال
وقال اي يوسف عليه الصلاة والسلام للذي ظن مع الجزم بانه اراد به العلم لقوله قضي الامر
ويجوز ان يكون ضمير ظن للساقي فهو حينيذ على بابه انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند
ربك اي سيدك ملك مصر بما رايت مني من معالي الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدي
عما رميت به والمراد بالرب هنا غير المراد به الارباب متفرقون فنجى الساقي وصلب صاحبه
وفق ما قال لهما يوسف عليه الصلاة والسلام فانساه اي الساقي الشيطان اي البعيد من
الرحمة المحترق باللعنة ذكر يوسف عليه الصلاة والسلام عند ربه اي بسبب اعتماده عليه
في ذلك فلبث اي يوسف عليه الصلاة والسلام بسبب هذا النسيان في السجن من حين دخل
الي ان خرج بضع سنين ليعلم ان جميع الاسباب انما اثرها بالله تعالى وحقيقة البضع من
الثلاث الي التسع والمروي هنا انه كان سبعا ذكر ما مضى من هذه القصة من التوراة
قال بعد ما مضى فاهبط المدينيون يوسف الي مصر فاشتراه قوطيفر صاحب شرطه فرعون رجل
مصري من يد الاعراب الذين اهبطوه الي هنالك فكان الرب يعونه مع يوسف وكان رجلا
منجحا واقام في منزل المصري سيده فراي سيده ان الرب يعونه معه وان الرب ينجح جميع افعاله
فظفر يوسف منه برحمة ورافة فخدمه وسلطه على بيته وخوله جميع ماله ومن اليوم الذي
سلطه على بيته وخوله له جميع ماله بارك الرب في بيت المصري من اجل يوسف ومن سببه فحلت
بركة الرب في جميع ماله في البيت والحقل فخول كل شي له ولم يكن يعلم بشي من ماله في يده لثقته

به ما خلا الخبز الذي كان ياكله وكان يوسف حسن المنظر صبيح الوجه فلما كان بعد هذه الامور لمحت امراة سيده بنظرها الي يوسف فقالت له ضاجعني فابي ذلك وقال لامراة سيده ان سيدي لثقته بي ليس يعلم ما في بيته وقد سلطني علي جميع ماله وليس في هذا البيت اعظم مني ولم يمنعني شيا ما خلا انت لانك امراته فكيف ارتكب هذا الشر العظيم فاخطي بين يدي الله واذ كانت تراود كل يوم ولم يطعها ليضاجعها ويصير معها فبينا هو ذات يوم دخل يوسف الي البيت ليعمل عملا ولم يكن احد من اهل البيت هناك فتعلقت بقميصه وقالت له ضاجعني فترك يده في يدها وهرب فخرج الي السوق فلما رات انه قد ترك قميصه في يدها وخرج هاربا الي السوق دعت باهل بيتها وقالت لهم انظروا انه اتانا رجل عبراني ليفضحنا لانه دخل علي يريد ان يضاجعني وهتفت بصوت عال فلما راني قد رفعت صوتي وهتفت ترك قميصه في يدي وهرب الي السوق فصيرت قميصه عندها حتي دخل سيدها البيت فقالت له مثل هذه الاقاويل دخل علي هذا العبد العبراني الذي جلبته علينا يريد يفضحني فلما رفعت صوتي فصحت ترك قميصه في يدي وهرب فخرج الي السوق فلما سمع سيده كلام امراته استشاط غيظا فامر به سيده فقذف في الحبس الذي كان اسري الملك فيه محبوسين فمكث هناك في السجن وكان الرب يبصره ورزقه المحبة والرحمة والقي له في قلب السجان رحمة فولي يوسف جميع المسجونين الذين في الحبس وكل عمل كانوا يعملونه هناك كان عن امره ولم يكن رئيس السجن يضرب علي يديه في شي لان الرب كان بعونه معه وكل شي كان يفعله ينجحه الرب فلما كان بعد هذه الامور اذنب صاحب شراب ملك مصر والخباز وفي نسخة موضع الخباز رئيس الطباخين بين يدي سيدهما ملك مصر فغضب فرعون علي خادميه علي رئيس اصحاب الشراب ورئيس الخبازين وفي نسخة الطباخين فامر بحبسهما في سجن صاحب الشرطة في الحبس الذي كان فيه يوسف فسلط صاحب السجن يوسف عليهما فخدمهما فلبثا في السجن اياما فرايا رويا جميعا كل واحد منهما رويا كل في ليلة واحدة وكل واحد منهما احب تعبير حلمه الساقي والخباز وفي نسخة والطباخ ملك مصر فدخل عليهما يوسف بالغداة فراهما عابسين مكتئبين فسالهما فقال لهما ما بالكما اليوم هكذا عابسين مكتئبين فقالا له انا راينا رويا وليس لها معبر فقال لهما يوسف ان علم التعبير عند الله قصا علي فقص رئيس اصحاب الشراب علي يوسف وقال له اني رايت في الرويا كان حبلة بين يدي في الحبلة ثلاثة قضبان فبينا هي كذلك اذ تفرعت ونبت ورقها وايفعت عناقيدها فصارت عنبا وكان كاس فرعون في يدي فتناولت من العنب فعصرته في كاس فرعون وناولت الكاس فرعون فقال له يوسف هذا تفسير روياك الثلاثة قضبان هي ثلاثة ايام ومن بعد ثلاثة ايام يذكرك فرعون فيردك علي ذلك وتناول فرعون الكاس في يده علي العادة الاولي التي لم تزل تسقيه فاذكرني حينئذ اذا انعم عليك وانعم علي بالنعمة والقسط فاذكرني بين يدي فرعون ولتخرجني من هذا الحبس لاني انما سرقت من ارض العبرانيين سرقة وجعلت في الحبس ههنا ايضا بلا جرم جاء مني فراي رئيس الخبازين وفي نسخة الطباخين انه قد فسر تفسيرا حسنا فقال ليوسف رايت انا ايضا في منامي كان ثلاثة اطباق فيها خبز درمك علي راسي وفي الطبق الاعلي من كل ما ياكل فرعون

مما

مما يصنعه الخباز وفي نسخة عمل طباخ حاذق وكان السباع والطير تاكلها من الطبق من فوق راسي فاجاب يوسف وقال له هذا تفسير روياك ثلاثة اطباق هي ثلاثة ايام وبعد الثالث وهو يوم ولاد فرعون اتخذ فرعون وليمة لجمع عبيده وافتقد رئيس اصحاب الشراب ورئيس الخبازين وفي نسخة الطباخين فامر برد رئيس اصحاب الشراب علي موضعه وسقي فرعون الكاس كعادته وامر بصلب رئيس الخبازين كالذي فسر لهما يوسف فلم يذكر رئيس اصحاب الشراب يوسف ونسيه ولما بطل هذا السبب الذي امر به يوسف عليه الصلاة والسلام وهو تذكير الشرابي به اثار الله سبحانه سببا ينفذ به ما اراد من رياسته وقضي به من سجود من دلت عليه الكواكب فقال دالا علي ذلك **وقال الملك** وهو شخص نادر واسع المقدور واليه السياسة والتدبير للملابه وهم السحرة والكهنة والحزاة والقافة والحكما واكد ليعلم انه محق في كلامه غير ممتحن **اني اري** عبر بالمضارع حكاية للحال لشدة ما هاله من ذلك **سبع بقرات سمان** والسمن زيادة البدن من اللحم والشحم **ياكلهن سبع** اي بقرات **عجاف** والعجف يبس الهزال **واني اري سبع** ولما كان تاويل المنام الجدب والقحط والشدة اضاف العدد الي جمع القلة بخلاف ما كان في سياق المضاعفة في قوله انبتت سبع سنابل فقال **سنبلات خضر واخر** واني اري سبع سنبلات اخر **يابسات** التوت علي الخضر فغلبت عليها وكانه حذف هذا الدلالة العجاف عليه والسنبلة نبات كالقصبة حمله حبوب منتظمة فكانه قيل فكان ماذا فقيل قال الملك **يا ايها الملا** اي الاشراف النبلا الذين تملا العيون مناظرهم والقلوب مخابرهم وماثرهم **افتوني** اي اجيبوني وبينوا لي كرما منكم بقوة وفهم ثاقب ولما كان مراده ان لا يخرجوا بالجواب عن القصد ولا يبعدوا ابدا عبر بما يفهم الظرف فقال **في روياي** ومنعهم من الكلام بغير علم بقوله **ان كنتم للرويا** اي جنسها **تعبرون** وعبارة الرويا تاويلها بالعبور من علنها الي سرها كما تعبر من عبر النهر اي شطه الي عبره الاخر ومثله اولت الرويا اذا ذكرت مالها ومرجعها المقصود بضرب المثال والمادة بتراكيبها الستة عرب وعبر ورعب وربع وبعر وبرع تدور علي الجواز من محل الي محل ومن حال الي حال واكثر ذلك الي اجود فالعرب سموا لان مبني امرهم علي الارتحال لاستجادة المنازل واعرب اذا افصح اي تكلم بكلام العرب فابان عن مراده اي اجازه من العجمة والابهام الي البيان واعرب الفرس اذا خلصت عربيته فكانه جاز مرتبة الهجن الي العراب وكذا الابل العراب والعروبة يوم الجمعة لعلو قدرها عن بقية الايام والعروب المراة الضحاكة العاشقة لزوجها المتحببة اليه المظهرة له ذلك وهي ايضا العاصية لزوجها لان كل ذلك من افعال العرب فهم اعشق الناس واقدرهم علي الاستمالة بالكلام العذب وهم اعصي الناس واجفاهم اذا ارادوا العرب وحرك النشاط لانه انتقال عن الكسل وقد عرب كفرح اذا انشط واذا ورم لان الوارم يتجاوز هيئة غيره وعربت البير كثر ماوها فان نفع وعرب كضرب اكل والعربة محركة النهر الشديد الجري والنفس لكثرة انتقالها بالفكر والعربون ما عقد به المبايعة من الثمن فنقل السلعة من حال الي حال واستعربت البقر اشتهت الفحل امامن العروب العاشقة لزوجها واما لنقل الشهوة لها

من حال الي اخري وتعرب اقام بالبادية مع الاعراب الذين لا يوطنون مكانا وايام الربيع وعروبا
اسم السما السابعة لارتفاعها عن جميع السموات فكانها جازت الحد ولان حركتها حركة للكل والعر
بالكسر بيبس البهمي لانه صار اصلا للنقل ولو بتطيير الهوا او العربي شعير ابيض سنبله حرفان
كانه نسب الي العرب لجودته والاعراب اجرا الفرس ومعرفتك بالفرس العربي من الهجين لانتقاله حال
الجهل بذلك الي حال العلم وان لا يلحن في الكلام كانه انتقل بذلك من العجمة الي العربية وعرب الرجل بالكسر
اذا اتخم وكذا الفرس من العلف ومعدته فسدت وجرحه بقي به اثر بعد البرء كل ذلك ناقل من حال
الي غيرها والتعريب تهذيب المنطق من اللحن كانه رفع نفسه الي العرب وقطع سعف النخل
لانه نقلها عن حالها الي اصلح منه وان تكوي الدابة علي اشاعرها ثم تبزغ بمبزغ في التعريب ايضا
والاعراب ما قبح من الكلام وتقبيح قول القايل كانه خرج بزواله عربيته وهما ايضا الردع عن القبيح وذلك
ادخال له في خصال العرب التي هي معالي الاخلاق وهما ايضا النكاح او التعريض به لانه نقله من حال
الي حال وفعل الي فعل قولا وعملا والتعريب الاكثار من شرب الما الصافي واتخاذ فرس عربي وما بها
عريب اي احد يعرب وعبر الرويا اذا فسرها واخبر بما يوول اليه امرها كانه جاز ظاهرها الي
ما بطن منها وعبرت الكتاب اعبره عبرا تدبرته ولم ترفع به صوتك وعبرت النهر قطعته من
عبره اي شطه الي عبره والعبر ايضا الجانب ولانه يعبر منه واليه والمعبر سفينة يعبر عليها
وشط هي للعبور وعبر القوم ماتوا والعبرة بالكسر العجب وبالفتح الدمعة قبل ان تفيض كان لها
قوة الجري او هي تردد البكا في الصدر او الحزن بلا بكا لان ذلك مبدا جري الدمع وفي مختصر العين
وعبرة الدمع جريه والعبرة الدمع نفسه والعبر بالضم وبحرك سخنة العين والكثير من كل شي
والجماعة لان ذلك جاوز عن حد القلة ولانهم يجيزون ما شاوا ومجلس عبر بالكسر والفتح كثير الاهل من
ذلك وايضا هو اهل لان يعبر بجماعته من حال الي حال وامراة مستعبرة وتفتح الباء غير حظية اي
هي اهل لجري العبرة وناقة عبر اسفار مثلثة قوية وعبرت عن الرجل تكلمت عنه كانك عبرت من خاطره
الي خاطر المخاطب وعبرت الدنانير تعبيرا وزنتها ولم تبالغ في وزنها كانك عبرت من الجهل بمقدارها
الي الظن وعابر سبيل اي مار والشعري العبور نجم خلف الجوزا والعبور الجذعة من الغنم لانها
جاوزت سنة وناهلت للعبور مع الغنم وكانت في عدادها والعبور الاقلف لانكم ترونه عابرة في قلفته
وغلام معبر لم يختن ورجل عبر كاد ان يحتلم ولم يختن بعد اي كاد ان يصير الي حد البالغين علي هذه
الحال وهي ان لم ترته عابرة في قلفته وعبر به الامر تعبيرا اشتد عليه كانه جاز به من حالة الرخا الي
الشدة وعبرت به اهلكته والمعبرة بالتخفيف ناقة لم تنتج ثلاث سنين فيكون اصلب لها لانها
صارت اهلا لان يعبر عليها في الاسفار والعبير ضرب من الطيب لعبور ريحه والزعفران العبور لونه
وريحه والعبري السدر النهري لشانه في عبر النهر والمعبر من الجمال الكثير الوبر ومن الشا التي لم تجز
كانه لجواز الصوف عن حد جلدهما وسهم معبر وعبير كثير الريش كانه عبر عن حد العادة والعبير
بالضم الثكلى لانها اهل لارسال العبرة والسحاب التي تسير شديدا والعقاب لقوتها علي قطع المسافات
وبنات عبر الكذب والباطل لسرعة زواله ورعبت فلانا افزعته فهو مرعوب لانك اخرجته من الامن الي

الخوف وسيل راعب اي يملا الوادي وراعب ارض منها الحمام الراعبية والحمام ايضا لهافوة العبور
بالرسايل من مكان الي مكان ورعبت الحمامة في صوتها ترعيبا رفعته ورعبت السنام قطعته
والرعبوبة قطعة منه لانها جازت مكانها وجارية رعبوبة ورعبوب حسنة القوام تامة
كانها جازت اقرانها حسنا والرعب القصار ولحدهم رعيب وارعب تشبيه بالقطعة من السنام
والبعر رجيع الخف والظلف الا البقر الاهلية لانها تخثي والوحشية تبعر بعرا لانه يجوز من مكانه
لا من غير ان يلوثه فلا يبقي منه به شي والمبعر مكانه والبعير الجمل البازل او الجذع وقد يكون
للحمار وكل ما يحمل وفي مختصر العين واذا رات العرب ناقة او جملا من بعيد قالوا هذا بعير فاذا
عرفوا قالوا للذكر جمل وللانثي ناقة والبعرة بالتحريك الكمرة تشبيها بها والربع المنزل والدار
بعينها والمحلة لانها يخرج منها ويدخل اليها ولذلك سميت مثوا لانها يثاب اليها اي يرجع وربع
يربع اقام وارْبع علي نفسك انتظر كانه من الربع اي المنزل لانه يقام فيه وربع اذا اخصب
للانتقال من حال الي اخري وهم علي ربعاتهم اي استقامتهم وامرهم الاول كانه من المنزل والربع
لجوهر الضعيف الذي كان ذلك يلزم من الاقامة في المنزل وبهاد او قصر العرقوب والرجل
القصير كانه تشبيه بالربعة في مطلق القصر عن الطويل وربع الحجر رفعه والحمل رفعه علي الدابة
والمربوع المنعوش المنفرج عنه لتحول الحال في كل ذلك والمربعة خشبة يرفع بها العدل والمرابعة
ان تاخذ بيد صاحبك وترفعا الحمل علي الدابة كانه مع النقل ماخوذ من الاربعة وهي ايضا المعادلة
بالربيع ومنه تربعت سناما طويلا اي حملته وربيع الشهور شهران بعد صفر وربيع الفصول
المناب الذي فيه النور والكماة والذي تدرك فيه الثمار للانتقال في كل منهما والربع كصرد
الفصيل ينتج في الربيع وناقة مربع ذات ربع وارْبع القوم صاروا اربعة ودخلوا في الربيع واقاموا
في المربع وربعت الارض اصابها مطر الربيع هو المرابيع الامطار اول الربيع وارْبع الرجل اذا ولد
له في شبابه تشبيها للشباب بالربيع وناقة مرباع اذا كانت عادتها ان تنتج في ربعية النتاج
والربعة او الشتا والربيع الجدول لجريه وانبات ما حوله وجمعه اربعا والحجر يشيلونه لتجربة
القوي والرابع تلو الثالث لانه جاز الجمع وثوب وحبل مربوع مفتول علي اربع قوي وربعه القوم
اربعهم صرت رابعهم والاربعاء يوم والمرباع ربع الغنيمة كان ياخذها الرييس والرباعية كثمانية
السن بين الثنية والناب وعددها اربع وكل ما بلغ الاربعة رباع كثمان وتقول للغنم في الرابعة
وللبقر والحافر في الخامسة وللخف في السابعة اربعت كانه لا يجوز في كل نوع من حد الصغر الي
الكبر الا بذلك واربع الفرس التي رباعيته وحمي ربع تاتي في اليوم الرابع وقد ربع الرجل وأربع
وهو معني ما قال في القاموس وربعته الحمي اخذته الحمي يوما بعد يومين لان يومها الثاني هو
رابع يومها الاول والرابعة بالفتح جونة العطار لتضوع ريحها والرجل بين الطويل والقصير
ويحرك كالمربوع لجوازه حد كل منهما هذا الي الطول وهذا الي القصر وارتبع صار ربعة والربعة
محركة اشد عدو الابل والمسافة بين اثافي القدر لعبور كل منهما عن محل صاحبتها وارْبع ما الركيه
كثر فجاز عن محله الاول وعلا فلان ساله ثم ذهب ثم عاوده وعلي المراة كر الي جماعها والقوم ابلهم

مكان كذا دعوها او ارسلوها على المآثر دمتي شآت ويجوز ان يكون هذا ايضا من الربع وارتبعت الناقة
اذا استغلقت رحمها فلم تقبل الماء كانها ازالت العبور اي الانتقال من حال الى اخرى والربعة
البيضة من السلاح لنقلها صاحبها الى الحصانة والروضة لجوازها النبت فيها عن حد الارض
والمربع شراع السفينة لانه اله السير والمربع الرجل الكثير النكاح لعبوره عن حاله الاولى
ولجلوسه بين الشعب الاربع وتربع في جلوسه ضد حبا اما لانه صار على شكل المربع واما اخذا
من الربع اي المنزل لانها جلسة المقيم في منزله وتربعت النخيل خرفت وصرمت لتحول حالها
واستربع الرمل تراكم اما لجوازه عن حاله الاولى واما من الاقامة في الربع واستربع الغبار ارتفع
والبعير للسير قوي عليه وصبر والرجل بالامر استقل وصبر وفلان يقيم رباعة قومه اي شانهم
وحالهم اي يجيزهم من حال الى اخرى ومضى من بني فلان ربوع بعد ربوع اي احيا بعد احيا اما لان
ذلك جواز من دار الى دار ومن حال الى حال واما على حذف مضاف اي اهل ربوع اي منازل واليربوع
دابة كالفار اما لشدة جريها واما لجعلها نافقين تهرب من ايهما شات فهو عابرة مستغلة بالقوة
وان كانت ساكنة واليربوع لحمة المتن كانه مشبه بالدابة وبرع الرجل مثلثة فاق اصحابه في علم
اوغيره او تم في كل فضيلة وجمال وهذا ابرع منه اي اضخم لانه جاز مقداره والبارع الاصيل الجيد
الراي وتبرع بالعطا تفضل بما لا يجب عليه من عند نفسه كانه جاز رتبة الواجب والله اعلم وفي
الاية ما يوجبه حال العلماء من حاجة الملوك اليهم فكانه قيل فما قالوا فقيل **قالوا** هذه الرويا
اضغاث اي اخلاط جمع ضغث بكسر الضاد واسكان الغين المعجمة وهو قبضة حشيش مختلطة
الرطب باليابس **احلام** مختلفة مختلطة مشتبهة جمع حلم بضم الحا واسكان اللام وضمه وهو
الرويا فغيروها بالاضغاث وهو ما يكون من الرويا باطلا لكونه من حديث النفس او وسوسة
الشيطان لكونها تشبه اخلاط النبات التي لا تناسب بينها لان الرويا تارة تكون من الملك وهي
الصحيحة وتارة تكون من تحزين الشيطان وتخليطاته وتارة من حديث النفس ثم قالوا **وما نحن**
اي باجمعنا **بتاويل** اي بتر جيع **الاحلام** اي مطلقا الاضغاث وغيرها واغرقوا في النفي بقولهم
بعالمين فدلسوا من غير وجه جمعوا وهي حلم واحد لجعلوها اضغاثا لا مدلول لها ونفوا عن انفسهم العلم
بالمطلق المستلزم لنفي العلم بالمقيد بعد ان اتوا بالكلام على هذه الصورة ليوهموا انهم ما جهلوها الا
لكونها اضغاثا والله اعلم والقول كلام متضمن بالحكاية في البيان عنه فاذا ذكر انه قال اقتضى الحكاية
لما قال واذا ذكر انه تكلم لم يقتض حكاية لما تكلم به ومادة حلم بجميع تقاليبها تدور على صرف الشي من
وجهه وعادته وما تقتضيه الجبلة كما ياتي في الرعد في قوله شديد المحال ولما كان هذا الامر مذكرا
للساقي بيوسف عليه الصلاة والسلام اخبر سبحانه بانه ذكره بعد نسيانه فقال عاطفا لا عن الفا
ايذانا بانه من الملا **وقال الذي نجا** اي تخلص من الهلاك **منها** اي من صاحبي السجن وهو الساقي **و** الحال
انه **ادكر** بالمهملة اي طلب الذكر بالمعجمة وزنه افتعل **بعد امة** من الازمان اي ازمان مجتمعة طويلة
انا انبئكم اي اخبركم اخبارا عظيما **بتاويله** اي بتفسير ما يوول اليه معناها هذا الحلم وحده كما هو الحق
وسبب عن كلامه قوله **فارسلون** اي الى يوسف عليه الصلاة والسلام فانه اعلم الناس فارسلوه اليه

قال

قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يكن السجن في المدينة فاتاه فقال الساقي المرسل بعد وصوله اليه
مناديا له بندا القرب تحببا اليه **يوسف** وزاد في التحبب بقوله **ايها الصديق** اي البليغ في الصدق
والتصديق لما يحق تصديقه بما جربناه منه ورايناه لا يخا عليه **افتنا** اي اذكر لنا الحكم **في سبع**
وميز العدد بجمع السلامة الذي هو للقلة كما مضى لما مضى فقال **بقرات سمان** اي راهن الملك **ياكلهن**
سبع اي من البقر **عجاف** اي مهازيل جدا و **في سبع سنبلات** جمع سنبلة وهي مجمع الحب من الزرع
خضر و في سبع **اخر** اي من السنابل **يابسات** وساق جواب السوال سياق الترجي اما جريا على
عوايد العقلا في عدم البت في الامور المستقبلة واما لانه ندم بعد ارسالهم خوفا من ان يكون التاويل
شيا لا يواجه به الملك فعزم على الهرب على هذا التقدير واما استجالا ليوسف عليه الصلاة والسلام
بالافتا ليسرع الرجوع فان الناس في غاية التلفت اليه فقال **لعلي ارجع الى الناس** قبل مانع يمنعني
ولما كان تصديقهم ليوسف عليه الصلاة والسلام وعلمهم بعد ذلك بفضله وعملهم بما امرهم به مظنونا
قال **لعلهم يعلمون** اي ليكونوا على رجا من ان يعلموا فضلك او ما يدل ذلك عليه من خير وشر فيعلموا
الكل حال ما يمكنهم عمله فكانه قيل ما قال له فقيل **قال** تاويله انكم **تزرعون** اي توجدون الزراعة
فهو اخبار بمغيب فهو اقعد في معنى الكلام ويمكن ان يكون خبرا بمعنى الامر **سبع سنين دابا** اي
دايبين مجتهدين والداب استمرار الشي على عادته كما اشارت اليه روياك بعصر الخمر الذي لا يكون
الا بعد الكفاية ودلت عليه رويا الملك للبقرات السمان والسنابل الخضر والتعبير بذلك
يدل على ان هذه السبع تكون كما تعرفون من اغلب احوال الزمان في توسطه بخصب ارض
وجدب اخرى وعجز الما عن بقعة واغراقه الاخرى كما اشار اليه الداب ثم ارشدهم الى ما يتقون
به ما ياتي من الشر فقال **فما حصدتم** اي من شي بسبب ذلك الزرع والحصد قطع الزرع بعد
استوايه في تلك السبع الخصبة **فذروه** اي اتركوه على كل حال **في سنبله** ليلا يفسد بالسوس
او غيره **الا قليلا مما تاكلون** قال ابو حيان اشار براي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها
التي لا تبقى عامين بوجه الا حيلة ابقايها في السنبل انتهى ولما تم المشورة رجع الى بقية
عبارة الرويا فقال **ثم ياتي** ولما كانت مدة الاتيان غير مستغرقة لزمان البعد اتى بالجار
فقال **من بعد ذلك** اي الامر العظيم وهو السبع التي تعملون فيها هذا العمل **سبع** اي سنون
شداد بالقحط العظيم وهي ما اشارت اليه رويا صاحبك الذي طار برزقه الطيور وسار
بوجه غالب المقدور ودلت عليه رويا الملك من البقرات العجاف والسنابل اليابسات **ياكلن**
اسند الاكل اليهن مجازا عن اكل اهلهن تحقيقا للاكل **ما قدمتم** اي بالادخار من الحبوب **لهن**
والتقديم التقريب الى جهة القدام وبشرهم بان الشدة تنقضي ولم يفرغ ما اعدوه فقال **الا قليلا**
مما تحصنون والاحصان الاحراز وهو القا الشي فيما هو كالحصن المنيع هذا تعبير الرويا ثم زادهم
على ذلك قوله **ثم ياتي** وعبر بالجار لمثل ما مضى فقال **من بعد ذلك** الجدب العظيم **عام** وهو اثنا عشر شهرا
ونظيره الحول والسنة وهو ماخوذ من العوم لما لاهله فيه من السبح الطويل قال الرماني والتعبير
به دون مرادفاته اشارة الى انه يكون فيه من السعة بعموم الري وظهور الخصب وغزير البركة امر

عظيم ولذا اتبعه بقوله **فيه** ولما كان المتشوف اليه الاغاثة علي انه من المعلوم انه لا يقدر عليها
الا الله قال بانيا للمفعول **يغاث الناس** من الغيث وهو المطر او من الغوث وهو الفرج ففي الاول
يجوز بناوه من ثلاثي ومن رباعي يقال غاث الله الارض واغاثها امطرها وفي الثاني هو من
رباعي خاصة يقال استغاث به فاغاثه من الغوث وهو واوي ومعناه النفع الذي ياتي علي شدة
حاجة بنفي المضرة والغيث يائي وهو المطر الذي ياتي في وقت الحاجة **وفيه** اي ذلك العام الحسن
ولما كان العصر للادهان وغيرها لا يكون الا عن فضلة قال **يعصرون** اي يخرجون عصارة الاشيا
وخلاصاتها وكانه اخذ من انتها القحط ابتدا الخصب الذي دل عليه العصر في روبا السنابل الخضرة
والسمن في روبا الملك فانه ضد القحط وكل ضدين انتها احدهما ابتدا الاخر لا محالة فجا الرسول فاخبر
الملك بذلك فاعجبه ووقع في نفسه صدقه **وقال الملك** اي الذي العزيز في خدمته **ايتوني به** لاسمع
ذلك عنه واكرمه فاتاه الرسول لياتي به الي الملك **فلما جاه** اي يوسف عليه الصلاة والسلام عن قرب
من الزمان **الرسول** بذلك وهو الساقي **قال** له يوسف **ارجع الي ربك** اي سيدك الملك **فاساله**
بان تقول له مستفهما **ما بال النسوة** ولوح بمكرهن به ولم يصرح ولا ذكر امراة العزيز كرما وحيا فقال
اللاتي قطعن ايديهن اي ما خبرهن في مكرهن الذي خالطني فاشتد به بلائي فانهن يعلمن ان امراة العزيز
ما دعتهن الا بعد شهادتهن بانها راودتني ثم اعترفت لهن بانها راودتني واني عصيتها اشد عصيان
فاذا سالهن بان الحق فان ربك جاهل امرهن ولما كان هذا موطنا يسيل فيه عن علم ربه سبحانه لذلك قال
مستانفا موكدا لانهم عملوا في ذلك الامر بالجهل عمل المكذب بالحساب الذي هو نتيجة العلم **ان ربي** اي
المدبر لي والمحسن الي بكل ما انقلب فيه من شدة ورخا **بكيدهن** لي حين دعونني الي طاعة امراة العزيز
عليم وانا لا اخرج من السجن حتى يعلم ربك ما خفي عنه من امرهن الذي علمه ربي لتظهر براتي علي روس
الاشهاد دما وصموني به من السجن الذي من شانه ان لا يكون الا عن جرم وان لم تظهر براتي لم ينقطع
عني كلام الحاسدين ويوشك ان يوسعوا في حط منزلتي عند الملك ولئلا يقولوا ما لبث هذه المدة
في السجن الا لذنب عظيم فيكون في ذلك نوع من العار وفي هذا دليل علي ان السعي في براة العرض حسن
بل واجب واخرج الكلام علي سوال الملك عن امرهن لا علي سواله في ان يفحص عن امرهن لان سوال
الانسان عن علم ما لم يعلم يهيجه ويلهبه الي البحث عنه بخلاف سواله في ان يفتش لغيره ليعلم ذلك
الغير فاراد بذلك حثه لان يجد في السوال حتى يعلم الحق ليقبل بعد ذلك جميع ما حدثه به والكيد
الاحتيال في ايصال الضرر وانما فسرت بال بذلك لان مادته يائية بتراكيبها الخمسة بلى
وبيل وليب ويلب وواوية بتراكيبها الستة بول وبلو ولوب وولب ووبل ولوب ولبو ومهموزة
بتراكيبها الاربعة لبا وابل وال وألب تدور علي الخلطة المحيلة المميلة وكان حقيقتها البلا
بمعنى الاختبار والامتحان والتجربة ويكون في الخير والشر اي خالطه بشي يعرف منه خفي امره قال
القزاز والفتنة تكون في الشر خاصة والبلا النعمة من قولك ابليته خيرا اذا اصطنعته عنده وقد
تقدم في سورة الانفال شي من معاني المادة وناقة بلو سفر وبلي سفر اذا انضاها السفر واذا
كانت قوية عليه والبلوي البلية وابليت فلانا عذرا اي جئت فيما بيني وبينه ما لا اوم فيه اي

خالطته

خالطته بشي ازال اللوم والبلية دابة كانت تشد في الجاهلية عند قبر صاحبها ولا تعلف ولا
تسقى حتى تموت ويقال الناس بدبل وبدي بليان اي متفرقين كان حقيقته انه حل بهم
صاحب خلطة شديدة فرقت بينهم وبلي الشي بالكسر بلى مقصور وبلا ممدود اذا فني وعطب
وبلي فلان بكذا مبنيا للمفعول وابتلي به اذا اصابه ذلك والبول ولد الرجل والعدد الكثير والانفجار
وضد الغايط ولا ريب ان كلا من ذلك اذا خالط الحيوان احال حاله والبال الاكتراث والفكر
والهم ومن ذلك عندي ما باليت به لم اكترث به وكذا ما ابالبه بالة وهي مصدر منه ولم ابال به ولم
ابل ولكنهم قلبوه من باولت به لئلا يلتبس بالبول والله اعلم وحقيقتها ما استعملت بالي الذي
هو فكري فيه وان اعمل هو فكره في امري اي انه اقل من ان يفكر في امره ومن المعلوم ان الفكر محل الخلطة
المميلة والبال الحر الذي يعتمل به في ارض الزرع لمشقة العمل به والبال سمكة غليظة تسمى جمل البحر
لان من خالطته احالت امره والبال رخا العيش والحال والبالة القارورة كانها من البول والجراب
ووعا الطيب والولب الوصل ولبث الشي وصلته وولب هو وصل ودخل واسرع والوالب الذاهب
في وجهه كانه خالطه من الهم ما حمله علي ذلك وولب الزرع اذا صارت له والبة وهي افراخ تولدت
من اصوله والوالبة نسل الغنم ونسل المال والوالبة سريع النبات ولاب يلوب اذا عطش
واللابة الحرة وهي مكان ذو حجارة سود كبيرة متصلة صلبة خشنة فمن خالطها اتعبته واعطشته
وبها سميت الابل السود المجتمعة والضان واللابة شقشقة البعير وهي شي كالرئة يخرجه
البعير من فيه اذا هاج كانها هي التي اهاجته والملاب ضرب من الطيب والزعفران والملوب كمعظم
من الحديد الملوي واللوب بالضم البضعة التي تدور في القدر لانها تغير ما في القدر بدورانها
واللوب ايضا اللعاب ولاب عطشت ابله واللبوة انثى الاسد والوابل المطر الكثير الشديد الوقع
الضخم القطر والوابلة نسل الابل والغنم وراس العضد الذي في الحق وما التقم لحم الفخذ والوابلة
المواطنة والميبل صغيرة من قد مركبة في عود تضرب به الابل ووبل الصيد طرد حثيث شديد
وبا لنجية وبلة شديدة اذا ارادنا الحلاوبال الشدة وسو العاقبة وهو من الشدة والثقل واصابه
وبل الجوع اي جوع شديد والوبيل المرعي الوخيم واستوبلت الارض اذا لم توافقك في مطعمك وان
كنت محبا لها وهو من الوبيل للطعام الذي لا يشتهى والوبيل من العقوبة الشديدة وهو ايضا العصي
وخشبة القصار التي تدق بها الثياب الغسل وخشبة صغيرة يضرب بها الناقوس والحزمة من
الحطب وبلي حرف يجاب بها الاستفهام الداخل علي كلام منفي فتحيله الى الاثبات بخلاف نعم فانه يجاب
بها الكلام الموجب وتاتي بلي في النفي من غير استفهام فيقال ما اعطيتني درهما فتقول بلي والبي من الطعام
كرضي اكثر منه واللباية بالضم شجر الاثطي واللياب بتقديم التحتانية وزن سحاب اقل من ملا الفم
والبلب محركة الترسة ويقال الدرق والدروع من الجلود او جلود يخرز بعضها الي بعض تلبس علي الروس
خاصة والعظم من كل شي والجلد والابيل كامير العصي والحزين بالسريانية ورئيس النصارى او الراهب
او صاحب الناقوس صنيع مختصر العين يقتضي ان همزته زايدة وصنيع القاموس انها اصلية وعلي
كلا التقديرين هو من مدار المادة فان من خالطته العصي غيرته وكذا الرئيس ومن مهموزه اللبا كضلع

اول اللبن وهو احق الاشيا بالاحالة وكبا الفصيل بشدة الجداس الخلف اي حلمة ضرع الناقة ليرضع اللبأ
ولبات وهي ملبي وقع اللبا في ضرعها ولا يكون ذلك الا بما خالطها فحيل ذلك منها واللبث بالفتح اول
السقي وهو اشد مما في الانثا في الخلطة والاحالة ويعا الاسدة وخلطتها محيلة للذكور من نوعها ولغيرها
بالنفرة منها وكذا اللبوة بالواو وعشار ملابي كملاقح دنا نتاجها وهو واضح في الاحالة ولبات الشاة
ولدها والبأته ارضعته اللبأ ولبات الشاة والتبا تها حلبت لباها والبيل كامير الصغير الضعيف
بؤ ذكره ويقال اصل نبيل والابل بكسرتين وتسكن الباء معروف واحد يقع على الجمع ليس بجمع ولا اسم
جمع جمعه اابال الاحالة في خلطتها بالركوب والحمل وغيره واضحة والابل السحاب الذي يحمل الماء المطر وهو
ظاهر في ذلك وتابل عن امراته امتنع من غشيانها من الازالة وتنسك اي امتنع عن خلطة الدنيا المحيلة
وبالعصى دمن خالطته العصى احالته وابل العشب ابو لاطال فاستمكن منه الابل وهو ظاهر في الاحالة
والاهالة كالاجانة القطعة من الطير والخيل والابل المتتابعة منها من نظر شيئا من ذلك اهاله عن حاله
وكامير العصى ورئيس النصارى او الراهب او صاحب الناقوس وكل ذلك واضح في الاحالة والابل بضم الباء
الحزمة من الحشيش وخلطتها محيلة لها باكلها والابالة ككتاب السياسة وهي في غاية الاحالة لمن خولط
بها والابلة كفرحة الحاجة والطلبة وهي معروفة في ذلك والمباركة في الابل وانه لا يابيل لا يثبت على رعية
الابل ولا يحسن مهنتها او لا يثبت عليها راكبا اي انه سريع التاثر والاحالة من خلطتها وتابيل الابل
تسمينها اي مخالطتها بما احالها والابلة بالكسر العداوة واحالتها معروفة وبالضم العاهة وهي كذلك
وبالفتح او بالتحريك الثقل والوخامة والاثم كذلك وتابيل الميت تابينه اي الثنا عليه بعد موته وهو
يهيج الحزن عليه وجا في ابالته بالكسر وابلته بضمتين مشددة اصحابه ولا شك ان من جا كذلك احال
من اتاه وضغث على ابالة كاجانة بخفيف بلية على اخرى او خصب على خصب كانه ضد وهو واضح الاحالة
وابلت الابل تابل وتابل ابولا وابلا وجزات اي اكتفت بالرطب عن الماء والرطب بضمتين الاخضر
من البقل والشجر او جماعة العشب الاخضر والابول الاقامة في المرعى ولا شك ان من خالط ذلك
احاله والب اليه القوم اتوه من كل جانب وذلك محيل والب الابل ساقها والابل انساقت
وانضم بعضها الى بعض والحمار طريدته طردها شديدا وجمع واجتمع واسرع وعاد والاحالة
في كل ذلك ظاهرة والسما دام مطرها اي فاحال الارض واهلها والتالب كثعلب المجتمع منا
ومن حمر الوحش والوعل وهي بها وما كان كذلك احاله ما خالطه والالب بالكسر الغنم وشجرة
كالاترج سم وذلك ظاهر في الاحالة وبالفتح نشاط الساقي وميل النفس الى الهوى والعطش والتدبير
على العدو من حيث لا يعلم ومسك السخلة والسم والطرد الشديد وشدة الحمى والحر وابتداء برء الدمل
وكل ذلك ظاهر الاحالة وريح الوب باردة تسفي التراب ورجل الوب سريع اخراج الدلو وتنبيط
فمن خالطه احاله وهم عليه الب والب واحد يجتمعون عليه بالظلم والعداوة وذلك محيل لا شك فيه
والالبة بالضم المجاعة وبالتحريك البلية والتاليب التحريض والافساد وكل ذلك ظاهر في الاحالة
وكذا المنلب السريع والالب الصعو وهو محيل والالب بالتحريك الجلب وقد مضى انفا الترسة والله
اعلم ولما قال يوسف عليه الصلاة والسلام ذلك وابى ان يخرج من السجن قبل تبين الامر رجع الرسول

الى الملك فاخبره بما قال عليه الصلاة والسلام فكانه قيل فما فعل الملك فقيل **قال** للنسوة بعد
ان جمعهن **ما خطبكن** اي شانكن العظيم وقوله **اذ راودتن** اي خادعتن بمكر ودوران
ومراوغة **يوسف عن نفسه** دليل على ان براته كانت متحققة عند كل من علم القصة وكان
الملك وبعض الناس وان علموا مراودتهن وعفته ما كانوا يعرفون المراودة هل هي لهن كلهن
او لبعضهن فكانه قيل ما قلن فقيل مكرن في جوابهن اذ ساله عما عملن من السوء معه فاعرضن
عنه واجبن بنفي السوء عنه عليه الصلاة والسلام وذلك انهن **قلن حاشى لله** اي عياذا بالملك
الاعظم وتنزيها له من هذا الامر فاوهمن بذلك براتهن منه ثم فسرن هذا العياذ بان قلن تعجبا
من عفته التي لم يرين مثلها ولا وقع في اوهامهن ان تكون لادمي وان بلغ ما بلغ **ما علمنا عليه** اي
يوسف عليه الصلاة والسلام واعرقن في النفي فقلن **من سوء** فخصصنه بالبراة وهذا كما تقدم عند
قول الملا اضغاث احلام هذا وهو جواب للملك الذي تبهر روبته وتخشى سطوته فكان من طبع
البلد عدم الانصاح في المقال حتى لا ينفك عن طروق احتمال فيكون للتفصي فيه مجال وغباوة الملوك الا
من شاء الله منهم ولما تم ذلك كان كانه قيل فما قالت التي هي اصل هذا الامر فقيل **قالت امراة العزيز**
مصرحة بحقيقة الحال **الآن حصحص الحق** اي حصل على امكن وجوهه وانقطع عن الباطل بظهوره من
حص شعره اذ استاصل قطعه بحيث ظهر ما تحته ومنه الحصة القطعة من الشي ونظيره كب
وكبكب وكف وكفكف فهذه زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق وهو قول الزجاج قاله الرماني
ووافقه الرازي في اللوامع وقال الازهري هو من حصحص البعير اثرت ثفناته في الارض اذا برك حتى
تستبين اثارها فيه **انا راودته** اي خادعته وداورته **عن نفسه** واكدت ما افهمت به مدحا ونفيا
لكل سوء بقولها موكدا لاجل ما تقدم من انكارها **وانه لمن الصادقين** اي العريقين في هذا الوصف
في نسبة المراودة الي وتبريه نفسه فقد شهد النسوة كلهن ببراته وانه لم يقع منه ما ينسب به
شي من السوء اليه فمن نسب اليه بعد ذلك هما او غيره فهو تابع لمجرد الهوى في نبي من المخلصين ولما
انجلى الامر للملك باحضاره ليستعين به فيما اليه من الملك لكن لما كانت براة الصديق اهم من ذلك
وهي المقصود من رد الرسول قدم بقية الكلام فيها عليه وليكون كلامه في براته متصلا بكلام النسوة في
ذلك والذي دل على ان ذلك كلامه ما فيه من الحكم التي لا يعرفها في ذلك الزمان غيره فقال بناء على ما تقديره
فلما رجع الرسول الى يوسف عليه الصلاة والسلام فاخبره بشهادتهن ببراته قال **ذلك** اي الخلق
العظيم في تثبتي في السجن الى ان تبين الحق **ليعلم** العزيز علما موكدا **اني لم اخنه** اي في اهله ولا في غيرها
بالغيب اي والحال ان كلا منا غايب عن صاحبه **و** ليعلم باقرارها وهي في الامن والسعة وتثبتي وانا في
محل الضيق والخوف ما من شانه الخفاء عن كل من لم يويده الله بروح منه من **ان الله** اي الذي له الاحاطة
باوصاف الكمال **لا يهدي** اي يسدد ويبخح بوجه من الوجوه **كيد الخائنين** اي العريقين في الخيانة
بل لابد ان يقيم سببا لظهور الخيانة وان اجتهد الخائن في التعمية والخيانة مخالفة الحق بنقض العهد
العام وضدها الامانة والغدر نقضه خاصا والمعنى اني لما كنت بريا سدد الله امري وجعل عاقبتي الى
خير كبير وبراة تامة ولما كان غيري خائنا انطقه الله بالاقرار بها ولما كان ذلك ربما جر الى الاعجاب قال

وما ابرئ اي تبريئه عظيمة نفسي عن مطلق الزلل وان غلبه التوفيق والعصمة اي لم اقصد بالبراة عما تقدم
مجرد التزكية للنفس وعلل عدم التبرية بقوله موكدا لما لاكثر الناس من الانكار ولان اتباعهم لاهويتهم
نعل من ينكر فعل الامارة ان النفس اي هذا النوع لامارة اي شديدة الامر بالسوٓ اي هذا الجنس
دآيما لطبعها علي ذلك في كل وقت الاما اي وقت ان رحم ربي بكونها عن الامر به او بستره بكونها عن
نعله بعد اطلاقها علي الامر به او الاما رحمه ربي من النفوس فلا يامر بسوٓ ثم علل ذلك بقوله موكدا دفعا
لظن من يظن انه لاتوبة له ان ربي اي المحسن الي غفور اي بليغ الستر للذنوب رحيم اي بليغ الاكرام
لمن يريد ولما اتم ماقدمه مما هو الاهم من نزاهة الصديق وعلم الملك ببراته وما يتبعها علي ماكان في نسقه
من قوله قال ما خطبكن فقال وقال الملك صرح به ولم يستغن بضميره كراهية الالباس لما تخلل
بينه وبين جواب امراة العزيز من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام ولو كان الكل من كلامها لاستغني
بالضمير ولم يحتج الي ابرازه ايتوني به استخلصه اي اطلب واوجد خلوصه لنفسي اي فلا يكون لي فيه
شريك قطعا لطمع العزيز عنه ودفعا لتوهم انه يرده اليه ولعل هذا مراد يوسف عليه الصلاة والسلام
بالتلبث في السجن الي انكشاف الحال خوفا من ان يرجع الي العزيز فتعود المراة الي حالها الاولي فيزداد
البلا ولما كان التقدير فرجع رسول الملك اليه فاخبره ان الملك سال النسوة فعلن ما مضي وامر باحضاره
ليستخلصه لنفسه فقال يوسف عليه الصلاة والسلام ما تقدم من تلك الحكم البالغة واجاب امر الملك
فاتي اليه بعد ان دعي لاهل السجن فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار وكتب
علي باب السجن هذه منازل البلوي وقبور الاحيا وبيوت الاحزان وتجربة الاصدقا وشماتة الاعدا
ثم اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا وقصد عليه عطف عليه بالفا دليلا علي اسراعه في ذلك قوله
فلما كلمه وشاهد الملك فيه ما شاهد من جلال النبوة وجميل الوزارة وخلال السيادة ومخايل السعادة
قال موكدا تمكينا لقوله دفعا لمن يظن انه بعد السجن وما قارنه لايرفعه هذه الرفعة انك اليوم وعبر
بما هو لشدة الغرابة تمكينا للكلام ايضا فقال لدينا مكين اي شديد المكنة من المكانة وهي حالة
يتمكن بها صاحبها من مراده امين من الامانة وهي حالة يومن معها نقض العهد وذلك انه قيل ان الملك
كان يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فعرفها كلها ثم دعا للملك بالعبراني فلم يعرفه الملك فقال له
ما هذا اللسان قال لسان ابايي فعظم عنده جدا فكانه قيل فما قال الصديق فقيل قال
ما يجب عليه من السعي في خلاص الدين والدنيا اجعلني قيما علي خزاين الارض اي ارض مصر التي هي
لكثرة خيرها كانها الارض ثم علله بما هو مقصود الملوك الذين لايكادون يقعون عليه فقال اني
حفيظ اي قادر علي ضبط ما اليّ امين فيه عليم اي بالغ العلم بوجوه صلاحه واستنمايه فاخبر بما
جمع الله له من ادواتي الحفظ والفهم مع ما يلزم الحفظ من القوة والامانة لنجاة العباد مما يستقبلهم من
السوٓ فيكون ذلك سببا لردهم عن الدين الباطل الي الدين الحق ولما سال ما تقدم قال رحمه انه اجيب
بتسخير الله له وكذلك اي ومثل ما مكنا ليوسف في قلب الملك من المودة والاعتقاد الصالح وفي قلوب
جميع الناس ومثل ما سال من التمكين مكنا اي بما لنا من العظمة ليوسف في الارض اي مطلقا لاسيما
ارض مصر بتوليته ملكها اياه عليها يتبوا اي يتخذ منزلا يرجع اليه من بآ اذا رجع منها حيث يشآ

بانجاح جميع مقاصده لدخولها كلها تحت سلطانه لتبقي انفس اهل المملكة وما والاها علي يده فيحوز
الاجر وجميل الذكر مع ما يزيد به من علو الشان وفخامة القدر فكانه قيل لم كان هذا فقال لامرين
احدهما ان لنا الامر كله نصيب علي وجه الاختصاص برحمتنا بما لنا من العظمة من نشآ ممن يستحق فيما
ترون وغيره لايسيل عما يفعل وقد شينا اصابة يوسف بهذا والثاني انه محسن يعبد الله فانبا
عن جميع الاغيار ونحن لانضيع بوجه اجر المحسنين اي العريقين في تلك الصفة وان كان لنا ان نفعل
غير ذلك روي ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الحكم في اول فتوح مصر من طريق الكلبي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال فاتاه الرسول فقال الق عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وهو يومئذ
ابن ثلاثين سنة فلما اتاه راي غلاما حدثا فقال ايعلم هذا روياي ولا يعلمها السحرة والكهنة
واقعده قدامه ثم قال قال عثمن يعني ابن صالح وغيره في حديثهما فلما استنطقه وسايله عظم في
عينه وجل امره في قلبه فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه رجع الي ابن عباس قال وضرب
بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك وعن عكرمة ان فرعون قال ليوسف قد سلطتك علي مصر
غير اني اريد ان اجعل كرسيي اطول من كرسيك باربع اصابع قال يوسف نعم ولما كان هذا مما
يستعظمه الناس في الدنيا وكان عزها لا يعد في الحقيقة الا ان كان موصلا بنعيم الاخرة نبه علي
ما له في الاخرة مما لا يعد هذا في جنبه شيا فقال موكدا لتكذيب الكفرة بذلك ولاجر الاخرة خير ولما
كان سياق الاحكام علي وجه عام لتعليقها باوصاف يكون السياق مرغبا فيها ومرهبا منها احسن
وابلغ قال للذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف وكانوا اي جبلا لهم يتقون اي يوجدون
الخوف من الله ولاتخاذ الوقاية منه ايجادا مستمرا وهو من اجلهم حظا واعلاهم كعبا كما تقدم بيانه مما
يدل علي كمال ايمانه وتقواه ولما كان من المعلوم ان من هذه صفاته يقوم بما وليه اتم قيام وينظر
فيه احسن نظر كانه قيل فجعله الملك علي خزاين الارض فدبرها بما امره الله به وعلمه حتي صلح
الامر وجا الخبر وذهب الشر وانما طوي هذا الدلالة عليه بلوازمه من قصة اخوته التي هي المقصودة
بالذات كما سياتي وقد فهم من هذه القصة ان الغالب علي طبع مصر الوداة بغض الغريب واستذلال
الضعيف والخضوع للقوي فانهم اساوا اليه اولا بالسجن بعد تحقق البراة ثم غني عنهم واحسن اليهم
بما استبقي به مهجهم ثم اعتقهم بعد ان استرقهم ورد اليهم اموالهم بعد ان استاصلها بما عنده من
الغلال فجزوه علي ذلك ان استعبدوا اولاده واولاد اخوته بعده وساموهم سوٓ العذاب وادل دليل
علي ان هذا طبع البلد ان بني اسرايل لما خرجوا مع موسي عليه الصلاة والسلام وخلصهم من جميع ذلك
الذل وشرفهم بما شرفهم الله به من الايات العظام والكتاب المبين كانوا كل قليل يمكثون يجترئون
علي ما لا يطاق الاجترا عليه واذا امرهم عن الله بامر يحبسوا عنه كما مضي ذلك عن نص التوراة في الاعراف
والبقرة وغيرهما فعاقبهم الله بالتيه وكان يسميهم الجيل المعوج لما علم من سوٓ طباعهم حتي مات
كل من نشا بارض مصر ثم صار اولادهم يمتثلون الاوامر حتي ملكوا ما دعا الله به اباهم من البلاد
وقد ذكر ذلك في زبور داود عليه الصلاة والسلام في غير موضع منها في المزمور الرابع والتسعين
هلموا نسجد ونركع ونخضع امام الرب خالقنا لانه الهنا ونحن شعب رعيته وضان ماشيته اليوم

اذا سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم وتسخطوه كمثل السخط يوم التجربة في البرية حيث جربني اباوكم فاحصوا اعمالي ونظروها اربعين سنة مقت ذلك الجيل وقلت هو شعب في كل حين يطغون بقلوبهم فلم يهتدوا السبلي كما اقسمت برجزي انهم لا يدخلون راحتي اباونا بمصر لم يفهموا عجايبك ولم يذكروا كثرة رحمك حين اغضبوك وهم صاعدون من البحر الاحمر فنجيتهم باسمك لتظهر عجايبك زجر البحر الاحمر فجف اجازهم في اللجج كانهم في البر خلصهم من ايدي الاعدا وانقذهم من ايدي المبغضين واطلق الما على مبغضيهم فلم يبق منهم واحد فامنوا بكلامه ومجدوا بسبحته ثم اسرعوا فنسوا اعماله ولم ينتظروا ارادته اشتهوا شهوة في البر فجربوا الله حيث لا ما فاعطاهم سولهم وارسل شبعا الى نفوسهم اغضبوا موسى في العسكر وهرون قديس الرب انفتحت الارض وابتلعت داثان وانطبقت على جماعة ابيرون واشتعلت النار في محافلهم واحرق اللهيب الخطاة صنعوا عجلا في حوريب وسجدوا للمنحوت وبدلوا مجدهم بشبه عجل ياكل عشبا ونسوا الله الذي نجاهم وصنع العظايم بمصر والعجايب في ارض حام والمهولات في البحر الاحمر قال انه يهلكهم لولا موسى صفيه قام بين يديه ليصرف سخطه لبلا يستاصلهم ورذلوا الارض الشهية ولم يومنوا بكلمته وتمقموا في مضاربهم ولم يسمعوا قول الرب فرفع يده عليهم ليهلكهم في البرية ويفرق ذريتهم في الامم ويبددهم في البلدان لانهم قربوا البا عل فاعور واكلوا ضحايا ميته واسخطوا باعمالهم فكثر الموت فيهم بغتة فنحاس واستغفر لهم فارتفع الموت عنهم فحسب ذلك بر الجيل بعد جيل الى الابد ثم اسخطوه على ما الخصام وتالم موسى لاجلهم اغضبوا ادوحه وخالفوا كلام شفتيه ولم يستاصلوا الامم الذين لعرهم الرب واختلطوا بالشعوب وتعلموا اعمالهم فكانت عثرة لهم ذبحوا ابنيهم وبناتهم للشياطين ومحوا الاصنام كنعان ودنسوا الارض بالدما وتنجسوا باعمالهم وزنوا بافعالهم فاشتد غضب الرب على شعبه ورذل ميراثه فاسلمهم في ايدي الشعوب وسلط عليهم شنانهم واستعبدهم اعداوهم وخضعوا تحت ايديهم مرارا كثيرة نجاهم وهم يسخطونه بافكارهم وذلوا بسيا تهم انتهي على انك اذا تاملت وجدت ان الله تعالى يعلي كعب الغريب الذي يستذلونه ويحل سعده ويوثل مجده كما فعل بيوسف عليه الصلاة والسلام بعد السجن وبيني اسرايل بعد الاستعباد وهو نعم المولى ونعم النصير فليحذر الساكن بمصر ان يغلب عليه طبعها فيتصف بكل ذلك من قلة الغيرة وبغض الغريب والجراة في الباطل استمناعا ومداهنة والجبن في الحق وكمال الذل للجبارين والمحبة في الكلام بان لا يزال يتعهد نفسه باوامر الله ويحملها على طاعته واتباع رسوله ومحبته والنظر في سيرته وسير اتباعه والتعشق لذلك كله حتى يصير له طبعا يسلخه من طبع البلد كما فعل عبادها واهل الورع منها وزهادها اعاذنا الله من شرور انفسنا وسيات اعمالنا ذكر ما مضى بعد ما تقدم من هذه القصة من التوراة قال فلما كان بعد سنتين راي فرعون رويا كانه واقف على شاطي البحر وكان سبع بقرات صعدن من بحر النيل حسنات المنظر سمينات اللحوم يرعين في المرج وكان سبع بقرات صعدن خلفهن من النيل قبيحات المنظر وحشات مهزولات اللحوم فوقفن الى جانب البقرات على شاطي النهر فابتلع البقرات القبيحات الحسنات المنظر السمينات فهب فرعون من سنته ورقد ايضا فراي ثاني مرة كان سبع سنبلات طلعن في قصبة واحدة ممتلية سمانا وكان سبع سنبلات مهزولات ضربهن ريح السموم وفي نسخة القبول نبتن بعدهن

فبلع

فبلع السنبل المهزول السبع سنبلات الممتليات فاستيقظ فرعون فاذا نه رويا فلما كان بالغداة كربت نفس فرعون فارسل فدعا جميع السحرة وكل حكما مصر فقص عليهم روياه فلم يوجد انسان يفسرها لفرعون فتكلم رييس اصحاب الشراب بين يدي فرعون وقال اني ذكرت يومي هذا ذنبي عند غضب فرعون على عبده فقذفني في محبس صاحب الشرطة فحبست انا ورييس الخبازين وفي نسخة الطباخين فراينا جميعا رويا في ليلة واحدة اي كل منا لتفسير روياه وكان معنا هناك في الحبس فتى عبراني عبد صاحب الشرطة فقصصنا عليه ففسر احلامنا وعبر لكل منا على قدر روياه وكل الذي فسر لنا كذلك اصابنا اما انا فردني الملك الى موضعي واما ذلك فامر بصلبه فارسل فرعون فدعا يوسف فاحضروه من السجن فحلق شعره وغير ثيابه ودخل فوقف بين يدي فرعون فقال فرعون ليوسف اني رايت رويا وليس من يفسرها وقد بلغني عنك انك تسمع الرويا فتفسرها فاجاب يوسف فقال لفرعون الملك اني اجيب فرعون بسلام من غير امر الله فقال فرعون ليوسف اني رايت في الرويا كاني واقف على شاطي النهر وكان سبع بقرات طلعن من النهر بعدهن سمجات قبيحات المنظر مهزولات اللحم جدا لم ار على هزالها في جميع ارض مصر فابتلعت البقرات المهزولات الضعيفات القبيحات اوليك السبع بقرات السمان فدخلن اجوافهن فلم يتبين دخولهن وكان منظرهن قبيحا كالذي كان من قبل فانتبهت فاضجعت فرايت ايضا في الرويا كان سبع سنبلات حسنات في قصبة واحدة ممتلية سمانا حسانا وكان سبع سنبلات مهزولات ضربهن ريح السموم نبتن خلفهن فابتلع السنبل المهزول الضعيف السبع سنبلات الممتليات الحسان فقصصت ذلك على السحرة فلم اجد من يبين فقال يوسف لفرعون الرويا يا فرعون واحدة اطلع الله فرعون على ما هو مزمع ان يفعله السبع البقرات الحسان والسبع سنبلات الحسان هي سبع سنين خبر الرويا واحدة والسبع بقرات الضعيفات المهزولات اللاتي صعدن بعدهن والسبع سنبلات المهزولات التي ضربها ريح السموم تكون سبع سني جوع وهذا القول الذي قلت لفرعون ان الله اظهر ما هو مزمع عنده ان يفعله وما هذه سبع سنين ياتي الشبع والخصب العظيم جميع ارض مصر وياتي بعدها سبع سنين اخر يكون فيها الجوع وينسى جميع الشبع والخصب الذي كان في جميع ارض مصر فيبيد اهل الارض من الجوع من اجل القحط الذي ياتي من بعد لكثرته وشدته وانما اعيدت الرويا لفرعون ثاني مرة لان الامر معد بين يدي الرب والله مستعجل فعله والان فلينظر فرعون رجلا حكيما فهما فيوليه ارض مصر فيقاسم اهل مصر على الخمس في السبع سنين فيجمعوا جميع اغلال هذه السنين الخصب الاتية ويخزنوا الاقوات تحت يدي فرعون ويحفظ القمح في القرى وليكن الغلل معدا محفوظا لاهل مصر لسبع سني الجوع والمزمع ان يكون في جميع ارض مصر ولا يبيد اهل الارض بالجوع فحسن هذا القول عند فرعون وعند عبيده فقال فرعون لقواده هل يوجد مثل هذا الرجل الذي روح الله حال فيه فقال فرعون ليوسف اذا اطلعك الله على هذا كله ليس احد فهم مثلك انت السلطان على بيتي وعن امرك وقولك يقبل جميع الشعب وانما انا اعظم منك بالمنبر فقط وقال فرعون ليوسف انظر فقد وليتك جميع ارض مصر ونزع فرعون خاتمه من خنصره

فوضعه في خنصر يوسف والبسه ثياب كتان وطوقه بطوق من ذهب وحمله على بعض مراكبه ونادى
بين يديه هزااب وسلط وسلطانه على جميع ارض مصر ثم قال فرعون ليوسف اني قد امرت
ان لايكون احد يسير بيديه او يخطو بقدميه دون امرك في جميع ارض ودعا فرعون اسم
يوسف موضع الخفاية وزوجه باسنه وفي نسخة باسنات بنت فوطيفرع امام اسكندرية
وفي نسخة حيرو ان فخرج يوسف واليا على جميع ارض مصر وكان قد اتى على يوسف ثلاثون سنة
اذ وقف بين يدي فرعون فطاف في جميع ارض واغلت الارض في السبع سنين الخصب ملء
الخزاين وجمع الاقفال في القرى جمع قمح حقول كل قرية وما احاط بها فخزنه فيها فخزن يوسف من
الاقفال مثل كثيب وفي نسخة رمل البحر كثير اجدا حتى اعيى احصا ذلك فصار غير محصى فولد ليوسف
ابنان قبل دخول سنة الجوع ولدت له اسنة وفي نسخة اسنات بنت فوطيفرع حيرو ان وفي نسخة
امام اسكندرية فدعا يوسف اسم ابنه بكره منشا لانه قال ان الله انساني جميع تعبي وفي نسخة شقاي
وما كان منه في بيت ابي وسمى الاخر افرايم وقال لان الله كثرني في ارض تعبدي فنفدت سنو الشبع
الذي كان في ارض مصر وبدات سنو الجوع لياتي كما قال يوسف فكان الجوع في جميع ارض مصر ولم
يوجد الخبز في جميع ارض مصر فجاع جميع اهل مصر فضج الشعب على فرعون من اجل الخبز فقال فرعون
لجميع المصريين انطلقوا الى يوسف فافعلوا جميع ما يامركم به ولما كان المعنى كما تقدم فجعل الله خزاين
الارض فجاءت السنون المخصبة فدبرها بما علمه الله ثم جاءت السنون المجدبة فاجدبت جميع ارض
مصر وما والاها من بلاد الشام وغيرها فاخرج ما كان ادخره من غلال السبع سنين بالتدريج اولاً
فاولاً كما حمله العلم الحكم فتسامع به الناس فجا والامتيار منه من كل اوب وجا اخوة يوسف العشرة
لذلك وخلف ابوهم بنيامين اخا يوسف لامه عنده ودل على تسهيله اذ نهم بالفا فقال فدخلوا
عليه اي لانه كان يباشر الامور بنفسه كما هو فعل الكفاة الحزمة لا يثق فيه بغيره فعرفهم لانه كان
مرتقبا لحضورهم لعلمه بجدب بلادهم وعقد همته بهم مع كونه يعرف هيئاتهم في لباسهم وغيره ولم
يتغير عليه كبير من حالهم لمفارقته اياهم رجالا وهم له منكرون ثابت انكارهم عريق فيهم وصفهم به
لعدم خطوره ببالهم لطول العهد مع ما تغير عليهم من هيئته بالسن وانضاف اليه من الحشم والخدم
واللباس وهيئة البلد وهيبة الملك وعز السلطان وغير ذلك مما ينكر معه المعروف ويستوحش
لاجله من المالوف وقو ما قال تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون والدخول الانتقال الى
محيط والمعرفة تبين الشي بالقلب بما لو شوهد لفرق بينه وبين غيره مما يلبس على خاص صفته ولما
كان المعنى في قوة ان يقال فطلبوا منه الميرة فباعهم بعد ان استخبرهم عن امرهم وقال لهم لعلكم جواسيس
وسالهم عن جميع حالهم فاخبروه بابيهم واخيهم منه ليعلم صلاحهم ولا يظن انهم جواسيس عطف عليه
قوله ولما جهزهم اي يوسف عليه الصلاة والسلام بجهازهم الذي جاوا له وقد احسن اليهم والجهاز
فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد قال اي لهم ايتوني ابتها العصابة باخ لكم كاين من ابيكم ياتي
برسالة من ابيكم الرجل الصالح حتى اصدقكم وانهم طلبوا منه لاخيهم حملا فاظهر انه لم يصدقهم وطلب
احضاره ليعطيه فانه كان يوزع الطعام على قدر الكفاية ثم رغبهم باطماعهم في مثل ما فعل بهم من الاحسان

وكان

وكان قد احسن نزلهم فقال مقررا لهم بما راوا منه الا ترون اي تعلمون علما هو كالروية اني اوفي
الكيل اي اتمه دايما على ما يوجبه الحق وانا خير المنزلين اضع الشي في اولى منازله ولما رغبهم رهبهم
فقال فان لم تاتوني به اي باخيكم اول قدمة تقدمونها فلا كيل لكم وعرفهم انه لا يظلمهم بانه لا يمنعهم
من غيره فقال عندي ولا تقربون ومع ذلك فلم يخطر ببالهم انه يوسف فكانه قيل فما قالوا فقيل
قالوا سنراود اي نوعد لا خلف فيه حين نصل عنه اباه اي نكلمه فيه وننازعه الكلام ونحتال فيه
ونتلطف في ذلك ولا ندع جهدا ثم اكدوا ذلك بعد الجملة الفعلية المصدرة بالسين بالجملة الاسمية
الموكدة بحرفي التاكيد فقال وانا لفاعلون اي ما امرتنا به والتزمناه وقد مضى عند راودته ان
المادة يائية وواوية مهموزة وبغير همز تدور على الدوران ومن لوازمه القصد والاقبال والادبار
والرفق والمهلة وقد مضى بيان غير المهموز واما المهموز فمنه دراه اي دفعه لان المدفوع يرد الى
الموضع الذي اتى منه والمداراة المدافعة والمنازعة مطلقا اي سوا كانت برفق او بعنف ثم
كثرت فقصرت على الملاينة ويلزم من الدفع حلول المدفوع في موضع لا يريده بغتة ومنه درا
علينا اي خرج مفاجاة قال القزاز واصله من قولهم جا السيل درا اي يدرا بعضه بعضا وهو
الذي ياتي من مكان لا يعلم به واندرا فلان علينا بالشر اذا اتى به من حيث لم ندر والدري النشوز
وهو من الدفع وكوكب دري متوقد متلالي كان نوره يدفع بعضه بعضا ومنه درات النار اضات
واندرا الحريق انتشر ودرا الشي بسطه لان المبسوط لا يخلو عن دفع وتدارا واندافعوا في الخصومة
ودرا البعير اغد مع الغدة ورم في ظهره وناقة دارى معدة وذلك لان الغدة ملزومة للدفع
لا تنفك عنه بالعتب والراكب وغيرهما وكل ناتي في الجسد هذا شانه ومنه الدري لقطعة في الجبل
مشرفة وناقة مدري انزلت اللبن وارخت ضرعها عند النتاج كانها دفعته وادرات الصيد
على افتعلت اتخذت له دريه وقد تقدمت الدريه في الواوي ومنه ادرات فلانا اذا اعتمدته
والدري الميل والعوج لانه اهل لان يدفع ليقوم وطريق خدود ردي اي كسور واخاقيق اي شقوق فكانها
تدفع صاحبها عن القصد وتدرا واعليهم خطا ولولا ان ذلك لا يخلو من مدافعة كالنشوز ويلزم الدفع
القوة ومنه رجل ذو تدرا اي منعة وقوة ورداته بكذا اتقدم الراجعلته قوة له وعمادا يدافع عنه
والردء العون والمادة والعد الثقيل لانه يدافع ليعتدل وردا الحايط دعمه ورداه بحجر رماه
به لانه اذا اصابه دفعه والابل احسن القيام عليها لان ذلك لا يكون الا بمدافعة واردا الستر
ارخاه بدفعه له من المكان الذي كان به واردا الولد سكنه وانسه فدفع الهم عنه واردا الشي
افره كانه لسلب الدفع وكذا ارداه اي افسده اما بانه لم يدافعه باحسان القيام عليه فافسده او
انه زاد في الدفع حتى فسد ومن ذلك اردا اذا فعل رديا اي فعلا فاسدا ليس بجيد وكان من ذلك الادره
بالضم ساكنة وتحرك وهي عظم الخصيتين في الناس والخيل ومن التدافع ترادت الحبة اهتزت
في انسيابها ورفعت راسها والريح اضطربت فكان بعضها يدفع بعضا ومنه راد الضحى ارتفاعه
وتراد الضحى ارتفع وكذلك الجارية الراده والرود بالضم اي الناعمة وقال القزاز السريعة الشباب
مع حسن غذاء وقال ابن دريد جارية راده غير مهموز كثيرة المجي والذهاب فاذا اقلت جارية رود

فهي الناعمة فاذا فسرت بالذهاب والمجي فهو من الدوران الذي هو المدار واذا فسرت بالناعمة فهو من الاضطراب اللازم له وغصن رود بالضم رطب من ذلك قال القزاز واحسب الجارية الناعمة انما سميت رودا من هذا لونرا دا هتزتنعمه وزيد قام فاخذته رعدة والغصن تعنا والعنق التوي كله من الدوران وما يلزمه من الاضطراب وربد الانسان صديقه لانه يراوده ويداوره والرأد اصل اللحي وهو اصول منبت الاسنان وهو العظم الذي يدور فيه طرفا اللحيين مما يلي الصدغين ومن الرفق والمهلة الرودة بالضم وهي التهمة ولما اعلمنا سبحانه انه رغبهم في شان اخيه ورهبهم بالقول اعلمنا بانه رغبهم فيه بالفعل فقال عاطفا على قوله الماضي لهم **وقال** اي يوسف عليه الصلاة والسلام شفقة على اخوته وارادة لنصحهم فيما سالهم فيه **لفتيته** اي غلمانه واصل الفتى الشاب القوي وسياتي شرحه عند قوله تعالى تفتؤ تذكر يوسف **اجعلوا بضاعتهم** اي ما بضعوه اي قطعوه من مالهم للتجارة واخذناه منهم ثمنا لطعامهم الذي دفعناه لهم **في رحالهم** اي عدو لهم والرحل ما اعد للرحيل من وعا او مركب **لعلهم يعرفونها** اي بضاعتهم وعبر باداة التحقق تفاولا لهم بالسلامة او ظنا او علما بالوحي فقال **اذا انقلبوا** راجعين **الى اهلهم** اي يعرفون انها هي بعينها ردتها عليهم احسانا اليهم ويجزمون بذلك ولا يظنون ان الله اخلف عليهم مثلا نظرا الى حالهم وكرامة لابيهم ويعرفون هذه النعمة لي **لعلهم يرجعون** اي ليكون حالهم حال من يرجع الينا اذا عرفوها لردها تورعا او للميرة بها ان لم يكن عندهم غيرها او طمعا في مثل هذا وانما لم يبادر الى تعريفهم بنفسه بادخال السرور على ابيه لان ذلك غير ممكن عادة لما ياتي من الحكم البالغة والتدبير المتين ودل على اسراعهم في الرجوع بالفا فقال **فلما رجعوا** اي اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام **الى ابيهم** حملهم ما راوا من احسان الصديق وحاجتهم اليه وتبريتهم لانفسهم عن ان يكونوا جواسيس على **ان قالوا يا ابانا** ولما كان الضار لهم مطلق المنع بنوا للمفعول قولهم **منع منا الكيل** لاخينا بنيامين على بعيره لغيبته ولنا كلنا بعد هذه المرة ان لم تذهب به معنا ليظهر صدقنا والمنع ايجاد ما يتعذر به على القادر الفعل وضده التسليط واما العجز فضده القدرة **فارسل** اي بسبب هذا المنع **معنا اخانا** انك ان ترسله معنا **يكتل** اي لنفسه كما يكتال كل واحد منا لنفسه هذا على قراة حمزة والكسائي بالتحتانية ولنا وله على قراة الجماعة بالنون من الميرة ما وظفه العزيز وهو لكل واحد حمل ولكونوا لما تقدم من فعلهم بيوسف عليه الصلاة والسلام مما يوجب الارتياب بهم فقالوا **وانا له** اي خاصة **لحافظون** اي عن ان يناله مكروه حتى نرده اليك غير مقوين في هذا الوصف فكانه قيل ما فعل في هذا بعد ما فعلوا اذ ارسل معهم يوسف قيل عزم على ارساله معهم ولكنه اظهر اللجا الى الله في امره غير قانع بوعدهم المؤكد في حفظه لما سبق منهم من مثله في يوسف عليه الصلاة والسلام بان **قال هل آمنكم** اي اقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تامينكم لي فيه مما يسوؤني تامينا مستعليا **عليه** اي بنيامين **الا كما امنتكم** اي في الماضي **على اخيه** اي يوسف عليه الصلاة والسلام ولما كان لم يطلع لهم في يوسف عليه الصلاة والسلام على خيانة قبل ما فعلوا به وكان ايتمانه لهم عليه انما هو في زمان يسير اثبت الجار فقال **من قبل** فانكم اكدتم غاية التاكيد فلم تحفظوه لي ولم تردوه الي والامن

اطمينان القلب الى سلامة النفس فانا في هذا الآن عليه الا الله **فالله** اي المحيط علما وقدرة **خير حفظا** منكم ومن كل احد **وهو** اي باطنا وظاهرا **ارحم الراحمين** فهو ارحم بي من ان يفجعني به بعد مصيبتي باخيه فارادوا تفريغ ما قدموا به من الميرة **ولما فتحوا** اي اولاده **متاعهم** اي اوعيتهم التي حملوها من مصر **وجدوا بضاعتهم** اي ما كانوا معهم من كنعان لشرآ القوت ولما كان المفرح مطلق الرد بني للمفعول قوله **ردت اليهم** والوجدان ظهور الشي للنفس بحاسة او ما يغني عنها فكانه قيل ما قالوا فقيل **قالوا** اي لابيهم **يا ابانا ما** اي اي شي **نبغي** اي نريد فكانه قال لهم ما الخبر فقالوا ابيا نا لذلك وتاكيدا للسوال في استعطاف ابيهم **هذه بضاعتنا** ثم بينوا مضمون الاشارة بقوله **ردت الينا** هل فوق هذا من اكرام ولما كان التقدير فنرجع بها اليه باخينا فيظهر له نصحنا وصدقنا **ونمير اهلنا** اي نجلب اليهم الميرة برجوعنا اليه والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد **ونحفظ اخانا** فلا يصيبه شي مما تخشى عليه تاكيدا للوعد بحفظه وبيانا لعدم ضرر في سفره ويدل على ما في التوراة من انه كان سجن احدهم ليانوا باخيهم الاصغر قوله **ونزداد كيل بعير** اي فيكون جملة ما ناتي به بعد الرجوع اليه اثني عشر حملا لكل منا حمل وللمسجون حملان للكرة الاولى والثانية وذلك انه كان لا يعطي الا حملا لكل راس فكانه ما اعطاهم لما جهزهم غير تسعة احمال فكانه قيل وهل يجيبكم الى ذلك في هذه الازمنة فقالوا نعم لان **ذلك كيل يسير** بالنسبة اليه لما رابنا من كرم شمايله وضخامة ملكه وفخامة همته فكانه قيل فما قال لهم فقيل **قال** اي يعقوب عليه الصلاة والسلام **لن ارسله** اي بنيامين كاينا **معكم** اي في وقت من الاوقات **حتى تؤتون** من الايتا وهو الاعطا اي ايصال الشي الى الآخذ **موثقا** وهو العقد المؤكد ولما كان مراده موثقا باتا وكان الموثق الرباني وهو ما كان باسمايه تعالى لكونه اذن سبحانه فيه وامر بالوثوق به كانه منه قال **من الله** اي الملك الاعظم بايمان عظيمة والله **لتاتنني** كلكم **به** من الايتان وهو المجي في كل حال **الا** في حال **ان يحاط** اي يحصل الاحاطة بمصيبة من المصايب لا طاقة لكم بها **بكم** فتهلكوا من عند اخركم كل ذلك زيادة في التوثق لما حصل له من المصيبة بيوسف وان كان الاعتماد في حفظه انما هو على الله وهذا من باب اعقلها وتوكل فاجابوه الى جميع ما سال **فلما اتوه** اي اعطاه بنوه **موثقهم قال الله** اي الذي له جميع صفات الكمال **على ما نقول وكيل** هو القادر على الوفا به الموجود للتصرف فيه بالغبطة لا اثم ولما سمح لهم بخروجه معهم ابتع تعالى ذلك الخبر عن امره لهم بالاحتياط من المصايب لانهم احد عشر رجلا اخوة اهل جمال وبسطة وكانوا قد شهروا عند المصريين بعض الشهرة بسبب ما دار بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام من الكلام في المرة الاولى فكانوا مظنة لان ترمقهم الابصار ويشار اليهم بالاصابع فيصابوا بالعين ولم يوصهم في المرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مع شغل الناس بما هم فيه من القحط فقال حكاية عنه **وقال** اي يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه عند ما ارادوا السفر **يا بني** محذرا لهم من شر الحسد والعين **لا تدخلوا** اذا قدمتم الى مصر **من باب واحد** من ابوابها والواحد على الاطلاق الذي لا ينقسم واما المقيد ما جرا به على موصوف كباب واحد فهو ما لا ينقسم في معنى ذلك الموصوف **وادخلوا من ابواب** واحترز من ان تكون متلاصقة او متقاربة جدا فقال **متفرقة** اي تفرقا كبيرا وهذا احكم التكليف لئلا يصابوا

بالعين كما نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة والضحاك والسدي فان العين حق وهي
من قدر الله وقد ورد الشرع بذلك ففي الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال العين حق وفي رواية عند احمد وابن ماجة يحضرها الشيطان وحسد ابن ادم ولمسلم
والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان
شي سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا ولابي نعيم في الحلية عن جابر رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر ولابي داود عن اسما
بنت يزيد رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وانها لتدرك الفارس فتدعثره ولاحمد والترمذي
عن اسما بنت عميس رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان شي سابق القدر لسبقته العين
قال الامام الرازي ومنشا اصابة العين تعم النفس الخبيثة هلاك من تصيبه وقد تقدم معنى ذلك
في رواية احمد وابن ماجة من حديث ابي هريرة مع انضمام حضور الشيطان وهذا الاحتياط من باب
الاخذ بالاسباب المامور بها لا انها من القدر لا من باب التحرز من القدر كما روى مسلم واحمد وابن ماجة عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف
وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شي فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا
ولكن قل قدر الله وما شا فعل فان لو تفتح عمل الشيطان معناه والله اعلم افعل الاقوى ولا تفعل
فعل العجزة وذلك بان تنعم النظر وتمعن في التامل وتتانى حتى تعلم المصادر والموارد فلا تدع شيا
يحتمل ان ينفعك في الامر الذي انت مقبل عليه ولا يضرك الا فعلته ولا تدع امرا يمكن ان يضرك الا تركته
واحترزت منه جهدك فانك اذا فعلت ذلك واتى امر من عند الله خلاف مرادك كنت جديرا بان لا تقول
في نفسك لو اني فعلت كذا فانك لم تترك شيا واما اذا فعلت فعل العجزة وتركت الحزم فما اوشك ان
تترك من فعل ترك الاسباب فما اقربك الى ان تقول ما يفتح عمل الشيطان من لو ولما خاف ان يسبق من امره
هذا الى بعض الاوهام ان الحذر يغني عن القدر نفى ذلك مبينا انه لم يقصد غير تعاطي الاسباب على ما امر الله
وان الامر بعد ذلك اليه ان شا سبب عن الاسباب مسبباتها وان شا ابطل تلك الاسباب واقام
اسبابا بانتضادها وبينا ثرتبنا المحذور فقال **وما اغني** اي اجزي بحواسدوا نوب **عنكم من الله** اي بعض
امر الملك الاعظم وعم النفي فقال **من شي** اي ان اراد بكم سوا كنتم متفرقين او مجتمعين وهذا حكم التقدم
ثم علل ذلك بقوله **ان** اي ما **الحكم** وهو فصل الامر بما تدعو اليه الحكمة **الا لله** اي الذي له الامر كله لا يقدر
احد سواه على التفصي عن شي من مراده او الفرار من شي من قدره ولهذا المعنى وهو انه لا ينفع اصلا سبب
الا باذن الله انزل الله التسمية مقرونة بالسبب اول كتابه وامر بها اول كل شي وروى ابو نعيم في الحلية
في ترجمة امامنا الشافعي بسنده اليه ثم الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه خطب الناس يوما فقال في
خطبته واعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجا اذله الطمع
وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ
وان اسعد بالرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة قصمه الجزع وان افاد
مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلا وان اجهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به الشبع كظته

البطنة

البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد قال فقام اليه رجل ممن كان شهد معه الجمل فقال
يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر
فقال بيت مظلم فلا تدخله فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال سر الله فلا تتكلفه فقال
يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال اما اذا ابيت فانه امر بين امرين لا جبر ولا تفويض قال
يا امير المومنين ان فلانا يقول بالاستطاعة وهو حاضرك فقال علي به فاقاموه فلما راه سل من
سيفه قدر اربع اصابع فقال الاستطاعة تملكها مع الله او من دون الله واياك ان تقول احدهما
فترتد فاضرب عنقك فقال فما اقول يا امير المومنين قال قل املكها بالله الذي ان شا ملكنيها
وسياتي ان شا الله في سورة الحج عند ان الله يفعل ما يشا ما يتصل بهذا ولما قصر الامر كله عليه سبحانه
وجب رد كل امر اليه وقصر النظر عليه فقال منبها على ذلك **عليه** اي على الله وحده الذي ليس الحكم الا له
توكلت اي جعلته وكيلي ففوضت كل ما يفعل **وعليه** اي وحده **فليتوكل المتوكلون** اي الثابتون
في باب التوكل فان ذلك من اعظم الواجبات من فعله فاز ومن اغفله خاب ثم انه سبحانه صدق
يعقوب فيما قال موكدا لما اشار الى اعتقاده فقال **ولما** وعطفه بالواو يدل على انهم ما اسرعوا
الكرة في هذه المرة خوفا من ان يقول لهم لم يفرغ ما عندكم حتى تضطروا الى الاستبدال به والزمان زمان
رفق لا زمان تبسط **دخلوا** اي اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام عند وصولهم الى مصر **من حيث
امرهم** اي به **ابوهم** من ابواب متفرقة قالوا وكان لمصر اربعة ابواب **ما كان** ذلك الدخول **يغني**
اي يدفع ويجزي **عنهم من الله** اي الملك الاعلى الذي لا راد لامره واغرق في النفي فقال **من شي** كما تقدم
من قول يعقوب **الا حاجة** اي شيا غير اسم حاجة **في نفس يعقوب** وهي الدخول على ما امر به شفقة
عليهم **قضاها** يعقوب وابرزها من نفسه الى اولاده فعملوا فيها بمراده فاغنى عنهم ذلك الخلاص
من عقوق ابيهم فقط فانهم ابتلوا في هذه السفرة بامر عظيم لم يجدوا منه خلاصا وهو نسبتهم الى
السرقة وانتزاع اخيهم منهم قال ابو حيان وحوفيه حجة لمن زعم ان لما حرف وجوب لوجوب
لا ظرف زمان بمعنى حين اذ لو كان ظرف زمان ما جاز ان يكون معمولا لما بعد ما النافية انتهى
ولما كان ذلك ربما اوهم انه لا فايدة في الاحتياط اشار تعالى الى رده بمدح يعقوب عليه الصلاة
والسلام حثا على الاقتدا به في التسبب مع اعتقاده ان الامر بيد الله فقال **وانه** اي يعقوب عليه
الصلاة والسلام مع امر لبنيه بذلك **لذو علم** اي معرفة بالحكمين حكم التكليف وحكم التقدير واطلاع
على الكونين عظيم **لما** اي للذي **علمناه** اياه من اصول الدين وفروعه ويجوز ان يكون المعنى لذو علم
لاجل تعليمنا اياه فاقتدوا به في الاحتياط في تعاطي الاسباب مع اعتقاد انه لا اثر لها الا ان
امضاها الواحد القهار فبهذا التقدير يتبين ان الاستثنا متصل وفايدة ابرازه في صورة الاستثنا
عند من جعله منقطعا الاشارة الى تعظيم يعقوب عليه الصلاة والسلام وانه جدير بان يكون ما يامر
به معتبرا لانه من امر الله فلو كان شي يغني من قدر الله لاغنى ما اشار به وانما فسرت يغني بيدفع لان
مادة غني باي ترتيب كان تدور على الاقامة فيكون اغنى للسلب وهو معنى الدفع بيانه انه غني بمعنى
اقام وعاش ولقي ومغنى الدار موضع الحلول ويلزم من الاقامة الكفاية والتمول لان الفقير منزعج

الغانية
مضطرب والغنى كالي التزوج واذا فتح مد والاسم الغنية بالضم وذلك لان التزوج لازم الاقامة والغانية
المراة تطلب ولا تطلب والغنية بحسنها عن الزينة او الشابة المتزوجة او الشابة العفيفة ذات
زوج كانت ام لا ومثلها يلزم المنزل ويقصر في الخيام واغنى عنه غناً فلان ناب عنه منابه واجرى مجراه
وحقيقته جعل اقامته كذا متجاوزة عنه فالمفعول محذوف فاذا قال مثلا فلان اغنى عني في الحرب
كان المعنى اغنى عني ضرب الابطال او شدة الحرب اي ازال اقامة ذلك عني بجعله متجاوزا ولاشك ان
معنى ذلك رفعه عني وكذا كل ما كان من ذلك ومافيه غناء ذاك اي اقامته والاضطلاع به ويلزم ايضا
من الاقامة التي هي المدار والكفاية التي هي سببها الغِناء بالكسر والمد وهو التطريب بالصوت والغناء
ايضا الرمل لاقامته وغنّى بالمراة تغزل اي نظم فيها الغزل وغنى بزيد مدحه او هجاه من لوازم
الاقامة والكفاية ومنه غنّى الحمام صوت ونغى كرمى تكلم بكلام مفهم لان ذلك يسكن الخاطر عن القلق
ومنه المناغاة وهي تكليم الصبي بما يهوى ونغيت اليه نغية اي القيت اليه كلمة والنغية كالنغمة
واول الخبر قبل ان تستثبته من تسمية الجزء باسم الكل وناغاه داناه ومنه الموج يناغي السماء اذا
ارتفع وناغاه باراه اي عارضه والمراة تغازلها اي حادثها كل ذلك من لوازم الاقامة والغين حرف هجاء
مجهور مستعل لانها لقوتها غنية في مخرجها غير متزعزعة عنه كالراء والحروف الهوائية وغيرها
والغين العطش لانه الاصل لاقتضاء الحرارة له والري حادث والغين الغيم لاقامته في الهواء والغينة
ارض لانها موضع الاقامة والاشجار الملتفة بلا ماء هي ايضا موضع لذلك لانها ظليلة ولاما بارضها
يمنع من الانتفاع بشيء من ظلها والغيناء الخضراء من الشجر ونبرد بالغضر فيه مشير من الاثرة السبعة
لان ذلك كله موضع للاقامة ولعل قنة هذا الجبل كثيرة الشجر فترجع الى الشجرة والاغين الطويل اما
تشبيه بقنة الجبل او بالشجرة والغانة حلقة راس الوتر في القوس وغين على قلبه غطي عليه اذا
تغشته الشهوة واللبس او غشي عليه او احاط به الرين وهو الطبع والدنس والغينة بالكسر
الصديد وماسال من الميت كانه من سلب الاقامة وكذا الغين بالكسر لموضع كثير الحمى غانت نفسي تغين
غثت والابل غامت اي حصل لها داء كالغلاب غير انه لا يقتل ولما كان قد يظن ان كل احد يكون
كذلك اي يعلم ما علمه نفى ذلك سبحانه ولكن اكثر الناس اي لاجل مالهم من الاضطراب لا يعلمون اي ليسوا
بذوي علم لما علمناهم لاعراضهم عنه واستفراغ قوتهم في الاهتمام بما وقع التكفل لهم به من احوال الدنيا
ومغالبة فطرهم القويمة السليمة بردها الى ما تدعو اليه الحظوظ والشهوات حتى لا يكون فيها طيب
لمخلوق ولما اخبر تعالى عن دخولهم البلد اخبر عن دخولهم لحاجتهم الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال
ولما دخلوا اي بنوه عليه الصلاة والسلام على يوسف في هذه القدمة الثانية اوى اليه اخاه شقيقه
بنيامين بعد ان قالوا له هذا اخونا الذي امرتنا به قد احضرناه فقال اصبتم وستجدون ذلك عندي
والايواء ضم النفس الى موضع الراحة وسبب ايوائه اليه انه امر كل اثنين منهم ان ياكلوا على حدة فبقي
بنيامين بلا ثان فقال هذا ياكل معي ثم قال ليأو كل اثنين منكم في بيت من خمسة ابيات افردها لهم
وهذا الوحيد يكون معي في بيتي وهذا التفريق موافق لما امرهم به ابوهم في تفريق الدخول فكانه قيل ماذا
قال له هل اعلمه بنفسه او كتم ذلك عنه كما فعل بسائر اخوته فقيل بل قال معلما له لانه لا سبب يقتضي الكتم

كما سيأتي بيانه وكذا لما للاخ من انكاره لطول غيبته وتغير احواله وقطع الرجاء منه اني انا اخوك
يوسف ثم سبب عن ذلك قوله فلا تبتئس اي تجتلب البؤس وهو الكراهة والحزن بما كانوا اي
سائر الاخوة كونا هم راسخون فيه يعملون مما يسوءنا وان زعموا انهم بنوا ذلك العمل على علم وقد
جمعنا الله على خير ما يكون عليه الاجتماع ولا تعلمهم بشيء من ذلك ثم انه ملاهم او عيتهم كما ارادوا وكانه
في المرة الاولى ابطأ في تجهيزهم ليتعرف اخبارهم في طول المدة من حيث لا يشعرون ولذلك لم
يعطف بالفاء واسرع في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفراده باخيه من غير رقيب بالحيلة التي
دبرها فلذلك اتت الفاء في قوله فلما جهزهم اي اعجل جهاز واحسنه بجهازهم وبوبيه فلما جاء امرنا
في قصتي صالح ولوط عليهما الصلاة والسلام كما مضى في سورة هود عليه الصلاة والسلام جعل
اي بنفسه او بمن امره السقاية التي له وهي اناء يسقى به في رحل اخيه شقيقه ليحتال بذلك على
ابقائه عنده مع علمه بان البصير لا يقضي بسرقته بذلك مع احتمال ان يكون الصواع دس في
رحله بغير علمه كما فعل ببضاعتهم في المرة الاولى ولعل غير البصير فضرر ثبوت ذلك في ذهنه مغتفر
لانه يسير بالنسبة الى ما يترتب عليه من النفع من الف اخوته بيوسف وزوال وحشتهم منه
باقامته عنده كما سياتي مع مزيد بيان هذا مع تحقق البراءة عن قرب فهو من باب ارتكاب اخف
الضررين ثم امهلهم حتى انطلقوا ثم ارسل اليهم فحبسوا ثم اي بعد انطلاقهم وامعانهم في السير
اذن اي اعلمهم بالنداء مؤذن قائلا برفع صوته وان كانوا في غاية القرب منه بما دل عليه اسقاط
الاداة ايتها العير اي اهلها واكد لما لهم من الانكار انكم لسارقون اي ثابت لكم ذلك لا محالة
حقيقة بما فعلتم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام او مجازا بانكم فاعلون فعل السارق كما ياتي
بيانه آنفا مع ان هذا النداء ليس من قول يوسف عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان لا يكون بامره
حتى يحتاج الى تصحيحه بل يكون قائله فهم ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام صواعي مع الركب
او كانهم اخذوا صواعي فاذهب فاتني بهم او به ونحو ذلك مما هو حق في نفسه والعير القافلة
التي فيها الاحمال والاصل فيها الحمير ثم كثر حتى اطلق على كل قافلة تشبيها بها وقد تضمنت الاية
البيان عما يوجبه التلطف في بلوغ المراد من ايقاع الاسباب التي تؤدي اليه وتبعث عليه بظاهر
جميل وباطن حق مما يخفى على كثير من الناس موقعه ويشكل عليه وجهه لانه انفذه وانجح للمطلوب
منه فكانه قيل ان هذه لتهمة عظيمة فما قالوا في جوابها قيل قالوا في جواب الذين لحقوهم و الحال ان
الاسرائيل اقبلوا ودل على ان الذين لحقوهم كانوا جماعة المؤذن احدهم كما هو شان ذوي الرياسة
اذا ارسلوا في مهم بالجمع في قوله عليهم اي على جماعة الملك المنادي وغيره ماذا تفقدون مما
يمكننا اخذه قالوا نفقد وكان السقاية كان لها اسمان فعبروا هنا بقولهم صواع الملك والصواع
الجام يشرب فيه ولمن جاء به اي اظهره ورده من غير تفتيش ولا عناء حمل بعير وهو بالكسر قدر
من المتاع مهيأ لان يحمل على الظهر واما الحمل في البطن فبالفتح وانا به زعيم اي ضامن وكفيل اوديه
اليه وافراد الضمير تارة وجمعه اخرى دليل على ان القائل واحد وانه نسب الى الكل لرضاهم به
وفي الاية البيان عما يوجبه حال بعث الانسان للتثبت في الامر وترك الاسراع الى ما لا يجوز

من القول فكانه قيل فما قال اخوة يوسف قيل قالوا قول البرئ تالله اي الملك الاعظم فاقسموا اقسما
مقرونا بالتا لانها يكون فيها التعجب غالبا قال الرماني لانها لما كانت نادرة في ادوات القسم جعلت
للنادر من المعاني والنادر من المعاني يتعجب منه وقال انها بدل من الواو والواو بدل من البا فهي
بدل من بدل فلذلك ضعفت عن التصريف في سائر الاسما ثم اكدوا ابرآئهم بقولهم لقد علمتم اي بما جربتم
من امانتنا قبل هذا في كرتي مجيئنا ما جئنا واكدوا النفي باللام فقالوا لنفسد اي لنوقع الفساد
في الارض ولقد علمتم ما كنا اي بوجه من الوجوه سارقين اي موصوفين بهذا الوصف قط بما رايتم من
احوالنا من ردنا بضاعتنا التي وجدناها في رحالنا وغير ذلك بما عاينتم من شرف فعالنا مع علمنا
بانها خلق لنا لا تصنع يظهر لبعض الاذكيا بادني تامل فكانه قيل فما قال الذين من جهة العزيز قيل
قالوا قول واثق بانه في رحالهم فما جزاؤه اي الصواع ان كنتم كاذبين في تبريكم من السرقة والجزا
مقابلة العمل بما يستحق عليه من خير او شر قالوا وثوقا منهم بالبراة واخبارا بالحكم عندهم جزاؤه اي
الصواع من ولما كان العبرة بنفس الوجدان بنوا للمفعول قولهم وجد في رحله و لتحققهم البراة علقوا
الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم اكدوا ذلك بقولهم فهو جزاؤه اي ليس غير فكانه قيل هل هذا
امر احدثتموه الان او هو مشروع لكم فقالوا كذلك اي بل هو سنة لنا مثل ذلك الجزا الشديد نجزي
الظالمين اي بالظلم دايما نرقه في سرقته تجنيبه فتنش اوعيتهم فبدا اي فتسبب عن ذلك انه بدا
المؤذن او غيره ممن امر بذلك باوعيتهم ولما لم يكن بين فتح اوعيتهم وفتح وعا اخيه فاصل بعد فاصلا
فكانت بدايته باوعيتهم مستغرقة لما بينها من الزمان لم يات بجار فقال قبل وعا اخيه اي اخي يوسف
عليه الصلاة والسلام شقيقه ابعادا عن التهمة ثم اي بعد تفتيش اوعيتهم والتاني في ذلك استخرجها
اي اوجد اخراج السقاية التي تقدم انه جعلها في وعا اخيه من وعا اخيه ولما كان هذا كيدا عظيما
في اخذ اخيه بحكمهم مع ما توثق منهم اوهم عظمه تعالى بالاشارة اليه باداة البعد والاسناد اليه
فقال كذلك اي مثل هذا الكيد العظيم كدنا ليوسف خاصة بان علمناه اباه جزاءهم على كيدهم
بيوسف عليه الصلاة والسلام ولذلك صنعنا جميع الصنايع التي اغلت يوسف عليه الصلاة
والسلام والحات اخوته الذين كادوه بما ظنوا انه ابطل امره الى المجي الى ان كان اخرها حكمهم على
انفسهم بما حكموا ثم علل ذلك بقوله ما كان او هو استيناف تفسير للكيد واكد النفي باللام فقال ليأخذ
اخاه ولما كان الاخذ على جهات مختلفة قيده بقوله في دين الملك يعني ملك على حالة من الحالات
لان جزآ السارق عندهم غير هذا الا ان يشاء الله اي الذي له الامر كله ذلك بسبب يتهيه لهذا
السبب الذي هو حكم السارق واهله على انفسهم فلا يكون حينئذ من الملك الا تخليتهم وما حكموا
به على نفوسهم ومادة سرق بتراكيبها الاربع سرق وسفر وقسر وقرس تدور على الغلبة المحرقة
الموجعة فتارة تكون بحر وتارة ببرد وتارة بغير ذلك وتلازمها القوة والضعف والكثرة والقلة
والمخادعة فيما في الخفا والليل فمن مطلق الغلبة القسر وهو الغلبة والقهر وقال ابن دريد القسر
الاخذ بالغلبة والاضطهاد والقسورة الاسد والعزيز كالقسور والرماة من الصيادين واحده
قسور ونبات سهلي كانه يكثر فيه الصيد فتسابه القساورة وقسور النبت كثر وركز الناس اي

صوتهم

صوتهم الخفي وحسهم لان الصيادين يتخافتون والسقر لغة في الصقر لطير يصيد وقسر جبل
السراة كانه موضع الصيد والقسر والغلبة والقيسري الكبير لانه ملزوم للغلبة وضرب من الجعلان
وكانه سمي لمطلق الكثرة والاذاه بما يعانيه من النجاسات والقيسري ايضا من الابل العظيم او الصلب
او الضخم الشديد وجمل قراسية بالضم وتخفيف اليا ضخم والقرس بالكسر صغار البعوض والقسورة
ايضا من الغلمان الشاب القوي والرامي لانه اهل لان يغلب والقسور ايضا الصياد مطلقا ويلزمه
المخادعة والاستخفا ومنه القسورة نصف الليل او اوله او معظمه لانه محل الاستخفا والمقاهرة
ومنه السرق وهو الاخذ في خفية وعبارة القزاز في ختل وغفلة وسرق كفرح خفي والسوارق
الزوايد في فراش القفل لغرابتها وخفا امرها او لسلبها السرقة بمنعها السارق من فتح القفل
والمسترق المستمع مختفيا وانسرق عنهم خنس ليذهب ويلزم المخادعة والاختفا نوع ضعف
ومنه سرقت مفاصله كفرح ضعفت والمسترق الناقص الضعيف الخلق وانسرق فتر وضعف
اما منه واما من السلب لان من فتر او ضعف يكف عن السرقة والاذي وتسور الرجل اسن وكانّ
منه القادس والقربس اي القديم ومسترق العنق قصيرها كانه سرق منها شي وهو يسارق
النظر اليه اي يطلب غفلته لينظر اليه وتسرق سرق شيا فشيا وسُرّق كسكر كان اسمه الحباب
فابتاع من بدوي راحلتين ثم اجلسه على باب دار ليخرج اليه بثمنها فخرج من الباب الاخر
فهرب بهما فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سرّقا وكان لا يسمى بغيره والسرق محركا اجود
الحرير او الحرير الابيض او الحرير عامّة فارسي معرب اصله سره قال القزاز ومعناه جيد لانه
اهل لان يقصد بالسرقة لخفة محمله وكثرة ثمنه والسرقين معرب سركين يمكن ان يكون من
الضعف ولعل المعرّب يكون خارجا عن اصل المادة لانه لا اصل له في العربية ومن الاذي بالحرّ
السقر حر الشمس واذاه يقال سقرته الشمس بالسين اذا المت دماغه ومنه اشتقاق سقر
وهو اسم احدي طبقات النار والسقر القيادة على الحرم والسقر ما يسيل من الرطب من التسمية
باسم السبب لان الحر سببه والقوسرة القوصرة ويخففان لانه يوضع فيه التمر الذي قد يكون منه
السقر والساقر الكاذب واللعان لغير المستحقين لكثرة الاذي او لاستحقاق الكون في سقر والساقور
الحرّ والحديدة يكوى بها الحمار ومن الاذي بالبرد القرس وهو البرد الشديد والبارد والقرس
ويحرّك ابرد الصقيع واكثفه والقرس بالتحريك الجامد وافرس العود جمدما وه ومنه القريس
لسمك طبخ وترك حتى جمد وقرس الماء جمد والبرد اشتد كقرس كفرح والقراس ويقال نبات قراس
كسحاب اجل بارده او هضاب بناحية السراة وقرسنا الماء بردناه اذا تقرر ذلك فتصحيح قول المؤذن
انكم لسارقون ان نظر الى الغلبة في خفا فلا شك انهم متصفون بذلك لاخذهم يوسف من ابيه عليهما
الصلاة والسلام على هذه الحالة وان نظر الى مطلق الاخذ في فيكون اطلاق ذلك عليهم
مجاز الان معهم في حال ندايه لهم وهم سايرون شيا ليس هو لهم هم ذاهبون به في خفا اي انتم في هذه
الحالة فاعلون فعل السارق ويقوي ارادة الاول قوله تعالى لتنبينهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
وقوله من وجدنا متاعنا عنده كما ياتي ولما كان يوسف عليه الصلاة والسلام انما تمكن من ذلك

بعلو درجته وتمكنه ورفعته بعدما كان فيه عندهم من الصغار كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتا
الى مقام التكلم تقوية للكلام بمقامي الغيبة والتكلم وزاده اشعارا بعظمة هذا الفعل بصوغه في
مظهر العظمة منبها لمن قد يغفل **نرفع** اي بما لنا من العظمة وكان الاصل درجاته ولكنه عمم لانه
ادل على العظمة فكان البق بمظهرها فقال منبها على انه كان حصل ليوسف عليه الصلاة والسلام
من الهضم ما ظن كل ظن انه لا يتفع بعده **درجات من نشا** اي بالعلم ولما كان سبب الرفعة هو الاعلمية
بالاسباب وذلك ان الخلق لو اجتهد وا في خفض احد فنصب الله كل سبب علوه وقدروا عليه واراد
الله ضد ذلك لقيض بعلمه سببا واحدا ان شا فابطل جميع تلك الاسباب وقضى برفعته نبه تعالى
على ذلك بقوله **وفوق كل ذي علم** اي من الخلق **عليم** عظيم العلم لا تكتنه عظمة علمه العقول ولا تتخيلها
الفهوم فهو يسبب من الاسباب بما تطيح له اسباب العلما وتحير له الباب العقلا النصرا وهو الله تعالى
كما نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وسعيد بن جبير فالتنوين للتعظيم ولما تم ذلك كان
كانه قيل ان انتزاع اخيهم منهم بعد تلك المواثيق التي اكدوها لابيهم لداهية تطيش لها الحلوم فما كان
فعلهم عندها فقيل **قالوا** تسلية لانفسهم ودفعا للعار عن خاصتهم **ان يسرق** فلم يجزموا بسرقته
لعلمهم بامانته وظنهم ان الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دست بضاعتهم في رحالهم وانما اوهى
ظنهم هذا سكوت اخيهم عن الاعتذار به على انه قد ورد الخبر لا نوه فقال لهم وضعه في رحلي الذي
وضع البضاعة في رحالكم **فقد سرق اخ** اي شقيق **له** ولما كان ما ظنوه كذلك في زمن يسير ادخلوا
الجار فقالوا **من قبل** يعنون يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انه قيل ان عمته كانت لا تصبر
عنه وكان ابوه لا يسمح بمكثه عندها لانه لا يصبر عنه فحزمته من تحت ثيابه بمنطقة ابيها اسحاق
عليه الصلاة والسلام وكانت عندها ثم قالت فقدت منطقة ابي فاكشفوا عندها **فاسرها** اي اجابتهم
عن هذه القولة القبيحة **يوسف في نفسه** على تمكنه مما يريد بهم من الانتقام ولما كان ربما ظن ظان انه
بكتهم بها بعد ذلك نفي هذا الظن بقوله تعالى **ولم يبدها** اي اصلا **لهم** فكانه قيل فما قولته التي اسرها
في نفسه فقيل **قال انتم شر مكانا** اي من يوسف واخيه لان ما نسب اليهما من الشر انما هو ظاهر الامر
خير اقتضاه واما انتم ففعلكم بيوسف شر مقصود منكم ظاهرا وباطنا ونسبة الشر الى مكانهم
اعظم من نسبته اليهم وانما قدم الاخبار بالاسرار مع اقترانه بالاضمار قبل الذكر لئلا يظن بادي
منكم وانه ليس كما قلتم والوصف كلمة مشتقة من اصل من الاصول لتجري على مذكور فتفرق بينه وبين غيره
بطريق النقيض كالفرق بين العالم والجاهل ونحوهما فكانه قيل ان ذلك القول على فحشه ليس مغنيا
عنهم ولا عن ابيهم شيئا فهل اقتصروا عليه فقيل لا بل **قالوا** التماسا لما يغنيهم **يايها العزيز** فخاطبوه
بما يليق بالاكابر ليرق لهم **ان له** اي هذا الذي وجد الصواع في رحله **ابا شيخا كبيرا** اي في
سنه وقدره وهو مغرم به لا يقدر على فراقه ولا يصبر عنه **فخذ احدنا مكانه** واحسن الى ابيه
بارساله اليه **انا نراك** اي نعلمك علما هو كالرؤية او نحسب ما رايناه **من المحسنين** اي العريقين
في صفة الاحسان فاجر في امرنا على عادة احسانك فكانه قيل فما اجابهم فقيل **قال معاذ الله**
اي نعوذ بالذي لا مثل له معاذا اعظيما **ان ناخذ** اي لاجل هذا الامر **الا من** اي الشخص الذي

وجدنا

وجدنا متاعنا عنده ولم يقل سرق متاعنا لانه كما انه لم يفعل في الصواع فعل السارق لم يقع
منه قبل ذلك ما يصحح اطلاق الوصف عليه ثم علل ذلك بقوله **انا اذا** اي اذا اخذنا احدا مكانه
لظالمون اي عريقون في الظلم في دينكم فلم تطلبوا ما هو ظلم عندكم ذكر ما بعد ما سلف من هذه
القصة من التوراة قال وكان الغلا والجوع وفي نسخة الجوع والارجاف على جميع وجه الارض
ففتح يوسف الاهرا واقبل يبيع المصريين واشتد الجوع بارض مصر واقبل جميع اهل الارض
ياتون للامتيار من يوسف فبلغ يعقوب ان بمصر طعاما ميرة فقال يعقوب لبنيه لا خوف عليكم
لانه قد بلغني ان بمصر ميرة فاهبطوا هناك الى هناك فامتاروا لنا فنحيى ولا نموت فهبط
بنو يعقوب العشرة ليمتاروا ميرة من مصر فاما بنيامين اخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع
اخوته لانه قال لعله ان يعرض له عارض فاتى بنو اسرائيل ليمتاروا مع الذين كانوا ينطلقون
لان الجوع اشتد في ارض كنعان وكان يوسف هو المسلط على الارض وكان يمير جميع شعب الارض
فاتى اخوة يوسف فخروا له سجدا على الارض فراى يوسف اخوته فاثبتهم وتنكر عليهم وكلمهم
بفظاظة وقساوة وقال لهم من اين انتم فقالوا انا اتينا من ارض كنعان لنمتار ميرة فذكر يوسف
الرويا التي قصها عليهم وقال لهم انكم جواسيس وانما اتيتم لتجسوا وتطلعوا الارض فقالوا كلا
يا سيدنا ان عبيدك انما اتوا ليمتاروا ونحن اجمعون بنو رجل واحد ونحن ابريا وليس عبيدك
بطلايع فقال لهم يوسف ليس الامر كما تقولون بل انما اتيتم لتجسوا ارضنا فقالوا له نحن اثنا عشر
رجلا اخوة عبيدك بنو رجل واحد بارض كنعان والاخر هو عند ابينا يومنا هذا والاخر فقدناه فقال
لهم يوسف اني انما قلت لكم انكم جواسيس من اجل هذا بهذه تمتحنون وحق فرعون لا اخرجتكم من
ههنا حتى ياتي اخوكم الاصغر الى ههنا فتخص عن اقاويلكم ان كنتم نطقتم بالحق والقسط والا وحق
فرعون انكم طلايع فقذفهم في الحبس ثلاثة ايام ودعا بهم يوسف في اليوم الثالث وقال لهم افعلوا
ما امركم به فتحيوا اما اني اراقب الله فيكم ان كنتم ابريا فليحبس احدكم في محبسكم وانطلقوا انتم بالميرة
للجوع الذي في بيوتكم فاتوني باخيكم الاصغر فاصدق قولكم ولا تموتوا ففعلوا كما امرهم فقال كل امرى منهم
لصاحبه حقا انا قد استوجبنا على اخينا اذ راينا كرب نفسه اذ كان يتضرع الينا فلم نرحمه ولم
نتراف عليه فمن اجل ذلك نزلت بنا هذه البلية والشر فاجاب روبيل وقال لهم الم اقل لكم لا تاثموا
بالغلام فلم تقبلوا وهوذا الان نحن مطالبون بدمه ولم يعلموا ان يوسف يفهم كلامهم لانه اوقف
ترجمانا بينه وبينهم فتنحى عنهم فبكا ثم رجع اليهم يكلمهم ثم اخذ منهم شمعون فاوثقه تجاههم وامر يوسف
بملء اوعيتهم ميرة وامر برد ورق كل امرى منهم في وعايه وان يزودوا زادا للطريق ففعل ذلك
بهم كما امر يوسف فحملوا ميرتهم على حميرهم وانطلقوا ففتح بعضهم وعاءه ليلقي قضيما لحماره في مبيتهم
فراى ورقه موضوعا على طرف حمولته فقال لاخوته ورقي رد الي وهو ذا على طرف حمولتي فارتجفت
قلوبهم وفزعت نفوسهم وتعجب كل امرى منهم وقالوا يا ليت شعري ما هذا الذي صنعه الله بنا
فاتوا يعقوب اباهم الى ارض كنعان فاخبروه بجميع ما عرض لهم وقالوا ان الرجل سيد الارض كلمنا
بفظاظة وقساوة وحسبنا بمنزلة الجواسيس اتينا لنطالع الارض فقلنا انا ابريا عدول

فلسنا بطلايع فنحن اثنا عشر اخا من ابو اب واحد فقد واحد منا والاخر عند ابينا يومنا هذا بارض
كنعان فقال لنا الرجل سيد الارض ورئيسها بهذا اعلم انكم ابرار عدول خلفوا عندي احد اخوتكم
واحملوا ميرة للجوع الذي في بيوتكم وانصرفوا فاتوني باخيكم الاصغر معكم فاعلم حينيذ انكم لستم
بطلايع بل انتم ابرار عدول وامر بدفع اخيكم اليكم وتتجرون في الارض فبينما هم يفرغون اوعيتهم
فاذا هم بصرة كل امرء منهم على طرف وعايه فراوا ورقهم مصرورا ففزعوا هم وابوهم فقال لهم ابوهم انكم
قد اثكلتموني ولدي وافقدتموني اياهما لان يوسف فقدته وشمعان محبوس وتنطلقون ببنيامين
ايضا وقد كملت علي المصايب كلها فقال روبيل لابيه تكلت ابني جميعا ان لم اتك به ادفعه الي
وانا ارده اليك فقال لا يهبط ابني معكم لان اخاه يوسف توفي وهو وحده الباقي لامه فيعرض له
افة في الطريق الذي تسلكونه فتنزلون شيبتي الى الجدث بالشقا والنحب فاشتد الجوع
على الارض فلما اكلوا الذي اتوا به من مصر وافنوه قال لهم ابوهم يعقوب اهبطوا فامتاروا لنا شيا
من قمح فقال له يهوذا ان الرجل انذرنا وتقدم الينا وقال لا تعاينوا وجهي الا واخوكم معكم فان انت
ارسلت اخانا معنا فانا نهبط فنمتار وان لم تبعثه لم ننطلق فقال لهم ابوهم ولم اسايتم الي فاخبرتم
الرجل ان لكم اخا فقالوا الرجل سايلنا عنا وعن رهطنا وقال ان اباكم في الحياة بعد وهل لكم اخ فاخبرناه
من اجل هذا الكلام اكنا نعلم انه يقول اهبطوا معكم باخيكم وقال يهوذا لاسرايل ابيه سرح الغلام
فننطلق فنحيي ولا نموت نحن وانت ايضا وحشمنا انا اكفل به فان لم ات به فاقمه بين يديك
فانا مخطي بين يدي ابي جميع الايام فقال لهم ابوهم اسرايل اذا كان الامر هكذا فافعلوا ما امركم به
احملوا في اوعيتكم من ثمار هذه الارض شيا من صنوبر وعسل وعلك البطم وخروب وحب السرو
وبطم ولوز وخذوا من الورق ضعف الذي في اوعيتكم لعل ذلك ان يكون وهما منهم وانطلقوا باخيكم
الى الرجل وارجعوا الي كلكم والله المواعيد يلطفكم من الرجل برحمة ورافة ويرسل باخيكم الاخر
معكم وبنيامين ايضا فاخذوا القوم هذه الهدية وضعفا من الفضة وانطلقوا معهم ببنيامين واتوا
يوسف فوقفوا بين يديه فراى يوسف بنيامين معهم فقال لحاجبه ادخل القوم الى المنزل واذبح
ذبحا وهيي الغدا لان القوم يتغدون معي ظهرا ففعل العبد كما امره يوسف وادخل القوم الى منزل
يوسف وقالوا انهم انما يدخلوننا بسبب الورق الذي وجدناه في اعدال الناس قبل فيريدون ان
يتطاولوا علينا ويمكروا بنا فيجعلونا عبيدا ودوابنا ملكا فدنوا من الرجل حاجب وفي نسخة خازن
يوسف فكلموه على باب المنزل وقالوا انا نطلب اليك يا سيدنا انا هبطنا اولا الى ههنا فامترنا
قمحا فلما اطلعنا وصرنا في البيت اذا نحن بورق كل واحد منا في عدله فقد رددنا ورقنا بوزنها
معنا واتينا معها باوراق اخر لثمننا ديها ولا نعلم من الذي صيرا ورقنا في اوعيتنا فقال لهم السلام لكم
لا تخافوا ولا تستوفضوا الهكم اله المواعيد الا ابيكم ذخر لكم هذه الذخيرة في اوعيتكم لان ورقكم قد
صار في قبضتي واخرج اليهم شمعون فادخل العبد القوم الى منزل يوسف واتاهم بما فغسلوا ايديهم
واقدامهم والقى قضيما لدوابهم فاعد القوم هديتهم قبل دخول يوسف وقت القايلة لانه بلغهم ان
غداهم يكون هناك فدخل يوسف الى منزله فادخلوا هديتهم فوضعوها بين يديه في منزله وخروا

له

له سجدا على الارض فسالهم عن سلامتهم وقال اسالم هو ابوكم الذي اخبرتموني عنه انه في الحياة هو بعد
فقالوا ان ابانا عبدك سالم ثم جثوا فسجدوا ورفع نظره فابصر بنيامين اخاه ابن امه فقال لهم هذا
اخوكم الذي اخبرتموني عنه فقالوا نعم فقال له الله يتراف عليك يا بني فاستعجل يوسف لانه رق
له وتحنن عليه فاراد البكا فدخل الى مكانه فبكى هناك ثم غسل وجهه وخرج فصبر نفسه فامر ان
ياتوهم بالغدا فوضعوا بين يديه وحده وقربوا اليهم وحدهم لانه لا يستطيع اهل مصر ان ياكلوا مع
العبرانيين لان هذه نجاسة عند المصريين فامر فاتكا الاكبر على قدر سنه والاصغر على قدر
سنه فتعجب القوم وملوا اجبرين مسدوهين فاعطى كل امرء منهم من بين يديه جزا واعطى بنيامين
اكثر منهم خمسة انصبه فشربوا فامر خازنه وقال له اوقر اوعية القوم من البر ما امكنهم حمله
وصير ورق كل امرء منهم على طرف وعايه وخذ طاسي الفضة وصيره في وعا الاصغر مع ورق ميرته
ففعل العبد كما امر يوسف فلما كان من الغد سرح القوم لينطلقوا هم وحميرهم فخرجوا من القرية
وقبل ان يخرجوا منها قال يوسف لخازنه قم فامض في طلب القوم والحقهم وقل لهم لم كافيتم الشر
بدل الخير فاخذتم الطاس الذي يشرب فيه سيدي ويعتاف فيه اعتيافا فاساتم فيما جانيتم
فلحقهم وقال لهم هذه الاقاويل فقالوا له لا تقولن يا سيدنا هذه الاقاويل معاذ الله ان
يفعل عبيدك هذه الفعال نحن رددنا اوراقنا التي وجدنا في اوعيتنا من ارض كنعان فكيف
نسرق من بيت سيدك ذهبا او فضة من وجد عنده من عبيدك فليمت ونكن نحن عبيدا لسيدنا
قال لهم هو على ما تقولون من وجد عنده فهو يكون لي عبدا وانتم تكونون فلحين طاهرين فاستعجل
كل منهم وعاه ففتشوا ابتدا بالاكبر وانتهى الى الاصغر فوجدوا الطاس في وعا بنيامين فخرقوا
ثيابهم وخرقوها وحمل كل منهم وعاه على حماره ورجعوا الى القرية فدخل يهوذا واخوته على يوسف
وكان في منزله بعد فخروا بين يديه على الارض فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذي جانيتم اما تعلمون
ان رجلا مثلي يعتاف وفي نسخة يمتحن بكاس اعتيافا فلم تتعدون عليه وتاخذونه فقال يهوذا
بماذا نكلم سيدنا وبماذا ننطلق وبماذا نفلح وفي نسخة نحتج من عند الله نزلت هذه الخطية بعبيدك
هوذا نحن عبيد لسيدنا نحن ومن اصيب الكاس عنده فقال معاذ الله ان افعل هذا بل الرجل الذي
وجد الكاس عنده يكون لي عبدا وانتم فاصعدوا بسلام الى ابيكم فدنا منه يهوذا فقال انا اطلب اليك
يا سيد ان تاذن لعبدك بالكلام بين يديك يا سيد ولا تشعل غضبك على عبيدك لانك مثل فرعون
سال سيدي عبيده فقال لهم هل لكم اب او اخ فقلنا لسيدنا ان لنا ابا شيخا وابنا له صغيرا ولد
على كبر سنه وان اخاه مات وهو الباقي وحده لامه وابوه يحبه وامرت عبيدك وقلت اهبطوا به
الي حتى اعرفه واعاينه فقلنا لسيدنا لا يقدر الغلام على مفارقة ابيه لانه ان فارقه ابوه توفي
فقلت لعبيدك انه ان لم يهبط اخوكم الاصغر معكم فلا تعودوا ان تعاينوا وجهي فلما صعدنا الى
عبدك ابينا اخبرناه بقول سيدنا فقال لنا عبدك ابونا ارجعوا فامتاروا شيا من بر فقلنا
لابينا لا نقدر على الهبوط الا ان نهبط باخينا الاصغر معنا لانا لا نقدر على معاينة وجه الرجل
ان لم يكن اخونا معنا فقال لنا عبدك ابونا انتم تعلمون ان امراتي ولدت لي ابنين فخرج واحد

من عندي فعلتم انه قبل تعلم اعاينه الي يوم الناس هذا فتحملون ايضا هذا ابن عندي فيعرض له
صد فتهبطون بشيبخوختي بحزن وشر الي القبر والان اذا اخي انطلقنا الي عبدك ابينا وليس
الغلام معنا ونفسه جبيبة اليه فاذا علم ان الغلام ليس هو معنا يموت ويهبط عبدك شيبة
ابينا بالشقا والتشحيب لان عبدك ضمن الغلام لابينا وقلت ان اذا لم اتك به اخطي بابي في جميع
الايام والان فليبق عبدك بدل الغلام عبد السيدي وليصعد الغلام مع اخوته لاني فكر كيف
اصعد الي ابي وليس الغلام معي كيلا اعاين الشر الذي ينزل بابي ولما ايأسهم بما قال عن
اطلاق بنيامين حكي الله تعالي ما اثمر لهم ذلك من الراي فقال فلما د الابالغا علي قرب زمن تلك
المراجعات استيأسوا منه اي يئسوا رجاءهم لتخلية سبيله لما راوا من احسانه ولطفه
ورحمته ياسا شديدا بما راوا من ثباته علي اخذه بعينه وعدم استبداله خلصوا اي انفردوا
من غيرهم حال كونهم نجيا اي ذوي نجوي يناجي بعضهم بعضا من المناجاة وهي رفع المعني من
كل واحد الي صاحبه في خفاء من النجو وهو الارتفاع من الارض قاله الرماني او تمحضوا تناجيا
لافاضتهم فيه بجد كانهم صورة التناجي فكانه قيل فما قالوا فقيل قال كبيرهم في السن وهو
روبيل الم تعلموا مقررا لهم بما يعرفونه مع قرب الزمان ليشتد توجههم في بذل الجهد في الخلاص
من غضب ابيهم ان اباكم اي الشيخ الكبير الذي تجمعوه في احب ولده اليه ولما كان المقام بالتقرير
ومعرفة صورة الحال لتوقع ما ياتي من الكلام قال قد اخذ عليكم اي قبل ان يعطيكم هذا الولد
الاخر موثقا ولما كان الله تعالي هو الذي شرعه كا سفي كان كانه منه فقال من الله اي ايمان
الملك الاعظم لتاتنني به الا ان يحاط بكم ومن قبل اي قبل هذا ما فرطتم اي قصرتم بترك التقدم
بما يحق لكم في ظن ابيكم او فيما ادعيتم لابيكم تفريطا عظيما فان زيادة ما تدل علي ارادته لذلك
في ضياع يوسف فلا يصدقكم ابوكم اصلا بل يتهم هذه الي تلك فيعلم بها خيانتكم قطعا واصل معني
التفريط التقدم من قوله صلي الله عليه وسلم انا فرطكم علي الحوض ولما كان الموضع موضع التاسف
والتفجع والتلهف اكده بما النافية لتنتفي المثبت كما سلف غير مرة اي ان فعلكم في يوسف ما كان
الا تفريطا لا شك فيه فلن ابرح اي افارق هذه الارض بسبب هذا وابلاه الفعل بدون حرف
دليل علي انه صار شديد الالتصاق بها حتي ياذن لي ابي في الذهاب منها او يحكم الله اي الذي له
الكمال كله وثقنا به لي بخلاص اخي او بالذهاب منها بوجه من الوجوه التي يعلمها ويقدر علي التسبب
لها وهو اي ظاهرا وباطنا خير الحاكمين اذا اراد امرا بلغه باحاطة علمه وشمول قدرته وجعله علي
احسن الوجوه واتقنها فكانه قيل هذا ما راي ان يفعل في نفسه فما راي لاخوته فقيل امرهم بالرجوع
ليعلموا اباهم لامكان ان يريد القدوم الي مصر ليري ابنه او يكون عنده راي فيه فرج فقال
ارجعوا الي ابيكم اي دوني فقولوا اي له متلطفين في خطابكم يا ابانا واكدوا انفا لتهمكم فانه ينكرها
فقولوا ان ابنك اي شقيق يوسف عليه الصلاة والسلام الذي هو اكملنا في البنوة عندك سرق
ولما كانوا في غاية الثقة من ان احدا منهم لا يلم بمثل ذلك اشاروا اليه بقولهم وما شهدنا اي في
ذلك الا بما علمنا ظاهرا من روينا الصواع يخرج من وعايه والشهادة الخبر عن احساس قول او فعل

ويجوز

ويجوز الشهادة بما ادي اليه الدليل القطعي وما كنا للغيب اي الامر الذي غاب عنا حافظين
فلعل حيلة دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع في رد بضاعتنا واسيل القرية اي اهلها
وجدرانها ان كانت تنطق التي كنا فيها وهي مصر عما اخبرناك به يخبروك بصدقنا فان
الامر قد اشتهر عندهم واسيل العير اي اصحابها وهم قوم من كنعان جيران يعقوب عليه الصلاة
والسلام التي اقبلنا فيها والسوال طلب الاخبار باداته من الهمزة وهل ونحوهما والقرية الارض
الجامعة لحدود فاصلة واصلها من قريت الما اي جمعته وسيأتي في شرح لفظها اخر السورة والعير
قافلة الحمير من العير وهو الحمار هذا الاصل كما تقدم ثم كثر حتي استعمل في غير الحمير ولما كان ذلك
جديرا بالانكار لما يتحقق من كرم اخيهم اكدوه بقولهم وانا اي والله لصادقون فكانه قيل فرجعوا
الي ابيهم وقالوا ما قال لهم كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال بل اي ليس الامر كذلك لم تصح
نسبة ابني الي السرقة ظاهرا ولا باطنا اي لم ياخذ شيا من صاحبه في خفاء بل سولت اي زينت
تزيينا فيه غي لكم انفسكم امرا اي حدثتكم بامر ترتب عليه ذلك والامر التي الذي من شانه ان تامر
النفس به وكلا الامرين صحيح اما النفي فواضح لان بنيامين لم يسرق الصواع ولا هم بذلك ولذلك
لم ينسبه يوسف عليه الصلاة والسلام ولا مناديه الي ذلك بمفرده واما الاثبات فاوضح
لانه لولا فعلهم بيوسف عليه الصلاة والسلام لما سولت لهم فيه انفسهم لم يقع هذا الامر
لبنيامين عليه الصلاة والسلام فصبر جميل مني لان ظني في الله جميل وفي قوله عسي الله اي المحيط
بكل شي قدرة وعلما ان ياتيني بهم اي بيوسف وشقيقه بنيامين وروبيل جميعا ما يدل علي
الفطن علي انه تفرس ان هذه الافعال نشات عن يوسف عليه الصلاة والسلام وان الامر الي سلامة
واجتماع ثم علل ذلك بقوله انه هو اي وحده العليم اي البليغ العلم بما خفي عنا من ذلك فيعلم
اسبابه الموصلة الي المقاصد الحكيم اي البليغ في احكام الامور في ترتيب الاسباب بحيث لا يقدر
احد علي نقض ما ابرمه منها وترتيب الوصفين علي غاية الاحكام كما تري لان الحال داع الي العلم بما
غاب من الاسباب اكثر من دعايه الي معرفة حكمها قال هذه المقالة وتولي عنهم لما تفاقم عليه من
الحزن وبلغ به من الجهد وهاج باجتماع حزن الي حزن من الحرق كراهية لما جاوا به واقبالا علي
من اليه الامر وقال مشتكيا الي الله لا غيره فهو تعريض باشد التصريح والدعا يا اسفا يا اشد
حزني والالف بدل عن يا الاضافة لتدل علي بلوغ الاسف الي ما لا حد له وجناس الاسف مع يوسف
مما لم يتعمد فيكون مطبوعا فيصل الي نهاية الابداع وامثاله في القران كثير علي يوسف هذا
اوانك الذي ملاني بك فناد مني كما انادمك وخصه لانه قاعدة احزانه التي انبني عليها وتفرع
منها ما بعدها وابيضت عيناه اي انقلب الي حال البياض لكثرة الاستعبار فعمي البصر من الحزن
الذي هو سبب البكا الدايم الذي هو سبب البياض فذكر السبب الاول فيقال بلغ حزنه عليه الصلاة
والسلام حزن سبعين ثكلي وما ساء ظنه قط ثم علل ذلك بقوله فهو اي بسبب الحزن كظيم اي شديد
الكظم لامتلايه من الكرب مانع نفسه من عمل ما يقتضيه ذلك من الرعونات بما اتاه الله من العلم
والحكمة وذلك اشد ما يكون علي النفس واقوي ما يكون للحزن فهو فعيل بمعني مفعول وهو ابلغ منه

من كظم السقا اذا شده على ملئه ومادة كظم تدور على المنع من الاظهار ويلزمه الكرب لانه من شان
الممنوع مما قد امتلا منه ويلزمه الامتلا لان ما دونه ليس فيه قوة الظهور كظم غيظه اذا سكت
بعد امتلائه منه وكظمت السقا اذا املاته وشددته وكظم البعير جرته اذا ازدردها وكف والكظم
مخرج النفس لانه به يمنع من الجري في هواه والكظامة حبل يشد به خرطوم البعير لمنعه مما يريد
وايضا يوصل بوتر القوس العربية ثم يدار بطرف السية العليا منعا له من الانحلال وايضا
قناة في باطن الارض يجري فيها الما لانه يمنع الما من ان ياخذ في هواه فيرتفع في موضع النبع فيظهر على
وجه الارض وخرق يجري فيه الما من بير الى بير لانه لا يصنع الا عند ضعف احدى البيرين فلولاه
لفاضت العتوبة فهو تصريف لمائها في غير وجهه وكظامة الميزان المسمار الذي يدور فيه اللسان
لانه يربطه فيمنعه من الانفكاك ويقال ما زلت كاظما يومي كله اي ممسكا عن الاكل وقد امتلات جوعا
وقد يطلق على مطلق المنع ومنه كاظمة لقرية على شاطي البحر لان البحر قد كظمها عن الانفساح وكذا هي
منعته عن الانسياح فلما راوا انه قد فاتهم ما ظنوا انهم يكون بعد ذهاب يوسف من صلاح الحال
مع ابيهم بقصر الاقبال عليهم ووقع لابيهم هذا القادح العظيم تشوف السامع الى قولهم له فاستانف
الاخبار عنه بقوله **قالوا** اي حنقا من ذلك **تالله** اي الملك الاعظم يمينا فيها تعجيب **تفتا** اي
ما تزال **تذكر يوسف** حريصا على ذكره قويا عليه حرص الفتى الشاب الجلد الصبور على مراده **حتى** اي
الى ان **تكون حرضا** اي حاضرا لهلاك مشرفا عليه منهيا له بدنف الجسم وخبل العقل كما مضى بيانه
في الانفال عند حرض المومنين **او تكون** اي كونا لازما هو كالجبلة **من الهالكين** بالفعل ولما
تشوفت النفس الى ما كان عنه بعد ما راي من غلظة بنيه شفى غيها بقوله **قال انما** اي نعم لا ازال
كذلك لانه من صفات الكمال للانسان لدلالته على الرقة والوفا وانما يكون مذموما اذا كان على وجه
الشكاية الى الخلق وانا لا اشكو الى مخلوق انما **اشكوا بثي** والبث اشد الحزن سمي بذلك لانه من
صعوبته لا يطاق حمله فيباح به وينشر **وحزني** مطلقا وان كان سببه خفيفا يقدر الخلق على
ازالته **الى الله** اي المحيط بكل شي علما وقدرة تعرضا لنفحات كرمه لا الى احد غيره وهذا الذي سمعتموه
مني فقلتم له قليل من كثير ولما كان يجوز ان يكونوا صادقين في انهم لم يجدوا الا قميص يوسف ملطخا
دما وان يكون قطعهم باكل الذيب له مستندا الى ذلك وكان يعقوب عليه الصلاة والسلام يغلب
على ظنه ان يوسف عليه الصلاة والسلام حي ويظن في الله ان يجمع شمله به قال **واعلم من الله** اي
الملك الاعلى من اللطف بنا اهل هذا البيت ومن التفريج عن المكروبين والتفريج للمغموسين **ما لا
تعلمون** ومادة فتا يائية وواوية مهموزة وغير مهموزة بكل ترتيب وهي فتا وفات وتفا
وافت وفتي وفوت وتوف وتفوت ودور على الشباب وتلزمه القوة وشدة العزيمة وسلامة
الانقياد ما فتا يفعل كذا مثلثه العين ما زال كما افتى اي انه ما زال فاعلا في ذلك فعل الشاب الجلد
الماضي العزم وما فتي ان فعل ما برح اي انه بادر الى ذلك بسهولة انقياد وشدة عزيمة وحقيقته
ما فتي عن فعل كذا اي ما تجاوزه الى غيره وما نسيه بل قصر فتاه وهمته وجلده عليه وعن ابن مالك في
جمع اللغات المشكلة وعزاه للفراء وصححه في القاموس فتا كمنع لسروا اطفا دهو واضح في القوة وفتي

عنه

عنه كسمع نسيه وانفدع عنه اي انكف او خاص بالجحد اي بان تقبله حرف نفي ومعناه ان قوته تجاوزته
فلم يخالطه ومن بابيه الفتى كسما الشباب وكانه اصل المادة والفتى بالقصر الشخي والكريم اي الجواد
الشريف النفس والفتى السيد الشجاع لان ذلك يلزم الشباب غالبا والفتى المملوك وان كان بخيلا او
شيخا لانه غالبا لا يشتري الا الشاب والفتى التلميذ والتابع كذلك والفتى كغني الشاب ايضا
والفتوة الكرم وقد تفتى وتفاتى وفتوتهم غلبتهم فيها وافتاه في الامر ابانه له والفتيا بالضم والفتوى
ويفتح ما افتى به الفقيه وهو يرجع الى الجود وحسن الخلق والفتيان الليل والنهار ولذلك يسميان
الجديدين وفتيت البنت تفتية منعته اللعب مع الصبيان فهو من سلب الشباب اي فعله ومن مقلوبه
مهموزا افتات على الباطل اختلقه وبرايه استبد وكلاهما يدل على جراة وطيش وهو بالشاب الذي لم
يحنكه الدهر احدر وافتيت على البنا للمفعول مات فجاة كان ذلك اشد الموت ومن واويه فات
الشي فوتا وفواتا ذهب فسبق فلم يدرك فواته وافتاته ذهب عنه فسبقه وواويه فات الشي
فوتا وفواتا ذهب وذلك يدل على قوة السابق وبينهما فوت اي بون كان كلا منهما سابق للاخر
وتفاوت الشيان وتفوتا تباعد ما بينهما ويلزم ذلك الاختلاف والاضطراب ويلزمه العيب
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت من عيب يقول الناظر لو كان كذا كان احسن وموت الفوات
الفجاة وهو فوت ريحه وبده اي حيث يراه ولا يصل اليه والفوت الفرجة بين اصبعين وافتات
عليه برايه سبقه به وفاته به وعليه غلبه ولا يفتات عليه اي لا يعمل دون امره اي لا احد اشد
منه فيسبقه وافتات الكلام ابتدعه كما تقدم في المهموز وافتات عليه حكم لقوته والفويت
كزبير المنفرد برايه للمذكر والمونث وذلك لعدة نفسه سديدا وتفوت عليه في ماله فاته به
ومن مقلوبه مهموزا تفي كفرح احتد وغضب وذلك لشدته وتفئة الشي حسنه وزمانه وذلك
احسن احواله ودخل على تفئته اي اثره اي لم يسبقه بكثير وذلك اشد له ومن واويه التفه كثبة
عناق الارض وهي تصيد وفيها خلاف يبين ان شا الله تعالى في قوا احزاب موقورا من سورة سبحان
ومن مقلوبه واويا تاف بصوه بتوف تاه كانه لسلب الشدة او لـ[illegible] انه وقع في توفه اي شدة وما
فيه توفه بالضم ولا تافه عيب او مزيد او حاجة وابطا وكل [illegible] يدل على شدته وطلب على توفة
بالفتح عثرة وذنبا من ذلك لان العثرة والذنب لا يصيبان [illegible] الا عن شدة لها ضعفه ومن مقلوبه
مهموزا الافت بالفتح الناقة التي عندها من الصبر والبقا ما ليس عند غيرها والسريع الذي يغلب
الابل على السير والكريم من الابل ويكسر والداهية والعجب وكلا ذلك واضح في القوة والافت بالكسر
الاول لانه اصل كل معدود وافته عن كذا صرفه ولما اخبرهم عليه الصلاة والسلام ان علمه فوق علمهم
اتبعه استينافا ما يدل عليه فقال **يا بني اذهبوا** ثم سبب عن الذهاب وعقب به قوله **فتحسسوا**
اي بجميع جهدكم **من يوسف واخيه** اي اطلبوا من اخبارهما بحواسكم لعلكم تظفرون بهما وهذا يؤكد
ما تقدم من احتمال ظنه ان فاعل ذلك يوسف عليه الصلاة والسلام وانه لم يكن عندهم من العلم ما عنده
قال **ولا تيأسوا** اي تقنطوا **من روح الله** اي الذي له الكمال كله والروح قال الرماني نفخ بروح
تلذ وكان هذا اصله فالمراد من رحمته وفرجه وتيسيره ولطفه في جمع الشتات وتيسير المراد ثم

على هذا النهي بقوله انه لا ييأس اي يقنط من روح الله اي الذي له جميع صفات الجلال والاكرام الا
القوم اي الذين لهم قوة المحاولة الكافرون اي العريقون في الكفر فاجابوه الى ما اراد فتوجهوا
الى مصر لذلك ولقصد الميرة لما كان اشتد بهم من القحط وقصدوا العزيز وقوله فلما دخلوا عليه بالفا
يدل على انهم اسرعوا الكرة هذه المرة قالوا منادين بالاداة التي تنبه على ان ما بعدها له وقع عظيم
يا ايها العزيز ولما تلطفوا بتعظيمه ترققوا بقولهم مسنا اي اصابتنا العصابة التي تراها واهلنا
اي الذين تركناهم في بلادنا الضر اي لابسنا ملابسة نحسها وجينا ببضاعة مزجاة اي تافهة
غير مرغوب فيها بوجه ثم سببوا عن هذا الاعتراف لانه اقرب الى رحمة اهل الكرم قولهم فاوف لنا
الكيل اي شفقة علينا بسبب ضعفنا الكيل وتصدق علينا اي تفضل زيادة على الوفا كما عودتنا
بفضل ترجو ثوابه ولما راوا افعاله تدل على تمسكه بدين اسمعيل واد لك بقولهم ان الله اي الذي له
الكمال كله يجزي المتصدقين اي مطلقا وان اظهرت بما افاده الاظهار وان كانت على غني قوي
فكيف اذا كانت على اهل الحاجة والضعف فلما راى ان الامر بلغ الغاية ولم يبق شي يخوفه عرفهم بنفسه
فاستانف تعالى الاخبار عن ذلك بقوله حكاية قال هل علمتم مقررا لهم بعد ان احترزوا عليه واستانسوا
به والظاهر ان هذا كان بغير ترجمان ما اي قبح الذي فعلتم بيوسف اي اخيكم الذي حلمتم بينه وبين ابيه
واخيه في جعلكم اياه فريدا منه ذليلا بينكم ثم في قولكم له لما وجد الصواع في رحله لا يزال ياتينا البلاء من
قبلكم يا بني راحيل واعلمهم بان ظنه فيهم الان جميل تسكينا لهم فقال اذ اي حين انتم جاهلون اي
فاعلون فعلهم تلويحا لهم الى معرفته وتذكيرا بالذنب ليتوبوا وتلطفا معهم في ذلك المقام الذي يتنفس فيه
المكروب وينفث فيه المصدور ويشتفي فيه المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور بتخصيص جهلهم
بمقتضى اذ بذلك الزمان انما هاهم ايهم الان على خلاف ذلك فكانه قيل انه قد قرب لهم الكشف عن امره
لانه لا يستفهم ملك مثله لم يتشابهم ولا يتسع احوالهم وليس منهم هذا الاستفهام وقد روي انه
لما قال هذا تبسم وكان في تبسمه امر من الحسن لا يجهله معه من راه ولو مرة واحدة فقد عرفوه فقيل
ظنوه ظنا غالبا ولذلك قالوا مستفهمين اينك واكدوا بقولهم لانت يوسف ولما كان المتوقع من
مثله فيما هو فيه من العظمة ان يجازيهم على سوء صنيعهم اليه استانف بيان كرمه فقال قال
انا يوسف وزادهم قوله وهذا اخي اي بنيامين شقيقي لذكره لهم في قوله واخيه وليزيدهم
ذلك معرفة له وتثبتا في امره بتصديقه له مع مكثه عنده مدة ذهابهم والى ابيهم وليبني عليه قوله
قد من الله اي الذي له الجلال والاكرام علينا بان جمع بيننا على خير حال تكون ثم تعليله بقوله انه
من يتق وهو مجزوم لانه فعل الشرط واثبت قنبل بخلاف عنه ياءه في الحالين معاملة له معاملة
الصحيح اشارة الى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمكنة الزايدة والملازمة لها في كل حال ويصبر
اي يوفه الله اجره باحسانه فان الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال لا يضيع اي ادنى
اضاعة اجره هكذا كان الاصل ولكنه عبر بما يعرف ان التقوى والصبر من الاحسان فقال اجر المحسنين
والتقوى رفع البلا بسلوك طريق الهدى والصبر حبس النفس بتجرع مرارة المنع عما يشتهى ولعله انما ستر
امره عنهم الى هذا الحد لانه لو ارسل الى ابيه يخبره قبل الملك لم يامن كيد اخوته ولو تعرف اليهم بعده

او

او اول ما راهم لم يامن من ان تنقطع افيدتهم عند مفاجاتهم بانكشاف الامر وهو فيما هو فيه من العز
فانه فعلوا به فعل القاتل من غير ذنب قدمه اليهم فهم لا يشكون في انه اذا قدر عليهم يهلكهم لما تقدم
لهم اليه من سوء الصنيعة وعلى تقدير سلامتهم لا يامنون وان بالغ في اكرامهم فان الامور العظام
ان لم تكن بالتدريج عظم خطرها ونفذ ضررها فان ارسلهم بانوا بابيهم خيف ان يخلوا اباهم
من ملك مصر ويحسنوا الابعاد عن بلاده فيذهبوا الى حيث لا يعلمه وان ارسل معهم ثقات من عنده لم
يومن ان يكون بينهم شر وان يحبهم وارسل الى ابيه من ياتي به لم يحسن موقع ذلك من ابيه ويحصل
وحشة بحبس اولاده وتعظم القالة بين الناس من اهل مصر وغيرهم في ذلك ففعل معهم ما تقدم ليظهر
لهم احسانه وعدله ودينه وخيره ولكنه عنهم وعفوه عن فعلهم بالتدريج ويتفقوا على ذلك قولا وفعلا من
اخيه الذي ربي معهم وهم به انسون وله آلفون فتسكن روعتهم ويتقون زلتهم ومما يدل على ذلك انه
لما انتفى عن اخيه بنيامين ما اتصفوا به مما ذكر تعرف اليه حين قدم عليه ونهاه ان يخبرهم بحقيقة الامر
وشرع يدبر في ذلك لتستحكم الاسباب التي ارادها فلما ظن ان الامر قد بلغ مداه لوح لهم فعرفوه وقد
انسهم حسن عقله وبديع جماله وشكله ورايع قوله وفعله فكان موضع الوجل الخجل وموضع اليأس
الرجا لحصل المراد على وفق السداد والله الموفق وذلك تنبيه لمن قيل لهم اول السورة لعلكم تعقلون على
الاقتدا بافعال الهداة المهديين في التاني والاتياد وتفويض الامور الى الحكيم وان لا يستعجلوه في
امر وان يعلموا ان سنته الالهية جرت بان الامور الصعاب لا تنفذ الا بالمطاولة لترتب الاسباب
شيا فشيا على وجه الاحكام وفي ذلك فوايد من اجلها امتحان اولي الطاعة والعصيان كما ستاتي
الاشارة اليه اخر السورة بقوله حتى اذا استيأس الرسل الاية والله اعلم ولما كان ما ذكر كانه
قيل لقد اتاهم ما لم يكونوا يحتسبون فما قالوا فقيل قالوا متعجبين غاية التعجب ولذلك اقسموا بما يدل
على ذلك تالله اي الملك الاعظم لقد اثرك الله اي الذي له الامر كله علينا اي جعل لك اثرا يغطي اثارنا
بعلوه فالمعنى فضلك علينا اي بالعلم والعقل والحلم والحكم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك وان
خففوها من الثقيلة تاكيدا بالايجاز للدلالة على الاهتمام بالابلاغ في الاعتذار في اسرع وقت كنا
اي كونا هو جبلة لنا لخاطئين اي عريقين في الخطا وهو تعمد الاثم فكانه قيل فما قال لهم على قدرته وتمكنه
مع ما سلف من اساءتهم فقيل قال قول الكرام اقتدا باخوانه من الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام
لا تثريب اي لا لوم ولا تعنيف ولا اهلاك عليكم اليوم وان كان هذا الوقت مظنة اللوم والتانيب
فاذا انتفى ذلك فيه فما الظن بما بعده ومادة ثرب تدور على البرث بتقديم الموحدة وهو اسهل
الارض واحسنها والثبرة بتقديم المثلثة ارض ذات حجارة بيض فانه يلزمه الاخلاد والدعة
ومنه ثابر على الامر داوم والمثبر كمنبر المسقط الولد اي موضع ولادته والمقطع والمفصل فيا في
الكسل واللين فيا في الفساد ومنه الثبور للهلاك والبثر بتقديم الموحدة خراج معروف والما البثر
الذي بقي منه على الارض شي قليل والربث بتقديم الموحدة ايضا حبس الانسان وهو يرجع الى الاقامة
والدوام ايضا والتثريب التعيير بالذنب فهو ازالة ما على الانسان من ساتر العفو من الثوب وهو
شحم يغشي الكرش والامعاء ويسترها وهو من لوازم الارض السهلة لما يلزم من خصبها فالتثريب

ازالته وذلك للتحط الناشئ عنه للهلاك فاغلب مدار المادة الهلاك ولما اعفاهم من التثريب كانوا في مظنة السوال عن كمال العفو المزيل للعقاب من الله فاتبعه الجواب عن ذلك بالدعا لهم بقوله يغفر الله اي الذي له صفات الكمال لكم اي ما فرط منكم وما لعله يكون بعد هذا ولعله عبر في هذا الدعا بالمضارع ارشادا لهم الى اخلاص التوبة ورغبتهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران فقال وهو اي وحده ارحم الراحمين اي لجميع العباد لاسيما التايب فهو جدير بادرار النعم بعد الاعادة من النقم وروي انهم ارسلوا اليه انك لتدعونا الى طعامك وكرامتك بكرة وعشيا ونحن نستحيي لما فرط منا فقال ان اهل مصر ينظرونني وان ملكت فيهم بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من ذرية ابرهيم عليه الصلاة والسلام ولما اقر اعينهم بعد اجتماع شملهم بازالة ما يخشونه دنيا واخرى بقي ما يخص اباهم من ذلك فكانه وقع السوال عنه فاجيب بقوله اذهبوا بقميصي ولما كان قوله هذا ربما اوقع في ابهامهم قميصه الذي سلبوه اياه احترز عن ذلك بقوله هذا فالقوه اي عقب وصولكم على وجه ابي يات اي يرجع الى ما كان بصيرا او يات الي حال كونه بصيرا فانه اذا رد اليه بصره وعلم مكاني لم يصبر عن القصد الي لما عنده من وفور المحبة وعظيم الشوق وكونه قميصا من ملابس يوسف المعتادة ادخل في الغرابة وادل على الكرامة والقميص الصق الثياب بالجسم فاظهار الكرامة به ادل على كمال دين صاحبه وعراقته في امور الايمان وهو يوول في المنام بالدين وذلك ادخل في كمال السرور ليعقوب عليه الصلاة والسلام واتوني اي ابي وانتم باهلكم اي مصاحبين لهم اجمعين لا يتخلف منهم احد فرجعوا بالقميص لهذا القصد قيل ان يهودا هو الذي حمل قميصه لما لطخوه بالدم فقال لا يحمل هذا غيري لا فرحه كما احزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما ثمانون فرسخا ولما فصلت العير من العريش اخر بلاد مصر الى اول بلاد الشام قال ابوهم لولد ولده ومن حوله من اهله موكدا لعلمه انهم ينكرون قوله اني لاجد اي لاقول اني لاجد ريح يوسف وصدهم عن مواجهته بالانكار بقوله لولا ان تفندون لقلت غير مستحيي ولا متوقف لان التفنيد لا يمنع الوجدان وهذا كما تقول لصاحبك لولا ان تنسبني الى الخفة لقلت كذا اي اني قايل به مع علمي بانك لا توافقني عليه وفصل هنا لازم بيانا لفصل من البلد ينفصل فصولا والفصل القطع بين الشيئين بحاجز والوجدان ظهور من جهة ادراك يستحيل معه انتفا الشي والريح عرض يدرك بحاسة الانف اي الشم والتفنيد تضعيف الراي بالنسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فيفندها كبرها ثم استانف حكاية جوابهم فقال قالوا اي السامعون له ما ظنه بهم مقسمين بادال على تعجبهم وهو تالله اي الملك الاعظم واكدوا لمعرفتهم انه ينكر كلامهم وكذا كل من يعرف كلامه انك لفي ضلالك اي بحيث صار ظرفا لك القديم اي خطائك في ظن حياة يوسف قال الرماني والضلال الذهاب عن جهة الصواب فصحح الله قوله وحقق وجدانه وعجلوا اليه بشيرا فاسرع بعد الفصول ولذلك عبر بالفا فقال فلما وزيدت ان لتاكيد مجيه على تلك الحال وزيادتها بعد لما قياس مطرد جا البشير وهو يهودا بذلك معه

القميص

القميص القاه اي القميص حين وصل الى يعقوب عليه الصلاة والسلام من غير فاصل بين اول المجي وبينه كما افادته زيادة ان لتاكيد ما تفيده لما من وقوع الفعل الثاني وهو هنا الالقا عقب الاول وترتبه عليه وهو هنا المجي على وجهه اي يعقوب فارتد من حينه بصيرا والارتداد انقلاب الشي الى حال كان عليها فالتفت الخاطر الى حاله مع من فنده فاخبر تعالى عن ذلك بقوله مستانفا قال اي يعقوب عليه السلام الم اقل لكم اني اجد ريحه ثم علل هذا التقرير بقوله موكدا لان قولهم قول من ينكر اني اعلم من الله اي المختص بصفات الكمال ما لا تعلمون لما خصني تعالى به من انواع المواهب وهو عالم لاخبار يوسف عليه الصلاة والسلام وغيرها وهو من التحديث بنعمة الله ولما كان ذلك تتشوف النفس الى علم ما يقع بينه وبين اولاده في ذلك فرفع عنها هذا العنا بقوله قالوا يا ابانا منادين بالاداة التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعدها لما له من عظيم الوقع استغفر اي اطلب من الله ان يغفر لنا ذنوبنا ورد كل ضمير من هذه الضماير الى صاحبه في غاية الوضوح فلذلك لم يصرح بصاحبه ولما سالوه الاستغفار لذنوبهم عللوه بالاعتراف بالذنب لان الاعتراف شرط التوبة كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالوا موكدين تحقيقا للاخلاص في التوبة انا كنا خاطئين اي متعمدين للاثم بما ارتكبنا في امر يوسف عليه الصلاة والسلام ثم حكى جوابه بقوله مستانفا قال اي ابوهم موكدا لكلامه سوف استغفر اي اطلب ان يغفر لكم ربي الذي لم يزل يحسن الي وبر بيني احسن تربية فهو الجدير بان يجمع لبنيّ حتى لا يفرق بيني وبينهم في دار البقا والربوبية ملك هو اتم الملك على الاطلاق وهو ملك الله تعالى لانشا الانفس باختراعها وتصريفها اتم التصريف من الايجاد والاعدام والتقليب من حال الى حال في جميع الامور من غير تعقب ثم علل ذلك بقوله انه هو اي وحده الغفور الرحيم كل ذلك تسكينا لقلوبهم وتصحيحا لرجايهم ليقوي املهم فيكون تعالى عند ظنهم بتحقيق الاجابة وتنجيز الطلبة ولعله عبر بسوف لتقديم ما ينبني لجلوسهن على المسيلة لما ذكرته من الاغراض وقيل لانه اخر الدعا الى صلاة الليل وقيل الى ليلة الجمعة وقيل يوخذ منها ان طلب الحوايج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ طاوقع ما ذكروا كان قد ارسل معهم من الدواب والمال والالات ما يتجهزون به امتثلوا على التجهز كما امرهم يوسف عليه الصلاة والسلام ثم قدموا مصر وهم اثنان وسبعون نفسا من الذكور والاناث وكانوا اسرعوا في ذلك فلذلك قال فلما بالفا دخلوا على يوسف في المكان الذي تلقاهم اليه في وجوه اهل مصر وضرب به مضاربه اوى اليه ابويه اكراما لهما بما يتميز انه به قيل هو المعانقة والظاهر انها امه حقيقة وبه قال الحسن وابن اسحق كما نقله الرماني وابو حيان وعن ابن عباس رضي الله عنه انها خالته وغلب الاب في هذه التثنية لذكورته كما غلب ما هو مفرد في اصله على المضاف في العمرين وقال مكرما للكل ادخلوا مصر اي البلد المعروف واتى بالشرط للامن لا للدخول فقال ان شا الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله امنين من جميع ما ينوب حتى ما فرطتموه في حقي وحق اخي ولما ذكر الامن الذي هو ملاك العافية التي بها لذة العيش اتبعه الرفعة التي بها كمال النعيم فقال ورفع ابويه اي بعد ما استقرت بهم الدار بدخولهم مصر مستويين على العرش اي السرير

الرفيع قال الرماني اصله الرفع وخروا اي انحطوا له سجدا الابوان والاخوة تحقيقا لروياه ممن هو غالب
على كل امره السجود واصله الخضوع والتذلل كان مباحا في تلك الازمنة وقال اي يوسف يا ابت
ملذذا بالخطاب بالابوة هذا اي الذي وقع من السجود تاويل روياي التي رايتها ودل
على قصر الزمن الذي هو راها فيه بالجار فقال من قبل ثم استانف قوله قد جعلها ربي اي الذي
رباني بما اوصلني اليها حقا اي بمطابقة الواقع لتاويلها وتاويلها ما اخبرتني به انت تحقق من اجتبائي
وتعليمي واتمام النعمة علي والتاويل تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام وعن سلمان رضي الله عنه ان
ما بين تاويلها ورؤياها اربعون سنة وقد احسن اي اوقع احسانه بي تحقيقا لما بشرتني به من
اتمام النعمة وتعديته احسن بالباء ادل على القرب من المحسن من التعدية بالى وعبر بقوله اذ اخرجني
من السجن معرضا عن لفظ الجب حذرا من ايحاش اخوته مع ان اللفظ يحتمله لكن احتماله لا خفيا وجاء
بكم وقيل انهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع فلذلك قال من البدو
من اطراف بادية فلسطين وذلك من اكبر النعم كما ورد في الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من
البادية الى الحاضرة والبدو بسيط من الارض يرى فيه الشخص من بعيد واصله من الظهور
وانس اخوته ايضا بقوله مثبتا الجار لان مجيهم في بعض ازمان البعد من بعد ان نزغ عبر بالماضي
ليفهم انه انقضى الشيطان اي افسد البعيد المحترق بوسوسته التي هي كالنخس بيني وبين اخوتي
حيث قسم النزغ بينه وبينهم ولم يفضل احدا من الفريقين فيه ولم يثبت الجار اشارة الى عموم الافساد
للبينين كل ذلك اشارة الى تحقق ما بشر به يعقوب عليه الصلاة والسلام من اتمام النعمة وكمال العلم
لله والحكمة ثم علل الاحسان اليهم اجمعين بقوله ان ربي اي المحسن الي على وجوه فيها خفا لطيف اي يعلم
دقايق المصالح وغوامضها ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا
اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك فهو اللطيف قاله الرازي في اللوامع وهو سبحانه
فاعل اللطف في تدبيره ورحمته لما يشا لا يعسر عليه امر ثم علل هذه العلة بقوله انه هو اي وحده
العليم اي البليغ العلم بالدقايق والجلايل الحكيم اي البليغ الاتقان لما يصنعه طبق ما ختم به يعقوب
عليه الصلاة والسلام بشراه في اول السورة اي هو متفرد بالاتصاف بذلك لا يدانيه احد في علم
ليتعرض الى ابطال ما يقيمه من الاسباب ليتوقع الخلل في شي منها ولما ذكرها من الصفتين تذكر ما
دفع له بهما من الاسباب فغلب عليه مقام الشهود وازدادت نفسه عن الدنيا عزوفا فقال مخاطبا رب
قد اتيتني وافتتح بقد لان الحال حال توقع السامع لشرح مآل الرويا من الملك اي بعضه بعد بعدي
منه جدا وهو معنى روحه تمام القدرة وعلمتني وقصر دعواه تواضعا بالاتيان بالجار فقال من تاويل
الاحاديث طبق ما بشرني به ابي واخبرت به انت من التمكين والتعليم قبل قولك والله غالب على
امره ثم ناداه بوصف جامع للعلم والحكمة فقال فاطر السموات والارض ثم اعلمه بما هو اعلم به منه من
انه لا يعول على غيره في شي من الاشيا فقال انت وليي اي الاقرب الي باطنا وظاهرا في الدنيا والاخرة اي
لا ولي غيرك والولي يفعل لموليه الاصلح والاحسن فاحسن بي في الاخرة اعظم ما احسنت بي في الدنيا
ولما كان توليه لله لا يتم الا بتولي الله له اتبعه بما يفيده فقال توفني اي اقبض روحي وافيا في جميع امري

حسا

حسا ومعنى حال كوني مسلما ولما كان المسلم حقيقة من كان عريقا في الاخلاص حققه بقوله والحقني
بالصالحين فتوفاه الله كما سال فالوا وتخاصم اهل مصر فيه كلهم يرجو ان يدفن في محلته يرجو بركته ثم
اصطلحوا على ان عملوا له صندوقا من رخام ودفنوه في وسط النيل ليفترق الما على جميع الاراضي فينالها
بركته وتخصب كلها على حد سوا ويكونوا كلهم في الما سوا اذكر ما بقي من القصة عن التوراة قال بعد
ما مضى فلم يقدر يوسف على الصبر يعني على ترفق اخوته فامر باخراج من كان عنده فلم يبق عنده احد حيث
ظهر يوسف لاخوته فرفع صوته فبكا حتى سمع المصريون فاخبروا في الفرعون فقال يوسف لاخوته ادنوا
مني فقال لهم انا يوسف الذي بعتموني لمن ورد الى مصر والان فلا تحزنوا ولا يشقن عليكم ذلك ولا يشتد
عليكم بيعكم اياي الى ما هاهنا لان الله ارسلني امامكم لاعد لكم القوت لان للجوع منذ اتى سنتين وسنا في
خمس سنين اخر ايضا لا يكون فيها زرع ولا حصاد فارسلني الرب امامكم لاصير لكم بقا في الارض
واخلصكم واستنقذكم لتحيوا وتستبشروا على الان والان فلستم انتم الذي بعثتموني الى هاهنا بل الله
ارسلني وجعلني ابا لفرعون وسيد الجميع اهل بيته ومسلطا على جميع ارض مصر فاصعدوا الان عجلين
على ابي وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف ان الله جعلني سيد الجميع اهل مصر فاهبط الي ولا تتاخر
وانزل الى ارض السدير وفي نسخة حنشان فكن قريبا مني انت وبنوك واهل بيتك دغنمك وبقرك وجميع
مالك فامونكم هناك لانه قد بقي خمس سنين جوعا لئلا تهلك انت واهل بيتك وكل ما لك وهذه
اعينكم تنصر وعينا اخي بنيامين اني اكلمكم مشافهة واخبروا ابي بجميع كرامتي ووقاري في ارض مصر
وبجميع ما رايتم واسرعوا واهبطوا بابي الى ما هاهنا فاعتنق اخاه بنيامين ايضا وبكى وقبل جميع
اخوته وبكى ومن بعد ذلك كله اخوته فبلغ ذلك فرعون وقيل له ان اخوة يوسف قد اتوه فسر
بذلك فرعون وعبيده وفي نسخة وجميع قواده فقال فرعون ليوسف قل لاخوتك فليفعلوا هكذا
اوقروا دوابكم ميرة وانطلقوا بها الى ارض كنعان واقبلوا بابيكم واهل بيوتاتكم وايتوني فانحلكم
خيرات ارض مصر وخصبها وكلوا اخصب الارض وهذا انت المسلط فامر اخوتك ان يفعلوا هذا
الفعل احملوا من ارض مصر عجلا لنسايكم وحشمكم واظعنوا بابيكم فاقبلوا ولا تشفقن على امتعتكم لان جميع
خيرات مصر وارضها وخصبها هو لكم ففعل بنو اسرايل كما امر فرعون ودفع اليهم يوسف عجلا عن امر فرعون
وزودهم جميع ازودة الطريق وخلع على كل امرئ منهم خلعة فاما بنيامين فاجازه بثلاثماية درهم
وفي نسخة مثقال فضة وخلع عليه خمس خلع وبعث الى ابيه بمثل ذلك ايضا وعشرة حمير موقرة من
البر والطعام وازودة لابيه للطريق فارسلهم فانطلقوا وتقدم اليهم وقال لهم لا تقع المشاجرة فيما
بينكم في الطريق فظعنوا من مصر فاتوا ارض كنعان الى يعقوب ابيهم فاخبروه وقالوا له ان يوسف
بعد في الحياة وهو المسلط على جميع ارض مصر وراى يعقوب العجل الذي بعث يوسف لحمله فاطمانت
نفسه وقال ان هذا العظيم عندي اذ كان ابني يوسف بعد في الحياة انطلق الان فانظر اليه قبل
الموت فظعن اسرايل وجميع ما له فاتى بير السبع وقرب قربانا لاله اسحق ابيه فكلم الله اسرايل
في الرويا وقال له يا يعقوب فقال هانذا فقال اني انا ايل اله ابيك لا تخف من الحدور الى مصر لاني
اجعلك هناك الى شعب عظيم وفي نسخة لاني اصير منك امة عظيمة انا اهبط معك وانا اصعدك

ويوسف يضع يده على عينيك فنهض يعقوب من بير السبع فظعن بنوا اسرايل بيعقوب ابيهم وبحشمهم
ونسايهم على العجل الذي بعث فرعون لحمله وساقوا دوابهم ومواشيهم التي استفادوها بارض
كنعان فاتوا بها مصر يعقوب وجميع نسله وبنوه معه وبنوا بنيه وبناته وبنات بناته وادخل الى
مصر كل نسله ثم سماهم واحدا واحدا ثم قال فجميع بني يعقوب الذين دخلوا مصر سبعون انسانا ثم بعث
يعقوب يهوذا بين يديه الى يوسف ليدله على السدير وفي نسخة جشان فالجم يوسف مراكبه وصعد
للقا اسرايل ابيه الى جشان وفي نسخة السدير فلقاه واعتنقه وبكا اذ اعتنقه فقال اسرايل
ليوسف اتوفى الان بعد نظري اليك يا بني فانت في الحياة بعد فقال يوسف لاخوته وال ابيه
اصعد فاخبر فرعون واقول ان اخوتي وال ابي الذين كانوا بارض كنعان قد اتوني والقوم رعاة غنم لانهم
اصحاب مواشي وقد اتوا بغنمهم وبقرهم وبكل شي لهم فاذا دعاكم فقولوا له انا عبيدك اصحاب ماشية
منذ صبانا وحتى الان نحن واباونا من قبل ايضا لكي تنزلوا ارض جشان وفي نسخة السدير لان رعاة
الغنم هم مرذولون عند المصريين فاتى يوسف فاخبر فرعون وقال له ان ابي واخوتي قد اتوني وغنمهم
وبقرهم وجميع ما لهم من ارض كنعان وهوذا هم حلول بارض السدير وحمل من اخوته خمسة رهط فاوقفهم
على فرعون فوقفوا بين يديه فقال فرعون لاخوة يوسف ما صناعتكم فقالوا ان عبيدك رعاة غنم نحن
منذ صبانا واباونا ايضا من قبل وقالوا لفرعون انا اتينا لنسكن هذه الارض لانه فقد العشب
والكلا من مراعي غنم عبيدك وذلك لان الجوع اشتد في ارض كنعان فامر عبيدك ان ينزلوا بارض السدير
فقال فرعون ليوسف ان اباك واخوتك قد اتوا وهذه ارض مصر بين يديك فاسكن اباك
واخوتك في احسن الارض واخصبها لينزلوا ارض السدير وان كنت تعلم ان فيهم قوما ذوي قوة
وبطش ونفاذ فولهم جميع مالي فادخل يوسف اباه يعقوب على فرعون فاقامه بين يديه فقال
فرعون ليعقوب كم عدد سني حياتك فقال يعقوب لفرعون مبلغ حياتي ماية وثلاثون سنة وان
ايام حياتي لناقصة ولم تبلغ سني حياة ابائي في ايام حياتهم فبارك يعقوب فرعون ودعا له وخرج من
بين يديه فاسكن يوسف اباه واخوته واعطاهم وراثة في ارض مصر في اخصب الارض واحسنها في
ارض رعمسيس وفي نسخة ارض عين شمس كما امر فرعون فقات يوسف اباه واخوته وجميع اهل بيته
بالميرة على قدر الحشم ولم تكن ميرة في جميع الارض كلها لان الجوع اشتد جدا فخربت جميع ارض مصر وارض
كنعان فصار الى يوسف كل ورق الفي في ارض مصر وارض كنعان وذلك ثمن البر الذي كانوا ابتاعونه
فاورد يوسف الورق بيت مال فرعون ونفد الورق من ارض مصر وارض كنعان فاتى جميع المصريين
الى يوسف فقالوا له اعطنا من القمح حاجتنا فنحيي ولا نموت لان ورقنا قد نفد فقال لهم يوسف ادفعوا
الي مواشيكم ان كانت الاوراق قد نفدت فاقوتكم بمواشيكم فاتوه بمواشيهم فاعطاهم يوسف الميرة
بخيلهم وبمواشي الغنم وماشية البقر والحمير وقاتهم سنتهم تلك بجميع مواشيهم فاتوه في السنة الاخرى
وقالوا له لسنا نكتم سيدنا امرنا لان اوراقنا وماشيتنا ودوابنا قد نفدت وصارت عند سيدنا ما
بقي بين يدي سيدنا غير انفسنا وارضينا فلم نهلك بين يديك فابتعنا واراضينا باطعامك ايانا
الخبز فنصير نحن عبيدا لفرعون وارضنا ملكا له واعطنا البذر فنحيي ولا نموت ولا تخلو الارض تخرب

لقد

لقد سكانها وابتاع يوسف لفرعون جميع ارض مصر فصارت الارض لفرعون فنقل الشعب من قرية
الى قرية وحولهم من اقاصي الارض نحو مصر الى اقطارها ما خلا ارض الاحبار وفي نسخة ايمتهم فانه لم
تبتعها لانه كان يجري على الاحبار وفي رواية ايمتهم وظيفة ونزلا من عند فرعون وكانوا ياكلون
برهم الموظفة لهم من قبل فرعون ولذلك لم يبيعوا ارضهم فقال يوسف للشعب اني قد اشتريتكم
اليوم وارضكم لفرعون وهاانذا اعطيكم البذر لتزرعوا في الارض فاذا ادخلت الغلة فاعطوا فرعون
الخمس منها وتكون لكم لزراعة الحقل اربعة اخماس ولماكل اهل بيوتاتكم ولاطعام حشمكم فقالوا له لقد
احييتنا فلنظفر من سيدنا برحمة ورافة ونكون عبيدا لفرعون فسن يوسف هذه السنة على ارض
مصر الى يوم الناس هذا فصار الخمس لفرعون ما خلا ارض ايمتهم وفي رواية الاحبار فانها لم تكن لفرعون
فسكن اسرايل ارض مصر وارض السدير فعظموا واعتزوا فيها واستيسروا ونموا جدا وعاش يعقوب
١٤٧ في ارض مصر سبع عشرة سنة وكانت جميع ايام حياة يعقوب ماية وسبعة واربعين سنة ودنت
ايام وفاة اسرايل فدعى يوسف ابنه وقال له ان ظفرت منك برحمة ورافة فضع يدك تحت ظهري
حتى استحلفك بالله واقسم عليك به وانعم علي بالنعمة والقسط لا تدفني بمصر فاضطجع مع ابائي
احملني من مصر فادفني في مقبرتهم فقال يوسف انا فاعل ذلك كقولك وامرك فقال له اقسم لي فاقسم
له فتوكا اسرايل على عصاه وسجد شكرا فلما كان بعد هذه الاقاويل بلغ يوسف ان اباه قد مرض فانطلق
بابنيه معه منشا وافرايم فبلغ يعقوب وقيل له ان ابنك يوسف قد اتاك فتقوى اسرايل وجلس
على اريكته فقال اسرايل ليوسف ان الاله المولى عبدا اعتلن لي بلوز التي في ارض كنعان فباركني وقال
لي هاانذا مباركك ومكثرك واجعلك ابا لجميع الشعوب واعطي نسلك من بعدك هذه الارض ميراثا
الى الابد وانا اذ كنت مقبلا من فدان ارم توفيت عني راحيل امك في ارض كنعان في الطريق وكان بيني
وبين الدخول الى افراث قدر مسيرة ميل وفي نسخة فرسخ فدفنتها هناك في طريق افراث وهي بيت لحم
ونظر اسرايل الى ابني يوسف فقال له من هذان فقال ابناي اللذان رزقني الله ههنا فقال ادنهما مني
فقبلهما واعتنقهما وقال ما كنت ارجو النظر الى وجهك فقد اراني الله نسلك ايضا وقال اسرايل ليوسف
هاانذا متوفى ويكون الله بنصره وعونه معكم ويردكم الى ارض ابايكم وهاانذا قد فضلتك على اخوتك بسهم من
الارض التي غلبت عليها الامورانيين بسيفي وقوسي ثم ان يعقوب دعا بنيه وقال لهم اجتمعوا الي فابين
لكم ما هو كاين من امركم في اخر الايام فذكر ذلك ثم قال وهذا ما اخبرهم به يعقوب ابوهم فباهم بذلك وبارك
عليهم كل امرء منهم على قدره ثم اوصاهم وقال لهم اني انتقل الى شعبي فادفنوني الى جانب ابائي في المغارة التي
في حقل عفرون الحيثاني في المغارة التي في الروضة المضاعفة الى ممري بارض كنعان التي ابتاعها ابرهيم
روضة من عفرون الحيثاني وراثة المقبرة هنالك دفن ابرهيم وسارة حليلته وفيها دفن اسحق
ورفقا حليلته وهنالك دفنت ليا في الروضة المبتاعة والمغارة التي فيها المبتاعة من بني حات فلما
فرغ يعقوب من وصيته لبنيه بسط رجليه على اريكته فمات ونقل الى شعبه فوقع يوسف عليه فقبله
وبكى عليه فامر عبيده الاطبا بتحنيطه فحنط الاطبا اسرايل وتمت له اربعون ليلة لانه هكذا تكمل
ايام المحنطين وناح المصريون عليه سبعين يوما فقال يوسف لال فرعون ان ظفرت منكم برحمة

ام ابيهم
سارة
اسحق
ليا

ورافقه فاخبروا فرعون ان ابي احلفني واقسم علي وقال لي ها انا متوفى فاقبرني في القبر الذي ابتغته في ارض كنعان فياذن لي فاصعد فادفن ابي ثم ارجع فقال له فرعون اصعد فادفن اباك كما اقسم عليك فصعد يوسف ليدفن اباه وصعد معه جميع عبيد فرعون واشياخ بيته وجميع اشياخ مصر وجميع اهل بيت مصر وصعد معه اخوته وآل بيته فاما حشمهم وبقرهم وغنمهم فخلفوها بارض جشان وفي نسخة السدير واصعد المراكب والفرسان ايضا فصار في عسكر عظيم منيع فاتوا الى بيادر اطر وفي نسخة ابذر العوسج التي في مجاز الاردن فرنوا هناك وناحوا نوحا عظيما ثمة فنظر سكان ارض كنعان الى التابل عظيم للمصريين ولذلك دعي ذلك الموضع تابل مصر الذي في مجاز الاردن ففعل بنوا اسرايل كما امرهم وحملوه وانطلقوا به الى ارض كنعان فدفنوه ثم في المغارة المضاعفة التي في الروضة التي ابتاعها ابرهيم وراثة المقبرة من عفرون الحيثاني وهي امام ممري ثم رجع يوسف الى مصر هو واخوته وجميع من صعد معه في دفن ابيه ومن بعد ما دفن اباه نظر اخوة يوسف الى ابيهم قد توفي ففرقوا وقالوا لعل يوسف ان يحقد علينا ويكافينا ولعله ان يكافينا على جميع الشر الذي ارتكبناه منه فدنوا من يوسف وقالوا له ان اباك اوصى قبل وفاته وقال هكذا قولوا ليوسف نطلب اليك ان تعفو عن جهل اخوتك وعن خطاياهم بارتكابهم الشر منك فالان نطلب اليك ان تعفو عن ذنب عبيد اله ابيك فبكى يوسف لما قالوا ذلك فدنا اخوته فخروا بين يديه سجدا وقالوا له ها نحن لك عبيد فقال لهم لا تخافوني لاني اخاف الله اما انتم فهممتم في شر فصيره الله الى خير كما فعل بي يومنا هذا فاحيي على يدي خلقا عظيما والان فلا خوف عليكم انا اقوتكم وحشمكم فعزاهم وملا قلوبهم خيرا ثم اقام يوسف بمصر هو وآل بيته فعاش يوسف مائة وعشر سنين ورأى يوسف ولد ولده فقال يوسف لاخوته ها انذا متوفي والله سيذكركم ويخرجكم من هذه الارض التي اقسم بها لابرهيم واسحق ويعقوب فاقسم يوسف على بني اسرايل وقال ان الله سيذكركم فاصعدوا عظامي معكم فتوفي يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضعوه في صندوق بارض مصر وسيأتي ما بعد ذلك من استعبادهم وما يتبعه في سورة القصص ان شا الله تعالى وهذا الذي ذكر من القصة في التوراة مصدق لما في القران وشاهد باعجازه غير انه لم يذكر شرح قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا في انه بعد اخذ الصواع من رحل اخيه تركهم من غير تعريف لهم بنفسه فمضوا الى ابيهم فاخبروه بذلك ثم عادوا مرة اخرى للميرة والطلب ليوسف واخيه فعرفهم يوسف عليه الصلاة والسلام بنفسه وجلا لهم الامر في هذه القدمة الثالثة فكانهم اسقطوا ما في التوراة من ذلك تدليسا وتلبيسا وهو لا يضر غيرهم فان ما صار في كتابهم لا يتمشى على قوانين العقل لمن تدبر فلم يفدهم ذلك غير التحقق لخيانتهم وجهلهم والله الهادي ولما اتم الذي كان من امرهم على هذا الوجه الاحكم والصراط الاقوم من ابتدائه الى انتهائه قال مشيرا الى انه دليل كاف في تصحيح دعوى النبوة مخاطبا لمن لا يفهم هذا حق فهمه غيره مسليا له مثبتا لفواده وشارحا لصدره منبها على انه مما ينبغي السوال عنه **ذلك** اي النبا العالي الرتبة الذي قصصناه قصا اعجز البلغا من حملته ورواته فكيف بغيرهم **من انبا الغيب** اي اخباره التي لها شان عظيم **نوحيه اليك** وعبر بصيغة المضارع تصويرا لحال الايحا الشريف واشارة الى انه لا يزال معه يكشف له ما يريد **والحال**

يعقوب

انك

انك **ما كنت لديهم** اي عند اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام في هذا النبا الغريب جدا **اذ** اي حين **اجمعوا امرهم** على راي واحد في القا يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب بعد ان كان متقسما **وهم يمكرون** اي يدبرون الاذى في خفية من المكر وهو القتل لتعرف ذلك بالمشاهدة وانتفا تعلمك لذلك من بشر مثل انتفا كونك لديهم في ذلك الحين ومن المحقق لدى كل ذي لب انه لا علم الا بتعليم فثبت انه لا معلم لك الا الله كما علم اخوانك من الانبيا فيا له من دليل جل عن مثيل وهذا من المذهب الكلامي وهو ابراز حجة تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب وهو تهكم عظيم بمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم ولما سالت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو حيان عن ابن الانباري عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فنزلت مشروحة هذا الشرح الشافي مبينة هذا البيان الوافي فامل صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك سبب اعلامهم فخالفوا تامبله عزاه الله بقوله **وما** اي توجيه اليك على هذا الوجه المقتضي لايمانهم والحال انه ما **اكثر الناس** اي كلهم مع ذلك لاجل ما لهم من الاضطراب **ولو حرصت** اي على ايمانهم **بمومنين** اي بمخلصين في ايمانهم واصفين الله بما يليق به من التنزه عن شوايب النقص فلا تظن انهم يومنون لانزال ما يقترحون من الايات او لترك ما يغيظهم من الانذار والكثير قال الرماني العدة الزايدة على مقدار غيرها والاكثر القسم الزايد على القسم الاخر من الجملة ونقيضه الاقل والناس جماعة الانسان وهو من ناس ينوس اذا تحرك يمينا وشمالا من نفسه لا بجره غيره ولما ذكر تعالى ما هم عليه من الكفر ذكر ما يعجب معه منه فقال **وما** ايهم على ذلك والحال ان موجب ايمانهم موجود وذلك انك مع دعايهم الى الطرق الاقوم واتيانك عليه باوضح الدلايل ما **تسيلهم عليه** اي هذا الكتاب الذي اوحيناه اليك واغرق في النفي فقال **من اجر** حتى يكون سوالك سببا لان يتهموك او يقولوا لولا انزل عليه كنز ليستغني به عن سوالنا ولما نفي عنه سوالهم الاجر نفي عن هذا الذكر كل غرض دنيوي فقال **ان هو** اي هذا الكتاب **الا ذكر** اي تذكير وشرف **للعالمين** قال الرماني والذكر حضور المعنى للنفس والعالم جماعة الحيوان الكثيرة التي من شانها ان تعلم لانه اخذ من العلم وفيه معنى التكثير وقد يقال عالم الفلك وما حواه على طريق التبع للحيوان الذي ينتفع به وهو مجعول لاجله ولما كان القران اعظم الايات بما انبا فيه عن الاخبار الماضية والكواين الاتية على ما هي عليه مضمنه من الحكم والاحكام في اساليب البلاغة التي لا ترام وغير ذلك ما لا يحصر بنظام كما اشار اليه اول السورة كان ربما قيل ان هذا ربما لا يعلمه الا الراسخون في العلوم الالهية عطف عليه الاشارة الى ان له تعالى غيره من الايات التي لا تحتاج لوضوحها الى اكثر من العقل ما لا يحيط به الحصر ومع ذلك فلم ينتفعوا به فقال **وكاين من اية** اي علامة كبيرة عظيمة دالة على وحدانيته **في السموات** اي كالنيرين وساير الكواكب والسحاب وغير ذلك **والارض** من الجبال والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصيه العد كما سياتي بيانه في سورة الرعد مفصلا **يمرون عليها** مشاهدة بالحس ظاهرة غير خفية **وهم عنها** اي خاصة لا عن ملاذهم وشهواتهم بها **معرضون** اي عن دلالتها على السعادة من الوحدانية وما يتبعها ولما كان ربما قيل كيف يوصفون بالاعراض وهم يعتقدون ان الله فاعل تلك الايات بين ان اشراكهم مسقط

لذلك فقال وما يومن اكثرهم اي الناس بالله اي الذي لا شي الا وهو داع الي الايمان به لانه المختص بصفات الكمال الا وهم مشركون به من لا يقدر علي شي فضلا عن ان ياتي بآية كانوا يقرون بان الله خالقهم ورازقهم ويعبدون غيره وكذا المنافقون يظهرون الايمان ويبطنون الكفران وكذا اهل الكتابين يومنون بكتابهم ويقلدون علماهم في الكفر بغيره فعلم ان ادعاهم بهذا الايمان غير تابع لدليل وهو محض تقليد لمن زين له سو عمله فراه حسنا لما سبق فيه من علم الله انه لا صلاحية له فاقصده بما شابه من الشرك والاية صالحة لارادة الشرك الخفي الذي اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الشرك الخفي في امتي من دبيب النمل وهو شرك الاسباب التي قدر الله وصولها يصل الي العبد بواسطتها فقل من يتخطى من الاسباب الي مسببها قال الرازي في اللوامع وقال الامام محمد بن علي الترمذي انما هو شك وشرك فالشك ضيق الصدر عند النوايب ومنه ثوب مشكوك والشرك تعلق القلب بالشي وانما يوسع الصدر نور اليقين وانما يتخلص من الشرك بنور التوحيد فعند هذا يتولاه الله تعالى وقال الواسطي الا وهم مشركون في ملاحظة الخواطر والحركات ولما اخبر تعالى عن ارتباكهم في اشراكهم وانهم تبعا مورعن الادلة في الدنيا وكان الاكثر المبهم لا يمنع القطع بعدم ايمانهم من توجيه الامر والنهي والحث والزجر الي الجميع وهم في عمايهم وكان بعض الناس كالحمار لا ينقاد الا بالعذاب قال تعالى افامنوا انكارا فيه معنى التوبيخ والتهديد ان تاتيهم غاشية اي شي يغطيهم ويبرك عليهم ويحيط بهم من عذاب الله اي الذي له الامر كله في الدنيا كما اتى من ذكرنا قصصهم من الامم ولما كان العاقل ينبغي له الحذر من كل ممكن وان كان لا يقربه قال تعالى او تاتيهم الساعة واشار الي اشد ما يكون من ذلك على القلوب بقوله بغتة اي وهم عنها في غاية الغفلة بعدم توقعها اصلا قال الرماني قال زيد بن مقسم الثقفي

« ولكنهم بانوا ولم ادر بغتة « وافظع شي حين يفجوك البغت »

ولما كان هذا المعنى يهولا اكده بقوله وهم لا يشعرون اي نوعا من الشعور ولو انه كالشعرة اعلاما بشدة جهلهم في ان حالهم حال من هو في غاية الامن مما اقل احواله انه ممكن لان الشعور ادراك الشي بما يلطف لدقة الشعر وانما قلت انه تاكيد لانه معنى البغتة قال الامام ابو بكر الزبيدي في مختصر العين البغتة المفاجاة وقال الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه فاجات الرجل مفاجاة اذا جيته على غفلة معافصة ثم د فاجاته مفاجاة اذا لقيته ولم يشعر بك وفي ترتيب المحكم فجيه الامر وفجاه فلجاه مفاجاة هجم عليه من غير ان يشعر به ويلزم ذلك الاسراع وهو مدار هذه المادة لانه يلزم ايضا التعب بتقديم المثناة محركا وهو الهلاك لانه اقرب شي الي الانسان اذ هو الاصل في حال الحدث والسلامة فيه هي العجب والتعب ايضا الوسخ والدرن وتعب بكسر العين صار فيه عيب ويقال للغمط تعبه بالتحريك والتعب ساكنا القبيح والريبة وكل ذلك اسرع الي الانسان من اضداده الا من عصم الله وما ذاك الا لان هذه الدار مبنية عليه ولما وصف سبحانه له صلى الله عليه وسلم اكثر الناس بما وصف من سوا طريقته للتقليد الذي منشاوه الاعراض عن الادلة الموجبة للعلم امره ان يذكر طريق الخلص تعالى قل اي يا اعلى الخلق واصفاهم واعظمهم نصحا

واخلاصا هذه اي الدعوة الي الله على ما دعا اليه كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم سبيلي الغريبة الماخذ الجلية الامر الجليلة الشان الواسعة الواضحة جدا لعكانه قيل ما هي فقال ادعو كل من يصح دعاوه الي الله الحاير لجميع الكمال حال كوني على بصيرة اي حجة واضحة من امري بنظري الادلة القاطعة والبراهين الساطعة وترك التقليد الدال على الغباوة والجمود لان البصيرة المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل دينا ودنيا بحيث يكون كانه يبصر المعنى بالعين ولما كان الموضع في غاية الشرف اكد الضمير المستتر تعيينا وتنبيها على التاهل لظهور الامانة فقال انا ومن اي ويدعو كذلك من اتبعني لا كمن هو على عمى جاير عن القصد حاير في ضلال التقليد فهو لا يزال في غفلة هدفا للمحتوف والاتباع طلب الثاني اللحاق بالاول للموافقة في مكانه او في امره الذي دعا اليه ومما دخل تحت قل عطفا على ادعو قوله منبها على ان شرط كل دعوة اليه سبحانه اقترانها بتنزيهه عن كل شايبة نقص وسبحان الله اي واسبح الذي اختص بصفات الكمال سبحانا اي اقدره حق قدره فاثبت له من صفات الكمال ما يليق بجلاله وانزهه عما هو متعال عنه تنزيها يعلم هو انه يليق بجلاله ويرضى به وفي تخصيص الله تعالى بذلك عقب ما اثبت له ولاتباعه تلويح بنسبة النقص اليهم تواضعا اعتذارا عما يلحقهم من الوهن وطلبا للعفو عنه وما انا وعدل عن مشركا الي ابلغ منه فقال من المشركين اي في عداد من يشرك به شيا بوجه من الوجوه لاني علمت بما اتاني من البصيرة انه منعوت بنعوت الكمال منزه عن سمات النقص متعال عنها وان ذلك اول واجب لانه الواحد الذي جل عن المجانسة القهار الذي كل احد تحت مشيته وفسرت سبحان بما تقدم لان مادة سبح بكل ترتيب تدور على القدر والشدة والاتساع وتارة تقتصر على الكفاية ومنه الحسب مقدار الشي وتارة تقتصر فيه على الكفاية فيلزم الحصر ومنه احسبني الشي كفاني واحتساب الاجر الاكتفا به والحساب معرفة المقدار والحسب بمعنى الظن راجع الي ذلك ايضا والاحسب الذي ابيضت جلدته من دا وفسدت شعرته بمعنى ان ذلك الدا كفاه في الفساد عن كل دا كانه ما بقي يسع معه دا والتحسيب التكفين بما يسع الميت وهو كفاية له لا يحتاج بعده الي شي ومنه الحبس وهو المنع من مجاوزة الكفاية وتارة يتجاوز الكفاية فيسبح ويتسع مداه فلا ينحصر ومنه الحسب بالتحريك وهو الشرف ومنه التسحب وبه سمي السحاب لانسحابه في الهوا ومنه السبح في الما ومد العوم يديه في الجري والسبحة صلاة التطوع لانه لا حد لها يحصرها ولانها تجاوزت الفرض والسبح الفراغ للتمكن معه من الانبساط والتسبيح التنزيه لانه الابعاد عن النقص قال الرماني واصله البراة من الشي وقال ابن مكتوم في الجمع بين العباب والمحكم وسبحان الله معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد وتبرية من السو هذا معناه في اللغة وبذلك جا الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيبويه زعم ابو الخطاب ان سبحان الله كقولك براة الله من السو كانه يقول ابري براة الله من السو وزعم ان مثل ذلك قول الاعشى « اقول لما جاني فخره « سبحان من علقمة الفاجر « اي براة منه وبهذا استدل على ان سبحان معرفة اذ لو كان نكرة لانصرف قال وقد جا في الشعر منونا منكرا قال امية « سبحانه ثم سبحانا يعود له « وقبلنا سبح الجودي والجمد « وقال ابن جني سبحان اسم علم

لمعنى البراة والتنزيه بمنزلة عمران وحمران اجتمع في سبحان التعريف والالف والنون وكلاهما علة تمنع من الصرف انتهى وقال الزجاج جا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قوله سبحان الله تنزيه الله من السوء واهل اللغة كذلك يقولون من غير معرفة بما فيه من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولكن تفسيره يجمعون عليه وقد سبح الرجل قال سبحان الله وفي التنزيل كل قد علم صلاته وتسبيحه وسبح لغة في سبّح وحكى ثعلب سبح تسبيحا وسبحانا قال ابن سيدة وعندي ان سبحانا ليس مصدر السبّح انما هو مصدر سَبَحَ وقال النضر سبحان الله معناه السرعة اليه والخفة في طاعته وسُبوحة بفتح السين البلد الحرام وسباح علم الارض ملسا عند معدن بني سليم وسبحات وجه الله انواره والسبحة الدعا وايضا صلاة التطوع انتهى وكله راجع الى الابعاد عن السوء والسبحان النفس وكل احد يبري نفسه ويرفعها عن السوء ولما اوضح ابطال ما تعنتوا به من قولهم لولا القي عليه كنز اتبعه ما يوضح تعنتهم في قولهم او جا معه ملك بذكر المرسلين اهل السبيل المستقيم الداعين الى الله على بصيرة فقال **وما ارسلنا** اي بما لنا من العظمة ولما كان الارسال لشرفه لا يتاتى على ما جرت به الحكمة في كل زمن كما انه لا يصلح للرسالة كل احد وكان السياق لانكار التاييد بملك في قوله او جا معه ملك كالذي في النحل لا لانكار رسالة البشر ادخل الجار تنبيها على ذلك فقال **من قبلك** اي الى المكلفين **الا رجالا** اي مثل ما انك رجل لا ملايكة ولا اناثا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما والرجال ماخوذ من المشي على الرجل **يوحي اليهم** اي بواسطة الملايكة مثل ما يوحي اليك **من اهل القرى** مثل ما انك من اهل القرى اي الاماكن المبنية بالمدر والحجر ونحوه لانها متهيية للاقامة والاجتماع وانتياب اهل الفضايل وذلك احدر بغزارة العقل واصالة الراي وحدة الذهن وتوليد المعارف من البوادي ومكة ام القرى في ذلك لانها تجمع لجميع الخلايق لما امروا به من حج البيت وكان العرب كلهم ياتونها قال الرماني وقال الحسن لم يبعث الله نبيا من اهل البادية ولا من الجن ولا من النسا انتهى وذلك لان المدن مواضع الحكمة والبوادي مواطن لظهور الكلمة ولما كانت مكة ام القرى مدينة وهي مع ذلك في بلاد البادية جمعت الامرين وفازت بالامرين لاجل ان المرسل اليها جامع لكل ما تفرق في غيره من المرسلين وخاتم لجميع النبيين صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين ومادة قرا يايية وواوية مهموزة وغير مهموزة بتراكيبها الخمسة عشر تدور على الجمع ويلزمه الامساك وربما كان عنه الانتشار فالقرية بالفتح وتكسر المصر الجامع واقرى لزم القرية والقاري ساكنها والقرية الحاضرة الجامعة وطير اخضر اما للزومها واما لجمع لونه للبصر والقرشيتين مثنى والكثر ما يتلفظ به بالبا مكة والطايف وقرية النمل مجتمع ترابها وقريت الما في الحوض جمعته والمقراة شبه حوض وكل ما اجتمع فيه ما والقرى ما يستجمع والمدة تقري في الجرح اي تجتمع والقواري الشهود لجمعهم الامور والقواري الناس الصالحون كانه مخفف من المهموز وقريت الضيف قرى بالكسر والقصر والمد اضفته كاقتريته والمقراة جفنة يقرى فيها الضيف والمقاري القدور وقري البعير وكل ما اجتر جمع جرته في شدقه وقرت الناقة ورم شدقاها من وجع الاسنان كانها لا تقدر مع ذلك على جمع الجرة فيكون من السلب وقرى البلاد تتبعها يخرج من ارض الى ارض كاقتراها واستقراها لجمعه بينها وقرى الما في مسيله من التلاع او موقعه من الوتر الى الروضة لانه مكان اجتماعه

وقري

وقري الحبل واد كانها اجتمعت فيه والقريّة كغنية العصى لان الراعي يجمع بها ما يرعاه وبها يجمع كل ما يراد جمعه واعواد فيها فرض يجعل فيها راس عمود البيت لانه بها يقام فيجمع ما يراد وعود الشراع الذي في عرضه من اعلاه لانه يجمع الشراع ملفوفا ومنشورا وقريت الصحيفة لغة في قراتها اذا تلوتها فجمعت عليها وكلامها والقارية اسفل الرمح لانه يجمع زجّه او اعلاه لانه يجمع عاليته وحد الرمح لانه يجمع مراد صاحبه وكذا حد السيف والقاريّة بالتشديد طاير اخضر اذا راوه استبشروا بالمطر كانه رسول الغيث او مقدمته والسحاب جمعه قواريّ كانه سمي بذلك لانه سبب جمع الهم للمطر والقير والقار شي اسود تطلى به السفن والابل والحباب والرقاق او هما الزفت وعلى كل تقدير هو ساد للمشقوق والمسام فكان الجامع بين اجزا السفينة وغيرها وهذا اقير من هذا اشد مرارة تشبيها بالقير الطعم والمرّ ايضا يجمع الفم ونحوه بالقبض والقيّور كتنور الخامل النسب شبه به ايضا لان القير لما قل احتياج اكثر الناس اليه في كثير من الاوقات صار قليل الذكر وهذا معنى الخمول والقيار كشداد صاحب القير وبير لبني عجل قرب واسط كانها سميت لجمعها اياهم وقيار اسم فرس كانه لجودته يجمع لصاحبه ما يريد والقارة الدابة لذلك والقاره حي من العرب سموا لان ابن الشداخ اراد ان يفرقهم في كنانة فقال شاعرهم

دعونا قارة لا تجفلونا ۔ فنجفل مثل اجفال الظليم

ذكره مختصر العين هنا وغيره في الواو واقتار الحديث اقتيادا بحث عنه لان ذلك سبب لجمعه والقير كهيّن الاسوار من الرماة الحاذق لانه يجمع بذلك ما يريد ورقيت الرجل بالفتح رقية عوذته ونفثت في عوذته لان الراقي يجمع ريقه وينفث ورقيت في الشي رقيا اذا صعدت عليه كانك جمعت بين درجه والمرقاة بالفتح ويكسر الدرجة لان العلو من اثار الجمع ورقا عليه كلاما ترقية رفع لانه جمعه عليه ومرقيا الانف حرفاه لانهما الجامعان له والرابق من الما الخالص لانه اذا خلص اشتد تلاصق اجزايه او لما كان يتخللها من الغير وراق الما يريق اذا انصب اما لانه اجتمع الى المحل الذي انصب اليه او يكون من السلب كاراقه بمعنى صبّه وراق السراب يريق وتريق يترييق اذا تضحضح فوق الارض اي تردد امام السلب واما تشبيه بالمجتمع والريق تردد الما على وجه الارض من الضحضاح اي اليسير ونحوه لانه لا يتردد الا وهو مجتمع والريق اول كل شي وافضله من الرايق بمعنى الخالص ولان الاول يجتمع اليه غيره والافضل يجمع ما يراد والريق ايضا الباطل كانه رهوق كتنور تشبيها بالسراب وريق الفم معروف لاجتماعه والريق القوة لجمعها المراد والريق والرايق الخالص وكل ما اكل او شرب على الريق ومن ليس في يده شي كانه خلص عن العلايق فاجتمع همه ومن هو على الريق كريق ككيس وهو يريق بنفسه يجود بها عند الموت من راق الما انصب والمريق لعظم من لا يزال يعجبه شي ولعله من راقه يروقه اذا اعجب فجمع همه اليه والبارق ضرب من الاسورة لانه يجمع المعصم والبرقان ويسكن الاستقامة والطريقة والافة للزرع ومرض معروف وسيذكر في ارق من اول سورة الحجرات ان شا الله تعالى ولما كان الاعتبار باحوال من سلف للنجاة مما حل بهم اهم المهم اعترض بالحث عليه بين الغاية ومتعلقها فقال **افلم يسيروا** اي يوقع السير هولاء المكذبون **في الارض** اي في هذا الجنس الصادق بالقليل والكثير ولما كان المراد سير الاعتبار سبب عنه قوله

فينظروا اي عقب سيرهم وسببه ونبه على ان ذلك امر عظيم ينبغي الاهتمام بالسوال عنه بذكر اداة
الاستفهام فقال كيف كان عاقبة اي اخر امر الذين ولما كان الذين يعتبر بحالهم لما حل بهم من الامور
العظام في بعض الازمنة الماضية وكان المخاطبون بهذا القران لا يمكنهم الاحاطة باهل الارض وان
كان في حال كل منهم عظة اتى بالجار فقال من قبلهم في الرضا بما هو ابهم في تقليد ابائهم وهذا كما تقدم
في سورة يونس من ان الايات لا تغني عمن ختم على قلبه والتذكير باحوال الماضين من هلاك العاصين
ونجاة الطائعين والاعتراض بين ذلك بقوله قل انتظروا اني معكم من المنتظرين وهو يدل على انه
تعالى يغضب ممن اعرض عن تدبر اياته والسير المرور الممتد في جهة ومنه اخذ السير وهو احد السيور
من الجلد والنظر طلب ادراك المعنى بالعين او القلب واصله مقابلة الشي بالبصر لادراكه ولما
كان من الممكن ان يدعي مطموس البصيرة انه كان لهم نوع خير قال على طريقة ارخاء العنان ولدار
اي الساعة او الحالة الاخرة اي التي وقع التنبيه عليها امور تفوت الحصر منها دار الدنيا فانه لا تكون
دنيا الا بانقضائها خير للذين اتقوا اي حملهم الخوف على جعل الائتمار والانزجار وقاية من حياة
اهون ما لها الموت وان فرض فيها من المحال انها امتدت الف عام وكان عيشها كله رغدا من
غير الام ولما كان تسليم هذا لا يحتاج فيه الى اكثر من العقل قال مسببا عنه منكرا عليهم معكبا لهم
افلا يعقلون اي فيتبعوا الداعي الى هذا السبيل الاقوم ولما كان المغيى معلوما من هذا السياق
تقديره فدعا الرجال المرسلون الى الله واجتهدوا في انذار قومهم لخلاصهم من الشقا وتوعدوهم على
بانواع العقوبات ان لم يتبعوهم وطال عليهم الامر وتراخي النصر دونهم يكذبونهم في تلك الايعادات
ويبكتونهم ويستهزءون بهم واستمر ذلك من حالهم وحالهم قال مشيرا الى ذلك حتى اذا استياس
الرسل اي يئسوا من النصر ياسا عظيما كانهم اوجدوه او طلبوه واستجلبوه من انفسهم وظنوا انهم
قد كذبوا اي فعلوا فعل اليائس العظيم الياس الذي ظن انه قد اخلف وعده من الاقبال على التحذير
والتبشير والجواب لمن استهزا بهم وقال ما يحبس ما وعدتمونا به بان ذلك امره الى الله ان شا
انجزه وان شا اخره ليس علينا من امره شي ويجوز ان يراد انهم لما استبطاوا النصر وضجروا ايما يقاسو
من اذى الاعدا واستبطا الاوليا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه كما يقول الايس متى
نصر الله مع علمهم بان الله تعالى له ان يفعل ما يشا عبر عن حالهم ذلك بما هنا نقل الزمخشري في
الكشاف والرازي في اللوامع معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا على قراة التخفيف واما على
قراة التشديد فالتقدير وظنوا انهم قد كذبهم اتباعهم حتى لقد انكرت عايشة رضي الله عنها قراة
التخفيف روى البخاري في التفسير وغيره عن عروة بن الزبير انه سالها عن القراة اهي بالتشديد
ام بالتخفيف فقالت انها بالتشديد قال قلت فقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم فما هو بالظن
قالت اجل لعمري لقد استيقنوا بذلك فقلت لها وظنوا انهم قد كذبوا اي بالتخفيف قالت معاذ الله
لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل امنوا بربهم وصدقوهم
وطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم
قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك جاءهم نصرنا لهم بخذلان اعدائهم فنجي من نشا منهم ومن اعدائهم

ولا

ولا يرد باسنا اي عذابنا لما له من العظمة عن القوم اي وان كانوا في غاية القوة المجرمين الذين حتمنا
دوامهم على القطيعة كما قلنا الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحققنا عن ذكرنا مصارعهم من الامم
وكل ذلك اعلام بان سنته جرت بانه يطيل الامتحان ويمد زمان الابتلا والاعتبار رحمة للاتباع
على الصبر وزجرا للمكذبين عن التمادي في الاستهزا ومادة كذب تدور على ما لا حقيقة له
واكثر تصاريفها واضح في ذلك وتستعمل في غير الانسان قالوا كذب البرق والحلم والرجاء والطمع
والظن وكذبت العين خانها حسها وكذب الراي تبين الامر بخلاف ما هو به وكذبته نفسه
منته غير الحق والكذوب النفس لذلك وكذبت الناقة وكذبت اذا ضربها الفحل فتشول
اي ترفع ذنبها ثم ترجع حايلا لانها اخلفت ظن حملها وكذا اذا ظن بها حمل وليس بها ويقال لمن يصاح
به وهو ساكن يري انه نايم قد اكذب اي عد ذلك الصياح عدما والمكذوبة من النسا الضعيفة لانه
لما اجتمع فيها ضعف النسا وضعفها عدت عدما والمذكوبة على القلب المراة الصالحة كانها
لعزة الصلاح في النسا جعلت عدما وكذب الوحش اذا اجري ثم وقف ينظر ما وراه كانه لم يصدق
ما الذي انضره ومنه كذب عن كذا اذا احجم عنه بعد ان اراده ولانه كذب ما ظنه عند الحمله من
قتل الاقران وكذبك الحج اي امكنك وكذبك الصيد مثله وهو يوول الى الحث لان المعنى ان الحج
لعظم مشقته وطول شقته تنفر النفس عنه فيكاد ان لا يوجد وكذا الصيد لشدة فراره
وسرعة نفاره وعزة استقراره يكاد ان لا يتمكن منه فيكون صيده كالكذب لا حقيقة له فقد
تبين حينئذ وجه كون كذب بمعنى الاغرا ولاح ان قوله ثلاثة اسفار كذبن عليكم الحج والعمرة
والجهاد معناه انها لشدة الصعوبة لا تكاد تمكن من ارادها منها مع انه لقوة داعيته لكثرة
ما يرى فيها من الترغيب بالاجر يكون كالظافر بها ويؤيده ما قال ابن الاثير في النهاية عن
الاخفش الحج مرفوع ومعناه نصب لانه يريد ان يامره بالحج كما يقال امكنك الصيد يريد
ارمه وقال ابو علي الفارسي في الحجة في قول عنترة كذب العتيق وماء شن بارد ان كنت سايلتي
غبوقا فاذهبي وان شيت قلت ان الكلمة لما كثر استعمالها في الاغرا بالشي والبعث على طلبه
وايجاده صار كانه قال يقول لها عليك العتيق اي الزميه ولا يريد نفيه ولكن اضرابها عما
عداه فيكون العتيق في المعنى مفعولا به وان كان لفظه مرفوعا مثل سلام عليكم ونحوه مما يراد
به الدعا واللفظ على الرفع وحكي محمد بن السري عن بعض اهل اللغة في كذب العتيق ان مضر
تنصب به وان اليمن ترفع به وقد تقدم وجه ذلك انتهى واقرب من ذلك جدا واسهل تناولا
ولاخذا ان الانسان لا يزال منيع الجناب مصون الحجاب ما كان لازما للصدق فاذا كذب
فقد امكن من نفسه وهان امره فمعنى ثلاثة اسفار كذبن عليكم امكنتكم من انفسها الحج كل سنة
بزوال مانع الكفار عنه والعمرة كل السنة بزوال المفسدين بالقتل وغيره في اشهر الحل والجهاد
كل السنة ايضا لاباحته في الاشهر الحرم وغيرها ويخرج مثل كذبتك الطاير وغيره بين الظهور
لا وقفة فيه ولكون الكاذب يبادر الى المعاذير ويحاول التخلص كان التعبير بهذا من باب الاغرا
اي انتهز الفرصة وبادر تغنم هذا الامكان ولما ذكر سبحانه هذه القصص كما كانت وحث

على الاعتبار بها بقوله افلم يسيروا واشار الي انه بذلك اجرى سنته وان طال الذي اتبعه الجزم
بان في احاديثهم اعظم عبرة فقال حثا على تاملها والاستبصار بها لقد كان اي كونا هو في غاية
المكنة في قصصهم اي الخبر العظيم الذي تلي عليك تتبعا لاخبار الرسل الذين طال بهم البلا حتى
استيأسوا من نوح الي يوسف ومن بعده على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام عبرة لاولي
الالباب اي لاهل العقول الخالصة عن شوايب الكدر يعبرون بها الي ما يسعدهم بعلم ان من قدر على
ما قص من امر يوسف عليه الصلاة والسلام وغيره قادر على ان يعز محمدا صلى الله عليه وسلم ويعلي كلمته
وينصره على من عاداه كاينا من كان كما فعل بيوسف وغيره الي غير ذلك مما ترشد اليه قصصهم من الحكم
وتعود اليه من نفايس العبر والقصص الخبر بما يتلو بعضه بعضا من قص الاثر والالباب العقول لان
العقل انفس ما في الانسان واشرف ولما كان من اجل العبرة في ذلك القطع بحقية القران لما بينه من
حقايق احوالهم وخفايا امورهم ودقايق اخبارهم على هذه الاساليب الباهرة والتفاصيل الظاهرة
والمناهج المعجزة القاهرة نبه على ذلك بتقدير سوال فقال ما كان اي القران العربي المشتمل على قصصهم
وغيره حديثا يفترى كما قال المعاندون على ما اشير اليه بقوله ام يقولون افتراه والافترا القطع
بالمعنى على خلاف ما هو به في الاخبار عنه من فريت الاديم ولكن كان تصديق الذي كان من الكتب
وغيرها بين يديه اي قبله الذي هو كاف في الشهادة بصدقه وحقيقته في نفسه وزاد على ذلك بكونه
تفصيل كل شي اي يحتاج اليه من امور الدين والاسباب الاخرة والتفصيل تفريق الجملة باعطا كل قسم
حقه وهدى ورحمة وبيانا واكراما ولما كان الذي لا ينتفع بالشي لا يتعلق بشي منه قال لقوم يومنون
اي يقع الايمان منهم وان كان يعني يمكن ايمانهم فهو عام وما جمع هذه الخلال فهو ابين البيان فقد
انطبق هذه الاخر على اول السورة في انه الكتاب المبين وانطبق ما تبع هذه القصص من الشهادة
بحقية القران وان الرسل ليسوا ملايكة ولا معهم ملايكة للتصديق يظهرون للناس وانهم لم يسيلوا
على الابلاغ اجرا على سبب ما تبعته هذه القصص وهو مضمون قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك الاية من قولهم لولا القي عليه كنز او جا معه ملك وقولهم انه افتراه على ترتيب ذلك مع اعتناق
هذا الاخر لاول التي تليها فسبحان من انزله معجزا باهرا وقاضيا بالحق لا يزال ظاهرا وكيف لا وهو
العليم الحكيم ٥

سورة الرعد

مقصودها وصف الكتاب بانه الحق في نفسه وتارة يتاثر عنه مع ان له صوتا وصيتا وارعابا
وارها بالهدى بالفعل وتارة لا يتاثر بل يكون سببا للضلال والعمى وانسب ما فيها لهذا المقصد
الرعد فانه مع كونه حقا في نفسه يسمعه الاعمى والبصير والبارز والمستتر وتارة يتاثر عنه البرق والمطر
وتارة لا واذا نزل المطر فتارة ينفع اذا اصاب الاراضي الطيبة وسلمت من عاهة وتارة يخيب
اذا نزل على السباخ الخوارة وتارة يضر بالاغراق والصواعق والبرق او غيرها والله اعلم بسم الله
الحق الذي كل ما عداه باطل الرحمن الذي عم بالرغبة والرهبة لعموم رحمته الرحيم الذي خص من شا
بما يرضاه عظيم الوهبية المر لما ختم التي قبلها بالدليل على حقية القران وانه هدى ورحمة لقوم يومنون
بعد ان اشار الى كثرة ما يجسونه من اياته في السموات والارض مع الاعراض ابتدا هذه بذلك على

طريق اللف والنشر المشوش لانه افصح للبداة في نشو بالاقرب فالاقرب فقال تلك اي الانبا المتلوة
والاقاصيص المجلوة المفصلة بدر المعاني وبديع الحكم وثابت القواعد والمباني العالية المراتب
ايات والاية الدلالة العجيبة في التادية الي المعرفة الكتاب المنزل اليك وجمع الذي ولما كان
تحقق ان هذا الكتاب من عند الملك امرا لا يطرقه مرية لما له من الاعجاز وكذا ما تبعه من بيانه بالسنة
لما له من الحق الذي لا يخفى على عاقل وكان ما تحقق انه كذلك يعلم ان الاتي به لا يكون الا عظيما بنى
للمفعول قوله انزل اليك كاينا من ربك فثبت حينيذ قطعا انه هو الحق اي الموضوع كل شي منه
في موضعه على ما تدعو اليه الحكمة الواضح الذي لا يتخلف شي منه عن مطابقة الواقع من بعث ولا غيره
فهو ابعد شي عن قولهم ان وعده بالبعث سحر فوجب لثبوت حقيته على كل من اتصف بالعقل ان يومن به
ولكن اكثر الناس اي الآنسين بانفسهم المضطربين في ارايهم لا يومنون اي لا يتجدد منهم ايمان اصلا
بانه حق في نفسه وانه من عند الله بل يقولون انه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وانه تخييل للبعث معانيه
ثابتة كما قلنا وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين فليس هدى لهم كاملا ولا رحمة تامة هذا التقدير
محتمل ولكن الذي يدل عليه قوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق ان الذي مبتدا ومن ربك
صلة انزل والخبر الحق والمقصود من هذه السورة هذه الاية وهو وصف المنزل بانه الحق واقامة
الدليل عليه وذلك لانه لما تم وصف الكتاب بانه حكيم محكم مفصل مبين عطف الكلام الي تفصيل اول
سورة البقرة والايما الي انه حان اجتنا الثمرة في هذه السورة والتي بعدها وبلغ بذلك وصف المصدق قبل
بذلك كما ستقف عليه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه هذه السورة تفصيل لمجمل قوله
سبحانه في خاتمة سورة يوسف عليه الصلاة والسلام وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها
وهم عنها معرضون وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او
تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعو الي الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان
الله وما انا من المشركين فبان اي السموات في قوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم
استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وبيان اي الارض في قوله وهو الذي مد
الارض وجعل فيها زوجين اثنين فهذه اي السموات والارض وقد زيدت بيانا في مواضع ثم في
قوله تعالى يغشي الليل النهار وما تكون من الايات عنهن لان الظلمة عن جرم الارض والضيا عن نور
الشمس وهي سماوية ثم زاد تعالى ايات الارض بيانا وتفصيلا في قوله تعالى وفي الارض قطع
متجاورات الي قوله لقوم يعقلون ولما كان اخراج الثمر بالما النازل من السما من اعظم اية ودليلا
واضحا على صحة المعاد ولهذا قال تعالى في الاية الاخرى كذلك نخرج الموتى وكان قد ورد هنا على
اعظم جهة في الاعتبار من اخراجها مختلفات في الطعوم والالوان والروايح مع اتحاد المادة تسقى بما
واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل لذلك ما اعقب قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات
الاية بقوله وان تعجب فعجب قولهم اءذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد ثم بين سبحانه وتعالى الصنف
القايل لهذا والمنكر الكافرون اهل الخلود في النار ثم اعقب ذلك ببيان عظيم حلمه وعفوه فقال
ويستعجلونك بالسيية قبل الحسنة الاية ثم اتبع ذلك بما يشعر بالجري على السوابق في قوله

انما انت منذر ولكل قوم هاد ثم بين عظيم ملكه واطلاعه على دقايق ما اوجده من جليل صنعه
واقتداره فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى الايات الى قوله وما لكم من دونه من وال ثم خوف عباده
وانذرهم ورغبهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا الايات وكل ذلك راجع الى ما اودع سبحانه
في السموات والارض وما بينهما من الايات وفي ذلك اكثر آي السورة ونبه تعالى على الاية الكبرى
والمعجزة العظمى فقال ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى والمراد
لكان هذا القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والتنبيه بعظم هذه الايات
مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما اودع تعالى من الايات في السموات والارض وكانه جل
وتعالى لما بين لهم عظيم ما اودع في السموات والارض وما بينهما من الايات وبسط ذلك واوضحه
اردف ذلك باية اخرى جامعة للايات ومتسعة للاعتبارات فقال تعالى ولو ان قرانا سيرت
به الجبال فهو من عنوان في السموات والارض لايات للمومنين وفي انفسكم اي لو فكرتم في ايات السموات
والارض لاقلتكم وكفتكم في بيان الطريق اليه ولو فكرتم في انفسكم وما اودع تعالى فيكم من العجايب
لاكتفيتم من عرف نفسه عرف ربه فمن قبيل هذا الضرب من الاعتبار ما وقع في سورة الرعد من بسط
ايات السموات والارض ثم ذكر القران وما حمل فهذه اشارة الى ما تضمنت هذه السورة الجليلة
من بسط الايات المودعة في الارضين والسموات واما قوله تعالى وما يومن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون فقد اشار اليه قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يومنون انما يتذكر اولوا الالباب وقوله
الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين القلوب فالذين تطمين قلوبهم بذكر الله هم
اولوا الالباب المتذكرون التاموا الايمان وهم القليل المشار اليهم في قوله تعالى وقليل ما هم والمقول
فيهم اوليك هم المومنون حقا ودون هولا طوايف من المومنين ليسوا في درجاتهم ولا بلغوا ايقينهم
واليهم الاشارة بقوله وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عليه الصلاة والسلام الشرك في امتي
اخفى من دبيب النمل فهذا بيان ما اجمل في قوله وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون واما قوله تعالى
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله فما عجل لهم من ذلك في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله القاطع دابرهم والمستاصل لامرهم واما قوله
تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة الاية فقد وضحت اي سورة الرعد سبيله عليه الصلاة
والسلام وبينته من عظيم التنبيه وبسط الدلايل بما في السموات والارض وما بينهما وما في العالم بجملته
وما تحمله الكتاب المبين كما تقدم ثم قد تعرضت السورة لبيان حلى سالكي تلك السبيل الواضحة
المنجية فقال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق الى اخر ما حلاهم به اخذا وتركا ثم
عاد الكلام بعد الى ما فيه من التنبيه والبسط وتعريع الكفار وتوبيخهم وتسليته عليه الصلاة والسلام
في امرهم انما انت منذر ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب ويقول الذين كفروا لست مرسلا والسورة بجملتها غير خارجة عن تلك الاغراض الجملة في
الايات الاربع المذكورات من اخر سورة يوسف ومعظم السورة وغالب آيها في التنبيه وبسط الدلالات
والتذكير بعظيم ما اودعت من الايات ولما كان هذا شانها اعقبت بمفتتح سورة ابرهيم عليه الصلاة والسلام

انتهى

انتهى فلما اثبت سبحانه بهذا الكتاب انه المختص بكونه حقا فثبت انه اعظم الادلة والايات شرع
يذكر ما اشار اليه بقوله وكاين من اية من الايات المحسوسة الظاهرة الدالة مع كون ايات الكتاب
حقا بما هي في انفسها من الثبات والدالة بما لفاعلها من القدرة والاختيار على انه قادر على كل شي وان
ما اخبر به من البعث حق لما له من الحكمة والدالة بما للتعبير عنها من الاعجاز على كونها من عند الله وبدا
بما بدا به في تلك من ايات السموات لشرفها ولانها ادل فقال الله اي الملك الاعظم الذي له جميع
صفات الكمال وحده الذي رفع السموات بعد ايجادها من عدم كما انتم بذلك مقرون والرفع وضع
الشي في جهة العلو سوا كان بالنقل او بالاختراع كابنية بغير عمد جمع عماد كاهب واهاب او عمود
والعمود جسم مستطيل يمنع المرتفع ان يميل واصله منع الميل ترونها اي مرتبة حاملة لهذه الاجرام
العظام التي مثلها لا يحمل في مجاري عاداتكم الا بعمد تناسبها في العظم هذا على ان ترونها صفة ويجوز
ولعله احسن ان يكون على تقدير سوال من كانه قال ما دليل انها بغير عمد فقيل المشاهدة التي لا اجلى
منها ولما كان رفع السموات بعد خلق الارض وقبل تسويتها ذكر انه شرع في تدبير ما للكونين من المنافع
وما فيهما من الاعراض والجواهر واشار الى عظمة ذلك التدبير باداة التراخي فقال ثم استوى
على العرش قال الرازي في لوامع البرهان وخص العرش لانه اعلى خليقته وصفوته ومنظره الاعلى
وموضع تسبيحه ومظهر ملكه ومبدا وحيه ومحل قربه ولم ينسب شيئا من خليقته كنسبته فقال
ذو العرش كما قال ذو الجلال وذو كلمة الحق واتصال وظهور ومبدا فقال الرماني في الاستوا
الاستيلا بالاقتدار ونفوذ السلطان واصله استوا التدبير كما ان اصل القيام الانتصاب ثم
يقال قايم بالتدبير انتهى وعبر بثم لبعد هذه الرتبة عن الاطماع وعلوها عما يستطاع فليس هناك
ترتيب ولا مهلة حتى يفهم ان ما قبل كان على غير ذلك والمراد انه اخذ في التدبير للخلق كما هو
شان الملوك اذا استووا على عروشهم اي لم يكن لهم مدافع وان لم يكن هناك جلوس اصلا وذلك لان
روح الملك التدبير وهو اعدل احواله والله اعلم وسخر اي ذلل تذليلا عظيما الشمس اي التي هي
اية النهار والقمر اي الذي هو اية الليل لما فيهما من الحكم والمنافع والمصالح التي بها صلاح البلاد
والعباد ودخلت اللام فيهما وكل واحد منهما لا ثاني له لما في الاسم من معنى الصفة اذ لو وجد مثل لهما
لم يتوقف في اطلاق الاسم عليه ولا كذلك زيد وعمرو والتسخير التهيئة لذلك المعنى المسخر له ليكون
بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه كتسخير النار للانضاج والماء للجريان كل من الكوكبين
يجري ولما كان السياق للتدبير علم ان المراد جريهما لذلك وهو تنقلهما في المنازل والدرجات
التي يتحول بها الفصول ويتغير النبات وتنضبط الاوقات وكلما كان التدبير اسرع علم ان صاحبه
اعلم ولاسيما ان كان احكم فكان الموضع للام لا لالى فعلل بقوله لاجل اي لاجل اختصاصه باجل
مسمى هذي اجلها سنة وذاك اجله شهر والاجل الوقت المضروب لحدوث امر وانقطاعه ولما كان
كل من ذلك مشتملا من الايات على ما يجل عن الحصر مع كونه في غاية الاحكام اسنا نفخبرا هو كالتنبيه
على ما في ما مضى من الحكمة فقال مبينا للاستوا على العرش بعد ان اشار الى عظمة هذا الخبر عما في صلة
الموصول من الاوصاف العظيمة يدبر الامر اي في المعاش والمعاد وما ينظمهما بان يفعل فيه

فعل من ينظر في ادبار الامور وعواقبها ولا يشغله شان عن شان مع ان هذا العالم من اعلى العرش
الى ما تحت الثرى محتوٍ على اجناس وانواع وفصول واصناف واشخاص لا يحيط بها سواه وذلك
دال قطعا على انه سبحانه في ذاته وصفاته متعال عن مشابهات المحدثات واحد احد صمد لم يكن له
كفوا احد ولما كان هذا بيانا عظيما لا لبس فيه قال يفصل الايات التي برز الى الوجود تدبيرها الدالة
على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة عليها مبدعاته فيفرقها ويباين بينها مباينة لا لبس فيها تقريبا
لعقولكم وتدريبا لفهومكم لتعلموا انها فعل الواحد المختار لا فعل الطبايع ولا غيرها من الاسباب التي
ابدعها والا لكانت على نسق واحد وجمعها لما تقدم من الاشارة الى كثرتها بقوله وكاين من اية في
السموات والارض فكان هذه الالف واللام لذلك المنكر هناك ولما كان هذا التدبير وهذا
التفصيل دالا على تمام القدرة وغاية الحكمة وكان البعث لفصل القضا والحكم بالعدل واظهار
العظمة هو محط الحكمة علل بقوله لعلكم بلقا ربكم اي لتكون حالكم حال من يرجى له بما ينظر من الدلالات
الايقان بلقا الموجد له المحسن اليه بجميع ما يحتاجه التربية توقنون اي تعلمون ذلك من غير
شك استدلالا بالقدرة على ابتدا الخلق على القدرة على ما جرت به العادة بانه اهون من الابتدا
وهو الاعادة وانه لا تتم الحكمة الا بذلك ولما انتهى ما اراد من ايات السموات ثنى بما في ما تنى به
في اية يوسف من الدلالات فقال وهو اي وحده الذي مد الارض ولو شا لجعلها كالجدار
او الازج لا يستطاع القرار عليها وهذا لا ينافي ان تكون كرية لان الكرة اذا عظمت كان كل قطعة
منها تشاهد كالسطح كما ان الجبال اوتاد والحيوان يستقر عليها وجعل فيها جبالا مع شهوقها
رواسي اي ثوابت واحدها راسية اي ثابتة باقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك
فلا يتحرك ما هي راسية فيه ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف
فجمعت جمع الاسم كحايط وكاهل قاله ابو حيان ولما كانت طبيعة الارض واحدة كان حصول
الجبل في جانب منها دون اخر ووجود المعادن المختلفة فيها تارة جوهرية وتارة رخامية
وتارة نفطية وتارة كبريتية الى غير ذلك دليلا على اختصاصه تعالى بتمام القدرة والاختيار لان
الجبل واحد في الطبع كما ان تاثير الشمس واحد فقال تعالى وانهارا اي وجعل فيها خارجة منها
واكثر ما تكون الانهار من الجبال لانها اجسام صلبة عالية وفي خلال الارض ابخرة متصاعدة تلك
الابخرة المتكونة في قعر الارض ولا تزال تخرق حتى تصل اليها فتحتبس معها فلا تزال تتكامل حتى يعظم
تكاثفها فاذا بردت صارت ما فيحصل بسببها مياه كثيرة كما تنعقد الابخرة البخارية المتكاثفة
في اعالي الحمامات اذا بردت وتتقاطر فاذا تكامل انعقاد ذلك المياه وعظمت شقت اسافل الجبال
او غيرها من الاماكن التي تستضعفها لقوتها وقوة الابخرة المصاحبة لها فان كان لتلك المياه مدد
من جهة القواعل والنوابل بحيث كلما نبع منها شي جد عقبه شي وهكذا على الاتصال فهي النهر والنهر
المجرى الواسع من مجاري الما واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع ضيايه ولما ذكر الانهار ذكر
ما ينشا عن المياه فقال ومن كل الثمرات ويجوز ان يكون متعلقا بما قبله ثم يكون كانه قيل من ينتفع
بهذه الاشيا فقيل جعل فيها اي الارض زوجين اثنين ذكرا وانثى من كل صنف من الحيوان ينتفع بها

ويجوز

ويجوز ان يكون متعلقا بما بعده فيكون التقدير وجعل فيها من كل الثمرات زوجين اثنين ذكرا
وانثى تنتفع الانثى بلقاحها من الذكر او قربه منها فيجود نموها والثمرة طعمة الشجرة والزوج شكل
له قرين من نظير او نقيض فكانه قيل ما الذي ينضجها فقال يغشي الليل النهار اي والنهار الليل
فينضج هذا بحره ويمسك هذا ببرده فيعتدل فعلها على ما قدره تعالى لهما في السير من الزيادة
والنقصان للحر والبرد للاخراج والانضاج الى غير ذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهر
لكل ذي عقل انها بتدبيره بفعله واختياره وقهره واقتداره ولما ساق سبحانه هذه الايات مفصلة
الى اربع وكان فيها دقة جمعها وناطها بالفكر فقال ان في ذلك اي الذي وقع التحديث عنه من
الايات متعاطفا لايات اي دلالات واضحات عجيبات باهرات على ان ذلك كله مستند الى قدرته
واختياره ونبه على ان المقام يحتاج الى تعب بتجريد النفس من الهوى وتحكيم العقل صرفا بقوله لقوم
اي ذوي قوة زايدة على القيام فيما يحاولونه يتفكرون اي يجتهدون في الفكر قال الرماني وهو تصرف
القلب في طلب المعنى ومبدا ذلك معنى يظهره الله تعالى على بال الانسان فيطلب متعلقاته التي فيها
بيان عنه من كل وجه يمكن فيه والختم بالتفكر اشارة الى الاهتمام باعطا المقام حقه في الرد على
الفلاسفة فانهم يسندون حوادث العالم السفلي الى الاختلافات الواقعة في الاشكال الكوكبية
وهو كلام ساقط لمن تفكر فيما قرره سبحانه في الاية السالفة من اسقاط وروده من انه سبحانه هو الذي
اوجد الاشيا كلها من عدم ثم اخذ في تدبيرها فاختصاص كل شي من الاجرام العلوية بطبع وصفة
وخاصية انما هو بتخصيص المدبر الحكيم الفاعل بالاختيار فصار وجود الحوادث السفلية لو سلم انه
متاثر عن الحوادث العلوية انما يكون مستندا اليها باعتبار السببية والسبب والمسبب مستند الى
الصانع القديم المدبر الحكيم ولما كان هذا الدليل مع وضوحه فيه بعض غموض شرع تعالى في شي من تفصيل
ما في الارض من الايات التي هي ابين من ذلك دليلا ظاهرا جدا على ابطال قول الفلاسفة فقال وفي
الارض اي التي انتم سكانها تشاهدون ما فيها مشاهدة لا تقبل الشك قطع متجاورات فهي متحدة
البقعة مختلفة الطبع طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر
وعكسها مع انتظام الكل في الارضية وجنات جمع جنة وهي البستان الذي تجنه الاشجار من
اعناب وكانه قدمها لان اصنافها الشاهدة بان صانعها انما هو الفعال لما يريد لا تكاد تحصر حتى
انه في الاصل الواحد يحصل تنوع الثمرة ولذلك جمعها ولما كان تفاوت ما اصله الحب اعجب
قال وزرع اي منفردا في قراة ابن كثير وابي عمرو وحفص عن عاصم بالرفع وفي خلل الجنات
في قراة الباقين بالجر ولما كان ما جمعه اصل واحد ظاهرا اغرب اخر قوله ونخيل صنوان فروع
متصرفة على اصل واحد وغير صنوان باعتبار افتراق منابتها واصولها قال ابو حيان والصنو
الفرع يجمعه وآخر اصل واحد واصله المثل ومنه قيل للعم صنو وقال الرماني والصنوان
المتلاصق يقال هو ابن اخيه صنو ابيه اي لصيق ابيه في ولادته وهو جمع صنو وقيل
الصنوان النخلات التي اصلها واحد عن البرا بن عازب وابن عباس ومجاهد وقتادة وقال
الحسن الصنوان النخلتان اصلهما واحد انتهى وهو تركيب لا فرق بين مثناه وجمعه الا

بكسر النون من غير تنوين واعرابها مع التنوين وسياتي في عبس ان شا الله تعالى سر تسمية الكرم بالعنب ولما كان الما بمنزلة الاب والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف مع اتحاد الاب والام اعجب وادل على الاسناد الى الموجد المسبب لا الى شي من الاسباب قال تسقى اي ارضها الواحدة كلها بما واحد فتخرج اغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا يتاخر عنه ولا يتقدم بعد ان يتصعد الما فيها علوا صعدا ما في طبعه من السفل ثم يتفرق في كل من الورق والاغصان والثمار بقسطه مما فيه صلاحه ونفضل اي بما لنا من العظمة المقتضية للطاعة بعضها اي بعض تلك الجنات وبعض اشجارها على بعض ولما كان التفضيل على انحا مختلفة بين المراد بقوله في الاكل اي الثمر الماكول ونخالف في الطعوم مع اتحاد الارض وبعض الاصول وخص الاكل لانه اغلب وجوه الانتفاع وهو منبه على اختلاف غيره من الليف والسعف واللون للماكول والطعم والطبع والشكل والرائحة والمنفعة وغيرها مع ان نسبة الطبايع والانفعالات الفلكية الى جميع الثمار على حد سوا الاسيما اذا رايت العنقود الواحد جميع حباته حلوة نضيجة كبيرة الا واحدة فانها حامضة صغيرة يابسة ولما كان المراد في هذا السياق كما تقدم تفصيل ما نبه على كثرته بقوله وكاين من اية في السموات والارض الاية قال ان في ذلك اي الامر العظيم الذي تقدم لايات بصيغة الجمع فانها بالنظر الى تفصيلها بالعطف جمع وان كانت بالنظر الى الما مفردة وهذا بخلاف ما ياتي في النحل لان المحدث عنه هناك الما وهنا ما ينشا عنه فلما اختلف المحدث عنه كان الحديث بحسبه فالمعنى دلالات واضحات على ان ذلك كله فعل واحد مختار عليم قادر على ما يريد من ابتدا الخلق ثم تنويعه بعد ابداعه فهو قادر على اعادته بطريق الاولى ولما كانت هذه المفصلة اظهر من تلك المجملة فكانت من الوضوح بحال لا يحتاج ناظره في الاعتبار به الى غير العقل قال لقوم اي ذوي قوة فيما يحاولونه يعقلون فانه لا يمكن التعبير في وجه هذه الدلالة الا بان يقال هذه الحوادث السفلية حدثت بغير محدث فيقال للقايل وانت لا عقل لك لان العلم بافتقار الحادث الى المحدث ضرورة فعدم العلم بالضروري يستلزم عدم العقل ولما ثبت قطعا بما اقام من الدليل على عظيم قدرته بما اودعه من الغرايب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه ان هذا انما هو فعل واحد قهار مختار يوجد المعدوم ويفاوت بين ما تقتضي الطبايع اتحاده كان انكار شي من قدرته عجبا فقال عطفا على قوله ولكن اكثر الناس لا يومنون مشيرا الى انهم يقولون ان الوعد بالبعث سحر لا حقيقة له وان تعجب اي يوما من الايام او ساعة من الدهر فاعجب من انكارهم البعث فعجب عظيم لا تتناهى درجاته في العظم قولهم بعد ما راوا من الايات الباهرة والدلالات الناطقة بعظيم القدرة على كل شي منكرين ايذا كنا ترابا واختلط التراب الذي تحولنا اليه بالتراب الاصلي فصار لا يتميز ثم كرروا التعجب والانكار بالاستفهام ثانيا فقالوا ائنا لفي خلق جديد هذا قولهم بعد ان فصلنا من الايات ما يوجب ايقانهم بلقا ربهم يوقنون وهذا الاستفهام الثاني مفسر لما نصب الاول بما فيه من معنى انبعث والعجب تغير النفس بما خفي سببه عن العادة والجديد المهيا بالقطع الى التكوين قبل التصريف في الاعمال واصل الصفة القطع قال الرماني وقد قيل لا اخبر فيمن لا يتعجب من العجب وارذل منه من يتعجب من غير عجب انتهى يعني فالكفار

تعجبوا

تعجبوا من غير عجب ومن تعجب من تعجبهم فقد تعجب من العجب ولما كان هذا انكار المحسوس من القدرة استحقوا عليه ما يستحق من يطعن في تلك الملل فقال اولئك اي الذين جمعوا انواعا من البعد من كل خير الذين كفروا بربهم اي غطوا كل ما يجب اظهاره بسبب الاستهانة بالذي بدا خلقهم ثم رباهم بانواع اللطف فاذا انكروا اعادتهم فقد انكروا ابتداهم واولئك اي البعدا البغضا الاغلال اي الحدايد التي تجمع ايدي الاسرى الى اعناقهم ويقال لها جوامع وتارة تكون في الاعناق فقط يعذب بها الناس ولما كان طرفا العنق غليظين فلا تكون الحاطة الجامعة منها اذا كانت ضيقة الا بالوسط جعل للاعناق ظروفا باعتبار انها على بعض منها وذلك كناية عن ضيقها فقال في اعناقهم اي بكفرهم وان لم تكن الاغلال مشاهدة الان فهي لقدرة المهدد بها على الفعل كانها موجودة وهم منقادون لما قدر عليهم من اسبابها كما ينقاد المغلول بها الى ما يريد قايده والغل طوق يقيد به اليد في العنق واصله الغل في الشي اذا انتشب فيه وغل اذا خان بانتشابه في المال الحرام واولئك اي الذين لا خسارة اعظم من خسارتهم اصحاب النار ولما كانت الصحبة تقتضي الملازمة صرح بها فقال هم اي خاصة فيها اي متمحضة لا يخلطها نعيم خالدون اي ثابت خلودهم دايما ولما تضمنت هذه الاية اثبات القدرة التامة مع ما سبق من ادلتها المحسوسة المشاهدة كان ايضا من العجب العجيب والنبا الغريب استهزاوهم بها فقال معجبا منهم ويستعجلونك اي استهزا وتكذيبا والاستعجال طلب التعجيل وهو تقديم الشي قبل وقته الذي يقدر له بالسيئة من العذاب المتوعد به من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة جراة منهم تشير الى انهم لا يبالون بشي منه ولا يوهن قواهم شي قبل الحسنة من الخير الذي نبشرهم به والحال انه قد خلت ولما كان المحدث عنه انما كان في بعض الزمان ادخل الجار فقال من قبلهم المثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وهي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لاجله في الامم الذين اتصلت بهم اخبارهم وخاطبتهم بعظيم ما اتفق لهم اثارهم وديارهم وما يوخرهم الله الا لاستيفا اجالهم التي ضربها لهم مع قدرته التامة عليهم ولما كانوا ربما قالوا اما نرى الا تهديدا لا يتحقق شي منه قالوا موكدا لانكارهم واعتقادهم ان المسار والمضار انما هي عادة الدهر عطفا على ما تقديره فان ربك حليم لا يخاف الفوت فلا يستعجل في الاخذ وان ربك اي المحسن اليك بجعلك نبي الرحمة لذو مغفرة اي عظيمة ثابتة للناس حال كونهم ظالمين متمكنين في الظلم مستعلين على ظلمهم وهو ايقاعهم الاشيا في غير مواضعها فلا يواخذهم بجميع ما كسبوا ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة فلذلك يقيم الناس دهرا طويلا يكفرون ولا يعاقبون حلما منه سبحانه والاية مقيدة باية النسا ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وان لم تكن توبة فان التايب ليس على ظلمه ولما كان يمهل سبحانه ولا يهمل وذكر امهاله ذكر اخذه موكدا لمثل ما مضى فقال وان ربك اي الموجد لك المدبر لامرك بغاية الاحسان لشديد العقاب للكفار ولمن يشا من غيرهم فلذلك ياخذ اخذ عزيز مقتدر اذا جا الاجل الذي قدره ولما بين سبحانه انهم غطوا ايات ربهم المتفضل عليهم بتلك الايات وغيرها عجب منهم عجبا اخر في طلبهم انزال الايات مع كونها

متساوية الاقدام في الدلالة على الصانع وماله من صفات الكمال فلما كفروا بما اتاهم كانوا جديرين
بالكفر بما يأتيهم فقال ويقول اي على سبيل الاستمرار الذين كفروا استهزا بالقدرة لولا
اي هلا ولم لا انزل اي بانزال اي كاين كان عليه اية جاحدين عنادا لما اتاه من الايات من
ربه اي المحسن اليه تصديقا له ولما كان النبي عليه الصلاة والسلام راغبا في اجابة مقترحاتهم
لشدة التفاته الى ايمانهم كان كانه سال في ذلك ليحصل لهم النجاة فاجيب بقوله تعالى مقدما
ما السياق اولى به لانه لبيان ان الاكثر لا يومن انما انت منذر اي بني منذر هادلهم تهديهم
ببيان ما انزله عليك مما يوقع في الهلاك او يوصل الى النجاة سائر فيهم على حسب ما احده لك واصل
الانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى لا انك مثبت للايمان في الصدور ولكل قوم ممن ارسلنا اليهم
بني هاد اي داع يهديهم الى مراشدهم ومنذر ينذرهم من مغاويهم اي يبين لهم ما ارسلناه به من النذارة
والبشارة واعطى كل منذر وهاد ايات تليق به وبقومه على مثلها يومن البشر فيهدي الله من يعلم فيه
قابلية الهدى بما نصب من الايات المشاهدات فلا يحتاج الى شي من المقترحات ويضل من يعلم فيه
دواعي الضلال ولو جاته كل اية لانه الذي جبلهم على طبايع الخير والشر لا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير فهو كقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وكقوله في هذه السورة ويقولون لولا انزل عليه
اية من ربه قل ان الله يضل من يشا ويهدي اليه من اناب والاية من الاحتباك ذكر المنذر اولا بدل
على حذفه ثانيا وذكر الهادي ثانيا دال على حذف مثله اولا ولما كان ما مضى مترتبا على العلم والقدرة
ولاسيما ختم هذه الاية بهاد وكان انكارهم للبعث انكارا للنشاة الاولى وكان سبحانه يعلم ان
اجابتهم الى ما اقترحوا غير نافع لهم لانهم متعنتون لا مسترشدون شرع سبحانه بعد الاعراض عن اجابة
مقترحاتهم يقرر من افعاله المحسوسة لهم المقتضية لاتصافه من العلم والقدرة بما هو كالاعادة سوا
اشارة منه تعالى الى ان انكار البعث ان كان لاستحالة الاعادة فهي مثل البداة وان كان لاستحالة
تمييز التراب الذي كان منه الحيوان بعد اختلاطه بغيره وتفرق اجزايه فتمييز الما الذي يكون منه
الولد من الما الذي لا يصلح لذلك اعجب لان الما اشد اختلاطا واخفى امتزاجا ومع ذلك فهو يعلمه فقال
الله اي المحيط بكل شي علما وقدرة يعلم اي علما قديما في الازل بما سيوجد وعلما يتجدد تعلقه بحسب حدوث
الحادثات على الاستمرار ما تحمل اي الذي تحمله في رحمها كل انثى اي الما الذي يصلح لان يكون حملا
وما تغيض اي تنقص الارحام من الما فتنشفه فيضمحل العدم صلاحيته لان يكون منه ولد وواصل
الغيض كما قال الرماني ذهاب المايع في العمق الغامض وفعله متعد لازم وما تزداد اي الارحام
من الما على الما الذي قدر تعالى كونه حملا فيكون توما فاكثر في جماع اخر بعد حمل الاول كما صرح
بامكان ذلك ابن سينا وغيره من الاطبا وولدت في زماننا اتان حمارا وبغلا والزيادة ضم شي
الى المقدار وكثرته شيا بعد شي فيتقرر ذلك فلا يمكن لاحد زيادته ولا انقاصه ونحو ذلك كله يستلزم
الحكمة فلذا ختمه بقوله وكل شي اي من هذا وغيره من الايات المقترحات وغيرها عنده اي في قدرته
وعلمه بمقدار في كيفيته وكميته لا يتجاوزه ولا ينقص عنه لانه عالم بكيفية كل شي وكميته على الوجه
المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات وهو قادر على ما يريد منها فالاية بيان لقوله

تعالى

تعالى الذين كفروا ابيهم من حيث بين فيها تربيته لهم على الوجه الذي هم له مشاهدون وبه معترفون
ولما كان هذا غيبا وكان علمه مستلزما لعلم الشهادة وكان للتصريح مزية لا تخفى صرح به على وجه
كلي يعم تلك الجزئيات وغيرها فقال عالم الغيب وهو ما غاب عن كل مخلوق والشهادة قال
الرماني الغيب كون الشي بحيث يخفى عن الحس والشهادة كونه بحيث يظهر له ولما كان العلم
والحكمة لا يتمان الا بكمال القدرة والعظمة قال الكبير اي الذي يتضاءل عنده كل ما فيه صفات
تقتضي الكبر قال الامام ابو الحسن الحرالي والكبر ظهور التفاوت في ظاهر الامر وباهر القدر
الذي لا يحتاج الى فكر ولذلك كان فطرة للخلق ان الله اكبر ولما كان لا ظاهر قدر للخلق لما
عليهم من بادي الضرورات والحاجات المعلنة بصغر القدر ومن حاول منهم ان يكبر بسطوة او
تسلط ونساد زاد صغار قدره بما اكتسب في اعين ارباب البصاير في الدنيا ويبدو ذلك منه
لعيون جميع الخلق في الاخرى يحشر المتكبرون يوم القيمة كامثال الذر يطاهم الناس باقدامهم
فلذلك اختصاص معنى انه لا اكبر الا الله انتهى المتعال اي الذي لا يدنو من اوج علوه في ذات
او صفة او فعل عال واخرجه مخرج التفاعل ليكون ادل على المعنى وابلغ فيه وقال ابو الحسن
الحرالي والتعالي فوت التناول والمتعال الحكم اوجه واشعر التفاعل بما يجري من قوم المحتجين
في امره باوهام حجج داحضة حجتهم داحضة عند ربهم فهو تعالى باذن في الاحتجاج والجدال ثم
يتعالى بما له من الحجة البالغة قل فلله الحجة البالغة فهو المتعالي علما وحكما وحجة وحقيقة المتعالي
الذي لا منتهى الى علوه انتهى والحاصل انه لما وصف نفسه بما تقدم اشار الى ان ذلك على ما تحتمله
العقول وان الحق في وصفه الكبر المطلق والتعالي المطلق لان العقول لا تحتمل اكثر من ذلك ولما
كانت العادة قاضية بتفاوت العلم بالنسبة الى السر والجهر والقدرة بالنسبة الى المتخفي بالحرس
وغيره اتبع ذلك سبحانه بما ينفي هذا الاحتمال عنه على وجه الشرع والبيان لاستوا الغيب
والشهادة بالنسبة الى علمه فقال سوا منكم اي في علمه من اسر القول اي اخفى معناه في نفسه
ومن جهر به وفي علمه وقدرته من هو مستخف اي موجد الخفا وطالب له اشد طلب بالليل
في اخفى الاوقات فسارب او كامن فيه يظن ان ذلك الاستخفا يغنيه من القدرة ومن هو
سارب اي ذاهب على وجهه في الارض ومتوجه جار في توجهه الى قصده بسرعة بالنهار متجاهر
بسروبه فيه فالاية من الاحتباك ذكر مستخف اولا دال على ضده ثانيا وذكر سارب ثانيا
دال على ضده او مثله اولا له اي لذلك المستخفي او السارب كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
معقبات اي اعوان وانصار يتناوبون في امره بان يخلف كل واحد منهم صاحبه ويكون بدلا منه
ولما كان حفظ جهتي القدام والخلف يستلزم حفظ اليمين والشمال وكان ملي كل من الجهتين
من الحفظة على المخلوق متعذرا قال اتيا بالجار من بين يديه اي من قدامه ومن خلفه واستانف
بيان فايدة المعقبات فقال يحفظونه اي في زعمه من كل شي يخشاه من امر الله اي الذي له الاحاطة
الكاملة ولما دل هذا على غاية القدرة وجرت عادة المتمكنين من ملوك الارض بالتعدي على جيرانهم
واستلاب ممالكهم والعسف في شانهم زيادة في المكنة وتوسعا في الملك ولاسيما اذا كان ذلك

الجار ظانا مع ضعفه وعجزه ان يحفظه مانع من اخذه اخبر تعالى من كانه سال عن ذلك انه على غير هذا
لغناه عنه فقال ان الله اي الذي له الكمال كله لا يغير ما بقوم اي خيرا كان او شرا حتى يغيروا
ما اي الذي بانفسهم مما كانوا يزينونها به من التحلي بالاعمال الصالحة والتخلي من اخلاق المفسدين
فاذا غيروا ذلك غير بهم اذا ارادوا وان كانوا في غاية القوة ولما كان ملوك الدنيا لا يتمكنون غالبا
من جميع مراداتهم لكثرة المعارضين من الامثال الصالحين للملك قال تعالى عاطفا على ما تقديره فاذا
غيروا اماتا نعمتهم انزل بهم السوء واذا اراد الله اي الذي له صفات الكمال بقوم اي وان كانوا
في غاية القوة سوءا فلا مرد له من احد سواه وقد تقدم لهذه الاية في الانفال مزيد بيان ولما كان
كل احد دونه في الرتبة لا امكان له ان يقوم مقامه بوجه قال وما لهم وبين سفول الرتب كلها عن
رتبته فقال من دونه واغرق في النفي فقال من ولما كان السياق ظاهرا في انه لا منقذ لهم مما
اراده اتى بصيغة فاعل اشارة الى نفي ادنى وجوه الولاية فكيف بما فوقها فقال وال اي ملجا يعيذهم
بان يفعل معهم من الانجا والنصرة ما يفعل القريب مع وليه الاقرب اليه ثم اخبر تعالى بامر هو من
ادلة ما قبله جامع للعلم والقدرة وهو الطف من ذلك كله معلم بجليل القدرة في انه اذا اراد سوءا فلا
مرد له ودقيق الحكمة لانه مظهر واحد ترجى منه النعمة وتخشى منه النقمة فقال هو اي وحده الذي
يريكم اي على سبيل التجديد دائما البرق وهو لمع كعمود النار خوفا اي لاجل ارادة الخوف من قدرته
على جعله صواعق مهلكة والخوف انزعاج النفس بتوهم وقوع الضر ولما لم يكن لهم تسبب في
انزال المطر لم يعبر بالرجا وقال وطمعا اي لاجل ارادة طمعكم في رحمته بان يكون غيثا نافعا ولا
بد من هذا التقدير ليكونا فعلا لفاعل الفعل المعلل ويجوز ان يكون المعنى يريكم ذلك اخافة واطماعا
فتخافون خوفا وتطمعون طمعا فتكون الاية من الاحتباك فعل الارادة دال على الاخافة والاطماع
والخوف والطمع دال على انكم تخافون وتطمعون ويجوز ان يكونا حالين من ضمير المخاطبين اي ذوي
خوف وطمع وينشي والانشا فعل الشي من غير سبب مولد السحاب وهو غيم ينسحب في السما وهو
اسم جنس جمعي واحده سحابة الثقال بالانهار للما المحمولة في الهوا على متن الريح والثقل الاعتماد على
جهة السفل بكثافة الاجزا ويسبح الرعد اي ينزه عن صفات النقص تنزيها ملتبسا بحمده اي
وصفه بصفات الكمال ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرعد ملك وان لم يصح انه ملك فتسبيحه
دلالته على ان موجده سبحانه منزه عن النقص محيط باوصاف الكمال والملايكة اي تسبح من خيفته
قال الرماني والخيفة متضمنة بالحال كقولك هذه ركبة اي حال من الركوب حسنة وكذلك هذه خيفة
شديدة والخوف مصدر غير متضمن بالحال ويرسل الصواعق المحرقة من تلك السحايب المشحونة
بالمياه المغرقة والصاعقة قال الرماني نار لطيفة تسقط من السما بحال هائلة فيصيب بها اي
الصواعق من يشا كما اصاب بها اربد بن ربيعة وهم اي والحال انهم مع ذلك الذي تقدم من احاطة
علمه وكمال قدرته يجادلون والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج في الله اي الملك الاعظم بما
يودي الى الشك في قدرته وعلمه ولما كان لا يبغي من قصده بالعذاب شي قال وهو شديد المحال
لان المحال ككتاب الكيد وروم الامر بالحيل والتدبير والمكر والقدرة والجدال والعذاب والعقاب

والعداوة

والعداوة والمعاداة والقوة والشدة والهلاك والاهلاك ياتي اعداه بما يريد من انزال العذاب بهم
من حيث لا يحتسبون وكلها صالح هنا حقيقة او مجازا وقال الرماني والمحال الاخذ بالعقاب من قولهم
ماحلت فلانا اذا فتلته الى هلكة انتهى ومادة محل بجميع تقاليبها تدور على حرف الشي عن وجهه
وعادته وما تقتضيه جبلته وذلك يستلزم القدرة والقوة والشدة فالحامل يمسك المحمول بقوته عن
ان يهوي الى جهة السفل والحملة الكرة في الحرب ويلزم الحمل المشقة ومنه تحمل الشي وحمل عليه اي حلم
فهو حمول ذو حلم والحميل كامير الدعي والغريب كانهما محمولان لحاجتهما الى ذلك والكفيل لانه حامل
لكل المكفول واحتمل لونه للمفعول غضب وامتقع كان الغضب صرفه عما كان من عادته والحمل بحسن
المراة بنزل لبنها من غير حبل لان ذلك شي على غير وجهه والحمل محركة الخروف لسهولة حمله والحليم من يحبس
غيظه بقوة حلمه اي عقله عن ان يستخفه الغضب والحلم بالكسر الاناة والعقل والحلم بالضم وبضمتين
الرويا لانها صرف النفس عما هي عليه وهو من شانها من الغفلة ومنه الحلم بالضم والاحتلام للجماع في النوم
والاسم الحلم كعنق وذلك يكون غالبا عند فراغ البال عن الهموم واليه يرجع حلم الماء بالضم يحمز والصبي
وغيره اقتبل شحمه او هو من الحلمة محركة للحمة النابتة وسط الثدي كالثولول لصرفها لون الثدي
وهيئته عما كان عليه وشجر السعدان لانه مرعى جيد يسمن والصغيرة من القردان او الضخمة لشبهها
بحلمة الثدي ودود يقع في الجلد قبل الدبغ فياكله لان ذلك يغيره عن هيئته والحالوم ضرب من
الاقط لانه لحرافته يغير اللسان ودم حلام هدر لا نخرج عما عليه عادة الدماء والملح يصرف المملوح
عن الفساد واما الماء الملح فنسبه به في الطعم وكذا الملح محركا اللون كالبياض يخالطه سواد والملحاء شجرة
سقط ورقها شبهت بارض الملح في عدم الانبات ولما عرف الملح بالصلاح شبه به العلم فسمي ملحا
وكذا الرضاع والحسن والشحم والسمن والحرمة والزمام وخفقان الطاير بجناحيه يصلح بذلك طيرانه
او يملح به استرواحا اليه وملح الشاة سمطها والملاح ككتاب الريح يجري بها السفينة وهي ايضا
تصرفها عما تقتضيه حالها من عدم السير ومعالجة حيا الناقة منه وملحه على ركبتيه اي لاوقاله لان
الملح لا يثبت هناك او هو سمين او حديد في غضبه بمعنى انه لا صلاح له وملحه اغتابه شبه بمن يتطعم
الملح لبعد مزاجه وكذا الملاح الملاح ككتاب وهو هبوب الجنوب عقب الشمال وكذا الملاحي
كغرابي وقد يشدد وهو عنب ابيض طويل ونوع من التين ومن الاراك ما فيه بياض وحمرة والملح بضم الميم
وفتح اللام من الاحاديث وامتلح خلط كذبا بحق والملح محركة ورم في عرقوب الفرس صرفه عن هيئته
المعتادة والملاح ككتاب سنان الرمح لتهيئته له بعد الوقوف للنفوذ والسترة لصرفها البصر
عن النفوذ الى ما وراها وبرد الارض حين يبزل الغيث لانه يصرف حالها التي كانت عليها الى اخرى
والملحة بالضم المهابة لصرفها المجترئ عن قصده ولان سببها صرف النفس عن هواها والملحاء الكتيبة
العظيمة ومنه البركة لمنعها الماشي عن حاله في المشي ومنه الملحة بالفتح للحمة البحر وملحان الكانون
الثاني لصرفه بقوة برده الزمان عما كان عليه والناس عما كانوا عليه والملحاء اللحم في الصلب من الكاهل
الى العجز لمنعه من رويتة عظام الصلب ورووس الاضلاع والمحل صرف ما في الزمان عن عادته بعدم
المطر والانبات ورفاهة العيش وكذا المحل للكيد والمكر والغبار والشدة والمحال لما تقدم من

تغسيره ومنه ماحله فاواه والمتماحل الطويل المضطرب الخلق لخروجه عن العادة وتحاله احتال والمحل لمعظم من اللبن الاخذ طعم حموضة والمحالة البكرة العظيمة لمرفها بثقلها الشي عن جهة و الفقرة من فقر البعير لمشابهتها والخشبة التي يستقر عليها الطيانون لحملها اياهم ومنها لهم من السقوط والمحل كلكتف من طرد حتى اعيي لانه صرف عما كان من عادته ورابته منتحلا متغير البدن واللحم في البصر عما كان عليه ولحم البرق لمع بعد كمونه واللحم من لحمة الثوب بالضم كانه سدا ماحصل من الهزال من فرج ومنه لحم كل شي لبه ولحم الامر كمنع احكمه والصانع الفضة لأمها وكذا الكل صدع ولحم كعلم نشب في المكان كانه وقع فيما يشبه اللحم فالتصق به فاوحله وشغله وهذا الجسم هذا اي وفقه وشكله وهو يرجع الي لحمة الثوب واستلحم الطريق اتسع كانه طلب ما يلحمه اي يسده وحبل متلاحم نتج لحا شديد الفتل لانه سدت فرجه كما تسد اللحمة فرج الثوب وبني الملحمة من القتال لانه ضرب اللحم بالسيف ومن النايف كما يكون عن لحمة الثوب لان غاية قتاله صلي الله عليه وسلم اعظم خبر والنفه والتحم الجرح للبرء التأم من ذلك ومن اللحم ايضا لانه به التأم ولما بين تعالي تصديقا لقوله وكابن من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ماله من الايات التابعة لصفات الكمال التي منها التنزه عما لا يليق بالجلال وانه شديد المحال شرع يبين ضلالهم في اشراكهم المشار اليه في قوله وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون بما هو علة لختم ما قبلها من انه لا كفو له فقال له اي الله دعوة الحق ان دعاه احد سمعه فاجابه ان شا بما يشاو ان دعا هو احدا دعوة امر بين الصواب بما يكشف الارتياب او دعوة حكم لي صا او لجاب والذين يدعون اي يدعوا الكافرون وبين سفول رتبتهم بقوله من دونه اي الله لا يستجيبون اي لا يوجدون الاجابة لهم اي الكافرين بشي والاستجابة متابعة الداعي فيما دعا اليه بموافقة لارادته الا كباسط اي الا اجابة كاجابة الما لباسط كفيه تثنية كف وهو موضع القبض باليد واصله من كفه اذا جمع اطرافه الي الما ليبلغ اي الما فاه دون ان يحمل كفاه الي الما بما دل عليه التعدية بالي فما الما بمجيب دعاءه في بلوغ فيه وما هو اي الما ببالغه اي فيه فللكافرين بذلك دعوة الباطل كما ان الما جماد لا يحس بدعوة هذا فلا يجيبه فاصنامهم كذلك ولما كان دعاوهم منحصرا في الباطل قال في موضع وما دعا وهم مظهرا تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وما دعا الكافرين اي الساترين لما دلت عليه انوار عقولهم معبود انفسهم او غيرها الا في ضلال لانه لا يجديهم نفعا اما معبوداتهم فلا تضر ولا تنفع واما الله فلا يجيبهم لتضييعهم الاساس ولما كانت دعوة الامر واضحة السبل جلية المناهج في جميع كتبه وكلها الي الناظرين وبين دعوة الحكم بقوله ولله اي الملك الاعلي يسجد اي يخضع وينقاد ويتذلل كما بين عند قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك من في السموات والارض لجميع احكامه النافذة واقضيته الجارية طوعا والطوع الانقياد للامر الذي يدعي اليه من قبل النفس وكرها قال الرازي والكافر في حكم الساجد وان اباه لما به من الحاجة الداعية الي الخضوع واعلم ان سجود كل صنف هو تذلله وتسخره وانقياده لما اريد له فكل موجود جماد وحيوان عاقل وغير عاقل روحاني وغير روحاني مسخر لامر من له الخلق والامر وقال الشيخ محي الدين النواوي في شرح المهذب اصله اي السجود الخضوع ولما كانت الظلال مسخرة لما ارادها سبحانه لا قدرة

لاحد

لاحد علي تغيير ذلك بوجه قال وظلالهم اي ايضا تسجد بامتدادها علي الارض تقصر تارة تبعا لارتفاع الشمس وتطول اخري بانحطاطها لا يقدرون علي منع ظلالهم من ذلك حيث يكون لهم ظلال وذلك بالغدو جمع غداة وهي البكرة اول النهار والاصال جمع اصيل دايما في جميع البلاد وفي وسط النهار في بعض البلاد والظل ستر الشخص ما بازايه والفي الذي يرجع بعد ذهاب ضوءه والاصيل العشي ما بين العصر الي المغرب كانه اصل الليل الذي ينشا منه ومادة صلا واوية ويائية مهموزة وغير مهموزة بتراكيبها الاحد عشر وهي صلو صوك لصو لوص وصل ملي صيل لصي ولقي لبص اصل مال تدور علي الوصلة فالصلاة وصلة بين العبد وربه سوا كانت دعا او استغفار او رحمة او حسن الثنا من الله علي رسوله او ذات الاركان وصلوات اليهود لمتعبداتهم من ذلك في الاصل والصلا وسط الظهر منا او من كل ذي اربع او ما انحدر من الوركين او الفرجة بين الجاعرة والذنب يجوز ان يكون من ذلك لانه يقرب من غيره من الاعضا اذا انثني الحيوان ويجوز ان يكون شبه بالعود المعوج الذي يقوم باصلايه النار واصلت الناقة وصليت اذا استرخي صلواها لقرب نتاجها والمصلي من خيل الحلبة الذي يجي علي اثر السابق فانه يواصله وصلي الحمار اتنه اي طردها ونحا بها الطريق فكانه بذلك قومها بعد ان كانت معوجة او اراد مواصلتها وصال الرجل صولة اذا سطا واستطال لان ذلك مواصلة علي وجه القهر والغلبة وكذا صال الفحل علي الابل اذا قاتلها والعير اذا حمل علي العانة فسلها وصال علي كذا وثب وصاوله واثبه والتصويل اخراجك الشي بالما لان ذلك سبب الخلوص واذا خلص الشي تواصلت اجزاوه لان ذلك المخرج كان حايلا بينها والتصويل ايضا كنس نواحي البيدر لانه سبب لتواصل ما كان متفرقا ومن ذلك المصول لكنيز لشي ينقع فيه الحنظل لتذهب مرارته ربما المكنسة والصيلة بالكسر عقدة العذبة لتواصل محل العقد بعضه ببعض وبه يتماسك اتصال بعض العمامة ببعض والجراد يصول في مشواه من التصويل اي يساط بمعني يخلط بالتقليب فيتواصل منه ما كان متفرقا وصال يصيل لغة في يصول وصيل له كذا بالكسر قيض واتيح لانه صار متواصلا له ولصوت الرجل عبته وقذفته لانك وصلت به العيب وفلان لا يلصو الي ريبة لا ينضم اليها ولا ينضاف واللوص اللمح من خلل باب ونحوه كالملاوصة كانه وصله بالنظر من موضع غير معهود او لانه سبب للوصلة الي ما يراد ولاص نظر كانه يختل ليروم امرا والشجرة اراد ان يقطعها بالفاس فلاوص في نظره يمنة ويسرة كيف يابتها وكيف يضربها لان حاصل ذلك المواصلة علي وجه الشدة لما تقدم في صال عليه وتلوص تلوي وتقلب ومنه الليص اي ارعش والاص علي الشي اداره واراده منه كانه طلب منه مواصلته واللواص كسحاب الفالوذكالملوص كمعظم والعسل الصافي لانه اهل للمواصلة ولوص اكل واللوص وجع الاذن والنحر واللوصة وجع الظهر كانه لشدته لا تواصل للبدن سواه ولاص حاد اي سلب الوصلة والوصلة التي هي مدار المادة وكانها الحقيقة التي تتشعب منها فروعها هي الضم وهي التيام الشي بالشي وكل ما اتصل بشي فالذي بينهما وصلة وضدها الفرقة والوصل ضد القطع والاوصال المفاصل ومجتمع العظام لانها موضع اتصال العظم بالاخر والوصلان بالكسر والضم

طبقا الظهر وبتالـهما العجز والعجز والوصيلة الشاة تلد ذكرا ثم تلد انثى فتصل اخاها وفيها خلاف
كبير كله يدور على الوصلة ووصل الشي بالشي لأمه ووصل الشيء والى الشيء بلغه وانتهى اليه واو
واتصل لم ينقطع ووصله وواصله كلاهما يكون في عفاف الحب ودعارته والوصايل جمع
وصيلة لثياب حمر مخططة يمنية يتخذها الناس دروعا يشق من جانبيها كانه لانها توصل بغيرها
او يقطع بعضها ثم يوصل بها لتصير درعا والوصيلة العمارة والخصب والرفقة والسيف لان
ذلك اهل لان يوصل والوصيلة كبة الغزل لشدة التباس بعضها ببعض والارض الواسعة لان
اتصالها لم يحل بينه جبال وليلة الوصل اخر ليالي الشهر لانها تصل بين الشهرين وحروف الوصل
التي بعد حروف الروي لانه وصل حركة حرف الروي ووصيلك من يدخل ويخرج معك وتصل
بير ببلاد هذيل واتصل الرجل اذا انتسب لانه وصل نفسه بمن انتسب اليهم وللموصول دابة كالدبر
تلسع الناس كانه من السلب وصليت اللحم شويته لانك وصلته بالنار وصليته العينه في
النار للاحراق والصلا ككسا الشوا او النار كالمصلى فيهما وكان منه صلى عصاه على النار اي لحاها
ليقومها لان كلا منهما وصله بالنار للاصلاح واصليته النار ادخلته اياها واثويته فيها وصلي بيده
بالنار سخنها لانه وصلها بها وصلى النار كرضي قاسى حرها وصليت فلانا داريته وختلته وخدعته
كل ذلك لارادة مواصلته لامر والصلاية وتهمز الجبهة لكثرة مباشرتها الارض في الصلاة وبدق
الطيب لمواصلة الدق وصليت للصيد تصلية اذا نصبت له شركا ليقع فيه فيتصل اليه ومنه
الحديث ان للشيطان مصالي وفخوخا جمع مصلاة وفخ والصليان بكسرتين تشديد قال في مختصر العين
نبت معروف ذوالاعزاز هو ان يضيفه الى ريبة ولصى اليه انتم اليه لريبة ولاص يليص حاد
ولصته البصه والصته اذا ازعجته او حركته لتنزعه كانه من السلب والصته عن كذا اذا اردته
عنه يمكن ان يكون سلبا وان يكون ايجابا والاصل اسفل كل شي لان جميع الاشيا واصلة اليه واصل
ككرم صار ذا اصل او ثبت او رسخ اصله كتاصل والراي جاد كل ذلك تشبيه بالاصل والاصيل
من له اصل والعاقب الثابت الراي وقد اصل ككرم والاصيل العشي لانه وصلة ما بين النهار
والليل او لانه لما اذن بتصرم النهار كان كانه اجتثه من اصله ومنه الاصيل للهلاك والموت
كالاصيلة فيهما ولقيتهم موصلا اي بالاصيل واخذه باصلته محركا واصلته اي كله باصله واصيلتك
جميع مالك او نخلك والاصيل ككتف المستاصل واصله علما قتله كانه ادام مواصلته حتى
اتقنه والاصلة محركة حية قصيرة تساور الانسان قاله في مختصر العين وفي القاموس حية صغيرة
او عظيمة تهلك بنفخها فان نظرت الى المساورة فهو من المواصلة كما تقدم في صال عليه وان نظرت الى
الهلاك فهو من الاستيصال واصل الما كفرح اسن من حماه واللحم تغير ويجوز ان يكون من الوصلة اي
لشدة مواصلة الحماة للما والهوا للحم وان يكون من الاصيل اي الهلاك بجملته واصله وان يكون من
سلب المواصلة وصول البعير ككرم صالة واثب الناس او صار يقتل الناس ويعدو عليهم وصيل
الضرس صهيله لمواصلة نغمانه هذا وقد مضى عند قوله تعالى في سورة هود عليه الصلاة والسلام الصلوتك
تامرك اشارة الى هذا فلما تبين قطعا انه سبحانه المدبر للسموات والارض القاهر لمن فيهما تبين قطعا
انه المختص بربوبيتهما فامره تعالى ان يوجه السوال اليهم عن ذلك وردا على عبدة الاصنام وغيرهم من

الملحدين

الملحدين بقوله **قل** اي بعد ان اقمت هذه الادلة القاطعة مقررا لهم **من رب السموات**
والارض اي موجدهما ومدبرهما اي وكل ما فيهما ولما مضى في غير اية انهم معترفون بربوبيته مقرون بخلقه ورزقه
لم يزعم ذلك عن الاشراك جعلوا هنا كانهم منكرون لذلك عنادا فلم ينتظر جوابهم بل امره ان يجيبهم بما
يجيبون به اشارة الى انهم لا يتحاشون عن التناقض في اتباع الهوا ولا تصونهم عقولهم الجليلة واراهم
الاصيلة ان لا ولى الاهو فتسبب عن ذلك توجه الانكار عليهم في اعتماد غيره فامره بالانكار في قوله
قل افاتخذتم اي فتسببتم عن انفراده بربوبيتكم ان اوجدتم الاخذ بغاية الرغبة فسببتم الاشراك
عما يجب ان يكون سبب التوحيد وبين سفول رتبتهم بقوله **من دونه اوليا** لا يساوونكم في التسبب
في الضر والنفع بل **لا يملكون لانفسهم** فكيف بغيرهم **نفعا** ونكره ليعم وقدمه لان السياق لطلبهم
منهم والانسان انما يطلب ما ينفعه ولما كان من المعلوم انه لا قدرة لاحد على ان يوثر في اخر اثرا لا يقدر
على مثله في نفسه قال **ولا ضرا** فثبت ان من سواهم بالله اضل الضالين لانه يلزمه ان يسوي
بين المتضادات فكان معنى قوله **قل هل يستوي** والاستوا استمرار الشي في جهة واحدة **الاعمى**
في عينه او في قلبه **والبصير** كذلك **ام هل تستوي** بوجه من الوجوه **الظلمات والنور** هل ادتهم
عقولهم الى ان سووا بين هذه المتضادات الشديدة الظهور لغباوة او عناد حتى سووا من يخلق
بمن لا يخلق فجعلوا له شركا كذلك لغباوة او عناد **ام جعلوا لله** اي الذي له مجامع العظمة **شركا**
ثم بين ما يمكن ان تكون به الشركة فقال واصفا لهم **خلقوا كخلقه** وسبب عن ذلك قوله **فتشابه**
والتشابه التشاكل بما يلتبس حتى لا ينفصل فيه بين احد الشيئين والاخر **الخلق عليهم** فكان ذلك الخلق
الذي خلقه الشركا سبب عروض شبهة لهم وساق ذلك في اسلوب الغيبة اعلاما بانهم اهل للاعراض
عنهم لكونهم في عداد البهايم لقولهم ما لا يعقل بوجه من الوجوه وهذا تقريب مما ياتي قريبا في قوله تعالى
ام بظاهر من القول اي بشبهة يكون فيها نوع ظهور لبعض الاذهان ولما كان من المعلوم قطعا انه جوابهم
ان الخلق كله لله ولم يمنعهم ذلك من نداء سواه امره ان يجيبهم معرضا عن جوابهم فقال **قل الله** اي
الملك الاعلى **خالق كل شي** اشارة الى انهم في احوالهم كالمنكر لذلك عنادا او خرقا لسياج الحيا وهتكا
لجلباب الصيانة واذ قد ثبت انه المنفرد بالخلق وجب ان يفرد بالتاله فقال **وهو الواحد** اي
الذي لا يجانسه شي وكل ما سواه لا يخلو عن مجانس يماثله واين رتبة من يماثل من رتبة من لا مثل له
القهار الذي كل شي تحت قهره بانفسهم وظلالهم وهو القادر بما لا يمكن ان يغلبه غالب وهو لكل شي
غالب وهذا اشارة كما مضى في مثله غير مرة في سورة يوسف وغيرها الى برهان التمانع فان اربابهم
متعددون فلو كانت لهم حياة وكانوا متصرفين في الملك لامكن بينهم تمانع وكان كل منهم معرضا
لان يكون مقهورا فكيف وهم جماد فثبت قطعا انه لا شي منهم يصلح للالهية على تعدد من القادر فالـ
الرباني والواحد على وجهين شي لا ينقسم اصلا وشي لا ينقسم في معنى كالدينار ولما كان حمل الماء في العلو
لا يمكن الا عن قهر وانزاله دون غيره كذلك اتبع هذا الختم قوله دليلا مشاهدا عليه **انزل** ولما كان
الانزال قد يتجوز به عن ايجاد ما يعظم ايجاده حقق امره بقوله **من السما** ولما كان المنزل منها انواعا شتى
قال **ما فسالت** اي فتسبب عن انزاله لكثرته ان سالت **اودية** اي مياهها منها الكبير والصغير

والوادي سفح الجبل العظيم الذي يقابله جبل او تل فيجتمع فيه المطر فيجري في قضايه ومنه اخذت
الدية لجمع المال العظيم الذي يودي عن القتيل **بقدرها** والقدر اتزان الشي بغيره من غير زيادة
ولا نقصان فالمعنى ان المياه ملات الاودية مع ما في ذلك من الدلالة على التفرد بالربوبية
مما هو مثال للحق والباطل وهو قوله **فاحتمل** والاحتمال دفع الشي على الظهر بقوة الحامل له **السيل**
وهو ما المطر الجاري من الوادي بعظم **زبدا رابيا** اي عاليا بانتفاخه والزبد الرغوة التي تعلو الما
ومدار المادة على الخفة ويلزمها العلو ومنه زبد البحر والبعير للرغوة الخارجة من شدقه والغصبان
وزبدت المراة القطن اذا نفشته والزباد كرمان ضرب من النبت تنفرش افنانه وشاة مزبدة اي
سمينة ومنه الزباد للطيب المعروف وهو وسخ يشبه الرغوة يجتمع تحت ذنب نوع من السنانير ومنه
الزبد بضم وسكون لخالص اللبن فانه اخفه يقال منه زبدت فلانا ازبده اذا اطعمته الزبد ثم
اتسع فيه حتى قيل لمطلق العطية ومنه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن زبد المشركين ومنه الزِّبد
بكسر ثم سكون وهو النصيب ويمكن ان يكون من زبد اللبن الزباد للنبت فانه مرعى ناجع كانه شبه
به او لانه يشبهه وكذا شاة مزبدة اي سمينة ويلزم للخفة الاسراع يقال تزبد اليمين اذا اسرع اليها
وانما شبهت بالزبد في سهولة التقامه ولما كان الزبد احسن مثل المعبود انهم وكان لا يختص بالما
الذي هو مايع بطبعه يجمع الاوضار والاقذار بجريه ذكر معه ما يشبهه في المنع من الجوامد الصلبة
التي تزبد عند الاذابة مع كونها في حال الجمود في غاية الصفا والخلوص عن الشوايب على ما يظهر فقال
ومما توقدون اي ايقادا مستعليا **عليه** اي للاذابة **في النار** من المعادن **ابتغا حلية** تتحلون بها
من الاساور والحلق ونحوها **او ابتغا متاع** تتمتعون به من الدراهم والدنانير والسيوف والاواني
واصل المتاع التمتع الحاضر فهذا تقسيم حاصر لانواع الفلز المنوع اليها مع اظهار التهاون
به وان تنافس الناس فيه كما هو شان الملوك يظهرون المجد والافتخار بالاستهانة بما
يتنافس الناس فيه **زبد مثله** اي مثل زبد الما يكشط عن وجهه او يعلق باطراف الانا فيذهب
ويبقى ذلك الجوهر خالصا كالحق اذا زالت عنه الشكوك وانزاحت الشبه ولما كان هذا في غاية
الحسن والانطباق على المقصود كان سامعه جديرا بان يهتز فيقول هذا مما لا يقدر على سوقه هكذا
الا الله تعالى فيا له من مثل فاجيب بقوله **كذلك** اي مثل هذا الضرب العلي الرتبة الغريب العجيب
المتين السبب **يضرب الله** اي الذي له الامر كله **الحق والباطل** اي مثلهما وضرب المثل تسييره
في البلاد يتمثل به الناس ولما نبه بهذا الفصل على علو رتبة هذا المثل شرع في شرحه فقال
مبتديا بما هو الاهم في هذا المقام وهو ابطال الباطل الذي اضلهم وهو في تقسيمه على طريق النشر
المشوش فقال **فاما الزبد** اي الذي هو مثل الباطل المطلق **فيذهب** متعلقا بالاشجار وجوانب
الاودية لانه يطفو بخفته ويتعلق بالاشيا الكثيفة بكثافته **جفا** قال ابو حيان اي مضمحلا اي
متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقا له وقال ابن الانباري متفرقا من جفات الريح الغثا اذا قطعته وجفات
الرجل صرعته انتهى فهذا مثل الباطل من الشكوك والشبه مما اثاره اهل العناد لا بقا له وان جال
جولة يمتحن الله بها عباده ليظهر الثابت من المتزلزل ثم يمحق سريعا وقال الرماني والجفا ممدود مكان

الشي

الشي به حتى يهلك **واما ما ينفع الناس** من الما والفلز الذي هو مثل الحق **فيمكث في الارض** ينتفع
الناس بالما الذي به حياة كل شي والفلز الذي به التمام فالما والمعدن مثل القران لما فيه من
حياة القلوب وبقا الشرع كما ان الما يحيي الاراضي الميتة والمعادن تحيي موات العيش وتنظم
المعاملات المقتضية لاختلاط بعض الناس ببعض وايتلافهم بالحاجة والاودية والاواني مثل
القلوب يثبت منه فيها ما تحتمله على قدر سعة القلب وضيقه بحسب الطهارة وقوة الفاهمة
ولما انقضى هذا المثل على هذا البيان الذي يعجز دونه الثقلان لانه احسن شي معنى باوجز عبارة
واوضح دلالة كان كانه قيل هل يبين كل شي هذا البيان فقيل نعم **كذلك** اي مثل الضرب **يضرب
الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة **الامثال** فيجعلها في غاية الوضوح وان كانت في غاية
الغموض ومادة جفا واوية ويائية مهموزة وغير مهموزة بكل ترتيب وهي جفا جاف فجا جفى
جيف فيج جفو جوف فوج فجو وجف تدور على الطرح جفا الوادي والقدر رميا بالجفا اي
الزبد وجفا القدر والوادي مسح غثاه اي فطرحه وجفاه صرعه والبرمة في القصعة كفاها اي
طرح ما فيها والباب اغلقه وفتحه ضد لانه في كليهما كالمرمي به والبقل قلعه من اصله والجُفا
كغراب الباطل لانه اهل للقذف به والطرح والسفينة الخالية لانها معرض قذف الما لها او اجفا
ماشيته اتعبها بالسير ولم يعلفها اي سيرها سيرا كانها يقذف بها وجفا به طرحه وجفات
البلاد ذهب خيرها فكانت كانها طرحته او صارت هي اهلا لان تطرح وتبعد والعام جفاه البلا
وهو ان ينتج اكثرها لانها طرحت اجنتها ومن يايبه جفيته اجفيه صرعته والجفاية بالضم
السفينة الفارغة والمجفي المجفو ومن واويه جفا الشي يجفو اذا لم يلزم مكانه كانه فصل من مكانه
فطرح به والجفا والجفوة ترك الصلة واجفيته ازلته عن مكانه وجفا عليه كذا ثقل فصار
اهلا للطرح والانفصال منه ورجل جافي الخلقة والخُلق كز غليظ لان الشي اذا غلظ لم
يلتصق التصاق اللطيف واجفى الماشية اتعبها ولم يدعها تاكل وفيه جفوة اي هو جاف فان
كان يجفو قيل به جفوة ومن مقلوبه مهموزا جافه صرعه وذعره اي قذف في قلبه رعبا والشجرة
قلعها من اصلها والجاف كشداد الصياح كانه يقذف بصوته ورجل مجاف لا ثبات له كانه يقذف
به من مكانه والمجووف الجايع والمذعور كانه من الجوف وانما همزت واوه الاولى لانضمامها مع
انه يمكن تنزيله على انه قذف فيه ذلك ومن يايبه الجيفة جثة الميت وقد اراح والجياف
كشداد النباش وجافت تجيف انتنت فصارت متهيية للطرح والتغييب وجيّفه ضربه
لما راه اهلا للبعد وجيّف فلان في كذا وجيّف اي فزع وافزع اي طرح في قلبه رعب فصار
لا تسعه ارض بل يقذف بنفسه من مكان الى اخر ومن واويه الجوف المطمين من الارض لانه يسع
ما يطرح فيه ويمسكه ومهما طرح من الجبال من شي استقر به والجوف منك بطنك لاستقرار ما
طرح الغذا فيه واهل الاغوار يسمون فسطاطيط عمائرهم الاجواف لطرح انفسهم واحتفافهم
فيها وجوف الليل وسطه تشبيه بالجوف والاجوفان البطن والفرج والجوف محركة السعة
والجوفا من الدلا الواسعة ومن القنا والشجر الفارغة والجايفة جراحة تبلغ الجوف وتلعه جايفة

قصيرة لانها لقصرها بالجوف اشبه منها بالجبل وجوايف النفس ما تعترض الجوف في مقاد الروح
والمجوف كمعظم من لا قلب له كان قلبه طرح من جوفه فصار خاليا والجوفان بالضم ابر الحمار لسعة
جوفه ولجفت الباب رددته كانه من السلب لانك سددت جوف البيت او انه شبه الاغلاق
بطرح الباب ومن مقلوبه مهموز الجيئة الامر كسمعه ومنعه هجم عليه من غير ان يشعر به كانه قذف
به اليه ونجيت الناقة كفرح عظم بطنها كانه تذف فيه بشي ونجأ كمنع جامع لانه طرحها وطرح
نفسه عليها والمفاجي الاسد لانه يخرج بغتة فيثب من غير توقف ومن مقلوبه واويا النجوة
المتسع من الارض والفرجة لتهيوها لما يطرح فيها والنجوة ايضا ساحة الدار وما بين حوامي
الحوافر اي ميامنها ومياسرها ونجا قوسه رفع وترها عن كبدها فهي نجوا ونجاها به فتحه فصار
كالجوف والنجا تباعد ما بين الركبتين او الفخذين او الساقين او عرقوبي البعير نجي كرضي وهو
انجا وعظم بطن الناقة والفعل كالفعل والتنجية الكشف لانك طرحت الغطا والتنجية ايضا
النحية وهي واضحة في الطرح وانجى وسع النفقة على عياله كانه يقذف بها قذفا ومن مقلوبه
يائيا افاج الرجل اذا اسرع ومنه الفيج لرسول السلطان على رجليه كانه لسرعته يطرح به في
الارض هذا هو الصحيح الذي صححه صاحب العباب لانه معرب بيك وقيل انه واوي اصله فيوج
ثم قيل فيج ككيس ثم خفف وجمعه فيوج وقيل الفيوج الذين يدخلون السجن ويخرجون ويحرسون
وافاج في الارض ذهب والقوم ذهبوا وانتشروا كانه قذف بهم والفيج الوهد المطمئن من الارض
لانه موضع لطرح ما في الاعالي ومن مقلوبه واويا الفوج الجماعة كانهم اقتطعوا من الجمهور فقذف
بهم وفاح المسك فاح وسطع اي انتشرت رائحته والنهار برد اما بمعنى طرح برده على ما فيه
واما لاحواجه الحيوان الى ان يطرح عليه ما يدفيه وافاج اسرع وعدا وارسل الابل على الحوض
قطعه والفايج البساط الواسع من الارض لتهيوه لما يطرح فيه من تسمية المحل باسم الحال
وافاج في عدوه ابطا فهو للسلب وفاجت الناقة برجليها نحت بهما من خلفها والفايجة متسع
ما بين كل مرتفعين كانه محل طرح ما ينزل منهما ومن مقلوبه وجف يجف وجيفا اضطرب والوجف
ضرب من سير الابل والخيل وجف يجف واوجفته واستوجف الحب فواده ذهب به كانه طرحه منه
ولما تم ما للحق والباطل في انفسهما من الثبات والاضطراب ذكر ما لاهلهما من الثواب والعقاب
جوابا لمن كانه قال ما لمن تدبر هذه الامثال وابدعها اشارت اليه من الضلال او حاد عما دعت
اليه وما ل فاجيب بقوله **للذين استجابوا** اي طلبوا من انفسهم الاجابة واوجدوها **لربهم** اي
المحسن اليهم شكرا له الحالة **الحسنى** اي العظيمة في الحسن وهي القرار في الجنة فهو جزاوهم قال
ابو حيان وذلك هو النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمه تعالى ودخول الجنة في الاخرة انتهى وقد تقدم
في سورة يونس عليه الصلاة والسلام انهم يزادون ما لا يعلم قدره الا الذي فعلوا ذلك خوف عقابه
ورجا ثوابه ولما ذكر ما للطايعين اتبعه جزا العاصين فقال مبتديا **والذين لم يستجيبوا** اي يرغبوا
في ايجاد الاجابة **له** واخبر عن هذا الابتدا بقوله معلما بان استعجالهم بالعذاب باستعجالهم بالسيئة قبل
الحسنة جراة منهم ناشية عن جهل صرف تزول عند روبتهم عذابه سبحانه فيبلغون حينئذ بالافتدا

غاية الذل فلا يقبل منهم **لو ان لهم** اي في ملكهم وتحت قدرتهم **ما في الارض** واكد بقوله **جميعا**
ومثله واوضح بقوله **معه لافتدوا به** اي جعلوه فكاك انفسهم بغاية جهدهم واكده لادعا الكفرة
انهم لا يبذلون لشي ولا يوهن قوامهم شي والافتدا جعل احد الشيين بدلا من الاخر على جهة الانقا به
فكانه قيل ما الذي حملهم حتى كان هذا حالهم فقيل دلالة على انه لا يقبل منهم الفدا ولو عظم **اوليك**
اي البعدا البغضا **لهم سوء الحساب** والحساب احصا ما على العبد وله وسوءه المواخذة وعدم
العفو عن شي **وماواهم** اي مستقرهم **جهنم** اي الطبقة التي تلقى داخلها بالتجهم والعبوسة ولما كان
الماوى انما ياوي اليه صاحبه للراحة فيه بالاتكا عليه فرش ونحوه قال معبرا بجمع المذام **وبيس
المهاد** ولما افترق حال من اجاب ومن اعرض في الجزا وكان ما مضى مستوفيا طرق البيان بايضاح
الامر بالجزييات والامثلة مع الترغيب والترهيب فكان جديرا بترتب الانكار عليه تسبب عنه
الانكار على من سوى بين العالم العامل وغيره التفاتا الى قوله هل يستوي الاعمى والبصير او سوى
بين الحق والباطل التفاتا الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فحسن قوله **افمن** بغا
السبب **يعلم** علما نافعا هو عامل به **انما** اي الذي **انزل** اي اوجد انزاله وفرغ منه **اليك من ربك**
اي المحسن اليك باحسن التدبير **الحق** اي الكامل في الحقية فهو بنير العين للبصر والقلب للاستبصار
والاعتبار يهتدي بما يعلم الى طريق الرشد فيسلكها والى طريق الغي فيتركها وبفهم الاشارات
وينتفع بالامثال السايرات كما يبصر بالبصر طريق النجاة من طريق الهلاك **كمن هو اعمى** لا يبصر
ولا بصيرة لانه لا يعمل وان كان عالما فهو لا ينتفع بالامثال فكانه قيل لا يستويان مثلا اصلا ثم
علل هذا الانكار بقوله **انما** اي لانه انما يعلم ذلك بالتذكر وانما **يتذكر** اي يطلب الذكر طلبا
عظيما فيعلم فيعمل **اولوا** اي اصحاب **الالباب** اي العقول الصافية الخالصة القابلة للتذكر بالتفكر
في ان ما انزل من عند الله ثابت الاركان راسي القواعد لا قدرة لاحد على ازالة معنى من معانيه ولا
هدم شي من مبانيه وان ما عداه هلهل النسج رث القوى مختل الاركان دارس الرسم منطمس
الاعلام مجهول المسالك مظلم الارجاء جم المهالك واما القلب الذي لا يرجع عن غيه لمثل هذا البيان
فكانه غير قابل للذكرى فاستحق ان يعد عدما وان يخص المتذكر بالقلب ومن المعلوم انه لا يستوي
من له لب ومن لا لب له واللب والقلب اجل ما في الشي واخلصه واجوده ولما منح سبحانه من فيهم
اهلية التذكر بالعقول الدالة على توحيده والانقياد لاوامره كان كانه عهد في ذلك فقال يصف
المتذكرين بما يدل قطعا على انه لا لب لسواهم **الذين يوفون** اي يوجدون الوفا لكل شي **بعهد
الله** اي بالعقد الموكد من الملك الاعلى باوامره ونواهيه فيفعلون كلا منهما كما رسمه لهم ولا يوقعون
شيا منهما مكان الاخر والعهد العقد المتقدم على الامر بما يفعل او يجتنب والايفا جعل الشي على مقدار
غيره من غير زيادة ولا نقصان ولما كان الدليل العقلي محتما للثبات عليه كما ان الميثاق اللفظي
موجب للوفا به قال تعالى **ولا ينقضون الميثاق** اي لا ايثاق ولا الوثاق ولا امكانه ولا زمانه
والنقض حل العقد بفعل ما ينافيه ولا يمكن ان يصح معه والميثاق العقد المحكم وهو الاوامر والنواهي
الموكدة بحكم العقل ولما كان امر الله جاريا على منهاج العقل وان كان قاصرا عنه لا يمكن نيله لمن

غير مرشد فقال والذين يصلون اي من كل شي على سبيل الاستمرار ما امر الله اي الذي له الامر كله
وقال به ان يوصل دون يوصله ليكون ماموراً بوصله مرتين وبعيد تجدد الوصل كلما قطعه قاطع
على الاستمرار لما تظافر على ذلك من دليلي العقل والنقل والوصل ضم الثاني الى الاول من غير فرج
ولما كان الدليل يرشد الى ان الله تعالى مرجو مرهوب قال ويخشون ربهم اي المحسن اليهم من ان يمنعهم
منهم ان خالفوا او يقطع الاحسان ولما كان العقل دالاً لا بعد تنبيه الرسل على القدرة بالمعاد
بالقدرة على المبدا وكان الخوف منه اعظم الخوف قال تعالى ويخافون اي يوجدون الخوف ايجاداً
مستمراً سو الحساب وهو المناقشة فيه من غير عفو ومن اول السورة الى هنا تفصيل لقوله تعالى اول
البقرة ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب مع نظره الى قوله اخر يوسف
ما كان حديثاً يفترى ولما كان الوفا بالعهد في غاية الشدة على النفس قال مشيراً الى ذلك مع شموله
لغيره والذين صبروا اي على طاعات الله وعن معاصيه وفي كل ما ينبغي الصبر فيه والصبر الحبس
وهو تجرع مرارة المنع للنفس عما تحب مما لا يجوز فعله ابتغا اي طلب وجه ربهم اي المحسن اليهم وكانه
ذكر الوجه امارة للحيا وحثاً عليه لا ليقال ما اجلده ولا لانه يعاب بالجزع ولا لانه لا طايل تحت
الهلع ولا خوف الشماتة ولما كانت افراد الشي قد تتفاوت في الشرف خص بالذكر اشيا مما دخل في
العهد والميثاق تشريفاً لها فقال واقاموا الصلاة لانها في الوصلة بالله كالميثاق في الوصلة
بالموثق له وقال وانفقوا وخفف عنهم بالبعض فقال مما رزقناهم لان الانفاق من اعظم سبب
يوصل الى المقاصد فهذا انفاق من المال وذلك انفاق من القوى وقال سرا وعلانية اشارة الى الحث
على استوا الحالتين تنبيهاً على الاخلاص ويجوز ان يكون المراد بالسر ما ينبغي فيه الاسرار كالنوافل
وبالعلانية ما يندب الى اظهاره كالواجب الا لمانع مانع وهذا تفصيل قوله تعالى ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون واستعينوا بالصبر والصلاة وقال ويدراون اي يدفعون بقوة وفطنة
بالحسنة اي من القول او الفعل السيئة اشارة الى ترك المجازاة او يتبعونها اياها فتمحوها خوفاً ورجا
وحثاً على جميع الافعال الصالحة فهي نتيجة اعمال البر ودرجة المقربين ولما ختم تلك بما يدل على ما بعد
الموت ترهيباً ختم هذه بمثل ذلك ترغيباً فقال اولئك اي العالو الرتبة لهم عقبى الدار وبينها بقوله
جنات عدن اي اقامة طويلة ومنه المعدن ثم استانف بيان تمكنهم فيها فقال يدخلونها ولما كانت
الدار لا تطيب بدون الحبيب قال عاطفاً على الضمير للمرفوع اشارة الى ان النسب الخالي غير نافع ومن
صلح والصلاح استقامة الحال على ما يدعو اليه العقل والشرع من اباهم اي الذين كانوا سبباً في ايجادهم
وازواجهم وذرياتهم اي الذين تسببوا عنهم ثم زاد في الترغيب بقوله والملائكة يدخلون عليهم
لان الاكثار من ترداد رسل الملك اعظم في الفخر واكثر في السرور والعز ولما كان اتيانهم من الاماكن
المعتادة مع القدرة على غيرها ادل على الادب والاكرام قال من كل باب يقولون سلام عليكم والسلام
التحية بالكرامة على انتفا كل شايب من مضرة وبين ان سبب هذا السلام الصبر فقال بما صبرتم
اي بصبركم والذي صبرتم له والذي صبرتم عليه اشارة الى ان الصبر عماد الدين كله ولما تم ذلك تسبب
عنه قوله فنعم عقبى الدار وهي المسكن في قرار المهيا بالابنية التي يحتاج اليها والمرافق التي ينتفع بها

والعقبى الانتها الذي يودي اليه الابتدا من خير او شر ولما ذكر ما للناجين ذكر مآل الهالكين فقال
والذين ينقضون عهد الله اي الملك الاعلى فيعملون بخلاف موجبه والنقض التفريق الذي ينفي تاليف
البنا ولما كان النقض ضاراً ولو كان في ايسر جزء ادخل الجار فقال من بعد ميثاقه اي الذي
اوثقه عليهم بما اعطاهم من العقول واودعها من القوة على ترتيب المقدمات المنتجة للمقاصد الصالحة
الدالة على صحة جميع ما اخبرت به رسله عليهم الصلاة والسلام والتحية والاكرام والميثاق احكام
العقد بابلغ ما يكون في مثله ويقطعون ما اي الشي الذي امر الله اي غير ناظرين الى ما له من العظمة
والجلال وعدل عن يوصله الى ما تقدم قريباً فقال به ان يوصل اي لما له من المحاسن الجلية والخفية
التي هي عين الصلاح ويفسدون اي يوقعون الافساد في الارض اي في اي جزء كان منها يوصل
ما امر الله به ان يقطع اتباعاً لاهوايهم معرضين عن ادلة عقولهم مستهينين بانتقام الكبير
المتعال ولما كانوا كذلك استحقوا ضد ما تقدم للمتقين وذلك هو الطرد والعقاب فقال اولئك
اي البعدا البغضا لهم اللعنة اي الطرد والبعد ولهم سو الدار اي ان تكون دارهم الاخرة سيئة
بلحاق ما يسوء فيها دون ما يسر ولما تقدم الحث العظيم على الانفاق واشير الى انه من اوثق الاسباب
في الوصلة لجميع او امر الله وختم بان للكافر البعد عن كل خير والسو كان موضع ان يقول الكفار
ما لنا يوسع علينا مع بعدنا ويضيق على المومن مع وصله واتصاله وهلا يبسط له رزقه
ليتمكن من انفاذ ما امر به ان كان ذلك حقاً فقيل الله اي الذي له الكمال كله يبسط الرزق ودل على
تمام قدرته بقوله لمن يشا فيطيع في رزقه او يعصي ويقدر على من يشا فيجعل رزقه بقدر ضرورته
فيصبر او يجزع لحكم دقت عن الافكار ثم يجعل ما للكافر سبباً في خذلانه وفقر المومن موجباً لعلو
شانه فليس الغنى مما يمدح به ولا الفقر مما يذم به وانما يمدح ويذم بالاثار ولما كان السعة مظنة
الفرح الا عند من اخلصه الله وهم اقل من القليل قال عايباً لمن اطمان اليها وفرحوا اي فبسط
لهولا الرزق فبطروا وكفروا او فرحوا بالحياة الدنيا والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى ولما
كانت الدنيا متلاشية في جنب الدار التي ختم بها للمتقين قال زيادة في الترغيب والترهيب
وما الحياة الدنيا اي بكمالها في الاخرة اي في جنبها الا متاع اي حقير متلاش قال الرماني والمتاع
ما يقع به الانتفاع في العاجل واصله التمتع وهو التلذذ بالامر الحاضر ولما كان العقل اعظم الادلة
وتقدم انه مقصور على المتذكرين اشارة الى ان من عداهم بقر سارحة وعرف ان ما دعا اليه المشرع
هو الصلاح وضده هو الفساد وكان العقل انما هو لمعرفة الصلاح فيتبع والفساد فيجتنب كان الطالب
لانزال اية غير تلك لا سيما بعد ايات متكاثرة ودلالات ظاهرة موضعاً لان يعجب منه فقال على سبيل
التعجب عطفاً على قوله وفرحوا مظهراً لما من شانه الاضمار تنبيهاً على الوصف الذي اوجب لهم
التعنت ويقول الذين كفروا اي ستروا ما دعتهم اليه عقولهم من الخير وما لله من الايات عناداً
لولا اي هلا ولم لا ولما كان ما تحقق انه من عند الملك لا يحتاج الى السوال عن الاتي به بني للمفعول قوله
انزل عليه اي هذا الرسول اية اي علامة بينة من ربه اي المحسن اليه بالاجابة لما يسال له
ليهتدي بها فنومن به وامره بالجواب عن ذلك بقوله قل اي لهولا المعاندين ما اشد عنادكم حيث

قلتم هذا القول الذي تضمن انكاركم لان يكون نزل اليّ اية مع انه لم يوت احد من الايات مثل ما
اوتيت فعلم قطعا انه ليس انزال الايات سببا للايمان بل امره لله ان الله اي الذي لا امر لاحد
معه يضل من يشا اضلاله ممن لم ينب بل اعرض عن دلالة العقل ونقض ما احكمته من ميثاق المقدمات
المنتجة للقطع بحقية ما دعت اليه الرسل لما جبل عليه قلبه من الغلظة فصار بحيث لا يومن ولو نزلت
عليه كل اية لانها كلها متساوية الاقدام في الدعوة الي ما دعا اليه العقل لمن له عقل وقد نزل قبل
هذا ايات متكاثرة دالات اعظم دلالة على المراد ويهدي عند دعا الداعين اليه اي الي طاعته
بمجرد دليل العقل من غير طلب اية من اناب اي من كان قلبه ميالا مع الادلة رجاعا اليها
لانه شا انابته كابي بكر الصديق وغيره ممن تبعه من العشرة المشهود لهم بالجنة وغيرهم ثم ابدل
منهم الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف وتطمين قلوبهم اي تسكن وتستانس الي
الدليل بعد الاضطراب بالشكوك لايجادهم الطمانينة بعد صفة الايمان لحاد استمرار الاعلى ثبات
ايمانهم لترك العناد وهذا المضارع في هذا التركيب مما لا يراد به حال ولا استقبال انما يراد به
الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الازمنة بذكر الله الذي هو اعظم الايات في ان المذكور مستجمع
لصفات الكمال فالاية من الاحتباك ذكر المنيبة اولا دالا على حذفها ثانيا وذكر الانابة ثانيا
دالا على حذفها اولا ولما كان ذلك موضع ان يقول المعاند ومن يطمين بذلك قال الا
بذكر الله اي الذي له الجلال والاكرام لا بذكر غيره تطمين القلوب فتسكن عن طلب اية غيره
والذكر حصول المعنى للنفس وذلك اشارة الي ان من لم يطمين به فليس له قلب فضلا عن ان يكون
في قلبه عقل بل هو من الجمادات او الي ان كل قلب يطمين به فمن اخبر عن قلبه بخلاف ذلك فهو كاذب
معاند ومن اذعن وعمل بموجب الطمانينة فهو من ثم اخبر عن مال هذا القسم بقوله الذين امنوا اي
اوجدوا وصف الايمان وعملوا اي تصديقا لدعواهم الايمان الصالحات لطمانينة قلوبهم الي الذكر
طوبي لهم اي خير وطيب وسرور وقرة عين وحسن ماب فكان ذلك مفهما لحال القسم الاخر فكانه
قيل ومن لم يطمين او اطمان قلبه ولم يذعن بوسي لهم وسو ماب ولما كان في ذلك قطع عن انزال
المقترحات وكان اعراض المقترحين قد طال وطال البلا بهم والصبر على اذاهم كان موضع ان يقال
من كافر او مسلم عيل صبره اولست مرسلا يستجاب لك كما كان يستجاب للرسل فقيل كذلك اي
مثل ارسال الرسل الذي قدمنا الاشارة اليه في اخر سورة يوسف عليه الصلاة والسلام في قولنا
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم الاية وفي هذه السورة في قولنا ولكل قوم هاد او مثل هذا
الارسال البديع الامر البعيد الشان الذي درّبناك عليه غير مرة من ان المرجع الي الله والكل بيده
فلا قدرة لغيره على هدي ولا اضلال لا بانزال اية ولا غيره ارسلناك اي بما لنا من العظمة في امة
وهي جماعة كثيرة من الحيوان ترجع الي معنى خاص لها دون غيرها قد خلت ولما كانت الرسل لم تعم بالفعل
الزمان كله قال من قبلها امم طال اذاهم لانبيايهم ومن امن بهم واستهزاوهم بهم في عدم الاجابة
الي المقترحات وقول كل امة لنبيها عنادا بعد ما جاهم من الايات لولا انزل عليه اية حتي كانهم
تواصوا بهذا القول حتي فعل الرسل واتباعهم في اقبالهم على الدعا واعراضهم عمن يستهزي بهم فعل

الآيس

الآيس من الانزال لتتلو اي ارسلناك فيهم لتتلو عليهم اي تقرا والتلاوة جعل الثاني يلي الاول
بلا فصل الذي اوحينا اليك من ذكر الله الذي هو اعظم الايات وهم اي والحال انهم يكفرون
لا تمل تلاوته عليهم في تلك الحالة فان لنا في هذا حِكَما وان خفيت وما ارسلناك ومن قبلك من
الرسل الا لتلاوة ما يوحي لا لطلب الاجابة الي ما يقترح الامم من الايات ظنا انها تكون سببا
لايمان احد نحن اعلم بهم وهذا كله تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بالرحمن اشارة
الي كثرة حلمه وطول اناته وتصوير لتقبيح حالهم في مقابلتهم الاحسان بالاساة والنعمة بالكفر
باوضح صورة وهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان وابعدهم من الكفران ولما تضمن كفرهم بالرحمن
كفرهم بالقران ومن انزل عليه وكان الكفر بالمنعم في غاية القباحة كان كانه قيل فماذا افعل حينيذ
اني ومن اتبعني لا نتمني اجابتهم الي مقترحاتهم الا رجا ايمانهم وكان جوابهم عن الكفر بالموحي اهم
بدا به فقال قل عند ذلك ايمانا به هو اي الرحمن الذي كفرتم به ربي المربي لي بالايجاد وادرار
النعم المحسن لي لا غيره لا اكفر احسانه كما كفرتموه انتم بل اقول انه لا اله الا هو انابة وانق
في التربية والنصرة وغيرها ولما كان تفرده بالالهية علة لقصر الهمم عليه قال عليه اي وحده
توكلت والتوكل التوثق في تدبير النفس برده على الله على الرضى بما يفعل واليه اي لا الي غيره
متاب اي مرجعي معني بالتوبة وحسًا بالمعاد وهذا تعريض بهم في ان سبب كفرهم انكار يوم الدين
ولما فرغ من الجواب عن الكفر بالموحي عطف على هو ربي الجواب عن الكفر بالوحي فقال ولو اشارة الي
انه يعتقد في القران ما هو اهله بعد ما اخبر عن اعتقاده في الرحمن اي وقل لو ان قرانا كانت به
الايات المحسوسات بان سيرت اي بادني اشارة من مسيّر ما به الجبال اي فاذهبت على
ثقلها وصلابتها عن وجه الارض او قطعت اي كذلك به الارض اي على كثافتها فتشققت
فتفجرت منها الانهار او كلم به الموتي فسمعت واجابت لكان هذا القران لانه اية لا مثل لها
فكيف يطلبون اية غيره او يقال ان التقدير لو كان شي من ذلك بقران غيره لكان به اقرارا
لاعينكم اجابة الي ما تريدون لكنه لم تجر عادة لقران قبله بان يكون به ذلك فلم يكن بهذا القران
لان الله لم يرده ذلك لحكمة علمها وليس لاحد غير الله امر في خرق شي من العادات لا لولي ولا لنبي
ولا لغيرهما حتي يفعل لاجلكم بشفاعة او بغيرها شيا لم يرده الله في الازل بل ويجوز ان يكون
التقدير لو وجد شي من ذلك فسير به ما شامخ الجبال الي ما اراد من الاراضي لما رام من الاغراض
وقطع به ما طلب من الارض انهارا وجنانا وغيرها وكلم به من اشتهي من الموتي ثم اذا فتح هذا
الباب فلا فرق بين القدرة على هذا والقدرة على غيره فيصير من حفظ منه شيا قادرا على كل شي
فبطلت حينيذ حكمة اختصاص الله سبحانه بذلك من اراد من خلص عباده وادي ذلك الي ان
يدعي من اراد من الفجرة ان امر ذلك بيده يفعل فيه ما يشا متي شا فيصير ادعاوه مقرونا بالفعل
شبهة في الشرك وليعلم قطعا انه ليس في يد احد امر بل لله اي الذي له صفات الكمال وحده
الامر وهو مما يصح ان يوقف فيه ويني جميعا في ذلك وغيره لا لي ولا لاحد من الانبيا الذين قلتم
اني لست اذ لم ينزل لكم منهم واما الخوارق التي كانت لهم فلولا ان الله شاها لما كانت فالامر

اليه وحده مهما شا كان ومالم يشا لم يكن وكان هذا جواب لما حكي في السيرة النبوية ان الكفار تعنتوا
به قال ابن اسحق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة في قبايل قريش في الرجال والنسا فاجتمع اشرافهم
فارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم فكلموه في الكف عنهم وعرضوا عليه ان يملكوه عليهم وغير ذلك فابى
وقال ان الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فقالوا
فانك قد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك
الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليخرق
فيها انهارا كانهار الشام والعراق زاد البغوي فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث
سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام لميرتنا ونرجع في يومنا فقد سخرت الريح
لسليمان كما زعمت رجع الى ابن اسحق وليبعث لنا من مضى من ابابنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي
ابن كلاب فانه شيخ صدق فنسيلهم عما تقول الحق هو ام باطل فان صدقوك وصنعت ما سالناك
صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول زاد البغوي فان عيسى كان
يحيي للموتى ولست باهون على ربك منه فكان سوالهم هذا امتحانا لادعايهم ان دعواه انزال القران
لا تنتج الان تعلق هذه الاشيا ولما كان هذا كله اقناطا من حصول الايمان لاحد بما يقترح تسبب
عنه الانكار على من لم يفد فيه ذلك فقال تعالى افلم ييأس السبب ييأس الذين امنوا من ايمان مقترحي
الايات بما يقترحون لعلمهم ان اي بانه لو يشا الله اي الذي له صفات الكمال هداية كل احد
مشية مقترنة بوجوده لهدي الناس وبين ان اللام للاستغراق بقوله جميعا اي بايسر مشية والعلم
بالشي يوجب الياس من خلافه لكنه لم يهدهم جميعا فلم يشا ذلك ولا يكون الا ما شاه فلا يزال الفريق
منهم كافرا فقد صح ان ييأس على بابها وكذا في البيت الذي استشهدوا به على انها بمعنى علم يمكن ان يكون
معناه افلم ييأسوا عن اذاي او عن قتلي علما منكم باني ابن فارس زهدم فلا يضيع لي ثار وكذا قراة علي
ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم افلم يتبين الذين امنوا اي ان اهل الضلال لا يومنون لاية
من الايات علما منهم بان الامر لله جميعا وان ايمانهم ليس موقوفا على غير مشيته ولما علم من
ذلك ان بعضهم لا يومن ضاقت صدور المومنين لذلك لما يعاينوه من اذى الكفار فاتبعه ما يسليهم
عاطفا على ما قدرته من نتيجة عدم المشية فقال ولا يزال الذين كفروا اي ستروا ضيا عقولهم
تصيبهم بما صنعوا اي بما مرنوا عليه من الشر حتى صار لهم طبعا قارعة اي داهية تزعجهم بالتهمة من باسه
على بدين بشا وهو من الضرب بالمقرعة او تحل اي تنزل نزولا ثابتا تلك القارعة قريبا من دارهم
اي فيوهن امرهم حتى ياتي وعد الله اي الملك الاعظم بفتح مكة او بالنصر على جميع الكفرة في زمن عيسى عليه
الصلاة والسلام فينقطع ذلك لانه لا يبقى على الارض كافرا وفي غير ذلك من الازمان كزمن فتح مكة المشرفة
فيكون المعنى خاصا بالبعض ان الله اي الذي له مجامع الكمال لا يخلف الميعاد اي الوعد ولا زمانه ولا
مكانه والوعد عقد الخبر بتضمن النفع والوعيد عقده بالزجر والضر والاخلاف نقض ما تضمن الخبر من خير او شر
ولما تم الجواب عن كفرهم بالموحي وما اوحاه اليه وما اشتد تعلقه به عطف على ذلك تاسية الموحى اليه صلى
الله وسلم عليه لان الحاث على تمني الاجابة الى الايات المقترحات استهزا الكفار فقال ولقد استهزئ

اي

اي من ادنى الخلق وغيرهم برسل ولما كان الارسال لم يعم جميع الازمان فضلا عن الاستهزا ادخل الجار
فقال من قبلك لعدم اتيانهم بالمقترحات والاستهزا طلب الهزؤ وهو اظهار خلاف الاضمار ..
للاستصغار فامليت اي فتسبب عن استهزايهم ذلك اني امليت للذين كفروا اي امهلتهم في
خفض وسعة كالبهيمة يملي لها اي يمد في المرعى ولم اجعل ذلك سببا لاجابتهم الى ما اقترحوا ولا
معاجلتهم بالعذاب فعل الضيق العطن ثم بعد طول الاملا اخذتهم اي اخذ قهر وانتقام فكيف
اي فكان اخذي لهم سببا لان يسال من كان يستبطي رسلنا او يظن بنا تهاونا بهم فيقال له كيف
كان عقاب فهو استفهام معناه التعجيب مما حل بالمكذبين والتقرير وفي ضمنه وعيد شديد
فلما تقرر بما مضى من قدرته تعالى على الثواب والعقاب وخفضه الارضين ورفعه السموات
ونصبه الدلالات بباهر الايات البينات ان ليس لاحد غيره امر ما وتقرر ان كل احد في قبضته
تسبب عن ذلك ان يقال افمن هو قايم ولما كان القيام ذا الاعلى الاستعلا اوضحه بقوله على
كل نفس اي صالحة وغيرها بما كسبت بفعل بها ما يشا من الاملا والاخذ وغيرهما كمن ليس كذلك
مثل شركايهم التي ليس لها قيام على شي اصلا ولما كان الجواب قطعا ليس كمثله شي كان كانه قيل
استعظاما لهذا السوال من الذي توهم ان له مثلا فقيل الذين كفروا به وجعلوا لله اي الملك الاعظم
شركا ويجوز ان يقدر لمن خبر معناه لم يوحدوه ويعطف عليه وجعلوا فكانه قيل ماذا يفعل بهم فقيل
قل سموهم باسمايهم الحقيقية فانهم اذا سموهم وعرفت حقايقهم انها حجارة او غير ذلك مما هو مركز
العجز ومحل الفقر عرف ما هم عليه من سخافة العقول وركاكة الارا ثم قل لهم ارجعتم عن ذلك الى
الاقرار بانهم من جملة عبيده ام تنبيونه اي تخبرونه اخبارا عظيما بما لا يعلم محيط بكل
شي في الارض من كونها الهة ببرهان قاطع ام بظاهر من القول اي بحجة اقناعية تقال بالفم
وكل ما لا يعلمه فليس بشي وهذا قريب مما مضى في قوله ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه في انه لو كان
كذلك كان شبهة فيها ظهور ما وهذه الاساليب منادية على الخلق بالعجز وصادحة بانه ليس
من كلام الخلق ولما كان التقدير ليس لهم على شي من ذلك برهان قاطع ولا قول ظاهر بني عليه قوله
بل زين اي وقع التزيين بامر من لا يرد امره على يد من كان للذين كفروا اي لهم وعبر بذلك
تنبيها على الوصف الذي دعاهم الى اعتقاد الباطل وهو ستر ما ادى اليه برهان العقل المويد
بدليل النقل مكرهم اي امرهم الذي ارادوا به ما يراد بالمكر من اظهار شي وابطان غيره وذلك
انهم اظهروا ان شركاهم الهة حقا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس لهم في الباطن الا تقليد الابا
واظهروا انهم يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ولتشفع لهم وهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فصار
كل ذلك من فعلهم فعل الماكر او انهم غيروا في وجه الحق بما خيلوا به الضعفا وتمادى بهم الحال حتى
اعتقدوه حقا ومادة مكر باي ترتيب كان تدور على التغطية والستر فالمكر
الخديعة قالوا وهو الاحتيال بما لا يظهر فاذا ظهر فذلك الكيد ويلزم منه الاجتهاد في تمام اثبات
الامر لستر ما يراد فمن المكر الذي هو حسن خدالة الساق اي امتلايها ويلزم منه خصب البدن
ونعمته وكان منه المكر لضرب من النبات والواحدة مكرة سميت مكره لارتوايها ابو حنيفة المكر

من عشب العبط وهي عشبة غبيرا البسر فيها ورق وهو ينبت في السهل والرمل كانه شبه بالساق لخلوه من الورق او لانه لغبرته وتجرده كالمستور والمكر طين احمر يشبه بالمغرة كانه سمي بذلك لما فيه من الكدرة والمكرة من البسر التي لبست برطبة ولكن فيها لين كانها سميت به لكون لونها حينئذ يلخذ في الكدرة والركم القا التي بعضه على بعض وذلك مظنة الخفا والرملة الطين المجموع وكذا التراب المجموع وقال وجزمن من تكلم الطريق يريد المحجة لان ترابها تلبد فاشتد تلبده والرمك والرمكة بالضم من الوان الابل وهو اكدر من الورقه وهو لون خالطت غبرته سواد فهو ارمك لانه مظنة الخفا ما فيه ومنه اشتقاق الرامك وهو اخلاط تخلط بالمسك فيجعل سكا ورمك الرجل بالمقام اذا اقام به لانه يستره بنفسه وبامتنعه ويستتر هو فيه وارمكته غيري اذا الزمته مكانا يقيم به والرمكة الانثى من البراذين فارسي معرب لانها تستر اصالة العربي اذا ولدته ورمكان موضع معروف معروفة ويقال رمك الرجل اذا اهزل وذهب ما في يده فستر عنه او صار هو مستورا بعد ان كان عن حاله مشهورا وترمكت البازي والصقر ترميكا اذا اشرت اليه بالطير لانك سلبت عنه الستر والبرموك مكان به لهب عظيم يستر ما يكون فيه والكرم ضد اللئيم وهو البخيل المهين النفس الابا فاذا كان سخيا ولم تجمع له هذه الخصال قيل له بخيل ولم يقل لئيم فالكريم اذن من ستر مساوي الاخلاق باظها رمعاليها وتكرم اذا تنزه عن الدناة ورفع نفسه عنها واصل الكرم في اللغة الفضل والرفعة فاذا قالوا فلان كريم فانما يريدون رفيعا فاضلا فيلزم الكرم ستر العيوب والله الكريم اي الفاضل الرفيع كذا قال بعض اهل اللغة وقيل الصفوح عن الذنوب وقيل الذي لا يمن اذا اعطي واذا قلت فلان اكرم قومه فانما يريدون ارفعهم منزلة وافضلهم قدرا وكل هذا يلزم منه السخا وستر الذنوب ومن هذا قيل فرس كريم وشجرة كريمة اذا كانت ارفع من نظرايها وافضل انها لتي الي كتاب كريم اي رفيع شريف كانه اطلق هنا على ما فيه مجرد فضل تشبيها بالكريم في جزء المعنى وكارمت الرجل فعل كل منا في نحو صاحبه مقتضى الكرم والكرم شجر العنب ولا يسمى به غيره والكروم قلايد تتخذها النسا كالمخانق لذلك لانها على قدر صاحبتها والكرامة طبق يوضع على راس الحب لانه غطاوه ولا يعطي الا ماله فضل ومنه يقولون لك الحبو الكرامة والكرم القصير من الرجال لانه شبه بطبق الحب والكمرة محركة طرف قضيب الانسان خاصة سميت بذلك لسترها بالغلفة ورجل مكمور اذا قطع الخاتن كمرته وتكامر الرجلان اذا تكابرا بايهما وقال في القاموس وتكامرا نظرا ايهما اعظم كمرة والكمرى الرطب ما لم يرطب على شجره بل يسقط بسرا فارطب في الارض كانه سمي بذلك لانه يكون اكثر مما يرطب على الشجر وهو ايضا يشبه الكمرة في تكونها والكمري عن ابن دريد الرجل القصير كانه شبه بالرطبة وقال غيره هو اسم مكان ولما ذكر تزيين مكرهم اتبعه الدلالة عليه فقال وصدوا اي ظلموا اما زين لهم او فكروا به حتى ضلوا في انفسهم وصدوا غيرهم عن السبيل الذي لا يقال لغيره سبيل وهو المستقيم فان غيره جور وشبه وحيرة فهو عدم بل العدم احسن منه لم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه فضلوا واضلوا ولا يستبعد ذلك يعجب فان الله اضلهم ومن يضلل الله اي الذي له الامر كله بارادة ضلاله فما له من هاد فكانه قيل فما لهم على ما فعلوا من ذلك فقيل لهم اي الذين كفروا عذاب وهو الالم المستمر ومنه العذاب لانه يستمر

في الحلق في الحياة الدنيا شاق لممانعة حزب الله لهم في صدهم عن السبيل الى ما يتصل بذلك من قتل واسر ولهم في الاخرة ان ماتوا على ذلك عذاب ولعذاب الاخرة اشق اي اشد في المشقة وهي غلظ الامر على النفس بما يكاد يصدع القلب وما لهم من الله اي الملك الاعظم من واق اي مانع يمنعهم اذا اراد بهم سوا في الدنيا ولا في الاخرة والواقي فاعل الوقاية وهي الحجز بما يدفع الاذية ولما توعدهم على تفريطهم في جانب الله تشوفت النفس الى ما لاضدادهم فكان كانه قيل ما لمن عاداهم في الله فقيل الجنة فكانه قيل وما هي فقيل الفا في الجلال وعلو الجمال وكرم الخلال مما تعالى عن المثال الا بضرب الامثال فقيل ما مثلها فقيل مثل الجنة التي ولما كان المقصود حصول الوعد الصادق ولا سيما وقد علم ان الواعد هو الله بني للمفعول قوله وعد المتقون والخبر محذوف تقديره ما اقص عليكم وهو انها بساتين قصور واشجار وقال الزجاج الخبر جنة مخبر عنها بما ذكر ليكون تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد تجري ولما كانت لو عمها الما الجاري بحرا لا بساتين ادخل الجار للدلالة على انه خاص ببعض ارضها فقال من تحتها اي قصورها واشجارها الانهار وقيل هذا المذكور هو الخبر كما تقول صفة زيد اسمر ولما كان عذا ربا حقيقيا في ارض هي في غاية الخلوص والطيب كان سببا لدوام ثمرها واستمساك ورقها فلذلك اتبعه قوله اكلها اي ثمرها الذي يوكل دايم لا ينقطع ابدا وظلها ليس كما في الدنيا لا ينسخ بشمس ولا غيرها قال ابو حيان تقول مثلت الشي اذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل فهو كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا كذا قال ويمكن ان يكون ذلك حقيقة ويكون هنا محذوف وهو جنة من جنان الدنيا تجري من تحتها الانهار الى اخره وهو معنى قول الزجاج ثم ابتدي اخبار اخر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها في قوله تلك اي الجنة العالية الاوصاف عقبى اي اخر امر الذين اتقوا ثم كرر الوعيد للكافرين فقال وعقبى اي منتهى امر الكافرين بالرحمن المتضمن للكفر بالوحي الموحي اليه النار ولما وصف العالمين بان المنزل اليه هو الحق برجاحة العقول واصالة الارا الموديه الى الصلاح الموجب لكل سعادة والكافرين به بضعف العقول الدافع الى الفساد الموصل الى سو الدار ورميا بلا ابه الى ان ختمه بمثل ما ختم به ذلك عطف على ذلك قوله ويمكن ان يكون اتصاله بما قبله انه معطوف على محذوف هو علة لختم الاية السالفة تقديره ولانهم ساهم ما انزل اليه حسدا وجهلا والذين اتيناهم اي بما لنا من العظمة التي استنقذتهم من الضلال الكتاب ولم يكفروا بالرحمن ولا بما انزل ولا بمن ارسل يفرحون بما ولما كان المنزل دالا باعجازه على المنزل بني للمفعول قوله انزل اليك اي من هذا الكتاب الاعظم لموافقته تلك الكتب لان كلام الله كله من مشكاة واحدة وتخصيصهم لانهم هم المنتفعون بالكتاب دون غيرهم فكانه ما انزل الا اليهم وهذا العطف يرجح ان يكون الموصول هنا مرفوعا بالابتدا ومن الاحزاب من اهل الاوثان والكتاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينكر بعضه كالتوحيد ونعت الاسلام ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك مما حرفوه وبدلوه ويريد ان يكون الامر تابعا فيه لغرضه فالمشركون يريدون ان تمدح الهتهم في بعض الايات او ان يسقط وصفها بالعيب واليهود يريدون ان ينزل ما يوافق فروع التوراة

كما انزل ما وافق الاصول وينكرون النسخ واهل الانجيل يريدون ان ينزل في المسيح ما يهوون ونحو ذلك قال المفسرون كانوا لا ينكرون الا اقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف فلكفرهم بذلك البعض امره ان يعلمهم باعتقاده كفروا او شكروا فقال قل انما امرت اي وقع الي الامر الجازم الذي لا شك فيه ولا تغيير ممن له الامر كله ان اعبد الله اي الذي لا شي مثله وحده ولذلك قال ولا اشرك به لا افعل الا ما يامرني به من غير نظر الي سواه ديني مقصور علي ما انكرتموه اليه وحده ادعو واليه خاصة ماب اي اياب ومكانه وزمانه معني بالتوبة عند الفتور عن القيام بحقه وحسًّا بالبعث للجزاء والكتاب الصحيفة التي فيها الخط وهو الكتابة وهي تاليف الحروف التي تتوالى في الصحيفة واللوح لذة القلب التي تحلي الهم بنيل المشتهي والحزب الجماعة التي تقوم بالنايبة ولما بينت هذه الايات من مراتب الاعجاز ما بينت اتبع تعالي ذكر ما انزل قوله وكذلك اي ومثل هذا الانزال البديع المثال ولا يبعد ان يكون عطفا علي كذلك ارسلناك او مثل انزال كتب اهل الكتاب انزلناه بما لنا من العظمة حال كونه حكما عربيا اي ممتليا حكمة تقضي بالحق فايقا لجميع الكتب بهذا الوصف والحكم القطع بالمعنى علي ما تدعو اليه الحكمة وهو ايضا فصل الامر علي الحق فالمعنى انه لا يقدر احد علي نقض شي منه فان ذلك في الحقيقة هو الحكم وما ليس كذلك فليس بحكم والعربي الجاري علي مذاهب العرب في كلامها فلا تلتفت الي ما تدعوهم اليه اهويتهم مما يقترحونه من تاييدك بملك او اتحافك بكنز او تركك لبعض ما يوحي اليك من سب الهتهم وتسفيه احلامهم وتضليل ابايهم او غير ذلك من طلبا تهم التي لو اتيتهم بها لم يكونوا ليومنوا الا ان يشا الله هذا في عباد الاوثان وكذا في اهل الكتاب فيما يدعون اليه من العود الي قبلتهم ونحوه ولين اتبعت اهواهم في شي من ذلك من النسخ او غيره في القبلة او غيرها ولا سيما ما يطلبونه من الايات المقترحة كما قال تعالي ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولين اتبعت اهواهم الاية ولما كان المراد التعميم في الزمان نزع الجار واتي بما لانها اعم من الذي واشد ابهاما ففي اخفى معني فناسب سياق الوحي الذي هو غيب ومعناه غامض الا لبعض الافراد دون الاعمار بخلاف اية البقرة الاولي فانها في الملة الابراهيمية المدركة بنور العقل الناشي عن نظر المحسوسات فقال بعد ما جاك ولما كان قد انعم عليه صلى الله عليه وسلم باشيا غير العلم بين المراد بقوله من العلم اي بالوحي بان ذلك الاتباع لا يردهم سواكان ذلك الاتباع في اصول الشريعة او فروعها خفية كانت او جلية ولما كان المشروط استغراق جميع زمان البعد باتباع الاهوا قال ما لك حينيذ من الله اي الملك الاعلي وتغرق في النفي فقال من ولي اي ناصر يتولي من نصرك وجميع امرك ما يتولاه القريب مع قريبه ولما كان مدلول ما اعم من مدلول الذي لشمولها الظاهر والخفي وكان من خالف الخفي اعذر ممن خالف الظاهر نفي الاخص من النصير فقال ولا واق اي يقيك بنفسه فيجعلها دون نفسك وقد يوجد من الانصار من لا يسمح بذلك وهذا بعث للامة وتهييج علي الثبات في الدين والتصلب فيه والهوي مقصور اسيل الطباع الي الشي بالشهوة والعلم تبين الشي علي ما هو به ولما حسمت الاطماع عن اجابتهم رجا الاتباع او خشية الامتناع وكان بعضهم قد قال لو كان نبيا اشغلته نبوته عن كثرة التزوج كان موضع توقع الخبر عما كان

للرسل في نحو ذلك فقال تعالي ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلا ولما كانت ازمان الرسل غير عامة لزمان القبل ادخل الجار فقال من قبلك اي ولم نجعلهم ملايكة بل جعلناهم بشرا واغفلنا منه ظهورهم بما يدعو الي المداراة والمسالمة بارضا الامم في بعض اهوايهم او فصل الامر عند تحقق المصار بانجاز الوعد بان جعلنا اي بعظمتنا لهم ازواجا اي نسا ينكحونهن والزوج القرين من الذكر والانثي وهو هنا الانثى وذرية وهي الجماعة المتفرقة بالولادة عن اب واحد في الجملة وفعل بهم امهم ما يفعل بكم من الاستهزا فما اتبع احد منهم شيا من اهوا امته ولم نجعل اليهم الاتيان بما يقترح المتعنتون من الايات تا لفا لهم بل ما كان لرسول اي رسول كان ان ياتي باية مقترحة او اية ناسخة لحكم من احكام شريعته او شريعة من قبله او غير ذلك الا باذن الله اي المحيط بكل شي علما وقدرة فان الامور عنده امر من الامور كتاب قد اثبت فيه ان امر كذا يكون في وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والاتيان بالايات وغيرها اثباتا ونسخا علي ما تقتضيه الحكمة والحكمة اقتضت ان النبوة يكفي في اثباتها معجزة واحدة وما زاد علي ذلك فهو الي المشية ثم علل ذلك بقوله يمحوا الله اي الملك الاعظم ما يشا اي يمحوه من الشرايع والاحكام وغيرها بالنسخ فيرفعه ويثبت ما يشا اثباته من ذلك بان يقره ويمضي حكمه كما قال تعالي ما ننسخ من اية الي قوله الم تعلم ان الله علي كل شي قدير كل ذلك بحسب المصالح التابعة لكل زمن فانه العالم بكل شي وهو الفعال لما يريد لا اعتراض عليه وقال الشافعي في الرسالة يمحو فرض ما يشا ويثبت فرض ما يشا واثبات واو يمحو في جميع المصاحف منبه علي ما ذكر اهل الله من ان الواو معناه العلو والرفعة الي ان بعض المحوات تبقى اثارها عالية فانه قد يمحو عمر شخص بعد ان كانت له اثار جميلة فيبقيها سبحانه وينشرها ويعليها وقد يمحو شريعة بنسخها ويبقى منها اثارا صالحة تدل علي ما اثبت من الشريعة الناسخة لها واما حذفها باتفاق المصاحف ايضا في ويمح الله الباطل في الشورى مع انه مرفوع ايضا فللبشارة بازهاق الباطل ازهاقا هو النهاية كما سياتي ان شا الله تعالي وذلك لمشابهة الفعل الامر المقتضي لتحتم الايقاع بغاية الاتقان والاسراع وقال وعنده مع ذلك ام اي اصل الكتاب لمن وهمه تقيد بان الحفظ بالكتابة وهو اللوح المحفوظ الذي هو اصل كل كتاب وقد تقدم غير مرة انه الكتاب المبين الذي هو بحيث يبين كل ما طلب علمه منه كما طلب قال ابن عباس رضي الله عنهما هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحو منه ما يشا ويثبت وام الكتاب الذي لا يغير منه شي انتهي والمراد والله اعلم انه يكون في ام الكتاب انا نفعل كذا وان كان في الفروع علي غير ذلك فانه بالنسبة الي شريعة دون اخرى فاذا انقضت الشريعة الاولي فانا نمحوه في اجل كذا او يكون المعنى يمحو ما يشا من ذلك الكتاب بان يعدم مضمونه بعد الايجاد ويثبت ما يشا بان يوجده من العدم وعنده ام الكتاب قال الرازي في اللوامع وقد اكثروا القول فيها وعلي الجملة فكل ما يتعلق به المشية من الكاينات فهو بين محو واثبات محو بالنسبة الي الصورة التي ارتفعت اثبات بالنسبة الي الصورة الثانية والقضا الازلي والمشية الربانية مصدر هذا المحو والاثبات فذلك هو القضا وهذا هو القدر فالقضا مصدر القدر والقدر مظهر القضا والله تعالي وصفاته منزه عن التغير ولما تم ما اراد مما يتعلق بتالفهم وختم بانه سبحانه يفعل ما يشا من تقديم وتاخير ومحو واثبات وكان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزا استعجال السيية مما توعدوا به وكانت النفس ربما تمنت وقوع ذلك للبعض

لبست علي غير نظام ولا انفرطا ولا ضايعا شي منها بل لكل اجل اي غاية امر قدره وحده لا انه يكون عنده

من ضلالهم

واثباته لهم من غيره تقريبا لفصل النزاع قال تعالى وإما نرينك اكده لتاكيد الاعلام بانه لاحرج عليه في
ضلالهم بعد ابلاغه نفيا لما يحمله عليه صلى الله عليه وسلم شدة رحمته لهم وشفقته عليهم من ظن ان عليه ان
يردهم الى الحق حتما بعض الذي نعدهم وانت حي مما تريد او يريد اصحابك فصل الامر به فثبت وقوعه
اقرارا لاعينكم قبل وفاتك والوعد الخبر عن خير مضمون والوعيد الخبر عن شر مضمون والمعنى ههنا عليه
وسماه وعدا التنزيل لهم اياه في طلب نزوله منزلة الوعد او نتوفينك قبل ان نريك ذلك وهو محو الاثر
لم يتحقق فالذي عليك والذي الينا مستويا بالنسبة الى كلتا الحالتين فانما عليك البلاغ وهو امرار الشي
الى منتهاه وهو ههنا الرسالة وليس عليك ان تحاربهم ولا ان تاتيهم بالمقترحات وعلينا الحساب وهو
جزا كل عامل بما عمل في الدنيا والاخرة ولنا القوة التامة عليه والاية من الاحتباك كما مضى بيان ذلك في مثلها
في سورة يونس عليه الصلاة والسلام ولما ارشد السياق الى ان التقدير في تحقيق انه سبحانه قادر على الجزا
لمن اراد الم يروا انا اهلكنا من قبلهم وكانوا اقوى منهم شوكة واكثر عدة عطف عليه قوله اولم يروا انا اي
بما لنا من العظمة ناتي الارض التي هو لا الكفرة بها وكانه قيل اي اتيان فقيل اتيان الباس اذا اردنا
والرحمة اذا اردنا ننقصها والنقص اخذ شي من الجملة تكون به اقل من اطرافها بما يفتح الله على المسلمين مما يزيد
به في ارض اهل الاسلام بقتل بعض الكفار واستسلام البعض حتى يبيد اهلها على حسب ما نعلمه حكمة من تدبير
الامور وتقليبها حالا الى حال حتى تنتهي الى مستقرها بعد الحساب في دار ثواب او عقاب وذلك
ان المسلمين كانوا يغزون ما يلي المدينة الشريفة من اطراف بلاد الكفار كما ارشد تعالى اليه بقوله
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فيفتحونها ولا فا ولا حتى ادان العرب كلهم طوعا او كرها بعد قتل
السادة وذل القادة والله غالب على امره والطرف المنتهى وهو موضع من الشي ليس وراه منه
شي واطراف الارض جوانبها وكان يقال الاطراف منازل الاشراف يطلبون التقرب على الاضياف
ثم اثبت لنفسه تعالى امرا كليا يندرج ذلك فيه فقال لافتا الكلام من اسلوب التكلم بالعظمة الى
غيبة هي اعظم العظمة بالاسم الاعظم والله اي الملك الاعظم يحكم ما يريد لانه لا معقب اي راد لان
التعقيب رد الشي بعد فصله لحكمه وقد حكم للاسلام بالغلب والاقبال وعلى الكفر بالانتكاس
والادبار وكل من حكم على غير هذه الصفة فليس بحاكم وذلك كاف في الخوف من سطوات قدرته وهو
مع تمام القدرة سريع الحساب جزا ومحيط بكل عمل لا يتصور ان يفوته شي فلابد من القاجزا به
وكل ما هو ات سريع وهو مع ذلك يعد لكل عمل جزاه على ما تقتضيه الحكمة من عدل او فضل حين صدوره
لا يحتاج الى زمان ينظر فيه ما جزاه ولا اهل عملا ولا لانه لا يخفى عليه خافية والسرعة عمل الشي في
قلة المدة على ما تحده الحكمة والابطا عمله في طول مدة خارجة عن الحكمة والسرعة محمودة والعجلة مذمومة
وهو تعالى قادر على الكفرة وان كانوا كالقاطعين بانهم يغلبون لما لهم من القوة والكثرة مع جودة
الارا وحدة الافكار والقدرة بالاموال وان اشتد مكرهم فهو لا يغني عنهم شيا فقد مكروا بك غير مرة
ثم لم ازدك الا علوا وقد مكر الذين ولما كان المراد بالمكرة انما هو بعض الناس في بعض الزمان قال من
قبلهم اي الرسل واتباعهم فكان مكرهم وبالا عليهم فطوى في هذه الجملة مكرهم الذي اجتمعوا عليه عنوة
واتقنوه بزعمهم فكان سبب الرفعة للاسلام واهله وذل الشرك واهله ودل على ذلك المطوي

بواو العطف في قوله ۞ وطوى في الكلام السابق اهلاك الامم الماضية في الاستدلال على قدرته على
الجزا الذي هو روح الحساب ودل عليه بواو العطف في اولم يروا فتامل هذا الابراز في قوالب الاعجاز
ولما كان ذلك كذلك تسبب عنه ان يقال فلله اي الملك الاعظم المحيط علما وقدرته خاصة المكر
جميعا والمكر الفتل عن البغية بطريق الحيلة ويلزمه الستر كما مضى بيانه ولا شي استر على العباد من
افعاله تعالى فلا طريق لهم الى علمها الا من جهته سبحانه وسمى فعله مكرا مجازا لانه ناشي عن مكرهم
جزاهم ثم علل ذلك بقوله يعلم ويجوز ان يكون تفسيرا لما قبله لان علم المكر من الماكر من حيث لا يشعر
احق المكر ما تكسب كل نفس اي من مكر وغيره فيجازيهم اذا اراد بان ينتج عن كل سبب اقاموه
مسببا يكون ضد ما ارادوا ولا تمكنهم ارادة شي الا بارادته فتنظرون ماذا يحل بهم من باسه
بواسطتكم او بغيرها حتى تظفروا بهم فتبيدوهم اجمعين وسيعلم الكافر اي كل كافر بوعد لا خلف
فيه ان كان من الجهل بحيث لا يعلم الاشيا الا بالتصريح او الحس لمن عقبى الدار حين ياتيهم ضد
مرادهم والكسب الفعل لاجتلاب النفع او دفع الضر ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه اية عطف عليه بعد شرح ما استتبعه قوله ويقول الذين كفروا اي اوجدوا
الكفر ولو على ادنى الرتب قولا على سبيل التكرار لست مرسلا لكونك لا تاتي بمقترحاتهم مع انه
لم يقل يوما انه قادر عليها فكانه قيل فما اقول لهم فقال قل كفى والكفاية وجود الشي على مقدار
الحاجة ومعنى البا في بالله اي الذي له الاحاطة الكاملة التاكيد لان الفعل لما جاز ان يضاف
الى غير فاعله اذا امر به ازيل هذا الاحتمال من وجهين جهة الفاعل وجهة صرف الاضافة
شهيدا اي بليغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر وما بطن بيني وبينكم يشهد بتاييد رسالتي
وتصحيح مقالتي بما اظهر لي من الاية واوضح من الدلالة بهذا الكتاب ويشهد بتكذيبكم بادعايكم
القدرة على المعارضة وترككم لها عجزا وهذا اعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد
غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمعجزة فعل مخصوص يوجب القطع بان ما جات لاجله كما هو ومن
عنده علم الكتاب مما انزله فيه من الاصول والفروع والخبر عما كان ويكون على نحو من الاساليب
ونمط من المناهيج اخرس الفصحا وابكم البلغا وابهت الحكما وهو الله تعالى تاييدا لقولي وتحقيقا
لدعواي ويويد ان المراد به الله قراة من علي انها جارة وفي سورته هكذا اعلى طريق الابهام من
ترويع النفس بعزها الى تطلب المتصف بهذا الوصف ما ليس في التبيين فهو اذن كدعوى
الشي مقرونا بدليله فقد انطبق هذا الاخر على اول السورة في ان المنزل حق من عنده وانهم
لا يومنون والله الموفق ۞

سورة ابرهيم عليه الصلاة والسلام

بسم الله الذي تفرد بالكمال وعز ان يكون له كفوء او مثال الرحمن لجميع خلقه بكتاب هو
الغاية في البيان الرحيم الذي اختار من عباده من الزمهم روح وداده الر مقصود السورة
التوحيد وبيان ان هذا الكتاب غاية البلاغ الى الله لانه كافل ببيان الصراط الدال عليه
المودي اليه ناقل بما فيه من الاسرار للخلق من طور الى طور بما يشير اليه حروف الر وادلتها

على هذا المرام قصة ابرهيم عليه الصلاة والسلام اما التوحيد فواضح واما امر الكتاب فلانه من
جملة دعايه لذريته الذين اسكنهم عند البيت المحرم من ذرية اسماعيل عليه الصلاة والسلام
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وللختم الرعد
بانه لا شهادة تكافي شهادة من عنده علم الكتاب اشارة الى ان الكتاب هو الشاهد باعجازه
ببلاغته وما حوى من فنون العلوم واتى به في ذلك السياق معرفا لما تقدم من ذكره في البقرة وغيرها
ثم لتكرر وصفه في سورة يونس وهود ويوسف والرعد بانه حكيم محكم مفصل مبين وانه
الحق الثابت الذي الجبال الرواسي وهو ثابت لا يتزعزع شي منه ولا يزول معنى من معانيه — تزول صح
ذكره في اول هذه السورة منكرا تنكير التعظيم فقال **كتاب** اي عظيم في درجات من العظمة لا تحتمل
عقولكم الاخبار عنها بغير هذا الوصف ودل تعليل وصفه بالمبين بانه عربي على ان التقدير **انزلناه**
اي بما لنا من العظمة **اليك** بلسان قومك لتبين لهم ولما استجمع التعريف بالاوصاف الموجبة
للفلاح المذكورة اول السورة المستدل عليها بكل برهان منير وسلطان مبين فصار بحيث لا يتوقف
عن اجتنا ثمرته من وقف على حقايق تلك النعوت تشوق الى تلك الثمرة بعد تفصيل ما في اول البقرة
في التي قبلها كما مضى بما حث عليه ويقبل بقلب كل عاقل اليه فقال **لتخرج الناس** اي عامة قومك وغيرهم
بدعايك اياهم به وان كانوا ذوي اضطراب **من الظلمات** التي هي انواع كثيرة من الضلالات التي ادت
اليها الجهالات **الى النور** الذي هو واحد وهو سبيل الله المدعو بالهداية اليه في الفاتحة اي لتبين
للعرب قومك لانه بلسانهم بيانا شافيا فتجعلهم بما تقيم عليهم من الحجج الساطعة وتوضح لهم من البراهين
القاطعة وتنصب لهم من الاعلام الظاهرة وتحكم لهم من الادلة الباهرة في مثل ضوء النهار بما فتح من
مقفل ابصارهم وكشف من اغطية قلوبهم فيكونوا متمكنين من ان يخرجوا من ظلمات الكفر التي هي طرق
الشيطان الى نور الايمان الذي هو سبيله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وشبه الايمان
وما ارشد اليه بالنور لانه عصمة للعقل من الخطا في الطريق الى الله كما ان النور عصمة للبصر من
الضلال عن الطريق الحسي واذا اخرجوا الى النور كانوا جديرين بان يخرجوا جميع الناس **باذن ربهم** اي
المحسن اليهم والاذن الاطلاق في الفعل ثم قيل يسمع بالاذن هذا اصله قاله الرماني ولما كان النور
مجملا بينه على سبيل الاستيناف او البدل بتكرير العامل فقال **الى صراط العزيز** الذي تعالى عن صفات
النقص فعز عن ان يدخل احد صراطه الذي هو دينه او يتعرض احد الى سالكه بغير اذنه **الحميد**
المحيط بجميع الكمال فهو المستحق لجميع المحامد لذاته وبما يفيض على عباده من النعم التي بربهم ويتحبب
اليهم بها على كل حال فكيف اذا سلكوا سبيله الواضح الواسع السهل ولما اضاف طريق النجاة الى وصفين
يجوز اطلاق كل منهما على الخلق بينها باسمه الشريف العلم على الاستيناف في قراة نافع وابن عامر بالرفع
وعلى انه عطف بيان في طريق الباقين بالجر لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لاختصاصه بالمعبود بحق
ووصفه بما اقتضى توحيده فقال **الله** اي المحيط علما وقدرة **الذي له ما في السموات** اي الاجسام العالية
من الاراضي وغيرها ولما كان في سياق الدلالة على الخالق واثبات توحيده اكد باعادة الموصول مع
صلته فقال **وما في الارض** اي فويل لمن اشرك به شيا منهما او فيهما فانه لا ابين من ان ما كان مملوكا

لايصلح

لايصلح لان يكون شريكا ويجوز ان يكون التقدير فوال له نجاة وسلامة لمن اهتدى به فخرج من ظلمات
الكفر **وويل** مصدر بمعنى الهلاك بمنصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة ان معنى الهلاك وهو ضد
الوال الذي هو النجاة ثابت **للكافرين** الذين ستروا ادلة عقولهم **من عذاب شديد** تتضاعف الامه
وقوته والشدة تجمع يصعب معه التفكيك ولما اشار الى ما للكافرين وصفهم بما عاقهم عن قبول
الخير وتركهم في ودية الشر فقال **الذين يستحبون** اي يطلبون ان يحبوا ويوجدون المحبة بغاية
الرغبة متابعة للهوى **الحياة الدنيا** وهي النشاة الاولى التي هي دار الارتحال مؤثرين لها **على
الاخرة** اي النشاة الاخرى التي هي دار المقام وذلك بان يتابعوا انفسهم على حبها حتى يكونوا كانهم
طالبون لذلك وهذا دليل على ان المحبة قد تكون بالارادة والمحبة ميل الطباع الى الشي بما لتشهوه
فهم يمتنعون خوفا على دنياهم التي منها رياستهم عن سلوك الصراط **و**يضمون الى ذلك انهم **يصدون**
اي يعرضون بانفسهم ويمنعون غيرهم **عن سبيل الله** اي طريق الملك الاعظم والسبيل
المذهب المهيا للسلوك **و**يزيدون على ذلك انهم **يبغونها** اي يطلبون لها حذف الجار واوصل
الفعل تاكيدا له **عوجا** والعوج ميل عن الاستقامة وهو بكسر العين في الدين والامر والارض
وبالفتح في كل ما كان قايما كالحايط والرمح ونحوهما **اوليك** اي البعدا البغضا **في ضلال بعيد** اي
عن الحق اسناد مجازي لان البعيد اهل الضلال بميلهم عن الباقي الى الفاني وبطلبهم العوج فيما
قومه الله المحيط بكل شي قدرة وعلما ولما قدم ما افهم انه ارسله صلى الله عليه وسلم بلسان قومه
الى الناس كافة لان اللسان العربي اسهل الالسنة واجمعها وافصحها وابينها فكان في غاية حسنه
العدالة وختم بان السبيل اليه في غاية الاستقامة والاعتدال دل على شرف هذا اللسان لصلا
لجميع الامم وخفته عليهم بخصوص لسان كل من الرسل بقومه فلذلك اتبعه قوله **وما ارسلنا** اي بما لنا
من العظمة واغرق في النفي فقال **من رسول** اي في زمن من الازمان **الا بلسان** اي لغة **قومه**
اي الذين فيهم قوة المحاولة لما يريدون **ليبين** اي بيانا شافيا **لهم** كما تقدم انا ارسلناك بكتاب
عربي بلسان قومك لتبين لهم ولجميع الخلق فان لسانك اسهل الالسنة واعذبها فهو معطوف
على انزلناه بالتقدير الذي تقدم فاذا تقرر ذلك علم انه لا مانع حينيذ لامة من الامم عن الاستقامة
على هذا الصراط الا اذن الله ومشيته **فيضل** اي فتسبب عن ذلك انه يضل **الله** اي الذي له
الامر كله **من يشا** اضلاله وقدم سبحانه هذا اهتماما بالدلالة على انه سبحانه خالق الشر كما انه
خالق الخير مع ان السياق لذم الكافرين الذين هم روس اهل الضلال **ويهدي من يشا** هدايته
فانه سبحانه هو المضل الهادي واما الرسل فمبينون ملزمون للحجة تمييز الضال من المهتدي
وهو اي وحده **العزيز** الذي لا ابرام ما عنده الا به ولا يمتنع عليه شي اراده **الحكيم** الذي لا ينقض
ما دبره فلذلك دبر بحكمته ارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة باللسان العربي لان المقصود
جمع الخلق على الحق بجمعهم على لسان واحد انسب ما يكون لذلك ولو انزل بالسنة الخلق كلها لكان
منافيا لهذا المقصود وان كان مع الاعجاز بكل لسان كان قريبا من الالجا فيفوت الايمان بالغيب
ويودي ايضا الى دعا اهل كل لسان الى التعبير عنه بلسانهم اعظم فيودي ذلك الى المفاخرة

والعصبية المودي الى اشد الفرقة وانسب الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فيكون فهمهم لاسرار شريعته ووقوفهم على حقايقها اسهل ويكونون عن الغلط والخطا ابعد فاذا فهموا عنه دعوا من يليهم بالترجمة وهلم جرا فانتشر الامر وعم وسهل وكان مع ذلك ابعد من التحريف واسلم من التنازع وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما كانت سورة الرعد على ما تمهد بان كانت تلك الايات والبراهين التي سلفت فيها لا يبقى معها شك لمن اعتبر بها لتعظيم شانها وايضاح امرها قال تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور اذا هم تذكروا به واستبصروا ببراهينه وتدبروا اياته ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض ولما كان هذا الهدى والضلال كل ذلك موقوف على مشيئته سبحانه وسابق ارادته وقد قال لنبيه عليه الصلاة والسلام انما انت منذر ولكل قوم هاد قال تعالى هنا باذن ربهم انما عليك البلاغ وكما قال تعالى وكاين من اية في السموات والارض ثم بسطها في سورة الرعد اعلم هنا ان ذلك كله له وملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض فالسموات والارض بجملتها وما فيهما من عظيم ما اوضح لكم الاعتبار به كل ذلك له ملكا وخلقا واختراعا وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وويل للكافرين من عذاب شديد لعنادهم مع وضوح الامر وبيانه ويصدون عن سبيل الله مع وضوح السبيل وانتهاج ذلك الدليل ثم قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وكان هذا من تمام قوله سبحانه ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وذلك ان الكفار لما حملهم الحسد والعناد وبعد الفهم بما جبل على قلوبهم وطبع عليها على ان انكروا كون الرسل من البشر حتى قالوا ابشر يهدوننا ما انتم الا بشر مثلنا وحتى قالت قريش لولا انزل عليه ملك ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فلما كثر هذا منهم وتبع خلفهم في هذا سلفهم رد تعالى ارغامهم وابطل توهمهم في ايات وردت على التدريج في هذا الغرض شيا فشيا فاول الوارد من ذلك في معرض الرد عليهم وعلى ترتيب سور الكتاب قوله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم الاية ثم اتبع ذلك بانفراده تعالى بالخلق والاختراع والتدبير والربوبية وفي طي ذلك انه يفعل ما يشا لان الكل خلقه وملكه وانه العليم بوجه الحكمة في ارسال الرسل وكونهم من البشر فارغم الله تعالى بمضمون هذه الاي كل جاحد ومعاند ثم ذكر تعالى في سورة هود قول قوم نوح ما نراك الا بشرا مثلنا الاية وجوابه عليه الصلاة ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون اي اني وان كنت في البشرية مثلكم فقد خصني الله بفضله واتاني رحمة من عنده وبرهانا على ما جيتكم به عنه وفي هذه النعمة اعظم عظة ثم جرى هذا لصالح وشعيب عليهما الصلاة والسلام وديدن الامم ابدا مع انبيايهم ارتكاب هذه المقالات وفيها من الحيد والعجز عن مقاومتهم ما لا يخفى وما هو شاهد على تعنتهم ثم زاد تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم تعريفا باحوال من تقدمه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليسمع ذلك من جرى له مثل ما جرى لهم تعنتا امثال مقالاتهم فقال تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية واعلم سبحانه ان هذا لا يحط شيا من مناصبهم بل هو وافع في قيام الحجة على العباد ثم تلا ذلك بقوله وما ارسلنا

من رسول الا بلسان قومه اي ليكون ابلغ في الحجة واقطع للعذر فربما كانوا يقولون عند اختلاف الالسنة لا يفهم عنهم اذ قالوا ذلك مع اتفاق اللغات فقد قال قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ما نفقه كثيرا مما تقول هذا وهو عليه الصلاة والسلام يخاطبهم بلسانهم فكيف لو كان على خلاف ذلك بل لو خالفت عليهم الصلاة والسلام الامم في التبتل وعدم اتخاذ الزوجات والاولاد واستعمال الاغذية وغير ذلك من مالوفات البشر لكان منفرا فقد بان وجه الحكمة في كونهم من البشر ولو كانوا من الملايكة لوقع النفار والشرود لافتراق الجنسية واليه الاشارة بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اي ليكون اقرب اليهم ليلا يقع تنافر فكونهم من البشر اقرب واقوم للحجة ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة كان عليه الصلاة والسلام يخاطب كل طايفة من طوايف العرب بلسانها ويكلمها بما تفهم وتامل كم بين كتابه صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه في الصدقة وكتابه لوايل بن حجر مع اتحاد الغرض وللكتابين نظاير يوقف عليها في مظانها وكل ذلك لتقوم الحجة على الجميع واستمر ما في سورة ابرهيم عليه الصلاة والسلام على التعريف بحال مكذبي الرسل ووعيد من خالفهم وبيان بعض اهوال الاخرة وعذابها انتهى ولما ذكر سبحانه الرسل بما ذكره توقع السامع تفصيل شي من اخبارهم فابتدا بذكر من كتابه اجل كتاب بعد القران هدى للناس دليلا على انه يفعل ما يشا من الاضلال والهداية وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا وتصبيرا على اذى قومه وارشادا الى ما فيه الصلاح في مكالمتهم فقال مصدرا بحرف التوقع **ولقد ارسلنا** اي بعظمتنا **موسى باياتنا** اي البينات ثم فسر الارسال بقوله **ان اخرج قومك** اي الذين فيهم قوة على مقابلة الامور **من الظلمات** اي انواع الجهل **الى النور** بتلك الايات **وذكرهم** اي تذكيرا عظيما **بايام الله** اي الذي له الجلال والاكرام من وقايعه في الامم السالفة وغير ذلك من المنح لاوليايه والمحن لاعدايه كما ارسلناك لذلك **ان في ذلك** اي التذكير العظيم **لايات** على وحدانية الله وعظمته **لكل صبار** اي بليغ الصبر على بلا الله قال في العوارف وقال ابو الحسن بن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر في الله فمرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر في الله ولله لا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع فاما الصبار فذلك الذي صبره الله ولله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخليقة واشارته في هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة **شكور** اي عظيم الشكر لنعمايه فان ايامه عند اوليايه لا تخلو من نعمة او نقمة وفي صيغة المبالغة اشارة الى ان عادته تعالى جرت بانه انما ينصر اولياءه بعد طول الامتحان بعظيم البلا لتبيين الصادق من الكاذب حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله حتى اذا استياس الرسل الم احسب الناس ان يتركوا الاية وذلك انه لا شي اشق على النفوس من مفارقة المالوف لا سيما ان كان دينا ولا سيما ان كان قد درج عليه الاسلاف فلا يقوم بالدعا الى الدين الا من بلغ الذروة في الصبر ولما ذكر ما امر به موسى عليه الصلاة والسلام وكان قد تقدم امره الشريف اليه صلى الله عليه وسلم بالاقتدا بالانبيا الذين هو من روسهم واولي عزمهم كان كانه قيل فبين انت للناس ما نزل اليهم وذكرهم بايام الله اقتدا باخيك موسى عليه

الصلاة والسلام واذكرهم خبره فان ايامه من اعظم ايام الله اشدها محنة واجلها منحة اذ قال موسى
امتثالا لما امرناه به لقومه مذكرا لهم بايام الله معهم ثم ايامه مع غيرهم ولما كان المراد بالتذكير
بالايام زيادة الترغيب والترهيب اشار الى ان مقام الترهيب هنا اهم للحث على تركهم الضلال بترك
عادته في الترفق بمثل ما في البقرة والمايدة من الاستعطاف بعاطفة الرحم بقوله يا قوم فاسقطها
هنا اشارة الى ان المقام يقتضي الابلاغ في الايجاز في التذكير للخوف من معاجلتهم بالعذاب فقال اذكروا
نعمة الله اي ذي الجلال والاكرام وعبر بالنعمة عن الانعام حثا على الاستدلال بالاثر على المؤثر عليكم
ثم ابدل من نعمة قوله اذ وهو ظرف للنعمة ولما كانوا قد طال صبرهم جدا بما طال من بلايهم من فرعون على
وجه لا يمكن في العادة خلاصهم منه وان امكن على بعد لم يكن الا في ازمنة طوال جدا بنصب شديد اشار
الى اسراعه بخلاصهم بالنسبة اليه لو جرى على مقتضى العادة جزاء لهم على طول صبرهم فعبر بالافعال
دون التفعيل الذي اقتضاه سياق البقرة فقال انجاكم من ال فرعون اي فرعون نفسه
واتباعه استعمالا للمشترك في معنييه فان الال يطلق على الشخص نفسه وعلى اهل الرجل واتباعه
واوليايه قال في القاموس ولا يستعمل الا لما فيه شرف غالبا فكانهم قالوا من اي بلايهم فقال
يسومونكم اي يكلفونكم ويولونكم على سبيل الاستهانة والقهر سوء العذاب بالاستعباد ولما كان
السياق للصبر البليغ اقتضى ذلك العطف في قوله ويذبحون اي تذبيحا كثيرا مميتا بما افاده تعبير
الاعراف بالتقتيل ومعرفا باعادة التعبير بالذبح ان الموت بالسكين ابناءكم ويستحيون اي يطلبون
ان يحيوا نساءكم لافادة ان ذلك بلاء اخر والحال ان في ذلكم اي الامر الشديد المشتمل من العذاب المعدم
او الانجا او هما بلاء من ربكم اي المربي لكم المدبر لاموركم عظيم ولما ذكرهم بنعمة الامن رغبهم فيما يزيدها
ورهبهم فيما يزيلها فقال واذ اي واذكروا اذ تاذن ربكم اي اعلم المحسن اليكم اعلاما عظيما بليغا
ينتفي عنه الشكوك فابلا لئن شكرتم واكده لما للانفس من التكذيب بمثل ذلك لاعتقادها ان
الزيادة بالسعي في الرزق والنقص بالتهاون فيه لازيدنكم من نعمي فان الشكر قيد الموجود وصيد
المفقود في اعطاي لعبيد فارجوه ولئن كفرتم النعمة فلم تقيدوها بالشكر لانقصنكم ولاعذبنكم ان
عذابي باذالتها وغيرها لشديد فخافوه فالاية كما ترى من الاحتباك ولما كان من حث على شي واثاب
عليه او نهى عنه وعاقب على فعله يكون لغرض له بين ان الله سبحانه متعال عن ان يلحقه ضر او نفع
وان ضر ذلك ونفعه خاص بالعبد فقال تعالى حاكيا عنه وقال موسى مرهبا لهم معلما ان وبال
الكفران خاص بصاحبه ان تكفروا والكفر تضييع حق النعمة بجحدها او ما يقوم في العظم مقامه انتم
ومن في الارض واكد بقوله جميعا فضرره لاحق بكم خاصة غير عايد على الله شي منه فان الله اي
الملك الاعظم لغني اي في ذاته وصفاته عن كل احد والغني هنا المختص بما ينفي لحاق الضرر او النقص
والمختص بانه قادر لا يعجزه شي عالم لا يخفى عليه شي وذلك بنفسه لا بشي سواه ومن لم يكن كذلك لم يكن
غنيا حميد اي بليغ الاستحقاق للحمد بما له من عظيم النعم وبما له من صفات الكمال وكل مخلوق يحمده
بذاته وافعاله وجميع اقواله كاينة ما كانت لان ايجاده لها ناطق بحمده سبحانه ذكر
التاذن مثل ذلك للذكر به من التوراة قال في السفر الخامس واختاركم الله ربكم ان تكونوا له شعبا

حبيبا

حبيبا من جميع الشعوب التي على وجه الارض وليس لانكم اكثر من جميع الشعوب احبكم الرب واختاركم
ولكن ليثبت الايمان التي اقسم لابايكم لذلك اخرجكم الرب بيد منيعة وانقذكم من العبودية وخلصكم
من يدي فرعون ملك مصر لتعلموا ان الله ربكم هو الاله الحق اله مهيمن يحفظ النعمة والعهد
لاوليايه الذين يحفظون وصيته لالف حقب ويكافي شناته في حياتهم ويخزيهم بالهلاك والتلف
احفظوا السنن والاحكام والوصايا التي امركم بها اليوم فافعلوها يحفظ الله الرب العهد والنعمة
التي اقسم لابايكم ويحبكم ويبارك عليكم ويكثركم ويبارك في اولادكم وفي ثمرة ارضكم وفي بركم وخمركم
وزيتكم وفي اقطاع بقركم وحفرات غنمكم وتكونوا مباركين من جميع الشعوب ولا يكون فيكم عاقر
ولا عقيم ولا في بهايمكم ويصرف الله عنكم كل وجع وجميع الضربات التي انزل الله باهل مصر كما يعلمون
لا ينزلها بكم بل ينزلها بجميع شناتكم وتاكلون جميع خيرات الشعوب التي يعطيكم الله ربكم ولا تشفق
اعينكم عليهم ولا تعبدوا الهتهم لانهم فخاخ لكم وان قلتم في قلوبكم ان هذه الشعوب اكثر منا فكيف
نقدر ان نهلكها فلا تفرقوا ولكن اذكروا جميع ما صنع الله ربكم بفرعون ملك مصر وكل اصحابه والبلايا
العظيمة التي رايتم باعينكم والايات والاعاجيب واليد المنيعة والذراع العظيمة وكيف اخرجكم
الله ربكم كذلك يفعل الله ربكم بجميع الشعوب التي تخافونها ويسلط ربكم عليهم عاهات حتى يهلكهم والذين
يبقون ويختفون منكم لا تخافوهم لان الله ربكم بينكم الاله العظيم المرهوب فيهلك الله ربكم هذه
الشعوب من بين ايديكم رويدا رويدا لانكم لا تقوون ان تهلكوهم سريعا لئلا تكثر عليكم السباع ولكن
يدفعهم الله ربكم اليكم وتضربونهم ضربة شديدة حتى تهلكوهم وتدفع ملوكهم في ايديكم وتهلكون اسمايهم
من تحت السما لا يقدر احد ان يقوم بين ايديكم حتى تهلكوهم وتحرقوا الهتهم المنحوتة بالنار ولا تشتهوا
الفضة والذهب الذي عليها وتاخذوه منها لئلا تتنجسوا بها لانها مرذولة عند الله فلا تدخلوا
نجاسة الى بيوتكم لئلا تكونوا منفيين مثلها ولكن ارذلوها ونجسوها وصيروها نفاية نجسة
لانها حرام ثم انظروا اني تلوت عليكم دعا ولعنا اما الدعا فتصيرون اليه ان انتم حفظتم وصايا الله
ربكم واما اللعن فيدرككم ان انتم لم تسمعوا وصايا الله ربكم وزغتم عن الطريق التي امرتكم به اليوم
وقد مضى كثير من امثال هذا عن التوراة ولا ريب في ان هذا الترغيب والترهيب والتذكير للتحذير
كما انه كان لبني اسرايل فهو لكل من سمعه من المكلفين ولما حذرهم انتقام الله ان كفروا ذكرهم ايامه
في الامم الماضية وعين منهم الثلاثة الاول لانهم كانوا اشدهم ابدانا واكثرهم اعوانا واقواهم اثارا
واطولهم اعمارا لان البطش اذا برز الى الوجود كان اهون لان النفس للمحسوس اقبل والاعلى
ما ارشدهم اليه من غناه سبحانه وحمده مخوفا لهم من سطوات الله سبحانه الم ياتكم اي يا بني اسرايل
نبا الذين ولما كان المراد قوما مخصوصين لم يستغرقوا الزمان قال من قبلكم ثم ابدل منهم فقال
قوم اي نبا قوم نوح وكانوا ملا الارض ونبا عاد وكانوا اشد الناس ابدانا واثبتهم جنانا
ونبا ثمود وكانوا اقوى الناس على نحت الصخور وبنا القصور ونبا الذين ولما كان المراد البعض
ادخل الجار فقال من بعدهم اي في الزمان حال كونهم في الكثرة بحيث لا يعلمهم اي حق العلم على
التفصيل الا الله اي الذي له الاحاطة الكاملة كفروا فاهلكهم الله ولم يزل غنيا حميدا عند

اخذهم وبعده كما كان قبله وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون ثم
فصل سبحانه خبرهم فقال جوابا لمن كانه قال ما كان نباوهم جاتهم رسلهم بالبينات وترك عطفه
لشدة التباسه بالمستفهم عنه فردوا اي الامم عقب مجي الرسل من غير تامل جامعين في تكذيبهم بين
الفعل والقول ايديهم في افواههم وهو اشارة الى السكوت عن ذلك والتسكيت كانه لا يليق
ان يتفوه به ولو على سبيل الرد قال الرازي في اللوامع حكى ابو عبيد كلمته فرد يده في
فيه اذا سكت ولم يجب وبعد ان فعلوا ذلك لهذه الاغراض الفاسدة قالوا اي الامم انا كفرنا اي
غطينا مراي عقولنا مستهينين بما ولما كان رد الرسالة جامعا للكفر وكانوا غير مسلمين ان للرسل
لهم هو الله بنوا للمفعول قولهم ارسلتم به اي لانكم لم تاتوا بما يوجب الظن فضلا عن القطع فلذا كان
لا يحتاج رده الى تامل ولما كان ما اتى به الرسل يوجب القطع بما يعلمه كل احد فكانوا بما قالوه في مظنة
الانكار اكدوا فقالوا وانا لفي شك اي محيط بنا وهو وقوف بين الضدين من غير ترجيح احدهما
متعاقب على حال الذكر وبضادة العلم والجهل ولما كان الدعا مسندا الى جماعة الرسل اثبت نون الرفع
مع ضمير المتكلمين بخلاف ما مضى في هود فقالوا مما اي شي تدعوننا ايها الرسل اليه اي من الدين
مريب اي موجب للتهمة وموقع في الشك والاضطراب والفزع من راب الرجل صار ذا ريبة اي
قلق وتزلزل ولما كان سامع هذا الكلام يشتد تشوقه الى جوابه وكان اصل الدعوة في كل ملة
التوحيد وكان الشاك فيه شاكا في الله وكان امر الله من الظهور بحيث لا يشك فيه عاقل حكم
عقله مجردا عن الهوي ساغ الانكار وايراد الكلام على تقدير سوال معري عن التقييد بلهم في قوله
قالت رسلهم ولما كان ما شكوا فيه من الظهور بحيث لا يتطرق اليه ريب انكروا ان يكون فيه
شك لان ذلك يتضمن انكار شكهم وشك غيرهم فقالوا افي الله اي الذي له جميع صفات الكمال شك
ولما كان الجواب عاما لا يخص ناسا دون ناس لم يات بصلة لتال بخلاف قوله ان نحن الا بشر مثلكم
ثم نبهوهم بالمصنوع على مقصود الدعوة من وجود الصانع وتفرده وظهوره في قولهم فاطر السموات
ولما كان المقام لادعا انه في غاية الظهور لم يحتج الى تاكيد باعادة العامل فقال والارض اي على هذا
المثال البعيد والنمط الغريب المنتظم الاحوال الجميل العوايد المتسق الفصول فلما وضحوا لهم الادلة
على وحدانيته بينوا لهم بان ثمرة الدعوة خاصة بهم انه لا يا باها من له ادنى بصيرة فقالوا يدعوكم
اي على السنتنا ليغفر لكم ولما كان الكافر انما يدعى اولا الى الايمان وكان الايمان انما يجب ما كان
قبله من الذنوب التي بينهم وبينه دون المظالم قال من ذنوبكم ولو عم بالغفران لافهم ذلك انهم
لا يدعون بعد الايمان الى عمل اصلا ولا يفعل بكم فعل من تعهدون من الملوك في المعاجلة في الاهلاك
لمن خالفهم بل يوخركم وان اخطاتم او تعديتم وتبتم الى اجل مسمى عنده سبق علمه به وهو اجالكم على حسب
التفريق ولا يستاصلكم بالعذاب في ان واحد كما فعل بمن ذكر من الامم فلما بين لهم الاصل بدليله وفرع
عليه ما لا ريب فيه في قصر نفعه عليهم انه لا يبقيا لهم عن ذلك جواب فاعرضوا عنه الى ان قالوا عنادا
ان اي ما انتم ايها الرسل الا بشر واكدوا اما ارادوا من نفي الاختصاص فقالوا مثلنا يريدون فما
وجه تخصيصكم بالرسالة دوننا ثم كان كانه قيل فكان ماذا فقالوا تريدون ان تصدونا اي

تلفتونا وتصرفونا عما كان اي كونا هو كالجبلة واكدوا هذا المعنى للتذكير بالحال الماضية بالمضارع
فقالوا يعبد اباونا اي انكم لكونكم من البشر الذين يقع بينهم التحاسد حسدتمونا على اتباع الاباء وقصدتم
تركنا له لنكون لكم تبعا فاتونا اي تسبب عن كوننا لم نر لكم فضلا وابدائنا من ارادتكم ما يصلح ان
يكون مانعا ان نقول لكم ايتونا لنتبعكم بسلطان مبين اي حجة واضحة تلجينا الى تصديقكم
مما نقترحه عليكم وهذا التعنت محض فانهم جديرون بان يعرضوا عن كل سلطان يا توتهم به
كابائهم كان كما الغوا ما اتوهم به من البينات فلم يعتدوا به فكانه قيل فما جواب الرسل فقيل
قالت ولما ارادوا تخصيصهم برد ما قالوا قيده بقوله لهم رسلهم مسلمين اولا كلامهم غير فاعلين
فعلهم في الحيدة عن الجواب ان اي ما نحن الا بشر مثلكم ما لنا عليكم فضل بما تقتضيه ذواتنا غير
ان التماثل في البشرية لا يمنع اختصاص بعض البشر عن بعض بفضايل والمثل ما يسد مسد غيره
حتى لو شاهده مشاهد ثم شاهد الاخر لم يقع فصل ولكن الله اي الذي له الامر كله فضلنا عليكم
لانه يمن على من يشا اي ان يمن عليه من عباده رحمة منه له بان يفضله على امثاله بما يقسمه له
من المزايا كما انتم به عارفون فلم يصرحوا بما تميزوا به من وصف النبوة ولم يخصوا انفسهم بمن الله
بل ادرجوها في عموم من يشا الله كل ذلك تواضعا منهم واعترافا بالعبودية والمن نفع ينقطع به
عن موس واصله القطع غير ممنون والمنية قاطعة عن الدنيا ولما بينوا لوجه المفارقة عطفوا
عليه بيان العذر فيما طلبوه منهم فقالوا وما اي فما كان لنا ان نتفضل عليكم بشي من الاشيا لم
يوذن لنا فيه وما كان اي صح واستقام لنا ان ناتيكم بسلطان مما تقترحونه تعنتا وهو
البرهان الذي يتسلط به على ابطال مذهب المخالف للحق غير المعجزة التي ثبتت بها النبوة الا
باذن الله اي باطلاق الملك الاعظم وتسويغه فنحن نتوكل على الله في امركم ان اذن لنا في
الاتيان بسلطان اولم ياذن وافتقرا وخالفتم وعلى الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه
وحده فليتوكل اي بامر حتم المومنون فكيف بالانبيا ثم بينوا سبب وجوب التوكل بقولهم وما
اي واي شي لنا في ان لا نتوكل على الله اي ذي الجلال والاكرام و الحال انه قد هدانا سبلنا
فبين لنا كل ما ناتي وما نذر فلا محيص لنا عن شي من ذلك فلنفعلن جميع اوامره ولننتهين عن جميع
مناهيه ولنصبرن اكدوا الانكار الكفار ان يصبر الرسول مع وحدته على اذاهم مع كثرتهم وقوتهم
على ما وعبر بالماضي اشارة الى انهم عفوا عن اذاهم في الماضي فلا يجازونهم به فهو استجلاب الى
توبة اولئك الموذين وعدلوا عن المضارع لانهم ينتظرون امر الله في الاستقبال فقد يامرهم بالجهاد
وقد يامرهم بالصبر فقال اذيتمونا اي في ذلك الذي امرنا به كاينا فيه ما كان لانا توكلنا على الله ونحن
لا نتهمه في قضايه وعلى الله اي الذي له جميع صفات الكمال وحده فليتوكل المتوكلون الذين علموا
من انفسهم العجز سوا كانوا مومنين اولا فوكلوا امرا امورهم الى غيرهم ليكفيهم اياه فانه محيط العلم
كامل العزة وكل من عداه عاجز والصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات المطلق من الكرب والحق
لا بد وان يصير غالبا قاهرا والباطل لا بد وان يصير مغلوبا مقهورا وان طال الابتلاو ولما
انقضت هذه المحاورة وقد علم منها كل منصف ما عليه الرسل من الحلم والعلم والحكمة وما عليه مخالفهم

من الضلال والجهل والعناد وكان في الكلام ما ربما اشعر بانقضا به ابتدا تعالى عنهم محاورة اخرى
عاطفا لها على ما مضى فقال وقال الذين كفروا لرسلهم مستهينين بمن قصروا التعاظم البعيد موكدين
لاستشعارهم بانكار من راى مدافعة الله عن اوليايه لقولهم والذي يحلف به ليكونن احد الامرين لنخرجنكم
من ارضنا اي التي لنا الغلبة عليها او لتعودن في ملتنا بان تكفوا عن معارضتنا كما كنتم قبل دعوى
الرسالة فاطلاق ملتهم على السكوت عنهم من اطلاق اسم الكل على الجزء على زعمهم مثل جعلوا اصابعهم
في اذانهم وهو مجاز مرسل فصبروا على ذلك كما اخبروا به توكلا على ربهم واستمروا على نصيحتهم لهم
بدعايهم الى الله فاوحى اليهم اي كلمهم في خفا بسبب توعدهم لهم مختصا لهم بذلك ربهم المحسن
اليهم الذي توكلوا عليه تسكينا لقلوبهم وتسلية لنفوسهم واكد لما من منظر كثرة الكفار وقوتهم من
التوقف في مضمون الخبر ولا سيما ان كان كافرا قايلا لنهلكن بما لنا من العظمة المقتضية لنفوذ
الامر والاهلاك اذهاب الشي الى حيث لا يقع عليه الاحساس الظالمين اي العريقين في الظلم
وربما تبينا على بعض من اخبرنا عنه بانه كفر وهو من لم يكن عريقا في كفره الذي هو اظلم الظلم
ولنسكننكم اي دونهم الارض اي مطلقها وخصوص ارضهم واشار الى عدم الخلود بالجار فقال من
بعدهم بان نورثكموها سوا قدرنا على اخراجكم ام لا فكانه قيل هل ذلك خاص بهم فقيل لا ذلك اي
الامر العالي الرتبة لمن خاف مقامي اي المكان الذي يقوم فيه من احاسبه ماذا تكون عاقبته
فيه وهو ابلغ من خافني وخاف وعيد لا بد ان اهلك ظالمه واسكنه ارضه بعده فاستبشروا
بذلك الوعد من الله واستفتحوا على اعدايهم فافلحوا وانجحوا وخاب كل جبار عنيد فاهلكناهم
كلهم وكان لنا الغنى والحمد بعد اهلاكهم كما كان قبله والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبرا وبغيا
من عند عن الحق عنودا والجبرية طلب علو المنزلة بما ليس ورا معاينة في الصفة فهو ذم للعبد من
حيث انه طالب ما ليس له ثم اتبعه ما هو كالدليل على خيبته من انه يسير الى ما امامه من العذاب فهو
واقع فيه لا محالة وهو لا يشعر عن غفلته عنه بقوله من ورايه جهنم اي لا بد انه يتبوأها ولما كان
الموجع وجود السقي للصديد مطلقا بني للمفعول قوله ويسقى اي فيها من ما صديد وهو غسالة اهل
النار لقيحهم ودمايهم يتجرعه اي يتكلف بلعه شيا فشيا لمرارته وحرارته فيغص به ويبلغ منه
من الشدة ما لا يعلم قدره الا الله ولا يكاد يسيغه ولا يقرب من اساغته فان الاساغة جر الشي
في الحلق على تقبل النفس وياتيه الموت اي اسبابه التي لو جاه سبب منها في الدنيا لمات من كل
مكان والمكان جوهر مهيا للاستقرار فهو كناية عن انه يحصل له من الشدايد ما يميت من قضي بموته
وما هو بميت اي ثابت له الموت اصلا لانا قضينا بدوام حياته زيادة في عذابه والموت عرض
يضاد الادراك في البنية الحيوانية ومن ورايه اي هذا الشخص بعد ذلك في يوم الجزا الذي لا بد
منه وما خلقنا السموات والارض الا من اجله عذاب غليظ ياخذه في ذلك اليوم مع ما قدمته له في الدنيا
وهو غافل عنه اخذ ما يكون من ورا فيكون اشد كما هو حال الاتي بغتة او يكون المعنى ان من بعد هذا
العذاب في جهنم عذابا اخر لا تحتمل عقولكم وصفه باكثر من الغلظ فلما فرغ من محاورتهم وما تبعها بين
فيه انه لا يغنيهم من بطشه شي ضرب لهم في ذلك مثلا فقال مثل وهو مستعار هنا للصفة التي فيها

غواية

غواية الذين كفروا مستهينين بربهم مثل من قصد امرا ثم لم ينظر لنفسه في السلوك اليه بل اغتر
بمن جار به عن الطريق فابعد كل البعد حتى وصل الى شعاب لا يمكن فيها المقام ولا يتاتى منها
الرجوع فهلك ضياعا ولما كان الفرق بين الانسان والعدم انما هو بالعمل ذكر ما علم منه ان المثل
لاعمالهم على طريق الجواب لمن كانه قال ما مثلهم فقال اعمالهم اي المكارم التي كانوا يعملونها في
الدنيا من الصلة والعتق وفدا الاسرى والجود ونحو ذلك في يوم الجزا ويجوز ان يكون مبتدا
ثانيا كما قال الحوفي وابن عطية وهو وخبره خبر المبتدا الاول ولا يحتاج الى رابط لانه نفس
المثل الذي معناه الصفة كرماد وهو ما سحقه الاحراق سحق الغبار اشتدت به الريح اي
اسرعت بالحركة على عظم القوة والريح جسم رقيق منبث في الجو من شانه الهبوب والرياح خمس
شمال وجنوب وصبا ودبور ونكبا في يوم عاصف اي شديد الريح فاطارته في كل صوب فصاروا
بحيث لا يقدرون اي يوم الجزا ولما كان الامر هنا متمحضا للاعمال قدم قوله مما كسبوا في الدنيا
من اعمالهم في ذلك اليوم على شي بل ذهب هبا منثورا لبنايه على غير اساس فثبت بمقتضى ذلك
ان الذين كفروا بربهم واستحبوا الحياة الدنيا على الاخرة في ضلال بعيد بل ذلك اي الامر الشديد
الشناعة هو اي خاصة الضلال البعيد الذي لا يقدر صاحبه على تداركه ولما ذكر الاخرة في اول
السورة ذكر ما هو ثابت لا نزاع فيه ثم جر الكلام اليه هنا على هذا الوجه الغريب واتبعه مثل
اعمال الكفار في الاخرة اتبع ذلك الدليل عليه وعلى انه لا يسوغ في الحكمة في اعمال الضلال الا الابطال
فقال الم تر ان الله اي الذي احاط بكل شي علما وقدرة خلق السموات على عظمها وارتفاعها
والارض على تباعد اقطارها واتساعها بالحق بالامر الثابت من وضع كل شي منها في موضعه على
ما تدعو اليه الحكمة لا بالخيال والتمويه كالسحر ومن المعلوم انهما ظرف ولا يكون المظروف الذي هو
المقصود بالذات الاامثل ظرفه او اعلى منه فكيف يظن انه يخلق شيا فيهما سدى بان يكون باطلا
فلا يبطله او حقا فلا يحقه ام كيف يتوهم انه مع القدرة على اخراجهما من العدم وهما اكبر خلقا واعظم
شانا انه لا يقدر على اعادة من فيهما وهم اضعف امرا واصغر قدرا او خلقهما بسبب الحق وهو
اعادة الناس اعادة يثبتون بها ويبقون بقا لا فنا بعده فتسبب عن ذلك انه عظيم القدرة
فهو بحيث ان يشا يذهبكم اي بنوع من انواع الاذهاب الموت او غيره وياتي بخلق جديد
غيركم او ياتي بكم بعد ان فنيتم بحيث تعودون كما كنتم خلقا جديدا او الجديد المقطوع عنه العمل في
الابتدا واصله القطع فالجد اب الاب انقطع عن الولادة بالاب والجد ضد الهزل يقطع به
المسافة فيما او معنى وما ذلك الاذهاب والاتيان على عظمه على الله اي الملك الاعلى
بعزيز وهو الممتنع بوجه من وجوه الامتناع لانه ليس مثل خلق السموات والارض فضلا عن
ان يكون اعظم منه فلا وجه لقولكم هل ندلكم على رجل ينبيكم الاية لان من قدر على جميع الممكنات
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فثبت بهذا ابعادهم في الضلال الموجب لهلاك اعمالهم التي هي
اسبابهم الموجب لهلاكهم ولما ثبت بهذا البرهان قدرته على الاعادة بعد الموت عطف على قوله
لا يقدرون مما كسبوا على شي قوله بيانا لهوان البعث عنده وسهولته عليه وبرزوا اي في ذلك

البوم وعبر بصيغة المضي الذي وجد وتحقق لان اخبار الملوك يجب تحققها لقدرتهم وغناهم عن الكذب
فكيف بملك الملوك وفيه من هز النفس وروعها ما ليس في العبارة بالمضارع لمن تامل المعنى
حق التامل لله اي الملك الاعظم جميعا فكانوا بحيث لا يخفى منهم خافية على ما هو متعارفهم لانه لا ساتر
لهم فان البروز خروج الشي عما كان متلبسا به الى حيث يقع عليه الحس في نفسه وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون من العذاب تقطعت بهم الاسباب فقال الضعفا اي للاتباع من اهل
الضلال بسبب علمهم انهم في القبضة لالجائهم تبكيتا لروسائهم وتوبيخا تصديقا لقوله تعالى
الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين للذين استكبروا اي طلبوا الكبر وادعوه فاستتبعوهم
به حتى تكبروا على الرسل واتباعهم ولم يكن لهم ذلك انا كنا اي كونا هو كالجبلة لكم تبعا اي تابعين
او ذوي تبع فكنتم سبب ضلالنا وقد جرت عادة الاكابر بالدفع عن اتباعهم المساعدين لهم على اباطيلهم
فهل انتم مغنون اي دافعون عنا من عذاب الله اي الذي له العظمة كلها فلا يطاق انتقامه
وابلغوا بعد التبعيض عن الاولى في التقليل فقالوا من شي كان العذاب كان محتاجا الى الخدم فلعنوه
بشي غيرهم حتى يجاوزهم لو دفعوه عنهم مكانه قيل ان ذلك لعادة الروسا فاذا قالوا فقيل قالوا علما
منهم بانه لا طاقة لهم على نوع من انواع التصرف لا نغني عنكم شيا بل كل مجزي بما فعل علينا ثم ضلالنا
في انفسنا واضلالنا لكم وعليكم ضلالكم ودبكم عنا وتقويتكم لجانبنا حتى استكبرنا فاستغرقنا في الضلال
ولو ان الله هداكم حتى تبعتم الامانة التي سمعتموها كما سمعناها وتركتمونا لكسر ذلك من شدتنا واوهى
من شوكتنا فكان ربما يكون سببا لهدايتنا كما انه لو هدانا الله اي المستجمع لصفات الكمال لهديناكم
فكان يكون لنا اجر اهتدائنا وهدايتنا لكم ولكم اجر اهتدائكم وتقويتكم لنا على ذلك ولكنه لم يهدنا
فضللنا وكنتم لنا تبعا فاضللناكم ولما كان الموجب لقولهم هذا الجزع قالوا سوا علينا اي نحن وانتم
اجزعنا والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ام صبرنا لا فايدة لنا في واحد منهما لان الامر اعظم
من ذلك فانه ما لنا من محيص يصلح للمصدر والزمان والمكان اي محيد وزوال عن المكروه على كلا
التقديرين فلم يبق في الجزع الا زيادة العذاب بسو المقالة وانتشار السيئة وهذا الاستفهام
ليس على بابه بل المراد به التنبيه على ان حالهم مما ينبغي السوال عنه وترديد الامر فيه لينتهي
عن مثله ولما كان الشيطان اعظم المستكبرين خصوا لافراد بالجواب فقيل وقال اول المتبوعين
في الضلال الشيطان الذي هو راس المضلين المستكبرين المقتضي بعده واحترامه لما قضي
الامر بتعيين قوم للجنة وقوم للنار رجوا بالقول الاتباع منه عنا حيث لا ينفع الاذعان ومونتنا
حيث فات نفع الايمان ان الله اي الذي له صفات الكمال وعدكم وعد الحق بان ارسل اليكم
رسلا وانزل معهم براهين وكتبا اخبركم فيها بانه ربكم الواحد انها دعاكم اليه بعد ان احتالكم
الشياطين وبشر من اجاب وحذر من ابى بما هو قادر عليه اتم القدرة فكل ما قال تطابقه الواقع
كما ترون فصدقكم فيه ووفى لكم ووعدتكم انا بما زينت لكم به المعاصي من الوساوس ووعد الباطل
فاخلفتكم فلم اقل شيا الا كان زيغا فاتبعتموني مع كوني عدوكم وتركتم ربكم وهو وليكم فالاية من
الاحتباك ذكر وعد الحق اولا دليلا على حذف ضده ثانيا واخلفتكم ثانيا دليلا على حذف ضده اولا

ولما بين غروره بين سهولة اغتراره زيادة في تنديمهم فقال وما كان لي اليكم في ذلك من
ذنب لانها كان لي عليكم وابلغ في النفي فقال من سلطان اي تسليط كبيرا وصغير بشي من
الاشيا الا ان اي بان دعوتكم بالوسوسة التي كانت سببا للتقوية دواعيكم الى الشر فاستجبتم
لي اي اوجدتم الاجابة ايجاد من هو طالب لها راغب فيها لي مجانبين الشهوات معرضين عن
مناهج العقول ودعا النصحا ولو حكمتم عقولكم لتبعتم الهداة لما في سبيلهم من النور الداعي اليها
وما في سبيل غيرهم من الظلام الساد لها والمهالك الزاجرة عنها دنيا واخرى وساقه على
صورة الاستثنا وان لم يكن دعاوه من السلطان في شي لان السلطان اخص من البرهان اذ
معناه برهان يتسلط به على ابطال مذهب الخصم اشارة الى انهم تبعوه ولا قدرة له على غير هذا
الدعا الذي لا سلطان فيه وتركوا دعا من انزل اليهم من كل سلطان مبين مع تهديدهم بما هو
قادر عليه وضربهم ببعضه وفاعل مثل ذلك لا لوم له على غير نفسه فلا اي فاذ تقرر هذا تسبب
عنه اني اقول لكم لا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم مواخذون بكسبكم لانه كانت لكم قدرة واختيار
فاخترتم الشر على الخير وعلم منه قطعا ان كلا منا مشغول عن صاحبه بما جرى به فعلم انه ما انا بمصرخكم
اي بمغنيكم فيما يخصكم من العذاب فاتيكم بما يزيل صراخكم منه وما انتم بمصرخي فيما يخصني منه
لتقطع الاسباب بما دهي من العذاب ثم علل ذلك بقوله اني كفرت مستنهيا بما اشركتموني اي
باتخاذكم لي شريكا مع الله ولما كان اشراكهم لم يستغرق الزمان اتى بالجار فقال من قبل لان
ذلك ظلم عظيم ثم علل هذه العلة بقوله ان الظالمين اي العريقين في هذا الوصف لهم عذاب اليم
مكتوب لكل منهم مقداره لا يغني احد منهم عن الاخر شيا بل كل مقصور على ما قدر له وحكاية هذه
المحاورة لتنبيه السامعين على النظر في العواقب والاستعداد لذلك اليوم قبل انه لا يكون الا
الندم وقرع السن وعض اليد ولما ذكر الظالمين اتبعه ذكر للمومنين فقال بانيا للمفعول لان
الدخول هو المقصود بالذات وادخل والادخال النقل الى محيط هذا اصله الذين امنوا اي
اوجدوا الايمان وعملوا الصالحات اي تصديقا لدعواهم الايمان جنات تجري وبين ان الما
غير عام لجميع ارضها بادخال الجار فقال من تحتها الانهار فهي لا تزال ريا لا يسقط ورقها
ولا ثمرها فداخلها لا يبغي بها بدلا خالدين فيها ولما كانت الاقامة لا تطيب الا باذن المالك
قال باذن ربهم الذي اذن لهم بتربيته واحسانه في الخروج من الظلمات الى النور وقرى
وادخل على التكلم فيكون عدل عن ان يقول باذني الى باذن ربهم للاعلام بالصفة المقتضية
للرحمة كما قال تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك ولم يقل لنا سوا ومن مشكله انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله فلا ينبغي المسارعة الى انكار شي يمكن توجيهه بل يتعين امعان النظر
فان الامر كما قال الامام ابو الفتح بن جني في كتابه المحتسب في توجيه لما يهبط من خشية الله
ان كلام العرب لمن عرفه ومن الذي يعرفه الطف من السحر وانقى ساحة من مسوف الفكر واشد
تساقطا بعضا على بعض وامس تساندا تنقلا الى غرض تحيتهم اي فيما بينهم وتحية الملايكة لهم
والتحية التلقي بالكرامة في المخاطبة فهي اظها رشرف المخاطب فيها سلام اي عافية وسلامة

وبقا وقول من كل منهم للاخر ادام الله سلامتك ونحو هذا من الاخبار بدوام العافية كما ان حال
اهل الباطل في النار عطب والام ولما تقرر بما مضى ان الحق ما قاله الله او فعله او اذن فيه
وان الباطل ما كان على غير امره مما ينسب الى الشيطان او غيره من قول او فعل وانه لا يصلح في الحكمة
ان ينفي الحق ولا ان يبقي الباطل اذ ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ليحق الحق
ويبطل الباطل وقص سبحانه كلام اوليايه الذي هو من كلامه فهو اثبت الاشيا واطيبها واعظمها
ثمرة وكلام اعدايه الذي هو من كلام الشيطان فهو ابطل الاشيا واخبثها قرب سبحانه ذلك بمثل
يتعارفه المخاطبون **الم تر** اي يا من لا يفهم عنا هذا المثل حق الفهم سواه **كيف ضرب الله** اي
المحيط بكل شي قدرة وعلما **مثلا** اي سيره تحيث يعم نفعه والمثل قول ساير يشبه به حال الثاني
بالاول ثم بينه بقوله **كلمة طيبة** اي جمعت انواع الكرم فلم يلبس فيها شي من الخبث وتلك الكلمة
كشجرة طيبة ولما كانت لا تسر الا بالثبات قال **اصلها ثابت** اي راسخ في الارض امن من
الاجتثاث بالرياح ونحوها **وفرعها** عال صاعد مهتز **في** جهة **السما** لحسن منبتها وطيب عنصرها
فالاية من الاحتباك ذكر ثابت اولا دال على عال صاعد ثانيا وذكر السما ثانيا دال على الارض
اولا ولما ذكر حالها ذكر ثمرتها فقال **توتي اكلها** اي ثمرتها لحسن ارضها ودوام ريها **كل حين**
على احسن ما يكون من الابتا لان علوها منعها من عفونات الارض وقاذورات الابنية فكانت
ثمرتها نقية من شوايب الادناس ولما كان الشي لا يكمل الا بكمال مربيه قال **باذن ربها** فهي بحيث
لا يستجيز عاقل ان يتسبب في افسادها ومن سعى في ذلك منعه اهل العقول ولو وصلوا الى
بذل النفوس روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا توتي اكلها كل
حين قال ابن عمر رضي الله عنهما فوقع في نفسي انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان
اتكلم فلما لم يقولوا شيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه
والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك ان تكلم فقال لم اركم تكلموا فكرهت ان اتكلم
قال عمر لان تكون قلتها احب الي من كذا وكذا ثم نبه سبحانه على عظم هذا المثل ليقبل على تدبره
ليعلم المراد منه فيلزم فقال **ويضرب الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **الامثال للناس**
اي الذين يحتاجون الى ذلك لاضطراب اراءهم لان في ضربها زيادة افهام وتصوير للمعاني لان
المعاني الصرفة اذا ذكر مناسبها من المحسوسات ارتسمت في الحس والخيال والوهم وتصورت
فتركت هذه القوى المنازعة فيها فيحصل الفهم التام والوصول الى المطلوب **لعلهم يتذكرون**
اي ليكون حالهم حال من يرجى له غاية التذكر بما اشار اليه الاظهار فهذا مثل الاوليا فكلمتهم
الطيبة كلمة التوحيد التي لا اطيب منها وهي اصل كل سعادة راسخة في قلوبهم معرقة في كل عرق منهم
اوجب اعراقها ان بسقت فروعها التي هي الاعمال الدينية من اعمال القلوب والجوارح فصارت كلما
هزت اجتنى الهاز ثمراتها التي لا نهاية لها عالما بانها من فتح مولاه لا صنع له فيها بوجه بل له
سبحانه المنة عليه في جميع ذلك وكما ان الشجرة لا تتم الا بعرق راسخ واصل قايم وفروع عالية فكذلك

الايمان لا يتم الا بمعرفة القلب وقول اللسان وعمل الاركان ثم اتبعه مثل حال الاعدا فقال **ومثل
كلمة خبيثة** اي عريقة في الخبث لا طيب فيها **كشجرة خبيثة** ولما كان من انفع الاشيا اعدامها والراحة
من وجودها على اي حالة كانت بني للمفعول قوله **اجتثت** اي استوصلت بقلع جثتها من اصلها
من فوق الارض برأي كل من له رأي ثم علل ذلك بقوله **ما لها** واغرق في النفي بقوله **من قرار** اي عند
من له ادنى لب لانه لا نفع لها بل وجودها ضار ولو بشغل الارض فكذلك الكلمة الخبيثة الباطلة
لا بقا لها اصلا وان علت وقتا لان حججها داحضة وجنودها منهزمة فلما برز الكلام الى هذين المثالين
حصل التعجب ممن يترك ممثول الاول ويفعل ممثول الثاني فوقع التنبيه على ان ذلك بفعل القاهر
فقال جوابا لمن كانه قال ان هذا الصريح للحق ثم انا نجد النفوس مايلة الى الضلال وطايشة في
ارجا المحال فكيف لنا بالامتثال **يثبت الله** اي الذي له الجلال والجمال **الذين امنوا** اي اوجدوا
هذه الحقيقة ولو على اقل درجاتها **بالقول الثابت** اي الذي هو متابعة الدليل **في الحياة الدنيا**
بمثل ما تقدم من محاورات انبيايه **وفي الاخرة** ويهديهم عند كل سوال الى احسن الاقوال حيث تطيش
العقول وتدهش الافكار لشدة الاهوال **ويضل الله** اي الذي له الامر كله **الظالمين** اي العريقين
في الظلم من زلزلهم لتقلبهم في الظلمات التي من شان صاحبها الضلال والخبط فيفعلون ما لا يرضاه
عاقل فالاية من الاحتباك ذكر الثبات اولا دليلا على ضده ثانيا والاضلال ثانيا دليلا على الهدى اولا
ويفعل الله اي الذي له الامر كله فلا يسال عما يفعل **ما يشا** لان الكل بحكمه وقضايه وهو القادر
القاهر فلا يتعجب من شي وفي هذا ارشاد الى الاقبال عليه والقا الزمة الافتقار اليه روى
البخاري في التفسير وغيره ومسلم في اواخر صفة الجنة والنار عن البرا رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سيل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك
قوله تعالى يثبت الله الاية ولما اخبر سبحانه انه هو الفاعل وحده اتبعه الدليل عليه وعلى اضلال
الذين بدلوا الكلمة الطيبة من التوحيد بالاشراك وزلزلتهم واجتثاث كلمتهم فقال **الم تر** واشار
الى بعدهم عن مقامه صلى الله عليه وسلم بقوله **الى الذين بدلوا** والتبديل جعل الشي مكان غيره
نعمة الله اي المستجمع لصفات الكمال التي اسبغها عليهم من كلمة التوحيد وما اورثهم من دين
ابيهم اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومن جميع النعم الدنيوية من امن البلد وتيسير الرزق
وغير ذلك بان جعلوا مكان شكرها **كفرا** وهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان واعلاهم
همما في الوفا وابعدهم عن الخنا **واحلوا قومهم** بذلك **دار البوار** اي الهلاك مع ادعايهم انهم
اذب الناس عن الجار فضلا عن الاهل روى البخاري في التفسير انهم كفار اهل مكة والبوار
الهلاك الزايد والاحلال جعل الشي في محل فان كان جوهرا فهو احلال مجاورة وان كان عرضا
فهو احلال مداخلة ولما افاد انها مهلكة بينها بما يفهم انها تلقاهم بالعبوسة كما كانوا يلقون
اوليا الله من الرسل وغيرهم بذلك فقال **جهنم** حال كونهم **يصلونها** اي يباشرون حرها مع
انغماسهم فيها بانعطافها عليهم ولما كان التقدير فبيس الاحلال احلوه انفسهم وقومهم عطف
عليه قوله **وبيس القرار** ذلك المحل الذي احلوهم به ولما كان هذا فعل من لا عقل له بينه بقوله

وجعلوا لله الذين يعلمون انه لا شريك له في خلقهم ولا رزقهم لان له الكمال كله اندادا وقال ليضلوا
اي بانفسهم على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويضلوا غيرهم على قراءة الباقين عن سبيله لانهم ان كانوا عقلا
فهم يعلمون ان هذا لازم لفعلهم فهم قاصدون له والا فلا عقول لهم لانه لا يقدم على ما لا يعلم
عاقبته الا ابله وهم يقولون انهم ابصر الناس قلوبا واصفاهم عقولا وانفذهم افكارا وامتنهم ارآ
فمن الزمهم منهم ومن احذرهم لطرق الهلاك مع ما اوقعوا انفسهم فيه من هذا الداء العضال ولما
تقرر انهم على الضد من جميع ما يدعونه فكانوا بذلك اهلا للاعراض عنهم وكان صلى الله عليه وسلم بعرض
ان يقول فماذا افعل بهم وقد امرتني باخراجهم الى صراطك امره ان يدق اعناقهم باخبارهم انما
اضلهم من النعم انما هو استدراج فقال قل اي تهديدا لهم فانهم لا يشكون في قولك وان عاندوا
تمتعوا وبالغوا في فعل البهائم مهما قدرتم فان ذلك ضاركم غير نافعكم فان مصيركم اي صيرورتكم
الى النار بسبب تمتعكم على هذا الوجه ولما ذكر كفرهم وضلالهم عن السبيل وما امره صلى الله عليه وسلم
بان يقول لهم وكان ذلك محركا لنفس السامع الى ما يقال لمن خلع الانداد وكان اوثق عرى
السبيل بعد الايمان واعمها الصلاة الناهية عن الفحشا والمنكر والنفقة الشاملة لوجوه البر
امره تعالى ان يندب اولياءه الى الاقبال الى ما اعرض عنه اعداؤه والاعراض عما اقبلوا بالتمتع عليه
من خلك فقال قل لعبادي فوصفهم باشرف اوصافهم واضافهم الى ضميره الشريف تحبيبا لهم
فيه ثم اتبع هذا الوصف ما يناسبه من اذعانهم لسيدهم فقال الذين امنوا اي اوجدوا
هذا الوصف ولما كان قوله صلى الله عليه وسلم احسن قول فهو جلا لصدا القلوب وموجب
لتهذيب النفوس قال جازما يقيموا الصلاة اي التي هي زكاة القوة وصلة العبد بربه وينفقوا
وخفف عنهم بقوله مما رزقناهم اي بعظمتنا فهو لنا دونهم من انواع النفقات المغنية لشرايعه
من الصدقات وغيرها انفاقا لما بينهم وبينه من الاسباب لينقذوا انفسهم من النار واقتصر
على هاتين الخلتين لانه لم يكن فرض في مكة غيرهما مع ما تقدم من فضلهما وعمومهما ولعله سبق
سياق الشرط تنبيها لهم على ان مجرد قوله صلى الله عليه وسلم اقوى الاسباب فيجب عليهم ان
لا يتخلفوا عنه اصلا ثم اشار الى المداومة على هاتين الخصلتين بقوله سرا وعلانية ويجوز ان يراد
بالسر النافلة وبالعلانية الفرض ثم رهب من تهاون في خدمته من اليوم الذي كان الاعراض
عنه سبب الضلال فقال مشيرا بالجار الى قصر مدة اعمالهم من قبل ان ياتي يوم اي عظيم جدا
ليس هو كشي من الايام التي تعرفونها لا بيع فيه لاسير بفداء ولا خلال اي مخالات ومواددات
يكون عنها شفاعة او نصر جمع خلة كقلة وقلال وهو مصدر وذلك اشارة الى انه لا يكون شي
منهما سببا للخلاص هالك ولما نفى جميع الاسباب النافعة في الدنيا في ذلك اليوم كان كانه قيل فمن
الحكم فيه حتى انه بيسير سيرة لا يعرفونها فقيل الله اي الملك الاعلى المحيط بكل شي ثم اتبعه بصفات
تدل ما دعا اليه الرسل من وحدانيته وما اخبروا به من قدرته على كل شي فلا يقدر احد على مغالبته
وعلى المعاد وعلى غناه فلا يبايع فقال الذي خلق السموات والارض وهما اكبر خلقا منكم واعظم
شانا ثم عقبه بادل الامور على الاعادة مع ما فيه من عظيم المنة بان به الحياة فقال وانزل من السما

مآ ولما كان ذلك سبب النمو قال فاخرج به اي بالمآ الذي جعل منه كل شي حي من الثمرات اي الشجرية
وغيرها رزقا لكم بعد يبس الارض وجفاف نباتها وليس ذلك بدون احيا الموتى ثم اتبعه
ما ادخره في الارض من مياه البحار والانهار وذكر اعم ما يظهر من منافع البحار فقال وسخر لكم
الفلك وعلل ذلك بقوله لتجري في البحر ولما كان ذلك امرا باهرا للعقل بين عظمته بقوله بامره
ولما كانت الانهار من النعم الكبار بعد نعمة البحار قال وسخر لكم الانهار ثم اتبعه ما جعله
سببا لكمال التصرف وانضاج الثمار المسقية بالمآ النازل من السمآ والنابع من الارض
فقال وسخر لكم الشمس والقمر حال كونهما دائبين اي في سيرهما وانارتهما وما ينشا عنهما من
الاصلاح بالطبخ والانضاج في المعادن والنبات والحيوان قال الرماني والدؤوب مرور
الشي في العمل على عادة جارية فيه ثم ذكر تعالى ما ينشا عن وجود الشمس وعدمها فقال وسخر
لكم الليل اي الذي القمر فيه والنهار اي الذي الشمس ايته يوجد كل منهما بعد تصرمه ولو كان
احدهما لا اختل الحال بعدم النبات والحيوان كما هو كذلك حيث لا تغرب الشمس في الجنوب وحيث
لا تطلع في الشمال ثم عم بعد ان خص فقال واتاكم ولما كان الكمال لا يكون الا في الجنة قال من
كل ما سالتموه اي ما انتم محتاجون اليه فانتم سائلوه بالقوة ثم حقق وجه العظم بغرض ما يوجب
العجز فقال وان تعدوا ايها الناس كلكم نعمة الله اي تروموا عد انعام الملك الاعلى الذي
له الكمال المطلق او تاخذوا في عده وعبر عنه بالنعمة ارشادا الى الاستدلال بالاثر على المؤثر
لا تحصوها اي لا تحيطوا بها ولا تعرفوا عد الحصى المقابلة لها ان عددتموها بها كما كانت عادة
العرب او لا تجدوا من الحصى ما يوفي بعددها هذا في النعمة الواحدة فكيف بما زاد فهذا شرح
قوله اول السورة الله الذي له ما في السموات وما في الارض وقد ظهر به انه لا يوجد شي الا وهو
ملك الله فضلا عن ان يوجد شي يدانيه فضلا عن شي يماثله فثبت انه لا بيع ولا خلال يوم بيونة
العباد وتقريب العجز عن العد للانعام ان السلامة من كل دآ ذكره الاطبا في كتبهم على كثرتها
وطولها نعمة على العبد وذلك متعسر الحصر وكل ما ذكروه صريحا في جنب ما دخل تحت كلياتهم
تلويحا قليل فكيف بما لا يطلعهم الله عليه ولم يهدهم بوجه اليه هذا في الجسم واما في العقل
فالسلامة عن كل عقد زايغ ودين باطل وضلال مايل وذلك لا يحصيه الا خالق الفكر
وفاطر الفطر سبحانه ما اعزه واعظم شانه ولما كان اكثر هذه السورة في بيان الكفرة
ومالهم وبيان ان اكثر الخلق هالك معرض عما ياتيه من نعمة الهداية على ايدي الرسل الدعاة
الجين له جميع النعم للحياة الطيبة بسعادة الدارين ختم الاية ببيان ما اقتضى ذلك من صفات
الانسان فقال ان الانسان اي هذا النوع لما له من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه
ويضره والاضطراب بسبب ما يضره ويسره لظلوم كفار اي بليغ الظلم والكفر حيث يهمل
الشكر ويتعداه الى الكفر وختم مثل ذلك في سورة النحل بغفور رحيم لان تلك سورة النعم
نبيت بالنهي عن استعجال العذاب لان الرحمة اسبق ومن الرحمة امهال الناس وامتاعهم
بالمنافع فالتقدير اذن هناك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار

ولكن ربه لا يعاجله بالعقوبة لانه غفور رحيم واما هذه السورة فبدئت بان الناس في الظلمات ولما
انقضي الماموربه من القول لكافر النعمة وشاكرها وسبب ذلك والدليل عليه وبان انه خالق الموجودا
كلها وربها فلا يصح اصلا ان يكون شي منها شريكا امره صلى الله عليه وسلم ان يذكرهم بايام الله عند
ابيهم ابرهيم عليه الصلاة والسلام للدلالة على تبديلهم النعمة ظلما منهم وكفرا في اسلوب دال
على البعث مشير الي وجوب برائتهم من الاصنام حيث كان محط حالهم فيها تقليد الآبا وهو اعظم
آبايهم والي ما سنه لهم من اقامتهم الصلاة وشكرهم لنعمه بالانفاق وغيره فقال ناعيا عليهم من
المخالفة لصريح العقل وقاطع النقل عقوق ابيهم الاعظم عطفا على قل لعبادي الذين امنوا
او على واذ قال موسي لقومه **واذ** اي واذكر لهم مذكرا بايام الله خبر ابرهيم اذ **قال ابرهيم رب** اي
ايها المحسن الي باجابة دعاي في جعل القفر الذي وضعت به ولدي بلدا عظيما ولما كان
السياق لاخراج الرسل من محالهم وكان ذلك منها لان المحل الذي يمنع الاخراج منه بلد يسكن فيه
واتبعه سبحانه بان المتعرضين بدلوا نعمة الله بما اسكن فيه من الامن بعد جعله له بلدا بما احدثوا
فيه من الاخافة لخير اهله ومن الانداد لمن انعم عليهم بكل ما فيه من الخير كان الانسب تعريفه فقال
اجعل هذا البلد اي الذي يريدون اخراج الرسول منه **امنا** اي ذا امن بامان اهله وكان هذا الدعا
صدر منه بعد ان سكن الناس مكة وصارت مدينة والذي في البقرة كان حيث وضع ابنه بها مع امه
وهي خالية عن ساكن فدعا ان يجعلها الله بلدا وان يجعلها بعد ذلك موصوفة بالامن وهو سكون النفس
الي زوال الضر ولما دعا بالامن من فساد الاموال والابدان اتبعه الدعا بالامن من فساد الاديان
فقال **واجنبني** اي اصرفني **وبني** اي لصلبي واسقط البنات اشارة الي الاستقلال وانهن
تابعات دايما **ان نعبد** اي عبادة مستمرة تكون موجبة للنار **الاصنام** اي اجعلنا في جانب غير
جانب عبادتها والصنم المنحوت على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهو وثن قاله
الطبري عن مجاهد ثم بين زيادة الاهتمام بامر الاصنام باعادة الندا واسقط الاداة زيادة في
التملق بكونه من اهل القرب والانقطاع اليه سبحانه معللا لما قبله في قوله **رب** بافراد المضاف اليه
ليكون الواحد على نظام واحد **انهن اضللن** اسنادا مجازي علاقته السببية **كثيرا من الناس فمن** اي
فتسبب عن بغضي لهن ان اقول من **تبعني** من جميع الناس في تجنبها **فانه مني** اي من حزبي لكونه على
طريقتي وديني فاتني ما وعدتني فيه من الفوز **ومن عصاني** فضل بها فقد استحق النار فان عذبته فهو
عبدك وان غفرت له فانت اهل لذلك لان لك ان تفعل ما تشا **فانك غفور** اي بليغ الستر **رحيم**
اي بليغ الاكرام بعد ستر الذنوب والدلالة بزيادة رغبته في العفو لانه لا ينقص به شي من عزته
سبحانه ولا حكمته كما اشار اليه دعا عيسى عليه الصلاة والسلام في المايدة ولما دعا بدرء المفاسد
الناشية من نوعي الانسان والشيطان بامن البلد وايمانه ذكر السبب الحامل له على تخصيصه بذلك
مستجلبا للمصالح فقال **ربنا** اي يا رب ورب من تضمنت انه يتبعني بتربيتك لنا احسن تربية **اني
اسكنت** وكان الله سبحانه اخبره انه يكثر نسله حتى يكونوا كالنجوم وذلك بعد البشارة باسحاق
عليه الصلاة والسلام فقال **من ذريتي** وساقه موكدا تنبيها على انه لكونه على وجه لا يسمح به احد

لا يكاد يصدق وللاعلام بانه راغب فيه **بواد** هو مكة المشرفة لكونها في قضا منخفض بين جبال
تجري بالسيول **غير ذي زرع** ولما نفي عنه الرقد الدنيوي اثبت له الاخروي اشارة الي ان الدارين
ضرتان لا تجتمعان وكان هذا الدعا كان بعد بنايه البيت كما تقدمت الاشارة اليه ايضا
بتعريف البلد فقال **عند بيتك المحرم** اي الذي حرمت التعرض اليه ومنعته بالهيبة فلم يملكه احد
سواك وجعلت له حريما يامن فيه الوحش والطير والسكني اتخاذ ماوي يسكن اليه متي شا والوادي
سفح الجبل العظيم ومنه قيل للانهار اودية لان حافاتها كالجبال لها والزرع نبات يتفرش من غير
ساق ثم بين غرضه من اسكانهم هناك فقال **ربنا** اي ايها المحسن الينا **ليقيموا الصلاة** ما اسكنتهم
في هذا الوادي الموصوف الا لهذا الغرض المنافي لعبادة غيرك ولان اولي الناس باقامتها حاضروا
البيت المتوجه بها اليه ولما كان اشتغالهم بالعبادة وكونهم في ذلك الوادي امرين بعيدين عن
اسباب المعاش تسبب عنه قوله **فاجعل افيدة** اي قلوبا محترقة بالاشواق **من الناس** اي من
افيدة الذين هم اهل للاضطراب يكون احتراقها بالشوق ما نعا من اضطرابها **تهوي** اي تقصدهم
فتسرع نحوهم برغبة وشوق اسراع من ينزل من خالق وزاد للمعني وضوحا واكده بحرف الغاية
الدال على بعد لان الشي كلما بعد مدى مرماه اشتد وقعه فقال **اليهم** ولما دعا لهم بالدين دعا لهم
بالرزق المتضمن للدعا بحبر انهم فقال **وارزقهم** اي على يد من يهوي اليهم **من الثمرات** اي التي
انبتها في بلادهم وبين العلة الصالحة بقوله **لعلهم يشكرون** اي ليكون حالهم حال من يرجي شكرهم
لما يرون من نعمك الخارقة للعوايد في ذلك الموضع البعيد عن الفضل لولا عنايتك فيشتغلوا
بعبادتك لاعتنايك لهم واحسانك اليهم وقد اجاب الله دعوته فالاية لتذكر قريش بهذه النعم
الجليلة عليهم ببركة ابيهم الاعظم الذي نهي عن عبادة الاوثان ولما فرغ من الدعا بالاهم من الابقا
على الفطرة الاولي المشوقة للعزايم الي العكوف في دارة الانس ومن الكفاية لهم المعاش المنتج للشكر
باتفاق الفضل وتبين من ذلك انهم خالفوا اعظم ابايهم في جميع ما قصده لهم من المصالح اتبعه
ما بعث على الاخلاص في ذلك وغيره له ولغيره ليكون انجح للمراد بضمان الاسعاد والاستماع
تكرير الندا الدال على مزيد التضرع فقال **ربنا** اي ايها المحسن الينا المالك لجميع امورنا **انك تعلم
ما** اي جميع ما **نخفي وما نعلن** ثم اشار الي عموم علمه فقال **وما يخفي على الله** اي الذي احاط بكل شي
قدرة وعلما وبالغ في النفي فقال **من شي** من ذلك ولا غيره **في الارض** ولما كان في سياق المبالغة
اعاد النافي تاكيدا فقال **ولا في السما** اي فهو غير محتاج الي التعريف بالدعا فالدعا انما هو
لاظهار العبودية واسم الجنس شامل لما فوق الواحد ومن فوايد التعبير بالافراد الدلالة على انه من
كان محيطا بكل ما في المتقابلين من غير ان يحجبه احدهما عن الآخر كان محيطا بغيرهما كذلك من غير فرق
ولما تم ما دعا به من النزاهة عن رجاسة الشرك وتبين بتقديمه ان اهم المهمات البراة منه اتبعه
الحمد على ما رزق من النعم وما تبع ذلك من الاشارة الي وجوب الشكر فقال **الحمد لله** اي المستجمع لصفات
الكمال **الذي وهب** والهبة عطية تمليك من غير عقد ثامنة **لي** حال كوني مستعليا **على الكبر**
ومتمكنا منه على ياس من الولد **اسماعيل** الذي اسكنته هنا **واسحق** وهذا يدل على ما تقدم فهي له

من ان هذا الدعآ كان بعد بنآ البيت وطا بينته باسحق عليه الصلاة والسلام عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان سنه كان عند ولادة اسمعيل عليه الصلاة والسلام تسعا وتسعين سنة وعند ولادة اسحق عليه
الصلاة والسلام كان ماية سنة واثنتي عشرة سنة ولما كان اتيان الولد له في سن لا يولد فيه لمثله
وجميع ما دعا به من الخوارق فوجوده لا يكاد يصدق اشار الي ذلك بتاكيد قوله ان ربي اي المحسن الي
لسميع الدعآ اي من شانه اجابة الدعآ علي الوجه الابلغ تعريضا بالانداد واشارة الي ما تضمنه تاسفه
علي العقم فقد تقدم في سورة البقرة عن التوراة انه لما خلص ابن اخيه لوطا من الاسر قال له الله يا ابرهيم
انا اكانفك واساعدك لان ثوابك تدجزل فقال ابرهيم اللهم ربي ما الذي تخليني وانا خارج من الدنيا
بلا نسل ويرثني البعازر علامي الدمشقي فقال له الرب لا يرثك هذا بل يرثك ابنك الذي يخرج من صلبك
فهو يرثك وقال له انظر الي السمآ واحص النجوم ان كنت تقدر ان تحصيها فكذلك يكون في ذريتك
فامن ابرهيم بالله ولما اتم الحمد علي النعمة بعد الدعآ بالتحلي بحلية العبادة التي اخبر انها قصده باسكانه
من ذريته ثم اقامتها اشارة الي صعوبتها علي النفس الا بمعونة الله فقال رب اي ايها الموجد لي
المالك لامري اجعلني مقيم الصلاة اي هذا النوع الدال علي غاية الخضوع دايم الاقامة لها وكان الله
تعالي اعلمه بانه يكون من ذريته من يكفر فقال ادبا ومن ذريتي ولما كانت اعظم الاركان بعد الايمان
افرد الضمير للدعآ بها متملقا الله تعالي بما عليه من النعم التي لم ينعمها علي احد كان في ذلك الزمان غيره
كما اشار الي ذلك باسم الرب ثم زاد في التضرع بقوله ربنا اي ايها المحسن الينا وجمع الضمير المضاف
اليه بالنظر الي من تبعه من ذريته لان ما بعده كلام اخر اي رب ورب من دخلته بتربيتك
واحسانك لاقامة الصلاة من ذريتي وتقبل دعآي كله بذلك وغيره بان تجعله مقبولا
جعل من كانه راغب فيه معتن به ولما كان الانسان ولو اجتهد كل الاجتهاد محل العجز الموجب
للتقصير المفتقر للستر قال مشيرا الي ذلك ربنا اي ايها المالك لامورنا المدبر لنا اغفر لي
ثم اشرك معه اقرب الناس اليه واحقهم بشكره فقال ولوالدي وقد كان استغفاره لهما
قبل ان يعلم ان اباه مات كافرا لو قد علم من السياق انه اذا كان وحده اضاف الي ضميره واذا
تقدم ما يحسن جمعه معه جمع ان كان ما بعده مستقلا ثم كل من تبعه في الدين من ذريته وغيرهم
فقال وللمومنين اي العريقين في هذا الوصف يوم يقوم اي يظهر ويتحقق علي اعلي وجوهه
الحساب ولما ختم دعاه بيوم الحساب الموجب ذكره لكل سعادة ونسيانه لكل شقاوة ذكر بعض
ما يتفق فيه رجوعا الي ما مضي من احوال القيمة علي احسن وجه فقال عاطفا علي قوله قل لعبادي وجل
المقصود تهديد اهل الظلم بالاشراك وغيره وخاطب الراس الذي لا يمكن ذلك منه ليكون اوقع
في قلب غيره ولا تحسبن الله اي الملك الذي هو احكم الحاكمين ولما كان اعتقاد ترك الحساب
يلزم منه نسبة الحاكم الي العجز او السفه او الغفلة لينتبه المنكرون للبعث من غفلتهم فقال
غافلا والغفلة ذهاب المعني عن النفس عما يعمل الظالمون الذين بدلوا نعمة الله كفرا فكانوا عريقين
في الظلم وان كان مستند ظلمهم شبها علمنه يعمونها فكانه قيل فما الذي يفعل بهم فقال انما يوخرهم
اي يوخر حسابهم علي النقير والقطمير سوا عذبوا في الدنيا او لا ليوم تشخص اي تنفتح فتكون بحيث لا تطرف

فيه

فيه منهم الابصار حال كونهم مهطعين اي مسرعين غاية الاسراع الي حيث دعوا خوفا وجزعا
مع الاقبال بالبصر نحو الداعي لا يلتفتون الى غيره مقنعي روسهم اي رافعيها وناصبيها ناظرين
في ذل وخشوع الي جهة ولسيدة وهي جهة الداعي لا يلتفتون يمينا ولا شمالا والاهزا كناية عن اشد
الذل والصغار ثم اتبعه ما يوكده فقال مصرحا بمعني الشخوص لا يرتد اليهم ولما كانوا في هيئة
الاعين في الطرف والسكون قريبا من السوآ وحد فقال طرفهم بل اعينهم شاخصة دايمة بالفتح
لا تطرف كالمحتضر لما باصحابها من الهول وافئدتهم جمع فواد وهو العضو الذي من شانه ان يحمي بالغضب
قال في القاموس والنفاذ الخرق والنوفود ومنه الفواد للقلب مذكر جمعه افئدة هوآ اي
عدم فارغة لا شي فيها من الجراة والانفة التي يظهر وبها الان كما قال حسان بن ثابت رضي الله
عنه الا ابلغ اباسفيان عني فانت مجوف نخب هوآ والهوآ الخلا الذي لم تشغله الاجرام
والنخب الجبان وكذا الهوا قال في القاموس فانذرهم اهوال ذلك اليوم فانه لا يبقي حمم فيه تحي
مما هم فيه من الابآ والاستكبار وانذر اي با محمد الناس جميعا ما يحل بهم يوم ياتيهم العذاب
وينكشف عنهم الغطا بالموت او بالبعث ولما كانوا عند اتيان العذاب قبل الموت لا ينكسرون
بالكلية بين انهم اذ ذاك علي غير هذا فقال عاطفا علي ياتيهم فيقول الذين ظلموا اي اوجدوا هذا
الوصف ولو علي ادني الوجوه منهم ومن غيرهم بسبب اتيانه من غير تمهل وقد زال عنهم ما يفتخرون به
من الانفة والحمية والشماخة والكبر لما راوا من الاهوال التي لا قبل لهم بها ولا صبر عليها ربنا
اي ايها المحسن الينا بالخلق والرزق والتربية اخرنا اي امهلنا الي اجل قريب فانك ان
توخرنا نجب دعوتك اي استعدادا كاملا فرطنا فيه وللاجابة القطع علي موافقة الداعي بالارادة
ونتبع اي بغاية الرغبة الرسل فيقال لهم ان اجل الله اذا جآ لا يوخر الم تكونوا تقولون ان عري
صبركم لا تنحل وحد عزايمكم لا يفل اولم تكونوا اي كونا انتم فيه في غاية المكنة اقسمتم اي جهلا
وسفها واشرا وبطرا ولما لم يكن وقت اقسامهم مستغرقا للزمان قال من قبل وبين الجواب المقسم
عليه بقوله حاكيا معني قولهم لا لفظه ليكون صريحا في المراد من غير احتمال لتعنت لو قيل ما لنا
مالكم واكد النفي فقال من زوال عما انتم عليه من الكفران وعدم الاذعان للايمان او من هذه الدار
الي الدار الاخرة او من منازلكم التي انتم بها كناية عن ثبات الامر وعدم المبالاة بالمخالف كابنا من كان
والحال انكم سكنتم اي في الدنيا في مساكن الذين ظلموا اي بوضع الاشيآ في غير مواضعها كما فعلتم
انتم انفسهم فحلوا اقومهم مثلكم دار البوار وتبين اي غاية البيان لكم بالخبر والمشاهدة ولما كان
حال احدهم في غاية العجب نبه بالاستفهام علي انه اهل لان يسيل عنه فقال كيف فعلنا اي علي عظمتنا
بهم حين انتقمنا منهم فلم تغتبروا باحوالهم وضربنا اي علي ما لنا من العظمة لكم الامثال المبينة ان
سنة الله جرت ولن تجد لسنة الله تبديلا ان الظالمين كما جمعهم اسم الظلم يجمعهم ميسم الهلاك فجمعنا
لكم بين طريقي الاعتبار السمع والبصر ثم لم تنتفعوا بشي منهما والحال انه عند الله اي المحيط علما وقدرة
مكرهم وهو وحده به عالم من جميع وجوهه وان دق وعلي ابطاله قادر وان جل وان كان
مكرهم من القوة والفخامة لتزول اي لاجل ان تزول منه الجبال والتقدير علي قراة فتح اللام

الاولي ورفع الثانية وان كان بحيث انه تزول منه الجبال والمعنيان متقاربان وقيل ان نافية
واللام لتاكيد النفي والجبال الايات والشرايع مثل ما هي اثبت ولما تعزز ذلك من علمه سبحانه وتقدس
تسبب عنه ان يقال وهو كما تقدم في ان المراد الامة لبلوغ الامر منهم كل مبلغ خوطب به الراس
ليكون اوقع في قلوبهم فلا تحسبن الله اي الذي له الكمال كله فانه من ظن ذلك كان ناقص العقل
مخلف وعده رسله في انه يعز اولياءه ويذل اعداءه ويهلكهم لظلمهم ويسكن اولياءه الارض من
بعدهم ثم علل ذلك بقوله موكدا لان كثرة المخالفين وقوتهم على تمادي الايام تعرض السامع
للانكار ان الله اي ذا الجلال والاكرام عزيز اي يقدر ولا يقدر عليه ذو انتقام ممن يخالف
امره ولما تقررت عظمة ذلك اليوم الذي تشخص فيه الابصار وكان اعظم يوم يظهر فيه الانتقام
بينه بقوله يوم تبدل اي تبديلا غريبا عظيما الارض اي هذا الجنس غير الارض اي التي
تعرفونها والسموات بعد انتثار كواكبها وانفطارها وغير ذلك من شؤونها والتبديل تغيير
الشي او صفته الي بدل وبرزوا اي الظالمون الذين كانوا يقولون انهم لا يعرضون على الله
للحساب والبروز ظهور الشخص مما كان متلبسا به لله اي الذي له صفات الكمال الواحد الذي
لا شريك له القهار الذي لا يدافعه شي عن مراده فصاروا بذلك البروز بحيث لا يشكون انه لا تخفى
منهم خافية واما المومنون فلم يزالوا يعلمون ذلك روى مسلم والترمذي عن عايشة رضي الله عنها
قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض الاية قلت يا رسول الله
اين نكون يومئذ قال على الصراط ولما ذكر بروزهم ذكر حالهم في ذلك البروز فقال وترى
المجرمين اي وتراهم ولكنه اظهر ليعدد صفاتهم التي اوجبت لهم الخزي والاجرام قطع ما يجوز
من العمل بفعل ما لا يجوز يومئذ اي اذ كانت هذه الامور العظام مقرنين اي مجموعا كل منهم
الي نظيره او مجموعة ايديهم الي اعناقهم جماعة فيه شدة وضيق في الاصفاد اي القيود
والمراد هنا الاغلال اي السلاسل التي تجمع الايدي فيها الي الاعناق ويقرنون فيها مع
اشكالهم ثم بين لباسهم بقوله سرابيلهم اي قمصهم السابغة من قطران وهو ما تهنا به
الابل ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح ولما كان هذا اللباس
مع نتنه وفظاعته شديد الانفعال بالنار بين انه يسلطها عليهم فقال وتغشي ولما كان
الوجه اشرف ما في الحيوان فاهانته اهانة عظيمة لصاحبه ذكره وقدمه تعجيلا لافهام الاهانة
فقال وجوههم النار اي تعلوها باشتعالها فعلم انه يلزم من غشيانها لها اضطرامها فيما ضمخ
بالقطران من باب الاولي ثم بين علة هذه الافعال في ذلك اليوم فقال معبرا بالجزاء والكسب
الذين محط التكليف وظن النفع لا قتضا سياق التهديد لهما ليجزي الله اي الذي له الكمال كله كل نفس
طايعة او عاصية ولما عظم الامر باسناد الجزا الي الاسم الاعظم الجامع لجميع صفات الكمال اقتضى ذلك
ان يكون نفس الكسب هو الجزا لان ذلك ابدع وادق في الصنع وابرع بان يصور بما يحق من الصور
المليحة عند ارادة الثواب والقبيحة عند ارادة العقاب فلذلك اسقط البا التي تستذكر في جزا المومن
وقال ما كسبت والجزا مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر والكسب فعل ما يستجلب به نفع او يستدفع

به ضر ومن جزا المومن عقوبة من عاداه في الله ولما كان حساب كل نفس جديرا بان يستعظم قال
ان الله اي الذي له الاحاطة المطلقة سريع الحساب اي لا يشغله حساب نفس عن حساب
اخري ولا شان عن شان ولما اشتملت هذه السورة على ما قرع سمعك من هذه المواعظ والامثال
والحكم التي ابكمت البلغا واخرست الفصحا وبهرت العقول ترجمها سبحانه بما يصلح عنوانا لجميع القران
فقال هذا اي الكتاب الذي يخرج الناس من الظلمات الي النور بلاغ اي كاف غاية الكفاية في
الابصال للناس ليصلوا به الي الله بما يتحلون به من المزايا في سلوك صراطه القويم فان مادة بلغ
باي ترتيب كان تدور على الوصول وتارة تلزمها القوة وتارة الاعيا الناشي عن الضعف بلغ المكان
بلوغا وصل اليه وبلغ الرجل كعني جهد والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره والبلاغ كسحاب
الكفاية لانها توصل الي القصد وبالغ مبالغة اذا اجتهد ولم يقصر وتبلغت به العلة اشتدت
والغلبا الحديقة المتكاثفة ومن القبايل العزيزة الممتنعة والاغلب الاسد ولغب اعيي لاجتهاده في
البلوغ واللغب ما بين الثنايا من اللحم واللغب ككتف الكلام الفاسد يرجع الي الاعيا وكذا الضعيف
الاحمق والسهم الذليل يحسن بريه كالالعاب بالحمق والتلغيب طول الطرد والبغل من اشد الحيوان
وابلغها للقصد وبغل تبغيلا بلد واعيي والابل مشت بين الهملجة والعنق ولما كان متعلق البلاغ
الذي قدرته بالوصول يتضمن البشارة عطف عليه النذارة بانيا للمفعول لان النافع مطلق النذارة
وكل احد منا اهل لان يكون واعظا به مقبولا لان من سمعه فكانما سمعه من الله لتميزه باعجازه عن كل
كلام فقال ولينذروا اي من اي منذر كان فتقوم عليهم الحجة به فيحذروا عقاب الله فيتخلوا عن
الدنايا ولما اشار الي جميع الفروع فعلا وتركا مع اشارته الي اصل التوحيد لانه اول الوصول
صرح به على احدنه لجلالته في قوله وليعلموا انما هو اي الاله اله واحد فيكون همهم واحدا ولما تمت
الاشارة الي الدين اصلا وفرعا نبه على المواعظ والامثال بتذكر ما له من الايات والمصنوعات
والبطش بمن خالفه من الامم واشار الي ان ادلة الوحدانية والحشر لا تحتاج الي كبير تذكر لانها في
غاية الوضوح ولا سيما بعد تنبيه الرسل فادغم تا التفعل فقال وليذكر اي منهم اولوا الالباب
اي الصافية والعقول الوافية فيفتحوا عيون بصايرهم فيعلموا انه لا وصول لهم مع الغفلة فيلزموا
المراقبة فلا يزالوا في رياض المقاربة ويعلموا ما ركز في طباعهم وجري من عوايدهم ان اقل حكامهم لا يرضي
بان يدع رعيته يتهارجون لا ينصف بينهم ولا يجزي احدا منهم بما كسب فيكون ذلك منه انسلاخا
من رتبة الحلم التي هي خاصته فكيف يدعون ذلك في احكم الحاكمين فقد تكفلت هذه الاية على وجازتها
بجميع علم الشريعة اصولا وفروعا وعلم الحقيقة نهايات وشروعا على سبيل الاجمال وقد انطبق اخر
السورة على اولها لان هذا عين الخروج من الظلمات الي النور بهذا الكتاب الحامل على كل صواب والله
الموفق

سورة الحجر

مقصودها وصف الكتاب بانه في الذروة من الجمع للمعاني الموضحة للحق من غير اختلاف اصلا واشكل
ما فيها واشمله في هذا المعنى قصة اصحاب الحجر فان وضوح ايتهم عندهم وعند كل من شاهدها او سمع بها
كوضوح ما دل عليه مقصود هذه السورة في امر الكتاب عند جميع العرب لا سيما قريش وايضا ايتهم في

غاية الإيضاح للحق والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضي للاجتماع على الداعي ومن هنا يتضح ديباجة
ما اخترته من الاعراب لقوله تعالى كما انزلنا على المقتسمين من تعليقه به كانوا لغتها معرضين المقتضي لشدة
الملابسة بين شانهم في كونهم وشان قريش في مثل ذلك كما ستراه على ان لفظ الحجر يدل على ما دل عليه
مقصود السورة من الجمع والاستدارة التي روحها الاحاطة المميزة للمحاط به من غيره بلا لبس اصلا
بسم الله الواحد الاحد الجامع لما شتت من بدده الرحمن الذي جمع خلقه في رحمة البيان الرحيم الذي
خص الابرار بما اباحهم الرضوان لما ختم التي قبلها بعنوان الكتاب ابتدا هذه بشرح ذلك العنوان واوله
وصفه بانه جامع والخبر كله في الجمع والشر كله في الفرقة قال تعالى الر تلك اي هذه الايات العالية
المقام النفيسة المرام آيات الكتاب اي الكامل غاية الكمال الذي لا كتاب على الحقيقة غيره الجامع لجميع
ما يقوم به الوجود من الخيرات القاطع في قضاياه من غير شك ولا تردد الغالب باحكامه القاهرة في وعده
ووعيده واحكامه في اعجازه لجميع من يعانده ولما كان الغالب في هذه السورة القطع الذي هو
من لوازم الكتاب قدمه وذلك انه قطع بامر الاجل والملائكة وحفظ الكتاب والرمي بالشهب
وكفاية المستهزئين فكان كما قال سبحانه وآيات قرآن اي قران جامع ناشر مفصل ذا اصل اخذ
التنوين للتعظيم مبين لجميع ما يجمع الهم على الله فيوصل الى السعادة وهذه الابانة التي لم تدع لبسا هو
متصف بها جامع كونه جامعا للاصول ناشرا للفروع لا خلل فيه يدخل منه عليه ولا فصم يوتى منه اليه فاعجب
لامرحاو لجمع وفرق وفصل ووصل والابانة اظهار المعنى للنفس بما يميزه عن غيره لان اصل الابانة
الفصل فهذا شرح كونه بلاغا فمقصود هذه السورة اعتقاد كون القران بلاغا جامعا للامور الموصلة
الى الله مغنيا عن جميع الاسباب فلا ينبغي الالتفات الى شي سواه ذرهم ياكلوا لا تمدن عينيك واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين وكان الجمع بين الوصفين الدال كل منهما على الجمع اشارة الى الرد عليهم في جعلهم
القران عضين وان قولهم شديد المباعدة لمعناه مع ان المفهومين مع تصادقهما على شي واحد متغايران
فالكتاب ما يدون في الطروس والقران ما يقرا باللسان فكان الاول اشارة الى حفظه في الطروس بالكتابة
والثاني الى حفظه في الصدور بالدراسة وسياتي في قوله وانا له لحافظون مؤيدا لذلك وكل من مادتي
كتب وقرا بجميع التقاليب يدور على الجمع اما كتب وتقلب الى كبت وتبك فقال في المجمل كتبت الكتاب
اكتبه وهو من الجمع والكتاب ايضا الدواة تسمية للشي باسم ما هو آلته والمكتب المعلم والعنقود اكل بعض
ما فيه تشبيها له بالمكتوب والكتيبة الجيش والجماعة المتحيزة من الخيل اذا اغارت من المائة الى الالف
انتهى وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفري رحمها بحلقة وقال القزاز واصله اي الكتاب ضمك الشي الى
الشي فكانه سمي بذلك لضم الحروف بعضها الى بعض وكتبت المزادة اذا خرزتها يعني فضممت بعضها الى بعض
والكتبه بالضم السير يخرز به وما يكتب به حيا الناقة لئلا ينزى عليها والاكتاب شد راس القربة
والكتيبة جماعة تكتبوا اي تجمعوا وتكبت الرجل بتقديم الموحدة اذا تقبض ومنه الكتاب بضم الكاف وتخفيف
التا الفوقانية لسهم صغير يتعلم به الصبيان الرمي كذا قال القزاز انه مخفف وفي القاموس وزنه كرمان
وزاد انه له مدور الراس وكتبت الناقة تكتيبا صررتها واكتبت بطنه امسك والمكتوب الممتلي
والمنتفخ ويلزم الجمع القطع والغلبة التي هي من لوازم القدرة في القطع الكتاب بمعنى الفرض

والحكم

والحكم والقدر والبتك القطع ولذلك قيل للسيف باتك اي قاطع ومن الغلبة والقدرة الكتاب
بمعنى القدر قال ابن الاعرابي والكاتب عندهم العالم وقال القزاز والكاتب الحافظ وهذان
يرجعان ايضا الى نفس الجمع لجمع الحافظ والعالم المعلوم وكبت الله العدو بتقديم الموحدة صرفه
ذليلا وهو من تكبت الرجل اذا تقبض وعبارة القزاز كبت اعداه ردهم بغيظهم اي بانقمعوا وانجمعوا
بما كانوا انتشروا له وكبت الرجل اذا صرعه على وجهه وبكته تبكيتا اذا انبه او ضربه بعصي او سيف
ونحوهما لما يلزمه من تصاغر نفسه وتقبضها واما قرأ مهموزا او ينقلب الى رقأ وارق واقر وغير مهموز
باليا وتراكيبه خمسة قري وقير ورقي وريق ويرق وواويا وتراكيبه ستة قرو وقور ورقو وروق
ووقر وورق فهي للجمع ايضا ويلزمه الامساك وربما كان عنه الانتشار فمن الجمع قرات القران اي تلوته
فجعلت بعض حروفه وكلماته واياته تاليا لبعض متصلا به مجموعا معه ويلزم القراة النسك ومنه
القاري والمتقري والقرا كرمان اي الناسك ويلزم عنه الفقه ولذا قيل تقرا اذا تفقه وهو من
الجمع نفسه ايضا لان الناسك جمع النسك الى القراة والجمع همه والفقيه جمع الفقه اليها قال في المجمل
والقران من القري وهو الجمع اي وزنا ومعنى وفي القاموس وقراعليه الصلاة والسلام ابلغه كاقراه ولا
يقال اقراه الا اذا كان السلام مكتوبا وقال الزبيدي في مختصر العين وقرات المراة قرأ اذا رات
دما واقرات اذا حاضت فهي مقري انتهى فكانه عبر بذلك عند روية الدم لانه لا يعرف ان المراة جمعته
الا بروبته وهو من الانتشار الذي قد يلزم الجمع او يكون فعل هنا للازالة فمعناه ازالت امساك الدم كما ان
هذا معنى اقرات فان فعل لخفته وكثرة دوره يتصرف في معاني جميع الابواب وقال في المجمل واقرات
المراة خرجت من طهر الى حيض او حيض الى طهر قلت فالاول يكون فيه افعل للازالة والثاني للدخول
في الشي كما تقول اتهم الرجل وانجد اذا دخل في تهامة او نجد قال والقرء وقت يكون للطهر مرة
وللحيض مرة قلت فالاول بالجمع نفسه والثاني لانه دليل الجمع قال والجمع قروء ويقال القرء
هو الطهر وذلك ان المراة الطاهر كان الدم اجتمع وامسك في بدنها وهو من قريت الما وقرى
الاكل الطعام في شدقه وقد يختلف اللفظان فيهمز احدهما ولا يهمز الاخر والمعنى واحد اذا كان
الاصل واحدا قوم يذهبون الى ان القرء الحيض وفي القاموس والقرء ويضم الحيض والطهر
ضد وقد تقدم تخريج ذلك والوقت لانه جامع لما فيه والقافية لانها جامعة لشمل الابيات جمعه
اقرا وقرو وجمع الحيض اقرا وكان العلة في ذلك انه لما كان جمع الكثرة هو الاصل في الجمع لان المراد
بالجمع نفسه الكثرة فكلما كان الكثر كان به اجدر ولما كان كذلك وكان القرء بمعنى الطهر هو الاصل
في مدلول الجمع كان لحق بجمع الكثرة الذي هو اعرق في الجمع ولما كان القرء بمعنى الحيض فرعا كان له جمع
القلة الذي هو فرع في باب الجمع واقرات حاضت وطهرت واقرات الرياح هبت لوقتها لان
هبوبها دال على اجتماعها كظهور دم الحيض وقرأ الشي جمعه وضمه والحامل ولدت لان ظهور
الولد هو المحقق لجمعها اياه في بطنها واقرأ رجع ودنا واخر واستاخر وغاب وانصرف وتنسك
كتقرأ بعضه للايجاب وبعضه للسلب والمقراه للعظيمة التي ينتظر بها انقضا اقرائها وقد قريت
جبست لذلك واقرا الشعر انواعه وانحاوه لانها جامعة للاجزا والقراة بالكسر الوبا لجمعه الهم واستقرأ

الجمل الناقة باركها لينظروا لتحت ام لا من التتبع والسبر وهو بمعنى جمع الادلة وقرات الناقة اذا احملت فهي
قارئ اي جمعت في بطنها ولدا واقرات اذا استقر الماء في رحمها ومن الامساك رقا الدم والدمع رقوءا
اذا انقطعا قال ابو زيد والرقوء اي بالفتح ما يوضع على الدم فيسكن ورقا بينهم اصلح وافسد وفي
الدرجة صعد وهي المرقاة وتكسر ورقا العرق ارتفع منه ما هو بمعنى الجمع ومنه ما هو بمعنى الانتشار
والعلو الذي ربما لزمه ومن الامساك الارق وهو السهر لانه يمسك النوم والارقان دود يكون
في الزرع فكانه يوجب الهم الذي يكون عنه الارق ويمكن ان يكون من الانتشار الذي ربما يلزم الجمع
ويمكن ان يكون من الجمع نفسه لانه يجمع الهم والله اعلم وفي القاموس والارقان بالكسر شجر احمر
والحنا والزعفران ودم الاخوين كانه سبب للعكوف عليه بالاستراح اليه او انه يجمع بصبغه
لونا الى لون والارقان ايضا آفة تصيب الزرع والناس كالارقان محركة وبكسر تبرد وبفتح الهمزة
وضم الراء والارق والارقان بفتحهما والارزاق كغراب واليرقان محركة وهذه اشهر داء يتغير منه
لون البدن فاحشا الى الصفرة او سواد كان ذلك لما كان سبب الارق كان هو الارق البليغ وزرع
ماروق وميروق موؤف والاثر بضمتين وادٍ واسع مملوء حمضا ومياها وهو واضح في معنى الجمع وقد
مضى من هذه المادة جملة في اخر سورة يوسف عليه الصلاة والسلام عند قوله تعالى الا رجالا يوحى اليهم
من اهل القرى ويأتي بقيتها ان شاء الله تعالى في سورة سبحان عند قوله تعالى وقرانا فرقناه ولما وصف
سبحانه هذا القران بما وصفه من العظمة والابانة لجميع التي منها سؤال الكفرة عند رؤية العذاب التاخير
للطاعة في قوله تعالى وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب كان كانه قيل ما لهم يبين للكفرة سوءا فينهم
بيانا يردهم فقال سبحانه باسطا القول ولينذروا به **ربما يود** اشار تعالى بكونه مضارعا الى ان ودهم
لذلك يكون كثيرا جدا منكرا وايلاؤه لربما وانما يليها في الاغلب الماضي يعلم بانه مقطوع به كما يقطع
بالماضي الذي تحقق ووقع **الذين كفروا** اي ولو وقتا ما والود التمني وهو تقدير المعنى في النفس للاستمتاع
واظهار ميل الطباع اليه وفيه اشتراك بين التمني والحب قاله الرماني وهو هنا للتمني فانه بين ودهم
بقوله **لو كانوا** اي كونا جبليا **مسلمين** اي عريقين في وصف الاسلام من اول امرهم الى اخره قال الرماني
والاسلام اعطاء الشيء على حال سلامة كاسلام الثوب الى من يقصره واسلام الصبي الى من يعلمه والاسلام
الذي هو الايمان اعطاء معنى الحق في الدين بالاقرار والعمل به انتهى وقد كان ما اخبر الله به فقد ندم كل من
اسلم من الصحابة على تاخير اسلامه لما علموا افضل الاسلام وراوا فضائل السابقين كما هو مذكور في السير
وفتوح البلدان وسيكون ما شاء الله من ذلك في القيمة وما قبلها فالمعنى انكم ان كذبتم في القطع في نحو قوله
فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الاية بانكم ترجعون عن هذا الشيء وتتبرؤن من هذه السجايا والهمم
فتسلمون في الطاعة وتتداركون الفوت حلول حادث الموت الى غيره فلا اقل من ان يكون عندكم شك
في الامور التي تجوزونها ولا ينبغي حينئذ للعاقل ترك الاهتمام بالاستعداد على تقدير هذا الاحتمال هذا
اعني التقليل مدلول رب وقال بعضهم انها ترد للتكثير وقال العلامة ابن هشام في كتابه المغني انه اغلب
احوالها واستدل بشواهد لا تدل عند التامل ولا يصح قول من نسب الى الكشاف ذلك فان كلامه
ماخوذ من الزجاج وعبارة الزجاج كما نقلها الامام جمال الدين محمد بن المكرم في كتابه لسان العرب ومن

خطه

خطه نقلت من قال ان رب يعنى بها التكثير فهو ضد ما تعرفه العرب فان قال قائل فلم جاءت له في
قوله ربما يود الذين كفروا ورب للتقليل فالجواب ان العرب خوطبت بما تعلمه في التهدد والرجل يتهدد
الرجل فيقول لعلك ستندم على فعلك وهو لا يشك انه يندم ويقول ربما ندم الانسان على ما صنعت
وهو يعلم ان الانسان يندم كثيرا ولكن مجازه ان هذا لو كان مما يود في حال واحدة من احوال العذاب
او كان الانسان يخاف ان يندم على الشيء لوجب عليه اجتنابه والدليل انه على معنى التهدد قوله
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا انتهى فقد علم من هذا انهم يطلقونها بمعنى القلة فيما يعلمون انه كثير ارخاء
للعنان وتنبيها على وجوب الاخذ بالاحوط وذلك واقع في التهديد وفرق كبير بين ما يعلم انه كثير
من الخارج عن العبارة المخبر بها عنه وبين ما تعرف كثرته من تلك العبارة وزيدت ما فيها تاكيدا
من حيث انها تفهم ان الامر لا يكون الا كذلك ولتهيئتها لمجيء الفعل بعدها قال الامام ابو حيان
والظاهر ان ما في رب مهيئة وذلك انها من حيث هي حرف جر على خلاف فيه لا يليها الا الاسماء فجيء
بما مهيئة لمجيء الفعل بعدها وعلى كثرة مجيء رب في كلام العرب لم تجئ في القران الا في هذا الموضع
انتهى ودخلت هاهنا على المضارع وهي للماضي لصدق الوعد كانه عيان قد كان او لان ما اذا الحقتها
سوغت دخولها على المستقبل كما تدخل على المعرفة قاله الرماني ولما طرق لهم سبحانه الاحتمال
كان كانه قيل هل جوزوه فاخذوا في الاستعداد فقيل بل استمروا على عنادهم فقال مسليا نبيه منبها
الى ما اشار اليه في اول سورة ابرهيم في قوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة من المانع لهم
عن الاذعان **ذرهم** يا اعز الخلق عندنا كالبهائم **ياكلوا ويتمتعوا** والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة
حالا بعد حال كالتقرب في انه طلب القرب حالا بعد حال **ويلههم** اي يشغلهم عن اخذ حظهم من السعادة
الامل اي رجاؤهم طول العمر وبلوغ ما يقدره الوهم من الملاذ من غير سبب مهيئ لذلك ولما كان
هذا الامر لا يشتغل به الا احمق سبب عنه التهديد بقوله **فسوف يعلمون** اي ما يحل بهم بعد
ما نسيناهم من زمن التمتع وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم من وعيد الكفار
ما تضمنه الاي المختتم بها سورة ابرهيم من لدن قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
الى خاتمتها اعقب ذلك بقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين اي عند مشاهدة تلك الاهوال
الجلائل ثم قال تعالى تاكيدا لذلك الوعيد ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ثم
اعقب تعالى هذا ببيان ما جعله سنة في عباده من ارتباط الثواب والعقاب بمحله ومؤجله
باوقات واحيان لا انفكاك لها عنها ولا تقدم ولا تاخر اذ استعجال البطش في الغالب انما يكون
ممن يخاف الفوت والعالم بجملتهم لله تعالى وفي قبضته لا يفوته احد منهم ولا يعجزه وقال تعالى وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وكان هذا يزيد ايضاح قوله عز وجل انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار وقوله وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب وقوله يوم تبدل الارض غير الارض الاية
وتامل نزول قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين على هذا وعظم موقعه في اتصاله به
ووضوح ذلك كله واما افتتاح السورة بقوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين فاحاله على امرين
واضحين احدهما ما نبه به سبحانه من الدلائل والايات كما بعشر والثاني ما بينه القران المجيد واوضحه

وانطوي عليه من الدلايل والغيوب والوعد والوعيد وتصديق بعض ذلك بعضا فكيف لا يكون
المتوعد به في قوة الواقع المشاهد لشدة البيان في صحة الوقوع فالعجب من التوقف والتكذيب
ثم اعقب هذا بقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين انتهي ولما هددوا بابة التمتع والالهاء
بالامل وكان من المعلوم جدا من احوالهم الاستعجال بالعذاب تكذيبا واستهزا كان الكلام في
قوة ان يقال فقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر عجل لنا ما تتوعدنا به وكان هذا اغايظا وجعا
حاملا على تمني سرعة الايقاع بهم فقيل في الجواب ان لهم اجلا بكتاب معلوم لا بد من بلوغهم له لان
المتوعد لا يخاف الفوت فهو يمهل ولا يهمل لانه لا يبدل القول لديه فليستعدوا فان الامر
عجيب فما من لحظة الا وهي صالحة لان يتوقع فيها العذاب فانا لا نهلكهم الا اذا بلغوا كتابهم
المعلوم **وما** جعلنا هذا لنا قابهم بل هو عادتنا ما **اهلكنا** اي علي ما لنا من العظمة واكد النفي
فقال **من قرية** اي من القرى ولما كان السياق للاهلاك واستعجالهم واستهزايهم به وكان تقديره
سبحانه وكتبه من عالم الغيب اقتضي الحال التاكيد بما يدل علي انه محتوم مفروغ منه سابق تقديره
علي زمن الاهلاك فاتي بالواو ولان الحال بدون الواو كالجزء من سابقها كالخبر والنعت الذي
لا يتم المعني بدونه والتي بالواو هي زيادة في الخبر السابق ولذلك احتيج الي الربط بالواو كما يربط بها
في العطف فقال **الا ولها** اي والحال ان لها في الاهلاك او لاهلاكها **كتاب معلوم** اي اجل مفروض
مكتوب في اللوح المحفوظ او يكون التقدير فسوف يعلمون اذا جاء العذاب في الاجل الذي كتبناه
لهم هل يودون الاسلام ام لا ثم بين الاية السابقة بقوله **ما تسبق** واكد الاستغراق بقوله
من امة وبين ان المراد بالكتاب الاجل بقوله **اجلها** اي الذي قدرناه لها **وما يستاخرون** اي عنه شيا
من الاشيا ولم يقل تستاخر حملا علي اللفظ كالماضي لئلا يصرفوه الي خطابه صلي الله عليه وسلم تعنتا
ثم لما اجابهم بهذا الجواب الدال علي تمام القدرة وكمال العلم الدالين علي الوحدانية عطف علي ما تقدم
انه في قوة الملفوظ قوله دالا علي تركهم الجواب الي التعنت والسفه **وقالوا** اي لم يجوزوا انهم يودون
ذلك علي استمروا علي العناد وقالوا **يا ايها الذي** ولما كان تكذيبهم بالتنزيل نفسه بني للمفعول قوله **نزل
عليه** اي بزعمه **الذكر** وبينوا انهم ما سموه تنزيلا الا تهكما فقالوا مؤكدين لمعرفتهم بان قولهم منكر **انك
لمجنون** اي بسبب ادعايك ان الله انزل عليك ذكرا والذي تراه جني يلقي اليك تخليطا فكان هذا
دليلا علي عنادهم فانهم اقاموا الشتم مقام الجواب عما هي صنعة المغلوب المقطوع في المناظرة ثم
اتبعوه ما زعموا انه دليل علي قولهم فقالوا **لوما** اي هلا ولم لا **تاتينا بالملايكة** دليلا علي صدقك اما
للشهادة لك واما للاهلاك لمن خالفك **ان كنت** اي جبلة وطبعا **من الصادقين** فيما تقوله اي ما وجه
اختصاصك عنا بنزول الملايكة عليك ورويتك اياهم وانت مثلنا في الانسانية والنسب والبلد هذا
بعد ان قامت علي صدقه الادلة القاطعة والبراهين الساطعة التي اعظمها القران الداعي لهم الي
المبارزة كل حين المبكت لهم بالعجز عن المساجلة كل وقت ولما كان في قولهم امران اجاب عن كل منهما علي طريق
الاستيناف علي تقدير سوال من كانه قال بماذا اجابهم فقيل اجاب عن الثاني لانه اقرب بقوله **ما تنزل
الملايكة** اي هذا النوع **الا** تنزيلا ملتبسا **بالحق** اي بسبب عمل الامر الثابت وهو معني ما قال البخاري

في كتاب التوحيد قال مجاهد بالرسالة والعذاب اما علي الرسل فبالحق من الاقوال واما علي المنذرين
فبالحق من الافعال من الهلاك والنجاة فلو نزلوا عليهم كما اقترحوا لقضي الامر بينك وبينهم فهلكوا **وما
كانوا** اي الكفار **اذا** اي اذ تاتيهم الملايكة **منظرين** اي حاصلا لهم الانظار علي تقدير من التقادير
لان الامر الثابت يلزمه نجاه الطايع وهلاك العاصي في الحال من غير امهال وكان حينيذ يفوت
ما قصدنا به من تاخيرهم واخراج من اردنا ايمانه من اصلابهم واجاب سبحانه عن الاول بقوله
موكدا لتكذيبهم **انا نحن** اي علي ما لنا من العظمة لا غيرنا من جن ولا انس **نزلنا** اي بالتدريج علي
لسان جبريل عليه الصلاة والسلام **الذكر** اي الموعظة والشرف **وانا له** اي بعظمتنا وان رغمت
انوف الحاسدين **لحافظون** اي دايما بقدرتنا وعلمنا لما في سورة هود من ان ذلك لازم للحفظ
فانتفي حينيذ جواز ان ينزل علي مجنون مخلط لا سيما وهو علي هذه الاساليب البديعة والمناهيج
الرفيعة فكان المعني ارسلناك به حال كونك بشرا لا ملكا فقويا سووا يعلمون انك اكملهم عقلا واعلاهم
همة واثقبهم فكرا واتقنهم امرا واوثقهم رايا واصلبهم عزيمة روي البخاري في التفسير والفتن
عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ارسل الي ابو بكر رضي الله عنه بقتل اهل اليمامة وعنده عمر رضي الله
عنه فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وفي رواية بقرا القران
واني اخشي ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القران الا ان تجمعوه واني اري ان تجمع
القران قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيا لم يفعله رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال عمر هو والله
خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتي شرح الله لذلك صدري ورايت الذي راي عمر قال زيد بن ثابت
وعمر جالس عنده لا يتكلم فقال ابو بكر انك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله
صلي الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به
من جمع القران قلت كيف تفعلان شيا لم يفعله رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله
خير فلم ازل اراجعه حتي شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر ابي بكر وعمر فقمت فتتبعت القران
اجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتي وجدت من سورة التوبة ايتين مع خزيمة
او ابي خزيمة الانصاري لم اجدهما اي مكتوبتين عند احد غيره لقد جاكم رسول من انفسكم الي اخرها
وكانت الصحف التي جمع فيها القران عند ابي بكر حتي توفاه الله ثم عند عمر حتي توفاه الله ثم عند
حفصة بنت عمر رضي الله عنهم وساق هذا الاثر ايضا في فضايل القران وروي بعده عن انس رضي الله
عنه ان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم علي عثمان رضي الله عنه وكان يغازي اهل الشام في فتح
ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة رضي الله عنه اختلافهم في القراة فقال حذيفة
لعثمان رضي الله عنهما يا امير المومنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود
والنصاري فارسل عثمان الي حفصة رضي الله عنهما ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها ثم نردها اليك
فارسلت بها حفصة الي عثمان فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن
ابن الحرث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين
الثلاثة اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شي من القران فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم ففعلوا

جمع القران

حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا
وامر بما سواه من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق وله عن خارجة بن زيد بن ثابت
انه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه قال لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت اية من سورة
الاحزاب كنت كثيرا اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة
الانصاري وفي رواية فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهادته بشهادة رجلين من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها
في المصحف وفي الاثر الاول دلالة على انه كان لما امره الصديق رضي الله عنه لا يكتب شيا الا
اذا وجدها كان قد كتب منه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وامره وقابله مع ذلك على المحفوظ
في صدور الرجال وفي الاخير دليل من قوله نسخنا الصحف في المصاحف الى اخره انه اعاد التتبع كما
فعل اولا ليعم قوله فقدت اية من سورة الاحزاب لان افتقادها فرع العلم بها ومن ابعد البعيد
ان يكون سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقراوها ولا يحفظها ولا سيما وهو مذكور فيمن جمع القران
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري من غير وجه عن انس رضي الله عنه والظاهر من
مثل هذا التتبع الذي لا يجوز لمن مارس امثال هذه الهمم ان يفهم غيره ان يكون لا ينقل اية الا
اذا وجد من حفاظها على حسب ما هي مكتوبة عدد التواتر والله اعلم ولما كان هذا الكلام الذي
قالوه عليه صلى الله عليه وسلم شا قا وله غايظا موجعا قال سبحانه تسلية له على وجه راد عليهم
وما ارسلنا اي على ما لنا من العظمة والجلال والهيبة ولما كان الارسال بالفعل غير عام للزمان
كله قال **من قبلك** اي كثيرا من الرسل **في شيع** اي فرق سموا شيعا لمتابعة بعضهم بعضا في الاحوال
التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد من مملكة او عمارة او ديانة او نحو ذلك من الامور الجارية في العادة
الاولين كلهم فما ارسلنا الا رجالا من اهل القرى مثلك يوحى اليهم ولم نرسل مع احد منهم ملايكة تراها
اممهم بل جعلنا مكاشفة الملايكة امرا خاصا بالرسل فكذبوا رسلهم **وما ياتيهم** عبر بالمضارع
تصويرا للحال ابدانا بما يوجب من الغضب فان ما تحمل المضارع حالا والماضي قريبا منه واكد النفي
فقال **من رسول** اي على اي وجه كان **الا كانوا به** اي جبلة وطبعا **يستهزءون** مكررين لذلك
دايما فكانوا ابتواصوا بمثل هذا ولم ينقص هذا من عظمتنا شيا فلا تبتئس بما يفعلون بك والاستهزا
في الاصل طلب الهزء والمراد والله اعلم الهزء وهو اظهار ما يقصد به العيب على ايهام المدح كاللعب
والسخرية ولعله عبر عنه بالسين المفهمة للطلب اشارة الى ان رغبتهم فيه لا تنقضي كما هو شان الطالب
للشي مع انهم لا يقفون على مرادهم في حق اهل الله اصلا الا انهم لا يفعلون من ذلك فعلا الا كان ظاهر
البعد عما يريدون لظهور ما يدعوا اليه حزب الله وشانه فكانوا لذلك كطالب ما لم يقع وانما كان الناس
الى ما يوجبه الجهل من الاستهزا ونحوه اسرع منهم الى ما يوجبه العلم من الاخذ بالحزم والنظر في العواقب
لما في ذلك من تعجل الراحة واللذة واسقاط الكلفة بالزام النفس للانتقال من حال الى حال قاله الرماني
ولما كانت قلوب اهل الضلال موصوفة بالضيق والحرج كان الداخل اليها لا يدخل الا بغاية العسر
فلذلك قال ايجوا بالمن كانه قال اهذا خاص بهولا فقيل لا بل **كذلك** اي مثل هذا السلك العجيب الشان

وعبر بالمضارع الدال مع التجدد على الاستمرار لاقتضا المقام له كما تقدم في ولها فقال **نسلكه** اي
الذكر **في قلوب المجرمين** اي العريقين في الاجرام في كل زمن كما يسلك الخيط والرمح ونحوه فيما ينتظم
فيه من مخيط وغيره بغاية العسر فلما يتسع له المحل فلا ينفع حال كونهم **لا يومنون به** لشي من
الاشيا لان صدورهم لا تنشرح له كما رايت سنتنا بذلك في قومك **وقد خلت** اي مضت من
قبل هذا **سنة** اي طريقة **الاولين** لك ونحن قادرون على فعل ما نريد من تلك السنة بهذه
الامة من اهلاك وتيسير ايمان وغير ذلك فهو ناظر الى قوله وقران مبين والغرض بيان انه
تعالى يعمي بعض الابصار عن الجلي ويبصر بعضها بالخفي اظهارا للقدرة والاختيار بانفاذ
الامر على خلاف القياس ولما اخبره بهذه الاسرار منبية عن احوالهم وكانت النفس اشد شي
طلبا للقطع بحجة المتعنت باجابة سوله قال تعالى مخبرا بتحقيق ما ختم به من انهم لا يومنون للخوارق
ولو راوا اعجب من الاتيان بالملايكة **ولو فتحنا** اي بما لنا من العظمة **عليهم** اي على من قال لو ما تاتينا
بالملايكة **بابا** يناسب عظمتنا **من السما** واشار الى ان ذلك حالهم ولو كانوا في اجلى الاوقات وهو
النهار بقوله **فظلوا** اي الكفار **فيه** اي ذلك الباب العالي **يعرجون** اي يصعدون ماشين
في الصعود مشية العرج **لقالوا** عنادا وابعادا عن الايمان **انما سكرت** اي سدت وغشيت
ابصارنا اي حتى ظننا ما ليس بواقع واقعا **بل نحن قوم** اي وان كان لنا غاية القوة على ما نريد
محاولته **مسحورون** اي ثابت وقوع السحر علينا حتى صرنا نرى الاشيا على خلاف ما هي عليه ونثبت
ما لا حقيقة له والسكر السد بادخال اللطيف في المسام فيمنع الشي كما كان عليه ومنه السكر
بالشراب والسحر حيلة خفية توهم معنى المعجزة من غير حقيقة ولما ذكر هذه الاية السماوية على
سبيل الفرض في الجواب عن انكارهم النبوة دليلا على مرودهم على الكفر وكان من المعلوم ان ثبوت
النبوة مترتب على ثبوت الوحدانية توقع السامع الفهم الاخبار عما له تعالى من الايات الحقيقية
الوجود المشاهدة الدالة على قدرته فاتبعها بذلك استدلالا على وحدانيته بالصنع المصنوع
شرحا لقوله وليعلموا انما هو اله واحد ودليلا على عدم ايمانهم بالخوارق وابتدا بالسماويات لظهورها
لكل احد وشرفها وظهور انها من الخوارق بعدم ملابستها والوصول اليها فقال مفتتحا بحرف التوقع
ولقد جعلنا اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر عليها سوانا مما هو مغن عن فتح باب ونحوه **في السما**
بروجا اي منازل للقمر جمع برج وهو في الاصل القصر العالي واولها الحمل واخرها الحوت سميت بذلك
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها وهي مختلفة الطبايع فسير الشمس والقمر بكل منها يوثر
ما لا يوثره الاخر فاختلافها في ذلك مع ان نسبتها الى السما واحدة دليل على الفاعل المختار الواحد
والعرب اعرف الناس بها وباختلافها ومادة برج بكل تقليب تدور على الظهور الملزوم
للعلو الملزوم للقوة وقد يفرط فيلزمه الضعف فمن مطلق الظهور بروج السما قال الفراء سميت
بروجا لانها بيوت الكواكب فكانها بمنزلة الحصون لها وقيل سميت لارتفاعها فكل حصن مرتفع
فهو برج والبرج اي محركا سعة بياض العين وصفا سوادها وقيل البرج في العين هو ان يكون
البياض محدقا بالسواد يظهر في نظر الانسان فلا يغيب من سواد العين شي وتبرجت المراة

ابدت محاسنها والجربيآ الشمال لعلوه والجريب الوادي لظهوره والجريب مكيال اربعة اقفزة
وجريب الارض معروف وهو ساحة مربعة كل جانب منها ستون ذراعا ومنه الجراب لوعا من
جلود والجورب للفافة الرجل لانهما ظاهران بالنسبة الي ما فيهما وكذا الجربان لغلاف السيف
وجراب البير جوفها والارجاب الامعا اشبهها بالجراب والبارجة سفينة من سفن البحر تتخذ
للقتال والبجرة كل عقدة في البطن والبجرة كل عقدة في الجسد والبجرة السرة الناتية وسرة
البعير عظمت اولا والبجر والبجري الامر العظيم وجا فلان بالبجارة وهي الداهية وفيه ما جع
الي الظهور القوة ومن ذلك رجب اسم شهر ورجبت الرجل عظمته والرجبة من وصف الادوية
والرجب الحيا والعفو والرجب الهيبة والمجرب الذي بلي بالشدايد ورجبت النخل ترجيبا بنيت
من جانبها بنا ليلا يسقط والجبر خلاف الكسر والملك لوجود الجبر به لقوته وجبرت العظم والجبارة
ما يوضع علي الكسر لينجبر وجبرت الرجل احسنت اليه واجبرته ضممته الي ما يريد واجبرته علي كذا
قهرته عليه اي ازلت جبره والجبرية العانة من الجبر وهي ايضا الاقويا من الناس والجبار من النخل
الطويل الفتي والجبار اسم من اسما الله تعالي والجبار كل عات وكل ما فات اليد والعظيم القوي
الطويل والمتكبر الذي لا يري لاحد عليه حقا والمتجبر الاسد وجبار بالضم مخففا يوم الثلاثا لان الله
تعالي خلق المكروه فيه كما في الصحيح ومن الضعف الجبار بالضم مخففا وهو الهدر من الدما والحروب
وغيرها وقد يكون من جبر الكسر لانه جبر به المهدر عنه وقوي به واحسن اليه وكل ما افسد واهلك
فهو جبار كانه شبه بالجبيرة التي تشد لاصلاح الكسر والجبر العبد لضعفه واحتياجه الي التقوية
ومن الضعف ايضا الجرب بالنسبة الي من يحل به وهو من القوة بالنسبة الي نفسه ومن الظهور
والانتشار ايضا والجربا السما نسبتها ما لاجرب وارض جربا ممحوطة والترنج الخير والروبج
درهم صغير قال الزبيدي وهو دخيل ومادة جبر منها بخصوص ترتيبها تدور علي النفع وتارة
تنظر الي ما يلزمه من عدم الضر مثل الجبار بالضم مخففا للهدر وتارة ينظر الي ما يلزم النفع من التكبر
والقهر ولما ذكر البروج وصف سبحانه السما المشتملة عليها فقال **وزيناها** اي السما لانها المحدث عنه
بالكواكب **للناظرين** اي لكل من له اهلية النظر في دلايل الوحدانية لا عايق له عن معرفة ذلك الا عدم
صرفه النظر اليه بالبصر او بالبصيرة **وحفظناها** بما لنا من العظمة **من كل شيطان** اي بعيد من
الخير محترق **رجيم** مستحق للرجم وهو رمي الشي بالاعتماد من غير الة مهياة للاصابة كالقوس فانها
للرمي لا للرجم ومستحق للشتم لانه قوال بالظن وما لا حقيقة له **الا من استرق السمع** منهم فانا
لم نرد تمام الحفظ منه **فاتبعه** اي تبعه تبع من هو حاث لنفسه سايق لها **شهاب** وهو عمود من نور
يمتد بشدة ضيايه كالنار **مبين** يراه من فيه اهلية الروية حين يرجم به روي البخاري في
التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا قضي الامر السما ضربت
الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة علي صفوان ينفذه ذلك فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترقو
السمع هكذا واحد فوق اخر ووصف سفين بيده ففرج بين اصابعه اليمني نصبها بعضها فوق

بعض

بعض فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الي صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتي
يرمي بها الي الذي يليه الي الذي هو اسفل منه حتي يلقوها الي الارض وربما قال سفيان
حتي ينتهي الي الارض فيلقي علي فم الساحر فيكذب معها ماية كذبة فيصدق فيقولون الم
يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السما قال المفسرون
كانت الشياطين لا تحجب عن السموات فيلقون ما يسمعون منها الي الكهنة فلما ولد عيسي عليه
الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلي الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
هكذا رايت ولد ولعله بعث فان في الصحيح ان الذين منعهم نزول القران ولما ذكر اية السما
ثني باية الارض فقال **والارض مددناها** اي بما لنا من العظمة في الابعاد الثلاثة الطول
والعرض والعمق علي الما **والقينا** اي بعظمتنا **فيها** اي الارض جبالا **رواسي** اي ثوابت لئلا
تميل باهلها ولتكون لهم علامات ثم نبه علي اجبا الموتي بما انعم به في الارض بقياس جلي بقوله
وانبتنا فيها اي الارض ولاسيما الجبال بقوتنا الباهرة **من كل شي موزون** اي مقدر
علي مقتضي الحكمة في المعادن والنبات **وجعلنا لكم** اي انعاما منا عليكم **فيها معايش** وهي بيا
صريحة من غير مد جمع معيشة وهي ما يحصل به العيش من المطاعم والملابس والمعادن وغيرها
ومن لستم اي ايها الاقويا الروسا **له برازقين** مثلكم في ذلك جعلنا له فيها معايش من العيال
والخدم وساير الحيوانات التي تنتفعون بها وان ظننتم انكم ترزقونهم فان ذلك باطل لانكم لا تقدرون
علي رزق انفسكم فكيف بغيركم فلما ظهر كالشمس كمال قدرته وانه واحد لا شريك له بين انه كما كانت
هذه الاشيا عنده بحساب قدره علي حكمة دبرها كان غيرها كذلك فذلك هو المانع من معاجلتهم بما
يهزؤن به من العذاب فقال **وان** اي وما **من شي** اي مما ذكر وغيره من الاشيا الممكنة وهي لا نهاية
لها **الا عندنا** اي لما لنا من القدرة الغالبة **خزاينه** اي كما هو مقرر عندكم لا تنازعون فيه قال في
الكشاف ذكر الخزاين تمثيل **وما ننزله** اي مطلق ذلك الشي لا يبعد عدم التناهي فان كل ما يبرز
الي الوجود متناه فهو استخدام **الا بقدر معلوم** علي حسب التدريج كما تزونه وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ليس عام بامطر من عام ولكن الله تعالي يقسمه ويقدره في الارض كيف يشا عاما ههنا
وعاما ههنا وربما كان في البحر فهذا دليل قطعي علي ان الفاعل المخصص له بوقت دون وقت وارض
دون اخري فاعل واحد مختار فلما تم ما اراد من ايتي السما والارض وختمه بشمول قدرته لكل شي اتبعه
ما ينشا عنهما مما هو بينهما موجود عما في خزاين قدرته فقال **وارسلنا** اي بما لنا من التصريف الباهر
الرياح اي حوامل تحمل الندي ثم تمجه في السحاب التي تنشيها فهي حوامل للما لواحق بالجو قوية علي
ذلك عالية حسا ومعني والريح هوا متحرك وحركته بعد ان كان ساكنا لا بد لها من سبب وليس
هو نفس كونه هوا ولا شيا من لوازم ذاته والا لدامت حركته فليست الا بتحريك الفاعل الواحد
المختار **فانزلنا** اي بعظمتنا بسبب تلك السحايب التي حملتها الرياح **من السما** اي الحقيقية او جهتها
او السحاب لان الاسباب المترافقة يسند الشي الي القريب منها وتارة الي البعيد واخري الي الابعد **ما**
وهو جسم مايع سيال به حياة كل حيوان من شانه الاغتذا **فاسقيناكموه** جعلناه لكم سقيا يقال

جمع ريح وهي جسم لطيف منبث في
الجو سريع المر **لواقح** ح

سقيته ما آ ليشربه واسقيته اي مكنته منه ليسقي به ماشيته ومن يريد ونفي سبحانه عن غيره ما اثبته
او لا لنفسه فقال وما انتم له اي ذلك الما بخازنين والخزن وضع الشي في مكان مهيا للحفظ
فثبت ان القادر عليه واحد مختار وماده لقح بتقاليبها الست تدور على اللحاق وتلزمه القوة
والعلو حسا او معنى فاللقاح اسم ما آ الفحل لانه يلحق الانثى فتحمله وقد القح الفحل الناقة ولقحت لقاحا
حملته والملقوح ما لقحته من الفحل اي اخذته وهي الملاقح يعني الاجنة واللقحة الناقة الحلوب لانها
اهل لان يلحقها الجايع والقح القوم النخل ولقحوها اذا الحقوها بالفحالة فعلقوها عليها والقاحل
اليابس من الحلو ولان اجزاه تلاحق بعضها ببعض فضمرت ومنه شيخ قاحل والحق كل شي لحق شيا اي
ادركه والملحق الدعي لانه منتهي لان يستلحقه كل من يريده والملحاق الناقة التي لا يفوتها الابل
قال الزبيدي في مختصر العين وفي القنوت ان عذابك بالكفار ملحق بالكسر اي لاحق لهم والحقل
القراح الطيب لتهيوها لمن يلحق بها وقيل هو الزرع اذا تشعب ورقه وهو من ذلك ايضا ودون لحوقه
بالحصاد فيصير كالمخلوق والحقيل نبت والحقيلة لما آ الرطب اي الاخضر من البقل والشجر في الامعا آمنه
والحقيلة حشافة التمر للحاق كل من اراده به والحوقلة العزمول اللين كانه متشبه بالنبت الاخضر
او لامكان تشبه كل وقت ولحوق بعض اجزآيه ببعض والحوقل الشيخ الضعيف النكاح كانه منه
والحوقلة سرعة المشي وحقل الفرس اذا وجع من اكل التراب كانه ماخوذ من الحقل وحوقل الشيخ اعتمد
بيديه على خصره اذا تمشي كانه للحاق يديه خصره والحلق مساغ الطعام والشراب وحلوق الارض
اوديتها ومجاريها للحاق المياه بها ولشبهها بالحلوق والحلق حلق الشعر بالموسي من اللحاق والقوة
والمحالق الاكسية الخشنة التي تحلق الشعر من خشونتها والحالق المسوّدم الذي يحلق قومه والحلق
ضرب من النبات لورقه حموضة كانه لسرعة لحاق للماشية به لانه كالفاكهة لها والحلقة الخاتم
بلافص لتلاحق اجزآيها بعضها ببعض ومنه خلقة القوم والحلقة السلاح كله اما من هذا لان منها
الدروع ذات الحلق تسمية للشي باسم جزيه واما من القوة والعلو المعنوي لما يلزم عنها والحلو المال
الكثير اما من ذلك واما من لحاق صاحبه بمراده والحالق الجبل المنيف لظهوره وعلوه ولحاقه بالجو
والحوقلة القارورة الطويلة العنق وحلق الطاير ارتفع في الهوآ من هذا واللقحة الغراب والحالق من
الكرم والشري ما تعلق منه بالقضبان فهو ظاهر في اللحاق وحلق الضرع اذا ارتفع الى البطن وانضم
فهو من العلو واللحاق وقيل اذا كثر لبنه فهو اذا من اللحاق وتخلق القرصار تحوله داره وحلق
قضيب الفرس حلقا اذا انقشر كانه شبه بما حلق شعره وجي لقاح لم يملكوا قط كانه من القوة والعلو
المعنوي والقلح صفرة تعلو الاسنان فهو من اللحاق مع العلو ويسمى الجعل اقلح من هذا فلما تقرر تفصيل
الخبر عما هو سبب للاحيآء في الجملة فتهيات النفس للانتقال منه الى الاحيا الحقيقي قبلسا قال تعالى
وانا لنحن نحيي اي لنا هذه الصفة على وجه العظمة فنحيي بها ما نشا من الحيوان بروح البدن ومن الروح
بالمعارف ومن النبات بالنمو وان كان احدها حقيقة والاخر ان مجاز الان الجمع بينهما جايز ونميت اي
لنا هذه الصفة فنبرز بها من عظمتنا ما نشا ونحن الوارثون اي الارث التام اذا مات الخلايق الباقون
بعد كل شي كما كنا ولا شي ليس فينا تصرف باماته ولا احيا فثبت بذلك الوحدانية والفعل بالاختيار

فلما ثبت بهذا كمال قدرته وكانت اشارة القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى ولقد
علمنا اي بما لنا من الاحاطة المعجزة المستقدمين منكم وهو من قضينا بموته اولا فيكون
في موته كانه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من اهله مجتهدا بالعلاج في
تاخيره ولقد علمنا بعظمتنا المستاخرين اي الذين نمد في اعمارهم فنوخر موتهم حتى يكونوا
كانهم سبايقون الى ذلك وان عالجوا الموت بشرب سم وغيره او عالجه لهم غيرهم بضربهم
بالسيف او غيره فعرف بذلك قطعا ان الفاعل واحد مختار وكذا كل متقدم ومتاخر في وصف
من الاوصاف غير الموت والمعنى على الاول فنحن لا نميت احدا قبل اجله فلا تستعجلونا بالوعيد
ونفيا والدفاعه ان كنتم رجالا فانه لابد ان يتاني لانه لا يبدل القول لدي ولما تم الدليل على
تمام القدرة وشمول العلم ثبت قطعا احيا الموتى لانتفا المانع من جهة القدرة واقتضا الحكمة
له من جهة العلم للعدل بين العباد المقابلة على الصلاح والفساد فقال موكدا لانكارهم وان
ربك اي المحسن اليك بالانتقام لك ممن يعاديك واقرار عينك من تخالفيك هو اي وحده
يحشرهم اي يجمعهم الى ارض القيمة بعد اعادتهم قال الرماني واصله جمع الحيوان الى مكان ثم
علل ذلك فقال موكدا لاجل اعتقادهم ما يستلزم الانكار انه حكيم اي بفعل الاشيا في اتم
مواضعها بحيث لا يقدر احد على نقضها عليم بالغ العلم فلا يخفى عليه شي وهو يريد ان تري حكمته وعلمه
بكشف الغطا عند تمييز اهل السعادة والشقا والحكمة العلم الذي يصرف عما لا ينبغي واصلها
المنع والملجوت سنته الالهية انه يذكر ابتدا الخلق دليلا على الاعادة سابقا ولاحقا وابتدا
هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل باحيا الارض توقع السامع تفصيل ابتدا الخلق الذي هو
ادل دليل على البعث بعد اجماله في قوله وانا لنحن نحيي فقال مفتتحا بحرف التوقع ولقد
خلقنا اي بالعظمة الباهرة الانسان اي الانس بنفسه الناسي لغيره من صلصال اي طين
يابس له عند النقر صلصلة اي صوت شديد متردد في الهوآ فان كان فيه مد من غير ترجيع
فهو صليل فالمراد شديد يبسه ولكنه غير مطبوخ واما المطبوخ فهو فخار ثم بين اصل الصلصال
فقال من حما اي طين اسود منتن مسنون اي مصبوب مهيا لعمل ما يراد منه بالدلك
والتحسين من الذهاب والاضطراب والجعل على طبع وطريقة مستوية وكل ذلك على غاية
السهولة والطواعية والهوان فذكر اصل الانسان وما وقع له مع ابليس الذي هو اصل الجن كما
ان ادم عليه الصلاة والسلام ابو البشر من الكيد حتى اخرجه من دار الصفا الى دار الكدر ليحذره
العقلا من بني آدم وفي التنبيه بابتدا الخلق على وصول البشر الى اصل كان تمحض القدرة
مخالفهم في التكوين بين ابوين وانتهآ الجن الى اصل ليس خلقه كخلقهم تنبيه عظيم على انتهآ
الموجودات الى موجود لا يجانسهم بل هو خالق غير مخلوق فاعل بالاختيار واحد لا شريك له
ولا اعتراض عليه قادر على ما يريد سبحانه وفي خلقه من الما الذي هو كالاب والطين الذي هو
كالام بمساعدة النار والهوآ من الحكمة ان يكون ملايما لما في هذا العالم فيكون بقاوه بذلك الذي
خلق منه في ماكله ومشربه وملبسه وساير اموره وذلك ادل على حكمة الخالق وعلمه ووحدانيته

ومادة صل تدور على الصلصال الذي هو الطين مطلقا او الطين الحر يخلط بالرمل او الطين
مالم يجعل خزفا وتتفرع جميع معاني المادة منه لان من لوازمه في اوله الما واللين بنداوته
وسهولة خلطه بغيره فيأتي الخفا لانه يغرز فيه بغير صوت ومنها قبول التصفية من الغش
ومنها في اخره الصلابة لشدة اليبس فيلزم تضام الاجزا وتضايقها على انتظام او غير انتظام
والصوت وشدة الانفصال بالتشقق ومن لوازمه التغير بالنتن فياتي الخبث والفساد
ومن لوازمه شدة الاختلاط بحيث اذا انشب فيه شي عسر خلاصه ومن لوازمه تميزه عما عداه
ومحل يصنع فيه فمن الصوت واليبس صليل الحديد والابل ونحو ذلك يقال صل الحديد واللجام
امتد صوته فان توهم ترجيع الصوت قيل صلصل وصل البيض سمع له طنين عند القراع والمسمار
صليلا ضرب فاكره ان يدخل في الشي والابل صليلا يبست امعاوها من العطش فسمع لها صوت عند
الشرب ومن الصوت صلصل اوعد وتهدد وقتل سيد العسكر لظهور الصيت بذلك وصلصل
الرعد صفا صوته والكلمة اخرجها متحذلقا وطامرا والفاختة والراعي الحاذق والمصلل المحدث
بيت السيد الكريم الحسيب الخالص النسب والاسكف وهو الاسكاف عند العامة وتصلصل
الغدير خفت حماته فتهيا لان يصوت بيبسه والحلي صوت وحمار صُلصُل وصُلاصل بضمهما
وصلصال ومتصلصل مصوت ومن النتن صلو اللحم والما ايضا صل اللحم صلولا انتن وللما
اجن والصليان بكسرتين مشددة اللام ما تغير من اللحم والصَّلة بالضم الريح المنتنة ومن اليبس
الصلة وهي الجلد اليابس قبل الدباغ والنعل والارض او اليابسة وصل السقا صليلا يبس
او ارض لم تمطر بين ممطورتين والصل بالكسر القرن وشجر والسيف القاطع ومن النداوة
الصلة وهي التراب الندي ومن الما اعم من ان يكون كثيرا او قليلا الصلة للمطرة الواسعة
والمتفرقة القليلة والصُّلة بالضم بقية الما وغيره وكذا الصلصلة والصلصل بضمها بقية
الما في الغدير وكذا من الدهن والزيت واما التفرق فمن التشقق والصلة القطعة من الخشب
سميت باسم المطر تسمية للمسبب باسم السبب ومن اللين الصلالة بالكسر لبطانة الخف
او ساقها والصلصل كهدهد ناصية الفرس ونحو او بياض في شعر معرفته وما ابيض من شعر
ظهره وهذا من التميز ايضا ومن الحل القدح او الصغير منه والمصلة بالكسر الانا يصفى
فيه الشراب ومن الخبث الصل بالكسر للحية مطلقا او الرقيقة الصفرا او الداهية والسيف
القاطع مشبه بذلك لاهلاكه وانه لصل اصلال واهٍ منكر في الخصومة وغيرها وصلتهم
الصالة اصابتهم الداهية وهذا ايضا من شدة الانتساب ومن التشقق الصال وهو الما يبنع
على الارض فتشقق ومن التصفية صللنا الحب المختلط بالتراب صببنا فيه ما فعزلنا كلا
على حياله وصل الشراب صلا صفاه والصلة بالكسر الانا يصفى فيه ومن تضام الاجزا
وتضايقها وقد يكون مع الانتظام ومنه تلصيص البنيان اي ترصيصه وقد لا يشترط فيه
الانتظام ومنه اللصص بمعنى الترق واللصص هو تقارب المنكبين وتقارب الاضراس
وتضام مرفقي الفرس الى زوره واللصا من الحباه الضيقة والمراة الملتزقة الفخذين

لافرجة

لافرجة بينهما والزنجي اللص لالتيبين واغلاق الباب ومن اطلاقه على ما ليس منتظما وان
لم يكن تقارب اللصا من الغنم وهي ما اقبل احد قرنيها وادبر الاخر ومن الخفا الذي هو من لوازم
الطين وهو ندي اللص بالفتح وهو فعل الشي في ستر والسارق ويثلث ومادة سن تدور على
الدلك ويلزمه التحسين فمن الدلك السن بالكسر وهو الضرس والحبة من الثوم تشبيه به والثور
الوحشي وسنان الرمح ومكان البري من القلم والاكل الشديد والقرن وشعبة المنجل ومقدار
العمر لانه لما مر على صاحبه كان كانه دلكه والمسان من الابل الكبار وسن السكين وغيره فهو مسنون
والمسن بالكسر الة السن وسنن دمجه اليه سدده وسن الاضراس سوكها والابل ساقها سيرا
لتدلكها عند الازدحام وسن الامر بينه فكانه هياه لان يركب فيدلك بالافكار او غيرها وسن
الطين عمله فخارا وفلانا طعنه بالسنان او عضه بالاسنان والفحل الناقة ركبها على وجهها وعليه
الدرع او المآصبه والطريقة سارها واستن استاك والفرس قمص والسراب اضطرب والسنه
بالكسر النفاس لها حلقان والسُّنَّة بالضم السيرة او الطبيعة كانها عولجت حتى انقادت والسنة
من الله حكمه وامره ونهيه وسنن الطريق مثلثه وبضمتين نهجه وجهته وجاءت الريح سنائن
على طريقة واحدة والحما المسنون المنتن لانه تهيا لان يدلك بالالة جبلا حتى يصلح لما يستعمل
فيه والفحل يسان الناقة يكدمها ويطردها حتى ينوخها ليسفدها والسني كاميرما يسقط
من الحجر اذا احككته والارض التي اكل نباتها كالمسنونة والسنس بالكسر العطش كانه سن الامعا
حتى احرقها وراس المحالة اي البكرة العظيمة وحرف فقار الظهر كالسنن والسنسنة وراس عظام
الظهر او طرف الضلع التي في الصدر والسنن الطريق المسلوك والسنن الاسد والسنن
حركة الابل تستن في عدوها والسنينة كسفينة الرمل المرتفع المستطيل على وجه الارض وهو
من المسنون بمعنى المصبوب وسننى هذا الشي تهى الى الطعام كانه سن المعدة حتى قطعت
بعد كلالها وتسانت الفحول تكادمت والسنن سرعة الذهاب ويلزمه تدالك الاعضا وتسنيس
الانسان مجهوده لان ذلك لا يكون الابعد اشد الاضطراب والسنيسة الحشاشة وهي بقية
الروح من المريض والجريح كانها صدمت حتى ذهب اكثرها وتسن اللحم ذهب بلله من شدة الطبخ
لان احراق النار اعظم ذلك وكذا تسنن الحطب الى اخرجت النار زبده على راسه لقيام الاحراق
مقام الرضخ فيما يستخرج دهنه وتسنن العطش جف من ذلك ومن التحسين سنن المنطق اذا
حسنه وسن الامر بينه والطين عمله فخارا والمال ارسله في الرعي او احسن القيام عليه حتى كانه
صقله والشي صوره والسنة بالضم الوجه او حره او دايرته او الصورة او الجبهة ورجل مسنون
الوجه مملسه حسنه سهله او في وجهه وانفه طول وكل ذلك يرجع الى الدلك ايضا والله اعلم وقال
ابو حيان قال ابن عباس رضي الله عنهما المسنون الرطب ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوبا
الا وهو رطب وقال الرازي في اللوامع وهذا اشارة الى درجات خلق ادم عليه الصلاة والسلام
ومراتبه واشار الله تعالى الى ذلك في مواضع مختلفة حسبما اقتضته الحكمة فقال في موضع خلقه من
تراب اشارة الى المبدا الاول وفي اخر من طين اشارة الى الجمع بين الما والتراب وفي اخر من حماءٍ

مسنون اشارة الى الطين المتغير المستقر على حالة من الاعتدال لتصلح لقبول الصورة وفي اخره صلصال اشارة الى يبسه وسماع صلصلة منه وفي اخره صلصال كالفخار وهو الذي قد اصلح باثر من النار فصار كالخزف وبهذه القوة النارية حصل في الانسان اثر من الشيطنة انتهى وقال الرماني وقد تضمنت الايات البيان عما يوجبه تقليب الحيوان من حال الى حال من جاعل قادر قلبه من اصل هو ابعد شي من حال الحيوان الى الحيوان وقال ان الحكمة في جعله من الحماة العبرة في انه قلبه من تلك الحقيرة في الصفة الى هذه الحال الجليلة ولما ذكر سبحانه خلق الانسان ذكر ما خلقه قبله من الجان فقال والجان اي الذي هو للجن كادم عليه الصلاة والسلام للناس وقيل هو ابليس خلقناه وعبر عن تقليل زمان سبق خلقه وتقريبه باثبات الجار فقال من قبل اي قبل خلق الانسان من نار السموم اي الحر الشديد قيل هي نار لا دخان لها تكون منها الصواعق وهي بين السما وبين الحجاب فاذا اراد الله خرقت الحجاب فهدت الى ما أمرت به فالهدة التي يسمعها الناس هي خرق ذلك الحجاب وقال الرازي في اللوامع نار لطيفة تناهت في الغليان في افق الهوا وهي بالاضافة الى النار التي جعلها الله تعالى متاعا كالجهد الى الما والحجر الى التراب انتهى وقال الرماني وقال عبد الله هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق الله منها الجان وهي ماخوذة من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل انتهى ولما كانت نعمة الايجاد كافية في اخلاص العبادة للموجد ثم لم يعتبرها اهل الضلال اشار تعالى الى نعمة هي اكبر منها وهي التفضيل على جميع المخلوقات على وجه مبين لسبب الضلال فقال عاطفا على ما تقديره اذكر هذا فانه كاف في المراد لكل ذي لب واذ اي واذكر قول ربك اذ قال ربك اي المحسن اليك بتشريف ابيك ادم عليه الصلاة والسلام لتشريفك للملايكة ولما كان مما يتوقف فيه اكد فقال اني خالق بشرا اي جسما غير ملبس البشرة بما جعله عليه من الطبيعة على الصورة الانسانية من صلصال اي طين شديد اليبس من حما اي طين اسود منتن مسنون اي مصور بصورة الادمي في تجويفه واعضايه كانه مصبوب في قالب قال الرماني اصله الاستمرار في جهة من قولهم سنن على سنن واحد فاذا سويته اي عدلته واتممته وهياته لنفخ الروح تهية قريبة من الفعل ونفخت فيه من روحي اي خلقت الحياة فيه كما تعلق النار بالفتيلة بالنفخ وهو تمثيل واضاف الروح اليه تشريفا وهو ما يصير به الجسم واشرف منه ما يصير به الروح عالما واشرف منه ما يصير به العالم عاملا خاشعا فقعوا له اي فتعظموا حال كونكم ساجدين اي اسجدوا له سجود من كان في مبادرته به وسهولة انقياده كانه وقع من غير اختياره فسجد الملايكة اي بسبب هذا الامر من غير توقف لمجا الوقت الذي امر فيه لذلك البشر وهو ابوكم ادم عليه الصلاة والسلام وانتم في صلبه كلهم اجمعون ولما ابلغ في تاكيد ما افهمه الجمع استثنى فقال الا ابليس قيل هو من قوم من الملايكة وقيل بل لكونه كان واحدا بينهم منضافا اليهم عاملا باعمالهم كان مغمورا بهم فكان كانه منهم فصح استثناوه لذلك فكانه قيل ما فعل فقيل استعظاما لمخالفته ابى ان يكون اي لسكاسة في جبلته مع الساجدين او انه لم يقل فابى بالعطف لان الاستثنا منقطع فان ابليس

من

من نار والملايكة من نور وهم لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون بخلافه فكانه قيل فما فعل به الملك فقيل لم يعاجله بالعقوبة بل اخره الى اجله المحكوم به في الازل كما انه لا يعاجلكم لذلك فكانه قيل فما قال له فقيل قال له ليقيم الحجة عليه عند الخلايق ظاهرا كما قامت عليه الحجة في العلم باطنا يا ابليس اختار هذا الاسم هنا لان الابلاس معناه الياس من كل خير والسكوت والانكسار والحزن والتحير وانقطاع الحجة والندم مالك اي شي لك من الاعذار في ان لا تكون اي بقلبك وقالبك مع الساجدين لمن امرتك بالسجود له وانت تعلم ما انا عليه من العظمة والجلال ما لا يعلمه كثير من الخلق قال لم اكن واكد اظهارا للاصرار والاضرار بالكبر فقال لاسجد لبشر اي ظاهر البدن لا قدرة له على التشكل والتطور خلقته من صلصال اي طين يابس لا منعة فيه بل اذا نقر اجاب بالتصويت من حما طين متغير اسود كدر مسنون اي مصور بصورة الفخار متهيي لذلك لا يرد يد لامس وانا خير منه لانك خلقتني من نار نافعة بالاشراق ممتنعة ممن يريدها بالاحراق فخضوعي له مناف لحالي وممتنع مني والزامي به جور فكانه قيل فما ذا اجيب فقيل قال فاخرج اي تسبب عن كبري اني اقول لك اخرج منها اي دار القدس قيل السما وقيل الجنة فانك رجيم مطرود اذ الرجم لا يكون الا لمن هو بعيد يراد الزيادة في ابعاده بل اهلاكه وعلة الاخراج انها دار لا يقيم بها متكبر عاص بمخالفة امري فان لي الحلم النافذ والعظمة التامة المقتضية لوجوب الطاعة لا ينبغي لمن امرته بامر ان تخلف عن امري فضلا عن ان يضرب لي الامثال ويواجهني بالجدال طاعنا فيما لي من الجلال والجمال ثم اكد بعده بالاخبار باستمراره فقال وان عليك اي خاصة اللعنة اي الكاملة بالقضا بالمباشرة لاسباب البعد الى يوم الدين اي الى يوم انقطاع التكليف وطلوع صبح الجزا لبقا الخلق اجمعين وفوات الامد الذي تصح فيه التوبة التي هي سبب القرب فذلك ايذان بدوام الطرد وتوالي البعد والمقت فلا يتمكن في هذا الامد من عمل يكون سببا للقرب من حضرة الانس وجناب القدس ومن منع من التوبة عن الكفر في وقتها يعلم قطعا انه لا يغفر له فهو معذب ابدا ولما علم من هذا دوام لعنه لانه منع التقرب في دار العمل وما بعد ذلك محل الجزا لا العمل وكان ذلك مفهما لانظاره الى ذلك الحد وكان ظاهره ان لعنه مغيى به كان كانه قيل فماذا قال حين سمع ذلك فقيل قال ذاكرا صفة الاحسان والتسبيب في سوال الانظار رب فاعترف بالعبودية والاحسان اليه ولم يحمله ذلك على التوبة لحكم بدوام اللعنة فلا يطمع طامع في ايمان من حتم بكفره بالاجابة الى ما يقترح واتى بفا السبب لما فهم من الاملا فقال فانظرني والانظار تاخير المحتاج للنظر في امره الى يوم يبعثون فجعل يوم الدين على حقيقته واراد التصريح بالانظار اليه ليامن الموت فكانه قيل فماذا قيل له فقيل قال له ربه فانك اي بسبب ما تقدم من الحكم من المنظرين وقطع عليه ما دبج به من المكر فقال الى يوم ولما كان اليوم ما يتم فيه امر ظاهر وكانت الايام الهايلة ثلاثة زمان موت الاحيا الخارجين عن الخلد ثم بعث الاموات ثم الفصل بينهم باحلال كل فريق في داره قال الوقت ولما كان قد دبج في سواله هذا تدبيجا اوهم تجاهله بتحتيم الموت على كل مخلف بين تعالى انه مما لا يجهل فقال المعلوم اي الذي قدرت عليك الموت

منه وهو النفخة الاولي وما يتبعها من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد ولما فهم كما تقدم كما قلنا باعو
باغوايه كان السامع كانه قال فماذا قال فقيل قال مسموبا نفسه بالمعبود العلي الذي لا يسئل
عما يفعل وكل افعاله عدل وحكمه بعد ان رفع نفسه علي العبد البشري رب اي ايها الموجد والمدبر
لي وعزتك بما اغويتني اي بسبب اغوايك لي من اجلهم وللاهتمام بهذا السبب قدمه علي جواب
القسم الدال علي المقسم به وهو قوله لازينن لهم اي تزيينا عظيما المعاصي والمباحات الجارة
اليها المشاغلة عن الطاعة الصارفة عنها في الارض اي التي هي محل الغفلة وهم منها والتي الي
ما هو منه اميل فهي بهذا التقدير مساوية لانه ص فبعزتك والتزيين جعل الشي متقبلا في
النفس من جهة الطبع والعقل بحق او بباطل ولاغوينهم اي بالاضلال عن الطريق الجيدة اجمعين
انتقاما لنفسي الا عبادك منهم اي المشرفين بالاضافة اليك فهم لذلك لا يميلون عنك الي شي
سواك فلذلك ابدل منهم المخلصين فزاد بهذا الكلام في الضلال ولم يقدر ان يقول بدل ذلك
رب تب علي ونحوه من الاستعطاف كما قال آدم لما حفه اللطف وادركه العفو فادعوا
هذه النعمة والاخلاص افراد الشي عما يشوبه من غيره فكانه قيل فماذا اجيب فقيل قال الله
في جوابه رادا لما اوهمه كلامه من ان له فعلا يستقل به مكذبا له هذا اي الذي ذكرته من حال
المستثني والمستثني منه صراط علي مستقيم لاني قضيت به ولو لم نفعله انت وحكمت به عليك
وعليهم فلا محيص لكم عنه فكل قبيل علي اقامته او هو وارد علي لا عوج لسالكيه عن الرجوع الي
والمرور علي يعني انه لا يقدر احد ان يعمل شيئا بغير ارادتي فاني بالمرصاد ثم شرح ذلك بقوله
مضيفا جميع العباد اليه كما هو الحقيقة نافيا ما قد يوهمه الكلام من ان لابليس عملا مستقلا
ان عبادي اي عامة ليس لك اي بوجه من الوجوه عليهم سلطان اي لتردهم كلهم عما يرضيني
الا من اتبعك اي بتعهد منه ورغبة في اتباعك من الغاوين ومات عن غير توبة فاني جعلت
لك عليهم سلطانا لتزيين والاغوا وقيل وهو ظاهر ان الاضافة للتشريف فلا تشمل الا الخلص
فحينئذ يكون الاستثنا منقطعا وفايدة سوقه بصورة الاستثنا علي تقدير الانقطاع الترغيب
في رتبة الشرف بالاضافة الي والرجوع عن اتباع العدو الي الاقبال عليه لان ذوي الانفس
الابية والهمم العلية يتنافسون في ذلك المقام ويرونه كما هو الحق اعلي مرام وان جهنم لموعدهم
اي الغاوين من ابليس ومن شايعه اجمعين ثم بين انهم متفاوتون فيها فقال لها سبعة ابواب
قال الزماني وهي اطباق بعضها فوق بعض عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة وابن جريج
رحمهم الله لكل باب منهم اي الغاوين خاصة لا يشاركهم فيه مخلص جزء مقسوم معلوم لنا من القدم
لتقديرنا اياه لا يزيد شيا ولا ينقص شيا فلا فعل فيه لغيرنا بغير التسبيب الذي اظهرناه لتربط به
الاحكام علي ما تقتضيه عقولكم ومجاري عاداتكم وعن ابن جريج ان العليا جهنم ثم لظي ثم الحطمة
ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفي نسخة تقديم سقر علي لظي وعن الضحاك ان العليا لاهل
التوحيد ثم يخرجون والثانية للنصارى والثالثة لليهود والرابعة للصابية والخامسة
للمجوس والسادسة لمشركي العرب والسابعة للمنافقين والسبب في تصاعدها اختلاف انواع الكفر

في الغلظ والخفة ولا يظلم ربك احدا رحمة منه سبحانه ولعلها كانت سبعة باعتبار اصناف
الكفار لانهم اما معطلة او مثبتة والمثبته اما يهود او صابية او نصارى او مجوس او عباد اوثان
والكل اما مصادحون او منافقون ولما كان المنافق لا يعرف ظاهرا من ايها هو عدنا سبعا واحدا
ووكل امره في ميزه الي العليم الخبير ولما كان الكل عاملين بما لم ياذن به الله كانوا في حكم المعطلة
لوصفهم الله بغير صفته فرجعت الاقسام الي ستة فاضيفت اليها العصاة من كل فرقة فجعلت
جز الطبقة العليا من النار مقابلة لقسم المنافقين من كل امه لعملهم اعمال الكفار مع الايمان كما
ان عمل المنافقين عمل المومنين مع الكفران فكانوا اخفي الكفار فكان لهم الدرك الاسفل من
النار ثم رايت في نسخة النصايح الايمانية وكشف الفضايح اليونانية للعارف بالله شهاب الدين
عمر بن محمد السهروردي انها جعلت سبعة علي وفق الاعضا السبعة من العين والاذن واللسان
والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيات فكانت مواردها الابواب السبعة
وهو ماخوذ من كتاب المحاسبة من كتاب الاحيا للامام الغزالي ولما كانت هي بعينها مصادر
الحسنات بشرط النية والنية من اعمال القلب زادت الاعضا واحدا فجعلت ابواب الجنان
ثمانية هذا معني قول قال واعمال القلوب من السيات غير مواخذ بها ولما ذكر الكافرين وما جرهم
الي الضلال وجرأهم علي قبايح الاعمال ذكر المخلصين فقال موكدا لانكار المكذبين بالبعث ان
المتقين اي العريقين في هذا الوصف والمتقي من جعل الايمان باخلاصه حاجزا بينه وبين
العقاب في جنات وعيون ولما كان المنزل لا يحسن الا بالسلامة والانس والامن قال تعالي
ادخلوها اي يقال لهم ذلك بسلام اي سالمين من كل افة مرحبا بكم ومسلما عليكم حال الدخول
امنين من ذلك دايما ولما كان الانس لا يكمل الا بالجنس مع كمال المودة وصفا القلوب عن الكدر
قال ونزعنا اي بما لنا من العظمة ما في صدورهم من غل اي حقد متغل اي متغرز في القلب حال
كونهم اخوانا اي متصافين حال كونهم علي سرر جمع سرير وهو مجلس رفيع موطا للسرور
متقابلين لا يري بعضهم قفا بعض في اخر الثقفيات عن الجنيد انه قال ما احلي الاجتماع مع
الاصحاب وما امر الاجتماع مع الاضداد ولما كان النظر في الدوام والمال بعد ذلك قال لا يمسهم
فيها نصب اي اعيا وتعب وجهد مشقة وما هم منها ولما كان المنكي في كل شي انما هو الاكراه
بني للمفعول قوله بمخرجين ولما كان المفهوم من هذا السياق ان الناجي انما هو المتقي المخلص الذي
ليس للشيطان عليه سلطان وكان مفهوم المخلص من لا شايبة فيه وكان الانسان محل النقصان
وكان وقوعه في النقص منافيا للوفا بحق التقوي والاخلاص وكان ربما اياسه ذلك من الاسعاد
فاوجب له التمادي في البعاد قال سبحانه جوابا لمن كانه قال فما حال من لم يقم بحق التقوي نبي
عبادي اي اخبرهم اخبارا جليلا اني انا اي وحدي الغفور الرحيم اي الذي احاط محوه للذنوب
واكرامه لمن يريد بجميع ما يريد لا اعتراض لاحد عليه ولما كان ذلك ربما كان سببا للاغترار
الموجب للاصرار قال وان عذابي هو اي وحده العذاب الاليم اي الكامل في الايلام فعلم ان
الاول لمن استغفر والثاني لمن اصر وعرف من ذلك ان المتقين انما دخلوا الجنة بعفوه والغاوين

انما عذبوا بعد له فهو لف ونشر مشوش على ما هو الافصح ولما اتم سبحانه شرح قوله وليعلموا انما هو
اله واحد وما تبعه من الدلالة على البعث شرع في شرح وليذكر اولوا الالباب بقصة الخليل عليه
الصلاة والسلام وما بعدها مع الوفا بذكر المعاد تارة تلويحا وتارة تصريحا والزجر عن الاجترا
على طلب الاتيان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام والالتفات الى قوله الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اسماعيل واسحق في اسلوب شارح لما تعقبته هذه القصة فان حصول القنوط سبب
لاية المغفرة والاخبار بعذاب الامم تمثيل لاية العذاب ليزدجر المخاطبون وافرد لهم ذكر من
هو اقرب الى بلادهم ممن يعرفونه من المعذبين لانه اوقع في النفس فقال تعالى ونبئهم اي اخبرهم
اخبارا عظيما عن ضيف ابرهيم والضيف هو المنضم الى غيره لطلب القرى فهو لاسم واحد لهذا
الاسم لانهم على صورة الضيف فهو من دلالة التضمن اذ دخلوا عليه اي ابرهيم عليه الصلاة
والسلام فقالوا على عقب الدخول سلاما ولما كان طلبهم في هذه السورة للملائكة على وجه اوكدما
في سورة هود عليه الصلاة والسلام اشار لهم الى ما في روية الملائكة من الخوف ولو كانوا مبشرين
وفي احسن صورة من صور البشر بقوله قال بلسان الحال او المقال انا اي انا ومن عندي منكم
وجلون واسقط ذكر جوابه بالسلام ولا يقدح ذلك فيما في سورة هود وغيرها من ذكره فان اذ
ظرف زمان بمعنى حين والحين قد يكون واسعا فيذكر ما فيه تارة جميعه على ترتيبه واخرى على غير
ذلك وتارة بعضه مع اسقاط البعض مع صدق جميع وجوه الاخبار لكونه كان مشتملا على الجميع
وتكون هذه التصرفات على هذه الوجوه لمعان يستخرجها من اراده الله ولما اخبر انه اخبرهم بوجله
منهم تشوف السامع الى جوابهم فقال قالوا مريدين لامنه لا توجل والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما يكره ثم عللوا ذلك بقولهم موكدين لقلع ما في نفسه من الوجل المنافي للبشرى انا نبشرك
بغلام اي ولد ذكر هو في غاية القوة وليس كاولاد الشيوخ ضعيفا ولما كان خوفه لخفا امرهم
عليه كان للوصف بالعلم في هذا السياق مزيد مزية فقالوا عليم فكانه قيل فما قال فقيل قال
مظهرا للتعجب ارادة تحقيق الامر وتوكيده ابشرتموني اي بذلك على ان مسني الكبر اي الذي
لا حركة معه يأتي منها ولد او على ان اعود شابا ولذلك سبب عنه قوله فبم تبشرون بينوا لي
ذلك بيانا شافيا قالوا بشرناك بالحق اي الامر الثابت المقطوع به الواقع لا محالة الذي
يطابق خبرنا فلا تكن اي بسبب تبشيرنا لك بالحق من القانطين اي الايسين الذين ركنوا
الى يأسهم لتوكلك على انواع الهم فلما الهوه بهذا النهي قال منكرا لان يكون من القانطين ومن
يقنط اي ييأس هذا الياس من رحمة ربه اي الذي لم يزل احسانه دارا عليه الا الضالون
اي المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح في ربهم من تمام القدرة وانه لا تضره معصية ولا تنفعه
طاعة وهذا اشارة الى انه ما كان قانطا وانما كان مريدا لتحقيق الخبر وفي هذا تلويح الى
امر المعاد فلما تحقق البشرى وراى انهم محتفين على غير الصفة التي يأتي عليها الملك للوحي
وكان هو وغيره من العارفين بالله عالمين بانه ما ينزل الملائكة الا بالحق كان ذلك سببا لان
يسئلهم عن امرهم ليزول وجله كله فلذلك قال فما بها السبب خطبكم قال ابو حيان والخطب

لايكاد يقال الا في الامر الشديد انتهى وقال الرماني انه الامر الجليل ايها المرسلون فانكم ما جئتم
الا لامر عظيم يكون فيصلا بين هالك وناج قالوا انا ولما كان عالما بمرسلهم بنوا للمفعول
قولهم ارسلنا اي بارسال العزيز الحكيم الذي انت اعرف الناس في هذا الزمان به الى قوم
اي ذوي منعة مجرمين اي عريقين في الاجرام كلهم ولما كان ارسالهم للعذاب قالوا مستثنين
من الضمير في مجرمين اي قد اجرموا كلهم اجراما عظيما الا آل لوط فاستثنوهم من ان يكونوا مجرمين
المستلزم لكونهم ما ارسلوا لتعذيبهم فكان ذلك محركا للنفس الى السوال عن حالهم فانهم مع وقع
الارسال بسببه فاجابوا بقولهم انا لمنجوهم اي تنجية عظيمة بتدرج الاسباب على العادة اجمعين
الا امراته فلما استثنوها من ان ينجوها فكان امرها محتملا لان تعذب ولان ينجيها الله بسبب
غيرهم تشوفت النفس للوقوف على ما تقضى به من ذلك فقيل باسناد الفعل الى انفسهم لما لهم من
الاختصاص بالمقدر سبحانه قدرنا ولما كان فعل التقدير متضمنا للعلم علقه عن قوله
انها اي امراته واكد لاجل ما اشير اليه هنا من عظم تشوف الخليل عليه الصلاة والسلام الى
معرفة امرهم وشديد سواله في نجاة لوط عليه الصلاة والسلام وجميع اله كما مضى التصريح به في
هود فطما له عن السوال في نجاتها بخلاف ما في النمل فان سياقها عار عن ذلك لمن الغابرين
اي الباقين الذين لا ينجوا مع لوط عليه الصلاة والسلام بل تكون في الهلاك والغبرة والآل
قال الرماني اهل من يرجعون الى ولايته ولهذا يقال اهل البلد ولا يقال آل البلد والتقدير
جعل الشي على مقدار غيره لتظهر المساواة او المباينة والغابر الباقي فيمن يهلك فلما تم ما اريد
الاخبار عنه من محاورتهم مع ابرهيم عليه الصلاة والسلام اخبر عن امرهم مع لوط عليه الصلاة والسلام
فقال فلما بالفا الدالة على سرعة وصولهم اليه وكانه ما اشتد انكاره لهم الا بعد الدخول الى
منزله اما لخوفه عليهم وهم لا يخافون او غير ذلك من احوال لا تشبه احوال البشر فلذا قال جا
آل لوط اي في منزله المرسلون اي لاهلاك قومه قال انكم قوم اي اقويا منكرون لا بد ان
يكون على تيانكم الى هذه البلدة شر كبير لاحد من اهل الارض وهو معنى سيء بهم الاية فتقدم حكاية
انكاره اياهم واخبارهم من العذاب لمثل ما تقدم في قصة ابرهيم عليه الصلاة والسلام من الزجر
عن قولهم لوما تاتينا بالملائكة المحتمل لارادة جميع الملائكة ان كنت من الصادقين تعريفا لهم
بان بعض الملائكة اتوا من كانوا اجمل اهل ذلك الزمان على اجمل صور البشر مبشرين لهما ومع
ذلك خافهم كل منهما فكيف لو كان منهم جمع كثير ام كيف لو كانوا على صورهم ام كيف لو كان الرأي
لهم غيرها ام كيف لو كان كافرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا
ويجوز ان يكون قوله لهم هذه المقالة انما كان عند اخبارهم له بانهم رسل الله ويكون المعنى حينئذ
انكم لستم على صفة الاتي بالوحي فقد اشتد على امركم لكوني لا اعرفكم مع الاستيحاش منكم وذلك
محاورته لقومه ثم مقارعتهم عنهم فكان خايفا عليهم فلما اخبروه انهم ملايكة خاف منهم ان يكونوا
اتوا بشي يكرهه وقد تقدم انفا ان الاخبار عما كان في حين من الاحيان لا يضر تقدم بعضه على
بعض ولا اسقاط بعض وذكر اخر ولم يرد هنا الحرف الذي اصله المصدر وهو ان كما في العنكبوت

لان استنكاره لهم وان كان مرتبا على مجيئهم الا انه ليس متصلا باوله بخلاف المساءة ولما كانت حقيقة
المنكر ما خرج عن عادة اشكاله ولم يكن على طريقة امثاله اضربوا عن قولهم وكان جوابهم ان قالوا
بل اي لسنا منكرين لانا جيناك لنفرج عنك بما اي بسبب ايقاع ما كانوا اي جبلة وطبعا
يمترون بما جرت عادتنا ان ناتي بمثله من العذاب الذي يشكون فيه شكا عظيما يحملون نفوسهم
عليه ويكذبون به والجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرض له منه من حيث انه
لا يرجع الى ثقة فيما هو عليه واتيناك بالحق الفاصل بينك وبينهم الواقع بهم مطابقا لاخبارنا والاتيان
الانتقال الى جهة الشي والذهاب الانتقال عنه وانا لصادقون في الاخبار بما يطابق الواقع
ولما اخبروه بوقوع العذاب بهم امروه بما يكون سببا فيما امروا به من النجاة فقالوا فاسر فانوا
بالفا لان ما بعدها مسبب عما قبلها باهلك بقطع اي طايفة من الليل واتبع اي كلف نفسك
ان تتبع ادبارهم لتكون اقربهم الينا والى محل العذاب لانك اثبتهم قلبا واعرفهم بالله والشرمن
ورايكم وقد جرت عادة الكبراان يكونوا ادني جماعتهم الى الامر المخوف سماحا بانفسهم وتثبيتا لغيرهم
وعلما منهم بان مداناة ما فيه وجل لا يقرب من اجل وضده لا يبعد عن قدر ولا يباعد من ضرر وليلا
يشتغل قلبك بمن خلفك وليحتشموك فلا يلتفتوا او يتخلف احد منهم وغير ذلك من المصالح والدبر
جهة الخلف وهو ضد القبل ولا يلتفت اي اصلا منكم احد اذ لا فايدة فيه لان الملتفت غير ثابت
لانه اما غير مستيقن لخبرنا او متوجع لهم فمن التفت ناله العذاب وذلك ايضا احدى في الهجرة
واسرع في السير وادل على اخراج ما خلفوه من حنا زلهم وامنعهم من قلوبهم وعلى انهم لا يرقون
لمن غضب الله عليهم مع انهم ربما راوا ما لا تطيقه انفسهم وامضوا حيث وتعبيره بالمضارع
يشعر بانه يكون معهم بعض الملايكة عليهم الصلاة والسلام في قوله تومرون ولما تقرر بهذا امر
اهلاكهم من غير تصريح ولا تعيين لوقت قال تعالى وقضينا اي بما لنا من العظمة موحين اليه
اي خاصة ذلك الامر فاشار الى تعظيمه بالاشارة اليه باداة البعد ثم فسره بقوله ان دابر
اي اخر هولآ اي الحقيرين عند قدرتنا واشار بصيغة المفعول الى عظمته سبحانه وسهولة
الامر عنده فقال مقطوع حال كونهم مصبحين ولا ينقطع الدابر حتى ينقطع ما دونه لان العدو
يكون مستقبلا لعدوه فهو كناية عن الاستيصال بان اخرهم واولهم في الاخذ سوآ لان الاخذ قادر
لا كما يفعل بعض الناس مع بعض من انهم يملون في اخر الوقايع فيعفون عن البعض فلما تم ما دار بينه
وبين الرسل مقدما لما بين اتبعه البيان عن حال قومه اشارة الى ان الملايكة ان كانوا بصفات
البشر لم يعرفهم الكفرة وان كانوا بصفاتهم او باظهار شي من خوارقهم لم تحتمله قواهم فلا يقع لهم تمكنهم
في حالة من الحالات فسوالهم الاتيان بهم جهل عظيم فقال وجا اهل المدينة اي التي كان هذا الامر فيها
قالوا وهي سدوم لارادة عمل الفاحشة بالاضياف يستبشرون اي يلوح على بشرانهم السرور
بما يجدونه لانفسهم لما دخل من هو شديد الرغبة في طلبه فكان حال لوط عليه الصلاة والسلام
ان قال لهم ان هولآ اي الاتي بامتي ضيفي ولما كان اكرام الضيف اكراما لمن هو عنده واهانته اهانته
سبب عن ذلك ما اشار اليه الكلام فقال فلا تفضحون في اصابتهم بفاحشة وكان ذلك قبل معرفته

انهم ملايكة واتقوا الله اي الذي له جميع العظمة ولا تخزون اي باهانة ضيفي فيكون ذلك
عارا علي مدى الدهر فلم يكفهم ذلك بل قالوا بفظاظة عاطفين على ما تقديره الم تعلم انا
لا نترك هذا الامر لشي من الاسباب اولم ننهك اي من قبل هذا عن العالمين ان تجير علينا احدا
منهم فلما وصلوا الى هذا الحد من الوقاحة ذكرهم الجريم ليحملهم ذلك على الحيا لانه داب
من له ادنى مروة ولاسيما ذكرا لا بكار في سياق يكاد يصرح بمراده بان قال هولآ مشيرا
الى بينه الذي جبه بنانه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن بناتي ان كنتم ولابد فاعلين
اي قد عزمتم عزما ماضيا على هذا الفعل اشارة باداة الشك الى ان هذا الفعل مما لا
ينبغي ان يفعل يعني وانتم عالمون باني لا اسلم بناتي ابدا فعلم من ذلك ان وصولكم الى اضيافي
دون هلاكي محال ولما ذكر من امورهم وعظيم فجورهم وهم قد فرغ من امرهم وقضى باستيصالهم
كان كل من يعلم ذلك قاضيا بانهم لا عقول لهم فاتبع سبحانه ذلك ما يدل عليه بقوله لعمرك اي
وحياتك يا كريم الشمايل واكد لان الحال قاض في ذكر الحين باستبعاد ردهم ولتحقيق ان
ذلك ضلال منهم صرف وتعنت محض فقال انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم الجاهلية يعمهون
اي يتحيرون لا يبصرون طريق الرشد فلذلك لا يقبلون قول النصوح فان كان المخاطب لوطا
عليه الصلاة والسلام كان ضمير الغيبة لقومه وان كان المخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم
وهو الظاهر كان الضمير لقومه وكان التقدير انهم في خبط بعيد عن السنن في طلبهم اتيان
الملايكة كما كان قوم لوط عليه الصلاة والسلام يقصدون الا لتلذذ بالفاحشة بمن مكن من
هلاكهم فشتان ما بين القصدين وهيهات لما بين الفعلين فصار المعنى ان ما قذفوك به
اول السورة بهم لا بك لان من يطلب اتيان الملايكة مع جواز ان يكون حاله حال قوم لوط
عند اتيانهم هو المجنون والعمر بالفتح العمر بالضم وهو مدة بقآ الشي حيا لكنه لا يقال في القسم
الا بالفتح لخفته مع كثرة دور القسم ولذلك حذفوا الذي تقديره قسمي والسكرة غمور السهو
للنفس ولما تم ذلك سبب عن القضا بقطع دابرهم قوله فاخذتهم اي اخذ انتقام وغلبة
الصيحة التي هي لعظمها وهولها هي الصيحة وغيرها عدم بالنسبة اليها والاخذ فعل يصير به
الشي في جهة الفاعل والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة وقوله مشرقين اي داخلين
في الاشراق وهو ضيا الشمس عند بزوغها ونبين به ان وقته يسمى صبحا لغة فان الصبح
والصباح والاصباح اول النهار ولعله يطلق عليه الى وقت الغدا او الزوال او تكون
الصيحة وقت الاشراق اخر امرهم وقلع المداين من اماكنها وقت الصبح ابتدا امرهم ثم ربت
سبحانه ما تسبب عن الصيحة متعقبا لها فقال فجعلنا عاليها اي مداينهم سافلها
وامطرنا ولما كان الزجر في هذه السورة اعظم من الزجر في سورة هود عليه الصلاة والسلام
لطلبهم ان ياتي بجميع الملايكة اعاد الضمير على المعذبين لا على مدنهم كما مضى في سورة هود عليه
الصلاة والسلام لان هذا اصرح فقال عليهم اي اهل المداين التي قلبت المداين لاجلهم حجارة
من سجيل ثم حقق ان ذلك كله شرح لقوله وليذكروا اولوا الالباب بقوله ان في ذلك اي الامر

العظيم جدا لايات اي عدة من جهة غمرها بالما بعد خسفها ومن جهة كونه مخالفا لمياه الارض
بالنتن والخباثة وعدم عيش الحيوان فيه وعدم النفع به ومن جهة فظاعة منظره وغير
ذلك من امره للمتوسمين جمع متوسم وهو الناظر في السمة الدالة وهي الاثر الدال في الوجه
والقرائن القاضية بالخير والشر وكانوا يدعون انهم ابصر الناس بمثل ذلك فهو الهاب لهم
وتبكيت ثم بين ان ذلك غير خفي عنهم ولا بعيد عمن اراد الانتفاظ به فقال جعلا لهم لعدم اعتبارهم
بهامع رويتهم اياها في كل حين في عداد المنكرين وانها اي في هذه المداين لبسبيل مقيم اي ثابت
وهو مع ذلك مبين فالاعتبار بها في غاية السهولة لقومك وكانوا يمرون عليها في بعض اسفارهم الي
الشام ولما اشار سبحانه الي الاستدلال بالتوسم الدال بما هي عليه من المخالفة لساير مياه الارض
العذبة الواردة اليها على كثرتها ومع ان البلاد التي هي بها من انجح البلاد في عذوبة المياه وطراوة
الارض وحسن الاشجار وغير ذلك علي ان لها نبا هو في غاية الغرابة واتبع ذلك سهولة الوصول
اليها حثا علي اتيانها بقصد نظرها والاعتبار بها والسوال عن سبب كونها كذلك قال مشيرا
الي زيادة الحث بالتاكيد ان في ذلك اي الامر العظيم من حالها لاية اي علامة عظيمة في الدلالة
علينا للمومنين اي الراسخين في الصدق والتصديق فاذا اخبروا ان سبب كونها هكذا ان الله
امر بعض جنده فرفعها ثم قلبها ثم اتبعها الحجارة ثم خسف بها وغمرها بهذا الما الذي هو في القذارة
وعدم القوة مناسب لافعال اهلها لاجل عصيانهم رسوله صلى الله عليه وسلم امنوا احذرا من مثل هذا
العذاب ايمانا بالغيب ولما ذكر هذه القصة ضم اليها ما هو علي طريقها مما عذب قومه بنوع اخر من العذاب
يشابه عذاب قوم لوط في كونه نارا من السما فقال موكدا لاجل انكار الكفار ان يكون عذابهم لاجل التكذيب
اوعد الهم لاجل تمادبهم علي الغواية مع العلم به عداد المنكرين وان اي وانه كان اي جبلة وطبعا
اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والايكة الشجرة عن الحسن وجمعه ايك
كشجرة وشجر وقيل الايكة الشجر الملتف لظالمين اي عريقين في الظلم فانتقمنا منهم اي بسبب
ذلك ثم اخبر عن البلدين لتقاربهما في العذاب والمكان وكونهما علي طريق واحدة من طرق متاجر قريش
فقال وانهما اي قري قوم لوط ومحال اصحاب الايكة لبامام اي طريق يوم ويتبع ويهتدي به مبين
واضح لمن اراده بحيث انه من شدة وضوحه موضح لعظمة الله وانتصاره لانبيائه ممن يكذبهم وهو مع
وضوحه مقيم في مكانه لم تندرس اعلامه ولم تنطمس اثاره فالاية من الاحتباك ذكر في الاول مقيم دلالة
علي حذف مثله ثانيا وفي الثانية مبين دلالة علي حذف مثله اولا ولما كان ربما قيل انه لو كان
لاصحاب الايكة بيوت متقنة لمنعتهم من العذاب عطف عليهم من هو علي طريق الحجر في متاجرهم الي الشام
وكانوا قد طال اغترارهم بالامل حتي اتخذوا الجبال بيوتا وكانت ابنيتهم في غاية الوضوح فكذبوا
بها تحقيقا لان المتعنتين لو راوا كل اية لقالوا انما سكرت ابصارنا فقال ولقد كذب ولما كان
السياق للمكذبين وما وقع لهم بتكذيبهم قدم الفاعل فقال مشيرا الي اتقان بيوتهم اصحاب الحجر
وهم ثمود قوم صالح عليه الصلاة والسلام وديارهم بين المدينة المشرفة والشام المرسلين اي
كلهم بتكذيب رسولهم كما كذب هولا المرسلين بتكذيبك لان الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق

فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم في اثبات الرسالة بالمعجزة علي حد سوا ثم اتبع ذلك
قوله واتيناهم اي بعظمتنا علي يد رسولهم صالح عليه الصلاة والسلام اياتنا اي كلها بايتا
الناقة وسقيها ودرها وشربها لان الممكنات كلها بالنسبة الي قدرته علي حد سوا فمن كذب
بواحدة منها فقد كذب بالجميع فكانوا اي كونا هو كالجبلة عنها اي الايات كلها خاصة لا عن
زينة الدنيا التي تجر الي الباطل معرضين اي راسخين في الاعراض لم يتوسموا بها التفاتا الي
قوله تعالي ولو فتحنا عليهم بابا من السما الايتين وتمثيلا له ردا للمقطع علي المطلع ثم اخبر انهم
كانوا مثل هولا في الامن من العذاب والغفلة عما يراد بهم مع انهم كانوا اشد منهم فقال وكانوا
ينحتون والنحت قلع جزء بعد جزء من الجسم علي سبيل المسح من الجبال التي تقدم انا جعلناها
رواسي بيوتا امنين عليها من الانهدام وبها من لحاق ما يكره لا كبيوتكم التي لا بقا لها علي ادني
رجة فاخذتهم اي فتسبب عن تكذيبهم ان اخذتهم اخذ العذاب والانتقام الصيحة حال
كونهم مصبحين اي داخلين في الصبح فما اي فتسبب عن الصيحة انه ما اغني اي اجزا عنهم ما كانوا
اي بجبلاتهم يكسبون من البيوت والاعمال والعدد والالات الخبيثة لانه لا يعجزنا شي
لانه لا كلفة علينا فيما نفعل انما نقول له كن فيكون وفعلنا بهم ذلك لانهم كانوا علي باطل فكان
تعذيبنا لهم حقا ولما كان المتعنت ربما قال ما له يخلقهم ثم يهلكهم وهو عالم حين خلقهم انهم يكذبون
وكانت هذه الاية ملتفتة مع ما فيها من ذكر الارض الي تلك التي اتبعها ذكر الخافقين استدلالا
علي الساعة قال علي ذلك النمط وما خلقنا اي علي عظمتنا السموات اي علي ما لها من العلو والسعة
والارض علي ما بها من المنافع والغرايب وما بينهما من هولا المكذبين وعذابهم ومن المياه والرياح
والسحاب المسبب عنه النبات وغير ذلك الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق فيتفكر فيه من
وفقه الله فيعلم النشاة الاخرة بهذه النشاة الاولي وبسبب الحق من اثبات ثوابت الامور
ونفي مزلزلها لنظهر عظمتنا بانصاف المظلوم من الظالم واثابة الطايع وعقاب العاصي
في يوم الفصل الي غير ذلك من الحكم كما قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا
بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسني فمن امهلناه في الدنيا اخذنا منه الحق بعد قيام الساعة
فلا بد من فعل ذلك وان الساعة لاتية لاجل اقامة الحق لا شك في اتيانها الحكم علمها سبحانه
فيظهر فيها كل ذلك ويمكن ان يكون التقدير فما اغني عنهم ما كانوا يكسبون وما فعلنا ذلك الا
بامر قولنا كن وهو الحق وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالامر لا له الخلق
والامر يعني انه لا مشقة علينا في شي من خلك وسنعدم ذلك بالحق اذا اردنا قيام الساعة وان
الساعة لاتية لانا قد وعدنا بذلك وليس بينك وبين كونها الا ان نريد فتكون كما كان غيرها مما
اردناه فاصفح الصفح اي فاعرض بسبب تحقق الاخذ منا ترك الاعراض الجميل بالحلم والاغضا وسعة
الصدر في مثل قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانه لا بد من الاخذ لك منهم بالحق ولو لم
تكن لك نصرة الا في ذلك اليوم لكانت كافية ثم علل هذا الامر بقوله ان ربك اي المحسن اليك الامر
لك بهذا هو اي وحده الخلاق المتكرر منه هذا الفعل في كل وقت بمجرد الامر فلا عجب في ايجاد

ما ينسب اليه من ابداع الساعة وغيرها وهو لذلك عالم باحوالكم اجمعين وما يكون منها صالحا لك
على غاية الحكمة لان المصور اعلم بالصورة من ناظرها والمتصرف فيها وصانع الشي ادري به من
مشتريه وباني البيت اخبر به من ساكنه وهو الذي خلق كل ما تراه منهم فهو فعله فسلم له ولما
كان احكام المصنوعات لا يتم الا بالعلم قال العليم اي البالغ العلم بكل المعلومات فلا تزلزل فعالهم
واقوالهم الا منه سبحانه لانه خالقها وقد علمت انه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد عليه في اخذ حقك
فانه نعم المولى ونعم النصير ولا يخفى عليه شي منه ويدل على ما قلته اية يس او ليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم او يقال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
شيا مما اردناه من الحق لانا ما خلقناهم الا بالحق كما خلقناهم بالحق فلم يمتنع علينا شي من ذلك
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بسبب اقامة الحق واظهار امرنا في العدل
ولولا انا سلطنا بعض الناس على بعض لم تظهر لهم منا هذه الصفة غاية الظهور فنحن نجعل من
الحق الذي خلقنا ذلك بسببه على قيام الساعة ما شينا من الابتلا والانتقام كما فعلنا بمن قصصنا
امرهم ونوخر من ذلك ما بقي الى قيام الساعة وان الساعة لاتية لا شك فيها فلا ندع هناك شيا من
الحقوق الا امضيناه فاصفح الصفح الجميل فلابد من الاخذ لك بحقك اما في الدنيا واما في الاخرة ان
اي لان ربك هو الخلاق اي الفاعل للخلق مرة بعد مرة لا تنفد قدرته ولا تفنى كلمته العليم التام
العلم فهو قادر على ذلك عالم بوجه الحكمة فيه في وقته وكيفيته فهو يعيد الخلايق في الساعة كما
ابتداهم ويستوفي اذ ذاك جميع الحقوق ويوتيك في ذلك اليوم ما تقر عينك ولما ذكر صفة
العلم بصيغة المبالغة اتبعها ما اتاه في هذه الدار من مادة العلم بصيغة العظمة فقال عاطفا
على ما قدرته مما دل عليه السياق ولقد اتيناك مما يدل على علمنا سبعا من المثاني وهي الفاتحة
الجامعة على وجازتها جميع معاني القران فتثنى في النزول فانها نزلت مرتين وتثنى في كل ركعة
من الصلاة وهي ثنا على الله والصالحين من عباده وهي مقسومة بين الله وعبده وتثنى فيه مقاصدها
ويورد كل معنى من معانيها فيه بطرق مختلفة في ايضاح الدلالة عليه في قوالب الالفاظ وجواهر
التراكيب الهادية اليه وغير ذلك من التثنية والقران العظيم اي الحاوي لجميع علوم الاولين
والاخرين مما في جميع الكتب السالفة وغيره ولما كان اوتيه وما سبوتاه اعظم ما اوتيه مخلوق اتصل
به قوله لا تمدن عينيك اي مداعطما بالتمني والاشتها المصمم ولذلك ثنى العين احترازا عن حديث
النفس الى ما متعنا اي على عظمتنا به ازواجا اي اصنافا منهم اي اهل الدنيا او يقال انه لما كان
المقصود لكل ذي لب انما هو التبلغ بدار الفنا الى دار البقا المؤكد اتيانها في الاية السابقة وكان
القران كما تقدم كفيلا بذلك وبملاه صلى الله عليه وسلم عما يوذونه به من اقوالهم وتبين ذلك من
علو درجته توقع السامع ذكر ما اسبغ عليه من النعم فقال تعالى او يقال انه لما امره سبحانه بالصبر
على اذاهم علل ذلك بما معناه انهم خلقه وانه منفرد بالخلق وهو بليغ العلم بافعالهم من بدلها فليس
الفعل في الحقيقة الا له وعلى المحب ان يرضى بفعل حبيبه من حيث انه فعله ولما كان التقدير
فهو الذي خلقهم وعلم قبل خلقهم ما يفعلون عطف عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم قوله ولقد

اتيناك

اتيناك اي بما لنا من العظمة كما اتيناك صالحا ما تقدم سبعا من المثاني يكون كل سبع منها كفيلا باغلاق
باب من ابواب النيران السبعة وهي ام القران الجامعة لجميع معاني القران التي امرنا باعادتها
في كل ركعة زيادة في حفظها وتبركا بلفظها وتذكرا لمعانيها تخصيصا لها عن بقية الذكر الذي
تكفلنا بحفظه واتيناك القران العظيم الجامع لمعاني الكتب السماوية المتكفلة بخير الدارين
مع زيادات لا تحصى المشار الى عظمته اول السورة بالتنوين ووصفه بانه مبين للبراهين الساطعة
على نبوتك والادلة القاطعة على رسالتك الدالة على الله الموصلة اليه والاية مع ذلك دليل
على العلم المختتم به ما قبلها فكانه قيل فما ذا اعمل فقيل في معنى ذرهم ياكلوا لا تمدن عينيك الى
ما متعنا به ازواجا منهم اكتفا بهذا البلاغ العظيم الذي من تحلى به واشربه قلبه اراه معايب هذه
الدار فبغضه فيها واشرف به على ما امامه ولا تحزن عليهم لكونهم لم يومنوا فيخلصوا انفسهم من
النار ويقوى بهم جانب الاسلام وكان هذا هو الصفح المامور به وهو الاعراض عنهم اصلا ورأسا
الا في امر البلاغ ولما امره في عشر بقر بما امر اتبعه امره بعشرة اصحابه بالرفق واللين فقال
واخفض اي طاطي جناحك للمومنين اي العريقين في هذا الوصف واصبر نفسك معهم واكتف
بهم فان الله جاعل فيهم البركة وناصرك ومعز دينك بهم وغير محوجك الى غيرهم ممن اراد شقوته
فلا تلتفت اليهم وهذا كناية عن اللين واصله ان الطاير اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه ثم قبضه
عليه قاله ابو حيان وفي الجزء العاشر من الثقفيات عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المومن لين حتى تخاله من اللين احمق ولما كان الغالب على الخلق التقصير
قال له وقل اي للفريقين موكدا لما للكفار من التكذيب ولما للمومنين به من طيب النفس اني انا
اي لا غيري من المنذرين بالاعدا الدنيوية النذير المبين لمن تعمد التقصير انذاري متعذر من وطنه
لانه محتف بالادلة القاطعة ولما ذكر ما اتى بقصة اصحاب الحجر المقتسمين على قتل رسولهم وختمه
بالانذار الذي هو اهله عاد الى تتميم امرهم فشبههم بمن كذب من هذه الامة فقال كما اي كذب
اوليك واتيناهم اياتنا فاعرضوا عنها ففعلنا بهم من العذاب ما هو اهله مثل ما انزلنا اي بعظمتنا
من الايات على المقتسمين اي مثلهم من قريش حيث اقتسموا شعاب مكة يتغون الناس عنك
ويفرقون القول في القران فلا تاس عليهم لتكذيبهم وعنادهم مع رويتهم الايات البينات فان
سنتنا جرت بذلك فمن اردنا شقوته كقوم صالح ثم قال الذين اي مع انهم تقاسموا على قتلك
واقتسموا طرق مكة للتنفير عنك جعلوا القران باقوالهم عضين اي قسموا القول فيه والحال
انه جامع المعاني لا مستغرق المباني منتظم التاليف اشد انتظام متلائم الارتباط احكم التيام
كما قدمنا الاشارة اليه بتسميته كتابا وقرانا وختمنا بان ذلك على وجه الابانة لا خفا فيه فقولهم
كله عناد فقالوا سحر وقالوا شعر وقالوا الكهانة وقالوا اساطير الاولين وغير ذلك انزلنا عليهم اياتنا
البينات وادلتنا الواضحات فاعرضوا عنها واشتغلوا بما لا ينفعهم من التعنت وغيره داب اوليك
لم يغنوا مثل ما حل بهم ومثلهم كل من تكلم في القران بمثل ذلك مما لا ينبغي من العرب وغيرهم وروى
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما جعلوا القران عضين قال هم اهل الكتاب اليهود والنصارى

جزاوه فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه وسياتي معنى هذه اللفظة فوربك اي فتسبب عن
فعلهم هذا انا نقسم بالموجد لك المدبر لامرك المحسن اليك بارسالك لنسئلنهم اجمعين هولا
واوليك عما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يعملون من تعضية القران وغيرها لانا نسال
كلا عما صنع فاصدع اي اجهر بعلو وشدة فارقا بين الحق والباطل بسبب ذلك بما تومر به
من القران وكتابه مبين واعرض اي اعراض من لايبالي عن المشركين بالصفح الجميل عن الاذى
والاجتهاد في الدعا ويويد ان قوله كما راجع الى قصة صالح ومتعلق بها وانه ارمز سبقني اليه
ذكر الوصف الذي تناسبت الايتان وهو الاقتسام ثم وصف المقتسمين بالذين جعلوا القران
عضين لبلايظن انهم الذين تقاسموا في بيات صالح اي اتينا اوليك الايات المقتضية للايمان
فما كان منهم الا التكذيب والتقاسم كما انزلنا على هولا الايات فما كان منهم الا ذلك وانما عبر في
اوليك باتيناهم لان اياتهم الناقة وولدها والبير وهي معطاة محسوسة لامنزله معقولة وقال
في هولا انزلنا اشارة الى القران الذي هو اعظم الايات اوالى الجميع وغلب عليها القران لانه اعظمها
والى انهم مبطلون في جحدهم وانه لاينبغي لهم ان يتداخلهم نوع شك في انه منزل لانه اعظم من تلك
الايات مع كونها محسوسات واما اعتراض ما بينهما من الايات فمن اعظم افانين البلاغة فانه
لما اتم قصة صالح عليه الصلاة والسلام علم ان المتعنتين ربما قالوا لولا ياتي بخلقهم ثم يهلكهم
مع علمه بعدم اجابتهم فرد عليهم بانه ما خلق السموات والارض وما بينهما من هولا المعاندين
ومن افعالهم وعذابهم وغير ذلك الا بالحق وان الساعة لاتية فيعلم ذلك كله بالعيان من
لايشك فيه الان وذلك حين يكشف الغطاء عن البصاير والابصار فاصفح عنهم فانه لابد من
الاخذ بحقك ان لم يكن في الدنيا ففي يوم الجمع ثم اكد التصرف بالحكمة بقوله ان ربك هو الخلاق
العليم ثم سلاه عما يضيقون به صدره من التكذيب بالساعة وان الوعد بها انما هو سحر ونحو ذلك
من القول ومن استخفافهم باموالهم ونسبته الى الحاجة الى المشي بالاسواق بما اتاه من كنوز القران
وامره بان يزيد في التواضع واللين للمومنين لتطيب نفوسهم فلا ياسوا على ما فاتهم من الدنيا وان
ينذر الجميع ويحذرهم من سطوات الله امثال ما انزل بالاقدمين ثم عاد اليهم فشبههم بهولا في
التكذيب ليعلم انهم احد منهم بالعذاب لانهم مشبه بهم والمشبه به اعلى من المشبه وذلك لكونهم
اشد كفرا لان نبيهم اعظم واياته اجل واكثر واجلى وابهر فيكون ذلك سبب اشتداد حذرهم
ولكن ان تقول ولعله احسن انه تعالى لما ذكر ان ثمود اسكنوا الارض سكنى الامنين فازعجتهم عنها
صيحة سلبت ارواحهم وقلبت اشباحهم كما سيكون لاهل الارض قاطبة بنفخة الصور عند نفوذ
المقدور وكان قد قدر ذكر كثير مما في السموات والارض من الايات والعبر بقوله تعالى ولقد جعلنا
في السما بروجا وما بعد ذلك من الجن والانس وغيرهما مما جعل ذكر اختراعه دليلا على الساعة اتبع ذلك
ان سبب خلق ذلك كله وما حواه من الخافقين انما هو للساعة فقال وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اي بالامر الثابت لا بالتمويه والسحر كما انتم تشاهدون او بسبب اقامة الحق
وابانته من الباطل ابانة لاشك فيها يوم الجمع الاكبر ومن اقامة الحق تنعيم الطايع وتعذيب العاصي

وذلك

وذلك بعد اتيان الساعة بنفختي الصور وان الساعة لاتية بالحق ايضا وليست سحرا كما تظنون
ولما كان اتيانها لهذا الغرض مما يشفي القلب لادراك الثار وهو حق لابد منه تسبب عنه قوله
تعالى فاصفح الصفح الجميل ولما كانت النفس بخبر الاعلم اوثق وكان صانع الشي اعلم به من غيره
فكيف اذا كان مع ذلك تام العلم قال تعالى معللا لذلك ان ربك اي المحسن اليك هو الخلاق
اي التام القدرة على الايجاد والاعدام الفعال لذلك العليم البالغ العلم ولما ختم بهذين الوصفين
بعد تقدم الاخبار عما اوتي اهل الحجر من الايات وانه خلق الوجود بالحق لا بالتمويه وكان ذلك
موجبا لتوقع الاخبار عما اوتي هذا النبي الكريم منها لارشاد امته وكانت الايات اما ان تكون
من قسم الخلق كاية صالح او من قسم الامر الذي هو مدار العلم اشار الى تفضيله صلى الله عليه وسلم
بفضل ايته فقال عاطفا على ذلك ولقد اتيناك اي ان كنا اتينا صالحا وغيره اية مضت فلم يبق
الا ذكرها فقد اتيناك سبعا من المثاني وهي الفاتحة التي خصصت بها ثني فيها البسملة للمبادي
والجلالة للكمالات والرحمانية والرحيمية فيها للابداع الاول والمرضي من الاعمال وملك الدنيا
المسمى بالربوبية لكونه مستورا وملك يوم الدين وبينهما رحمانية الايجاد الثاني بالمعاد
ورحيمية الثواب للمرضي من الاسباب والعبادة التي لاتكون الامع القدرة والاختيار
والاستعانة الناظرة الى العجز عن كمال الاقتدار والهداية بالهادي والمهدي والضلال في
مقابل ذلك بالمضل والضال وفي ذلك اسرار لاتسعها الافكار والقران العظيم الجامع لجميع
الايات مع كونه حقا ثابتا لا سحرا وخيالا بل هو اية باقية على وجه الدهر مستمرا امرها دايما
كما تلاوتها وذكرها تفنى الجبال الرواسي وهي باقية وتزول السموات والاراضي وهي جديدة
اذا اصطف عسكر المعجزة قالت كل اية منها هل من مبارز وان رام عدوحطا وله بتحقيقه
بالضعف صاحت لدوام قوتها اني ناجز فلا يقوم لها قايم ولا يحوم حول حماها حايم ولا يروم
خوض بحرها رايم ولما كانت هذه الاية لصاحبها مغنية ولمن فاز بقبولها منجية مرضية
حسن كل الحسن اتباعها بقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولما كان كفرهم
بعد بيانها انما هو عنادا قال تعالى ولا تحزن عليهم ولما كان الغنى بها ربما ظن حسن انفة الغني
عقبه قوله واخفض جناحك للمومنين ولما كان ربما ظن ان تلاوتها تغني عن الدعا لاسيما
لمن اعرض نفي ذلك بقوله وقل اني انا النذير المبين تحريضا على الاجتهاد في التحذير تنبيها
للمومنين وارغاما للمعاندين واستجلابا لمن اراد الله اسعاده من الكافرين اعلاما بان القلوب
بيد الله فلا يثق مع ذلك بمقبل ولا يياس عن مدبر ولما تم ذلك على هذا النظم الرصين والربط
الوثيق المتين التفت الخاطر الى حال من ينذرهم وكان كفار قريش في تقسيمهم القول في القران
واقتسامهم طرق مكة لاشاعة ذلك البهتان تنفيرا لمن اراد الايمان اشبه شي بالمقتسمين على
صالح عليه الصلاة والسلام قال تعالى كما اي اتينا اوليك المقتسمين اياتنا فكانوا عنها معرضين
مثل ما انزلنا اياتنا على المقتسمين اي الذين تقاسموا برغبة كثيرة واجتهاد في ذلك الذين
جعلوا القران عضين اي ذا اعضا اي اجزا متفاصلة متباينة مثل اعضا الجزور اذا

قطعت جمع عضة مثل عدة واصلها عضوة فوربك لنسألنهم اجمعين اي لا يمتنع علينا منهم احد
عما كانوا يعملون فاصدع بسبب امرنا لك بالانذار واخبارك انا نسال الكل واحدا واحدا عما عمل بما تؤمر
واعرض عن المشركين ولما كان هذا الصدع في غاية الشدة عليه صلى الله عليه وسلم لكثرة ما يلقى
عليه من الاذى خففه عنه سبحانه بقوله معللا له انا كفيناك اي بما لنا من العظمة المستهزءين
اي شر الذين هم عريقون في الاستهزاء بما جئت به فاقررنا عينك باهلاكهم وزال عنك ثقل
ما اذوك به وبقي لك اجره وسنكفيك غيرهم كما كفيناكهم ثم وصفهم بقوله الذين يجعلون مع الله اي
مع ما راوه من اياته الدالة على جلاله وعظيم احاطته وكماله الها ولما كانت المعية تفهم الغيرية
ولا سيما مع التعبير بالجعل وكان ربما تعنت منهم متعنت باحتمال التهديد على تالهه سبحانه
على سبيل التجريد او على دعائه باسم غير الجلالة لما ذكر المفسرون في قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
الاية اخر سبحانه زاد في الصراحة بنفي كل احتمال بقوله اخر قال البغوي قال ابن عباس رضي الله
عنهما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات يوم ليلة فجعل يقول في سجوده يا رحمن فقال
ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية تعني اية سبحان وتسبب
عن اخذنا للمستهزءين وكانوا اعناهم ان يهدد الباقون بقولنا فسوف يعلمون اي يحيط علمهم بشدة
بطشنا وقدرتنا على ما نريد لكون وازعا لغيرهم او يعلم المستهزءون وغيرهم عاقبة امورهم في
الدارين ولما كان صدعه صلى الله عليه وسلم بذلك على حد من المشقة عظيم وان اريح من
المستهزءين لكثرة من بقي ممن هو على مثل رايهم قال يسليه ويسخي بنفسه فيه ولقد نعلم اي نحقق
وقوع علمنا على ما لنا من العظمة انك اي على ما لك من الحلم وسعة البطان يضيق صدرك اي
يوجد ضيقه ويتجدد بما يقولون عند صدعك لهم بما تؤمر في حقك من قولهم يا ايها الذي نزل عليه
الذكر وفي حق الذي ارسلك من الشرك والصاحبة والولد وغير ذلك فسبح بسبب ذلك ملتبسا
بحمد ربك اي نزهه عن صفات النقص التي منها الغفلة عما يعمل الظالمون مثبتا له صفات الكمال
التي منها اعزاز الولي واذلال العدو وكن اي كونا جبليا لا انفكاك له من الساجدين له اي
المصلين اي العريقين في الخضوع الدايم له بالصلاة التي هي اعظم الخضوع له وغيرها من عبادته
ليكفيك ما اهمك فانه لا كافي غيره فلا ملجا الى سواه وعبر هنا بالسجود اشارة الى شرفه وما
ينبغي من الدعا فيه لا سيما عند الشدايد نحو قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وروي انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ذكره البغوي بغير سند وهو
في مسند احمد وسنن ابي داود عن حذيفة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
حزبه امر صلى وفي سنن النساي الكبرى ومسند احمد عن علي رضي الله عنه قال لقد رايتنا
ليلة بدر وما فينا انسان الا نايم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يصلي الى شجرة ويدعو
حتى اصبح وفي لفظ لاحمد لقد رايتنا وما فينا الا نايم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
يصلي ويبكي حتى اصبح ولاحمد ومسلم وابي يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولما امره بعبادة خاصة اتبعه بالعامة

فقال

فقال واعبد ربك اي دم على عبادة المحسن اليك بهذا القران الذي هو البلاغ بالصلاة
وغيرها حتى ياتيك اليقين بما ينشرح صدرك من الموت او ما يوعدون به من الساعة او غيرها
مما يود الذين كفروا معه لو كانوا مسلمين قال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان شرع
العبد في العبودية وان العبادة لا تسقط عن العبد حالا ما دام حيا انتهى وقال البغوي وهذا
معنى ما في سورة مريم عليها السلام واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فقد انطبق اخر
السورة في الامر باتخاذ القران بلاغا لكل خير والاعراض عن الكفار على اولها اتم انطباق
واعتنق كل من الطرفين الاخر والاول اي اعتناق والله الموفق ٥ ٥

سورة النحل

وتسمى سورة النعم مقصودها الدلالة على انه تعالى تام القدرة والعلم فاعل
بالاختيار منزه عن شوايب النقص وادل ما فيها على هذا المعنى امر النحل لما ذكر من شانها
في دقة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر امرها من اختلاف الوان ما يخرج منها من اعسالها
وجعله شفاء مع اكلها من الثمار النافعة والضارة وغير ذلك ووسمها بالنعم واضح في ذلك
والله اعلم بسم الله المحيط بدايرة الكمال فما شا فعل الرحمن الذي عمت نعمته جليل خلقه
وحقيره صغيره وكبيره الرحيم الذي خص من شا بنعمة النجاة مما يسخطه بما يرضاه ولما ختم
الحجر بالاشارة الى اتيان اليقين وهو صالح لموت الكل ولكشف الغطا باتيان ما يوعدون
مما يستعجلون به استهزا من العذاب في الاخرة بعد ما يلقون في الدنيا ابتدا هذه بمثل ذلك
سوا غير انه ختم تلك باسم الرب المفهم للاحسان لطفا بالمخاطب وافتتح هذه بالاسم الاعظم
الجامع لجميع معاني الاسما لان ذلك اليق بمقام التهديد ولما ستعرفه من المعاني المتنوعة
في اثنا السورة وسيكرر هذا الاسم فيها تكريرا تعلم منه صحة هذه الدعوى وعبر عن الاتي
بالماضي اشارة الى تحققه تحقق ما وقع ومضى والى ان كل ات ولا بد قريب فقال اتى امر الله
اي الملك الاعظم الذي له الاسما الحسنى والصفات العلى بما يذل الاعدا ويعز الاوليا ويشفي
صدورهم ويقر اعينهم ولما كانت العجلة نقصا قال مسببا عن هذا الاخبار فلا تستعجلوه ايها
الاعدا استهزا او ايها الاوليا استكفا واستشفا وذلك مثل ما افهمه العطف في قوله
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم كما تقدم والضمير يجوز ان يكون لله وان يكون للامر
ولما كان الجزم بالامور المستقبلة لا يليق الا عند نفوذ الامر ولا نفوذ الا لمن لا كفو له وكانت
العجلة وهي الاتيان بالشي قبل حينه الاولى به نقصا ظاهرا لا يحمل عليها الا ضيق العطن وكان
التاخير لا يكون الا عن منازع مشارك نزه نفسه سبحانه تنزيها مطلقا جامعا بقوله سبحانه اي
تنزه عن الاستعجال وعن جميع صفات النقص وتعالى اي تعاليا عظيما جدا عما يشركون اي يدعون
انه شريك له فلا مانع له مما يريد فعله وساقه في غير قراة حمزة والكسائي في اسلوب الغيبة اظهارا
للاعراض الدال على شدة الغضب وهي ناظرة الى قوله اخر التي قبلها واعرض عن المشركين وقوله الذين
يجعلون مع الله الها اخر وقد ال الامر في نظم الاية الى ان صار كانه قيل انه لا يعجل لانه منزه

عن النقص ولابد من انفاذ امره لانه متعال عن الكفو ويقال لا استعجلوه لانه تنزه عن النقص فلا يعجل
وتعالى عن ان يكون له كفو يدفع ما يريد فلابد من وقوعه فهي واقعة موقع التعليل لصدر الاية
كما ان صدر الاية تعليل لاخر الحجر ولما تقرر بذلك تنزهه عن كل نقص شرك وغيره شرع يصف نفسه
سبحانه بصفات الكمال من الامر والخلق ولما كان الامر اقوم واعلى بدا به ولما كان من امره
انزال الملايكة على الصورة التي طلبوها في قولهم لوما تاتينا بالملايكة الاية وقص عليهم في سورة
ابرهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام ما يترتب على انزالهم مجتمعين وفهم منه ان لهم في نزولهم
حالة اخرى لا ينكرها الرسل وهي حالة الاتيان اليهم بالعلم الغيبي نسبته الى الارواح نسبة
الارواح الى الاشباح وكان ذلك ربما اثار لهم اعتراضا يطلبون به الفرق بينهم وبين الرسل
في انزالهم عليهم دونهم كما تقدم في الحجر وكان ما يشركون به لا تصرف له اصلا بانزال ولا غيره قال
تعالى مشيرا الى ذلك والى ان الوحي بواسطة الملك والى ان النبوة عطا الهي لا كسبية ينزل الملايكة
الذين هم الملا الاعلى بالروح اي المعنى الاعظم الذي هو للارواح بمنزلة الارواح للاشباح من
امره الذي هو كلامه المشتمل على الامر والنهي الا له الخلق والامر وهو مما تميز بحقيقته واعجازه
عن جميع المخلوقات فكيف بما لا يعقل منها كالاصنام على من يشا من عباده دون بعض لان ذلك
نتيجة فعله بالاختيار وابدل من الروح او فسر الانزال بالوحي لانه متضمن معنى القول فقال ان
انذروا اي الناس سطواتي فانها لا محالة نازلة بمن اريد انزالها به بسبب انه لا اله الا انا
وعبر بضمير المتكلم لانه ادل على المراد لكونه اعرف وسبب عن وحدانيته التي هي منتهى كمال
القوة العلمية قوله آمرا بما هو اقصى كمال القوة العملية فاتقون اي فليشتد خوفكم مني واتخذوا
لما يكون وقاية لكم من عذابي فانه لا مانع مما اريد فمن علمت انه اهل للنقمة انزلتها به ومن
علمته اهلا لتلقي الروح منحته اياه ولما وحد نفسه دل على ذلك بقوله شارحا لايجاده اصول
العالم وفروعه على وجه الحكمة خلق السموات اي التي هي السقف المظل والارض اي التي
هي البساط المقل بالحق اي بالامر المحقق الثابت لا بالتمويه والتخييل الا له الخلق والامر ولما كان
ذلك من صفات الكمال المستلزمة لنفي النقايص وكان قاطعا في التنزه عن الشريك لانه لو كان
لزم امكان الممانعة فلزم العجز عن المراد او وجود الضدين المرادين لهما وكل منهما محال فامكان
الشريك محال ولانهما وكل ما فيهما ملكه وفي تصرفه لا نزاع لمن اثبت الالهة في ذلك تلاه بقوله نتيجة
لذلك دالة على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام تعالى اي تعاليا بالغا فات الوصف عما يشركون عودا
على افتتاحه بالتنزيه كالاولى ولما كان خلق السموات والارض غيبا لتقدمه وكان خلق
الانسان على هذه الصفة شهادة مع كونه ادل على ذلك من حيث انه اشرف من كل ما يعبده من دون
الله ولن يكون الرب ادنى من العبد اصلا قال معللا خلق الانسان اي هذا النوع الذي
خلقه ادل ما يكون على الوحدانية والفعل بالاختيار لانه اشرف ما في العالم السفلي من الاجسام
لمشاركته للحيوان الذي هو اشرف من غيره بالقوى الشريفة من الحواس الظاهرة والباطنة
والشهوة والغضب واختصاصه بالنطق الذي هو ادراك الكليات والتصرف فيها بالقياسات

من

من نطفة اي دم عليه الصلاة والسلام من مطلق الما ومن تفرع منه بعد زوجه من ما مقيد بالدفق
ولما كان مع مشاركته لغيره من الحيوان في كونه من نطفة متميزا بالنطق المستند الى ما في نفسه
من عجايب الصنع ولطايف الادراك كان ذلك ادل دليل على كمال قدرة الفاعل واختياره فقال
فاذا هو اي الانسان المخلوق من الما المهين خصيم اي منطيق عارف بالمجادلة مبين اي
بين القدرة على الخصام وموضع لما يريده غاية الايضاح بعد ان كان ما لا حس به ولا حركة
اختيارية عنده بوجه افلا يقدر الذي ابتدا ذلك على اعادته ولما صار التوحيد بذلك كالشمس
وكان كل ما في الكون مع انه دال على الوحدانية نعمة على الانسان يجب عليه شكرها شرع يعدد
ذلك تنبيها له على وجوب الشكر بالتبرؤ من الكفر فقال مقدما الحيوانات لانها اشرف من
غيرها وقدم منها ما ينفع الانسان لانه اجل من غيره مبتديا بما هو اولاها بالذكر لانه اجلها
منفعة في ضرورات المعيشة والزمها لمن انزل الذكر بلسانهم والانعام اي الازواج الثمانية
الضان والمعز والابل والبقر خلقها غير ناطقة ولا مبينة مع كونها اكبر منكم خلقا واشد قوة
ولما كان اول ما يمكن ان يلقى الانسان عادة من نعمها اللباس بدا به فقال على طريق الاستيناف
لكم فيها دفء اي ما يدفا به فيكون منه حر معتدل من حر البدن الكاين بالدثار يمنع
البرد وثنى بما يعم جميع نعمها التي منها اللبن فقال ومنافع ثم ثلث بالاكل لكونه بعد ذلك
فقال ومنها تاكلون وقدم الظرف دلالة على ان الاكل من غيرها بالنسبة الى الاكل
منها مما لا يعتد به ثم تلاه بالتجمل لانه النهاية لكونه للرجال فقال ولكم اي ايها الناس
خاصة فيها اي الانعام جمال اي عظيم ولما كان القدوم اجل نعمة وابهج من التروح قدمه
فقال حين تريحون بالعشي من المراعي وهي عظيمة الضروع طويلة الاسنمة وحين
تسرحون بالغداة من المراح الى المراعي فيكون لها في هاتين الحالتين من الحركات منها ومن
رعاتها ومن الحلب والتردد لاجله وتجاوب الثغا والرغا امر عظيم وانس لاهلها كبير ولما
كانت الاسفار بعد ذلك تلاه بقوله وتحمل اي الانعام اثقالكم اي امتعتكم من المسقة الى
بلد اي غير بلدكم اردتم السفر اليه لم تكونوا اي كونا انتم محمولين عليه قادرين على حملها اليه
وتبلغكم محلها لانقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه بغير الابل الا بشق اي بجهد ومشقة وكلفة
الانفس ويجوز ان يكون المعنى لم تبلغوه بها فكيف لو لم تكن موجودة والشق احد نصفي الشي
كانه كناية عن ذهاب نصف القوة لما يلحق من الجهد والاية من الاحتباك ذكر حمل الاثقال
اولا دليلا على حمل الانفس ثانيا وذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة الحمل اولا ولما كان
هذا كله من الاحسان في التربية ولا يسخره للضعيف الا البليغ في الرحمة وكان من الناس من له
من اعماله سبب لرضى ربه ومنهم من اعماله كلها فاسدة قال ان ربكم اي الموجد لكم والمحسن اليكم
لروف اي بليغ الرحمة لمن توسل اليه بما يرضيه رحيم اي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب ولما
كانت الانعام اكثر اموالهم مع ان منافعها اكثر بدا بها ثم ثنى بما هو دونها مرتبا على الاشرف
فالاشرف فقال والخيل اي الصاهلة والبغال اي المتولدة بينها وبين الحمير والحمير اي

الناهقة ولما كان الركوب فعل المخاطبين وهو المقصود بالمنفعة ذكره باللام التي هي الاصل في
التعليل فقال لتركبوها ولما كانت الزينة تابعة للمنفعة وكانت فعلا لفاعل الفعل المعلل نصبت
عطفا على محل ما قبلها فقال وزينة ولما دل على قدرته بما ذكر في سياق الامتنان دل على انها لا تتناهي
في ذلك السياق فنبه على انه خلق لهم امورا لو عدها لهم لم يفهموا المراد منها لجهلهم بها ولعلها اجل منافع
مما ذكر فقال ويخلق اي على سبيل التجديد والاستمرار في الدنيا والاخرة ما لا تعلمون فلا تعلمون له
موجدا غيره ولا مدبرا سواه ولما كانوا في اسفارهم واضطرابهم في المنافع بهذه الحيوانات وغيرها
يتقصدون اسهل الطرق واقومها واوصلها الي الغرض ومن عدل عن ذلك كان عندهم ضالا سخيف
العقل غير مستحق للعد في عداد النبلا نبههم على ان ما تقدم في هذه السورة قد بين الطريق
الاقوم الموصل اليه سبحانه بتكفله ببيان انه واحد قادر عالم مختار وانه هو المنعم فوجب
اختصاصه بالعبادة واخبرهم سبحانه انه اوجب هذا البيان على نفسه فضلا منه فقال وعلى اي
قد بين لكم الطريق الامم وعلى الله اي الذي له الاحاطة بكل شي قصد السبيل اي بيان الطريق
العدل وعلى الله بيان الطريق الجابر حتى لا يشك في شي منهما فان الطرق المعنوية كالحسية منها
مستقيم من سلكه اهتدي ومنها جاير من سلكه ضل عن الوصول فهلك وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هداهم الاية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالاية من الاحتباك ذكر ان عليه بيان
القصد اولا دلالة على ان عليه بيان الجاير وذكر ان من الطرق الجاير ثانيا دلالة على ان
منها المستقيم اولا وتغيير الاسلوب لبيان ان المقصود بالذات انما هو بيان المنافع ومادة
قصد تدور على العدل السوا ومنه القصد اي الاستقامة واستقامة الطريق من غير تعوج
وضد الافراط كالاقتصاد ورجل ليس بالجسيم ولا بالضئيل وذلك لا يكون الا عن ارادة وتوجه
فاطلاق القصد على العزم مستقيما كان او جايرا اذا قلت قصدته اي اتيته او اممته ونويته
من دلالة الالتزام وكذا القصد بمعنى الكسر باي وجه كان وقيل لا يقال القصد الا اذا كان بالنصف
والقصد ما تم شطر ابياته لان ذلك اعدلها لا تمامها في القاموس ثلاثة ابيات فصاعدا او
ستة عشر فصاعدا وقال الامام ابو الفتح عثمن بن جني في اخر كتابه المعرب في شرح القوافي والبيت
على ثلاثة اضرب قصيد ورمل ورجز فاما القصيد فالطويل التام والبسيط التام والكامل
التام والمديد التام والوافر التام والرجز التام والخفيف التام وهو كل ما تغني به الركبان
ومعنى قولنا المديد التام والوافر التام نريد اتم ما جا منهما في الاستعمال اعني الضربين الاولين منها
فاما ان يجيا على اصل وضعهما في دايرتهما فذلك مرفوض مطرح والقصيد المخ السمين او دونه
والعظم المخ والناقة السمينة بعانق والسمين الاسنمة لان هذا الحال استقامة كل ما ذكر وكذا
القاصد القريب وبيننا وبين الماء ليلة قاصد اي هينة السير لانه اقرب الي الاستقامة ومنه قصدت
كذا اذا اعتمدته واممته وتوجهت اليه سوا كان ذلك عدلا او جورا وانقصد الرمح اذا انكسر
على السوا كانه مطاوع قصده والواحدة من تلك الكسر قصده بالكسر ورمح قصد ككتب متكسر
والقصد بالتحريك العوسج لانه سريع التكسر والجوع للجايع قاصد لما يا كل متوجه اليه والقصدة

سٰرة الاعصا العضا تخرج في ايام الخريف لدنة تنثني في اطراف الاغصان وهي خوصة تخرج فيها
وفي كثير من الشجر في تلك الايام او هي الاغصان الرطبة قبل ان تتلون بلون وتشتد سميت بذلك
لخروجها وتوجهها الى منظر العين او توجه النظر اليها للسرور بها والقصيد العصي لانها تقصد
ويقصد بها واقصد السهم اصاب فقتل مكانه واقصد فلانا طعنه فلم تخطيه والحية لدغت فقتلت
ممكن ان يكون ذلك من الاستقامة لان قصد فاعله القتل فكانه استقام قصده بنفوذه ويمكن
ان يكون من السلب لانه ازال الاستقامة لان من مات فقد زالت استقامة حياته ومنه المقصد
لمخرج وهو من يمرض ويموت سريعا والقصد بمعنى اليابس من اللحم فعيل بمعنى مفعل اي اقصد
فزالت استقامته بان هلك جفافا ويبسا والصدق ضد الكذب وهو من اعدل العدل
واقوم القصد والصدق الشدة اذ بها يمتحن الصادق من الكاذب ومنه رجل صدق اي يصدق
ما يعزم عليه او يقوله بفعله فهو شديد العزم شديد الامر والصديق كامير الحبيب الذي يصدق
في قوله في الحب بفعل وللصادقة والصداق بالكسر المخالة كالتصادق والصيدق كصيقل
الامين لانه مصدق في قوله والملك لان محله يقتضي الصدق لعدم حاجته الي الكذب والقطب
لانه اصدق النجوم دلالة لثباته وقال ابو عبد الله القزاز هو اسم للسها وهو النجم الخفي الذي
مع بنات نعش والصدق بالفتح الصلب المستوي من الرماح لانه يصدق ظن الطاعن فيه
وكذا من الرجال والكامل من كل شي ورجل صدق اللقا والنظر ومصداق الشي ما يصدقه وتجاع
ذو مصدق كثير صادق الحملة اي شديدها والصدقة محركة ما اعطيته في ذات الله لانها
تصدق دعوي الايمان لدلالتها على شدة العزم فيه والصدقة بضم الدال وسكونها مهر
المراة لانه يصدق العزم فيه وكسكيت الكثير الصدق وصدقت الله حديثا ان لم افعل كذا يمين
لهم اي لا صدقت وفعله غب صادقه اي بعد ما تبين له الامر وصدقه تصديقا ضد كذبه
والوحشي عدا ولم يلتفت لما حمل عليه والمصدق لمحدث اخذ الصدقات والمتصدق معطيها
ولما كان اكثر الخلق ضالا كان ربما توهم متوهم انه خارج عن الارادة فنفي هذا التوهم بقوله عطفا
على ما تقديره فمن شا هداه قصد السبيل ومن شا اسلكه الجاير وهو قادر على ما يريد من الهداية
والاضلال ولو شا هدايتكم لهداكم اجمعين بخلق الهداية في قلوبكم بعد بيان الطريق القصد
ولكنه لم يشا ذلك فجعلكم قسمين ولما كان ما مضي كفيلا ببيان انه الواحد المختار شرع يوضح ذلك
بتفصيل الايات ايضاحا يدعه في اتم انكشاف في سياق معدد للنعم مذكر بها داع الي شكرها
فقال بعدما دل به من ان الانسان وما يليه في الشرف من الحيوان مبتديا بما يليهما في الشرف من
النبات الذي هو قوام حياة الانسان وما به قوام حياته من الحيوان هو لا غيره مما يدعي فيه
الالهية الذي انزل اي بقدرته الباهرة من السما قيل نفسها وقيل جهتها وقيل السحاب
كما هو مشاهد ما اي واحدا تحسونه بالذوق والبصر لكم منه اي خاصة شراب ظاهر على
وجه الارض من العيون والانهار والغدران وغيرها ولما كان اول ما يغتذي الادمي اللبن الناشي
عن الماء قدمه اتبعه ما ينشا منه اشرف اغذيته وهو الحيواني فقال ومنه شجر لسريانه في

الارض الواحدة واختلاطه بها فينعقد من ذلك نبات فيه تسيمون اي ترعون على سبيل الاطلاق
ليلا ونهارا ما خلق لكم من البهايم والشجر هنا بافهمته الاسامة عام لما يبقى في الشتا حقيقة ولغيره
مجازا قال القزاز الشجر ما بقي له ساق في الشتا الى الصيف ثم يورق والبقل ما لا يبقى له ساق
قال الخليل جل الشجر عظامه وما يبقى منه في الشتا ودقه صنفان احدهما تبقى له ارومة في الارض
في الشتا وينبت في الربيع ومنه ما ينبت من الارض كما تنبت البقلة والفرق بينه وبين البقل
ان الشجر يبقى له ارومة على الشتا ولا يبقى للبقل وعن ابي حنيفة ان النبات ثلاثة اقسام
شجر وهو ما يبقى في الشتا ولا يذهب فرعه ولا اصله وما نبت في بزر ولم ينبت في ارومة ثابتة
فهو البقل وما نبت في ارومة اي اصل وكان مما يهلك فرعه في الشتا فهو الجنبة لانه فارق
الشجر الذي يبقى فرعه واصله والبقل الذي يبيد فرعه واصله فكان جنبة بينهما ولما كان
الشجر عاما شرع سبحانه يفصله تنويعا للنعم وتذكيرا بالتفاوت اشارة الى ان الفعل
بالاختيار فقال مبتديا بالانفع فالانفع في القوتية والايتدام والتفكه ينبت اي هو سبحانه
لكم اي خاصة به مع كونه واحدا في ارض واحدة الزرع الذي تشاهدونه من اقل الشجر مكثا
واصغره قدرا والزيتون الذي ترونه من اطول الاشجار عمرا واعظمها قدرا ولما كانت المنافع
كثيرة في شجر التمر سماه باسمه فقال والنخيل ولما كانت المنفعة في الكرم بغير ثمرته تافهة قال
والاعناب وهما من اوسط ذلك ومن كل الثمرات واما كلها فلا يكون الا في الجنة وهذا الذي
في الارض بعض من ذلك الكل يذكر به ومشوق اليه ان في ذلك اي الامر العظيم المحدث عنه دعوه
اوفي انزاله على الصفة المذكورة لاية بينة على ان فاعل ذلك تام القدرة يقدر على الاعادة
كما قدر على الابتدا وانه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريده ولما كان ذلك مما يحسن وكان
شغل الحواس بمنفعته لقربه وسهولة ملابسته ربما شغل عن الفكر في المراد به فكان التفطن
لدلالته يحتاج الى فضل تامل ودقة نظر قال تعالى لقوم يتفكرون اي في ان وحدته وكثرة
ما يتفرع عنه دليل على وحدة صانعه وفعله بالاختيار وافرد الاية لوحدة المحدث عنه وهو
الما كما قال تعالى في اية تسقى بما واحد وسياتي في اية النحل كلام الامام ابي الحسن الحرالي في هذا
وقال الامام ابو جعفر بن الزبير هذه السورة في التحامها بسورة الحجر مثل الحجر بسورة ابرهيم من
غير فرق لما قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال بعد ذلك في وعيد المستهزئين
فسوف يعلمون اعقب هذا ببيان تعجيل الامر فقال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وزاد هذا بيانا
قوله سبحانه وتعالى عما يشركون فنزه سبحانه نفسه عما فاهوا به في استهزايهم وشركهم وعظيم
بهتهم واتبع ذلك تنزيها وتعظيما فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم اتبع
ذلك بذكر ابتدا خلق الانسان وضعف جبلته خلق الانسان من نطفة ثم ابلغه تعالى حدا يكون
فيه الخصام والمحاجة كل ذلك ابتلا منه واختبارا ليميز الخبيث من الطيب واعقب هذا بذكر بعض
الطافه في خلق الانعام وما جعل فيها من المنافع المختلفة وما هو سبحانه عليه من الرافة والرحمة اللتين
بهما اخر العقوبة عن مستوجبها وهدى من لم يستحق الهداية بذاته بل كل هداية فبرافة الخالق

ورحمته ثم اعقب ما ذكره بعد من خلق الخيل والبغال والحمير وما في ذلك كله بقوله ولو شا لهداكم
اجمعين فبين ان كل الواقع من هداية وضلال خلقه وفعله وانه اوجد الكل من واحد وابتداهم
ابتدا واحدا لخلق الانسان من نطفة فلا يبعد في اختلاف غايا تهم بعد ذلك فعدا انا سبحانه مثل
هذا الفعل ونظيره في قوله هو الذي انزل من السما ما لكم منه شراب ومنه شجر الى قوله لاية لقوم
يتفكرون انتهى ولما كان ربما قال بعض الضلال ان هذه الاشيا مستندة الى تاثير بعض الافلاك
نبه على انها لا تصلح لذلك بكونها متغيرة فلا بد لها من قاهر اثر فيها التغير ولا يزال الامر كذلك
الى ان ينتهي الى واحد قديم فاعل بالاختيار لما تقرر من بطلان التسلسل فقال تعالى وسخر
لكم اي ايها الناس لاصلاح احوالكم الليل للسكنى والنهار للابتغا ثم ذكر اية النهار فقال
والشمس اي لمنافع اختصاصها ثم اية الليل والقمر لامور علقتها به والنجوم اي لايات نصبها لها
ثم نبه على تغيرها بقوله مسخرات اي بانواع التغير لما خلقها له على اوضاع دبرها بامره سببا
لصلاحكم وصلاح ما به قوامكم دلالة على وحدانيته وفعله بالاختيار ولو شا لاقام اسبابا غيرها
او اغنى عن الاسباب ولما كان امرها مع كونه محسوسا ليس فيه من المنافع القريبة الامر السهلة
الملابسة ما يشغل عن الفكر فيه لم يحل امره الى غير مطلق العقل اشارة الى وضوحه وان كان لا بد
فيه من استعمال القوة المفكرة ولان الاثار العلوية ادل على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبريا
والعظمة فقال ان في ذلك اي التسخير العظيم لايات اي كثيرة متعددة عظيمة لقوم يعقلون
وجمع الايات لظهور تعدادها بالتحريث عنها مفصلة ولما كان ما مضى موضعا للتفكر المنتج
للعلم بوحدة الصانع واختياره وكان التفكر في ذلك مذكرا بما بعده من سر التفاوت في اللون الذي
لا يمكن ضبط اصنافه على التحرير وكان في ذلك تمام ابطال القول بتاثير الافلاك والطبايع
لان نسبتها الى جميع اجزا الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة قال تعالى عطفا على الليل
وما ذرا اي خلق وبث وفرق من التراب والما لكم اي خاصة فاشكروه واعلموا انه ما خصكم
بهذا التدبير العظيم الا لحكم كبيرة اجلها اظهار جلاله يوم الفصل في الارض اي بما ذكر ومن
غيره حال كونه مختلفا الوانه حتى في الورقة الواحدة فترى احد وجهيها او بعضه في غاية
الحمرة والاخر في غاية السواد او الصفرة ونحو ذلك فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول
هذا التفاوت في الاثار فعلم قطعا انه انما هو قادر مختار ولم يذكر اختلاف الصور لانه
دلالتها لاجل اختلاف اشكال النجوم من السما وصور الجبال والروابي والوهاد من الارض
ليست على ابطال الطبيعة كدلالة اختلاف اللون ولما كان ذلك وان كان خارجا عن الحصر في
الانتشار واحدا من جهة كونه لونا وحد الاية فقال ان في ذلك الذي ذراه في هذه الحال على
هذا الوجه العظيم لاية ولما نبه في التي قبلها على ان الامر وصل في الوضوح الى حد لا يحتاج معه
الى غير بديهة العقل نبه هنا على ان ذلك معلوم طرا عليه النسيان والغفلة حثا على بذل الجهد
في تامل ذلك واشارة الى ان دلالته على المقصود في غاية الوضوح فقال لقوم يذكرون ولو لم يمعنوا
بما افاده الادغام والتذكر طلب المعنى بالتفكر في متعلقه فلا بد من حضور معنى يطلب به غيره وقد

ورتب سبحانه ذلك ابدع ترتيب فذكر الاجسام المركبة عموما ثم خص الحيوان ثم مطلق الجسم
النامي وهو النبات ثم البسايط من الماء ونحوه ثم الاعراض من الالوان ولما دل على قدرته
واختياره سبحانه وتعالى دلالة على القدرة على كل ما اخبر به لاسيما الساعة بخلق السموات
والارض الذي هو اكبر من خلق الناس ثم ذكر بعض ما في المكشوف من الارض المحيط به الهواء من
التفاوت الدال على تفرد الصانع واختياره وختمه باللون اتبع ذلك بالمغمور بالماء الذي
لا لون له في الحقيقة اشارة الى انه ضمنه من المنافع والحيوانات التي لها من المقادير والكيفيات
والاشكال والالوان البديعة والخطيط الغريبة الصنايع ما هو ادل من ذلك فقال وهو
اي لا غيره الذي سخر البحر اي ذلله وهيأه لعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر وغير ذلك
من المنافع وللمراد به السبعة الابحر الكاينة في الربع المرتفع عن الماء وهو المسكون من كرة الارض
المادة من البحر المحيط العام لثلثة ارباع الارض فجعله بالتسخير بحيث يتمكن الناس من الانتفاع
به بالركوب والغوص وغيرهما لتاكلوا منه اي بالاصطياد وغيره من لحوم الاسماك لحما طريا
لا تحوانه منه ولا البن وهو ارطا اللحوم فيسرع اليه الفساد فيبادر الى اكله عذبا لذيذا
مع نشئه في ملح زعاف وتستخرجوا منه اي بجهدكم في الغوص وما يتبعه حلية تلبسونها اي
نساوكم وهن بعضكم فكان اللابس انتم وهي من الحجارة التي لا ترى اصلب منها ولا اصفى من اللؤلؤ
وكذا من المرجان وغيره مع نسبة هذا الصلب وذاك الطري الى الما فلو انه فاعل بطبعه
لاستويا ولما ذكر المنافع العامة مخاطبا لهم بها وكان البحر وهو ان تجري السفينة مستقبلة
الريح تشق الما تقسم لجريها صوت معجب وذلك مع الحمل الثقيل اية عظيمة لا يتاملها الا ارباب
القلوب خص بالخطاب اعلى اولي الالباب ومن قاربه في ابتغا الصواب فقال وترى الفلك
ولما كان النظر الى تعداد النعم هنا اتم منه في سورة فاطر قدم المخر في قوله مواخر فيه اي
جواري تشق الما مع صوت لتركبوها فتستدلوا بعدم رسوبها فيه مع ثقلها ورقته وشدة
لطافته على وحدانية الاله وقدرته ولما علل التسخير بمنفعة البحر نفسه من الاكل وما تبعه
عطف على ذلك النفع به فقال ولتبتغوا اي تطلبوا طلبا عظيما بركوبه من فضله اي الله بالتوصل
بها الى البلدان الشاسعة للمتاجر وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم التي انتم عاجزون
عنها لولا تسخيره والمخر شق الما عن يمين وشمال وهو ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها
وقد ابتدي فيه بما يغوص تارة ويطف اخرى بالاختيار وثني بما طبعه الرسوب وثلث بما من
طبعه الطفوف ولما ذكر الاغوار الهابطة الضابطة للبحار اتبعها الانجاد الشداد التي
هي كالاوتاد تذكيرا بما فيها من النعم فقال والقى في الارض اي وضع فيها وضعا كانه قذفه
فيها قذفا جبالا رواسي ماسكة لها مرسية لنواحيها كراهة ان تميد اي تميل مضطربة يمينا
وشمالا اي فيحصل لكم الميد وهو دوار يعتري راكب البحر بكم فهي ثابتة لاجل ذلك الالقاء اقتضابها
بالكره المتحرك ولما ذكر الاوهاد واتبعها الاوتاد تلاها بما تنحره غالبا منها عاطفا على رواسي
لما تضمنه العامل من معنى جعل فقال وانهارا وادل دليل على ثبات الارض ما سبقها من ذكر البحار

ولحقها من الحديث عن الانهار فانها لو تحركت ولو بمقدار شعرة في كل يوم لاغرقت البحار من الى
جانب الانخفاض وتعاكست مجاري الانهار فعادت منافعها اشد المضار ولو زادت البحار
بما انصب فيها الانهار على مر الليل وكر النهار لاغرقت الارض ولكنه تعالى دبر الامر بحكمته تدبيرا
تعجز عن الاطلاع على كنهه افكار الحكما بان سلط حرارة الشمس على الارض في جميع مدة الصيف
وبعض غيره من الفصول فسرت في اغوارها فحميت اعماقها في الشتا فاسخنت مياه البحار وغيرها
فتصاعدت منها بخارات كما يتصاعد من القدر المغلي بقدر ما صب فيها الانهار فانعقدت تلك
البخارات في الجو مياها مادبرت فنزل منها المطر فاحيي الارض بعد موتها وتخلل اعماقها منه
ما شا الله فامد الانهار ولذلك تزيد بزيادة المطر وتنقص بنقصه وهكذا في كل عام فاوجب ذلك
بقا البحر على حاله من غير زيادة فسبحان المدبر الحليم العزيز العليم ولما ذكر ذلك اتبعه ما يتوصل
به الى منافع كل منه فقال وسبلا ولما كانت الجبال والبحار والانهار دالة على السبل الحسية
والمعنوية قال لعلكم تهتدون اي يحصل لكم الاهتدا فتهتدوا الى مقاصدكم ولما كانت
الادلة في الارض غير محصورة فيها قال وعلامات اي من الجبال وغيرها جمع علامة وهي
صورة يعلم بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون علامة وضعية وقد تكون
برهانية ولما كانت الدلالة بالنجم انفع الدلالات واعمها واوضحها برا وبحرا ليلا ونهارا واتبعه
على عظمها بالالتفات الى مقام الغيبة لافهام العموم لئلا يظن ان المخاطب مخصوص وان الامر
لا يتعداه فقال وبالنجم هم اي اهل الارض كلهم واولى الناس بذلك اول المخاطبين وهم قريش
ثم العرب كلها لفرط معرفتهم بالنجوم يهتدون وقدم الجار تنبيها على ان دلالة غيره بالنسبة
اليه سافلة ولما لم يبق بذكر الدلايل على الوحدانية على الوجه الاكمل والترتيب الاحسن والنظم
الابلغ شبهة في ان الخالق انما هو الله لما ثبت من وحدانيته وتمام علمه وقدرته وكمال حكمته
لجعله تلك الدلايل نعما عامة ومننا تامة مع اتضاح العجز في كل ما يدعون فيه الالهية من دونه
واتضاح انه سبحانه في جميع صنعه مختار للمفاوتة في الوجود والكيفيات بين ما لا يقتضي
للتفاوت فيه غير الاختيار فثبت بذلك انه قادر على الاتيان بما يريد قال مسببا عن ذلك افمن
يخلق اي يجدد ذلك بحيث اراد ومتى اراد فلا يمكن عجزه بوجه لتمكن شركته كمن شركته ممكنة
وهو اصلح لك بسبب انه لا يخلق اي لا يقع ذلك منه وقتا ما من الاصنام وغيرها في العجز
عن الاتيان بما تقوله المستلزم لان يكون ممكنا مخلوقا ولو كان التشبيه معكوسا كما قيل لم
يفد ما افاده هذا التعبير من الابلاغ في ذمهم بانزال الاعلى عن درجته وعبر بمن لانهم سموها
الهة وانهوا امرها ان تكون عاقلة فاذا انتفى عنها وصف الالهية معه لعدم القدرة على شي
انتفى بدونه من باب الاولى ولما تسبب عن هذه الادلة انكار تسويتهم الخالق بغيره في العجز
سبب عن هذا الانكار انكار تذكرهم حثا على التذكر المفيد لترك الشرك فقال افلا تذكرون
بما تشاهدونه من ذلك ولو من بعض الوجوه بما افاده الادغام لتذكروا ما يحق اعتقاده ولما
كانت المقدورات لا تحصر واكثرها نعم على العباد مذكرة لهم بما الفهم قال ممتنا عليهم باحسانه

من غير سبب منهم وان تعدوا اي كلكم نعمة الله اي انعام الملك الاعظم الذي لارب غيره عليكم
وان كان في واحدة فان شعبها تفوت الحصر لا تحصوها اي لا تضبطوا اعدادها ولا تبلغه طاقتكم
مع كفرها واعراضكم جملة عن شكرها فلو شكرتم لزادكم من فضله ولما كانوا مستحقين لسلب النعم
بالاعراض عن التذكر والعمى عن التبصر اشار الى سبب ادرارها فقال ان الله اي الذي له صفات
الكمال لغفور رحيم فلذلك هو يدر عليكم نعمه وانتم منهمكون فيما يوجب نقمه ولما جرت العادة بان
المكفور احسانه يبادر الى قطعه عند علمه بالكفر فكان ربما توهم متوهم ان سبب مواترة الاحسان
عدم العلم بالكفران او عدم العلم بكفران لا يدخل تحت المغفرة قال ممهدا ابرز الضمير بالاسم
الاعظم الذي ينبت عليه السورة للفصل بالفرق بين الخالق وغيره وليلا يتوهم تقيدا لتهديد
بحيثية المغفرة ايما الى ان ذلك نتيجة ما مضى والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات
الاكرام والانتقام يعلم اي على الاطلاق ما تسرون اي كله ولما كان الاسرار ربما حمل على حالة الخلو
فلم يكن علمه دالا على الاعلان قال وما تعلنون ليعلم مقدار المضاعفة لموجبات الشكر وقبحة الكفر
واما الاصنام فلا تعلم شيا فلا اسفه ممن عبدها ولما اثبت لنفسه تعالى كمال القدرة وتمام العلم
وانه المنفرد بالخلق شرع يقيم الادلة على بعد ما يشركونه به من الالهية بسلب تلك الصفات فقال
والذين تدعون اي دعا عبادة من دون الله اي الذي له جميع صفات الكمال لا يخلقون شيا
ولما كان ربما ادعى مدع في شي انه لا يخلق ولا يخلق قال وهم يخلقون ولما كان من المخلوقات الميت
والحي وكان الميت ابعد شي عن صفة الاله قال نافيا عنها الحياة بعد ان نفى القدرة والعلم المستلزم
لان تكون عبدتها اشرف منها المستلزم لانهم بخضوعهم لها في غاية السفه اموات ولما كان الوصف
قد يطلق على غير المتلبس به مجازا عن عدم نفعه بضده وان كان قايما به عن بقائه قال غير احيا
مبينا ان المراد بذلك حقيقته سلب الحياة على ضد ما عليه الله الاله الحق من كونه حيا لا يموت
ولعله اقتصر على وصفهم مع انهم موات بانهم اموات لان ذلك مع كونه كافيا في المقصود من السياق
وهو ابعادهم عن الالهية يكون صالحا لكل مخلوق ادعى فيه الالهية وان اتصف بالحياة لان حياته
زايلة يعقبها الموت ومن كان كذلك كان بعيدا عن صفة الالهية ولما كانوا مع علمهم بان الاصنام حجارة
لا حياة لها يخاطبون من اجوافها بالسنة الشياطين كما هو مذكور في السير وغيرها من الكتب المصنفة
في هواتف الجان فصاروا يظنون لها علما بهذا الاعتبار ولذلك كانوا يظنون انها تضر وتنفع احتيج
الى نفي العلم عنها ولما كانوا يخبرون على السنتها ببعض ما يسترقونه من السمع فيكون كما اخبروا لم ينف
عنهم مطلق العلم بل نفي ما لا علم لاحد غير الله به لانهم لا يخبرون عنه بخبر الا بان كذبه فقال تعالى عادا
البعث عداد المتفق عليه وما يشعرون اي في هذا الحال كما هو مدلول ما ايان اي اي حين يبعثون
فنفى عنهم مطلق الشعور الذي هو اعم من العلم فينتفي بنفيه كل ما هو اخص منه ولما كانت ادلة البعث قد
ثبت قبا بها وانفتحت اعلامها وعلا منارها وانتشرت انوارها سابق الكلام فيها مساق ما لا خلاف
الا في العلم بوقته مع الاتفاق على اصله لانه من لوازم التكاليف ولما اتضح بذلك كله عجز شركايهم اشار
الى ان منشا العجز قبول التعدد ارشادا الى برهان التمانع فقال على طريق الاستيناف لانه نتيجة

مامضى الهكم اي ايها الخلق كلهم المعبود بحق اله اي متصف بالالهية على الاطلاق بالنسبة الى كل احد
وكل زمان وكل مكان واحد لا يقبل التعدد الذي هو مثار النقص بوجه من الوجوه لان التعدد يستلزم
امكان التمانع المستلزم للعجز المستلزم للبعد عن رتبة الالهية فالذين اي فتسبب عن هذا ان الذين
لا يومنون بالاخرة اي دار الجزا ومحل اظهار الحكم الذي هو ثمرة الملك والعدل هو مدار العظمة
قلوبهم منكرة اي جاهلة بانه واحد لما لها من القسوة لاشتباه الامر لما تقدم في هود من ان مادة نكر
تدور على القوة وهي تستلزم الصلابة فتاتي القسوة وهم اي والحال انهم بسبب انكار الاخرة
مستكبرون اي صفتهم الاستكبار عن كل ما لا يوافق اهواهم وهو طلب الترفع بالامتناع من قبول
الحق انفة من اهله فصاروا بذلك الى حد يخفى عليهم معه الشمس كما قال تعالى ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون وبما دل مستكبرون على ان منكرة بمعنى جاحدة ما هي به عارفة ولما
كانوا لكون الانسان اكثر شي جدلا ربما انكروا الاستكبار وادعوا انه لو ظهر لهم الحق لاتبعوا قال
على طريق الجواب لمن كانه قال انهم لا يابون استكبارا ما لا يشكون معه في ان هذا كلام الله لا جرم
اي لا ظن في ان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما يعلم علما غيبيا وشهاديا ما يسرون اي يخفون
مطلقا او بالنسبة الى بعض الناس ولما كان علم السر لا يستلزم علم الجهر كما مضى غير مرة قال وما
يعلنون فهو ما اخبر بذلك الا عن امر قطعي لا يقبل المرا ولما كان في ذلك معنى التهديد لان المراد
فليجازينهم على دق ذلك وجله من غير ان يغفر منه شيا كما سياتي التصريح به في قوله ليحملوا اوزارهم
كاملة علل هذا المعنى بقوله انه اي العالم بالسر والعلن لا يحب المستكبرين اي على الحق كاينا ما كان
ولما كان الطعن في القران بما ثبت من عجزهم عن معارضته دليل الاستكبار قال تعالى عاطفا على
قلوبهم منكرة واذا قيل اي من اي قايل كان في اي وقت كان ولو تكرر لهم اي لمنكري الاخرة ماذا
اي اي شي انزل ربكم اي المحسن اليكم المدبر لاموركم قالوا مكابرين في انزاله عادين ذا موصولة
لا موكدة للاستفهام الذي تعنون انه منزل ليس بمنزل لا بل هو اساطير الاولين مع عجزهم بعد
تحديهم عن معارضة سورة منه مع علمهم بانهم افصح الناس وانه لا يكون من احد من الناس متقدم
او متاخر قول الا قالوا ابلغ منه ولما كان الكتاب هو الصراط المستقيم المنقذ من الهلاك وكان قولهم
هذا صدا عنه فكان مع كونه ضلالا اضلالا ومن المعلوم ان من ضل كان عليه اثم ضلاله ومن اضل
كان عليه وزر اضلاله وهذا ما لا يخفى على ذي عقل صحيح فلما كان هذا بينا وكانوا يدعون انهم ابصر
الناس بالخفيات فكيف بالجليات حسن جدا قوله ليحملوا اي انهم يعلمون ان هذا لازم لهم قطعا
وان تعالوا بالسنتهم غيره او يقال انه قيل ذلك لانه مع ان الجهل اولى بهم منه اخف لحوالهم لانهم
اما ان يعلموا انهم فعلوا بهذا الطعن ما ليس لهم او لا فعلى الثاني هم اجهل الناس وعلى الاول فاما ان
يكونوا ظنوا انهم يوخذون به او لا فعلى الثاني يكون الخلق سدى وليس هو من الحكمة في شي فمعتقد
هذا من الجهل بمكان عظيم وعلى الاول فهم يشاهدون كثيرا من الظلمة لا يجازون في الدنيا فيلزمهم
في الحكمة اعتقاد الاخرة ليجازى بها المحسن والمسي وهذا اخف الاحوال المتقدمة ولا يخفى ما في
الاقدام على مثله من الغباوة المناقضة لادعايهم انهم ابصر الناس فعاد آل الامر الى التهكم بهم لانهم

يسعوا الى علم الجهل خبرونه اوزارهم التي باشروها لنكوبهم عن الحق تكبرا لاعن شبهة ولما كان الله
من فضله يكفر عن اهل الايمان صغايرهم بالطاعات وباجتناب الكبايرفكان التكفير مشروطا
بالايمان وكان هولا قد كفروا بالتكذيب بالكتاب قال كاملة لاينقص منها وزرتي مما
اسروا ولاما اعلنوا الخفا ولاذهول بتكفير ولاغيره من دون خلل في وصف من الاوصاف فهو ابلغ
من تامة لان التمام قد يكون في العدة مع خلل في بعض الوصف يوم القيمة الذي لاشك فيه
ولا محيص عن اتيانه و ليحملوا من مثل اوزار الجهلة الضعفا الذين يضلونهم فيضلون بهم
كانهم اولئك الذين ضلوا بغير علم يحملون من اوزارهم من غيران يباشروها المالهم فيها من
التسبب من غير ان ينقص من اوزار الضالين بهم شي وان كانوا جهلة لان لهم عقولا هي بحيث
تهدي الى سوال اهل الذكر وفطرا اولي تنفر من الباطل اول ما يعرض عليها فضيعوها ثم
استانف التنبيه على عظم ما يحصل لهم من مرتكبهم من الضرر وعيد الهم فقال الا سا ما يزرون
فادخل همزة الانكار على حرف النفي فصار اثباتا على ابلغ وجه ولما كان المراد من هذا الاستكبار
محو الحق واخفا امره من غير تصريح بالعناد بل مع اقامة شبه ربما راجت وان اشتد
ضعفها على عقولهم اضعف منها وكان هذا حقيقته المكر التي هي التغطية والستر كما بين في الرعد
عند قوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم شرع يهدد الماكرين ويحذرهم وقوع ما وقع بمن كانوا
اكثر منهم عددا واقوي يدا ويرجي المومنين في نصرهم عليهم بماله من عظيم القوة وشديد السطوة
فقال قد مكر الذين ولما كان المقصود بالاخبار اناسا مخصوصين لم يستغرقوا زمان القبل
ادخل الجار فقال من قبلهم ممن داروا اثارهم ودخلوا ديارهم فاتي الله اي بما له من مجامع العظمة
بنيانهم اي اتيان باس وانتقام من القواعد التي بنوا عليها مكرهم فخر اي سقط مع صوت
عظيم لهدته عليهم السقف ولما كانت العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حايط اذا
كان يملكه وان لم يكن وقع عليه كما نقله ابوحيان عن ابن الاعرابي قال تعالي صرفا عن هذا
الى حقيقة السقوط المقيد بالجار من فوقهم وكانوا تحته فهلكوا كما هو شان البنيان اذا
زالت قواعده ولما كان المكر هو الضر في خفية لانه القتل بالحيلة الخفية منكرة بين ان
ما حصل لهم من العذاب هو من باب فعلوا بقوله واتاهم العذاب اي الذي اتفقت كلمة الرسل
على الوعيد به لمن ابى من حيث لا يشعرون لان السبب الذي اعدوه لنصرهم كان بعينه
سبب قهرهم وهذا على سبيل التمثيل وقيل انه على الحقيقة فيما بناه نمرود من الصرح
ذكر قصة من التوراة قال في السفر الاول منها في تعداد اولاد نوح عليه الصلاة والسلام
وكوش يعني ابن حام بن نوح ولد نمرود وكان اول جبار في الارض وهو كان مخوفا ذا صيد
بين يدي الرب ولذلك يقال هذا مثل نمرود الجبار القنا فكان مبدا ملكه بابل واكرين والاهواز
والكوفة التي بارض شنعار ومن تلك الارض خرج الموصلي فابتنى نينوي ورحبوت القرية
وفي نسخة وقرية الرحبة والايله والمداين ثم قال بعد ان عد احفاد نوح عليه الصلاة والسلام
وهما لكم هولا قبايل بني نوح واولادهم وخلوقهم وشعوبهم ومن هولا تفرقت الشعوب في الارض

بعد

بعد الطوفان وان اهل الارض كلهم كانت لغتهم واحدة ومنطقهم واحدا فلما ظعنوا في المشرق
انتهوا الى قاع في ارض شنعار وفي نسخة العراق فسكنوه فقال كل امرء منهم لصاحبه هلم بنا
نلبن اللبن ونحرقه بالنار فيصير اللبن مثل الحجارة ونصير الجص بدل الطين للملاط ثم قال
هلموا نبني لنا قرية نتخذ هلو صرحا مبتدا لاحقا بالسما ونخلف لنا شيا نذكر به لعلنا ان لا
نتفرق على الارض كلها فنظر الرب القرية والصرح الذي يبنيه الناس فقال الرب اني اري
هذا الشعب رايهم واحدا ولغتهم واحدة وقد هموا ان يصنعوا هذا الصنيع فهم الان غير
مقصرين فيما هموا ان يفعلوه فلاورد امرا اشتت به لغتهم حتى لا يفهم المرء منهم لغة صاحبه ثم
فرقهم الرب من هنالك على وجه الارض كلها ولم يبنوا القرية التي هموا ببنايها ولذلك سميت
بابل لان هنالك فرق الرب لغة اهل الارض كلها انتهى قال لي بعض علما اليهود ان بابل تعرب
بوبال ومعنى بوبال بالعبراني الشتات هذا ما في التوراة واما المفسرون فانهم ذكروا ان
الصرح بني على هيئة طويلة في الطول والاحكام وان الله تعالى هدمه فكانت له رجة تفرقت
لعظم هولها لغة اهل الارض الى انحا كثيرة لايحصيها الا خالقها فالله اعلم ولما بين سبحانه
حال المكر المتمردين عليه في الدنيا اخذ يذكر حالهم في الاخرة تعزيرا للاخرة وبيانا لان عذابهم
غير مقصور على الدنيوي فقال ثم يوم القيمة يخزيهم اي الله الذي فعل بهم في الدنيا ما تقدم خزيا
يشهده جميع الخلايق الوقوف في ذلك اليوم فيحصل لهم من الذل جزا على تكبرهم ما يجل عن الوصف
وعظمه ثم لاستبعادهم له ولما له من الهول والعظمة التي يستصغر لها كل هول ويقول اي
لهم في ذلك الجمع تبكيتا وتوبيخا اين شركاي على ما كنتم تزعمون واضاف سبحانه الى نفسه
المقدس لانه اقطع في توبيخهم وادل على تناهي الغضب الذين كنتم اي كونا لا تنفكون عنه
تشاقون فيهم اوليايي فيكونون بمخالفتهم في شق غير شقهم فيخضعون لما لا ينبغي الخضوع له
وتتكبرون على من لا ينبغي الاعراض عنه ما لهم لا يحضرونكم ويدفعون عنكم في هذا اليوم وقري
بكسر النون لان مشاقة المامور مشاقة الامر ولما كان المقام للجلال والعظمة المستلزم
لزيادة الهيبة التي يلزم عنها غالبا خرس المخزي عن جوابه لو كان له جواب وكان من اجل
المقاصد في تعذيبهم العدل بتفريح الاوليا واشماتهم بهم جزاما كانوا يعملون بهم في الدنيا
وكانت الشماتة اعلى محبوب الشامت واعظم مرهوب للمشموت فيه واعظم مسل للمظلوم
دل على سكوتهم رعبا عن المبادرة بالجواب بتاخير الخبر عنه وتقديم الخبر عن شماتة اعدايهم
فيهم في سياق الجواب عن سوال من قال هل علم بذلك المومنون فقيل قال الذين ولما كان
العلم ملزوما للعامل مطلقا بني للمفعول قوله اوتوا العلم اي انتفعوا به في سلوك النجاة من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ومن اطاعهم من اممهم اشارة الى ان الهالك يصح سلب العلم عنه وان كان اعلم
الناس وعدل عن ان يقول اعداوهم او المومنون ونحوه اجلالا لهم بوصفهم بالعلم الذي هو
اشرف الصفات لكونه منشا كل فضيلة وتعريضا بان الحامل للكفار على الاستكبار الجهل
الذي هو سبب كل رذيلة ان الخزي اي البلا المذل اليوم اي يوم الفصل الذي يكون للفاجر

فيه العاقبة المامونة والسوء اي كل ما يسوء على الكافرين اي العريقين في الكفر الذين تكبروا في غير موضع التكبر لا على غيرهم ثم رغبهم في التوبة بقوله الذين تتوفاهم بالفوقانية في قراءة الجمهور لان الجمع مونث وبالتحتية في قراءة حمزة لان المجموع غير مونث وكان وفاتهم على وجهين وجه خفيف بما اشار اليه التانيث لخفة كفر صاحبه واخر ثقيل شديد لشدة كفر صاحبه ولم يحذف شي من التاءين للاشارة الى نقصان حالهم لانه لا يمكن جبرها لموتهم على الكفر بخلاف ما تقدم في تارك الهجرة في النسا الملايكة اي الموكلون بالموت حال كونهم ظالمي انفسهم بوضعها بالاستكبار على الملك الجبار غير موضعها فلما تم ذلك على هذا الوجه البديع والاسلوب الرفيع المنيع ابتدا الخبر عن جوابهم على وجه معلم بحالهم فقال فالقوا اي من انفسهم عقب قول الاوليا وبسبب سوال ذي الكبريا السلم اي المقادة والخضوع بعد ذلك التكبر والعلو قايلين ارتكابا للكذب من غير احتشام ما كنا نعمل واغرقوا في النفي فقالوا من سوء فكانه قيل ان هذا البهتان عظيم في ذلك اليوم الجليل فماذا قيل لهم فقيل بلى قد علمتم اعظم السوء على تكذيبهم بقوله ان الله اي المحيط بكل شي عليم اي بالغ العلم من كل وجه بما كنتم اي جبلة وطبعا تعملون اي من الضلال والاضلال فلا يسعكم الانكار فما آن لكم ان تنزعوا عن الجهل فيما يضركم ولا ينفعكم ويخفضكم ولا يرفعكم ولما كان هذا الفعل مع هذا العلم سببا لدخول جهنم من غير ان يقام لهم وزن لانه لا وزن لما ضيع اساسه قال معقبا مسببا فادخلوا اي ايها الكفرة ابواب جهنم اي ابواب طبقاتها ودركاتها خالدين اي مقدرين الخلود فيها اي في جهنم التي دابها تجهم من دخلها ولما كان هذا المقام للمشاققة وكان امرها زايد القباحة كان هذا الدخول اقبح دخول وكان سببا لان يقال فلبيس بالاداة الجامعة لمجامع الذم مثوى المتكبرين على وجه التاكيد وبيان الوصف الذي استحقوا به ذلك لتقدم كذبهم في قولهم ما كنا نعمل من سوء تعريضا بانهم جديرون لغاية ما لهم من البلادة ان يستحسنوا النار كما كذبوا مع العلم التام بانه لا يروج في ذلك اليوم كذب ولما تم الخبر عن المنكر لما انزل الله على السنة الملايكة من الروح من امره على الانبيا عليهم الصلاة والسلام انكارا لفضلهم وتكبرا لما لبسوا لهم بالاعتراض على خالقهم ابتدا الخبر عن المعترفين تصديقا لهدايتهم واعترافا بفضلهم وتسليما لمرهم عبيده في تفضيل من يشا منهم على الوصف الذي اوجب لهم الاعتراف بالحق فقال حاذفا لاداة الدلالة على الرضى باسر شي من الخير والمدح عليه ولو لم يتكرر وقيل للذين اتقوا اي خافوا عقاب الله ماذا اي شي انزل ربكم اي المحسن اليكم من روحه المحيي للارواح على رسوله قالوا معترفين بالانزال غير متوقفين في المقال فاقهمن ان ذا موكدة للاستفهام لا بمعنى الذي انزل خيرا وانما اطبق القرا على نصب هذا ورفع الاول فرقا بين جوابي المقر والجاحد بمطابقة المقر بين الجواب والسوال وعدول الجاحد بجوابه عن السوال ثم اخذ يرغب بما لهم من حسن المال على وجه الجواب لسوال من كانه قال ما لهم على ذلك فقيل مظهرا موضع الاضمار مدحا لهم وتعميما لمن اتصف بوصفهم للذين احسنوا فبين ان اعترافهم بذلك احسان في هذه الدنيا حسنة اي جزاهم على احسانهم هل جزا الاحسان الا الاحسان ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال اخبر عن حالهم في الاخرة فقال ولدار الاخرة خير اي لهم جزا ومصيرا ثم مدحها ومدحهم بقوله ولنعم دار المتقين اي هي من غنا

في

في الوصف الذي كان سبب حيازتهم لها وهو الخوف المنافي لما وصف به الاشرار من الاستكبار باظهاره موضع الاضمار وحذف المخصوص بالمدح لتقدم ما يدل عليه وهو صالح لتقدير الدنيا اي لمن عمل فيها بالتقوى ولتقدير الاخرة وهو واضح ولما كان هذا المدح مشوقا لتفصيل ذلك قيل جنات عدن اي اقامة لا ظعن فيها يدخلونها حال كونها تجري من تحتها اي من تحت غرفها الانهار ثم اجيب من كانه سال عما فيها من الثمار وغيرها بقوله لهم فيها اي خاصة لا في شي سواها من غير ان يحلف اليهم من غيرها ما يشاون ثم زاد في الترغيب بقوله كذلك اي مثل هذا الجزا العظيم يجزي الله اي الذي له الكمال كله المتقين اي الراسخين في صفة التقوى ثم حث على ملازمة التقوى بالتنبيه على ان العبرة بحال الموت فقال الذين تتوفاهم اي تقبض ارواحهم وافية من نقص شي من الروح او المعاني بما اشار اليه اثبات التاءين والاظهار الملايكة طيبين اي طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر متحلين بحلية الايمان فكانه قيل ماذا تقول لهم الملايكة فقيل يقولون اي مكررين للتاكيد تسكينا لما جبلوا عليه من تعظيم جلال الله بالتقوى سلام عليكم ويقال لهم لتحقق فوزهم ادخلوا الجنة اي دار النقلة التي لا مثل لها بما كنتم اي جبلة وطبعا تعملون ترغيبا لهم في الاعمال التي لا يستطيعونها الا برحمة الله لهم بتوفيقهم لها ولما اخبر تعالى عن احوال الكفار السايلين في نزول الملايكة بعدان وهي شبههم والخبر عن توفي الملايكة لهم ولاضدادهم المومنين مشيرا بذلك الى ان سنته جرت بانهم لا ينزلون الا لانزال الروح من امره على من يخصه لذلك او لامر فيصل لا مهلة فيه قال منكرا عليهم هل ينظرون اي هولا الكفار في تقاعسهم عن تصديق الرسل في الاخبار بما انزل ربهم وجود الفعل اشارة الى قرب ما ينتظرونه من الان تاتيهم اي بامر الله الملايكة وهم لا يانونهم الا بمثل ما اتوا به من قبلهم ممن قصصنا امرهم من الظالمين ان لم يتوبوا او ياتي امر ربك اي المحسن اليك المدبر لامرك بامر يفصل النزاع من غير واسطة ملك او غيره ولما كان هذا امرا مفزعا كان موجبا لمن له فهم ان يقول هل فعل هذا احد غير هولا فقيل نعم كذلك اي مثل هذا الفعل البعيد لبشاعته عن مناهج العقلا مكرا في تدبير الاذى واعتقادا وقولا فعل الذين ولما كان الفاعلون مثل افعالهم في التكذيب لم يستغرقوا الزمان ادخل الجار فقال من قبلهم وما اي والحال انه ما ظلمهم الله اي الذي له الكمال كله في تقديره ذلك عليهم لانه المالك المطلق التصرف والملك الذي لا يسال عما يفعل ولكن كانوا اي جبلة وطبعا انفسهم اي خاصة يظلمون فاستحقوا العقاب لقيام الحجة عليهم على السنن الذي جرت به عوايدكم في من باشر سوا من غير ان يكره عليه اكراها ظاهرا وهذا بعينه هو العلة في ارسال الرسل ونصب الشرايع والملك فاصابهم اي فتسبب عن ظلمهم لانفسهم ان اصابهم سيات اي عقوبات او جزا سيات ما عملوا وحاق اي احاط احاطة ضابطة بهم من العذاب والمرسل به من الملايكة ما كانوا به اي خاصة يستهزءون تكبرا عن قبول الحق ومادة حاق واوية وياييه بتراكيبها الست حوق حقو قحو قوح وحق حيق تدور على الاحاطة ويلزمها صلابة المحيط ولين المحاط به حاق به الشي اذا نزل به فاحاط والحيق ما يشتمل على الانسان

من مكروه فعله وحاق فيه السيف حاك اي عمل من التسمية باسم الجز ولانه في الاغلب يكون في عمله
الموت المحيط بالاجل وحاق بهم الامر لزمهم ووجب عليهم ونزل بهم والحيقة نجرة كالشي يوكل بها التمر
كانه يحيط بالثمرة وحاق فيه حسده وابغضه لاحاطة ذلك و للحوق بالضم ما احاط بالكمرة من حروفها
وبالضم والفتح معا استدارة في الذكر والحوق بالفتح فعط الاحاطة والاحوق والحوّق لعظم العظم الكمرة
كانها مختصة بذلك لكبرها ومنه فيسله حوقا عظيمة كانها لعظمها هي التي ظهر حرفها دون غيرها
وارض محوقة بعض لها قليلة النبت لقلة المطر كانه تشبيه بالكمرة في ملاستها وترك النخلة حوقا
اذا اشعل في الكرانيف لاستدارة النار بها اولشبهها بعد حريق السعف بالذكر اوراسه
والحوقة بالفتح الجماعة المحرقة لان للجماعة لها قوة الاستدارة والمحرق ان كان من الكذب فمن
لازمه العوج وان كان من المحراق وهو المنديل الذي يلف للعب به فا للعب به على هيئة الاستدارة
وحوّق عليه تحويقا عوج عليه الكلام والحوق بالفتح ايضا الكنس والدلك والتمليس لان كلامها
تزويه البدالي قريب من مكا لها يشبه الاحاطة ولو بالتعويج والحقو الكشح وهو ما بين عظم
راس الورك الي الضلع الخلف لانه موضع احاطة الازار والازار نفسه حقو لانه آلته والحقو معقد
الازار والحقو موضع غليظ مرتفع عن المسيل من الصلابة والاستدارة لان السيل يحيط به او
يكاد ومن السهم موضع الريش لانه يشتد الحقو في استدارته وغلظ بعض من دقة بعض
وفي احاطة الريش ومن الثنية جانبا ها من الاحاطة او مطلق العوج والحقوة وجع في البطن
من اكل اللحم للحوق وجعه الحقو والاقحوان نبت يستدير به زهره واقاحي الامر تباشيره لانها
تحيط به غالبا وقحا المال اخذه لما يلزمه من الاحاطة والقحاة المجرفة لانها تحيط بالمجروف
ومن اللين قاح الجرح يقيح صار فيه مدة خالصة لا يخالطها دم كقاح بيقيح واوبه ويابية
ولما يلزمه من الاستدارة غالبا دقوّح الجرح انتبر امام للموضع الغليظ المرتفع عن السيل واما
من استدارته وقاح البيت كنسه كقوّحه والقاحة الساحة لاستدارتها غالبا واقاح صمم
على المنع بعد السوال اما من لازالة اي لزوال اللين واما من الصلابة ومن الصلابة الوقاح
للحافر الصلب وهو من الاستدارة ايضا ورجل وقاح الوجه قليل الحيا منه والموقح كمعظم المجرب
وتوقح الحوض احلاصه بالمدر والصفائح للاستدارة والصلابة ولما تم ما هو عجب من مقالهم وما لهم
من سوء حالهم وختم بتهديدهم عطف على قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم موجبا اخر للتهديد عجبا
من حالهم فيه فقال وقال الذين اشركوا اي الراسخ منهم في هذا الوصف والسامع له على سبيل الاعتراض
على من يدعوهم الي التوحيد من نبي وغيره محتجين بالقدر عنادا منهم ومعترضين على من لا يسئل عما
يفعل بانه لقدرته على كل شي عز غير محتاج الي بعث الرسل فارسالهم عبث تعالي الله الحكيم عن قولهم
فهو قول من يطلب العلة في احكامه تعالى وفي افعاله وهو قول باطل لانه سبحانه الفعال لما يريد
سوا اطلع العباد على حكمته ام لا لو شا الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شي قدرة وعلما عدم عبادتنا
لغيره ما عبدنا ولما كانت الرتب كلها متقاصرة عن رتبته وكانت متفاوتة وكان ما يعبدونه من
الاصنام في ادناها رتبة ادخلوا الجار فقالوا من دونه واغرقوا في النفي فقالوا من شي اي من

الاشيا

الاشيا نحن ولا اباونا من قبلنا ولما ذكروا الاصل اتبعوه الفرع فقالوا ولا حرمنا اي على انفسنا
من دونه اي دون امره من شي لان ما شاه لا يتخلف على زعمكم لكنه لم يشا العدم فقد شا
وجود ما نحن عليه فنحن نتبع ما شاه لا نتغير عنه لانه لا يشا الا ما هو حق وضل عن الاشقيا
بكلمتهم هذه الحق التي ارادوا بها الباطل ان مدار السعادة والشقاوة انما هو موافقة الامر
لا موافقة الارادة فما كان من الفعل والكف على وفق الامر سعد فاعله وما خالفه قامت به الحجة
على فاعله على ما جرت به عوايد الناس فشقي فلما انهتك ستر هذه المقالة المموهة كان كانه
قيل استبعاد الها هل قالها غيرهم فقيل نعم كذلك اي بمثل هذا الفعل البعيد من السداد والقول
الخارج عن الهداية والرشاد وهو الاعتراض على ربهم في ارسال الرسل ما تقبن لجواز الارسال
بهذه الشبهة الضعيفة فانه تعالى يريد اظهار ثمرة الملك بالحكم على ما يتعارفه العباد من اقامة
الحجة بالافعال الاختيارية وان كانت بقضا به لان ذلك مستور عن العباد فعل اي كذب بدليل
الانعام الذين ودل على عدم الاستغراق للزمان بقوله من قبلهم وكان تكذيبا لان قولهم اقتضى
ان يكون ما هم عليه مما يرضاه الله والرسل يقولون لا يرضاه ولا يرضى الا ما اخبروا بان صاحبه
مثاب عليه او غير معاقب فكان ذلك سببا للانكار عليهم بقوله فهل اي فما على الرسل اي الذين
لا رسل في الحقيقة غيرهم وهم الذين ارسلهم الله لدعا العباد خلفا عن سلف ولما كان الاستفهام
بمعنى النفي كما تقدم الا انه صور بصورته ليكون كدعوى الشي بدليلها قال الا البلاغ المبين
وقد بلغوكم واوضحوا الكم انصار وبال العصيان خاصا بكم ولما كان جمع الرسل منهما لتوزيعهم على الامم
كان موضع توقع التصريح بذلك فقال دافعا لكرب هذا الاستشراف نافيا لطروق احتمال رد الاعلى
ان هذا القول السابق منصب انكاره بالذات الي اعتراضهم على الارسال ومسليا لنبيه صلى الله عليه
وسلم وحاثا لهم على الاعتبار عطفا على ما تقديره فلقد بعثناك في امتك هذه لان يعبدوا الله وحده
ويجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدينا ومنهم من حقت عليه الضلالة فكان من فريقك بعضهم مرض
لله وبعضهم مغضب له فانه لا يكون حكم المتنافيين واحدا ابدا ولقد اي والله لقد بعثنا اي على ما لنا
من العظمة التي من اعترض عليها اخذ في كل امة من الامم الذين قبلكم رسولا فما بقي في الارض احد لم
تبلغه الدعوة ولا جل ان الرسل قد تكون من غير للرسل اليهم كلوط وشعيب عليهما الصلاة والسلام
في اصحاب الايكة وسليمان عليه الصلاة والسلام في غير بني اسرايل من سبا ومن وصل اليه حكمه من اهل
الارض لم يقيد بمنهم ولما كان البعث متضمنا معنى القول كان المعنى فذهبوا اليهم قايلين ان اعبدوا
الله اي الملك الاعلى وحده واجتنبوا اي بكل جهدكم الطاغوت كما امركم رسولنا فمنهم فتسبب عن
ارسال الرسل ان كانت الامم قسمين منهم من هدى الله اي الذي له الاحاطة الكاملة للحق فحقت
له الهداية فابصر الحق وعمل به باتباع الدعاه الهداة فيما امروا به عن الله فحقت له الجنة ومنهم
من حقت اي ثبتت غاية الثبات عليه الضلالة بان اضله الله فنابذ الامر فلم يعمل به وعمل
بمقتضى الارادة فان الامر قد لا يكون ما تعلق به والارادة لا بد ان يكون ما تعلقت به وقد يكون
موافقها عاملا بالضلالة فحق عليه عذابها فحقت له النار فهلك لانه لم يبق له حجة يدفع بها عن

نفسه فلو كان كل ما شاءه حقا كان الفريقان محقين فلم يعذب احدهما لكنه لم يكن الامر كذلك بل عذب العاصي ونجي الطايع في كل امة على حسب ما قال الرسل وهذا هو معنى رضي الله اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم فدل ذلك قطعا على صدق الرسل وكذب مخالفيهم فالاية من الاحتباك ذكر فعل الهداية اولا دليلا على فعل الضلال ثانيا وحقوق الضلالة ثانيا دليلا على حقوق الهداية اولا ثم التفت الى مخاطبتهم اشارة الى انه لم يبق بعد هذا الدليل القطعي في نظر البصيرة الا الدليل المحسوس للبصر فقال فسيروا اي ان كنتم ايها المخاطبون في شك من اخبار الرسل فسيروا في الارض اي جنسها فانظروا اي اذا اسرتم ومررتم بديار المكذبين واثارهم وعبر هنا بالفا المشيرة الى التعقب دون تراخ لان المقام للاستدلال المنقذ من الضلال الذي تجب المبادرة الى الاقلاع عنه بخلاف ثم انظروا في الانعام لما تقدم واشار بالاستفهام الى ان احوالهم مما يجب ان يسال عنه للاتعاظ به فقال كيف كان اي كونا لا قدرة على الخلاص منه عاقبة اي اخر امر المكذبين اي من عاد ومن بعدهم الذين تلقيتم اخبارهم عمن قلدتموهم في الكفر من اسلافكم فانهم كذبوا الرسل فيما امرتهم به بلاغه مخالفة لامري وعملا بمشيئتي فاوقعت بهم لانهم خالفوا امري باختيارهم مع جهلهم بارادتي فقامت عليهم الحجة على ما يتعارفه الناس بينهم ولما كان من المحقق انه ليس بعد الايصال في الاستدلال الى الامر المحسوس الا العناد اعرض عنهم ملتفتا الى الرؤف بهم الشفيق عليهم فقال مسليا له صلى الله عليه وسلم ان تحرص على هداهم فتطلبه بغاية جدك واجتهادك فان الله اي الملك الاعظم لا يهدي اي هو يخلق الهداية في القلب هذا على قراءة الكوفيين بفتح اليا وكسر الدال ومن هاديا بوجه من الوجوه على قراءة الجمهور بالبنا للمفعول من يضل اي من يحكم بضلاله وهو الذي اضلهم فلا يمكن غيره ان يهديهم لانه لا غالب لامره وقري شاذا بفتح اليا من ضل بمعنى نسي اي لا تمكن هداية من نسيه اي تركه ترك المنسي فانه ليس في يد غيره شي ونقل الصغاني في مجمع البحرين انه يقال اضل فلان البعير اي اضله والضلال عند العرب سلوك غير سبيل القصد فالمعنى انه كان سببا لسلوك البعير غير المقصود فمعنى الاية لا يهدي من يضله الله بفتح اليا اي يكون سببا لسلوكه غير سبيل القصد فلا تحزن ولا يضق صدرك من عدم تاثرهم بنصحك واخلاصك في الدعا ولا تبخع في فكرك ان في دعايك نقصا انما النقص في مرآتهم العميا وليس عليك الا البلاغ وقوله وما لهم اي هولا الذين اضلهم الله وجميع من يضله من ناصرين اي ينصرونهم عند مجازاتهم على الضلال لينقذوهم مما حقهم عليه من الوبال كما فعل بالمكذبين من قبلهم عطف على نتيجة ما قبله وهو فلا هادي لهم ما اراد الله ضلالهم وتبكيت لهم وتقريع وحث وتهييج على ان يقوموا بانفسهم ويستعينوا بمن شاوا على نصب دليل على ما يدعونه من انهم اتبع الناس للحق اما بان يبرهنوا على صحة معتقدهم او يعينوهم على الرجوع عنه عند العجز عن ذلك او يكفوا عنهم العذاب اذا حاق بهم ولما كان من حقهم بعد قيام الادلة على كمال قدرته وشمول علمه وبلوغ حكمته في ابداع جميع المخلوقات مما نعلم ومما لا نعلم على ابدع ترتيب واحسن نظام تصديق الهداة في اعلامهم بانه سبحانه يعيدهم للبعث وانهم لم يفعلوا ولا طرقوا لذلك احتمالا بل حلفوا على نفيه من غير شبهة عرضت لهم ولا اخبار عن علم وصل اليهم فعل الجلف الجافي الغبي العاسي اتبع ذلك سبحانه تعجيبا اخر

من حالهم فقال عاطفا على وقال الذين اشركوا لان كلا من الجملتين لبيان تكذيبهم الرسل والتعجيب منهم في ذلك دالا على ان اعتقادهم مضمون هذه الجملة هو الذي جراهم على قول الاولى وما تفرع منها واقسموا بالله اي الملك الاعظم جهد ايمانهم جعلت الايمان جاهدة لكثرة ما بالغوا فيها لا يبعث الله اي الذي له الاحاطة بكل شي من يموت اي لا يحيين احدا بعد موته استنادا منهم الى مجرد استبعاد ما لم تجر به نفسه عندهم عادة جمودا منهم عن حلها بان النشاة الاولى كانت من غير عادة مع ادعايهم انهم اعقل الناس واحدهم اذهانا وانفذهم افهاما ثم رد عليهم بقوله بلى اي ليبعثنهم لانه لا مانع له من ذلك وقد وعد به وعدا وبين انه لا بد منه بقوله عليه وزاده تاكيدا في مقابلة اجتهادهم في ايمانهم بقوله حقا اي لانه قادر عليه وهو لا يبدل القول لديه فصار واجبا في الحكمة كونه وامر البعث معلوم عند كل عاقل سمع اقوال الهداة تاركا لهواه ولكن اكثر الناس اي لما لهم من الاضطراب لا يعلمون اي لا علم لهم يوصلهم ذلك لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله ولاهم يتقبلون اقوال الدعاة اليه الذين ايدهم بروح منه لتقيدهم بما توصلهم اليه عقولهم وهي مقصورة على عالم الشهادة لا يمكنها الترقي منه الى عالم الغيب بغير وساطة منه سبحانه فلذلك ترى الانسان منهم يابى ذلك استبعادا الا ان يكون شي معقول لا يصل اليه بمجرد عقله وهو حسيم مبين ولما بين انه لا بد من ذلك لسبق الوعد به من القادر بين حكمته بامر بين انه لا يسوغ تركه بوجه وهو انه لا يجوز في عقل عاقل ان لحدا ملكا فما دونه يامر عبيده بشي ثم يهملهم فلا يسالهم ولا سيما ان اختلفوا ولا سيما ان ادى اختلافهم الى المقاطعة والمقاتلة فكيف ان كان حاكما فكيف اذا كان حكيما فكيف وهو احكم الحاكمين فقال معللا لما دل عليه بلى ليبين اي نعله ووعد به فهو يبعثهم ليبين لهم اي للناس الذي يختلفون اي يوجد اختلافهم فيه من البعث وغيره ويجزي كلا بما عمل لان ذلك من العدل الذي هو فعله وليعلم الذين كفروا اي جهلوا الايات فالايات الدالة عليه فكانهم ستروها لانها لظهورها لا تجهل انهم كانوا اي جبلة وطبعا كاذبين اي عريقين في الكذب في انكارهم للمعاد وزعمهم انهم المختصون بالمفاز علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ولما بين تحتمه وحكمته بين امكانه ويسره عليه وخفته لديه فقال انما قولنا اي بما لنا من العظمة لشي ابدا واعادة اذا اردناه اي اردنا كونه ان نقول له ثم ذكر محكي القول النفسي فقال بانيا من كان التامة ما دل على موافقة الاشيا لمراده موافقة المامور للامر المطاع كن اي احدث فيكون اي فيتسبب عن ذلك القول انه يكون حين تعلق القدرة به من غير مهلة اصلا فنحن خلقنا الخلق لنامرهم وننهاهم ولما كان التقدير تفصيلا لغرض المبين لهم وترغيبا في الهجرة لانها بعد الايمان اوثق عرى الاسلام فالذين كفروا واغتروا بما شاهدوه من العرض الفاني لنخزيهم في الدنيا والاخرة ولنجازيهم بجميع ما كانوا يعملون عطف عليه قوله والذين هاجروا اي اوقعوا المهاجرة فراراً بدينهم فهجروا اباهم وابناهم واقاربهم من الكفار وديارهم وجميع ما نهوا عنه في الله اي الملك الاعلى الذي له صفات الكمال

بعد ما تمادي المكذبون بالبعث على ابد آبيهم فتركوا لهم بلادهم ولما كانت هجرتهم لم تستغرق
زمان البعد لموت بعض من هجروه واسلام آخرين بعد احتمالهم لظلمهم ما شا الله قال **من بعد**
ما ظلموا اي وقع ظلمهم من الكفار بناه للمفعول لان المحذور وقوع الظلم لا كونه من معين **لنبوئنهم**
اي نوجد لهم منزلا هو اهل لان يرجع اليه بما لنا من الملايكة وغيرهم من الجنود و جميع العظمة
في الدنيا مباة **حسنة** كبيرة عظيمة جزاهم على خدمتنا بان نعلي امرهم وان كره المشركون كما يراه
من يتدبر بمعنى لاوليائي على قلتهم وسينكشف الامر عما قريب انكشافا لا يجهله احد فالاية دليل
على ما قبلها ولما كان التقدير ولنبوئنهم في الاخرة اجرا كبيرا عطف عليه قوله **ولاجر الاخرة** المعد لهم
اكبر مما جعلنه لهم في الدنيا **لو كانوا يعلمون** اي لو كان الكفار لهم عقل ينفعهم علم بان يكون لهم عقل
يتدبرون به لعلموا باحساني الى اوليائي في الدنيا من منعي لهم منهم في عنادهم مع كثرتهم وقلتهم واسباغي
لنعمي عليهم لاسيما في الاماكن التي هاجروا اليها من الحبشة والمدينة وغيرهما مع اجتهادهم في منعها
عنهم اي اجمع لاوليائي الدارين وان احساني اليهم في الاخرة اعظم روي ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كان اذا اعطي الرجل من المهاجرين عطا قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا
وما ذخر لك في الاخرة اكثر وافضل ثم تلا هذه الاية ولما نبه على احسانه اليهم وكان فيه من اول الامر
نوع غموض لظهور الكفرة في بادي الراي وصفهم بما يحتاج اليه في الاستجلاب لتمامه حثا والهابا
فقال واصفا للمهاجرين بيانا لاصل ما حملهم على ما استحقوا به هذا الاجر الجزيل **الذين صبروا** اي
استعملوا الصبر على ما نابهم من المكاره من الكفار وغيرهم في الاقامة بين اظهرهم مدة ثم في الهجرة
بمفارقة الوطن الذي هو حرم الله المشرب حبه لكل قلب فكيف بقلوب من هو مسقط رؤوسهم
وما الف ابدانهم ونفوسهم وفي بذل الارواح في الجهاد وغير ذلك ولفت الكلام الى وصف الاحسان
تنبيها على ما حمل على التوكل فقال **وعلى ربهم** اي المحسن اليهم بالجادهم وهدايتهم وحده **يتوكلون**
في كل حالة يريد وتفارضي بقضا الله ولما اخبر تعالى انه بعث الرسل وكان عاقبة من كذبهم الهلاك
بدلالة اثارهم وكانوا قد قدحوا في الرسالة بكون الرسول بشرا ثم بكونه ليس معه ملك يؤيده
رد ذلك بقوله مخاطبا لاشرف خلقه لكونه افهمهم عنه مع انه اجل من توكل وصبر عايدا الى
مظهر الجلال بيانا لانه يظهر من يشا على من يشا **وما ارسلنا** اي بما لنا من العظمة ولما كان الارسال
بالفعل انما كان في بعض الازمنة دل عليه بالجار فقال **من قبلك** الى الامم من طوايف البشر **الا رجالا**
لا ملايكة بل ادميين هم في غاية الاقتدار على التوكل والصبر الذي هو محط الرحلة **يوحى اليهم**
بواسطة الملايكة وما احسن تعقيب ذلك للصابرين لان الرسل اصبر الناس ولما كانوا قد فزعوا
الى سوال اهل الكتاب في بعض الامور وكانوا قد اوتوا علما من عند الله سبب عن هذا الاخبار
الامر بسوالهم عن ذلك فقال مخاطبا لهم ولكل من اراد الاستثبات من غيرهم **فاسئلوا** اي ايها
المكذبون ومن اراد من سواهم **اهل الذكر** اي العلما بالكتاب سمي ذكرا لان الذكر الذي هو ضد السهو
بمنزلة السبب المودي اليه فاطلق عليه كان للجاهل ساه وان لم يكن ساهيا وكذا الذكر الذي هو
الكلام المذكور سبب للعلم ولما كان عندهم حس من ذلك بسماع اخبار الامم قبلهم اشار اليه بقوله

ان كنتم

ان كنتم اي جبلة وطبعا **لا تعلمون** او هو للتنفير من الرضي بالجهل ولما كانت رسل الملوك
تقترن بما يعرف بصدقهم قال جوابا لمن كانه قال باي دلالة ارسلوا **بالبينات** المعرفة
بصدقهم **والزبر** اي الكتب الهادية الى اوامر مرسلهم ولما كان القران اعظم الادلة اشار
الى ذلك بذكره مدلولا على غيره من المعجزات بواو العطف فقال عاطفا على ما تقديره وكذلك ارسلناك
بالمعجزات الباهرات **وانزلنا** اي بما لنا من العظمة **اليك** اي وانت اشرف الخلق **الذكر** اي
الكتاب الموجب للذكر المعلي للقدر الموصل الى منازل الشرف **لتبين للناس** كافة بما اعطاك
الله من الفهم الذي تفت فيه جميع الخلق واللسان الذي هو اعظم الالسنة وافصحها وقد
اوصلك الله فيه الى رتبة لم يصل اليها احد **ما نزل** اي وقع تنزيله **اليهم** من هذا الشرع
الهادي الى سعادة الدارين بتبيين المجمل وشرح ما اشكل من علم اصول الدين الذي راسه
التوحيد ومن البعث وغيره وهو شامل لبيان الكتب القديمة لاهلها ليدلهم على ما نسخ وعلى
ما بدلوه فنسخ ولما كان التقدير لعلهم بحسن بيانك يعلمون عطف عليه بيانا لاشرف العلم قوله
ولعلهم يتفكرون اذا نظروا اساليبه الفايقة ومعانيه العالية الرايقة فيصلوا بالفكر فيه
بسبب ما فتحت لهم من ابواب البيان الى حالات الملايكة بان تغلب ارواحهم على اشباحهم
فيعلموا انه تعالى واحد قادر فاعل بالاختيار وانه يقيم الناس للجزآ فيطيعونه رغبة ورهبة
فيجمعون بين شرفي الطاعة الداعية اليها الارواح والانكفاف عن المعصية الداعية اليها
النفوس بواسطة الاشباح ولما نبه سبحانه على التفكر وكان داعيا للعاقل الى تجويز الممكن
والبعد من الخطر سبب عنه انكار الامن من ذلك فقال **افامن** اي اتفكروا فتابوا او استمروا
على عتوهم فامن **الذين مكروا** بالاحتيال في قتل الانبيا واطفآ نور الله الذي ارسلهم به المكرات
السيئات ان يجازوا من جنس عملهم بان **يخسف الله** اي المحيط بكل شي **بهم** اي خاصة
الارض فاذا هم في بطنها لا يقدرون على نوع تغلب بمدافعة ولا غيرها كما فعل بقارون واصحابه
وبقوم لوط عليه الصلاة والسلام من قبلهم **او ياتيهم العذاب** على غير تلك الحال **من حيث لا يشعرون**
به في حالة من هاتين الحالتين شعورا اما وهم في حال سكون ودعة بنوم او غفلة **او ياخذهم** اي
الله بعذابه **في** حال **تقلبهم** وتصرفهم ومشاعرهم حاضرة وقواهم مستجمعة ولما كانت هذه الاحوال
الثلاثة مفروضة في حال امنهم من العذاب وكان الامن من العدو يكون عن ظن عدم قدرته عليه علل
ذلك بقوله **فما هم بمعجزين** اي في حالة من هذه الاحوال سوا علينا غفلتهم ويقظتهم ولم يعلل ما بعده
بذلك لان المتخوف مجوز للعجز فقال **او ياخذهم** اي الله اخذ غضب **على تخوف** منهم من العذاب
وتحفظ من ان يقع بهم ما وقع بمن قبلهم من عذاب الاستيصال ويجوز ان يراد بما مضى عذاب
الاستيصال وبهذا الاخاد شيا فشيا فان التخوف التنقص عند هذيل روي ان عمر رضي الله
عنه سال الناس عنها فسكتوا فاجابه شيخ من هذيل بانه التنقص فقال عمر رضي الله عنه هل
تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقة ٠
٠ تخوف الرحل منها تامكا قردا ٠ كما تخوف عود النبعة السفن ٠

فقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان
فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ولما كان التقدير لما امنوا ذلك في نفس الامر ولكن جهلهم
بالله لطول اناته وحلمه غرهم سبب عنه قوله التفاتا الى الخطاب استعطافا فان ربكم اي
المحسن اليكم باهلاك من يريد وابقا من يريد لروف اي بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بنوع
وسيلة وكذا لمن قاطعه اتم مقاطعة واليه اشار بقوله رحيم اي فتسبب عن امهاله لهم في كفرهم
وطغيانهم مع القدرة عليهم العلم بان تركه لمعاجلتهم ما هو الا لرافته ورحمته ولما خوفهم دل على
تمام قدرته على ذلك وغيره بقوله عاطفا على ما تقديره الم يروا الى عجزهم عما يريدون وقسره
لهم على ما لا يريدون فيعلموا بذلك قدرته وعجزهم فيعلموا ان عفوه عن جرايمهم احسان منه اليهم
ولطف بهم اولم ولما كان حتم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا اعرض عنهم في قراة الجماعة تخويفا
فقال يروا باليا التحتية وقراة حمزة والكساي بالخطاب على نسق ما قبله اي ينظروا بعيون
الابصار متفكرين بالبصاير وبين بعدهم على المعارف الالهية بحرف الغاية فقال الى ما خلق
الله اي الذي له جميع الامر من شي اي له ظل تتفيؤا اي ترجع الى جهة الشاخص ظلاله وهو
ما ستره الشاخص عن الشمس متجاوزة له عن اليمين وهي ما على يمين المستدبر للشمال المستقبل
للجنوب الذي هو ناحية الكعبة لمن في بلاد الشام التي هي سكن الانبيا عليهم الصلاة والسلام وافرد
لان الظل يكون اول ما تشرق الشمس مستقيما الى تلك الجهة على استوا وجمع في قوله والشمايل
لان الشمس كلما ارتفعت تحول ذلك الظل راجعا الى جهة ما ورا الشاخص ولا يزال كذلك الى ان
ينتصب عند الغروب الى جهة يساره قصيرا على ضد ما كان انتصب اليه عند الشروق فلما كان
بعد انتصابه الى جهة اليمين طالبا في تغيبه جهة اليسار سميت تلك الجهات التي تفيا فيها
باسم ما هو طالبه تنبيها على ذلك وفيه اشارة الى قلة الجيد المستقيم وكثرة المنحرف الردي
ولما كانت كثرة الخاضعين ادل على القهر واهيب جمع بالنظر الى معنى ما في قوله سجدا اي
حال كونهم خضعا لله اي الملك الاعلى بما فيهم من الحاجة الى مدبرهم ولما كان امتداد الظل
قسريا لا يمكن احد الانفصال عنه قال جامعا بالواو والنون تغليبا وهم داخرون ذلا وصغارا
لا يمتنع شي منهم على تصريف وخص الظل بالذكر لسرعة تغيره والتغير دال على المغير ولما
حكم على الظلال بما عم اصحابها من جماد وحيوان وكان الحيوان اشرف من الجماد في الحكم اليه
خصوصه فقال ولله اي الذي له الامر كله يسجد اي يخضع بالانقياد للمقادير والجري تحت
الاقضية وعبر بما هو ظاهر في غير العقلا مع شموله لهم فقال ما في السموات ولما كان المقام للمبالغة
في اثبات الحكم على الطايع والعاصي اعاد الموصول فقال وما في الارض ثم بين ذلك بقوله من دابة
اي عاقلة وغير عاقلة ولما كان المقرب خير مستهين بمن يقربه قال مبينا لخضوع المقربين
تخصيصا لهم وان كان الكلام قد شملهم والملايكة ولما كان الخاضع قد يحكم بخضوعه وان كان باطنه
مخالفا لظاهره قال دالا على ان في غيرهم من يستكبر فيكون انقياده للارادة كرها وعبر عن
السجودين الموافق للامر والارادة طوعا والموافق للارادة المخالف للامر كرها بلفظ واحد لانه

يجوز

يجوز الجمع بين مفهومي المشترك والحقيقة والمجاز بلفظ وهم اي الملايكة لا يستكبرون ثم علل
خضوعهم بقوله دلالة على انهم كغيرهم في الوقوف بين الخوف والرجا يخافون ربهم اي
الموجد لهم المدبر لامورهم المحسن اليهم خوفا مبتديا من فوقهم اشارة الى علو الخوف عليهم وغلبته
لهم او حال كون ربهم مع احسانه اليهم له العلو والجبروت فهو المخوف المرهوب فهم عما نهوا
عنه ينتهون ويفعلون اي بداعية عظيمة علما منهم بما عليهم لربهم من الحق مع عدم منازع من
حظ او شهوة او غير ذلك ودل على انهم مكلفون بقوله ما يومرون فهم لرحمته لهم يرجون
فالاية من الاحتباك ذكر الخوف اولا دال على الرجا ثانيا وذكر الفعل ثانيا دال على الانتها اولا
ولما كان التوحيد اعظم المامورات وكان العصيان فيه اعظم العصيان وكان سبحانه
قد اكثر التخويف من عصيانه وابلغ الامر الى نهايته بالاخبار بان الملايكة تخافه وكانت
الملايكة من اعظم الموحدين كما كانوا من اعظم الساجدين من اهل السموات والارضين وكانت
هذه الايات من اعظم ادلة التوحيد اتبعها عطفا على وانزلنا اليك الذكر لتطابق على ذلك
ادلة العقل والنقل تسليكا باحوال الملايكة قوله وقال الله فعبر لاجل تعظيم المقام بالاسم
الاعظم الخاص الذي بنيت عليه السورة لا تتخذوا اي تكلفوا فطركم الاولى السليمة
المجبولة على معرفة ان لا اله واحد الى ان تاخذوا في اعتقادها الهين ويجوز ان يكون معطوفا
على ما علم من المقدمات المذكورة اول السورة الى قوله وما يشعرون ايان يبعثون من النتيجة
وهي الهكم اله واحد لاحتمال ان يقول متعنت انهم يامرنا بذلك وان دلت عليه الادلة
ويجوز وهو اقرب ان يعطف على قوله وقال الذين اشركوا تبكيتا لهم بانهم احتجوا بالحكم ولم
يبادروا الى امتثال امره ولما كان قد فهم المراد من التثنية وكان ربما قال المتعنت ان
المنهي عنه تكثير الاسما قال موكدا او محققا اثنين تنبيها على ان مطلق العدد ينافي الالوهية
لانه موضع لامكان التنازع الملزوم للعجز المنافي لتلك الرتبة المنيفة الشما وخص ذلك ايضا
مع كون معبوداتهم كانت كثيرة اشارة الى ان ما يسمى الهة وان زاد عدده يرجع بالحقيقة
الى اثنين خالق ومخلوق ومن المعلوم لكل ذي لب ان المخلوق غير صالح للالوهية فانحصر
الامر في الخالق وان لم تكن فيه الخالق كان منقسما لا محالة واقل ما ينقسم الى اثنين وباب
الاتخاذ اذا كان مفعوله نكرة اكتفي بواحد كما تقول اتخذت بيتا واتخذت زوجة ونحو ذلك
ثم علل ذلك النهي بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال انما هو اي الاله المفهوم من
لفظ الهين الذي لا يستحق غيره ان يطلق عليه هذا الضمير الا مجازا لانه لا يطلق اطلاقا
حقيقيا الا على ما وجوده من ذاته اله اي يستحق هذا الوصف على الاطلاق ولما كان السياق
موهما للوحدانية من النهي عن التثنية وكان ربما تعنت متعنت بان المراد اثبات الاله الدال
على الجنس قال دافعا لكل شبهة واحد لا يمكن ان يثنى بوجه ولا ان يجزا الغناه المطلق عن
كل شي واحتياج كل شي اليه فكونوا ممن يسجد له طوعا ولا تكونوا ممن لا يسجد له الا كرها
ولما كان اسلوب الغيبة لا تعيين الا انه في المتكلم التفت الى اسلوب التكلم فقال

فاياي اي وذلك الواحد انا وحدي لاشريك لي فمن لم يوحدني وفعت به لتوني ما لا يطيقه
لعجزه ولما كانت الوحدانية مما لا يخفى على عاقل وكانت مركوزة في كل فطرة بدليل الاضطرار
عند المحن و الشدايد و الفتن وكانت الرهبة كما مضى عن الحرالي في البقرة خاصة بالخوف مما خالف
العاصي فيه العلم عبر بها فقال فارهبون مختصا بذلك ولا تخافوا شيا غيري من صنم ولا غيره فانه
ليس لشي من ذلك قدرة وان اودعته قدرة فانه لا يتمكن من انفاذها الا بي فالامر كله اليّ وحدي
ولما كان اسلوب الغيبة من الحاضر دا الاعلى التردّي بحجاب الكبر للوذن بشدة البطش وسرعة
الانتقام وبعد للمقام رجع اليه فقال وله باعاد الضمير على الله الاسم العلم الجامع لجميع الاسما
الحسنى ما في السموات ولما كان الامر قد تاكد وتناطد وظهر المراد منه غاية الظهور لم يحتج الى
تاكيد باعادة النافي فقال والارض اي مما تعبدونه وغيره فكيف يتصور ان يكون شي من ذلك
الها وهو ملكه مع كونه محتاجا الى الزمان والمكان وغيرهما وله الدين اي الخضوع والتذلل
من كل ما فيهما ومن فيهما بالطوع والكره بانفاذ القضا والقدر بالصحة والسقم والغنى والفقر والحياة
والموت والايجاد والاعدام والاذلال والاعزاز والاقبال والاعراض كما تبين انفا وله
الدينونة بالمجازاة واصبا اي دايما ثابتا واجبا لازما الا كالملوك الذين تنقطع ممالكهم مع خصوصها
والمعبودات التي تنقطع عبادتها في وقت من الاوقات فتصير كاسدة بعد ان كانت رايجة وان
طال المدى مع خصوصها بناس دون غيرهم ولا يخلو يوم من الايام لملك غيره من جري امور على غير مراده
وان عظم سلطانه وعلا شانه وكثرت اعوانه فكيف يتصور من له ادنى بصر ان يكون غيره الها
وقد تقدم في ان ربي على صراط مستقيم في هود ما ينفع استحضاره هنا ولما تقرر هذا الدليل على
هذه الصفة وكان من مفهومات الدين الجزا الناظر الى الافعال الواقعة مما يصير نسبب عنه
الانكار الشديد على من يلتفت بشي من افعاله الى غيره بعد علمه بانه دايم لا يزول وان كل ما سواه
زايل فقال معبرا بالتقوى التي هي نتيجة الرهبة افغير الله اي الذي له العظمة كلها تتقون
واتبع ذلك ما يوجب تعظيم الانكار عليهم فقال مبينا انه لا ينبغي ان يتعلق خوف ولا رجا الا به وما
بكم اي التبس بكم ايها الناس عامه مومنكم وكافركم من نعمة اي جليلة او حقيرة فمن الله اي المحيط بكل
شي وحده لا من غيره ولما كان اخلاصهم له مع ادعايهم الوهية غيره امرا مستبعدا عبر باداة التراخي
والبعد في قوله ثم اذا مسكم اي ادنى مس الضر بزوال نعمة مما انعم به عليكم فاليه اي وحده تجارون
اي ترفعون اصواتكم بالاستغاثة لما ركز في فطركم الاولية السليمة من انه لا ملجا و لا منجى منه
الا اليه ولما كان الرجوع الى الاشراك بعد الاخلاص مستبعدا ايضا لا ستهجانه عبر بسرعة الاستحالة
قال ثم اذا كشف سبحانه عما تشركون الضر اي الذي مسكم عنكم ونبه على مسارعة الانسان في
الكفران فقال اذا فريق اي جماعة هم اهل فرقة وضلال منكم ايها العباد بربهم الذي تفرد بالانعام
عليهم يشركون اي يوقفون الاشراك بعبادة غيره تغيرا منهم عما كانوا عليه عند الاستغاثة به في
الشدة فكان منطبقا عليهم ما ضربوا المثل بكراهته بقولهم واذا تكون كريهة ادعى لها واذا
يحاس الحيس يدعى جندب ٭ وهذا جهل الجهل ولما كان هذا ملزوما لجحد النعمة وكان من شان

العاقل البصير بالامور كما يدعونه لانفسهم ان لا يغفل عن شي من لوازم ما يقدم عليه قال ليكفروا
اي يوقعوا التغطية لادلة التوحيد التي دلتهم عليها غرآيز عقولهم بما اتيناهم اي من النعمة تنبيها
على انهم ما اقدموا على ذلك الشرك الا لهذا الغرض اصلا لا يخل العقلا البصرا الذين يزعمون انهم
اهلا هم ورفعا لهم عن احوال من يقدم على ما لا يعلم عاقبته ولا خزي اعظم من هذا لانه انتج ان الجنون
خير من عقل يكون هذا ماله فهو من باب التهكم فتمتعوا اي فتسبب عن هذا ان يقبل على هذا الفريق
اقبال عالم بما هو قادر عليه قايلا تمتعوا فسوف اي فان تتمتعوا على هذا الحال سبب لان يقال لكم تهديدا
سوف تعلمون غب تمتعكم فهو اقبال الغضب والتهديد بنبو المتقلب وحذف المتهدد به
ابلغ واهول له لذهاب النفس في تعيينه كل مذهب ولما تهددهم باشراكهم المستلزم لكفر النعمة اتبعه
عجبا اخر من امرهم فقال عاطفا على قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم ويجعلون اي على سبيل التكرير
لما لا يعلمون مما يعبدونه من الاصنام وغيرها لكونه في حيز العدم في نفسه وعدما محضا بما وصفوه
به كما قال تعالى ام تنبيونه بما لا يعلم نصيبا مما رزقناهم بما لنا من العظمة من الحرث والانعام وغير ذلك
تقربا اليها كما مضى شرحه في الانعام وذلك ان تعطفه وهو اقرب على يشركون فيكون نداخلا في حيز اذا
اي فاجاوا مقابلة نعمته في الانجا بالاشراك والتقرب برزقه الى ما الجهل به خير من العلم به لانه عدم
لانه لا قدرة له ولا نفع في المقام الذي اقاموه فيه ثم التفت اليهم التفا تا موذنا بما يستحق على هذا
الفعل من الغضب فقال تالله اي الملك الاعظم لتسئلن يوم الجمع عما كنتم اي كونا هو في جبلاتكم
تفترون اي تتعمدون في الدنيا من هذا الكذب سوال التوبيخ وهو الذي لا جواب لصاحبه الا ما فيه
فضيحته ولما بين سفههم في صرفهم ما اتاهم الى ما هو في عداد العدم الذي لا يعلم بين لهم سفها هو
اعظم من ذلك بجعلهم لمالك الملك ومليكه احقر ما يعدونه مما اوجده لهم لافتقارهم اليه وغناه عنه
على وجه التوالد المستحيل عليه مع كراهته لانفسهم فصار ذلك اعجب العجب فقال ويجعلون لله اي الذي
لا معلوم على الحقيقة سواه لاستجماعه لصفات الجلال والاكرام ولما كان المراد تقريعهم وكانت الانوثة
ربما اطلقت على كرايم الاشجار نص على المراد بقوله البنات فلا اعجب منهم حيث يجعلون الموجود للمعدوم
المجهول ويجعلون العدم للموجود المعلوم ثم نزه نفسه عن ذلك معجبا من وقوعه من عاقل بقوله سبحانه
ولما ذكر ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا لانفسهم مع لزوم الحاجة والضعف فقال ولهم
ما يشتهون من البنين وذلك في جملة اسمية مدلولها الثبات ليكون مناديا عليهم بالفضيحة لانهم
لا يبقون لابنايهم لا يبقى ابناوهم لهم وقد يكونون اعدا اعدايهم ثم بين حالهم اذا حصل لهم نوع
ما جعلوه له سبحانه فقال واذا اي جعلوا الذا والحال انه اذا بشر احدهم ولما تعين المراد وزال
المحذور جمع بين الحساستين كما بين في اخر الصافات فقال بالانثى اي تاويل هذه البشرى التي
تستحق السرور بحصول نسمة تكون سببا لزيادة هذا النوع وقد تكون سبب سعادته دالة على
عظمة الله بضد ما تستحق مما لا يفيده شيا بان ظل وجهه وكنى عن العبوس والتكدير والغبرة مما
يغور فيه من البسط بقوله مسودا اي من الغم والكراهة ولعله اختير لفظ ظل الذي معناه العمل
نهارا وان كان المراد العموم في النهار وغيره دلالة على شهرة هذا الوصف شهرة ما يشاهد

نهارا وهو كظيم ممتلى غيظا على المراة ولا ذنب لها بوجه والبشارة في اصل اللغة الخبر الذي يغير
البشرة من حزن او سرور ثم خص في عرف اللغة بالسرور ولا تكون الا بالخبر الاول ولعله عبر عنه بهذا
اللفظ تنبيها على تعكيسهم للامور في جعلهم سرورهم وحزنهم وغير ذلك من امورهم ولما كان سواد الوجه
والكظم قد لا يصحبه الخزي وصل به قوله يتوارى اي يستخفي بما يجعله في موضع كانه الورا لا اطلاع
لاحد عليه من القوم اي الرجال الذين هو فيهم من سوء ما بشر به لعده له خزيا ثم بين ما يلحقه من
الحيرة في المفكر عند ذلك بقوله ايمسكه على هون اي ذل وسفول امر ولما كانوا يغيبون الموؤدة
في الارض على غير هيئة الدفن عبر عنه بالدس فقال ام يدسه في التراب قال ابن ميلق قال
المفسرون كانت المراة اذا ادركها المخاض احتفرت حفيرة وجلست على شفيرها فان وضعت
ذكرا اظهرته وظهر السرور على اهله وان وضعت انثى استاذنت مستولدها فان شا امسكها
على هون وان شا امرها بالقائها في الحفيرة ورد التراب عليها وهي حية لتموت انتهى قالوا وكان
الوأد في مضر وخزاعة وتميم ولما كان حكمهم هذا بالغا في القباحة وصفه بما يستحقه فقال مؤكدا
لعتيه الا سا ما يحكمون اي يجعل ما يكرهون لمولاهم الذي لا نعمة عندهم الا منه وجعل ما يختارونه
لهم خاصا بهم ولما كان شرح هذا النفر تكلموا بالباطل في جانبه تعالى وجانبهم بين ما هو الحق في
هذا المقام فقال على تقدير الجواب لمن كانه قال فما يقال في ذلك مظهرا في موضع الاضمار تنبيها على
الوصف الذي اوجب الاقدام على الاباطيل من غير خوف للذين لا يومنون اي لا يوجدون الايمان
اصلا بالاخرة مثل اي حديث السوء من الضعف والحاجة والذل والرعونة ولله اي الذي له
الكمال كله المثل اي الحديث او المقدار او الوصف او القياس الاعلى من الغنى والقوة وجميع صفات
الكمال بحيث لا يلحقه حاجة ولا ضعف ولا شايبة نقص اصلا واعدل العبارات عن ذلك
لا اله الا الله ويتاتى تنزيل المثل على الحقيقة كما سياتي ايضاحه ان شا الله تعالى في سورة الروم
ولما كان امره سبحانه اجل ما تدركه العقول وتصل اليه الافهام اشار الى ذلك بقوله وهو
لا غيره العزيز الذي لا يمتنع عليه شي فلا نظير له الحكيم الذي لا يوقع شيا الا في محله فلو عاملهم
بما يستحقونه من هذه العظايم التي تقدمت عنهم لاخلى الارض منهم ولو يواخذ الله اي الملك الاعظم
الذي له صفات الكمال الناس كلهم ولما كان السياق للحكمة وكان الظلم الذي هو ايقاع الشي في
غير موقعه شديد المنافاة لها وكان الشرك الذي هذا سياقه اظلم الظلم قال معبرا بالوصف
الشامل لما وقع منهم منه بالفعل ولما هم منطوون عليه وهو وصف لهم ولم يباشروه الى الان بالفعل قال
بظلمهم اي يعاملهم معاملة الناظر لخصمه المعامل له بمحض العدل من غير نظر الى الفضل وعبر بصيغة
المفاعلة لان ذلك لانها على المناقشة ابلغ ما ترك اقتضى الحال ذكر الظلم لكان سياق هذه الاية اغلظ
من سياق فاطر عبر بما يشمل كل محمول للارض سوا كان على الظهر او في البطن معمورا سالما ام لا فقال
عليها اي على الارض المعلوم ايضا مستقرهم المدلول عليها بالتراب واعرق في النفي فقال من دابة اي
نفس تدب على وجه الارض لان الكل اما ظالم يعاقب بظلمه واما من مصالح الظالم فيهلكه عقوبة للظالم
ولانه ما خلقهم الا للبشر فاذا اهلكهم اهلكهم كما وقع قريب منه في زمن نوح عليه الصلاة والسلام

ولكن

ولكن لا يفعل بهم ذلك فهو يوخرهم امهالا لا بحكمته وحلمه الى اجل مسمى ضربه لهم في الازل ولما قطع
العلم بالغاية عما يكون سبب عن ذلك الاعلام بما يكون فيه فقال فاذا جا اجلهم الذي حكم بالاخذ
عنده لا يستاخرون اي عنه ساعة اي وقتا هو عام المتعارف بينكم ثم عطف على جملة الشرط من
اولها قوله ولا يستقدمون اي عن الاجل شيا ولما كان ما تقدم امارة على اكراهيتهم لما نسبوه الى الله تعالى
اتبعه التصريح بعد التلويح بقوله ويجعلون لله اي وهو الملك الاعظم ما يكرهون اي لا نفسهم
من البنات والاموال والشركا في الرياسة ومن الاستخفاف برسلهم وجنودهم والتهاون برسالاتهم
ثم وصف جراتهم مع ذلك الكاينة في محل الخوف المقتضية لعدم التامل اللازم لعدم العقل فقال
وتصف اي تقول معتقدة مع القول الصفا ولما كان قولا لا حقيقة له بوجه اسنده الى اللسان
فقال السنتهم اي مع ذلك مع انه قول لا ينبغي ان يتخيله عاقل الكذب ثم بينه بقوله ان لهم
الحسنى اي عنده ولا جهل اعظم ولا حكم اسوا من ان تقطع بان من تجعل له ما تكره يجعل لك ما تحب
فكانه قيل فما لهم عنده فقيل لا جرم اي لا ظن ولا تردد في ان لهم النار التي هي جزا الظالمين
وانهم مفرطون اي مقدمون معجلون اليها بتقديم من يسوقهم واعجاله لهم وقال الرماني يتروكون
فيها من قول العرب ما افرطت وراى احدا اي ما خلفت ولا تركت وقرا نافع بالتخفيف والكسر
اي مبالغون في الاسراف والجراة على الله ولما بين ما لهم وكانوا يقولون ان لهم من يشفع فيهم
بين لهم ما يكون من حالهم بالقياس على اشكالهم تهديدا وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
تالله اي الملك الاعلى لقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلا من الماضين الى امم ولما كان
الارسال بالفعل لم يستغرق زمان القبل قال من قبلك كما ارسلناك الى هولا فزين لهم
الشيطان اي المحترق بالغضب المطرود باللعنة اعمالهم كما زين لهولا فضلوا كما ضلوا
فاهلكناهم فهو لا غيره وليهم اليوم بعد اهلاكهم حال كونهم في النار ولا قدرة لهم على نصرهم
ولهم عذاب اليم فلا ولي لهم لانه لو قدر على نصرهم لما اسلمهم للهلاك وقد اطاعوه بل لو عدموا
ولايته كان ذلك اولى لهم فهو نفي لان يكون لهم ولي على ابلغ الوجوه ولما كان حاصل ما مضى
الخلاف والضلال والنقمة كان كانه قيل فبين لهم ذلك فهم ليرجعوا فانا ما ارسلناك الا لذلك
وما انزلنا اي بما لنا من العظمة من جهة العلو عليك الكتاب اي الجامع لكل هدى ولما كان في
سياق الدعا والبيان عبر بما يقتضي الايجاب فقال الا لتبين اي غاية البيان لهم اي لمن ارسلت
اليهم وهم الخلق كافة الذي اختلفوا فيه من جميع الامور دينا ودنيا لكونك اغزرهم علما واتقاهم
فهما وعطف على موضع لتبين ما هو فعل المنزل فقال وهدى اي بيانا شافيا ورحمة اي اكراما
بمحبة ولما كان ذلك ربما شملهم وهم على ضلالهم نفاه بقوله لقوم يومنون والتبيين معنى يودي
الى العلم بالشي منفصلا عن غيره وقد يكون عن المعنى نفسه وقد يكون عن صحته والبرهان لا يكون
الا عن صحته فهو اخص والاختلاف ذهاب كل الى غير جهة صاحبه والهدى بيان طريق العلم المودي
الى الحق ولما انتفى الدليل على ان قلوبهم منكرة استكبارا وما يتعلق به وختمه بما احيي به القلوب
بالايمان والعلم بعد موتها بالكفر والجهل وكان المقصود الاعظم من القران تقرير اصول اربعة

الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضا والقدر والفعل بالاختيار وكان اجل هذه المقاصد
الالهيات شرع في ادلة الوحدانية والقدرة والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البعث على وجه
غير المتقدم ليعلم ان ادلة ذلك اكثر من اوراق الاشجار واجلي من ضيا النهار فعطف على قوله
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون قوله جامعا في الدليل بين العالم العلوي والعالم السفلي والله
اي الذي له الامر كله انزل من السما في الوقت الذي يريده ما بالمطر والثلج والبرد فاحيي به الارض
الغبرا ولما كانت عادته بذلك مشتهره وكان السياق لاثبات دعايم الدين وكان الاحيا بالما
لا يزال اثره قايما في زرع او شجر في بعض الاراضي لعرى الظرف من الجار لان المعنى به ابلغ فقال
بعد موتها باليبوسة والجدب وتفتت النبات اصلا وراسا ولما كان ما اقامه على ذلك في هذه
السورة من الادلة قد صار الى حد لا يحتاج معه السامع العاقل الى اكثر من السماع قال ان في
ذلك الما المؤثر بتدبيره هذا الاثر العظيم لاية لقوم يسمعون هذا التنبيه في هذا الاسلوب
المضمن لما مضى من التنبيه فيعلمون انه ينزل من امره ما يريد فيحيي به اجساد العباد بعد موتها كما
احيى اجساد النبات بالما بعد موتها وارواح الاشباح بالعلم بعد موتها والحاصل ان هذه الادلة
لا تحتاج مع الحس الى كبير عمل بالقلب غير الانقياد الى الحق وترك العناد والجهل فهو من سماع الاذن
وما ينشا عنه من الاجابة استعمالا للشي في حقيقته ومجازه ولعله لم يختمها بيبصرون لئلا يظن ان ذلك
من البصيرة فيظن انه يحتاج فيها الى كبير فكر فيفوت ما اريد من الاشارة الى شدة الوضوح ولما ذكر
سبحانه هذا الامر العام ونبه على ما فيه من غريب الصنع الذي غفل عنه لشدة الالف به اتبعه بعض
ما ينشا عنه من تفاصيل الامور المحتوية على عجايب المقدور وبدا بما عمها واشدها ملابسة لهم واكثرها
في نفسه واعظمها منفعة ودخلا في قوام عيشهم فقال وان لكم اي ايها المخاطبون المغمورون في النعم
في الانعام ولما كانت الادلة يعبر بها من الجهل الى العلم لعبرة فكانه قيل ما هي فقيل نسقيكم بضم النون
في قراة من اسقاه اذا اعدّله ما يشربه دايما من نهر او لبن او غيرهما وبالفتح في قراة نافع وابن عامر
وعاصم في رواية شعبة من سقاه اذا ناوله شيا يشربه ولما كان الانعام اسم جمع فكان مفردا
كما نقل ذلك عن سيبويه وذكر المسقي وهو اللبن لما اقتضاه سياق السورة من تعداد النعم فتعينت
ارادة الاناث لذلك فانتفى الالباس مع تذكير الضمير قال مما اي من بعض الذي في بطونه فذكر
الضمير لامن اللبس والدلالة على قوة المعنى لكونها سورة النعم بخلاف ما في المومنون ولما كان في موضع
العبرة تخليص اللبن من غيره قدم قوله من بين فرث وهو الثفل الذي ينزل الى الكرش فاذا اخرج منه
لم يسم فرثا ودم لبنا خالصا من مخالطتهما او من غيرهما مما يبقى عليه بلون او رايحة عن ابن عباس
رضي الله عنهما اذا اكلت البهيمة العلف واستقر في كرشها طحنته فكان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما والكبد مسلط على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن
في الضرع ويبقى الفرث في الكرش سايغا اي سهل المرور في الحلق للشاربين ثم عطف عليه ما هو
انفس منه عندهم واقرب اليه في المعاني المذكورة فقال معلقا بنسقيكم ومن ثمرات النخيل والاعناب
ولما كان لهم مدخل في اتخاذ ما ذكر منه بخلاف اللبن الذي لا صنع لهم فيه اصلا اسند الامر اليهم

ولكون

وليكون اشارة الى كراهة السكر وتوطية للنهي عنه قوله مستانفا تتخذون باصطناع منكم
وعلاج ولاجل استيناف هذه الجملة كان لا بد من قوله منه اي من ماية وعبر عن المسكر بالمصدر
ابلاغا في تقبيحه وزاد في الابلاغ بالتعبير باثقل المصدرين وهو المحرك يقال سَكِرَ سكرا وسكرا
مثل رشد رُشدا ورَشَدا وبخل بخلا وبَخَلا فقال تعالى سكرا اي ذا سكر منشيا مطربا سادا
لمجاري العقل قبيحا غير مستحسن الرزق ورزقا حسنا لا ينشا عنه ضرر في بدن ولا عقل
من الخل والدبس وغيرهما ولا يسد شيا من المجاري بل ربما فتحها كالحلال الطيب فانه ينير
القلب ويوسع العقل والاذهان كلها تفتح سدد البدن وهذا كما تحكم سبحانه العقل الذي
لا احسن منه فاستعمله قوم على صوابه في الوحدانية وعكس اخرون فدنسوه بالاشراك قال
الرماني قيل السكر ما حرم من الشراب والرزق الحسن ما احل منه عن ابن عباس رضي الله عنهما
وسعيد بن جبير وابرهيم والشعبي وابي رزين والحسن ومجاهد وقتادة والسكر في اللغة على
اربعة اوجه الاول ما اسكر الثاني ما اطعم من الطعام الثالث السكون الرابع المصدر من سكر
واصله انسداد المجاري مما يلقى فيها ومنه السكر يعني بكسر ثم سكون ومن حمل السكر على المسكر
قال انها منسوخة باية المايدة والتعبير عنه بما يفهم سد المجاري يفهم كراهته عند ما كان حلالا
فالاية من الاحتباك ذكر السكر اولا دالا على القبح ثانيا وذكر الحسن دالا على الفتح اولا فالاية ادل
ما في القران على المعتزلة في ان الرزق يطلق على الحرام ولتقارب ايتي الانعام والاشجار
جمعهما سبحانه فقال ان في ذلك اي العظيم من هذه المنافع لاية ولوضوح امرهما في كمال قدرة
الخالق ووحدانيته قال لقوم يعقلون ولما كان امر النحل في الدلالة على تمام القدرة وكمال
القدرة اعجب مما تقدم وانفس ثلث به واخره لانه اقل الثلاثة عندهم وغير الاسلوب
وجعله من وحده ايما الى ما فيه من غريب الامر وبديع الشان فقال واوحى ربك اي المحسن اليك
بجعل العسل في مفاوز البراري المقفرة المفرطة الحرارة وغيرها من الاماكن وبغير ذلك من المنافع
الدال على الفعل بالاختيار وتمام الاقتدار الى النحل اي بالالهام قال الرازي في اللوامع فالله
اعطى كل شي خلقه ثم هدى فبعضها بالتسخير المجرد كالجمادات وبعضها بالالهام والتسخير
كالنحل والسرفة الى بضم وسكون وهي دويبة تتخذ بيتا من دقاق العيدان فتدخله وتموت
والعنكبوت وبعضها بالتسخير والالهام والعقل المتفق على نظام واحد كالملايكة وبعضها بكل
ذلك والفكر والتمييز والاعمال المختلفة المبنية على الفكر كالانسان ولما كان في الايحا معنى القول
اتى بان المفسرة فقال ان اتخذي اي افعلي ما يفعله المتكلف في ان يأخذ من الجبال بيوتا اي
بيوت ما اعجبها ومن الشجر اي الصالحة لذلك في الغياض والجبال والصحاري ومما يعرشون
اي يرفع الناس من السقوف والجدران وغيرها وبدا بالبيوت لانها من عجب الدهر في حسن
الصنعة وبداعة الشكل وبراعة الاحكام وتمام التناسب ولما كان اهم شي للحيوان بعد
الراحة من هم المقيل الاكل ثنى به ولما كان عاما في كل ثمر ذكره بحرف التراخي اشارة الى عجيب
الصنع في ذلك وتيسيره لها فقال ثم كلي واشار الى كثرة الرزق بقوله من كل الثمرات تالوا من

اجزآ لطيفة تقع على اوراق الاشجار من الطل فقال بعضهم من نفس الازهار والاوراق ولما كانت
اذن لها في ذلك كله وكان من المعلوم عادة ان تعاطيه لا يكون الا بمشقة عظيمة في معاناة السير
اليه نبه على خرقه للعادة في تيسيره لها فقال فاسلكي اي فتسبب عن الاذن في الاكل الاذن
في السير اليه سبل ربك اي المحسن اليك بهذه التربية العظيمة لاجل الاكل ذاهبة اليه وراجعة
الي بيوتك حال كون السبل ذللا اي موطاة للسلوك مسهلة كما قال هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا واشار باسم الرب الي انه لولا عظيم احسانه في تربيتها لما اهتدت الي ذلك ثم اتبعه نتيجة
ذلك جوابا لمن كانه قال ماذا يكون عن هذا كله فقال يخرج من بطونها لفت الكلام لعدم قصدها
الي هذه النتيجة شراب اي شراب وهو العسل لانه مع كونه من اجل الماكل هو مما يشرب مختلف
الوانه من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك اختلافا دالا على ان فاعله مع تمام قدرته مختار ثم اوضح
ذلك بقوله فيه اي مع كونه من الثمار النافعة والضارة شفا للناس قال الرازي في اللوامع اذ
المعجونات كلها بالعسل وقال امام الاوليا محمد بن علي الترمذي انما كان ذلك لانها ذلت لله مطيعة
واكلت من كل الثمرات حلوها ومرها محبوبها ومكروهها تاركة لشهواتها فلما ذلت لامر الله صار
هذا الاكل لله فصار ذلك شفا للاسقام فكذلك اذا ذل العبد لله مطيعا وترك هواه صار كلامه شفا
للقلوب السقيمة انتهى وكونه شفا مع ما ذكرا دل على القدرة والاختيار من اختلاف الالوان
لا جرم وصل به قوله ان في ذلك اي الامر العظيم من امرها لاية وكما اشار في ابتدا الاية الي غريب الصنع
في امرها اشار الي مثل ذلك في الختم بقوله لقوم يتفكرون اي اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة
واللطايف الخفية بالبيوت المسدسة والاهتدا الي تلك الاجزآ اللطيفة من اطراف الاشجار
والاوراق وغير ذلك من الغرايب حيث ناطه بالفكر المبالغ فيه من الافتعال تاكيدا لفخامته
وتعظيما لدقته وغرابته في دلالته على تمام العلم وكمال القدرة وقد كثر في هذه السورة اضافة
الايات الي المخاطبين تارة بالافراد وتارة بالجمع ونوطها تارة بالعقل وتارة بالفكر وتارة
بالذكر وتارة بغيرها وقد جعل الامام الرباني ابو الحسن الحرالي في كتابه المفتاح لذلك بابا بعد
ان جعل اسنان الالباب مثل اسنان الاجساد ما بين تمييز واحتلام وشباب وكهولة وغيرها
كما تقدم نقله عنه في سورة براءة عند ومنهم الذين يوذون النبي فقال الباب التاسع في وجوه اضافة
الايات واتساق الاحوال لاسنان القلوب في القران اي فان لذلك مراتب في العلم والافهام
اعلم ان الايات والاحوال تضاف وتنسق لمن اتصف بما به ادرك معناها وتوبخ عليها من
تقاصر عنها وينفي مثالها عمن لم يصل اليها وهي اطوار اظهرها ايات الاعتبار البادية لاولي
الابصار لان الخلق كله انما هو علم للاعتبار منه لا انه موجود للاقتناع به ورضوا بالحياة الدنيا
واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اوليك ماواهم النار بما كانوا يكسبون اتخذوا ما خلق
للعبرة به الي ربه كسبا لانفسهم حتى صار عندهم وعند اتباعهم ايتهم لا اية خالقه اتبنون بكل ريع
اية تعبثون والله خلقكم وما تعملون ثم يلي ايات الاعتبار ما يناله ادراك اية العقل الادنى
ببداهة نظره وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم

يعقلون

يعقلون جمع الايات لتعدد وجوهها في مقصد البيان ثم يلي ما يدرك ببداهة العقل ما يحتاج الي
فكر يثيره العقل الادنى لشغل الحواس بمنفعته عن التفكر في وجه الله هو الذي انزل من السما
ما لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون افرد الاية لاستناد كثرته الي وحدة الما ابتدا ووحدة
الانتفاع انتهاء ثم يلي ما يدرك بفكر العقل الادنى ما يقبل بالايمان ويكون اية امر قايم على خلق
وهو مما يدرك سمعا لان الخلق مرئي والامر مسموع وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يومنون والله انزل من السما ما فاحيى به الارض بعد
موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون هذه اية حياة القلوب بنور العلم والحكمة الذي اخذ
سمعا عند تقرر الايمان وعند هذا الحد يتنامى العقل الي فطرة الاشد وتعلو بداهته
وترتقي فطرته الي نظر ما يكون اية في نفس الناظر لان مجاز غيب الكون يرد الي وجدان
نفس الناظر وكما ان الما اية حياة القلوب صار الشراب اللبن والخمر ايتين على احوال
تخص القلوب بما يغذوها من امر الله غذا اللبن ويغشيها نشوة السكر منبعثا من بين فرث
ودم من نزول الخلق المقام عن الامر القايم عليه وان لكم في الانعام لعبرة الايتين الي قوله ان في
ذلك لاية لقوم يعقلون وهذا هو العقل الاعلى ولفرد الاية لانفراد موردها في وجد
القلب وكما للعقل الادنى فكرة تنبي عن بداهته فكذلك للعقل الاعلى فكرة تنبي عن علي فطرته
واوحى ربك الي النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا الي قوله لاية لقوم يتفكرون وهذا العقل
الاعلى هو اللب الذي يكون عنه التذكر بالادنى من الخلق للاعلى من الامر وما ذرا لكم في الارض
مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وفي مقابلة كل من هذه الاوصاف اضداد
مورد البيان فيها بحسب مقابلها وكذلك حكم وصف المسلمين فيما يظهر ان لا يبقى للعبد من
اسلامه نفسه لربه ووصف المحسنين فيما يظهر قيام ظاهر العبد بربه ووصف الموقنين
فيما وجد بقينه العبد من نفسه او عاين ابتدا بظاهر حسه الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين من استغنى بما عنده من وجد لم يتفرغ لقبول غيب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ولجملة هذه الاوصاف
ايضا اضداد يرد بيان القران فيها بحسب تقابلها ويجري معها افهامه وما اوصله
خفا المسمع والمراي الي القلب هو تفقهه ومن فقد ذلك وصف سمعه بالصم وعينه بالعمي
ونفي الفقه عن قلبه ونسب الي البهيمية ومن لم تنل فكرته اعلام ما غاب عنه عيانه نفي عنه العلم
الذين كانت اعينهم في غطا عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اوليك كالانعام بل هم اضل اوليك

هم الغافلون يقولون لئن رجعنا الى المدينة الى قوله ولكن المنافقين لا يعلمون يقولون لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا الاية الى قوله ولكن المنافقين لا يفقهون نفى العلم فيما ظهرت
اعلامه والفقه فيما خفي امره ومواد البيان عن اضداد ما هذه الاوصاف بحسب تقابلها وهذا
الباب لمن يستفتحه من انفع فواتح الفهم في القران انتهى ولما ايقظهم من رقدتهم ونبههم
على عظيم غفلتهم عن عموم القدرة وشمول العلم المقتضي للفعل بالاختيار والحقوق للبعث وغيره
من كل ما يريد سبحانه ببعض اياته المبثوثة في الافاق من جماد ثم حيوان ثم ختم ذلك بما هو
شفا اتى ببعض ما في انفسهم من الادلة على ذلك مذكرا بمراتب عمر الانسان الاربع وهي
سن الطفولية والنمو ثم سن الشباب الذي يكون عند انتهائه الوقوف ثم سن الكهولة
وفيه يكون الانحطاط مع بقا القوة ثم سن الانحطاط مع ظهور الضعف وهو الشيخوخة مضمنا
ما لا يغني عنه دوا واحثا على التفكر في اياته والتعقل لها قبل حلول ذلك الحادث فيفوت الفوت
ويتبدى مواجيث لا ينفع الندم فقال والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما خلقكم فجعلكم بعد العدم
احيا فهما خصما ثم يتوفاكم على اختلاف الاسنان فلا يقدر الصغير على ان يوخر ولا الكبير على
ان يتقدم فمنكم من يموت حال قوته ومنكم من يرد اي بايسر امر منا لا يقدر على مخالفته بوجه
الى ارذل العمر لانه يهرم فيصير الى مثل حال الطفولية في الضعف مع استقذار غيره له
ولا يرجى بعده لكيلا يعلم ولما كان مقصود السورة الدلالة على تمام القدرة وشمول العلم والتنزه
عن كل شائبة نقص وكان السياق هنا لذلك ايضا بدليل ختم الاية نزع الخافض للدلالة على
استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم فيتصل بالموت ولا ينفع فيه دوا ولا يجدي معه حيلة فقال
بعد علم شيا لا يوجد في شي من ذلك عند احلاله شفا ولا يمنعه دوا فبادروا الى التفكر والاعتبار
قبل حلول احد هذين ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة عليم قدير اي بالغ
العلم شامل القدرة فمهما اراد كان ومهما اراد غيره ولم يرده هو احاط به علمه فسبب له بقدرته
ما يمنعه ولما ذكر المفاوتة في الاعمار المنادية بابطال الطبايع الموجبة لمسابقته الى الاعتبار
لاولي الابصار والخوف كل لحظة من مصيبة الموت ثنى بالمفاوتة في الارزاق فقال والله اي
الذي له الامر كله فضل بعضكم ايها الناس على بعض ولما كانت وجوه التفضيل كثيرة وكان
التفضيل في المعاش الذي يظن الانسان ان له قدرة على تحصيله وكانت المفاوتة فيه ادل
على تمام القدرة والفعل بالاختيار الذي السياق له قال في الرزق اي ولربما جعل الضعيف
العاجز الجاهل اغنى من القوي المحتال العالم فاتقوا الله واجملوا في الطلب واقبلوا بجميع قلوبكم على
ما ينفعكم من الاستبصار قال ابو نعيم في الحلية حدثنا سليمان بن احمد ثنا احمد بن عمرو الخلال سمعت
ابن ابي عمر يقول كنا عند سفيان بن عيينة فذكروا الفضل بن الربيع ودهاه فانشا سفيان يقول

كم من قوي قوي في تقلبه ... مهذب الراي عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ... كانه من خليج البحر يغترف

وعن نوادر ابي علي القالي انه قال قال ابو بكر الانباري وحدثني ابي قال بعث سليمن المهلبي الى الخليل

ابن احمد بماية الف درهم وطالبه بصحبته فرد عليه المائة الالف وكتب اليه هذه الابيات

ابلغ سليمن اني عنه في سعة ... وفي غنى غير اني لست ذا مال
شحا بنفسي اني لا ارى احدا ... يموت هزلا ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

ولما كان جعل المملوك في رتبة المالك مما يتعاظمهم في حقوقهم مع انه في الحقيقة لا ملك ولا
ملك فلا يدينون لذلك ولا يدانونه وان جل الخطب وادى الى ذهاب الارواح بل من كانت
امه مملوكة حطوا رتبته وان كان ابوه من كان وان كانت العبرة عندهم في النسب بالاب وهذا
هو الذي احوج عنترة الى قوله

اني امرؤ من خير عبس نسبا ... شطري واحمي سائري بالمنصل

الى غير ذلك مما كان يعتذر به عن جهة امه نبههم سبحانه على ما وقعوا فيه في حقه من ذلك
بسبب الاشراك مع انه مالك الملك وملك الملوك بعد ما اجترأوا عليه في تفضيل انفسهم في
نسبة البنات اليه فقال فما الذين فضلوا اي في الرزق برادي رزقهم اي الذي اختصوا
به على ما ملكت ايمانهم وان جل نفعهم وتعاظم عندهم وقعهم فهم فيه سوا اي فيكون بذلك
الرد المالك والمملوك سوا فهو جواب للنفي نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة
ولما وضح ذلك وضوح الشمس وظهر حتى ما به اصلا نوع لبس تسبب عنه الانكار في قوله على
وجه الاعراض عن خطابهم المؤذن بالمقت افبنعمة الله اي الذي لا رب غيره يجحدون في
جعلهم له شركا يضيفون اليهم بعض ما انعم به عليهم فيسوون بينهم وبينه في ذلك وبينهم يعترفون
ولهم يحفظون في انزال ما ملكت ايمانهم في المراتب والاموال ولما ذكر الخلق والرزق اتبعهما
الالتذاذ بالتانس بالجنس من الازواج والاولاد وغيرهما اللازم لهما القيام بالمصالح فقال
والله اي الذي له تمام القدرة وكمال العلم جعل لكم ولما كان الازواج من الجنس قال من انفسكم
لان الشي الف لنوعه واقرب الى جنسه ازواجا اي تتوالدون بها ويكون السكون اليها
سببا لبقا نوعكم وجعل لكم اي ايها الناس الذين يوجهون رغباتهم الى غيره من ازواجكم
بنين ولعله قدمهم للشرف ثم عطف على ذلك ما هو اعم فقال وحفدة اي من البنات والبنين
واولادهم والاصهار والاختان جمع حافد يخفون في اعمالهم ويسرعون في خدمتكم طاعة وموالاة
لا كما يفعل الاجانب وبعض العاقين وهذا معنى ما نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما
من انه فسرهم بالخدام والاعوان وهو الصواب لان مادة حفد تدور على الاسراع والخفة
حفد خف في العمل واسرع والحفد محركة الخدم لخفتهم ومشي دون الخبب والحفدة البنات
واولاد الاولاد او الاصهار لذلك وصناع الوشي لاسراعهم فيه واسراع لابسه الى لبسه
مغبط النفس والمحفد كمجلس ومنبر شي يعلف فيه الدواب لاسراعها اليه وكمنبر طرف
الثوب لاسراع حركته وقدح يكال به لخفته وكمجلس الاصل لدوران الامور عليه واسراعها

اليه وسيف محتغد سريع القطع واحفذه حمله على الاسراع والفادحة النازلة وفوادح الدهر
خطوبه لاسراعها بالمكروه واسراع المنزول به ومن بهمه شانه الجد افعتها ومن ذلك فدحه
الامر اثقله لان المكروه بسرع فيثقل فيكثر اضطراب المنزول به ولما ذكر ذلك سبحانه اتبع
ما لا يطيب العيش الا به فقال ورزقكم اي لاقامة اودكم واصلاح احوالكم ولما كان كل النعيم
انما هو في الجنة بعض فقال من الطيبات بجعله ملايما للطباع شهيا للارواح نافعا للاشباح
فعلم من هذا قطعا ان صاحب هذه الافعال هو المختص بالجلال ومن انكر شيا من حقه فقد ضل
ابعد الضلال فكيف بمن انكر خيره وعبد غيره وهو باسم العدم لحق منه باسم الوجود فلذلك
تسبب عنه قوله معرضا عن خطابهم اعراض المغضب افبالباطل اي من الاصنام وما جعلوا لهم
من النصيب يومنون اي على سبيل التجديد والاستمرار وبنعمة الله اي الملك الاعظم هم
وله عليهم خاصة غير ما يشاركون فيه الناس من المنن ما له يكفرون حتى انهم يجعلون مما انعم
به عليهم من السايبة والوصيلة والحامي وغيرها لاصنامهم وذلك متضمن لكفران النعمة
الكاينة منه ومتضمن لنسبتها الى غيره لانه لم ياذن لهم في شي مما حرموه ولا يحل التصرف في مال
المالك الا باذنه ثم قال تعالى عطفا على ما انكره عليهم هناك ويعبدون واشار الى سفول
المراتب كلها عن رتبته سبحانه تعالى من دون الله اي من غير من له الجلال والاكرام مما هو
في غاية السفول من الاصنام وغيرها ما لا يملك اي بوجه من الوجوه لهم رزقا تاركين من بيده
جميع الرزق وهو ذو العلو المطلق الذي رزقهم من الطيبات ثم بين جهة الرزق فقال من
السموات والارض ثم اكد تعميم هذا النفي بقوله مبدلا من رزقا مبينا ان تنوينه للتحقير شيا
ثم اكد حقارتهم بقوله جامعا لان ما عجز عند الاجتماع فهو عند الانفراد اعجز ولا يستطيعون
اي وليس لهم نوع استطاعة اصلا ولك ان تجعله معطوفا على ما مضى من التعجب منه من اقوالهم
وافعالهم في قوله ويجعلون لله ما يكرهون ونحوه ولما دحض بهذه الحجة جميع ما اقاموه من الشبه
وضربوه من الامثال فيما ارتكبوه من قولهم ان الملك لا يتوصل اليه الا باعوان من حاجب
ونايب ونحو ذلك ولا يتوصل اليه الا بانواع القربان فعبدوا الاصنام وفعلوا لها ما يفعل
له تشبيها به عز شانه وتعالى سلطانه لان الفرق ان ملوك الدنيا المقيس عليهم انما اقاموا
من ذكر لحاجتهم وضعف ملكهم ومن لا يهم محالهم مخالف لوصف من لا تاخذه سنة ولا نوم ولا
يشغله شان عن شان وكل شي في قبضته وتحت قهره وعظمته فلذلك تسبب عنها قوله
فلا تضربوا لله اي الذي له الاحاطة الكاملة الامثال اي فتشبهوه بسببها بغيره وان
ضرب لكم هو الامثال قال ابو حيان وغيره قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لا تشبهوه بخلقه
انتهى وهو كما قال في الكشاف تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال
مشبه حالا بحال وقصة بقصة انتهى وهذا النهي عام في كل مثل لخطر الامر خشية ان يكون
ذلك المثل غير لايق بمقداره وقد تقرر ان درء المفاسد اولى من جلب المصالح لا سيما في هذا
لان الخطا فيه كفر ويدل على ذلك تعليل الحكم بقوله ان الله اي الذي له الامر كله ولا امر لغيره

يعلم اي له جميع صفة العلم فاذا ضرب مثلا اتقنه باحاطة علم بحيث لا يقدر غيره ان يبدي فرقا
ما بين الممثل والممثل به في الامر الممثل له وانتم لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا فلذلك تغوصون
عن الشمس ويلبس عليكم ما ليس فيه لبس وهذا المقام عال ومسلكه وعر وسالكه على غاية من
الخطر ولما ختم سبحانه بذلك تاكيدا لابطال مذهب عبدة الاصنام بسلب العلم الذي هو
مناط السداد عنهم حسن ان يصل به قوله اقامة للدليل على علمه بان امثاله لا يتطرق
اليها الطعن ولا تتوجه نحوها الشكوك ضرب الله اي الذي له كمال العلم وتمام القدرة
مثلا بالاحرار والعبيد له ولما عبدتموه معه ثم ابدل من مثلا عبدا ولما كان العبد يطلق على
الحر بالنسبة الى الله تعالى قال مملوكا لا مكاتبا ولا فيه شايبة من حرية لا يقدر على شي
باذن سيده ولا غيره وهذا امثل شركا بهم ثم عطف على عبدا قوله ومن رزقناه منا من
الاحرار رزقا حسنا واسعا طيبا فهو ينفق منه دايما وهو معنى سرا وجهرا وهذا مثل
الاله وله المثل الاعلى ثم بكتهم انكارا عليهم بقوله هل يستوون اي هذان الفريقان المثل
بهما لان المراد الجنس فاذا كان لا يسوغ في عقل ان يسوي بين مخلوقين احدهما حر متقدر
والاخر مملوك عاجز فكيف يسوي بين جمادات او غيره وبين الله الذي له القدرة
التامة على كل شي ولما كان الجواب قطعا لا وعلم ان الفاضل ما كان مثا لا له سبحانه علم ان
من سوى بينهما او فعل ما يوول الى التسوية اجهل الجهلة فثبت مضمون ان الله يعلم وانتم
لا تعلمون وان غيره تعالى لا يساوي شيا فثبت بلا ريب انه المختص بالمثل الاعلى فعبر
عن ذلك بقوله الحمد لله اي له الاحاطة بالعلم وجميع صفات الكمال التي منها اختصاصه
بالشكر لكونه هو المنعم وليس لغيره احاطة بشي من ذلك ولا غيره فكانهم قالوا نحن نعلم ذلك
فقيل بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم بشي اصلا لانهم يعملون في هذا بالجهل فنسبتهم الى
الغباوة احسن في حقهم من نسبتهم الى الضلال على علم وسياتي في سورة لقمان ان شا الله تعالى
ما يكون نافعا في هذا المقام وانما خصت الحمد بما تقدم لانه قد مضى في سورة الفاتحة ان مادة
حمد تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والاحاطة والاستدارة فيلزمها مطاطاة
الراس وقد يلزم الغاية الرضي فيلزمه الشكر وبيانه ان الحمد بمعنى الرضي والشكر لانهما
يكونان غالبا عن غاية الاحسان ويرجع الى ذلك الحمد بمعنى الجزا وقضا الحق وحماداك بالضم
اي غايتك ويوم محتمد شديد الحر ووجد النار وحركة صوت التهابها واما يتحمد على بمعنى يمتن
فاصله يذكر ما يلزم منه حمده ومنه المدح وهو حسن الثنا وتمدح بمعنى تكلف ان يمدح وافتخر
وتشبع بما ليس عنده فانه في كل ذلك بذل جهده ودحمه كمنع دفعه شديدا والمراة نكحها لما
في ذلك من بلوغ الغاية في الشهوة وما يلزمها من الدفع ونحوه والدحم بالكسر الاصل لانه غاية
الشي الذي ينتهي اليه وحدم النار وحرك شدة احتراقها وحميها والحدم الدم اشتد حمرته
حتى يسود والحدمة محركة النار لانها غاية الحر والحدمة ايضا صوتها لدلالته على قوة
التهابها ومن ذلك الحدمه ايضا الصوت جوف الحية او صوت في الجوف كانه تخبط لانه



يدل على غاية الذهاب الباطن والحزمه كقرحه السويقة الغلي في القدور ومن الاتساع تدحت الارض اي اتسعت ومن الاستدارة الداحوم لحبالة الثعلب لانها بلغت الغاية من مراد الصايد ولانه لما لم يقدر على الخلاص منها كانت كانها قد احاطت به والدحمح المستدير المظلم ودح تدبيحا طاطا راسه لان الانعطاف مبدا الاستدارة والله الموفق ولما انقضى هذا المثل كافيا في المراد ملزما لهم لاعترافهم بان الاصنام عبيد الله في قولهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وكان ربما كابر مكابر فقال انهم ليسوا املاكا له اتبعه مثلا اخر لا تمكن المكابرة فيه فقال **وضرب الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة ايضا **مثلا** ثم ابدل منه **رجلين** ثم استانف البيان لما اجمل فقال **احدهما ابكم** اي ولد اخرس ثم ترجم بكلمته التي اريد بها انه لا يفهم ولا يفهم بقوله **لا يقدر على شي** اي اصلا **وهو كل** اي ثقل وعيال والاصل فيه الغلظ الذي يمنع من النفوذ كلت السكين كلولا اذا غلظت شفرتها فلم تقطع وكل لسانه اذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده ثاله الرماني **على مولاه** الذي يلي امره ثم بين ذلك بقوله **اينما يوجهه** اي يرسله ويصرفه ذلك المولى **لا يات بخير** وهذا مثل شركايهم الذين هم عيال ووبال على عبدتهم ولما انكشف ضلالهم في تسويتهم الانداد الذين لا قدرة لهم على شي تما بالله الذي له الاحاطة بكل شي قدرة وعلما حسن كل الحسن توبيخهم والانكار عليهم بقوله **هل يستوي هو** اي هذا المذكور **ومن** اي ورجل اخر على ضد صفته فهو عالم فطن قوي خبير مبارك الامر ميمون النقيبة **يامر** بما له من العلم والقدرة **بالعدل** اي بذل النصيحة لغيره **وهو** في نفسه ظاهرا وباطنا **على صراط** اي طريق واضح واسع **مستقيم** اي عامل بما يامر به وهذا مثال للمعبود بالحق الذي يكفي عابده جميع المؤن وهو دال على كمال علمه وتمام قدرته ولما تم هذان المثلان الدالان على تمام علمه وشمول قدرته القاضيان بان غيره عدم عطف على قوله ان الله يعلم قوله مصرحا بتمام علمه وشمول قدرته **ولله** اي هذا علم الله في المشاهدات الذي علم من هذه الادلة لهم مختص به ولذي الجلال والاكرام وحده **غيب السموات والارض** كما ان له وحده شهادتهما فما اراد من ذلك كانت قدرته عليه كقدرته على الشهادة من الساعة التي تنكرونها استعظاما لها ومن غيرها بما فصله لكم من اول السورة الى هنا من خلق السموات والارض وما فيهما **وما امر الساعة** وهي الوقت الذي يكون فيه البعث على اعتقادكم انها لا تكون استبعادا لها واستعصابا لامرها في سرعته عند الناس لو رأوه ولذا عبر عنه بالساعة **الا كلمح البصر** اي كرجع الطرف المنسوب الى البصر اي بصر كان **او هو اقرب** واذا الخلق قد قاموا من قبورهم مهطعين الى الداعي هذا بالنسبة الى علمهم وقياسهم واما بالنسبة اليه سبحانه فامره في الجلالة والعظم والسرعة والاتقان يجل عن الوصف وتقصر عنه العقول ولا شك فيه ولا تردد ولذلك علله بقوله **ان الله** اي الملك الاعظم **على كل شي** اي ممكن **قدير** ولما انقضى توبيخهم على ايمانهم بالباطل وكفرانهم بالحق وما استتبعه وختم بامر الساعة عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ما هو من

ادلة

ادلة الساعة وكمال القدرة والفعل بالاختيار من النشاة الاولى فقال **والله** اي الذي له العظمة كلها **اخرجكم** بعلمه وقدرته **من بطون امهاتكم** والذي اخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطن الارض بلا فرق بل بطريق الاولى حال كونكم عند الاخراج **لا تعلمون شيئا** من الاشياء قل او جل وعطف على اخرجكم قوله **وجعل لكم** بعد ذلك ايضا **السمع والابصار والافئدة** الالات لازالة الجهل الذي وقعت الولادة عليه وفتق مواضعها وسواها وعدلها وانتم في البطون حيث لا تصل اليه يد ولا يتمكن من شق شي منه بالة فالذي قدر على ذلك في البطن ابتداء قادر على اعادته في بطن الارض بل بطريق الاولى ولعله جمعهما دون السمع لان التفاوت فيهما اكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله والافئدة هي القلوب التي هياها للفهم واصلاح البدن بما اودعها من الحرارة اللطيفة القابلة للمعاني الدقيقة **لعلكم تشكرون** اي لتصيروا بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواعظ وابصرتم الايات في حال يرجى فيها شكركم لما افاض عليكم من لطايف صنعه بان تعرفوا ما له من العلم والقدرة وحسن التعرف فتعترفوا له بجميع ما اتتكم به رسله واهمه الذي تبنى عليه جميع مقاصد الاصول ان المنعم عليكم بهذه النعم الواحد عالم بكل شي قادر على كل شي فاعل بالاختيار وان الطبايع من جملة مقدوراته لا فعل لها الا بتصريفه ولما كان المقصود من تعداد هذه النعم الاعلام بانه الفاعل بالاختيار وحده لا الطبايع ولا غيرها دلهم على ذلك بعموم ما الى ما مضى بقوله مقررا لهم **الم يروا** بالخطاب والغيبة على اختلاف القراءتين لان سياق الكلام وسياقه يحتمل المقبل وللعرض بخلاف سياق الملك فانه للعرض فقط فلذا اختلف القراء هنا واجمعوا هناك **الى الطير مسخرات** اي مذللات للطيران بما اتاها الله فيه من المصالح والحكم بالطيران وغيره **في جو السماء** في الهواء بين الخافقين بما لا تقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها في السمع والبصر وزيادتكم عليها بالعقول فعلم قطعا ما وصل بذا لمعنى قوله **ما يمسكهن** اي في الجو عن الوقوع ولما كان للسياق هنا مدخل عظيم في الرد على اهل الطبايع وهم الفلاسفة ولهم وقع عظيم في قلوب الناس عبر بالاسم الاعظم اشارة الى انه لا يقوى على رد شبههم الا من احاط علما بمعاني الاسماء الحسنى فكان متمكنا من علم اصول الدين فقال **الا الله** اي الملك الاعظم لان نسبتكم اياها الى الطبيعة واحدة فلو كان ذلك فعلها لاستويتم ثم نبههم على ما في ذلك من الحكم بقوله **ان في ذلك** اي الامر العظيم من اخراجكم على تلك الهيئة والانعام عليكم بما ليس لها وتقديرها على ما لم تقدروا عليه مع نقصها عنكم **لايات** ولما كان من لم ينتفع بالشي كانه لم يملكه قال **لقوم يومنون** اي هيام الفاعل المختار للايمان ولما ذكرهم سبحانه بنعمة الادراك بعد ابتداء الخلق واتبعه ما من به على الطير من الارتفاع الحامي لها من الحر اتبعه ما يسكنون اليه فيظلهم ويجمعهم لانه اهم الاشياء للحيوان فقال **والله** اي الذي له الحكمة البالغة والقدرة الشاملة **جعل لكم** اي ايها الغافلون **من بيوتكم** اصل البيت الماوي ليلا ثم اتسع فيه **سكنا** هو مصدر بمعنى مفعول ولم يسلط عليكم فيها الحشرات والوحوش كما سلطكم عليهم ثم اتبع ما يخص الحضر ما يصلح له وللسفر بما يميزهم به عن الطير وغيرها

من سائر الحيوان فقال وجعل لكم اي انعاما عليكم من جلود الانعام التي سلطكم عليها ولما كانت الخيام
التي من جلود الانعام في ظلها الظليل تقارب بيوت القرى جمعها جمعها فقال بيوتا فانهم قالوا
ان هذا الجمع بالمسكن اخص والابيات بالشعر اخص تستخفونها اي تطلبون بالاصطناع خفتها
فتجدونها كذلك يوم ظعنكم اي وقت ارتحالكم وعبر به لانه في النهار اكثر ويوم اقامتكم ثم اتبعه
ما به كمال المسكن فقال ومن اصوافها اي الضأن منها واوبارها وهي للابل كالصوف للغنم
واشعارها وهي ما كان من المعز ونحوه من المساكن والملابس والمفارش والاخبية وغيرها اثاثا
اي متاعا من متاع البيت كثيرا من قولهم شعر اثيث اي كثير واثّ النبت اذا كثر ومتاعا
تتمتعون به الى حين اي وقت غير معين بحسب كل انسان في فقد ذلك واعرض عن ذكر
الحرير والكتان والقطن لانها لم تكن من صناعتهم واشارة الى الاقتصاد وعدم الاسراف ولما
ذكر ما يخصهم اتبعه ما يشاركون فيه سائر الحيوانات فقال والله اي الذي له الجلال والاكرام
جعل لكم اي من غير حاجة منه سبحانه مما خلق ظلالا من الاشجار والجبال وغيرها وجعل
لكم اي مع غناه المطلق من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به اي يستتر من الكهوف ونحوها
ولو كان الخالق غير مختار لكانت على سنن واحد لا ظلال ولا اكنان ثم اتبع ذلك ما هو اهم اليه
عوضا مما جعله لسائر الحيوان فقال وجعل لكم اي منا منه عليكم سرابيل اي ثيابا تقيكم الحر وهي
كل ما لبس من قميص وغيره كما قال الزجاج ولما كانت السرابيل نوعا واحدا لم يكرر جعل فقال
وسرابيل اي دروعا ومغافر وغيرها تقيكم باسكم اضافه اليهم انها ما لا له الحرب وذلك كما جعل
لبقية الحيوان من الاصواف ونحوها والانياب والاظفار ونحوها ما هو نحو ذلك يمتنع من الحر
والبرد ومن علاج العدو ولم يذكر سبحانه هنا وقاية البرد لتقدمها في قوله لكم فيها دفء ولما
تم ذلك كان كانه قيل لقد نبهنا سبحانه بهذا الكلام على تمام نعمة الايجاد فهل بعدها من نعمة فقال
نعم كذلك اي كما اتم نعمة الايجاد عليكم هذا الاتمام العظيم بهذه الامور وتنبيهها عليها يتم نعمته عليكم
في الدنيا والدين بالبيان والهداية لطريق النجاة والمنافع والتنبيه على دقائق ذلك بعد جلائله
لعلكم تسلمون اي ليكون حالكم بما ترون من كثرة احسانه بما لا يقدر عليه غيره مع وضوح الامر
حال من يرجى منه اسلام قياده لربه فلا يسكن ولا يتحرك الا في طاعته فلما ازهد هذا البيان الى الجل
من العيان كان ربما وقع في الوهم انهم ان لم يجيبوا الحق الداعي بسبب اعراضهم حرج فقال تعالى
نافيا لذلك معرضا عنهم اعراض المغضب مقبلا عليه صلى الله عليه وسلم اقبال المسلي معبرا بصيغة
التفعل المفهمة لان الفطر الاولى داعية الى الاقبال على الله فلا يعرض صاحبها عما يرضيه سبحانه
الا بنوع معالجة فان تولوا اي كلفوا انفسهم الاعراض ومتابعة الاهواء فلا تقصير عليك بسبب
توليهم ولا حرج فانما عليك البلاغ المبين وليس عليك ان تردهم عن العناد فكانه قيل فهل كان
اعراضهم عن جهل او عناد فقيل فيهم وفيهم يعرفون كلهم نعمت الله اي الملك الاعظم التي تقدم
بعضها في هذه السورة وغيرها ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها او بتكذيب الآتي بالتنبيه
عليها بعضهم لضعف معرفته وبعضهم عنادا وكان بعضهم يقول هي من الله ولكن بشفاعة الهتنا

واكثرهم

واكثرهم اي المدعوين بالنسبة الى جميع اهل الارض الذين ادركتهم دعوته صلى الله عليه وسلم
الكافرون اي المعاندون الراسخون في الكفر ولما كان من اجل المقاصد بهذه الاساليب
التخويف من البعث وكان من المعلوم انه ليس بعد الاعراض عن البيان والاصرار على كفران
المعروف من الاحسان الا المجازاة لان الحكيم يمهل ولا يهمل قال عاطفا على ثمرة فانما عليك
البلاغ المبين وهي فيبلغهم ويبين لهم ولا نياس من رجوعهم ويوم اي وخوفهم يوم نبعث بعد
البعث من كل امة شهيدا يحكم بقوله الملك اجرا للامر على ما يتعارفون وان كان غنيا عن شهيد
ولما كان الاذن لهم في الاعتذار في بعض المواقف الطويلة في ذلك اليوم متعذرا عبر عنه سبحانه
باداة البعد فقال ثم لا يؤذن لا يقع اذن على تقدير من التقادير للذين كفروا اي بعد
شهادة الشهداء في الاعتذار كما يؤذن في هذه الدار للمشهود عليه عند السؤال في الاعذار
لانه لا عذر هناك في الحقيقة ولا هم اي خاصة يستعتبون اي ولا يطلب منهم الاعتاب
الموثر للرضى وهو ازالة العتب وهو الموجدة المعبر بها عن الغضب المعبر به عن اثارة من
السطوة والانتقام واخذ العذاب لاهل الاجرام من قبيح ما ارتكبوا لان تلك الدار
ليست بدار تكليف ثم وصل به ان ما يوجب الغضب يدوم عليهم في ذلك اليوم فقال عاطفا
على ما بعد ثم واذا راى واظهر موضع الاضمار تعميما فقال الذين ظلموا معبرا بالوصف الموجب
للعذاب العذاب بعد الموقف وشهادة الشهداء وجزاء الشرط محذوف لدلالة ما قرن بالفا
عليه تقديره لابسهم فلا يخفف اي يحصل تخفيف بنوع من الانواع ولا باحد من الخلق عنهم شيء
منه ولا هم ينظرون بالتاخير ولا لحظة بوجه من الوجوه على تقدير من التقادير من احد ما ولما
بين سبحانه حاصل امرهم في البعث وما بعده وكان من اهم المهم امرهم في الموقف مع شركائهم
الذين كانوا يرجون نفعهم عطف على ذلك قوله واذا راى اي بالعين يوم القيمة الذين اشركوا فاظهر
ايضا الوصف المناسب للمقام شركاءهم اي الالهة التي كانوا يدعونها شركاء قالوا ربنا يا من
احسن الينا وربانا هؤلاء شركاؤنا اضافوهم الى انفسهم لانه لا حقيقة لشركتهم سوى تسميتهم
لها الموجب لغرورهم ثم بينوا المراد بقولهم الذين كنا ندعوا اي نعبد ولما كانت المراتب متكثرة
دون رتبته سبحانه لان علوه غير منحصر ادخل الجار فقال من دونك ليقربونا اليك فاكرمنا لاجلهم
جريا على منهاجهم في الدنيا في الجهل والغباوة فخاف الشركاء من عواقب هذا القول والاقرار عليه
سطوات الغضب فالقوا اي الشركاء اليهم اي المشركين القول اي بادروا به حتى كان اسراعه اليهم
اسراع شيء ثقيل يلقى من علو واكدوا قولهم لانه مطاعنة لقول المشركين فقالوا انكم لكاذبون
في جعلنا شركاء وانا نستحق العبادة او نشفع او يكون لنا امر نستحق به ان نذكر والقوا اي
الشركاء الى الله اي الملك الاعلى يومئذ اي يوم القيمة اذ نبعث من كل امة شهيدا السلم اي
الانقياد والاستسلام بما علم به الكفار انهم من جملة العبيد لا امر لهم اصلا فاصله زندهم وخاب
تمردهم وقيد بذلك اليوم لانهم كانوا في الدنيا بتزيين الشياطين لامورهم ونطقهم على السنتهم
بحيث يظن عابدوهم ان لهم منعة ولهم قوة ويجوز ان يكون ضمير القوا للمشركين وضل عنهم اي الكفار

ماكانوا اي بجبلاتهم يفترون اي يتعمدون من دعوى النفع لهم والضر كذبا وفجورا فكانه قيل
هذا للذين اشركوا فما للذين كانوا دعاة الى الشرك مانعين من الانتقال عنه فقيل الذين كفروا
اي اوجدوا الكفر في انفسهم وصدوا مع ذلك غيرهم عن سبيل الله اي الذي له الاحاطة كلها
زدناهم اي بما لنا من العظمة بصدهم غيرهم عذابا فوق العذاب الذي استحقوه على مطلق الشرك
بما كانوا اي كونا جبليا يفسدون اي يوقعون الفساد ويجددونه ثم كرر التحذير من ذلك
اليوم على وجه يزيد على ما افهمته الاية السالفة وهو ان الشهادة تقع على الامم لا لهم وتكون
بحضرتهم فقال ويوم اي وخوفهم يوم نبعث اي بما لنا من العظمة في كل امة من الامم شهيدا
اي هو في اعلى رتب الشهادة عليهم ولما كانت بعثة الانبياء السالفين عليهم الصلاة والسلام
خاصة بقومهم الا قليلا قال من انفسهم وهو نبيهم ولما كان لذلك اليوم من التحقق ما لا شبهة فيه
بوجه وكذا شهادة النبي صلى الله عليه وسلم عبر بالماضي اشارة الى ذلك والى انه صلى الله عليه وسلم
لم يزل من حين بعثته متصفا بهذه الصفة العلية فقال وجئنا اي بما لنا من العظمة بك شهيدا اي
شهادة هي مناسبة لعظمتنا على هولاء اي الذين بعثناك اليهم وهم اهل الارض واكثرهم ليس
من قومه صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقيد بعثته بشي ثم بين انه لا اعذار في شهادته لانه
لا حجة في ذلك اليوم لمن خالف امره اليوم لانه سبحانه ازاح العلل وترك الامر على بيضا نقية ليلها
كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك فقال عاطفا قوله وما انزلنا عليك الكتاب الاية المتعقب لقوله
لا جرم الايتين ونزلنا اي بعظمتنا بحسب التدريج والتنجيم عليك الكتاب الجامع للهدى
تبيانا اي لاجل البيان التام قالوا وهو اسم وليس بمصدر كتلقا لكل شي ورد عليك من اسيلتهم
ووقايعهم وغير ذلك وهو في اعلى طبقات البيان كما انه في اعلى طبقات البلاغة لان المعنى
به اسرع الى الافهام واظهر في الادراك والنفس اشد تقبلا له لما عليه من حسن النظام والقرب
الى الافهام وانما احتيج الى تفسيره مع انه في نهاية البيان لتقصير الانسان في العلم بمذاهب العرب
الذين هم الاصل في هذا اللسان وتقصير العرب عن جميع مقاصده كما قصروا عن درجته في
البلاغة فرجعت الحاجة الى تقصير الفهم لا لتقصير الكلام في البيان ولهذا تفاوت الناس في فهمه
لتفاوتهم في درجات البلاغة ومعرفة طرق العرب في جميع اساليبها قال الشافعي رضي الله تعالى عنه
في اخر خطبة الرسالة بعد ان دعا الله ان يرزقه فهما في كتابه ثم في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم
فليست تنزل باحد من اهل دين الله نازلة الا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها واحتج
بايات منها هذه وذلك لانه سبحانه بين فيه التوحيد والمبدا والمعاد والامر والنهي والحلال
والحرام والحدود والاحكام بالنص على بعضها وبالاحالة على السنة في الاخر وعلى الاجماع في نحو
قوله تعالى ويتبع غير سبيل المومنين وعلى الاقتدا بالخلفا الراشدين في قوله صلى الله عليه وسلم
عليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين من بعدي وبالاقتدا بجميع اصحابه رضي الله عنهم في قوله صلى الله
عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطيوا طرق القياس
والاجتهاد ولم يخرج احد منهم عن الكتاب والسنة فهو من دلايل النبوة في كونه صلى الله عليه وسلم

هوهم

الي حم

شهيدا

شهيدا لكونه ما اخبرهم الا بما هم اهله ولما كان التبيان قد يكون للضلال قال وهدى
ولما كان الاكرام قد لا يكون اعلى طبقات السرور به قال وبشرى اي بشارة عظيمة جدا
للمسلمين ويجوز ان يكون التقدير في كل امة شهيدا عليهم وهو رسولهم الذي ارسلناه اليهم
في الدنيا وجيناك شهيدا على هولا لكوننا ارسلناك اليهم وجعلناك ابينا عليهم ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شي فلا عذر لهم فيكون معطوفا على ما دل الكلام السابق دلالة واضحة على
تقديره ولما بين تعالى فضل هذا القران بما يقطع حجتهم وكان قد قدم فضل من يامر بالعدل
وهو على صراط مستقيم اخذ يبين اتصاف القران ببيان كل شي وتضمنه لذلك الطريق الاقوم فقال
جامعا لما يتصل بالتكاليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق والاداب عموما وخصوصا ان الله
اي الملك المستجمع لصفات الكمال يامر بالعدل وهو الانصاف الذي لا يتقبل عمل بدونه واول
درجاته التوحيد الذي بنيت السورة عليه والعدل يعتبر تارة في المعنى فيراد به هية في
الانسان تطلب بها المساواة وتارة في الفعل فيراد به التقسيط القايم على الاستوا وتارة
يقال هو الفضل كله من حيث انه لا يخرج شي من الفضايل عنه وتارة يقال هو من اكمل الفضايل
من حيث ان صاحبه يقدر على استعماله في نفسه وفي غيره وهو ميزان الله المبرا من كل زلة وبه
يستتب امر العالم وبه قامت السموات والارض وهو وسط كل اطرافه جود وبالجملة الشرع
مجمع العدل وبه تعرف حقايقه ومن استقام على نهج الحق فقد استتب على منهج العدل ذكره الرازي
في اللوامع وفيه تلخيص وفي اخر الجز الخامس عشر من الثقفيات ان عمر بن عبد العزيز قال لمحمد
ابن كعب القرظي صف لي العدل فقال كن لصغير الناس ابا ولكبيرهم ابنا وللمثل اخا وللنسا كذلك
وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر اجسامهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتعتدي
فتكون من العادين انتهى والاحسان وهو فعل الطاعة على اعلى الوجوه فالعدل فرض
والاحسان فضل وهو مجاوزة النصفة الى التحامل على النفس لانه وقع في الفرض نقص يجبر
بالنفل وهو في التوحيد الارتقا عن اول الدرجات ومن علاه الفنا عن الاكوان وتكون
الاكوان في غيبتها عند انبساط نور الحق كالنجوم في انطماسها عند انتشار نور الشمس
وغايته الفنا حتى عن هذا الفنا وشهود الله وحده وهو التوحيد على الحقيقة كما في حديث
ابي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك وهو روح الاسانية في الجزء الثامن من الثقفيات عن عاصم بن كليب الجرمي قال
حدثني ابي كليب انه شهد مع ابيه جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا غلام
اعقل وافهم قال فانتهي بالجنازة الى القبر ولما تمكن لها فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سووا لحد هذا حتى ظن الناس انها سنة فالتفت اليهم فقال اما ان هذا لا ينفع الميت
ولا يضره ولكن الله تعالى يحب من العامل اذا عمل ان يحسن وايتاي ذي القربى فانه من الاحسان
وهو اولى الناس بالبر وذلك جامع للاحسان في صلة الرحم ولما امر بالمكارم نهى عن المساوي والملايم
فقال وينهى عن الفحشا وهي ما اشتد تقصيره عن العدل فكان ضد الاحسان والمنكر

سطه
الاحسان روح الاسانيه

وهو ما قصر عن العدل في الجملة **والبغي** وهو الاستعلا على الغير ظلما وقال البيضاوي في سورة الشورى هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرا الكمية او كيفية وهو من المنكر صرح به اهتماما وهو اخو قطيعة الرحم ومشارك لها في تعجيل العقوبة ما من ذنب احري ان يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له في الاخرة من البغي وقطيعة الرحم رواه احمد وابو داود والترمذي عن ابي بكرة رضي الله عنه رفعه واصل البغي الارادة كانه صار يفهم هذا المعني المحظور المحذر عنه بحذف مفعوله لان الانسان لكونه مجبولا على النقصان لا تكاد تصلح منه ارادة فعلية ان يكون مسلوب الاختيار مع الملك الجبار الواحد القهار فتكون ارادته تابعة لارادته واختياره من وراء طاعته وعن الحسن ان الخلقين الاولين ما نزكا طاعة الاجمعها والاخيرين ما نزكا معصية الاجمعها ولما دعا هذا الكلام على وجازته الى امهات الفضايل التي هي العلم والعدل والعفة والشجاعة وزاد من الحسن ما شا فان الاحسان من ثمرات العفة والنهي عن البغي الذي هو من ثمرات الشجاعة المذمومة اذن فيما سواه منها ولا يقوم شي من ذلك الا بالعلم وكان هذا ابلغ وعظ نبه عليه سبحانه بقوله **يعظكم** اي يامركم بما يرقق قلوبكم من مصاحبة ثلاثه ومجانبة ثلاثه **لعلكم تذكرون** اي ليكون حالكم حال من يرجي تذكره لما في ذلك من المعاني بما وهب الله من العقل الداعي الى كل خير الناهي عن كل ضير فان كل احد من طفل وغيره يكره ان يفعل معه شي من هذه المنهيات ثم كان له عقل واعتبر بعقله علم ان غيره يكره منه ما يكره هو منه ويعلم انه ان لم يكن عن فعل ما يكره اخوه وقع التشاجر فيحصل الفساد المودي الى خراب الارض هذا في الفعل مع امثاله من المخلوقين فكيف بالخالق بان يصفه بما لا يليق به سبحانه وعز اسمه وتعالى جده وعظم امره ولما تقررت هذه الجمل التي جمعت بجمعها للمامورات والمنهيات ما تضيق عنه الدفاتر والصدور وشهد لها المعاندون من بلغا العرب انها بلغت ناموس البحر وتعالت عن طوق البشر عطف على ما افهمه السياق من نحو فتذكروا او فالزموا ما امرتم به ونابذوا ما نهيتم عنه بعض ما اجمله وبدا بما هو مع جمعه اهم وهو الوفا بالعهد الذي يفهم منه العلي بالله ما دل عليه العقل من الحجج القاطعة بالتوحيد وصدق الرسل ووجوب اتباعهم فكانت اعظم العهود ويفهم منه غيرهم ما يتعارفونه مما يجري بينهم من المواثيق فاذا اسار وا فيها بما امر سبحانه وتحرو ارضاه علما منهم بانه العدل قادهم ذلك الى رتبة الاولين فقال تعالى **واوفوا** اي اوقعوا الوفا الذي لا وفا في الحقيقة غيره **بعهد الله** اي الملك الاعلى الذي عاهدكم عليه بادلة العقل والنقل من التوحيد وغيره من اصول الدين وفروعه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه **اذا عاهدتم** بتقبلكم له باذعانكم لامثاله من الادلة فيما عرف من عوايدكم وصرحتم به عند شدايدكم ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم عطف عليه ما هو من جنسه واخص منه فقال **ولا تنقضوا الايمان** واحترز عن لغو اليمين بقوله **بعد توكيدها** وحذف الجار لان المنهي عنه انما هو استغراق زمان البعد بالنقض وذلك لا يكون الا بالكذب الشامل له كله بعضه بالقوة وبعضه بالفعل ولعله جمع

اشارة الى ان المذموم استهانتها من غير توقف على كفارة لان من فعل ذلك ولو في واحدة كان فاعلا ذلك في الجميع بخلاف من ينقض ما نقضه جبر بالكفارة فانه ناقض للبعض لا للكل لانه داير مع الخير والاول داير مع الهوي ثم حذرهم من النقض بانه مطلع قادر فقال مقبحا لحالهم اذ ذاك **وقد جعلتم الله** اي الذي له العظمة كلها **عليكم كفيلا** اي شاهدا ورقيبا ولما كان من شان الرقيب حفظ احوال من يراقبه قال مرغبا مرهبا **ان الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **يعلم ما تفعلون** فلم تفعلوا شيا الا بمشيئته وقدرته فكانت كفالته مجعولة بهذا الاعتبار وان لم يصرح بالجعل فمتى نقضتم فعل بكم فعل الكفيل القادر بالمكفول المماطل من اخذ الحق والعقوبة ولما امر بالوفا ونهي عن النقض شرع في تاكيد وجوب الوفا وتحريم النقض وتقبيحه تنفيرا منه فقال **ولا تكونوا** اي في نقضكم لهذا الامر المعنوي **كالتي نقضت غزلها** ولما كان النقض لم يستغرق زمان البعد قال **من بعد قوة** عظيمة حصلت له **انكاثا** اي انقاضا جمع نكث وهو كل شي نقض بعد الفتل سوا كان حبلا او غزلا فهو مصدر مجموع من نقضت لانه بمعنى نكثت قال في القاموس النكث بالكسران تنقض اخلاق الاكسية لتغزل ثانية فيكون مثل جلست قعودا اي فتكونوا بفعلكم ذلك كهذه المراة التي ضربت المثل بها في الحمق مع احلامكم انه يضرب بادناكم المثل في العقل ثم وصل بذلك ما يعرف انهم اسفه من تلك المراة بسبب ان ضررها لا يتعداها واما الضرر بفعلهم فانه مفسد لذات البين فقال **تتخذون** اي تكلف الفطرة الاولى ضد ما تدعو اليه من الوفا **ايمانكم دخلا** اي فيصير كونها ايمانا الى كونها ذريعة الى الفساد بالخداع والغرور **بينكم** من حيث ان المحلوف له يطمين فيفجاه الضرر ولو كان على حذر لما نيل منه ولا جسر عليه وكل ما ادخل في الشي على فساد فهو دخل **ان** اي تفعلوا ذلك بسبب ان **تكون امة** اي وهي الخادعة او المخدوعة لاجل سلامتها **هي** اي خاصة **اربى** اي ازيد واعلى **من امة** في القوة او العدد فاذا وجدت نفاذا لزيادتها غدرت ولما عظم عليهم النقض وبين ان من اسبابه الزيادة حذرهم غوايل البطر فقال **انما يبلوكم** اي يختبركم **الله** اي الذي له الامر كله **به** اي يعاملكم معاملة المختبر بالايمان والزيادة ليظهر للناس تمسككم بالوفا والخلاعكم منه اعتمادا على كثرة انصاركم وقلة انصار من نقضتم عهده من المومنين او غيرهم مع قدرته سبحانه على ما يريد فيوشك ان يعاقب بالمخالفة فيضعف القوي ويقلل الكثير **وليبينن لكم** ايجاد التجلي لفصل القضا **يوم القيمة** مع هذا كله **ما كنتم** اي بجبلاتكم **فيه تختلفون** فاحذروا يوم العرض على ملك الملوك بحضرة الروسا والملوك وجميع المعبودات والكل بحضرته الشهاد اخرون ولديه صاغرون ومن نوقش الحساب يهلك ولما امر ونهي وخوف من العذاب في القيمة وكان ربما ظن من لا علم له وهم الاكثر من كثرة التصريح بالحوالة على القيمة نقص المقدرة في هذه الدار صرح بنفي ذلك بقوله **ولو شا الله** اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه ان يجعلكم امة واحدة لا خلاف بينكم في اصول الدين ولا فروعه **لجعلكم امة واحدة** متفقة على امر واحد لا تؤم غيره منفيا عنها اسباب الخلاف **ولكن** لم يشا ذلك وشا اختلافكم فهو **يضل من يشا** عدلا منه لانه تام الملك عام الملك

ولو كان الذي اضله على احسن الحالات ويهدي بفضله من يشآ ولو كان على اخس الاحوال فبذلك يكونون
مختلفين في المقاصد يوم هذا غير ما يؤمه هذا فيأتي الخلاف مع تادية العقل الى ان الاجتماع خير
من الافتراق فالاختلاف مع هذا من قدرته الباهرة ولما تقرر ان الكل فعله وحده فلا فعل لغيره
اصلا كان ربما اوقع في الوهم انه لا حرج على احد في شي يفعله بين ان السوال يكون عن المباشرة ظاهرا
على ما يتعارف الناس في اسناد الفعل الى من ظهر اكتسابه له فقال مرغبا مرهبا موكدا لانكارهم
البعث فضلا عما يتساعنه ولتسئلن عما كنتم اي كونا انتم مجبولون عليه تعملون وان دق فيجازي
كلا منكم على عمله وان كان غنيا عن السوال فهو بكل شي عليم ولما بين ان الكذب وما جر اليه اقبح
القبايح وابعد الاشيا عن المكارم وكان من اعظم اسباب الخلاف فكان امره جديرا بالتاكيد اعاد
الزجر عنه بابلغ مما مضى بصريح النهي مرهبا مما يترتب على ذلك فقال معبرا بالافتعال اشارة الى
ان ذلك لا يفعل الا بعلاج شديد من النفس لان الفطرة السليمة تستدنفا رهامنه ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا اي فسادا ومكرا وداء وخديعة بينكم اي في داخل عقولكم واجسامكم فتزل
اي فيكون ذلك سببا لان تزل قدم هي في غاية العظمة بسبب الثبات بعد ثبوتها عن
مركزها الذي كانت به من دين او دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها وزلل القدم تقوله
العرب لكل ساقط في ورطة بعد سلامة وتذوقوا السوء مع تلك الزلة بما صددتم اي
بانفسكم ومنعتم غيركم بايمانكم التي اردتم بها الافساد لاخفا الحق عن سبيل الله اي الملك الاعلى
يتجدد لكم هذا الفعل ما دمتم على هذا الوصف ولكم مع ذلك عذاب عظيم ثابت غير منفك اذا متم
على ذلك ولما كان هذا خاصا بالايمان اتبعه النهي عن الخيانة في عموم العهد تاكيدا لعذنا تاكيد
للدلالة على عظم النقض فقال ولا تشتروا اي تكلفوا انفسكم لجاجا وتركا للنظر في العواقب
ان تاخذوا وتستبدلوا بعهد الله اي الذي له الكمال كله ثمنا قليلا اي من حطام الدنيا وان كنتم
ترونه كثيرا ثم علل قلته بقوله انما عند الله اي الذي له الجلال والاكرام من ثواب الدارين هو
خير لكم ولا يعدل عن الخير الى ما دونه الا احوج ناقص العقل ثم شرط علم خيريته بكونهم من ذوي
العلم فقال ان كنتم اي جبلا انكم تعلمون اي ممن يتجدد له علم ولم تكونوا في عداد البهايم فصار
العهد الشامل للايمان مبدوا في هذه الايات بالامر بالوفا به ومختوما بالنهي عن نقضه والايمان
التي هي اخص منه وسط بين الامر والنهي المتعلقين به فصار الحث عليها على غاية من التاكيد
عظيمة ورتبة من التوثيق جليلة ثم بين خيريته وكثرته بقوله على سبيل التعليل ما عندكم
اي من اعراض الدنيا وهو الذي تتعاطونه بطباعكم ينفد اي يفنى فصاحبه منغص العيش اشد
ما يكون به اغتباطا بانقطاعه او بتجويز انقطاعه ان كان في عداد من يعلم وما عند الله اي
الذي له الامر كله من الثواب باق فليبين تبينكم منه ان ثبتم على عهده ثم لوح بما في ذلك من المشقة
عطفا على هذا المقدر تقديرا موكدا لاجل تكذيب المكذبين وليجزين اي الله على قراة الجماعة
بالياء ونحن على قراة ابن كثير وعاصم بالنون التفاتا الى التكلم للتعظيم الذين صبروا على الوفا
بما يرضيه من الاوامر والنواهي اجرهم ولما كان كرما الملوك يوفون الاجور بحسب الاعمال

من

من الاحسن وما دونه اخبر بانه يعمد الى الاحسن فيرفع الكل اليه ويسوي الادون به
فقال باحسن ما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يعملون ولما وعد بعد ان توعد اتبعه ما بين
ان ذلك لا يخص شريفا ولا وضيعا وانما هو دائر مع الوصف الذي رمز اليه فيما مضى بالعدل تارة
وبالعهد اخرى وهو الايمان فقال جوابا لمن كانه قال هذا خاص باحد دون احد مرغبا في عموم
شرايع الاسلام من عمل صالحا ولما كانت من عامة وكانت ربما خصت الذكور بين المراد من
عمومها بقوله من ذكر او انثى ثم قيد مشيرا بالافراد الى قلة الراسخين بقوله وهو
مومن ولما كان الانسان كلما علا في درج الايمان كان جديرا بالبلاء والامتحان بين تعالى
ان ذلك لا ينافي سعادته ولذلك اكد قوله فلنحيينه دفعا لما يتوهمه المستدرجون بما
يعجل لهم من طيبات تعرف الحياة الدنيا حياة طيبة اي في الدنيا بما نوتيه من ثبات القدم
وطهارة الشيم ولنجزينهم اي كلهم اجرهم في الدنيا والاخرة باحسن ما كانوا اي كونا جبليا
يعملون قال العلما المطيع في عيشة هنية ان كان موسرا فلا كلام فيه وان كان معسرا فبالقناعة
والرضى بحكم النفس المطمينة والفاجر بالعكس ان كان معسرا فواضح وان كان موسرا فحرصه
لا يدعه يتهنا فهو لا يزال في عيشة ضنك ولما تقررت هذه الاحكام على هذه الوجوه
الجليلة واشارت بحسن الفاظها وشرف سياقتها الى اغراض هي مع جلالتها غامضة دقيقة
تلاح بذلك ان القران تبيان لكل شي فحق من سلم من غوايل الهوى وحبايل الشيطان وختم
ذلك بالحث على العمل الصالح وكان القران تلاوة وتفكرا وعلا بما ضمن اجل الاعمال الصالحة
تسبب عن ذلك الامر بانه اذا قرى هذا القران المنزل على مثل تلك الاساليب الفايقة يستعاذ
من الشيطان لئلا يحول بوساوسه بين القاري وبين مثل تلك الاغراض والعمل بها حاصله
الحث على التدبر وصرف جميع الفكر الى التفهم والالتجا اليه تعالى في كل عمل صالح لئلا يفسده
الشيطان بوساوسه او يحول بين التفهم وبينه بيانا لقدر الاعمال الصالحة وحثا على الاخلاص
فيها وتشمير الذيل عند قصدها لاسيما افعال القلوب التي هي اغلب ما تقدم هنا فقال تعالى
مخاطبا لاشرف خلقه ليفهم غيره من باب الاولى فيكون ابلغ في حثه وادعى الى اتباعه فاذا
قرات اي اردت ان تقرا مثل وكم من قرية اهلكناها فجاها باسنا القران الذي هو قوام
العمل الصالح والداعي اليه والحاث عليه مع كونه تبيانا لكل شي وهو اسم جنس يشمل القليل منه
والكثير فاستعذ اي ان شيت جهرا وان شيت سرا قال الشافعي والاسرار اولى في الصلاة
وفي قول يجهر كما يفعل خارج الصلاة بالله اي سل الذي له الكمال كله ان يعيذك من الشيطان اي
المحترق باللعنة الرجيم اي المطرود عن الرحمة من ان يصدك بوساوسه عن اتباعه فانه عايق عن
الاذعان لاساليبه الحسان الاخذ لا الرحمن بوساوس الشيطان فقل اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم لان ذلك اوفق للقران وقد ورد به بعض الاخبار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا
وهو المشهور ونص عليه الشافعي والصارف لهذا الامر عن الوجوب احاديث كثيرة فيها القراة
بدون ذكر تعوذ كحديث البخاري وغيره عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال له ما منعك ان تجيبني قال كنت اصلي قال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم
قال لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران الحمد لله رب العالمين وفي رواية الموطا انه صلى الله عليه
وسلم نادى ابيا وانه قال له كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة قال ابي فقرات الحمد لله رب العالمين حتى
اتيت على اخرها ومن طالع كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور راى مثل هذا احاديث
كثيرة جدا من احسنها حديث نزول سورة الكوثر وقبل التعوذ بعد القراة بعد القراة لظاهر الاية
وختام القران بالمعوذتين موافق لهذا القول بالنسبة الى الحال والقول الاول الصحيح بالنسبة الى
ما ندب اليه المرتحل من قراة الفاتحة واول البقرة ولما كان ذلك ربما اوهم تعظيمه نفى ذلك بقوله جوابا
لمن كانه قال هل له سلطان **انه ليس له سلطان** اي بحيث لا يقدر المسلط عليه على الانفكاك
عنه **على الذين امنوا** بتوفيق ربهم لهم **وعلى ربهم** اي وحده **يتوكلون** ويجوز ان يكون المعنى انه
لما تقرر في الاذهان انه لا نجاة من الشيطان لانه سلط علينا بانه يرانا من حيث لا نراه ويجري
منه مجرى الدم وكانت فايدة الاستعاذة الاعاذة اشير الى حصولها بقوله على سبيل التعليل
انه اي استعذ بالله يعذك منه لانه ليس له سلطان على الذين امنوا بالله ليردهم كلهم عما يرضي الله
وعلى ربهم وحده يتوكلون ثم وصل بذلك ما افهمه من ان له سلطانا على غيرهم فقال **انما سلطانه**
اي الذي يتمكن به غاية التمكن بامكان الله له **على الذين يتولونه** اي تولوه واصروا على ذلك
بتجديد ولايته كل حين **والذين هم** اي بظواهرهم وبواطنهم **به** اي بالشيطان **مشركون** دايما لانهم
اذا اتبعوا وساوسه واطاعوا اوامره فقد عبدوه وجعلوه بذلك شريكا فهم لا يتاملون دقايق
القران بل ولا يفهمون ظواهره على ما هي عليه لما اعماهم به الشيطان من وساوسه وحبسهم به عن
هذه الاساليب من محاسنه فهم لا يزالون يطعنون فيه بقلوب عميه والسنة بذية ثم عطف
على هذا المقدر الذي دل عليه الكلام ما انتجه تسلط الشيطان عليهم فقال **واذا بدلنا** اي بعظمتنا
بالنسخ **اية** سهلة كالعدة باربعة اشهر وعشر وقتال الواحد من المسلمين لاثنين من الكفار
او شاقة كتحريم الخمر ولكتاب صلوات خمس فجعلناها **مكان اية** شاقة كالعدة بحول ومصابرة
عشرة من الكفار او سهلة كالايات المتضمنة لاباحة الخمر ولكتاب ركعتين اول النهار وركعتين
اخره فكانت الثانية مكان الاولى وبدلا منها او يكون المعنى نسخنا اية صعبة فجعلنا مكانها
اية سهلة والتبديل رفع الشي مع وضع غيره مكانه **والله** اي الذي له الاحاطة الشاملة **اعلم**
بما ينزل من المصالح بحسب الاوقات والاحوال بنسخ او بغيره **قالوا** اي الكفار **انما انت** اي
يا محمد **مفتر** اي فانك تامر اليوم بشي وغدا تنهى عنه وتامر بضده وليس الامر كما قالوا **بل اكثرهم**
وهم الذين يستمرون على الكفر **لا يعلمون** اي لا يتجدد لهم علم بل هم في عداد البهايم لعدم انتفاعهم
بما وهبهم الله من العقول لانهماكهم في اتباع الشيطان حتى زلت اقدامهم في هذا الامر الواضح بعد
اقامة البرهان بالاعجاز على ان كل ما كان معجزا كان من عند الله سوا كان ناسخا او منسوخا
او لا فصارت معرفة ان هذا قران وهذا غير قران بعرضه على هذا البرهان من اوضح الامور
واسهلها لمن اراد ذلك منهم او من غيرهم من فرسان البلاغة فكانه قيل فما اقول فقال **قل** لمن

واجهك

واجهك بذلك منهم **نزله** اي القران بحسب التدريج لاجل اتباع المصالح لاحاطة علم المتكلم به **روح**
القدس الذي هو روح كله ليس فيه داع الى هوى فكيف يتوهم فيما ينزله افترا لاسيما مع اضافته
الى الطهر البالغ فهو ينزله **من ربك** ايها المخاطب الذي احسن اليك بانزاله ثم بتبديله بحسب
المصالح كما احسن تربيتك بالنقل من حال الى حال لا يصلح في واحدة منهما ما يصلح في غيرها من الظهر
الى البطن ثم من الرضاع الى الفطام فما بعده فكيف تنكر تبديل الاحكام للمصالح ولا تنكر تبديل
الاحوال لذلك حال كون ذلك الانزال **بالحق** اي الامر الثابت الذي جل عن دعوى الافترا بانه
لا يستطاع نقضه **ليثبت** اي تثبيتا عظيما **الذين امنوا** في دينهم بما يرون من اعجاز البدل والمبدل
مع تضاد الاحكام وما فيه من الحكم والمصالح بحسب تلك الاحوال مع ما كان في المنسوخ من مثل ذلك
بحسب الاحوال السالفة وليتمرنوا على حسن الانقياد ونعلم بسرعة انقيادهم في ترك الالفة تمام
استسلامهم وخلوصهم عن شوايب الهوى ثم عطف على محل ليثبت قوله **وهدى** اي بيانا واضحا
وبشرى اي بما فيه من تجدد العهد بالملك الاعلى وتردد الرسول بينه وبينهم بواسطة نبيهم
صلى الله عليه وسلم **للمسلمين** المنقادين المبرايين من الكبر الطامس للافهام المعمي للاحلام ولولا مثل
هذه الفوايد لفاتت حكمة تنجيمه ولما نقض شبهتهم هذه اشارة وعبارة بما فضحهم نقض شبهة
اخرى لهم باوضح من ذلك وافضح فقال **ولقد نعلم** اي علما مستمرا **انهم يقولون** اي ايضا قولا مستمرا
لا يزالون يلهجون به **انما يعلمه بشر** وهم يعلمون ان ذلك سفساف من القول ثم استانف الرد عليهم
فقال **لسان** اي لغة وكلام **الذين يلحدون** اي يميلون او يشيرون **اليه** بانه علمه اياه مايلين
عن القصد جايرين عادلين عن الحق ظالمين **اعجمي** اي غير لغة العرب وهو مع ذلك الكن في البادية
غير بين وهو غلام كان نصرانيا لبعض قريش اختلف في اسمه وهذا التركيب وضع في لسان
العرب للابهام والاخفا ومنه عجم الزبيب لاستتاره والعجما البهيمة لانها لا تقدر على ايضاح
ما في نفسها واما اعجمت الكتاب فهو للازالة **وهذا** اي القران **لسان عربي مبين** اي هو من شدة
بيانه مظهر لغيره انه ذو بيان عظيم فلو ان المعلم عربي للزمهم ان لا يعجزوا عن الاتيان بمثل ما علم
فكيف وهو اعجمي فلما بانت بهذا فضيحتهم كان كانه قيل ان من العجب اقدامهم على مثل هذا العار
وهم يدعون النزاهة فاجاب بقوله **ان الذين لا يومنون** اي يصدقون كل تصديق بحيث يعترفون
بايات الله اي الذي له العظمة كلها **لا يهديهم الله** اي الملك الاعلى الذي له الغنى المطلق بل
يضلهم عن القصد فلذلك ياتون بمثل هذه الخرافات فابشر لمن بالغ في العناد بسد باب الفهم
والسداد ولما كان ربما توهم انه لكونه هو المضل لا يتوجه اللوم عليهم نفى ذلك بقوله **ولهم عذاب**
اليم اي بذلك لمباشرتهم له مع حجب المراد عنهم وخلق القدرة لهم اجراء على عوايد بعض الخلق مع بعض
ولما زيف شبههم اثبت لهم ما قذفوه به وهو بري منه مقصورا عليهم فقال **انما يفتري** اي
يتعمد **الكذب الذين لا يومنون** اي لا يتجدد منهم الايمان **بايات الله** اي الذي له الكمال كله
فان ردهم لما قام الدليل على انه حق وعجزوا عنه تعمد منهم للكذب ثم قصر مطلق الكذب عليهم
واولئك اي البعدا البغضا **هم** اي خاصة **الكاذبون** اي العريقون في الكذب ظاهرا وباطنا

ولما ذكر الذين لايومنون مطلقا اتبعهم صنفا منهم هو اشدهم كفرا فقال من اي اي مخلوق وقع له انه كفر بالله اي الذي له صفات الكمال بان قال او عمل ما يدل علي الكفر ولما كان الكفر كله ضارا وان قصر زمنه اثبت الجار فقال من بعد ايمانه بالفعل او بالقوة لما قام علي الايمان من الادلة التي اوصلته الي حد لا يلبس فصار استكباره عن الايمان ارتدادا عنه وجواب الشرط دل ما قبله وما بعده علي انه فهو الكاذب او فعليه غضب من الله الا من اكره اي وقع اكراهه علي قول كلمة الكفر وقلبه اي والحال ان قلبه مطمين بالايمان فلا شي عليه ورد جواز امع اباحة ذلك له انه لا يجب عليه التكلم بالكفر بل ان ثبت كان ذلك ارفع درجة والاية نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه اكرهوه فتابعهم وهو كاره فاخبر النبي صلي الله عليه وسلم بانه كفر فقال صلي الله عليه وسلم كلا ان عمارا امتلي ايمانا من قرنه الي قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ان عادوا فعد لهم بمثل ما قلت ولكن من شرح اي فتح فتحا صار يرشح به بالكفر صدرا اي منه او من غيره بالتسبب فيه لان حقيقة الايمان والكفر تتعلق بالقلب دون اللسان وانما اللسان معبر وترجمان معرف بما في القلب لتوقع الاحكام الظاهرة فعليهم لرضاهم به غضب اي غضب ثم بين جهة عظمه بكونه من الله اي الملك الاعظم ولهم اي بظواهرهم وبواطنهم عذاب عظيم لارتدادهم علي اعقابهم ولما كان من يرجع الي الظلمات بعد خروجه منها الي النور جديرا بالتعجب منه كان كانه قيل لم يفعلون او يفعل بهم ذلك فقال ذلك اي الارتداد او الوعيد العظيم بانهم اي بسبب انهم استحبوا اي احبوا حبا عظيما الحياة الدنيا اي الدنية الحاضرة الفانية فاثروها علي الاخرة الباقية الفاخرة لانهم راوا ما فيه المومن من الضيق والكافر من السعة وبسبب ان الله اي الذي له الغني الاكبر لا يهدي القوم الكافرين الذين علم استمرارهم عليه بل يخذلهم ويسلط الشيطان عليهم يحتالهم عن دينهم ولما كان استمرارهم علي الكفر اعجب من ارتدادهم اتبعه سببه فقال اولئك اي البعدا البغضا الذين طبع اي ختم ختما هو كفيل بالعطب الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه علي قلوبهم ولما كان التفاوت في السمع نادرا وحده فقال وسمعهم وابصارهم فصاروا لعدم انتفاعهم بهذه المشاعر كانهم لا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون واولئك اي الاباعد من كل خير هم الغافلون اي الكاملون الغفلة ثم اتبع ذلك جزاءهم عليه فقال لا جرم اي لا شك انهم في الاخرة هم اي خاصة الخاسرون اي اكمل الناس خسارة لانهم خسروا راس المال وهو نفوسهم فلم يكن لهم مرجع يرجعون اليه ولما قدم الفاتن والمفتون اتبع ذلك ذكر حكمها علي القرابتين فقال بحرف التراخي اشارة الي انقاصر رتبتهما عن رتبة من لم يفعل ذلك ثم ان ربك اي المحسن اليك بالعفو عن امتك وتخفيف الاصار عنهم في قبول توبة من ارتد بلسانه او قلبه للذين هاجروا اهل الكفر بالتروح من بلادهم توبة الي الله تعالى مما كانوا فيه ولما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل في اي وقت كان اشار الي ذلك بالجار فقال مبينا ان الفتنة بالاذي وان كان بالغا غير قادحة في الهجرة وما تبعها فيفيد ذلك في الهجرة بدونها من باب الاولي من بعد ما فتنوا بالبنا للمفعول علي قراة الجماعة لان المضر هو الفتنة مطلقا وللفاعل علي قراة ابن عامر

اي ظلموا بان فتنوا من آمن بالله حين كانوا كفارا او اعطوا الفتنة من انفسهم ففتنوها بان اطاعوا في كلمة الكفر او في الرجوع مع من ردهم الي بلاد الكفر بعد الهجرة من بعد ايمانهم ثم جاهدوا اي اوقعوا جهاد الكفار مع النبي صلي الله عليه وسلم توبة الي الله تعالى وصبروا علي ذلك الي ان ماتوا عليه ان ربك اي المحسن اليك بتخيير من هذه صفاتهم لك ولما كان له سبحانه ان يغفر الذنوب كلها ما عدا الشرك وان يعذب عليها كلها وعلي بعضها وان يقبل الصالح كله وان يرد بعضه اشار الي ذلك بالجار فقال من بعدها اي هذه الافعال الصالحة الواقعة بعد تلك الفاسدة وهي الفتنة لغفور اي بليغ المحو للذنوب رحيم اي بليغ الاكرام فهو يغفر لهم ويرحمهم ولما تقدم كثير من التحذير والتبشير وتقدم انه لا يوذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وختم ذلك بانحصار الخسار في الكفار بين اليوم الذي تظهر فيه تلك الاثار ووصفه بغير الوصف المتقدم باعتبار المواقف فقال مبدلا من يوم نبعث من كل امة شهيدا يوم تاتي اي فيه كل نفس اي انسان وان عظم جرمها تجادل اي تعتذر وعبر بالمجادلة انها ما للدفع باقصي ما تقدر عليه واظهر في قوله عن نفسها اي ذاتها بمفردها لا يهمها غيرها ذلك لما يوهم الاضمار من ان كل احد يجادل عن جميع الانفس ولما كان مطلق الجزا مخوفا مقلقا بني للمفعول قوله وتوفى كل نفس صالحة وغير صالحة ما عملت اي جزاه من جنسه وهم ولما كان المرهوب مطلق الظلم وكان البنا للمفعول ابلغ في نفيه قال لا يظلمون اي لا يتجدد عليهم ظلم لا ظاهرا ولا باطنا ليعلم بابدال يوم من ذلك المتقدم ان الخسارة باقامة الحق عليهم لا بمجرد اسكاتهم ولما عقب سبحانه ماضي سابقاص الامثال لقوله تعالى ورزقكم من الطيبات وتلاه بذكر الساعة بقوله وما امر الساعة الي اخره واستمر فيما مضت مناسباته آخذا بعضه بحجز بعض حتى ختم بالساعة وانتفى من الظلم فيها وبين ان الاعمال هناك هو مناط الجزا عطف علي ما مضى من الامثال المفروضة المقدرة للرغبة مثلا محسوسا موجودا مبينا ان الاعمال في هذه الدار ايضا مناط الجزا مرهبا من المعاطبة فيها بسوط من العذاب فقال وضرب الله اي الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما لكم ايها المعاندين مثلا قرية من قرى الماضين التي تعرفونها كقرية هود او صالح او لوط او شعيب عليهم الصلاة والسلام كان حالها كحالكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها مكة كانت امنة اي ذات امن يامن به اهلها في زمن الخوف مطمينة اي قارة باهلها لا يحتاجون فيها الي نجعة وانتقال بسبب زيادة الامن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله الناس عنها ووجود ما يحتاج اليه اهلها ياتيها اي علي سبيل التجدد والاستمرار رزقها رغدا واسعا طيبا من كل مكان بر او بحر بتيسير الله لهم ذلك ولما كانت السعة تجر الي البطر غالبا نبه تعالى علي ذلك بالفا فقال فكفرت ونبه سبحانه علي سعة فضله بجمع القلة الدال علي ان كثرة فضله عليهم تافهة بالنسبة الي ما عنده سبحانه فقال بانعم الله اي الذي له الكمال كله كما كفرتم فاذاقها الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما لباس الجوع بعد رغد العيش والخوف بعد الامن والطمانينة حتى صار لهم ذلك بشموله لهم لباسا وبشدة عركهم ذواقا فكان النظر الي المستعار له وهو هنا ابلغ لدلالته علي الاحاطة والذوق

ولو نظر الى المستعار لقال فكساها فكان يفوت الذوق وذلك كما نظر اليه كثير في قوله: غمر الردآ
اذا ابتسم ضاحكا: علقت لضحكته رقاب المال: استعار الردآ للمعروف لانه يصون العرض
صون الردآ لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي وصف المعروف والنوال لا وصف الردآ الذي
هو المستعار ولو نظر اليه لوصفه بالسعة او الطول مثلا كما نظر اليه من قال ذاكرا السيف
الذي يصون به الانسان نفسه: ينازعني ردآ ابي عبد عمرو: رويدك يا اخا بكر بن عمرو:
لي الشطر الذي ملكت يميني: ودونك فاعتجر منه بشطر:
فنظر الى المستعار وهو الردآ في لفظ الاعتجار فبانت فضيحة ابن الراوندي في زندقته اذ قال
لابن الاعرابي هل يذاق اللباس فقال له لا باس يا ايها النسناس هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان
عربيا **بما كانوا** اي بجبلاتهم **يصنعون** من الكفر والكبر قد مرنوا عليه بكثرة المداومة مرون الانسان
على صنعته ولما كان تعالى لا يعذب حتى يبعث رسولا حقق ذلك بقوله **ولقد جاءهم** اي اهل هذه
القرية **رسول** كما وقع لكم **فكذبوه** كما فعلتم **فاخذهم العذاب** كما سمعتم وان كان المراد بها مكة فالمراد
به الجوع الذي دعا عليهم به النبي صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف واما
الخوف فما كان من جهاد النبي صلى الله عليه وسلم لهم **وهم ظالمون** اي عريقون في وضع الاشيا في
غير مواضعها لانهم استمروا على امرهم مع الجوع وسالوا النبي صلى الله عليه وسلم في الاغاثة فدعا لهم
ولما تقرر بما مضى من ادلة التوحيد فثبت ثباتا لا يتطرق اليه شك ان الله هو الاله هو وحده
كما انه هو الرازق وحده ونبههم على دقايق في تقديره للارزاق تدل على عظمته وشمول علمه
وقدرته واختياره فثبت انهم ظالمون فيما جعلوا للاصنام من رزقه وانه ليس لاحد
ان يتحرك الا بامره سبحانه وختم ذلك بهذا المثل المحذر من كفران النعم عقبه بقوله صادا
لهم عن افعال الجاهلية **فكلوا** اي فتسبب عن جميع ما مضى ان يقال لهم كلوا **مما رزقكم الله** اي
الذي له الجلال والجمال مما عده لكم في هذه السورة وغيرها حال كونه **حلالا طيبا** اي لا شبهة
فيه ولا مانع بوجه **واشكروا نعمة الله** اي الذي له صفات الكمال حذرا من ان يحل بكم ما حل
بالقرية الممثل بها **ان كنتم اياه** اي وحده **تعبدون** كما اقتضته هذه الادلة لانه وحده هو
الذي يرزقكم والا عاجلكم بالعقوبة لانه ليس بعد العناد عن البيان الا الانتقام فصار
الكلام في الرزق والتقريع على عدم الشكر مكتنفا الامثال قبل وبعد ولما كان الاذن انما هو
في بعض الرزق في الحال المذكور فاحتيج الى معرفته وكانت المباحات اكثر من المحظورات حصر
القليل ليعلم منه الكثير لان كل ضدين معروفين اجمالا اعين احدهما عرف من تعيينه الاخر فقال
انما حرم اي الله الذي لا امر لاحد معه **عليكم الميتة** التي بينت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم
انها ميتة وان ذكيت **والدم ولحم الخنزير** خصه بالذكر بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى
اكله كالدين **وما اهل** اي باي اهلال كان من اي مهل كان ولما كان مقصود السورة لبيان الكمال
كان تقديم غير لتقبيح حال المعتنى به اولى فقال **لغير الله** اي الملك الاعظم الذي لا ملك سواه
ولما كان الانسان قد يضطر الى اكل ما يمكن اكله بين لهم انه رفق بهم فاباح لهم سد الرمق

من الحرام فقال **فمن اضطر** اي كيف ما وقع له الاضطرار **غير باغ** على مضطر اخر **ولا عاد** سد
الرمق ولما كان الاذن في الاكل من هذه الاشيا حال الضرورة انما هو رخصة وكانت
الشهوة داعية الى ما فوق الماذون فيه قال **فان الله** اي المختص بصفات الكمال بسبب
تناوله منها على ما حده **غفور رحيم** فمن زاد على ما اذن فيه فهو جدير بالانتقام ولما تبين
بهذه الاية كما مضى تقريره في الانعام جميع المحرم اكله من الحيوانات فعلم بذلك جهلهم فيما حرموه
على انفسهم لاجل اصنامهم صرح بالنهي عنه ابلاغا في تاكيد ذلك الحصر فقال **ولا تقولوا**
اي بوجه من الوجوه في وقت ما ولما كان تحليلهم وتحريمهم قولا فارغا ليس له حقيقة اصلا لانه
لا دليل عليه عبر عنه بانه وصف باللسان لا يستحق ان يدخل الى القلب فقال **لما تصف**
اي لاجل الذي تصفه **السنتكم** اي من الانعام والحروث والزروع ولما حرك النفس الى معرفة
ما يقال لاجل ذلك بين مقول ذلك القول فقال **الكذب** اي القول الذي هو عين الكذب
ولما اشتد التشوف الى تعيين ذلك المقول ابدل منه فقال **هذا حلال وهذا حرام**
ويجوز ان يكون الكذب مفعول تصف فتكون ما مصدرية اي لوصفها اياه فكان حقيقة
الكذب كانت مجهولة فلم تعرف الا بوصف السنتهم لها فهو مبالغة في وصف كلامهم بالكذب
وما بعده مقول القول ولما كانوا كما تقدم يدعون انهم اعقل الناس فكان اللايق بهم ارخا
للعنان النسبة الى معرفة اللوازم عند الاقدام على الملزومات قال **لتفتروا على الله** اي
الملك الاعلى **الكذب** لان من قال على احد ما لم ياذن فيه كان قوله كذبا وكان كذبه لتعمد افترا
الكذب والا لكان في غاية الجهل فدار امرهم في مثل هذا بين الغباوة المفرطة او قصد
ما لا يقصده عاقل وهذا باب من التهكم عجيب فكانه قيل فما يستحقون على ذلك فاجاب بقوله
ان الذين يفترون اي يتعمدون تعمدا **على الله** اي الذي له الامر كله **الكذب** منكم ومن غيركم
لا يفلحون ولما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع في هذه الدنيا اجاب من كانه قال فانا
ننظرهم بنعمة ورفاهة فقال **متاع قليل** اي ما هم فيه لعنايه وان امتد الف عام **ولهم** بعده **عذاب
اليم** ومن المه العظيم دوامه فاي متاع هذا ولما بين لهم نعمته بتوسعته عليهم بما ضيقوا به
على انفسهم بين لهم نعمة اخرى بتمييزهم على بني اسرايل فقال **وعلى الذين هادوا** اي اليهود
حرمنا اي بعظمتنا عقوبة لهم بعدوانهم وكذبهم على ربهم **ما قصصنا** اي بما لنا من العظمة التي
كان المقصوص بها معجزا **عليك** ولما لم يكن قص ذلك عليه صلى الله عليه وسلم مستغرقا زمن
القبل ادخل الجار فقال **من قبل** اي في الانعام **وما ظلمناهم** اي الذين وقع منهم الهود بتحريمنا
عليهم ما حرمنا **ولكن كانوا** اي دايما طبعا لهم وخلقا مستمرا **انفسهم** اي خاصة **يظلمون** بالبغي
والكفر فضيقنا عليهم معاملة بالعدل وعاملناكم انتم حيث ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واحذروا
غوايل النقمة ولما بين هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هي اكبر منها جدا استجلابا لكل ظالم
وبين عظمتها بحرف التراخي فقال **ثم ان ربك** اي المحسن اليك **للذين عملوا السو** وهو كل ما من شانه
ان يسو وهو ما لا ينبغي فعله **بجهالة** كما عملتم وان عظم فعلهم وتفاحش جهلهم **ثم تابوا** ولما كان

سبحانه بقبل اليسير من العمل ادخل الجار فقال من بعد ذلك اي الذنب ولو كان عظيما فاقتصروا
علي ما اذ نبوا فيه خالقهم واصلحوا بالاستمرار علي ذلك ان ربك اي المحسن اليك بتسهيل دينك
وتيسيره ولما كان انما يغفر بعد التوبة ماعدا الشرك الواقع بعدها ادخل الجار فقال من
بعدها اي التوبة وما تقدمها من اعمال السو لغفور اي بليغ الستر لما عملوا من السو رحيم اي
محسن بالاكرام فضلا ونعمة ولما دعاهم الي مكارم الاخلاق ونفاهم عن مساويها نعتوله
لمن اقبل اليه وان عظم جرمه اجابة لدعوة ابيهم ابرهيم عليه الصلاة والسلام في قوله فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم اتبع ذلك ذكره ترغيبا في اتباعه في التوحيد والميل مع
الامر والنهي اقداما واحجاما ان كانوا ممن يتبع الحق او يقلد الابا فقال علي سبيل التعليل
لما قبله ان ابرهيم اي اباكم الاعظم امام الموحدين كان امة فيه من المنافع الدنيوية والاخروية
ما يوجب ان يؤمه ويقصده كل احد يمكن انتفاعه به قانتا اي مخلصا لله اي الملك الذي له
الامر كله ليس فيه شي من الهوي حنيفا ميالا مع الامر والنهي بنسخ اوبغيره فكونوا حنفا
اتباعا للحق لما قام عليه من الادلة واستنانا باعظم ابايكم ولما كان السياق لاثبات الكمال
لابرهيم عليه الصلاة والسلام وكانت الاوصاف الثبوتية قرينة الملخذ سريعة الوصول
الي الفهم واتي بعدها وصف سلبي بجملة حذف نون يكن منها ايجازا فقيل ولم يك ولما كانوا
مشركين هم وكثير من اسلافهم قبح اليهم ذلك بان اعظم من يعتقدون عظمته من اباهم ليس من
ذلك القبيل فقال من المشركين الواقفين مع الهوي فلا تكونوا منهم واعلاما بان الفعل منفي
عنه عليه الصلاة والسلام علي ابلغ وجوه النفي لا ينسب اليه شي منه ولو قل ثم بين حاله فقال
شاكرا ولما كان لله علي من جعله امة من النعم ما لا يحصي بين ان ذلك كله قليل في جنب فضله فقال
مشيرا الي ذلك بجمع القلة والي ان الشاكر علي القليل يشكر اذا اتاه الكثير من باب الاولي لانعمه
فلا يزال يزيده من فضله وقد دعاكم فتقبل دعاه لكم فاشكروا الله اقتدابه ليزيدكم فكانه
قيل فما اثابه علي ذلك او علاما قيل فقال اجتباه اي اختاره اختيارا تاما وهداه اي بالبيان
الاعظم والتوفيق الاكمل الي صراط مستقيم وهو الحنيفية السمحة فكان ممن يامر بالعدل
وهو علي صراط مستقيم وكان مخالفا للابكم الموصوف في المثل السابق ثم قال واتيناه اي
بما لنا من العظمة في الدنيا بلسان الصدق والثنا الجميل الذي ذللناله به السنة الخلق
حسنة ونبه بالتعظيم علي المعطي بنون العظمة علي جلالته حيث جعله اماما معظما لجميع اهل
الملل فجمع القلوب علي محبته وجعل له فيهم لسان صدق ورزقه في اولاده من النبوة والصلاح
والملك والكثرة ماهو مشهور ولما كانت عظمة الدنيا لا تعتبر الا مقرونة بنعمة الاخرة
قال وانه في الاخرة وقال لمن الصالحين اي له ماله من الثواب العظيم معبرا عن تعظيما
لمقام الصلاح وترغيبا فيه ولما قرر من عظمته في الدنيا والاخرة ماهو داع الي اتباعه صرح
بالامر به تنبيها علي زيادة عظمته بامر متباعد في الرتبة علي ساير النعوت التي اثني عليه بها
وذلك كونه صار مقتدي لافضل ولد ادم مشيرا الي ذلك بحرف التراخي الدال علي علو رتبته

بعلو رتبته من امر باتباعه فيما مهده مما امر به من التوحيد والطريق الواضح السهل فقال ثم اوحينا
اي ثم زدناه تعظيما وجلالة بان اوحينا اليك وانت اشرف الخلق وخير الانبيا بتوله من غيبا
في تلقي هذا الوحي احسن التلقي باقتفا الاب الاعظم ان اتبع اي بغاية جهدك ونهاية همتك
ولما كان المراد اصل الدين وحسن الاقتفا فيه بسهولة الانقياد والانسلاخ من كل باطل
والدعوة بالرفق مع الصبر وتكرير الايراد للدلايل وكل ما يدعو اليه العقل الصرف والفطرة
السليمة عبر بالملة فقال ملة ابرهيم ولا بعد في ان يفهم ذلك الهجرة ايضا ولما كانت الحنيفية
اشرف اخلاق ابرهيم عليه الصلاة والسلام فكانت مقصودة بالذات صرح بها فقال حنيفا اي
حال كونك او كونه شديد الانجذاب مع الدليل الحق ورغب العرب في التوحيد ونفرهم من
الشرك بقوله وما كان اي بوجه من الوجوه من المشركين ولما دعا سبحانه فيها الي معالي الشيم
وعدم الاعتراض وختم بالامر بالملة الحنيفية التي هي سهولة الانقياد للدليل وعدم الكون
مع الجامدين اقتدا بالاب الاعظم وكان الخلاف والعسر مخالفا لملته فكان لا يجر الي خير
وكان من المعلوم ان كل حكم حدث بعده ليس من ملته وكان اليهود يزعمون جهلا انه كان علي
دينهم وكان السبت من اعظم شعايرهم انتج ذلك قوله تعالي جوابا لمن قد يدعي من اليهود انه
كان علي دينهم وتحذيرا من العقوبة علي الاختلاف في الحق بالتشديد في الامر انما جعل اي جعل
من لا امر لغيره السبت اي تحريمه واحترامه او وباله علي الذين اختلفوا فيه حين امر نبيهم
بالجمعة فقبل ذلك بعضهم واراد السبت اخرون فبدلوا بالجمعة السبت وشدد عليهم في امره
انتقاما منهم بما تفهمه التعدية بعلي فكان ذلك وبالا عليهم وفي ذلك تذكير بنعمة التيسير
علينا قال البغوي قال الكلبي امرهم موسي عليه الصلاة والسلام بالجمعة فقال تفرغوا في كل
سبعة ايام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه عملا لصنعتكم وستة ايام لصناعاتكم فابوا
الا شرذمة منهم وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك
اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسي عليه الصلاة والسلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد ان
يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد فاعطي الله الجمعة هذه الامة فقبلوها وبورك لهم
فيها وقال عبد الرزاق في تفسيره اخبرني معمر اخبرني من سمع مجاهدا يقول في قوله انما
جعل السبت قال ردوا الجمعة واخذوا السبت مكانه وروي الشيخان عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا
الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه
فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصاري بعد غد ولما كان الاشراك واضحا
في امر النصاري استغني بنفيه عنه عن التصريح بانه ليس علي دينهم ثم حذر من الاختلاف مثبتا
امر البعث فقال وان ربك اي المحسن اليك بنواعة اصحابك لك ليحكم بينهم اي هولا المختلفين
يوم القيمة واجتماع جميع الخلايق فيما كانوا اي جبلاتهم فيه يختلفون من قبول الجمعة وردها
ومن الاذعان لتحريم العيد واباية وغير ذلك فيجازي كل فريق منهم بما يستحقه ولما قدم سبحانه

فى هذه السورة حكاية كثير من استهزائهم بوعده ووعيده وتكذيبهم لرسله على ابشع وجه والتنفير
عن حرقة الحرص عليهم المفضي الى شدة التاسف على ضلالهم وغير ذلك مما ربما اياس منهم فاقعد عن
دعايهم واتبعه ضرب الامثال ونصب الجدال على تلك المناهيج المعجزة بما يسبق من ظواهرها
الى الفهم عند قرع السمع من المعاني الجليلة والمقاصد الجميلة لعامة الخلق ما جل عن الوصف
واذا تاملها الخواص وجدوا افهامهم دقايق الحقايق ومشارع الرقايق ومحكم الدلايل ومنفق المقاصد
والوسايل ما يوضح بتفاوت الافهام وتباين الافكار انه بحر لا ساحل له ولا قرار ولا منتهى لما
تستخرج منه الانظار وختم باتباع الاب الاعظم لما كان ذلك وامره سبحانه بنبيه صلى الله عليه وسلم
وهو السميع المطيع ان يستن باثاره ويقتدي باضماره واظهاره فسر له تلك الملة التي امره باتباعها
فقال **ادع** اي كل من تمكن دعوته **الى سبيل ربك** اي المحسن اليك بتسهيل السبيل الذي تدعو
اليه واتساعه وهو الاسلام الذي هو الملة الحنيفية **بالحكمة** وهي المعرفة بمراتب الافعال في
الحسن والقبح والصلاح والفساد وقيل الحكمة لانها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان
يختار فالحكيم هو العالم بما يمنع من الفساد قاله الرماني وهي في الحقيقة الحق الصريح فمن كان اهلا
له دعا به **والموعظة** بضرب الامثال والوعد والوعيد مع خلط الرغبة بالرهبة والانذار
بالبشارة **الحسنة** اي التي يسهل على كل فهم ظاهرها ويروق كل نحرير ما ضمنته سرايرها مع
اللين في مقصودها وتادبنها هذا لمن لا يحتمل الا ذلك **وجادلهم** اي الذين يحملون ذلك منهم افتلهم
عن مذاهبهم الباطلة الى مذهبك الحق بطريق الحجاج **بالتي هي احسن** من اللطف بالترفق واللين
والوقار والسكينة ولا تعرض عنهم بياسانهم ولا تجازهم بسيئ مقالهم وقبيح فعالهم صفحا عنهم
ورفقا بهم فهو بيان لاصناف الدعوة بحسب عقول المدعوين لان الانبيا مامورون بان يخاطبوا
الناس على قدر عقولهم وقيل الدعوة ان كانت لتقرير الدين وتثبيت الاعتقاد في قلوب اهله
وهي مع ذلك بعينه مطهرة عن احتمال نقيض فهي الحكمة وهي لطالب الحق المذعن ان كان مستعدا
للقبول بفكره الثاقب وان كانت مقارنة لاحتمال النقيض مفيدة للظن والاقناع فهي
الموعظة وهي للمذعن الذي لا استعداد له وان كانت لالزام الجاحدين وافحام المعاندين
فهي المجادلة فان كانت مركبة من مقدمات مسلمة عند الجمهور او عند الخصم فقط فهي الحسنة وان
كانت من مقدمات كاذبة غير مسلمة يراد ترويجها بالحيل الباطلة والطرق الفاسدة فهي السيئة
التي لا تليق بمنصف ثم علل الملازمة لدعايم على هذا الوجه بقوله **ان ربك** اي المحسن اليك بالتخفيف
عنك **هو** اي وحده **اعلم** اي من كل من يتوهم فيه علم **بمن ضل عن سبيله** فكان في ادنى درجات الضلال
وهو اعلم بالضالين الراسخين في الجور عن الطريق فلا انفكاك لهم عن الضلال وهو اعلم بمن اهتدى
لسبيله فكان في ادنى درجات الهداية **وهو** اي خاصة **اعلم بالمهتدين** اي الذين هم في النهاية
منها فالاية من الاحتباك ذكرا ولا من ضل دليلا على حذف ضده ثانيا والمهتدين ثانيا دليلا
على حذف ضدهم اولا واما انت فلا علم لك بشي من ذلك الا باعلامنا وقد الزمناك البلاغ المبين
فلا تفتر عنه معرضا عن الحرص المهلك والياس فانه ليس عليك هداهم ولما بين امر الدعوة

واوضح طرقها وقدم امر الهجرة والاكراه في الدين والفتن فيه المشير الى ما سبب ذلك من المحن والبلا
من الكفار وظلما وختم ذلك بالامر بالرفق بهم عم بعد ما خصه صلى الله عليه وسلم به من الامر بالرفق
بالامر لاتباعه بالعدل والاحسان كما تقدم ولو مع اعدى الاعدا والنهي عن مجاوزة الاعلى
ذلك الوجه فقال **وان عاقبتم** اي كانت لكم عاقبة عليهم تمكنون فيها من اذاهم **فعاقبوا بمثل ما**
ولما كان الامر عاما في كل فعل من المعاقبة من اي فاعل كان فلم يتعلق بتعيين الفاعل غرض
بني للمفعول قوله **عوقبتم به** وفي ذلك اشارة الى ما جرت به عوايد الملوك في كلامهم الى دالتهم
عليهم واسلامهم في يديهم وجعله باداة الشك اقامة بين الخوف والرجا ولما اباح لهم درجة
العدل رقاهم الى رتبة الاحسان بقوله **ولين صبرتم** بالعفو عنهم **لهو** اي الصبر **خير للصابرين**
واظهر في موضع الاضمار تعميما وتعليقا بالوصف ولما كان التقدير فاصبروا اعطف عليه افرادا
له صلى الله عليه وسلم بالامر اجلالا له وتسلية فيما كان بسبب نزول الاية من التمثيل بعمه حمزة
رضي الله عنه وتنويها بعظيم مقام الصبر زيادة في حث الامة لان امر الرييس ادعى لامتثال
اتباعه فقال **واصبر** ثم اتبع ذلك بما يحث على دوام الالتجا اليه المنتج للمراقبة والفناء عن
الاغيار ثم الفناء عن الفنا ليلا يتوهم ان لاحد فعلا مستقلا فقال **وما صبرك** اي ايها الرسول
الاعظم **الا بالله** اي الملك الاعظم الذي شرع لك هذا الشرع الاقوم وانت قايم في نصره ولقد قابل
هذا الامر صلى الله عليه وسلم باعلى مقامات الصبر وذلك انهم مثلوا بقتلى المسلمين في غزوة احد
الاحنظلة الغسيل فان اباه كان معهم فتركوه له فلما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة
رضي الله عنه فوجدهم قد جدعوا انفه وقطعوا اذنيه وجبوا مذاكيره وبقروا بطنه نظر الى شي
لم ينظر الى اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك فانك كنت فعالا للخير وصولا للرحم ولولا ان
تحزن صفية لسرني اني ادعك حتى تحشر من اجواف شتى اما والله لين اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
منهم وقال الصحابة رضي الله عنهم لنزيدن على صنيعهم فلما نزلت الاية بادر صلى الله عليه وسلم الامتثال
وكان لا يخطب خطبة الا نهى عن المثلة واحسن يوم الفتح بان عفى عن قتالهم واعتقهم بعد ان صاروا
في قبضته ولما كان بعد توطين النفس على الصبر وتفريغ القلب من الاحنة يرجع الى الاسف على
اهلاكهم انفسهم بتماديهم على العتو على الله قال **ولا تحزن عليهم** اي في شدة كفرهم فتبالغ في الحرص
الباخع للنفس ولما كان سبحانه في مقام التبشير بالمحل الكبير والموطن الخطير الذي ما حازه
قبل نبينا صلى الله عليه وسلم بشير ولا نذير وذلك هو الاسرا الى الملكوت الاعلى والمقام الاسمى
من السموات العلى في حضرات القدس ومحال الانس ووطا لذلك في سورة النحل بمقامات الكرم
الى ان قارب الوصول اليه اوجز في العبارة بحذف حرف مستغنى عنه دلالة عليه فقال **ولا تك** بحذف
النون اشارة الى ضيق الحالة عن ادنى اطالة وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من
الديار وهذا بخلاف ما ياتي في سورة النمل ان شا الله تعالى **في ضيق** ولو نظر كالوح اليه تنوين
التحقير بما يشير اليه حذف النون فان اذى الكفار الذي السياق للتسلية عنه لا يضرك في المقصود
الذي بعثت لاجله وهو اظهار الدين وقمع المفسدين بوجه من الوجوه **مما يمكرون** اي من استمرار

مكرهم بك واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وكانك به وقد اتى فاصبر فان الله معزك ومظهر دينك
وان كره واتم علل ذلك بقوله ان الله اي الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه مع الذين اتقوا
اي وجد منهم الخوف من الله فكانوا في اول منازل التقوي وهو مع المتقين الذين كانوا في النهاية منها
فعدلوا في افعالهم من التوحيد وغيره عملا باامر الله في الكتاب الذي هو تبيان لكل شي وهو مع الذين
احسنوا فكانوا في اول درجات الاحسان والذين هم اي بضمايرهم وظواهرهم محسنون اي
صار الاحسان صفة لهم غير منفكة عنهم فهم في حضرات الرحمن وانت راس المتقين المحسنين
فالله معك ومن كان الله معه كان غالبا وصفقته رابحة وحاله صالحة وامره عال وضده في
اسوء الاحوال فلا تستعجلوا قلقا كما استعجل الكفار استهزا تخلقا في التاني والحلم بصفة من
تنزه عن نقص الاستعجال وتعالى عن ادعا الاكفا والامثال فقد عانق اخرها اولها ووافق مقطعها
مطلعها واخرها احتباك ذكر الذين اتقوا اولا دليلا على حذف الذين احسنوا ثانيا والمحسنين
ثانيا دليلا على حذف المتقين اولا والله الموفق

سورة الاسرا وتسمى سبحان وبني اسرايل

المقصود بها الاقبال على الله وحده وخلع كل ما سواه لانه وحده المالك لتفاصيل الامور وتفضيل
بعض الخلق على بعض وذلك هو العمل بالتقوي التي ادناها التوحيد الذي افتتحت به النحل واعلاها
الاحسان الذي اختتمت به وهو الغنا عما سوى الله وهي من اوايل ما انزل روي البخاري في فضايل
القران وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بنوا اسرايل والكهف ومريم وطه والانبيا انهن
من العتاق الاول وهن من تلادي وكل من اسمايها واضح الدلالة على ما ذكر انه مقصودها اما سبحان
الذي هو علم التنزيه فمن ظهر ما يكون فيه لان من كان على غاية النزاهة عن كل نقص كان جديرا بان
لا يعبد الا اياه وان يعرض عن كل ما سواه لكونه متصفا بما ذكر واما الاسرا فمن عرف تفاصيل
امره كلها علم ان الفاعل له متصف بكل ما ذكر واما بنوا اسرايل فمن احاط ايضا بتفاصيل امورهم
في سيرهم الي الارض المقدسة الذي هو كالاسرا وابناتهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من امرهم
في السورة عرف ذلك بسم الله الملك المالك لجميع الامر الرحمن لكل ما اوجده بما رباه الرحيم
لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات
النقص والاتصاف بالكمال المنتج لانه قادر على الامور الهايلة ومنها جعل الساعة كلمح
البصر او اقرب وختمها بعد تفضيل ابرهيم عليه الصلاة والسلام والامر باتباعه بالاشارة
الي نصر اوليايه مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم على اعدايه على كثرتهم وقوتهم وكان ذلك
من خوارق العادات ونواقض المطردات وامرهم بالتاني والاحسان افتتح بتحقيق
ما اشار ذلك الختم اليه بما خرقه من العادة في الاسرا وتنزيه نفسه الشريفة عن توهم استبعاد
ذلك تنبيها على انه قادر على ان يفعل الامور العظيمة الكبيرة الشاقة في اسرع وقت دفعا لما قد
يتوهم او يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال وامره بالصبر وبيانا لانه مع المتقي المحسن
وتنويها بامر محمد صلى الله عليه وسلم واعلاما بانه راس المحسنين واعلاهم رتبة واعظمهم منزلة

بما اتاه من الخصايص التي منها المقام المحمود وتمثيلا لما امر به من امر الساعة فقال سبحان
وهو علم للتنزيه دال ابلغ ما يكون من معناه منصوب بفعل متروك اظهاره فسد مسده الذي
اسرى فنزه نفسه الشريفة عن كل شايبة نقص يمكن ان ينسبها اليه اعداوه وبهذا
اللفظ الابلغ عقب الامر بالتاني اخر النحل كما نزه نفسه بذلك اللفظ عقب النهي عن الاستعجال
في اولها وهو رادّ لما علم من ردهم عليه وتكذيبهم له اذا حدثهم بالاسرا وفيه مع ذلك ايما الي التعجب
من هذه القصة للتنبيه على انها من الامور البالغة في العظمة الي حد لا يمكن استيفا وصفه ولما كان حرف
الجر مقصورا على افادة التعدية في سري الذي بمعنى اسري وكان اسري يستعمل متعديا وقاصرا عبر به
واختير القاصر للدلالة على المصاحبة زيادة في التشريف فقال تعالى بعبده اي الذي هو اشرف عباده
واحقهم بالاضافة اليه الذي لم يتعبد قط لسواه من صنم ولا غيره لرجا مشفعة ولا غيرها ولما كان الاسرا
هو السير في الليل وكان الشي قد يطلق على جزء معناه مدلالة التضمن مجازا من سلا نفي هذا بقوله ليلا
وليدل بتنوين التحقير على ان هذا الامر الجليل كان في جزء يسير من الليل وعلى انه عليه الصلاة والسلام
لم يحتج في الاسرا والعروج الي سدرة المنتهى وسماع الكلام الاعلى الي رياضة بصيام ولا غيره بل كان
مهيا لذلك متاهلا له فاقامه تعالى من الفرش الي العرش من المسجد الحرام اي من الكعبة المشرفة مسجد
ابرهيم عليه الصلاة والسلام قيل كان نايما في الحطيم وقيل في الحجر وقيل في بيت ام هاني وهو قول
الجمهور فالمراد بالمسجد حينيذ الحرم لانه فنا المسجد الي المسجد الاقصى اي الذي هو ابعد المساجد حينيذ
وابعد المسجدين الاعظمين مطلقا من مكة المشرفة بينهما اربعون ليلة فصلى بالانبيا كلهم ابرهيم وموسى
ومن سواهما على جميعهم افضل الصلاة والسلام وراي من اياتنا ما قدرناه له ورجع الي بيتن اظهركم
الي المسجد الاقرب منكم في ذلك الجزء اليسير من الليل وانتم تضربون اكباد الابل في هذه المسافة شهرا
ذهابا وشهرا ايابا ثم وصفه بما يقتضي تعظيمه وانه اهل القصة فقال الذي باركنا اي بما لنا من العظمة
بالمياه والاشجار وبانه مقر الانبيا ومهبط الملايكة وموطن العبادات ومعدن الفواكه والارزاق
والبركات حوله اي لاجله فما ظنك به نفسه فهو ابلغ من باركنا فيه ثم منه الي السموات العلى الي سدرة
المنتهى الي ما لم ينله بشر غيره صلى الله عليه وسلم ولعله حذف ذكر المعراج من القران هنا لقصور
فهومهم عن ادراك ادلته لو انكروه بخلاف الاسرا فانه اقام دليله عليهم بما شاهدوه من الامارات التي
وصفها لهم وهم قاطعون بانه صلى الله عليه وسلم لم يرها قبل ذلك فلما بان صدقه بما ذكر من الامارات اخبر
بعد ذلك بمن اراد الله بالمعراج ثم ذكر سبحانه الغرض من الاسرا بما يزيد في تعظيم المسجد فقال لنريه بعينه
وقلبه من اياتنا السماوية والارضية كما ارينا اباه الجليل عليه الصلاة والسلام ملكوت
السموات والارض وحصل الالتفات لتعظيم الايات والبركات روي البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما
فاخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذي هداك للفطرة لو اخذت الخمر غوت امتك وعن جابر رضي
الله سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس
فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه ولما كان المعول عليه غالبا في ادراك الايات حس

السمع والبصر وكان تمام الانتفاع بذلك انما هو بالعلم وكان سبحانه قد خص هذا النبي صلى الله عليه وسلم من كمال الحس بما يبعد معه حسن غيره عدما عبر عن ذلك بقوله **انه** اي هذا العبد الذي اختصصناه بالاسرا **هو** اي خاصة **السميع** اي اذنا وقلبا بالاجابة لنا والاذعان لاوامرنا **البصير** بصرا وبصيرة بدليل ما اخبر به من الايات وصدقه من الدلالات حين نعت ما سالوه عنه من بيت المقدس ومن امر عيرهم وغيرهما مما هو مشهور في قصة الاسرا مما كان يراه وهو ينعت لهم وهم لا يرونه ولا يقاربون ذلك ولا يطعنون فيه وقال من كان دخل منهم الى بيت المقدس اما النعت والله لقد اصاب لخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا ذلك اليوم نحو الثنية يشتدون فقال قائل هذه والله الشمس قد طلعت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين قال الرازي في اللوامع وكان صلى الله عليه وسلم ابصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة مشاهدة لم يستريب فيه حتى روي انه قال رايت ليلة اسري بي الى العلي الذرة تدب على وجه الارض من سدرة المنتهى وذلك لحدة بصره والبصر على اقسام بصر الروح وبصر العقل الذي منه التوحيد وبصر القربة الذي خص به الاوليا وهو نور الفراسة وبصر النبوة وبصر الرسالة وهذه الابصار كلها مجموعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة بصر قيادة الرسل وسيادتهم فانه سيد المرسلين وقايدهم وكان مطلعا على الملك والملكوت كما قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها انتهى وهذا الاخير رواه مسلم وابو داود والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وكان يبصر من وراءه كما يبصر من امامه كما اخرجه الشيخان وغيرهما من حديث انس رضي الله عنهم وفي كثير من طرقه عدم التقييد بالصلاة وهذا صريح في ان بصره لم يكن متقيدا بالعين بل خلق الله الابصار في جميع اعضائه وكذا السمع فان كون العين محلا لذلك وكذا الاذن انما هو بجعل الله ولو جعل ذلك في غيرها لكان كما يريد سبحانه ولا مانع ولم يكن الظلام يمنعه من نفوذ البصر ففي مسند احمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال افتقدت رحلي ليلة فمررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشد لعايشة رضي الله عنها فقال ما لك يا جابر فقلت فقدت رحلي اذهب في ليلة ظلما فقال لي هذا جملك اذهب فخذه فذهبت نحو ما قال لي فلم اجده فرجعت اليه فقلت بابي وامي يا رسول الله ما وجدته فقال الي على رسلك حتى اذا فرغ اخذ بيدي فانطلق حتى اتينا الجمل فدفعه الي قال هذا جملك الحديث وروى البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وروي مثل ذلك عن عايشة رضي الله عنها وقال القاضي عياض في الشفا وحكى بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء واسند عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلما مسيرة عشرة فراسخ وجوز ان يكون اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الاسرا

انتهى

انتهى وقد اخرج حديث ابي هريرة هذا الحافظ نور الدين الهيثمي في زوايد المعجمين الاوسط والاصغر للطبراني ولعل هذا من مناسبة تعقيب هذه الاية بذكر موسى عليه الصلاة والسلام وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا الاية كان ظاهر ذلك تفضيل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا لاستماع الامر بالاتباع فاعقب ذلك بسورة الاسرا وقد تضمنت من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم وانطوت على ما حصل منه المنصوص في الصحيح والمقطوع به والمجمع عليه من انه صلى الله عليه وسلم سيد ولد ادم فاستفتحت السورة بقصة الاسرا وقد تضمنت حسبما وقع في صحيح مسلم وغيره امامته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وفيهم ابراهيم وموسى وغيرهما من الانبيا من غير استثنا هذه رواية ثابت عن انس رضي الله عنه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القران فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا افضلكم محمد وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس وذكر سدرة المنتهى وانه تبارك وتعالى قال له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبري الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون والاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتم البقرة من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث شريك انه راى موسى عليه الصلاة والسلام في السما السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك ما لا يعلمه الا الله فقال لم اظن ان يرفع علي احد وفي حديث علي بن ابي طالب خرجه البزار في ذكر تعليمه عليه الصلاة والسلام الاذان وخروج الملك فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السما فيهم ادم ونوح وفي هذا الحديث قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رواية اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم على اهل السموات والارض قال ابن الزبير وقد حصل منه تفضيله صلى الله عليه وسلم بالاسرا وخصوصه بذلك ثم قد انطوت السورة على ذكر المقام المحمود وهو مقامه في الشفاعة الكبرى وذلك مما خص به حسبما ثبت

مطلب مهم

في الصحيح وانعقد عليه اجماع اهل السنة ولا اعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصايصه الذي
فضل به كافة الانبيا مثل ما تضمنت هذه انتهى ولما ثبت بهذه الخارقة ما اخبر به عن نفسه
المقدسة من عظيم القدرة على كل ما يريد وما جاه صلى الله عليه وسلم به من الايات البينات في
هذا الوقت اليسير اتبعه ما مضى في المسير من مصر الى الارض المقدسة من الايات في مدد طوال
حدا موسى عليه الصلاة والسلام الذي كان اعظم الانبيا بركة على هذه الامة ليلة الاسرا كما
ارشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى في تخفيف الصلاة حتى رجعت من
خمسين الى خمس مع اجر خمسين والذي كان انهى العروج به اذ ناجاه الله وقربه راس جبل الطور
بعد الامر بالرياضة بالصوم والتخلي اربعين يوما والذي يقدم في اخر النحل ان قومه اختلفوا عليه
في السبت تنفيرا من مثل حالهم وتسلية عمن يتعهم في تكذيبهم وضلالهم وذلك في سياق محذر
للمكذبين عظيم النكال فقال عاطفا على ما تقديره فاتينا عبدنا محمدا صلى الله عليه وسلم الكتاب
المفصل المعجز وجعلناه هدى للخلق كافة وتولينا حفظه فكان ابدا باقيا حافظا لدينه
دايما **واتينا** اي بعظمتنا **موسى الكتاب** اي الجامع لخيري الدارين لتقواه واحسانه معظما
له بنون العظمة فساوى بين النبيين في تعظيم الاراه والاتيا وخص محمدا صلى الله عليه
وسلم باضافة اياته الى مظهر العظمة وكان ايتا موسى عليه الصلاة والسلام الكتاب في
نيف واربعين سنة بعد ان اخرج معه بني اسرايل من حبايل فرعون وجنوده الذين كانوا
لا يحصون كثرة بتلك الايات الهايلة التي لا يشك عاقل ان من قدر عليها لا يمتنع عليه
شي اراده وفي هذه المدة الطويلة بل بزيادة كان وصول بني اسرايل من مصر الى هذا المسجد
الذي اوصلنا عبدنا اليه ورددناه اليكم في بعض ليلة راكبا البراق الذي كان يركبه الانبيا
قبله يضع حافره في منتهى طرفه وبنو اسرايل كانوا يسيرون جميع النهار مجتهدين ثم
يبيتون في الموضع الذي ادلجوا منه في التيه لا يتعدون ان يجوزوه اربعين سنة على ما قال
كثير من العلما او انهم كانوا في هذه المدة يدورون حول جبل ادوم كما في التوراة فثبت انا انما
نفعل بالاختيار على حسب ما نراه من الحكم ثم ذكر ثمرة كتاب موسى عليه الصلاة والسلام فقال
وجعلناه اي الكتاب بما لنا من العظمة **هدى** ولما كان هذا التنوين يمكن ان يكون للتعظيم
بمستغرق الهدى بين الحال بقوله **لبني اسرايل** بالحمل على العدل في التوحيد والاحكام واسوتنا
بموسى عليه الصلاة والسلام وبقومه من مصر الى بلاد المسجد الاقصى ما قاموا سايرين اليها
اربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من خرج منهم من مصر الا النقيبين الموفيين بالعهد
فقد بان الفضل بين الاسرايين كما بان الفضل بين الكتابين فذكر الاسرا اولا دليل على حذف مثله
لموسى عليه الصلاة والسلام ثانيا وذكر ايتا الكتاب ثانيا دليل على حذف مثله اولا فالاية من
الاحتباك ثم نبه على ان المراد من ذلك كله التوحيد اعتقادا وعبادة بقوله **ان لا** اي لئلا **يتخذوا**
بالبا التحتانية في قراة ابي عمرو وبالفوقانية في قراة الباقين فنبه بصيغة الافتعال على انه لكثرة
ما على وحدانيته من الدلايل وله الى خلقه من المزايا والفضايل لا يعدل عنه الى غيره الا بتكلف

عظيم من النفس ومنازعة بين الهوى والعقل وما فطر سبحانه عليه النفوس من الانقياد اليه
والاقبال عليه ونفور من له همة علية ونفس ابية من الشرك بقوله منبها بالجار على تكاثر
الرتب دون رتبة عظمته سبحانه وعدم الاستغراق لها تاركا نون العظمة للتنصيص
على المراد لئلا يلبس بوجه **من دوني** وقال **وكيلا** اي ربا يكلون امورهم اليه ويعتمدون
عليه من صنم ولا غيره لتقريب اليه بشفاعة ولا غيرها منبها بذكر الوكالة على سفه ارايهم في
ترك من يكفي في كل شي الى من لا كفاية عنده لشي ثم اتبعه ما يدل على شرفهم بشرف ابيهم وانه لم
ينفعهم اذ لاذوا اليه عند ارادة الانتقام بما ارتكبوا من الاجرام فقال منبها على الاهتمام
بالتوحيد والامر بالاخلاص بالعود الى مظهر العظمة حيث لا لبس ناصبا على الاختصاص في
قراة ابي عمرو وعلى الندا عند الباقين تذكيرا بنعمة الانجا من الغرق **ذرية من حملنا** اي في
السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك الما الذي طبق ما تحت اديم السما وبنبه على شرفهم وتمام همتهم
بقوله **مع نوح** اي من اولاده واولاد من الذين اشرفهم ابرهيم الذي كان شاكرا ثم اسرايل عليهما
الصلاة والسلام لان الصحيح ان من كان معه من غيرهم ماتوا ولم يعقبوا ولم يقل ذرية نوح ليعلم انهم
عقب اولاده المومنين ليكون ذلك منة اخرى ثم نبه على تقواه واحسانه حثا على الاقتدا به
بقوله **انه كان** اي كونا جبليا **عبدا شكورا** اي مبالغا في الشكر الذي هو صرف جميع ما انعم
الله به في ما خلقه له فاحسن اليه لشكره بان جعل في ذريته النبوة والكتاب كما فعل بابرهيم
عليه الصلاة والسلام لانه كان شاكرا فاقتدوا بهذين الابوين العظيمين في الشكر يزدكم
ولا تغفلوا وتغرقوا في الكفر بعد ما رخص نوحا عليه الصلاة والسلام لانه ما املى لاحد ما املى لقومه
ولا امهل احدا ما امهلهم ثم اهلكهم اجمعين كما اوما اليه قوله حملنا اهلاك نفس واحدة ثم اذهب
الما بعد اغراقهم بالتدريج في مدة طويلة فثبت انه منزه عن العجلة وانه تارة يفعل الامور الكثيرة
الشاقة في اسرع وقت وتارة يعمل ما هو دونها في ازمان طوال فبان كالشمس انه انما يفعل
على حسب ما يريد على ما تقتضيه حكمته روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال
انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا
يحتملون فيقول الناس الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فذكر حديث الشفاعة
العظمى واتيانهم الانبيا ادم وبعده اولي العزم عليهم الصلاة والسلام وانهم يقولون لنوح عليه
الصلاة والسلام قد سماك الله عبدا شكورا وكلهم يتبرا ويحيل على من بعده الى ان وصل الامر الى
نبينا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربنا الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا
لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك
سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك

من لاحساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال
والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى
ثم اتبع ذلك ما يدل على شرف كتاب موسى وصحة نسبته اليه تعالى بما يقتضي شمول العلم وتمام
القدرة بما كشف عنه الزمان من صدق اخباره وقطاطه وعيده وانذاره تعنيها على ان من
كذب بكتابه اهلكه كاينا من كان وان طال امهاله فلا تغتروا بحلمه لان الملوك لا تغر على امر
يقدح في ملكها فقال وقضينا اي بعظمتنا بالوحي المقطوع به منزلين ومنهين الى بني اسرايل
اي عبدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام الذي كان اطوع اهل زمانه لنا في الكتاب الذي
اوصلناه اليهم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام لتفسدن اكد بالدلالة على القسم باللام لانه
يستبعد الافساد مع الكتاب المرشد في الارض اي المقدسة التي كانها لشرفها هي الارض
بما يغضب الله مرتين ولتعلن اي بما صرتم اليه من البطر لنسيان المنعم علوا كبيرا بالظلم والتمرد
ولا ينفعكم الا على حسب ما تقتضيه حكمتنا في الوقت الذي نريد بعد انها لطويل والعفا فصل
الامر على احكام فاذا جا وعد اولاهما اي وقت الذي حددناه له للانتقام فيه بعثنا اي بعظمتنا
ونبه على انهم اعدا بقوله عليكم ونبه على عظمته وقدرته وسعة ملكه بقوله عبادا لنا اي لا بد
انكم بهم لما وهبنا لهم عظمتنا اولي باس اي عذاب وشدة في الحرب شديد فجاسوا
اي ترددوا مع الظلم والعسف وشديد السطوة والجوس طلب الشي بالاستقصا خلال اي بين
الديار الملزوم لقهر اهلها وسفولهم بعد ذلك العلو الكبير والخلال انفراج ما بين الشيين والكثر
لضرب من الوهن وكان اي ذلك البعث ووعد العقاب به وعدا مفعولا اي لا شك في وقوعه
ولا بد ان يفعل لانه لا حايل بيننا وبينه ولا يبدل القول الا عاجز او جاهل عن ابن عباس رضي الله
عنهما انهم جالوت وجنوده وعن سعيد بن المسيب انهم بخت نصر وجنوده وعن الحسن العمالقة
وعن سعيد بن جبير سنجاريب وجنوده قال في السفر الخامس من التوراة اشارة الى هذه المرة
الاولى والله اعلم وان انتم لم تسمعوا قول الله ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه التي امركم بها
اليوم ينزل بكم هذا اللعن الذي اقص عليكم كله ويدرككم العقاب وتكونوا في القرية وفي
السعور وفي الحضر ويلعن نسلكم وثمار ارضكم وتكونوا ملعونين اذا دخلتم وملعونين اذا خرجتم
ينزل بكم الرب البلاء والحسرات وينزل بكم الضربات الشديدة وبكل شي تمدون ايديكم اليه
لتعملوه حتى يهلككم ويبلغكم سريعا من اجل سوء اعمالكم وتركتكم لعبادتي يسلط الله عليكم الموت
من الارض التي تدخلونها لترثوها يضربكم الله بحران العقال والبهق والبرص وبالحريق وبالشمال
النار وبالبرقان والجرب والسموم ويسلط عليكم هذه الشعوب حتى تهلكوا وتكون السما التي
فوقكم عليكم شبه النحاس والارض التي تحتكم شبه الحديد ويصير الرب مطر ارضكم غبارا ويكسركم
الرب بين اعدايكم تخرجون اليهم في طريق واحدة وتهربون في سبعة طرق وتكونون مثلا وفزعا
لجميع مملكات الارض وتكون جيفكم لجميع السباع وطيور السما ولا يذب احد عنكم ويضربكم الرب
بالجراحات التي ضرب بها اهل مصر ويبليكم بالبصر والزحير والحكة ولا يكون لكم شفا من ذلك

ويضربكم

ويضربكم الرب بالعمى والكمه ورعب القلب وتكونون تجسسون في الظهيرة مثل ما يتجسس
العميان ولا تتم شيئا مما تعملون ولا يكون له تمام وتكونون مقهورين مظلومين مغصوبين كل ايام
حياتكم ولا يكون لكم مسعد تخطبون المراة فيتزوجها غيركم وتبنون بيتا ويسكنه غيركم
وتغرسون كروما ولا تقصرون منها وتذبحون ثيرانكم بين ايديكم ولا تاكلون منها شيئا ويوخذ
حماركم ظلما ولا تقدرون ان تخلصه ويسوق العدو اغنامكم ولا يكون لكم منقذ ويسبي بنيك
وبناتك شعب اخر وينظر اليهم ولا تقدر لهم على خلاص وتشغي وتغم بغاركم كله اجمع ولا
يكون لك حيلة وثمار ارضك وكل كدك ياكله شعب لا تعرفه وتكون مضطهدا مظلوما طول
عمرك ويضربك الرب بجرح ردي على ركبتيك وساقيك ولا يكون لك ويسلط عليك الجراحات
من قرنك الى قدمك ويسوقك الرب ويسوق ملكك الذي ملكته عليك الى شعب لم يعرفه
ابوك وتعبد هناك الهة عملت من خشب وحجارة وتكون مثلا وعجبا ويتكر فيك كل من يسمع
خبرك ثم قال ويولد لك بنون وبنات ولا يكونون لك بل يسبون وينطلق بهم مسبيين
ثم قال ويسلط الرب عليك شعبا يا تيك وانت جايع ظمان وتخدم لعداك الذين يسلطهم
الله عليك من بعيد من اقصى الارض ويسرع اليك مثل طيران النسر شعب لا تعرف لغتهم
شعب وجوههم صفيقة لا تستحيي من الشيوخ ولا ترحم الصبيان ويضيق عليك في جميع
قراك حتى يظفر بسور انك المشيدة التي تتوكل عليها وتثق بها وتضطر حتى تاكل لحم ولدك من
الحاجة والضيق الذي يضيق عليك عدوك والرجل المدلل المتنعم المتلذذ المفنق تنظر عيناه الى
اخيه وحليلته والى من بقي من ولده جايعا ولا يعطيهم من لحم ابنه الذي ياكل لانه لا يبقى عنده
شي من الاضطهاد والضيق الذي يضيق عليك عدوك في كل قراك والمراة المخدرة المدللة
المتنعمة التي لم تطا الارض قدماها من الدلال تنظر عيناها الى زوجها والى ابنها وبنتها
والى ولدها الذي تلد وهي تاكلهم وذلك من الحاجة والفقر وعدم الطعام مما يضيق عليك
عدوك ويضطهدك في جميع قراك ولما بين سبحانه انه قادر على اذلال العزيز بعد فخامة
عزه بين انه مقتدر على ادالته على من قهره بعد طول ذله اذا انعاه من درنه وهذبه من ذنوبه
فقال مشيرا باداة التراخي الى عظمة هذه الادلة عرفها للعوايد ثم رددنا اي بما لنا من العظمة
وعجل لهم البشرى بقوله لكم اي خاصة الكرة اي العودة والعطفة وبين ان ذلك مع
السطوة بقوله عليهم قال بعض المفسرين في زمان داود عليه الصلاة والسلام وامددناكم
اي اعناكم بعظمتنا باموال تستعينون بها على قتال اعدايكم وبنين اي تتقوون بهم
وجعلناكم اي بعظمتنا اكثر من عدوكم نفيرا اي ناسا ينفرون معكم اذا استنفرتموهم
للقتال ونحوه من المهمات والظاهر انه ليس المراد بهذه المرة الثانية وليدخلوا المسجد
كما دخلوه اول مرة وداود عليه الصلاة والسلام اسس المسجد ولم يكمله انما كمله ابنه سليمان
عليه الصلاة والسلام من بعده والذي غرّ من قال ذلك ان بني اسرايل كانوا قهروا قبل
داود عليه الصلاة والسلام من الفلسطيين وغيرهم ثم كان خلاصهم على يده عليه الصلاة والسلام

٤٣ كما مضت الاشارة اليه في سورة البقرة قال في الزبور في المزمور الثالث عشر من معطي صهيون
الخلاص لاسرايل اذا ارد الرب سبي شعبه تهلل يعقوب ويفرح اسرايل وفي الثالث والاربعين
اللهم انا قد سمعنا باذاننا واخبرنا اباونا بالاعمال التي صنعت في ايامهم الاولي نسبحك يا الهنا
كل يوم ونشكر اسمك الي الدهر الان اضعفتنا وافضيتنا ولم تكن يرب تصحب جيوشنا الكرّ رددتنا
علي اعقابنا عن اعدايناو اختطفنا مبغضونا جعلتنا ماكلة كالغنم وبددتنا بين الشعوب بعت
شعبك بلا ثمن اقللت كثرة عددهم صيرتنا عارا في جيرتنا هزوا وطنزا لمن حولنا صيرتنا مثلا في
الشعوب وهزّ الروس في الامم خزيي بين يدي النهار كله الخزي غطي وجهي من صوت المعيّر
لي اللهم ان هذا كله قد نالنا ولم ننس اسمك ولا نكثنا عهدك ولا صرفنا قلوبنا عنك عدلت
بقصدنا عن سبلك انزلتنا محالّ وعرة غشيتنا بظلال الموت ولم ننسك يرب وقال في
المزمور الثامن والسبعين والذي بعده اللهم ان الامم دخلت ميراثك ونجست هيكل قدسك
جعلوا اورشليم خرابا كالمحرس وصيروا جثث عبيدك طعاما لطير السما ولحوم اصفيايك
لوحوش الارض سفكوا دماهم كالما حول اورشليم وليس لهم دافن صرنا عارا في جيرتنا هزوا وطنزا
لمن حولنا حتي متى تسخط يا رب دايما يشتعل مثل النار غضبك افض رجزك علي الامم الذين
لا يعرفونك وعلي الملوك الذين لم يدعوا اسمك فانهم اكلوا يعقوب واخربوا دياره لا تذكر
خطايانا الاول بل تغشانا رافتك سريعا لانا قد تمسكنا جدا اقبل لنا معينا يا الهنا وخلصنا
ونمجد اسمك يرب نجنا واغفر لنا خطايانا لاجل اسمك الكريم لئلا تقول الامم اين الههم عند ذلك
تعلم الشعوب وتنظر عيوننا انتقام دما عبيدك المسفوكة وليدخل اليك تنهد الاساري
وكمثل عظمة ذراعك اتقذ بني المقتولين جاز جيراننا في حضنهم للواحد سبعة بالعار الذي
عيروك يرب نحن شعبك وغنم رعيتك نشكرك الي الابد ونخبر بتسابيحك من جيل الي جيل انصت
يا راعي اسرايل الذي هدي يوسف كالخروف انظر ايها الجالس علي الكروبين استعلن قدام افرايم
وبنيامين ومنسيا واظهر جبروتك وتعال لخلاصنا اللهم اقبل واشرق وجهك علينا وخلصنا
اللهم ربنا القوي حتي متى تسخط علي صلاة عبيدك وتطعمهم الخبز بدموعهم وتسقيهم الدموع بالكيل
جعلتنا عار الجيران لنا واستهزا بنا اعداونا اللهم رب القوات اقبل بنا واشرق وجهك علينا
وخلصنا انت نقلت الكرمة من مصر طردت الشعوب وغرستها وسهلت طريقا امامها مكنت
اصولها امتلات الارض منها ظلل الجبال ظلها واغصانها علي ارز الله كذلك امتدت عروقها
الي البحر والي الانهار فروعها انك هدمت سياجها وقطفها كل عابري السبيل خنزير
الغاب افسدها وحيوان الوحش رعتها اللهم رب القوات اعطف علينا واطلع من السماء
وانظر وتعاهد هذه الكرمة واصلح الغرس الذي غرسته يمينك وابن الانسان الذي قويته
ولتهلك الذين احرقوها بالنار برجزك ولتكن يدك علي رجل يمينك وابن الانسان اصطفيته
لك لا تبعدنا منك وانعشنا لنمجد اسمك اللهم رب القوات اعطف علينا واشرق وجهك
٨٤ علينا وخلصنا وفي الرابع والثمانين رضيت يا رب علي ارضك ورددت سبي يعقوب غفرت

ذنوب

ذنوب شعبك سترت جميع خطاياهم سلبت كل رجزك ورددت شدة غضبك وفي الثامن
والثمانين قدوس اسرايل ملكنا بالوحي كلمت نبيك وقلت اني جعلت عونا للقوي ورفعت مختارا
من شعبي وجدت داود عبدي مسحته بدهن قدسي يدي اعانته وذراعي قوته عدوه
لا يضره وابن الخطية لا يذله قطعت اعداه من بين يديه ومبغضيه قهرت اماتني ورحمتي معه
وباسمي يرتفع قرنه جعلت في البحار طريقه وفي الانهار يمينه هو يدعوني انت الاهي ناصري وخلاصي
وانا اجعله بكرا رفيعا علي جميع ملوك الارض واحفظ عليه رحمتي الي الابد ثم قال وانت رفضت
واقصيت مسيحك ونقضت عهد عبدك في الارض ودنست قدسه وهدمت جميع سياجه
وكل حصونه اخفت احتطفه عابروا السبيل صار عارا في جيرته رفعت يمين اعدايه فرّحت
جميع مبغضيه رددت نصرة سيفه لم تعنه في الحرب ابطلت شجاعته طرحت في الارض
كرسيه صغرت ايام سنيه صببت خزيا عليه حتي متى تسخط يرب الي الابد متقد مثل
النار رجزك اذكر خلقك لي فانك لم تخلق الانسان باطلا من هو الانسان الذي يعيش ولا
يعاين الموت او ينجي نفسه من الجحيم اللهم اين رحمتك القديمة التي حلفت بحقك لداود عليها
اللهم ان اعداك عيروا اثار مسيحك تبارك الرب الي الابد يكون يكون وفي الخامس بعد المائة
خلصنا يا الهنا واجمعنا من الامم لنشكر اسمك القدوس ونفتخر بتسبيحك تبارك الرب اله اسرايل
١٢٥ من الان والي الابد يقول جميع الشعب يكون يكون وفي الخامس والعشرين بعد المائة اذا
رد الرب سبي صهيون صرنا كالمتعزين حينئذ تمتلي افواهنا فرحا والسنتنا تهليلا هناك
يقال في الامم قد اكثر الرب الصنيع لهولا اكثر الرب الصنيع الينا فصرنا فرحين يا رب
اردد سبينا كاودية التيمن الذين يزرعون بالدموع ويحصدون بالفرح كانوا ينطلقون
يبذرون زرعهم بالبكا ويأتون مقبلين بالتهليل حاملين غلاتهم وفي السادس والثلاثين
بعد المائة علي انهار بابل جلسنا هناك وبكينا حين ذكرنا صهيون وعلقنا قيثاراتنا علي
الصفصاف الذي في وسطها لان الذين سبونا سالونا هناك قول التمجيد والذين انطلقوا
قالوا اسبحوا لنا من تسابيح صهيون كيف نسبح لكم من تسابيح الرب في ارض غريبة ان نسيتك يا اورو
شليم تنساني يميني ويلصق لساني بحنكي ان لم اذكرك وان لم اسبق واصعد الي اورشليم في
ابتدا فرحي اذكر يرب بني ادوم في يوم اورشليم القايلون اهدموا اهدموا الي الاساس يا ابنة
بابل الشقية طوبي لمن يجازيك جزا صنيعك بنا طوبي لمن اخذ اطفالك وضرب بهم الصخرة
وهذا الذي في هذا المزمور ايذان بما حل بهم من بخت نصّر وقد تقدم غير مرة ان ما كان فيما
ينقل من هذه الكتب القديمة من لفظة توهم نقصا كالاب ونحوه فانها علي تقدير صحتها عنهم
لا يجوز اطلاقها في شرعنا والظاهر ان هذه الادلة المذكورة في القران في هذه المرة هي الكرة
التي كانت في ايام عزير عليه الصلاة والسلام علي يد كورش ملك الفرس كما سياتي ان شا الله تعالي
وان الذين كانوا افسدوهم اولا هم اجناد بخت نصر كما تقدم ففي سفر انبيا بني اسرايل الذين كانوا
بعد موسي عليه الصلاة والسلام ان الله تعالي اوحي الي ارميا بن حلقيا من الاحبار الذين كانوا

في عناتوث في ارض بنيامين على عهد يوشيا ملك يهودا في السنة الثالثة عشره من ملكه بيوعدهم
بانهم ان لم يرجعوا عما احدثوا من الضلالات سلط عليهم ملك بابل ولم يزل يحذرهم بما يحصل لهم من
الشر مذ نو بهم الى ان تمت ايام يواكيم بن يوشيا وفي احدى عشرة سنة لصدقيا بن يوشيا الى
يوم سبيت اورشليم في الشهر الخامس وهو شهر آب وكان يخبرهم بان ملك بابل يأسر
صدقيا ملك اليهود ويسوقه مع الاسرى الى بابل ويستمرون في اسرهم سبعين سنة ثم
يردهم الله الى بيت المقدس قال ارميا عليه الصلاة والسلام ان الله قال لي من قبل ان اصورك
في البطن عرفتك وخصصتك لي نبيا من قبل ان تخرج من الرحم وجعلتك نبيا للشعوب
فقلت اطلب اليك يا رب والهي ان تعفيني لاني لست اعلم ان انطق لاني حدث فقال لي الرب
لا تقل انا حدث لانك تتوجه الى كل ما ارسلك فيه وتجمع ما امرك به من القول فاده ولا تخف
لاني انا معك انقذك من كل آفة وان الرب مد يده وقربها الى فيّ وقال لي الرب قد صيرت
اقوالي في فيك فاعلم اني قد سلطتك اليوم على جميع مملكات الامم لتهدم وتنقض وتهلك وتستاصل
وتبني وتغرس وتقدسني ثم اوحي الي الرب وقال لي ما الذي رايت يا ارميا فقلت رايت غصنا
من شجر اللوز فقال لي الرب ما احسن ما رايت لاني معجل بفصل اقوالي ثم اوحي الي الرب ثانية
ما الذي رايت فقلت رايت مرجلا منصوبا ووجهه الى ناحية الجربيا اي الشمال فقال لي الرب
من ناحية الجربيا ينفتح الشر وينزل في جميع الارض الذي ليهودا ها انا مرسلك ان تدعو جميع
عشاير مملكات الجربي يقول الرب فياتون ويلقي كل رجل كرسيه في مدخل ابواب اورشليم ويحوطون
بسورها كما يدور ويجمع قرى يهودا وانتقم منهم باحكامي وقضاياي من اجل جميع شرورهم وبسوء اعمالهم
لانهم اجتنبوني وبخروا لالهة غريبة بالبخور وسجدوا للصنعة ايديهم واما انت فشد على ظهرك وقم
فقل عليهم جميع الاقوال التي امرك بها ولا تخفهم ولا تحابهم ليلا اكسرك بين ايديهم واذ لك وقد جعلتك
اليوم كالقرية العزيزة الممتنعة ومثل قضيب من حديد وصيرتك مثل سور من نحاس على الارض كلها
وعلى جميع ملوك يهودا وعلى عظمايهم وعلى احبارهم وابايهم وعلى جميع شعب الارض فان جاهدوك
لم يقهروك لاني معك وانا منقذك منهم ولم يزل يقوم فيهم بمثل هذا من كلام في غاية البلاغة والرقه
بحيث يفتت الاكباد ويصدع القلوب ويفيض العيون بحوادع كراريس ولولا خوف الملالة وكراهة
الاطالة لاتيت بكثير منه وكان المسمون الكذبة يقومون فيهم بخلاف ذلك مما يؤمنهم الى ان ضربوا
ارميا ليترك عنهم مثل ذلك فلم يكن يستطع تركه وقال لشخص من المسمين اسمه حينا ان الرب لم
يرسلك وانت وكلت هذا الشعب على الزور ومن اجل هذا يقول الرب هو ذا اطرحك عن وجه الارض
وفي هذه السنة في الشهر السابع ثم زاد تحذير ارميا لهم الى ان حبسوه ثم ان الله تعالى امره ان يكتب لهم
ما يوحيه اليه في صحيفة ويرسلها اليهم فدعا باروخ بن باريا الكاتب وامره بكتابة ما انطقه به
الرب وقال له ها انا محبوس ولست استطيع ان ادخل بيت الرب فخذ هذه الصحيفة وادخل
انت الى بيت الرب في يوم الصوم واقراها عليهم فانها كلام الرب لعلهم يرجعون عن طريقهم السو
ويكف الرب عن الشر الذي قاله عليهم لانه عظيم الرجز والغضب الذي تكلم به الرب على هذا

الشعب

الشعب ففعل باروخ ذلك فاخذوا الصحيفة من يده واوصلوها الى الملك يواقيم بن يوشيا
فسمعها واحرقها بالنار فامره الله ان يكتب صحيفة اخرى مثلها ويزيد ما يامره الله به ومنه ان
يواقيم ملك يهودا لا يكون له من يجلس على كرسي داود عليه الصلاة والسلام وجيفته تكون
مطروحة في السموم بالنهار وفي الجليد بالليل واعاقبه وبذريته وبعبيده واتي على اورشليم
وعلى كل سكانها وعلى بيت يهودا بكل الشر الذي قلت عليهم لانهم لم يسمعوا صوتي ولما ملك صدقيا
على اليهود وكانت السنة العاشرة من ملكه وهي الثامنة عشرة لبخت نصر ملك بابل احاطت
جيوش ملك بابل باورشليم وكان ارميا النبي محبوسا في دار حرس الملك حبسه فيها صدقيا
ملك يهودا وقال له ما لك تتنبا وتقول هكذا يقول الرب هو ذا ادفع هذه القرية وصدقيا
ملك يهودا في يدي ملك بابل ويضبطها ولا ينجو من ايدي الكلدانيين لان الرب دافع
يدفعه في يدي ملك بابل ويكلمه فمه لفمه وعيناه الى عينيه وينطلق به الى بابل فاوحى
الله الى ارميا وهو محبوس فقال يقول الرب هو ذا ادفع هذه القرية الى ملك بابل فيحرقها
بالنار وانت فلا تفلت من يديه ولكنك اخذا توخذ وتدفع اليه وعيناك الى عينيه
تنظر وفمك الى فمه يكلم والى بابل تذهب ولكن اسمع يا صدقيا ملك يهودا قول الرب
ان هكذا يقول الرب عليك انك لست تموت بالحرب ولكنك موت سلامة تموت وكالذين
ناحوا على ابايك الملوك الاولين الذين كانوا قبلك ينوحون عليك ويقولون وا سيداه
لان هذا القول الذي تكلمت به قاله الرب هذا كله وايضا ملك بابل يحاصر اورشليم
ويقاتلها ثم ان صدقيا ارسل الى فرعون بمصر يستنجد به فخرج جنده فلما سمع بهم
الكلدانيون انصرفوا عن اورشليم وحل قول الرب على ارميا ان هكذا يقول الرب اله
اسرايل لملك يهودا الذي بعث الى جند فرعون ليعينوه هو ذا الان جند فرعون يرجعون
الى ارض مصر ويرجع الكلدانيون ويقاتلون هذه القرية ويحتوون عليها ويحرقونها بالنار
هكذا يقول الرب لا تظنوا في انفسكم ان الكلدانيين الذين انصرفوا عنكم ليس يرجعون بل
انهم يرجعون ويحرقون القرية بالنار ثم ان اليهود اتهموا ارميا بانه يريد ان يفر الى
الكلدانيين فجلدوه وطرحوه في السجن في الجب فاحضره الملك صدقيا وساله في البيت سرا
عن قول الرب فقال له في يد ملك بابل تدفع وقال له ماذا اخطات اليك والى عبيدك
والى هذا الشعب اذ طرحتموني في السجن واين الذين كانوا يتنباون لكم انه لا ياتي عليكم ملك
بابل ولا على هذه الارض فرده الى السجن ولم ينزله الى الجب لانه كان لا يقدر على مخالفه اشراف
مملكته ثم قال ارميا هكذا يقول الرب من يسكن هذه القرية بالحرب فبالجوع والموتان
يذهب فاما من يخرج الى الكلدانيين فانه يحيي نفسه ويعيش هكذا يقول الرب فقال الاشراف
تقتل هذا الرجل لان يسقط ايادي المقاتلة الذين بقوا في القرية وايادي الشعب اذا قال
هذا الكلام فقال الملك صدقيا هو ذا منذ وقع في ايديكم لا يستطيع ان يسمع هذا الكلام
ولم يكن الملك يقدر يقول لهم شيا فاخذوا ارميا وطرحوه في جب املضيا بن الملك في دار السجن

والجب لم يكن فيه ماء ولكن حماه فغرق ارميا في الحماة وسمع عبد الملك حبشي وكان رجلا موسنا فقال للملك
يا سيدي بيس ما صنع هولا القوم بالنبي اذ طرحوه في جبنا وهو ذا يموت فقال خذ معك من ههنا
ثلاثين رجلا وانطلقوا اصعدوا ارميا من الجب قبل ان يموت وان عبد الملك اخذ رجالا ودخل
الخزانة التي اسفل بيت الملك واخذ من ثم خلقانا فسببها الى ارميا بالحبل وقال له خذ هذه
الخلقان واجعلها تحت ابطيك لئلا يعقرك الحبل ففعل ارميا كذلك واصعدوه من الجب واجلسوه
في دار السجن وارسل الملك فادخل ارميا اليه وجعله في داخل ثلاثة ابيات مخدع داخل مخدع وقال
له اني اسيلك ان لا تكتمني شيا قال ارميا لصدقيا حي هو الرب الذي خلقني اني لا اقتلك
ولا ادفعك الى الناس الذين يريدون نفسك فقال ارميا هكذا يقول الرب اله اسرايل ان
انت خرجت الى اشراف ملك بابل لتحيين نفسك وهذه القرية تسلم ولا تحرق بالنار وتعيش
انت وبنوك وان انت لم تخرج اليهم فستدفع هذه القرية الى الكلدانيين ويحرقونها بالنار وانت
فلا تنجو من ايديهم فقال الملك لارميا اني اخشى من اليهود ان اخرج الى الكلدانيين فلعلهم يدفعون
في ايديهم ويهزاون بي قال ارميا انهم ليس يدفعونك في ايديهم اسمع الى كلمة الرب لتنفعتك
لتحيي نفسك دخل على ارميا قول الرب اذ كان محبوسا في دار الحرس انطلق فقل للعبد الحبشي الذي
للملك هكذا يقول الرب القوي اله اسرايل هو ذا اتي على هذه القرية بالشر ويكونون قدامك
في ذلك اليوم وانجيك قال الرب ولا تدفع في ايدي القوم الذين لا يخشون الله ولا تخش تسقط
في الحرب ولكنك تنجو بنفسك لانك توكلت علي ما قال لك الرب وجلس ارميا في دار السجن حتى
اليوم الذي اخذ فيه الكلدانيون اورشليم في السنة التاسعة لصدقيا ملك يهودا في الشهر
العاشر وفي تسعة من الشهر اتي بختناصر ملك بابل في كل اجناده الى اورشليم وحلوا عليها وفي
احدى عشرة سنة لصدقيا في الشهر الخامس انثلمت القرية فاتى كل اشراف ملك بابل الى الباب
الاوسط فلما راى صدقيا انهم قد جلسوا في الباب الاوسط وقد هرب المقاتلة وخرجوا
في الليل خرج الملك ايضا من الباب الذي بين السورين في طريق بستان فلما صار الى الصحرا
طلبه جند الكلدانيين على الاثر فادركوه في صحرا اريحا وافترق عنه اجناده فساقوه حتى
اصعدوه الى بخت نصر ملك بابل في ديلا من ارض حماه وذبح ملك بابل بني صدقيا وكل اشراف
يهودا واعمى عيني صدقيا واوثقه في السلاسل لكي يذهب به الى بابل واحرق بيت الملك وبيوت
الشعب بالنار واستاصل السور المحيط باورشليم وكذا بقية الشعب الذين بقوا في القرية
والذين هربوا اليه سباهم ودفعهم الى واد رزدان صاحب شرطته فانطلق بهم الى بابل
ومساكين الشعب الذين ليس لهم شيا تركهم في ارض يهودا واستعمل عليهم احيقام بن شافان
وامر بخت نصر صاحب شرطته ان ياخذ ارميا وقال لتكن عينك عليه ولا تفعل به باسا وما
قال لك من شي فافعله فارسل الى ارميا فاخذه من دار الحبس ودفعه الى اجدليا بن احيقام
ابن شافان ليرده الى بيته وقال وارزدان صاحب الشرطة لارميا الاله الذي قال
هذا الشر على هذه البلدة وفعل كالذي قال لانكم اخطاتم للرب ولم تسمعوا صوته فانزل بكم هذا

الامر واما انت فها انا ذا قد حللتك من السلاسل التي كانت في يديك فان شيت ان تاتي معي الى
بابل وان شيت فاقم فهذه الارض في يديك كلها فحيث ما كان خيرا لك وحيث يحسن في عينك
فانطلق اليه والا فاجلس عند احيقام بن شافان الذي سلطه بخت نصر في يهودا واعطاه
صاحب الشرطة مواهب في الطريق وسرحه بسلام فاتى ارميا الى اجدليا بن احيقام الى
مسفيا وجلس عنده مع الشعب الذين خلفهم ملك بابل في الارض هذا ما دل على اولى الناس
الشديد الذين سلطهم الله عليهم واما ما دل على رحمة الله لهم ففي تاريخ يوسف بن كريون
ان الروم لما بلغهم ان بخت نصر ملك بابل فتح مدينة بيت المقدس ازداد خوفهم من الكلدانيين
فارسلوا الى بخت نصر رسلا وهدايا وطلبوا منه الامان والمسالمة فامنهم وعاهدهم على
طاعته وموالاته فاطمانوا وامنوا وانقطعت عنهم تلك الحروب الى زمان دارا الملك وكان
سبب الحروب بين الروم وبين الكلدانيين ان الكلدانيين كانوا يعادون اليونانيين
فاعان الروم اليونانيين فغضب الكلدانيون من ذلك فحاربوا اهل رومية واتصلت
الحروب بينهم الى هذا الحد فلما انتقم الله العزيز العليم على الكلدانيين طول تجبرهم وحكم
بزوال ملكهم وانقضا دولتهم كما اخبرت به الانبيا عليهم الصلاة والسلام اثار عليهم من ملوك
الامم ملكين عظيمين احدهما دارا ملك ماداي والاخر كورش ملك الفرس فتزوج كورش ملك
الفرس بنت دارا واتفقا على معصية الكلدانيين واظهرا الخلاف على بلتشصر بن بخت نصر
ملكهم ثم سارا الى بابل في عساكر قوية فارسل اليهم بلتشصر عسكرا كبيرا فجرت بينهم حرب
عظيمة قتل فيها من الفريقين خلق كثير ثم انهزم عسكر بلتشصر وهربوا فتبعهم كورش
ودارا الى مسيرة يوم عن بابل وقتلا كثيرا منهم واقام دارا وكورش في ذلك الموضع ثم ان
بلتشصر بعث اليهما بالف قايد من قواده ومعه جميع خاصته وجبابرته فخرجوا من بابل اخر
النهار وساروا ليلتهم فانتهوا الى عسكر دارا وكورش عند الصباح فكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة
عظيمة فانهزم دارا وثبت كورش مع اصحابه فقاتل الكلدانيين ومنعهم ان يتبعوا عسكر دارا
واقامت الحرب بينهم طول النهار ثم استظهر الكلدانيون على الفرس وقتلوا جماعة منهم فانهزم
الفرس وعاد قواد بلتشصار اليه ظافرين غانمين فعظم سرور بلتشصار بذلك وصنع
لقواده صنيعا عظيما احفل فيه واحضر الالات الحسنة من الفضة والذهب وبالغ في
اكرامهم وحضر معهم مجلس الشراب فاكل وشرب وعظم سرورهم وسروره فلما اخذ الشراب منه
اراد ان يزيد في اكرام اصحابه وسرورهم فامر باحضار الات الذهب والفضة التي كان
جده بخت نصر الملك قد اخذها من هيكل بيت المقدس ونقلها مع جالية بني اسرايل الى بابل
فاحضرت تلك الالات بحضرة بلتشصر فشرب فيها الخمر وسقى بها قواده ونساه وجواريه
واقبلوا يسبحون لاصنامهم ويحمدونها فاسخط الله سبحانه من ذلك وكره ما فعله
بلتشصار من ابتذال الات القدس ولم يخف من الله ولم يشكره على ما ظفره باعدايه فارسل
ملاكا وامره ان يكتب بحضرة بلتشصار الفاظا بالحمرة تتضمن ذكر ما حكم الله به وعلى مملكته

نحل الملاك بامر الله عز وجل وكتب الالفاظ على حايط المجلس مقابل المنارة وكان يري اصابع
الملاك وهي تكتب وما راي بقية شخصه وكانت تلك الاصابع شديدة البها والنور فلما راها
ذهل ولحقه رعب شديد وفزع وارتعد جميع جسمه رعدة شديدة ورعب جميع جنده ولم يفهم
تلك الكتابة ولا وجد في اصحابه من يقروها لان الخط كان كسدانيا وكان اللفظ عبرانيا
فامر باحضار دانيال النبي عليه الصلاة والسلام فقراها وفسرها وقال ايها الملك قد اخطات
خطا عظيما بابتذالك الات قدس الله بايدي جندك وجواريك فنجسوها ولذلك سخط الله وارسل
ملاكا حتى كتب هذه الالفاظ ليعلمك ما يريد ان يفعله فاما هذه الالفاظ المكتوبة فهي حسب
ووزن ونقل وتفسيرها ان الله حسب مدة دولتك التي جعلها لكم فوجدها قد انقضت وانتهت
ولم يبق منها شي ووزنك في الميزان فوجدك ناقصا يريد انه جربك بالاحسان اليك والظفر
باعدايك فوجدك غير شاكر لاحسانه ولم تحمده بل سبحت الاصنام واما تفسير نقل فان الله قد قضي
وحكم بزوال الملك عنك ونقله الى كورش ودارا قال فلما سمع بلتشصر ما قال دانيال ازداد
خوفه وفزعه واضطرب فواده ايضا وفزعوا فزعا شديدا وانصرفوا الى منازلهم وهم خايفون
فلما نام بلتشصر في تلك الليلة جا اليه خادم من خدمه فقتله على فراشه واخذ راسه ومضى الى
دارا وكورش واخبرهما بخبر بلتشصار وما فعل من ابتذال انية القدس وخبر الكتابة التي
كتبها الملاك قدامه وتفسير دانيال لها وما اخبره به من انقضا ملكه وانتقال دولته الى
ملوك مادي وفارس بسبب ابتذاله انية بيت المقدس فلما سمع دارا وكورش ما اخبرهما
به ونظرا راس بلتشصار شكرا الله عز وجل واعترفا بقدرته واكثرا تسبيحه وتجيده ونذر
كورش انه يبني بيت الله باورشليم ويرد تلك الانية ويطلق جالية اليهود ان يرجعوا الى
بلادهم ثم سار كورش ودارا من مواضعهما ودخلا بابل وقتلا جميع اهلها باشد القتل واعظم
العذاب فتم عند ذلك ما اخبرت به الانبيا عليهم الصلاة والسلام من انتقام الله تعالى من الكسدانيين
واهل بابل ومجازاتهم بما فعلوا بامته وقدسه ثم اقتسم دارا وكورش مملكة الكسدانيين
فاخذ دارا مدينة بابل واعمالها وتسلم قصر بلتشصار وجلس على سريره واخذ كورش جميع مملكة
الكسدانيين التي هي غير بابل واعمالها واستقر الامر بينهما على ذلك وكان دارا في ذلك الوقت
شيخا فلم تطل مدته فلما مات اتفق عظما مادي وفارس على ان ملكوا عليهم كورش ومنذ ذلك
الوقت صار ملك مادي وفارس واحدا وبقي الامر على ذلك ولم يتغير ولما تسلم كورش مملكة
الكسدانيين وجلس على كرسي بابل وملك على مادي وفارس حركه الله تعالى في السنة الاولى
من ملكه فذكر نذره الذي كان قد نذر انه يطلق جالية بني اسرايل الرجوع الى بلدهم وانه
يبني قدس الله ويرد الاته اليه فامر باحضار شيوخ الجالية وكبرايهم فاخبرهم بما قد عزم
عليه من بنا بيت المقدس واطلاقهم وقال لهم من اختار من جالية اليهود ان يمضي الى مدينة
القدس لبنا الهيكل الذي اخربه بخت نصر فليمض ويستعن بالله عز وجل فانه يعينه وانا
كورش عبد الاله العظيم اطلق من خزايني جميع ما يحتاج اليه من المال والعدد لعمارة بيت الرب

الذي ظفرني بالكسدانيين واعطاني ملكهم قال فلما سمع شيوخ الجالية مقالة كورش عظم
سرورهم بذلك وشكروا الله عز وجل على احسانه وطلعوا الى مدينة بيت المقدس ومعهم جماعة
كثيرة ومعهم عزرا الكاهن عليه السلام وتحميا ودره دخاي ويسوع وساير روسا الجالية
ومقدميهم فبنوا بيت الله على المقدار الذي رسم لهم كورش وبنوا المذبح على واجبه وحدوده
وقربوا القرابين على واجبها وكان كورش يطلق لهم في كل سنة ما يحتاجون اليه لخدمة
بيت الله من المال والحنطة والزيت والخمر والغنم والبقر واطلق لهم مالا كثيرا ولم يزل الامر
يجري على ذلك طول مملكة الفرس قال ثم عظم امر كورش وبسط الله يده على جميع الامم
والممالك وفتح له الحصون المنيعة واعطاه كنوز الارض وذخايرها ولم يزل مقبلا مظفرا
حيثما توجه كما اخبر الله على يد شعيا النبي عليه السلام انه يفعل ذلك لكورش من اجل
احسانه الى بني اسرايل قال في سفر الانبيا في نبوة اشعيا بن اموص هكذا يقول
الرب انا الذي ابطل ايات العرافين واصير كل تعريفهم جهلا واردّ الحكما الى خلفهم واعرف
اعمالهم للناس واثبت كلمة عبيدي واتمم قول رسلي لانه قال لاورشليم انها تعمر ولقرى
يهودا انها تبنى وتعمر خرابتها ويقول للغوران تخرب وتيبس انهاره ويقول لكورش ارع
لتتم جميع اراداتي وتامر ببنا اورشليم وتقيم هيكلها هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي
اخذه بيمينه لتخضع له الشعوب ويظهر على الملوك ابدا افتح الابواب بين يديه ولا تغلق
الابواب امامه انا اسير قدامه واسهل له العسر اكسر ابواب النحاس واحطم اقفال الحديد
واعطيه الذخاير التي في الظلمات والاشيا المطمورة المستورة لتعلم اني انا الرب الذي دعوته
قبل مولده اله اسرايل من اجل عبدي يعقوب واسرايل صفيي دعوتك باسمك وكنيتك من قبل ان
تعرفني انا الرب ولا اله غيري انتهى ما في سفر الانبيا ولم يزل كورش يحسن الى بني اسرايل حتى
مات وملك بعده ابنه تمكبشه وانفذ ما كان صنعه ابوه من البر الى اليهود واطلاق الاموال
الكثيرة لهم تعظيما لبيت الله وكان من بعده من ملوك الفرس على ذلك ويطلقون ما كان كورش
يطلقه للقرابين وغيرها ويجلون بيت الله ويعظمونه ويتبركون به حتى كان اخشويرش
وهو ازدشير الملك فتغيرت حال اليهود في زمانه بسبب وزير استوزره من العماليق يسمى
هامان ثم ان الله عطفه عليهم بسبب زوجة له من اليهود ولم يزل امرهم مستقيما وهم تحت طاعة
الفرس الى ملك الاسكندر الثاني قال ابن كثير في سورة الكهف وهو الذي يورخ له من مملكة
الروم وقد كان قبل المسيح بنحو من ثلاثماية سنة انتهى وهو الماقيدوني اليوناني الرومي ملك
بعد قتل ابيه فليقوس وكان عمره حين ملك عشرين سنة وكان حليما عارفا بساير العلوم وكان
الذي علمه الحكمة ارسطوطاليس الحكيم وكان الاسكندر يشاوره في اموره ويرجع الى رايه
ويتدرب بتدبيره ولم يكن يشبه اباه ولا امه وكان وجهه كوجه الاسد وعيناه مختلفتين
اليمنى سودا تنظر الى اسفل واليسرى صافية اللون كعين السنور تنظر الى فوق واسنانه
دقيقة حادة كاسنان الكلب وكان شجاعا جريا مقداما من صباه فلما فتح بلاد المغرب ورجع

منها فقصد بلاد الشام وتوجه الي بيت المقدس فلقيه ملاك الرب فامره ان يعظم القدس واهلها
ففعل ثم قصد دارا الثاني ملك الفرس فلما حاذي نابلس خرج اليه سنبلاط السامري صاحبها
وحمل اليه اموالا كثيرة وهدايا ثم سار الي دارا فقتله ثم الي ملك الهند فكذلك ثم الي مطلع الشمس
ثم احب ان يري اطراف الارض فضرب فيها وراي من الامم والعجايب ما هو مذكور في سيرة
ورجع فمات ببابل ثم كان امر اليهود تارة وتارة وهم تحت حكم اليونان الذين ملكوا بعد
الاسكندر ثم غلبت الروم فكان اليهود تحت ايديهم وكانوا يقومون ويقعدون تارة وتارة
الي ان كثرت فيهم الاحداث وعظمت المصايب والفتن وعم الفساد وكثرت فيهم الخوارج واتصل
القتل والنهب والغارات وقتلوا زكريا ويحيي ابنه عليهما الصلاة والسلام واطبقوا علي ارادة
قتل المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام فرفعه الله تعالى اليه ثم سلط عليهم طيطوس قيصر فاهلكهم
واخرب البيت الخراب الثاني كما سياتي ثم لم يقم لليهود امر الي الآن فلما ثبت بكون ما توعد
به سبحانه في اوقاته كما اخبر به بطشه وحلمه فثبتت قدرته وعلمه اشار الي انه من سبب
اذ لا اله لمن يريد به الحر المعصية وسبب اعزازه الطاعة قال **ان احسنتم** اي بفعل الطاعة
علي حسب الامر في الكتاب الداعي الي العدل والاحسان **احسنتم لانفسكم** فان ذلك يوجب كوني
معكم فاكسبكم عزا في الدنيا او في الاخرة او فيهما **وان اساتم** اي بارتكاب المحرمات والافساد
فلها الاساة وذكرها باللام تنبيها علي انها اهل لزيادة النفرة لان كل احد يتطير من نسبتها
اليه باي عبارة كانت فماذا تطير مع العبادة المحبوبة فكيف يكون حاله مع غيرها ولما انتهزت
فرصة الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية عطف الوعيد الثاني بالفا اشارة الي انه
بعد نصر بني اسرايل علي اهل المرة الاولي واهلها ايضا موذنة بقرب مدتها من مدة الادالة
فقال **فاذا جا** اي اتي اتيانا هو كالملجا اليه قسرا علي خلاف ما يريد الاتي اليه **وعد الاخرة**
اي وقته فامسنا هلكتم البلا لما افسدتم واحدثتم من البلايا التي اعظمها قتل زكريا ويحيي عليهما
الصلاة والسلام والعزم علي قتل عيسي عليه الصلاة والسلام **ليسوءوا** اي بعثنا عليكم عبادا
لنا ليسوءوا **وجوهكم** اي بجعل اثار المساة بادية فيها وحذف متعلق اللام لدلالة الاول عليه
وليدخلوا المسجد اي الاقصي الذي سقناكم اليه من مصر في تلك المدد الطوال واعطيناكم بلاده
بالتدريج وجعلناه محل امنكم وعزكم ثم جعلناه محلا لاكرام اشرف خلقنا بالاسرا به اليه وجمع
ارواح النبيين كلهم به وصلاته بهم ثم وهذا تعريض بالتهديد لقريش بانهم ان لم يرجعوا
ابدل امنهم في الحرم خوفا وعزهم ذلا فادخل عليهم جنودا لا قبل لهم بها وقد فعل ذلك عام الفتح
لكنه فعل اكرام لا اهانة ببركة هذا النبي عليه الصلاة والسلام **كما دخلوه** اي الاعدا **اول مرة**
بالسيف وبقهر واجمع جنودكم دفعة واحدة **وليتبروا** اي يهلكوا ويدمروا مع التقطيع والتفريق
ما علوا اي عليه من ذلك وقيل ما مصدرية اي مدة علوهم فيكون يتبروا قاصرا فيعظم مدلوله وأكد
الفعل وحقق الوعد فقال **تتبيرا** وقال في التوراة اشارة الي هذه المرة الاخيرة والله اعلم بعد
ما مضي لاشارة الي المرة الاولي سوا ان لم تحفظ وتعمل بجميع الوصايا والسنن التي كتبت في هذا

الكتاب وتتقي الله ربك وتهاب اسمه المحمود والمرهوب تخصك الرب بضربات موجعة ويبتليك
بها ويبتلي نسلك من بعدك وينزل بك جميع الضربات التي انزلها باهل مصر وتدوم عليك وكل
وجع وكل ضربة لم تكتب في هذا الكتاب يبليك الله بها حتي تهلك ويبقي من نسلك عدد قليل من
بعد كثرتهم التي كانت قد صارت مثل نجوم السما لانكم لم تسمع قول الله ربك فيكون كما فرح الرب
وانعم عليكم وكثركم يستاصلكم بالعقاب والنكال ويدمر عليكم ويقلعكم وتخلون عن الارض التي
تدخلونها لترثوها ويفرقكم الرب بين جميع الشعوب من اقطار السما الي اقطارها وتعبدون
هناك الالهة الاخري التي عملت من الحجارة والخشب لم تعرفوها انتم ولا اباؤكم ولا تسكنون ايضا
بين تلك الشعوب ولا تكون راحة لاقدامكم ولكن يصير الله قلوبكم فزعة مرتجفة ويبتليكم
بظلمة العين وسيلان الانفس وتكون حياتكم معلقة حيالكم من بعيد وتكونون فزعين الليل
والنهار ولا تصدقون انكم تعيشون بالغداة تقولون متي نمسي وبالعشي تقولون متي نصبح وذلك
من فزع قلوبكم وخوفكم ومن ظلمة ابصاركم وقلة حيلتكم ويردكم الله الي ارض مصر في سفن علي الحال
الذي قلت لكم لا تعودون ان تروها ابدا وتباعون هناك عبيدا او اماء ولا يكون من يشتريكم
هذه اقوال العهد التي امر الله بها موسي وان يعاهد بني اسرايل في ارض مواب سوي العهد الذي
عاهدهم بحوريب انتهي وانما قلت ان هذا اشارة الي المرة الثانية لانه تكرير لذاك الذي تقدمته
في الاولي فحمله علي ان يكون مشيرا الي غير ما اشار اليه الاول اولي بل ربما كان متعينا ثم اخبرني
بعض فضلا اليهود ان علماهم قالوا ان ذلك وكان الخراب في هذه المرة علي يد طيطوس بعد ان
تملك ابوه اسفسيانوس علي الروم ورجع من الارض المقدسة بعد موت ملكهم نيروس الذي كان
ارسله لقتال اليهود لما خرجوا عن طاعته وكان معه يوسف بن كريون احد اكابر اليهود وكان
اخذ من ندبه اليهود لقتال اسفسيانوس ومن معه فاسروه واحسنوا اليه فاستمر عندهم فلما
مات نيروس وملكه اصحابه رجع الي رومية وبعث ابنه للفراغ من القدس وبعث يوسف معه
بعد ان استمر البيت عامرا من عمارة العزير عليه الصلاة والسلام اربعماية سنة وعشرين سنة
ولم يدخل هذا الخراب في ايدي اليهود وكان هذا لثلاثماية سنة وثمانين سنة من
ولاية الاسكندر قال مورخهم في شرح هذا الخراب ان طيطوس كان في قيسارية
فسار منها حتي انتهي الي يالوفا فاخذ من نقاوة عسكره ستماية رجل وسار الي بيت المقدس
ليقف علي احوال المدينة وينظر الحصن ويعلم ما يحتاج الي عمله ويدبر الامر بحسب ذلك وعمل
علي ان يراسل اهل بيت المقدس بالجميل ويدعوهم الي المسالمة ويبذل لهم الامان فلما قرب
من المدينة وجد الابواب مغلقة وليس يخرج من المدينة ولا يدخل اليها احد لما بين الخوارج
من الحروب المتصلة فما وجد من خاطبه من القوم فانصرف راجعا الي عسكره قال وكان قوم
من اصحاب الخوارج لما علموا بمجي طيطوس قد جاز من المدينة فكمنوا له في بعض الطريق فلما اجتاز
بهم وهو راجع احاطوا به وحالوا بينه وبين اصحابه فقاتلهم قتالا شديدا حتي خلص بعد
ان اشرف علي الهلاك فعلم ما القوم عليه من النجدة والشر فاعد لذلك عدته لما اراد الله تعالي

من خراب القدس وكان الله سبحانه وتعالى ملكه وعز سلطانه قد اظهر لبني اسرايل امورا دلتهم
على زوال امرهم لو انهم يتبصروا ومنها انه ظهر كوكب كبير له نور قوي وضوء شديد كان القدس يضيء
منه البلد كله طول الليل قريبا من ضوء النهار فاقام كذلك سبعة ايام مدة عيد الفسح ففرح
به الجهال واغتم العلما ومنها انهم احضروا في هذا العيد بقرة ليقربوها فولدت خروفا فاستنكر
الناس ذلك ومنها ان باب القدس الشرقي كان عظيما ثقيلا لا يعالجه الا جماعة فلما كان تلك
الايام كانوا يجدونه كل يوم مفتوحا من غير فاتح فيجتمع الرجال المعتادون له فيغلقونه ثم يعودون
اليه فيجدونه مفتوحا فكان الجهال يفرحون والعلما يغتمون ومنها انه ظهر على بيت قدس
الاقداس في الهوا صورة وجه انسان شديد الحسن عظيم البها والنور ومنها انه ظهر ايضا
في الجو صور ركبان من نار يطيرون في الهوا قريبا من الارض على بيت المقدس وعلى جميع ارض
اليهود ومنها انه سمع الكهنة في ليلة عيد العنصرة في القدس حس جماعة كثيرة يذهبون
ويجيبون في الهيكل من غير ان يروهم بل كانوا يسمعون وطيهم فقط ثم سمعوا صوتا عظيما يقول
امضوا بنا حتى نرتحل عن هذا البيت ومنها انه كان قد ظهر قبل هذا باربع سنين في
المدينة رجل يمشي كالمجنون ويصيح باعلى صوت يقول صوت من المشرق وصوت من المغرب وصوت
من اربع جهات الدنيا صوت على اورشلام وصوت على الهيكل صوت على الحصن وصوت على
العروس وصوت على جميع الناس الويل على اورشلام الويل على اورشلام وكان لا يهدا من
هذا الكلام وكان الناس يبغضونه ويزجرونه ويتصورونه بالمجنون فلم يزل على ذلك الى
ان احاط العدو بالمدينة فابتدا في بعض الايام يتكلم على عادته فاتاه حجر في راسه فمات
ووجد في حايط قدس الاقداس حجر قديم مكتوب عليه اذا صار بنيان الهيكل مربعا
ملك على بني اسرايل ملك عظيم ويتسلط على ساير الارض فقال قوم هو ملك بني اسرايل
وقال الحكما والكهنة بل ملك الروم ووجد ايضا حجر قديم مكتوب عليه اذا كمل بنيان
القدس وصار مربعا فانه عند ذلك يخرب فلما وقع الحصار ولهذا انطونيا سدوا السور
فصار الهيكل مربعا كما سيأتي واعظم الامارات ما كان عليه خوارجهم من القتال وسفك
دما الخاص والعام والحريق والجوع بحيث انه احاط البلا بجميع الناس ولا يجدون
مهربا حتى كرهوا الحياة ولما خلص طيطوس من الخوارج بات في عسكره ثم سار بالليل
من يالوفا صبح على بيت القدس ونزل على راس جبل الزيتون الذي في شرق المدينة
اورشليم ليحجز الوادي بينه وبينها ولا يخفى عليه من يخرج اليه منها ثم رتب عسكره ووصاهم
بالتعاون والتظافر واليقظة والحذر وان لا يفارق بعضهم بعضا وقال انكم تقاتلون
قوما لم تقاتلوا مثلهم في الباس والشجاعة والصبر على القتال والبصر بالحرب فلما راه
اليهود اصطلح رؤسا الخوارج يوحانان وشمعون والعازار على ان لا يحارب بعضهم
بعضا ويتفقوا على محاربة الروم واجتمعوا وفتحوا باب المدينة ولقوا من كان قرب من
الروم فقاتلوهم واشتد الحرب فانهزم الروم فردهم طيطوس وشجعهم فعادوا فكانت بينهم

حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير وانهزم اليهود فوقفوا عند السور وبعثوا اجريده من اصحابهم
في عدد كثير من جهة اخرى فداروا من ورا عسكر الروم وزحف اولئك من امامهم فكان
الروم بين العسكرين فقتل منهم خلق كثير فانهزموا وثبت طيطوس في جمع من اصحابه
فاشتد الامر حتى كاد يقتل فقال له اصحابه امض الى الجبل فاختار الموت على الهزيمة ولم
يزل يقاتلهم حتى تخلص بعد ان استظهر عليه اليهود ثلاث دفعات ولما عاد اليهود
الى المدينة نقضوا عهودهم وحارب بعضهم بعضا كما كانوا لان يوحانان كان يريد الرياسة
له وكان شمعون والعازار يابيان ذلك وحضر عيد الفسح وهو الفطير فدخل يوحانان
في اصحابه الى القدس في اليوم الاول فلقيهم الناس بالجميل وسروا بهم فنزعوا ما ظهر من
ثيابهم فاذا تحتها السلاح واخذوا على الناس الابواب فقتلوا خلقا كثيرا من الكهنة وغيرهم
ولم يرحموا صغيرا ولا كبيرا فقتل العازار وشمعون من كان خارج القدس من جماعة يوحانان
فخرج اليهم فاشتد الامر واتصلت الحرب فلما علم طيطوس زحف الى المدينة فقال له قوم
من اليهود الذين على السور نفتح لك الباب على ان تؤمننا وتريحنا من هولا الخوارج فلم يثق بهم
لما ظهر له من شرهم وغدرهم وعلت الاصوات في المدينة لان بعضهم كان يريد ان يفتح
لطيطوس وبعضهم يمنع ويبادروا الى حفظ الابواب والسور فتقدم جماعة من الروم الى
المدينة طمعا في ان يفتح لهم الباب فرماهم الخوارج بالحجارة والنشاب واعانهم الذين كانوا
استدعوا الروم للدخول ثم خرج جماعة من اليهود فهزموا الروم وانكوا فيهم ومنعوهم الى قرب
عسكرهم وشرعوا يهزاون بهم ويعيرونهم بالهزيمة فاراد من في العسكر ان يلاقوهم فمنعهم
طيطوس واشتد غضبه على اصحابه وقال لست اعجب من اليهود في غدرهم ولكني
اعجب منكم مع بصركم بالحرب وكثرة تجاربكم كيف خدعوكم فمضيتم الى المدينة بغير امري
وخالفتم وصيتي ولذلك انهزمتم لانه لا يجوز للرعية ان تخالف امر الملك وقد علمتم
ان بعض ملوكنا قتل ابنه لانه مضى الى الحرب بغير امره فانتم مستحقون للقتل لعصياني
مستوجبون لما جرى عليكم من الهزيمة فسجد اصحاب طيطوس له واعترفوا بخطاياهم وقالوا
لا نعاود فامرهم ان يعدلوا ما حول المدينة من المعاثر والوهدات ويسدوا الابار
ليسهل عليهم القتال ويهدم السور ففعلوا ذلك وقطعوا كل ما حول المدينة من الشجر
والنبات وكان حولها من ساير الجهات بساتين كثيرة فيها انواع الاشجار والفواكه
مسيرة اميال من كل جهة فكان اذا اقبل انسان عليها يرى احسن منظر فلم يبق الروم
من ذلك شيا وكان من يعرف تلك البساتين اذا راها بعد اتلافها يبكي ويستوحش
واشتغل اليهود بخوارجهم واتفق شمعون والعازار على يوحانان وكان قد ملك
القدس ومعه ثمانية الاف واربعماية رجل من الشجعان وكان مع شمعون عشرة الاف من
اليهود وخمسة الاف من ادوم اي النصارى وكان الكهنة وجماعة من اهل المدينة مع
العازار وحصل الناس بين هولا باسوء حال وكانوا اذا استظهر الروم على المدينة

اتفقوا وحاربوهم فاذا دفعوهم عادوا الى الشر فيما بينهم ثم ان طيطوس احضر كبش الحديد وغيره
من الات القتال ليهدم السور وصنع ابراجا عظيمة من الخشب توازي سور المدينة وتحتها
بكر ليدفعها الرجال وتصعد عليها المقاتلة وارسل اليهم رجلا من اصحابه يدعوهم الى المسالمة
فرماه بعض من على السور فقتله واصطلح الخوارج وخرجوا الى الروم فقاتلوهم واحرقوا الكبش
وجميع تلك الالات وابعدوهم ورجعوا الى المدينة يتقاتلون فلما علم طيطوس بذلك دفع
الكبش على السور فهدم منه قطعة كبيرة فقرب من كان وراه الى السور الثاني فابعد الروم
ما سقط من حجارة السور ليتسع لهم المجال فاصطلح الخوارج وفرقوا اصحابهم على جهات المدينة
واشتد القتال بينهم وبين الروم وصدق الفريقان وتولى طيطوس الحرب بنفسه واقبل يشجع
اصحابه ويعدهم بالاموال والصلات وشجع الخوارج اصحابهم ونادى شمعون من انهزم
قتل وهدم منزله فلما راى طيطوس ثبات اصحاب شمعون مال الى جهة يوحانان ولانها
معتدلة وطية واراد ان ينطح السور الثاني فناداه رجل اسمه قسطور من فوق السور
اسلك يا سيدي ان تشفق على هذه المدينة والامر يجري على ما تحب فظن طيطوس صدقه
فتوقف وشرع بكلمه واطال المراجعة احتيالا لانه ليتمكن اصحابه من احراق الكبش ثم سالة
ان يبعث له شخصا من اصحابه ليتفق معه فارسل اليه شخصا من وجوه الروم فقال له اقرب
حتى القي اليك مالا ثم انزل فالقى عليه صخرة فاخطاته وقتلت رجلا كان معه فغضب طيطوس
ودفع الكبش على السور الثاني فهدم منه قطعة كبيرة فاشتد اسف قسطور فقتل نفسه
وتبادر اليهود فمنعوا الروم من الدخول من الموضع الذي انثلم وحاربوهم الى ان اخرجوهم من
السور الاول وقتلوا جماعة منهم واتصلت الحرب بين الفريقين اربعة ايام وورد على طيطوس
في اليوم الرابع عسكر كبير من امم مختلفة تعينه على اليهود على عادتهم فخرج اليهود على عادتهم
فقاتلوهم فلم تكن لهم بهم طاقة فانهزموا ودخلوا الى الحصن الثالث فامر طيطوس برفع الحرب
وكف عنهم خمسة ايام وركب في اليوم الخامس وتقدم الى قرب السور فوجد يوحانان وشمعون
واصحابهما قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكبش فابتداهم طيطوس بالسلام وخاطبهم بالجميل
والملاطفة وقال قد رايتم ما جرى من هدم هذين السورين وليس يتعذر هدم الثالث
وقد علمتم انكم ما انتفعتم في هذه المدة بما فعلتموه وكذلك لا تنتفعون ايضا بدوامكم على ما انتم
عليه من اللجاج في مخالفتنا فارجعوا عن ذلك قبل ان اهدم هذا السور الباقي واستبيح المدينة
واخرب الهيكل ولست اختار ذلك ولا اريده فان رجعتم الى طاعتنا كنا لكم على افضل
ما عهدتموه منا ودامت لكم السلامة وزال عنكم ما انتم فيه من المكروه وامر يوسف بن كريون
ان يقرب منهم ويبلغ معهم الغاية في القول ويستدعيهم الى المسالمة ويبذل لهم من الامان والعهود
ما يثقون به ويسكنون اليه فوقف قدام باب المدينة وقال اسمعوا يا معشر بني اسرايل
ما انا مخاطبكم به فاني انما اخاطبكم بما ينفعكم ويعود بصلاحكم ان قبلتموه اعلموا ان محاربة الاعدا
ومقاومتهم قد كانت تحسن بكم حين كانت بلدانكم عامرة وعساكركم متوافرة واحوالكم مستقيمة

فاما بعد ان بلغتم الى هذه الحال من خراب البلدان وفنا الرجال وذهاب النعم واختلال الاحوال
فكيف تطمعون في مقاومة هذه الامة العظيمة القوية التي قد قهرت الممالك والامم واستولت
عليهم فعلى اي شي تعتمدون فان قلتم انا نعتمد على الله عز وجل ونرجوا ان ينصرنا كما جرت عادته مع
ابائنا فيجب ان تعلموا انه هو الذي سلط عليكم هذه الامة لسوء افعالكم وكثرة ذنوبكم لانكم
ارتكبتم المحارم وسفكتم الدما ونجستم هيكل الله المقدس وقتلتم كهنته وصلحا امته ظلما فكيف
ترجون من الله النصر والمعونة مع هذه الافعال القبيحة والله لا ينصر عصاه وان كنتم تتكلون
على الحصون والعدد والعساكر فانتم تعلمون ان جميع ذلك قد ذهب اكثره ولم يبق منه الا القليل
وهذه المدينة قد هدم سوران من اسوارها ولم يبق غير واحد وهم مجدون في هدمه وانتم كل يوم
في نقصان وضعف وعدوكم في زيادة وقوة فان دمتم على ما انتم عليه هلكتم ولم يبق منكم باقية فان
قلتم انا نختار القتل على الذل للامم وطاعتهم فقد علمتم ان ابانا واصولنا وهم السادة الذين يجب
علينا ان نقتدي بهم لم يمتنعوا من مسالمة الامم الذين جاوروهم ومداراتهم ولو كان امرا مكروها
لقد كانوا اولى بكراهته منكم والمتقدمون منا اطاعوا المصريين في ازمان كثيرة وملوك الموصل
والكسدانيين والفرس ثم اليونانيين الذين جاروا عليهم واساوا اليهم وصبروا على ظلمهم
لهم الى ان اذن الله بخلاصهم منهم على ايدي بني حشمناي الكهنة ثم اطاعوا بعد ذلك ملوك الروم
الى هذه الغاية ولم يروا ان عليهم نقصا في طاعتهم ولذلك انتم ان اطعتموهم كان ذلك اولى بكم
من ان تعرضوا انفسكم للهلاك ونعمتكم للزوال وبلدكم للخراب وتحصلوا بعد ذلك في اضعاف
ما كرهتموه من الذل ولا يبعد ذكم في ذلك عاقل ولا يجحد رايكم على ان الروم ما زالوا محسنين
اليكم كفوكم امر اعدايكم من اليونانيين وازالوا سلطانهم عنكم واعانوكم على كثير من الامم الذين يعادونكم
حتى غلبتموهم واستوليتم عليهم فانتم بطاعتهم اولى منكم بمعصيتهم وقد علمتم ان الله عز وجل قد جعل
لكل امة دولة وسلطانا يسلطها فيه فاذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها وسلطانها فانتقلت
لغيرها وخضعت لمن كان يخضع لها وقد بسط الله ايديكم زمانا وسلطكم على غيركم دهرا ثم جعل
الدولة والسلطان لسواكم واراد ان يذلكم لهم فمتى خالفتم مراد الله ولم تقبلوا حكمه هلكتم وليس
يشك في ان الله اراد في هذا الزمان ان يرفع الروم ويبسط ايديهم لانه قد اذل لهم الملوك وظفرهم
بالامم حتى اطاعهم من في ساير جهات الدنيا ممن هو اشد منكم باسا واكثر عددا واقوى سلطانا
وكيف تطمعون في ان تغلبوهم وانتم تشاهدون اقبالهم وقوة امرهم ومعونة الله لهم وترون
انفسكم بخلاف ذلك وليس يعيب الانسان ولا ينقصه طاعته لمن هو اقوى منه واعلى يدا لان الله
عز وجل قد جعل امر الخلق في الدنيا مبنيا على ان يكون بعضهم تابعا البعض وبعضهم قاهرا البعض
وبعضهم محتاجا الى البعض وكل صنف يخضع لمن هو اقوى منه ويذل له ويطيعه وذلك ظاهر
موجود في الناس على طبقاتهم وفي الحيوانات على اختلافها وليس يستغني عن ذلك احد ولا يذمه
عاقل واذا كان الامر كذلك فليس ينقصكم طاعة الروم ولا الروم باولى من اطعتموهم وقد تقدمت طاعتكم
لهم منذ سنين وقد ابتداوكم في هذا الوقت بالجميل ودعوكم الى المسالمة وبذلوا لكم الامان وضمنوا

لكم الاحسان وظهر منهم الاشفاق عليكم وعلي مدينتكم وقدسكم فاتقوا الله وتلافوا امركم واحسنوا النظر لمن بقي منكم فارجعوا الي ما كنتم عليه من طاعتهم لتشفقوا وتتماسك احوالكم وتسلم هذه المدينة وهذا القدس الجليل قبل ان يهدم هذا الحصن الباقي فتهلكوا فصاح الخوارج بشتم يوسف والغرية عليه ورموه بالسهام والحجارة فتباعد قليلا واغلظ لهم في الكلام وقال يا معشر العصاة اخبروني ما الذي حملكم على قتال الروم ان كنتم تقصدون بذلك صيانة القدس عن الاعدا فانتم قد ابتذلتموه بالمعاصي ونجستموه بما سفكتم فيه من الدما الكثيرة ظلما وان كنتم تريدون نصرة الامة واعزازها فانتم تقتلونها بايديكم وتبالغون في ظلمها والاساة اليها وهل تفعل الاعدا بكم اكثر مما فعلتموه او يبلغون فيكم اكثر مما قد بلغتموه في انفسكم اخبروني متى كان من تقدم من ائمتنا او تاخر يغلبون من يحاربهم ويستظهرون على اعدايهم بالعساكر والعدد دون الصلاح والتقوي وهل تخلص من تخلص من الشدايد الا بطاعة الله والدعا له وهل كانوا يغلبون الا بنصرة الله لهم ومعونته اياهم وهل كان ينصرهم الا اذا اطاعوه واتقوه فلما عصوه سلط عليهم الاعدا ومكنهم منهم حتى قهروهم واذلوهم ولم ينتفعوا بعددهم وسلاحهم ولا قدروا علي مقاومة الاعدا بباسهم وقوتهم وقد علمتم ان الله عز وجل كفى الصالحين في كل زمان امر اعدايهم فمنهم من دعا الله عز وجل عند الشدايد فاستجاب له بلا حرب واظهر الايات العظيمة في معونتهم وكفايتهم فبلغوا بذلك ما لم يكونوا يبلغون اليه بحولهم وقوتهم ومنهم من حارب الاعدا واستعان بالله عز وجل فاعانه علي عدوه فظفره به ولم يفعل الله مثل ذلك مع العصاة لتظهر فضيلة الصالحين اعتبروا بابيكم ابرهيم عليه الصلاة والسلام لما اخذ فرعون امراته الم يضرب الله فرعون واهله بالبلا العظيم حتى خضع فانكسر ورد امراة ابرهيم عليه الصلاة والسلام وهي سليمة ثم احسن اليه واكرمه فهل قدر ابرهيم على ذلك بالسيف والمحاربة او بالصلاح والدعا الى الله عز وجل وكذلك فعل الله مع اسحاق عليه الصلاة والسلام لما اخذ ابيمالخ ملك فلسطين امراته وقد علمتم ان موسي عليه الصلاة والسلام لم يستظهر علي فرعون وعساكر المصريين حتى هلكوا وتخلصت امة بني اسرايل منهم بحرب ولا غيره بل بالدعا وكفاية الله له ولما حارب عماليق بني اسرايل هل غلبوه الا بدعا موسي عليه الصلاة والسلام وصلاته ويوشع بن نون عليه الصلاة والسلام لما عبر الاردن مع بني اسرايل قد كان في جمع كبير وقوة فهل فتح يريحا بالحرب او بالاية العجيبة في سقوط الحصن ولما اخطا عاجار بما اخذه من يريحا من الغنيمة التي نهي الله عنها بني اسرايل الم يسخط الله على الامة بسببه حتى غلبهم اهل مدينة عاي وهم قليل فلم يقدر بنو اسرايل مع كثرتهم علي مقاومتهم الي ان صلي يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام ودعا الي الله عز وجل فاستجاب الله دعاه ونصر بني اسرايل على العاي وجدعون لما غلب عسكر مدين وعماليق مع كثرتهم هل غلبهم الا بمعونة الله له واذكروا كيف انهزم عسكر الارمن العظيم عن سبسطيه بصلاة اليسع النبي عليه الصلاة والسلام ودعايه وقد كان اهل المدينة اشرفوا على الهلاك من الجوع فاوقع الله الخوف في قلوب الارمن فانهزموا بغير حرب ولا قتال وخرج اهل المدينة فغنموا عسكرهم

وزال عنهم الجوع واذكروا ما فعل الله مع يسا الملك ويوشافاط لما ظفرهما باعدايهما بالدعا والصلاة وقد علمتم ان شمسون قبل ان يخطي كان جبارا مظفرا فلما اخطا اسره اعداوه وصار ذليلا في ايديهم مثل اقل الناس واضعفهم وطحنوه بالرحا مثل الاما وكذلك شاول وفي نسخة طالوت الملك لما كان طايعا لله كان الله ينصره فلما عصاه اسلمه الله الي اعدايه فظفروا به ولم ينتفع بعساكره وعدده وامصيا لما حارب ادوم عليهم وظفر بهم فلما اخذ اصنامهم ونصبها في بيت المقدس سخط الله عليه فلما حارب يوآش ملك بني اسرايل بعد ذلك انهزم اقبح هزيمة لخذلان الله له وتركه معونته واذكروا هلاك عسكر سنحاريب للوصل العسكر العظيم بغير حرب ولا قتال بل بصلاة حزقيا الملك والانبيا عليهم الصلاة والسلام ودعايهم واعتبروا بصدقيا الملك لما عصي الكسدانيين وظن انه يغلبهم بعساكره وعدته وخالف الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيما سالهم هل انتفع بذلك وهل كانت عاقبته وعاقبة الامة الا الي الهلاك فهذا وغيره مما لم اذكره لكم يدلكم علي عناية الله بالاخيار وخذلانه للعصاة الاشرار وساق لهم من مثل هذا كلاما كثيرا بليغا ثم رغبهم في طاعة اسفسيانوس بالخصوص بما اشتهر من حسن سيرته وقال ولم تعلموا ذلك الا بما عاملني به من الجميل وقد كنت استوجب منه غير ذلك لكنه لم يكافيني لاني كنت اول من اجتهد في محاربته وقتلت خلقا كثيرا من اصحابه ولقد كنت اعلم اني خالفت الصواب ولكني لما رايتكم باجمعكم قد اتفقتم علي محاربتهم وبعثتموني اماما لكم وبذلت المجهود في منا صحتكم وثبت في حصن يودفات الي ان فني اصحابي وغلبني الامر ولم يبق لي حيلة ثم حصلت مع الروم فما اساوا الي بل احسنوا واجملوا وعفوا عني وانا معهم الي هذه الغاية علي ما احب وقد كنت اجتهدت قبل حصولي معهم ان اهرب اليكم فما تم لي ذلك وانا الان احمد الله اذ لم يسهل لي ذلك فاني لو كنت معكم لكنت اما ان اشارككم في افعالكم هذه فاكون مخطيا او اخالفكم فتقتلوني ظلما فتاملوا ما خاطبتكم به ولا تظنوا ان الله ينصركم فانكم لا تستحقون ذلك لانكم قد اسخطتموه واستدلوا علي ذلك بما معين سلوان فانها قد كانت قريبة من الجفاف قبل ان ينزل بكم هذه العساكر فلما نزلوا اغزورت فصارت كالنهر لتعلموا ان الله يريد معونة اعدايكم عليكم وانا اعلم ان كلامي لا يوثر فيكم لبتم ما قد حكم الله به من هلاك هذه المدينة وخراب هذا القدس الجليل ولذلك قد قست قلوبكم فصارت كالحجارة بل هي اقسي واصلب من الحجارة لان الحجر قد يوثر فيه الما اذا دام انصبابه عليه وانتم لا توثر فيكم المواعظ الكثيرة ولا تلين قلوبكم ولا تنكسر ولكني قد بلغت الغاية فيما يلزمني من نصيحتكم فاقبلوا نصحي واشفقوا علي هذا القدس الجليل الذي بنته الانبيا المقدسون والملوك العظما فان بقا عزكم وثبات امركم مقرونٌ ببقايه وعمارته وان خرب لم يبق لكم عز ولا اقبال ولا دولة فاقبلوا ما بذله لكم ابن الملك من الامان وثقوا بعهده وما ضمنه من الاحسان وانا الضامن لكم عنه وان اتهمتموني باني اخدعكم واريد معاونة الروم عليكم فانتم تعلمون ان ابي وامي وزوجتي الكريمة علي واولادي معكم فان ظهر لكم من طيطوس بعد مسالمتكم له ما تكرهون فاقتلوهم واقتلوني فقد وهبتكم

دماهم ودمي على ذلك ثم بكي يوسف بكا شديدا وكان طيطوس يسمع كلامه فرق له وامر باطلاق
من كان من السبي في عسكره واطلق لهم ان يمضوا حيث شاوا فمال اكثر اهل المدينة الي
اطاعة طيطوس فمنعهم الخوارج ووكلوا بابواب المدينة من يحفظ وامروا الموكلين ان يقتلوا
كل من اراد الخروج ولما طال الحصار اشتد الجوع وكان الخوارج يفتشون منازل الناس
و ينهبون الطعام ويقتلون من مانعهم عنه فكان الناس يموتون في المدينة بالجوع ومن اراد الخروج
الي ظاهر المدينة لياخذ شيا من نبات الارض قتله الخوارج وان قدر على الخروج قتله الروم
فافناهم ذلك وكان طيطوس اذا سمع ذلك رق لهم واستعظمه فلا يزيد استعطافه الخوارج
الا قسوة ويخاطبونه بالقبيح ليكف عن ذلك ليلا يميل معه الناس فلما راي ذلك جد في اخراب
السور الثالث ليخلص الناس من الخوارج فقسم عسكره اربعة اقسام ونصب كباشا على الجهات
الاربع فخرج اليهم الخوارج فقاتلوهم قتالا شديدا وقتلوا من الروم خلقا كثيرا وكانوا قد ندبوا
اربعة من اشدايهم لاحراق الكباش اذا اشتغلوا بالقتال ولم يزالوا يقاتلونهم حتى تم لهم ما ارادوا
واحرقوا الكباش وجميع الالات ونظر الروم من شجاعة الخوارج وباسهم ما هالهم فانهزموا
فردهم طيطوس وجعل يشجعهم وقال اما تانفون ان يغلبكم اليهود بعد ان استظهرنا عليهم
وهدمنا سورين من اسوار المدينة ولم يبق غير سور واحد وقد هلك اكثرهم وليس لهم من
ينصرهم ونحن فعساكرنا متوافرة ومعنا امم كثيرة تصمنا عليهم ثم امرهم ان يتركوا قتالهم حتى
يهلكوا من الجوع فضبطوا جميع طرق المدينة فضاق الامر بهم جدا واشتد الجوع ولم يكن احد
يقدر ان يطحن قمحا ليلا ينهب ولا يخبز ليلا يفضحه الدخان فكان من عنده شي يستفون القمح
والدقيق فمات كثير من الناس واشتغل الاحيا بانفسهم فما كانوا يدفنون موتاهم وكان الحي
ربما اخذ ميته فالقاه في بير ثم يلقي نفسه بعده ليموت وكان بعضهم يحفر له قبرا ثم يضطجع
فيه حتى يموت وامتلات الشوارع بالموتى فكان الخوارج يلقونهم من السور الي الوادي الشرقي
فلما راهم طيطوس اغتم ورق لهم وكان ببيت المقدس امراة من اهل النعم اصلها من مدينة في
جيرة الاردن فلما كثرت الفتن هناك انتقلت في جملة من انتقل الي بيت المقدس بجميع
عبيدها وساير نعمتها ولم يكن لها غير ابن واحد صغير وهي تحبه حبا شديدا فلما قويت المجاعة
ونهب الخوارج جميع ما عندها اشتد الامر وكان ابنها يتضور من الجوع فلما زاد بها الجوع
وما بولم قلبها من تضور ابنها ارادت قتل ابنها لتاكله فبقيت حايرة لا تدري على اي الامرين
تحمل نفسها هل تقتل ولدها العزيز عليها بيدها وذلك من اعظم الامور واشنعها ام تصبر على
ما تراه به وبنفسها من البلا وقد فارقها الصبر وعدمت الجلد ثم زاد بها الجوع فزال عنها
التمييز فقالت يا ابني وواحدي قد كنت اومل ان تعيش حتى تربي وكنت اخاف ان تموت
قبلي فافجع بموتك فيا ليتني كنت قد ثكلتك ندفنتك واحتسبتك عند الله واما الان يا ولدي فقد
احاط بنا المكروه وايقنا بالهلاك فالحي لا يرجو الحياة والميت لا يدفن وانا وانت ها هنا الان
وان مت يا بني لم يدفنك احد وكنت كغيرك ممن اكلته الكلاب وطيور السما وقد رايت لا قتلك

لتستريح مما انت فيه ثم اكلك فاجعل بطني التي حملتك فيها قبرا لك واسد بك جوعي فيكون ذلك
عوض برك بي الذي كنت ارجوه وتنال بذلك الاجر العظيم ويكون ذلك عارا على هولا الخوارج
الذين اوقعونا في هذا البلا وزيادة في سخط الله عليهم ويذكر ذلك على ممر الدهر ويتحدث به
بعدنا الاجيال ويعتبر به ذووا الالباب ثم قبضت على ابنها بيدها الواحدة واخذت
الحديدة بالاخري وهي كالمجنونة وحولت وجهها عنه ليلا تراه وضربته بالحديدة فمات ثم اخذت
منه وشوته واكلته فلما شم الخوارج ريح ذلك اللحم هجموا عليها فقالوا من اين لك هذا اللحم ولم
استاثرت به علينا فقالت ما كنت بالتي اوثر نفسي عليكم فاجلسوا فجات بالمايدة واخرجت
ما بقي من جسم ابنها وقالت هذا ولدي واعز الناس عندي قتلته بيدي لافراط الجوع
واكلت من لحمه وهذه بقية جسمه عزلتها لكم فكلوا واشبعوا ولا تكونوا اشد رحمة لولدي مني
ولا تضعف قلوبكم عن ذلك فانه قبيح بشجعان مثلكم ان تكون امراة اقوي قلبا منهم وانتم احق
بان ترضوا بهذا مني لانكم الذين سببتم علينا البلا حتي بلغنا هذا المبلغ ثم رفعت صوتها لتبكي
وتنتحب وتنوح على ابنها فلما راوا ذلك هالهم وخرجوا مذعورين واشتهر خبرها فقلق
الناس قلقا شديدا وتحققوا صحة الوعيد الذي سبق من الله وانكسر الخوارج لذلك واستعظموه
واطلقوا للناس الخروج فخرج في ذلك الوقت خلق كثير فلما اتصل ذلك بطيطوس استعظمه
واشتد خوفه من الله فرفع يديه الي السما وقال اللهم انت العالم بالخفيات والمطلع على السراير
والنيات انت تعلم اني لم اجي الي هذه المدينة لاسي اهلها ولقد سااني امر هذه المراة فلا تواخذني
به وطالب هولا الخوارج وانتقم منهم وظفرني بهم ولا تمهلهم وامر بالاحسان الي من خرج اليه
من اليهود فكان كثير منهم لا يقدرون على فتح افواههم وكثير منهم مات لما اكل الطعام وكان
الصبيان وغيرهم يختطفون الخبز اذا انظروه وينهشونه بلا عقل فاذا اكلوا ماتوا فقال
طيطوس ليوسف بن كريون ما الحيلة في هولا حتي لا يموتوا فقال ينبغي ان يسقوا اللبن
والحسا الرقيق اياما حتي تلين امعاوهم ثم الطعام بعد ذلك ففعل ذلك فسلم منهم جماعة وتقدم
الروم الي السور الثالث ليهدموه فخرج اليهم يوحانان وشمعون واصحابهما ما هم فيه من
الضر فقاتلوهم قتالا شديدا وقتلوا منهم جماعة فامر طيطوس بوضع الكبش على السور فدفع عليه
في الليل فهدم وكبر الروم تكبيرا عظيما وكبر اليهود من داخل المدينة فلم يجسر الروم على دخول
المدينة فلما اصبحوا اذا سور جديد بازا الهدم قد بناه اليهود تلك الليلة وهم قيام عليه
فاستعظم الروم ذلك وايسوا من الفتح فقال طيطوس هذا رطب لم يستحكم واذا اضربه
الكبش اسرع الانهدام فطلع الروم على السور الذي هدموه ووقف اليهود على الجديد واشتد
القتال فهزمهم اليهود بعد ان قتلوا كثيرا منهم فضجر الروم وعزموا على الرحيل فجمع طيطوس
اصحابه وقال اعلموا ان كل من يعمل عملا فانما قصده الي الغاية ولذلك يصبر على التعب ليبلغ
ما اراد وربما كان اخر العمل اشق من اوله فان تركه ذهب عمله تعبه ضايعا وبقي عمله ناقصا
لا ينتفع به وضرب امثالا في ذلك ثم قال وانتم قد صبرتم على محاربة هولا القوم واستظهرتم

عليهم الي هذه الغاية حتى هلك روساوهم وجبابرتهم وضربت حصونهم وفنوا بالسيف والجوع
ولم يبق منهم غير شرذمة يسيرة كالموتى فان انصرفتم كنتم قد ضيعتم تعبكم واعنتم على انفسكم
واهنتموها عند كل من يسمع خبركم ولو كنتم انصرفتم عنهم قبل هذا كان احسن بكم واما الان فلا عذر
لكم في عجزكم عن محاربة قوم قد بلغ بهم الضر والجوع هذا المبلغ فان رجعتم عنهم طمع فيكم كل احد واجترا
عليكم كل من يخافكم ولم لا تتاسون باليهود في الصبر والشجاعة مع فنا رجالهم واجتماع المكاره
عليهم وانقطاع رجايهم فصبرهم اما طمعا في الظفر او انفة من الغلبة او رغبة في بقا الذكر فانتم
احق بذلك منهم لتدفعوا العار عن انفسكم على انكم قد صبرتم في ايام تبروس قيصر على محاربة هولا
القوم وعملتم على ان لا ترجعوا عنهم الا بعد الظفر فلما ملك اسفسيانوس الذي هو اشجع من
تبروس واعظم باسا اردتم ان ترجعوا عنهم قبل ان تظفروا فاي عذر لكم فلما سمعوا هذا انتدب منهم
جماعة منهم ليلا فصعدوا من تلك الثلمة ودخلوا الى المدينة فكبروا فانتبه اليهود وكانوا قد ناموا
لطول تعبهم وضرهم ولزم كل منهم مكانه ومضى طيطوس الى اصحابه فوقف عند السور الى ان اصبحوا
فانهزم اليهود الى القدس وتبعهم الروم فاقتتلوا في الصحن البراني ولم يكن الا السيوف لضيق
الموضع فكان بينهم قتال لم يكن فيما مضى لاستقبال الجميع لانهم حصلوا في موضع لا مطمع فيه بالسلامة
الا بالصدق في القتال وكان الكل رجالة فعظمت الحرب بينهم وعلت اصواتهم وضجيجهم حتى سمعت
من البعد وكثرت القتلى في الفريقين واستظهر اليهود اخيرا واخرجوا الروم قرب ربع النهار وامر
طيطوس بهدم سور موضع متصل بالقدس يسمى انطونيا ليتسع المجال لاصحابه فلما هدم ذلك
انثلم سور القدس وسهلت الطريق اليه فبادر اليهود وبنوه وادخلوه في جملة القدس
فصار مربعا وكان ذلك تصديق ما راوه قبل مكتوبا على الحجر المقدم ذكره اذا كمل بنيان
القدس فصار مربعا فعند ذلك تخرب بيت المقدس وكان اليهود قد نسوا ذلك فلما راوه
تذكروا وعلموا ان المدة قد تمت وانه سيخرب وكان يوم هذه الحرب العظيمة عيد
العنصرة فقرب طيطوس من القدس وكلمهم ورغبهم في المسالمة ليتمكنوا من العبادة في
هذا العيد ووعدهم بالاحسان اليهم وقال قد علمتم ان ملككم يخنيا لما حاصره بخت نصر
ملك بابل خرج اليه مستامنا انتفع بذلك ونفع قومه وبلده فسلموا وان صدقيا الملك
الماح في محاربة بخت نصر ولم يسالمه كما امرته الانبيا اهلك المدينة والامة واسا الى
نفسه واليهم فسبيلكم ان تعتبروا بهما وتقتدوا باصوبهما فعلا واحمدهما عاقبة فاقبلوا
نصيحتي واكتفوا بما جرى ووعدهم ان يعفو عن جميع ما تقدم ويحسن اليهم واطال الكلام
وكان يوسف بن كريون يترجم لهم ويبكي بكا شديدا ثم قال لهم يوسف اني لست اعجب
من خراب هذه المدينة لعلمي بان مدتها قد انتهت ولكن اتعجب منكم وانتم تقراون كتاب
دانيال النبي عليه الصلاة والسلام وتعلمون ما ذكره من بطلان القرابين وعدم الكاهن
المسيح وانتم مع ذلك لا تنكسرون ولا تخضعون له ولا تستقبلون لمن قد سلطه الله عليكم
فلم يقبل الخوارج ولا رجعوا غير ان جماعة من الكهنة والروسا تم لهم الخروج الى الروم

فامنهم

فامنهم واحسن اليهم فمنع الخوارج من بقي وضبطوا الطرق فبكا اليهود وشكوا منع الخوارج
لهم من الخروج فاراد الخوارج قتلهم فبادر الروم ليخلصوهم فهجموا الى القدس فقاتلوهم
قتالا شديدا فانهزم الروم وادتهم الهزيمة الى داخل القدس الاعظم قدس الاقداس فقتلهم
اليهود فيه فاختار طيطوس من عسكره ثلاثين الفا وامرهم ان يدخلوا الى صحن القدس ليحاربهم
واراد هو الدخول معهم فمنعه اصحابه وقالوا اقف على موضع عال لتقوى قلوب اصحابك ويبذلوا
المجهود في القتال ولا تخاطر بنفسك ونباوا انفق زابهم على بيات اليهود فعلم اليهود
بذلك فلم يناموا تلك الليلة فلما اصبحوا افترق اليهود على ابواب صحن القدس واقاموا على
مقاتلة الروم سبعة ايام فقتلوا منهم جماعة كبيرة وابعدوهم عن القدس فامر طيطوس اصحابه
بالكف عنهم ليغتنهم الجوع وكان بقرب القدس قصر عظيم من بنا سليمان بن داود عليهما
الصلاة والسلام ثم زاد فيه ملوك البيت الثاني طبقة عالية من الخشب الحسن وازروا
جميع الجدر بالخشب فطلوا جميع ما فيه من الخشب بالنفط والكبريت والزفت ثم اخفوا فيه
رجلا منهم ليشعل النار في مواضع من ذلك الخشب اذا دخله الروم وكان فيه باب خفي يخرج
الي موضع اخر لا يفطن له الا من يعرفه ثم مضوا الى عسكر الروم ليلا وهم في القدس فنا وشوهم
فاجتمع عليهم من الروم خلق كثير فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا فدخلوا هذا القصر فدخل الروم
وراهم فلم يجدوا احدا منهم فصعدوا الى الطبقة العالية فخرج اليهودي الذي كان قد اختفى
فاختلط بهم واطلق النار في تلك المواضع فاضطرمت النار في جميع جوانبه فبادر الروم
الى الباب فوجدوا اليهود قد سدوه بسيوفهم فهلكوا وكان فيهم جماعة من وجوه الروم فخاف
الروم من اليهود ولم يامنوا ان يحتالوا عليهم بامر اخر فخرجوا من القدس والمدينة ورجعوا الى
عسكرهم فامر طيطوس بضبط الطرق والتضييق عليهم ليهلكهم الجوع فمات الكثير وخرج
كثير من اصحاب الخروج الى طيطوس فقتلهم ثم دخلت الروم الى بيت الله فلم يجدوا من يمانعهم وكان
طيطوس قد اكد على اصحابه في ان لا يحرقوا القدس فقال له روسا اصحابه انك ان لم تحرقه لم
تتمكن من اليهود لانهم لا يزالون يقاتلون ما كان باقيا فاذا احرق ذهب عزمهم فانكسرت
قلوبهم فلم يبق لهم ما يقاتلون عنه فقال لا تحرقوه الان امركم وكان في طريقه باب مغشى
بصفايح الفضة وهو معلق فاحرقه بعض الروم لياخذوا الفضة فلما احترق وجدوا الطريق
الى القدس الاجل فدخلوه وحملوا اصنامهم فنصبوها فيه فخرج قوم ممن بقي من اليهود في الليل
الى اوليك الذين في القدس فقتلوهم فلما بلغ ذلك طيطوس جا الى القدس فقتل اكثر من وجد
فيه من اليهود وهرب من بقي منهم الى جبل صهيون فلما كان الغد احرق الروم ابواب قدس
الاقداس وكانت مغشاة بالذهب فلما سقطت كبروا وصرخوا صراخا عظيما فجا طيطوس
مسرعا ليمنع من احراقه فلم يتم له ذلك ويقال انه صاح حتى انقطع صوته فلما علم ان الامر قد
خرج من يده دخل لينظره قبل ان يحترق فلما راى حسنه وبهجته تحير وتعجب وقال حقا ان
هذا البيت الجليل ينبغي ان يكون بيت الله اله السما وسكن جلاله ونوره وانه ليحق لليهود ان يحاربوا

عنه ويستقلوا عليه ولقد اصابت الام واحسنت فيما كانت تفعله من اعظام هذا البيت واكرامه وحمل الهدايا اليه وانه لاعظم من هيكل رومية ومن جميع هيا كل الام التي شاهدناها وبلغنا خبرها وما اردت احراقه ولكنهم فعلوا ذلك بشرهم ولجاجهم وكان من بقي من الكهنة لما راوا الحريق حاربوا الروم عنه فلما علموا انهم عاجزون عن دفعهم قالوا ما نريد ان نبقى بعده فطرحوا انفسهم في النار فهلكوا ومضى عند ذلك من بقي من اليهود الى جميع ما في المدينة من القصور الجليلة والمنازل الحسنة فاحرقوها بجميع ما فيها من الذخاير والالات وكان حريق القدس في اليوم العاشر من الشهر الخامس وهو آب وذلك نظير اليوم الذي احرق فيه الكسد ابيون البيت الاول ولما كان في غد هذا اليوم ظهر من اليهود متنبي فقال لهم اعلموا ان هذا القدس سيعود عن قليل مبنيا كما كان من غير ان يبنيه الادميون بل بقدرة الله تعالى فدوموا على ما انتم عليه من محاربة الروم والامتناع من طاعتهم فاجتمع عليه جماعة فقاتلوا فظفر بهم الروم فقتلوهم باسرهم وقتلوا كثيرا من عوام اليهود وضعفايهم ممن كانوا قد رحموهم قبل ذلك وراسل يوحانان وشمعون طيطوس يطلبان منه الامان فقال قد كنت طلبت اليكما ذلك فاما الان فانتما في قبضتي وليس لي عذر عند الله ولا عند احد من الناس في استبقايكما فانحدر البلا الى القدس باصحابهما فقتلوا قايدين من الروم فامر طيطوس بقتل من بقي في المدينة من اليهود ممن كان قد رحمه فلما راى اصحاب شمعون ذلك خافوا على انفسهم فارسلوا الى طيطوس ان يومنهم فقتل شمعون روساهم وهرب الباقون الى طيطوس فامنهم وكف اصحابه عمن بقي من اليهود ثم هرب شمعون ويوحانان من جبل صهيون الى موضع استترا فيه فتم استيلا طيطوس على جميع البلد وهدم سور جبل صهيون ولما طال عليهما الاستتار واشتد بهما الجوع خرجا الى طيطوس فقتلهما ثم رجع متوجها الى رومية ومعه السبي والغنايم وكان كلما نزل منزلا يقدم جماعة ممن ظفر به من الخوارج الى السباع التي معه حتى افناهم وكان العازر لما راى افساد شمعون وقتله من لم يكن له ذنب من اليهود قد علم ان لا مخلص لهم من البلا فخرج قبل استيلا الروم على البلد عنها واقام في بعض المواضع فلما رحل طيطوس مضى الى قرية حصينة فتحصن بها فسمع به طيطوس وهو ببطاكيه فرد اليه قايدا من قواده فحاصره فلما عاين الهلكة دعا اصحابه الى قتل من خلفهم من العيال والاستقتال ليموتوا اعزة فاجابوه الى ذلك وقاتلوا حتى قتلوا كلهم فسبحان القوي الشديد الفعال لما يريد ولما انقضى ذلك فكان كانه قيل لنا لهذه المرة من كرة كالاولى فاطمعهم بقوله سبحانه عسى ربكم اي الذي عودكم باحسانه ان يرحمكم فيتوب عليكم ويكرمكم ثم افزعهم بقوله وان عدتم اي بما نعلم من دبركم الى المعصية مرة ثالثة فوقها عدنا اي بما نعلمون لنا من العظمة الى عذابكم في الدنيا وقد عادوا غير مرة بما اشار اليه الكلام وان كان في سياق الشرط ليظهر الفرق بين كلام العالم وغيره واشار الى ذلك قوله في التوراة عقب ما مضى واذا اتمت عليك هذه الاقوال كلها والدعا واللعن الذي تلوت عليك فتب في قلبك وانت متفرق بين

الشعوب التي يفرقك الله فيها واقبل الى ربك واسمع قوله واعمل بجميع ما امرك به اليوم انت وبنوك من كل قلبك فيرد الرب سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب التي فرقك فيها وان كان الذين دون منكم يا ال اسرايل في اقطار الارض يجمعك الله ربك من هناك ويقربك من ثم ويردك الى الارض التي ورثها ابوك وترثون ونعم عليكم وتكثرون افضل من ابايكم ويختن الله الرب قلوبكم وقلوب نسلكم الى الابد وتتقون الله ربكم من كل قلوبكم وانفسكم لما يحييكم وينعمكم وينزل الرب بكم هذا اللعن باعدايكم وبشانيكم الذين اذوكم وجعلنا اي بعد ذلك بعظمتنا جهنم التي تلقى داخلها بالتجهم والكراهة للكافرين وهذا الوصف الظاهر موضع ضمير البيان تعليق الحكم به على سبيل الرسوخ سوا في ذلك هم وغيرهم وفيه اشارة الى انهم يعودون الى الافساد والى ان منهم من يومن ومنهم من يكفر حصيرا اي محبسا تحصرهم غاية الحصر وعن الحسن ان الحصير هو الذي يفرش ويبسط فالمعنى انه يجعلها مهادهم ولما ثبت ان كتاب موسى عليه الصلاة والسلام الذي انزله عليه فيما بين مصر وبيت المقدس في تلك المدة المتطاولة هو هدى لبني اسرايل صادق الوعد والوعيد فيما قضى فيه اليهم من امرهم وامر بيت المقدس من ترقيه حال من اطاعه واعلايهم واخذ من عاداهم ومن تعكيس احوال العصاة مرة بعد اخرى بتسليط الاعدا عليهم بالقتل والاسر والنهب وتخريب البلاد تنبيها على ان طاعة الله تجلب كل خير وكرامة ومعصيته توجب كل بلية كما كشف عنه الزمان على ما هو معروف من تواريخ اليهود وغيرها لاح ان القران يزيد عليه في كل معنى حسن وامر شريف فيما اتى به من الوعود الصادقة والاحكام المحكمة والمعاني الفايقة في النظوم العذبة الرايقة مع الاعجاز عن الاتيان باية من مثله لجميع الانس والجان بنسبة ما زاد المسير المحمدي الى بيت المقدس الذي اراه فيه من اياته على المسير الموسوي الذي اتاه فيه الكتاب فقال في جواب من كانه قال قد علم ان كتاب موسى عليه الصلاة والسلام الذي انزل في مسيره لقصد محل المسجد الاقصى قيم في الهداية والوعود الصادقة فما حال كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه عند في سبب مسيره اليه في ذلك ان هذا القران اي الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس يهدي ولما كان صاحب الذوق السليم يجد لحذف الموصوف هزه وروعة لما يجد من الفخامة ما يجدها مع لا يجدها عند ذكره وايضاحه قال للتي اي للطرايق والاحوال والسنن التي هي اقوم من كل طريقة وسنة وحال دعى اليها كتاب من الكتب السماوية اما في الصورة فباعتبار ما علا به من البيان واما في الوعود فباعتبار العموم لجميع الخلق في الدارين واما في الاصول فبتصريف الامثال وتقريب الوسايل وحسم مواد الشبه وايضاح وجوه الدلايل واما في الفروع فباعتبار الاحسنية تارة في السهولة والخفة وتارة في غير ذلك كما هو واضح عند من تامل ما بين الامرين ولما انقسم الناس الى مهتد وضال اتبع سبحانه ذلك بيانه وكان التعبير عن حالهما بالبشرى في قوله ويبشر المومنين اي الراسخين في هذا الوصف ولهذا

تبدم بيانا لهم بقوله الذين اي يصدقون ايمانهم بانهم يعلمون اي على سبيل التجديد والاستمرار
والبنا على العلم الصالحات من التقوي والاحسان ان لهم اي جزاهم في ظواهرهم وبواطنهم
اجرا كبيرا اشارة الي صلاح هذه الامة وثباتهم على دينهم وانه لا يزال امرهم ظاهرا كما كان
انذار كتاب موسي عليه الصلاة والسلام قومه اشارة الي افسادهم وتبديلهم دينهم ولما
بشرهم بما لهم في انفسهم اتبعه ما لهم في اعدائهم فقال وان ويبشر المومنين ايضا بان الذين
لا يومنون اي لا يتجدد منهم ايمان بالاخرة حقيقة او مجازا المسبب عنه لانهم لا يعملون
الصالحات حقيقة لعدم مباشرتها او مجازا لبنائها على غير اساس الايمان وعبر بالعناد
تهكما بهم فقال اعتدنا اي احضرنا وهيانا ما هو في غاية الطيب والنفاسة والملايمة على
سبيل الوعد الصادق الذي لا يتخلف بوجه وهو مع ذلك منظور اليه لعظمتنا لهم من عندنا
بواسطة المومنين او بلا واسطة ولما استشرف الاعدا الي هذا الوعد استشراف المغتبط
المسرور اتاهم في تعبيره بما خلع قلوبهم على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع وشر قلوب الاوليا
سرورا عظيما فقال عذابا اليما فانه لا بشري لذوي الهمم اعلي ولا اسر من الانتقام من
مخالفيهم فصار فصل الكتاب على الكتاب كفضل الذهاب على الذهاب وحذف المومنين الذين
لا يعملون الصالحات لتمام البشارة بالاشارة الي انهم من القلة في هذه الامة الشريفة بحيث
لا يكادون ان يوجدوا ولما ذكر سبحانه ما لكلامه من الدعا الي الاقوم اتبعه ما عليه الانسان
من العوج الداعي له الي العدول عن التمسك بشرايعه القويمة والاقدام على ما لا فايدة فيه
تنبيها على ما يجب عليه من التاني للنظر فيما تدعو اليه نفسه ووزنه بمعيار الشرع فقال
ويدع وحذف واوه الذي هو لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب لحذفه لفظا في
العربية مشيرا الي انه يدعو بالشر لسفهه وقلة عقله وهو لا يريد علو الشر عليه بما اشير
اليه بحذف ما معناه عند اهل اسمه الرفعة والعلو والي ان غاية فعله الهلاك الا ان يتداركه
الله وقد ذكرت حكم الوقف عليه وعلى امثاله في سورة النمل الانسان اي عند الغضب ونحوه
على نفسه وعلى من يحبه لما له من الانس بنفسه والنسيان لما يصلحه بالشر اي ينادي ربه
ويتضرع اليه بسبب ايقاع الشر به دعاه اي مثل دعايه بالخير اي بحصول الخير له ولمن يحبه
ثم نبه على الطبع الذي هو منبع ذلك فقال وكان الانسان اي هذا النوع بما له من قلة التدبر
لاشتغاله بالنظر في عطفيه والانس بنفسه كونا هو مجبول عليه عجولا اي مبالغا في العجلة فيتسرع
الي طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله من غير ان يتاني فيه تاني المتبصر الذي لا يريد ان يوقع
شيا الا في اتم مواقعه ولذلك يستعجل العذاب لنفسه استهزا ولغيره استشفا والعجلة
طلب الشي في غير وقته الذي لا يجوز تقديمه عليه واما السرعة فهي عمله في اول وقته الذي هو اولي
به ولما ثبت ما لصفته تعالي من العلو ولصفة الانسان من السفول تلاه بما لافعاله تعالي من الاتقان
ذاكرا ما هو الاقوم من دلايل التوحيد والنبوة في العالمين العلوي والسفلي ثم ما لافعال الانسان
من العوج جريا مع طبعه او من الاحسان بتوفيق اللطيف المنان فقال عبينا ما منهم به

من نعم الدنيا بعدما انعم عليهم به من نعم الدين وجعلنا اي بما لنا من العظمة الليل والنهار
ايتين دالتين على تمام العلم وشمول القدرة اية الليل كالايات المتشابهة واية النهار
كالمحكمة فكما ان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر
الانتفاع به الا بهاتين الايتين فمحونا اي بعظمتنا الباهرة اية الليل باعدام الضيا
فجعلناها لا تبصر بها المرييات كما لا يبصر الكتاب اذا محي وجعلنا اي بعظمتنا اية
النهار ولما كانت في غاية الضيا يبصر بها كل من له بصر اسند الابصار اليها مبالغة فقال
مبصرة اي بالشمس التي جعلها منيرة في نفسها فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور
الي ظلمة ومن ظلمة الي نور كما للانسان بعجلته التي يدعو اليها طبعه وتاتبه الداعي اليه
عقله من انتقال من نقصان الي كمال ومن كمال الي نقصان كما ان القمر الذي هو انقص من
الشمس كذلك ثم ذكر بعض المنافع المترتبة على ذلك فقال لتبتغوا اي تطلبوا طلبا شديدا
فضلا من ربكم اي المحسن اليكم فيهما بضيا هذا تارة وبرد هذا اخري ولتعلموا بفصل هذا
من هذا عدد السنين اي من غير حاجة الي حساب المطالع والمغارب والزيادة والنقصان
وغير ذلك من الكواين لمن امعن النظر وبالغ في الفكر قال والحساب اي جنسه فصلناهما
لذلك على هذا الوجه المتقن بالزيادة والنقصان وتغير الاحوال في اوقات معلومة على
نظام لا يختل على طول الزمان مقدار ذرة ولا ينخل قيس شعرة الي ان يريد الله خراب
العالم وفنا الخلق فيبيد ذلك كله في اسرع وقت واقرب زمن ولولا اختلافهما لاختلطت
الاوقات وتعطلت الامور وكل شي غيرهما مما تحتاجون اليه في دينكم او دنياكم فصلناه
اي بعظمتنا وازلنا الباسه واكد الامر تنبيها على تمام القدرة وانه لا يعجزه شي يريده فقال
تفصيلا فانظروا بابصاركم وبصايركم وتشعوا في علانياتكم وسرايركم تجدوا امرا متقنا
ونظاما محكما ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير ولما كان هذا
امرا دقيقا جدا اتبعه ما هو ادق منه واغرب في القدرة والعلم من تفاصيل احوال الادميين
بل كل مكلف بعضها من بعض من قبل ان يخلقهم فقال وكل انسان اي من في طبعه التحرك
والاضطراب الزمناه اي بعظمتنا طايره اي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر ولعله
عبر به لانهم كانوا لا يقدمون ولا يحجمون في المهم من اعمالهم الا بالطاير فيقولون جري
لفلان الطاير بكذا في عنقه اي الذي هو محل الزين بالقلادة ونحوها والشين بالغل
ونحوه الزاما لا يقدر ان ينفك عن شي منه كما لا يمكن الانفكاك عن العنق وذلك كما الزمنا
بني اسرايل ما قضينا اليهم في الكتاب فكان كما قلنا وهم يعلمون انه من السو فكان فلم يقدروا
على الاحتراز منه والانفصال عنه فلا يمكن ان يظهر في الابد الا ما قضي به في الازل جف القلم
بما هو كاين ونخرج اي بما لنا من العظمة وشمول العلم وتمام القدرة له يوم القيمة اي الذي
لا بد من ايجاده كتابا بجميع ما عمل يلقاه حال كونه منشورا تكتبه حفظتنا كل يوم ثم اذا اصعدوا
قابلوا ما فيه على ما سطرناه قديما في اللوح المحفوظ فيجدونه كما هو لا خلاف فيه املا فاذا

لتي كتابه يوم العرض قيل له اقرأ كتابك انت بنفسك غير ملزم بما يقرا او غيرك كفى وحقق الفاعل
بزيادة الباء فقال بنفسك اليوم اي في جميع هذا اليوم الذي تكشف فيه الستور وتظهر جميع
الامور عليك حسيبا اي حاسبا بليغا فانك تعطى القدرة على قراءته أميا كنت او قاريا ولا ترى
فيه زيادة ولا نقصا ولا تقدر ان تنكر منه حرفا وان انكره لسانك شهدت عليك اركانك
فيالها من قدرة باهرة وقدرة قاهرة ونصفة ظاهرة ولما كان ما مضى انتج قطعا ما قلنا
لبني اسرايل ان احسنتم الاية لكل احد منهم ومن غيرهم وذلك قوله تعالى من اهتدى فتبع الهدى
فانما يهتدي لنفسه لان ثوابه لا يتعداه ومن ضل بالاعراض عما انزلنا من البينات فانما يضل
عليها لان عقابه عليه لا يتجاوزه ولا تزر وازرة اي اي وازرة كانت وزر اخرى اي لا يخفف
عنها بل لكل جزاء عمله لا يتعداه الى غيره فيثيب من اهتدى ويعذب من ضل وما كنا اي على عظمتنا
معذبين احدا حتى نبعث اي بعثا يناسب عظمتنا رسولا فمن بلغته دعوته فخالف امره
واستكبر عن اتباعه عذبناه بما يستحقه وهذا امر قد تحقق بارسال آدم عليه الصلاة والسلام
ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام في جميع الامم كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل امة
رسولا وان من امة الا خلا فيها نذير فان دعوتهم الى الله قد انتشرت وعمت الاقطار واشتهرت
انظر الى قول قريش الذين لم يات نذير بعد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ما سمعنا بهذا في
الملة الاخرة فانه يفهم انهم سمعوه في الملة الاولى فمن بلغته دعوة احد منهم بوجه من الوجوه
فقصر في البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب فلا تغتر بقول كثير من الناس في نجاة اهل الفترة
مع اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ان اباءهم الذين مضوا في الجاهلية في النار وان ما يدحرج
الجعل خير منهم الى غير ذلك من الاخبار قال الامام ابو عبد الله الحليمي احد اجلاء الشافعية وعظماء
ائمة الاسلام في اوايل منهاجه في باب من لم تبلغه الدعوة وانما قلنا ان من كان منهم عاقلا مميزا
ذا راي ونظر الا انه لا يعتقد دينا فهو كافر لانه وان لم يكن سمع دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم
فلا شك انه سمع دعوة احد من الانبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه وسلم على كثرتهم وتطاول
ازمان دعوتهم ووفور عدد الذين امنوا بهم واتبعوهم والذين كفروا بهم وخالفوهم فان الخبر قد
يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق واذا سمع اية دعوة كانت الى الله فترك ان
يستدل بعقله على صحتها وهو من اهل الاستدلال والنظر كان بذلك معرضا عن الدعوة فكفر والله اعلم
وان امكن ان يكون لم يسمع قط بدين ولا دعوة نبي ولا عرف ان في العالم من يثبت الها وما نرى
ان ذلك يكون فان كان فامره على الاختلاف يعني عند من يوجب الايمان بمجرد العقل ومن لا يوجبه
الا بانضمام النقل وما قاله الحليمي نقل نحوه عن الامام الشافعي نفسه قال الزركشي في اخر باب
الديات من شرحه على المنهاج وقد اشار الشافعي الى عسر تصوره اي عدم بلوغ الدعوة حيث قال
وما اظن احدا الا بلغته الدعوة الا ان يكون قوم من وراء النهر يتلوننا وقال الدبيري
وقال الشافعي ولم يبق من لم تبلغه الدعوة ولما اشار الى عذاب الخالفين قرر اسبابه وعرف
انها بقدره وان قدره لا يمنع حقوق العذاب لبناء الامر على ما يتعارفه ذوو العقول بينهم فقال

وإذا

وإذا اي فبعث الرسل باوامرنا ونواهينا فاذا اردنا ان نحيي قرية الحياة الطيبة في الدنيا
والاخرة العليا في قلوب اهلها امتثال اوامرنا والتقيد باتباع رسلنا واذا اردنا واراد تنا
لا تكون الا عظيمة جدا ان نهلك اي بعظمتنا قرية في الزمن المستقبل امرنا اي بما لنا من
العظمة التي لا يعذر احد على مخالفتها مترفيها الذين لهم الامر والنهي بالفسق اي استدرجناهم
بادرار النعم ورفع النقم على ما يعملون من المعاصي الذي كان بكونه سببا لبطرهم ومخالفتهم كالامر
بالفسق ففسقوا فيها بعدما ازال الرسول معاذيرهم بتبليغ الرسالة كما قال تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به اي على السنة الرسل فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وخص المترفين لان غيرهم لهم تبع ولانهم احق الناس بالشكر واولى بالانتقام
عند الكفر ويجوز ان يكون امرناهم باوامرنا ففسقوا فيها اي الاوامر بالطاعات التي يعلم
قطعا ان اوامرنا تكون بها ولا تكون بغيرها لانا لا نامر بالفحشاء وقد جرت العادة بان المترف
عسر الانقياد لا تكاد تسمح نفسه بان يصير تابعا بعدما كان متبوعا فعصوا فتبعهم غيرهم
لان الاصاغر تبع للاكابر ما طبقوا على المعصية فاهلكناهم وقرا يعقوب آمرنا بمد الهمزة بمعنى
كثرنا من امرت الشيء وامرته فامر اذا كثر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة
اي كثيرة النتاج وروى البخاري في التفسير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا نقول
للحي اذا كثروا في الجاهلية أمر بنو فلان والكثرة راجعة الى الامر الذي هو ضد النهي فانه نتيجة
العز الذي هو لازم الكثرة ويجوز ان يكون من المؤامرة اي امرناهم باوامرنا فما امتثلوا وامرونا
باوامرهم اي سالونا ما يريدون فاعطيناهم ذلك استدراجا فابطرهم نيل الاماني ففسقوا فحق
اي وجب وجوبا لا شك في وقوعه عليها القول الذي توعدناهم به على لسان الرسول بمباشرة
البعض للفسق وسكوت الباقين على حسب ما يتعارفونه بينهم فان من خالف الامر الواجب
عليه استحق العقاب فدمرناها اي اهلكناها اهلاكا شديدا بغتة غير مبالين بها فجعلناها
كالمدرة المفتتة وكان امرها على عظمتنا هينا ولذلك اكده فقال تدميرا ولما قرر ان هذا شانه
اذا اراد ان يهلك اخبر انه فعل ذلك بمن لا يحصيهم العد من القرون ولا يحيط بهم الحد من الامم
لان الاعتبار بالمشاهد اوقع في القلب واهول عند النفس فكانه قال كم فعلنا ذلك بالقرى ولم
نستعجل في اهلاك قرية منهم ولا اخذناهم من غير انذار بل ارسلنا فيهم وامليناهم الى ان كان
ما علمناه في الازل وجاء الوقت الذي قدرناه وبلغوا في الذنوب ما يستحقون به الاخذ ولقد
اهلكنا قوم نوح على هذا السنن وكانوا اهل الارض كما مضت الاشارة اليه ووقع التنبيه
عليه واهلاكهم كاف في ابلاغ اهل الارض ما ارسلنا به رسلنا من التوحيد لان ذلك لم يخف على
احد بعدهم وعطف على هذا المقدر قوله وكم اهلكنا اي بما لنا من العظمة وبين بعد لول كم بقوله من
القرون على هذا السنن ولما كان الاهلاك بعذاب الاستيصال لم يستغرق ما بعده ادخل
الجار فقال من بعد نوح الذي انتم ذرية من انجيناه مما حمل معه بذنوبهم امهلناهم حتى اعذرنا
اليهم ثم اخذناهم في مدد متفاوتة فكان بعضهم اقصر مدة من بعض وبعضهم انجيناه بعد ان

احطنا به مخايل العذاب واما من قبل نوح فالظاهر من عبارة التوراة وسكوت القران انهم
لم يكونوا كفارا وبه صرح كثير من المفسرين في تفسير كان الناس امة واحدة ولما كان ذلك
ربما اوجب ان يقال كيف يعذب الساكت مع امكان عذره بعجز او غيره فقال دافعا لذلك
تاركا مظهر العظمة تلطفا بهذا النبي الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم في جملة حالية وكفى
بربك اي المحسن اليك بالعفو عن امتك واعفايهم من الاستيصال بذنوب عباده اي لكونه
خلقهم وقدرها فيهم من جميع الحركات والسكنات خبيرا من القدم فهو يعلم السر واخفى واما انتم
فلستم هناك فكم من انسان كنتم ترونه من اكابر الصالحين ثم اسفرت عاقبته عند الامتحان
عن انه من اضل الضالين بصيرا بها اذا وقعت لا يخفى عليه شي منها واما انتم فكم من شخص كنتم
ترونه مجتهدا في العبادة فاذا خلا بارز ربه بالعظايم ولما تقرر انه سبحانه خبير بذنوبهم
بعد تزهيده في الدنيا بما ذكر من مصارع الاولين اتبعه الاخبار بانه يعامله على حسب علمه على
وجه معرف بعلمه بجميع طوياتهم من خير وشر مرغب في الاخرة مرهب من الدنيا لانها الما نعة من
اتباع الرسل والتقيد بطاعتهم خوفا من نقص الحظ من الدنيا بزوال ما هو فيه من الرياسة
والمال والانهماك في اللذة جهلا بان ما قدر لا يكون غيره سوا كان صاحبه في طاعة او معصية
فقال من كان يريد اي ارادة هو فيها في غاية الامعان بما اقتضاه طبعه المشار اليه بفعل
الكون ولما كان مدار مقصود السورة على الاحسان الذي هو العبادة على المشاهدة وكان
ذلك منافيا لحال من يلتفت الى الدنيا عبر بقوله العاجلة اي فقط عجلنا اي بعظمتنا له فيها
اي العاجلة ما نشا اي ما يريده ثم ابدل منه قوله لمن نريد اي لا لكل من اراد ذلك تنبيها على ان
ذلك بقوتنا لا بقوة ذلك المريد ثم جعلنا اي بما لنا من العظمة له اي لظاهره وباطنه جهنم اي ٢
الدركة النارية التي تلقى بالتجهم من كان يلقى الدنيا واهلها بالتبسم يصلاها في الاخرة مذموما
اي مفعولا به الذم وهو ضد المدح مدحورا مدفوعا مطرودا مبعدا فينبغي لمن يريد الدنيا ان لا
يزال على حذر لانه لا ينفك من عذاب الاخرة فان لم يعط شيا مما تمناه كما اشار اليه لمن نريد
اجتمع له العذابان كاملين فقر الدنيا وعذاب الاخرة وان اعطي فهو لا يعطى كل ما يريد بما اشار
اليه ما نشا فيجتمع له عذاب ما منعه منها مع عذاب الاخرة ولما ذكر الجاهل ذكر العالم العامل
فقال ومن اراد الاخرة اي مطلق ارادة بما اشار اليه التجريد من كان وسعى اي وضم الى نيته
العمل بان سعى لها سعيها اي الذي هو لها وهو ما كانت جديرة به من العمل بما يرضي الله مما شرعه
في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم لا اي سعي كان مما لم يشهد ظاهر الكتاب والسنة اعلاما
بان النية لا تنفع الا مع العمل اما بالفعل عند التمكن واما بالقوة عند عدمه ثم ذكر شرط السعي
الذي لا يقبل الا به فقال وهو مومن اي راسخ في هذا الوصف كما جا عن بعض السلف من لم يكن
له ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وهذا الرسوخ
هو الاحسان الذي يدور عليه مقصود السورة ثم رتب عليه الجزا فقال فاوليك العالو الرتبة
لجمعهم الشرايط الثلاثة كان اي كونا لا بد منه سعيهم مشكورا اي مقبولا مثابا عليه بالتضعيف

مع ان بعضهم فتح عليه ابواب الدنيا كداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ونستعمله فيها
بما يحب وبعضهم نزويها عنه كراهة له لا هوانا به فالحاصل انها ان وجدت عند الولي لم تشرفه
وان عدمت عنه لم تحقره وانما الشرف وعدمه عند الله بالاعمال ولما اخبر عن نفسه الشريفة
بما يشير الى التوسعة على من اهل الباطل اخبر بانه قضى بذلك في الازل تفضلا فقال كلا اي
من الفريقين مريد الدنيا ومريد الاخرة نمد اي بالعطا ثم ابدل من كلا قوله هولا اي
الذين طلبوا الدنيا نمد وهولا الذين طلبوا الاخرة نمد من عطا ربك المحسن اليك بجميع
قضايه ان ضيق على مومن فيما لحاجته من الدنيا الفانية التي انما هي لهو ولعب وان وسع
فيما لاستعماله فيها على حسب ما يرضيه ويعلي كلمته وما كان عطا ربك اي الموجد لك المدبر
لامرك محظورا اي ممنوعا في الدنيا عن كل مومن ولا كافر بل هو ملك السهل والجبل من الذهب
والفضة والحديد والنحاس والجواهر والثمار واقوات الناس والبهايم وغير ذلك مما لا يحصيه
الا الله حتى لو اجتمع كل الناس على جمعه ليلا ونهارا ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لاعياهم ولم
يقدروا عليه فسبحان الجواد الواسع المعطي المانع ثم امر بالنظر في عطايه هذا على وجه
مرغب في الاخرة مزهد في الدنيا فقال امرا بالاعتبار انظر وبين ان حالهم لغرابته اهل
لان يسال عنه فقال كيف فضلنا اي بما لنا من العظمة القاهرة بعضهم على بعض في هذه
الحياة الدنيا بالعطا فصار الفاضل يسخر المفضول والمفضول يرغب في خدمة المفضل ويتشرف
بالتقرب اليه مع ان رزق الله وهو عطاوه بالنسبة الى الكل على حد سوا اخلق ما هو موجود
في هذه الدنيا للبر والفاجر والكل حريصون على ان ياخذوا فوق كفايتهم من الارزاق التي هي اكثر
منهم فما كان هذا التفاضل الا بقسر قادر قهرهم على ذلك وهو من تنزه عن النقص وحاز كل
كمال فاستحق ان لا توجه رغبة راغب الا اليه ولما نبه على ان ما نراه من التفضيل انما هو بمحض
قدرته اخبر ان ما بعد الموت كذلك من غير فرق فقال وللاخرة اكد الاخبار عما فيها المستلزم لتاكيد
الاعلام بوجودها لما لهم من انكاره اكبر درجات من هذه الحياة الدنيا واكبر تفضيلا اولا
بالجنة والنار انفسهما وثانيا بالدرجات في الجنة والدركات في النار ولما كان العمل هنا
مقيدا بالذنوب ذكر بعده المفاضلة في الدنيا ولعل في ذلك اشارة الى ان اكثر من يزاد
في الدنيا تكون زيادته نقصا من اخرته بسبب ذنب اكتسبه او تقصير ارتكبه ولما
كان العلم فيما ياتي في قوله وربك اعلم مطلقا طوى بعده الدليل وعطف على ذلك للمطلوب
الفضايل فقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية فمن كانت له نفس ابية
وهمة علية ان يزهد في علو فان لاجل العلو الباقي ولما تقرر بما مضى ان له سبحانه
الامر كله وانه متصف بجميع الكمال المنزه عن شوايب النقص انتج انه لا اله غيره فقال
مخاطب لان ذلك اوقع في نفس الاتباع واشارة الى انه لا يوحده حق توحيده سواه
ويجوز ان يكون خطابا عاما لكل من يصح ان يخاطب به لا تجعل مع الله الذي له جميع صفات
الكمال الها وسياتي قريبا سر قوله اخر مع انه مفهوم من المعية فتقعد اي فيتسبب

عن ذلك ان تقعد اي تصير في الدنيا قبل الاخرة **مذموما** ولما كان الذم قد يحتمله بعض الناس
مع بلوغ الامل بين انه مع الخيبة فقال **مخذولا** اي غير منصور فيما اردته من غير ان يغني
عنك احد بشفاعة اوغيرها ولما فرغ الاسماع بعد النهي المحتم لتوحيده اتبعه الاخبار
بالامر بذلك جمعا في ذلك بين صريحي الامر والنهي تصريحا بعد التنزيه له عن الشريك بالافراد
له بالعبادة في اسلوب الخبر اعلاما بعظم المقام فقال **وقضى** اي نهاك عن ذلك وامر **ربك**
امرا حتما مقطوعا به ماضيا لا يحتمل النزاع ثم فسر هذا الامر بقوله **ان لا تعبدوا** اي انت
وجميع اهل دعوتك وهم جميع الخلق **الا اياه** فان ذلك هو الاحسان ولما امر بمعرفة الحق
للمحسن المطلق منبها على وجوب ذلك باسم الرب اتبعه الامر بمعرفة الحق لاول المربين
من الخلق فقال **وبالوالدين** اي احسنوا اي اوقعوا الاحسان بهما **احسانا** بالاتباع في
الحق ان كانا حنيفين شاكرين لانعمه كنوح وابرهيم عليهما الصلاة والسلام فان ذلك يزيد
في حسناتهما وبالبراة منهما في الباطل فان ذلك يخفف من وزرهما واللطف بهما ما لم يجر الى فساد
ليكون الله معكم فالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ولما كان سبحانه عليما بما في الطباع
من ملال الولد لهما عند اخذهما في السن قال **اما** موكدا بادخال ما على ان الشرطية لزيادة
التقرير للمعنى اهتماما بشان الابوين **يبلغن عندك** اي بان يضطرا اليك فلا يكون لهما كافل
غيرك **الكبر** ونفى كل احتمال يتعلق به المتعنت بقوله **احدهما او كلاهما** فيعجزا بحيث يكونان
في كفالتك **فلا تقل لهما اف** اي لا تتضجر منهما وفي سورة الاحقاف ما ينفع كثيرا هنا ثم صرح
بما يفهم عنه الكلام من باب الاولى تعظيما للمقام فقال **ولا تنهرهما** فيما لا ترضاه والنهر
زجر باغلاظ وصياح وقال الاستاد ابو الحسن الحرالي ذكرنا به في اصول الفقه وقد اولع
الاصوليون بان يذكروا في جملة هذا الباب ايجاب الاستدلال بالملزوم على اللازم
والادنى على الاعلى بقوله تعالى ولا تقل لهما اف بناء على ان التافيف عندهم اقل شي
يعق به الاب وذلك حايد عن سنن البيان ووجه الحكمة لانه ليس في العقوق شي اشد
من التافيف لانه انما يقال للمستقذر المسترذل ولذلك عطف عليه ولا تنهرهما لانه
لا يلزم منه لزوم سوا ولا لزوم احرى ولا يصلح فيما يقع ادنى ان يعطف عليه ما يلزمه سوا
اوحرى كما لو قال قايل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل قيراطا يره لم يصلح عطفه
عليه لافادة الاول اياه ولعل ذلك شي وهل فيه واهل تسلك اثره من غير اعتبار لقوله انتهى
ولما نهاه عن عقوقهما تقذيما لما تدرا به المفسدة امره ببرهما جلبا للمصلحة فقال **وقل لهما**
اي بدل النهر وغيره **قولا كريما** اي حسنا جميلا يرضاه الله ورسوله مع ما يظهر فيه من اللين
والرقة والشفقة وجبر الخاطر وبسط النفس كما تقتضيه حسن الادب وجميل المروة ومن
ذلك انك لا تدعوهما باسميهما بل يا ابتاه ويا امتاه ونحو هذا **واخفض لهما** ولما كان الطاير
يخفض جناحه عند الذل استعار لتعطفه عليهما رعيا لحقوقهما قوله **جناح الذل** اي جناح
ذلك وبين المراد بقوله **من الرحمة** اي لا من اجل امتثال الامر وخوف العار فقط بل من اجل الرحمة

لهما

لهما بان لا تزال تذكر نفسك بالاوامر والنواهي وما تقدم لهما من الاحسان اليك فصار انفقر من
اليك وقد كنت افقر خلق الله اليهما حتى يصير ذلك خلقا لازما لك فان النفس امارة بالسوء
ان لم تقد الى الخير بانواع الارغاب والارهاب والامعان في النظر في حقايق الامور ومحاب
المقدور ولذلك اتبعه قوله آمرا بان لا يكتفي برحمته التي لا بقا لها فان ذلك لا يكافي حقهما
بل يطلب لهما الرحمة الباقية **وقل رب** اي ايها المحسن الي بعطفهما علي حتى ربياني وكانا
يقدماني على انفسهما **ارحمهما** بكرمك برحمتك الباقية وجودك كما رحمتهما انا برحمتي القاصرة
مع بخلي وما في من طبع اللوم **كما ربياني** برحمتهما لي **صغيرا** وهذا مخصوص بالمسلمين باية
ما كان للنبي لا منسوخ ولقد ابلغ سبحانه في الايصا بهما حيث بداه بان شفع الاحسان
اليهما بتوحيده ونظمه في سلكه وختمه بالتضرع في نجاة تهما جزاء على فعلهما وشكرا لهما وضيق الامر
في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى شي من امتهانهما مع موجبات الضجر ومع احوال لا يكاد يدخل
الصبر عليها في حد الاستطاعة الا بتدريب كبير ولما كان ذلك عسرا جدا حذر من التهاون
به بقوله **ربكم** اي المحسن اليكم في الحقيقة فانه هو الذي عطف عليكم من يربيكم وهو الذي
اعانهم على ذلك **اعلم** اي منكم **بما في نفوسكم** من قصد البر بهما وغيره فلا يظهر احدكم غير
ما يبطن فان ذلك لا ينفعه ولا ينجيه الا ان يحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتهما **ان**
تكونوا اي كونا هو جبلة لكم **صالحين** اي متقين او محسنين في نفس الامر والصلاح
استقامة الفعل على ما يدعو اليه الدليل واشار الى انه لا يكون ذلك الا بمعالجة
النفس وترجيعها كرة بعد فرة بقوله **فانه كان للاوابين** اي الرجاعين الى الخير
مرة اثر مرة بعد جماح انفسهم عنه **غفورا** اي بالغ الستر تنبيها لمن وقع منه تقصير
فرجع عنه على انه مغفور ولما حث على الاحسان اليهما بالخصوص عم بالامر به لكل ذي رحم
وغيره فقال **وآت ذا القربى** من جهة الاب او الام وان بعد **حقه وآت المسكين** وان
لم يكن قريبا **وابن السبيل** وهو المسافر المنقطع عن ماله لتكون متقيا محسنا ولما رغب
في البذل وكانت النفس قل ما يكون فعلها قواما بين الافراط والتفريط اتبع ذلك قوله
ولا تبذر بتفريق المال سرفا وهو بذله فيما لا ينبغي وفي قوله **تبذيرا** تنبيه على ان الارتقا
نحو ساحة التبذير اولى من الهبوط الى مضيق الشح والتقتير والتبذير بسط اليد في
المال على حسب الهوى جزافا واما الجود فمقدار معلوم لانه اتباع امر الله في الحقوق
المالية ومنها معلوم بحسب القدر ومنها معلوم بحسب الوصف كمعاضدة اهل الملة وشكر
اهل الاحسان اليك ونحو ذلك وقد سيل ابن مسعود رضي الله عنه عن التبذير فقال الانفاق
المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق
مدا في باطل كان تبذيرا ثم علل ذلك بقوله **ان المبذرين** اي جبلة وطبعا **كانوا** اي كونا هم
راسخون فيه **اخوان الشياطين** اي كلهم المبعدين من الرحمة المحترقين في اللعنة فان
فعلهم فعل النار التي هي اغلب اجزايهم وهو احراق ما وصلت اليه لنفع وغير نفع فاذا لم

يجدوا اخذوا ما ليس لهم والعزب تقول لكل ملازم سنة قوم وتابع امرهم هو اخوهم ولما
كان الاقتصا داد عي الي الشكر والتبذير اقود الي الكفر قال وكان الشيطان اي هذا
الجنس البعيد من كل خير المحترق بكل شر لربه اي الذي احسن اليه بايجاده وتربيته كفورا
اي ستورا لما يقدر علي ستره من ايانه الظاهرة ونعمه الباهرة مع الجحد ولما امر بما هو الاولي
في حالة الوجدان امر بمثل ذلك حالة العدم فقال مؤكدا تنبيها علي انه ينبغي ان يكون الاعراض
عنهم في حيز الاستبعاد والاستنكار واما تعرضن عنهم اي عن جميع من تقدم ممن امرت بالبذل
له لامر اضطرك الي ذلك لابد لك منه لكونك لاتجد ما تعطيه فاعرضت حياء لالارادة المنع
بل ابتغا اي طلب رحمة اي اكرام وسعة من ربك الكثير الاحسان ترجوها فاذا اتتك
واسيتهم فيها فقل لهم في حالة الاعراض قولا ميسورا اي ذا يسر يشرح صدورهم
ويبسط رجاهم لان ذلك اقرب الي طريق المتقين المحسنين الذين اتاهم قال ابو حيان
وروي انه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه الاية اذا لم يكن عنده ما يعطي وسيل
قال يرزقنا الله واياكم من فضله انتهي وقد وضع هنا الابتغا موضع الفقر لانه سببه
فوضع المسبب موضع السبب ولما امر بالجود الذي هو لازم الكرم نهي عن البخل الذي هو
لازم اللوم في سياق ينفر منه ومن الاسراف فقال ممثلا لهما بادئا بمثال الشح ولا تجعل
يدك بالبخل مغلولة اي كانها بالمنع مشدودة بالغل الي عنقك لاتستطيع مدها ولا
تبسطها بالبذل كل البسط فتبذر فتقعد اي توجد كالمقعد بالقبض ملوما اي بليغ
الرسوخ فيما تلام بسببه عند الله لان ذلك مما نهي عنه وعند الناس وبالبسط محسورا :.
منقطعا بك لذهاب ماتقوي به ولخسارة عنك وكل من الحالتين مجاوز لحد الاعتدال
ولما كان سبب البخل خوف الفقر وسبب البسط محبة اغنا المعطي قال مسليا لرسوله
صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة عن التوسعة علي من يسأله بان ذلك انما هو
لتربية العباد بما يصلحهم لاهوان بالمضيق عليه ولا لاكرام للموسع عليه ان ربك اي المحسن
اليك يبسط الرزق لمن يشا البسط له دون غيره ويقدر اي يضيق كذلك سوا
قبض يده او بسطها ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكنه تعالي لايبلغ
بالمبسوطة له غاية مراده ولا بالمقبوض عنه اقصى مكروهه فاستنوا في انفاقكم علي عباده
بسنته في الاقتصاد انه كان اي كونا هو في غاية المكنة بعباده خبيرا اي بالغ الخبر
بصيرا اي بالغ البصر بما يكون من كل من القبض والبسط لهم مصلحة او مفسدة ولما اتم
سبحانه ما اراد من الوصية بالاصول وما تبع ذلك وختمه بما قرر من ان قبض الرزق وبسطه
منه من غير ان تنفع في ذلك حيلة او صام بالعزوع لكونهم في غاية الضعف وكانوا
يقتلون بناتهم خوف الفقر وكان اسم البنت قد صار عندهم لطول ما استهجنوه موجبا
للقسوة فقال في النهي عن ذلك مواجها لهم اعلاما ببعده صلى الله عليه وسلم عن هذا الخلق
قبل الاسلام وبعده ولا تقتلوا اولادكم معبرا بلفظ الولد الذي هو داعية الي الحنو
والعطف

والعطف خشية املاق اي فقر متوقع لم يقع بعد ثم وصل بذلك استينافا قوله نحن نرزقهم
واياكم مقدما ضمير الاولاد لكون الاملاق مترقبا من الانفاق عليهم غير حاصل في حال القتل
بخلاف اية الانعام فان سياقها يدل علي ان الاملاق حاصل عند القتل والقتل للعجز
عن الانفاق ثم علل ذلك بما هو اعم منه فقال ان قتلهم اي مطلقا لهذا او غيره كان خطا
اي اثما كبيرا قال الرماني والخطا اي بكسر ثم سكون لايكون الا تعمدا الي خلاف الصواب
والخطا اي محركا قد يكون من غير تعمد ولما كان في قتل الاولاد حظ من البخل وفي فعل الزنا
داع من الاسراف اتبعه به فقال ولا تقربوا اي ادني قرب بفعل شي من مقدماته ولو
باخطاره بالخاطر الزنا مع ان السبب الغالب في فعل النسا له الحاجة وطلب التزيد
وفيه معني قتل الولد بتضييع نسبه وفيه تسبب في ايجاد نفس بالباطل كما ان القتل
تسبب في اعدامها بالباطل وعبر بالقربان تعظيما له لما فيه من المفاسد الجارة الي الفتن
بالقتل وغيره ثم علله بقوله مؤكدا للابلاغ في التنفير عنه لما للنفس من شدة الداعية
اليه انه كان اي كونا لاينفك عنه فاحشة اي زايدة القبح وقد تقدم الكلام عن الفحشا في
اية العدل والاحسان وسا الزنا سبيلا اي ما اسواه من طريق والتعبير عنه
بالسبيل علي كثرة متعاطيه بالدلالة علي سعة قبحه ولما اتم النهي عن هذين الامرين بدله
المتحدين في وصف الفحش وفي السبب علي تقدير وفي اهلاكه الولد بالقتل وما في معناه
اتبعهما مطلق القتل الذي من اسبابه تحصيل المال فقال ولا تقتلوا النفس اي بسبب
ما جعل خالقها لها من النفاسة التي حرم الله اي الملك الاعلي الذي له الامر كله بالاسلام
او العهد الا بالحق اي بامر يحل الله به تلك الحرمة التي كانت فصارت الاسباب المنهي
عنها بتحريم مسببا تها منع الموجود بخلا ثم بذله اسرافا ثم تحصيل المفقود بغيا ثم عطف
علي ما افهم السياق تقديره وهو فمن قتل نفسا بغير حق فقد عصي الله ورسوله ومن قتل اي
وقع قتله من اي قاتل كان مظلوما اي باي ظلم كان من غير ان يرتكب احدي ثلاث الكفر
والزنا بعد الاحصان وقتل المومن عمدا عدوانا فقد جعلنا اي بما لنا من العظمة لوليه
اي سوا كان قريبا او سلطانا سلطانا اي امرا متسلطا فلا يسرف الولي او فلا تسرف
ايها الولي في القتل بقتل غير القاتل ولا يزد علي حقه بوجه انه اي القتيل كان منصورا في
الدنيا بما جعل الله في الطباع من فحش القتل وكراهة كل احد له وبغض القاتل والنفرة منه
والاخذ علي يده وفي الاخرة ما اخذ حقه من غير ظلم ولا غفلة فمن وثق بذلك ترك الاسراف فانه
لخوف الفوت او للتخويف من العود ولما نهي عن الاغارة علي الارواح والابضاع التي هي سببها
اتبعه النهي عن نهب ما هو عديلها لان به قوامها وهو الاموال وبدا باحق ذلك بالنهي لشدة
الطمع فيه لضعف مالكه فقال ولا تقربوا اي فضلا عن ان تاكلوا مال اليتيم فعبر بالقربان
وهو التصرف فيه للغبطة تثمير اليتيم حتي يبلغ اليتيم اشده وهو ايناس الرشد منه بعد
بلوغه ولما كانت الوصية نوعا من انواع العهد امر بوفا ما هو اعم منها فقال واوفوا اي

او قعوا هذا الجنس في الزمان والمكان وكل ما يتوقف عليه الامر المعاهد عليه ويتعلق به
بالعهد اي بسببه ليتحقق الوفا به ولا يحصل فيه نقص ما وهو العقد الذي تقدم للتوثق ولما
كان العلم بالنكث والوفا متحققا كان العهد نفسه كانه هو المسول عن ذلك فيكون رقيبا على
الفاعل به فقال تعالى مرهبا من المخالفة ان العهد كان اي كونا موكدا مسئولا اي عن كل
من عاهد هل وفي به او مسولا عنه من كل من يتاتى منه السوال ولما كان التقدير بالكيل
او الوزن من جملة الامانات الخفية كالتصرف لليتيم وكان الايتمان عليه كالمعهود فيه
اتبعه قوله واوفوا الكيل اي نفسه فانه امر محسوس لا يتعرفيه الباس واشتباه ولما كان
ذلك صالحا للمعطي ومن اخذ قال اذا كلتم اي لغيركم فان الكيل لانفسكم فلا جناح عليكم ان
تقتصوا عن حقكم ولم توفوا الكيل وزنوا اي وزنا ملتبسا بالقسطاس اي ميزان العدل الذي
هو اقوم الموازين وزاد في تاكيد معناه فقال المستقيم دون شي من الحيف على ما مضى في الكيل
سوا ذلك اي الامر العالي الرتبة الذي امرناكم به خير لكم في الدنيا والاخرة وان تراأي لكم ان
غيره خير واحسن تاويلا اي عاقبة في الدارين وهو تفعيل من الاول وهو الرجوع وافعل التفضيل
هنا لاستعمال النصفه بانزحا الغنان اي على تقدير ان يكون في كل منهما خير فهذا الذي ذكرنا
ازيد خيرا والعاقل لا ينبغي له ان يرضى لنفسه بالدون ولما كان ذلك مما تشهد العقول بحسنه
واضداده مما تحقق النفوس قبحه لان الله جبل الانسان على ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم البر
ما سكن اليه القلب واطمانت اليه النفس والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك
المفتون وافتوك وقال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
وكان قد جمع الضماير سبحانه بما يعمه وغيره فقال مفردا الضمير لبصوب النهي الى كل من الجمع
والافراد في حالتي الاجتماع والانفراد على حد سوا ولا اي افعلوا ما امرتم به من ذلك وانتهوا عما
نهيتم عنه منه لما تقرر في الجبلات من العلم الضروري بخيريته وحسنه ولا تقف اي تتبع ايها
الانسان مجتهدا بتتبع الاثار ما ليس لك به علم من ذلك وغيره كل شي بحسبه لا سيما البهت
والقذف فما كان المطلوب فيه القطع لم يقنع فيه بدونه وما اكتفي فيه بالظن وقف عنده ثم علل
ذلك مخوفا بقوله ان السمع والبصر وهما طريقا الادراك والفواد الذي هو الة الادراك
ثم هول الامر بقوله كل اولئك اي هذه الاشيا العظيمة العالية المنافع البديعة التكوين واولا
وجميع اسما الاشارة يشار بها للعاقل وغيره كقوله ٭ ذم المنازل بعد منزلة اللوى ٭ والعيش
بعد اولئك الايام ٭ كان اي بوعد لا خلف فيه عنه اي وحده مسئولا بسوال يخصه هل استعمله
صاحبه في طلب العلم مجتهدا في ذلك ليعمل عند الوقوف على الحقايق بما يرضي الله ويجتنب ما يسخطه
اولا واول حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الارادة والعزيمة فيواخذ بالارادة والعزيمة لدخولها
تحت الاختيار فيتعلق بها التكليف ولعدم دخول الاولين خفف عنا بعدم المواخذة بهما كما قال
صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل به او تتكلم ولما كان الكبر
والانفة اعظم موقف عن العلم الداعي الى كل خير ومُوْضٍ بمرض الجهل الحامل على كل شر قال ولا تمش

اي مشيا ما وحقق المعنى بقوله في الارض اي جنسها مرحا وهو شدة الفرح التي يلزم منها
الخيلا لان ذلك من النقايص فانه لا يحسن الا بعد بلوغ جميع الامال التي توخذ بالجد
ولن يكون ذلك لمخلوق ولذلك علله بقوله انك لن تخرق ولو بادني الوجوه الارض
اي تقطعها سيرا من مكانك الى طرفها ولن تبلغ اي بوجه من الوجوه الجبال طولا اي
طول الجبال كلها بالسير فيها فاذا كنت تعجز في قدرتك وعلمك عن خط مستقيم من عرض الارض
مع الجد والاجتهاد وعن التطاول على اوتادها فما ذا تتخر وباي شي تتكبر حتى تتبختر وذلك
من فعل من بلغ جميع ما امل ثم عظم جميع ما مضى من المنهيات واضداد المامورات بقوله
كل ذلك اي الامر البعيد من المكارم كان اي كونا غير مزايل ولما كانت السية قد صارت
في حكم الاسما كالاثم والذنب وزال عنها حكم الصفات حملها على المذكر ووصفها به فقال سية
وزاد بشاعة بقوله عند ربك اي المحسن اليك احسانا لا ينبغي ان يقابل عليه الا بالشكر
مكروها اي يعامله معاملة المكروه من النهي عنه والذم لفاعله والعقاب والعاقل لا يفعل
ما يكرهه المحسن اليه حيا منه فان لم يكن خوفا من قطع احسانه دخضوعا لعز سلطانه ويجوز
ان يكون المراد بهذا الافراد النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لا يقدر احد غيره على
امتثال هذا النهي على ما ينبغي لانه لا يعلم احد العلم على ما هو عليه سواه ولان الراس اذا خوطب
بشي كان الاتباع له اقبل وبه اعنى ولما تمت هذه الاوامر والزواجر على هذا الوجه الاحكم
والنظام الاقوم اشار الى عظم شانه ومحكم اتقانه بقوله على طريق الاستيناف تنبيها
للسامع على ان يسال عنه ذلك اي الامر العالي جدا مما اوحى اي بعث في خفية اليك ربك
اي المحسن اليك من الحكمة التي لا يستطاع نقضها ولا الاتيان بمثلها من الدعا الى الخير والنهي
عن الشر ومن حكمة هذه الاشيا المشار اليها من الاوامر والنواهي انها لم تقبل النسخ في شريعة
من الشرايع بل كانت هكذا في كل ملة ولما بين ان الجهل سبب لكل سو وكان الشرك اعظم جهل
اتبعه ليكون النهي عنه بدا وختاما دلالة على فرط شناعته عطفا على ما مضى من النواهي قوله
ولا تجعل او يقدر له ما يعطف عليه نحو فالزمه ولا تجعل مع الله اي الملك الاعظم الذي له الامر
كله الها ولما كانوا لتعنتهم ربما جعلوا تعداد الاسما للمسميات كما ورد في سبب نزوله قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن قال مع ايهام المعية للغيرية اخر فان ذلك اعظم الجهل الذي نهى عن قفوه
فتلقى اي فيفعل بك في الاخرة في الحبس في جهنم من الاسراع فيه وعدم القدرة على التدارك
فعل من التقي من عالحال لكونك ملوما اي معنفا على ما فعلت بعد الذم مدحورا اي مطرودا
بعد الخذلان فهذان الوصفان اشنع من وصفي الذم والخذلان في الاية الاولى كما هي سنته
تعالى ان يبدا بالاخف تسليكا لعباده وانما كان الشرك اجهل الجهل لان من الواضح ان الاله
لا يكون الا واحدا بالذات فلا ينقسم وبالاعتبار فلا يجانس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى عليه الصلاة والسلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر
وهي عشر ايات في التوراة جعل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها

ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكما وحكما فوخه السما اما اغنت عن الفلاسفة
اشعار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم ولما كان ادعاوهم ان الملايكة بنات الله ادعا لان له
مناسبا ومجانسا في اخص الصفات وهي الالهية وكانت عبادتهم لهم تحقيقا لذلك وكان ذلك
ازيد من مجرد الشرك في الجهل ساقه مساق التقريع والتوبيخ تنبيها على ظهور فساده متصلا
بما مضى من النهي عن الشرك بالعطف بفا السبب على بعد الاستيناف بهمزة الانكار فكان كانه قيل
لا تفعل ذلك كما فعل هولا الذين افرطوا في الجهل فنسبوا اليه من خلقه ادنى الجزءين كما تقدم في النحل
في قوله ويجعلون لله البنات الاية ثم عبدوا ذلك الجزء وهم لا يرضونه لانفسهم ثم التفت اليهم مخاطبا
بما دل على تناهي الغضب فقال **افاصفاكم ربكم** اي اخلق المحسن اليكم بنين وبنات فاصفاكم احسانا
اليكم وانتم تكفرون به **بالبنين** الذين هم افضل صنفي الاولاد **و** لم يحسن الى نفسه بان شارككم
في البنين بل **اتخذ** عبريا لا افتعالا لان من عدل الى احد الصنفين مع التمكن من الاخر لا يكون الا
شديد الرغبة فيما عدل اليه **من الملايكة** الذين هم اقرب عباده اولادا ثم ما كفاه نقص الولدية
ومعالجة اسبابها حتى جعل ما اتخذه **اناثا** فرضي لنفسه وهو الهكم الخالق الرازق بما لا ترضونه
لانفسكم ووصلتم في كراهته في بعض الحالات الى القتل فصار مشاركا لكم في البنات مخصصا لكم
دونه بالبنين وذلك خلاف عادتكم في ان العبيد لا يوثرون بالاجود ويكون الادون للسادات
وعبر اولا بالبنين دون الذكور لان اسم الابن الذ في السمع مرض لمن يبشر به من غير نظر في
العاقبة وقد يكون اتي الافعال ولان اسم الذكر مشترك المعنى وعبر في الثاني بالاناث لافهام
الرخاوة بمدلول اللفظ والنص بنات بالمعادلة ويمكن ان تنزل الاية على الاحتباك فيكون التقدير
بالبنين ورضي لنفسه بالبنات وخصكم في نوعكم الذي هو اضعف ما يكون بالذكور واتخذ من الملايكة
الذين منهم من يقدر على حمل الارض وقلب اسفلها على اعلاها اناثا في غاية الرخاوة ولذلك
استانف الانكار عليهم معظما لذلك بقوله **انكم لتقولون** واكد لما لهم من التهاون به والاجترا
عليه بقوله **قولا** وزاد في ذلك بقوله **عظيما** اي في الجهل والافك عليه وعلى ملايكته الذين لا يعصونه
ما امرهم ويفعلون ما يومرون فتضيفون اليه الاولاد وهم من خصايص الاجسام ثم تفضلون
انفسكم عليه فتجعلون ما تكرهون ولما كان في ذلك من البيان ما لا يخفى على انسان ولم يرجعوا
اشار الى ان لهم امثال هذا الاعراض عن امثال هذا البيان فقال **ولقد صرفنا** اي طرقنا
تطريقا عظيما بانواع طرق البيان من العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام في قوالب
الوعد والوعيد والامر والنهي والمحكم والمتشابه الى غير ذلك **في هذا القران** من هذه الطرق
ما لا غبار عليه ونوعناه من جهة الى جهة ومن مثال الى مثال والتصريف لغة صرف الشي من جهة
الى اخرى ثم صار كناية عن التبيين قاله ابو حيان ولما كان ذلك مركوزا في الطباع وله في العقول
امثال يبرز عرايسها من خدورها بادنى التفات من النفس سمي الوعظ بها تذكيرا بما هو معلوم
فقال **ليذكروا** اي نوعا من التذكر بما اشار اليه الادغام فانه سبحانه كريم يرضى باليسير هذا في
قراة الجماعة وقرا حمزة والكسايي باسكان الذال وضم الكاف اشارة الى ان جميع ما في القران

لاتخرج

لاتخرج شي منه عن العقل بل هو مركوز في الطباع وله شواهد في الانفس والافاق يستحضرها الانسان
بادنى اشارة وايسر تنبيه اذا ازيل عنها ما سترها عن العقل من الحظوظ والشواغل واتبعه
قوله متعجبا منهم **وما يزيدهم** اي التصريف **الا نفورا** عن السماع فضلا عن التذكر لاعتقادهم ان
ذلك ليس ببراهين بل هو شبه وحيل الى صرفهم عما هم فيه مما الفوه وتلقوه عن ابايهم وتمادت
عليهم الدهور في اعتقاد كونه حقا فكانه قيل فما نفعل بهم فقال **قل** لهم ولا تياس من رجوع بعضهم
لو كان معه اي مع ربكم الذي تقدم وصفه بالاحسان والتنزيه **الهة كما تقولون** من هذه الاقوال
التي لو قالها اعظمكم في حق ادناكم وهو يريد بها حقيقتها لصار ضحكة للعباد **اذن لابتغوا** اي
طلبوا طلبا عظيما **الى ذي العرش** اي صاحب السرير الاعظم المحيط الذي من ناله كان متفردا
بالتدبير **سبيلا** اي طريقا سالكا يتوصلون به اليه ليقهروه ويزيلوا ملكه كما ترون من فعل
ملوك الدنيا بعضهم مع بعض او ليتخذوا عنده يدا تقربهم اليه وصرح بالعرش تصويرا لعظمته
وتعيينا للمبتغى والمبتغي ثم نزه نفسه تعظيما عن ذلك وعن كل نقص فقال **سبحانه** اي تنزه التنزه
الاعظم عن كل شايبة نقص **وتعالى** اي علا اعظم العلو بصفات الكمال **عما يقولون** من هذه النقايص
التي لا يرضاها لنفسه احد من عقلا خلقه فضلا عن رئيس من روسايكم ثم نكف بالعلو الاعلى
واتى بالمصدر المجرد في قوله **علوا** ايذانا بان الفعل مجرد في الحقيقة وان اتي به على صيغة التفاعل
ايذانا بالمبالغة **كبيرا** لا تحتمل عقولكم الوقوف على حقيقته ولا تدركون منه اكثر من مفهوم هذا
الوصف عندكم بحسب ما تتعارفونه ❁ والامر اعظم من مقالة قايل ❁ ان رقق البلغا او ان فخموا ❁
ثم استانف بيان عظمة هذا التنزيه مقرونا بالوصف بالكمال فقال **تسبح** اي توقع التنزيه
الاعظم **له** اي الاله الاعظم الذي تقدم وصفه بالجلال والاكرام خاصة **السموات السبع**
كلها **والارض** ايضا **ومن فيهن** من ذوي العقول **وان** اي وما واغرق في النفي فقال **من شي**
اي ذي عقل وغيره **الا يسبح** اي ينزه له ملتبسا **بحمده** اي بوصفه بما له من صفات الكمال بما له
تعالى في ذلك الشي من الايات الدالة على كل من السلب والايجاب وهذا تسبيح بلسان المقال
ممن يصح منه وبلسان الحال منه ومن غيره كما يقال قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني
وهو تسبيح من جهات شتى يسمعها العارفون بسمع الفهم وصفا الذهن من جهة ذاتها في
حلقها ثم في معنى صفتها لحاجتها من جهة حدوثها الى صانع احدثها ومن جهة فنايها الى كونه
مع ذلك قادرا مختارا قاهرا جبارا الى غير ذلك بخلاف ما لو قصر التسبيح على لسان المقال فانه
يكون من نوع واحد واوضح مرشد الى ذلك قوله **ولكن لا تفقهون** دون تسمعون **تسبيحهم**
لاعراضكم عن النظر ونفوركم عن سماع الذكر الذي هو اعظم اسبابه على ان هذا انما هو بالنسبة
لعامة الخلق واما الخاصة فانهم يسمعون تسبيحهم الجمادات روى البخاري عن عبد الله رضي الله
عنه قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فقل الما فقال اطلبوا فضلة من ما فجاوا باناء فيه ما قليل فادخل يده في الاناء فقال حي على الطهور
المبارك والبركة من الله فلقد رايت الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا

نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وتسبيح الحصى مشهور وفي زبور داود عليه الصلاة والسلام تكرير كثير
لهذه الاية وحث على تاملها قال في المزمور الثامن والستين تسبح له السموات والارض والبحار
وكل ما يدب فيها وفي المزمور الخامس والثمانين فليس مثلك يا ربي والهي ولا مثل اعمالك لان
جميع الامم الذي خلقت يأتون ويسجدون امامك يا رب ويسبحون لاسمك لانك عظيم صانع
الايات وفي الثامن والثمانين بذراعك العزيزة فرقت اعداك لك السموات ولك الارض انت
اسست الدنيا بكمالها خلقت البر والبحر تابور وحرمون لاسمك يسبحان لك القوة والجبروت
تعتز يدك وتعلو يمينك بالعدل والحكم اتقنت كرسيك الرحمة والعدل ينطلقان امامك
طوبى للشعب الذي يعرف تسبيحك وفي الخامس والتسعين سبحوا الرب تسبيحا جديدا الارض
كلها تسبح الرب اسجدوا للرب في هيكل قدسه لان جميع الارض تتزلزل بين يديه قولوا في الشعوب
ان الله هو الملك اتقن الدنيا لكي لا تزول ويقضي بين الشعوب بالعدل تفرح السموات وتبتهج الارض
يتقلب البحر في عمقه يتهلل البقاع وما فيها هنالك يسبح جميع شجر الغياض قدام الرب وفي السابع
والتسعين ولله تسبح كل الارض مجدوا وهللوا وسبحوا الرب وفي الثامن والاربعين بعد المائة
سبحوا الرب من السموات سبحوه من العلى يا جميع ملايكته وكل جنوده تسبحه الشمس والقمر
سبحانه وجميع الكواكب والنور يسبحه تسبح الرب سما الدنيا والمياه التي فوق السموات تسبح
جميعا اسم الرب لانه قال فكانوا وامر فخلقوا واقامهم الى الابد والدهر جعل لها مقدارا لا تتجاوزه
يسبح الرب من في الارض التنانين وجميع الاعماق النار والبرد والثلج والجليد والريح العاصفة
عمل كلمته الجبال وكل الاكام الشجر المثمرة وجميع الارز السباع وكل البهايم والوحوش وكل حيوان
وكل طاير ذي جناح ملوك الارض وساير الشعوب العظما وجميع حكام الارض الشبان والعذارى
والشيوخ والصبيان يسبحون اسم الرب لان اسمه تعالى وحده وفي الخمسين بعد المائة سبحوا
الله في كل قديسيه سبحوه في جلد قوته سبحوه كمثل جبروته سبحوه بكثرة عظمته سبحوه بصوت
القرن وسبحوه باصوات عالية كل نسمة تسبح الرب ولما كان تسبيح جميع المخلوقات امرا واضح النهم
ظاهر الشان فكانوا مستحقين للعقاب في عدم فهمه بعدم التامل في المصنوعات حق التامل نبههم
على ان عافيتهم انما هي لحلمه عنهم فهو ينظرهم الى المدة التي ضربها لهم لانه لا يعجل لتنزهه عن شوايب النقص
التي نطق كل شي بتنزيهه عنها فقال **انه كان حليما** حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على اعراضكم عن صرف
الافكار فيما امركم بصرفها اليه ولما كان الغالب على احوال البشر ان حليمهم اذا غضب لا يغفر
وان يغفر كان عفوه مكدرا قال **غفورا** مشيرا بصيغة المبالغة الى انه على غير ذلك ترغيبا في
التوبة ولما قرر في سياق التوحيد انهم في الحضيض من الغباوة التفت الى سيد اولي النهى فقال
مشيرا الى النبوة عاطفا على لا تفقهون منبها على انهم لا يفقهون لسان القال فضلا عن
لسان الحال **واذا قرات القران** الذي لا يدانيه واعظ ولا يساويه منهم وهو تبيان لكل شي
جعلنا اي بما لنا من العظمة **بينك** وبينهم ولكنه اظهر هذا المضمر بالوصف المنبه على اعراضهم
عن السماع على الوجه المفهم فقال **وبين الذين لا يومنون** اي لا يتجدد لهم ايمان **بالاخرة** اي

التي هي قطب الايمان **حجابا** ما لنا الجميع ما بينك وبينهم مع كونه ساترا لك عنهم ان يدركوك حق
الادراك على ما انت عليه **مستورا** عنهم وعن غيرهم لا يراه الا من اردنا وذلك ابلغ في العظمة
واعجب في نفوذ الكلمة **وجعلنا** اي بما لنا من العظمة **على قلوبهم اكنة** اي اغطية كراهة **ان
يفقهوه** اي يفهموا القران حق فهمه **وفي اذانهم وقرا** اي شيئا ثقيلا يمنع سماعهم السماع النافع
فالقصور في ادراكهم لا في بيانه فرؤيتهم للنبي حال التلاوة غير صحيحة كما ان سمعهم وادراكهم
لما يقراوه كذلك كما قال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة **واذا
ذكرت ربك** المحسن اليك واليهم **في القران** حال كونه **وحده** مع الاعراض عن الهتهم **ولوا
على ادبارهم نفورا** مصدر من غير اللفظ
وحقق المعنى وصورة بما يزيد في بشاعته تنفيرا عنه
موكد لانه يحصل لمعناه او جمع نافر كقاعد وقعود وساجد وسجود وقد تجمع تفاعيلها الخمسة عشر
ند ور على الجمع كما مضى في اخر يوسف واول الحجر فالوقر بالفتح ثقل في الاذن او ذهاب السمع
كله لان ذلك يوجب اجتماعا في النفس وسكونا يحمل على الوقار الذي هو السكينة بفقد بعض
ما كان يشعب الفكر من السمع ومن ذلك الوقر بالكسر الحمل مطلقا او الثقيل اولان الحمل
جامع لما فيه والاذن جمعت ما سدها فكانه جمع خرقها فصيرها صلدا كالصخرة الصما
لا ينفذ فيها شي ولذلك يسمى الطرش الصمم ونخلة موقرة اي مستجمعة حملا واستوقرت الابل
سمنت اي جمعت الشحم واللحم ووقره وعد جلس لاستجماع بعض اعضايه الى بعض والوقير
القطيع من الغنم او صغارها او خمسماية منها او عام او الغنم بكلبها وحمارها وراعيها كالوقر
لاستجماع بعضها الى بعض والوقرى محركة راعي الوقير او مقتني الشا وصاحب الحمر وساكنوا
المصر والقرة كعدة العيال والثقل والشيخ الكبير لان الكبر والثقل يثمران الوقار الناشي
عن استجماع النفس والعزم وترك الانتشار بالطيش وما قبلهما واضح في الجمع والموقر كمعظم
المجرب العاقل قد حنكته الدهور لان ذلك يثمر استجماع العقل ووقرت الرجل توقيرا بجلته
ورزنته والدابة سكنتها فكان كانه جمع الهلهل تقيل والتيقور فيعول من الوقار تاوه
مبدلة من واو ويقال وقر في بيته يقر اي جمع نفسه فيه لاجتماع همه والموقر كمجلس الموضع
السهل عند سفح الجبل لعله سفح بالرجل الوقور المطمين الساكن النفس والحامل الذي يوطيه
الحمل والوقرة وكنه اي حفرة تكون في الحافر والعين والحجر لان من شان الحفرة ان تجمع ما تودعه
ومنه توقير الشي ان تصيره وقرات اي اثارا والوقر الصدع في الساق وكالركية او الهزمة
تكون في العظم والحجر والعين واوقر الله الدابة اصابها بوقرة وفقير وقير اي مكسور العظام
او الفقار او تشبيه بصغار الشا او اتباع او المعنى ان الذين اوقره والوقير النقرة العظيمة
في الصخرة تمسك الماء وهو واضح في الجمع والروق القرن لشدة اجتماعه لصلابته واستدارته
لانه يجمع اقدام صاحبه وعزمه والروق ايضا عزم الرجل وفعاله جمعهما امره والروق من الليل
طايفة لاجتماع ساعاتها والروق من البيت رواقه اي الشقة التي دون الشقة العليا
لانها تكمل جمعه لما يقصد منه من الستر ورواق البيت ككتاب وغراب ما اظل به

قال القزاز وقيل الرواق كالفسطاط يحمل على عمود واحد في وسطه قال في القاموس او سقف
في مقدم البيت وحاجب العين ولعله شبه بالستر ومن الليل مقدمه وجانبه شبه بجانب البيت
والروق من الشباب اوله كالريق بالفتح والريق ككيس واصله ريوق لانه يبنى عليه
ما بعده ويجتمع اليه كانه الاصل الذي يجمع جميع الفروع والريق ايضا ان يصيبك من المطر
شي يسير كانه اول المطر والروقة الشي اليسير وهي من ذلك والروق ايضا العمر لانه الجامع
للحال وراقني الشي اعجبني لان الفكر يجمع الخواطر لاجله فلا يظهر له وجه ما صار به معجبا
ووصف روقة اذا اعجبك وجارية روقة وغلمان روقة جمع رايق والروقة الشي الجميل
جدا والروق بالفتح العجب والاعجاب بالشي ومن الحيل الحسن الخلق يعجب الراي والجمال
الرايق كالريق والروق والرواق الستر لانه يجمع البصر والهم عما وراه وهو ايضا موضع الصايد
لانه يجمعه على ما يريد ويوصله اليه والروق الرواق ومقدم البيت والشجاع لايطاق لاجتماع
همه لما يريد والفسطاط والسيد لجمع الفضايل والصافي من الما وغيره لان الصفا احدر
باجتماع الاجزا والروق الجماعة والحب الخالص ومصدر راق عليه اي زاد عليه فضلا لان
الزيادة لا تكون الا عن جمع والروق البدن من الشي لجمعه له والجمه لتحوبها اي تجمعها وداهية
ذات روقين اي عظيمة مشبهة بالثور ورمي بارواقه على الدابة ركبها اي بجميع اعضايه
ورمي بارواقه عنها نزل والقى ارواقه عدا فاشتد عدوه كانه خرج من جميع اعضايه فعدا روحا
بلا بدن فصار اعظم من الطاير اي غلبت روحه على بدنه والقى ارواقه اقام بالمكان مطمينا قال
في القاموس كانه ضد انتهى والمنقول فيه في هذا محذوف كانه قال في مكان كذا ومن المعلوم ان
بدنه اذا كان في مكان وهو حي فقد اقام به والقى عليك ارواقه وهو ان تحبه شديدا والمعنى
انه انسك بدنه فصارت روحك مدبرة له تصرفت ابا مو وتعبير القزاز بقوله وهو ان تحبه حتى
تستهلك في حبه يدل على ذلك والقت السحابة ارواقها اي مطرها ووبلها ايبا بها الصايبة
وذلك هو مجموع ما فيها وارواق الليل اثنا ظلمته شبه بالخيمة ومن العين جوانبها لانها حاوية
لها وعبارة القزاز ضرب الليل بارواقه اذا اقام وثبت وقيل ارواقه مقاديمه واسبلت
العين ارواقها سالت دموعها اي جميع ما فيها كان ذلك كنا بها عن اشتداد البكا والروق
القرن الذي بيده الفارس من رمحه بين اذنيه تشبيه له بقرن الثور وذلك القرن او رقة منه
الروق محركة وهو طول الاسنان تشبيها لها بالروق اي القرن قال القزاز وقيل الروق طول
الاسنان وانثناوها الى داخل الفم واشراف العلي على السفل وللقوم روق اذا كانوا كذلك
وهو يصلح لان يكون تشبيها بما ذكر ولان يكون من الجمع من اجل الانثنا ومنه اكل فلان روقه اذا
اسن فطال عمره حتى تحاتت اسنانه المشبهة بالقرن والترويق التصفية وقد تقدم ان الشي
اذا خلص من الاغيار كانت اجزاوه اشد التصاقا والترويق ان يبيع سلعته ويشتري اجود
منها تشبيه بالتصفية والراووق المصفاة يروق بها الشراب بلا عصر وللكاس بعينها
والباطية وناجود الشراب الذي يروق به لانها تجمع الشراب والقرو القصد والتتبع كالاقترا

والاستقراء والطعن وهو واضح في الجمع والقرو حوض طويل ترده الابل وعبارة القزاز شبه
حوض ممدود مستطيل الى جنب الحوض يفرغ منه في الحوض الاعظم ترده الابل والغنم وكذا
ان كان من خشب والقرو الارض لا تكاد تنقطع كانها حمت اجتماع اجزايها عن ان يفرقها
احد والقرو مسيل المعصرة ومثعبها لاجتماع ما يسيل فيه واسفل النخلة ينقر وينبذ فيه
او يتخذ منه المركن والاجانة للشرب وقدح او انا صغير وميلغة الكلب وحق عليه طبق
ومنقع الما والعرب تقول اصبحت الارض قروا واحدا اذا كثر الخصب والمطر وكان ذلك
واضح في الجمع وان تعظم جلد البيضتين لريح او ما او نزول الامعا كالعروة وذلك اما
لشبهها بالقدح او لجمعها ما اوجب كبرهما وقري كفعلى ما بالبادية لجمعه الناس والقرى القرع
يوكل لانه صالح لان يجعل انا والقرى الظهر لجمعه الاعضا وناقة قروا طويلة السنام ٥
والمقروري الطويل الظهر واقرى اشتكى اما ان يكون من شكاية القرا واما ان يكون للسلب
اي ازال الاجتماع همه وعزمه والقروا العادة لجمعها اهلها والدبر لجمعها ما فيها واقرى طلب
القرى ولزم القرى واقرى الجل على الفرس الزمه والمقاري روس الاكام لانها تجمع وتركتهم
قروا واحدا على طريقة واحدة اي مجتمعين وشاة مقروة جعل راسها في خشبة لئلا ترضع
نفسها اي جمع فكاها وقروة الراس طرفه وعبارة القزاز وقروان الراس وقروة الراس
اعلا كانه مجتمع امره لانه موضع المفكرة وقروة الانف طرفه لانه اخر جامع واستقرى
الامل صارت فيه المدة اي اجتمعت والعترو ان معظم العسكر ومعظم القافلة وسياتي
ان شا الله تعالى بقية المادة في يوزقكم في الكهف ولما كانوا ربما ادعوا السمع والفهم فيتكلموا
بعض من لم يرسخ ايمانه اتبعه تعالى بما يوكد ما مضى ويثبت السامعين فيه فقال على طريقة الجواب
مهددا ودالا على ان مدار كم موونه نحن اعلم اي من كل عالم بما يستمعون اي يبالغون في الاصغا
والميل لقصد السمع به من الاذان والقلوب او بسببه من ارادة الوقوع على سقطة يجعلونها
موضع تكذيبهم واستهزايهم اذ يستمعون اي يصغون بجهدهم وبين بعدهم المعنوي بقوله
اليك واذ اي وحين هم ذووا نجوى اي يتناجون بان يرفع كل منهم سره الى صاحبه بعد اعراضهم
عن الاستماع ثم ذكر ظرف النجوى فقال اذ يقول مبرزا لضميرهم بالوصف الدال على ما حملهم على
ما تناجوا به وهو الظالمون ومقولهم ان تتبعون اي ايها التابعون له بغاية جهدكم الا
رجلا مسحورا يختلط العقل فاستطوا في هذا الوصف ذروة الظلم وسياتي في اخر السورة سر
استعمال اسم المفعول موضع اسم الفاعل ثم وصل بذلك الدليل على نسبته سبحانه لهم الى الجهل
الذي كان نتيجة قولهم هذا فقال انظر ولما كان امرهم مما يزيد التعجب منه وتتوفر الدواعي على
السوال عنه قال كيف ضربوا اي هولا الضلال لك الامثال التي هي ابعد شي عن صفتك من
قولهم ساحر وشاعر ومجنون ونحوه فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا اي فتسبب عن ضلالهم
انهم لا يستطيعون سبيلا اي يسلكونه الى اصابة الحق في مثل او احكام الامر
في عمل وهذا ابعد ان نهاهم الله بقوله فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون

فكان هذا ادل دليل على ما وصفناهم به من عدم الفهم والسمع فضلا عن ان يكون لهم الى مقاومة
هذا القران الذي يدعون انه قول البشر سبيل او بغير واي وجه بشبهة فضلا عن دليل ولما
جرت عادة القران باثبات التوحيد والنبوة والمعاد وقدم الدلالة على الاولين وختم باثبات
جهلهم في النبوة مع ظهورها اتبع ذلك امر اجليا في ضلالهم عن السبيل في امر المعاد وقرره
غاية التقرير وحرره اتم تحرير فقال معجبا منهم وقالوا اي المشركون المنكرون للتوحيد والنبوة
والبعث مع اعترافهم بانا ابتدانا خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت انا نحيي الارض بعد موتها ابدا
استفهاما انكاريا كانهم على ثقة من عدم ما ينكرونه والعامل في اذا فعل من لفظ مبعوثون لا هو
فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها فالمعنى انبعث اذا كنا اي بجملة اجسامنا كونا لازما عظاما
ورفاتا اي حطاما مكسرا مفتتا او غبارا اينا لمبعوثون حال كوننا مخلوقين خلقا جديدا
فكانه قيل فماذا يقال في الجواب فقيل قل لهم لا تكونوا رفاتا بل كونوا ترابا بل كونوا اصلب
التراب حجارة اي هي في غاية اليبس او حديدا زاد على يبس الحجارة شدة اتصال الاجزاء او
خلقا غيرهما مما يكبر اي يعظم عظمة كبيرة في صدوركم عن قبول الحياة لو انه الموت حتى تعلموا
حال الاعادة كيف يكون حالكم في الاجابة الى ما يريد فان الكل اصله التراب فالذي خصل
طينكم الذي خلقتم منه على ساير الطين بالنمو ثم بالحياة ثم بالنطق وفضل بعض الناطقين على بعض
بمواهب لا تخفى قادر ان ينقل تلك الفضيلة الى الطين الذي نقله طورا بعد طور الى ان
جعله حجرا او حديدا فسيقولون تماديا في الاستهزا من يعيدنا اذا كنا كذلك قل الذي فطركم
اي ابتدا خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيا يعيدكم بالقدرة التي ابتداكم بها فكما لم تعجز تلك القدرة
عن البداة فهي لا تعجز عن الاعادة فسينغضون اي مصوبين بوعد لا خلف فيه مشيرين
اليك روسهم اي يحركونها من شدة التعجب والاستهزا كانهم في شدة جهلهم على غاية البصيرة
من العلم بما يقولون والنغض والانغاض تحريك بارتفاع وانخفاض ويقولون استهزا متى
هو ثم وصل به قوله قل قول مقتصد غير منغض بحالهم ولا ضيق بقولهم عسى ان يكون اي كونا
لا انفكاك عنه قريبا مطرقا اليه الاحتمال لا مكانه غير جازم ثم استانف جازما بقوله يوم
اي يكون ذلك يوم يدعوكم اي يناديكم المنادي من قبلنا بالنفخة او بغيرها كان يقول يا اهل
القبور قوموا الى الجزا او نحو ذلك فتستجيبون اي توافقون الداعي فتفعلون ما اراد بدعايه
وتطلبون اجابته وتوجدونها او استعار الدعا والاجابة للبعث والانبعاث تنبيها على سرعتهما
وتيسر امرهما وان القصد بهما الاحضار للحساب بحمده اي باحاطته سبحانه بكل شي قدرة وعلما
من غير تخلف اصلا بل بغاية الاذعان كما يرشد اليه صيغة استفعل وانتم مع سرعة الاجابة
تحمدون الله اي تثبتون له صفة الكمال وتظنون مع استجابتكم وطول لبثكم ان اي ما لبثتم
ميتين الا قليلا لشدة ما ترون من الاهوال التي احاطت بكم والتي تستقبلكم او جهلا منكم بحقايق
الامور كما هي حالكم اليوم لما ترون من جدة خلقكم وعدم تغيره ولما امره سبحانه بابلاغهم
هذا الكلام وفيه من التهكم بهم والتبكيت لهم والاستخفاف بعقولهم ما لا يعلم مقداره الا الله

من

من البلغا والعرب العربا وكان لكونه كلام العليم بالعواقب الخبير بما تخفي الضماير ربما استن به
المومنون فخاطبوهم بنحوه من عند انفسهم نهاهم عن ذلك لئلا يقولوا ما يهيج شرا او يثير ضرا فقال
وقل اي قل لهم ذلك من الحكمة والموعظة الحسنة وقل لعبادي اي الذين هم اهل للاضافة الي
واعظا لهم لئلا يتجاوزوا الحد من شدة غيظهم من المشركين ان تقل لهم ذلك يقولوا الموعظة والحكمة
والمجادلة التي هي احسن لا كون معهم لاني مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ثم علل ذلك بقوله
ان الشيطان اي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ينزغ بينهم اي يفسد ويغري ويوسوس واصل
النزغ الطعن وهم غير معصومين فيوشك ان يا تواعا لا ينا سب الحال او الوقت بان يذكروا
مساوي غيرهم او محاسن انفسهم فيوقع في شر ثم علل هذه العلة بقوله ان الشيطان كان اي في
قديم الزمان واصل الطبع كونا هو مجبول عليه للانسان عدوا اي بليغ العداوة مبينا ثم فسر
التي هي احسن مما علمهم ربهم من النصفة بقوله ربكم اعلم بكم ثم استانف فقال ان يشا يرحمكم
بان ييسر لكم افعال الخير او ان يشا يعذبكم بان ييسر لكم لافعال الشر فاذا قالوا لهم ذلك كانوا
جديرين بان يعرضوا او من اراد الله منهم افعالهم على ما يعلمونه من الخير والشر فينظروا ايهما اقرب
اليها فربما ردهم ذلك من انفسهم عن الفساد لحسم مادة العناد ويجوز وهو عندي احسن ان تكون
الاية استينافا واقعا موقع التعليل للامر بقول الاحسن اي ربكم ايها العباد اعلم بكم وبما
يوول امركم اليه من سعادة وشقاوة ان يشا يرحمكم بعد ايمانكم او ان يشا يعذبكم بضلالكم فلا
تحتقروا ايها المومنون المشركين فتقطعوا بانهم من اهل النار فتعيروهم بذلك فانه يجر الى
الاحن وحر الصدور وغيظ القلوب بلا فايدة لان الخاتمة مجهولة ولا تتجاوزوا فيهم ما امركم به
من قول وفعل فانه الاحسن ثم رقى الخطاب الى اعلى الخلق وراس اهل الشرع ليكون من دونه
اولى بالمعنى منه فقال وما اي فما ارسلناك الا للدعا بمثل ذلك على حسب ما نامرك به وما
ارسلناك اي مع ما لنا من العظمة الغنية عن كل شي عليهم وكيلا اي حفيظا وكفيلا تقسرهم على
ما يرضي الله وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بمداراتهم ولما امرهم بان ينسبوا
الاعلمية بهم اليه سبحانه اخبر بما هو اعم من ذلك فقال عاطفا على ربكم اعلاما بان علمه ليس
مقصورا عليهم بل هو محيط قاصرا الخطاب على اعلم الخلق به سبحانه اشارة الى انه لا يعلم هذا
حق علمه غيره وربك اي المحسن اليك بان جعلك اكمل الخلق اعلم اي من كل عالم بمن في السموات
اي كلها والارض منهم ومن غيرهم باحوالهم ومقاديرهم واجالهم وما يستاهل كل واحد منهم لانه هو
الذي خلقهم وفاوت بينهم في اخلاقهم وهياتهم فكيف يستبعدون ان يكون يتيم ابي طالب على
ما كانوا يقولون نبيا وان يكون اصحابه العراة الجياع افضل منهم ولما كان قد فهم من هذا
السياق تفضيل بعض الاشيا على بعض حتى تصير قابلة لروح الحياة بدا واعادة بعد ان فهم من
اول السورة وللتي قبلها اختصاص بعض الانبيا بفضايل من روح العلم والحكمة لم يحزها غيره
صرح بهذا هنا فقال عاطفا على ما ارشد اليه سياق الاخبار بالاعلمية ملتفتا الى مقام العظمة
الداعي اليه الحال وهو الوصف بالاعلمية ولقد اي فميزنا بينهم بالرذايل والفضايل تفضيلا

بعضهم على بعض على حسب احاطة علمنا وشمول قدرتنا فاهلهم للسعادة والشقاوة ففضلنا
بعض الناس على بعض ففضلنا العلما على غيرهم وفضلنا النبيين منهم على غيرهم ولقد **فضلنا** اي بما لنا
من العظمة **بعض النبيين** اي سوا كانوا رسلا اولا **على بعض** بعد ان جعلنا الكل فضلا لتفوق
كل منهم واحسانه فلا ينكر احد من العرب او بني اسرايل او غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي صدرنا
السورة بتفضيله على جميع الخلايق فانا نفعل ما نشا بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل
والحاصل ان من اعظم ثمرات العلم التفضيل باعطا كل واحد بل كل شي ما يستحقه وبذلك يستدل
على تمام حكمته في شمول علمه وكمال قدرته فلذلك ذكر التفضيل هنا بعد ذكر العلم المطلق وصرح
بتفضيل اشرف الخلايق وطوى ذكر غيرهم كما ذكر التفضيل في الدنيا بعد اثبات العلم المقيد بالافق
في قوله من كان يريد العاجلة الى قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولما كان القصد الى بني اسرايل
في هذه السورة سابقها ولاحقها ظاهرا والتعريض بهم في كثير منها بينا وكان داود عليه الصلاة
والسلام هو الموسس للمسجد الاقصى الذي وقع الاسرا اليه وكان قد خص بان الين له الحديد الذي
امر المشركون ان يكونوه لاستبعادهم الاعادة وكان مع كونه ملكا من اشد الناس تواضعا واكثرهم
بكا وابعدهم من المرح في الارض قال **واتينا** اي بما لنا من العظمة **داود** اي الذي هو من اتباع موسى
الذي اتيناه الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرايل ان لا تتخذوا من دوني وكيلا **زبورا** لانهم قاطعون
بان من بين موسى وعيسى من انبيا بني اسرايل دون موسى في الرتبة وكل منهم داع الى شريعته عامل
بحكم التوراة التي شرفه الله بها غير خارج عن شي من سننها فكان القياس مقتضي ان يكونوا في
الفضيلة سوا فلم يجر ذلك على مقتضى عقول الناس بل فاوت سبحانه بينهم على حسب علمه باحوالهم
حتى في الوحي فخص من بينهم داود عليه الصلاة والسلام بكتاب كله مواعظ والمواعظ اشد شي
منافاة للمشي في الارض مرحا وابعد عنه واعظم شي امرا بالقول الذي هو احسن من الاخلاص والمراقبة
والاحسان هذا الى ما ذكر فيه من التسبيح لكل شي الذي هو من اعظم مقاصد السورة كما تقدم نص
الزبور به قريبا فكان ذكر تفضيله به هنا انسب شي لهذا المقام وفي ذلك اعظم اشارة واجل تنبيه
على فضل بيت المقدس الذي جعله سببا لتفضيل الانبيا تارة بالهجرة اليه كابرهيم عليه الصلاة والسلام
وتارة بقصد تطهيره من الشرك وتنويره بالتوحيد كموسى عليه الصلاة والسلام وتارة بتاسيس بنيانه
وتشييد اركانه كداود عليه الصلاة والسلام وتارة بالاسرا اليه والامامة بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام به والعروج منه الى السدرة المنتهى والمقام الاعلى واما تفضيله وتفضيل ابنه سليمان
عليهما الصلاة والسلام بالملك وسعة الامر فداخل في قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
وروى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف
على داود القراة فكان يامر بدوابه لتسرج فكان يقرا قبل ان تفرغ يعني القران ومن اعظم
المناسبات لتخصيص داود عليه الصلاة والسلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذي هذا
مقامه فيه صريحا وكذا ذكر النار مع خلو التوراة عن ذلك اما البعث فلا ذكر له فيها اصلا واما
النار فلم يذكر شي مما يدل عليها الا الجحيم في موضع واحد واما الزبور فذكر فيه النار والهاوية ذكر النار

والجحيم

والجحيم في غير موضع واما البعث فصرح به وهو ظاهر في كونه بالروح والجسد قال في المزمور
١٠٣ الثالث بعد المائة نفسي بارك الرب الهي عظيم جدا لبس المجد وعظيم البها وتجلل بالنور كالردا
ومد السما كالخبا جعل الما اساسها واستوى على السحاب ومشى على اجنحة الرياح خلق ملايكة
ارواحا وخدمه نارا واقدة وتجلل بالغمر كالردا وعلى الجبال تقف المياه ومن زجرك تهرب
ومن صوت رعدك تجزع الجبال عالية والبقاع منهبطة في الاماكن التي اسست جعلت
حدا لا تتجاوزه لا تعود تغطي الارض ارسل الما عيونا في الاودية وبين الجبال تجري المياه تسقي
حيوان البر وتروي عطاش الوحوش تقع عليها طاير السما الى ان قال وكلها بحكمة صنعت امتلات
الارض من خليقتك هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى كبار وصغار وفيه تسلك السفن
وهذا التنين الذي خلقته ليتعجب منه والكل اياك يرجون لتعطيهم طعامهم في حينه فاذا
انت اعطيتهم يعيشون وعند بسط يدك بالطيبات يشبعون وحين تصرف وجهك يجزعون
تنزع ارواحهم فيموتون والى التراب يرجعون ترسل روحك فيخلقون وتجدد وجه الارض
دفعة اخرى ويكون مجد الرب الى الابد انتهى فكان ذلك جوابا لقول من لعله يقول للعرب من
اليهود ان الامر كما تقولون في انه لا قيامة كما يقوله بعض زنادقتهم كما ذكر عنهم في نص الانجيل
وكما نقل عنهم في سورة النسا انهم قالوا انتم اهدى سبيلا ودينكم خير من دين محمد وفي الزبور
كما تقدم اول السورة عن توراة موسى عليه الصلاة والسلام ان لا تتخذ من دون الله وكيلا
١٤٥ وذلك من اعظم مقاصد السورة قال في المزمور الخامس والاربعين بعد المائة لا تتوكلوا على
الروسا ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص فان ارواحهم تفارقهم ويعودون الى ترابهم
في ذلك اليوم تبطل اعمالهم ولما ثبت ان شانه تعالى فعل ذلك وامثاله من التفضيل والتحويل
على حسب علمه وقدرته ثبت بغير شبهة ان لا مفزع الا اليه امره صلى الله عليه وسلم تحقيقا
لذلك ان يامرهم بما يظهر به عجز شركايهم ردا عليهم في قولهم لسنا باهل لعبادته استقلالا
فنحن نعبد بعض المقربين ليشفع لنا عنده فقال **قل ادعوا الذين** واشار الى ضعف عقولهم
وعدم تثبتهم بالتعبير بالزعم فقال **زعمتم** انهم الهة وبين سفول رتبتهم بقوله **من دونه** اي
من سواه كالملايكة وعزير والمسيح والاصنام ليجلبوا لكم خيرا او يدفعوا عنكم ضرا **فلا** اي فان
دعوتموهم او لم تدعوهم فانهم لا **يملكون كشف الضر** اي البوس اي من شانه ان يمرض الجسم
كله **عنكم** حتى لا يدعوا شيا منه **ولا تحويلا** له من حالة الى ما هو اخف منها فضلا عن ان يبدلوه
بحالة حسنة او يحولوه الى عدوكم والاية نحو قوله تعالى فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فكيف
يتخذ احد منهم دوني وكيلا قالوا وسبب نزولها شكوى قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل
بهم من القحط حين دعا عليهم بسبع كسبع يوسف عليه الصلاة والسلام ولم ينصب يملكون
ليلا يظن ان النفي مسبب على الدعا فيتقيد به ولما بين انه لا ضرهم ولا نفع بين انهم يتسابقون
الى القرب اليه رجا ان ينفعهم وخوف ان يضرهم فقال **اوليك** اي الذين اعلوا امرانيتهم
بالاقبال على طاعة الله وكان المشركون يعلون من ابنيتهم بتالهم وعبر عن ذلك واصفا

للمبتدا بقوله **يبتغون** اي يطلبون طلبا عظيما **الي ربهم** المحسن اليهم وحده **الوسيلة** اي المنزلة
والدرجة والقربة بالاعمال الصالحة **ايهم اقرب** اي يتسابقون بالاعمال مسابقة من يطلب كل
منهم ان يكون اليه اقرب ولديه افضل **ويرجون رحمته** رحمة بما عنده **ويخافون عذابه** تعظيما
لجنابه المكلف منهم كالملايكة والمسيح وعزير بالفعل وغيرهم كالاصنام بالقوة من حيث انه قادر
علي ان يخلق فيها قوة الادراك للطاعة والعذاب فتكون كذلك فالعابدون لهم احق بان يعبدوه
ويبتغوا اليه الوسيلة وروي البخاري في التفسير عن عبد الله رضي الله عنه الي ربهم الوسيلة قال
كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتمسك هولا بدينهم ثم علل خوفهم بامر عام
فقال **ان عذاب ربك** اي المحسن اليك برفع انتقام الاستيصال منه عن امتك **كان** اي كونا ملازما
له **محذورا** اي جديرا بان يحذر لكل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم لما شوهد من اهلاكه
للقرون ومن صنايعه العظيمة ولما كان المعني فاحذروه فانا ابدنا الامم السالفة ودمرنا
القري المشيدة عطف عليه قوله **وان** اي وما واغرق في النفي فقال **من قرية** من القري هذه التي
انتم بها وغيرها **الا نحن** بما لنا من العظمة **مهلكوها** بنوع من الهلاك لما هو عليه من الكفر او العصيان
دعوما تل انها عامة للصالحة بالموت والصالحة بالعذاب ولما كان الممكن ليس له من ذاته
الا العدم وذلك مستغرق لزمان القبل حذف الجار فقال **قبل يوم القيمة** الذي انتم به مكذبون كما يوم القيمة
فعلنا في بيت المقدس في المرتين المذكورتين اول السورة لافساد اهلها فاحذروا امثال ذلك
او معذبوها اي القرية بعذاب اهلها **عذابا شديدا** مع بقايها ولما اكد ذلك بالاسمية زاده
تاكيدا في جواب من كانه قال هل في ذلك من ثنيا لان مثله لا يكاد يصدق فقال **كان ذلك** اي الامر
العظيم **في الكتاب** الذي عندنا **مسطورا** علي وجه الخبر والاخبار لا تنسخ فلو لم يكن حشر كان امرنا
جديرا بان يمتثل حذرا من سطواتنا ولابد ان نخيفكم بعد طول امنكم ونهلك كثيرا من اعزايكم علي
يد هذا الرجل الواحد الذي انتم كلكم متمالئون عليه مستهينون بامره مع انا ارسلناه لعزكم
وعلو ذكركم ولابد ان ندخله الي بلادكم هذا الجنود اولي باس شديد لافساد كم فيه واستهانتكم به
كما فعلنا ببني اسرايل حين افسدوا في مسجدهم كما تقدم قال الامام الحافظ ابو عمرو عثمن بن سعيد الداني
في كتاب الفتن حدثنا عبيد بن احمد بن محمد الهروي في كتابه نا عمر بن احمد بن عثمان بن شاهين ثنا
محمد بن هرون الحضرمي ثنا علي بن عبد الله التميمي ثنا عبد المنعم بن ادريس نا ابي عن وهب بن منبه
قال الجزيرة امنة من الخراب حتي تخرب ارمينيه وارمينية امنة من الخراب حتي تخرب مصر ومصر
امنة من الخراب حتي تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبري حتي تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبري
فتحت القسطنطينية علي يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية
من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع
والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورايهم يحفزهم حتي لا يستطيعوا ان يشربوا من الفرات قطرة
وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الايلة من قبل عدو يحفزهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الري
من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب تبت من قبل الصين وخراب الصين

من

من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة
من قبل الجوع حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خلد ثنا علي بن محمد بن نصير ثنا محمد بن خلف
نا سالم بن جنادة نا ابي عن هشام بن عروة عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم اخر قرية من قري الاسلام خرابا المدينة انتهي وقد اخرجه الترمذي من
هذا الوجه ولما كانت كفار قريش قد تكرر اقتراحهم للايات بعد ان اشتد اذاهم وكان صلي
الله عليه وسلم لشدة حرصه علي ايمان كل احد فكيف بقومه العرب فكيف ببني عمه منهم ربما
احب ان الله تعالي يجيبهم الي مقترحهم طمعا في ايمانهم وراحة له ولاتباعه من اذاهم وكان
ما رواه من اية الاسرا امرا باهرا ثم لم يومنوا بل ارتد بعض من كان امن منهم كان المقام في قوة
اقتضايه ان يقال بعد ذكر اية العذاب ما لهم لا يعجل عذابهم او لا يجابون الي مقترحاتهم
ليقضي الامر فيقال في الجواب ما منعنا من تعجيل عذابهم الا انا ضربنا لهم اجلا لا بد من بلوغه
وما منعنا اي علي ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شي ولا يمنعها مانع **ان نرسل** اي ارسالا يظهر
عظمتنا علي وجه العموم **بالايات** اي التي اقترحتها قريش بكان كانه لا ايات عندهم سواها
الا علمنا في عالم الشهادة بما وقع من **ان كذب بها** اي المقترحات **الاولون** وعلمنا في عالم
الغيب ان هولا مثل الاولين في ان الشقي منهم لا يومن بالمقترحات كما لم يومن بغيرها وانه
يقول فيها ما قال في غيرها من انها سحر ونحو هذا والسعيد لا يحتاج في ايمانه اليها فلم اجبنا امة
الي مقترحها فما زاد ذلك اهل الضلال منهم الا كفرا فاخذناهم لان سنتنا جرت انا لا نمهل بعد الاجابة
الي المقترحات من كذب بها ونحن قد قضينا برحمة هذه الامة وتشريفها علي الامم السالفة بعدم
استيصالها لما نخرج من اصلابها كفوتها من خلص عبادنا والمنع هنا مبالغة مراد بها نفي
اجابتهم الي مقترحاتهم ولا يجوز اخذه علي ظاهره لانه وجود ما يتعذر معه وقوع الفعل من القادر
عليه ثم عطف علي ما دل عليه المقام وهو فلم اجبنا الي اخر ما ذكرته قوله **واتينا** اي بما لنا من
العزة الساهرة **ثمود الناقة** حال كونها **مبصرة** اي مضية جديرة بان يستبصر بها كل
من شاهدها **فظلموا بها** اي فوقعوا في الظلم الذي هو كالظلام بسببها بان لم يومنوا ولم يخافوا
عاقبتها وخص اية ثمود بالذكر تحذيرا بسبب انهم عرب اقترحوا ما كان سببا لاستيصالهم
ولان لهم من علمها وعلم مساكنهم بقربها اليهم وكونها في بلادهم ما ليس لهم من علم غيرها وخص
الناقة لانها حيوان اخرجه من حجر والمقام لاثبات القدرة علي الاعادة ولو كانوا حجارة
او حديدا او دل علي سفههم في كلا الامرين علي طريق النشر المشوش بذكر داود عليه الصلاة
والسلام اشارة الي الحديد والناقة اشارة الي الحجارة فلله هذه الاشارات ما ادقها وهذه
العبارات ما اجلها واحقها **وما نرسل** اي علي ما لنا من الجلالة التي هي بحيث تذوب لها الجبال
بالايات اي المقترحات وغيرها **الا تخويفا** اي للمرسل اليهم بها فان خافوا نجوا والا هلكوا فاذا
كشف الامر لكم في عالم الشهادة عن انهم لا يخافونها وفق ما كان عندنا في عالم الغيب علم انه
لا فايدة لكم فيها ولما كان التقدير للتعريف بمطابقة الخبر الخبر اذ كرانا قلنا لك ان الذين

حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون ولو جاتهم كل اية واذكر ما وقع من ذلك مما ضيا من ايات الاولين
وحا لا من قصة الاسرا عطف عليه قوله **واذ** اي واذكر اذ **قلنا** اي على ما لنا من العظمة المحيطة
لك ان ربك المتفضل بالاحسان اليك بالرفق بامتك **احاط بالناس** علما وقدرة تجد ذلك
اذا طبقت بعضه على بعض امر اسويا حذو القذة بالقذة لا تفاوت فيه واعلم انه مانعك
منهم وحايطك ومظهر دينك كما وعدك ثم عطف على وما نرسل قوله **وما جعلنا** اي بما لنا من القوة
الباهرة التي لها الغنى المطلق **الرويا التي اريناك** ليتبين بذلك في عالم الشهادة المتقي المحسن
والجاهل المسي كما هو عندنا في عالم الغيب فتقيم بها عليهم الحجة لا يومن من احد ممن حقت عليه الكلمة
ولا تزداد نحن علما بسرايرهم ولا شك في ان قصة الاسرا الى بيت المقدس ثم الى السموات العلى
كان يقظة لا مناما بالدليل القطعي المتواتر من تكذيب من كذب وارتداد من ارتد وهذا مذهب
الجمهور واهل السنة والجماعة وقد ورد في صحته ما لا يحصى من الاخبار هذا النقل واما الامكان
العقلي فثابت غير محتاج الى بيان فان كل ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجايب والغرا
والدقايق والرقايق ما تتحير فيه العقول لكن لما كان على وفق العادة الفته الطباع فلم تنكره
الابصار ولا الاسماع واما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره ضعفا العقول الذين
لا يتجاوز فهمهم المحسوسات على ما الفوا من العادات واما اولوا الالباب الذين سلموا من نزغات
الشيطان ووساوس العادة ونظروا باعين البصاير الى اثار رحمة الله في صنع المصنوعات
واحداث المحدثات في الملك والملكوت والشهادة والغيب والخلق والامر فاعترفوا به وانه من
عظم الايات وبدايع الدلايل النيرات وادل دليل على ذلك قوله فتنة لانه لو كان رويا منام
لم يكن بحيث يستبعده احد فلم يكن فتنة ولعله انما سماه رويا وهي للمنام على وجه التشبيه
والاستعارة لما فيه من الخوارق التي هي بالمنام اليق في مجاري العادات وروى البخاري
في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما وما جعلنا الرويا الاية قال هي رويا عين اريها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به ولما كان كل ما خفي سببه وخرج عن العادة فتنة يعلم بها من
في طبعه الحق ومن في طبعه الباطل ومن هو سليم الفطرة ومن هو معكوسها وكان قد اخبر ان
شجرة الزقوم تنبت في اصل الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمه الى الاسرا في ذلك فقال
والشجرة عطفا على الرويا **الملعونة في القران** بكونها ضارة والعرب تسمي كل ضار ملعونا وبكونها
في دار اللعنة وكل من له عقل يريد بعدها عنه وهي كما رواه البخاري في التفسير عن ابن عباس
رضي الله عنهما شجرة الزقوم جعلناها ايضا فتنة للناس نقيم بها عليهم الحجة في الكفر والايمان
نثبتهم اي من اردنا ايمانه منهم بالاول وهو الاسرا **ونخوفهم** بالثاني وامثاله **فما يزيدهم**
اي الكافرين منهم التخويف حال التخويف فما بعده من ازمنة الاستقبال احدر بالزيادة **الا
طغيانا** اي تجاوزا للحد هو في غاية العظم **كبيرا** فيقولون في الاول ما تقدم في اول السورة
وفي الثاني ان محمدا يقول ان وقود النار الناس والحجارة ثم يقول ان فيها شجرا وقد علمتم ان النار
تحرق الشجر ولم يقولوا ما هم اعلم الناس به من ان الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا قادر على

ان

ان يجعل في النار شجرا ومن انسب الاشيا استحضارا هنا ما ذكره العلامة شيخ مشايخنا زين الدين
ابو بكر بن الحسين المراغي المدني في تاريخ المدينة الشريفة في اوايل الباب الرابع في ذكر الاودية
فانه قال وادي الشظاة اي بمعجمتين مفتوحتين ياتي من شرقي المدينة من اماكن بعيدة
عنها الى ان يصل الى السد الذي احدثته نار الحرة التي ظهرت في جمادى الاخرة سنة اربع
وخمسين وستمائة يعني وهي المشار اليها بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تخرج
نار بالحجارة تضي لها اعناق الابل ببصرى قال وكان ظهورها من واد يقال له احيليين
في الحرة الشرقية وسارت من مخرجها الى جهة الشمال مدة ثلاثة اشهر تدب دبيب النمل
تاكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تاكل الشجر فلا تمر على شي من ذلك الا صار سدا لا مسلك
لانسان فيه ولا دابة الى منتهى الحرة من جهة الشمال فذكر القصة وهي غريبة واسند فيها
عن المطري فيما يتعلق بعدم اذاها للخشب ولما تقدم انهم استبعدوا الاعادة من اجل صيرورتهم
بعد الموت رفاتا واخبر تعالى بقدرته على ذلك ولو صاروا الى ما هو اعسر عندهم في الاعادة من
الرفات بان يكونوا حجارة او حديدا واشار الى قدرته على التصرف بخرق العادة في الحديد بالانة
لعبد من عبيده ثم في الحجارة على سبيل الترقي في النشر المشوش بما هو اعجب من ذلك وهو
افاضة الحياة عليها لعبد اخر من عبيده اشار الى تصرفه في التراب الذي هو نهاية الرفات
الذي حملهم على الاستبعاد بما هو اعجب من كل ما تقدمه وذلك بافاضة الحياة الكاملة
بالنطق عليه من غير ان يسبق له حالة حياة اصلا وذلك بخلق ادم عليه الصلاة والسلام
الذي هو اصلهم مع ما في ذلك من حفظ السياق في التسلية بان الايات لا تنفع المحكوم
بشقاوته وبان ادم عليه الصلاة والسلام قد سلط عليه الحاسد واشتد اذاه له مع
انه صفي الله واولى انبيايه مع البيان لان اغلب اسباب الطغيان الحسد الذي حمل
ابليس على ما فعل فقال **واذ** اي واذكر ايضا ما وقع من الطغيان مع روية الايات في
اول هذا الكون من ابليس الذي هو من اعلم الخلق بايات الله وعظمته ثم ممن اتبعه من
ذرية ادم عليه الصلاة والسلام بعد تحقق عداوته في مخالفة ربهم المحسن اليهم مع ادعا
ولايته اذ **قلنا** اي بما لنا من العظمة التي لا يبعد مرادها شي **للملايكة** حين خلقنا اباكم
ادم وفضلناه **اسجدوا لادم** امتثالا لامري **فسجدوا الا ابليس** ابى ان يسجد لكونه
ممن حقت عليه الكلمة ولم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذلك معنى قوله **قال** اي
لنا منكرا مستكبرا **ااسجد** اي خضوعا **لمن خلقت** حال كون اصله **طينا** فلفوا بنسبته لنا
الى الجور وعدم الحكمة متخيلا انه اكرم من ادم عليه الصلاة والسلام من حيث ان الفروع
ترجع الى الاصول وان النار التي هي اصله اكرم من الطين وذهب عليه ان الطين انفع من
النار فهو اكرم وعلى تقدير التنزل فان الجواهر كلها من جنس واحد والله تعالى الذي اوجدها
من العدم يفضل بعضها على بعض بما يحدث فيها من الاعراض كما تقدمت الاشارة اليه في
ولقد فضلنا بعض النبيين ولما اخبر تعالى بتكبره كان كانه قيل ان هذه لوقاحة عظيمة

واجترأ على الجانب الاعلى فهل كان غير هذا قيل نعم قال ارايتك اي اخبرني هذا الذي كرمت
علي بمركرمته علي بضعفه وقوتي فكانه قيل لقد ابى بالغاية في اساة الادب فما كان بعد
هذا قال معتما لاجل استبعاد ان يجتري احد هذه الجراة على الملك الاعلى لين اخرتني اي
ايها الملك الاعلى تاخيرا ممتدا الى يوم القيمة حيا متمكنا لاحتنكن اي بالاغوا ذريته اي
لاستولين عليهم بشدة احتيالي كما يستولي الاكل على ما اخذه في حنكه بتسليطك لي عليهم
الا قليلا وهم اولياوك الذين حفظتهم مني فكانه قيل لقد اطال في الاجترا فما قال له ربه بعد
الثالثة فقيل قال مهددا له اذهب اي امض لشانك الذي ذكرته بارادتي لا بامري فانك
لن تعدو امرنا فيك وقد حكمنا بشقاوتك وشقاوة من اردنا طاعته لك ولذلك سبب عنه
قوله فمن تبعك اي ادنى اتباع منهم اي اولاد ادم عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يراد تجريد
الفعل ان من يتبعه بغير معالجة من فطرته الاولى لا يكون الا عريقا في الشر ولما كان التقدير
اذقته من خزيك عبر عنه بقوله فان جهنم اي الطبقة النارية التي تتجهم داخلها جزاوكم اي
جزاوك وجزاوهم تجزون ذلك جزاء موفورا مكملا وافيا بما تستحقون على اعمالكم الخبيثة ومادة
وفر بجميع تراكيبها وهي خمسة عشر في الواوي ستة وفر ورف فور فرو رفو روف وفي
اليائي ثلاثة فري رفي ريف وفي المهموز ستة رفأ رأف فرأ فأد أفر أرف تدور على
السعة والمجاوزة للحد والعلو على المقدار والفضل على الكفاية فالوفر المكان الكبير وسقا وفر
لم ينقص من اديمه شي والداوة وفراء والوفرة ما بلغ الاذنين من الشعر والوافر ضرب من
العروض وزنه مفاعلتن ست مرات والوفر الغني ومن المال الكثير الواسع او العام من كل شي
ووفره توفيرا كثره ووفر له عرضه لم يشتمه ووفر عطاه رده عليه وهو راض ووفره توفيرا
اكمله وجعله وافرا لان الكمال لا يكاد يتحقق الا مع زيادة والثوب قطعه وافرا والوافرة الية
الكبش اذ عظمت والدنيا والحياة وكل شحمة مستطيلة وهم متوافرون فيهم كثرة واستوفر عليه
حقه استوفاه وورف النبت يرف اذا رايت له بهجة من ريه ولا يكون ذلك الا من
نضارته واتساعه وكونه ملأ العين وورف الظل يرف ورفا ووريفا ووروفا اتسع
وطال وامتد كاورف وورف والورف ما رق من نواحي الكبد لزيادته واسترخائه والورفة
لعدة الناضر من النبت وورفته توريفا مصصته والارض قسمتها كانه من الازالة وفارت
القدر اذا غلت حتى يعلو ما فيها فتفيض وكل حار يفور فورا وفار العرق اذا انتفخ زاد في القاموس
وضرب وللمسك انتشر وفارة الابل فوح جلودها اذا نديت بعد الورد والقاير المنتشر بالغضب
من الدواب وغيرها وانواس فورهم من وجههم او قبل ان يسكنوا الان حركتهم توسع وانتشار وسميت
فورا والفار عضل الانسان لانه اخف مما دونه والفور بالضم الظباء جمع فاير لانه من اسرع الحيوان
نفارا واشدها وثبا واوسعها عدوا وقال القزاز والفارة والفورة ريح تكون في رسغ الفرس
تنفش اذا اسمنت وتجتمع اذا تركت وقال في فار فاذا امشي انفشت واعاده في القاموس في
المهموز فقال والفارة له اي للذكر من الحيوان المعروف وللانثى وريح في رسغ الدابة تنفش اذا

مسمت وتجتمع اذا تركت كالفورة بالضم والفور ولد الحمار لخفته وسرعة حركته ووثبه وفوارتا
الكرش غدتان في جوف لحمتين وقيل الفوارة اللحمة التي في داخلها الغدة وقيل يكونان لكل ذي لحم
وذلك لوجوب الزيادة سواء قلنا انها لحمة او غدة قال القزاز وقالوا اما الرجل انما يقع في الكلية
في الفوادتم في الخصية فعلى هذا سمي لانه يقذف ما فيه الى الخصية والفيارات بالكسر حديدتان
تكتنفان لسان الميزان لاتساعهما عن اللسان والفيرة بالكسر بالهمز وبغيره تمر يغلى وعرس
ويطبخ بحلبة تشربها النفسا قاله القزاز وفي مختصر العين حلبة تطبخ فاذا فارت فوارتها
القيت في منصرة ثم صفيت وتحسوها النفسا واعاده في القاموس في المهموز وقال والفيرة
بالكسر والفوارة كثمامة والفيره والفيئرة كعنبة ويترك همزها حلبة تطبخ للنفسا سميت
اما للغليانها واما للاتساع بجمع النحو والحلبة والفرو والفروة لبس معروف لخروج صوفها
وزيادة الرفق بعد كانها اصل المادة كلها والفروة الراس جلدته بشعرها والفروة الارض
البيضا ليس بها نبات لانه اوسع لها من حيث هي والفروة الغنى والثروة وقطعة نبات مجتمعة
يابسة وجبة تثمر كاها لانه لولا زيادتها ما تثمر او نصف كسا يتخذ من اوبار الابل كانه شبه
بالفروة لطول وبره وخريطة يجعل السايل فيها صدقته والتاج لاتساعه وعلوه وكماله
ولغنى صاحبه وخمار المراة لزيادته على كفايتها ولسبوغه وفضله عن راسها ورفا الثوب
يرفوه اصلحه ولام خرقه وقال في القاموس في المهموز وضم بعضه الى بعض قال القزاز والهمز
اكثر والرفا ككسا الالتحام والاجتماع والاتفاق ومنه ما يدعى به للمتزوج بالرفا والبنين
واعاده في المهموز وقال في القاموس اي بالالتيام وجمع الشمل قال القزاز ومعنى رفي تزوج
والارفي العظيم الاذنين في استرخا قال القزاز والاذن الرفوا هي التي تقبل على الاخرى حتى تكاد
تماس اطرافهما ورفوت الرجل اذا اسكنته من رعب واعاده في القاموس في المهموز لان ذلك
اوسع لفكره ولانه اقر لعينه والرعف السكون وهو اوسع من الاضطراب لانه لا يكون الا عن
مراس العين قال في القاموس وليس من الرافة والروفة للرحمة وراف يراف لغة في راف
براف وسنانى بقيتها قريبا ان شا الله تعالى ولما بدا سبحانه بالوعيد لطفا بالمخاطبين عطف
على اذهب قوله ممثلا حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع بقوم فصوت بهم صوتا
يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم
واستفزز اي استخف والفز اصله القطع اي استزله بقطعه عن الصواب قاله الرماني
من استطعت منهم وهم الذين سلطناك عليهم بصوتك اي دعايك بالغنا والمزامير وكل ما تزينه
بالوساوس واجلب اي اجمع او سق بغاية ما يمكنك من الصياح عليهم بخيلك اي ركبان جندك
ورجلك اي ومشاتهم والمعنى افعل جميع ما تقدر عليه ولا تدع شيا من قوتك فانك لا تقدر على
شي لم اقدره لك ولما كان الشيطان طالبا شركة الناس في جميع امورهم بوساوسه الحاملة لهم
على افسادها فان اطاعوه كانوا طالبين لان يشركوه وان كانوا لا شعور لهم بذلك عبر بصيغة
المفاعلة فقال وشاركهم اي بوثوبك على مخالطتهم عندما يشاركونك بفعل ما يوافق هواك

في الاموال اي التي يسعون في تحصيلها والاولاد اي التي ينسلونها ان اقتنوها بوجه محرم او لم يذكروا اسم الله عليها وكذا قوا ابنهم لغير الله وانغماسهم في المحرمات وتعليمهم اولادهم المعاصي والكفر مشاركة فيها وعدهم من المواعيد الباطلة ما يستخفهم ويغرهم من شفاعة الالهة والكرامة على الله وتسويف التوبة ونحو ذلك ثم التفت الى الصالحين من عباده فاخبر تثبيتا لهم وتنبيها لغيرهم على انه ليس بيده شي فقال مظهر الضمير بما يدل على تحقيره تقبيحا لامره وتنفيرا منه وما يعدهم الشيطان اي المحترق المطرود باللعنة من عدم البعث وطول الاجل وشفاعة الالهة ونحو ذلك الا غرورا والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ثم رجع الى المواجهة بما حقر فان المواجهة بالتحقير انكا مصرحا بنتيجة ذلك وهي انه غير قادر على الاباذنه سبحانه وممنوع عنه ما لم نقدره له دفعا لما قد يوهمه ما مضى من انه يوثر شيا استقلالا فقال ان اي اجهد جهدك لان اهل الشهوات سلطتك عليهم زيادة في شقايك بما اردته منهم قبل خلقك وخلقهم لا تقدر ان تتعدي شيا منه الى خاصتي ومن ارتضيته لعبادتي ان عبادي الذين اهلتهم للاضافة الي فقاموا بحق عبوديتي بالتقوي والاحسان ليس لك اي بوجه من الوجوه عليهم سلطان اي فلا تقدر ان تغويهم وتحملهم على ذنب لا يغفر فاني وفقتهم للتوكل على تكفيتهم امرك وكفي بربك اي الموجد لك المدبر لامرك وكيلا يحفظ ما هو وكيل فيه من كل ما يمكن ان يفسده ولما ذكر انه الوكيل الذي لا كافي غيره في حفظه لاختصاصه بشمول علمه وتمام قدرته اتبعه بعض افعاله الدالة على ذلك فقال عودا الى ادلة التوحيد الذي هو المقصود الاعظم باحوال البحر الذي تخلصون فيه في اسلوب الخطاب استعطافا واظهارا للمتاب ربكم اي المحسن اليكم هو الذي يزجي اي يسوق ويدفع ويسيّر لكم اي لمنفعتكم الفلك التي حملكم فيها مع ابيكم نوح عليه الصلاة والسلام في البحر لتبتغوا اي تطلبوا طلبا عظيما بذلك انواع المنافع التي يتعذر او يتعسر الوصول اليها في البر من فضله ثم علل تفعله ذلك بقوله انه اي فعل ذلك لكم لانه كان اي ازلا وابدا بكم اي ايها المومنون خاصة رحيما اي مكرما بالتوفيق الى فعل ما يرضيه في المتجر وغيره لا لشي غير ذلك او يكون ذلك خطابا بالجميع النوع فيكون للمعني حصكم به من بين الحيوانات ولما كان المراد المومنين خاصة وان كان خطابا بالجميع خص المشركين لذلك واذا اي فاذا انعمكم بانواع الخير كنتم على اشر الكفر به سبحانه واذا مسكم ولم يقل امسكم بالاسناد الى نفسه تاديبا له في مخاطبته بنسبة الخير دون الشر اليه مع اعتقاد ان الكل فعله وتنبيها على ان الشر مما ينبغي التبرو منه والبعد عنه الضر في البحر من هيج الما واغتلامه لعصف الريح وطمو الامواج ضل اي ذهب وبطل عن ذكركم وخواطركم من تدعون من الموجودات كلها الا اياه وحده فاخلصتم له الدعا علما منكم انه لا ينجيكم سواه فلما نجاكم الى البر واوصلكم بالتدريج الى البر اعرضتم عن الاخلاص له ورجعتم الى الاشراك وكان الانسان اي هذا النوع كفورا اي بليغ التغطية لما حقه ان يشهر فاظهر في موضع الاضمار تنبيها على ان هذا الوصف لا يخصهم بل يعم هذا النوع لطبعه على التقابض الا من اخلصه الله له ولما كان التقدير اعرضتم بعد اذ نجاكم فكفرتم بذلك وكان الكفر وصفا لكم لازما فتسبب عن ذلك انكم امنتم اي فعلتم بذلك فعل الامن

انكر عليهم هذا الامر لكونه من احهل الجهل فقال افامنتم اي انجوتم من البحر فامنتم بعد خروجكم منه ان نخسف اي بما لنا من العظمة بكم ودل على شدة اسراعهم بالكفر عند وصولهم الى اول الساحل بقوله جانب البر اي فنغيبكم فيه اي جانب كان منه لان قدرتنا على التغييب في التراب في جميع الجوانب كقدرتنا على التغذيب في الما سوا فعل العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب او امنتم ان غلظت اكبادكم عن تامل مثل هذا ان نرسل عليكم من جهة الفوق شيا من امرنا حاصبا اي يرمي بالحصبا اي بالحصى الصغار قاله الرازي في اللوامع وقال الرماني حجارة يحصب بها اي يرمي بها حصب اذا رماه رميا متتابعا انتهى يرميكم ذلك الحاصب في وجوهكم او فوق رووسكم رميا يهلك مثله كما وقع لقوم لوط انا ارسلنا عليهم حاصبا وقيل الحاصب الريح ولم يقل حاصبة لانه وصف لزمها ولم يكن لها مذكر تنتقل اليه في حال فكان بمنزلة حايض ثم لا تجدوا ايها الناس لكم واطلق ليعم فقال وكيلا ينجيكم من ذلك ولا من غيره كما لا تجدوا في البحر وكيلا غيره ام امنتم ان جاوزت بكم الغبا وقصدها انكم تجوزوا ذلك ان نعيدكم فيه اي البحر بما لنا من العظمة التي تضطركم الى ذلك فتقتحموا عليه وان كرهتم تارة اخرى باسباب تضطركم الى ذلك فنرسل عليكم اي بما لنا من صفة الجلال قاصفا وهو الكاسر بشدة من الريح كما عهدتم امثاله بامر وقفت افكاركم مع المحسوسات فرضوا بذلك ان يكونوا كالبهايم لا ينتهون الا الجزئيات المشاهدات فنغرقكم اي في البحر الذي اعدناكم فيه بعظمتنا بما كفرتم كما يفعل احدكم اذا اظفر بمن كفر احسانه ثم لا تجدوا لكم وان امعنتم في الطلب وطالت ازمانكم في اتقان السبب ولما كان اطلاق النفي في ختام الاية الماضية وان كان لارادة التعميم يحتمل ان يدعي تقييده بما يخالف المراد وكان المقصود هنا التخويف بسطوته سبحانه تارة بالخسف وتارة بغيره قيد بما عين المراد وقدم قوله علينا دلالة على ما هو العظمة به اي بما فعلنا بكم تبيعا اي مطالبا يطالبنا به ولما قرر بهذه الجمل ما يسر لهم من البر وسهل من شدايد البحر في معرض التهديد اتبعه انه فعل ذلك تكريما لهم على ساير مخلوقاته كما هو شانه في القدرة على ما يريد من المفاوتة بين الامور التي كانت متساوية عند اول خلقه لها ليستدلوا بذلك على سهولة الاعادة مشيرا الى انه ركب جوهر الانسان من نفس هي اشرف النفوس بما فضلها على قوي النفس النباتية من الاغتذا والنمو والتوليد بالحس ظاهرا وباطنا وبالحركة بالاختيار وخصه على ساير الحيوان بالقوة العاقلة المدركة لحقايق كما هي ويتجلى بها نور معرفة الله ويشرق فيها ضو كبريايه ويطلع على عالمي الخلق والامر ويحيط باقسام المخلوقات من الارواح والاجسام كما هي فكانت بذلك النفس الانسانية اشرف نفوس هذا العالم وبدنه كذلك باختصاصه باعتدال القامة وامتدادها والتناول باليد وغير ذلك نقال عاطفا على ما يرشد اليه السياق من مثل ان يقال فلقد كرمناكم بذلك من ارجا الفلك وانجايكم في وقت الشدايد او على ولقد فضلنا ولقد كرمنا اي بعظمتنا تكريما عظيما بني آدم اي على ساير الطين بالنمو وعلى ساير النامي بالحياة وعلى

سائر الحيوان بالنطق فكان حذف متعلق التكريم دالا على عمومه لجميع الخلق وذلك كله تقريرا
للقدرة على البعث وحملناهم في البر على الدواب وغيرها والبحر على السفن وغيرها ورزقناهم
اي رزقا يناسب عظمتنا من الطيبات اي المستلذات من الثمرات والاقوات التي يأكل
غيرهم من الحيوان قشرها وفضلناهم في انفسهم باحسان الشكل ووصفناهم بالعلم المنتج لسعادة
الدارين وفي رزقنا لهم بما تقدم ولما حذف متعلق التكريم دلالة على التعميم وكان اغلب
افرادهم ضالا قال لذلك على كثير ممن خلقنا اي بعظمتنا التي خلقناهم بها واكد الفعل بالمصدر
اشارة الى اغراقهم في الفضيلة فقال تفضيلا هذا للمجموع واما الخلص فهم افضل الخلائق
لما علمنا من معالجتهم بالاخلاص وجهادهم لاهويتهم لما طبعت عليه نفوسهم من النقائص ولما
لهام الوساوس حتى امتطوا بعد رتبة الايمان درجتي التقوى والاحسان وتقديم الامر
للملائكة بالسجود لادم عليه الصلاة والسلام توطية لهذه الاية اول دليل على هذا ولما
قرر سبحانه قدرته على التفضيل في الحياة الحسية والمعنوية والمفاضلة بين الاشيا في
الشيء فثبتت بذلك قدرته على البعث وختم ذلك بتفضيل البشر وكان يوم الدين اعظم يوم
يظهر فيه التفضيل ابدل من قوله يوم يدعوكم مرهبا من سطوته في ذلك اليوم ومرغبا في اقتناء
الفضايل في هذا اليوم قوله يوم ندعو اي بتلك العظمة كل اناس اي منكم بامامهم اي بمتبوعهم
الذي كانوا يتبعونه فيقال يا اتباع نوح يا اتباع ابرهيم يا اتباع موسى يا اتباع عيسى
يا اتباع محمد فيقومون فيميز بين محقيهم ومبطليهم ويقال يا اتباع الهوى يا اتباع النار
يا اتباع الشمس يا اتباع الاصنام ونحو هذا او يكون المراد بسبب اعمالهم التي ربطناهم بها
ربط المأموم بامامه كما قال تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه وسماها اماما لكونهم
امّوها واجتهدوا في قصدها وندفع اليهم الكتب التي احصت حفظتنا فيها تلك الاعمال
فمن اوتي منهم من موت ما كتابه بيمينه فهم البصرا القلوب لتقواهم واحسانهم وهم البصرا
في الدنيا ومن كان في هذه الدنيا بصيرا فهو في الاخرة ابصر واهدى سبيلا فاولئك اي العالوا
المراتب يقرأون كتابهم اي يجددون قراته ويكررونها سرورا بما فيه كما هو داب كل من
سر بكتاب ولا يظلمون بنقص حسنة ما من ظالم ما فتيلا اي شيئا هو في غاية القلة والحقارة
بل يزادون بحسب اخلاص النيات وطهارة الاخلاق وزكا الاعمال ومن اوتي كتابه بشماله
فهو لا يقرأ كتابه لانه اعمى في هذه الدار ومن كان منهم في هذه الدار اعمى اي ضالا يفعل في الاعمال
فعل الاعمى في اخذ الاعيان لا يهتدي الى اخذ ما ينفعه وترك ما يضره ولا يميز بين حسن وقبيح
فهو في الاخرة لان كل احد يقوم على ما مات عليه اعمى اي اشد عمى مما كان عليه في هذه الدار لا ينجح
له قصده ولا يهتدي لصواب ولا يقدر على قراة كتاب لما فيه من موجبات العذاب ولم يقل
اشد عمى كما يقولونه في الخلق اللازمة لحالة واحدة من العور والحمرة والسواد ونحوها لان هذا
مراد به عمى القلب الذي من شانه التزايد والحدوث في كل لحظة شيئا بعد شيء فخالف ما لا يزيد
ولم يمله ابو عمرو ومع امالة الاول ليدل على ان معناه افعل من كذا فهو وسط والامالة انما تحسن

في

في الاواخر ولان هذا معناه عطف عليه قوله واضل سبيلا لان هذه الدار دار الاكتساب
والترقي بالاسباب واما تلك فليس فيها شي من ذلك فالاية من الاحتباك اثبت الاعمى باليمين
والقراءة اولا دليلا على حذف ضدهما ثانيا واثبت العمى ثانيا دليلا على حذف ضده اولا ولما
قرر ان من ترك سبيل الرشد كان كالاعمى ومن تبعها كان كالبصير اتبعه دليله فقال محذرا
للبصرا عن الاغترار بوساوس الاشقيا وان اي والامر والحال ان الاعمى قد افتتن في نفسه بهواه
مع بياننا لطريق الرشد بما اوحينا اليك من هذه الحكمة حتى صارت اوضح من الشمس وان
الاعدا كادوا اي قاربوا في هذه الحياة الدنيا لعماهم في انفسهم عن عصمة الله لك بسبب عماهم
عما جبلت عليه من الفطنة وجودة الفطرة وذكا القريحة وثقوب الفهم وبعد المرمى في
الوقوف على خداع المخادعين ومكر الماكرين لتجلي الدقائق في مراة قلبك الصقيلة وصافي
فكرك الشفافة ولما كان ان مخففة من الثقيلة اتى باللام الفارقة بينها وبين النافية فقال
ليفتنونك اي ليخالطونك مخالطة تميلك الجهة قصدهم بكثرة خداعهم باطماعهم لك في
الموافقة لما يعلمون من ظاهر الحياة الدنيا عن الذي اوحينا اي بما لنا من العظمة اليك من الحكمة
لتفتري اي تتقطع متعمدا علينا على عظمتنا غيره من طرد من اوحينا اليك الامر بمصابرتهم
اطماعا لهم في اسلام من هو بحيث يرجى باسلامه اسلام الجم الغفير منهم لشرفه ونحو ذلك مما
عناه الله سبحانه وهو اعلم بمراده قال الرماني واصل الفتنة ما يطلب به خلاص الشي مما
لابسه واذن اي لو ملت اليهم لاتخذوك اي بغاية الرغبة خليلا ومن كان خليل الكفار لم
يكن خليل الله ولكنك ابصرت رشدك فلزمت امر الله واستمروا على عماهم اتماما لتفضيلنا
لك على كل مخلوق وقد تقدم قريبا ما تدور عليه مادة فرا وانه السعة وبقي من تقاليبها
اليائي بد المهموز فمعنى فريت الاديم شققته فاسدا او صالحا لانه يتسع بذلك وقال القزاز
الفري مصدر فريت الاديم اذا شققته للاصلاح وافريته اذا شققته للافساد فكان همزته
للازالة وحكى ابو عبيدة فريت الشي افريته قطعته وفرى الكذب وافتراه اختلقه لانه اتساع
في القول وزيادة على ما يكفي من الصدق وتجاوز الحد وفرى المزادة خلقها وصنعها وقال
القزاز خرزها لانها تتسع ما لا تتسع قبل الخرز قال واصل الفري الشق يعني والخرز واقع في
الشق فالعلاقة المحل وفرى الارض سارها وقطعها تشبيها لها بالاديم وفري كرضي تحير
ودهش من التسمية باسم السبب لان سبب الدهش كثرة وعظم في المحسوس وافراه اصلحه
او امر باصلاحه لان الاصلاح سعة بالنسبة الى الافساد وافرى فلانا لامه لانه يلزم منه
الزيادة في الكلام لما يحاج به الملوم والفرية الجملة لانها زيادة عن الكلام المعتاد وبالكسر
الكذب وكغني الامر المختلق المصنوع او العظيم والواسعة من الدلا كالغرية والحليب ساعة
يحلب لارتفاع الرغوة وتفرى الشي انشق والعين انبجست وهو يفري الفري كغني ياتي بالعجيب
في عمله وقال القزاز وتركت فلانا يفري ويقد اي جادا في الامر وفلان يفري منذ اليوم اذا جا
بالعجب لانه لا يعجب الا ما زاد على الكفاية والرفه التبن لانه ما فضل عن الحب والرفه

دويبة تصيد تسمى عناق الارض لان حالها اوسع من حالها لا يصيد ذكر هذا صاحب مختصر العين
في المعتل باليا فوزنه تبه وساقه صاحب القاموس في الها وقال فيما مدلوله التبن انه كصرد
ثم ساقه في المعتل الواوي في ورف فقال والرفه كثبة التبن فاضطرب كلامه فوجب قبول
مختصر العين لكن ذكره الامام ابو غالب التياني وهو من يخضع له في كتابه الموعب في مقلوب رهف
فقال ناسبا له الى كتاب العين ما نصه والرُّفه التبن قال غيره ويقال في مثل من الامثال
استغنت التُّفه عن الرُّفه والتفه عناق الارض وهي دويبة كالثعلب خبيثة تصيد كل شي
وذلك انها لا تاكل الا اللحم ابو حنيفة مثله كله انتهى بحروفه وقال صاحب القاموس في المعتل ذكر
في ت ف ف وقال في الها والتفه كثبة عناق الارض وقال في الفا والتفه كقفة دويبة
كجرو الكلب او كالفارة واستغنت التفه عن الرفه وخففان تضرب للبيم اذا شبع فلعل
هذا الاختلاف لغات والله اعلم قال في مختصر العين والاربي اي مثل كرسي اللبن المحض الطيب
لغيضه كالفكر جعله المختصر يائيا والقاموس واويا ثم اعاده في المهموز فقال والاربي كغزى اللبن
الخالص وساق الغزاز في اليائي رافيت الرجل اي رافيه مرافاة اذا وافقته لان ذلك اوسع في
العسرة والريف بالكسر الخصب وقال في القاموس ارض فيها زرع وخصب والسعة في الاكل
والشرب وما قارب الما من ارض العرب او حيث الخضر والمياه والزروع وراف البدوي
اتى الريف والراف الخمر وهو لا يكون الا عن سعة وارض ريفه ككتيبة خصبة واراف
الارض اخصبت ومن المهموز رفا السفينة كمنع وارفاها ادناها من الشط لانساع
من فيها بالبر وبالنسبة الى ما يكون للسلب والموضع مرفا وبضم ورفا بينهم اصلح وارفا جنح
واحتبسط ودنا وادنى وحابى ودارا كرافا واليه لجا وترافا وا تواتفقوا وتواطيوا والبرفايي
كالبلعي راعي الغنم والظليم النافر والظبي والقفوز المولي عن المنتزع القلب فزعا كانه شبه بالظليم
في انساع حركته وعدم ثباته وذلك شبيه ايضا بغوران القدر في مجاوزة الحد ورقات العروس
توفية وترفيا تقدم في الواوي ورأف الخمر والرجل الرحيم او الرافة اشد الرحمة وارفها ولاتسك
في دخول ذلك في السعة وراف موضع او رملة ولعلها او انسان والقفرا الجبل وسحاب
حمار الوحش او الفتي منه لشدة نفاره كالقدر في فورانها وامرئ فرب كفرحي وكل الصيد في جوف
الفرا اي كله دونه وفرا محركة جزيرة باليمن لعلها بكثرة والفار معروف والواحدة فارة
والجمع فيران سمي لقفزه في جريه ولانه من اوسع الحشرات تصرفا بالمشي في الجدر والسقوف
ونحوها والفاره شجرة ونافجة المسك قال في القاموس او الصواب ايرادة فارة المسك في ف ور
لفوران رائحتها او يجوز همزها لانها على هيئة الفارة وفار كمنع حفر وخبا ودفن يمكن ان يكون من السعة
وبغيها ولبن فير ككتف وقعت فيه الفارة وارض فيرة ومفارة كثيرة الفار وافرت القدر بالفتح
تافر افرا اشتد غليانها والانسان وثب وعدا والبعير نشط وسمن بعد الجهد كافر كفرح فيهما
وخف في الخدمة والذي يسعى بين يدي الانسان ويخدمه ميفر والأُفُرَّة بضمتين وتشديد
الرا الجماعة وقيدها في مختصر العين بذات الجلبة والدثه والاختلاط وكل ذلك واضح في

الانساع والزيادة على الكفاية والافرة ايضا شدة الشر لشدة فورانه كالقدر وشدة الشتا
او مطلق الشدة ومن الصيف اوله لانه يتسع به قال في القاموس وبفتح اولها وبحرك في الكل
والارفه بالضم الحد بين الارضين والعقدة وكان هذا من سلب الانساع والأُرَفي كغزي
الماسح وارف على الارض تاريفا جعلت لها حدود وقسمت وتاريف الحبل عقده وهو مواز في
حده الى حدي في السكني والمكان والله الموفق ولما ذكره سبحانه بما كان في ذلك من رشده
صلى الله عليه وسلم اتبعه بيان انه انما كان بعصمة الله له ليزداد شكرا فقال **ولولا ان
ثبتناك** اي بما لنا من العظمة على امرنا لما تقدم من انا مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وانت
راس المتقين والمحسنين **لقد كدت** اي قاربت **تركن اليهم** اي الاعدا **شيئا قليلا** لمحبتك
في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا عصمناك فلم تركن اليهم لا قليلا ولا كثيرا ولا قاربت
ذلك كما افادته لولا لانها تدخل على جملة اسمية لجملة فعلية لربط امتناع الثانية بوجود
الاولى فامتناع قرب الركون مرتبط بوجود التثبيت وذلك لان لولا لانتفا الثاني لاجل
انتفا الاول وهي هنا داخلة على لا النافية فتكون لانتفا قرب الركون لاجل انتفا نفي التثبيت
وانتفا النفي وجود فاذن التثبيت موجود وقرب الركون منتف ويجوز ان يكون المراد الدلالة
على شدة مكرهم وتناهي خداعهم الى حالة لا يدرك وصفها فيكون الفعل مسندا اليه صلى الله عليه وسلم
والمراد اسناده اليهم كما تقول لصاحبك لقد كدت تقتل نفسك اي فعلت ما قاربت به ان يقتلك
غيرك لاجل فعلك وهذه الاية من الادلة الواضحة على ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من
الفضايل في شرف جوهره وزكا عنصره ورجحان عقله وطيب اصله لانها دلت على انه
صلى الله عليه وسلم لو وكل الى نفسه ما خلق الله في طبعه وجبلته من الغرايز الكاملة والاوصاف
الفاضلة ولم يتداركه بما منحه من التثبيت زيادة على ذلك حال النبوة لم يكن اليهم وهم اشد
الناس افكادا واصغاهم افهاما واعلمهم بالخداع مع كثرة عددهم وعظم صبرهم وجلدهم ركونا ما
اصلا وانما كان قصاراهم ان يقارب الركون شيئا قليلا فسبحان من يخص من يشا بما يشا ذو الفضل
العظيم **اذا** اي لو قاربت الركون الموصوف اليهم **لاذقناك** اي بعظمتنا **ضعف** عذاب **الحياة
وضعف** عذاب **الممات** اي ذلك العذاب مضاعفا وهذه المادة تدور على الوهي ويلزمه
التقوية بالضعف بكسر الضاد اي المثل وما زاد وكل شي له مكاثر فهو ضعف بدونه ويلزم
الضعف الذي هو المثل المضموم الى مثله القوة فمن الوهي الضعف والضعف بالفتح والضم وهو
خلاف القوة وقيل الضَّعف بالفتح في العقل والراي وبالضم في الجسد والضعيف الاعمى حميرية
وارض مضعفه للمفعول ابها طرضعيف وضعف الشي بالكسر مثله لان كل ما له مثل فهو ضعيف
وضعفاه مثلاه ويقال لك ضعفه اي مثلاه وثلاثة امثاله لان اصل الضعف زيادة غير
محصورة وضاعفت الشي اي ضممت الى الشي شيين فصار ثلاثة واضعاف الكتاب اثنا سطوره لانها امثال
للسطور من البياض وزيادة عليها ومن القوة التي تلزم المثل اضعاف البدن وهي اعضاؤه لان غالبها
مثنى او هي عظامه لانها اقوى ما فيه ومن الضعف ايضا مقلوبه الذي هو ضفع اذا احدث وضرط

وكذا مغلوبه نضع والضفع نحو الفيل والضفعانه ثمرة السعدانه ذات الشوك مستديرة كانها فلكة
فالمعنى والله اعلم اذقناك وهي الحياة وهي الممات مضاعفا اضعافا كثيرة ولما كانت القوة بعد هذا
في غاية البعد عبر باداة التراخي في قوله ثم لا تجد لك اي وان كنت اعظم الخلق واعلاهم همة علينا
نصيرا والاية دالة على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظيم شان مرتكبه وارتفاع منزلته وعلى ان ادنى
مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته فعلى من تلاها ان يتدبرها وان يستشعر الخشية
وعظيم التصلب في الدين ولما بين انهم استمالوه بالرفق حتى كادوا ولولا العصمة ان يميلوه دل على
انهم اخافوه بعد ذلك حتى كادوا ان يخرجوه من وطنه قبل الاذن الخاص بالهجرة فقال وان كادوا
وانهم كادوا اي الاعدا ليستفزونك اي ليستخفونك بكثرة الاذى الذي من شانه ذلك فيما جرت
به العوايد من الارض اي المكية التي هي الارض كلها لانها امها ليخرجوك منها مع ان وجودك عندهم
رحمة لهم فلا اعمى منهم واصل الفز القطع بشدة قاله الرماني واذن اي واذا اخرجوك لا يلبثون
خلفك اي بعد اخراجك لو اخرجوك الا قليلا وسيجدون اذا اذناك في الخروج كيف نصب
عليهم العذاب بعد خروجك بقليل من مكث الطويل وسيفك الصقيل وسيوف اتباعك المومنين
ليوث هذا الدين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعيد بقتل صناديدهم في غزوة بدر في رمضان
من السنة الثانية من الهجرة بعد ثمانية عشر شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم وحرم على المشركين
الذين اخرجوه صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الدخول اليها والاقامة في حرمها من جزيرة العرب
اكراما له صلى الله عليه وسلم وانتقاما ممن يعتقد شيا من كفر من اخرجوه ورفع يلبثون لان
اذن اذا وقعت بعد الواو والفا جاز فيها الالغا لانها متوسطة في الكلام كما انه لا بد ان تلغى
في اخر الكلام وفي الاية بيان لان الجاهل لا يزال ينصب للعالم الحبايل ويطلب له الغوايل فيعود
ذلك عليه بالوبال في الحال والمال ولما اخبره بذلك اعلمه انه سنته في جميع الرسل فقال سنة
اي كسنة او سننا بك سنة من قد ارسلنا اي بما لنا من العظمة ولما كان الارسال قد عمت بركته
بهذه جميع الازمان بما حفه به من تقويم الفطرة اسقط الجار فقال قبلك اي في الازمان
الماضية كلها من رسلنا بان جعلنا وجودهم بين ظهراني قومهم رحمة لقومهم فاذا اخرجوهم
عاجلنا من رضي باخراجهم بالعقوبة ولا تجد لسنتنا اي لما لنا من العظمة تحويلا اي بحول غيرنا
يحولها لكنهم خصوا عن الامم السالفة بانهم لا يعذبون عذاب الاستيصال تشريفا لهم بهذا النبي الكريم
ولما قرر امر اصول الدين بالوحدانية والقدرة على المعاد وقرر امره احسن تقرير واستعطفهم بنعمه
وخوفهم من نقمه وقرر انه سبحانه عصمه عليه الصلاة والسلام من فتنتهم بالسرا والضرا اياما
به من بصيرته واحسن من علانيته وسريرته صار من المعلوم انه قد تفرغ للعبادة وتهيا للمراقبة
فندبا شرفها فوصل بذلك قوله تعالى اقم اي حقيقة بالفعل ومجازا بالعزم عليه الصلاة بفعل جميع
شرايطها واركانها ومباديها وغاياتها بحيث تصير كانها قايمة بنفسها فانها لب العبادة بما فيها من
خالص المناجاة بالاعراض عن كل غير وفنا كل سوى بما اشرق من انوار الحضرة التي اضمحل لها
كل فان وفي ذلك اشارة عظيمة الى ان الصلاة اعظم ناصر على الاعدا الذين يريدون بمكرهم

استفزاز الاوليا وادفع الاشيا للضرا واجلبها لكل سرا ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه
امر فزع الى الصلاة كما تقدم تخريجه في اخر الحجر ثم عين له الاوقات بقوله لدلوك الشمس اي زوالها
واصفرارها وغروبها قال في القاموس دلكت الشمس غربت او اصفرت او مالت او زالت عن
كبد السما فحينئذ في هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من استعمال المشترك
في معانيه اما في الظهر والمغرب فواضح واما في العصر فلان اول وقتها اول اخذ الشمس في
الاصفرار واول دليل على ذلك انه غيا الاقامة بوقت العشا فقال الى حثا على انه ان يصلى
كلما جا الوقت ليكون مصليا دايما لان الانسان في صلاة ما كان ينتظر الصلاة فهو بان
لان وقت المغرب من الدلوك الذي هو الغروب الى ان يذهب الشفق غسق الليل فالغسق
ظلمة اول الليل وهو وقت النوم وقال الرازي في اللوامع وهو استحكام ظلمة الليل وقال الرماني
ظهور ظلامه ثم عطف عليه بتغيير السياق قوله وقران فكانه قال ثم نم واقم قران الفجر
اشارة الى الصبح وقيل نصب على الاغرا وكانه عبر عنها بالقران لانه مع كونه اعظم اركان
الصلاة يطول فيها في القراة ما لا يطول في غيرها ويجهر به فيها دون اختها العصر وتشويقا
بالتعبير به اليها لثقلها بالنوم ولما كان القيام عن المنام صعبا علل مرغبا مظهرا غير مضمر لان
المقام مقام تعظيم فقال ان قران الفجر كان مشهودا يشهده فريقا الملايكة وهو اهل لان
يشهده كل احد لما له من اللذة في السمع والاطراب للقلب والانعاش للروح فصارت الاية
جامعة للصلوات روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال فضل صلاة الجميع
على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملايكة الليل وملايكة النهار في صلاة الفجر يقول
ابو هريرة اقراوا ان شيتم وقران الفجر الاية قالوا وهذا دليل على وجوب الصلاة باول الوقت
وان التغليس بصلاة الفجر افضل ثم حث بعدها على التهجد لافضليته واشديته فقال ومن
اي وعليك او وقم بعض الليل فتهجد اي اترك الهجود وهو النوم بالصلاة به اي بطول القران
فهو من الاستخدام الحسن نافلة لك اي زيادة مختصة بك قال عبد الغافر الفارسي في مجمع
الغرايب واصل النفل الزيادة ومنه الانفال الزايدة على الغنايم التي احلها الله لهذه الامة
وقال ابو عبد الله القزاز النوافل الفواضل ومن هذا يقولون فلان ممن ترجى نوافله انتهى فهو
زيادة للنبي صلى الله عليه وسلم في الفرض وللامة في التطوع وخص به ترغيبا للامة لانهم يعلمون
انه لا يخص الا بخير الخير لانه الوقت الذي لا شيء من استجابة الدعا بالنزول الى السما الدنيا
اللازم منه القرب الوارد في الاحاديث الصحيحة انه يكون في جوف الليل لان من عادة
الملوك في الدنيا ان يجعلوا فتح الباب والقرب منه ورفع الستر والنزول عن محل الكبريا امارة
على قضا الحوايج وكل ما يعبر به عن الله تعالى مما ينزه سبحانه عن ظاهره يكون كناية عن لازمه ويبين
ذلك حديث رويناه في جزء العيسى عن عثمان بن ابي العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الليل ساعة تفتح فيها ابواب السما فينادي مناد هل من داع فيستجاب له الى اخره
فهذا شاهد عظيم لهذا التاويل ولما امره سبحانه بالتهجد والتذلل وكان السياق للعظمة

ورجاه في النوال بما يليق بالسياق فقال عسى ان اي لتكون بمنزلة الراجي لان يبعثك ولما
كان السياق قد انصرف للترجية عبر بصفة الاحسان فقال ربك اي المحسن اليك بعد الموت
الاكبر وقبله كما بعثت نفسك من الموت الاصغر الى خدمته مقاما نصب على الظرف محمودا وذلك
لان عسى للترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه وقد يضعف ذلك فيلزم الشك في الامر وقد
يقوى فياتي لليقين وهي هنا لليقين قالوا ان عسى تفيد الاطماع ومن اطمع احدا في شي ثم حرمه
كان عارا والله تعالى اكرم من ان يفعل ذلك وعبر بها دون ما يفيد القطع لان ذلك اقعد في كلام
الملوك لانه ادل على العظمة وللبخاري في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعث الله المقام المحمود اي فيظهر ما له من الحظ من اسمه احمد ومحمد في
ذلك الحين محمد كل ذي روح بايصال الاحسان الى كل منهم بالفعل وله في التفسير وغيره عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع الندا اللهم رب هذه
الدعوة التامة والصلاة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة يعني والله اعلم الشفاعة الخاصة واما العامة فللكل بغير شرط
ولما كان هذا المقام صالحا للشفاعة ولكل مقام يقومه وكان كل مقام يحتاج الى التوفيق في
مباشرته والانفصال عنه تلاه حاثا على دوام المراقبة واستشعار الافتقار بقوله مقدما المدخل
لانه اهم وقل رب اي ايها الموجد لي المدبر لامري المحسن الي ادخلني في كل مقام تريد ادخالي فيه
حسي ومعنوي دنيا واخرى مدخل صدق يستحق الداخل فيه ان يقال له انت صادق في قولك
وفعلك فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها واخرجني من كل ما تخرجني منه مخرج صدق
ولما كان الصدق في الامور لا يقارنه الظفر قال واجعل لي اي خاصة من لدنك اي
عندك من الخوارق التي هي اغرب الغرايب سلطانا اي حجة وعزا نصيرا وفيه
اشعار بالهجرة وانها تكون على الوجه الذي كشف عنه الزمان من العظمة التي ما لاحد
بها من يدان ولما كان الدعا قد لا يستجاب قال مبشرا له بانه ليس بين دعايه وبين استجابته
الا قوله ومحققا لتلك البشرى بالامر بان يخبر بها وقل اي لاوليايك واعدايك جا الحق
وهو كل ما امرني به ربي وانزله الي وزهق اي اضمحل وبطل وهلك الباطل وهو كل
ما خالفه ثم علل زهوقه بقوله ان الباطل كان في نفسه بجبلته وطبعه زهوقا قضا
قضاه الله من الازل روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل
النبي صلى الله عليه وسلم وحول البيت ستون وثلاثماية نصب فجعل يطعنها بعود في يده
ويقول جا الحق وما يبدي الباطل وما يعيد جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
ولما كان القران الذي نوه به في اية اقم الصلاة هو السبب الاعظم في ازهاق الباطل
الذي هو كالسحر خيال وتمويه وهو الجامع لجميع ما مضى من الالهيات والبعث وما تبع ذلك قال
عاطفا على ولقد كرمنا وننزل اي بعظمتنا ثم بين المنزل بقوله من القران اي الجامع الفارق

الذي

الذي هو احق الحق ما هو شفا للقلوب والابدان ورحمة اي اكرام وقوة للمومنين اي الراسخين
في الايمان لانارته لقلوبهم من صدا الجهل وحمله لهم على سبيل الرشد الذي هو سبب الرحمة
ولحراسته لهم من كل شيطان ومرض ومحنة اذا اوقع الصدق في الاستشفا به هو كله كذلك
وكذا جميع ابعاضه قال الرازي في اللوامع وهو انس المحبين وسلوة المشتاقين وانه النور
المبين الذي من استبصر به انكشف من الحقايق ما كان مستورا وانطوى عنه من البوايق ما كان
منشورا كما ان الباطل دا ونقمة للكافرين ومن اعجب العجب ان هذا الشفا لا يزيد الظالمين
اي الراسخين في هذا الوصف وهم الذين يضعون الشي في غير موضعه باعراضهم عما يجب قبوله
الا خسارا اي نقصانا لانه اذا جاهم وقامت به الحجة عليهم اعرضوا عنه فكان اعراضهم ذلك
زيادة في كفرانهم كما ان قبول المومنين له واقبالهم على تدبره زيادة في ايمانهم وفي الدارمي
عن قتادة قال ما جالس القران احد فقام عنه الا بزيادة او نقصان ثم قرا هذه الاية ثم
عطف على هذا المقدر المعلوم تقديره ما هو اعم منه وابين في الفتنة والاجترا فقال واذا
انعمنا اي بما لنا من العظمة على الانسان اي هذا النوع هولا وغيرهم باي نعمة كانت من
انزال القران وغيره اعرض اي عن ذكر المنعم كاعراض هولا عند مجي هذه النعمة التي لا نعمة مثلها
ونا اي تباعد تكبرا بجانبه بطرا وعمي عن الحقايق واذا مسه الشر اي هذا النوع وان قل
كان يوسا اي شديد الياس هلعا وقلة ثقة بما عهده من رحمة الله الا من حفظه الله وشرفه
بالاضافة اليه فليس للشيطان عليه سلطان ولما كان المفرد المحلى باللام يعم كان هذا ربما
اقتضى من بعض المتعنتين اعتراضا بان يقال انا نرى بعض الانسان اذا اعطي شكر واذا ابتلي
صبر وكان هذا الاعتراض لا يعبا به اما اولا فلانه قد تقدم الجواب عنه في سورة يونس عليه
الصلاة والسلام في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون بان هذا في المسرفين دون غيرهم
وبقوله في سورة هود عليه الصلاة والسلام الا الذين صبروا ولعله طواه في هذا المقام اشارة
الى انه لقلة افراده كانه عدم واما ثانيا فلان المحلى باللام سوا كان مفردا او جمعا في قوة الجزي
حتى يرد ما يدل على انه كلي فلذلك اعرض تعالى عنه وامره بالجواب عن القسمين المشار اليه والمنصوص
عليه فقال قل اي يا اشرف خلقنا كل من الشاكر والكافر يعمل على شاكلته اي طريقته التي
تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خير او شر فربكم اي فتسبب عن ذلك ان الذي خلقكم
ودرجكم في اطوار النمو لا غيره اعلم مطلقا بمن هو منكم اهدى سبيلا اي اشد واقوم من جهة الهدى
بتقواه واحسانه فيشكر ويصبر احتسابا فيعطيه الثواب ومن هو اضل سبيلا فيحل به العذاب
لانه يعلم ما طبعهم عليه في اصل الخلقة وغيره فهم من الخلايق وغيره انما يعلم امور الناس في
طرايقهم بالتجربة وقد روى الامام احمد لكن بسند منقطع عن ابي الدردا رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن
خلقه فلا تصدقوا به فانه يصير الى ما جبل عليه هذا كله اذا كان الاعراض بالفعل وان كان
بالقوة التزمنا انها كلية والله اعلم بالمهتدي وحفظه من الاعراض والياس بالفعل مما هو

فيه بالقوة ولما بين سبحانه بعد التعجيب من انكارهم البعث جهل الانسان وما هو عليه من الضلال والنسيان الامن فضله الله على ابنا نوعه كما فضل طينته على سائر الطين وختم باية المشاكلة التي منها مشاكلة بعض الارواح لبعض ومشاكلتها للطباع وبان بذلك انه تعالى قادر على فعل ما يشا عالم بكل معلوم رجع الى التعجيب منهم بما هو من شان الارواح التي من شانها التشاكل فقال عاطفا على وقالوا ايذا كنا عظاما **ويسالونك** اي تعنتا وامتحانا **عن الروح** الذي تقدم انها تعاد الى اجسادهم يوم البعث ولو كانوا حجارة او حديدا ما هي هل هي جسم ام لا وهل هي متولدة من امتزاج الطبايع التي في البدن ام امر اخر مبتدا وهل هي قديمة ام حادثة ولما كان هذا تعنتا مع انه لا يفتقر اليه في صحة اعتقاد امره بان يجيبهم عنه بما يليق بحالهم بقوله **قل الروح** اي هذا النوع الذي تصير به الاجسام حية **من امر ربي** اضافها الى الامر وهو الارادة وان كانت من جملة خلقه تشريفا لها واشارة الى انه لا سبب من غيره يتوسط بينها وبين امره بل هو يبدعها من العدم او يقال وهو احسن ان الخلق قسمان ما كان بتسبيب وتنمية وتطوير وهو الذي يترجم في القران بالخلق والثاني ما كان اخراجا من العدم بلا تسبيب ولا تطوير وهو المعبر عنه بالامر ومنه هذه الروح المسيول عنها وكل روح في القران وكذا ما هو للحفظ والتدبير كالاديان والجامع لذلك القيومية كما مضى عن الحرالي عند روح القدس في البقرة فافادت هذه العبارة انها محدثة وانها غير مطورة ولا مسببة وهي جسم لطيف سار في البدن كما الورد في الورد على الصحيح عند اهل السنة وامسك السلف عن الامعان في الكلام على الروح ادبا لانهم علموا ان في عدم الجواب لسوالهم بغير هذا الاشارة الى ان السكوت عنه اولى لهم ثم اتبعه التنبيه على جهلهم لتعكيسهم في الاسيلة بتركهم الاقبال على ما يفهمونه بلا شك وينفعهم في الدارين من هذا الروح المعنوي وهو القران واقبالهم على ما لا يفهمونه من الروح المحسوس لغلبة علمهم ومن فهمه منهم لا ينفعه الا بعسر عظيم وفيه اسيلة كثيرة جدا لا برهان على اجوبتها منها انه متحيز ام لا وانه مغاير للنفس ام لا وهل يبقى بعد الموت ام لا فعلمنا به انما هو على الاجمال ولا يلزم من عدم العلم بحقيقتها المخصوصة نفيه فان اكثر حقايق الاشيا مجهولة وهي موجودة فالسكنجبين خاصيته قمع الصفرا وحقيقة تلك الخاصية مجهولة وهي معلومة الوجود وليس ورا العلم بما سالوا عنه من الروح بعد فهمه من الفايدة ما لذلك الذي تركوه ولا قريب منه فقال دالا على حدوثه بتغيره فانه يكون في المبدا جاهلا ثم يحدث له العلم شيا بعد شي وكل متغير حادث **وما اوتيتم** اي من اي موت كان بعد ان كنتم لا تعلمون شيا **من العلم** اي مطلق هذه الحقيقة فكيف بالمشكل منها **الا قليلا** ومما تجهلونه امور ضرورية لكم لان تماديكم على الجهل بها سبب لهلاككم في الدارين فمن اجهل الجهل واضل الضلال ان تسالوا عما لا يضركم الجهل به ويتوقف اثباته على امور دقيقة ومقدمات صعبة وتتركوا ما يضركم الجهل به في الدين والدنيا مع كونه في غاية الوضوح لكثرة ما قام عليه من الادلة وله يحضر لكم من الاسيلة والذي سالتموه منزه عن الغش والضيق فهو ينبهكم على عيبكم نصيحة لكم ويعدل عن جوابكم عنه الى ما ينفعكم رفقا بكم ولفهم هذا اسكت السلف عن الخوض في امره والخطاب لليهود

والعرب

الخلق

يترجم في القران بالخلق

بلا سبب بغير الامر

والعرب اما العرب فواضح واما اليهود فانهم وان كانوا اهل الكتاب فذلك اشارة الى تلاشي علمهم في جنب علم الله كما ستاتي الاشارة اليه بقول الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام في العصفور الذي نقر من البحر نقرة او نقرتين فحيث ورد تعظيم علم احد وتكثيره فهو بالنسبة الى غيره من الخلق وحيث ورد تقليله كما في هذه الاية فهو من حيث اضافته الى علم الله تعالى وهذه الاية ورد في سبب نزولها ما يظن انه متناقض فانه روي في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان يمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فساله اليهود عن الروح فاوحي اليه فلما انجلى عنه الوحي تلا عليهم الاية وفي السيرة الهشامية والدلايل للبيهقي وتفسير البغوي وغيره من التفاسير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا ارسلت الى اليهود قبل الهجرة يسالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من علم الانبيا ما ليس عند قريش فامروهم ان يسالوه عن الروح وعن قصتي اصحاب الكهف وذي القرنين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا حتى ارجف به اهل مكة وحتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة وروي ايضا ان لبث الوحي كان اربعين ليلة وروي اثنتي عشرة ليلة وفي مسند ابي يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت قريش لليهود اعطونا شيا نسال عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسالوه فنزلت ويسالونك الاية وليس ذلك وامثاله بحمد الله بمشكل فانه محمول على انه نزل للسبب الاول فلما سيل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا لم يجبهم بالجواب الاول اما الرجا ان يوتى باوضح منه او خشية ان يكون نسخ او نحو ذلك لامر راه صلى الله عليه وسلم فتعبد الله سبحانه انزاله عليه تثبيتا له واعلاما بانه هو الجواب وفيه مقنع وفي تاخر الجواب في هذا الامر برهان قاطع لقريش وكل من له ادنى لب على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في ان هذا القران من عند الله لا يقدر عليه غيره لانه لو كان قادرا على الاتيان بشي منه من عند نفسه او من عند احد من الخلق لبذل جهده في ذلك تنزيها لنفسه الشريفة وهمته المنيفة وعرضه الطاهر عن مثل ما خاضوا فيه بسبب اخلاف موعدهم ولما كانت الروح من عالم الامر الذي هو من سر الملكوت ضمت الى سورة الاسرا الذي هو من ابطن سر الملكوت لا سيما بما علا به من المعراج الذي جعل لغرابته كالرويا وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس ولذلك فصلت عن السوالين الاخرين لانهما من عالم الملك وسيا في بقية الكلام على هذا في سورة الكهف ان شا الله تعالى ولما شرح ارادتهم الفتنة عما جاهم من العلم بتبديل المنزل واخراج المرسل وما تبع ذلك حتى ختم بتجهيلهم اذ سالوا تعنتا عن الروح الحسي وكان الانفع لهم سوالهم استفادة وتفهما عن دقايق الروح المعنوي الذي اعظم الله شرفهم به بانزاله اليهم على لسان رجل منهم هو اشرفهم محتدا واطهرهم نفسا واعظمهم مولدا وازكاهم عنصرا واعلاهم نعمة وختم بتقليل علمهم اشارة الى انهم لا يفهمون الا ما فهمهموه سبحانه والله اعلم بما يفهمونه وما لا يفهمونه قال عاطفا على وان كادوا ليفتنونك تنبيها لهم على انه

١٥
٤
١٢

٢

٢

لونشا الذهب بسبب هذا العلم القليل الذي وهبهموه ثمعهم الجهل كما كانوا وعلى انه لم يكفهم ترك السوال
عما يعنيهم حتى سالوا عما لا يعنيهم وارادوا ابتديل ما ينفعهم وبعنهم بما يبعدهم ويغنيهم فضلوا قولا
وفعلا ولين شينا اي ومشيئتنا لا يتعاظمها شي ولامه موطية للقسم والجاب عن القسم مما اغنى
عن جواب الشرط فقال لنذهبن اي بما لنا من العظمة ذهابا محققا بالذي اوحينا اي بما لنا
من العظمة اليك مما ارادوا الفتنة فيه من القران على ان فيه من العلم ما يغنيهم لو اقبلوا على
تفهمه عن شي من الاشيا فلا نبقى عندك نحن ولا وحينا ولا فادة هذا المراد لاذهبنا ثم اي بعد
الذهاب به لا تجد لك ولما كان السياق هنا للروح الذي هو الوحي وكانت العناية به اشد تقدم
قوله به ولما كان السياق لمن يلحد ما يريد طوعا او كرها قال علينا اي بما لنا من العظمة التي
لا تعارض وكيلا ياتيك به او بشي منه ولما كان لا ملجا منه سبحانه الا اليه قال الا اي لكن تجد
رحمة مبتدية وكاينة من ربك اي المحسن اليك بان اوجدك ورباك ولم يقطع احسانه قط عنك
يعيدها ذلك اليك او ياتيك بما يقوم مقامه وعبر عن اداة الانقطاع باداة الاتصال اشارة الى
ان رحمته سبحانه له التي اقتضتها صفة احسانه اليه لعظمها كالوكيل الذي يتصرف بالغبطة
على كل حال ولما كان في انزاله اليه ثم ابقايه لديه من النعمة اليه وعلى امته ما لا يحصى نبه على ذلك
بقوله مستانفا موكدا لان كون الرحمة هكذا من اغرب الغريب فهو بحيث لا يكاد يصدق وهو مما
يتلذذ بذكره ان فضله كان اي كونا ثابتا عليك اي خاصة كبيرا اي بالغ الكبر وقد ورد انه
يذهب بالقران في اخر الزمان يسري بما في المصاحف وبما في القلوب وقد افهمت ذلك هذه الاية
لان كلام الملوك يفهم اصل الشي ولو كان في سياق ولما كان معرض ان يقولوا ان ذهب عليك
منه شي نابت بمثله من عند نفسك او مما اكتتبته منه من الاساطير امره ان يجيبهم عن هذا بقوله
دلالة على مضمون ما قبله قل ولما اريد هنا المماثلة في كل التفصيل الى جميع السور في المعاني
الصادقة والنظوم الرايقة كما دل عليه التعبير بالقران زاد في التحدي قيد الاجتماع من
الثقلين وصرف الهمم للتظاهر والتعاون والتظافر خلاف ما مضى في السور السابقة فقال
تعالى موكدا باللام الموطية للقسم لادعايهم انهم لو شاوا اتوا بمثله والجواب حينيذ للقسم وجواب
الشرط محذوف دل عليه جواب القسم لين اجتمعت الانس الذين تعرفونهم وتعرفون ما اوتوا من
البلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم وقدمهم لسهولة اجتماعهم بهم ولانهم عندهم الاصل في البلاغة
والجن الذين ياتون كهانكم ويسجعون لهم ويعلمونهم ببعض المغيبات عنهم وقول الملايكة لانهم
لا عهد لهم بشي من كلامهم على ان ياتوا اي يجددوا اتيانا ما في وقت ما في حال اجتماعهم بمثل هذا
القران اي جميعه على ما هو عليه من التفصيل وخصه بالاشارة تنبيها على ان كل ما يقوله صلى الله
عليه وسلم عن الله وحي من الله ليس فيه شي من عند نفسه وان المراد في هذا السياق المتحدي به
للذي اسمه القران خاصة لا ياتون ولما كانت هذه السورة مكية فكان اكثر ما يمكن في هذه
الاية ان تكون اخر المكي فيختص التحدي به وكان المظهر اذا اعيد مضمرا امكن فيه الخصوص وكان
المراد انما هو الشمول ومتى اريد الشمول استونف له احاطة باستيناف اظهار محيط كما ياتي

عن

عن الحرالي في اواخر الكهف لم يقل هنا به لذلك ولِيلا يظن انه يعود على القران لا على مثله بل اظهر فقال
دالا على ان المراد جميع المكي والمدني بمثله اي لا مع التقيد بمعانيه الحقه الحكمية حتى ياتوا بكلام في اعلا
طبقات البلاغة مبينا لاحسن المعاني باوضح المباني ولا مع الانفكاك عنها الى معان مفتراة ثم
اوضح ان المراد الحكم بعجزهم مجتمعين ومنفردين متظاهرين وغير متظاهرين فقال ولو ولما
كان المكلفون مجبولين على المخالفة وتنافي الاغراض قال كان اي جبلة وطبعا على خلاف العادة
بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا بضم اقوى ما فيه الى اقوى ما في صاحبه وقد تقدم في السور المذكور
فيها التحدي ما يتم هذا المعنى ولما تمت هذه الجمل على هذا الوجه الجميل والرصف الجليل نبه على
ذلك سبحانه بقوله عطفا على غوصرفنا هذه الامثال كما ترون على اعلى منهاج وابلغ سياق في
ابدع انتظام ولقد صرفنا اي رددنا وكررنا تكريرا كثيرا بما لنا من العظمة ولما كان مبنى السورة
على بيان العناية بالناس الذين اتقوا والذين هم محسنون اقتضى المقام لمزيد الاهتمام
تقديم قوله للناس اي الذين هم ناس في هذا القران الهادي للتي هي اقوم من كل مثل اي من كل
ما هو في غرابته وسيره في اقطار الارض وبلاغته ووضوحه ورشاقته كالمثل الذي يجب
الاعتبار به والتصريف تصيير المعنى دايرا في الجهات المختلفة بالاضافة والصفة والصلة
ونحو ذلك فابى اي فتسبب عن ذلك الذي هو سبب للشفا والشكر والهدى تصديقا لقولنا
ولا يزيد الظالمين الا خسارا انه ابى اكثر الناس وهم من هم في صورة الناس وقد سلبوا معانيهم
ولما كان ابى منفيا ولا بمعنى النفي فكان المعنى فلم يرضوا مع الكبر والشماخة استقبله باداة الاستثنا
فقال الا كفورا لما لهم من الاضطراب ولما كان هذا امرا معجبا عجب منهم تعجيبا اخر عاطفا له
على ويسالونك ان كان المراد بالناس في قوله فابى اكثر الناس الكل وعلى فابى ان كان المراد
بهم قريشا فقال وقالوا اي كفار قريش ومن والاهم تعنتا بعد ما الزمهم من الحجة ببيان عجزهم عن
المعارضة وبغير ذلك فعل المبهوت المحجوج المعاند موكدين لما الزمهم من الحجة التي صاروا بها
في حيز من يومن قطعا من غير توقف لن نومن اي نصدق بما تقول مذعنين لك حتى تفجر اي
تفجيرا عظيما من الارض ينبوعا اي عينا لا ينضب ماوها او يكون لك انت وحدك جنة من
نخيل واشجار عنب عبر عنه بالثمرة لان الانتفاع منه بغيرها قليل فتفجر اي بعظمة زايدة الانهار
الجارية خلالها تفجيرا وهو تشقيق عما يجري من ما او ضيا او نحوهما فالفجر شق الظلام عن عمود
الصبح والفجور شق جلباب الحيا بما يخرج الى الفساد او تسقط السما اي نفسها كما زعمت فيما
تتوعدنا به علينا كسفا اي قطعا جمع كسفة وهي القطعة ويجوز ان يكون المراد بذلك الحاصب
الاتي من جهة العلو وغيره مما توعدوا به في نحو قوله ان نبعث عليكم عذابا من فوقكم وتسمية ذلك سما كتسمية
المطر بل والنبات سماء اذا نزل السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا او تاتي معك بالله
اي الملك الاعظم والملايكة قبيلا اي اتيانا عيانا ومقابلة ننظر اليه لا يخفى على احد منا شي
منه وكان اصله الاجتماع الذي يلزم منه المواجهة بالاقبال من تقابل الراس الجامعة او
يكون لك اي خاصا بك بيت من زخرف اي ذهب كامل الحسن والزينة او ترقى اي

تصعد في السماء درجة درجة ونحن ننظر إليك صاعدا ولن نؤمن أي نصدق مذعنين لرقيك
أي أصلا حتى تنزل وحققوا معنى كونه من السماء بقولهم علينا كتابا ومعنى كونه في ورق أو نحوه
بقولهم نقرؤه يأمرنا فيه باتباعك فلما تم تعنتهم وكان لسان الحال طالبا من الله الجواب عنه
أمره الله تعالى بجوابهم بقوله قل سبحان ربي أي تنزه عن أن يكون له شريك في ملكه يطلب منه
ما لا يطلب إلا من الإله فهو تنزيه لله وتعجب منهم لوضوح عنادهم بطلبهم ما لا قدرة عليه إلا للإله
ممن لا قدرة له على شيء منه إلا بإذن الله ولم يدع قط أنه قادر على شيء منه فحسن الاستفهام جدا
في قوله هل كنت إلا بشرا لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر رسولا كما كان من قبلي من الرسل لا أتعدى
ما أمرت به من التبليغ ولا آتي بشيء إلا بإذن الله ولم أقل إني إله حتى يطلب مني ما يطلب من الإله ورتبوا
تعنتهم هذا الترتيب لأنهم حصروا حاله في دعوى أن يكون عظيما بالرسالة أو غيرها ليتبعه الناس
فإن كان الأول كان مقبول القول عند مرسله وحينئذ فإما أن يسأله في نفع عام بالينبوع أو خاص
به بالجنة أن تحل بالعام أو ضرا بالكسف أو يسأله في الإتيان مع جنده لأن يصدقه وإن كانت
عظمته بغير ذلك فإما أن يكون ملكا ليكون له البيت المذكور بما جرت العادة أن يكون تابعا له أو
يكون ممن يجتمع بالملك الذي أرسله فيرقى على ما قالوا ولما أمر بما تضمن أنه كإخوانه من الرسل في كونه
بشرا أتبعه قوله عطفا على فأبى و وقالوا وما منع الناس أي قريشا ومن قال بقولهم لما لهم من
الاضطراب أن يؤمنوا أي لم يبق لهم مانع من الإيمان والجملة مفعول منع إذ جاءهم الهدى أي الدليل
القاطع على الإيمان وهو القرآن وغيره من الأدلة إلا وفاعل منع أن قالوا أي منكرين غاية
الإنكار متعجبين متهكمين أبعث الله أي بما له من العظمة الباهرة من صفات الجلال والإكرام
بشرا رسولا وسبب اتباع الضلال مع وضوح ضره وترك الهدى مع ظهور نفعه وقوع الشبهة
أو الشهوة لضعف العقول وهم أكثر الناس في أوله ثم تقليد الرؤسا وتمكن العادة السيئة فيما بعد
ذلك فلما أنكروا كون الرسول بشرا بعد أن جعلوا الإله حجرا علمه جوابهم بقوله قل لهم قال ربي
لو كان أي كونا متمكنا في الأرض التي هي مسكن الآدميين ملائكة يمشون عليها كالآدميين من
غير طيران كالملائكة إلى السماء مطمئنين باتخاذهم لها قرارا كما فعل البشر لنزلنا أي بما لنا من العظمة
عليهم مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل عليه الصلاة والسلام على الأنبياء من البشر وحقق الأمر
بقوله من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من التلقي منه لمشاكلتهم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لأن
رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم إذ الشيء عن شكله أفهم وبه آنس وإليه أحن وله آلف إلا
من فضله الله بتغليب روحه على نفسه وعقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقي من الملك ولما
نصب البرهان القاطع على أن القرآن للوحي إليه من عند الله ونفى شبهتهم في إنكار كون الرسول بشرا
بأنه ما خرج عن عادة من قبله ممن كانوا مقرين بأنهم أنبياء وبأن الجنس لا يفهم عن جنس آخر فالبشر
لا يفهمون عن الملك إلا بخارقة ولا يكون ذلك إلا للرسل ومن أراد الله من أتباعهم لم يبق إلا محض العناد
الذي لا رجوع فيه إلا إلى السيف عند القدرة وإلى الله عند فقدها وكانت مكة المشرفة غير قادر على
السيف أمره تعالى بالرجوع إليه فقال قل كفى بالله أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما شهيدا أي فيصلا

يكون

يكون بيني وبينكم يعامل كلا منا بما يستحق ثم علل كفايته لذلك بقوله إنه كان بعباده من قبل أن
يخلقهم خبيرا بما يؤول إليه أمرهم بعد إيجاده لهم بصيرا بما يكون من كل منهم بعد وجوده ولما تقدم
أنه سبحانه أعلم بالمهتدي والضال وكان ختم هذه الآية مرشدا إلى أن المعنى فمن علم منه بخبرته
قابلية للخير وفقه للعمل على تلك الشاكلة ومن علم منه قابلية للشر أضله عطف عليه قوله ومن
يهد الله أي الذي له الأمر كله لأنه لا شريك له بخلق الهداية في قلبه وأشار إلى قلة المهتدي
على طريقة الإحسان بإفراد ضميره وإلى كثرة الضال بجمعه فقال فهو أي لا غيره المهتدي
لا يمكن أحدا غيره أن يضله ومن يضلل فهو الضال لا هادي له وذلك معنى قوله فلن تجد لهم أي
للضالين أولياء أي أنصارا في هذه الدنيا من دونه يهدونهم ولا ينفعونهم بشيء أراد الله غيره
ولذلك نفوا أصلا ورأسا لأنه إذا انتفى نفعهم صاروا كالعدم وإذا انتفى الشيء عن الجمع انتفى عن
المفرد من باب الأولى فالآية من الاحتباك خبر الأول يدل على حذف ضده ثانيا ونتيجة الثاني تدل
على حذف ضدها من الأول ولما كان يوم الفصل يوما يظهر فيه لكل أحد في كل حالة من عظمته تعالى
ما يضمحل معه كل عظمة قال ونحشرهم بنون العظمة أي نجمعهم بكره يوم القيمة الذي هو محط الحكمة
على وجوههم يمشون أو يسحبون عليها إهانة لهم فيها كما لم يذلوها بالسجود لنا عميا وبكما
وصما كما كانوا في الدنيا لا ينتفعون بأبصارهم ولا نطقهم ولا أسماعهم بل تكون ضررا عليهم لما ينظرون
من المعاطب ويسمعون من المصائب وينطقون به من المعايب قال الرازي في اللوامع إذ يحشر المرء
على ما مات عليه فلم يكن له في الآخرة شيء لأن حاصل أوله ومبدأه في الدنيا وتمامه في الآخرة انتهى ولما
كان المقام للانتقال من مكان إلى آخر قدم البصر لأنه العمدة في ذلك وثنى بالنطق لأنه يمكن الأعمى
الاسترشاد به وختم بالسمع لأنه يمكن معه وحده نوع رشاد وعطفها بالواو وإن كان لتشريك الكل في
كل من الأوصاف فللتهويل لأن المتكلم إذا نطق بالعاطف ظن السامع الانتقال إلى شيء آخر فإذا أتى
بالوصف كان أروع للعلم بأن صاحبه عريق فيه لما تقدم في براءة وإن كانت للتنويع فلتصويرهم بأقبح
صورة من حيث أنه لا ينتفع فريق منهم بالآخر كبير نفع فكأنه قيل إلى أي مكان يحشرون فقال
مأواهم جهنم تستعر عليهم وتجههم كل واحد منهم يقاسي عذابها وحده وإن كان وجهه إلى وجه صاحبه
لأنه لا يدرك سوى العذاب للختم على مشاعره فباطنها من غربة وبالهلين كربة فكأنه قيل هل يفتر عنهم
عذابها فقيل لا بل هو كل ساعة في زيادة لأنها كلما خبت أي أخذ لهبها في السكون عند انضاجها
جلودهم زدناهم أي بما لنا من العظمة سعيرا بإعادة الجلود ثم بين علة تعذيبهم ليرجع منهم من قضى
بسعادته فقال ذلك أي العذاب العظيم جزاؤهم بأنهم أي أهل الضلالة كفروا بآياتنا القرآنية
وغيرها مع ما لها من العظمة بنسبتها إلينا وكانوا لكل يوم يزدادون كفرا وهم عازمون على الدوام
على ذلك ما بقوا وقالوا إنكارا لقدرتنا أئذا كنا عظاما ورفاتا ممزقين في الأرض ثم كرروا الإنكار
كأنهم على تقصير أمرهم هذا الذي بطلانه أوضح من الشمس بقولهم أئنا لمبعوثون أي ثابت بعثنا
خلقا جديدا فنحن نريهم على هذا الإنكار المكرر الخلق الجديد في جلودهم مكررا كل لحظة كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ثم أتبعه بقاطع في بيان جهلهم فقال منبها على أنهم أولى

بالانكار عاطفا على ما تقديره الم يروا ان الله الذي ابتدا خلقهم قادر على ان يعيدهم **اولم يروا** اي يعلموا العلم بصايرهم علما هو كالروية بعيون ابصارهم لما قام عليه من الدلايل ونادى بصحته من الشواهد الجلايل **ان الله** اي الملك الاعلى المحيط بكل شي قدرة وعلما لا غيره **الذي خلق السموات** جمعها لما دل على ذلك من الحس ولما لم يكن للارض مثل ذلك افردها مريدا الجنس الصالح للجمع فقال **والارض** على كبر اجرامها وعظم احكامها وشدة اجزايها وسعة ارجايها وكثرة ما فيها من المرافق والمعاون التي تميزتها وتبنيهاهم بجدد وتحييها **قادر على ان يخلق** اي يجدد في اي وقت اراد **مثلهم** بدا فكيف بالاعادة وهم اضعف امرا واحقر شانا وانه **وجعل لهم اجلا** لعذابهم او موتهم او بعثهم لانه معلوم في نفسه **لا ريب فيه** بوجه من الوجوه لما تكرر لهم من مشاهدة انه لا توخر نفس اذا جا اجلها وكذا لا تتقدم على اجلها فكم ممن اجتهد الفراغنة الابطال وفحول الرجال في ضره او قتله وهم قاطعون انه في قبضتهم فلم يقدروا على ذلك ثم كان ذلك باضعف الناس او با وهي سبب فعلم بذلك انه المنفرد بالقدرة على الايجاد والاعدام **فابى** اي بلى قد علموا ذلك علما كالمحسوس المرئي فتسبب عن ذلك السبب للايمان ان ابوا هكذا كان الاصل فاظهر تعميما وتعليقا بالوصف فقال **الظالمون** اي ابى هولا المتعنتون لظلمهم **الا كفورا** اي جحودا لعدم الشركة ولما قدم في هذه السورة انه هو المعطي وان اعطاه الجم الذي فات الحصر وفضل عن الحاجة وقامت به الحجة على العباد في تمام قدرته وكمال علمه غير محظور عن احد والنهم يقتلون اولادهم مع ذلك خشية الاملاق وهم يطلبون ان يظهرهم من جنس ما خلق من الينابيع والجنات والذهب والزخرف على كيفيات مخصوصة لغير حاجة ما تقدم ذكره وقد امتنعوا بخلا وانفة وجهلا عن الاعتراف له بما اوجبه عليهم شكرا لنعمته واستدفاعا لنقمته بعد قيام الدلايل وزوال الشبه فلا ابخل منهم لانهم بخلوا بما يجب عليهم من الكلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ابخل الناس من بخل بالسلام امره ان ينبههم على سفههم في ذلك بقوله **قل لو** ولما كان من حق لو الدخول على الافعال علم ان بعدها فعلا من جنس ما بعد تقديره تملكون ولكنه حذفه وفصل الضمير لان المقصود الحكم عليهم بادي بدء فقال **انتم** اي دون غيركم **تملكون خزاين** عبر بصيغة منتهى الجموع لان المقام جدير بالمبالغة **رحمة** اي ارزاق واكرام **ربي** المحسن الي بانباي جميع ما ثبت امري واوضحه وهي مقدوراته التي يرحم بها عباده بافاضتها عليهم **اذن لامسكتم** اي لوقع منكم الامساك عن الانفاق في بعض الوجوه التي تحتاجونها **خشية** عاقبة **الانفاق** اي الموصل الى الفقر ثم استدل على صحة هذا المفروض بالمشاهد من مضمون قوله **وكان** اي جبلة وطبعا **الانسان** اي الذي من شانه الانس بنفسه فهو لذلك لا يتعقل الامور حق عقلها **قتورا** اي بخيلا ممسكا غاية الامساك لا مكان ان يكون فقيرا فلا تراه الا مضيقا في النفقة على نفسه ومن تلزمه نفقته شديدا في ذلك وان اتسعت احواله وزادت على الحد امواله لما فيه من صفة النقص اللازمة بلزوم الحاجة له طبع على ذلك فهو في غريزته بالقوة فكلهم يفعله الا من وفقه الله فتغلب عقله على هواه وقليل ما هم اي فاذا كان هذا امركم فيما تملكونه مع الحاجة الى الوجوه المنفق فيها فكيف تطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يملكه ولا ادعى القدرة عليه او من الخالق الحكيم ان يفعل ما تتعنتون به عبثا لغير حاجة اصلا لانه ان كان لاثبات قدرته فانتم لا تمترون فيها وان كان لاثبات رسالة نبيكم فقد ثبتت بامور اعظمها هذا

القران الذي من انفا اقامة الدليل عليها به وهتك استار شبهتكم في استبعاد كون الرسول بشرا والله تعالى قد اكرمكم بنبيكم عن ان يعاجلكم بالاستيصال عند العصيان بعد كشف الغطا كما جرت به سنته في جميع الامم وان كان لاثبات غناكم فهو شي لا يغني نفوسكم ويردها عن طلب المزيد وعن التقتير لما طبعتم عليه بل تكونون عند حصول ذلك لكم لحصول الغنى كالمستجير من الرمضا بالنار وهو قد قضى انه يظهر امره على كل من ناواه وان كره الكافرون وقد علم من يومن فيسر له الايمان وجعله عونا لحزب الرحمن ومن لا يومن فهو يجعله مع اوليا الشيطان ويذيق اهل الهوان ويجعلهم وقودا للنيران فلم يبق بعد هذا كله في اجابتكم الى تعنتكم الا العبث الذي هو سبحانه متعال عنه فلا وجه يحصل به الانسان الغنى الا اتباع السنة والانسلاخ عن الهوى فمن وصل الى ذلك استوى عنده الذهب والحصبا ولما قدم سبحانه ان اكثر الناس جحدوا الايات لكونه حكم بضلالهم ومن حكم بضلاله لا يمكن هداه وختم بان من جبل على شي لم ينفك عنه شرع يسلي نبيه صلى الله عليه وسلم بما اتفق لمن قبله من اخوانه الانبيا مع التنبيه على انه يجود بالايات على حسب المقتضيات وعلى ان خوارق العادات لا تنفع في ايمان من حكم عليه بالضلال وتوجب كما سنه الله اهلاك من عصى بعد ذلك بعذاب الاستيصال فقال عاطفا على قوله ولقد صرفنا للناس **ولقد اتينا** اي بما لنا من العظمة **موسى** بن عمران المتقي المحسن عليه الصلاة والسلام لما ارسلناه الى فرعون **تسع ايات بينات** وهي كما في التوراة العصى ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهايم ثم البرد الكبار التي انزلها الله تعالى مع النار المضطرمة فكانت تهلك كل ما مرت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد ثم الظلمة ثم موت الابكار من الادميين وجميع الحيوان كما مضى ذلك في هذا الكتاب عن التوراة في سورة الاعراف وكانه عد اليد مع العصى اية ولم يعد اليد لانه ليس فيها ضرر عليهم وقد نظمتها اليهود حفظها فقلت عصى قمل موت البهايم ظلمة جراد دم ثم الضفادع والبرد وموت بكور الادمي وغيره من الحي اتاها الذي عز وانفرد وهي ملخصة في الزبور فانه قال في المزمور السابع والسبعين صنع اياته بمصر وعجايبه في مزارع صاعان وجعل انهارهم دما وصهاريجهم لكيلا يشربوا الما ارسل عليهم الهوام وذباب الكلاب فاكلهم الضفادع وافسدهم اطعم القمل ثمارهم والجراد كدهم كسر بالبرد كرومهم وبالجليد تينهم اسلم للبرد مواشيهم وللموت اموالهم ارسل عليهم شدة حنقه سخطا وغضبا ارسل ملايكة الشر ثم طرق سخطه ولم يخلص من الموت انفسهم اسلم للموت دوابهم قتل جميع ابكار مصر واول اولادهم في مساكن حام وقال في المزمور الرابع بعد المائة بعد ان ذكر صنايع الله عند بني اسرايل وابايهم بعث جوعا على الارض حطم زرع ارضهم ارسل امامهم رجلا بيع يوسف للعبودية واوثقوا بالقيود رجليه حارت نفسه في الحديد حتى جات كلمته وقول الرب ابتلاه ارسل الملك فاطلقه وجعله رئيسا على شعبه والقاه ربا على بيته وسلطانا على كل ماله ليؤدب اراحنه كنفسه ويفقه مشايخه دخل اسرايل مصر وتغرب يعقوب في ارض حام وكثر شعبه جدا وعلا على اعدايه صرف قلبه ليبغض شعبه ويغدر بعبيده ارسل موسى عبده وهرون صفيه فصنع فيهم اياته وعجايبه في ارض حام بعث ظلمة فصار ليلا واسخطوا كلامه فحول مياههم دما وامات حيتانهم وانبعثت ارضهم ضفادع في قباطين ملوكهم امر

الهوام تجاوزباب الكلب والقمل في جميع تخومهم جعل امطارهم بردا واشتعلت النار في ارضهم ضرب كرومهم
وتينهم وكسر شجر تخومهم اذن للجراد فجا وذباب لا يحصى فاكل جميع عشب الارض وثمارها وقتل كل ابكار
مصر واول ولد ولدهم غير انه لم يذكر العصي وكان ذلك لشهرتها خدا عندهم ولان جميع الايات كانت
بها فهي في الحقيقة الاية الجامعة للكل وانما قلت ان الايات هذه لان السياق يدل علي ان فرعون راها
كلها وعاند بعد رويتها وذلك اشارة الي انه لو اعطي كفار قريش ما اقترحوه من تفجير الينبوع وما معه لم
يكفهم عن العناد فالاتيان به عبث لا مصلحة فيه ولما كان اليهود الذين امروا قريشا بسوال النبي صلي
الله عليه وسلم عن الروح التي مضي الجواب عنها كما في بعض الروايات وعن اهل الكهف وذي القرنين
الاتي بشرح قصتيهما في الكهف نبههم علي سوالهم ان كانوا ابتغوا كلامهم عن امر موسي عليه الصلاة
والسلام في كونه كهذا النبي الكريم صلي الله عليه وسلم في انه بشر مع كونه رسولا وفي كونه اتي بالخوارق وكذب
بها المعاندون فاستوصل المكذب فقال تعالي فاسيل اي يا اعظم خلقنا بني اسرايل اي عامة الذين
نبهوا قريشا علي امر الروح عن حديث موسي عليه الصلاة والسلام او المومنين منهم كعبد الله بن سلام واصحابه
اذ اي عن ذلك حين جاءهم اي جا اباهم فوقع لهم من التكذيب بعد اظهار المعجزات الباهرات ما وقع لك
ولم يكذب لخلل في امره ولا لقوة من عدوه علي مدافعة العذاب وانما كان جهلا وعنادا او البكور خلك
مسلاة لك وعلما علي خبث طباعهم وحجة قاطعة عليهم فقال اي فذهب الي فرعون فامره بارسالهم
معه فابي فاظهر له الايات واحدة بعد اخري فتسبب عن ذلك ضد ما تقتضيه وهو ان قال له
فرعون عتوا واستكبارا اني لاظنك اكد قوله لما اظهر موسي عليه الصلاة والسلام مما يوجب الاذعان
له والايمان والانكار لان يكذبه احد يا موسي مسحورا اي فكل ما يتشا عنك فهو من اثار السحر الذي
بك خيال لا حقيقة له وانت في الحقيقة مسحور ولوجود السحر عنك ساحر قال ابو عبيد كما يقال ميمون
بمعني يامن وكانه موه علي جنوده لما اراهم اية اليد بعد الشبهة وهذا كما قال قريش ان تتبعون الا
رجلا مسحورا او قالوا في موضع اخر ساحر فانهم ربما اطلقوا اسم المفعول مريدين اسم الفاعل مبالغة في
انه كالمجبر علي الفعل وفي الامر بسوال اليهود تنبيه علي ضلالهم قال الشيخ ولي الدين الملوي ولعل منه
اقتباس الايمة في المناظرة مطالبة اليهود والنصاري ونحوهم باثبات نبوة انبيايهم بكل طريق يسلكون
يسلك مثله في تقرير نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وكل اعتراض يوردونه يورد عليهم مثله وما كان جوابا لهم
فهو جواب لنا ومن تفطن للاية الكريمة راي منها العجب في ذلك انتهي ولم يومن فرعون علي تواتر تلك
الايات وعظمها فكانه قيل فما قال موسي عليه الصلاة والسلام فقيل قال لفرعون لقد علمت اي انا
بضم التا علي قراءة الكساي لتفيد ان عنده العلم القطعي بان ما اتي به منزل من ربه فهو اعقل اهل ذلك الزمان
وليس علي ما ادعاه فرعون او بفتح التا علي قراءة الباقين اي انك يا فرعون صرت بما اظهرته انا من الادلة
في عداد من يعلم انه ما انزل علي يدي هولا الايات الا رب السموات والارض اي خالقهما ومدبرها
حال كون هذه الايات بصاير اي بينات ثابتا امرها عليا قدرها يبصر بها صدقي واما السحر فانه
لا يخفي علي احد انه خيال لا حقيقة له واني اي وان ظننتني يا فرعون مسحورا لاظنك اكد لما كان من فرعون
ممن ينكر قوله ويظهر القطع بسعادة فرعون يا فرعون مثبورا اي ملعونا مطرودا مغلوبا مهلكا ممنوعا

من

من الخبر فاسد العقل وظني قريب الي الصحة بخلاف ظنك لعنادك لرب العالمين لوضوح مكابرتك
للمبصاير التي كشف عنها وبها الغطا فهي اوضح من الشمس وذلك لاخلادك الي الحال التي انت بها
وكسلك عن الانتقال عنها الي ما هو اشرف منها وقد بينت مدار تبري في لا تثريب في سورة يوسف عليه
الصلاة والسلام فاذا راجعتها اتضح لك ما اشرت اليه فاراد اي فتسبب عن هذا الذي هو موجب
الايمان في العادة الا ان فرعون اراد ان يستفزهم اي يستخف موسي ومن امن معه ويخرجهم فيكونوا
كالما اذا سال من قولهم فز الجرح سال من الارض بالنفي والقتل للتمكن من استعباد الباقين كما اراد
هولا ان يستفزوك من الارض ليخرجوك منها للتمكن مما هم عليه من الكفر والعناد ثم لياخذ بجذورهم سطواته
بما فعل بمن كانوا اكثر منهم واشد فقال فاغرقناه اي فتسبب عن ذلك ان رددنا بما لنا من العظمة كيده
في نحره فلم نقدره علي مراده واستفززناه نحن فلم يقدر علي الامتناع بل خف غير عالم بما نريد به حتي ادخلناه
في البحر حيث ادخلنا بني اسرايل فانجيناهم واغرقناه ومن معه جميعا كما جرت به سنتنا فيمن عاند بعد
ان راي الخوارق وكفر النعمة وافرط في البغي بعد ظهور الحق فليحذر هولا مثل ذلك ولا سيما اذا اخرجنا
رسولنا من بين ظهرانيهم ففي هذه الاية وامثالها بشارة له باسلافنا له في النصرة والتمكن سبيل اخوانه
من الرسل عليهم الصلاة والسلام وقلنا اي بما لنا من العظمة التي لا يتعاظمها شي ولما كان هذا القول غير
مستغرق لزمان البعد اثبت الجار فقال من بعده اي الاغراق لبني اسرايل الذين كانوا تحت يده
اذل من العبيد لتقواهم واحسانهم اسكنوا الارض اي مطلق الارض اشارة الي ان فرعون كان يريد
محوهم عن الارض اوالي ان سكناهم مع وجوده كانت عدما لما بهم من الذل او الارض التي اراد ان يستفزهم
منها وهي ارض مصر اي صيروا بحيث تسكنونها الابد لا حد عليكم ولا مانع لكم مما تريدون منها كما كان فرعون
وجنوده اذ اشبتم مملكين فيها بعد ان كنتم عبيدا تسامون سو العذاب فاذا جا اي مجيا محققا وعد
الاخرة اي القيمة بعد ان سكنتم الارض احيا ودفنتم فيها امواتا جينا اي بما لنا من العظمة بكم منها لفيفا
اي بعثناكم واياهم مختلطين لا حكم لاحد علي اخر ولا دفع لاحد عن اخر علي غير الحالة التي كانت في الدنيا ثم
ميزنا بعضكم عن بعض ونعمنا الطيب منكم باهانة الخبيث ان يسيل بنو اسرايل الذين يقبل هولا المشركون
الجهلة كلامهم ويستنصحونهم في امورهم عن هذا الذي تلوناه عليك يخبروا به كما اخبرنا كي يثبت حينيذ
عندهم امر الاخرة والا كان قبولهم لبعض كلامهم دون بعض بغير دليل تحكما وترجيحا من غير مرجح
ولما ثبت امر الحشر باثبات القدرة علي كل ممكن تارة وباخبار بني اسرايل الذين الزموا انفسهم
قبول كلامهم وقطع المقاوز اليهم لسوالهم عن بعض الامور اخري ثبت ان هذا القران الخبر بذلك حق
وكانوا قد سالوه عن المسايل المذكورة فاجابهم عن ولها وهي الروح بامر مجمل وعقبه بانهم سالوه في اشيا
اقترحوها وقالوا لن نومن لك حتي تفعلها واشار تعالي بالاخبار عن ايات موسي عليه الصلاة والسلام
الي انه لم يترك اجابتهم بخلا ولا عجزا فانها من جنس ما سالوا من التصرف في المياه تارة بانزالها وتارة
بتبديلها وما الموجب للقدرة علي انبات الاشجار بها ومن اسقاط السما كسفا باسقاط البرد المهلك
فثبت بذلك صحة الاخبار بتصريف الامثال في هذا الكتاب فعطف علي قوله ولقد صرفنا قوله
وبالحق اي من المعاني الثابتة التي لا مرية فيها لا بغيره انزلناه نحن اي القران وهذا الذي اخبرنه

بالحشر لبني اسرايل بملتفين بالقسط وبما نزله على ما لنا من العظمة **وبالحق** لا بغيره **نزل** هو ووصل اليهم
على لسانك بعد انزاله عليك كما انزلناه سوا غضا طريا محفوظا لم يطرا عليه طاري فليس فيه شي من تحريف
ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين يسيلهم قومك فافاد هذا ان القران معجز بكونه حقا مع اعجازه
بالبلاغة في تصريف الامثال وغيرها من نظم المقال **وما ارسلناك** اي بما لنا من العظمة **الا مبشرا**
ونذيرا على غاية التمكن في كل من الوصفين بما اشار اليه الواو والصيغة تبلغهم ما فيه من بشارة لمن امن
بذلك اليوم ونذارة لمن لم يومن به فان قبلوا فهو حظهم وان لم يقبلوا كان عليهم وزرهم ولم يكن عليك لوم
فانا ما ارسلناك عليهم وكيلا وسنزهق باطلهم بهذا الحق لا محالة فلا تستعجل لهم ان الباطل كان زهوقا
ولم نرسلك لتجبر لا انهاد ولا اثبات الاستنجاد ثم اخبر ان الحكمة في انزال القران منجما فقال **وقرانا** اي
وفصلنا او وانزلنا قرانا **فرقناه** اي انزلناه منجما في اوقات متطاولة وميزناه بالحقيقة عن كل باطل
وبالاعجاز عن كل كلام **لتقراه على الناس** اي عامة كل من امكنك منهم فانك مرسل اليهم كلهم ولما كانوا لما هم من
النوس في غاية الزلزلة لا يتهذبون الا في ازمان طويلة وعلاج كبير قال مشيرا الى ذلك **على مكث**
اي تؤده وترسل بان تقرا منه كل نجم في وقته الذي انزلناه فيه في مدة ثلاث وعشرين سنة **ونزلناه**
من عندنا بما لنا من العظمة **تنزيلا** بعضه في اثر بعض مفرقا بحسب الوقايع لانه اتقن في فصلها واعون على
الفهم لطول التامل لما نزل من نجومه في مدة ما بين النجمين لغزارة ما فيه من المعاني وكثرة ما تضمنه
من الحكم وذلك ايضا اقرب للحفظ واعظم تثبيتا للفواد واشرح للصدر لان اخبار الحبيب اذا كانت متواصلة
كان المحب كل يوم في عيد بهنا جديد فعلنا بك ذلك لما تقدم من ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
فلما طالت الدلايل وزالت الشبه وعلم ان الحظ لمن اقبل والخيبة لمن ادبر امره ان يقول منبها لهم على
ذلك مبكتا لهم بتقاعسهم عنه وعنادهم فيه بقوله **قل امنوا به** اي القران **او لا تومنوا** فالايمان به غير
محتاج اليكم ولا موقوف عليكم لانكم ان امنتم به كان لحظكم والا لم تضروا الا انفسكم وهو احتقار لهم حيث
صرف لهم من كل مثل فابوا الا كفورا وما علا ذلك بما يقبل كل ذي لب لبه فان كان لقتل فهو تسلية له صلى الله
عليه وسلم وان كان لما بعدها فهو تبكيت لهم وتحقير فقال **ان الذين اوتوا العلم** وبني للمفعول دلالة على
ان العلم الرباني وهو العلم في الحقيقة من اي موت كان حاثا على الايمان بهذا القران وتنبيها على ان من
كان بعلم ولا يحمله علمه على الايمان بهذا الكتاب الذي لا شي ابين من حقيته بمصادقته لكتب الانبيا الذين
ثبتت رسالاتهم ومضت عليها الدهور واطمانت بها النفوس وزيادته عليها بما اودعه الله من الاعجاز
والحكم فعلمه كلا علم بل هو اجهل الجهلة سوا كان ممن سالتموه عني او من غيرهم كما سياتي ان شا الله تعالى تحقيقه
في الزمر ولما كان المراد ان من اتصف بهذا الوصف ولو زمنا يسيرا انتفع ادخل الجار فقال مرغبا في العلم
ليحمل على الايمان بالقران **من قبله** اي قبل انزاله ممن امن من بني اسرايل الذين امرني الله بسوالهم تسميعا لكم
وتثبيتا لكونكم اقبلتم عليهم بالسوال وجعلتموهم محط الوثوق **اذا يتلى** اي من اي تال كان **عليهم** في وقت من
الاوقات ينقلهم من حال الى حال فيرقيهم في مدارج القرب ومعارج الكمال الى اعلى الرتب بانهم **يخرون**
اي يسقطون بسرعة واكد السرعة وافاد الاختصاص بقوله **للاذقان** باللام دون الى او على دالا
بالاذقان على انهم من شدة ما يحصل لهم من الخشوع يسقطون سقوط من ليس له اختيار واول ما يلاقي الارض

ممن

ممن يسقط كذلك ذقنه وهو مجتمع اللحيين من منبت لحيته فان الانسان مجبول بالطبع على صيانة وجهه
فهو يرفع راسه فتصير ذقنه وفمه اقرب ما في وجهه الى الارض حال السقوط ولهذا قال شاعرهم
فخر صريعا لليدين وللفم ثم بين ان ذلك ليس سقوطا اضطراريا من كل جهة بقوله **سجدا** اي يفعلون
ذلك لما يعلمون من حقيته بما ادتوا من العلم السالف وما في قلوبهم من الاذعان والخشية للرحمن
ويقولون اي على وجه التجديد المستمر **سبحان ربنا** اي تنزه الموجد لنا المدبر لامورنا المحسن الينا
عن شوايب النقص لانه وعد على السنة رسلنا ان يبعثنا بعد الموت ووعده الحق فلا بد ان يكون ووعد
ان ياتي بهذا الكتاب على لسان هذا النبي العربي واو صل هذا الوعد الينا في الكتب السالفة فانجز
ما سبق به وعده **ان** اي انه **كان** اي كونا لا ينفك **وعد ربنا** اي المحسن الينا بالايمان وما يتبعه من
وجوه العرفان **لمفعولا** دون خلف ولا بد ان ياتي جميع ما اوعد به من الثواب والعقاب وهو تعريض
بقريش حيث كانوا يستهزيون بالوعيد في قولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا ونحوه مما
معناه الطعن في قدرة الله القادر على كل شي **ويخرون** عند تكرار سماعه **للاذقان** مع سجودهم
يبكون ويزيدهم تكراره **خشوعا** اي خضوعا وتواضعا واخباتا فان كان سوالكم اياهم لتومنوا
اذا اخبروكم انه على الحق فامنوا وان كان لغير ذلك فقد تبين سفهكم وضعف امركم وشؤم رايكم
وعبر في البكا بالفعل اشارة الى تجدده في بعض الاحيان لما لهم في بعضها من السرور ببعض ما ابيح
من الملاذ وفي السجود بالاسم اشارة الى دوام خضوعهم بالسجود المشروع او بمطلق الخضوع وسياتي
في سورة مريم ما يزيده وضوحا ولما كان ايمان اهل العلم الاول به واذعانهم له وتركهم لاديانهم
التي اخذوها عن الانبيا الاتين اليهم بالكتب لاجله بعد اقامة الدليل القاطع على انه من عند الله
موجبا لكل من له ادنى انسانية ان يومن به ويقبل عليه ويدعو من انزله دون غيره دايما لا في
اوقات الشدة فقط واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكانت اوقات الاجابة
اولى بالدعا من غيرها وكانت حالة السجود لا سيما مع البكا والخشوع اولاها اقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد كان المعاندون من العرب كانهم قالوا لان ذلك من شانهم ومن حججهم بعد ما قام
من الادلة امنا فعلمنا كيف ندعوا وباي اسم نعتقد ولما كان الجلالة هو الاسم العلم الجامع لجميع معاني
الاسما الحسنى وكان قد ورد في النحل من التوحيد به ما لم يرد في غيرها لما تقدم من الاسرار مع انه
عدد فيها من النعم ما لم يعد في غيرها ومنها تعليم الانسان البيان وذلك اليق باسم الرحمن الرحمن علم
القران الايات وكانت الرحمة دنيوية واخروية من الخالق ومن الخلايق قد كررت في هذه السورة
ثماني مرات عسى ربكم ان يرحمكم جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما ابتغا رحمة من ربك ربكم اعلم بكم
ان يشا يرحمكم انه كان بكم رحيما الا رحمة من ربك خزاين رحمة ربي وكان ذلك ظاهرا في ارادة عمومها
فكان اسم الرحمن به اليق وقع الجواب بقوله **قل ادعوا الله** اي الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام في
ذات احاطته **او ادعوا الرحمن** في معنى استغراقه بالرحمة اي سموا اي اوقعوا الدعا سمين في حال
دعايكم ربكم الذي سبحتموه في السجود باي اسم اردتم مما اذن فيه فاهتفوا بهذا الاسم الدال على الجلال
واستحقاق مسماه الدعا الذاته وبهذا الاسم الدال على الجمال واستحقاقه الدعا لانعامه مطلقا

وفي حالة السجود **ايا ما تدعوا** اي به من اسمايه فقد خلصتم به على القصد فان المسمى واحد وان تعددت
اسماوه الدالة على الشرف ولما كان في الرحمن جمال ظاهر في باطنه جلال لان عموم الرحمة لبعض نعمة
ولبعض استدراج ونقمة فكان لذلك جامعا لجميع الاسما الحسنى والصفات العلى سبب عن ذكر كل من
الاسمين العلم الجامع والوصف الواقع موقعه قوله **فله** اي للمسمى بهذين الاسمين وحده وهو الواحد
الاحد **الاسما الحسنى** هذان الاسمان وغيرهما مما ورد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو دال على التمجيد
والتحميد والتقديس والتعظيم بهذا الضمير استخدام وقد تضمن هذا القول ان معنى اسم الرحمن اشمل
من اسم الرحيم وان كان بنا كل منهما للمبالغة قال الامام ابو الحسن الحرالي في شرحه للاسما الحسنى
الرحمانية استغراق الخلق بالرحمة في انشايهم والرحيمية اجرا الخلق على ما يوافق حسبهم وملايم
خلقهم وخلقتهم ومقصد افيد تهم فاذا اختص ذلك بالبعض كان رحيمية واذا استغرق كان رحمانية
ولاستغراق معنى اسم الرحمن لم يكن لتمام معناه وجود في الخلق فلم يجر حق على احد منهم وانما يوجد فيهم حظ
خاص من معناه يجري عليهم به اسم الرحيم لا اسم الرحمن فلذلك لحق اسم الرحمن في معنى استغراقه باسم الله
في ذات احاطته فقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فاذا تحقق القلب اختصاصه بالله علما كان
اصلا للفظ به قولا نعلمت انه لا رحمان الا الله كما انه لا اله الا الله ولحق باسم الاله فقد علم فقد التمام
لمعناه في الخلق كما قد فقد اصل علم الاعتبار من معناه في اسم الاله والتوحيد في اسم الرحمن واجب لا حق
بالخوض في توحيد الاله ولذلك ولي اسم الله في موارده في الكتب وفي هذا التحديد اي الوارد في حديث
الترمذي والبزار وغيرهما من اسما الله الحسنى عن ابي هريرة رضي الله عنه انتهى وقدم في اخر الحجر ما ينفع هنا
ولما ذكر السجود وعقبه بالدعا اشار الى انه في كل حالة حسن وفي الصلاة اولى واحسن بعد ان ذكر
قريبا الصلوات الخمس وكان ربما فهم من قوله ان قران الفجر كان مشهودا ومن قوله اذا تتلى عليهم قوة
الجهر به قال تعالى **ولا تجهر بصلاتك** اي بقراتك فيها وسمى القراة صلاة لانها شرط فيها جهرا
قويا حتى تسمعه المشركون فان المخالفين قد عرف عنادهم فلا تومن سبهم للقران ولمن انزله ولمن
جا به بل كانوا يفعلون ذلك ويلغون وربما صفقوا وصفروا ليغلطوا النبي صلى الله عليه وسلم ويخلطوا
عليه قراته **ولا تخافت** اي تسر **بها** اسرار ابليغا كانك تناظر فيه اخر بحيث لا تسمع من وراك
ليلخذوا عنك **وابتغ** اي اطلب بغاية جهدك **بين ذلك** اي الجهر والمخافتة التي افهمت اداة البعد
عظمة شانها **سبيلا** اي طريقا وسطا وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه
الاية قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقران
فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جا به فقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولا تجهر بصلاتك اي بقراتك فيسمع المشركون فيسبوا القران ولا تخافت بها عن اصحابك فلا تسمعهم
انتهى اطلق هنا اسم الكل على الجز اشارة الى ان المقصود الصلاة وفيما تقدم اسم الجزء على الكل لان
المقصود الاعظم هناك القراة في الفجر وروى البخاري عن عايشة رضي الله عنها ان هذه الاية نزلت
في الدعا وقد تقدم غير مرة انه ليس ببدع ان يكون للشي اسباب كثيرة ولما تقدم احاطة هذين
اما الله فبجميع معاني الاسما الحسنى واما الرحمن فبالرحمانية المامور بالدعا بهما كل مخاطب خصه صلى الله

عليه

عليه وسلم بالامر بالتحميد الذي معناه الاحاطة واسمه صلى الله عليه وسلم مشتق منه لاتصافه به حامدا
ومحمودا وبالتكبير عن كل ما يتوهمه العباد من اسمايه الحسنى فقال **وقل الحمد** اي الاحاطة بالاوصاف
الحسنى **لله** اي الملك الاعظم **الذي لم يتخذ** لكونه محيطا بالصفات الحسنى **ولدا** فان ذلك لا يكون
الا للحاجة وبالحاجة وهي من اسوء الاوصاف **ولم يكن** اي يوجد بوجه من الوجوه **له شريك في
الملك** لا ولد ولا غيره فان ذلك لا يكون الا للعجز **ولم يكن له ولي** اي ناصر اعم من ان يكون ذلك
الناصر ولدا او شريكا او غيره ثم قيده واصفا بقوله **من الذل** افهاما بان له اوليا جاد عليهم
بالتقريب وجعلهم انصار الدينه رحمة منه لهم لا احتياجا منه اليهم **وكبره** عن ان يشاركه احد في شي
من الاشيا وعن كل ما يتوهمه فاهم ويصفه به واصف والتكبير ابلغ لفظ للعرب في معنى التعظيم
والاجلال قاله ابو حيان قال واكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه اي فقال **تكبيرا** عن
ان يدرك احد كنه معرفته او يجهله احد من كل وجه بل احتجب سبحانه بكبريايه وجلاله فلا يعرف
وتجلى باكرامه وكماله فلا ينكر فكان صريح اتصافه بالحمد انه تعالى متصف بجميع صفات الكمال
وصريح وصفه بنفي ما ذكر انه منزه عن شوايب النقص وانه اكبر من كل ما يخطر للعباد للطبو عين
على النقص المجبولين على غرايز العجز ولذلك وغيره من المعاني العظمى سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه
الاية اية العز كما رواه الامام احمد عن سهل عن ابيه رضي الله عنهما وذلك عين ما افتتحت به
السورة من التنزيه وزيادة والله الموفق هذا اخر الجزء الثالث من المناسبات
وجدت في النسخة التي نقلت منها هذه النسخة ما مثاله قال مولفه رحمه الله تعالى في اخر هذا الجزء
ونقلت من خطه ما لفظه فرغت من تبييض هذا الجزء من المسودة الثانية في الثاني عشر من
شهر ربيع الاخر من سنة سبع وسبعين وثمانماية بعد ان كنت بيضت اصله من المسودة
الاولى في سنة سبع وستين والله المسول في ان يعين على اكمال تبييضه ويوزعني شكر
معطيه ومفيضه قال ذلك مغتنيه افقر الخلايق الى عفو الخالق ابو الحسن ابرهيم بن عمر بن حسن
الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي لطف الله بهم وكان الفراغ منه بالخلوة العليا من
ماذنة جامع الظاهر بالحسينية من القاهرة المعزية جبرها الله تعالى الحمد لله رب العلمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل
انتهى لفظه بحروفه رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم قال احوج الخلايق الى عفو الخالق ابو الحسن ابرهيم بن عمر بن حسن الرباط علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي لطف الله به امين

سورة الكهف

مقصودها وصف الكتاب بانه قيم لكونه زاجرا عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في سبحان من انه لا وكيل دونه ولا اله الا هو وقاصا بالحق اخبار قوم قد فضلوا في ازمانهم وتنق ما وقع الخبر به في سبحان من انه يفضل من يشا ويفعل ما يشا وادل ما فيها على هذا المقصد قصة اهل الكهف لان خبرهم اخفى ما فيها من القصص مع ان سبب فراقهم لقومهم الشرك وكان امرهم موجبا بعد طول رقادهم للتوحيد وابطال الشرك بسم الله الذي لا كفو له ولا شريك الرحمن الذي اقام عباده على اوضح طريق بتعميم الكتاب الرحيم بتفصيل من اختصه بالصواب لما ختمت تلك بامر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد على التنزه عن صفات النقص لكونه اعلم الخلق بذلك بدئت هذه بالاخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراة عن كل نقص منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الاحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلما الاقدمون وعجز عن معارضته الاولون والاخرون الذي هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة والكمال والتنزه والجلال فقال ملقنا لعباده حمده معلما لهم كيف يثنون عليه مفتتحا لهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات الحمد اي الاحاطة بصفات الكمال لله اي المستحق لذلك لذاته ولما اخبر باستحقاقه ذلك لذاته اخبر بانه يستحقه ايضا لصفاته وافعاله فقال الذي ولما كان المراد وصف جملة الكتاب بالاعجاز من غير نظر الى التفريق والتدريج عبر بالانزال دون التنزيل فقال انزل وعدل عن الخطاب بان يقول عليك كما يقول فلعلك باخع لما في كل من الوصف بالعبودية والاضافة اليه سبحانه من الاعلام بتشريفه صلى الله عليه وسلم والتنبيه على علة تخصيصه بالانزال عليه كما تقدم في سورة البقرة فقال مقدما له على المنزل لان المراد الدلالة على صحة رسالته بما الاحتجاج فيه ترتيب الى سوال اليهود ولا غيرهم من تخصيصه بما لا يقدر عليه غيره على عبده واشارة الى انه الذي اسرى به الى الحضرات بجده ليريه من اياته الكتاب الجامع لمعاني الكتب المشار اليه في اخر التي قبلها بما اشير اليه من العظمة كما اتى موسى التوراة الامرة بالعدل في الاحكام وداود الزبور الحادي على الزهد والاحسان على ما اشير اليه في سبحان ولما كان الجامع لا يخلو من عوج او قابلية له الا ان كان من علام الغيوب نفى القابلية والامكان دلالة على انه من عنده لينتفي العوج بطريق الاولى فقال ولم اي والحال انه لم يجعل له ولم يقل فيه عوجا اي شيا من عوج اي بل هو مستقيم في جميع معانيه من غير اختلاف اصلا هاديا الى كل صواب لان العوج بالكسر فقد الاستقامة في المعاني وبالفتح في الاعيان واتبعه حالا اخرى له قيما تصريحا باللازم تاكيدا له وتمهيدا انه مهيمن على ما قبله من الكتب مقيم لغيره وقد مضى في الفاتحة ثم في الانعام عن الامام سعد الدين التفتازاني الشافعي ان كل سورة افتتحت بالحمد فللاشارة الى نعمة من امهات النعم التي هي ايجاد وابقا اولا وايجاد وابقا ثانيا وانه اشير في الفاتحة لكونها ام الكتاب الى الاربع وفي الانعام الى الايجاد الاول وهو ظاهر وفي هذه السورة الى الابقا الاول فان نظام العالم وبقا النوع الانساني

يكون

يكون بالنبي والكتاب انتهى ويويده انه في هذه السورة ذكر انه انتظم باهل الكهف امر من اطلع عليهم من اهل زمانهم ثم بالخضر عليه السلام كثير من احوال ثم بذي القرنين امر جميع اهل الارض بما يسر له من الاسباب التي منها السد بيننا وبين ياجوج وماجوج الذين يكون بهم اذا خرجهم سبحانه فساد الارض كلها ثم ذكر في التي تليها من اهل وده واصفيائه من يتبعهم انتظام العالم بما وفقهم له من طاعته وبصرهم به من معرفته واستمر كذلك في اكثر السور التي اشار فيها الى الايجاد الثاني واتبعها بالتي اشار فيها الى الابقاء الثاني ولما كان الابقاء الاول يقتضي مهلة لبلوغ حد التمييز ثم مهلة اخرى للانتهاء الى حد التكليف واجراء القلم ثم مهلة اخرى يكون فيها العمل والاستعداد لما الاجل كان هذا الوجود من العرض على الرحمن للجزا بالاساءة والاحسان ومهلة اخرى يحسن فيها السابق من للنايق الى ورود مشرع الموت لانتظار اللحوق الى بلوغ ما ضرب سبحانه من الاجال لانزمانه الامهال وقيام الناس اجمعين لرب العالمين وهو البرزخ وكان ما قبل التكليف سببها بالعدم الذي تعالم الكتاب التوحيد والاجتماع على اهل الدين والوفا بما تقدم فيه بعهد الاحكام ودربوا عليه من الحلال والحرام اشير اليه بما بين الفاتحة والانعام التي هي سورة الايجاد الاول من السور الاربع وكان بين الاحتلام كان اول الايجاد الاعدام واشير الى بقية العمر وهو زمان التكليف بما بين الانعام وهذه السورة من السور التي ذكر فيها مصارع الاولين واخبار الماضين تحذيرا من مثل احوالهم لمن نسج على منوالهم وختمت بالتوحيد مقترنا بالتوحيد اشارة الى انه يجب الاجتهاد في ان يختم الاجل باعلى ما يكون من خصال الدين واشير الى مهلة البرزخ بما بين هذه وبين سورة الايجاد الثاني من السور التي ذكر فيها ما يناسب ذلك واكثر فيها من ذكر الموت وما بعده من البرزخ الذي يكون لانقطاع العلايق باجتماع الخلايق لاجل التجلي في رداء العظمة والكشف البليغ عن نفوذ الكلمة والتحلي بالحكم باستقرار الفريقين في دار النعيم او غار الجحيم واكثر فيما بين هذه وبين سبا من البعث كثرة ليست فيما مضى حتى صدر بعضها به وبناها عليه كسورة الانبياء اقترب للناس حسابهم والحج ان زلزلة الساعة شي عظيم ولما لم يكن بين البعث وما بعده مهلة لشي من ذلك عقب بسورة الايجاد الثاني بسورة الابقاء الثاني من غير فاصل ولا حاجز ولا حائل والله اعلم ولما وصف الكتاب بما له من العظمة في جميع ما مضى من اوصافه من الحكمة والاحكام والتفصيل والبيان والخفية والاخراج من الظلمات الى النور والجمع لكل معنى والتبيان لكل شي اتبعه ذكر فائدته مقوما ما لهم من درو المفسدة بالانذار لانه مقامه كما هو ظاهر من سبحان فقال لينذر قصره عن المفعول الاول ليعم كل من يصح قبل الانذار ولو تقديرا وليفيد ان الغرض بيان المنذر به لا المنذر باسا شديدا كائنا من لدنه اي اغرب ما عنده من الخوارق بما في هذا الكتاب الاعجاز اخر الفا من عذاب الدنيا والاخرة كوقعة بدر وغيرها المفيد لاخال الاسلام عليهم وهم كما هو بعد كانوا فيه من القوة وعزه الضعف ويبشر المؤمنين اي الراسخين في هذا الوصف الذين يعملون الصالحات وهي ما امر به خالصا له وذلك الاحسان مفتاح الايمان ان لهم اي خير عمن هم عاملون اجرا حسنا وهو النعيم حال كونهم ماكثين فيه ابدا بلا انقطاع اصلا فان الابد زمان لا اخر له جمعت هاتان العلتان جميع معنى الكتاب فانه لا يكون كذلك الا وقد جمع ايضا جميع شرايع الدين وامر المعاش وامر المعاد وما يعنيهم فعله او تركه او اعتقاده وما يتبع ذلك وذلك هو القيم المستقيم في نفسه المقيم لغيره ولما كان الغالب على الانسان المخالفة للاوامر لما جبل عليه من النقايص كان الانذار اهم فاعاده لذلك ولان المقام له لما مضى في اكثر ما فيه بعض المتعلق لحذوف خص الذي قبلها تنكيتا لليهود والمضلين لهولاء العرب في لمزق المقالتهم فقال وينذر واقتصر هنا على المفعول الاول ليذهب بالفكر في الثاني الذي عبر عنه بما يحتمل تقديره به فيما مضى مطرد كل مذهب فيكون اهول الذين قالوا اتخذ الله اي تكلف كالعظمة التي لا تتناهى لمن يحتاج بتكلف غيره ان اخذ ولدا وهم بعض اليهود والنصارى والعرب قال الاصبهاني وعادة القران جارية بانه اذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كون ذلك البعض اعظم جزئيات تلك الكلي ولم اجعل الاية من جنس لتفصيل الجمل ثم استانف معللا في جواب كانه قال ما لهم خصوا بهذا الوعيد الشديد فقال ما لهم به اي القول من علم اصلا لانه مما

لا يمكن ان يتعلق العلم به لانه لا وجود له ولا يمكن وجوده ثم قرر هذا المعنى واكده بقوله ولا لآبائهم الذين هم مغتبطون بتقليدهم
في الدين حتى فضلا الذي لا يتخيله عاقل ولو اخطا واي تصرف دنيوي لم يتبعوهم فيه تنبيها على انه لا يحل لاحد ان يقول على الله ما لا علم له به
ولا سيما في اصول الدين ثم هول امر ذلك بقوله كبرت اي ما اكبرها من كلمة وصوفظاعة اجترائهم على النطق بها بقوله
تخرج من افواههم اي لم يكفهم خطورها في نفوسهم وترددها في صدورهم حتى تلفظوا بها وكان تلفظهم بها على وجه التكرير بما اشار
اليه التعبير بالمضارع ثم بين ما افهمه الكلام من انه كما انهم لا علم لهم بذلك لا علم لاحد به اصلا لانه لا وجود له فقال ان اي ما يقولون الا كذبا اي قولا
لا حقيقة له بوجه من الوجوه وقال ابن الزبير في برهانه الثابت المشهور ان قريشا بعثوا الى يهود بالمدينة يسألونهم في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجابت يهود بسؤاله عن ثلاثة اشياء قالوا فان اجابكم فهو نبي وان عجز فالرجل متقول فروا فيه رايكم وهي الروح وفتية ذهبوا في الدهر الاول
وهم اهل الكهف وعن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها فانزل الله عليه جواب ما سألوه وبعضه في سورة الاسراء ويسألونك عن الروح الاية
واستفتح تعالى سورة الكهف بحمده وذكر نعمه الكتاب وما انزل بقريش وكفار العرب من الباس يوم بدر وعام الفتح وبشارة المؤمنين بذلك وما
منحهم به من النعيم الدائم وانذار القائلين بالولد من النصارى وعظيم مرتكبهم وشناعة قولهم ان يقولون الا كذبا وتسلية نبيه صلى الله عليه وسلم في امر
جميعهم فلعلك باخع نفسك الاية والتحمت الاية اعظم التحام واحسن التيام الى ذكر ما سال عنه الكفار من امر الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم
كانوا من اياتنا عجبا ثم بسطت الاي قصتهم واوضحت امرهم واستوفت خبرهم ثم ذكر سبحانه امر ذي القرنين وطوافه وانتهاء امره فقال
ويسألونك عن ذي القرنين الايات ثم فصلت بين القصتين مواعظ وايات مستجدة فعلى اتم ارتباط واجل اتساق ومن جملتها قصة رجلين
وجنتي احدهما ومحل الجنتين وما بينهما وكفر صاحبهما واغتراره وهما من بني اسرائيل ولهما قصة وقد فصح هذه الاي منها باعتزاز
احدهما بالدنيا وركونه الى توهم البقاء وتعويل صاحبه على ما عند ربه ورجوعه اليه وانتهاء امره بعد المجاورة الواقعة في الايات بينهما الى
ازالة ما تخيل المفتون بقاءه وصح ذلك كان لم يكن ولم يبق بيده الا الندم والتحسر حين لم يجد بعد عظيم تلك الطائلة سوى الندم على العدم وهذه
حال من ركن الى سوى المالك بعد كل شيء الا وجهه سبحانه وتعالى فان وقال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ثم اعقب بذلك بضرب
مثل الحيوة الدنيا لمن اعتبر وتبصر واعقب تلك الايات بقصة موسى والخضر عليهما السلام عن القصص الثلاث الى تمامها وفي كل ذلك من تاديب
بني اسرائيل وتقريعهم وتوبيخ مرتكبهم في توقفهم عن الايمان وتعنيفهم في تحجيرهم عند سؤالهم كفار قريش بسؤاله عليه السلام عن القصص الثلاث
ان تجاوز العلم وانفرد وابا الوقوف على ما لا يعلمه غيرهم فجاء جواب قريش بما يرغم الجميع ويقطع دابرهم وفي ذكر قصة موسى والخضر اشارة
لهم لو عقلوا وتحريك لمن سبقت له منهم الحسنى وتنبيه لكل موفق في تسليم الاحاطة لمن هو العليم الخبير وبعد تقريعهم وتوبيخهم بما اشير اليه عاد
الكلام الى بقية سؤالهم فقال ويسألونك عن ذي القرنين الى اخر القصة وليس بعد هذه القصص مقصود يناسب ما اردناه ولم يبق الا
السؤال عن وجه انفصال جوابهم وموقعه في السورتين مع ان السؤال واحد وهذا ليس من شرطنا فلنمسك عنه بحول الله الى الموضع ان قدر
انتهى وقد تقدم في سورة الاسراء من الجواب عن هذا ان الروح لما كان من سر الملكوت كالاسراء وبقي انه لما اجمل سبحانه امرها لما ذكر
من عظيم سر وغيب عليهم شغلهم بالسؤال عنها وذكر ما هو من عالمها وطويل عظيمها ومنه كل ما برز الى الوجود من ذلك العالم من الروح
المعنوي الذي به صلاح الوجود كله وهو القرآن العظيم وعظم امره بما ذكر في الاسراء ما اقتضى الحال من ان عظمته ان يدل على اصلاح الوجود
بما جاء به وفصله وقرر من امر السؤالين الباقيين اللذين هما من ظاهر الملك فيما ضم اليهما ما تم به الامر وانتفع به ما ان جليل القدر
تمام الكمال في ذلك ان يكون ما انتظم بها ذلك سورة على حدتها ولما كان امر اهل الكهف من حفظ الروح في الجسد على ما لم يعهد مثله ثم اعادتها
قدم الجواب عن السؤال عنهم ليلي امر الروح وختم بامر ذي القرنين لاحاطة امره بما طاف من الارض ولما جعل من السر على الفضاء شاهدة
الدار وختام امرها وطيها بعد نشرها والله اعلم ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم شفقة عليهم وغيرة على المقام الالهي الذي
ملئ قلبه بتعظيمه خفف عليه سبحانه بقوله فلعلك باخع اي فتسبب عن توليهم عن هذا المباين جدا لما تريد لهم الموجب لاعراضهم عنك

انك تشفق انت ومن براك على تلك الحالة التزاما على من ان تكون قاتلا نفسك من شدة الغم والوجد واسا الحسرة نفرتهم وسرعة
مفارقتهم وعظيم مباعدتهم بقوله على اثارهم اي حين تولوا عن اجابتك فكانوا كمن قد قوضوا خيامهم واذهبوا اعلامهم ان لم يؤمنوا ولما
صور بعدهم صور قرب ما دعاهم اليه ويسر تناوله بقوله بهذا الحديث اي القيم المتجدد تنزيله على حسب التدريج اسفا منك على ذلك والاسف
اشد الحزن والغضب ثم بين ارشاده الى الاعراض عنهم بغير ما يعذر عليه من التبليغ للبشارة والنذارة بانهم لم يخرجوا عن مراده سبحانه وان الايمان
لا يقدر على ادخاله قلوبهم غيره فقال انا اي لا تفعل ذلك لانا جعلنا بما لنا من العظمة ما على الارض من المواليد الثلاثة الحيوان والمعدن والنبات
زينة لها بان حسناه في العيون وابهجنا به النفوس ولولا مضرة الحيوانات المؤذية من الحشرات وغيرها لكانت الزينة بها ظاهرة والظاهر انه لو
اطاع الناس كلهم لذهبت مضرتها فيذهب شينها كما يكون على زمن عيسى عليه السلام حيث تصير لعبا للولدان ولما اضمر بترتيبها الخبر بجعله فقال
لنبلوهم اي نعاملهم معاملة المختبر الذي يسال الحفاد الامر عليه بقوله ايهم احسن عملا اي باخلاص الخدمة لربه فيه ما كنا نعلمه منهم ظاهرا بالفعل
يقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بان من اظهر موافقة الامر فيما نال من الزينة حاز المثوبة ومن اصر على مخالفة الامر بما اتيناه منها
فعل انها الشنعاء استحق العقوبة ولما كان علو الزينة الى حقيقة الحيوة الدنيا من اللهو واللعب ظاهر الموافقة لما طبعت عليه النفوس
من الهوى لم يحتج الى التنبيه عليه باكثر من لفظ الزينة ولما كان دعاؤها الى الزهد فيها والاعراض عنها جملة والاستدلال بها على تمام علم صانعها وشمول
قدرته على اعادة الخلائق كما ابتداهم غير ذلك خفيا لكونه مستورا عن العقول بهوى النفوس نبه عليه بقوله وانا لجاعلون اي بما لنا من العظمة
ثابت انا هذا الوصف انما ما عليها من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه صعيدا اي ترابا بان نهلك جميع تلك الزينة بازالة بطونه
اخضرارها فيزول المانع من استيلاء التراب عليها ثم نسلط عليها الشمس والرياح فنفتتها بذلك الى اصلها ترابا جرزا اي يابسا لا ينبت شيئا
وكذا نفعل بمن عليها تسليط البلى عليه من الحيوان اجلا ما وغيرهم سواء ولما كان من المشاهد اعادة النبات باذن الله بانزال الماء عليه
الى صورة النباتية التي هي الدليل على حياة الموتى بعد مرة ما دامت الارض موجودة على هذه الهيئة طوى ذكر ذلك سترا لهذا البرهان المنير عن
الاغبياء المشغولين بالظواهر علما منه سبحانه بظهوره لاولي البصائر ولما كان هذا من العجائب التي تضاءل عندها العجائب والغرائب التي تخضع لديها الغرائب
وان صار مالوفا بكثرة التكرار والتخلي عن الابصار هذا الى ما لم عن الايات التي تزيد على العد ولا تحصر بحد من خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك احقر ان اصحاب الكهف وان كانت من الامر العجيب محلها في جنب ذلك لان الشيء اذا كثر الفه تكرر العقل فلم يعد عجبا
فنبه على ذلك بقوله عطفا على تقديره اعلمت ان هذا وغيره من عجائب قدرتنا ام حسبت على ما لك من العقل الرزين والراي الرصين ان اصحاب
الكهف اي الغار الواسع المنقور في الجبل كالبيت والرقيم اي القرية او الجبل كانوا هم فقط من اياتنا عجبا على ما لزم من تهويل السائلين
من الفرقة والتهود والعرب في الواقع انهم وان كانوا من العجائب فليسوا بعجب بالنسبة الى كثرة اياتنا بالنسبة الى هذا العجب النباتي الذي لم ... عنهم
عنه بالفكر لما كثرة تكرره فيكم فانه سبحانه اخرج نبات الارض على تباين اجناسه واختلاف انواعه والوانه وتفاوت طبائعه من مادة واحدة
يهتز بالنبوع بهيج الناظرين ويروق المتاملين ثم يوقفه ثم يرده باليبس والتفرق الى التراب فيختلط به حتى لا يميزه عنه بعينه اسراف ثم ينزل الماء
فيختلط بالتراب فيجمعه فيخرج اخضر يانعا يهتز بالنمو على احسن ما كان وهكذا كل سنة فهذا ابلغ من اعجب امر من حفظت اجسامهم من التغير ثم ردت
ارواحهم فيها وقد كان في سالف الدهر يعمر بعض الناس اكثر من مقدار ما لبثوا وهذا الكهف قيل انه في جبال مدينة طرسوس وهو المشهور وقال ابو حيان
قيل هو في الروم وقيل في الشام وقيل في الاندلس قال في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة واكثرهم قد انجرد لحمه
وبعضهم متماسك وقد مضت القرون ولم يجد من علم شانهم ويزعم ناس انهم اصحاب الكهف ونقل عن ابن عطية قال دخلت اليهم سنة اربع وخمسمائة
فرايتهم بهذه الحالة عليهم مسجد وقريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم وهو في خلاء من الارض وبا على قصر من غرناطة مما يلي القبلة اثار مدينة قديمة
يقال لها مدينة دقيوس ونقل ابو حيان عن بعض اهله حين كان بالاندلس ان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون انهم يغلطون في عدهم اي اعدادهم
وان معهم كلبا قال واما ما ذكر من مدينة دقيوس التي بقبلي غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى قال ويترجح ان اصحاب الكهف بالاندلس ...

قلت وفيه نظر والذي يرجح المشهور ما نقل البغوي وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال غزونا مع معاوية بحر الروم فمررنا بالكهف الذي فيه
اصحاب الكهف فاراد معاوية ان يصل الى بلاد الاندلس والله اعلم ولما صغر امرهم بالنسبة الى جليل اياته وعظيم بيناته وغريب مصنوعاته قص قصتهم التي عدوها
عجبا وتركوا الاستبصار على وحدانية الواحد القهار بما هو اعجب العجيب والنبا الغريب فقال اذ اوى اي كانوا على هذه الصفة حين اووا ولكنه
ابرز الضمير لبيان انهم شبان ليسوا بكثيري العدد فليس لهم اسنان استفادوا بها من التجارب في التعلم ما اهتدوا اليه من الدين والدنيا ولا كثرة
فيصولوا بها من يؤذيهم ايقاظا وقعودا فقال الفتية وهم اصحاب الكهف المسؤول عنهم في شبابهم اقبل للحق واهدى للسبيل من الشيوخ
الى الكهف المقارب لقريتهم المشهور بلدتهم فرارا بدينهم كما تاوي انت والصديق الى الغار بثور فرارا بدينكما فقالوا عقب استقرارهم فيه
ربنا آتنا ولما كانت الموجودات مضيئة عن الحق الذي العوائد على ثلاثة في تحكيمات جارية على قوانين العادات وعند ثانيا خارقة للعادات
ولدنيات مستغربة في الامور الخارقات طلبوا العالي فقالوا من لدنك اي من باطن الامور التي عندك مستغربة رحمة اي اكراما تكرمنا
به كما يفعل الراحم بالمرحوم وهيئ لنا اي صيغنا لا تخييبنا احد من امرنا رشدا اي وجها ترشدنا فيه الى الخلاص في الدارين لاجرم صارت
قصتهم على حسب ما اجابهم ربهم بديعة الشان فريدة في الزمان تتحدث بها في سائر البلدان في كل حين واوان ولما اجابهم سبحانه عبر عن ذلك بقوله
فضربنا اي عقب هذا القول وتسببه على اذانهم اي عدناها واسكناها عن السمع وكان صالة ضربنا عليها حجابا بنوم ثقيل لا
تزعجه الاصوات لانه من كان يستيقظ او نائما نوما خفيفا وسمعه صحيحا يسمع الاصوات في الكهف اي المعهود ولما كانت مدة لبثهم تكذبه
بما كان لاهل ذلك الزمان من التحدث عشر بما يدل على التكثير فقال سنين ولما كان ربما ظن ان ذكر السنين للمبالغة لا لاجل بعد النوم عن العادة
حقق الامر بان قال مبينا لانها معرفا ان المراد بجمع القلة هنا الكثرة عددا اي متكاثرة قال الزجاج كل شي مما يعد اذا ذكر فيه العدد ووصف
اريد كثرته لانه اذا قل فهم مقدار عدده بدون التقدير فلم يحتج الى التعديد ثم بعثناهم اي ايقظناهم من ذلك النوم لنعلم علما مشاهدا لغيرنا
كما كنا نعلم غيبا ما جهلوا بيسانا فيقول اي الحزبين هل من عثر عليهم من اهل زمانهم احصى اي حسب وضبط لما اي لاجل علم ما
لبثوا امدا اي وقع احصاؤه لمدة لبثهم فانهم هم احصوا لبثهم فقالوا لبثنا يوما او بعض يوم ثم تبرأوا من علم ذلك وردوه الى عالمه واهل
البلد احصوا ذلك بضرب النقد الذي وجد معهم وغير ذلك من القرائن التي دلتهم عليه وكلهم وان صادق قولهم ما في نفس الامر فقريبا منه فعلى
سبيل الظن والتقريب لا القطع والتحرير لقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا فاذا علم بجهل كل من الحزبين بامرهم وان الله هو المختص بعلم ذلك علم انه المحيط
بصفات الكمال وانه لم يتخذ ولدا ولا له شريك في الملك وان البرزخ كل ما يقع في نومهم وقلما كان الكلام على الاختلاف وقع في مدتهم وكان الحزبان معا هم ومن
خالفهم متقاربين في الجهل بحسابه على سبيل القطع وكان اليهود والذين امروا قريشا بالسؤال عن امرهم تشكيكا في الدين لا يعلمون امرهم على الحقيقة
نبه على ذلك بقوله جوابا لمن كانه قال ايهما احصاه نحن او يقال ولما اخبر بجانب من تلك القصة انها ثانية وهي قصة اهل الكهف مجملا بها بعض
الاجمال بعد اجمال الجواب عن المسالة الاولى وهي الروح كان السامع جديرا بان يتشوف في نفسه الى بيان اكثر من ذلك فيضيق صدره خشية الاقتصار على ما
وقع من ذلك الشمل الاخبار فقال جوابا لمن كانه قال اسال الايضاح وبيان الحق من ذلك الحزبين نحن نقص اي نخبر اخبارا تابعا للاثار هم قوما فعدّ ما
عليك على وجه التفصيل نبأهم اي خبرهم العظيم قصصا ملتبسا بالحق اي الكامل الذي يطابقه الواقع وليس احد غيرنا يقصه الا ملتبسا بباطل
زيادة او نقص فكانه قيل ما كان نبأهم فقال انهم فتية اي شبان امنوا بربهم اي المحسن اليهم الناظر الى مصالحهم الذي تفرد بخلقهم ورزقهم وطرهم
بما وهبهم في اصل الفطرة من العقول الجيدة النافعة وكما دل على الاحسان باسم الرب وكان في فعله معهم من باهر القدرة ما لا يخفى التفت الى مقام العظمة
فقال عاطفا على ما تقديره فاهتدوا بايمانهم وزدناهم بعد ان امنوا هدى بما قذفنا في قلوبهم من المعارف وشرحنا له صدورهم من المواهب التي
حملتهم على ارتكاب العاطب والزهد في الدنيا والانقطاع اليه وربطنا بما لنا من العظمة على قلوبهم اي قويناها فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد
فكانت حالهم في الجلوة كحالهم في الخلوة اذ قاموا حق القيام في ذلك الجيل الكافرين بين يدي طاغيتهم دقيانوس فقالوا مخالفين لهم
ربنا اي الذي يستحق ان نفرده بالعبادة لتفرده بتدبيرنا هو رب السموات والارض اي موجدهما ومدبرهما لن ندعو من دونه

الها

الها بعد ان ثبت عجز كل من سواه والله لقد قلنا اذا اي اذا دعونا من دونه غيره شططا اي قولا ذا بعد مفرط عن الحق جدا ثم شرعوا في
يستدلون على كونه شططا بانه لا دليل عليه ويجوز ان يكونوا لما قالوا ذلك عرض لهم الشيطان بشبهة التقليد فقالوا مجيبين عنها
هؤلاء وان يكونوا قالوا ذلك للملك اتقاذا لمن شرك الجهل وبين المشار اليه بقولهم قومنا اي وان كانوا اسن منا واقوى واجل في
الدنيا اتخذوا اي بمخالفين مع منهاج العقل داعي الفطرة الاولى من دونه الهة اشركوهم معه لشبهة واهية اسقاهم بها الشيطان
ثم استانفوا على طريق التخصيص بما ينبه على انهم مخطئين في عبادتهم الى الان لم ياتوا على ذلك بدليل فقالوا منبهين على فساد التقليد
في اصول الدين وانه لا مقنع فيه بدون القطع لولا اي هلا ياتون الان ولما كانوا بعبادتهم لهم قد انزلوهم محل العلى قال عليهم
اي على عبادتهم اياهم وحققوا ما ارادوا من الاستعلاء بقولهم بسلطان اي دليل قاهر بين مثل ما اتى نحن على تفرد معبودنا
بالادلة الظاهرة والبراهين الباهرة فان مثل هذا الامر لا يقنع فيه بدون ذلك فقد جمعنا الادلة كلها في الاستدلال على تفرد الله باستحقاق
العبادة بانه تفرد بخلق الوجود فتسبب عن عجزهم عن دليل انهم اظلم الظالمين لافتعالهم الكذب على مالك الملوك ومالك اهلاك فلذلك
قالوا فمن اظلم ممن افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعظم كذبا فالاية دالة على فساد التقليد في الوحدانية وكما تدل على
معتقدهم على بطلان ما خالفهم وهم قوم لا يدان لهم بعبادتهم لكثرتهم وقلتهم تسبب عن ذلك هجرتهم لهم ليسلم لهم دينهم فقال تعالى شارحا
لما نعى ارجهم عاطفا على ما تقديره وقالوا ان شاء الله منهم حين خلصوا من قومهم ناجيا لا ترجعوا الى قومكم ابدا ما داموا على ما هم عليه
هذا ان كان المراد قيامهم بين يدي دقيانوس ولذلك كان المراد في القيام الانبعاث بالعزم الصادق لم يحتج الى هذا التقدير واذ اي وحين
اعتزلتموهم اي قومكم وما اي والذي يعبدون الا الله اي الا الذي له صفات الكمال وهذا دليل على انهم كانوا مشركين ويجوز ان
يكونوا سموا الانقياد لذكرها المشية والخضوع بزعمهم لا قضية عبادة فاووا اي بسبب اعتزالكم وهذا دليل اعتقاد العقل الى الكهف
اي الغار الذي في الجبل ينشر اي يحيي ويبعث لكم ربكم الذي لم يزل محسنا اليكم من رحمته ما يكفيكم به لمهم امركم ويهيئ لكم
من امركم الذي تخافون ان يهمكم مرفقا ترتفقون به وهو بكسر الميم وفتح الفاء في قراءة الجماعة وبفتحها وكسر الفاء لنافع وابن عامر
وهذا الجزم من اثار الربط على قلوبهم بما علموا من قدرته على كل شي وحمايته لمن ذب واوى اليه وعبده وتوكل عليه ففعلوا ذلك ففعل الله
ما رجوه فيه جعل لهم حسن رفق به انامهم ثم اقامهم بعد مضي قرون ومرور دهور وهو في ذلك الجبل الذي ناموا فيه وترى لو رايت
كهفهم الشمس اذا طلعت ولما كان حالهم خفيا وكذا حال انتقال الشمس عنهم لم يراقبه ادغم تاء التفاعل نافع وابن كثير وابو عمرو وقطعا عاصم
وحمزة والكسائي فقال تزاور اي تتمايل وتنحرف ولعل قراءة ابن عامر ويعقوب تزور بوزن تحمر ناظرة الى الحال عند نهاية الميل
عن كهفهم بتقلص ظلها بارتفاعها الى ان تزول ذات اليمين اي اذا كنت مستقبل القبلة وانت متوجه اليه او مستقبل الشمس
فيصيبهم من حرها ما يمنع عنهم التعفن والفساد فيحرم بذلك ويمنع سقف الكهف شدة الحرارة المفسدة في بقية النهار واذا
غربت اي اخذت في الميل الى الغروب تقرضهم اي تعدل في مسيرها عنهم ذات الشمال كذلك لئلا تفرحهم شدة الحرارة وتصيبهم
من نافعها مثل ما كان عند الطلوع لئلا يكفهم رطبا ويابسا ويضمن الطيب والنسيم الملايم ما يصونهم من التعفن والفساد فيحرر
بذلك ان باب الغار مقابل لبنات نعش وان الجبل الذي هم فيه شمالي مكة المشرفة ويجوز ان يكون المراد بعلم يخرج من الكهف في شماله
فلا يلزم ذلك وقال الاصبهاني قيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت
كانت على شماله ومادة قرض وليس الا هنا التركيب تدور على القطع ويلزمه الميل عن الشي والعدول فالذي دعته قرضت الشي
بالفتح اقرضه بالكسر قطعته بالمقراض وبغيره لانك اذا وصلته اليه فقد حاذيته فاذا قطعته تجاوزته فانحرفت عنه والقرض
قول الشعر خاصة لانه لا شي من الكلام يشبهه فهو مقطوع منه مائل عنه بما خص به من الميزان وهل مررت بمكان كذا فتقول
قرضته ذات اليمين ليلا اي كان نحو يميني والقرض ما تعطيه من المال لتقضاه لانك قطعته من مالك والقرض بالكسر لغة

فيه عن الكسب والقرض سلفت من احسان او اساءة على التشبيه والتعريض بالمدح والذم لانه يتميز المتكلم فيه تميزا ظاهرا وهما يتقارضان كذا اي كلا منهما مقرض لصاحبه وموف له على ما اقرضه والمقارضة المضاربة لان صاحب المال قطع من ماله والعامل قطع من ربحه حصة لهذا المال وقرض فلان الرباط اذا مات لانه اذا انقطعت حياته انقطع كل رباط له في الدنيا وجاء فلان وقد قرض رباطه اذا جاء مجهودا قد اشرف على الموت كانه اطلق عليه ذلك للمقاربة والمقارضة المشابهة لقطعها العوض وما بين كل المتشاتمين والاقتراض الاغتياب بجمع ذلك معنى القرض ايضا لانه من اغتاب اغتيب وقرض باكرا اذا زال من شيء الى شيء لانه يوصل الكلام قطع الاول وقرض اذا مات والمقارض الزرع القليل لما الازالة على الضعف الكثير او تشبيه بمواضع الاستقاء في الابار القليلة الماء وقال المقارض ايضا الموضع التي يحتاج المستقي الى ان يقرض منها الماء اي يبح اي يدخل الدلو في البئر فيملاها لقلة الماء لانها موضع قطع الماء برفعه عن البئر والمقارض ايضا الجرار الكبار كانها اكبرها وقطع باكثير من الماء وهي التي قطعت دون الصغار وما عليه قرص لي ما يقرض عنه العيون فيستر ولتعد عنه العيون لعدم نفوذها الى جلدها والقرض في السير هو ان تعدل الشي في مسيرك فاذا عدلت عنه فقد قرضته والمصدر القرض واصله من القطع وابن مقرض كمنبر دويبة تقتل الحمام كانها تميت لقطعها احياة الحمام وقرض البعير جرته مضغها وهي قريب لتقطيعها بالمضغ ولقطعها من بطنه بردها الى الحنك للمضغ وكما بين تولي الله حفظهم من حر الشمس بين انه نعشهم بروح الهوى والطفهم بسعة الموضع في فضاء الغار فقال **وهم في فجوة منه** اي في وسط الكهف متسعة وكما شرح هذا الامر الغريب والبناء العجيب وصل به نتيجته فقال **ذلك** اي المذكور العظيم من هدايتهم وما دبروا لانفسهم وما دبر لهم من هذا الغار المستقبل للنسيم الطيب المصون عن كل موذ وما حقق به رجاهم مما لا يقدر عليه سوا ه **من ءايات الله** اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء علما وقدرة وان كان اذا قيس الى هذا القرآن القيم وغيره مما خصصت به هذه الامة كان يسيرا وكما كان انفرادهم بالهدى عن اهل ذلك القرن كلهم عجبا وصل به ما ذا يومل ان يدعبه فقال **من يهد** ولو بايسر هداية بما دل عليه حذف الياء في الرسم **الله** اي الذي له الامر كله بخلق الهداية في قلبه للنظر في الآية التي لا تعود والانتفاع بها **فهو** خاصة **المهتد** في اي زمان كان فلن تجد له مضلا مغويا **ومن يضلل** اضلالا ظاهرا بما دل عليه الاظهار دابعا عن طريق الهدى فهو غير الضال **فلن تجد له** اصلا من دونه لاجل ان الله الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه مواصله **وليا مرشدا** فتجده يرى الآيات بعينه ويسمعها باذنه ويحس بجميع حواسه ولا يعلم انها آيات فضلا عن ان يتدبرها وينتفع بها فالآية من الاحتباك ذكر الاهتداء اولا دليلا على حذف الضلال ثانيا والمرشد ثانيا دليلا على حذف المضل اولا وكما انه بجانبه هذا التشبيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا ان يبخع نفسه عطف على ما مضى بقية امرهم فقال **وتحسبهم ايقاظا** لانفتاح اعينهم للهوا ليكون ابقى لها وكثرة حركاتهم **وهم رقود** **ونقلبهم** في عظمتنا في حال نومهم تقليبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون للنائم **ذات** اي في الجهة التي هي صاحبة **اليمين** منهم **وذات الشمال** لينال نفح النسيم جميع ابدانهم ولا يتأثر ما يلي الارض منها بطول المكث **وكلبهم باسط** واعمال الفاعل هنا لانه ليس بمعنى الماضي لانه حكاية حال ماضية فقال **ذراعيه بالوصيد** اي بباب الكهف او فنائه كما هي عادة الكلاب وذكرهذا الكلب على طول الآباد بجميل هذا الرقاد من بركة صحبة الامجاد ولما كان هذا مشوقا الى رؤيتهم وصل به ما يكف عنه بقوله **لو اطلعت عليهم** وهم على تلك الحال **لوليت منهم فرارا** اي حال وقوع بصرك عليهم **ولملئت** في اقل وقت بايسير امر **منهم رعبا** لما البسهم الله من الهيبة وجعل لهم من الجلالة تدبيرا منه لما اراد منهم **وكذلك** اي فعلنا بهم هذا من آياتنا من النوم وغيره ومثل ما فعلناه بهم **بعثناهم** بما لنا من العظمة **ليتساءلوا** واظهر تاء الافتعال اشارة الى انه في غاية الظهور وكما كان المراد تساؤلا عن اضطرارهم لا تعدوهم قال **بينهم** اي فعلنا بهم في نومهم ويقظتهم فيزدادوا ايمانا وثباتا وايقانا بما يكشف لهم من الامور العجيبة والاحوال الغريبة ويعلم انه لا علم لاحد غيرنا ولا قدرة لاحد سوانا وان قدرتنا

تامة وعلمنا شامل فليعلم ذلك من انكر قدرتنا على البعث وسال اليهود البعداء البغضاء عن نبيه الحبيب الذكي اتاهم بالآيات وارادهم البينات فان كان قد يستنصحون اليهود فليسالوهم عما قصصنا من هذه القصة فان اعترفوا به لزمهم جميعا الايمان والرجوع عن البغي والعدوان وان لم يؤمنوا علم قطعا انه لا يؤمن لان اردنا هدايته بالآيات البينات كاهل الكهف وغيرهم لا بانزال الآيات المقترحات وكما كان المقام مقتضيا لان يقال ماذا تساءلوا ليحصل جيب بقوله **قال قائل منهم** مستفهما لاخوانه **كم لبثتم** نائمين في هذا الكهف من ليلة او يوم وهذا يدل على ان هذا القائل استشعر طول لبثهم بما راى من هيئتهم او بغير ذلك من الامارات ثم وصل به في ذلك الاسلوب ايضا قوله **قالوا لبثنا يوما** ودل على ان هذا الجواب مبني على الظن بقوله دالا على حيث اقرهم عليه سبحانه على جواز الاجتهاد والقول بالظن المخصص وانه لا يسمى كذبا وان كان يخالف الواقع **أو بعض يوم** كما تقولوا انتم عند قيامكم من القيلولة لبثتم الا قليلا لانه لا فرق بين صديق وزنديق في الجهل بما غيبه الله عنه فكانه قيل هل اتى شيء استقرار منهم في ذلك فاجيب بانهم ردوا الامر الى الله بقوله **قالوا** اي قال بعضهم انكارا على انفسهم ووافق الباقون لما عندهم من التحاب في الله والتوافق فيه فهم في الحقيقة اخوان الصفا وخلان الالفة والوفاء **ربكم** المحسن اليكم **اعلم** اي من كل احد **بما لبثتم فابعثوا** اي فتسبب عن اسناد العلم الى الله ان يقال اتركوا الخوض في هذا واشتغلوا بما ينفعكم بان تبعثوا **احدكم بورقكم** اي فضتكم **هذه** التي جمعتموها لمثل هذا **الى المدينة** التي خرجتم منها وهي طرسوس ليات بشيء نتبلغ به فانا جياع **فلينظر ايها** اي اي اهلها **ازكى** اي اطهر واطيب **طعاما** **فليأتكم** ذلك الاحد **برزق منه** لنا كل **وليتلطف** في التخفي بامره حتى لا تفطنوا الى **ولا يشعرن** هذا المبعوث منكم في هذا الامر **بكم احدا** ان تفطنوا ان فقبضوا عليه او ان المعنى لا يقولن ولا يفعلن ما يودي من غير قصد منه الى الشعور بكم فيكون ذلك اشعر بما كان منه من السبب وفي قصتهم دليل على ان حمل المسافر ما يصلحه من النفقة راي المتوكلين لا المتاكلين المتكلين على الانفاق وعلى ما في اوعية القوم من النفقات وفيها صحة الوكالة على ان حمل المسافر ما يصلحه من النفقة ومادة ورق بجميع تراكيبها الخمسة عشر قد تقدم في سورة سبحان وغيرها انها تدور على الجمع فالورق مثلثة وككتف وجبل الدراهم المضروبة تشبيها بالورق في الشكل وفي الجمال دينها جمع حال الانسان وحالها منتقض للجمع والوراق الكثير الدراهم وهو ايضا مورق والكثير من الورق وحرفته الوراقة وما زلت منك موارقا اي قريبا مدانيا اي كالذي يساحلك في قطاف الورق من شجرة واحدة فهو يأخذ من ناحية وانت من اخرى والمداناة اول الجمع والورق محركة جمال الدنيا وبهجتها لانها تجمع الوانا وانواعا ولعل منه الورقة قال في مختصر العين انها سواد في غبرة وحمامة ورقاء منه وفي القاموس والاورق من الابل ما في لونه بياض الى سواد ورأي رجل الغول على جمل اورق فقال جاء بام الربيق على اريق اي بالداهية العظيمة مصغر الاورق كسويد في اسود والاصل وريق فقلبت الواو همزة والاورق ايضا الرماد عام لا مطر فيه واللبن ثلثاه ماء كل ذلك جامع اللونين فاكثر والورق محركة ايضا من الكتاب والسحر معروف لانك لا تكاد تجد واحدة منه على لون واحد ولانه يجمع الواحدة منه الى الاخرى ويجمع معنى ما كتب عليه قال في مختصر العين والورق ادم رقاق منه ورق المصحف والورق ايضا الخبط لانه لما كانت الابل تعلفه كان كانه هو الورق لا غيره والورق الحي من كل حيوان لان الحياة هي الجمال وبها اجتماع الامور ولان الورق دليل على حياة الحي من الشجر فهو من اطلاق اسم الدال على المدلول والورق ايضا ما استدار من الدم على الارض او ما سقط من الجراحة لان الاستدارة اجمع الاشكال وهو تشبيه بورق الشجر في الشكل والورق المال من ابل ودراهم وغيرها لاجتماع حياة الانسان وكماله بذلك كما ان كمال حياة الشجر بالورق ولرعي المال من الحيوان الورق والورق حسان القوم وجمالهم من ذلك لانه يجمع امرهم ويجمع اليهم امرهم والورق من القوم احداثهم او الضعفاء من الفتيان تشبيها بالورق لانه لا يقيم غالبا اكثر من عام ولانه ضعيف في نفسه وضعيف النفع بالنسبة الى الثمرة والورقة بها الخسيس والكريم ضد للنظر تارة الى كونه نافعا للرعي والى كونه غير مقصود بالذات اخرى او رجل ورق وامرأة ورقة خسيسان اي للثمرة لهما ومن ذلك اورق الصائد اذا دمي فاخطا الحياة

اى لم يقع على غير الورق اى لم يحصل له ثمرة بل وقع على شجرة غير مثمرة وكذا اورق القوم اخفقوا فى حاجتهم اى رجعوا بلا ثمرة ومن ذلك
ايضا اورق فوت اكثر ماله وورد اهم ضد هذا بالنظر الى ان الورق جمال الشجر وحياته والتجارة مورقة للمال مجلبة اى مكثرة ومنه قول
القراد فى دراية هذا رجل مورق له دراهم والمورق الذى لا شئ له ضدا وانه تارة تكون للايجاب والصيرورة نحو اغدد البعير وتارة للسلب
نحو اسكته والوراق للكتاب وقت خروج الورق من الشجر وشجرة وريقه وورقة كثيرة الورق والوارقة الشجرة الخضراء الورق الحسنة والورق
كسحاب خضرة الارض من الحشيش وليس من الورق فى شئ وذلك لان تلك الخضرة اذا تحت عن لونها ونحو الزرقة كهذه او انبات النصى والصليان وهما
نباتان افضل مراعى الابل لانهما سبب لحسن المال المرعى ورقة الارض التى تصيبها المطر فى الصفرية اى اول الخريف او فى القيظ فتنبت فتكون خضرا
كاذلك النبات يكون اقل خضرة من نبات الربيع ويكون اختلاطه بغيره من الالوان اكثر مما فى الربيع ومن القوس ورقة بالفتح عيب والورقاء الذئبة
من اجل ان الورق فيه الخاتم على المحمر تقل الرغبة فى شجرة وهو دون المثمر وان الورق مختلط اللون والاختلاط فى كل شئ عيب بالنسبة الى الخالص وتوريت
الناقة اكلت الورق وقار الرجل يقور مشى على اطراف قدميه لئلا يسمع صوتهما لان فاعل ذلك جدير بالوصول الى ما اراد ومما يجمع شمله
ومنه قار الصيد ختله لان اهل الخداع اولى بالظفر الا ترى الى الاسود تصادبه ولو غولبت عن اخذها وقار الشى اخرجه قطعه وسطه
خرقا مستديرا كقوره لان الثوب يصير بذلك الخرق يجمع ما يراد منه والاستدارة اجمع الاشكال كما سلف والقوارة كثمامة ما قورت من الثوب
وغيره او يخص بالاديم وما قطعت من جوانب الشئ وان كان الذى قطع من جوانبه ضد وهو من تسمية موضع الشئ باسمه والقارة الجبل الصغير
الصلب المنقطع من الجبال المشرفة اجتمع الصخر اجزائه بالصلابة واجتماعه فى نفسه بانقطاعه عن غيره مما يخالطه لفرقة ولم يعرف حده على ماهو
والقارة الصخرة العظيمة والارض ذات الحجارة السود لاجتماعها فى نفسها بتميزها عن غيرها بتلك الحجارة والقارة والقور واحدة تشبيها
بقوارة الثوب لانه كلما اتسعت كانت اجمع والقارة الابل والقطيع الضخم منها والاقورار الضمور ولان السمين جمع اللحم تنشج الجلد
وانحناء الصلب من الكبر لان كلا من التشنج والانحناء اجتماع والاقورار الضمور لان الضامر اجتمعت اجزاؤه والاقورار السمن ضد لان
السمين جمع اللحم والشحم والاقورار ذهاب نبات الارض لانه تصير به الكور فتصير اجود بانكسار الجوع ويمكن ان يكون الاقورار
كله من السلب الاما للسمن والقور القطن الحديث او ما زرع من عامه لانه يلين فيجمع البدن ولقيت منه الاقورين بكسر الراء والاقورين
اى الدواهى العظيمة تشبيها بالاقورين من الثوب اى من السلب والقور حركة العين لان محلها يشبه القوارة والمقور كمعظم المطلى بالقطران
لاجتماع اجزائه بذلك وافتار احتاج اى صار اهلا لان يجمع وتقور الليل تهور اى مضى من القطع وتقورت الحية تثنت اى تجمعت و
القار شجر مر كانه الذى تطلى به السفن وهذا القير من هذا استمرارة وان المرارة تجمع اللهوات عند الذوق والقارة قبيلة لان ابن
الشداخ اراد ان يفرقهم فقال شاعرهم ٭ دعونا قارة لا تجفلونا ٭ فنجفل مثل اجفال الظليم ٭ فسموا القارة بهذا وكانوا رماة
وفى المثل قد انصف القارة من راماها والرقوة فويق الدعص من الرمل ويقال رقوة لانها كانه لجمعه الكثير من الرمل المجتمع يطلب
الاشرف على الاماكن البعيدة بالعلو عليه لترويح النفس ولانه الموفى وكما نهوا من الاشعار بهم عللوا ذلك فقالوا **انهم** اى اهل
المدينة **ان يظهروا** اى يطلعوا عالين **عليكم يرجموكم** اى يقتلوكم اخبث قتلة ان تمسكتم بدينكم **او يعيدوكم فى ملتهم**
ان التمتم لهم **ولن تفلحوا اذا** اى اذا عدتم فيها مطمئنين بها لانكم وان اكرهتم يه ما سترجكم الشيطان بذلك الى الاجابة حقيقة
ابدا فبعثوا احدهم فنظر الازكى وتلطف فى الامر فاشترى وامنوا لانهم انكروا ورقه لكونها من ضرب ملك لا يعرفونه فجهروا به فلم يشعرهم
احداث المخالفين وانما اشعر بهم الملك لما راه موافقا لهم لانه لم يتبع النهى عنه **وكذلك** اى فعلنا بهم ذلك الامر العظيم من الربط
على قلوبهم والستر لاخبارهم والحماية من الظالمين والحفظ لاجسامهم على مر الزمان وتعاقب الحدثان ومثل ما فعلنا بهم ذلك **اعثرنا**
اى اظهرنا اظهارا اضطراريا اهل البلد واطلعناهم واصله ان الغافل عن شئ ينظر اليه اذا عثر به نظر اليه فعرفه فكان العثار سببا
لعلمه به فاطلق اسم السبب على المسبب **عليهم ليعلموا** اى اهل البلد بعد ان كان حصل لبعضهم شك فى حشر الاجساد لاعتقاد اليهود

والنصارى ان البعث انما هو للروح فقط **ان وعد الله** اى الذى له صفات الكمال بالبعث للروح والجسد معا **حق** لان قيامهم بعد
نومهم نيفا وثلثمائة سنة مع خرق العادة بحفظ ابدانهم عن الفناء من غير اكل ولا شرب مثل قيام من مات بجسمه الذى كان سواء على ان مطلق
النوم دال على ذلك كما قال بعض العارفين علمك باليقظة بعد النوم علم بالبعث بعد الموت والنوم والبرزخ واحد غير ان للروح بالجسم
فى النوم تعلقا لا يكون بالموت وتستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه وكما كان الحق ما قد يراه خلية شك قال **وان**
اى وليعلموا ان **الساعة لا ريب فيها** مبينا انها ليست موضع شك صلا لما قام عليها من ادلة العقل المؤيد بكل عصر بقواطع النقل
من طالع تفسير الربيون من كتابى هذا حصل له هذا وقاتم بيني ان هنا لا اعتبار انا هم يعلم نافع حال تجاذب وتنازع فقال **اذ**
اى ليعلموا ذلك او اعثرنا حين **يتنازعون** اى اهل المدينة ولما كان التنازع فى الغالب انما يكون بين الاجانب وكان تنازع هؤلاء
مقصورا عليهم كان الاهم بيان محله فقدمه فقال **بينهم امرهم** اى امر انفسهم فى الحشر فقائل يقول يحشر الارواح مجردة وقائل
باجسادها وامر الفتية فقائل يقول ناموا صالحون وناس يقولون لا ندرى كم مرهم على ان اسرار دهر ابيننا بهم **فقالوا** اى فتسبب عن هذا
الاعتبار والتنازع ان قال اكثرهم **ابنوا عليهم** على كل حال **بنيانا** يحفظهم واتركوا التنازع فيهم ثم عللوا ذلك بقولهم **ربهم**
اى المحسن اليهم بهدايتهم وحفظهم وهداية الناس بهم **اعلم بهم** ان كانوا صالحين اولا واما انتم فلا طريق لكم الى علم ذلك
ثم استانف على طريق الجواب لمن كانه قال ماذا فعلوا فقال **قال الذين غلبوا** اى وقع ان كانوا غالبين **على امرهم** اى ظهروا عليه
وعلموا انهم ناس صالحون فروا بدينهم من الكفار وضعف بنيان غيرهم ويجوز وهو حسن ان يكون الضمير لاهل البلد والغالبين انفسهم
اشارة الى ان الرؤساء منهم واهل القوة كانوا اصلحهم ايماء الى ان الله تعالى اصلح بهم اهل ذلك الزمان **لنتخذن عليهم** ذلك البنيان
الذى اتفقنا عليه **مسجدا** وهذا دليل على انهم حين ظهروا عليهم وكلموهم اماتهم اسرع بعد ان علموا ان لهم مدة طويلة لا يعيش
مثلها احد فى ذلك الزمان وقيل ان يقصوا جميع امرهم وفى قصتهم ترغيب فى الهجرة ولما ذكر تعالى تنازع اولئك الذين هدى بهم اعلم
ذكر ما يأتى من افاضة من علم قريشا ان سل النبى صلى الله عليه وسلم عنهم فى الفضول الذى ليس لهم اليه السبيل ولا يظفرون فيه بدليل علماء
اعلام النبوة فقال **سيقولون** اى اهل الكتاب من الخائضين فى الخوض فى ذلك بعد اعلامنا اياهم بما قصصنا عليك من نبأهم
بعد الاختلاف فيهم **ثلثة** اشخاص **رابعهم كلبهم** ولا علم لهم بذلك ولذلك عراه عن الواو فدل اسقاطها على انه ليس
ثلثة وليس الكلب رابعا **ويقولون** اى ويقولون ايضا **خمسة سادسهم كلبهم** ولما تغير قولهم حسن جدا قوله **رجما بالغيب**
اى رميا بالامر الغائب عنهم الذى لا اطلاع لهم عليه بوجه **ويقولون** ايضا دليل على انه لا علم لهم بذلك **سبعة وثامنهم
كلبهم** وتاخيره عن الرجم وان كان ظننا مشعر بانه حق ويؤيده هذا الواو الذى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل
الواو والحال المعرفة فى نحو الاوقها كتاب معلوم فان فائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصال الموصوف بالصفة
امر ثابت مستقر فدلت هذه الواو على ان اهل هذا القول قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن وفى براءة كلام
نفيس على اتباع الوصف تارة بواو وتارة مجردا عنها فلما ظهر كالشمس انه لا علم لهم بذلك كان كانه قيل ماذا يقال لهم فقيل **قل ربى**
اى المحسن الى باعلامى بامرهم وغيره **اعلم بعدتهم** التى لا زيادة فيها ولا نقص فكان كانه قيل قد فهم من صيغة اعلم ان من الخلق
من يعلم امرهم فقيل **ما يعلمهم الا قليل** اى من الخلق وهو مؤيد لانهم اصحاب القول الثالث وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما
وكان يقول انا من ذلك القليل **فلا** اى فتسبب عن ذلك نقول الشعبى سبيل البت الداخل تحت النهى عن قفو ما ليس لك به علم لا
تمار اى تجادل وتراجع **فيهم** احدا ممن يتكلم بغير ما اخبرتك به **الا مراء ظاهرا** ادلته وهو ما اوحيت اليك به ولا تفعل
فعلهم من الرجم بالغيب **ولا تستفت** اى تسئل سؤال تقييد **فيهم** اى اهل الكهف **منهم** اى من الذين يدعون العلم من بنى اسرائيل
او غيرهم **احدا** ولما كان نهيه عن استفتائهم موجبا للقصر همته على ربه سبحانه فى تعرف المعلوم اذا سئل عن شئ التفت بنفسه

الى تعرفه من قبله وبما قال انما يعلم من احاطة علم الله سبحانه وكرمه لديه ساخبركم به غدا كما وقع من هذه القصص علمه الله ما يقول
في كل امر مستقبل يعزم عليه بقوله ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء من الاشياء التي تعزم عليها جليلها وحقيرها من متعلق فعله
عزما صادقا من غير تردد وان كنت عند نفسك في غاية القدرة عليه اني فاعل ذلك الشيء وان كان مهما غدا اي فيما يستقبل في
حال من الاحوال الا قولا كائنا معه ان يشاء في المستقبل ذلك الشيء الله اي معرونا بمشية الملك الاعلى الذي لا امر لاحد
معه سبحانه تعظيما لله ان يقطع شيء دونه واعترافا بانه لا حول ولا قوة الا به ولانه ان قيل ذلك دون استثناء فمات قبل الفعل
او عاقه عنه عائق كان كذبا منفرا عن القائل وكما كان الانسان محل النسيان شأنه الانفصال وهو غير مؤاخذ به قال واذكر ربك اي المحسن
اليك برفع المؤاخذة حال النسيان اذا نسيت الاستثناء بالاستعانة والتوكل عليه وتفويض الامر كله اليه بان تقول ان شاء الله
ونحوها في اي وقت تذكرت واخرج الطبراني في معجمه الاوسط في ترجمة محمد بن الحارث الجبيلي بضم الجيم وفتح الموحدة عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان هذا خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا ان يستثني الا بصلة اليمين ثم عطف على ما افهمه الكلام وهو فقل اذا
نسيت لا فاعل ذلك غدا ان شاء الله ونحوه لان التعليق بالمشية المؤذن بانه لا حول ولا قوة الا بالله ولا مشية لاحد معه قوله
وقل عسى ان يهدين ربي المحسن الي لاقرب اي الى اشد قربا من هذا اي الذي عزمت على فعله ونسيت الاستثناء فيه
فقضاه الله ولم يؤاخذني او فاتني او تعسر علي لكوني لم اقرن العزم عليه بذكر الله رشدا اي من جهة الرشد بان يوفقني
للاستثناء فيه عند العزم عليه مع كونه اجود اثرا واجل عنصرا فاكون كل يوم في ترق بالافعال الصالحة في معارج القدس واقرب
افعل تفضيل من قرب بضم الراء من الشيء لازم لام المكسور الراء للتعدي نحو ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا مال اليتيم الاية وقد كان
من رشد الاستدلال بقصة اهل الكهف التي الحديث عنها على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من الاستدلال على وحدانية
الصانع وقدرته على البعث وغيره بالامور الكلية والجزئيات القريبة المنكرة لا بهذا الامر الجزئي النادر المتعب ونحو هذا من
المعارف الالهية وكما فرغ من هذه الترتيبة في اثناء القصة وختمها بالترجي في الهداية للارشد وكان علم مدة لبثهم ادق واخفى
من علم عددهم شرع في كمالها مبينا لهذا الاخفى عاطفا على قوله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم او على فأووا الى الكهف الذي ارشد الى
تقديره فأووا الى الكهف كما مضى المختوم بنشر الرحمة وتهيئة المرفق بعد عدد امحققا لقوله قل الله اعلم بما لبثوا ولبثوا في كهفهم
نياما ثلث اي مدة ثلاث مائة سنين شمسية بحساب اليهود الذين بهذا السؤال عبر بلفظ السنة اشارة الى دوام اشارة
الى ما وقع فيها من غلق اهل الكفر وطغيانهم بما اوجب خوف الصديقين ومجيئهم وان كان وقع فيها حسنة في النبات وسعة
في الرزق وذلك يدل على استغراق الكفر لمدة نومهم وكما كان المباشرون للسؤال لهم العرب قال وازدادوا تسعا اي من
السنين القمرية اذا حسب الكل بحساب القمر لان تفاوت ما بين السنة الشمسية والقمرية عشرة ايام واحد وعشرون ساعة وخمسا
ساعة كما تقدم في البقرة عند قوله فاذا احسبت زيادة السنين الثلاثمائة الشمسية على القمرية باعتبار نقصان ايامها عنها كانت
تسع سنين وكان مدة لبثهم كانت عند اليهود اقل من ذلك او اكثر فقال على طريق الجواب لسوال من يقول فان قال احد غير هذا
فما يقال قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة اعلم منكم بما لبثوا ثم علل ذلك بقوله له اي وحده غيب السموات
والارض بعلمه كله على ما هو عليه ولا ينسى شيئا من الماضي ولا يعزب عنه شيء من الحاضر ولا يعجز عن شيء من الاتي فلا ريب فيما يخبر به
ولما كان السمع والبصر مناط العلم وكان متصفا منهما بما لا يعلمه حق علمه غيره عجب من ذلك بقوله ابصر به واسمع ولما كان القائم
بشيء قد يقوم غيره مقامه اما بقهر او بتراك نفي ذلك فانتسب باب العلم عن غيره الا من جهته فقال ما لهم اي هؤلاء السائلين
والمسولين الراجمين بالغيب في اصحاب الكهف من دونه واغرق بقوله من ولي يجيرهم منه او يخبرهم بغير ما اخبر به
ولا يشرك اي الله في حكمه احدا فيفعل شيئا بغير امره او يخبر بشيء من غير طريقه وكما تقرر انه لا شك في قوله ولا يقدر

احد ان ياتي بما اتاه فكيف بما ينافيه مع كونه مختصا بتمام العلم وشمول القدرة حسن تحقيقه بقوله عطفا على قل الله اعلم واتل
اي اقرا على وجه الملازمة ما اوحي اليك وبنى الفعل للمجهول لان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على القطع بان الموحي اليه هو مستجاد
من كتاب ربك الذي حسن تربيتك في قصة اهل الكهف وغيرها على من رغب فيه غير ملتفت الى غيره واتبعوا ما فيه واتقين بوعده
ووعيده واثباته ونفيه وعلى غيرهم وكما كان الحامل على الكف عن ابلاغ رسالة المرسل وجدان من ينقضها او يحمي على الامر قال لا مبدل
لكلماته فلا شك في وقوعها فلا عذر في التقصير في ابلاغها والنسخ ليس بتبديل لهذا المعنى بل هو غاية لما كان ولن تجد اي بوجه من
الوجوه من دونه اي ادنى منزلة من رتبة الشمال الى احط المنازل ملتحدا اي ملجأ ومتحيزا تميل اليه وتحميك منه فقصرت في ذلك وكما كان
صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم كثير الاسف على توليهم عنه يكاد يبخع نفسه حسرة عليهم وكانوا يقولون له اذا راوا مثل هذا الوحي
الذي يعجبك له مرتفعا الوطرد عنك هولاء الفقراء وابعدتهم عنك مثل عمار وصهيب وبلال فانه يؤذينا رائحتهم ونانف من مجالستهم
جلسنا اليك وسمعنا منك ورجونا ان نتبعك قال يرغبه في اتباع من زهد فيه من هو كما ذكر يعلمنا انه ليس فيهم مل الجمال من خالف
امر الله وانهم لا يريدون الا تبديل كلماته والله فسيد لهم عن قريب ولا يجدون لهم ملتحدا واصبر نفسك اي احبسها وثبتها في تلاوة وتبيين
معاشرة مع الذين يدعون ربهم شكرا لاحسانه واقرارا بامتنانه وكنى عن المداومة بما يدل على البعث الذي كانت قصة اهل الكهف دليلا
عليه فقال بالغداة التي الانتقال فيها من النوم الى اليقظة كالانتقال من الموت الى الحياة والعشي التي الانتقال من اليقظة الى النوم كالانتقال
من الحياة الى الموت ثم مدحهم بقوله معللا لدعائهم يريدون لعبادتهم وجهه لا غير ذلك من رجاء ثواب او خوف عقاب ولما كانوا
في غاية الرثاثة واكد ذلك بالنهي عن ضده فقال لمؤكد اللفظي بتقصير الفعل وتضمينه فعلا اخر ولا تعد عيناك علوا ونبوا وتجاوزا
عنهم الى غيرهم اي لا تعرض عنهم حال كونك تريد زينة الحيوة الدنيا التي قدمنا في هذه السورة انا زيناها الارض لنبلوهم بذلك فانهم
وان كانوا اليوم عند هولاء موخرين فهم عند الملك الاعلى مقدمون وليكونن عن قريب اذا بعثناهم من رقدة الغفلة الحيوة من برزخ الجهل
في الطبقة العليا من اهل العز واما بعد البعث الحقيقي فليكونن لهم مواكب يابالدنو قدمها كما كان لاهل الكهف بعد بعثهم من هذه الرقدة
بعد ان كانوا خصيانهم قبلها هاربين مختفين في غاية الخوف والذل لطمانه عدة العيلة امر لما غفل عنه من الزكو واخل به من الشكر فليس ذلك
من النهي عن شيء لانه لم يرد به الا الاخرة وكما بالغ في امره صلى الله عليه وسلم بمجالسة المسلمين نهاه عن الالتفات الى الغافلين واكد الاعراض
عن التاكيين فقال ولا تطع من اغفلنا بعظمتنا قلبه اي جعلناه مغافلا لان الغفلة فيه لينا لا له عن ذكرنا بتلك الزينة ولما كان
التقدير فغفل لا عظمتنا لا يغلب من شيء فلا يكون الا ما نريد عطف على فعل المطاوعة قوله واتبع هويه بالميل الى ما استدرجناه به
منها اي الانفة من مجالسة اوليائنا الذين كرمناهم لتجاهه منها لانه ذكر الله مطلع الانوار فاذا الفت الانوار تركمت الظلمة فجاء الى الحق
فاقبل على الخالق وكان امره فرطا اي متجاوزا للحد فانه متقدما على الحق فيكون الحق منبوذا به وراء الظهر مفرطا فيه بالتقصير عما يحق
له فان ربك سبحانه ينجي اتباعك على ضعفهم منهم كما انجى اصحاب الكهف ويزيدك بان يعليهم عليهم ويرفع الجبابرة في يديهم لانهم
مقبلون على الله معرضون عما سواه وغيرهم مقبل على غيره معرض عنه ولما رغبه في اوليائه وزهده في اعدائه ترضية بعد بعد ان قص الحق
من قصة اهل الكهف للمتعنتين علمه ما يقول لهم على وجه يعمهم ويعم غيرهم ويعم القصة وغيرها فقال امرا ومتوعدا كما نقل عن علي رضي الله عنه
وكذا عن غيره وقل اي لهم ولغيرهم هذا الذي جئتكم به من هذا الوحي العربي المعجز عن العوج الظاهر الاعجاز الباهر الحجج الحق ثابتا كائنا
من ربكم المحسن اليكم في امر اهل الكهف وغيرهم من صبر نفسي مع المؤمنين والاعراض عمن سواهم وغير ذلك لا ما قلتموه في امرهم ويجوز ان يكون
الحق مبتدا فمن شاء اي منكم ومن غيركم فليؤمن بهذا الذي قصصناه فيهم وفي غيرهم فهو مقبول مرغوب فيه وان كان فقيرا رث الهيئة ومن يتبع
الانفسه ومن شاء منكم ومن غيركم فليكفر فهو اهل لان يعرض عنه ولا يلتفت اليه وان كان اغنى الناس واحسنهم هيئة وان تعاظمت
هيئته لما اشترى اذاه وافرط في ظلمه وستشفى قلوب المؤمنين في الدارين بالانتقام منه والاية دالة على ان كلا من الكفر والايمان

موقوف على المشية بخلق الله لأن الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد إليه وذلك القصد إن كان بقصد آخر يتقدمه لزم
أن يكون كل قصد مسبوقا بقصد آخر إلى غير نهاية وهو محال فوجب أن ينتهي تلك القصود إلى قصد يخلقه الله في العبد على سبيل
الضرورة يجب بها الفعل فالإنسان مضطر في صورة مختار فلا دليل للمعتزلة في هذه الآية وكما هدد السامعين بما حاصله
ليختر كل امرئ لنفسه ما يجده عند الله أتبع هذا التهديد تفصيلا لما أعد للفريقين من الوعد لفا ونشرا مشوشا بما يليق
بهذا الأسلوب المخيف الذي لا كفوء له من نون العظمة فقال إنا أعتدنا أي هيأنا بما لنا من العظمة تهيئة قريبة جدا وأحضرنا
على وجه فخم شديد تام التقدير للظالمين أي الذين لم يؤمنوا ولكنه وصف إشارة إلى تعليق الحكم به نارا جعلناها معدة
لهم أحاط بهم كلهم سرادقها أي حائطها الذي يدار حولها كما يدار الحظير حول الخيمة من جميع الجوانب ولما كان المحرور
شديد الطلب للماء قال وإن يستغيثوا من حر النار فيطلبوا الغيث وهو ماء المطر والعون بإحضاره لهم تحقق كل استغاثتهم
تهكما بهم فقال يغاثوا بماء ليس كالماء الذي قدمنا الإشارة إلى أنا نحيي به الأرض بعد صيرورتها صعيدا جرزا بل
كالمهل وهو القطران الرقيق وما ذاب من صفر أو صديد أو دردي قاله في القاموس وشبهه به من أجل تناهي الحر مع كونه
ثخينا وبين وجه شبهه بقوله يشوي الوجوه أي إذا قرب إليها فكيف بالفم والجوف ثم وصل بذلك ذمه فقال بئس الشراب
أي هو فإنه أسود منتن غليظ حار وعطف عليه ذم النار المعدة لهم فقال وساءت مرتفقا أي متكأ لا يعد للارتفاق
فكأنه قيل فما للمؤمن فقال إن الذين آمنوا ولما كان الإيمان هو الأساس الذي لا يثبت عمل إلا به عطف عليه ما يحقق ذلك فقال وعملوا
الصالحات ثم عظم جزاءهم بقوله إنا لا نضيع أي بوجه من الوجوه لما تقتضيه عظمتنا أجر من أحسن عملا مشيرا بإظهار ضميرهم
إلى أنهم استحقوا بذلك الوصف بالإحسان فكأنه قيل فما لهم فقال مفصلا لما أجمل من جزائهم أولئك أي العالو الرتبة لهم جنات
عدن أي إقامة فكأنه قيل فما لهم فيها فقيل تجري من تحتهم أي تحت منازلهم الأنهار فكأنه قيل ثم ماذا فقيل يحلون فيها وبني الفعل
للمجهول لأن القصد وجود التحلية وعلى أن ذلك إنما يؤتى به من الغيب فضلا منه سبحانه ولما كان الله أعظم من كل شيء فكانت نعمه لا يحصى نوعها
قال مبعضا من أساور جمع أسورة جمع سوار كما يلبس ذلك ملوك الدنيا من جبابرة الكفرة في بعض الأقاليم كأهل فارس وكما
كان المقصود هنا النظر إلى التفضيل والفعل بالاختيار على الإطلاق ووقع الترغيب في طاعته بما هو على من الفضة فقال مبعضا أيضا
من ذهب أي من جوهر في غاية العظمة ولما كان اللباس جزء العمل وكان موجودا عندهم أسند الفعل إليهم فقال ويلبسون ثيابا
خضرا ثم وصفها بقوله من سندس وهو رقيق الديباج وإستبرق وهو ما غلظ منه ثم استأنف الوصف عن حالهم فيها بأنه
جلوس الملوك المتمكنين من النعيم فقال متكئين فيها أي لأنهم في غاية الراحة على الأرائك أي الأسرة عليها الحجال ثم مدح هذا
فقال نعم الثواب أي هو ولو لم يكن لها وصف غير ما سمعتم فكيف وفيها من الأوصاف ما لا يعلم حق علمه إلا الله سبحانه وإلى ذلك أشار
بقوله وحسنت أي الجنة كلها وميز ذلك بقوله مرتفقا ولما كان إنما محط حال المشركين العاجل وكان قد تقدم قولهم أو يكون
لك جنة من نخيل وعنب الآية وقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها الآية وقوله في حق فقراء المؤمنين
الذين تقذرهم ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا الآية وانتهى إلى أن ختم بأن جنات المؤمنين بحظهم
حسن أحسنه الارتفاق عطف على قوله وقل الحق من ربكم قوله مشيرا بضرب المثل إلى ما فيه للكفار من الارتفاق
العاجل الذي يفتخرون به لأنه إلى زوال واضرب لهم أي لهؤلاء الضعفاء والمتجبرين الذين يستكبرون على
المؤمنين ويطلبون طردهم لضعفهم وفقرهم مثلا لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا فاعتمدوا عليه وركنوا إليه
ولم يشكروا من آتاهم إياه عليه بل أداهم إلى الافتخار والتكبر على من زوى عنه ذلك رحمة له وإكراما وصيانة عنه
رجلين فكأنه قيل ما مثلهما فقيل جعلنا أي بما لنا من العظمة لأحدهما وهو المجعول مثلا لهم جنتين أي بستانين

يستر

يستر فيهما من الأشجار من يدخلهما على أي وضع من الأوضاع كانتا من جملة الأوضاع أن تكون إحداهما في السهل والأخرى في الجبل
ليبعد عموم عاهة لهما لأن الأماكن بردا أو حرا من أعناب لأنها من أشجار البلاد الباردة وتصبر على الحر وهي فاكهة وقوت بالعنب
والزبيب والخل وغيرها وحففناهما أي جعلناهما بعظمتنا بنخل لأنه من أشجار البلاد الحارة وتصبر على البرد وربما نحت عن
الأعناب بعض أسباب العاهات وثمرها فاكهة بالبسر والرطب وقوت بالتمر والخل فكان النخل كالإكليل من وراء العنب وهو مما يؤثر
الدهاقين لأنه في غاية البهجة والمنفعة وجعلنا بينهما أي أرض الجنتين زرعا ليبعد شمول الآفة للكل لأن زمان الزرع ومكانه
غير زمان أثمار الشجر المقدم ومكانه وذلك هو العمدة في القوت فكانت الجنتان أرضا جامعة لخير الفواكه وأفضل الأقوات وعمارتهما
متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع سعة الأطراف وتباعد الأكناف وحسن الهيئات والأوصاف ولما كان الشجر
قد يكون فاسدا من جهة أرضه نفى ذلك بقوله جوابا لمن كأنه قال ما حال أرضهما المنتج لزكاء ثمرها أو خبثه كلتا أي كل واحدة من
الجنتين المذكورتين آتت أكلها أي ما يطلب منها ويؤكل من ثمر وحب كاملا غير منسوب شيء منهما إلى النقص ولا رداءة وهو معنى ولم تظلم
أي ولم تنقص حسا ولا معنى كمن يضع الشيء في غير موضعه منه شيئا ولما كان الشجر ربما أضر به وأهمه قلة السقي قال وفجرنا أي
تفجيرا يليق بعظمتنا خلالهما نهرا أي يمتد فيتشعب فيكون كالأنهار لتدوم طراوة الأرض ويستغنى عن المطر عند القحط ثم زاد
في فخامة هذا الرجل فبين أن له غير ما بين الجنتين والزرع بقوله وكان له أي لصاحب الجنتين ثمر أي مال مثمر غير ما تقدم كثير ذو
أنواع ليكون متمكنا من العمارة بالأعوان والآلات وجميع ما يريد فقال أي هذا الكافر لصاحبه أي المسلم المجعول مثلا لفقراء المؤمنين
وهو أي صاحب الجنتين يحاوره أي يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع افتخارا عليه وتقبيحا لحاله بالنسبة إليه والمسلم يحاوره
بالوعظ وتقبيح الركون إلى الدنيا أنا أكثر منك مالا لما ترى من جناتي وثماري وأعز نفرا أي ناسا يقومون معي في المهمات وينفرون
عند الضرورات لأن ذلك لازم لكثرة المال ودخل جنته وحده لإرادة الجنس في دلالة على ما أفاده الكلام لأنهما لاتصالهما كالجنة
الواحدة وإشارة إلى أنه لا جنة له غيرها لأنه لا حظ له في الآخرة وهو أي والحال أنه ظالم لنفسه بالاعتماد على ماله والإعراض
عن ربه ثم استأنف تبيين ظلمه بقوله قال لما استولى عليه من طول أمله وشدة حرصه وتمادي غفلته واطراحه النظر في العواقب لطول المهلة
وسبوغ النعمة ما أظن أن تبيد أي تهلك هلاكا ظاهرا مستوليا هذه أبدا ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر
فقال وما أظن الساعة قائمة استلذاذا بما هو فيه وإخلادا إليه واعتمادا عليه ولما كان الإنسان مجبولا على غلبة الرجاء عليه
فإذا حصلت له مبادئ دواعي الفناء وطول الراحة وبلوغ المأمول والاستدراج بالظفر بالسؤل ما يربيه ويثبت أصوله ويقويه من محل الخوف
فلم يزل يتضاءل حتى يتلاشى فكأن عدما قال تبعا لما يليق بهذا الكافر ما أثره الرجاء مما أنه زين ما يأتي به القدر مقسما ولئن رددت
أي ردني راد إلى ربي المحسن إلي في هذه الدار في الساعة على تقدير قيامها الذي يشعر في غرضه أداة الشك لأجدن خيرا منها
أي هذه الجنة وقرأ ابن كثير وابن عامر بالتثنية الجنتين منقلبا أي من جهة الانقلاب في زمانه ومكانه لأنه ما أعطاني ذلك إلا
باستحقاق وهو وصف لي غير منفك في الدارين وكثير الأغنياء وإن لم يقولوا نحو هذا بألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم
ناطقة به فكأنه قيل إن هذا الغي عداد البهائم حيث قصر النظر على الجزئيات ولم يجوز أن يكون التمويل استدراجا فما قال له الآخر فقيل
قال له صاحبه وهو أي والحال أنه يحاوره منكرا عليه أكفرت ولما كان كفره بإنكار البعث دل عليه بقوله بالذي
خلقك من تراب بخلق أصلك منه ثم من نطفة متولدة من غذاء أصلها تراب ثم سواك بعد أن أولدك وطورك في أطوار النشأة
رجلا فهو حيث نفيت إعادته مثلما ابتدأ خلقهم على هذا الوجه تكذيبا للرسل واستقصارا للقدرة ولم يثبت لها في الإعادة ما أثبت لها
بعلمه في الابتداء ثم لم يجوزها بعد القطع بالنفي إلا على سبيل الفرض بأداة الشك وهي من دعائم أصول الدين الذي لا يقنع فيه
إلا بالقطع ونسبته إلى العبث الذي لا يرضاه عاقل إن جعلت غاية هذا الخلق البديع في هذا التطوير العظيم الموت الذي

لو كان غاية كما زعمت تفوت على المطيع الثواب وعلى العاصي العقاب وكما انكر على صاحبه ضبوعه اعتقاده بما يضا اعتقاد صاحبه ترك
لاجل كفرانه لكنا اي لكن انا وكما كان سبحانه لا شي اظهر منه ولا شي ابطن منه اشار الى ذلك جميعا باضماره قبل الذكر فقال هو
اي الظاهر اتم ظهور فلا يخفى اصلا ويجوز ان يكون الضمير للذي خلقك الله اي المحيط بصفات الكمال ربي وحده لم يحسن الي خلقا ورزقا
احد غيره هذا اعتقادي في الماضي والحال ولا اشرك بربي المحسن الي في عبادتي احدا كما لم يشاركه في احسانه الي احد فان الكل خلقه
وعبيده ولن يكون العبد شريكا للرب فانا لا ارى الغنى والفقر الا منه وانت لما اعتمدت على مالك كنت مشركا به وكما كان المؤمنون
على طريق الانبياء في ارادة الخير والارشاد الى سبيل النجاة وعدم الحقد على احد بشر اسلفه وجهل قدمه قال مصرحا بالتعليم بعد ان
لوح له به فيما ذكره عن نفسه مما يجب عليه ولولا اي وهلا حين دخلت جنتك قلت ما يدل على تفويضك الامر فيها وفي غيرها
اليه كما تقدم الارشاد اليه في غاية ولا تقولن لشيء تاركا للافتخار بها وتحضها بالذي حبكها اقادر على سلبك اياها اليقوى
ذلك الى التوحيد وعدم الشرك فلا تفرح بها ولا بغيرها مما يفنى لانه لا ينبغي الفرح الا بما يؤمن عليه الزوال ما شاء الله اي الذي له الا
كله من سوا ان كان حاضرا وغايبا او ماضيا او مستقبلا ولذا لم اعراها عن الجواب اما يشاؤه غيره ولا يشاؤه كهو نجام خلال ذلك بقوله
لا قوة اي على حيلتنا ومغيره الا بالله اي المتوحد بالكمال فلا شريك له وافادت هذه الكلمة اثبات القوة لله وبراءة العبد منها و
التنبيه على انه لا قدرة لاحد من الخلق الا بتقدير الله فلا يخاف من غيره والتنبيه على فساد قول الفلاسفة في الطبايع من انها مؤثرة بنفسها
ولما قدم ما يجب عليه في نفسه منبها بل صاحبه ثم ما يجب عليه من التصريح بالارشاد في اسلوب مقرر ان الامر كله لله لا شي لاحد غيره
اتبع قوله ان ترن اي انها المفتخر بماله علي انا وكما ذكر ضمير الفصل ذكر مفعول ترى الثاني فقال اقل منك وميز القليل بقوله
مالا وولدا اي من جهة المال والولد الذي هو عز نفر الانسان وكما اقر هذا المؤمن بالعجز والافتقار في نظير ما ابرى الكافر من التقوى
والافتخار بسبب ذلك ما جرت به العادة في كل جزاء داعيا بصورة التوقع فقال فعسى ربي المحسن الي ان يؤتين من خزاين
رزقه خيرا من جنتك فيحسن الي بالغنى كما احسن الي بالفقر المقترن بالتوحيد المنتج للسعادة ويرسل عليها اي جنتك حسبانا اي امرا
من الصواعق والبرد الشديد من السماء وكما كانت المصابحة بالمصيبة انكا ما يكون قال فتصبح بعد كونها قرة للعين بما تهتز به
من الاشجار والزروع صعيدا زلقا اي ارضا يزلق عليها الماشي لاستيصال نباتها فلا ينبت فيها نبات ولا يثبت بها قدم او يصبح
ماؤها غورا وصف بالمصدر لانه ابلغ فلن تستطيع انت له طلبا ولما كان من المعلوم ان هذا المؤمن المخلص يجيب الرضى كان من المعلوم
ان التقدير فاستجيب لهذا الرجل المؤمن او تحقق له ما توقعه فخيب ظن المشرك فعطف عليه قوله واحيط اي اوقعت الاحاطة بالهلاك
بني للمفعول لان النكد حاصل باحاطة الهلاك من غير نظر الى فاعل مخصوص وللدلالة على سهولته بثمره اي الرجل المشرك كله كالمحوط كما
ما في السهل منه وفي الجبل وما يصبر منه على البرد والحر وما لا يصبر فاصبح يقلب كفيه ندما ويضرب احدهما على الاخرى تحسرا
على ما انفق فيها لعمارتها ونمائها وهي خاوية اي ساقطة مع الخلو على عروشها اي دعائمها التي كانت تحملها فسقطت هي في نفسها
ويقول تمنيا لرد ما فات لحيرته وذهول عقله ودهشته يا ليتني تمنيا لاعتماده على الله في غير اشراك بالاعتماد على الكافي
لم اشرك بربي احدا كما قال له صاحبه فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط في الماضي لاجل ما فاته من الدنيا لا حرصا على الايمان لحظ الفوز
في العقبى لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات المشاهدات ولم تكن له فئة اي جماعة لانه نفره الذين اعتز بهم ولا من غيرهم ينصرونه
مما وقع فيه من دون الله اي غيره فانه الملك الاعظم وما كان هو منتصرا بنفسه بحيلة او بشيء لان الامر لله وحده وكما انتج
هذا المثل قطعا ان الامر لغير الله المرجو لنصر اوليائه بعد ذلهم ولاغنائهم بعد فقرهم ولاذلال اعدائه بعد عزهم وكبرهم واحتقارهم
بعد اغنائهم وجبرهم وان غيره انما هو كالخيال لا حقيقة له صرح بذلك في قوله هنالك اي في مثل هذه الشدايد العظيمة الولاية
اي النصرة على قراءة الفتح والسلطان على الكسر وهي قراءة حمزة والكسائي والفتح لغيرهما او هما بمعنى واحد وهو المصدر كما صدر به

في القاموس لله الذي له الكمال كله الحق اي الثابت الذي لا يحول يوما ولا يزول ولا يغفل ساعة ولا ينام ولا ولاية لغيره بوجه هذا على قراءة الجر
على الوصف وهو في قراءة ابي عمرو والكسائي بالرفع على الاستيناف والقطع تعليلا تنبيها على انه تفرد في مثل هذه الازمان البينة فهو برهان
قاطع على ان الله الحق وما سواه باطل وان الفخر بالعرض الزائل من اجهل الجهل وان المؤمنين لا يعيبهم فقرهم ولا يسوغ طردهم لاجله وانه يوشك ان
يعود فقرهم غنى وضعفهم قوة وكما علم من ذلك انه آخذ بايدي عبيده الابرار وعلى ايدي عصاته الاشرار قال هو خير ثوابا لمن اثابه
وخير عقبا اي عاقبة عظيمة فانه فعل بضمة وبضمتين من صيغ جموع الكثرة فيفيد ذلك مبالغة وان لم يكن جمعا والحق ثوابه ولباؤه خير ثواب
وعقباه خير عقبى ولما اتم المثل لدنياهم الخاصة بهم التي ابطرتهم فكانت سبب اشقائهم وهم يحسبونها سبب اسعادهم ضرب لدنياهم العامة لجميع
الناس في قلة بقائها وسرعة فنائها وان من تكبر فيها كان محشوما فقال واضرب لهم اي لهؤلاء الكفار المغترين بالعرض الفاني المفتخرين بكثرة
الاموال والاولاد وعزة النفر مثل الحيوة الدنيا اي التي صفتها التي هم بها ناطقون كحملها ان ضل ها الاخرى في سرعة نضرتها وانحلالها
للنفوس وبهجتها واستيلائها على الاهواء بزهرتها واختلاسها للذوي الشهوات بزينتها ثم اضمحلالها وسرعة زوالها افرح ما كانوا بها و
ارغب ما كانوا فيها مرة بعد اخرى على مر الايام وكر الشهور وتوالي الاعوام وتعاقب الدهور بحيث تكاد تعلم نفسها بالتحذير منها والتنفير
منها العاقل الفطن والكيس الفطن رغبة الى الباقي الذي يدوم سروره ويبقى نعيمه وحبوره وذلك المثل كماء انزلناه بعظمتنا
واقتدارنا بعد يبس الارض وجفاف ما فيها او زواله وتعلقه كما تشاهدونه واستيصاله وقال من السماء تنبيها على بليغ القدرة
في امساكه في العلو وانزاله وقت الحاجة على الوجه النافع فاختلط اي فتعقب وتسبب عن انزاله انه اختلط به نبات الارض اي التراب
الذي كان شبابا فارقته بطول العهد في بطنها فاجتمع بالماء والتف وتكاثف فنما نباته بالتخمير والصنع الذي لا يقدر عليه سواه حتى
ازهى ما من الارض اخضر مشتمل على الوان مختلفة ومقادير متفاوتة ثم ايبسناه فاصبح هشيما اي يابسا متكسرا متفتتا تذروه
اي تثيره وتفرقه وتذهب به الرياح حتى يصير عما قليل كانه بقدرة الله لم يكن وكان الله اي المختص بصفات الكمال على كل شيء من ذلك
وغيره انشاء وافناء واعادة مقتدرا ازلا وابدا فلا تظنوا ان ما تشاهدونه من قدرته حادث ولما تبين بهذين المثلين
وغيرهما ان الدنيا التي اوردت اهلها الموارد المعاطب سريعة الزوال وشيكة الارتحال مع كثرة الانكاد ودوام الاكدار
من الكد والتعب والخوف والنصب كالزرع سواء تقبل والى غاية النضرة والبهجة ثم ترايد نضرتها وبهجتها شيئا فشيئا ثم
تاخذ في الانتقاص والانحطاط الى ان تنتهي الى الفناء فهي جديرة لذلك بالزهد فيها والرغبة عنها وان لا يفتخر بها عاقل فضلا
عن ان يكاثر بها غيره قال تعالى المال والبنون الفانيان الفاخران وهما اجل ما في هذه الدار من مثلها زينة الحيوة الدنيا التي لو عاش
الانسان جميع ايامها لكان حقيقا بالصيرورة ما هو فيه منها الى الزوال بالاعراض عنها والبغض لها وانتم تعلمون ما في تحصيلهما
من التعب وما لهما بعد الحصول من سرعة العطب وهما مع ذلك قد يكونان خيرا ان عمل فيهما بما يرضي الله وقد يكونان شرا
ويخيب الامل فيهما وقد يكون كل منهما سبب هلاك صاحبه وكدره وسوء حياته وضرره والباقيات الصالحات وهي
اعمال الخير المجردة التي يقصد بها وجه الله التي رغبنا فيها بقولنا لنبلوهم ايهم احسن عملا وما بعده خير اي من الدنيا الفانية
ولما كان اهم ما للمرء حصول النفايس لكفايته من يحفظها له لوقت حاجته قال عند ربك اي المحسن اليك المواظب العامل بالعواقب
ومن المال والبنين في العاجل والاجل ثوابا وخير من ذلك كله املا من جهة ما يرجو فيها من الثواب ويرجو فيها الامل لان
ثوابها الى البقاء وامالها كل ساعة في تحقق وعلو وارتقاء وامل المال والبنين بخلاف احوج ما يكون اليهما وكما ذكر
المبدا ونبه على زواله وختم بان المقصود منه الاختبار للرفعة بالثواب او الضعة بالعقاب وكان الخزي في الصغار اعظم
شيء ترهبه النفوس الكبار لاسيما اذا عظم الجمع واشتد الامر فكيف اذا انضم اليه الفقر فكيف اذا صحبهما الحبس وكان يوم
الحشر يوم يجتمع فيه جميع الخلايق فهو بالحقيقة المشهود وتظهر فيه العظمة فهو موضعه المرهوب عقب ذكر الجزاء ذكره لذ

اعظم يوم يظهر فيه فقال عاطفا على اضرب ويوم اي واذكر لهم يوم نسير بايسر امر الجبال عن وجه الارض بعد ما وصف القدرة كما يسير
نبات الارض بعد ان صار هشيما بالرياح فترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وترى الارض بكمالها بارزة لا غار
فيها ولا صدع ولا جبل ولا نبت ولا شجر ولا ظل والحال انا قد حشرناهم اي الخلائق بعظمتنا قبل التسيير بتلك الصيحة فهي الحالة
التي تنكشف فيه المخبآت وتظهر الفضائح والمخبآ ويقع الحساب فيه على النقير والقطمير والناقد فيه بصير فينظرون ويسمعون زلازل
الجبال الهد ودكها وتعاقع الابنية والاشجار في هدها وتباين اوصالها وفنائها بعد عظيم مرآها واضمحلالها فلم نغادر اي
نترك بما لنا من العظمة منهم اي الاولين والاخرين احدا لانه لا ذهول ولا عجز ولما ذكر حشرهم وكان من المعلوم انه للعرض ذكر
كيفية ذكر العرض فقال بانيا الفعل للمفعول على طريقة كلام القادرين ولان المخوف العرض لا كونه من معين وعرضوا على ربك
اي المحسن اليك برفع اوليائك وخفض اعدائك صفا لاتساع الارض وللمسابقة الى داره العرض اذ لا شيء واصغر واطوع وحقر
يقال لهم تنبيها على مقام العظمة لقد جئتمونا احياء سويين حفاة عراة غرلا كما خلقناكم بتلك العظمة اول مرة متفرقين من كل شيء
كنتم تجمعون وتفاخرون به منقادين مذعنين فتقولون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيقال لكم بل زعمتم اي ادعيتم جهلا
بعظمتنا ان اي انا لن نجعل لكم على ما لنا من العظمة موعدا اي مكانا ووقتا نجمعكم فيه هذا الجمع فننجز ما وعدناكم به على السنة الرسل
ووضع بايسر امر بعد العرض المستحق للجمع بادنى اشارة الكتاب المضبوط فيه دقائق الاعمال وجلائلها على وجه بين لا يخفى على قارئ
ولا يحيد شيء منه فترى المجرمين لتقر عينك منهم بشماتة لا جبر بعدها مشفقين اي خائفين دائما خوفا عظيما من عقاب الجرح والفضيحة
عند الخلق مما فيه من قبائح اعمالهم وسيئ افعالهم واقوالهم ويقولون لمحيدون ويكررون قولهم يا ويلتنا كناية عن انه لا نديم لهم
اذ ذاك الا الهلاك ما لهذا الكتاب اي اي شيء لهذا الكتاب كونه على خلاف الكتب في الدنيا ورسم لام الجر وحده اشارة الى انهم صاروا من قوة
الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة وفسر حال الكتاب الذي اقطعهم وسال الواقفه بانه لا يغادر اي يترك اي يقع منه غدر لعدم
وفاء وهو من غادر الشيء تركه كانه مما يريد غدر الاخر لعدم الوفاء به ومن الغدير لقطعة من الماء يتركها السيل كانه لم يوف لها
باخذها معه وكذا الغديرة لناقة تركها الراعي صغيرة اي من اعمالنا وطالبهم لاثبات جميع الصغائر بدءا بها وصرحوا بالكبائر وان كان
اثبات الصغائر يفهمها تاكيدا لان المقام للتهويل وتعظيم التفجع واشارة الى ان الذي جرهم اليها هو الصغائر كما قال الفضيل بن عياض ضجوا
فقالوا ولا كبيرة الا احصيها ولما كان الاحصاء قد لا يستلزم اطلاع صاحب الكتاب وجزاءه عليه نفى ذلك بقوله ووجدوا ما عملوا
حاضرا كناية عن جزائه غير انه لا يظلمهم سبحانه او يظلم في عادتهم فيه ولا يظلم ربك اي المحسن اليك بالتحقيق القرآن احدا منهم ولا من
غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب بل يجازي الاعداء بما يستحقون تعذيبا لهم وتنعيما لاوليائه الذين عادوهم فيه بالعدل بينهم روى الامام احمد
في المسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه سافر الى عبد الله بن انيس رضي الله عنه مسيرة شهر فاستاذن عليه في الخروج بطائفته فاعتنقني
واعتنقته قلت حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس او قال العباد حفاة عراة بهما
قلت ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل
النار وله عند احد من اهل الجنة حق ولا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة وله عند احد من اهل النار حق حتى اقصه منه حتى اللطمة
قال قلنا كيف وانا انما نأتي حفاة عراة بهما قال بالحسنات والسيئات ولما ذكر البعث وختمه باحسانا بالعدل المثمر لاعطاء كل احد ما يستحقه اتبعه
بما له الفضل بما تبدا الخلق الذي هو دليله في سياق مذكر بولايته الموجبة للاقبال عليه وعداوة الشيطان الموجبة للادبار عنه مبين
لما قابلوا به عدله فيهم وفي عدوهم من الظلم بفعلهم كما فعل من التكبر على آدم عليه السلام باصله فتكبروا على فقراء المؤمنين باصلهم
واموالهم وعشائرهم فكان فعلهم فعله سواء فكان قدوتهم وهو عدوهم ولم يقتدوا بخير خلقه وهو وليهم وهم اعرف
الناس به فقال عاطفا على اضرب واذ اي واذكر لهم اذ قلنا بما لنا من العظمة للملائكة الذين هم طوع شيء لا وامرنا

وابليس

وابليس فيهم في الذكر فروع الا انه كان قد ترسم بافعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة
اسجدوا لادم ايهم نعمة منا يجب عليهم شكرنا فيها فسجدوا كلهم الا ابليس فكانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن المخلوقين من
نار ولعل النار لما كانت نيرة وان كانت نورانيتها مشوبة بكدورة واحراق عدت من الملائكة لاجتماع العنصرين في مطلق النور مع ما كان غالبا عليه
من العبادة فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان وفي رواية
ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وفي مكائد الشيطان لابن ابي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن كانت قبيلة من الملائكة
ولما كان كثير الجن مفسدا رجع الى الاصل الذي هو النار المحرقة بما لاصقها المفسدة لما سبب فسقه عن كونه منهم فقال ففسق اي خرج يقال
فسقت الفارة من جحرها اذا خرجت للعبث والفساد عن امر ربه اي المحسن اليه وما لكم المحسن اليه بابداعه وغير ذلك من اصطناعه في شان ابيكم
اذ تكبر عليه فطرده ربه من اجلكم فلا تستنوا به في الافتخار والتكبر على الضعفاء فان من كانت خطيئته في كبر لم يكن صلاحه مرجوا ومن كانت
خطيئته في معصية كان صلاحه مرجوا ثم سبب عن هذا ما هو جدير بالانكار فقال في اسلوب الخطاب لانه ادل على تناهي الغضب واوجع في التبكيت
والتكلم لانه انص على المقصود من التوحيد افتتخذونه اي الفسيق باستحقاركم فيطرده لاجلكم فيكون ذلك سببا لان تتخذوه وذريته
شركائي اولياء لكم من دوني اي اتخاذا مبتديا من غير ادنى رتبة من رتبتي ليعم الاتخاذ استقلالا وشركة ولو كان المعنى دون اي غير
لتخاذ الافادة الاستقلال فقط ولو كان الاتخاذ مبتديا منا بان نكون الامر به لم يكن ممنوعا فتركيا وليكم المفضل عليكم وهم لكم ولما كان
بناء فعول للمبالغة وكيما وهو شبيه بالمصادر نحو القبول اغنى عن صيغة الجمع فقال عدو اشارة الى انهم في شدة العداوة على قلب واحد وكما
كان هذا الفعل اجدر شيء بالذم وصل به قوله بئس وكان الاصل لكم ولكنه ابرز هذا الضمير لتعليق الفعل بالوصف والتعميم فقال للظالمين
بدلا اذ استبدلوا من ليس لهم شيء من الامر وهم لهم عدو بمن له الامر كله وهم لهم ولي ولما كان الشريك لا يستأثر بفعل امر عظيم في الشرك فيه
من غير علم لشريكه به قال معللا للذم على هذا الظلم بالدليل على حقارتهم عن هذه الرتبة عادلا في اسلوب التكلم الى التجريد عن مظهر العظمة لانه
يتعنت من اهل الاشراك متعنت كما عم اجد دونه لذلك ما اشهدتهم اي ابليس وذريته خلق السموات والارض نوعا من انواع الاشهاد
ولا خلق انفسهم اشارة الى انهم مخلوقون وانه لا يصح في عقل عاقل ان يكون مخلوق شريكا لخالقه اصلا وما كنت اي ازلا وابدا متخذهم هكذا
الاصل ولكنه ابرز ارشادا الى انه المضل لا ذنب ثعالبه لا ينبغي عدم نفعه بضرر فقال متخذ المضلين عضدا اشارة الى انه لا يوقف على فوت
اسلام احد فان من علم الله فيه خيرا اسمعه ومن لم يسمعه فهو ضال ليس لاهل النصرة في الدين وكما اقام البرهان القاطع على بعد رتبتهم عن المنزلة التي احلوهم
بها من الشرك اتبعه التعريف بانهم مع عدم نفعهم لهم في الدنيا يتخلون عنهم في الاخرة احوج ما يكونون اليهم تخييبا لظنهم انهم يقربونهم الى الله زلفى فقال
عاطفا على اذ قلنا عادلا الى مقام الغيبة اشارة الى بعدهم عن حضرته الشماء وتعاليه عما قد يتوهم من قوله وعرضوا على ربك صفا من قرب او حجب
الجلال والكبرياء وجرى حمزة في قراءته بالنون على اسلوب التكلم الذي كان فيه مع زيادة العظمة ويوم اي واذكر يوم يقول الله لهم تبكيتا لهم
نادوا شركائي وبين ان الاضافة ليست على حقيقتها بل هي توبيخ لهم فقال الذين زعمتم انهم شركاء فدعوهم تماديا في الجهل والضلال فلم يستجيبوا لهم
اي لم يطلبوا ويريدوا ان يجيبوهم اعراضا عنهم استهانة بهم واشتغالا بانفسهم فضلا عن ان يعينوهم ولما كانوا في غاية الاستبعاد لان يحال بينهم
وبين معبوداتهم قال في مظهر العظمة وجعلنا بينهم اي المشركين والشركاء موبقا اي هلاكا وموضع هلاك او فاصلا حاجزا بينهم مهلكا
قويا عميقا ثابتا حفيظا لا ينفذ عنه منهم احد وانما فسرته بذلك لانه مثل قوله فزيلنا بينهم اي بالقلوب اي جعلنا ما كان بينهم من الوصلة
عداوة ومثل قوله ربنا هؤلاء لان معنى ذلك كله انه يزول ما كان بينهم من الود في الدنيا والوصلة ببغض وقطيعة كما قال تعالى ثم يوم القيامة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وان كل فريق يطلب للاخر الهلاك فاقتضى ذلك اجتماع الكل فيه هذا ما يرشد اليه الحسن من آيات الكتاب
ونقل ابن كثير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انه فسر الموبق بواد عميق فرق به يوم القيامة بين اهل الهدى واهل الضلالة وقال الحسن البصري عداوة
واما اخذه من اللفظ فان مادة وبق يائية وواوية مهموزة وغير مهموزة ولها احد عشر تركيبا واحد يائي بقي سنة وواوية قبو قوب

بوق وقب وبقو وأربعة مهموزة قبأ قأب باق أبق كلها تدور على الجمع وخصوص ترتيب يدور على الحائل بين شيئين ويلزمه القوة
والثبات والحفظ والهلاك قوة أو فعلا لأنه حائل بينه وبين شيء فقد هلك بفقد ذلك الشيء بالفعل إن كان الحائل موتا
وبالقوة إن كان غيره يقال قبأ الشيء جمعه بأصابعه والبناء رفعه والزعفران خبأه والقبا بالقصر نبت لأنه سبب الاجتماع لرعيه
والانتفاع به وهو يجمع أيضا والقبا تقويس الشيء لأنه أقرب إلى الاجتماع بعض أجزائه ببعض والقبوة انضمام ما بين الشفتين ومنه
القباء من الثياب وقباه تقبية عمله أي جمعه حتى صار كأنه في مكان مقبو وبني عليه تقبية عقد عليه في أمره لأنه كان له أوقعه في حفرة
والقوب جعل منه قباء وتقبى القباء لبسه وزيدا أتاه من قبله لأنه من بين يديه رمى أحد في حفرة كذلك بإتيانه مخاتلة وتقبى
الشيء صار كالقبة وامرأة قابية تلقط العصفر وتجمعه والقابياء اللئيم لأنه بناء مبالغة فيدل على كثرة الجمع والحرص الذي زمنين
اللؤم وبنو قابياء المجتمعون لشرب الخمر لأنها حالة تظهر لؤم اللئام وقبا بالضم ويذكر ويقصر موضع قرب المدينة الشريفة وموضع
بين مكة والبصرة والقبي المتخفي وبني حسين وقبابر حسين ككساء قاب توسين والمقبي الكثير الشحم كأنه جمع لنفسه منه بالراحة
ما صار كالبناء والقابياء المفازة لأنها تجمع ما فيها كما تجمع القبة والقبا والوقبة ما فيها ومن مهموزه قبأ الطعام جمع
أكله ومن الشراب امتلأ والقباة حشيشة تركها لأن المال يجتمع على رعيها ومن الواوي قاب الأرض يقوبها وقوبها حفر فيها
شبه التقوير لأن الدائرة أجمع ما يكون لغيرها وفي نفسها لأنه لا زوايا فيها فاصلة وقوبت الأرض أثرت فيها والقوبة
ما يظهر في الجسد ويخرج عليه لأنه يكون غالبا على هيئة الدائرة وتقوب جلده تقلع عنه الجرب وانحلق عنه الشعر إما من الإزالة
وإما لأن آثاره تكون كالدوائر وقوب الشيء قلعه من أصله لأن أثره إذا انقلع يكون حفرا مستديرا وتقوب هو تقلع والقابة
والقابة البيضة لأنها التدوير بها تشبه ذلك الحفر والقوب بالفتح فلق الطير بيضه وبالضم الفرخ لأنه منها وفي المثل تخلصت
قائبة من قوب يضرب لمن انفصل من صاحبه والقوب المولع بأكل الأقوب أي الفراخ والقوب كصرد قشور البيض وتقوبت البيضة
انقابت أي انخرقت وأم قوب الداهية لجمعها على ما تأتي عليه كأنه ابتلعه حفره وقاب قوبا لأن القوب سبب الجمع وقاب هرب أي سلب
القرب منه وقاب فلق أي شق الجمع فهو من الإزالة أيضا وقاب قوس وقيب أي قدره لأن القوس شبه نصف دائرة من ذلك الحفر
والقاب ما بين المقبض والسية لأنه بعض ذلك ولكل قوس قابان والأكوال المنقوب الذي انسلخ جلده من الجنايات ثم ورد الجلد شعره
بالحفرة واقتاب الشيء اختاره أي صحبه إليه ورجل ملئ قوبة كهمزة ثابت الدار مقيم من الثبات الذي هو لازم الجمع وقوب الغبار أغبر
أما لأن من يحفر ذلك يغبر وإما لأن الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك الحفرة ومن مهموزه قأب الطعام كمنع أكله والماء
شربه كقبئه كفرح أو شرب كل ما في الإناء وقب من الشراب تملأ وهو مقأب كمنبر كثير الشرب للماء وإناء قوأب كثير الأخذ للماء فهو كما
ترى جمع مخصوص بالأكل والشرب أو أنه جمعه في وقبة بطنه ومن الواوي بقاه بعينه نظر إليه فهو من الحفظ اللازم للجمع وابقه بقوتك
مالك وبقاوتك مالك أي احفظ حفظك مالك وبقوتك انتظرته وهو يرجع إلى الثبات والمراقبة التي ترجع إلى الحفظ ويلزم الحفظ
الثبات والمراقبة ومن اليائي بقي الشيء بقاء ثبت ودام ضد فني والاسم البقوى كدعوى ويضم والبقيا بالضم والبقية وقد توضع
الباقية موضع المصدر ومن واويه البوقة الجمع والدفعة من المطر الشديد والمنكرة تنباق لأنها كانت نزلت منه وقبه لشدتها والبوق
العوائر لأنها جامعة لما اعتادها والبوائق الشر لأنه مهلك فكأنه موقع في الهلاك والبوق بالضم شبه منقاب ينفخ فيه الطحان الذي
ينفخ فيه مطلقا ويزمر لأنه للتخويف يشبه الوقبة والبوق أيضا الباطل والزور لأنه صوت أشبه شيء بذلك والمبوق المعظم الكلام الباطل
والبوق ويفتح من لا يكتم السر لأن البوق متى نفخ فيه صوت والبوقة شجرة دقيقة لأنها لدقتها يسرع إليها الهلاك كمن وقع في وقبة والباقية
الداهية كأنها ترفع منزلته في الوقبة وانباقت عليه بائقة انفتقت وباق جاء بالشر والخصومات منه ذلك وكذا باق أي تعدى على
الشيء وانباق به ظلمه والبائقة القوم أصابتهم كأنها باقت عليهم أي خرجت لشدتها منه وقبه والبائقة الحزمة من البقل اجتماعها وباق بك

طلع

طلع عليك من غيبته كأنه كان في حفرة فخرج وحده باق وقال انحجم على قوم بغير إذنهم وباق القوم سرقهم وباق به حاق أي أحاط كما تحيط الوقبة وباق
القوم عليه اجتمعوا فقتلوه ظلما وباق المال فسد وبار كأنه وقع في حفرة ومنه متاع بايق لا ثمن له وتبوق في الماشية وقع فيها الموت وفشا
والحاوية بقي هو الفرج عند الجماع لأنه من الجمع ولأن الفرج وقبة ومن مهموزه باقتهم الداهية بؤوقا أصابتهم وانباقت عليهم الدهر هجم عليهم
بالداهية ومن الواوي الوقبة كوة عظيمة فيها ظل والوقب والوقبة نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء وقيل هي نحو البئر في الصفا تكون قامة أو قامتين
يستنقع فيها ماء السماء وكل نقر في الجسد وقب كنقر العين والكتف والوقبة من الفرس هزمتان فوق عينيه ووقب المحالة النقب الذي يدخل فيه المحور
ووقبة الدهن الفوهة وكذا وقبة الثريد ووقب الشيء دخل في الوقب أو وقب الشيء دخل فيه وكبره وقبا عايرة الماء وامرأة ميقاب واسعة
الفرج وبنو الميقاب نسبوا إلى أمهم يريد وكتبهم بذلك والميقاب الرجل الكثير الشرب للماء والحمقاء المحمقة وسير الميقاب أن يوصل بسير يوم وليلة
كأن ذلك سير الأحمق الذي لا يبقى على ظهره ووقب القمر وقوبا دخل في الظل الذي يكسفه كأنه حفرة ابتلعته ووقبت الشمس وقوبا غابت كذلك
وقيل كل ما غاب فقد وقب ووقب الظلام أقبل أي فصار كالوقبة فابتلع الضياء أو ابتلع ما في الكون فحجبه عن الضياء ورجل وقب أحمق كأنه
وعاء لكل ما يسمع لا أهلية له في تمييز جيده من رديه والأنثى وقبة وقال الثعلب الوقب الذي أي أنه يتبع نفسه هواها فيصير كأنه الوقبة
لا يرد شيئا مما يلقى فيها ووقب الفرس وقبا وهو صوت قنبه أي وعاء قضيبه وقيل صوت تقلقل جردان الفرس في قنبه لأن وعاء جردانه كالوقبة
فهو ظرفه اسم المحل على ما فيه والقبة كعدة الأنفحة إذا أعظمت من الشاة قال الأعرابي ولا يكون ذلك في غير الشاة لأن شبه الأنفحة بالوقبة ظاهر
والوقبا موضع بعينه ويقصر والوقبي ماء لبني مازن لأنه يجمعهم كما تجمع الوقبة ما فيها والأوقاب قماش البيت كالبرمة والرحيين والعمد لأن
البيت لها كالوقبة تجمعها أو لأنها جامعة لتستمل نفعه والميقب الودعة وأوقب القوم جاعوا أي تهيؤا لإدخال الطعام في وقبة الجوف وذكر
أوقب وألج في الهناء لأنها كالأدوات لها الحفر والوقب الإقبال والمجيء وهو سبب الجمع وبق كوعد وجل وورث وبوقا وموبقا هلك أي وقع
وقبة أي حفرة بمستوى والمجلس الهلاك والمحبس وواد في جهنم وكل شيء حال بين شيئين لأن الوقبة تحول بين ما فيها وبين غيره ومنه قيل الموعد
موبق وأوبقه حبسه وأهلكه ومن مهموزه أبق العبد كسمع وضرب ومنع إبقا ويحرك وإباقا ككتاب ذهب بلا خوف ولا كد عمل أو استخفى
ثم ذهب وكأنه لما يرجع إلى جهة كأنه نزل في وقبة ومنه قيل إنه أن يخفي ومنه تأبق استتر أو احتبس وتأبق الشيء أنكره لأن سبب الإنكار الخفاء
وتأبق تأثم أي جانب الإثم فهو لسلب الجمع أو لسلب الحلال في الوقبة والأبق محركة القنب لشبهه بتجويفه بالوقبة والأبق قشر لقوته اللازمة
للجمع أو لأنه خيوط مجتمعة ولما قرر سبحانه حالهم مع شركائهم ذكر حالهم في اختراق رجائهم فقال ورأى المجرمون أي العريقون في الإجرام
النار أي ورأوا ولكنه أظهر للدلالة على تعليق الحكم بالوصف فظنوا ظنا أنهم مواقعوها ولم أي والحال أنهم لم يجدوا عنها مصرفا
أي مكانا ينصرفون إليه فالموضع موضع التحقق ولكن ظنهم جريا على عادتهم في الجهل لما قالوا اتخذ الله ولدا بغير علم ما أظن أن تبيد
هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين مع قيام الأدلة التي لا ريب فيها ولما كان الكلام في قوة أن يقال صرفنا
هذه الأخبار بما أشارت إليه لأسرار الكبار فقامت دلائل الشريعة الجلايل وأضاءت بجواهرها معالي الزواهر عطف على ذلك ولقد
صرفنا أي بما لنا من العظمة ولما كانت هذه السورة في وصف الكتاب اقتضى الاهتمام به تقديمه في قوله في هذا القرآن أي القيم الذي
لا عوج فيه مع جمعه للمعاني وبشره الفارق بين الملبسات للناس أي الذين فضلناهم بالبيان من كل مثل أي حولنا الكلام وصرفناه
في كل وجه من وجوه المعاني والبناه من العبارات الرائقة والأساليب المتناسقة ما صار به في غرابته كالمثل يقبله كل من سمعه وتضرب
آباط العلم الإبل في سائر البلاد بين العباد فتشربه قلوبهم وتلهج ألسنتهم فلم يتقبلوه وجادلوا فيه ثم نبه على الوصف المقتضي
لذلك بقوله وكان الإنسان الذي جعل خصيما وهو أنس بنفسه جبلة وطبعا أكثر شيء جدلا وميز الأكثرية بقوله جدلا لأنه لم بينه
على الجدل بعد هذا البيان الذي أضاء جميع الأكوان وكما بين أعراضهم بين موجبه عندهم فقال وما منع ولما كان الناس شعبا
لقريش قال الناس أي الذين جادلوا بالباطل الإيمان هكذا كان الأصل ولكنه عبر عن هذا المفعول الثاني بقوله أن يؤمنوا ليفيد التجديد

وذمهم على الترك اذ اي حين جاءهم الهدى بالكتاب على لسان الرسول وعطف على المفعول الثاني معبرا بمثل ما مضى لما مضى قوله ويستغفروا
ربهم اي المحسن اليهم ولما كان استثناء مفرغا اي بالفاعل فقال الا ان اي طلب ان تاتيهم سنة الاولين في اجابتهم الى ما اقترحوه على رسلهم المقتضي
لاستيصال المستمر على الضلال ومن ذلك طلبهم ان يكون النبي ملكا وذلك نقمة في صورة نعمة واتيانهم بالعذاب بر اي مستورا او طلب ان
ياتيهم العذاب قبلا اي مواجهة ومعاينة ومشاهدة من غير ستر في سنة الاولين وهو في قراءة من كسر القاف وفتح الباء واضح في قولهم لقيته
قبلا اي معاينة وكذا في قراءة من ضمهما على قولهم اتيتك قبلا لا دبرا اي مواجهة من جهة وجهك لا من جهة قفاك قال الرازي ان كان من قبيله
قد مر قبل ويصح ان يراد بهذه القراءة الجماعة لان المراد بالعذاب الجنس اي ياتيهم اصنافا مصنفة صنفا صنفا ونوعا نوعا وقد مضى في الانعام
بيانه وهذا الشق قسيم الاتيان بسنة الاولين فمعناه من جهة ان يجابوا الى ما اقترحوه مما تقدم في التي قبلها فابى اكثر الناس الا كفورا وقالوا
لن نؤمن لك الى قوله او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا الاية وهذه الاية من الاحتباك ذكر سنة الاولين اولا دليلا على حذفها ثانيا
وذكر المكاشفة ثانيا دليلا على المساترة اولا ولما كان ذلك ليس الى الرسول انما هو الى الله بينه بقوله وما نرسل على ما لنا من العظمة التي لا امر
لاحد معنا فيها المرسلين الا مبشرين بالخير على افعال الطاعة ومنذرين بالشر على افعال المعصية فيطلب منهم الظالمون من اممهم ما ليس اليهم
من فصل الامر ويجادل الذين كفروا اي يجددون في الجدال كلما اتاهم من قبلنا بالباطل من قولهم لو كنتم صادقين لاتيتم بما يطلب منكم مع ان ذلك
ليس كذلك لانه ... من الامر شي ليدحضوا اي ليزلقوا فيزيلوا ويبطلوا به الحق الثابت من المعجزات المثبتة لصدقهم ولما كان لكل مقام
مقال ولكل مقال حال ... في الجدال بصيغة الاستقبال وكان اتخاذ الاستهزاء امرا واحدا اتى به ماضيا فقال واتخذوا اي كلفوا انفسهم ان اخذوا
اياتي بالبشارات التي هي المقصودة بالذات لكل روح وما انذروا اي بني للمفعول لان الفاعل معروف والمخيف الانذار هزوا مع بعدهم جدا
عن ذلك فلا بالرغبة اطاعوا ولا بالرهبة ارتاعوا فكانوا اشر من البهايم ولما حكى عنهم من الجدال والاستهزاء والضلال وصفهم بما يوجب الخزي
فقال عاطفا على ما تقديره فكانوا بذلك اظلم الظالمين ومن اظلم منهم استفهاما على سبيل التقرير وكنه اظهر للتنبيه على الوصف الموجب للانكار على
من شك في انهم اظلم فقال ممن ذكر اي من اي مذكر كان باياتي على ما لها من العظمة ربه المحسن اليه بها قال الاصبهاني وهذا من افصح التقرير ان يوقف الرجل
على ما لا جواب له فيه الا الذي يريد خصمه ولما كان التذكير سببا للاقبال فعكسوا فيه قال فاعرض عنها تاركا لما يعرف من تلك العلامة العجيبة
وما يوجبه ذلك الاحسان من الشكر ونسي ما قدمت يداه من المعاصي التي هو عارف لو صرف عقله الى الفكر فيما ينفعه ان الحكمة تقتضي جزاءه عليه وافرد
الضمير في جميع هذا على لفظ من اشارة الى ان من فعل مثل هذا ولو انه واحد كان ... والاحسن ان يقال انهم لما كانوا قد سالوا اليهود عنه صلى الله عليه وسلم
كما اشير اليه غير مرة ويسالونك عن الروح فامرهم بسؤاله عنها جعلوه امارة على صدقه فلم يجد ذلك فيهم وتمردوا بعد اخباره بالحق على التكذيب
شرح حالهم بالتعقيب بالفاء فكان المعنى من اظلم منهم لانهم ذكروا فاعرضوا ونسوا ما اعتقدوا انه دليل الصدق وانه لا جدال بعده وسيجي
موقع الفاء في اخر السجدة مزيد بيانا واسناد الفعل في الاعراض وما بعده اليهم حقيقة بما لهم من الكسب كما ان اسناد الجعل وما بعده الى الله حقيقة
بالخلق ولما كان كانه قيل ما لهم فعلوا ذلك اجيب بما قبح هذا احد قيل انا جعلنا بما لنا من العظمة التي تعلى على ابصار البصائر والابصار
على قلوبهم فجمع رجوعا الى الاسلوب في اتخذوا واياتي لانه انص على ذم كل احد اكنة اي اغطية مستعلية عليها ... قبيا العظم
على انه لا يروع شيئا من الخير يصل اليها فهي لا تعي شيئا من اياتنا وذكر بالتذكير الضمير على المراد بالايات القران فقال ان اي كراهة ان يفقهوه اي
يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا فهم لا يسمعونه حق السمع ولا يعونه حق الوعي وان تدعهم اي تكرر دعاءهم كل وقت الى الهدى لتنجيهم بما
هنالك من الحرص على ذلك والجد فلن يهتدوا اي كلهم بسبب دعائك اذا اي اذا دعوتهم ابدا لان من له العظمة التامة وهو الذي لا
عبر عن نفسه بنونها كانت على حقيقتها حكم عليهم بالضلال اي انه لا يكون الدعاء وحده هاديا لاكثرهم بل لا بد معه من السيف ...
تنقطع الرؤس فيذل غيرهم وقد يكون المراد ان من كان هكذا معاندا على هذا الوجه كان موته الشقا وقد نفى اخر هذه الاية الفعل
... واثبته لهم اولها وقلما تجد في القران اية تسند الفعل اليهم الا قارنتها اخرى تنفيه عنهم ابتلاء من الله

لعباده

لعباده ليتميز الراسخ الذي ينسب للمكلفين الكسب الحقيقي لاثر التكذيب وبه الخلق المفيد لانه سبحانه لا شريك له في خلق ولا غيره من الطايش
الذي يقول بالجبر او التفويض ولما كان هذا مقتضيا لاخذهم اخذ على ما اقتضاه الشقا مما ذكر من العلة قوله وربك مشيرا بهذا الاسم
الى ما اقتضاه الوصف من الاحسان بالحلم من ياخذهم واما لغيره لحكم دبرها ثم اخبر عنه بما ناسب ذلك من اوصافه فقال الغفور اي هو
وحده الذي يستر الذنوب اما بمحوها واما بالحلم عنها الى وقت ذو الرحمة الذي يعامل من هو قادر مع موجبات الغضب معاملة الراحم
بالاكرام ثم استشهد على ذلك بقوله لو يؤاخذهم اي هؤلاء الذين عادوك وعادوا وليك وهو عالم بانهم لا يؤمنون لو يعاملهم معاملة المؤاخذ
بما كسبوا اي حين كسبهم لعجل لهم العذاب واحدا بعد واحد ولكنه لا يعجل لهم ذلك بل لهم موعد يحله بهم فيه ودل على ان موعده ليس
كموعد غيره من العاجزين بقوله دالا على كمال قدرته لن يجدوا من دونه اي الموعد موئلا اي ملجا ينجيهم منه فاذا جاء موعدهم اهلكناهم
فيه باق لظلمهم واخرهم ولما كانت هذه سنته في القرون الماضية والامم الخالية قال عاطفا على قوله لهم موعد مروعا لهم بالاشارة
الى ديارهم المصورة لدمارهم وتلك القرى اي الماضية من عاد وثمود ومدين وقوم لوط واشكالهم اهلكناهم اي حكمنا باهلاكهم
بما لنا من العظمة لما ظلموا اي اول ما ظلموا او اهلكناهم بالفعل حين ظلمهم لكن لا في اول ظلمهم بل امهلناهم الى حين تناهيه وبلوغه الغاية فليحذر
هؤلاء مثل ذلك وجعلنا اي بما لنا من العظمة لمهلكهم اي اهلاكهم بالفعل موعدا اي وقتا نحله بهم فيه وكما انا لم نخلفه كما انا جعلنا
لهؤلاء موعدا في الدنيا بيوم بدر والفتح وحنين ونحو ذلك وفي الاخرة لن نخلفه وكذا كل امر يقوله نبي من الانبياء عنا لا يقع
فيه خلف وان كان يجوز لنا ذلك بخلاف ما يقوله من نفسه غير مسند الينا فانه يمكن وقوع الخلف فيه كما وقع في الوعد بالاخبار عن هذه
المسايل التخلف اربعين ليلة او ما دونها على حسب ... ان نعرفها على حقيقته ولما قدم الكلام على البعث واتبعه ما يشابه ابتداء الخلق ثم ذكر
بعض احوال الدم ثم عقبه بما ضرب لذلك وغيره من الامثال وصرف من وجوه الاستدلال وختم ذلك بانه يمهل عند المساءة عقب ذلك بانه كذلك
يفعل عند المسرة فكل شيء عنده بكتاب وكل قضاء بقدر وحساب فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما اتفق له في طلبه وجعله نجا
له الحوت اية وموعدا للقائه ولو اراد سبحانه لقرب المدى ولم يحوج الى العناء ما فيها من الخارق الدال على البعث من الدليل على انه ثبت فضل علم
لا يجوز ان يعترض عليه لانه كان على ثقة مما يقوله ... ومن الارشاد الى ذم الجدل بغير علم ووجوب الانقياد للحق عند بيانه وظهور برهانه
ومن ارشاد من يستنكف ان يجالس الفقراء المسلمين بما اتفق لموسى عليه السلام من انه وهو كليم الله اتبع الخضر عليه السلام يقتبس من علمه ومن تكذيب اليهود
بتوبيخهم لقريش لما امروهم بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم ان لم يخبركم فليس بنبي لوهم العرب الذين لا يعلمون شيئا ان من شرط النبي ان لا يخفى عليه شيء مما يعلم
من موسى عليه السلام خفي عليه جميع ما فعله الخضر عليه السلام والى هذا اشار الخضر عليه السلام بقوله اذ وقع العصفور على حرف السفينة ونقر في
البحر نقرة او نقرتين ما نقص علمي وعلمك يا موسى من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من البحر وباعلامهم بما يعلمونه من ان موسى عليه السلام جعل
نفسه تابعا للخضر عليه السلام تكذيبا لهم في ادعائهم انه ليس احد اعلى من موسى عليه السلام في وصف من الاوصاف وانه لا ينبغي لاحد اتباع غيره
وبجوابهم مما العلماء يقولون للموحى ... وحسد لو كان نبيا ما قال اخبركم غدا وتاخر عن ذلك بما اتفق لموسى وعده الخضر عليهما السلام
بالصبر وعدم ... عليه مما اطلع عليه الخضر فقال عاطفا على قوله واذ قلنا للملائكة واذ اي واذكر لهم حين قال موسى اي ابن عمران المرسل الى
بني اسرائيل اي قوله الذي كان في ذلك الحين لفتاه يوشع بن نون عليهما السلام لا ابرح اي لا ازال سائرا في طلب العبد الذي اعلمني ربي بفضله كما دل
عليه باني حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما وموضع اختلاطهما الذي سبق علمه في فهمي وتعينت البداية به فالغاية ثم او امضي حقبا الا ان اظفر
بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعدا في لقائه والحقب قال في القاموس ثمانون سنة او اكثر والدهر والسنة او السنون ... وما انسب ... مجمع البحرين ...
لمجمع بحري العلم ... بالبحر الذي ... بالقلم ... وعين الحياة لان العلم حياة القلوب ... مشويا في مكتل كما امر
فكانا ياكلان منه الى ان بلغا المجمع فلما بلغا مجمع بينهما اي البحرين فلم يكن هناك بين ... شيئا واحدا نسيا حوتهما فلم يعلم
موسى عليه السلام شيئا من حاله ونسي ان يساله عنه وعلم يوشع عليه السلام بعض حاله فنسي ان يذكره له فاتخذ اي الحوت معجزة في معجزة

سبيله اى طريقه الواقع الواضح في البحر سربا اى خرقا في الماء غير ملتئم مثل السرب الذي هو جحر الوحشي والحفر تحت الارض والقناة يدخل منها الماء
الى ان انطلق وقد ورد في حديث في الصحيح ان اسرع لحياة وامسك الله موضع جريه في الماء فصار طاقا لا يلتئم ويوشع عليه السلام ينظر ذلك وكان
المجمع كان ممتدا فظن موسى عليه السلام ان المطلوب امامه وظن ان المراد بمجمع آخر فسار فلما جاوزا اى موسى وفتاه عليهما السلام ذلك الموضع من
المجمع تعب ولم يتعب حتى جاوز المكان الذي امر به بمجرة اخرى فلما جاع وتعب قال لفتاه اتنا اى احضر لنا غداءنا الى نتقوى به على ما حصل لنا
من الاعياء ولذلك وصله بقوله لقد لقينا من سفرنا اى الذي سفرناه في هذا اليوم خاصة ولذلك اشار اليه باداة القرب فقال هذا نصبا
وكان الحوت زادهم فلم يكن معه فكانه قيل فما كان من امره فقيل قال اى موسى عليه السلام مجيبا له ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة التى
بمجمع البحرين فاني اى بسبب انى نسيت الحوت اى نسيت ان اذكر لك امره الذى كان هنالك ثم اراد التعجب من هذا النسيان بالاعتراض بين الاخبار
بجاده وبين تفصيل امره وبايقاع النسيان عليه ثم على ذكره فقال وما انسانيه مع كونه عجبا الا الشيطان بوسوسته ولما كان المقام
للتدريب في عظم تصرف الله تعالى في القلوب بانسيان العلم حتى نفيه وان كان ضروريا ذكر نسيانا ثم ابدل من ضميره قوله ان اذكره لك فانه عاش
فانساب من المكتل في البحر واتخذ سبيله اى طريقه الذى ذهب فيه في البحر عجبا وذكره له الاذهان من ان يكون للشيطان عليه سلطان على ان
هذا الانساء ليس معصية للطاعة بل فيه ترقية لهما في معارج المقامات العالية لوجدان التعب بعد المكان الذى فيه البغية وحفظ الماء منجابا
على طول الزمان وغيره من الغرائب الباقية دعوة لهما سلطانه على الذين يتولونه مبين ان السلطان الحامل على الخطأ ونحوه وفي هذه القصة خوارق
حياة الحوت وانجياب الماء وما كان لكل منهما وامساك الماء عن محله وقد اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلم نفسه او اتباعه ببركته مثل ذلك اما اعادة
ما اكل من الحوت المشوي وهو جنسه فقد روى البيهقي في اعلام النبوة عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
الى الحجة التي حجها حتى اذا كنا ببطن الروحاء فذكر قصة امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم وولدها من الجن الى ان قال فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجه انصرف حتى اذا نزل بطن الروحاء اتته تلك المراة بشاة قد شوتها فامر باخذ الشاة منها ثم قال يا اسيم وكان اذا دعاه رخمه
ناولني ذراعها وكان احب الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها ثم قال يا اسيم ناولني ذراعا فناوله فقال يا اسيم ناولني ذراعا فقلت
يا رسول الله انما هما ذراعان وقد ناولتك فقال والذي نفسي بيده لو سكت ما زلت تناولني ذراعا ما قلت لك ناولني ذراعا فقال خبر
صلى الله عليه وسلم انه لو سكت لوجد الله له ذراعا ثم ذراعا وهكذا وهو الحق الذي لا فرق بينه وهو في عالم الغيب وبين ما وجد في عالم الشهادة
واما حياة الحوت المشوي فقد مضى عنه والله يعصمك من الناس ما هو اكبر من ذلك في قصة الشاة المسمومة وهو ان ذراعها اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه
مسموم فهو اعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا حنين الجذع وكلام الحجر وتسبيح الحصا وتامين اسكفة الباب وحوائط البيت ونحو ذلك اعظم من
عود الحياة الى ما كان حيا فقد روى البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد قال قال لي الشافعي ما اعطى الله نبيا ما اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت
اعطى عيسى احياء الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم الجذع الذي كان يخطب الى جنبه حتى هيئ له المنبر فلما هيئ له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته فهذا
اكبر من ذلك انتهى على انه قد تقدم في آل عمران وفي اواخر البقرة في قصة ابراهيم عليه السلام حديث احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم وللبعض امته واما
ايه الماء فرجعها الى الصلابة ولا فرق بين جموده بعدم الالتيام بعد الانخراق وبين جموده وصلابته بالامتناع من الانخراق وقد روى البيهقي في
ذلك ما فيه ابين في الاحياء بسند منقطع عن انس رضي الله عنه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتته امراة ومعها ابن لها
فاضاف المراة الى النساء واضاف ابنها الينا فلم يلبث ان اصابه وباء المدينة فمرض اياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وامر بجهازه
فلما اردنا ان نغسله قال ائت امه فاعلمها فجاءت حتى جلست عند قدميه فاخذت بهما ثم قالت اللهم اني اسلمت لك طوعا وخلعت
الاوثان زهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها
قال والله ما تقضي كلامها حتى حرك قدميه والقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحتى هلكت
امه ثم جهز عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا واستعمل عليه العلاء بن الحضرمي قال وكنت في غزاته فاتينا مغازينا فوجدنا

القوم

القوم قد بذروا بنا فعفوا آثار الماء قال والحر شديد فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين
ثم مد يده وما نرى في السماء شيئا فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحا وانشأ سحابا فافرغت حتى ملأت الغدر والشعاب فشربنا و
سقينا واستقينا ثم اتينا عدونا وقد جاوزوا خليجا في البحر الى جزيرة فوقف على الخليج وقال يا علي يا عظيم يا حليم يا كريم ثم قال
اجيزوا باسم الله فاجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا فاصبنا العدو غيلة فقتلنا واسرنا وسبينا ثم اتينا الخليج فقال مثل مقالته
فاجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا واخبرنا ابو الحسين بن بشران انا اسمعيل الصفار انا الحسن بن علي بن عفان نا ابن نمير عن الاعمش عن بعض
اصحابه قال انتهينا الى دجلة وهي مادة والاعاجم خلفها فقال رجل من المسلمين باسم الله ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء فقال الناس بسم الله
بسم الله ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء فلما نظر اليهم الاعاجم قالوا ديوان ديوان ثم ذهبوا على وجوههم فما فقدوا الا قدحا كان معلقا
بعذبة سرج فلما خرجوا اصابوا الغنائم فاقتسموها اخبرنا ابو عبد الرحمن السلمي انا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعوري نا ابو العباس السراج
نا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قالا نا سليمان بن المغيرة ان ابا مسلم الخولاني جاء الى الدجلة وهي ترمي الخشب من مدها فمشى على الماء
والتفت الى اصحابه وقال هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله قال البيهقي اسناده صحيح وفي هذا الامر من هذه القصة قاصمة للسائلين
والامرين لهم بالسؤال الان المراد والله اعلم ان هذا الامر وقع لنبي هو اولى للمضلين من قريش اذ ربا اليهود عن هذه القصة فان اخبرهم عنها
بمثل ما اخبرتهم فصدقتهم لزمهم ان يؤمنوا بالبعث لان امر هذا الحوت الذي احياه الله بعد ان كان مشويا وصار كثير منه في البطون وان لم
يصدقوهم في هذا وصدقوهم في غيره مما يتعنتون به عليك فهو تحكم وان كانوا اتهموهم في كل امر كان سوالهم لهم عبثا ليس من افعال
من يعقل خاله قيل فما قال موسى فقال قال منبها على ان ذلك ليس للشيطان وانما هو افعال من الله تعالى بغير واسطة لتجدد العلامة التى اخبره
الله تعالى بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لانسى او انسى لاسن ذلك اى الامر العظيم من فقد الحوت ما كنا نبغ اى نريد من علامة الامر
المغيبة فان الله جعله موعدا في لقاء الخضر فارتدا على آثارهما يقصانها قصصا وهذا يدل على ان الارض كانت رملا لا اعلام فيها في الظاهر
والله اعلم انه مجمع النيل والملح الذي عند دمياط او رشيد من بلاد مصر ويؤيده نقر العصفور في البحر الذي ركبا في سفينته للتعدية كما في الحديث
فان الطير لا ينقر في الملح ومن المشهور في بلاد رشيد ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا ذاهب الشق يقولون انه من نسل تلك السمكة والله اعلم فاتما
يقصان حتى انتهيا الى الموضع الذى فقد الحوت فوجدا عبدا من عبادنا مضافا الى حضرة عظمتنا وهو الخضر آتيناه بعظمتنا رحمة اى وحيا ونبوة
وكونه نبيا قول الجمهور من عندنا اى مما لم يجر على قوانين العادات غريزة ليس تعرف عند اهل الاصطفاء وعلمناه من لدنا اى من الامور مستبطنة
المستغربة التى عندنا مما لم يجر من الاسباب المعتادة فهو مستغرب عند اهل الاصطفاء علما قذفناه في قلبه بغير واسطة وقال الاستاذ ابو الحسن الحرالي
عندي في لسانا ما ظهر ولدنا ما بطن فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته وبالعلم الباطن الخفي المعلوم قطعا انه خاص بحضرتنا سبحانه واهل
التصوف سموا العلم بطريق المكاشفة العلم اللدني فان اسعى العبد في الرياضات تزين الظاهر بالعبادات ويخلي النفس عن الاخلاق الرذيلة
ويحلي بالاخلاق الجميلة وتغير القوى الحسية والخيالية والوهمية في غاية القوة وحيث تصير القوة العقلية قوية صافية ورب كانت النفس
بحسب اصل الفطرة نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالحوادث البدنية شديدة الاستعداد لقبول الامور الالهية فيفيض عليها من عالم القدس
على وجه الكمال فتحصل المعارف والعلوم من غير تفكر وتامل فهذا هو العلم اللدني ثم اورد سبحانه القصة على طريق الاستيناف على تقدير سوال
سائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك انه من المعلوم ان الطالب للشخص في القضية كلما لم يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كان سائلا عن ذلك
قال له موسى طالبا منه على سبيل التأدب والتلطف باظهار ذلك في قالب الاستيذان هل اتبعك اى اتباعا بليغا حيث توجهت والاتباع الاتيان
بمثل فعل الغير لمجرد كونه آتيا به وبين انه لا يطلب منه غير العلم بقوله على ان تعلمن وزاد في التلطف بالاشارة الى انه لا يطلب جميع ما عنده
ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها الى باقيه فقال مما علمت وبناه للمفعول لعلم المخاطبين لكونهما من الخلص بان الفاعل هو الله
سبحانه او للاشارة الى سهولة كل امر على الله تعالى رشدا اى علما يرشدني الى الصواب فيما اقصده ولا نقص في تعلم نبي من نبي حتى يبقى

ان موسى هذا ليس موسى بن عمران عليه السلام فانه قد ثبت كونه ابن عمران في الصحيح والنبي صلى الله عليه وسلم في سؤاله له بهذه الانباع من
الادب بالابلاغ في التواضع كما هو عليه من الرسوخ في العلم لان كل ما كثرت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والاشغال اكثر
وكان طلبه لها اشد فكان تعظيمه لارباب العلوم اكمل ولما اتم العبارة على سؤاله استانف جوابه له بقوله **قال** اي الخضر **انك لن تستطيع**
يا موسى **معي صبرا** اي بوجه من الوجوه على ما اريد لما يحملك على عدم الصبر من ظاهر الشرع الذي امرت به والتنوين للتعظيم بما تؤذن به تا
الاستفعال وكد لما في سؤال موسى من التلطف المؤذن بانه يصبر عليه ولا يخالفه في شي اصلا ويؤخذ منه ان العالم ان راى في التغليظ على
المتعلم ما يفيده نفعا وارشادا الى الخير كان عليه ذكره فان السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة وذلك يمنعه من التعلم
ولما كان المقام صعبا جدا لانه بالنسبة الى العوام اسرع شي على وصار يلمح نفي الاضعف وهو الصبر البليغ بالتحقيق بطلق الصبر تعرض
عن موسى عليه السلام في الانكار وعن نفسه في الفعل بان ذلك بالنسبة الى الظاهر والباطن فقال عاطفا على ما تقديره فكيف تتبعني
الاتباع البليغ **وكيف تصبر** يا موسى **على ما لم تحط به خبرا** اي من جهة العلم به باطنا وظاهرا فاشار بالاحاطة الى انه كما يجوز
ان يكون على صواب يمكن ويجوز ان لا يسقط عنه وجوب الامر ويجوز ان يكون هذا تعليلا لما قبله فيكون الصبر الثاني هو الاول والمعنى انك لا
تستطيع الصبر الذي اريده لانك لا تعرف فعلي على ما هو عليه فتراه فاسدا **قال** اي موسى ايتا بنهاية التواضع لمن هو اعلم منه ارشادا
لما ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله له والنفع به **ستجدني** فاكد الوعد بالسين ثم اخبر عنه سبحانه انه قوى تاكيده بالتبري بذكر
التعلق لعلمه بصعوبة الامر على الوجه الذي تقدم الحث عليه في هذه السورة في قوله ولا تقولن لشي الآية ليعلم انه منهاج الانبياء
وسبيل الرسل فقال **ان شاء الله** اي الذي له صفات الكمال **صابرا** على ما يجوز الصبر عليه ثم زاد التاكيد بقوله عطفا بالواو على صابرا
بيانا التمكن في كلا الوصفين **ولا اعصي** اي غير عاص **لك امرا** تامرني به غير مخالف لظاهر امر الله **قال** اي الخضر **فان اتبعتني** يا
موسى اتباعا بليغا **فلا تسألني عن شي** قولا او فعلا **حتى احدث لك** خاصة **منه ذكرا** ابين لك وجه صوابه فاني لا اقدم على شي
الا وهو صواب جائز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك فعطا اشترطا وتراضيا على ابن الشرط تسبب عن ذلك قوله **فانطلقا** اي موسى
والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان سفينة يركبان فيها واستمرا **حتى اذا ركبا في السفينة** واجاب الشرط بقوله **خرقها** وعرفها ارشادا
الى السفينة بذكر مجمع البحرين الى ان الطلب تهما له لطلب سفينة فكانت لذلك كانها مستحضرة في الذهن ولم يقرن خرق بالفا لانه لم يكن مسببا عن
الركوب ولا كان في اول الحياة ثم استانف قوله **قال** اي موسى منكرا لذلك لما في ظاهره من الفساد باتلاف المال المفضي الى ما اكبر منه باهلاك
النفوس ناسيا لما عقده على نفسه لما هو مما عنده من الله وهو الاله العظيم من العهد الوثيق المكرر في جميع اسفار التوراة بعد اثباته في
لوحي الشهادة في العشر كلمات التي نسبتها من التوراة كنسبة الفاتحة من القران بالامر القطعي بانه لا يقر على منكر حسب القدرة من النهي واوجب على الغرور
على انه لو لم ينس لم يترك الانكار كما فعل عند قتل الغلام لان مثل ذلك غير داخل في الوعد لان المستثنى شرعا كالمستثنى وضعا فقال ما في ناسي
النظر وفي الثانية ناسيا لما دهمه من فظاعة القتل الذي لم يعلم فيه ما امر الله انه ينبغي تقليده لشارع امر عليه **اخرقتها** وبين عذره في الانكار
على غاية الخرق من الفظاعة فقال **لتغرق اهلها** والله **لقد جئت شيئا امرا** اي عظيما منكرا عجيبا شديدا **قال** الخضر **الم اقل انك** يا موسى
لن تستطيع معي صبرا فذكر بما قال له عند الشرط **قال** موسى **لا تؤاخذني** يا خضر **بما نسيت** من ذلك الاشتراط **ولا ترهقني** اي تلحقني ما
لا اطيقه وتعجلني عن مرادي باساءتك على وجه القهر ناسيا الى السفه والخفة وركوب الشر **من امري عسرا** بالمؤاخذة على النسيان فكل منهما صادق
فيما قال موسى بحسب ما عنده اما موسى عليه السلام فلانه ما خطر له قط ان يعاهد على ان لا ينهى عما يعتقده منكرا واما الخضر فلانه عقد على ما في النفس
الامر انه لا يقوم على منكر ومع ذلك فلا ينفي الا الصبر البليغ الذي دل عليه بزيادة تاء الاستفعال وقد حصل ما يطلق عليه صبر لانه لما ذكره كف
لما تحقق بنا ان عليه انه لا يفعل باطلا ولم يحصل الصبر البليغ الذي في نفس الخضر بالسكوت في اول الامر وامضى **فانطلقا** بعد نزولهما من السفينة
وسلامتهما من الغرق والغصب **حتى اذا لقيا غلاما** لم يبلغ الحلم وهو في غاية القوة **فقتله** حين لقيه كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط

ثم اجاب الشرط بقوله مشعرا بان شروعه في الانكار في هذه اسرع **قال** اي موسى **اقتلت** يا خضر **نفسا زكية** بكونها على الفطرة الاولى من غير ان تدنس
بخطيئة توجب القتل **بغير نفس** قتلتها لم يكن قتلها لها قودا وهذا يدل على انه كان بالغا حتى ان قتل قتلا امكن قتله به الا ان يكون شرعهم لا يشترط البلوغ
ثم استانف قوله **لقد جئت** في فعلك اياها **شيئا نكرا** مصرح بالانكار في قوله نكرا لانه مباشرة والخرق تسبب لا يلزم منه الغرق ولما كانت هذه ثانية
قال الخضر **الم اقل** يا موسى **لك انك** يا موسى **لن تستطيع معي صبرا** وزاد قوله **لك** خاصة **صبرا** **قال** موسى حياء عند ما افاق بتذكره ما حصل من فرط الوجد لامر الله
فذكر انه ما تبعه الا بامر الله **ان سالتك عن شي بعدها** اي الخرق والقتل بشرة منه على الانكار بقوله **فلا تصاحبني** بل فارقني ثم علل ذلك بقوله
قد بلغت واشار الى ان ما وقع منه من الاخلال بالشرط من اعظم الخوارق التي اضطر اليها فقال **من لدني عذرا** باعتراضي مرتين واحتمالك لي فيهما
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لو صبر لراى من ذلك في غزارة علمك **فانطلقا** بعد قتله **حتى اذا اتيا اهل قرية** عبر عنها هنا بالقرية دون المدينة لانه ادل على الذم لان
مادة قرا تدور على الجمع الذي يلزمه الامساك كما تقدم في اخر سورة يوسف ثم وصفها ليبين ان لها مدخلا في لوم اهلها بقوله **استطعما** واظهر
ولم يضمر في قوله **اهلها** لان الاستطعام لبعض من اتوه او كل من الاثنين والاستطعام لبعض ولكنه غير محرر وهذا هو الظاهر لانه الموافق للعادة
قال الامام ابو الحسن الحرالي في كتابه مفتاح الباب المقفل لفهم القران المنزل وتكرار الاسماء بالاظهار والاضمار بيانا متين الانباء في القران اعلام ان لوقوع
الاظهار والاضمار في بيان القران وجهين احدهما يتقدم فيه الاظهار وهو خطاب المؤمنين بآيات الافاق وعلى نحو هو خطاب الحق لبعضهم لبعض
لا يضمر من الابعد ان يظهر والثاني يتقدم فيه الاضمار وهو خطاب الموقنين بآيات الانفس ولم يصل اليه يخاطب الخالق فاذا كان البيان عن احاطة تقدم
الاضمار نحو قل هو الله احد وان كان عن اختصاص تقدم الاظهار الله الصمد واذا رد عليه بيانا على حد واضمر لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واذا جا
البيان بعد اختصاص تو نفى له احاطة باستيناف اظهار محيطا وباضمار او بجمع المضمر والمظهر يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
واتقوا الله ان الله سميع عليم ان تحاطر ربك شديد انه هو يبدئ ويعيد هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة والتفطن لما اختص
بيان القران عن بيان الانسان من هذا النحو من مفاتيح ابواب الفهم ومن نحوه اتيا اهل قرية استطعما اهلها استانف للمستطعين اظهارا لغير ما رد عموم
الماتيين انتهى وجعل السبكي الآية للبعض والاستطعام الكل لانه تقدم ما اهل القرية وادعى طبع ما في قال الاول اهون بقول الشافعي
في الرسالة في باب ما نزل عاما ويدل على الخصوص وهو بعد البيان الحاسم هكذا قول الله عز وجل حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها
وفي هذه الآية دلالة على انهم لم يستطعما كل اهل القرية وفيها خصوص انتهى ومن هذا ذلك ان النكرة اذا اعيدت كانت الثانية غير الاولى واذا اعيدت
معرفة كانت عينها في الاغلب فلما اسند الاتيان الى اهل القرية كان ظاهرهم تناول الجميع فلو ضمير استطعاهم لكان المراد بالضمير عين الماتيين فلما عدل
عنه مع انه اخصر الى الظاهر ولا سيما ان جعلناه نكرة كان غير الاول والا لم يكن للعدول فائدة وقد كان الظاهر ان الاول للجميع والثاني للبعض ولو اراد
لم يكن غيرهم ولا كان للعدول فائدة **فابوا** اي فتسبب عن استطعامهما ان ابى المستطعمون من اهل القرية **ان يضيفوهما** اي ينزلوهما ويطعموهما فانصرفا
منهم **فوجدا فيها** اي القرية ولم يقل فيهم ايذانا بان المراد وصف القرية بسوء الطبع **جدارا** مشرفا على السقوط ولذا قال مستعيرا لما يعقل
صفة ما يعقل **يريد ان ينقض** اي يسقط سريعا فمسحه الخضر بيده **فاقامه** ولما اقتضى وصف القرية ما تسبب عنه اجاب اذا بقوله
قال اي له موسى عليه السلام **لو شئت لاتخذت** اي لكوننا لم يصل الينا منهم شي **عليه** اي على اقامة الجدار **اجرا** نأكل به فلم يعترض عليه في هذه
المرة لعدم ما ينكر فيها والمتطاول ما يترتب عليها من ثمرتها ساق العرض المشورة فلم يتضمن السؤال **قال** الخضر **هذا** اي الوقت او السؤال
ولما كان ذلك سبب الفراق او محله سماه به مبالغة فقال **فراق بيني وبينك** يا موسى بعد ان كان البينان بينا واحدا لاتصالهما فلا بين
في الحقيقة فرق ما كان متصلا من بينهما او فراق الاتفاق والذي كان بيننا اي الفراق الذي سببه السؤال اذ انزل على الاحتياج لزداد ظهورا
تقديره فراق بيني وبينك كما اخبرت وفراق بينك من بيني كما شرطت فقد اثبتت هذه العبارة الفراق على ابلغ وجه وذلك انه اذا وقع
فراق شي من بينك حايل بينه لبينهما فقد وقع منك بفراق الاول وحقيقته ان البين هو الفراغ المنبسط الفاصل بين الشيئين وهو موزع بينهما
فبين كل منهما من منتصف ذلك الفراغ اليه فاذا دخل في ذلك الفراغ شي فصل بينهما وصار بين كل منهما بين اليه لا صار بين ما ينسب الى كل

منهما من البينين بوحي يكون بينهما مباينة الى ان بين كلا منهما عن الاخر وفرق الان هذا فراق بيني وبينك زوال الفصل وجود الوصل كما بان بغير هذا انفكا
بيننا الموصلة فلو كان بعد ذلك ايضا لا عقد معنى ما يدل على الوصل بجميع ما يدل على الفعل وقرينة اسرع موسى عليه السلام كما في تفسير الاصبهاني وغيره بما
فعل الخضر عليه وقع له هو من مثله سواء بسواء فنبهه بخرق السفينة الذي ظاهره هلاك وباطنه نجاة من يد الغاصب على التابوت الذي اطبق عليه
والقي في اليم خوفا عليه من فرعون الغاصب على نظائره ظاهره هلاك وباطنه نجاة وبقتل الغلام على انه كان معصوم الحركة في نفس الامر بقتله القبطي وان لم يكن
اذ ذاك يعلمه لكونه لم يكن نبيا وباقامة الجدار من غير اجر على سقيه لبنات شعيب عليه السلام من غير اجر مع احتياجه الى ذلك وفي ذلك من العلوم شيء كثير ولما اشتراف
موسى عليه السلام الى الوقوف على باطن هذه الامور قال مجيبا له عن هذا السؤال سانبئك يا موسى بوعد اخلف فيه انباء عظيما بتاويل اي
بترجيع ما لم تستطع عليه صبرا لما لقيته عندك الحكمة الى الحكمة وهو نظر تعارض الضررين بحيث يرتكب الادنى لدفع الاعلى بشرط التحقق
واثبت تاء الاستفعال هنا وفيما قبله اعلاما بانه ما نفى الا القدرة البليغة على الصبر لا مطلق القدرة على الصبر اشارة الى الصعوبة بما صدر من موسى عليه السلام
مرة ان لا مطلق القدرة على الصبر اما السفينة التي احسن الينا اهلها فخرقتها فكانت لمساكين وهو دليل الشافعي على ان الفقير اسوا حالا
من المسكين لان هؤلاء يملكون سفينة يعملون في البحر ليستعينوا بذلك على معاشهم ولما كان التعييب من فعله نسبه اليه خاصة تادبا مع الله تعالى
فقال فاردت ان اعيبها فان تفويت منفعتها بذلك ساعة من نهار وتكلف اهلها لما يسد وهنا باخف ضرر انفع من تفويتها منفعتها اصلا وركنا
بانه الملك لها ولم ارد اغراق اهلها كما هو المتبادر الى الفهم ثم عطف على ذلك علة فعله فقال وكان وراءهم اي امامهم او قدامهم ونعله
عبر بلفظ وراء كما تقدم الاحاطة بنفوذ الامر بكل جهة واتهم وما روعها وفسره الحرالي في سورة البقرة بان وراءهم في غيبته عن علمهم وان
كان امامهم في وجهتهم لانه فسر الوراء بما لا يناله الحس ولا العلم حيث كان من المكان قال فربما اجتمع ان يكون الشيء وراء من حيث انه لا يعلم ويكون اماما
في المكان ملك يأخذ في ذلك الوقت كل سفينة ليس فيها عيب غصبا من اصحابها ولم يكن عند اصحابها علم به ولما كان الغصب الى المسكنة
سببا لفعله ترتيبا على الغصب اشارة الى انه اقوى السببين الحاملين على فعل الرافة بالمساكين واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه
مؤمنين وكان هو مطبوعا على الكفر كما يأتي في حديث ابي بن كعب ولما كان يحتمل عند الخضر عليه السلام ان يكون هذا الغلام مع كفره في نفسه سببا لكفر ابويه
الاكبر وكان امر الله بقتله مثل فعل من يخشى في ذلك اسند الفعل اليهما فقوله فخشينا ان يرهقهما اي يغشيهما ويلحقهما الكبر محبتهما الذي كرائه
قساوته طغيانا اي تجاوزا في الظلم لهما وافراطا فيه عليهما وكفرا بنعمتهما فيفسد دينهما ويحملهما حبه له على الطغيه والكفر بما لا
طاقة له فيفسد دينهما روى مسلم في القدر وابو داود في السنة والترمذي في التفسير عن ابن عباس عن ابي بن كعب رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا هذا حديث والله اعلم بما كانوا عاملين يدل على انها الغرامة الوجه الى وقع
انما يلوم على ما كان نحصل وطبعا الا ما كانها رضينا والا فهذا الابوان على تقدير ان يكون المعلوم من كفرهما ولما ذكر ما يلزم على تقدير
بقائه من الفساد تسبب عنه قوله فاردنا اي بقتله طرا حتما ولما كان التعويض عن هذا الولد وحده اسند الفعل اليه فقوله ان يبدلهما
ربهما اي المحسن اليهما باعطائه واخذه خيرا منه زكاة طهارة وبركة اي من جهة كونه كان طاهر الزكاء في الحال واما في المال فلو عاش كان نفسه
خبيثا ظاهر الخبث وهذا البدل يمكن ان يكون الصبي عوضا به ويمكن ان يكون ولدا اخر وهو المنقول وانها كانت بنتا واقرب رحما برا بهما وعطفا
عليهما ورحمة لهما فكان القرب الاحق لهما بالتلطف عليه حتى لهما عند كبره بانتفاعهما به واما الجدار الذي تشرف بالاخذ الاجر
عليه فكان لغلامين ولما دل على كونهما دون البلوغ بقوله يتيمين ولما كانت القرية لا تنافي التسمية بالمدينة وكان التعبير بالمدينة اولى
الليق لانها مشتقة من معنى الجمع فكان الليق بالذم في ترك الضيافة لاشعارهم بجحالة الاجتماع بحيثيتهم الجمع والامساك وكانت المدينة بمعنى الاقامة
فكان التعبير بها اليق الناس فيهم مقيمين فيها الكنز قال في المدينة فلذلك احتسابا وكان
تحته كنز لهما اي مال مذخور لهما لو وقع لكان اقرب الى ضياعه وكان ابوهما صالحا ينبغي مراعاته تخلف في ذريته بخير الى
حد البلوغ والاستخراج فعل الله وحده اسند الفعل له خاصة فقال فاراد ربك اي المحسن اليك بهذه التربية اشارة الى ما فعل بموسى مثل ذلك قبل النبوة

كما بين

كما بين ان يبلغا اي يغلقا اشدهما اي رشدهما وقوتهما ويستخرجا كنزهما ينتفعا به وينفعا الصالحين رحمة بهما من ربك اي الذي
احسن تربيته ولذا لا ينبغي حكم اليتيم ولان التعب في اقامة الجدار مجانا ادنى من الضرر اللازم من سقوطه لضياع الكنز وخسار الجدار وقد دل هذا على ان
صلاح الاباء داع الى العناية بالابناء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله كنز الغلامين قال
بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه قال انبأنا الله انكم قوم خصمون وما فعلته اي شيئا من ذلك عن امري بل عن امر من له الامر وهو الله ولما بان
بهذا سر تلك القضايا قال مفتكا الامر ذلك اي الشرح العظيم تاويل ما لم تسطع يا موسى عليه صبرا فحذف تاء الاستطاعة هنا لصيرورة
ذلك بعد كشف الغطاء في حيز ما يحمل ان تكرة غير صابر اصلا لو كان مكشوفا اول الامر ومسقط بما قررته هذه القصة
ما يقال من ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر في قول سليمان المخرج في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه لاطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تلد فارسا
يجاهد في سبيل الله فلم تلد منهن الا واحدة جاءت بشق ولد حتى انه لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا اجمعون فافهم ذلك ان كل نبي استثنى في خبره صدق
اسمع كما وقع للذبيح انه قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وفي قول موسى عليه السلام وهو من اولي العزم فعل مع الاستثناء ما فعل فان الذبيح صبر
على ما هو قاطع بانه يعيبه امر الله بخلاف موسى عليه السلام فانه كان ينكر ما ظاهره منكر قبل العلم بانه عن امر الله فاذا انبه صبر ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
يرحم الله اخي موسى وددنا لو انه صبر حتى يقص علينا من امرهما نبغيه صبر عن الاذن للخضر في مفارقته في قوله فلا تصاحبني وبدل عليه ان
في رواية لم لولا انه عجل لرأى العجب ولكنه اخذته ذمامة قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فتحرز انه وفي مقام الشرع الذي اقامه الله فيه
فلم يخل بمقام الصبر الذي ليس فيه ما يخالف ما يعرفه وبتحصن من الشرع وكيف لا وهو من اكابر اولي العزم الذين قال الله تعالى لامر خلقه في التشكيك
بسيرهم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال عليه السلام فيما اخرجه الشيخان عن ابن مسعود رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اوذي من بعض من كان معه في حنين فتلون وجهه وقال يرحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر
وعلم ان في قصته هذه حثا كثيرا على المجاهدة بالمبادرة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصابرة عليه وان لا يستحي فيه كبير ولا صغير
اذا انها الدم حقيقة من امره في الظاهر بما عنه في ذلك من العلم عن الله ورسوله وائمة دينه وتنبيها على انه لا يلزم من العلم اللدني سواء
كان صاحبه نبيا او وليا معرفة كل شيء كما يدعيه اتباع بعض الصوفية ان الخضر اعلم من موسى عليهما السلام من انت وهل هو موسى بني اسرائيل
كما ياتي روى البخاري في التفسير من روايات مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فادركه رجل فقال اي رسول الله
هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه بلى عبد من عبادي بمجمع البحرين قال اي رب كيف
السبيل اليه قال تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فاتبعه وفي رواية خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فخرج ومعه فتاه يوشع
ابن نون حتى انتهيا الى الصخرة فوضع موسى راسه فنام في ظل الصخرة في مكان ثريان اذ تضرب الحوت وفي رواية وفي
اصل تلك الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فانسل من المكتل فدخل البحر
فامسك الله عنه جرية البحر حتى كان اثره في حجر فقال فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره فذكر سفرهما وقول موسى عليه السلام
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال قد قطع الله عنك النصب فرجعا فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى بثوب قد جعل طرفه
تحت رجليه وطرفه تحت راسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بارضي من سلام من انت قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل
قال نعم قال فما شانك قال جئت لتعلمني قال اما يكفيك ان التوراة بيدك وان الوحي ياتيك يا موسى ان لي علما لا ينبغي لك ان تعلمه
وان لك علما لا ينبغي لي ان اعلمه لا ينبغي للعالم ان يعمل بالباطن ولا ينبغي له ان يقف مع الظاهر اطلق العلم على العمل لانه سببه فانطلقا
يمشيان على الساحل فوجدا معابر صغارا تحمل اهل هذا الساحل الى اهل هذا الساحل الاخر فعرفوا الخضر فقالوا عبد الله الصالح لا نحمله
باجر فحملوهم في سفينتهم بغير نول يقول بغير اجر فركبا السفينة ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر وفي رواية

فاخذ بمنقاره من البحر وفي رواية فنقر نقرة او نقرتين فقال والله ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا من البحر فلم يحيا
موسى الا الخضر عمد الى قدوم فخرق السفينة ووتد فيها وتدا فذكر انكاره وجوابه ثم قال الخضر كانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا
والثالثة عمدا فذكر القصة وفي آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى صبر حتى يقص علينا من امرهما ولما
فرغ من هذه القصة التي حاصلها انها طواف في الارض لطلب العلم عقبها بقصة من طاف الارض لطلب الجهاد وقدم الاولى اشارة
الى علو درجة العلم لانه اساس كل سعادة وقوام كل امر فقال عاطفا ويجادل الذين كفروا بالباطل ويسألونك عن الرجل الصالح
المجاهد ذي القرنين سمي لشجاعته او لبلوغه قرني مغرب الشمس ومشرقها او لانقراض قرنين من الناس في زمانه او لانه كان له
ضفيرتان من الشعر او لتاجه قرنان وهو اسكندر [illegible] نقل ابن كثير عن الازرقي انه كان على زمن الخليل عليه السلام وطاف معه بالبيت ومن
المناسبات الصورية ان في قصتي كل منهما ثلاثة اشياء اخرها بناء جدار لا سقف له وانما هو لاجل حفظ ما يهتم به خوف المفسد ومن [illegible]
بالاخبار عن سؤالهم اشارة الى انهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها من العجائب والطرائف والاسرار والمعارف تبكيتا لهم وتوبيخا [illegible]
بالسؤال عنها ان كان مقصودهم الحق وان لم يكن مقصودهم كانوا بالتبكيت اجدر وتكون معطوفة على سؤالهم الاولى وهي
الروح وصرح بها بالاخبار بالسؤال التنبيه على ذلك ولطول الفصل اشارة الى ان ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك
ولما كان من المعلوم انه يقول صلى الله عليه وسلم فماذا اجيبهم قال قل لهم سأتلوا اي اقص قصا متتابعا في مستقبل الزمان ان اعلمني
الله به عليكم ايها المشركون واهل الكتاب المعلمون لهم مقيدا بان شاء الله كما اسلفت الامر به منه ذكرا كافيا لكم في تعرف امره
جامعا لمجامع ذكره ولما كانت قصته من ادل دليل على عظمة الله جلاها في ذلك المظهر فقال انا مؤكدا لان المخاطبين بصدد التعنت
والانكار مكنا له اي بما لنا من العظمة قيل بالملك وحده وقيل مع النبوة لان ما ينسب الى الله تعالى على سبيل الامتنان والاحسان جدير
بان يحمل على النهاية لا سيما اذا عبر عنه بمظهر العظمة له في الارض مكنة يصل بها الى جميع مسلوكها ويظهر بها على سائر
ملوكها واتيناه بعظمتنا من كل شيء يحتاج اليه في ذلك سببا قال ابو حيان واصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق
على ما يتوصل به الى المقصود فاراد بلوغ المغرب ولعله بدأ به لان باب التوبة فيه فاتبع اي بغاية جهده هنا على قراءة ابن كثير ونافع
وابي عمرو بالتشديد والمعنى على قراءة الباقين بقطع الهمزة واسكان الفوقانية الحق بعض الاسباب ببعض وذلك تفسير لقراءة التشديد
سببا يوصله اليه واستمر متبعا له حتى اذا بلغ في ذلك المسير مغرب الشمس الى الحد الذي لا يتجاوزه آدمي في جهة الغرب وجدها
فيما يحس بحاسة لمسه تغرب كما احسه بحاسة بصره بحيث انه متصل بها وصل اليه بيه لا حائل بينه وبينه في عين حمئة اي ذات حمأة
اي طين اسود وهي مع ذلك حارة كما ينظر من في وسط البحر انها تغرب فيه وتطلع منه وعنده القطع بان الامر ليس كذلك ووجد
عندها اي على الساحل المتصل بتلك العين قوما كفارا لهم قوة على ما يحاولونه ومنعة فكانه قيل ماذا امر فيهم فاجيب بقوله
قلنا بمظهر العظمة ياذا القرنين اعلاما بقربه من الله وانه لا يفعل الا ما امره به اما بواسطة الملك ان كان نبيا وهو الظاهر او بالاجتهاد
او بواسطة نبي زمانه او باجتهاده في شريعته الاجتهاد المصيب اما ان تعذب اي هؤلاء القوم ببذل السيف فيهم لكفرهم واما ان تتخذ
اي بغاية جهدك فيهم حسنا امرا له حسن عظيم وذلك هو البداءة بالدعاء اشارة الى ان القتل وان كان جائزا فالاولى ان لا يفعل الا بعد
الياس من الرجوع عن موجبه قال اما من ظلم باستمراره على الكفر فانا نعذبه حتى نيأس منه ثم نقتله والى ذلك اشار بقوله
فسوف نعذبه بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء والترفق ثم يرد بعد الحيوة بالموت وبعد البرزخ بالبعث ردا هو في غاية السهولة
الى ربه الذي تفرد بتربيته فيعذبه عذابا نكرا شديدا جدا لم يعهد مثله كفرا لنعمته وداخره في عبادة غيره وفي ذلك اشارة
بالتهديد الشديد لليهود العارفين لمرتبته وارشاد لقريش الى ما يسألونهم قوله هنا ليكون قائدا لهم الى الاقرار بالبعث
واما من آمن وعمل صالحا تصديقا لما اخبر به من تصديقه فله في الدارين جزاء طريقته الحسنى منا ومن الله باحسن منها

وسنقول

وسنقول له بوعد لا خلف فيه بعد اختباره بالاعمال الصالحات له اي لاجله من امرنا اي الذي نامر به فيه يسرا اي قولا غير شاق من الصلوة والزكوة
والخراج ونحوهما وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كبيرة ثم اتبع لارادته بلوغ شرق الشمس سببا من جهة الجنوب يوصله الى المشرق
واستمر فيه لا يميل ولا تغلبه مدة رحلتها حتى اذا بلغ في مسيره ذلك مطلع الشمس اي الموضع الذي تطلع عليه اولا من المعمور من الارض وجدها
تطلع على قوم على ساحل البحر لهم قوة شديدة لم نجعل لهم ولما كان المراد التعميم اثبت الجار فقال من دونها اي من ادنى الاماكن اليهم اول
ما تطلع سترا يحول بينهم وبين المحل الذي يرون طلوعها منه من البحر من جبل ولا شجر ولا ابنية ولا غيرها ولما كان امره مستغربا في نفسه وفي الاطلاع
عليه لا سيما عند المغرب قال تعالى كذلك اي امره كما ذكرنا لكم على سبيل الاختصار وقد احطنا بما لدنا من العظمة بما لديه كله من الامور التي
هي اغرب من تغرب خبرا التي من جهة بواطن اموره فضلا عن ظواهرها فلا يستغرب اخبارنا عن ذلك ولا عن امر اصحاب الكهف ولا
يظن ان تفصيل امر الروح خفي عنا لانا مطلعون على خفايا الامور وظواهرها شواهدها وغوائبها وكيف لا ونحن اوجدناها وكنا لا
نذكر من ذلك الا ما تدعو اليه الحكمة فلو شئنا لبسطنا هذه القصة وقصة اهل الكهف وفصلنا امر الروح تفصيلا يعجز عن حفظه الالباء
ثم اتبع في ارادته ناحية السد مخرج يأجوج ومأجوج سببا من جهة الشمال واستمر اخذا فيه حتى اذا بلغ في مسيره ذلك بين السدين
اي الجبلين المانعين من وراءهما الوصول منهما الى من امامهما وهما بمنقطع ارض الترك مما يلي بلاد ارمينية واذربيجان املسين يزلق عليهما
كل شيء قرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين والباقون بضمها فقيل هما بمعنى واحد وقيل المضموم من فعل الله والمفتوح من فعل
الناس وجد من دونهما اي بقربهما من الجانب الذي هو ادنى منهما الى الجهة التي اتى منها ذو القرنين قوما اي اقوياء لغتهم في غاية البعد من
لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد فهم لذلك لا يكادون يفقهون قولا اي لا يقربون من ان يفقهوه ممن مع ذي القرنين فهما
جيدا كما يفهم غيرهم ودل وصفهم بما يأتي على انهم يفهمون فهما ما بعد بعد وكذا ولو طويلة لعدم ما هو بلسانهم ممن مع ذي القرنين وعلم
ما هو بلسانهم احد ممن معه وهذا يدل على ان بينهم وبين بقية سكان الارض غير يأجوج ومأجوج برارى شاسعة وفيافي ولجة منقطع
من خلالهم بهم وان تطبعهم بلسان غيرهم بعيد جدا لقلة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال او نحو ذلك ويلزم من ذلك انهم لا يكادون
يفهمون غيرهم شيئا من كلامهم وذلك معنى قراءة حمزة والكسائي بضم التحتانية وكسر القاف فدل على ان عدم فهمهم وافهامهم مقيد بما مع قوله
قالوا اي مترجمهم او جيرانهم الذين من دونهم كما في مصحف ابن مسعود ممن يعرف بعض كلامهم او بالاشارة كما يخاطب الابكم يا ذا القرنين
مستنا القدرة ان يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان من الناس من اولاد يافث لا يطاق امرهم ولا يطفى جمرهم وقد ثبت في الصحيح في
حديث بعث النار انهم من ذرية آدم عليه السلام مفسدون في الارض بانواع الفساد فهل نجعل لك خرجا تخرجه لك من اموالنا
هذا على قراءة الجماعة وزاد حمزة والكسائي الفا فقيل هما بمعنى واحد وقيل بل الخرج ما تبرعت به والخراج ما [illegible]
على ان تجعل في جميع ما بيننا وبينهم من الارض التي يمكن توصلهم الينا منها بما اتاك الله من المكنة سدا يصل بين هذين
الجبلين قال بعفة وديانة وقصد للخير ما مكني ولما كان لمكنته حالتان احديهما ظاهرة وهي ما شوهد من فعله بعد وقوعه والباطنة
لا يقع احد عليها بحدس ولا بتوهم لانها مما لم يؤلف مثله فلا يقع المتوسم عليه قرأ ابن كثير باظهار النون في مكنني وغيره بالادغام اشارة
اليهما ولما كان النظر الى ما تقع المكنة فيه اكثر قدم ضميره فقال فيه ربي اي المحسن الي [illegible] من الاموال والرجال والفهم في
اتقان الامور والتوصل الى جميع الممكن للمخلوق خير اي من خرجكم الذي تريدون بذله لمكنتي كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير
مما آتاكم فاعينوني بقوة اي آلات ورجال اتقوى بها في فعل ذلك فان اهل البلاد اخبر بما يصلح في هذا العمل من بلادهم وما معي انما
هو للقتال وما يكون من بابه لا لمثل هذا اجعل بينكم اي بين ما تختصون به وبينهم ردما اي حاجزا حصينا موثقا بعضه فوق
بعض مع التلاحم المتلاحم الموجب لانه لا يميز بعضه من بعض وهو اعظم من السد قال البغوي حفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل
حشوه الصخر وطينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كانه عرق من جبل تحت الارض آتوني بفتح الهمزة ومدها على قراءة الجماعة

اي اعطوني وبهمزة وصل بعدها ساكنة اي جيئوني وتعالوا الي فقد اجبتكم الى سؤالكم ثم ابتدا معربا على هذه القراءة فقال زبر الحديد اي قطعه الكبار فاحضروه له فاتوه بذلك فردم بها فوق الاساس بعضه على بعض صفا من الحديد وصفا من الحطب قال البغوي فلم يزل يجعل قطع الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى اذا ساوى اي بذلك البناء بين الصدفين اي اعلى منقطع الجبلين الموصوفين سميا لتصادفهما اي تقابلهما وتقاربهما بالبناء على تلك الحالة عرضا وطولا وقراءة من فتح الصاد والدال وهم نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم دالة مع تقابلهما في غاية الاستقامة فكانهما جدار فتح فيه باب وقراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر بضمها دالة على انه مع ذلك في غاية القوة حتى ان العلاه والسفلة سواء وقراءة شعبة عن عاصم بالضم واسكان الدال دالة على اشد ثبات واتقنه في كل منهما فلا ينحت شي منهما على طول الزمان بريح ولا غيرها فصارا في احد الجانبين بزجاوة من سباخ او غيرها قال اي الصناع انفخوا اي الكوار فنفخوا فاضرم فيها النار واستمر كذلك حتى اذا جعله اي كله نارا قال القوم اتوني بالنحاس افرغ عليه اي الحديد المحمى قطرا منه بعد اذابته فان القطر النحاس المذاب وصنافي قراءة حمزة وابي بكر عن عاصم باسكان الهمزة وقراءة الباقين بفتح الهمزة ومد ما بعدها اعطوني النحاس ففعلوا ذلك فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا ثم قال الله تعالى فما اي فتسبب عن ذلك انه لما اكمل عمله واحكمه ما اسطاعوا اي ياجوج وماجوج وغيرهم ان يظهروه اي يعلوا ظهره لعلوه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وزيادة التاء هنا تدل على ان العلو عليه اصعب من نقبه لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو الجبل وقد حكى ابن خرداذبه عن سلام الترجمان الذي ارسله امير المومنين الواثق البحتري انه اي ارتفاعه مد البصر وانهم لو احتالوا بابتياد رمح جانبيه او وضع تراب يحفظ به واعليه لم ينفعهم ذلك لانه لا حيلة لهم على النزول من الجانب الاخر ويويده انهم انما يخرجون في اخر الزمان بنقبه لا بظهوره ولا ينافي نفي الاستطاعة لنقبه ما رواه الامام احمد والترمذي في التفسير وابن ماجه في الفتن عن ابي رافع عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ياجوج وماجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله فيستثني فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس الحديث وفي حديث الصحيحين عن زينب بنت جحش رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواياه عن ابي هريرة وفيه مثل هذه وعقد تسعين لكانه قيل فما قال الصيني فرغ قيل قال هذا اي السد رحمة من ربي المحسن الي باقداري عليه ومنع الفساد به فاذا جاء وعد ربي بقرب قيام الساعة جعله دكا باقدارهم على نقبه وهدمه وتسهيل ذلك عليهم والتعبير بالمصدر المنون في قراءة الجماعة للمبالغة في دكه هو الذي اشار اليه قراءة الكوفيين بالمد ممنوعا من الصرف ولما كان هذا امرا مستعظما خارقا للعادة علله بقوله وكان وعد ربي الذي وعد به في خروج ياجوج وماجوج وخرقهم الارض وافسادهم لها ثم قيام الساعة حقا كائنا لا محالة فلذلك كان على هذه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا وفي رواية عن رجل من اهل المدينة قال يا رسول الله لقد رايت سد ياجوج وماجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وفي رواية طريقة حمراء من حديد وطريقة سوداء من نحاس وفي رواية انه قال انتهيت الى ارض ليس لهم الا الحديد يعملونه ورواه الطبري وابن ابي عمر والطبراني في مسند الشاميين وابن مردويه عنه والبزار من وجه اخر من طريق ابي بكرة رضي الله عنه ذكره شيخنا ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف وفي فتح الباب من سيرة الحافظ ابي الربيع بن سالم الكلاعي شيخ ابن حبيش وكان امير تلك الجيوش التي بها عبد الرحمن بن ربيعة في ايام عمر رضي الله عنه ما نصه وحدث مطر بن ثلج التيمي قال دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب وشهربراز عنده يعني وكان ملك الباب من جهة الكسرى فاقبل رجل عليه شحوب حتى جلس الى شهربراز فتساءلا ثم ان شهربراز قال لعبد الرحمن ايها الامير اتدري من اين جاء هذا الرجل اني بعثته

منذ سنين نحو السد لينظر لي ما حاله ومن دونه وزودته مالا عظيما وكتبت له الى من يليني واهديت له وسالته ان يكتب الى من وراءه وزودته لكل ملك هدية ففعل ذلك بكل ملك بيني وبينه حتى انتهى الى الملك الذي السد في ظهر ارضه فكتب له الى عامله على ذلك البلد فاتاه فبعث معه بازياره ومعه عقابه فذكر انه احسن الى البازيار وشكر له البازيار فلما انتهيا اذا جبلان بينهما سد مسدود حتى ارتفع على الجبلين بعدما استوى بهما واذا دون السد خندق اشد سوادا من الليل لبعده فنظر الى ذلك وتفرس فيه ثم ذهب لينصرف فقال له البازيار على رسلك كافئك انه لا يلي ملك بعد ملك الا تقرب الى الله بافضل ما عنده من الدنيا فيرمي به في هذا اللهب فشرح بضعة معه فالقاها في ذلك الهوا وانقض عليها العقاب قال ان ادركتها قبل ان تقع فلا شي وان لم تدركها حتى تقع فذلك شي فخرج علينا بالعقاب بالقطعة في مخاليبه واذا فيها ياقوتة فاعطانيها وهي هذه فتناولها شهربراز وهي حمراء فناولها عبد الرحمن فنظر اليها ثم ردها اليه فقال شهربراز هذه خير من هذه البلدة يعني الباب وايم الله لانتم احب الي ملكة من ال كسرى ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني وايم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم او وفى ملككم الاكبر فاقبل عبد الرحمن على الرسول وقال ما حال الردم وما شبهه فقال هذا الثوب الذي على هذا الرجل واشار الى مطر بن ثلج وكان عليه قباء برود يمنية ارضه حمراء ووشيه اسود او وشيه احمر وارضه سوداء فقال مطر صدق والله الرجل لقد نفذ ورأى فقال عبد الرحمن اجل ووصف صفة الحديد والصفر وقرأ اتوني زبر الحديد الى اخر الاية وقال عبد الرحمن لشهربراز كم كانت هديتك قال قيمة مائة الف في بلادي هذه وثلاثة الاف الف واكثر في تلك البلدان انتهى وقد ظهر ان ما تعنتوا به من قصص اصحاب الكهف وذي القرنين وما ادرج بينهما من قصتي الكليم والخضر عليهما السلام بذلك من قصة موسى عليه السلام دال على قيام الساعة فصار كله اعظم ملزم لهم ان قبلوه واوضح فاضح لعنادهم ان تركوه ولما انقضى ما سالوا عنه على احسن وجه في ابلغ سياق وابدع تناسب وادرج في خلاله ما ادرج من الذكر والوعظ والامر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتبكيت للكاتمين لما عندهم من العلم الناكبين عما استبان لهم من الطريق الاحب والمنهج الواضح صنع القادر الحكيم الذي لا يستخفه ضجر فيتعجل ولا يعتريه امر فيتمهل وختمه بما هو علم عظيم على الساعة ذكر ما يكون اذ ذاك وما يكون بعده الحصول كل من الفريقين في داره ومحل استقراره ولما كان ذلك امرا عظيما دل على الباري فقال عاطفا على ما تقديره فقرب امر ذي القرنين اي بنيانه وصدق في قوله فاذا جاء وعد ربي جعله دكا بقدرتنا التي لا يثنيها شيء ياجوج وماجوج دكا فاخرجناهم على الناس بعد خروج الدجال وتركنا بعضهم اي بعض الخلق السرو من امامه يومئذ اي اذ جعلنا السد دكا وخرجوا مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان وهم كما قال الله تعالى من كل حدب ينسلون يموج اي يضطرب في بعض كما يموج البحر فاهلكوا اماموا عليه من شيء الا ما اراد الله ثم اباد جمعهم الله تعالى وخلقهم وبقرب ذلك افنى الخلائق اجمعين ونفخ في الصور اي النفخة الثانية لقوله فجمعناهم ويجوز ان يكون هذه الفاء فصيحة فيكون المراد النفخة الاولى اي ونفخ فمات الخلائق كلهم فبليت اجسامهم وتفتتت عظامهم كما كان من تقدمهم ثم نفخ النفخة الثانية فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه وتفرقهم في اقطار الارض حتى عبر بالسيول والرياح وغير ذلك جمعا فاقمناهم دفعة واحدة كلمح البصر وحشرناهم الى الموقف للحساب ثم العقاب او الثواب وعرضنا اي اظهرنا جهنم يومئذ اي اذ جمعناهم لذلك للكافرين عرضا ظاهرا لهم كلها فيها من الاهوال وهم لا يجدون عنها مصرفا ثم وصفهم بما اوجب سجنهم فيها وتجهيزها لهم فقال الذين كانت اعينهم الوجهية والقلبية في غطاء عن ذكري بعدم النظر فيما جعلنا على الارض من زينة دليلا على الساعة بافنائه اي كونه ناله تجبيلة لهم ثم اثر احيائه واعادته بعدما بدائه وكانوا بما جبلناهم عليه لا يستطيعون اي استطاعة عظيمة لتسورهم لضعف عقولهم وغرور شهواتهم ثم وصفهم سمعا لاياتي التي تسمع الصم وتبصر الكمه وهو ابلغ في التبكيت بالغباوة والتقريع بالبلادة من مجرد نفي البصر والسمع لان ذلك لا ينفي الاستطاعة ثم عطف على ما افهمه ذلك قوله موبخا ومبكتا افحسب اي اغطوا اعينهم عن اياتي واصموا اسماعهم عن كلماتي فحسب عبادي فحسبوا لضعف عقولهم وانما قال الذين كفروا دلالة على الوصف الذي اوجب لهم ذلك ان يتخذوا اي ولو بادنى الجهد عبادي من الاحياء كالملائكة وعزير والمسيح والاموات كالاصنام ولما كان كل شيء دونه سبحانه وكان لا يستغرق شيء من الاشياء جميع ما دونه من المراتب اثبت الجار فقال من دوني اولياء اي ينفعونهم اي اتخاذهم من دوني اذني والمفعول الثاني لحسب محذوف تقديره

ينصرونهم ويدفعون عنهم بجعلهم بعضهم ولداً لي وأعداءهم ولما كانت غاية اتخاذ الولي أن يفعل ما يفعل القريب من النصر والحماية من كل
من جار ركون هذا لسان اسم مفعول لحسب لأن معناه أحسبوا اتخاذهم بأنهم مني ولما كان معنى الاستفهام الإنكاري للتبكيت لأمر كذلك بل
أصله زندهم وخاب جدهم وعاب سعدهم حسن تعقيبه بقوله مؤكداً لأجل إنكارهم إنا أعتدنا جهنم التي تقدم أنا عرضناها لهم للكافرين
نزلاً تقدمة لهم أول قدومهم كما يعجل للضيف فلا يقدر أحد على منعها عنهم ولهم وراءها ما تحتقر بالنسبة إليه كما تحتقر ما يعجل للنزول
بالنسبة إليه ولما تبين بذلك أن الذي حامرته فيه من خسر وخسران لا ربح معه وخاب كانوا يؤملون أمره أن ينبههم على ذلك فقال قل هل ننبئكم
أي نخبركم أنا وكل عبد لله ليس على عينه في غطاء عن الذكر ولا في سمعه حجز عن الوعي إخباراً عظيماً أيها الكافرون من الخالق ولا رازق لهم سواه
والمقبلون على من ليس بيده شيء من خلق ولا رزق ولا غيره بالأخسرين ولما كانت أعمالهم مختلفة فمنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد النجوم
ومنهم من يعبد بعض الأنبياء ومنهم من يعبد الأوثان ومنهم من كفر بغير ذلك جمع المميز فقال أعمالاً ثم وصفهم بضد ما يدعونه لأنفسهم من
نجاح السعي وإحسان الصنع فقال الذين ضل سعيهم أي جاز عن القصد فبطل في الحياة الدنيا بالإعراض عمن لا ينفعهم ولا يضرهم
الهوى والإقبال على ما لا نفع فيه ولا ضر وهم أي والحال أنهم مع ظهور ذلك كالشمس يحسبون لضعف عقولهم أنهم يحسنون صنعاً
أي فعلاً هو في غاية الإحكام وهم في غاية الدربة به وروى البخاري في التفسير عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما أن الأخسرين اليهود و
النصارى قال أما اليهود فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب وكذا في اليهود لا ن
الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني ولما كانوا ينكرون أنهم على ذلك لما زينتهم كثير من محاسن الأعمال البهية عن الضلال
بين لهم السبب في بطلان نعيمهم بقوله أولئك أي البعداء البغضاء الذين كفروا أي غطوا الحق والتغطية لما موجه أن يظهر ويشهر مستبين ن
بآيات ربهم من كلامه وأفعاله من تبين سبب هذا الكفر بقوله ولقائه أي بعد البعث فهم فلا يرجون شيئاً على أعمالهم فحبطت أي سقطت وبطلت
وفسدت بسبب جحدهم لذلك كل أعمالهم لعدم بنائها على أساس الإيمان فلا أي فتسبب عن سقوطها أنا لا نقيم لهم على ما لنا من الكبرياء ن
والعظمة المانعين من اعتراض أحد علينا أو شفاعته بغير إذننا لدينا يوم القيمة وزناً أي لا نعتبرهم لكونهم جهلوا أمرنا الذي اشتهى إظهاره
وأسولكننا ولا شيء أخطر منه ولما كان هذا السياق في الدلالة على أن لهم جهنم أوضح لمن تم قال ذلك أي الأمر العظيم الذي بيناه من وعيدهم
جزاؤهم لكن لما كان بعضه لازم لهم بعضاً ونهم بين الجزاء بقوله جهنم وصرح بالسببية بقوله بما كفروا أي أوقعوا التغطية واتخذوا
آياتي التي هي مع إنارتها أجل الجد وأبعد شيء عن الهزل ورسلي المؤيدين بباهر آياتي مع ما لهم من الشهامة والفضل هزواً فلم يكتفوا
بالكفر الذي هو طعن في الإلهية حتى ضموا إليه الهزو الذي هو أعظم احتقار ولما بين ما للأخسرين أهل الجمع تنفيراً عنهم بين ما للأخرين على
تقدير الجواب لسؤال تقتضيه الحال ترغيباً في اتباعهم والاقتداء بهم فقال إن الذين آمنوا أي أقروا بالإيمان وعملوا تصديقاً لإيمانهم
الصالحات من الخصال كانت لهم لبنائهم أعمالهم على الأساس جنات أي بساتين الفردوس أي أعلى الجنة وأصله البستان الذي هو الجنة ن
بالحقيقة لا تخفا ما دونه منه وستر من يدخله بكثرة أشجاره نزلاً كما كانت السعير للأغلال ولذلك نزلاً بعدلهم حين الدخول خالدين
فيها بعد دخولهم لا يبغون أي يريدون إرادة تامة عنها حولاً لأنه لا مزيد عليها دفعاً لما قد يتوهم من أن الأمر كما في الدنيا من أن كل
أحد في أي نعيم كان يشتهي ما هو أعلى منه لا نطول الإقامة قد يورث السآمة بل هم في غاية الرضى بها لما فيها من أنواع الملاذ التي لا حصر لها
ولا انقضاء لا يشتهي أحد منهم غير ما عنده سواء كان في الفردوس أو فيما دونه وهو تعريض بالكفرة في أنهم يصطرخون في النار ربنا أخرجنا
منها وذلك عكس ما كان في الدنيا من ركون الكفار إليها ومحبتهم في طول البقاء فيها وعزوف المؤمنين عنها وشوقهم إلى ربهم بعبادته
ولما تم الجواب عن أسئلتهم على أحسن الوجوه مخللاً بما تراه من الحجج البينة والنفائس الملازمة لهم بفصل النزاع وأتبع ذلك بفصل الأمر الذي
بعقله المجرمون على الكفر وهو أمر البعث إلى أن ختمه بما يقتضي أن معلوماته لا تنحصر لأن مقدوراته في تنعيم أهل الجنة لا آخر لها فلا تعد
وكان اليهود قد اعترضوا على قوله في أولها وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً بأنهم أوتوا التوراة وكان كل ما سألوا عنه من الفصول

الطويلة الذي لو الصور مهولة كان وبما قال أنك بالمراد بزينة الأرض ما قال نعم أمر الماهي يحتمل ذلك كله معلماً لهم بأنهم لا يمكنهم الوقوف على تمام
شرح شيء من معلوماته وأحد لاستقصا الشيء من مقدوراته قطعاً لهم عن السؤال وتقريباً إلى أفهامهم بضرب المثال قل أي لأشرف الخلق لهم لو كان
البحر أي ماؤه على عظمته عندكم مداداً وهو اسم لما تمد به الدواة من الحبر لكلمات أي لكتب كلمات ربي أي المحسن إلي في وصف ذلك وغيره
مما تعنتموه في السؤال عنه مما لم تقم عندنا وغير ذلك لنفد أي فني مع الضعف فناء لا تدارك له البحر لأنه جسم متناه ولما كانت المخلوقات
تكون ممكنة ليس لها من ذاتها إلا العدم وكانت الكلمات من صفة الله وصفات الله واجبة الوجود فكان نفادها محالاً في الإنفاد الممكن من البحر وما يمده
بالنسبة لها مستغرقاً للأزمنة كلها عاد الظرف من حرف الجر فقال قبل أن تنفد أي تفنى وتفرغ كلمات ربي لأنها لا تتناهى لأن معلوماته
ومقدوراته لا تتناهى وكل منها له شرح طويل وخطب جليل ولما لم يكن أحد غيره يقدر على إمداد البحر قال ولو جئنا أي بما لنا من العظمة
التي لا تكون لغيرنا بمثله مدداً أي لم تكتب منه لنفد أيضاً وهذا كله كناية عن عدم النفاد لأنه تعليق على محال العادة كقولهم لا أفعل
كذا ما بل بحر صوفة وما دجى الليل ونحو هذا ولعله عبر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه وذلك أمر
لا يدخل تحت وصف وعبر بالقبل دون أن يقال ولم ينفد ونحوه لأن ذلك كاف في قطعهم عن الاستقصاء في السؤال ولأن التعبير بمثل ذلك
وبما فتح بابه من التعنت وهو أن يجعلوا الواو للحال فيجعلوا النفاد مقيداً بذلك ولما تطابقا على فاقتضى سياقهما في تلك ما فيها
على الغني الحميد ومقصودها أن يكون التعبير فيها بغير ما هنا فأتى في كل سورة أبلغ بالنسبة إلى سياقه مع أنه ليس في إفصاح واحدة منهما
ما يدل على نفاد الكلمات أو لا عدمه وفي إفهام كل منهما يتدبر القرآن في السياق وغيره ما يقطع بعدم نفادها ولا تخالف بين الآيتين
وإن كان التعبير في هذه السورة أدخل في المتشابه ويجاب عنه بما قالوا في مثل قول الشاعر على لا تهتدي بمناره ومن رما
في حيز السلب لا يقتضي الوجود ولعل التعبير بمثل هذا من الفتن المميزة بين من في قلبه مرض وبين الراسخ الذي يرد المتشابه إلى المحكم وهو
ما دل عليه البرهان القاطع من أنه تعالى لا نهاية لذاته ولا لشيء من صفاته بل هو الأول والآخر الباقي بلا زوال والله أعلم ولما كانوا ربما قالوا
ما لك لا تخبرنا من هذه الكلمات بكل ما سألناك عنه حين سألناك وكانوا قد استكثروا كون النبي بشراً وجوزوا كون الإله حجراً وعتوا
إيمانهم بأمور يأتوا في الآتية بها كما تقدم بعد أول مسائلهم وهي الروح أمرهم سبحانه وكان قد ثبت بإجابتهم عن المسائل على هذا الوجه
أنه رسول الرحيم سبحانه أن يجيبهم عن ذلك كله بما يرد عليهم غلطهم ويفضح شبههم إرشاداً لهم إلى أهم ما يعنيهم من الحرف الذي النزاع كله
دائر عليه وهو التوحيد فقال قل إنما أنا أي في الاستبداد بالقدرة على إيجاد المعدوم والإخبار بالمغيب بشر مثلكم أي لا أمر لي ولا قدرة
إلا على ما يقدرني عليه ربي ولا أستبعد إرسالي من الله فإن ذلك سنته فيمن قبلي يوحى إلي أي من الله الذي خصني برسالته كما أوحى إلى الرسل
قبلي ما لا غنى لأحد عن علمه واعتقاده أنما إلهكم وأشار إلى أن الإلهية بالإطلاق لا بالنظر إلى جعل جاعل ولا غير ذلك فقال إله واحد أي
لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها قادر على ما يريد لا منازع له لم يؤخر جواب ما سألتموني عنه من عجز ولا جهل ولا هوان بي عليه هذا هو الذي يعني كل
أحد علمه وأما ما سألتم عنه من أمر الروح والقصتين تعنتاً فأمر لو جهلتموه ما ضركم جهله وإن شعبتموني علمتموه الآن وما دل عليه أمر الساعة
إيماناً بالغيب علم اليقين وعلمتموه بعد الموت بالمشاهدة عين اليقين وبالمباشرة حق اليقين وإلا لم تتبعوه لم ينفعكم علمه فمن أي فتسبب عن وحدة
المستلزمة للقدرة أنه من كان يرجو لقاءه أي يؤمل مجازاته له على أعماله في الآخرة برؤيته وغيرها وإنما قال لقاء ربه تنبيهاً على أنه هو المحسن إليه الحكم
بالتفرد بخلقه ورزقه لا شريك له في شيء من ذلك على وجه ما نعلمه من أنه لا مالك إلا هو فهو أهل لما يحكم على لقائه مصدق بحكمه وأمره في صباحه
ومسائه ولما كان الجزاء من جنس العمل كان الواجب على العبد الإخلاص في عمله كما أخلص في عمله كما أن عمل ربه في تربيته بالإيجاد وما بعده فقال فليعمل وأكد
لإعلامه بأنه لا بد مع التصديق من الإقرار فقال عملاً أي ولو كان قليلاً صالحاً وهو ما يأمره به من أصول الدين وفروعه من التوحيد وغيره
من إعمال القلب والبدن والمال ليسلم من عذابه ولا يشرك أي ولكن ذلك العمل مبنياً على الأساس وهو أن لا يشرك ولو بالرياء بعبادة
ربه أحداً فإذا أمرك الله فإنا نخبر عن علوم الدنيا والآخرة وقد انطبق آخر السورة على أولها بوصف كلمات الله ثم ما يوحى إليه وكل منهما

629

اعلم ان الكتاب بالاقومية للدعاء الى الحال الاتم في الطريق الاقوم وهو التوحيد عن الشرك الاعم من الولد وغيره والاحسان
في العمل مع البشارة لمن امن والنذارة لمن اعرض عن الايات والذكر فبان بذلك ان الله تعالى بوحدانيته
وتمام علمه وشمول قدرته صفات الكمال فصح انه المستحق لجميع الحمد
والله سبحانه الموفق

